الله والوطن الاتحاد والارتقاء

الجامعة العثمانية

مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في ١٥ مارس (اذار) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٣ ذو القعدة سنة ١٣١٦

المقدمة

قد عزمنا بعون الله تعالى ومؤازرة بعض من افاضل العلماء والكتاب في مصر وسوريا على اصدار هذه المجلة للافادة والاستفادة من وراء هذه الخدمة الادبية . وسيكون اهم اغراض هذه المجلة خدمة الوطن العثماني والمصري والجامعة العثمانية بنوع مخصوص فتبحث في ما يجمع لا في ما يفرق . وفي ما يرتق لا في ما يفتق . واضعة امرها الوطني فوق كل امر سواه معتمدة في مباحثها على الفائدة قبل اللذة مجتنبة رذيلة الطعن ورذيلة التملق وهما الداءان الفاشيان اليوم من سوء حظ الشرق في كثير من الجرائد الشرقية

وستصرف معظم همها الى المباحث التهذيبية فيكون فيها ما عدا المباحث الادبية والسياسية والتاريخية باب للتربية والتعليم مفتوح للكتاب والادباء يبحثون فيه معنا في اصلاح طرق التعليم والتربية في مدارس الشرق وباب آخر للمرأة والعائلة مفتوح للكاتبات الاديبات يبحثن فيه معنا ايضاً في تحسين حالة المرأة والعائلة في بلاد الشرق ليكون النسل الناشئ خلقاً جديداً فيه ما يجب من فضائل الغد وليس فيه شيء من رذائل الامس فان هذا دون سواه طريق كل اصلاح وصلاح في كل هيئة اجتماعية

وللجامعة العثمانية في القطرين المصري والسوري بين اخواننا المسلمين والمسيحيين انصار من الكتاب والافاضل يشدون ازرها في خطتها الجليلة التي عاهدت نفسها عليها . ولها ما عدا هذا ثقتها بقوة المبدإ الشريف الذي تمثله وشعور العثمانيين في كل مكان بوجوب تألفهم كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً والتفافهم حول

العرش الحميدي السامي بازاء سيل الغرب الجارف ليكونوا سداً دونه فان هذا الشعور وتلك الثقة لما يسهل عملها و يمهد لها سبيلها

هذا وقد خطب في السنة الفائتة وزير كبير في اوروبا فقسم امم العالم الى امم (حية) وامم (مائتة) فاذا قام اليوم فينا من يقسم جرائدنا الى حية ومائتة فاننا بازاء ما أعددنا لسراج «الجامعة العثمانية» من الزيت الادبي والمادي نبشر حضرات قرائها وانصارها الكرام انه يضعها في جملة الجرائد المملئة حياة وشباباً

وفي الختام تدعو الجامعة العثمانية الى الله تعالى ان يحفظ للوطن العثماني جلالة مولانا السلطان الاعظم (عبد الحميد خان الثاني) حامي حمى الدولة وجامع الجامعة الوطنية العثمانية تحت راية واحدة وتسأله تعالى التوفيق والهداية في هذه الطريق المحفوفة بالمصاعب وان يجعل ما يصبُّ عليها من جامات الغضب وسوء الظن برداً وسلاماً وان يحييها حياة طيبة ليتسنى لها فيها خدمة سلطانها ووطنها وامتها الخدمة التي يريدها كل عاقل نصير للوطن العثماني والجامعة العثمانية

ثم تسأله عز وجل ان يديم على هذا القطر السعيد نور نبراسه · وبهاء مجد عباسه · رأس مصر الذي به تفتكر · وعينها الذي بها ترى · وقلبها الذي به تحس وتشعر · سمو الجناب الخديوي المعظم الذي اينع في عهده غرس الادب في مصر فحق لسموه الشكر والدعاء في مفتتح جميع الاعمال الادبية

ورغبة في تسهيل اقتناء هذه المجلة لجميع طبقات الامة العثمانية في مصر والشام والعراق والاناضول واميركا وفي كل مكان يقيم العثمانيون فيه قد جعلنا قيمة الاشتراك فيها قليلة بالنسبة الى الجرائد والمجلات الاخرى · وهي اربعون غرشاً مصرياً في داخل القطر وثلاثة عشر فرنكا في الخارج فمن اراد الاشتراك فليطلب ذلك رأساً في البوسطة او من وكلائنا في الجهات اذ قلما ترسل هذه المجلة الى من لا يطلبها

﴿ بيان ابواب الجامعة العثمانية ﴾

يتضمن كل جزء من هذه المجلة الابواب التالية :

١ باب المقالات — يتضمن هذا الباب مقالات مختلفة في السياسة والادب والتاريخ بعضها مقتطف من ابحاث لاشهر كتاب الافرنج وبعضها مكتوب باقلام نخبة من اشهر كتاب العصر

٢ التربية والتعليم — يشتمل هذا الباب على ابحاث في طرق التربية العائلية والتربية المدرسية وفي اصلاحها وفي المدارس ووظيفتها والمعلمين وواجباتهم وكتب التعليم

٣ المرأة والعائلة — فتحنا هذا الباب لاديبات الشرق ليبحثن فيه معنا في ما يكون فيه صلاح حال المرأة الشرقية و نبناه على المبدإ الآتي « اساس الهيئة الاجتماعية الامة . واساس الامة العائلة واساس العائلة الام اي المرأة ففي اصلاح شأن المرأة اصلاح الهيئة الاجتماعية كلها » تعليم البنات . تدبير المنزل . استقلال المرأة

٤ باب الشعر والانشاء — يشتمل على قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لنوابغ الشعراء والكتاب المتأخرين والمتقدمين

٥ الاخبار الداخلية — يتضمن خلاصة الاخبار العثمانية والمصرية المحلية والسياسية والادارية

٥ الاخبار الخارجية — يشتمل على خلاصة أهم الاخبار السياسية الخارجية

٦ باب الروايات — رواية الحب حتى الموت : وهي رواية ادبية اجتماعية غرامية حدثت حوادثها في اميركا ومصر والقدس الشريف وطرابلس الشام ولبنان تاليف منشئ هذه المجلة



﴿ تنبيهان ﴾

١ — يساعد في تحرير هذه المجلة نخبة من افاضل العلماء والكتاب في مصر وسوريا و يضع كل منهم اسمه على ما يكتبه او يصطلح على اسم يوقع به

٢ — من يقدم لهذه المجلة دفعة واحدة او بالتتابع خمس مقالات وتقبل المجلة نشرها فله الحق بطلب عشر نسخ من نسخها ترسل من كل جزء خالصة اجرة البريد الى اي محل اراد على شرط ان ينبه الكاتب الادارة الى غرضه عند المقالة الاولى و يوقع المقالات باسمه

✻ الاصلاح الحقيقي ✻

غرض هـذه المجلة

امبراطور وفيلسوف ــ اقوال في الاصلاح متضاربة ــ الاصلاح الحقيقي ــ شجرة تثمر صلاحاً وفساداً ــ الاساس ــ حديقتان ــ واضع الاساس ــ اله الذهب ــ دواء الداء ــ غرض المجلة ــ السيدات ــ المرأة في القرن العشرين

نبغ في فرنسا في اواخر هذا القرن فيلسوف عظيم تفرَّد بابحاثه في الفلسفة والأدب والسياسة وعلم الاجتماع تفرداً حمل الامبراطور غليوم على ان يقرع يوماً بيده ظهر هـذا الفيلسوف في حياته تحبباً ويقول له : « انك يامسيو جول سيمون ابو المسألة الاجتماعية »

وقد كتب هذا الفيلسوف كتباً من اسمى الكتب الاجتماعية والادبية والفلسفية منها كتاب الواجبات لذي كللته الاكادمي الفرنسوية وكتاب العائلة وكتاب المدرسة وكتاب المرأة في القرن العشرين وهو آخر كتاب كتبه رحمه الله

كتبه واقلام الكتاب تشتبك في الصحف الفرنسوية اشتباك الأسل واصوات الخطباء تدوي في قاعة مجلس النواب الفرنسوي دوياً يتردد صداهُ في فرنسا كلها والامة ناظرة الى هؤلاء الكتاب والخطباء قوادها في الحياة السياسية نظرة الحائر في الادوية المختلفة التي يصفونها لاصلاح حالها . فقد كان منهم قوم ينادون ان صلاح حال الامة لا يكون الا في تنقيح الدستور الفرنسوي . وغيرهم يزعمون انه في فصل الكنيسة عن الحكومة ونفي الاكليروس وحل الجمعيات الاكليريكية . وغيرهم يرون الاصلاح في تأسيس المدارس وتأييد التجارة والصناعة والزراعة وتخفيف الضرائب . وآخرون وفي مقدمتهم جول فري يقولون انه في الاستعمار وامتلاك الاراضي البعيدة وصلاً للاسباب التجارية والصناعية والزراعية بينها وبين الامة التي تمتلكها .

فبين هذه الافكار المتضاربة والمطالب المختلفة تناول المسيو جول سيمون قلمهُ بعد الفراغ من كتابة كتابه ووضع لهذا الكتاب مقدمة عنوانها « الاصلاح الحقيقي »

وما هو هذا الاصلاح الحقيقي الذي اراده . اراد ان سقف البيت لا يبنى قبل اساسه والنهاية لا تدرك في البداية . والامة التي تطلب صلاح حالها في الاستعمار او تنقيح دستورها واطلاق العنـان لجرائدها وجمعياتها وانشاء الحريـة السياسية في طبقاتها العليا والسفلى امة تبني السقف قبل وضع الاساس . فان هذه الفضائل السياسية هي من اجزاء صلاح الحال وليست صلاح الحال كله . بل ربما كانت من اجزاء فساد الحال اذا صرفت في غير وجهها الحقيقي .

ضع لامة من الامم دستوراً حراً جديداً واطلق حرية اقلامها ومنابرها وقيد ولاتها وحكامها بمجالس ادارية يكون اعضاؤها رقباء عليهم وامنح هذه الامة ما شئت وما شاءت من الحرية الشخصية والعمومية والسياسية . فماذا ينشأ عن صنعك هذا ؟ ينشأ عنه واحد من اثنين . صلاح هذه الامة او فسادها . صلاحها اذا كان افرادها عارفين بما لهم وما عليهم يصرفون هذه الحرية الشريفة التي منحوها في وجهها الدستوري لا يميلون مع هوى النفس ويضعون المصلحة العمومية فوق كل مصلحة ذاتية . وفسادها اذا كانوا على عكس ذلك اي انهم يتخذون حرية الاقلام سبيلا الى ثلم الاعراض وابتزاز الاموال والطعن على الحكام . وحرية الجمعيات وسيلة الى التفاضل والتصدُّر . والمجالس الادارية ذريعة لمقاسمة الحكام ما يمتصونه من دماء الرعية .

فالفضائل التي مرَّ ذكرها ليست خيراً بالاطلاق بل بالاضافة . لانها تكون خيراً مع الاخلاق الفاضلة والسجايا الشريفة وشراً مع الاخلاق الفاسدة والسجايا الدنيئة فصلاح الاخلاق اذاً هو الاساس الذي يجب ان يبنى عليه كل اصلاح وكل فضيلة سياسية .

والاخلاق اغراس لينة منبت اسلتها حديقتان جميلتان فيهما السعادة والهناء اذا كان على هذه الارض هناء وسعادة . وهاتان الحديقتان هما : العائلة والمدرسة . ونريد بهما التربية العائلية والتربية المدرسية فانهما الوسيلة الى غرس الاخلاق الفاضلة في عقول افراد الامة وابلاغهم الدرجة الادبية التي يستحقون عندها نعمة الحرية السياسية . فيجب اذاً على الذين يبحثون في اصلاح الامم ان يبدأوا بالبحث في اصلاح اخلاقها اصلاحاً ادبياً اجتماعياً قبل الاصلاح السياسي والا كانوا كمن يطلب بناء السقف قبل وضع الاساس .

ومعلوم ان اوان التربيه العائلية قبل التربية المدرسية

فالاولى اذاً اساس للثانية . والتربية العائلية من شؤون المرأة ووظيفتها لانها الام والام هي المربية الطبيعية . فالمرأة اذاً هي التي تضع بيدها اللطيفة النحيفة في روح الامة ذلك الاساس الوطيد الذي يجب ان تبنى عليه الفضائل السياسية . ففي اصلاح شأن المرأة اذاً اصلاح الهيئة الاجتماعية كلها .

وصلنا الآن الى غرض هذه المجلة . اهم اغراض هذه المجلة غرضان مرتبطان متحدان الواحد ادبي والثاني سياسي . الاول البحث في ما يكون فيه صلاح حال الامة العثمانية والمصرية ادبياً والثاني في ما يكون فيه صلاح حالها سياسياً . وكلا الامرين في رأينا منوط بصلاح التربية . اتطلبون هيئة ادبية فاضلة ? ربوا المرأة لتربي ابناءها تربية فاضلة فيكون منهم هيئة اجتماعية فاضلة . اتطلبون هيئة سياسية فاضلة ? ربوا المرأة لتضع لكم في نفوس الامة ذلك الاساس الوطيد الذي يمكنكم ان تبنوا عليه بعد ذلك الفضائل السياسية .

تشكون من ان الغش كثير في المعاملات . والفساد ينتشر شيئاً فشيئاً . والفضيلة تخفض جناحيها بازاء الرذيلة . والناس اصبحوا في كل مكان في الشرق والغرب يزحفون الى اغراضهم الشخصية زحفاً على بطونهم ويمرغون جباههم تحت اقدام اله الذهب بتراب الذل والدناءة والهوان . تشكون من ان الرشوة في اكثر الممالك الغربية والشرقية سارية في جيوب كثيرين من الحكام سريان الدماء في الاجسام وان الفساد السياسي لا ينقص عن الفساد الادبي . تشكون من انقسام الامة وزيادة قوة الدفع فيها على قوة الجذب . نعم ونحن نشكو معكم ايضاً . الا اننا لا نرى رأيكم في مداواة تلك الادواء بالطعن والقذف والافتراء . بل اننا لا نرى لتلك الادواء الا داء واحداً وهو تربية النسل الناشئ تربية صحيحة فاضلة ليكون خلقاً جديداً فيه كل ما يجب من فضائل الغد وليس فيه شيء من رذائل الامس فان هذا دون سواه طريق كل اصلاح وصلاح في كل هيئة اجتماعية .

هذه خلاصة المبادىء التي وضعها الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » والمقدمة التي وضعها له بعنوان « الاصلاح الحقيقي » وغرض الجامعة العثمانية ان تكون صدى لهذه المبادىء الشريفة فتبذل جهد المستطيع في سبيل نشرها وتوجيه الانظار اليها فان الحركة الادبية والسياسية في اشد حاجة اليها في هذا الزمان .

ومن اجل ذلك قسمنا هذه المجلة الى ابواب يؤدي اكثرها الى الغرض المذكور وقرّبناها الى اذواق السيدات وجعلناها المجلة الاكثر اهتماماً بخيرهنّ حتى تكون الاحق باهتمامهنّ من سائر المجلات .

هذا ولما كان منشىء هذه المجلة قد نقل الى اللغة العربية كتاب « المرأة في القرن العشرين » الذي ورد ذكره آنفاً واستأذن في نشره مؤلفه الفيلسوف جول سيمون فاذن له فيه قبل وفاته رحمه الله بكتاب كتبه بيده فقد رأينا ان ننشر في الجامعة بعض فصول هذا الكتاب لما فيها من الآراء الصائبة والابحاث الجديدة المفيدة . فنوجه اليها انظار القراء من الان .

✻ الشرق والغرب ✻

الداء الخارجي

يؤخذ من الفصل السابق ان الد اعداء الاصلاح في الامة هو الاخلاق الفاسدة التي ينشئها فيها الجهل الوخيم وان دواء هذا الداء لا يكون الا بالتربية والتعليم . ونسمي هذا الداء الداء الداخلي لانه ينشأ في باطن الامة و يولد فيها جراثيم الفساد التي تاكل لحمها وتشرب دمها وتكون اصل جميع بلاياها ورزاياها . على ان هنالك غير هذا الداء الداخلي داء خارجياً يكاد يكون اشد خطراً واكثر تأثيراً

وقف الكاتب فولني يوماً على الاطلال تدمر بين الميا كل المقوضة والامجاد البالية والاعمدة القائمة وسط تلك الاطلال قيام الحراس على حراسة المكان فاخذ في هدوء الليل ونور القمر الطالع بتعي الشرق ومجده القديم ناسباً كل ما اصيب به الى الجهل الوخيم . ثم ارتفع في جو التصوّر والخيال فاسند خده الى ذراعه وقال في نفسه : — من يعلم اذا كان لا ينكسف يوماً نور الغرب كما انكسف نور الشرق فيقف يوماً سائح مثلي على اطلال لندرا و باريز نادباً على ضفاف السين والتاميز بقايا التمدن الغربي ورسومه الدارسة

وكأن الغرب مع ما في باطن شجرته من السوس الذي ينخرها شيئاً فشيئاً بعيد عن هذه الحال التي اشار اليها فولني بعداً قصياً . فاننا نراه ممتلئاً شباباً وحياة يندفع ابناؤه الآن على الشرق اندفاع الليث على فريسته لا يهمه غير الوصول اليها وانشاب مخالبه فيها . وقد انفذ دعاته افواجاً بعضهم

يحملون في مقدمتهم راية القوة يحميها السيف والنار و بعضهم يحملون راية الدين والمدنية والانسانية وفي ثنياتها الاغراض السياسية . واول ما يبدأ به هؤلاء الفاتحون تارة فتحاً سياسياً وطوراً فتحاً ادبياً هو التفريق بين الداخلين اليهم ليتخذوا بعضهم على بعض عوناً وظهيراً فاذا كان جدار الوطنية في تلك الامة التي يدخلون اليها غير قوي استطاعوا فتح الثغرة التي يريدون فتحها فيه ثم دخلوا من هذه الثغرة الى اغراضهم . كذا يصنع الغرب الآن في بلاد الشرق حيث ادرت نظرك فيه

ودولتنا العثمانية العزيزة على كل عثماني جزء من هذا الشرق العزيز على العالم اجمع بالنظر لما له في التاريخ من الآثار العظيمة . وانا نراها باعيننا تعاني في مقاومة الهاجمين للفتح الفعلي والفتح المعنوي بلاء شديداً يقضي على جميع العثمانيين باجتماع الكلمة والاتحاد الشديد ليكونوا يداً واحدة في الدفاع عن انفسهم دفاعاً معنوياً ودفاعاً عند الحاجة فعلياً . و يتم الدفاع الاول بالنهوض الى الاعمال الاقتصادية والصناعية والزراعية نهوضاً يصرف خيرات البلاد الى اهلها لا الى ضيوفها . و يتم الدفاع الثاني بشعور عناصر الامة كلها انها جسم واحد اذا اصاب الالم عضواً منه شعر به الجسم كله

ومن سوء الحظ ان الغرب قد وجد في هذا الجسم مدخلا لاطماعه التي لا حد لها . وما وجده معداً مفتوحاً بل فتحه بيديه مستخدماً لذلك مبدأ التقسيم القائل « فرق تسد » فاخذ يعمل على تفريق القلوب وقسمة الكلمة مستخدماً البعض ضد البعض الآخر توصلا الى اغراضه . ورأى ان سيره بطيء اذا قصر عمله على الافكار بعد تكوّنها فرأى ان يأتي الاغصان قبل ان تصير حطباً فاتخذ المدارس سبيلا الى ما اراده فنجح في ذلك نجاحاً لم يسرّ العثمانيين من جهة حتى ساءهم من عشرين جهة

قرأنا في جريدة السلام الغراء كتاباً كتبه عن بيروت واحوالها حضرة القانوني الفاضل سعادتلو عبد القادر افندي قباني رئيس المجلس البلدي في بيروت وصاحب جريدة ثمرات الفنون الغراء . والذي استوقف انتباهنا في هذا الكتاب بنوع مخصوص قول سعادة كاتبه في الختام كلمة من ابلغ ما خطه قلم شرقي وهي انه يجب لنبذ بذور الشقاق والنزع من حقل الامة العثمانية ان يجعل اصحاب المدارس الوطنية التعليم في مدارسهم منطبقاً على ما اراده جلالة السلطان الاعظم من جعل جميع العثمانيين امة واحده

نعم وهذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها . اننا حباً في تأييد هذه الحقيقة اللامعة انشأنا الجامعة العثمانية وفي سبيل الدفاع عنها نبذل كل ما اعطانا الله من القوة . ان المدارس الاجنبية في بلاد الدولة العثمانية قد صنعت خيراً عظيماً ولكنها قد صنعت شراً عظيماً ايضاً . فعلينا ان نجد دواء لهذا الداء . قد انشأ الغرب للشرق مدارس يعلم فيها ابناء الشرق الميل عن دولتهم الى دولة غريبة عنهم فلننشأن ايها العثمانيون بازاء تلك المدارس مدارس جديدة يكون اساس تعليمها تلقين حب الوطن والامة وتعليم ما هو الوطن وما هي الامة . لنؤسسن مدارس جديدة ندخل اليها طرق التعليم الحديثة ووسائل التربية الحديثة وندخل اليها قبل ذلك عناصر الامة كلها فنربيها فيها على مقاعد واحدة ونلقنها دروساً واحدة ومبادئ واحده حتى تكون بعد خروجها من الحياة المدرسية الى الرجولية بقلوب واحدة وافكار واحدة فان هذا هو السبيل الى تقوية جدار الوطنية العثمانية ووقايته من الثلم او الهدم

على ان الغربيين لا يلامون على ما يصنعون وما يريدون ان يصنعوا الا كما يلام تاجر شديد الطمع والحب للكسب يضع مصلحته فوق كل مصلحة وفائدته فوق كل فائدة . ولكن اللوم على انفسنا اذا عرفنا داءنا ولم نطلب دواءنا . ودواؤنا في ان تجتمع كلمتنا . دواؤنا في ان ننشئ باخلاص الجامعة الوطنية العثمانية لتكون سفينة النجاة لنا جميعاً . ولا سبيل الى هذا العمل العظيم الا بتربية الجيل الناشئ تربية واحدة وتلقينه مبادئ واحدة . بل لا سبيل الى ذلك الا بتربية مربيه وتعليم معلمه اي تربية البنات وتعليمهن فانهن مربيات النسل وامهات الامة

هو البحر من اي الجوانب جئته . فانك حيثما درت وكيفما بحثت لا تجد سبيلاً الى اصلاح الامم اصلاحاً حقيقياً الا بتعليم المرأة وتربية النساء

الجامعة العثمانية قبل ظهورها

اعلنا عزمنا على انشاء هذه المجلة في منشور وزعناه على الاصدقاء و بعض الافاضل والادباء في مصر والشام والعراق و بغداد والاناضول والهند واميركا واوروبا وغيرها من البلدان

فاذا تكلمنا الآن عن الجامعة العثمانية فانما نتكلم عن مجلة برزت مبادئها وخطتها الى عالم الصفاحة قبل بروز العدد الاول منها . ويسرنا ان نقول اننا قد لقينا من مؤازرة الاصدقاء والادباء فوق ما كنا ننتظر ان نلقى منهم وبالخصوص اولئك الافاضل الذين راقتهم خطة المجلة ومبادئها على حرج الموقف وصعوبة الطريق

غير اننا لا نجهل ان هذه الخطة وتلك المبادئ لم تكن لترضي الذين من مصلحتهم تعطيل سبلها وقطع اسبابها لذلك لم نعجب من منشور رُدَّ الينا وعليه هذه الكتابة

« ان الذين ينشئون الجرائد لجمع العثمانيين على ان يكونوا سدًّا في وجه سيل الغرب الجارف كما جاء في المنشور لا يرسلون جرائدهم الى ابناء هذا السيل الجارف اذ ما من عاقل يحب ان يقرأ سبته ويشتري بالمال اهانته »

فنحن نقول جوابًا على كلام حضرة هذا الاديب الذي لا نظن القراء الا قد عرفوا انه غير عثماني ان مجلة الجامعة العثمانية تعلو عن كل سبة واهانة . وعجيبٌ ان يرى حضرة الاديب قولنا في المنشور عن سيل الغرب الجارف ولا يرى فيه قولنا اننا نجتنب في مجلتنا كل طعن وتملق . وما عدا ذلك فمتى صار الانسان لا يستطيع ان يدعو ابناء وطنه الى امر ادبي بحت كأمر الجامعة العثمانية وتألف عناصر العثمانيين المختلفة يدًا واحدة للدفاع عن انفسهم ادبيًا وسياسيًا . ولو كانت دعوتنا الى حروب هلالية كالحروب الصليبية لكنا اول المستغفرين وانما نحن ندعو الى اتحاد عام وحب وسلام ونهضة ادبية وطنية للخطو بالوطن العثماني خطى واسعة الى مراقي العز واوج السعادة السياسية والاجتماعية . فاذا كان اخواننا الغربيون يحرمون علينا في بلادنا ما اتخذوه شعارًا للفضل والشرف في بلادهم من الدعوة الى الاتحاد وصدق الوطنية وتربية الامة تربية صحيحة فلا حول ولا قوة الا بالله

على اننا نخاف ان يكون سوء التفاهم بيننا اصل هذا التخاصم ان جاز ان نسمي هذا تخاصمًا . اذ لا يبعد ان يكون حضرة الاديب قد فهم من قولنا « سدًا دون سيل الغرب الجارف » اننا ندعو الى اعتبار ضيوفنا اعداء وخصومًا . حاشا لنا وحاشا للجامعة العثمانية ان تجعل قاعدة بنائها المقدَّس قاعدة بغض وكراهة وكفر بالجميل . فاننا نحب الغربيين ونحترمهم ان لم يكن لانفسهم فللفضل فضلائهم ولما اقتبسناه عنهم واخذناه منهم من مبادئ الآداب والمدنية . ولا ننكر انهم معلمو بلاد كثيرة في الشرق ومحسنون الى ادبها ومعارفها بامور لا سبيل الى نكرانها . ولكن ايقبلون منا ان نداهنهم فنذكر لهم الحسنة ونغضي عن السيئة . وما عدا ذلك فان مصلحة العثمانيين الحقيقية تقضي عليهم بالميل في السياسة عن ضيوفهم الى حكومتهم ودولتهم وامتهم فلا يلومننا احد منهم على امر يعتبرونه اسمى الفضائل السياسية في بلادهم وكل من نبذه منهم عدَّ عندهم نذلاً وخائنًا

ونحن يعز علينا رد حضرة الاديب المنشور لا لانه ينتقص الافاضل والادباء الذين يقرأون مجلتنا فاضلاً واديبًا بل لان اعادته بهذه الصورة تدل على سخط معيده وغضبه وهذا الذي يسوءنا دون سواه . فانا شديدو الحرص على ان لا تثير اقوالنا ومبادئنا شيئًا من الكدر في صدور الذين يخالفوننا فيها كما اننا شديدو التمسك بها والحرص على نشرها وتأييدها

عنوان الجامعة

الله والوطن —— الاتحاد والارتقاء

مات الفيلسوف جول سيمون ويده على ورقة خط عليها سطرًا قبل وفاته . ولما رفع اهله يده عن هذه الورقة نظروا فيها هذه الكلمات : نصيحتي الى ولديَّ « الله والوطن »

فلم نجد خيرًا من هذه النصيحة عنوانًا نضعهُ في صدر مجلتنا . فان عدم الثقة بالله تعالى آخذ بالامتداد في عقول بعض الطبقات في الشرق ساحبًا وراءهُ اليأس من الحياة معطلاً سبل الحقوق والواجبات ساخرًا من الادب والفضيلة صارفًا الاميال والافكار الى الامور المادية ومنشئًا بذلك في العالم الادبي والفلسفي فوضى هائلة . ومبدأ الوطن مبدأ غامض في الشرق يعرفهُ الشرقيون ولا يفهمونهُ ولو فهموهُ لكفوا انفسهم كثيرًا من المصائب . فمن واجبات كل نصير للانسانية والوطنية ان ينهض للدفاع عن الامر الاول وايضاح الامر الثاني . وما عدا ذلك فان الايمان بالواحد الأحد اساس الفضائل كلها ورباط قوي يربط اجزاء الانسانية مهما اختلفت مذاهبها وتباينت مشاربها . وكذلك حب الوطن فانهُ جزء من ذلك الايمان كما يقول العرب ورباط آخر يربط عناصر كل امة مهما اختلفت مطالبها . فالبحث في ذلك لا يخرج عن دائرة ابحاث مجلة غرضها الجامعة العثمانية .

واذا وجد هذان الرباطان وجب ان يوجد الاتحاد · واذا جرى الاتحاد وجب ان يكون فيما فيه خير الوطن ومرضاة الله وهو اتباع سننه تعالى في خلقه · وسنة الله في خلقه هي التقدم والارتقاء ودوس كلما يحول دونهما مخافة ان يقف الانسان فتدوسه الامم الآتية وراءه وتمر على جثته الى غاياتها فيعزو حينئذ الى الله تعالى ما يعلو عنه الله علوًّا كبيرًا ·

وارتقاء هيئة كهيئتنا الشرقية لا تحدث دفعة واحدة بل بالتدريج فان الطفرة محال ومن لم يسر الى غرضه سيرًا طبيعياً صعب عليه بلوغ هذا الغرض · والسير الطبيعي يقضي باتخاذ تربية النساء والنسل التربية الصحيحة وسيلة الى ذلك التقدم والارتقاء وهذا يفسر وضعنا كلمة جان جاك روسو عن النساء وكلمة جول سيمون عن المدارس تحت تينك الكلمتين في صدر المجلة

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لتسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيهما من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

المدارس والاخلاق

لا نحاول اظهار فضل التربية والتعليم ووجه وجوبهما فان ذلك قد اصبح في الشرق مشهورًا لا يحتاج الى برهان · فكلنا نعرف في جبل لبنان اولئك القرويين البسطاء الذين منهم من يرهن املاكهُ ويبيع مقتنياته توصلًا الى تعليم اولاده · وكلنا واقفون على ما لدى سكان سوريا من شديد الرغبة في تعليم اولادهم وتربيتهم حتى لقد تحمل هذه الرغبة بعض الاباء على احتمال مضض بعض المدارس الاجنبية لتعليم ابنائهم بل قد تحملهم على تقديم نفقات المدرسه على نفقات البيت الخصوصية فيحرمون انفسهم منها لبذلها في سبيل تعليم اولادهم

اما في مصر فقد جاء وقت صمت فيه اذاننا لشدة صراخ الجرائد ودعوتها الى التربية والتعليم · وان في هذه الدعوة نهضة وطنية شريفة يحييها كل محب لخير الامم تحية الفرح والابتهاج · الا ان اصحاب هذه الدعوة الافاضل قد قصروا دعوتهم على حث الامة على فتح المدارس حاسبين انه يكفي لقتل الجهل انشاء مدرسة في كل قرية ومدرستين في كل بلدة ناسين ان الذي ينقص الشرق الآن هو انشاء الاخلاق لا انشاء المدارس

قال البرنس بسمارك عند عودته من باريز في سنة ٧٠ ظافرًا منصورًا — انا غلبنا فرنسا بمعلم المدرسة · وقد اصاب في قوله هذا من وجه واخطاء من وجه آخر · اما وجه الاصابة فالتأثير الشديد الذي يكون لمعلم المدرسة في تكوين روح الامة وتقوية هذا الروح · واما وجه الخطإ فوجود من هو اشد تأثيرًا من المعلم في تكوين روح الامة وتقويته وهو الام في العائلة · فبالله اي فائدة يرجى من التربية المدرسية اذا كان الولد لا يصل الى معلمه الا وجميع الرذائل الصغيرة والكبيرة متمكنة من اخلاقه وطباعه · ومعاذ الله ان نسمي تأثير المدرسة في الشرق تربية وما هو الا تعليم فقط · اما التربية فلا وجود لها في جميع المدارس الشرقية · ولا نحسب تربية قول المعلم لتلميذه الزم الصمت في مدة الدرس · لا تشتم · الزم الطاعة والادب · او تعليمه اصول مذهبه او اصول مذهب غير مذهبه فان هذه ليست الا نفخات ولد على سطح بحر عميق · واذا كانت نفخة الولد على سطح الاوقيانوس تؤثر في عمقه فان قول المعلم ذلك الكلام او ما اشبهه يؤثر في عمق نفس الولد التي هي اشد من الاوقيانوس عمقاً واكثر اتساعاً · وما التربية الحقيقية الا النزول الى اعماق تلك النفس البشرية واستئصال الجراثيم الفاسدة منها وغرس الفضائل فيها · هذه هي التربية الحقيقية اي التربية الادبية

ولا سبيل لنزول معلم المدرسة الى اعماق نفس تلميذه · بل لنفرض امكان ذلك فان هذا المعلم يجد تلك الاعماق مشغولة بموادِ اخرى ليست بالمواد التي يريدها · فانه يجد جراثيم الكبرياء والاحتيال والاثرة والكذب وكل الرذائل

والنقائص معششة فيها متمكنة منها · ومع ذلك فاين هذا المعلم القادر على النزول الى اعماق نفس تلميذه · لا تبحثوا عنه في الكليات والمدارس الكبرى فانه قلما يفيدنا هنالك الفائدة التي يقدر عليها في المدارس الصغرى · ولا تبحثوا عنه في المدارس الصغرى لان التعليم فيها لا يناط على الغالب الا بمن سدت في وجهه ابواب الرزق فاتخذ التعليم مهنة يأكل منها خبزه

فقبل الدعوة الى انشاء مدارس جديدة سواء في سوريا او في مصر يجب علينا اصلاح التربية المدرسية الحاضرة حتى يكون في استطاعة المدرسة اصلاح ما تفسده العائلة · هذا بصرف النظر عن الدعوة الى اصلاح التربية العائلية

اما هـذا الاصلاح الواجب ادخاله الى مدارس الشرق بالاجمال فان كلمة واحدة تدل عليه وهي — انشاء الاخلاق الفاضلة وجعل هذا الامر اهم اغراض المدرسة

يقال ان جلالة ملكة الانكليز وضعت لاحدى المدارس جائزة سنية وعهدت الى قرينها البرنس البرت في حياته ان يعين الامر الذي يجب ان يجزى عليه بهذه الجائزة · ففرض البرنس هذه الجائزة للتلميذ الذي يكون اشرف اخلاقاً من جميع رفاقه · قال ناقل هذا الخبر وهو فرنسوي فلو كانت هذه الجائزة في احدى مدارسنا لمنحت للتلميذ الاسرع حفظاً والاقدر على سرد ما خزنته ذاكرته من القواعد والمبادئ اللغويـة والبيانيـة

اما نحن فنقول ان هذه الجائزة لو كانت في مدارسنا لمنحت للتلميذ ذي النفس الاشد كسلاً والاقل حركة وهو ما يسمونه في المدارس بالسلوك الحسن · لو كانت هذه الجائزة في مدارسنا لاعطيت للطالب الاكثر حفظاً لقواعد الاشتقاق والتصريف والاعراب · لو كانت في مدارسنا لمنحت للتلميذ الذي يطيع معلميه طاعة عمياء مستمداً ارادته من ارادتهم · ذلك ان المدارس الشرقية من سوء حظ الشرق اكثر اعتماداً في تعليمها على القوة الذاكرة منها على القوة المدركة ومعلميها اكثر رغبةً في ان يكون التلامذة آلات صماء في ايديهم من ان يكونوا مخلوقات حية بعقل وارادة مثلهم واقل التفاتاً الى اخلاق التلامذة من سائر المعلمين في الامم الاخرى · ولا نعني هنا في كلامنا المدارس الكلية فان هذه لا يرجى منها خير كبيرٌ بشأن التربية الادبية التي نحن بصددها الآن اذ ان النسل لا يصل اليها الا وقد اشتدت الواحه ورسخت بعض الرسوخ اخلاقه · وانما نحن نعني المدارس الابتدائية التي يلقى الى معلميها زمام تربية الشعب الادبية

ان كاتب هذه السطور قد مارس فن التعليم ثلاث سنوات في مدرسة كان يدير زمامها في سوريا فاذا تكلم عن التربية والتعليم فانما يتكلم عن خبرة ومزاولة · وقد زار اكثر المدارس من يافا واوروشليم و بيت لحم الى مرسين وترسوس واضاليا في الاناضول فرأى فيها كلها فساد التربية الابتدائية وعجز اكثر المعلمين الذين يلقى اليهم زمام الصبوة عن تدريبها تدريباً حسناً يكفل بابلاغها الدرجة الادبية الواجب عليها بلوغها · قد رأى التلامذة في بعض تلك المدارس تعامل معاملة الانعام من حيث الشدة والقسوة واهمال التربية الادبية · قد رأى اناساً يجلسون في كراسي التعليم التي جلس فيهـا افلاطون وارسطو و يلقبون بلقب « معلم » وليس لهم من وسائل التعليم غير العصا في اليد والشتم والسب في الفم · فحرام والف حرام ان ندفع النسل الناشئ الى من لا يحسن تربيته بل الى من يزيد فساده فساداً · ولا نتكل في ذلك على المدارس الكبرى فان الخطب هيهات ان يلين اذا اردت تقويمه بعد حين

فالذي يجب على محبي خير مصر والشام بل خير الشرق كله ان يدعوا ابناء وطنهم و بلادهم الى اصلاح طرق التربية الابتدائية في مدارسهم والا لم تجدهم نفعاً الوف المدارس يفتحونها في كل مكان و يدخلون اليها كل ما للامة من الفتيات والفتيان · ومدار اصلاح طرق التربية اختيار المعلمين والعناية باخلاق التلامذة وتقديم تربية العقل على تربية الذاكرة واتباع الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه « الله والحرية والوطن » — ليس من وظيفة المدرسة تعليم العلوم فقط فان تعليم الفضيلة والاقدام من اخص واجبات المدرسة

المعلم والتربيـة

في الصبي الداخل الى المدرسة ثلاث قوى · القوة البدنية · والقوة العقلية · والقوة النفسية او الروحية وهي ما يسميه علماء الاخلاق القوة الادبية · فمن وظيفة المدرسة اذاً

العناية بتلميذها بدنياً وعقلياً وروحياً اي من وظيفتها التربية البدنية والتربية العقلية والتربية الروحية ٠

اما التربية البدنية فهي العناية بوقاية البدن وتقويته ٠ والتربية العقلية هي تغذية العقل وتوسيع نطاقه واغناء قواه ٠ والتربية الروحية هي تهذيب قوى النفس الناطقة وترقيتها وانارتها بنور الضمير الالهي ٠ ولا يسمى الانسان انساناً ولا يكون كاملاً الا اذا كملت فيه هذه التربيات الثلاث البدنية والعقلية والروحية ٠ ربِّ ابنك تربية عقلية وروحية واهمل تربيته البدنية تجده ينشأ ضعيفاً لا يستطيع جسمه النحيف مجاراة نفسه الكبيرة ٠ ربه تربية بدنية وعقلية واترك تربيته الروحيه تجعله طامعاً قاسياً شرهاً الى الكسب من اي وجه كان لا يعبد غير المادة ويحتقر كل فضيلة وكل صلاح ادبي ٠ ربه تربية بدنية وروحية واهمل تربيته العقلية يكن مخلوقاً قاصراً لا يستطيع المعيشة في هذه الحياة لضيق نطاق عقله وصغر مداركه ٠

فلا بد اذاً من تربية الانسان على ثلاثة وجوه بدنياً وعقلياً وروحياً حتى يكون كاملاً ٠ واذا نقصت تربيته احد هذه الوجوه كان انساناً ناقصاً ٠

وكل من هذه الاقسام الثلاثة يقتضي معرفة مخصوصة وعلماً مخصوصاً ٠ فان التربية البدنية تقتضي العلم باصول الهيجيين ووظائف الاعضاء والمعرفة بوسائل الوقاية والتقوية ٠ والتربية العقلية تستوجب العلم الغزير والاطلاع الواسع والتربية الروحية تستلزم معرفة واسعة بعلم البسيكولوجيا (علم الاخلاق والنفس) وفضيلة باهرة ومراقبة مستمرة تضع العقاب في موضعه وحسن الجزاء في موضعه بدون ضعف ولا شدة من غير رخاوة ولا قساوة ٠

هذه هي اصول التربية والتعليم ٠ هذه هي الشؤون التي يجب القيام بها في المدرسة ٠ ولكن بمن يناط القيام بهذه الشؤون العظيمة ٠

رأينا في بعض الجرائد اعلاناً من احدى المدارس فيه ما يأتي — يطلب لمدرستنا استاذ ماهر لتدريس اللغة الانكليزية والجوغرافيا والحساب والهندسة والفلسفة الطبيعية براتب قدره ٠٠٠٠ أتعرفون قدره ? — قدره ٣٥٠ غرشاً ٠ وحتى لا يظن ان في هذا العدد خطأ مطبعياً نعيده فنقول انه ثلاثمائة غرش وخمسون غرشاً مصرياً ٠

بهذا الفتى المسكين الذي يعطى ٣٥٠ غرشاً ليدرّس الهندسة والفلسفة الطبيعية والجوغرافيا ٠٠٠ بهذا الفتى تناط تلك الشؤون العلمية والادبية والفلسفية الكبرى واليه تلقى أزمة النفوس يديرها كيف يشاء ٠ لقد عذلناه في الفصل السابق وهنا نعذره باخلاص وشفقة ولا نعذله وانما نعذل اولئك الذين يحسبون النفوس البشرية انعاماً كل من سلموه رعايتها جاز ان يكون لها راعياً ٠ وما المدرسة الا عالم ونفس كل تلميذ فيها مملكة واسعة شاسعة يقصر المعلم عن رعايتها وحدها ٠ وهذه الرعاية فن عظيم مستقل بنفسه يعلم في مدارس مختصة بتعليم التعليم فمن الحمق والخرق في الرأي ان نبيحها لكل من يتصدى لها ٠ فارسلوا الى الحقول او الى الحوانيت التجارية اولئك المعلمين الذين لم يخلقوا للتعليم فانهم ينفعون الهيئة الاجتماعية في الزراعة والتجارة من غير ان يضروها اما في المدارس فمن سوء حظنا وحظهم قد يكون نفعهم اقل من ضرهم ٠

والمعلمون في مجالسهم في كرسي افلاطون على احد وجهين ٠ فاما انهم يشعرون بمسئولية وظيفتهم واما انهم لا يشعرون ٠ فاذا كانوا يشعرون بمسئوليتهم و بثقل التبعة الادبية التي القيت على عواتقهم يوم اتخذوا اسم «معلم» لقباً لهم فهؤلاء هم الذين يرجى الخير على يدهم وهؤلاء هم الذين نحتاج اليهم في المدارس الابتدائية للتربية البدنية والعقلية والروحية ٠ ولكن هل يقبل هؤلاء الافاضل خدمة النسل بتلك الرواتب التافهة ٠ لا ريب عندنا ان هذه الرواتب التافهة تبعد عن فن التعليم كل ذي مقدرة عليه وقوة على الافادة فيه و بعبارة اوضح انها تبعد عن المدارس المعلمين الحقيقيين وتسوق اليها الكسالى والمرتزقين ٠

فاذا اردتم اصلاح حال التربية المدرسية وتقويم اعوجاج المدارس فاصلحوا اولاً حال المعلمين ٠ واذكروا حين انتقائهم لمدارسكم انكم تنتقونهم لتربية الامة و بث الفضيلة والاقدام في روح اولادها لا لحشو الذاكرة بقواعد الاعراب والتصريف والحساب ٠

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم اجبارياً

الامة التي لها ارقى المدارس تكون ارقى الامم ان لم يكن في الحاضر ففي المستقبل

المراة والعائلة

ننشر في هذا الباب ما يهم المرأة والعائلة من المباحث الادبية والبيتية والتهذيبية وما يردنا من اقلام الاديبات اللواتي تنبهن الى وجوب تحسين حالة المرأة والعائلة في الشرق .

ضاق نطاق هذا الجزء عن فصول المرأة والعائلة بسبب ما اقتضاهُ باب المقالات من الاسهاب و باب الرسوم من الجمال فموعدنا بها الجزء القادم ان شاء الله . ونعد حضرات القراء و بالخصوص حضرات القارئات ان الجامعة لا تضيق بعد الآن عن هذا الباب لانهُ من اهم ابوابها ان لم يكن اهمها .

باب الشعر والانشا

المرحوم الشيخ نجيب الحداد

ننشر في هذا الباب قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لشعراء وكتاب من المتقدمين والمتأخرين تكون قدوة للكتاب والشعراء ويكون فيها فائدة ولذة للقراء

و بيانًا لما كان لفقيد العلم والادب المأسوف عليه المرحوم الشيخ نجيب الحداد من المنزلة في عالمي الشعر والانشاء رأينا ان نبدأ بهِ فنفتتح هذا الباب بذكر شيء من شعرهِ البليغ . من ذلك ما نظمهُ والداه قد أضعف عزمهُ وافنى قواهُ راثيًا ضعفهُ عن الكتابة وجمود قلمه وخاطره . قال رحمهُ الله .

اخمد الدهر من فؤادي جمرا
وألان الزمان مني صخرا
وتجنت بي الخطوب فأنستني
معاني الكلامي نظمًا ونثرا
وارتني الايام من اوجه الدهر
حروفًا عواطلاً ليس تقرا
كلما اقلت قد ظفرت بمعنى
ضربت دونه على السطر سطرا
قد تولى الشباب الا قليلا
ومضى حلوه الشهيّ ومرا
كان لي في الصبى صبابة شعر
صبها صائب الصبابة هدرا
ذهبت والفؤاد يتبع اثرًا
من خطاها والعمر يتبع اثرا
ان قلبًا معذبًا نثرتهُ
اسهم البين كيف ينظم شعرا
لم تبقِ لي المصائب الا
قلمًا كسره احق واحرى
كنت ارجوهُ للخطوب فاضحى
لي امضى سهامها حين يبرى
وغدا حبرهُ يخط سطورًا
تجتليها عيني دماء حمرا
ما يرجيهِ كاتب من يراعٍ
لم يكن في الذي يرجيهِ حرا
في اسارٍ يكاد يكسرهُ القيد
ولا يستطيع للقيد كسرا
يسفك الحبر مكرهًا وهو لو كان
طليقًا لكان يسبك تبرا
اعقبتني صبرًا بهِ بعض آمال
وان الآمال تعقب صبرا

وقال برّد الله ثراهُ في وصف دمشق الشام

سقى الله من وادي دمشق مراتعا
جنينا بها زهر المسرة يانعا
وحيى ليالي الانس في حيها فكم
جلونا بها بدرًا من الحسن طالعا
بدور حسانٍ ما لهنّ مغارب
فلستَ ترى فيهنّ الا مطالعا

سوافر ما تلفي لهن برائع
جعلن من الحسن البديع براقعا
بكل مهاة يخجل الرمح قدها
ويقطع لحظاها السيوف القواطعا
اذا جليت للشيخ آيات حسنها
توهمها عصر الشبيبة راجعا
غصون مع الاغصان في الروض تنثني
نجوم يبارين النجوم السواطعا
كأن جنان الخلد قد انزلت لنا
نشاهد فيها حورها والبدائعا
سقاها الحيا من جنة كل من بها
كآدم لم يخرج من الخلد طائعا
وحيى اويقاتا يعود كبيرها
صغيرا فيغدو من فم الكأس راضعا
وحيي كراما قبل راح تواضعوا
فما زادهم كأس المدام تواضعا
وحيي الندى تلك الازاهر بالضحى
والبسها تاجا من الدر لامعا
وبارك في تلك المياه وطيبها
فما اطيب المجرى واحلى المنابعا
ولا زالت الارواح ترسم فوقها
سطورا فتتلوها الطيور سواجعا
ولا زال في ضعف عليل نسيمها
فكم جر ذياك العليل منافعا
ولا زال مخضر الاراكة خالعا
على بردى بردا من الظل واسعا
تحيي ندامـاه الشموس غواربا
به ويحيون البدور طوالعا
كرام صفوا نفسا وراقوا مناظرا
وقد حسنوا خلقا وطابوا مسامعا
صفا كل شيء عندهم فتكاد من
صفاهم ترى سر الضمائر ذائعا
ترى الانس فيهم حاضرا كل ساعة
كأن لم يروا للانس فعلا مضارعا
سقى الله ربع الشام نظرا بقدر ما
سقيناه في يوم الوداع مدامعا
ديار اخذنا الشوق منها وديعة
لدينا وخلينا القلوب ودائعا
تقربها اشواقنا فنكاد من
توهم لقياها نمد الاصابعا
ونذكر اياما بها ثم ننثني
نضم بأيدينا الحشى والاضالعا
نقول عسى من فرق الشمل بيننا
يكون بلطف منه للشمل جامعا

ويسرنا هنا ان نقول ان حضرة صاحبة مجلة انيس الجليس الغراء قد فتحت اكتتابا لجمع مال من اصدقاء الفقيد ومعارفه قصد انشاء اثر له وعزمت على طبع ديوانه ومراثيه تخليد الذكره واعترافا بماله من الفضل على مجلتها. جزاها الله خيرا.

اخبار داخلية

ولي عهد مصر — تطلع الجامعة العثمانية على عالم الصحافة في شهر طلع فيه على مصر قمر منير فحيت الامة المصرية طلوعه تحية الساري طلوع البدر او تحية المسهد اشراق الفجر. فوجب على الجامعة ايضا ان تحيي وهي تطلع هلالا صغيرا ذلك الطفل الذي كان عند اول طلوعه بدرا منيرا. طفلا لاب تفديه الاطفال والآباء. وروحا قدسيا طاهرا اودع في جبلة من الضياء والبهاء. فقد انعم الله في ليلة من اسعد ليالي شوال على سمو الجناب الخديوي المعظم بولي عهده ووارث مجده فاقيمت الافراح والزينات في العاصمة والاسكندرية وسائر بلاد القطر وتواردت التهاني على قصر المنتزه وسراي عابدين من داخل القطر وخارجه هنأ الله به سمو والده المعظم وجعل ولادته للامة المصرية فاتحة كل خير وبركة. وقد سمي سموه محمد عبد المنعم

سمو الدوق دي كونوت — زار القطر في هذا الشتاء سمو الدوق دي كونوت نجل جلالة ملكة انكلترا وامبراطورة الهند ووضع اساس الخزان في اصوان بناء على دعوة الجناب

الخديوي المعظم واساس كنيسة انجيلية تقام في اقصر ومنح هذه الكنيسة ٣٥ جنيهاً وقد عاد سموه الى انكلترا في ١٢ الجاري

تمثال المرحوم فانديك — لم تعرف سوريا قبل الدكتور فانديك ولا بعده رجلاً من الغربيين اخلص الخدمة لها على اختلاف عناصرها وتباين مذاهبها كما اخلص الخدمة لها الدكتور فانديك باطناً وظاهراً . ويلوح لنا ان المرحوم الدكتور فانديك هو اقرب الغربيين الى ما يسميه ساستهم « الرجل الممدّن » ويعنون بذلك الرجل الذي يرسل في بعثة دينية او تجارية او سياسية الى الاقطار الشرقية . والذي يجعل الدكتور فانديك اقرب الافرنج الى هذا الاسم جعله نفسه في حياته وقفاً لخدمة ابناء سوريا لا ابناء سوريا وقفاً لخدمته . ولو كان الغرب يرسل في مرسليه الى الشرق كثيراً من الرجال على شاكلة فانديك من حيث الخدمة الخالصة وحب الانسان المجرد لكان اكثر استحقاقاً للقب « ممدّن » ولملأ المستشفيات والساحات العمومية بانصاب وتماثيل تقام لاولئك الرجال العظام .

والذي ساقنا الى هذا الموضوع احتفال الطائفة الارثوذكسية في بيروت في ٢٧ فبراير (شباط) الماضي بنصب تمثال للمرحوم الدكتور فانديك في المستشفى الارثوذكسي الذي كان يطبب فيه الفقيد مجاناً لوجه الله وهي المرة الاولى التي ينصب فيها تمثال في سوريا تذكاراً لرجال الفضل . وقد صنع هذا التمثال في ايطاليا على نفقة حضرة الوجيه الخواجه ميشل بسترس وشهد الاحتفال بكشف الستار عنه جرياً على العادة الاوروبية حضرات اصحاب السيادة اساقفة بيروت وحمص وعكار وحماه للطائفه الارثوذكسية وحضرات المرسلين الاميركيين وجمهور غفير من سراة بيروت واعيانها .

فنغتنم هذه الفرصة لتهنئة الطائفة الارثوذكسية في بيروت وبالخصوص عمدة هذا المستشفى بما اظهرته من معرفة الجميل لرجل غريب عنها جنساً ومذهباً فان في ذلك دلالة واضحة على علو نفوس رجالها وقدرهم رجال الفضل حق قدرهم ونخص بالتهنئة والثناء حضرة رئيس هذه العمدة الذي انشأ التمثال على نفقته .

اما المرحوم فانديك فما كان هذا التمثال الحجري ليزيد في قدره وفضله ولكنه يزيد في شكر السوريين له على ما خدمهم به في حياته . رحمه الله عداد حسناته .

عودة التعايشي الى الهجوم — فر عبد الله التعايشي بعد واقعة ام درمان ولجأ الى حدود كردوفان صاغر النفس مخذولاً من جميع انصاره . وكأن سعادة اللورد كتشنر حاكم السودان العام لم يكتفِ بسحق رأس الافعى في تلك الواقعة الهائلة التي صفق لها طرباً رجال الحرب في كل مكان فاراد ان يقطع ذنبها ايضاً ومن اجل ذلك ساق على التعايشي في مكمنه حملة صغيرة وولّى عليها اخاه الكولونل كتشنر لتأخذ التعايشي حياً او ميتاً . غير ان هذه الحملة اضطرت بعد العياء الشديد الى النكوص لقلة الماء ولامتناع التعايشي في غابةٍ كثيفة مع الوف من الدراويش يشدون ازره . فلما رأى التعايشي نكوصها عادت اليه حماسته وثقته بنفسه فخرج بانصاره من مكمنه وزحف الى النيل الابيض قصد الوصول الى الدويم والنزول منها بعد ذلك الى ام درمان لاسترداد ملكه . وقد اقلق خبر خروجه هذا حكومة السودن فصدر الامر الى الضباط الذين منحوا اجازات ان يعودوا الى اوطانهم وارسل سعادة اللورد كتشنر يستقدم اللواء هنتر باشا من انكلترا وان كانت مدة اجازته لم تنته بعد خوف ان يتسع الخرق في السودان وتلجئ الضرورة الى الزحف على التعايشي بجيش كالجيش الذي اخذ ام درمان

المستر سسل رودس — وفد الى القطر من انكلترا حضرة المستر سسل رودس المندوب الانكليزي في مستعمرة الرأس وهو الملقب بنابوليون افريقيا . وغرضه من هذه الزيارة فيما يقال مباحثة الحكومة المصرية في اتخاذ الوسائل لمد السلك التلغرافي من صوبات نحو الجنوب حتى يتصل بالسلك الذي يشتغل المستر سسل رودس الآن بمده من بحيرة طنجنيكا في جهة الشمال فيتم بذلك الاتصال بالتلغراف بين الاسكندرية في طرف افريقيا الشمالي ومستعمرة الرأس في طرفها الجنوبي

رسوم الجامعة وحروفها — ابطأنا في اصدار الجزء الاول من الجامعة الى منتصف هذا الشهر مع وعدنا باصداره في اوله لسببين . الاول اننا كنا نشتغل باعداد رسوم الجامعة والثاني وهو الاهم اننا كنا في انتظار حروف من الجنس الثاني نطبع بها الجامعة بالاتقان الذي نريده لها . اما وقد ابطأت علينا تلك الحروف الى شهر او اكثر فقد رأينا ان نطبع الأجزاء الاولى منها في المطبعة الوحيدة التي تملك حروفاً

من الجنس الثاني في هذا الثغر وهي مطبعة الخواجه لاغودا كيس وهذا عذرنا في تأخر الجامعة الى منتصف هذا الشهر ·

هذا ومأمولنا ان يجد القراء ما يسرهم في الرسوم التي قد اعددناها وعزمنا على نشرها تباعاً في مجلتنا فضلاً عن الرسوم التي نهتم باعدادها الآن ايضاً · وسنجعل منها في كل جزء من الجامعة رسمين او ثلاثة كما يرى القراء في هذا الجزء ونختار اكثرها من الرسوم العلمية او التاريخية زيادة في الفائدة ·

اخبار خارجية

توفي المسيو فليكس فور رئيس الجمهورية الفرنسوية بداء السكتة في مدة ثلاث ساعات

انتخب المسيو اميل لوبه رئيساً للجمهورية مكانه باصوات قدرها ٤٨٣ صوتاً دون المسيو ملين مناظره الوحيد الذي نال ٨٣ صوتا

عارض بعض الاحزاب انتخاب المسيو لوبه لانهم يظنون فيه ميلاً لاعادة النظر في قضية دريفوس

اوفد الصينيون وفداً الى الروس في تاليان وان لطلب تخفيف الرسوم فاستقبلهم الروس بالرصاص فقتلوا منهم نحو مئة شخص

فشل حزب ديلياني في الانتخاب

افتتح البرنس جورج الجمعية الكريتية وعرض عليها مشروع الدستور الجديد

نشرت ميزانية الحربية وفيها زيادة مليون و ٩١ الفاً و ٧٠٠ جنيه في النفقات

طلبت فرنسا من سلطان عمان ان يتنازل لها عن ميناء في مسقط لتجعله محطة بحرية للفحم فارسل اللورد كرزون والي الهند ثلاث سفن حربية الى مسقط تتهدد اميرها باطلاق المدافع على المدينة اذا لم يرد طلب فرنسا فرضخ الامير لهذا التهديد · وترى الجرائد الانكليزية ان لروسيا يداً في طلب فرنسا ميناء في خليج العجم ثم بعد البحث تساهلت انكلترا فقبلت ان تجعل فرنسا لنفسها محطة في ميناء مسقط على شرط أن لا تستولي على ارض فيها

كانت الجنود الفرنسوية راجعة من مشهد جنازة المسيو فليكس فور فاعترضتها عصابة يقودها النائب ديرولد وطلب هذا النائب من قائدها الجنرال روجه ان يزحف على قصر الجمهورية فيسقطها و يقيم مكانها جمهورية اصلح حكماً · فقبضت الحكومة على هذا النائب ونائب آخر كان معه وقررت محاكمتهما في محكمة الجنايات لتحريضهما الجيش على شق عصا الطاعة

قبض النجاشي على الرأس منغاشيا بعد ان كان قد عفا عنه

جرى قتال في مانيلا بين الاميركيين والثائرين فقتل من هؤلاء ٥٠٠ واسر ٢٠٠

الموقف حرج في مانيلا وقد ارسل الاميرال ديواي يطلب سفينة حربية مخافة المداخلة الاجنبية

فتش البوليس منازل اشهر اعضاء الحزب الملكي والامبراطوري فقبض فيها على مراسلات عديدة في جملتها رسائل من الدوق دورليان الى انصاره في باريس

نشرت حكومة فيليبين نشرة تصرح فيها للعالم المتمدن انها ستقاوم قوة الاميركيين وتحاربهم حتى الموت

تعشى سلاتين باشا مع جلالة ملكة الانكليز

تحمل قداسة البابا بدون استعمال الكلوروفورم بتر خراج كبير في فخذه وقد تحسنت صحته

ارسلت ايطاليا الى الصين اسطولاً وزادت قناصلها فيها وطلبت ان تتنازل لها الصين عن خليج سانمون على سبيل الايجار فردت الصين طلبها

استقالت الوزارة الاسبانية لانها لم تجد في مجلس الشيوخ اغلبية تصدق لتنازلها عن جزائر فيليبين لاميركا

انتخب الموسيو فاليير رئيساً لمجلس الشيوخ الفرنسوي مكان الموسيو لوبه باصوات قدرها ١٥١ صوتاً دون المسيو كونستان سفير فرنسا في الاستانة الذي نال ٨٥ صوتاً

الف المسيو سيلفلا في اسبانيا وزارة محافظة جديدة

قابل جلالة السلطان الاعظم سفير انكلترا في الاستانة فاكد جلالته للسفير رغبته في ابقاء كأس الوداد صافية بين الدولة وانكلترا وتقول شركة روتر ان جلالته قد قال للسفير انه ينصح لمسلمي الهند دائماً بطاعة جلالة الملكة والامانة لها

انفجار هائل في طولون · انفجر مخزن البارود في ترسانة هذه المدينة وفيه نحو ٥ الف كيلوغرام من البارود الاسود فقتل كل من في الترسانة من الجنود مع كثيرين من الاهالي

عالم من علماء طبائع الحيوان يربي الرتيلاء ويدرس اخلاقها . وقد توصل الى جعلها اهلية فصارت اذا قدّم اليها ذبابة بيده كما يصنع الآن دنت منهُ فاخذتها واكلتها . فاذا كان هذا مبلغ تأثير التربية بالحيوان فكيف الانسان

افعى هائلة من نوع (البوا) الهندية باغتت في البرية بعض الخنازير الوحشية فاخذت احدها بانيابها وبدأت تبتلعهُ . والغريب ان رفيقيه مع ضعفها بالنسبة اليها لم يطلبا الفرار منها بل انقلبا عليها يعضانها دفاعاً عنه وهي مزية في الحيوانات الوحشية على الانسان المتمدّن الذي خلعت المدنية قلب ضعيفه ازاء قويّه وافقدتهُ حماسته الفطرية فلا يردها اليهِ كما قال روسو الا تربية جديدة .

(* غذاء المعد القوية [1] *)

مرّ واضحك في هذه الحياة ولا تقل اضحكُ متى صرت سعيداً فانك قد تموت ولا تضحك

يسهل على النساء ان يقلن اموراً لا يشعرن بها كما انه يسهل على الرجال ان يقولوا ما يشعرون به

اذا كرهتَ عدوك فان نفسك ضعيفة واذا لم تطلب الانتقام منه فان نفسك كسولة أو مستقيمة

اذا صنعتَ كل ما تقدر عليه استرضاء الحبيب او صديق ولم يرضَ فربما ردّه الى الرضى عنك ان لا تسترضيه ولا تعبأ بـه

قد يتفق ان تكون امرأة باذلة جهدها لتخفي عن رجل تحبه ميلها اليه في وقت يكون فيه هذا الرجل باذلاً كل جهده لاظهار ما ليس في صدره من الميل اليها

قالوا عش مع اصدقائك كما تعيش مع قوم سيكونون اعداءك ومع اعدائك كما تعيش مع اناس سيصبحون اصدقاءك وهو قول اقرب الى حسن السياسة منه الى الادب

كبار القوم كالنار تحرق كل يد تقترب منها ولو كان ذلك لوضع البخور فيها (برناردين دي سان بيير)

الرجل اشد حرصاً على سرّ غيره منه على سره اما المرأة فاشد حرصاً على سرها منها على سر غيرها

النساء اكثر ايغالاً في عالم الحب من كثيرين من الرجال ولكن الرجال اكثر ايغالاً في عالم الصداقة من النساء

النساء في جانب الافراط دائماً فاما انهنَّ اكثر صلاحاً من الرجال او اكثر فساداً

خيرُ السيدات معاشرةً معاشرةُ المهذّبات فانهن يجمعن رقة النساء ومعرفة الرجال

لا تجادل المكابر او الاحمق ولا تعتمد على قوة الحقيقة في اقناعه فانه كالتمساح اذا القيت اليه لؤلؤة انقضَّ عليها اسحقها لا ليشنف اذنه بها . ومتى لم يستطع سحقها القاها وانقضَّ عليك يطلب افتراسك (برناردين دي سان بيير)

ربَّ يد بيضاء تلوح في النافذة فتفعل بك ما لا تفعله معاشرة شهور وايام

اشد ما يبلى به الانسان من الفقر فقر ادبي يلجم لسانه عن اقوال الخير و يطلقه في اقوال السوء

قد يستطيع الرجل ان يخدع المرأة بميلٍ كاذب يظهره لها وذلك اذا لم يكن له ميل حقيقي الى امرأة غيرها

(* غذاء المعد الضعيفة *)

اتفق في احد الملاعب ان النساء جلسنَ على المقاعد المتقدمة فحجبت قبعاتهنَّ (برانيطهن) بريشها الطويل شيئاً من منظر التمثيل عن الجالسين في المقاعد المتأخرة . فعلق مدير الملعب على الجدار ورقة عليها هذا السطر « المرجو من السيدات ان ينزعنَ قبعاتهنَّ » فلم يعبأنَ به ولا اكترثنَ بورقته . فامهلهنَّ المدير قليلاً ثم علق ورقة اخرى كتب فيها ما يأتي « اما القرعاء والتي عمرها فوق الستين سنة فلها ان تترك قبعتها على رأسهـا » فلم تبقَ في الملعب سيدة الاَّ ونزعت قبعتها .

سئل احدهم بماذا تفتكر المرأة فقال — لما تكون في السنة الثانية فانها تفتكر بامها . ولما تصبح في السنة الخامسة فانها تفتكر بلعبتها . وفي الخامسة عشرة بابن عمها . وفي العشرين بخطيبها . وفي الثلاثين بحفظ رونقها وحسنها . وفي الاربعين بالتأسف على صبوتها . وفي الخمسين بحفيدها وعائلتها .

مات حمار لقروي فكتب القروي الى اخيه يبلغهُ موت حماره بهذه الكلمات — اخي الحمار قد مات .

نظر صبي مركبة الترامواي الكهربائي تجري بسرعتها المعلومة ولم يكن قد رأى مركبة تجري بلا خيل فصاح بامه وكانت بازائه — ماما . ماما . انظري هذه المركبة فانها اضاعت فرسها وهي تركض للتفتيش عنهُ .

قال امير لولده وكان ابله يلتزم الصمت دائماً . ما هذا السكوت امام الزائرين . فاجابه الولد ماذا اصنع . قال الأب حادث الزائر وسلهُ عن زوجته واولاده جاعلاً ذلك وسيلة الى فتح الحديث . ففي المساء زارهم رئيس اساقفة المدينة . فاستقبلهُ الولد باسماً واخذ يده قائلاً : — كيف صحة الست . كيف حال الاولاد . . .

خرج بعض التلامذة من باب المدرسة فوجدوا في وجههم امرأة تقود حميراً وراءها فصاحوا جميعاً — برافو هذه ام والحمير اولادهـا . نهارك سعيد يا ام الحمير . فاجابتهم المرأة على الفور — نهاركم سعيد يا اولادي .

كان فرنساوي والماني يتنزهان في حقل فمرَّ بهما خنزير يصرخ صراخه المألوف . فقال الالماني للفرنساوي — اسمع اسمع انه يقول Oui Oui هنيئاً لكم فان الخنازير تعرف لغتكم . فاجاب الفرنساوي . نعم تعرفها ولكنها ككثيرين من الالمان لا تحسن لفظها . .

(١) خطرات أفكار مأخوذة من لابرويير الحكيم وما كان منها لغير هذا الفيلسوف وضعنا في ختامه اسم صاحبه كما يرى في هذا الجزء

الامة والوطن

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في اول ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣١٦

باب المقالات

الامبراطور غيليوم
(والجامعة العثمانية)
(والاسلامية)

روت بعض الجرائد السورية حين زيارة الامبراطور غليوم لدمشق الشام ان الامبراطور غداة المأدبة التي اقامها مجلسها البلدي لجلالته قد قال لفاضل مسيحي خطب في تلك المأدبة « ان خطابك بقي الليل كله يرنّ في اذنيّ »

ولما نقلت الجرائد المصرية عن رصيفاتها السورية هذه العبارة الامبراطورية « ان خطابك بقي الليل كله يرنّ في اذنيّ » اكبر العقلاء هذا الكلام واستغربوا صدوره عن امبراطور عظيم كغليوم الثاني الخطيب المصقع الذي اشتهر ببلاغته بين ملوك العالم وخطبائه . لكن اذا صحت الاقوال التي ترويها الآن جرائد برلين عن الشعور السياسي الذي وجده الامبراطور حين سياحته في الشرق وبالخصوص عند زيارته لبيروت ولدمشق الشام لم يبق محل لذلك الاستغراب ورجح ان الامبراطور قد قال تلك العبارة وانه اراد بها امراً سياسيا وتحرير الخبر كما ترويه تلك الجرائد ان الامبراطور كان في اثناء سياحته يراقب مراقبة شديدة ما بين العنصر المسلم والعنصر المسيحي في بلاد الدولة من العلائق والصلات الاجتماعية والودية . والذي حبب اليه هذه المراقبة وزاده رغبة فيها ما كان يقرؤه قبل سفره الى الشرق في الجرائد الاوروبية عن تنافر المسلمين والمسيحيين فيه فلم يأل جهداً في هذه المراقبة والملاحظة ما استطاع الى ذلك سبيلا رغبة في الوقوف على غث تلك الاقوال من سمينها ومعرفة صحيحها من فاسدها

على ان الامبراطور ما نهض عن مأدبة دمشق الشام التي القيت فيها تلك الخطب التي كُتبت في اجمل صفحة من صفحات تاريخ الدولة العثمانية حتى اصبح ذا رأي ثابت في الامر الذي تكلف مراقبته مراقبة شديدة كما قدّمنا . فانه ابصر حوله في تلك المأدبة رعية الدولة العثمانية بعنصريها المسلم والمسيحي كتفاً الى كتف ورأى خطيباً مسيحياً ينتصب لدى جلالته بجرأة عربية ويلقي على مسامعه ومسامع اخوانه المسلمين الحاضرين تلك المأدبة كلاماً كانت تتهلل له وجوههم فعرف الامبراطور اذ ذاك من نظره في وجه الخطيب ورؤيته اندفاعه وحدة نفسه وقوة نظره ان هذه

القوة والحدة. وذلك الاندفاع لا تنشأ في جسم ضُربت عليه المذلة والمسكنة فقال لوزير خارجيته بعد خروجه من هذه المأدبة « ان المسيحيين في بلاد الدولة احسن حالاً من الايرلنديين في انكلترا . والمسلمين في الهند وروسيا . واليهود في الجزائر. واكثر ميلاً الى مسالمة اخوانهم المسلمين والمسلمون اكثر رغبة في مسالمتهم مما يصفهم به الواصفون »

وقد افتكر جلالته غير مرة في هذا الموضوع في تلك الليلة حتى اذا اصبح الصباح ووقع بصره على الخطيب الذي اثار فيه تلك الافكار قال له باسماً « ان خطابك بقي الليل كله يرنّ في اذنيّ » هذا هو السبب الذي حدا بالامبراطور أن يقول هذه العبارة اذا صح انه قالها .

ومهما يكن من الامر فان الامبراطور غليوم قد خرج من ارض الدولة وهو مقتنع بان سعادة الامة العثمانية وراحتها في شد اواخي الاتفاق والوداد بين عنصريها المسلم والمسيحي لتذهب بذلك حجة اوروبا في المداخلة بشؤون الدولة من حين الى حين وتنصرف هذه القوى المبذولة في الحذر والاتقاء الى ما فيه الخير العام والمنفعة العامة للعثمانيين جميعاً . هذا فيما يتعلق بداخلية الدولة . على انه شعر في دمشق بامر متعلق بخارجيتها وقال قولاً هناك متعلقاً بهذا الأمر سيبقى خالداً في تاريخ الدولة العثمانية

فقد أبصر جلالته في عاصمة الامويين تسابق السادة المسلمين من حوله الى اكرام ضيف جلالة الخليفة الاعظم ونظر تهافتهم على تعظيم هذا الضيف تهافتاً اراه مبلغ ما في نفوسهم من التعلق بعرش الخلافة العظمى وسرّح طرفه في ملايين المسلمين المنتشرين في اقاصي البلدان البعيدة والقريبة في الشرق والغرب وتأمل ما بينهم و بين الاستانة من الروابط الدينية والصلات المعنوية القوية فادرك حينئذ ان الدولة في قبضتها من القوة المعنوية والفعلية ما لا يكاد يكون في قبضة دولة اخرى اوروبية وغير اوروبية . وكان الامبراطور قد وقف على اكثر ما كتبه كتاب الانكليز والفرنسويين والروسيين عما يسمونه «خطر الجامعة الاسلامية» و يعنون به تألف المسلمين في العالم واجتماع كلمتهم على ما يريدونه من الخير لانفسهم فرأى بازاء ما وجده في دمشق من الحمية والحماسة ان اولئك الكتاب اصابوا في تخوّفهم تلك الجامعة التي تكون سداً قوياً دون اغراض دولهم كما ان الدولة العثمانية قد اصابت ايضاً في اتخاذها الخلافة رداً لها تعضدها وتشد ازرها في ايام ضيقها. ولما كان الامبراطور غليوم رجلا شديد الانتهاز للفرص وملكا خبيرا بفن اثارة نفوس الامم واستمالتها اليه رأى ان مأدبة دمشق الشام خير فرصة تغتنم لاظهار ما في نفسه للدولة واكتساب ميل رعيتها وغير رعيتها من المسلمين فالقى في تلك المادبة خطبته الشهيرة التي جاء فيها قوله « ان الثلاثمائة مليون مسلم المنتشرين في جميع اقطار العالم والذين يربطهم رباط الخلافة باخي السلطان عبد الحميد الى الابد لهم ان يثقوا بي و يعتمدوا عليّ »

على ان كثيرين من الذين سمعوا هذا الكلام في حينه ظنوه من باب التجمل والتلطف وفاتهم معناه السياسي الحقيقي . واذا اردت ان تعرف مبلغ ما كان لهذا الكلام من التاثير فاقرأ الجرائد الاوروبية التي صدرت في الاسبوع الذي القيت فيه هذه الخطبة . فانها جميعها ادركت ان الامبراطور اراد بذلك ان يحذّر اوروبا ويختم الجامعة الاسلامية او العصبية الاسلاميه كما يسميها الافرنج بختمه الامبراطوري لانه يرى لكل امة ودولة الحق في ان تدفع عن نفسها الشر وتدرأ الاذى بكل الوسائل التي في يدها وان تتمتع بنعمة الاستقلال وتعيش حرة مطلقة تحت قبة السماء

وقد وضع الامبراطور غيليوم ختمه على الجامعة العثمانية كما وضعه على الجامعة الاسلامية . الاولى لسلامة الدولة في الداخل والثانية لسلامتها في الخارج . الاولى تجعلها جسما واحدا يحس بألم كل عضو من اعضائه . والثانية تقذف المهابة والسطوة في قلوب خصومها وتبعث كل عدو على الافتكار مليًا قبل الاقدام على شر يريده بها .

ولا ريب في ان الامبراطور غيليوم قد استفاد بذلك وافاد معًا . استفاد لانه استمال اليه والى دولته مسلمي الكرة الارضية كلها فاصبحوا يشكرون له عدله وانصافه بقدر ما يذمون باقي الدول لطمعها واعتدائها وليس قليلا صداقة ثلاثمائة مليون من المسلمين . وافاد لان « الجامعة الاسلامية » بانضمام الامبراطور غليوم اليها قد زال عنها ما كان يلصقها به خصومها . فان الذين يرهبون هذه الجامعة و يذمونها لانهم يرهبونها يقولون انها ناشئة عن تعصب الدين الاسلامي على الدين المسيحي . ولكن الامبراطور غليوم الملك المسيحي الشديد التمسك

بمذهبه كما تدل على ذلك جميع اقواله واعماله قد أرى اوروبا بانضمامه الى هذه الجامعة انها ليست فاشئة عن التعصب والرغبة في العدوان ولكن عن حب وقاية النفس والدفاع عن الاوطان . فهي كالاوقيانوس العظيم اذا لم تثر امواجه زوابعُ الاطماع السياسية بقي مسالماً هادئاً ساكناً واذا عصفت به تلك الزوابع لم يأمن راكبه ان تبتلعه امواجه الهائلة .

هذا وعندنا ان من يكتب في المستقبل تاريخ الدولة العثمانية كتابة منزهة عن الاغراض السياسية والمصالح الخصوصية سيقول في تاريخه ولا شك ان المانيا كانت بازاء دولتنا العلية اقرب الدول الاوروبية الى العدالة والانصاف فانها انحازت اليها في اصعب المواقف السياسية على حين ان اوروبا كلها اتحدت عليها . ولا ينقص من فضل انحياز المانيا هذا انها تتوقع من ورائه فائدة تجارية او صناعية او سياسية فان رجاء الفائدة لا ينفي فضل المساعدة وقد اصبح النفع المتبادل في السياسة الدولية خطة مألوفة . فاذا كان الامبراطور غليوم صديقنا العظيم قد ساءه قيام اوروبا عليه قومة واحدة لسلوكه جادة العدل والانصاف في الانحياز الى الدولة العلية ضد خصومها الكثيرين — اذا كان صديقنا قد ساءه ذلك فحسبه جزاء على عدله شكر العثمانيين له في الحاضر وفي المستقبل وقول التاريخ عنه في القرون الآتية — « لقد حكم المانيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ملك شاب كرهت نفسه الكبيرة العادلة ان تكون في جملة النسور الطامعة التي كانت تحوم بشراهة وجشع على بلاد الدولة العثمانية »



الانسان الطبيعي قبل الاجتماع — لاهم له غير دفع الحيوانات المفترسة عنه وطلب قوته البسيط وقوت امرأته التي الى جانبه . اما وطنه فالطبيعة الواسعة كما ترى بما فيها من الجبال والسهول والاحراش والانهار .

(انظر الصفحة التالية)

الانسان

وما صنع التمدن بهِ

سل ساكني القصور . وشاربي الخمور . ولابسي الاستبرق والديباج . وآكلي لحوم الضأن والدجاج . يغدون في اواخر الليل بعد حفلات الانس والرقص فيجدون الفراش لينًا مثنيًا . فينامون فيه نومًا هنيئًا . وينهضون بعد شروق الشمس بساعات . الى اغتنام المسرات والملذات .

سل ساحبات ذيول التيه والفخار . بما اوتين من بهاء يخجل بهاء الاقمار . ونغمات اصوات اوقع في النفوس من نغمات الاوتار وغناء الاطيار . من كل من خطرات النسيم تجرح خديها ولمس الحرير يدمي منها البنان والاظفار .

سلهم جميعًا أعرفوا من في هذا الرسم الموضوع فوق هذه السطور ? . على انهم اذا عرفوه فانما يعرفونه بالظن والتخمين لا بالادراك واليقين . فقد انقضت عليهم مئات قرون وهم مفارقون هذه الحالة التي نراه فيها فنفضوا عنهم في خلال هذه القرون الطوال كل ما كان عليهم من الآثار الفطرية واقاموا بينهم وبين الطبيعة سدودًا قوية حولت احوالهم وقلبت قلوبهم وابعدتهم عن فطرتهم الاصلية بعدًا قصيًا حتى اصبحوا اذا ابصروا الانسان الطبيعي ظنوه وحشًا لا انسانًا طبيعيًا .

في هذا الرسم الذي اشرنا اليه رجل على الفطرة الاصلية جسمه مكسو بالشعر الطويل عارٍ عن كل لباس الا غطاء من جلد الحيوان موضوع على منكبيهِ . والى جانبه امرأته جالسة على الارض وهي تنظر الى حيث ينظر رجلها كانهما يتوقعان امرًا .

انظري ايتها السيدة المتمدنة الى اختك بنت حواء هذه الجالسة بازاء رجلها في اعالي الجبال . اترين في اذنيها اقراطك الماسية . وفي معصميها اساورك الذهبية . وعلى رأسها قبعتك الاطلسية . وفي خصرها مشدك الذي يشد روحك اللطيفة في جسمك النحيف . وفي قدميها نعليك الضيقتين العاليتين . وعلى جسمها ثوبك الحريري القصير من هنا الطويل من هناك الواسع من هذه الجهة الضيق من ذلك الجانب الطويل الذيل الذي يغني البلدية عن الكناسين . . . لا لان اختك هذه المسكينة لا تملك شيئًا من خزعبلات المدنية وادواتها . فانها على الفطرة الطبيعية فراشها الارض وغطاؤها السماء وقاعتها كهف في اعالي الجبال او مغارة في بطن الغاب وزينتها جلد حيوان يكسو جسمها او بعضه كما يصنع رجلها وقوتها اثمار الاحراش واذا لم تجدها فلحم الحيوان النيء اصطاده بنفسها او يصطاده لها رجلها .

وانت ايها الرجل المتمدن أنظرت على راس اخيك الانسان الطبيعي طربوشك اوقبعتك . وحول عنقه قميصك المكوية الناصعة البياض وفيها ربطتها الحريرية اللطيفة . وفي قدميه نعليك اللتين توسع ماسحها سبًا اذا لم تخرجا من بديهِ لامعتين كما تريد . . . وهل رأيته يستر جسمه بهذه الملابس الثخينة التي تستر بها جسمك ويأكل على بساط الطبيعة مائدته الطبيعية الالوان المختلفة التي تأكلها على مائدتك . انت لا يكفيك لون واحد من الطعام ونوع واحد من الشراب . وهو راضٍ مكتفٍ بقشور اثمار الغاب اذا فاته اللباب . انت حولك جدران المنازل وستائر القاعات وكلل الاسرّة تقيك قيظ الصيف وقرّ الشتاء . وهو لا فراش له غير الغبراء ولا غطاء غير السماء . ومع ذلك فايكما اسعد احالاً . انت ايها الرجل المتمدن ام اخوك الرجل الطبيعي . انتِ ايتها المرأة المتمدنة ام اختك المرأة الطبيعية .

وُجدنا هنا بازاء مسألة من اهم المسائل الفلسفية والاجتماعية وهي — هل كان في تمدن الانسان زيادة راحته او زيادة تعبه ? فقد اصبح معلومًا ان البشر في اوائل العمران كانوا منتشرين افرادًا وازواجًا على ضفات الانهار وفي الغابات والجبال يعيشون عيشًا طبيعيًا اي في الحالة التي يراها القراء في الرسم المذكور آنفًا . ثم ان حاجاتهم الطبيعية والطوارئ الخارجية اضطرتهم الى الاجتماع والتعاون على المعيشة فتألفت العائلة ومنها تألفت القبيلة ثم الامة ثم الدولة وبذلك تم عمران الارض بعد ان كانت خرابًا واصبحت مأهولة بعد ان كانت قفرًا يبابًا . فهل ان البشر الآن بعد هذا العمران انعم بالاً مما كانوا قبله ? وهل ان آيات التمدن الساطعة ومكتشفاته الباهرة اصلحت اخلاقهم ام افسدتها ? وهل لم يكن في الامكان احسن مما كان ?

مسائل نجيب عليها بما امكن من الايجاز مراعاة لضيق المقام .

من مبادئ الاجتماع ان متاعب الانسان تزيد بزيادة حاجاته ولما كانت حاجاته تزيد بزيادة تقدمه في المدنية كان لا بد من زيادة متاعبه . فهذا الانسان الطبيعي لا يزرع

ولا يحرث ولا يهتم للغد اذا جاع مدَّ يدهُ الى الاشجار او الحيوانات التي تصل اليها يدهُ فأخذ منها وأكل واذا نعس وضع فأسه من يدهِ ونام حيث كان سواء في عرض البر او في قمم الجبال او في بطون الاحراش . فكل متاعبه مقصورة اذًا على وقاية نفسه من شر الحيوانات الكاسرة وعلى تحصيل قليل من الاثمار او شيءٍ من لحم الحيوان يمسك بهِ رمقهُ . اما الانسان المتمدن فاحصِ معنا عدد المتاعب التي عليه معاناتها . عليه اولاً منازعة رفاقه البقاء وتحصيل معيشته تحصيلاً جعله التمدن من اصعب الامور في هذا الزمان . ثم انهُ ما عدا محاربة ابناء جنسه لتحصيل قوته عليه محاربة العناصر الطبيعية واتقاء شرها واجتلاب خيرها . فانه يخاف الروماتزم على جسمه من اخف نسمات الهواء . ويخشى وقوع اشعة الشمس على رأسه لئلاً تضربهُ ضربة قاضية . ويخاف الغرق على مزروعاته اذا كثر المطر ويخاف عليها الحرق اذا انحبس عنها . عليه مداراة الناس في السوق وعائلته في البيت واصدقائه كل في نوبته والسهر على نفسهِ وعلى اشغاله وعلى ذويه بازاء باقي الناس سهراً يفني جميع قواهُ وجميع اوقاته فلا يجن الليل ويأتي فراشه حتى ينطرح عليه خائر القوى فاقد العزم من اتعاب نهاره . هذا بيان معيشته اليومية نزاع وصراع وهمٌّ في خارج المنزل وغمٌّ في داخله . وفضلاً عن ذلك فراحة الانسان اشد ما تكون متوقفة على صحته وسلامة جسمه . وسلامة الجسم آخذة في البعد عن الانسان بنسبة بعده عن فطرته . فان هذه الملاهي التي يهرقون فيها ماء حياتهم ولا يشعرون . والاطعمة والاشربة التي يقتلون بها اجسادهم . والملابس الضيقة التي يضعفون بها دماءهم . والرذائل الصغيرة كالحسد والبغض والطمع التي تذيب لحمانهم والكبيرة التي تقتل عقولهم وابدانهم وآدابهم — كل هذه القبائح التي ولدها التمدن الحاضر لا تبقي لجسم الانسان سلامة ولا تدع له صحة . واصابة الانسان بصحته اصابته بصميم راحته وسعادته من اجل ذلك فالانسان الطبيعي اكثر راحة من الانسان الاجتماعي

هذا من وجه الراحة البدنية والعقلية . اما من وجه فساد الاخلاق البشرية او صلاحها بالتمدن فالمجال متسع للبحث والتدقيق .

يرى كثيرون من الفلاسفة وعلماء الاخلاق ان التمدن كان باعثاً على افساد اخلاق الانسان لا على اصلاحها . وحجتهم في هذا ان التمدن يزيد حاجات الانسان كما قدمنا . وزيادة حاجات الانسان تقتضي تنبه حواسه وقواهُ الى قضائها ونيل الضروري وغير الضروري منها . وهكذا نرى الغش والخداع والطمع والجرائم والرذائل تزداد في العالم بازدياد الثروة وتتقدم بتقدم المدنية . وقد سمى العلماء القرن التاسع عشر القرن الحديدي لكثرة اختراعاته واكتشافاته على انهم لو انصفوا لسموهُ القرن المادي لان المادة اصبحت فيهِ معبوداً ثانياً وربًّا ثانياً . لقد اصبح الانسان في هذا الزمان يتخذ من جثث اخوانه مراقي الى اغراضه ومصالحه . لقد قسمت المكاسب المادية اعضاء العائلة على بعضهم البعض فصار الواحد يمزق الثاني تمزيقاً



المرأة المتمدنة في القرن التاسع عشر — همها التزين والتحلي انظر اليها راجعة من حانوت الصائغ تتأمل في حلية ابتاعتها منه . لا ريب انه يحلو للقارئ ان يقابل من كل الوجوه بينها وبين اختها المرأة الطبيعية في الرسم الاول .

ويدوسه تحت اقدامه دوساً توصلاً الى ربح يرجوهُ من وراء عمله غير ذاكر ان لهذه السكرة صحوة ولهذا الظلام فجرًا وان وراء المادة قوة فوق المادة . وكل ذلك من نتائج المدنية والعمران . فما أحسن تلك البساطة الطبيعية بل ما احسن تلك الخشونة الفطرية التي نراها في الانسان الفطري في هذا الرسم بازاء ما في العالم المتمدن الآن من الفوضى الادبية

وهل كان في الامكان ابدع مما كان ? مسألة تحار فيها بعض الاذهان . فاذا قال الانسان ان ذلك كان في الامكان اعتُد قوله هذا كفرًا لانه يستوجب ان يكون العالم قد خرج عن الدائرة الابدية العظمى التي رسمتها له اليد الابدية الازلية من غير ان تقوى هذه اليد على ادخاله فيها وحينئذ لا تكون هذه اليد (والعياذ بالله) الا يدًا وهمية . واذا قال ان ذلك لم يكن في الامكان عزا النقص الى الكمال والضعف الى القوة والحد الى من لاحد ولا بداية ولا نهاية له تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا .

والحقيقة في كل هذا ان الخالق سبحانه وتعالى قد وضع لهذا الكون سننًا وشرائع يسير بموجبها نحو الكمال المطلق والخير الاعظم . وقد كان شروع الانسان بالتعاون والاجتماع بداية التدرج والسير طبقًا لتلك الشرائع الالهية . امس كان الانسان بلُّوطة صغيرة ملقاة في الارض الواسعة فاصبح اليوم شجرة عظيمة تأوي اليها الاطيار ويستظل بها ابناء السبيل . واذا كانت الافاعي قد اتخذت لها مقامًا في هذه الشجرة والسوس والحشرات المؤذية قد علقت بها تنخر لبها وتأكل اوراقها فسيأتي يوم تخلص فيه هذه الشجرة من جميع آفاتها وتعطي ثمرًا يليق بالبستاني الذي سهر عليها .

وهذه الشجرة هي الانسانية والبستاني هو اليد المبدعة التي تدبر سكانها الآن . وما هذه الآفات التي تأكل باطن العالم اليوم كالرذائل والجرائم والشقاء العظيم — ما هذه كلها الا اعراض تنفضها الانسانية عنها شيئًا فشيئًا كلما تقدمت من فجر النور وحد الكمال الموضوع امامها في الافق البعيد . فثبتي خطاك يا امنا وامشي الى غرضك ساكنة الجأش ولا تخافي فان يد القادر تعضدك ويمينه القوية تأخذ بيمينك

ولكن انظري وراءك من حين الى حين واذكري هذه البذرة الصغيرة التي منها خرجتِ فانه قد يكون في ذكرك لها فائدة لنا ولك . واجتهدي ان تقتدي بها من حيث بساطة المعيشة وسذاجة القلب ما استطعت الى ذلك سبيلا فانك قد تكتفين بذلك كثيرا من مصائبك وشرورك



الرجل المتمدن في معمله في القرن التاسع عشر عصر الصناعة والاختراع . كم من المراحل قد قطع الانسان متدرجًا من الحالة الفطرية حتى وصل الى حالة العمران الحاضر

ولكن هل ارتقت آدابه بنسبة ارتقائه . وهل ان رأس هذا الرجل المتمدن المكشوف امامنا الآن لا يحمل من الشر اكثر مما يحمله رأس الانسان الفطري في الرسم الاول .

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لتسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليهِ الشرق الآن

حاجتنا الكبرى

قلنا في هذا الباب من الجزء السابق انه يجب الدعوة الى اصلاح التربية المدرسية والتربية العائلية قبل الدعوة الى انشاء مدارس جديدة والالم تغن المدارس الجديدة فتيلا ولم تجدِ ابناءنا نفعاً. وقد جعلنا معظم الكلام في ما مرَّ مسوقاً الى اخواننا العثمانيين المقيمين في بلاد الدولة العثمانية ولكن مايقال لاخواننا العثمانيين يصح ان يقال لاخواننا المصريين ايضاً.

وقد بينا اصلاح التربية المدرسية في الجزء الماضي على حسن اختيار المعلمين والتوسيع عليهم ليتقدم الى هذا الفن الشريف من كان قادرا على الافادة فيه. هذه هي المرحلة الاولى. ومتى اعطي القوس باريها ودخل المدارس الابتدائية لتربية النسل فيها اولئك الافاضل الذين تبعدهم عنها قلة الرواتب وشبه احتقار عند الشرقيين لهذا الفن الشريف الذي نسميه فن افلاطون وارسطو وصلنا بالمدارس حينئذ الى المرحلة الثانية وهي اصلاح تربيتها وتعليمها اصلاحاً يجعلها بمنزلة قوالب ذهبية من الامة تفرغ فيها عقول ابنائها ونفوسهم فتخرج منها متحلية بكل الفضائل والمعارف التي يجب التحلي بها.

واذا طُلب الينا ان نضع الحجر الاول في اساس هذا الاصلاح العظيم الواجب ادخاله في جميع مدارس الشرق قسمناه الى اربعة اقسام اولها

تعليمٌ منطبق على حاجات الامة

ومهما بالغنا في وصف اهمية هذا الامر ووجه وجوبه لهيئتنا الشرقية فاننا نجد قلمنا قاصرًا عن توفيته حقه. ولو علمت البلاد الشرقية ان معظم الفقر السائد فيها والشقاء المستحوذ على اهلها واكثر الرذائل التي اتخذتها مقعدًا ومركباً — لو علمت ان هذه كلها او جلها ناشئة عن عدم انطباق التعليم في المدارس على حاجات المتعلمين من ابناء الامة لما قعدت ساعة واحدة عن قلب نظام تلك المدارس وجعله كما يجب ان يكون. انظر الى تلك المدارس تجدها كلها او جلها تنسج على منوال واحد في التعليم. فانك لا تسمع فيها غير ذكر الصرف والنحو والبيان والفلسفة والهندسة والطبيعيات واللغة الفرنسوية والانكليزية واللاتينية وغيرها. يدخل اليها الطالب فتتعلق به ولا تفلته حتى تحشو ذاكرته بمبادئ هذه العلوم غير مراعية قواه العقلية وخصوصاً حالته الاقتصادية. اذا كان ابن امير او رجل كبير علموه الفلسفة والهندسة والفرنسوية والانكليزية. واذا كان ابن فروي او ابن حمَّال علموه ايضاً الفلسفة والهندسة والفرنسوية والانكليزية. اذا كان ذا استعداد طبيعي ومواهب عقلية علموه هذه العلوم واذا كان بليدا قاصرا جاهلا حمَّلوا ذاكرته ما استطاعت ان تحمله منها ايضاً. ويا ليت هذا الغني والفقير. والحاذق والخامل. يأخذون من هذه العلوم ما يستطيعون ان يسهلوا به لانفسهم سبل الحياة وبعبارة اوضح ان يحصلوا خبزهم بعلمهم وعملهم ويكتفوا بذلك عار الطلب للمعيشة وذل الالتماس لقضاء الحياة. انهم لو قدروا على ذلك بما يتعلمونه في تلك المدارس لبخرناها في الغدو والآصال وسبحنا بحمدها في كل حال. ولكنهم من سوء حظها وحظهم لا يخرجون منها الاليكونوا حملا ثقيلا على عاتق اهلهم. فان المعارف «السطحية» التي يتلقنونها في تلك المدارس لا تغني عنهم في جهاد الحياة فتيلا ولا يقدرون ان يخطوا معها خطوة واحدة في سبيل تحصيل معيشتهم اللهم الاَّ اذا كان هنالك اهل يعضدون. واقرباء يدرّبون.

لذلك تراهم يخرجون من المدارس حيارى لا يدرون ماذا يصنعون ولا اي باب يقرعون. يحتقرون الصنائع اليدوية لان المدارس في رأيهم رفعتهم عنها وان كانت مهنَ آبائهم واجدادهم وتقصر ايديهم عن ان تنال ما تريد ان تناله من المهن التي يسمونها «شريفة» فيسقطون حينئذٍ في هاوية تسمى هاوية البطالة وهي ام الرذائل ومجلبة الفقر والشقاء ومدعاة الخراب ومفنية قوى الامة لانها تفنى شباب شبانها وتذهب بقواهم هباءً منثورًا.

وقد اصبح الناس اذا أرادوا مثلاً لهذا الامر الذي نحن

في صدده طلبوا هذا المثل في تلك الالوف المؤلفة التي تخرج في كل سنة من مدارس سوريا لتسقط في هذه الهاوية هاوية البطالة المخيفة . اما نحن فعندنا ان كل المدارس الشرقيـة تخرج تلامذتها لتلقيهم في تلك الهاوية . ولا نستثني من هذه المدارس الاَّ التي وضعت بازاء تعليمها العلمي تعليماً عملياً اي تعليماً فنياً او صناعياً او زراعياً .

فحاجتنا في هذا الشأن ان نجعل التعليم في مدارسنا منطبقاً على حاجات البلاد والامة . فاذا كانت الامة زراعية وضعنا بازاء التعليم العلمي اي تعليم اللغات والطبيعيات وغيرها تعليماً زراعياً واذا كانت الامـة صناعية وضعنا بازاء التعليم العلمي تعليماً صناعياً . اما اذا ضربنا عن هذا الامر المهم صفحاً وبقينا على ما نحن فيه من اهماله واغفاله فلا سبيل الى انقاص جيش البطالين الذين افسدت البطالة اخلاقهم فجعلتهم حملاً ثقيلاً على الهيئة الاجتماعية وعلى اهلهم وصيرت الهيئة الاجتماعية في خوف دائم من ان يسري اليها فسادهم .

ادخل ملاعب القمار تجد اولئك البطالين في مقدمة اللاعبين . انظر في اماكن الفساد والشقاء تجدهم في طليعة الداخلين . ادع الناس الى عمل وطني او خيري تجدهم في مؤخرة المجيبين ان لم يكونوا مثبطين ومفسدين . تكلم امامهم عن الله والفضيلة والوطن فلا تجدهم الا ضاحكين مستهزئين . هؤلاء هم ابناءك ايتها المدارس الشرقية . هؤلاء هم فلذات اكبادنا التي استودعناك نفوسهم فأفسدتِ صلاحها وقذفت بها الى تلك الهاوية .

فالواجب الآن رتق الفتق واصلاح الفساد و بناء المهدوم ولا سبيل الى ذلك الاَّ بتربية الجيل الناشئ تربية جديدة وتعليمه تعليماً منطبقاً على حاجاته واحواله الاقتصادية .

على انهُ لا يفيدنا شيئاً ان نعلمهُ تعليماً منطبقاً على حاجاته ونبقيه بهذه الجبانة والضعف اللذين نراهما فيه . فمن الواجب اذاً ان نبثَّ في نفوس ابنائه روح

الاقدام

لتكون لهُ الرجولية الحقة وليتسنى لهُ بهذه الفضيلة العظيمة ان ينتفع بالعلم والعمل اللذين يأخذهما في المدرسة . ومتى منحناه فضيلة العلم المنطبق على حاجاته وفضيلة الاقدام التي تمهد لهُ سبل الحياة وتكسبه رزقهُ في زحام العالم الشديد بقي علينا ان نغرس فيه اصول فضيلة اخرى لا تنقص عظمةً عن فضيلة الاقدام وهي فضيلة

الاقتصاد

فانها حافظة لذلك الكسب ان يتبدَّد ووافية ثروته الصغيرة والكبيرة من النفاد والفناء . واننا لا نرى تعليماً اشد ضرورة للشرقيين من تعليمهم الاقتصاد وترك التبذير والاسراف الاَّ تعليم الادب الصحيح

والفضيلة

فان تعليمها يجب ان يكون رابعة القواعد الواجب وضعها اسساً لاصلاح التربية المدرسية .

هذه هي حاجتنا الكبرى واجزاؤها الاربعة . الاول جعل التعليم في المدرسة منطبقاً على حاجات الطلبة وحاجات بلادهم . الثاني بث روح الاقدام في نفوس الطلبة . الثالث تلقينهم اصول الاقتصاد حتى يبطلوا سفههم وتبذيرهم اللذين كثيراً ما كانا سبباً في هلاك كثيرين منهم . الرابع غرس اصول الفضيلة في نفوسهم . وسيرد الكلام بالتفصيل بعد هذا الاجمال والله المستعان

✻ الشعور الجديد ✻

حلية البنت الأدب

نقتطف من قصيدة ادبية فكاهية نشرها بهذا العنوان في كراس صغير حضرة حسني افندي العامري بالسويس بعض ابيات دلالة على الشعور الجديد الشريف الذي دبَّ في النفوس في مصر بشأن التربية والتعليم . وقد آلت الجامعة على نفسها ان تكون صدى كل صوت يرتفع للنداء بهذا الشأن . وهذه هي الابيات نوردها على سبيل الفكاهة كما اراد بها ناظمها

زينةُ البنتِ الادبْ	لا بحسنٍ وذهبْ
كلُّ حسنٍ ذاهبٌ	مثل تذهيبِ اللببْ
كلـهُ شيءٌ عرضْ	لا يؤدي للغرضْ
فاتركي هـذا المرضْ	واحفظي مني الادبْ

الى ان قال

كوني طوعَ الوالدينْ	والمعلم والقرينْ
واكرمي اهلكِ اجمعينْ	ثم جيرانَ الجنبْ
واصدقي فالكذبُ عارْ	يورث الوجهَ اصفرارْ
واشهدي الحقَّ جهارْ	تأمني شرَّ العطبْ

لا تصيحي في الجنازه ليس للنوحِ اجازهْ
انْ منْ تفعلُ هـذا خالفتْ نصَّ الادبْ
انْ أتاكِ زائرينْ فاكرميهمْ أجمعينْ
انْ تريهمْ كاملـينْ ردُّ زورتهم وجبْ
والزيـارة شرطهـا يسمحُ الزوجُ بهـا
ثم راعـي وقتهـا ولتكنْ بعدَ الطلب
انْ دعوك للطعامْ فاحذري نهشَ العظامْ
واسبقيهم في القيام لا تبـالي بالعتب
ليس من حسن الخلال نبش انفكْ والتفال
سيما بين الرجال فاحذري هذا السبب
رتبي أشغالَ داركْ واكتبي صرف نهاركْ
واعدلي بين صغارك وارشديهم للادب
عليهـم في الصغر مـا بـه الله امر
والنبي طـه القمر ذا عليك قد وجب
يا ابنة القوم الكرام هاك درسي بالـتمام
فاحفظيـه باحترام تبلغي أعلى الرتب
احفظيـه واتبعيـه واجعلي طفلكْ يعيه
بل ومنـه رضعيه كي يغذَّى بالادب

وفي ذيل هذه القصيدة الفكاهية نشيد ذو دورين اولها هـذه الابيات

سيَّما العلم على الاوطان تنمى قوات السلطان
لذا سـمي مليكنا وقصـده تعليمنـا
يعيش خديوي عباس

المراة والعائلة

ننشر في هذا الباب ما يهم المرأة والعائلة من المباحث الادبيـة والبيتية والتهذيبية وما يردنا من اقلام الاديبات اللواتي تنبهن الى وجوب تحسين حالة المرأة والعائلة في الشرق .

الملاك والشيطان

جاء في بعض الامثال اذا أردت ان تمتطي الخيل فصلِّ مرةً واذا أردت ركوب البحر فصلِّ مرتين واذا أردت ان تتزوج فصلِّ ... ثلاث مرات .

وقد أراد واضع هذا المثل ان يعبر به عن شدة الخطر الادبي الذي يتعرض له كل طالب للزواج حين عزمه على اخذ شريكة له في حياته تقاسمه السراء والضراء .

وما اوردنا هذا المثل للبحث في ما اراد به واضعه ولكن للاستشهاد على اهمية المرأة في الهيئة الاجتماعية . فان في قبضتها سعادة الرجل او شقاءه . سعادته اذا كانت تعرف واجباتها وتبذل كل ما اعطاها الله من القوة في اتمام هذه الواجبات . وشقاءه اذا كانت لا ترى عليها من واجب غير ما تزينه لها اهواؤها واميالها للملاهي والتزين واغتنام الملذات . على ان المنزل في الحالة الاولى نعيم وفي الثانية جحيم . والمرأة في الحالة الاولى ملاك وفي الثانية شيطان رجيم .

فوصية واضع ذلك المثل لكل مقدم على الزواج ان يصلي ثلاثاً في باطنه قائلاً — اللهم اكفني شر الشيطان الرجيم وهبني من نعمك الملاك الكريم

على ان هذا الطالب لو انصف وتروى في الامر لخجل من نفسه عند دعوته هذه . فان هذه الدعوة اذا تضمنت طلب الخير لنفسه فانها تتضمن طلب الشر لغيره لان الله تعالى اذا استجاب لكل طالب فاعطاه ملاكاً كريماً وبكلمة اوضح زوجة صالحة فاين نذهب بالزوجات الشريرات ؟ ولو علم هذا الطالب انه هو مصدر هذا الشر الذي يدعو الله ان يدفعه عنه لازداد خجلاً على خجل من شر تصنعه يداه . ثم يعزوه الى سواه .

ذلك ان الرجال انفسهم هم المسئولون امام الله وامام الانسانية عما يرونه من الفساد في تربية النساء في الشرق .

واننا نرى مثلهم ان حالة المرأة والعائلة فيه مما لا يصبر عليه ولا يطاق ولكن فليلوموا انفسهم قبل ان يلوموا نساءهم . لماذا لا يربونهم كما يريدون . لماذا لا يرفعون هذه الجواهر من حمأة الجهل والغباوة ويضعونها في مرتبتها السامية حتى تشرف منها عليهم وتنيرهم بنورها الساطع الجميل . أ يبقون على معاملة النساء معاملة الانعام السائمة من غير ان يبذلوا في تعليمهن وتربيتهن بعض ما يبذلونه من العناية بتعليم الرجال وتربيتهم ثم يريدون ان تكون النساء كلها ملائكة وقديسات . المرأة مرآتك

الحقيقية ايها الانسان فاذا اصلحتها كانت ملاكاً واذا افسدتها كانت شيطاناً .

فاذا أردت يوماً ان تختار لنفسك شريكة في هذه الحياة فلا بأس ان تصلي كما قال صاحب المثل . ولكن لا تقل في صلاتك . اعطنا الصالحة وابعد عنا الشريرة . بل قل اعطنا الصالحة لتصلحنا او الشريرة لنصلحها . واذكر دائماً قول القائل رحمه الله .

حسب المرأة قوم آفة من بدانيها من الناس هلك
وراها غيرهم امنية ملك النعمة فيها من ملك
انما المرأة مرآة بها كل ماتنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

تنبيه — اذا أردت ان ترى المرأة شيطاناً رجيماً فاقرأ رواية « **البرج المائل** » بقلم منشىء هذه المجلة وهي رواية تمثيلية تاريخية ادبية غرامية يمثلها الان ارقى الاجواق العربية في مصر ثمنها خمسة غروش صاغ ولك ان تستردها وترد الرواية بعد قراءتها اذا لم تكن عنها راضياً .

واذا اردت ان ترى المرأة ملاكاً سماوياً كريماً فاقرأ رواية « **الحب حتى الموت** » التي ننشرها ذيلاً للمجلة ولكن كن ذا صبر حتى نقطع المراحل الاولى اذا كنت ممن لا تروقهم المباحث الفلسفية فتصل حينئذ الى الموضوع الذي كتبت هذه الرواية من أجله .

ولكن اما ظلمنا الرجال

اذا كنا قد القينا على الرجال مسئولية جهل النساء وتركهن في هذه الحالة التعيسة التي نراهن فيها في بلاد الشرق فاننا لا نبرئ النساء من المسئولية . نعم ان في الشرق طبقات من النساء غارقات في بحر من الجهالة والغباوة والشقاء غرقاً يفقدهن كل شعور بما هن فيه من سوء الحال فلا يجدن دافعاً الى الارتقاء ولا يشعرن بان لهن وجوداً ذاتياً وعليهن واجبات سامية وهؤلاء وا اسفاه اشد النساء عذراً ورجالهن اكثر الرجال ذنباً . الا ان في كل شجرة فروعاً دانية وفروعاً عالية وفي كل امة طبقات في اعلى السلم وطبقات في اسفلها . واذا كان نساء الطبقات الواطئة تفني خدمة المنزل قواهن وتفقدهن سلطة الزوج الشعور بالحياة الحقيقية فان في نساء الطبقات العالية من يصح ان يقال فيهن انهن خلعن نير الرجل عن اعناقهن ان لم نقل وضعن نيرهن على عنقه فهؤلاء النساء لا عذر لهن في البقاء في الجهل القديم وابقاء بناتهن في الغباوة القديمة .

وبعبارة اوضح ان المرأة في الطبقات السفلى في الشرق محكومة فاذا لم تورب ولم تهذب وقعت المسئولية على رجلها ولكنها في الطبقات العليا قد اصبحت حاكمة فما الذي يحول بينها وبين التمدن الصحيح والتربية الصحيحة .

وا أسفاه على تلك القوى العظيمة الذاهبة سدى بلا جدوى ولا فائدة . لقد انقضت الاجيال على المرأة الشرقية حتى بلغت هذه الدرجة التي بلغتها من الاستقلال عن رجلها واخضاعه لحكمها . لقد عانت منه في الاجيال الماضية ما لا يطاق ولا يحتمل . لقد بللت الدموع كل خطوة خطتها في سبيل هذا الاستقلال وكثيرات لخشونة رجالهن وفظاظتهم قد سقينها بالدماء . ومع ذلك ماذا صنعن بتلك القوة التي قمعن بها قوة الرجال ولطفن خشونتهم واسقطن بها سلطتهم ؟ لقد اصبحن ينفقن منها سدى بلا فائدة ولا جدوى كما قدمنا . وبدلاً من ان يحللن بها لدى ازواجهن ولدى الناس المنزلة الادبية السامية اللواتي خلقن لانشائها من مثل النهوض الى تعليم بناتهن وتربيتهن والقيام بدعوة عامة الى هذا الامر الشريف . ومثل ترك العادات السخيفة التي يكون فيها على مركزهن وآدابهن تأثير سيء واقتباس العادات الحميدة النافعة . ومثل قيامهن رقيبات على الآداب العامة . ومحكمات في مسائل الذوق . وحاميات ومحسنات للضعفاء . ومخففات بابتساماتهن السماوية وانظارهن السحرية متاعب المتعوبين والمجهودين في هذه الحياة — بدلاً من ان يحللن هذه المنزلة الادبية السامية ويصرفن قواهن في اتمام هذه الواجبات الادبية المقدسة زيادة في اعلاء شأنهن واتقاء للسقوط بعد الصعود او الرجوع الى العبوديه والقيود قد أخذن وا أسفاه ينقضن بايديهن ما قضين في بنائه الاجيال الطوال فلم يعد لهن هم الا اقامة الملاهي واغتنام الملذات والاسترسال في التحلي والتزين استرسالاً يفنى ما لديهن من الوقت والمال معاً حتى لم يبق للادب والفضيلة والعلم والواجبات البيتية والزوجية من لذة تستميلهن بازاء تلك الملذات الدنيوية التي تشبه القبور المكلسة بيضاء في الظاهر ولكنها في الباطن جيف منتنة .

فاي ذنب هنا للرجال فيما يصنعه النساء . لا ريب في ان

معظم الذنب في هذه الحال التعيسة للنساء ومن النساء يطلب اصلاحها لان في هذا الاصلاح مصلحتهن ومصلحة العائلة ·

على ان هنالك اصلاحاً آخر يطلب من الرجال وهو اصلاح التربية المدرسية في مدارس الاناث كما طلبنا منهم اصلاحها في مدارس الذكور · وقد ضاق معنا اليوم نطاق المجلة فلنترك الكلام على ذلك الى الجزء التالي ·

اقتراح

طُلب الينا ان نلقي على القراء والقارئات هذا السوآل

« هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة وأحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنَّ قبل التعليم او مما لو كنَّ غير متعلمات »

الاَّ اننا نشترط انلا يتجاوز الجواب عشرين سطراً ولا نكلف الكاتبة او الكاتب ذكر اسمه وننشر كل ما يردنا من الآراء بهذا الشأن في العدد القادم والذي يليه لا غير ونمنح اجزاء السنة الاولى من مجلتنا بلا عوض للسيدة التي تكون أحسن جواباً ·

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لشعراء وكتاب من المتقدمين والمتأخرين تكون قدوة للكتاب والشعراء ويكون فيها فائدة ولذة للقراء

احمد بك شوقي

شاعر العصر

تتيه مصر عجباً على الشام بل على جميع بلاد الناطقين بالضاد بشاعر كبير يكفي في تسميتهِ ان نقول شاعر العصر · او بلبل القطر ·

ولكن اين غناء البلابل في الرياض من غناء احمد بك شوقي في وادي النيل · فان البلابل في الروض اذا غنت قد لا تنصت لها جميع طيور الروض اما احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية الفخيمة اعزها الله فانهُ لا يخرج صوتهُ الصدَّاح حتى ينصت له الشحرور والزرزور وباقي الطيور وتتخاطف الوف الايدي الحروفَ التي توصل صوته الى الاسماع · ولا عجب في ذلك فان شعراء الملوك ملوك الشعراء ·

وقد رأينا ان ننشر اليوم شيئاً من شعرهِ في هذا الباب المفتوح لاقلام الشعراء فاخترنا لاظهار مواهبه الفائقة نشر قصيدته المعروفة بقصيدة المؤتمر لانهُ نظمها في المؤتمر الدولي المشرقي الذي عقد في سنة ١٨٩٤ وكان فيه نائباً عن مصر · وقد ضمَّن هذه القصيدة « كبار حوادث وادي النيل من يوم قام الى هذه الايام » اما نحن فنقتطف منها ما لا يضيق عنه المقام ·

قال في الاستهلال يصف خروج السفينة بهِ من الاسكندرية ويذكر عظمة الله ·

همت الفلك واحتواها الماء　　　وحداها بمن تقل الرجاء

ضرب البحر ذو العباب حواليـها سماء قد اكبرتها السماء

لجة عند لجة عند اخرى　　　كهضاب ماجت بها البيداء

ربِّ ان شئت فالفضاء مضيق　　　واذا شئت فالمضيق فضاء

فاجعل البحر عصمة وابعث الر　　　حمة فيها الرياح والانواء

يتولى البحار مهما ادلهمت　　　منك لألاء عندها لألاء

واذا ما علت فذاك قيام　　　واذا مارغت فذاك دعاء

فاذا راعها جلالك خرَّت　　　هيبة فهي والبساط سواء

والعريض الطويل منها كتاب　　　لك فيه تحية وثناء

ومنها يذكر فتح الملوك الرعاة لمصر ·

فعلى دولة البناة سلام　　　وعلى ما بنى البناة العفاء

واذا مصر شاة خيرٍ لراعي الـ　　　ـسوء تؤذى في نسلها وتساء

ففريق ممتعون بمصرٍ　　　وفريق في ارضهم غرباء

ان ملكت النفوس فابغ رضاها　　　فلها ثورة وفيها مضاء

يسكن الوحش للوثوب من الاسـ　　　ـر فكيف الخلائق العقلاء

ومنها في الالوهية والوحدانية وهو كلام لم تسمع أحسن منهُ اذنان ·

ربِّ شقتَ العباد ازمان لا كتـ　　　ـب بها يهتدى ولا انبياء

ذهبوا في الهدى مذاهب شتى　　　جمعتها الحقيقة الزهراء

فاذا لقبوا قوياً الهاً　　　فلهُ بالقوى اليك انتماء

واذا آثروا جميلاً بتنزيهٍ　　　فان الجمال منك حباء

واذا انشئوا التماثيل غرًّا　　　فاليك الرموز والايماء

واذا قدَّروا الكواكب اربا　　　باً فمنك السنا ومنك السناء

واذا يمموا الجبال سجوداً　　　فالمراد الجلالة الشماء

ربِّ هذي عقولنا في صباها　　　نالها الخوف واستباها الرجاء

فعشقناك قبل ان تأتي الرسل وقامت بحبك الاعضاء
ووصلنا السرى فلولا ظلام الجهل لم يخطنا اليك اهتداء
واتخذنا الاسماء شتى فلما جاء موسى انتهت لك الاسماء

وقال بعد كلام عن موسى يصف فيه مجيء المسيح باسلوب يخلب الالباب

وُلد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الارض والعوالم نورًا فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيدٌ لا صولة لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما ملّ نابت عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ خشعٌ خضعٌ له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء
انما ينكر الديانات قوم هم بما ينكرونهُ أشقياء

ثم انتقل الى النظر في العصر الذي تلا مجيء المسيح نظرًا سياسيًا متدرجًا الى مجيء صاحب الشريعة الاسلامية

هرمت دولة القياصر والدو لات كالناس داؤهن الفناء
نال روما ما نال من قبل آثينا وسميتهُ ثيبة العصماء
اظلم الشرقُ بعد قيصر والغر بُ وعمّ البرية الارجاء
فالورى في ضلاله متمادٍ يفتكُ الجهل فيه والجهلاء
وتولّى على النفوس هوى الاو ثان حتى انتهت لها الاهواء
فرأى الله ان تطهر بالسيف وان تغسل الخطايا الدماء
وكذاك النفوس وهي مراضٌ بعض اعضائها لبعض فداء
لم يعادِ الله العبيد ولكن شقيت بالغباوة الاغبياء
واذا جلت الذنوب وهالت فمن العدل ان يهول الجزاء
أشرقَ النور في العوالم لما بشرتها باحمد الانباء
باليتيم الاميّ والبشر المو حى اليهِ العلوم والاسماء
قوة الله ان تولت ضعيفًا تعبت في مراسه الاقوياء
جاء للناس والسرائر فوضى لم يؤلف شتاتهنّ لواء
وحمى الله مستباح وشرع الله والحق والصواب وراء

ثم تدرّج الى الدول التي تعاقبت فتح مصر فقال

ولو استشهد الفرنسيس روما لاتتهم من رومة الانباء
علمت كل دولة قد تولت اننا سمها وانا الوباء
قاهر العصر والملك نابليون ولت فؤاده الكبرياء
جاء طيشًا وراح طيشًا ومن قبل أطاشت اناسها العلياء
سكتت عنه يوم عيرها الاهرام لكن سكوتها استهزاء
فهي توحي اليه ان تلك واترلو فاين الجيوش اين اللواء

ثم انتهى في تاريخ حوادث مصر الى ذكر الاسرة العلوية الكريمة واختتم بهذه الابيات مخاطبًا مولانا الخديوي المعظم

هذه حكمتي وهذا بياني لي به نحو راحتيك ارتقاء
الثم السدة التي ان انلها تهو فيها وتسجد الجوزاء
سائلاً ان تعيش مصر ويبقى لك منها ومن بنيها الولاء
كيف تشقى بحب حلمي بلاد نحن اسيافها وحلمي المضاء

وهذه القصيدة تشتمل على ٢٩٢ بيتًا

وله في الغزل والمديح والوصف والفخر وكل صنوف الشعر قصائد تحرك الجماد وتطرب كل فؤاد ٠ ولكن مواهبه الشعرية لم تظهر في كل هذه ظهورها في نظم الحكم والامثال على ألسنة الحيوانات جريًا على طريقة لافونتين الشاعر الفرنساوي الشهير فانهُ قد اتى في هذا الفن بما لم يأته احد قبله واليك بعض تلك الامثال تغنينا عن الوصف والاطناب ٠

سليمان والهدهد

وقف الهدهد في با ب سليمان بذله
قال يا مولاي كن لي عيشتي صارت مملّه
متُّ من حبة برّ احدثت في الصدر غله
لا مياه النيل ترويها ولا امواه دجله
واذا دامت قليلاً قتلتني شرّ قتله
فاشار السيد العا لي الى من كان حوله
قد جنى الهدهد ذنبًا وأتى في اللؤم فعله
تلك نار الاثم في الصدر وذي الشكوى تعله
ما أرى الحبة الا سُرقت من بيت نمله
ان للظالم صدرًا يشتكي من غير عله

البلابل التي رباها البوم

أُنبئت ان سليمان الزمان ومن أصبى الطيور فناجتهُ وناجاها
اعطى بلابله يومًا يؤدّبها لحرمةٍ عنده للبوم يرعاها
واشتاق يومًا من الايام رؤيتها فاقبلت وهي اعصى الطير افواها
اصابها العيّ حتى لا اقتدار لها بان تبثّ نبيّ الله شكواها
فنال سيدها من دائها غضبٌ وودّ لو انهُ بالذبح داواها
فجاءهُ الهدهد المعهود معتذرًا عنها يقول لمولاهُ ومولاها
بلابل الله لم تخرس ولا ولدت خرسًا ولكن بوم الشؤم رباها

الحمار في السفينة

سقط الحمار من السفينة في الدجى فبكى الرفاق لفقده وترحموا
حتى اذا طلع النهار أتت به نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتاني سالماً لم ابتلعه لانه لا يهضم

ثعلب وديك

برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا
فمشى في الارض يهدي ويسب الماكرينا
ويقول الحمد لله اله العالمينا
ياعباد الله توبوا فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير ان العيش عيش الزاهدينا
واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسول من امام الناسكينا
عرض الامر عليه وهو يرجو ان يلينا
فاجاب الديك عذراً يا أضل المهتدينا
بلغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا
عن ذوي التيجان ممن دخل البطن اللعينا
انهم قالوا وخير القول قول العارفينا
مخطئ من ظن يوماً ان للثعلب دينا

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على مواهب الشاعر دام بلبل الاريكة الخديوية الفخيمة

اخبار داخلية

اصطدام — حدث اصطدام هائل في الرمل بين قطار الحكومة وقطار شركة الرمل وكان في القطار الثاني صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري محافظ الثغر وكثيرون من الركاب فجرح سعادته في كتفه وفي فخذيه اما باقي الركاب فمنهم من كسرت اسنانه واضراسه فاخذها بيده وصار يريها الحاضرين وهو يصرخ من الألم ومنهم من كسرت فخذه ومنهن من اصيب عند الاصطدام باعراض تشبه الجنون من شدة خوفه · وقد كانت الصدمة شديدة الى حد رفعت فيه الركاب الى سقوف المركبات وقذفت بهم جدرانها قذفاً · فاضطرب القطر لهذا الاصطدام الاليم وتواردت الرسائل البرقية على سعادة المحافظ بالسوآل عن صحته حتى تجاوزت ٥٠٠ رسالة · فعسى ان ما حدث هذه المرة من الخطاء لا يحدث مرة ثانية صيانة للنفوس والارواح ·

الحج والطاعون — استفتت الحكومة المصرية ائمة الاسلام في مصر في منع المصريين من الحج في هذا العام لظهور وباء في جدة وفي مكة المكرمة يقول بعضهم انه الطاعون ويقول آخرون انه وباء ثانٍ يشبهه فافتى الائمة بعدم جواز المنع وان يترك للمسلمين الاختيار بين الاقدام على الحج او القعود عنه

وقد بلغ عدد الحجاج الذين قصدوا الاقطار الحجازية عن طريق الاسكندرية الى ١٦ مارس الماضي ٧٦٠٢ والذين برحوا هذا الثغر في ذلك اليوم فقط ٨٠١ منهم ٥٠٩ عثمانيون و ١٣٦ مصريون و ٥٨ روسيون و ٤٠ ايرانيون و ٢٩ من الزولوس و ٢٦ من البوسنه والهرسك و ٣ من البرتغاليين · اما القاهرة فقد سافر منها الى منتصف الشهر الماضي نحو ثلاثمائة حاج

الجمعية السورية الارثوذكسية — اتانا من حضرة سكرتير الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الثغر بيان للنمر الرابحة من نمر يانصيب هذه الجمعية الذي جرى سحبه في دار كنيسة سيدة النياح للروم الارثوذكس السوريين في محفل حافل بالاعيان تحت ملاحظة حضرات الوجهاء الافاضل الخواجات جورج كرم وهبه كرم حبيب وهبه نجار تيدور حموي خطار مخائيل حاوي بشاره فيعاني · فربحت الجائزة الاولى وقدرها الفا غرش صاغ النمرة ٧١٦ ثم تليها اربع نمر ربحت كل منها ٢٥٠ غرشاً وعشرون نمرة اخرى ربحت كل منها مائة غرش صاغ · والنمر الرابحة تدفع من محل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر نقداً بعد حسم ٥ في المائة لفائدة الجمعية

فنحن مع بالغنا في الثناء لا نفي حضرات رئيس واعضاء هذه الجمعية حقهم منه فانهم بمساعيهم الحميدة جعلوا الجمعية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية خير مثال للجمعيات الارثوذكسية الاخرى في مصر والشام فكان في ذلك برهان جديد على نجاح الشرقيين في اعمالهم العمومية متى اعطوا القوس باريها ووكلوا الى سراتهم وكبارهم ادارة شؤونهم

نمرة رابحة — ربحت نمرة من نمر اليانصيب في معرض الشفقة في الاستانة العلية مرآة صغيرة مصنوعة في عهد لويس الرابع عشر وعليها رسم البوسفور وهي في جملة الاشياء الثمينة

التي اهداها لذلك المعرض جلالة مولانا السلطان الاعظم . ونقدر قيمة هذه المرآة بار بعمائة ليرة عثمانية .

احتكار الكبريت — منحت الدولة العلية امتيازاً باحتكار الكبريت لشركة يديرها حضرة صاحب العزة شوقي بك من موظفي ادارة البوسطه فعسى ان تكون هذه الشركة وطنية وان لا تنقلب اجنبية .

الشركات الجديدة — قيل ان الحكومة المصرية بالنظر الى كثرة قيام الشركات العمومية في القطر تنوي وضع قانون جديد لها منعاً لما عساه ان يجوز من تزوير اوغش على الذين يقبلون من غير الخاصة على شراء اسهمها . وهذا غاية ما تستطيعه الحكومة في خدمة الامة من هذا القبيل فهلا خدمت الامة نفسها ايضاً فقامت الى تأليف الشركات الزراعية والصناعية والتجارية قيام الاجانب اليها الآن حتى كاد يسمى هذا الزمن « زمن الشركات »

بيروت — تصدت الحكومة في بيروت لبعض مهربي الاسلحة والتنباك فجرى نزاع شديد بين الجنود والمهربين قتل فيه واحد من كل من الفريقين وجرح منهم بضعة اشخاص وضبطت الحكومة الاشياء المهربة والقت القبض على بعض الاشقياء

الجنسية العثمانية في مصر — لا تزال اللجنة التشريعية توالي البحث في مشروع اعطاء العثمانيين في مصر حقوق الجنسية المصرية . والظاهر ان هذا المشروع قد تقرر بالاجمال وانما الخلاف على التفصيل

الجرائد والجامعة — تشكر الجامعة رصيفاتها الكريمات اللواتي أثنين عليها وامتدحن خطتها وتشكر بالخصوص رفيقاتها اليومية اللواتي ابدتها بنقل بعض فصولها لقرائهن الكرام كجريدة مصر الغراء التي اخذت لقرائها فصل « الاصلاح الحقيقي » وجريدة الاخبار الغراء فصل « عنوان الجامعة » وجريدة السلام الغراء « فصل المعلم والتربية » . وانا نسأله تعالى ان يسدد خطانا في هذه الخدمة ويمنحنا شيئاً من القوة التي تجاهد بها رصيفاتنا في خدمة الوطن والاداب انه ولي التوفيق والنجاح . هذا وتعتذر الجامعة عن نشر التقاريظ التي وردتها من الادباء مكتفية برد ذلك الثناء اليهم وشكرهم شكراً خالصاً

كتاب الجامعة الافاضل — ننشر في الجزء القادم المقالة الاولى من مقالات كتاب الجامعة الافاضل وعنوانها « السلطنة السماوية » لحضرة صديقنا الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي . وحضرته معروف في عالم الاقلام في مصر بمقالات نشرها في جريدة الاهرام الغراء بتوقيع « سهيل » كان لها حسن الوقع لدى القراء .

ونبشر قراء الجامعة انهم سيقرأون فيها من اقلام هؤلاء الكتاب المجيدين ما يستحق ان نوجه انظارهم اليه من الآن . وحسب الجامعة فخراً في ذلك انها تكون همزة الوصل بين فريقين من افاضل الشرقيين — فريق الكتاب والعلماء وفريق القراء .

اخبار خارجية

الدولة العثمانية — وصلت الى جزيرة قمران باخرة من ستاجونغ تقل جماعة من الحجاج قاصدين مكة وقد حدث في اثناء سفرها ست وفيات اشتُبه ان سببها الطاعون

مصر — ارسل سعادة اللورد كتشنر رسالة برقية الى الحكومة الانكليزية يقول فيها انه يقبل مسئولية نبش قبر المتمهدي وارسل حضرة اللورد كرومر رسالة اخرى يعضده فيها ويستحسن عمله . فعرضت هاتان الرسالتان على مجلس العموم الانكليزي .

انكلترا — سافرت جلالة الملكة الى بلدة سيميز في فرنسا لقضاء فصل الصيف فيها ولما مرت بطولون اعربت لوكيل المحافظة عن اسفها وحزنها للانفجار الذي حدث في تلك المدينة

قال وكيل الخارجية في مجلس العموم ان انكلترا لا تريد منع تجارة الرقيق في افريقيا الشرقية دفعة واحدة

صرح وكيل وزارة الخارجية ان انكلترا لا تنوي سوق

حملة جديدة على التعايشي اذ ليس ما يدعو الى ذلك الان

فاز في سباق الزوارق تلامذة كلية كمبردج ·

اعلنت جريدة الدالي كرونيكل ان جلالة قيصر روسيا تساهل مع انكلترا في تسوية ما بينهما من المشاكل بشان سكة حديد نيوشوانغ ليقيم بذلك دليلاً على نيته السلمية قبل انعقاد مؤتمر نزع السلاح وبذلك فض الخلاف بشان الصين كما فض بشان بحر الغزال ·

روسيا — اشاعت الجرائد الاوروبية ان سفر سفير روسيا من سربيا على الوجه المذكور في الرسم التالي سيكون وسيلة لارتخاء الصلات بين الروسيا والنمسا لان هذا السفير قد عرض على حكومته ان يقيم لها البرهان على ان النمسا لم تف بوعدها لروسيا من التزام السكينة في شبه جزيرة البلقان وان يدها هي التي تحرك الملك ميلان الآن — (انظر الرسم التالي)

قامت الجرائد الروسية تقول بعد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا بشان بحر الغزال واعالي النيل ان مسالة مصر هي مسالة دولية

اشتدت المجاعة في الولايات الروسية الواقعة على شواطئ نهر الفولجا وفشا داء التيفوس فيها ايضاً

فرنسا — قال الموسيو لوكروى وزير البحرية في مجلس النواب انه في ايام حادثة فشودة كانت العمارة الفرنسوية موجودة في الترسانات البحرية مجردة من الاسلحة تجريداً كلياً ومعظم المقذوفات بلا فتائل · ثم شرح الاصلاحات العظمى التي شرع فيها

جرى عقد الاتفاق في لندرا بين انكلترا وفرنسا على الاراضي الافريقية فاخذت انكلترا لها ولمصر ولايات بحر الغزال والدارفور واخذت فرنسا ولايات وادي وباغيرمي وكانين على شواطئ بحيرة تشاد · وقد تعاهدت الدولتان على اباحة التجارة لكل منهما في الاراضي التي اتفقتا على تحديدها ومنحت فرنسا بنوع مخصوص ان تنشئ مكاتب تجارية على نهر النيل ومتفرعاته من الخط الخامس من الخطوط العرض الى الخط الخامس عشر اي مما يلي الخرطوم جنوباً الى الاراضي التي تلي لادو شمالاً · فسر هذا الاتفاق الجرائد الانكليزية والفرنسوية ووضع حداً للاراجيف بين هاتين الدولتين

سافر اللورد سالسبوري الى ريفييرا في فرنسا للاستراحة قليلاً من عناء الاعمال

الولايات المتحدة — احترق وندسور اوتيل الواقع في وسط المدينة ودُمر في ٤٠ دقيقة فمات فيه ١٤ نفساً وجرح ٥٠ اغلبها من النساء ويؤخذ من اجماع الشهادات ان اللصوص هم الذين احرقوا هذا النزل

أُرسلت حملة بطريات جبلية الى ما نيلا والمظنون ان الثائرين لم يتألموا كثيراً من هزيماتهم الاخيرة وان في استطاعتهم الاستمرار على القتال في الغابات الى ما شاء الله

المانيا — قررت الحكومة الالمانية عدد الجيش في زمن السلم ٤٩٥ الف رجل بدلاً من ٥٠٠ الف والفي رجل كما كان وارداً في المشروع الذي اعلنه الامبراطور غليوم عند افتتاح الرشستاغ وذلك نتيجة اقتراع هذا المجلس على عدم زيادة الجيش · ثم ان الرشستاغ وافق على اقتراح تسوية حاسم للنزاع قدمه المسيو ليبر فاجتنب بذلك حدوث ازمة في المجلس وصدق المجلس على مشروع الزيادة

سافر المستر سسل رودس الى برلين ليتفق مع حكومتها بشأن مد سكة حديدية وسلك تلغرافي من جنوبي افريقيا في الاملاك الالمانية حتى يتصلا بالسكة المصرية والسلك التلغرافي في القاهرة ويظهر من مقابلته للامبراطور غليوم واهداء الامبراطور صورته اليه وتناول الامبراطور والامبراطورة العشاء معه على مائدة السفير الانكليزي في برلين ان هذا الرجل العظيم خرج من المانيا فائزاً بما اراده ·

ايطاليا — ردت الصين طلب ايطاليا ان تتنازل لها عن خليج سانمون واعادت مذكرتها الى سفيرها في بكين · فغضب السفير وارسل بلاغاً الى ديوان الخارجية يطلب ان يسترد تلك المذكرة في خلال اربعة ايام وأن يقبل طلب ايطاليا · فصرّح حينئذ وزير خارجية ايطاليا في مجلس النواب ان السفير الايطالي قد قدم هذا الانذار من تلقاء نفسه ولذلك عزل من منصبه وعين مكانه المركيز راجي · وسبب ذلك وعد ايطاليا الدول وبالخصوص انكلترا ان لا تستخدم القوة في نيل الامتياز الذي طلبته ·

اسبانيا — امضت ملكة اسبانيا الوصية عهدة الصلح مع الولايات المتحدة بدون ان تعرض هذه العهدة على مجلس النواب بسبب رفضه المتوالي قبول مسئولية التصديق

(* غذاء المعد القوية [1] *)

كل رزايا الانسان تأتيه من مصدر واحد وهو عدم مقدرته على البقاء منفرداً وحده . هذا سبب اقدامه على الحب والحباب والقداح والاقداح والنميمة والحسد ونسيان الله والناس .

لا يتفق الرجال والنساء في حكمهم على امراة لان كلاً من الفريقين ينظر اليها من وجه فما يرضى الرجل منها يسخط المرأة عليها .

سمع رجل يتمنى ان يكون ابنة من السنة الثالثة عشرة من عمره الى الثانية والعشرين وان يعود بعد ذلك رجلاً .

للانسان ثلاثة ادوار الولادة والحياة والموت . اما الولادة فلا يحس بها والموت يتألم منه والحياة تمر مرور الزوبعة فلا يكاد يشعر بها .

اذا رايت امراة تصلح وجهها فلا تقل « انها تحط ابيض او احمر » بل قل انها تكذب وتغش نفسها والله والناس .

اذا كان النساء يصلحن وجوههن ليرضين بذلك انفسهن فليصنعن بها ماشئن وليضعن ما اردن من الطحين والحبر عليها . اما اذا اردن بذلك استرضاء الرجال واستمالتهم فاسمعن ايتها السيدات فاني قد استشرت الرجال واخذت اصواتهم جميعاً . انهم يحبون البساطة الطبيعية ويكرهون الكذب والرياء فلا تشترين قبح الوجه اذاً بالمال . هذا هو رأي الرجال (لا ينس القارىء ان هذا من لا بر و ببر ايضاً)

رجل كثير الكلام خفيف النفس لا يحفظ سرا شديد الدعوى والمفاخرة يمدح نفسه كثيراً ويذم الناس كثيراً بلا استقامة ولا ادب ولا معرفة — ماذا ينقصه حتى يصبح معبوداً من النساء ؟ ينقصه وجه جميل .

فراقك من تحبه خير بالقياس الى اجتماعك بمن تكرهه

اذا اصغى الانسان الى حديث بعضهم وسمع ذلك الكلام الفارغ الذي يدور عليه محور الحديث قام في نفسه انفة من الدخول معهم فيه . واذا سكت والتزم الصمت دائماً قالوا انه ابله لا يتكلم فلا مناص اذاً من ترك فلان يتكلم عن طربوشه وحذائه وفلانة عن فسطانها وقبعتها او عن اكلها وورق لعبها وحذار ان تسخر منهما في باطنك وهما يتكلمان فانك تخل بالواجب وحذار ان تترك السمع فان ذلك ضد الادب وحذار ان تسمع فانك تنعس وتنام من الضجر — فماذا تصنع اذاً .

(* غذاء المعد الضعيفة *)

بين معلمة وتلميذاتها : سألت معلمة تلميذاتها لماذا نطلب من الله ان يعطينا خبزنا « كفاة يومنا » ولا نطلب منه خبزاً ليومين او ثلاثة او أربعة . فاجابت ابنة صغيرة ببساطة قائلة — حتى يكون خبزنا « طرياً » دائماً .

بين صبي وامه : قال صبي يوماً لامه قولي لي يا أماه لماذا ظهر يسوع عند قيامته للنساء اولاً . فأجابت الام — حتى ينتشر الخبر بسرعة شديدة يابنيّ .

بين معلم وتلميذه في الامتحان : سأل المعلم — ماذا ترى فوق رأسك لما تكون خارج البيت . فاجاب التلميذ — ارى السماء . قال المعلم — واذا كانت السماء متلبدة بالغيوم . فاجاب التلميذ — حينئذ أرى مظلتي (شمسيتي)

بين معلم وتلميذه ايضاً : قال المعلم — اذا طرحت ٣ من ٦ فكم يبقى . قال الولد — لا اعلم ياسيدي . فقال المعلم — لو كان في يدك مثلاً ٦ تفاحات وطلبتُ ان تعطيني ٣ منها فكم يبقى لك . فاجاب الولد — ست . قال المعلم هذا لا يكون لاني طلبت ٣ من هذه التفاحات الست . فاجاب الولد على الفور — نعم ولكنني لا اعطيك ما طلبت .

اعور في المعرض : أراد اعور ان يزور معرض الزهور فلما وصل الى باب المعرض سأل البواب — ما هو رسم الدخول فاجابهُ — غرش واحد . فقال الاعور — هذا نصف غرش لاني لا اشاهد المعرض الاّ بعين واحدة .

بين شابين : كيف جمالها ؟ — كالشمس — وعيناها ؟ — كعيني الظبية — وجيدها ؟ — كجيد الغزال . واسنانها ؟ — اما اسنانها فكأسنان الطفل عند اول ولادته .

الدوطه : تزوج رجل بفتاة ذات دوطه كبيرة لوفاء ديون عليه . فساله احد اصدقائه — كم لعروسك من العمر وفي اي دور من الحياة هي . فاجاب الزوج — في دور الذهب .

خطيب مصقع : دخل ملك إحدى المدن فانتدب خطيب لاستقباله فلما اجتمع القوم لسماع الخطيب وقف هذا وافتتح الكلام قائلاً — كان اسكندر الكبير . كان اسكندر الكبير . وارتج عليه . فقال الملك — نعم كان اسكندر الكبير يتغدى عند الظهر وقد صارت الساعة الثانية بعد الظهر ولم اتغدَّ فاستودعكم الله . ثم مضى لسبيله

---

(١) خطرات افكار مأخوذة عن لابروبير الحكيم

الحب حتى الموت

رواية ادبية اجتماعية غرامية حدثت حوادثها في اميركا ومصر والقدس الشريف وطرابلس الشام ولبنان تأليف منشئ هذه المجلة

الفصل الاول

اذا كان النور جميلا فالظلام جميل ايضاً

بين بيروت وطرابلس الشام جبل تابع للبنـان داخل في البحر يسميـه البحارة الوطنيون «رأس الشقعة» او «رأس النوريه» ويسميه بعض الاولاد في طرابلس «وابور الشقعة»

والسبب في ان هؤلاء الاولاد يسمونه كذلك ظهور طرف هذا الجبل لهم بشكل مقدم الباخرة وذلك بدخول لسان عند البترون وراءه في البحر يظهره بهذا الشكل

واما تسمية البحارة اياه براس النوريه فقيـام دير قديم في جهته الشماليـة باسم السيدة العذراء وقد سمي النوريّة اما لاطلاقهم هذه الصفة على السيدة العذراء على سبيل المجاز والوصف واما لزعم العامة انها عليهـا السلام تتمثل ليلة عيدها السنوي الذي يحتفل به في تلك الجهات احتفالاً باهراً بشعلة من نور تتنقل في البحر والبر في تلك الليلة الى ما قبل انفجار النهار

ففي ليلة من ليالي الصيف الصافية كان راهب من رهبان هذا الدير جالساً على صخرة على مقربة منه وعيناه شاخصتان في السماء الزرقاء المشعشعة بالنجوم المتلألأة فوقه. والفضاء غير المتناهي المتسع امامـه. والبحر المنبسط تحته ساكناً هادئاً كانه اعيته الحركة في النهار فلجأ في الليل الى فراش الراحة والسكينة. وكان هذا الراهب يقلب طرفه في تلك المناظر من حين الى حين وفمه يردد هذه الكلمات — اذا كان النور جميلاً فالظلام جميل ايضاً

الا انه كان كثير الالتفات الى جهة الشمال والتحديق فيها كمن ينتظر امراً. وكان كلما حدق فيها واعاد عنها نظره خائباً ادخل اصابعه في لحيته وردد قوله — ما اجمل الظلام. اذا كان النور جميلاً فالظلام جميل ايضاً

وبينما كان يردد هذه الكلمات واصابعه تسابق نسمات الليل في التلاعب بشعرات لحيتـه الطويلة واذا بيد وضعت على كتفه وقائل يقول له

— ما قولك يا ابانا في هذا الظلام

فالتفت الراهب بتأن ورزانة كانه كان متوقعاً هذه الزيارة وقال

— ظلام اجمل من ضوء النهار

قال الزائر — وفي هذه النجوم

فاجاب الراهب — هي مصابيح امل الانسان

قال الزائر — وفي هذا الفضاء

فاجاب الراهب — متسع لا نهاية له كالنفس البشرية

قال الزائر — وفي هذا البحر

فاجاب الراهب — مرُّ الطعم كالحياة

فقال الزائر باسماً — احسنت هذه المرة يا ابانا فقد حفظت هذه الامثولة جيداً فعسى ان لا تغلط فيها فيما بعد واظنني قد قلت لك مرة انها مما قاله فيكتور هيغو في شعره فاذكرني يا ابانا كلما وقفت في السنين الآتية في هذا المكان في هذا الظلام «الجميل» كما تقول

وذكرت لهذه النجوم انها مصابيح الامل ولهذا الفضاء انه متسع كالنفس البشرية ولهذا البحر الذي سيحملنا بعد حين انه مرُّ الطعم كالحياة

ولو لم يكن الظلام حالكاً لابصر الراهب دمعة بللت عين الشاب ثم مـا لبثت عينه ان شربتها . وكأنه كان بين الراهب والزائر اشتراك في الافكار فقال الراهب بشيء من العبوسة والجد

— وهل قربت الساعة فانني لا ارى في البحر شيئاً

— انها ستصل في منتصف الليل ونحن الآن في الساعة الحادية عشرة ونصف

ولم يتم الزائر كلامه حتى صاح صائح من ورائه

— وهل تكفي نصف ساعة لوداع ابينا ظلانور

فنظر الراهب الى زائره الاول وقـال بشيء من الانبساط

— لقد جاء كثير المراح

فاجاب الزائر الاول

— انني احبه ولكني اكره مزاحه

وكان الزائر الثاني قد وصل اليهما فوضع يده في يد الراهب وقال — ما قولك يا ابانا في هذا الظلام

فاجاب الراهب

دعنا الآن ياولدي من هذا المزاح فقد مضى اوان الهزل وجاء الجد . اجلسا الى جانبي واصغيا اليَّ فانه لم يبقَ لكما عندنا الا دقائق معدودة

فجلس الزائران واحد عن يمين الراهب وواحد عن يساره فالتفت الراهب الى الزائر الاول وقال

— اصحت عزيمتك على السفر يا اميل

فرفع الشاب عينيـه ونظر في وجه الراهب ثم قال باسماً

— وهل عهدت فيَّ انني اقول شيئاً قبل ان تصح عزيمتي عليه

فنظر الراهب الى الزائر الثاني وقال

— وانت يا يوسف الا تزال مصراً على السفر ايضاً

— لا يقعدني عن السفر الا القعود تحت الحجر .

— ولكن سفركما يا ولديَّ بطر في بطر . فانك يا اميل شاب كل ما بدا منك الى الآن يبشر بمستقبل عظيم ولك في قريتك كلمة نافذة وكرامة لدى جميع مواطنيك فضلاً عما لك من الراتب في مدرسة القرية . وانت يا يوسف ما الذي ترجوه من سفرك هذا . اذا كنت تطلب مالاً فانك ذو مال واذا كنت تطلب وجاهة فانك ذو وجاهة ايضاً . ولا تنسيا انكما مخلفان عندنا رمماً تاخذان ارواحها معكما وانكما قادران على كفايتها عذاب الفراق ومضض البعاد بل انه يجب عليكما كفايتها ذلك يا يوسف ويا اميل وخصوصاً اذا كان في جملتها ابوان بشعور بيضاء . فهل ذكرتما قبل الاقدام على السفر ما وراءكما وما امامكما

فاجاب اميل برزانة

— نعم ذكرنا فعلمنا ان السهم لولا مفارقة القوس ما اصاب والاسد لولا فراق الغاب ما صاد والعود في ارضه نوع من الحطب

فقال بطرس

— وعلمنا ايضاً ان في الارض قوماً يتنعمون ويتمتعون بملذات الحياة يقضون حياتهم في غبطة دائمة ونعيم مقيم على حين اننا نعيش بين اربعة جدران في هذه القرية الصغيرة المجاورة لهذا الدير

كما تعيش العلقة في قارورتها او الضفدعة في ساقيتها.
فما خلقنا نحن يا ابتاه لهذه المعيشة الحقيرة . نريد
الملاهي والملذات والمركبات والانوار الكهربائية وكل
ايات التمدن الساطعة . نريد بحراً عميقاً لحمل سفينتنا
فان هذه السواقي اصبحت عاجزة عن حملها

فضحك الراهب وقال

— لقد كان في جوابكما دليل ظاهر على ما في
نفس كل منكما . فانت يا اميل طالب للعلى وانت
يا يوسف طالب للملذات . ولكن صدّقاني ان اللذات
والعلى لا تؤدي الى طريق السعادة التي تنشدانها . على
اني ارى كلامي ذاهباً ادراج الرياح وخصوصاً بعد
ما علمته من تأهبكما للسفر تأهباً لا مرد له فارحلا
في حفظ الله وحراسته ولكن تذكرا دائماً تلك الرمم
التي خلفتماها هنا واذكرا انها تعيش في لبنان بنسمات
روحها التي في اميركا

قال الراهب ذلك ومسح بكمه دمعة جرت على
خده ثم قال

— ولك ان تعلم يا اميل مقدار حزن امك
وتلامذتك على فراقك بما يجده اصدقاؤك من الحزن
على سفرك . اني لست الا صديقاً لك ومع ذلك
فاني لا اتمالك نفسي عن البكاء لدى افتكاري بانني ما
عدت اراك في كل صباح ومساء كما اعتدت ان
اراك منذ سنوات عديدة . وماذا صنعت امك لما علمت
بعزمك على السفر

— صنعت اولاً كما تصنع كل ام عند عزم ولدها على
فراقها . ولكنها صبرت عند معرفتها انها لاحقة بي الى
اميركا بعد وقت غير طويل . فانها تحب تلك البلاد
لانها تعرفها وقد قضت فيها ثلاث سنوات مع والدي
المرحوم الذي قضى شهيد الغرق المشؤوم الذي
تعرف قصته . وقد اخذت امس من صديقنا الخواجا
بولس في نيويورك كتاباً يحثني فيه على السفر وطيه
كتاب من عائلته الى والدتي بذلك المعنى ايضاً
فزادني ذلك الكتاب شوقاً الى السفر وزاد امي
صبراً على فراقي لانها متيقنة انها ستتبعني
بعد حين

ولو كان هنالك من يراقب وجه الزائر الثاني
الذي دعاه الراهب باسم بطرس لنظر فيه دلائل
الدهشة الشديدة حين لفظ اميل اسم الخواجا بولس
وعائلته . والغريب ان اميل لفظ هذا الاسم ومد يده
الى جيبه فاخرج منها شيئاً ووضعه في الظلام الحالك
على شفتيه ثم اعاده الى جيبه وهو يضمه الى صدره .
وكذلك بطرس فانه ما لفظ اميل اسم بولس حتى
اخذ شيئاً من جيبه فقبله مرة او مرتين في
الظلام الحالك واعاده الى جيبه بعد ان ضمه
الى صدره ايضاً

ولو كان هنالك عين ترى في الظلام من
وراء الملابس ما في الجيوب كعين اشعة رنتجن
مثلاً لرأت ان ذلك الشيء الذي اخذه بطرس
من جيبه فقبله واعاده اليها هو قطعة من الورق
مربعة الشكل عليها رسم فتاة بارعة الجمال وكذلك
الشيء الذي اخذه اميل من جيبه . ومنتهى الغرابة في
ان تلك العين لو كانت حادة النظر لقرأت على
ظهر هذين الرسمين في جيب كل من الشابين هاتين
الكلمتين « ماري بولس »

الا ان اميل ما اتم كلامه حتى شخصت عيناه الى جهه الشمال لنور ساطع بدا على لسان داخل في البحر في الجهة الشمالية من راس النورية ويعرف هذا اللسان عند اهالي تلك الناحية بلسان انفه لدخوله في البحر عند قرية بهذا الاسم

فقال بطرس

ـ ما هذه النار التي نراها هناك

فاجاب اميل

ـ ان هذه النار حريقة يضرمها قوم يرصدون خروج السفينة من ميناء طرابلس وهي علامة بينهم وبين اصحابنا الذين سيهربوننا من هذا المكان حتى اذا رأوها استعدوا لانزال الركاب الى السفينة

ـ وهل تقف السفينة ههنا بعيدة عن الشاطيء

ـ تقترب من الشاطيء ما استطاعت الاقتراب في ظلام الليل. ومن سوء حظها ان الذين سبروا غور المياه في الموانى السورية واللبنانية ورسموا لها الخارطات البحرية لم يسبروا غور المياه كما يجب وراء راس الشقعة لانه لم يخطر لهم قط ان هذا الخليج الصغير سيكون يوماً موقفاً للسفن ومكاناً لنزول الركاب والمسافرين . والا لو كان غور المياه مسبوراً ههنا كما يجب لدنت السفينة من الشاطيء فوق ما تحتاج اليه الزوارق التي ستحملنا اليها في هذا الظلام.

فضحك بطرس عند ذكر الظلام والتفت الى الراهب وقال

ـ لم تحدثنا الى الآن بشيء عن الظلام يا ابتاه

فقال الراهب برزانة

ـ احدثك بذلك الآن ان اردت ولكن جاداً لا مزاحاً

انت تعلم اني احب الظلام الا انني لا احب جميع انواعه . وللظلام انواع كثيرة كما تعلم . اولها هذا الثوب الاسود الجميل الذي يكسو الطبيعة الآن وهي هادئة ساكنة وهذا هو النوع الذي احبه واعشقه فان للطبيعة جمالاً في الليل كما لها جمال في النهار واذا كان ضوء النهار جميلاً فان الظلام جميل ايضاً. اما الظلام الذي لا احبه بل اكرهه فكثيرة انواعه. ارأيت ذلك الرجل الساحب اذيال الكبرياء الذي لا تهمه غير مصلحته عاش الناس او ماتوا . هذا الرجل هو في الظلام وهذا الظلام اكرهه وامقته . أرأيت ذلك الخفيف النفس الثقيل الروح الكافر بنعمة الله المحتقر للارض والسماء معاً الذي لا يعلم للفضيلة معنى ولا للصلاح اسماً ولا رسماً . هذا الرجل هو في الظلام وهذا الظلام اكره انواع الظلام الي . أرأيت ذلك المداهن المرائي . وذلك الغليظ القاسي . وذلك المتلون المتذبذب . وتلك المرأة الكريهة والزوجة الغبية المنتفخة كالاسد وهي ليست الا هراً كل هولاء في الظلام وهذا الظلام لاشد منه سواداً في عيني ولا اكره منه الي . فاني احب ظلام الليل يابني لانه ستار الهدوء الطبيعي والسكينة الطبيعية ولكني اكره ما اسميه ظلام الشر لانه ستار الرذيلة ورائد الشر دائماً فاذا ذكرت من الآن فصاعدا حبي لظلام الليل فاذكر كراهتي لظلام الشر لعل هذه الذكرى تفيدك في غربتك البعيدة

فساء كلام الراهب صاحبنا بطرس كأن هنالك ابرة وخزته كما تقول العامة فقال للراهب

— وهل تعنيني بشيء مما ذكرت يا ابتاه

— لا تسلني يابني فلست اتكلم عنك وحدك بل انا قائل ما قلت عن جميع هذه العائلة الانسانية الكبيرة القاطنة تحت قبة السماء . دعنا من هذا ولا تثر اشجاني . كنت ارجو ان يخلصني انفرادي في هذا الدير مما كنت فيه ايام كنت غارقاً في تيار العالم فخاب ما رجوت وذهبت آمالي ادراج الرياح . كنت اقول لنفسي في تيار العالم — اخرجي يا نفس من هذا التيار . التمسي لك نفقاً في الارض او سلماً في الجو واعتزلي الناس وشرورهم وآثامهم واخلصي من كبرياء البعض ودناءة الاخرين الا اني لما اعتزلت الدنيا في هذا الدير علمت ما كنت اجهله قبلاً . علمت ان الانسان في تيار الحياة يرجو الخروج منه واذا خرج منه فلا يلبث ان يطلب الرجوع اليه . وهو اذا اقام في ذلك التيار حمله مجراه الى حيث لا يعلم فيقضي ايامه من غير ان يشعر بالحياة ولذاتها واذا خرج من ذلك التيار قضى ايامه في ندب مفقود وانتظار موعود وسآمة موجود . وكلا الاثنين يصلان الى القبر حد الحياة الدنيا الواحد متضجراً من المعيشة لانه لم يرَ فيها يوماً ابيض يسره طلوع شمسه عليه والثاني متحسراً عليها لانه يعتبر ان الحياة افلتت من يده افلاتاً . ثم نظر الراهب الى السماء وقال — نعم ان بين هاتين الحالتين وسطاً قد يكون فيه راحة لنفس الانسان ولكن .. اين نحن في هذا الدير من هذا الوسط .. لم يخلق الانسان ليعيش منفرداً . واذا كان في بعض الاخلاق من الضعف وحب الاعتزال ما يحبب الى صاحبها هذا الانفراد فيجب ان يكون في الانفراد هيئة اجتماع تؤنس وحشته وتخفف وطأته ويجب ان يكون معها ايضاً عمل يعمله الانسان والاّ فذلك الانفراد يجرّ وراءه ما لا يحصى من الشرور والآثام . قلت لكما ذلك وانتما على اهبة السفر لاطلعكما على ما اجده من التعب في وحدتي هذه فاخفف عنكما به غصة الفراق اذ تعلمان انكما مسافران للسعي والضرب في اقطار العالم انتجاعاً لخيراته وتحسيناً لاحوالكما على حين اننا نحن نبقى هنا كالماء الراكد يزداد فساداً كلما ازداد ركوداً

فقال اميل للراهب

— ولماذا لا تذهب معنا يا أبتاه

— انا اذهب معكم انت تمزح يا اميل فيما تقول . اتظن ان ما اقدمتم عليه سهل يا بني ام تحسب ان كل الناس بصباكم وحدة نفوسكم . كلا ان ما تأتونه غير جدير بمن جاوز سن الشباب ولا يليق الا بالشبان مثلكم . فان الاصول التي تربطكم بالارض يسهل عليكم قطعها ايها الشبان لانها لا تزال لينة اما اصولنا نحن الكهول والشيوخ فقد جفت ويبست وتمكنت من الارض فلا يقطعها الا الموت . وفضلاً عن ذلك فان علينا نحن واجبات هنا يا بني كما ان عليكم واجبات هناك . من واجباتكم انتم السعي والعمل لانفسكم ولعيالكم ولوطنكم ومن واجباتنا نحن البقاء بعدكم نضمد الجروح التي يوجدها فراقكم ونخفف المصائب التي ينزلها سفركم . ولكن قل لي قبل

هذا هل رفيقكم حنا ذاهب معكم ايضاً

— نعم

— ومن اين اخذ المال لنفقة سفره

— لابيه بيت لا يملك سواه رهنه وعزم على السفر

— وصاحبكم يوسف

— ذاهب ايضاً

— ومن اين له المال

— باع فدان ابيه وحقلاً له واخذ الثمن

— وما يحل غداً بعيا لهما اذا لم ينجحا

— كما حل بعائلة نخله

— مسكينة هذه العائلة . لقد ضربتها اميركا ضربة قاضية فقد باعوا ما فوقهم وما تحتهم ليعيشوا وابوهم لم يرد لهم عنه خبر منذ اشهر

— ولكن مصيبتهم خفيفة بازاء مصيبة العائلة المعلومه

فعبس الراهب حينئذ عبسة توقع الوجل في قلب ناظره وقال .

— أرأيت الى اي حد اوصلنا السفر للشحاذة في اميركا يا اميل

— ولكن لماذا تذكر السيئة ولا تذكر الحسنة أنسيت يا أبتاه ان ابناء وطننا يعودون من تلك البلاد ممتلئي الجيوب بالاصفر الرنان .

— لم أنس ذلك فاني اذكره كما اني اذكر العادات السيئة التي يعودون بها والاخلاق الجديدة التي يقتبسونها فتجعلهم كالغراب رأى الحجل فاراد ان يمشي مشيه فاخطأ هذا المشي ونسي مشيته . ولو كان كل الذين يهاجرون من اللبنانيين والسوريين ذوي مقدرة على كسب رزقهم بشرف في ارض الغربة وقوة على الجهاد الادبي والمادي في هذه الحياة لما انكرت عليهم تركهم اوطانهم والسفر الى الاقطار البعيدة فان هولاء النشيطين المجتهدين قادرون ان يشرفوا الاسم السوري واللبناني والعثماني حيث حلوا في الشرق او في الغرب في العالم القديم او في العالم الجديد الا انني لا استطيع السكوت عن الاعتراض على سفر تلك الجماهير التي لا قدرة لها على ذل الاغتراب وليس لها ما تعتمد عليه من وسائل الكسب في ارض الغربة فتلجأ الى ما لا يكون فيه لهم ولابناء وطنهم شرف كبير رغبة في الحصول على خبزهم . وتراهم يتسابقون الى تلك البلاد مجذوبين اليها ببريق الذهب من بعيد حاسبين ان الاموال مطروحة على الارض فلا يتكلف الانسان في جمعها الا ان يمد يديه ويجرف منها في سلته او في كيسه كما ظن بعضهم وما هذا القول بحديث خرافة ولكنه امر واقعي . فلو بذل هولاء الضعفاء هنا بعض ما يبذلونه هناك من ضروب الجد والاقتصاد تارة والضعف تارة اخرى اظنهم لا يكونون احسن حالاً . وبعد فعلام السفر الى ما وراء الاوقيانوس لطلب العمل في اراض زراعية والاجانب وفي مقدمتهم اليهود والالمانيون يهاجرون الى اراضي سوريا وفلسطين والاناضول لاحياء موات الارض وانشاء المحلات التجارية فيها .

ان من يستطيع تشريف الاسم العثماني في الخارج له ان يخرج ويعمل بما في وسعه من الوسائل فانه ينفع نفسه ووطنه معاً اما الذين لا يكونون في الخارج الا حملاً ثقيلاً على دولتهم وعلى ابناء وطنهم

فمن الواجب ان لا يخرجوا من وطنهم وان خرجوا فانهم يوملون ويتأملون وقلما ينتفعون . فقطع هنا اميل عليه الكلام قائلاً

— ومن اي فريق تحسبنا يا ابتاه

— احسبكم من الفريق الاول وهو الذي يشرف وطنه في البلاد التي يسافر اليها فسافروا ولكن سفر ضيافة لا سفر اقامة . لقد شغلتكما بالحكمة الباردة وهذه عادتي فلا تلوماني وقد كاد ينتصف الليل ولا اظن السفينة الا قد اقبلت لاخذكم فاني ارى في البحر نوراً يقترب

فمد بطرس واميل نظريهما الى البحر فابصرا نوراً بعيداً آخذاً في الاقتراب من ذلك المكان . فالتفتا الى البر طلباً لعلامة بينهما وبين المهربين فابصرا على اكمة قريبة من الشاطىء ناراً تضطرم وكانت هذه العلامة . فقاما مسرعين الى وداع الراهب فبكى وبكيا وتبادلا كلاماً شديد التأثير ثم قبلاه وقبلها القبلة الاخيرة وهبطا من ذلك الجبل قاصدين الشاطىء على طريق يعلمان انها تختصر مسافة البعد

ولما انقضت على الراهب نحو ساعة على التقريب وهو في مكانه حتى علت ضجة على الشاطىء وارتفع الصراخ . فخاف الراهب ان تكون الجنود قد القت القبض على المسافرين وما كاد يدخل هذا الخوف في قلبه حتى دوت على الشاطي الطلقات النارية يليها نداء الغضب والسخط فجاوبتها من البحر طلقات نارية اخرى ولكن بلا صراخ ولا نداء

وكان الجنود هم الذين اطلقوا النار من البر ارهاباً للمهربين والمهربون هم الذين اطلقوا النار من البحر دلالة على استعدادهم وتأهبهم لمقابلة القوة بالقوة . فعلم الراهب ان الموقف حرج على اصحابه فلبث يراقبهم شديد المراقبة فابصر في تلك الليلة الصافية بعد هبوطه بعض الهبوط الى الاسفل زورقين مثقلين بالرجال يلوحان ويختفيان على وجه الماء ولكنهما آخذان بالاقتراب من السفينة بسرعة شديدة . ولم يمر على ذلك بضع دقائق حتى لصق الزورقان بها فلبثا بضع دقائق الى جانبها ثم رجعا عنها ضاربين في عرض البحر الواسع . فادارت السفينة عند ذلك موخرها الى البر كانها تهزأ بمن فيه واستقبلت بمقدمها عرض البحر وراحت تشق عبابه في ظلمة الليل المدلهمة

. . . .

. . . .

« هذه السفينة والسارق سواء . اذا فرقت بينهما الشريعة التجارية فلا تفرق بينهما الشريعة الادبية . رجل يتسور بستانك ويأخذ من ثمار اشجاره ثم يعود غانماً تسميه سارقاً وسفينة تتسور قانون دولة فتأخذ من رعيتها بالرغم عن رجال الحكم فيها وعن قانونها الا تسمى سارقة . ولكن تلك سرقة في عرف الناس دنيئة وهذه كما يقولون شريفة

« هذه السفينة ونفس الانسان سواء . انها تستسلم الى الامواج والزوابع يديرها سكانها وترشدها ابرتها فاذا فقدتها ضلت في واسع البحار او قذفتها الامواج على الصخور . ونفس الانسان مستسلمة ايضاً الى امواج الحياة وزوابعها بسكان هو العقل وابرة هي الضمير فاذا فقدتهما ضلت ايضاً او تحطمت على صخور الحياة

« هذه السفينة وايام العمر سواء . تجري ولا

تترك وراءها اثراً

« هذه السفينة والنفس الكريمة سواء . تجري ضد الريح كما ان النفس الكريمة تجري ضد مصلحتها خدمة لمصلحة اخرى .

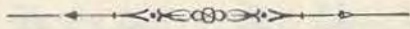
هذا ما كان يقوله الراهب ماداً يده الى السفينة وهي تمخر في عباب البحر سائرة بصاحبيه بطرس واميل ومن معهما من اللبنانيين الى ارض الله الواسعة

. . . .

وبقيت السفينة تجري على سطح البحر المتوسط والشمس في كبد السماء « السفلى » تجري « تحتـه » . ولكن اين مسير هذه من مسير تلك . فان السفينة ما كادت تصل الى مكان مقابل لحيفا في طريقها على خط مستقيم الى مرسيليا حتى كانت الشمس قد قطعت ما قطعت من شاسع المسافات وأرسلت رسل الفجر الى كهف المشرق تنادي باخراج هودج النار لركوب غزالة النهار . وكان الراهب قـد خرج لاستقبالها مع من خرج لذلك من مخلوقات العالم بعد ظلام الليل الطويل . فمن اطيار مصطفة على الاغصان تحيي ظهورها باشجى الالحان . ومن ازهار في الروض والحقل تستقبل تيجانها المشرق وتقدم للغزالة ما في كؤوسها من الندى شراباً شهياً . ومن سماء صافية كمرآة الغريبة كأن الملائكة قامت في الصباح كما قال فيكتور هيغو فاحسنت غسلها استعداداً لاستقبال عروس النور

فاخذ الراهب يسرّح الطرف في جمال الطبيعة قبل اشراق شمس النهار ويتأمل معاني جمالها في النور كما تأمله امس في الظلام . وكان الظلام يحجب عنا امس وجهه فلم نستطع رؤيته اما اليوم فقـد كشف لنا النور عن رجل طويل القامـة دقيق المفصل اسمر الوجه مقطب الحاجبين حاد البصر كالنسر منتصب الجسم كالالف على كبر ظـاهر في وجهه يكتب على جبهته اربعين عاماً . وكان يلبس ثوب الرهبنة الاسود ورأسه مكشوف لنسمات الصباح تعبث بشعره الطويل المسترسل على كتفيه وقد اتقدت فيه جمرة المشيب وهو واقف كالصنم لا يتحرك منه الا قلبه وعيناه مشتبكة ذراعاه على صدره وقدمه على الصخرة التي شهد منها امس سفر بطرس واميل

فلما بدا قرن الغزالة وارسلت على العالم امواج النور انبسطت اسرة الرجل وابتسمت شفتاه فارتقى الصخرة واستقبل المشرق بسكون ورهبـة كما يستقبله المجوسي في الصباح ولبث مبهوتاً متاملاً في ذلك المنظر الجميل حتى تكامل اشراق الكوكب فتنفس الصعداء ونظر الى السماء قائلاً — « ما اعظم اعمالك كلها بحكمة صنعت . اذا كان الظلام جميلاً فما اجمل النور . اين فولتير واميل ينظران معي الآن هذا المنظر البهيج »





اسكندر الشاب ملك سربيا

روسيا وسربيا

حدث في سربيا في اوائل هذا الشهر حادث سياسي توجهت اليه ابصار جميع السياسيين في العالم وهو قطع سفير روسيا علائقه مع سربيا على حين بغتة وخروجه من بلغراد بنزق وحدة

والسبب في ذلك ان الحكومة السربية بايعاز من الملك ميلان المستقيل والد الملك اسكندر الموضوع رسمه فوق هذه السطور لم تدع السفير الروسي الى الحفلة الرسمية التي اقامتها في بلغراد تذكاراً لانقضاء ٧٧ سنة على تكوّن سربيا ودعت اليها نواب الدول وسفراءهم فرأى هذا السفير في هذا الامر اهانة له ولدولته فخرج من سربيا بالحال خروج السهم من القوس لا يلوي على شيء .

وقد علمت الامة السربية ان هذا الجفاء لم يكن موجها اليها او الى حكومتها بل الى الملك ميلان نفسه بناء على نكث هذا الملك المستقيل وعداً وعد به روسيا وهو ان لا يعود الى سربيا لان وجوده فيها يكدر صفو الكأس بين امارات البلقان بالنظر لاطماعه ومجافاته لبلغاريا وميله للنمسا . وكانت روسيا قبل سفر هذا السفير قد امرته غير مرة ان يتجاهل وجود الملك ميلان المستقيل فأثر سلوكه على هذا النحو تأثيراً شديداً في الملك ميلان فاخذ يقابل الجفاء بالجفاء . اما ابنه الملك اسكندر فغير راض كل الرضى عن سياسة والده ولكن للابوة حقاً لا ينكر .

ويروى ان سفير روسيا قبل سفره أتى يوماً وزارة الخارجية بهيئة جدية وطلب مقابلة الوزير ولما دخل عليه سأله قائلا — ايها الوزير انني لا اسمع هنا الا قولهم جلالة الملك ميلان وجلالة الملك اسكندر . فهل ان على عرش السرب ملكين ام ملكاً واحداً . واذا كان عليه ملك واحد فايهما من صاحبينا هو الملك الحقيقي ؟

هذا ولا خلاف في انه لو حدثت حوادث من هذا القبيل بين دولتين متكافئتين في القوة او غير متكافئتين الا بعض التكافؤ لفلت مراجل الحرب بينهما بالحال . ولكن روسيا تعامل سربيا كما يعامل الشاب القوي المفتول الساعد ولداً ضعيفاً وهذا دأب القوي مع الضعيف دائماً

الجامعة العثمانية

الامة والوطن — الاخاء والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في ١٥ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٥ ذو الحجة سنة ١٣١٦

باب المقالات

الاخاء والحرية

سبب تسمية الجامعة العثمانية

يسرنا ان الافاضل والعقلاء قد راقهم مبدأ « الجامعة » وحمدوا سعيها في الوصول الى الغرض الشريف الذي أُنشئت من اجلهِ . فقد ارسل احد اكابر الحكماء والائمة في مصر ولا نسميهِ اجلالاً وتكرمةً يشط الجامعة في الجهاد الادبي الذي اخذت على نفسها القيام بهِ ويدعو لها بالثبات في هذا الجهاد . وقالت مجلة الهلال الغراء « ان الجامعة جاءت الشرق في ابان حاجتهِ اليها » وقالت جريدة السلام الغراء « انها اي الجامعة لو لم تقم لقامت مجلة غيرها تأخذ مكانها لان هذهِ المبادىء صارت من حاجات الشرق ولوازمه » وقال احد الافاضل « ان الشرق لا يفيده اليوم امر كما يفيده نشر المبادىء التي تنشرها الجامعة العثمانية »

والذي يسرُّنا بنوعٍ خاص في هذهِ الاقوال الجميلة التي توجب علينا الشكر لاصحابها الافاضل جزاء حسن ظنهم بنا على ضعفنا وتقصيرنا — معرفتنا ان المبادىء التي تنقلها لحضرات القراء غير ذاهبة ادراج الرياح وان في عالم الصحافة مكاناً لمجلة تدعو الى غسل القلوب وجمع الكلمة وتذيع كلمة المحبة والواجب وتحمل لواء التربية والتعليم في صفوف المجاهدين في خدمة البلاد الشرقية

ولا يتكلف البصير الناظر الآن في أُمور الشرق مشقة شديدة للحكم بان هذهِ المبادىء الشريفة هي السفينة التي يتوقف عليها نجاة الشرق من خطر الوقوع على الصخور الهائلة التي امامه . وما اجدر الشرقيين بالشفقة اذا رأَوا هذا الخطر العظيم باعينهم وسمعوا عجيج الامواج على تلك الصخور بآذانهم وظلوا معرضين عن الأُمور الفاضلة التي فيها نجاتهم والمطالب الشريفة التي فيها حفظ وجودهم

ولا نجهل ان نخبة من الكتاب الشرقيين قاموا في الربع الاخير من هذا القرن يطلبون للشرق ما نطلبه لهُ الآن من اجتناب تلك الصخور الهائلة التي امامه . الا ان اكثرهم رأَوا نجاة الشرق في ادخال الحرية السياسية في ربوعهِ اما نحن فلا نرى نجاته الا في عملهِ بالمبادىء التي اشرنا اليها آنفاً لان الحرية لم يأْتِ دورها بعد . وزيادة في الايضاح نقول :

يقوم العالم المادي بقوتين قوة الجذب وقوة الدفع . فهذهِ الارض التي تمشي عليها والصخور التي تؤسس منزلك فوقها والخبز الذي تأْكله والماء الذي تشربه والقلم الذي تكتب بهِ وكل ما حولك من الهيولى — كل هذهِ تتجاذب دقائقها وتتدافع بقدر

ما يجب لقيامها . ففي الماء قوة الدفع اكثر من قوة الجذب والا لما كان سائلاً . وفي الصخر قوة الجذب اكثر من قوة الدفع والا لما كان جماداً . وسر الخلق البديع في هذا التجاذب والتدافع ان يكونا متناسبين اي بقدر الحاجة اليهما . لكن اذا بطلت هذه النسبة اللازمة فزادت قوة الدفع على قوة الجذب حيث يجب ان تزيد الثانية على الأولى او زادت قوة الجذب على قوة الدفع حيث يجب استواؤهما اختل نظام الطبيعة فاصبح الماء ثلجاً لا يسوغ لشارب وصار الصخر تراباً او غباراً لا يوضع عليه اساس . هذا هو ناموس الكائنات الطبيعي وهي اولية لا تحتاج الى برهان

وكما ان هذا الناموس الطبيعي يحكم العالم المادي فهو يحكم العالم الادبي والعالم السياسي ايضاً . فان في كل من هذين العالمين قوة جذب وقوة دفع يقوم بهما ولولاهما لكان اما كتلة شديدة الالتصاق واما هباء منثوراً

ونريد بقوّة الجذب وقوّة الدفع في العالم السياسي تلك المبادئ الاساسية التي يعتمد عليها الساسة والمتشرعون في سياسة الممالك ويسمونها روح الشرائع . وهي قسمان قسم موضوع للمجموع والقصد به جمع قواه كلها وصرفها في جهة واحدة وقسم موضوع للافراد والقصد به اعطاؤهم حرية الفكر والقول والعمل ضمن دائرة محدودة قياماً بخدمة انفسهم والمجموع معاً . فالقسم الاول جامع والقسم الثاني مفرق . ومن توازن هذا الجمع وهذا التفريق تخرج السياسة القويمة والادارة الحسنة

فلننظر الآن في أمور شرقنا العزيز هل هو اشد حاجة الى الجمع او الى التفريق ؟

هنا لا يختلف اثنان في الجواب على هذه المسألة . فان من ينظر عناصر الشرق المختلفة ومذاهبه المتباينة ومشاربه المتناقضة ومراجل الجهل التي تجيش فيه على نار لا تطفأ يحكم ولا ريب ان الجمع حاجته وضالته . وحسبك ان تنظر في طائفة من طوائفه الكثيرة وهي الطائفة التي كان ينبغي ان لا يكون فيها شقاق ونفار ونريد بها الطائفة المسيحية . فوا اسفاه كم تجد بينها من اسباب الشقاق ودواعي العدوان حتى انك لترى كل قسم منها عدوّاً طبيعياً للآخر فالارثوذكسي على اللاتيني واللاتيني على البروتستنتي وكل يرى الآخر عدوّاً لدوداً . واننا نكتفي بالتلميح فلا نقول كلما كان يجب ان يقال لان الحقيقة كما قال فنلون ثقيلة مؤلمة . فاذا كانت هذه حال عنصر واحد من عناصر الشرق وليس بينه ما يوجب هذا الشقاق والعدوان الا الجهل الوخيم والتعصب الذميم فما القول بالعناصر الأخرى

لعمر الحق انك اذا أردت القضاء على الشرق مرة واحدة فادخل اليه الآن الحرية السياسية على الطريقة الاوروبية . فان عناصره الآن وهي مقيدة يبدو منها ما يبدو من التنافر والتضاغن فكيف اذا اطلقت لها العنان وادخلت القوة المفرقة اليها فوق ما بينها من اسباب التفريق والشقاق . فالواجب قبل ادخال الحرية ادخال من يعد سبيلها . كذا فعل المعمدان قبل مجيء المسيح . الواجب قبل ادخال قوة الدفع في جسم الامة ان ندخل فيه قوة الجذب بالنسبة اللازمة لقيام جسم الامة والا فقوة الدفع من غير قوة الجذب تجعل الجسم هباء منثوراً .

بقي علينا ان نعلم ما هي قوة الجذب الواجب علينا جعلها تمهيداً للقوّة الأخرى .

ان قوّة الجذب هي المبادئ التي اشرنا اليها في صدر هذه المقالة . هي غسل القلوب وجمع الكلمة والتعاون على الخير وادراك معنى الوطنية وتعليم النفوس فضيلة الايثار اي ايثار المجموع على الفرد والمصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية . وتجمع هذه الفضائل السامية كلمة واحدة شريفة هي «الاخاء» فالاخاء قوّة الجذب والحرية قوّة الدفع فدخول الاخاء الى الشرق مقدم على دخول الحرية .

والوسائل الى الاخاء في الشرق ثلاث : الأم في البيت والعلم في المدرسة والجرائد في السوق . فاذا وجد في المنازل امهات يغرسن في نفوس ابناء الشرق من صغر اصول الوطنية الصحيحة والمبادئ الشريفة ووجدت مدارس وطنية يكون فيها التعليم صحيحاً اجبارياً ويدخل اليها جميع عناصر الامة تجلس على مقاعد واحدة وتربى تربية واحدة وتعامل معاملة واحدة ثم وجد في ادارات الجرائد جرائد فاضلة مقيدة كانت او غير مقيدة تتولى قيادة ذلك الجيل الجديد باستقامة ونزاهة نفس واضعة نصب عينيها المصلحة العامة لا مصلحة فئة دون اخرى وفريق دون فريق — اذا وجدت هذه الامور الفاضلة ساد الاخاء وزالت الشحناء وانبت الحقل الشرقي وبالخصوص العثماني نبتاً جديداً اذا اشرقت عليه بعد ذلك شمس الحرية السياسية كانت له نوراً لا ناراً وتوازنت فيه قوّة الجذب وقوّة الدفع توازناً فيه السلامة والعافية للشرق من جميع شروره ومصائبه

هذه هي طريق نجاة الشرق وسفينة خلاصه · ان يشعر ابناؤه انهم اخوان لا اعداء · ان يعلموا انهم ابناء اله واحد وسلطان واحد ووطن واحد فيكونوا اخوة على طريقة يوسف وبنيامين لا على طريقة هابيل وقايين ...

والمباحث السياسية والعلمية والتاريخية والقصص والروايات وما شاكلها لا تجعل فيهم هذا الشعور الشريف ولا تعلمهم هذا التعليم السامي · فحاجتنا الآن يا قوم شديدة الى جرائد ومجلات تضع نصب عينيها المباحث في التربية الصحيحة والتعليم الصحيح وتفتح لها ابوابها · لذلك اخترنا ان نلقي دلونا في الدلاء فنسعى جهدنا في تأييد تلك المبادئ وتوجيه الانظار اليها · وليست مجلتنا سياسية الا من هذا الوجه على انها فيه اقرب الى السياسة من كثير من الجرائد السياسية ·

هذا الذي دعانا الى تسمية مجلتنا «الجامعة العثمانية» مع اجتنابها السياسة وحوادثها · فان لا جامعة خير من التربية ولا اشد فعلاً من التربية الصحيحة في تعليم حب الوطن وغرس المبادئ الوطنية ·

الروايات

نصيحة للكتاب بقلم عالم من علماء الشرق

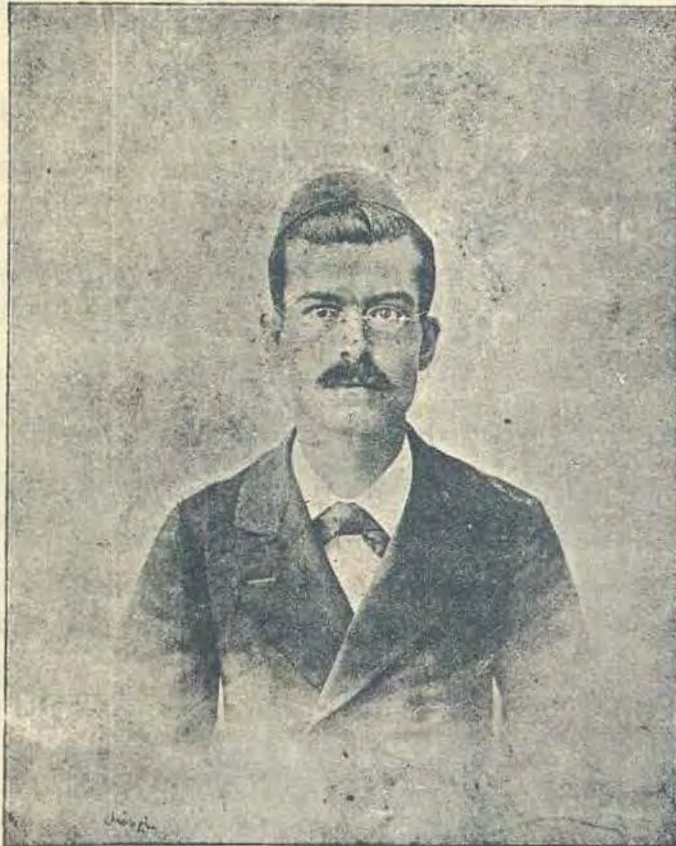
حيّ الله الكتبة البارعين حملة العلم وناشري الادب فانهم نور الهدى · اما بعد فقد وقفتم موقف الاستاذ في حلقة الطلبة والناس من حولكم قد تطاولت اعناقهم لالتقاط درر اقوالكم ينظمونها في اجيادهم عقوداً وابى الله الا ان تحسنوا لهم انتقاء الدر الثمين لئلا يعطوا الحصى من الجوهر بديلاً فيلتوي عليكم القصد ولا تأتون عملاً سويًا

اقول هذا ولا اشير الى علمائنا الاعلام الذين ينشرون الفوائد العلمية والحقائق الصحيحة ببيان يشربه السمع ويقبله الذوق السليم فانما هم لفيئة مختارة من الامة تفهم اقوالهم وتعي حقائقهم وتتخذ مما تعلم منهاجاً قويمًا او تبني على اساسه بناء فخماً

ولا اقصد ارباب السياسة وما ينتحلون فانما لكل فيئة قصد تتجه اقوالهم اليه وتسير ركائب بحثهم نحوهُ وكلهم يقصدون خيرًا الا الذين اضلهم الله ولن تجد لهم من هاد

وانما اريد بالكتبة الذين اخاطبهم مؤلفي الاقاصيص والروايات ومعربيها وطابعيها وناشريها وممثليها فانهم الذين يملكون السمع والبصر من سواد الامة القارئة فان احسنوا في انتقاء المواضيع وبث النصائح والحكم في اسلوب رائق يقبله الذوق ويبعث على محاسن الاخلاق فقد احسنوا صنعاً والا ان اختاروا دنيء الحوادث ورديء الامور اساؤوا من حيث ارادوا الاجادة

الا ترى الى معظم القراء وقد تهافتوا الى قصة يتلونها او حكاية يتنعمون بمطالعتها ويتحدثون بوقائعها ونكاتها معجبين بخلال رجالها فهل يصح ان نظهر لهم الخبيث ونتحامى عن الطيب ويزداد ضرر السيئة باتساع نطاق المطالعة والسيدات لهذا العهد قد ولعن بالروايات فان اردنا ان ننهض آداب الامة من سباتها وان نحيي فيها رفات محاسن الشيم وخلال الخير فلتكن رواياتنا جديرة بمطالعتهنّ يقبلن عليها كفكاهة يتلذذن بها ثم يرجعن وقد امتلأ دماغهن من حكمها ونصائحها واُشربت نفوسهن كل جليل وعظيم ونفرت طباعهنّ عن الدنيء السافل



✻ المرحوم الشيخ نجيب الحداد ✻

الشاعر والكاتب الشهير مرقي فن الروايات في مصر

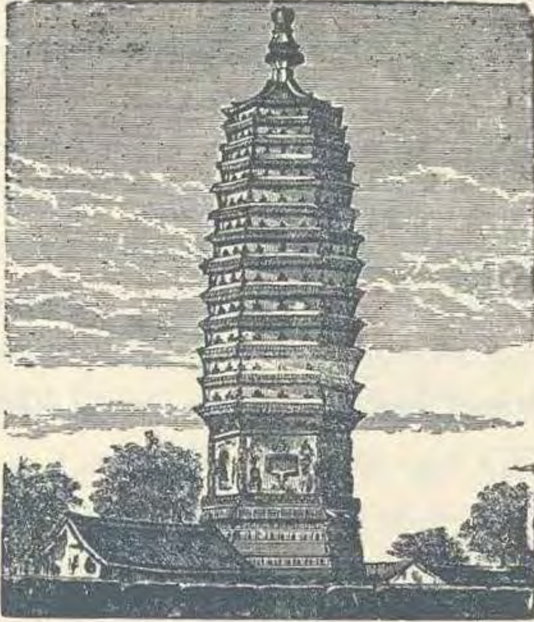
وبالتكرار ومرور الايام تتأثر الام وتنمو فيها محاسن الاخلاق وطيبات المحامد فتربي عليها اولادها وتصفو لامتنا العزيزة موارد الآداب العامة وحبذا ذلك اليوم

على اني لا ادعي للروايات قدرةً علوية على محو السيئات ولكني احسبها من الذرائع الفعالة في اصلاح النفوس. فهي اذا صلحت كانت مرشداً لكثيرين ممن لا تصل الى اذانهم قوارع الارشاد وتنبو عن اسماعهم زواجر الوعظ

ولا اريد ان معربي الروايات قد ادخلوا بيننا شيئاً بذياً ولكني اتمنى لو انهم قبل الاقدام على تعريب قصة تقرأ في الخلوات او رواية يحشد لها في المراسح ان يختاروا منها ما كان جامعاً بين الفائدة واللذة سيما ما انطبق بعضه على اخلاق قومنا وشؤُون وطننا فكان فيه تنديد بشيءٍ من عوائدنا الضارة ومناهجنا الشاذة او ما اشار الى عمل مفيد او سعي حميد — وحسبهم مما عرب حتى الآن كشفاً عن عوائد الفرنجة وتنديداً بها ونحن لا ناقة لنا في ذلك ولا جمل بل فلينظر حملة الاقلام اعزهم الله في المؤلفات الجمة وليعربوا منها ما يوافقنا ولا يضن علينا بفائدةٍ اذا اضعنا الوقت في قراءته. وان اعوزتهم تلك المؤلفات التي تداوي جراحنا فليؤلف المؤلفون ما يلائم حالنا ويوافق مشاربنا وليسددوا اهاتيك الاقلام صوب شوائب مجتمعنا الشرقي يجدوا ثمة ما يملي الوطاب فيظهروا الخفايا لعلَّ النور يقتل جرثومة الداء الخفي ولا يخشَ ارباب التأليف ضيراً فالمجال رحيب وحوادث الشرق تلذ لبنيه فليحسنوا ان الله يحب المحسنين.



مدام اميليا درفيا الممثلة البارعة في الجوق الايطالي في الثغر



رسم معبد من المعابد الصينية

السلطنة السماوية

اسباب انحطاطها

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي

١

كانت الدول الاوروبية الى ما قبل الحرب الصينية الاخيرة مغترة بقوة ابن السماء يخامرها هيبة وخشية من جثته الهائلة فلم تكن تحاول ان تنتزع منهُ بالقوة والجفاء ما لم تكن تقدر عليه بالرفق والمسالمة. اما بعد انتصارات اليابانيين التي ادهشت العالم وازاحت الستار عن هرم تلك الدولة وفراغ جثتها الضخمة فلم تعد الصين في اعين اوروبا قوة تهاب ولا حليفة يرجى حلافها. بل اصبحت فريسة يتنازعون اشلاءها ويحاول كل منهم ان يكون لهُ منها اللقمة الكبرى. هكذا يفعل الاقوياءُ بالضعيف بحكم تنازع البقاءِ فليعتبر الضعفاءُ

وما احق شرقنا بهذا الاعتبار. بل ما اجدر كتابه ان يتساءلوا الآن ما هي اسباب انحطاط تلك الدولة العظيمة وكيف ان هذا الشعب الصيني الذي بلغ في الشرق الاقصى من العزة والمنعة والسؤدد مبلغ الرومانيين على شطوط البحر المتوسط صار الى الضعف الذي هو عليه الآن

لانحطاط الصين اسباب كثيرة منها ما يرجع الى الشعب الصيني ومنها ما يرجع الى حكامه. الا ان أُولى العلل في تقهقرها هي الامة والآفة الكبرى التي تنخر عظامها من زمن طويل

حكومتها القاصرة المدارك الفاسدة الاحكام التي جمع رجالها مع الجهل والرشوة الكبرياء واعتقاد الكمال بتعليم السلف فوقفوا في سبيل كل تقدم الى الامام لا يرون عما خطه السلف محيصاً

ولم نقف فيما كتب عن الصين الى الآن على كيفية نظام حكومتها بالتدقيق الا انهُ من الثابت ان مناصب الحكومة الصينية وخططها السياسية هي كلها في ايدي الطبقة التي يقال لها عندهم طبقة « المتأدبين او العلماء ». فبيان احوال هاته الطبقة يدلنا من اين يأتي الوهن السياسي والخلل الاداري المستوليان على حكومة الصين. فلا بدع ان نسهب بذلك قليلاً

ليس الدخول في سلك العلماء محصوراً بفئة من الصينيين دون سواها بل هو مباح لجميع افراد الرعية على السواء يشترط فيهِ فقط اجتياز الامتحانات المعينة . وتقسم هذهِ الامتحانات الى ثلاث درجات ينال الطالب بعد اجتياز كل منها رتبة علمية ويمكنا ان نشبه هذه الرتب — بعد التسامح الكلي — بالرتب العلمية الثلاث المستعملة في اوروبا وهي البكالوريا. والليسنس . والدكتورا . وللعلماء مقام خطير ونفوذ عظيم عند الصينيين ومن اعظم الشرف عند اسراتهم ان يكون احد ابنائهن من هذهِ الطبقة ولذا ترى الكثيرين يتهافتون لاحراز لقب العالمية تهافت الجياع الى القصاع وحسبك دليلاً انهُ في عام ١٨٩٧ تقدم في مدينة نانكين الى امتحان الرتبة الثانية ١٤٠٠٠ طالب في حين ان من قبلوا منهم لم يتجاوزوا مائة وخمسين

وليس يراعى دائماً جانب القانون في هذه الامتحانات . فقد يحابي الممتحنون احياناً ويتساهلون لمن يشاؤُون وحسبك ان ابناء علية الموظفين واقرب اقربائهم يقبلون بسهولة في الامتحان ويجتازونه بلا تعب ولكن ليس هؤُلاء الممتازون غير آحاد اما بالاجمال فالرتب العلمية لا ينالها الطالب الا بكفائته واهليتهِ

الا ان اجتياز الامتحانات واحراز الرتب العلمية لا يكفي وحدهُ لنيل منصب في الحكومة فان اغلب المناصب في الصين تشترى بالمال وقيمة المنصب تكون على قدر اهميتهِ . فعند ما يظهر رجل يتوسم القوم فيهِ الذكاء والاقتدار على اجتياز الصعوبات التي تعترض سبيله تتألف شركة تجارية باسمهِ تدينه المبالغ اللازمة لشراء المنصب الذي يطلبهُ ولا تسل عما يدفعونه من المبالغ الطائلة ثمناً لتلك المناصب القليلة الرواتب ولا عما تستوردهُ تلك الشركات من الارباح اجرةً لها وربىً للمبالغ التي تدينها. ذكر الكاتب الفرنساوي بيير لروا بوليو الذي نعتمد عليهِ في بحثنا هذا ان منصب والي شنغاي الذي يبلغ راتبه السنوي ٦٠٠٠ ريال صيني (الريال يساوي نحو ٣ فرنكات و ٧٥ سنتيماً) ومدته الى ثلاث سنين فقط ابتاعهُ بعضهم في اواخر العام الفائت بمبلغ مائتين الى مائتين وخمسين الفاً من الريالات الصينية. ومن البديهي انهم لا يدفعون هذهِ الاثمان الفاحشة الا على رجاء تحصيل اضعافها من اموال الرعية . فيا ويح تلك الرعية المسكينة كم تتحمل من المظالم والمصادرات . وكم يبتز منها من الاموال لاشباع بطون اولئك الموظفين وشركائهم

ومما هو شر من هذا الاتجار بحقوق الرعية صنوف العلم التي يطلب من الطلاَّب الامتحان فيها . فهي مقصورة على علوم اللغة والادب والمعارف المدرسية . واساس هذه المعارف مؤلفات كونفيشيوس اولاً يتبعها مؤلفات تلامذتهِ والفسيوس ثم الفلاسفة القدماء من عشرين قرناً ويضاف الى ذلك كله اساطير السلف وجميع التواريخ القديمة . فالذي يحتم على الطلبة استظهاره يبلغ المئات من المجلدات مما يقتصر اثره على تقوية الذاكرة فقط . اما الانشاء فحسنهُ عندهم قائم بان ينتقي الكاتب من الستين الف حرف التي تتألف منها الكتابة الصينية — وكل منها بمقام لفظة — ما هو نادر الاستعمال ولا يوجد الا في زوايا بعض الكتب القديمة وذلك بدلاً من استعمال ما يرادفها من الالفاظ المألوفة . ولذا ترى جلَّ ما يحثون عليهِ الطلبة في التعليم الاعدادي ان يستظهروا قدر الاستطاعة من هاته الحروف وتلك الفقرات الحرفية التي ينمقون فيها كتاباتهم. ومن استظهر من تلك الحروف من ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ حرف عدَّ من المتنورين. وكثيرون من علية العلماء يستظهرون منها ما يبلغ العشرين الفاً . فليتصور القارئ في اية حال من الكلال يكون عقل رجل قضى معظم اوقات صباه وشبيبتهِ يحشو ذهنه بمجلدات من اساطير السلف بعباراتها والفاظها ويستظهر الوفاً من الحروف والعلامات التي لا يمتاز بعضها عن بعض الا بمميزات طفيفة

وقد قصدوا مؤخراً ان يصلحوا قليلاً في مواد الامتحانات باضافة اشياء اليها مما يسمونه عندهم تعليم الغرب الحديث. فاضافوا بعض الاسئلة الفلكية الى اسئلتهم العادية المبنية على انتقاد المدرسيات وتفسير قواعد كونفيشيوس وتطبيق الاسماء الجيوغرافية الحديثة على اسمائها القديمة . من ذلك : ما هو قطر دائرة الشمس الظاهر ؟ وما يكون قطر الارض اذا رؤيت من الشمس او من سيار آخر ؟ ولكن انظر الى السؤال الذي يأتي بعد هذا فهو يدلك على مبلغ ادراك الفاحصين وحالة

عقولهم ولك ان تتخذهُ مثلاً لباقي الاسئلة التي تلقى عادةً واليك هذا السؤَال: لماذا يكون الحرف الكتابي الذي يمثل القمر مغلقاً من الاسفل والحرف الذي يمثل الشمس مفتوحاً؟ ولا بد للطالب من ايجاد جواب على هذا السؤَال يستخلصه من كتب السلف. على ان هذا الانتقال الى السؤَال الثاني بعد الأَوَّل يدلنا كم للطبيعة من الحكم الغالب ولله در القائل

واسرع منعول فعلت تغيرًا   تكلف شيء في طباعك ضده

الا ان ما احدثوهُ من هذه الاصلاحات العلمية القليلة لم يغير شيئاً في اسئلتهم التقليدية في البيان واللغة. ولم تزل المواضيع التي يطلب الانشاء فيها كما كانت عليه في السابق واليك مثلاً منها ننقله عما ذكرهُ الكاتب الانكليزي هنري نورمان: قال كونفيشيوس كان ياو في الحقيقة ملكاً عظيماً. ما اعظم جلاله. السماء وحدها عظيمة وياو وحدهُ كفوء لها. ما اسمى فضيلتهُ. لم يستطع الشعب ان يجد نعتاً يصفهُ به حق وصفه — فهذه هي امثال المواضيع التي يقترح الانشاء بها فيتوسع الطلاب فيها بسطاً وايضاحاً ويحشونها من المحسنات والزخارف اللفظية ما استطاعوا اليه سبيلاً. وترى الشراح يستنفدون قواهم في المحاورة والجدل وذلك في تفسير كتب قديمة مشحونة بالرموز والمجازات والحكم المدققة في شرحها تدقيقاً غريباً. والطلبة يستفرغون اوقاتهم تعمقاً بدرس اخبار السلف القديمة المملوءَة بالاقاصيص الغريبة والخرافات التي تؤخذ على معناها الحرفي. وعلى التضلع بهذه العلوم التي ذكرناها يتوقف اختيار رجال للطبقة التي تسوس السلطنة

وقد كانت النتيجة من اتباع هذه الطريقة اننا في عام١٨٩٧ اعني بعد مضي سنتين على تلك الحرب التي كادت تودي بحياة الصين السياسية رأَينا مراقباً من علية متوظفي السلطنة يحتج في تقرير رفعهُ الى الامبراطور على ما يعطى للغربيين «البرابرة» من الامتيازات التي تقلق راحة الاموات. وقد ختم المراقب تقريره بقوله: فبدلاً من ان نسمح ببناء طرق حديدية اما كان الافضل ان نعد مكافأَة عظمى لمن يعيد لنا اكتشاف السر في المركبات الطيارة التي كانت تسير في الجو في الزمن القديم؟ وقبل هذا العهد بقليل رأَينا عضواً في المجلس الاعلى يعترض على تتريب الطرق الحديدية ويشكو من ان المسامير التي تدق في العوارض الخشبية تحت الخطوط الحديدية قد تجرح التنانين المقدسة الساكنة تحت وجه الارض حماة مدائن السلطنة. وكثير من امثال هاته الخرافات لها في الصين تأْثير على علية القوم واكابر رجال البلاط كاعتقادهم بضرب الرمل وما يتبعهُ من تطاير الارواح الشريرة والصالحة في الجوّ وغير ذلك من الاوهام المضحكة

هؤُلاء هم الرجال الذين يسوسون السلطنة السماوية وتلك هي مداركهم العقلية فلا عجب ان رأَينا الصين صائرة الى الاستعباد والدمار. صابرة على المذلة والعار. ان لفي ذلك عبرة لاولي الابصار

الخطوط الحديدية

في بلاد الدولة العلية

نشرت جريدة «معلومات» الغراءُ التي تطبع في الاستانة رسالة لاحد مشيري الدولة العظام تكلم فيها عن جعل نهر الفرات صالحاً للملاحة وسير السفن الكبرى ايام الفيضان ثم انتقل الى الكلام على مد الخطوط الحديدية في بلاد الدولة ونظر في ذلك من الوجهين الاقتصادي والعسكري فرأَينا ان نقتطف من هذه الرسالة ما يلي:

«اما انشاءُ خط حديدي في تلك الجهات يرتبط بمدينة حلب فهو في غاية الاهمية لان مدينة حلب أَشهر البلاد تجارة ولا بد من ربطها بثغر من الثغور تنمية لتجارتها. واصلح الثغور لحلب (اسكندرونه) التي هي ثغرها الآن غير انه يحتاج ربطها بخط حديدي الى حفر انفاق (جمع نفق) يقتضي النفقات الكثيرة. ولما كان بقاءُ رأْس الخط بحلب لا يحدث الاتصال اللازم بين الفرات والبحر الابيض كان من البديهي لزوم مده الى مسكنة اذا تم تطهير الفرات وجعله صالحاً لسير السفن

وللخط الحديدي بين بغداد واسكندرونه ارباح كثيرة من جملتها منقولات من آسيا فان نقلها يكون بواسطة هذا الخط ومنقولات آسيا السنوية لا تقل عن مائة مليون طن نصفها يحتاج الى واسطة سريعة فيرجح اصحابها نقلها بواسطة هذا الخط على نقلها من السويس. فاذا فرضنا انه سيكون اجرة نقل الطن الواحد بواسطة الخط الحديدي احدى عشرة بارة يكون مجموع اجرة ما ينقل من آسيا في السنة مليوني ليرة. هذا فضلاً عن واردات البريد فان اجرة بريد الهند الذي يرجح نقلهُ بواسطة هذا الخط الحديدي لا يقل عن مائة وستين الف ليرة في السنة. اما الركاب فلا اظن ان واحداً

منهم يرجح السفر بالسفن التي تبقى خمسة عشر يوماً بين تلاطم البحر واعصاره حتى تصل الى السويس بل يرغبون في السفر على الخط الحديدي لانه يوصلهم من خليج البصرة الى اسكندرونه أو السويدية على ساحل البحر الابيض ولا يخفى ما بذلك من الارباح لاصحاب هذا الخط الحديدي ·

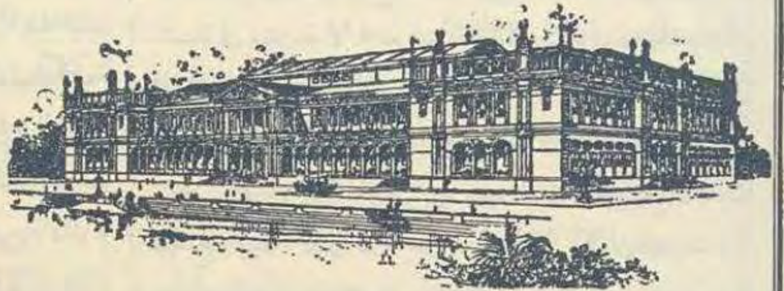
فعلى هذا الحساب تكون لاصحاب الخط الحديدي واردات سنوية لا تقل عن مليونين ونصف مليون ليرة من التقليات الخارجية فقط اي مما ينقل من بلاد آسيا الخارجية الى بلاد خارجية غيرها · اما التقليات الداخلية فلا ريب في انها لا تستخف وتحتقر· والخلاصة ان الواردات التي ستكون لهذا الخط كثيرة جداً فسيكون لكل كيلو متر منه اربعون الف فرنك ارباح سنوية يستغلها اصحابه وهو في هذه الحالة سيكون من الخطوط المهمة التجارية في العالم ويصبح وادي الفرات المستعد لجميع انواع العمران معموراً زاهياً ·

هذا ولنبحث قليلاً في بعض الفوائد العسكرية التي تنتج من الخط المذكور · قال البعض ان في مرور الخط من ديار بكر الى الموصل ثم مروره من انحاء كركور والصلاحية حتى يصل الى بغداد فوائد عسكرية جمة ولكن لو تأمل قائلو هذا القول في الخريطة العثمانية لا تضح لهم ان هذا الخط سيكون موازياً لحدود دولة اجنبية وليس من الحزم والاحتياط سوق الجيش على مثل تلك الخطوط لانها تبقى مهددة اثناء سوقها من الحدود الاجنبية الموازية لها القريبة منها وعليه فلا تكون فائدة عسكرية في انشاء الخط الحديدي على الخطة المقولة·

اما خط الفرات الذي رجحناه على غيره فيمر من الاراضي المستتب بها الامن بين برية الشام والجزيرة ومن فوائده ان يوصل خليج البصرة بالبحر الابيض باقل الطول ثم لا تبقى هناك مشقة في نقل ما يراد نقله عليه من الموصل وماردين وما يليها لان تلك الاراضي ليست بذات عوارض وعوائق بل مسطحة غالباً ولا تحذور عسكري في وجوده ولا تهديد اجنبي يتجه اليه ·

وجملة القول اني لست من المرجحين مد خط دار السعادة وانقرة الحاضر الى بغداد رأساً بل ما اراه موافقاً لصالح البلاد هو ان يمد خط دار السعادة وانقرة الى «قيصرية» ف «عزيز» ف «ملاطيه» ف «خربوط» ف «دياربكر» ويشعب منه قسم آخر فيمر من «يوزغاد» و «سيواس» فينتهي في «ارزنجان» على الاقل · وينشأ خط اسكندرونه والبصرة مستقلاً ثم ترتبط هذه الخطوط الثلاثة بواسطة خط آخر يبدأ من «يورطه لق» وينتهي في «سينوب» (على ساحل البحر الاسود)· واذا تمت هذه الخطوط وارتبطت ببعضها كما اشرنا اليه تصبح قطعة الاناضول والعراق العربي مربوطتين بدار السعادة وتحصل بذلك وسائط النقل وسوق الجيش الى ما يشاء من المحال

وهنا لا بد من ان نشير ايضاً الى خط رابع يجب انشاؤه وهو خط يمر من مزيريب (يوجد الآن خط من دمشق الى مزيريب فقط) وعقبة الشام وتبوك الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة وخط خامس يربط هاتين المدينتين المباركتين بينبع وجدة وهذا الخط اسلامي محض يمتاز بربط افراد الامة بعضهم ويسهل الحج لبيت الله الحرام وكل ذلك سهل قليل النفقات كثير الفوائد· ولا يتصور ان الدولة تتردد في اعطاء الامتياز لشركات وطنية مستكملة الشروط فلم يبق على الاغنياء ومن يهمهم ارتقاء البلاد من الوطنيين الا ان ينتقوا ويعقدوا الشركات الوطنية ويجمعوا الاموال او يستعملوها في مثل هذه المشروعات المهمة فتربح تجارتهم وتربح البلاد ويعلو شأن الامة بهم وما التوفيق الا بالله » انتهى بحروفه



قسم الفنون النسائي في معرض شيكاغو الماضي



قطعتا شطرنج وجدتا في خرائب بومباي (ايطاليا)

التربية والتعليم

الاقدام

قصة ام ومعلم

الاقدام احدى حاجاتنا الكبرى كما ذكرنا في الجزء السابق . وقد وضعناه بعد «التعليم المنطبق على حاجات الامة» وقبل الفضائل الاخرى لانه من النفوس بمثابة البخار من الآلة البخارية . فهو الذي يديرها فيقدمها ويؤخرها ويرفعها ويخفضها . وما فضيلة العلم الا فضيلة ثانوية بالنسبة الى الاقدام فضيلة العمل . وقد قيل العلم بلا عمل كالنحل بلا عسل . وروي عن بعض العلماء انهم لقلة اقدامهم ماتوا جوعاً فوق اقلامهم ومحابرهم . والاقدام في اللغة الشجاعة والاجتراء على الشيء . وفي اصطلاحنا هنا الاقدام قوة يستخدم الانسان بها قواه البدنية والعقلية والنفسية بالنشاط والجد والجراءة الواجبة . وقد كان الاقدام طبيعياً في الانسان وهو في حال البداوة لانه كان من حاجاته ولوازم معيشته فلو قام يومئذ من يحثه على الاقدام لعد كلامه لغواً . اما الآن وقد خلعت الحضارة قلبه وغيرت طبيعته وانشأت في العالم هذا الزحام والتنازع الشديد الذي يسمونه حياة فقد كتبت السعادة والراحة والحياة للمقدمين وكتب الشقاء والموت للمحجمين . فاذا اردنا ان يكون اولادنا في جملة الاحياء لا في جملة الاموات فلننفخ روح الاقدام في نفوسهم فان هذا الزاد خير ما نزودهم اياه في هذه الحياة

ولكم ان تسألوا ما هذا الاقدام الواجب أن ننفخ روحه في نفوس اولادنا وجواباً على ذلك نقول

ما اشد غيرتك على اولادك ايتها السيدة واكثر عنايتك بوقايتهم وخدمتهم . فانك لا تلدين الطفل حتى تضميه اليك كما تضم الدجاجة افراخها تحت جناحيها . تلفينه باللفائف الكثيفة وتقمطينه في سريره بملابسه الوردية تحت الكلل وامواج الدانتلا الجميلة . وكل ذلك وقاية له وعناية به . تغلقين النوافذ والابواب عليه مخافة ان تؤذيه خطرات النسيم او تحرقه اشعة الشمس . اذا دنا منه احد وكان نائماً صحت به — لا تدن فانك تزعج الملاك النائم واذا كان مستيقظاً صحت به — لا تدن فانك تصرف عينيه الزرقاوين عن السماء دعه يمزج زرقتها بزرقتها . دع روحه الطاهرة ترفرف في فضائها .

نقي طاهر لا يقربه الا الانقياء المطهرون ولا ترين احداً غيرك جديراً بان يقربه . ولكن طفلك ايتها السيدة يشب شيئاً فشيئاً . كان اليوم طفلاً فاصبح غداً صبياً وصار بعد غد فتى ثم شاباً . الا ان عنايتك به واهتمامك بحفظه لم ينقصا شيئاً في هذه الادوار الاربعة بل زادا بزيادة سنه . اميل اذا كنت تحب امك فلا تخرج الى الحي تلعب مع ابنائه . لا اريد ان ارسلك الى المدرسة لان الاولاد يكدرونك و يضربونك ويعلمونك اموراً تجهلها . اخاف عليك البرد يا اميل فلا تقف في النافذة واخشى ان تضربك الشمس ياملاكي فلا تقف في حرارتها . حذار ان تنزع حذاءك من قدميك فان الرطوبة تجلب لك الزكام فالحمى عاجلاً . قلت ان يوسف ضربك ليته يضرب . تقبرني لا تبك . امسح دموعك خذ غرشاً غرشين او ثلاثة . ابعد ابعد صرصور صرصور نادوا البربري يقتله اياك ان تقترب منه فانه يعضك . اين ذاهب انت ايا اميل . كلا لا ادعك تذهب الى بيت عمك وحدك . في السوق كلاب تعضك وليس في الاسكندرية مستشفى للكلب . . وفي الشوارع ترامواي كهربائي غول هائل يخطف الارواح خطفاً . انا لا اطلع عنك ان تذهب وحدك . طلعت من ديار الدنيا عليك وما صدقت ان كبرت . لا يابني انتظر البربري حتى يوصلك .

هذا وهو صبي ايتها السيدة . ثم بلغ الرابعة عشرة من عمره وطلب ابوه ادخاله المدرسة الداخلية . فلا اصف ما كان يحيق بك من الكدر والغيظ عند سماعك زوجك « ذا الطبع الخشن » « صاحب القلب القاسي » يطلب ابعاد ابنك عنك واخذه من بين ذراعيك لتسليمه الى اولئك المعلمين البرابرة القساة في مدرسة لا يسمع فيها صوتك ولا يرى وجهك . ولكن الرجال لا يرحمون ولا يرفقون . لذلك غلبك زوجك وادخله الى المدرسة الداخلية رغماً عنك . وقد رايت روحك تخرج من جسمك يوم خرج اميل من باب البيت وهو يتلفت اليك ويمسح دموعه كلما رآك تمسحين دموعك . الا ان زوجك ردّ روحك اليك بقوله انك تزورين المدرسة كل اسبوع بل في كل يوم اذا اردت .

ووصل اميل الى المدرسة .

فماذا جرى له' فيها

المدرسة عالم صغير يجد فيه الولد شيئاً من الاستقلال والزحام والمتاعب التي يجدها الرجل في العالم الكبير . فلما دخل اميل ذلك العالم الصغير وجد نفسه ضعيفاً عن احتمال معيشته . ضعيفاً نفساً وجسداً . اما نفساً فلأن امه لم تغذ نفسه الا بالحنو الشديد المؤذي والرأفة والرخاوة والافراط في الوقاية من غير ان نلقي فيها بذور الرجولية الحقة فكانت اخلاقه اقرب الى اخلاق البنات منها الى اخلاق الفتيان . ضعيف النفس رطب العود كالوردة الرطبة يخدشها اللمس اذا نظرت اليه عابساً خنق قلبه وتوردت وجنتاه ودمعت عيناه . نقي السيرة والسريرة قلبه ابيض كالثلج او اشد بياضاً ولكن واهن العزم ضعيف القوى شديد الخوف من الضعفاء والاقوياء

واما ضعفه جسداً فلأن شدة الوقاية والمبالغة في الحفظ قد افقدتا بدن اميل تلك القوة البدنية التي يكتسبها الجسم الانساني بالتعرض للعناصر وشدة الرياضة وكثرة المقاومة . لانه من الثابت في تربية النفس والجسد ان شدة المقاومة تفضي الى تقوية الجسم المقاوم اذا لم تتعد المقاومة حدَّها . الا انك ايتها السيدة حسبت ابنك نبتة لا تغرس الا في منزلك ولما كنت رأيت رأي العين ان هذه النبتة آخذة في النمو تحت انفاسك اللطيفة في مناخ المنزل الابوي العليل هواؤه العذب ماؤه ظننت انك بتلك الوقاية تربين ابنك وما علمت انك تضعفينه وتنقدينه سلاحاً من اهم الاسلحة في هذه الحياة ونريد بذلك الاقدام اي شجاعة النفس والجسد معاً . كلا ايتها السيدة ليس الانسان شجرة تعيش في هذه المنطقة ولا تعيش في تلك . ان الانسان اذا صح ان يلقب بشجرة فهو شجرة تعيش في كل المناطق الحارة والباردة والمعتدلة . شجرة تعيش في التراب وفي الرمل وفي الصخر . فيجب ان يربى تربية تقوي نفسه وجسده على احتمال جميع ما يلقاه من الصعوبات في هذه المناطق والاتربة المختلفة .

واسمحي لنا ايتها السيدة ان نذكر لك اماً ربت ولدها تربية توجب الثناء عليها . ولكن لا تاخذنك الغيرة فتسخطي وتغضبي لانها كانت احسن معرفة منك بتربية ولدها .

وهذه الام هي امراة متوسطة الحال وضعت نصب عينيها ان تجعل ابنها رجلاً . فكانت تصرف همها الى تقوية نفسه وجسده . لم تلفه باللفائف في طفوليته لانها رأت في ذلك اضعاف بنيته بل وضعته في فراش صغير واطلقت اعضاءه تنمو نمواً طبيعياً ولم تحرمه نور الشمس والهواء النقي في النهار . ثم كبر فصارت كلما ازداد تقدماً في السن تزداد في جعله يعتمد على نفسه في اموره . اذا سقط على الارض وهو ماش قالت له برزانة — قم يا فريد . فيقوم من تلقاء نفسه من غير مساعدتها . عمره خمس سنوات وهو يقشر تفاحته بالسكين بيده ويأكل بيده ويكاد يصنع كل شيء بنفسه . يساعد امه وخادمته بتنظيف البيت في يوم السبت فيخوض الماء حافياً ويتعب وينام تلك الليلة ملء عينيه في غرفة مفتوحة النوافذ للهواء النقي وينهض في الصباح سليماً معافى لان جسمه قد تعوَّد المقاومة فلا يضره شيء . اريد افطر اريد اتغدَّى يا اماه . تعال وكل يا فريد . يأتي ويجلس على المائدة ويأكل بشهوة شديدة للطعام لان وقعات اكله موقتة اي مرتبة ولا تؤذي معدته جميع اصناف الطعام لانها قد تعودت عليها كلها . وجد صرصوراً وهو ماش على بلاط البيت . ماما . ماما انظري ما هذا . لا تخف يا فريد ارمه خارجاً . ولكني اخاف منه يا امي . تخاف ؟ تعال وانظر . فتقترب الام وتمد الى الصرصور يدها المعطرة المطيبة وتقبض عليه . خذ الآن والقه خارجاً يا فريد لانه' يجب التخلص من شره لاقتله . فيصنع فريد ما امرته به امه ضاحكاً مسروراً . وبذلك يتعلم امرين عدم الخوف اولاً والشفقة على الحيوان ثانياً . اليوم لا يخاف من الصرصور وغداً لا يخشى من الهرة في البيت وبعد غد لا يخاف الكلب في السوق واذا اطردت شجاعته هذه ادرك الرجولية وهو لا يخشى الاسود في غاباتها . وعلى هذا القياس قوت ام فريد نفس فريد وجسده فكانت تغرس فيها مع اصول اللطف والاحتشام والرقة والادب وما شاكلها من المبادئ التي كان يسميها بسمارك « الفضائل النسائية » الجراءة والشجاعة والاقدام والنشاط واباء الضيم وما شاكلها من المبادئ التي يلقبها ذلك الرجل العظيم « فضائل الرجولية » . فاصبح فريد في كبره صاعقة من صواعق الجراءة والاقدام . حيثما القيته جاء قائماً كما تقول العامة وفي اي بلاد حل اكل خبزه بشرف واباء وعاش عيشاً رغيداً .

وكأنا نسمعك تقولين ايتها السيدة ان فريد لم يبلغ ما بلغه بسعي امه فقط فان معظم الفضل لمعلمه لا لامه . عفواً لا تبخسي الام حقها فانها الاشد تاثيراً في التربية ومع ذلك فلا ننكر ان معلم فريد كان رجلاً قادراً على تكميل البناء الجميل الذي بنته ام فريد وانه كان له اليد الطولى في تربيته

وتقوية نفسه وجسده. ولكن لا تطلبي منا هنا ان نقابل بين معلم ابنك ومعلم فريد فقد ضاق بنا المجال والبحث في فضيلة الاقدام لا تكفيه صفحة او صفحتان فلا يثقل عليك الانتظار الى احد الاجزاء القادمة.

الشعور الجديد

مدرسة بني سويف

قال الفيلسوف جول سيمون: ان الامة التي يكون لها ارقى المدارس تكون ارقى الامم ان لم يكن في الحاضر ففي المستقبل

فاذا صح هذا القول كانت الامة المصرية آخذة في التدرج في مدارج الارتقاء والفلاح. واي دليل على ذلك اعظم من قيام اغنيائها الى انشاء المدارس واخذ نفقاتها على انفسهم.

نقول ذلك ونريد المدرسة الجديدة التي انشأها في بني سويف حضرة الوجيه والمثري الشهير عزتلو سيد احمد بك زعزوع ووضعها تحت رعاية سمو ولي العهد الصغير. وقد جرى الاحتفال بافتتاح هذه المدرسة في اجتماع عقد في بني سويف في ٢٩ الماضي وحضره جمهور غفير من اكابر المصريين وافاضل العلماء والادباء في مقدمتهم حضرات صاحب السعادة عبد الحليم عاصم باشا سرياور خديوي بالنيابة عن سمو الجناب الخديوي المعظم والوزير الخطير صاحب الدولة رياض باشا صاحب الايادي البيضاء على المعارف المصرية وصاحب الدولة عمر طوسن باشا والعالم الفاضل الدكتور يعقوب صروف احد منشئي مجلة المقتطف التي خدمت المعارف في مصر والشام خدمة يبقى ذكرها ما بقيت اللغة العربية. ويسؤنا ان مجال المجلة يضيق عن استيفاء وصف هذه الحفلة الجميلة وذكر ما اعد فيها حضرة عاقدها من اسباب الانس والمسرة فضلاً عن كونه خارجاً عن موضوعنا فنكتفي بذكر شيء من الخطب التي تليت فيها دلالة على اهميتها.

واول هذه الخطب خطبة صاحب الدعوة فقال ما ملخصه.

«اعد نفسي سعيداً بوقوفي اليوم بين ايدي سادتي الامراء مفتتحاً مدرستي التي انشأتها في ظل الحضرة الخديوية وتحت رعاية ولي عهدها الكريم. وهذه المدرسة يا سادتي انشأتها من فيض الله وكرمه علي ووقفت عليها من الاطيان ما يقوم بنفقاتها مدى الدهر. ولم اقصد بهذا العمل مفاخرة في هذه الدنيا الفانية بل ان قصدي الوحيد ادخاره للآخرة وانتفاع ابناء هذه البلاد.

وقد أضفت على مشروعي هذا مشروعاً آخر لا يقل عنه اهمية نبهني اليه جناب مستشار الداخلية اثناء مبادلتي الحديث مع جنابه وهو انشاء مدرسة أخرى للبنات. وبناءً عليه فاني اصرح بين يدي حضراتكم جميعاً بانني صممت على وقف مقدار آخر من اطياني في سبيل انشاء مدرسة للبنات تحيا ما حييت الاطيان وانني افتتحها مع مدرسة البنين اليوم سائلاً الله عزَّ وجلَّ ان يوفقني لما فيه رضاه»

وبعد نهاية حفلة الافتتاح القى دولتلو رياض باشا هذه الكلمات «ان العمل العظيم الذي قام به حضرة سيد احمد بك زعزوع هو عمل شريف مقبول عند الله وعند الناس ولذلك اتضرع الى المولى عز وجل ان يكثر في البلاد امثاله من ذوي الغيرة والحمية الصادقة»

وبعد حفلة الافتتاح مدت الموائد للمدعوين فالقى حضرة العالم العامل الدكتور صروف خطبة وجيزة بعد الطعام جاء فيها ما خلاصته

«لما قدمنا من القطر الشامي الى هذه الديار قابلت احد المصريين فسألني عن بلادي والفرق بينها وبين هذا القطر فقلت له ان المعارف عندنا ارقى منها عندكم وان الشعب عندنا ارقى من الحكومة وبالعكس عندكم فان الحكومة ارقى من الشعب وان حكومتكم موجهة همها الى نشر المعارف ولكن الواجب عليكم ان تأخذوا بناصرها وتساعدوها لانها مربوطة بقوانين مالية دولية فلا يمكنها ان تزيد نفقاتها لفتح المدارس ونشر التعليم. ولا ازال اذكر ان هذا الوزير الخطير «مشيراً الى دولتلو رياض باشا» قد قال يوماً في مجلس شورى القوانين ان الحكومة لا يمكنها ان تقوم بجميع الاعمال فيجب عليكم ان تساعدوها. ثم اثنى حضرته على عمل صاحب الاحتفال وشكره على انشاء المدرسة الثانية للبنات قائلاً — وياحسن هذا القول — ان تربية البنات هي الركن الوطيد الذي يجب ان يبنى عليه اساس سعادة الشعوب»

هذا ولا نرى لاختتام الكلام في هذا الشأن خيراً من كلام القاه في هذا الاحتفال حضرة الفاضل اسماعيل بك عاصم المحامي اذ قال ما ملخصه.

«انا واقف الآن وفي نفسي دهشتان الاولى لان رجلا فرداً اقدم على ما قعدت عنه الجماهير في مصر والثانية لان نخبة رجال الامة من امرائها وكبرائها اجابوا دعوته ليشهدوا الاحتفال بافتتاح هذه المدرسة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فان الجناب العالي الخديوي تفضل ايضاً باجابة الدعوة فارسل سر ياورانه الكرام نائباً عن ذاته السنية فهو الآن يمثل سموه بيننا كما يمثل البدر نور الشمس. هذه مآثر ما كنا نراها في الاحلام قبل هذه الايام»

حيى الله المدارس ومؤسسيها ومنشطيها والمتعلمين والمعلمين فيها فانها مرقاة الامة الى السعادة الحقيقية ومقياس تمدنها واساس مستقبلها.

المراة والعائلة

العيلة

لحضرة الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء

من كتاب له تحت الطبع في العلم والتربية

قال بعضهم لاحد الحكماء الاقدمين احب ان أرى الدنيا فقال لهُ اتبعني أُرِك اياها في طرفة عين

ولا تسل عن دهشة الرجل عند ما رأى الفيلسوف يسير بهِ الى منزل جارهِ وكان ذا امرأة وبنين فأوماً الى تلك العيلة المجتمعة وقال هذهِ يابني هي الدُّنيا

أجل ان هذهِ العيلة التي تتأ لف في الغالب من الأب والأُم ومن سبعة او ثمانية بنين وبنات لهي الدنيا باجمالها تتمثل في تلك الأُسرة من الشيخ الهرم الى الطفل الرضيع ومن الرئيس الى المرؤوس ومن القوي الى الضعيف ومن العالم الى الجاهل ومن المعلّم المرشد الى المتعلّم المستفيد ومن القائد المحنك الى المسترشد الساذج . وبالاجمال انك اذا نظرت الى الأُسرة بعين التبصر والامعان تجلت لك وهي الصغيرة المؤلفة من عشرة اشخاص او اقل في مظهر العالَم الكبير الذي تروح فيهِ وتجيء مئات الملايين من الناس

واذا كانت العيلة الصغيرة صورة العيلة الكبيرة ومثالها كانت العناية بها بمثابة العناية بالجنس البشري كله دون استثناء . وعلى هذا القياس فلا بدع في ان يكون الاهتمام بأمرها في كل زمان ومكان موضوع نظر الفلاسفة ومرشدي الشعوب وقادتهم حتى اننا رأينا حكماء الشعوب الوثنية انفسهم يأمرون بالنظر في امر العيلة نظرًا دقيقاً يكفل سعادتها ليكون هناؤها وسيلة الكمال للجنس البشري كله

ومما يدلك على اهتمام الاقدمين انفسهم بهذا الامر الخطير قول كنفوشيوس فيلسوف الهند وكبير حكمائها انهُ « لا سبيل الى قيادة العيلة وتدبيرها وادارة شؤونها ادارة حسنة الا باعطائها المثل الصالح »

وهذا القول موجه طبعاً الى رؤساء العيلات وارباب الأُسر وبالتالي الى الوالدين الذين في ايديهم زمام الامر وعلى تدبيرهم وقيادتهم يتوقف مستقبل العيلة بل مستقبل الشعب بل الجنس البشري برمتهِ

وكم رأينا في الشرق رجالاً اخذوا على انفسهم ان يكونوا رؤساء عيلات و بالتالي قادة الهيئة الاجتماعية ومدبري شؤونها فأفسدوا بسيرتهم ما كان من امرها صالحاً او زادوها بسلوكهم اعوجاجاً على اعوجاج بدلاً من ان يكونوا نبراساً يهدي ضوءهُ الى الكمال ومنارًا يهتدى بشعاعهِ الى الصراط المستقيم

ولو علم امثال هؤلاء مقدار ما يجنون على الدنيا ومقدار ما يساعدون على شقاء العالم لكانوا هم قضاة انفسهم دون ان يقضي عليهم احد. ولكن الانسان موضع الضعف بل هو موضع جهل نفسه ورحم الله القائل

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى الناس منهُ ما لا يرى

فلذلك ترى عيلات برمتها تشقى بجهل رئيسها وتسير في طرق التعاسة لغباوة قائدها. بل لذلك ترى الشعوب التي تجهل قدر العيلة تنحط وتزداد في كل يوم انحطاطاً

هذا ولكل عيلة كما هو معروف رئيسان طبيعيان هما الأب والأُم فلنأخذنَّ قليلاً في الكلام عليهما جاهدين بقدر الاستطاعة في بيان وظيفتهما والطرق التي ينبغي لهما ان يتخذاها لاداء هذهِ الوظيفة السامية بما يجب من الامانة فنقول

ان الله تعالى لما خلق الانسان وكوَّنهُ اتخذ لهُ في ذلك شريكين هما الاب والام ففرض عليهما بهذهِ الشركة فرضاً يجب القيام بهِ قياماً تاماً وفاء لحق تلك الشركة واعترافاً بنعمة الله. والفرض الكبير الذي نشير اليه هو ان يتماَّ فعل الخلق العظيم بتربية الولد الذي رُزقاهُ تربية تقودهُ الى السعادة في هذهِ الحياة الدُّنيا

والسعادة كما لا يخفى على احدٍ لا تنال الا باستيفاء شرطين طبيعيين اوَّلهما سلامة البدن وثانيهما سلامة الذهن .

فوظيفة الوالدين اذاً هي ان يساعدوا الطبيعة في عملها ليصبح الولد الصغير بعنايتهم رجلاً قويًا في جسمهِ وعقلهِ قادرًا على تحمل مشاق الحياة وحل مشاكلها

ونحن اذا اجملنا الكلام على اهل الشرق يباح لنا ان نقول ان ليس بيننا من يحسن القيام بواجب التربية المقدس قيامًا يكفل لهُ الوفاء بما ضمنهُ يوم عقد زواجهِ

ولسنا ندّعي انهُ لا يوجد بين الوالدين والعيلات عندنا من يحسن الاقتداء بهم ويجدر اتخاذهم مثلاً في التربية العامة ولكنَّ أُولئك هم النادر عندنا والنادر لا حكم لهُ وليس هو من موضع نظرنا في شيء وانما نحن نتكلم بالاجمال

والعجيب من امر العرب الاقدمين والمحدثين السالفين والمعاصرين انهم لم يتركوا معنى الا طرقوهُ ولا موضوعًا الا اكثروا من الكلام عليهِ وتأليف المصنفات فيهِ ما عدا اقرب الأُمور اليهم والصق المواضيع بهم ونريد بذلك التربية العامة بوجه الاجمال والتربية العيلية بنوع التخصيص كأَن الصنفين كانوا كلهم عزَّابًا او كأَنهم كانوا يكتبون لتعليم العزَّاب فقط مع افتراضهم بقاءهم عزابًا حياتهم بطولها فاهملوا امر تعليم الوالدين من آباء وأُمهات فنَّ تربية الاولاد اهمالاً تامًا بحيث لا يرى في كتبهم شيء من هذا القبيل على اهميتهِ وشدة الحاجة اليه

واوَّل ما يؤاخذ عليهِ الوالدون عندنا جهلهم بابسط قوانين التربية والمبادىء الصحية فتراهم اذا كبر لهم ولد على فساد او على مرض قالوا انها مصيبة ابتلاهم بها الله في حين انهم اذا نظروا الى ذلك من قريب ادركوا ان تلك المصيبة قد جلبوها هم لانفسهم وذلك لجهلهم بالمبادىء الاوَّلية المتعلقة بالتربية الصحية والذهنية او لاهمالهم اياها وتقاعدهم عن القيام بها فما جنى احدٌ عليهم بل على نفسها جنت براقش

ولقد سبق لنا القول في الاسطر السابقة من هذا الفصل بل في اماكن عديدة من هذا الكتاب ان التربية تنقسم الى قسمين وهما التربية البدنية والتربية الذهنية . ومعلوم ان التربية البدنية مقدمة على التربية الذهنية لانها ينبغي ان تبدأ مع الجنين وهو في بطن امهِ في حين ان التربية الذهنية لا سبيل الى الاخذ فيها قبل ان يترعرع الولد في مهدهِ

وقولنا ان التربية البدنية ينبغي ان يشرع فيها والولد جنين في بطن حاملهِ ليس من قبيل الغلوّ والمبالغة بل هو من قبيل الحقائق التي يجب ان ترسخ في عقول الوالدين بل في عقول الأُمهات بنوع خاص لان للمعيشة التي تجري عليها المرأَة وهي حامل تأثيرًا عظيمًا على بنية الطفل الذي يتغذى وهو في احشائها بالدم الذي تكتسبه سواء بما تقتات بهِ من المآكل والمشارب او بما تستنشقه من الهواء

ثم ان كثيرين من الازواج يرزقون البنين والبنات فيتركون للطبيعة ان تنمي اجسادهم وتقوي ابدانهم على غير عناية منهم ولا نظر . في حين ان الطفل في اول ايامهِ احوج الى المداراة والوقاية منهُ بعد ذلك لانهُ كضوء الشمعة في ضعفه وكما ان الشمعة تطفئ ضوءَها نسمة السحر كذلك الطفل الصغير يؤثر عليهِ كل طارىء من العوارض بين جوية وغير جوية ولذلك كان ينبغي للوالدين ان يحيطوا الطفل الصغير بسياج من الوقاية والتدابير الصحية يكون لهُ بمثابة الزجاجة التي تحيط بنور المصباح فتمنع الهواء عنهُ وتبقيهِ متقدًا مضيئًا

ذلك بعض ما يتعلق بالأُمور الصحية في العيلة وبقي من المسائل العيلية امران خطيران ونريد بهما التربية الذهنية والتربية الادبية في البيت مما سنفيهِ حقهُ من الكلام ان شاء الله

باب الشعر

بلاغة العربيات

اذا كانت الحضارة قد رفعت المرأَة من وجه فانها قد وضعتها من وجه آخر . نعم ان المرأَة قد اصبحت في هذا العصر سيدة المنزل وملكة تحنى امامها في القاعات اعلى الهام . ويكاد يرفع فيها الى مقامها الرفيع الصلاة والصيام . ولكن كم من الفضائل الطبيعية والبدوية فقدتها المرأَة بالحضارة والمعيشة الاجتماعية

ولا يكلفك الحكم في ذلك الا ان تدير طرفك في هذه الاشباح الحريرية المنتصبة امامك في القاعات من كل هيفاء يتقلقل السوار في خصرها وتكاد نسمات الهواء تذهب بها صعدًا في الفضاء وان تنقل نظرك بعد ذلك الى تلك البدوية العربية الجالسة على بلاط الاسواق منعمة الجسم قوة ونشاطًا يتدفق ماء الصحة من محياها ويشرق في وجهها نور جمال من صنعة

الله لا من صنعة البشر.

ولو كانت الاضرار التي الحقتها الحضارة بالنساء بدنية فقط لكان الخطب هيناً وان كانت صحة البدن اساس صحة العقل. فقد زادت الحضارة عقل المرأة ضعفاً وقلبها انخلاعاً وجعلت منزلتها من الرجل في بعض الامم منزلة النباتات الحلمية من الاشجار تلتف عليها لتمتص منها غذاءها اذ لا مقدرة لها على العيش بدونها

ومن اهم الفضائل التي فقدتها المرأة بالحضارة وفقدها الرجل معها فضيلة البلاغة التي اطفأ التمدن شعلتها واخمد نورها فاصبح الانسان المتمدن يقضي في المدارس السنوات الطوال لاقتباس ما يجري به لسان البدوي اول ما يحسن النطق ويفقه الكلام. وقد ذكرنا هذا الامر ابيات لبعض شواعر العرب عثرنا عليها في مطالعتنا تاريخ العرب لابن الاثير وتاريخ فتوح الشام للواقدي فرأينا ان نورد بعضها في باب الشعر دلالة على مبلغ ما فقده الانسان من البلاغة والفصاحة باختياره العيش في المدن على العيش الحر المطلق في الخلاء.

منها شعر لخولة اخت ضرار ابن الازور الكندي خرجت مع اخيها الى ارض الشام يوم جاءها جيش ابي عبيدة فاتحاً في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه فوقع اخوها في الاسر في مرج دابق في واقعة بينه وبين انصار الروم من العرب المتنصرة فشق ذلك على خولة لانها كانت تحبه حباً شديداً. فقالت «انا لله وانا اليه راجعون. يا ابن امي ليت شعري في السلاسل اوثقوك. ام بالحديد قيدوك. ام في البيداء طرحوك. ام بدمائك خضبوك وانشأت تقول

ألا مخبرٌ بعد الفراق يخبرنا فمن ذا الذي ياقوم اشغلكم عنا
فلو كنت ادري انهُ آخر اللقا لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا ياغراب البين هل انت مخبري فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
ألا قاتل الله النوى ما امرهُ واقبحه ماذا يريد النوى منا
لئن رجعوا يوماً الى دار عزهم لثمنا خفافاً للمطايا وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مقيد تركناهُ في دار العدوّ ويمنا
فما هذهِ الايام الا معارةٌ وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
سلام على الاحباب في كل ساعةٍ وان بعدوا عنا وان منعوا منا

ولها ايضاً في رثائهِ وقد طال اسره

ابعد اخي يلذ الغمض عيني فكيف ينام مقروح الجفون
سابكي ما حييت على شقيقٍ اعز عليّ من عيني اليمين
فلو اني لحقت بهِ قتيلاً لهان عليّ اذ هو غير هون
وكنت الى السلوّ ارى طريقاً واعلق منهُ بالحبل المتين
وانا معشر من مات منا فليس يموت موت المستكين
واني ان يقال مضى ضرارٌ لباكيةٌ بمنسجم هتون
وقالوا لم بكاؤُك قلت مهلاً أما ابكي وقد قطعوا وتيني

وهو من الشعر الرقيق الحلو الذي تنبته البداوة والبديهة في الخلاء وقلما تجيء به الحضارة والصناعة الا بالكد الشديد.

ومن ذلك شعر لغفيرة بنت عباد اخت الاسود قالته في قصة رواها ابن الاثير ولا بأس من سردها فان فيها دلالة على بلاغة المرأة وحماستها وابائها.

وذلك ان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق ملكهم ايام ملوك الطوائف فقالت «ايها الملك حملته تسعاً. ووضعته دفعاً. وارضعته شفعاً حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه مني كرهاً ويتركني ورهاً» فقال زوجها «ايها الملك انها اعطيت مهرها كاملاً. ولم اصب منها طائلاً. الا وليداً خاملاً. فافعل ما كنت فاعلاً.» فحكم الملك بينهما حكماً عادلاً... ذلك انه أمر بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها.. فقالت هزيلة في ذلك

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا فأنفذ حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم اندم واني بعثرتي واصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق هجاءها اياه امر ان لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها قبل ان تهدى اليه. فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً. فلما زوجت الشموس وهي غفيرة بنت عباد اخت الاسود التي ذكرناها آنفاً لم تصبر على هذا العار العظيم فقالت تحرض قومها على ازالته

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم وانتم رجال فيكم عدد النمل
ولو اننا كنا رجالاً وكنتمُ نساءً لكنا لا نقرُّ لذا الفعل
فموتوا كراماً او اميتوا عدوكم وذبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا تخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى وللموت خير من مقام على الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساءً لا تعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما خلقتم لاثواب العروس والغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع اخوها الاسود قولها وكان سيداً مطاعاً دبت

الحمية في نفسه فتآمر هو وقومه على قتل عمليق الظالم فدعوه الى طعام ودفنوا سيوفهم في الرمل حتى اذا اخذ الملك مجلسه ومد يده الى الطعام تناولوا سيوفهم وقتلوه. وكان الدافع الى ذلك امرأة ابت العار في حين ان الرجال سكتوا عنه.

ومن البلاغة البالغة شعر لجليلة بنت مرة الشيباني اخت جساس قاتل كليب وكان كليب زوجها. روى ابن الاثير ان جليلة لما قتل اخوها زوجها شق عليها البقاء في حي كليب فرحلت عنه الى حي مرة ابيها فقالت اخت كليب بعد رحيلها «رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غداً لآل مرة من الكرّة بعد الكرّة» فبلغ قولها جليلة فقالت «وكيف شمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها. اسعد الله اختي الاقالت نفرة الحياء وخوف الاعداء» ثم انشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
جد عندي فعل جساس فيا ... حسرتا فيما انجلت او تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطعٌ ظهري ومدنٍ اجلي
لو بعين فقئت عين سوى ... اختها فانفقأت لم احفل
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الام اذى ما تفتلي
ياقتيلاً قوّض الدهر به ... سقف بيتيَّ جميعاً من علِ
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الاول
« يانسائي » دونكنَّ اليوم قد ... خصني الدهر برزءٍ معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن ... انما يبكي ليومٍ مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأريَ ثكل المثكل
ليته كان دماً فاحتلبوا ... درراً منه دمي من اكحل
انني قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعل الله ان يرتاح لي

ولو ترجمت هذه الابيات لكورنيل الشاعر الفرنساوي الشهير لطأطأ لهذه البدوية لمته البيضاء . فان حال جليلة مع اخيها قاتل زوجها كحال شيمان مع حبيبها قاتل ابيها في رواية السيد وهي اشهر روايات هذا الشاعر الشهير . وقد استوى كلام جليلة وكلام شيمان في البلاغة وحسن وصف الحال استواء يعطي قصب السبق والتبريز لجليلة البدوية لان كلامها من حاضر الخاطر وفيض القريحة كما يقول العرب اما كلام شيمان فانه يشتم منه رائحة البترول الذي احرقه كورنيل في كد خاطره للاتيان بمثل هذه المعاني السامية. فالفرق بين البلاغتين ان الاولى اخرجتها البداهة والثانية الصناعة . الاولى بلاغة الانسان في البداوة والثانية بلاغة الانسان وقد مضت عليه قرون وهو يتخبط في الاجتماع فما كان ذلك ليزيد بلاغته الاصلية بل اصبح يعوزه الكد الطويل للوصول اليها

وسنأتي على ذكر باقي شواعر العرب في الاجزاء التالية

اخبار داخلية

مشروع الضرائب — افتتح سمو الجناب الخديوي المعظم الجمعية العمومية في ٤ الجاري في جلسة ساد فيها الوقار والجلال والقى سموه على حضرات الاعضاء خطبة جاء فيها « ان حكومتي ستعرض عليكم مشروعاً جليل الفائدة يكون من ورائه الخير المطلوب لهذا القطر المحبوب وهو تعديل ضرائب الاطيان بطريقة منطبقة على العدل والانصاف فان الطريقة المتبعة في توزيع ضرائب الاطيان اصبحت غير ملائمة لحالتها الآن بعد ان تمت في القطر اعمال عمومية ذات منافع عظيمة اختلفت بها قيمة الاراضي اختلافاً كبيراً » وقد عينت الجمعية لجنة للبحث في هذا المشروع.

البطريرك الانطاكي — كتب مكاتب الطان من الاستانة الى جريدته رسالة بسط فيها تاريخ المسألة البطريركية الانطاكية وقال فيها اقوالاً حرية بالالتفات. منها ان روسيا تعضد ابناء العرب في دمشق الشام لتجعل البطريرك الانطاكي واحداً من اساقفتهم وان البطريركية القسطنطينية قد احتجت على الانتخاب الذي اجلس صاحب السيادة مطران اللاذقية في مجلس النيابة عن البطريركية وعلى مصادقة الباب العالي على هذا الانتخاب فاجابها وزير الاديان ان الامر قد انقضى ومضى لان ما جرى قد جرى بناء على طلب خصوصي من نفس القيصر الى جلالة السلطان. قال المكاتب وفي عزم البطريركية القسطنطينية ان تتهدد الباب العالي بفتح الباب لتعيين بطريرك روسي في اوروشليم اذا رضي الباب العالي عن جعل البطريركية الانطاكية في قبضة الاساقفة الوطنيين. وفي الختام يحذر هذا الكاتب اوروبا من هذين الامرين اي جعل البطريرك الانطاكي من

ابناء العرب وتعيين روسيا بطريركاً لها في اورشليم لان فيها في زعم هذا الكاتب القضاء على كل نفوذ للكاثوليك والبروتستانت في بلاد الدولة العلية ·

هذا ما كتبه مكاتب جريدة الطان ننقله على علاته من غير تعرض لنفيه او اثباته وقد كفانا مؤونة ذلك ظهور الغرض بين سطوره وكلماته ·

اختراع شرقي جديد — وضعت بعض جرائد القطر الفصول الطوال بشان اختراع آلي جديد اخترعه حضرة المجتهد النشيط يوسف افندي كنعان الحلو لرفع الماء بواسطة تفريغ الهواء واجرى تجربته في اجتماع حضره صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري محافظ الثغر وكثيرون من كتاب الجرائد وارباب الاشغال فنجحت التجربة نجاحاً تاماً · وسر هذا الاختراع استفراغ الهواء باحراق الكحول «السبيرتو» فيندفع الماء الى مكان الهواء ليحل محله · وقد قالت جريدة البصير الغراء في هذا الشان ما نصه « وليعلم القارئ ايضاً انه بواسطة احراق نحو فنجان من السبيرتو يمكن رفع اعظم كمية يمكنه ان يتصورها ولو بلغت المئات او الآلاف من الامتار المكعبة وليس في الامر مبالغة البتة اذ اننا كلما كبرنا حجم الصندوق الاسفل ووسعنا فوهة اسطوانته « ماسورته » زاد مقدار الماء المتصاعد والقوة الرافعة هي قوة الطبيعة التي لا تتعب ولا يعتريها كلل ولقد سأل نجيب افندي عمون المسيو اوتوفاج صاحب المعمل المشهور عن فكره في هذا الاقتراح وكلفه ابدأ رأيه حسب الذمة على مسمع من الناس فقال ان الاكتشاف عظيم جداً وعده من الاكتشافات الاولية وسيكون له دور مهم في العالم ومن العجيب ايضاً ان هذا الاختراع يفعل بالقوة المذكورة وهو لا يحتاج الا الى عامل واحد يدير حركته بيده وعليه فسينتشر هذا الاختراع انتشاراً غريباً ويقتنيه كل مزارع بل كل تحتاج الى الماء مهما قلت الكمية التي يحتاج اليها لانه به لا يضطر الى زيت او شحم او مهندس او اوسطى فهو بسيط ظاهر يستخدمه الاولاد »

وقد هنأ سعادة المحافظ المخترع النشيط بنجاح اختراعه وبلوغه امنيته بعد قضائه عشرين عاماً استهلك فيها ماله وقواه حتى نال ما تمنى · فعزا المخترع نجاحه الى حضرة الفاضل نجيب افندي عمون الذي امده بالمال لاكمال تجاربه · ثم أعلن انه قد تألفت شركة شرقية باسم « الهواء والماء » لصنع آلات من هذا الاختراع في بلجيكا يرأسها حضرة عمون افندي وسنزيد هذا الامر بياناً بعد الوقوف على تفصيل هذا الاختراع الشرقي الجليل

نسل الابطال — ارسلت الحكومة الفرنساوية الطراد « داسا » الى جيبوتي ليعود منها بمرشان ورجاله · والذي يعلم معنى اسم «داسا» لا يسعه الا الاعتقاد بان الحكومة الفرنسوية قد ارادت امراً باختيارها الطراد داسا على باقي الطرادات الفرنسوية ·

فداسا اسم قائد فرنسوي عاش في اواسط القرن الثامن عشر ومات ميتة خلدت اسمه · ذلك انه كان حرب بين الفرنسويين والهانوفريين في سنة ١٧٦٠ قرب قرية تدعى كلوستركان وكان كل من الجيشين معسكراً في طرفي غابة والشفاليه داسا في جملة ضباط الجيش الفرنسوي · فلما جن الظلام خاف داسا ان يدهم العدو الجيش فدخل في الغابة متجسساً فما دخلها حتى احاط به على حين بغتة بعض من جنود الاعداء ووضعوا حرابهم في صدره وانذروه بالقتل اذا اخرج ولو صوتاً واحداً تنبيهاً لرفاقه · فلما علم داسا انهم ينوون تبييت الجيش ومداهمته اختار بذل نفسه في سبيل خلاصه فصرخ ملء فمه « احذروا الاعداء ايها الجنود » فخرقت حينئذ الحراب صدره الا ان الجيش الفرنسوي تنبه الى عدوه وخلص من الخطر الذي كان يتهدده

فكأن الحكومة الفرنسوية تقول لمرشان عند ارسالها الطراد «داسا» اليه — لا اجهل انني اتعبتك بلا فائدة في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق ولكن اذكر انهُ قد تقدمك من بذلوا حياتهم في سبيلي · فلا يسخطنك عليّ انك لم تنجح كل النجاح في بعثتك فان مصالحي الكبرى اقتضت اجلاءك عن فشوده

جمعية الآداب — الف نخبة من الافاضل والادباء في الثغر جمعية دعوها « جمعية الآداب » غرضها تلقين الدروس وفتح قاعة للمطالعة فيها الكتب والجرائد المختلفة · وقد اتانا قانونها ناطقاً باجتهاد حضرات اعضائها وعلو همتهم في خدمة الادب ونفع ابناء وطنهم فنثني كل الثناء على مشروعهم الجليل وندعو لهم بالثبات والنجاح

اعاظم الرجال المتقدمين والمتاخرين — أولع ثلاثة من اعاظم القرون المتأخرة بقراءة سير اعاظم الرجال وقالوا في فائدة هذه القراءة انها كانت توحي اليهم كل جليل وعظيم · اولهم الملك

لويس الخامس عشر وثانيهم جان جاك روسو وثالثهم نابوليون الاول . والذي شاقهم بنوع خاص في هذه المطالعة مطالعة سير اعاظم رجال اليونان والرومان فانها جمعت بين لذة التاريخ وفائدته وفكاهة الحوادث ووصف اولئك الابطال وذكر ما اتوه في الحكمة والسياسة والحرب والفلسفة من جليل الاعمال . لذلك رأينا ان نبدأ في الجزء القادم بنشر سير اولئك الاعاظم المتقدمين الذين غذى تاريخ حياتهم نفوس لويس الخامس عشر وروسو ونابوليون وغيرهم من اعاظم المتاخرين فتكون هذه السير تاريخاً لاولئك الرجال وللعصر الذي عاشوا فيه والامة التي وجدوا فيها مما لم يبحث فيه باحث الى الآن ولا يخفى اهميته وفائدته لخاصة القراء وعامتهم . وسننشر ايضاً مع سير اعاظم المتقدمين سير بعض من اعاظم المتاخرين

كتاب الجامعة الافاضل — ننشر في الجزء القادم فصلاً بعنوان « التأثر المشترك » لحضرة العالم الفاضل والمؤرخ المحقق جرجي افندي يني صاحب « تاريخ سوريا » وتاريخ « امم المشرق القديمة » فقد تكرم اعزه الله على الجامعة ووعدها بفصول علمية وتاريخية تحلي بها جيدها وهذا الفصل اولها

وننشر في الجزء القادم ايضاً فصلاً في المنطق لحضرة صديقنا الكاتب المجيد « محجوب » كتبه باسلوب رقيق جمع بين اللذة والفائدة .

وقد نشرنا في هذا الجزء فصلاً بعنوان الروايات وهي نتيجة للكتاب بقلم عالم من علماء الشرق وسنعود الى هذا الموضوع الجليل . ثم يليه فصل السلطنة السماوية لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي جدير بان يقرأ بالامعان الكثير لما حواه من اسباب انحطاط الصين الادبية مما يجدر ان يكون عبرة لسائر الامم الشرقية

وفي باب المرأة والعائلة فصل موضوعه العيلة لحضرة الكاتب الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء اتحفنا به حضرته مقتطفاً من كتاب له تحت الطبع في العلم والتربية اودعه خلاصة ابحاثه في هذين الفنين بعد سنوات طوال قضاها في الجهاد الادبي على صفحات جريدة من اشهر الجرائد الشرقية

هذا وقد افتتحنا هذا الجزء بفصل في الاخاء والحرية ويتبعه في الجزء القادم فصل في « حاجتنا السياسية الكبرى » فنوجه اليها الانظار .

صفحات الجامعة ومطبعتها — تعذر علينا اصدار هذا الجزء في ميعاده لاشتغال الجامعة بترتيب مطبعتها وحروفها الجديدة التي طبعنا بها هذا الجزء فكان سبباً لهذا التأخير الوقتي . ولما كان اقبال حضرات القراء على الجامعة يوجب عليها الاهتمام بتحسين حالها على حسنه فقد شرعنا منذ الآن بادخال هذا التحسين . ذلك اننا طبعنا الرواية بحرف صغير في صفحتين يقومان مقام اربع صفحات بالحرف الكبير وادخلنا الصفحتين الباقيتين في المجلة فصار عدد صفحاتها ٢٠ بدلاً من ١٦ ابتغاء مرضاة القراء وسنوالي هذا التحسين ان شاء الله

مجلة زراعية جديدة — يسرّ مريدي الخير لهذا القطر ان يعلموا ان الجمعية الزراعية التي يرأسها حضرة الامير الجليل صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل منشط الزراعة في هذا القطر قد عزمت على انشاء مجلة زراعية شهرية تعميماً للمعارف الزراعية وهي حسنه جليلة من حسنات دولة رئيس هذه الجمعية فان زراعة القطر شديدة الحاجة الى مجلة زراعية يديرها اكابر العارفين بهذا الفن الجليل

فندق في ارض الذهب — من زار الفندق الجديد الذي انشئ في دالتون من اعمال كلونديك ارض الذهب . . يجد في غرفه اعلاناً من صاحب الفندق هذه خلاصته .

يعلن صاحب الفندق حضرات الزائرين انه غير مسئول عن حياتهم وعما يكون معهم من الاموال

على حضرات الزائرين ان ينتبهوا عند اطلاقهم المسدسات بعضهم على بعض في غرفة المائدة او في القاعة لئلا يصيب رصاصها احد الخدم وعليهم ان يدفعوا ثمن جميع ما يتلفه هذا الرصاص من الاثاث او الزجاج

نفقات جنازة المقتول منهم خارجة عن نفقات اكله وشربه قبل مماته

لا تقبل ادارة الفندق شكوى زائر من الخدامين لان كلاً منهم في جيبه مسدس فعلى الزائر الذي يشكو من احدهم ان يأخذ حقه منه على طريقة البراز

بما ان فندقنا مأوى نخبة الناس وكرامهم فيجب على الزائرين ان يسلكوا فيه سلوكاً حسناً والا فمدير الفندق يحفظ لنفسه حق اخضاعهم باستعمال بندقيته محشوة بالرصاص

يقام في الفندق كل يوم سبت مرقص حافل ولكن لا يجوز ان يحضره احد الزائرين وهو عاري القدمين . . .

أخبار خارجية

انكلترا — يحاول الايرلنديون توحيد الحزب الايرلندي وقدعقدوا لذلك اجتماعاً كبيراً في دوبلين عاصمة ايرلنده فلم يفلحوا الى الآن ·

نشر تقرير حضرة اللورد كرومر عن مصر والسودان واهم ما في هذا التقرير انتقاد شديد على نظام المالية الدولي في مصر والتصريح بان ادخال التمدن الى السودان يجب ان يكون بطيئاً

قال وزير المالية في مجلس العموم ان في الميزانية عجزاً يجب سده بتخفيض المخصص للديون العمومية وبوضع الرسوم على الخمور والتمغة واسهم الشركات الاجنبية والاستعمارية وصرح بان هذا العجز ناشيء عن زيادة نفقات التسليح وانه اذا استمرت الحال على هذا المنوال فعلى انكلترا ان تنتظر زيادة عظيمة في الضرائب الا اذا وضع مؤتمر السلم حداً لهذه النفقات الذاهبة من جميع الدول بلا فائدة · فساء الانكليز هذا العجز الذي بدا في الميزانية

اجريت بين شاطئي انكلترا وفرنسا تجارب التلغراف بلا سلك فنقلت الرسائل بكل وضوح وسهولة ·

فرنسا — نشرت جريدة الفيغارو شهادات الشهود لدى محكمة النقض والابرام الجنائية وهي اوراق سرية بشأن قضية دريفوس فقررت الحكومة الفرنسوية محاكمة هذه الجريدة · وقد هاجت هذه الشهادات الراي العام الفرنسوي واهم ما جاء فيها تصريح الملحقين العسكريين بسفارتي المانيا وايطاليا في باريز بانه لم يكن لها يوماً علاقة بدريفوس وان استرها زي هو الذي دفع الى الملحق العسكري الالماني الاوراق المذكورة في البوردرو الذي حكم على دريفوس بموجبه · فاذا صح هذا القول كان دريفوس بريئاً واسترها زي خائناً·

دخل القائد مرشان اديس ابابا في ١١ مارس دخول الظافر المنتصر · وقد ارسلت الحكومة الفرنسوية بناء على قرار مجلس الوزراء الطراد «داسا» الى جيبوتي للعودة به الى وطنه (انظر نسل الابطال في الاخبار الداخلية)

سافر الاميرال فورنيه باسطول عظيم الى كالياري في سردينيا من اعمال ايطاليا لينوب عن الحكومة الفرنسوية في الاحتفالات التي تقام هناك بمناسبة زيارة الملك همبرت والملكة لها · وقد ادب الاميرال للملك والملكة مأدبة في بارجته تبودلت فيها عبارات الوداد والدعاء وساد تحمس الوداد بين الفرنسويين والايطاليين وهتف الشعب للضباط الفرنسويين كثيراً وكل ذلك نتيجة العهدة التجارية التي عقدت بينهما بعد حادثة فشوده

نشرت جريدة الطان الشبيهة بالرسمية فصلاً افتتاحياً وافقت فيه على احتلال ايطاليا لطرابلس الغرب يوماً من الايام · وقد شاع ان الدولة العثمانية قد احتجت في باريس ولندن على الاتفاق الافريقي لانه يمنح فرنسا الاراضي الواقعة وراء طرابلس الغرب والارجح ان هذه الاشاعة غير صحيحة ·

تكلمت جريدة الطان عن تقرير حضرة اللورد كرومر بشأن مصر والسودان فوجهت الانظار الى تاخر تعليم اللغة الفرنسوية في مصر ·

روسيا — تناولت المخابرات بين روسيا وانكلترا بشأن الصين مسائل أخرى غير المسائل الصينية لان الدولتين ترغبان في قطع جميع ما بينهما من اسباب الخلاف والنزاع

مراكش — دفعت مراكش ٦٠ الف مارك تعويضاً لالمانيا بعد انذار نهائي قدمته لها

بلغاريا — نقلت شركتا روتر وهافاس انه قد حدثت معركة دامت اربع ساعات على الحدود العثمانية والبلغارية بين جنود البلادين فقتل وجرح كثيرون لكن جرائد اوروبا لم تؤكد هذه الاشاعة وبعضها ينفيها

اليونان — استقالت وزارة زايميس لاعتراض مجلس النواب على قانونية انتخاب رئيسها فالف المسيو نيوتوكوس وزارة جديدة وهو شاب معروف بالنشاط وسعة العلم ·

فيلبين — نشر الجنرال اوتيس منشوراً اعلن فيه سيادة الولايات المتحدة على جزائر فيلبين واكد لاهاليها منحهم الاستقلال الى الحد الذي يكون عنده منطبقاً على المصالح الاميركية وعلى الحرية المدنية والدينية ·

ساموى — استفحل امر مسالة ساموي بين انكلترا واميركا والمانيا فاطلقت السفن الانكليزية والاميركية المدافع على حزب مطافا رجل المانيا مدة ثمانية ايام ونودي بما ليتوى مناظره ملكاً على ساموي وقد الفت لجنة من مندوبي هذه الدول الثلاث للبحث في حل هذه المشكلة

غذاء المعد القوية

النبات شعر الارض والنسيم مشطه (مثل فارسي)

في كبار الموظفين من يكونون كالكتب في المكتبة اعلاها وضعاً اقلها فائدة ونفعاً . (بول ماسون)

اذا افشى صاحب لك سرًّا فلم نفسك على انك استأمنته اياهُ بدلاً من ان تلوم صاحبك (لابروبير)

ممَّ تشكو ايها الانسان؟ أمن العراك؟ اه طريق الانتصار . امن ظلامة؟ وما تأثير الظلامة في النفس الخالدة. امن الموت؟ انه باب الخلاص (بلوتين)

متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال لان النساء يربينهم طبقاً لتربيتكم اياهنَّ ففي تربية النساء تربية الرجال والنسا معاً (ايمه مرتين)

ليس الانسان ملاكاً ولا حيواناً . ومن سوء حظه ان من يريد جعله ملاكاً يجعله حيواناً (باسكال)

في الانسان نقائص صغيرة لا يغضبه ان تذكرها له وتمازحه بشانها فاذا كنت ممن يحبون المزاح فامزح ولكن لا تدع مزاحك يتناول غير هذه النقائص (لابروبير)

المرأة التي تفتكر اي التي تنصرف الى الاشغال العقلية هي كالرجل الذي يلبس (فسطاناً) ويضع على وجهه الابيض والاحمر. وجدتْ المراة لتضحك . لتفرح . لتفرح . ويضحكها هذا تحكم الرجل سيد المخلوقات وتخفف متاعبه . (ليسينك)

متى اردت ان تعلم اذا كنت آخذاً في البعد عن دور الشباب فيكفي ان تدع عينك تقع على عين امراة غضة الشباب فمنها تتعلم ما تريد ان تعلم — يا لها من مدرسة هائلة (لابروبير)

يا لقدرة الحب وسلطته . لو كان الشيطان يحب لما كان شريراً (سان تيريز)

لا ارى العالم الا عيلة واحدة . كذلك كان في القديم وكذلك يجب ان نراه الآن . والا اذا كنا نؤثر بعضه على بعض ونطلب الخير لفئة دون أُخرى كنا كمن يقرّب منه بعض اقاربه ويبعد البعض الاخر (ريشارسون)

لا يكون الباطل نافعاً قط ولا يكون الحق قط مؤذياً (دي ماستر)

لا تقاس فضيلة الانسان بما يصنعه وهو في حالة الحذر والتيقظ الشديد ولكن بما يصنعه اعتيادياً (باسكال)

غذاء المعد الضعيفة

محطة القاهرة ومحطة الاسكندرية : قال صديق لصديقه اعتقد انه لا يوجد اسرع من الاكسبرس الذي يسير بين القاهرة والاسكندرية . فقال له صديقه وما الذي حملك على هذا الاعتقاد . فاجاب — كنت اليوم قادماً مع الاكسبرس من القاهرة ولما تحرك القطار بنا اغضبني معاون محطة القاهرة بأمر من الامور فرفعت يدي وضربته فما شعرت الا وقد اصابت كفي وجه معاون محطة الاسكندرية ...

بين شابين : اتعلم ياصديق أمراً اصعب على الانسان من الزواج بلا حب — نعم ياصديق وهو الحب بلا زواج.

بين زوجين : قال الزوج لزوجته مازحاً وقد رأى حماراً يمر — اظن ان هذا الحمار من اقربائك . فاجابت الزوجة على الفور — نعم هو من اقربائي بالزواج .

بين عروسين : اما كنت تقول لي دائماً قبل الزواج انك تحبني تحبني حتى انك تحب الارض التي أمشي عليها. فاجابها الزوج — نعم قلت ذلك لان تلك الارض كانت ملك ابيك اما الآن فهي ملكي .

بين صديقين : لماذا قلت انهُ رجل تعيس — قلت ذلك لانهُ كسر رجله بالكرة . ورأسه بالدراجة (البيسيكليت) وقلبهُ بالحب .

صاحب جريدة : رزق صاحب جريدة غلاماً فاتاهُ اناس بعد اسبوع يهنئونهُ بالمولود . فقال له احدهم نرجو ان يكون خلفاً صالحاً لك ووارثاً نشيطاً لمركزك . فاجاب الاب متوجعاً. لا اظن هذا الولد يحقق املي فيه فيكون اهلاً لمركزي لاني اراهُ منذ اليوم يسهر طول الليل وينام طول النهار .

بين قروي وكاهن : رأيت امس يا ابانا مارداً من مودة الجن — واين رايتهُ — رايتهُ على جدار الكنيسة في نور القمر — وكيف كانت هيئتهُ — شبه حمار — خفف عليك ولا تخف فما رايت الاَّ خيالك .

بين رجل وامراته : قال رجل لامراته — كنت ابله بليداً حتى رضيتك زوجة لي . فقالت المراة — والان اما انت ابله وبليد — لا ياست اضبطي لسانك انا لست الآن ابله ولا بليداً . فقالت المراة — عافاك الله اذاً انا التي اصلحتك .

الفصل الثاني

المهاجرة

لا نعلم ما يكون حكم المؤرخين اذا بحثوا في العصور الآتية في هذه المسألة : « هل ان مهاجرة السوريين الى اميركا نفعتهم ام اضرّتهم » ولكننا نعلم ان هذه المهاجرة سيكون لها مكان غير صغير في تاريخ سوريا الجميلة. وستعانق في التاريخ الآتي ارض فينيقيا القديمة وارض واشنطون الحرة كما يتعانق ابناؤهما الآن وراء الاوقيانوس البعيد وكما تعانقت في التاريخ الماضي فينيقيا وقرطجنة في العصور البعيدة

فينيقيا وقرطجنة . سوريا واميركا : كم من شبه بين هاتين الكلمتين . ولكن كم من فرق بينهما ايضاً . كانت فينيقيا أُم قرطجنة لان قرطجنة مستعمرة فينيقية كما لا يخفى فهي جزء وفينيقيا كلٌّ ولكن فينيقيا مع اميركا على عكس هذا الامر فان اميركا الآكلة وفينيقيا المأكولة

وكأَنهُ كُتب من أُلوف من السنين لهذا النسل المجتهد النشيط الذي يسكن شواطئ البحر المتوسط ان يبقى في كل زمان جوّاب آفاق يضرب في الارض شرقاً وغرباً مستفيداً مكتسباً يمزج عاداته بعادات الذين ينزل عليهم فيأخذ منهم مما عندهم ويعطيهم مما عنده . وكأنه كُتب للسوريين ان لا يبقوا قواهم كلها في وطنهم بل ان يخرجوا ببعضها الى الخارج . هكذا صنعوا يوم أسس اجدادهم المستعمرات الايونية في آسيا وقرطجنة العظيمة في افريقيا وهكذا يصنعون اليوم اذ يؤسسون المستعمرات او المحلات السورية في البلاد الاميركية

ينفرون الى تلك البلاد خفافاً وثقالاً هذا معوّل على ما في جيبهِ من المال وذاك على ما في رجليهِ من المقدرة على السير وفي يديهِ من القوة على العمل وذلك على ما في نفسهِ من القوة والحماسة والامل مولين وجوههم كلهم شطر ارض الذهب ارض العالم الجديد البكر العذراء المنزهة عن شرور العالم القديم وعن شقائهِ وتعاستهِ

نهر كبير كانت تحول السدود دون مجراه ثم انفتح السد فطمى لا يصد مياهه شيء صغيراً كان او كبيراً

بخار كان مختنقاً في اسطوانة فثقبت الاسطوانة فاندفع البخار منها اندفاعاً شديداً

انبوبة زجاجية كان الماء محصوراً فيها فثلمت الانبوبة فانبجس الماء انبجاساً

هذهِ هي مهاجرة السوريين الى البلاد الاميركية

ونعني بهذا انها ناموس طبيعي لا يرده قانون ولا تقف صعوبة في سبيلهِ . ان الارض في هذا الزمان للمجتهدين العاملين . ان الارض للسائرين اما الواقفون فبشرهم بموت عاجل وعذاب أليم . والفينيقيون لا يقفون لانهم يرون زحام العالم الشديد ويكرهون الموت الادبي والاقتصادي . كلاَّ لا يقفون ثم لا يقفون . انهم يطلبون الثروة حيثما وجدوها والعز حيثما وجدوه مقتدين بالالمانيين والايطاليين والايرلنديين وغيرهم من الامم في المهاجرة الى « مجمع العناصر » الى « أُم جميع الامم » تلك القدر النحاسية الكبرى التي تصهر فيها جميع اصناف الناس وتمزج جد الامتزاج لتكون صنفاً واحداً جديداً

الى هذا المجمع كان يسير بطرس واميل ومن معهم من الرفاق ونحو هذه القدر كانوا كلهم متجهين يضربون اخماساً لاسداس مسلمين ارواحهم الى السفينة والامواج ونفوسهم الى قلق الشك في المستقبل والخوف من طوارئ الزمان

الفصل الثالث

رائحة البلاد

اذا مررت في نيو يورك في الحي ب ... من طرفهِ الشرقي وصلت قبل ان تنتهي الى طرفهِ الغربي الى مكان في الطبقة السفلى يستلفت نظرك اليهِ لوح فوق بابه مدهون بلون احمر وعليهِ هذهِ الكلمات باللغتين العربية والانكليزية «تدخل رجلاً صغيراً وتخرج ملكاً كبيراً » وتحتها هذهِ الكلمات ايضاً: حنا بطرس . قهوة لبنانية سورية اميركية

على انك لا تصل الى باب هذا المكان الذي « يدخل اليهِ الرجل رجلاً فيخرج منهُ ملكاً » حتى تسمع في داخله اصواتاً مختلفة بين قهقهة ونشيد وصراخ ونداء يمازجها رنين الكؤوس واصوات احتكاك الزجاجات واذا دنوت منهُ والقيت نظرك في الداخل رأيت أُولئك « الملوك الوقتيين » يعتلون « عروشهم الوقتية » شيئاً فشيئاً فكلما افرغوا في اجوافهم شيئاً مما امامهم ارتفعوا بعض الشيء الى تلك العروش

وبما ان القارئ الكريم قد نظر الى داخل هذا المكان وهو على مقربة منه فليدخل معنا اليه فلا نجعلهُ يقيم فيهِ وقتاً طويلاً

يجد الداخل الى هذا المكان صورة قهوة لا تختلف كثيرًا عن قهاوى سوريا ولبنان في صدر المكان رجل ضخم الجثة جالس وراء مائدة مرتفعة امامه وفي ارض المكان موائد نظيفة متفرقة مصفوفة حولها الكراسي والمقاعد بينها غلامان يروحان ويجيئان للخدمة وعلى الجدران رسوم معلقة بينها رسم جورج واشنطون مكتوب تحته « بطل اميركا »

ولم يكن في هذه القهوة عدد كثير من الزائرين لان الوقت كان لا يزال صباحًا الا انهم كانوا يتواردون واحدًا بعد واحد. وكان الجالسون منهم بعضهم يشربون والبعض يدخنون والبعض يتناولون طعام الصباح الا واحدًا منهم كان لا يشرب ولا يدخن ولا يأكل بل كان يقرأ في صحيفة بيده وهو منقطع عن الباقين في احدى زوايا المكان

وما انقضى على هذه الحال نصف ساعة حتى غصت القهوة بالزائرين وزادت ضجتهم وكثر ازدحامهم فرفع الرجل الذي يقرأ عينيه عن صحيفته وقال لشاب كان امامه

— علامَ هذا الازدحام في هذا الصباح كأن اخواننا على موعد

— نعم هم كذلك لان هذا اليوم موعد وصول السفينة التي تجيئنا بالقادمين من الوطن. فهم سينزلون الى البحر ليشموا رائحة البلاد

— اعلم ذلك ولا اجهل انهم يجتمعون عادة في هذه القهوة ومنها يذهبون الى المكان الذي ينزل فيه القادمون من بلادنا لمشاهدتهم « وشم رائحة البلاد » كما ذكرت ولكني ارى اليوم زحامًا فوق العادة

— سبب هذا الزحام ان بين القادمين رجلاً تحب النزالة ان تستقبله بشيءٍ من الاكرام وهو المعلم اميل اذا كنت سمعت به

— المعلم اميل. سمعت اسم هذا الرجل مرة من صديقنا الخواجا بولس وكأن صديقنا هذا هو الذي اعدّ هذا الاكرام لرجل يسميه « ولده » فانه ذو نفوذ وسلطة على النزالة في هذه البلاد. واني ليسرني ان ارى النزالة تجتمع في الغربة لاستقبال رجل قادم من وطنها فانها تكرم وطنها وبلادها في ذلك الرجل ولكني لا ارى هذا الاكرام في موضعه اذا كان موجهًا لمعلم اولاد لا شأن لهُ. وهل علمت ان الخواجه بولس ينزل الى البحر لاستقبال هذا الرجل ايضًا

— نعم فانه في مقدمة المستقبلين

— وهل ينزل وحده

— لا فان اكثر النزالة تكون معه

— نعم. فهمت ذلك. ولكن هل ينزل وحده. اعني ألا يكون معه احد من اهل بيته

— الظاهر انك لم تأتِ هذه البلاد من عهد بعيد ياخواجا. وكم شخصًا في بيت الخواجا بولس حتى تقول اهل بيته. قد ماتت امرأته الفاضلة المسكينة منذ سنتين ولم يرزق منها ولدًا الا « ماري » ولا اهل لهُ في هذه البلاد ولا في الوطن الا اخاه الخواجا حنا التاجر الشهير المقيم هنا مع عائلته فهل تسمي السيدة ماري اهل بيته

— سميتها انا اهل بيته اما انت فسمها كما تشاء. ولكن هل هي نازلة مع ابيها الى البحر

— اظن ذلك

— أما سمعت اسماً يلفظ مع اسم اميل في جملة القادمين

— لم اسمع شيئًا فان القادمين كثيرون وهذه المرة الاولى التي يأتينا فيها من ابناء وطننا خمسون شخصًا مرة واحدة فانهم لا يزالون يخافون المهاجرة الى هذه البلاد ويستصعبونها ولكني ارى كما قال الخواجه بولس انه سيأتي يوم تكون فيه اميركا اقرب اليهم من ابواب بيوتهم

وكان الرجل يتكلم وصاحب الصحيفة غائص في بحار الافكار ثم سأله

— وهل تعلم اين يكون نزول صاحبك المعلم

لكنه لم يتم سؤاله حتى دخل رجل فنادى بالحاضرين ان الباخرة اوشكت ترسو في الميناء فافرغ كل في فمه فضلة كأس الويسكي او الشاي او القهوة التي امامه ثم تناول بعضهم منديلاً من جيبه فمسح به فمه وبعضهم مسحه بكمه وخرجوا يتحادثون فلم يبقَ في القهوة الا العدد القليل

فطوى حينئذٍ ذلك الرجل صحيفته ووضعها في جيبه ثم خرج وراءهم يقتفي آثارهم

فوصل الجميع الى مكان نزول الركاب والركاب نازلون من السفينة. فمد الرجل الذي كان يقرأ في القهوة بصره اليهم وتقدم بخطى واسعة منهم فابصرهم ثلاثة اقسام. قسم متأخر وهو الفئه الكبرى وفيه سواد القادمين والمستقبلين وقسم آخر امامه يحيط افراده بصاحبنا بطرس الذي رأيناهُ على جبل النورية في الفصل الاول وقسم ثالث امام القسمين الآخرين في وسطهِ صاحبنا « المعلم اميل »

البقية تأتي

الجامعة العثمانية

الله والوطن

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في ١ مايو (ايار) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٦

باب المقالات

حاجتنا السياسية الكبرى

دواء الشرق

رأيُ شرقيٍّ كبير

اذا قلنا الشرق فالقراء يعلمون اي ارض عزيزة نعني واي بلاد طيبة نريد . فليس ثمت ما يدعو الى التصريح بدلاً من التلميح لان غرضنا نقل الآراء الصحيحة والافكار السليمة الى الرؤوس المفتكرة العاملة التي تكفيها الاشارة اما الاعضاء فحسبها في هذا الباب ان الرؤوس تعمل لها وتشتغل لمنفعتها

وقد آن الآن ان نجمل ما فصلناه في الاجزاء السابقة بشأن هذا الشرق العزيز لنصل الى الغرض الاكبر الذي كنا نحوم حوله وابقينا الكلام عليه الى ما بعد الفراغ من المقدمات اللازمة له

قلنا في الجزء الاول في بدء الكلام على الشرق ان به داءين الاول داخليّ وهو جهل ابنائه والثاني خارجي وهو مطامع الدول القوية فيه . وان دواء الداء الاول قتل الجهل بالعلم الصحيح والتربية الصحيحة ودواء الداء الثاني مزج عناصره جدّ المزج وتربيتها تربية واحدة ومعاملتها معاملة واحدة

ثم انتقلنا في الجزء الثاني فأرينا ان تعصب اوروبا على شرقنا ليس تعصباً دينياً كما يقول بعضهم ولكن تعصباً سياسياً ناشئاً عن رغبة القوي في الاستبداد بالضعيف واعظم دليل على ذلك ان المانيا المسيحية قد صافحت في مأدبة دمشق الشام «الجامعة الاسلامية» يداً بيد . فاذا منعنا اسباب هذا التعصب السياسي باتباعنا السياسة الداخلية الصحيحة واستنادنا الى صديقة عظيمة كالمانيا القوية وجيش باسل كالجيش العثماني الغضنفر لم يعد للخصوم حجة في المداخلة في شؤوننا والتعصب علينا وقذفنا بذلك المهابة في نفوسهم لان الحق كله يكون حينئذٍ معنا محارباً في صفوفنا

ثم وصلنا في الجزء الثالث الى افضل الشجرتين الواجب غرسها اولاً في الشرق بعد تمسكه بعرى السياسة الداخلية الصحيحة وقتله الجهل ورده الاطماع هل هي شجرة الاخاء ام شجرة الحرية فاقمنا الدليل على وجوب تقديم الاولى على الثانية لاننا الآن احوج الى الجمع منا الى التفريق كما قدّمنا

هذا ما قلناه الى الآن . ولكن هل قلنا كل ما يجب ان يقال ؟ اما شعر القراء المخلصون ان هنالك فراغاً كبيراً يجب سده وكلمة قوية يجب التصريح بها ؟ كيف تجمع الكلمة بلا جامع ؟ انى نغسل القلوب بلا غاسل ؟ كيف يقتل الجهل ويرد الطمع ويغرس الاخاء بلا قاتل ورادٍّ وغارس ؟ قلنا المدرس والامهات

والجرائد ولكن أليس فوق هذه الوسائل سلطة عالية لها حق التصرف في شؤونها رفعاً وخفضاً واصلاحاً وافساداً . افليس صلاح هذه الوسائل او فسادها متوقفاً على صلاح هذه السلطة او فسادها . وما هي هذه السلطة ؟

اذا كان في الشرقيين من يحترم السلطة احتراماً حقيقياً مبنياً على معرفة الواجب المقدس فاننا في مقدمة هؤلاء المحترمين . نحترم السلطة لا لانها اعطيت من فوق بل لانها من ضرورات الاجتماع وحاجاته واحترامها قاعدة من القواعد الفلسفية والسياسية . الا اننا نفرق بين السلطة وبين المتسلط . اننا نضع سداً قوياً بين المبدإ والشخص فالمبدا نحترمه ونخفض الرأس امامه لانه ازلي ابدي واذا شئت فقل سماوي اما الشخص فهو قبضة من التراب يوكل اليها ادارة ذلك المبدإ العظيم . فاذا حدثت اساءة فانما يحدثها ذلك التراب وهو المسئول عنها لانه مصدرها اما المبدأ فيبقى صحيحاً سليماً نزيهاً عن كل ما يرمى به ويعزى اليه .

فالسلطة التي اشرنا اليها آنفاً هي القوة التي يدير بها الحاكم المحكوم . هذا هو المبدأ . والحاكم هذا هو الشخص . فاذا قلنا هنا في هذين الرفيقين فانما نقول في الثاني دون الاول لاننا كما قدمنا ممن يحترمون الاول احتراماً لا نبالغ فيه اذا قلنا انه يكاد يكون دينياً .

والذي نريد قوله في احد هذين الرفيقين ان صلاح حال الحاكم هو الفراغ الكبير الواجب سده في هيئتنا الشرقية . ولا يجهل احد ان صلاح حال كل امة يكون باحد وجهين . فاما اصلاح يبدأ من تحت اي ان الامة تأخذه عنوة واقتداراً واما اصلاح تعطاه من فوق اي ان يمد الحاكم الى المحكوم يداً بيضاء فيها غصن او اغصان من شجرة الاصلاح الذكية . ويستحيل على الشرق ان ينال السعادة على الوجه الاول لاسباب كثيرة يضيق دونها هذا المقام بقي اذاً الوجه الثاني وهو ان يعطى السعادة عفواً من غير ان ينتقل اليها قدماً وهذا يتم بحسن اختيار حكامه

ولقد كان الحكيم افلاطون يقول في حياته « وددت لو يكون الحكام فلاسفة او يكون الفلاسفة حكاماً » اما الشرقيون في هذا الزمان فلا يطلبون ان يكون حكامهم فلاسفة ليحسنوا ادارتهم كما يحسنها الفيلسوف الكامل الذي يحكم طبقاً للعدل والشرائع الطبيعية والالهية لا طبقاً للاهواء الخصوصية وانما كل ما يطلبونه ان لا يوضع مبدأ السلطة المقدسة في ايد ضعيفة لا تعرف ادارته . ان لا تلقى الجواهر في المزابل . ان لا تمزج الفضائل بالرذائل . وبعبارة واحدة ان لا يسمى حاكماً في الشرق الا من كان كفوءاً لهذه الوظيفة السامية التي تتوقف عليها سعادة الانسانية

فحسن اختيار الحكام في الشرق هذه هي حاجة الشرق الكبرى

اجل لا تعوزنا القوانين « الآن » فلدينا منها القدر الكافي . لا نحتاج « الان » لاطلاق حرية الجرائد لاننا رأينا نتيجة هذا الاطلاق في بلاد شرقية لا تبعد كثيراً عنا . . . . . لا نحتاج الى حرية فان الحرية مفرقة والتفريق الان يقتل الشرق بدلاً من ان يشفيه . لا تحتاج هيئتنا الشرقية الى امر جديد ولا يعوزها شيء جديد الا امراً واحداً وشيئاً واحداً وهو : « حسن اختيار الحكام » هذا هو اهم الاصلاحات السياسية الواجب ادخالها الى الهيئة الشرقية

وقد جرى في الشهر الماضي بين الدولة العلية وسربيا امر قال فيه وكيل سربيا في الاستانة كلاماً يقرب من هذا الكلام . فانه قدم تذكرة رسمية الى الحكومة يقول فيها ان سربيا لا تطلب ان تسن الدولة العثمانية قوانين جديدة لمكدونيا لان القوانين الموجودة كافية وافية ولكنها تطلب ان يعين لهذه القوانين رجال اكفاء يسهرون على تنفيذها بالعدل والاستقامة . وهذا القول وان كان قد جرى على لسان خصم ذي غرض صحيح من اوله الى آخره ويصح اطلاقه على جميع البلاد الشرقية

ولا نرى لبيان ما يرجى من تأثير الحاكم على المحكوم خيراً من كلام هو السحر الحلال قاله منذ سنوات خلت حضرة الحكيم الكامل والاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده وبعث به الينا اليوم احد اخوانه الافاضل بعد اطلاعه على مقالة « الاخاء والحرية » التي صدرنا بها الجزء السابق لننشره تتمة لها لما بينهما من المناسبة . فالجامعة تفتخر الان بان تزف للشرقيين هذه الحكمة الشرقية الصادرة عن نفس شرقية كبيرة وتشكر الباعث بها اليها شكراً جزيلاً . وهذا نصها

« انما ينهض بالشرق مستبد عادل » . مستبد يكره المتناكرين على التعارف ويلجئ الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم

بالرغبة . عادل لا يخطو خطوة الا ونظرته الاولى الى شعبه الذي يحكمه فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية . فهولهم اكثر مما هو لنفسه .

« يكفي لابلاغهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة وهي سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح و ينمو تحت رعاية الوليّ الصالح و يشتد حتى يصرع من يصارعه . خمس عشرة سنة يثني فيها اعناق الكبار الى ما هو خير لهم ولأعقابهم و يعالج ما اعتلّ من طباعهم بانجع انواع العلاج ومنها البتر والكيّ اذا اقتضت الحال و ينشيء فيها نفوس الصغار على ما وجه العزيمة نحوه ويسدّد نياتهم بالتثقيف . يتعهدها كما يتعهد الفارس شجره بضم اعواد مستقيمة الى سوقها لتنمو على الاستقامة . خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيماً من اعوان الاصلاح من صالحين كانوا ينتظرونه وناشئين شبوا وهم ينظرونه وآخرين رهبوه فاتبعوه وغيرهم رغبوا في فضله فجاروه

« حتى اذا عرفت الافكار مجاريها بالتعريف . وانصرفت الى ما أعدّت له بالتصريف . وصحّ الشعور بالتعليل . واستقامت الاهواء بالتعديل . اباح لهم من غذاء الحرية ما يستطيع ضعيف السن قضمه . والناقه من المرض هضمه . واول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلديّة ثم بعد سنين تأتي مجالس الادارة لا على ان تكون آلات تدار بل على ان تكون مصادر للآراء والافكار . ثم تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية . نعم قد لا يتيسر لرجل واحد ان يشهد هذا الامر من بدايته الى نهايته ولكن الخطوة الاولى هي التي لها ما بعدها ويكفي لمدّها خمس عشرة سنة وما هي بكثير في تربية أمة فضلاً عن أمّة .

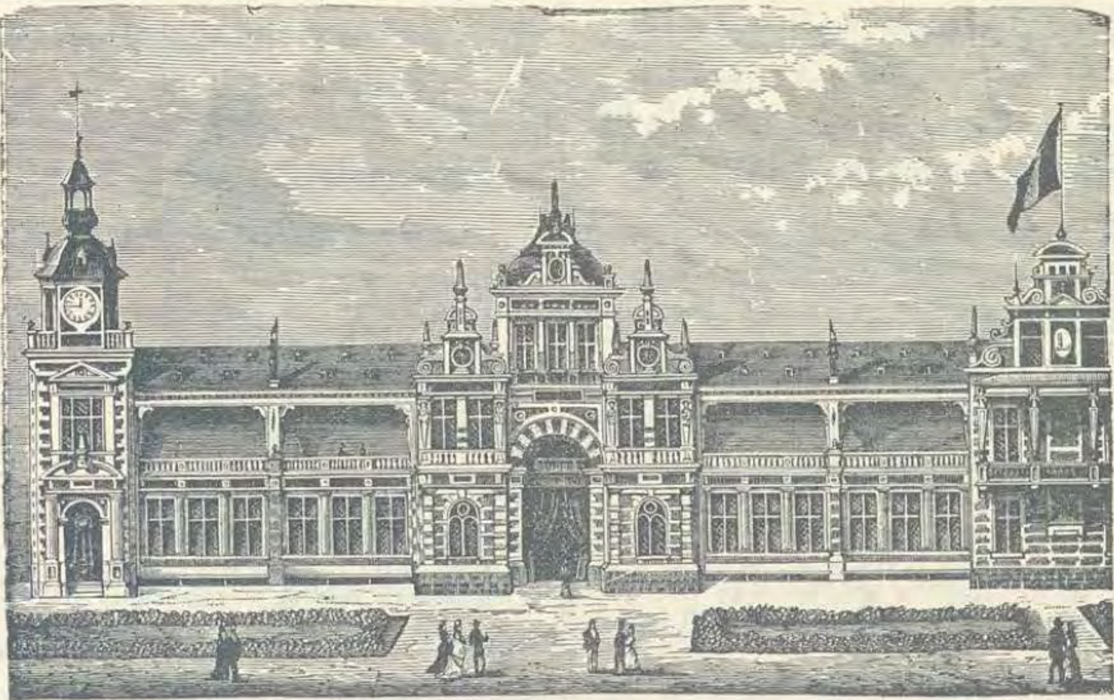
« هل يعدم الشرق كله مستبداً من اهله عادلاً في قومه يتمكن به العدل ان يصنع في خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً » اه

فالذي يقرأ هذه السطور الملتهبة بلاغة وغيرة على الشرق وعلى ابنائه يرى ولا شك ان الشرق شديد الحاجة الآن الى حكام كهذا الحاكم « المستبد العادل » الذي مرّ وصفه . بل يرى ان الشرق لا خلاص له الا بهؤلاء الحكام « الذين لا يخطون خطوة الا ونظرتهم الاولى الى شعبهم » « الذين يتعهدون الامة كما يتعهد الفارس شجره » « فيصنعون بالعدل في خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً »

فالاصلاح كل الاصلاح والفلاح كل الفلاح ان تبحث الدولة العلية بين ابنائها عن امثال هؤلاء الحكام او من كان اقرب الناس اخلاقاً اليهم فتأخذهم حيث وجدتهم وتضعهم في ولاياتها ومتصرفياتها وقائمقامياتها ومديرياتها واصغر قراها ومزارعها ليربوا الامة تربية سياسية صحيحة ويضمدوا جراحها و يمسحوا دموعها ويفتحوا ابواب الرزق في وجهها وان تنبذ نبذ النواة كل حاكم من حكامها يريد أن يكون على جسم الرعية التي اقيم لخدمتها علقاً يمتص دمها وذئباً ينهش لحمها وعدوا شرا من العدو الخارجي لانه يعدو عليها وهو منها

الاصلاح كل الاصلاح ان تنشط الفضائل السياسية وذلك بجعل الاستقامة وصحة المبادىء والمقدرة الشخصية والفضل والمعرفة سبلا الى المناصب العمومية لا حائلا في كثير من الاحيان دونها . هذا هو الاصلاح السياسي الواجب اداؤه الان الى الشرق . وهو اصلاح بسيط في حد ذاته ولكنه بالنظر الى نتائجه اكثر نفعاً واشد تأثيرا من جميع الاصلاحات الاخرى . لذلك قلنا انه اهم حاجاتنا السياسية

وسنسوق الكلام بالتفصيل بعد هذا الاجمال والله المستعان



قصر الفنون والصنائع في ڤينا

التأثر المشترك

لحضرة العالم الفاضل والمؤرخ المحقق جرجي افندي يني

لقد انضى العلماء ركاب البحث الى كثير من الامور لتبيّنوا حقائقها وميزوا صحيحها من فاسدها الا ان مجال البحث ما برح فسيحاً وفي زوايا الحوادث والوقائع خبايا كثير من الاسرار الطبيعية التي سيكشفها لهم الجد والعلم الصحيح

فمن ذلك ما نسميه التأثر المشترك نريد بهِ ان يشعر الواحد بشيء مما يشعر بهِ الآخر ولو كانا بعيدين عن بعضهما . وقد تعددت لهذا العهد روايات الناس بمايثبت الاشتراك ولكن لم يتصل بنا حكم الذين لا يثبتون الامور الا بعد التجربة والإمتحان ونحن نروي الآن نتفاً من الاخبار التي نقلها الكتاب وللالباء ان يحكموا فيهابما شاءت خواطرهم

فمن ذلك ما روي عن امرأة ارثور سفرن احد مشاهير المصورين انها استفاقت ذات يوم في باكرة النهار فاحست كأنها ضربت على فمها ضربةً شديدة ادمت شفتها السفلى فمدّت يدها واخذت منديلها ووضعته على فمها لئلا يتلوث فراشها من الدم ولكنها لم تجد لذلك الدم اثراً ولا للجرح حقيقة فظنت انها رأت ذلك في حلمٍ ولما نهضت من فراشها عاد زوجها من سفرةٍ وقد شرمت شفته السفلي بضربةٍ اليمة اصابته في الساعة ذاتهاالتي اصيبت بها امرأته بالحس المذكور

ورُوي عن واسون رئيس مدرسة كلفتون العالية وهو احد اعلام علماء الرياضيّات انهُ لما كان يطلب العلم في مدرسة كامبردج وهو في ريعان الصبا وتمام العافية اصابهُ ذات ليلةٍ انحراف فجائي فهلع خوفاً من الموت واذ اراد ان ينفي هذا الظن الفائل تشاغل بالمطالعة فلم يملك قياد نفسهِ بل قام البلبال في خاطره وقعد فمال عن المطالعة وذهب لزيارة غير واحدٍ من اصحابهِ فما اجداه ذلك نفعاً ولا ارعوى عن قلقهِ بمسامرة الصديق ومؤانستهِ بل ظلّ تائهاً في بيداء الوهم يحسب المنون اقرب اليه من حبل الوريد حتى قضى الثلاث ساعات في ظنونهِ واذا بها قد انجلت وانقشعت كأنها الغيم وقد بعثرتهُ الرياح فنام مرتاحاً ونهض في الصباح سليماً معافىً كأن لم يكن بالامس يحسب انهُ على جرف الهاوية وكان لهُ اخٌ توأم فعلم بعد حين بموته في الليل الماضي حين اذ كان هو يشعر بدنو اجله

وحكى اسكندر سكرفن احد البنائين انه كان ذات يوم يشتغل في عمله فشعر شعوراً شديداً بما يدعوهُ للذهاب الى بيته وكان البيت بعيداً عن موضع عمله والعمل يقضي بوجوده مشتغلاً فيه فاراد ان يصرف فكره عما اوحاه اليهِ شعوره من ترك عمله فما استطاع حتى اضطر الى تلبيته وذهب الى داره وهو يقول في نفسه ان امرأته لا بدّ ان تهزأ به لمجيئه من غير سبب فلما دنا من البيت قالت له احدى النساء كيف عرفت بالامر فاخذته الدهشة ولما دخل الدار رأى

امرأته طريحة الفراش تأثرًا من سقطة اثخنتها جراحًا وجعلتها تتألم وتنادي زوجها

وكتب احدهم قائلاً اني كنت في منجم من مناجم الفحم الحجري اناظر على عشرين عاملاً يشتغلون في قسمين منفصلين عن بعضهما احدهما شمالي والآخر جنوبي فبعد ان طفت على الذين في الشطر الشمالي اتجهت صوب الجنوبي وما بلغت ذلك الموضع الا وقد شعرت في نفسي بحاجة شديدة للرجوع الى القسم الشمالي مع اني لم اكن قضيت الواجب عليَّ من مشاهدة اعمال الذين في القسم الجنوبي فحاولت ان اتغلب على هذه العاطفة والميل الشديد فما اقتدرت ولا استطعت الا الانقياد لما وقر في نفسي من العودة الى القسم الشمالي وفيما انا عائدٌ خطر في بالي فتى من العملة فعدت الى التردد عن الذهاب ولكن عادت العاطفة فغلبتني فذهبت وما بلغت احدى زوايا المنجم الا ورأيت على ضوء المصباح ان حاملهُ ذلك الفتى الذي خطر على بالي في موقف حرج جدًا دلت عليه ملامح وجهه ذلك انهُ كان سائرًا امام مركبة تنقل الفحم من عند العملة ولم يسر وراءها حسب العادة ولا حاذر الخطر مع ان رفاقه نبهوه اليه مرارًا فلما بلغ احدى الزوايا مرَّ من امامها مستندًا الى الجوار فمرَّت المركبة وكادت تضغط عليه فوق الصخر فتزهق روحهُ ولكني وصلت اليه في تلك الهنيهة فاستغاث بي واغثتهُ وانقذتهُ ولو لم اكن قد اتيت ساعتئذٍ لذهب ضحية جهله وتهوره لان العملة كانوا منه بحيث لا يسمعون لهُ صوتًا

وفي محفوظنا حوادث جمة من هذا القبيل منها ان رجلاً دُعي الى عمل وكان قادرًا على اقامهِ فلما باشرهُ خطر لهُ ذات يوم ان الذين دعوه اليه وسروا بالحصول على رضائهِ بل حسبوا ذلك عنوان مجدهم وسبب سعادتهم سوف يبعثون اليه بالعدول عن ذلك بتةً فسخر من هذا الخاطر القائل لما كان يعلم من مسرة اصحاب العمل ومع هذا فكان الخاطر يتردد عليه كثيرًا سيما وهو على الطريق المؤدي الى موضع العمل ومن الغريب انه لم تمضِ ايام معدودة حتى نقض اصحاب العمل ما تمَّ من جهتهم وابلغوا الرجل عدولهم عن اتمامهِ ما بدأ بهِ فكان بذلك وقوع الحادث الذي حدس بهِ

وكذلك عرفنا رجلاً كان غائبًا عن وطنهِ فتصوَّر ان ان امرأتهُ قد توفيت ومع انهُ لم يكن عارفًا بمرضها ركب للحال واسرع الكرة حتى بلغ ضاحية بلدهِ فرأى اناسًا خارجين منها الى المدفن فتحقق حدسهُ اذ كان الميت امرأتهُ

على ان هذه الشواهد الجمة لا تقطع العدال في صحة الامر اذ قد يمكن ان يكون الصحيح منها صدفةً وان يكون معظمها على غير الواقعة المروية لان الكثيرين من نقلة الاخبار يتفننون بالاكاذيب لتكون كتاباتهم مقبولة لدي القراء بما يستملحون من نكاتها . على ان هذا البحث لم يعدم من مثل هؤلاء النقلة من بالغ وغالٍ في النقل طلبًا لاثبات الغرائب اعتبر ذلك بما قالوا من ان بعض بنائي السفن المشهورين في نيو يورك باميركا قد ابتنوا مركبين كبيرين اوصي عليهما احد تجار كلكوتا في الهند فانجز العملة احد المركبين قبل الآخر وبعثوا بهِ الى كلكوتا فاضرموا فيه النار وجرى به البخار فاتصل التأثر بالباخرة الاخرى الراسية في نيو يورك وظهر منها الميل للسفر واتجهت آلتها البخارية للحركة قبل ان يدفعها البخار مما اعجب الحاضرين وادهشهم ولكنهم علموا بعد حين ان الباخرة الاخرى قد مخرت العباب في ذلك الحين فعذروا اختها لانها شاركتها في التأثر ومالت الى الحراك

واعجب من هذا واغرب ما حكوهُ عن خلقين كبير استخدموهُ في احد المصانع الامريكية في سنسناتي مدة اربعة عشر عامًا حتى رأوه قد تعطل فاستصنعوا خلقينًا اخر يحاكيه شكلاً وقوةً ولما جاؤا به وضعوهُ موضع القديم ونقلوا هذا الى حقل بعيد عن المصنع مدى اربعمائة يارد ومن ثمَّ اضرموا النار تحت الخلقين الجديد واشتغلوا اربعة ايام واذا بالضوضاء قد علت فتبين القوم ان الخلقينين القديم والجديد قد انفجرا في وقت معًا هذا وهو على النار وذاك وهو ملقيٌ في الحقل وان قطع الحديد من الخلقينين اتجهت بالانفجار صوب بعضها وسقطت معًا في منتصف المسافة . قال الراوي الصادق وكان بعض الصبية يلعبون على مقربة من الخلقين القديم لكن في غير جهة اتجاه قطعهِ فشهدوا الانفجار ولم يصب احدمنهم بضرر

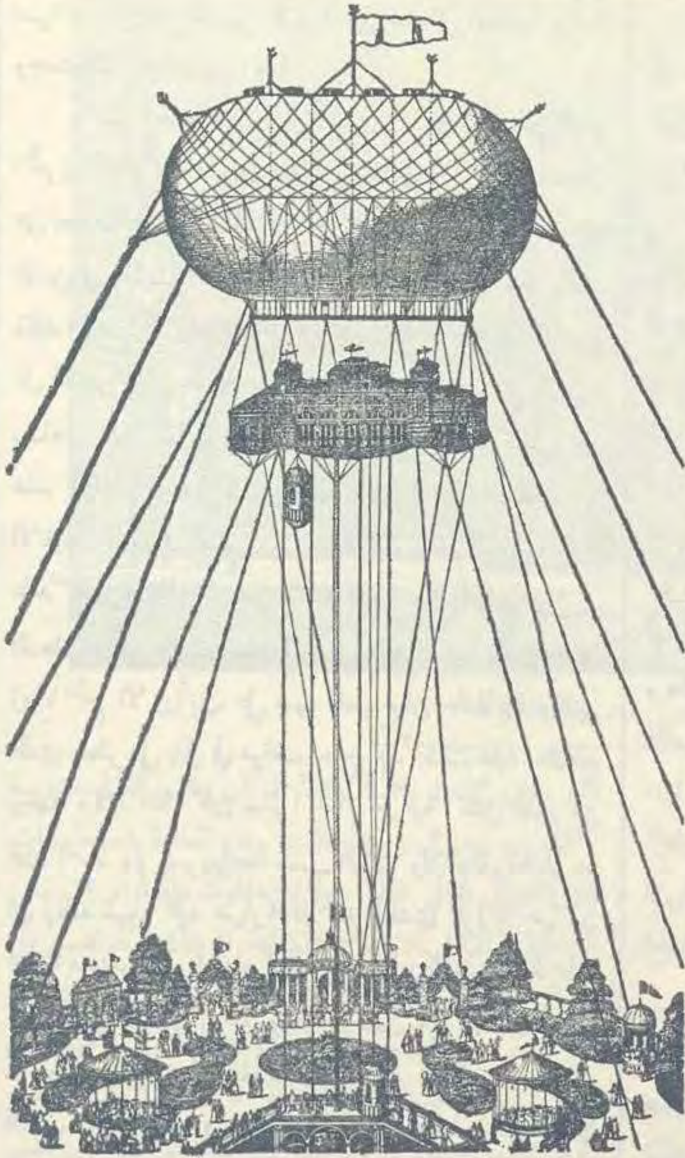
قلت ومن غرائب راوي هذه الاكذوبة انهُ يدعي امكان اثباتها ولكنه يكذب خبر الباخرتين ولو كذبه راوي خبرها لصدق الاثنان والله اعلم

المنطق

لحضرة الكاتب المجيد « المحجوب »

اعرني صبرك ايها القارئ اللبيب قليلاً ولا يحملك العنوان على التأفف والقول باني طرقت موضوعاً قديماً لم يغادر المناطقة فيه من متردم ونحن في حاجة الى الطلي الحديث فما انا الا على رأيك . ولست الآن بصدد ذلك احكام القضايا ولا بشارح القول الشارح وانما اتلو عليك ماهية المنطق وانقل اليك لمعة من تاريخه على قدر ما يسعنا المقام

فالمنطق اسم لعلم من العلوم المدونة ويسمى بالميزان وفي عرف المتأخرين هو القسم الثاني من الاقسام الاربعة التي تقسم الفلسفة اليها اليوم . اما البحث في ماهيته فطالما كان مجالاً لمناظرة المبرزين من رجال الفلسفة وابطال العلم كالرواقيين والابيقوريين والاكاديميين وفلاسفة العرب ومن بعدهم مناطقة العصور الوسطى من الفرنجة ومع ذلك كله كان جدالهم على غير جدوى وما برحت القضية على تقادم عهدها عرضة للناقدين ما بتّ حكمها ولا فصل خطابها ذلك مما يحمل على القول انها ليست بالامر الهيّن وانها من الاهمية بمكان وان وجد نفر من فلاسفة عصرنا الحالي نبذوا الخوض فيها نبذ النواة ولم يفوها حقها من بحثهم العميق وتمحيصهم الدقيق هذا ولننظر في السبب الذي من اجله تداعت رغائب العلماء الى البحث عن ماهية المنطق وتفانت هممهم في انشادها ذلك لان غاية الانسان العظمى وضالته الكبرى ايجاد الحقيقة فانه كيفما افتكر وكيفما عمل فالحقيقة ابداً مبتغاه فتراه يتساءل في نفسه هل من آلة تحقق هذه الامنية ؟ وهل ان المنطق هو تلك الآلة ؟ مسألة ماوجدت حتى حوّمت حولها اثقب العقول واذكى الفطن فان كان المنطق هو تلك الآلة



اعظم ما عُرض في المعرض الذي اقامته بلجيكا في انفرس سنة ١٨٩٤ قصر قائم في الهواء . وهذا رسمه . اعلاه منطاد كبير (بالون) يرفع القصر بحبال متينة والمنطاد مشدود بالحبال الى ابنية عظيمة في الارض كما ترى في الرسم حتى لا يصعد بالقصر الى طبقات السماء . ويصعد الى هذا القصر على مرقاة طرفاها واحد في القصر فوق وواحد على الارض تحت فاذا جلس في كل منها جالس ارتفع الذي تحت وهبط الذي فوق وبذلك يتم الصعود والنزول . وقد اظهر البلجيكيون بهذا القصر امكان « بناء القصور في الهواء » . . وهو مثل يُضرب لمن يروم المستحيل .

التي من شأنها ارشاد الانسان الى الحقيقة فهي ولا غروَ من انبل الآلات واشرفهن ومن الواجب على الانسان بل من امس حاجاته درس المنطق ليخرج من ظلمات الغباوة ويهتدي بنوره الساطع الى عالم الحقيقة . هذا لعمري ما حمل المناطقة على البحث في هذه القضية ونعم ما فعلوا

على ان بلوغ هذه البغية من المنطق غير مستطاع ولربما لا ينال المستقبل منه نصيباً اوفر مما نالته الايام الماضية . هذا وقد صحبته السنون ما يربو على الالفين فما عجز عن فعله تلك الاعوام بطولها لن يقتدر عليه في الايام الآتية . لا اقول ذلك متابعة لللاادريين وغيرهم ممن يطعنون على العقل الانساني ويغضون من قدره وانما اقول الحق الصراح بانهم يطلبون من المنطق ما هو فوق طاقته

ولا حاجة بنا بعد لمزيد الكلام عما بذل المناطقة من الجهد في مناظراتهم «هل المنطق علم او آلة» فالذين قالوا انه علم اقتصروا على تحديده بقولهم انه يعلمنا كيف يقيس الانسان في المحاجة ويبرهن وقال الفريق الثاني انه يرشد الانسان الى اجادة المحاجة واحسان سرد القياس وانه يعصم الذهن عن الخطاء

ويجدر بنا قبل الخوض في حل هذه القضية ان نذكر للقارئ اللبيب ان الفلسفة اليوم مؤلفة من اربعة اقسام فالقسم الاول منها العلوم النفسية (بسيكولوجيا) والثاني المنطق والثالث علم الآداب والرابع علم ما وراء الطبيعة. ومما أجمع عليه ان القسمين الاول والاخير من الفلسفة هما علمان فالاول يبحث في قوى العقل الانساني والاخير يبحث في الموجودات المجردة عن المادة واما الاداب والمنطق ففي امرهما الخلاف. ففريق يقول ان الاول اي الاداب ترشد الانسان الى اتباع الفضائل حال كونها علماً بحتاً نتوصل به الى معرفة الشرائع الغريزية الكائنة في ضمير كل انسان اما العمل بموجبه فمن خصائص التربية والتهذيب ليس الا

واذا تبين لك ذلك فاعلم ان المنطق كالاداب ايضاً علم وليس بآلة اي علم نعرف به شرائع العقل الانساني في محاجته ومقايسته كما نتوصل بعلم الاداب الى معرفة الشرائع الادبية الموجودة في كل انسان على اختلاف شؤونه وتنوع بيئاته واذا اردنا آلة نتوصل بها الى الحقائق فلنطرق غير باب المنطق لانه علم والعلم غير الآلة. الا ان الفلسفة خدمتنا بعض الخدمة في ذلك بان اوجدت لنا الطرائق Methodes وليست الطرائق بقسم من المنطق ولقد اخطأ الذين مزجوها به

هذا وان حسبنا المنطق آلة فمن الضرورة ان يتأتى من كيانه على تلك الكيفية النتائج الآتية

(اولاً) ان العقل الانساني كان قبل وضع المنطق اقل محاجة ومقايسة منه في الزمن الذي يليه. فان خلوه من آلة مفيدة كالمنطق تجعل قواه العاقلة اقل اقتداراً على العمل لان الآلات وجدت لتسهل الاعمال على الانسان وتزيدها انتظاماً

(ثانياً) انه بعد وضع المنطق بلغ العقل الانساني من النجاح شأواً بعيداً

(ثالثاً) ان العصور التي انصرفت بكليتها الى درس المنطق كانت اعظم كل العصور اذدهاءً ونجاحاً والعصور التي اهملت دراسته كانت اشدّ العصور جهالة واعرقها غباوة

(رابعاً) لا تستطيع المعارف اجمعها ان تتجاوز درس المنطق لأنها اسست على اصول القياس

(خامساً) يجب ان تكون اجادة المحاجة في الافراد تابعة لمقدار ما حصلوه من المنطق

ولا ريب ان كل عاقل يرى لاول وهلة وهن هذه النتائج وبعدها عن الصواب فان المنطق لم يضعه ارسطو الا قبل التاريخ المسيحي باربعة اجيال وكان جهابذة العلم من اليونان قبل هذا العهد بنحو ستمائة سنة اظهروا للعالم مؤلفات جمة في كل فن ومطلب هي غاية في الاجادة والبراعة ذلك منذ عهد هو ميروس الى زمن هيبوقريط وافلاطون ناهيك انه لم يرَ بعد اختراع المنطق اي بعد زمن ارسطو ان العقل اليوناني اكتسب قوة جديدة وفوق ذلك ان انحطاط الامة اليونانية بدأ لجملة اسباب اخرى حوالى ذلك العصر ومن ذلك الحين اخذت الامة الهيلانية تزداد تأخراً وانحطاطاً جيلاً بعد جيل رغماً عما افرغ رجالها من الجهد في المنطق ضالتهم الوحيدة هاتيك الايام بجملتها. وهذه مدرسة الاسكندرية الذائعة الصيت مرّت عليها ثلاثة قرون متوالية وهي زاهرة بعلومها زاهية بمعارفها ومع ذلك لم تتخذ المنطق امام دروسها ولا كان له عند طلابها شأن كبير. ولقد ظلّ المنطق نحواً من ستمائة سنة في العصور الوسطى وهو العلم الوحيد الذي كان يستنفد الوسع في دراسته ويستفرغ الجهد في تطلبه. ومع انعكافهم عليه وانصبابهم اليه كانت تلك الايام ابعد العصور عن منازل التمدن والعرفان واعرقها غباوةً واشدها ظلاماً. وانا لنرى الامر خلاف ذلك منذ الجيل الخامس عشر حين اخذ الفرنجة بالنهضة من سباتهم العميق وسعوا سعياً حثيثاً وراء اجتناء العلم واكتساب المعارف حتى بلغوا شأوها البعيد من النجاح حال كونها لم تكن تعبأ بالمنطق ولا احتفلت به. ولا ريب ان الذي حدث في الزمن الماضي يحدث مثلهُ ايضاً في الحاضر والمستقبل فالعلوم على اختلاف موضوعاتها لم تفتقر الى المنطق ولا اعتمدت عليه وقد بلغت من ذاتها مبلغها الحالي من السمو والكمال. واذا اردت مزيد بيان فالافراد ايضاً لا يعوزهم المنطق ليحسنوا المحاجة والمقايسة لأن الانسان حتى في حديثهِ العادي يقيس ويبرهن حسب اصول القياس مهما كان حالهُ من التهذيب ومكانه من العلم. وزد على ذلك اننا نرى الافراد الذين يقتصرون من دروسهم عليه ويكتفون به عن سواه تفسد منهم القوى الحاكمة ولا يستفيد ذهنهم مضاءً ولا خاطرهم اتقاداً.

بقي علينا الآن ان نبحث قليلاً في تاريخ المنطق

ام السرور ام الشرور

المسكرات والنساء

تنبهت فرنسا في هذا العام الى ثلاثة امور مهمة . اولها زيادة بحريتها بعد حادثة فشوده وثانيها مراقبة السلطة العسكرية بعد استفحال مسألة دريفوس اتقاء ان تعلو يدها على يد السلطة الملكية . وثالثها ازدياد شر المسكرات في بلادها ومعرفتها وجوب السعي في تلافي هذه الافة المهلكة

وموضوعنا في هذا الفصل الامر الأخير . فقد اجتمع في باريز في اوائل هذا الشهر مؤتمر دولي رأسه وكيل الوزارة الداخلية الفرنسوية للبحث في الوسائل الواقية من شر المسكرات هذه العجوز الشمطاء التي تلد السرور والشرور معاً فلم نر من القيام بواجبات الصحافة ان يجتمع هذا المؤتمر الدولي العظيم وينفرط عقده دون ان تشير الجرائد اليه اوتقول كلمة في موضوعه .

والذي جعل فرنسا اشد اهتماماً بهذا المؤتمر من سائر الدول الاخرى ان المسكرات اشد فتكاً فيها منها في سائر الامم . فقد جرى اخيراً تقويم المسكرات التي تباع في حوانيت اوروبا فامتازت حوانيت فرنسا عنها كلها واظهر هذا التقويم ان ما يشربه الفرنسويون من المسكرات في السنة اذا وزع على عدد نفوسهم اصاب الشخص الواحد منهم ١٤ لترا في السنة على حين ان ما يصيب الشخص من الامم الاخرى ٧ او ٩ او ١٠ (التار) كل على نسبة حبه لباكوس .

وقد جاءتنا الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر طافحة بالكلام على آفة المسكرات وفعلها الذريع في الشعب الفرنسوي . منه كلام حماسي لجريدة الطان قالته تحت عنوان « الخطر الحقيقي » وفحواه ان الخطر الملكي الذى يقول الجمهوريون انه يتهدد الجمهورية والخطر على اسرار الدولة من خائن يبوح بها للعدو وكل ما سوى ذلك من الاخطار الحقيقية والوهمية كل ذلك لا يذكر بازاء « خطر المسكرات » الذي يتهدد الامة الفرنسوية بافناء قواها واستنزاف حياتها . هذا هو الخطر الحقيقي .

وقد وضعت جريدة الماتن فصلا بهذا الموضوع ايضاً سردت فيه تفاصيل تقرير وضعه الدكتور برينون الفرنسوي عن فعل المسكرات في نورمانديا . وقد صرف الدكتور همه في هذا التقرير الى البحث في سكر النساء بنوع خاص فاوصله بحثه الى نتائج توجع الاكباد وتؤلم كل فؤاد .

ذلك انه رأى نساء الشعب في نورمانديا متهافتات على تناول المسكر بوجه عام فالطاهيات يخفين زجاجات العرق بين انية المطبخ والخادمات يعدن من السوق الى المنزل فاقدات الرشد من السكر والمستخدمات في المخازن يحملن في جيوبهن زجاجات العرق ليجرعن منها حيناً بعد حين . والذي زاد المسكرات انتشارا بين نساء الشعب ان اصحاب الحوانيت يسقون اكثر العرق مجاناً للخادمات لكي يجتذبوهن فيبتعن حاجاتهن من حوانيتهم .

قال الدكتور برينون . وكنت مرة في داخل حانوت فدخلت خادمة فشربت كأساً وخرجت ثم عادت بعد حين فاخذت كأساً ثانية وما زالت تذهب وتعود الى المرة الخامسة والوقت لا يزال صباحاً . وقد راقبتها بياض ذلك النهار فرأيت انها انفقت على ابتياع العرق ثلاثة فرنكات . وربما كان ذلك فوق ما تكسبه يومياً

ولما كنت كامناً في هذا الحانوت اتى رجل وفي يده زجاجة فابتاع لترين من العرق لاجل نهاره فقط . .

وما هذا بالامر الكبير بازاء ما تفعله الفقيرات من نساء الشعب . فانهن متى لم يعد في ايديهن ما يشترين به العرق بعن شيئاً من اثاث غرفتهن الحقيرة وابتعن بثمنه تلك الآفة المهلكة . وقد عرفت امرأة تركت زوجها حتى سافر الى بلدة قريبة فقامت الى المقعد وكان فراشه محشوا قطناً فباعت القطن ووضعت مكانه قشاً ثم ابتاعت بثمن القطن عرقاً . وكم عرفت من اناس احسنوا الى فقيرات فكانت هؤلاء التعيسات يبعن ما احسنَ اليهن به ويبتعن بثمنه عرقاً وان اعوزهن الخبز . واشد النساء ولعاً بالشرب العاملات اللواتي يعملن في البيوت . فانهن لا يبدأن بالعمل حتى تكون زجاجة العرق على المائدة ليجرعن منها حيناً بعد حين . وقد تمرض احداهن وتستدعي الطبيب فيحضر واول ما يدخل الى غرفتها يجد زجاجة العرق بيدها وهي تجرع منها . وهكذا ينقرض النسل الفرنسوي ويموت مفتح العيون والزجاجة بيده تقصف عمره وتنزله قبره

هذا ما قالته جريدة الماتن فأحر ببلاد هذه رغبة اهلها في المسكرات ان يجتمع فيها المؤتمر الدولي لمنع ضرر المسكرات . وسنعود الى هذا المؤتمر في العدد التالي



رجلان غائصان في لجة البحر لانقاذ امرأة من الغرق وفوقهمازورق فيه رفيقان لهما ينتظران خروجهما من بطن الامواج . ولما اوشك احد الغائصين ان يبلغ سطح الماء وهو آخذ بشعر المرأة داهمه حوت هائل كما ترى في الرسم فهلعت قلوبهم جميعاً . الا ان الحوت ابدى والحق يقال لطفاً كثيراً . . . . ذلك انهُ كره ايذاء اناس يخاطرون بحياتهم لصنع الخير فوقف يتأمل فيهم من بعيد ثم تركهم ومضى لسبيله



رسم قالب الجبن الكبير الذي عرضه في معرض شيكاغو احد صانعي الجبن في كندا .
ثقله ٧٣٦٠ اقة واقتضى صنعه مائتي الف لتر من اللبن (الحليب) اي ما يساوي
درّ عشرة آلاف بقرة في اليوم .

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لتسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيهما من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كن قبل التعليم او مما لو كن غير متعلمات

١

الفضيلة — الاخلاق — الراحة .

جوابي على هذه المسائل الثلاث يكون مختصراً طبقاً لرغبتكم . الابنة بلا علم في العالم كالجندي بلا سلاح . وكيف يحارب الجندي و ينتظر النصر اذا لم يكن له سلاح للمحاربة . نريد ان يكون نساؤنا فاضلات فمن واجباتنا اذاً ان نعطيهن سلاحاً لحماية فضيلتهن وهذا السلاح هو العلم . ان فريقاً من الشبان يسهل عليهم جداً غش الابنة الجاهلة ولكنه يصعب عليهم جداً غش الابنة المتعلمة .

هذا بشأن الفضيلة . اما الراحة فرأيي فيها مخالف للراي السابق . العلم ينبه في الابنة قوى كانت كامنة ومطالب ما كانت تخطر لها قبل العلم ببال وكلما ازدادت الابنة تضلعاً من العلم ازدادت بعداً عن حالة البساطة وسكينة البال التي كانت لها قبلاً .

اما الاخلاق فلا اظن انه يوجد اثنان يختلفان في ان العلم يحسنها في الرجل وفي المرأة على السواء . هذا رايي والسلام

«حاجب»

٢

قرأت ما كتبته الجامعة عن المرأة الى الآن بتروٍ وامعان فرأيتها قد ظلمتنا نحن النساء ظلماً كبيراً . لقد انتقدت احوالنا وخفتنا ورغبتنا الشديدة في الملاهي والزينات وغير ذلك فهلا ذكرت ان العهد قريب بخروجنا من تحت نير الرجل والجهل القديم حتى تعطي حريتنا الادبية الثمار الصالحة التي تليق بنا و بالهيئة الشرقية . ومعلوم ان الطفرة محال فلا يمكن النساء الشرقيات ان ينتقلن بغتة من الجهل والاستعباد الى حالة الملائكة التي تريدها الجامعة بل يجب عليهن ان يمررن بهذه الطريق التي يسلكها النساء في هذا الزمان عملاً بالناموس الطبيعي الذي يقتضي التقدم تدرجاً لا وثباً . ومع ذلك فاخواتهن في الغرب لسن ملائكة على ما أرى . . . واعتقد من صميم القلب ان الرجل الشرقي يجب ان يكون اقل شكوى من امرأته من الرجل الغربي . فبدلا من ان ننادي على النساء بالويل والثبور يجب ان نمدح المرأة الشرقية على تقدمها وارتقائها والا كنا لها من الظالمين .

اما اقتراح الجامعة بشأن تعليم المرأة وتأثيره فيها بالنظر الى فضيلتها واخلاقها وراحتها فمما نشكرها عليه لانه يفتح لنا باباً للقول بان التعليم الذي تتلقنه البنات الآن في المدارس الشرقية ليس بالتعليم الصحيح الذي يجلب السعادة للعائلة . وعندي ان للمسألة وجهين . الاول الحكم فيها بالنظر الى التعليم على الطرق الحاضرة والثاني بالنظر الى التعليم على الاطلاق . فان كان الامر الاول فالتعليم الحاضر في رايي لا يفيد كل الافادة المطلوبة لانه غير صحيح المبدإ وهو كثير الشبه بتعليم الرجال . وان كان الوجه الثاني فاي غبي ينكر ان العلم الصحيح يقوّي فضيلة المرأة و يحسن اخلاقها و يجلب راحتها . وما معنى التعليم . اليس معناه زيادة قوانا وجعلنا احسن مما كنا قبله .

« احدى القارئات »

٣

يحتمل اقتراحكم ثلاثة اجوبة

اولاً — هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة ؟ كلا : لان الامرأة كما هو مشهور اذا كانت جاهلة فانها على الاكثر تجتنب المعاشرة وهذا مما يجعل ترس فضيلتها اقل تعرضاً للسهام . اما العلم فانه يعرفها قيمة نفسها وما لها على الرجال من السلطان فتطلب المعاشرة مدفوعة الى ذلك بحب التسلط الفطري فتسقط غالباً حيث تظن انها تعلو وتكون فضيلتها معرضة لسهام عديدة وحبائل لا مناص لها في اكثر الاوقات من الوقوع فيها

ثانياً — هل ان التعليم يجعل البنات احسن اخلاقاً ؟ نعم : لان الانسان من فطرته مجبول على الشرّ . والابنة الجاهلة اخلاقها لا تطاق . والبرهان على ذلك ان تجالس ابنة جاهلة وابنة

متعلمة وتنظر البون بين هذه وتلك — دماغ البشر محاط بغشاوة كثيفة لا يجلوها الا العلم ولولاه لكانت طباع الانسان اشبه بطباع الوحوش منها بطباع البشر.

ثالثاً — هل ان العلم يجعل البنات اكثر راحة ؟ نعم: فانه بتأثيره الحسن وانواره الساطعة يجلو عن القلوب دياجي الكدر. انظروا هذه الابنة العالمة كيف انها تحتمل المتاعب والتجارب بتبسم الفيلسوف وانظروا الى تلك الابنة الجاهلة كيف تكون في المتاعب حائرة غير هادئة لا تعرف ان تهدي لوعتها ولا اين تجد سلوتها. نعم ان العلم يطوّح بعض الاحيان بالابنة الى ما لا يرام وانما هذا من بعض ملذاتها وهل من تعب في الملذة. ففي رأيي ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنّ قبل التعليم او مما لو كن غير متعلمات

الاسكندرونه « عفيفه راجي »

٤

لا اعلم في اي جريدة قرأت هذه العبارة « العلم عناء والجهل هناء » وبحسب رأيي ان هذه العبارة صحيحة فان العلم اذا كان نوراً كما يسمونه فانه نور يشرق علينا نحن الشرقيين ليرينا ما حولنا من آثار الشقاء كما قال فينا احد حكماء الافرنج. واي فائدة للابنة من العلم. هل انها ستكون عالمة او كاتبة او مخترعة. اذا قلنا انه يفيد فضيلتها فهذا غير صحيح لان العلم لا علاقة له بفضيلة المرأة وحسن ادبها وانما هذا الامر يتوقف على تربيتها العائلية وعلى القدوة التي تراها في المنزل. واذا قيل انه يفيد اخلاقها فما احلى اخلاق بعض البنات البسيطات غير المتعلمات واشرس اخلاق بعض المتعلمات. واذا قيل ان العلم يجلب الراحة للابنة المتعلمة قلنا هذا ليس بصحيح ايضاً بل هو يجلب لها التعب والعناء لانه يكثر شواغلها العقلية ويلهيها عن واجباتها البيتية التي خلقت لاجلها دون سواها. نعم المرأة وجدت لخدمة المنزل ولتربية الاولاد وطاعة الزوج طاعة عمياء ليستقيم سير المنزل واذا افتكرت بغير ذلك فانها تخالف مشيئة الله وتخرج عن الدائرة الطبيعية التي وضعت ضمنها. ولو قيل لي اي تختار زوجة لك. هل تلك الابنة المهذبة في احسن المدارس التي تلقنت ثلاث او اربع لغات وتعلمت الموسيقى والرقص وكل ما يجب للجمعيات ام تلك الابنة الجاهلة البسيطة التي لا تعرف من العلم شيئاً حتى القراءة والكتابة. المنزوية في بيتها تحت جناحي امها. المصروف همها الى خدمة المنزل والعناية باموره فتكون خادمة في المطبخ مع الخادمات وسيدة في القاعة مع السيدات وتعمل كل شيء بيدها حتى عجن العجين وغسل الثياب ؟ لاجبت حالاً بدون تردد اختار الثانية لانها اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة والسلام

« خفيف »

المدارس في ولاية قوصوه

سألت نظارة المعارف ولاية «قوصوه» عن عدد المدارس اللازم تأسيسها في هذه الولاية وعن انواعها فاجابت ان تلك الولاية هي في حاجة الآن الى تشييد اربعمائة واحدى وثلاثين مدرسة ابتدائية للذكور واربع عشرة مدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة اعدادية للذكور وثلاث مدارس رشدية للذكور ومدرستين رشدية عسكرية والخلاصة يجب تأسيس اربعمائة واثنتين وخمسين مدرسة وقد تقرر انشاؤها وصدر الامر السلطاني بتخصيص مائة الف قرش نفقات سنوية تصرف عليها. (معلومات)

شفاء التلامذة الكسالى

من وجع البطن

وجدت مدارس سويسرة دواء يشفي التلامذة الكسالى من وجع البطن والم الرأس وغيرهما من الآلام الاحتيالية التي قد يتذرع بها الاولاد لترك الذهاب الى المدرسة. ذلك انها متى قيل لها ان احد تلامذتها مريض ترسل اليه طبيباً من قبلها بالحال فيفحص الطبيب التلميذ فاذا وجده مريضاً اعطاه علاجاً واخذ اجرة زيارته من المدرسة واذا وجده متمارضاً دفع اهل التلميذ للطبيب اجرة زيارته. فبهذه الوسيلة اصبحت الام لا تتساهل مع ولدها في ابقائه في البيت بحجة الالم في معدته اوفي رأسه لانها تدفع للطبيب نصف جنيه غرامة عن هذه الحيلة ولذلك بطل تمارض الاولاد في سويسره وغني عن البيان ان التعليم في سويسره « الزامي » وهذا هو السر في هذا الاكراه المفيد

باب الشعر والانشا

ننشر في هذا الباب قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لشعراء وكتاب من المتقدمين والمتأخرين تكون قدوة للكتاب والشعراء ويكون فيها فائدة ولذة للقراء

الخنساء

نورد في هذا الجزء طرفاً من تاريخ حياة الخنساء اشعر شواعر العرب وشيئاً من شعرها انجازاً لوعدنا في الجزء السابق فنقول ·

الخنساء في اللغة الظبية اما اسم الشاعرة فتُماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي · برزت في الشعر عن جميع نساء العرب ولم يجارها فيه الا ليلى الاخيلية صاحبة توبة · وفي ذلك يقول بعضهم « ليلى اكثر تصرفاً واغزر بحراً واقوى لفظاً والخنساء اذهب عموداً في الرثاء »

والخنساء معدودة من الطبقة الثانية في الشعر · وكانت في اول امرها تقول البيتين والثلاثة فلما قتل اخوها صخر الذي كانت شديدة الولع به جلست على قبره تبكيه وترثيه فاطلق الحزن قريحتها فانطلقت في ميادين البلاغة والرثاء · وفي اخيها جل ما قالته من شعرها

و يقول كتاب العرب ان سبب ولع الخنساء باخيها صخر وصرفها العمر في بكائه ورثائه انه كان موصوفاً بالحلم والجود والشجاعة محظوظاً في العشيرة واجمل رجل في العرب · لكن يلوح لنا انه يجب البحث عن سر هذا التعلق الشديد في قلب المرأة لا في مكارم اخلاق الاخ ومحاسنه · فان الخنساء لولا ان قلبها صحيح الشعور شديد الاحساس بسيط فطري لم تفسده الحاجات البشرية ولم تشغله عن حزنه وتستهويه شواغل الحضارة اليها لشفي من الحزن في بضعة شهور مهما كان جرحه عميقاً

اما مقتل اخيها صخر فقد حدث في يوم كلاب و يقال له ايضاً يوم ذات الاثل في غزوة شنها صخر ببني خفاف على بني اسد فاكتسح اموالهم وسبى نساءهم فتبعوه فالتقوا بذات الاثل فاقتتلوا وطعن ربيعة بن ثور الاسدي صخرا في جنبه فمرض صخر من هذه الطعنة قريباً من حول حتى سئم الحياة · ولما اشتد عليه مرضه نتأت قطعة مثل الكبد في جنبه في موضع الطعنة فاختار قطعها فاما الموت بعد القطع واما الشفاء · وكانت الخنساء تعود اخاها كثيرا وفي ذلك يقول صخر

اری ام عمرو لا تمل عيادتي ... وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وام عمرو كناية عن الخنساء وسليمى اسم امرأته

ومات صخر بعد شق جرحه فدفن في جبل عسيب وهو في ارض كانت لبني سليم الى جانب المدينة فاقامت الخنساء على قبر صخر تبكيه وترثيه

ومن جيد رثائها قولها

اعينيّ جودا ولا تجمدا ... الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجريء الجميل ... الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته امردا
يكلفه القوم ما عالهم ... وان كان اصغرهم مولدا
اذا ذكر المجد ألفيته ... تأزّر بالمجد ثم ارتدى

ومنه

وكنت اذا كفٌّ اتتك عديمة ... ترجي نوالا من سحابك بلّت
وكنت لنا عيشاً وظلٌّ ربابةٍ ... اذا نحن شئنا بالنوال استهلت
وما كرّ الا كان اول طاعن ... ولا ابصرته الخيل الا اقشعرت
فيدرك ثاراً ثم لم يخطه الغنى ... فمثل اخي يوماً به العين قرّت
فلست أُرزّا بعده برزية ... فاذكره الا سلت وتجلت

ومن شعرها النادر قولها

وان صخراً لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحارُ
وان صخراً لمقدام اذا ركبوا ... وان صخرا اذا جاعوا لعقارُ
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نارُ
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبةٍ حين يخلي بيته الجارُ
لايمنع القوم ان سألوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل مرّار

وقيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه · · الخبيثة · قيل فبمَ فضلتك · قال بقولها

ان الزمان وما يفنى له عجب ... أبقى لنا ذنباً واستؤصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا ... بالحالمين فهم هام وار ماس
ان الجديدين في طول اختلافها ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وكأنه قيل للخنساء بعد هذه الابيات او غيرها مما يشابهها لئن مدحت اخاك بها لقد هجوت اباك فقالت تصف صخرا وتساويه بابيها مع مراعاة حق الوالد ·

جاري ابـاه فاقبلا وهما يتعاورانـ ملاءة الفخر
حتى اذا نزت القلوب وقد لزَّت هناك العذر بالعذرِ
وعلا هتاف الناس ايهما قال المجيب هناك لا ادري
برزتْ صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى ان يساويه لولا جلال السن والكبرِ
وهما كـأنهما وقد برزا صقران قد حطا على وكرِ

ولها ايضاً

تقول نساءٌ شبت من غير كبرة وايسر مما قد لقيت يشيبُ
اقول اباحسان لا العيش طيب وكيف وقد أُفردتُ منك بطيبُ

وقالت وقد سمعت حمامة تسجع

تذكرصخرا اذ تغنت حمامة هتوف على غصن من الايك تسجع
فظلت لها ابكي بدمع حزينةٍ وقلبي مما ذكرتني موجـع
تذكرني صخرا وقد حال دونه صفيح واحجارٌ و بيداء بلقع
فان كان صخر الجود اصبح ثاويا فقدكان في الدنيا يضر و ينفع

وادركت الخنساء الاسلام فاقبلت في خلافة الامام عمر الى المدينة حاجة بزي الجاهلية فقام اليها الامام عمر فرآها تطوف البيت محلوقة الرأس تبكي وتلطم خدَّها وقد علقت نعل صخر في خمارها جرياً على عادة نساء العرب في الحزن قبل مجيء الاسلام فوعظها فقالت: اني رزئت فارساً لم يرزأ احد مثله فاجابها الامام : ان الاسلام قد غطى ما قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك وكشف رأسك. فكـفت وقد اقنعها هذا الكلام وانشأت تقولـ .

واني والبكا من بعد صخرٍ كسالكةٍ سوى قصد الطريق
فلا وابيك ما سلبت صدري بفاحشةٍ اتيت ولا عقوق
ولكني وجدت الصبر خيرًا من النعلين والرأس الحليق

وقد خطب الخنساء في صباها دريد ابن الصمة فردَّته فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقالت :لا اجمع عليه ان ارده وان اهجوه. ثم خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله ثم خلف عليها مرداس بن ابي عامر السلمي فولدت له يزيداً ومعاوية وعمرًا فجملة ابنائها اربعة بنين

« فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت معهم وهم رجال فحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هجرية واوصتهم من اول الليل قبل القتال وصية طويلة شجعتهم بها فلما اضاء الصباح تقدموا الى مراكزهم واحداً بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية امهم لهم في الليل حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم » فما اشبه الخنساء في هذا باولئك الاسبرطيات الشهيرات .

وتوفيت الخنساء في بداية خلافة عثمان سنة ٢٤ هجرية وكانت وفاتها في البادية .

ومما يؤثر عن الخنساء دلالة على مبلغها في البلاغة واللغة قصتها مع حسان ابن ثابت . ذلك انها عرضت يوماً في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم شيئاً من شعرها فقال لها « اذهبي فانت اشعر من كل ذات ثديين ولو لا ان هذا الاعمى انشدني قبلك (يعني الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم فانك اشعر الانس والجن » وكان ممن عرض شعره حسان ابن ثابت فغضب وقال — انا اشعر منك ومنها . فقال النابغة اجيبيه يا خناس . فقالت الخنساء لحسان : ما اجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الان . قالـ اجود بيت قولي

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت الخنساء « ضعفت افتخارك في ثمانية مواضع فقد قلت (لنا الجفنات) والجفنات ما دون العشر ولو قلت الجفان لكان اكثر . وقلت (الغر) والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان اكثر اتساعاً . وقلت (يلمعن) واللمع شيء يأتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان . وقلت (بالضحى) ولو قلت بالدجى لكان اكثر طرَّقاً . وقلت (اسياف) والاسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوف لكان اكـثر وقلت (يقطرن) ولو قلت يسلن لكانـ اكـثر . وقلت (دماً) والدماء اكـثر من الدم . فسكت حسان ولم يحر جواباً »

قال بشار : لم تقل امرأة قط شعرا الا تبين الضعف فيه فقيل له : او كذلك الخنساء . قال : تلك فوق الرجال .

ارجأنا الشروع في كتابة تاريخ حياة اعاظم الرجالـ الى الجزء التالي بالنظر الى ضيق المقام وقد ضاق هذا الجزء عن باب المرأة والعائلة ايضاً

جعبة الجامعة

حفظ النظر — رأس مال الانسان عيناه فلا اهم لديه من حفظ سلامتهما . واذا أردت حفظ عينيك فعليك بهذه النصائح

(١) لا تنم في مكان يقع منه نظرك على نور النافذة عند نهوضك في الصباح (٢) اذا وجدت في الصباح جفنيك ملتصقين فلا تفتحهما بالقوة بل امسحهما بلعابك ثم اغسل وجهك بماء قليل الحرارة (٣) لا تدلك عينيك وان شعرت بحاجتك الى ذلك (٤) لا تقرأ ولا تخط ثوباً وانت جالس امام نافذة او باب ينبعث منه النور اليك على خط مستقيم بل دع النور يأتيك دائماً من مكان عالٍ ويقع على جانبك الايسر (٥) لا تقرأ ولا تشتغل بشيء على نور ضعيف واذا كان النور كافياً واعترضك في قراءتك او في شغلك ما لا يقرأ ولا يعمل الا بالامعان الشديد فاترك ذلك بالحال (٦) لا تقرأ في الغسق (بعد غياب الشمس) ولا في ضوء القمر ولا اذا كنت السماء غائمة شديداً (٧) اذا انتقلت من الظلام الى نور شديد فلا تسرع الى القراءة بل انتظر حتى تالف عيناك النور . (٨) اجتنب جهدك ان تنتقل فجأة من النور الى الظلام (٩) ضع ورقة على مصباحك تعكس نوره الى كتابك من غير ان يقع على عينيك (١٠) لا تكن كصاحب هذه النصائح وناقلها فانهما يعرفان منافعها وقلما يعملان بها

مقدار ما يلزم للمتكلم والكاتب من الكلام — نشر حديثاً في الولايات المتحدة قاموس للغة الانكليزية جاء فيه ان كلمات هذه اللغة الانكليزية « والمتكلنزة » يبلغ عددها ٣٥٠ الف كلمة . ولكن الالسنة والاقلام لا تحتاج في التكلم والكتابة الى هذا المقدار من الكلام . فان شاكسبير اكثر الكتاب الانكليز استعمالا للكلام المألوف وغير المألوف كان يستعمل ١٦ الف كلمة فقط والشاعر ملتون كان لا يستعمل الا ٨ آلاف كلمة ويوجد اليوم رجل من كبار الكتبة لا يستعمل الا اربعة آلاف كلمة . اما غير الكتاب فلا يحتاجون في قضاء حاجاتهم الى اكثر من ٥٠٠ كلمة وفي بعض القرى الصغيرة لا يحتاج المتكلم الى اكثر من مائتي كلمة . ويكفي الانسان ان يعرف الفي كلمة حتى يكون قادرا على فهم الجرائد والكتب الادبية حق الفهم

شجرة باروميتر — في الاشجار شجرة تدل على الصحو وعلى المطر وهي شجرة المبس (Alisier) فان ورقها ذو وجهين مختلفين الواحد اخضر والثاني قطني ابيض . وهي فرنسوية في الاصل ذات زهر ابيض طيب الرائحة وثمر احمر طيب ايضاً . ودلالتها على الصحو والمطر في ورقها . فاذا رأيتها خضراء اللون كان ورقها في وضعه الطبيعي فخذ قضيبك واخرج بلا دثار اذا اردت فما عليك من باس اما اذا كانت بيضاء فان ورقها يكون قد انقلب دلالة على المطر فضع حينئذٍ قضيبك من يدك وتناول مظلتك .

كلمة هولاندية — في اللغة الهولاندية هذه الكلمة Alblasserdammerlantarenopstekersvrgaderinglokaal ومعناها قاعة الاجتماع لموقدي مصابيح ألبلاسردام . فلو اراد اللغويون ان ينحتوا لها كلمة عربية على الطريقة التي كان يشير بها صاحب جريدة الجوائب رحمه الله لكانوا يقولون فيما نظن

قاتاجتماموقديصابيسردام ...

هورا تركية — اعتاد بحارة اوروبا في اوقات سرورهم او عند استقبال ملوكهم ان يهتفوا « هورا » ثلاث مرات . وفي رأي جريدة برلينرزيتونغ ان هذه الكلمة ماخوذة عن التركية وانها فعل امر من المصدر التركي « اورانك » ومعناه القتل . وبيان ذلك ان الجنود التركية لما كان السلاطين يستعرضونها في القديم كانت تصرخ امامهم « اورانك » مشيرة بذلك الى المقتلة التي ستجريها في الاعداء بسطوة قائدها السلطان . وما زالت هذه العادة عند الاتراك حتى اخذها عنهم الروس فصارت عادتهم في الحرب ثم انتقلت منهم الى الالمان في سنة ١٨١٣ . والغريب ان الملوك ورجال السياسة قد يهتفون « هورا » عند شرب النخب على المائدة وهم يريدون بذلك ان « يحيي » الذين يهتفون له غير عالمين بانهم يدعون عليه ان « يُقتل »

بقر فلاسفة — في بعض ولايات روسيا يخاف الفلاحون اشد الخوف على عيون بقرهم من انعكاس نور الشمس اليها عن الثلوج الدائمة في تلك البلاد فيضعون على عيون البقر نظارات كبيرة من الزجاج الازرق يمنعون بها ان يصيبها داء

التهاب اغشية العين الذي تكثر الاصابة به في تلك الاطراف . فاذا مررت يوماً على قطيع البقر السارح حسبته فلاسفة كلت عيونهم من الدرس الطويل فوضعوا النظارات واذا شهدت هذه البقر تمد اعناقها الى الارض وترعى العشب حسبتها شامبوليون بنظارته الزرقاء يمعن النظر في الكتابات الهيروغليفية

عرابة مائة ولد — في قرية لانتون من اعمال انكلترا امرأة غنية تدعى مدام فلتشر تزوجت في الثامنة عشرة من عمرها ولما لم ترزق ولداً ارادت ان تكون عرابة جميع اولاد القرية فكلما ولد فيها ولد كانت تبتاع له اللفائف وتمنح امه عشرة جنيهات ثم تكون له عرابة في العماد . وقد بلغت في هذا العام السبعين وعمدت في الشهر الماضي الولد المائة فكان هذا العماد عيداً في القرية كلها .

لعبة في القرن الثامن عشر — وضع النساء الفرنسويات في القرن الثامن عشر العوبة يتسلين بها في السهرات والجمعيات وهي ان يقلن لاحد الرجال — افترض انك في زورق مع السيدة فلانه والسيدة فلانه وغرق بكم هذا الزورق فايهما تختار على الاخرى وتخلصها من الغرق . واتفق يوماً ان فتاة ركبت زورقاً مع امها ومعلمتها وكانت شديدة الحب لها فقيل للفتاة لو غرق بك الزورق الآن فمن تخلصين امك ام معلمتك ؟ فاجابت الفتاة بلا تردد — اخلص امي واغرق مع معلمتي .

وركبت يوماً مدام دي ستايل الكاتبة الشهيرة احد هذه الزوارق مع مدام ريكاميه البارعة الجمال وكان معهما رجل من اكابر الشرفاء جالساً في الزورق بينهما فقال متلطفاً — انا الآن جالس بين العقل والجمال . فاجابت مدام دي ستايل التي ما كانت تسكت عن شيء : — ولكن ليس لك واحد منهما .

المستر كراتز والنساء — قال المستر كراتز احد منشئي الجرائد في ولاية كونتاكي ان المرأة ضعيفة البنية بالنسبة الى بنية الرجل وهي لا تقدر ان تدافع عن نفسها اذا اراد احد الايقاع بها ولذلك كان من الواجب على كل امرأة ان تحمل شيئاً من السلاح اذا هي ارادت الخروج من بيتها ليلاً او شاءت ان تسافر وحدها الى مكان تريد السفر اليه . وقد نصح للنساء ان ينشئن جمعية تقوم بامر تعليمهنَّ حمل المسدسات واطلاق قذائفها بطريقة ان يكن قادرات على اصابة من يقصدن قتله وهو يظن انه اذا جرت النساء بموجب رأيه كان لا يمر عليهنَّ زمن طويل حتى يصرن قادرات على الدفاع عن الوطن مثل الرجال فينخرط عدد كبير منهنَّ في سلك الجندية وربما شيئاً فشيئاً يكون لهنَّ ان يقدن الرجال الى ساحة القتال وميدان الحرب والنزال « كوكب اميركا »

البطريرك الانطاكي — اتانا والجامعة تحت الطبع ملحقان برصيفتينا جريدة المحبة وجريدة المنار في بيروت يبشران العالم الارثوذكسي بانتخاب سيادة الحبر المفضال ملاتيوس دوماني مطران اللاذقية بطريركاً للكرسي الانطاكي فنهنئ البطريركية الانطاكية بغبطة بطريركها الجديد ونرجو ان تنال تحت رعايته كل نجاح وفلاح باذن الله .

الجراد — اعاد الجراد الكرَّة على بيروت منذ يوم الاربعاء الماضي وقد باتت جيوشه امس على الاشجار فحوّلت اخضرارها الى الاصفرار كما حوّلت وجه الارض كذلك وشوهد بعضها امس تغرز في الارض لالقاء بزورها وبيوضها وذلك بانها تبسط جناحيها بالارض معتمدة عليها ثم يخرج من مؤخرها مادة بيضاء قدر البندقة يعقبه جراب فيه البيوض وهو كالخنصر شكلاً وطولاً وعرضاً وقد عدت بزور احداها فبلغت تسعاً وتسعين ثم تموت وتبقى البزور في الارض ايام الحر نحو عشرين يوماً وفي الشتاء ضعفي ذلك الى ان تدب فيها الروح وتصبح قادرة على الطيران . اما البزور فهي على شكل حب الصنوبر صفراوية اللون الا انها ادق منها وتخرج ملتفة ببعضها محتبكة على شكل هندسي بديع

هذا والهمة مبذولة لجمعه واتلافه وقد ضربت الحكومة عشراقات على كل نفس يسلمها للدائرة البلدية او للمختارين ويأخذ بها وصلاً والاَّ فيلزمه اداء خمسين قرشاً جزاءً نقدياً . « ثمرات الفنون »

كتاب النجوى — اتانا من حضرة قدس الاب الفاضل الخور فسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي كراس صغير اودعه كتاباً باللغة الفرنسوية رفعه الى سيادة الاسقف كبرين من اساقفة كرسي رومية والكاتب الرسولي الاول ليبلغ سيادته عزمه على الاشتغال بكتابة كتاب في الصناعة والعلم والدين « عنوانه النجوى » ويطلب المساعدة المادية والادبية التي تمكنه من القيام بهذا العمل . فنرجو لحضرة الاب الفاضل تحقيق امانيه من خدمة العلم والادب هذه الخدمة الجليلة .

اخبار خارجية

انكلترا — يشتد الاعتراض على الميزانية يوماً بعد يوم صرّح وزير المستعمرات ان السبب في زيادة الثكنات العسكرية في جنوب الترنسفال تأهب هذه الجمهورية واعلن ان في عزمه قبول العريضة التي قدمتها النزالة الانكليزية في الترنسفال وقد طلبت الجرائد الانكليزية وجوب العمل في الترنسفال والا كانت عثرة في مستقبل افريقيا الجنوبية

فرنسا — منحت جمعية العلوم الادبية والسياسية الجائزة التي قدرها ١٥ الف فرنك المعينة لمكافأة اشد اخلاص واستبسال للقومندان مرشان مكافأة له على اجتيازه افريقيا من الغرب الى الشرق

احتفل في تونس باقامة تمثال لجول فري الذي دفع فرنسا في حلبة الاستعمار وقد شهد الاحتفال المسيو كرانزوزير الاشغال العمومية وكثيرون من النواب الفرنسويين

ثبت ان في استطاعة المسيو ماركوني صاحب اختراع التلغراف بلا سلك ان يراسل ايّة سفينة في البحر واي مكان في البر من غير ان تؤخذ رسالته من مكان آخر .

روسيا — يقال ان روسيا استولت على ميناء في خليج العجم والغالب انه ميناء بندر عباس . وقد قالت الحكومة الانكليزية انه لم يصلها نبأ عن هذه الاشاعة

وُقع في بطرسبرج على عهدة الاتفاق بين روسيا وانكلترا بشأن الصين فكان لذلك دوي في الاندية السياسية الاوروبية لانه يبعد العدوان بين الدولتين وهو ما كان يخشى منه على السلم في خلال الحوادث الصينية الماضية . اما تفاصيل الاتفاق فلم تعرف تماماً بعد .

الولايات المتحدة — اتهم الشعب زنجياً بقتل صاحب مزرعة والاعتداء على امرأة فهجموا عليه واحرقوه حياً

استولى الاميركيون على كالومبيت معسكر الجيش الفيليبيني بعد معركة شديدة كانت فيها خسائر الاميركيين قليلة وخسائر الفيليبينيين عظيمة . وقد ارسل هؤلاء ضباطاً لطلب الهدنة وابقاف الحرب فقال لهم الجنرال الاميركي انه يجب عليهم التسليم اولا وبعد ذلك يعطيهم الهدنة ويوقف الحرب فبقيت الامور على حالها

المانيا — القى الكابتن كوجلان قائد الطراد راليه خطباً في مدينة نيويورك ذكر فيها نص الرسائل البرقية التهديدية التي ارسلها الاميرال ديواي الى الاميرال الالماني حين وقعة مانيلا . ثم فاه بقصيدة هجو وقذف على امبراطور المانيا فتاً ثر اهل الولايات المتحدة من ذلك لانهم استنتجوا منه ان الحكومة الاميركية تخفي عنهم حقائق الامور . واحتج سفير المانيا احتجاجاً شديداً على سلوك الكابتن فاجمل وزير الخارجية ملاطفته والاعتذار له ثم وبخت نظارة الحربية الكابتن وكتب هو يعتذر الى نظارة الحربية فانتهت بذلك الحادثة .

النمسا — صرح رئيس وزارة هنغاريا في مجلس النواب ان النمسا لا تنوي الآن الاستيلاء على ارض في بلاد الصين

ايطاليا — وصل اسطول المانش الانكليزي الى ساساري للتسليم على ملك ايطاليا والملكة قرينته عند زيارتهما لسردينيا وذلك مقابل تسليم الاسطول الفرنسوي عليهما في كالياري . وقد تبودل شرب النخب بين الملك واميرال هذا الاسطول بعبارات شديدة الوداد واستعرض الملك الاسطول الانكليزي

قال الاميرال كانيفارو في مجلس الشيوخ الايطالي ان فرنسا وانكلترا قد تعهدتا باحترام طرابلس الغرب

بلجيكا — اعتصب ١٠٠ الف عامل من عملة بلجيكا واضربوا عن العمل فحشد الجند مخافة ان يعمدوا الى العصيان

سيام — وصل المسيو دومر حاكم الهند الصينية الى بنكوك فاستقبله ملك سيام استقبالاً حافلاً وتقول جريدة الفيغارو انه قد جرى بينهما البحث في امر معاهدة على استخدام الفرنسويين في الاشغال العمومية وتعليم اللغة الفرنسوية في المدارس .

اليونان — حدثت زلازل في شبه جزيرة الموره فخربت بيوتاً ولكن لم يقتل احد .

كريت — صادق المجلس المنعقد في رومة برئاسة الاميرال كانيفارو وزير خارجية ايطاليا وعضوية سفراء روسيا وفرنسا وانكلترا على الدستور الكريتي الذي عرض عليه غير انه حذف منه ما جاء فيه من ان للجمعية الكريتية حق انتخاب خلف للبرنس جورج ولما رُدّ هذا الدستور الى الجمعية العمومية الكريتية صادقت عليه ولم تعترض على هذا الحذف

غذاء المعد القوية

اربع من خصال الجهل. من غضب على من لا يرضيه وجلس الى من لا يدنيه وتفاقر الى من لا يغنيه وتكلم بما لا يعنيه (الامام علي)

اذا رأيت عيباً من اخيك فان كتمته عنه فقد خنته وان قلته لغيرك فقد اغتبته وان واجهته به فقد اوحشته (حاتم الزاهد)

اشد الناس بلاء واكثرهم عناء من له لسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يستطيع ان يسكت ولا يحسن ان يتكلم (حكيم)

انما يجتنب الحكيم العاقل الناس واجتماعاتهم لئلا يلقى فيها ما يكدر صفوه (لابرو يير)

ارى مدينة من رابية قريبة منها. الاشجار تكتنفها فتمنع عنها الرياح الباردة . حول اسوارها ينساب نهر ثم يصب في مروج عامرة. سماؤها صافية وابراجها شاهقة وقصورها نظيفة منظمة. فيشوقني منظرها وترتاح نفسي الى السكنى فيها. فاقصدها وادخلها. غير اني لا ابيت فيها ليلتين حتى اخرج منها مهرولاً لاني لا اريد ان اكون كاهلها (لابروبير)

يضر الانسان ان تريه ما في نفسه من العظمة من غير ان تريه ما فيها من الدناءة كما يضره ان تريه ما فيها من الدناءة من غير ان تريه ما فيها من العظمة (باسكال)

للتكلم انواع . فمنها حسن اختيار الكلام وطلاقة اللسان في الكلام . والصدق في الكلام . وحسن الذوق في الكلام . ومن هذا النوع الاخير ان لا تتكلم عن قوة بنيتك امام المرضى . ان لا تصف مائدتك امام الذين لا يملكون خبزاً . ان لا تتكلم عن اثاثك وارباحك واملاكك مع من لا اثاث ولا ارباح ولا ملك له . وبعبارة واحدة ان لا تذكر سعادتك امام التعساء (لابرو يير)

لا يوجد نساء غيرنا نحن الاسبرطيات يحكمن رجالهن لانه لا يوجد نساء غيرنا يربين رجالاً (امرأة ليونيداس)

كم من الاباء يحسبون انهم متى دفعوا اجرة التعليم للمعلم قاموا بواجب تربية بناتهم (مدام برنيه)

غرض التربية انماء كل ما في الانسان من القوى (فنت)

اذا دخلت الفتاة الى العالم فلا ترى فيه غير ما يزيد غرورها وهكذا تمنعها جلبة التمدن القائمة حولها من سماع صوت باقي الامور الطبيعية (فولتير)

اذا رحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فهم الراحلون (ابو الطيب المتنبي)

غذاء المعد الضعيفة

بين والد وولده : اصحيح يا ابتاه ان محبة المال هي اصل كل بلايا البشر — نعم يا بني ولذلك يجب ان لا نترك لهم منه شيئاً اذا قدرنا

ثقيل السمع : زار رجل ثقيل السمع سيدة فشكت اليه اولاً انحراف صحتها وصحة ابنتها . فتأوّه الزائر واسف لذلك ثم قالت له و يسرني ان ابلغك انه قد تقرر عقد زواجها في الشهر القادم . فاجاب الثقيل السمع — ارجو زوال هذا العارض

بين صديقين : أؤكد لك ان فلاناً لئيم ولا يعاشره الا اللئام — انت تبالغ وهل تعرفه — كيف لا وهو من اعز اصدقائي

طبيب ومريض : انا مديون لك بحياتي ايها الدكتور وحاشا ان انسى فضلك — لا تبالغ يا عزيزي فلست مديوناً لي الا بخمسة جنيهات اجرة زياراتي فهذه ارجو ان لا تنساها

قاضي وامرأة : ثبت لدى المحكمة ايتها الامرأة انك شاركت رجالك في كثير من سرقاته — نعم اما أمرت المرأة ان تخضع للرجل وتفعل فعله

رجل ومصور : لماذا انت عابس تبسم ياسيدي لتكون صورتك بشوشة — لا لا ياسيدي فاني سأرسل هذه الصورة الى امرأتي التي ارسلتها تقضي بضعة ايام بعيداً عني فاذا رأت على وجهي السرور عادت اليَّ بالحال

ام وولدها : لا اسكت عن البكاء حتى تعطيني فرنكاً اشتري به قرداً — ولكن لدينا قردٌ — واين هو — انسيت انك قرد ونصف بالفريد — حسن فاعطيني اذاً نصف فرنك لاشتري بندقاً لهذا القرد

اجمل شاب : ارادت سيدة نبيهة ان تري بعض الشبان شدة غرورهم فقالت في جمعية حافلة بالرجال والسيدات — اني ارى لطخة سوداء على قميص اجمل شاب في هذا المجلس . فلم يبق شاب حتى نظر في قميصه

توأم : ما اسمك يافتى — لا اعلم — وكيف لا تعرف اسمك — كنا توأمين انا واخي الذي مات وكنا نسمى حنا ويوسف فاذا كان الذي مات يدعى حنا فاسمي يوسف واذا كان يدعى يوسف فاسمي حنا

فتهلل صاحب الصحيفة لما وقع نظره على الفئة الثانية ورأى في وسطها بطرس يسلم على من حوله فدنا منها من غير ان يعرج على الاولى فاخذ يد بطرس وسلم عليه ثم القى في اذنه هذه الكلمات ـ انا فريد رسول الخواجه حنا · فاشرق وجه بطرس وسلم عليه مرة ثانية فالقى الرجل مرة ثانية في اذنه ـ ودّع مَن حولك وهيا بنا الى القهوة

فاطاع بطرس بالحال وفيما كان يمد يده ليودع من حوله كان اميل قد جلس في مركبة مع رجل كهل وفتاة حسناء وجرت بهم المركبة الى داخل المدينة

هذا ولا نصف السرور الذي شمل المسافرين والمستقبلين حين التقائهم في ارض الغربة فاننا لم نشهد لقاءهم لنصفه اذ كنا في حانة حنا بطرس الى حيث نحن عائدون الآن

الفصل الرابع

في الحانة

عاد صاحب الصحيفة ببطرس الى القهوة فاخذ كل منهما كرسيًا وجلسا الى مائدة كانت في احدى زوايا المكان · وكانت الحانة قد غصت من جديد بالزائرين وتعالت فيها ضوضاؤهم مما كان يجعل الاثنين في مأمن من ان يسمعهما منصت الى حديثهما اذ هذه الضوضاء قد تكون افضل في كتم الحديث من خلو المكان · وليسمح لنا القارىء الآن ان نعرفه بالرجل صاحب الصحيفة · والذي نريد ان نعرفه به من هذا الرجل سحنته لا اخلاقه اذ يكفي ان نصف له سحنته ليعرف منها اخلاقه

فقد كان فريد رجلاً في الخامسة والثلاثين او الاربعين من العمر قصير القامة دقيق العضل نشيطًا في حركته بالرغم عن سنه · وكان ضيق الجبهة تحتها عينان صغيرتان غائرتان تلمعان كأن كلاً منها خرزة صغيرة ركبت في ثقب صغير · اما وجهه فقد كان نحيلاً كجسمه ولكنه كان مصبوغًا بصفرة شديدة لا يعرف اذا كانت صفرة مرض او صفرة طبيعية · وكان ذا انف منتفخ حوله وجنتان غائرتان تهتزان فوق اضراسه بحركة ألفها الرجل فكان يأتيها كل ما كان يفكر في امر ذي بال · وتحته فم واسع دقيق الشفتين وراءهما اسنان تحكي صفرتها صفرة الوجنتين

هذه صفة فريد بالاجمال · اما بطرس فقد اسمعنا القارىء الى الآن صوته ولم نره بعد سحنته لذلك نصفه له بكلمتين

لقد كان بطرس على عكس فريد في سنه وتركيب خلقته · فانه كان شابًا في الخامسة والعشرين ممتلىء الجسم طويل القوام واسع الجبين مفعم الوجه محمر الوجنتين نظيف الاسنان متناسب الاعضاء

وكان بين الاثنين بون آخر وضعي غير البون الطبيعي · فقد كانت ملابس فريد غير مرتبة ولا نظيفة والذي يتأمله من قريب يرى فيها اهمالاً ظاهرًا اما بطرس فقد كانت ملابسه غاية في الترتيب والنظافة لانه كان من طائفة الشبان الذين لا يدعون انظار الحسان تقع منهم الا على نظيف ومرتب وجميل · وغني عن البيان اننا نقصد هنا نظافة الخارج وترتيبه وجماله اما الباطن فلا ننظر فيه الآن

هذا وصف الاثنين بالاجمال على ان في الحوادث الآتية احسن وصف لهما اذ مهما اسهبنا في هذا الوصف لا نبلغ فيه مبلغ حوادث يوم في الدلالة على اخلاق الرجلين لذلك نترك الحوادث المقبلة ان تكمل هذا الوصف الناقص

ولما جلس فريد وبطرس الى المائدة افتتح فريد الحديث بغتة فقال

— هل نظرت ما كان اجملها اليوم

فبهت بطرس وقال متلجلجًا

ـ مَن تعني بكلامك

فضحك فريد وقال : اعني من تعلم اني اعنيها · اتظن انني غفلت عن نظراتك اليها

فضحك بطرس وقد صبغت وجهه حمرة الضحك لا حمرة الحياء واجاب : اذًا انت من بداية الامر رقيب

— كلاً لست رقيبًا ولكني مساعد · لا تتلجلج ياخواجا بطرس ولا تكتم عني شيئًا فاني واقف على كل شيء حتى على وصول رسمها اليك · وقد قلت لك اني رسول زوج خالتك الخواجا حنا واظنه قد ابلغك قبل سفرك من لبنان ان تعتمد عليّ حين وصولك الى هذه البلاد فانا ياسيدي خادمك وصديقك ابذل في سبيل خدمتك كل ما في استطاعتي ولو كان في جسمي هذا الاصفر النحيل من الدم ما يستحق الذكر لقلت لك اني ابذله في سبيلك

— شكراً لك على غيرتك وصدق ودادك واذا كنت قد تلجلجت كما رأيت فما ذلك عن عدم ثقة فيك ايها الصديق ولكن عن رغبتي في ان لا اظهر امراً اكون فيه خاسراً فان عزة نفسي تأبى ذلك وما كنت لابغي أمراً واعود عنه خائباً

— لاتخف فلن تعود خائباً باذن الله فان خالتك الست وردة قد ابلغتني من فمها ان هذه الابنة لا تكون الا لك وقد حملت زوجها الخواجه حناشقيق الخواجه بولس ان يستعمل كل نفوذه لاقناع اخيه في اختيارك دون سائر الشبان الذين يتزاحمون للوصول اليها . واظنك لا تجهل ما لحنا من النفوذ لدى اخيه وقد استدعاني امس اليه وخلا بي مع زوجته وقال لي ما يأتي — بطرس قادم غداً طبقاً لكتاب ورد منه وقد كنت احب النزول الى البحر لاستقباله او ان ارسل على الاقل خالته تستقبله الا انني لا اطيق ان ارى « المعلم البارد » القادم في جملة القادمين معه واذا نزلت خالته فانها ستكون مع اخي وابنته في مكان واحد فيضطر بطرس الى مقابلة ماري وانا غائب وهذا لا أريده لاني اريد ان يلتقيا في حضوري . فاذهب انت ونب عنا في استقباله وجئنا به

— عرفت الآن امراً كنت اجهله فانني عجبت جداً من اني لم اجد في جملة المستقبلين خالتي او زوجها

— نعم هذا هو السبب في ذلك . وقد عهد الى زوج خالتك ايضاً ابلاغك ان تجتنب مقابلة الخواجا بولس حين وصولك وان تظهر عدم اكتراثك به فابطأت في النزول لاستقبالك لذلك لا اعلم ما تم بينك وبينه

— وهل كان عالماً اني قادم الى هنا

— كلاّ فان اخاه لم يطلعه على ذلك انما خالتك قالت لماري في حديث بينهما انها اي ماري سترى في هذا الشهر شاباً لبنانياً من افضل اللبنانيين فتوردت وجنة ماري ظناً منها انها تتكلم عن صاحبك المعلم اميل . ثم قالت خالتك وهي تنظر اليها من طرف خفي . والمظنون ان هذا الشاب قادم لامر خطبة وزواج فقد قدم اليهِ عشرون بنتاً من بنات لبنان وسوريا فلم يرَ واحدة تستحق قلبه فقصد السفر الى هذهِ البلاد ليأخذ منها عروساً له . وكانت خالتك تتكلم وماري يشتد احمرار وجهها حتى كاد يتبوغ الدم من وجنتيها . فظنت خالتك ان ماري قد فهمت معنى كلامها عنك فكان ذلك سبب خجلها ولم نعلم السبب الحقيقي الا منذ اتانا كتابك الذي تقول فيه ان المعلم اميل قادم معكم فتحققنا حينئذ انها كانت عالمة بقدومه . والآن رغبة في الاختصار احصر موضوعنا في نقطة واحدة وهي : يقدرون ثروة الخواجه بولس بخمسين الف ليره (جنيه) ولا وارث له غير ابنته ماري لان اخاه غني وهو اي الخواجه بولس يريد ان يكون كل ماله لصهره ولابنته ومن العدل والحق والحقوق العائلية ان لا ينال هذه الثروة الطائلة الا احد افراد العائلة وانت كواحد منها لانك من اقرباء الخواجه حنا فمن الواجب ان تكون مقدماً على كل من سواك . اما العقبات التي في طريقنا فسنجتازها باذن الله وهي اثنتان — رضى الأب وحب الابنة

— واي حب تعني

— لا يثقل عليك كلامي فانك لا تجهل ان قلوب البشر ضعيفة وبالخصوص قلوب هؤلاء النساء التي قد تملكها صغائر الامور دون كبائرها . واين مثل شبابك الغض وادبك الباهر وغناك ووجاهة عائلتك ولطف معشرك من حالة هذا المعلم المتكبر الثقيل الخامل البارد الذي لا يعرف من الدنيا غير القلم والكتاب . ومع ذلك فانها تحبه ولا يثقل ذلك عليك فانه حب ما خلق الا ليقتل في صدر صاحبه . ومتى قتلنا هذا الحب وغرسنا مكانه حب شاب كريم النفس مثلك لم يبق علينا الا رضى الأب ولكن ما هذا صعب علينا فان الخواجه حنا كفيل باقناع شقيقه والصعب الآن اقناع ماري واجتذاب قلبها

والذي جعل الخواجه حنا شديد الرغبة في ابعاد اميل عن ابنة اخيه ما عدا رغبته في ان يراك زوجاً لها هو ما سمعه احياناً من الخواجه بولس من انه سيعمل يوماً عملاً لم يعمله شرقي قط . واذ سأله ما هذا العمل اجابه بان ماري تذكره له فسألها عنه فذكرت له تفاصيل عمل يضحك الثكلى ولم اعِ منه غير انشاء معمل وفتح مدرسة وتفريق اموال . ومعلوم لديك ان المعلم اميل هو الذي وضع هذه الافكار في دماغ ماري اذ كان يعلمها في صغرها وهي نقلت هذه الافكار الى ابيها . وفي العمل بهذه الاراء السخيفة تبديد مايملكه الخواجه بولس من المال فاذا عقدت بين اميل وماري صلة القرابة لم يرجعهما احد عن تلك الافكار الصبيانية فتتبدد ثروة الخواجه بولس ولذلك يرغب الخواجا حنا في ابعاد هذين الطائشين الواحد عن الآخر . وقد حضرت منذ ثلاثة ايام مجلساً دار فيه الحديث على تلك الاحلام التي مرَّ ذكرها فادهشني جنون البشر وجهلهم ولكن خل عنا هذا الان واستمع مني هذه الكلمات فقد اطلنا انتظار

خالتك

١ انك لم تأت هذه الديار لتبحث عن شغل لك لانك غني بحمد الله عن كل امر وانما جئت تروح النفس وتشاهد عجائب اميركا وتأخذ لك من بناتها اذا امكن فتاة تقاسمك السراء والضراء

٢ انك لا تتزلف الى الخواجه بولس بامر من الامور واذا رأيته فاظهر انك لا تراه واذا وقعت عينك على عين ماري فعدم الاكتراث التام

٣ تظهر انك تساعد الفقراء كثيراً وتزور المستشفيات كثيراً بقدر ما يمكنك فان هذه الغريبة الاخلاق ماريه شديدة الحب والاحترام لهذين الامرين وهي تنفق في سبيلها ما لا يحصى من الاموال

٤ تحت بيت الخواجه بولس مخزن اميركي للبضائع كبير في جملة الفتيات المستخدمات فيه فتاة تلبس ثوباً اصفر دائماً الا يوم الاحد فانها تلبس ثوباً ابيض وساذهب بك غداً الى هذا المخزن بحجة اننا نريد ان نشتري شيئاً فاظهر كل لطف واحترام لهذه الفتاة وكن امامها غير خفيف الرأس فانها شديدة النقد للرجال وهي رفيقة ماري وصديقتها الحميمة من بين بنات نيويورك كلها الوطنيات والاميركيات وسأقول لك ما يجب صنعه بعد ذلك

خامساً واخيراً — تجاه هذا المخزن الى جانب بيت الخواجه بولس فندق اميركي كبير يكون نزولك فيه الى اجل مسمى فان هذه ارادة خالتك

هذا ما يجب عليك ملاحظته وكان عليَّ ابلاغك اياه وما على الرسول الا البلاغ فقم لنأخذ الآن امتعتك الى هذا الفندق ونذهب بعد ذلك الى منزل خالتك

الفصل الخامس

ما كل السبل سهلة

بات اميل وبطرس تلك الليلة في مدينة نيويورك العظمى فناما بشيء من الراحة والاطمئنان بعد ما قاسياه من اهوال الاوقيانوس وامواجه الهائلة . ولكن ما جرى لباقي رفاقهما من اللبنانيين والسور بين القادمين معهما ؟

طريق الحياة ليست كلها مفروشة زهوراً والاماني خداعة ان لم تكن قتالة والحظوظ كتب في تقسيمها ان لا تكون على السواء بين بني حواء

فان رفاقهما لم تكن الطريق في وجوههم سهلة كما كانت في وجه اميل وبطرس . ولما كان اميل يركب المركبة بجانب الكهل والحسناء وبطرس يهز ايدي الذين حوله حتى يلحق بالرجل الذي جاء يأخذه كان معظم المسافرين يتأملون مبهوتين في ذلك التيار العظيم تيار الحياة وزحامها الشديد الذي القوا بانفسهم اليه فكانوا اشبه بجنود أُرسلوا الى ساحة الحرب فلما وصلوا اليها ابصروا انهم بلا سلاح او بسلاح ضعيف واهن يتحطم في ايديهم عند الصدمة الاولى . وودَّ كثيرون منهم لو عادوا الى بلادهم وندم كثيرون على سفرهم منها اذ رأوا قواهم غير كافية للقيام بذلك الصراع الشديد الذي قدموا له من اقصى المشرق وعبروا الاوقيانوس من اجله . لذلك كانوا مبهوتين ساكتين يخاطبهم مستقبلوهم فلا يجيبونهم الا باجوبة مقتضبة لان عقولهم ليست معهم بل وراءهم حيث خلفوا اهلهم واولادهم اما امامهم فما كانوا يرون غير ذل الغربة والتعب الشديد وتوقف الرزق على تصاريف الزمان فضلاً عن خوف العودة بخفي حنين صفر الايدي والوطاب

فما كان اغنى هذه الفئة الضعيفة عن التشبه بالفئة القوية والسفر الى تلك الاقطار الشديدة الزحام فان ضعفها يزيدها ضعفاً . ولو كان سفرها الى مستعمرات لدولتها تتدرب فيها على استثمار الارض كما يصنع المهاجرون الفرنسويون والانكليز في مستعمراتهم لكان عملها جديراً بالثناء اما سفرها الى ارض اجنبية من غير ان تملك ايديها ما يكون مداراً لعمل تعمله ونفوسها ما يبعث فيها القوة على احتمال الحياة وزحامها وبعبارة اوضح من غير ان تربى التربية الاستعمارية التي يربى بها في الامم الاستعمارية الذين يراد ارسالهم الى المستعمرات — من غير ذلك لا نفع لتلك الفئة الضعيفة من اتعابها في ارض الغربة بل قد يكون لها فيها من المتاعب والاضرار والشرور ما لا يخطر ببال

وانظر الفرق بين الفئة الضعيفة والفئة القوية في هذا الحادث الصغير . فانه بينما كان اكثر رفاق اميل وبطرس متفرقين في الفنادق الصغيرة او في بيوت بعض اصدقائهم سهارى اكثر الليل من الوحشة وخوف المستقبل كان اميل وبطرس راقدين رقاداً لطيفاً هذا في الفندق الذي اخذه اليه فريد وذلك في غرفة جميلة في منزل الخواجا بولس . أُولئك ملء قلوبهم الوحشة وهذان ملء صدريهما الامل والرجاء

الجامعة العثمانية

الله والوطن

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في ١٥ مايو (ايار) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٥ محرم سنة ١٣١٧

باب المقالات

العدل والامن

والثروة

تأثير الحكام

اذا كنا قد القينا في الجزء السابق اكثر التبعة في تأخر الشرق — واكثر القراء يعلمون اي شرق نعني — على حكامه فقد اردنا بذلك امرين لا ثالث لهما . واذا كان لها ثالث فهو ولا شك غير الوقيعة وكشف المعائب وستر المحاسن لان كل ذي حكم صحيح اصبح عالماً بعدما قرأ في الجامعة ان تلك الامور القبيحة من اكره الامور اليها

وما عدا هذا فاية وقيعة يخشى من شرقيين صحيحي الشعور يتكلمون عن حكومتهم وبلادهم . عن حكومتهم التي يعرفون انه يجب عليهم الامانة لها باطناً وظاهراً في السراء والضراء وعن بلادهم العزيزة التي هي منبت اسلتهم ومنشا شبابهم ومدفن آبائهم واجدادهم . انهم اذا قالوا قولاً جاء شديداً فانهم انما ينطقون عن غيرة شديدة وحب شديد فمثلهم في ذلك مثل ابن مخلص يكلف اباه ان ينظر في حال البيت وان كان الأب احسن منه معرفة بحقيقة حاله

كلا ما اردنا الوقيعة فيما اوردناه عن حكام الشرق في الجزء الماضي وانما اردنا امرين لا ثالث لهما كما قدمنا . الاول بيان ان الامة مستعدة لكل ارتقاء ويكفي لاصلاح حالها ان تصلح حال حكامها . والثاني تسكين الافكار الثائرة والخواطر الفائرة التي تتصور الاصلاح في بلاد الدولة نهراً او انهاراً من الذهب تشق في ارضها وروحاً متى نودي به دبّ في البشر والشجر حتى في الحجر فيشغلها هذا التصور عن كل شغل لها

وفائدة الامر الاول انه يذهب بما يخامر قلوب الشرقيين من اليأس والقنوط فيريهم انهم امة حية بعقل وقوة كسائر الامم لا ينقصكم الا صلاح حال حكامكم . وفائدة الأمر الثاني انه يزيل الوهم ويثبت الحقيقة وهي احتياج الشرق الآن الى "حكام افاضل" لا الى قوانين جديدة ونظامات جديدة فان هذا هو الاصلاح الواجب الآن ادخاله الى الهيئة الشرقية

ولما كنا قد وعدنا في الجزء السابق ان نأتي بالتفصيل بعد هذا الاجمال فنقول

لا خلاف في ان اهم الواجبات الاولية على كل دولة كبيرة او صغيرة امران . اولهما تنظيم ماليتها وثانيهما حفظ الامن في داخليتها واقامة العدل في رعيتها . فاذا كان لها الامر الاول

استغنت عن الاستقراض من الاجانب فامنت تحكمهم وسدت طريق المداخلة بامورها في وجوه دولهم وانفقت من ميزانيتها عن سعة على عمالها فقطعت سبباً من اهم اسباب الفساد وسعت الى تعزيز جيشها وانماء قواها المادية والادبية بالطرق التي تريدها فهي في هذه الحالة صاحبة بيتها لا منازع لها فيه

واذا كان لها الأمر الثاني نشط افرادها الى العمل والصعود في مراقي الارتقاء اذلا حائل يحول دونهم ولا سد في وجوههم فتتبارى الهمم في الزراعة تنشئ طرقها والتجاره تمهد سبلها والصناعة تجوز صعابها والمعارف ترد موردها العذب فتصلح بذلك حالهم وحال حكومتهم معهم وتدب فيهاتلك الروح السماوية التي يسمونها السعادة السياسية

هذا اهم ما يجب مبدئياً على كل دولة لنفسها ولامتها وهو واجب الآن على شرقنا فكيف بلوغه والوصول اليه ؟ لانجهل ان الطرق اليه متشعبة ولكن هنالك مع هذا التشعب جادة كبيرة توصل اليه وهي « حسن اختيار الحكام »

وهنا نترك الاراء والظنون ونعمد الى الحقيقة الواقعة فنورد للقراء شاهداً حقيقياً على صحة هذا الأمر . ولا نسمي الامكنة والاشخاص لان غرضنا تأييد قول بدليل لا المدح والثناء

على شواطيء البحر المتوسط بلدة صغيرة كان لها في السنوات الماضية صلة تجارية شديدة بالقطر المصري وخصوصاً بثغر الاسكندرية . اضطررنا منذ سنوات الى زيارتها فراقبنا مدة شهرين سير الاحكام فيها وعلاقة عناصر سكانها بعضها ببعض فرأينا فيها اموراً ادهشتنا وتدهش كل عالم باحوال بعض البلاد السورية

فقد كان رأس الحكومة المحلية هنالك في ذلك العهد شيخاً لينا في جسمه ولكن شديداً في عزمه سديد في رأيه . يكفي في الدلالة على صفاته ان نقول انه كان له شيء كثير من صفات ذلك «المستبد العادل» الذي مر وصفه في الجزء الرابع . وليس غرضنا ان ننظر اليه الا من الوجوه التي اشرنا اليها وهي « مالية الدولة وحفظ الامن واقامة العدل » وهي اهم ما يجب لقوام الملك دلالة على ما يكون للحكام من التأثير في خفض الملك ورفعه

اما الماليه فبسبب قلة موارد تلك البلدة لم يأت فيها امراً عظيماً ولكنه ادخل اليها مبدأً جليلاً لو عمل به كل حاكم في كل ولاية لاتى بالنتائج العظيمة . ذلك انه امعن النظر فرأى ان ضروب الشدة لا تجدي نفعاً في جباية اموال الحكومة لان هذه الشدة اذا ملأت خزانة الحكومة بالمال اخلت نفوس الرعية من الراحة وقلوبها من الحب والاحترام فاخذ يسعى في درّ اخلاف السعة والثروة على الرعية لتستفيد الحكومة والرعية معاً

وكان وراء تلك البلدة قبائل لا مسلمة ولا مسيحية وقلما كانوا يعرفون للحكومة سلطة وهم يسكنون بلاداً لم تكن عملت فيها يد متمدنة فيها الجبال والاودية والاحراش الملتفة فصرف همه الى ادخال هذه القبائل في الدين الاسلامي وفتح المدارس لها وتعليمها اصول الزراعة وانتقاء بذورها لها ودينها الاموال حتى تنفقها على زراعتها . فحسن حالها وبذلك افادها وافاد البلدة اذ وسع نطاق تجارتها وزراعتها وافاد خزانة الدولة بما اخذته من الضرائب عن تلك الزراعة الجديدة

ولو لم يكن غير هذا لما جاز ان نتخذ هذا الحاكم مثلاً . فان اهم شيء كان في منصبه حفظ الأمن في تلك الجبال والاودية والاحراش الواقعة وراء مركزه وكانت قبل مجيئه فوضى اذ لم يكن قبله من يستطيع حفظ الأمن فيها

واتفق اننا سرنا في تلك الجبال في ظلام الليل الدمس فاقمنا نصوب ونصعد في تلك الاحراش الملتفة والجبال الشاهقة والاودية الغائرة مدة اثنتي عشرة ساعة ولا انيس معنا غير نسيم الليل البليل وهدوء الظلام وحفيف الاوراق ورائحتها الصنوبرية الطيبة ونور ضئيل منبعث عن مصابيح السماء المتألقة فوقنا ومكار واحد يسوق البغلة وهو يحدثنا تارة ويحدو بغلته طوراً ويترنم بصوته الجهوري تارة اخرى . وما كان حديثه الا قوله في كل بطن واد ومرتقى جبل « هنا في هذا المكان كانوا يذبحون المسافر ذبح الغنم » « هنا شنقوا ثلاثة وسلبوا ما معهم » « هنا كان لا يمر انسان حتى يرى اثنين واقفين له بالمرصاد » . وما زال يعدّد من هذا الكلام كقائد يعدد المواقع في ساحة القتال . . حتى انتهينا الى ينبوع وسط سهل وحوله حقول مزروعة بالذرة فقال الرجل « هذا النبع كان يدعى نبع اللصوص لانه كان مجتمعهم في الليل » لكنه ما اتم كلامه حتى سمع حفيف شجيرات الذرة فالتفتت البغلة والتفت صاحبها وتبين موضع الصوت ثم قال ضاحكاً « لا خوف علينا فبانظار افندينا نحمل الذهب على كفوفنا ونسير به في الظلام » ثم سرنا حتى قربنا من مقصدنا وقد اخذ النعاس منا كل مأخذ والفجر لا يزال بعيداً فيممنا اعشاباً في عرض البر فاستلقينا عليها فراشنا الارض وغطاؤنا السماء وحارسنا الله في العلى وحاكم تلك المدينة في منزله

هذا كلام لا يحتاج الى شرح وبرهان . فلندع الامن

ولننظر في العدل

« العدل اساس الملك ». ما احلاكِ ايتها الكلمة الشريفة وما الذكِ في السمع واطيبكِ في القلب وابهاكِ واجملكِ في العين . نعم العدل اساس الملك لانهُ اساس النظام وقاعدة الاتحاد ودعامة الحق . حيث يسود العدل لا يجد شيطان الشقاق مساغاً ليدهِ الاثيمة . العدل بلسم يشفي جميع الجراح حتى ابعدها غوراً . اذا رأيت بلدة عناصرها على اتفاق ووئام فقل ان حاكمها رجل عادل ولا تخشَ تكذيباً

وهكذا كان في مدينة . . . سبق القلم وكدنا نسمي هذه المدينة . ولكن فلندعها كالبنفسجة بين العشب متواضعة تخرج رائحتها ولا ترفع رأسها . هكذا كانت عناصر الامة تحت يد ذلك الحاكم العادل في تلك المدينة

خلونا مرّة باحد ادباء المسيحيين في تلك البلدة وكان سفرنا اليها من بلدة تجيش فيها مراجل الجهل والشقاق . فسألناهُ كيف حالكم هنا وذكرنا لهُ شيئاً عن حال البلدة الأخرى . فقال — حالنا السياسية نحسد عليها . فاننا نحن واخواننا المسلمون على اتفاق تام لا يفضلوننا ولا نفضلهم ولا يشكون منا ولا نشكو منهم العدل قائم بين الجميع على السواء وكل يشتغل بنفسهِ لنفسهِ لا شقاق ولا نفار ولا نزاع فان يد حاكمنا قوية تضرب بعصا من حديد كل من يحيد عن سواء السبيل

هذا ما كان من تأثير الحاكم « المستبد العادل » في بلدة صغيرة في خلال سنتين او ثلاث سنوات . ثم انتقل هذا الحاكم الى رحمة الله ورضوانه فانهدم في مماتهِ ما بناهُ رحمهُ الله في حياتهِ وصار المسافرون في تلك الجبال والاودية والاحراش يسيرون وايديهم على قلوبهم او قلوبهم على ايديهم من الخوف والجزع على ارواحهم واموالهم

قلنا ان اهم ما يجب لقوام الممالك تنظيم المالية وحفظ الامن واقامة العدل . وفي رأينا ان حكام الولايات والمتصرفيات والقائمقاميات والمديريات قادرون اذا كانوا اكفاء لمناصبهم ان يجروا على الامة ينابيع هذهِ الخيرات : العدل والامن والثروة

فبالعدل يجمعون قوى الامة كلها فلا يدعون لشيطان الفساد والشقاق مساغاً في جسمها

وبالامن يمكنون الامة من احياء موات الارض في بلاد لم يشقها محراث الحارث منذ قرون وقرون فتنتعش زراعة البلاد وتدعو الحاجة الى بناء سكك النقل فتنشأ السكك الحديدية وترتبط البلاد بعضها ببعض فتجري فيها حركة نافعة سواء كانت هذهِ الحركة من الداخل او الخارج وتدب فيها روح جديدة اذ تعطى اعمال الالوف وملايين من الايدي التي لا عمل لها الآن غير انتظار رحمة الله

ومتى دبت هذهِ الروح ودار دولاب العمل في الجهات التي اشرنا اليها خرجت الامة بسعة العيش ورخاء البال من هذه الدائرة الاجتماعية الضيقة التي تتخبط الآن ضمنها فتصح شعورها وصارت اكثر اهتماماً بالكسب والربح منها بالتنافر والتباعد وهو مبدأ يثبته جميع الساسة وعلماء الاجتماع . وبذلك تصبح الدولة اشد قوة لان رعيتها اصبحت اشد اتحاداً واكثر قوة . وتصير اكثر غنى وماليتها اكثر انتظاماً لان رعيتها اصبحت اكثر غنى واوفر ثروة وابسط في العطاء يداً

اعطوا الشرق حكاماً اكفاء لوظائفهم ينهض و يشب كما تشب الشجرة القوية في البستان . لذلك نعيد هنا ما قلناهُ في الجزء الماضي : الاصلاح كل الاصلاح في حسن اختيار هؤلاء الحكام

هذا وسنرفع في الجزء القادم بيد الاجلال والاحترام كتاباً مفتوحاً الى جميع حكام الشرق على وجه الاجمال والله المستعان

المنطق

تاريخه

(تابع لما قبله)

لحضرة الكاتب المجيد « المحجوب »

اول شيء يتبادر لذهن القارىء انا نريد « بالمنطق » المنطق الذي وضعته قرائح اليونان الوقادة منذ اثنين وعشرين قرناً والذي تتداوله الطلبة لعهدنا هذا بعد ان تجول قديماً بين اليونان والرومان والعرب وفرنجة القرون الوسطى نعم هو المقصود بالذات انما علمنا من ابحاث العلماء المستشرقين بوجود منطق آخر هندي وضعهُ رجل يقال لهُ « نيايا » لا ينقص قدراً عن الميزان الذي الفه ارسطو . غير انه لسوء الحظ ليس للفلسفة الهندية تاريخ يوثق بهِ حتى نقف على سير المنطق في تلك البلاد وانما نكتفي الآن بالقول ان المنطق اليوناني لم يكن وحيداً بل كان لهُ شريك في الهند وربما سبقهُ في الوجود

اما المنطق اليوناني الذي حفظ لنا التاريخ اخبار سيرهِ

التدقيق فلم يعرف قبل زمن واضعه ارسطو المكدوني وقد وضعه في كتاب له سماه بالميزان على الشكل الآتي : تكلم اولاً فيه عن الكليات الخمس والمقولات العشر ومن ثم بحث في القضايا واحكامها ومن هناك تطرّق الى الكلام عن القياس وانواعه واوضح طرق الاستدلال وابان مواضع المغالطة والسفسطة . ومن بعده شرع تلامذته المعروفون بالمشائين يبذلون جهدهم في درس المنطق وحصر البحث فيه على انهم لم يزيدوا على أصوله شيئاً انما شرح نفرٌ منهم ما أغمض من معانيه . وهكذا مرّت عليه الفلسفة الرواقية وغيرها وما حاولت واحدةٌ منهنّ ان تزيد عليه او تغير فيه شيئاً . وقد انتقل المنطق الى مصر وسوريا بانتقال الآداب اليونانية ومع شيوعه هناك وانصراف الهمم اليه لبث على حاله من غير نقص ولا زيادة ومن ثم دخل بلاد الرومان على عهد سيلا الذي حمل اليها من اثينا كتب ارسطو على ان صعوبة هذه المؤلفات وغموض معانيها على ما رواه شيشرون حالا دون اجتهاد الرومان ولهذا لم يقم في هذه الامة كل زمن تمدنها من برع في المنطق واشتهر فيه

ولما استفحل امر العرب ورسخ ملكهم في الاقطار رغب الخليفة هارون الرشيد العباسي ومن بعده ابنه عبدالله المأمون في نقل المؤلفات اليونانية الى العربية فاختص لهذه الغاية جماعة من قومه عرفوا بسعة العلم كحنين بن اسحق العبادي ويعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعلي بن فرجان الطبري فترجموا كتب فيثاغورس وأفلاطون وارسطو في الفلسفة والمنطق ومثل ذلك عمل عبد الرحمان الاموي الملقب بالناصر في الاندلس فانه استحضر جماعة من القسطنطينية لنقل الكتب اليونانية الى العربية ولذلك اشتغل كثيرون من افاضل العرب في المنطق والفوا فيه كتباً كثيرة وعنهم اخذ الفرنجة هذا الفن ايام الحروب الصليبية لأن اللغة العربية كانت اللغة الوحيدة التي حفظت كتب ارسطو بل اللغة الوحيدة التي اوضحت ما اغمض من معانيها

ومن ذلك الحين ظهر المنطق في اوروبا حتى اصبح في العصور الوسطى الغرض الاقصى من الفلسفة المدرسية بل العلم كل العلم الى ان كان الجيل السادس عشر فظهر من رجال العلم ابطال اصلوا الفلسفة المشار اليها حرباً عواناً ومن اولئك الابطال فرانسوى باكون الانكليزي الذي رأى حاجة الفلسفة المدرسية الى الاصلاح وعدم اقتدار المنطق على اكتشاف الحقائق الراهنة فوضع طريقة الاستقراء التي يتوصل الانسان بها الى معرفة الحقائق العامة من امور خاصة وابان انه لا يتصل الانسان الى العلم بامر خاص بمجرد القياس بل بالملاحظة والامتحان وجعل لهذا الاستقراء مراتب اربع : اولاً الملاحظة ثانياً الافتراض ثالثاً الاستدلال رابعاً التثبت بالامتحان . وفي غضون هذه المدة نبغ في مدينة بيزا من اعمال ايطاليا غليليو ورأى ايضاً بتوقد ذهنه ان جل الاعتماد في فلسفة ارسطو على قول زيد ومذهب عبيد بحيث لا وجه لاعمال الفكرة واقامة دليل التجربة فاحتقرها وجاهر بمضادتها ومقاومة انصارها وايدت دعواه عند علماء ذلك العصر اكتشافاته الكثيرة . ومن ثم ظهر في فرانسا رنه ديكارت بمذهبه الذي بناه على ان لا يسترسل الانسان الى امر ولا يجزم بصدق قضية حتى يبحث فيها العقل البحث المدقق ويجرحها التجريح الكافي وان لا يعتمد بالقضايا المبنية على الحدس ولا يعتمد على الكلام المنسوب الى كبار العقول لمجرد كونهم من العلماء المحققين والفلاسفة المشهورين . ومن ثم وضع الطرائق الاربع المشهورة التي زعزع بها اركان الفلسفة المدرسية والمنطق كما لا يخفى هو اعظم اركانها

ومن ذلك العهد تقلص ظل القياس واصبح العلماء يعولون في ابحاثهم على المراقبة والامتحان ولذلك اكتشفوا الحقائق التي رفعت شأن الانسانية وبوأتها سدرة الراحة والنعماء وبددوا ظلمات الترهات والخزعبلات ونعم ما فعلوا . وياحبذا لو انتبه الى ذلك بقية من ادبائنا الذين اقتصروا من دروسهم عليه ولم يعتدوا بسواه حتى اصبحوا لا يقبلون حقيقة من الحقائق الا اذا تبينوها طبق اصول القياس لا يفوتها الشكل الاول من الضرب الثاني الى غير ذلك من الامور التي تزيد القوة الحافظة اقتداراً والمميزة ضعفاً ووهناً . انا لله وانا اليه راجعون

البطريرك الانطاكي

الجديد

نشرنا في الجزء الرابع خبر ارتقاء سيادة الحبر المفضال ملاتيوس الدوماني مطران اللاذقية الكرسي البطريركي الانطاكي لطائفة الروم الارثوذكس وقد نشرت جريدة المنار البيروتية الغراء خلاصة تاريخ حياة غبطته بمناسبة ارتقائه هذا المنصب السامي نقلاً عن دائرة المعارف فرأينا نقله لحضرات القراء وهذا نصه :

« نيافة ملاتيوس الدوماني مطران اللاذقية الحالي للروم

الارثوذكس · وهو ابن موسى الدوماني الدمشقي المرتل الثاني للكرسي الانطاكي · ولد في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٣٧ بمدينة دمشق وتعلم مبادئ اللغة العربية واليونانية و لايطالية والتركية بمدرسة الطائفة فيها ثم ترهب سنة ١٨٥٧ وسنة ١٨٥٨ صحب البطريرك ايروثيوس الانطاكي الى الاستانة العلية وعاد معه سنة ١٨٦١ الى بيروت وكان لا يزال يرقيه في درجات الكهنوت حتى استحق الاسقفية في ١٩ ت ٢ (نوفمبر) سنة ١٨٦٥ فانتخب مطرانًا لابرشية اللاذقية فقدمها في ٥ ك ٢ (جانفيه) سنة ١٨٦٦ واستلم مهام الابرشية فجمع اوقاف كنائس اللاذقية الى قلم واحد واسس فيها مدرسة للذكور يعلم فيها العربية والفرنسوية واليونانية وغيرها احيانًا وخصص واردات الاوقاف للمدرسة واعتنى بترميم الكنائس في المدينة والقرى وتعميرها فجدد سبع كنائس في الابرشية · وفي سنة ١٨٦٩ احسن اليه ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان بالنيشان المجيدي من الطبقة الرابعة والملك جورج ملك اليونان بنيشان صليب المخلص الذهبي المختص بالكافالرية الملوكية · وهو لين الجانب متواضع قنوع نزيه الطبع سخي تقي يمتاز بغيرته المفرطة على ترقية طائفته بالعلوم والمعارف ونجاحها فهو لا يبالي بالمال والاتعاب في هذا السبيل ومع ان واردات الاوقاف لا تفي بنفقة المدرسة فقد ثبتها الى الآن باجتهاده وسعيه واتعابه واكمل نفقتها في اكثر السنين من ماله الخاص وقبول المعلمين في مقامه على مائدته · واشدة حرصه على احراز الادب والدين ارسل بعض الشبان على نفقته لدرس اللاهوت في جزيرة خالكي الواقعة في خليج القسطنطينية وبالجملة فهو من هذه الجهة نادر المثال في المشرق بين مطارنة العصر»

قال المنار : هذه شهادة رجل خالي الغرض بحق غبطته · ومن الشبان الذين اشار اليهم صاحب الدائرة قدس الاب العلامة العامل الارشمندريتي كير جراسيموس مسرة اللاذقي وجناب الاستاذ العالم الفاضل باسيل افندي جباره الدمشقي كما ان سيادة السيد الجليل المفضال كيربوس كير غريغوريوس مطران حماه هو تلميذ غبطته

فنرفع لمقامه السامي فرائض التهنئة بهذه السدة الرسولية ونهنئ الملة بغبطته راجين في ايام رئاسته التقدم والنجاح ومضيفين ادعية عبوديتنا الى دعاء غبطته بحفظ الحضرة العلية السلطانية ايدها الله مدى الدوران » انتهى

ليكورغوس

واضع شرائع سبارطه

نشرع اليوم في كتابة تاريخ حياة اعاظم المتقدمين من اليونان والرومان باسلوب يكون تاريخًا لهؤلاء الرجال وللامة التي نبغوا فيها والعصر الذي عاشوا فيه · وسنجعله سلسلة متتابعة الحلقات حرصًا على ما في وصف حروبهم وشرائعهم وعاداتهم واخلاقهم من الفائدة واللذة لخاصة القراء وعامتهم · وهو بحث طلي جديد نعتمد فيه على المؤرخ فلوطرخوس اليوناني الشهير فاذا تزود القارئ الكريم شيئًا من الصبر وتبعنا فيه رأى الاسلوب الرائق الغريب الذي امتاز به هذا المؤرخ في كتابة تاريخ الامم مما لم يسبقه اليه احد قبله ولم يجاره فيه مؤرخ بعده سواء من مؤرخي المتقدمين او المتأخرين · والخلاصة ان هذا التاريخ الذي نكتبه يروق كل محب للمطالعة فان فيه فكاهة الروايات وفلسفة التاريخ ووصف الشرائع والحروب والاهوال وعادات المتقدمين واخلاقهم في معيشتهم وجميع اطوارهم باسلوب يقرب من اسلوب الحكاية فننصح لكل ذي ميل الى المطالعة ان يقرأه بالامعان الشديد

على ان اولئك الاعاظم فئات فمنها رجال السيف ومنها رجال الحكمة وقد اخترنا الابتداء بالحكمة ايثارًا لها على الحروب واهوالها والقوة ورجالها وقدمنا الكلام على الفيلسوف ليكورغوس واضع شرائع سبارطه فنقول

اختلف المؤرخون اشد الاختلاف في تاريخ ولادة ليكورغوس وتاريخ موته وتضاربت اقوالهم في وصف شرائعه واعماله · الا ان اكثرهم على انه عاش حوالى سنة ٨٨٤ او سنة ٩٠٥ قبل التاريخ المسيحي · وكانت ولادته من ملوك سبارطه واشهر اجداده يدعى الملك سويس · يروى عنه انه حارب الاركاديين فاستولى على بعض اراضيهم فهاجمه الكليتوريون وحصروه في موقف صعب لا ماء فيه فلقي الجيش بلاء من قلة الماء فطلب الملك سويس الى اعدائه ان يأذنوا لجيشه كله ان يشرب من نبع قريب من المكان فيتنازل لهم عن الاراضي التي كان قد اكتسحها فاذنوا له · فجمع الملك جيشه وخطب فيهم فقال انه يهب الملك لمن يصبر على العطش ولا يشرب من ماء النبع فلم يجد فيهم من يبتاع مملكة سبارطه بشربة من الماء · فخرج بهم الى النبع ولما ارووا عطشهم جميعًا قصد النبع في نوبته فغسل وجهه بمائه ورجع عنه من غير ان يشرب منه · ولما طلب منه

اعداؤه ان يفي بوعده ويرجع الاراضي اليهم اجابهم ان الجيش كله لم يشرب وبهذه الخدعة ابقى الاراضي في قبضته

ومع اشتهار هذا الملك بشدة البأس وحسن السيرة في مملكته لم تعرف اسرته باسمه ولكن أُطلق عليها اسم اوريسيون نسبة الى ابنه اوريسيون ولذلك تعرف العائلة التي كانت مالكة يومئذٍ في سبارطه بعائلة الاوريسيونيين · والسبب في ذلك ان اوريسيون هذا كان اول ملك في سبارطه اطلق للشعب عنان الحرية فاحبه الشعب ولكن خلفاءه لقوا من هذه الحرية بلاءً وجهدًا لان الشعب جمح بالحرية عن سواء السبيل فصار الملك بين ويلين اذا كبح جماح الشعب استهدف لغضبهِ ونقمتهِ واذا تركه يجري على هواه عرض نفسه وسلطته للاعتداء والهوان · ولذلك ساد التمرد والفوضى في سبارطه وقتًا طويلاً وبهذا الداء لقي ابو ليكورغوس حتفه · فانه وجد يومًا بعض الاسبارطيين يتخاصمون فتوسطهم ليصلح بينهم فاصابته من احدهم طعنة سكين قضت عليهِ فخلفه على الملك ابنه بوليداكت شقيق ليكورغوس

غير ان الملك بوليداكت ما لبث ان مات ولم يكن له عقب فانتقل الملك الى ليكورغوس · وكانت زوجة بوليداكت حاملاً عند موت زوجها فلما درى بذلك ليكورغوس اعلن ان امرأة اخيه اذا ولدت غلامًا فملك سبارطه حق له · فارسلت اليه امرأة اخيه تقترح عليه ان تسقط جنينها اذا ارتضاها زوجة له · فارتعدت فرائص ليكورغوس من هذا الاقتراح الفظيع · ولكنه ارسل بعدها خبرًا من غير ان يظهر لها الرضى باقتراحها ومـا زال يعاملها هذه المعاملة حتى اوشكت ان تضع فارسل اليها اناسا يراقبونها وامرهم ان يأخذوا الولد فاذا كان ابنة يسلمونه الى النساء لتربيته واذا كان غلامًا يأتونه به على عجل · فولدت هـذه الامرأة غلامًا ولو كانت الامهات يعطين الاولاد لانفسهن لما استحقت هذه الامرأة ان تكون لها هذه النعمة السماوية · ولما جاؤوا ليكورغوس بالغلام كان على مائدته مع رجال المملكة فاخذه بين يديهِ واظهره لهم قائلاً « هذا ملكنا ايها الاسبرطيون » ثم اخذه ووضعه على كرسي الملك وقد سماه « شاريلايوس » ومعناه فرح الشعب لان جميع الذين كانوا جالسين الى المائدة اظهروا فرحًا شديدًا بولادته واثنوا على فضيلة ليكورغوس وعلى عظمة نفسه ثناء جميلاً

الا ان ام الولد اعتبرت ان ليكورغوس قد خدعها فقامت مع اهلها والمقربين منها تصليه حربًا عوانًا · فاحتجوا اولاً ان ليكورغوس حديث السن لا يليق ان يكون كفيلاً للملك ثم توسعوا في الافتراء فاخذوا يشيعون ان ليكورغوس لا يهنأ له عيش حتى يدبر موت الملك ليستأثر بالمملكة · فخاف ليكورغوس ان ينزل القضاء بالولد فيكون سبيل الى تصديق الشعب هذا الافتراء والاختلاق فرأى ان يهجر سبارطه ويقضي ايامه في السياحة فلا يعود اليها حتى يتزوج ابن اخيه ويرزق ولي عهده

فخرج من سبارطه قاصدًا كريت فقابل حكماءها وفحص امور حكومتها فاعجبه بعض شرائعها فنقلها ليدخلها في سبارطه حين عودته اليها · ثم سافر الى اسيا فقصد الايونيين ليقابل بين اخلاقهم اللينة ومعيشتهم الدنيوية وبين اخلاق الكريتيين الجافية ومعيشتهم القاسية ليرى مبلغ تاثير اخلاق الشعب في حكومته

وهناك عرف اشعار هوميروس فاعجبه ما رآه فيها من مبادئ الحكمة والسياسة فضلاً عن فكاهة الحوادث وغرابتها فجمعها ولم تكن مجموعة قبله وانما كانت اجزاء متفرقة في ايدي حفاظها ونساخها · ويظن مؤرخو مصر الاقدمون ان ليكورغوس جاء مصر ايضًا فراقه ما رآه فيها من قسمة الشعب الى ثلاث طبقات طبقة الكهنة وطبقة الجنود وطبقة الشعب اي السوقة · فوعى هذه القسمة في خاطره رغبة في ان يأتي مثلها في سبارطا بالنظر الى طبقة الجنود فقط · وقد زعم احد المؤرخين ان ليكورغوس سافر الى ليبيا وايبيريا ايضًا وانه وصل الى الهند في سياحته هذه فقابل فيها فلاسفتها المعروفين « بالجيمنوز وفيست » وهم فئة ينزعون عنهم كل لباس ويوغلون في البرية يتأملون في مناظرها الطبيعية ولكن هذا الزعم لم يقل بهِ غير هذا المؤرخ المذكور آنفًا

ومرّت الاعوام على ليكورغوس وهو في سياحته او بالاحرى في منفاه · وكان شعب سبارطا قد ملَّ حكامه لما كان يراه من ضعفهم وضعة نفوسهم وذكر ليكورغوس وعزة نفسهِ ومقدرتهِ على الحكم فارسل اليه الاسبرطيون وفودًا يطلبون فيه ان يعود اليهم · ولما كان حكام سبارطا قد قاسوا ما قاسوه من عتوّ الشعب وتمردهِ رغبوا ايضًا في رجوع ليكورغوس الى سبارطا لعل اقامته فيها تكسر حدة الشعب وتلين شدته فعاد ليكورغوس الى وطنه فوجد في الاسبرطيين شيئًا من الرغبة في اصلاح حالهم اذ كان الشعب والملك معًا قد كرها تلك الفوضى الهائلة

فجاء ليكورغوس اصدقاءه واطلعهم على ما ينويه من ادخال الاصلاح في حكومة سبارطا واستمالهم اليه ولما حان

شروعه في العمل امر ثلاثين من اكثرهم وجاهة ان يتسلحوا ويفدوا غداة ذلك اليوم الى الساحة العمومية ارهاباً للذين يخطر في بالهم مقاومة الاصلاح · ففي اليوم الثاني لما رأى الملك « شاريلايوس » تألبهم ظن انهم يريدون به شراً فهرب ولجأ الى الهيكل فتبعوه واقسموا انهم لا يريدون به شراً بل انهم ينوون اصلاح الحكومة فسكن جأشهُ وخرج من الهيكل وصار يرى رأي عمه ليكورغوس

فاصبح ليكورغوس صاحب السلطة العليا في سبارطا فاخذ منذ ذلك الحين في ادخال الاصلاح الذي يراه وهو مزيج غريب من الامور الصحيحة والفاسدة « ستأتي البقية »

موتمر الكحول

وعدنا في الجزء الماضي بعد كلام على تقرير المسيو برينون عن المسكرات وفعلها الذريع في شعب نورمانديا وبالخصوص في نساء تلك الولاية ان ناتي على ذكر شيء من اعمال المؤتمر الدولي الذي عقد في باريز في اواخر الشهر السابق لمضادة المسكرات · ورغبة في الاختصار نأتي على خلاصة ابحاث هذا المؤتمر فنقول :

ان هذا المؤتمر هو المؤتمر الدولي السابع الذي تعقدهُ الدول للبحث في اضرار المسكرات والوسائل الواقية منها وقد كانت خلاصة ابحاثه بعد جلسات طوال عقدها هذه المرة في باريز وخطب فيها كثيرون من الاقتصاديين ورجال الدين الامور الآتية

(١) ان الكحول لا يساعد على الهضم كما يظن بعد البسطاء بل يوقف سير الهضم ويؤخره

(٢) الكحول لا يجلب القابلية للطعام كما يظن لان هذه القابلية التي يشعر بها الانسان بعد شربه ليست الا هياجاً معدياً وقتياً فاذا تناول الانسان من الاطعمة قدر ما تطلبه المعدة وهي في هذا الهياج ضعفت عن هضمها بعد ذهابه وبذلك تكون المعدة قد حملت فوق طاقتها

(٣) الكحول لا يغذي ولا يدفىء اما ما يشعر به الانسان من الدفأ حين يتناوله فناشىء عن صعود الدم الى الجلد لا غير فاذا ذهب تاثير الكحول حدث رد الفعل وصار جسم الشارب اشد برودة مما كان قبل الشرب وتلك حال قد تكون نتيجتها الموت في بعض الاحيان

(٤) الكحول لا يقي من العدوى لانه يضعف الجسم فيجعله اكثر استعداداً لقبول جراثيم الامراض

(٥) الكحول لا يرفع الهمم ولا يكبر العزائم بل يفسد الاخلاق ويفني القوى العقلية والبدنية

(٦) الكحول لا يطيل العمر بل يقصره لان الاحصاءات الرسمية تدل على ان الوفيات بين الذين يشربون اكثر منها بين الذين لا يشربون

(٧) الكحول سم خفيف بالنظر الى الكبار ولكنه قاتل بالنظر الى الصغار فيجب ان لا يسقى هؤلاء شيئاً منهُ

هذه اهم الامور التي دارت عليها ابحاث المؤتمر وأوردت الارقام والاحصاءات في اثباتها · على ان الناظر فيها بامعان يرى ان المؤتمر انما يحارب الكحول وهو (السبيرتو) الذي يمزج بالمشروبات وهذه هي الآفة الكبرى التي تقوض بناء الجنس البشري وتحط نفسه

وقد جرى لبعضهم حديث مع احد اعضاء هذا المؤتمر يدل على ذلك · قال صاحب هذا الحديث

اجتمع اعضاء المؤتمر قبل انفراط عقده في مأدبة أُدبت لهم في باريز · ولما كان لا مادبة بلا طعام ولا طعام بلا شرب نخب ولا شرب نخب بلا شمبانيا كان من الواجب على اعضاء مؤتمر « منع المسكرات » ان يشربوا مسكراً · وقد اقاموا في هذه المادبة الى ما بعد نصف الليل فشربوا فيها نخب عشرين شخصاً فيكون كلٌّ من الاعضاء قد شرب عشرين كاساً

فقابلت احدهم صباح اليوم التالي فسألته كيف اصبح الاعضاء فاجابني انهم اصبحوا بخير وعافية وقد نهضوا باكراً الى اشغالهم مع سهرهم الى ما بعد نصف الليل · فسألتهُ ماذا شربتم امس · فاجابني قد شربنا على المائدة خمراً ليست بالخمر وشمبانيا ليست بالشمبانيا · واذ اظهرت العجب قال · ان ما شربناه شمبانيا لطيفة خالصة من سموم الكحول لذلك قدرنا اليوم ان ننهض باكراً مع ان كلا منا قد شرب عشرين كاساً فان الذي يضرُّ في المآدب التي تقام شرب الكحول لا كثرة الكؤوس وطول السهر

هذا وقد استفاد الناس من اجتماع هذا المؤتمر امرين خارجين عن ابحاثه · الاول ان جميع عناصر الانسانية متفقة على محاربة « الكحول » عدوّ الانسانية الالد وخصمها الشديد · فقد كان هذا المؤتمر جامعاً لنواب من جميع الدول وقام فيهِ

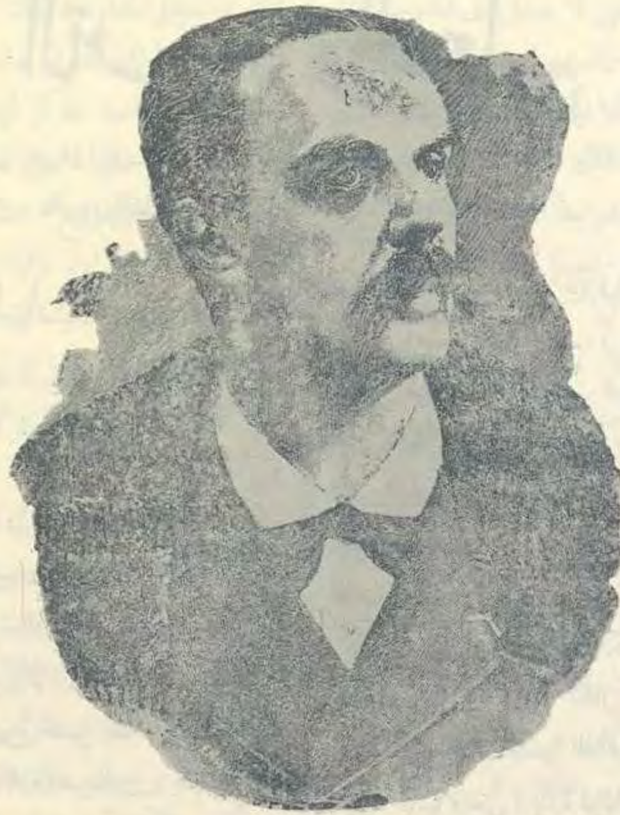
رجال الدين من كاثوليك وبروتستنت يخطبون فكان البروتستنت يصفقون للرئيس الكاثوليكي والكاثوليك يصفقون للرئيس البروتستنتي · قالت بعض الجرائد الفرنسوية : حبذا هذا الاتفاق على محاربة الشر بين فريقين ما رأيناهما متفقين قبلاً

والامر الثاني معرفة العقلاء انه لا دواء لداء المسكرات الا بتربية صغار الامة على كراهة تلك السموم القاتلة · وقد قامت الجرائد الاوروبية بعد انفضاض هذا المؤتمر بعضها يشير بمراقبة الحكومات للمشروبات حتى لا يغشها اصحابها وبعضها يشير بتقليل عدد الحانات وزيادة الضرائب على المشروبات · والبعض الآخر يشير ان يوضع في الاماكن العمومية رسوم تمثل السكارى في اسوأ حالاتهم حتى تكون فيها عبرة للشعب وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر · الا ان اكابر الاقتصاديين والعقلاء يرون ان هذه الحالة التي تشكو اليوم الانسانية منها لا يرجى اصلاحها الا على طريق التربية · فاذا ارادت مملكة ان تخفف ويل المسكرات عن ابنائها فعليها ان تغرس في نفوسهم من صغر قول ابن الوردي رحمه الله

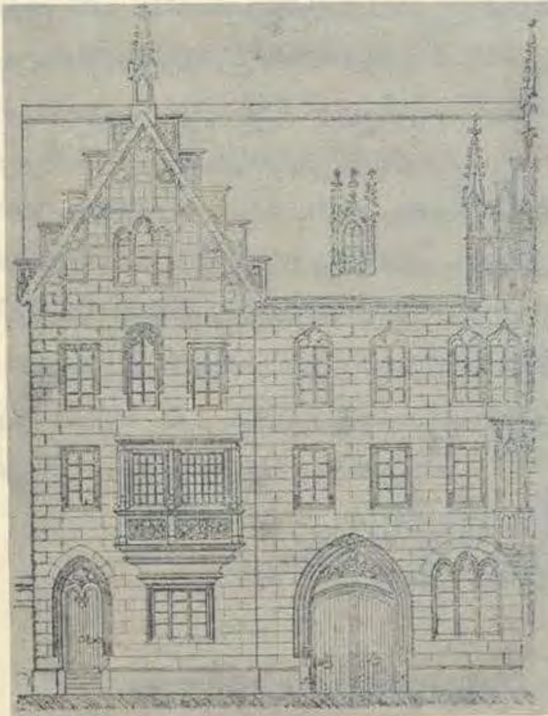
واهجر الخمرة ان كنت فتى   كيف يسعى في جنون من عقل



الاحتفال بترعة كورونثيوس في بلاد اليونان ودخول السفينة الاولى فيها تقل جلالة ملك اليونان والملكة قرينته وفي يد جلالتها مقص لتقطع به الخيط الذهبي المتصل بين شاطئ الترعة دلالة على افتتاحها



المسيو كازيير بريه رئيس الجمهورية الفرنسوية بعد المرحوم كارنو وقبل المرحوم فور · اقام ٣ اشهر في الرئاسة ثم استقال لاسباب لا تزال مجهولة



بناء من ابنية القرون الوسطى



اناء عليه نقوش ورسوم من صنع العرب الاقدمين

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من أهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنَّ قبل التعليم او مما لو كنَّ غير متعلمات

٥

لا ريب في ان النساء نظراً الى حالتهنَّ الموجودة قسمان منفردات غير متزوجات . ومتزوجات غير منفردات . والقسم الاول منهنَّ لهم على وضع لا يرفع حالتهنَّ السيئة الا العلم لكثرة الحاجات وقلة الوازرين لاعبائهنَّ والوازرات . واما القسم الثاني منهنَّ فاحسن ما يطلبه الرجل منهنَّ حسن الطاعة وقوام النظام الداخلي على حسب الاستطاعة وكلاهما منوطان بعلم الأمور وادراك قبح الشرور . فاذا لم يعلمنَ الاشياء كما هي كيف يأتمرن بما يأمرهن الفضلاء ويتوقين قبح ما يكرههنَّ عليه الجهلاء مع ابقاء علائق التودد والوفاء بينهن وبينهم اذا لم تكنَّ حاذقات عارفات بمصالح الامور ومفاسدها . بل الجاهلات منهن شين للعلماء حين للجهلاء والعالمات زين للفضلاء قرة عين للبسطاء . على ان العلم اما حسن فعلى الاطلاق او قبيح فمن غير افتراق . نعم فرص الرجال فرض الآمال وفرايض الامهات ترفع منهن احمال الحماة . فقلة الفرصة منعتهن تجربة الامور والدوران في سكك الاشغال الخاصة بهنَّ منعهنَّ السفر الى القطور . فمن قال ان التعليم يقلل الراحة وينفي الاستراحة لم ينظر الى ان الترح والفرح نظراً الى الاحساسات صنوان فمن قلَّ ترحه قلَّ فرحه ومن كثر فرحه كثر ترحه فالنسبة بينهما عند الخبراء والبصراء على السواء والكثرة الاضافية أمر والحقيقية أمر

القاضي ظفر الدين احمد

استاذ الكلية الشرقية في لاهور الهند

٦

لا اظن المقترح الكريم يقصد بكلمة التعليم للبنات سوى درجة الكمال التي في استطاعة البنات المتعلمات الوصول اليها . واساس هذا التعليم تقوية الفضيلة لانهُ يجعلها تعرف واجباتها نحو ربها ونفسها والقريب فتقوى فيها عاطفة الفضيلة وعاطفة الفضيلة تولد حسن الاخلاق وبزيادة حسن الاخلاق تحسن الظنون وحسن الظن يوجب زيادة الراحة والسكينة والسلام . فالبنات قبل التعليم او البنات غير المتعلمات هنَّ اقلُّ فضيلة واقل حسن اخلاق واقل راحة مما لو كنَّ متعلمات . واذا استشهدنا التاريخ نجد ان حواء امنا الاولى كانت سهلة الانخداع ولذلك قوي العدو على خداعها وما ذلك الا لانها كانت على الفطرة الاصلية بلا علم يريها الشر لتجتنبه وبانخداعها جلبت على الجنس كله هذه الشرور التي لولاها لكان البشر غير محتاجين الى تعليم وشاهدي على عكس الحال كاترينا ملكة الروس وغيرها كثيرات من بنات جنسها اللواتي برهنَّ للملا بان العلم يرفع المرأة ويزيد قوتها ومعنى زيادة قوتها زيادة كل ما فيها من الفضائل . وعليه استنتج ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنَّ قبل التعليم او مما لو كنَّ غير متعلمات

الاسكندرونة في ٢٢ نيسان سنة ١٨٩٩

انجلينا سمعان صائغ

٧

استغربت ما قرأتهُ في مجلتكم « الجامعة العثمانية » الغراء بامضاء « خفيف » من انهُ يرغب ان تكون لهُ زوجة غير متعلمة ولا تعرف من امر المعيشة سوى تدبير منزلها فتكون بذلك خادمة مع الخادمات وسيدة مع السيدات . فانا اسلّم معهُ بانها اذا لم تكن متعلمة تكون خادمة مع الخادمات ومتى كانت كذلك فبأية صفة واي حق لها ان تكون سيدة مع السيدات ؟ ويظهر ان حضرة « خفيف » لا يحب ان تكون زوجته متعلمة حتى لا تكون ذات ميل الى المداخلة والمسايرة وما اشبهها مما يلهيها عن واجباتها وهذا هو الداء الوبيل الذي نشكو منهُ نحن الشرقيين ونبحث عن دواء لهُ . ولكن لا دواء لهُ الا بالعلم الصحيح والتربية الصحيحة . واذا كان يبدو من ابنة متعلمة ما لا يليق بها فذلك دليل على فساد تربيتها العلمية والادبية لا على فساد العلم نفسه . ونظن ان حضرة « خفيف » لا ينكر علينا هذا ولا ينكر ايضاً ان المرأة اذا لم تكن مهذبة اتى اولادها

على شاكلتها لان الولد كما لا يخفى لا يرسل الى المدرسة الا بعد ان يكون قد تشرَّب طباع والديه واميالها وخصوصاً الأُم ولذلك يلزمنا ان نعتني بتعليم بناتنا ليكنَّ ذوات فضيلة واخلاق حسنة وراحة تامة · وحرامٌ علينا ان نكون سبباً في وجودهنَّ ونقضي عليهنَّ بضعف الفضيلة وشراسة الاخلاق والتعب المستمرّ وذلك بابقائهنَّ في الجهل العظيم · نعلينا تعليمهنَّ وتربيتهنَّ وبعد ذلك يمكننا ان نلقي عليهنَّ مسؤُلية كل شرّ يصنعنهُ اما قبل هذا التعليم فليس لنا ذلك بل كل مسؤُلية علينا وحدنا · علموا نساءكم اولاً ثمَّ بعد ذلك قولوا عنهنَّ : ان احسنَّ فلهنَّ وللعالم وان اسأْنَ فعليهنَّ وحدهنَّ · هذا رأْيي والسلام

الاسكندرية في ٨ مايو سنة ١٨٩٩ (جمال)

المدارس

وردنا من احد الادباء ملاحظة على ما ذكرناه في الجزء الماضي عن مدارس قوصوه نقلاً عن جريدة المعلومات الغراء · وفحوى هذه الملاحظة ان المدارس اللازم تأْسيسها في تلك الولاية ٤٥٣ كما ذكرنا والمبلغ الذي خصص لها مائة الف غرش فلا يصيب كل مدرسة الا ما لا يذكر · وقد رأَينا هذه الملاحظة ايضاً في رصيفتنا ثمرات الفنون الغراء وقد ذيلتها بالطلب من المعلومات ان تزيد الامر ايضاحاً فانه قد يكون خطأ مطبعي في الارقام

ويلوح لنا اذا لم يكن في الارقام خطأ مطبعي ان المائة الف غرش قد خصصت للمدارس الاكثر اهمية وهي التي في المدن الكبرى حتى اذا انتظمت وسارت جرى تأْسيس غيرها بالتدريج وهكذا الى استكمال العدد المطلوب لتعذر تأْسيسها كلها دفعة واحدة · على اننا نرى ان الدولة تحسن صنعاً ان لا تبخل بالمال مهما كثر في سبيل انشاء المدارس وان كان لديها من المشاغل ما لا ينقص عن المدارس اهمية فان ما ينفق في سبيل المدارس قليلاً كان او كثيراً هو كحبة الحنطة التي تبذر في الحقل فتأْتي بعشرة وعشرين وثلاثين ضعفاً

وبهذه المناسبة نذكر لرصيفتنا الثمرات ملاحظة أُخرى ولكن هذه المرة علينا لا على المعلومات · فقد كتب اليها فاضل من دمشق الشام بتوقيع « مختار » يعترض على عبارة جاءت في الجامعة ونقلتها الثمرات وهي « متى امتلأَت المدارس فرغت السجون » ويقول حضرته في بحث لطيف ان الشرور تكثر في البلاد التي تكثر فيها المدارس والشاهد قريب وهو اوروبا وقد كان يجب ان يقال ان العمل بالشرائع الالهية هو الذي يفرغ السجون

ونحن مع احترامنا رأْي حضرة الفاضل « مختار » ما زلنا نقول « متى امتلأَت المدارس فرغت السجون » الا اننا نريد بالمدارس المدارس الصحيحة تربية وتعليماً وليست كذلك اكثر مدارس اوروبا بشهادة علمائهم وكبار كتابهم · وحسبنا دليلاً على صحة هذا القول ان الفرنسويين كما يقولون « قد طردوا الله من المدرسة » يعنون بذلك انهم منعوا التعليم الديني وذكر اسم الله فيها فيشب ابناء الشعب وهم لم يسمعوا باسم الله سبحانه وتعالى · وقد قرأْنا للفيلسوف جول سيمون خطباً القاها في البرلمان الفرنسوي اذ كان وزيراً للمعارف بعد سنة ١٨٧٠ يحارب فيها هذا المبدأْ الوخيم الذي كان المسيو جول فري والمسيو شالمال لاكور في مقدمة مؤَيديه ومن هذه الخطب يعلم مبلغ الضرر الذي اصاب فرنسا بنزع اسم الله تعالى من مدارسها هذه هي المدارس التي ربما كثرت الشرور بكثرتها اما المدارس التي عنيناها فانها الصحيحة تربية وتعليماً من كل الوجوه واذا كانت المدارس كذلك كان « تعليم الشرائع الالهية » الذي اشار اليه مختار الثمرات داخلاً في جملة تعاليمها فنحن واياهُ اذاً على اتفاق

المرأة والعائلة

معمل الجمال

ذكرت احدى الجرائد الفرنسوية تحت هذا العنوان خبراً عجيباً غريباً · ولكن لم يبق شيءٌ كبيراً على الكهربائية في هذا العصر حتى يكون فيه ما يسمى عجيباً

فقد روى صاحب هذا الخبر وهو ثقة انه قد انشئ في باريز معمل للجمال · ومعنى ذلك انه لما كان جمال النساء قد يذهب به ما يتخذنه لتجويده من المحسنات كالبودره والمساحيق

والارواح المختلفة التي تشوه الجلد وان كانت تعطيه رونقاً وقتياً رأى بعض العلماء ان يستخدم الكهربائية في تحسين جمال المرأة ففتح معملاً وجرب لتحسين الجمال طرقاً مختلفة جاء اكثرها بالنتيجة المطلوبة . قال الراوي

ودخلت هذا المعمل لاشاهده فدخلت ورأيت امرأة انفها مسطح فاجريت لها العملية الكهربائية فزال تسطح الانف وصار اقنى كانف النسر

ورايت في المعمل امرأة اخرى بارعة الجمال كانها الوردة في البستان ولكن في عنقها البلوري اثار حرق شديد الظهور فاجريت لها العملية مرات متوالية فزال اثر الحرق من عنقها وصار نقياً كالفضة الخالصة

ورأيت ايضاً امرأة اتت « تكوي وجهها » اي ان بوجهها جعداً كثيراً لانها تناهز الاربعين فوضعت الآلة الكهربائية على وجهها مراراً فاذا بوجهها قد اصبح صقيلاً كله كأنه قطعة قماش متجعدة كويتها بمكواة ذات حرارة شديدة

ورايت امرأة اخرى في غاية البهاء والجمال الا ان وجهها غير صقيل لما فيه من اثار حبوب وقروح كان مصاباً بها فبست-عشرة عملية صارت بشرة وجهها صقيلة كالمرآة ولم يبق شيء من تلك الآثار . وهكذا فكل امراة تريد ازالة تشويه في جسمها وزيادة صقل وجهها وتصغير اذنها وانفها وترقيق شفتيها وما اشبه ذلك فلا تعمد الى الادوية والمياه والبودره والمساحيق فان هذه قد تضر بدلاً من ان تنفع بل عليها قصد هذا المعمل فانها تخرج منه والازهار تحسدها على بهائها وجمالها . اما السيدات المقيمات خارج باريز فهذا المعمل يكاتبهن ليرشدهن الى تحسين جمالهن فمن شاء مراسلته من حضرات السيدات وبعض الشبان ايضاً . فليطلب عنوانه من الجامعة

هذا ولو كتمنا اسم المكان الذي وجد فيه هذا الاختراع الجديد وسألنا الناس في اي بلاد تحسبونه لاجابوا كلهم انه اختراع فرنساوي

ذلك انهم يعلمون ان مثل هذه الاختراعات اللطيفة الظريفه لا توجد الا في باريز عاصمة اللطف والظرف . وبهذه المناسبة نذكر اختراعاً جديداً آخر لا ينقص عنه لطفاً وظرفاً وهو الاستحمام « بامواج النور » وهو ما يعبرون عنه اليوم في باريز « بالطب الجديد » . ذلك ان يؤتى بالمريض فيوضع في غرفة مظلمة عاري الجسم ثم تطلق عليه من كوة في اعلى المكان امواج النور الكهربائي فيقيم المريض تحت هذه الامواج قريباً من عشر دقائق فيشفى في الغالب من الارق وداء المعدة وارتخاء العزم وما اشبهها من العلل . ولصاحب هذا الاختراع مجلة تصدر اليوم في باريز بعنوان «الطب الجديد» يرسلها مجاناً مدة شهرين لكل من يطلبها فمن ارادها فليطلب عنوانها من الجامعة . وهذا ايضاً اختراع فرنسوي

النساء والسياسة

تتباحث نساء لندرا الآن كثيراً في اتخاذ لباس الرجال لباساً لهن ايضاً اي ان يرتدين بالسترة والبنطلون ويسترحن من الفساطين التي تعوقهن عن النشاط والحركة . واعظم من هذا قيامهن من جديد الى طلب عضوية المجلس البلدي وعدم رفض مجلس العموم الانكليزي هذا الطلب . وقد خطب في هذا المجلس المستر بالفور الشهير فاظهر انه شديد التأييد للنساء في طلبهن حقوق الانتخاب ولكنه ينكر عليهن الانتظام في سلك البرلمان . وهو قول غريب فانه كما قال الفيلسوف جول سيمون اذا اصبح النساء منتخبات (بكسر الخاء) فلا يلبثن ان يصرن منتخبات (بفتحها) . هذا وان انكلترا اليوم امة عظيمة تحكمها امرأة ويديرها الرجال فهل يبعد ان تصبح يوماً — بعد نصف قرن مثلاً — امة يحكمها رجل وتديرها النساء ؟

الدوطة

« ولسان حال مغرور بها »

لحضرة البارع المعلم شاكر افندي سلوم في المدرسة الروسية في حمص

لي قصة ياصحابي جئت احكيها   حتى تكون لكل الناس تنبيها
والله ما كنت ارضى زوجة ابداً   يفنى الكلام ولا نحصي مساويها
لكن شيطان حب المال غرّر بي   وغرّني طمعاً اثراء اهليها
واغمض الاصفر الغرّار باصرتي   عن وجهها الاصفر المملوء تشويها
فبعت نفسي بيع الغبن وا اسفي   يا صفقة الشؤم لم احسب لتاليها
ورحت بالدوطة الشنعاء مبتهجاً   اهنئ النفس اذ تمت امانيها
لم يبق تبذيرها داراً لأسكنها
ولا دراهم للبلوى اخبيها
سوق الاطالس والاجواخ صاح واسـ
واق الجواهر طراً ليس تكفيها
كبيرة العمر من اتراب والدتي
لقد كرهت حياتي من تجنيها

كأنني خادم في البيت اخدمها
مع كل هذا وهذا لست ارضيها
من حين عاشرتها لم ترضني ابداً
كأن غير عذابي لا يسليها
اعوذ بالله ان قصرتُ عن خطأ
او كان مني امرٌ ليس يرضيها
تدعو عليَّ بلا خوف ولا خجل
وتقذف الشتم واللعنات من فيها
وان تلطفت في استعطاف خاطرها
وقلت عفواً ذنوبي لست ادريها
قالت الست ايا مغرور ملك يدي
افتح عيونك لمَ ذا الآن تغضيها
قد اشتريتك بالآلاف ادفعها مثل المماليك تشريها مواليها
وصار رأسك بين الناس مرتفعاً بفضل سيدة بالظلم ترميها
فانت والله مملوكي وملك يدي اوامري صاغراً كالعبد تجريها
هذي خلاصة اخباري لكل فتى يبغي الزواج بذات المال اورويها
حتى اذا كان ذا نفس سمت شرفاً تكون تبصرة بالرشد تأتيها

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

اقتراحٌ ثانٍ

يرى القارئ ان حضرة ناظم ابيات «الدوطه ولسان حال مغرور بها» لم يقصد التعميم في قوله ولكن اراد التخصيص. ولما كنا ستقفل في الجزء السادس باب الكلام على اقتراح الجامعة بشأن (تعليم البنات) رأينا المجال متسعاً لاقتراح جديد نلقيه على حضرات القارئات والقراء الكرام وهو «اي افضل وادعى للراحة العائلية ان يكون الزواج بدوطه او بلا دوطه» وهي مسألة شديدة الاهمية الآن لهيئتنا الشرقية. وسننشر كل ما يردنا من الآراء بهذا الشان في الجزء السابع بحسب ترتيب ورود الاجوبة كما صنعنا في الاجوبة على الاقتراح الاول ونهدي ايضاً اجزاء السنة الاولى من مجلتنا لمن يكون احسن جواباً. اما باقي الاجوبة فنهدي كلا من اصحابها نسخة من روايتنا (البرج هائل) جزاء الاشتراك معنا في البحث وخدمة الادب

وسننشر في الجزء القادم نتيجة السباق في اقتراح (تعليم البنات)

باب الشعر والانشاء

ابو تمام الطائي

اشتهر في طيء ثلاثة: حاتم في كرمه. وداود الطائي في زهده. وابو تمام في شعره

وابو تمام هو حبيب بن اوس الشاعر الذي ملأت شهرته الخافقين. قال بعضهم اشعر شعراء العرب المتقدمين والمتاخرين ثلاثة ابو الطيب المتنبي وابو تمام والبحتري والباحثون مختلفون في ايهم يفضلون. قال عمارة بن عقيل «اذا كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فان ابا تمام اشعر الناس»

وولد ابو تمام في سنة ١٩٠ هجرية وقيل ١٨٨ وقيل ١٧٢ في قرية تدعى جاسم من اعمال حوران من بلاد دمشق الشام وكان اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام الا ان في لسانه حبسة وفي ذلك يقول بعضهم

يانبيَّ الله في الشعر ويا عيسى ابن مريم
انت اشعر خلق الا ه ما لم تتكلم

نشأ في مصر فكان في رواية بعضهم يسقي الماء بالجرة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده ثم اشتغل بالشعر وجالس ادباء مصر فاخذ عنهم الادب ولم يزل يعاني الشعر حتى ملكه فسار ذكره وبلغ المعتصم فتصح لابي تمام بعض اصدقائه ان يسير اليه فسار اليه وانشده من شعره فقدمه المعتصم على شعراء زمنه فبعد صيته وطارت شهرته. ثم اخذ يجوب البلاد فيمتدح الامراء حتى تمول وكانت وفاته في الموصل سنة ٢٣١ وقيل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣٢ وهو والي بريد الموصل ولاه اياه الحسن بن وهب وكان شديد العناية به. وبنى على قبره ابو نهشل بن حميد الطوسي قبة خارج باب الميدان على حافة الخندق ورثاه الوزير محمد ابن عبد الملك ابن الزيات وزير المعتصم بقوله

نبأ اتى من اعظم الانباء لما الم مقلقل الاحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فاجبتهم ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

وكان ابو تمام نادرة في الحفظ حتى انه ليحفظ القصيدة الطويلة من سماعه تلاوتها مرة واحدة. وقيل انه كان يحفظ ١٤ الف ارجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وكان شديد النباهة والذكاء وله كتاب الحماسة ومجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلام وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء

وسئل البحتري عن ابي تمام فقال « مدّاحة نوّاحة » ويوجد له من الشعر الذي يتمثل به ويجري على الالسنة مائة وخمسون بيتاً كما احصاه بعضهم ولا يوجد شاعر اسلامي او جاهلي يتمثل له بهذا المقدار من الشعر

ومن بليغ شعره قوله في قصيدته البائية الشهيرة

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحدّ بين الجدّ واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهنّ جلاء الشك والريب
اين الرواية بل اين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً واحاديثاً ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب
عجائباً زعموا الايام مجفلة عنهنّ في صفر الاصفار اورجب
وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة
ما دار في فلك منها وفي قطب

. واشهر منها قصيدته الرائية التي رثى بها محمد الطوسي وهي من البلاغة في اعلى الطبقات وفيها يقول

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
تردّى ثياب الموت حمراً فما دجى
لها الليل الا وهي من سندس خضر
كأن بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماء خرّ من بينها البدر
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبراً ان يقال به كبر
اذا شجرات العرف جزت اصولها
ففي اي فرع يوجد الورق النضر
لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده
لعهدي به ممن يحبّ له الدهر

قال له ابو دلف وقد انشده اياها وددت والله انها لك فيّ فقال بل افدي الامير بنفسي واهلي قال الامير انه لم يمت من رثي بهذا الشعر

ومن بليغ شعره قوله في الغزل من قصيدة في مدح المعتصم

اجل ايها الربع الذي خف آهله لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله
اسائلكم ما باله حكم البلى عليه والا فاتركوني اسائله
وقفنا على جمر الوداع عشية فلا قلب الا وهو تغلي مراجله
يعنفني ان ضقت ذرعاً بهجره ويجزع ان ضاقت عليه خلاخله

وفي المديح وهو الدر المصوغ شعراً قاله في من يغضب عليه الممدوح

وان يبن حيطاناً عليه فانما اولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بانك ساخط ودعه فان الخوف لاشك قاتله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

هذه قمة البلاغة الشامخة وابو تمام واقف عليها كالنسر العظيم

ومات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد فدخل عليه وانشده ابياتاً منها

نجمان شاء الله ان لا يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يافلا
لو ينسبان لكان هذا غارباً للمكرمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك المخائل منهما لو أمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رايت نموه ايقنت ان سيكون بدراً كاملا

وله قوله

خففت عني الدهر بعد ملة تركت لنائبه عليّ صريفا
لك هضبة الحلم التي لو وازنت اجأ اذاً ثقلت وكان خفيفا
ان كان بالورع ابتنى القوم العلى او بالتقى صار الشريف شريفا
فعلام قدم وهو زان عامر واميط علقمة وكان عفيفا
وبنى المكارم حاتم في شركه وسواه يهدمها وكان حنيفا

وله ايضاً وهو آية في معرفة الجميل

للنار نار الشوق في كبد الفتى والبين يوقده هوىً مسموم
خير له من ان يخامر صدره وحشاه معروف امرىء مكتوم

سرت الصنيعة فاستمرّ بلعنةٍ يدعو عليهِ النائل المظلوم
أأُقنع المعروف وهو كأنهُ قمر الدجى اني اذًا للئيم
فاروح في بردين لم يسحبهما قبلي فتىً وهما الغنى واللوم

ولهُ في وصف الخمر من قصيدة يصف فيها تقتير الرزق عليهِ في مصر

اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها لهيباً كوقع النار في الحطب الجزل
اذا هي دبت في الفتى خال جسمه لما ذب فيه قرية من قرى النمل
اذا ذاقها وهي الحياة رأيتهُ يعبس تعبيس المقدّم للقتل
اذا اليد نالتها بوترٍ توقرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل
وتصرع ساقيها بانصاف شربها فتصرعهم بالجور في صورة العدل

وامتدح ابو تمام احمد بن المعتصم او ابن المامون بقصيدة فلما بلغ الى قوله فيها

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضراً الامير فوق من وصفت . فاطرق ابو تمام قليلاً ثم قال

لا تنكر واضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فلما أُخذت القصيدة من يده لم يوجد فيها هذان البيتان فاعجب الحاضرون بفطنته وسرعة خاطره

وقصد ابو تمام الحسن بن رجاء فاستنشده الحسن قصيدته التي امتدحه بها فلما انتهى ابو تمام الى قوله

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب ينصها محيي القريض الى مميت المال

استوى الحسن بن رجاء قائماً على قدميه وقال «والله لا اتممتها الا وانا قائم» فقام ابو تمام لقيامه وقال

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى عنا تملك دولة الامحال
كالغيث ليس له أُريد غمامه ام لم يرد بدٌّ من التهطال

فعانقه الحسن ثم جلسا وقال له «ما احسن ما جلوت هذه العروس» يعني القصيدة فاجاب ابو تمام «لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها اوفى مهورها»

وقصد ابو تمام عبدالله بن طاهر بخراسان فاجتمع اليهِ الشعراء وسألوه ان ينشدهم فانشد ابو تمام يمدح الامير عبدالله بقصيدته التي اولها

اهن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقد ما ادرك السؤْل طالبه

فقال ابو العميثل وكان حاضراً «لم لا تقول ما يفهم» فاجابه ابو تمام على البديهة «لم لا تفهم ما يقال» فلما انتهى فيها الى قوله

وقلقل نأي من خراسان جأشها فقلت اطمئني انضر الروض عازبه

صاح بالامير الشعراء الحاضرون «ما يستحق مثل هذا الشعر الا الامير» وقال واحد منهم يدعى الرياحي «لي عند الامير جائزة وعدني بها فانا احيلها لهذا الرجل» فقال الامير «بل نضاعفها لك ونقوم له بما يجب علينا» فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فالتقطها الغلمان ولم يمس منها ابو تمام شيئاً. فتأمل رعاك الله رواج سوق الادب في ذلك الزمان وكسادها في هذه الايام

اخبار داخلية

السنة الجديدة الهجرية — وافق يوم الخميس الماضي بداية سنة ١٣١٧ هجرية اعادها الله على السادة المسلمين بالخير والبركة

سمو الامير — شرّف سمو الجناب الخديوي المعظم في ٢ الجاري ثغر الاسكندرية لقضاء فصل الصيف فيه جرياً على العادة السنوية

معرض الازهار — افتتح سمو الجناب الخديوي المعظم معرض الازهار في سان ستيفانو في ٦ الجاري وبقي المعرض مفتوحاً ذلك اليوم واليوم الذي تلاه لافواج المشاهدين الذين ذهبوا يتفرجون بمشاهدة حاصلات ارض مصر من الازهار والاثمار والخضر وكان العارضون من الوطنيين في هذا العام اكثر منهم في السنين الفائتة مما يدل على زيادة نشاطهم وعنايتهم بالمزروعات

مشروع المحكمة الشرعية العليا — وضعت الحكومة المصرية مشروعاً جديداً لاصلاح المحاكم الشرعية من مقتضاه انتداب نظارة العدلية قاضيين من رجال القضاء الاهلي للحكم في المحكمة الشرعية العليا فرفض سماحة شيخ الاسلام في مصر وسماحة قاضي مصر اجازة هذه المداخلة وتجسمت المسألة حتى جرت مناقشة شديدة في مجلس شورى القوانين بين حضرات اعضاء هذا المجلس وفضيلة

القاضي وسماحة شيخ الاسلام وحضرات النظار انجلت عن رفض المجلس هذا المشروع واستياء الحكومة من هذا الرفض ولم تنته المسألة بعد وهي الآن شرعية وسياسة معاً

المقتطف والجامعة — قرظ استاذنا المقتطف الجامعة في صفحتين من الجزء الخامس تقريظاً لا تستحقه مع ضعفها وتقصيرها وانما اراد بذلك تنشيطها في خدمة العلم والادب اللذين يجاهد في خدمتهما منذ ٢٣ عاماً فله منها خالص الشكر والثناء. الا ان استاذنا قال بعض ايراده كلاماً للجامعة ما نصه

«ولا شبهة في ان هذه الثلاثة التي ذكرتها الجامعة اي الام في البيت والمعلم في المدرسة والجرائد في السوق تنيل الغاية المطلوبة على شرط ان تسير اليها في طريقها وان لا توجد قوات اخرى تقاوم فعلها. ولكن كيف تسير الام السير المطلوب وهي غير متعلمة او ممنوعة من التعلم. ومن اين ناتي بالمعلمين لثمانمئة مليون من سكان المشرق وليس فيه ما يكفي لتعليم مليونين منهم. وكيف تنطق الجرائد بالصدق واكثرها ابكم او مكموم وكيف نقوى على دفع القوى المقاومة لهذا الاخاء وقد اشترك فيها اكثر الحكام ورؤساء الاديان فهم يفرقون ويضللون لكي يسودوا. وهل يعالج مريض بالمكمدات والمقويات قبلما تزال الفضول من امعائه. وهل يبرأ جرح دب فيه الفساد قبلما يقطع. وهل دقائق مادة تغلبت عليها عوامل من داخل ومن خارج دهوراً طويلة قبلما تقاوم تلك العوامل»

وما جئنا الان نرد على هذه الاقوال الصحيحة فاننا نكبر مقام المقتطف الاغران نواجهه برد ولكن جئنا نوجه الانظار الى ما يصح ان نسميه طرفاً من توارد الخواطر. فان استاذنا وصيفنا الكريم كان يكتب هذه الملاحظات ونحن نكتب ما يصح ان يكون جواباً لها نصدّر به الجزء الرابع وقد فعلنا فليراجعه القارئ في مكانه

هذا وانا نشكر للمقتطف ملاحظاته كما شكرنا له ثناءه. اما ما تمناه من «ان يكون للجامعة اليد الطولى في نشر العلوم والاداب في الاقطار الشرقية» فحسب الجامعة لبلوغ شيء من هذه الامنية ان تقتفي آثار استاذها المقتطف الذي خدم العلم والادب في الشرق خدمة يبقى ذكرها كما قلنا في احد الاجزاء الماضية «ما بقيت اللغة العربية»

النساء ومؤتمر السلم — ارسلت جمعية (نزع السلاح) النسائية المتألفة في باريز الى مدام ميشل نيكريبونت من فاضلات السيدات اليونانيات في الاسكندرية تعهد اليها رئاسة جمعية من سيدات مصر وطنيات واجنبيات يجتمعن لارسال رسالة برقية لرئيس مؤتمر نزع السلاح الدولي حين انعقاده في لاهاي عاصمة هولانده وذلك اظهاراً لميل الامم الى السلم ورغبتها في تأييده. وسيرسل النساء في كل البلاد المتمدنة مثل هذه الرسالة بتدبير هذه الجمعية وايعازها فيرد على المؤتمر من جميع نساء العالم رسائل طلب نزع السلاح في يوم واحد. وقد تقرر ان يجتمع في الثغر نخبة من النساء الاجانب والوطنيات في ١٥ الجاري لكتابة صورة الرسالة البرقية المراد ارسالها الى المؤتمر يوم اجتماعه

ويجدر بنا على ذكر النساء ونزع السلاح ان نورد كلاماً للفيلسوف جول سيمون كتبه في كتابه (امرأة القرن العشرين) في ختام فصل في (الاعمال الخيرية النسائية) تكلم فيه عن واجب عظيم على النساء. قال بعد كلام طويل على الحرب وفظائعها

«نرى بعض النساء يسعين الى تاليف جمعيات غرضها الدفاع عن حقوق النساء ولكن ما هو اهم هذه الحقوق؟ هو ان يكون للمراة رجل وان تحفظ حياة اولادها. فعلى النساء هنا واجب عظيم وهو النداء بنزع السلاح والعدول الى مبدأ التحكيم صيانة لنفوس رجالهن واولادهن. بماذا تشتغل الملكة فوق عرشها؟ اتجسر ان تفتخر برئاسة حفلات البلاط واختراع الازياء الجميلة؟ اين الملكة التي اعترضت مفتحاً وقالت له: «مكانك قف ولا تكن جانياً». بل اين كان نساء المفتحين يوم جاب ازواجهن الارض فصيروا جبالها دكاً ومدنها خراباً؟

فاذا نسي الملكات ان لهن قلب امراة فليذكر ذلك باقي النساء ولينهضن الى النداء بالسلم وطرح السلاح. ولا اعلم اذا كن يستطعن ابطال الحروب كلياً الا انني اعتقد انهن يستطعن تاجيلها وتقليلها وتخفيف فظائعها. فانا ادعوهن الى هذا العمل الشريف. ادعوهن الى ما فيه وقاية ازواجهن واولادهن بل الى ما فيه مصلحتهن لانهن يقاسين من الحرب اكثر مما يقاسي الرجال. الرجال يذهبون بها فيستريحون اما النساء فيبقين بعدها للشقاء والفقر والحداد»

انتهى كلام جول سيمون رحمه الله. فاين اذناه تسمعان باقتراح القصير وعيناه الكريمتان تبصران ذلك اليوم العظيم الذي ستتصافح فيه العناصر الانسانية كلها تحت انظار ولعلمين الفتاة ملكة هولانده

جمعية جديدة — اتانا من مجلة السمير الصغير الغراء ان بعض الادباء سيؤلفون جمعية (غرضها حث الاهالي على تعليم بناتهم

وان يتعهد كل عضو من اعضائها بان لا يتزوج الا بمتعلمة اذا كان عزبا وان يعلم بناته اذا كان متزوجا وله بنات) فندعو لهذه الجمعية بالنجاح اذا كان في الامكان قيام مشروع مثل هذا

اخبار خارجية

انكلترا — خطب المستر سسل رودس في لندرا فانى على بعد نظر الامبراطور غليوم الثاني الذي اخذ بيده في مشروعاته الافريقية وقال انه وجد الاموال اللازمة لانشاء السكة الحديدية الافريقية الكبرى وان لم تضمنها الحكومة عملاً باراء قوم يريدون انكلترا صغيرة واختتم كلامه بقوله ان الاضطراب يبقى في افريقيا الجنوبية حتى تغير الترانسفال خطتها

ترك عملة القطن الاعتصاب وقبلوا بزيادة اجورهم اثنين ونصف في المائة منذ اول شهر يوليو عوضاً عن ١٠ في المائة كانو طلبوها من قبل

وصلت الملكة الى وندزور قادمة من سيميز في فرنسا

طلب الاورو بيون في الساحل الغربي من افريقيا محاكمة الاسقف تكويلي الانكليكاني بتهمة الثلب والقدح لانه كتب الى جريدة التيمس يقول ان ٧٥ في المائة من الاهالي في تلك الجهات يموتون بالمسكرات وقد ترك مطلق السراح بكفالة

قالت شركة روتر ان انكلترا قدمت مذكرة الى الباب العالي تحتج فيها على اعتداء بعض الحكام في الحجاز على الحجاج الهنود

قال اللورد جورج هاملتون في كلامه في مجلس العموم على اعطاء شركة اميركية من فيلا دلفيا امتيازاً ببناء قنطرة كوكتيش في انكلترا ان هذه ليست المرة الاولى التي ظهر فيها فضل شروط الشركات الاميركية على شروط الشركات الانكليزية

لا تجتمع لجنة كندا والولايات المتحدة بعد الآن لان كلا من الفريقين لا يرضى بالتساهل للآخر

فرنسا — قرر المجلس البلدي في باريز ان يستقبل القومندان مرشان ورجاله استقبالاً رسمياً في قصر المجلس البلدي (اوتيل دي فيل)

عين مجلس النواب لجنة لفحص الاتفاق الذي عقد بين انكلترا وفرنسا بشان افريقيا فشرح المسيو ديلكاسه لهذه اللجنة الفوائد التي جنتها فرنسا من هذا الاتفاق فقدمت اللجنة تقريرها الى المجلس بالرضى عنه فصدق المجلس عليه بعد جدال خفيف

شاع في فرنسا ان مرشان ورجاله قد قتلوا في طريقهم الى جيبوتي فكذب حاكم جيبوتي هذه الاشاعة

استعفى المسيو فريسينه وزير الحربية لان بعض اعضاء المجلس صاحوا به صياح الغضب والازدراء وهو في منبر الخطابة يذكر فيه سبب ايقاف دروس التاريخ للمسيو جووج ديروي في المدرسة الحربية فخلفه المسيو كرانتز وزير الاشغال

عزل الكابتن كينيه لانه دفع الى جريدة البتي جورنال رسائل تبادلها المسيو ديلكاسه وزير الخارجية والمسيو فريسينه وزير الحربية وهي تدل على اختلاف في الراي بينهما بشان الملف السري الذي دفع الى محكمة النقض والابرام التي تنظر في دعوى دريفوس

روسيا — قابلت الجرائد الالمانية واكثر الجرائد الفرنساوية الاتفاق بين روسيا وانكلترا على الصين بالرضى والابتهاج لانه ضمانة للسلم الافريقي. أما الجرائد الفرنسوية يتساءل هل روسيا لم تنس في هذا الاتفاق مصالح فرنسا . اما الجرائد الانكليزية فلزمت الحذر حتى تقف على تفاصيل الاتفاق

طلب المسيو دي جيرس سفير روسيا في الصين ان تمنح الصين روسيا امتيازاً بمد سكة حديدية من منشوريا الى بكين على خط مستقيم فاحتار الصينيون فيما يجيبون

ايطاليا — استقال الجنرال بيلو رئيس الوزارة الايطالية عند رؤيته في مجلس النواب ميل الاعضاء الى ارجاع الاسطول الايطالي من الصين فعهد اليه الملك تشكيل وزارة جديدة فشكلها جاعلاً فيها المسيو فيسكونتي فينوستا وزيراً للخارجية مكان الاميرال كانيفارو

الترانسفال — استفحل الخلاف بين انكلترا والترنسفال وقيل ان المستر تشمبرلن وزير المستعمرات الانكليزية ينوي ان يكون هذه المرة شديداً فاخذ بعض الاعيان في الترنسفال يستعدون للسفر منها مخافة ان تشب نار الحرب الا ان الخواطر قل خوفها اذ شاع ان الرئيس كروجر رئيس الترنسفال سيلتقي بالسير الفرد ملنر مندوب انكلترا العالي في مستعمرات الراس للبحث في ازالة الخلاف

غذاء المعد القوية

الرجال ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه · ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حيناً بعد حين · ورجل كالداء لا يحتاج اليه ابداً (الحسن)

يرى الاولاد كل شيء في العالم كبيراً : المنازل والناس والحيوانات وكل ما تقع عليه ابصارهم · وكذلك يرى الناس الاكابر والاعيان لانهم اي الناس صغار النفوس كالاولاد (لابرويير)

نؤكد ان بالتربية السيئة تفسد النفس الاكثر استعداداً للخير والصلاح · وهل تظنون ان الجرائم والشرور الكبيرة تصدر عن نفوس صغيرة ؟ كلا انها تصدر عن نفوس كبيرة افسدتها التربية · (افلاطون)

للانسان فائدة في موته وهي ان يمدح بكل شفة ولسان فانه يمسي حينئذ « كريماً حليماً سخياً تقياً نقياً ذكياً » الى آخر ما هنالك من الصفات · يعطاها كلها ولكن على شرط ان يكون قد مات (لا بروبير)

لا يطلب من الانسان ان يعرف ما يخفيه الله عنه ولكن ان ينتبه الى ما يبديه له (فنلون)

في العالم فلسفتان · واحدة تضعنا فوق الاغنياء والعظماء وتغنينا عن كل شيء وتكفينا مؤونة كل ذل وكل عناء · وواحدة تضع على اعناقنا نير هذه الامور لمنفعة الاهل والاصدقاء وهذه هي الفلسفة الفضلى (لابروبير)

لا نعتمد في تربيتنا الا على ملء الذاكرة ونترك العقل ضعيفاً والضمير فارغاً (مونتان)

فلان سياسي عظيم اكرمه واحترمه ولا ارى رجلاً جديراً بان يوضع فوقه ويرفع عليه الا ذلك الذي يرى العالم لا يستحق الاهتمام والالتفات (لابروبير)

يتوقف على الانسان ان يكون احسن حالاً مما هو عليه او أسوأ حالاً وما عدا هذا فكل شيء متوقف على ارادة الله (جوبر)

لا حر غير العاقل الحكيم (زينون)

يجب ان لا تعطى الجرائد حرية القول الا متى كان لقرائها مقدرة على تمييز فاسد القول من صحيحه · وكلما زادوا مقدرة في هذا التمييز يجب ان يزاد في اطلاق تلك الحرية · ذلك ان كل نوع من انواع الحرية يطلب فضيلة تقابله وتفهم كنهه وكل حق يجب ان يقابله واجب (شاسل)

غذاء المعد الضعيفة

ابو الهول : لماذا اشتهر ابو الهول بالحكمة وبعد الصيت — لانه قدر ان يصمت ٣٠٠٠ عام

بين معلم وتلميذه : اتعرف يا حنا حيواناً كاسراً قاسياً بارداً (يعيش في الاقاليم الباردة) ويتكاثر سريعاً — نعم ياسيدي هو الذي يدين الاموال بالربى

بين طبيب ومريض : ارجوك ان تذكرني دائماً يادكتور بما لك عندي من المال فان ذاكرتي ضعيفة وهل عندك لها دواء — نعم وهو المحكمة

بين رجل وخادم : لا يجوز التدخين هنا ياسيدي — ومن قال لك اني ادخن — اني ارى السيكارة في فمك — ما هذا الدليل البارد · وقدمي ايضاً في حذائي فهل انا ماش

بين كاهن ورجل : الا تعلم ان الشيطان يدخل معك حين دخولك الى الحانة — لا تخف يا ابانا المحترم فاني لا املك الا غرشين ولا يستطيع اخذهما مني

بين ولد وامه : قام اميل من النوم في يوم بارد متكاسلاً فصاحت به امه : اياك ان تذهب الى المدرسة قبل ان تغسل وجهك · فنظر اميل اليها وقال : اقول لك يا اماه صرت احب ان اكبر وارخي لحية : ولماذا يا اميل : لاستريح من غسل وجهي كل يوم

مصور بلا مواهب : قال مصور لصديق له : لو علمت كم احب الفنون الجميلة وكم انا مولع بها — ولكني انصحك ان تطلق هذه الزوجة لانها على ما يظهر لا تحبك

بين رجلين : أسرع ما هذا الابطاء فقد قالوا ان خسوف القمر يبتدئ في الساعة الحادية عشرة — كن مطمئناً ففي كل المراسح يعلنون انهم يبتدئون في الساعة الحادية عشرة مثلاً ثم لا يبتدئون الا بعد ذلك بنصف ساعة

لص : دخل لص في الظلام بيت رجل مديون وفتح صندوقه فنهض اليه الرجل واراد الصراخ فقال اللص : اسكت والا صرخت قبلك انه لا يوجد فلس في صندوقك

بين رجلين : اصحيح انك قلت اني سرقت كيس نقودك ياخواجا — كلا ما قلت ذلك ولكن قلت انك لو لم تفتش معي عليه حين اضعته لوجدته لا محالة

بين رجلين : تقول ان امرأتك تخاصمك دائماً اما انا فقد شفيت امرأتي من هذا الداء — وكيف صنعت — ابحت لها ان تفعل ما تشاء

الفصل السادس

في منزل ماري

طلعت الشمس على نيويورك بعد ظلام الليل الطويل فتوّجت اشعتها منزل الخواجه بولس وانبعثت من نوافذه تنشر في الغرف حرارة الحياة وامواج النور . وكانت جميع غرف المنزل مفتوحة النوافذ عند طلوع الشمس الا غرفتين كانت نوافذها لا تزال مغلقة

الاولى غرفة ماري

والثانية غرفة اميل

وكان اميل قد نام تلك الليلة نوماً هادئاً عميقاً فلما انقضت ساعات نومه الثاني الاعتيادية فتح عينيه وكانت الشمس لم تشرق بعد فوقع بصره على كوة في اعلى المكان تظهر منها رقعة من وجه السماء بمقدار سعة تلك الكوة . فتبسم اميل للسماء اذ كانت اول ما وقع عليها نظره عند فتح عينيه وذكر اسم الله

فكانت هذه النظرة التي نظرها واكلمة التي فاه بها من خير ما يتلى من الصلاة في الصباح

وذكر اميل بعد اسم الله العظيم اسماً آخر لم تتحرك به شفتاه بل ابقتاه مكتوماً في صدره حتى لا ينقص او ينفد منه شيء وهو اسم كان اذا ذكره في داخله سمع له وقعاً يحكي رنين الصنج او نغمة الوتر وهو « ماري »

وكان اميل ينظر وجه السماء من تلك الكوة الصغيرة وهو مستند في فراشه الى وسادته جسمه غائص في فراش حريري لين وعيناه غائصتان في زرقة السماء وافكاره غارقة في بحار التفكر بماري

لذلك اشرقت الشمس وارسلت اشعتها من تلك الكوة واميل لم ينهض من فراشه

اما ماري فلا نعلم سبب تأخرها في النهوض من النوم خلافاً لعادتها اليومية

وقد دخلنا في الصباح غرفة اميل عند نهوضه واما غرفة ماري فمن يستطيع دخولها

هيكل مقدس تسكنه الطهارة ويأوي اليه البهاء والجمال هذه هي غرفة العذراء في الصباح . واي عين جريئة تجسر ان تمد نظرها الى ذلك الهيكل المقدس

وردة متفتحة في صبيحة من ايام نيسان يؤذيها النظر ويخدشها اللمس وتتستر بالاوراق عند اول نسيم يهب عليها

اذا وقفت في الصباح امام مرآتها وكان جيب قميصها مكشوفاً ولو قليلاً اسرعت اليه حياء لئلا تقع عينها عليه فيجرح نظرها ما تحته جرحاً تتورد له وجنتيها من الخجل

فاي جسور يجتريء بعد هذا على مد نظره الى داخل ذلك الهيكل المقدس

الا اننا نسمع حركة في صحن الغرفة ونظنها نهضت من فراشها . نظن الحمامة البيضاء قد نهضت من مبيتها . فلنفتح باب الغرفة بعض الشيء او فلنمد النظر اليها من ثقب الباب فان اله الطهارة لا يأذن ان يجرحها هذ النظر

ماذا نرى في الغرفة ؟ ماري بثوب ناصع البياض كالملائكة جاثية على الارض وذراعاها مستندتان الى فراشها تصلي صلاة الصباح وعيناها تناجيان السماء من كوة صغيرة في اعلى المكان

كانت تنظر من حيث كان ينظر اميل الى حيث كان ينظر وتفتكر بمثل ما كان يفتكر فالتقت انظارهما وافكارهما في السماء

وقد طال جثوها وهي تصلي وعيناها السوداوان شاخصتان من تلك الكوة بزرقة السماء ويداها مرخيتان على صدرها وارأسها ملتو الى الجانب الايسر كأنها زهرة اثقل تاجها الندى فالتوت وراس ماري تاج جميل تثقله تقوى الله فهو في الصلاة يلتوي امام عرش الله

وفيما هي تصلي قرع باب غرفتها

فصبرت الفتاة حتى اتمت صلاتها وقالت بصوت كنغم العود

— من الطارق

فاجاب مجيب من وراء الباب

— انا ياسيدتي

فقامت ماري الى الباب وفتحته فابصرت خادمتها اميلي فقالت

— صباح الخير يا اميلي ما تريدين

— تأخرت في نهوضك ياسيدتي وقد ارسلني سيدي والدك اسأل عن سبب ابطائك

— وكيف اصبح والدي

— بخير وهو في انتظارك وانتظار الضيف لتناول طعام الصباح

— اما انا يا اميلي فلا استطيع ان اخرج الآن من غرفتي لثقل في رأسي فقولي لوالدي ان لا ينتظرني

— اذاً احضر لك طعام الصباح الى هنا ياسيدتي

— لا لا يا اميلي فليس لي قابلية للاكل

— لم يسبق لك انك تتركين طعام الصباح يا سيدتي

— نعم يا اميلي ولم يسبق لي ان اجد هذا الثقل الذي اجده الآن في رأسي . وربما منعني ذلك من الخروج من غرفتي النهار بطوله

— لا سمح الله ياسيدتي وهل ننادي طبيباً

فضحكت ماري وقالت — ولكنك تعرفين رأيي بالاطبا فعلام هذا السؤال — ومع ذلك فلا موجب لدعوة الطبيب لست محتاجة الاَّ الى الراحة وفي عزمي ان استريح النهار كله

— ولكن تنسين ياسيدتي ان سيدي والدك قد دعا كثيرين من الاصدقاء الى تناول طعام العشاء على مائدتنا في هذا النهار اكراماً لضيفنا

— لا لم انسَ هذا ولكني لا اظنني قادرة على الحضور واستقبال الزائرين وساستعذر ابي في هذا الامر . اسمحي لي الآن ان ادخل وانام ساعة ايضاً

قالت هذا ثم اغلقت بابها ودخلت الى فراشها

فعادت اميلي من حيث اتت . وفي عودتها سمعت جرس الباب الخارجي يقرع فقالت بنفسها — قد جاءت في حينها

ثم فتحت الباب فدخلت فتاة صبوحة الوجه فابتدرتها اميلي بقولها — اهلاً بسيدتي لم تنهض السيدة ماري بعد

— وما السبب

— انها تشكو ثقلاً في راسها وقد رأيت ان في وجهها صفرة في هذا الصباح

— شغلت بالي عليها فها انا ذاهبة اليها

وكأنها كانت خبيرة بامور المنزل فلم تنتظر ان تدلها اميلي على غرفة ماري بل هرعت اليها وثباً بخفة العصافير على الاغصان

ولما طرقت الفتاة باب غرفة ماري كانت ماري في فراشها فتضجرت ظناً منها بان الطارق اميلي خادمتها فقامت الى الباب وفتحته . لكنها ما وقعت عينها على الفتاة الداخلة حتى انقشعت عن جبينها لوائح الانقباض كما ينقشع الضباب عند طلوع شمس الصباح

فتعانقت الفتاتان ودخلتا بعد ان اقفلتا الباب

وافتتحت القادمة الحديث فقالت

— ماذا تشكين ايتها العزيزة احقيقة ذلك ام دلال

— ومن قال لك انني اشكو يافدوكي

— الخادمة ووجهك الذي ارى عليه مسحة من الاصفرار

— وأرى على وجهك مثلها فهل تشكين انت ايضاً

— انا لا اشكو شيئاً وانت تعلمين ان هذه الصفرة طبيعية فيَّ

— نعم وهي تزيدك جمالاً وبهاء

فتبسمت الفتاة وقالت — اذا كانت تزيد الجمال فلنبع منها الى غير الجميلات

— ومن قال لك اذا بعت ان نساء نيويورك لا يشترين منك اما سمعت ان النساء في بعض الولايات قد سئمن حمرة وجوههن الطبيعية فاخذن يضعن عليها الاصفر كما يضع نساء بلادنا الاحمر على وجوههن

وكأن ماري قد سرى عنها بعض ما كانت تجد فتدرجت الى هذا الحديث ضاحكة بطيبة نفس . اما التي سمعنا ماري تسميها فدوكي فانها كانت لا تضحك الا تكلفاً كأن في نفسها شاغلاً يشغلها . وربما قدر الناظر في الاثنتين اذا كان شديد الملاحظة ان يعلم حالة كل منها من الضحكة التي كانت تبدو بين شفتيهما . فان ضحكة الاولى كانت ملء فمها صادرة عن نفس منبسطة كأنها تفتح الوردة في الصباح واما ضحكة الثانية فصادرة عن نفس مغلقة منقبضة لا تضحك الا لكي تجعل صدى لضحكة النفس التي تخاطبها . الاولى ضحكة نفس طريقها مفروشة بالازهار والثانية ضحكة نفس مملوءة طريقها شوكاً وحسكاً

وكانت لمعيشة الشوك علامات على وجه الفتاة الثانية غير تكلفها الضحك كما رأينا . فان وجهها مع جماله وبهائه كان يدل على سوء معيشتها ورداءة غذائها . وجبينها الواسع الجميل كانت غضونه فيه كالجبال او امواج البحر بعضها يلي بعضاً فلم تكن تفارقه حتى في اوقات السرور وعيناها الدعجاوان كانت سهامهما وخمدت نارها فاصبحتا وقد ذبلتا كأنهما حمامتان ضعيفتان او نرجستان قصفهما الهواء فذبلتا فوق ما فيهما من الذبول . اما قامتها فهيفاء ملساء كغصن السنديان في دقته وقوته تحمله قدمان كرجلي الحجل في وثباته وخفته

« البقيه تاتي »

الجامعة العثمانية

(اصحابها) (الاخبار والارشاد)

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في اول يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣١٧

باب المقالات

طاعون وطاعون

الاجسام والنفوس

نضرب في هذا الجزء صفحاً عن المقالة السياسية الافتتاحية لنقول كلمة في النبأ العظيم الذي اجفلت له مصر واوربا معاً وهو حدوث اصابتين في الاسكندرية اشتبه انهما بالطاعون. وقد نزل هذا النبأ على النفوس نزول الصاعقة فهلعت القلوب وقلقت الخواطر واضطربت الافكار وبات الناس حيارى من الحرص على البقاء يتساءلون ماذا يصنعون وكيف يتدبرون

ولا نحاول النظر في الطاعون الآن من الوجه الصحي فقد كفانا مؤونه هذا الامر احد اطبائنا الافاضل الذي يعد الآن للجامعة فصلاً شائقاً في هذا الداء الاسود سننشره في الجزء التالي. اما نحن فننظر الآن في الطاعون نظراً ادبياً

علامَ خوف الناس من الطاعون كل هذا الخوف الذي يقصم الظهور ويخلع القلوب. اتراهم شديدي البعد عنه لا يحملون كل يوم جراثيمه ويطوفون بها الازقة والشوارع وهم يغذونها من اطيب ما في نفوسهم ؟

نعم ان هذا الطاعون لا يسمى طاعوناً جسدياً ولكن هل ان (الطاعون الادبي) اقل فتكاً في الانسان واخف تأثيراً من (الطاعون المادي) ؟ ام النفوس لديهم رخيصة والاجسام غالية ؟

سرح طرفك ايها الانسان حيث كنت في الغرب او في الشرق وانظر حولك ضروب (الطاعون الادبي) التي تفتك بنفس الانسانية فتكاً ذريعاً. بل مالنا وللغرب وللشرق فلننظر في مصر هذه الارض الطيبة العزيزة. اترى الطاعون اشد فتكاً في الاجسام من خمر الازبكية وخمارها في النفوس؟ لو قام الطاعون في مصر وقعد هل كان يفتح للاجسام هاوية اوسع واعمق من تلك الهاوية الهائلة التي تفتحها الآن للنفوس اماكن الفساد حيث يقتل (في الجنسين) الشرف والعقل والبدن وتدفن كما تدفن الجيف المنتنة ؟ قال اسقف في افريقيا ان المسكرات تقتل ٧٥ في المائة من السكان فقام عليه تجارها وطلبوا محاكمته بتهمة الثلب والافتراء فلو فشا الطاعون بينهم اكان اشد فتكاً فيهم من المسكرات ؟ هل يخرب الطاعون من البيوت العامرة ما خربه في مصر داء المقامرة ؟ وتلك المثالب والمطاعن في الجرائد. والغش في المعاملات. ودوس القوي الضعيف. واستبداد الحاكم بأمر المحكوم. والكذب والكبرياء والرياء والتعصب الاعمى والطمع والجهل والفقر والشقاء وكل هذه الرذائل الصغيرة والكبيرة التي تأكل اليوم من احشاء الانسانية وتتغذى من دمها — كل هذه ابلغ الطاعون مبلغها في

العدوان على الانسان وايذائه ؟ فعلام الهلع والجزع امام طاعون الاجسام على حين انكم لا تبالون بطاعون النفوس ؟

لقد حكم هذا التمدن الفاسد ان لا تبالوا به اذ عوّدكم رؤيته فالتمتموه وبقي ينخر عودكم كما ينخر السوس لب الشجرة وانتم عنه لاهون وبحطام الدنيا وزخارفها مشغولون . كافعى اصابت ذئباً رابضاً يفترس نعجة فاخذت تنهش لحم فريستها وهو مشغول بفريسته . فكما انكم لا تبالون بطاعون النفوس تعلموا ايضاً ان لا تبالوا بطاعون الاجسام . وما هي الحياة حتى تحرصوا عليها كل هذا الحرص الشديد ؟ بخار يرتفع قليلاً ثم يضمحل . وردة تتفتح اكمامها في الصباح لتذبل في المساء . شمعة ايها الاعزاء كالشمعة التي نكتب على نورها الآن تذوب فلا يبقى لها اثر في هذا الوجود

واذا كنتم لا ترون في هذه الاوبئة القتالة الا جائحات للاجسام فكثيرون يرون فيها ما لا ترون و يعتقدون غير ما تعتقدون . انها سياط الله سبحانه يرسلها على الانسانية عقاباً وانذاراً . عقاباً متى خرجت الانسانية عن دائرة الشرائع الازلية الابدية التي وضعها لها . وانذاراً متى اراد ان يرد اليه النفوس الشاردة البعيدة عنه ويجتذب الى (فوق) تلك العيون التي لا تنظر الا الى (تحت) . تاملوا تجدوا هذا الأمر ظاهراً في كل مرة يرسل الله سوط الوباء على بني الانسان . فانهم يحسون في ذلك الوقت بيد تربطهم من جديد بالسماء بل تجذب ابصارهم من نفسها الى فوق فتجري السنتهم بقولهم (الله الواقي) (لتكن مشيئة الله) مع انهم مضت عليهم الايام والشهور والاعوام وهم لم ينظروا الى السماء ولم يذكروا اسم الله

فلا بعداً لك ايتها الاوبئة السوداء الهائلة اذا كنت تردين المخلوق الى الخالق وتقطعين بيدك المخيفة تلك القيود الارضية القبيحة التي تقيد رؤوسنا بالنظر دائما الى الارض فتشغلنا الدنيا وزخارفها والحياة واطماعها عن النظر الى السماء

توجه انظار القراء الكرام الى المقالة التالية في « التوازن الدولي » فانهم قلما يجدون دائماً مؤرخاً فاضلاً يبحث لهم في الشرق هذا البحث المبتكر في السياسة والتاريخ فننصح لهم ان يطالعوها بما تستحقه من الامعان الشديد ونشكر لحضرة ناسج بردها شكراً جزيلاً

التوازن الدولي

لحضرة العالم الفاضل والمؤرخ المحقق جرجي افندي يني

لا خفاء ان كيان الدول يختلف باختلاف اقدارها بين قوي عظيم وضعيف خامل وما بينهما . وان تماسك الامة الواحدة ذائد عنها جائحة العدوان وكل دولة تطمح بانظارها الى الاخرى فتقف لها بالمرصاد لترى من منعتها ثغرة فتنقض عليها فتبتلعها لان التسود من طبيعة الانسان النشيط ولا تجدنَّ القناعة الا في نفوس العاجزين . ولكن الدول تحسب لاعتزاز جاراتها حساباً فكأنها تتخذ قول المثل « اذا عز جارك فهن » شعاراً لها ولهذا تخشى العزة والمنعة للجار ولو كان مسالماً لئلا تنقلب الاحوال ويصبح الصديق عدواً والمخالف خصماً لدوداً فكان ثمت نشأة القانون الدولي المسمى بحقوق الامم وبه تراعى حرمة الحكومات الكبيرة والصغيرة على السواء بمعنى ان لا تكون عزة الدولة القاهرة رعباً للدولة الضعيفة بل ان يبقى لكل منهما الشأن المخصوص مالم تتماس الحقوق ويعدل في تنظيمها الى الحرب فالحق ساعتئذٍ للحسام فبطل بمثل هذا القيد الحق الظاهر للقوي بابتلاع الضعيف واصبح ذلك القادر مسئولاً لدى امثاله في بيان الذرائع التي يرمي من ورائها الى اهتضام حقوق الضعيف . فان لم تكن القوة غالبة لا تقاوَى يعدل الى العدل وقل ان يسود هذا . فالدول تذود بعضها عن بعض لئلا يبتلع القوي الضعيف فتزداد قوة القوي عما يماثله وهنالك موقف الخطر على الذين كانوا يماثلونه قدراً

فالقوة التي تتذرع الدول بها لصد القوي وحفظ حق الضعيف هي التوازن الدولي المسمى في عرف الفرنسويين

Equilibre politique

وعند الانكليز Balance of power

وعند الالمان Politisches gleichgwicht

ويراد به على قول احد علماء الانكليز حالة لا يستطاع بها لامير او لدولة ان تستبد بالسيادة والامر على دولة اخرى

وقد وضع له احد علماء النمساويين حداً اخر قال فيه : ان التوازن الدولي سنة مشروعة بين الدول المتجاورة سواء في ذلك كثرت علائقها مع بعضها او قلت وبها لا تستطيع الدولة الواحدة منهن ان تضرَّ بشيء من استقلال الدولة الاخرى او من حقوقها المهمة الا وتتلقاها دولة اخرى من المجاورات بالممانعة الفعلية فتعرض نفسها من جراء ذلك لاشد الخطر . اه

فكأن التوازن الدولي في عرف الساسة كالجاذبية في عرف علماء الطبيعة تتماسك بها الاجرام في الفضاء على تعادل متناسق بحيث تلازم لذلك مواضعها فان ضعف الجذب من صوب راح الجسم منجذبًا الى الاقوى وساء المصير

والتوازن هذا حديث الوضع ذكرًا ولكنه قديم العهد عملاً بخلاف ما ذهب اليه بعض الباحثين فانهم قالوا ان قدم هذا المبدأ لا يتجاوز العصر اليوناني مع اننا رأينا في تواريخ كثيرة من الامم القديمة وقائع جمة يصح ان يكون صدورها عن هذا المبدأ اكثر منها عن الاسباب الأخرى التي انتحلها لها رواتها

فكم من قبيلة رأيناها شمرت للحرب وتضامت واتحدت بغيرها وزحفت جيوشها لمحاربة فاتح عظيم لم تخش من صولته ولو عظمت كأنها تستقتل في قتاله ولا ترضى له بالسلطة غير معارَض

اعتبر ذلك بما ورد عن رعمسيس الثاني من فراعنة الدولة الثامنة عشرة المصرية كيف كان باسلاً جريئًا مقدامًا دانت له البلاد قاصيها ودانيها وامتد رواق سلطانه حتى الى فلسطين حيثما حمى بعض مدنها بشراذم من عسكره فهابته الملوك والامراء وخافوا بطشه ومزيد بأسه فتألبوا حلقة شديدة الحول يرئسها الكيناس اي الحثيون ويتلوهم الفينيقيون والسوريون والكيليكيون والليقيون والدرانيون والميسيون والجراجسة واهل بيداسوس وايليون

واظهر من هذا تحالف كروسوس ملك ليديا مع احماس فرعون مصر ونابونيدوس ملك بابل لخضد شوكة الفرس الذين غلبوا الماديين على سلطانهم

وفي تاريخ دولتي اشور ومصر حوادث جمة يستدل منها على تناظر الدولتين العظيمتين وانهما كانتا لبعضهما بالمرصاد فلا تقرب الواحدة من تخوم الاخرى حتى تقوم الدسائس والمحالفات على قدم وساق وهذا خبر شلمنصر الخامس كيف انه لما زحف لقتال هوشع ملك اسرائيل خاف شيشنق المصري من استفحال امر مناظره فحالف هوشع

ناهيك ان الفينيقيين كانوا دولاً صغارًا تجمعهم الحلقة ومن غريب امرهم انهم مع وحدتهم دينًا ولغةً وشعبًا وامة ووطنًا لم يجتمعوا لسلطة واحدة الا حين اذ كانوا على طاعة الفاتحين. واختلاف دولهم في مدائنهم اوجد تباينًا في مصالحهم الخاصة فنشأ من ذلك حرص كل دولة منهم على شأنها المختص ومقامها المعهود وتهالكها في الذود عن حوضها وصد قويها عن ضعيفها وخشية كل واحدة منها من مزيد سلطة الاخرى واعتلاء كلمتها مما ادى بهن جملة الى اختيار بقعة متحائدة او غير ذات اهمية لتكون لهم دار ندوة تجتمع فيها نواب حكوماتهم للائتمار بشوونهم العامة كل هذا لئلا يكون وجود دار الندوة في بلد مدرجة لتسوّد دولة تلك البلد

هذا نذر قليل من حوادث التاريخ القديم مما تخيلته صادرًا عن العمل بمبدأ التوازن الدولي الا ان مؤرخي هذه الحوادث لم يذكروا لها ذلك المبدأ سببًا بل انتحلوا لها اسبابًا شتى وظني بها لا احسبه فصلاً ولا اعتقده من الحقائق الثابتة الا اذا فحصته نقدة الحقائق ورأت فيه مقنعًا

ولا اخال السواد الاعظم من الباحثين يرى بأسًا من القول بان مبدأ التوازن كان يخطر لبعض الحكومات القديمة فتعمل بهِ حينًا وتنبذه احيانًا وانما يخال لي ذلك لأن بعضًا من المحققين قالوا بان مبدأ التوازن كان ظاهرًا في حوادث اليونان قبل الدولة المكدونية واستشهدوا على ذلك بما رأوا من تفرقهم دولا صغارًا تزاحم بعضها بعضًا وما علموا من تحاسدهم وغيرة كل منهم على بلدته والتفاني في سبيلها فحكموا بتسود المبدأ فيهم سياحين اذ رأوا انهم كانوا اذا وقعت الحرب بين بلدين منهم ونصر كلاهما فيئة من الوطنيين حتى ظفر احدهما انقلب حلفاء الظافر عليه ليسلبوه فخار النصر او لئلا يشمخ بانفه فيسومهم ما لا يطيقون

قلت ان بعض العلماء حكموا بوجود مبدأ التوازن الدولي عند اليونان مما علموا ولكني اعجب كيف لم يجدوا ذلك المبدأ فعالاً بين الفينيقيين وهم على ما وصف بل كيف لم يكن ذلك شأن سائر ممالك العالم القديم وهي صغار متبعثرة بقواها الضعيفة في ملء العالم المعروف — بل كيف لم يكن ذلك المبدأ ساريًا بين قبائل البادية السارحة في القفار ولو لم يكن تماسك الحكومات الصغيرة بذاتها وتحالفاتها من نتاج هذا المبدأ لما قام على مدى العصور حكومات ضعيفة بجانب الدول العظمى

ومما يروى عن اسكندر المكدوني انه لما فتح صورًا بعد حصرها شديدًا اراد ان يسير اسطولاً فينيقيًا لفتح قرطاجنة فابى الفينيقيون الاجابة معتذرين بانهم لا يقاتلون ابناءهم والحق انهم كانوا يقصدون ألاّ يكونوا عونًا له على مزيد عظمته

ومثل هذا ما عرف في التاريخ الروماني من ان هيرو ملك سراكوسة كان من حلفاء رومية ولكنه لما رآها تحارب قرطاجنة بعث لهاته البلدة نجدةً لئلا تسطو رومية عليها فتعتز بامتلاكها ثم ترجع اليه فترجع يده عن نصف صيقله التي كان يشاركها في امتلاكها بل ربما غلبته على كل ماكه

وخلفاء الاسكندر كان في تقسيم دولة سيدهم وتالبهم على

الطامع في المزيد احسن مظهر لمبدأ التوازن وكان بتولايه صاحب مصر اشدهم تمسكاً به ونهوضاً على من مال لمخالفته

الا ان كل هذه الحوادث قديمها وحديثها ليست لتدل على اطراد السياسيين القدماء الخطة الواحدة في اتباع مبدأ التوازن او اطراحه بل كان الحبل ملقى على الغارب والظروف تحكم على الممالك حكماً لا تجد عنه محيصاً فقد وردت حوادث كان يستطاع لبعض الدول فيها ان تنهض لنصرة ضعيفها لترد عنه الويل فلم تفعل وذكرت وقائع اخرى دلت على وجود هذا المبدأ في سياسة تلك الايام

وظل الامر كذلك واوربا غافلة عن صوالحها بمنازعات ملوكها وامرائها اولئك يريدون خضد شوكة اصحاب الاقطاعات وهولاء يذودون عن حياضهم حتى جرت الدماء انهاراً وكانت ايامهم ظروفاً تضيق عما سواها — الا ايطاليا — فان اماراتها وجمهورياتها كانت تناظر بعضها بعضاً وتتزاحم بالمناكب على جرّ المنافع ودرء المفاسد وهي في اشد الحذر من تعاظم قوى بعضها وفي ذلك يقول مؤرخها كيوشرديني : ان تحاسدها حملها على مراقبة بعضها بعضاً والنظر في كل حركة او عمل يظنه الواحد مما يؤدي الى زيادة قوى الاخر ٠اه

فمن هذا التحاسد والتناظر برزت جرثومة هذا المبدأ النعال على ان من الكتاب من انكر هذا الاصل وحسب النشأة الايطالية موضعية لم تنل شرف الحظوى في سائر الاقطار ودليل المنكرين على ذلك ان القائلين بايطالية المنشأ يحسبونه واقعاً في اوائل القرن الخامس عشر والحال انه جرت في القرن المذكور حوادث مهمة تخالف هذا المبدأ في كل من انكلترا وفرنسا واسبانيا والمانيا فلو كان المبدأ قد اتصل يومئذ بتلك الامم لما جرى منهم ما يخالفة وانما يدعون انه لم ينته ذلك القرن الا وقد تبوأ المبدأ سدته ويحسبون بداءة العمل به منذ زحف شارل الثامن ملك فرنسا سنة ١٤٩٤ على ايطاليا لفتح نابولي فاضطرب بعض ملوك اوربا وعدوا عمله تخلا بهذا المبدأ القويم وتالبت الحلفة الاوربية الاولى لصدمطامع الفاتح يومئذ تناسى مكسيمليان امبراطور المانيا عدوانه واطرح فردينند ملك اراكون خصامه وعرف حكام ايطاليا وامراؤها واجب التوازن الدولي ونهضوا على الفرنسيس فاخرجوهم من ايطاليا

ومنذ يومئذ بدأت السياسة المبنية على هذا المبدأ النعال فهو اذاً من مبتدعات العصر الخامس عشر ومما تفضلت به ايطاليا على العالم المتمدن فاصبح مما يتخذه الساسة قاعدة لاعمالهم متى ارادوا. اما الولايات المتحدة في اميركا فان كيانها وعلائقها مع بعضها مظهر من مظاهر هذا المبدأ لكنها لم تمد يدها لتأييده في اوروبا بل اكتفت بالمحافظة عليه في قارتي اميركا اذ هي لا تسمح لاي كان من امم اوروبا بامتلاك ارض او انشاء مستعمرة في اميركا والمبدأ هذا هو المعروف بمبدأ مونرو

هذا ما علمناه عن التوازن الدولي زففناه الى القرآء الالباء والله يتولاهم بمنه وكرمه

الفيلسوف جول سيمون

حقٌ علينا للقرّاء بعد ما اطلعناهم عليهِ من مبادىء هذا الفيلسوف العظيم ان نريهم وجههُ الهادىء اللطيف الذي كانت تجللهُ شيخوخة طاهرة وان نورد لهم طرفاً من سيرة هذا العصامي الذي ارتقى بجدهِ ومواهبهِ الى اعلى المناصب في بلادهِ ٠ وفضلاً عن انهُ قد صار للقراء هذا الحق فاننا نرى ذلك مما يجب علينا ادبياً ٠ فقد حظينا يوماً بالشرف العظيم الذي يتوق اليهِ كل مشتغل بالادب وهو ان يعرف اقطاب الادب والفلسفة فعرفنا الرجل معرفة ابقت في نفسنا حسرة شديدة ٠ ذلك انها كانت معرفة غير كاملة ٠ فقد اطلعنا على اكثر كتبه اخصها كتاب « الواجبات » وكتاب « الحرية السياسية » وكتاب « المرأة في القرن العشرين » بل درسناها درساً ونقلنا الى



اللغة العربية هذا الكتاب الاخير كما ذكرنا في الجزء الاول فاذن لنا الفيلسوف بنشر الترجمة بكتاب كتبهُ رحمه الله وهو مصاب بالكتاركت في عينيه وفيه يقول " كرهت ان أُبطئ عليك بالجواب بالرغم عن كوني بين ايدي الجراحين لذلك جئت اقول لك انك في غنى عن استئذاني "

الا ان المنون كرهت ان تمتع فرنسا طويلاً بهذا الرجل العظيم فحرمت الذين استضاؤُا بنور تلك الشمس من بعيد ان يقتربوا منها فيعرفوا وجهها كما عرفوا نورها . فارسلنا يومئذٍ نرجو مجلة الهلال الغراء ان ترينا وجهها . فصنعت يومئذٍ كرماً منها هذا الرسم وكرماً منها اعارتنا اليوم اياهُ لنضعهُ في صدر هذه الترجمة

وقد اوردنا ذلك دلالةً على اننا نكتب تاريخ حياة هذا الفيلسوف كتلميذ يكتب تاريخ حياة معلمه . ونقسمه الى قسمين نتودع القسم الاول بعض تفاصيل حياته ونأتي في القسم الثاني على ذكر فلسفته وسياسته تمهيداً لما سننقله عنه من الفصول الفلسفية والسياسية والادبية انجازاً لوعدنا في الجزء الاول فنقول

ولد جول سيمون في ٢٨ دسمبر ١٨١٤ في مدينة لوريان من اعمال فرنسا في شارع دي بور نمرة ٢٧ . وكان ابوه فقيراً يبيع الانسجة ثم طرأت عليه طوارئ زادته سوء حال فاضطر الى نقل العائلة الى سان جان بريفيلاي حيث شب جول سيمون وترعرع وفي ذلك يقول في كتابه امراة القرن العشرين « لبثت في سان جان بريفيلاي الى السنة التاسعة ولا معلم لي غير امي لانه لم يكن من مدرسة في تلك القرية . وكانت لي رغبة شديده في المطالعة فكنت اقضي اكثر الاوقات داخل البيت جالساً في كرسي اطالع ما تصل اليه يدي من الروايات حتى سئمت امي هذه الحال فاحرقتها وصارت كل يوم تجرني من يدي جرّاً الى خارج المنزل لا تنزه واستنشق الهواء النقي

ثم أُرسل الى مدرسة لوريان فدخلها مسروراً وهو في التاسعة من عمره ولكن ما لبث اهله ان زادوا سوء حال فعزموا على اخراجه منها وتعليمه حرفة يدوية فأخذ جول سيمون يلتمس اليهم ان لا يفعلوا ويطلب ان يمهلوه قليلاً حتى يأخذ ما يجب عليه اخذه من العلم فامهلوه وادخلوه مدرسة في مدينته فانّ صابرين صبراً جميلاً على كل ضيق توصلاً الى تعليمه

غير انهم عجزوا بعد ذلك عن دفع راتبه المدرسي فحزن جول سيمون لذلك ورأى آماله كلها ذاهبة ادراج الرياح . الا ان ناظر المدرسة ابلغ فقر اهله الى مدام لي نورمان التي كانت تنفق من جيبها على بعض الطلبة فدفعت عنه الراتب المدرسي فبقيت عليه نفقاته الخصوصية اي نفقات غذائه ونومه وفي ذلك يقول « وكنت ساكناً في غرفة صغيرة بلا موقد للنار في الشتاء ولا اثاث غير مائدة صغيرة محطمة وسرير صغير يكاد يملأ المكان . وكنت ادفع ٢٥ فرنكاً في الشهر عن اجرة الغرفة وجميع لوازمي ولما كنت قد اعفيت من دفع الراتب المدرسي كانت ميزانيتي في السنة ٢٥٠ فرنكاً فقط . ولكن من اين كان لي ان احصل على هذا المال في كل سنة »

الا انه كان لابد من تدبير هذا المال . فدله معلم له يدعى لي نيفه على ثمانية تلامذة يعلمهم وياخذ اجرته . وكان عمر جول سيمون يومئذ ١٥ سنة . فقسمهم الى صفين صف يعلمه كل يوم من الساعة السادسة ونصف صباحاً الى الساعة الثامنة ونصف وصف من السادسة مساء الى السابعة وفي ذلك يقول « وكان سكان القرية ينظرونني في كل صباح ومساء ذاهباً الى الصف او عائداً منه وانا احمل مصباحاً انير به طريقي فيلبثون يتاملون فيَّ وقيل انهم كانوا يعجبون بعملي ويحترمونه بعض الاحترام »

وفي سنة ١٨٣٢ عين معلماً في مدرسة رين ويكفي للدلالة على مبادئه في التعليم ان نورد فقرة كتبها الى صديق له معلم في مدرسة غير مدرسته . قال « في الليل اخطر ذهاباً واياباً في قاعة النوم احرس التلامذة في نومهم . في كل سرير ولد صغير او قرد صغير وجهه متدفق بماء الصحة ويداه ملطختان بالحبر وهو يغط غطيطاً شديداً . وفيما ان ماش اسمع حركة فالتفت لارى صاحبها فارى رأساً صغيراً يخرج من تحت اللحاف بعينين براقتين وأسمع قائلاً يقول " وحياتك يا مسيو لست صاحب هذه الحركة " فيأتيني الضحك ويخطر لي ان اقبله بدلاً من ان اعاقبه ولكن لابد من معاقبته . كذا يقتضي نظام المدارس الملكية . كل تلميذ يتكلم بلا داع للكلام يعاقب بالانفراد ساعة . ومع ذلك يعزون اليّ اللين في معاملة التلامذة . فما اشد تعب هذه الحرفة »

وفي سنة ١٨٣٣ دخل مدرسة المعلمين فعلق عقله بالفلسفة وصارت نفسه فيها تتراوح بين الشك والرجاء وفي سنة ١٨٣٩ عينه المسيو كوزين نائباً عنه في مدرسة العلوم وخطيباً في مدرسة المعلمين . وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة . وهكذا دخل باب الشهرة في عمر يكون فيه الانسان عادة ممتلئ الصدر قلقاً وخوفاً على مستقبله

وكان اول ما كتبه تاريخ مدرسة الاسكندرية . روى

انه كتب المقالة الاولى منه واخذها الى احدى المجلات العلمية رجاء ان يأخذ ثمنها . ولكنه لم يجترئ على مقابلة مدير المجلة فارسلها اليه وكان عالمًا انه اذا رضي المدير بادراجها فانه يرسل اليه المسودات حتى يصلحها . فلم تنقض ايام حتى اتته مسوداتها ففرح جول سيمون لذلك لانه قال في نفسه انه يأخذ ثمنها فيتعشى به تلك الليلة على الاقل عشاء جيدًا . ولكن خاب ظنه اذ علم ان تلك المجلة لاتدفع عادة ثمن المقالة الاولى

ومن ذلك الحين اخذ ينشر المقالات الشائقة في الفلسفة والسياسة ويخطب في مدرسة السوربون فطارت شهرته وبعد صيته فانتخب عضوًا للبرلمان بعد ثورة سنة ١٨٤٨ ولكنه سقط في انتخاب سنة ١٨٤٩ فرجع الى كلية السوربون يعلم فيها

وفي هذا الوقت عمل عملاً في السوربون كتب الجمهوريون تاريخه باحرف من ذهب في تاريخ الجمهورية . ذلك ان نابوليون الثالث كان ينوي قلب الجمهورية واقامة الامبرطورية وهو يريد استشارة الشعب الفرنسوي باقتراع عام (بلبيسيت) فوقف المسيو جول سيمون في منبر الخطابة في السوربون وكانت القاعة غاصة باكابر رجال العلم والسياسة فخطب قائلاً (ايها السادة . انا في هذه المدرسة معلم لمبادىء الادب ومن واجباتي ان اعطيكم الآن امثولة فيها . ان رجلاً عهد اليه صيانة الحق قد اقدم على دوسه . وسنرى غدًا اذا كانت فرنسا ترضى دوس الحق ولكن اذا لم يكن في صندوق الاقتراع غير ورقة واحدة تنتصر له فاعلموا منذ الان اني صاحب هذه الورقة)

فدوى في المكان تصفيق الاستحسان دويًا اهتزت له جدران قاعة السوربون . فاوقف الدرس وانزل الخطيب من منبره فخرج به الحاضرون وهم يهتفون له هتافًا شديدًا . وفي اليوم الثاني اضطر جول سيمون الى ترك وظيفته في كلية السوربون فخرج منها واعتزل الاعمال في منزله فالف فيه كتابيه الشهيرين : الواجبات . والحرية السياسية

ومنذ هذا العهد لم يبق فرنسوي في العالم حتى سمع بجول سيمون وقرأ كلامه الحلو العذب اللين والقوي معًا . وما زال صاعدًا جبل الشهرة حتى بلغ قمته في سنة ١٨٦٣ اذ انتخب من جديد عضوًا للبرلمان

فخطب فيه الخطب الطنانة الرنانة التي سحرت الالباب وجعلت له مقاما عاليًا بين اخطب خطباء المجلس في ذلك العهد : بريه وتييرس وجول فافر . فزادت شهرته اتساعًا وصيته بعدًا فاعيد انتخابه سنة ١٨٩٦ وبعد انقضاء سنة القيت اليه وزارة المعارف الفرنسوية . ثم اضطر الى الاستقالة بعد حرب سنة ٧٠ ثم عاد الى الوزارة ثم استقال لاسباب سيرد اجمالها في القسم الثاني من تاريخ حياته

هذا وان القلم ليقصر عن ان يصف الشهرة التي نالها هذا الفيلسوف الكبير والسياسي العظيم في بلاده والسلطة التي كانت له في آخر ايامه وهو ابن رجل فقير كان « بائع انسجة » في احدى القرى الصغيرة . ويجدر بنا هنا ان نورد ما قاله عن نفسه بهذا الشأن في كتابه امرأة القرن العشرين اذ كان يستشهد على فضل الثورة الفرنسوية وتأثيرها في دفع التمدن الى امام قال :

« ولكم في نهوضي الى ما انا فيه دليل على ما اقول . فانني كنت في السنة الثالثة عشرة من عمري فقيرًا يتيماً وحيدًا بلا عضد ولا صديق . وكنت اذ ذاك محتاجًا الى كسب ما اسد به نفقاتي المدرسية فضلاً عن نفقاتي الخصوصية . اما الآن فانا اشغل منصبًا من اعظم المناصب التي في بلادي (يريد عضوية مجلس الشيوخ) فلو كنت في عهد الحكومة القديمة (يريد الحكومة قبل الثورة) لما كان امامي اذ ذاك الا احتراف احدى الحرف البدوية في قريتي او الانخراط في سلك احدى الجمعيات الاكليريكية

وسنأتي في احد الاجزاء القادمة على القسم الثاني من تاريخ حياته وفيه الكلام على فلسفته وسياسته ومؤلفاته

العجائب الحديثة

نريد « بالعجائب الحديثة » العجائب التي يصنعها العلم في هذا الزمان يومًا بعد يوم . منها عجيبتان وقفنا عليهما في مجلة المجلات الفرنسوية الشهيرة فآثرنا نقلها الى حضرات القراء

الاولى اختراع جديد للدكتور الاميركي كورنينج وموضوعه استبدال الاحلام الثقيلة المخيفة باحلام جميلة بهيجة . فكل يعلم ان الانسان في مرضه يرى في الليل احلامًا مزعجة تورثه الانقباض وثقل الرأس والتعب حين استيقاظه فتهدم بذلك شيئًا مما يكون قد بناه الطبيب بعلاجه . فالغرض من هذا الاختراع ان تزال تلك الاحلام المزعجة ويوضع مكانها احلام جميلة تؤثر تأثيرًا حسنا على قوى المريض وعلى مجموعه العصبي فتسره بدلاً من ان تسوءه وتساعد الطبيب على شفاء مريضه بدلاً من ان تعاكسه . وقد توصل الدكتور كورنينج الى هذه النتيجة مستعينًا

بمنظر الاشياء الجميلة والانغام الشجية واليك وصف اختراعه بوجه الاجمال لترى ما فيه من الغرابة

يلبس الدكتور رأس المريض عراقية من عراقيات النوم مصنوعة من نسيج لطيف فتغطي الراس كله الا الوجه. ويكون فيها عند الاذنين ثقبان تبدو منهما الاذنان . ومتى ظهرت الاذنان من فوق العراقية وجدتا غطائين معدنيين مجوفين عالقين بالعراقية ينطبقان على الاذنين . وكل من هذين الغطائين يتصل به انبوبة من الكاوتشوك طرفها الواحد عالق بالغطاء والطرف الثاني متصل بآلة ناطقة (فونوغراف)

ومتى لبس المريض هذه الآلة في رأسه أُلقي على مقعد او ديوان مجلل بغطاء كثيف يمنع النور من النفوذ اليه . وخارج هذه الغرفة المظلمة توضع آلة لعكس النور على وجه بهيج جداً يتصل بالغرفة المذكورة آنفاً . فاذا نام المريض في هذه الغرفة والآلة عاكسة النور البهيج امامه وفي اذنيه انبوبة الفونوغراف بدأ عكس النور في الآلة العاكسة فابتهجت بذلك عيناه واخذ الفونوغراف بترنيم انغام شجية تطرب لها اذناه فينشرح صدر المريض بهذه الملذات الداخلة اليه من عينيه واذنيه . واشد ما تكون هذه الملذات تاثيراً عليه عند ما يدب النعاس في جفنيه وذلك قبل ان يفقده الرقاد حسه وتبقى الملذة مؤثرة عليه حتى بعد استغراقه في النوم فيحلم احلاماً جميلة بهيجة لانه نام منبسط النفس مشروح الصدر بانغام الفونوغرف وصورة الانوار المنعكسة

هذه هي الاعجوبة الاولى بقيت الثانية وهي لا تنقص عنها غرابة

وبيانها ان رجلاً ايطاليًا من سكان كاليفورنيا يدعى باتريني كان في معدته تورُّم ينغص عيشه ويحرمه طيب الحياة . فقصد الدكتور مكدونالد في سان فرنسيسكو يستشيره في مداواة دائه . فابلغه الدكتور مكدونالد انه يجب استئصال سبب الداء بعملية شديدة الخطر يرجح انه يموت بها واذا لم يمت ونجحت فلا يعيش وقتاً طويلاً . الا ان ذلك الايطالي كان قد سئم الحياة لما يجد من الألم في معدته فرضي باجراء هذه العملية . ولو كان ملمًا بعض الالمام بمبادئ الفيسيولوجيا او كان عالمًا بما يريد الدكتور مكدونالد صنعه به لما رضي بتسليم نفسه اليه

فالقاه الدكتور على مائدة بعد تخدير اعصابه وشق جسمه بآلته . وكان غرضه من قوله « استئصال سبب الداء » استئصال المعدة كلها لانها مركز الداء فقطعها بخفة ومهارة غريبة ثم اخذ المريء (بلعوم الطعام) فجذبه قليلاً الى اسفل وتناول المعاء فجذبه قليلاً الى فوق حتى التقيا فتناول حينئذ خيطاً حريرًا وخيطهما به واطبق جوف الرجل والقى المعدة على الارض فاصبح باتريني بلا معدة

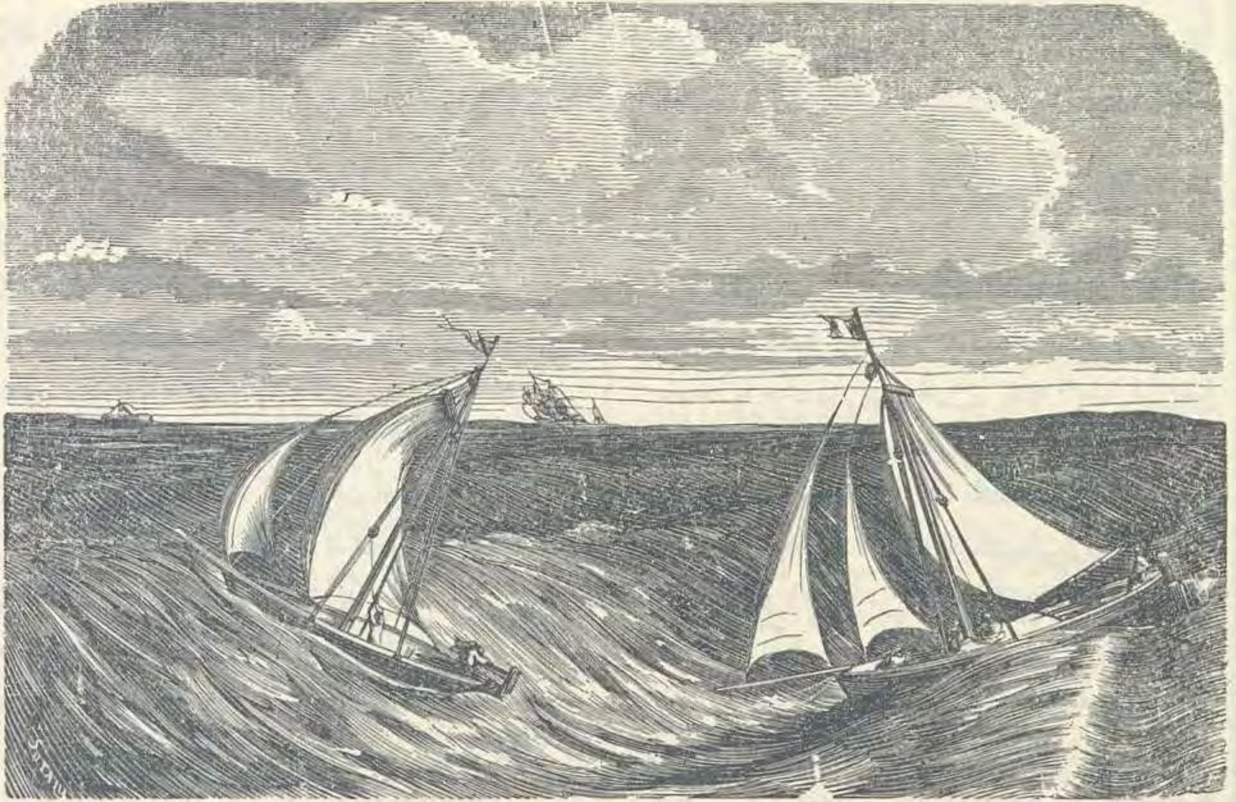
وليس هذا بغريب فقد سبق لكثيرين من الاطباء انهم قطعوا المعدة من الجسم وبقي الجسم حيًا ولكن الغرابة في ان يعود الى ذلك الجسم نشاطه وصحته وبالخصوص « قابلية الطعام » فيصبح وهو بلا معدة اصح واحسن حالاً منه وهو بمعدة

وهذا ما جرى لباتريني . فان تلك العملية الجراحية نجحت كل النجاح وما انقضى على هذا الرجل ثمانية ايام حتى احس بتحسن حاله واشتهى الاطعمة المختلفة فطلب لحمًا وخبزًا . فنهاه الدكتور مكدونالد عن ذلك فسكت باتريني ولكنه في اول يوم أُذن له فيه بالخروج من المستشفى للنزهة قليلاً قصد احد مطاعم المدينة واكل فيه من الخبز واللحم والدجاج حتى النهمة وخرج . فلما درى بذلك الدكتور في المساء عنفه ووبخه وكان باتريني قد ضاق ذرعاً بالتعنيف والتوبيخ ففر من المستشفى دون ان يدري به احد وذهب الى احدى محطات السكة الحديدية يعمل فيها بنقل امتعة المسافرين ليكسب خبزه بعرق جبينه

واتفق ان الدكتور مكدونالد قصد تلك المحطة فابصر مريضه يحمل صندوقًا ثقيلاً ضخماً على ظهره فعرفه الدكتور وصاح به ان ينزل الصندوق عن ظهره خوف ان ينقطع مريئه ثم اتى بمركبة واكرهه على ركوبها معه وعاد به الى المستشفى كسجين فارّ يعاد به الى سجنه . فابقاه في المستشفى قريباً من شهر حتى تم شفاء جرحه ثم أُطلق سراحه فخرج باتريني من المستشفى صحيحاً معافى ياكل اللحم والخبز وكل ما تطلبه نفسه وهو بلا معدة . والسر في هذا ان معاءه قام مقام معدته

وهو الآن قوي الجسم صحيح البنية يحرث حقله في كاليفورنيا ويقول انه سيعيش نصف قرن ايضاً . وقد عزم ان يتزوج ولكنه يكدره جداً ان ياتي اولاده بمعدة فانه يحب ان يكونوا مثله بلا معدة ليستريحوا من ثقلتها

فمن يمعن النظر في هاتين الحادثتين « الاحلام الجميلة مكان الاحلام المزعجة » و « قيام المعاء مقام المعدة » يدرك ان الانسان مع كل ما توصل اليه اليوم من الاختراعات والاكتشافات لا يزال كطفل صغير على شاطئ بحر العلم الواسع اذا التقط منه بعض الحصى والاصداف بقي حوله منها مالا يحصر ولا يحصى وان للانسانية مستقبلاً عظيماً لا يعلمه الا الله .



سباق الزوارق في البحر



رجل يجرب تجربة كيماوية امام امرأته وولده فاخذت الام تصيح خوفاً وحذا الولد حذوها فعلمته بذلك الجبن والخوف ولو ثبت جاشها لثبت جاشه اقتداءً بها فان القدوة خير معلم . راجع في الجزء الثالث «قصة ام ومعلم»

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

التربية البيتية

الام في العائلة · مثل صغير

اذا مررت عند الظهر في ساحة محمد علي في الاسكندرية رأيت في وجهك افواجاً من الصغار تخالهم لخفتهم قردة تثب على الارض وتركض متدافعة · هئولاء هم صبيان المدارس عائدين من مدارسهم عند الظهر لتناول الغذاء في منازلهم

واذا نظرت حولهم على الماشي والممرات وجدت اشخاصاً يختلفون سناً وهيئة جلوساً على المقاعد او الكراسي يتحادثون او يتأملون · هئولاء هم رجال اليوم يجلسون في القهاوي ليتسلوا او بعبارة اخرى ليقتلوا الوقت كما يقولون · ·

اغمض عينيك وانت واقف امام اولئك وهئولاء وانظر بطرف البصيرة لا بطرف البصر الا مستقبل الاولين وماضي الآخرين اي مستقبل الاولاد وماضي الرجال يتمثل امام عينيك ان هئولاء الكبار كانوا منذ ثلاثين او اربعين عاماً صغاراً كاولئك القردة يثبون وثبهم ويركضون ركضهم واولئك الصغار سيصبحون بعد ثلاثين او اربعين عاماً كاولئك الكبار يجلسون جلوسهم ويعيشون عيشهم · الكبار هم الانسانية وقد يبس عودها وخشن اهابها واشتدت الواحها والصغار هم الانسانية وهي في بداية نموها كالغصن اول بروزه سهل التقويم لين المراس على ان بين هذين الفريقين كبار الانسانية وصغارها ارتباطاً وثيقاً فاذا صلح حال الصغار صلح حال الكبار لان الصغار سيصبحون كباراً واذا ساء حال الكبار ساء حال الصغار لان الكبار هم الآباء والازواج فهم معلوهم ومدربوهم في هذه الحياة

ولا نرى اقصر من نظر اولئك الذين اذا راموا اصلاح امة طلبوا ذلك الاصلاح في نزع ثوب سياسي عن جسمها او ادخال بعض قوانين اليها لا تكون الا حبرا وورقاً يضافان الى ما لديها من الحبر والرق · لا نرى اقصر من نظر اولئك الذين يطلبون ذلك الاصلاح في العناية بامور الكبار ووضع حدود لحقوقهم وواجباتهم مع انهم لا يعرفون للحقوق والواجبات من معنى ولا مبنى · لا نرى اقصر من نظر اولئك الذين يعتبرون الدعوة الى التربية والتعليم امراً كمالياً يأتونه حتى يزينوا به كلامهم فلا يقال انهم لم يأتوه · ان الاصلاح الحقيقي — ولا نسأم تكرار ذلك — هو الاصلاح الاجتماعي · والاصلاح الاجتماعي يقوم بأخذ نفوس هؤلاء الصغار وعجنها وتطهيرها بنار تربية جديدة من جميع ادرانها واوساخها ونفخ روح جديدة فيها تبلغ بها الكمال الادبي والاجتماعي الذي يبلغ بها بعد ذلك مرتبة الكمال الاداري والسياسي · فانظروا الى هؤلاء الصغار الذين يعودون من المدارس وثباً الى منازلهم · هئولاء هم ازمة الامة وقيادها · اقبضوا بايد صالحة على هذه الازمة واحسنوا قيادتها تنهضوا بالامة من حضيضها وترفعوا الشرق من كبوته · وما عدا هذا فكله تخرص واوهام

ولا تسألوا عن الطريقة التي تمكنكم من القبض على هذه الازمة فان في منزل كل منكم شخصاً في يده احدها · وهو المرأة · المرأة اي الزوجة والام والاخت والابنة : اربعة اسماء تنشىء مسمياتها السعادة اذا قدر على هذه الارض سعادة · والثانية اشد هذه الاربع تأثيراً وهي الأم · فالام هي مصلحة الامم لا الساسة والفلاسفة · فلتسقط تهويلات الساسة ومشروعاتهم الشديدة امام رفق الام ولينها · لتسقط طرائق الفلسفة الغامضة واساليبها الباردة امام بسمة الام ونظرها الطافح حباً وحنواً · ان هذا الرفق واللين واللطف والابتسام لينفعل في نفوس ابناء الامة ما لا تنعله كل سياستكم وفلسفتكم · لذلك قيل عن الام « ان التي تهز سرير الطفل بيمينها تهز الارض بيسارها » · اليس غريباً بعد هذا ان تطلبوا اصلاح الامة في السياسة وتتركوا « البيت » مغرس الفضائل الادبية والاجتماعية والسياسية

اذا كان فساد في الامة فهو في هذا البيت · فاقطعوا هذا الفساد منه ينقطع كل فساد سواه في قلب الامة · فمن اراد ان يخدم وطنه وامته خدمة حقيقية يعرفها ابناء الاجيال الآتية اذا لم تعرفها الاجيال الحاضرة فلينادِ على السطوح باصلاح (التربية البيتية)

***

وما هو اصلاح (التربية البيتية) ؟ لا شيء او هو كل شيء. كلمة واحدة تدل عليه بل ثلاث كلمات بلا زيادة ولا نقصان وهي (ترقية شأن المرأة). هذه هي الطريق الى اصلاح التربية البيتية

ومعنى ذلك بعبارة اوضح اعداد المرأة لوظيفة الام اي المربية والمدربة. ويقتضي ذلك تربيتها من جديد اي تلقينها اصول تعليم غير الاصول التي تتلقنها الآن ومبادىء تربية غير المبادىء التي تعمل بها اليوم والا بقي الفساد على حاله وبقينا على ما نحن عليه

المرأة لم تخلق للتزين والتحلي . لم توجد للمسرات والملذات والجميات. لم تجبل من تلك الطينة اللطيفة وتعطى تلك القوة العظيمة لتضيع ذلك اللطف وهذه القوة سدى بلا فائدة لها ولذويها. المرأة وجدت لتكون اماً. اماً قبل كل شيء. وبعد ذلك يأتي ما بقي. فاذا كانت لاتعرف ان تكون اماً اي لا تعرف كيف تربي اولادها هل يحق لها ان تسمى اماً وامرأة ؟ سئل العلامة ميشيله ما هي السياسة فاجاب : السياسة ثلاثة ابواب . الباب الاول التربية . والباب الثاني التربية . والباب الثالث التربية . ونحن نقول: ابواب الاصلاح في الشرق الآن ثلاثة. الاول التربية البيتية والثاني التربية البيتية والثالث التربية البيتية

***

والسر في حسن التربية البيتية رفع نفس الام الى الدرجة التي تدرك عندها معنى النفس فلا تقصر عنايتها على الاهتمام بجسدها دون نفسها وعلى تربية جسم ولدها وتزيينه بالملابس والحلى دون التفات الى تربية نفسه وتزيينها بجواهر الفضائل ومكارم الاخلاق . فهي اذا قسمان صحية وروحية . والروحية قسمان عقلية ونفسية اي ما كان ذا علاقة بالعقل وما كان ذا علاقة بالنفس. ان يوماً تقدر فيه الام الشرقية ان تربي هذا الجوهر المثلث : الجسم والعقل والنفس تربية تغرس فيه كل خير وتدفع عنه كل شر — ذلك يوم عظيم في البلاد الشرقية.

ولكن اين نحن من ذلك اليوم واين تربيتنا البيتية الحاضرة من التربية الصحيحة. وحسبنا ان نستشهد على ذلك بقصة صغيرة نرجو القارىء الكريم ان لا يسأل هل هي حقيقية او غير حقيقية

***

للسيدة جوليا ابنة عمرها ست سنوات لطيفة جميلة ولكنها شديدة العناد تدعى اميلي. كانت تلعب يوماً في القاعة امام والدتها وعندهم ضيف يدعى المعلم حنا فنهتها امها كثيراً عن الدنو من مائدة القاعة فلم تنته . وفيما كانت تشم زهرة في اناء صاحت بها امها ان تعود عنه لئلا تكسره فكان جوابها — اذا كسرته فاني ادفع ثمنه . فضحكت امها وضحك المعلم معها . ولكن لم تنته الام من الضحك حتى هوت املي عن الكرسي فسقطت هي والاناء على الارض فانكسر الاناء وكان غالي الثمن . وفي ذلك الحين دخل الخواجه فريد زوج جوليا والد اميلي فرأى قطع الاناء على الارض وزوجته تضرب املي على كتفها ضرباً شديداً واملي لا تبكي ولكنها تزمجر كالاسد او بالحري كالهرة الغضبى . فسأل الاب عن السبب فقص عليه فقال حل هذا المشكل سهل قالت انها تدفع ثمن الاناء اذا كسرته فلتدفع ثمنه . قال ذلك وهو يضحك . فقامت اميلي مغضبة الى صندوقها فاخذت منه كيساً كانت تجمع فيه نقوداً فاخرجت منه ريالاً وغرشين وهي كل ما فيه ومدت يدها بها الى ابيها. فقال لها الأب لا تكفي هذه فان ثمن الاناء فوق الجنيه فينبغي لتكميل النقص ان تطلبي الصفح من والدتك لانك اذنبت . فرفعت الصغيرة كتفها دلالة على الرفض فبادرتها امها بضربة شديدة عليها وصاحت بها (قولي سامحيني) فرفعت الصغيرة كتفها مرة اخرى فاستشاطت الام غيظاً وتناولت عصا من وراء الباب واتجهت صوب اميلي . وكان المعلم يشاهد هذه المعركة وهو جالس فقام على قدميه اذ رأى العصا في يد السيدة جوليا . ونظر المعلم نظراً فلسفياً في ذلك المشهد فابصر ان الابنة صورة صغيرة لامها . فقد كانت الام غضبى متحفزة للضرب وقد آلت على نفسها من العناد ان (لا تضحك ضيفها من سوء تربيتها وعصيان ابنتها فيجب عليها اخضاعها) والابنة الصغيرة عابسة مصرّة على ان لا تطلب الصفح مما صنعت بها والدتها . ولا غرو فان من اشبه (امه) فما ظلم . ولما طال انتظار الام ولم تطلب املي صفحاً اعملت العصا في جلدها النحيف اللطيف فصاحت وناحت واخذت تشتم والدتها . فازدادت الام قسوة وغضباً فازدادت الصغيرة تمرّداً وصراخاً لانها كانت من ذلك النسل العنيد الذي يضرب من صغر الجدار برأسه قائلاً انه يكسره او ينال ما يريد . فتقدم حينئذ المعلم حنا واستأذن الام بالكف عن الضرب . فقالت انها لا تكف حتى تطلب (الشقية) الصفح عن ذنبها فتقدم المعلم من املي وسألها متلطفاً ان تمسح دموعها . ثم طلب منها ان تطلب الصفح من والدتها . فهزت املي كتفها مرة ثالثة . فهمت الام بسحقها بالعصا وهي ترغي وتزبد فاوقفها المعلم وقال لاملي .

الا تطلبين الصفح يا املي · فهزت كتفها مرة رابعة · قال فادفعي الى ابيك اذًا ثمن الاناء · فانقت الريال والغرشين من يدها · فقال المعلم هذه لاتكفي فان ثمن الاناء جنيه ويبقى عليك ٧٨ غرشاً فاما تدفعينها لابيك او تطلبين الصفح من امك · ولما لم تقدر على الاول وكانت لا تزال ترفض الثاني قال المعلم برزانة وجد · اذًا بيعوا امتعتها لتحصلوا على الباقي من ثمن الاناء

وهكذا كان · فارسلوا لساعتهم يدعون الاهل والانسباء الى سوق المزاد لبيع امتعة املي وذلك (لوفاء دينها) فاتى الاهل واولادهم معهم وفتحوا المزاد فعرض ثوب لاميلي فاشترته خالتها لابنة لها بخمسين غرشاً · ثم همس المعلم في اذن الام فخرجت ثم عادت وفي يدها لعبتان عزيزتان على املي وعرضتهما في سوق المزاد وكان الجميع يظهرون الجدّ وان كانوا يضحكون سرًا · فلما ابصرت املي لعبتيها فقدت صوابها وهجمت عليهما كاللبوة تبغي الدفاع عن اشبالها · فحيل بينها وبينهما فاخذت تصرخ وتطلب اللعبتين وتنادي انها تطلب الصفح من امها ومن ابيها على شرط ان لا تباع لعبتاها

***

بذلك انتهى هذا الصراع بين الام وابنتها بانتصار الاولى على الثانية وكان الفضل لحكمة المعلم لا لعصا الام · وما كانت تلك العصا لتزيل كبرياء تلك الفتاة وعنادها لان الكبرياء والعناد من رذائل النفس والام بالعصا لا تعالج الا الجسد ولا تعاقب غيره · اما ذلك المعلم فقد قلب بعلاجه اللطيف الناجع نفس تلك الفتاة رأساً على عقب والان كبرياءها

هذا مثل صغير للتربية الصحيحة فلتعلم الام ان تربي على هذا المثال يصبح (البيت) مبزغاً لشمس تشرق منهُ على هيئتنا الشرقية فتبدد كل ما عليها من ضباب الفساد السياسي والادبي · لمثل هذا فليعمل العاملون

هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة واحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنّ قبل التعليم او مما لو كنّ غير متعلمات

(تابع ما قبله)

٨

الابنة بلا علم او معرفة حقيقية كالشجرة بلا حارس ولا معتن · وما اشبه الشجرة بالفتاة والبستان بالهيئة الاجتماعية · وكيف تكون شجرة على الطريق دون حارس ؟ لا شك انها لاتكاد تزهر حتى يجردها عابرو السبيل من تلك الازهار فضلاً عن كسر اغصانها اللينة قضباناً يسوقون بها اهواءهم · نعم ما اصدق الشجرة شبهاً بفتاة بلغت زهرها فتجردها عادات تمدننا الحديثة من تلك الازهار التي تصبح ثماراً شهية لو حرست واعتني بها · وما هو الحارس · هو العلم · والمعتني هو المعرفة الحقيقية · واذ ذاك تكون ثمرتها الفضيلة

اما راحة الابنة فبالعلم ايضاً والمعرفة الحقيقية فانهما يجعلان للمتعلمة تعزية تقيها آفتي الراحة وهما : التورط والقنوط

اما الاخلاق فلا تكون بالعلم الا حسنة وان شئت برهاناً فانظر لكل عودٍ او حجر او جرم مهما كان كيف يكون قبل عمل المعلم به وكيف يكون بعد اتقان صناعته · وان لم يكفِ هذا فلاحظ ابنة مهذبة وابنة غير مهذبة وانظر الفرق بينهما · هذا ما ينتج من العلم بالاجمال فلا تنظر لما يندر بالافراد لان النادر لا يبنى عليه قياس

الناصرة عبده منعم

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

ليلى الاخيلية

قلنا في تاريخ الخنساء انها برزت عن جميع نساء العرب في الشعر ولم تجارِها فيهِ واحدة منهنّ الا ليلى الاخيلية

وليلى الاخيلية هي بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية المعروف بالاخيل لانهُ كان يقول

نحن الاخايل لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا مشهورا
تبكي الرماح اذا فقدنَ اكفنا جزعاً وتعرفنا الرفاق بحورا

والاخايل جمع اخيل وهو في اللغة الكثير الكبر والعجب علق بها توبة بن الحمير بن عقيل الخفاجي واشتهر

بحبها وعد من عشاق العرب المشهورين فخطبها من ابيها فلم يزوجه بها جريًا على عادة عند العرب وهي ان لا يزوجوا بنتًا لمن اشتهر حبه لها فزوجها رجلاً من بني الادلع فكان شديد الغيرة عليها يكره ان يزوره احد او يضيف احدًا من اجلها وقد منعها من ان تكلم الناس غيرة عليها . الا ان توبة بقي على زيارتها فضاق بذلك قوم زوجها ذرعًا وكمنوا له ليقتلوه فعلمت بذلك ليلى فلما جاء توبة خرجت اليه سافرة الوجه عابسة فعلم توبة ان هناك دسيسة ففر هاربًا بفرسه وفي ذلك يقول من ابيات سيرد ذكرها

وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

ثم مات توبة في بعض الغزوات قتله بنو عوف بن عقيل في سنة ٨٥ هجرية . فلما بلغ ليلى خبر مقتله حزنت عليه وقالت ترثيه

اتته المنايا بين درع حصينة واسمر خطي واجرد ضامر
فلا يبعدنك الله يا توب انما لقاء المنايا دارها مثل حاسر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ قلائص يفلحن الحصى بالكراكر
ولم يدع يومًا للحفاظ وللنهى وللحرب ترى نارها بالشراشر
فتى كان احيا من فتاة حيية واشجع من ليث بخفان خادر
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة اتاك فلم يقنع سواك بناصر

وبلغ ليلى ان عبيد الله اخا توبة وقابضًا مولاه انهزما يوم احاط بتوبة اعداؤه فدعاها فلم يجيبا فقتل توبة فقالت في ذلك

جزى الله شرًا قابضًا بصنيعه وكل امرىء يجزى بما كان ساعيًا
دعا قابضًا والمرهفات ينشنه فقبحت مدعوًا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه صريعًا ولم اسمع لتوبة ناعيا

ومن جيد رثائها قولها

الم ترَ ان العبد يقتل ربه فيظهر جد العبد من غير مظهرِ
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه اذا الخيل جالت في قنا متكسرِ
فياتوب للهيجا وياتوب للندى ويا توب للمستنبح المتنورِ

والمستنبح من الاستنباح وهي عادة كانت للذين يضلون في ظلام الليل فينبحون حتى تجيبهم الكلاب فيهتدوا باصواتها

وقال لها معاوية يومًا اخبريني عن مضر . قالت : فاخر بمضر وحارب بقيس وكاثر بتميم وناظر باسد

فقال ويحك ياليلي اكما يقول الناس كان توبة . فقالت يا امير المؤمنين ليس كل الناس يقول حقًا . الناس شجرة بغي يحسدون النعم حيث كانت وعلى من كانت . كان يا امير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجي الاقران كريم المخبر عفيف المئزر جميل المنظر » فقال معاوية « ويحك يا ليلى يزعم الناس انه كان فاجرًا » فقالت من ساعتها مرتجلة

معاذ الهي كان والله سيدًا جوادًا على العلات جمًا نوافله
اغر خفاجيًا يرى البخل سبة تحالف كفاه الندى وأنامله
وكان اذا ما الضيف ارعى بعيره لديه أتاه نيله وفواضله
وقد علم الجدب الذي كان ساريا على الضيف والجيران انك قاتله
وانك رحب الباع يا توب بالقرى اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من كان جاره ويضحي بخير ضيفه ومنازله

فقال معاوية ويحك ياليلي لقد جزت بتوبة قدره ففي اي سن كان . قالت

اتته المنايا حين تم تمامه واقصر عنه كل قرن يناضله
وصار كليث الغاب يحمي عرينه فترضى به اشباله وحلائله
عطوف حليم حين يطلب حلمه وسم ذعاف لا تصاب مقاتله

وقيل دخل الآذن على الحجاج فقال اصلح الله الأمير بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير الناد قال ادخلها فلما دخلت نسبها فانتسبت له فقال ما اتى بك يا ليلى فقالت (اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت من بعد الله الرفد) فقال لها انشدينا بعض شعرك فانشدته :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى اذا لم تصبه في الحياة المعاير
وما احد حي وان عاش سالمًا باخلد ممن غيبته المقابر
وكل شباب اوجديد الى البلى وكل امرىء يومًا الى الموت صائر
وكل قريني الفة لتفرق شتات وان ضنا وطال التعاشر
فاقسمت ابكي بعد توبة هالكًا واحفل من دارت عليه المقادر

فقال الحجاج لصاحب له اذهب بها فاقطع لسانها . فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها فقالت له ويحك انما قال لك الامير اقطع لساني بالعطاء فارجع اليه فرجع وسأله فاستشاط الحجاج غيظًا وهم بقطع لسانه فقالت ايها الامير كاد يقطع مقولي . وانشدته

حجاج انت الذي ما فوقه احد الا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج انت شهاب الحرب ان نفخت
وانت للناس نور في الدجي يقد

فأمر لها الحجاج بعشرة الاف درهم

وقيل ان ليلى حاجت النابغة الجعدي وافحمته . ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد اسنت فقال « ما رأى توبة فيك حتى احبك » قالت « رأى فيَّ ما رأى الناس فيك حتى ولوك » فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها

ومما قاله توبة في ليلى

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت وقد رابني منها الغداة سفورها
عليَّ دماء البدن ان كان زوجها يرى لي ذنبًا غير اني ازورها
واني اذا ما زرتها قلت يا اسلمي فهل كان قولي يا اسلمي مايصيرها
أيذهب ريعان الشباب ولم ازر غرائر من همذان بيضًا نحورها
ولو ان ليلى في ذرى متمنع بنجران لالتفت عليَّ قصورها
يقر بعيني ان ارى العيس ترتمي بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
واشرف بالغور اليفاع لعلني ارى نار ليلى او يراني بصيرها

قال الحجاج وقد انشدته ليلى هذه الابيات « ياليلى ما رابه من سفورك » يريد البيت الثاني. فقالت « ايها الامير ما رآني قط الا متبرقعة فارسل اليَّ رسولاً انه ملم بنا فنظر اهل الحي رسوله فاعدُّوا له وكمنوا ففطنت لذلك من امرهم فلما جاء القيت برقعي وسفرت فانكر ذلك فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً » فقال لها الحجاج لله درك

ويروى عن موت ليلة رواية يقال انها موضوعة. ذلك انها اقبلت من سفر فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها فارادت ان تسلم على توبة فمنعها من ذلك زوجها فاصرت على عزمها فتركها وصعدت وهي في هودجها اكمة عليها قبر توبة فقالت: السلام عليك ياتوبة. ثم حولت وجهها الى القوم فقالت: ما عرفت له كذبة قط قبل هذه. قالوا وكيف قالت أليس القائل

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت عليَّ ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صائح

اي لو سلمت عليه ليلى وهو ميت في قبره لردَّ عليها السلام او رد عليها صدى (وهو ذكر البوم) من جانب القبر

قالت ليلى: فما باله لا يسلم عليَّ كما قال. فما اتمت كلامها حتى ثارت من جانب القبر بومة كامنة لان الهودج اخافها فنفر الجمل منها فوقعت ليلى على رأسها واندقت عنقها فماتت من وقتها فدفنوها الى جنبه. وكانت وفاتها سنة ٩٠ هجرية.

تاريخين

بعث الينا حضرة الشاعر الاديب عبد الله افندي سليم يازجي بتاريخين نظمهما الاول في ارتقاء غبطة الحبر الجليل ملاتيوس دوماني كرسي القائمقامية البطريركية الانطاكية للروم الارثوذكس والثاني في ارتقاء غبطته الكرسي البطريركي ولما كانت صفحات الجامعة مجالاً لجميع الاراء والافكار بادرنا الى نشرهما مع الثناء على براعة ناظمهما

الاول على لسان الكرسي الانطاكي

على هام السهى نصبت خيامي لاني نلت من ملكي مرامي
فقروا يا اساقفتي عيونًا ويا شعبي كفى تبكي سقامي
فبي لم يبق في التاريخ داءٌ ملاتيوس غدًا قائمقامي

والثاني مرفوع الى جلالة مولانا السلطان الاعظم

امولانا المليك لكم مديح يسير بذكركم فيصير مسكا
اقمتم حقنا منًا وعدلاً ولم ترضوا لذاك الحق دكا
فمذ نؤرخيه جلا رسمتم ملاتيوسًا بحاق بطريركا
١٨٩٩

فوائد واخبار علمية

فوائد صناعية

لحضرة المصور البارع حسن افندي راسم حجازي بشبين الكوم

الصور على الصفيح

يشاهد بعض الناس صورًا فوتوغرافية مصنوعة على الواح صفيحية فيستغربون دقة صنعها وحسن سبكها وبداعة منظرها

ولما كانت هذه العملية في غاية من الاهمية احببت شرحها افادة لحضرات اخواني المشتغلين بهذه الصناعة خدمة لهم ورغبة في الفائدة

اذا اردت ذلك احضر بعضاً من الالواح الصفيحية النظيفة جدًا واقطعها بقدر القياس الذي ترغب في عمل الصورة بحجمه ثم احضر زجاجة فيها جانب من الكلوديون النقي وزجاجة اخرى فيها الاجزاء الاتية

غرام ٢٠٠ ماء مقطر
١٦ نيترات الفضة
٣ اسيد سيتريك

ثم سدها بغطائها وحركها بيدك تحريكاً شديدًا حتى يذوب ما فيها فتكون صالحة للعمل

وبعد ذلك اغمر فورشة من الشعر الناعم بالكلوديون ومس به احد سطحي الصفيح الذي ترغب جعله حساسًا على شرط ان يكون

وضع الكلوديون متساويًا واتركه قليلاً ثم احضر مغطسًا نظيفًا من الصيني وضع فيه قليلاً من المركب الفضي واجعل به لوحًا او لوحين او اكثر مدة دقيقة وليكن الجانب الموضوع عليه الكلوديون من فوق وارفعه بعد ذلك من المغطس واتركه قليلاً حتى ينشف . كل ذلك في (الاودة) المظلمة . ثم خذ قطعة من الكارتون وضعها في الشاسية (الحامل) وضع فوقها قطعة من الصفيح الحساس وسد بابه ورتب جميع الالواح التي صنعتها في صندوق محكم الصنع لان قليلاً من النور يفسد ذلك وبعدها اخرج الى سطح التصوير وصور من تريد على حسب الطريقة المعتادة

ولما تاخذ الصورة المطلوبة عد الى (الاودة) المظلمة واغلق بابها واستحضر الزجاجة المجهزة عندك التي يكون فيها الاجزاء الاتية

غرام ٥٠٠ ماء مقطر
٣٠ سيلفات الحديد (نقي)
٢٥ اسيد اسيتيك
٢٥ سبيرتو درجة (٤٠)

ثم صب جزأ منها داخل مغطس صيني نظيف وضع فيه قطعة الصفيح المأخوذ عليها الصورة وليكن جانبها الذي اخذت عليه الصورة من فوق وحرك المغطس حتى تظهر الصورة فاخرجها منه وصب عليها شيئًا كثيرًا من الماء وضعها في مغطس آخر فيه كمية من المركب الآتي المجهز في زجاجة

غرام ٥٠٠ ماء مقطر
١٢٥ هيبوسلفيت الصودا

وحرك المغطس حتى تظهر الصورة واضحة فاخرجها منه واغسلها مرارًا بالماء حتى تنق من الهيبوسلفيت لانه يضر بها اذا لم تغسل جيدًا

ثم امسكها من احد اطرافها واجعل الجانب الذي عليه الصورة من فوق وعرض خلفها لحرارة شمعة او قنديل فتنشف في الحال ثم تضع عليها بواسطة فورشة جزءًا من الورنيش الابيض المخصص لذلك وتعرضها للحرارة ايضًا حتى تنشف و بعد ذلك تقدمها لصاحبها

ولا يلزم عمل كثير من الالواح لانها لا تنفع اذا مر عليها كثير من الايام ويخاف عليها من النور

بخور لطيف

اذا اردت ان تصنع بخورًا مسحوقًا ذا رائحة عطرية فاستحضر

غرام ٤٠ بخور عاده
٥ كسكربل
٣٠ جاوي
١٥ ستوراكس
١٢ بورق ارمني
١٢ سكر ابيض

و بعد ذلك اسحقها جيدًا واحفظها في علبة الى حين الحاجة

تنظيف فرش الشعر

اذا اردت تنظيف فرش الشعر من الاوساخ التي تعلق بها فاغسل شعرها بالماء والصابون جيدًا حتى يزال ما بها من الاوساخ واذا لم تزل بالماء والصابون فضعها في اناء فيه ماء و يسير من روح النشادر ثم اخرجها منه واغسلها بالماء فتزول عنها الاوساخ

صابون يزيل البقع

اذا اردت ان تصنع صابون ينزع عن الملابس بقع الشمع والقطران والزيت والبويه وغير ذلك فجهز الاجزاء الاتية

غرام ٦٥٠ صابون ابيض محوق
١٢٠ بوتاس نقي
٦٠ عطر السندروس

ثم ضع هذه الاجزاء في هاون واسحقها بيده حتى تصير مثل العجين وبعدها اجعلها قطعًا صغيرة واتركها في مكان حتى تجف تمامًا

ومتى اردت ازالة الاوساخ الدهنية وغيرها فمس البقع بهذا الصابون واغسلها بجزء من السبيرتو فتزال في الحال او تغسلها بالماء الفاتر وبعد ذلك بالماء البارد مرارًا

اعراض الطاعون

نشرت مجلة المشرق الغراء رسالة في اعراض الطاعون لحضرة الدكتور فيليب افندي بركات طبيب المستشفى الفرنسوي في بيت لحم اودعها كتابًا كتبه اليه « رصيف صديق موظف في احدى البواخر التي تخالط جده » وضمنه وصف اصابة بالطاعون عالجها في جده فاحببنا نشر اهم ما فيها لحضرات القراء و بالخصوص قراء الاسكندرية ليكونوا على بينة من اعراض هذا الداء الوبيل . قال الكاتب :

بينما كنت في قهوة في جدة انزه الخاطر من عناء الاشغال المتواصلة اذ سمعت اعرابيًا بجانبي يقول (مسكين ياحكيم اصاب

فلان الطاعون تعالَ اليه) واشار بيده الى الرجل فالتفت يمنة واذا بشاب بالغ من العمر نحو العشرين سنة فقربت منه سائلاً : ما تشكو أيها الشاب قال : الصداع والأوار واحس بنار تحرق احشائي . وكان وجه الفتى مصفرًا وحدقتا عينيه متسعتان . ولما لم يكن لديَّ غير الماء بللت منديلي ووضعته على رأسه وصرت انقله على سائر جسمه لاطفئ حرارته . ثم حمله الناس الى بيته ولم اره الا بعد ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع دخلت عليه فوجدته ينتفض من البرد وقد ذكرتني حالته ما كنا نشاهده في بيروت بالمصابين بالحمى الملاريةفوضعت له بعض المنبهات المعرقات واشرت بوجوب دعوتي اليه بعد يومين . فلما آن الزمن قصدته وذهلت من التغيير الفجائي الذي طرأ على جسمه . وكان قد اصاب المريض بعد القشعريرة حمى قوية وكانت سحنته تشبه سحنة رجل مصاب بالتيفوئيدية وجلده سخن ناشف ولسانه اسود وهو يصرخ : (الماء الماء احترقت) وعيناه منتفختان دامعتان . ثم وضعت يدي على معدته واسفل بطنه فشكى وجعاً اليماً وتقيأ امامي . فلما انتهى جسست نبضه فاذا اختلاجه يبلغ مئة في الدقيقة وكانت حركة تنفسه سريعة كأنه يلهث لهثًا وقال لي اهله « انه مسهول يصيبه هذيان واغماء ونزيف دموي . والصقت أذني بصدره فسمعت منه خرخرة . اما وجبات قلبه فكانت ضعيفة فوصفت له دواء يعاكس الاعراض المهمة الخطرة واوصيت اهله ان ادعوني بعد ثلاثة ايام اذا بقي مريضكم في قيد الحياة . فلما كان اليوم المعين عدته فلم اجد فيه اثرًا للحمى انما رأيت غددًا في ابطيه وفي اربيته وفي عنقه وجمرات غنغرينه في جملة اجزاء من بدنه . اما الغدد فكانت منتفخة مؤلمة عند اللمس ففتحتها بالمشرط فخرج منها صديد كريه الرائحة وعالجتها بالمطرات وقلت اني راجع غدًا للمريض واملي بالله انه يشفى وهكذا كان . وصرت اعوده كل يومين واصف له المقويات والمنبهات الى ان تعافى

وانه يحق لك ان تتعجب ايها الصديق من شفاء مريض مصاب بالطاعون انما الحادثة نادرة وموت المطعونين هو القاعدة لاني شاهدت اكثر من عشرة حوادث مختلفة الاشكال ادت المصابين بهذا الوباء للموت العاجل . منها امرأة عجوز ماتت ببرهة خمس او ست ساعات ومنها ابنة شابة اصابها الطاعون ورافقه نزيف دموي غزير اودى بحياتها باسرع آن

انتهى كلام الطبيب على هذه الحادثة . اما قوله « ان موت المطعون هو القاعدة والشفاء نادر » فما يدل على ان طاعون الاسكندرية ليس طاعونًا حقيقيًا او على الاقل ليس طاعونًا شديدًا اذ لم يمت احد من الاربعة الذين اصيبوا به الى الآن وقد مضى على اثنين منهم ٢٣ يومًا . فلتسكن افكار الاسكندريين داخل القطر ولتهدأ خواطر من هم في الخارج ولهم اعزاء في الاسكندرية . .

باب المسائل والاجوبة

طلب الينا بعض الادباء ان نفتح في الجامعة بابًا جديدًا نجيب فيه على الاسئلة التي تلقى علينا . فجوابنا على ذلك انه لا يبنى بيت قبل اعداد حجارة البناء فمتى وردتنا الاسئلة فتحنا بابًا للاجابة عليها . نقول ذلك ونحن على علم بقصر باعنا لان الذين ينصبون انفسهم للاجابة على جميع صنوف الاسئلة التي تردهم من القراء ينبغي ان يكونوا كبار الدعوى او « انسيكلو بيديا حية » كما يقول الافرنج وما نحن بهذا ولا ذاك الا ان الانسيكلو بيديا غير الحية والاعتماد في كل صنف من الاسئلة على اصحابه من ارباب العلم يقدّراننا ان شاء الله على القيام بخدمة القراء من هذا القبيل

وفضلاً عن هذا فان الجامعة منصوبة لكل مستفهم من القراء وغير القراء عما يريد الاستفهام عنه في القطر المصري سواء كان الاستفهام عن امر خصوصي او عمومي وسواء طلب منها الجواب على صفحات المجلة او في كتاب خصوصي نقوم بذلك عن طيبة نفس خدمة للافاضل والادباء

هذا ويرى القراء اننا بدأنا منذ الآن بتحسين الجامعة ففتحنا فيها بابًا للاخبار والفوائد العلمية غير باب المسائل والاجوبة وسنعلن حضرات المشتركين في الجزء العاشر بتحسين مهم جدًا نريد ادخاله فيها ابتغاء المزيد من رضاهم والله المستعان

سالنا كثيرون من حضرات المشتركين كيف يوصلون الينا بدلات الاشتراك فنشكر لحضراتهم جميل عنايتهم ونرجو ان يقدموها حوالة على البوسطة المصرية او البوسطة الفرنسوية فنقدم لحضراتهم وصولات الاشتراك على عجل . اما حضرات وكلائنا الذين طلبوا منا الوصولات فسنرسلها اليهم قريبًا

اخذت تتوارد علينا رسائل الادباء في الاقتراح بشان الدوطة وسننشرها في وقت قريب حين اكمال ورودها

تاريخ الاسبوعين

خارجية

هولانده — اجتمع مؤتمر السلم في ١٨ مايو في لاهاي عاصمة هولانده برئاسة المسيو دي ستال سفير روسيا في لندرا فالقى كثيرون خطباً في شكر جلالة القصير وقرروا ان يرسل المؤتمر اليه رسالة شكر. وفي الجلسة الثانية وضع المسيو دي ستال بيان ابحاث المؤتمر كما يأتي. اولاً البحث في مسألة التوسط والتحكيم بين الامم. ثانياً البحث في الرفق في اثناء الحرب. ثالثاً تنقيص المعدات الحربية

انكلترا — احتفل في انكلترا ومستعمراتها بتذكار مولد جلالة الملكة فيكتوريا احتفالاً اشبه احتفالات اليوبيل

فرنسا — اعتصب موزعو البريد في باريز في ١٨ مايو فلم توزع الرسائل حتى عينت الحكومة جنوداً توزعها وتهددت المعتصبين بطردهم فعادوا الى اعمالهم

مرَّ القومندان مرشان في ترعة السويس. راجع الاخبار الداخلية

احتفل في ديجون باقامة اثر تذكاراً للمسيو كارنو احتفالاً حضره المسيو لوبه رئيس الجمهورية

انتخب المسيو بول ديشانل عضواً للاكادمي الفرنسوية

روسيا — طلبت روسيا من الصين امتيازاً بمد السكة الحديدية من منشوريا الى بكين على خط مستقيم فرد الصينيون طلبها الا ان روسيا ستنفذه بالقوة. وقد اثار هذا الطلب ثائر الانكليز

امر القيصر من تلقاء نفسه بتشكيل لجنة للبحث في منع النفي الى سيبيريا

اعتصب عملة المعامل في مدينة ريجا من اعمال روسيا وجرى بينهم وبين الجنود نزاع افضى الى قتل وجرح كثيرين من العملة

الولايات المتحدة — انشأت الولايات المتحدة في جزائر فيلبين حكومة عسكرية كحكومة كوبا حتى ينتخب شكل نهائي للحكومة

الترانسفال — القي القبض في الترنسفال على ٧ ضباط قدماء من الانكليز لانهم كانوا يعدون حملة فيها للاستيلاء على جوهنسبورج فاضطربت لذلك الترنسفال وانكلترا

كلونديك — اضطرمت النار في جزء من مدينة داوسن فهدم وفقد بذلك مقدار عظيم من الذهب

داخلية

البالو الخديوي — اقام سمو الجناب الخديوي المعظم في ١٥ الماضي في سراي راس التين في الثغر مرقصاً بلغ عدد المدعوين اليه من كبار الاجانب والوطنيين ٩٠٠ شخص وذلك بمناسبة تشريف سموه الثغر الاسكندري لقضاء فصل الصيف فيه

مشروع المحكمة الشرعية — قرر مجلس النظار العمل بالمشروع الذي وضعته الحكومة لاصلاح المحاكم الشرعية بعد تنقيح قليل وصدر الأمر العالي بتعيين مندوبي الاستئناف عضوين للمحكمة العليا فاصر سماحة القاضي على رفض هذا المشروع لانه يخالف للشرع الشريف فبحث مجلس النظار في اقالة سماحته من وظيفته والمسألة خطيرة جداً لا يعلم الآن كيف تكون نهايتها. والظاهر انه لابد من مداخلة الاستانة لان تعيين قاضي مصر من حقوق الخلافة العظمى الا اذا كان لدى الحكومة المصرية مستندات لم تبرزها الى الآن

الطاعون — اصيب يونانيان في الثغر بعلة اشتبه انها طاعون واحد في ٤ مايو والثاني في ١٧ منه فعزل المصابان ثم حدثت اصابتان اخريان ثبت انها طاعون فضربت اوروبا الحجر الصحي على مصر وقلقت الافكار في القطر وكاد يقف دولاب الاشغال أحسن الله المآل.

احتجاجان — امر الباب العالي سفيريه في لندرا وباريز ان يحتجا على الاتفاق الذي عقد بشأن النيل بين انكلترا وفرنسا لانه يمس حقوق الدولة على الاراضي الواقعة خلف طرابلس الغرب

وقالت شركة روتر ان انكلترا احتجت لدى الباب العالي على سوء المعاملة التي لقيها بعض الحجاج الهنود من بعض العمال في الحجاز

مسلمو كريت — يهاجر مسلمو كريت افواجاً افواجاً الى بلاد الدولة العثمانية بالرغم عن مساعي البرنس جورج لمنعهم من ذلك

عيد الثمرات الفضي — اتمت جريدة ثمرات الفنون الغراء سنتها الخامسة والعشرين في خدمة الوطن والاداب فاقام حضرة مديرها السري المفضال سعادتلو عبد القادر افندي قباني رئيس المجلس البلدي في بيروت احتفالات شائقة في داره خطب فيها الخطباء وانشد الشعراء مهنئين سعادته بعيد الثمرات الفضي. ابلغها الله

العيد الذهبي وما فوق برعاية سعادته بالخير والصفاء

القومندان مرشان — مرّ الطراد داساز في ترعة السويس يقل القومندان مرشان ورجاله ولم ينزل مرشان الى البر لضرب اوروبا الحجر الصحي على القطر بسبب وباء الطاعون فخاطب مواطنيه على الشاطئ وهو في السفينة شاكرًا لهم وآسفًا لانه لا يستطيع النزول اليهم لمصافحتهم ثم اقلعت السفينة والنزالة الفرنسوية تهتف على الشاطئ "ليحيى مرشان . لتحيى فرنسا ليحيَ الجيش"

هدايا وتقاريظ

ديوان المرحوم اسعد طراد — طبع هذا الديوان على نفقة حضرة فضل الله افندي خليل طراد ابن اخي صاحب الديوان ووقف على ترتيبه وطبعه حضرة الفاضل نجيب افندي ابراهيم طراد منشئ جريدة الرقيب الغراء وقد اهدينا نسخة منه فقرأنا فيها شعرًا بليغًا جديرًا بان يحفظ في بطون الاوراق فنثني على جامعه ومرتبه . وربما اتينا في باب الشعر على شيء من شعره

الوقاية من العدوى — وقفنا على رسالة طويلة بهذا العنوان لحضرة الدكتور الفاضل سليم افندي شمعون بحث فيها عن وسائل الوقاية من العدوى ويجدر بالقراء في الاسكندرية مطالعة هذه الرسالة في الوقت الحاضر لاتقاء العدوى

كشف الدجى — (كشف الدجى عن حقيقة نسب بني الانجا) رسالة مطبوعة بماء الذهب وفيها تاريخ حياة كبير هذه الاسرة الشهيرة ووصف وقائعه في عكا يوم جاءها نابوليون الاول فاتحًا ويلي ذلك تاريخ حياة نجله وحفيده اللذين خرجت منهما اسرة بني الانجا الكريمة التي نالت في بلاد الدولة العلية نعمة وشهرة ما بعدها نعمة ولا شهرة

المدارس — جريدة بيداجوجية بحجم صغير تصدر في القاهرة وبدل اشتراكها ٥ غروش مصرية فندعو لها بالثبات والنجاح

رسم بطريركي — اهدتنا ادارة مجلة الشهباء الغراء رسم غبطة الحبر الجليل ملاتيوس الدوماني بطريرك الكرسي الانطاكي للروم الارثوذكس وهي بحجم كبير فنشكرها على هذه الهدية الجميلة

اختراع جديد هائل — اذا صح الخبر الآتي فليقفل موتمر السلم ابوابه فقد بطلت الحرب من نفسها. ذلك ان الدكتور غوستاف لي بون الكيماوي الفرنساوي اكتشف اخيرًا في الكهربائية مبدأً جديدًا يستطيع به بلا حرب ولا كفاح ان يحرق في دقيقة واحدة جميع اساطيل اوروبا اذا اتحدت ولا يكلفه هذا الأمر غير ارسال الكهربائية على تلك الاساطيل . وكذلك الجنود فانه يحرق منهم بالكهربائية مائة الف جندي في لحظة واحدة . ومع ان هذا الخبر يحتاج الى اثبات فلا شبهة في ان العلم والكهربائية سيصلان الى هذا الحد يومًا من الايام

موتمر ثان للسلم . . . — ملت الحيوانات ما بينها من النزاع فقام الفيل يدعوها الى عقد موتمر لاقامة السلم بينها ونزع السلاح . فاجتمعت كلها واخذت تبحث في الأمر . فقام الثور فطلب ابطال قتال الثيران . ونهض الخروف فسأل ابطال اكل اللحم المشوي . وانبرى الارنب فالتمس ابطال صيد الارانب ومطاردتها بالكلاب . ثم قام الديك فخطب بلسان فصيح طالبًا ابطال عادة قتال الاديك والتأمين من الثعلب . ونهض الجمل متثاقلاً فسأل المؤتمر استبدال الجمال بالسكك الحديدية في الصحراء اذ لم يعد له طاقة على الخدمة . ثم انبرى التمساح فطلب ان يخرج الانكليز من مصر لانهم يقلقونه في نيله . وجاء القمري فسأل المؤتمر متلطفًا ان تحترم الهرة حياته في المستقبل وختم الجلسة الدب فانه نهض طالبًا ابطال السفر الى القطب الشمالي ليخلص من شر السياح الذين يصطادونه هنالك ويقتاتون بلحمه . فاهتز حينئذ الفيل في كرسي الرئاسة وقال بصوته الجهوري : هل يرضى الاقوياء بالتنازل عن قوتهم ويترك الطامعون اطماعهم حتى تتم لنا امنية السلم ونصغي الى هذه الاقتراحات الجليلة

تاريخ استعمال مناديل الجيوب — اخترعت مناديل الجيوب في اوروبا امراة ايطالية من البندقية منذ ٣٥٠ سنة . ثم انتقل هذا الاختراع الى فرنسا فكان خاصًا بسراة القوم وكانت مناديلهم مزركشة غالية الثمن . وفي عهد هنري الثالث اخذوا في تطييبها وقعطيرها ثم انتقلت الى المانيا سنة ١٨٥٠ وكانت خاصة بالامراء وكبار الاغنياء . اما العامة فكان استعمال المناديل محظورًا عليها . وقد اتخذت في تلك الايام هدايا لخطبة السراة كما تتخذ لمثل ذلك في بعض بلاد الشرق في هذه الايام

غذاء المعد القوية

زلة العالم كانكسار سفينة تغرق و يغرق معها خلق كثير (ابن المعتز)

كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها اومكسورها كذلك الانسان يعرف حاله بمنطقه (بهاء الدين)

لا ينبغي للعاقل ان يسكن بلداً ليس فيه خمسة اشياء: سلطان حازم · وقاضٍ عادل · وطبيب عالم · ونهرٌ جارٍ وسوق قائم (لطائف العرب)

لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاثة خصال: لا يحتقر من دونه · ولا يحسد من فوقه · ولا يأخذ على العلم ثمناً (الدميري)

ما من خصلة تكون للغني مدحاً الا وتكون للفقير ذماً · فان كان حليماً قيل: ذليل · وان كان شجاعاً قيل: اهوج · وان كان لسناً · قيل مهذار (المستعصمي)

سأل الاسكندر حكماء اهل بابل: ايما ابلغ عندكم الشجاعة ام العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة (الابشيهي)

اذا أقبلت الحكمة خدمت الشهواتُ العقولَ واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات (سقراط ترجمة بهاء الدين)

كل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا · (ابو نصر المقدسي)

شتم رجل حكيماً فامسك عنه فقيل له في ذلك فقال: لا ادخل حرباً الغالب فيها شرٌّ من المغلوب (بهاء الدين)

· عجباً لمن قيل فيه من الخير ما ليس فيه ففرح وقيل فيه من الشر ما هو فيه فغضب (العاملي)

العزلة عن الخلق هي الطريق الاقوم الاسدُ ففرَّ من الخلق فرارك من الاسد (بهاء الدين)

العبد حر اذا قنع والحرُّ عبد اذا طمع (ابن عبد ربه)

قال لقمان الحكيم: يابنيَّ لا يكونن الديك اكيس منك ينادي وقت السحر وانت نائم (الغزالي)

الحياء في الصبي خير من الخوف لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن (ابن عبد ربه)

مقتل الرجل بين فكيه · اللسان سبع صغير الجرم (ابو نصر المقدسي)

غذاء المعد الضعيفة

بين ام وولدها: ياليت الطاعون يشتد في الاسكندرية يا امي — لا سمح الله سد فمك يا فريد لماذا تطلب هذا الطلب — حتى تقفل المدرسة واستريح منها

بين معلم وتلامذته: من يعلم منكم ماهو الطاعون — انا ياسيدي — ما هو — هوهذه الدروس الثقيلة

بين خطيب وخطيبته: هل انا الفتاة الاولى التى عُرضت عليك؟ — لا بل انكِ الفتاة الاولى التي رضيت بي

بين اب وابنته: ابي اشترِ لي لعبة اتسلى بها · فاجابها الأب وهو يقرأ جريدته — لا يمكن ذلك اليوم ياعزيزتي لان السوق مقفلة وغداً اشتري لك · ولما فرغ من المطالعة نادى ابنته قائلاً — تعالي يا حبيبتي وقبليني · فاجابت الابنة — لا يمكن اليوم يا ابي لان فمي مقفل وغداً اقبلك

بين صديقين: اهنئك يا صديق فقد سمعت انك تزوجت — لا اعلم — وكيف لا تعلم — لاني مرتاب لا اعلم هل انا الذي تزوجت بها ام هي التي تزوجت بي

بين رجل وسائل: اين طريق السجن ياسيدي — امشِ الى يمينك تجد حانوت صائغ تخذ منه عقداً ثميناً واخرج من الحانوت · تصل بعد دقيقتين الى مقصدك

الشبع والعطش: دعا رجل صديقاً الى مائدته واوصى ان لا يوضع شراب على المائدة فلما شبع الضيف وكان لا يطيق الصبر عن الشراب قال لصديقه — ماتصنع بجوادك متى اشبعته — اركبه وأذهب لا سقيه — اذاً ضع سرجاً عليَّ واركب وخذني الى الشراب فاني اكاد اموت ظمأ

بين اخوين: اعطت ام كلاً من ابنها وابنتها تفاحة فخرجا يلعبان · وفي مدة اللعب اكل الغلام تفاحته واشتهى تفاحة اخته فقال لها — تعالي يا اختي نلعب لعبة ادم وحواء قالت الاخت — وما هي هذه اللعبة — هي ان تخدعيني بهذه التفاحة وانا اجعل نفسي مخدوعاً فآكلها

بين قاضٍ ومجرم: الا تخجل ان تعيش بلا شغل يارجل — العفو ياحضرة القاضي فان لي شغلاً كسائر الناس — وما هو شغلك — نشل ما في الجيوب

بين فتاتين: انظرت ما اجمل ميليا في ثوبها الجديد يجب ان تكون سعيدة به — لا تكون سعيدة الا متى رآها به شخصان — ومن هما — الرجل الذي تحبه والمرأة التي تكرهها

(١) زواج

على طريقة اميركية

رواية ذات فصل واحد لحضرة الاديب « اراميس »

١

وصلت السفينة « لا تورين » الى الهافر قادمة من اميركا . وكان في جملة ركابها رجل في الثلاثين من عمره يدعى المستر انيبال بلونكات

فما نزل هذا الرجل من الباخرة حتى اسرع الى احدى بائعات الجرائد فابتاع جميع الصحف التي وردت ذلك النهار من باريز وكان يبلغ عددها ٤٠ جريدة فجعلها رزمة واحدة وتابطها ثم قصد المحطة فابتاع ورقة السفر الى باريز وجلس في القطار . ولما استقر به المكان جعل ينشر تلك الجرائد واحدة واحدة ويطالعها بامعان شديد

ولكن ما ذا كان يطالع منها ؟ كان يطالع الصفحة الرابعة دون سواها . وكان اهتمامه بالمطالعة باديًا على وجهه . والغريب انه كان يقطع مطالعته حينا بعد حين ويكتب على دفتر صغير سطورًا يأخذها من تلك الجرائد

فماذا قرأ . وماذا كتب ؟

قرأ اعلانات شركات الزواج في باريز وكتب عنواناتها واليك بعضها

اعلان — اذا اردت زوجة غنية فخابر مرتين جومون الذي اشتهر بحفظ الاسرار وسرعة الاجابة في شارع ديزانج نمرة ٢٨

اعلان — من اراد ان يتزوج فتاة او ارملة دوطتها من ثلاثة الاف الى ثلاثة ملايين فرنك كل بحسب مركزه فليخابر رأسًا مدام فيجاري في زقاق بدوين نمرة ٦٤

اعلان — ارملة عمرها ثماني وعشرون سنة جميلة اديبة غنية تطلب لها زوجًا بسنها والمخابرة بعنوان م . ف . د . ك (بوست رستانت)

من هذه الاعلانات وما شاكلها ملأ المستر بلونكات دفتره ولما وصل القطار الى باريز هرول الى فندق فوضع فيه امتعته ولبس احسن ثيابه وقبل ان يستريح من وعثاء السفر خرج من الفندق قاصدًا المحلات التي مرت عنواناتها للتفتيش على . . . مسز بلونكات

٢

ذلك ان المستر بلونكات عانى مشاق السفر من اميركا الى باريز خاصة للتفتيش على زوجة له . فانه طاف اميركا شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا فلم تعجبه فيها امرأة يرتضيها زوجة . وكان غنيًا واسع الثروة فقال اقصد باريز فاني اجد مطلوبي في تلك العاصمة العظيمة . فصفى محله التجاري ورصد حساباته واقفل تجارته وسار من كولومبيا الى باريز فوصل الى الهافر مع السفينة لا تورين على ما مر بنا

ولا بد ان يعجب القارئ من عناد هذا الرجل وصعوبة مراسه وكيف انه لم تعجبه حسناء من حسان العالم الجديد . ولكن لذلك سبب ومتى عرف السبب ذهب العجب

فان المستر بلونكات قرأ يومًا في احدى المجلات الاميركية ما ياتي « نهاية الحسن وكمال الجمال في المرأة ان تكون متناسقة التركيب لا يتجاوز طولها مترًا و ٦٠ سنتيمترًا . وثقل جسمها ستين كيلو غرامًا وطول قدمها من ١٦ الى ١٧ سنتيمترًا واما جيدها فيجب ان تكون استدارته ضعفي معصمها واستدارة خصرها ضعفا جيدها . وما زاد عن هذا القياس فانه يشوه جمال المرأة »

فصادف هذا القياس هوى في نفس المستر بلونكات فتمكن منها فاقسم انه لا يتزوج الا بالمرأة التي يكون قياس جسمها طبقًا لهذا القياس والا عدل عن الزواج مدى الحياة . والاميركي معروف بالعناد والثبات على رأيه . فطاف صاحبنا اكثر البلدان الاميركية مفتشًا على امراة بذلك القياس ولما لم يجدها في اميركا قصد باريز لعله يجدها فيها

٣

قلنا انه سار من الفندق حين وصوله الى باريز لمقابلة وكالات الزواج . وكان ذهابه اولاً الى صاحب الاعلان الاول وهو محل مرتين جومون فهش الرجل وبش في وجهه وطلب اليه ان يمهله اسبوعًا ليعرض عليه جميع الحسان اللواتي تحت يده الا انه طلب منه مائتي فرنك سلفًا . فخرج بلونكات من لديه مهرولاً ومغضبًا وسار من هناك الى منزل مدام فيجاري صاحبة الاعلان الثاني

فاجملت هذه السيدة استقباله ولاطفته كثيرًا وكانت

(١) تتمة رواية الحب حتى الموت في الجزء القادم

جميلة في مقتبل الشباب ثم اخبرته ان كثيرين من شبان باريز ياخذون زوجاتهم عن يدها وانها سترشده الى زوجة من اجمل النساء . قالت وعندي الآن ابنة يتيمة عمرها ...

فقطع بلونكات الحديث قائلاً — لا يهمني عمرها — قالت — ومعها دوطة طائلة قال — لا يهمني الدوطة قالت — ولا عيب فيها الا ... قال -- لا تهمني العيوب ولكن يهمني ان اعرف ثقل جسمها

— عفواً ياسيدي فلم يخطر ببالي ان ازن جسمها ولكني اعلم انها صادقة النية شريفة القلب — قال لا يهمني قلبها ونيتها ولكن كم طولها — قالت اظن انها تساويني بالطول

فهب بلونكات من مكانه وتناول من جيبه متراً وقال — اذاً ارجوك ان تقوني لاقيس طولك . فقامت ولما قاسها تهلل وجهه وصاح طرباً — طبقاً للمطلوب متر و٦٠ سنتيمتراً . اذا كانت بطولك فقد وجدنا ضالتنا . قالت — وفوق ذلك فانها جميلة جداً — قال قلت لك انا لا يهمني الجمال . قالت — وهي تعرف البيانو والتصوير والرسم والرقص . قال — كل هذه لا تهمني ولكن كم طول قدمها

قالت عفواً لا اعلم ولكني لبست يوماً حذاءها فجاء على قدر قدمي . قال -- فاصبري اذاً لنقيس قدمك . وبعد انْ قاسه قال وقد ابرقت اسرته — طبق المطلوب ١٦ سنتيمتراً و٤ اجزاء . طول الجسم وطول القدم بقدر المطلوب انها قد اصبحت زوجتي فدليني الآن عليها

قالت — عفواً يا سيدي امهلني الى غد حتى ابعث في طلبها . قال — امهلتك وان كنت مستعجلاً . يجب ان اتزوج بعد اسبوع وان اسافر الى اميركا بعد ١٥ يوماً . فتفضلي و بلغي تلك الفتاة : انا المستر انيبال بلونكات تاجر غني من كولومبيا دخلي السنوي يقدر بثلاثين الف دولار ؛ ولكن اذا كانت الفتاة تزن اكثر من ستين كيلو غراماً فلا تصدعي خاطرها . وما عدا ذلك فسأنظر الخصر والجيد ايضاً فاذا كانا مطابقين للقياس اخذتها زوجة والا فلا . استودعك الله الآن

٤

وفي اليوم الثاني عاد بلونكات وطلب ان يرى زوجته فقابلته المرأة بالابتسام قائلة — انت الذي اتيت امس واسمك المستر بلونكات اما انا فاسمي هورتانس . قال — مغضباً — لا تهمني الاسماء . قالت وعلام غضبك اظنك قد مللت الانتظار فلنتحادث الآن بشأن فتاتك قستها ووزنتها امس . قال — وكم كان طولها ووزنها . قالت — لسوء الحظ جاء طولها متراً و ٥٥ سنتيمتراً . قال الاميركي بغضب هذا دون المطلوب . قالت اما جسمها فثقله ٧٣ كيلو غراماً . قال بلونكات بحدة هذا فوق المطلوب . اذاً يستحيل عليَّ الزواج بها

— واما معصمها فهو ثخين بالنسبة الى عنقها وقد قست عنقي .. فجاء ضعف معصمي تماماً .. اما جيدها هي فثخنه ثلاثة اضعاف ثخن معصمها فنفر الاميركي وقد اخذ الغضب منه كل مأخذ وصاح — اذاً يستحيل عليَّ الزواج بها . قالت — لا تيأس ياسيدي سأجد لك احسن منها . طيب خاطرك . ولكن اسمح لي ان اسألك سوآلاً الدولار كم فرنكاً يكون . قال — وهو عابس — الدولار ٥ فرنكات و ٤٠ سنتيماً . قالت فكم تبلغ ثروتك اذاً من الفرنكات . قال — ١٦٢٠٠٠ فرنك فصمتت هورتانس قليلاً ولبثت تفكر باسمة ثم نظرت في وجه بلونكات وقالت — رأيت ان طولي وقدمي وخصري وعنقي جاءت طبقاً للقياس الذي تطلبه وانت مسافر بعد ١٥ يوماً كما تقول فهل تريد ان اكون انا رفيقتك

فضحك بلونكات وانقشعت سحابة عن صدره كأنه توصل الى حل مشكل كان لا يرجو حله فاخذ المقياس بيده وتقدم منها فقاس جيدها وخصرها وقاس طولها وقدمها مرة ثانية ثم قرع ظهرها ضاحكاً وقال — نعم نعم ستكونين رفيقتي يامسز بلونكات . ثم راجع نفسه وصاح — لكن نسينا امراً . ووزن جسمك . قالت غلب عليَّ الفضول اليوم فذهبت الى ميزان ووزنت جسمي وهذه شهادة الوزن ثم ارته ورقة فقرأ فيها بلونكات ٦٠ كيلو غراماً فقرع كتفها من جديد وهو يضحك قائلاً نعم نعم ستكونين رفيقتي يا مسز بلونكات . وفي اليوم الثاني عقد للمستر بلونكات على مدام فيجاري فاقام معها في باريز ١٥ يوماً على اتم صفاء وهناء ثم اخذها وعاد بها الى اميركا وهو شديد الفرح لانه وجد ضالته

لكن يا للاسف . فان المستر بلونكات ما اقام مع زوجته الجديدة ثلاثة اشهر حتى تحسنت صحتها لجودة المناخ وحسن المعيشة فزاد ثقل جسمها ثلاثة كيلو غرامات وثخن جيدها ايضاً . فلما تحقق المستر بلونكات ذلك بالوزن والقياس غضب وفسخ الزيجة حالاً اذ انفسخ اهم شروطها وهو ثقل الجسم وثخن الجيد ولكنه تخفيفاً لمصابها بجودة صحتها اقامها وكيلة لمحله في اميركا ولذلك نقرأ اليوم في بعض جرائد اميركا على الصفحة الرابعة هذا الاعلان (من شاء الاقتران بفتاة او أرملة معها دوطة من ثلاثة الاف الى ثلاثة ملايين فرنك فليخابر شركة فيجاري و بلونكات) . انتهى

الجامعة العثمانية

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٧ صفر سنة ١٣١٧

باب المقالات

كتاب مفتوح

مرفوع
الى حكام الشرق

ليس من غرضنا في هذا الكتاب المفتوح الذي نرفعه الى حكام الشرق بوجه الاجمال ان نبسط ما هو عليه الشرق من سكون الموت وما هو فيه الغرب من حركة الحياة لنقيم المآتم على مجد الشرق الفائت وعزه الماضي . ولا ان نبحث عن اسباب انحطاط الشرق التي هبطت به الى هذه الدركات بعد ان كان في اعلى الدرجات . ولا ان نصف دواء ناجعاً لمريض اعيت في شفائه الحيل وكاد يضيع فيه كل امل . وانما غرضنا الوحيد ان نوجه انظار حكام هذا الشرق العزيز الى امر لا يجهلونه فان الذكرى تنفع كل ذي نية خالصة وقلب سليم

***

في الغرب الآن حركة شديدة يتردد صوتها في فضائه ترددا ايدوي صداه في الجهات الاربع . تلك الاطماع الاقتصادية حلت محل الاطماع السياسية وتنازع الدول البقاء في حلبة الاقتصاد والاستعمار

تنازع اشتركت فيه اعظم الدول قدراً واصغرها شأناً لانها رأت العظمة الحقيقية في تأييد الامور الاقتصادية وايقنت ان الدولة التي تسير على هذه الطريق تضع لمستقبلها اساساً وطيداً والدولة التي تتركها تهدم بنيانها بيدها وتسعى الى حتفها بظلفها . ذلك يطلق على جميع الدول من هولانده الميكرسكوبية الى انكلترا الضخمة واميركا الجبار الجديد الذي يضع قدمه الآن في هذا الميدان بعد رفعها عن صدر اسبانيا المسكينة

الغرب كله مندفع الآن الى ذلك الغرض اندفاع السيل الجارف لا يقوم شيء في وجهه . ولكن الى اي جهة اندفاعه ؟ واي ارض اتخذها مجالاً لفرسانه ؟

اندفاعه الى الشرق شقيقه الاكبر وسابقه في ادوار التمدن والعمران . اندفاعه الى هذا الذي كان بالامس قوياً فاصبح اليوم ضعيفاً . هذا الذي كان اسداً فمسخ حملاً . اندفاعه الى اسوار الصين التي ردت العدوان عن ابن السماء اجيالاً واجيالاً . وضفاف النيل التي كانت اول ما انبثق فيها فجر التمدن . وضفاف الكنج التي ضافته قروناً طوالاً . وضفاف دجلة والفرات حيث اينع عوده وزها غرسه . وضفاف البوسفور من حيث كانت تعلو دمدمة ترتجف لها اسوار اوروبا . اندفاعه الى بلاد الفينيقيين وبلاد فارس وخرائب تدمر وقرطجنة واسيا الصغرى . اندفاعه

الى جميع بلاد الشرق كالنار تأكل كل مـا في طريقها اخضر وهشيماً

هذا هو الغرب الآن بازاء الشرق . انه يرى من واجباته ان يتجه بكل الوسائل الممكنة لتجارته ثم لنفوذه وسلطته قائلا انه يجري في ذلك على ناموس (تنازع البقاء) القاضي بتسلط القوي على الضعيف . وحكم النبيه البليد . والعامل الخامل . فهلا وجد الشرقيون ناموساً يجرون عليه في مقابل ناموس الغربيين ؟ نعم هنالك ناموس فطري في الانسان وهو ناموس « الحرص على البقاء » مقابل ناموس « تنازع البقاء » فليدفع الشرقيون عن انفسهم بالتي هي احسن حرصاً على البقاء والا كانوا لقمة لاول آكل . وطعاماً لاول متناول

وفي مقدمة الشرقيين حكامهم الذين انيط بهم شرف رئاستهم وخدمتهم وذلك بدفع المفاسد عنهم وجلب المغانم اليهم فكلامنا مسوق الى هؤلاء الحكام لان في ايديهم رفع الشرق او حفظه . تخليصه او اهلاكه

***

امم الشرق الآن بازاء الغرب على ثلاثة اقسام . قسم انشب الغرب اظفاره فيه فلن يستطيع الى الخلاص سبيلاً . وقسم تمد له الآن الحبائل ليصاد بها اذا كان غراً لا يحسن الاحتيال لخلاص نفسه . وقسم يرفع رأسه عجباً وكبراً لانه قطع تلك الحبائل او كفته حكمته خطر الوقوع فيها . ومن القسم الاول الهند ومصر والسودان وزنجبار وتونس والجزائر واقسام من الصين وغيرها . ومن القسم الثاني مراكش وايران وافغانستان وسيام والصين وسواها . ومن القسم الثالث الدولة العثمانية واليابان والحبشة وامارات كفلت اوروبا استقلالها

اما القسم الاول فلا خلاص له من تلك الاقفاص الا بعون من الله . وهو على قسمين قسم ضغط على حرية فكره فاستمات ولم يعد يشعر بوجود وطني له فكان ذلك تمهيداً للموت الادبي والوطني بعد الموت السياسي . وقسم اطلقت حرية فكره فوضع مصائبه نصب عينيه وشغله تعدادها وندب نفسه عن كل امر فيه نفع لمستقبله . فهنا على الحاكم واجب عظيم سواء كان محكومه مطلقاً او مقيداً . فانه اذا رقدت نفس ذلك الشعب المستعبد المسكين اوماتت فينبغي لنفس الحاكم ان تكون بالرغم عن اليد التي فوقها مستيقظة حية ترعى ذلك الطفل المقيد بعناية الوالد ورأفة الوالدة والا شقي ذلك الشعب وساء مصيراً

واما القسم الثاني فواجبات حكامه اهم واكبر من واجبات حكام القسم الاول . لان واجبات القسم الاول مقصورة على الوجه الايجابي وهو صنع الخير المجرد واليقظة والسهر وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة اما واجبات القسم الثاني فتتناول الوجه الايجابي والوجه السلبي معاً . ذلك انه لا يكفي اولئك الحكام ان يحسنوا الى رعيتهم بل ينبغي ان يهتموا بدفع الخطر عنها

واما القسم الثالث فاحسن حالاً من القسمين الآخرين وخلاص الشرق كله قد يكون متوقفاً عليه فانه السفينة التي قد يمكن للقسمين الاخرين ان يعبرا عليها بحر الغرب العجاج المتلاطم الامواج واذا تعذر ذلك على القسم الاول فلا ريب انه ميسور للثاني

***

ونريد بهذا الكلام مبدأ قلما سمعنا به وهو تحالف دول الشرق المضطهدة المهددة وصيرورتها يداً واحدة في الذود عن حوضها والدفاع عن نفسها . كل يعلم ان المصابين تجمعهم المصائب فما بالها في بلاد الشرق تزيدهم تفرقاً وتباعداً ؟ كل يعلم ان الظلم يحمل المظلومين على مقاومة الظالم فما بال دول الشرق لا تتألب يداً واحدة لمقاومة الغرب الذي يريد خنق حريتها وقتل استقلالها؟ سمعنا بهذا او مثله يوما من الايام ولكنه كان كبرق خلب وسحاب جهام . فقد قيل منذ بضعة اشهر ان اليابان اضحت في خوف من ان الدول الاوروبية متى فرغت من امر تقسيم الصين عادت اليها فصنعت بها ما صنعته بالصين ولذلك عزمت على محالفة هذه المملكة لتكون معها يداً واحدة على اطماع الدول الاوروبية . فهل فكرت دولتنا العثمانية بما فكرت به اليابان ؟

للدولة مثلاً سلطنة مراكش وافغانستان وايران اذا عقد بينها وبينهن عرى محالفة دفاعية وهجومية يعلو شأن الدولة وشأن هذه الدول معها . نعم ما كان ذلك ليرهب اوروبا القوية ولكنه يجعلها على الاقل تفكر ملياً قبل الاقدام على شر تريده باحدى هذه الدول المتحالفة . فاذا تم هذا التحالف في الشرق الادنى وتم تحالف الصين واليابان في الشرق الاقصى استراح الشرق بعض الاستراحة مما يجده من الاطماع الغربية

التحالف الخارجي اي تماسك الدول والممالك الشرقية ضد اتحاد الدول الغربية هذا هو المبدأ الجديد الواجب على حكام الشرق ان يضعوه نصب اعينهم . ولكن هل يكفي هذا

المبدأ الجديد وحده

كلا بل ينبغي الرجوع معه الى المبدأ القديم . وهو العدل في الرعية . المساواة بين الرعية . الاخاء بين عناصر الرعية . ثم يتلو ذلك انشاء المشروعات العظمى التي تعطي اعمالاً للرعية فتدر عليها اخلاف السعة والثروة . يليه تعميم التربية والتعليم في كل المدن والبلدان والقرى على قدر الاستطاعة .

***

فالى سادتنا حكام الشرق نرفع هذين المطلبين : التحالف فيما بينهم والعدل في الرعية . لقد تغير ايها السادة وجه الارض منذ حادثين وهما : الثورة الفرنسوية . والحروب الاقتصادية الاستعمارية . فالاولى قلبت افكار الامم في الشرق والغرب فاصبحت رعية كل دولة تسخط على حكامها اذا شغلتهم عنها شواغلهم الخصوصية ومصالحهم الشخصية لانها ترى حكامها خداماً لها لا اسياداً عليها : وهذا السر في قيام بعض منها على الهيئة الحاكمة في بعض الاحيان

والثانية قلبت ما كان بين الشرق والغرب من العلائق السياسية فصار الغرب يرى الشرق فريسة له لا بد من قضمه وهضمه ما لم يره الشرق انه مخس وصعب على قدم الغرب ان ترفس مناخس

فالعدل العدل يا حكام الشرق تضمدوا به جراح اممكم . وتبطلوا حجج الغرب في تداخله بشؤونكم . وتزيلوا كل شكوى لرعيتكم . وتعمروا بلادكم . وتسعدوا وطنكم

والاتحاد الاتحاد يا ممالك الشرق تعل به كلمتكم ويشتد ازركم فان القضبان الدقيقة تكسر واحداً واحداً ولكنها متى كانت حزمة واحدة عسر كسرها حتى على اقوى الاقوياء

ولهذا الكتاب ذيل نخص بحكام دولتنا العلية اودعناه التماساً صادراً عن نية خالصة نرفعه بيد الاجلال والاحترام في احد الاجزاء الاتية

الطاعون

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور سليم شمعون

الطاعون مرض من نوع الحميات المعدية سببه مكروب من نوع الباشلس مستطيل الشكل مستدير الطرفين يظهر تحت الجهر دقيق الوسط لشدة ما يتلون طرفاه بالمادة الملونة التي يحضر فيها . اكتشفه الدكتور كيتاساتو الياباني والدكتور يرسين في ان واحد في هونغ كنغ في الصين . وهو ينمو في الحر المعتدل والبرد المعتدل ايضاً ويقتله الحر والبرد الشديدان ويحيا ويتكاثر في الاماكن القذرة الفاسدة الهواء التي لا يصيبها نور الشمس وتكثر فيها الرطوبة ولذلك كان اكثر انتشاره واشد فتكه بين الفقراء وفي الاماكن القذرة والبلدان الشرقية القديمة حيث الشوارع ضيقة لا يصيبها الهواء النقي ولا يطهرها نور الشمس وحيث تجتمع القذارة على اشكالها لعدم وجود المجاري . وهذه الاشياء اي الفقر والقذارة والجوع والطعام القليل الغذاء وانهاك الجسم بالسكر والسهر والاندفاع في الملذات وكل الاسباب المؤدية الى ضعف القوى انما هي اسباب معدة للمرض بمعنى انها تهيء للمكروب معدات حياته فينمو ويتكاثر ويشتد فتكه في حين انه اذا دخل بلدة نقية الهواء واسعة الشوارع مستقيمتها لا يحجب نور الشمس حاجب عن ارضها ومنازلها وحيث المجاري حسنة الوضع والماء النقي كثير فلا يعيش ولا يتكاثر . وهذا المرض من

الامراض القديمة ذكره المؤرخون القدماء وزار اوروبا مراراً عديدة ايام كانت الشروط الصحية غير متوفرة في بلدانها والجهل وما يتبعه من سوء المعيشة فاشياً بين اهلها فنتك فتكاً ذريعاً ثم تقهقر عنها بتقدم علم الصحة وانتشار النظافة في كل ارضها واممها وبين طبقات الشعب . وانحصر بين الصين وبلاد تيبت وما بين النهرين وجعل تلك البلاد موطنه ولم يعد يسمع عنه شيء منذ نصف قرن حتى ان من يقرأ الكتب الطبية التي طبعت منذ ثلاث سنوات او ما قبلها لا يرى فيها ذكراً لهذا المرض الا على وجه الاختصار التام اعتقاداً انه مرض زال بزوال الجهل واصبح من الامراض التي طوتها الايام

اما اعراضه فتختلف باختلاف انواعه وقد قسمه المحققون في الهند الى نوعين وهما الدبولي اي الذي يظهر فيه تضخم والتهاب في الغدد الليمفاوية وغير الدبولي وهو ما لا يظهر في اثناء سيره ورم ما . والاول منهما اقل خطراً على المصاب من الثاني . وينطوي تحت النوع الاول الطاعون الفخذي وهو ما ظهر دبوله في الفخذ . والطاعون الاربي وهو الذي تظهر دبوله في الاربية . ثم الابطي والعنقي واللوزي اي ما تضخمت فيه الغدد تحت الفك وصحبها التهاب في اللوزتين . وتكون هذه الدبول في اكثر الاحيان مفردة او متقابلة وكثيراً

ما تنتهي بالتقيح في الحوادث الشديدة. اما النوع غير الدبولي فشديد الخطر لا تظهر فيه الدبول في جسم المريض بل يبدأ بصداع وقشعريرة وارتفاع شديد في الحرارة وجفاف في اللسان واحمرار في العينين وآلام في الجسم وهي نفس الاعراض التي تصحب النوع الدبولي ايضاً ولكن يستعاض عن الدبول بالتهاب الرئتين وهو النوع الرئوي او التهاب في المعدة والامعاء ويسمى المعدي المعوي او في الكليتين ويسمى الكلوي او في الدماغ ويسمى الدماغي او ان يتسمم دم المريض من كثرة ما يفرز المكروب من السموم

ومدة سير المرض تختلف باختلاف شدته فقد تكون يومين او عشرة ايام ولكن مدة النقاهة تطول لشدة الضعف والهزال اللذين يعقبان الاصابات الشديدة

اما طريقة عدواه فتكون على الاغلب تلقيحاً اي ان يدخل المكروب من سحج او جرح في الجلد والغشاء المخاطي في الفم والانف والرئتين ولذلك كانت عدواه غير شديدة بالقياس الى غيره من الحميات كالجدري والتيفوس . وينسب بعضهم العدوى الى البراغيث والبق فانها تحمل المكروب من دم المريض او افرازه وتلقح الصحيح به بايصاله الى دمه مباشرة . ولا يبعد ان تكون العدوى بهذه الطريقة كثيرة الحدوث وخصوصاً بعد ان اثبت الفحص البكتريولوجي وجود المكروب في جوف البراغيث

والنوع الدبولي اقل عدوى من النوع الرئوي والمعدي لان المكروب يندفع في هذين الاخرين من جسم المريض مع البلغم والبراز . ومخالطة المصابين تولد الداء وقلما ينتشر في الهواء واذا انتشر فالى مسافة قريبة جداً من المصاب

ونسبوا للجرذان فعلاً قوياً في نشر الداء فانها شديدة التعرض لعدواه وكثيراً ما يسبق انتشار الوافد بين الناس موت كثير من الجرذان بالعلة نفسها وانتقال هذه الجرذان المصابة من بيت مصاب الى بيت سليم ينقل معها الداء . وقد حققوا ذلك في الهند مؤخراً وكثيراً ما استدلوا على بداية الوافد من كثرة الجرذان الميتة بالمرض نفسه بدليل وجود مكروب الداء في جسمها

اما الوقاية منه فتنحصر في امرين وهما عدم الاختلاط بالمرضى او بالذين خالطوهم والنظافة التامة . فمن عمل بهذين الشرطين سلم من العدوى بدليل ما يجري في الهند فان كل المصابين في تلك البلاد هم من الوطنيين الا نفراً قليلاً جداً من الاجانب وهؤلاء اكثرهم ان لم يكونوا كلهم من الاطباء والممرضين الذين يقضون نهارهم وليلهم مع المرضى . اما باقي الاجانب فلم يصب احد منهم لنظافة اجسامهم ومنازلهم وملابسهم وطعامهم وشرابهم وعدم اختلاطهم بالمرضى

اما عدم الاختلاط فيكون بمنع الخدم من الاكثار من النزول الى الاسواق القذرة وعدم السماح لهم بالنوم خارج البيت ومنع البائعين والمتسولين من الدخول الى البيوت والكف عن عيادة المرضى مهما كان مرضهم والخروج الى الاماكن التي ليس فيها زحام . ويجب الاعتناء بنظافة الجسم والاستحمام الكثير وغسل الايدي قبل الطعام بالماء النقي والصابون اولاً ثم بمحلول الفنيك والسليماني وتقليم الاظفار حتى لا تجتمع الاوساخ تحتها . ويجب ان يغسل البيت مرتين في الاسبوع على الاقل وتترك النوافذ مفتوحة لكي لا يحجب الهواء ونور الشمس حاجب وان يعتنى العناية الشديدة بنظافة الكنف بان يطلق فيها الماء لكي لا تتصاعد منها الروائح الكريهة وينتبه الى ان تكون الشوارع نظيفة من الاقذار بان تكنس وتغسل بالماء . ويجب ان تكون الملابس نظيفة ايضاً وعلى الاخص ما لامس منها الجلد فانها لملامستها الجسم توصل اليه المكروب اذا كان عالقاً فيها واتفق ان في الجلد سحجاً او جرحاً ما . وذكر بعضهم انه لاحظ في الهند ان اكثر المصابين ممن يمشون حفاة الارجل وان الدبول يظهر فيهم في الفخذ او الاربية ونسب ذلك الى دخول المكروب من ارجلهم وانهم لو لم يكونوا حفاة لما اصيبوا واستدل على ذلك بان الاطفال قلما يظهر فيهم الدبول في الفخذ او في الاربية بل تحت الابط او في العنق وذلك لانهم لا يمشون على الاطلاق

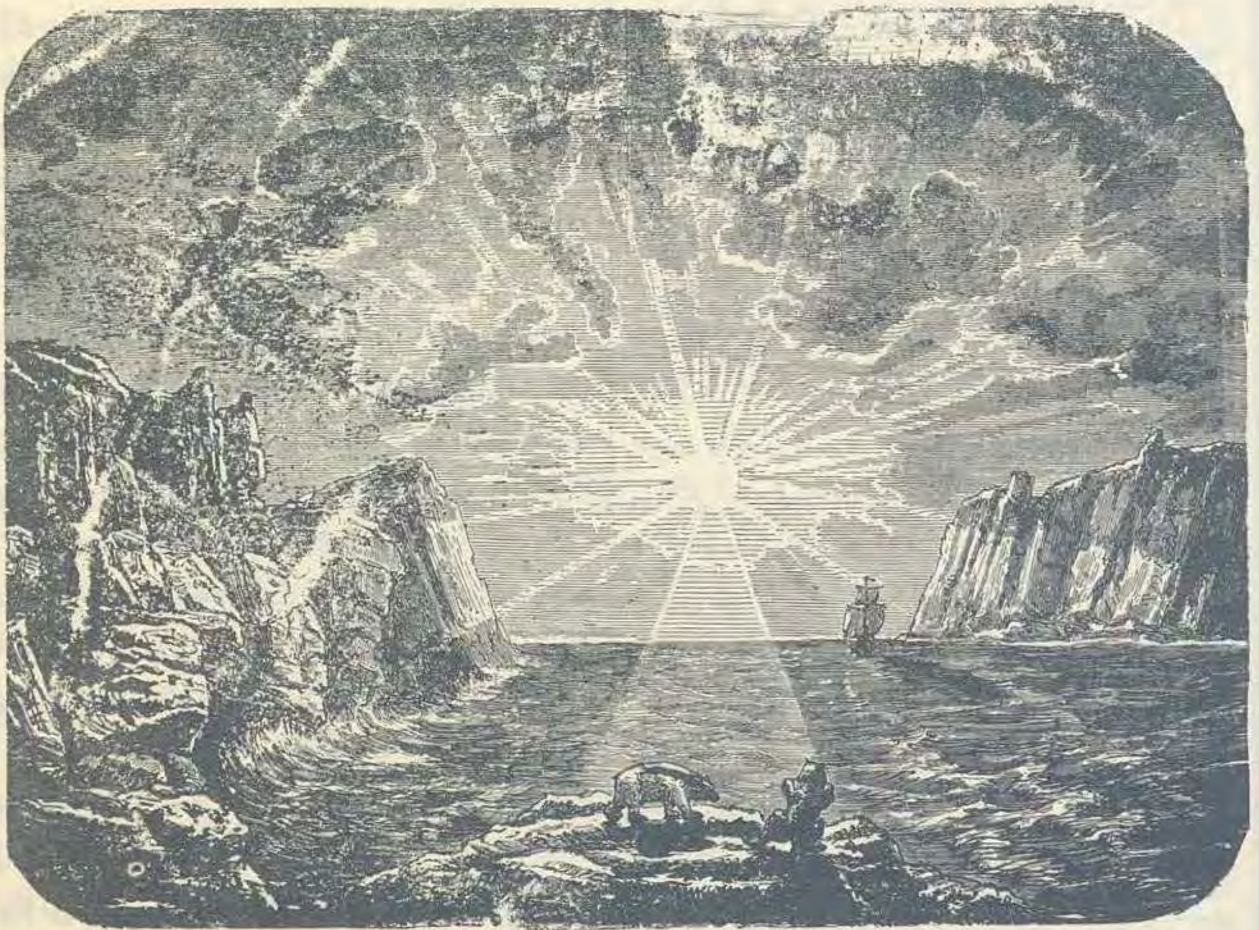
والطعام يجب ان يكون سهل الهضم وان لا يحوى شيئاً نيئاً بل يجب ان يطبخ على النار لكي يموت كل ما به من المكروب وان تكن العدوى عن طريق المعدة قليلة الحدوث . ويجب الامتناع عن المسكرات والسهر الكثير وما من شأنه ان ينهك القوى لان مكروبات الامراض على اختلافها تنمو وتتكاثر في الاجسام الضعيفة اما الاجسام القوية فترد هجماتها وتقوى عليها وبذلك كان من اول شروط الوقاية من الامراض المعدية على انواعها ان يحفظ الجسم قوياً والاعضاء سليمة من الآفات لان قوة الجسم افضل واق

اما محلول الفنيك فيجب ان يكون على نسبة اربعة اجزاء من الحامض الفنيك النقي في كل مئة جزء من الماء . والسليماني يجب ان يكون على نسبة جزء واحد منه في كل الف جزء

من الماء وهذان المحلولان اي الفنيك والسليماني افضل قاتلات المكروب واشدها فعلاً

واذا حدثت في بيت اصابة فيجب ان يعزل المريض في غرفة خصوصية ينزع منها اثاثها وتترك نوافذها مفتوحة ولا يدخلها احد سوى الطبيب والممرض · وان تحفظ ارضها نظيفة بغسلها بمحلول السليماني ويضع بعضهم على الباب الموصل الى سائر الغرف ملاءة مبتلة باحد المحلولين المذكورين وافضلها السليماني لانه لا رائحة له · ويجب ان لا يخلط اهل المنزل بالناس الاصحاء بل ان يعزلوا انفسهم في البيت ويراعوا جميع الشروط الصحية ويتركوا النوافذ مفتوحة ليلاً ونهار ويكثروا من استعمال الصابون والماء · فمن اعتنى بهذه الشروط الصحية امن انتقال المرض اليه اذ قل من يصاب به الا الذين يضعفون قواهم بالقذارة وسوء المعيشة وفساد الهواء والاحتجاب من نور الشمس

ويجب بعد شفاء المصاب او موته ان يحرق اثاث الغرفة او يطهر تطهيراً حسناً وان تطهر الارض والجدران والسقف والابواب والنوافذ برشها بمحلول السليماني ثم تبيض وتدهن والافضل ان تطهر كل غرف البيت ثم تبيض ايضاً ويطهر كل متاع المنزل تطهيراً حسناً · وحرق الكبريت في الغرف لا يكفي ولا يصح الاعتماد عليه



في القطب الشمالي — انظر المقالة التالية

مطالب النفوس الكبيرة

ومطالب النفوس الصغيرة

كنا ذات يوم في مجلس يزينه بعض السيدات فسألت احداهن عن انباء النهار فاجبنا ان لا جديد سوى اشاعة عن وجود بقايا الرحالة اندري وبعض من رفاقه · قالت ومن هو اندري هذا · قلنا انه رجل نشيط جريء سافر في منطاد (بالون) الى القطب الشمالي رغبة في الوصول اليه بعد اذ لو اعيى هذا الامر من تقدمه من السياح وهو اول رجل يسير اليه في الهواء · ولما وصفنا ما هي عليه حالة الجهات القطبية وبسطنا الغرض الجيوغرافي والعلمي الذي توخاه ذلك المقدام اكبر الحاضرون أمر لاندري ورغبوا الينا ان نطلعهم على كل ما يُسمع عنه

ويحق لنا ونحن جلوس في منازلنا على بساط الراحة والسكينة حولنا الانوار الغازية والستائر الحريرية والما كل الدسمة والاشربة الطيبة ان نكبر أمر رجل يترك هذه كلها ويخاطر بنفسه رغبة في الوصول الى جانب من الارض يكسوه الثلج الدائم لا قوت فيه غير الخبز اليابس ولا انيس غير الفقمة في البحر والدب على الثلوج ولكن ماقولنا اذا علمنا ان اميرًا من اكابر الامراء قد نبذ ايضاً تلك الملذات كلها واقدم على ما اقدم عليه الرحالة لاندري غير هياب ولا وكل

وهذا الامير هو الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت ملك ايطاليا. فانه عزم على السفر بحرًا لاكتشاف القطب الشمالي ولم يثنه عن عزمه هذا كل ما اتخذه ذووه من الوسائل لاقناعه بترك هذا السفر . وقد ارادوا ارهابه بقولهم انه سيلقى حتفه بين الثلوج القطبية كما لقيه لاندري فكان جواب هذا الامير الشاب: ان الانسان لا يموت مرتين فاذا مات في هذا السفر وهو يخدم الجوغرافيا والعلم مات سعيدًا حميدًا واذا عاش عاش سعيدًا حميدًا

ذلك ان نفوس البشر تختلف ملذاتها باختلاف اميالها ومشاربها . فزيد لذته ان يجمع الذهب اكوامًا في خزانته ويقفل عليه فلا ينتفع به احد . وعمرو لذته ان يتصدَّر في قومه فيكون منهم مكان المركز من الدائرة . وبكر ان يصرف نهاره وليله في الحانات بين الاقداح والقداح . وخالد ان يثلب اعراض اصحابه ومعارفه لدى جلاسه دلالة على طلاقة لسانه . وآخر لذته ان يحشو جوفه بالمآ كل السمينة فلا تسمعه يتحدث الا باللحوم والخمور . وغيره سبت لبه الحسان والجمعيات الدنيوية فلا يرى في غيرها حياة وهناء . الى آخر ما هنالك

ولكن من حسن حظ الانسانية لكمال عمار هذه الارض ان يوجد فيها رجال تعلو نفوسهم عن هذه المطالب التافهة الحقيرة وتغلو في جو الحياة مسوقة الى الاغراض النبيلة والمطالب الشريفة . افراد من البشر يزهدون في تلك الطيبات المادية ويرغبون في طيبات « نفسية » فيقدّمون بها العالم ويرقون الانسانية . انظار الى نيوتن في معمله تائه الافكار في النواميس الطبعية التي بين يديه ذاهلاً عن كل شيء في العالم حتى عن غذائه الذي فيه قوام حياته . انظر بالسي وراء اتونه يطعم النار اثاث منزله تحت المطر والبرد عازمًا على ان يموت ويفني كل ما يملكه او يتم اختراعه . انظر اديسن في معمله يصارع النواميس الطبيعية وباستور في مختبره يربي الجراثيم ويكتشف مبدأ يدفع به الانسانية الى امام دفعًا شديدًا . انظر جول سيمون وسبنسر في مكتبتيهما ينظران في النواميس الفلسفية والادبية ويحلان عقدها . جو رفيع تتناجى فيه تلك النفوس الكبيرة وتحلق ارواحهم فيه فوق حيوانات نهمة شرهة تدعى بشرًا انوفها لاصقة بتراب الارض لتأكل مما عليها من الخشاش والدود وما اشبههما تسمى الطيبات المادية

وقد اراد الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت بسفره الى القطب الشمالي ان ينفض عن نفسه غبار هذه الارض ويحلق في ذلك الجو الرفيع جو النفوس الكبيرة التي تعيش فيه ثابتة الجأش نشيطة عاملة غير عائثة بما تجده فيه من الضيق والتعب والعناء لانها ترى الحياة فيه فخرًا والموت فخرًا ثانيًا . وقد قالت بعض جرائد ايطاليا ان الامة الايطالية تفتخر بسفر احد اعضاء اسرتها المالكة الى القطب الشمالي وحقها ان تقول ذلك وحق الامة الايطالية ان تفتخر بالدوق دي زابروز ونعم البلاد بلاد في نفوس امرائها وعظمائها من القوة وحب العلم والاستخفاف بالموت ما يدفعهم الى اقتحام اكبر الاخطار خدمة للعلم والحقائق العلمية

اما تفصيل سفر الدوق فاليك بيانه

يسافر الدوق دي زابروز في اواسط يونيو الجاري من لورويك قرب كريستيانا على سفينة متينة ابتاعها وسماها « النجم القطبي » ويكون في صحبته من مهرة البحارة والادلة عشرون نفسًا فيهم طبيبان وقائدان للسفينة . ويكون حمل هذه السفينة ٣٥٠ طنًا من الفحم الحجري و ٢٥٠ طنًا من المؤن والامتعة موضوعة في ١٥٠٠ صندوق ثقل كل صندوق منها ٢٥ كيلوا غرامًا وذلك لتسهيل نقلها على ظهور الرجال حين الاقتضاء

وعند وصول السفينة الى اكانجليسك ينضم الى حاشية الامير ورفاقه ١٢٠ رفيقًا لا يستطيع ان يصل الى القطب من غير مساعدتهم وهم كلاب من كلاب الاسكيمو لجر المزالق التي تسير بهم على الثلج ومعها سواقها . وسيجري الدوق في سفره الى القطب على خطة لم يسبقه اليها احد مما يجعل الامل وطيدًا بوصوله اليه بعد رجوع جميع السياح عنه . وقد كانت خطة الرحالة نانسون ان يسلم سفينته الى الثلوج متى تراكمت عليها في البحر في فصل الشتاء فتذهب بها تلك الثلوج المحيطة بها من كل جانب الى حيث يجري بها تيار البحر لذلك لم يستطع نانسن ان يصل الى القطب بل اقترب منه ما امكنه الاقتراب . وكانت خطة لاندري المسكين ان يصل اليها راكبًا مطية الهواء والارجح انه لقي حتفه وراح شهيد اقدامه وكبر نفسه

اما الدوق دي زابروز فخطته انه عندما يجد ثلوج القطب

تصد السفينة عن التقدم الى امام لا يحملها اليها كما فعل نتسون بل يفتش على بلدة قريبة او مكان على احد الشواطي القريبة فيقيم فيه مدة فصل الشتاء كله حتى يذوب معظم تلك الثلوج التي تصده. وفي مدة اقامته في مشتاه هذا يرسل في الجهة التي يريد قصدها بعثات متتابعة تحمل الزاد والمؤن والامتعة شيئاً بعد شيء فتجعلها في محطات تقيمها على الطريق التي يريد اتباعها فيخف بذلك حمل البعثة اذ تكون فرقت معظم حملها على المحطات التي جعلتها امامها. فاذا انقضى الشتاء سار الدوق بالسفينة حتى لا يبقي الثلج سبيلاً للتقدم فيتخذ حينئذ المزالق متخذ المركبات والكلاب متخذ الجياد فيجلس مع بعض رفاقه بالمزالق و يسوق الكلاب المشدودة اليها مندفعاً بشدة وحماسة الى القطب الشمالي وهو على ثقة من النجاح باذن الله

وقد اخذ الدوق منطادين حتى اذا رأى نفسهُ مشرفاً على خطر ركبهما ونجا. وهو يرى ان مدة سياحته ستكون ١٨ شهراً الا اذا اقتضت الحال ان يشتي مرتين في تلك الجهات

ومما اخذهُ معهُ ايضاً آلات للعب والتسلية منها الشطرنج وآلات موسيقية منها القيثار والبيانو ليكون لهُ على الاقل شيء من التسلية والتعزية في وسط المشاق والاتعاب التي سيعانها في الجهات القطبية

***

والآن نرجو القارىء الكريم ان يوجه نظرهُ الى الرسم السابق. فانهُ يمثل منظراً بديعاً من مناظر القطب الشمالي. الثلج كالجبال في البحر والبر والضباب هابط على الارض وشمس القطب صفراء من الم الفراق تودع قوماً في سفينة هناك انقطعوا بها عن العالم وخاطروا بانفسهم للاكتشاف العلمي. في هذه السفينة الدوق دي ابروز ورفاقهُ جلوس يتحدثون بامور ايطاليا وعظمتها الماضية. ولما قربت الشمس من المغيب امر الدوق فقاموا جميعاً على الاقدام لتوديعها وفي ايديهم آلاتهم الموسيقية. فاشار الدوق فرنت في تلك الاصقاع البعيدة المجهولة اناشيد التمدن الاوروبي تحيي كوكب النهار قبل دخوله الى كهف المغرب. فادهشت هذه الاصوات الجديدة الفقمة في البحر والدب في البر فرفعت الاولى رأسها لترى هذا الامر الجديد واقبل الدب يرقص كما ترى في الرسم على انغام الموسيقى الايطالية ...

القتل بلا مسئولية

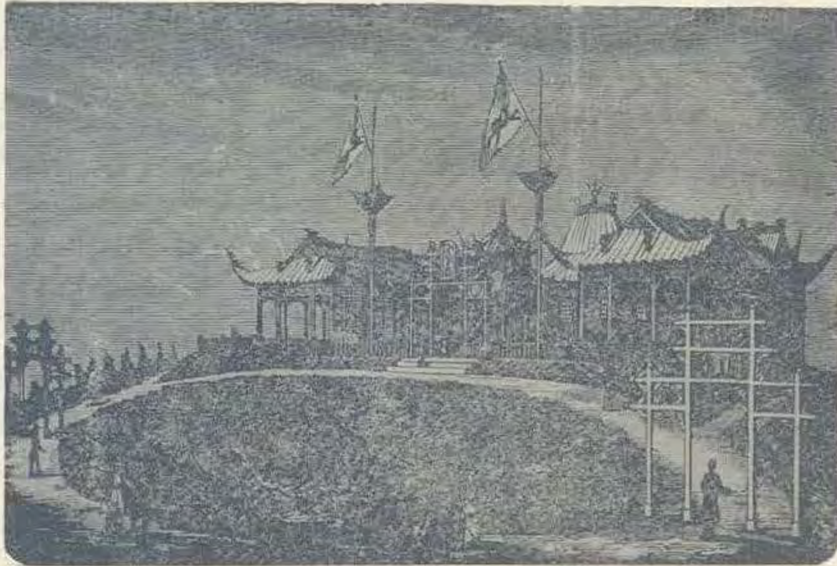
عنوان هذه النبذة يدل على موضوعها. وغرضنا ان نودعها بعض الحوادث الغريبة التي احدثها التمدن دلالة على ان الخير فيه ممتزج بالشر في اكثر الاحيان. ومعنى القتل بلا مسئولية ان يستطيع الانسان القتل متى اراده ويأمن العقاب لحيل يتخذها لا خفاء جريمته. منها ان امرأة اصيب زوج لها بقروح وكانت تريد ان تتخلص منه فأتت بمواد فاسدة مسمومة وجعلتها في اناء من زجاج ثم اخذت كثيراً من الذبان ووضعته في هذا الاناء فصار الذبان يأكل من تلك المواد وبعد قليل كشفت عن قروح زوجها وهو نائم واطلقت سراح الذبان فجعل يحوم على تلك القروح وينفث فيها من الفساد الذي اخذه من الاناء فالتهبت القروح بعد ايام وتسمم دم المريض فمات موتاً ظنه الاطباء طبيعياً. اما المرأة الاثيمة فبقيت مطلقة السراح اذ لم يعلم بجريمتها احد

ومنها ان زوجاً كره زوجته لسوء سلوكها فاضمر الشر لها. ففي مساء يوم دعاها الى التنزه معه على شاطىء البحر في مكان منفرد وكان الجزر كثيراً فسار بها وهو يلاطفها الى صخرة بعيدة عن الشاطىء وكان اوان المد اي ارتفاع مياه البحر فجعل الرجل يحادث امرأته و يشغلها عن الماء المرتفع حتى احاطت المياه بالصخرة من كل جانب وطغت عليها وقد كاد يهبط الظلام لتفت اليها حينئذ وسألها هل تعرفين السباحة. قالت لا قال اما انا فقادر على السباحة فاستودعك الله ولكن اذكري حوادثك معي. قال هذ اوغاص في الماء وهي تصرخ وتناديه دون ان يلتفت اليها وما زال الماء مرتفعاً حتى غمرت الامواج تلك المرأة فغرقت التعيسة ونجا الرجل وهو يحسب انه لم يقتل نفساً

واغرب من هذا ماحدث في اميركا منذ بضعة اسابيع فقد اخترع احد الاميركيين في احدى الولايات وسيلة للقتل لم تمر يوماً بخاطر غير خاطره الشرير. ذلك ان احدى الممثلات الجميلات اتاها ذات يوم في البوسطة علبة جميلة فاخذتها ولم تكن تعلم من اين وردتها ولما ارادت فتحها انبعثت منها رائحة طيبة فحسبت انها هدية من احد اصدقائها فمدت يدها وفتحتها. الا انها ما رفعت عنها الغطاء حتى وثبت منها افعى صغيرة فلدغتها في وجهها فاغمي على تلك المسكينة من الخوف والالم. وقد فتش البوليس على مرسل هذه العلبة فلم يقبض له على اثر والمظنون انه شاب يحب الممثلة وهي راغبة عنه في سواه

واغرب من ذاك وهذا ما ذكرته احدى المجلات العلمية عن امكان القتل بلا مسئولية . قالت . يكفي الامراة التي تريد التخلص من زوج ثقيل الوطأة عليها ان تغمس دبوساً لها في زجاجة فيها جراثيم التيفوس او الطاعون او الكوليرا ثم بين المزح والجد تخدش يد زوجها بهذا الدبوس فيصاب بالعلة التي تضع جراثيمها على دبوسها . وغرض هذه المجلة من هذا القول ان تشير الى شدة الخطر الذي يكون على الانسانية يوم يصبح كل فرد منها قادراً على توليد المكروبات وحفظها والاتجار بها . وقد زار يوماً الكاتب الشهير فرنسيسك سارسي الذي توفي في الاسبوع الماضي معمل باستور في باريز فقال له المسيو ديكلو مدير هذا المعمل وهو يريه زجاجات المكروبات « لدينا هنا ما يقتل كل سكان باريز » فهل خطر يوماً ببال باستور العظيم وهو يشتغل بتربية المكروبات لمنفعة الانسانية انه كان يشتغل لمضرة الانسانية ؟ لم يخطر له قط ذلك ببال ولو سمع اليوم ما ذهب اليه بعضهم بشان هذه المكروبات لبقي مبهوتاً . ذلك انه وُجد اليوم من الكتاب من يشير باتخاذ المكروبات كالاسلحة في الحرب تقاتل بها الاعداء . قال . فما المانع مثلاً من ارسال منطاد (بالون) يحلق فوق العدو ويلقي عليه من فوق ما ينشر فيه مكروبات الامراض ؟ ما المانع اذا اردنا محاربة جيش ان نسير امام جيشنا جيشاً من الجرذان التي تحمل مكروبات الطاعون حتى اذا دنونا من العدو اطلقناها عليه فنشرت الطاعون في ارضه ومعسكره . وقس على ذلك مكروبات سائر الاوبئة القتالة

نقول ان الذئاب لو خطر لها يوماً من الايام ان تأكل بعضها بعضاً لما رضيت ان يصنع بعضها ببعض ما يريدان يصنعه الانسان بالانسان . ونخر الانسان المتمدن ان يصرف فكرته وذكاءه في ما هو نافع لا في ما هو ضار فما اقربك من الحيوان ايها الانسان .



بناء صيني في حرش بولونيا في باريز

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

لحضرة الكاتب المجيد نجيب افندي المشعلاني

(١) « هل ان البلاد اشد احتياجاً الى تعليم »
« الرجل ام الى تعليم المرأة »

فُرض عليَّ الكلام هذه الليلة في الفرع الاخير من موضوع المباحثة. وقد تقدَّمني في الكلام عن الفرع الاول منه حضرة صديقي الاديب مبيناً شدة حاجة بلادنا الى تعليم الرجل فوفى الموضوع حقه من البحث والادلة

ولا احاول الآن نقض شيء مما قاله لاني متفق معه كل الاتفاق في ان حاجة بلادنا الى تعليم الرجل شديدة ولكني اخالفه في قوله ان حاجتنا الى تعليم المرأة اقل من الحاجة الى تعليم الرجل لاني اعتقد كل الاعتقاد ان حاجتنا الى تعليم المرأة اشد وأمس كثيراً. واظن انه لو لم يكن هذا الاختلاف في الراي لما نشأت هذه المناظرة وما كانت حاجة الى المباحثة. ولكن حيث وُجدت نقطة لم نتفق عليها وقد ابدى رأيه فيها بقي عليَّ ان اقول ما بدا لي

وقبل الشروع في بيان الاسباب الدالة على ان حاجتنا الى تعليم المرأة اشد منها الى تعليم الرجل أُريد ان ابحث قليلاً في الجواب عن هذين السؤالين وهما

من هي المرأة . وما هو مركزها

المرأة شريكة الرجل ومعينته ورفيقة حياته ومكملته. فانها أُخذت منه وتمَّ خلقها باخذ ضلع من اضلاع الرجل وصيرورتها امرأة له وهي ما برحت منذ بدء العالم وستبقى الى نهايته غير مفترقة عن الرجل لانها منه فهي متحدة به وملازمة كل الملازمة له. اما وصف هذه الملازمة من حيث الخير او الشر فيتعلق بالاكثر على ما يكون للمرأة من صفات الفضيلة او الرذيلة. فهي اما ان تكون ملازمة له ملازمة الخطية لجسده او ملازمة نفسه له

وهذا الاتحاد التام بينهما جعل لكلٍّ منهما تاثيراً عظيماً على الآخر. ولكن تأثير المرأة على الرجل اشد من تأثيره عليها. وهذه السلطة منحتها اياها الطبيعة عدلاً وتوازناً لانها خلقت اضعف من الرجل بنيةً وارق طبعاً واشد شعوراً. تعين على الرجل ان يحميها ويدفع عنها ويعتني بها اعتناء القوي بالضعيف. وتعين عليها ان تحبه وتلطف خشونته وتواسيه. فهو ينظر اليها كانها زهرة حياته وبهجة ايامه واكليل جماله. وهي تنظر اليه كانه عضدها القوي وحصنها المنيع تفزع اليه كلما أوجست خيفةً من خطر او نائبة فيلبي نداءها ويدفع بصدره عنها الملمات. هو يعجب بضعفها ولطفها ورقتها ووداعتها فيظنها آلهة الجمال. وهي تعجب ببسالته وبطشه فتظنه اله القوة

وكأن المرأة استعاضت عن ضعف بنيتها بازاء الرجل قوة عواطفها وشدة شعورها فهي تفوقه فيهما ولا تقدر ان تكون معتدلة بل هي في جانب الافراط دائماً فانها تحب للموت وتبغض للموت وتكون طاهرة ذات عفة وفضيلة كلاك او شريرة فاجرة كأبولون وهي سهلة الانقياد ولكنها شديدة العناد والتمسك بكل امرٍ تصمم النية عليه فلا تبقى بعد ذلك قوة في الارض تستطيع ان تحوِّلها عنه

فاذا اتضح لكم كل ذلك سلمتم معي بان الحاجة الى تعليم المراة اشد منها كثيراً الى تعليم الرجل فيجب ان تتعلم لتثبت على صفات الفضيلة التي هي من مميزاتها ويجب ان تتعلم لتحفظ ذاتها سليمة من المعايب والفساد لانها اذا استنارت باشعة شمس التهذيب والعلم الصحيح كانت سعادةً لرجلها وكنزاً لبنيها وفخراً لقومها وينبوع بركة لا يجف ماؤه

واكتفي بهذا القليل من كثير في جواب السؤال الاول

(١) مناظرة دارت بين حضرات الكاتبين النجيبين نجيب افندي المشعلاني ونجيب افندي الشوشاني في الجلسة السنوية التي عقدتها جمعية شمس البر في بيروت في ٢٤ ابريل (نيسان) الماضي وقد ارسل الينا صاحب الوجه السلبي مناظرته فنشرناها مع الشكر لحضرته

وانتقل الى جواب الثاني : ما هو مركز المراة

المراة ملكة ولها مملكة صغيرة معروفة بيننا باسم البيت . بل هذه المملكة الصغيرة هي اساس الممالك . فاذا اردت ان تعرف فضل المراة وتاثيرها على الاطلاق فانظر الى البيت واعرف كيف تربي المراة صغارها وما هي المبادىء التي ترضعهم اياها وتغرسها في نفوسهم منذ الصغر فاذا رأيتها توجب عليهم الصدق في القول والاجتهاد في العمل والوفاء في الوعد والامانة في المعاملة ومراعاة شروط النظافة والصحة والترتيب وحفظ الوقت والسعي الدائم وراء الاستفادة والافادة فاعلم ان تلك المملكة التي يجري في بيوتها هذا التعليم سائرة في سبيل الارتقاء السريع ولا تلبث ان تبلغ قمة النجاح والسيادة . واذا رأيتها تهملهم وتتركهم الى فساد الطبع يكذبون ويكسلون ويتمرغون في حمأة الاقذار ولا يراعون للصحة قانوناً ولا يعرفون للترتيب نظاماً ولا للوقت قيمةً ولا يرعون للعلم حرمةً فاعلم ان الامة التي هم منها منحطة متاخرة مستعبدة سائرة بقدم مسرعة الى حضيض الدمار

ان قوة الممالك وارتقاءها ومستقبل شعوبها وحالة حكوماتها ومعاملات اهلها متوقفة على نتيجة عمل المرأة في بيتها . فان المرأة وقد شاطرت الرجل مسؤولية زيادة النسل مسؤولة اولاً عن حسن تربية هذا النسل الذي تجلبه الى العالم . والطفل الصغير الذي سيصبح رجل المستقبل لا يكون له في سني طفوليته الاولى اليف غير امه . فهي التي ترضعه لبن ثدييها غذاء لجسمه لكي يكبر ويشب ويصير رجلاً وهي ايضاً التي تربيه على المبادىء التي تتاصل فيه ولا تفارقه مدة الحياة . وهذه المبادىء التي يتوقف عليها مستقبل الطفل نفسه ومستقبل العالم ايضاً لا يستطيع الرجل ان يغرسها في قلب الطفل ولكن المرأة وحدها هي التي تستطيع ذلك ولا يقدر غيرها عليه . والمبادىء التي يكتسبها الصغير من امه تجري في نفسه مجرى دمه في عروقه وتمتزج بحياته فلا يستطيع ان يتحول عنها ما دام حياً

ولست احاول الآن ان انكر اهمية تعليم الرجل للولد ولكني اريد ان اقرر هذه الحقيقة وهي ان الرجل يستطيع ان يرقي عقل الحدث ويزيده علماً واختباراً وحكمةً ودرايةً وعزماً ومضاء ولكنه لا يستطيع البتة ان يمس قلبه فذلك من خصوصيات المرأة . وليس غير المرأة من يستطيع ان يؤثر في قلب الصغير وهي وحدها التي تزرع فيه بذور الحب والاحسان والفضيلة والصلاح اذا كانت فاضلة او بذور الشر بانواعه اذا كانت شريرة . فالتربية البيتية او تربية الام في البيت هي الحجر الاول في اساس التربية العامة وتاثيرها لا يبقى منحصراً في البيت بل يتمدد امتداد اللهيب ويتصل بالحي والقرية والمدينة فيعم الولاية والمملكة والقارة ويشمل العالم

عثرت في مطالعاتي على مقالة لاحد افاضل كتبة الانكليز قال فيها ان الفكر لا يقيد البتة . فيمكن التسلط على كل شيء الا على الفكر ويمكن اخضاع الرياح والماء والطبيعة نفسها ولكن الفكر لا يغلب لانه اذا اريد تقييده من جهة اندفع كالتيار من جهة اخرى . ولو بني سور حول الارض لما امكن الحجز عليه لانه يمر فوق اعلى الحواجز ولا تستطيع السلاسل ان تقيده لانه ليس مادة . ولا السجون ان تضمه لانه يملأ المسكونة . وهو يمر فوق النار والنطع والدم ويهزأ بالمخاطر والاهوال ولا بد له من ان يجري مجراه رغماً عن كل معاند

واظن ان هذا الوصف يصدق كثيراً على ما تؤثر به المرأة على سواها . فان مساحة المملكة التي تحكمها وتسوسها مباشرة لا تتعدى حدود البيت فهي تشتغل في هذه الدائرة الصغيرة المحدودة ولكن نتيجة عملها يعم تاثيره المسكونة

علمنا مما مر بناذكره من هي المراة وما هو مركزها الخاص والعام واوضحنا بوجيز العبارة ان المراة تؤثر في الرجل اشد التأثير لانها جزء منه وملازمة له ملازمة البعض للكل وانها تؤثر في بنيها الذين تزفهم الى العالم فينتقل تاثيرها بهم منهم الى آخرين حتى يصبح هذا التاثير عاماً . فهل يصح بعد كل هذا ان يقال ان حاجتنا الى تعليم المراة ليست فوق كل حاجة . وهل من ينكر ان المراة اذا تهذبت وتعلمت كما يجب اصبحت افضل موصل بين بركات الدين الحقيقي والفضائل السامية والمبادى الشريفة وبين قلوب بني الانسان فتحرك عواطفهم الى قبولها والتمسك بها والقيام بمطالبها

نعم ان بلادنا في اشد الحاجة الى تعليم المرأة ولا يمكن ان ترتقي بلاد في معارج التمدن الحقيقي والحضارة والعمران الا اذا تعلمت المرأة (١) « فالمرأة هي التي تضع بيدها اللطيفة النحيفة في روح الامة ذلك الاساس الوطيد الذي يجب ان تبنى عليه الفضائل السامية . ففي تعليم المرأة وتهذيبها رفع شأن الهيئة الاجتماعية كلها» وهنا اتلو عليكم بعض عبارات (٢) منسوبة الى الفيلسوف

(١) الجامعة العثمانية . الجزء الاول صفحة ٥

(٢) الكلام للجامعة وانما روحه وخلاصته للفيلسوف كما يظهر من راجعة هذا الكلام في الجزء الاول

الفرنسوي جول سيمون عثرت عليها في مجلة ظهرت مؤخرًا في الاسكندرية عنوانها «الجامعة العثمانية» قال الفيلسوف المذكور «اتطلبون هيئة اجتماعية فاضلة؟ ربوا المراة لتربي بنيها تربية فاضلة فتكون منهم هيئة اجتماعية فاضلة؟ اتطلبون هيئة سياسية فاضلة ربوا المراة لتفع لكم في نفوس الامة ذلك الاساس الوطيد الذي يمكنكم ان تبنوا عليه الفضائل السياسية

« تشكون من ان الغش كثير في المعاملات. والفساد ينتشر شيئًا فشيئًا. والفضيلة تخفض جناحيها بازاء الرذيلة. والناس اصبحوا في كل مكان يزحفون الى اغراضهم الشخصية زحفًا على بطونهم ويمرغون جباههم تحت اقدام اله الذهب بتراب الذل والدناءة والهوان. تشكون من ان الرشوة في اكثر الممالك الغربية والشرقية سارية في جيوب العمال سريان الدماء في الاجسام. وان الفساد السياسي لا ينقص عن الفساد الادبي. تشكون من انقسام الامة وزيادة قوة الدفع فيها على قوة الجذب. نعم ونحن نشكو معكم ايضًا. ولكننا لا نرى لتلك الادواء الا دواء واحدًا وهو تربية النسل الناشيء تربية صحيحة فاضلة ليكون خلقًا جديدًا فيه كل ما يجب من فضائل الغد وليس فيه شيء من رذائل الامس فان هذا دون سواه طريق كل اصلاح وصلاح في كل هيئة اجتماعية ». انتهى

بقي عليَّ ان ابحث في جواب سؤالين اخرين وهما من هو المسؤول بتعليم المرأة؟ وكيف او ماذا يجب ان نتعلم؟

اصطرنا ضيق المقام الى ارجاء تتمة هذه المناظرة الى الجزء التالي فنوجه الانظار اليها منذ الآن لانها تحتوي اهم اغراض الكاتب. ولنشحذ سيداتنا اقلامهن فان الحملة هذه المرة شديدة

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

عبد القادر الجزائري

هو الامير الشهير بطل الجزائر وصاحب الوقائع المشهورة مع الفرنسويين. عرفناه اميرًا كبيرًا ادهش فرنسا واوروبا ببأسه وحلمه وثباته في الدفاع عن ملكه وبلاده وعرفناه كريمًا يجود بنفسه لو كانت في يده ونصيرًا للضعفاء والمظلومين يشد ازرهم بماله وبأسه. ولكن ماعرفناه شاعرًا مجيدًا قبل نشر سعادة نجله الامير محمد باشا منذ اسبوعين ديوان شعره بعنوان « نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر »

وليس هنا مكان الكلام على مناقب هذا الامير ومآثره الغراء فاننا نرجيء ذلك الى فصل خصوصي نصدره برسمه ونودعه تاريخ حياته بالتفصيل وانما نورد هنا لحضرات القراء شيئًا من شعره

والذي يحلو في شعر هذا الامير انه شعر بديهي بدوي مرسل بلا تكلف ولا تقعر كانه الكلام البسط يقال عفوًا. والذي يزيده حلاوة في نفس قارئه انطباقه على الحقيقة بقدر ما يمكن انطباق قول على فعل. فانك اذا رأيته فيه يصف الحروب واهوالها وخوضه غمارها واضرامه نارها شعرت ان الشاعر يصف شيئًا رآه بعينه ومسه بيده وخبره بنفسه وكذلك وصف الملك والفخر والشجاعة وخيام البدو وقصور الحضر فانه قد اختبرها كلها وذاق حلوها ومرها

ولد في بلدة قيطنة في الجزائر سنة ١٢٢٢ هجرية وفي سنة ١٢٤٨ بايعه اهل الجزائر اميرًا عليهم فاقام يحارب جيوش فرنسا ست عشرة سنة يصدها عن بلاده وامارته حتى كانت سنة ١٢٦٤ فسلم الى فرنسا بعد جهاد ادهش قوادها. وفي سنة ١٢٧١ اختار السكنى في دمشق الشام فاتخذها مقامًا وتوفي فيها في منتصف ليل السبت لتسع عشر خلت من شهر رجب سنة ١٣٠٠ في قصره بقرية دمر بمرض اعتراه بالكلى والمثانة

ومن شعره قوله من قصيدة يمدح بها ساكن الجنان السلطان عبد المجيد ويدعو لجيوشه بالظفر وكانت اذ ذاك في حرب القريم وقد انشد هذه القصيدة في حضرة السلطان

يارب ايد بروح القدس ملجأنا عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا
واجمع الهي قلوب المسلمين على وداده أعله اعظم له شانا

الضاربون ببيض الهند مرهفة   تخالها في ظلام الحرب نيرانا
والطاعنون بسمر الخط عالية   اذا العدو رآها شرعت بانا
والراكبون عتاق الخيل ضامرة   تخالها في مجال الحرب عقبانا
جيش اذا صاح صياح الحروب لهم   طاروا الى الموت فرساناً ورجلانا

وقال اذ اهداه ساكن الجنان السلطان عبد المجيد النيشان المجيدى من الرتبة الاولى

ولم ار اعظم من نعمة منحت   ولم تك لي في حساب
كذا فلتكن نعم الاكرمين   تفاجي بلامنة اوطلاب

ومن شعره قوله في الغزل

اريد حياتها وتريد قتلي   بهجر او بصد او بعاد
وابكيها فتضحك ملء فيها   واسهر وهي في طيب الرقاد
وابذل مهجتي في لثم فيها   فتمنعني وارجع منه صادي
اذا ما الناس ترغب في كنوز   فذات العم مكتنزي وزادي

وبعث اليه بعض اكابر فرنسا وهو بفرنسا انه قد وقع بيننا اختلاف هل الحضر افضل ام البدو واتفقنا على تحكيمك حيث انك اختبرتهما . فاجابهم قدس الله سره بقصيدة تصف البداوة وصفاً بليغاً يحببها الى كل ذي نفس وعندنا ان هذه القصيدة هي بيت قصيد الديوان كله وهذه هي برمتها حرصاً على بلاغتها

ياعاذراً لامرىء قد هام في الحضر   وعاذلاً لمحب البدو والقفر
لا تذممن بيوتاً خف محملها   وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني   لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
اوكنت اصبحت في الصحراء مرتقياً   بساط رمل به الحصباء كالدرر
تستنشقن نسيماً طاب منتشقاً   يزيد في الروح لا يسري على قذر
اوكنت في صبح ليل هاج هاتنه   علوت في مرقب اوجلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسائطها   سرباً من الوحش يرعى اطيب الشجر
فيا لها وقفة لم تبق من حزن   في قلب مضنى ولا كدراً لذي ضجر
نباكر الصيد احياناً فنبغته   فالصيد منا مدى الاوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامته   وان يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل اذا شدت هوادجنا   شقائق عمها مزن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلنا كوى   مرقعات باحداق من الحور
تمشي الحداة لها من خلفها زجل   اشهى من الناي والسنطير والوتر
ونحن فوق جياد الخيل نركضها   شليلها زينة الاكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها   على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا   منازلاً ما بها لطخ من الوضر
ترابها المسك بل انقى وجاد بها   صوب الغمائم بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت   مثل السماء زهت بالانجم الزهر
قال الاولى قد مضوا قولاً يصدقه   نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهر في بيتين رونقه   بيت من الشعر او بيت من الشعر
انعامنا ان اتت عند العشي تخل   اصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل انجى لراكبها   سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها   بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائماً للحرب مسرجة   من استغاث بنا بشره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً   واي عيش لمن قد بات في خفر
لا نحمل الضيم ممن جار نتركه   وارضه وجميع العز في السفر
وان اساء علينا الجار عشرته   نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
نبيت نار القرى تبدو لطارقنا   فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدونا ماله ملجا ولا وزر   وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابها من حليب ما يخالطه   ماء وليس حليب النوق كالبقر
اموال اعدائنا في كل آونة   نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذم به   الا المروءة والاحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية   والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى   فنحن اطول خلق الله في العمر

وكان اذا اهدى رسمه كتب عليه هذه الابيات

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري   فليس يريك الرسم صورتنا العظمى
فثم وراء الرسم شخص محجب   له همة تعلو باخمصه النجما
وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره   ولكنه بالعقل والخلق الاسمى

وكتب صديق معاتباً اخوان الامير في تأخرهم عن عيادته فقال في جملة ابيات

مرضت غريباً بين قوم اعزة   فكلهم عن زورتي متمنع
ولولا اصطباري واحترامي اليهم   لكنت لهم افعى بشعري السمع

فاجابه الامير بابيات منها

لعل لنا عذراً يدافع عتبنا   وصدرك في تلك المعاذير اوسع
وان كنت لساعاً فكن غير حية   وكن نحلة ترياقها السم يدفع

وسننجز للقراء وعدنا من نشر رسم هذا الامير الكبير مشفوعة بترجمة حياته

باب الاخبار العلمية

مؤتمر السل في برلين — اجتمع في اواخر الشهر الماضي في برلين مؤتمر السل العام فثبت من اعمال المؤتمر ان الذين يموتون بالسل في فرنسا والمانيا فقط مائتا الف نفس كل سنة . وقد بسط فيه الاستاذ ويرخوف الشهير رأياً جديداً ايده اختباره الطويل ووافق عليه جميع العلماء اعضاء هذا المؤتمر وهو ان السل لا ينتقل بالوراثة وانما يحدث بالافراط وينتقل بالعدوى فمن واجبات كل دولة اذاً ان تتخذ الوسائل الآتية (١) منع الاولاد والاهل من مخالطة المسلول واذا تعذر ذلك فتطهير كل حاجة او متاع تلوث بالمكروب (٢) اهتمام المجالس البلدية بتنقية الماء واللبن ومراقبة اللحوم وزيادة الاهتمام بالوقاية (٣) بناء مستشفيات خصوصية يعزل فيها المسلولون ويعالجون باستنشاق الهواء النقي والغذاء الجيد الكافي والراحة التامة فان هذه الامور الثلاثة كفيلة برد الصحة الى المسلول وقتل الجراثيم المعششة في رئته . واهم اغراض هذا المؤتمر ان يوجه انظار اوروبا الى هذه الامور المهمة

رأي شرقي في معالجة السل — بسط حضرة الاستاذ سبع افندي معلوف من اساتذة مدرسة الشوير الكبرى في مجلة الطبيب الغراء طريقة يرى انها شافية من داء السل وهي قتل المكروب في الرئة بواسطة ارسال الكهربائية اليها من غير ان تؤذي كريات الدم البيضاء وقال انه كتب الى الاكادمي الطبية الفرنسوية في باريز يطلعها على رأيه فلم يرده جوابها بعد

تأثير الموسيقى في النساء — اشار الدكتور وتزود الالماني في رسالة وضعها في هذا الموضوع ان لا تعلم البنات الموسيقى كالضرب على البيانو وما اشبهه قبل بلوغهنَّ السنة السادسة عشرة من العمر والا اوقعتهن الانغام الموسيقية في النوبات العصبية وامراض المعدة والدماغ ولا سيما اذا طالت مدة تعلمهنَّ كل يوم . وقد احصى عدد النساء اللواتي تعلمن الموسيقى قبل بلوغهنَّ الثانية عشرة فوجد ان ٦٠٠ امرأة من كل ١٠٠٠ امرأة أُصبن بالامراض العصبية واحصى عدد اللواتي لم يتعلمن الموسيقى فلم يزد عدد اللواتي اصبنَ بتلك الامراض على ١٠٠ امراة من كل ١٠٠٠ امراة . على اننا نرى هذا القياس قياساً مع الفارق فان اللواتي لم يشعرن بميل للموسيقى فاهملنها هنَّ اقل احساساً وبالتالي اقل تعرضاً للامراض العصبية كما لا يخفى

الكهربائية في الحرب — اخترع علماء المانيا مركبة تنير بالكهربائية ساحة الحرب للتفتيش على الجرحى بعد حدوث القتال وهي تحمل معدات مستشفى وقتي حتى اذا وجد من الجرحى من هم بحاجة شديدة الى عناية او عملية نُصب ذلك المستشفى الوقتي لبذل العناية او اجراء العملية

درجة حرارة الشمس — ثبت من ابحاث العالم ورنبورغ الالماني وهو مدير جمعية العلوم الطبيعية في برلين ان حرارة الشمس تبلغ ٦٢٤٩ درجة

ازالة البقع — اذا اردت ازالة البقع عن اثاث ثمين او انسجة حريرية فامزج اجزاء متساوية من زيت الكتان والكحول وزيت التربنتينا ثم اغمس فيها قطعة من الصوف وافرك بها مكان البقع حتى تزال وضع عليها بعد ذلك من الورق النشاش حتى تنشف تماماً

حمامات العامة — سيعرض الاستاذ لاسار الالماني في معرض باريز حمامات لاستحمام العامة وهو الاختراع الذي افاد الصحة العمومية في برلين افادة مهمة . على ان هذا الذي يسمونه اختراعاً موجود في الشرق منذ زمان طويل وكل من زار القطر الشامي يعرف شدة رغبة العامة والخاصة في الاستحمام بالحمامات التي يكثر وجودها واتقانها في تلك الجهات

معمل باستور — صرح اللورد جورج هاميلتون لمجلس العموم الانكليزي ان الهند ارسلت من شهر يوليو سنة ١٨٩٨ الى شهر مارس سنة ١٨٩٩ ثلاثة وثلاثين رجلاً من جنودها لمعالجتهم في معمل باستور من داء الكلب فشفوا جميعاً

قوة الفيل والانسان — جربت في ملعب للحيوانات قوة الفيل وقوة الانسان في رفع الاثقال فوجد ان الفيل قد يرفع ثقلاً لا يرفعه الا ثمانون رجلاً من الاقوياء

اطول قضية — اطول القضايا في العالم قضية رفعها الكونت دي نافير في سنة ١٢١٠ على مجلس دوزني البلدي وانتهت ١٨٤٨ فتكون مدتها ٦٣٨ سنة . واما اكبر القضايا فلا يبعد ان تكون قضية دريفوس التي اضنت فرنسا وعرضتها لاعظم الاخطار

ملح الطعام — كان الاقدمون يحترمون الملح كثيراً ويضعونه في الضحايا التي يقدمونها لآلهتهم . وكان اليونان والرومان يعنون اشد عناية بنظافته ونظافة المملحة ومن قلب هذه عمداً اوخطأ تشاءم الجميع منه . وكانت عندهم عادة فرك اطفالهم عند الولادة بالملح وعنهم اخذ الغربيون والشرقيون هذه العادة . وكان الملح يوزع على جنودهم بالمناوبة ومنه اشتقت كلمة (ساليز) ومعناها في اللغة الفرنسوية واللاتينية الاجرة لانهم كانو يعطون «السل» وهو الملح اجرة لهم . وكان الملح رابطة من رواطب الصداقة عند العرب وعند اليهود ايضاً . والى هذا العهد يقولون في القطر الشامي لمن يدعونه الى الطعام "تفضل ومالحنا" ويقولون ايضاً "من اكل مع الآخر خبزاً وملحاً فلا ينبغي ان يخونه" يريدون بذلك ان الملح من روابط الصداقة ومن اقوالهم الدالة على احترام الملح «ان من القى منه شيئاً على الارض وجب ان يلتقطه يوم القيامة بجفنيه» ولعل سبب هذا الاحترام الوراثة اولاً وعدم الاستغناء عن الملح ثانياً

هورا ليست تركية — نقلنا مرة عن احدى جرائد باريز ان كلمة هورا التي يهتف بها الجبابرة لملوكهم ماخوذة من المصدر التركي «اورانك» ومعناه القتل وراينا اليوم في تلك الجريدة رأياً آخر اقرب الى الصواب وهو ان "هورا" ماخوذة من كلمتين نمساويتين : هو — راج ومعناها "في الفردوس" ذلك ان السلافيين يعتقدون ان كل من قتل منهم في الدفاع عن بلاده يدخل الفردوس فكانوا في ايام الحرب وايام الاستعراض يصرخون هورا و يريدون بها انهم يطلبون الموت في سبيل وطنهم لدخول النعيم . فهورا اذاً نمساوية لا تركية فعسى ان تنتبه رصيفتنا مجلة الهلال الى هذا الرأي فتاخذه لقرائها دحضاً للرأي الاول الذي نقلته عن الجامعة او مقابلةً به

الاحبار

لحضرة المصور البارع حسن افندي راسم تجازي بشبين الكوم

حبر يكتب به على الصفيح

تحضر الاجزاء الآتية

جزء	١	اسيد نيتريك
"	١٠	ماء مقطر
"	١	برادة نحاس

يوضع الاسيد نيتريك اولاً في زجاجة ويضاف اليه النحاس فيذوب في الحال ثم يضاف اليه الماء ويجب ان يفرك الصفيح المراد الكتابة عليه بقطعة من القماش فركاً جيداً حتى يزول ما يكون عليه من الاجزاء الغريبة ثم تغمر فورشة من الشعر في هذا المركب وتكتب بها الكتابة اللازمة فتظهر واضحة

الحبر السحري

هذا الحبر من اهم الاحبار فان الانسان يكتب به على قطعة من الورق ما اراد ولما ينشف يختفي في الحال ولا يظهر ثانياً على الورقة الا لمن يعلم كيفية اظهاره وهو يركب من الاجزاء الاتية

جزء	١	زيت كتان نقي
	٢٠	روح النشادر
	١٠٠	ماء مقطر

توضع الاجزاء المذكورة في زجاجة وتحرك جيداً ثم يكتب به بواسطة قلم بسيط على قطعة ورق فلما يجف الحبر تختفي الكتابة واذا اراد الانسان اظهارها فما عليه الا ان يبل الورقة بالماء فتظهر الكتابة واضحة وتختفي متى جفت الورقة وهلم جرّاً

حبر للختم

جزء	١	بنفسج الانيلين
	٣٠	سبرتو
	٣٠	جليسرين

يوضع اللون البنفسجي في زجاجة ويضاف اليه السبيرتو ثم تحرك الزجاجة حتى يذوب ما فيها و بعد ذلك يوضع الجليسرين فيكون الحبر صالحاً للكتابة

وقد يمكن تغيير اللون المذكور باي لون اردت على شرط مراعاة المقادير وهذا الحبر يوضع للختامات الصغيرة متى جف حبرها من كثرة الاستعمال

املي سرسق — قالت جريدة المحبة الغراء في فصل تكلمت فيه عن حسنات هذه السيدة الفاضلة "فمحسنتنا لم تكتفِ بما فعلته لاجل مدرسة زهرة الاحسان وبما ستفعله على مدى الحياة حتى اجرت مؤخراً ضمانة حياتها لدى شركة "الميوتشوال ليف" على مبلغ خمسة وعشرين الف فرنك وقفته للمدرسة بعد الوفاة فعلمت الناس بذلك كيف يحيي المرء في الحياة و بعد الحياة، اطال الله عمر هذه الفاضلة لتبقى قدوة لجميع النساء الشرقيات

نفدت الاعداد الاولى من ادارة الجامعة فالمرجو من وكلائنا في الجهات ان يرسلوا لنا كل ما يستغنون عنه من الجزء الاول ولهم الفضل

باب الاسئلة والاجوبة

سبب تسمية اليمن والحجاز

(القاهرة)٠ م ٠ ف

لماذا سمي اليمن يمنًا والحجاز حجازًا

(الجامعة) ذكر الامام ابو الحسن المسعودي في كتابه مروج الذهب المعنى الذي من اجله سمي اليمن يمنًا والعراق عراقًا والشام شامًا والحجاز حجازًا وهذه خلاصته

«تنازع الناس في ذلك فمنهم من زعم انه انما سمي اليمن يمنًا لانه عن يمين الكعبة وسمي الشام شامًا لانه عن شمال الكعبة وسمي الحجاز حجازًا لانه حاجز بين اليمن والشام وسمي العراق عراقًا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهر واظنه مأخوذا من عراقي الدلو وعراقي القربة ٠ ومنهم من زعم ان اليمن انما سمي يمنًا ليمنه والشأم شامًا لشؤمه وقيل انما سمي الشام شامًا لشامات في ارضه بيض وسود ومنهم من قال غير ذلك ايضًا»

مصر بين الدولة العلية وانكلترا

(دمنهور)٠ محمد افندي توفيق

اذا نشبت الحرب بين الدولة العلية وانكلترا فماذا يكون موقف مصر وواجباتها تجاه الدولتين وهل يحق لمصر ان ترفع العلم العثماني

(الجامعة) المسائل السياسية لا تؤخذ بالظن والقياس لذلك يصعب الجواب على سؤالكم٠ فاننا اذا نظرنا اليه باعتبار الحق المجرد وبموجب حقوق الامم وجدنا ان مصر « بلاد عثمانية » يحق لها نصرة الدولة في حروبها ورفع علمها العثماني في هذه الحروب ٠ ولكن اذا نظرنا اليه باعتبار « القوة الضاغطة على مصر » لم يبق شبهة في ان مصر تكون في ذلك اليوم على الحيادة حتى يقضي الله قضاءه مالم ينهض شعب مصر نهضة واحدة ويطلب الاشتراك في الدفاع عن دولته وملته ٠ الا اننا نرى ان الدولة العلية لا تحارب انكلترا من اجل مصر الا اذا كانت انكلترا مهاجمة والدولة مدافعة ففي ذلك اليوم لا تحتاج الدولة الى مساعدة مصر لانها اي الدولة لا تكون منفردة اذ ليس من مصلحة اوروبا وبالخصوص روسيا ترك انكلترا وشأنها ونرجح ان مسألة مصر ستسوّى سياسيًا اي من غير اثارة حرب واراقة دماء وهذا الذي يريده جميع انصار الحق والعدالة والانسانية

اما كون مصر عثمانية فحسبنا دليلاً عليه ان اوروبا تعرفها كذلك والمصريون يكونون في البلاد الاوروبية تابعين لسفارات الدولة العلية

اصل الشهور الافرنجية

(القاهرة) م ٠ س

رأينا في مجلة الهلال الغراء اصل الشهور السورية فهل لكم ان تفيدونا عن اصل اسماء الشهور الافرنجية

(الجامعة) ذكر المؤرخ فلوطرخوس اليوناني الشهير ان اصل هذه الاسماء روماني ٠ فجانفيه « يناير » ماخوذ من جانوس وهو اسم ملك روماني قديم اشتهر بالعدل واصلاح حال رعيته٠ وفقريه « فبراير » ماخوذ من فبريا اللاتينية ومعناها التطهير لان الرومان كانوا يقدمون في هذا الشهر ذبائح للموتى٠ ومارس ماخوذ من اسم « مارس » وهو اله الحرب عندهم ٠ وافريل « ابريل » ماخوذ من افروديت وهو اسم يوناني لفنيس الهة الجمال فان النساء الرومانيات كن يقدمن لها الذبائح في اول هذا الشهر ويغتسلن وعلى رؤوسهن اكاليل من الريحان٠ وبعضهم يقول ان ابريل ماخوذ من كلمة « ابيريو » اللاتينية ومعناها الفتح لان اكمام الاثمار والازهار تتفتح فيه ٠ وماي « مايو » ماخوذ من مايا وهو اسم والدة « مركور » رسول الالهة واله البلاغة والتجارة واللصوص ٠ وجوين « يونيو » ماخوذ من « جينون » زوجة جوبيتير والهة الزواج ٠ وجويليه « يوليو » ماخوذ من اسم يوليوس قيصر الذي غلب بومبيوس ٠ واوت « اوغوسطوس » ماخوذ من اسم اوغوسطوس ثاني امبراطرة الرومانيين ٠ اما سبتمبر واوكتوبر ونوفمبر ودسمبر فمعناها في اللاتينية السابع والثامن والتاسع والعاشر سميت كذلك بحسب ترتيبها ٠ ذلك ان مارس كان اول الشهور عند الرومانيين ودسمبر اخرها ولم يكونوا يقسمون السنة في بدء الامر الا الى عشرة اشهر ٠ وقد جعل مارس في مقدمة الاشهر روميلوس مؤسس رومه اكرامًا لاله الحرب « مارس » لان الرومانيين كانوا امة حربية ٠ فلما جاء بعده الشارع العظيم نوما الروماني رأى خير الرومانيين في صرف افكارهم عن الحرب الى الزراعة والدعة وخفض العيش فجعل يناير الشهر الاول من السنة وقد ذكرنا ان يناير اسم ملك محب للسلامة والدعة ٠ فيؤخذ من هذا البيان ان هذه الشهور التي قلما نستعمل اليوم سواها في كتاباتنا الخصوصية والعمومية هي اسماء وثنية لآلهة الرومان واليونان وضعت منذ نحو ٢٦٥٠ سنة

تاريخ الاسبوعين

خارجية

فرنسا — وصل القومندان مرشان ورفاقه الى باريز في ١ يونيو فزار رئيس الجمهورية وبعض الوزراء واقيمت له احتفالات باهرة

حكمت محكمة النقض والابرام العليا « باجماع الاصوات » باعادة النظر في قضية دريفوس ومحاكمته من جديد لدي مجلس رين الحربي . فكان لهذا الحكم وقع شديد في فرنسا وفي الدنيا كلها

شهد المسيو لوبه رئيس الجمهورية الحفلة التي عقدت في مضمار اوتيل في ٥ الجاري فتظاهر الحزب الملكي امام كرسي الرئاسة بسبب قضية دريفوس وضرب البارون كرستياني المسيو لوبه بعصاه فجعد قبعته ففرقت الجنود المتظاهرين والقت القبض على ١٣٠ شخصاً في جملتهم ٣ ضباط

شهد المسيو لوبه بعد ذلك سباق لونشان فهتف له الجمهوريون هتافاً شديداً متتابعاً مقابل اعتداء الملكيين

عاد المسيو زولا الى باريز وأُرسل طراد الى جزيرة الشيطان ليعود منها بدريفوس فيصل الى برست في ٢٦ يونيو

سقطت وزارة المسيو ديبوى في ١٢ الجاري لشدة البوليس في قمع هياج المتظاهرين ضد الجمهورية

انكلترا — تقدم انكلترا الى الترنسفال انذاراً نهائياً تتلوه الحرب اذا لم تمنح النزالة الانكليزية فيها الاصلاحات المطلوبة

قال المسيو برودريك في مجلس العموم الانكليزي عند الكلام على نيل شركة المانية امتيازاً بمد سكة حديدية الى بغداد ان انكلترا ساهرة لوقاية المصالح الانكليزية في خليج العجم

اسبانيا — باعت اسبانيا جزائر كارولين لالمانيا بقيمة مليوني جنيه

الترنسفال — التقى السير الفرد ملنر والرئيس كروجر في بلومفونتين لتسوية مشاكل الترنسفال وانكلترا فلم يتفقا فامست الحالة اشد حرجاً مما كانت عليه قبل عزمهما على الاجتماع والمباحثة

روسيا — صدر في لوندرا القرض الروسي الجديد للسكة الحديدية في الصين وقدره ٢٩٨٥٠٠٠ جنيه

اليابان — صدر في لندرا قرض ياباني وقدره ١٠ ملايين جنيه

هولانده — وافقت لجنة تخفيف السلاح في مؤتمر السلم على منع استعمال رصاص دمدم في الحرب بثمانية عشر صوتاً ضد ٣ اصوات . والدول المعارضات هي انكلترا وايطاليا واوستريا

داخلية

مشروع المحكمة الشرعية — انتهى هذا المشروع طبقاً لما توقعناه في الجزء الماضي . فقد كتب دولة الغازي مختار باشا الى سمو الجناب الخديوي المعظم يبلغ سموه بناءً على ارادة سلطانية انهُ لما كان تولية خديوي مصر من حقوق جلالة السلطان فمن حقوق جلالته ايضاً تولية القاضي الشرعي فقطعت جهيزه قول كل خطيب . وقد اظهرت الامة الاسلامية في مصر نهضة بشأن هذا المشروع فارسل كبار علمائها الاجلاء رسائل الضراعة من اهم البلدان المصرية يسألون بها سمو الخديوي المعظم ان تعدل الحكومة عن تنفيذ مشروعها فبعد مداخلة حضرة اللورد كرومر قرر مجلس النظار برئاسة سمو الخديوي توقيف المشروع توقيفاً وقتياً وتعيين لجنة برئاسة سعادة ناظر الحقانية لفحص الاصلاح الواجب ادخاله الى المحاكم الشرعية

الا ان سرور المصريين بفوزهم نغصه عزل الحكومة حضرة الاستاذ الشيخ حسونه النواوي من مشيخة الجامع الازهر الشريف ومنصب الافتاء في القطر وقد عينت الحكومة للمنصب الاول حضرة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قطب النواوي وللمنصب الثاني حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده . وكان لهذه المسائل دوي في مصر كلها حتى لقد انست تفاصيلها المصريين الطاعون واخباره

الطاعون — سكنت خواطر الاسكندريين بعد الاضطراب لخفة وطأة الوباء وتضييق الحكومة ومجلس الصحة والمجلس البلدي عليه . وقد بلغت الاصابات من بداية تفشي الوباء اي من ٤ مايو الى ١٣ الجاري ٢٧ اصابة مات منها ١٠ وشفي ٦ والباقون تحت المعالجة . وتقدر خسائر التجارة والبورصة بسبب الوباء الى اوائل هذا الشهر بمليون جنيه

اللورد كتشنر — قرر مجلس العموم الانكليزي منح سعادة اللورد كتشنر باشا حاكم السودان العام ٣٠ الف جنيه جزاء فتحه السودان وتقول جريدة الستاندارد انهُ سينقل الى الهند

سالنا كثيرون من حضرات المشتركين كيف يوصلون الينا بدلات الاشتراك فنشكر لحضراتهم جميل عنايتهم ونرجو ان يقدموها حوالة على البوسطة المصرية او البوسطة الفرنسوية فنقدم لحضراتهم وصولات الاشتراك على عجل . اما حضرات وكلائنا الذين طلبوا منا الوصولات فسنرسلها اليهم قريباً

باب التقريظ والانتقاد

ديوان امير — صدر في مطبعة المعارف في العاصمة ديوان الامير الشهير عبد القادر الحسني الجزائري مصدرًا برسمه ومطبوعًا طبعًا حسنًا على نفقة سعادة نجله الامير محمد باشا وقد نقلنا في باب الشعر مثالاً من شعر هذا الامير فنثني اطيب ثناء على سعادة نجله الذي اتحف الادب العربي بهذا الديوان وهو يطلب من جناب سليم افندي صوله في نظارة الاشغال العمومية ومن جميع مكاتب العاصمة وثمنه اربعة غروش صاغ

خلاصة الشكر — نشرت الجمعية الخيرية الارثوذكية السورية في الاسكندرية بيان اعمالها في سنة ١٨٩٨ فجاء ناطقًا باجتهاد حضرات رئيسها واعضائها الكرام في سبيل البر والاحسان وقد بلغت واردات الجمعية في هذه السنة ٤٣٥٦٣ غرشًا مصريًا وبلغت نفقاتها ٢٩٧٧٣ غرشًا فيكون الرصيد الباقي في صندوقها ١٣٧٨٩ غرشًا فنثني على همة رجالها وعلى الذين ساعدوهم على خدمة الفقراء بمالهم وعنايتهم جزاهم الله خيرًا

سوريا الفتاة — لا نريد ان نضرب صفحًا عن منشور وردنا من نيويورك عنوانه سوريا الفتاة واشار اليه كثير من جرائد القطر . واذا سئلنا ان نبدي رأينا في هذا المنشور نقول اننا قرأنا فيه غير ما قرأه فيه غيرنا من المطلعين عليه . فقد تمثل لنا عند وقوع نظرنا على هذا العنوان «سوريا الفتاة» ان جمعية تاسست من اخواننا السوريين في نيويورك للسعي في الباس سوريا الجميلة ثوبًا من السعادة جديدًا . تمثل لنا ان تلك الجمعية تجمع الاموال الطائلة من اعضائها وغير اعضائها وتقيم لها مجلس ادارة في نيويورك وآخر في بيروت وتبعث بمرسلين سوريين الى جميع بلدان سوريا لتأسيس مدارس صناعية وزراعية فيها اذ هي في غنى عن المدارس العلمية . رأينا انها تجمع كثيرين من الفلاحين والقرويين المهاجرين الى البلاد الاميركية فتبتاع لهم اراضي للزراعة في الجهات الاميركية وتسلمهم اياها يزرعونها ويتعلمون فيها اصول الزراعة العلمية والعملية ثم تأخذ جماعات منهم وتبعث بهم على نفقتها الى سهول البقاع واراضي فلسطين والاناضول لانشاء المحلات الزراعية في بلادهم فينفعون وطنهم و ينتفعون . رأيناها تفتش بين جميع المهاجرين الى اميركا عن النساء والضعفاء فتأخذ بناصرهم لا بالاحسان اليهم بل بتمهيد سبل الارتزاق في وجوههم ورفع نفوسهم عن رذيلة البطالة والشحاذة التي وُسمت بها سوريا في بعض تلك الجهات . وبالجملة رأيناها مكرسة اوقاتها واموالها وقواها العقلية والادبية لجرف الاوساخ والاقذار الاجتماعية والادبية من حقل سوريا الكبيرة القائمة على شاطئ البحر المتوسط وسوريا الصغيرة القائمة وراء الاتلانتيكي . اذا كان هذا هو الغرض الشريف الذي ترمي اليه «سوريا الفتاة» فنحن معها ومجلتنا «الجامعة العثمانية» موقوفة على خدمتها رضي الناس ام غضبوا عليها . اما اذا كان لها غرض سياسي يلقي التهمة على السوريين والشبهة على امانتهم لدولتهم و يبذر سوء الظن بين الحاكم والمحكوم فانا نأسف شديد الاسف لان اول عمل عمومي عمله بعض من اخواننا السوريين في اميركا — لا كلهم — جاء عملاً ضارًا بدلاً من ان يكون مفيدًا

مهذبو الشبيبة — اشتد الجدال بين ناظر مدرسة في اب الشعرية في القاهرة وبين معلم يعلم في مدرسته فضرب الاول الثاني ضربة كسرت ذراعه فاخذ الضارب الى السجن والمضروب الى المستشفى . هكذا تكون آداب مهذبي الجيل الناشئ ومعلميه

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربًا
فلا تلم الاولاد فيه على الرقص

غذاء المعد القوية

اريد رجلاً اذا كان في القوم وهو اميرهم كان كبعضهم واذا لم يكن اميرهم فكأنه اميرهم (الامام عمر)

نظر فيلسوف الى رجل حسن الوجه خبيث النفس فقال: بيت حسن وفيه ساكن نذل (الثعالبي)

كان العباس ابن علي المنصور يأخذ كأس الخمرة بيده ثم يقول لها: اما المال فتبلعين . واما المروءة فتخلعين . واما الدين فتفسدين (الشريشي)

سأل معاويةُ الاحنفَ بن قيس فقال: يا ابا يحيى كيف الزمان . قال . الزمان انت يا امير المؤمنين . ان صلحتَ صلح الزمان وان فسدتَ فسد (الغزالي)

قال رجل لاقليدس الحكيم: لاستريح حتى اتلف روحك . فقال الحكيم . انا لا استريح حتى اخرج الحقد من قلبك (الغزالي)

قيل لمجنون: عدّ لنا المجانين . قال: هذا يطول بي ولكن اعد العقلاء (المستعصمي)

كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر (لطائف الملوك)

الرجل الذي يتكلم طول النهار عجيبة من عجائب الدهر وكذلك المرأة التي تسكت طول النهار (برونه)

ربي احفظني من اصدقائي اما اعدائي فانا احفظ نفسي منهم (فولتير)

المروءة ان لا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية (الشريشي)

قيل للقمان ما اقبح وجهك . قال: اتعيب عليّ هذا النقش ام على النقاش (الشريشي)

قيل لافلاطون ما هو الشيء الذي لا يحسن ان يقال وان كان حقاً . قال مدح الانسان نفسه (الابشيهي)

افتخر بعضهم عند بعض الحكماء بالآباء والاجداد وبزخارف المال المستفاد . فقال له ذلك الحكيم . ان كان في هذه فخر فينبغي ان يكون الفخر لها لا لك وان كان آباؤك كما ذكرت اشرافاً فالفخر لهم لا لك «الفخري»

اذا اكرمك الناس لمال او لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالها ولكن ليعجبك اذا اكرموك لدين او ادب (السيوطي)

قيل لبعض الملوك: لم لا تغلق الباب وتقعد عليه الحجاب . فقال: انما ينبغي ان احفظ انا رعيتي لا ان يحفظوني (الثعالبي)

غذاء المعد الضعيفة

بين ام وولدها: الى اين انت ذاهب يا بطرس — الى المدرسة — اليوم يوم احد وما عساك تفعل فيها — اوعز الينا المعلم بالحضور ليرينا كسوف الشمس — لا لا تذهب الا يقدر معلمك ان يريك هذا الكسوف غداً في اوقات الدرس

انف طويل: سأل رجل رجلاً ذا انف طويل لماذا شعر عارضيك خفيف . فاجاب ظريف كان واقفاً — لان الشعر لا ينبت في ظل انف كهذا

بين رجل وامرأته: اذا كان الطقس جيداً فاني سانزل الى السوق واشتري فسطاناً . فما هي علامة الطقس الجيد . فاجاب الرجل — علامته رعد وبرق وشتاء

بين ولدين: ابي احسن من امك — لا . امي احسن — لا . امي احسن — وبأي شيء امك احسن من امي — امي تصنع شيئاً لا تقدر ان تصنعه امك — وما هو — هو انها تنزع اسنانها وتضعها كما تريد

بين ولد صغير وسيدة: ارني لسانك يا سيدتي — ولماذا يا عزيزي — لان امي تقول ان لسانك كلسان الافعى وانا احب ان ارى كيف يكون

آكل لحم البشر: استقدم ملك جزائر كانيبال مرسلاً اوروبياً مقيداً عنده وقال له — قد عزمنا على ذبحك واكلك فهل لك ما تقوله . فاجاب المرسل المسكين — وددت لو تسمع لي كلمة في ضرر اكل اللحم وفائدة اكل النبات

بين زوجين: اراد زوجان التنزه على قمة جبل فلما اخذا بالصعود تعبت المرأة فصارت تلهث وقالت لزوجها — يسرني جداً ان اجد الآن حماراً يحملني الى فوق . فاجاب الزوج النبيه — استندي عليّ يا عزيزتي

بين معلم وتلامذته: عرفتم الآن فائدة صوف الغنم وان الثياب تُنسج منها فقل لي اذاً يا بطرس من اي شيء صنعت ثيابك — من ثياب ابي العتيقة يا سيدي

افريقي في لندرا: اتى مرسل باحد متوحشي افريقيا الى لندرا واذ كان يوماً يريه رسوماً مجموعة وقع نظره على رسم يمثل الوفاً من الشعب في حالة الاضطراب والهياج فسأل ما هذا الرسم . قال المرسل هذا رسم الشعب في الانتخاب في ادنبورج . فقال الافريقي — فلما ذا لا ترسلون ايضاً مرسليكم الى هؤلاء الناس ليمدنوهم

وبعد سكوت بضع ثوان رجعت في خلالها ماري الى افكارها وفدوكي الى نفسها حل الانقباض محل الانبساط على جبين الاثنتين فقالت ماري

ما ذا يكون طعامنا في هذا الصباح

قالت فدوكي لا اقدر ان آكل معك في هذا الصباح خلافاً للعادة اذ لا استطيع الابطاء فان الخواجه ينتظرني

قالت وكيف الخواجه معك

قالت على ما عهدته لا يهمه الا راحته مات خادموه او عاشوا . وقد بدأت اشعر بضعف قوتي وانحطاط عزمي . واظن ان امرًا يحدث في داخلي .. وهو يرى مني سوء الحال كما ترين ومع ذلك لا يضع عن ظهري شيئاً من العمل ويغض الطرف عني كل ما رآني اشكو تعباً . حقاً لا اصعب من هذه المعيشة التي اعيشها

قالت ذلك وغالبت نفسها لاخفاء تاثر كاد يبدو بشكل دمعة في جفنها فسرى تأثرها الى اميلي فقالت منقبضة

لا اكتمك اني ارى صحتك في تأخر يافدوكي . وعملك شاق متعب فلماذا لا تسمعين كلامي . هذه المرة العاشرة التي اطلب منك فيها ان تستريحي ان لم يكن رفقاً بك فبوالدتك

فاجابت فدوكي وهل تريدين ان اريح والدتي بزيادة تعبي على حين انك تعلمين ان زيادة تعبي يزيد في تعبها . ام تخالين ان تركي العمل كما طلبت مني مرارًا هو راحة لي . لا ياعزيزتي ماري ان تركي العمل والاستخدام في هذا المخزن الذى اخدم الآن فيه يزيد تعبي لاينقصه لانني اصبح حينئذ غير قادرة على كسب خبزي بعرق جبيني وانت تعلمين انني لا استطيع ان اقبل شيئاً حتى منك فان ذلك لا ينطبق على عزة نفسي

قالت ماري اذًا انت مصممة على قتل نفسك

قالت فدوكي ذكرت القتل الآن فاعلمي اذًا انني اذا مت مت وانا اقوم بواجباتي نحو نفسي ونحو امي . وهذا الموت خير لي من المعيشة بلا عمل اتناول من الناس ما اشتري به خبزي وخبز امي

فنظرت ماري في وجهها نظر العتاب قائلة ـ وهل انا من جملة « الناس » يافدوكي . انك تسوئينني بهذا الكلام . انا لا اقترح عليك امرًا عظيماً وما هذا التهويل الذي تهولينه . المسألة في غاية البساطة . انظري . انت بلا اب ولا اخ ولا اخت ولا سند في هذه الدنيا سوى ام في الخمسين من العمر لا تحسن عملاً . وصحتك آخذة في التأخر يوماً بعد يوم فيلزمك الراحة وبالقلم العريض يلزمك « المعيشة الجيدة » والا ساء مصيرك . راتبك الذي تتناولينه من خدمتك في هذا المخزن الذي تحت بيتنا وقدره ثلاثون ريالاً لا يكفي لسد كل نفقاتك . فهل من ذل النفس ان تقبلي مني الآن ما اقترحه عليك . ام يجب عليك ان تبقي على ما انت عليه فتقتلين نفسك بنفسك . ولا اقترح عليك امرًا جللاً كما ذكرت . عندي مال مخصوص لي اقتصدته منذ خمس سنوات من فضلات نفقات البيت ونفقاتي الخصوصية فهذا المال تضعينه تحت امرك في احد المصارف وتاخذين منه كل شهر الثلاثين ريالاً التي تاخذينها الآن حتى اذا استراح جسمك ورجعت اليك قواك وصحتك رجعت الى عملك . ولا تذكري عزة النفس يافدوكي فاني بهذا لا أحسن اليك ولكن اساعدك مساعدة وقتية ولو كنت مكانك واقترحت عليّ ذلك لما ابيت اباءك . وكل ما تاخذينه من ذلك المال عليك ان ترديه اليّ في المستقبل

فابتسمت هنا فدوكي ابتساماً صفراويًا وقالت — ما زادني هذا الكلام معرفة بحسن ودادك ياعزيزتي ولكنك علمت جوابي على هذا الامر منذ اشهر فارجو ترك هذا الحديث

فلبثت الاثنتان مبهوتتين ساكتين بضع ثوان ايضاً وعلى وجه ماري ملامح الاستياء من رفض صديقتها وفي فم فدوكي بسمة المستريح النفس الذي يعمل عملاً او يقول قولاً يشهد له ضميره بشرفه ونبله

وبعد بضع ثوان قالت ماري اذًا تتناولين طعام الصباح معي جريًا على العادة

قالت فدوكي ولكن ابطأت فيجب ان انزل الى عملي

قالت لابأس من ان تنتظري قليلاً ايضاً . ثم مدت يدها فقرعت جرساً فانفتح الباب بعد دقيقتين واطلت الخادمة اميلي فقالت لها ماري ـ اعدي لنا طعاماً

فابتسمت الخادمة وقالت ـ كأن فدوكي اتتك بالقابلية والصحة فبارك الله في صباحها

وبعد بضع دقائق عادت الخادمة تحمل طبقاً عليه طعام الصباح فوضعته على مائدة امام ماري وفدوكي . فتقدمتا منه وجعلتا تاكلان . وكان الطعام بيضاً وزبدةً وجبناً وحليباً

فقالت فدوكي انا لا استطيع ان اتناول غير اللبن

قالت ماري اخطرت في بالي امرًا اتذهبين معي الى بلادي

قالت فدوكي الى اين

قالت ماري الى حامات تلك القرية الجميلة القائمة على جبل النورية بين بيروت وطرابلس الشام . اذا ذهبتِ معي الى هناك ونهضنا في كل صباح وقصدنا الحرش القريب فتناولنا الحليب من ثدي المواشي وهي ترعى في الصباح يومئذٍ تعلمين يافدوكي ما اطيب معيشة الخلاء . فهل تذهبين معي لترويح نفسكِ وتبديل الهواء فاني قد اشتقت الى بلادي وهذه فرصة تريحين بها نفسك وأُطفئُ بها نار شوقي

فلم تجب فدوكي بغير الابتسام اذ ادركت ان هذا الاقتراح الثاني هو نفس الاقتراح الاول ولكن بصورة ثانية

وبعد الطعام همت فدوكي بالقيام فقالت لها ماري

تسهرين الليلة عندنا

قالت فدوكي ولماذا هذا الطلب مع انكِ تحرضينني على النوم باكرًا من اجل صحتي

قالت لتسليتي قليلاً فان عندنا في هذا الليل دعوة فتتعشين عندنا وتسهرين معنا

قالت وما هي هذه الدعوة

قالت اتانا ضيف من سوريا فدعا ابي بعض اصحابنا السوريين واللبنانيين في نيويورك الى العشاء هذه الليلة . فلا تنسي ان تاتينا عند خروجكِ من المخزن

الفصل السابع

الشرارة الاولى

غابت شمس ذلك اليوم ومنزل الخواجه بولس على غاية الاستعداد لاستقبال المدعوين الى العشاء فيهِ . وهي عادة الفها الخواجه بولس فكان ياتيها كل اسبوعين او ثلاثة اسابيع تمكينًا لروابط الوداد بين النزالة السورية في نيويورك وابقاء للوفاق بينها

وكان يدعو الى مائدتهِ جميع العثمانيين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم لانهُ كما كان يقول يريد ان تُهدم الحواجز القبيحة القائمة بين ابناء وطن واحد وان يزال سوء التفاهم بين قوم لا سعادة لهم اجتماعيًا وسياسيًا الاَّ بالاتحاد والاتفاق .

وكان منزله حين اجتماع المدعوين فيهِ معرضًا لجميع الاحوال والافكار وجميعهم يُعاملون معاملة واحدة من الكبير الى الصغير

قلنا ان المنزل كان مستعدًا لاستقبال ضيوفهِ ولكن ماري لم تكن مستعدة لانها كانت لا تزال ملازمة فراشها . وقد بذل ابوها قصارى الجهد في اقناعها بالنهوض من فراشها لاستقبال الزائرين فاعتذرت واصرَّت على النوم باكرًا فخرج ابوها من غرفتها غير راضٍ ونادى الخادمة اميلي وطلب منها ان تبعث في طلب السيدة فدوكي لعلها تقنعها

فقالت اميلي انها ستاتي بعد قليل لان ماري ألحت عليها بالحضور هذهِ الليلة

قال وهل ألحت عليها بالحضور لتسجنها في غرفتها لاني اسمعها تقول انها لا تريد النهوض الليلة ولا أعلم ماذا اصابها اليوم فانها امس كانت سليمة الفكر والبدن

قال هذا ودخل الى القاعة حيث كان ينتظرهُ اميل

ولم يكن اميل قد نظر ماري النهار كله فساءهُ ذلك جدًا لانهُ كان يتوقع استقبالاً احسن من هذا الاستقبال ولاسيما وان لهُ عليها فضل التعليم القديم . فغص بريقهِ وسكت الى الظهر ولما لم يرها على مائدة الطعام سأل اباها عن اسباب غيابها متمنيًا ان لا يكون ذلك لامر صحي فانبأهُ الخواجه بولس بانحراف صحتها بعض الشيء فقال في نفسهِ – لو كنت مكانها وكنت على شفا الموت لجررت نفسي جرًا وقابلتها غداة وصولها اليَّ ونزولها في بيتي . فكر في ذلك وعض شفتيهِ غيظًا وحنقًا

وبدأ المدعوون بالتوافد والخواجه بولس يستقبلهم بلطفه المعتاد . الاَّ ان كل داخل منهم كان اول ما يقع نظرهُ على زاوية في صدر القاعة فيراها مظلمة سوداء بعد ان كان يتوقع ان يراها طبقًا للعادة لامعة بيضاء . ذلك ان كرسي ماري كانت تقام في هذه الزاوية فتجلس عليها طول الوقت للزائرين مرتدية بثوبها الناصع البياض فكان ينبعث منهُ ومن وجهها الذي يحاكيه بياضًا نورٌ ينتشر على الحاضرين فيجعل كل شيء في القاعة ابيض ساطعًا . كأنها كانت شمس القاعة وبغيابها غابت تلك الشمس فاصبح كل شيء ظلامًا

وكان الخواجه بولس يعرّف اميل بالمدعوين واحدًا واحدًا حتى صارت الساعة الثامنة فارتفع في فناء المنزل ضجة صحبها ضحك وقهقهة شديدة

فقال احد الحاضرين قد قدم الخواجه حنا

فعند ذلك دخل الى القاعة رجل ضخم الجثة قصير القامة عريض العضل ذو وجه اقرب الى السواد منهُ الى البياض وعينين كبيرتين قويتين يُقرأُ فيهما آية القسوة والاثرة . ووراءه امرأَة نحيفة الجسم بقدر ضخم جسم الرجل طويلة بقدر قصره ولكن عينيها ليستا اقل قوة ولا اقل دلالة على نفس شرسة تسكن في جسمها . وكان وراء هذين الاثنين شاب لا نعرّفهُ اذ قد عرفناهُ وهو الخواجه بطرس رفيق اميل

الله والوطن

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في اول يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٣ صفر سنة ١٣١٧

باب المقالات

٢

كتاب مفتوح

مرفوع

الى حكام دولتنا العلية

قال الشاعر العربي

وكنا ألفناها ولم تكُ مالفًا ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الارض التي لم يطب بها ... هواء ولا ماء ولكنها وطن

تؤلف الارض التي لم يطب فيها هواء ولا ماء لانها وطن فكيف انت يا اخصب ارض الله واطيبها هواء وماء ارض سوريا وفلسطين واسيا الصغرى وما بين النهرين? لقد شهدت افراحنا واحزاننا. شربت اول دمعة سقطت من عيوننا واقتبلت اول بسمة بدت في افواهنا . ورأيت اول حركة تحركتها قلوبنا . وطار في جوك الهادىء اللطيف اخو نسمة من نسمات روح اجدادنا واصدقائنا. في سمائك الآن نتيه ابصار اهلنا واحبابنا . وترفرف ارواح موتانا فوق قبورهم المقدسة في ارضك الطيبة. انت لذتنا في الماضي وذكرك سرورنا في الحاضر. ورجاؤنا في المستقبل . اذا ذكرنا الشرق وبحثنا في صلاح حاله فاياك ايتها البلاد العزيزة نعني وصلاح حالك قبل كل شيء نريد.

اوريّ عن هواه بحب ليلى ... وفيه تغزلي وبه هيامي

وانما الشرق في نظرنا بالقياس اليك بمنزلة المصباح من البدر. او القتاد من الزهر . فالسلام عليكِ وعلى سكانك . السلام على كل ما في ربوعك حتى على تراب ارضك. وورق شجرك. وحجارة جدرانك

***

السلام عليك تحية مشتاق اليك مخلص لك مولع بك راغب في صلاح حالك وانتظام احوالك . يرغب في ذلك لا بوسائل الشدة والعنف فان هذه قد احتكرها قوم نرى ما لا يرون ونعتقد ما لا يعتقدون . وانما يرغب في ذلك بالوسائل الطبيعية والسير الطبيعي القاضي بعدم الوقوف لان الوقوف في هذا الزمان نكوص وعدم التقدم تاخر والحياة اصبحت جهاداً شديداً بين الامم والشعوب فمن وقف داسه القادمون بعده وساروا على جثته الى اغراضهم

ونعلم انك تكرهين هذا الوقوف لانك اعتدت الحركة منذ القديم يوم كنت كوكب الشرق والغرب وكان سكانك اول الواضعين لاسس التمدن والعمران واول الباذرين بذور الحضارة التي تجني اوروبا ثمارها في هذا الزمان . في سفح لبنانك عاشت اول امة تجارية واول دولة بحرية كانت صلة بين

الغرب والشرق · في بوسنورك قامت اعظم دولة في العالم · على ضفاف اردنك انبثق ذلك الفجر الساطع الذي ينير العالم الى هذه الايام · في تجازك قامت شريعة جديدة قدرت بقوة عجيبة على كل شريعة وبسطت لواءها على الكرة الارضية · بين دجلتك وفراتك قام تمدن شرقي عظيم في زمن كانت فيه اوروبا اكواخاً للبرابرة والصيادين · وفي قطعة صغيرة من ارضك يسمونها آسيا الصغرى قامت ايتها الارض العجيبة ام كثيرة باسلة كانت رسل فجر هذا التمدن وطلائع نوره واساس بنائه

اذن ما انت بعزيزة علينا نحن ابناءك فقط بل انك عزيزة على العالم اجمع لماضي مجدك وجلال شانك · فانتِ اذن عزيزة علينا من وجهين · الاول لان تربتك الطيبة مجبولة بدموعنا ومسراتنا وذرات اجسام اهلنا واحبائنا · والثاني لانك عظيمة في التاريخ بامنا العظيمة ونحن سواء كنا من احفادك او من ابنائك يحق لنا بل يجب علينا ان نفتخر بعظمتك ونسهر لحفظ كرامتكِ

***

انت عزيزة لماضيك اللامع الذي مرَّ ذكره فكيف اذا اضيف الى ماضيك حاضرك ومستقبلك · حاضرك اذا لم ير فيه قصار النظر امراً كبيراً فالذنب لقصر نظرهم لا له · فان تربتك الآن مملوءة بالخيرات الطبيعية · فيها الخيرات المعدنية على اختلاف انواعها وفوق ذلك الخيرات الزراعية · خيرات مخزونة في جوفك لا يقتضي الوصول اليها الاشق هذا الجوف ومد اليد لاخراجها · في جملة اراضيك الارض التي قيل عنها في التاريخ القديم انها تدر لبناً وعسلاً · في جملة اراضيك تلك الارض البكر العذراء التي لم يشقها محراث الزارع منذ مئات من السنين · فحاضرك من حيث خيرات ارضك المعدنية والزراعية حاضر يحق لكل ارض ان تحسدك عليه

اما حاضرك من حيث خيراتك الادبيه فما تحسدين عليه ايضاً · فانه كما ان تربتك بكر عذراء مستعدة لاخراج خيراتها الزراعية والمعدنيه عند شق المحراث والمعول قشرتها السطحية كذلك عقول ابنائك مستعدة لاخراج الخيرات الادبية والعقلية المخزونة فيها عند تمهيد السبل في وجوههم واطلاق ايديهم وعقولهم · يكفي لتحقيق ذلك ان تري فريقاً من ابنائك وهم السوريون واللبنانيون يعبرون البحار ويجوبون القفار ميلاً مع هوى النفس الكبيرة الى تسنم غارب العلى وطلب الرزق في بلاد الله · يكفي ان تنظري تلك المدن الجديدة النابتة من الارض كما تنبت ازهار الربيع كطرابلس وبيروت وازمير والاستانه وان تمعني النظر في تلك الهيئات الاجتماعية المتمدنة الجديدة التي تتوالد وتتكاثر وتنمو في هذه المدن الكبيرة وفي سائر المدن العثمانية الاخرى لتعلمي ان هذه حال امة تحيا وتنمو خلافاً لما يراه قصار النظر و.قفلو القلوب · وبالجملة فان في نفوس ابنائك على اختلاف عناصرهم وفي هيئتك الاجتماعية الجديدة من الذكاء والحمية والنشاط وحب العمل ما في تربتك من كنوز الخصب والقوة الحيوية · واي حاضر احسن من هذا؟

اما مستقبلك فماذا نقول فيه · ان حاضرك يدل عليه ومن الفسيل تعرف النخيل اطلقي تلك الكنوز من جوف تربتك وتلك الخيرات المنحبسة في عقول ونفوس ابنائك وانظري بعد ذلك يا ايتها الارض العثمانية كيف يكون مستقبلك

فلا لوم علينا اذن اذا قلنا انك عزيزة علينا وعلى العالم لماضيك المفقود · وحاضرك الموجود · ومستقبلك الموعود · وانما اللوم علينا اذا اهناذاك الماضي وخنقنا المستقبل باهمال الحاضر

***

واكرام الماضي وتدبير الحاضر وتمهيد سبيل المستقبل ليست من شؤوننا ولكن من شؤون حكامنا الاجلاء الذين اقامهم الله فينا امناء على تلك الكنوز والخيرات المادية والادبية · اذاً ما اعظم وظيفتهم واسمى مقامهم · وما اسعد هذه الامة بهم اذا اتبعوا ضميرهم وسلكوا بها مسالك العدل والامن والثروة التي فصلنا امرها في الماضي · وليس من شأننا ان نرسم لهم خطة سلوكهم باعنا يقصر عن ذلك وانما نحن نقول ما نعلم على ضعفنا وتقصيرنا وما هو الا صوت في جملة الاصوات المرتفعة من كل جانب بذكر الداء والدواء · ونعتقد انه يوجد بين هذه الاصوات اصوات اعلى واشد الا اننا لا نعتقد بوجود ما هو اكثر اخلاصاً · نقول ذلك غير مفتخرين اذ لا فخر في الاخلاص لانه واجب على كل ذي "شعور صحيح" · فبصوت نفس محبة مطيعة للقانون هادئة تتفانى في الخدمة الوطنية الحقيقية لانها تخدم نفسها وعشيرتها وان كان بعض هذه لا يعرف هذه الخدمة اولا يريدها · بهذا الصوت الذي لو تجسم لكان ناصع البياض كالثلج · صافياً كالماء الزلال خالصاً من كل كدر كالذهب النقي · بهذا الصوت الخالص الممزوج بالاحترام والحب نرفع الى حكامنا قولنا "اكرموا الماضي ودبروا الحاضر ومهدوا سبيل المستقبل"

***

وعنى هذا بعبارة صريحة ان انهضوا بوطنكم واصلحوا شؤون امتكم . البحر هائج مضطرب . والجو اسود مكفهر . والزحام شديد والاعداء تحيط بالامة من كل جانب فيجب قهر هؤلاء الاعداء والنهوض بها من غير التفات الى ذلك الهياج والاكفهرار والزحام . وهؤلاء الاعداء ثلاثة : الاول العدو الخارجي الذي يطمع في ما في قبضتنا ويتداخل في امورنا تارة بحجة الحماية الدينية او نصرة الانسانية وآونة بحجة امواله التي نقرضنا اياها . اما الحجة الاولى فدواؤها الوحيد اتباعنا السياسة الداخلية القويمة من التوفيق بين العناصر العثمانية ومعاملتها معاملة واحدة باخلاص وحسن نية . واما الحجة الثانية فلا زوال لها الا بوفاء تلك الديون والاقتصار في النفقات على الحاجي دون الكمالي حتى لا تزداد تلك القيود والسلاسل الذهبية

العدو الثاني الداخلي . ويطلق هذا على فريقين من ابناء الامة . فريق يمهد سبيل الاجنبي ويساعده على ما يريده من الشر بدولته سواء في السر او في العلانية وفريق يبذر بذار الشقاق والفساد بين عناصر الامة وينفخ في فئة منها روح التعصب والجهل موغرًا صدرها على فئة اخرى . وكلا الفريقين في نظرنا عدو للبلاد التي نشأ فيها

العدو الثالث اشد اعداء الامة واكثرهم فتكاً بها وهو « الحاكم الظالم » الذي يتخذ منصبه وسيلة لملء جوفه بمال السحت والظلم ناهشاً لحم الامة وممتصاً دمها وهادماً بيده الاثيمة اساس بنيانها ومبعدًا عنها قلوب ابنائها وانصارها

فوظيفتكم ايها السادة حكام دولتنا العلية ان تحاربوا هؤلاء الاعداء الثلاثة لتنقذوا البلاد من شرهم . وابدأوا بالاخير فساعدًا . اضربوا بعصا من حديد على تلك الايدي الاثيمة التي تمتد بحبائل الحكومة دينار الغني ودرهم الفقير وفلس الارملة . انبذوا نبذ النواة اولئك الذين يحسبون مناصب الدولة تجارة يصرفون بها الاموال الى جيوبهم فيجنون على انفسهم لانهم ينزلونها في احط منزلة وعلى الامة لانهم يهدمون بنيانها بايديهم

وكما تحتفظون خراف الامة من هؤلاء الذئاب احفظوها من الثعالب الاخرى . احفظوها من مريدي الشر لها ودعاة الفساد والشقاق فيها فان ضرر الفريق الواحد مساو لضرر الفريق الثاني . وكما تحفظونها من هؤلاء الذئاب والثعالب احفظوها من تلك النمورة القاسية التي تطلب الحرية والاستقلال لنفسها وتكرهها لسواها

وطريقة حفظها من هؤلاء الاعداء الثلاثة الذين يتناوشونها كل من جانبه ان تمنحوها قوة تثبت بها في وجوههم وترد عنها عدوانهم حتى اذا ما اسمعها الاول اغراءه وذكر لها سوء حالها ليستميلها اليه اجابته بقولها « كنتم يوماً مثلنا وسنكون يوماً مثلكم » واذا سمعت صوت العدو الثاني قالت للفريق الاول منه « سوء حالكم لا يبرر خروجكم واذا لم تخلصوا الا في سرائكم فاي فضل لكم » وقالت للفريق الثاني « تعلموننا ان نكره بعضنا بعضاً لاختلاف بيننا في المذهب فساً فالكم ان في هذا المبدأ الوخيم خراب بلادنا وانحطاطنا جميعاً » وقالت للعدو الثالث « فليكن ماتأ كلونه من مالنا ظلماً وعدوانا نارًا تحرق احشاءكم »

ولكن الامة لا تزال طفلة وقد ينقضي عليها زمن طويل دون ان تقدر على النداء بهذا الكلام . فهو الآن يا حكامنا من وظيفتكم . نادوا على السطوح بجريمة الذين يتخذون مناصبهم أنابيق يستقطرون بها دماء الامة ليمتصوها امتصاصاً نادوا بجريمة الذي يبذر بذور الشقاق والتعصب والانقسام سواء كان مسلماً او مسيحياً . اجمعوا اغصان شجرتكم بقوة ولين : بهذه الامور الثلاثة تسعدون بلادكم

وانما تسعدونها اذا كان القول مقرونًا بالعمل فان القول وحده كلام يذهب في الهواء . فباسم الله وباسم حبكم لوطنكم وغيرتكم على سمعة بلادنا وبلادكم بازاء الاجنبي الغريب الناظر الينا واليكم مدوا أيديكم الكريمة الى هذا الحقل العثماني الطيب الخصيب « واكرموا ماضيه ودبروا حاضره ومهدوا سبيل مستقبله » بنبذ بذور الشقاق والامتياز من تربته . بمزج عناصره مزج الراح بالماء . بالضرب بعصا من حديد على يد كل بستاني اي كل حاكم لا يقوم بواجباته

***

هذا ما اردنا ان نرفعه اليكم . رفعناه واطلنا الكلام فيه لانه يلذ لنا الاطالة في ذكر تلك الارض العزيزة الملقى زمام ماضيها وحاضرها ومستقبلها في ايديكم . وكما انه يلذ لنا ذكر تلك الارض المحبوبة يلذ لنا ايضاً ذكر الايدي القابضة على زمامها . فالسلام عليكم وعلى تلك الايدي يوم تمدونها لضمد الجراح ومسح الدموع وادخال الامة في دورها الجديد الذي ينتظره الآن في كل مكان ملايين العثمانيين

نقول ذلك ولا نجهل ما في طريقكم من العقبات والعثرات . ولكن بقدر الصعوبة التي تكون في طريقكم يكون فضلكم عظيماً وفوزكم كبيرًا

لا نجهل ذلك ولا نجهل ما يجب لكم علينا كما اننا لا ننسى مالنا عليكم . لنا عليكم ان تخدموا بلادنا وبلادكم خدمة صحيحة وتنهضوا بها وتعلوا شأنها ولكن علينا نحن ايضاً مثل ما عليكم

علينا ان نكون في مقدمة خادمي الدولة والامة واول الخاضعين للقانون الذي باسمه نطلب منكم العمل لبلادنا وبلادكم : باحترام ورضى نطأطئ الرأس لدي هذا المبدأ الصحيح ونقوم بهذا الواجب

علينا كصحافيين ان لا نزيد العقبات عقبة بما نغرس في نفوس القراء مما يفسد شعورهم ويعوج حكمهم فيغل ايديكم او يهدم عند العمل عملكم : باحترام ورضى نحني الرأس ايضاً امام هذا الواجب

علينا ان نطيعكم ضمن دائرة القانون والعدل ونحترمكم ونحبكم ونسهل عملكم . باحترام ورضى نحني الرأس ايضاً امام هذا الواجب

ها اننا نقوم نحن بواجباتنا فنخدم . ونطيع . ونحترم . ونحب . ونسهل . قوموا انتم ايها السادة بواجباتكم

تاثير الموسيقى

في الحيوان

(انظر الرسوم التالية)

هل للحيوان نفس ؟ واذ كان له نفس فاين تذهب بعد الموت ؟ واذا لم يكن له نفس فما هو مصيره ؟ وهل يشعر الحيوان بما يشعر به الانسان من الحب والغضب والكراهة والخوف والالم ؟ لا ريب في ذلك لانه امر ظاهر . ولكن هل يشعر الحيوان بما يشعر به الانسان من الميل لما هو جميل وحسن وشجي كالموسيقى مثلاً

جرب احد علماء الانكليز في حديقة الحيوانات في لندن تأثير الموسيقى في الحيوانات فتوصل الى نتائج بسطها في مجلة برسونس ماكازين الانكليزية . وقد اختار من الات الموسيقى ما كان ذا صوت قوي حاد كالكمنجة وما كان ذا نغم رخيم كالشبابة (القصبة) واخذ معه فوتوغرفياً لتصوير الحيوانات وهي تسمع الانغام الموسيقية لمعرفة حركاتها وتأثرها من رسومها

وكان اول حيوان زاره القرود فلما سمعت اصوات الموسيقى فرت الى بيوتها . ولكن القرد المعروف بالاورانغوتان اطربته الموسيقى فجلس مطرقاً كأن تلك الالحان اشجته فجملته مبهوتاً . ولما بطلت الموسيقى وذهب العالم صرخ القرد صراخاً دل على غيظه من قطعهم الموسيقى وتركهم اياه

ثم زار هذا العالم النسر واسمعه الانغام الموسيقية فراق النسر اصواتها وبقي مصغياً اليها . وكان النسر المعروف بالنسر الملكي نائماً . فلما رنت اصوات الموسيقى فتح عينيه على حين بغتة ولبث مبهوتاً شاخصاً في الموسيقيين ولم يصرف نظره عنهما حتى قطعا الغناء

ثم قصد العالم التمساح وهو راقد في مكانه . فلما سمع التمساح الموسيقى رفع رأسه في الهواء قليلاً ثم اخذ ينظر اليهم « باسماً » مصغياً . الا انه لما سمع صوت الشبابة الرخيم توارى عن البصر على عجل

واقترب العالم من اللبوة وهي مستغرقة في النوم فلما سمعت الموسيقى هبت من رقادها مذعورة ونظرت اليهم نظر الغضب ثم اشتدت الاصوات الموسيقية فتحركت اللبوة ونهضت واخذت تركض في قفصها

اما الذئاب فقد سمعت الموسيقى الى النهاية . ولما بطلت ظهر الاستياء في وجهها وقام احدها ومد يده بين قضبان القفص الحديدي كأنه يطلب اعادة الالحان . وكثيرون من السياح رووا ان الذئاب تجتمع عليهم في الصحراء هي وبنات آوى وتجلس اليهم من بعيد حلقة واحدة لتسمع انغامهم الموسيقية

اما النمر فاعجبته كثيراً الانغام الرخيمة فاخذ يتثاءب ويتمطى كالهر الكسول . ثم جعل يفرك جلده بقضبان قفصه الحديدية . والافعى راقتها الانغام الرخيمة ايضاً فسمعتها باصغاء وانتباه

هذا اهم ما رآه العالم من التأثير في الحيوانات التي اسمعها الموسيقى ولاحظ هيئة سحنتها وهي تسمعها لمعرفة مبلغ ما تؤثره فيها . ولما وقفت المجلة الباريزية الفرنسوية على تجارب العالم الانكليزي حذت حذوه وجربت تجربته في حديقة الحيوانات في باريز فكان نجاحها اقل من نجاح العالم الانكليزي الا انها وجدت في تجاربها امرين يستحقان الالتفات . الاول تأثر الزرافة للاصوات الموسيقية وطربها لها حتى مدت عنقها واخذت طرف الآلة الموسيقية بلسانها كانها تريد ان « تشرب » اصواتها شرباً

والامر الثاني طرب الغنم المرسلة من داهومي الى حديقة الحيوانات فانها ما سمعت اصوات الشبابة حتى اخذت تركض الى جهة النافخ فيها كانها ذكرت اصوات شبابات رعاتها في جبال الداهومي واوديتها .

ومما يروى عن تأثير الموسيقى في الحيوان ان رجلاً اعتاد ان يدخل حرشاً وفي يده شبابة ينفخ فيها انغاماً شجية

ثم ينفرد منها قمري وانثاه و ياخذان بالغناء جوابًا لغناء الرجل (الرسم الاول)

فكانت تجتمع عليه الطيور في الحرش وتغرد على الاشجار فوقه ثم ينفرد منها قمري وانثاه فينزلان الى غصن دانٍ ويأخذان بالغناء جوابًا لغناء الرجل كما ترى في الرسم الاول

وقد جرب بعضهم تاثير الموسيقى في حيوانات اهلية فلما ان سمعت انغامًا موسيقية فجاءت نتائج تجاربه كالنتائج السابقة . فان الكلب لما سمع صوت الموسيقى وكان جاثمًا على الارض هب واستوى على يديه محدقًا بها ومنصتًا اليها (انظر الرسم الثاني) والبط التفتت اليها بنزق حين سمعتها وابتعدت عنها في البركة الا انها لبثت ناظرة اليها. (انظر الرسم الثالث) اما البقرة فاخذت تنظر اليها وتطيل النظر من غير ان يبدو على سحنتها شيء من الرغبة او الرهبة كأن وجهها وجه اولئك الفلاسفة الكبار الذين عركهم الدهر وعركوه فصلبت بشرة وجوههم حتى اصبحت لا يبدو عليها شيء مما في نفوسهم . (انظر الرسم الرابع)

هذا ما رأينا جمعه للقراء في هذا الموضوع طلبًا للفكاهة والفائدة. والارجح ان جميع التأثرات التي مرّ ذكرها ناشئة عن استغراب الحيوانات تلك الاصوات الموسيقية التي تسمعها لا عن تأثيرها فيها تأثيرًا موسيقيًا الا امر غنم الداهومي فتعليلها العلمي ظاهر وهو ذكرها مراعيها ورعاتها عند سماعها صوت شبابة كشبابات رعاتهم وامر القمري في الحرش فانه من قبيل التربية والعادة وليس هذا الامر من الموسيقى في شيء كما لا يخفى



فان الكلب لما سمع صوت الموسيقى وكان جاثمًا على الارض هبّ واستوى على يديه محدقًا بها ومنصتًا اليها (الرسم الثاني)

وفيما نحن نقلب الجزء التاسع من مجلة الضياء الغراء بعد كتابة ما تقدم عثرنا على ثلاث حوادث مذكورة فيه بقلم حضرة



والبط التفتت اليها بنزق حين سمعتها وابتعدت عنها في البركة الا انها لبثت ناظرة اليها (الرسم الثالث)

الكاتب الاديب نقولاافندي الحداد تدل على تاثير الموسيقى في الحيوان والنبات . الحادث الاول ان بعضاً من تلامذة احدى المدارس الكلية في بيروت قبضوا على حية صغيرة ليمتحنوا تأثير الموسيقى فيها فاطلقوها في فسحة واسعة وكان احدهم يلعب على كمنجته فتقف واذا توقف عن اللعب تسير وامتحنوا ذلك مراراً فصح امتحانهم

والحادث الثاني ان ابن قسيس في بياز ماد زبورك وعمره اربع سنوات دنا من اسد مسلسل لبعض الجيران وكان من اشرس السباع الى ان صار عند براثنه فخفقت لذلك قلوب الناظرين ولم يكن من يجترئ على التقدم لانقاذه . ورات ذلك فتاة كانت في غرفة مشرفة على موضع الاسد فاسرعت الى آلة موسيقية واخذت توقع عليها اللحن المعروف « بملك الاجام » فسر الاسد سروراً ذهل به عن فريسته والتفت الى جهة الصوت مصغياً فعاد الولد مطمئناً ولكنه لما بلغ البيت وسمع البكاء وشاهد الاضطراب صرخ وبكى

الحادث الثالث ان رجلاً من اهالي حمص زاره صديق فقصدا التنزه في بستان بظاهر البلدة فعند دخولهما اليه وجد الحمصي ولده وابن اخيه وصاحباً لهما حسن الصوت مجتمعين حول شجرة طولها نحو متر ذات جذوع وورقها كورق الحناء وزهرها اصغر بحجم زهر الفل فسالهم عن سبب اجتماعهم فاعلموه انها « شجرة العاشق » وهي شجرة يزعمون انه اذا انشد احد تحتها بنغم الاصفهان انشاداً حسناً طربت فتناثر زهرها . قال الراوي فهززت هذه الشجره فلم يسقط منها زهرة فاوعزت الى الغلام ذي الصوت الحسن ان ينشد فلم ينشد حتى اخذ الزهر يلوي ويسقط فتركنا هذه وتتبعنا خمساً أُخرى من نوعها فوجدناهن مثل الاولى .

وغني من البيان اننا نقلنا هذه الحوادث الثلاث من قبيل تنكهة القراء وبودنا لو يخبرنا حضرات القراء في حمص هل سمعوا بهذه الشجرة



اما البقرة فاخذت تنظر اليها وتطيل النظر من غير ان يبدو على سحنتها شيء من الرغبة او الرهبة (الرسم الرابع)

ليكورغوس

واضع شرائع سبارطه

تاريخ حياته ـ شرائعه في سبارطا ـ تاثيرها ـ التربية الاسبرطية

انتهينا في الكلام على تاريخ حياة ليكورغوس في الجزء الخامس الى بلوغه السلطة العليا وشروعه في ادخال الاصلاح الى سبارطه برضى ملكيها وشعبها . ونحن الآن ذاكرون انواع هذا الاصلاح فنقول

مجلس السنات

كان اول اصلاح ادخله ليكورغوس الى سبارطه تأليفه مجلساً عالياً لحكومتها يدعى السنات . قال افلاطون . خير ما عمله ليكورغوس في سبارطه انشاؤه هذا المجلس العالي فانه جعله صلة بين الشعب والملكية فاذا قام في نفس الشعب ان يضطهد الملكية ساعدها هذا المجلس عليه واذاخطر للملكية ان تضطهد الشعب ساعده المجلس عليها . فتكافأت به قوة الاثنين وتوازنت سلطتهما

وقد جعل ليكورغوس عدد اعضائه ٢٨ عضواً حتى اذا اجتمع ملكا سبارطه بهم اصبحوا جميعاً ٣٠ عضواً . وخول الملكية حق حل هذا المجلس ومنح الشعب حق الغاء قراراته او الموافقة عليها . وجعل مكان اجتماعه بين نهر كناسيون وجسر بابيس في الخلاء لانه رأى ان القاعات المنمقة المزوقة لا تصلح لاجتماع قوم من العقلاء عهد اليهم الحكم في مصالح البشر وامورهم اذ قد يشغلهم منظر التزويق والتنميق عن بعض ما هم فيه وينفخ فيهم العجب والكبرياء . فاصبحت طريقة الحكم في سبارطه على هذا الوجه : يقترح الملكان واعضاء السنات الاقتراحات على المجلس من غير ان يكون لاحد من الشعب ان يقترح اقتراحاً . ومتى وضع المجلس قراره عُرض القرار على الشعب فله ان يقبله او يرده . واذ اصبح الشعب بعد عهد طويل يزيد في هذه القرارات او يحذف منها ميلاً مع هواه ابلغه الملكان ان الآلهة قد امرت بحل اجتماع المجلس والغاء ما يزيده الشعب او يحذفه كلما زاد او حذف وبذلك نزعت الملكية من يد الشعب سلاحاً قوياً

ومع ان هذا المجلس قد افاد حكومة سبارطا كثيراً فانه ما لبث بعد ليكورغوس ان انقلب نفعه ضرراً . ذلك ان اعضاءه شرهت نفوسهم الى الاستبداد فاصبحوا شديدي الوطأة على الشعب كما كان شديد الوطأة على حكومته . فتقرر ان ينتخب الشعب خمسة قضاة يكون لهم يد في ادارة الشؤون ضرباً على ايدي اعضاء السنات . واول من عمل بهذا النظام الملك تيو بومب . فعنفته زوجته على عمله هذا لانه يحط من كرامة الملك اذ يغل يده ويضعف سلطته ويجنه لانه سيخلف الملك لاولاده ضعيفاً مضعضعاً . فاجابها الملك « كلا بل انني اخلفه قوياً راسخ الاركان » وقد صدق هذا الملك فان الشرور السياسية التي انتابت المسينيين والارغوسيين من اتساع الخرق بين الملكية والشعب لم تجد سبيلاً الى الاسبرطيين مع انهم جيرانهم واقاربهم والفضل في هذا لمشروع ليكورغوس وادخال هؤلاء القضاة فيه يلينون شدة المجلس ويكونون بالنيابة عن الشعب حكماً بينه وبين الملكية . هذا اول اصلاح ادخله ليكورغوس الى وطنه

قسمة المنقولات وغير المنقولات

وثاني الاصلاحات التي انشأها ليكورغوس قسمة الاراضي بين الاسبرطيين بالسواء . فقد كانت الامة في لاكونيا كما هي الامم في هذا العصر اي فريقين فريق الاغنياء الذين يكنزون الاموال ويملكون الاراضي الواسعة وفريق الفقراء الذين لا يملكون خبزهم ولا يكنزون الا الشقاء . فرغبة في ان يطرد ليكورغوس من لاكونيا وسبارطه عاصمتها الرذيلتين الاشد تقويضاً للممالك وهما : « الفقر والغنى » اللذين يجران وراءهما الصلف والحسد والبخل والاسراف وما اشبههما من الرذائل وطن النفس على اقناع الاسبرطيين بتسليمه اراضيهم كلها لقسمتها بينهم من جديد قسمة عادلة . فالقى اليه الاسبرطيون اراضيهم فقسم اراضي لاكونيا الى ٣٠ الف حصة وزعها على السكان وقسم اراضي مدينة سبارطه الى ٩ الاف حصة وزعها على سكانها ايضاً . وكانت كل حصة من هذه الاراضي كافية لاخراج ما يقتات به رجل في السنة من حبوب وخمر فلم يبق في سبارطه من يشكو حاجة او من يشكو جاره لزيادة رزقه عن حاجته . وفيما كان ليكورغوس عائداً يوماً من سفر ابصر حقول لاكونيا ممتلئة باكداس متساوية من المحصولات فقال باسماً لرفاق يصحبونه « ان محصولات لاكونيا كميراث اقتسمه اخوة لاب واحد »

ورغبة في جعل الاسبرطيين متساوين في كل شي اراد قسمة المنقولات كما قسم العقارات . ولكنه رأى في الامر

صعوبة لرفض اغنياء الاسبرطيين التنازل عما في ايديهم منها فرأى ان يأتيهم من طريق اخرى . ذلك انه امر بالغاء نقود الذهب والفضة ليقضي بذلك على البخل والغنى قضاء مبرماً . وبعد ابطال النقود الذهبية والفضية ضرب النقود من الحديد وجعلها بحجم كبير وقيمة بخسة حتى ان من اراد حمل ما يساوي عشرة جنيهات منها لزمه ان يحضر مركبة يجرها ثوران لجر هذه القيمة . . .

فطردت هذه السكة الجديدة من سبارطه كل عدوان وجرم واختلاس اذ لم يبق احد من الاسبرطيين يقدم على سرقة نقود لا تُسرق لثقلها وكبر حجمها واذا سرقت فلا سبيل الى اخفاء امرها . ولم يبق احد يصنع شراً للحصول على هذه النقود الغريبة بل لم يبق ميل في النفوس الى اقتنائها . وحتى لا يبقى لها نفع بعد كسرها مخافة ان يخطر لاحد سرقتها لكسرها والانتفاع بها جعلها ليكورغوس من حديد لا ينفع شيئاً بعد كسره . ويقال انه كان يغمسها بالخل بعد احمائها الى درجة الحمرة فتفقد قوتها وتصلب وتصبح غير صالحة للطرق بل تتفتت وتتقصف تحت المطرقة

بذلك قضى ليكورغوس على « اله الذهب » قضاء مبرماً فتفرقت جنوده ايدي سبا وفيها الدناءة والبخل والسرقة والاسراف والكبرياء والعدوان وباقي الرذائل التي تنبت في حقل « الثروة »

ثم الغى في سبارطه جميع الفنون الكمالية اي التي لا حاجة بالشعب اليها . وهب انه لم يلغها فانها كانت قريبة من الاندثار من تلقاء نفسها وذلك باندثار النقود الفضية والذهبية لان امم اليونان الاخرى كانت لا تقبل النقود الاسبرطية الجديدة بل تسخر منها واي فائدة لارباب تلك الفنون من نقود لا يتعامل بها . فلم يبق في استطاعة الاسبرطيين ان يبتاعوا من خارج بلادهم شيئاً من مواد البذخ والزينة وتركت السفن الاجنبية الدخول الى مينائهم اذ لم بعد لها حاجة في مملكة لا كونيا فلم يعد يُرى فيها تجار الرقيق وبياع الحلى والحلل والمتفلسفون والمشعوذون والقصاصون اذ لم يبق في ايدي السكان نقود رائجة تؤخذ منهم . فتساوى الفقير والغني واصبح مالك المنقولات كمن لا يملك شيئاً وانصرف عملة الاسبرطيين عن الفنون الكمالية والصنائع غير الضرورية الى الصنائع الضرورية والفنون الحاجية كعمل الكراسي والفرش والموائد فاتقنوها احسن اتقان وامتازوا باختراع كأس يسمونها الكأس الاسبرطية او « كوتون » وهي مما كان يستعمله الجنود في الحرب ووجه فائدتها ان لونها يمنع الجندي الشارب بها من رؤية كدر الماء اذا كان الماء كدراً وشفتها حاجز يمسك الكدر عن الوصول الى الفم فيشرب الجندي ماء زلالاً

المواثد العمومية

ورغبة في ان يستأصل ليكورغوس كل بذخ او كل ميل للبذخ في سبارطه انشأ مشروعاً ثالثاً غريباً وهو « اقامة الموائد العمومية » . ذلك انه حظر على الاسبرطيين ان يأكلوا في منازلهم واقام موائد عمومية في اماكن مخصوصة يأكلون عليها كبارهم وصغارهم اغنياؤهم وفقراؤهم . فمنع بذلك حدوث ما يحدث منذ بداية العالم الى اليوم : اناس يسمنون اجسامهم بالمآكل السمينة والالوان المختلفة ويحشون بطونهم بكل ما تشره اليه نفوسهم فيجلبون بها على انفسهم الامراض البدنية والنفسانية . واناس في الشوارع فقراء معوزون يموتون جوعاً وعرياً وبرداً ويأساً .

وكانت نفقات هذه الموائد تؤخذ من جميع الاسبرطيين اذ كان على كل منهم ان ياتي في كل شهر بمكيال من الدقيق وثمانية آنية من الخمر وخمس ليبرات من الجبن وليبرتان ونصف من ثمر التين وشيء من النقود لابتياع اللحم . وكان يجلس الى كل مائدة ١٥ شخصاً فيأكلون على موائد الدولة من طعام الدولة . وكانوا يراقبون بعضهم بعضاً فاذا وجدوا واحداً منهم لا يأكل ولا يشرب علموا انه أكل في منزله فيوسعونه حينئذٍ تنديداً ويرمونه بالشراهة ومخالفة النظام

وكانوا ياخذون اولادهم الى هذه الاجتماعات العمومية ويمازحونهم فيها ليعوّدوهم احتمال المزاح لان الاسبرطيين برعوا في هذا الفن من الكلام . وكانوا يطيلون المزاح على من يحتمله ولكن متى طلب منهم من يمازحونه ان يتركوا المزاح تركوه لساعتهم . وحين خروجهم من هذه الموائد في الظلام لم يكن لهم ان ينيروا طريقهم بالمصابيح لبث الشجاعة في قلوبهم وتعويدهم السير بلا خوف في ظلام الليل

الا ان اغنياء الاسبرطيين سخطوا اشد السخط على ليكورغوس بسبب اقامة هذه الموائد ومنعه اياهم من التمتع بالطيبات في منازلهم . فاجتمعوا وثاروا يطلبونه حتى اذا وجدوه صرخوا صراخاً شديداً وهجموا عليه يرمونه بالحجارة من كل جانب ففرَّ منهم وعمد الى هيكل هنالك ليلجأ فيه فتبعه فتى نزق شرس يدعى الكاندر يحمل عصا في يده . فلما اوشك ليكورغوس ان يبلغ باب الهيكل التفت ليرى من هذا الذي يطلبه وكان الكاندر قد ادركه

فبادره بضربة من عصاه ففقأ بها عينه · فلم يسلم ليكورغوس نفسه الى الألم بل التفت بثبات جأش الى الشعب الذي كان يركض وراءه واراهم الدم الجاري من عينه فتحول سخطهم الى رضى وندموا وخجلوا مما صنعوا ورغبة في مكافأته واظهار خطأهم منحوا ليكورغوس رقبة الفتى الكاندر الذي فقأ عينه اي جعلوه عبداً وماكاً له · ومنهم من يقول ان الكاندر لم يفقأ عين ليكورغوس ولكن ضربه بعصاه فقط · فاخذ ليكورغوس الكاندر الى منزله ولم يهنه بكلمة بل امر خدامه ان يتنحوا وامر الكاندر ان يخدمه مكانهم فاطاع الفتى صاغراً ولزم خدمته وهو كل يوم يرى دماثة اخلاقه ولطفه ووداعته وحسن سيرته في منزله فندم على ما صنع ندامة شديدة واحب ليكورغوس حباً شديداً · وهكذا جعل ليكورغوس بلطفه وصفحه ذلك الفتى الشرس النزق رجلاً وديعاً محباً فكان في ذلك خير عقاب له ومقوم لاوده · ومن ذلك الحين امتنع الاسبرطيون من حمل العصي في اجتماعاتهم العمومية · واقام ليكورغوس هيكلاً لمينرفا الهة الحكمة باسم مينرفا « او بتيليتيد » ابتهاجاً بنجاته من الخطر وسماها او بتيليتيد نسبة الى العين فانها في لغة الدوريين «اوبتيل» (ستأتي البقية)

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

لحضرة الكاتب المجيد نجيب افندي المشعلاني

« هل ان البلاد اشد احتياجاً الى تعليم »
« الرجل ام الى تعليم المرأة »

(تابع ما قبله)

بقي عليَّ ان ابحث في جواب سؤالين آخرين وهما

من هو المسئول عن تعليم المرأة

وكيف او ماذا يجب ان تتعلم

اما جوابي على الاول فلا شك انه يسرُّ حضرة مناظري لاني لا استطيع ولا اريد ان اخفي هذه الحقيقة الساطعة وهي ان المسؤول عن تعليم المرأة هو الرجل فيجب ان يتعلم الرجل اولاً لكي يستطيع حينئذٍ ان يعلم المرأة ويؤهلها للمركز السامي الذي اوجدته لها الطبيعة

ولكني اسأل المعترض · الم يصبح عدد المتعلمين من الرجال كافياً للاهتمام بتعليم المرأة ؟ ألا يخرج في كل سنة من مدارس سوريا مئات من الشبان الذين اتقنوا اكثر العلوم اللازمة ؟ ألسنا نرى ان المتعلمين من الرجال قد ازدادوا عدداً وانتشروا في اكثر انحاء البلاد ؟ افما حان الوقت الذي به ينبغي الاهتمام في تعليم المرأة ؟ اليس من الضروري حفظ الموازنة في العدد بين المتعلمين والمتعلمات

لا اظن ان احداً بيننا هذه الليلة يمكنه ان يجيب على هذه الاسئلة بالنفي ويكون صادقاً

ولكن اذا قيل ان مدارس الاناث ايضاً يخرج منها كل سنة عدد ليس بقليل من المتعلمات المتهذبات اقول للمعترض باني اسلم معك بان عدداً من الفتيات يتركن المدرسة في كل سنة نائلات الشهادة المدرسية ولكني لا اقول انهن متعلمات وسأبرهن على صدق هذا الرأي فيما بعد

وانما اقول هذا على الاجمال ولا اخصص فان بين اللواتي خرجنَ من المدارس اديبات فاضلات متهذبات ولكنهنَّ لسوء الحظ قليلات ولا يصدق هذا الوصف في اعتقادي على كل فتاة تركت المدرسة كما سترى

اما كيف تتعلم المرأة او ماذا يجب ان تتعلم فليس اكثر من الآراء فيه · وفي اعتقادي ان المرأة يجب ان تشوق تشويقاً الى العلم الصحيح الذي يراد تعليمها اياه · ولا يجب ان يضغط عليها بل يجب ان تعامل باللطف والرقة والوداعة والحلم لانها مفطورة على هذه الصفات ولا يمكن ان تتعلم الا اذا

عوملت بها لان الرجل لا يقدر ان يكره المراة على التعلم ولكنه يقدر ان يحبب العلم اليها. فاذا اراد ان يعلمها فنًا يكفيه ان يمدح في حديثه امامها ذلك الفن ويظهر جماله ونفعه ولياقته بالمرأة وضرورته لها ويقرن ذلك ببيان الطرق السهلة الممكن ادراك ذلك الفن بواسطتها وتعيين اسماء الكتب التي يعول عليها في درسه · ثم اترك خزانة كتبك مفتوحة امامها فانها لا تلبث ان تندفع من تلقاء ذاتها الى المطالعة والبحث والتحري حتى تدرك كفايتها من الفن المطلوب · وقد اكد الباحثون ان هذه افضل طريقة للمرأة « التي تكون قد تعلمت العلوم الابتدائيـة البسيطة » لكي تقتبس المعارف التي تنير عقلها وتفتح ذهنها وتؤهلها للمركز الذي خلقت له

والمرأة كالنحلة في بعض صفاتها فكما ان النحلة لكي تجني عسلاً يجب ان تكون حرةً للتنقل من زهرة الى اخرى فتاخذ من كل منها كفايتها هكذا المرأة يجب ان تطلق لها حرية في امتصاص عسل المعرفة من ازهار المؤلفات الادبية المفيـدة فتاخذ منها كفايتها

واذا دفعتها الى تناول ما يزيد عن حاجتها اتخمت وعجزت نفسها عن هضم العلم الذي اكرهتها على التهامه · واذا منعتها من تناول حاجتها منه زدتها تصلفًا في الرأي وافسدت علمها من حيث كنت ترجو اصلاحه · ولكن قبل ان تطلق لها هذه الحرية وتترك لها الاختيار في التصرف ينبغي ان يكون قد سبق اعداد قواها العاقلة لقبول العلم الصحيح واطراح الفاسد لا بطريق الامر والنهي ولكن بطريق تحبيب الشيء او التنفير منه

فكما ان بعض الازهار اذا تعرضت كثيرًا لحرارة الشمس يبست واحترقت وتلفت او اذا لم ترَ نور الشمس علتها العفونة وبطل نموها وماتت هكذا المرأة اذا زدتها من العلم فوق الطاقة تنقلب الفائدة منه ضررًا قاتلا واذا حرمتها منه ذهبت شهيدة الظلم والغباوة

اما العلوم التي يجب ان تتعلمها المراة فهي اولاً مبادىء الدين القويم ولكن اياك ان تدعها تتطوح فيه لانه لا يوجد ضرر اعم واشد من ضرر المراة المتعصبة في دينها المتعامية في تعصبها واعني بالتعصب ذلك الانقياد الاعمى الذي هو اشبه بقيود مصنوعة من معدن الادعاء وقصر النظر

ويجب ان تتعلم من لغتها ما يكفيها لان تكتب وتنشىء دون غلط في التركيب · ويجب ان تتعلم ايضًا كفايتها من الحساب والجغرافيا والتاريخ · ويزاد على ذلك لمن يساعدهم الحال تعلم بعض اللغات الاجنبية والموسيقى والتصوير ويجب ان تتعلم وتتقن فن الخياطة والطبخ والاقتصاد وترتيب البيت والاهتمام بشؤونه وذلك لانها ستصبح يومًا ربة بيت فينبغي لها ان تكون عالمة بكل ما يحتاجه من الادارة ولو كانت في حال تغنيها عن ان تعمل فيه بيديها كل حاجاته

وبوجيز العبارة ان تتعلم المراة كل ما يلزمها من العلم ليجعلها محبوبةً فاضلة · وزوجةً فاضلةً · ووالدةً فاضلة ·

واية فائدة ترجى من المرأة المسترجلة الا انها تزاحم الرجل في اعماله فتصبح غريمة له لا شريكة وتناقض حكم الخالق في وجدانها · ومتى صارت مزاحمةً للرجل تكون قد عزلت نفسها برضاها من سرير ملكها ورضيت ان تكون مملوكة لا ملكة

اليست المرأة هي التي خلقت لتعلمنا الوداعة والشفقـة صغيرة ولتعلمنا الحب فتاة ولتمتلك عواطفنا صبية ولتكون شريكة حقيقية لزوجها في كل ادوار حياته · فهي التي تعزيـه في مصابه وتكتئب معه لبلواه وتفرح لسروره وشرفها بشرفه وراحتها براحته وهي التي تمرضه عليلاً وتضمده جريحًا وتجدد فيه العزم مأيوسًا وتبكيه ميتًا وتكلل قبره باكاليـل الازهار وندى المدامع مدفونًا

فمن هذا الملاك الطاهر الذي يحبب الينا الحياة ويجعلنا نهزا بالمصائب غير المراة الفاضلة المتعلمة التي هي من افضل عطايا الله للانسان

لو تعلمت المراة في بلادنـا كما يجب لما غصت السجون بالاشقياء ولما تكررت على مسامعنا اخبار التعـدي والشقاق التي يرتجف لها قلب الوطنية · فعلموا المراة اذًا اردتم رفع منار هذا الوطن العزيز · علموها اذا اردتم ان يعم السلام والالفة والاخاء · علموها لتتمتعوا بالسعادة التي تستطيع هذه الارض ان تهديها للانسان · علموها لتصبح البـلاد جميعها كانها بيت واحد تسكنه عائلة واحدة لا روح يجري في عروق بنيها غير روح حب الفضيلة والصلاح

قلت فيما تقدم ان مدارس الاناث في بلادنا يخرج منها كل سنة عدد من نائلات الشهادة وقلت ان اكثرهن غير متعلمات · وقبل ان افيض في الكلام بهذا الموضوع التمس من كل من يسمعني ان يغتفر لي ما يبدو مني من الحدة · وربما تكلمت الآن شيئًا يغيظ البعض ويشق عليهم سماعه ولكني اصرح بضمير صادق اني لا اقصد ان اجرح حاسات احد وانما انا

اقول الحقيقة فاذا كنت مخطئاً فاصلحوني واذا كنت مصيباً كما اعتقد فاي ذنب عليَّ اذا كانت الحقيقية تجرح · وفي مثل هذه الحال احسب غيظ من لا يروق لهُ كلامي اكبر تقريظ لي فاني اكره التدليس والتمليق وقد حان لنا ان نجهر بالحقيقة ولو كرهها الاكثرون

تهتم مدارس الاناث في بلادنا في تكثير اسماء العلوم والفنون التي تعلها وفي ورقة الشهادة التي تمنحها للمنتهيات ترى جدولاً لهذه الاسماء واخصها ما ينتهي « بالجيا » مما يستوجب الضحك والحزن معاً

ان فتاة انهت دروسها في احدى المدارس العالية قالت لابيها — يا ابي غداً تحتفل مدرستنا باعطاء الشهادات للمستعدات وقد احرزت شهادة الامتياز الخاصة لاني اتقنت علم الفيسيولوجيا والجيولوجيا والبكتريولوجيا والهستولوجيا وهلم جرّاً من الاوجيا

فهز ابوها راسه ولبث صامتاً

فقالت ما بالك لاتجيب بشيء ولماذا لاتفرح لفرحي قال اني افكر يابنتي في كيف ادبر لك زوجاً يكون ماهراً بالطبخولوجيا والغسيلوجيا والخياطولوجيا وترتيب البيتولوجيا · · · ·

ماذا استفادت بناتنا من المدارس — ارجوكم ان تلاحظوا اني اقول عن الاكثرية ولا اخصص ولا اعني بقولي هذا كل واحدة من تلميذات المدارس — ما ذا استفادت بناتنا من العلوم · هل تعلمن ترتيب البيت ومساعدة والدتهن والاعتناء باخواتهن وتكريم والديهن

اقول ولا اخاف اللوم انهن لم يتعلمن شيئاً من هذا · فماذا تعلمن اذاً؟

والجواب المختصر انهن تعلمن الموضة

نعم تعلمن لا لكي يصرن زوجات فاضلات ووالدات صالحات ولا ليشغلن المركز السامي الذي خلقن لهُ بل تعلمن ليكن نظير البضائع التي نراها في مخازن المدينة معروضة للبيع

تعلمن تنوّع ضفر الشعر وتكحيل العيون وطلاء الخدود بادهان متنوعة الالوان فيصرفن عدة ساعات من يومهن في عبودية الموضة · تعلمن ان يصرفن ساعات في قص الاظفار على اخر موضة وتتلوها ساعة اخرى في فرك مابقي من الاظفار لتصبح حمراء لامعة فبذلك قضت الموضة

تعلمن كل ذلك لماذا ؟ لكي يجدن رجلاً قليل العقل فيبتاع احداهن زوجة · نعم ان سنة الزواج المقدسة اصبحت في هذه الايام صفقة للبيع والشراء

فاية امراة ترضى لنفسها هذه الاهانة ؟ واي رجل يرضى لزوجته هذا الذل ؟ واي اب يرضى لابنته هذا العار ؟ واي شاب يحتقر نفسه بهذا المقدار حتى يلقيها في وهدة مثل هذا الزواج

افلم يحن للرجال ان ينتبهوا الى هذه اللعنة التي حلت في ارضنا المقدسة و ينشطوا الى استئصالها ؟ الم يحن للنساء ان يكسرن هذه القيود ويخلعن نير العبودية للموضة؟

قال لابرو يير · اذا رايت امراة تصلح وجهها فلا تقل انها تحط ابيض واحمر بل قل انها تكذب وتغش نفسها والله والناس وقال ايضاً · اذا ارادت المراة استرضاء الرجل فلتعلم ان الرجال يحبون جمال النفس لاجمال الوجه المصنع · يحبون البساطة الطبيعية و يكرهون الكذب والرياء · فلماذا تشتري المراة قبح الوجه بالمال ؟

ان أطهر ثوب خص الخالق به المراة هو ثوب عفافها · فماذا حل بهذا الثوب في عصر الموضة والتمدن الكاذب ؟ كأن عصر الموضة يوصل الفتاة الى المدرسة و يقول للمعلمة — «خذي ابنتنا وعليها ان تتقن صناعة الغنج والتيه · عليها كيف تلبس الكورسه لتحبس الدم وتمنع ·روره في جسمها بحريته الطبيعية · وعليها كيف تعمل الديكولته لكي تظهر ثلاثة ارباع صدرها وذراعيها واكتافها · وربما لم تكن الفتاة بيضاء كالرخام فهذا عيب كبير في جمال عصر الموضة · فيزيد على ما تقدم · وعليها من الكيمياء ما يفيدها مزج الالوان البيضاء والحمراء لطلاء جسمها · و بنوع خاص عليها كيف تتبسم على آخر موضة · وتحني راسها وتتكلم وتتنقل وترقص فكل ذلك يجب ان يكون على آخر موضة · واياك ان تعلميها لغتها العربية بل علميها الفرنسوية لانها لغة الصالونات · وعلميها ان تكون بارعة في الرياء فلا تصدق الا متى كذبت · فاذا اتقنت كل هذه العلوم اصبحت فتاة قومها فلا يتعذر علينا بعد ذلك ان نجد لها زوجاً · ولا نخفي عليك ايتها المعلمة الصالحة ان الرزق « بدّونطة » وفي هذه الايام التي اصبحت الدوطة العامل الاول على الزواج نُقضت سنة الزواج فوجب علينا ان نعلم فتياتنا ان يكن صيادات ليطرحن شباكهن يمنة و يسرة

قابل هذا المثال بما جرى لاحد « البرابرة في عصر التوحش » · تزوج رجل في بعض انحاء اوروبا وذهب الى مملكة زوجه فاتخذها لهُ وطناً وبعد نحو سنتين توفيت زوجته تاركةً له

طفلة وحيدة . فلما كبرت البنت اخذها الى مدرسة داخلية وقال للرئيسة . خذي هذه البنت وعلميها لتكون امراة فاضلة اني لا اريد ان تعلميها شيئًا من قوانين عصر الموضة . بل اريدها ان تنشأ امراةً قوية الجسم والبنية لطيفة طاهرة القلب مجملة بالبساطة من راسها الى قدميها وبوجيز العبارة اريد ان يكون لها عقل سليم في جسم صحيح . عليها ان تعتبر نفسها وان تفضل الموت على ان تكذب . واريها لعنة الخلق السيء لتنفر منها وبركة البشاشة لتقبل عليها . هذا كل ما اطلبه منك فانه يكفيني

فاي المثالين افضل ؟ وفي اي الحالين يبقى ثوب العفاف طاهرًا والجمال باهرًا والادب زاهرًا ؟

انشئت من عهد قريب في هذه المدينة جمعية للسيدات عنوانها الامتناع عن المسكرات ولست اعرف جمعية لا حاجة اليها في بلادنا مثل هذه الجمعية . ومتى راى اصحاب هذه الجمعية نساء سوريات مطروحات في الازقة متمرغات في حمأة السكر كما نسمع انه يحدث في اوربا وامركا ؟

وكثيرًا ما تمنيت ان يكون عنوان هذه الجمعية النهي التام عن تزويق الوجه وسائر ما يجري مجراه من ضروب الخلاعة . فالدين والادب والعلم الصحيح والتمدن الحقيقي كلها تنهى عن هذا الصنع . والكتاب يقول ان الله خلق الرجل على صورته تعالى . اما بعض نساء عصر الموضة فلا يرضيهن ان يكن على صورة الله فعمدن الى صبغ وجوههن ليكن على صورة من ؟

كنت اتمنى ان تكون لي بلاغة افصح الخطباء وقوة فائقة استطيع بها ان امتلك عواطف كل من يسمعني فكنت ادعو سامعيَّ الى ثورة . نعم الى ثورة هائلة . ثورة ضد قوار ير الاحمر والابيض وغيرها من التي تقبح بها النساء جمالهن . ثورة ضد الكورسيه والديكولتيه وسائر دواعي القصف والخلاعة . فهذه هي اعداء نجاح وطننا وتقدمه ويجب على كل وطني صادق وكل اديب فاضل ان يسعى بكل قواه الى سحق هذه الاعداء اللدودة

افلم يتضح مما تقدم ان حاجة بلادنا الى تعليم المراة شديدة جدًا ؟ اليس ان تأخر بلادنا سببه جهل المرأة ؟ فاية ضرورة اشد من تعليمها لاصلاح السكان والمكان ؟ (وهنا روى حضرته حادثة حدثت في فيينا تظهر فضل المراة الفاضلة وقد ضاق عنها المجال)

وخلاصة القول اننا مفتقرون كل الافتقار الى تعليم المراة وحاجتنا الكبرى هي ان تتعلم المرأة لتكون امرأةً لا لكي تصير العوبة

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

اسعد طراد

اشرنا في ما مرَّ الى صدور ديوان المرحوم اسعد طراد وقد احببنا الآن ان نورد للقراء شيئًا من شعره فنقول

ولد رحمه الله في سنة ١٨٣٥ في مدينة بيروت ونشأ فيها ولما رأى ابوه لوائح النجابة والذكاء في وجهه ارسله الى مدرسة عبيه للمرسلين الاميركان فقرأ فيها العلوم الابتدائية وبعض العلوم العالية وكان منذ صباه مولعًا بالنظم يتردد على رجل العصر الشيخ ناصيف اليازجي الشهير وفيه يقول الشيخ رحمه الله جوابًا على قصيدة نظمها في مدحه

لقد سبق القوم الطرادي اسعد الى قصب السبق الذي نال دغصبا

وقد تقلب سنوات عديدة في خدمة الحكومة العثمانية فكان موضع الثقة من الولاة والرؤساء . وفي سنة ١٨٧٢ هجر سوريا قاصدًا مصر فاقام فيها يتعاطى التجارة في الاسكندرية وزفتي والمنصورة الى ان توفاه الله في اواخر سنة ١٨٩١

ومن شعره قوله في مدح المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي

الى اليازجي اليوم تسعى ركابنا كاهل الظما من بحره نطلب الشربا

لئن دثرت كتب الاولى قد تقدموا من العرب هذا صدره جمع الكتبا

اذا البدر جاء الشرق حتى ينيره فيبصره فيه فيطلب الغربا

خف الله يا ناصيف انك شاعر معانيه لا تبقي لاهل الحجى لبا

ومن جيد شعره قصيدة طويلة في رثاء المرحوم سليم دي بسترس وفيها يقول

لاقى المنية باسماً فكانها   وافته تخطر مع لفيف عناته
وكانما تلك النفيسه نفسه   بيديه كانت عند بذل هباته
والنيل من اسف تمنى لو جرى   للشرق تعزية لقلب فراتــه
سهم اصاب قلوبنا مع بعــده   اذ كان سلك البرق قوس رماته
اين الشهامة والفخامة والحجى   اين الكرامة اين رقة ذاته
سُلبت وما عجب الخبير بسلبها   فالغرب سلب الشرق من عاداته

ومن شعره الجيد قصيدة ايضاً طويلة في رثاء المرحوم سمعان كرم وفيها يقول

كم جدد الطب اسلوباً يعان به   فجدد الموت بالاسباب الوانا
ما أفتك الموت عدواناً وامهره   دراية في فنون الفتك عدوانا
اراد يسمع نوح الكل واحدة   في حادث واحد فاختار سمعانا
لباك ياموت من لبى العناة فهل   واريت نفسك بين الوفد كتمانا
كم رحت للغرب للمراح مقتفياً   ورمت لبنان لما رام لبنانا
يا يوم مصرعه كم قد ابنت له   اهلاً وصحباً واخوانا وخلانا
من فاته الداخلين النقد من غرق   لما رأى الدمع فوق النعش طوفانا
ذاك الذي ما ارتجى عان عنايته   الا وانساه من بلواه ما عانى
ولم تكن اغربت شمس وما صنعت   جدوى يديه امام الله قربانا
ولم يكن يلتوي قصد لديه ولم   يجرح فؤاداً سوى في موته الآنا

وله من قصيدة يمدح بها المرحوم توفيق باشا خديوي مصر ويذكر بعض الاختراعات الحديثة

وجه لحاظك للبخار وقل لهُ   اني ارى ماء يجرُّ حديداً
وانظر لسان البرق والتلفون كم   قد قربا ما كان منك بعيدا
غنت سليمى في الحجاز فاطربت   مع بعدها اهل العراق نشيدا
ولسوف ان رقصت بمصر فقد نرى
في اصبهان لقدها تأويدا

وفي قطار السكة الحديدية

متفرع في ارض مصر كنيلها   يسقي التجارة سقي ذاك صعيدا
ابداً يطوف بها كصاحب كرمة   يهدي لكل محطة عنقودا
يمسي ويصبح زائراً بهــديــة   ومــودعاً بنظيرها تزويــدا

وكمال جودة التصور قوله منها في الممدوح والضمير في نخيله عائد الى القطر المصري

ونخيله بجزوعها وطلوعها   حكت العرائس اذ لبسن عقودا
من كل سكرى من سلافة قنوها   اضحت تهز مع الحسان قدودا
تدعو بطول بقاك واقفة كما   ندعو بذلك ركعاً وسجودا

زار النسيم سعوفها فرمزن لا   اذ جاء يسأل للامير نديدا

وقوله « فرمزن لا» يريد به ان السعوف تتخذ صورة «لا» حين هبوب الريح عليها ولعل هذه الابيات اجود ما في الديوان وقد تكون مبتكرة

ومن قوله في رثاء المرحوم اسبيريدون طراد احد ياوران ساكن الجنان السلطان عبد العزيز وكان قد كبا به الجواد فمات على اثر كبوته

اغرى الجواد بطرحه عن متنه   للارض تخــالاً له بقتاله
واهاً لقلب جواده فكأنه   قد كان ذاك اليوم مثل نعاله
والمرء ما حفظ الوداد فما الذي   ترجو من الحيوان في افعاله

ومن قوله وقد ارق ليلة يذكر الناس واخلاقهم

ضللنا وتهنا واعتدينا وفوق ذا   رجونا من الرحمن فيض المكارم
ولو ان طوفاناً يداهم لا ترى   لاعداد فلك واحداً غيراً آثم
زمانك ياليلى ارقصي اليوم واعجبي
وصفي الحلى فوق الطلى والمعاصم
فقد بات حب الله بالعصر زائلاً   بحبك ياليلى وحب الدراهم

وفي الديوان كثير من هذه الفرائد. الا اننا وددنا لو ان حضرات مرتبه وجامعه الفاضلين نزهاه عن نوع من الشعر ورد في الصفحة ٢٣ فان الشعر مركب من رقة وحب وائتلاف فلا يجب ان يعلو بازاء هذه صوت التنفير والتفريق

الطاعون والفأر

نشرت جريدة المؤيد الغراء الابيات الآتية لشاعر مصر المجيد احمد بك شوقي

امانا ايها الفار   ففي آباطك الشر
ولا تلعب باذناب   فبعض اللعب يجر
وقد يقطعها روجر   س او يبترها بتر
ويلقونك في كيس   ولا يرجعك البحر
ويامن يرهب الفيرا   ن اين البأس ياهر
عليك الصوف فالبسه   وان ضايقك الحر
ولا تاكل على اكل   ولا يبلغ بك السكر
ولا تعكف على فكر   فقد ما قتل الفكر
ولله اذا ما شئت او لم تشا الامر
وما اعقل اقواماً   يقولون هو العمر
ويافاراً اتى ذا القـــطر ما ضيفه القطر
لئن وليت من مصر   ومنك اطهر الثغر
عملنا زفة ما زفها من قبلك الفأر

باب الاسئلة والاجوبة

العرب وسباق الخيل

(القاهرة) . ع . ل .

ما اصل عادة سباق الخيل التي يهتم بها الافرنج اليوم اهتماماً عظيماً . وهل كانت هذه العادة معروفة عند العرب

(الجامعة) سباق الخيل عادة اخذها الافرنج في جملة ما اخذوه عن العرب . وقد كان سباق الخيل سبباً في حرب شديدة قامت بين بني عبس وبني فزارة قبل الهجرة باكثر من خمسين سنة ودامت هذه الفتنة حتى تفانت القبيلتان . وبقيت هذه العادة بعد الاسلام عند عرب المغاربة واتصلت بعرب الاندلس ومنهم اتصلت بالافرنج فتفننوا فيها واهتم بها عظماؤهم وامراؤهم اهتماماً شديداً . وكانت كيفية السباق عند العرب ان يصفوا الخيل عند حبل ممدود يسمونه المقوس وينصبون في طرف حلبة السباق قصبة ويطلقون الجياد عليها الفرسان فالسابق يقتلع القصبة حتى لا يكون نزاع في سبقه ومنه قولهم حاز قصب السبق ثم توسعوا في استعمال هذا التعبير فاطلقوه على كل من يفوق اقرانه

وكان السبق عندهم درجات فالجواد الذي يسبق الخيل كلها يسمونه المجلي والذي ياتي بعده يسمونه المصلي فالمسلي فالتالي فالعاطف فالمرتاح فالمؤمل فالحظي فاللطيم فالسكيت وقد نظمها بعضهم بقوله

سبق المجلي والمصلي والمسلي تالياً مرتاحها والعاطف
وخطيها ومؤمل ولطيمها وسكيتها هو في الاواخر ارادف

وجود الجن والشياطين

(دمنهور) . محمد افندي توفيق

جاء في الانجيل والقرآن الشريف ما يؤيد وجود الشياطين والجن مع ان علماء هذا العصر وفلاسفته ينفون ذلك . فاذا انكرنا وجود الشياطين والجن خالفنا الدين واذا اثبتنا وجودها كذبنا العلماء . فما رايكم

(الجامعة) رأينا ان العلم الصحيح لا ينفي الدين الصحيح وقد قال فيلسوف الاسلام الامام ابو حامد الغزالي ان تأويل الامور الظاهرة خير من المكابرة . فاذا اثبت لنا العلماء والفلاسفة قضية اثباتاً ظاهراً ووجدنا في القرآن والانجيل ما ينفي هذه القضية تحتم علينا ان لا نقول بمخالفة العلم للدين بل ان نصرح باننا اسأنا فهم الدين فيجب حينئذ التاويل عملاً بقول فيلسوف الاسلام . مثال ذلك دوران الارض فانه لما قال العالم غاليله بدورانها قام عليه اللاهوتيون في ايطاليا فاضطهدوه وسجنوه بحجة ان مذهبه مخالف للدين المسيحي لان الارض « مؤسسة على المياه فلن تتزعزع » . الا انه لما ثبت بعد ذلك دوران الارض بالادلة الرياضية والفلكية التي لا سبيل الى نكرانها قال اللاهوتيون انهم كانوا واهمين واضطروا الى التاويل . وكذلك حدث في مذهب دروين مذهب النشوء والارتقاء وفحواه ان الانسان متحول عن حيوان . فقد قاومه اكثر رجال الدين المسيحي في بدء الامر مقاومة شديدة ولكن ترك اكثرهم المقاومة بعد ذلك قائلين انه اذا ثبت لا ينفي الكتاب بل يكون برهاناً جديداً على حكمة الخالق في خلقه . وصدقوا .

وهكذا نقول عن مسألة وجود الشياطين والجن . فقد ورد في الكتابين الانجيل والقرآن ما يثبت وجودها كما ذكرتم فاذا اثبت العلماء الطبيعيون انه لا يوجد شياطين ولا جن وجب التاويل لان الدين الصحيح لا ينفي العلم الصحيح كما ذكرنا . ولكن العلماء والفلاسفة لا ينفون وجود الارواح الشريرة بل لا يستطيعون ان يثبتوا وجودها او ينفوه لان البحث في وجود هذه الارواح وعدم وجودها من الشؤون الدينية والشؤون الدينية لا تثبت ولا تنفى بالفلسفة او العلم لان طريق هذين هو العقل والقياس وما كان الدين ليدرك بالعقل والقياس فقط

هذا اذا اردتم « بالجن والشياطين » الارواح الشريرة التي جاء في الكتابين انها موجودة بازاء ارواح اخرى صالحة . ولكن اذا كان المراد بذلك ما تذهب اليه العامة من انها ارواح تجيء من العالم الثاني الى هذا العالم فتعبث بالناس وبنواميس الكون كما تريد فتارة تتزوج بالبشر وطوراً تدلهم على كنوز وآونة تخطفهم وتطير بهم فان ذلك من الاوهام التي قال فيها ابو تمام رحمه الله

تخرص واحاديث ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

لان الله سبحانه وتعالى اعدل من ان ياذن لمخلوق بان يتسلط على الانسان هذا التسلط ويعبث بنظام الكون على هذا الوجه

مسالة دريفوس

(الاسكندرية) . احد القراء

لا نسمع في فرنسا الا بدريفوس ومسالة دريفوس وانقلاب الجمهورية

بسببها فهل لكم ان تطلعونا على تاريخ هذه المسألة ووجه اهميتها

(الجامعة)اتانا سوآ لكم وخاطرنا يجول فيه ذكر تاريخ هذه المسألة بالايجاز بالنظر لاهميتها الماضية وما سيكون لها من الاهمية في المستقبل اذ ظل الهياج في فرنسا جارياً بجراه فنغتنم هذه الفرصة لبسط اهم حوادث هذة المسألة بالايجاز بسطاً يطلعكم على حقيقتها

الفريد دريفوس ضابط فرنسوي اسرائيلي من اسرة غنية وقعت عليه الشبهة في سنة ١٨٩٤ انه يسلم الى المانيا وايطاليا اوراقاً عسكرية سرية فيها بيان طريقة تعبئة الجيش ووصف مدفع جديد اخترعه مهندسو الجيش الفرنسوي فالقي القبض عليه وحوكم لدى مجلس حربي في باريز محاكمة سرية فحكم عليه باجماع الآراء بتجريده من رتبه ونفيه نفياً موَّبداً الى جزيرة الشيطان وهي من ملحقات غيانا الفرنسوية · وبعد نفيه قامت امرأته واخوه يساعدهما ابناء الطائفة الاسرائيلية ينادون ببراءته مستندين الى ادلة عندهم

وكان في الجيش الفرنساوي كولونل يدعى بيكار كان يومئذٍ رئيساً لقلم المخابرات · فبينما كان يفحص اوراق دريفوس السرية ظهر له ان دريفوس بريء وان الخائن هو ضابط يدعى استرهازي فاطلع روَّساءه من قواد الجيش على فكره فنوضوه ان يفحص الامر فحصاً دقيقاً على شرط ان يكتمه كل الكتمان

الا ان انصار دريفوس بلغهم ان الكولونل بيكار يعتقد ببراءة رجلهم وخيانة استرهازي وكانت قد ظهرت رسائل لاسترهازي في الفيغارو تظهر كراهته لفرنسا فرفعوا الى الحكومة دعوى على استرهازي مدعين انه هو الذي كتب (البوردرو) وهي الورقة التي بني حكم المجلس الحربي عليها

فحوكم استرهازي لدى مجلس حربي فبرئت ساحته · وكان الهياج قد بلغ في باريز مبلغه وانصار دريفوس يكادون يقطعون الامل من نجاحهم لان الجيش كله ضد هذه القضية وجميع الامة الفرنسوية تشد ازر الجيش وتقول قوله والحكومة نفسها ظاهر ميلها على دريفوس وعلى انصاره فبينماهم في هذه الحال والقضية تكاد تدفن في قبر عميق واذا باميل زولا الكاتب الشهير يرفع على صفحات جريدة الاورور المدافعة عن دريفوس كتاباً عنيف اللهجة وفي اقصى درجات الشدة عنوانه « اشكو » يشكو فيه كل من غمس يده في قضية دريفوس ويرميه بالظلم والكذب من الصغير الى الكبير حتى رئيس الجمهورية المسيو فليكس فور نفسه · فاقام هذا الكتاب باريز بل فرنسا واقعدها · فقررت وزارة المسيو ملين محاكمة زولا فحكم عليه بالسجن سنة وبغرامة ثلاثة آلاف فرنك · ولشدة هياج الشعب عليه جعلوا يوم محاكمته حول قصر الحقانية من الجنرد ما اعتادوا ان يجعلوه في الشوارع في الثورات او عند انتخاب رئيس الجمهورية الا ان زولا سافر من فرنسا الى لندرا بالحاح من زوجته واصدقائه حتى تظهر الحقيقة فيعود الى فرنسا

ثم سقطت وزارة ميلين وقامت وزارة بريسون فقرأ وزير الحربية في مجلس النواب الاوراق الدالة على خيانة دريفوس تسكيناً للافكار فكتب اليه الكولونل بيكار ان هذه الاوراق مزوَّرة فألقي القبض عليه وسجنه لكن احد موظفي وزاة الحربية اكتشف وهو يفحص تلك الاوراق ان احداها مزورة ووجد ان مزورها كولونل يدعى هنري فاعترف الرجل بجريمته وانتحر في سجنه كفارة عن ذنبه

فاشتدت بذلك سواعد القائلين بوجوب اعادة النظر في هذه القضية وانحاز الى انصار دريفوس كثيرون من نخبة رجال العلم والفلسفة في فرنسا لما استبانوا ان في الزوايا خبايا فاضطرت وزارة بريسون بعد تردد كثير الى احالة هذه القضية على محكمة النقض والابرام لتنظر اذا كان يجب اعادة النظر فيها

وقد علمتم في بداية هذا الشهر ان هذه المحكمة قد حكمت « بالاجماع » بوجوب اعادة النظر في قضية دريفوس في مجلس رين العسكري نعدَّ العقلاء حكمها هذا بمثابة شهادة ببراءة دريفوس

وقد اقرَّ استرهازي بعد هربه الى لندرا انه هو الذي كتب (البوردرو)فتقررت محاكمته والقي القبض على دي باتي دي كلام الذي القى الشبهة على دريفوس لمحاكمته ايضاً وعاد اميل زولا الى باريز واطلق الكولونل بيكار وارتفع منار العدل في فرنسا وخرجت « الحقيقة من بئرها » كما يقول الفرنسويون

الا ان الجيش ناقم الآن على دريفوس وانصاره وهو يعتبر تبرئة هذا الرجل اهانة له وللمجلس الحربي الذي حكم عليه لذلك يقاوم قضيته بما في استطاعته · والخطر الذي على الجمهورية الآن هو ان جميع اعدائها من الملكيين والامبراطوريين والبولانجيين واعداء اليهود — كلهم اتحدوا عليها واستمالوا الجيش اليهم اذ أروه انهم يدافعون عنه وعن شرفه · وعقدة لمسألة الآن ان مجلس رين العسكري اذا حكم ببراءة دريفوس اسخط الجيش واذا حكم بجنايته اسخط الحكومة لانه قد ظهرت براءته · وسواء عاشت الجمهورية في فرنسا بعد مسألة دريفوس او ماتت بها فانها دلت بوضوح تام على نزاهتها ووضعها العدل والحق فوق كل شيء

تاريخ الاسبوعين

خارجية

المانيا — رفض مندوبو المانيا الموافقة على ما اقترحه المندوبون الانكليز في مؤتمر السلم من انشاء محكمة دولية دائمة للتحكيم وسافر احدهم الى برلين لمباحثة الامبراطور غليوم شفاهاً

ابلغت المانيا رئيس جمهورية الترنسفال انها ترى مطالب انكلترا عادلة ومعتدلة فالاحسن قبولها والرضى بها

الترنسفال — عقد حزب الوطنيين المعتدل اجتماعات قرروا فيها انه يمكن التساهل مع انكلترا وعقد الحزب المتطرف اجتماعات قرروا فيها تأييد الرئيس كروجر وانه لا سبيل الى التساهل وقد بدأ الانكليز يستعدون للحرب في مستعمرة رأس الرجاء وهاجر من جوهنسبورج وبريتوريا في الترنسفال نحو ٨ الاف شخص اكثرهم نساء واطفال لقرب اتقاد نار الحرب

سربيا — روت شركة روتر ان عصابات الالبانيين اجتازوا الحدود السربية واغاروا على ثلاث قرى سربية وحصروها فشبت نار القتال بنيهم وبين الفلاحين فجرح وقتل كثيرون من الفريقين فارسلت سربيا الجنود لرد الهاجمين ودارت المذاكرات السياسية

فرنسا — اطلق سراح الكولونل بيكار وحكم على البارون كريستياني الذي ضرب المسيو لوبه بعصاه بالسجن اربع سنوات القي القبض على الجنرال جيليتا الايطالي بتهمة الجاسوسية

فوض رئيس الجمهورية الى المسيو بوانكاره تأليف الوزارة الجديدة فاخفق سعياً ففوض ذلك الى المسيو والديك روسو فاخفق فاستدعى المسيو ليون بورجوى من لاهاي حيث ينوب عن فرنسا في مؤتمر السلم فرفض ان يؤلف الوزارة وقال ان الانفع لفرنسا ان يكون في المؤتمر ففوض الرئيس ثانية الى المسيو والديك روسو ان يؤلف الوزارة فألفها من اعضاء من جميع الاحزاب حتى من الاشتراكيين انفسهم

انكلترا — أبرم اتفاق وقتي بين انكلترا والولايات المتحدة بشان حدود الاسكا الى ان تجتمع اللجنة الانكليزية الاميركية

عرض سكرتير الحربية على مجلس العموم مشروع قانون يقتضي انفاق ٤ ملايين جنيه لزيادة اسلحة انكلترا ومستعمراتها فما اسهل عمل مؤتمر السلم . . .

روسيا — يفتك الجوع والامراض في ولايات روسيا الشرقية فتكاً ذريعاً وقد اتلف البرد المحصولات في شمالي روسيا ووسطها واتلف الجفاف المحصولات في جنوبيها

داخلية

سمو الخديوي — يسافر سمو الجناب الخديوي الى اوروبا في اوائل الجاري لقضاء فصل الصيف فيها طبقاً للعادة السنوية

احتجاج الباب العالي — ابلغ الباب العالي الحكومة المصرية احتجاجه على الاتفاق الفرنسوي الانكليزي بشأن اعالي النيل وجاء في هذا البلاغ انه قد ارسل الجنود العثمانية الى ما وراء طرابلس الغرب للمحافظة على املاك الدولة فعلى الحكومة الخديوية ان تحافظ على الاملاك العثمانية مما يلي كردوفان ودارفور وغيرهما. والمراد بهذا الاراضي التي ادخلت في اتفاق السودان بين انكلترا ومصر. ذلك ان الباب العالي يتجاهل هذا الاتفاق لانه لا يريد الموافقة عليه

مراكز عسكرية عثمانية — صدرت الارادة السنية لمشير الفيلق الخامس في دمشق الشام ان يأخذ عدته لاقامة معاقل عسكرية في جوار العريش بين حدود مصر ومتصرفية القدس الشريف وطلبت الحكومة العثمانية من حكومة مصر ان تساعد رجال العسكرية العثمانية على تنفيذ ذلك

المحاكم الشرعية — ما رأينا عملاً عملته الحكومة المصرية واجمع انصارها ومعارضوها من خاصة المصريين وعامتهم على استحسانه والرضى به كانتدابها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لتفتيش المحاكم الشرعية ووضع تقرير عنها مع ما كان من الانقسام بشأنها. وهي شهادة ناطقة بفضل فضيلة الاستاذ وصحة علمه وثقة الامة به. وفضيلته معروف لدى قراء الجامعة خارج القطر المصري فضلاً عن داخله ان لم يكن بواسع شهرته فبما نشرته الجامعة من نفثات حكمته في صدر الجزء الرابع فلا نزيد الاستاذ تعريفاً. وانما وقفنا على ابيات بليغة من نظم حضرة الشاعر الشهير محمد افندي حافظ يهنئ بها فضيلته لتوليه منصب الافتاء فآثرنا تطويق جيد الجامعة بها وهذا نصها

بلغتك لم انسب ولم اتغزل ... ولما اقف بين الهوى والتذلل
ولما اصف كاساً ولم ابك منزلاً ... ولم انتحل فخراً ولم اتنبل
فلم يبق في قلبي مديحك موضعاً ... تجول به ذكرى حبيب ومنزل
رايتك والابصار حولك خشع ... فقلت ابو حفص ببرديك ام علي

وخفضت من حزني على تجدامةٍ تداركتها والخطب للخطب يعتلي
طلعت لها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
وجردت للنتيا حسام عزيمة بحديه آيات الكتاب المنزل
محوت به في الدين كل ضلالة واثبت ما اثبت غير مضلل
لئن ظفر الافتاء منك بفاضل لقد ظفر الاسلام منك بافضل
فما حل عقد المشكلات بحكمة سواك ولا اربى على كل حول

شركة طبع الكتب العربية — تالفت في القاهرة شركة لطبع الكتب العربية برئاسة حضرة السري المفضال سعادتلو ادريس بك راغب راسمالها في بداية امرها الف جنيه ومن جملة اعضائها المؤسسين حضرة الاستاذ الفاضل مدير جريدة المؤيد الغراء وقد سمعنا منذ سنتين بعزم سعادة راغب بك على انشاء هذا المشروع الادبي الجليل ويسرنا اليوم انه خرج من حيز القوة الى حيز الفعل فان العلم والادب في بلادنا بحاجة اليه في هذا الزمان. وقد اعلنت هذه الشركة في منشور وزعته انها جعلت بداية اعمالها الشروع في طبع كتاب الوجيز في فقه الامام الشافعي لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي واختارت عدة كتب اخرى علمية وادبية ستشرع في طبعها قريباً. فنثني اطيب ثناء على سعادة رئيس هذه الشركة ونتفاءل خيراً بقيام الاكابر والاغنياء الى تأييد العلم ونشره ونشكر بلسان المستفيدين بهذا المشروع وهم سواد الناطقين باللغة العربية لرصيفتنا جريدة المؤيد الغراء التي تؤيده بنفوذها المعروف ونرجو ان يقتدي اغنياء الشرق واعاظمه بسعادة ادريس بك فيساعدوا العلم مساعدة لاقيام له بغيرها لان المشتغلين به يطلبونه لربحه وقلما وجد فيهم من يطلبه لذاته

الطاعون — لا يزال الوباء الذي نزل في الاسكندرية ضيفاً ثقيلاً على نجراه من التباطوء والتثاقل يصاب به كل يوم واحد او اثنان او ثلاثة على الكثير. ولم يعلم الى الآن من اي طريق اتى الى مصر فمن قائل انه جاء في جسم جرذان ميتة وجدت ضمن اكياس من الارز واردة من الهند ولذلك يصاب به خدمة (البقالين) اكثر من سواهم. ومن قائل انه ورد مع مسافرين قادمين من الهند على احدى السفن القادمة منها. ومنهم من يرى ان جراثيمه مرت الى الاسكندرية من جدة او من الباخرة المحلة التي اصيب وقادها بالطاعون في السنة الماضية وطهرت في محاجر الطور تطهيراً غير كافٍ

ويصح ان نسمي هذين الاسبوعين اسبوعي الجرذان فقد كثر الكلام على وجودها ميتة في الشوارع وفي بعض الاماكن والمجلس البلدي يدفع فرنكاً لكل من يأتيه بواحد منها يكون حاملاً مكروب الوباء ... ويدفع ايضاً ثلاثة غروش صاغ كل يوم لكل من يكون قد خالط موبوءاً ويعترف له بذلك ليقضي مدة الحجر الصحي في القباري

ومما يجدر ذكره ان الشعب متى رأى رجال الصحة قدموا لاخذ مطعون تكأكئوا عليه وتجمهروا مئات يضحكون ويمزحون ذلك انهم لا يصدقون ان الوباء طاعون اما الهلع وانخلاع القلوب فلا يوجد الا في القصور الشامخة بين الستائر الحريرية ...

وقد بلغ مجموع الاصابات الى ٢٨ يونيو الماضي ٤٦ اصابة توفي منها ١٧ وشفي ١٥ والباقون ١٤ في المستشفى تحت المعالجة

اختراع شرقي آخر — اخترع حضرة المجتهد المتفنن والمخترع الشرقي يوسف افندي كنعان مخترع الآلة الرافعة للمياه مدفعاً ينطلق بتفريغ الهواء من غير بارود ولا نفقة الا قليلاً من البترول. وسيعرض اختراعه هذا في اجتماع يعقد في ظاهر البلدة ويجرب فيه اطلاق المدفع تجربة تامة سنذكر امرها بالتفصيل. وقد رأينا الرجل يشكو من اهمال الحكومة المصرية امره وامر اختراعاته وسمعناه يقول انه اصبح يتمنى ان يرتكب ذنباً عسى انه يستلفت بذلك انظار الحكومة اليه فتسأله عما يصنع

ويقيننا انه اذا نجحت هذه الاختراعات التي يشتغل بها الآن هذا المخترع وتم امرها فالفضل عائد معظمه الى حضرة الفاضل نجيب افندي عمون الذي ساعد المخترع مساعدة يستغربها الشرقيون اذا ذكرت لهم فوق ثمرة اجتهاد المخترع وعمله ان تجف وتيبس فتدفن في التراب مع ما دفن قبلها من ثمار العقول الشرقية لاهمال حكوماتنا وتقاعس اغنيائنا. وما احسن ان يرفع امر اختراع هذا المدفع الى الاستانة فاذا كان مبدأه صحيحاً وله فضل على المبادىء الموجودة نال المخترع نعمة عظمى من لدن جلالة السلطان الاعظم

الحاج عبد القادر علم الدين — نعي الينا من اسكلة طرابلس الشام كبير قومه المأسوف عليه المرحوم الحاج عبد القادر علم الدين. توفاه الله الى رحمته ورضوانه عن ٨٠ سنة قضاها في جاه رفيع وصدق وتقوى وكان يوم مأتمه عظيماً سار فيه العلماء والوجهاء ثم صلي عليه ودفن مثنياً عليه بكل شفة ولسان فنستمطر على ضريحه صيب الرحمة والرضوان ونسأل الله لحضرات آله الكرام جميل العزاء والسلوان

غذاء المعد القوية

لو كنت تاجراً لما اخترت على العطر . فان فاتني ربحه لم يفتني ريحه (الامام عمر)

قال احد الحكماء ان مرتكب الصغيرة ومرتكب الكبيرة سيان فقيل وكيف ذلك . قال الجرأة واحدة وما عف عن الدرة من يسرق الذرة (بهاء الدين)

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل : مجدنا بشعرك . قال : افعلوا حتى اقول (ابن عبد ربه)

سأل حكيم غلاماً في يده سراج : من اين تجيء النار بعد ما تنطفئ فقال : ان اخبرتني الى اين تذهب اخبرتك من اين تجيء (لطائف الوزراء)

اذا ذكر جليسك عندك احداً بالسوء فاعلم انك ثانيه (بهاء الدين)

استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم (الثعالبي)

كان سقراط الحكيم قليل الاكل خشن اللباس فكتب اليه بعض الفلاسفة : انت تحسب ان الرحمة لكل ذي روح واجبة وانت ذو روح فلا ترحمها . فكتب له سقراط : انما اريد ان آكل لأعيش وانت تريد ان تعيش لتأكل (بهاء الدين)

قيل لحكيم اشرب معنا من هذه الخمر . فقال انا لا اشرب ما يشرب عقلي (ابو نصر المقدسي)

من رفعك فوق قدرك فاتقه (بهاء الدين)

قال ارسطاطاليس للاسكندر : ان الناس اذا قدروا ان يقولوا قدروا ان يفعلوا . فاحترس من ان يقولوا تسلم من ان يفعلوا (ابن عبد ربه)

قيل للربيع ابن خثيم : ما نراك تغتاب احداً فقال : لست عن نفسي راضياً فاتفرغ لذم الناس (بهاء الدين)

المزاح يأكل الهيبة كما يأكل النار الحطب (ابو نصر المقدسي)

يا بني رياح لا تحقروا صغيراً تاخذون عنه فاني اخذت من الليث بسالته . ومن الحمار صبره . ومن الخنزير حرصه . ومن الغراب حزره . ومن الثعلب روغانه . ومن السنور ضرعه . ومن ابن آوى حذره . وتعلمت من القمر سير الليل . ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين (الرياشي)

جلس الاسكندر يوماً فما رفع اليه حاجة فقال : لا اعد هذا اليوم من ايام ملكي (الابشيهي)

غذاء المعد الضعيفة

كان لرجل بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه . فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها . فجلس صاحبها يندبها . فقال له بعض بنيه — ياابت لاتندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها

سرق اعرابي يدعى موسى صرة من الدراهم ودخل الى المسجد يه لي فقرأ الامام الآية : وما تلك بيمينك ياموسى . فقال لا شك انك ساحر ثم رمى الصرة وخرج هاربا

لقي اعرابي آخر فقال : ما اسمك . قال فيض قال ابن من . قال ابن الفرات . قال ابو من . قال ابو بحر . قال ليس لنا ان نكلمك الا في زورق

قال رجل لاعمى ان الله لم يذهب بصر احد الا عوضه بشيء فما عوضك . قال عوضني امراً عظيماً . قال ما هو . قال — ان لا اراك ولا امثالك من الثقلاء

قيل ان رجلاً ادعى النبوة في ايام احد الملوك فلما حضر بين يديه قال له : انت نبي . قال : نعم . قال : والى من بعثت قال اليك . قال : اشهد انك سفيه احمق . فقال — انما يبعث لكل قوم مثلهم

(الطفيلي . نقلاً عن العقد الفريد — يطلق اسم الطفيلي عند العرب على رجال مشهورين بشدة النهمة والبطنة والتعرض للطعام من غير ان يدعوا اليه ومنهم اشعب)

ساوم اشعب رجلاً في قوس عربية فسأله ديناراً فقال له -- والله انها لو اذارمي بها طائر في جو السماء وقع مشوياً بين رغيفين ما اعطيتك بها ديناراً

مرّ طفيلي بقوم من الكتبة في مشربة لهم فسلم ثم وضع يده يأكل معهم قالوا له اعرفت منا احداً قال عرفت هذا واشار الى الطعام

دخل طفيلي على قوم يأكلون فقال ما تأكلون فقالوا من بغضه نأكل سماً فمد يده الى الطعام قائلاً — الحياة حرام بعدكم

قيل لطفيلي كم اثنان في اثنين قال اربعة ارغفة

مرّ طفيلي بقوم يتغذون فقال السلام عليكم معشر اللئام فقالوا لا والله بل كرام فثنى رجله وجلس معهم الى الطعام قائلاً — اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلني من الكاذبين

قيل لطفيلي يشكو الما في معدته تقيأ ما اكلت تسترح معدتك فاجاب — اتقيأ خبزاً نقياً ولحم جدي والله لو وجدتها قيأ لاكلتها . . .

تابع رواية الحب حتى الموت

فنهض جميع الحاضرين قياماً على الاقدام مبتهجين بالقادمين. فرمى الخواجه حنا ببصره الى زاوية ماري دون ان يرد تحية الناس وقال بصوته الجهوري الذي يحكي جعجعة الرحى

— اين مريمنا

ثم صافح اخاه الخواجه بولس واشار مسلماً الى الحاضرين وجلس دون ان يلتفت الى اميل. نعض اميل على شفتيه وشغل نفسه بتحية رفيقه بطرس بعد التسليم على خالته زوجة الخواجه حنا وبعد ان جلس الخواجه حنا نظر الى اخيه واعاد سؤاله

— اين مريمنا. قال بولس لزمت فراشها اليوم لانحراف صحتها قال حنا وهل تدعو الناس الى منزلها وتحتجب عنهم هذا لا نرضاه منها

وكان هذا الرجل كأنه ينطق بلسان اكثر الحاضرين. فان الشبان منهم انبعثت الرغبة من عيونهم وتمنوا كلهم لو كان لارادتهم قوة التأثير على ارادة عم ماري ليحمله على اقناعها بان تشرق عليهم فلا تتركهم تلك السهرة في ظلام بهيم. اما اميل فكان اقلهم انبعاثاً لانه عرف انحراف صحتها من النهار لذلك كان ساكتاً متأملاً

واما بطرس فكان كمن قيل له: اخط خطوتين تجد كنزاً فخطا الخطوتين فلم يجد شيئاً

ولكن حنا ما استقر به المكان حتى نهض الى غرفة ماري كأن ارادة الذين حوله اثرت في ارادته من غير ان يريد ذلك او يشعر به. والحقيقة ان ارادة بطرس هي التي اثرت فيه فقد جاء ليقدمه الى ماري ويعقد بيده بينهما مقدمة لنتيجة يعقدها الكاهن بعد ذلك بينهما. فهو لا يريد ان يعود خائباً

فغاب عم ماري نحو عشرين دقيقة ثم عاد ولكن هذه المرة لم يكن وحده. وعند دخوله الى القاعة انتشرت فيها امواج النور الابيض الذي مر بنا وصفه. ذلك ان ماري كانت وراءه بثوب ابيض بسيط مجردة عن كل زينة غير جمالها الطبيعي. فدخل امامها ممسكاً بيدها وهو يقول — اعذروها لهذه الملابس التي تلبسها فقد اكرهتها على النهوض من فراشها

فنهض الجميع على اقدامهم وتمشت القارب في الصدور والتقت جميع الابصار على وجه ماري

واذا كانت قد اعطت ماري القاعة امواجاً بيضاء من النور للباسها الناصع البياض فقد اعطت القاعة خديها ثوباً وردياً كأنه شفق الصباح. فدخلت خجولة متاجلجة مضطربة

ذلك ان هذه الفتاة الطيبة القلب الشريفة الاحساس يؤلمها ان تحضر الاجتماعات التي يعقدها ابوها في منزله لانها كانت ملتقى ابصار جميع المدعوين. اذا مشت عدت الافكار خطاها واذا جلست حامت العيون عليها واذا نظرت لم يقع نظرها الا على عيون طامحة وافواه باسمة. وكانت تعلم ان هؤلاء المتزاحمين حولها وكثير ما هم لاهمّ لهم الا استدناؤها كما انها لا همّ لها الا ابعادهم عنها لانها كانت تكره الامور الغامضة وبما انها لا تريد ان تفتح قلبها لاحد منهم ولا تريد ان تؤمل بنفسها احداً كانت تبتعد عنهم بما في استطاعتها من اللطف والتؤدة

وكان يزيد عدد هؤلاء المتزاحمين حولها ما يراه هؤلاء الطلاب من ثروة ابيها الواسعة وكونها وارثته الوحيدة فيخيل للواحد منهم انه اذا استطاع بدهائه وحلاوة لسانه وبراعته في "استمالة السيدات" ان يكتسب قلب ماري لم يكتسب فقط فتاة بارعة الجمال رائعة الادب طيبة الاخلاق بل اكتسب معها ثروة لا تنقص عن خمسين الف جنيه مما كان يسيل لعاب كل شاب ويفتح لهاة كل راغب في السعادة من وراء الزواج. ولم تكن ماري عارفة بهذه الاميال التي كانت في صدور اكثر الشبان الذين حولها ولكنها كانت ترى في حركاتهم وسكناتهم وبسماتهم وكلماتهم شيئاً يبعدها عنهم بدلا من ان يقربها منهم لان هذه الامور غير طبيعية وما فسد مصدره فسدت نتيجته

واذا اضفنا الى هذا الامر وجود اميل الشاب "الذي تريد ان تنظر اليه" من بين هؤلاء الشبان وجبنها بازائه اتضح سبب دخولها الى القاعة مضطربة متاجلجة

فدخلت ماري وسلمت ثم جلست. فحامت عليها انظار الحاضرين كالعادة وكان بطرس كمن وجد كنزه اما اميل فبقي ساكتاً متاملاً

وكان اكثر حديث ماري مع زوجة عمها ولكنه كان ظاهراً على وجهها انها ليست على ما تروم

وبعد عشر دقائق قرع الجرس فدخلت اميلي واومأت الى ماري ان فدوكي قد اتت فانبسطت اسرتها وقامت الى استقبالها ثم ادخلتها الى القاعة. وكان اكثر الحاضرين يعرفونها من ترددها وترددهم على المنزل فسلمت عليهم وجلست بازاء صديقتها وكانت فدوكي اكثر جمالاً من النهار فان نور الصباح كسا

صفرتها قشرة من بياضه وحمرته فكان لونها مزيجاً من هذه الالوان الثلاثة ولكن وراء جمال ماري خمسين الف ذهب تؤيده وتجذب الانظار اليه لذلك لم ينصرف الى جمال القادمة اخيراً شيء من الانظار الحائمة على جمال المقيمة قبلها

واخذوا باطراف الحديث حتى مدت المائدة فدعوا اليها وكانت مائدة كبيرة عليها افخر المأكول واطيب المشروب وكان عليها اربعون كرسياً فجلسوا واخذوا يأكلون ويتحادثون فقال بطرس

— وكيف حال اخواننا السوريين في هذه البلاد

قال الخواجه حنا تسأل عن حالهم وانت ترى ما ترى من هنائهم وسعتهم . انظر حولك هذه الوجوه المنبسطة والعيون المتقدة هل ترى فيها ما نرى في وجهك ووجه رفيقك من لوائح البله والمذلة والخمول

فكانت هذه الضربة الاولى لاميل . فنظر اليه جميع الحاضرين فرأوه متشاغلاً بالاكل اما بطرس فضحك ونظر الى ماري قائلاً لزوج خالته

— نحمل منك هذا الكلام على محمل المزاح لذلك نقبله

قال حنا بلهجة اشد سواء لدي قبلتموه ام لم تقبلوه . هذه وجوهكم وهذه وجوه الحاضرين قابلوا ما بينها تروا صحة كلامي

فنظر بولس الى اخيه ونظرت ماري الى عمها اما امراة حنا فكانت متشاغلة بالاكل تتناول اللقمة باطراف شفتيها ايهاماً بصغر فمها

فرفع عند ذلك اميل راسه وقال باسماً — كل راض بما عنده

فقهقه الخواجه حنا حتى كاد يستلقي على قفاه وقال الى من حوله بصوت عالٍ — رجعنا الى الصرف والنحو

فلم يتمالك الحاضرون من الضحك خفية وكان قلب بطرس يرقص فرحاً من هذه الضربات التي كان يضربها اميل . اما بولس فظهر الغضب في وجهه فقال دعونا من هذا الحديث . فسكت الجميع

واما ماري فوقفت اللقمة في بلعومها كما تقول العامة لشدة غيظها من تحامل عمها على . . معلمها . ولكنها كظمت ما في نفسها وارادت ان تستانف الاكل فلم يكن لها ان تبلع لقمة واحدة . فاشتد ضيقها

ورغبة في تغيير الحديث قال بولس لضيفه بطرس . عسى ان هياج الاوقيانوس لم يؤثر عليك

قال — لا

قال هل تركت والديك في صحة وعافية

قال نعم وهما يقرئانك السلام

قال لعلك مطيل اقامتك عندنا . قال اقضي الشتاء في نيو يورك واعود في الصيف الى سوريا وما هي الا سياحة صغيرة . فقال حنا بصوته الجهوري — انصحك نصيحة يا قريبي اتريد ان تسمعها . قال على الراس والعين . قال انا لا اشير عليك بالرجوع الى الوطن فان كل مكان ينبت العز وطن عزيز فاقم عندنا فذلك اهنأ لك . قال بطرس وماذا اصنع هنا قال انا ادلك على حرفة جديدة . نجمع لك اولاد النزالة السورية فهم يبلغون العشرين او الثلاثين من فتيان وفتيات فتضع عقلك مع عقولهم وتكون عندنا معلماً لهم . فضحك الحاضرون وضحك بطرس ايضاً لانه عرف ان قريبه عاد الى الهجوم . واردف الخواجه حنا بقوله . ولا اخشى ان لا تقوم بوظيفتك احسن قيام وان كنت لم تجرب هذه الحرفة بعد فان ما اعرفه يا قريبي فيك من الوقاحة وبلادة الطبع وسمك الجلد ينطبق كل الانطباق على الصفات التي تطلب لهذه المهنة « الشريفة » كما يسميها بعضهم فاشير عليك ان تكون معلماً . وكان حنا يتكلم والاصفرار يعلو وجه اميل ووجه ماري معاً . اما بولس فاصبح من الغيظ لا يملك نفسه لاهانة ضيفه اميل في منزله . ولكن المهين هو اخوه فله عليه المداراة ايضاً . وقبل ان ينبس ببنت شفة قال اميل لحنا بهيئة الجد والسكون . — اظنك تريد اهانتي فاتخذت سبيلاً الى ذلك اهانة حرفة التعليم

فضحك حنا وقال — العفو يا حضرة المعلم اميل . انا لا احدثك

قال اميل ولكنك تهينني ودليلي على ذلك استياء اصحاب البيت انظر الى سحنتهم . قال العفو يا حضرة المعلم انا لست فيلسوفاً مثلك لاقرأ في وجوه الناس . قال فكيف اذاً قرأت في وجوهنا في بدء حديثك . فلما رأى حنا نفسه مغلوباً استولى عليه الغضب فقال بنزق — وهل انت قيم على لساني وفكري يا خواجا

فكان جواب اميل ابتسامة من تلك الابتسامات التي تكون افعل في قلب الخصم من اشد كلمة ثم نهض عن المائدة فنظر اليه الجميع ثم التفتوا ليروا الخواجا بولس فوجدوه مقطب الحاجبين مبهوتاً . اما ماري فبردت اطرافها وضاق صدرها فارادت ان تتجلد فلم تستطع ان تملك نفسها فصاحت صيحة شديدة واغمي عليها . فنهض اليها الحاضرون نهضة واحدة وكان السابق اليها صديقتها فدوكي

الله والوطن
الجامعة العثمانية
الاتحاد والارتقاء
مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية
« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
الاسكندرية في ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٣١٧

باب المقالات

بهرام مالاباري

المصلح الهندي

عبرة لطالبي الاصلاح في الشرق

صدق المرحوم كرنيليوس فانديك اذ قال يوماً لمن كان يمتدح امامه تاثير الغرب على الشرق ما معناه — « ان النور الذي ادخله الغرب الى الشرق قد انحصرت فائدته في تفتيح عيون الشرقيين لرؤية الاخربة التي حولهم دون ان ينتشلهم من بينها »

ولو كان تاثير هذا النور مقصوراً على هذا الامر لما جاز لاحد ان يشكو منه ولكن من سوء حظ الشرقيين ان هذا النور كان باعثاً على زيادة تلك الاخربة التي حولهم . فمثلهم في ذلك مثل رجل مقيم في غرفة مظلمة حالكة السواد راضياً مطمئن النفس لانه لا يرى شيئاً من الاخربة التي حوله فلما اطل عليه رجل يحمل مصباحاً من مشكاة فتحها في اعلى البيت وانبعثت انوار المصباح الى الرجل فراى ما حوله من الانقاض والعفونة والخراب اخذ يهدم جدار ذلك البيت ليخرج منه فراراً من خرابه فكان يزيد خرابه خراباً

هذا شأن الشرقيين مع دولهم في اكثر بلاد الشرق ان لم نقل كلها . فانهم لا يرون بصيص النور الاوروبي حتى يبهر ابصارهم فيقومون على حكومتهم يطلبون التشبه بالاوروبيين واصلاح امورهم بوسائل شديدة اكثرها يؤدي الى عكس الغرض الذي يقولون انهم يرمون اليه . فيقوم النزاع بينهم وبين حكوماتهم فيزداد الفريقان سوء حال على سوء حال

ولو عقل هؤلاء الشرقيون الطالبون الاصلاح تارة بالاتكال على الاجنبي واخرى بالنهوض على حكومتهم يصنعون بها ما كانت تصنعه بهم فلا يكون لهم عليها من فضل ولا مزية مع كبر دعواهم وكثرة ادعائهم — لو عقل هؤلاء وكان لهم شيء من الصبغة الفلسفية يدركون بها حقائق الامور وينظرون الى لبابها دون قشرتها لما اقدموا على خطة تضر بوطنهم وتغض من كرامة حكوماتهم وتخرجهم عن حدود واجباتهم ولصانوا قواهم التي يبذلونها في مقاومة الطبيعة نفسها ان تذهب سدى بلا جدوى ولا فائدة . اذ اية فائدة من الطعن الفاحش والسباب والافتراء والعدوان على السلطة العالية او الدانية الا الدلالة على مبلغ ادب الآخذ بهذه الاسباب الواهنة واقامة الدليل بمجرد الاخذ بها على انه غير اهل للاصلاح الذي يطلبه والحرية التي يلتمسها . ولكن لو صرفت تلك القوى الشديدة في وجه مفيد نافع كالوجه الذي صرفها فيه « بهرام مالاباري » الذي ننقل للقراء الآن ترجمة حياته لادرك طالبو الاصلاح في

الشرق امنيتهم منذ عهد بعيد رضي الحكام ام لم يرضوا

ولكن بين الطرق التي اتخذها بهرام الى صلاح حال امته وبين الطرق التي يتخذها اليوم بعض طالبي الاصلاح في الصين وايران والدولة العثمانية والترنسفال ومراكش — مابين الارض والسماء . فان الاولى طريقها مفروشة بالشوك والقتاد ويقتضي سلوكها فضائل باهرة ونفوس كبيرة ناشئة على فضيلة الايثار وانكار الذات والتفاني في الخدمة العامة وتضحيه المصلحة الخاصة لها . اما الثانية فطريقها هين سهل وهي امتشاق الحسام في وجه الهيئة الحاكمة كما جرى في الصين ولا يزال يجري في ايران او الفرار الى بلاد اجنبية واللعب فيها بالقلم على القرطاس طعناً على الحكومة والحكام كما يصنع بعض ابناء الدولة العثمانية

والفرق بين طريقة بهرام الشريفة وهذه الطريقة القبيحة مثل الشمس ظاهر

***

ولد بهرام مالاباري في الهند سنة ١٨٥٣ من عيلة فقيرة من طائفة اتباع زوروست وهي طائفة منبوذة في الهند . وكان ابوه مستخدماً في احدى المكاتب التجارية الهندية براتب عشرين روبه في الشهر . ثم توفي وسن بهرام ست سنوات فانتقلت به امه الى سورات في الهند وهنا لك تزوجت بقريب لها يدعى مرونجي وكان رجلاً طاعناً في السن يتجر بخشب الصندل والسكر والطيوب في جهات مالابار وهي قسم من هندستان ومنه اشتق اسمه فدعي مرونجي مالاباري . فتبنى مرونجي صاحب الترجمة اذ كان بلا ولد فلقب بهرام بالمالاباري ايضاً . فاصبح مرونجي يكلف الفتى بهرام اعمالاً شاقة ومتاعب ما كان يخففها عنه الا ما يجده من حنو امه ورأفتها به وعطفها عليه

وكانت هذه تدعى بيخيباي وهي امرأة سمراء اللون ذات عينين دعجاوين لوزيهما مكحول كما يقول الشاعر العربي . وكانت ترى جميلة ولكن نفسها كانت اكثر جمالاً من وجهها . فان قلبها كان مطبوعاً على الرقة ونفسها تكاد تذوب لطفاً وحناناً . ومما اشتهرت به بين جميع نساء الهند انها اقدمت على التقاط طفل وجدته قريباً من منزلها فاحتضنته وارضعته ومعلوم ان ذلك ممنوع في عادات الهنود قبل ان يعرف اصل الطفل خوف ان يكون من نسل نجس . وكان ذلك الطفل ابناً لاحد كناسي الشوارع . فلم تبال بعادات قومها وتقاليدهم جرياً مع هوى نفسها الشريفة وحنانها الوالدي الطبيعي . فبهذه المبادىء غذت نفس فتاها بهرام صاحب الترجمة وغرست في اعماق قلبه اصول الشفقة والمحبة والرأفة بالمنكوبين والضعفاء من اي نوع كانوا من البشر . فكانت هذه المبادىء الشريفة اساس عظمته في حياته . ومن هذا المثال يعلم مبلغ تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية

ثم توفيت هذه الام الهندية الصالحة وعمر بهرام اثنتاعشرة سنة فاصبح بهرام وحيداً يتيماً اذ ان مرونجي الذي تبناه قعدت به الشيخوخة فبات نفسه حملاً على عاتق هذا الفتى الصغير. فلقي بهرام اياماً سوداء كخافية الغراب الاسحم ولكن المصائب لم توهن عزمه بل زادته شدة ونشاطاً . فاخذ يتم دروسه في سورات وجعل في الوقت ذاته يعلم بعض الطلبة ما تعلمه في المدارس الهندية الوطنية او في مدارس المرسلين الايرلنديين في سورات رغبة في كسب ما يسد حاجته وحاجة مرونجي الشيخ . فاشبه في هذا جول سيمون الذي ذكرنا في ترجمة حياته انه كان في صباه يتعلم و يعلم معاً تحصيلاً لخبزه

وكانت امنية بهرام ان يدخل الى كلية بومباي فتم له ذلك في سنة ١٨٧١ وكان عمره ١٨ سنة . وكان دماغ بهرام مثاراً لافكار تتلاطم فيه تلاطم الامواج ونفسه طالحة عند انفتاحها لحلاوة الحياة بآمال عظيمة وتصورات شعرية سامية . ذلك ان بهرام كان شاعراً . وقد نظم شعراً رقيقاً اخذه معه وهو سائر في طريقه الى كلية بومباي فرأى هذا الشعر من عرف قدره فاستأذن بهرام في نشره فاذن له فنشره في داخل الهند وخارجها فنال بهرام الشهرة بواسطته وذاق طعم المجد الادبي وهو في ربيع الحياة ولكن لم يبهر نور هذا المجد عينيه لان نفسه الكبيرة كانت تسمو الى اعظم من هذه الهنات الحقيرة الصغيرة التي تحكي فقاقيع الصابون و يسمونها : المجد والشهرة وطيب الاحدوثة

كانت نفسه الكبيرة تسمو الى الامور النافعة الثابتة ولا تعبأ بهذه الامور السطحية المتقبلة التي ليست في شيء من واجبات الحياة . فلما اتم دروسه القى نظراً نقاداً فيما حوله من امور بلاده ووطنه . فهل تعلمون ما كانت تأثراته ؟

لو كانت نفس هذا الرجل صغيرة ونظره قصيراً وعقله عارياً عن الصبغة الفلسفية الواجبة لفهم امور الحياة واحتمال حلوها ومرها . خلها وخمرها . — لو كان كذلك لكانت اول حركة تحركها قلمه الذي قضى السنين في تثقيفه هجوماً شديداً على الحكومة التي تحتل الهند لانها تتخذها بقرة حلوباً وحرباً عواناً على حكام الهند لانهم مقصرون فيما يجب عليهم لبلادهم ولامتهم .

ولكن لم يكن شيء من ذلك. فقد عرف بهرام انه اذا اتخذ هذه الطريق الى الاصلاح زاد الاخربة التي حوله بدلاً من ان ينقصها وان مثله في ذلك اذا اراده مثل من يحاول تحريك قعر الاوقيانوس العميق بعصا يضرب بها سطحه . فكرهت نفسه الشريفة ان تعدو على السلطة وان تبذل قواها عبثاً بلا جدوى ولا فائدة لان الله اعطاها مواهبها امانة لبني جنسها ووطنها فيجب عليها ان لا تبذلها سدى بل ان تنفع بها ما ملكت نفعاً .

ورأى بهرام النتع في ان يصرف فكره عن الاصلاح السياسي الى اصلاح الاجتماعي لان الثاني اساس للاول . وهكذا كان

فدخل في سنة ١٨٧٦ محرراً في جريدة " ليندبين سبكتاتور " ثم بعد اربع سنوات طرأت حوادث جعلت هذه الجريدة ملكاً له فجرَّد فيها قلماً امضى من الحسام فاعلى به مقام جريدته حتى جعلها في بضع سنوات صوت الشعب الهندي كله . ثم قام في نفسه ان يختبر احوال الشعب الهندي بنفسه فجعل يسوح في الهند غرباً وشرقاً مستقصياً احوال الامة الهندية ناظراً في احزانها ومسراتها قارئاً في صفحات قلوبها داخلاً قصور الكبار واكواخ الصغار مقيداً في دفتره كل ما يسمعه وينظره توصلاً الى معرفة حقيقة الوطن الذي وقف قواه على خدمته . فازداد رغبة في الاصلاح الاجتماعي الذي كان يرى في نفسه ميلاً اليه بازاء ما رآه بعينيه في طبقات الهند من الشقاء والعناء . واستلفت نظره في هذا الشقاء امر يشهد له ببعد النظر وطول مرمى الفكر

رأى النساء في الهند في حال يرثى لها من العذاب والانحطاط والشقاء . فان شريعة الهنود والبراهمة تقضي عليهن بامرين فظيعين : الاول زواج الابنة في السنة العاشرة من عمرها وهي لا تزال طفلاً يرضع كما تقول العامة . والثاني الترمل الاجباري وهو بقاء الفتاة ارملة طول عمرها تحلق شعر راسها عند موت زوجها وتبكيه كل حياتها واذا تركت البكاء يوماً ضُربت بخشبة على رأسها حتى تبكي ولو ان ذلك الرجل مات وهو خطيبها لا زوجها ولو انها لم تعرفه ولم تر يوماً وجهه (١) . فهذا مع ما يتلوه من سوء معاملة النساء أثار نفس بهرام غيرة على الانسانية وسخطاً من ظلم الانسان وجهله فاخذ على نفسه ان يكون « رسول خلاص المراة الهندية »

ولكنه كان من طائفة اتباع زوروست كما قدمنا وهي طائفة يعتبرها الهنود كافرة نجسة . فكيف تجس الدخول بين رجال الهند ونسائهم ؟ رأى بهرام هذا الخطر ولكن لم يجبن ولم يدخل الخوف قلبه فاطلق لنفسه العنان مقتحماً زوابع الجهل والتقليد والعادات والشرائع القديمة وسار في طريق هذا الاصلاح الاجتماعي لا يلوي على شيء

فقامت قيامة البراهمة والهنود عليه لان في ذلك نقض شريعتهم فكان يزداد عزماً كلما ازدادوا مقاومة ولم يدخر سعياً ولا وسعاً في سبيل نشره افكاره فمن فصول حبرها . واجتماعات عقدها . وخطب القاها . وليال سهرها . وسياحات قام بها من اقصاء الهند الى اقصائها مذيعاً كلمة الشفقة والمحبة والرأفة وداعياً كرسول الانسانية الى احترام ضعف النساء واحسان معاملتهن وترقية شؤونهن . وصرف في هذا الجهاد الشريف خمس عشرة سنة حتى نفدت قواه وخانه عزمه واشرف على الهلاك فسافر من الهند الى لندرا وهو قريب من الموت ليتخذ الراي العام الانكليزي حكماً في الاصلاح الذي يطلبه . فخطب في لندرا مؤيداً مذهبه وقابل الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر وغيره من اكابر الانكليز فاقنعهم بصحة رأيه . ولم يرجع الى وطنه حتى وعدوه انهم سيجيبونه الى طلبه

وقد انجزوا وعدهم . فان الحكومة الانكليزية وضعت في السنة التالية اي سنة ١٨٩١ قراراً بشان الهند فحواه " انه لا يجوز لاية شريعة ولو كانت دينية ان يكون فيها ما يضر بالانسانية » فارتفع بذلك عن عنق المراة الهندية المسكينة نير الزواج الباكر والترمل الاجباري اللذين مرَّ ذكرهما فصلحت بهذا القرار حال ملايين من نساء الهند والفضل في ذلك لهذا الرجل الفاضل بهرام مالا باري . ولا ريب ان بنجيباي الناضلة قد اهتزت عظامها في التراب فرحاً بصنيع ولدها .

ولا يزال هذا الرجل العظيم عاكفاً في الهند الى هذه الايام على خدمة وطنه هذه الخدمة الاجتماعية المفيدة ناصباً نفسه غوثاً للملهوفين وعوناً للمظلومين ومساعداً للضعفاء ومعزياً ومسلياً للمعوبين . لا يسمع بمصيبة حتى يطير اليها يعزي اصحابها ويساعدهم بما في استطاعته . فشا وباء الطاعون في السنة الماضية في الهند ونقدمه الجوع الهائل من قبل فحيثما ظهرت هاتان

« ١ » كانت الابنة منذ ولادتها تعين زوجة لفتى من جيرانها او اقربائها ومن هذا الحين ترتبط به ارتباطاً لا انفكاك له فاذا توفي الفتى وكبرت الفتاة اضطرت ان تصرف حياتها في بكائه وندبه ولو انها لا تعرفه والمظنون ان ما يسمونه في بلاد الشام (قطع صرة الابنة حين ولادتها على فتى بتزوجها في كبرها) عادة مشتقة من هذه العادة

الآفتان وجدتا وما زالتا تجدان في وجهيها الاسودين وجه بهرام مالاباري الاصفر اللطيف محارباً ومقاوماً للوباء ومساعداً ومعيناً للموبوئين . الحياة لديه رخيصة اذا كان في الامر مساعدة لاخوانه ابناء وطنه . بل حياته ليست له انها لهم لذلك يخاطر بها وبكل ماتملكه يداه من اجلهم . هذا هو الانسان يا بني الانسان . هذا مثال المصلحين يا طالبي الاصلاح . بهذا الاصلاح يجب الابتداء ايها الشرقيون

***

ولكنه فيما نظن اصلاح اصعب من اللعب بالقلم على صفحات القرطاس طعناً على الهيئة الحاكمة .. لذلك قلما تجد في بلادنا من يقدم عليه . بل لاتجد واحداً بيننا فكر به وقام اليه . كل لاهٍ بنفسه مشغول بذاته وملذاته . الفرد موجود ولكن لا وجود للكل . اعضاء متقاطعة متناثرة كأنها ورق الخريف المنثور او رمال البحر المبعثرة على الشاطئ او ذرات الهباء المنتشرة في الهواء: هذه هي هيئتنا الشرقية . اليس غريباً مع هذا ان لايقوم فيها الا من يريد ان يزيدها تفرقاً وتشتتاً وانقساماً ؟ لماذا لا يقوم فيها واحد كبهرام مالاباري مجبولة نفسه من طينة المحبة والايثار والشفقة والعظمة فيكون همزة الوصل بين العناصر المختلفة والاهواء الشاردة المتناقضة وباب فرج وامل ورجاء للطبقة التي تعاني صنوف الشقاء في اسفل هيئتنا الشرقية ؟ لماذا لا يقوم فينا رجل كهذا؟ هل ارتقت الانسانية في الهند اكثر منها عندنا ؟ ام لايوجد في نسائنا واحدة كبيخيباي الفاضلة تبذر في نفس فتاها من صغره مبادىء العظمة الحقيقية ؟ ام لاحاجة للاصلاح الاجتماعي عندنا ولاداعي اليه لاننا كاننا في نعيم وسعادة لا ينقصنا الا الاصلاح السياسي وكل احوالنا الاجتماعية كما يجب ان تكون ...

الى هذا الامر الجليل والعمل العظيم نوجه انظار الذين يرغبون من ابناء الامة العثمانية في صلاح حالها رغبة حقيقية . لقد مضى الزمان الذي كانت فيه اسوار اريحا تسقط من اصوات الابواق فاصوات اقلامكم وجرائدكم لاتغني فتيلاً . اذا كانت رغبتكم في صلاح حال وطنكم رغبة خالصة فشمروا عن سواعدكم واحذوا حذو هذا الرجل : هذا بهرام امامكم .

تطلبون من الهيئة الحاكمة ان تقوم بما يجب عليها لكم ولكن هل قمتم انتم بما يجب عليكم لها ولوطنكم حتى تذكروا تقصيرها ولا تذكروا تقصيركم ؟ اين انتم من المدارس تنشئونها والشركات الاقتصادية تؤلفونها ؟ اين ماعانيتموه من العناء في الخدمة العامة وصنع الخير المجرد ؟ هل اعطيتم يوماً ساعة من ساعات راحتكم ولذاتكم لذلك البائس المسكين المنطرح على بلاط الاسواق ؟ هل اتيتم العماء فنشطتموهم وساعدتموهم وبحثتم عن الساقطات والساقطين فانهضتموهم ؟ هل فتشتم عن الفضيلة فرفعتموها والمظلومين فساعدتموهم مساعدة بالفعل لا بالقول؟ بل مالنا وهذه الفضائل الاجتماعية الايجابية فانها ثقيلة صعبة خذوا الفضائل السلبية . هل اجتنبتم في حياتكم كل رذيلة وشر وضر حتى تطلبوا من حكامكم ان يكونوا منزهين عن كل رذيلة وشر وضر ؟ انتم من الامة والامة منكم . اذا صلح شأنكم صلح شأنها ولا يكون لكل امة الا الحكومة التي تستحقها . فرجاؤنا منكم حين ذكركم واجبات الحكام ان تذكروا ايضاً واجباتكم

اما انت ايتها المرأة الفاضلة التي اعطيت الهند هذا المصلح العظيم « بهرام مالاباري » فليت جميع نساء الشرق يذكرن مثالك . مباركة انت ومباركة ثمرة احشائك

استحضار الارواح

العجائب الحديثة

المراد باستحضار الارواح علم حديث نشأ في اوروبا منذ ٣٠ سنة وكان له شأن عظيم فيها . ومقتضاه ان صاحب هذا العلم يستحضر ارواح الاشخاص الذين تطلبهم سواء كان هؤلاء الاشخاص من الموتى او غائبين في بلاد بعيدة او قريبة . فاذا طلبت روح ابيك او روح امك او روح صديق ميت او غائب عنك استحضرها الرجل لك فترى بعينيك اباك وامك او صديقك منتصباً امامك كما ترى الخيال وهذا من الغرابة باعظم مكان

وطريقة هذا الاستحضار قوة نفس المستحضر وقوة ارادته . ويسمون المستحضر «واسطة» ويريدون واسطة بين الارواح والاجسام يجعلها ترى بعضها بعضاً بقوة في نفسه . وهذا العلم لا يؤخذ في مدرسة بل يجب ان يكون في نفس الانسان قوة فوق العادة حتى يصح ان يكون « واسطة » . ومن اشهر الذين قاموا في اوروبا من اربابه هوسك وفولر وكولمان وافيريت وا كلينتون وهو اشهرهم

اما طريقتهم في استحضار الارواح فهي كما ياتي :

يقيم « الواسطة » وهو المستحضر مع المشاهدين في غرفة ينيرها مصباح فيخفض النور حتى يصل الى حد النور الازرق ويكون نصف ظلام فيجلس الحاضرون ويبدأ الواسطة حينئذ بعمله . فيخطر ذهاباً واياباً في الغرفة بنزق وحدة وتتهيج اعصابه فيصفق

يديه ويلويها بغضب ويرفس برجليه ثم يقف على حين فجأة مشتبك الذراعين على الصدر ويبقى جامداً جمود الصنم . فتظهرحينئذ على ملابس المستحضر بقع نيرة بيضاء وتاخذ بالاجتماع على صدره . ومتى تم اجتماعها اخذت تتدلى وتهبط الى الارض كالدخان الثقيل حتى اذا بلغت الارض تحركت وتكاثفت واخذت بالارتفاع . كل ذلك والرجل جامد جمود الصنم . ولا يزال هذا الدخان صاعداً حتى يعلو رأس الرجل فيصيح هذا حينئذ صيحة عظيمة ويسقط على الارض بقوة شديدة ويلبث منطرحاً عليها كمن فقد الحياة . اما الدخان النير فيتجسم ويتخذ هيئة القريب او الصديق الذي تريد مشاهدته . وهو يسير امامك ويتكلم وينظر اليك ويتبسم مما يدهش العقول ويحير الافكار. واحيانا تطول مدة ظهور الروح فتخرج روح المستحضر نفسه وتتجسم وتقف بازاء الروح الحاضرة

وقد انقسم الناس في اوروبا الى ثلاثة اقسام في حكمهم على هذه الامور المدهشة . فبعض رجال الدين قالوا انها من صنع الابالسة والشياطين . وبعض رجال العلم كذبوها من غير ان يفحصوها . وبعض آخر منهم فحصوها فقالوا انه لا بعد ان يكون في نفس الانسان قوة عجيبة غريبة نجهلها الآن وهي التي تصنع هذه العجائب . ولا ريب ان العلماء يسقطون حجة القسم الاول فلا يبقى لديهم الا حجة القسمين الآخرين اي غش المستحضرين للناس وقوة عجيبة في النفوس

ولكن ما كل الناس يمكن غشهم وانطلاء هذا المحال عليهم . فان في جملة الذين فحصوا استحضار الارواح علماء وفلاسفة من اكابر رجال العلم والفلسفة فدهشوا وحارت عقولهم مما شاهدوا باعينهم . فقد كان الواحد منهم يرى اباه امامه يكلمه ويبسم له مع انه توفي منذ سنوات . وقد عثرنا في المجلة الباريزية على شهادة احدهم وهو المسيو جام تيسو الكاتب والمصور الفرنسوي الشهير وهو ذو مكانة رفيعة في بلاده ورأي يحترم فيها فاحببنا نقلها للقراء

وقد شهد هذا الثقة شهادة من رأى بعينه ولمس بيده . فانه طلب يوماً من اكلينتون الانكليزي مستحضر الارواح الشهير ان يستحضر له فتاة تدعى كاتي كينغ توفيت منذ سنوات وكان المصور يعرفها ويصورها كثيراً . فاستحضرها له اكلينتون في اجتماع عقده في منزله في لندره في ٤ مايو سنة ١٨٩٤ واليك شهادة المسيو تيسو بهذا الصدد . قال ما خلاصته .

قمنا بعد العشاء وجلسنا في قاعة مظلمة وجلس اكلينتون في كرسي وراء كرسي . فما لبث ان اخذ بعمله فصار يخطر ذهاباً واياباً ويصفق بيديه بحدة ونزق ونحن نتحادث بمواضيع مختلفة محادثة اعتيادية لئلا يؤثر انتظارنا وقلقنا عند سكوتنا على روح كاتي فلا تحضر بيننا . وبعد برهة سمعت صوتا يقول ظهرت كاتي فالتفت لا راها في الظلام فرأيت نوراً غاب اول ما التفت اليه . فقيل لي انها هربت لاني نظرت اليها قبل ان يتكامل ظهورها . فرجعنا الى حديثنا ونحن على جمر من الانتظار . فسمعت بعد هنيهة احد الحاضرين يقول ها هي قد ظهرت . فوجهت نظري الى جهتها فرأيت شبحاً منتصباً امامي عليه هيئة كاتي وسحنتها ولكنها كانت اصغر مما اعتدت ان اصورها . فقيل لي ان ظهورها لم يكمل بعد . فعدنا الى الحديث ثم التفت اليها بعد قليل فرأيت منظراً مدهشاً

رأيت كاتي بعينها واقفة امامي بحللة الجسم بغطاء من فرقها الى قدمها . الوجه وجهها والعنق عنقها والفم فمها وعليه ابتسامة احلى من الابتسامة التي اعتدت ان اصورها بها . ثم ظهر بازائها روح شخص آخر هو رجل تحيط بها ذراعه كانه دليلها ومرشدها . فلبثت ناظراً الى هذا المنظر المدهش . واذا بكاتي اتجهت صوبي وهي تبتسم ثم انحنت الي وقبلتني في فمي . فشعرت ببشرة كبشرة طفل صغير مست شفتي . ثم قبلتني مرة اخرى وعادت فغابت عنا . هذا الذي رأيته بعيني »

نعم هذا الذي رآه المسيو تيسو بعينه وكتبه في المجلة الباريزية بقلمه ووقع عليه بتوقيعه . وسنذكر آراء غيره من رجال العلم والنقد بهذا الشان في الاجزاء التالية

فضائل العرب

١

قبل الاسلام كانت العرب قبائل منتشرة في بلاد العرب وما يليها دأبها التنافر والتقاطع وشن الغارة بعضها على بعض . وليس هذا بغريب فان هذه القبائل نشأت في البداوة محصورة في اراض ضيقة متجاورة قليلة الزرع والضرع فلم يكن بد من تزاحمها وتقاطعها تنازعاً للبقاء وتهافتاً على ما بين ايديها من الرزق . وانما الغريب ان تكون ارضها القاحلة وشمسها المحرقة قد اوحت اليها وهي في طور البداوة من الفضائل وطيبات الاخلاق ما يقف عنده كل مؤرخ منصف حائراً مبهوتاً

تامل امة ناشئة في البداوة لا مدنية لديها ولا علم ولا معرفة

وفي اخلاقها مع ذلك من الفضائل ما ندر وجوده حتى في الامم ذوات المدنية والعلم والمعرفة . فمن اين اتتها هذه الفضائل ولم تتلقنها من معلم ولم تدرسها في مدرسة؟ بلى تلقنتها من معلم وهو الفطرة ودرستها في مدرسة هي الطبيعة وما اكبر هذه المدرسة واعظمها واسمى دروسها فان كل ما فيها عظيم وجليل اللهم اذا لم يمد اليه الانسان يداً فيفسد صلاحه ويغير طبيعته

وقد احببنا ان نذكر في هذا الفصل بعضاً من تلك الفضائل العربية البدوية التي فاح طيبها قبل اتمام الله نعمته على الامة العربية بجمع شتاتها وتوحيد كلمتها تحت لواء الاسلام تمهيداً لبحث يليه ونؤيد كل فضيلة منها بحادثة تاريخية اتماماً للفائدة فنقول

الاباء وحب الاستقلال — هذا هو الخلق الاكبر للعرب قبل الاسلام ولكن ليس لهم فيه كبير فضل فانهم امة بدوية والبداوة والحرية صنوان لا يفترقان . ونذكر تاييداً لهذه الفضيله حادثة عمرو بن كلثوم التغلبي التي جرت له مع عمرو ابن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة . فان هذا الملك قال يوماً لجلسائه فيما رواه ابن الاثير « هل تعلمون ان احداً من العرب من اهل مملكتي يانف ان تخدم امه امي » قالوا ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت عمرو بن المنذر على ما في نفسه . ثم صنع طعاماً دعا اليه وجوه مملكته وارسل يستزير عمرو بن كلثوم ويطلب منه ان يصطحب امه لتزور ام نفسه . وقال عمرو بن المنذر لامه « اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك عنك واستخدمي ليلى ام عمرو بن كلثوم ومريها ان تناولك الشيء بعد الشيء » ففعلت ام عمرو بن المنذر ما امرها به ابنها وقالت لليلى عندما اتى الطارف ناوليني ذلك الطبق فقالت ليلى باباء « فلتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فالحت عليها فنادت ليلى « واذلاه يا آل تغلب » فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فثار الى سيف الملك وهو معلق في السرادق وضربه به فقتله

فاين تهافت المحكومين في هذا الزمان على تقبيل ايدي الحكام ومرغ جباههم بتراب اقدامهم من عزة نفس هذا البدوي الذي لا يطيق ان تخدم امه ام ملكه . اليس بين نفس هذا البدوي وبين نفس الحضري في هذا الزمان ما بين الارض والسماء

واذا تركنا تصاغر النفوس لدي الحكام واجلنا النظر في تلك النفوس البشرية التي تداس باقدام الاستخدام في المكاتب التجارية والمعامل والحوانيت وغيرها حيث يكون المستخدم سيداً والخادم مسوداً . حيث يكون الثاني آلة صماء بلا ارادة ولا حرية . تتحرك وتروح وتجيء طبقاً لارادة الاول — اذا رأينا ذلك لا يسعنا الا امتداح تلك البداوة التي تطلق النفس وتبقي لها حريتها التي اعطاها اياها الخالق سبحانه وتعالى وهجو هذا التمدن الذي يجعل بعض البشر لبعض خداماً وعبيداً

الشجاعة والاقدام — ومن اخص فضائل العرب الشجاعة والاقدام وهي فضيلة عرفوا بها وعرفت بهم . روي في حرب بعاث وهو يوم بين الاوس والخزرج ان قبيلة الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين وكان قائدهم حضير الكتائب ابن سماك والد اسيد بن حضير . فلما رأى انهزامهم عظم عليه الامر فطعن قدمه بسنان رمحه وارتمى على الارض صائحاً « واعقراه كعقر الجمل والله لا اعود حتى اقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا » فعطفوا عليه وقاتلوا مستبسلين حتى انتصروا على اعدائهم . وكان نصرهم باقدام قائدهم

ويقرب من هذا ما جرى لنابوليون الاول في واقعة اوسترليتس فان النصر ابطأ على جنوده في هذه المعركة والنمساويون تحاربوه كثير عديدهم والجو متلبد بالغيوم السوداء . ثم انقشع السحاب واظهرت الشمس حاجبها والجنود في اشد قتال . فمد نابوليون اصبعه الى الشمس وصاح بجنوده « ايها الجنود هذه شمس اوسترليتس » يريد شمس المجد والنصر فكر الجنود كرة رجل واحد فدحروا اعداءهم وفازوا فوزاً مبيناً

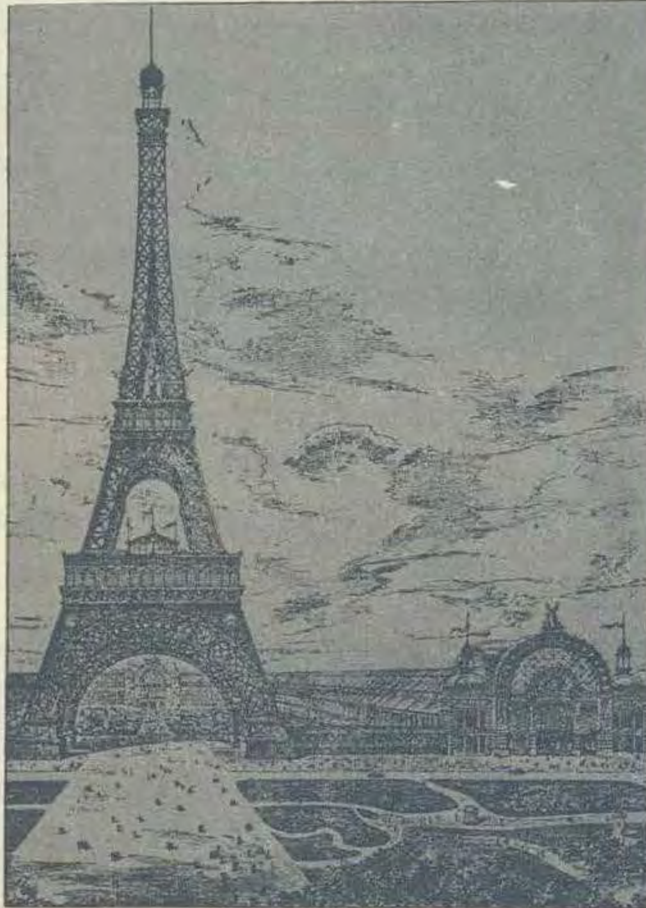
الوفاء — واشتهرت العرب بالوفاء . ولا يذكر الوفاء في تاريخ العرب الا وتذكر معه حادثة السموأل . فان امرأ القيس استودعه مائة درع فاتاه الحرث بن ابي شمر الغساني يغتصبها فلم يعطه اياها فاخذ الحرث ابناً للسموأل وقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فابى السموأل ان يسلمه شيئاً فقتل ابنه وفي ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار
اذ سامه خطتي خسف فقال له ... قل ما تشاء فاني سامع حار
فقال غدر وثكل انت بينهما ... فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك اني مانع جاري

وهنا نقول ما قاله فلوطرخوس المؤرخ اليوناني في بروتوس الروماني الذى امر بقتل ولديه لخيانتهما جمهورية رومة . قال هذا المؤرخ : « لا نعلم هل نذم الأب القاسي ام نمدح الرجل الذي وفى وقام بواجباته »

النطنة والذكاء — وهما من اخص صفاتهم الطبيعية . وقد روى ابن الاثير في جملة ما رواه حادثتين تدلان على ذكاء متوقد الاولى، حدثت في يوم شعب جبلة والثانية في يوم الوقيط ونكتفي بذكر الاولى . وهي ان لقيط بن زرارة استنفر بني اسد وغطفان وغيرهم وسار بهم لغزو بني عامر بن صعصعة وبني عبس حلفائهم للاخذ بثار اخيه معبد بن زرارة الذي مات اسيراً عند بني عامر . فوجدوا في طريقهم كرب بن صفوان وكان صديقاً لبني عامر وبني عبس فتعلق به لقيط ولم يتركه حتى حلف انه لا يخبر القوم بزحف اعدائهم اليهم . فكبر هذا الامر على كرب وحتى لايحنث بيمينه دنا من عامر فاخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة احجار سود ثم رمى بها حيث يسقون . فلما وجدوها تشاوروا بشأنها فقال قيس بن زهير العبسي ذو الرأي الاصيل « هذا من صنع الله لنا . هذا رجل قد اخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فأخبركم ان اعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهي رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زراره واما الاحجار فهي عشر ليال ياتيكم القوم اليها فكونوا على حذر » وكان ذلك نفس ما اراده صانع الصرة فتامل . لاجرم ان القارىء معذور اذا شك في صحة هذه الحادثة

وقس على ما ذكر مالم يذكر من فضائل البلاغة والفصاحة والسخاء والايثار وحمي الذمار والبر بالوالدين وشرف القول والشهامة والنخوة وسائر الفضائل التي تنبت في الخلاء يمنعنا من الافاضة فيها ضيق المقام فلننظر في البحث الثاني



برج ايفل الشهير في باريز



ليفريه العالم الفلكي الفرنساوي
ولد في مدينة سان لو سنة ١٨١١ وعين سنة ١٨٧٧ مديرًا لمرصد باريز وتوفي في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٩ فاقيم له تمثال في المرصد المذكور قام بنفقته زملاؤُه العلماء في جميع اقطار العالم المتمدن



رسم الرواق الخارجي لقصر اللوفر في باريز

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لتسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

اختيار الزوج

« بحث حري بالتفات جميع الشبان والسيدات »

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي

هذه رسالة عثرت عليها لبعض الكتاب. اودعها من الوصايا والنصائح لابنته ما رايته حرياً بان تقف عليه جميع الفتيات الشرقيات فآثرت نشرها خدمة لهن. فخدمتهن عندي من الزم الواجبات

يا ابنتي المحبوبة. هذه نصائح كتبتها اليك وانا على ابواب الابدية كي تكون خير مرشد لك حين يتاح لك ان تختاري زوجك ورفيق حياتك. فعديني انك لا تعاهدين على زواج قبل ان تعيدي تلاوة هذه الصفحات ثلاث مرات في اسبوع واحد

ووصيتي الاولى اليك يا بنية ان تختاري البقاء عازبة طول حياتك على ان ترضي زواجاً مشوماً يجر عليك الويل والشقاء. وليكن اول شيء تسائلين عنه في الخاطب ان لا يكون في صفاته واخلاقه ما يكون مبعثاً للشقاق بينك وبينه. ومصدر هذا الشقاق ثلاثة: الحواس. والقلب. والعقل. فالسعادة العظمى في الزواج ان يكون بين الشاب والشابة وفاق من حيث هذه المصادر الثلاثة: اي وفاق في الحس. ووفاق في الميل. ووفاق في الفكر

تطلبين ذلك في الخاطب قبل كل شيء ثم تلتفتين الى ماله وهيئته ومحاسنه وغير ذلك لا كما يصنع اكثر بنات زماننا فان اول سؤال يعرض لهن عن الخاطب: اهو غني. ثم ياتي بعده: اهو جميل. اما ما بقي من صفات الخطيب واخلاقه ومبادئه فهي عندهن اشياء ثانوية. فمتى كان الزوج غنياً فليكن ما شاء: فاجراً او سكيراً او مقامراً او بطالاً اوغير ذلك فكل تلك المعائب يغطيها المال عند الخطبة ولكن كما تغطي الازهار الجميلة فم حفرة عميقة. فاحذري من ان تخدعك الازهار فتسقطي في الحفرة

لا يخدعنك ما يتلبس به الخاطب من المظاهر الملائكية بل اجتهدي ان تعرفي حقيقة ما هو عليه فالرجل قد يكون من ذهب قبل ان تقبليه خطيباً فيصير فضة بعد ان تقبليه ثم تجدينه من نحاس متى صار لك زوجاً. هذا شأن اكثر الرجال. الا ان منهم من يكونون من ذهب قبل الزواج ويبقون ذهباً بعده. فعليك ان تبحثي عن احد هولاء القليلين

والازواج على اختلاف اخلاقهم ينقسمون الى فئتين كبيرتين الاخيار والاشرار. واني ابسط الكلام اولاً عن الاشرار لانهم معظم الازواج في زماننا وهم انواع شتى اليك اهمها

الزوج الفاجر
« البطال
« الغيور
« البخيل
« الجائر
« الاحمق
« الضعيف...

وسافرد لكل من هولاء فصلاً خاصاً حتى اذا كنت على بينة من اخلاقهم امنت الوقوع في حبائلهم

الزوج الفاجر

لا اريد بالفاجر الرجل السيء الاخلاق الشتام كما تفهمه العامة بل المنبعث بالمعاصي المتعود الرذيلة. وقد قدمت الكلام عن هذا الزوج لكثرة امثاله ولانك يا بنية لسذاجتك وطهارة قلبك ادنى الى الوقوع في شرك هولاء من سواهم. افتحي عينيك وانتبهي جيداً فان رجال الفجور في الغالب قريبون من القلب كما تقول النساء وفي المراة استعداد خصوصي لان تستحسنهم وتفتتن بهم. ومع ذلك فهم في الغالب ازواج اردياء وآباء اشرار. فيمة المراة عندهم بما فيها من صفات الانثوية فهم يحبون الزوجة ما دامت رائعة الجمال غضة الصبا ولكن عند اول شعرة بيضاء تظهر في لمتها واول تجعد يبدو في وجنتيها ترينهم هجروها ومالوا عنها الى سواها. وهم جميعاً اشبه بذلك الزوج

الفاجر الذي سمعته يوماً يقول متحسراً : « متى بلغت المرأة الاربعين من عمرها لماذا لانقدر ان نستبدلها بامرأتين كل منهما في سن العشرين . السنا نصرف ورقة البنك ذات المائة فرنك بورقتين من ذات الخمسين »

وها اني انبهك كيف تعرفين الخاطب الفاجر اذا حاول ان يستتر بالرياء . ترينه ينظر اليك بعينين متقدتين غير هياب ولا محتشم حتى يكاد يا كلك بنظره كما تقول العامة . ويضطرك نظره في الغالب ان تغضي من نظرك وتحمري حياءً . ولا يكتفي بان يحدق بمحياك بل ترينه يقلب طرفه من راسك الى قدمك حتى تشعري انه يهينك بنظره كما لو كان يخاطبك بكلام خارج عن حد الحشمة واللياقة

وهو لا يكتفي بالنظر بل يتمحل كل برهة حجة ليلمس ثيابك . واحياناً يتراءى له ان خصلة من شعرك حائدة عن محلها فيسعى لان يرجعها اليه وان سمحت له يدك امسكها طويلاً بين يديه يداعبها ثم يشدها بقوة حتى يتبوغ الدم بوجناتك حياءً من صنيعه هذا

ويعرف الفاجر من احاديثه كما يعرف من حركاته . فهو يقص عليك قصصاً ادبية في الظاهر الا انه يقطع كلامه في اثناء الحديث فيغمز بعينه تارة ويبتسم اخرى كانه يريد ان يجعلك تفهمين انه لا يقول كلما عنده ويود لو تدركين ما تحت تلك الحركات والخلاعة من المضمرات السيئة

وعندي ان تلك الغمزات والبسمات لهي في عرف الادب سفاهة تلحق عاراً بالسيدة التي تراها ولا تعاقب الفاعل عليها بالاعراض عنه والازدراء به

وان اتفق ان اعارك يوماً رواية لتطالعيها وجدت بين الصفحات المشتملة على وصف بعض الوقائع الغرامية علامة تدلك على ايثاره تلك الصفحات وربما قرأها لك بنفسه وذيلها وشرحها بغمزاته وحركاته

وربما كان يتردد على منزلك وفي نيته ان يكون لك خطيباً فيرى في النافذة جارتك وهو داخل فيأخذ « يا كلها بعينيه » او يرى خادمتك في الدهليز الموصل الى غرفتك فيمسك بها ويجهل يغازلها

فيا ابنتي المحبوبة . ان الشاب الذي يحب فتاة حباً حقيقياً يتهيب ويخشع عندما يدنو من منزلها زائراً كما يتهيب المؤمن عندما يدنو من الهيكل للعبادة . ينقي نفسه من كل الدنايا عند دخوله [illegible]س الحب الطاهر . اما ان رايته يغازل خادمة او جارة قرب منزلك او في اماكن اخرى وهو آت ليقضي زيارة الحب . فاعلمي وقيت السوء انه لا يعرف غير الفجور ولا يفقه معنى للحب الحقيقي وانما دعاه اليك اما رغبة في مالك ان كنت غنية او رذيلة ان كنت جميلة

فمتى ثبت لك ان خطيبك من هذه الفئة اطرد به غير آسفة عليه ولو كان غنياً . . . وجميلاً . . . فلا اسف على المال والجمال وجميع الخيرات ان كان من وراء ذلك مصائب وجحيم في الزواج لا ينقضي حتى الممات

تربية الامهات

وتربية الخادمات

من كتاب العلم والتربية لحضرة مؤلفه الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء

الغريب من امر بعض الوالدين انك تراهم اذا كانوا ممن انعم الله عليهم بالثروة والغنى لا يلهون طرفة عين عن الاهتمام بخيولهم والنظر في امر علفها وانتقاء الجيد منه وتفقد اسطبلاتها والحض على تنظيفها والعناية بها في حين انهم لا ينظرون نظرة واحدة الى حجرة اولادهم ولا يعنون مرة واحدة بتفقد طعامهم

وانكى من ذلك ان بعض الامهات يسلمن الولد الى المرضع تفعل به ما تشاء وتربيه كما تشاء وليس للمرضعات حنو الوالدات

وقد شهدنا فيما جمعناه من الملاحظات في ما يختص بالتربية في الشرق ان عادة بل آفة عدم الاهتمام بامر الاولاد تزيد في كل يوم تفشياً حتى انه اصبح من شروط « التمدن » ان تسلم الام ولدها الى المرضع ثم لا تسأل عنه الى يوم النطام فاذا جاء ذلك اليوم اخذته من بين ذارعي مرضعه لترمي به الى يد مربيته فتكتنفه هذه وهو في تلك السن التي يحتاج فيها الى اعظم عناية والدية بما تسمح لها به الظروف من العناية وبما تجده في فؤادها الغريب عن هذا الولد من بقايا عواطف الحب والحنان

واذا اقدمت على ملامة احد هؤلاء الرجال وسألته عن سبب اعتنائه بماشيته وكلبه وجواده مع اهماله امر اولاده اجابك ان الاهتمام بالاولاد من شؤون الام والخادمة . ولعل هذه الام التي يلقي عليها الرجل كل اعتماده في تربية بنيه وبناته لا تعرف من امور الدنيا سوى التطريز او الرسم او الضرب على البيانو او قراءة القصص — كما هو الشأن الآن جرياً على تقاليد التمدن

واذا سألت الام كيف يجوز لها ان تهمل العناية باولادها اجابتك دون حياء انها لم توجد لتكون مرضعة اطفالها ومربية صغارها بل ان عليها واجبات اخرى لا تحسن القيام بها اذا عنيت بأمر اولادها . والاّ فمن يستقبل زوّارها ومن يرد زياراتها ومن يقابل الخياطة عنها ويقرأ لها جرائدها و يعنى بامور تبرجها وزينتها — اللهم رحمة من لدنك يا ارحم الراحمين —

ومن وجه آخر فان الخادمة حاضرة والولد مكفول بعنايتها

نعم ولكن هذه الخادمة لا تعرف في الغالب من امر تربية الاولاد سوى اطعامهم اذا طلبوا الاكل ولو في كل ساعة مرة دون اقل ترتيب وزجرهم بغلظة وعنف اذا عرض لها ان تربيهم او تركهم على اهواء انفسهم اذا مرَّ بخاطرها طارق يلهيها عن اولاد غيرها . بل لعل هذه الخادمة لا تعرف من امر التربية سوى مزاعم واوهام تلقنتها من اهل طبقتها — وهي طبقة الجهل والغباوة كما لا يخفى

وكم راينا الخادمات والمربيات يسقن الاولاد الى المتنزهات ثم يلهين عنهم لهوًا تاماً فلا يأتي الاولاد الاّ كل امر مضر بصحتهم موذٍ لابدانهم . حتى اننا رأينا رأي العين مرّة ولداً يتناول التراب بيده فيحشو به فمه والخادمة المعهودة اليها حراسته لاهية عنه بحديث مع خادمة اخرى — ولعل كل واحدة منها كانت تنم بسيدتها وليس ذلك بغريب

ورأينا مرّة خادماً بربرياً يجرُّ ابن سيده بفظاظة وقسوة لم يعهد لها مثيل والولد يبكي وينتحب وهو لا يزيده الا قسوةً وغلظة

وكان بعضهم سائراً في الباب الشرقي فرأى ولداً لا يكاد يبلغ الثالثة من عمره يسير بعيداً عن الرصيف والمركبات في ذهاب واياب والولد معرض في كل ساعة لان تدوسه الخيل بارجلها والخادمة المرسلة لحراسته لا تفكر في ان تعرف اين هو. حتى اضطرَّ الرجل لان ياخذ الولد بيده و يفتش على الخادمة الموكول امرهُ اليها

وقد سألنا مرّةً ابن احد الاغنياء وعمرهُ اربع سنوات عن ابيه فقال لا اعرف اسمهُ فسألناهُ عن امه فقال ماري. وماري هذه انما هي مربيته التي لا يرى غير وجهها صباح مساء حتى اصبحت في عرفه اماً له وصارت والدتهُ اجنبية عنهُ

وقيل مرّةً لفتاة صغيرة على سبيل المزاح كم تحبين امك فقالت ايهما فان لي امين جوزفين والام الكبيرة وهذه لا احبها . وجوزفين مربيتها والام الكبيرة امها وهي لاتحبها فتأمل

وكيف يرجو الوالدون ان يجدوا في قلوبهم حنانًا على الذين لا يربونهم بانفسهم وكيف يأملون ان يجدوا في قلوب اولادهم حباً لهم وهم على الحقيقة غرباء عنهم

بل كيف تقوى العواطف العيلية وتتمكن روابط النسب بين ام و بنتها واب وولده اذا كبر الولد بين يدا الخادم الاجنبي وشبت الفتاة بين ذراعي المربية الغريبة دون ان تشعر بنظر الام يحوم في كل ساعة حولها

لا بل كيف يحبنا ابناؤنا وبناتنا اذا استيقظوا في الصباح فلم يروا غير وجه الغرباء يبسم لهم ثم ناموا في المساء ولم يغمضوا اجفانهم الا بقبلة الغرباء على جبينهم. وقد جاء في الامثال ان ثوب العارية لا يدفئ . وذلك هو السبب في مانراه في هذه الايام من فتور الحب الوالدي وتراخي الاخلاص البنوي وزعزعة الاركان العيلية ولم يكن الشان فيما مضى كذلك بل كان اجدادنا اذا رزقهم الله اولاداً عرفوا قيمة هذه النعمة وعملوا على شكران الله عليها بالعناية بها فكنت ترى الاب يسهر بنفسه على ابنه والام لاتغفل طرفة عين عن ابنتها

اما الآن فقد تبدلت الامور وانقلبت الاحوال واصبح ما كان عليه اجدادنا من الفضيلة العيلية امرًا مستهانًا في حين انهُ هو الكمال بعينه

فيا ايها الاب ان ابنك تحتاج في كل أطوار حياته الى عنايتك وهو في صغره تحتاج الى ابتسامة منك احتياج الارض الظمآنة الى وابل المطر

ويا ايتها الام ان ابنتك لا يجب ان تخرج من تحت جناح عنايتك الا متى اخرجتها الايام من ولايتك لتدخل في ولاية زوجها . وهي في طفوليتها وصغرها احوج الى قبلة منك من النبت الصغير الى حرارة الشمس

فان المحبة الوالدية نور يشرق على قلوب الاولاد وهي حرارة الحياة تنبث في ابدانهم وتدفئ قلوبهم وتلقي في صدورهم بذار الحب البنوي العظيم

ومن اهمل النظر بنفسه في تربية اولاده فلا يلومنَّ الا نفسه يوم يكبر اولادهُ ويجد قلوبهم خاوية من الحب الحقيقي والولاء البنوي الصادق لهُ ولوالدتهم وسائر اخوتهم والسلام

سالنا كثيرون من حضرات المشتركين كيف يوصلون الينا بدلات الاشتراك فنشكر لحضراتهم جميل عنايتهم ونرجو ان يقدموها حوالة على البوسطة المصرية او البوسطة الفرنسوية فنقدم لحضراتهم وصولات الاشتراك على عجل

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

اديب اسحاق

شاعر · ومنشيء · وخطيب

لحضرة الكاتب الاديب انيس افندي يواكيم الراسي

من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٩ اختطف داء الصدر من عالم الادب اربعة شبان عقدت عليهم الامال ورجا الوطن العزيز منهم نفعاً وهم المأسوف عليهم اديب بك اسحق والشيخ خليل اليازجي والياس صالح والشيخ نجيب الحداد · رجال ذكرهم يغني عن الوصف وساتكلم في مقالتي هذه عن الراحل الاول منهم عن ارض التعاسة والشقاء المرحوم اديب بك اسحق

وليس لدينا كثير مما يعتمد عليه من اوصاف الاديب فهذه كلها يجب على القاريء استخراجها بنفسه من درس كتاباته اذ ان الكتابة نوعان نوع ترى فيه صورة الكاتب بين الاسطر وآخر لا يدل على شيء من احواله · وكتابات الاديب من النوع الاول فان كلماته الوان تلون حياته لنا وتظهره كما هو · ولا باس من الاتيان على لمعة من تاريخ حياة الفقيد نعتمد فيها على ماورد في الدرر لجامعها الاديب ولسنا نورد منها غير الجزء اليسير الذي لا غنى عنه حين الاتيان الى النظر في كتاباته

ولد اديب بك اسحق في دمشق الشام عام ١٨٥٦ وقضى ما سوفا عليه في صباح الخميس الواقع في ١٢ حزيران ١٨٨٥ غير متجاوز تسعة وعشرين ربيعاً · وكان منذ الطفولية ذكي الفؤاد وتلقى مبدىء الفرنسوية والعربية في مدرسة الاباء العازريين حيث كان في مقدمة اقرانه وكان شديد الميل الى الشعر فابتدأ ينظم على ما يقال في العاشرة من سنيه وذلك من دلائل القوة العقلية الخارقة التي لا تظهر الا في القليلين من النوابغ · ولما بلغ الحادية عشرة حتى دخل في خدمة الجمرك براتب قليل لكن هذا لم يكن لينسيه ما اوتيه من الفطرة الشعرية فكان ينظم قصائد وموشحات في ساعات الفراغ · ولما بلغ الخامسة عشرة انتقل الى بيروت بقصد اعانة ابيه في خدمة البريد العثماني وهنا عرف كثيرين من ادبائها ثم نال في السابعة عشرة وظيفة في جمرك بيروت لم يلبث بها الامدة قصيرة اذ ان ميله الى الانشاء نزع به الى الانصباب على هذا المطلب فتولى تحرير جريدة التقدم التي زينها بكثير من مقالاته الشائقة · وكان يشغل اوقات العطلة بالنظم والمطالعة فالف (نزهة الاحداق في مصارع العشاق) · وفي اثناء هذه المدة انضم الى جمعية زهرة الآداب فاشتهر فيها بقوة الخطابة وثبوت الحجة وقبل ان بلغ العشرين كتب في اثار الادهار فصولاً تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع · وترجم رواية اندروماك عن راسين الافرنسي فمثلت ثلاثاً بقصد اعانة البنات اليتامى فنالت اقبال القوم · ولما جاء الى الاسكندرية مساعداً للمرحوم سليم النقاس في التمثيل العربي نقحها ونمقها بشعره الرائق وفي الاسكندرية ايضاً عرب رواية شارلمان فاستحسنها الجمهور كثيراً

بعد ذلك توجه الى القاهرة وفيها لزم العلامة جمال الدين الافغاني فاخذ عنه كثيراً من الاراء الفلسفية والمذاهب العقلية وانشأ جريدة مصر في سنة ١٨٧٧ حين لم يكن يملك سوى عشرين فرنكاً ثم نقلها الى الاسكندرية مشتركاً في تحريرها مع المرحوم سليم النقاش فنجحت نجاحاً يذكر ثم اصدرا صحيفة «التجارة» يومية فلقيت ما لقيت اختها غير انهما الغيتا سوية لاسباب فنزع اديب الى باريس حيث انشأ صحيفة «القاهرة» وفيها ارخى للطبع العنان فملأ اعمدتها بمقالات بليغة تشوبها مراراً كدورة الحدة · وفي باريس سمع مشاهير الخطباء فسولت له النفس ان يحذو حذوهم فبلغ من حسن الالقاء مبلغاً يذكر · على ان برد باريس وعدم اهتمامه بصحته مهدا السبيل لعلة الصدر التي لم تخرج منه الا بخروج الروح فعاد الى بيروت وتولى تحرير التقدم للمرة الثانية · وفي سنة ١٨٨١ عاد الى مصر فعين وكيلاً لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف واعاد جريدة مصر الى الوجود ثم عاد الى سوريا يوم اضطرمت نار الفتنة العسكرية ولما رجع الى الاسكندرية بعد ان احتلها الانكليز أُقصي الى الشام حيث تولى تحرير التقدم ثالثة وهنا اشتدت عليه وطاة العلة فنصحه المواسون بالرجوع الى مصر فعاد اليها بعد شق النفس وقضى فيها بضعة ايام لم يحصل فيها على نفع فعاد الى بيروت وقضى لثلاثين يوماً من وصوله اليها

وكان الاديب سريع الانتقال قوي التصور دامغ الحجة وكل ذلك ظاهر في كتاباته · ومما يعاب من اطباعه الحدة الى

حد يخرجه عن نفسه وقد سببت له الحدة متاعب جمة لكنها حفظت لنا من قوة الكلام ابدع مثال . ولم يكن يتوقى العوامل التي تذهب من قوته وتحط صحته بل كان مفرطاً في العمل مكثراً من الانغماس في اللذات كغيره من رجال الشهرة مثل بيرون وشلي ومارلو من شعراء الانكليز فتقوضت اركان بنيته دون ان يبلغ قمة مجده ومنتهى آماله . وكان كما سبق القول شاعراً مطبوعاً على انه كان بدوياً بحتاً فنسج على منوال المتقدمين ولو فطن الى الذوق العصري لاجاد فيه كل الاجادة وقد نظم من كل انواع الشعر وطرق طرائقه العديدة فترك منظومات على غاية ما يكون من الرقة والانسجام غير اننا لا نقدر على وضعها في الطبقة الاولى من القريض مع ما فيها من التفنن والنكات البديعية ومن قصائده قصيدة نظمها عند عودته من باريس الى بيروت مطلعها

عدنا وكانت اليك عودتنا يا وطناً لم يغب عن الفكر

ومنها

فاحتملتنا اليك جارية كانها بالذي بنا تدري
يكاد ماء العباب يغرقها وقلبها مثلنا على جمر

وفي هذا اشارة الى علته . ومن نظمه ايضاً قوله

بقلبي من اذى دهري لهيب لدمعي فوقه ابي انسكاب
فلا تطفي الدموع لهيب حزني وغير القبر لا يطفي التهابي
كزيت معدني ليس يطفى بماء وهو يطفأ بالتراب

ولواردت سرد المشهور من منظوماته لطال بي المدى لكنني اكتفي بالاشارة الى ان اكثرها جيد وفي بعضها تكلف لا يظهر الا للناقد الخبير

اما قوته في الوصف فحدث عنها ولا حرج فقد كان يصور المناظر الطبيعية والعواطف القلبية للعين كما هي ويلبسها من فصاحته وبلاغته ثوباً ياخذ بمجامع القلوب مثال ذلك وصفه جرجى الحرب وعيشة الخلاء حيث يقول

« .... ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزئ بعاديات الزمان لزم رؤوسها الشيب فازدادت به جمالاً . فنادى لسان حالها رب زدني كمالاً . فكأن في هامها الشتاء وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها الصيف والبحر من وراء ذلك يحدجها بعينه الزرقاء . فترده صخورها الصماء فيعود راغياً وجداً مزبداً حقداً . يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً كما انهزم الجيش فارتدت طلائعه الساقة فراراً »

فاذا جلست يوماً الى جانب البحر وقرأت هذه النبذة رايت ان الكاتب قد وصف منظراً من اجمل مناظر الكون بكلمات قليلة على منتهى الدقة والاحكام

ومثل قوته في الوصف مقدرته على الحث وانهاض الهمة والهجاء والرثاء وكذلك مقدرته على تقسيم موضوعه الى فروعه ليظهر للنواظر باجلى بيان فانها تشف عن قوة في العقل والادراك وحدة في النظر الى اعماق الامور . ومالك الان تراجع مقالاته في الحقوق والواجبات والكتابة والانشاء والتعليم الالزامي لترى صحة هذا القول . وان من يقرأ فصوله في الكتابة ويمعن النظر فيها وفيما اقتطفه هنالك من مقدمة ابن خلدون لابد من ان يرى شدة المشابهة بينهما في متانة التركيب ومراعاة قوانين البلاغة ولا غرو فاننا نسمع ان الاديب كان شديد التعلق بالمقدمة وانه قرأها مراراً حتى صار في امكانه ان يستحضر عباراتها لدى الحاجة بحروفها من صفحات الذاكرة

وقد كان خطيباً مفوهاً جريئاً فصيحاً تثير حركاته واشاراته في القلوب ما اراد من العواطف . فكان يسكر القوم تارة بخمرة الغزل ويغذيهم طوراً بغذاء الحكمة ويهيجهم مرة بصواعق كلماته

وقد كان الاديب يشفق على المرأة ويرق لحالها وما تلاقيه من نكران الحقوق والجور في الشرق ويحض الشرقيين على رفع مقامها واعلاء شأنها وتهذيبها على اقوم المبادئ ، والاخذ بناصرها وترقية آدابها واذا كان قد ساعد في ما ارتأى فعله ام لم يساعد فغايته نبيلة وقصده جليل . وكان يعتقد بان الرجل هو مصلح المرأة وله فصول في ذلك بعضها موجود في مقدمة روايته الباريسية الحسناء التي عربها عن الافرنسية ومن جملتها ابيات اوردها كشاهد على آرائه

حسب المرأة قوم افة من يدانيها من الناس هلك
وراها غيرهم امينة ملك النعمة فيها من ملك
انما المرأة مرآة بها كلما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

وعلى الجملة فقد كان الاديب نابغة من نوابغ عصرنا اختطفه الدهر من يد العالم العربي

والدهر نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

امير ملكي تاجر خمر -- اشتغلت جرائد فرنسا وهولانده بمنشور اذاعه البرنس اوغوسطوس جان دي بوربون من احفاد لويس السابع عشر يقول فيه ان نفسه صارت تابى العيش من الاموال التي يجمعها له انصاره من الحزب الملكي فعزم على ان ياكل خبزه بعرق جبينه غير عابئ بكلام الناس عنه لذلك انشأ محلاً تجارياً في هولانده للاتجار بالخمر . فليذكر ذلك شبان الشرق البطالون

باب الاخبار العلمية

اختراعان عظيمان — اضطربت اندية العلم والسياسة لاختراعين شاع خبرهما في الشهر الماضي ورأينا تفصيلهما في مجلة المجلات الفرنسوية . الاختراع الاول اخترعه شاب اسوجي في الثامنة والعشرين من العمر يدعى آكسيد اور ينغ وموضوعه المدافعة بالكهربائية عن الثغور البحرية . فانه صنع آلة تولد الكهربائية وترسلها في الهوآء على امواج النور بلا موصل غيره وصنع قطعاً من التوربيد شديدة الانفجار ولكنها لا تنفجر الا متى وقعت عليها امواج النور الكهربائي المرسلة من هذه الآلة . فاذا اراد ان يدافع عن ثغر كالاسكندرية مثلاً ضد اسطول عظيم مؤلف من خمسين دارعة حربية يهاجمها جعل آلته في حصن مرتفع ووضع قطع التوربيد في البحر وانتظر حتى تدنو سفن الاعداء فيوجه الكهربائية الى قطع التوربيد يحركها بها نحو الاسطول حتى تصير بين دوارعه فيضغط على زرّ الآلة فتنفجر قطع التوربيد وتغرق السفن وسواء لديه كانت قطع الطوربيد عائمة فوق سطح الماء او تحته واذا كان الوقت ظلاماً يضع في فم التوربيد نوراً كهربائياً تعجز بأعين سفن الاعداء يراهولا تراه . وقد جرب المخترع اختراعه في حضرة ملك اسوج فسر الملك جداً بنجاحه . وهو ينوي ايضاً ان يصنع منطاداً يضع فيه الآلة الكهربائية ويطير بالمنطاد فوق سطح البحر عليه قطع التوربيد فيستطيع بذلك منع سفن الاعداء من الدنو من الشواطئ على بعد مئات من الاميال . وهو اختراع عظيم شديد النفع للدول الضعيفة في البحر ولا ريب ان هذا الاختراع يسر فرنسا بقدر ما يسوء انكلترا

والاختراع الثاني استعمال التلفون بلا سلك كما استعمل ماركوني التلغراف بلا سلك . ومبدأ هذا الاختراع حمل الكهربائية الصوت وسيرها على امواج النور بدل السلك . اخترعه المستر هايس من نيويوك وسمى آلته « راديفون » . قال الدكتور كاز عند الكلام على هذا الاختراع . « انه يقربنا من الوقت الذي لا يكون فيه تبادل الاشارات بيننا وبين سكان الكواكب امراً مستحيلاً »

الطباعة الجديدة بالكهربائية — اجرى الدكتور كول الاميركي في ادارة جريدة نيويوك هرالد تجربة اختراع اخترعه وهو انه اخذ ورقة مكتوبة عليها « نيويورك هرالد » وجعلها فوق خمسين ورقة اخرى ثم وجه اليها اشعة رونتجن حتى نفذتها كلها فوضعها في سائل معدني ثم عرضها على الحاضرين فوجدوا ان هاتين الكلمتين « نيويورك هرالد » قد طبعت على كل ورقة من الخمسين ورقة . وهو مبدأ قد يدخل الطباعة في دور جديد

سكر جديد — ركب الكيماويون في فرنسا سكراً صناعياً اشد حلاوة من سكر البنجر والقصب بخمسمائة مرة فاضطرب لذلك زراع هذين الصنفين وتجارهما وسعوا فاستصدروا امراً بمنع استعمال السكر الصناعي بحجة انه مضر بالصحة ويحتجون ايضاً انه غير مغذ كالسكر الطبيعي فيرد عليهم انصار السكر الصناعي ان المقصود بالسكر الحلاوة لا التغذية والارجح ان السكر الصناعي سيفوز في النهاية وتكسد سوق السكر الطبيعي

الميكروب ورائحة التبغ والتراب — اذا وقع المطر في اوائل الخريف او اذا رششت التراب الجاف بالماء شممت للتراب رائحة خصوصية وقد وجد الدكتور نوتال بعد البحث المدقق ان سبب هذه الرائحة ميكروبات تحيا على سطح التراب تتكاثر في الرطوبة ويقف نموها في الجفاف ومتى جاءها الماء افرزت مادة تنبعث منها الرائحة المذكورة . وسمي هذا الميكروب (كلا دوتريكس اودور يفر)

ويقول المستر نوتال ان الرائحة الطبيعية التي تنبعث من نوع من التبغ دون سواه سببها المكروبات ايضاً . فان ورق التبغ الجيد لا يكون له تلك الرائحة الا بعد جمعه ورشه بالماء والسبب في ذلك ان الميكروبات تختمر فيه . وهو يرى انه يستطيع اخذ ورق الملفوف او ورق اي نبت كان وجعله بالصناعة والاختمار تبغاً طيب الرائحة كتبغ هافانا

دواء دوار البحر — يرى احد علماء الالمان ان خير دواء لدوار البحر ان ياخذ المسافر معه نظارات او زجاجات بلون احمر ولا يرى الا بها . وهو يقول ان سبب دوار البحر بطوء حركة الدم ولما كان من خواص اللون الاحمر انه يزيد دم الناظر اليه حركة فلا ريب ان الناظر من خلال الزجاجات او النظارات الحمراء يرى كل شيء احمر فتسرع حركة دمه ويتوارد الدم الى دماغه توارداً طبيعياً . اما علماء فرنسا فقد سخروا من هذا الرأي

التصوير بالتلغراف — ارسلت جريدة نيو يورك هرالد في نيو يورك الى جريده اميركية في باريز رسم سفينة حربية اميركية يراد انزالها الى البحر وذلك بالتلغراف حتى يصدر الرسم في الجريدتين في يوم واحد فلم يلزم لتمام الرسم الذي ارسل بالتلغراف الى باريز الا الاستفهام عن بعض الخطوط بالكلام

معرض الجمال في باريز — اقترح احد مهندسي معرض باريز انشاء معرض للجمال يعرض في سنة ١٩٠٠ · ذلك بان يقام هيكل متسع تنشأ فيه الحدائق الغناء والكهوف والمغائر وتجعل فيه افواج من حسان الباريزيات مرتديات ملابس يونانية قديمة احداهن تمثل فنيس الهة الجمال واخرى ديانا الهة الاحراش حولها حاشية من العذارى يمرحن معها في تلك المغائر والكهوف

استئذان الحكومة في الزواج — قررت حكومة داكوتا في اميركا الشمالية انه لا يجوز لاحد الزواج من غير ان يكون في يده شهادة من الطبيب ناطقة بسلامة جسمه وعقله من علة او مرض وراثي حفظاً للنسل ومنعاً لانتشار الامراض فتقدمت بذلك هذه الجمهورية الصغيرة جميع دول الارض العظيمة

ما تقوله الساعات — في بورانتوري ليبين ساعة عمومية نقشت عليها هذه العبارة «الساعة تمر سريعة في نظر المجتهدين بطيئة في نظر الكسالى» وفي نيس ساعة في شارع فرنسا عليها هذه الكتابة «قالت الشمس للوقت انا اذهب واعود كل يوم اما انت فتذهب ولا تعود» وفي باتي رولاند ساعة ثالثة عليها هذه الكلمات «احذر فربما كانت هذه الساعة ساعتك» والمراد ساعة موتك

باب الاسئلة والاجوبة

عجائب الدنيا السبع

(الاسكندريه) ابراهيم افندي بزويو

نسمع ان في الدنيا سبع عجائب ولكن لا نعرف سوى واحدة فقط وهي اهرام الجيزة فما هي العجائب الست الباقية واين مكانها

(الجامعة) عجائب الدنيا السبع هي اهرام مصر ومنارة الاسكندرية القديمة والحدائق المعلقة وصنم رودس وهيكل ديانا الهة الاحراش وتمثال جوبيتير الاولمبي صنع فيدياس الشهير وقبر الملك موزول وقد افناها الزمان كلها الا الاهرام وتجدون تاريخ هذه الابنية العظيمة في مقالة ننشرها في الجزء القادم او الذي يليه

الثبات والاجتهاد

(كفر الزيات) ع · س

اي اشد فعلاً في نجاح الانسان : الثبات ام الاجتهاد

(الجامعة) الثبات لا يكون الا في عمل · والعمل يقتضي الاجتهاد · فالثبات اذاً يتناول الاجتهاد · واذا كان الثبات يتناول الاجتهاد كان الاجتهاد جزءاً والثبات كلاً والكل منفضل على الجزء فالثبات مفضل على الاجتهاد

على انه يستحيل التفريق بين هاتين الفضيلتين وتفضيل الواحدة على الاخرى تفضيلاً حقيقياً لشدة حاجة الاعمال الى كل منهما ولكن اذا خيرنا ايهما افضل منهما في الشرق لم نتردد دقيقة واحدة في تفضيل الثبات لان كثيراً ما يجتهد الشرقيون ولكن قليل منهم يثبتون · وربما كان عدم ثباتهم في اعمالهم وانحلال عزائمهم عند اول عقبة تقوم في وجههم — السبب الاكبر في عدم نجاحهم



سرقة مزرعة

تاريخ الاسبوعين

خارجية

روسيا — وضعت جلالة القيصرة بنتاً سميت الغراندوقة ماري وسيكون البرنس جورج عراباً لها

خصصت روسيا ثلاثة عشر مليون روبل لاصلاح ميناء فلاديفوستك اصلاحاً عسكرياً

توفي في ١٠ الجاري الغراندوق جورج الكسندروفيتش شقيق القيصر وولي عهد روسيا

فرنسا — أنزل دريفوس في صباح اول الجاري في شبه جزيرة كوبيرون ومنها اخذ الى رين وقد قابل زوجته ومحاميه مقابلات مؤثرة

زار الامبراطور غليوم في ٦ الجاري السفينة الحربية ايفيجيني التي كانت في سواحل نروج وارسل الى المسيو لوبه رسالة ابلغه فيها زيارته فرد له الرئيس الجواب بالشكر واولت الجرائد الفرنسوية هذه الزيارة والرسالة تأويل شتى

عفا رئيس الجمهورية اكراماً لعيد ١٤ يوليو عن الجنرال جيليتا الايطالي الذي حكم عليه بالسجن خمس سنوات لثبوت تهمة الجاسوسية عليه

انكلترا — رفض الدوق دي كونوت ان يسكن كوبورغ فتنازل عن دوقية ساكس كوبورغ لابن اخيه

سربيا — اطلق رجل اربعة عيارات نارية على الملك ميلان فمسته حدى الرصاصات وجرحت اخرى احدرجاله. والفاعل شاب يدعى كنيز فتش اقر بان له شركاء من كبار الحزب الراديكالي

هولانده — رفضت لجنة مؤتمر السلام تبحث في عدم زيادة المعدات الحربية

بلجيكا — ثار الشعب في بروكسل لان الحكومة وضعت قانوناً لاصلاح طريقة الانتخاب يسخط الاشتراكيين فجرح مائة شخص فعدلت الحكومة عنه

الترنسفال — توسطت حكومتا جمهورية اورانج الحرة ومستعمرة الرأس بين انكلترا والترنسفال لاقناع الرئيس كروجر بمنح الاصلاحات المطلوبة. فعين مجلس النواب في الترنسفال لجنة لوضع قانون بهذه الاصلاحات. اما انكلترا فتستعد للحرب

اسبانيا — ثار الشعب في ٢ الجاري في بلنسية وبرشلونه بسبب الميزانية فحدثت معارك شديدة بينه وبين الجنود

داخلية

محمل الحج — عاد محمل الحج الشريف من الاقطار الحجازية بعد اداء فريضة الحج اعاد الله هذا الموسم الشريف على السادة المسلمين بالخير والبركة

سفر الجناب العالي — ركب سمو الجناب الخديوي المعظم والاسرة الكريمة اليخت المحروسة في ١٢ الجاري مسافراً الى اوروبا بالعز والاقبال لقضاء فصل الصيف فيها فنسأل الله لسمو الامير والاسرة الكريمة سفراً سعيداً وعوداً حميداً .

مشيخة الازهر — عين صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ سليم مطر البشري شيخاً للجامع الازهر الشريف خلفاً للمرحوم الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي .

الطاعون — كثر ارتياب الناس في خلال هذين الاسبوعين في كون الوباء الفاشي في الاسكندرية طاعوناً او غير طاعون. فقد اثبت بعض مراسلي الجرائد في الارياف ان اعراضاً كاعراضه تظهر احياناً في سكان الريف فيشفونها بشق الدمامل وتكميدها بالليخ ويسمون هذا المرض حمو النيل او بثور النيل. وقد ايد هذا القول طبيب سكن الارياف وقال انه يرجح ان سبب اشتداد هذه البثور في الاسكندرية في هذه السنة حمل مياه النيل خلاصة ستين الف جثة انسان وحيوان ذبحت في واقعة ام درمان مما افسد الماء فقوى البثور هذه السنة . وقد صادفت هذه الاقوال مكاناً خالياً من قلوب السكان خاصتهم وعامتهم لان القتيل يتعلق بحبال الهواء كما يقول المثل العامي فقاموا يطلبون ان تستقدم الحكومة الدكتور يرسين الخبير بميكروب الطاعون او لجنة من اكابر اطباء اوروبا لفحص هذا الوباء فحصاً ثانياً . وقد طلبت اكثر الجرائد هذا الطلب لكن الحكومة لا تجيبها ولا تجيبهم احتراماً لرأي رجال الصحة الذين قالوا ان الوباء طاعون. فنشأ عن هذا الارتياب ان سكان الاسكندرية خاصتهم وعامتهم اصبحوا اشد رغبة في اخفاء مرضاهم منهم في اظهارهم وتسليمهم لرجال الصحة وصاروا يقاومون عمال هذه المصلحة فاذا اشتبهوا بمصاب وظهر ان علته غير طاعون تجمهر من الشعب مئات والوف واوسعوا عمال الصحة اهانة وتصفيراً وصراخاً فيفرون من وجههم وربما اوسعوهم

ضربًا كما حدث في ٨ الجاري في حادثة ايطالية اشتبه بها . ولاريب ان هذه الحالة ستبعث على استفحال الوباء ان لم تتداركه الحكومة بحكمتها . والشائع ان جماعة من كبار تجار الثغر اجتمعوا واكتتبوا بمال لاستحضار طبيب كبير خبير باحوال هذا الوباء

وقد بلغت الاصابات حتى ١٣ الجاري ٦٨ اصابة توفي منها ٢٧ وشفي ٢٦ والباقون وهم ١٥ في المستشفى تحت المعالجة واخر اصابة وجدت في ١٠ الجاري

هدايا وتقاريظ

كتاب العلم والتربية — اهدى الينا حضرة الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء نسخة من كتابه « العلم والتربية » الذي نشره حديثًا فتصفحناه فالفيناه سفرًا جليلاً جديرًا بان تزين به مكاتب الادباء وان لايخلو منزل منه فانه يبحث في كل شؤونه من تعليم الاولاد وتربيتهم تربية ادبية وعقلية وصحية والحض على حب الوطن وانشاء مكارم الاخلاق . ويجد القراء مثالاً لهذا الكتاب في باب التربية والتعليم من هذا الجزء فنحض جمهور الادباء على اقتنائه والانتفاع به وهو يطلب من حضرة مؤلفه في ادارة جريدة الاهرام بثمن ٢٥ غرشًا مصريًا

الخيانة والوفاء — رواية ادبية غرامية عربها حضرة الكاتب المجيد خليل افندي الجاويش احد محرري جريدة الاهرام وجعلها هدية الى حضرة المحامي الشهير نقولا افندي توما . عدد صفحاتها ٣٣٦ صفحة بحجم كبير وهي تطلب من ادارة الاهرام بثمن عشرة غروش صاغ وحوادث هذه الرواية غريبة واسلوبها رقيق ولغتها متينة كجميع ما يكتبه حضرة كاتبها المجيد فنثني على اجتهاده وبراعته

الحياة — هي مجلة علمية شهرية لحضرة مديرها ومحررها الفاضل محمد افندي فريد وجدي بدل اشتراكها في السنة ١٥ غرشًا في داخل القطر وعشرون غرشًا في الخارج . اتانا الجزء الاول منها طافحًا بالمقالات الدينية والمباحث العلمية فنحث القراء على مطالعتها ونرجو لها الثبات والنجاح

الاعتدال — جريدة مختصة بتلامذة المدارس وتلميذاتها تصدرها جمعية الاعتدال في الثغر مرة في كل شهر وبدل اشتراكها ٦ غروش صاغ فنتمنى لها الثبات ونثني على اصحابها الادباء الذين يقضون اوقات فراغهم في خدمة الادب بينما يكون كثير من الشبان اخوانهم يقضونها في ما يقضي على عقولهم وابدانهم

البطريركية الانطاكية الارثوذكسية — اتانا كراس باللغة اليونانية نشره ثلاثة من حضرات اساقفة البطريركية الانطاكية الارثوذكسية ليبرهنوا فيه لاخوانهم من الاساقفة اليونانيين صحة انتخاب غبطة الحبر الجليل السيد ملاتيوس الدوماني بطريركًا للكرسي الانطاكي ويدعوهم الى نبذ الشقاق وترك التعصب في امر انقضى ومضى . ومأمولنا ان ينقضي هذا الخلاف قريبًا ويتفق السادة الاساقفة على ما فيه مصلحة طائفتهم لا سيما وانه لم يبق للاعتراض فائدة بعد الآن

فجعت الامبراطورية الروسية بولي عهدها المأسوف عليه المرحوم الغراندوق جورج الكسندروفيتش شقيق جلالة القيصر . توفاه الله في ١٠ الجاري بداء الصدر في جبال القوقاز حيث كان مستشفيًا من علته فانتقلت بوفاته ولاية العهد الى شقيقه الاصغر الغراندوق ميشل الكسندروفيتش حتى يرزق جلالة القيصر غلامًا يكون وارث عهده . وقد ولد الفقيد في ٢٧ افريل سنة ١٨٧١ فيكون عمره ٢٨ سنة . وقد اذكرتنا هذه الوفاة — وفاة ولي عهد اعظم امبراطورية في العالم — قول الشاعر مالرب الفرنسوي عن سلطان الموت « الفقير في كوخه خاضع لسلطانه وملوكنا في قصر اللوفر لا يمنعهم منه الحراس الذين يحرسون ابوابهم »

وفجع علماء الاسلام في ٣ الجاري بوفاة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي شيخ الجامع الازهر الشريف . قضى رحمه الله بحمى شديدة لم تمهله يومين فكان لمنعاه دوي في اقطار مصر كلها . وقد احتفل بالصلاة عليه في الجامع الازهر احتفالاً يليق بمقامه وعلمه رحمه الله رحمة واسعة وتغمده برحمته ورضوانه

وفجعت النزالة الانكليزية في ١٠ الجاري بوفاة فاضل من رجالها وهو المستر اندره فيليب صاحب جريدة الاجبشن غازت ومديرها . انتقل الى رحمته تعالى في المستشفى البروسياني في الخامسة والخمسين من عمره فشق نعيه على صحافيي القطر على اختلاف مشاربهم عزى الله آله على فقده وامطره صيب رحمته ورضوانه

غذاء المعد القوية

﴿سلامة الابدان بما يصلحها من كتاب العقد الفريد﴾

سأل عبد الله الملك بن مروان ابا الغرر هل اتخمت قط قال لا قال وكيف ذلك قال لانا اذا طبخنا انضجنا واذا مضغنا دققنا ولا نكظ المعدة ولا نخليها

قيل لبزرجمهر اي وقت فيه الطعام اصلح قال اما لمن قدر فاذا جاع ولمن لم يقدر فاذا وجد

قال ابراهيم النظام : ثلاثة اشياء تفسد العقل طول النظر في المرآة والاستغراق في الضحك ودوام النظر في البحر ...

قال رجل من اهل الشام لرجل من اهل المدينة عجبت منكم ان فقهاءكم اظرف من فقهائنا ومجانينكم اظرف من مجانيننا قال ذلك من الجوع الا ترى ان العود انما صفا صوته لما خلا جوفه

قال ابو عثمان الثوري لابنه : اي بني قد بلغت تسعين عاماً مانقص لي سن ولا انقشر لي عصب ولا عرفت دنين انف ولا سيلان عين . مالذلك علة الا التخفيف من الزاد

قال الاصمعي : جمع هرون من الاطباء اربعة : عراقياً ورومياً وهندياً و يونانياً فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه فقال العراقي الدواء الذي لا داء معه حب الرشاد الابيض وقال الهندي الهليلج الاسود وقال الرومي الماء الحار وقال اليوناني وكان اطبهم ان تقعد على الطعام وانت تشتهيه وتقوم عنه وانت تشتهيه

﴿احتجاج البخلاء واعتذارهم عن بخلهم﴾

قال ابو الاسود الدؤلي : لو اطعمنا المساكين اموالنا لكنا اسوأ حالاً منهم

قال ابو الاسود الدؤلي لبنيه : لا تجاودوا الله فانه لوشاء ان يغني لناس كلهم لفعل ولكنه علم ان قوماً لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم الا الفقر وقوماً لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم الا الغنى

وقال ايضاً : امساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك والبخل خير من سوآل بخيل

قال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ان لا يقوم عليك ومن احتاج اليك أن لا يزول عنك فمن حبك لصديقك وضنك بمودته ان لا تبذل له ما تغنيه عنك

قال ابو الاسود : لا تطيعوا المساكين في اموالكم فانهم لا يقنعون منكم حتى يروكم مثلهم

وقال اخر : من اعطى في الفضول قصر عن الحقوق

غذاء المعد الضعيفة

حضر بين يدي هارون الرشيد بعض اهل المغرب فقال له : يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب . فقال الرجل — «صدقوا يا امير المؤمنين ولكنه طاووس» ومعلوم ان احسن مافي الطاووس ذنبه

اشتهر عالم بالرياضيات فقال له احد الظرفاء على سبيل المزاح : ان الرياضيين لا دين لهم . فاجابه الرياضي : انهم على عكس ما تقول وبرهاناً على قولي اني اصفح لك عن حماقتك

كان عمر الدوق دانجوليم تسع سنوات عند رجوع الاميرال سوفرين ظافراً من حربه في الهند فلما سمع هذا الامير الصغير بقدومه الى البلاط وكان جالساً يطالع سير اعاظم الرجال قام اليه وقال : كنت اقرأ الآن تاريخ اعاظم الرجال فلما سمعت بقدومك اسرعت لمشاهدة واحد منهم

امر زياد بضرب عنق رجل فقال — ايها الامير ان لي بك حرمة قال وما هي قال ان ابي جارك بالبصرة قال ومن ابوك قال يامولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم ابي . فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه

مرّ ثعلب في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكاً فقال له : اما تنزل نصلي جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه . فنظر الثعلب فرأى الكلب وولى هارباً فناداه الديك ماتأتي لتصلي . فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى اجدد لي وضوءاً وارجع

قال رجل لآخر سيء الخلق : من ارضعتك قال ما ارضعتني الا امي قال قد علمت ان ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى امك

قيل لاعرابي مابك لا تجاهد قال والله اني ابغض الموت على فراشي فكيف اسعى اليه ركضاً

وقف خطيب يستقبل ملكاً بالنيابة عن اهل القرية المجتمعين فبدأ بالقاء خطابه قائلاً — مولاي . ان سكان هذه القرية لقد سرهم قدومك ... لقد سرهم قدومك ... وارتج دونه . فقال رجل من حاشية الملك — نعم يامولاي ان سكان هذه القرية لقد سرهم قدومك حتى حبس السرور السنتهم عن اظهار فرحهم . فضحك الملك وسر كثيراً

الفصل الثامن

انقضى اسبوع على هذه الحادثة وماري على غير ما تحب من صحة الجسم وراحة الفكر . فان معلمها اميل ترك المنزل في ليل ذلك اليوم مما زاد في سخط والدها فبعث في طلب اخيه وسأله عن اهانة ضيفه عنده فتنافرا وخرج حنا من بيت اخيه مغضباً . وكانت ماري لا تزال ملازمة الفراش لهياج عصبي اشتد عليها وفدوكي تعودها في كل صباح ومساء وتصرف عندها اكثر سهراتها . اما الذين كانوا على مائدة الخواجه بولس عند حدوث الحادثة ورأوا ماري يغمى عليها لتنافر عمها واميل فقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى . واغتنم حنا هذه الفرصة فارسل اليهم فريداً يطلعهم واحداً واحداً على غرض اميل من القدوم الى نيو يورك وهو طلب الزواج بماري ليرث اموالها الطائلة . وكان هؤلاء الشبان يصبو كل منهم الى هذا الامر كما ذكرنا فصاروا كلهم يرون اميل خصماً لهم ومزاحماً

ولما فرغ حنا من بذر هذه البذور في عقولهم ارسل فريداً ليطلع على افكار اميل بعد تلك الحادثة فوجده منزوياً في غرفة صغيرة استأجرها . فدخل عليه وكان قد تعرف به الا انه لم يدعه يعرف انه ثقة الخواجه حنا فعرف منه انه عزم على انشاء محل تجاري صغير في نيو يورك وانه ليس بحاقد على الخواجه حنا الذي تعمد اهانته . فابلغ فريد حنا هذا الامر . وكان حنا يظن ان اميل تدفع به عزة نفسه بعد هذه الحادثة الى السفر من نيو يورك فيخلو الجو لبطرس فلما رأى ظنه قد خاب سكت على ما في نفسه

وقبل ان يستاجر اميل حانوتاً زار كبار تجار الاصناف التي يريد الاتجار بها فادهشه ما بدا من كل منهم من عدم الاكتراث به ومنهم من رده رداً خشناً مع انهم من ابناء وطنه وكان السبب في ذلك ان حنا الرديء اخذ عليه الطرق ووشى به وبادا به و بحسن ذمته الى جميع التجار فصاروا يجتنبون معاملته . فكبر على اميل ان لا يجد واحداً من مواطنيه يدربه ويرشده بل وجد منهم من كان يعاكسه ويظهر النفور عنه . ثم سهل الله له ان استاجر حانوتاً وابتاع له بعض السلع والبضائع وجلس فيه لكنه ما استقر به المكان حتى وجد في الغد احد ابناء وطنه يستاجر حانوتاً كحانوته ويضع فيه بضائع كبضائعه فرام اميل ان يظهر له المودة فرآه يتحاشن معه بلا سبب ثم اخذ يعدو عليه ويغتا به امام الذين يتعاملون معه ويبيعهم السلع باثمان رخيصة جداً . فوجد اميل ان هذا الرجل يتعمده بالشر مع انه لم يقصده بشر فدهش لرداءة قلوب البشر من غير سبب ولا علة غير عالم ان هذا الرجل مبعوث من خصمه حنا حتى يضيق باب الرزق في وجهه مهما خسر من المال . وغرض حنا من هذا الأمر معروف كما ذكرنا وهو ان يرحل اميل عن نيو يورك مبتعداً عن ماري

وكان فريد يتردد على اميل في حانوته فيلاطفه في وجهه ثم يذهب الى باقي النزالة السورية واللبنانية فيشي به لديهم . وما زال بهم حتى اقنعهم ان اميل مصاب بمرض في عقله لذلك لا يعاشر احداً ولا يبسم في وجه احد ولا يراه الناس الا متاملاً مبهوتاً . واقنعهم ايضاً انه سيء الادب يجدر بان لا يدخل منازل السيدات اما ذمته فاقل ما يقال فيها انه يستحل الاموال فحذار ان يعامله احد

فانتشرت هذه الامور عن اميل بسرعة وصدقها جميع الناس حتى صار الرجل منفرداً بين ابناء وطنه لا يقرب منه احد ولا يقرب من أحد . وبعد شهرين من هذه الحوادث وجد اميل ان تجارته متأخرة وحالته على غير مايروم لان الحانوت الذي بازائه امتص ببخس اثمان بضائعه كل خير كما تمتص الشجرة القوية غذاء الشجرة الضعيفة . فاضطر الى اقفال حانوته

وخطر له الاستخدام وكان يحسن الانكليزيه والفرنسوية والعربية فاتفق مع احد المحلات التجارية على ان يستخدم فيه بخمسين ريالاً في الشهر في بدء الامر واذ كان يستعد لدخول هذا المحل وردت لمديره ورقة بلا امضاء فيها "التحذير من استخدام شاب قليل الذمة سيء الادب كهذا الشاب" فلم يعد المحل يقبله . ولا حاجة الى ذكر مصدر هذه الورقة فان يد حنا ظاهرة فيها

وما زال دأب هذا الرجل مع اميل حتى ضاقت الارض برحبها على هذا الشاب ولكن عزمه كان يزداد اشتداداً ونفسه كبراً اذ في الناس من تحط المصائب نفوسهم وفيهم من ترفعها .

وكان بولس قد عرض على اميل مساعدته فرده اميل رداً جميلاً فالح عليه ان يزورهم الحين بعد الحين فوعد اميل انه يقوم بما يجب عليه . واذ علم حنا ان بولس لا يزال ينظر الى اميل بعين الرضى ويدعوه الى منزله زاره يوماً بعد ان

تصالحا واطلعه على كل الاشاعات عن اميل وزاد عليه افتراء واختلاقاً ان هذا الشاب اصبح سيء السيرة والسريرة وانك كنت مخدوعاً به فان جميع النزالة يقولون والبوليس يؤيد قولهم ان هذا الشاب لا يجدر ان يدخل بيوتاً فيها سيدات . وما زال حنا ببولس حتى كدر صفو اعتقاده بالرجل مع سابق حبه له فتركه وشأنه . وهكذا فقد اميل مساعدة كل واحد من ابناء وطنه في نيويورك ووُضع ستار اسود كثيف على صيته وادبه وشرفه فصار اسود في انظار الجميع . ولكن هنالك عيناً كانت لا تزال تراه ابيض طاهراً وهي عين ماري

وكانت ماري قد نهضت من فراشها بعد مكثها فيه خمسة عشر يوماً والضعف لا يزال يبدو في وجهها وعيناها الذابلتان ازدادتا ذبولاً . وكان ابوها لم يفاتحها بامر تلك الحادثة مدة وجودها في الفراش فلما عادت اليها قوتها ونهضت اسمعها بلطف ان ما جرى لها قد ساءه لانه يجعل النـاس يؤولون ذلك تاويل شتى . فاجابت ماري باسمة « وما عساهم ان يؤولون . كنت معتلة الصحة فارغموني على النهوض من فراشي فتعبت وضجرت من ذلك الجدال بين عمي والخواجه اميل فضاق صدري واغمي علي»

فسكت بولس على ما في نفسه واخذت الايام تكر على ماري دون ان ترى اميل او تسمع به فقلقت لهذا الغياب وكانت كل يوم تعد نفسها انه يأتي في اليوم الثاني فاذا اشرقت الشمس لبثت طول النهار مصيخة بسمعها نحو الباب لتسمع قرع الجرس فاذا قرع خفق قلبها ولبثت تنتظر الداخل لعله يكون اميل فلا تلقى الا الخيبة . وانقضى عليها اسبوعان وهي في هذا الانتظار حتى فرغ صبرها فهالتها قساوة قلب اميل ونسيانه اياها وفي ذات يوم كان في منزل الخواجه بولس زائرون يتناجون بينهم بحديث وعمها حنا في جملتهم فسألت ماري عمها مالكم تتناجون ولا تحدثوننا . قال عمها نتحدث بأمر يسوءنا التصريح به قالت وما هو قال لكنه وان كان يسوءنا فانه يسرني بالخصوص لانه يدل على اني كنت ابعد نظراً من جميع اخواننا حتى من اخي المشهور ببعد النظر قالت حبيت الى معرفة هذا الامر قال لا شيء سوى ان هذا الشاب اميل قد ظهر كل ما كان مخبوءاً في قلبه من سوء الادب والرذيلة وحب الشر وهو الآن مكروه الى جميع ابناء النزالة وموضع احتقارهم كلهم . فتجلدت ماري لتقوى على احتمال هذه السكين التي طُعنت بها في قلبها . وكان الوقت ليلاً فلم ير اضطرابها وارتعادها الا الذي كان قريباً منها وهو عمها . وكانت جميع الابصار قد اتجهت اليها حين فتح عمها باب هذا الحديث لان الجميع كانوا لا يزالون يذكرون حادثة المائدة . وكان بطرس حاضراً هذا الاجتماع والخواجه بولس ساكت مصغ الى اخيه . فقال بطرس رغبة في دفع حنا الى الانبعاث في حديث السوء عن اميل — وما الذي صنعه هذا الشاب حتى يقال عنه هذا القول فاني اعرفه على غير ما تقول . قال حنا نعم تعرفه على غير ما اقول في قرية صغيرة كان مخبوءاً بها ولا مجال لاظهار كل ما في صدره من الشر ولكن تعال الآن وانظر اليه في نيويورك وملاهيها . اتعرفه مقامراً . لا . ولكنه خسر اول امس خمسين ريالاً بالمقامرة . اتعرفه سكيراً . لا . ولكن البوليس التقطه مساء امس عن ارض الشارع فبات بالسجن سواد ليلته . اتعرفه رذيلاً . اذهب واسأل البوليس عما صنع منذ ثلاثة ايام . لقد كان هذا الشاب في قريته كالصندوق المقفل فانفتح الآن بالتجربة فظهر انه محشو جيفة منتنة . لذلك اريد تحذير كل صديق لي من شره . ويخال لي ان هذا الشاب قد سد باب الرزق بوجهه فانه لسوء سمعته واشتهاره بفساد الذمة قد فتح حانوتاً للتجارة فلم يعامله احد من ابناء وطننا . طلب الاستخدام فكانوا ينبذونه في كل المحلات التجارية نبذ النواة . هذا هو الشاب الذي كان حائزاً على ثقة اخي من قبل وبذلت جهدي لابعاده عنه حرصاً على كرامته وكرامة منزله

وكان حنا يتكلم وماري تشعر بان الارض كأنها تميد بها والجدران كانها تهتز للسقوط عليها وقد اصبحت عيناها في غشاء فلا ترى بهما شيئاً . اصحيح ما قيل عن اميل . اصحيح ان ذلك الشاب الذي عرفته واختبرته منذ اكثر من خمس سنوات فرأت فيه مثال الفضل والكمال واستقامة المبدأ — هو كما يقولون . فشعرت بالحال بحاجتها الى الانفراد لتخرج من هذه الهوة التي قذفها بها عمها متعمداً او غير متعمد . فحاولت النهوض من المجلس فوجدت ركبتيها تصطكان كقصبتين تحركهما الريح . فصبرت قليلاً تسمع باقي الحاضرين يوافقون على ما قاله عمها عن اميل ثم تجلدت ونهضت وكانت قريبة من الباب فخرجت والدموع في عينيها واليأس ملء قلبها واعضاؤها تتشنج وتكاد لو لا خوف افتضاح امرها ان يغمى عليها . فدخلت الى غرفتها واقفلت وراءها الباب وجلست في فراشها ثم وضعت رأسها تحت لحافها واجهشت بالبكاء مطلقة لنفسها العنان

مسكينة يا ماري

الدين والوطن

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١ اغسطوس (آب) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣١٧

باب المقالات

تعلموا الاقدام

❊ من غلام ❊

(ولد عمره ١٥ سنة يقابل ملوك العالم وينشئ لنفسه)
(في بضعة اسابيع مكانا وشهرة واسعة)

قال نابليون الاول — " ان مصير العالم روسي او اميركي " وقد عنى بذلك ان في روسيا واميركا قوى جديدة عظيمة كامنة في نفوس ابناء هذين الشعبين وخيرات عظيمة مذخرة في ارضهما لذلك ستنقرض جميع امم الارض امامهما و ينحصر النزاع بينهما حتى يقوى القوي ويبيد الضعيف منهما طبقاً لناموس تنازع البقاء

وقد أرتنا روسيا واميركا في هذه السنوات الاخيرة مثالاً لتلك القوى الجديدة العظيمة التي اشار اليها نابوليون · فان روسيا اصبحت في هذا الزمان محور سياسة العالم والدولة التي ترجح بها كفة الميزان يدلك على ذلك علو كلمتها في الشرق الاقصى على كل كلمة وجمعها مؤتمر السلام · اما اميركا فقد ارتنا مثالاً لتلك القوة الكامنة في حربها مع اسبانيا وفي اختراعاتها المدهشة التي تهدم بها العالم القديم يوماً بعد يوم · فانك لا تسمع بامر عجيب غريب وتقول انه اميركي الا وتكون صادقاً · واذا قرأت عنوان هذه المقالة ورأيت فيه " ولداً صغيراً يقابل ملوك العالم وينشئ لنفسه في بضعة اسابيع مكاناً وشهرة واسعة " فلا يخطر لك الا ان هذا الولد اميركي · نعم وهو كذلك فانه هارسي ستيل موريسون ولد في مدينة (ماتون) من اعمال (ايلينوى) احدى الولايات المتحدة في اميركا الشمالية وعمره اليوم ست عشرة سنة

اردنا ان ننقل لحضرات القراء طرفاً من حياة هذا الولد المقدام دلالة على ما يبلغ اليه الاقدام عند ابناء الامم الحية ومقابلة بين هذا الولد و بين اولادنا الذين تجعلهم تربيتهم البيتية والمدرسية جبناء خوافين يفسد الخمول حالهم فلا يصلحونها بشيء من الاقدام · ويطحن الظلم لحمهم وعظامهم فلا يجترئون ان يرفعوا صوتا بالشكوى خوفاً من الحكام · وتفسد مياههم لركودها في مكان واحد فيؤثرون من الجبن والكسل والخوف والخمول ان يموتوا في ارضهم على ان يحيوا في ارض يرحلون اليها · وقد نادينا في الاجزاء الماضية وما زلنا ننادي ان تربيتنا فاسدة من اساسها ولا امل للشرقيين بالحياة السياسية والمقدرة على مزاحمة الامم القوية الداخلة بينهم الا متى صلحت التربية البيتية والمدرسية · والاقدام قاعدة من اهم القواعد التي يجب ان يبنى عليها هذا الاصلاح ليتسنى للقوى الكامنة في نفوس الشرقيين ان تبرز من حيز القوة الى حيز الوجود لا ان تبقى خاملة فيهم

بحول نفوسهم ثم تدفن بالتراب معهم فيعيشون خاملين ويموتون خاملين

***

كان الفتى موريسون منذ نحو سنتين في الخامسة عشرة من سني عمره وهو مستخدم في احد مكاتب شيكاغو التجارية . الا ان نفسه كانت اعلى من حرفته فصارت تحدثه أن يفتش عن عمل يبلغ به دفعة واحدة قمة المجد والشهرة التي يريدها . فقال في نفسه « لا اجد خيرًا من الصحافة فانها طريق تؤدي الى كل طرق المجد والشهرة . انا الآن في السنة الخامسة عشرة ولديّ عشرون ريالا اقتصدتها ووضعتها في البنك . فاني آخذ هذا المبلغ فهو كاف للابتداء بسياحة في اميركا واوروبا ومتى اعوزني المال كاتبت الجرائد بما اراه في سياحتي وحصلت خبزي . اذهب الى ملوك العالم وعظمائه فاقابلهم مقابلة صحافيّ واحدثهم بالسياسة وشؤونها ثم اجمع اقوالهم واقوالي في كتاب وانشره بين الناس فاربح به اموالاً طائلة وانشئ لنفسي في عالم الصحافة والادب مكانًا عاليًا »

فترك هذا الولد حرفته وودّع اهله ثم سافر الى واشنطون ليبدأ بمقابلة المستر ماكنلي رئيس الجمهورية . فكاد رجال القصر الابيض يلقون من السلم هذا الولد الوقح الجسور ولكن موريسون رأى امرأة الرئيس ماكنلي عائدة الى القصر فهجم على مركبتها وقص عليها قصته فاصغت اليه وقالت له ان يتبعها فدخل موريسون وراءها الى القصر وبعد بضع دقائق وُجد في حضرة المستر ماكنلي . فقال له الرئيس « تشجع يابني فاني اعتقد انك ستنشيء لنفسك مكانًا . ارى شعرك اصهب وهو فأل حسن فتشجع ولكن اجتنب معاشرة الاشرار واما انا فادعو لك بالنجاح في مشروعك »

هذه اول مقابلة قابلها موريسون . فعاد منها فرحًا نشيطًا . ووجد حرفته الجديدة اسهل من حرفة تسطير الارقام في الدفاتر التجارية . فسافر الى نيويورك ومنها سافر الى انكلترا في سفينة كانت مشحونة مواشي بناءً على ان يخدم في السفينة مقابل اجرة السفر . فوصل الى لندرا بعد عذاب عاناه في البحر من الدوار وسوء معاملة رؤسائه . وكان الانكليز يحتفلون في ذلك الوقت بيوبيل الملكة فيكتوريا فادهشه ما رآه من جلال الاحتفال وفخامة الزينة ولكنه جاء ليقابل العظماء لا ليشاهد الاحتفالات . فبدأ اولاً بمقابلة بالنظر دون الكلام . ذلك انه كان احتفال عظيم عند الدوق دي دينونشير

فلبس موريسون ملابس احد الخدمة وحضر هذا الاحتفال وهو يخدم المدعوين فرأى في هذه « المقابلة النظرية » البرنس دي غال وكثيرين من عظماء الامبراطورية الانكليزية

ولكن اعظم عظمائها المستر غلادستون لم يكن حاضرًا هذا الاحتفال فانه كان قد شعر بدنو اجله فانزوى في قصره في هواردين تاركًا لندرا واحتفالاتها . فقصده الفتى موريسون وبقي ثلاثة ايام يحاول الوصول اليه دون ان يستطيع ذلك . الا انه في اليوم الرابع تسنى له الدخول عليه في مكتبته فاجلسه عظيم انكلترا الى جانبه وساله ان يقص عليه قصته . واذ اخذ في الكلام بصوت واطىء قال غلادستون « ارفع صوتك فانني لا اسمع ما تقول » . ولما انتهى موريسون من حديثه بادر الى سؤال غلادستون اتمامًا لشروط المقابلة السياسية « كيف تقضي اوقاتك ياسيدي » قال غلادستون « لا اعمل الآن عملاً غير المطالعة » . عند ذلك دخلت مس هيلين ابنة غلادستون لتخرج الولد لانها رأته قد اطال زيارته فلما همّ موريسون بالخروج قال له غلادستون « انت كثير التطوح ايها الشاب وكثير الطمع فلا نترك الطمع يضلك سواء السبيل . من الواجب ان تدخل احدى المدارس وتقعد فيها زمنًا فان هذا مما يفيدك الآن »

فلم يعبأ موريسون كثيرًا بنصح المستر غلادستون بل طلب منه ان يعطيه كتاب توصية الى اللورد رئيس التشريفات . ثم جاء اللورد فدفع اليه الكتاب قائلاً « اريد مقابلة الملكة » فدهش رئيس التشريفات من جسارة هذا الفتى ولكنه اجابه واستاذن الملكة في ادخاله عليها فاذنت له . وكانت الملكة عند دخوله تقرأ جالسة بين فتاتين فوقف منها الفتى موريسون على بعد عشرة امتار وانحنى بشديد الاحترام . فقالت له جلالتها « تقدم مني فاني لا اسمع كلامك وانت بعيد عني . هذه الفتاة يابنيّ هي الاميرة هنري دي باتنبرج وهذه الاميرة هي فيكتوريا دي غال . كان من الواجب ان تحييهما ايضًا » فتالم موريسون من هذه الملاحظة ولكن حضره الجواب فقال بلا تردد « اذا حضرت جلالتك فالعيون لا ترى سواها »

فابتسمت الملكة وضحكت الاميرتان لجوابه اللطيف . فسالته الملكة اذا كان يحب انكلترا قال نعم احبها قالت ولكنك تفضل اميركا عليها قال بلا ريب فانها وطني . قالت الملكة « فاذهب الآن يابني ومتى نشرت كتابك فابعث الي بنسخة منه » ومدت اليه يدها اليمنى فمسها بطرف اصبعه كما اوصاه رئيس

التشريفات وانحنى ما استطاع ثم خرج راجعاً القهقرى ظهره الى الباب ووجهه الى الملكة

ثم سافر من انكلترا الى بلجيكا فكان اول ما خطر له عند وصوله اليها مقابلة ملكها· فاخذ يرود اكناف قصره حتى اشتبه الحراس بامره فرفعوا تقريراً الى البوليس فجاءه احد رجال البوليس يسأله مايريد فاطلعه على عزمه فاشار عليه الرجل ان يطلب ذلك من الكونت ديكلارك رئيس تشريفات الملك · فطلب ذلك من الكونت وفي ذلك اليوم ادخل على الملك ليوبولد فامره ان يجلس · فقال موريسون متردداً « كنت احسب ان الناس لا يجلسون في حضرة الملوك » قال الملك «اما انا فانك تستطيع الجلوس في حضرتي » ثم دار الكلام بين الملك والغلام على شؤون اميركا واوروبا فقال له الملك «ساسافر قريباً الى اميركا افلا تزورني فيها» فقال موريسون " كيف لا ازورك" ثم افترقا بعد ان هزّ موريسون يد الملك مودعاً على الطريقة الاميركية

وسافر من بلجيكا الى سويسرا فزار رئيس جمهوريتها ثم قصد المانيا وقابل الامبراطور غليوم الثاني في مدينة همبورج · فلما ادخل عليه قال له الامبراطور " انت الاميركي الذي ذكروه لي ؟ " ثم ابتسم له ابتسامة الوداع فخرج موريسون وهو يقول في نفسه ما سلمت حتى اودع · والظاهر ان هذه الطريقة التي استقبله بها الامبراطور غليوم قد اثرت في تصوراته اشد تاثير فاصبح يعتقد ان الامبراطور غيليوم هو مثال الملك الحقيقي

ثم قصد فرنسا لمقابلة رئيس جمهوريتها المرحوم فليكس فور· فوجد ذلك سهلاً · فلاطفه الرئيس واخذ يقص على هذا الغلام حالته الاولى اذ كان دباغاً وما لاقاه من المصاعب في طريقه ثم جاءت نوبة موريسون فاخذ يقص على المسيو فليكس فور تفاصيل زياراته لملوك اوروبا فقال له الرئيس وهو يغرب في الضحك مسروراً بحديثه «انكم ايها الاميركيون تدهشون العقول باعمالكم فانكم لا يوقفكم شيء ولا تقوم صعوبة في وجهكم» ودامت هذه المقابلة عشرين دقيقة ولم يخرج موريسون من غرفة الرئيس حتى دخل زائر غيره

ثم رجع موريسون الى وطنه · ولكن الجرائد الاميركية كانت قد ملأت اعمدتها بتفاصيل سياحته فنال بذلك شهرة واسعة في بلاده· وبعد عودته الى شيكاغو جمع تفاصيل سياحته في كتاب نشره في لندرا في هذا العام ومن ذلك الحين اصبح الفتى موريسون مشهوراً في عالم الصحافة والادب وصارت الجرائد الاميركية تتزاحم على ما يكتبه هذا الولد من الفصول والرسائل تبتاعها بقبضات الريالات · ويدعونه الآن « ملك الصحافيين »

***

قابل بين هذا الولد وبين اولادنا بل شباننا وكهولنا

راينا منذ سنوات لاحد ادباء الشرقيين في احدى المجلات العلمية الشرقية سؤالاً عن دواء يشفي اضطراباً وجزعاً وخفقان قلب واصطكاك ركب تعرو صديقاً له حين مقابلته احد الحكام · يحسب السائل ان هذه الاعراض علة ومادرى انها جبن وخمول وضعف وقلة اقدام

في الشرق شبان (لا امامهم ولا وراءهم) كما تقول العامة اي لا يطلب منهم القيام على احد غير انفسهم يرضون في بلادهم بكل ضروب الضيم والذل والفقر والشقاء ويعيشون وسط هذه المستنقعات الادبية القبيحة في البطالة والرذيلة دون ان تحركهم همة الى عمل يعملونه في بلادهم او تدفعهم عزة النفس الى الخروج منها لعمل يرفعون به شأنهم فيحيوا او يموتوا · وما ذلك الا للخمول والضعة والكسل وقلة الاقدام ·

شبان بلحى وشوارب لا يجسرون على المشي في شوارع المدينة في ظلام الليل · رجال يمشون في الظلام وهم يصلون ليمنعوا الجن والابالسة ان تعرض لهم · · · نساء ترتعد فرائصهن من اقل الامور كأن قلوبهن جنح فراشة ممسكة دائمة الخفقان · اولاد يجزعون ويصيحون من رؤية نملة على ملابسهم او صرصور على مقربة منهم · فوق ذلك كله آباء هؤلاء الاولاد وازواج هؤلاء النساء كباراً وصغاراً اغنياء وفقراء يرتجفون كقصبات تحركها الريح بازاء القوي وامام اصغر الحكام · وما ذلك الا من انحطاط النفوس وضعف القلوب وقلة الاقدام

فرحماكم أخرجوا الامة من هذا الشقاء الاجتماعي والمستنقعات الادبية · اعطوا الامة امهات ومعلمين يرفعون نفوس ابنائها ويبثون فيهم اقدام (موريسون) وفضيلة بهرام مالاباري ويعلمونهم تعليماً منطبقاً على حاجاتهم وانظروا بعد ذلك اي مبلغ من السعادة السياسية والاجتماعية تبلغه هذه الامة المسكينة

عجائب الدنيا السبع

لم يبلغ المتاخرون شأو المتقدمين في فن النقش والبناء مع كل ما اوتوه من المهارة ووسائل المدنية · ومـا ذلك لان العالم راجع القهقرى كلا انه يخطو الى الامـام خطوات واسعة وانما عرض لهذا الفن امور صرفت عنه قوى النفوس وحاجات البشر · الى ذلك اشار فيكتور هيغو في احدى رواياته اذ قال عن فن البناء وعن فن الكتابة والطباعة « هذا سيقتل ذاك » ceci tuera cela اي ان الطباعة تقتل البناء وصدق فان هذا الفن الذي كان له لدى قدماء المصريين واليونان والرومان شأو عظيم قد اخذ في الموت تدريجاً منذ وُضعت آلة الطبـاعة وقامت الكتابة في القرطاس مقام النقش في الحجر

خذ الابنية القديمة العظيمة كهذه التي يسمونها «عجائب الدنيا السبع » وقابل بينها وبين ابنية المتاخرين العظيمة كبرج ايفل الذي نشرنا رسمه في الجزء الماضي وجميع غرائب البناء القائمة في اوروبا الآن تجد هذه الابنية الحديثة بازاء تلك الابنية القديمة كالمصباح بازاء الشمس · وفضلاً عن هذا فقد كان الاقدمون ينشئون مبانيهم العظيمة ويجمعون في انشائها بين الجمال والفائدة كالاهرام مثلاً فانها شيدت لتكون مدافن للملوك ولكن اية فائدة من انفاق القناطير المقنطرة لانشاء بناء عظيم كبرج ايفل مثلاً

وقد وعدنا في الجزء الماضي أن نأتي على تاريخ الابنية السبعة العظيمة التي يسمونها العجائب السبع لشهرتها وعظمة بنائها وانجازاً للوعد نقول

✻ اهرام مصر ✻

اهرام مصر مشهورة في الدنيا كلها فلا حاجة الى تعريفها · واشهرها اهرام الجيزه وفيها الهرم الاكبر مساحة قاعدته ٢٣٢ متراً مربعاً وعلوه في الاصل ١٤٦ متراً فصار الآن بكرور الايام ١٣٩ متراً · بناه الملك خوفرو اول ملوك السلالة الرابعة وذلك منذ نحو ٦١٢٠ سنة · وغريب ان يخطىء نابليون الاول هذا الخطأ فيقول لجنوده في واقعة الاهرام « ان اربعين جيلاً تنظر اليكم من علو هذه الاهرام » وكان يجب ان يقول ٦٠ جيلاً

اما الحجارة التي بنيت منها الاهرام فحجارة متناهية في الضخامة والكبر لا يكاد يزحزح الحجر الواحد منها مئات من العملة · وهذا ما جعل قدماء المؤلفين ان يقولوا ان الفراعنة كانوا يستعملون لبناء هذه الابنية مائتي الف رجل يشتغلون تحت العصا بلا رحمة ولا شفقة · لكن الارجح انه كان لدى قدماء المصريين آلات هندسية للبناء والنحت ورفع الاثقال فاغنتهم عن كثرة العمله

واما الاماكن التي كانت تقطع هذه الحجارة منها فقلما يعرف شيء عنها · ونذكر اننا في صيف السنة الفائتة زرنا ادارة جريدة المؤيد الغراء فدخل علينا فاضل من مستخدمي المتحف المصري فدار الحديث على الاماكن التي كانت تقطع حجارة الاهرام منها فقص علينا اكتشافه لاحد هذه الاماكن في جبل حلوان · قال ماخلاصته حسبما حفظته الذاكرة · اكتشفت نفقاً عميقاً في هذا الجبل فاخذت معي زاداً ونوراً واصطحبت بعض الرفاق ودخلت هذا النفق فاكتشفنا فيه مقطعاً للحجارة التي بنيت منها الاهرام · فقد رأينا آثار قطع الحجارة بحجمها المبنية به ووجدنا طرقاً مفروشة بنوع من النبات نظنه وُضع هنالك حتى تمر عليه العجلات التي تحمل الحجارة · وقد وجدنا في سقف هذا النفق خطاً منقوشاً ممتداً من الجنوب الى الشمال تماماً مما يبعث على الاعتقاد بان المصريين كانوا يعرفون الابرة المغنطيسية (البوصلة) والا لما تسنى لراسم هذا الخط وهو في بطن الجبل ان يعرف الشمال تماماً · وقد اقمنا في هذا النفق بضعة ايام ونحن نطوف فيه فلم نطف الا قسماً منه لانه متسع جداً

انتهى كلام الراوي واننا نستغرب قوله عن وجود النبات مفروشاً على طريق في مكان رطب منذ الوف من السنين

وقد ذكرنا ان الفراعنة بنوا الاهرام ليتخذوها مدافن لاجسادهم · ذلك لانهم كانوا يعتقدون بخلود النفس ورجوعها الى الاجسام فكان همّ كل ملك حين ارتقائه عرش الملك ان يدبر مكاناً خالداً يودعه جسده · وقد احتال الفراعنة زيادة في اخفاء اجسادهم لئلا تنبشها الاجيال الآتية بعدهم فجعلوا مداخل الاهرام مخبوءة وجعلوا عند مداخلها سرداباً يؤدي الى غير المكان الموضوعة اجسادهم فيه رغبة في ان يتيه في هذا المكان كل مكتشف على هذه المداخل فلا يتسنى له الوصول الى جثثهم · ولكن ذلك لم يمنع علماء المتأخرين ان ينبشوا هذه الجثث ويعرضوها في متاحف مصر واوروبا حيث توجد الآن جثث كثيرين من الفراعنة كجثة توتموس وسزوستريس ورعميس وغيرهم

وقد زار الكاتب الشهير شاتو بريان الاهرام عند زيارته

مصر راجعاً من سوريا فوقف مبهوتاً دهشاً لدى تلك العظمة القديمة والآثار الفخيمة ولم يقل فيها ما قاله بعضهم من انها ابنية لا فائدة لها بنيت ارضاءً لاهواء ملوك مستبدين بل اعتبرها رمزاً الى فضيلة عظيمة وهي فضيلة حب الخلود والاعتقاد به . واعجبه كل الاعجاب تلك القبور المنتصبة في صحراء مصر تنطح برؤوسها السحاب كانها حراس يحرسون المكان او خطباء يخطبون وهم سكوت ناطقين بسرعة فناء الانسان

✻ منارة الاسكندرية ✻

في القرون الاربعة الاخيرة التي تقدمت التاريخ المسيحي كانت الاسكندرية مدينة عظمى في اقصى درجات الاهمية التجارية . وكان فيها ٢٠٠ الف منزل كلها ذات طبقة واحدة مبنية بالرخام الابيض على شكل مربعات الا انها كانت بلا هندسة اي ان بناءها لم يكن صفوفاً فلم تكن شوارعها منتظمة متسعة لمرور الهواء فيها فكانت اشعة الشمس اذا وقعت على تلك الابنية الرخامية تنعكس عنها بصورة بهيجة جداً ولكنها كانت تزيد حر مصر الطبيعي حراً . فكان سكان الاسكندرية في تلك الازمنة البعيدة ينزلون الى الميناء في كل مساء كما يصنعون في هذه الايام يستنشقون على الرصيف قرب السفن الراسية في البحر نسيمه البليل العليل الذي ينسيهم حر النهار . فكان الرصيف في كل مساء ملتقى للرجال والنساء وباعة الاثمار كالتين والتوت يمرون واحداً بعد واحد وهم ينادون باسماء اثمارهم على نحو ما يصنعون في هذه الايام . يليهم نساء ينفخن في الشبابات والمزمار انغاماً يطرب لها الحاضرون . وكان الغرباء يتوافدون الى الاسكندرية لسعة تجارتها والتمتع في المساء بلذة التنزه على هذا الرصيف في هذه الحفلة الجميلة ومشاهدة بهاء النور المنعكس عن جدرانها الرخامية

ولكن البحر كان شديد الهياج خارج الميناء كما هو اليوم فكانت كثير من السفن تحطم في الظلام على صخور الميناء مما كان يمنع كثيراً من السفن الاجنبية ان تقصد الاسكندرية خوف ان يهبط عليها الظلام قبل ان تصل اليها . فرأى بطليموس الذي كان مالكاً في الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث قبل المسيح ان يعمل عملاً يساعد به البحارة على التخلص من اخطار البحر تسهيلاً لسفر الغرباء الى مدينته زيادة في تجارتها وسعتها . فامر يومئذ ان يبنى في جزيرة فاروس عند مدخل الميناء برج شاهق توقد فيه النيران طول الليل لتهتدي بها السفن الى الميناء . فبني هذا البرج في جزيرة فاروس ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة phare الافرنجية وكلمة فنار التي تطلق اليوم على المنائر البحرية . وقد بني البرج من الرخام الابيض وجعل ابراجاً يعلو بعضها بعضاً الى ارتفاع ١٦٠ متراً وقد بلغت نفقته اربعة ملايين ونصف مليون فرنك . وجعل في اعلاه موقد ذو نوافذ من جميع جوانبه ينبعث منها نور الحطب الذي كان يوقده فيه طول الليل رجال يقيمون فيه لهذه الغاية . فنجا بهذه المنارة كثير من السفن والبحارة من خطر الغرق على الصخور . وكان البحارة وهم مسافرون في عرض البحر الواسع بلا ابرة ولا ساعة ولا خارطات جيوغرافية اذا ظهر لهم هذا النور من بعيد ارتدت اليهم ارواحهم وانتعشت نفوسهم اذ يرون انه لم يبق لوصولهم الى ميناء السلامة الا ساعات معدودة فيزيدون نشاطاً في التجذيف وهم شاخصون الى ذلك النور الذي يهتدون به حتى يصلوا الى اسفل البرج عند مدخل الميناء فيجدوا السلسلة الحديدية معترضه في المدخل تحول دون دخولهم وعليها الحارس لا يبرح مكانه طول الوقت . فبعد اتمام بعض الاصطلاحات تسقط السلسلة فتدخل السفينة الى الميناء بسلامة وياخذ رجالها بعد اضطراب البحر يحسبون الارباح التي سيربحونها من تجارتهم

✻ الحدائق المعلقة ✻

بنيت الاهرام والمنارة لفائدتين كما ذكرنا اما الحدائق المعلقة فقد بنيت ارضاءً لهوى امرأة وهذه الامرأة هي الملكة سميراميس التي خلفت زوجها نينوس ملك اشور ووسعت هذه المملكة بنشاطها وقوتها . فقد اجتمع لدى سميراميس اموال طائلة من انتصاراتها الكثيرة فرأت ان تعمل بها عملاً تذكر به . فامرت بانشاء الحدائق المعلقة . وهي جنائن قائمة في الهواء على اعمدة ضخمة طول أطولها ٥٠ متراً . ارضها مبنية من طبقتين من الاجر المجصص فوقه طبقة من الرصاص عليها من التراب بقدر ما يلزم لنمو أكبر الاشجار . وفي هذه الحدائق برك من ماء نهر الفرات تنبجس المياه من انابيبها انبجاساً فيسمع لها خرير شجي تحت حفيف اشجار الدلب والدرداء المغروسة في هذه الجنائن صفوفاً صفوفاً على خط مستقيم . وكانت سميراميس مشغوفة بالتنزه في هذه الحدائق الهوائية تستنشق فيها نسيماً بليلاً مطيباً بريح الاشجار والازهار على انغام خرير الماء واصوات القيثار والشبابة بينما يكون سكان بابل في عذاب شديد من الحر . الا انهم كانوا ينالون حصتهم من هذه الحدائق وذلك عندما يهب عليهم نسيم المساء فيحمل لهم شيئاً من برودة مائها وطيب

ريحها • وقد وجدت حديثاً انقاض هذه الحدائق الجميلة في اكمة من الخراب في بابل

وتذكرنا هذه الحدائق المعلقة العربات المنقلة بالازهار والشجيرات والنباتات التي يجرها بياع الازهار في شوارع الاسكندرية • فانك قد تمر في شارع ارضه مملوءة بالاقذار والاوساخ وحوانيته سوداء من قذارتها وناسه على غير ما تحب ان تراهم به من النظافة واذا بعينيك تقعان بغتة على عربة فوقها اغصان تتمايل وازهار جميلة تنشر على تلك القذراة ريحها الطيب يدفعها رجل امامه وهو ينادي لاجل بيعها فتستنشق ملء صدرك هذا الريح الوقتي وسط تلك القذارة الدائمة وتحسب ان المستنقعات اخذت تتحول رياضاً او ان الرياض بدأت تنتقل الى المستنقعات • • •

صنم رودس

هو تمثال عظيم صنعه سكان رودس في سنة ٢٨٨ قبل المسيح اكراماً لابولون اله الشمس لاعتقادهم انه انقذ مدينتهم من يد القائد ديمتريوس بوليوكريت الذي حصرها ليستولي عليها • وصانع هذا التمثال شاريس دي لاند صنعه من النحاس وقضى في صنعه ١٢ سنة اي من سنة ٣٠٠ قبل المسيح الى سنة ٢٨٨ • وقد نصبه اهل رودس على قاعدتين شاهقتين بنوهما عند مدخل الميناء وجعلوا المسافة بينهما ١٢ متراً وجعلوا على كل قاعدة احدى قدمي التمثال فكانت اكبر السفن واعظمها تمر من بين فخذيه • وكان الاجانب يستدلون بمنظر هذا التمثال الجميل على غنى تلك المدينة وسعة سكانها فيدخلونها بسفنهم وبذلك كانت تزداد المدينة عمارة وسعة

الا انه اصاب رودس في سنة ٢٢٢ قبل المسيح زلزال اسقط التمثال فبقي ممدوداً على شاطئ البحر حتى استولى المسلمون على رودس في خلافة عثمان (رضه) فباعوا التمثال فاخذه مشتروه وقطعوه وحملوه مع جميع ملحقاته على ٩٨٠ جملاً

هيكل ديانا

بنى هذ الهيكل سكان افيزيا في سنة ٦٢٠ قبل المسيح اكراماً للالهة ديانا التي كانوا يعتقدون انها تحمي مدينتهم ونصبوا امام باب الهيكل تمثال ديانا فاتخذ اليونان هذا الهيكل في ذلك العهد مزاراً كانوا يزورونه كل سنة ويقيمون عنده اعياداً عظيمة • وكان الهيكل مصنوعاً من الرخام الناصع البياض باتقان مارأت مثله عينان فاذا وقع عليه نور القمر في الليل وهو عندهم صورة ديانا صاحبة الهيكل تالق المكان بالانوار الذهبية المنعكسة عن فضة جدرانه فكان منظر بهيج جداً • وقد احرق هذا الهيكل رجل يدعى « اروستراث » رغبة في تخليد اسمه مدى الاحقاب ولكن سكان افيزيا اعادوا بناءه حتى جاء السيكثيون فاحرقوه ونهبوه ثم استولى الامبراطره المسيحيون على المدينة فهدموا هذا الهيكل

تمثال جوبيتير

جوبيتير اله الآلهة عند قدماء اليونان وفيدياس صانع هذا التمثال اشهر نقاشيهم • صنعه من العاج الابيض وجعل ملابسه من الذهب الخالص ونصبه في هيكل في اوليمبيا حيث كانت تجرى الالعاب الاولمبية في كل اربع سنوات اكراماً للاله جوبيتير • وكان هذا التمثال اتقن واحسن ما نقشه قلم نقاشي اليونان وفيه يقول ابيكتيت « اذهب الى اوليمبيا وشاهد تمثال جوبيتير فيها واعتبر من مصائبك ان تموت ولا تراه »

وقد نقل الامبراطور ثيودوسيوس هذا التمثال الثمين الى القسطنطينية في القرن الخامس قبل المسيح ولم يوجد له اثر فيها منذ ذلك الحين • وغني عن البيان انه اذا وجد اليوم هذا التمثال في الاستانة فانه لا يوجد في خزائن الارض ما يكفي لابتياعه

مدفن الملك موزول

وسابعة هذه العجائب مدفن الملك موزول وهو ملك عاش في النصف الاول من القرن الرابع قبل المسيح وكان حاكماً على مملكة كاريا الصغيرة في اسيا الوسطى • توفي وكانت امرأته ارطاميس تحبه حباً شديداً فرأت ان تقيم له في هاليكارناسيا مدفناً شائقاً من الرخام وخافت ان تموت قبل ان يتم عملها فزادت العملة وجدت في العمل حتى انتهى وتم كل شيء فكأنه لم يبق شيء يربطها بهذه الحياة بعد اتمام ذلك المدفن العظيم فتوفيت تاركة للناس بناء عظيماً فخماً ومثالاً سامياً للحب الزوجي والامانة الزوجيه

***

هذا وقد كتب فيكتور هيغو قصيدة طويلة عنوانها « عجائب الدنيا السبع » جعل فيها هذه الابنية السبعة تتكلم كل منها على حدة وتفاخر بقوتها وجمالها وفخامة بنيانها واعجاب الناس في كل العصور بها • وتركها حتى اتمت كلام الفخر فقال لها فيكتور هيغو في شعر بليغ « كفاك فخراً فانك بقدر ارتفاعك وعلوك تكون اكمة خرابك مرتفعة عالية »

وفي الحقيقة ان هذه الابنية الفخيمة قد افناها الزمان كلها الا الاهرام فان يد الدهر لم تقو عليها الى الآن

(١) من الفسيل تُعرف النخيل

❋ الدولة العربية ❋

٢

في احدى المدارس الفرنسويه في اوائل القرن التاسع عشر وقف احد الفاحصين في قاعة الفحص بين جمهور من التلامذة والفاحصين سائلاً بتعجب · من كتب هذه النبذة ؟ فاجابه هنالك تلميذ في السنة الرابعة عشرة من عمره مستحيياً · انا ياسيدي · فالتفت الفاحص للحاضرين قائلاً · اقرأوا ما كتب هذا «الولد العظيم» واعجبوا فانه لابد ان يكون له يوماًشأن خطير وكان هذا الولد فيكتور هيغو الشهير

ذلك انه يغلب في الحي صغيراً ان يدل على نفسه كبيراً · والامة جسم حي كسائر الاجسام التي تقبل النمو الداخلي وتطرأ عليها عوارض الموت والحياة · فيغلب ان يكون في روحها صغيرة ما يدل عليها كبيرة · ومن يطالع ما في الايدي من تاريخ العرب قبل الاسلام اي حين كانوا بطوناً منتثرة وافخاذاً مبعثرة وقبائل منتشرة يحكم لاول وهلة حكم ذلك « الفاحص » ان ذلك الولد الذي بين يديه لا بد ان يصير يوماً رجلا عظيماً

ولقد صار ذلك الولد عظيماً بعد فتوة فطرية جامعة للفضائل والنقائص معاً · فتسلق جبل العز فبلغ قمته في عهد العباسيين ثم اخذ في التدلي والنزول غير مستطيع البقاء على تلك القمة الشاهقة · وما زال آخذاً في النزول حتى صار الى حيث صار قبله الفرس واليونان والرومان وغيرهم من الممالك القديمة وكثيراً ماتساءل البعض عما دعا الى سقوط تلك الدولة العظيمة مع ما اتاها الله من الحول والطول والعز والتأييد · وانتهى التمني بغيرهم الى طلب تجديد ذلك الشباب وتعمير ذاك الخراب غير ذاكر ان الدول ليست بالبيوت والجدران · تهدم وتبنى تبعاً لاهواء الانسان · بل هي اجسام حية تقوم بما فيها من القوى الحيوية حين مناسبة الزمان والمكان · ولها حدود لا تتعداها واعمار لا تتجاوزها فاذا جاء اجلها لم يكن لها ان تستقدم او تستأخر ساعة من الزمان ·

فما سقطت تلك الدولة الا طبقاً للنواميس الطبيعية والشرائع الالهية ولم يكن بالامكان غير ما كان · ووظيفتها السماوية التي أرسلت الى هذه الارض من اجلها كانت وضع شريعة دينية وحفظ التمدن اليوناني والروماني لنقله الى الاجيال الآتية فبعد ان أتمت هذه الوظيفة السامية التي انتدبتها العناية لها سقطت وماتت موت فراشة الحرير بعد اخراج بزرها وانتهاء امرها · وهي ما ارتفعت الا بفضائلها السامية وما انحطت الا بما كان في جسمها وما طرأ عليها من النقائص القاتلة · وهذا شأن كل امة لا ترتفع بغير فضائلها ولا تنحط بغير رذائلها اذ لا صدفة ولا اتفاق في نظام الكون وشريعة الوجود وتلك سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تديلاً

والتاريخ اصح شاهد على هذا القول · فقد رأينا في وقائع الشام وغيرها من وقائع العرب في صدر الاسلام شرذمة من تلك الامة الباسلة تفل جيشاً عرمرماً كجيش الروم في اليرموك ورأينا اسكندر الكبير قبلهم ونابليون الاول بعدهم يلقيان بشرذمة من الجند اضعاف عددها فيؤتيان فوزاً مبيناً ونصراً مؤزراً · وما سرّ ذلك في الابدان بل في النفوس التي تدبر تلك الابدان · فاعلى الممالك ما يبنى على الفضائل السياسية والادبية لا على السمهرية والهندية وان غضب المتنبي رحمه الله ·

ومن نظر في اخلاق تلك الدولة اذ كانت فسيلة اي قبل اتمام الله نعمته عليها بنظم عقدها وجمع شملها وجد فيها بصورة مصغرة تلك الفضائل والنقائص التي ظهرت فيها بصورة مكبرة يوم اصبحت نخلة سحوقاً

وقد ذكرنا اخص تلك الفضائل في المقالة الاولى وهي حب الاستقلال والشجاعة والوفاء والذكاء والعدل والرأي وحمي الذمار والسخاء والشهامة والنخوة وغيرها فضلاً عن اهم هذه الفضائل وهي الفضيلة الدينية التي ليس من غرضنا الكلام عليها

بهذه الفضائل فتح العرب كنوز كسرى ودكوا ملك قيصر وملكوا البلاد واسسوا مملكة عظمى · غير ان تلك الفضائل ما كانت لتبقي وحدها للملك قوته وحياته · نعم هي جواهر ثمينة لكنها بلا سلك تنتظم فيه طبقاً لناموس الوحدة واستدعاء لما يكون وراء ذلك من القوة والمنعة

وهذا السلك هو « قابلية الانتظام» واحترام السلطة الحاكمة بالخضوع لها والثبات على طاعتها · ولم يكن للعرب هذا السلك لا في صباهم ولا في شبابهم فضلاً عن شيخوختهم فان روحهم الوطنية قد منيت من فطرتهم بسوس الشقاق فكانت مرتعاً للانقسام في جميع ادوار حياتها · ويسمي الافرنج هذا السوس individualisme ونسميه استفراداً او حب القيام

(١) نُشرت هذه المقالة لمنشئ الجامعة بتوقيع (م·س) في جريدة الاهرام الغراء منذ نحو سنة وجعلت هنا تتمة لمقالة (الفضائل العربية) التي نشرناها في الجزء الماضي ·

بالذات او استئثاراً كما سماه احد علمائنا الافاضل

وقد تشابه العرب واليونان في هذا الداء داء الاستفراد تشابهاً غريباً · فان اكبر الرذائل والادواء التي اودت باليونان حبهم الاستفراد اي رغبة كل مدينة من مدنهم في الاستئثار بامر السلطة مما جعلهم كالسمك يتآكلون ويفنون بعضهم بعضاً · ومن يطالع تاريخ حروبهم خصوصاً حروب سبارطه واثينا لا يسعه الا استغراب تلك الرغبة الشديدة التي كانت لكل من الاخيرين في افناء اختها · ولعل هذا الخلق نتيجة لازمة لقوة النفس وشدة حب التسلط

وقد فُطر العرب على مثل ذلك فكان دأبهم التقاطع وغزو بعضهم بعضاً قبل تالفهم والانقسام والخروج عن طاعة الهيئة الحاكمة بعده · فدلوا بذلك كما قال ابن خلدون على انهم لا يحسنون سياسة الملك وان احسنوا تأسيسه · وبين الامرين فرق واضح · فالتأسيس يقتضي القوة والبسالة العسكرية والصبر على الشدائد · اما السياسة فاول ماتستوجب اتحاد الكلمة والثبات والخضوع لصاحب الامر وقابلية الانتظام · وهذا الذي كان ناقصاً في الاخلاق العربية

ولا نطيل الكلام في هذا الصدد بل نكتفي بدليل واحد على صحة هذا القول

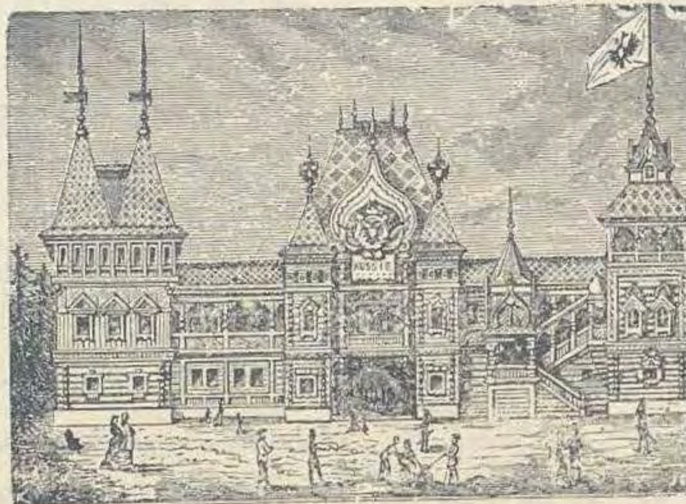
افتح تاريخ العباسيين وهم الذين بلغ التمدن العربي في عهدهم اسمى درجاته · احص عدد الخلفاء من الأمين الى خروج الامر من ايدي العباسيين · هل فرغت · ما كان المجموع؟ كان على ما ارى ٣٢ خليفة ان لم يكن هنالك خطأ · ضع الآن عدد الخلفاء الذين توفاهم الله على تخت الخلافة الى جانب والذين أُنزلوا عنه خلعاً او قتلا الى آخر · ماذا تجد؟ تجد في الاثنين والثلاثين خليفة ١٨ توفاهم الله على تخت الخلافة و ١٤ أُنزلوا عنه ستة قتلاً وثمانية خلعاً

فاذا تدبرت ذلك وعرفت ان نحو النصف لم تصفُ لهم الايام ليشتغلوا بامور الرعية ورأيت من جهة تتالي خروج الولاة عن طاعة السلطة العليا استئثاراً بالامر كاستقلال الادارسة والاغالبة في الغرب وابن طولون في مصر وقيام الدول الواحدة تلو الاخرى باستقلال ولاتها عن الدولة الكبرى — علمت صحة القول بعدم قابلية الاخلاق العربية للانتظام على ماهو لازم لتأسيس الدول العظام على طريقة هذه الايام وثبت لديك ما كان من عجز الدولة العربية عن المحافظة على سلطتها ووجودها بازاء عمالها وولاتها فضلاً عن العناصر الغريبة التي كانت تحدق بها

وهذه الجراثيم جراثيم داء الاستفراد والانقسام وجدت في روح الامة من حين وجدت اي من يوم كانت قبائل منتشرة في عرض البر لا هم لها غير التخاصم والتقاطع وغزو بعضها بعضاً · وان هذه النخيل قد ورثت داءها من تلك الفسيل

لكن هذه الدولة العظيمة من رحمة الله بالتمدن لم تسقط قبل اتمام وظيفتها · بل ربما كان سقوطها نفسه وظيفة اخرى خصتها بها العناية الالهية تمهيداً لسبيل دولة عظمى اقدر منها على صيانة بيضتها وحفظ مركزها · ونريد بها دولة سلاطيننا آل عثمان العظام التي ورثت الميراث العربي بانتخاب سماوي وحكم طبيعي فكفت بقوتها ذلك الميراث كل ما كان يحدق به من المصائب والاخطار

فليت الذين يهجون كل حين بدولة العرب يذكرون ما كان من عجز العرب عن حكم انفسهم وينتبهون الى ان ميراثهم لولا الدولة العثمانية لم يبلغ هذا المقام بل ربما لم يثبت بعد اصحابه بضعة اعوام ·



رسم القسم الروسي في معرض باريز



بيت صيني في حرش



غرفة عاملة من العاملات اللواتي يشتغلن في بيوتهن

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

مدارس البنات

الى حضرة عزتلو قاسم بك امين صاحب كتاب (تحرير المرأة)

كنا نراجع اليوم مقالة للفيلسوف جول سيمون عن تعليم البنات وانشاء مدارس الاناث في فرنسا فرأينا ان الحركة الادبية لم تتم حتى في تلك البلاد المتمدنة الا بقيام افراد مهدوا لها الطريق وازالوا كل ما كان في سبيلها من العثرات

ولم يكن في فرنسا قبل سنة ١٨٧٠ تعليم ثانوي للبنات بل كن يتعلمن في الاديرة او في مدارس مخصوصة ينشئها بعض العلماء و يلقون فيها الخطب عليهن وعلى امهاتهن حتى قام كاميل ساي الذي تولى زعامة تعليم البنات . واليك التفصيل تاركين الكلام للفيلسوف . قال

«مسيو كاميل ساي الزاسي درس الحقوق في ستراسبورج وعين في حصار باريز سنة ١٨٧٠ نائباً للسكرتير العام في الداخلية فكافأته الحكومة على ما اظهره من النشاط في ذلك اليوم المشؤوم يوم ٣١ اوكتوبر سنة ١٨٧٠ بأن عينته وكيلاً لولاية سان دانيس . وكان عمره اذ ذاك ٣٠ سنة . ولكنه لاستقلال فكره كان يرى في نفسه ميلاً الى النيابة في مجلس الامة فقدر مع شبابه على اكتساب ثقة المنتخبين وفاز على مزاحميه بعد عراك شديد . وكان من حزب الشمال المعتدل فلم يلبث ان جعل فيه لنفسه مكانة سامية . ولم نقل شهرة لانه كان لا يعبأ بالشهرة

وكان تعليم البنات منذ سنة ١٧٨٩ لا يستقر على حال من القلق وكان من المواضيع المختلف فيها اذ كان كل يرى فيه رأيه . فساءتنا نحن يومئذ هذه الحال فرفعنا صوتنا بالشكوى وطلبنا اصلاحها في كتب نشرناها . وعقدنا لذلك جمعيات واجتماعات كثيرة كان هو شريكنا ورفيقنا فيها . لكن عقله انصرف بكليته الى هذه المسألة وانقطع اليها فاخذ يقلبها بطنا الى ظهر ويدرسها بنشاط وتدقيق ويفحص ما هو جار بشأنها عند جيراننا . واذا به في احد الايام — ويا له من يوم سعيد — قد قام في المجلس وقدم اليه مشروع قانون بتعليم البنات تعليماً ثانوياً . وكان ذلك في سنة ١٨٧٨

فاكبر الجميع هذا الطلب وقالوا انه طلب فوق ما يجب فلم يهتموا باقتراحه كثيراً ولكنهم راوا من الوجب ان يعملوا شيئاً ما . فعينوا لجنة لفحص مشروعه وجعلوه مقرراً له فقدم للمجلس تقريراً كاملاً شاملاً . فقامت عليه قيامة الاباء والامهات ينكرون على الحكومة حق اخذ بناتهم من بين ايديهم كما تأخذ الفتيان . واعترض هذا المشروع مصاعب جمة وتكاسل المجلس بشانه ولكن بقي كاميل ساي يوالي البحث والتحريض حتى قرره المجلس في سنة ١٨٨٠ وهم يسمونه الآن بعدل وحق (نظام كاميل ساي)

ولم يترك المسيو كاميل ساي هذا المشروع بعد تقريره بل جعل يراقبه من بعيد ويفحص احواله كانما كانه الرئيس الاكبر لهذه الكلية الجديدة التي اسست بنشاطه وقوة فكره . ثم انشأ مجلة دعاها (مجلة تعليم البنات) وكتب كتباً في هذا الموضوع . وقد جعلته الحكومة بعد ذلك في مجلس ادارة مدارس البنات في باريز لا كعضو فيه او مفتش عام او استاذ — كلا بل هو وصي على تعليم البنات وزعيم لهذه الحركة الجديدة

وقد عُمل بهذا القانون منذ عشر سنوات فنشأ عندنا في خلال هذه المدة ٥٣ كلية لتعليم الاناث تعليماً ثانوياً كان فيها من الطالبات في سنة ١٨٨٨ ٦٦٣٤ فتاة . وقد اتخذوا لها الرجال في بدء الامر معلمين ولكن ما مضت سنة ١٨٨٨ حتى وجدت ٧٢٣ فتاة مستعدات للتعليم فيها في جميع الفروع والمواضيع

الا اننا انفقنا على هذه المدارس نفقات طائلة . فاننا انفقنا في سنة ١٨٨٤ نحو ١١٦٦٦٦٦٦ فرنكاً اعانة للحكومة . وانفقنا ايضاً في هذه السنة عشرة ملايين فرنك وهو قرض عقدته الحكومة وانفقنا في سنة ١٨٨٥ نحو ١٠٩٨٧٦١٢ فرنكاً وكذلك ٤٤٠٠٠٠٠ فرنك — مجموع ذلك كله سبعة وثلاثون مليوناً واربعة وخمسون الفاً ومائتان وثمانية وسبعون فرنكاً . ولكننا لا نزال في اول الطريق وما انفقنا هذه الملايين الا للابتداء فقط ومعاذ الله ان نرضى بثلاث وخمسين مدرسة كبرى للبنات»

هذا ما كتبه الفيلسوف جول سيمون في سنة ١٨٩٠ . نقلناه وجعلناه تقدمة لحضرة الفاضل صاحب كتاب « تحرير المرأة » فانه اذا شاء ان يلقي بنفسه في الزوبعة فيكون لمصر « كاميل ساي » آخر و يكمل ما بدأ به كتب المؤرخون اسمه بلحرف من ذهب في تاريخ الامة المصرية بل في تاريخ الامم الشرقية

اما باقي التفاصيل التي وردت في هذا الفصل فانا نسلمها الى عقول قومنا خاصتهم وعامتهم فانهم يرون فيها كما اعتاد ان يقول المؤيد الاغر «مثالاً لامة تحيي وامة تموت»

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

ابو العتاهية

قال بعضهم : اطبع الناس بشار والسيد الحميري وابو العتاهية .

وابو العتاهية هو ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم العنزي . كني بابي العتاهية في قول لانه كان في بدء امره يحب الشهرة والمجون وفي قول اخر لان الخليفة المهدي قال له يوماً «انت انسان متحذلق متعته» . والمتحذلق من يظهر الحذق ويدعي با كثر مما عنده . والمتعته المتجنن المبالغ في المأكل والملبس

ولد في سنة ١٣٠ هجرية في بلدة صغيرة تدعى عين تمر قرب المدينة وقيل قرب الانبار ونشأ بالكوفة وكان يعمل الجرار الخضر هو واهله . قال بعض معاصريه (انا رأيت ابا العتاهية وهو جرار ياتيه الاحداث والمتأدبون فينشدهم اشعاره فياخذون ماتكسر من الخزف فيكتبونها فيها) وقال له بعضهم (انت جرّار ؟) فقال (انا جرّار القوافي واخي جرّار التجارة)

وكان ابوه القاسم حجاما من اهل ورجة فعير بعضهم ابا العتاهية بذلك فقال

الا انما التقوى هو العزّ والكرمْ   وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقي نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك او حجم

ولما قال ابو العتاهية الشعر ورأى اقتداره عليه جاء بغداد ونزل الى الحيرة فاشتهر فيها فبعث الخليفة المهدي في طلبه فامتدحه ابو العتاهية ونال جوائزه . وتعرف ابو العتاهية بجارية المهدي عتبة فجعل يذكرها في شعره فغضب المهدي وامر بحبسه فكتب اليه ابو العتاهية يستعطفه بابيات فرق له وعفا عنه

ولما تولى الهادي اختبأ ابو العتاهية خوفاً على نفسه لان الهادي كان ساخطاً عليه لملازمته اخاه هارون ثم استعطفه ابو العتاهية بابيات فارسل اليه الامان واعلى منزلته . ثم توفي الهادي وبويع للرشيد فلزمه وكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وقد اجرى عليه الرشيد في كل سنة خمسين الف درهم سوى الجوائز

وكان نفس ابي العتاهية سئمت الدنيا وملاذها والحياة وافراحها فاراد الانقطاع عنها كلها فلبس الصوف وترك منادمة الرشيد ونظم الغزل فسجنه الرشيد . ثم اطلقه فجلس ابو العتاهية يحجم اليتامى والفقراء زهداً في الدنيا (واسقاطاً للكبر عن نفسه) كما كان يقول

وادرك ابو العتاهية المامون فامتدحه بقصائد ثم انقطع عن اصحابه وعاد الى زهده حتى مرض مرض الموت فاتاه بشر ابن الوليد يعوده وقال له ماتشتهي فقال : اشتهي ان يجيء مخارق فيضع فمه على اذني ثم يغنيني

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر ليلة
فان غناء الباكيات قليلُ

ولما احس بالموت اخذ يردد قوله :

الهي لاتعذبني فاني   مقرٌّ بالذي قد كان مني
فمالي حيلة الا رجائي   لعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا   وانت عليَّ ذو فضل ومنِّ
اذا فكرت في ندمي عليها   عضضت اناملي وقرعت سني

وكانت وفاته في خلافة المأمون . قيل كانت سنة ٢١٠ هجرية وقيل سنة ٢١١ وقيل سنة ٢١٣ ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد . وكان رحمه الله نظيفاً ابيض اللون اسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة . واكثر شعره في الزهد والامثال

وقد ظلمه بعض حساده اذ نسبوا اليه الكفر وعدم الايمان

بالبعث استناداً الى ان شعره انماهو في ذكر الموت دون ذكر النشور والمعاد ولكن شعر ابي العتاهية حافل بذكر التوحيد والبعث والاقرار بالجنة والنار والوعد والوعيد مما يرد حجة حساده

قال الصولي (كان مذهب ابي العتاهيه القول بالتوحيد وان الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء . ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له الا الله . وكان يزعم ان الله سيرد كل شيء الى الجوهرين المتضادين قبل ان تفنى الاعيان جميعاً . وكان يذهب الى ان المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة لا يتنقص احداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان وكان مجبراً)

ويقال انه كان مع زهده شديد البخل دائم الجوع شحيحاً على نفسه وعلى ذويه وله في ذلك قصص كثيرة مما جعل كثيرين يعتقدون (انه يظهر الزهد ويبطن الزندقة) كما قال ابراهيم بن المهدي في بضعة ابيات

ومن جيد شعر ابي العتاهية قوله من قصيدة طويلة في زوال الدنيا

لدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير الى ذهاب
لمن نبني ونحن الى تراب ... نصير كما خلقنا من تراب
بأية حجة احتج يوم الـ ... حساب اذا دعيت الى الحساب
هما امران يوضح عنهما لي ... كتابي حين انظر في كتابي
فاما ان اخلد في نعيم ... واما ان اخلد في عذابي

وجلس في دكان وراق فاخذ كتاباً وكتب على ظهره مرتجلاً

الا اننا كلنا بائد ... واي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم ... وكل الى ربه عائد
فياعجباً كيف يعصي الاله ... ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه الواحد

ثم انصرف فمر ابو نواس بالموضع فراى الابيات فسال عن ناظمها فقيل له ابو العتاهية فقال وددتها لي بجميع شعري

ومن قول ابي العتاهية وهو احب شعره اليه

ليت شعري فانني لست ادري ... اي يوم يكون اخر عمري
وباي البلاد يقبض روحي ... وباي البلاد يحفر قبري

وله في ما وراء الموت

فلو كان هول الموت لا شيء بعده ... لهان علينا الامر واحتقر الامر
ولكنه حشر ونشر وجنة ... ونار وما قد يستطيل به الخبر

وقال في سكان القبور واجاد

اني سألت القبر ما فعلت ... بعدي وجوه فيك منعفره
فاجابني صيرت ريحهم ... تؤذيك بعد روائح عطره
واكلت اجساداً منعمة ... كان النعيم يهزها نضره
لم ابق غير جماجم عريت ... بيض تلوح واعظم نخره

وله يصف قلة فضل اهل زمانه

رأيت الفضل متكئاً ... يناجي البحر والسمكا
فارسل عينه لما ... رآني مقبلاً وبكى
فلما ان حلفت له ... بانى صائم ضحكا

وله في خلوص المودة

ان اخاك الصدق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

قال المسعودي : لو لم يكن لابي العتاهية الا هذه الابيات التي ابان فيها صدق الاخاء ومحض الوفاء لكان مبرزاً على غيره ممن كان في عصره

وكتب رجل الى ابي العتاهية

يا ابا اسحاق اني ... واثق منك بودك
فاعني بابي انت ... على عيني برشدك

فاجابه ابو العتاهيه

اطع الله بجهدك ... عامداً او فوق جهدك
اعطِ مولاك الذي ... تطلب من طاعة عبدك

ومن قوله للرشيد وقد طلب منه ان يصف نعيم هذه الدنيا

عش ما بدالك سالماً ... في ظل شاهقة القصور
فاذا النفوس تقعقعت ... في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ... ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى البرمكي بعث اليك امير المؤمنين لتسره فحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا منه

وله قوله

بكيت على الشباب بدمع عيني ... فلم يغن البكاء ولا النحيب
عريت من الشباب وكان غضاً ... كما يعرى من الورق القضيب
فيا ليت الشباب يعود يوماً ... فاخبره بما فعل المشيب

وابو العتاهية احد الثلاثة الذين ما قدر احد على جمع شعرهم لكثرته . وكان الاصمعي يقول (شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى)

باب الاخبار العلمية

❋ تسمين الاجسام النحيفة ❋ اكتشف الدكتور فورنا كا طريقة لتسمين الاجسام النحيفة وهي الحقن تحت الجلد بزيت الزيتون المعروفة فائدته في التغذية . وقد جرب طريقته في خمسة اشخاص مختلفي السن والمزاج فتحسنت صحتهم وزاد ثقلهم فثبت بذلك ان زيت الزيتون يكون اكثر تغذية اذا دخل الجسم على طريق الدم منه على طريق المعدة

❋ جسم الانسان محاط بقشرة من الشمع ❋ يرى علماء الفسيولوجيا من قديم ان في بشرة الانسان مادة دهنية ولكن لم يعرفوا ما هية هذه المادة . فانهم اذا اخذوا عضوا من اعضاء الانسان ووضعوه نصف دقيقة في ماء غال على النار ظهر سطح الجلد محاطاً بقشرة كانوا يحسبونها دهناً . اما الآن فقد اثبت العالم رانفيه الفرنسوي ان هذه المادة الدهنية هي شمع له خواص شمع النحل وهو يذوب بحرارة ٣٥ درجة . فادهش الناس باكتشافه هذا ودل على ان بشرة النحلة هي التي تفرز الشمع كما تفرزه بشرة الانسان

❋ لماذا تنطفئ النار بالماء ❋ يظن الناس ان النار تنطفئ بالماء لعدواة خصوصية بينهما لذلك يقولون ان الماء والنار ضدان لا يجتمعان . على ان اهم المواد التي يتركب منها الماء وهي الاوكسيجين والنيتروجين من المواد القابلة للاشتعال فلا موجب اذاً لهذه العداوة ولا بد من سبب غيرها . والسبب بسيط جداً وهو ان من ناموس النار ان تنطفئ اذا حرمت من الهواء فمتى صببت كثيراً من الماء على جمرة عزلتها به عن الهواء اللازم للاحتراق فتنطفئ بالحال . ومن خواص القليل من الماء ان يزيد بعض الاجسام اضطراما يدلك على ذلك ان الحدادين ينضحون فحم مواقدهم بالماء زيادة في اضطرامها . فالماء يطفئ النار اذاً كما يطفئها التراب وكل مادة اخرى . فبطل بذلك قولهم ان الماء والنار متضادان

❋ دواء بسيط مجرب ❋ يكون الانسان ماشياً فلا يشعر الا قد وثقلت رجله واصابه فيها شيء يسميه العامة (تنميل) اشارة الى ان له دبيباً يحكى دبيب النمل . ودواء هذا الشيء او « التنميل » بسيط جداً وهو ان تنزع حذاءك وتأخذ بيدك ابهام الرجل التي تشعر فيها « بالتنميل » فتلويه بشدة مرة او مرتين يزول الشيء بالحال

❋ اكبر تلسكوب في العالم ❋ تمّ نصب التلسكوب العظيم الذي سيعرضه الفرنسويون في معرض باريز الآتي . وقطر مرآة هذا التلسكوب متران وثقلها مع اسطوانتها ٥ الاف كيلو غرام . وقد قالوا يوم عزموا على صنع هذا التلسكوب انه يري القمر كما لو كان على بعد متر واحد منا وهو خطأ ولكن الثابت انه يقرب المرئيات البعيدة اكثر من جميع النظارات التي في العالم . ومن غريب الاتفاق ان الشمس ستكسف في ٢٩ مايو فيشاهد به كسوفها الداخلون معرض باريز من خاصة الناس وعامتهم . فكأن الطبيعة نفسها تساعد هؤلاء الاوروبيين في اعمالهم .

❋ طرق سهلة لقتل النمل او طرده ❋ تشكو ربات المنازل من النمل وخصوصاً المنازل التي لم تكمل فيها شروط النظافة . فاذا ارادت سيدة طرد النمل فلتضع في مكانه قطعاً من الفحم يهرب سريعاً . واذا ارادت وقاية مائدة منه فلتفرك اسفل قوائمها الاربع بشيء من الطباشير فلا يقترب النمل منها وكذلك اذا وضعت في طريقه الماء المحلول بالقطران او بالصابون او الفنيك او الملح او وضعت نشارة الخشب فانه يهرب من هذه كلها . اما قتله فيتم بصب شيء من البترول او محلول ورق الجوز في بيوته

❋ بشر تزرع كما تزرع الازهار ❋ في بعض الجهات في الصين يزرعون الاولاد في حقاق كما تزرع الازهار عندنا . ذلك انهم ياخذون ولداً منذ نعومة اظفاره فيضعون جسمه في اناء مجوف ويتركون راسه بارزاً منه فقط ويبقونه كذلك سنوات فينمو الولد ولكن نموه ينصرف الى رأسه البارز فياخذ بالكبر والتعاظم ويبقى جسمه المحصور على حاله اذ يحول انحصاره في الاناء دون نموه . وبذلك يصبح الولد بعد ان يشب بجسم طفل ورأس رجل . وقد يجعل بعضهم جملة اولاد كذلك ويضعهم صفاً واحداً في منزله فيشبهون حينئذ الازهار التي تزرع اليوم في آنية وتصف على الشرفات . ولكن تلك مزروعات بشرية غرستها يد التوحش والجهل

✵ ري الظمأ من بطون السلاحف ✵ قدم احد علماء الطبيعة الى المجمع العلمي في سان فرنسيسكو نوعاً من السلاحف العظيمة يعيش في جهات كاليفورنيا القاحلة وفي بطن هذه السلاحف كيس صغير قرب قشرتها السفلى يتضمن ماء زلالاً صالحاً للشرب فاذا اعوز الماء المسافرين في صحارى كاليفورنيا يمسكون من تلك السلاحف ويشقون بطونها فيخرج منها ماء زلالا فتكون هذه السلاحف بمثابة آبار وعيون ماء للمسافرين . نقول وقد يمكن جعل هذه الآبار منتقلة اي انه يؤخذ من هذه السلاحف الى الصحراء في كل بلاد كصحراء افريقيا مثلاً فتتكاثر فيها وتكون آباراً لروادها

✵ الاسنان الصناعية ✵ قال الدكتور سمبسون ان الاسنان الصناعية تضر الاشخاص الطاعنين في السن لانها تجعلهم يقدرون على اكل اللحم مع ان اسنانهم لم تسقط سقوطاً طبيعياً الا لان اللحم صار عسر الهضم على معدهم . فكأنهم بالاسنان الصناعية يغصبون الطبيعة ويقاومونها

✵ تنبيه للعزاب ✵ بحث الدكتور شوارتز الالماني عن علاقة العزوبة بطول العمر وقصره فتوصل الى احداء غريب . وجد ان المتزوجين يموت منهم ١٨ شخصاً في مائة شخص سنهم بين ٣٠ و ٤٥ سنة والعزاب يموت منهم ٢٧ في المائة . واخذ مائتي شخص بلغوا الاربعين من العمر فوجد منهم ١٢٥ متزوجين و٧٥ عزاباً وهلم جراً على هذه النسبة . ووجد في اثني عشر شخصاً ادركوا الثمانين سنة عشرة متزوجين واثنين عازبين . وعد خمسين رجلاً بلغوا مائة سنة فوجد اربعين متزوجين وعشرة عزاباً. قالت الجريدة التي اخذنا عنها هذا الخبر : فمن اراد ان يدرك الشيخوخة فليبادر الى الزواج

✵ بركان في معرض باريز ✵ سيعرض الفرنسويون في معرض باريز جبلاً يبنونه بهيئة بركان ناري علوه مائة متر وطوله ٤٧١ متراً ويقيمون في جوفه حانات وقهاوي للرقص والغناء

✵ مدارس لتعليم الصيد ✵ انشأ الفرنسويون في بعض موانيهم البحرية كرسيليا وبولونيا وديبب وغيرها مدارس لتعليم صيادي البحر اصول حرفتهم وما يتبعها من سلك البحار وادارة السفن . وفي مدينة بولونيا على بحر المانش سفينة قديمة للحكومة اقيمت فيها مدرسة للصيد متنقلة يجول فيها تلامذتها واساتذتها من مكان الى مكان فيتعلمون الصيد علمياً وعملياً ويلقون الخطب على الصيادين في الثغور التي يزورونها فيفيدونهم بارشاداتهم . وهذا منتهى العناية بامور الرعية

✵ اربعمائة الف شخص في بيت واحد ✵ يبني الاميركيون في نيو يورك بناء ذا مائتي طبقة علو كل طبقة متر ونصف في ارض مساحتها ١٢ الف متر مربع ويحتوي هذا البناء مائة الف مكان تتخذ اسواقاً ويصعد اليها على خمسين مرقاة كهربائية . وهذا البناء اعظم بناء في العالم فلاغرو ان يكون اميركياً

الجامعة

✵ في حلتها الجديدة ✵

النمو شأن كل الاجسام الحية . وقد نمت الجامعة بمؤازرة قرائها الكرام في اشهر نمو غيرها في سنوات فرأينا من قبيل الشكر لحضرات القراء على جميل مساعدتهم لها واقبالهم عليها ان ندخل فيها التحسين الذي وعدناهم به في الجزء السادس

✵ صفحات الجامعة ✵ وعليه فالجامعة تصدر من عددها الثالث عشر فصاعداً في ٤٠ صفحة بدلاً من ٣٠ ولكن بحجم اصغر من حجمها الحاضر الذي تكاثرت علينا شكوى القراء منه بالنظر الى كبره وتجعدها به ولا سيما في طريقها الى اميركا وايران وزنجبار والهند وغيرها من البلدان القاصية

✵ ابواب الجامعة ✵ وبالنظر لاتساع نطاقها هذا الاتساع المهم رأينا ان نزيد ابحاثها وابوابها زيادة سنأتي على ذكرها

✵ رسوم الجامعة ✵ اما رسومها الجديدة فان حضرات القراء سيرون منها ما يرضيهم ان شاء الله .

✵ روايات الجامعة ✵ ولما كنا سنضع فهرستاً لمواد الاثني عشر جزءاً الاولى التي تصدر من الجامعة بالحجم الكبير لتجلد على حدة وتكون بمثابة جزء اول من السنة الاولى وتكون الاثني عشر جزءاً الاخرى التي تصدر بالحجم الجديد جزءاً ثانياً منها — رأينا ان نجعل ختام رواية الحب حتى الموت في الجزء الثاني عشر ونبدأ في الجزء الثالث عشر برواية جديدة سنعلن عنها في الجزء الآتي

✵ اشتراك الجامعة ✵ كل ذلك ونبقي بدل اشتراك الجامعة كما هو دون ان نزيده كما كان حق الجامعة ابتغاء المزيد من رضى القراء . وحسبها ذلك ربحاً

وانا نعد حضراتهم انهم كلما زادوا الجامعة اقبالاً زادتهم تحسيناً قياما بما يجب عليها وعلى الله الاتكال

باب الاسئلة والاجوبة

قوى العقل الغريزية والمكتسبة

(الاسكندرونه) · قيصر افندي صائغ

اي افضل قوى العقل الغريزية ام المكتسبة وايها يقوى على الآخر

(الجامعة) العقل غريزي ومكتسب وكل منهما مكمل للآخر لا يفرّق بينهما · لان العقل الغريزي هو القوة التي وضعها الله في الانسان ليدرك الامور بها والعقل المكتسب ما يكتسبه الانسان بالتجربة والاختبار· ولكن العقل المكتسب ثمرة للعقل الغريزي فهذا مفضل على ذاك وهو اقوى منه

وكاننا نشعر انكم تريدون غير هذا · ونظنكم تريدون بسوآلكم النظر في اي اقوى وافضل : المواهب الطبيعية التي ترشح الانسان للعلى منذ ولادته ام القوة التي يكتسبها الانسان بالمزاولة والصبر والثبات فتقوم مقام المواهب · ولا ريب ان الاولى اقوى من الثانية وان كانت هذه تبلغ صاحبها شأو الاولى كما قال بيفون · فان هذا العالم يرى ان من لا مواهب له يستطيع بالصبر والمواظبة ان يصير ذا مواهب

فساد العقل بالنظر الى البحر

(القاهرة) س · ف

رأينا في غذاء المعد القوية في الجزء الماضي قول ابراهيم النظام : ثلاثة اشياء تفسد العقل طول النظر في المرآة والاستغراق في الضحك ودوام النظر في البحر · فاية علاقة بين هذه الثلاثة و بين فساد العقل

(الجامعة) اذا امعنتم النظر في عبارة النظام وجدتم علاقة شديدة بينها و بين فساد العقل · اما طول النظر في المرآة فانه يدل على ازدهاء بالنفس وتخنث واشتغال بالزينة عن كل شغل · واما طول الضحك فيدل على البله والخفة والعجز عن ضبط النفس · واما طول النظر في البحر ففيه نظر · ونظنه يريد بذلك طول التامل ووضع الانسان مصائبه نصب عينيه والتحدث بها كلما خلا بنفسه على شاطئ البحر فيبقى ناظراً اليه متاملاً مبهوتاً · والله اعلم

الشفقة

(طنطا) توفيق افندي بورصلي مراسل جريدة البصير

هل الشفقة طبيعية في الانسان ام اكتسابية

« الجامعة » يقول الفلاسفة وعلماء الانسان ان الشفقة شعور منشأه رجوع الانسان الى نفسه حين نظره الى الشخص المشفق عليه ووضعه نفسه مكان هذا الشخص · فاساس الشفقة اذاً هذا المبدأ العظيم « اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك » ولما كان هذا المبدأ طبيعياً فالشفقة طبيعية من هذا الوجه

السفر الى مصر

(يافا) ح · د

استشارني صديق في السفر الى مصر لانتجاع الرزق في تلك البلاد الواسعة فرايتا ان نستشير الجامعة فما قولكم

(الجامعة) نشكر لكم القاءكم على الجامعة سوآلا يتاح لها في الجواب عليه ان تنصح بعض الشبان السوريين نصيحة تود لو امكنها اذاعتها بالخصوص في الولايات السورية · فقد كثر اقبال بعض الشبان السوريين على السفر الى مصر مغترين بما يسمعونه عن اتساع ابواب الرزق فيها لكل قادم اليها · والحقيقة ان ابواب الرزق واسعة لكل عامل نشيط في كل مكان وزمان ومصر في الظروف الحاضرة لا تفضل غيرها من البلدان وان كان قد ضم اليها السودان · فخير لصديقكم ان يبقى في وطنه اذا لم يكن له في مصر سند قوي يستند اليه او لم يكن له معرفة باحد الفنون او رأسمال كاف من الادب والمال يعتمد عليه · اذ كم من الشبان السوريين قد غرهم ما سمعوه عن مصر فقصدوها فاضطروا ان يعودوا الى وطنهم بعد التعب وخسارة المال

المرأة في القرن العشرين

ومنه

وعدتم ان تنشروا شيئاً من كتابكم المرأة في القرن العشرين الذي عربتموه عن اللغة الفرنسوية ولم تنجزوا وعدكم الى الآن · وهل طبعتم هذا الكتاب · واين نجده

(الجامعة) لم نطبع « المرأة في القرن العشرين » بعد وقد نشرنا شيئاً منه في باب التربية والتعليم في هذا الجزء وسنوالي ذلك الحين بعد الحين

ورد في ختام الكلام على ديوان المرحوم اسعد طراد في باب الشعر (الصفحة ٣٢) وصوابه (الصفحة ٣٣) فلزم التنبيه

تاريخ الاسبوعين

خارجية

هولانده — قرر مؤتمر السلم في ٢٢ الماضي منع استعمال رصاص دم دم فاخذت انكترا تنظر في تغيير شكله بما يزيل اعتراض المؤتمر

وافقت اللجنة الثالثة لمؤتمر السلم على اجمال مشروع التحكيم

روسيا — كانت وفاة ولي عهد روسيا على اثر نزيف دم في رئته وهو يتنزه وحده راكبًا دراجته فلقيته فلاحة وناولته ماء وهو يفارق الحياة . وقد احيط المكان الذي توفي فيه بدرابزون ليقام فيه بناء تذكارًا للفقيد

فرنسا — استعرض الجيش في يوم عيد الجمهورية استعراضًا باهرًا ساد النظام فيه وكان بهجة هذا الاستعراض مرشان ورجاله السودانيين

اثرت في فرنسا رسالة بعث بها القيصر الى البرنس لويس نابوليون المطالب بسرير فرنسا وهو كولونل في الجيش الروسي اذ قال جلالته في هذه الرسالة انه يتمنى قرب مجيء اليوم الذي تتحقق فيه آمال البرنس

يحاكم دريفوس في ٧ اغسطس الجاري

انكلترا — ايدت جريدة التيمس الطلب المتعلق بانشاء مواصلة تلغرافية مع مصر والهند باسعار ارخص من الاسعار الحاضرة

الترنسفال — قررت الترنسفال منح انكليز الترنسفال حق التجنس بجنسيتها بعد اقامة سبع سنوات فيها فسقط بذلك اساس دعوى الحكومة الانكليزية وقال المستر سسل رودس في خطاب ان خطر الحرب قد زال . ولكن الانكليز يلحون في ان تنظر الترنسفال في مطالبهم الاخرى

عزم الرئيس كروجر على الاستقالة لخلاف قام بينه وبين مجلس الفولكسراد ثم اتفقا فعدل عن الاستعفاء

الولايات المتحدة — استقال المستر الجر ناظر الحربية من وظيفته للمطاعن التي توجه اليه تخلفه المستر اليوروت

اعتصب عمال الترمواي في نيويورك فحدث اضطراب جرح فيه كثيرون فالقي القبض على ١٠٠ شخص

الصين — ظهرت دلائل على حدوث تقرب بين الصين واليابان فان الصين ارسلت مندوبين الى توكيو واستعرض ضابطان يابانيان الجنود الصينية في شنهاي كوان

داخلية

(المولد النبوي) احتفل السادة المسلمون في ١١ ربيع الاول بختام ليالي المولد النبوي الشريف اعاده الله عليهم بالخير والبركة

(الجناب الخديوي) اتم اليخت محروسه في ٢٤ الجاري مدة الكورنتينا في ازمير فسافر منها سمو الجناب الخديوي والاسرة الكريمة الى رودس فتقيم فيها اسرة سموه ويرحل الامير للسياحة في النمسا وفرنسا ثم يقصد الاستانة لزيارة جلالة مولانا السلطان الاعظم . ومنها يقصد سموه رودس ليعود الى القطر بالاسرة الكريمة

(الطاعون) استقدمت مصلحة الصحة طبيبين وطبيبة من الاطباء الانكليز الذين يفحصون احوال هذا الوباء في الهند لمساعدة اطباء مصر في محاربة جراثيمه ففحص هؤلاء الاطباء الثلاثة المصابين في المستشفيات فقرروا ان الوباء طاعون لا ريب فيه ولكنه اخف وطأة من طاعون الهند فزال بذلك من نفوس الخاصة الارتياب الذي ذكرنا امره في الجزء الماضي . ولم يحدث في هذين الاسبوعين ما يهم ذكره من حوادث الوباء سوى انقطاع اصاباته من ١٠ الجاري الى ١٥ منه ثم عودتها . وانقطاعها من ١٨ الجاري الى ٢٦ منه يوم طبع الجامعة فيكون انقضى على الاسكندرية ٨ ايام وهي سليمة من الوباء نسأل الله ان يجعلها خاتمة ضيفنا الثقيل

وقد بلغ مجموع الاصابات من اول ظهور الوباء الى ٢٦ الجاري ٧٤ اصابة توفي منها ٣٢ وشفي ٣٦ والباقون تحت المعالجة ٦ اشخاص منهم ٣ وطنيين و٣ اوروبيين

(جريدة المؤيد) اتتنا رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء منذ يوم الاحد الواقع في ١٦ الماضي تتهادى في حلة جديدة وبردقشيب . فقد صدرت في ثمانية صفحات كبرى طافحة بالمقالات والابحاث المختلفة فكانت خطوتها هذه بدء دور جديد للصحافة العربية .

وقد اصدرت ادارة المؤيد غير النسخة العربية اليومية نسخة اسبوعية فرنسوية باسم المؤيد وحجمه وورقه لاطلاع الاجانب على آراء المصريين واحوالهم . فنهنئ رصيفتنا بهذا النجاح الباهر ونرجو مثله لباقي الصحف المصرية والسورية

هدايا وتقاريظ

(رواية لادياس) اهدت الينا ادارة مجلة الموسوعات الغراء رواية لادياس اوآخر الفراعنة تاليف حضرة شاعر مصر المجيد عزتلو احمد بك شوقي · وهي رواية تاريخية غرامية حدثت حوادثها في عهد آخر الفراعنة كما يدل عنوانها على ذلك وقد نشرت تباعًا ذيلاً لمجلة الموسوعات الغراء وتطلب من ادارتها · ولا ريب عندنا ان الادباء سيقبلون عليها اقبالهم على كل ما يكتبه مؤلفها نظماً ونثراً فنشكر لحضرة شوقي بك خدمته التاريخ والروايات فوق خدمته الشعر ونرجو ان يبلغ فيهما ما بلغه في هذا الفن من المكانة السامية

(الازمة البطريركية الانطاكية الارثوذكسية) عنوان كراسة صدرت حديثًا وفيها تفاصيل هذه الازمة منذ استعفاء غبطة البطريرك السابق حتى الان · ومما جاء فيها قولها عن مداخلة غبطة البطريرك المسكوني الموقر في شؤون البطريركية الانطاكية:

«مضت سنون طويلة والاساقفة اليونان يتوارثون منصب البطريركية الانطاكية · فماذا كانت النتيجة غير تأخر الطائفة عن سائر الطوائف الاخرى · فهل هذه هي ارادة الله ؟ وهل كان يوحنا فم الذهب يعامل السوريين بمثل هذه المعاملة غير الجائزة

«والآن قد احس الارثوذكس السوريون بالاضرار التي عادت عليهم وهبوا لاصلاح شؤونهم فماذا يضر غبطة البطريرك المسكوني الموقر؟ الا يرضيه ان يرى عضوًا مهماً اصليا في جسم الكنيسة نشط من عقاله ونقدم في المدنية والعمران

«فاثبتوا ايها البنون الصالحون · فان زمن الفرج صار على الابواب · ولنا الامل الوطيد ان تبقوا مخلصي النية في التابعية لجلالة السلطان الاعظم مع شدة تمسككم بمطالبكم الحقة دون ان تلجئوا الى الدول الاجنبية وتقرعوا باب مرحمة جلالة القيصر لان الدولة العلية امكم فلا تقسو عليكم الى النهاية »

وهي تطلب من ادارة جريدة الرائد المصري الغراء في القاهرة وربما نظرنا في هذا الموضوع في الجزء القادم

(مآثر مشكورة) وردتنا كراسة بهذا العنوان مصدرة برسم صاحب الجاه الرفيع سعادتلو خليل باشا خياط وفيها ذكر طرف من مبرات هذا المحسن الكريم الذي سار ذكره في كل صقع وناد · نشرها احد مريدي سعادته اعترافًا بفضله عليه وشكرًا لما له من الايادي عنده فنهنئ سعادته بما ناله من حب الناس واحترامهم

وفيات

رزئت مصر في ١٦ الجاري بوفاة كبير من اكابر رجالها وهو المرحوم عمر باشا لطفي رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية · خدم الفقيد الحكومة من عهد اسماعيل باشا الخديوي الاسبق اذ كان مفتشًا عاماً للوجه القبلي وولي سنة ١٨٩٤ رئاسة مجلس شورى القوانين بعد استقالة المرحوم علي باشا شريف · وقد كان رحمه الله مشهورا بمكارم الاخلاق والصلاح والحزم والنشاط رحمه الله عداد حسناته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء على فقده

ورد من مرسيليا نعي المأسوف عليه المرحوم امين باشا سيد احمد وكيل نظارة الحقانية · توفي بداء السكتة في الباخرة الفرنسوية ملبورن وهو مسافر معها الى اوروبا في منتصف الشهر الماضي فالقيت جثته رحمه الله في البحر بعد ابقائها في السفينة ٢٤ ساعة اكراماً لمقامه طبقًا للقوانين البحرية · والفقيد في الخمسين من العمر قضى معظمها في وظائف القضاء ثم ارتقى الى منصب وكيل الحقانية فنسأل الله ان يتغمده برحمته ورضوانه ويلهم آله الكرام جميل العزاء والسلوان

نعت الصحف السورية الكاتب الاديب المأسوف عليه المرحوم رشيد الحاج وكيل جريدة السلام العام في البلاد العثمانية واحد محرري جريدة ابي الهول · وجد مضرجاً بدمائه في طرابلس الشام دون أن يقف احد على سبب قتله او يعرف قاتله الى الآن رحمه الله رحمة واسعة واجمل صبر آله على فقده

(الصيد بالطيارة) يصطاد اهالي بعض الجهات في فرنسا الحجل بالطيارة · ذلك انهم يصنعون طيارة اوطيارات بهيئة الطيور الكاسرة ويطلقونها في الهواء فمتى ابصرها الحجل ظنها كواسر تحوم فوقه وتفتش عنه لافتراسه فيختبئ بمكانه فيأتي الصيادون ويرمونه واحداً بعد واحد بالرصاص فلا يهرب خوفًا من الكواسر الصناعية

وقع في هذا الجزء وبعض الاجزاء الماضية بعض اغلاط مطبعية يكاد لا يخلو منها كتاب او جريدة وهي لا تخفى على ذكاء القراء

غذاء المعد القوية

عدل الامام عمر — ارسل قيصر رسولاً الى الامام عمر (رضه) لينظر احواله و يشاهد افعاله. فلما دخل المدينه سأل اهلها وقال : اين اميركم قالوا قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه فرآه نائمًا في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه الى ان بل الارض . فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال : رجل يكون جميع الملوك لا يقرلهم قرار في هيبته وتكون هذه حالته . ولكنك يا عمر عدلت فنمت . وملكنا يجور فلا جرم انه لا يزال ساهرًا خائفًا

وقال عبد الرحمان بن عوف : اتاني عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال : قد نزل بباب المدينة قافلة واخاف عليهم اذا ناموا ان يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه. فلما وصلنا قال: نم انت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليله (الغزالي)

الذلة — قال حكيم: ثمانية تجلب الذلة على اصحابها وهي: جلوس الرجل على مائدة لم يدعَ اليها . والتأمر على صاحب البيت . والطمع في الاحسان من الاعداء . ومضي المرء الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما. واحتقار السلطان . وجلوس المرء فوق مرتبته . والتكلم عند من لا يستمع الكلام . ومصادقة من ليس بأهل (الغزالي)

العلم والتعليم — قال الامام علي بن ابي طالب : ما آتى الله تعالى عالمًا علمًا الا اخذ عليه الميثاق ان لا يكتمه . وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا (الشريشي)

سرعة العمل واتقانه — قال افلاطون الحكيم :لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسألون في كم فرغ وانما ينظرون الى اتقانه وجودة صنعته (امثال العرب)

عشرة في عشرة — قيل عشرة تقبح في عشرة : ضيق الصدر في الملوك . والغدر في الاشراف . والكذب في القضاة . والخديعة في العلماء . والغضب في الابرار . والحرص في الاغنياء والسفه في الشيوخ . والمرض في الاطباء . والتهزؤ في الفقراء . والفخر في من لا آل له . (الثعالبي)

الحلم — قال معاوية :اني لأستحي من ربي ان يكون ذنب اعظم من عفوي او جهل اكبر من حلمي او عورة لا اواريها بستري (ابن عبد ربه)

غذاء المعد الضعيفة

اب وولد — قال ولد لابيه اصحيح يا ابتاه اننا صُنعنا من التراب قال الاب نعم يا بني فقال الولد : اذن لاشك ان العبيد صُنعوا من تراب الفحم يا ابت

مزارعان وصيرفي — لقي مزارعان صاحب بنك غني في طريقهما فقال احدهما مالي أرى هذا الغني بلا كفوف في يديه (قفازين) فاجاب الآخر — لما ذا الكفوف ويداه دائمًا في جيوبنا.

ولد وامرأة — كان غلام ينبش عشًا في شجرة و يا خذ فراخًا فيه فصاحت به امرأته رأته وهي سائرة في طريقها — اما بقلبك شفقة ياغلام. ما ذا تعمل امُّ هذه الفراخ اذا اتت ولم تجدها . فاجاب الولد وهو يرقص ضاحكاً :خففي عنك أيتها السيدة الشفوقة فانها لا تأتي لاني اراها مع ريشها معلقة بقبعتك . . .

قروي — اراد ثلاثة ان يسخروا من قروي طاعن في السن داخل الى القرية فتفرقوا واتاه كل على حدة . فقال له الاول -- السلام عليك يا ابانا ابراهيم . فسكت القروي . وجاء الثاني فقال : السلام عليك يا ابانا اسحاق . فسكت ايضًا . فقال له الثالث السلام عليك يا ابانا يعقوب . فالتفت اليه القروي وقد اقترب منه الاثنان وقال :قد غلطتم فلست ابراهيم ولا اسحاق ولا يعقوب وانما انا شاوول بن قيس جئت لافتش عن اتن ابي فما وجدت في وجهي الا حميرًا . . .

شاعر ولص — دخل لص في الليل غرفة شاعر فقير وفيما هو ينتش في خزانته ضحك الشاعر . فقال اللص لماذا تضحك قال اضحك لانك تفتش في خزانتي في ظلام الليل عن شيء لا اجده انا في رابعة النهار

خادمة اخرموضه — قالت سيدة لخادمتها هل تعرفين ان تنظفي دراجتي يا فريدة . فقالت الخادمة لا ياسيدتي ولكني اعطيك عنوان المحل الذي ينظف دراجتي

طبيب ورجل — اتى رجل طبيبًا فقال : سمعت الآن رجلا يشكرك لانك انقذت حياته . قال ما اسمه قال بطرس . قال الطبيب انا لا اذكر اني عالجت رجلاً بهذا الاسم قال الرجل نعم ولكنه عزم اول امس على الانتحار من فقره فبلغه ان عمه الغني مات امس فانتعشت روحه وترك الانتحار. قال الطبيب وكيف اكون انا الذي انقذت حياته . قال الرجل : الست انت الذي عالجت عمه؟

تابع رواية الحب حتى الموت

الفصل التاسع

نعم مسكينة ياماري

فقد كانت هذه الضربة شديدة على قلبها الذي لم يكن له من سلوة ولا بهجة في هذه الحياة الا احترام معلماة ميل واكرامه والافتكار بجعله شريك حياتها. فاتتها في الصباح حمى شديدة وعند الظهر عاودتها نوباتها العصبية فانتكست وساء حالها عما كانت عليه اولاً

وادرك ابوها سر انتكاسها فبات حائرًا في امره ولكنه تجاهل كل شيء حتى انه لم يسالها عن سبب قيامها امس من المجلس ولكنه قلق على صحتها اذ رأى الحمى اخذت بالاشتداد عليها . وفي اليوم الثالث غابت ماري عن صوابها واخذها هذيان ففقد بولس صوابه خوفًا عليها فاستدعى لها اشهر اطباء نيو يورك فانذروه بالخطر لان الحمى اتخذت مقامها في دماغها. فهال الامر بولس واضطرب لهذا الخبر جميع النزالة السورية واللبنانية وقد عرفوا كلهم به الا اميل . ولما رأى بولس الخطر على ابنته جمع اطباءها والدموع ملء عينيه وطلب منهم انقاذ فلذة كبده . فاخذه احدهم الى جانب وهمس باذنه قائلاً — اتريد نجاة ابنتك . قال اهب كل مالي في هذا السبيل . قال ماعليك ان تهب مالاً فان كل مالك لا يغني فتيلاً في شفاء هذه الحمى الدماغية . قال ماذا اذًا . قال اصغ الي . سمعت ابنتك امس تلفظ في هذيانها اسم رجل

فاحمر وجه بولس فقال الطبيب . اذن انت مطلع على شيء من ذلك . لا يخجلك هذا الامر فاني اب مثلك ياخواجه بولس وقد ذقت يومًا ما تذوق الآن . الاسم الذي لفظته ابنتك في غيبوبتها هو (اميل) اظنك تعرف صاحب هذا الاسم في قلب هذه الفتاة سر هو الذي يقتلها اذا لم يخرج من صدرها باسلوب لطيف . دبر ذلك الآن فاننا نحن الاطباء لانستطيع ان نفيدك غير هذا

فلبث بولس مبهوتًا بعد هذا الحديث واخذ يفكر في نفسه ماذا يصنع اذا لم يكن من سبيل لشفائها غير هذا الدواء . ايحدثها هو بنفسه في هذا الامر . ولكن العظمة الوالدية تسقط عن كرسيها اذا حدثها به هو بنفسه . وماذا يقول لها واميل قد اسقط شرف اسمه وافسد صيته فصار غير اهل لان ينفض غبار حذاء ماري

وقضى ليله مفكرًا في هذا الامر وفي الصباح ارسل يستدعي اليه فدوكي صديقة ماري وكانت تلازم سرير صديقتها في كل صباح وكل مساء حتى منتصف الليل . فخلا بها بولس وحدثها طويلاً فخرجت من غرفته باسمة مع انه لم يبسم لها فم من يوم انتكست ماري . وذهبت توًا الى غرفة المريضة فدخلتها

وكانت ماري ممدودة في سريرها الحريري لاحراك بها من شدة وطأة الحمى وفوق راسها الخادمة اميلي وفي الغرفة هدوء تام لا يقلقه الا تصاعد انفاس ماري . وكان وجهها الابيض قد كسته الحمى ثوبًا ورديا جميلاً يتحول احيانًا الى اصفر ثم يعود احمر تبعًا لاشتداد الحرارة في دماغها او ضعفها فيه . وكان يظهر على وجهها حين دخول فدوكي انها احسن حالاً من ذي قبل فتقدمت فدوكي ووضعت يدها على جبهتها فاجفلت ماري وفتحت عينيها

فوقعت عيناها على عيني فدوكي الطافحتين بالحنو وفمها الذي كان يستعد للكلام . فاشارت فدوكي للخادمة ان تخرج وقالت لماري كيف كنت في هذا الليل قالت ماري بضعف شديد وصوت يكاد لا يسمع: الوقت كله ليل عندي . فضحكت فدوكي وقالت لها: نظرتك تبتسمين وانت نائمة فلماذا تقولين ان كل وقتك ليل . قالت ماري مبتسمة وهل في الابتسام غرابة قالت فدوكي مامن غرابة اذا لم يكن مع الابتسام كلام . قالت ماري مجفلة انا تكلمت في الليل . فاخذت فدوكي يد ماري بين يديها وقالت كل ما سمعته في ذلك اليوم كان كذبًا وافتراء . قالت ماري وقد فتحت عينيها جيدًا ماذا تعنين بهذا . قالت لا تخفي عني شيئًا ياحبيبتي ولا تكوني في منامك اكثر جودًا منك في يقظتك . سمعتك امس تذكرين اسمه . . .

فامتقع لون ماري فصاحت ماذا تقولين يا فدوكي لاشك انك تطلبين عذابي . اي اسم تريدين وما هذه الالغاز قالت ذلك وامتلأت عيناها بالدموع

فانحنت فدوكي باسمة بفم كانه زرورد متفتح في صبيحة نيسان ووضعت فمها على اذنها فقبلتها وهمست

انا اختك يا ماري .

فقالت ماري متلجلجة اذا كنت اختي فاغلقي هذا الباب

واصغي الى كلامي

. . . .

وبعد نصف ساعة خرجت فدوكي من غرفة ماري عابسة مفكرة فسارت الى غرفتها توًّا · فاستغربت امها حضورها الى البيت في مثل تلك الساعة

ولنقل في هذا المقام كلمة في امفدوكي

علمنا ان هذه الفتاة لا سند لها في العالم غير امها هذه وهي امراة اميركية احنت ظهرها الايام لا تحسن اللغة العربية بخلاف فدوكي التي تحسنها · وكان زوجها مستخدماً في احد المكاتب التجارية وقد توفي غرقًا بينما كان مسافرا من اميركا الى فرنسا في شغل خصوصي · وكانت تصحبه في سفره هذا امراته ام فدوكي وفدوكي نفسها وكان عمرها اذ ذاك سنة واحدة فغرقت السفينة بهم وغرق الاب فيها · فربت امفدوكي ابنتها بدموع عينيها وهي في اشد فقر وضيق حتى كبرت فدوكي واستخدمت في المحل التجاري الذي مر بنا ذكره

فلما دخلت فدوكي المنزل في صباح اليوم الذي قابلت فيه ماري في فراشها قالت لها امها باللغة الانكليزية باسمة عسى قدومك لخير يافدوكي

قالت : صديقتنا ماري شديدة المرض يا اماه وقد عهدت الي امرًا · قالت هذا ودخلت غرفتها فاخذت قلما وكتبت ماياتي باللغة الانكليزية لانها كانت تتكلم العربية ولكن لا تكتبها

. . . .

« حضرة الخواجه اميل

« لي شرف معرفتك من منزل الخواجه بولس ولدي امر اود ان احادثك بشانه اذا كنت تتكرم بزيارتي في منزلي في شارع فوكان نمرة ٥٤ ·

فدوكي بوليا كو»

. . . .

ولا يستغربن القارىء هذه الحرية التي كتبت بها فدوكي لاميل فان اكثر البنات في اميركا مشهورات بهذه الحرية

فلما وصل كتاب فدوكي الى اميل هب مسرعاً لانه كان قد ضاق ذرعاً بمعيشته في نيو يورك وبالخصوص منذ قطع الامل من رضى ماري وابيها · فاستقبلته فدوكي بلطف وعرفته بوالدتها

وكانت ام فدوكي تستقصي احوال كل شرقي تعرفه لانها عاشرت عيالاً شرقية في نيو يورك في عهد المرحوم زوجها ولا سيما عائلة كانت تدعى عائلة صالح · فسالت اميل من اي عائلة هو قال لها من عائلة صالح · فعجبت المراة وقالت انا اعرف جيدًا عائلة بهذا الاسم كانت عندنا منذ نحو ١٩ سنة وفيها سيدة من السيدات لطيفة تدعى السيدة ورده ·

قال اميل دهشًا · هذا اسم امي · فزاد عجب ام فدوكي وبدأت فدوكي تعجب ايضاً · فقالت امها وزوج السيدة ورده غرق مع زوجي في السفينة لو مبارديا التي غرقت في الاتلانتيكي

قال اميل · نعم هذا ابي اذًا بيننا معرفة قديمة · قال ذلك وهو يبتسم بشيء من المرارة لذكر غرق والده · اما ام فدوكي فكانت قد ملأت الدموع عينيها فمدت يدها المرتجفتين الى اميل وطوقت عنقه قائلة · انت ابن ورده صديقتي · فدعني اقبلك لاني كامك · ثم قبلته وبعد ذلك نظرت الى ماري وانطرحت بين ذراعيها مجهشة بالبكاء

فادهش ذلك اميل وفدوكي معاً وصارت فدوكي تسكت امها وهي لا تزداد الاَّ بكاء فظن اميل وفدوكي انها تبكي هذا البكاء المرَّ لذكرها موت زوجها

وكأن نفس هذه المرأة كانت مضطربة بغير ذكر زوجها فعانقت ابنتها فدوكي بذراعها اليسرى ونادت اميل ان يتقدم منها فاخذته بذراعها اليمنى فضمت الاثنين الى صدرها وهي تذرف الدمع السخين قائلة : ما اسعدكما واشقاني

فمست جبهة فدوكي جبهة اميل وشعر كل منهما بنفس الآخر فتراجعت فدوكي وتراجع اميل معاً متفلتين من بين ذراعي تلك الوالدة · وقالت لها فدوكي بلطف : كفى يا اماه كفكفي دمعك ولا تذكري الخواجه اميل غرق والده فتبكيه كما تبكين على غرق ابي ثم اسمحي لي ان احادث اميل على انفراد بشأن الموضوع الذي من اجله بعثت في طلبه

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء — الدين والوطن

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١٥ اغسطوس (آب) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٧

باب المقالات

جورج اوفيروف

« الى اغنياء الشرق »

كان هذا اليوم (٣ اوغوسطوس) موعد الاحتفال بجنازة جورج اوفيروف

اخذنا القلم بعد الجنازة لنكتب المقالة الافتتاحية فجرت يدنا بهاتين الكلمتين « جورج اوفيروف » . ذلك ان هذا الموضوع جاء في حينه . فقد صدرنا الجزء التاسع من « الجامعة » بتاريخ حياة " بهرام مالاباري " فارينا القراء في هذا الرجل الهندي الفضيلة الاجتماعية في اقصى درجاتها . وصدرنا الجزء العاشر بطرف من حياة " موريسون " فارينا القراء في هذا الفتى الاميركي فضيلة الاقدام في اشد احوالها . بقي لتمام الانسان المدني العامل ان نورد للقراء مثالاً "للنشاط والثبات والاقتصاد وحب الوطن" وجورج اوفيروف اليوناني خير مثال لها . فبالنشاط والثبات والاقتصاد جمع ثروة طائلة بلغت ٦٥٠ الف جنيه غير ما بدده منها على الاعمال الخيرية في حياته . وبحبه وطنه استحق اللقب العظيم الذي لقبه به مواطنوه وهو « المحسن العظيم الى الامة اليونانية » لذلك نصدر هذا الجزء بترجمة حاله ولا ريب عندنا ان اغنياءنا سيقرأونها بامعان كثير

***

ولد جورج اوفيروف في بلدة متزوفو من اعمال ابيروس العثمانية في ١٥ اوغوسطوس سنة ١٨١٨ فبقي الى سنة ١٨٣٨ يتلقن الدروس الابتدائية في مدارس متزوفو ويانينا ثم ارسله ابوه ميشل اوفيروف الى ازمير فاقام سنتين في مدرستها الانجيلية

ولما كانت سنة ١٨٤٠ وفد الى القطر المصري صفر اليدين فانشأ في القاهرة بمساعدة احد اخوته الستة محلاً تجارياً لبيع الانسجة في الوجه القبلي وتصدير المحصولات السودانية فما لبث اخوه ان مات فاستقل هو بالمحل وكان يقضي جميع حاجاته بنفسه فقلما كان ينام قبل الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وفي سنة ١٨٥٤ فشا الهواء الاصفر في مصر ففر منها كثيرون من تجار العاصمة اما اوفيروف فاغتنم هذه الفرصة لترويج تجارته فازداد نجاحاً على نجاح وما اتت سنة ١٨٦٦ حتى كان قد جمع ثروة كبيرة بذكائه وثباته وبالخصوص بالاقتصاد الذي امتاز به في بدء حياته

فبرح القاهرة في هذه السنة (١٨٦٦) واقام في الاسكندرية ومن ذلك الحين اخذت اعماله بالظهور . وكانت افكاره مصروفة

الى امرين : ايقاظ روح الوطنية في صدور مواطنيه ومساعدة الضعفاء وتعميم التربية والتعليم لانه ادرك انهما الوسيلة الى كل نجاح وارتقاء

فتبرع في سنة ١٨٦٨ بمائة الف فرنك لمساعدة الكريتيين يوم ثاروا ثورتهم الكبرى واقرض ٥٠ الف جنيه للحكومة اليونانية لانها كانت في عسر مالي فكان اقراضها المال بمثابة هبته لها لظهور عجزها عن وفائه في ذلك الوقت . ثم انشأ في اثينا تمثالين عظيمين للشاعر ريكاديفر شاعر الثورة اليونانية الاولى وللبطريرك غريغوريوس الخامس نصبهما في كلية اثينا اغراء للكريتيين بالثبات في ثورتهم

ولم ينس اوفيروف متزوفو مسقط رأسه الذي درج فيه فانه أنشأ فيها المدارس لابناء طائفته وبنى الجسور والشوارع . وكان تعليم اللغة اليونانية يتأخر في القرى المجاوره لمتزوفو بازاء اللغات الاخرى الفلاخية وغيرها فبنى اوفيروف المدارس في تلك القرى وانفق عليها النفقات الطائلة تاييداً للغة اليونانية . وانشأ في مسقط رأسه صيدليات تعطي الادوية مجاناً للفقراء واقام فيها اطباء يعالجونهم مجاناً على نفقته الخصوصية وكان يمنح في كل سنة دوطةً لعشر بنات من بنات متزوفو ليتزوجن بها

ثم خطر له ان يكمل ما بدأ به اليونانيان ستوراني وتوسيتزا من بناء مدرسة الفنون في اثينا فانفق عليها من جيبه نحو نصف مليون فرنك . ولما بلغ البرنس قسطنطين ولي عهد اليونان سن الرشاد اخذ اوفيروف يبني المدرسة العسكرية في اثينا اكراماً للبرنس فانفق عليها اكثر من مليون فرنك . وفي العيد الفضي للملك جورج انفق على بناء سجن صحي ٣٥٠ الف فرنك اكراماً لهذا التذكار . فبهر عيون مواطنيه بهذه الهبات العظيمة واكتسب حبهم واحترامهم

اما في الاسكندرية فقد قال فيه احد مؤرخي حياته «انه كان فيها عين الاعمى ورجل الاعرج وسند من لا سند له» وغني عن البيان انه كان كذلك بالنظر الى ابناء طائفته وملته كاسيرد في ختام الكلام

وكانت الجمعية الخيرية اليونانية في الثغر قد انتخبته في سنة ١٨٦٦ رئيساً لها طول عمره وعليها من الديون ما قيمته ٢٢ الف جنيه فرأى اوفيروف ان الجمعية لا تستطيع ان تعمل عملاً قبل وفاء دينها فتبرع بوفاء نصف هذا الدين من جيبه ودعا النزالة اليونانية الى وفاء النصف الثاني فلم تنقض بضعة شهور حتى تم وفاء هذا الدين وانطلقت يد الجمعية في العمل

فاخذ اوفيروف يخدم ابناء طائفته بانشاء المدارس ومساعدة الضعفاء وتخفيف احمال المتعبين . فاقام المدرسة المعروفة باسم اوفيروف وخصص لها ٤٠٠ جنيه كل سنة . ثم انشأ مدرسة للبنات فانفق على بنائها ١٤ الف جنيه وجعل منذ ذلك الحين يتعهد النزالة اليونانية في الاسكندرية بهذا السخاء والاعتناء حتى اصبح اسم اوفيروف ملء افواه اليونان وقلوبهم في كل مكان . وقد كافأته النزالة اليونانية بنصبها تمثاله منذ اشهر في ساحة مدرسته فخطب اوفيروف في هذا الاحتفال والدموع ملء عينيه خطبة أعلن فيها انه عازم على انشاء مدرسة جديدة للصنائع والفنون . ولكن المنية عاجلته في ٢٧ الماضي فحالت بينه و بين مشروعه الجديد . وقد اراد الملك جورج ان يمنحه يوماً وساماً عالياً جزاء خدمته الامته فرد اوفيروف الوسام باحترام وقال للملك « ان خدمة الامة واجب من واجباتي ولا يكافأ الانسان اذا قام بالواجب على ان خير مكافأة لي ان ارى وطني سعيداً وامتي ناهضة متقدمة »

وكتب وصيته قبل وفاته بايام وفيها يقول " اموت الآن مستريح البال لاني عملت ما يضمن راحة النزالة اليونانية وراحة اولادي » ويعني باولاده اولاد مدارسه لانه رحمه الله عاش ومات عازباً

وقد وقع نعيه لدى الامة اليونانية في جميع الجهات وقعاً اليماً عظيماً . فتواردت رسائل التعزية من الحكومة اليونانية والبرنس قسطنطين ولي عهد اليونان ومجلس النواب اليوناني والجمعيات ورجال العلم والسياسة . اما تركته فقد بلغت ٦٥٠ الف جنيه وهب اكثرها لاعمال خيرية واوصى بالباقي لاهله ومستخدميه وهذا اهم ما اوصى به للاعمال الخيرية والاعمال العمومية

(عشرون الف جنيه) لبناء مدرسة زراعية في لاريسا من اعمال تساليا

(مائة الف جنيه) لبناء طراد حربي مدرسي يوناني يسمى اوفيروف

(عشرون الف جنيه) تنفق فائدتها لتنشيط الموسيقى وفن التمثيل ونشر الكتب اليونانية بهذا الموضوع

(عشرة الاف جنيه) لانهاء مدرسة الفنون في اثينا

(عشرون الف جنيه) لانشاء متحف في هذه المدرسة وجعل جوائز فيها

(ثلاثون الف جنيه) لانهاء الاعمال الخيرية التي شرع فيها في متزوفو مسقط رأسه

(خمسة الاف جنيه) لاعمال خيرية مختلفة

ومما يوجب الاسف واشار اليه بعض الجرائد الوطنية في القطر ان هذا الرجل الكريم لم يفكر قبل وفاته بالارض التي كانت مصدر ثروته بل جعل احسانه مقصوراً على ابناء ملته وطائفته. على ان هذا الامر اذا دل على عدم اعتداله في ارائه فهو يدل على اغراقه في وطنيته وشدة تعلقه بعربيته

***

بمثل هذا الرجل تحيا لامم وتنهض الشعوب

ولا نلومن اغنياءنا اذا كانوا لا يحذون حذوه ويتلون تلوه فان هذا الشعور الذي كان يحده اوفيروف فيطلق يده البيضاء بالعطاء مما لا يكتسب الا بتربية فاضلة صحيحة واستعداد فطري لايثار الملذات الادبية على الملذات المادية ومعرفة حقيقية بالواجبات الانسانية والوطنية. ويعجبنا هنا ماقاله يوماً صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في خطبة القاها منذ اشهر في الجمعية الطبية في العاصمة من « ان الاغنياء في الشرق لم يتعودوا البذل فعلى العلماء ان يلحوا في الطلب حتى يعلموهم البذل و يرغبوهم فيه » وكم في الشرق من اغنياء مثل اوفيروف خزائنهم طافحة بالقناطير المقنطرة من الخيرات المادية لايبذلونها الا في سبيل ملذاتهم واهوائهم ومصالحهم الخصوصية ضاربين صفحاً عن كل خدمة عامة ومصلحة عمومية. فما الذي يستنتج من صنعهم هذا ؟ — يستنتج انه اذا كانت خزائنهم طافحة بالخيرات المادية فنفوسهم من سوء حظهم وسوء حظ وطنهم خالية من الخيرات الادبية

البطريرك الانطاكي

(للاورثوذوكس)

نزاع دائم بين السيد والمسود والحاكم والمحكوم مستمر من بدء الاجتماع الى الآن . اذا لم يكن للمسود غنى عن سيده تعلق به واكرمه وعظمه واذا رأى نفسه في غنى عنه قلب له ظهر المجن ونبذه نبذ النواة . كذا سقطت الملكية الفرنسوية في الثورة الاولى. كانت من قبل عزيزة الجانب رفيعة المقام محبوبة لدى الامة لانها كانت سندها وعزها وفخرها ولكن مالبثت ان اصبحت الملكية حملاً ثقيلاً على كاهل الامة فبادرت هذه الى طرح هذا الحمل الثقيل عن ظهرها. وتطلق هذه القاعدة على كل سيد ومسود وحاكم ومحكوم في اي بلد كان ومن اي صنف كان

وقد اخطأ السادة البطاركة اليونان هذا الخطأ الذي لا يأتيه الا كل حاكم او سيد قصير النظر فاقتصروا في حكمهم الطائفة الاورثوذوكسية السورية على النظر الى يومهم ولم ينظروا الى الغد . كانت الطائفة حملاً وديعاً بين ايديهم بل بقرة سهلة الانقياد حتى تكون المشابهة اتم فقصروا همهم على حلب هذه البقرة وتقوية النير الذي وضعوه على عنقها دون تحبيب هذا النير اليها . فكان لا بد ان ياتي يوم تجد البقرة فيه هذا النير ثقيلاً فتقوم الى كسره والاعراض عن راعيها اذ علمها ان تستغني عنه باهماله اياها وخدمته نفسه في رعايتها لاخدمتها وخدمة ابنائها

وقد اتى هذا اليوم وقام النزاع بين ابناء الكرسي البطريركي الانطاكي للروم الاورثوذوكس وبين غبطة البطريرك اليوناني فاستعفى غبطته وانتخب مجمع الاساقفة في دمشق الشام سيادة الحبر ملاتيوس دوماني مطران اللاذقية بطريركاً مكانه كما ذكرنا ذلك في حينه . فاعترض غبطة البطريرك القسطنطيني على هذا الانتخاب يؤيده سفير انكلترا في الاستانة وأخر الباب العالي المصادقة على هذا الانتخاب حتى يتفق البطاركة

وغنيٌّ عن البيان ان البحث في هذه الازمة يقتضي النزاهة عن شوائب التعصب والانحياز الى فريق دون فريق لكثرة المصالح المتنازعة فيه . ونحصر هذه المصالح في خمس : (١) مصلحة الدولة (٢) مصلحة الكرسي (٣) مصلحة الطائفة (٤) مصلحة اليونان (٥) مصلحة الطوائف الاخرى . ونقول كلمة في كل منها

***

❊ مصلحة الدولة ❊ قدمنا هذه المصلحة على سائر المصالح الاخرى لانها اهمها كلها واذا كان في وضع اسقف سوري في كرسي البطريركية الانطاكية ضرر بمصلحة الدولة في حين انه لا ضرر من وضع الاسقف اليوناني مكانه وجب وضع اليوناني والاعراض عن السوري لا محالة. ولكن الناظر في هذا الامر لا يسعه الان يستغرب وضع السوري بازاء اليوناني فيما يتعلق بمصلحة الدولة . فالسوري ابن الدولة واليوناني غريب عنها . الاول ربي في ارضها وتظلل سماءها وعاش خاضعاً لحكامها واحكامها . والثاني دخيل اليها من جنس لانهينه اذا قلنا انه ألف كراهتها وتعلم من صغر أن لا يميل الا الى الدولة التي هو منها . فاي من الاثنين يكون اجدر بثقة الدولة واحرص على مصلحتها



﴿ غبطة البطريرك السيد ملاتيوس دوماني البطريرك الانطاكي للروم الاورثوذوكس ﴾

ويسوءُنا جداً ان غبطة البطريرك المسكوني قد اتخذ السياسة سبيلاً الى قضاء حاجات قومية فادخل بذلك امراً غير حميد في الشؤُون الدينية العليا . فان غبطته اغتنم فرصة تزاحم انكلترا وروسيا في الشرقين فدس الى الباب العالي يؤيده السفير الانكليزي ان روسيا تدبر انتخاب البطريرك من السوريين ليسهل عليها وضع يدها على الشؤُون البطريركية . ولم يكتفِ غبطته بذلك بل تهدد الباب العالي على مانقله مكاتب الطان ومكاتب التيمس في حينه انه يفتح باباً لروسيا في الكرسي الاوروشليمي اذا أتح الباب العالي للسوريين باباً في كرسي انطاكية . ولكن باطلاً يسعى غبطته في تخويف الدولة وزعزعة ثقتها بابنائها السوريين الذين يتهمهم هذه التهم السوداء . فانه لا يوجد واحد في رجال الدولة يعتقد انه يمكن ان يكون بطاركة اليونان احرص على مصلحة الدولة من البطاركة السوريين بل كلهم يعلمون ان الطائفة السورية الاورثوذوكسية قد انحطت عن الطوائف الاخرى باهمال بطاركتها السابقين . ولما كان من مصلحة الدولة ان تكون رعيتها سعيدة بشؤُونها الدينية والدنيوية لتسعد الدولة بسعادتها كان من مصلحتها ان يولى امر كل طائفة في شأنها الديني رجال خرجوا



﴿ سيادة المطران غفرائيل مطران لبنان وتوابعها ﴾

من احشائها يعرفون حاجاتها فيخدمونها خدمة ترفع شانها

☙ مصلحة الكرسي والطائفة ☙ وما قلناه في مصلحة الدولة نقوله في مصلحة الكرسي ومصلحة الطائفة . ونحن لا نحمل بطاركة اليونان كل التبعة في تاخر الطائفة عن باقي الطوائف ولكننا نقول انه كان في استطاعتهم ترقيتها لو صرفوا اهتمامهم اليها واخلصوا النية في خدمتها كما تقتضية وظيفتهم السامية . وقد قطع اهمالهم شؤون الطائفة واشتغالهم عنها بشؤونهم الخصوصية كل علاقة بينهم وبين نفوس ابنائها فاصبح يستحيل التوفيق بين قلوب تنافرت واذا تنافرت القلوب صار ودها كالزجاج لا يجبر له كسر



☙ سيادة المطران غريغوريوس حداد مطران طرابلس وما يليها ☙

فسقطت بذلك كل سلطة للسيد على المسود وزال كل احترام لدى المسود للسيد فاصبحت الهيئة دينيةً كانت او مدنية فوضى هائلة . ولا يظنن اولياؤ الامر ان هذا التنافر في القلوب امر بسيط فيضربون عنه صفحاً . كلا انه في غاية الاهمية . واذا قال السادة البطاركة اليونان الاجلاء ان يد روسيا هي التي تثير الشعب في دمشق الشام فهل هي التي تثيره في جميع المدن السورية الكبيرة والصغيرة . ويا حبذا لو يصدر اولياء الامر في الاستانة العلية امراً الى حكام المتصرفيات والمديريات فضلا عن الولايات باجراء تحقيق سري لاكتشاف اميال الطائفة الاورثوذوكسية في سوريا . انهم اذا فعلوا ذلك فارسلوا من يلتقط اراء الخاصة في مجالسهم الخصوصية وافكار العامة في القهاوي والخانات راوا في الجميع ميلاً شديداً عن البطريرك اليوناني الى السوري وسمعوهم ينادون برفضهم سلطة الاول ورغبتهم في الثاني . وصوت الشعب لا يهمل شانه خوفاً من العواقب كما لا يخفى ولا سيما في الشؤون الدينية .

☙ مصلحة اليونان ☙ واذا كانت الطائفة الاورثوذوكسية السورية اصبحت راغبة عن سلطة اليونان فمن مصلحة اليونان حرصاً على كرامتهم وعزة نفوسهم ان يتنحوا عن رئاسة قوم لا يريدونهم عملاً بالمثل القائل « من ارادك فاْرده ومن طلب بعدك فزده » وكأن غبطة البطريرك اليوناني السابق قد اراد هذا الامر لما قدم استعفاءه . فاذا كان ذلك كذلك فعلام



☙ سيادة المطران اثناسيوس مطران حمص وتوابعها ☙

عودتهم الى طلب رئاسة لا نريدهم . واذا كانت القلوب نافرة عنهم والنفوس شاردة منهم فمن يحكمون في كرسي انطاكية؟ على انه لو اتيح لنا ان نقدم لحضراتهم نصيحة لا شرنا عليهم أن لا يحاربوا الطبيعة ويقاوموا مجرى النواميس الابدية الازلية فانهم بذلك يحطون من اقدار وظائفهم الرفيعة ويبذرون بذور الشقاق في حقل الطائفة . وعندنا انه من العدل اكتفاؤهم بالكرسي الاسكندري والكرسي الاورشليمي تلك حصتهم فتكون حصة ابناء العرب الكرسي الانطاكي الذي انتهى امره والكرسي الاورشليمي الذي لا يمكن ان يبقى في ايديهم بعد الآن زمناً طويلاً

☙ مصلحة الطوائف الاخرى ☙ بقيت مسألة الطوائف

الاخرى ولا نخال احداً يزعم ان الاورثوذوكس السوريين الذين ربيوا مع اخوانهم من ابناء الطوائف الاخرى وعاشوا معهم تحت سماء واحدة محكومين بشرائع واحدة يكونون اقل ميلاً من اليونان لمسالمة مواطنيهم ومواد عتهم وهذه قضية لاتحتاج الى برهان

***



❊ سيادة المطران غريغوريوس مطران حماه وتوابعها ❊

فاذا كان قد ثبت ان مصلحة الدولة ومصلحة الكرسي ومصلحة الطائفة ومصلحة اليونان انفسهم ومصلحة الطوائف الاخرى كلها تقتضي ان يكون بطريرك السوريين سوريًا ثبت ان الدولة العلية لم تؤخر المصادقة على انتخاب غبطة الحبر الجليل السيد ملاتيوس دوماني الاربثا يخمد سخط غبطة البطاريرك المسكوني الموفر فيصدر جلالة مولانا السلطان الاعظم ايده الله ارادته السنية بمنح الاورثوذوكس السوريين هذه النعمة المنتظرة

ولما كان لمجلتنا « الجامعة العثمانية » شرف القرب من الاعتاب السلطانية الشريفة والوصول الى ايدي اولياء الامور في يلدز رأينا ان نقول ما قلناه في هذه المسالة رغبة في ابلاغ صوت هذه الطائفة الى حكامها الفخام على صفحات الجامعة المفتوحة لكل الشكاوى والآراء والافكار

ويرى حضرات القراء في صدر هذه المقالة رسم غبطة البطريرك الانطاكي السوري تليه رسوم السادة الاساقفة السوريين الذين جاهدوا في خدمة الطائفة من هذا القبيل جهاداً حسناً فاستحقوا شكرها على اتحادهم وحسن ثباتهم

وخير ما يختتم به الكلام بهذا الشأن تقديم خالص الشكر لصاحب الدولة ناظم باشا والي ولاية سوريا المعظم الذي شهدت بحزمه وحسن سياسته الاصدقاء والاعداء . ونحن على يقين ان هذه المشكلة ماحلت على هذا الوجه السلمي الا بدربة



❊ سيادة المطران جراسيموس يارد مطران بعلبك وتوابعها ❊

دولته وما اظهره فيها من الحزم وحسن التبصر في عواقب الامور جزاه الله عن الدولة خيرًا واكثر من امثاله في حكام الدولة العثمانية

اكتشاف مصري

جليل

في اواخر هذا الشتاء وجد الباحثون في انقاض الكرنك تمثالين من ابدع ما حفظت الاثار المصرية احدهما مثال عمون اله ثيبة والاخر نصب له رفعه الملك اوتسرتسن الاول تخليداً لذكر ابيه وذلك في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام

ولهذا النصب شان عظيم في التاريخ والصناعة فانه قطعة واحدة من الرخام الفاخر طوله نحو ثمانية عشر قدماً وجدوه ثلاث قطع لكنهم سيجمعونها ويعتنون بها ولا يلبث ان يقبض على صولجانه فيظهر لمن يراه كانه المثال الذي عبده قدماء المصريين منذ ثلاثة الاف سنة — لم تقو عاديات

الايام الا على احداث بعض خدوش فيه لا تلبث الصناعة ان تزيل ندوبها فيعود المثال الى احسن ما كان

ومن ظن بعض واصفيه ان صناعته بالغة من الاتقان مبلغ الصناعة اليونانية في ابان ازدهائها مع ان عهده سابق اول ابتداء الصنعة اليونانية بنحو الف عام

وكأن حجرًا سقط على التمثال فشوه انفه فحسبه بعضهم ليس من صنع الناس الذين مرت بهم العصور فكان الجيل الواحد اذا راى تماثيل الهة الجيل الاخر يحطمها تحقيرًا لاديان السابقين سيما اهل النصرانية والاسلامية فانهم ليكرهون الوثنية وآثارها ولطالما شنوا الاغارة على تماثيل الوثن فمحقوها سحقًا اعتبر ذلك بما فعلوه في هيكل (رنده) كيف شوّهوا رسوم المعبود هاثور وازالوها عن رؤوس الاعمدة

ولاهل التاريخ سبيل الى تحقيق زمن هذا النصب ذلك انه معلوم انه قبل عصر امنهوتب الرابع احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة (قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ سنة) كان اهل ثيبة يعبدون عمون وكانت ثيبة لذلك الوقت عاصمة البلاد فلما تولى امنهوتب المذكور شرع يستأصل عبادة عمون ويحمل الناس على عبادة اله سماه ايتن والكلمة اسم الشمس عندهم ومن ثم هجر ثيبة وجعل البلدة المسماة لهذا اليوم تل العمان عاصمةً لسلطنته وما زال هذا شأنه حتى قضى نحبه فعاد كهان عمون الى سابق بسطتهم فخضدوا شوكة امنهوتب واعلوا كلمة الههم حتى دان لعبادته ملوك الدولة التاسعة عشرة الذين تولوا الملك بعد امنهوتب الرابع . يومئذ رُفع هذا النصب . على انهم لو شادوه قبل امنهوتب لما ابقى ذلك الملك المخالف دين عمون على تمثاله العظيم فهو اذًا من صنع خلفائه وبما ان صناعته بالغة تلك الدرجة من الاتقان فهي من عصر الملك رعمسيس الثاني ولا تحسب لمن بعده لان الصناعة تاخرت بعد زمن ذلك الفاتح العظيم

اما الذي وجد هذا الاثر فهو المسيو جورج ليكرين الفرنسي احد حفظة المتحف المصري فانه كان يبتهج سرورًا كلما رفع الاهلون الانقاض القطعة بعد الاخرى عن التمثال المحكي عنه . وقد كان من رأي البروفسر نافيل ان يبقى النصب في موضعه اي حيثما رفعه الفرعون في هيكل الكرنك . وعلى هذا التمثال كتابة محفورة في حرجه بالاحرف الهروكليفية مؤداها ان ملك المصرين العليا والسفلى راخيركا (او تسرتسن الاول) رفعه تذكارًا لابيه وجعل تقدمته الف رغيف من الخبز والفًا من الثيران والطيور والف بدلة من الثياب والف نطاق من الجوخ ومقدارًا من البخور ذلك ما يخلق تقديمه من عبد عمون

ولا خفاء ان مؤدى هذا الاثر مهم لدى علماء تاريخ مصر عمومًا وناهيك بالسياح الذين يأتون هيكل كرنك

ومما يذكر ان عالمًا المانيًا ومريت الفرنسي ذهبا الى ان هذا الهيكل تدرج الى العظمة تدرجًا مما يدل على انه ابتدأ شانه منذ الجيل العشرين قبل المسيح وكأنهم استندوا في هذا الزعم الى ما وجدوه مكتوبًا على الجدران من اسماء ملوك تولوا مصر بعد ذلك الزمن بستة قرون او سبعة وقد جاء اكتشاف هذا التمثال مؤيدًا رأي هذين العالمين ومن تابعهما ومؤداه ان هذا الهيكل الفاخر بني منذ نحو خمسة الاف عام

ومعلوم ان اوتسرتسن الاول المسمى بهذا الاثر راخيركا كان ثاني الفراعنة في الدولة العشرين . ومعلوم ان هذه الدولة بدأت في الجيل الثاني والعشرين بحيث لم يكن تولى اوتسرتسن بعد السنة ٢١٠٠ قبل الميلاد واما الموضع الذي وجد فيه هذا التمثال فهو يؤيد القول بقدمه فانه كان بين الانقاض الباقية عن الدولة الثانية عشرة

وهذا الهيكل من اعظم ابنية العالم والعناية مبذولة لارجاعه الى تمام رونقه ولا بد انهم يجدون بين انقاضه ما يملأ الوطاب من الاثار الجليلة لانه جارى العزة المصرية من العصور القديمة حتى الزمن الروماني وكان كل من تولى مصر على مدى تينك الالفي سنة يزيد شيئًا على هذا البناء الفخيم ❊ ر ❊

قدّيسة في الهند

(وصنعها العجائب)

ظهرت حديثًا في مدينة كابورتالا من اعمال الهند قديسة لها الآن في تلك الجهات شأن عظيم . وقد ذكر خبرها في الاسبوع الماضي في جرائد باريز سائح فرنسوي يدعى المسيو ميتين مقيم الآن في تلك المدينة فننقل للقراء خلاصة ماقاله عنها على سبيل التفكهة . قال:

ان هذه القديسة فتاة بارعة الجمال من عيلة من طبقة المحاربين في الهند . قضت صبوتها بالصلاة الى الالهة دوركا زوجة الاله سيفا حامي طبقة المحاربين في الهند وما زالت تصلي وتستنجد هذه الالهة حتى شعرت يومًا ان روح الالهة حلّ فيها فتركت اهلها واعرضت عن الغنى والزواج واخذت تطوف الهند

لتدعو الناس الى تصديقها واتباعها فتبعها كثيرون

وقد وفدت الى مدينة كابورتالا حديثاً بدعوة من احد كبار رجال الحكومة فيها فكان لها استقبال عظيم . فنزلت في نزل المسافرين مع حاشيتها فقام السكان يطالبون ان تصنع لهم عجيبة وتقدم ثلاثة منهم لهذه العجيبة فاخذتهم في غد اليوم الذي وصلت فيه الى هيكل الالهة دوركا حاميتها لتقطع السنتهم وترجعها بعد القطع كما كانت قبله

فلما درى بذلك سكان المدينة قصدوا الهيكل افواجا افواجا فذهبتُ معهم وسألتُ عما جرى فقالوا لي انها قطعت لسان رجل واحد من الثلاثة اما الاثنان الآخران فاحجما بعد الاقدام . فاستأذنت في الدخول الى الهيكل فاذنوا لي بعد عناء شديد على شرط ان انزع قبعتي وحذائي ففعلت ودخلت . فرأيت نفسي في قاعة مسودّة الجدران بما ينبعث من دخان المصابيح وقطع الشحم التي يحرقونها اكراماً للاله سيفا وزوجته دوركا المنصوب لها تمثالان في صحن القاعة . ونظرت الى زاوية فرأيت الرجل ذا اللسان المقطوع منحنياً الى الارض فوق اناء امامه والدم يسيل من فمه في هذا الاناء فاتاني الكاهن واراني قطعة من اللحم قائلاً هذا هو اللسان المقطوع وفي الحقيقة رأيت قطعة كقطعة اللسان . فطلبت ان يفتح الرجل فاه لانظر لسانه فرفضوا طلبي كما رفضوا طلب دكتور انكليزي اتى وطلب نفس هذا الطلب . واذ اخبروني ان القديسة قالت ان الرجل لا يتكلم بعد قطع لسانه الا في الليل خرجت من الهيكل وعدت بعد غياب الشمس . فرايت هذه المرة القديسة جالسة امام باب الهيكل على وسادات مثنية فوق راسها قبة وحولها رجال يمسكون مذبات يدفعون بها الذباب عنها واخرون يضربون على آلات موسيقية . فاعجبني جمال هذه القديسة وهي جالسة في هذا المجلس المهيب بحلة خضراء تستر كل جسمها . فسألت عن الرجل فقيل لي انه حاول الكلام مرتين فلم يقدر عليه ولكنه تكلم في المرة الثالثة فامرته القديسة ان يلبث الليل كله منفرداً . اما الشعب حول الهيكل فكان قد اخذ منه الهياج والاعجاب كل مأخذ فكان يضطرب اضطراباً شديداً والبوليس يفرقه ويضرب المضطربين على عمائمهم تسكيناً لهم

وفي اليوم الثاني احتفل السكان بموكب هذه القديسة اكراماً لها ومكافأة على العجيبة التي صنعتها . فلبست الفتاة حلة صفراء وركبت مركبة يجرها جوادان وجعلت فوق رأسها قبة وحولها رجال المذبات يدفعون بمذباتهم امواج النسيم الى وجهها اللطيف وامامها الرجل الذي صنعت به العجيبة امس وهو ساكت لا يتكلم . وكانت الموسيقى في مقدمة هذا الموكب تتقدمها جنود الحاكم الاكبر فكانت القديسة كملكة في مملكتها . اما السكان فتركوا اعمالهم كلها واقفلوا الاسواق وتواردوا الوفا والوفا يمشون في موكب القديسة والنساء يتزاحمن على السطوح لمشاهدتها

ويعتقد الهنود ان قديستهم هذه تنبئ بالامور المستقبلة وهي نائمة . وتنام تارة على اصوات الموسيقى وطوراً من تلقاء نفسها . وقد اراني الهنود رجلاً آخر قطعت لسانه وارجعته كما كان فنظرت في لسان هذا الرجل فلم اجد فيه الا جرحاً صغيراً في راس اللسان . وتوارد الزهاد الهنود من اقصى البلاد الى كابورتالا لمشاهدة هذه القديسة والتبرك بها . وزارها سكان هذه المدينة رجالاً ونساء يطرحون تحت قدميها النقود والهدايا . قال لي احد كبار رجال الحكومة وهو الذي اشرت اليه قبلاً « لو ارادت هذه الفتاة الغنى لاصبحت غنية في يوم واحد ولكنها تحتقر المال والجاه ولا تطلب الا البساطة في كل امورها » وقال لي غيره « لو شاءت وتركتها الحكومة الانكليزية لبلغت بيناريس وكلكيتا باحتفال كهذا الاحتفال الذي شهدته الآن »

هذه خلاصة ما كتبه المسيو ميتين يُستدل به على ان الوثنية لا تزال شديدة في الهند بازاء الاسلامية والمسيحية وان الاوهام لا تزال ضاربة اطنابها في تلك البلاد كما كانت منذ الوف من الاجيال

الجامعة

✻ في حلتها الجديدة ✻

✻ صفحات الجامعة ✻ تصدر الجامعة من عددها الثالث عشر فصاعداً في ٤٠ صفحة بدلاً من ٣٠ ولكن بحجم اصغر من حجمها الحاضر الذي تكاثرت علينا شكوى القراء منه بالنظر الى كبره وتجعدها به ولا سيما في طريقها الى اميركا وايران وزنجبار والهند وغيرها من البلدان القاصية

✻ ابواب الجامعة ✻ وبالنظر لاتساع نطاقها هذا الاتساع المهم راينا ان نزيد ابحاثها وابوابها زيادة سناتي على ذكرها

✻ اشتراك الجامعة ✻ كل ذلك ونبقي بدل اشتراك الجامعة كما هو دون ان نزيده كما كان حق الجامعة ابتغاء المزيد من رضى القراء . وحسبها ذلك ربحاً وعلى الله الاتكال

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لتسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

الطبقة الساقطة

الطبقات الثلاث ـ الطبقة الرابعة ـ المدارس وكراهة العمل ـ مدرسة تلامذتها يحبون العمل ـ الاسماء الضخمة والاسماء اللطيفة ـ رئيس جمهورية فلاح ـ مسئولية امام الله والناس ـ شامي يا كعك يا كعك شامي

قال الفيلسوف فنت الالماني : « غرض التربية انماء كل ما في الانسان من القوى » ووظيفة المربي ان يسهل هذا النمو ويزيل كل مافي طريقه من العثرات

والاولاد الذين هم موضوع التربية يكونون على ثلاث طبقات . الطبقة الاولى طبقة الاغنياء المستريحين وهم الطبقة العليا . الطبقة الثانيه طبقة العاملين وهم الطبقة الوسطى . الطبقة الثالثة طبقة التعساء والمعذبين وهم الطبقة السفلى

فمن وظيفة المربي ان يربي كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تربية تنطبق على حاجاتها واحوالها اذا كان يريد الخير الحقيقي لها . فالطبقة العليا يربيها تربية عالية يجعلها تستفيد من راحتها وتفيد بغناها . والطبقة الوسطى يربيها تربية تزيد نشاطها لتكون اكثر استفادة من عملها وجدها . والطبقة الثالثه يربيها تربية تزيل شقاءها وترفع عنها عذابها .

ومن اكبر آفات التربية ان لا يراعي المربي حاجات هذه الطبقات واحوالها عند تربيته اياها . فانه عند ذلك ينشئ طبقة رابعة اشد تعاسة منها كلها . وهذه هي « الطبقة الساقطة »

وما هي الطبقة الساقطة ؟

انت غني من فضل الله ولك الاملاك الواسعة والتجارة الرابحة . حول منزلك منازل جيران لك فقراء ومتوسطي الحال يعاشر اولادهم اولادك وتزور نساؤهم زوجتك . فيدهش هؤلاء الازواج ما يرون في منزلك من فخامة بنيانه وجمال اثاثه وحسن ملابس اسرتك فيميلون الى جعل منازلهم كمنزلك وملابسهم وملابس اولادهم كملابسك وملابس اولادك غير ذاكرين ان ما تبذله انت في هذا السبيل هو من فضلتك وما سيبذلونه هم فيه من دماء قلوبهم . ثم يرسلون اولادهم الى المدرسة على سبيل التشبه باولادك . ويبذلون كل رخيص وغال في سبيل انالتهم « الشهادة العلمية » اقتداء باولادك . فيعود الاولاد من المدرسة اليهم طافحة رؤوسهم بالاحلام والتصورات والآمال وممتلئة نفوسهم من حدة الشباب ودعوى الصبا وكبرياء التلمذة الجميلة . فيطلب لهم آباؤهم عملاً يعملونه فيجدون انهم اصبحوا والعمل نقيضين لا يجتمعان . فان اولادهم يعتقدون ان " علومهم " رفعتهم عن حرف ابائهم وحالهم لم تعد تنطبق على حالهم فيطلبون عملاً " شريفاً " يقضون اجمل ايام العمر في طلبه وهم لا يدركونه لانه في الحقيقة اعلى منهم فيلبثون في هذه الحالة : لاهم يبلغون الطبقة العليا التي يطلبونها ولاهم يرضون بطبقتهم فيقيمون فيها . هذه هي الطبقة الساقطة

لاحظوا جيداً تجدوا هذا الداء الوبيل بصور شتى وعلى وجوه مختلفة يفتك بالشبيبة الشرقية وبالخصوص الشبيبة السورية فتكاً ذريعاً . ولا دواء لهذا الداء الا في صرف هذه الشبيبة الى حب العمل وضم التعليم العملي في المدارس الى التعليم العلمي ليكون بذلك منصرف لهذه القوى المحقونة فيها الذاهبة سدى بلا فائدة

فلا نلومن شبان الشرق اذا لم يقوموا بما يجب عليهم لانفسهم ولاهلهم ولوطنهم وانما يجب ان نلوم مدارسهم ومعلميهم وامهاتهم . فان مدارسهم لا تربيهم تربية " تنمي جميع قواهم" كما هو حد التربية في مذهب فنت بل تضع في نفوسهم ما يحول دون هذا النمو باهمالها وضع التعليم الصناعي بازاء التعليم العلمي واعراضها عن غرس فضائل الرجولية في نفوسهم مثل الاقدام وحب الجد وايثار اي عمل كان اذا لم يكن فيه ما يحط من كرامة العامل على المعيشة في الكسل والخمول والبطالة ووصاية الوالدين

بل اننا نشدد النكير على تلك المدارس لعدم تحبيب معلميها الحرف اليدوية الى التلامذة وترغيبهم في العمل بها في كل

فرصة سانحة كأن ينشأ في كل مدرسة داخلية او ابتدائية قسم يحتوي تعليم صنعة النجارة او الحدادة او غيرها من الصنائع التي تكون رياضة للجسم والعقل معاً و يكون فيها تعويد الاولاد من صغر على العمل وتعليمهم انه شريف مقدس وان البطالة هي النقص والرذيلة والضعة والانحطاط

***

وانما نحمل المدارس الشرقية تبعة بطالة الشبان الشرقيين وما تنتجه هذه البطالة من الشقاء والشرور والآثام لاننا قدرنا بانفسنا مبلغ ما يؤثره المعلم في نفوس الطلبة اذا عرف كيف يبذر بذور تعاليمه فيها . فقد كان لنا في المدرسة التي كنا نديرها في سوريا تلامذة اعزاء جربنا هذا الامر فيهم و يلذ لنا ان نتكلم هنا عنه وعنهم . فقد تولينا امرهم وفي نفوس اكثرهم كراهة شديدة للحرف والصنائع وانفة من كل عمل يدوي . فوضعنا نصب اعيننا مقاومة هذا الروح القبيح وبث الروح الصحيح النافع الذي ينعش قوى النفس ويقوي الانسان وهو حب كل عمل واحترام كل عامل . ولم نتخذ الى هذا الامر طريق النصح والارشاد فان ذلك قلما يؤثر في نفس الولد بل جعلنا نبرهن لهم اولاً ان الانسان يشرف الوظيفة لا الوظيفة تشرف الانسان . ثم بسطنا لهم مذهب جان جاك روسو بهذا الشأن وفحواه وجوب تعليم كل ولد صنعة يدوية كصنعة النجارة والا كان الولد ناقصاً . وما زلنا نؤيد هذا المبدأ مبدأ حب العمل واحترام العامل حتى جاء يوم الفرصة فجمعناهم وقلنا لهم ان في عزمنا استدعاء نجار يعلمنا صنعة النجارة الجميلة في مدة الفرصة لاننا شديدو الميل اليها والرغبة فيها لما فيها من الفائدة الرياضية للجسم والعقل . ثم انفرط عقد التلامذة . فهل تعلمون ما كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة ان اكثر الذين كانوا يحتقرون العمل اليدوي دخلوا معامل النجارين فقضوا فيها شهري الفرصة يتعلمون النجارة « التي يحبها معلمهم » لا سيما وقد أسمعهم انه سينشىء قسماً لتعليم النجارة في المدرسة

وكأنا نرى بعضهم يبتسم حين تلاوة هذا الكلام . كلا لا تبتسموا وخصوصاً اذا كنتم معلمين فان ابتسامكم حينئذ يجعلنا نشفق عليكم وعلى مبلغ معرفتكم بواجبات وظيفتكم . ليس ما يدعو الى الابتسام في تعليم تلامذة المدارس حرفة يدوية فانها تقوي اجسامهم وتدرب ايديهم على العمل وتقوي عقولهم بتقويتها اجسامهم لان العقل الصحيح في الجسم الصحيح وفضلا عن هذا كله فانها تجعلهم يثقون بقوتهم على المعيشة مهما هبت عليهم زوابع الحياة لان الصنعة التي في ايديهم كفيلة باعطائهم خبزهم فيستريح بالهم وتولد الثقة والراحة الاقدام في نفوسهم لان الانسان لا يكون مقداماً الا بقدر ما يكون قوياً

فتعليم حب العمل في المدارس واحترام كل عامل من اهم الواجبات المدرسية . وتعليم الصناعة والزراعة والفنون رأس هذه الواجبات في هيئتنا الشرقية

اطردوا هذه الاسماء العلمية الضخمة الفارغة وضعوا مكانها اسماء الصنائع والفنون اللطيفة النافعة استبدلوا هذه المعارف السطحية التي تمحى من لوح ذاكرة التلميذ اول ما يضع قدمه خارج باب المدرسة بتلك المعارف العملية التي توحي اليه الثقة بنفسه فتقوي عزمه وتجعله قادراً على كسب خبزه بعرق جبينه في كل ارض تلقيه زوابع الحياة فيها . ومتى اعطيتموه هذه القوة وغرستم فضيلة « حب العمل » في نفسه فلا تخافوا على هذه الفضيلة من حنو امه وابيه فانهما اذا حاولا صرف افكاره عن صنعة يريد العمل بها لانه لا يشعر بميل للعمل الادبي او العلمي الذي يريدان ان يعمله — قال لهما : ما من عار يا والده في هذه الصنعة فان سنسيناتوس رئيس جمهورية رومه كان فلاحاً

ولا سبيل الى انقاص جيش البطالين في الشرق وانهاض «الطبقة الساقطة » الا بهذا التعليم العملي فاذا كانت مدارس الشرق يهمها خير تلامذتها فلتجعل بازاء التعليم العلمي تعليماً عملياً والا فهي المسئولة امام الله وامام الناس عن هذا الشقاء الذي تمد اطنابه بيننا وهذا الفقر الذي تجعله مخيماً علينا وعلى اولادنا

***

ونختم هذا الفصل بمثل صغير

رأينا منذ بضعة اسابيع في شوارع الاسكندرية شاباً في نحو العشرين من العمر مفتول العضل ضخم الجثة كانه العجل السمين . يمشي وهو حامل طبقاً في يده و ينادي «شامي يا كعك يا كعك شامي » فاستوقفناه وسألناه عن حاله . قال انه من سوريا قدم الى مصر منتشاً عن عمل فلم يجد عملاً فصنع كعكاً شامياً وبدأ يبيعه في الاسكندرية ليربح ما يسد نفقته . فالقينا نظرة الى طبق الكعك فوجدنا فيه ثلاث كعكات وقد باع اثنتين فتكون جملة تجارة هذا الشاب خمس كعكات ثمنها غرشان ونصف بما فيه الارباح والرأسمال . . . .

فيا لانحطاط النفوس · بل يا للرحمة والشفقة على هذا الجيل الذي يقاسي اصناف العذاب · ولا تستزيدونا فانكم تسمعون مايؤلمكم · تسمعون ان هذا الشاب قد درس في مدارس بلده الصرف ··· والنحو ··· واللغة الفرنسوية··· ولكن لم يتعلم حرفة يكتفي بها ذل هذا الانحطاط وعار هذا الخمول · فكأن مدارسنا تقتل اولادنا قتلاً · نقول ذلك ولا نبرىء الاهل من جريمة قتل هذا الشاب فان المدرسة والبيت في هذه الجريمة مشتركان · وكم من الوف والوف الوف مثله في هيئتنا الشرقية

أ فليس اصلاح هذه الحال اعظم من كل اصلاح سياسي بل اساس كل اصلاح سياسي

الى امهات الشرق وآبائه ومديري مدارسه ومعلميه نقدم هذا الفصل لعلهم يجدون فيه ما يحركهم نحو الغرض الشريف الذي نصبناه امامهم وبالله التوفيق

باب الشعر والانشاء

نشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

حاتم الطائي

هو بن عبد الله بن الحشرج الطائي · كان شاعراً ولكنه اشتهر بجوده لابشعره · وانما اردنا ان نذكره في هذا الباب لنجمع بينه وبين " جورج اوفيروف " في جزء واحد لشبه بينهما وهو كثرة البذل والسخاء

ورث حاتم الجود عن امه عتبة فانها كانت لاترد سائلاً فحجر عليها اخوتها حتى لا تتلف مالها واطالوا هذا المنع عليها حتى حسبوها قد تالمت منه وتركت عادتها القديمة فاعطوها صرمة من الابل والصرمة القطعة من الابل فوق العشرة فاتتها امراة من هوازن مستجدية فقالت لها عتبة " دونك هذه الصرمة فخذيها فلقد عضني من الجوع مالا امنع معه سائلاً ابداً"

من هذه النفس الطيبة الكريمة اشتقت نفس حاتم فجاءت طيبة كريمة · وقيل ان امه رات في الحلم وهي حامل به ان قائلاً يقول لها اتريدين غلاماً سمحاً يقال له حاتم ام عشرة غلمان شجعان فقالت اريد حاتم فولدته

ولما شب حاتم وترعرع ارسله ابوه ليلحق بالابل وقيل بل جده الذي ارسله لان اباه مات وحاتم صغير فرباه جده · وسبب الحاقه اياه بالابل ان حاتماً كان وهو غلام يخرج بطعامه الى الحي فاذا وجد من يا كل منه معه اكل والا طرح الطعام ولم يا كل · فلما صار في الابل جعل يطلب الناس في كل مكان فلا يجدهم وما زال كذلك حتى طلع عليه ثلاثة رجال وهم النابغة الذبياني وعبيد بن الابرص وبشر بن ابي حازم الشعراء المشهورون · فسالوه هل من قرى يافتى، قال تسالونني عن القرى والابل امامكم انزلوا وانحروا منها ما تشاؤن · فنزلوا وكانوا يقصدون النعمان فنحر لهم حاتم ثلاثة من الابل فامتدحوه باشعار فقال لهم حاتم اردت ان يكون لي عليكم فضل فكان لكم بشعركم فضل علي " انا اعاهد الله ان اضرب عراقيب ابلي عن آخرها او تقتسموها " فاقتسموها فاصاب الواحد منهم ٩٩ بعيراً وقيل ٣٩ وانصرفوا لسبيلهم · فلما سمع بذلك ابوه اتاه مسرعاً وساله اين الابل قال " يا ابتِ طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر آنس به علينا عوضاً من ابلك " فقال له ابوه لا اساكنك ابداً ثم هجره وخرج بعيلته فلم يترك له الا جاريته وفرسه وفلوها

فاتاه بعد هذه الحادثة قوم من اسد وقيس في طريقهم الى النعمان فطلبوا منه راحلة تحمل صاحباً لهم فقد راحلته فقال لهم دونكم فرسي هذه فاخذوها ومضوا فتبعها فلوها فخرجت الجارية لترجعه فناداهم حاتم لا ترجعوا شيئاً فما تبعكم فهو لكم فاخذوا الفلو والجارية مع الفرس · فتامل

قال ابن الاعرابي · كان حاتم من شعراء العرب ويشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله · اذا قاتل غلب · واذا غنم انهب واذا سئل وهب · واذا اسر اطلق · وكان يقسم انه لا يقتل وحيداً لامه · وممن كان يختلف اليه من الشعراء الحطيئة وبشر ابن ابي حازم

وتزوج حاتم فرزق ابنته سفانة جاءت بمنزلة والدها في الجود فكان يعطيها الابل فتنهبها الناس فقال لها ابوها " يا بنية ان القرينين اذا اجتمعا على المال اتلفاه فاما ان اعطي وتمسكي او امسك وتعطي فانه لايبقى على هذا شيء"

وتزوج حاتم بعد موت امراته الاولى ماوية بنت عفزر وكانت ملكة تتزوج من ارادت . فاتاها ثلاثة يطلبون الزواج بها : حاتم والنابغة الذبياني ورجل من بني النبيت فقالت لهم اتزوج اكرمكم واشعركم . فجربتهم بالكرم فوجدت حاتماً اكرمهم . فاستنشدتهم الشعر فانشدها النابغة والنبيتي ثم انشدها حاتم :

اماوي قد طال التجنب الهجر   وقد غدرتني في طلابكم الغدر
اماويَ ان المال غادٍ ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماوي اني لا اقول لسائل   اذا جاء يوماً حل في مالنا النذر
اماويَ اما مانع فمبين   واما عطاء لا ينهنهه الزجر
اماوي مايغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
اماويَ ان يصبح صداي بقفرة
من الارض لاماء لديَّ ولا خمر
ترىْ ان ما انفقتُ لم يكُ ضرني
وان يدي مما بخلت به صفر

وقد علم الاقوام لو ان حاتماً   اراد ثراء المال كان له وفر

فقالت له ماوية انك اكرمهم واشعرهم وتزوجت به فولدت له عدياً ثم طلقته لتبذيره باغراء ابن عم لها يدعى مالك رغب في التزوج بها

ويروى عن حاتم قصص ونوادر لاتحصى تدل على بلوغه في الجود والسخاء وكرم النفس مبلغاً يدهش العقول . منها انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما وصل الى ارض عنزة عرفه رجل كان في اسرهم فناداه يا ابا سفانة اهكلني الاسار فقال ويلك قد ظلمتني اذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي وليس معي ما افديك به الآن . ثم اشتراه من العنزيين وقال خلوا سبيله وانا اقيم مكانه في الاسر حتى اعطي الفداء فاطلقوا سبيله واعتقلوا حاتماً مكانه حتى فدى نفسه . فتامل

ويقال انه كان اذا اظلم الليل جعل غلامه يوقد ناراً على الآكام القريبة حتى يهتدي الضيفان بها الى منزله وكان يقول له :

اوقد فان الليل ليلٌ قرٌّ   عسى يرى نارك من يمرّْ
ان جلبت ضيفاً فانت حرّْ

وهذا غاية في الجود وسعة الصدر ماوراءها غاية

ومن شعره قوله

واني لعف الفقر مشترك الغنى   وتارك شكل لا يوافقه شكلي
واجعل مالي دون عرضي جنة   لنفسي واستغني بما كان من فضلي

وله قوله في الجود

اعاذل ان المال غير مخلدِ   وان الغنى عارية فتزوَّدِ
وكم من جواد يفسد اليوم جوده   وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فما كفَّ جودهم .   ملام ومن ايديهم خلقت يدي

وله ايضاً

اذا كان بعض المال رباً لاهله   فاني بحمد الله مالي معبدُ
اذا ما البخيل الخاب اوقد ناره   اقول لمن يصلون ناري اقدوا
كذاك امور الناس راض دنية   وسام الى فرع العلا متوردُ

وكانت وفاته قبل الاسلام . وانما اوردنا هنا نزراً يسيراً من حوادثه الكثيرة

باب الاخبار العلمية

✻ حل مسألة الطيران ✻ اخترع المخترع لانكلي الاميركي آلة جديدة للطيران تحل مسألة الطيران حلاً نهائياً . فانه يستطيع بهذه الآلة ان يسير ضد الريح ويصعد الى علو لم تبلغه المناطيد الى الآن لانه ياخذ معه من هواء الارض مؤونة يطلقها في العلى عند ضعف الهواء عن حمل آلته فتزيده ارتفاعاً . ومتى اراد النزول الى الارض نزل بخفة العصفور من غير ان يكون خطر في نزوله . وهذه الآلة ترتفع بالغاز ولها (دفة) تدار بها واشرعة كاشرعتها . راينا صورتها في مجلة المجلات وشرحاً مسهباً عنها يدل على ان لانكلي قد اخترع سر الطيران الحقيقي فزالت كل الصعوبات التى كانت قبلاً

وقد انفق لانكلي على صنع آلته ٨٥ الف فرنك ويقول الاميركيون انهم سينفقون مليوناً ونصف مليون دولار على صنع مائة آلة منها يتخذونها في وقت الحرب مراكب للمدافع يطلقونها فوق جيوش الاعداء فتقذف بين صفوفهم من اعالي الجو نيرانها الآكلة فيتملكون بذلك ناصية النصر ويكونون على ثقة من الفوز على كل جيش يحاربونه لانه يحاربهم من الارض وهم يحاربونه من السماء . وقد كان في اوروبا لهذا الاختراع الجديد شان عظيم

✻ مشي الانسان على الاربع ✻ نشرت المجلة البلجيكية مقالة علمية في غاية الاهمية بقلم الاستاذ فانلار اثبت فيها ان الانسان خلق من ذوات القوائم الاربع اي وجد يمشي

على يديه ورجليه فاختياره الانتصاب على ذلك اوقف نموه واضر بالنسل كله. قال : والعلم يثبت ان جميع الحيوانات كانت ذوات ايدٍ واصابع كاصابع الانسان من الافعي الى الجمل والفرس فانقرضت ايديها واصابعها او تحولت تبعاً لحاجاتها وضرورات معيشتها . فلا يحق للانسان ان يفاخر الحيوانات بيديه وجمالها لانهما كانتا للحيوانات ثم « بطلت هذه الموضة » عندها . واذا كان الانسان يفاخر بيديه وما صنعتاه من آيات التمدن الباهرة فليذكر الاضرار التي لحقت به بسببهما . فانه لم يخلق منتصباً فانتصابه غير تركيبه واوقف نموه . فان قلبه بعد الانتصاب اصبح مضغوطاً فصار يشق عليه ان يرسل عمودياً الى الدماغ الدمَ الكافي لغذيته وادارته فنشأ عن ذلك ضعف العضلات ووقوف نموها واصبح من الصعب على الانسان ان يجتنب داء فقر الدم بسبب جهد القلب وتعبه في ذلك العمل الشاق . وبالنظر الى هذا الانتصاب وعدم استقرار تركيب الجسم بسببه صارت كبده ومعاه وكليتاه تسقط عند اصغر حادث الى جوفه . زد على ذلك ان قدميه غير ثابتتين في مشيهما بل ان اول زلقة تطرح الجسم كالجزع الممدود وتناول الانسان مقداراً معلوماً من المسكر يجعله غير قادر على السير عليهما . هذا عدا عن انكشاف بطن الانسان وصدره بالانتصاب وتعرضهما لكل الطوارىء والصدمات . فاذا أراد البشر ان يكون لهم كل قوتهم ونموهم ويجتنبوا هذه الآفات التي مر ذكرها فليسيروا على الاربع اي على اليدين والرجلين اقتداء بالحيوانات اخوتهم . . . هذا هو رأي العالم فانلار

❋ مذهب دروين لدى المحاكم ❋ اذا قال العلماء «مذهب دروين » فانهم يعنون بذلك مذهباً طبيعياً للعالم دروين الشهير مقتضاه ان الانسان لم يخلق خلقاً على ما في الكتب الدينية بل ترقى عن الحيوان وكذلك جميع المخلوقات الحية . وقد نصر هذا المبدأ رجال من اكابر العلم والفلسفة وكاد يتغلب على جميع المذاهب الاخرى . ولكن هنالك امراً يبقيه ضعيفاً مهما قوي انصاره وهو ما يسمونه «الحلقة المفقودة» . فانه اذا كان عالم الاحياء سلسلة واحدة الحويوينات طرفها الواحد والانسان طرفها الثاني وجب ان تكون الحلقات التي بين هذين الطرفين شديدة الارتباط وهي كذلك من اصغر الحيوانات الى القرود لكن متى بلغ علماء الطبيعة القرود وهي اقرب الحيوانات الى الانسان وجدوا بينها وبينه فرقاً كبيراً فيقتضي لصحة مذهب دروين ان يكون بين القرد والانسان حيوان ارقى من الاول واحط من الثاني ليكون حلقة مرتبطة من جانب بحلقة القرد ومن جانب بحلقة الانسان وهذه هي الحلقة التي لم توجد الى الآن ويسمونها الحلقة المفقودة

لكن مربياً للحيوانات في شيكاغو يدعى المستر ارشيك برويز ادعى انه وجد هذه الحلقة وتاييداً لقوله عرض على الناس حيواناً في منتهى الغرابة ارقى من القرود المعروفة واحط من الانسان الا انه شديد الشبه به في كل شؤونه واتفق ان المستر برويز غضب يوماً من هذا «الحيوان الانساني» فضربه ضرباً مات به وهنا عقدة المسالة . فقد انقسم الناس في شيكاغو الى قسمين فانه اذا اعتبر هذا الحيوان انساناً كان المستر برويز جانياً لقتله « نفساً » فهو يستحق حينئذٍ عقاب القتل واذا اعتبر هذا الحيوان حيواناً لم يكن للنيابة العمومية ان تقيم الدعوى عليه بل كان ذلك من حق جمعية الرفق بالحيوان . والقضاة في شيكاغو الآن في حيرة من امرهم لا يدرون ماذا يصنعون اذا رُفعت هذه الدعوى اليهم فانه لا يوجد في قوانينهم عقاب لمن يقتل "جدَّ الانسان "

❋ منفعة جديدة للزنابير ❋ اكتشف عالم ايرلندي امراً يبطل المثل العربي القائل : ان الزنابير تضر ولا تنفع . فانه اثبت لها بالتجربة والمراقبة منفعة تذكر فتشكر . ذلك انه راى يوماً بعضاً منها يحوم على بقرة فراقبها فوجدها تحوم على الذباب الواقعة على البقرة لا على البقرة نفسها فتصطاد تلك الذباب واحدة بعد اخرى وتريح البقرة من شرها . ويطيب لها بالخصوص صيد هذه الذباب عن البقرات البيض لشدة ظهور الذباب على جلدها ومتى اصطاد احدها ذبابة قطع جنحيها اورأسها وطار بصيده الى صغاره يغذيها به . وقد راقب هذا العالم بقرة مدة عشرين دقيقة واحصى عدد الذباب التي اصطادتها الزنابير عنها فكانت على التقريب ٣٣٠ ذبابة وهي منفعة جليلة للزنابير تخفف من كراهة الناس لها وايثارهم النحل عليها

❋ افعى البحر ❋ افعى البحر عند الافرنج بمنزلة الغول عند العرب في عدم وجوده . لكن قد ورد على جريدة الديلي تلغراف من ثغر كامبلتون في ايكوسيا تلغراف مؤداه ان افعى البحر قد ظهرت في هذا الثغر وراَها كثيرون من البحارة فلا سبيل الى انكار وجودها فيما بعد . ويصف المكاتب هذه الافعى بانها حيوان غريب الشكل طولها ٢٤ متراً وعرضها ٤ امتار وفي ظهرها قسم من جسمها بارز كأنه قمة واغرب ما

فيها رأسها فانه متناهٍ في الضخامة وفيه فكان هائلان . وقد حاول الصيادون ان يصطادوها ففرت منهم فاذا اصطادها غيرهم كان امرها في منتهى الغرابة لان علماء الحيوان لايعتقدون بوجود حيوان بحري بهذا الشكل وهم يحسبونه من مختلقات العامة.

﴿ سبب قبلة ﴾ لما وصل الى نيويورك القائد هوبسون الذي اغرق الباخرة مريماك في مدخل ميناء سنتياغو بشجاعة الابطال وبسالة نادرة المثال استقبلته بنات نيويورك بالتقبيل فقبلته عشرة الاف قبلة جزاء بسالته . فقام اليوم العالم لامبروزو يبحث علميًا عن السبب الاصلي الذي اخرج حسان نيويورك عن حد السكينة والحشمة وجعلهن يقبلن هوبسون مع ان الانجلوسكسون يكرهن التقبيل بدليل ان الرحالة ستنلي لم يقبل ليفنستون لما وجده في افريقيا وننسن الرحالة الشهير لم يقبل الرجل الذي انقذ حياته من الموت . فعد العالم لامبروزو الى اصل التقبيل فقال انه غير معروف عند المتوحشين وانه كان عند القدماء خاصًا بالاولاد اي ان الام كانت ترطب بشفتيها شفتي الطفل لتذهب حرارته فالتقبيل اذًا خاص بالنساء . والتقبيل لا يكون دلالة على الحب فقط بل يكون دلالة على الاحترام بدليل ان المسيحيين يقبلون الاشياء الدينية . وكان الاجتماع عظيمًا عند وصول هوبسون فحرك هذا الاحتفال العظيم في نفوس بنات نيويورك عاطفة التقبيل الاحترامي فاندفعن الى تقبيله لا عن روية او تدبير ولكن بدافع داخلي طبيعي . فتقبيلهن اياه كان نتيجة عملية لشعور داخلي قديم لا دخل فيه لارادة المرأة وميلها

﴿ عجة تحيط دائرتها متران ﴾ شكا الزراع في بلد من اعمال تونس ان العصافير تضر بالزرع كثيرًا فصدر الامر الى جنود الفرقة الثالثة ان يزحفوا الى اعشاشها بقلوب من حديد ويفتكوا بها ... فهاجمها منهم جيش عرمرم فاتلفوا اعشاشها وجمعوا منها نحو ٥٠٠٠ بيضة من بيوضها فاخذوها وكسروها وعملوا منها عجة كان محيط دائرتها مترين . فاذا كانت العصافير استحقت هذا العذاب لفتكها بالمزروعات فما يستحق هؤلاء الجنود لفتكهم بصغار العصافير

﴿ مؤتمر دولي لحفظ الفيل ﴾ عاد المسيو فوى من صيد الفيل في افريقيا ساخطًا على الصيادين وعلى حكومات اوروبا التي تأذن لهم بصيده . فانهم يقتلون منه في كل سنة في افريقيا ٤٠ الف حيوان ويقتلون الواحد منها لنزع ما فيه من العاج ولكن العاج الذي يستخرجونه منه لا تساوي قيمته اكثر من مائة فرنك مع ان ثمن الفيل في الهند من ١٥٠٠ فرنك الى ٥٠٠٠ فرنك فكان مثل صيادي الفيل مثل المتوحشين الذي يقطعون الشجرة ليتناولوا ثمرها . وقد نشر المسيو فوى مقالة بهذا الصدد في مجلة باريز يثبت فيها انه من العار على اوروبا ان تسمح بافناء هذا الحيوان مع انه اشد نفعًا من كل حيوان في نقل الاثقال اذ يحمل منها حمل ٣٢ رجلاً . وهو يرى انه اذا استمر صيده على ما هو عليه الآن فلا تنقضي ثلاثون سنة حتى ينقرض نوعه ويصبح معدودًا في جملة الحيوانات المنقرضة . ولذلك يطلب امرين : الاول منع تجارة العاج اقتداء بما صنعته الحكومة الانكليزية في الهند فيبطل صيد الفيل ببطلان هذه التجارة والثاني انشاء حظائر لتدجين الفيل وتربيته . ورغبةً في ادراك الأمر الاول الذي يتوقف عليه حياة نوع الفيل يقترح المسيو فوى ان تعقد الدول الاوروبية في معرض باريز القادم «مؤتمرًا دوليًا لحفظ الفيل» كما عقدت يومًا في باريز مؤتمرًا بشأن صيد الفقمة

﴿ الصينيون هم السابقون ﴾ يقول الاوروبيون متفخرين اننا قد اخترعنا البارود فيقول لهم الصينيون قللوا من فخركم فقد اخترعناه قبلكم . يقول الاوروبيون متفخرين قد اخترعنا حروف الطباعة فيقول الصينيون قللوا من فخركم فقد اخترعناها قبلكم . وقد قال الاوروبيون اخيرًا انهم قد اخترعوا الدراجات (البيسيكليت) فاجابهم الصينيون كلا فاننا اخترعناها قبلكم.

وتفصيل ذلك في رواية احدى الجرائد الانكليزية ان الصينيين اخترعوا الدراجات في سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح في عهد سلالة ياو وكانوا يسمونها «التنين السعيد» وما زالوا يستعملونها الى قبل مائة سنة من هذا العهد يومئذ كثر استعمالها في بكين وباقي بلاد الصين حتى شغلت النساء الصينيات عن منازلهن واولادهن لكثرة رغبتهن في ركوبها فصدر امر امبراطوري بمنع استعمالها ولا يزال منها في بكين مثال الى هذا اليوم . ففي الحقيقة ما من جديد تحت الشمس كما يقول الفلاسفة

باب الاسئلة والاجوبة

الرياضة الجسدية

(طنطا) توفيق افندي بورصلي مكاتب البصير

ما هي الالعاب الاولمبية التي ذكرتموها في تاريخ تمثال جوبيتير في الجزء الماضي ومن وضعها وما هي فائدتها

(الجامعة) ذكر ابن رشد فيلسوف العرب في كتابه تعريب خطابة ارسطاطاليس شيئاً عن هذه الالعاب في كلامه على فضائل الجسد ومنها الحسن قال مانصه

" واما الحسن فانه تختلف باختلاف اصناف الاسنان فحسن الغلمان وجمالهم هو ان تكون ابدانهم وخلقهم بهيئة يعسر بها قبولهم الآلام والا انفعال اي لا يكونون غير محتملين للاذى وان يكونوا بحيث يستلذ أن ينظر اليهم عند الجري والغلبة .

ولذلك ما يرى الناس الغلمان الذين هم متهيأُون نحو الخمس المزاولات واللعبات حساناً جداً ونعني بالخمس المزاولات واللعبات الاشياء التي كان اليونانيون يروضون بها صبيانهم وهي: العدو والركوب والمثاقفة والصراع والملاكرة

وانما كان الناس يرون فيمن كان متهيأً نحو الافعال الخمسة انه جميل لانه مهيأ بها للخفة والغلبة واذا شب امثال هؤلاء الغلمان كانوا لذيذي المنظر عند العمل في الحرب"

انتهى كلام الفيلسوف ابن رشد

وقد وضع هذه الالعاب او المزاولات كما يسميها الفيلسوف قدماء اليونان فكانوا يحتفلون بها في كل اربع سنوات في مدينة اوليمبيا المنصوب فيها تمثال جوبيتير اله الآلهة وقصدوا بها الى اكرام المهم هذا . وكانت هذه الالعاب تجري في الصيف ويجتمع الشبان الذين يريدون الاشتراك فيها في مدينة اوليمبيا قبل اوان اللعب بعشرة أشهر ليتمرنوا ويستعدوا للمناضلة والسباق . وكان هيكل جوبيتير محاطاً بالحدائق والبساتين الغناء فكان الناس ليلة افتتاح الالعاب يقطفون منها الازهار والاغصان ويصنعون منها اكاليل لتزيين الهيكل . ثم يتسابقون في الغد ويتصارعون ويتثاقفون والفائزون منهم يكالون في احتفال بهيج جداً واول ما يجب عليهم بعد فوزهم دخول الهيكل وذبح ذبيحة للاله جوبيتير . وغني عن البيان ان اوليمبيا في ايام هذا الاحتفال العظيم كانت مقصد اليونانيين من جميع الجهات

وقد كان اليونان في هذه الالعاب يحسبون انهم يقومون بواجبات دينية وفي الحقيقة انهم كانوا يقومون بواجبات صحية في غاية الاهمية . فان شبانهم باستعدادهم لهذه الالعاب كانوا يقوون اجسادهم وعقولهم وبالتالي يقوون بنية الامة كلها وهم لا يشعرون . وبالنظر للفائدة الصحية التي ثبتت لقدماء اليونان من وراء هذه الالعاب قرر محدثوهم تجديدها فهم يهتمون الآن باعادتها وقد تبرع يوماً فقيدهم جورج اوفيرف بمبلغ طائل للانفاق عليها

هذا وكم يؤلمنا ان لا نرى المدارس الشرقية تهتم بترويض تلامذتها ترويضاً جسدياً كافياً بل كم يؤلمنا ان نرى بعض الجرائد المصرية تنتقد على تلامذة بعض المدارس الاميرية شدة تعلقهم بلعب الكرة وغيرها من الالعاب الجسدية ولنا عودة الى هذا الموضوع .

الصحة العمومية

(القاهرة) م . د

اية دولة من الدول اشد اهتماماً بالصحة العمومية

(الجامعة) كل الدول على السواء شديدات الاهتمام بالصحة العمومية تهتم بها كل منها على قدر وسائلها ومعارفها . واذا ذكرت العناية بالصحة العمومية وضعت انكلترا وفرنسا في مقدمة الدول لكن اميركا ستتقدمها لا محالة ان لم تكن قد تقدمتها

فقد رأينا منذ اسبوعين ان مجلس الصحة في مدينة بوسطن في الولايات المتحدة قرر منذ سنتين غرامة ٥٠٠ فرنك لكل من يبصق في المركبات العمومية . ثم رأى المجلس ان الاقتصار على المركبات لا يدفع الشر المطلوب دفعه فقرر منع البصق في كل الاماكن العمومية : في الشوارع والاسواق والمركبات والكنائس والمدارس والملاعب وغيرها . والسبب في ذلك ان من يبصق في الشوارع والاماكن العمومية كمن يبصق في افواه الناس لان هذا البصاق لايلبث ان يجف في التراب فيطير ترابه الى المناخر والافواه والآذان فاذا كان البصاق بصاق ذي داء سرى الداء الى الناس على هذا الوجه بسرعة شديدة . وقد أثنت المجلات الطبية على هذا القرار وتمنت ان يعم كل المدن المتمدنة قريباً اذ لا يقتضي الا حمل الناس مناديل في جيوبهم واعتيادهم ان لا يبصقوا الا فيها وهذا منتهى العناية بالصحة العمومية

تاريخ الاسبوعين

خارجية

هولانده — ُفض ّ مؤتمر السلام بعد ان وافق على لائحة التحكيم ولكن اكثر مندوبي الدول لم يوقعوا على هذه اللائحة والارجح ان اعظم نتائج المؤتمر هي تقريره «زيادة الرفق بالجرحى والاسرى في ايام الحرب» ليس الا ...

روسيا — نقلت جريدة التيمس من باريز ان القيصر عازم على التنازل عن العرش لاخيه الغراندوق ميشل لخيبة آماله خيبة مرة وان السبب في سفر المسيو ديلكاسه الى بطرسبرج اقناعه بالرجوع عن عزمه

المانيا — قال الامبراطور غيليوم في كتاب كتبه بخط يده الى ملكة انكلترا انه يزورها قبل الخريف اذا مكنته الفرص

فرنسا — عزلت الحكومة الجنرال نكريه من عضوية المجلس الحربي العالي لانه عهد الى بعض الضباط ان يبلغوا الجنود ان الجنرالية سيطلبون من الحكومة بعدحكم مجلس رين ان تمنع الجرائد من الطعن على الجيش والا اضطروا الى العمل هم انفسهم واشاع احد موظفي دائرة البوليس ان اثنين من كبار القواد قد استقالا اثر عزله فهبطت اسعار اوراق الرانت الفرنسوية ولكن الاشاعة كانت كاذبة

ظهر اختلاق الرسالة التي قيل ان القيصر ارسلها الى البرنس لويس نابليون (انظر تاريخ الاسبوعين في الجزء الماضي)

سافر المسيو ديلكاسه وزير الخارجية الى بطرسبرج «لرد الزيارة للكونت مورافيف» هكذا قيل رسمياً . وقد قابله القيصر في ٦ الجاري في قصر بترهوف

ابتدأت محاكمة دريفوس في رين في ٧ الجاري فانكر بصوت يدل على تاثره انه كتب الكشف او انه اعترف بتسليم اوراق لدولة ما وصرح بانه بريء

انكلترا — وافق مجلس العموم الانكليزي على قانون يقضي باقراض المستعمرات الانكليزية الاموال لانشاء الاعمال العمومية فيها

جرت التمرينات البحرية السنوية فتمكن اسطول البوارج من منع اسطول من الطرادات السريعة ان يستولي على السفن التجارية القادمة من الاتلانتيكي الى انكلترا . وهو اشد خطر تخشاه انكلترا في ايام الحرب

بلجيكا — استعفت الوزارة

داخلية

⁂ الدولة العلية ⁂ بعثت الحضرة السلطانية برسالة برقية الى الجناب الخديوي في رودس تبلغه سلامها الشاهاني وتستفهم عن سلامة سموه

ونشرت جرائد الاستانة ان البعثة العسكرية العثمانية التي بعثت بها الدولة العلية منذ بضعة اشهر الى مملكة واداي في قلب افريقيا قد وصلت الى هذه المملكة وسلمت ملكها ابراهيم بن يوسف النشان المجيدي من الدرجة الثانية الذي انعم به عليه جلالة مولانا السلطان الاعظم ايده الله . وقد احسنت الدولة صنعاً بسعيها في ادخال الممالك الاسلامية الافريقية في طاعتها ومحالفتها

⁂ الجامعة الاسلامية ⁂ اهم حركة ادبية حدثت في الصحف في هذين الاسبوعين جدال في غاية الاهمية موضوعه «الجامعة الاسلامية» جرى بين جرائد الاهرام والمؤيد والمقطم والسلام وقد قرأ القراء تفاصيله بارتياح وامعان شديد .

⁂ خطف الاولاد ⁂ اهم حوادث هذين الاسبوعين مسالة خطف الاولاد . فقد بدت هذه المسالة صغيرة ثم كبرت حتى خشي منها على الامن العام . وتفصيلها ان الجرائد اخذت تشكو من كثرة الاولاد المفقوده حتى اضطرت نظارة الداخلية الى اجراء احصاء بهذا الشأن فتبين لها ان عدد الاولاد الذين فقدوا من العاصمة نحو ١٥٠ ولداً عادمنهم ٥٠ وبقيت المائة . فازداد الطين بلة بهذا الاحصاء وحملت اكثر الجرائد حملة شديدة على الحكومة فاثرت حملتها في تصورات عامة الشعب في الاسكندرية فاخذوا يروون الروايات الغريبة . منها ان بعض الارمن يحملون اكياساً ويقصدون الغلمان في زوايا الشوارع فينشقونهم مخدراً لاعصابهم ويضعونهم في اكياس كما توضع رؤوس البطيخ . ومنها ان الاكراد يخطفونهم وياخذونهم فيبيعونهم بيع الرقيق وغير ذلك . فاضطرب الاباء والامهات وخاف الاولاد الخروج الى الاسواق وتجمهر في الشوارع مئات والوف من عامة الشعب يضربون ضرباً مبرحاً اناساً يشتبهون بحركاتهم فيظنون انهم يخطفون الاولاد . فلما كبرت المسالة الى هذا الحد سال عطوفة رئيس النظار النائب عن

سمو الخديوي سعادة محافظ الثغر عن تلك الاشاعات فقدم له تقريراً نُشر في الجريدة الرسمية يظهر فسادها كلها ويلقي على الجرائد باسلوب لطيف تبعة تكبير هذه المسالة . على ان سعادته قد شرف الجرائد بالقائه هذه التبعة عليها فانه اثبت انها تؤثر على الراي العام على الاقل وان كان تاثيرها من وجه ضار لا من وجه نافع

✻ الطاعون ✻ انقطعت اصابات الطاعون من ٣١ يوليو الماضي الى ١٠ الجاري ثم عاد فلا اهلاً ولا سهلاً . وقد بلغت جملة اصاباته الى ١٣ الجاري ٨٣ اصابة توفي منها ٣٩ وشفي ٤٢ وبقي في المستشفى ٢ تحت المعالجة وآخر اصابة عزلت في ١٠ الجاري

التقريظ والانتقاد

✻ الرحلة الحجازية ✻ عنوان كتاب لمؤلفه حضرة الفاضل محمد بن سليم الشهابي المخزومي وصف فيه المدينة المنورة ومكة المكرمة ونجد ومصر والشام وتونس والجزائر وبعض البلدان الاوروبية وغيرها . وهو كتاب تلذ مطالعته لان القارئ يشهد فيه بالفكر ما شهده المؤلف بالنظر وعانى في وصفه مشقة الانتقال والسفر

واذا كانت الكتب الجديدة تهدى الى المجلات والجرائد للثناء على حضرات مؤلفيها فان الثناء من حقهم جزاء ما عانوه من المشقة في تأليفها وطبعها . لكن هذا الثناء الواجب لا يمنع الانتقاد الواجب ايضاً . وعهدنا ان افاضل المؤلفين لا ينكرون ان ننتقد كتبهم فاذا اذن لنا حضرة مؤلف « الرحلة الحجازية » قلنا له انه مقصر في عدم تمحيص بعض الامور التاريخية التي ذكرها في كتابه وفي اهمال اصلاح الاغلاط التي وردت في كل صفحة من صفحاته سواء كانت مطبعية او غير مطبعية . على اننا نكرر الثناء على فضله وعلمه ونرجو ان لا نثقل عليه ملاحظتنا هذه .

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد في ١٢٦ صفحة فنرجو له الرواج والانتشار

✻ منشور رعائي ✻ نشر اصحاب السيادة اساقفة الكرسي الانطاكي للاورثوذكس منشوراً الى رعيتهم يدعونهم فيه الى التمسك بالصلاة والفضيلة والتقوى الحقيقية وابطال العادات المضرة في احتفالهم في الاديرة خصوصاً اطلاق العيارات النارية وركوب المحرمات . وختموا منشورهم بالدعاء لجلالة السلطان الاعظم فعسى ان يسمع الابناء نصائح الآباء المحترمين

✻ قداس الروم وقداس اللاتين ✻ وردنا من باريز كراسة باللغة الفرنسوية موضوعها المقابلة بين قداس الروم وقداس اللاتين تأليف حضرة الارشمندريت الأب الكسيس خاطب المقيم في باريز مصدرة برسم نظنه رسم حضرة المؤلف ومفتتحة بصلاة موضوعها « الطلب من الله ان يرد الشرقيين الى الوحدة الكاثوليكية » وقد خصص ايراد هذا الكتاب بمساعدة نشر الدين في الشرق وثمنه فرنك واحد وهو يطلب من حضرة المؤلف المحترم في شارع سفر نيرو ١١ في باريز

وفيات

فجعت مصر برجل من خيرة الرجال الذين خدموها وهو المأسوف عليه المرحوم علي باشا ابراهيم ناظر المعارف والحقانية سابقاً . توفي رحمه الله عن ٧٥ سنة كان فيها مثالاً للفضل ومضاء العزيمة فوقع نعيه اشد وقع في النفوس وقد دفن بالاحتفال اللائق بمقامه عزى الله آله على فقده واسكنه فسيح جنانه

استاثرت رحمة الله تعالى في ٦ الجاري بالمأسوف عليها ارملة المرحوم عبد الله شحاده والدة حضرات رصيفينا الفاضلين نقولا افندي شحاده والياس افندي شحاده . وقد احتفل بجنازتها رحمها الله في ٧ منه احتفالاً مشى فيه سراة العاصمة ورجال الصحافة فيها فنسأل الله ان يلهم حضرات انجالها الافاضل وسائر آلها الصبر الجميل على فقدها ويتغمدها بالرحمة والرضوان

✻ اقتراح ✻ كتبت الينا احدى القارئات الاديبات في سوريا تقول « يكتب حضرة الفاضل اسعد افندي باسيلي في الجامعة فصولاً متسلسلة موضوعها « اختيار الزوج » ولكن اما كان من الانفع ان يكتب حضرته في موضوع « اختيار الزوجة » لان الرجال هم الذين يختارون لا النساء . وهل ليس في القارئات الاديبات من تجيبني الى الكتابة بهذا الموضوع فتظهر تقصير الرجال بشأن هذا الاختيار »

« صحة السطر الموضوع تحت الرسم الثاني في هذا الجزء ما ياتي « سيادة المطران غفرئيل مطران بيروت ولبنان وتوابعها »

غذاء المعد القوية

العدل — قال انوشروان العدل سور لا يغرقه ماء ولا يحرقه نار ولا يهدمه منجنيق . وقيل لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان . وقيل لحكيم ما قيمة العدل قال : ملك الابد قال ما قيمة الجور قال ذل الحياة . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامل اذا دعتك قدرتك الى ظلم فاذكر قدرة الله عليك (الثعالبي)

الصدق والكذب — قال ارسطاطاليس : احسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه وان الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب (الابشيهي)

كتمان السر — قال علي كرم الله وجهه سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره . وقال عمر بن عبد العزيز : القلوب اوعية والشفاه اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره . وقال عمرو بن العاص : اذا افشيت سري الى صديقي فاذاعه كان اللوم عليَّ لا عليه قيل له كيف ذلك قال : لاني انا كنتُ اولى بصيانته (الثعالبي)

الغضب — قيل لحكيم : اي الاحمال اثقل فقال الغضب . وروي ان ابليس قال : مهما اعجزني ابن ادم فلن يعجزني اذا غضب وقيل لابي عباد : ما ابعد من الرشاد السكران ام الغضبان فقال : الغضبان لا يعذره احد في مأثم يجترحه وما اكثر من يعذر السكران (الثعالبي)

حفظ اللسان — بلغنا ان قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال احدها لصاحبه : كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال : هي اكثر من ان تحصر وقد وجدت خصلةً ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها . قال : ما هي . قال : حفظ اللسان (الابشيهي)

الصداقة — قال لقمان لابنه : يا بني ليكن اول شيء تكسبه بعد الايمان خليلاً صالحاً فانما مثل الخليل كمثل النخلة ان قعدتَ في ظلها اظلتك وان احتطبت من حطبها نفعك وان كلت من ثمرها وجدته طيباً (امثال العرب)

اسباب العداوة — قيل للشيبا بن شيبة ما بال فلان يعاديك فقال : لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة . (الثعالبي)

غذاء المعد الضعيفة

بين ابو ين — قال الاول ماذا يصنع ابنك اليوم فاجاب الثاني يصنع ما يصنعه وابور السكة الحديدية . قال وماذا يصنع قال — يروح ويجيء ويدخن

بين ولد وجده — قال الولد : انت كبير السن يا جدي قال نعم يا بني قال وهل ليس في فمك اسنان قال ولا واحدة يا بني ولكن علام هذا السؤآل . قال لاني اردت ان أأتمنك على ما معي من البندق والجوز

اكلة لحوم البشر — قال واحد من اكلة لحوم البشر في اواسط افريقيا لرفيق له : العجب من هؤلاء الاوروبيين كيف يقولون ان اللحم غالي الثمن في بلادهم مع كثرة سكان تلك البلاد ...

ام وابنتها — قالت ام لابنتها وهي تضحك على احدب كم من مرة قلت لك يا فريدة ان لا تضحكي على احد مشوه الجسم فانك تصبحين مثله . فقالت الابنة — ماما هل اذا ضحكت على الفيل يصبح لي خرطوم كخرطومه اقدر به على قطف الاثمار من فوق الجدران؟ ثم لبثت هذه الابنة البسيطة تنتظر جواب امها

بلادة فلكي — قال فلكي لصديق له هنئني يا صديق فقد خطبت فتاة حسناء . قال متى كان ذلك . قال امس الساعة ٧ والدقيقة ٤٣ والثانية ٥ لما كان زحل في اقصى بعده عن الزهرة

اب وولده — كان اب يتنزه هو وابنه فبغتهما قطيع من الثيران يركض في الطريق فخاف الولد وفرَّ من وجهها فاخذ ابوه يضحك ثم قال له : علام هذا الخوف من هذه البقر اما أكلت اليوم من لحمها على المائدة فلماذا تخاف منها . قال الولد وهو يلهث تعباً — نعم اكلت من لحمها لكن لحم هذه نيء لا يؤكل

في المحكمة — قال القاضي للمجرم هل لك ما تزيده على دفاعك ايها الرجل . فقال المجرم كلا يا مولاي القاضي وانما لي رجاء وهو انك اذا عزمت على الحكم عليَّ ان تعجل بذلك لادخل السجن قبل مرور وقت الغداء عند الظهر والا لبثت من غير غداء

حذق قاضٍ — اراد قاض ان يبتاع صندوقاً حديدياً يحفظ فيه امواله فذهب الى السجن واخذ لصين الى جانب وطلب اليهما ان يرشداه الى نوع الصناديق التي تكون اشد صعوبة في الفتح لانهما ادرى بذلك من جميع باعة الصناديق

الفصل العاشر

وبعد ان خلت ماري باميل نصف ساعة خرج اميل من منزل ماري ولاضطراب باد في وجهه اما ماري فقدزاد السكون والهدوء اللذان كانا في وجهها . ومن راقبها بعد خروج اميل من الباب وجدها تطيل النظر الى الباب وطرف اصبعها في فمها ونفسها سابحة في تصورات لا يعلمها الا الله.

ثم قصدت منزل صديقتها ماري وقصت عليها كل ما دار بينها وبين اميل فلم نسمع من كل حديثها الا قولها لها في الختام — انكر كل تلك الاخبار وقال انها كاذبة ملفقة وهو يشير عليك بالسفر الى سوريا تبديلاً للهواء

فقالت ماري وهي تتململ في فراشها فاسأليه أيرجع هو حتى نرجع نحن . قالت ذلك وضمت صدغيها بيدها لالم كانت لا تزال تجده في رأسها

وفي المساء كتبت فدوكي الى اميل ان ياتيها في الصباح ليتم الحديث معها . فلما اشرق الصباح قُرع باب منزل فدوكي وكانت قد نهضت من فراشها وارتدت بثوبها البسيط الجميل ففتحت الباب فابصرت يداً مُدت منه اليها وفيها كتاب فاخذت الكتاب وفتحته فقرأت فيه ما يأتي

«حضرة المادموازل فدوكي

«ظهر لي احياناً ان التعب شديد عليك في مخزني فانا اعفيك من هذه الخدمة وطيه تجدين قيمة رصيد حسابك وهي خمسة عشر ريالاً »

(الامضا) جوبير

فلله ما كان اشد هذه الضربة على قلب هذه الفتاة الوحيدة . كانت تنتظر في الصباح مقابلة سارة واذا بها تأخذ من صاحب المخزن الذي تخدم فيه انه قد اصبح في غنى عنها . ففقدت بذلك مورد رزقها واصبحت بلا عمل تكسب به خبزها وخبز امها . فاسودت الدنيا في عينيها ووضعت يداً على جبهتها واخرى على صدرها وسعلت سعالاً من اعماق رئتها

واتفق في هذه الدقيقة دخول اميل . فنظرت اليه باسمة ومرارة اشد من مرارة الموت مل‌ء نفسها فكان في شفتيها الضحك وفي قلبها البكاء في فمها الورد وفي نفسها الاشواك

فادخلته فدوكي الى غرفتها واعادت عليه بعد كلام طويل ان ماري تعود الى سوريا اذا كان يعود اليها»

فاجابها اميل اما انا فقد وقفت مساء امس على سر عظيم كما اخبرتك وعلمت المؤامرة من اولها الى آخرها فيجب ان ابقى هنا لاجزي الاشرار شرَّ جزاء . الشرير لا يخشى شره الا اذا كان مستتراً اما اذا بدا امره وانكشف سره فقد زال خطره . وقد انكشف امر اولئك الاشرار فساجزيهم جزاء يستحقونه فلترحل تلميذتي ماري الى سوريا ترويحاً لنفسها وتبديلاً للهواء وقولي لها ان هذه ارادتي فاني اعهدها تطيع ارادة معلمها

فعضت هنا فدوكي على شفتها وكلل وجنتيها الصفراوين شفق خفيف فكانت كاناء بلوري اصفر اللون لاح في جوفه نور ضئيل . فلم يلحظ اميل ذلك لانه كان مشغول الفكر بماري اما فدوكي فكان كل انتباهها لاميل

وبعد ذهابه جلست ماري على مائدة بازاء سريرها واخذت مفتاحاً من جيبها ففتحت درجاً واخذت منه دفتراً كبيراً وجعلت تتصفحه . وكان على ظهر هذا الدفتر في الجانب الواحد هذه الكلمات (يومية فدوكي بورباكو) وفي الجانب الثاني (مكتوبة حتى لا يطلع عليها احد الا بعد موتي) . وبعد ان تصفحتها فدوكي قليلاً تناولت قلماً وجعلت تكتب فيها

وبقيت تكتب نصف ساعة ثم طرحت القلم من يدها واقفلت الدرج على الدفتر وانطرحت في فراشها . فنامت وفي نفسها ظلام وفي عينيها ظلام

ونهضت من فراشها عند الظهر صفراء اللون كانها زُعترت في المنام فذكرت لامها ان صاحب المخزن استغنى عنها فسالتها امها اتعلمين يا بنية اذا كان هذا الشاب اميل غنياً ام فقيراً

فبهتت فدوكي لهذا السوآل وقالت لامها عجباً يا اماه ما هذا السوآل ولا علاقة له بالمسالة المهمة التي اعرضها عليك . انا اقول لك انني اصبحت بلا عمل اكسب به خبزي وخبزك فتجيبيني بسوالك هل هذا الشاب غني ام فقير

ولكن ما اتمت فدوكي الكلام حتى قُرع الباب ايضاً ودخلت البوابة معها كتاب باسم فدوكي ففتحته وقرات فيه هذه السطور

« حضرة المادموازل فدوكي

«ساءني جداً ان الصديق الذي اطلعني امس على المؤامرة التي كانت عليَّ قد اطلعني في هذا الصباح ان صاحب هذه المؤامرة قد سعى بك لدى صاحب المخزن الذي تخدمين فيه ليحمله على الاستغناء عنك . وقد وشى بك كما وشى بي فسانتقم

اذاً لك ولي معاً . قولي لتلميذتي في هذا المساء ان ترحل سريعاً الى سوريا فان هواءها يفيدها و بما انك قد تركت عملك في المخزن فيمكنك السفر معها ايضاً لزيارة بلادنا الجميلة. سافرا واتركاني هنا انتقم لكماولي والسلام »

اميل

فقرأت فدوكي هذا الكتاب بشوق وامعان شديدين ثم طوته باعتناء ووضعته في جيبها قائلة : صديقتي تسافر اما انا فلا . . ثم فكرت في السبب الذي ذكره اميل عن عزلها نعضت شفتيها وقالت : رأوني اساعده عليهم فسعوا في اذيتي فانا أرضى بهذا الاذى من اجله . . .

وما اتمت فدوكي الكلام في نفسها حتى فتح الباب وظهر فيه الخواجه حنا ضاحكاً مسروراً . فامتقع لون فدوكي واصطكت ركبتاها اذ أبصرته اما هو فدخل بطمانينة وخفة بالرغم عن ثقل جسمه وضخامته فمد يده لفدوكي مسلماً وقائلاً : كيف اصبحت اليوم حبيبة جيبتنا .

ولو كانت تعلم هذه الفتاة بيت المتنبي

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدواً له ما من صداقته بد

لردّدته ساعتئذ في نفسها . على انها كانت تردد باللغة الانكليزية شعراً لشكسبير يشبهه فمدت اليه يدها وسارت امامه الى غرفتها وهي غرفة الاستقبال فجلس حنا وقال

اظنك تعجبين ياعزيزتي من زيارتي في هذا الوقت فاجابت فدوكي بسكينة كلا لا اعجب من شيء . قال ولكن لطفك هو الذي يملي عليك هذا الكلام لا بد انك تعجبين من زيارتي ولذلك اول ما احدثك بموضوعها . لقد ساءني جداً ايتها العزيزة ما سمعته في هذا الصباح . اصحيح انك تركت المخزن الذي كنت تعملين فيه

فثارت نفس فدوكي اذ تذكرت ان الذي يكلمها هو الذي كان سبب تركها عملها وانه يتخذ معها الآن الرياء والكذب والاستهزاء سبيلاً فكادت تنطق بما يكنه ضميرها ولكنها كانت مع حدة نفسها بعنق كعنق الجمل لاتخرج الكلمة منه الابعد مرورها في قناة طويلة فهي تزنها قبل خروجها فاذا شاءت اخرجتها واذا شاءت ارجعتها. وقد افتكرت هنيهة فرأت ان تسكت على مافي نفسها في اول الامر فسكتت.

فاردف حنا قائلاً

لقد صح اذاً ما سمعته من استعفائك ايتها العزيزة فما ذهب اذاً تعبي سدى . جئت الآن استاذنك في امرين. قال هذا وسكت

فقالت فدوكي والدموع ملء عينها للغيظ من هذا الرياء : وما هذان الامران

قال اما الاول فان تسمحي لي ان اكتب لصاحب المخزن ان لا يقبل استعفاءك لانه صديقي . واما الثاني . . .

فثارت نفسها مرة اخرى حتى بلغ الكلام فمها ولكنها ارجعته وعضت شفتها . فقال : واما الثاني فأن تقبلي ادارة محل جديد كالمحل الذي كنت فيه سافتحه في هذا الشهر : فايها تختارين

فاطرقت فدوكي هنا مفكرة . فقال حنا لا اجهل رقة احساسك ولكني ارجو ان تختاري واحداً من هذين الاثنين فانك ياعزيزتي صديقة المنزل وبالخصوص صديقة ماري ابنة اخي فخدمتك واجبة يا فدوكي

فبقيت فدوكي مفكرة

ولكن بما ذا كانت تفكر. الله اعلم . وكأنه كان في نفسها صراع بين عواطفها فبقي هو يتكلم وهي تفكر حتى رفعت رأسها وقالت بسكينة ووقار

ولكن اقتراحك هذا ياسيدي لا ينطبق على ماصنعت بي امس فهل تريدان تجرح بيدٍ وتضمد باخرى . ليتك لاتجرح ولا تضمد

فحركت هذه الكلمات اللطيفة قلب حنا الخشن ضمن جثته الضخمة لانه استدل منها ان فدوكي مطلعة على سره . فقال مبهوتاً ما معنى هذا الكلام ايتها العزيزة

فقالت فدوكي بشيء من الحدة معناها يا سيدي انك حطت من كرامة نفسك باذيتك شخصين ضعيفين لم يؤذياك ولم يريدا لك الا الخير . ما ذنب الخواجه اميل حتى تشيع عنه الاشاعات التي اشعتها وتسعى في الحاق الخسارة به . وما ذنبي انا حتى تسعى لدى صديقك صاحب المخزن لطردي من مخزنه؟

الجامعة العثمانية

الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسه مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٧

باب المقالات

النبت الجديد

﴿ في الشرق ﴾

من حيث النشاط والذكاء ــ من حيث الادب ــ من حيث الدين ــ من حيث السياسة

اشرق فجر حياة جديدة للدولة العثمانية بعد حربها مع اليونان . هكذا قالت الكاتبة الشهيرة مدام آدم في حديث جرى لها مع احد مراسلي الجرائد الانكليزية . على ان هذا الفجر الجديد لم يشرق للدولة فقط بل اشرق لابناء الدولة ايضاً .

كان ابناء الدولة منذ نحو خمسين سنة فريقين : قوياً وضعيفاً . الاول يدوس الثاني والثاني يطأطئ الراس بذل وخنوع امام الاول . ثم تقلبت الاحوال السياسية والاجتماعية فاصبح الضعيف قوياً بعض القوة فكان لا بد ان يوجد بين القويين الصدمة التي لم يكن لها اثر حين كان احدهما ضعيفاً خاضعاً .

فجعل الفريقان ينظر كل الى صاحبه شزراً وهما يعيشان جنباً الى جنب وكتفاً الى كتف فوق ارض واحدة وتحت سماء واحدة . فتغلغلت الاحن في الصدور وزاد الجهل في اضرام نارها فزادت اضطراماً كل يدعي ان الارض ارض آبائه واجداده ويود الاستئثار بمنافعها والاستبداد بشانها . فنشأ عن هذا الانقسام الاليم مصائب جمة اخنها شقاء الفريقين واشتغالهما بالنزاع والخلاف عن كل ما يرقي شؤونهما جميعاً . فاغتنم الاجنبي هذه الفرصة السانحة وارسل دعاته بين الفريقين يوغر الصدور ويوسع الخرق توصلاً الى اغراضه السياسية والاقتصادية فانخدع به فريق وسخط عليه فريق فاصبح النزاع بين ثلاث فئات بعد اذ كان بين اثنتين . فازدادت الامة ضعفاً على ضعف وفقراً على فقر . اما الضعف فنشأ عن ازدياد انقسامها واختلافها واما الفقر فنشأ عن انصراف اموالها الى جيوب ذلك الاجنبي الذي يبيعها كل حاجياتها وكمالياتها حتى الثياب التي تلبسها وكل ما حولها من ادوات معيشتها . فازدادت اختباطاً بازدياد ضعفها واشتد شقاؤها باشتداد فقرها . فلبثت تائهة في هذا التيه السياسي الى ما شاء الله

في ذلك الوقت وسط ذلك الاختباط العظيم والنزاع الاليم طلعت على الفريقين غرة جيل جديد يحمل في يده بدل الهراوة غصنا من الزيتون وفي فمه ابتسامة المحبة بدل انقباض الاحتقار . طلعت غرة هذا الجيل الجديد لطيب في عرقه اولاً . ولضجره من حالة النزاع القديمة ثانياً . ولرغبته في التخلص من نير الاجنبي الذي يخطف الرزق من يده في بلاده ثالثاً . فلا نخطئ اذا سمينا هذا الجيل الجديد (النبت الجديد) . ورغبة في الوقوف

على شؤونه واحواله ننظر اليه من وجوهه الاربعة وهي (١) النبت الجديد من حيث النشاط والذكاء (٢) من حيث الادب (٣) من حيث الدين (٤) من حيث السياسة . ونقول كلمة في كل منها

***

﴿ النبت الجديد من حيث النشاط والذكاء ﴾ لا نخطىء اذا قلنا ان مركز الاجانب التجاري والاقتصادي في بلاد الدولة العثمانية لم يبق له القوة التي كانت له من قبل . وذلك لامرين : الاول انتباه الحكومة الى الجزر من مد المصالح الاجنبية التي طمت على البلاد والعباد والثاني وهو الاهم مجاراة افراد من الامة التجار الاجانب في التجارة والصناعة مجاراة نغصت عيشهم وضيقت باب الرزق في وجوههم . واشد ما كان ظهور هذا الامر في الولايات السورية حيث فاق السوريون الاجانب في كثير من الشؤون التجارية فعاد هؤلاء الى بلادهم بالخيبة والفشل . ولا غرو فان السوريين امتازوا بالمقدرة على التجارة منذ القديم . والفضل في هذا النجاح الوطني والخيبة الاجنبية عائد لنشاط بعض الوطنيين وذكائهم واتحاد قواهم بقوى باقي مواطنيهم مقاومة لاجنبي يأتي لخطف الرزق من ايديهم في بلادهم . زد على ذلك اقتصادهم وقناعتهم في أمور معايشهم وخبرتهم بشؤون بلادهم . ولا ننكر ان هذه القاعدة ليست مطردة ولكنها قد ظهرت في شؤون كثيرة وكم من مرة رأينا الاجانب يحرقون الارم في الولايات السورية لمجاراة الوطنيين لهم وتغلبهم عليهم . فلو شجع هذا النبت الجديد النابت في حقل العمل العثماني بمثل ما تشجع به باقي الامم من حماية مصنوعات بلاده ومساعدة الحكومة اياه في شؤونه العامة مساعدة الام لطفلها اول دبيبه لزها هذا النبت الجديد ونما وكبر فخنقت جذوره جذور كل شجرة تقترب من تربته وتزاحمه على ما فيها من الغذاء . ومع ضعف هذا النبت الجديد الآن نحيي ظهوره بارتياح وسرور لانه طليعة جيل جديد آخذ في الظهور وهو جيل النشاط والذكاء والعمل والاقدام

﴿ النبت الجديد من حيث الادب ﴾ ونقسم الادب هنا الى قسمين . الاول عقلي والثاني اجتماعي . وقد خرج في كل من هذين الحقلين في بلاد الدولة نبت جديد . اما في حقل الادب العقلي فحسبك ان تنظر الى النهضة العلمية الاخيرة لتعلم ان الفكر الشرقي لم يبق واقفاً بل خطا الى الامام خطوات واسعة . فالمدارس أنشأت والكتب طبعت . والجمعيات الفت . والجرائد اصبحت كورق الخريف تظهر وتتساقط بعدد ظهور تلك وتساقطها . فالفكر الشرقي او ان شئت فقل الفكر العثماني متقدم الى الامام طبقاً لناموس الارتقاء . والفضل في ذلك لهذا النبت الجديد في حقل العلم والادب الذي يقود روح الامة الى قمة النور وطور المعرفة والحكمة

واما حقل الادب الاجتماعي ففيه قسمان ايضاً : الادب الاجتماعي الخاص والادب الاجتماعي العام . ونريد بالاول الاداب البيتية وبالثاني الآداب السياسية

وفي كلا الحقلين : حقل الادب الخاص وحقل الادب العام خرج نبت جديد فاضل يتولى بالفكر قيادة آداب الامة . انظر اليه وقد ترفعت نفسه معظمة ولكن من غير كبرياء ولا احتقار عن رذائل الهيئة الشرقية ونقائصها تجد على جبهته اللطيفة الهادئة الشامخة حداً فاصلاً بين عالم قديم وعالم جديد : عالم الرذيلة وعالم الفضيلة . تامل في وجه هذا (النبت الجديد) عند وقوع نظره على ما في هذا الزمان من الشقاء الاجتماعي والسياسي والمصائب والفقر والضيق وما فيه بالخصوص من الرذائل الكبيرة والصغيرة التي تأكل احشاء الهيئة الاجتماعية الشرقية وغير الشرقية تجده قد انتقل من هذا العالم الى عالم ثان فصار لا يسمع ولا يرى ولا يحس بامر من الامور الخارجية . صنم جامد فوق ارض جامدة لا تتحرك منه الاعيناه يقلبهما في فضاء الكون وفيهما ظلمة الفلسفة وسكينتها عن اي شيء يبحث هذا الصنم في وجه السماء بين مساكن النجوم؟ اين ذهبت هذه النفس تاركة هذا الجسم على الارض ؟ اقترب منه . خذ يده بيدك وهزها هزاً شديداً حتى تعود نفسه الى جسمه وسله : ماذا تصنع؟ فتسمع حينئذ صوت فتى يقول لك بلهجة ليست من هذا العالم :

— اريد اصلاح هذه كلها .

فتضحك اذا كنت ممن يضحكون ويستهزئون . وتحترم هذه القوى الادبية والفلسفية اول ظهورها تحت سماء الشرق اذا كنت ممن يحترمون

﴿ النبت الجديد من حيث الدين ﴾ وقد اطلنا الكلام على الامور السابقة وكان غرضنا ان نشير اليها اشارة فقط حتى نصل على عجل الى اهم اغراض هذه المقالة ونريد بذلك «النبت الجديد من حيث الدين ومن حيث السياسة» اما وقد وصلنا الآن اليها فنقول :

اشد ما تمنى به امة انقسامها بشأن الدين فان هذا

الانقسام يقيم اسواراً بين عناصرها ويكون سبباً في توليد كل الانقسامات بينها : السياسي والاجتماعي والادبي وغيرها . ومنشأ هذا الانقسام الديني الذي يكون اصل هذه الانقسامات كلها جهل الامة اولاً واطماع رؤسائها الدينيين ثانياً .

ولقد كان هذا الجهل ولا تزال تغلي مراجله . كان هذا الطمع ولا تزال تتقد نيرانه . الشعوب مقيمة في ليل مدلهم من الجهل والغباوة جاثية برهبة ورعدة تحت اقدام الرؤساء والرؤساء مستعلون مترفعون يشيرون الى فرقة بعيدة عنهم و يقولون لمرؤوسيهم : هؤلاء اعداؤكم

فتلبدت حينئذ غيوم الجهل فوق الرؤوس . وغلت مراجل البغض في النفوس . فقام ابناء الوطن الواحد يناصبون بعضهم بعضاً الشر والعدوان . فانقسمت قواهم بانقسام قلوبهم . فافضى بهم هذا الانقسام الى ما يفضي اليه كل انقسام : الى الضعف والانحطاط والذمة والهوان

في هذا الليل المدلهم والظلمة الحالكة طلعت غرة (النبت الجديد) تنشر على الارض نور السماء . وسمعت تلك العناصر المتقاطعة المتنازعة لاول مرة تحت سماء الشرق هذا الكلام : — «شرع الله الدين للعبادة والتحابب والاحسان . لا للاساءة والبغض والعدوان »

ذلك ان الارتقاء ناموس طبيعي يحكم العالم الادبي كما يحكم العالم المادي . وقيام نبت جديد في الشرق يعتقد هذا الاعتقاد الشريف بالشرائع الدينية منشأه ارتقاء الفكر الشرقي ودفعه عنه الجهل من جانب والطمع من جانب آخر ليتخلص من الاثنين و يتقدم صاعداً قمة النور . وحب الحقيقة والحياة وصلاح الحال هو المحرك الى هذا الصعود . فان كل نفس كريمة مجبولة من طينة المحبة والشفقة والايثار والتساهل والاعتدال وهي من الفضائل الدينية الكبرى — كل نفس مجبولة من هذه الطينة الشريفة تحس ان ذلك التقاطع الديني نقض للواجبات الدينية الحقيقية واخلال بالواجبات الادبية والوطنية ومانع شديد من اتحاد القوى والتعاون على الخير العام والمنفعة العمومية . وما عدا هذا فمن هو هذا الحيوان الذي يسمى انساناً ليضطهد بعضه بعضاً و يبغض بعضه بعضاً ؟ اما هو قبضة من التراب نفخت فيها نسمة حياة وارسلت على قبضة اخرى من التراب سابحة في الفضاء لتعمرها وتصنع الخير فيها ؟ فهل من واجباتها ان تقيم فيها هيا كل للحب ام للبغض ؟ للتعصب ام للتساهل ؟ للشفقة ام للقسوة ؟ للاثرة ام للايثار ؟ بل ايجسر

هذا الحيوان ان يقسو و يبغض و يتعصب و يستبد وهو على ما هو عليه من الجهل والضعف والوهن وشدة الافتقار الى يد علوية تأخذ بيده على الدوام . فالمحبة المحبة ايها المتقاطعون . الشفقة الشفقة ايها المتنازعون المتباغضون . اذكروا اننا من طين كالفخار . فلنترك هذا الصلف والعتو والفخار . ارسلنا لنحب بعضنا بعضاً ونتعاون على زرع الخير في هذه الارض التي نسقيها بالدموع . ولدينا من هذه الدموع ما يكفي فلا نزيدها بذلك التقاطع والعدوان . لدينا جهلنا وشقاؤنا وضعفنا وتمكن المادة من نفوسنا وضغطها على جوهرنا فحسبنا هذه مصدراً للدموع والاحزان . لنشتغل بمداواة هذه المصائب ولا نجلبن فوقها مصائب جديدة . المسلم في جامعه يعبد الله ويدعو لخليفته . واللاتيني في كنيسته يعبد الله ويدعو لرئيس احباره . والارثوذوكسي في كنيسته يعبد الله ويدعو لبطريركه . والبروتستانتي يعبد الله ويبشر بانجيله . واليهودي يعبد الله ويقرأ في تلموده : هل يمنع ذلك ان يحبوا بعضهم بعضاً ويكونوا عيلة واحدة متفقين غاية وان اختلفوا رأياً لهم أب واحد في السماء وسلطان واحد على الارض ؟ هل يقتضي ذلك ان يكونوا اعداء ينظرون بعضهم الى بعض شزراً ؟ أتقتضي عبادة الله سبحانه وتعالى ان تبقى الانسانية تتعذب بهذا الانقسام الاليم فلا تجني في هذه الارض الا حنظلاً وقتاداً وصبرا ؟

نترك الجواب عن هذا لعالم فاضل مسلم كتبه في مقالة نشرها في مجلة الموسوعات وهذا نصه بالحرف الواحد :

((دع كلا ودينه . دع المسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . والنصراني يقول بالاب والابن وروح القدس وان كان لا يرى في الحقيقة غير اله واحد . وخلِّ اليهودي يوحد بالله سراً وعلناً ويعبده على شريعة نبيه موسى واتلُ اذا حمي وطيس الجدل (انا لو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) ثم قل ان جمعك بهم وطن (يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) نحن وان اختلفنا ديناً ابناء وطن واحد فليجعل كل قوم دينهم رابطتهم الخصوصية اولاً ثم المرشد الامين لسيرهم مع الغير ثم لتجتمع طوائفنا امة واحدة فكما ان للدين علينا حقاً فللوطن علينا حق وللجنسية علينا حق وللغتنا علينا حق ونحن عن هذه الحقوق مسؤولون امام الله والناس))

فليقرأ الاسرائيليون والمسلمون والمسيحيون على اختلاف مذاهبهم هذا الكلام السامي بامعان شديد وليحيوا معنا باحترام طليعة هذا « النبت الجديد »

✵ النبت الجديد من حيث السياسة ✵ ولقد طال المقال في تلك الشؤون حتى ضاق المجال من سوء الحظ عن اهمها كلها وهو الشأن السياسي فنقول ملتزمين الاختصار

يكون المبدأ السياسي حيث تكون المصلحة · ويرى الجيل الجديد الذي بسطنا مبادئه في الاعمدة الماضية ان من مصلحته ان يكون عثمانياً ويبقى عثمانياً · ويبني حكمه هذا على ثلاثة امور

(الاول) ان المسلم منه يعتقد — واعتقاده حق — ان سعادته السياسة والدينية والاجتماعية في ان يكون عثمانياً والمسيحي من هذا النبت الجديد لم يعد يخدع بما انخدع به الذين قبله من ميل اوروبا اليه لانه رأى كيف تتخذه اوروبا حجة لها في قضاء حاجاتها ونيل اغراضها فهو يريدان يبقى عثمانياً

(الثاني) ان مصلحته الاقتصادية تقضي عليه بان يكون عثمانياً · فهو مع مواطنيه من الطوائف الاخرى يكون قادراً على مجاراتهم ان لم نقل على سبقهم في حلبة الاعمال الاقتصادية في حين ان الاجانب اذ تسلطوا عليه اتخذوا بلاده مستعمرة لهم وخنقوا بما لديهم من المعرفة والاستعداد ومساعدة حكوماتهم لهم كل مصلحة اقتصادية له بازاء مصالحهم الاقتصادية · فهو الآن مستعل في تجارته وكل امور معاشه فاذا دخل الاجنبي اليه استعلى عليه في كل هذه الشؤون لا محالة

(الثالث) ان حكومته التي تفيأ ظلها وعاش تحت احكامها اميناً لها وداعياً بتاييدها يجوز لها ان تسميه عاقاً وكاذباً اذا لم يخلص النية لها · اما العقوق فلأنه ربي فوق ارضها وعاش تحت حمايتها هو وذووه كل حياته · واما الكذب فلأنه اظهر الامانة لها واضمر غير ما اظهر · ورأس واجبات الانسان الادبية ان لا يشوه نفسه برذائل كالعقوق والكذب والرياء فمن مصلحته الادبية ان يبقى عثمانياً · واذا اضفت الى هذا ان الاجنبي يعتده احط منه شأناً وادنى جبلة وعند اول نفار يقوم بينهما يصفع وجهه بكلمة « عرب » يحسب انه يهينه بها وانه مهما تم له لا يكون الا ما نسميه (لقيطاً سياسياً) اي لا من هؤلاء ولا من هؤلاء كالغراب اذ حسد القطا

حسد القطا فاراد يمشي مشيها فاصابه ضرب من العقال
فاضاع مشيته واخطا مشيها ولذاك سموه ابا مرقال

اذا اضفت هذا الى ذاك عرفت الاسباب القوية التي بني عليها (النبت الجديد) رغبته في ان يكون عثمانياً ويبقى عثمانياً · وانما هو عثماني على الوجوه التي مر ذكرها وبالنظر الى المبدإ الذي لا يؤثر فيه خلل طارئ او فساد حادث فان هذا من العرض وقد كان مثله واقبح منه في جميع الدول الاوروبية

***

هذه هي مبادئ (النبت الجديد) والجامعة تحمل في مقدمة صفوفه لواء هذه المبادئ الشريفة · ومن واجبات الهيئة الحاكمة تشجيع هذا النبت ومساعدته ليتم وظيفته ويكمل خدمته لا ان يعترض نموه لاول بادرة تبدر او هفوة تصدر · نسال الله ان يلهم اولياء الامر ما فيه الخير الحقيقي والمصلحة العامة والسلام

ظهور ارواح الموتى

✵ فلا ماريون وفيكتور هيغو ✵

(واعتقادهما بالسبيريتيزم)

ما انتشر الجزء التاسع الذي وضعنا فيه فصلاً عنوانه «استحضار الارواح» حتى اتانا احد الادباء وفي يده اجزاء مجلة فرنسوية عنوانها «الاخبار السياسية والادبية» فوجه نظرنا الى مقالات متتالية وردت فيها للعالم الفلكي الشهير "كاميل فلا ماريون" عنوانها «المجهول» وموضوعها اثبات اعتقاده بامكان ظهور الارواح · وبعد ايام زارنا صديق فوجه نظرنا الى مقالة وردت في جريدة الطان بهذا الموضوع يقول كاتبها ان كاميل فلا ماريون قد غير اعتقاده بظهور الارواح وان الروحيين اي الذين يعتقدون بظهور الروح بعد مفارقتها الجسد قد اضاعوه فاضاعوا به سنداً قوياً · ثم رأينا مثل هذا القول في جريدة الفيغارو وجريدة الدبيا وجريدة الماتن وغيرها فعجبنا لترك فلا ماريون الرأي الذي اظهر في مجلة « الاخبار السياسية والادبية » انه شديد التمسك به ولبثنا ننتظر جوابه على اقوال تلك الجرائد

ولكن لم يطل انتظارنا · فقد وردنا في منتصف شهر يوليو الجزء الرابع عشر من مجلة المجلات الفرنسوية وفيه مقالة ضافية الاذيال عنوانها « المجهول » وفي ذيلها توقيع "كاميل فلاماريون" · ولدى مطالعتنا هذه المقالة علمنا ان الرجل لم يغير اعتقاده كما روي عنه بل لا يزال على ما كان عليه · وقد اعلن في هذه المقالة انه سيكتب كتاباً موضوعه ظهور الارواح يودعه خلاصة ارائه العلمية ولذلك لم يبحث الآن في

هذا الموضوع من وجه علمي بل اكتفى بنشر نحو ٥٠ كتاباً وردته من جهات مختلفة يذكر فيها اصحابها تفاصيل عن ظهور ارواح اقاربهم او اصدقائهم لهم . فرأينا من الفكاهة والفائدة ان نقتطف اهم هذه الاخبار لاطلاع القراء عليها

***

اول هذه الاخبار كتاب كتبه اليه المسيو لو يزو المقيم في بوليو من اعمال فرنسا قال : حدثني المسيو ديكرانج مدير مدرسة الفنون في ليون ان امرأتين في هذه المدينة من اللواتي يعتقدن بظهور الارواح تعاهدتا ان التي تموت قبل رفيقتها تظهر لها بعد الموت . فماتت احداها فبقيت الاخرى تنتظر زيارتها طبقاً للمعاهدة . ففي ذات ليلة كانت في سريرها واذا بها تبصر رفيقتها التي توفيت منذ ايام جالسة في كرسي ازاءها وعلى كتفيها رداء ذو قبعة لم ترها فيه قبل ذلك الوقت . فلما غاب الشبح حسبت المرأة ان ذلك كان وهماً منها ولكنها اجتمعت بابنة المتوفاة فسألتها عن الثياب التي دُفنت امها بها فاجابت الابنة انهم وضعوا عليها رداء ذا قبعة كانت تحب الارتداء به في حياتها . فلم يبق شبهة لدى المرأة ان ما راته كان حقيقة لا وهماً »

— وكتبت اليه مدام جان بلان في كان تقول : « توفي زوجي في ٢١ دسمبر سنة ١٨٩٣ فنقلنا جثته الى جنيف فوصلنا اليها في يوم احد ليلة عيد الفصح فابقينا دفنه الى ما بعد العيد ولذلك وضعنا النعش في غرفة في الطبقة السفلى . ففي صباح يوم الاثنين اي قبل دفن الجثة رأيت وانا في غرفتي زوجي منتصباً امامي فاجفلت وصحت به « انت لم تمت اذاً » فنظر الي نظرة حنو ورفق فازددت صياحاً « انت لم تمت اذاً » ثم اخذت ارقص فرحاً بنجاته من الموت . ولكنه ما لبث ان غاب عن نظري فعلمت حينئذ ان روحه هي التي ظهرت لي ومن ذلك الحين صرت اؤمن بحياة اخرى »

— وكتب اليه ك . ر . . من بلده بو : « لم تنقض ايام على وفاة جدي حتى سمعت جدتي في ليلة من الليالي قائلاً يقول لها في غرفتها : « لا تخافي انا جئت فاصغي الي » . قد نسيت ان افي ديناً علي لخادمنا باتيست فاذهبي الى قرية ب . . حيث يقيم الان وادفعي له ٥ فرنكات الا ١٠ سنتيمات لانه كسر لي اناء للماء المقدس » ثم سكت الصوت فذهبت جدتي في اليوم التالي الى القرية المذكورة فلقيتها زوجة الخادم باتيست وقالت لها : « مات فلان ولنا في ذمته ٥ فرنكات لم يدفعها لنا » واتفق ان زوجها حضر في هذه الساعة فسألته جدتي : هل لم تكسر شيئاً من آنية المنزل فاجاب : بلى كسرت اناء للماء المقدس لا يساوي اكثر من ١٠ سنتيمات »

— وهذا ما كتبه اليه رجل مجهول وخبره من الاهمية باعظم مكان اذا كان صادقاً قال :

« اعرف ضابطاً روسياً شاباً معروفاً بكونه ينظر الارواح . ففي ذات يوم كان يضرب على البيانو في مجتمع فرأيناه قد ترك الضرب وقام دهشاً اصفر اللون فقام اليه الحاضرون وسألوه فاجابهم انه راى في عتبة المكان امراة بارعة الجمال منتصبة امامه تومي اليه ان يتبعها فنظروا فلم يروا شيئاً . فحاولوا تسكين خاطره واجلسوه . ولكن المراة عادت وجثت امامه على ركبتيها تلتمس اليه ان يتبعها فلم يستطع هذه المرة ضبط نفسه فتبعها وتبعه جميع الحاضرين . وما زالوا يتبعونه وهو يتبع الشبح الذي رآه وهذا الشبح يلتفت من حين الى حين لكي يرى اذا كان الضابط يتبعه ام لا حتى خرج من المدينة ووصل الى حفرة في الخلاء فتوارى هنالك عن نظر الضابط فوضعوا حجارة هنالك لمعرفة المكان وفي اليوم الثاني جاء الضابط بالجنود الى تلك الحفرة ونبشوها فوجدوا فيها جثة امراة بارعة الجمال وجثة رجل معها وبعد البحث ثبت انهما رجل وامراته ركبا مركبة وخرجا للتنزه فقتلهما سائق المركبة ودفنهما . فالقي القبض على السائق واعدم فتكون روح المراة قد انتقمت لنفسها ولزوجها »

— وكتب اليه المسيو ر . . . من مان يقول : (ان رجلين تعاهدا على ان الذي يتوفى منهما قبل رفيقه تاتي روحه وتشد الثاني من رجله . وكان احدهما صديقي فزارني يوماً وبات عندي وفي الصباح نهض وقال لي انه شعر في الليل وهو مستيقظ بمن يشده من رجله . ثم لقيته بعد سنة فاخبرني ان صديقه مات في ذات اليوم الذي بات فيه عندي وان روحه هي التي اتت وشدته من رجله)

— وكتب اليه المسيو جان لومن مونستر يقول : (انا رجل في السابعة والاربعين من العمر لا ادين بدين . توفي لي صديق في ٦ ابريل سنة ١٨٩٨ ليلة عيد الفصح ففي فجر يوم العيد التفت في غرفتي فرايت صديقي امامي يستره كفنه من فرقه الى قدمه وكان كما عهدته الا انه كان من غير شارب . وكنت وعدته ان اريه رسوماً عسكرية معلقة في غرفتي فاخذ ينظر في تلك الرسوم المعلقة ولبث ينظر اليها وقتاً طويلاً ثم

اشار الي اشارة ودية وغاب عني · ولا حاجة بي الى القول بانى كنت مستيقظاً لا راقداً · فلما اشرق الصباح قصدت المكان الذي وُضعت فيه جثة صديقي لانه كان لم يُدفن بعد فرايته راقداً في كفنه بنفس الهيئة التي كانت له امس ونظرت الى شاربه فرايته معصوباً بقطعة من النسيج فكانت السبب في عدم ظهوره امس)

***

هذه ست رسائل من ٤٧ رسالة نشرها المسيو فلامار يون في هذه المقالة وقس على ما ذكر منها مالم يذكر · وقد قال في ختام الكلام انه لا يعتقد بنزاهة تلك الرسائل عن كل تحريف وتكبير ولكنه يعتقد بحسن قصد كتابها واخلاصهم فلا سبيل الى رد هذا الموضوع بلا بحث فيه بل يجب البحث والتنقيب فان ما يجهله الانسان اكثر مما يعلمه · ثم اختتم الكلام بالطلب من قراء مقالته ان يكتبوا اليه كل ما يعلمونه عن هذا الموضوع

ولا بأس في هـذا المقام من نقل كتاب كتبه الى فلا ماريون منذ عهد قريب المسيو كاوفيس هيغ الشاعر الفرنسوي والنائب في مجلس النواب · وهذه هي خلاصته منقولاً عن المجلة الباريزية

« طلبت مني ان اكتب اليك تفاصيل الشعور الغريب الذي وجدته في سجني سنة ١٨٧١ · كنت يومئذ سجيناً في سجن القديس بطرس في مرسيليا مع صديق لي يدعى غاستون كريميو تحكوم عليه بالاعدام · وقبل اعدامه ببضعة ايام كنا في حديث مع رفقائنا من المسجونين فدار الكلام على خلود النفس ووجود عالم آخر غير هذا العالم · فوجد بيننا رجل انكر الخلود والبعث انكاراً شديداً فاعترضته وقلت له انه ليس من حسن الذوق ان ننكر الخلود والحياة الثانية على مسمع من رجل سيجرى اعدامه بعد بضعة ايام · فابتسم صديقي غاستون كريميو وقال لي : — كن مطمئناً فلا يغير اعتقادي احد ومتى اعدموني ستاتي روحي اليك وتظهر لك بحركة انها موجودة فتعلم انه يوجد عالم آخر غير هذا العالم · وبعد بضعة ايام كنت نائماً في سريري فسمعت قرعاً شديداً على المائدة فنهضت فلم ارَ احداً فرجعت الى السرير فعاد القرع الشديد فنهضت ايضاً وفتشت كل الغرفة وهكذا الى المرة الثالثة دون ان اعلم السبب · ولما خرجت من غرفتي واجتمعت بباقي رفاقي قصوا عليَّ ان صديقي غاستون كريميو قد أُعدم في ذلك الصباح في الساعة التي شعرت فيها بالضربات الشديدة على المائدة في غرفتي · فدهشت لهذا الخبر وحزنت معاً واحسست عند ذلك بان روح صديقي هي التي اتت الى غرفتي لتنبأني بوجودها وفاءً لوعده في حياته »

قال فلامار يون للمسيو برينوس الذي اخذ منه نسخة من هذا الكتاب لينشرها في المجلة الباريزية : لا شك انه يصعب على مقاومي السبير يتيزم انكار هذه الحادثة

هذا ولم نكد نفرغ من كتابة هذا الفصل حتى وقفنا في مجلة اخرى من اشهر المجلات الباريزية على مقالة لاحد العلماء عنوانها (فيكتور هيغو كان روحياً) اي انه كان ممن يعتقدون بظهور الارواح · فوجدنا في هذه المقالة الغريبة ان بين يدي المسيو بول موريس كتاباً لفيكتور هيغو لم يطبع الى الآن عنوانه (موائد جارسي) كتبه في سنة ١٨٥٤ وفصل فيه الامور الغريبة التي رآها في جارسي بواسطة مدام جيراردين ومائدتها التي كانت تصنع العجائب · قال المسيو جول بوى كاتب هذه المقالة : ويلح الآن المسيو فيكتور بين ساردو والمسيو كاميل فلا مار يون والمسيو بريدوم على المسيو بول موريس بنشر هذا الكتاب الذي تركه المؤلف الى ما بعد موته فاذا نُشر كان سنداً قوياً للروحيين ووجب حينئذ على اكبر العقول ان تهتم بهذا الموضوع

ومن جملة تفاصيل هذا الكتاب ما ذكره الكاتب من ان فيكتور هيغو كان شديد الانكار لظهور الارواح حتى حضر احدى جلسات جارسي واستحضرت له مدام جيراردين روح ابنته (ليوبولدين) التي توفيت في تلك السنة فتأثر هيغو واخذت امرأته تبكي والتمسا من (الواسطة) ان يسال ابنتهما « هل هي سعيدة في العالم الآخر ؟ وهل لا تزال تحبهما ؟ وفي اي مكان تقيم هنالك »

واغرب من هذا اومثله ان روح اكابر الشعراء المتقدمين والمتأخرين كانت تحضر وتطلب من هيغو ان يكلمها شعراً فكان ينظم كلامه شعراً ويلقيه عليها فتجيبه بواسطة « الواسطة » بشعر ابلغ من شعره · وفي كتاب « مائدات جارسي » نص هذه الاسئلة والاجوبة الشعرية التي دارت بين فيكتور هيغو وارواح الشعراء

وقد ذكرنا في الجزء التاسع في فصل « استحضار الارواح » ان الناس انقسموا في هذا الموضوع الى ثلاثة اقسام · قسم يقول ان هذا سحر مبين وقسم يقول انه شعوذة وغش للناس · وقسم يقول ان في نفس الانسان قوة خارقة تصنع

هذه العجائب . وقلنا يومئذ ان العلماء يسقطون حجة القسم الاول .

وقد نقلت ذلك الفصل جريدة ثمرات الفنون فساءها اسقاط مسالة السحر ومالت الى القول به . اما كاتب مقالات « فيكتور هيغو كان روحياً » فقد اتانا بتعليل رابع جديد لهذه الخوارق قال :

واول ما يتبادر الى الذهن لتعليل هذه الخوارق ان « الواسطة » مشعوذ يغش الحاضرين فينطلي عليهم محاله ولكن يسهل دفع هذه الحجة بامرين : الاول ان الاجوبة التي كان يجيب الارواح بها على اسئلة هيغو اعلى موضوعاً وفلسفة من ادراك الجالسين الى المائدة الذين يخشى ان يكون الغش منهم . فضلاً عن ان شعر الارواح ارق من شعر هيغو نفسه ولم يبلغ شعر هيغو طبقة شعر الارواح الا بعد عشر سنين حين بلغ قمة مجده . فمن كان يومئذ قادراً على نظم ابيات يعجز عنها هيغو نفسه في ذلك الوقت ؟

والامر الثاني ان « الواسطة » الذي كان في جارسي كان ينقل عن الارواح كلاماً بلغات لا يعرفها . من ذلك ان انكليزياً جاء يوماً وطلب من مدام جيراردين ان تحضر له روح « اللورد بيرون » فاتت الروح ولكنها رفضت ان تتكلم باللغة الفرنسوية وكان « الواسطة » لا يعرف اللغة الانكليزية فنقل الى الانكليزي كلام اللورد بيرون كما هو فنظر فيه فوجد معناه : « لا تزعج الشاعر فانه كسر قيثاره وانشد آخر قصيدة من قصائده وقال آخر كلمة من كلامه » فدهش الحاضرون لان (الواسطة) نقل كلاماً بلغة لا يعرفها . اذن فالكلام غير صادر عنه

ثم قال المسيو بوى اما التعليل الثاني فادعاء ظهور الارواح وهذا امر يستغربه كثيراً ولا يصدقه . ولكنه يرى رأياً ثالثاً وهو الامر الجديد الذي اتى به وقد سماه تحول الفكر وظهوره يعني ان افكار الناس لدى التقائها واحتكاكها تتالف منها قوة مستقلة هي التي تصنع هذه العجائب . ولا ريب ان كثيرين من القراء يرون هذا الراي اشد بعداً عن الحقيقة من جميع الاراء السابقة

***

هذا وقد نقلنا هذه الاقوال لحضرات القراء على سبيل الفكاهة والفائدة كما ذكرنا . اما الفكاهة ففي غرابتها واما الفائدة ففي نتيجتها . فان جميع العلماء من انصار هذا المذهب يجعلون ختام كلامهم عليه الحض على احترام اسرار الخالق وغوامض الطبيعة واحترام الحقيقة . وسبيل هذا الاحترام النظر في تلك الامور الغريبة نظرة بحث وتدقيق لا نظرة تحامل واحتقار لعجز العقول عن فهمها فكم من امور لا يفهمها العقل وقد دلت الاختراعات العجيبة الحديثة مثل التلغراف بلا سلك والتلفون بلا سلك والفونوغراف واشعة رنتجن وغيرها على ان الانسان من اسرار الطبيعة بمثابة حصاة في قعر الاوقيانوس تحيط به ظلمة الغوامض من كل الجهات . فبالبحث العلمي والانتباه الى كل الامور والتروي والتدقيق فيها يُكشف ذلك الظلام لا بالانكار والازدراء والاحتقار . هذه هي الفائدة .

اختيار الزوج

تابع لما قبله

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي

الزوج البطال

ما اخالك يا ابنتي المحبوبة ترضين البطال لك زوجاً الا متى كان غنياً كثير المال لانكِ تعلمين ما يحل بسبب البطال الوسط من الفقر المدقع وسوء الحال ولكن البطالة قبيحة ولو مُوِّهت بالذهب

وكثيرون من الشبان الاغنياء في بلادنا يعدون البطالة فرضاً لازباً ويستنكفون من كل عمل لان لهم في زعمهم من دخل املاكهم او ربى اموالهم ما يكفيهم مؤونة الاعمال . ذكر بعض الرجال ان اشراف الاناميين في الهند الصينية يغلفون اظافر اصابعهم بحق من العاج او الذهب او الفضة وذلك ليظهروا لجميع الناس انهم لا يدنسون ايديهم الطاهرة بعمل من الاعمال . افلا يضحك كثيرون من اغنيائنا البطالين من صنع هولاء الاناميين . ولكن ماذا ينقصهم عنهم غير تغليف الاظافر ؟

والغريب اننا نقلد الافرنج في كثير من العادات المضرة ونعرض عن العادات الحسنة . فالاغنياء والاشراف في اكثر الممالك الاوروبية يستحيون من البطالة لا من الاعمال وقلما تجد عندهم غنياً او نبيلاً لا يعمل عملاً ما ادبياً كان او مادياً ولو كان اوسع قومه ثروة واكرمهم نسباً . ونحن لا نسأل البطالين من اغنيائنا ان يقوموا بعظائم الاعمال فيعقدوا

الشركات التجارية الكبرى وينشئوا المعامل كما يصنع الاغنياء في لوندره وباريز وبرلين ولأن يجوبوا الاقطار ويركبوا الاخطار قصد البحث عن حقيقة علمية تقصد لذاتها كما يصنع الكثيرون من نبلاء الانكليز · ولكن اليس في وسعهم وهم في بيوتهم جلوساً على وسائدهم ان يشتغلوا بالعلم او الفلسفة اوالادب مما هو اجدر بهم من الاوساط مثلنا الذين يقضون معظم اوقاتهم في الكد والكدح سعياً لتحصيل القوت

عفواً يا بنية فقد شط بي القلم مع اندفاع النفس عن موضوعك ولكن لا يسع الباحث الشرقي ان يطرق باب بحث كهذا من غير ان يجول في ذهنه مثل هذه الخواطر المحزنة مهما حاول ان يقصيها عنه · ولو علمت كيف يقتل الشاب الغني البطال اوقاتة في بلادنا لعذرتني عن الحدة

فهو يضيع نصف نهاره من الصباح الى الظهر نائماً لا يستفيق الا عند الغداء وذلك بعد ان يكون الخادم قد قرع باب غرفته مرتين ام ثلاثاً ليوقظه وهو يجيبه بصوت غلب عليه النعاس افقت · افقت · الا أنه يعود فينام ثانياً · اما النصف الآخر من النهار فيصرف بعضه متنقلاً من حانة الى حانة والبعض الآخر في بيوت المقامرة وهكذا قل عن لياليه التي يقضي اغلبها حتى الفجر جالساً الى مائدة البوكر او البيزيك او غيرها من الالعاب او في مكان اخر لا اسميه تادباً

والغريب في امر هولاء الشبان انهم بعد اذ ينهكون اجسامهم وعقولهم بالافراط في السهر والانغماس في الشهوات يقدمون على الزواج وعلى القيام بواجباته الصعبة فيتزوجون فتاة بسيطة القلب سليمة الطوية تتوقع ان تجد في زوجها محباً لها وفي المحب ذلك الحب الكمالي الذي طالما كان موضوع امانيها · ولكن وا أسفاه على المسكينة · فانها لا تجد امامها غير زوج شبع من اهوائه حتى قزت نفسه من الحب · زوج غرست فيه البطالة العادات السيئة فلا ينقطع عنها الا مدة من الزمن اكراماً لشهر العسل ثم يعود اليها متخذاً اماكن المقامرة مقاماً له اذ يجد في اللعب ما يدفع عنه السآمة والضجر

وقد تستوقفه عند خروجه من البيت تلك الزوجة المسكينة وتسأله ان يقيم معها ساعة يؤنس بها وحشتها فيجيبها تكلفاً الى ماطلبت الا انه لا يمكث قليلاً حتى ياخذ يتثاءب — يتثاءب ويفتح فاه واسعاً حتى يكاد ينخلع فكاه وعند كل مرة يتثاءب فيها تحس تلك الزوجة المسكينة كأن ماء مثلجاً يصب على قلبها وجسمها وانتِ ادرى يا ابنتي بشدة الم المراة حينما يقابلها

الرجل بهذا الاعراض وقلة الاكتراث

ولست انكر ان من البطالين من لا يعرضون عن نسائهم ولا يقامرون ولكن الملل المستولي عليهم من البطالة يملأ البيت مللاً والملل آفة الحب · وما هي حيوة المراة بلا حب · فاحذري يا ابنتي ان تنخدعي بالزوج البطال ولا تقولي في نفسك عند الخطبة : اني ساصلحه واجعله نشيطاً عاملاً · فان شانك في ذلك يكون شان من يحاول ان يجعل السلحفاة البطيئة عصفوراً خفيف الحركة ·

﴿ الزوج الغيور ﴾

اكثر النساء ان لم اقل كلهن يحسبن الغيرة من لوازم الحب وعندهن ان الرجل الذي لا يغار على امراته ولا يقلقه اذا نظر اليها غيره نظر الاستحسان لا يحبها ولا يهتم بشانها · واني لا اتمنى لهولاء المغرورات ان يبتلين بزوج غيور لانهن يلاقين عقاباً شديداً على خطأهن هذا · فالرجل قد يحب ولا يكون غيوراً · وقد يغار ولا يكون محباً

وتكون الغيرة ناشئة عن كبرياء الرجل اكثر منها عن الحب في كثير من الاحوال · فان الغيرة الصادرة عن الحب دون سواه هي الم نفسي شديد حاد · الا انها ليست الا الماً · ومن كانت غيرته عن الحب فقط يستعطف ويبكي · يتذلل ويتوسل · اما الغيرة الصادرة عن كبرياء فهي الم ايضاً الا انها الم الغيظ والسخط · والغيور على هذا الوجه يزمجر ويعربد · يضرب ويقتل · واكثر قتلة الزوجات من هذه الفئة

ومتى كان الزوج غيوراً كان البلاء الاكبر على المرأة · فهو ابداً سيء الظن يخشى دائماً خيانة زوجته ويود الا تنظر الى رجل ولا ينظرها رجل سواه · ولو استطاع ان يحجبها حتى عن النسيم كي لا تصل اليها عين بشرية لفعل · كل صديق يدخل بيته يتوهمه عشيقاً لها · وكل مديح يوجه اليها من رجل آخر يحسبه بداية حب ينتهي بالخيانة · وقد لا يستحي ان ينصب نفسه جاسوساً عليها يراقب كل حركة من حركاتها وكل كلمة من من كلماتها وكلما نظرت الى رجل او نظر رجل اليها حسب الف حساب واوله التآويل السيئة لانه ينظر ماتصنع زوجته بنظارة مكبرة تري الاشياء اكبر مما هي في الحقيقة بمرار كثيرة

وربما بنى ظنه في اكثر الاحيان على وشاية خادمة اوسعاية جارة فيشتعل قلبه غيرة وينقلب على زوجته كالوحش الكاسر جاعلاً نفسه ازاءها خصماً وحكماً في آن واحد

فتصوري يا ابنتي المحبوبة شقا المرأة مع زوج كهذا واحذري

من ان ترضى رجلاً من امثاله . وليس يعسر عليك معرفة الغيور لان الخطيب معها بالغ في الرياء واخفاء ما يبطن فهو عاجز عن كتمان الغيرة لانها من الاهواء الشديدة التي تعمي في الغالب حكم العقل . فلا يلزمك الا ان تتدبري احاديثه واسئلته لينكشف لك امره . فهو بحجة اهتمامه بشؤونك يود ان يعلم ماذا تصنعين مدة غيابه . ومن يراك . ومن تزورين . ومن يزورك . وان كان بين زوارك شاب ما جعل يكثر الاسئلة بشأنه فيسألك من هو . وما هي احاديثه . وما يصنع عندك . وكم تدوم زيارته الى غير ذلك من الاسئلة التي تكشف عما وراءها من سوء الظن وخبث الطوية . ومن كان نيره ثقيلاً الى هذا الحد عند الخطبة فكيف يكون بعد الزواج؟

واست بمنكر على الرجل ان يكره الشرك في من يحب وان يسعى ليجعل زوجته في امن من لصوص الحب فذلك فطري فينا جميعاً ولكن اظهار الخوف الدائم من خيانة المرأة واساءة الظن بها كلما نظرت الى رجل او كلمت رجلاً او ابتسمت لرجل: ذلك لعمري اهانة للمرأة بلا موجب قد تميت الحب ولا تنفع الغيور شيئاً . لانه ان لم تترفع المرأة بفضيلتها الذاتية عن الخيانة فلا غيرة تنفع . ولا حجاب يمنع . اذ لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها رادع يردع .

اختيار الزوجة

لحضرة الاديبة صاحبة الامضاء

بينما كنت اطالع الجزء التاسع من مجلتكم الغراء عثرت على مقالة شائقة لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي موضوعها « اختيار الزوج » فراقني ما فيها من النصائح ووددت لو تقف عليها كل الفتيات الشرقيات . غير انني ارى بلادنا في حاجة الى معرفة اختيار الزوجة اكثر منها الى اختيار الزوج لامرين: الاول ان الشاب هو الذي يختار الابنة وما على الابنة الا الرفض او القبول . والثاني انه قد دخل بلادنا مع ما يسمونه الحرية المطلقة للابنة في اختيار الزوج عوائد اخرى سيئة حطت شان الابنة وسلبتها تلك الحرية بالفعل وتركتها لها بالاسم فقط . ولا اذكر من هذه العوائد الا اسوأها واكثرها انتشاراً في ايامنا وهي عادة بيع الابنة ودفع ثمنها وان شئتم نسميها باسمها الافرنجي اللطيف الظريف وهو « الدوطة » بشد الطاء شداً عظيماً . فكيف تقدر الابنة العاقلة ان تستعمل حريتها في انتخاب رفيق حياتها اذا كانت لا تملك دوطة . فلا سبيل للابنة اذاً ان لم تكن غنية ان تختار هذا الرفيق فسقط بذلك ثلاثة ارباع نصائح الكاتب اذاً وذهبت ادراج الرياح

اما وصية الاب لابنته ان تختار البقاء عازبة طول عمرها على ان ترضى زواجاً مشوماً فهذا امر مسلم لدى كل عاقل ولكن ليس في بلادنا الشرقية . اذ ليس عندنا الوسائط التي تساعد الابنة على البقاء عازبة بل بالعكس فانها ببقائها بلا رفيق تمسي عرضة للهزء والاهانة غير قادرة على تحصيل رزقها لان الوالدين لا يدومان ومحبة الاخوة تنقص بعد زواجهم وباقي الاقارب يؤنسون في السراء ويوحشون في الضراء . واني قد سمعت ان اعتقاد حضرة كاتب مقالة اختيار الزوج كاعتقادي بهذا الموضوع فكيف ينشر غير ما يعتقد . وكل عاقل يقول انه لا يسوغ للابنة الشرقية ان تبقى عازبة خلافاً للابنة الغربية اذ لم تصل بلادنا الى الدرجة التي تكون الابنة عندها قادرة على فتح المخازن والتجارة والكتابة والاستخدام كالابنة الغربية بل هي بعيدة عنها بمراحل

فبعد ان عرفنا ان الابنة لا تقدر ان تبقى عازبة مدى العمر لعجزها عن تحصيل رزقها وانها ليس لها الحق باختيار الزوج بل هو الذي يختارها عرفنا اهمية اصلاح احوال الشبان وتحسين اذواقهم ليحسنوا انتقاء الزوجات . وعليه اطلب من حضرة كاتب مقالة انتخاب الزوج بعد انجازها ان لا يبخل علينا بمقالة موضوعها « اختيار الزوجة » يملأها بالفوائد والنصائح لشبان زماننا فان الداء قد امسى عضالاً والعاقلات غير المتربيات قد دسن تحت اقدام الغنيات الجاهلات والزواج المقدس قد اصبح تجارة والعوبة . فانه اذا كتب بهذا الموضوع يخدم الحق وينصر الفضيلة ويساعد ضعف الفتيات الشرقيات . ولا ينس حضرة الكاتب الفاضل قوله « خدمتهن عندي من اهم الواجبات »

طرابلس الشام ✲احدى القارئات✲

(الجامعة) اشرنا في الجزء الاخير الى هذا الاقتراح لاحدى الاديبات السوريات وقد جاءتنا في البريد الماضي هذه النبذة فبادرنا الى نشرها فكأن حضرات الاديبتين كانتا على موعد واتفاق . ولا غرو فقد قيل انه اذا تشابهت المناظر تواردت الخواطر . وعليه بتنا ننتظر رأي حضرة صديقنا صاحب « اختيار الزوج » فانه ولا ريب قد امسك من جانب مؤلم . ويلوح لنا ان الحق كله مع الاديبتين

﴿ منظر بحيرة من مناظر ايطاليا الجميلة ﴾



﴿ دولتلو رياض باشا ﴾

﴿ وضعنا رسم صاحب الدولة رياض باشا في صدر هذا الباب للسبب التالي وهو : ذا انقطع ﴾
﴿ الامل من نهضة الحكومة والاغنياء الى اصلاح فساد التعليم الابتدائي (راجع المقالة التالية) ﴾
﴿ فما الذي يمنع عظماء الامة الذين يملكون القوة المادية والادبية من النهوض اليه والحث عليه؟ ﴾

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

التعليم في مصر

(لا قيام للامم الا اذا كانت حكوماتها تعتبر التعليم بمثابة تغذية النفوس (وتعتني به اعتناءها بتغذية الاجسام)

نشرت نظارة المعارف المصرية تقريراً عن التعليم الابتدائي في مصر من سنه ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٨ . ويؤخذ من هذا التقرير ان عدد الكتاتيب الاهلية ٩٦٤٧ كتاباً وعدد المعلمين فيها ١٤٥٨٣ وعدد التلامذة ٨٠٥٤٧

وتقسم هذه الكتاتيب الى ثلاثة اقسام القسم الاول تديره نظارة المعارف والقسم الثاني تمده باعانة منها على شروط تشترطها عليه والقسم الثالث مستقل عنها لا يد لها في شؤونه ويسمى الكتاتيب الحرة

وهذه الكتاتيب قسمان الكتاتيب اللائقة اي الكتاتيب التي هي على شيء من حسن الحال والكتاتيب غير اللائقة وهي الكتاتيب التي يوجع القلب حالها. واليك بعض ما وصفها به احد المفتشين في نظارة المعارف قال « ان منها ما هي اكواخ ضيقة فاسدة الهواء منخفضة السقوف لا يتيسر الوقوف فيها ولا الدخول من ابوابها الا مع الانحناء الزائد ومنها ماهي مساطب قليلة المساحة في مداخل البيوت ومنها ما هي حيشان بيوت صغيرة تختلط فيها اولاد الكتاب مع افراد عائلة النقيه»

هذه هي الاماكن التي تثقف فيها عقول ابناء الامة

وتربى فيها نفوسهم · واللوم في هذه الحال الفظيعة على الحكومة التي تترك سبيلاً الى وجود مدارس ابتدائية كهذه المدارس تكون مفسدة لعقول الطلبة ولنفوسهم ولاجسادهم فتجعل بذلك وظيفة التعليم السامية حرفة كباقي الحرف يحترفها كل من سُدَّ باب الرزق في وجهه او دعاه اليها كسل النفس والخمول

ومنتهى الغرابة ما رأيناه في هذا التقرير من رواتب المعلمين في الكتاتيب التي تديرها نظارة المعارف فقد جاء في الصفحة ١٢ ما نصه

«تمتاز الكتاتيب المستجدة عن الكتاتيب الاصلية بكون مرتبات معلميها اكثر من مرتبات معلمين الكتاتيب الاصلية فان النقيه يتناول ١٤٠ قرشاً والعريف ٧٠ قرشاً في الشهر وذلك بخلاف ما يحصلونه من النقود من التلامذة · اما مرتبات معلمي الكتاتيب الاصلية فتختلف بين خمسة غروش و ٣٠ قرشاً في الشهر ······ بل منهم ثلاثة عشر لا مرتب لهم اصلاً · وبما ان مرتبات هذه الكتاتيب اكثر من مرتبات الكتاتيب الاصلية صار التعليم فيها ارقى واوسع نطاقاً والنظام فيها اتم »

وهي شهادة تؤيد نداء الجامعة من حين انشائها الى اليوم · فقد قالت الجامعة في الجزء الاول وما يليه ان قلة الرواتب تبعد عن التعليم افاضل المعلمين الذين يقدرون على الافادة فيه وتجتذب اليه الكسالى والمرتزقين · ولا لوم في هذه الحال على هؤلاء بل اللوم على الحكومة التي لا تهتم بشانهم ·

وللحكومة على قصورها ٣ اعذار · (الاول) انها مفتقرة الى المال (والثاني) انها مقيدة بعهود دولية فلا تستطيع الانفاق كما تريد (والثالث) عدم وجود المعلمين الاكفاء للتعليم · وهي حجج قوية في الظاهر ولكنها واهنة في الباطن · فان المال يوجد متى ارادت الحكومة صرف اهتمامها الى التعليم الابتدائي · والمعلمون الاكفاء يوجدون متى وجد المال · بل يكفي ان يوضع في كل كتاب معلم واحد منهم يدبر امور باقي المعلمين ويسير بهم في الطريق القويم فكثيراً ما نجحت هذه الطريقة في البلاد الاخرى ومن المسلم ان السفينة تسلك البحر بامان وسلام اذا كان ربانها ماهراً حاذقاً ولو كان بحارتها جهلة او غير حاذقين

ولكن الحكومة لا تعتبر التعليم الابتدائي اساس سعادة الامة اولا تريد ان تعتبره كذلك لاغراض سياسية كما يتهمها كثيرون · فهي ولا ريب تراه مبهماً ولكنها ترى اعانة الاجواق الافرنجية في مصر اهم من اعانة «التعليم» فتخصص للاجواق الافرنجية ٣٠٠٠ جنيه كل عام اعانة في حين انها لا تخصص لاعانة التعليم الاهلي غير الف جنيه فيالله من من هذا الظلم والاجحاف

لعمر الحق هذا هو الخطأ العظيم السائد في الشرق الآن · فان حكومات الشرق ترى التربية والتعليم امراً « كمالياً » لها ان تعرض عن مساعدته او تقبل عليه تبعاً لاحوالها المالية · ونسيت ان التعليم من الامة هو بمنزلة الخبز من البدن والهواء من الرئة وان من واجباتها العليا ان تغذي الامة عقلياً كما تغذيها مادياً

الجامعة

الجزء القادم

تصدر الجامعة في ١٥ سبتمبر (ايلول) القادم بحجمها الجديد الذي اشرنا اليه في الماضي اي بحجم اصغر من حجمها الحاضر ولكن بمضاعف صفحاتها · ويسرنا ان حضرات القراء قد قدروا هذه الزيادة قدرها فارسل الينا كثيرون منهم رسائل الشكر والسرور بنمو الجامعة فنحن نرد هذا الشكر اليهم ونرجو ان يعتبر كل من حضراتهم هذه الاسطر بمثابة رد خصوصي له · هذا ونرجو للجامعة عذراً اذا ابطأ صدورها في الجزء القادم يوماً او يومين لان الحجم الجديد يقتضي اهتماماً جديداً · اما الابواب التي وعدنا القراء بزيادتها في الجامعة فانهم يرونها في الجزء القادم فلا حاجة الى ذكرها هنا لضيق المقام ·

والله نسأل ان يأخذ بيدنا الضعيفة و يوفقنا الى ما فيه الخدمة العامة ورضى القراء والسلام

البوسطة المصرية للجامعة شكوى بل شكاوى من بعض مكاتب البوسطة المصرية وبعض مستخدميها تبسطها لسعادة مدير هذه المصلحة اذا بقي حضرات المشتركين يشكون خللاً في وصول الجامعة اليهم او بالحري عدم وصولها اليهم ونكتفي الآن بالاشارة

ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار العلمية لجعلنا الرواية فيه ثلاث صفحات بدل اثنتين قصداً تمامها في هذا الجزء

باب الشعر والانشاء

نشر في هذا الباب تاريخ حياة نوابغ الشعراء المتقدمين والمتاخرين وبعض منتخبات من شعرهم

جميل

هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري من عشاق العرب وشعرائها المعدودين . واصل شهرته حبه لبثينة العذرية وسبب حبه لها انه كان يرعى الابل في وادي بغيض فمرت بالابل بثينة وجارة لها فتحرشت بثينة بالابل وكانت لا تزال فتاة لم تدرك سن الرشاد فسبها جميل فسبته فاستملح سبابها وفي ذلك يقول بعد ذلك ذاكرًا هذه الحادثة

وأول ما قاد المودة بيننا · بوادي بغيض يا بثين سباب

فقلنا لها قولاً فجاءت بمثله · لكل كلام يا بثين جواب

ومن ذلك الحين بدأ حبه لها وجعل ينسب فيها . وبلغ بثينة نسبه فحلفت لا تتوارى منه اذا جاء يزورها فجعل جميل يزورها ويشكو اليها حبه فساء ذلك اهلها فكانوا يرصدونه فاذا رآهم فر منهم . وجاءت يومًا خادمة بثينة فوشت بها الى ابيها واخيها واخبرتهما ان جميلاً عندها فتناولا سيفين وقصداه فوجداه عندها فانصتا الى حديثهما فسمعا جميلاً يقول : « يا بثينة رايت ودي اياك وشغفي بك الا تجزينني عليه قالت « بماذا » قال « بما يكون بين المتحابين » فقالت بثينة -- ما هذا يا جميل لقد كنت عندي بعيدًا من كل ريبة فلئن عاودت تعريضًا بذلك لا رايت وجهي ابدًا . فضحك جميل وقال -- ما قلت لك هذا الا لاعلم ما عندك فيه ولو علمت انك تجيبينني اليه لعلمت انك تحبين غيري ولو رايت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا . اما سمعت قولي

واني لارضى من بثينة بالذي · لو ابصره الواشي لقرت بلابله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي · اواخره لا نلتقي واوائله

وكان ابوها واخوها يسمعان هذا الكلام فقال الاول للثاني عد بنا فما ينبغي بعد اليوم ان نمنع هذا الرجل من لقائها ثم انصرفا .

ولقي جميل بثينة بعد هجر طويل فقالت له ويحك يا جميل تزعم انك تحبني الست القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى · وفي الغر من انيابها بالقوادح

فسكت واطرق وهو يبكي ثم قال بل انا القائل

الا ليتني اعمى اصم تقودني · بثينة لا يخفى عليَّ كلامها

فضحكت بثينة وقالت ويحك ما حملك على هذا التمني اليس في سعة العافية ما يكفينا جميعًا

ومن شعر جميل قوله

لقد ظن هذا القلب ان ليس لاقيًا · سليمى ولا ام الحسين لحين

وليت رجالاً فيك قد هدروا دمي · وهموا بقتلي يا بثين لقوني

واتفق ان اهلها هجموا عليه وهو ينشد هذين البيتين لانه كان عندها ففر من وجوههم فلم يغن عنه قوله « ليتهم لقوني »

ومن جيد شعره قوله

يقولون مهلاً يا جميل وانني · لاقسم ما لي عن بثينة من مهل

اراني لا القى بثينة مرة · من الدهر الا خائفًا او على رحل

خليلي فيما عشتما هل رأيتما · قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وقدم جميل مصر في اخر حياته فامتدح عبد العزيز بن مروان فوصله وامر له بمنزل ولكن المنية عاجلته فلم يقم في مصر زمنًا طويلاً . وزاره قبيل وفاته فيها عباس بن سهل الساعدي فنظر اليه جميل وقال وهو يجود بنفسه : « ما تقول يا بن سهل في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قال اظنه قد نجا وارجو له الجنة فمن هذا الرجل قال انا قال ما احسبك سلمت وانت تشبب ببثينة منذ ٢٠ سنة قال لا نالتني شفاعة محمد (صلعم) ان كنت وضعت يدي عليها لسوء »

وقبل وفاة جميل دعا اليه رجلاً وقال له خذ ما املك الا حلتي هذه فاذهب بها على ناقتي الى ربع بثينة فالبس الحلة واشققها واعلُ على شرف وصح بهذه الابيات

صرخ النعي وما كنى بجميل · وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي بثينة فاندبي بعويل · وابكي خليلك دون كل خليل

فانفذ الرجل وصية جميل فلما سمعت بثينة صياحه خرجت اليه وقالت : يا هذا ان كنت صادقًا فقد قتلتني وان كنت كاذبًا فقد فضحتني . فاراها الحلة واخبرها الخبر فصاحت وصكت

وجهها فاجتمع نساء الحي يبكين معها حتى غشي عليها ثم افاقت فقالت

وان سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ماحانت ولاحان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... اذا مت بأساء الحياة ولينها

وكان جميل طويل الجسم عريض المنكبين سليم الذوق حسن الوجه لطيفاً عفيفاً طاهر الحب . وكان شاعراً فصيحاً رقيق الشعر كما رايت وقد روى شعره كثير عزة . وكانت وفاته سنة ٨٢ هجرية

هذا ويعسر على بعضهم في هذا الزمان تصديق هذا العفاف الذي كان بين بثينة وجميل بازاء الرذائل الحاضرة والفوضى الادبية التي تفسد الآن الفضائل البيتية . ولكننا نريد ان نصدق ذلك في كل حال . لانه اذا كان لا يوجد في العالم هذه الصورة العليا صورة نفسين متجاذبتين من غير سوء ولا ريبة كما تتجاذب النجوم في السماء ودقائق ندى الصباح على اكمام الورد فاي معنى يكون حينئذ للحب . واين نبحث يومئذ عن الفضيلة

باب الاسئلة والاجوبة

التحكيم عند المتقدمين

(القاهرة) ل * ع

ما الذي منع الدول من قبول مبدأ التحكيم في مؤتمر السلام . وهل وُجد التحكيم لدى الاقدمين

(الجامعة) لم يرفض مندوبو الدول مبدأ التحكيم في مؤتمر السلام بل قرروه ولو رفضوه لوصموا دولهم بالعار الى الابد . ولكن اكثرهم رفض التوقيع على لائحته حتى تقف دولهم على نصها . ولعل ذلك من باب تاجيل الامر الى ماشاء الله

ولو علمتم ان التحكيم كان موجوداً عند اليونان والرومان على وجه مهم جداً وفي غاية الفائدة لسلام الشعوب لحسبتم ان العالم يرجع القهقرى والانسانية تمشي الى الوراء . فقد روى مؤرخو اليونان والرومان ان اليونان كانوا يعينون اناساً ويسمونهم (حفظة السلام) ولا وظيفة لهم الا الدخول بينهم وبين الشعوب التي يحدث لهم معهم خلاف لتسويته بالتي هي احسن . وكانوا اذا قطعوا الامل من الاتفاق اثاروا الحرب وعند انتهائها لا يسمون الاتفاق الذي يعقدونه « صلحا » لانهم يقولون ان « الصلح » هو الاتفاق المعقود برضى متبادل من غير سفك دماء

هذا عند اليونان . اما عند الرومان فكان التحكيم اشد اهمية فيما نعلم . والذي سنّ التحكيم في رومه هو الشارع العظيم نوما الروماني فقد اقام طبقة من الكهنة مخصوصة لهذا الامر . فاذا وقع خلاف بين الرومانيين واحدى الامم التي تليهم ارسل الرومانيون الى هذه الامة فريقاً من هؤلاء الكهنة يسألونهم باسم الحق والعدل ان يتركوا عدوانهم او يعوضوا جمهورية رومه عن الاهانة التي الحقوها بها . فاذا اجابوهم انتهى المشكل على حب وسلام وان رفضوا وقف الكهنة واستشهدوا الآلهة على ظلم خصومهم وسألوها ان تنزل الانتقام بالعادي الاثيم ثم يعلنونهم بالحرب . ولم يكن لحكومة رومه ان تعلن حرباً الا بعد مصادقة هؤلاء الكهنة واذا اعلنت حرباً من غير مصادقتهم حرم على الجنود حمل السلاح

ومهما يكن من الامر ففي ما مرّ دليل على ان الاقدمين كانوا يحكمون العقل قبل تحكيم القوة ومن العار على ابناء القرن التاسع عشر ان يكونوا في هذا متأخرين عن ابناء القرون الخالية

الحب

(الاسكندرية) محمد افندي درملي

(الجامعة) تجدون في الجزء الذي يلي الجزء القادم اي في الجزء الرابع عشر مقالة ضافية الاذيال فيها تفصيل فلسفي كاف بهذا الموضوع

الخنساء

(الاسكندرية) عبد الرحمن افندي عزمي

رأيت في تاريخ حياة الخنساء في الجزء الرابع من الجامعة ان الخنساء خطأت في سوق عكاظ حسان بن ثابت في ثمانية مواضع في شعره: لنا الجفنات الغر . . الخ . الا انني رأيت في خزانة الأدب ان النابغة هو الذي خطأ حسان لا الخنساء فما قولكم

(الجامعة) لقد اخذنا روايتنا عن الكامل للمبرد ورواها غيره كثيرون . ومتى اختلف المؤرخون في حادث ادبي صغير كهذا الحادث لم يكن سبيل الى تحقيقه الا بالاستنتاج . ويدلنا الاستنتاج هنا على انه لو كان النابغة امير شعراء الموسم هو الذي خطأ حسان لا الخنساء لما كان في ذلك امر عظيم اذ لا يستكبر ان يخطئ رجل كالنابغة رجلاً كحسان . ولكن يستكبر ان تخطئ امرأة شاعراً كحسان . فالاستكبار عظم هذه الحادثة فتناقلها المؤرخون كلهم . ولو كان المخطئ النابغة لما تناقلتها الالسنة والاقلام اذ كانت عارية عن كل امر غريب والله اعلم .

تاريخ الاسبوعين

خارجية

البرتغال — ظهر الطاعون في ليسبون

اسبانيا — ظهر الطاعون في برشلونه وفي جملة مدائن اخرى

النمسا — قابل رئيس وزارة النمساوزير خارجية المانيا في ٢١ الماضي مقابلة دامت خمس ساعات ويقال ان النمسا ستطالب من فرنسا ان تسحب كلام الكابتن كينيه بشان الرسالة التي عزيت الى معتمدها العسكري الملحق بسفارتها في باريز . ولعل هذا موضوع هذه المقابلة

روسيا — امر القيصر وزير المالية ان يفتح ميناء تاليان وان للتجارة عند الفراغ من مد السكة الحديدية اليها

فرنسا — اكتشفت الحكومة مؤامرة لقلب الجمهورية فالقت القبض على المسيو ديروليد وعلى المسيو بينه وكيل الدوق دورليان وعلى غيرهما من الحزب الملكي والمعادي لليهود وارادت القاء القبض على المسيو كرين رئيس جمعية المعادين لليهود فامتنع في مركز هذه الجمعية في شارع كابرول مع ٤٠ رجلاً مسلحين ولم يخرجوا منه الى الآن

هجمت عصابة من الفوضويين في ٣٠ الماضي على كنيسة سان جوزف في باريز فهدمت المذابح وكسرت الزينة والآنية المقدسة ولم تخرج منها الا بقتال شديد بينها وبين الحرس الجمهوري ثم دامت الفتنة في الشوارع ثلاث ساعات فجرح كثيرون

لا تزال محاكمة دريفوس تستمر في رين وانظار العالم التمدن موجهة اليها

ارسلت الحكومة الكولونل كاوب والقائممقام مونيه الى افريقيا لتحقيق مانسب الى الكابتن فوليه من القسوة في معاملة اهالي السودان فامر فوليه جنوده حين وصولها اليه ان يطلقوا الرصاص عليها فقتلا

انكلترا — تلي خطاب الملكة في ٩ الماضي

المانيا — رفض المجلس البروسياني فتح ترعة من در تموند الى الرين بالرغم عن الخطب الشديدة التي القاها الامبرطور غليوم حديثاً في بيان ضرورة هذا المشروع

الولايات المتحدة — هب اعصار شديد فخرب جزائر تحت الريح وكان اشد هبوبه على جزيرة بورتوريكو فقتل منها مئات واتلف المزروعات ومن نجا من الموت بالزوبعة فانه يموت بالجوع

داخلية

❋ عيد الجلوس السلطاني ❋ احتفل امس المصريون والعثمانيون في مصر وفي الولايات العثمانية بعيد الجلوس السلطاني احتفالاً عظيماً اقيمت فيه الزينات في كل مكان . فترفع الجامعة في هذا اليوم الى عرش السلطنة العظمى فروض التهنئة والدعاء بطول بقاء جلالة مولانا السلطان وتأييد العرش العثماني الذي تحوم حوله آمال المسلمين والعثمانيين في جميع اقطار الارض . بلغنا الله واياهم جميعاً امانينا المشتركة في صلاح الحال وحسن المآل بعناية الحضرة السلطانية ايدها الله .

❋ الاقباط الكاثوليك في مصر ❋ انشأ قداسة البابا كرسياً بطريركياً للاقباط الكاثوليك في مصر ورفع اليه غبطة الانبا كيرلس مقار . وقد مضى نحو ٧٠٠ سنة على الاقباط الكاثوليك في مصر ولا بطريرك لهم من يوم وفاة بطريركهم القديم كيرلس الاول . والمهم في هذه المسالة ان غبطة البطريرك الجديد يطلب ان يكون له كرسي في مجلس شورى القوانين ليكون له اسوة بغبطة بطريرك الاقباط الاورثوذوكس الذي له كرسي فيه . وقد جرى جدال طويل بين الصحف بهذا الشان وروي ان وكالة فرنسا ووكالة النمسا السياسيتين تؤيدان طلب غبطة البطريرك الجديد . وسيسافر غبطته قريباً الى رومه لتقديم فروض الشكر والطاعة للحضرة البابوية لرفعها اياه الى مرتبة البطريركية . وسن غبطته ٣٤ عاماً

❋ نقص الفيضان ووفاء النيل ❋ قلقت الحكومة المصرية وزراع الوجه القبلي لنقص فيضان النيل في هذا العام . ولا يعلم الان بالتدقيق مبلغ هذا النقص ولكن يرجح العارفون ان الزراعة في الوجه القبلي تكون في هذا العام اسوأ حالاً مما كانت عليه سنة ١٨٧٧ يوم اشتد نقص الفيضان فلم يتمكن الفلاحون من زراعة اطيانهم فاصابهم سوء حال شديد . اما الوجه البحري فلا خوف على زراعته جعل الله العاقبة خيراً ولا ارى الفلاح شراً بزراعته فانها قوام حياته ومادة معيشته

وقد جرى الاحتفال في ٢٤ اغسطس الماضي بمهرجان وفاء النيل فكان عيداً شائقاً اعاده الله على المصريين بالخيرات والبركات

❋ الطاعون ❋ بلغ مجموع الاصابات من بدء ظهور

الطاعون الى ٢٦ اغسطس الماضي ٨٨ اصابة توفي منها ٤٢ وشفي ٤٢ و بقي ٤ تحت المعالجة

التقريظ والانتقاد

❋ ميزانية ❋ نشرت الجمعية الخيرية المصرية السورية للروم الارثوذكس في القاهرة بيان ايراداتها ونفقاتها في ثمانية عشر شهراً ابتداء من اول يناير سنة ١٨٩٨ الى شهر يونيو ١٨٩٩ مصدرة بهذه الكلمات « اوص الاغنياء ان يكونوا اسخياء في العطاء كرماء في التوزيع اعانة للفقراء » وقد بلغت نفقات الجمعية ٢٧٠١٢ غرشاً وايراداتها ٩٣٣٠٤ غروش فيكون المال الباقي في صندوقها ٦٦٢٩٢ غرشاً بما فيه بعض متاخرات . فنثني على همة رئيس واعضاء هذه الجمعية ونسأل الله ان يجزيهم خيراً عن سعيهم في سبيل البر والاحسان

❋ رواية العاشق المفلس ❋ هي رواية ادبية غرامية تمثيلية لحضرة الكاتب الاديب نقولا افندي بدران رشيقة العبارة طلية الاسلوب وفيها شعر رقيق منه قول سليم وقد تسور السور لزيارة حبيبته :

يا ايها الليل ما للبدر ماطلعا   اغاب رمزاً الى ان الرجا انقطعا
عم السكون على الاقطار قاطبة   والكل ناموا وطرفي قط ماهجعا
جئت الحمى وحبيب القلب محتجب
والبدر محتجب هل يطلعان معا

فنثني على اجتهاد الكاتب ونرجو له زيادة التقدم والبراعة في هذا الفن الجليل . والرواية تطلب من ادارة جريدة الاخلاص وثمنها اربعة غروش مصرية

نعيت الينا من بيروت المرحومة المأسوف عليها ماري دباس قرينة حضرة الوجيه الخواجا اندرواس جرجس دباس من يافا . توفاها الله في عين موفق في لبنان عن عشرين ربيعاً فوقع فقدها في نفوس آلها الكرام وقعاً شديداً اجمل الله صبرهم على فقدها وتغمدها بالرحمة والرضوان

يضيق باب الاسئلة عن جميع مايردنا منها فنرجو المعذرة من اصحابها اذا ابطانا في الجواب عنها ورجاؤنا من حضرات السائلين جعل اسئلتهم مايكون في الجواب عنها فائدة عامة لجميع القراء .

نرجو من حضرات المشتركين ان لايدفعوا بدلات الاشتراك الا في مقابلة وصولات ممضية من صاحبي الجامعة ومختومة بختمها وعليها توقيع المستلم

نهضة الاسد

(اهم الروايات التاريخية)

تمت رواية (الحب حتى الموت) في هذا الجزء وسنبدأ في الجزء القادم بنشر رواية ❋ نهضة الاسد ❋ وهي رواية تاريخية غرامية للكاتب الفرنسوي الشهير اسكندر دياس . وقد راينا اجابة لطلب كثيرين من حضرات المشتركين الكرام ان نجعل الرواية في ثماني صحفات على حدة تلحق بالمجلة فاذا اراد القارئ جمعها على التوالي في كتاب واحد مستقل واذا شاء ابقاها تابعة للجامعة

❋ موضوع الرواية ❋ وهذه الرواية تمتاز عن جميع روايات دياس بظهور رجال من اعاظم رجال فرنسا فيها مثل "ميرابو" و" نابوليون الاول " لما كان ضابطاً و«دانتون» و " فرنيو" و "ماري انتوانت" ملكة فرنسا وغيرهم ووصف اعمالهم والمعيشة الاجتماعية والسياسية في فرنسا منذ اكثر من مائة سنة والحوادث الكبرى التي حدثت في ذلك الحين تتخللها حوادث غرامية وامور غريبة فيها فائدة وفكاهة لعقول القراء . فنشير على كل محب للحوادث التاريخية الكبرى الملتوتة بعسل الحب وسكر الغرابة ان يقرأ هذه الرواية بامعان كثير

❋ رسوم الرواية ❋ وربما صنعنا للرجال العظام الذين يرد الكلام عليهم رسوماً تمثلهم في احوالهم المحكي عنها كرسم " ميرابو " في موقف الخطابة وما اشبه ذلك

ولا ريب عندنا ان القراء يرتاحون كثيراً لقراءة تلك الصفحات الحية التي اختلجت فيها روح امة اختلاجاً شديداً وربما وازى ارتياحهم الى قراءتها ارتياحنا الى كتابتها . والذي يزيدنا ارتياحاً اننا نكتب تاريخاً لا رواية . وعلى الله الاتكال

❋ وكيل الجامعة في حلب ❋ انتقل حضرة الاديب يورغاكي افندي صندوق كاتب محكمة الجزاء في حلب ووكيل الجامعة فيها الى عينتاب بوظيفة باشكاتب لمحكمتها الجزائية . فنحن نشكر له خدمته للجامعة ونهنئه بهذا الارتقاء الذي ناله جزاء نشاطه وامانته في وظيفته وندعو له بدوام التقدم والارتقاء

غذاء المعد القوية

من كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل ورعه ومن قل ورعه قل حياؤه ومن ذهب حياؤه مات قلبه (الامام عمر)

لا تترفع : بحيث تستثقل ولاتتنازل بحيث تستخس وتستحقر «موفق الدين»

سمع المؤبذ في مجلس انو شروان ضحك احدم فقال : اما يهاب هؤلاء الغلمان . فقال انو شروان : انما يهابنا اعداؤنا . الثعالبي

لو انك أخبرت ان السلطان بعد الاسبوع يجيئك زائراً فانا اعلم انك في تلك المدة لاتشتغل الا باصلاح ما علمت ان نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها . والآن تفكر الى ما أشرتُ به فانك فهم ذكي والكلام الفرد يكفي الكيس والعاقل تكفيه الاشارة . ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم (من كتاب ايها الولد للغزالي)

غذاء المعد الضعيفة

مزين ورجل — قال المزين شعرك جاف سيدي فيجب ان تضع عليه شيئاً لتليينه . قال اني لا اتركه بلا شيء اضعه عليه . قال وما تضع قال اضع عليه دائماً طربوشي .

دعوى غريبة — اشترى اميركي مقداراً من التبغ (وسوكره) لدى احدى شركات الضمانة بقيمة ١٠ جنيه . ثم دخن التبغ ورفع في اميركا دعوى على شركة الضمانة يطلب منها دفع القيمة اليه لان البضاعة المسوكرة قد احترقت . فحكمت له المحكمة بالجنيه العشرة فدفعتها الشركة ورفعت عليه دعوى جنائية بتهمة اضرام النار فحكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة اشهر

بين رجل وامراته — قالت امراة لرجلها ان خادمتنا جوليا من احسن الخادمات فانها تطبخ جيداً ولا تخرج من المنزل وتتكلم قليلاً وتحب الاقتصاد . فتنهد الزوج وقال ليتني عرفتها قبل ان اتزوج

تابع رواية الحب حتى الموت

الفصل الحادي عشر

حلم عجيب

خرج حنا من منزل فدوكي راضياً من الغنيمة بالاياب ولكنه أكد لها قبل خروجه انها ظلمته في اساءتها الظن به وانه صديقها لا يريد الا الخير لها الى آخر ما هنالك .

وفي تلك الليلة نامت نوماً مضطرباً . اما اميل فنام نوماً هادئاً . وابصر في نومه حلماً لا بأس ان نسهب في ذكره رأى انه في صباح اليوم التالي قصد بيت فدوكي ودخل غرفتها فوجدها جالسة تكتب في دفتر كبير في يدها عليه هاتان الكلمتان (يومية فدوكي) فدنا منها باسماً فقامت له باضطراب ودهشة ثم اجهشت بالبكاء حين رؤيته وانطرحت بين ذراعيه . فتراجع اميل بلطف فنظرت اليه فدوكي بحزن وقالت — انسيتني يا اميل . فازداد اميل دهشة وازدادت فدوكي حزناً وصاحت به — اذاً انت لا تحبني . فاحتار اميل في امره وذكر ماري ولكن نفسه كانت مجذوبة ايضاً بعيني فدوكي لاتتركانها تتلفت منها فقال لها اميل . نعم احبك كما يحب الاخ اخته . فانقشعت عند ذلك غيوم الحزن والغم عن جبين فدوكي ورقصت كما يرقص الاولاد وقالت له الآن صرت احب الحياة . اسمع يا اميل . ولكن قد ابطأ عليَّ حب الحياة . واذا كنت قد صرت احبها اليوم فهي قد ملتني ولن تحبني . ساذهب قريباً الى فوق . فوق ما كن النجوم . سأذهب الى منازل الملائكة لاني سئمت الاقامة على الارض قرب منزل الابالسة . لا تذهب معي . فنظر اليها اميل وقال — بل تحيين بل تحيين . ونسي في هذه الساعة ماري وحبها له وحبه لها . وحانت منه التفاتة الى الدفتر الذي كان في يدها فقال لها تكتبين يومية . قالت نعم . قال اريني لاقرأ حوادث حياتك . فتنهدت وقالت له . ستقرأها بعد موتي . قال لاتذكري الموت بعد الآن فانا احبك . قالت مشيرة الى صدرها اذا كنت تسكن هنا يا اميل ففيه سكان غيرك ايضاً . بي داء في باطني يا اميل سيقتلني قريباً ولكني اذا مت مت غير مضطربة لاني علمت انك تحبني)

وفي الصباح نهض اميل من فراشه مضطربة نفسه وفيها مرارة وحلاوة . ولبث يتساءل قائلاً . ما هذا الحلم هل

يا ترى لفدوكي يومية ؟ هل هي تحبني حقيقة ؟ ثم شعر انه هو نفسه قد صار يشعر بميل لها يشبه الميل الذي يشعر به لماري · و بعدان تامل مليًا في حلمه قام الى ملابسه وهو يقول مبتسمًا — اضغاث احلام كانت فيها فدوكي غالبة وماري مغلوبة

ولكن القارىء يرى انها ليست باضغاث احلام فان فدوكي تكتب يومية كما راينا وشعور اميل بانعطاف اليها في حين انه لم يفكر بذلك دليل ثان على نتيجة حقيقية لمقدمة حقيقية · ولكن ماهي هذه المقدمة · وهل يوجد اصل صحيح للنتائج الاخرى التي ورد ذكرها في الحلم · الله يعلم · وقد ذكرنا ذلك بالرغم عما اقتضاه من الاسهاب ليوضع بازاء الحوادث التي اوردناها في مقالة (ظهور الارواح) في هذا الجزء ولو كان صاحبنا اميل يعرف المسيو فلاماريون لكتب له تفاصيل حلمه

ولما كان اميل يحلم هذا الحلم كانت فدوكي تحلم حلمًا ايضاً · فانها رات في ليلها اميل وماري مكللين بالازهار وكاهنًا يباركهما بركة الاكليل فاضطربت وانخلع قلبها حتى كاد ينفجر صدرها فافاقت لهذا التاثر الشديد فتحول تاثرها الى حزن وجزع لانها كانت تسمع ان من يكلل بالزهر في نومه فذلك عند العامة رمز الى قرب اجله فخافت ان يصح هذا الحلم المشوم

القسم الثاني

—

الفصل الاول

لقد ساءنا اضطرارنا الى ختم هذه الرواية في هذا الجزء لنفسح مجالاً (لنهضة الاسد) التي اعلنا عنها في تاريخ الاسبوعين · فانه قد بقي علينا ذكر اهم اغراض هذه الرواية كظهور براءة اميل لدى الخواجه بولس وخيبة امل حنا و بطرس ومحاولتها قتل اميل تخلصاً من مزاحمته ثم محاولتها قتل ماري حتى لا يكون لبولس وريث وما انشاته ماري من الابنية العمومية التي جعلتها تحت ادارتها كمدرسة جمعت فيها نبهاء التلامذة الفقراء حتى يتعلموا فيها فلا يكون حائل دونهم ودون اظهار مواهبهم وكانشاء معمل عظيم لتربية دود الحرير وحله لا يدخل اليه الا العملة الذين نكبوا واظهروا في نكبتهم ادبًا و بعدًا عن الشر وكانشاء بيت كبير سمته (مستشفى العقول) جعلته قسمين قسماً للمجرمين تداوي فيه عقولهم لانها كانت تعتقد ان الشر الذي ياتونه مرض في عقولهم يجب مداواته لا زيادته بتلك السجون المخيفة الفاسدة · وقسماً آخر للنساء الساقط شرفهن تعيدهن فيه الى مرتبتهن بحسن المعاملة وتيسير الرزق واثارة عاطفة الشرف في نفوسهن وغير ذلك مما يضيق المقام دون ايراده · فنكتفي الآن بقولنا ان ماري كتبت بتلك الشؤون يومية اودعتها تفاصيل حوادثها وصفاتها كلها فمن اراد الاطلاع على تلك الشؤون ليعلم مبلغ ما يكون لتعليم معلم من التاثير في قلب تلميذته اذا كانت نفسها كريمة ومبلغ ما يكون من التاثير في صلاح حال الانسانية لفتاة غنية تحسن استخدام غناها والنفع به — من اراد الاطلاع على ذلك فليسأل عن هذه اليومية

اما نحن فنصل بالقارىء الى ختام هذه الرواية انجازاً للوعد فنقول

الفصل الثاني

﴿ سوريا — ارز لبنان ﴾

انقضت على الحوادث التي مرت بنا سنتان وخمسة اشهر فاذا طلبنا بعد هذه المدة اصحابنا الذين عشنا معهم من يوم صدور الجامعة الى اليوم وجدناهم على السفينة (جيبوتي) وهي سائرة بهم تحت سماء الشرق فوق سطح البحر المتوسط عائدة بهم الى بلادهم · فوصلت بهم السفينة الى الاسكندرية فصعدوا الى العاصمة وزاروا اهرام مصر ثم غادروا الاسكندرية الى يافا على سفينة اخرى فصعدوا منها الى القدس وزاروا الاماكن المقدسة ثم سافروا منها الى بيروت و بعد خمسة ايام من وصولهم اليها حملوا اثقالهم على الخيل والبغال واخذوا معهم المؤن والمضارب وقصدوا — ارز لبنان

ولماذا اختاروا الصعود الى ارز لبنان قبل الاستراحة من دوار السفر والاقامة في منازلهم ولو شهرًا واحدًا لمشاهدة مسقط رؤوسهم واقتبال تهاني المهنئين بوصولهم سالمين · لا ريب في ان هنالك سببًا مهمًا اقتضى سفرهم بهذه السرعة الى اعالي لبنان · واليك هذا السبب

بعد انقضاء شهر على مقابلة حنا وفدوكي في منزلها اخذت فدوكي تزداد نحولاً وسوء حال وكانت ذات بنية ضعيفة كما قدمنا فاجهزت المصائب على صحة بنيتها · اما هذه المصائب فاخفها انقطاعها عن العمل وسوء معيشتها واشتعال باطنها بنار غم وذكاء قوية وفوق ذلك حب اميل الذي جاءها من حيث لا تدري ومعرفتها بحبه لماري صديقتها وقطعها الامل بياسها من الحب من كل شيء في هذه الحياة — كل ذلك اجهز على البقية الباقية من صحتها وضربها ضربة قاضية

فلم تنقض اربعة اشهر حتى لزمت الفراش وبدا اعتلالها في اظهر مظاهره فاستدعوا لها الطبيب فقال لهم — بهاداء الصدر فلا يشفيها منه غير الراحة التامة وحسن المعيشة وفراغ البال ونقاوة الهواء

وفي ذات يوم زارها هذا الطبيب وبعد ان استوثق من شدة سوء حالها قال لاميل وكان واقفاً بازائه انه يجب ارسالها الى كاليفورنيا فان داءها لادواء له الا جودة الهواء . فقال اميل للطبيب وما رأيك في سفرها الى سوريا . قال الطبيب حسن جداً وبالخصوص اذا اقامت في لبنان اما اذا صعدت الى ارز لبنان واقامت فيه فاني يومئذ احسدها على مقامها قال ذلك وضحك ناظراً اليها

والخلاصة ان اميل اقنعها بالسفر معه الى بلاده . فلما علمت بذلك ماري وكانت تعلم ما بصدر صديقتها من الميل لاميل عزمت بالحال على السفر معهم الى سوريا وقالت لاميل لست اكثر مني شفقة على صديقتي فانا اسافر معكما فنقضي فصل الصيف في بلادنا ثم نعود سوية بعد شفاء فدوكي من دائها . ولكن احذر يااميل فان هذا الداء معد دعني فانا اخدمها اونضع لها خادمتين خصوصيتين لها . فنظر اليها اميل ضاحكاً وقال — تعلمين مذهبي في مساعدة هؤلاء التعساء فاتركيني وشاني

لكن لو كان هنالك من يحلل عواطف اميل تحليلاً بسيكولوجيا لرأى ان اميل لم يكن مدفوعاً فقط بعامل الشفقة على تعيسة تتعذب وان هنالك امراً يربطه بهذه النفس المعذبة اقوى من رباط الشفقة . نعم انه كان لا يحبها كما يحب ماري ولكنه كان اكثر اهتماماً بها وكل من درى بهذا الامر نسبه الى شرف نفس اميل وميله الفطري لمساعدة الضعفاء وتاثره الشديد من حال هذه الفتاة التي اصبحت قريبة من حفرة الموت ولا سند لها في هذه الحياة غير ام ضعيفة الجسم تكاد تكون أسوأ حالاً من المريضة ابنتها

وبناء على ذلك سافروا كلهم الى سوريا : الخواجه بولس وماري واميل وفدوكي وامها وكانت فدوكي بينهم كانها شبح من الاموات بعد ذلك النشاط والذكاء والجمال

. . . .

وكان سفرهم الى الارز ليقضوا فيه شهراً ومنه ينزلون الى قرية الحدث التي فوق طرابلس وهي القرية المشهورة بجفاف هوائها بين جميع قرى « الجبه » فيقيموا فيها بقية فصل الصيف حتى يمن الله على فدوكي باليسر بعد ذلك العسر . وجعلوا سفرهم الى الارز عن طريق حامات فشهدوا فيها المعارف والمواطنين وزار اميل الراهب «ظلانور» كما كان يسميه بطرس ثم ساروا قاصدين ارز لبنان عن طريق الكوره

وكان وصولهم الى الارز بعد الظهر ولما اطلوا على ذلك الحرش العظيم الصاعدة اشجاره في الجو تناجي السحاب الراسية جذوعه في الارض كانها جبال كرت عليها القرون فلم تؤثر عليها انيابها — خرج من صدور الجميع تنهد واحد متشابه وانقدت عيونهم لهذا المنظر التاريخي الجميل الذي يثير في النفوس عواطف تعلو بها عن هذه الارض وانتعشت ارواحهم لذلك الهواء البارد الجاف الذي كان يهب عليهم من حيث تشرق الشمس من فوق اعالي الجبال فكأن ثم الميزاب ميزابان جميلان : واحد للنور وواحد للهواء

فدخلوا السور الواطئ، المتداعي الذي اقيم حول ذلك الحرش لوقايته ونصبوا خيامهم في آخر الحرش شرقي الكنيسة القائمة في الحرش

وكانوا جميعاً في احسن حال من العافيه وفراغ البال الا فدوكي المسكينة فقد بدا على وجهها الانزعاج من عناء الركوب في تلك الجبال فنامت في تلك الليلة باضطراب . وفي الصباح اصابتها الحمى فحزنوا جميعاً لان الحمى من اقبح الدلائل في مرض كمرض فدوكي . وبقيت في الحمى عشرة ايام زادتها ضعفاً وسوء حال فشعرت فدوكي بسوء حالها فكانت تمسح من حين الى حين دمعة تبرز من عينها فكانت تحرق هذه الدمعة احشاء امها واحشاء اميل وصديقتها . واصبحت فدوكي تطيل النظر لي اميل وتبسم له وهي في سكرات الضعف . ودنت منها مرّة ماري فقالت لها فدوكي

ساموت ياماري قالت لها انت في احسن حال ياحبيبتي فما هذا الكلام . قالت لها ساموت لا محالة ياماري أتنجزين وعداً تعدينني به . قالت ماري ما تشائين ? قالت « ان يكون اميل سعيداً » فتوردت وجنتا ماري وقالت لها لماذا تريدين بهذا الكلام يا حبيبتي قالت لها تسيئين اليّ وانا على حافة قبري بهذا التجاهل يا ماري نحن صديقتان وانت تعلمين اني احبه وانا اعلم انك تحبينه وانه يحبك فلماذا هذا التجاهل . اتخفين سرك عن ميتة ومن اشد كتماً للاسرار من الاموات ? اجعليه سعيداً يافدوكي فانني احبه من اعماق قلبي ولا آسف لترك هذه الحياة الا لاني ماعدت ارى وجهه . الحياة لم توجد لمثلي ولكن لمثلك ومثله . نحن من خشاش الارض نداس في الارجل فنذهب

كما تذهب خشاش الارض في الزوابع الشديدة

فبكت ماري وبكت فدوكي ايضاً واجهشنا بالبكاء فجاوبهما من اعالي اشجار الارز نعيب غربان مقيمة فيها فازدادت الصديقتان بكاء لنعيب الغربان وحسبت فدوكي ان هذه الاصوات الغريبة ايذان لنفسها بالانطلاق من جسدها فسترت وجهها بيدها وانطرحت على وجهها في الفراش تبكي وتقول : يارب استودعك اميل واستودعك روحي

فارتفع صياح من وراء شجرة قريبة فالتفتت ماري فابصرت ام فدوكي يغمى عليها وكانت تسمعها تحفت اليها وراها اميل فاسرع ايضاً صوبها فنقلوها الى المضارب . وفي هذه الساعة دخل سور الارز مطيتان على احداها راهب وعلى الاخرى امراة فتبينهما اميل فاذا هما امه والراهب ظلانور . فاستقبلهما اميل وجميع الحاضرين . ولما درت ام فدوكي بقدوم ام اميل وثبت من الفراش وهي تقول — اذا كنت تعيسة فيجب ان لا اكون جانية

ثم نادت اميل وامه وطلبت من الباقين ان يتنحوا عنهما واخذت الاثنين واتجهت بهما الى مضرب فدوكي . فرأوها في الحالة التي ذكرناها من الجمود فوق فراشها فقالوا انها نائمة فاستوقفتهم امها خارج المضرب وقالت والدموع في عينيها — اصغ الي ياولدي اميل وانت يا عزيزتي ورددوا اسعدي لتغفري لي ذنباً عظيماً فبهت الاثنان واردفت ام فدوكي بقولها : تعلمين ياعزيزتي غرق زوجي في الباخرة لو مباردبا لما كنت معنا . فتنهدت وقالت نعم وقد غرق زوجي وابني في ذلك اليوم المشوم فقالت ام فدوكي والدموع تكاد تخنقها . كان على ذراعيك في ذلك اليوم ابنة وعلى ذراعي ابنة ليس لي سواها فغرقت ابنتي مع زوجي وزوجك و بقيت ابنتك مع احد الركاب التقطها من عن ظهر الباخرة في وسط الزحام عند حدوث الغرق . فصاحت ام اميل وماذا حدث بعد . وماذا جرى لابنتي . قالت ام فدوكي لم يكن لي غير ابنة واحدة غرقت وكنت لا اطيق العيش بلا ولد فاخذت ابنتك وجعلتها ابنتي . ادخلي وانظري فدوكي فانها اياها .

فعلت حينئذ ثلاث صيحات من اميل وامه وفدوكي التي حسبوها نائمة . وكان صراخ فدوكي : — تعال يا اخي اميل . الآن عرفت قدر الحياة

وقدمت ماري وابوها والراهب على الصياح فابصروا منظراً رهيبا تجمد له الدماء في الابدان . ابصروا فدوكي خارج المضرب كانها شبح من الاموات منتصبة بقوة بين اخيها اميل وامها الجديدة وهي تطوقهما بذراعيها وعيناها شاخصتان في عيني اميل وهي لا تستطيع الكلام . اما اميل فكان يبكي مع امه بكاء الاطفال وام فدوكي الاولى كانت تبكي في زاوية وتقول — لم يبق لي ولد فما عدت اريد هذه الحياة

فيا للحزن والالم

ثم ضعفت قوى فدوكي وتراخت اعضاؤها فسقطت على الارض وهي ممسكة باميل فحملها الى كرسي تحت شجرة عظيمة من الارز فاجتمع الجميع عليها فاصبحت بعد دقيقتين جثة باردة فهال الجميع الامر . ولكن فدوكي فتحت عينيها بعد قليل وادارتهما في الحاضرين وهي تبسم لهم ثم نظرت الى امها الاولى والثانية حتى وقع نظرها على اميل فمدت اليه يدها واخذت راسه الجميل قائلة — « الآن اقبلك بلا خوف يا اخي . عش سعيداً بعدي . هكذا اوصيت حبيبتك ماري . صرت استطيب هذه الكلمة « حبيبتك ماري » لاني انا ايضاً حبيبتك . اذكرني دائماً . اقصد الارز مرة في السنة وزر هذا المكان من اجلي . والفظ اسمي حين تقف هنا فتسمعك روحي . آه ما احلى الحياة معك . آه لو استطيع ان اعيش سنة واحده معك . ولكني . . . تعيسة . . . ويجب ان اموت . . . باركني يا ابتاه »

قالت هذا واغمضت عينيها الضعيفتين . فعلم الجميع انها تجود بنفسها فمد الكاهن يده ليباركها والجميع يبكون بكاء مراً حولها فعلا حينئذ نعيب الغربان في اعالي الشجرة « قاق قاق » واجتمعت بكثرة على المجتمعين تحتها . ففتحت فدوكي عينيها مرة اخرى ونظرت الى اعالي الشجرة وقالت بهدوء : اتيت اتيت . ثم نظرت الى اميل وقالت باسمة : استودعك الله يا اخي . — واسلمت الروح

. . . .

وبعد شهرين من هذه الحادثة اقترن اميل بماري وهما لابسان ملابس الحداد على فدوكي * اما ماجرى لباقي اشخاص الرواية فيعلم من اليوميات الثلاث التي كتبت بتاريخ حياة اصحابها الاولى لفدوكي والثانية لماري والثالثه لاميل وقد ارسل اميل الى الجامعة نسخة من كل منها لنقتطف منها شذرات للقراء فربما فعلنا ذلك في الاجزاء الاتية « انتهى »

تمت رواية الحب حتى الموت

وتليها رواية (نهضة الاسد)

الجزء الاول من القسم الثاني للجامعة

الجامعة

الجزء الثالث عشر — السنة الاولى

الاسكندرية في ١٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٩ جمادى الاولى سنة ١٣١٧



﴿ الامير عبد القادر الحسني الجزائري ﴾

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري ... فليس يريك الرسم صورتنا العظمى

فثم وراء الرسم شخص محجب ... له همة تعلو باخمصه النجما

وما المرء بالوجه الصبوح افتخاره ... ولكنه بالعقل والخلق الاسمى

(الامير عبد القادر)

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الامير عبد القادر

(نزاع بين مبدا الاستقلال ومبدا الاستعمار)

وعدنا القراء في الجزء السابع ان ننشر رسم بطل الجزائر ونذكر لهم اهم تفاصيل حياته· ويسرنا ان نفتتح اليوم تراجم مشاهير المتقدمين والمتاخرين بترجمة حال هذا الامير الشرقي الكبير · ونقسم هذه التراجم التي نوالي نشرها في الجامعة الى ثلاثة اقسام · تراجم مشاهير الشرقيين · وتراجم النساء المشهورات شرقيات وغير شرقيات · وتراجم المشاهير من غير الشرقيين · ونضع في كل جزء على التتالي ترجمة واحد من هذه الاقسام الثلاثة اي نضع في هذا الجزء ترجمة عظيم شرقي وفي الجزء الثاني ترجمة سيدة شهيرة وفي الجزء الثالث ترجمة عظيم غير شرقي وهلم جرًّا

وقد جعلنا ذلك بناءً على طلب كثيرين من القراء ارسلوا يسالوننا ان لا نقصر التراجم على الشعراء والمنشئين كما كنا نصنع في الاجزاء السابقة في باب الشعر والانشاء بل ان نجعلها تتناول النابغين في كل امر ومطلب فاجبناهم الى سؤالهم هذا لما نعلم من فائدة الاطلاع على تراجم اعاظم الرجال ولما رايناه من ارتياح خاصة القراء وعامتهم الى تراجم تنشرها منذ سبع سنوات رصيفة كريمة لا تزال تنير سماء المعارف في الشرق بنور هلالها المنير

وهذا اوان الشروع في ترجمة الامير عبد القادر ونقسم الكلام عليها الى ثلاثة اقسام · قبل ولايته · ومدة ولايته · وبعد ولايته ونقول في كل منها

***

☀ قبل ولايته ☀ هو الامير عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري نسبه ينتهي الى فاطمة الزهراء · ولد في بلدة قيطنة من ولاية وهران في سنة ١٨٠٧ للميلاد وشب في حجر والده وكان رحمه الله رجلاً تقياً مطاعاً · فكان كلما شب عبد القادر اكتسب ببسالته وذكائه وفصاحته الطبيعية ثقة ابناء وطنه فكبر ذلك على حاكم الجزائر وخاف ان يستفحل امره وامر والده فاراد بهما شرًّا فسافرا سرًّا قاصدين مكة المكرمة عن طريق

القاهرة فحجا وزارا دمشق الشام و بغداد ثم عادا الى مكة ولم يرجعا الى وطنهما حتى احتل الفرنسويون الجه عاصمة الجزائر

وكان ساحل الجزائر في ذلك الوقت في ايدي الجنود الفرنسوية والقبائل في داخلية البلاد لا تعرف لواء قويًا تجتمع تحته للدفاع عن وطنها فكان وصول الامير عبد القادر ووالده الى الجزائر في حينه · فتولى والد صاحب الترجمة قيادة القبائل القوية في سهل اكريس وجهاتها وجرى قتال بينه وبين الجنود العثمانية فاستولى على مسكره فاشتد نفوذه وارادت القبائل ان تنادي به اميرًا فكره ذلك لنفسه وتنازل عنه لولده عبد القادر صاحب الترجمة · فبايعوه في كشرو اميرًا عليهم وذلك في سنة ١٨٣٢ · فتولى الامير عبد القادر الامارة بعظمة ونشاط وجعل مسكره حاضرة امارته · ومن ذلك الحين بدأ بالجهاد العظيم ·

﴿ مدة ولايته ﴾ ولما استتب له الامر قاد جنوده الى بلدة وهران لدفع الفرنسويين عنها وكانوا قد دخلوها فارتدت جنود الامير مدحورة عنها لقوة خصمه الجنرال ديسميشل ولكن ذلك زاد في التفاف القبائل حوله وانضوائهم الى لوائه · وفي سنة ١٨٣٤ بعد حروب اظهر فيها الامير عبد القادر بسالة عظيمة كان النصر فيها معقودًا بلوائه عقد معه القائد الفرنسوي المذكور معاهدة استولى بها الامير على بلاد شاسعة فكان ذلك من الحكومة الفرنسوية بمثابة اعتراف بامارة الامير فاستفحل امره واشتد سلطانه واصبح في ذلك الحين كما قال مؤرخو الفرنسويين خطرًا عظيمًا للاحتلال الفرنسوي في الجزائر · فرأى المارشال كلوزيل ان يفل الحديد بالحديد فنادى باحد اعيان الجزائر واليًا حتى تبطل كراهة الجزائريين للحكم الفرنسوي فافادت هذه الطريقة وتسنى له فتح مسكره بقبائل دخلت في طاعة الفرنسويين ومحالفتهم بواسطة اميرهم المسلم الجديد · ثم اخلاها بعد اضرامه النار فيها وفتح تلمسان وترك فيها حامية ضعيفة فهاجمه الامير بيأس يفل الحديد ففتح مسكره وحصر القائد كافنياك في تلمسان وعاقب القبائل التي انحازت الى الجنود الفرنسوية اشد عقاب · فرأى الفرنسويون وجوب عقد هدنة ليسيروا حملة ثانية على ايالة قسطنطينة · وكانت هذه غلطتهم الكبرى · فان المعاهدة التي عقدوها مع الامير ابلغت نفوذه وسلطانه مبلغهما من العظمة فاصبح عبد القادر ملكاً عظيماً صاحب سلطان ضخم يامر فيطاع وكان ذلك في ٣٠ مايو سنة ١٨٣٧ · وتعرف هذه العهدة بعهدة طفنه · فقضى الامير بعد هذه المعاهدة سنتين في تنظيم مملكته وتدريب جنده ولما فرغ من ذلك ورأى نفسه ازداد قوة عاد الى الحرب بيأس اشد وقلب اقوى دفعًا عن بلاده ودينه وقومه · ولكن فرنسا

زادت قواها في الجزائر لما رأتـه من باس الامير وبسالة جنوده واتخذ الجنرال بيكود طرقاً جديدة في محاربة الامير فكان يطارد جنوده من مكان الى مكان ويحتل كل البلدان التي جعلها قواعد لاعماله الحربية حتى اضطر الامير عبد القادر الى الالتجاء الاراضي المراكشية تخلصاً من الجنود الفرنسوية . وكان على مراكش في ذلك الحين السلطان مولاي عبد الرحمن فاخذ بناصر الامير في بدء الامر ولكنه انقلب عليه فحاربه الامير فاصبح بين عدوين عدو قريب شرقي وعدو بعيد غربي فلم يكن بد من التسليم فسلم للجنرال لامورسيير في سنة ١٨٤٧ فكان قتاله قتال الابطال وتسليمه تسليم الابطال

﴿ بعد ولايته ﴾ فارسل الامير بعد تسليمه من الجزائر الى طولون فسجن فيها ثم نقل الى بو فامبواز . وزاره في سجنه في امبواز الامبراطور نابليون الثالث فبشره بالافراج عنه جزاء شهامته و بسالته وشدته في الذود عن ذماره . وعينت له الحكومة الفرنسوية مائة الف فرنك في السنة . فسافر الامير من امبواز الى باريز ومنها قصد الاستانة فمثل بين يدى ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان فمنحه داراً ببورسة فاقام فيها حتى هدمت المدينة بزلزال في سنة ١٨٥٥ فاختار الاقامة في دمشق الشام . ثم قصد الاستانة فمثل بين يدى ساكن الجنان السلطان عبد العزيز فانعم عليه بالنشان العثماني من الرتبة الاولى . وانعمت عليه فرنسا بوسام جوقة الشرف والدول الاخرى بالوسامات المختلفة لمساعدة المسيحيين في حوادث الشام سنة ١٨٦٠ . ودعي الى حضور افتتاح ترعة السويس . وزار الامبراطور نابوليون الثالث في باريز فزاد الامبراطور مرتبه السنوي ٥٠ الف فرنك .

وفي سنة ١٨٧١ عند ثورة الجزائر بين ثورتهم الاخيرة بعث اليهم الامير بمنشور يدعوهم فيه الى طاعة فرنسا فلم يؤثر فيهم شيئاً وقد علل ذلك المؤرخون الفرنسويون بضعف كلمة الامير عند ابناء وطنه ولكن الارجح عندنا انهم كانوا يعتقدون ان هذا المنشور مجاملة لفرنسا فقط وان الامير لا يكره الاستقلال لبلاده . وكانت وفاته بداء المثانة في قصره بقرية دمر في دمشق الشام في منتصف ليلة السبت في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ ودفن فيها وعمره ٧٦ سنة وقد خلف عشرة ذكور وست بنات

﴿ صفاته واخلاقه ومؤلفاته ﴾ وكان رحمه الله معتدل القامة عظيم الهامة ممتلئ الجسم ابيض اللون تشوبه حمرة اسود الشعر كث اللحية اقنى الانف اشهل العينين يخضب بالسواد وكان يحب اللعب بالشطرنج و يحسن الخياطة ولا سيما خياطة الشبكة

وكان حليماً وديعاً عند الحلم واسداً ثائراً عند الغضب . ويقول الذين راقبوا

اخلاقه من الكتبة الفرنسويين ان جميع اخلاقه الفاضلة كالذكاء والحلم والشجاعة والشهامة وغيرها — كلها متصلة به من عنصره العربي · والاخلاق الاخرى كالحدة والشدة الى حد القسوة متصلة به من اخلاق البربر الذين خالطوا سكان الجزائر فسرى الى هؤلاء شيء كثير من اخلاقهم

وكان رحمه الله ورعاً تقياً يصوم رمضان على الكعك والزبيب معتزلاً القريب والغريب · وله من المؤلفات تعليقات على حاشية جده في علم الكلام · والمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والالحاد · وتنبيه الغافل وقد نقله المسيو دوكا الى اللغة الفرنسوية · والمواقف في علم التصوف · وله كتاب في الخيول العربية وديوان نزهة الخاطر الذي اشرنا اليه في الجزء السابع

***

ولا يسع المؤرخ الشرقي بازاء هذا الملك الشرقي المهدوم والعظمة الشرقية الساقطة الان يقف متاملاً معتبرًا · فقد كان الصراع بين الامير عبد القادر من جهة وبين الجنود الفرنسوية من جهة اخرى صراعاً بين مبدأين لا بين قوتين عسكريتين · وهذان المبدآن هما مبدأ استقلال الممالك الشرقية ومبدأ اطماع اوروبا الاستعمارية · وقد قوي المبدأ الثاني فتزعزع به استقلال الشرق وعرف الشرقيون انهم بهذه الرحى مطحونون فزاد يأسهم ولو قوي المبدأ الاول لزاد املهم ورجاؤهم · فاذا وقف الشرقي بتربة الامير عبد القادر الكبير في دمشق الشام فليطأطئ الراس امام تلك العظمة الساقطة وليذكر ان التراب الذي امامه تراب عظيم التقت يوماً على راسه ابصار جميع الشرقيين · وقبض بيده على آمال جميع الامم الشرقية الضعيفه التي تتهددها اطماع الغربيين

﴿ الجامعة في حلتها الجديدة ﴾

هذا هو الجزء الاول من القسم الثاني للجامعة · وسنقدم قريباً لحضرات المشتركين فهرست تتضمن بيان مواد القسم الاول الذي لديهم وعدد اجزائه اثنى عشر جزءاً لتجليده على حدة · ونحن على يقين من سرورهم بهذه الحلة الجديدة التي لبستها الجامعة بفضل اقبالهم عليها فلهم منها مزيد الشكر والثناء

باب المقالات

طريق البحار

(السفن التي تسير في اعماق البحر)

جاب الانسان شاسع القفار . وصعد في الفضاء الى مساكن النجوم والسحاب . ونزل الى ابعد الاودية والبراكين غورًا . وارتقى الى اشد قمم الجبال ارتفاعًا . فطبيعيٌّ بعد ذلك ان يفكر في السياحة في اعماق البحار

وقد كان النزول الى اعماق البحر بآلات صناعية معروفًا عند قدماء اليونان راجع رواية المسعودي عن اسكندر الكبير في باب الاسئلة والاجوبة في هذا الجزء عند الكلام على بناء الاسكندرية . ولكن تلك الآلة التي كانت للاسكندر في قول مؤرخي العرب والافرنج ليست في الارجح الا آلة غواصي الاسفنج في هذا الزمان . واهم ما فيها اسطوانة ينزل فيها الهواء للغائص تحت الماء مضغوطًا من فوق بآلة ضاغطة . اما السفن التي هي موضوع هذه المقالة فانها زوارق متقنة الصنع يركبها اناس فتغوص بهم الى اعماق البحار فيقضون فيها تحت الامواج الهائلة ساعات كثيرة تبلغ الثلاثين عند الحاجة .

وهي نوعان سفن علمية وسفن حربية . اما السفن الغواصة العلمية فالغرض من انشائها البحث العلمي في نبات البحر وحيوانه وتركيب قعره والتفتيش عن الامور الثمينة التي يبتلعها البحر عند غرق السفن . والاميركان هم الذين بنوا هذه الغواصات . وآخر ما بنوه منها الغواصة "ارغنوت" وقد جعلوا لها عجلات في اسفلها تجري عليها في قعر البحر كما تجري المركبات على الارض ولها مناظير ترى بها وآلات حديدية معكوفة لاجتذاب ما تريد اجتذابه مما تراه راسبًا في قعر البحر

اما السفن الحربية فشانها اهم كثيرًا والغرض من انشائها معلوم من تسميتها

فقد كان التنازع منذ انشاء السفن البخارية المصفحة بالحديد والفولاذ محصورًا بين قنبلة المدفع وبين الدارعة . فكلما اشتد زخم المدفع وصارت قنبلته قادرة على خرق درع السفينة الفولاذية زاد بنائو هذه السفن سعيًا في تقوية هذه الدرع حتى لا تنفذها القنبلة



(المسيو غوبه واقف على ظهر غواصته في البحر)

ولا يزال هذا النزاع الى اليوم . ولكن القنبلة الآن اقوى من درع الدارعة عند بعض الدول

وكانه لم يكفِ الدارعةالمسكينة عدوٌ واحد فجاءها عدو ثانٍ اكثر هولاً واشد فتكاً وهو السفن الغواصة . فان الدول الضعيفات في البحر بازاء مناظرات قويات فيه — كفرنسا بازاء انكلترا — راين انفسهن عاجزات عن ادراك شاو مناظرتهن في القوة البحرية لكثرة دوارع هؤلاء وزيادتهن سفنهن كلما زدن هن سفنهن ايضاً فعمدن حينئذٍ الى حيلة تقوي ضعفهن وهي اختراع سفن تغوص في الماء وتاتي من تحت البحر دوارعَ العدو العظيمة التي ليس في الاستطاعة مواجهتها فوق البحر فترميها بالطوربيد على غرة منها وتحطم كبرياءها تحطيماً . فاختراع هذه السفن مبني ايضاً على القاعدة الشهيرة « الحاجة ام الاختراع »

وقد امتاز الاميركان والفرنسويون عن جميع الدول في اتقان السفن الغواصة . ولا يزال يرن في آذان القراء الانباء التى طيرتها الشركات البرقية بعد حادثة فشودة عن نجاح الغواصة « غوستاف زده » الفرنسوية في تجربتها الاخيرة نجاحاً عظيماً واهتمام الانكليز بهذا النجاح اشد اهتمام . ونحن الآن قائلون في السفن التي هي ارقى الغواصات في هذا الزمان معتمدين في كلامنا على مجلة « المطالعات العامة »

❊ المسيو غوبه وغواصته ❊ وهذه الغواصات ثلاث اثنتان فرنسويتان وواحدة

اميركية . اما الفرنسويتان فاولاهما الغواصة « غوبه » لمخترعها المسيو غوبه الذي وضعنا في هذه المقالة رسمه ورسم غواصته وهو واقف على ظهرها . وهي مبنية من البرونز بشكل (سيغارة) طولها ٨ امتار ومحيطها اقل من مترين . فاذا اريد الغوص فيها الى اعماق البحر نزل اليها ربانها وبحارتها وعددهم اثنان فقط فاغلقوا وراءهم النافذة التي دخلوا منها على ظهر الغواصة كما يرى القارىء في الرسم ثم يفتح الربان نوافذ صغيرة في جوانب الغواصة فتدخل مياه البحر الى مكان فيها يُخزن فيه الماء لتثقيل السفينة وتغويصها فتاخذ السفينة بالغوص حتى تغيب عن الانظار . فيقف الربان في مكانه في داخل السفينة امام نافذة بلورية يرى منها الاشياء الخارجية ويدير الآلة الكهربائية التي تسير بها السفينة وبها يدار سكانها (دفتها) . واذا طرأ على هذه الآلة طارىء ففي الغواصة غوبه مجاذيف تسير بها . وهي تستطيع السير تحت الماء مدة ثلاثين ساعة متوالية لانها تخزن في اوعية فيها مقدارًا كبيرًا من الهواء النقي المضغوط ليستنشقه ركابها . وفيها قذيفتان من الطوربيد تضعهما تحت سفن الاعداء فتحطمانها تحطيماً . اما طريقة ارتفاع الغواصة الى سطح الماء بعد هبوطها تحته فاخراج الماء الذي يكون قد دخلها بواسطة مضخات فيها فيخف ثقلها وتعود الى وجه الماء

⁂ الغواصة غوستاف زده ⁂ والثانية الغواصة غوستاف زده الفرنسوية لمخترعها الجنرال غوستاف زده وهي ذات الشان العظيم الذي دوى صداه منذ بضعة شهور . فقد سارت هذه الغواصة تحت الماء من مرسيليا الى طولون ومسافة البعد بينهما ٧١ كيلو مترًا وهي تقطع ١٢ كيلومترًا في الساعة على الاقل . واذا قذفت طوربيدها تحت سفن الاعداء استطاعت الفرار بسرعة شديدة فلا يصل اليها شيء من تاثير الطوربيد حين فتكه بتلك السفن . وطول غوستاف زده ٤٠ مترًا ومحيطها اكثر من ٣ امتار . ولها آلة ترى بها الطريق واضحًا وتبصر ما حولها وما فوقها من السفن وهذه اعظم مزية لهذه الغواصة

⁂ الغواصة هولاند ⁂ والثالثة الغواصة هولاند الاميركية لمخترعها المستر هولاند الاميركي . وهي مبنية بشكل الغواصة غوبه الا انها تحارب فوق الماء وتحته . فان في مقدمها فوهة فيها مدفع يقذف الموت الاحمر لما تكون الغواصة فوق الماء واذا غاصت في البحر بواسطة خزن الماء فيها ايضاً اغلقت هذه الفوهة وانفتحت في الغواصة فوهتان اخريان واحدة في المقدم وواحدة في المؤخر ومنهما ينقذف الطوربيد فينعل فعلاً هائلاً . وآلتها

تُدار على ظهر البحر بالبترول وفي جوفه بالكهربائية ولها ساريتان تُرفعان وتخفضان عند الحاجة · وفيها آلة تبصر بها الاشياء التي فوقها والتي تحتها

هذه ارقى السفن الغواصة الموجودة الآن ويوجد غيرها في المانيا وانكلترا وسائر الدول ولكنها احط شاناً من هذه الغواصات الثلاث

وغني عن البيان ان السفر في هذه الطرق البحرية الجديدة التي يختطها العلم والاختراع لايخلو من خطر عظيم على المسافرين · فان المهندس داي الانكليزي ركب يوماً غواصة اخترعها وغاص بها لتجربتها منذ سنوات فلم يظهر له اثر من ذلك الحين الى هذه الايام · واما السرور بذلك السفر البحري فظاهرٌ لكل من يتصور اعماق البحار وما فيها من الجبال والاودية وخمائل النبات واسراب الحيوان · واننا بازاء هذه الاختراعات الجميلة لانعلم هل نمتدح نشاط الانسان وقوته على تذليل النواميس الطبيعية ام نهجو استخدامه هذه القوة والنشاط لزيادة الآلات الحربية المهلكة

الحياة

تعريفها — مميزاتها — مذاهب الفلاسفة فيها

لحضرة الكاتب المجيد المحجوب

تباينت آراء العلماء في تعريف الحياة ولم يجمعوا على تعريف لها جامع مانع منذ برزت الفلسفة للوجود حتى عهدنا هذا فمنهم من قال انها عبارة عن مجموع القوى التي تحول دون الموت وآخر انها ظواهر متشابهة ابداً بالنظر للعوامل الخارجية · ومهما تخالفت الاقوال في شأنها فانا نعرف انها من مظاهر الوجود الكائنة في جميع الاجسام الآلية نعني بهما العالمين العظيمين : النباتي والحيواني ولئن قال نفر من العلماء بوجود الحياة في الجماد على ابسط مظاهرها كما اشار الى ذلك استاذنا المقتطف في سنته السادسة في مقالات كثيرة بسط فيها هذا الرأي وما يدحضه لا برع كتاب العصر

وقبل الخوض في الكلام على الحياة وذكر شيء من آراء العلماء عنها ومذاهب الفيسيولوجيين فيها يجب ايضاح الفرق الفاصل ما بين الاحياء وغير الاحياء من العوالم توطئةً لما سيأتي ولو بطريق الاختصار فنقول

قال ابن سينا في ارجوزته

ويُقسم النامي لضرب المعدنِ والنبات وحيّ البدنِ

وقال القزويني : الكائنات وهي الاجسام المتولدة اما ان تكون نامية او غير نامية فان لم تكن نامية فهي المعدنيات وان كانت نامية فاما ان تكون لها قوة الحس والحركة اولا تكون . فان لم تكن فهي النبات وان كانت فهي الحيوان

الا ان علماء الفرنجة اليوم لا يعولون في ابحاثهم على التخمين والحدس وانما يعتمدون فيما يكتبون على التجربة المدققة والبحث الممحص . فقد ذكروا للتمييز الفارق اوجهاً كثيرة اولها ✱ الشكل ✱ فان الاجسام الآلية تتخذ هيئات متنوعة والاغلب فيها ان تكون ذات سطوح كروية او شبيهة بها محدبة كانت او مقعرة وخطوط منحنية . اما المواد غير الآلية فتكون متخذة الهيئات الهندسية المحدودة بسطوح مستوية وخطوط مستقيمة وزوايا واضحة عدا عن انها ليست الاّ اكواماً متجانسة جُزئت لا يظهر في اقسامها المتجزءة اقل تباين خلافاً للاجسام الآلية فانها ان جزئت كانت اقسامها المتجزءة مختلفة عن بعضها البعض كل الاختلاف .

ويضاف الى مميزات الشكل في الاحياء اللدونة والمرونة في الانسجة والاعضاء . وذلك ناتج من تركب الاجسام الآلية من السوائل والجوامد وامتزاجهما في غير الاحياء بحيث يتكون من امتزاجهما فيها اكوام صغيرة او كبيرة على غير انتظام في الشكل وليس لها نظام معين . اما في الاحياء فان السوائل تحفظ ضمن الاجسام وفوق ذلك تتحرك في حياض واقنية على نسق في منتهى الانتظام . ومن هذه الاقنية والحياض ما وظيفته حفظ المواد الآتية من الخارج ومنها ما وظيفته نقلها في الجسم بالدورة لتغذيته وتنقيته وافراز الفضلات منه . على ان حركات السوائل الكثيرة في الاحياء تكاد لا تتميز جيداً في الرتب الدنيئة منها وكلما ارتقت مراتب الاحياء تجلت حركات السوائل فيها بحيث تكون في ادنى المراتب اكثر بساطة ثم تتدرج في المراتب فتكون في اعلاها اكثر تركيباً

ومن خصائص الاحياء المميزة ✱ التنفس ✱ وهو ان تستمد من الهواء الكروي من العناصر مالا بدَّ عنه لقيام الحياة فياخذ النبات من العناصر الكربون والحيوان الاوكسجين . واذ نظرنا في مراتب الاحياء العالية نرى خصائص اخرى مميزة لها منها ✱ الحس والحركة الذاتية . ✱

ثم انا نرى بين الاحياء وغير الاحياء اختلافاً ظاهراً من حيث ✱ التركيب

الكيماوي* ذلك ان العناصر تكون في الآحياء مركبة من اربعة عناصر وهي في الغالب الاوكسجين والهيدروجين والكربون والازوت . واما الاجسام غير الآلية فلا تتركب الا من عنصرين او ثلاثة وهي شديدة التماسك لا تنحل بسهولة الى عناصرها

ومن المميزات للاحياء * الولادة والنمو والموت* اما الولادة فهي انفصال فسيلة عن الجرثومة الاصلية واستقلالها بالحياة. وجميع الاحياء تتمكن من الحياة بواسطة الارث. وهذا التولد مشاهد عياني في عالمي النبات والحيوان

والنمو ايضاً من الخصائص الفاصلة وهو عبارة عن زيادة في الحجم بواسطة قوة مستقرة فيه وهذه الزيادة او النمو تكون في جميع دقائق الجسم الحي واجزائه باطناً وظاهراً خلافاً لنمو الجوامد كالتلبور فانه يتم باضافة مادة الى ظاهر المادة القديمة من الخارج ناهيك ان للاجسام الآلية نمواً محدوداً. واما غير الآلية فنموها لا ينحصر في حدٍ معلوم . واما الموت فآخر اعمال الحياة في الموجود واعظم فارق للاحياء عن غيرها فسبحان الحي الباقي

هذا ما نقوله في خصائص الاحياء الفارقة لها عن الجماد . بقي علينا الكلام عما ارتآه العلماء في الحياة. على ان موضوع الخلاف في ذلك يرجع الى هاتين القضيتين وهما :

(١) هل للحياة مبدأ مستقل عن المادة وقواها وعن قوى النفس المدركة بحيث يمكننا ان ننعت ذلك المبدأ بالمبدأ الحيوي

(٢) هل المبدأ الحيوي يناقض المبدأ الحسي وهل من لوازم الاجسام الحية ان تكون ذات حس في جميع اعمالها وفي سائر اجزائها وسيرد الكلام على ذلك في الجزء التالي

لو خيرت لاخترت

قرات في جامعتكم الغراء مقالة تحت عنوان « اختيار الزوج » لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي من ادباء الفيحاء ضمنها احسن النصائح التي يجب على كل فتاة أن تتمسك بها لتامن شر السقوط في شرك زوج لا تنطبق ظواهره الصالحة على بواطنه الفاسدة

وليس من غرضي الزيادة في موضوع قد وفاه حضرة الكاتب حقه بل الذي دفعني الى قرع هذا الباب هو اقتراح حضرة الكاتبة الطرابلسية المتكنية باسم " احدى القارئات ". فانها حفظها الله انكرت نصائح الكاتب بعد ان اعترفت بصوابيتها وادعت ان الذي له حق الخيار في هذا الموضوع هو الزوج لا الزوجة وانه كان الاولى بحضرته ان ينصح للرجل ان يختار زوجته . واستشهدت على صحة دعواها بقولها ان الابنة التي لا مهر لها ليس لها حق

باختيار الزوج · وارى حضرتها في قولها هذا قد اخطات من حيث ارادت ان تصيب· فان قلنا ان وجود الدوطة يخول الفتاة الحق بانتخاب الزوج تكون نصائح الكاتب قد جاءت في محلها لان الابنة في هذا المقام تعتبر انها هي الزوج ما دامت تقدر ان تختار

واظن ان حضرة الكاتبة الفاضلة تسمح لي بكلمة ادافع بها عن شبان اليوم — وانا ما زلت شاباً مثلهم — لانني فهمت من خلال كلامها تعريضاً بل تقريعاً للشبان الذين لا يتزوجون الفتاة الا بدوطة « لا بشد الطاء فقط بل بشدها كلها ولو انقطعت ···» فاولاً ان الشاب منا يُعذر اذا رفض الزواج في هذا الزمن بدون دوطه · لان فتاة اليوم — واسالها عفواً — لم يعد يطيب لها الا التظاهر بمظاهر الكبرياء وجعل لباسها مستكملاً شروط الازياء ···· ثم هي لا تعرف من واجباتها نحو بيتها العامر بالخدم والحشم الا استقبال الضيوف · ومجاملتهم بلعب البيزيك والبوكر الموصوف · وهذه اللعبة ويا للاسف اصبحت تعد في مقدمة آداب فتاة اليوم · لان التي تجهل هذه اللعبة تصغر في عين كبيراتها · وفوق ذلك فهي لا يطيب لها الا ان تعمل الاعمال التى تساعد على انفاق الدراهم في ما لا فائدة منه كل ذلك بقصد ان يدعوها الناس انها امراة فلان صاحبة الزي الجديد ··· اتكون فتاة اليوم حاوية لهذه الاوصاف وغيرها ثم يلام الشاب منا اذا طلب ان يتزوجها بدوطه : شهد الله انه لو حصل عليها بثلاث دوطات لا بدوطة واحدة لعاد منها بصفقة المغبون

وخلاصة القول ان الفتاة التي تصلح للزواج بدون دوطة يندر وجودها في هذه الايام — ايام الموضة وتفانينها — واذا كانت حضرة الكاتبة لا تقنعها دعواي الا بدليل حسي فلترافقني — اذا شاءت — اوفلتذهب وحدها الى مخازن الازياء اذ لا بد ان يكون منها كثير في طرابلس كما في الاسكندرية · وهناك ترى بعينها ما يحقق صحة قولي وبضدها تتبين الاشياء

(حنا نقاش) الاسكندرية

❊ الاسلام والمدارس والجامعة الاسلامية ❊

ضاق هذا الجزء عن مقالة ذات رسم عنوانها « الاسلام والمدارس والجامعة الاسلامية » فموعدنا بها الجزء القادم

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

التربية الاولى

(البيتية)

مصادر التربية ثلاثة : الطبيعة والناس والاشياء · وبعبارة اوضح ان التربية ثلاثة انواع · تربية تقوم بها الطبيعة وهي نمو الانسان الداخلي وتربية تقوم بها الاشياء وهي تاثير الحوادث التي تحدث على مرأى ومسمع من الانسان في تكييف اخلاقه وتكوين آرائه · وتربية تقوم بها الناس وهي التربية التي تقوم بها الام في البيت والمعلم في المدرسة ·

فللانسان اذاً ثلاثة اساتذة · واحد من الطبيعة وواحد من الاشياء والحوادث وواحد من الناس

واذا امعنا النظر في هؤلاء الاساتذة الثلاثة وجدنا اننا لا نملك سلطة على الاستاذ الاول بل هو يتم وظيفته من غير مداخلتنا على شرط ان لا نضع له العثرات في سبيله· وكذلك الاستاذ الثاني · اما الاستاذ الثالث فلنا عليه سلطة وان كانت محدودة واليه يوجه كلام الفلاسفة والعلماء اذا دعوا الى اصلاح شأن التربية

وهو ثلاثة انواع · نوع يتولى شان الانسان في صغره في البيت ونسميه التربية الاولى· ونوع يتولى شان الانسان في كبره في المدرسة ونسميه التربية الثانية· ونوع يتولى تثقيف عقل الانسان بعد البيت والمدرسة ويكون له تاثير شديد على اخلاقه وادابه وآرائه وهو يتناول الكتب والجرائد والجمعيات ونسميه التربية الثالثة

وظاهر ان التربية البيتية اي التربية الاولى هي اساس هذه الانواع الثلاثة لانها البذور الاولى التي تُلقى في نفس الطفل فعلى صلاحها او فسادها يتوقف صلاح حال الطفل او فساده · وقد بسطنا الكلام مرة على التربية البيتية في الجزء السادس وجئنا الآن لا ستيفاء الكلام فنقول ·

اذا كانت هذه الحياة مملوءة بالاكدار والاحزان . فان العناية الالهية قد نثرت بين اشواكها زهرًا يحببها الى الانسان . ومن اعظم اسباب السرور والغبطة في هذه الحياة ان تنفصل عن مهجنا واكبادنا قطع تمشي امامنا على الارض وندعوها اولادنا . وما اعطينا هذه النعمة العظمى والغبطة الكبرى الا لنحسن القيام عليها والعناية بها حتى تكون سبب هناء وبركةٍ لنا وخيرٍ وراحةٍ لانفسها وسعادةٍ وعمارٍ للهيئة الاجتماعية كلها . فمن اهم واجباتنا في هذه الحياة ان نربيها التربية الفاضلة التي تمكنها من القيام بواجباتها فيها . والا فعلى رؤوسنا يقع كل اثم تجترحه وكل ذنب ترتكبه

ولكن هل نحن قائمون بهذه الواجبات كما يطلب منا القيام بها

عفوًا ايتها السيدة . اننا نرى اولادك ونعجب بحسن ظاهرهم . وجوههم جميلة موردة وثغورهم باسمة وملابسهم الحريرية نظيفة مرتبة جديدة امس خرجت من ايدي الخياطين . اجسادهم منعمة قوة ونشاطًا واعضاؤهم مفتولة للمآكل الجيدة المغذية التي تغذينهم بها . ربطاتهم الحريرية الحمراء وقمصانهم المكوية البيضاء وقبعاتهم الذهبية الزرقاء تزيد في جمالهم وبهائهم . عفوًا ايتها السيدة . نرى كل ذلك ولا ننكره . ولكن اهذا ما يسمونه تربية ؟

نعم ولكنها تربية الجسد وهو نصف الولد . بقي النصف الثاني وهو النفس . ومن سوء الحظ ان الام لا تفكر بتربيتها . فانها تقصر همها على تزيين اولادها بالملابس الجميلة وتغذيتهم بالمآكل الطيبة القوية فيشب الاولاد كالقبور المكلسة ظاهرها ابيض جميل وداخلها جيف من الرذائل والنقائص منتنة . وليس كل اللوم في ذلك على الأب والام فاننا نعلم انهما لا يبخلان بالروح في سبيل اولادهما وانما اللوم الشديد على مربيهما الذي لم يرشحهما لوظيفتهما الوالدية فحسبا الزواج مسرة جسدية وتربية الاولاد ابتياع الملابس والاطعمة لهم وتركا النفس بلا زينة ولا غذاء فاصبحت ضعيفة مظلمة .

فالذي نطلبه وندعو قومنا اليه ان يهتموا بنفوس الاولاد لا اقل من اهتمامهم باجسادهم . وان لا يدنسوا تلك الهياكل الجميلة بالرذائل التي يتركونها تنشا فيها . فان تينك الشفتين الصغيرتين القرمزيتين لم تخلقا لتقذفا الشتم والسباب . وتلك الانامل الوردية النحيفة لم توجد لتصنع الشر . وذلك الروح الالهي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في جسم ذلك الولد لم يوضع لتشوهه يد الرذيلة . فربوا نفوس اولادكم في الفضيلة والخير كما تربون اجسادهم في الصحة والعافية . فان بالفضيلة سعادة النفوس كما ان بالصحة سعادة الاجسام .

ولهذه التربية النفسية الفاضلة ثلاث وسائل (١) وقاية نفس الولد من دخول جراثيم الشر اليها · (٢) قتل هذه الجراثيم او طردها بعد دخولها (٣) زرع جراثيم الخير فيها · هذه هي الوسائل الكبرى لتربية النفس تربية فاضلة ·

وعلى الام مراقبة هذه الامور الثلاثة مراقبة شديدة · اما الامر الاول فلا سبيل اليه الاّ اذا استطاعت الام منع ولدها ان يرى شرًا او يسمع شرًا · ومن اجل ذلك يجب ان لا يُترك في الازقة سارحًا كالمواشي السائمة يعاشر ابناء الازقة فيعطونه رذائلهم كلها · وان لا يُسلم الى الخدمة والخادمات فانه يأخذ عنهم جميع عيوبهم ونقائصهم · بل يجب على الام ان تتولى شأنه بنفسها وتعمل له كل شيء بيديها · ونقول في هذا المقام ان الخدمة والخادمات هم آفة التربية في هذا الزمان بل في كل زمان · فانهم يهدمون بجهلهم كل ما يبنيه الاهل في نفوس ابنائهم ورحم الله القائل :

متى بلغ البنيان يومًا تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

واما الامر الثاني فيكفي للدلالة عليه ان نرد القارىء الى « المثل الصغير » الذي ذكرناه في باب التربية والتعليم في الجزء السادس · فان قتل جراثيم الشر بعد دخولها الى نفس الولد عمل بسيكولوجي عظيم الشأن وهو ركن من اركان التربية الادبية · والعادة عندنا ان الامهات يتخذن الضرب بالعصا سبيلاً الى قتل هذه الجراثيم واكراه الاولاد على ترك رذائلهم ونقائصهم فنكتفي هنا بما قلناه في ذلك المثل وهو : « ان الرذائل من اخلاق النفس لا الجسد والام بالعصا لا تعالج الاّ الجسد ولا تعاقب غيره » وجل ما نقوله للامهات في هذا الشأن ان يجعلنَ محور سياستهن مع الاولاد اقناعهم بان الذي ينهينهم عنه ضار والذي يامرنهم به نافع · فاذا اعتاد الاولاد ان يطيعوا هذا النهي والامر فازت الامهات فوزًا عظيماً ·

واما الامر الثالث فاحسن وسيلة اليه القدوة اذ هي اعظم معلم ومرشد · فاذا أردت ان تغرس الشجاعة في نفس ولدك فلا تقل له كن شجاعًا ولكن اغتنم فرصة واظهر نفسك امامه شجاعًا · واذا اردت تعليمه الشفقة فكن امامه شفيقًا · والتأني فكن امامه متأنيًا وهلم جرًا · واغرس في نفسه قبل كل شيء الكراهة الشديدة لكل شر وضر والحب الشديد لكل خير ونفع فان هذا المبدأ اساس التربية الادبية ·

ولا نرى بدًا من التصريح في ختام الكلام باننا ننبه الافكار الى هذه المسائل الخطيرة تنبيهاً فقط · اما بسطها وشرحها فيقتضيان تطويلاً يضيق دونه المقام · فعسى ان يثير كلامنا في نفوس الامهات والاباء ما نريد اثارته وسيرد الكلام على التربية الثانية

باب تدبير الصحة

والمنزل

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

«كلمات صحية»

سألتني الجامعة ان أكتب لقرائها في كل جزء شذرات صحية. وقد اتاني كتابها وانا اطالع فصلاً طبياً في احدى الجرائد الانكليزية مختتماً بهذه العبارة « شيء من المكانس وشيء من الهواء وشيء من الماء : ثم اضحك من الاطباء »

فقلت أجعل هذه القاعدة فاتحة كتاباتي الى الجامعة لانها فاتحة الطب وخاتمته وعليها تبنى قواعد الهيجيين على وجه الاجمال .

وانما قلت ذلك لان النظافة هي مدار علم الهيجيين كما نعلم. فالمكانس لتنظيف المنازل من الفضول والاوساخ . والماء لتنظيف الاجسام والامتعة والمنازل. والهواء لتنظيف رئة الانسان من الفضول التي تجمع فيها.

ولا انكر ان هذه القاعدة تنقص دعامة اخرى وهي نور الشمس . فان نور الشمس لازم للهيجيين لزوم الهواء والماء واذا اضيف نور الشمس الى المكانس والهواء والماء واحسن استعمالها جاز ان نضحك من الاطباء وان اصابني رشاشة من ذلك .

اقول هذا ولا اجهل ان كثيرين من رصفائي ينظرون هنا اليَّ شزرًا فسواء لدي رضوا ام لم يرضوا لاني اقول الحق الذي لا مراء فيه وهو ان الطب قاصر في هذا الزمان وقلما يفيد افادة حقيقية في غير علم الجراحة وعلم الهيجيين والتلقيح وهي العلوم الثلاثة التي هي في الحقيقة فخر الطب وشرفه ولولاها لكان ظنونًا واوهامًا .

وسيكون معظم كلامي في الجامعة مقصورًا على العلم الثاني اي علم الهيجيين واترك العلمين الآخرين لعدم احتياج القراء اليهما

***

هيجيين الاطفال في الحر اهم ما تعتني به الجامعة في ابحاثها الاولاد وصلاح حالهم فوجب عليَّ مجاراتها وتقديم الكلام على هيجيين الاطفال فانهم في الحقيقة عدتنا

ورأ سمالنا ومستقبلنا فى هذا العالم. والحر شديد الآن في سوريا ومصر فكلامي اذًا في حينه لذلك اقول

على الام ان تغسل طفلها بالماء الحار (الفاتر) مرتين في كل يوم مساءً وصباحاً وذلك بمسحه باسفنجة واذا كان ضعيف البنية فلتغطسه مرتين بالماء الفاتر النقي بعد ان تمزج به شيئاً يسيرًا من الخل ولتعلم الام قبل كل شيء ان صحة ولدها بل حياته تتوقف على نظافته ·

لا تشديه باللفائف فانها تزيد وطأة الحر عليه وتحول دون نمو جسمه · واجعلي الملابس الملامسة لجسمه من الصوف لتمتص الفضول عن بدنه فلا تبقى عليه · اما باقي الملابس فلتكن خفيفة واسعة لتكون اعضاؤه مطلقة تتحرك كيفما يشاء ولا تخافي ان تتشوه اعضاؤه من غير تقميط ولف باللفائف فان الحيوانات لا تقمط صغارها ومع ذلك فلا تتشوه اعضاؤها · بدلي ملابسه مرتين في النهار واحدة في الصباح وواحدة في المساء · وليكن سريره في غاية النظافة واياك ان تنشري في غرفته شيئاً مبتلاً من ملابسه حتى ينشف فيها فان ذلك يفسد عليه هواء غرفته

ويجب ان ينام وحده في غرفة واحدة وفي ساعات معينة وذلك بدون هز سريره ولا هزه بين ذراعيك فان عادة الهز الفاشية عندنا غير ضرورية للاولاد كما تظنين · واحسن منها ان تنشدي له اناشيد لطيفة ينام على نغمها فان ذلك مما يستحب للاولاد اذا كان النشيد لطيفاً بصوت لطيف وقول ادبي محض لا كما يسمع كثيرًا على أسرة الاولاد من الاغاني غير اللائقة · فان الولد اذا كان لا يفهم عند ذلك ما في هذه الاغاني من الخروج عن حد الحشمة فسيفهمها و يؤذيه فهمها واذا لم يفهمها هو ففي البيت اولاد غيره يسمعونها ويفهمونها · فاما اناشيد ادبية محضة واما ترك النشيد على الاطلاق

واياكِ ان تعطيه مخدرًا لينام حين يكون قليل النوم فانكِ بذلك تقتلينه قتلاً وكم من مئات والوف من الاولاد يموتون بهذه الجناية · واذا كان الولد قليل النوم كثير الصراخ فذلك دليل على انه جائع او مريض فاذا قدمت لهُ الثدي ولم يرضع فهو ولا شك مريض فنادي الطبيب في الحال ·

ضعيه في الهواء كثيرًا لانه شديد الحاجة للهواء النقي واعلمي انك تضرينه باقفال النوافذ عليه ووضع ستارة فوق ستارة على سريره · خذيه يتنزه في حديقة او على شاطئ

البحر او النهر · دعيه يشرب من الماء ما يشاء ولكن على شرط ان يكون هذا الماء خالصاً مغلياً على النار لقتل ما عسى ان يكون فيه من الجراثيم الضارة · ولتبريده قليلاً ضعيه على قطعة من الثلج من غير مزجها به واحذري ان تشتد برودته ·

دعي نوافذ منزلك مفتوحة في الليل والنهار للهواء ونور الشمس حتى يدخلا الى الولد فانهما نعمة ومن الضرر العظيم ان تمنعي عنه هذه النعمة بحجة وقايته فان هذه الوقاية تضره · نظفي كل زاوية في المنزل وشددي على خدمكِ لنزع كل ما في الاقبية من العفونات والفضول والاوساخ ولا تبقي ماء راكداً حول المنزل فانه يفسد الهواء على ملاكك ثمرة احشائك · واحذري ان تهملي المرافق (الكنيف) فانها تفسد هواء المنزل كله فاجعلي خدمك يحسنون غسلها ويضعون فيها في صباح كل يوم ومسائه شيئاً من كلور الكلس يبتاعونه من الصيدليات · واذا اهملت هذا فقد اسات الى صحة العائلة اعظم اساءة·

اما غذاء الطفل فلبنكِ (حليبك) لا غير · واذا كان لبنك قليلاً فلا تعمدي الى فطامه كما تصنعين عادة بل ابقي على ارضاعه مما عندك وزيدي عليه من لبن المعزى او البقر حسب ارشاد الطبيب واياك ان تسقيه شيئاً من ذلك بدون استشارته · لا ريب انك اذا اتبعت هذه النصائح ايتها السيدة واعتمدتِ على طبيب حاذق في العناية بطفلك تجتنبين مصاب الثكل ويبقى ولدك لك وللهيئة الاجتماعية · واذا اهملت امره جنيت على نفسك وعلى الهيئة الاجتماعية ايضاً اذ من يعلم اذا كان هذا الطفل الذي يموت بين يديك لاهمالك او لجهلك لا يكون في المستقبل لو احياه الله رجلاً عظيماً مفيداً لعائلته ولوطنه وللانسانية — (طبيب الجامعة)

(كلمات بيتية)

ضاق هذا الباب عن « الكلمات البيتية » فنرجو المعذرة من حضرة « مدبرة الجامعة »

الى حضرات المشتركين الكرام

هذه هي المرة الاولى التي نذكر فيها حضرات مشتركي الجامعة ببدل الاشتراك · فنرجو منهم ان يقدموها حوالة على البوسطة المصرية او على البوسطة الفرنسوية فنقدم لهم وصولات الاشتراك على عجل · ومأمولنا ان لا نضطر الى اعلان ثانٍ لحضراتهم وانا نوجه انظار فريق منهم الى اعلان من الادارة منشور على ظهر المجلة

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتاخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

وصف القسطنطينية

﴿ منذ ٥٦٥ سنة ﴾

للرحالة ابن بطوطة وقد زارها في سنة ١٣٣٤ الميلاد

رغبت الخاتون بيلون ابنة ملك الروم من السلطان اوزبك زوجها ان يأذن لها في زيارة ابيها ملك القسطنطينية (الاستانه)فسافرنا في العاشر من شوال في صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها . وكان عسكرها نحو خمسمائة فارس من المماليك والروم والترك ومعها من الجواري نحو مائتين اكثرهن روميات . فتوجهنا الى مدينة اكك وهي مدينة متوسطة كثيرة الخيرات شديدة البرد وعلى مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم شقر الشعور زُرق العيون قباح الصور اهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بسبائكها ووزن الواحدة منها خمس أواق

ثم بعد مسيرة ايام طوال وصلنا الى مدينة الفنيكة وهي صغيرة ولكنها حسنة مانعة قائمة على ساحل الخليج الثالث تخرقها الانهار وتحفها البساتين . فاقامت الخاتون ثلاثاً في قصر لابيها هنالك . ثم قدم اخوها في خمسة آلاف فارس لاستقبالها ووافاها اخوها الاكبر الى مدينة اخرى لاستقبالها ثم سرنا معاً فنزلنا على عشرة اميال من القسطنطينية فخرج السلطان وزوجته ام هذه الخاتون وارباب الدولة والخواص وجملة من الفرسان . وذُكر لي ان الخاتون لما قربت من ابويها ترجلت وقبلت الارض بين ايديهما ثم قبلت حافر فرسيهما . وكان دخولنا عند الزوال او بعده الى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط اصواتها :

وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينية بعثت الي الخاتون من يدخلني على السلطان ففتشوني لئلا يكون معي سلاح ورآني رجل هنالك وكان يهودياً فقال لي بالعربي : لا تخف فهكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وانا الترجمان واصلي من بلاد الشام . فسألته كيف

اسلم فقال : قل السلام عليكم . فدخلت على السلطان واسمه تكفور ابن السلطان جرجيس وابوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه ترهب . فسلمت فاشار الي ان اجلس فلم افعل فسالني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبته عن ذلك كله واليهودي يترجم بيني وبينه . فاعجبه كلامي وقال لاولاده : اكرموا هذا الرجل وامنوه

وطلبت منه ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى اشاهد عجائبها وغرائبها واذكرها في بلادي فعين لي ذلك . فاخذت اطوف المدينة . وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم فيه المد والجزر واسم هذا النهر ابسمى . واحد القسمين من المدينة يسمى اصطنبول وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وارباب دولته وسائر الناس . واسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح متسعة . واهل كل صناعة على حدة لا يشاركهم سواهم . وعلى كل سوق ابواب تسد عليه بالليل واكثر الصناع والباعة بها النساء . والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة اميال وعرضه مثل ذلك او اكثر وفي اعلاه قلعة صغيرة وقصر للسلطان . والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة . والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة

واما القسم الثاني منها فيسمى الغلطة وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح في قربه من النهر . وهذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه . وهم اصناف فمنهم الجنويون والبنادقة واهل رومه واهل افرنسه وحكمهم الى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونه القمص . وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية وربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابا . وجميعهم اهل تجارة ومرساهم من اعظم المراسي رايت به نحو مائة جفن من القراقر وسواها من السفن الكبار واما الصغار فلا تحصى كثرة واسواق هذا القسم حسنة يشقها نهر صغير قذر

اما الكنيسة العظمى فهي تسمى عندهم ايا صوفيا وهي من اعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة وابوابها ثلاثة عشر بابًا . ولا يدعون احدًا يدخلها حتى يسجد للصليب الاعظم عندهم الذي يزعمون انه بقية من الخشبة التي صُلب عليها عيسى وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة اذرع وقد عرضوا عليها

جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبا وذكر لي ان عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي الى مئات · وان بعضهم من ذرية الحواريين وان بداخلها كنيسة مختصة بالنساء · ومن عادة الملك وارباب دولته ان يأتوا كل يوم صباحاً الى زيارة هذه الكنيسة

وعندهم المانستارات وهي شبه الزاوية عند المسلمين للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منها احباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم · منها مانستاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى يطيف بهما بيوت احدهما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين او نحوها · ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من اوقاف معينة لذلك · ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي الى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها كثير من الابكار عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة فيها قلانيس اللبد وعليهن اثر العبادة فقال لي الرومي : ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهبن انفسهن لخدمة هذه الكنيسة

واهل المدينة من جندي وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤوسهم المظلات الكبار شتاء وصيفاً والنساء لهن عمائم كبار

وكنت يوماً مع الرومي المعين للركوب معي فاذا بي ابصرت الملك المترهب ماشياً على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد وله لحية بيضاء طويلة ووجه حسن عليه أثر العبادة وخلفه وامامه جماعة من الرهبان وبيده عكاز وفي عنقه سبحة · فلما رآه الرومي نزل وقال لي : انزل فهذا والد الملك · فلما سلم عليه الرومي سأله عني ثم وقف وبعث يسأل عني فجئت اليه فاخذ بيدي وقال لذلك الرومي : قل لهذا السراكنو يعني المسلم انا اصافح اليد التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قمامة وبيت لحم · ثم جعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم

ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الاتراك انها راغبة في المقام مع ابيها طلبوا منها الاذن في العودة الى بلادهم فاذنت لهم واعطتهم عطاء جزيلاً واجزلت عليّ العطاء واوصت بي احد امرائها فودعتها وانصرفت · فكان مدة مقامي عندهم شهراً وستة ايام · (انتهى ملخصاً)

باب الاخبار العلمية

﴿ الهواء والماء في القمر ﴾ اختلف علماء الفلك في هل للقمر جو ام لا اي هل فيه هواء وماء او لا شيء من ذلك فيه . واكثرهم على انه بلا جو وحجتهم في قولهم هذا ان اشعة النور لا تنكسر اذا مرَّت على مقربة منه . ولكن المسيو لافي مدير مرصد باريز عرض على جمعية العلوم فيها صوراً للقمر فيها اكوام متحجرة من الرماد مجتمعة على فوهات البراكين في القمر ولا سبيل الى جمع هذا الرماد المنثور على الطريقة المذكورة الا بالهواء فالهواء اذاً موجود في القمر واذا وجد الهواء فغير بعيد ان يوجد الماء وما يتبعهما من الاحياء

﴿ تابوت التمدن ﴾ اخترع بعضهم فراشاً يوضع عليه الميت في المنزل وسماه تابوت التمدن . وهو مؤلف من صندوق يشبه التابوت ضمنه فراش لين تحته مواد تنقي الهواء وتقتل جراثيم المرض اذا كانت الوفاة بعلة معدية فاذا شاء اهل الميت ابقوا الفراش مكشوفاً واذا شاؤوا اغلقوا عليه غطاء الصندوق

﴿ درع للمدافع السريعة الطلقات ﴾ اخترع الاميركيون درعاً للمدافع السريعة الطلقات توضع وراء المدافع ومن ورائها يطلق رجال المدافع القنابل فاذا انفجر المدفع لسرعة الاطلاق وقتهم هذه الدرع شر الانفجار. ولكن اذا كان لهذه الدرع هذه الفائدة فلها ضرر وهو انها تعوق الذين وراءها عن اطلاق المدافع بالسرعة المطلوبة

﴿ آلة لحلب الحيوانات ﴾ صنع الالمانيون آلة لحلب الحيوانات كالبقر والماعز وما اشبهها . ذلك ان هذه الآلة تقبض على ثدي الحيوان وتتحرك حركة تشبه حركة اليد عند حلب البقرة صعداً وسفلاً وفيها مجرى للحليب يجري منه الى اناء تحته غير مكشوف للهواء فيصان اللبن بذلك ان يمر بالهواء فتعلق به الجراثيم الطائرة فيه

وتضيق صفحات الجامعة كلها عن تعداد سائر الاختراعات العلمية التي تظهر في كل شهر فامامنا الآن مجلة الاختراع وفيها بيان الاختراعات الالمانية التي ظهرت في شهر يوليو فقط فاذا بها ٣٨ اختراعاً كلها اهم من هذا الاختراع او مثله . وفيها ايضاً بيان الاختراعات

الاميركية التي ظهرت في الشهر نفسه وعددها ٣٦ اختراعاً اولها اختراع الدرع المذكورة انفاً هذا فضلاً عن الاختراعات التي ظهرت لدى الامم الاخرى مما يستغرق وصفه اجزاء من الجامعة ·

﴿ الهواء ماء ﴾ علم القراء اختراع المسيو درسونفال الفرنسوي طريقة لجعل الهواء سائلاً كالماء · وقد خطب اخيراً المستر تريلر الاميركي في نيويورك فقال ان العالم داوار الانكليزي انفق منذ ٤ سنوات ١٥ الف فرنك حتى صنع من الهواء اربع نقط من الماء اما اليوم فان المستر تريلر يستطيع ان يصنع من الهواء ٢٥٠ ليترماء في اليوم ثمن اللتر الواحد ٢٢ سنتيماً فقط · وفي رايه ان الهواء السائل سيقوم في مستقبل الزمان مقام الفحم فيصنع في الصناعة اموراً لا تتصورها العقول الآن وربما فاقت قوته اقوى الآلات الكهربائية ·

﴿ اعداء التلغراف ﴾ وضع احد الكتاب مقالة في مجلة المجلات عدَّد فيها اعداء التلغراف · ومما قاله ان من اعدى اعداء التلغراف طيوراً في اميركا تنقر القوائم الممدودة عليها الاسلاك وتقيم فيها اعشاشها وبذلك تضعف القائمة فربما القاها على الارض هبوب الريح عليها · ومن اعدائها نوع آخر من الطير يسمع صوت الاهتزازات الكهربائية في القوائم المذكورة فيحسبها نوعاً من الديدان اعتاد الاغتذاء بها فياخذ ينخر هذه القوائم بمنقاره حتى يجوفها فلا يجد فيها شيئاً فتسقط القوائم لاقل طارىء يطرأ عليها · وكذلك الدب وغيره من الحيوانات فانها تسمع الاهتزاز الكهربائي في القوائم فتحسب فيها قفير نحل فيحملها حب العسل على التحكك بهذه القوائم وطرحها على الارض ظناً ان العسل في اسفلها · ومن هذه الاعداء طيور تبني اعشاشها على الاسلاك بواسطة الياف الشجر تعلقها بها عليها فاذا وقع المطر سرت كهربائيات الاسلاك بعضها الى بعض فتحول مجراها فرب رسالة مرسلة الى فيلادلفيا تصل الى مكتب سان فرنسيسكو · ومن الد اعداء التلغراف المتوحشون الذين يهاجمون الاسلاك البرقية والقوائم فيقطعونها ويقتلعونها فيصنعون من الاولى اقراطاً واساور لنسائهم واولادهم ومن الثانية حطباً لمواقدهم او رماحاً يحاربون بها اعداءهم

قال كاتب هذه المقالة · فاذا عم استعمال التلغراف بلا سلك قهر التلغراف هؤلاء الاعداء كلهم

باب الاسئلة والاجوبة

(الخاتم النبوي)

(دمياط) ك . ل

هل يوجد الآن الخاتم الذي كان يختم به صاحب الشريعة الاسلامية واين مكانه

(الجامعة) قال ابن الاثير في تاريخه الكامل ما نصه بالحرف الواحد:

« في سنة ثلاثين هجرية وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر اريس وهي على ميلين من المدينة وكانت قليلة الماء فما ادرك قعرها بعد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما اراد ان يكاتب الاعاجم يدعوهم الى الله تعالى فقيل له انهم لا يقبلون كتاباً الا مختوماً فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمل له خاتم من حديد فلما عمل جعله في اصبعه فاتاه جبريل فنهاه عنه فنبذه وامر فعمل له خاتم من نحاس وجعله في اصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله في اصبعه فامره جبريل ان يقره فاقره . وكان نقشه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر . فتختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ثم تختم به ابو بكر حتى توفي ثم عمر حتى توفي ثم تختم به عثمان ست سنين فحفروا بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين فقعد على راس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر فطلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به واغتم لذلك غماً شديداً فلما يئس منه صنع خاتماً آخر على مثاله ونقشه فبقي في اصبعه حتى قتل فذهب الخاتم فلم يدر من اخذه » انتهى

(التأبين)

(الاسكندرية) احد القراء

من وضع عادة التأبين والثناء على الميت فوق نعشه

(الجامعة) الغالب ان هذه العادة رومانية ويقول آخرون انها يونانية . وقد اختلف المؤرخون في من وضعها عند اليونان فذهب بعض مؤرخيهم ومنهم انا كريمين ان واضعها هو الحكيم صولون واذا كان هذا صحيحاً كانت هذه العادة يونانية لان صولون عاش قبل فالاريوس الروماني الذي وضع هذه العادة عند الرومان

وبيان ذلك بالايجاز ان فالاريوس هذا ويسميه المؤرخون بوبليكولا ومعناها « الذي يكرم الشعب » كان قنصلاً لجمهورية رومة مع بروتوس الذي يلقبونه « ابا الحرية » وذلك بين سنة ٥٠٠ وسنة ٥٠٦ قبل المسيح · فقتل القنصل بروتوس في حرب بين الرومانيين والتوسكانيين وكان عزيزاً جداً على الرومانيين فوقف رصيفه القنصل فالاريوس قبل حفلة الجنازة وبعدها فاثنى على بروتوس وعدد مناقبه · فاستملح الرومانيون هذه الطريقة واخذوا بها من ذلك الحين وهذا التابين هو اقدم تابين قيل في اليونان والرومان ان لم يكن الحكيم صولون هو الذي وضع هذه العادة كما اشرنا اليه آنفاً

بناء الاسكندرية

(القاهرة) احمدافندي صالح

متى كان بناء الاسكندرية

(الجامعة) لا باس اولاً من ذكر ما رواه المسعودي عن بناء الاسكندرية في كتابه مروج الذهب قال ما خلاصته :

« لما استقام ملك الاسكندر المكدوني سار يختار ارضاً صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موقع الاسكندرية فاصاب فيها اثر بنيان وعمداً كثيرة من الرخام فبعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالاً وحشد اليها العمد والرخام والمرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقيه واقريطش واقاصي بحر الروم ورودس · ولما اثبت اساسها وجن الليل عليها خرجت دواب من البحر فهدمت جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين اصبح : « هذا بدء الخراب في عمارتها » وما زال البنائون يبنون في النهار ودواب البحر تهدم ذلك في الليل حتى اتى الاسكندر بتابوت من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمسة وجُعلت فيه جامات من الزجاج وامسك التابوت كله بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان معه من كتابه ممن له علم باتقان التصوير · ثم امر فاخرج التابوت بهم الى لجة البحر وعلق بالتابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلاً اذ كان من شانه لما فيه من الهواء ان يطفو فوق الماء · فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فاذا هم بشياطين على مثال الناس في ايديهم فؤوس ومناشير ومقامع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة · فاثبت الاسكندر ومن معه صورهم بدقة واحكام ثم شدوا الحبال فجذب التابوت الى وجه الماء فساروا الى الاسكندرية

وصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما صوره الاسكندر وصاحباه ووضعوا هذه التماثيل على العمد بشاطئ البحر فلما ظهرت الدواب ورأت صورها رجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك »

انتهت رواية المسعودي وقد ذكرناها فقط على سبيل التفكهة للقراء

اما تاريخ بناء الاسكندرية فسنة ٣٢٢ قبل الميلاد بعد فتح الاسكندر مصر . وقد اقامها الاسكندر على انقاض قرية صغيرة تدعى عند اليونان « راخوتيس » وعند قدماء المصريين (راخونده) وسماها باسمه وعهد ببنائها وتنسيقها الى دينوكراتيس المهندس الشهير فجعلها على شكل رداء يوناني بين البحر وبحيرة مريوط . وملأ البحر بينها وبين جزيرة فاروس بالتراب فمنه كان مرفأها . وللاسكندرية ذكر عظيم في تاريخ التمدن يقتضي ان نفرد له فصلاً مستقلاً نشفعه برسم الاسكندرية القديمة والاسكندرية الحديثة

صدى المجلات

نشير في هذا الباب الى اهم ما يرد في المجلات العربية من المباحث العلمية والادبية مما نستطيع الوقوف عليه ويتسع المجال لذكره فيكون بياناً وجيزاً للحركة العلمية والادبية

(المقتطف)

انقطع عنا المقتطف شيخ المجلات الشرقية لاسباب لا نعلمها فلم نرَ بدًّا من وضع اسمه في موضعه من صدر هذا الباب لانه لا يليق ان يخلو من ذكره

(المشرق) الجزء ١٧ سنة ٢

مصدر بمقالة عنوانها « منارة الساعة العربية في بيروت » . ثم مقالة في « خطر الكلوروفورم » ذكر فيها كاتبها موت شاب جريح في بيروت لعدم احتماله الكلوروفورم واشار باستعمال مادة الايثير بدلاً منه « لخلوها من مضاره وجمعها لمنافعه المخدرة » اقتداء بجراحي ليون وبوستن وباريز . ثم فصل شائق موضوعه « النحل وجناها » لحضرة الاب الفاضل لويس شيخو ذكر فيه ان الله وصف الشام لشعبه بكونها ارضاً تدر لبناً وعسلاً لامتيازها بكثرة عسلها وكان العسل من اسباب ثروة سوريا وكان الفينيقيون يتاجرون به . ثم تمنى لو عاد

السوريون الى تربية النحل فان نفقاتها يسيرة بازاء ارباحها الكثيرة · ثم فصل طويل لحضرة رشيد افندي الشرتوني في الرد على مجلة الضياء وما كتبته بشان لغة الجرائد واهم ما فيه ان الكاتب يشير على الضياء ان لا ينتقد كلام المتقدمين من العرب بل ان يتخذ اغلاطهم حجة لتجويز ما جوزوه · ولا نكاد نرى جزءًا من المشرق خاليًا من الكلام عن الضياء فذكرنا قول بعضهم «لاعداء في العلم» الا ان الاخذ والرد بين الضياء والمشرق في غاية اللطف والادب

(الضياء) الجزء ٢٤ السنة ١

مقالة في اسرار العين وفيها رسم يدل على « انه اذا نُظر الى شيئين متشابهين بحيث ان محوري البصر يلتقيان في احدى نقطهما رؤي الشيئان شيئًا واحدًا » ثم فصل في « التبريد في الصناعة » وردت فيه اهم الاغراض التي يستخدم لها التبريد · منها « صنع الثلج ويقدر ان ما ينفق منه في العالم كله يبلغ عشرة ملايين كيلغرام في اليوم » ومنها « صناعة الجعه (البيره) منعًا لارتفاع درجة الاختمار ومنها حفظ المطاعم المعرضة للفساد كاللحم واللبن المجمد واخراج الصابون ونحوه من قوالبه وعمل الديناميت وتربية دود القز عند ارادة تاخير النقف اذا تاخر تفطر التوت » ثم فصل في « اختراعات كوريا » ثم نبذة في الرثية (الروماتزم) روى كاتبها ان رجلاً اصيب بالروماتزم في ظهره فما ذهب الروماتزم الا بلسع النحل ثم اصابه في ركبته فاتى بنحلة ووضعها عليها فلسعته فذهبت رثيته

(الهلال) الجزء ٢٣ السنة ٧

مقالة في « الديانة التاوية » من ديانات اهل الصين منشئها الفيلسوف العظيم « لاوتسي » كان معاصرًا لكونفوشيوس ويعتقد الصينيون « ان والدته حبلت به بقوة فائقة الطبيعة فلبث في بطنها اثنتين وسبعين سنة فلما وضعته كان شيخًا شاب شعره وسموه « الصبي الشيخ » وفي هذه المقالة رسوم جميلة · ثم نبذة في نبات التبغ ورسم هذا النبات في ختامها نصيحة للمدخنين ان يتركوا هذه العادة القبيحة فان في الدخان « مادة سامة اسمها النيكوتين اذا وضعت نقطة واحدة منها على لسان كلب او هر مات حالاً » فاذا تركوا التدخين تحسنت صحتهم « يقول ذلك عن اختبار وتجربة » وفي باب السؤال والاقتراح يستاذن احد الادباء بالهند في ترجمة « ارمانوسة المصرية » الى اللغة الهندية وغني كريم من الاسكندرية يقول « اني امتلك منزلاً بشارع العطارين بالاسكندرية ايراده الشهري

مئتا فرنك فاذا عُقد مؤتمر اسلامي في مكه لتايد الجامعة الاسلامية وقفت هذا المنزل لبعض لوازمه "

(الطبيب) الجزء ٤ السنة ١١

مصدر بفصل في " الحمى الملارية ومعالجتها بالحقن بمحلول ملح الكينا في الدم " يقول كاتبها انه شفى مريضاً بهذه الحمى بالعلاج المذكور آنفاً . ثم مقالة في « الهواء السائل . خواصه ومنافعه الطبية » ومن خواصه الطبية « انه يفعل فعل مخدر موضعي ويمنع النزف مدة العمل الجراحي وينجح في علاج الجمرة الوجهية » على انه لا يضاد الفساد ولا يقتل المكروبات بنفسه " بل بما يحدثه من الاصلاح في الانسجة وتقويتها وله عند وضعه على الحبل الشوكي نفع جزيل لا ينكر بتوقيف بعض العلل العصبيه " وفي هذا الجزء فوائد كثيرة منها ان " الكلب داء عصبي " ناشيء عن سم خصوصي يدخل الى المراكز العصبية عن طريق الدم وان بعض الاطباء عالجوا الفالج « بالتمرين البدني وتمغيط الاعصاب فوجدوا به فائدة تذكر »

(الحياة) الجزء ٤ السنة ١

مقالة في " هل الاسلام مستمد روحه من الافكار التي كانت سائدة في زمانه " وفيها ردٌّ على الشبهة الاولى التي القاها المسيو برتلو على الاديان بقوله ان ما جاء به واضعو الشرائع الدينية كان موجوداً في زمانهم . وفصل في الجامعة الاسلامية مختتم بحكم صائب وراي اصيل . ومما نذكره بالشكر لحضرة الفاضل مدير هذه المجلة انه جعل مازاد من ايرادها عن نفقتها وقفاً في سبيل البر والاحسان مما يدل على انه يطلب العلم لذاته ولعل الحياة اول مجلة قامت في الشرق ونهجت هذا النهج القويم

(العائلة) الجزء ٩ السنة ١

مقالة عنوانها «هو وهي او هي وهو» فيها طلب حقوق الرجال للنساء ونبذة في حرية الافكار لحضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد ينكر عليك ان تقول كل ما في ضميرك لان ذلك يسيء من لا يعجبه اعتقادك فيه « وآيته الذهبية ان لا يقول الانسان كل ما في ضميره الا اذا كان ملزماً ان يقوله » وقد اصاب في حكمه . ثم فصل في شجاعة النساء وقت الشدة

باب التقريظ والانتقاد

*** المراة في الجاهلية *** اهدت الينا ادارة مجلة الضياء الغراء كتاباً بهذا العنوان بقلم حضرة الكاتب المجيد حبيب افندي الزيات الدمشقي . ولا ريب ان كل من يطالع هذا السفر يرى المشقة التي عاناها الكاتب في جمع مواده . فنثني على براعته وحسن اختياره للمواضيع الطلية الجديدة . وربما عدنا الى هذا الكتاب

*** مرشد الصغير *** ما كل الكتب التي يؤلفها المؤلفون لتعليم صغار الطلبة اصول القراءة والكتابة العربية كهذا الكتاب . فان حضرة مؤلفه المعلم البارع جبران افندي نعمة الله ناظر مدرسة الاقباط الارثوذكسية بالاسكندرية قد نحى في تاليفه منحى يهون الصعب على التلميذ في تلقن اصول القراءة والكتابة وزاد على ذلك انه شرح الكلمات برسوم تساعد الولد على فهم ما يقرأه . فاذا قرأ الولد « اسد » راى بازائها صورة الاسد فعلم ما هو واذا راى « راع » راى بازائه رسم رجل يحمل عصا وبجانبه خروف وهلم جرًّا مما يكون فيه للطالب مع فائدة الحفظ واعمال الذاكرة لحفظ المفردات وتركيبها فائدة الفهم واعمال القوة المدركة لفهم معانيها وتمييزها بعضها عن بعض فنثني على اجتهاد مؤلفه ونرجو ان يتحف المدارس بكتب اخرى على شاكلة هذا الكتاب في النفع والسهولة

*** المصباح *** صدرت جريدة المصباح الغراء لحضرة صاحب امتيازها عزتلو جان بك نقولا نقاش بحجم جديد بعد احتجابها مدة من الزمان والاعداد الاولى التي صدرت منها الى الآن طافحة بالفوائد والاخبار المختلفة يحررها حضرة الكاتب الاديب ابرهيم افندي نجار فنرجو للمصباح ان لا يكون في دوره الجديد اقل نورًا منه في دوره القديم ونتمنى له النجاح والاقبال

وقد وجه المصباح انظار قرائه في العدد الاول الى مقالة وعد بنشرها في العدد الثاني لحضرة القانوني البارع والكاتب الفاضل انطون افندي شحيبر ولم ينشرها الى الآن فعسى ان لا يضن حضرة الفاضل انطون افندي شحيبر على اصدقائه الادباء من قراء المصباح بنفثات بيانه التي ضنَّ بها على قراء الجامعة . وليس هذا تبلام ولكنه عتاب الحب والوداد

تاريخ الاسبوعين

اهم الاخبار الخارجية

فرنسا — حُكم على دريفوس بالسجن عشر سنوات فاستانف الحكم وطلبت الطان والديبا العفو عنه فصار مجلس الوزراء ينظر في مسالة العفو

انكلترا — ارسلت انكلترا انذارًا نهائيًا الى الترانسفال وقد صارت الحرب على الابواب

الضيق والمرض سائدان في افريقيا الشرقية الانكليزية بسبب المجاعة

نزلت الامطار في الهند فزال الخوف من الجدب

الولايات المتحدة — خطب الرئيس ماكنلي فاثنى على الجيش واعلن انه لا يخابر الثائرين قبل اخماد ثورتهم

قرر الجنرال اوتيس منع الصينيين من المهاجرة الى فيلبيين

النمسا — جاء في تقرير وزير الزراعة في هنكاريا ان محصولات الحبوب تنقص في هذ السنة ٩٧ مليون هكتار

اسبانيا — لا صحة لما ذكر عن ظهور الطاعون في اسبانيا

المانيا — استعفى وزير الداخلية ووزير الاديان

اهم الاخبار الداخلية

❊ احتجاج الباب العالي ❊ ارسل الباب العالي الى لندرا احتجاجًا شديدًا على الوفاق الذي عقد بين انكلترا وفرنسا بشان افريقيا والاراضي التي وراء طرابلس الغرب ·

❊ صلاة الاستسقاء ❊ بالنظر الى نقص النيل في هذا العام امر صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر الشريف ان يتلى في الجوامع صلاة الاستسقاء التماسًا لرحمة الله وقد ثبت انه لم يحدث في هذا القرن نقص في فيضان مياه النيل اشد من نقص هذا العام

❊ الثورة في السودان ❊ ثار الشريف وولدا المتمهدي بشري والفضل على الحكومة في بشكابه في مديرية سنار بالسودان فالقي القبض عليهم فحاول السودانيون انقاذهم فجرى قتال بينهم وبين جنود الحكومة انجلى عن قتل ١٧ منهم واسر ٥٠ رجلاً · ثم اعدم الثائرون الثلاثة رميًا بالرصاص بعد محاكمتهم في مجلس حربي وقتي

❊ الطاعون ❊ توفي بالطاعون فتى مسافر من الثغر على باخرة فرنسوية

قاصدة بيروت فانزل ركابها الى محجرها والمراقبة شديدة عليهم . وصل هذا الوباء الى ميناء بيروت مع انه لم يصل الى رمل الاسكندرية وقد انقضى اليوم تسعة ايام وهي سليمة منه

☼ المسالة الغريبة ☼ القت الحكومة القبض على امرأة ايطالية في العاصمة وجدوا عندها فتاة عمرها عشر سنوات مسجونة على سطح منزلها منذ ثلاث سنين وهي تعذبها وتضربها وتصب عليها الماء البارد . وادعت المرأة اولاً انها ابنتها ثم انكرت ذلك ولا يزال التحقيق جارياً والمسالة لا تُعرف حقيقتها

وفيات

☼ البطريرك الاسكندري ☼ فُجع الكرسي الاسكندري للروم الارثوذكس بوفاة غبطة السيد الجليل البطريرك صفرونيوس . اجاب داعي ربه بعد ظهر اليوم الواقع في ٣ الجاري فكان لوفاته دوي في القطر وقد جرت جنازته في الثغر باحتفال رسمي عظيم ثم نقلت جثته رحمه الله الى العاصمة حيث دفنت فيها باحتفال عظيم ايضاً . وقد ولد الفقيد في الاستانة في اواخر القرن الماضي بين سنة ١٧٩٨ وسنة ٩٩ وعين اسقفاً لصاقس في سنة ١٨٤٠ وانتخب بطريركاً للاستانة في سنة ١٨٦٥ ثم استقال لوقوع الخلاف بين الكنيسة اليونانية والكنيسة البلغارية فانتخب في سنة ٧١ بطريركاً الاسكندرية فيكون قد انقضى عليه ٢٨ سنة وهو يدبر شؤونها . وقد توفي وعمر غبطته ١٠٠ سنة فراح شيخاً مهيباً جليلاً شبع من الايام وقام بما يستطيع القيام به نحو طائفته . رحمه الله عداد حسناته ومنّ على الطائفة بخير خلف من بعده

وقد انتخب رؤساء المجلس البطريركي الاسكندري حضرة الاب ملاتيوس ابوستوبلو نائباً بطريركياً الى حين انتخاب البطريرك الاسكندري فرفع فريق من الاكليروس اليوناني العثماني احتجاجاً على هذا الانتخاب الى الحكومة المصرية ومندوب الدولة في مصر لان حضرة الاب غير عثماني وبعد اخذ ورد وافقت الحكومة على انتخابه نائباً بطريركياً على شرط ان يتنازل عن جنسيته اليونانية .

☼ زاهي جرجوره ☼ فجع آل جرجوره في مصر والشام بوفاة الشاب الاديب المأسوف عليه المرحوم زاهي جرجوره . توفاه الله في الرابعة والعشرين من عمره فكان الاسف شديداً على ذكائه وشبابه تغمده الله بالرحمة والرضوان والهم حضرات آله جميل العزاء والسلوان

غذاء المعد القوية

(شذرات ادبية)

ليس شيء اصلح للناس من اولي الامر اذا صلحوا ولا افسد لهم ولانفسهم منهم اذا فسدوا «اريسطو»

مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل اعمى بيده سراج يستضيء به غيره وهو لا يراه «امثال العرب»

سعيدٌ من نظر الى حوادث حياته فوجد انه كان في جانب الحق دائمًا ولو كان في ذلك مخالفة مصلحته «جول سيمون»

ذو الشرف لا تبطره منزلة نالها وان عظمت كالجبل الذي لا تزعزعه الرياح. والدنيء تبطره ادنى منزلة كالكلاء الذي يحركه مر النسيم «امثال العرب»

لا يزيل كسل المراة الكسولة الا النفخة او الحب . اما المراة النشيطة فكسلها دليل على انها تحب «لا بروبير»

اضعف الناس من ضعف عن كتمان سره . واقواهم من قوي على غضبه . واصبرهم من ستر فاقته . واغناهم من قنع بما تيسر له «امثال العرب»

عجبت لمن يطلب امرًا بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة «معاوية»

يوجد عالمان . واحد ندخل اليه ولا نعود منه وواحد نخرج منه ولا نعود اليه . في الثاني الملذات وحسن الصيت والخيرات والاملاك وفي الاول احتقارها كلها. لا بروبير

غذاء المعد الضعيفة

(شذرات فكاهية)

بين صديقين ـ قال الاول حسبت انك تزوجت بفريدة . فقال الثاني اردت ذلك ولكن العائلة رفضت. قال وفريدة ماذا كان رايها قال — اليست من العائلة ؟

نار لا تطفأ — ادب جنود المطافىء في كونس مادبة حضرها نساء فشرب احدهم نخبهن فقال : اشرب نخب النساء اللواتي تشعل لحاظهن نارًا لا تطفئها مطافئنا

بين حلاق ورجل — قال الحلاق وهو يحلق لرجل لا تتحرك ياسيدي والا انقطعت عنقك . فاجاب الرجل لا خوف من ذلك بهذه الموسى

شدة الانتباه — دخلت امراة الى طبيبة اسنان لقلع ضرسها فقالت لها الطبيبة انه يجب تنويمها بالبنج لعمل العملية . فمدت المراة يدها واخرجت كيس النقود فقالت الطبيبة لماذا تدفعين الآن الاجرة ياسيدتي فقالت -- لا ادفع الاجرة الآن وانما اعد ما معي من النقود قبل تنويمي

جمع الآثار ـ قال صديق لصديقه عند عمي من جميع الآثار الغريبة اهمها قطعة من فلك سيدنا نوح عليه السلام فاجاب الثاني اما عمي فبين اثاره احد الابواق التي سقطت على صوتها اسوار اريحا .

الفصل الاول

(بطل هذه الرواية)

فيلله كوتريه بلدة عند حدود بيكارديا وسواسونيز قائمة في وسط غابة متسعة الارجاء تمتد الى الشمال والجنوب بشكل هلال ضخم وتتوارى وراء غابة واسعة غرسها فرنسيس الاول وهنري الثاني · اشتهرت هذه البلدة بكونها مسقط راس الكاتب الفرنسوي الشهير البير ديموستيه الذي كان في بداية هذه الرواية ينشر كتباً بعنوان « رسائل الى اميلي » كانت تتخاطفها حسان ذلك الزمان و يقرأنها بار تياح شديد

وزيادةً في وصف هذه البلدة نقول انها مسقط راس اسكندر دياس نفسه فضلاً عن انها على فرسخين من لا فيرتي ميلون حيث ولد الشاعر راسين وعلى ثمانية من شاتو تياري حيث ولد لافونتين · زد على ذلك ان ام راسين نفسها من هذه البلدة ايضاً

في وسط هذه البلدة بازاء القصر الملكي القائم فيها بيت تكتنفه حديقة واسعة تبرز رؤوس اشجارها من فوق الجدران فتفرش الطريق في الربيع زهراً طيب الرائحة

وكان هذا البيت للراهب فورتيه راهب القصر الملكي وكاهن الكنيسة القائمة بازائه وهو يقيم فيه اي في البيت مدرسةً لابناء البلدة وغرضنا الآن الدخول الى هذه المدرسة ولكن هوذا الاولاد يخرجون من المدرسة قبل دخولنا اليها · فانه ما سُمع قرع جرس في الداخل حتى فُتح باب المدرسة فتحاً شديداً واندفع منه عشرات من التلامذة وهم يصرخون ويثبون · وكان هئولاء التلامذة يسمون فريق اللاعبين · لان اولاد هذه المدرسة كانوا في ذلك الوقت كباقي رفاقهم في المدارس الاخرى ثلاث فئات · فئة يسمونها اللاعبين وهم الذين يحبون الحركة والوثب والالعاب على اختلافها ويسمونهم " الاشقياء " وفئة لا لاتلعب ولا تثب بل تلزم الهدوء وسكينةً تقرب من البلادة ويسمونهم "العقلاء" وفئة ثالثة تقيم على المقاعد في قاعة الدرس تتثاءب طول الوقت وراء الكتب التي امامها حين يكون باقي التلامذة في ساحة اللعب او في المنازل لتناول الغداء ويسمونهم " الكسالى " · ذلك ان اقامتهم في قاعة الدرس في غير اوقاته عقاب لهم على كسلهم

ففيما كان فريق اللاعبين يتواثبون ويلعبون في ساحة القصر امام المدرسة وفريق العقلاء يسيرون الى منازلهم بهدوء وهم يتلفتون الى رفاقهم كانهم ياسفون لعجزهم عن اللعب وفريق الكسالى يتثاءبون في قاعة الدرس وهم صامتون امام عريف يتولى مراقبتهم— كان على السلم المؤدية الى الباب الخارجي ولد واقفاً ذليلاً صاغراً بازاء راهب يرغي ويزبد حنقاً عليه وهو يقول

— اذهب ايها الشقي . اغرب عن وجهي ايها الحيوان البليد . اذكر انني صبرت عليك ثلاث سنين ولكن جهلك يذهب بكل صبر حتى بصبر الاب الازلي نفسه . خذ كتبك واذهب من مدرستي . اذهب الى جهنم الى الشياطين الى حيث تشاء على شرط ان لا ارى وجهك فيما بعد .

اما الولد فكان يقول متلطفاً صاغراً :

— ارجوك ياسيدي ان لا تغضب عليّ . أمن اجل بعض اغلاط صرفية تكدر خاطرك ياسيدي الراهب

فقال الراهب اذهب فلست اهلاً للشفقة . اغلاطك لا تحتمل . خمس اغلاط في الاشتقاق واربعة في التصريف في ثلاثين سطراً فقط . اذهب فاني لا اطيق ان ارى هذا الوجه .

قال الولد مولاي ان هذا من سوء حظي واني اعدك ان اصلح اغلاطي

قال وعدتني كثيراً من قبل اما الآن فقد عيل صبري فاخرج من مدرستي

فقال الولد متذللاً متباكياً عفواً عفواً يا معلمي يا استاذي

فصاح عند ذلك الراهب قائلاً : انا معلمك ؟ انا استاذك ؟ كلا لست معلمك ولا انت تلميذي . اني انكرك ولا اعرفك ولا اريد ان اعرفك فلا تذكرني فيما بعد واذا نظرتني فلا ارضى ان تسلم علي

فقال الولد مهلاً ياسيدي اذا كبر عليك جهلي فبكلمة منك الى سيادة المطران الذي يتولى امتحاننا ينقضي الامر بسلام

فصاح الراهب بغضب اخرس ايها اللئيم اتطلب مني ان اكذب ايضاً

فقال الولد اذا كذبت ياسيدي من اجل الخير فالله غفور رحيم

فاستشاط الراهب هنا غيظاً وقال : تعلمت الجدال ايضاً ايها الشقي قلت لك اخرج من هنا فان لم تفعل اخرجتك بهذا السوط على عجل

قال هذا ورفع السوط الذي بيده كما يرفع القائد حسامه في ساحة القتال ومد اصبعه الى الباب مشيرًا الى الولد ان يخرج

فعلم الولد انه لم يبق في القوس منزع فانحنى تحت يد الراهب خوفًا من السوط واتجه صوب الباب فعاجله الراهب بضربة من سوطه على ظهره فكانت كلمة الوداع

فخرج الولد من باب المدرسة وهو يبكي لالم الضربة ولخروجه من المدرسة وجعل يقول وهو سائر في طريقه : ماذا اقول الآن لعمتي وماذا تصنع بي متى علمت ان المسيو فورتيه طردني من مدرسته

وكان هذا الولد يدعى أنج بيتو وهو بطل هذه الرواية

الفصل الثاني

(العمة لا تكون حنونًا كالام دائمًا)

كان انج بيتو في بدء هذه الحوادث ولدًا في السابعة عشرة من عمره . وكان طويل القامة رقيقها بشعر اصفر ووجنتين حمراوين وعينين زرقاوين وشفتين ضخمتين تحتهما صفان نخيفان من الاضراس وما كانت تخيف الا الذين يقاسمونها غذاءهم . وكان في طرفي ذراعيه الدقيقتين المثبتتين في جسمه اثباتًا شديدًا كفان عريضتان سميكتان كأنهما نخباطان للثياب عند الصباغين او مذراران من التي يذرّ بها الفلاحون أكداس الحبوب . وكانتا تتدليان على ساقين له طويلتين في وسطها ركبتان ضخمتان كل واحدة منهما كرأس الولد تنتهيان بقدمين ضخمتين في حذاء من جلد العجل الاحمر كما كانوا يلبسون في ذلك الزمان

هذه هي صورة بيتو البدنية اما صورته الادبية فاليك بيانها

وُلد انج بيتو في قرية هارامون على فرسخ من فيلاله كوتريه وتوفي والده وهو طفل فنشأ في حضن امه التي كانت لا تحبه حبًا بل تعبده عبادة . فلما شب وترعرع صار همه صيد الطيور وتخريب اعشاشها في الاحراش المحيطة بقريته فبرع في هذا الشان براعة غريبة وفاق فيه جميع اولاد القرية . وكان الناس اذا راوه يتسلق الاشجار بتلك الخفة العجيبة اعجبوا به كثيرًا ولو كان في اقليم اقرب الى خط الاستواء لشارك القرودُ الناس في اعجابهم به وحسدته على خفته

وكانت امه تنظر بعين الرضى والمسرة الى اعجاب الناس به لذلك لم تحسب لمستقبله

حساباً ولم تفتكر بمصير ولدها بعدها · لكنها مرضت يوماً من الايام واحست بدنو اجلها فرات ان ولدها وثمرة احشائها سيصبح بعدها يتيماً وحيداً في هذه الحياة بدون سند ولا معين فاسودّت الدنيا في عينيها واخذت تفتكر في شخص تعهد اليه بالقيام على ولدها

فذكرت في ذلك الحين انه اتاها منذ عشر سنوات رجل في منتصف الليل وبين ذراعيه ولد صغير وعهد اليها ان تربي هذا الولد في مقابلة مال اودعه لدى المسجل في تلك القرية · ولم تكن تعرف من هذا الرجل سوى انه يدعى جيلبار · فقامت على الولد احسن قيام فربته مع بيتو ولدها وكانت تعنى بهما عناية واحدة · ولما ادرك الولد السبع سنين جاءها ذلك الرجل يطلبه منها

ولكنه كان هذه المرة رجلاً مهيب الطلعة حسن البزّة رزيناً هادئاً يخيل للناظر اليه ان عليه قشرة من الثلج لبرودته وجموده · على انه لما ابصر ولده ذاب هذا الثلج عنه واستسلم الى عواطفه الابوية · وقد راقه ما رآه في الولد من دلائل الصحة والنشاط واعجبه بالخصوص انها ربته في الطبيعة كما اوصاها بذلك فالتفت الاب اليها وقال لها

— لكِ ان تعتمدي عليّ حين الحاجة

ثم اخذ ولده واستدل على طريق (ارمانونفيل) حيث كان قبر جان جاك روسو فزار هذا القبر هو وولده ثم عاد الى فيلله كوتريه فسمع فيها ثناء على مدرسة الاب فورتيه فوضع ابنه فيها وترك لدى الراهب عنوان اقامته وسافر من تلك القرية

فلما دب الموت في مفاصل والدة بيتو كما مرّ بنا ذكرت هذه التفاصيل كلها وتذكرت بالخصوص قول ذلك الرجل — « لكِ ان تعتمدي عليّ حين الحاجة » فاستدعت كاهن القرية وعهدت اليه ان يكتب من قبلها كتاباً يبسط فيه حالها لذلك الرجل المجهول ثم ارسلت الكتاب الى الاب فورتيه فوضع عليه عنوان ذلك الرجل وارسله الى مكتب البريد ·

وقد جاء هذا العمل في حينه لان هذه المسكينة ماتت في غد هذا اليوم

وكان عمر بيتو اثنتي عشرة سنة · فبكاها بكاء مرًا · ولم يبكها لانه ادرك معنى الموت بل لانه رآها ممدودة امامه صفراء بلا حراك · فدله قلبه ان امه قد فارقته وان ملاكه الحارس قد طار عنه الى السماء · ولما اخذوا امه الى المدفن ورآهم بيتو ينزلونها في حفرتها الابدية وسمع وقع التراب والحجارة على نعشها اجهش بالبكاء وانطرح فوق القبر فحاول الحاضرون ان يرجعوه معهم فابى الرجوع وبقي فوق التربة قائلاً انه لا بد ان

يذهب الى حيث ذهبت امه . فالحوا عليه بالعودة معهم وحاولوا اجتذابه بالقوة فناح وصاح وانطرح على الارض وتوسل اليهم ان يتركوه مع امه فانه لم يفارقها دقيقة واحدة في الحياة فيجب عليه ان لا يفارقها ايضاً في الممات

فاقام بيتو المسكين فوق حفرتها نهاراً كاملاً وليلة كاملة

وفي الغد دخل الى المدفن رجل خطير الهيئة وهو الرجل الذي كتبت اليه ام بيتو قبل موتها . فانه لما وصله كتابها ادرك عظم الواجبات الادبية التي عليه للولد المسكين التي توصيه به فقام مسرعاً الى تلك القرية فقيل له انهم دفنوها وان بيتو اقام فوق قبرها . فجاء المقبرة كما ذكرنا وكان بيتو يعرف الرجل من زياراته لهم لما كان ابنه عندهم وكان يحبه ويرقص طرباً كلما زارهم لما يعلم من انه اصل هنائهم وسعة يدهم . فلما رآه بيتو قادماً عرف انه الملاك الذي ارسلته امه اليه . فاجهش بالبكاء ولكنه استسلم اليه وسار عائداً مع الرجل وهو يتلفت متزوداً من قبر امه نظرة الوداع . وكان على باب المقبرة مركبة في الانتظار فركباها الى بيت بيتو فعهدوا به الى بعض الجيران ثم سار الرجل ببيتو الى فيلله كوتره فنزلا في احسن فنادقها في ذلك الزمان وكان فندق « دوفين » فوجدا فيه خياطاً ينتظرهما ومعه ثوبان كاملان لبيتو فلبس بيتو احدهما وبعد الظهر اخذه الدكتور وسار به متجهاً نحو حي (لوبلو)

وكان بيتو كلما تقدم من هذا الحي قصرت خطاه وابطأ في السير ذلك ان قلبه دله على ان الرجل يسير به الى عمته التي كانت تسكن منزلاً في هذا الحي وكان لا يحبها

ولنقل هنا كلمة في عمة بيتو . واسمها مادموازل انجليك بيتو وهي امراة في الثامنة والخمسين من العمر . وكانت تظهر التقوى والتدين وتعيش من غزل القطن واحسان المحسنين اليها . وكان حبها للمال شديداً بقدر حرصها على حفظه . فانها كانت ما عدا غزل القطن واحسان المحسنين تؤجر مقاعد الكنيسة للمصلين بناء على تسامح الكاهن معها واذنه لها في ذلك فكانت تاخذ كلما تكسبه من هذه المصادر الثلاثة فتحول فضته ذهباً بتبديل العملة ثم تاخذ الذهب فتنزله في ثقب في مقعد كرسي قديم عندها تتخذها بمثابة خزانتها .

وكان يوم وصول الدكتور اليها يوم فرح عندها فانه بينما كان الاحتفال بجنازة اختها قائماً في كنيسة هارامون كان في كنيسة فيلله كوتره احتفال بعقد زواج وكان الحاضرون كثيرين فكان ايراد المقاعد في هذا الاحتفال كثيراً . ولما وصل الدكتور مع بيتو الى باب منزلها كانت تنزل في وسادة كرسيها من الثقب المعلوم الذهب الذي ربحته في ذلك النهار .

فدخل اليها الرجل وبيتو فلما رات ابن اخيها اظهرت البكاء فابلغها الرجل سبب زيارته لها فقال لها . ماتت زوجة اخيك عن هذا الولد ولا سند له في هذا العالم فخذيه يامدموازيل انجليك وربيه شفقة عليه وقياماً بما يجب عليك لاخيك

فنغرت انجليك فاها ونظرت الى بيتو شزراً ثم حولت وجهها عنه وقالت للرجل بغيظ ظاهر . انا فقيرة الحال لا استطيع اشباع هذا الولد فانه ياكل كثيراً ويتلف في كل شهر ثوباً .

فلم يستغرب الرجل هذا الرفض وكان يتوقعه لانه كان من انصار الافكار الجديدة وكان قد صدر في ذلك الوقت كتاب (لافاتير) في الفيزيونومي (علم الاخلاق من هيئة الوجه) فاراد الرجل اختبار تعاليم الفيلسوف (زوريخ) في هيئة العمة انجليك فبعد الفحص وجد ان العينين الصغيرتين المتقدتين والانف الطويل والشفتين الرقيقتين دليل على الشراهة والاثرة والرياء مجموعة في شخص واحد

وبما انه عرف الداء فقد سهل عليه معرفة الدواء . فقال للعمة انجليك . اذا كنت لا تقومين على تربية هذا الولد فانني ارى نفسي مضطراً الى ان اودع شخصاً غيرك المال الذي خصصته لتربيته

فلما سمعت العمة كلمة (المال) ابرقت عيناها الصغيرتان وانفتح فمها وانقلبت سحنتها فتقدمت من بيتو بهيئة حزن شديد وعانقته وهي تقول متباكية

— كيف لا اعتني به ولا اربيه ولم يبق لي من اخي اثر غيره

فضحك الرجل في نفسه وانتهى الامر بينه وبينها بعقد اتفاق الى خمس سنين سجلاه عند المسجل ومؤداه ان العمة انجليك تربي بيتو ابن اخيها في مقابلة ثمانية ذهب تاخذها من الرجل في كل سنة على شرط ان تعلمه حرفة ياكل منها خبزه في مستقبل ايامه . ودفع لها الرجل الثمانية ذهب الاولى فانقضت عليها العمة انجليك كما ينقض الاسد على فريسته وبعد ذهاب الرجل انزلتها الى حيث يعلم القارىء اللبيب

اما بيتو فتعلق بالرجل قبل سفره وقال له العيش صعب علي عندها ياحضرة الدكتور فقال الرجل . ولماذا يابني . قال لانها كانت لا تحب ابي ياحضرة الدكتور . فقال الرجل الذي كان يسميه بيتو دكتوراً لا تخش شراً يابني فاني كفيلك في كل امورك

وفي الحقيقة ان هذا الرجل كان دكتوراً كما سماه بيتو وقد علمنا من ام بيتو انه يدعى جيلبار فهو اذاً « الدكتور جيلبار »

وقد حققت انجليك ظنون بيتو فكانت تسيء اليه بشراسة ولم تعلمه حرفة كما اوصاها الدكتور بل جعلته يصطاد لها الطيور والارانب تاكل منها وتبيع وتهب للاب فورتيه الذي يتسامح معها في تاجير مقاعد الكنيسة فكان لها من ذلك لكرسيها الذهبية مورد رابع جديد فوق مواردها الثلاثة التي ذكرناها آنفاً

واقام بيتو على ذلك لا عمل له غير محاربة الارانب والطيور في احراش فيلله كوتره حتى جاء مسجل تلك القرية في يوم من الايام وذلك بعد انقضاء شهور على سفر الدكتور جيلبار فطلب من العمه انجليك بناء على كتاب من الدكتور ان تنفذ اهم شرط ورد في الاتفاق بينهما وهو تعليم بيتو حرفة ياكل منها خبزه في مستقبل الايام والا فان الدكتور يعتبر اتفاقهما بشان المرتب السنوي باطلاً لبطلان اهم شروطه فيسترد حينئذٍ المال الموضوع عند المسجل لتاخذ منه العمة انجليك الذهب الثمانية في كل سنة

فحزنت العمة انجليك ورات انها ستحرم المورد الرابع فطلبت مهلة ثمانية ايام حتى تدبر للولد حرفة يعمل بها . وبعد ان افتكرت يوماً او يومين سرى عنها حزنها لخاطر جديد خطر لها .

ذلك انها قالت في نفسها انها تلتمس من الاب فورتيه صاحب المدرسة في القرية ان يقبل حفيدها في سلك تلامذته ويعده لدخول المدرسة الاكليريكية فيخرج منها رئيساً لاحد الاديرة فتكون هي ولية امره ورئيسة عملة . فرقص قلبها طرباً لهذا الخاطر الجديد وسارت تريد الاب فورتيه

فطلبت منه ان يقبل حفيدها في مدرسته ويعده للمدرسة الاكليريكية فاجابها فدخل بيتو تلك المدرسة

وكان الاب فورتيه رجلاً كريماً شريف النفس يهب علمه مجاناً للفقراء عقلياً وماله للفقراء مالياً . الا انه كان شرساً شديد الغضب بشان الاغلاط النحوية والصرفية فانها كانت تخرجه عن دائرة الاعتدال واذا غضب ضرب ضرباً مبرحاً غير محترم كبيراً او صغيراً ولا حافظ كرامة غني او فقير . وكان لشدته قد كتب على سوطه هذه العبارة

« من يحب كثيراً يعاقب كثيراً »

وكان يفتح ذراعيه ويقول كسيده الاعظم « دعوا الاولاد ياتون اليَّ ولا تمنعوهم » انما كانت ذراعاه مسلحتين احداها بسوط والاخرى بعصا . وكثيراً ماحدث للاب فورتيه عكس ما كان يحدث ليسوع فقد كان يسوع يستقبل الاولاد باكين فيمسح دموعهم ويعيدهم

ضاحكين مسرورين اما الاب فورتيه فكان يستقبلهم خائفين مرتجفين فيعيدهم باكين معولين

ولما دخل بيتو الى مدرسة الاب فورتيه امتحنه الاب فورتيه فوجد عقله قاصرًا وكانت تساله العمة انجليك عن حاله ومصيره فيجيبها — ان اغلاطه النحوية والصرفية تدل على عجزه عن بلوغ غرضه فكانت العمة لا تفهم شيئًا من هذا الكلام

وكان بيتو يتردد على المدرسة في كل يوم الا يومي الخميس والاحد فانهما كانا يومي فرصة للتلامذة فكانت ترسله عمته الى الاحراش لصيد الارانب والطيور . وصرف بيتو اربع سنين في المعيشة على هذا الوجه حتى طرأ حادث شغله عن ارانبه وطيوره

ذلك انه كان في طريقه الى الحرش قرية صغيرة تدعى (بيسلو) وفيها مزرعة لرجل يدعى المسيو بيلو . فكان بيتو كلما مرَّ بهذه المزرعة ابصر على بابها فتاة صبوحة الوجه بشوشة جميلة تسمى كاترين . فلما رآها بيتو لاول مرة اشار اليها مسلمًا . وفي المرة الثانية سلم عليها مبتسماً . وفي المرة الثالثة تشجع وجمع قواه وقال لها

— صباح الخير يامدموازل كاترين

وكانت كاترين فتاة سليمة القلب فسلمت على بيتو تسليم من يعرفه معرفة قديمة . وفي الحقيقة ان كاترين كانت تعرفه معرفة قديمة . فقد كانت تراه يمر من امام الباب منذ سنتين او ثلاث سنين مرة او مرتين في الاسبوع قاصدًا الحرش القريب . كانت تراه ولكنه لم يكن يراها لانها كانت في السادسة عشرة من العمر اما بيتو فكان يومئذٍ في الرابعة عشرة . فلما ادرك السادسة عشرة رآها وسلم عليها كما مرَّ بنا . .

ومن هذا الحين جعل يقف ويحادثها في ذهابه الى الحرش وايابه منه . وصار يهديها من صيده فكانت تشكره على ذلك بلطف وتثني على مهارته . فشغله ثناء كاترين ولطف حديثها عن الصيد وشؤونه فلم يعد يصطاد شيئًا فشعرت عمته بالخسارة فنبهته الى قصوره فاجابها ان الارانب والطيور قد اصبحت اشد حذرًا واكثر انتباهًا فعزت العمة انجليك هذا الامر الى تقدم الفلسفة وارتقاء العقول . .

وما زال بيتو آخذًا بهذه المعيشة حتى داهمه الخطب الشديد وهو طرده من مدرسة الاب فورتيه كما مرَّ بنا في الفصل الاول . فلنرجع الآن اليه لنرى ما يتم بينه وبين عمته

الجامعة

الجزء الرابع عشر السنة الاولى

الاسكندرية في ١ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٧



ساره برنار اشهر ممثلات العصر

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ساره برنار

الناس ثلاثة · واحد يمر في هذه الحياة ولا يبقي وراءه اثرًا كما يمر العصفور في الهواء او السفينة في الماء · وواحد يمر كما يمر الطيب في القارورة يبقي بعده ريحًا طيبًا لا يذهب بذهابه · وواحد يكون فيها دعامة بنيان عظيم فاذا ذهب سقط ذلك البنيان

ومن الفريق الاخير ساره برنار صاحبة الترجمة فانها تطل من سماء شهرتها الواسعه وتشرف على اربعين مليونًا من الفرنسويين كما تشرف الشمس على الارض من هودجها الناري · وكما تحيا الارض حين اشراف الشمس عليها هكذا تدب الحياة في نفوس تلك الملايين حين سماعهم صوت ساره ورؤيتهم جبينها · فغير غريب اذًا ان نضع ترجمة حالها بين تراجم المشاهير ونفتتح بها تراجم شهيرات السيدات التي اشرنا اليها في الجزء الماضي · وغني عن البيان اننا لا نقدم الى حضرات السيدات من قراء الجامعة الممثلة ساره برنارد قدوة يقتدى بها ولكننا نريهن في هذة الترجمة الوجيزة عظمة المراة الغربية وكيف انها تخرج من لا شيء فتصبح شيئًا عظيماً

***

✻ اهم حوادث حياتها ✻ ساره برنار واسمها الحقيقي روزين برنار وُلدت في باريز في ١٢ اوكتوبر سنة ١٨٤٤ من ابوين اسرائيليين اصلهما من هولاندة · فعمدها ابوها لادخالها في الديانة المسيحية ورباها في احد الاديرة · ثم وضعها في مدرسة الكونسرفتوار فتلقت فيها دروسًا عالية وخرجت منها فدخلت ملعب الكوميدي فرانسز وظهرت للجمهور لاول مرة في ١١ اغسطس سنة ١٨٦٢ وهي تمثل دور اوليديا في رواية ايفيجينى للشاعر راسين الشهير ·

فلم يكن لها شان في هذا الملعب فانتقلت منه الى ملعب الجمناز فاظهرت فيه مواهبها واخلاقها الغريبة · ثم غضبت فسافرت من باريز وساحت في اسبانيا وعادت بعد ذلك الى باريز فدخلت ملعب بورت سان مارتين ثم انتقلت الى ملعب الاوديون ومثلث فيه رواية (الباسان) للشاعر فرنسوى كوبه فطارت شهرتها من هذا الحين وشخصت اليها ابصار الباريزيين ·

ثم رجعت الى ملعب الكوميدي فرانسز في ٦ نوفمبر سنة ١٨٧٣ فنجحت نجاحًا تامًا. وكان راتبها السنوي في هذا الملعب ٦ الآف فرنك فتركت الراتب واصبحت مساهمة في هذا الملعب بنصف سهم اولاً ثم بسهم كامل نخلبت ألباب الفرنسويين ببراعتها في فن التمثيل حتى اصبح اسمها لا يوضع على اعلان عن تمثيل رواية الا وتراكض الباريزيون لحضور هذه الرواية. الا انها في ١٧ ابريل سنة ١٨٨٠ مثلت دورًا في رواية (الافانتوريير) فلم يعجبها تمثيلها فحملت عليها احدى الجرائد وطعنت عليها فقدمت ساره استعفاءها من مساهمة الكوميدي فرانسز وسافرت في الحال الى منزل لها في الهافر ومنه سافرت الى لندرا لتمثل فيها فرفعت عليها ادارة الكوميدي فرانسز دعوى تطالبها بتعويض قدره ٣٠٠ الف فرنك فحكمت المحكمة على ساره برنار بدفع مائة الف فرنك فقط. فجاءها في هذا الحين صاحب جوق وعرض عليها في مقابلة اجرة عظيمة ان تسافر معه الى اميركا للتمثيل فيها فسافرت معه ونجحت في سياحتها اكمل نجاح وتزوجت في سياحتها هذه بالمسيو داماﻻ احد رفقائها في التمثيل ثم انفصلت عنه.

وبعد سياحة عظيمة في اميركا عادت الى باريز مكللة باكاليل المجد والشهرة الواسعة فاتخذت في سنة ١٨٨٢ ادارة جوق باسم ابنها موريس برنار واخذت من ذلك الحين تقيم باريز وتقعدها ببراعتها وغرابة اخلاقها

﴿مواهبها﴾ ويرى القارىء في صدر هذا الجزء رسم ساره برنار وجمالها الفتان. وقد جمعت الى هذا الجمال صوتًا ياخذ بمجامع النفوس ولفظًا لاعيب فيه غير انه الدر لو تجسم ولهجة تذوب لها القلوب في الصدور ورقة في الكلام تحرك الجماد. فوق ذلك كله هوى نفساني شديد يمثل في الروايات اشد الاهواء واقواها. فانها اذا مثلت كانت نفوس الحاضرين معلقة على شفتيها القرمزيتين فلا تحركهما حتى تتحرك تلك النفوس كما تحرك الريح اوراق الاغصان.

وبراعتها ناشئة عن فهمها جميع الادوار التي تمثلها وتمثيلها اياها كانها فعلية لا تصويرية. فتارة تكون ملكة على عرش العظمة والكبرياء وطورًا فقيرة ذليلة في اقصى درجات المسكنة. هنا تلعب بالافاعي وهناك تقارع بالسيوف وهنالك تواجه الاسود وتصرعها بنظرها الساحر الفتان — تصنع ذلك بعظمة وبساطة وبراعة في التمثيل تسحر الالباب

﴿اخلاقها الغريبة﴾ وكانها لم تكتف باستيلائها على نفوس الباريزيين واجتذابها ابصارهم بفن التمثيل فسعت الى ذلك ايضًا من طريق آخر. فانها تعلمت الرسم وصارت

ترسل رسومها الى معرض الصور ثم نشرت كتاباً عنوانه « تأثرات كرسي » ملأته افكاراً غريبة . ومثلت رواية عنوانها « الاعتراف » من قلمها فلم تصب نجاحاً . وصنعت تابوتاً ثميناً كان يطيب لها ان ترقد فيه . وجعلت تركب المناطيد وتصعد في الهواء وتلبس ملابس الرجال وتستقبل زائريها بهذه الملابس — كل ذلك رغبة في الاشتهار وتحدث الناس عنها

ومن غريب اخلاقها الحدة والاستقلال في الراي وعدم الطاعة لرئيس . وكثيراً ما كانت اذا غضبت لطمت مغضبها او مغضبتها على وجهها لطمة تريه النهار ليلاً ولذلك اشتهرت بانها « ضرابة الكفوف » اما استقلال عقلها فقد كان سبب عناء لها في بدء الامر ولكنه كان يزيد شهرتها ويبعث على الاعجاب بقوة نفسها

وبلغت الخمسين من العمر منذ خمس سنين فاحتفلوا بيوبيلها في باريز احتفالاً شائقاً وقف فيه المسيو فرنسوى كوبه الشاعر الشهير واحد اعضاء الاكادمي الفرنسوية فامتدحها بقصيدة ذكر فيها اعمالها المجيدة ثم انحنى بشعره الابيض فناولها نسخة منها وقبل يدها . فاجابت ساره والدموع في عينيها شاكرة على هذا الاحتفال

❊ شاعرها الجديد ❊ واعظم الروايات التي مثلتها ساره برنار بعد روايات فيكتور هيغو شاعرها العظيم « الذي كان يطاطىء امامها لمته البيضاء » رواية سيرانو دي برجيراك للشاعر العصري الجديد « ادمون روستان » وهو شاب جميل غني متزوج بفتاة شاعرة جميلة غنية ايضاً نبغ حديثاً في الشعر وهو يكتب الآن لساره برنار رواية اخرى غاب عنا اسمها ربما مثلتها في الشتاء القادم وهو منها الآن بمنزلة فيكتور هيغو شاعرها الاول

وحضرت منذ عهد قريب الى مصر ومثلت في الاوبرا وفي تياترو زيزينيا . وكانت في كل بلد تسير اليه يبادر الاغنياء والاكابر لاستقبالها وحمل امتعتها بايديهم والسعيد من يحمل شيئاً منها . فما اعظم سلطان النفوس . لا ريب انه لا يزال اقوى من سلطان العقول .

وطلب منها بعضهم في مدينة رين يوم محاكمة دريفوس ان تمثل فيها احدى رواياتها واعلنوا يوم التمثيل فارسلت اليهم تقول : ارفعوا الاعلانات عن الجدران فاني اكره ان يكون انقسام بسببي . قال ظريف في ذلك الحين لا ريب انها وجدت ان رواية « محاكمة دريفوس » تكون اشد اهمية من روايتها لذلك رفضت التمثيل

ولما حضرت الى مصر وضعت احدى الصحف العربية رسمها فعرض هذا الرسم عليها وهو الذي يراه القارىء في صدر الصحيفة التالية



فلما راته قالت باسمة: لاغرابة فقد صوروني اشد بشاعة من هذا بكثير

وعمر ساره برنار الآن ٥٥ ولكنها لاتزال كانها ذات ثلاثين كما يُرى من رسمها الاول وهو ماخوذ عنها من سنتين على الكثير

***

وليس يُستغرب ان لا يفهم كثيرون من الشرقيين عظمة ساره برنار وسبب مجدها لعدم قدرهم فن التمثيل قدره فيعجبوا من وضعنا في صدر الجامعة ترجمة حالها بل ان من سيئي الظن من يعزو تلك العظمة الى بهاء المراة وجمالها فقط · ولكن اذا علموا ان امراء الشعوب يكرمون ساره ويحترمونها وامراء الشعر والعلم والفلسفة يحنون رؤُوسهم لديها و يقبلون يديها ايقنوا ان ساره عظيمة بفضائل نفسها لا بفضائل جسدها · ومغيب شمسها — بعد عمرٍ طويل — سيكون فراغاً عظيماً في حياة الامة الفرنسوية هيهات ان يسده احد بعدها

ويسوءُ الشرقيين جدًا أنهم اذا نظروا الى هذا الفن الجميل الذي رقته في فرنسا ساره برنار درجاتٍ عالية نظروا اليه كواقف في الحضيض ينظر الى كواكب السماء لان انحطاطهم في هذا الفن اشهر من ان يذكر واللوم في ذلك عليهم وعلى حكوماتهم معًا ولكن ليس هذا المقام مقام بحث في هذا الموضوع

باب المقالات

الحب وانواعه

اذا نظرنا الى جسم الانسان من الخارج راينا اعضاءه وما تركبت منه جزءاً جزءاً واذا اعملنا سكين الجراح في هذا الجسم والقينا النظر الى داخله راينا اعضاءه الداخلية جزءاً جزءاً ايضاً . فهل هذا الجسم الانساني مركب من هذه الاجزاء والاعضاء فقط ام فيه اجزاء واعضاء اخرى معنوية لاتراها عين الفسيولوجي ولا تصل اليها سكين الجراح

لا شبهة في ان كل انسان حي يحس بان في داخله قوة غير القوة المادية . ففيه اذاً اعضاء باطنية معنوية وغرض الفلاسفة والبسيكولوجيين معرفة هذه الاعضاء الداخلية المعنوية كما ان غرض الفسيولوجيين معرفة الاعضاء الداخلية والخارجية الحقيقية

وقد رأينا خير تفصيل لتلك الاعضاء المعنوية في كتاب « الواجبات » للفيلسوف جول سيمون فراينا تلخيصها بمناسبة السؤال الذي القاه علينا احد الادباء بشان الحب وانواعه . على ان هذه الخلاصة التي نبسطها الآن للقراء تكاد تكون زبدة كتاب الواجبات كله فلا ريب انهم يطالعونها بامعان تستحقه اقوال ذلك الفيلسوف العظيم .

قوى النفس متعددة ولكنا نحصرها هنا في ثلاثة اجزاء . الاول الارادة اي الحرية . والثاني الفكر . والثالث الهوى النفساني . وليس من غرضنا الكلام عن القسمين الاولين بل نقصر الكلام على القسم الثالث

والهوى النفساني انواع تختلف باختلاف المؤثرات على الانسان . فالحب هوى والبغض هوى . وكذلك الحسد والطمع والغضب والشفقة والحلم — كل هذه اهواء تثور في نفس الانسان وفقاً للمؤثرات الخارجية .

ومصدر هذه الاهواء كلها اللذة والالم وراسها الحب نقيضه البغض . والحب ثلاثة انواع حب للنفس وحب للغير وحب لله وكل انواع الحب تنطوي تحت هذه الانواع الثلاثة .

﴿ حب الذات ﴾ امـا حب النفس ويسمى حب الذات فهو اصل جميع فضائل الانسان ورذائله · وهو ثلاثة انواع · الاول حب الحياة · والثاني حب صلاح الحال كما يقول ابن رشداوحب صلاح الحياة · والثالث حب انماء الذات اوحب زيادة الموجود في الذات

ويتفرع من حب صلاح الحال اوحب صلاح الحياة ثلاثة انواع · الاول حب الملكية اي رغبة الانسان في ان يستولي على ما تميل نفسه اليه · والثاني حب الكرامة وهو رغبته في ان يكون محترماً مكرماً · والثالث حب السلطة وهو ميله الى التسلط على غيره سواء كان ذلك ادبياً ام سياسياً · وقد بقي لحب صلاح الحال انواع اخرى وهي ملاذ الحواس تدخل تحتها الطيبات التي يستطيبها الانسان ولكنها انواع صغيرة لاشان لها بازاء تلك الانواع الكبرى

﴿ حب الغير ﴾ هذه اهم انواع حب الذات اما حب الغير فانواع ايضاً · وينطوي تحت كلمة « الغير » ثلاث كلمات · الاولى « العيلة » الثانية « الوطن » الثالثة « الانسانية » فاذا قلنا حب الغير اردنا بذلك حب العيلة وحب الوطن وحب الانسانية

اما حب العيلة او الحب البيتي فهو ثلاثة انواع الاول الحب الزوجي وهو « الحب » المقصود عند اطلاق هذه اللفظة · ويسمونه الحب الاعظم والهوى العظيم وبما ان السائل يعني هذا الحب بسؤاله فسنفرد له فصلاً مخصوصاً · والنوع الثاني من الحب العيلي الحب الابوي والثالث الحب البنوي · والرابع الحب الاخوي

اما حب الوطن وحب الانسانية فلا تنطوي تحتها انواع مخصوصة ومعنى الاول تعلق الانسان بالارض التي ينشأ فيها ومعنى الثاني حب البشر على اختلاف اجناسهم وتنطوي تحتها الصداقة

﴿ حب الله ﴾ واما حب الله فهو اتجاه المخلوق الى الخالق وميل النفس الخالدة الى الكل الذي اخذت منه · ومن نتائج هذا الحب العبادة بانواعها

هذه هي انواع الحب على وجه الاجمال ولا ريب ان تفصيل هـذا الاجمال يقتضي مجلدات ضخمة فنكتفي الآن بالاشارة الى تلك الانواع وربما عدنا الى هذا الموضوع وبحثنا في كل نوع من انواعه على حدة اذا راينا في القراء ميلاً اليه · على اننا سنفرد فصلاً للكلام عن الحب الزوجي او الحب النوعي كما اشرنا آنفاً

الحياة

مذاهب الفلاسفة فيها

لحضرة الكاتب المجيد المحجوب

٢

ينكر جماعة من الماديين البتة وجود مبداء خاص للحياة او قوة مستقلة فيها عن القوات الطبيعية · و يقولون ان المشاهد من اعمال الحياة في النبات والحيوان لا يخرج عن احكام الشرائع الطبيعية · وبعبارة اخرى ان الحياة ليست الا من الظواهر الطبيعية لمادةٍ مركبة من الهيدروجين والاوكسيجين والكربون والنيتروجين المسماة بروتوبلاسم · وهي في حالتها هذه كالمادة المركبة من الهيدروجين والاوكسيجين المسماة ماء ناهيك انك لا تجد في الآليات عنصراً غير موجود في العالم المادي· وزد على ذلك ان علم الكيمياء قد نفى وجود مبداءٍ حيوي مستقل عن المادة ونظامها وقد قال واحد من زعمائهم انه ولئن تعذر على العلم اليوم ايضاح اعمال الحياة طبقاً للشرائع الميكانيكية والكيماوية ذلك لان علم الحياة لم يتقدم بعد تقدماً كافياً يؤهله لبلوغ هذه الغاية ولكن هذا العلم سيبلغ يوماً غايته هذا اذا تيقن ذووه انه لا يجب البحث عن حقيقة الحياة في غير طرق الطبيعة وسننها · وليس القول بهذا الرأي او ما يقرب منه حديث العهد وانما هو قديم منذ ايام ابيقورس اليوناني وله نصراء في عصرنا الحالي من كبار الفلاسفة ونطس الاطباء ومهرة الكيماويين والفسيولوجيين

وهناك طائفة اخرى من الفلاسفة والفيسيولوجيين يعرفون بالحيويين يذهبون في الحياة خلاف ما ذهبت اليه طائفة الماديين حيث يقولون ان للكائنات الحية مبدا حيوياً خاصاً مجرداً عن المادة وغير خاضع لنواميسها وليس ثم ادنى علاقة بين خصائص وقوى المواد الالية وبين قوى وخصائص المواد غير الآلية ناهيك انه يوجد اختلاف بين ومضادة قوية في ماهية خصائص وقوى عالمي الاحياء وعالم الجماد · وعلى تلك المباينة والمضادة قيام الحياة وحفظها · وعليه عرف بيشا الحياة بانها مجموع وظائف من شانها مقاومة الموت · ولهم ادلة كثيرة تؤيد مذهبهم هذا منها ان الحي لا ياتي الا من الحي وطالما قام معارضوهم وقعدوا ليثبتوا التولد الذاتي بالطرق العلمية فخاب ما املوا وبقي القول بعدم تولد الحي من غير الحي حقيقة ثابتة لا ريبة فيها

وبعد ان ابان الحيويون ان خصائص الحياة تمتاز عن خصائص الجماد وان المبدأ الحيوي يحل في المواد فيصيرها ذات بناءٍ آلي بحيث يكون المبدأ الحيوي العلة والبناءة الآلي معلولها وقفوا عند هذا الحد ولم يزيدوا شيئاً . الا ان منهم نفراً توسعوا في الموضوع ومنهم كلود برنارد القائل بوجود مبدأ مدبر يتولى انماء الآليات ومبداء مكون يكونها ومتى اجتمع هذان المبدآن أُطلق عليهما اسم القوة الحيوية . وقال انه لا يدري اذا كان هذان المبدءان يوجدان في النفس او في غيرها فذلك من خصائص علم الله

ومنهم من قال بالمبدأ الحيوي المستقل عن المادة والمتصل بالنفس وقد قال ستهال ان المبدا الحيوي الحقيقي غير منفصلٍ اصلاً عن مبداء الفكر والحس وان النفس عدا عن انها هي السيدة والمدبرة للجسد الذي تسكنه فان الجسد قد كون وجعل على نمطٍ يسهل معه جداً حكمها عليه ولا ينحصر حكمها على وظائف الحس والفكر فقط انما يعم سلطانها جميع الاعمال والوظائف الحيوية

على ان الذين ينسبون للنفس تلك السلطة المطلقة على الجسد يعرفون بالنفسيين وهذا الراي قديم في الوجود ولئن كان الاسم حديث الوضع . فقد نشأ في المدرسة الايونية وقال به الفيثاغوريون والافلاطونيون والارسطوطاليسيون والرواقيون وجماعة من فسيولوجيي العصر الحالي .

ومع ان القول بان النفس مبدأ الحياة قول عام للمتمذهبين بهذا المذهب الا انهم ليسوا على وتيرة واحدة من حيث الكلام عن النفس وماهيتها . فان الايونيين وكل الفلاسفة حتى عهد افلاطون يقولون ان مبدأ الحياة هو النفس انما النفس هواء او نار او مادة اخرى اقل كثافة او اكثر . واما افلاطون فيقول ان النفس هي ولا شك مبدأ الحياة ولكنها ليست هي النفس المجردة عن المادة المدركة والخالدة انما هي النفس السفلى العديمة الادراك والفانية

اما مذهب ارسطو فظاهر من رسالته عن النفس فقد جعلها اربعة انواع النوع الاول النفس المغذية والثانية الحاسة والثالثة المتحركة والرابعة المدركة . وقال ان مبدأ الحياة هو في النفس الاولى اي المغذية ثم قال ان النفس الاولى موجودة في النبات والاولى والثانية في الاحياء المتوسطة بين عالمي النبات والحيوان والاولى والثانية والثالثة في الحيوان والانواع الاربعة موجودة جملة في الانسان

ولا نعلم على اي حجة او برهان دعموا هذا الراي وانك لترى اراءهم تختلف تبعاً

لاحوال الزمان والمكان كما رايت. وقد قال ديكارت ان عامة الناس الذين ليس لهم من العلم نصيب وافر ينسبون الحياة الى النفس ذلك لاسباب منها اللغة وقوة التقليد والتخيل الذي ينوب عندهم مناب الحقائق فيتصورون الموت عبارة عن انفصال النفس عن الجسد ويحسبون النفس علة حياته وموته وذلك بدخولها اليه وخروجها منه ويزعمون ان النفس مادية كالهواء وبما ان التنفس من اشد اعمال الحياة ظهورًا ظنوها تطير مع آخر نسمة ولهذا ترى في اكثر اللغات متى اخبروا عن موت انسان قالوا فاضت روحه وان تكن هذه المزاعم من تخيلات العامة الا انها اتصلت بالعلماء فابرزوها للناس بزي فلسفي

على انك علمت مما مرَّ بك من اقوال الفلاسفة انها تناقض اراء ستهال زعيم النفسيين القائل بوحدة النفس في الانسان وبتجردها عن المادة وخلودها على انهم اتفقوا من حيث ان في النفس المبدأ الحيوي ولا اعلم كيف تكون النفس عندهم مديرة اعمال الحياة حال كونها لا تبلغ حد الرشد والاصابة في الحكم حتى تمرّ عليها الايام فتكسبها الخبرة والحنكة بين ان وظائف الحياة تجري على منهاج واحد منذ الولادة حتى الموت

بقي علينا ان نبحث فيما قرروه عن الحياة والحس هل هما شيئان متحدان في ماهيتهما. فقد قال اصحاب هذا الراي بوجود الحس في الحيوان والنبات معًا اي ان الحس موجود في عالم الاحياء على تباين مراتبها. ووجوده فيها تابع لاحوال مراتبها واختلاف انواعها من حيث الظهور التام في اعلى الانواع وصعوبة تمييزها في المراتب الدنيا وان بدونها (١) لا حياة او بالحري لا حياة ظاهرة وبها تبدو كل حياة وينمو النبات والحيوان. والعقل الذي يضع الانسان في مركز يميزه عن سائر المخلوقات ليس سوى نتيجة تجتمع احساساته المشتركة بعضها مع بعض

وهذا الرأي ماخوذ به منذ الفي سنة ومن بعد زمني ديمقريط وافلاطون تقلب بين النضارة والذبول الى ان ازهر في العصور الاخيرة حيث نادى به نفر من كبار الفلاسفة وفطاحل العلماء ناهيك ان طائفة منهم تجاوزت الى الغلو في الراي فقالت ان النبات حساس من الباطن كما هو حساس من الخارج ولم يقفوا عند هذا الحد من القول بل تجاوزوا المعقول فجعلوا الحس مبدأ كل اعمال الحياة الآلية بل زادوا على ذلك كثيرًا بان جعلوه مبدأ كل حركة صغيرة كانت او كبيرة وكل تحليل او تركيب في الجمادات

وهناك فرع آخر للحيويين يعرف اصحابه بالآليين يقولون ان للمواد الآلية خصائص

(١) الدكتور شميل . المقتطف السنة الخامسة

ملازمة لها متحدة معها لا توجد في غير الآليات . وبعبارة اخرى لا يقولون بوجود شيء في الاحياء غير الاجهزة والمواد الآلية وان لتلك المواد خصائص لا توجد في غير عالم الاحياء. غير انهم لم يتفقوا على عدد تلك الخصائص فمنهم من جمعها في واحدة وهي سرعة الانفعال ومنهم من جمعها في خمس وهي الغذاء والنمو والتوليد والحركة العصبية والانقباض . ومنهم من جعلها ثماني عشرة الا ان الحياة في مذهبهم معلولة وليست علة ذلك النظام الآلي وتابعة له وليست بسابقة . والخلاصة ان مذهبهم وسط مابين الحيويين والماديين

هذا ولو شئنا الاتيان على كل الآراء والمذاهب عن الحياة لضاقت دون ذلك صفحات الجامعة وسئم القراء الاطالة على غير طائل . على ان تقرير هذه القضية واجتلاء حقيقتها من القضايا الكثيرة التي سكنت عالم الخفاء رغماً عن جهد العلماء وابحاثهم الدقيقة احقاباً متطاولة . وربما يبلغهم الجد المتواصل والبحث الدقيق بعد سنين الى الحكم عن ماهيتها بالارجحية . وربما اصبحوا معها بعد توالي اجيال عديدة كما امسوا فرقاً ومذاهب والله اعلم .

انتقاد الاديبتين

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي

جاءنا الجزء الحادي عشر والجزء الثاني عشر من الجامعة الغراء وفيهما اعتراضان لاديبتين على مقالتنا « اختيار الزوج » الا اننا راينا الاديبة الثانية ارفق بنا من رفيقتها الاولى لانها اكتفت باسقاط « ثلاثة ارباع نصائح الكاتب » وابقت له الربع « كرماً منها » ليتعزى به عن تعبه . فلها شكرنا على ذلك

اما استنادها في هذا الاسقاط فالى حجتين : الاولى ان المرأة لا تختار الزوج بل لها ان تقبله او ترفضه . والثانية ان اختيار الزوج لا يتهيا لغير الغنيات . ثم زادت على هذا انها ترى الزواج المشوم افضل من العزوبة في بلادنا . فلم نرَ بدّاً بعد هذا الانتقاد ان نرده بوجه الاختصار لان صفحات الجامعة تضيق عن الاسهاب ونخاف ملل القراء فنقول

يسوءُنا ان الاديبتين بنتا اعتراضهما على مغالطة سوفسطائية . فانهما اتخذتا لفظة « الاختيار » بمعنى اعم مما اردناه . اذ توهمتا اننا نريد به : اختيار الفتاة من تشاء من الرجال مطلقاً زوجاً لها وهذا حق لا يدعيه للنساء الا من خولط في عقله . بل الرجال انفسهم ليس لهم هذا الاختيار المطلق . فكيف خطر للاديبتين اننا ندعي للمراة هذا الحق الذي ليس

للرجل ؟ اما « الاختيار » الذي اردناه فليس الاختيار المطلق كما توهمت المنتقدتان بل الاختيار الذي هو من حقوق كل فتاة غنية كانت او فقيرة في ان تقبل الخاطب او ترفضه متى تقدم للخطبة . وهو اختيار مقيد محصور في الخاطبين وبذلك تسقط حجة الاديبتين .

على اننا بعد هذا البيان نذكر على سبيل الاستطراد بعض الاسباب التي جعلتنا نرى في نشر « اختيار الزوج » نفعاً جزيلاً للفتيات الشرقيات وهي

(١) ان الشابات المتهذبات كثر عديدهن في بلادنا واصبح اكثرهن يشاركن والديهن في الراي عند اختيار الزوج بل منهن من يتغلب رايهن على راي والديهن . ومن سوء الحظ ان المدارس على كثرة ما تعلمهن من الاشياء المفيدة لا تعلمهن شيئاً عن اخلاق الرجال لانها تتحاشى هذه المباحث . والروايات التي يقرانها تمثل لهن الرجال اما ملائكة او شياطين والحال ان الرجال كما نراهم ليس منهم ملائكة وقليل منهم الشياطين وهم في الغالب بين بين . فهذا الجهل باخلاق الرجل ينبغي ازالته وانارة عقل الفتاة لتحسن اختيار زوجها من بين الذين يقدمون اليها . وكم من فتاة شرقية سريعة الانخداع بظاهر الرجال تعتقد ان خير الازواج الشاب الجميل الغني بقطع النظر عن باقي صفاته واخلاقه . بل كم من فتاة بيننا تحسب ما يتلبس به الخاطب من الظواهر الملائكية مدة الخطبة صفات ثابتة فيه وما درت ان الرجل كالذكر من جميع الحيوانات والطيور لا يتزين و يغرد الاحين يحب . فلهذا راينا ان مقالة « اختيار الزوج » تميط اللثام عن اخلاق بعض الرجال

(٢) كتب كثيرون من كتاب الشرق في اختيار الزوجة وقلما من كتب منهم في اختيار الزوج فراينا من الفائدة ان نملأ هذا الفراغ

(٣) ان ازدياد الحاجيات بدخول العادات الاوروبية الى بلادنا جعل الكثيرين من شباننا يتهيبون الزواج فكثرت العازبات ولذا اصبح الكثيرات منهن عند اول خاطب يتقدم لهن يتمسكن باذياله مهما كان « النصيب رديئاً » فتنبيه هؤلاء العازبات وتذكيرهن « ان العزوبة خير من زواج مشوم يجر الويل والشقاء » لا نظنه بلا نفع للشرقيات

وصلنا بحكم الاستطراد الى اعتراض حضرة الاديبة الاخير الذي ما نخال عاقلة في الشرق والغرب توافقها عليه . وصلنا الى الراي الذي يحملنا على الظن ان حضرة المنتقدة الاديبة من المتزوجات السعيدات كثيراً في زواجهن حتى انها خلو ذهنها عن كل ما ينشأ عن الزواج المشوم من الآلام والشقاء رات ان تفضله على العزوبة في بلادنا الشرقية . اما

استنادها في هذا التفضيل فالى ما ياتي:

(١) ان العازبة تكون هدفاً للهزء والاهانة اذا عاشت بلا رفيق · نقول ولكن اذا كان هذا الرفيق رفيق سوء لا يصفو معه عيش الا يكون استهزاء الناس اشد واقوى ؟

(٢) ان الابنة في بلادنا غير قادرة على تحصيل رزقها نقول ولكن ما ادراها ان زواجها المشوم يكفل لها ذلك اذا كان زوجها مسرفاً او مقامراً او بطالاً فانها تضطر حينئذٍ ان تحمل همّ نفسها وزوجها واولادها وتكون هربت « من الدالف الى تحت المزراب »

(٣) ان الوالدين لا يدومان ومحبة الاخوة تنقص بعد زواجهم · نقول ولكن من يضمن ان الفتاة تجد في الزوج الشرير ما يعوضها عن محبة الوالدين والاخوة · افليس من الاولى ان تحمل والديها واقاربها اثقالها وهي وحيدة بنفسها بدلاً من ان ترجع اليهم بعد « الزواج المشوم » واربعة اولاد وراءها

ولا ارى مساغاً لتفضيل الاديبة الزواج المشوم بجحيمه وعذابه على ما في العزوبة من المشقة اليسيرة بالقياس اليه الا ان تكون قد ارادت بالزواج الذي تختاره على العزوبة الزواج الوسط الذي يكون ناقصاً بعض الشروط الكمالية فهذا نسلم لها به · وعندنا ان الفتاة الشرقية بالنظر لقلة الازواج في الزمن الحاضر تحسن صنعاً اذا خفضت من مطالبها ورضيت بالزوج الوسط حين لا يتيسر لها زوج « على عقلها » ولكن كم من المراحل بين الزوج الوسط والزوج الشرير

بقي لي ان أسال حضرة المنتقدة الاديبة سوآلاً كنت اود لو اسالها اياه مني لها كتابة الا اني لعدم تشرفي بمعرفتها شخصياً اضطر الى بسطه على صفحات الجامعة وهو : من اين سمعت حضرتها اني اعتقد اعتقادها من حيث تفضيل الزواج المشوم على العزوبة حتى ترميني بالرياء فتقول اني انشر غير ما اعتقد · فما اذكر اني سمت بهذا الرأي الفاسد امام احد فعليها اذاً اثبات ذلك والا عددته تحاملاً وافتراء علي

هذا واني في الختام لا اكتم الجامعة الغراء اني عجبت من قولها في ذيل الانتقاد :« انه يلوح لها ان الحق كله مع الاديبتين » لعلمي ان المسائل النظرية الادبية لا يكون فيها الحق كله من جانب واحد · فلعلها ارادت بذلك ارضاء الاديبتين اما نحن فنرغب في رضى السيدات ونريد الحق ولكن الحق احب الينا من رضاهن والسلام

شكوى وردة لفراشة

لحضرة الاديب زاكي افندي نوفل

(وردة في الروض تناجي فراشة طائرة في الفضاء فوق الازهار)

(معربة عن قصيدة للشاعر الفرنسوي الشهير فيكتور هيغو)

***

يامليكاً فداه طيب بقائي وملاكاً بثَّ الهوى في حشائي
كنت قبلاً تسرني بوصالٍ رغم انف الحساد والرقباء
فلماذا اصبحت عني نفوراً بعد ماكنتَ لاتطيق التنائي
بيننا نسبة تدوم وودٌّ مذ دعينا زهراً من الشعراء
ما اتونا بها غلوًّا ولكنْ لمعانٍ بنا وحسن رواء
ان شوقي اليك ليس بخافٍ فلماذا عاملتني بالجفاء
كيفما شئتَ انت تمرح تيهاً بين زهر الحدائق الغناء
وانا في مضيق ارضي بسجن لست ارجو تفلتاً من بلائي
ليتني كنت ذا جناح لاقضي كل عمري تنقلاً في الفضاء
فمتى طار منيتي طرت معه واقمنا معاً باصفى هناء
كلما زادك التنقل حظاً زدتَ عزاً وزادفيك شقائي
ليَ جسم اذا تباعدتَ عنه ضاعَ نشراً مشتتاً في الهواء
ما سميري من بعد بعدك الا انس ظل السحاب من غير ماء
كلُّ فجرٍ اقوم اسكب دمعاً صبه صائب الندى بسخاء
لوتعطفتَ ان تعير جناحاً لم ادع ان تحلَّ قلب (سوائي)
او اذا شئت ان تقاسم عيشي في ترابي عشنا معاً في صفاء
قدر الدهر حظنا باختلافٍ ومصير اختلافنا للسواء
يجمع اللحد وردةً وفراشاً في فراش الثرى فراش الفناء
فلنذق ياحبيب كأس التهاني قبل كاس الفنا وقطع الرجاء
يبهر العين نور جنحك لما يكتسي من شعاع ذات السناء
وعلى الارض من وجودي نشر يفرغ الصدر من هموم وداء
اينما كان ملتقانا نعيم في ثرى كان ذاك ام في سماء

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

الاسلام والمدارس والجامعة الاسلامية

﴿ شهادة المنصفين ﴾

التعليم في الجزائر وفي مصر

يتهم السادة المسلمون اوروبا بالتعصب عليهم . وقد اظهرت الجامعة في اجزائها الاولى نوع هذا التعصب . فانها نشرت مقالة في الجزء الثاني عنوانها « الجامعة العثمانية والجامعة الاسلامية » اقامت فيها البرهان على ان هذا التعصب سياسي لاديني . وكان من ادلتها على ذلك انحياز غليوم الثاني الملك المسيحي الى « الجامعة الاسلامية » في مادبة دمشق الشام .

الا ان اكثر قواد افكار المسلمين في ادارات الصحف الاسلامية في الشرق لا يزالون يعتقدون ان هذا التعصب ديني فيغرسون هذا الاعتقاد في نفوس قرائهم . ولا نلومهم على هذا الاعتقاد لانه لم يصلهم من اصوات الاوروبيين في الجرائد الاوروبية غير الاصوات السياسية . والسياسة مصوغة من الاثرة والتعصب والطمع كما نعلم . اما اصوات العلم والادب والفلسفة الاوروبية فقلما يصل صداها الى الشرق ليسمعها سكانه فيعلموا ان في اوروبا بازاء السياسيين الذين يضحون كل شيء للسياسة ومطامعها فريقاً عظيماً من الافاضل والمنصفين .

نقول ذلك ونؤيده بمقالة عثرنا عليها في جريدة « العلم » الفرنساوية بقلم العالم (جفراي) الفرنسوي بحث فيها عن الاسلام ومنزلته الادبية من العالم واختتمها بكلام عن التعليم في الجزائر . فراينا من الفائدة ان نلخصها لاخواننا المسلمين والمسيحيين فيعلم الاولون انصاف المنصفين فلا يعممون في الطعن على الاوروبيين ويعلم الآخرون ما ينكره

جهلاؤهم وان كان يعتقد به فضلاؤهم وعقلاؤهم. قال العالم جفراي ما ترجمته بالحرف الواحد :

***

﴿ العلم والمدارس في الاسلام ﴾ « ان الذين لاينظرون الى اعماق الامور بل يبنون حكمهم على ما يسمعونه من الآراء والظنون يذهبون في التمدن الاسلامي مذاهب غريبة . فانهم ينكرون عليه ان يدعى تمدناً ولا يرون فيه الا التعصب والجهل وهو خطأ فاضح وشطط بعيد . فانه لايوجد في كتاب في العالم ما يوجد في القرآن الكريم من مدح العلم والثناء على اصحابه . ولم ينحصر ذلك في القرآن فقط بل انه موجود في اقوال جميع الشراح والمفسرين . قال الامام جلال الدين السيوطي ما معناه : « ايمان الجاهل لايكون ايماناً . اطلب العلم ولو كان في الصين لانه فرض على كل مسلم »

ويشهد تاريخ الاسلام بان هذه الاقوال لم تكن تخيلية بل كان المسلمون يعملون بها . ودليلنا على ذلك الفتح الاسلامي . فان كثيرين من المؤرخين والكتاب زعموا عن سوء قصد او جهل لا شبيه له ان هذا الفتح كان خراباً للبلاد التي كان يقع فيها وما رأوا انه حيث وقع كان ينشر نور العلم ويخرج ثمار المعارف الدانية . فانه من اقاصي بخارى الى مراكش وما يليها كان ينشئ المدارس العلمية المفيدة والطلبة يتهافتون عليها حتى اصبحت في درجة من حسن الحال لم تبلغها المدارس والكليات الاوروبية في اشهد ازمانها نضارة ورواجاً

ولم يكن التعليم مقصوراً في هذه المدارس على الدروس الدينية بل كان يتناول الرياضيات والفلك والفلسفة الطبيعية والكيمياء والتاريخ الطبيعي والطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة والحقوق والشعر وغيرها . وكثير من الكتب العلمية القديمة لم تصلنا الا على يد العرب . ولو كتبت تراجم علمائهم للأت مجلدات ضخمة (١) اما مؤلفاتهم فلا تسعها المكاتب الكبيرة .

ولم يهدم التمدن الاسلامي غير الحروب الصليبية وسكان اسبانيا والحروب التي شبت نارها في آخر ملك المسلمين . على انه بقي من ذلك التمدن بقية . فان المدارس المراكشية الشهيرة بقيت مقصد الطلاب من كل صقع وناد وفيها كان الجزائريون قبل فتحنا الجزائر

---

(١) « الجامعة » . سنهتم بنشر اهم هذه التراجم في باب مشاهير المتقدمين والمتاخرين ونحن نعد الآن موادها

سنة ١٨٣٠ يتعلمون المبادىء الدينية

﴿التعليم في الجزائر﴾ ومن القول الفاسد والخطا الفاضح ما اعتاد ان يقوله بعضهم من ان سكان الجزائر كانوا قبل احتلالنا على غير علم ولا معرفة . فقد كان في جميع بلدان الجزائر قبل دخولنا اليها ثلاثة انواع من المدارس . الاول كتاب « الطلبة » اي مدرسة ابتدائية والثاني « الزاوية » اي مدرسة ثانوية فيها تعليم القرآن والثالث « المدرسة » اي مدرسة عليا يكمل فيها الطلبة دروسهم ومنها يخرج القضاة والائمة

ومن سوء السياسة اننا لم نستول على التعليم في الجزائر لنديره كما نشأ حين دخولنا اليها بل تركناه وشأنه في بدء الامر حتى اذا ما راينا ان نفوذنا لا يخطو بدونه خطوة واحدة الى الامام اضطررنا بعد ذلك الى القبض عليه وادارته طبقاً لمصلحتنا . فانشأنا ثلاث مدارس كبرى واحدة في الجه وواحدة في قسطنطينة وواحدة في تلمسان . وجعلنا خدمة الحكومة والتوظف مشروطين بالخروج من هذه المدارس واشترطنا للدخول اليها ان يكون في يد الطالب شهادة من « المدارس الابتدائية الفرنسوية » . فبذلك اصبحنا على يقين من رسوخ قدمنا في الجزائر وانتشار نفوذنا بين الوطنيين بواسطة التلامذة الوطنيين الخارجين من هذه المدارس الفرنسوية الابتدائية

وقد ابتدأت هذه الحركة الجديدة منذ ٩ سنوات فقط . وكان عدد التلامذة المسلمين في مدارسنا الابتدائية في سنة ١٨٨٢ نحو ٣٨٠٠ تلميذ مع ان عدد جمهور الاولاد المسلمين ستمائة الف فاصبح عددهم في سنة ١٨٩٧ نحو ٢١٢٦٤ تلميذاً . وظاهر ان التقدم بطيء فمن واجبات رجالنا في الجزائر ان يدفعوه ويزيدوه نشاطاً

و يوجد في الجزائر بازاء المدارس الكبرى والمدارس الابتدائية الفرنسوية مدارس عربية اهلية حرة (انظر الرسم التالي) تعد التلامذة للمدارس الفرنسوية الابتدائية والمدارس الكبرى »

***

﴿الجامعة الاسلامية﴾ انتهى كلام العالم (جفراي) ويجرنا كلامه الى الموضوع الخطير الذي دار البحث فيه بين الجرائد الاسلامية والمسيحية منذ اكثر من شهر وكانت « الجامعة » اول من خاض عبابه في الجزء الثاني الصادر في اول افريل « نيسان » الماضي وهو : « الجامعة الاسلامية » . ونذكر هنا ما ذكرته عن هذا الموضوع جريدة السلام الغراء التي نرجو لها بعد هذا المغيب الوقتي ان تشرق في عالم الصحافة اقوى نوراً واشد

بهاء من ذي قبل · فانها قالت في ثلاث مقالات عنوانها « الجامعة الاسلامية » انشأتها بعدمناظرة الاهرام والمؤيد والمقطم ان هذه الجامعة خير للمسلمين اذا كان اساسها خيرًا مبنيًاعلى مبداء اجتماعي ديني ادبي وشراً اذا كان اساسها شرًا مبنيًا على مبداءسياسي · وكلام العالم (جفراي) يؤيد هذا القول · فانه يرينا فرنسا في الجزئرعاملة على فصل هذه البلاد عن تقاليدها الاسلامية القديمة والباسها ثوبًا عصريًا جديدًا وهو مايسمونه « هضم المستعمرات » اي استثمار ارضها واستمالة قلوب سكانها بتحويلهاعن مجراها الاول الى مجرى جديد تختطه لها · وما تصنعه فرنسا في الجزائر بشان التعليم " لهضمها " يصنعه الاحتلال الانكليزي في مصر ايضاً كما يُرى من مقابلة التعليم فيها بالتعليم في الجزائر كما بسطناه آنفًا · وكذلك تصنع جميع الامم الاوروبية في جميع مستعمراتها لان من مصلحتهن الحقيقية هضم تلك المستعمرات والا كانت نقمة عليهن لا نعمة لهن

وهذا من اعظم الحوائل دون الجامعة الاسلامية السياسية لا يفيد في ازالته تعليم او تربية ولا تمنعه الا القوة العسكرية

وهو يجري على ثلاثة وجوه · الاول بجريةٍ في القول والعمل كما في الجزائر والمستعمرات التي هي ملك محتليها · والثاني تحت ستار نفع الاهالي واصلاح التعليم كما يجري في مصر والمستعمرات التي لم يمتلكهامحتلوهابعد · والثالث بغش وخداع لايليقان بالامم المتمدنة

حدثنا صديق عن صديق له قادم من مستعمرة اوروبية في افريقيا لا نسميها قال كنت مع المرسلين في البلاد الفلانية فلما كنا نبشر بالدين كان يطلب منا المسلمون ان يتعلموا دينهم فكنا نعطيهم كتبنا الدينية ونقول لهم هذا دينكم فاقرأوه فكانوا يتعلمون فيها غير الاسلامية وهم يحسبون لشدة جهلهم انهم يتعلمون الاسلامية

فاذا كان عدم اتفاق ملوك الاسلام على راية واحدة يجتمعون تحتها لانشاء الجامعة الاسلامية حائلاً عظيماً دون هذه الجامعة فان هضم الامم الاوروبية مستعمراتها الاسلامية هضماً سياسيًا بوسائل شريفة وغير شريفة حائلٌ ثان عظيم لا يقل اهمية عن الاول · بل هما · ما عدا طمع الغرب في الشرق · الحائلان المهمان دون الجامعة الاسلامية بالمدارس تنشأ « الجامعة الاسلامية » وبالمدارس يهدم الغرب الآن « الجامعة الاسلامية » وكل جامعة شرقية

* * *

هذا ويرى القارئ في هذه المقالة رسماً يمثل مدرسة في الجزائر من المدارس الاهلية



«مدرسة اهلية حرة في الجه عاصمة الجزائر»

الحرة . ومنها يظهر ان التعليم في الجزائر ارقى منه في كثير من البلدان الشرقية . فان الهدؤ العظيم السائد على سحن هؤلاء التلامذة اللطفاء الذين تبدو على وجوههم علامات النجابة العربية والذكاء العربي . والعظمة التي على سحنة معلمهم الجالس بينهم كملك في مملكته . يدلان على ان المعلم والتلامذة كل منهم فاهم حق الفهم معنى وظيفته . فاذا اضفت الى هذا المشهد الادبي العظيم الحكمة الرائعة المكتوبة على لوح الكتابة فوق التلامذة وهي « افضل القول كلمة الحق » رايت هذه الاماكن الهادئة الطاهرة الشريفة التي يسمونها مدارس وفيها يُعلم الدين والادب والعلم ومكارم الاخلاق — رايتها فوق زحام هذا العالم ورذائله واهوائه واطماعه وشروره نجوماً تسكنها الطهارة وتشرق على الارض كما تشرق النجوم في السماء على دمن ومستنقعات فاسدة

باب تدبير الصحة

﴿ والمنزل ﴾

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

(كلمات صحية)

﴿ الطعام ﴾ مات صيني شيخ ولما فتحوا وصيته وجدوا فيها هذه العبارة « تركت لولدي في المكتبة كتاباً يحتوي على كل علم الطب فليقرأه دائماً » فاخذ ولده ذلك الكتاب ولبث يقلبه طول النهار فوجد جميع صفحاته بيضاء لا كتابة عليها الا صفحة واحدة وجد في وسطها هذه العبارة بخط يد والده « الطب كله ان يكون رأسك بارداً وقدماك دافئتين ومعدتك خالية » .

ولا ريب عند اطباء هذا الزمان ان هذه الامور الثلاثة من دعائم حفظ الصحة اخصها الامر الثالث . فان المعدة بيت الداء والطعام الذي ينزل اليها يكون غذاء اذا كان صالحاً وسماً اذا كان فاسداً . وصلاحه او فساده يتوقف على امور كثيرة اهمها الآتية :

(اولاً) حسن الانتقاء فان من مواد الطعام ما يكون جيداً وما يكون رديئاً

(ثانياً) حسن الاعداد والتسوية . ويدخل تحت ذلك تنقيته من الفضول التي فيه وحسن نضجه حتى لا يكون ناضجاً كثيراً فيذهب غذاؤه ولا غير ناضج فيكون ثقيلاً على المعدة

(ثالثاً) العناية بوقايته من الجراثيم والذباب وغيرها من الهوام التي تنقل الادواء المختلفة وذلك عند نقله من القدور الى الصحون وعدم تركه مكشوفاً للهواء كما تصنع كثيرات من السيدات والطاهيات

(رابعاً) تناوله لا سخناً كثيراً ولا بارداً وعدم شرب الماء البارد معه

(خامساً) مضغه جيداً فان من اول شروط الطعام حسن المضغ . وقد كان غلادستون ينسب طول عمره الى شيئين : الاول انه كان يبطل الآحاد حتى ترتاح قواه العقلية والثاني انه كان يضع اللقمة في فمه ويعد الاربعين واحياناً الخمسين قبل ابتلاعها ويدخل تحت ذلك التأني في الاكل وعدم الاسراع

(سادساً) قيامك عن الطعام ونفسك تشتهيه اي جعل معدتك ناقصة بعض اللقم وهذا معنى قول الحكيم الصيني « فلتكن معدتك خالية »

(سابعاً) الراحة قليلاً بعد الاكل وعدم الشغل العقلي والجسدي الشاق الا بعد ساعتين على الاقل

(ثامناً) عدم ادخال طعام على طعام فان ذلك كما قال حكيم العرب من شرك الحمام

(تاسعاً) توقيت وقعات الطعام اي جعل اكلك موقتاً في ساعات معينة فاذا جاء وقت الاكل وجب عليك ان تاكل جائعاً كنت او غير جائع . هذا على شرط ان لاتكون قد تناولت شيئاً بين طعام وطعام

(عاشراً) ان يكون طعامك مما يغذي لامما يلذ للذوق فقط فانه ليس كل طعام طيب للاسنان مفيداً للصحة طيباً للمعدة . واجعل اكثر طعامك في الشتاء من اللحم وفي الصيف من البقول والخضر والاثمار وعلى الخصوص اذا كنت دموي المزاج . ولا تجعل الوان الطعام كثيرة على المائدة اذ يكفي اثنان او ثلاثة . وتناول بعد الطعام فنجان قهوة او كأس شاي او سكر منقوع بالماء فان ذلك مما يساعد على الهضم كثيراً

هذا اهم ما أراه في مسالة الطعام . ولا ريب عندي انك اذا عملت به بالتدقيق تتمتع بصحة جيدة في حياتك وتورث هذه الصحة لبنيك بعد مماتك . والا اذا نبذتها كلها واتخذت معدتك خاناً تخزن فيه الخبائث والطيبات فلاتشكُ من الاقدار لضربها صحتك بيدها الهائلة بل اشكُ من نفسك لانك انت الذي جنيت عليها — « طبيب الجامعة »

كلمات بيتية

(تدبير المنزل) لي صديقتان هما اصدق صديقاتي . واحدة غنية وواحدة فقيرة او بالحري متوسطة الحال . زرتهما في هذا الاسبوع وهذا ما رايته في بيت كل منهما

الغنية منزلها شاهق غني بالاثاث الثمين والرياش والحشم والخدم . دخلته من غير اعلان زيارتي فوجدت الاولاد على بلاط المنزل يصرخون ويسبون . الغبار على البلاط والاوساخ على ملابسهم والغرف مفتوحة الابواب مغلقة النوافذ يظهر في داخلها الاهمال وعدم النظام . فخرجت اليَّ صديقتي الغنية تحمل طفلها على يديها . ملابسها وملابسه غير مرتبة . صدرها مكشوف لارضاع الطفل والضجر بادٍ على وجهها و ولدها يبكي فكأن ضجرها منه وكانَّ بكاءه منها . فاقمت في هذا المنزل ربع ساعة معها من غير ان ارفع ازاري ثم

عدت ممتلئة ضجراً · فلما خرجت حسبت نفسي خرجت من سجن عميق

وزرت صديقتي المتوسطة الحال في اليوم الثاني فدخلت منزلها على حين بغتة ايضاً وهو منزل مؤلف من ثلاث غرف ومطبخ · فرايت كل شيء في موضعه · على البلاط ولدان بثياب نظيفة مرتبة يلعبان بهدوء · الارض نظيفة كانها « مصوبنة » والغرف مفتوحة النوافذ للهواء النقي مغلقة الابواب يُرى من خارجها ما فيها من الترتيب والنظام · فخرجت اليَّ صديقتي تحمل طفلاً على ذراعيها · ملابسها من « الشيت » البسيط وكذلك لباس طفلها ولكن في صدرها باقة من الزهر الجميل تنشر ريحاً طيباً كما ان الابتسام في فمها وفم صغيرها ينشر السعادة والهناء حولها · فانبسطت نفسي في هذا المنزل بمقدار انقباضها في ذاك · فاقمت مع صديقتي أداعب اولادها ساعتين ولم اخرج من منزلها الهادىء المرتب الهنيء الا بالرغم عني

فما هو السبب الذي قد يجعل منزل الغني مكروهاً ومنزل الفقير محبوباً

كنت افكر بذلك واذا بكتاب من الجامعة تسألني فيه اذا كنت اقبل بتحرير قسم « تدبير المنزل » فيها · فلما وقعت عيني على هاتين الكلمتين « تدبير المنزل » قلت بالحال : صديقتي الغنية غير مدبرة · وصديقتي الفقيرة مدبرة ·

وقبل شروعي في كتابة تأثراتي بشان تدبير المنزل اقدم الشكر للجامعة لفتحها باباً لهذا الموضوع الخطير وانتدابي للكتابة فيه · ولكني غير راضية عن قولها لي في الكتاب ان نطاق هذا الباب لا يكون الا صفحتين او ثلاثاً على الكثير · وحبذا لو توسع هذا النطاق فان صفحتين او ثلاثاً لا تشفي في الكتابة غليلاً ·

ذلك لاني ارى في شأن تدبير المنزل ما قد لا يراه سواي من القراء والقارئات · فان بعضاً من سادتنا الرجال « القصيري النظر » كما تقول الجامعة يحصرون شؤون تدبير المنزل في طبخ الطعام وغسل الثياب وتنظيف المنزل وما درى هؤلاء (الاذكياء) ان المرأة اذا حصرت اعمالها في هذه الاعمال فقط سقط المنزل على رأسها وعلى رؤوسهم

عفواً انني لا احتقر الاعمال البيتية بل بعكس ذلك احبها ولا احب المراة او الفتاة التي لا تحبها ولكن من الضرر وفساد الراي ان نحصر اعمال المرأة في هذه الاعمال فقط · المرأة جسد وروح كالرجل · وهذه الاعمال هي اعمال الجسد فبقيت للمراة اعمال الروح

واحب قبل كل شيء ان اقسم تدبير المنزل الى الاقسام التي اراها واعتقدها ليعلم حضرات القارئات والقراء المواضيع التي سياتي الكلام عليها

تدبير المنزل يقسم في رأيي الى ثلاثة اقسام (الاول) تربيــة الاولاد (الثاني) القيام على المنزل (الثالث) ارضاء الزوج

تحت هذه الاقسام الثلاثة يدخل كل ما يتعلق بالشؤون البيتية . وهذه الشؤون قسمان شؤون تتعلق باعمال مادية كما قدمنا وشؤون تتعلق باعمال ادبية . فالطبخ والغسل والتنظيف والترتيب وخدمة البيت في اموره الصغيرة والكبيرة — كل هذه شؤون جسدية مادية . ولكن الاستقبال في المنزل ورئاسة العائلة ادبياً وتحبيب البيت الى سكانه والى الزوج على الخصوص حتى يفضله على القهاوي والجمعيات . ووضع كل شيء في موضعه من الترتيب وحسن الذوق حتى يحسب كل داخل الى البيت انه داخل الى جنة صغيرة . كل ذلك شؤون ادبية لا تستطيع يد الرجل (الخشنة) ان تصنع منها شيئاً لانها من وظيفة المرأة واذا خلا منها المنزل صار بارداً مظلماً

وسافصل في الآتي هذا الاجمال فاتكلم عن كل من الاعمال الجسدية والاعمال الادبية وليعذرني القراء والقارئات فان هذه المقدمة كانت ضرورية — (مدبرة الجامعة)

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتاخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراه في ذلك اللذة والفائدة

عادات العرب في الجاهلية

﴿ الملغاة في الاسلام ﴾

«ملخص من كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب»

كان للعــرب كثير من العادات والاوهــام التي لم تخــلُ منها امة من الامم . فلما جاء الاسلام ابطلها جميعــاً وهذه اهمها ومنها يعلم المطالع كبيراً من عادات العرب واخلاقهم واوهامهم

﴿ البحيرة ﴾ هي ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكراً بحروا اذنها اي شقوها وامتنعوا عن ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى

﴿ السائبة ﴾ هي ان الرجل اذا اعتق عبدًا قال هو سائبة فلا يبقى بينهما عقد ولا ميراث

﴿ الوصيلة ﴾ تكون في الغنم وهي اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرًا وانثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبحونها لآلهتهم

﴿ الحام ﴾ هو الذكر من الابل كان اذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى

﴿ الخمر ﴾ هو ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرًا وكانت باعة الخمر في الجاهلية ينصبون رايات ليعرف مكانهم بها ويسمونها الغاية وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لانهما من دلائل الجود عندهم وقد بلغ تولعهم في شرب الخمر ما فعله ابو غبشان اذ باع مفاتيح الكعبة بزق خمر . ويسمون شراب الغداة صبوحًا وشراب العشية غبوقًا وشراب نصف النهار قيلاً وشراب اول الليل فحمة وشراب السحر جاشرية

﴿ الميسر والازلام ﴾ الميسر هو القمار والازلام هي السهام قبل ان تُراش وازلام الميسر هي قمار العرب بهذه الازلام ويوجد نوع آخر منها يدعى ازلام الاستخارة

﴿ الانصاب ﴾ هي الاوثان من حجارة

﴿ وأد البنات ﴾ اي دفنهن وهن في الحياة . وقد اختلفوا في اسباب ذلك فمن قائل انهم كانوا يفعلونه ايام الجدب ومنهم من قال خوفًا من عار السبي اذا عاشت ومنهم من قال انفًا من زواجها . وما زالت هذه العادة القبيحة حتى جاء الاسلام فابطلها ويقال بانه يوجد في مكة جبل يقال له ابو دلامة قيل ان قريشًا كانت تئد فيه البنات . وتفتخر بنو تميم برجل يقال له محيي الوئيدات واسمه صعصعة ابن ناجية التميمي وهو جد الفرزدق الشاعر المشهور ضرب به المثل لانه كان على خلاف قومه فكان يشتري هذه البنات منهم ويربيها في ابياته فكان اول من فداهن . ويقال ان اول من وأدهن قيس بن عاصم التميمي فمن تميم كان الداء ومنهم كان الدواء

﴿ الرفادة في الحج ﴾ وهي الخرج الذي كانت تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصي بن كلاب القرشي فيصنع به طعامًا للحجاج ليأكله من لم يكن له سعة ولا زاد

﴿ الرتم ﴾ وهو شجر معروف كان اذا خرج احدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنًا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل يعتقد ان امراته قد خانته . وكان

الرجل يقول لامرأته قبل سفره : اني عاقد لك رتمة بشجرة فان احدثتِ حدثاً انحلت .

﴿ الرتيمة ﴾ وهي من الرتم ايضاً كان اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بُعث من قبره يركبها وتسمى البلية

﴿ التعمية والتنقية ﴾ كان الرجل اذا بلغت ابله الفاً قلع عين الفحل يزعمون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت عن الالف فقأ عينه الاخرى

﴿ دواء العر ﴾ كانوا اذا اصاب الابل داء العر وهو يشبه الجرب يكوون السليمة يزعمون ان ذلك يبرىء المريضة

﴿ تسكين النوق النافرة ﴾ يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن .

﴿ سقي البقر ﴾ اذا امتنعت البقر عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب

﴿ الهامة ﴾ يزعمون ان الانسان اذا قُتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من راسه طائر يسمى الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى ان يوخذ بثأره . ومنهم من يزعم ان هذا الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه اذا مات او قتل ولا يزال متصوراً في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشاً له

﴿ الصفر ﴾ حية تكون في بطن الانسان يزعمون بانه اذا جاع عضّ الصفر هذا على شرسوفه .

﴿ الجان ﴾ حية بيضاء كحلاء العين كثيرة في الدور يزعمون انها اذا قُتلت طلبت الجن بثأرها فيموت قاتلها او يصيبه خبل ويزعمون ان الحية تموت في اول ضربة فان ثنيت عاشت

﴿ حفظ الاسنان ﴾ يزعمون ان الغلام اذا تغرَّ فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدليني باحسن منها فانه يأمن على اسنانه من العوج والفلج

﴿ التحفظ من الوباء ﴾ يزعمون ان الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل ان يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها

﴿ الاهتداء ﴾ يزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى

﴿ الاستسقاء ﴾ كانوا اذا جدبت ارضهم من قلة المطر اخذوا اغصاناً من شجر السلع

والعشر وعلقوها باذناب ثيران الوحش وحدروها من الجبال واشعلوا في ذلك السلع والعشر النار يعتقدون ان ذلك يستنزل المطر ومنه قول الشاعر

اجاعلٌ انت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

وكان عندهم ايضاً : صدحة المطر والتوابع والتمائم والتولة والتبخبير بالحزى والسعلاة وذكرها القطرب والغول والعنقاء والخيلان والحرقوص واكلة الشيطان ودواء المقلات ويضيق المقام دون شرحها كلها

باب الاسئلة والاجوبة

(مداواة العرب في السودان للعمى الليلي)

(ام درمان) . ح . ج . ع . ضابط بالجيش المصري

لاحظت اناساً كثيرين وخصوصاً من الجنود المصرية فرايتهم لا يرون شيئاً في الليل مع ان عيونهم صحيحة ترى كل شيء في النهار . ويسمون ذلك « العشى . » وقد عرفت جندياً بهذا الداء دخل المستشفى فلم ينجع به علاج فوصف له بعض الاعراب من سكان هذه البلاد ان ياخذ اناء فيه لبن فيغليه وقبل ان ينام « يغطي راسه و ينظر فيه » عدة مرات ثم يشربه فيشفى ففعل الجندي ذلك فشفي حالاً ونظرت ذلك بعيني . فما هو هذا الداء وما سببه وما سبب هذا الشفاء ارجو الافادة .

(الجامعة) يدعى هذا الداء العمي الليلي « النيكتالوبيا » وهو ثلاثة انواع نوع يصحب الداء الزهري فلا يزول الا بزواله . و يكون مسبباً عن التهاب شبكية العين وهو في هذه الحال مزمن قلما ينتهي قبل عدة شهور ويعود بعد شفائه فيكون اشد مما كان

والنوع الثاني ينشأ عن كلل وقتي في احساس الشبكية بسبب تعرض العين تعرضاً طويلاً للنور الشديد اذا كان الجسم ضعيفاً لعدم جودة الغذاء او لقلته وكثيراً ما يصحب داء الاسخربوط . وكثيراً ايضاً ما ينشأ عن النوم في ضوء القمر لوقوع الاشعة على العين . و ينشأ ايضاً بين الجنود كما لاحظتهم وذلك لاسفارهم الطويلة الشاقة في حر الشمس الشديد ووقوع نورها على عيونهم . وكذلك ينشأ في عيون المسافرين في الاقطار الاستوائية للاسباب المذكورة آنفاً

والنوع الثالث كالثاني ولكنه ينشأ عن وقوع سطعان الثلج على العين في الاقاليم الباردة بدلاً من حرارة الشمس في الاقاليم الحارة

اما دواؤه فوقاية العينين من النور الشديد واستعمال العلاجات المقوية للصحة اخصها زيت السمك لان صحة العينين تابعة دائماً لصحة الجسم · ومن كان مصاباً بداء العمى الليلي وستر في النهار احدى عينيه وابقى الاخرى من غير ستر ابصر في الليل بالعين التي سترها ولم يبصر بالتي لم يسترها مما يدل على ان الوقاية خير دواء

اما الدواء الذي ذكرتم ان العرب في السودان يصفونه لهذا الداء فلم نفهمه جيداً لانكم تقولون في السطر الرابع (يغطي رأسه وينظر فيه) فان كان مرادكم "يغطي راسه وينظر اليه من بعيد" كان سبب الشفاء اللون الابيض لا غير · وان كان مرادكم "يغطس راسه وينظر فيه اي يفتح عينيه في اللبن" كان الشفاء من فعل اللبن في باطن العين · ولكن يلوح لنا في الحالين ان الشفاء بعيد الحدوث لانه لا يكفي لشفاء داء كداء العمى الليلي ان يعالج مرة واحدة واذا دققتم البحث ايقنتم بصحة هذا القول

(رواية الحب حتى الموت)

(اسكلة طرابلس الشام) ر٠ ا

تأسفت كثيرًا لانتصاركم "رواية الحب حتى الموت" وبكيت كثيرًا عند التقاء فدوكي بامها وموتها تحت ارز لبنان على صوت نعيب الغربان · وبقينا نبكي وقتًا طويلاً بلا انقطاع فهل يوجد حقيقةً في العالم اناس بهذه التعاسة · وقلتم ان عندكم يوميات فدوكي واميل وماري فرجاؤنا ان تنشروا لنا شيئًا من هذه اليوميات

✻ الجامعة ✻ كتبنا رواية الحب حتى الموت بسرعة شديدة شذرات منقطعة الجزء بعد الجزء واختصرناها لانتهاء القسم الاول من الجامعة اولاً ولانه ليس لنا فراغ من وقتنا يتيح لنا الكتابة في هذا الموضوع بالتأني والتدقيق الذي نريده له · اما اليوميات الثلاث فهذا اول طلب ياتينا بشانها واذا كثر الطلب وآنسنا من القراء ميلاً اليها نشرناها امامهم واريناهم ما دار بين فدوكي وماري واميل والاب ظلانور من الافكار الغريبة والخواطر السامية · ونحن ننتظر لنرى ميل حضرات القراء

صدى المجلات

نشير في هذا الباب الى اهم ما يرد في المجلات العربية من المباحث العلمية والادبية مما نستطيع الوقوف عليه ويتسع المجال لذكره فيكون بيانًا وجيزًا للحركة العلمية والادبية

الزراعة — الجزء ٢٦ و٢٧ السنة ٨

في صدر الاول مقالة عن الجراد ثم تتمة تقرير حضرة السير وليم غارستن عن مستقبل السودان وتتمة تقرير حضرة اللورد كرومر السنوي عن مصر وشؤونها . وفي صدر الجزء الثاني نبذة في الجلوس السلطاني تليها تتمة التقريرين المذكورين انفًا

الهلال — الجزء ٢٤ السنة ٧

مصدر بترجمة الطيب الذكر المرحوم صفرونيوس الرابع البطريرك الاسكندري للروم الارثوذكس . وفي باب تاريخ الشهر ذكر ما قررته الحكومة الروسية من "استعمال الحساب الغريغوري في ممالكها بدلاً من الحساب اليولي" نقلاً عن جريدة البشير . وطلب العفو بمناسبة عودة محمود باشا سامي احد زعماء الثورة العرابية من منفاه الى مصر عن باقي العرابيين المنفيين في جزيرة سيلان "الذين قاسوا من مرارة الغربة في نفوسهم وتاثير الاقاليم في ابدانهم ما يكفي ان يكون عبرة لهم ولسواهم" فالجامعة تضم صوتها الى هذا الصوت وترجو من مراحم سمو الخديوي المعظم الرفق باولئك المنفيين فقد قرانا عنهم ما يفتت القلوب

المشرق — الجزء ١٨ السنة ٢

في صدره مقالة عن الطقوس القبطية الكاثوليكية الحديثة والقديمة ونبذة من كتاب الباكورة للخورفسقفوس جرجس شلحت الحلبي السرياني ضمنها « تاويلاً لقصيدة ابن سيناء في النفس يحلها من ربقة الزعم الضال الذي بنيت عليه وهو قول افلاطون بان النفوس تقدمت الاجسام في الوجود فلما خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد »

(١) المجلات مذكورة باعتبار اعمارها الاقدم فالاقدم وهلم جرًا . واذا تساوت مجلتان في العمر قدمت الاسبق تاريخًا واذا تساوتا فيه ايضًا قدمت الاسبق الى الادارة

ومقالة في الكلم اليونانية المنقولة الى اللغة العربية . واخرى في « اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيـة »

المنار المصري — الجزء ٢٧ و٢٨ السنة ٣

مقالة في الخلاف في الكرامات ونبذة في حقوق الاخوة واخرى في « الوثنية في الاسلام » لكاتب من سنغابور . وفي صدر الجزء الثاني مقالة عنوانها « ماذا نعمل » ضمنها خطبة تلاها حضرة منشئ المنار في جمعية (مكارم الاخلاق) . يليهـا الدرس الاول الذي القاه حضرته في الاجتماع العمومي الاسبوعي لجمعية شمس الاسلام بناء على انتدابها اياه لذلك

الشهباء — الجزء ١٧ و١٨ السنة ١

مفتتحة بقصيدة في الجلوس السلطاني . يليها رسم فخامتلو دولتلو خليل رفعت باشا الصدر الاعظم ونبذة في الجامعة الاسلامية واخرى في جمهورية الترنسفال . ورسم سعادتلو مرعي افندي ملاح زاده رئيس المجلس البلدي في حلب ورسم در يفوس

العائلة — الجزء ١٠ السنة ١

مقالة موضوعها « اقنعوا نساءكم ان يرضعن اولادهن ولا تكرهوهن » تليها اخرى عنوانها « قولوا ما شئتم والحكم للمستقبل » نود لو يقرأها كل كاتب فيتعلم منها رقة الكتابة . ولا غرو فالرقة من مزايا اقلام السيدات . ثم مقالة للكاتب المجيد نقولا افندي حداد موضوعها « المجتمعات العمومية »

الموسوعات — الجزء ٢٢ السنة ١

فقدت الادارة من سوء الحظ الجزء ٢١ من الموسوعات كما فقدت جزء انيس الجليس فلم نتمكن من الاشارة الى مواضيعها في الجزء الماضي . اما الجزء ٢٢ من الموسوعات فهو مصدر بمقالة عن « مضار الدخلاء » لحضرة الكاتب المجيد محمد افندي فريد شرح فيه المشكلة بين انكلترا والترنسفال تليها مقالة اخرى في مسئلة الحجاب قال فيها حضرة ط . ج قولاً عادلاً عن الذين يطعنون على حضرة الفاضل عزتلو قاسم بك امين مؤلف كتاب « تحرير المرأة » وذلك منهم (لحسد او لتضييع وقت خلوهم من عمل يعملونه) . والخطبـة لحضرة الاستاذ الشيخ احمد الكناني في الخطبة والخطباء وفي ذيل الموسوعات رواية تيمان لشاعر مصر المجيد عزتلو احمد بك شوقي مؤلف رواية لادياس

باب التقريظ والانتقاد

﴿ عذراء قريش ﴾ في ظننا انه لم يبقَ احد من قراء اللغة العربية الا و وقف على سلسلة الروايات التاريخية الاسلامية الجميلة التي ينشرها حضرة صديقنا الفاضل منشئ مجلة الهلال في ذيل مجلته . وامامنا الآن من هذه السلسلة حلقتها الثالثة وهي عذراء قريش التي استلفتت اليها في هذا العام انظار السادة المسلمين بنوع خاص . وهي تتضمن " تفصيل مقتل الخليفة عثمان وخلافة الامام علي وما نجم عن ذلك من الفتنة وواقعة الجمل وواقعة صفين الى تحكيم الحكمين وخروج مصر من خلافة الامام علي " ولا شك ان عالم الادب العربي مديون لحضرة منشئ الهلال بكونه اول مؤلف شرقي الف في فن الروايات تأليفاً حقيقياً يرفع شأن هذا الفن في الشرق . فنثني على ما أوتيه من البراعة في هذا الفن الجليل ونرجو لرواياته الجميلة ما تستحقه من الاقبال والنجاح . و تطلب رواية عذراء قريش من ادارة الهلال في مصر وثمنها عشرة غروش صاغ عدا اجرة البريد

﴿ كان ياما كان ﴾ اهدت الينا ادارة المنار سفرًا بهذا العنوان موضوعه رواية علوية او اسطورة حكمية تمثل اعراض الناس عن اسباب سعادتهم " وضعها في قالب الخرافات اليونانية المرحوم عالي بك احد كتاب الاتراك وترجمها عن التركية ترجمة بسيطة الكاتب البارع بالتركية عمر خيري افندي زغلول ثم سبكها في قالب البلاغة وزاد فيها زيادة تربي على الاصل حضرة منشئ مجلة المنار السيد محمد رشيد رضا الحسيني " . وكفى باسم المؤلف واسم المنشئ برهانًا على اهمية هذا السفر فنحث جميع القراء على مطالعته وهو يطلب من ادارة المنار وثمنه ٣ غروش صاغ

(النور) اصدرت ادارة جريدة مصر الغراء جريدة دينية اسبوعية عنوانها « النور » وقفتها على خدمة الطائفة القبطية الارثوذكسية في مصر رغبة في اصلاح شؤون الطائفة وانارة الاذهان بمقالاتها وفصولها الرائقة وهي خدمة وطنية جزيلة النفع تشكر عليها رصيفتنا مصر فوق ما تستحقه من الشكر على خدمتها عالم الصحافة والادب فنثني على حضرة مديرها وصاحبها الفاضل تادرس افندي شنوده المنقبادي ونتمنى لمشروعاته الجليلة كل نجاح وفلاح

❊ الحياة بعد الموت والزواج الاجباري ❊ روايتان في كتاب واحد لمعربهما حضرة الكاتب البارع توفيق افندى عزوز من محرري الجرائد العربية اليومية رفعهما هدية الى سعادة المفضال قليني بك فهمي مراقب الاموال غير المقررة في نظارة المالية اعترافاً بفضل حضرته . وهما مزينتان برسوم جميلة ومعربتان بعبارة رشيقة واسلوب رقيق يشهد للمعرب بطول الباع نتمنى لهما الرواج . وهما تطلبان من حضرة المعرب في القاهرة بثمن خمسة غروش صاغ

❊ مائة مسئلة ومسئلة ❊ اخذ حضرة الاديب البارع رشدي افندي كمال في ديوان مصلحة السكة الحديدية المصرية يصدر من سنة ١٨٩٧ كتاباً بهذا العنوان جعله اجزاء يتلو بعضها بعضاً وقد صدر منه الى الآن جزآن يحتويان مسائل حسابية لتلامذة الشهادة الابتدائية مشفوعة بحلها يليها جدول يحتوي على اشهر المقاييس الحديثة . وهذه المسائل شديدة النفع والسهولة للطلبة حرية بالاقبال عليها فنثني على اجتهاد الكاتب ونرجو له نجاحاً يتيح له اتمام هذا الكتاب

❊ الكوكب الساري ❊ جريدة عثمانية ادبية تصدر ٣ مرات في الشهر لجمعية الكوكب الساري التمثيلية قيمة اشتراكها ٢٠ غرشاً صاغ . فنرجو لها النجاح والرواج

❊ جريدة السلام ❊ ظهرت جريدة السلام الغراء الى عالم الصحافة بعد احتجابها الوقتي شهراً واحداً فنتمنى لها النجاح الذي تستحقه جزاء ما امتازت به من الاعتدال والنزهة

اعتذار — نعتذر الى حضرات القراء عن صدور الجامعة بهذا الورق وهذا الرسوم فانه لم يردنا بعد ورقها الخصوصي ورسومها الجديدة التي بعثنا في طلبها من اوربا وستصل الينا عن قريب

وقد ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار العلمية وباب غذاء المعد القوية والمعد الضعيفة فنرجو المعذرة من حضراتهم

(الى حضرات المشتركين)

نرجو من حضرات المشتركين في اميركا والهند وتونس والجزائر وسائر البلدان التي ليس لنا فيها وكلاء ان يرسلوا الينا بدلات الاشتراك حوالة على البوسطة المصرية او البوسطة الفرنسوية فنقدم اليهم الوصولات اما المشتركون الذين لم يدفعوا الى وكلائنا بدل الاشتراك الى الآن في مصر والشام فالمرجو منهم ان لا نضطر الى اعلان ثانٍ ولهم الفضل

تاريخ الاسبوعين

(اهم الاخبار الخارجية)

فرنسا — صدر العفو عن دريفوس في ١٩ الماضي وبدأت السكينة تعود الى فرنسا

اجتمع السناتو بهيئة محكمة عليا في ١٨ الجاري وقرأ النائب العمومي قرار الاتهام فظهر منه اشتراك الملكيين واعداء اليهود في القلاقل التي حدثت لتغيير الحكومة

انكلترا — خطب المستر مورلي في ١٥ الماضي ضد الحرب مع الترنسفال . قرر مجلس جمهورية اورانج الحرة انجاد الترنسفال في الحرب . حدثت مظاهرات شديدة ضد الحرب ولها في احدى ساحات لندرا . والارجح انه لا تصدر الجامعة حتى تكون الحرب قد دارت رحاها بين « الاسد والخروف »

سربيا — حكم في ٢٤ الماضي بالاعدام على كزينفتش الذي اطلق الرصاص على الملك ميلان فاعدم

النمسا — زار امير البلغار امبراطور النمسا زيارة اعتبرها السياسيون ذات شان

الولايات المتحدة — بناء على طلب الصين الغت الحكومة ما قرره الجنرال اوتيس من منع الصينيين من المهاجرة الى فيلبين وابلغته انه جاوز حد وظيفته

(اهم الاخبار الداخلية)

الجناب الخديوي — عاد الجناب العالي المعظم من فينا الى رودس عن طريق برندزي وسيزور سموه الاستانة

اللورد كرومر — برح حضرة اللورد كرومر مرسيليا في ٢٦ الماضي عائداً الى مصر

زلزال — حدث زلزال في ايدين من ولاية ازمير فمات به عشرون شخصاً

فيضان النيل — يقدر جناب الماجور براون مساحة الاطيان الشراقي اي التي لا تروى في هذا العام في الوجه القبلي من ١٥٠ الف فدان الى ٢٠٠ الف فدان والامل ان الحكومة تخفف بعنايتها شيئاً من هذا الشقاء

بطريرك الارثوذكس — سال مجمع رؤساء الاكليروس في الاسكندرية غبطة البطريرك يواكيم الذي كان بطريركاً للقسطنطينية والمقيم الآن في جبل اتوس اذا كان يقبل الكرسي الاسكندري ليرشح له فاعتذر عن ذلك

الفصل الرابع

(بيتو يهرب الى حيث يحب)

وكان بيتو يسير نحو منزل عمته وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى . وخيل له وهو مطرود من المدرسة انه مطرود من جنة ملاكها الحارس الاب فورتيه ولكنه يحميها بسوط لا بسيف

وكان حزيناً لامرين الاول لخوفه غضب عمته والثاني لمفارقته المدرسة

اما عمته فكان يذكر غضبها وفرائصه ترتعد . وكان هذا المسكين لا يعرف نيات عمته الا بالطريقة التي يعرف بها الكلب نية سيده اي بغريزته وذلك بالنظر الى سحنته . وكان يرى في سحنتها الاهتمام الشديد بتعليمه فكان يعلم من ذلك شدة اهمية اقامته في المدرسة

اما حزنه لمفارقته المدرسة فناشىء عن العادة . فانه تصور انه غير عائد الى هذه المدرسة التي عاش فيها . ورأى بالفكر رفاقه التلامذة قادمين منها وذاهبين اليها وهم يثبون ويطفرون حاملين كتبهم وغذاءهم فأنَّ في نفسه وحزن على هذه المعيشة التي يفارقها . وخيل له حينئذٍ ان المدرسة نعيم مع انه كان يراها من قبل في كل يوم جحيماً

ووصل بيتو الى منزل عمته وجلاً خائفاً ففتح الباب ودخل يفرك عينيه ويجر رجليه جرّاً ويقول آه ياعمتي انا مريض جدّاً

فنظرت اليه عمته وصاحت به : ما جاء بك الآن

فبكى بيتو فقالت له عمته تتمارض حتى تأكل مع ان وقت الغذاء قد مر فادخل وكل وعد مسرعاً الى المدرسة

ذلك ان العمة انجليك كانت فرضت على بيتو المسكين كل ما كان يبطيء عن الساعة الثانية عشرة ان لا تغذيه عقاباً له على ابطائه فكانت بهذه الطريقة تقتصد في كل سنة خمسين او ستين غداء

اما بيتو فاجابها — لا لست جائعاً ياعمتاه

فادهشها هذا الجواب واستغربت ان يقول بيتو " انه ليس جائع " مع انها لم تسمع ذلك منه قط في كل حياته وحسبت ان به مرضاً حقيقياً فنظرت اليه باهتمام وقالت — ما

بك اذاً تكلم

فلما راى بيتو في كلام عمته شيئاً من اللين اجهش بالبكاء وقال . مصيبة عظيمة ياعمتاه

قالت ماذا

فزاد بكاء بيتو

قالت ماذا . قل . فقد عيل صبري

قال طردني المسيو فورتيه

فصاحت العمة انجليك مستفهمة : طردك ؟

قال نعم طردني

قالت ومن اين طردك

قال من المدرسة

فبلغ الغضب من العمة انجليك وصاحت بيتو . لم يبقَ اذاً امل بالامتحان ودخولك المدرسة الاكايريكية ؟

فاستحال هنا بكاء بيتو الى زفير وشهيق شديد فصاحت به العمة : . وما سبب ذلك ايها الشقى ألانك لا تزال تترك المدرسة وتطوف حول مزرعة المسيو بيلو

فاشار بيتو براسه اشارة سلبيـة

فصاحت بغضب اكثر احتداماً : كذبت ايها الشقي فقد نظرك كثيرون في الاحد الماضي مع مدموازيل بيلو في دهليز (سو بير)

فصاح بيتو : كلا ما كنا بدهليز سو بير ولكن في جهة اورانجيري

فصرخت العمة بهيئة المنتصر : ارايت ايها الشقي ان ظني في موضعه

قال صدقيني ياعمتي انه ليس لكاترين دخل في طردي من المدرسة

قالت احسنت احسنت . لقبها تحبباً . « بكاترين » نجنا يارب من هذا الجيل الشرير . اولاد يحبون في السابعة عشرة . نجنا يارب من فساد هذا الجيل

فقال بيتو اقسم لك ياعمتي انه ليس لكاترين دخل في طردي من المدرسة

قالت يالها من شقية فاسدة القلب

قال حاشا لها ياعمتاه فانها طاهرة القلب كالملاك وكلما اجتمعنا تطردني عنهـا لارجع الى شغلي

قالت عافاك عافاك ايها الشقي . من حسن الى احسن . لقبتها تحبباً بكاترين والآن

تدافع عنها ولكن الا تعلم ايها الابله لماذا تطردك عنها . ذلك لكي لا يراكما احد

فقال بيتو في نفسه . صدقتْ عمتي فان كاترين ما كانت تطردني الا حين ترى قادماً قال ذلك بنفسه وبقي مفكرًا

اما عمته فصاحت به اذ رأت تفكيره — ارايت ايها الشقي كيف اسكتك ذنبك فكونا اذًا كلا كما على حذر . ان الاب فورتيه كاهن اعترافها فساطلب منه ان يحجنك في المدرسة اسبوعين لا تاكل بخلالها غير الخبز والماء عقاباً لك واما مدموازل كاترين فاذا كان لا يبرد نارها غير دخولها الدير نستدخله عن قريب ان شاء الله

فقال بيتو باضطراب ولكن صدقيني انها ليست سبب طردي

قالت فما السبب اذًا

قال السبب بسيط ياعمتي وهو انني (على قول المسيو فورتيه) كثير الاغلاط الصرفية والنحوية . وقد قال لي مرارًا « انني لا استطيع الوصول الى حيث اقصد » اي لا استطيع الدخول الى المدرسة اللاهوتية

فصاحت العمة قد خابت آمالنا اذًا فلا تصير انت راهباً لاكون انا مدبرة شانك؟

قال وا اسفاه ياعمتي نعم خابت الامال

قالت وماذا تريد ان تكون اذًا

فرفع بيتو يديه الى السماء وقال كما تريد العناية

فصاحت العمة وقد اخذ الغضب منها كل ماخذ . العناية ؟ قد فهمتُ الآن ايها الشقي . انك تتعلم مبادئ الكفر الجديد . انك تتعلم الفلسفة

فقــال بيتو مبهوتاً كلا ياعمتي فاني لا استطيع درس الفلسفــة الا بعد درس البيان

قالت محتدمة غيظاً . لا اتكلم عن هذه الفلسفة ايها الشقي وانما عن فلسفة . الفلاسفة الاشرار مثلك . اتكلم عن فلسفة المسيو أرويت . عن فلسفة المسيو جان جاك عن فلسفة المسيو ديديرو مؤلف كتاب « الراهبة »

قالت ذلك ورسمت الصليب على صدرهــا . فقــال بيتو وما معنى كتاب « الراهبــة »

قالت لا تتجاهل ايها الشقي لا بد انك قرات هذا الكتاب

قال اقسم ثلاثا انني لا اعرف ما هو
قالت بلى قراته ولذلك لا تريد ان تكون من الكنيسة
قال لا . انا ما رفضت ان اكون من الكنيسة ولكن الكنيسة هي التي رفضت ان اكون منها

فاستشاطت هنا العمة غيظاً وهمت الى مكنسة وراء الباب وهي تقول — تعلمتَ الجدال ايضاً فاصبر حتى اريك كيف تخيب آمالي

ثم اخذت المكنسة وقبضت على عنق بيتو المسكين ورفعتها فوق راسه . فذكر بيتو عند ذلك سوط الاب فورتيه ومعنى رفعه فوق راسه في ذلك اليوم فعلم انه قد انقطع ما كان بينه وبين عمته كما انقطع ما بينه وبين معلمه فانسلَّ من يدها وخرج من الباب ركضاً كأن جميع ابالسة الجحيم تطارده وكان متجهاً في ركضه صوب مزرعة المسيو بيلو يسوقه الخوف من عمته ورجاء الاقامة قرب مداموزيل كاترين

الفصل الثالث

(مزارع فيلسوف)

ووصل بيتو الى باب المزرعة فوجد فيه مداموزل كاترين جرياً على العادة شوب ابيض ناصع ووجه مورد وشعر اشقر كانه اكليل جميل حول وجهها الصبوح . فقص عليها قصته مع عمته وطردها اياه ثم سالها ان تعطيه عنوان الدكتور جيلبار لابلاغه امره فسرت كاترين بخروجه من بيت عمته واخذته الى ابيها المسيو بيلو . فلما ابصره ابوها قال له . هذا انت يابيتو ؟

قال نعم ياسيدي
قال ما جاء بك
قال عمتي طردتني
قال ولماذا
قال لانني لم اقدر على درس اليونانية لاكون راهباً
مسكين بيتو كان يجب ان يقول اللاتينية بدل اليونانية
فصاح بيلو ولكن هل اعرف اليونانية انا . أأعرف اللاتينيه . أأعرف الفرنسوية . فما الذي يمنعني من ان اشتغل . فاياك والبطالة ايها الفتى فانها راس المعاصي . اي

عمل تحسن

قال بيتو لا اعرف غير مد قضبان الدبق ونصب الحبائل للارانب والطيور

فضحكت كاترين اما بيلو فزأدت ملامح وجهه خطارة فصاح مادًا قبضته بعنف وشدة — قبحًا لهذه المدارس التى لا تربي تلامذتها الا في البطالة والكسل. ماذا يستطيع هذا الشاب الآن بعد خروجه من المدرسة لمنفعة اخوانه

فقال بيتو من حسن الحظ ياسيدي انني ليس لي اخوة

قال اردت باخوانك جميع بني البشر ايها الجاهل . فهل علموك ايضاً انهم ليسوا اخوة

قال بل هم اخوة كما يقول الانجيل

قال ومتساوون ايضاً

فاظهر بيتو الدهشة وقال : اما هذا فلا اصدقه لانني لو كنت مساويًا للاب فورتيه لما جاز له ان يطردني من المدرسة

فقال بيلو سابرهن لك هذه المساواة فاقم عندنا في المزرعة لانني بحاجة اليك . وقد جئت في حينك

فقالت كاترين لقد كفيته يا ابتاه عناء الامر الذي جاء من اجله

قال وما جاء به

قال جاء يسأ لك عنوان صديقك وشريكك الدكتور جيلبار ليبلغه امره مع عمته فهل لا يزال الدكتور في اميركا

قال بيلو بل قدم منها من عهد قريب . وانا محتاج الى بيتو لامر متعلق بالدكتور

قالت وكيف علمت قدوم الدكتور وما هو هذا الامر

قال اخذت منه امس كتابًا يبلغني فيه قدومه مشفوعًا بكراس جميل

قالت وما هذا الكتاب والكراس . وكيف عرفت ما في هذا الكتاب مع انك لا تحسن القراءة

عفوًا يا ابتي لا اهينك بقولي هذا فاني سمعتك مرارًا كثيرة تفتخر بعدم معرفتك القراءة

فقال بيلو بصوت كالرعد القاصف . نعم افتخر بذلك لاني اكره ان اكون مديونًا بشيء لاحد من الناس. واحب ان يقال عني « ليس لاحد جميل على بيلو حتى ولا معلم المدرسة وقد جمع ثروته بجده من غير مساعدة احد » . اما الكتاب فقد قرأه لي ضابط رأيته في طريقي . خذ واقرأه لها يا بيتو قبل ان تسأل عن فحواه فاني اعرفها

كثيرة السؤال

فاخذ بيتو الكتاب وقرأ ما ياتي

«عزيزي المسيو بيلو

«عدت من اميركا حيث شاهدت شعباً غنياً سعيداً عظيماً وما ذلك الا لانه متمتع بحريته واستقلاله · اما نحن معاشر الفرنسويين فاننا فقراء تعساء لاستعبادنا وضعفنا غير اننا بالرغم عن ذلك صائرون الى عصر جديد سيسطع فيه على الارض نور السماء · اعرف مبادءك وافكارك واعرف سلطتك على زملائك المزارعين وعلى هذه الطبقة النشيطة طبقة الصناع والزراع فاجتهد بان تغرس في عقولهم جميعاً مبادىء الاخلاص والاخاء التي عرفتها فيك · الفلسفة اليوم عمومية وعلى نورها العظيم يجب ان يقرأ الناس واجباتهم وحقوقهم · وقد قدمت لك كراساً يحتوي على تلك الحقوق والواجبات فانشر مبادئه بين الناس فانها مبادئ العدل والمساواة والحرية · اقرأه جهراً على اصحابك ومرؤوسيك في ليالي الشتاء الطويلة فان القراءة غذاء للنفس كما ان الطعام غذاء للبدن

ساجيئك قريباً فاطلعك على طريقة الزراع الاميركيين في اقتسام ريع الارض بين العامل والمالك فانها اكثر انطباقاً من طريقتنا على النواميس الطبيعية وارادة الله

حب واخاء وسلام

« الدكتور جيلبار»

فلما فرغ بيتو من تلاوة هذا الكتاب قال بيلو — افهمت الآن السبب الذي يحملني على ابقائك عندي

قال لا

قال هو العمل بما اوصاني به الدكتور من نشر مبادىء هذا الكراس الذي ذكره في كتابه · قال هذا واخرج من جيبه كراساً ودفعه الى بيتو قائلاً — اقرأ عنوانه يابيتو

فقرأ بيتو على ظهر الكراس ما ياتي « استقلال الانسان وحرية الامم » وكان هذا الكراس كسائر الكراريس الصغيرة التي كانت تصدر في ذلك الزمان برخصة من الحكومة ومن غير رخصة ايضاً · انما كان المؤلف في الحالة الثانية يلقى السجن عقاباً اذا عُرف اسمه

فقال المسيو بيلو : فوظيفتك عندنا يابيتو ان تجلس الينا في السهرات فتتلو علينا هذا

الكراس وتشرحه لنا وفي النهار نتولى رعاية المواشي

وكانت كاترين الى هذا الوقت مبهوتة ساكتة فقالت لابيها — رجعنا يا ابتاه الى المسئلة المعهودة · رحماك يا ابتاه لا تعرض نفسك فاني اخاف عليك شرًا · قلت انه وردك كتاب من الدكتور · وانا ايضًا وردني كتاب آخر

قال بيلو ممن

قالت من سباستيين ابن الدكتور جيلبار

قال بيلو وماذا يقول في هذا الكتاب

قال يقول انه بانتظار والده وقد انقضت ثلاثة ايام على ميعاد حضوره ولم يحضر بعد

قال فماذا تستنتجين من ذلك

قالت اخاف ان يكون قد اصابه شر فتأتي نوبتك بعده

فقال بيتو صدقت السيدة ياسيدي

قال بيلو اصمتا واتركا الخوف · الفلسفة اصبحت كما قال الدكتور عمومية · وعلى نورها العظيم يجب ان يقرأ كل منا حقوقه وواجباته من غير خوف ولا جبانة

. . . .

وكان الشعب يقول هذا القول وهم في عشية ذلك اليوم العظيم الذي نسخت فيه الامة الفرنسوية تاريخ رومه واثينا صفحة صفحة مدة عشر سنوات كاملة

الفصل الخامس

(رعاية المواشي)

فبقي بيتو يفكر كل تلك الليلة بهاتين المسألتين « تلاوة الكراس في الليل · ورعاية المواشي في النهار »

اما الامر الاول فكان يطير فرحًا كلما تامله ونظر فيه لانه نوع من التعليم والخطابة · لكنه كان يغص بريقه كلما تامل الامر الثاني اعتبارًا ان حرفة الرعاية ادنى من حرفة التعليم بدرجات كثيرة

الا انه رجع الى نفسه فراى في ما درسه في المدرسة ان رعاية المواشي كانت من حرف الآلهة وانصاف الآلهة

فان الاله ابولون لما طرد من الاوليمب كما طرد بيتو من بيت عمته صار يرعى مواشي

الملك ادميت . نعم ان ادميت كان ملكاً غير ان ابولون كان ايضاً الهاً

والبطل هرقل عمل ما يقرب من رعاية البقر . فانه فيما رواه التاريخ الخرافي كان يجر بقر جاريون من اذنابها . وسواء كان يجر الانسان البقر من رؤوسها او من اذنابها فانه يُدعى (بقاراً) اي راعياً للبقر

وهذا تيتيروس الذي روى فرجيل قصته الجميلة وتفيأه في البراري ظل الاشجار وانشاده تحتها الابيات الرقيقة السحرية التي كان يغبط نفسه فيها لهذه السعادة التي نالها من اغسطس كان راعياً ايضاً . وماليباي رفيقه الذي كان يبكي وطنه ويذكر بعده عنه بشعر رقيق انيق كان راعياً ايضاً

كل هؤلاء كانوا يعرفون من اللغة اللاتينية ما يتيح لهم ان يكونوا رهباناً ولكنهم كانوا مع ذلك يختارون رعاية المواشي على سائر الاعمال والحرف . فلا بد اذن ان يكون لرعاية المواشي مزية خاصة بها تصرف الافكار والاميال عما سواها . فاذا كان ذلك كذلك فلا عار من حرفة الرعاية على بيتو ولا خوف منها على شرفه لانها حرفة آلالهة وانصاف آلالهة

بمثل هذا الكلام كان بيتو يعزي نفسه ويسليها . وما كان ينزل بالفكر الى حرفة الرعاية بل كان يرفعها اليه

وفضلاً عن ذلك فان رعاية المواشي من الشؤون الموضوعة تحت مناظرة مدموازل كاترين ولا خوف على بيتو ان يضجر او تنحط كرامته من عمل متعلق بكاترين الجميلة

الفصل السادس

(ساقان لا تصلحان للرقص)

وفي صباح اليوم الثاني جاء بيتو كاترين وسألها ان تسلمه المواشي لرعايتها فاجابته — دع هذا عنك

فتح بيتو فاه وقال لماذا

قالت لانني اقنعت ابي بان هذه الحرفة احط منك شاناً . وبدلاً من ذلك امسك دفاتر المزرعة فتكفيني هذا العناء

ففرح بيتو وقال لها — وماذا تعلمين انت اذا تركت مسك دفاتر المزرعة

قالت اتسلى بعمل قبعات جميلة

(الجزء الخامس عشر) **الجامعة** (السنة الاولى)

الاسكندرية ١٥ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٩ جمادى الثاني سنة ١٣١٧

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

لفريه

(الفلكي الشهير مكتشف السيارة نبتون)

هو اوبين جان جوزيف لفريه الفلكي الفرنسوي الشهير . ولد في سان لومن اعمال المانش في فرنسا في ١١ مارس سنة ١٨١١ وتوفي في باريز في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٧

وقد اتم دروسه الادبية في كلية سان لو ثم دخل مدرسة كاين فتلقى فيها الرياضيات ثلاث سنوات وانصرف بعد خروجه من المدرسة الى الكيمياء فالف في سنة ١٨٣٥ رسالة في اتحاد الفوصفور بالهيدروجين ورسالة اخرى في اتحاده بالنيتروجين نال بهما شهرة واسعة في بدء حياته . ولكنه كان لم يهتد بعد الى الطريق التي خلق لها

وكان في سنة ١٨٣٦ مهندساً لمعامل الحكومة فارادت الحكومة ارساله الى الاقاليم في مهمة فاستقال من منصبه رغبة في البقاء في باريز ودخل استاذاً في مدرسة ستانيسلاس ثم في اواخر سنة ١٨٣٧ دعي الى المساعدة في تعليم علم الهيئة في مدرسة الرياضيات فوجد يومئذٍ طريقه ووضعه منصبه الجديد على ابواب السماء دار الكواكب الفلكية



﴿ لفريه العالم الفلكي الشهير ﴾

﴿ حياته العلمية ﴾ فهجم لاول امره على اهم مواضيع هذا العلم فكتب في سنة ١٨٣٩ رسالة الى الجمع العلمي في باريز بحث فيها عن تغير طرق السيارات فاظهر بادلة جديدة لم يأت بها حد قبله ثبات نظام العالم الشمسي . وبعد بضعة اسابيع قدم لها رسالة اخرى قدر فيها نسبة هذه الطرق بعضها الى بعض ومعدل ابعادها . فتوجهت اليه انظار العلماء خصوصاً العالم اراغو الفلكي الشهير فحثه على مواصلة البحث والتنقيب وطلب اليه ان ينقح جدول حساب عطارد

فنقحه ونشر جدولاً فاق جميع الجداول التي تقدمته فانتخب في ١٩ يناير سنة ١٨٤٦ عضوًا للمجمع العلمي في باريز خلفًا للعالم كاسيني

﴿ اكتشاف نبتون ﴾ وكانت شهرته الى هذا الوقت محصورة بين زملائه العلماء ولكنها ما لبثت ان انتشرت في الارض كلها وذلك باكتشافه السيارة نبتون احدى السيارات العليا الاربعة العظام . وبيان ذلك بالايجاز انه كان ينقح جدول حساب اورانوس كما نقح جدول حساب عطارد فوجد ان حركة اورانوس بطيئة في قسم من فلكه وسريعة في قسم آخر. وكان من رأي الفلكي بوفار في سنة ١٨٢١ والفلكي باسيل في سنة ١٨٤٠ ان هذا التباطوء في جانب والاسراع في جانب آخر سببهما وجود سيارة ثامنة كبرى تجذب اورانوس فتبطئه او تسرعه طبقًا لنسبة احداهما الى الاخرى . وكان اورانوس في ذلك العهد موضع الاشكال والعناء العظيم عند الفلكيين. فلما راى لفريه ذلك لم يتردد دقيقة واحدة بل حكم لساعته بوجود سيارة عظمى تؤثر على اورانوس. فحسب بالتقدير موقع الجرم المجهول وبعث الى جمعية العلوم يطلعها على مكانه في السماء وذلك في اول يناير سنة ١٨٤٦ ثم بعد ثلاثة اسابيع ارسل الى الفلكي غال في برلين جدولاً جديدًا واضحًا لحساب اورانوس وطلب اليه ان يرصد الدرجة التي جعلها في السماء مكانًا للجرم المجهول لعله يجده فيها . فرصد الدكتور غال الدرجة المذكورة يوم وصله هذا الجدول فاكتشف على بعد ٥٢ ثانية منها سيارة عظمى هي نبتون . وكان ذلك في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٤٦

فاقام هذا الاكتشاف علماء الفلك واقعدهم . فان تعيين موقع جرم مجهول في السماء على مسافة اكثر من الف مليون فرسخ ليس بالامر الصغير . فانهالت على لفريه الرتب والوسامات العلمية والسياسية. وتجاذبته المجامع العلمية الاوروبية الى عضويتها واثقله ملوك اوروبا بالوسامات ومنحه ملك فرنسا لويس فيليب وسام جوقة الشرف من رتبة اوفيسيه مع انه لم ينل رتبة شفاليه التي قبلها ودعاه الى تثقيف الكونت دي باريز وجعله استاذًا للفلك في مدرسة العلوم في باريز واصدر وزير الاشغال امرًا بنقش نصف تمثال له . وكان في عزم العلماء اولاً ان يسموا هذه السيارة « لفريه » ولكنهم عدلوا عن ذلك

غير ان شابًا انكليزيًا يدعى أدَمس من تلامذة مدرسة كمبريدج قام ينازع لفريه شرف هذا الاكتشاف. فان هذا الشاب بحث منذ سنة ١٨٤١ بحثًا دقيقًا في سير اورانوس فتوصل الى النتيجة التي توصل اليها لفريه من وجود جرم كبير وعين موقعه وكان ذلك قبل عمل لفريه ولكنه لم يعلنه. فتنازع العالمان في ذلك وحكما الجمعية الملكية في لندرا فرأت

من العدل ان تقسم جائزتها وهي جائزة كوبلاي بين الاثنين

ونبتون هو ابعد السيارات عن الشمس يدور حولها على بعد ٢٧٤٦٠٠٠٠٠٠ ميل في مدة ٦٠١٢٦ يوماً اي نحو ١٦٤ سنة وقطره نحو ٣٦٠٠٠ ميل اي اكثر من قطر الارض باربع مرات

وليس اكتشاف نبتون بالاثر الوحيد الذي خلفه لفريه فانه نقح جداول جميع السيارات نقضى في هذا الامر العظيم ثلاثين سنة حتى اتم هذا التنقيح وانشأ جداول جديدة لا تذكر بازائها الجداول التي كانت قبله . وقد انشأ في فرنسا مصلحة رصد الجو لمعرفة حالة الطقس وتنبيه سكان الثغور والزراع اليها

ومن جملة آرائه ومذاهبه واعماله الكثيرة في علم الهيئة مذهب بسان النيازك والرجم شاركه فيه العالم شيابار يلي . وهو نسبته ما يسمونه « مطر النجوم الساقطة » الى اجتماع بعض المذنبات قرب الشمس بقوة جاذبية بعض السيارات وتحول هذه المذنبات وانجذاب بعضها الى الارض اذا وقعت في فلكها كما ترى في الرسم التالي

وقد حل هذا المذهب محل القبول لدى العلماء

⁂ حياته السياسية ⁂ وللفريه حياة سياسية لانه اشتغل بالسياسة وكان فيها من حزب الملكية والامبراطورية . وقد عينته الامبراطورية بعد انقلاب الجمهورية الثانية عضواً من اعضاء مجلس الشيوخ وجعلته مفتشاً عاماً للتعليم النهائي فادخل الى الكليات اصلاحات كثيرة اسخطت عليه الناس فقاموا يطلبون الغاءها فالغوها . فصرف همه الى اصلاح مرصد باريز لانه عين مديراً لهذا المرصد بعد وفاة مديره العالم اراغو فادخل اليه اصلاحات مهمة نافعة ولكنه اخطأ في الطرق التي كان ينفذها فيها فقام عليه العلماء قومة واحدة وطلبوا عزله فعزل من ادارة المرصد وجعل العالم ديلوناي مكانه . وبعد وفاة ديلوناي دعاه المسيو تيرس ثانية الى ادارة هذا المرصد ولكنه جعل بازائه « مجلساً للمراقبة » فارضى بذلك الحزب الجمهوري الذي كان يكره وجوده في الادارة الجمهورية بالنظر لحياته السياسية الماضية

وتوفي لفريه في سنة ١٨٧٧ في ٢٣ سبتمبر من هذه السنة اي في مثل اليوم الذي اكتشف فيه السيار نبتون . فاحتفل بجنازته احتفالاً باهراً واكتتب جميع علماء الارض بمال طائل فانشأوا له في سنة ١٨٨٩ تمثالاً من البرونز نصبوه تجاه مرصد باريز فاكرموه بذلك في مماته اكراماً لم ينله منهم في حياته على حد قول اليازجي رحمه الله

لا يعرف القوم الفتى الا اذا مات فيعطى حقه تحت الثرى



(مطر النجوم الساقطة)

" مطر النجوم الساقطة — يسميه العامة في اوربا مطر النجوم او سيل النجوم والمراد بذلك النيازك والرجم التي يراها الانسان في الليالي المظلمة الصافية ساقطة في الفضاء . يزعم عامة ايرلنده انها دموع الشهداء . ويخاف بعض الشرقيين اذا تساقط منها عدد كثير اعتقاداً بان ذلك يدل على قرب وقوع حرب او نزول شرعظيم . انظر راي لفريه فيها . وهذا الرسم صورة مذنب دخل في فلك الارض فجذبته اليها فاشتعل في الهواء لشدة سرعته وطار قطعاً كما ترى في ارسم حتى اشبه مطراً من نار

وقد علمنا من اخبار بيره جك انه سقط فيها في ليل ١٦ الماضي نيزك كبير كان له صوت كصوت الصاعقة وزخم كزخم القنبلة اذا اطلقت من مدفع وقد تطايرت منه قطع قبل نزوله الى الارض انارت السماء فصيرت الليل نهاراً . ودام دويه عشر دقائق "

باب المقالات

الزهرة القاتلة

الخشخاش وابنه الافيون

خُلقت الازهار لتكون بهجة للانظار وزينة للكون وكمالاً للمخلوقات لا لتكون ويلاً ووبالاً على الانسان والانسانية

على ان الانسان الذي حول كل شيء عن مجراه الطبيعي قد صرف الازهار عن وظيفتها ايضاً فاستخرج من بعضها طيوباً ينعش ريحها الارواح ومن البعض الآخر سماً زعافاً يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً

ومن النوع الثاني هذه الزهرة الاسيوية الجميلة التي تسمى « الخشخاش » . فانها زهرة في غاية الجمال تنبت على الخصوص في الاناضول وايران والهند ومنها تستخرج المادة السامة القبيحة التي تفرح النفوس وتقتلها معاً وتدعى « الافيون »



(زهرة الخشخاش)

☙ الافيون ❧ نكتب الآن هذه السطور وملايين البشر في آسيا يتعاطون هذا السم الزعاف . يتناولون بشهوة وحشية هذه المادة التي اصبحت قسماً من غذائهم بل جزءاً من نفوسهم . يعبدون ذلك الصنم الاسود الذي يدوسهم بقدميه ويفني قواهم ويحط نفوسهم ويقرض نسلهم . وهو يصدر على الخصوص من الهند وايران وآسيا الصغرى . ويصدر

منه الى بيناريس وبتنا وملوى في الهند ٢١٦ الف صندوق في كل عام

☀ استخراجه وشربه ☀ وقد ذكرنا انه يستخرج من زهرة الخشخاش . وطريقته ان تؤخذ ثمار الخشخاش بعد نضجها وتقطع فتتحلب منها عصارة هي « الافيون » اما طرق اتخاذه فثلاثة . الاولى تحويله الى لودينوم وشربه نقطة نقطة . ويبدأ الشارب بنقطة واحدة في اليوم فربما انتهى بعد ذلك الى شرب ٨ الاف نقطة في يوم واحد

الثانية اكله اكلاً ذلك ان يعجن ويجعل كرات صغيرة . والثالثة تدخينه تدخيناً وهو الاكثر شيوعاً

وطريقة تدخينه ان يؤخذ منه مقدار جاف فيرطب بالماء ويجعل كرة بقدر حبة الحمص وزنها من ١٠ الى ١٥ غراماً . ثم تشك هذه الكرة براس قطعة من حديد وتقرب من نار مصباح ومتى غيرتها النار تؤخذ وتوضع في غليون المدخن ويغلق الغليون عليها ثم يتم اشعالها بوضع ذلك الغليون على نور مصباح خصوصي كما ترى في الرسم التالي



☀ مداخنه ☀ فان هذا الرسم يمثل مدخنة صينية يدخن فيها الافيون . وانك ترى فيها الرجل نائماً على سرير خاص يسمى سرير التدخين وعليه كل لوازم المدخن واشد ما تكون هذه المداخن في بلاد الصين . وهي فيها نوعان مداخن خصوصية ومداخن عمومية اما المداخن الخصوصية ففي منازل الاغنياء والكبراء يتخذونها لانفسهم ولضيوفهم واما المداخن العمومية فهي بمثابة القهاوي والخانات يقصدها الناس على اختلاف طبقاتهم

ومنها ما هو جميل مفروش بالاثاث الثمين مجلل بالازهار وستائر الحرير ومنها ما هو شديد القذارة كما هي اشد القهاوي قذارة وسوادًا . ولامبراطور الصين مداخن ثمينة في قصره وهي في غاية الجمال

﴿ مدخنة الافيون في باريز ﴾ وللافيون مدخنة في قلب باريز عاصمة الحضارة والمدنية وقصادها غير قليلين ولكنهم يقصدونها سرًا ومن لا يأتيها من مدخني الافيون ياخذ منها الافيون فيدخنه في منزله . قال واحد ممن دخلوها :

اذا طرقتَ الباب فتح لك صيني نحيف الجسم لطيف الهيئة فياخذك الى غرفة التدخين فتستلقي على مكان هناك ثم ياتيك الصيني بغليون الافيون فتدخن فيه ثم ياتيك بثانٍ وثالث ورابع . ولكنك لا تدخن الرابع حتى تشعر بالم شديد في راسك وميل الى التقيوء فتاخذ كاسًا من الشاي يذهب تاثير الافيون ولكنك لا ترى شيئًا من الاحلام والرؤى . ذلك ان الباريزيين لا يحتملون الافيون الى حد يحلمون عنده الاحلام التي يطلبونها

وقد ربح هذا الصيني من وراء الافيون في معرض باريز الماضي مائة الف فرنك على ما يقال الا ان البوليس تهدده باخراجه من باريز اذا لم يترك صناعته واذا بقي في باريز الى المعرض القادم فان تجارته تروج رواجًا عظيمًا

جاء في المثل العربي « لكل بيت مزبلة » ومدخنة الافيون في باريز احدى مزابلها

﴿ تاثيره ﴾ واما تاثير الافيون في الذين يتعاطونه فما تنفطر له المرائر وتذوب له القلوب وقد فصل ذلك افيونيٌ محدثًا عن نفسه قال :

« يشعر الانسان بعد الآلام الاولى انه انتقل الى عالم ثانٍ . فيرى فيه كما تصوره في حياته وكلما مرَّ به من الحوادث التي تسره والتي تسوءه . ويخيل له انه يهوي في مهاوي عميقة وينزل سلالم طويلة في اودية مظلمة . ويرى بحارًا واسعة تسبح فيها الوف من رؤوس البشر تتلاطم فوقها الامواج وهي بهيئة مخيفة هائلة »

ولا يلبث ان ياخذ الانحطاط والضعف من مدخن الافيون كل ماخذ وتنسدل على عقلة غشاوة فيصبح حيوانًا وحشيًا لا هم له ولا رغبة الا في تدخين ذلك السم . واذا كان ذا ارادة قوية وشعر بنزوله الى تلك الهاوية وطلب الخروج منها بترك الافيون رأى في وجهه سدًا هائلاً . فان الذي يعتاد الافيون لا يستطيع الى تركه سبيلاً لانه يقيده بقيود العادة فاذا تركه لقي من الآلام الجسدية اشكالاً والوانًا . فيرى نفسه مضطرًا الى

البقاء في تلك القيود . وهكذا حتى يُقضى عليه وهو وحش بصورة انسان . نعوذ بالله من ذلك العذاب الاليم

﴿ تجارته ﴾ ولا شبهة في ان كل عاقل يقف على هذه السطور يطلب بلا تردد منع هذا السم رحمة بالانسانية . ولكن الحكومات ترى ما لا يراه الافراد ولها مصالح اخرى غير المصالح الادبية . فان انكلترا حاربت الصين في سنة ١٨٤٢ لاجترائها على حجز ٢٠ الف صندرق من الافيون للتجار الانكليز والقائها في البحر . وتُعرف هذه الحرب « بحرب الافيون » . وقد انكسرت كبرياء الصين بعد انتصار انكلترا عليها في هذه الحرب فصارت التجارة الانكليزية بالافيون في البلاد الصينية امرًا مباحًا

فلترتفع من كل جهات الارض اصوات انصار الانسانيـة رغبة في منع هذه الافات الهائلة التي تفتك بابنائها . وعندنا من هذه الافات ما يشبه ضرره ضرر الافيون . وقد قيل في التاريخ اليوناني الخرافي ان جهنم درجات بعضهـا فوق بعض. نقول وهذه الآفات درجات ايضًا . ومن تلك الدرجات التي عندنا المسكرات على انواعها والحشيش صنو الافيون والتبغ والتنبك فانها كلها من الآفات الجهنمية التي تفتك بالانسانية على غير علم منها والانسانية تتهافت عليها ضاحكة مسرورة بتاثيرها . فهل ليس في الانسان ما يكفيه من الصفات الحيوانية حتى يطلب زيادتها بمثل هذه الوسائل الجهنمية

﴿ الاطفال والافيون ﴾ ونظن ان كثيرين من الشرقيين قد رأوا بعض الامهات في الشرق « يلحسن » اطفالهن منقوع « زهرة الخشخاش » لتخدير اعصابهم والقاء النوم في جفونهم . فليعلم هؤلاء الامهات انهن يسقين اولادهن سمًا ناقعًا لان منقوع الخشخاش هو الافيون كما مر بنا . ونعرف بعض الامهات قد سقين اطفالهن شيئًا من هذا المنقوع رغبة في ان يناموا نومًا هادئًا في الليل فنام هؤلاء الاطفال المساكين نومًا ابديًا لم يفيقوا منه الى الآن

فمن يرى هذه الزهرة زهرة « الخشخاش » الجميلة التي تتمايل في الرياض كانها شقائق النعمان و يقول انها تخرج ذلك السم الناقع الذي تهلك به النفوس وتتقوض الابدان ويكاد ينقرض به الجنس الاصفر كله اذا لم يتداركه عقلاؤه وحكوماته . مثل هذه الزهرة الجميلة في الظاهر القبيحة في الباطن مثل كثيرين من الناس ولله في خلقه شؤون

اختيار الزوج

(١) (الزوج النقاق — اي الكثير التشكي)

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي

اتذكرين يا ابنتي المحبوبة يوم خرجنا في الربيع الفائت مع بعض من اصدقائنا واهلنا لنصرف نهاراً في الخلاء ترويحاً للنفس · يومئذ جلسنا في ظل صفصافة باسقة الافنان وجعل بعضنا يجمع هشيماً لنوقد ناراً لشواء اللحم وكان الهشيم مبتلاً من مطر الليل الفائت فكنا كلما نفخنا في ناره جعلت تدخن وكلما زدناها نفخاً زادت تدخيناً حتى غشى الدخان وجوهنا وكاد يعمينا · ما اظنك نسيتِ تلك النار يابنية · والآن فاعلمي ان الزوج الكثير التشكي او " النقاق " كما تقول العامة هو اشبه شيء بتلك النار الكثيرة الدخان

اطيعيه ما استطعتِ واصنعي كما يريد بل كوني ملاكاً في البيت فهو لا يعدم حجة " للنق " والتشكي اذ لعلة او لغير علة ينبغي ان يدخن

تكونين على الطعام الى جانبه باسمة الثغر فرحة بصغارك وهم حولك يأكلون باشتهاء فاذا بزوجك " النقاق " يرى اناء الماء في غير موضعه او ان الحساء (الشوربا) كثيرة الملح او قليلته فياخذ يشتكي و " ينق " لان من طبعه ان يدخن

تخرجين معه الى النزهة فرحة بصبيتك وهم حولك يتراكضون حتى اذا صرت على بعض خطوات من البيت يرى غيمة في السماء فيتنبأ بوشك وقوع المطر فياخذ «ينق» ويقول : لماذا لم تاتِ بعالتك (مظلة المطر) بل لماذ ياربّاه خرجنا في هذا اليوم · وهكذا يظل متذمراً متسخطاً ما طالت النزهة · ولا حديث له الا انه اخطا في الخروج ذلك اليوم من البيت · لا تلوميه فانه يدخن

ترينه كئيباً فتمازحينه لتسري عنه وتشرحي صدره ولكن شانك يكون شان من ينفخ في النار المذكورة آنفاً · كلما زدتها نفخاً زادتك دخاناً · ذلك ان من طبعها ان تدخن

وقاك الله يا ابنتي شر زوج كهذا فانه لا يُطاق في البيت · وقد صدق العامة في قولهم : ثلاثة لا تطاق « النق والبق والطق يعنون الدلف » فانه لا يدعك ساعة من غير

«١» انظر الجزء الثاني عشر

ان يعكر صفو حياتك

ان كنتِ فرحة كان اشبه « بجرس الحزن » يقرع الى جانبك · او كنت كئيبة كان كالذبابة تحوم حولك وتطن · تدنعينها فتزداد هجوماً وطنيناً حتى يضيق صدرك

ان تكلمتِ احب الصمت · او صمتِ احب كثرة الكلام · ان التمست البرودة وضع على منكبيك فروة ليزيدك قيظاً · او طابت الدفا روَّح لكِ بمروحة ليزيدك قرّاً ·

دابه التشكي ابداً كانّ في فمه مرارة مستمرة ينبغي ان ينفثها ومن كانت هذه طباعه عجز عن اخفائها مدة الخطبة فاحذري يا ابنتي ان ترضيه لك زوجاً فان دخانه المستمر يواري تحته نار الجحيم العائلي « نار احر نار الجحيم ابردها »

ولا عذر لك يابنية اذا اخترتِ هذا الرجل زوجاً لك كما انه لا عذر لك اذا جعلته التقادير زوجك فلم تحتمليه ولم تبصري على اخلاقه · اجتنبي هذا الفخ واهربي منه ولكن متى سقطت فيه فاعتصمي بالصبر الجميل وداري زوجك وقابلي اساءته بالاحسان وسخطه بالرضى وغيظه بالحلم وصراخه بالطاعة والسكوت فان ذلك من واجبات المراة العاقلة

الزوج البخيل

البخل من المعائب التي يعسر كثيراً معرفتها في الخطيب لان الرجل مهما بلغ من الحرص فانه يظهر كرماً حاتمياً مدة الخطبة ولا سيما اذا كان كلفاً بك يابنية فانه لا يدع فرصة الا اهدى اليك بها الهدايا · ربما ندم فيما بعد على ما ينفقه ولكن رؤيتك ايام الخطبة تطرد عنه شيطان البخل بعيداً

وما انكر انه يُستطاع الاستعلام عن البخيل من بعض اصدقائه اومن خدمه اوما يُلتقط من الاشاعات المتداولة عنه على السنة الناس ولكن امثال هذه الاستعلامات قلما ادت الى نتيجة يمكن الوثوق بها · فان اكثر ما يتصل بالوالدين اوالفتاة عن الخاطب قد يكون في الغالب غير صحيح وبعض الاحيان متناقضاً ذلك لان الناس يخشون التصريح بالحقيقة متى كانت غير مرضية فضلاً عن ان كثيرين يحملهم الحسد من الخاطب على ان يعظموا معائبه اويعزوا اليه ما ليس فيه منها وقليل هم المخلصون الذين يقولون الحقيقة كما هي · فليس لك اذاً يا ابنتي الان تعتمدي على نفسك في تمييز البخيل واليك بعض ما عرفته بالاختبار من العلامات الدالة عليه

اذا تكلم البخيل رايته يميز بصوته جميع الالفاظ او الاعداد التي لها علاقة بالمال واذا

ذكرها ظهر التأثر في صوته . ومما يدل عليه ايضاً ما يظهره للنقود من التحبب والمداعبة حين يقبض مبلغاً من المال فانه يظهر لها احتراماً يكاد يكون دينياً . لان المال عنده يمثل قيمة القيم وقوة القوى . اما اذا دفع منه شيئاً فانه يشيعه بنظرة ملئها الحسرة والاسف ويشد بيده على كل قطعة من النقود كانه يعز عليه ان يفارقها

واذا راى شيئاً جميلاً فاول ما يكون سؤاله : كم ثمنه ؟ لانه لايهمه منه امر غير قيمته المالية واذا جرى امامه ذكر زواج فتاة جميلة صرخ ملء فمه : كم دوطتها ؟ واذا ذُكر امامه ان فلاناً عاقل نشيط ذو وظيفة حسنة قال على الفور : ولكن راتبه لا يتجاوز المائة جنيه في السنة

ذلك انه لايرى الامر الا من وجهه المالي معرضاً عن كل امر ادبي . وليست الاشتراكية في رايه الا اشتهاء الاشتراكيين ما للغير . وما الانقلابات السياسية في نظره الا انتقال المال من طبقة من الشعب الى طبقة اخرى وهلمَّ جرّاً

وما اخالك يا ابنتي متى عرفت البخيل ترضينه زوجاً الا اذا كان غنياً اذ لا شيء في الرجل اكره الى المراة من البخل . ولكن لا يغرنك البخيل بماله . فقد يكون هذا المال سبب شقاق بينك وبينه . ترومين الانفاق حفظاً لمقامك ومقامه ويروما الحرص والتقتير فيقوم النزاع بينكما وبئس المصير . واني لا ارى هناء العيش ممكناً مع البخيل الا اذا اغتذيت بالماء والهواء واكتسيت بما لا ثمن له واعفيته من كل نفقة . فاذا امكنك ذلك — وما اخاله ممكناً — فلا لوم عليك عندئذ اذا تزوجت بخيلاً

﴿ اختيار الزوج واختيار الزوجة ﴾

وردنا من طرابلس الشام رسالة بتوقيع « احدى القارئات » تنتصر فيها كاتبتها لحضرة صاحب مقالات اختيار الزوج وتعترض على حضرة صاحبة نبذة « اختيار الزوجة » ورسالة اخرى بتوقيع « مدافع » من اسكلة طرابلس الشام يرد فيها كاتبها على حضرة صاحب نبذة « لو خيرت لاخترت » وينتصر لحضرة صاحبة « اختيار الزوجة » فرأينا من الواجب تاجيل هاتين الرسالتين الآن لان الرد من حق الكاتبة الاولى صاحبة الموضوع . ونرجو من حضرة الكاتبة الثانية ان تطلعنا على اسمها والا ضربنا صفحاً عن رسالتها عملاً بمبدأنا من اهمال كل رسالة لا نعرف اسم صاحبها . ونحن نكتم اسم كل مراسل لا يريد اظهار اسمه كل الكتمان فليس اذن ما يسوغ كتمانه عنا

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

حول المدرسة

﴿ كلمتان ﴾ قيل في فرنسا وانكلترا في خلال الفرصة المدرسية كلمتان تدل كل منهما على طريقة التربية في كل من الدولتين . الاولى قالها اللورد روزبري . رئيس الوزارة الانكليزية السابق فانه القى خطبة في احدى المدارس الانكليزية قال فيها ما خلاصته

" ان عظمة انكلترا ناشئة عن مدارسها . فان هذه المدارس تعلم العظمة الشخصية والاقدام وهو سر العظمة الحقيقية . وما دامت مدارسنا تعلم هذا التعليم فنحن على ثقة من دوام عظمتنا وكبر مستقبلنا "

هذا ما قيل في البلاد الانكليزية

والكلمة الثانية قالها وزير المعارف الفرنسوية . فانه بعث بمنشور الى مديري المدارس والكليات في فرنسا هذه خلاصته :

« اريد ان تدخلوا في اذهان الطلبة بطرق التشويق والتزيين مبادىء حب الحق والخير والجمال فان هذه المبادئ تجعل النفس كبيرة سامية . ولما كان اكثر التلامذة في الاقاليم يعيشون ويموتون في البلدة التي شبوا فيها وجب ان نريهم مع حوادث فرنسا واخبارها صور المدن والبلاد الفرنسوية حتى لا يذهبوا من هذا العالم وهم يجهلونها . ولذلك فاني سابعث الى المدارس برسوم تمثل اهم المدن الفرنسوية حتى تعلق على جدران المدرسة فيراها التلامذة ويعرفون فرنسا امهم بالرسم اذا لم يكن متاحاً لهم ان يعرفوها بالجسم . فضلاً عن ان منظر هذه الرسوم التي تستوقف انظارهم على مدار السنين والاعوام يرقي اذواقهم ويبث فيهم حب الخير والجمال والرغبة في الفنون الجميلة »

هذا ما قيل في البلاد الفرنسوية

امعنِ الآن النظر في كل من هذين القولين تجد ان كلاً منهما يمثل طريقة التعليم في

البلاد التي قيل فيها. الانكليز يعلمون في مدارسهم العظمة الشخصية والاقدام على الاهوال وحب الاسفار فينشأ اولادهم رجالاً اقوياء يدوسون كل المصاعب التي تعترض طريقهم في هذه الحياة. والفرنسويون يعلمون في مدارسهم حب الخير والحق والجمال يرفعون النفوس بها ويبثون فيها حب الفنون الجميلة . الفريق الاول عقل يفتكر وقدم تدوس وفكر ماض كالسيف . والفريق الثاني نفس لطيفة كريمة وقلب ذكي وشعور شديد بالعواطف السامية . فاي من الاثنين احسن صنعاً ؟

ما من احد يستطيع الجواب عن هذا السؤال . فانه لا جواب لمن يسألك اي الزم للحياة النفس ام الجسد . العقل ام القلب . فان النفس لازمة للحياة لزوم الجسد والعقل ضروري لها كالقلب . ولكل من الاثنين وظيفة يتمها وواجب ينهض به فاذا ذهب ذهبت الحياة معه . واذا كان هنالك جواب عن هذا السؤال فهو الجمع بين الطريقتين

نعم ومن هذا الجمع يخرج الانسان الكامل العاقل الذي ينشده الفلاسفة والحكماء منذ وجدت الحكمة والفلسفة . ولو كان الانكليزي جامعاً في شخصه الى رزانة العقل وحب الاقدام والمخاطرة في سبيل مصلحته حب الخير والحق والجمال لما كان يقدم على ما يقدم عليه في حياته الاستعمارية من دوس حريات الامم كما يدوسها الآن في الترنسفال ولما كان كما قال المستر ستيد مدير نخلة المجلات الانكليزية : « الفريسيّ الذي يكرهه جميع العالم لانه يستأثر دونه بالمنافع والمغانم » . ولو كان الفرنسوي جامعاً في شخصه الى حب الخير والحق والجمال العظمةَ الشخصية والرزانة الواجبة لقيامها لما اقدم على اثارة مسألة دريفوس بالصورة التي رآها العالم فكاد يكون خفته ونزقه وطياشته اضحوكة للناس اجمعين

فيستنتج من هذا ان التربية الحقيقية تقوم بالجمع بين هذين المبدأين العظيمين: مبدأ العظمة الشخصية والاقدام وحب الكسب والشرف ومبدأ الخير والحق والجمال والشفقة والانسانية . فانك اذا ربيت الاول واهملت تربية الثاني اصبح ولدك او تلميذك وحشاً بصورة انسان لانك تكون قويت جسده على نفسه . واذا ربيت الثاني واهملت الاول اصبح ولدك او تلميذك انساناً ضعيفاً قاصراً لا تغني عنه مبادئه الحسنة في زحام هذه الحياة . فعلموا حب الاقدام وحب الخير معاً والا فربما انصرف الاقدام الى الشر فاضر من حيث كان يجب ان ينفع

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتاخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

الشعر والنثر

(لماذا الشعر ابلغ من النثر)

لحضرة العالم الفاضل جبر افندي ضومط من كتابه فلسفة البلاغة «١»

نرجع في جواب هذا السؤال الى مبداء البلاغة الاصلي وهو الاقتصاد على انتباه السامع ونقول ان الاقتصاد في الشعر اكثر مما هو في النثر فلذلك هو ابلغ واليك بيان ذلك

مرّ بنا ان الفارق بين النثر والشعر امران احدهما معنوي والاخر لفظي وقد رأينا ان الفارق المعنوي المترتب على طبيعة الشاعر وعلى الحالة التي يكون عليها عند النظم انما هو قائم بامور ثلاثة يكثر ورودها في الشعر اكثر مما ترد في النثر وهي الايجاز اولاً · وكثرة التشبيه والكنايات وسائر انواع المجاز والاستعارة ثانياً · وكثرة ورود تقديم القيود على المقيدات ثالثاً · اما الايجاز فظاهر انهُ اقتصاد على انتباه السامع واما التشبيه والكناية وسائر انواع المجاز والاستعارة التي لاحد للشاعر ينتهي اليه في أستعمالها فقد اقمنا البرهان على انها من موجبات الاقتصاد وكذلك تقديم القيود على المقيدات ولما كانت هذه جميعها مما يكثر ورودها في الشعر اكثر مما ترد في النثر فينتج ضرورة ان الاقتصاد في الشعر اكثر مما هو في النثر فهو اذن ابلغ

واما الفارق اللفظي فقلنا انهُ الوزن والوزن في الكلام هو مما يوجب الاقتصاد وهذا ما نريد بيانهُ الآن بمثالين نضربهما لك ايضاحاً للحقيقة

المثال الاول · ان في داخل دائرة المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت طريقين احدهما واقع بين القسم العلمي والقسم الطبي والثاني شمالي القسم العلمي على محاذاة طرفه الغربي ما بين طريق المركبات والبوابة البحرية · ومنذ ثماني سنوات الى اليوم ما

«١» انظر باب التقريظ والانتقاد

را يت تلميذًا يمشي وكتابهُ بين يديه يقرأ فيه على هذه القطعة من الطريق اعني ما بين طريق المركبات والبوابة البحرية على حين كنت ولا ازال ارى التلامذة يوميًا يتماشون ويتدارسون وكتبهم مفتوحة بين ايديهم ما بين القسم العلمي والطبي وسبب ذلك ان الطريق هنا سهلة مستوية فلا يحتاجون الى مزيد تيقظ وانتباه في السير عليها بل القوة العصبية اللازمة للخطوة الاولى تكاد تبقى هي هي في كل تلك المسافة ولذلك فهم اذا خطوا خطواتهم الاولى استمروا عليها بداهة حتى ياتوا على آخرها بدون حاجة الى توسط الانتباه وهذا هو سبب سهولة السير عليها بخلاف الطريق الثانية فانها لما كانت متعادية اي ذات ارتفاع وانخفاض على غير وتيرة واحدة كان لا بد لسالكها من الانتباه في كل خطوة من خطواته الى امامه وأن يقدّر كل خطوة لوحدها والا عثر وسقط . وهذا هو سبب صعوبة المسير عليها

المثال الثاني . كنت حين كتابة هذه الاسطر في الشوير وهي بلدة في سفح تلةٍ من لبنان تمتد بيوتها في سند تلك التلة ولذلك فالطرقات اسفلها واعلاها على هيئة ادراج لكن هذه الادراج لا تنتظم درجاتها على وتيرة واحدة . واذكر اني سمعت غير مرَّةٍ من يقول « قبح الله هذه الدرج ما اصعب المشي عليه » ثم ان الاهالي مع طول الفتهم لتلك الادراج قل من يمرُّ عليها ليلاً الا ومعه مصباح مخافة ان يعثر . اما درج المدرسة الكلية في القسم العلمي فلا اذكر اني في مدى ثماني سنين سمعت تلميذًا يقول «قبح الله هذا الدرج كما سمعت في الشوير» بل كثيرون من التلامذة يصعدون وينزلون عليه ليلاً واعينهم مغمضة او نهارًا وكتبهم في ايديهم وهم مستغرقون في التامل بما فيها . وسبب ذلك معلوم فان الصاعد او النازل على درج المدرسة الكلية لا يحتاج الا الى تقدير القوَّة اللازمة لتحريك عضلاته في بعض الدرجات الاولى ثم يستمر بداهة على تقديرهِ حتى ينتهي صعودهُ او نزولهُ بخلاف الصاعد او النازل على درج طرقات الشوير فان كل درجة تحتاج الى تقدير مخصوص تتحرك العضلات بموجبه ولذلك فلا بد للصاعد او النازل من أن يستمر انتباهه على اشده من اول درجة الى آخر درجة منه

واذا تاملنا المثالين السابقين لا يصعب علينا بعدها ان نعرف الفرق في الانتباه بين النظم والنثر فان النثر لابد فيه للسامع من بقاء انتباهه على اشده ليعي كل كلمة من كلماته على حدة فانه لا يعلم ما اذا كانت مقاطع الكلمة الاتية مشابهة لمقاطع المارَّة او مخالفة لها ليقدر لها من القوة ما هو بقدرها . واذا كان لا يستطيع التقدير فلا بدَّ اذن ان تبقى قوَّة انتباهه

على اشدها مستعدة دائمًا للاحساس بكل نوع من انواع المقاطع الخفية والبينة على السواء بخلاف النظم فان المقاطع تجري على وتيرة واحدة كما لا يخفى ولذلك فالعقل يمكنهُ ان يقدر بعد الشطر الاول والثاني القوة اللازمة لادراك مقاطع ما ياتي بعدهما فلا يحتاج اذن الى الانتباه الشديد الذي لا بدَّ منهُ في النثر وهذا اقتصاد عليه كما لا يخفى

اما انَّ العقل يقدّر القوَّة اللازمة لادراك مقاطع الابيات الشعرية فواضح من انَّ القارئ اذا زاد مقطعاً في شطر او نقص مقطعاً منه او غير في مقطع عن مالوف هيئته تعثرت به اذن السامع حالاً وشق عليها ذلك . وهذا كمن يسير في مستوٍ سهلٍ على غير انتباهٍ فانَّ اقل خلل في الطريق من ارتفاع وانخفاض او اعتراض حجر بخلاف ما هو مقدر في ذهنه يوجب عثارهُ وتاذّيه . فظهر اذن ان وزن الشعر الذي هو الفارق الظاهر بينه وبين النثر يستدعي الاقتصاد على انتباه السامع ايضاً وهذا ما اردنا بيانه . فالشعر اذن انما هو ابلغ من النثر لانَّ الاقتصاد فيه اكثر نعليك بالاقتصاد فان عليه مدار البلاغة في جميع انواع الكلام نظماً ونثرًا والسلام

باب تدبير الصحة

﴿ والمنزل ﴾

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

« كلمات صحية »

﴿ النظافة ﴾ تكلمنا في الجزء الماضي عن الطعام واحواله وشروطه فنتكلم في هذا الجزء عن النظافة واحوالها واهميتها من الانسان

خذ نبتة واطلها بطلاء يبقى نظير قشرة عليها ثم عد اليها بعد حين تجدها قد ساء حالها واصفر ورقها . فهل تعرف سبب ذلك ؟ السبب ان هذا الطلاء قد منع النبتة من التنفس لاخذ غذائها واخراج الفضول من جسمها فذوت وماتت

وكذلك جسم الانسان . فان لهذه البشرة التي تغطي لحمه وعظامه مساماً تتنفس

وتخرج منها فضولها كالعرق وما اشبه . فسدُّ هذه المسام يفضي الى بقاء الفضول داخل الجسم فيتسمم ان لم يكن تسمماً كلياً فتسمماً جزئياً تسوء به صحة الجسم ويجر في بعض الاحيان الامراض الهائلة

هذا فضلاً عن وجود المكروبات مرتعاً في تلك الاوساخ التي تسد المسام فالنظافه اذاً من اعظم دعائم حفظ الصحة كما ذكرنا ذلك قبلاً وربما دفع الانسان عنه بالنظافة كثيراً من الامراض والعلل

وتكون على خمسة اقسام : الاول نظافة البدن . الثاني نظافة المنزل . الثالث نظافة المأكل . الرابع نظافة الملبس . الخامس نظافة الرفقة . واليك كلمة في كل منها

نظافة البدن — تقوم نظافة البدن بالاستحمام بالماء البارد مرة في كل يوم لمن يمكنه احتمال ذلك والا فمسح الجسم في كل صباح بالاسفنجة والصابون وقد عرف علماء الهيجيين اهمية الاستحمام في اوربا فانشاوا في البلاد الداخلية اي القائمة بعيدة عن شواطىء البحر حمامات يستحم فيها العامة باجرة زهيدة ويسمونها « حمامات العامة » وقد افادت هذه الحمامات جماهير العامة في المانيا افادة عظيمة وعلى الخصوص في الوقاية من داء الصدر الذي يكثر بينها . ويجب عند الاستحمام تنظيف كل جانب من الجسم يمكن ان تعلق به الجراثيم كالاظفار وما اشبهها

نظافة المنزل — نظافة المنزل من شؤون السيدات فيجب هنا ان نخاطبهن دون الرجال . ومن العبث ان يحاول طبيب اقناع المرأة بوجوب تنظيف منزلها فانه يسمع منها هذا الجواب في الحال « اسكت ياحضرة الطبيب فاننا نعرف ضرورة هذا اكثر منك » . نعم لا اجهل ايتها السيدة انك تعرفين ضرورته ولكنك لا تعرفين طريقته . فكثيراً ما رأيتك تنظفين منزلك وتنظفين معه العافية عن صحتك بكثرة اجهاد نفسك في هذا التنظيف . لا شك ان هذا شرف لك بازاء اخواتك السيدات المستريحات اللواتي يعتمدن في كل شيء على الخدم والحشم ولكنه اذا كان لك شرفاً فهو تلف ايضاً . فاقتصري من التنظيف على ما هو ضروري ولا تضيعي قواك فيما هو غير ضروري لصحة العائلة

اقول ذلك واعني بقولي فريقاً من السيدات يجعلن غسل المنزل وحف بلاطه بالحجر و« صوبنته » بالصابون تستغرق كل اوقاتهن مع انهن لا يلتفتن الى اهم شروط النظافة وهو اطلاق الهواء والشمس في البيت . فمتى انتهين من التنظيف اقفلن غرف المنازل لئلا يعود اليها الغبار غير ذاكرات ان الغبار اهون على الصحة من هذه العفونة والرطوبة اللتين

تتولدان في الغرف بنع نور الشمس والهواء النقي الجاف من الدخول اليها . فالهواء الهواء والنور النور ايتها السيدات فانهما من اعظم اركان النظافة

«نظافة المآكل» — مرّ بنا الكلام عن الطعام في الجزء الماضي اما هنا فنشير الى عادة مهمة كانت للعرب واتبعها كثيرون من الامم بعدهم وهي غسل الايدي قبل تناول الطعام . فانه لا يفيد ان يكون طعامك نظيفاً مهيأً بايدٍ لطيفة ظريفة نظيفة كايدي امك واخواتك بل ينبغي ان تكون يدك التي تتناوله نظيفة ايضاً . وهل حسبتَ الاشياء التي لمستها في النهار ? ان كل قطعة من النقود تقبضها تكون قد زارت الوفاً من الايدي قبل يدك . وكل صديق تمس يده يكون قد مس في ذلك النهار مئات من الايدي غير يدك . فمن ادراك ان هذه الايدي لا تحمل جراثيم امراض هائلة تنتقل الى يدك فاذا جاء الطعام وضعت يدك على الخبزة ثم وضعتها في فمك فتنزل اليها المكروبات التي تكون عليها . فلكي تاكل مستريح البال مطمئناً يجب ان تغسل يديك قبل كل وقعة غسلاً شديداً وعلى الخصوص في ازمنة الاوبئة والامراض

نظافة الملبس ونظافة الرفقة — واما نظافة الملبس فظاهر وجوبها لا من اجل الهيجيين فقط بل من اجل الواجبات الاجتماعية فلا اقول فيها شيئاً واما نظافة الرفقة فاني اعني بها نظافة الرفاق الذين تعاشرهم والاشياء التي تلمسها فاجتنب ما امكنك الاجتناب ان يكون في ذلك ما ينقل اليك داء . واعلم ان جيوش المكروبات تحيط بك من كل جانب فاتق شرها . واحذر كل الحذر ان تشتري شيئاً من الاثاث القديم او الكتب القديمة التي في سوق المزاد قبل ان تعرف صاحبها حق المعرفة لتتاكد اذا كان به داء معد ام لا والا فانك لا تامن انتقال الامراض بطريقة هذا الاثاث وهذه الكتب

النظافة النظافة فانها عماد الصحة . وآلاتها الماء اولاً . والمكانس للمنازل . والاسفنج للابدان . والصابون للثياب ثانياً . والهواء الجاف النقي ونور الشمس المطلق ثالثاً . ازل بها الاوساخ وللاقذار من جسمك ومنزلك وكن على الاقل كالعجموات اذا وجدت على جسمها وسخاً ازالته ولو باسنانها . اما انت فانك بحمد الله تزيله بيديك لا باسنانك . — «طبيب الجامعة»

ورد في عادات العرب في الجزء الماضي كلمة الحمام ذكر الابل والصواب « الحام »

انظر الاعلان عن « البرج المائل » والبوسطة المصرية في ظهر المجلة

باب الاخبار العلمية

الدجاج

(الفكاهة في العلم)

لحضرة البارع حسن راسم افندي الحجازي بشبين الكوم

الدجاجة بالضم والكسر الواحدة من الدجاج وبالفتح العيال والكبة من الغزل. قيل سميت الدجاجة كذلك لكثرة دجها اي دبها في السير وعدم استقرارها في مكان واحد وقتاً طويلاً وكنيتها ام الوليد وم حفصة وام جعفر وام عقبه وام نافع وغير ذلك

(صفات الدجاجة) — وهي من الطيور الجميلة الفصيحة السهلة الغذاء ومنها كبير وصغير ومنها اهلي يألف البيوت ومنها بري . قال جرير التميمي

لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

والوانها كثيرة منها السوداء والحمراء والبيضاء والصفراء وغير ذلك . ولها منقار صلب تنكت به الارض اللينة والتراب للبحث عن الغذاء ولو كانت شبعانة وتلك عادة طبعت عليها على حد ما جاء في المثل العامي : « الدجاجة تنقر دائماً فلا تغير كارها ولو قطعت منقارها »

والدجاجة لاتخاف من الوحوش الكاسرة اذا مرت بهـا ولكنها اذا نظرت ابن آوى قادماً نحوهـا من بعيد ولو لم يرها فربما وقعت اليه عن الجدار من خوفها فيا كلها هنيئاً مريئاً

والدجاجة مشهورة بقلة النوم وسرعة الانتباه وذلك لشدة جبنها فانها اذا كانت نائمة تنتبه لاقل حركة وتلتفت اليها كانها يقظانة دائماً وهذا من غريب عاداتها

وهي تأكل كل ما يقدم اليها من لحم او حبوب فهي بهذه الصفة مشتركة بين اكلة اللحم واكلة النبات

ومن صفات الدجاجة انها تطيع الديك اذا ألفته كما تطيع المرأة رجلها وربما كان لديك عشر زوجات او اكثر فالغيرة غير معروفة عندها خلافاً لكثير من الطيور اخصها

الحمام . وقد تصيح صياحاً شديداً متتابعاً اذا باضت حتى يصم صياحها الآذان . ومن الدجاج ما يصيح صياح الديك فيتشاءم منه العامة ويذبحونه . وقد يبلغ الجبن بالدجاجة انك اذا طاردتها لامساكها وقفت مرخية الجناحين خوفاً فتقبض عليها . وهي شديدة الخصام للدجاجة الغريبة التي تأتي بعدها كما انها شديدة الحنو على فراخها تؤثرها على نفسها وتدافع عنها ضد الهر والكلب والطيور الكاسرة مع انها ضعيفة بالنسبة اليها . ولذلك ضرب المثل بحنوها وايثارها

واشتهرت في العرب دجاجة لهذيل مرة وتسمى دجاجة هذيل يضرب بها المثل في حماقة الامتنان . وذلك انه اهداها الى احد الرؤساء فكان يقول: كان ذلك في الوقت الذي اهديتك فيه تلك الدجاجة . وهذا حسن مثل تلك الدجاجة التي اهديتك اياها ونحو ذلك فضجر الرئيس منه وارسل اليه قفصاً من الدجاج وفيه تلك الدجاجة ايضاً . فذهبت مثلاً في حماقة الامتنان

(بيضها) — واذا احسن تغذيتها باضت في السنة مائتي بيضة الا في شهرين من شهور الشتاء . ويتم خلق البيض في عشرة ايام وعند خروج البيضة تكون قشرتها لينة جداً فاذا قابلت الهواء صلبت في الحال . وتشتمل البيضة على بياض (زلال) وصفار (مح) بينهما قشرة رقيقة تمنعهما من الامتزاج معاً وعليهما قشرة اخرى ويكسو الجميع القشرة الخارجية الصلبة

والدجاجة اذا سمنت كثيراً فلا تبيض وان باضت فلا يكون بيضها كثيراً

واحسن البيض ما كان له صفار جيد فانه مغذ والذي ليس له صفار لا يكون صالحاً للاكل وبيض الدجاجة التي لا ديك لها لا يصلح للحضانة ويسمى البيض الريحي ويكون اقل غذاء من بيض الدجاجة التي لها ديك

والبيض من احسن الاطعمة المغذية وهو مفيد للمرضى والفقراء لانه سهل الهضم بخس الثمن بالنسبة لما فيه من الغذاء لان رطلاً من البيض فيه من الغذاء ما في رطل من اللحم الجيد ويؤكل مسلوقاً ومشوياً ومقلياً ولا يجب اكل القديم منه لانه مضر بالصحة

والبيضة الواحدة تحتوي على نحو ١١٠ قمحات من المادة النتروجينية واغلبها في زلاله (بياضه) و٨٣ قمحة في المادة الدهنية اي محه (صفاره) و١١ قمحة من الاملاح المختلفة

(معرفة البيض الجيد والبيض الرديء) —ويعرف البيض الجيد من احالته بين العين

والنور فان كان شفافاً فهو جيد والا كان قديماً لا يجب اكله . او يذاب ١٢٠ جراماً من ملح الطعام في ليتر واحد من الماء في اناء وتوضع البيضة فيه فاذا كانت بنت يومها غاصت الى القعر واذا كان عمرها ٣ ايام عامت وان زاد عمرها عن ذلك طفت على وجهه وكلما كانت قديمة زاد عومها وابتعاد جدرانها عن سطح السائل

(حضانة البيض وتفريخه) — والدجاجة تحضن في السنة مرة واحدة وربما مرتين متعاقبتين . واذا سمعت وقت الحضانة صوت بارود او رعد اضطربت وفسد بيضها لانها لا تجد صبراً على حضانته خوفاً وفرقاً و يفسد البيض من تركها اياه لا من صوت الرعد كما يزعم بعض العامة

وربما باضت الدجاجة بيضة ذات محين (صفارين) اذا حضنت خرج منها فرخان كما ظهر من التجارب العديدة . وقد تعرف البيضة التي تخرج ذكراً ام انثى قبل الحضانة من هيئتها . فاذا كانت مستطيلة الطرفين اخرجت انثى واذا كانت مستديرة عريضة الطرفين اخرجت ذكراً

وكل دجاجة يلقحها ديك يكون في بيضها جنين الدجاج او الجرثومة الحية التي يتولد منها الفرخ . وبيضها اذا حضن نمت فيه الجرثومة وتغذى بما يكون حولها من المادة الزلالية على شرط ان يكون ذلك على درجة مناسبة من الحرارة واذا زادت او انخفضت الحرارة عن درجتها المناسبة ماتت تلك الجرثومة وفسد البيض . وقد يمكن اخراج الفراخ بواسطة الحرارة الصناعية كما في المعامل المختصة بهذا العمل . و يلزم ان تكون الحرارة مناسبة والا فسد البيض

والفرخ عند ظهوره من البيضة يطلب ما يتغذى به فيلزم ان يقدم له ارز مسلوق او لبن او بيض مسلوق او غير ذلك من الماكولات التي يسهل عليه اكلها

(حفظ البيض) — ويحفظ البيض في الشتاء اذا وضع في وسط التبن وفي الصيف اذا وضع في وسط النخالة . واما اذا اريد حفظه للحضانة فيطلى بطلاء مركب من جزء من صمغ اللك مذوب في مقدار عظيم من السبيرتو وذلك بواسطة غمسه فيه وبعد ان يجف قليلاً في الهواء يحفظ في نخالة او نشارة خشب ناعمة وقبل استعماله يغسل بالسبيرتو فيزول عنه الطلاء ويحفظ اذا وضع في جرة فيها محلول مركب من جزء من الجير مذوب في ١٠ اجزاء من الماء وتسد سداً محكماً ويمكن حفظه اكثر من عام بوضعه في جرة فيها محلول سليكات الصودا وسدها او بطليه بطبقة من زيت الكتان او من البرافين (وهي مادة

بيضاء تستخرج من الحجارة الاسفلتيه وتصلح للاستصباح)

ويحفظ ايضاً على هيئة مسحوق وذلك بان يضرب الزلال مع الصفار حتى يمتزجا معاً ثم يبسطان طبقات رقيقة على لوح من الصيني او الزجاج وتعرض الالواح في مكان جاف يجري في الهواء او توضع امام نار خفيفة ليجف البيض فيقشط ويسحق على هيئة رماد ويترك ثانياً على الالواح حتى يجف اكثر فيوضع بعد ذلك في زجاجات محكمة السد تحفظ في مكان جاف

(شيّ البيض بغير نار) — قد تُشوى البيضة بدون نار اذا وضعت في مقلاع واديرت بسرعة عظيمة من غير انقطاع وقتاً غير قصير . او اذا وضعتها في اسطوانة مسدودة ووضعت معها جيراً (كلساً) شديداً وصببت عليه ماء

(تكثير البيض) — واذا اريد ان تبيض الدجاج كثيراً في فصل الشتاء وجب ان تطعم من صغار الانجره (وهي حشيشة القريص) مسلوقة ومخلوطة بالبطاطس او الارز او الذره او النخالة او اي غذاء آخر . وربما باضت الدجاج عندئذٍ قبل ميعادها . او تُسقى ماء اللبن دون سواه من المياه اذا كان وافراً وتطعم في كل اسبوع شيئاً من اللبن الرائب

(فوائد)

اذا عُجن مسحوق قشر البيض بزلاله ولُحم به اناء صيني كان شديد الالتصاق

اذا مُزج مح البيض بدهن الورد ذهب بخشونة اليدين ونعم البشرة

اذا دُقّ قشر البيض دقاً ناعماً ومُزج بالعسل الابيض ودُلك به عضو وارم زال منه الورم

اذا ذُر قشر البيض مسحوقاً على جرح خمده وكذلك بعض القروح القديمة

اذا مُزج زلال البيض بدقيق افاد في ازالة الورم وخمد الجروح

اكل البيض نيئاً بلا شيّ يجلو الصوت ويسكن العطش وربما ذهب بالسعال في ايام الشتاء

اذا طُلي النقرس بدهن البيض سكن المه في الحال

(العاب لطيفة)

(بيضة في قنينة)— ضع بيضة في اناء فيه خل قوي مدة اربع وعشرين ساعة فتصير

لينة مرنة فانزلها متأنياً في فم زجاجة وبعد نزولها صب عليها ماء فتجمد قشرتها وتكون على كبرها وضيق فم الزجاجة ملحة وفكاهة

(كتابة بارزة على بيضة) — اغسل بيضة جيداً وامسحها واكتب عليها ما شئت بدهن سائل ثم اغمسها في خل ابيض او في حامض كبريتيك مخفف (مخلوط بالماء) وابقها فيه ساعتين ثم اخرجها منه واغسلها بالماء البارد فتظهر الكتابة بارزة ويكون ما حولها منخفضاً عنها

(مشي بيضة على مائدة) — اذا اردت ان تمشي البيضة على طبق او مائدة فاكسر احد طرفيها كسراً خفيفاً ثم افرغها تماماً وضع فيها صرصوراً صغيراً وسد الكسر بقطعة من الشمع الابيض حتى لا يظهر اثره وضع البيضة على طبق حارٍ قليلاً فتمشي في الحال عند ما يشعر الصرصور الذي داخلها بالحرارة

(جعل خريستوف كولومب البيضة قائمة على رأسها) — قال خريستوف كولومب عند عودته من اكتشاف اميركا لمن كانوا يدعون عليه انه لم يصنع امراً عظيماً : من منكم يستطيع ايقاف هذه البيضة على احد طرفيها فلم يقدر منهم احد على ذلك فاخذها وكسر الراس وركزها عليه قائلاً : نعم اميركا موجودة ولكن الفطنة اكتشفتها كما ان الفطنة هي التي اوقفت هذه البيضة قائمة على رأسها

ولكننا نستطيع جعل البيضة قائمة على عقبها بدون كسرها كما صنع خريستوف كولومب ذلك اننا نثقبها من راسها ونفرغها وندخل فيها قليلاً من الرمل ونجعلها قائمة بين قوائم تسندها ونصب فوق الرمل صمغاً حتى يتماسك وهكذا رويداً رويداً الى ان يمتلئ ثلث البيضة فيسد الثقب بالشمع الابيض فيكون قد اصبح مركز الثقل في عقب البيضة فتقف عليه قائمة بكل سهولة . ولا خلاف في ان هذا الامر يقتضي ايضاً فطنة كما قال خريستوف كولومب

باب الاسئلة والاجوبة

(انقضاء العالم في شهر نوفمبر القادم)

(طنطا) توفيق افندي بورصلي . مراسل جريدة البصير

ما قولكم في نبوءة رودلف فالب الذي يدعي ان العالم يزول في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر المقبل ما بين الساعة الاولى والساعة الثانية بعد الظهر وذلك باصطدام نجم مذنب بالارض

﴿ الجامعة ﴾ تنبأ كثيرون قبل رودلف فالب بمثل هذه النبوءة بعضهم يستند الى علم الفلك وبعضهم الى الاوهام والاحلام فكذبت نبوءاتهم كلهم . وكان يعلل الفلكيون كذبها بان المذنب الذي منه الخطر على الارض قد انجذب قبل دخوله في فلكها الى الشمس او الى جرم آخر فزال بذلك خطره عنا . ولا يبعد ان يقولوا غداً ما قالوه من قبل

اما المبدأ الذي يشير اليه الفلكيون فصحيح لا ريب فيه وهو انه اذا اعترض احد المذنبات الارض في سيره صدمها صدمة يهلكان بها . ولكن كونوا في اطمئنان وراحة بال فان العناية الالهية التي تدير الكون اعدل من ان تسمح بهلاك الانسانية في هذا العالم قبل وصولها الى قمة الكمال العليا القائمة امامها . فانقضاء العالم لم تأت ساعته بعد

هذا وبعد كتابة هذه السطور سألتنا اليوم سيدة من سريعات التصديق فقالت : « اصحيح ان العالم سيزول والقيامة تقوم قريباً » ثم قالت لقد بحثت اليوم في التوراة طول النهار لاجد علامات القيامة في العالم فوجدت ان الفرق بعيد بين يوم القيامة وهذا اليوم . واذا كان صحيحاً ما تنبأ به الفلكيون من ان الساعة قريبة فيجب ان نسرع لنودع اهلاً لنا في الشام

قلنا واذا كان مجيء الساعة في ١٣ نوفمبر على قول صاحبنا رودلف فالب فواجب ايضاً على الجامعة ان تسرع الى اصدار جزء ١٥ نوفمبر قبل مجيء الساعة ....

(دواء لابطال التدخين)

(مليج) برسوم افندي حنا وكيل الجامعة

هل يوجد دواء لمنع التدخين

﴿ الجامعة ﴾ نعم وهو ان يأخذ المدخن اوقية من قوة الارادة واوقيتين من قهر النفس والصبر عن شهوته وثلاث اواق من التأمل في ضرر التدخين وقذارته ووضعها كلها في هاون ومزجها وتناول شيء منها مرتين في النهار . وبعبارة اوضح نقول ان دواء داء التدخين « قوة الارادة » فمن يقول انه لا يستطيع ترك هذه العادة السيئة فانه يعترف بضعف ارادته على غير علم منه

(تقوية الشعر واطالته)

(اللاذقية) احد المشتركين

هل يوجد دواء لتقوية شعر الاصلع وشعر السيدات واطالته . واين مكانه وكيف استعماله

﴿ الجامعة ﴾ سمعنا بعضهم يثني على دواء اخذه من صيدلية المعارف في الثغر ويمكنكم طلبها منه بهذا العنوان — الاسكندرية صيدلية المعارف لصاحبها يوسف افندي دياب وحضرته يدلكم على كيفية استعماله

على ان ضعف الشعر وسقوطه ناشئان في الاكثر عن امراض تطرأ عليه ويكون سببها عدم النظافة . فالنظافة اذاً خير دواء لتقوية الشعر واطالته

اما الصلع فقد ينتقل بالوراثة وهو داء ضاعت فيه الحيل

﴿ طلب الاشتراك ﴾

نرجو من حضرات الادباء الذين يطلبون الاشتراك في الجامعة ان يصحبوا طلباتهم هذه بقيمة الاشتراك والا فان الادارة تضطر على اسف منها الى عدم اجابتهم الى طلبهم

صدى المجلات

نشير في هذا الباب الى اهم ما يرد في المجلات العربية من المباحث العلمية والادبية مما نستطيع الوقوف عليه ويتسع المجال لذكره فيكون بيانًا وجيزًا للحركة العلمية والادبية

(الهلال) الجزء ١ السنة ٨

ترجمة حاتم الطائي ومقالة عنوانها « ما وراء فاشوده » وفي حديث المائدة بيان ان بزر المشمش سم زعاف تليه شذرة في « طلعة البدر . اكتشاف شعري » وفي ذيل هذا الجزء الملزمة الاولى من رواية ١٧ رمضان وهي الحلقة الرابعة من سلسلة روايات الهلال

(الاسلام) الجزء ٤ السنة ٦

خطبة في المحافظة على الدين ومقالة موضوعها وجهة العالم واحدة وهو النظام العام والاخوة الاسلامية واخبار شتى عن الاسلام والمسلمين في افريقيا وروسيا

(انيس الجليس) الجزء ٩ السنة ٢

مصدر بفصل في الجلوس السلطاني ثم مقالة في سعادة الانسان ثم قصيدة في « عطلة المدارس » لحضرة الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله والمرأة والتعليم لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة عفيفة ديمتري ضليب وقصيدة في « عناء الدنيا » لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي محرم ومقالة في قبيح العادات واخرى كيف نتزوج وكيف نعيش

وانا نشكر لحضرة الفاضلة مديرة هذه المجلة تكرمها علينا بالجزء الثامن الذي ذكرنا في الجزء الماضي فقده من الادارة ونغتنم هذه الفرصة لحث قارئاتنا على مطالعة هذه المجلة النسائية المفيدة

(المشرق) الجزء ١٩ السنة ٢

مصدر بسياحة في بلاد البترون لحضرة الاب الفاضل لامنس اليسوعي زار في اثنائها تنورين التحتا فجاء بعض اهلها يخبرونه سرًا بوجود صخر نقش عليه اربع حيات لرصد كنز مدفون فيها فذهب معهم الى صخور شاهقة فوجد خطوطًا باللغة اليونانية للقيصر

---

(١) المجلات مذكورة باعتبار اعمارها الاقدم فالاقدم وهلم جرًا . واذا تساوت مجلتان في العمر قدمت الاسبق تاريخًا واذا تساوتا فيه ايضًا قدمت الاسبق الى الادارة

ادريانس فنسخها اما الحيات فلم يكن لها اثر في غير مخيلات اصحابها · ثم مقالة في تقسيم التجارة لحضرة الفاضل عبدالله افندي رزق شار ثم الموازنة بين الكلوروفورم والايثير للدكتور سبيريدون ابي الروس · وبركة العنب في الكنائس الشرقية وفصل في عقل الحيوان يرد فيه حضرة العالم الفاضل الاب لويس شيخو اليسوعي على مقالة وردت في مجلة الضياء

(المنار المصري) الجزء ٤٠ السنة ٢

رد على باحث في كتاب سر تقدم الانجلوسكسون بقلم ح · ع والقسم الثاني من خطبة حضرة منشيء المنار في التربية ثم الدرس الثالث في امالي دينية تليها الاخبار التاريخية

(الموسوعات) الجزء ٢٣ السنة ١

الاحاديث الموضوعة لحضرة الاستاذ محمد البشير ظافر الشاذلي ورحلة من سواكن الى كسلا عن طريق خور بركة فيها وصف بعض دروب السودان و بلدانه وحيواناته · ورد على باحث في كتاب سر تقدم الانجلوسكسون وقد كثر المعترضون على هذا الكتاب وكتاب تحرير المرأة كما كثر المنتصرون لهما مما يدل على اهميتهما فان الاعتراض مقياس الاهمية · ثم مقارنة بين سياستي الاستعمار لدى الانكليز والرومان استنتج كاتبها منها ان الانكليز حذوا حذو الرومانيين في استعمارهم ولذلك يُخشى سقوطهم كما سقط الرومانيون

باب التقريظ والانتقاد

❊ فلسفة البلاغة ❊ اهدى الينا حضرة العالم الفاضل الاستاذ جبر افندي ضومط استاذ اللغة العربية بالمدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت كتاباً نشره حديثاً بعنوان « فلسفة البلاغة » وانه يطيب للذين يغارون على العلم في الشرق في وسط هذه الفوضى العظيمة فوضى الطبع والنشر في مصر والشام — ان يروا في المطابع حيناً بعد حين كتاباً كهذا الكتاب فانهم يستدلون به على وجود طبقة مستترة من العلماء والكتاب في الشرق تطلب العلم الصحيح لذاته وهي فيه راسخة القدم منصرفة الى درس فروعه واتحاف الشرق بمباحث جديدة مفيدة كل بحسب استعداده وفطرته وعندنا ان هذه الكتب الجديدة المفيدة التي ينشرها بعض من علمائنا الحين بعد الحين تعزي بعض التعزية عما في عالم المطبوعات الان من المضحكات والمبكيات

وموضوع الكتاب البحث في فلسفة البلاغة ومقتضياتها من الاقتصاد وحسن التنسيق والتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وغيرها. وقد نشرنا في هذا الجزء فصلاً من هذا الكتاب موضوعه " لماذا الشعر ابلغ من النثر " يرى القارىء فيه من قوة الحجة وصحة العبارة وبلاغة التعبير وحسن الاسلوب ما يغنينا عن الاطناب في وصفه ويكون مثالاً لباقيه

وهو مطبوع في المطبعة العثمانية في بعبدا ويطلب من المكتبة الادبية في بيروت لصاحبها حضرة سليم افندي نصر وكيل الجامعة وثمنه ٧ غروش ونصف الغرش ولا ريب عندنا في ان كل كاتب عربي في الشرق والغرب محتاج الى مطالعة هذا الكتاب وكفى بذلك ثناء على حضرة مؤلفه الفاضل

❊ سالنامه ولاية حلب ❊ وردنا كتاب بهذا العنوان حسن الترتيب والتبويب مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة ولاية حلب الجليلة . وهو اشبه بدليل لسنة ١٣١٧ هجرية يحتوي بيان المواسم والشهور والفصول واسماء اكابر رجال الدولة وحكامها ثم بيان الحكام الذين تناوبوا حكم ولاية حلب من عهد ابي عبيدة (رضه) الى حضرة صاحب الدولة محمد رائف باشا واليها الحالي وبيان سناجق حلب واسماء من فيها من مأموري الملكية والعسكرية وهو كتاب جزيل الفائدة لجميع طبقات التجار والادباء ورجال

الحكومة فنثني جميل الثناء على صاحب الهمة سعادتلو مكتوبجي ولاية حلب الذي اعد بعنايته هذا الدليل المفيد

﴿ بهمن شاه ﴾ رواية تاريخية تمثلية لحضرة الكاتب البارع محمد افندي ايوب اهداها الى مقام عظمة شاه الفرس المعظم وطبعها على نفقته لتوزع على الجمعيات الخيرية من كل مذهب للانتفاع بثمنها . فحق لحضرة الكاتب الفاضل الثناء على تأليفه اولاً وعلى سخائه وحبه للخير ثانياً . وهي مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق صقيل ومذيلة برسم حضرة المؤلف راكباً دراجة يسير بها على سطح الماء وهي الدراجة التي اخترعها منذ سنوات وسار بها على سطح الماء في ترعة المحمودية على مرأى من الوف من الناس . وربما نشرنا هذا الرسم في عدد قادم

﴿ الهلال ﴾ اتمت مجلة الهلال الغراء سنتها السابعة ودخلت في سنتها الثامنة . فوجب ان لا نبخل عليها بالثناء لخدمتها المعارف سبع سنوات كاملة اظهرت في خلالها من حسن الذوق في اختيار المواضيع الطلية المفيدة وشدة التحري والتحقيق في ابحاثها العلمية والتاريخية ما جعلها علماً في العالم العربي وجمع حول قلم منشئها المؤرخ الفاضل الوفا من القراء . فنهنئ صديقنا بقطعه عقبات الصحافة ونرجو لمجلته مزيد التقدم والارتقاء

﴿ سلافة العصر ﴾ اعانت ادارة جريدة المحروسة عزمها على طبع كتاب عنوانه « سلافة العصر في شعراء العربية بكل مصر » لمؤلفه ابن معصوم الكاتب المعروف وقد فتحت باباً للاشتراك فيه وجعلت قيمته قبل الطبع عشرين غرشاً وبعد الطبع ثلاثين فنحث محبي الشعر على اقتناء هذا الكتاب

﴿ روضة البحرين والمستشار ﴾ طلبت الينا ادارة مجلة روضة البحرين والمستشار ان نعلن انتقالها في اول اكتوبر الجاري من طنطا الى القاهرة فنتمنى لهاتين الجريدتين زيادة الرواج والانتشار

تاريخ الاسبوعين

(اهم الاخبار الخارجية)

الترنسفال -- دارت رحى الحرب بين انكلترا والترنسفال في ١٢ الجاري . وذلك ان الترنسفال خافت ان تجمع عليها انكلترا جيشاً كثيفاً فانذرتها ان تسحب الجيش من حدودها وتقبل بالتحكيم والا اعتبرت عملها اعلاناً بالحرب

فاجابت انكلترا باظهار استفهام من سؤال لا جواب له وهكذا ابتدأت الحرب ودخلت جنود الترنسفال الاراضي الانكليزية ويقال انها احتلت عدة قرى فيها . على انه اذا كان النصر للترنسفال في البداية فهو لانكلترا في النهاية . وقد تظاهر الشعب مع الترنسفال في برلين وبروكسل وزوريخ وارسل الرئيس كروجر الى اصدقائه في اميركا يقول ان انكلترا اذا ارادت الاستيلاء على جمهوريات افريقيا الجنوبية فان هذه الجمهوريات تعمل عملاً ترتعد له فرائص الانسانية . وكل القلوب في العالم المتمدن هي الآن مع الترنسفال الضعيفة المظلومة معجبة بيسالتها وانفتها . وكانه لم يحدث في العالم هذين الاسبوعين الا حوادث الترنسفال فان الشركات البرقية لم تنقل الينا شيئاً سواها

(اهم الاخبار الداخلية)

☆ عيد المولد الخديوي ☆ احتفلت الامة المصرية في ٦ الجاري بعيد تذكار المولد الخديوي السعيد اي ببلوغ سمو الامير المعظم السنة السادسة والعشرين بامية ايامه مرفوعة اعلامه . اعاده الله على الجناب العالي وعلى الامة المصرية بالخير والهناء

☆ نكبة ايدين ☆ ذكرنا في الجزء الماضي زلزال الارض في ايدين وقد رأينا في جريدة بيروت الغراء ان هذا الزلزال هدم نحو ١٣ الف منزل عدا المعابد والكنائس والحانات والدكاكين فبات ٨٠ الف نفس من العثمانيين بلا مأوى ينتظرون مراحم الدولة العليه وسخاء اغنياء البلاد . وقد اصدرت الحضرة السلطانية ايدها الله ارادة سنية الى الولايات لتأليف لجان تجمع الاعانات لهؤلاء المساكين وتبرعت بخمسة الاف ليرا عثمانية في هذا السبيل

☆ الطاعون ☆ يقال ان الطاعون قد ظهر في البصره فوضعت على وارداتها الدولة العثمانية ومصر الحجر ١٠ ايام اما الاسكندرية فهي سليمة منه

﴿ الزوابع في مصر ﴾ في اوائل الجاري هبت الزوابع وهطلت الامطار في الاسكندرية والقاهرة فاقتلعت الاشجار وهدمت بعض المنازل واغرقت الشوارع بطوفان من الماء · وانقضت صاعقة على مكتب عطوفتلو مصطفى باشا فهمي النائب عن الجناب الخديوي ورئيس النظار فاحرقت من الكتب والاثاث ما قيمته الف جنيه عوض الله عطوفته خيراً · ويقول الشيوخ انهم لم يروا مثل هذه الزوابع في حياتهم

وفيات

﴿ المطران جراسيموس يارد ﴾ لم يتروع ابناء الكرسي الانطاكي الارثوذكس من تهنئة انفسهم بما جازوا من العقبات في مسالكهم البطريركية وذلك بحزم اساقفتهم السور بين وحكمتهم حتى دوى في آذانهم خبر وفاة احد اولئك الاساقفة الافاضل الذين يحق لهم الفخر بهم وهو العالم اللاهوتي والحبر النبيل المطران جراسيموس يارد مطران صيدنايا ومعلولا وزحله وبعلبك وتوابعها · توفاه الله تعالى في قرية القرعون في الثالث عشر من شهر ايلول الماضي بعلة فجائية الزمته الفراش بضعة ايام " فطارت نفسه الطاهرة كما قالت رصيفتنا المحبة الى خالقها لتنال اجر اجتهادها وثواب جهادها »

وقد نقلت جثته رحمه الله الى زحلة على اكف الرجال فشيعت فيها جنازته باحتفال عظيم ثم دفن مبكياً مأسوفاً عليه بكل شفة ولسان رحمه الله رحمة واسعة وتغمده بالرحمة والرضوان

ولد الفقيد في راشيا وادي التيم سنة ١٨٤٠ ودخل في سنة ١٨٦٠ المدرسة الاكليريكية الروسية في موسكو بسعي سيادة الحبر الجليل المطران غفرائيل مطران بيروت ولبنان · ثم دخل كلية بطرسبرج العليا فاتم دروسه اللاهوتية والفلسفية فنال شهادتها وعين استاذاً لمدرسة بسكوف ثم انتخب رئيساً لمدرسة ريغا في فينلانده الروسية وعين بعد ذلك استاذاً لكلية بطرسبرج ونال لقب دكتور في اللاهوت ثم عاد في سنة ١٨٨٣ الى القدس مع غبطة البطريرك نيقوديموس وفي سنة ١٨٩٠ اختاره المجمع الانطاكي اسقفاً لابرشية سلفكيا خلفاً للطيب الذكر المطران متوديوس صليبا فكان بفصاحته وعلمه الصحيح ورزانته وتقواه لامعاً كالبدر في الكرسي الانطاكي حتى عاجلته المنية · جعل الله الجنة مأواه وأرى ابناء ابرشيته خير خلف له من بعد · ويرى القراء في الجزء الحادي عشر رسم سيادته

قال وما حاجتك الى القبعات الجميلة وانت بهذا الجمال

قالت مبتسمة : لا تمدح يابيتو . اما القبعات فلكي اذهب الى فيلله كوتريه للرقص في يوم الاحد . هل تحسن الرقص يامسيو بيتو

فنظر بيتو الى ساقيه الطويلتين الدقيقتين وركبتيه الضخمتين فادركت كاترين مراده وقالت . اذا كنت لا تحسن الرقص فتعلم ان ترقص

فقال وهل ترقصين وحدك ايتها السيدة

قالت كلا وانما ارقص مع اجمل شاب وابرع رقاص في هذه الناحية

فاضطرب بيتو وقال من هو هذا

قالت هو المسيو دي شارني صاحب القصر الذي في جوار هذه المزرعة . وساذهب بك في يوم الاحد القادم الى فيلله كوتريه فاريك رقصي ورقصه

فقضى بيتو ذلك النهار راضياً وساخطاً معاً . اما رضاه فلخلاصه من رعاية المواشي واما سخطه فلقول كاترين « انها ترقص مع اجمل شاب وابرع رقاص في تلك الناحية »

فنام تلك الليلة فرأى في نومه المسيو دي شارني يرقص رقصاً قبيحاً فهزأ به في نومه

. . . .

وفي مساء يوم السبت دعا بيلو رجاله واصحابه الى حضور قراءة كراس الدكتور في صباح يوم الاحد التالي . وكان لبيلو زوجة بسيطة القلب ساذجة الفطرة فحاولت تذكيره بان من العملة من لا يستطيعون الحضور في ذلك الميعاد لانهم يكونون في القداس فرفع بيلو صوته صارخاً : — اما استماع كراس الدكتور واما الخروج من المزرعة بالحال . فاني اريد ان اقيم مذبحاً للفلسفة بازاء مذبح الكنيسة . اما النساء فليذهبن الى الكنيسة اذ لاغنى لهن عن الدين

فسكتت مدام بيلو لانها كانت تعرف اخلاق زوجها وفي صباح ذلك اليوم نصبوا برميلاً في مكان عميق داخل المزرعة فجلس عليه بيتو وفي يده كراس الدكتور . واخذ العملة يتقاطرون الى ذلك المكان حتى غص بهم وارتفعت ضوضاؤهم

وكان الشعب في فرنسا في ذلك الزمن زمن الاستبداد والاستعباد تغلي دماؤه بتلك الحمى الشديدة التي تعرو الامم لما تكون على اهبة النهوض . فقد كانت الافواه تلفظ كلمات غريبة جديدة لم تعرفها الى ذلك الوقت والجباه الشامخة من الكبر والرؤوس المحنية من

الضعف والشقاء تهب عليهـا ريح شديدة ترفع هذه وتخفض تلك · وكانت الاجتماعات السياسية كثيرة ورجال لا يعرف لهم اصل ولا منبت خرجوا من اماكن مجهولة وجعلوا يطوفون المدن والقرى كرسل اله غير منظور داعين الناس اليه وناشرين كلمة الحرية · اما الحكومة الفرنسوية فقد كان على عينها في بدء الامر غشاء يمنعها ان ترى هذه الحركة الهائلة ثم سقط هذا الغشاء فادركت وجودها بما راته من المقاومة · وكانت هذه المقاومة في بدء الامر « بالفكر » اذ لم تكن اتت نوبة الفعل بعد · وكانت خفية الا انها كانت كانها ظاهرة · فان شبحها كان منصوبًا ولا سبيل الى قبضه والوصول اليـه كاشباح الاموات تراها ولا تستطيع وصولاً اليها

ولما دخل بيلو في صباح الاحد مكان الاجتماع وجد فيه ٢٥ رجلاً من رجاله فهتفوا له هتافًا شديدًا ثم جلسوا واصغوا الى بيتو فاخذ يتلو عليهم كراس الدكتور

وكانت افهام الحاضرين تقصر عن ادراك معاني هذا الكراس الفلسفية الا انه كان يمر في عرض الكلام من حين الى حين كلمات « الاخاء · العدل · الاستقلال · المساواة » فكانت كأنها بروق تخفق في ظلمة افكارهم فيهتفون ويتحمسون اشد تحمس ويصرخون عاش بيلو عاش الدكتور جيلبار

ولما اتى بيتو على تلاوة نصف هذا الكراس اوقفه بيلو وامره ان يترك ما بقي الى الاحد القادم وانفض الجمع ونفوسهم في اشد درجات الهياج والتأثر

وفاز بيتو هذه المرة فوزًا عظيماً فهنأه المسيو بيلو بقوة صوته وحسن القائه وشكره الجميع على سعة علمه ولم ينقص سعادته في ذلك اليوم الا وجود مدموازل كاترين لتسمع ثناء الناس عليه

وفيما هم خارجون من مكان الاجتماع لقيتهم كاترين فابلغها بيلو نجاح بيتو في عمله فابتسمت كاترين ابتسامة ظنها بيتو له فتمشى لها قلبه في صدره · وفي الحقيقة ان هذه الابتسامة كانت لابيها بيلو · وقد فهم ذلك منها بيلو فقال مالك تبتسمين يا كاترين قالت رحماك يا ابتِ كن على حذر

قال رجعنا الى الخوف والجبانة

قالت ابتِ قيل لي ان ابلغك انهم يراقبونك

قال ومن قال لك ذلك

قالت احد الاصدقاء · قال اشكر لهذا الصديق عنايته ولكن احب ان اعرف اسمه

لاعرف قدر نصيحته

قالت اسمه المسيو ايزيدور دي شارني

فرفع هنا بيلو وبيتو رأسيهما وصاح بيلو بغضب . من اين لهذا الرجل المداخلة في شؤوننا . اكلفناه نحن ان ينصحنا

قالت عفوًا يا ابت ما قلت ذلك لاسخطك

قال ولديّ انا نصيحة اليه ايضاً . وهي ان يكون على حذر فان المجمع الوطني يصدم اليوم الاشراف صدمات شديدة . وكثيرًا ما دار البحث فيه على المقربين الى النمساوية فليعلم ذلك شقيقه المسيو اوليفيه دي شارني اقرب المقربين اليها

وكان بيلو يعني بالنمساوية الملكة ماري انتوانت زوجة الملك لويس السادس عشر الحاكم في ذلك الزمان

وكان بيتو لا يزال يذكر قول كاترين عن رقص المسيو شارني « اجمل شبان الناحية » فقام الغيظ في نفسه مدفوعًا بعامل الغيرة فصاح بعد صياح بيلو

— ما شان هذا الرجل ومن ابن له المداخلة في امورنا . فلم تجب كاترين بشيء

وبعد تناول طعام الغداء لبث بيتو ينتظر ان تنجز كاترين وعدها فتأخذه الى فيلله كوتريه معها لحضور حفلة الرقص . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر دعته كاترين اليها وناولته ذراعها للخروج بها الى فيلله كوتريه

فطار قلب بيتو فرحاً . وكانت كاترين قد لبست اجمل حلاها ووضعت على رأسها القبعة الجميلة التي تكلمت مع بيتو عنها فكان عليها من البها والسناء ما كاد يذهب بعقل بيتو

وكان بيتو يمشي الى جانبها وهو يرفع راسه تيهاً ونخرًا . وكاترين بجمالها الفتان تمشي الهوينا وفي نظرها الحنو وفي فمها ابتسامة لطيفة كأنها السحر الحلال كانت تقابل بها جميع مخلوقات الله في ذلك اليوم الجميل

ومرّا اولاً بمتنزه خالٍ من الناس وفيه رواق جميل فود بيتو الاقامة مع كاترين في ذلك الرواق بعيدين عن اعين الناس من غير ان يعلم سبباً لرغبته . الا ان كاترين لم تتزين بهذه الزينة الجميلة التي بهرت عيني بيتو حتى تقيم في هذا الانفراد بعيدة عن عيون الناس

. . . .

ان النساء كالازهار التي تنبتها الصدفة في الظل . فانها لا تنفك منحرفة الى جهة النور

حتى تبلغه فتفتح لحرارة الشمس اوراقها الرطبة الذكية فتلفحها الشمس وتذويها
ولا يستثنى منها الا البنفسجة فانها لاتضاعيا تستتر كما يقول الشعراء بين الاعشاب·
ولكن ألا تراها تلبس الحداد على جمالها الذاهب ضياعاً

. . . .

ورقصت كاترين في ذلك النهار مع « اجمل شبان الناحية وابرعهم في الرقص » سيو دي شارني · فلما رآها بيتو وهي ترقص مع ذلك الشاب الجميل الغني الشريف انصدع قلبه و بلل العرق جبينه وخار عزمه واصطكت ركبتاه فمد يده الى الوراء يلتمس شيئاً يستند اليه · ولبث كأنه على عينيه غشاوة ينظر الى كاترين ترقص بين يدي ذلك الشاب الجميل وقد صارت فضتها النقية عسجداً · فهل ذلك عن خجل من دي شارني · ام عن حياء من بيتو · ام ذلك فعل كلمة يهمس بها اليها في اذنها او ضغطة لطيفة يضغطها على يدها

لم يعلم بيتو شيئاً من ذلك· وعند المساء عاد من حفلة الرقص يتعثر بهباء الهواء والحزن يملأ صدره في ايابه بمقدار ما ملأت المسرة قلبه في ذهابه · وقد لحظت كاترين ذلك فاجملت ملاطفته وعرضت عليه ان تعلمه الرقص ليرقص واياه في الاجتماعات التالية فاجابتها بمرارة وألم « لاتصلح ساقاي للرقص يامدموازل كاترين »

الفصل السابع

(اذا كانت ساقاه لا تصلحان للرقص)

(فهما تصلحان للركض)

بات بيتو في تلك الليلة قلقاً مضطرباً · فقد حدث في داخله انقلاب شديد في تلك الساعات القليلة التي قضاها خارج المزرعة وفقد شيئاً لايعود للانسان متى فقده وهو : حسن ظن الانسان بنفسه

ولم يكن النوم يجد سبيلاً الى جفنيه فجعل يتقلب على فراشه ويراجع في ذهنه حوادث نهاره · فذكر كتاب الدكتور وما قرأ فيه · وكان جل الكتاب ان لم يكن كله سهاماً مصوبة الى الاشراف واستبداد الطبقات الممتازة وجبانة الذين يحتملون هذا الاستبداد بدناءة وضعف · فظهر لبيتو بعد ما رآه في مساء يومه من خطف المسيو دني شارني كاترين من

بين يديه انه اصبح اشد فهماً لموضوع الكراس فعزم على مراجعته متى طلع الصباح

ولكنه استغرق في النوم لشدة ارقه تلك الليلة فلم ينهض من الفراش الا في الساعة السابعة فتناول الكراس وذهب الى مقعد تجاه نافذة مدموازل كاترين

فهل كان جلوسه على هذا المقعد اتفاقاً ام كان يعلم موقعه من نافذة كاترين ؟

ولما جلس فتح الكتاب واخذ ينظر فيه . وغني عن البيان انه القى قبل ذلك نظرات الى نافذة كاترين ولما لم يجد فيها شبحاً يلوح قصر نظره على الكتاب الذي في يده

ولبث ناظراً اليه مدة طويلة دون ان يقلب صفحة من صفحاته مما يبعث على الظن انه كان يتأمل لا يقرأ

وبينما هو غائص في التامل والتفكير رأى ظلاً على كتابه . وكان الظل كثيفاً فما هو اذاً ظل سحابة بل ظل جسم كثيف . ومن الاجسام الكثيفة ما ترتاح العين اليها كجسم مدموازل كاترين مثلاً . فالتفت بيتو ليرى صاحب هذا الظل

وقد اخطأ بيتو فان الذي حجب عنه النور كما حجبه يوماً اسكندر عن ديوجينوس لم يكن كما ظن شخصاً ترتاح العين الى منظره

فانه كان رجلاً اشد طولاً من بيتو على طوله واشد نحافةً منه على نحافته . وكان هذا الرجل يناهز الخامسة والاربعين بملابس سود تكاد تكون بالية وكان منحنياً فوق الكتاب الذي في يد بيتو

فاخذت الدهشة من بيتو كل ماخذ فلبث صامتاً مبهوتاً . اما الرجل الاسود فابتسم ابتساماً ظريفاً بان من تحته فراغ فمه من الاسنان وقال بهيئة المزاح ناظراً الى الكتاب

— استقلال الانسان وحرية الامم . طبع في اميركا مدينة بوسطن سنة ١٧٨٨

فاجاب بيتو وقد بلغ منه العجب مبلغه — نعم هو هكذا ياسيدي :

ثم انتصب قائماً لانه تعلم في المدرسة ان لا يكلم وهو جالس شخصاً اعظم منه شاناً . وكان لسذاجته وضعفه يرى كل الناس افضل منه واعظم شاناً

فوقع نظره حين نهوضه على شبح يلوح ويختفي في نافذة مدموازل كاترين فحدق النظر فراى كاترين تنظر اليه نظرات ذات معنى لم يفهمه وتشير اليه اشارات غريبة

اما الرجل الاسود فلم يرَ شيئاً من ذلك لان ظهره كان الى النافذة ووجهه الى بيتو . وبعد ان فحص الرجل بيتو بنظره ملياً قال مشيراً الى الكتاب — لمن

هذا الكتاب

فسمع بيتو من صوب نافذة كاترين صوتاً ضعيفاً يقول : « قل انه لك » . اما الرجل الاسود فلم يسمع شيئاً لانه كان كله اعيناً ترى بيتو وتنحص هيئته

فاجاب بيتو رافعاً راسه — هو لي

فقال الرجل الاسود — اذن فانني القي القبض عليك

فصاح بيتو ملء فمه — عليّ انا ? فقال الرجل نعم فاتبعني

وفي الحال ظهر رجلان من رجال البوليس كانهما خرجا من الارض اوهبطا من السماء فوقفا ينتظران امر الرجل الاسود فاشار اليهما ان يلقيا القبض على بيتو المسكين فهجما عليه لشد يديه بالحبال فاخذ يدافعهم وهو يصيح ويستغيث . ونظر الى نافذة كاترين فرآها تشير اليه ان يسكت ويدعهم وشأنهم فسكت بيتو وسكن فشدوا يديه بحبل تخين ثم ربطوه من وسطه بحبل آخر في حلقة من حديد تحت نافذة كاترين . وتركوه ودخلوا المزرعة ليكتبوا بياناً بتفصيل الحادثة

وما غابوا عن النظر حتى سمع بيتو قائلاً يقول له من فوق راسه « ارفع يديك » فرفع عينيه فرأى كاترين وعلى وجهها اصفرار الخوف والجزع وفي يديها سكين . فرفع يديه الى النافذة وكانتا طويلتين كما نعلم وتدلت كاترين من النافذة حتى مسّ حد سكينها الحبل الذي يربط يدي بيتو فانخرط الحبل وانطلقت يداه فناولته السكين وقالت اقطع بها الآن الحبل الذي يشدك من وسطك فقطعه بيتو كلمح البصر فقالت له كاترين باضطراب « اسمع الآن . خذ هذين الذهبين وفر ركضاً الى باريز فانظر الدكتور جيلبار وحدثه بما رايت »

ثم القت اليه ذهبين . واذا برجلي البوليس قد ظهرا في الباب فعرتها الدهشة لرؤيتها بيتو مطلقاً . واخذ الخوف من بيتو كل ماخذ فلبث واقفاً كما يقف الارنب تجاه كلب الصيد اذا اتاه على حين غفلة . وكما يفر الارنب عند اول حركة يتحركها الكلب هكذا فرّ بيتو عند اول حركة تحركها الرجلان نحوه فانه وثب وثبتين ابعدتاه عن الرجلين بعداً كافياً فاطلق عند ذلك ساقيه للريح

فصاح الرجلان به صيحة واحدة فسمع الرجل الاسود صياحهما فخرج مسرعاً وبين يديه « صندوقة صغيرة » فرأى بيتو راكضاً فلم يُضع الوقت بالكلام بل اخذ يعدو وراءه بكل قواه فتبعه الرجلان ركضاً

فكانوا مع بيتو كارنب يسابق طيرًا · فانه كان يعدو كالجواد اذا سبح او الطير اذ طار وهم وراءه جادون · وبلغ بيتو سياجًا فوثب من فوقه وراح يهزأ بهم · اما طالبوه فانهم التمسوا الباب اذ لم يستطيعوا وثب السياج · ولما خرجوا من الباب ابصروا بيتو في السهل البعيد كانه السهم المارق « تكاد قدماه تصلان الى راسه »

فالتفت بيتو اليهم فرآهم يركضون متثاقلين لراحة ضمائرهم لا لادراكه فعلم انه نجا بنفسه فشدد عزمه ووسع خطاه حتى بلغ الغابة فتوارى عن ابصارهم

الفصل الثامن

(لماذا قدم الرجل الاسود الى المزرعة)

غاب الرجال الثلاثة عن نظر كاترين التي كانت تراقبهم من النافذة فنزلت صفراء اللون الى غرفة في المزرعة وفتحتها

وكان ابوها بيلو في هذه الغرفة سجنه فيها الرجل الاسود

فخرج بيلو منها خروج الاسد من عرينه وهو يرغي ويزبد من الغضب ويقول

— ما سمعنا مثل هذا · ماذا يريدون من مزرعتي · قالوا انهم قادمون من قبل الحكومة والملك · فاي شان للملك عندي وما الذي جعله يفتكر الآن بي · اين كان الملك لما نزلت بنا المجاعة في السنة الماضية واشتدت علينا حتى كدنا نأكل خيولنا · اين كان الملك لما اتلف البَرَدُ في ١٣ تموز كل مزروعاتنا · يومئذٍ لم يتنازل الملك الى السؤال عنا والافتكار بنا · فماذا يريد اليوم منا · اين اللصوص الذين قدموا لتفتيش مزرعتي يا كاترين

فقصت عليه كاترين كلما حدث بينهم وبين بيتو · وكانت مدام بيلو مبهوتة تنظر في اثاث المنزل المنبوش في ارض الغرف · وجعلت تتأسف وتقول · نبشوا كل شيء حتى خزانة ملابسي

فلما وقعت في اذن بيلو هذه الكلمة « خزانة ملابسي » قدحت عيناه شررًا وصاح هل نبشوا خزانة الملابس

ثم اندفع يريد الخزانة · وكان الرجل قد اغلقها بتأنٍ بعد ان قضى منها وطره · ففتحها بيلو بعنفٍ ونظر الى زاوية منها فاقشعر جلده ولطم جبينه بيده صائحًا

— لا اظن ذلك ممكنًا

فدهشت كاترين وسالته ما بك يا ابتاه

فالتفت بيلو بذهول واضطراب قائلاً — فتشي معي · فتشي عنها عساك ان تجديها · انظري لعلها في الصندوق · بل انظري في الخزانة الثانية ·· لالا بيدي هذه وضعتها في هذه الزاوية · وامس نظرتها ويلاه · اذن لم يات اولئك الاشقياء في طلب الكتاب كما قالوا بل جاؤا في طلب « الصندوقة »

فقالت كاترين مذعورة اي صندوقة يا ابت

قال · اف الا تعرفينها فقالت مدام بيلو · لعلك تريد صندوقة الدكتور جيلبار

فصاح بيلو نعم صندوقة الدكتور جيلبار · اين هي الآن

نخافت كاترين على عقل ابيها فقالت متلطفة رحماك يا أبت خفف من غضبك

فصاح بيلو بصوت كالرعد القاصف · ماذا يقول عني الدكتور غداً سيقول اني خائن دنيء لا احفظ عهداً · وعدته ان احافظ على هذه الصندوقة حتى الموت وها هي قد فرت من يدي

قالت وماذا تحتوي هذه الصندوقة قال لا اعلم وانما اعلم انه كان يجب ان أقتل قبل ان تؤخذ من مزرعتي

ثم ظهرت في وجهه علامات الغضب واليأس البالغ حده وقدحت عيناه شرراً يتمرب من شرر الجنون نخافت كاترين واجهشت بالبكاء ثم صاحت

— رفقاً بنا وبنفسك يا ابت

ففتح بيلو فمه وقال بصوت نخيف · عليَّ بالجواد · علي بالجواد

فقالت كاترين الى اين يا ابت · بالله عليك الى اين

قال بصوت مرتجف الى حيث اجد الدكتور · عليَّ بالجواد علي بالجواد

قالت تتركنا وانت على هذه الحال يا ابت · وماذا يحل بنا بعدك · فاثر كلامها في قلب بيلو فتغيرت ملامح وجهه فاخذ راسها بين يديه وقبله ثم قال لها

هذه واجباتي يابنية فقد قال لي الدكتور يوم اودعني هذه الصندوقة : « اذا فقدتها يابيلو باية طريقة كانت فلا يهدأ نَّ لك بال قبل الوصول اليَّ لابلاغي خبر فقدانها ولو كلفك ذلك سفك الدماء »

الجامعة

(الجزء السادس عشر) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٣١٧



﴿ الجناب الخديوي المعظم ﴾

﴿ بمناسبة عودة سموه من سياحته في اوربا بالعز والاقبال ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المقريزي

(المؤرخ العربي الشهير)

يترجم الافرنج كتبه الى اليوم

هو تقي الدين احمد المقريزي من جملة علماء العرب الاعلام الذين عاشوا في القرن الخامس عشر · ولد في القاهرة في سنة ١٣٦٥ وتوفي فيها في سنة ١٤٤٢ واصله من عائلة يقال ان نسبها ينتهي الى الفاطميين كانت مقيمة في بعلبك في الشام · وقد نشأ تقي الدين في القاهرة ودرس التاريخ والعلوم الاسلامية درساً دقيقاً في مدارسها الكبرى ثم سار الى مكة فاقام فيها زمناً وعاد بعد ذلك الى القاهرة فتلقاه حكامها بالاكرام وولوه مراراً وظائف كبرى كان يقوم بها احسن قيام · وكان رحمه الله شديد المراقبة كثير الذكاء محباً للاستطلاع مولعاً بالعلم والعمل فاكتسب بهذه المواهب علماً واسعاً ومعرفة كبرى باحوال البلاد التي عاش فيها والناس الذين عاصرهم والذين عاشوا قبله فصرف علمه الى التاليف فوضع كتباً كثيرة في العلم والتاريخ والجوغرافيه

ولاهمية هذه الكتب لا يزال الافرنج يترجمون منها الى هذا اليوم يتخذونها معادن علم يستخرجون منها الحقائق العلمية والتاريخية والجوغرافية عن الشرق وبلدانه · من ذلك اهم كتب المقريزي وهو (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاخبار) فان العالم المستشرق الفرنسوي المسيو بوريان يترجمه الى اللغة الفرنسوية منذ سنة ١٨٩٥ ولم يفرغ منه الى اليوم · ويقول العالم لاريش عن هذا الكتاب : انه كنز للمعارف لا ينفد فيما يتعلق بتاريخ مصر وجغرافيتها

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٨٩٤ في مجلدين كبيرين · وللمقريزي تاريخ آخر غيره عنوانه «كتاب السلوك في معرفة الملوك» نقله الى اللغة الفرنسوية المستشرق كاترمير تحت عنوان «تاريخ امراء المماليك» وذلك في سنة ١٨٣٧

وهذان الكتابان من احسن ما كتب عن مصر منذ الفتح الاسلامي بشهادة العلماء

الاوروبيين انفسهم · وللمقريزي كتب اخرى كثيرة غيرهما· منها :

تاريخ ملوك المسلمين في الحبشة — نشره لاينك باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٧٩٠

وكتاب في النقود الاسلامية واوزان العرب ومقاييسهم — نشره المسيو تيشين باللغة اللاتينية والمسيو ساسي باللغة الفرنسوية بين سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٠٠ في باريز

وتاريخ غارة الروم والفرنك على دمياط — نشره المستر هاماكر باللغة اللاتينية في امستردام سنة ١٨٢٤

وتاريخ النصارى من الاقباط — نشره المسيو وتزر باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٨٢٨

وتاريخ الاقباط — نشره المسيو ويستانفيلد باللغة العربية والالمانية في سنة ١٨٥٤

وكتاب مسهب عن قبائل العرب الذين اقاموا في مصر — نشره العالم المذكور آنفاً باللغة العربية والالمانية في سنة ١٨٤٧

وكتاب وصف حضرموت — نشره المسيو فوسكوويج باللغة العربية واللاتينية في سنة ١٨٦٦

فمن يتأمل نهوض الافرنج من كل جانب في فرنسا وانكلترا والمانيا وغيرها الى ترجمة ما ألفه علماء العرب للانتفاع به ولا يقوم في نفسه حزن لقعود ابناء اولئك العلماء عن احياء مآثرهم والانتفاع بمعارفهم · مثلنا معهم مثل اولاد يعرضون عن ميراث آبائهم وانسبائهم ويتركون الغريب متمتعاً بهذا الميراث يغتني به وهم فقراء ويجني من علمه وهم جهلاء · ثم اذا اتفق يوماً ان هذا الغريب ارانا علمه واظهر لنا فضله خفضنا الرؤوس امامه وقلنا : انه من جبلة ونحن من اخرى لا نستطيع ان نغالبه فانه يغلبنا او ان نقاويه فانه اقوى منا— وما علمنا انه يحاربنا بسلاحنا ويتجر ببضاعتنا وبما زاد عليها باجتهاده وذكائه ومساعدة اغنيائه وحكوماته

ولكنه يلوح لنا ان « شركة طبع الكتب العربية » التي تألفت في القاهرة من نخبة من افاضل الناس آخذة في سد هذا الفراغ واحياء مآثر اولئك العلماء · وللمقريزي كتب خطية في مكتبة باريز ومكتبة لايدن لم تطبع الى الآن كما لكثيرين غيره من علماء العرب في المكاتب الكبرى في الشرق والغرب · فحبذا لو تبحث الشركة عن اصح هذه

الكتب واكثرها فائدة فتنشرها لقراء اللغة العربية الذين يشتاقون الآن اليها اشتياق الظماء الى الماء

ونذكر في هذا الصدد ما دار بيننا وبين مؤرخ كبير ليس في الشرق ثلاثة بعلمه وفضله . اقترح حضرته على الجامعة ان يكتب لها تاريخاً وجيزاً ممحصاً لانكلترا من حين نشأتها الى هذه الايام . فقلنا هذه خير فرصة تغتنم لاتحاف العالم العربي بتاريخ للعرب وجيز ممحص من حين نشأتهم الى هذه الايام . فاقترحنا على صديقنا المؤرخ ان يجعل لدولة العرب ما اراد جعله لانكلترا وهذا جوابه مقتطف من رسالة له نستأذنه بنشره وان كان مكتوباً للطي لا للنشر :

« سالتني الجامعة عن تاريخ العرب . وقد تخيرت موضوعاً جليلاً الا ان في السبيل اليه عقبات . وانها لربما علمت ان جلالة اوسكار ملك اسوج ونروج كان قد نشر في العربية اعلاناً يستنهض فيه الهمم للمباراة في هذا التاليف وضرب لذلك موعداً ووعد بالجائزة المالية والفخرية فحدثتني نفسي بالتماس المباراة ولكني احجمت لان المعدات التأليف مثل هذا الكتاب نزر قليل بين ايدينا واذا اردنا ان نلتمس مصادر الاخبار نضطر الى نفقات فادحة لا تفي بها الجائزة الموضوعة . فلو كنت في سعة من الوقت لاتيت مصر واقمت في مكتبتها حتى املأ وطابي ثم اضع هذا الكتاب . فهل تتم لي هذه الامنية

« اما المواضيع الاخرى فبين يدي منها كتب كثيرة من جلة مؤرخي الافرنج فاتخذهم محوراً اتابعهم تارة واخالفهم اخرى ما شاءت بصيرتي . ذلك ان تاريخهم لا يؤخذ الا عنهم اما تاريخنا فواجب اخذه عن مؤرخينا وهذا يقتضي كتباً ليست في ايدينا . وبين الايجاد من العدم والبناء على الاساس المتين فرق لا يخفى » انتهى

فاذا كانت هذه حاجة علمائنا ومؤرخينا الافاضل الى تلك الكتب العربية المطوية في زوايا المكاتب الكبيرة سواء في اوربا او في مصر فان شركة طبع الكتب العربية تخدم العلم والعلماء اجل خدمة اذا سعت في اخراج هذه الكتب من مدافنها ونشرها بين طلابها والله يجزي المحسنين خيراً

الامبراطور منليك

(ملك ملوك الحبشة)

لحضرة صاحب الامضاء

لما شبت نار الحرب بين انكلترا والترنسفال رسمت احدى الجرائد الانكليزية انكلترا بهيئة جندي ضخم يتقدم من اله الحرب وهو يمد صحفة في شماله وسكيناً في يمينه ويقول له « اطعمني الآن من الترنسفال وبعده تأتي نوبة الحبشة »

وقد ارادت بذلك ان الحائل دون انشاء انكلترا سلطنتها الافريقية العظمى وذلك بوصل الكاب بالقاهرة الترنسفال اولاً والحبشة ثانياً لوقوعهما في هذا الخط . فاذا ضربت انكلترا الآن الترنسفال فانها بعد الفراغ منها ستضرب الحبشة . فالكلام اذاً عن الحبشة من المواضيع المهمة التي لا يملها القارىء ولا يسأمها الكاتب

وقلما يعرف الناس شيئاً عن هذه الامبراطورية الشرقية الجديدة التي نشأت في قلب افريقيه كما تنشأ الاشجار القوية في الغابات المجهولة الواسعة . ولذلك رأيت من الفائدة ان اخصص بها مقالة اودعها ما وقفت عليه من ترجمة حال امبراطورها ووصف اخلاقه و بلاده ورعيته بوجه الاختصار فاقول

✻ منليك ✻ هو ساهالا مريم بن هالي مليكوت ملك خوى . ولد سنة ١٨٤٤ وتوفي ابوه سنة ١٨٥٦ فغزا تيودورس ملك الحبشة وقتئذٍ بلاده وقاده الى كوندار فاقام في الاسر سبع سنوات متوالية . ولما تمكن من الفرار عاد الى خوى فنودي به في عاصمتها انكوبر ملكاً مكان ابيه ودعى نفسه منليك الثاني ايهاماً للشعب بانه من نسل منليك الاول اول ملوك الحبشة الذي ولدته ملكة سبا اثر زيارتها لسليمان ملك بني اسرائيل . وكان غرض منليك من هذا الايهام خلع تيودورس محتجاً بانه مغتصب للملك والجلوس مكانه . فطالبه بحقه او ما يسميه حقه في سنة ١٨٦٦ وحاربه مراراً فلم ينل منه منالاً فتحول عنه الى قبائل الجالا فاخضعها وضمها الى املاكه . ولبث عشرين سنة يغزو ويحارب الملوك والامراء المجاورين له فكان النصر معقوداً بلوائه في جميع غزواته فاتسعت بذلك مملكته واشتدت سطوته . وفي عام ١٨٨٧ ضم الى املاكه اقليمي كافا وهرر والاخيرة اقليم خصب اخذه كرهاً من مصر لما راى بعض الدول الاوربية تتزاحم لاقتسامها



رسم منليك على الريال الحبشي
(على راسه تاج الرئاسة على ملوك الحبشة وفي جانب الريال هذه الكتابة باللغة)
(الحبشية: «الحبشة لا تمد يدها الا لله» اي لا تتكل على غير الله)

وكان بالرغم عن حروبه يواظب السعي في اقناع يوحنا ملك ملوك الحبشة الذي خلف ثيودروس على كرسيه بان يجعله وارثاً للملك من بعده ولما لم يفز بذلك حاربه فانتصر عليه يوحنا انتصاراً عظيماً فاضطر منليك ان ينتهج معه منهج التؤدة والمسالمة ويعترف بسيادته

ثم كانت وفاة الملك يوحنا. قُتل في معركة المتمة الشهيرة (١٠ مارس سنة ٨٩) في حملته على الدراويش فانشقت الامة الحبشية الى حزبين حزب اراد منليك وكان فريقاً كبيراً وحزب رغب في تولية ابن يوحنا وهو الراس منغاشيا. فادى هذا الانشقاق الى حرب بين الفريقين كان الظافر فيها منليك فخضع له الراس منغاشيا مكرهاً واعترف بسيادته فعينه منليك حاكماً لولاية التيغره مدى الحياة. وفي ٤ نوفمبر سنة ٨٩ نودي بمنليك ملكاً لملوك الحبشة وتوج باحتفال عظيم في انتوتو عاصمته القديمة

وما استتب له الملك حتى قامت ايطاليا تطالبه ببعض املاكه من ولاية التيغره تقول انه كان قد وعدها بها ورغبت اليه ان يوقع على معاهدة اوشيالي فابى لانه رأى فيها ما اجحف بمصلحته ويضع الامة تحت سيطرة ايطاليا. فعدت الحكومة الايطالية رفضه نكثاً بالعهد وتحاملاً على مصالحها فاوعزت الى جنودها المقيمة على حدود الحبشة ان تجتاز الحدود. وكان ذلك فاتحة العدوان فاستاء منليك لمخالفة ايطاليا شروط المعاهدة بينهما وآلى على نفسه

ان يموت ولا يتنازل عن قيد شبر من مملكته

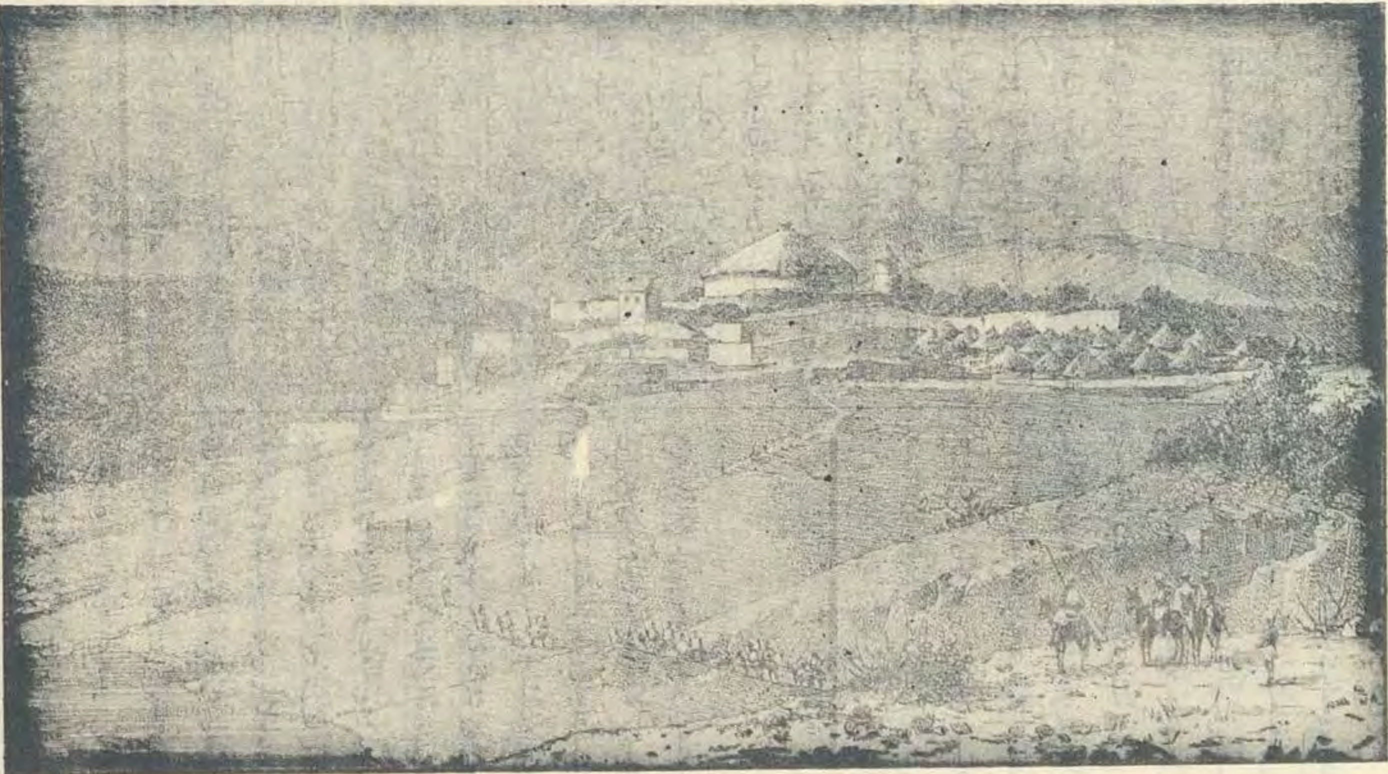
ثم اعلنت الحرب رسمياً وامدت الحكومة الايطالية جيشها في الاريتره حتى بلغ عدده ٣٥٠٠٠ من الجنود البواسل ولكن هذا الجيش الاوربي المدرب تقهقر امام جيش منليك وصار الانكسار يتلو الانكسار حتى كان انكساره العظيم في معركة امبالاكي (دسمبر سنة ١٨٩٥) ثم تلته معركة عدوه الشهيرة (مارس سنة ٩٦) التي سُحقت فيها الحملة الايطالية وتبدد شملها بعد ان قُتل واسر منها خلق كثير . انظر عدوه في الرسم التالي

وكانت بلاد الحبشة قبل تلك الحرب مجهولة قلما يعرف الانسان عن احوالها شيئاً يوثق به الى ان كان انتصارها على الايطاليين هذا الانتصار فظهرت من القوة والمنعة بمظهر ادهش اوربا باسرها وجعلها تقف بازائها موقف الاحترام والاعجاب . ولا غرابة في اهمية مملكة الحبشة لانها بموقعها الجغرافي واقعة بين مصر وراس الرجاء كما ذكرنا وهي بعد الترنسفال الحائل الوحيد دون تحقيق امنية انكلترا من الوصل بينهما . وفي بلاط النجاشي سفراء من قبل كل من روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا يتزاحمون فيه كل يوم باظهار المودة والاخلاص للنجاشي تقرباً منه واستمالة له

﴿ عاصمته ﴾ عاصمة الحبشة هي اديس ابابا ومعناها (الزهرة الجميلة) وقد اتخذها النجاشي قاعدة لملكه مذ هجر عاصمته القديمة انتوتو التي توج فيها . وهي كائنة في بقعة ارض فسيحة وفيها من السكان نحو ثلاثين الف يسكنون اكواخاً حقيرة مبعثرة هنا وهناك بلا ترتيب ولا انتظام مما تنقبض له نفس الزائر الغريب

اما قصر النجاشي وهو ما يُسمى عندهم « بالكبي » ولعله من القباء العربي فهو مبني فوق رابية بناء غير منتظم مسقوف بالآجر وجدرانه بيضاء والى جانبه قاعة فسيحة الارجاء ناظر منليك بناءها بنفسه وانشأها لاقامة الولائم فيها لجنوده وقد دشنها حديثاً اكراماً للقائد مرشان عند مروره بالحبشة راجعاً من فشوده . ويحيط بالقصر سور يحرسه خدم مسلحون بعصى ثخينة ووراءه ثلاث ساحات تلي الواحدة الاخرى وكلها تمتلئ يومياً بالجنود والشحاذين والبهائم . والشرطة مبثوثة في جميع الانحاء محافظة على الامن ومنعاً لما قد يحدث من الخصام . وتحت الاكمة الآنفة الذكر يسير جدول من الماء اسود اللون يتخذه الوطنيون للغسل وسقي البهائم

والمناخ في اديس ابابا رديء جداً لعدم اعتناء السكان بالنظافة ووجود مستنقعات كثيرة يهملون ردمها كل الاهمال . ولذلك فالامراض فيها كثيرة لا تنقطع منها في



رسم قرية عدوه وهي عاصمة التيغره مملكة الراس منغاشيا . فيها جرت الواقعة الشهيرة الفاصلة بين الاحباش والايطاليان . راجع المقالة

اربعة فصول السنة

☆ مقابلاته وولائمه ☆ وفي هذا القصر يستقبل النجاشي كل ايام الاحاد وفود الزائرين من سفراء واجانب فيقابلهم بكل رقة وبشاشة . واكثر ما تكون الولائم اثر هذه المقابلات فيجلس حينئذٍ النجاشي على دكة عالية تحت خيمة اطلسية ويتربع في وسطها . فتمد امامه موائد الطعام وعليها الآنية الصينية والفضية التي اهداها اليه البرنس دورليان والكولونل ليونتيف عند زيارتهما الحبشة فيا كلون على الطريقة الغربية من طبخ طاهي القصر وهو يوناني . اما النجاشي فلا يشاركهم في طعامهم بل يفضل ان يا كل باصابعه من اللحم النيء مقطعاً قطعاً طويلة دقيقة ومن نوع آخر من الخضر . وعند الفراغ من الطعام يُنزع ستار عن القاعة الكبرى فيبدو فيها للناظر الوف من الجنود متكئين على بعضهم البعض يشربون في قرون الثيران شراباً يستطيبونه وهو مزيج من الماء والعسل . فيسألهم النجاشي هل انتم مسرورون فيجيبونه "نحمد الله ونشكركم" ثم ينزل الستار فيلتفت الى ضيوفه ويوجه اليهم نفس السؤال باللغة الحبشية التي لا يعرف سواها خلافاً لما شاع عن معرفته ببعض اللغات الاوربية

☆ صفاته وامياله ☆ وقد اشتهر النجاشي بالدهاء في السياسة اشتهاره بالشجاعة في الحرب فهو مقدام باسل نشيط ميال الى العلوم العصرية منشط لذويها شديد الولع بالاختراعات الحديثة ولا سيما الميكانيكيات فهو يعجب بها ولا يزال يفحصها حتى يتضح له سر تركيبها وكثيراً ما يفك آلة ويركبها بنفسه اذا اشكلت عليه كيفية وضعها

وقد ولع زمناً بالدراجة واحسن ركبها ولكنه هجرها بعدئذٍ عند ما تزايد سمنه . وقلما يسمع باختراع حديث الا ويأتي به . وقد استقدم حديثاً بضع خراطيش من الديناميت وامتحنها بنفسه تحت الماء فانفجرت واماتت بانفجارها كثيراً من الاسماك فتلقاها شعبه بسرور ودهشة عظيمين . وكثير من هذه الاختراعات تأتيه على سبيل الهدية فيسر بها ويلاطف مهديها كثيراً

وكثيراً ما يقوم في ايام الشتاء يراقب بنفسه نزح المياه التي تتراكم على الارض بعد هطول المطر الشديد . وله سلطة مطلقة في مملكته يسوسها بهمة عالية لا تعرف الكلل . فينهض باكراً جداً في الصباح فيذهب الى الكنيسة حيث يقيم ساعتين وبعد خروجه يذهب الى قصره فحيثما طاب له المقام في باحة القصر ام في قاعة القضاء يرى في شؤون شعبه ويقضي بينهم قضاءً كثيراً ما يتبعه بالعفو اذا كان الذنب خفيفاً

وقد تزوج النجاشي بامرأتين الاولى بافانا توفيت سنة ١٨٩٠ والثانية تايتو زوجته الحاضرة . وهي ضخمة الجسم ولكنها ذكية ذات دهاء وسياسة ولها سلطة عظيمة على زوجها ولم يخلف منليك من زوجتيه ذكرًا فاوصى بالملك من بعده للامير (ونس سجد) وهو حفيده من ابنته ولد سنة ٨٥ والنجاشي شديد العناية به

☀ الاحباش واخلاقهم ☀ والعيشة هادئة في اديس ابابا ولقد تخالها خالية من السكان لما تراه فيها من السكون والهدوء غير انهم يجتمعون في بعض الاحيان على صوت غناء فياخذون بالغناء والرقص حتى يُسمع لهم دوي تصم له الاذان ثم يختمون العابهم بخصام كثيرًا ما تسيل على اثره الدماء

وطعامهم المستطاب اللحم النيء ممزوجًا بالماء والعسل والمرأة عندهم ذليلة تسام اشق الاعمال والزواج الكنائسي نادر والولد لا يلقب باسم ابيه بل كثيرًا ما يجهله ولا يعرفه طول حياته . وهم شديدو القذارة لا يعرفون النظافة ولا يغتسلون حتى لا يشبهوا المسلمين في نظافتهم . ومذهب الاحباش القبطي الارثوذكسي وفي الحبشة اديرة ورهبان وراهبات وكلهم يخضعون لرئيس اعظم يدعونه « ابونا » يعينه غبطة بطريرك الاقباط الاسكندري

وقد ارسل النجاشي منذ شهرين الى غبطة البطريرك يساله تعيين اسقف لابرشية قوجام احدى ممالك الحبشة فعين غبطته اسقفًا وسامه في صباح ٢٣ الجاري باحتفال عظيم في كنيسة الاقباط الارثوذكس الكبرى في القاهرة وسماه الانبا يوأنس وسيسافر سيادته قريبًا الى ابرشيته

ومساحة ارض الحبشة ٣٣٠ الف ميل وعدد سكانها نحو ٥ ملايين منهم مسلمون ويهود وتستطيع الحبشة ان تجيش منهم وقت الحرب ٤٠٠ الف جندي مسلحين بالبنادق الحديثة

وهم قوم اشداء يشبون منذ نعومة اظفارهم على الاقدام وحب القتال ولذلك حفظوا استقلالهم منذ الفتوحات الاسلامية والغربية وما حدث في جوارهم من الحروب . وشعارهم يدل على اقدامهم وهو : « الحبشة لا تمدّ يدها الا لله » ينقشونه على نقودهم كما ترى في الرسم الاول . وهم يفضلون السلاح الابيض على ما سواه وقلما يستعملون البنادق اما المدافع فينفرون منها ويحتقرونها لجهلهم استعمالها . الا ان النجاشي يعتني بها كثيرًا ولمزيد اعتنائه بها قد وضع المدافع التي غنمها من الايطاليين في معركة عدوه في احدى ساحات قصره . وقد يكون ذلك للمفاخرة لا للاعتناء

وهم موصوفون ايضًا بشدة القناعة والصبر على الشدائد اذا اجدبت بلادهم وكانوا في



الاحباش بسلاحهم على ضفة النيل

سفر او حرب فقليل من القمح المحمص او الدقيق المبلول بالماء كاف لسد رمقهم طول يومهم . ولكن المدنية قادمة اليهم بخيلها ورجلها فليس بعيداً ان تغيرهم بعد نصف قرن تغييراً عظيماً يصبحون معه دولة عظيمة تذوق نعم التمدن الحديث ونقمه وتحسب لها الدول الاوربية حساباً . كما انه ليس بعيداً ان يصدمها التيار الانكليزي في طريقه من راس الرجاء الى القاهرة فتصنع حينئذٍ الجنود الانكليزية والسودانية والمصرية ما عجزت عن صنعه الجنود الايطالية . والله علام الغيوب — تيودوروس ***

تاريخ مسألة الترانسفال

(من بدايتها الى الآن)

الوجه السياسي .

اضطرتنا كثرة المواد في الجزء الماضي الى تاجيل ما اعددناه عن مسالة الترنسفال الى هذا الجزء . فاذا طالع القراء التفاصيل التالية لم يفتهم شيء من تاريخ هذه المسالة واسباب هذه الحرب التي يُختم بها الان القرن التاسع عشر ختاماً محزناً .

※ تاريخ مسألة الترنسفال ※ تنتهي قارة افريقيه في طرفها الجنوبي براس يدعى راس الرجاء الصالح ويسميه الافرنج (الكاب) وهي ترجمة كلمة (راس) . احتل الهولانديون هذا الراس في سنة ١٦٥٢ وفي بداية هذا القرن ثارت الحروب بين فرنسا وانكلترا فارادت حكومة الديركتوار الاستيلاء على (الكاب) لانه محطة الهند والطريق اليها اذ لم يكن فرديناند دي لسبس قد حفر ترعة السويس بعد . فاستنجد الهولانديون بالانكليز لحماية مستعمرتهم فاتى الانكليز واحتلوا الكاب لدفع الفرنسويين عنهما . وبعد الصلح المعروف بصلح اميين خرج الانكليز منها وهم ينظرون شزراً اليها الى ان كانت حروبهم مع نابوليون فعادوا الى احتلالها خوفاً عليها من نابوليون فاراد الهولانديون هذه المرة دفعهم عنها لاستيائهم منهم في احتلالهم الاول فاخذها الانكليز منهم بالقوة فاصبحت مستعمرة انكليزية

فاستثقل الهولانديون نير الانكليز لظلمهم اياهم فاظهروا استياءهم فاعتبرهم الانكليز عصاة فاعدموا كثيرين منهم بعضاً شنقاً وبعضاً رمياً بالرصاص . فوضع الهولانديون بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٦ امتعتهم وما يملكون على عجلات وساقوها امامهم مع مواشيهم وحيواناتهم وساروا في جهة الشمال فراراً من الحكم الانكليزي . فابلغتهم الحكومة انهم تحت حكمها حيث كانوا وحيث اقاموا

فحطوا الرحال في قفر شمالي نهر اورانج وانتشروا في البلاد التي تُدعى الآن ناتال واورانج والترانسفال . والترنسفال مشتقة من كلمتين (ترانس) و (فال) وهو نهر في تلك البلاد فمعناها اذاً ما وراء نهر الفال . وقد اعلنتهم الحكومة الانكليزية ان من يسكن منهم وراء نهر الفال فله ان يحكم نفسه بنفسه

لكن ما لبث الهولانديون ان قام النزاع بينهم وبين الزولوس والباسوطوس وغيرهم من سكان البلاد الاصليين فتداخل الانكليز بين الفريقين وطردوا الهولانديين من ناتال

فتوافدوا على اورانج فطاردوهم فيها حتى وجدوا مشقة في ذلك فعقدوا معهم في سنة ١٨٥٢ معاهدات اعترفوا فيها باستقلال اورانج والترانسفال

الا ان اورانج حاربت قبائل الباسوطوس في سنة ١٨٦٥ فتداخل الانكليز بينهما ومنعوا هذه القبائل من مهاجمة الاورانجيين. وعقدت في سنة ١٨٦٩ معاهدة اخرى تثبت معاهدة ١٨٥٢ وتؤيد استقلال اورانج . وتعرف هذه المعاهدة بمعاهدة اليوال

فحسبت اورانج انها اصبحت بمأمن من العبودية . ولكن بعضهم اكتشف في ارضها في سنة ١٨٧١ مناجم عظيمة من الماس . فثار ثائر الانكليز غير انهم رأوا في وجههم معاهدة اليوال تمنعهم من المداخلة في شؤون اورانج . فقام حينئذٍ المستر سسل رودس وادعى ان البلاد التي وجد الماس فيها وتعرف الآن بمدينة كمبرلي وضواحيها هي ملك زعيم قبيلة يدعى واتربوير لا ملك الاورانجيين . فاستولى الانكليز على هذه الارض غير مبالين باحتجاج الاورانجيين واعتراضهم واعطوا الزعيم المذكور بضع فدادين منها ومنحوا الاورانجيين بعد مدة وجيزة ٩٠ الف جنيه مكافأة لهم ورغبة في اسكاتهم فسكتوا مكرهين . فجنى الانكليز من هذه المناجم الماسية خيرات عظيمة ولكنها كانت وسيلة الى غرس بغضهم في نفوس الاورانجيين والادعاء عليهم بنقضهم المعاهدة وعدم حفظهم شرف قولهم

وفي اثناء هذا الوقت كان اللورد كارنارفون وزير المستعمرات الانكليزية يفكر في انشاء مملكة افريقية عظمى . فوجد ان العقبة الكبرى في الترانسفال واورانج بل في الترانسفال فقط لانه يسهل صيد اورانج متى صيدت الترنسفال . واتفق ان قبائل الزولوس نهضوا يومئذٍ على الترانسفاليين فاغتنمت انكلترا هذه الفرصة ووجهت حملة كبرى على الزولوس فاخضعتهم ولكنها جعلت جزاءها على كسر شوكتهم ضم الترانسفال الى املاكها

فثار الترنسفاليون على الانكليز في سنة ١٨٨٠ ثورتهم المشهورة التي انتهت بواقعة ماجوباهيل واليك تفصيل هذه الواقعة التي كانت فخرًا للترانسفاليين

☼ واقعة ماجو باهيل ☼ لما اعلنت الثورة رسميًا انقسم الجيش الترانسفالي الى ثلاثة اقسام . قسم زحف لقطع الطريق على الاورطة ٩٢ الانكليزية التي زحفت على بريتوريا والثاني زحف الى بوتشفستروم والثالث الى هيدلبرك . وكان الجيش بقيادة قائد يدعى الجنرال جوبير وهو من نسل عائلة فرنسوية بروتستانتية لجأت الى الكاب ايام الحوادث البروتستانتية الشهيرة . فالتقى في ٢٠ دسمبر بالاورطة ٩٢ الانكليزية فافناها قتلاً واسرًا . وكان الجنرال كولاي الانكليزي مسرعًا بجيش عدده ٢٠٠٠ مقاتل مزودًا بالمدافع

وقادماً من جهة ناتال فحار به الترانسفاليون ودحروه بعد ان قتلوا منه ١٦٠ جندياً ثم قاتلوه مرة اخرى فقتلوا منه ٢٠٠ جندي ودحروه فارتد ناكصاً من غير ان ياخذ جرحاه من ساحة الحرب فجاء اولئك المساكين في ظلام الليل مطر وابل فقضى عليهم

وكان الجنرال الانكليزي ينتظر نجدة من جنود الهند وعدوه بها من ناتال بقيادة السير افلن وود . فجرت له مع جيش الترانسفال قبل ورود هذه النجدة نحو ١٢ واقعة اخرى كانت الدائرة عليه فيها كلها حتى اتته هذه النجدة فاراد ان يقضي بها على قوى الترانسفال بضربة واحدة فغادر مراكزه وسار بجيشه الى اكمة تحكم جميع مراكز الترانسفاليين وتدعى « ماجو باهيل »

ففطن الجنرال جوبر قائد الترانسفال لنية الجنرال الانكليزي فارسل الى هذه الاكمة شرذمة من المتطوعة فتسلقتها خفية واحاطت بالجنرال الانكليزي واركان حربه من كل جانب ثم زحف الجيش الترانسفالي على الجيش الانكليزي فهزمه شر هزيمة وسقط الجنرال كولاي الانكليزي قتيلاً في ساحة الحرب سقوط الابطال وقتل من جيشه ٩٢ قتيلاً وجرح اكثر من ١٣٤ واسر ٥٤

فقامت قيامة الانكليز ولكنهم اضطروا الى مسالمة الترانسفال خوفاً من استفحال الامر وقيام جميع الهولانديين عليهم في الكاب والبلاد الاخرى فعقدوا معهم في ٢٧ مارس عام ١٨٨١ معاهدة خولوهم فيها حق الاستقلال بشؤونهم الداخلية على شرط ان يكونوا في المسائل الخارجية تحت « سيادة » الانكليز ووضعوا في بريتوريا وكيلاً سياسياً حفظاً للسيادة . غير ان هذه المعاهدة تلتها معاهدة اخرى عقدت في عام ١٨٨٤ نُزعت منها كلمة « السيادة » فصارت الترانسفال حرة من كل الوجوه واصبح لانكلترا في بريتوريا عاصمتها قنصل اعتيادي كما لسائر الدول

ومن سوء حظ الترانسفال انه وجد فيها معادن عظيمة للذهب كما وُجد في اورانج معادن للماس فسال لعاب الانكليز على الذهب كما سال على الماس ويقدرون ما يستخرج من الذهب سنوياً في الترانسفال بخمسة عشر مليون جنيه

فتقاطر الاجانب الى الترانسفال من كل جانب وجلهم من الانكليز فتكاثروا فيها واثروا وبنوا جوهنسبرج مدينة الذهب . فصار الترانسفاليون ينظرون شزراً اليهم لانهم يزاحمونهم على خيرات بلادهم فاساءوا معاملتهم حتى بلغ من ذل الاجنبي في الترنسفال ما بلغه الشرقي من الذل بازاء الاجنبي في سائر بلاد الشرق . فكأنَّ الترانسفال اخذت من الاجانب بثأر

جميع الشرقيين وما يعانونه في كل مكان من اعتزاز الغربيين

واهم المظالم التي يشكو منها الانكليز في الترانسفال عدم اعطائهم الجنسية الترانسفالية الا بعد اقامتهم اعواماً فيها وعدم انشاء الترانسفال مدارس لاولادهم مع ان ثلاثة ارباع ايرادها من تعبهم · والتميز بينهم وبين رعيتها في الضرائب واختلال الامن في ضواحي جوهنسبرج مدينتهم وتفضيل الترانسفال البروتستانت من الاجانب على الكاثوليك · فثاروا عليها في جوهنسبورج عام ١٨٩٥ واستنجدوا بالدكتور جمسون عامل الشركة الانكليزية فزحف على الترانسفال بجند لا يبلغون الالف فرد الترانسفاليون غارته وقتلوا من رجاله واسروه مع من بقي · فكان لذلك رنة ودوي في العالم كله

ثم اطلق الاسرى وعاد السلم الى مجراه حتى كان هذا العام · فقام انكليز الترانسفال يجددون الطلب من الحكومة الانكليزية ان تنصفهم · فاخذت الحكومة هذه المرة بناصرهم وطلبت من حكومة الترانسفال منحهم حق التجنس بجنسية الترانسفال بشروط اسهل من الاولى · وكانت الجرائد الانكليزية وساسة الانكليز ينادون من حين الى حين بسيادة انكلترا على الترانسفال · فكان جواب الترانسفال في هذه السنة : « اني امنحهم حق التجنس بعد اقامة خمس سنين مما لم يحلموا به قط ولكني اشترط ان لا يعود احد من الانكليز الى الدعوى بسيادة انكلترا عليّ فاني حرة مستقلة في شؤوني الخارجية والداخلية »

فلما وصلت المسألة الى هذا الحد علم الجميع انه لا بد من الحرب فاخذت انكلترا تستعد لها وترسل الجنود الى حدود الترانسفال فخافت هذه ان تجمع عليها انكلترا جيشاً كثيفاً فارادت مبادرتها بالحرب قبل استعدادها لها فانذرتها ان تسحب الجيش والا بدات بالحرب · فاجابتها انكلترا تاسف لهذا القول الذي لا جواب له · وهكذا ابتدأ العدوان

وشعار الانكليز اليوم « اذكروا ماجو باهيل » اي الواقعة التي انكسروا فيها كما كان شعار الاميركيين في حربهم الاخيرة « اذكروا ماين » · فهل ينال الانكليز من اكاليل النصر على الترانسفاليين ما ناله الاميركان على الاسبانيين · ام يقوم الهولانديون في جنوبي افريقيه قومة واحدة فتضطر انكلترا الى مسالمتهم واقفال باب الحرب بمعاهدة جديدة

﴿ الترانسفال وسكانها ﴾ وسكان الترانسفال ٣ اقسام · الاول السود وهم السكان الاصليون من قبائل الزولوس والكفرة وغيرهم و يبلغ عددهم ٧٣٠ الف نفس · والقسم الثاني الهولانديون وهم البوير ومعناها الفلاحون وعددهم ٢٧٠ الف نفس : والقسم الثالث الاجانب وهم « الويتلاندر » ومعناها المهاجرون وعددهم ٨٠ الف نفس

وازمة البلاد في قبضة الهولانديين كما مرَّ بنا وكلهم اناس اشداء عاشوا في الخلاء والحرية · ومن مزاياهم انهم مشهورون بالرمي بالرصاص وهم يدربون اولادهم من صغرهم على اطلاق البنادق · ويكرهون الانكليز بمقدار ما يحبون حريتهم ويستقتلون في الدفاع عنها · ولكثرة انتصارهم عليهم في الحرب صار الانكليزي عندهم مثلاً للجبانة · واكثرهم يشتغلون بالزراعة والمعادن وتربية المواشي

وعاصمتهم بريتوريا عدد سكانها ١٥ الف نفس وقد بنيت في سنة ١٨٥٥ وسميت بريتوريا باسم رئيسهم الاول · وحكومتهم جمهورية فيها سلطة تشريعية يتولاها مجلسا نواب وسلطة تنفيذية يتولاها رئيس الجمهورية ومجلس له يعرف بالمجلس التنفيذي او الاجرائي والرئيس اليوم هو بول كروجر المشهور الذي كان في مقدمة الثائرين في ثورة ١٨٨٠ وربما افردنا فصلاً لذكر سيرته ونوادره واخلاقه · وهو صديق الجنرال جوبر بطل ماجوكاهيل والقائد العام لجيش الترانسفال في حربها الحاضرة ينتخب لخمس سنوات وقد اعادوا في السنة الماضية انتخابه للرئاسة فكانت المرة الرابعة التي انتخب فيها

اما جيش الترانسفال فان كل بالغ من البوير جندي يحمل البندقية فكل الذكور فيها جنود · وربما بلغ عدد جيشها اربعين الف نفس على الكثير · واذا ضم جيشها الى جيش شقيقتها جمهورية اورانج التي تساعدها في الحرب الآن بلغ عدد رجالهما الى خمسين او ستين الفاً

واسمها الرسمي « جمهورية الترانسفال الجنوبية » مساحتها ٣١٠ الاف كيلومتر فتكون مساحتها ثلاثة ارباع مساحة فرنسا · يحدها من الجنوب جمهورية اورانج المذكورة ويحد هذه من الجنوب مستعمرة الراس · ومن الشرق يحدها اي الترنسفال ناتال واملاك البرتغال ومن الغرب افريقيه الجنوبية ومستعمرة الكاب ومن الشمال ولاية روديزيا نسبة الى سسل رودس · فهي اذن في قلب افريقيه في مامن من الدوارع الانكليزية ولولا ذلك لما كان لهذه الضفدعة الصغيرة ان تناوىء الحوت البريطاني العظيم

وقد نظرنا اليوم في هذه الحرب من وجهها السياسي فبقي علينا ان ننظر اليها من الوجه الادبي وكل آتٍ قريب

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

بين الارض والسماء

(مشنوق الاسكندرية)

وديعة قتلت نفسين · منبوذ الانسانية · ساحة غير محترمة لطيش البشر وجهلهم · متنكرين · اتجاه المخلوق نحو الخالق · جو النفوس الطائرة · المكان الارفع · قائل بقول كلمة لافلاطون

محمد علي حميد شاب من عامة الناس · لا صالح ولا شرير · اقتصد من عرق جبينه اربعة عشر جنيهاً فحسب انه دفن الفقر بهذه الثروة الطائلة · واذ خاف عليها الضياع قصد قريباً له واودعه اياها · ثم راح فنام ملء جفنيه

ولكنه بعد ايام احس بان قريبه يوسع على نفسه ثم رآه او سمع انه على عزم الزواج فقام في نفسه انه يتزوج بماله · نقصده طالباً هذا المال العزيز الذي ادخره غرشاً غرشاً ومليماً مليماً · فانظره القريب الى ما بعد زواجه فقال صاحب الدين بل تعطيني مالي قبل زواجك · فانكر المديون هذا المال فراراً من هذا الالحاح

فرأى الفتى محمد ان زوبعة هبت على آماله كلها فذهبت بهامرة واحدة بذهاب ماله · فصعد دمه الى رأسه فتناول سكيناً واغمدها في صدر مديونه الذي انكر دينه · فقبضت عليه يد العدل · فاعترف انه قتل غريمه لانه انكر ماله الذي جمعه بعرق جبينه · مسكين هذا الفتى · لقد حسب اعترافه مبرراً لجنايته وظن انكار غريمه داعياً الى تخفيف عقابه

كلا فان القاتل يُقتل · هكذا تحكم المحاكم البشرية · فنصبت مشنقته في الاسكندرية في ساحة محرم بك · ودعي اصحاب الجرائد الى حضور هذه الحفلة الهائلة كما يدعون الى حفلات الانس والطرب · وفي يوم الاثنين ١٦ اكتوبر الماضي في الساعة الخامسة صباحاً جيء

بالانسان الذي نبذته الانسانية من حضنهـا لينزل به قضاء العدل او ما يسمونه عدلاً فجاء في مركبة مقفلة يخفرها الفرسان . ولما وصل الى المشنقة صعد اليها بقدم ثابتة ونظر الى ما حوله فماذا رأى ؟

— رأى الوفاً مؤلفة من ابناء الانسانية بين رجال ونساء واولاد مجتمعين حول تلك الالة الجهنمية التي ستزهق بعد قليل نفساً بشرية . منهم من قضى ليله في تلك الساحة حتى يجد مكاناً فيها لمشاهدة « المنبوذ » من حضن الهيئة الاجتماعية . ومنهم من احيى ليله وقصد الساحة قبل انفجار بركان النهار ليصيب مكاناً قريباً من المشنقة . والباعة وسط هذه الالوف البشرية على اطباقها الاثمار والنقل تنادي للبيع والشراء في ساحة كان من واجبات الانسانية ان تكون فيها اكثر تهيباً واحتراماً

فتقدم نائب الحكومة من « المنبوذ » وتلا عليه صورة الحكم . ثم سأله . أتطلب شيئاً . فاجاب « المنبوذ » — متشكرين ولكني اريد ان اصلي . فما احلى هذا الاتجاه اتجاه النفس نحو الخالق وهي لا تزال على الارض مقيدة بقيود الجسد الشرير

وبعد الصلاة اصعد الى المشنقة . فبدا الوجل حينئذٍ في وجه « المنبوذ » . وكان بازائه انسان مهنته القتل ايضاً ولكنه يقتل باسم الهيئة الاجتماعية لا من عند نفسه ويسمى الجلاد . فوضع الحبل في عنقه وقال له « اشهد » قبل نزول القضاء . فقال كلمة الشهادة . قال له اشهد مرة اخرى . قال له ذلك ليشغله عن نفسه . وما كاد يلفظ « المنبوذ » الجواب حتى شد الرجل الحبل فهوى الجسد نحو الارض ولكن لم يبلغها بل بقي معلقاً بين الارض والسماء فاختلج وبعد اربع دقائق بقي منه على الارض ماهو من الارض وطار منه الى السماء ما هو من السماء

***

طارت نفسه غير آسفة على فراق سجنها في هذا الجسد المظلم الشرير الذي جلب لهـا هذا الوبال صعدت مع سائر النفوس الصاعدة من هذه الارض الى المساكن الازليـة فالتقت في طريقها وهي حزينة مما وجدته من الم الحبل وعار التشهير بهذه النفوس الصاعدة صعودها فانضمت اليها . جواهر شفافة لا مادة ولا روح نفضت عنهـا كثافة المادة وتراب الارض وراحت تسبح بين كواكب السماء في هذا الفضاء الواسع مسوقة الى الوطن القديم والمنزل الاول . كأنها اسراب حمام بيض كالثلج لامعة كالنور فرت من اقفاصها المظلمة على الارض . بعضها يثب في طيرانه وثباً يدل على حدة صباه و بعضها يطير بتأن يدل على رصانة الشيخوخة ورزانة الكهولة . بعضها يبتسم لانه ترك هذه الارض مستريح الخاطر ناعم البال

وبعضها يعبس تعبيس الكئيب الحزين لما خلف وراءه من الاشجان . المكان مظلم لانه فوق افلاك الكواكب والشموس ولكنه يضاء شيئاً فشيئاً كلما اوغلت في جوه تلك النفوس كأنها مصابيح تتقدم الى ابواب الازلية

وما زالت سابحة حتى وصلت الى المكان الارفع وفي جملتها النفس المنبوذة من الاسكندرية . وصلت وحرارة الالم في نفسها والدموع في عينيها وهول الحبل لا تزال ترتعد له فرائصها فرأت على الباب الخارجي الموصل الى اماكن الانتظار اصبعاً تشير نحوها وسمعت صوتاً يقول :

***

« مسكينة هذه النفس فانها كانت تعيسة في الكرة الارضيـة لقد ترك البشر جميع الرذائل تنمو فيها . تركوا الشر فيها يقوى على الخير والجنون يتغلب على العقل والرذيلة على الفضيلة ثم اخذوا عليها انها عملت بما ساقها اليه فساد تربيتها . شجرة في البستان نخرها السوس واكلت اوراقها الحشرات المؤذية هل من الحكمة ان نقطعها لانها ضعفت عن مقاومة اعدائها ام نتولى اصلاح شانها وانقاذها من بلائها . القطع لا ينفي الداء الا اذا كان الداء موضعياً . والرذائل ليست موضعية في جسم الهيئة الاجتماعية ولكنها منتشرة عمومية . فاذا قطعتم اليد لم تسلم الرجل واذا قطعتم الرجل لم يسلم الراس . الرذائل كالتنين الخرافي لا تؤثر فيه القوة المادية وكلما قطعتم راساً نبت مكانه راس ان لم يكن رؤوس . وانما يؤثر في الرذائل والشرور دواء يستاصل الداء من اصوله وهو تربية النفس من صغر في الدين والخير والفضيلة لا تحسبوا هؤلاء الجناة واللصوص والقتلة الاشرار ولدوا كذلك . كلا انهم كانوا في صغرهم اطفالاً ملء افئدتهم الطهارة والبساطة وانما افسد عدم التربية نفوسهم نشبوا على الشر بدلاً من ان يشبوا على الخير . وكلما كبر الشر الذي تصنعه ايديهم يكبر اسفنا عليهم وعلى نفوسهم . ذلك ان تلك القوة المخزونة في تلك النفوس لو صرفت الى الخير لكانت فيه كبيرة كما كانت في الشر كبيرة . وهذا معنى قول افلاطون حكيم اليونان في الكتاب السادس من جمهوريته — « لا تحسبوا ان الجرائم الكبرى تصدر عن نفوس صغيرة دنيئة كلا وانما تصدر عن نفوس كبيرة افسدها سوء التربية »

فادخل ايها « المنبوذ » الى اماكن الانتظار . ادخل فان جهلك وفساد تربيتك لا يبرران جنايتك ولكنْ في هذه الارض ارض النور والهناء من الرحمة والشفقة والعدل ما ليس في تلك الارض ارض الظلمة والشقاء .... »

باب تدبير الصحة

﴿ والمنزل ﴾

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

(كلمات صحية)

﴿ آلة لتحسين الصحة ﴾ جدير بان يلقب هذا العصر بعصر الميكانيكيات فان الآلات الميكانيكية تصنع كل يوم عجائب وغرائب

وآخر ما صنعته من هذا القبيل تجارب الاستاذ اتواتر الاميركي فان هذا العالم اجرى مع تلامذته تجارب لتحسين صحة الانسان بالوسائط الميكانيكية فنجح بذلك كما نجح النباتيون في استنبات البقول والخضر في غير اوقاتها من فصول السنة

وموضوع آلته حفظ النشاط والقوة في جسم الانسان مستنداً في ذلك الى ثلاثة مباديء: الاول جودة التغذية . والثاني اعتدال الرياضة . والثالث حفظ الحرارة

فانه يأخذ الفتى العجيف النحيل من الجهد او من سوء المعيشة . او الفتاة التي يكاد الترف يذهب بكل قوتها فيدخلها الى غرفة مخصوصة بناها ووضع فيها انابيب مملوءة بالماء البارد ومجاري كهربائية لحفظ حرارة المكان في الدرجة التي يريدها . ثم يأخذ يغذي مريضه بما يعده له من المواد المغذية يمزجها على النسبة اللازمة من تلك المواد ويطعمه اياها في مواعيد معلومة ويجعل له داخل الغرفة دراجة يروض جسمه بها او عملاً آخر غير شاق يعمله فلا تنقضي عليه اربعة او ٥ ايام حتى يظهر التحسن في صحته . وتسمى الآن هذه الآلة الغريبة آلة اتواتر

وللعالم اتواتر طريقة اخرى في مداواة النحاف الضعاف . فانه حالما يوقن بانه ليس في مريضه داء من الادواء ينظر في حاله . فاذا كان فقيراً عرف ان داءه قلة الغذاء وسوء المعيشة فيجيد تغذيته واذا كان غنياً رجح ان اعتلاله من كثرة الاكل فيخفف غذاءه ويقلل طعامه . واذا كان بطالاً جعله يشتغل واذا كان كثير الجهد جعله يستريح . وربما كان هذا الدواء البسيط خيراً من دوائه الميكانيكي الاول

﴿ الدراجة والصحة ﴾ كثرت نعم التمدن في هذا العصر فحق ان تكثر نعمه .

ونحسب من نعم التمدن اختراع الدراجة (البسيكليت) . فان هذه الالة الصغيرة المؤلفة من دولابين دقيقين تكاد تغير المعيشة المدنية تغييرًا مهمًا ذلك ان الناس بعد اذ كانوا يخلدون الى الكسل والاقامة وراء اسوار مدنهم اصبحوا يخرجون على الدراجات جماعات جماعات الى الخلاء يستنشقون الهواء النقي وهم لا يشعرون و يروضون عليها اجسامهم وهم يحسبون انهم يتسابقون ويلعبون . ولذلك نخير ما يصنعه الانسان لنفسه ان يقتني هذه الآلة التي تسليه وتفيده معًا

ومن مزايا هذه الآلة فوق ما ذكر انها تختصر البعد وتقرب المسافات . فقد اصبح الناس يتراوحون عليها بين باريز وبرلين وفينا حتى ان منهم من وصل عليها الى بطرسبرج . بل منهم من دار حول الكرة الارضية على دراجة فقطع في سفره هذا ٣٢ الف كيلو متر

وهؤلاء السياح الشجعان واحد انكليزي يدعى المستر فرازر واثنان اميركيان هما المستر ماك ايلرث وعروسه . تزوج بها فرآها نحيفة الجسم فسار معها كلٌ على دراجة حول الكرة الارضية رغبة في تسمينها فقاست معه في طريقهما اهوالاً شديدة . وكانت طريقهما من واشنطون على نيويورك فسان فرانسيسكو فتوكيو فكلكيتا فطهران فروسيا . وقد اجمل عظمة شاه الفرس استقبالهما في طهران واذن لهما باخذ رسمه مع رجال حاشيته وامامي الآن هذا الرسم وعظمته جالس فيه على عرشه بين وزرائه والازهار والاثاث الثمين تكتنفه من كل جانب

وقد بلغت الدراجة الى مصر وبعض بلاد المشرق فتهافت الناس على اقتنائها ولكن استعمالها لم يصبح عموميًا بعد ونعرف في الشام مدنًا لم تُرَ فيها الدراجة فنحن نحث شبانها الذين تهمهم سلامة ابدانهم على اقتناء هذه الآلة الصحية المفيدة — (طبيب الجامعة)

***

وعدنا القراء في الجزء الماضي ان ننشر لهم رسم دراجة تسير على وجه الماء اخترعها حضرة البارع محمد افندي ايوب وسار بها على سطح الماء في ترعة المحمودية على مرأى من المتفرجين . وبمناسبة ما ذكره حضرة طبيب الجامعة عن الدراجات نضع لهم الرسم الذي يرونه في الصفحة التالية . فانه رسم حضرة مخترع هذه الدراجة سائرًا بها على سطح الماء في الترعة وهي تعزف السلام الخديوي من آلة موسيقية تتحرك بحركة سيرها



دراجة تسير على وجه الماء لمخترع شرقي
راجع ما ورد عنها في ذيل الصفحة السابقة في هذا الجزء

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتاخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

تربية الابل

(عند العرب)

مقتطف من كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب

للعرب اليد الطولى في تربية الابل والقيام على نتاجها لشدة الاحتياج اليها في بلادهم فهي مراكبهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم ويأكلون لحومها ويقتاتون من البانها ويكتسون من اوبارها ويقايضون عليها في المبايعات ويفتدون اسراهم بها عند نزول النكبات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراهنات ومهر الزوجات وبالجملة والتفصيل هي مصدر غناهم . وقد جاء في الحديث لا تسبوا الابل فان فيها رقوء الدم اي انها تعطى في الديات فتحقن الدماء بها

وكانوا يعلفونها حبَّ الخمخم وهو نبتٌ معروف وينصبون في مباركها عوداً لتحتك به الجرباء منها ويسمونه المحكاك وفي مجمع الامثال للميداني الجذل وهو اسمٌ لاصل الشجرة وتصغيره جُذَيلٌ وبه يضربون المثل في الخشونة فيقولون اخشن من جُذَيل واما الثملة والطلياء والربذة فهي اسماء خرقةٍ تطلى بها الابل الجرباء وبها يضربون المثل في الخسة والاحتقار فيقولون لمن ارادوا الاحتقار به اهون من ثملة ومن طلياء ومن ربذة

وكانوا اذا ارسلوا الجمال الى المراعي القوا جديلها على الغارب ولا يُترَك ساقطاً فيمنعها عن الرعي ولذلك يقولون في امثالهم القِ حبله على غاربه يضربونه لمن تكره معاشرته والمعنى دعه يذهب حيث يشاء

واذا كانت سنة مجدبة يخاف منها على الابل ذبحوا اولادها لتسلم الامهات ولذلك قالوا في امثالهم شرٌّ دواء الابل التذبيح ولهم فيها معاملات اخرى

ولما كانت العرب اشدَّ الناس تحملاً للمشاق والبرد والحر والجوع والعرى نظراً لعقم اراضيهم وقلة المياه فيها كان اذا اراد الرجل سفراً عوَّد ابله ان تشرب خمساً اي كل خمسة



الابل عليها العرب يتسابقون في قفار الحجاز

ايام مرة ثم عودها على السدس حتى اذا اخذت في المسير تصبر على الماء · وقال الميداني الظاهرة اقصر الاظماء وهي ان ترد الابل كل يوم مرة ثم الغبُّ وهي ان ترد الماء يوماً وتغبُّ يوماً والربع وهي ان ترد يوماً ويومين لا ترد وترد في اليوم الرابع وعلى هذا القياس الى العشر· وفي الصحاح ليس في الورد ثلاث لان اقصر الورد الرِّفه وهي ان تشرب الابل كل يوم ثم الغب وهي ان ترد يوماً ثم تدَع يوماً فاذا ارتفع عن الغب فالظِمْءُ ثم الربع ثم الخمس وهكذا الى العشر قاله الاصمعي

وكان رَكبهم يتصافن الماء ايضاً ولا سيما في شهرَي · ناجر وتصافن الماء هو ان يطرح في

القعب حصاة او نواة من نوى المقل ولذلك يقال لها المقلة ثم يصبُّ فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشربون بقدرٍ واحدٍ

واكبر الابل العربية لايمشي في الساعة اكثر من الف وخمس مئة وخمسين خطوة واما الصغير منها فيمشي الفًا فقط وخطواتها بقدر خطوات الانسان مرتين والركض عليها متعب جدًّا بخلاف الحمير · ويعبرون عن الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها بالعوجاء واما التخربوت فهي الخيار الفارهة من النوق · والمرقال مبالغة مرقل من الارقال وهو بين السير والعدو · والأمون الناقة التي يؤمن عثارها والرسلة هي التي تكون سهلة السير تمشي هونًا · والخدج التي تميل في احد الشقين لنشاطها في السير · والدفاق المتدفقة في سيرها اي المسرعة غاية الاسراع · والرزية التي ترزي في السفر اي نحلت افرط هزالها

وللعرب لحنٌ يسوقونها به ويسمونه الحداء والحادي السائق الذي يسوق الجمال بصوته الرخيم · وقد اشتهر بينهم في ذلك بعد الاسلام رجل يقال له سلام الحادي كان حسن الصوت في الغاية حتى كانوا يضربون به المثل · قيل انهم كانوا يعطشون الابل ثم يوردونها الماء ويقف سلامٌ من ورائها ويحدو لها فتنصرف عن الماء اليه · وكان من خواص مروان بن محمد بن مروان الاموي

ومن امثال العرب شقُّ العصاء يضرَب للمتفارقين واصله ان يكون الحاديان في رفقة فاذا لزم افتراقهما شُقت العصاء التي معهما فاخذ هذا نصفها وذا نصفها ثم كثر حتى جُعل شقُّ العصاء مثلاً في كل فرقة

وذكر بعضهم ان العرب اذا كان لهم ناقة كريمة منعوا عنها كل فحل غير كريم وقرعوا على انفه بالعصاء اذا دنا منها ولذلك يقولون في امثالهم لا نقرع له العصاء يضرَب لمن لاينبغي ان يردَّ خائبًا · وقيل بل يضرب للمحنك المجرب وكان للنعمان بن المنذر اللخمي فحلان كريمان يُضرب بهما المثل وهما جديل وشَدْقَم

وضلَّ لرجلٍ بعيرٌ فاقسم لئن وجده ليبيعه بدرهم فاصابه فقرن به سنورًا وقال ابيع هذا الجمل بدرهم وابيع السنور بالف درهم ولا ابيعهما الاّ معًا · فقيل له ما ارخص الجمل لولا المرة · فجرت مثلاً يضرَب في النفيس والخسيس يقترنان

ويعبرون عن الابل بالجليلة واجودها عندهم الاشهب البازل يعني الابيض القوي ويقولون ناقة هجان وجمل هجان والهجان حسن البياض واعتقه وقيل بل ان انفسها السوداء قال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الاسحمِ

باب التقريظ والانتقاد

شركة طبع الكتب العربية

كنا في مقدمة الذين عرفوا فضل « شركة طبع الكتب العربيـة » التي تألفت من نخبة من افاضل المصريين في العاصمة لاحياء مآثر العرب بنشر ما خلفه علماؤهم الاعلام من الاثار التي يتباهى اليوم الافرنج بنقلها الى لغاتهم كما بسطنا ذلك في صدر هذا الجزء . وقد حققت هذه الشركة آمال الذين يتوقعون من عملها خيرًا عظيمًا للعلم والعلماء في الشرق فنشرت في خلال بضعة اشهر ثلاثة كتب جليلة اهدتها الينا فوردتنا بعد طبع باب التقريظ في الجزء الماضي

﴿ الوجيز في فقه مذهب الامام الشافعي ﴾ واول هذه الكتب كتاب الوجيز في فقه مذهب الامام الشافعي تأليف فيلسوف الاسلام الامام محمد بن محمد ابي حامد الغزالي . وهو جزءان في كل منهما ٢٩٦ صفحة كبيرة يتضمنان « فقه مذهب الامام الشافعي وبيان مذهب الامام مالك وابي حنيفة والمزني والاقوال والاوجه البعيدة لاصحاب الامام الشافعي بالرمز الى كل منها باصطلاح مخصوص » وفي شهرة الغزالي ما يغني عن وصف هذا الكتاب الجليل وذكر اهميته لدى جميع المسلمين والمستشرقين

﴿ سيرة صلاح الدين الايوبي ﴾ وثالث هذه الكتب كتاب سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تأليف القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هجرية وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه تاليف تاج الدين شاهنشاه ابن ايوب رحمه الله . وهو يتضمن نشأة السلطان العظيم يوسف صلاح الدين الايوبي الذي رد غارات الافرنج عن مصر والشام وعدله وشجاعته وحلمه وتاريخ الوقائع التي شهدها وتفاصيل حياته كلها الى وفاته رحمه الله . وسنطالع هذا الكتاب بالامعان الذي هو اهل له ونقتطف منه للقراء ترجمة حال هذا الملك العظيم شاكرين لهذه الشركة انها كفتنا عناء اخذ هذه الترجمة عن المصادر الافرنجية التي نبذل في التنقيب فيها والوصول اليها عناء ليس باليسير

وانما نشكرها بالخصوص لانها تعمم العلم وتجعله قريب المنال لعامة القراء وخاصتهم بما تنشره من الكتب الجزيلة النفع القليلة الثمن مما لا يتاح الا لشركة مثلها كبرى تقوم لخدمة المعارف وطلب العلم لذاته لا لقوم يتخذونه تجارة فان ربحت تجارتهم اقاموا يخدمون وان خسرت تركوا وولوا مدبرين

وعندنا ان هذه هي العقبة الكبرى في سبيل المعارف في بلاد الشرق الآن . فان المدارس تُنشأ فيها « لربح المال » والتلامذة يتعلمون فيها ما يكفي « لربح المال » والجرائد تُنشأ لا لتمثيل مبداء او الدفاع عن مبداء بل « لربح المال » وكتابها قلما يكتبون غير الفصول « السطحية » التي يكون فيها قنطار من اللذة ودرهم من الفائدة وذلك رغبة في ارضاء جمهور القراء اي طمعًا في « ربح المال » والمطابع والمكاتب لا تنشر الكتب المفيدة ولكن الكتب التي تروج لدى القراء اي الكتب التي تكون ذريعة « لربح المال »

فالمال . المال — هذا الصنم اللامع الذي يعبده اكثر طلاب العلم في الشرق — يدوس الآن بقدمه الهائلة على صدر المعارف فيه فلا يدعها تخطو في سبيل العلم الحقيقي خطوة واحدة . والعلم الصحيح ساخط علينا لاننا لا نطلبه لذاته بل للمال فلا بدع اذا كره الاقامة على الذل والضيم وما كان الذل والعلم ليجتمعان في بقعة واحدة

على ان طلوع « شركة طبع الكتب العربية » على المعارف الشرقية وتفلتها لغنى اعضائها من ربقة المال وأسر « الربح » يبشرنا بعصر جديد ان شاء الله . وحبذا ان تكون هذه الشركة طليعة هذا العصر . فكما قام بعض كرام الاغنياء الى نشر الكتب النافعة يقوم منهم بعض الى انشاء المدارس وبعض الى الدرس والانقطاع الى دروس خصوصية يتعمق فيها وآخرون الى انشاء الجرائد على مبداء جديد يكون اساسه خدمة العلم ونشر المعارف لا الجري مع هوى العامة استرضاء لها وطلبًا لاموالها وآخرون الى وضع جوائز سنوية للكتب تؤلف وتترجم . بذلك ينشط العلم من عقاله ويتحرر من اسر المال وينمو تحت سماء الشرق كما كان . والا فالسيادة تبقى للمال وبئس المآل

﴿ الاهرام في العاصمة ﴾ الاهرام شيخ الجرائد السياسية في الشرق . انقضى عليها ربع قرن وهي صوت صارخ في ربوعه فحق لها هذا النجاح العظيم الذي اصابته في حياتها الصحافية مكافأة عادلة عن اجتهادها وحسن خدمتها

ويسر الذين يقدرون هذه الجريدة الوطنية الخطيرة حق قدرها ان يعلموا عزم سعادة مديرها المفضال شيخ الصحافيين في الشرق على انشاء فرع جديد يومي للاهرام في القاهرة

تصدر طبعته مع هذا الجزء من الجامعة . وقيمة الاشتراك في فرع القاهرة ١٥٠ غرشاً صاغاً اما فرع الاسكندرية فقيمة الاشتراك فيه مائة غرش فقط و٥٠ غرشاً للمشتركين بفرع القاهرة

وهي خطوة جديدة لتسهيل مقتنى الجرائد السياسية بتخفيف اثمانها الى هذا الحد . فنقدم خالص التهنئة الى حضرة صاحب السعادة مدير الاهرام راجين للشرقيين مزيد الانتفاع بمواهب كبرائهم وهممهم العالية

وستصدر ادارة الاهرام ما عدا الطبعتين العربيتين اليوميتين طبعة فرنسوية اسبوعية في القاهرة لاطلاع الاوربيين على احوال الشرق والشرقيين

لدينا تقاريظ كثيرة ضاق عنها هذا الجزء فنرجو المعذرة من اصحابها

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

﴿ عودة الجناب الخديوي ﴾ يعود الجناب الخديوي المعظم من سياحته في اوربا وفي البحر المتوسط مع صاحبتي الدولة والعصمة والدة سموه الفخيم وحرمه المصون والانجال الكرام في اوائل الشهر الجاري . فنهنئ القطر بعودة اميره المعظم وندعو لجنابه الفخيم بطول العمر والبقاء

﴿ نصب تمثال فرديناند دي لسبس ﴾ تحتفل شركة ترعة السويس في ١٧ نوفمبر الجاري بنصب تمثال للمرحوم فردينان دي لسبس فاتح ترعة السويس عند مدخل الترعة في بور سعيد . وسيشهد هذا الاحتفال الجناب الخديوي وحضرات النظار وكثيرون من اكابر الرجال من كل الامم

﴿ اساقفة اقباط ارثوذكس ﴾ احتفل في ٢٣ الماضي في الكنيسة الارثوذكسية القبطية الكبرى في القاهرة برسامة حضرة الانبا يوأنس اسقف بمملكة قوجام من بلاد الحبشة . وقد شهد الاحتفال حضرة صاحب العطوفة مصطفى فهمي باشا النائب عن سمو الجناب العالي وحضرة اللورد كرومر وغيرهما من اكابر الرجال وقام برسوم هذا الاحتفال غبطة البطريرك المكرم فكان احتفالاً عظيماً ساد فيه الهدوء والوقار بالرغم عن شدة الزحام

❊ حملة السودان ❊ تقرر ترك الحملة على التعايشي في هذا العام لانه ترك مكانه الذي لجأ اليه · والارجح ان السبب اشتغال الحكومة الانكليزية بجنوبي افريقيا

(خارجية)

❊ الحرب ❊ لم تصل النجدات الانكليزية الى افريقيه الجنوبية بعد فالترانسفاليون يمرحون فيها بين هجوم على القطارات وتقليع السكك الحديدية وحصر المدن · وقد جرى قتال شديد بينهم وبين الانكليز في كنكوى فارتد الترانسفاليون عنها بعد ان قتل من الفريقين خلق كثير وهم الآن يحصرون كمبرلي وقصدهم الانتشار في مستعمرة الكاب في غربي اورانج والترنسفال لاستنفار الهولاند بين اخوانهم الى الثورة فان فوزهم متوقف على ذلك

وقد خطب اللورد سالسبري في مجلس الاعيان فصرح بان الحكومة الانكليزية اضطرت الى هذه الحرب اضطرارًا وانها لا تقصد قتل حرية الترانسفال بل مساواة البيض في جنوبي افريقيه بعضهم ببعض تحت سيادة انكلترا · فاعتبر السياسيون هذه الخطبة ما اراد اللورد صبه على غضب الراي العام الاوربي الذي ينكر على انكلترا هذه الحرب

وقد ارسل مكاتب الطان في برلين يقول ان الامبراطور غليوم قلق من تاهبات انكلترا البحرية فباحث في ذلك وزيره المسيو دي بيلوف · والمناوشات الآن عامة في جميع المواقع بين الانكليز والبوير · فاذا لم يفلح هؤلاء اليوم قبل وصول المدد فانهم لا يفلحون

(وفيات)

❊ المرحوم جاويد بك ❊ روت صحف الاستانة ان رجلاً البانيًا يدعى الحاج مصطفى (من ايكي حصار) التابعة لولاية اسكيدار الالبانية هجم على عطوفتلو جاويد بك نجل صاحب الدولة والفخامة خليل رفعت باشا الصدر الاعظم وهو على سلم محطة الشركة المخصوصة في الاستانة واطلق عليه خمس رصاصات من غدارة كانت بيده فقتل · رحمه الله رحمة واسعة والهم دولة والده الفخيم جميل العز والسلوان على هذا الخطب العظيم

❊ اليوز باشي محمود حلمي ❊ نعت الينا انباء ام درمان الجندي الباسل والشاب الاديب المرحوم اليوز باشي محمود افندي حلمي الطوبجي · توفاه الله في ربيع الحياة عن ٢٨ عامًا عقب عملية جراحية لخراج في الكبد ناتج عن الديسونطاريا فشق نعيه على اهله واصدقائه بالخصوص زملائه الضباط الاباسل الذين خاضوا معه غمار الحروب في السودان ·

وقد رثاه احدهم وهو حضرة الشاعر البليغ محمد افندي حافظ بقصيدة نشرنا بعض ابياتها البليغة في نبذة «افريقيه مدفن اوربا» في هذا الجزء فنسال الله ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ويلهم حضرات آله ولاسيما حضرة شقيقه الفاضل الملازم اول عبد الحميد افندي زكي في ام درمان جميل العزاء والسلوان

١٣ نوفمبر القادم

ما كنا نعلم ان لنبوءة رودولف فالب عن انقضاء العالم في ١٣ نوفمبر القادم كما ذكرنا في باب الاسئلة والاجوبة في الجزء الماضي — هذه الاهمية التي لها الآن لدى خاصة الناس وعامتهم في الشرق والغرب · فقد روينا في الجزء الماضي خبر السيدة التي لم تجد في التوراة علامات القيامة ومجيء الساعة ولكن سيدة اخرى تقول انها وجدت هذه العلامات في الاصحاح ٢٤ من انجيل متى · فقد جاء فيه انه يكون في يوم القيامة زلازل وحروب ومجاعات في امكنة كثيرة · قالت : فهذه الزلازل في ايدين وهذه الحروب في الترنسفال وهذه المجاعات في روسيا والهند وشرقي افريقيه ·

وروى لنا صديق ان سكان بلدة مصرية على شاطىء البحر المتوسط حفروا آبارًا مردومة في بلدهم حتى يختبئوا فيها اذا صدم المذنب الارض فلا يحترقوا بناره · قال واظن ان الذي حملهم على هذا الفعل نبيه من رجالهم رأى الآبار مردومة والمدينة بحاجة اليها فزيّن لهم هذا الامر حتى يحفروها

وروت الجرائد الاوربية ان الخوف مستحوذ على نفوس العامة في اوربا حتى ان بعض السكان في سيبيريا حفروا انفاقًا تحت الثلج ليقيموا فيها فاذا جاء المذنب انطفأت ناره بالثلج فلم يمسهم منها اذى ··· ونهاية المضحكات ان تاجرًا عليه ديون أُنظر دائنيه كلهم الى ١٤ نوفمبر وهو يقول في نفسه : في ١٤ نوفمبر لا يكونون ولا اكون

وقد تكلمنا في الجزء الماضي عن هذا المذنب الذي زعموا ان منه الخوف على الارض ونزيد على ذلك الآن ان هذا المذنب اتانا قبل اليوم وذلك في سنة ١٨٣٣ فصير الليل نهارًا بما تساقط حوله من الشهب والرجم وقد قدروا عددها في ليلة واحدة بمائة وخمسين الف شهاب · ثم عاد بعد ذلك في سنة ١٨٦٦ اي بعد ٣٣ عامًا وهو الآن يعود في سنة ٩٩ فيكون قدومه والحالة هذه دوريًا كل ٣٣ سنة وان الجامعة تصدر ولا يبقى ليوم

المذنب الا ١٣ يوماً . فاذا كان مرور هذا المذنب على الارض في الليل وكانت سماء مصر في ذلك الليل صاحية يرى سكانها كأنّ السماء تمطر نجوماً وشهباً واما اذا كان مروره علينا في النهار فانهم لا يرون شيئاً

وهذه المذنبات منتشرة في الفضاء بعدد رمل البحر فانهم يقدرون عددها باربعة وسبعين مليون مليار تسبح كلها في الفضاء بقوة عجيبة يقف لديها الانسان مرتعداً مدهوشاً . وسرعتها ١٥٠ الف كيلو متر في الساعة اي اكثر من سرعة اسرع قطار بالف و ٥٠٠ مرة ولكل منها ذنب طوله عدة ملايين من الكيلو مترات ومساحته اكثر من الف مليار كيلو متر

واما الشهب التي تتساقط عند المذنبات فيكون منها مطر النجوم فهي اجرام تدور معها لا المذنبات نفسها . تحمى لسرعة مرورها في الهواء فتفنى فيه او تنجذب الى جرم آخر كما مر في الجزء الماضي . وتسير هذه المذنبات كلها بتلك السرعة على خطوط غير متوازية فلا يمنع اصطدامها بعضها ببعض او التقائها بالارض وافنائها الا اتساع الفضاء غير المتناهي وحكمة الله . سبحانه وتعالى . ويخلق الله ما لا تعلمون

افريقيه مدفن اوروبا

(ومصر)

يسمي الاوروبيون افريقيه مدفن اوروبا لكثرة ما طوت ارضها في هذا القرن من الجنود والسياح الاوروبيين . وقد سماها كذلك بعضهم في مصر لكثرة ما ذهب في سودانها من رجال مصر تارة بالحروب وتارة بالامراض المختلفة . ولكن اذا كان السودان مدفناً لابناء مصر كما يقال فهو ولا شك مجال واسع لحماستهم ونشاطهم واقدامهم يتعلمون فيه ما لم يتعلموه في معيشة الحضر فينشأون على الاقدام والعمل وحب النظام وخدمة الوطن خدمة ترفع النفس وتجعل الرجال رجالاً . وقد ذكرنا هذا الامر قصيدة وردتنا لناظم بردها حضرة الشاعر البليغ والجندي الباسل محمد افندي حافظ من ضباط الجيش المصري في السودان يرثي بها المأسوف عليه المرحوم اليوزباشي محمود افندي حلمي الطوبجي كما ورد في الوفيات في هذا الجزء . ويمنعنا ضيق المقام من نشر هذه القصيدة البليغة برمتها انما ننشر منها هنا ما يتعلق بالموضوع الذي نحن في صدده وهو الدلالة على ما تطوي ارض

السودان الجرداء من جواهر النفوس وما تنشأ في قفارها من فضائل الحماسة والاقدام كما تدل عليه الابيات الحماسية الآتية : قال الشاعر في الرثاء

كيف العزاء وهذا قبرُ محمودِ ... تروي ثراه عيون البيض والسودِ

ومنها

ياراقداً تحت اطباق الثرى وله ... في كل قلب مكان غير محدودِ
قدْ واضلوعك قبل الموت مذ جهلوا ... دفين دائك قداً غير مودودِ

ومنها في ذكر حماسة المرثي

نأسى عليك اذا ما راية رُفعت ... في جيش مصر لنصر او لتأييدِ
نأسى عليك اذا سارت مواكبه ... تزهو بابطالها من كل صنديدِ
نأسى عليك اذا عادت فوارسه ... وليس يشرق فيها وجه محمودِ
نأسى عليك اذا غنت قنابله ... على رؤوس العدى في يوم تهديد
نأسى عليك اذا ما الحرب اشعلها ... سيف الشجاع وولىّ كل رعديد
نأسى عليك اذا شمنا الوسام على ... صدر يضيء ضياء العقد في الجيد

ومنها ايضاً في الرثاء

ياقبر ضيفك هذا كان اسمحنا ... نفساً واصدقنا وعداً لموعودِ
ياقبر كن روضة ان شئت اوفلكاً ... ففيك بدر العلى زهر الاماجيد
محمود شوقتنا للترب نسكنها ... فكلنا بين مكبودٍ ومفؤودِ
ننام نحن على بُسطٍ منمقةٍ ... وانت بين نبات الارض والدود

والعادة في اوربا انهم يسمون الجنود الذين تطويهم ارض افريقيه السوداء شهداء الوطن او شهداء الواجبات سواء كان سقوط هؤلاء الجنود في ساحة الحرب ام في فرش الامراض . فالجامعة ترفع الآن من مصر صوتها الضعيف بمناسبة وفاة الجندي الباسل اليوزباشي محمود حلمي على فراش المرض في ارض السودان — وتحيي جميع من سقط من الشهداء على تلك الارض السوداء سواء كانوا من صفوف المدافعين عن استقلالهم . او المهاجمين لفتح افريقيه والسودان للمدنية والعمران

فقالت كاترين مدهوشة وماذا تحتوي ياربا هذه الصندوقة

قال لا اعلم . ها قد جاء الجواد . استودعكما الله

قال هذا ووثب الى ظهر الجواد واعمل في بطنه المهماز فانطلق في طريق باريز ينهب الارض نهباً

الفصل التاسع

(على طريق باريز)

فلنرجع الآن الى بيتو

كان بيتو يركض مدفوعاً باكبر عوامل هذه الحياة وهما : الخوف والحب

اما الخوف فكان يقول له — : طر كالطير والا امسكوك وضربوك يابيتو

واما الحب فكان يقول له على لسان كاترين — : انجُ بنفسك من اجلي يابيتو

ولذلك ما كان بيتو يركض ركضاً بل يطير طيراناً

ما اعظم اعمالك يارب . ساقاه لم تصلحا للرقص فكرهها واحتقرهما في حفلة الرقص في فيلله كوتريه اما الآن فانهما انقذتاه من طالبيه

وظل يركض وهو يحسب انهم لا يزالون يطلبونه حتى قطع الغابة التي دخل فيها ونفذ الى الطريق المؤدية الى باريز . فوقف قليلاً يتنفس الصعداء . وكانت قد انقضت عليه ساعة وهو يركض فاجتاز نحو ١٨ ميلاً وهو معظم ما يقطعه جواد قوي يسير خبباً

ووقف وقلبه مملوء ذعراً وخوفاً من رجال البوليس الذين رآهم يتعقبونه . فنظر الى الوراء ليرى اذا كان احد يتبعه فلم يجد احداً على الطريق . نظر الى الامام فابصر حمارين فوقهما امرأتان

وكان بيتو قد درس شيئاً من خرافات الاقدمين (الميتولوجيا) لانها كانت في تلك الايام قسماً من دروس المدارس فكان اذن عارفاً بعض المعرفة بآلهة الاوليمب . كان يعلم ان جوبتير اله الآلهة اتخذ يوماً جسم ثور ليستميل (اوروبا) اليه . (١) واتخذ ايضاً مرة



(١) جوبيتير — كبير آلهة اليونان والرومان . غلب اباه ساتورن على الملك فتولاه واعطى نبتون ملك البحر وبلوتون ملك الجحيم واخذ لنفسه ملك السماء والارض . زوجته جونون ابنة ساتورن فهي اذن اخته وتدعى الهة الزواج . وهذا الرسم رسم التمثال البديع الذي اقامه له

اخرى جسم بطة ليداعب ابنة تيندار مداعبة غير ادبية ثم ان بيتو ذكر ان آلهة كثيرة كانت تتخذ هيئات مختلفة بعضها حسن والاخر قبيح ولكنه لم يرَ ولم يسمع قط ان رجلاً من رجال البوليس اتخذ صورة حمار فاستبعد ان يكون هذان الحماران رجلي البوليس اللذين يتعقبانه تخفياً في جلد حمار لامساكه فسكن روعه وجلس على العشب وهو يمسح بكمه العرق عن وجهه

وكان قد تعب تعباً شديداً والعادة انه لا يأتي التعب الا ويأتي الجوع . فجاع بيتو . فذكر حينئذٍ مائدة المسيو بيلو وطعامها الشهي وكرم كاترين ولطفها . فشق عليه مفارقة هذه السعادة وكما يلتفت ابناء اسرائيل على ضفاف الاردن ويلقون الى المشرق حيث المدينة المقدسة نظرة حشوها الحسرة واليأس هكذا التفت بيتو الى المشرق حيث مزرعة الاب بيلو وتنهد من اعماق قلبه

ثم نهض واستأنف السير بخطى واسعة وان كان قد سكن روعه وكان يستطيع بهذا السير ان يقطع في الساعة ٨ اميال

وبعد مسير ساعتين اجفل لصوتٍ كوقع حوافر فرس على بلاط الطريق فالتفت مذعوراً فلم يرَ شيئاً فعلم ان اذنه خدعته فعاد الى السير مطمئن النفس واخذ يفكر بما جرى له في ذلك النهار: من هم هؤلاء المردة السود الثلاثة الذين اوثقوه ثم تعقبوه ؟ ولماذا اتوا الى المزرعة ؟ وكيف دخلوا ولم يرهم احد حتى الكلاب والا فانها كانت على الاقل نبحت عليهم

فيدياس اشهر نحاتي اليونان في هيكل اوليمبيا وهو احدى العجائب السبع راجع ما ورد عنه في الجامعة الصفحة ١٧٨ من القسم الاول

اما اوروبا فهي في خرافات اليونان ابنة اجينوروس ملك فينيقية اختطفها جوبيتير لجمالها وذهب بها الى كريت فولدت منه فيها ملكها مينوس المشهور بحكمته عند اليونان وهو احد قضاة الجحيم . وهكذا كان شان اليونان الاقدمين فانهم كانوا يوصلون الى الآلهة نسب كل حكيم او بطل ينبغ عندهم



— رسم اسكندر دياس الكبير مؤلف هذه الرواية التاريخية ومئات غيرها من الكتب والروايات المشهورة في جميع اقطار الارض . ونغتنم هذه الفرصة للتصريح باننا لا نلتزم الاصل في التعريب الا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية التي يسردها المؤلف وذلك رغبة في الاختصار

الا ان بيتو ما اتم تأمله هذا حتى وقع في اذنه مرة ثانية صوت حوافر الفرس الذي سمعه اولاً . فالتفت مذعوراً . ولكن لم تكن قد خدعته اذنه هذه المرة فانه ابصر على مسافة اربعمائة قدم فارساً على جواد ينهب الارض نهباً

فجرى الدم بارداً في عروقه . وكان لم يصدق ان رجل البوليس ينقلب حماراً ليكمن له ويمسكه ولكن ما الذي يمنع رجل البوليس ان يمتطي جواداً ليدرك من عجزت الاقدام عن ادراكه

قال هذا وشعر بان قوته قد عادت من الخوف اليه فحاد عن الطريق على عجل ووثب الخندق الذي على موازاتها واطلق ساقيه للريح في وسط السهول . وكان خصمه هذه المرة جواداً لا رجلاً فكان يعدو باشد قوته . ثم القى بعد قليل نظرة الى الوراء فابصر الفارس يثب بجواده الخندق الذي وثبه بيتو فلم يبقَ عنده شبهة في انه يطارده . فقال لساقيه الطويلتين : هذه ساعتكما . واندفع يركض بما اعطاهما الله من القوة

ومما كان يزيده اندفاعاً في ركضه ما صار يسمعه من صوت الفارس وهو صوت جهوري ينتهي بهذا الصوت « هو » او « تو » فقال في نفسه هذا صوت غضبه وحنقه اعوذ بالله من هذا الشيطان الرجيم

لكنه بعد ركض عشر دقائق ضعفت قواه ونفد عزمه واضطرب نظره فاصبح لا يرى الطريق وصار يرى ان ركبتيه قد تضخمتا تضخماً غريباً وصارت قدماه تزحفان على الارض زحفاً . وكان الفرس لا يزال ينهب الارض وراءه وفارسه ينادي نداء اصبح مسموعاً وهو « بيتو . بيتو »

وبما ان الفرس قد اعطي ان يكون في قوائمه ارقى من الانسان في ساقيه فما عتم ان اصبح الفارس قريباً من بيتو . فقال بيتو المسكين في نفسه لقد قضي عليَّ . الوداع يا كاترين

وكان لا يزال يركض بقوة الاستمرار الا ان ساقيه ضعفتا بعد قليل واصطكتا تحته فسقط على التراب ممدداً على بطنه وهو يتنهد تنهداً عميقاً

فاتته في الحال ضربة سوط على كتفه قلبته على ظهره وسمع صوتاً جهورياً يقول —

ومراعاة الزمان والمكان . واذ والى القراء مطالعة الحوادث المقبلة بالانتباه اللازم للحوادث التاريخية العظيمة رأوا فيها من صحة التاريخ عظمة الحوادث وفكاهتها ما يكون جديراً بانتباههم . ولا سيما الرسوم التاريخية والملاحظات التي ننشرها في ذيلها كما يرون في هذه الملزمة

فيجًا لك فقد اهلكت الجواد

فرفع بيتو راسه لهذا الصوت صائحًا : هذا انت يامسيو بيلو

وكان الفارس هو المسيو بيلو بعينه وتحته جواده كاديت يغطيه العرق

فقال بيتو — شكرًا لك ياسيدي · اظنك خرجت في طلبي لارجاعي الى المزرعة · لا تقلقن بالك يامسيو بيلو فانني لا اغيب عنها وقتًا طويلاً

قال واين رجال البوليس

فحملق بيتو بعينيه وقال رجال البوليس ؟ وهل تظنني اقضي وقتي في انتظارهم · فقد تركتهم وراءي من زمان طويل

قال فقم معي على عجل فاني قاصد باريز · قال وما تصنع هنالك · قال قم فان الليل اسود مدلهم والزوبعة قريبة والفجر لا يلبث ان يطلع على العالم

قال بيتو مدهوشًا · ما هذا الكلام ياسيدي فاني ارى الوقت نهارًا

قال بيلو ساشرح لك ذلك في باريز قم فاني احتاج اليك فيها · اركب وراءي على كاديت فنصل الى دامارتين ونغيره فيها فانه قد اعياه التعب ثم نسير في طريقنا

قال هذا واخذه بيده ثم رفعه كما يرفع كيسًا خفيفًا واردفه وراءه

الفصل العاشر

(ما كان جاريًا في باريز)

وصار بيلو قريبًا من باريز عند هبوط الظلام فابصر عندها من بعيد نورًا يلوح ويختفي فنبه بيتو الى هذا النور فاجاب انه على الغالب نار جنود معسكرين هناك · فقال بيلو وما تصنع الجنود هنالك · قال تصنع ما تصنعه الجنود التي هنا · واشار الى السهل القريب من الطريق

فمد بيلو نظره الى حيث مدّ بيتو اصبعه فرأى في ظلام الليل فرقًا سودًا من الجنود تسير في السهل سيرًا بطيئًا واشعة النجوم الضئيلة تتكسر على سلاحها · ثم امعن النظر فابصر مدافع تُجرّ بازائها فهزّ راسه وقال : — اذن كان قدومنا في حينه فان ما نراه يدلنا على حدوث امر ذي بال

وكان بيتو يحدق في النور الصاعد من جهة باريز فما لبث ان صاح قائلاً — ليس ما رأيناه نورًا بل نارًا والدليل تطاير الشرر منها

فوثب بيلو عن الجواد واتجه صوب جماعة من الجنود رآهم مخيمين تحت اشجار الطريق وملابسهم زرق وصفر فسألهم · هل لكم ياصحاب ان تخبرونا عما حدث في باريز

فسمعهم بعد سؤاله يطمطمون بلغة غريبة لا يفهمها فعلم انهم غير فرنسويين · فاعاد عليهم سؤاله متلطفاً فاجابه احدهم بكلام تخالطه العجمة · — مرّ في طريقك · امشِ

فقال بيلو ولكني اردت ان اسألكم هل الطريق مفتوحة فنستطيع الدخول الى باريز

فاجاب الصوت — مفتوحة مرّ في طريقك · امشِ

فعاد بيلو يتلهب غيظاً ويلوم نفسه على انه خاطب هؤلاء الاجانب

ثم استانف السير فدخل بلدة بورجه القريبة من باريز فرأى فيها فرساناً وطنيين فقصدهم بيلو وسالهم — ما وراءكم ايها الاخوان من اخبار باريز

فاجابه احدهم · قد اصيب اصحابك الباريزيون بداء الكلب والجنون فانهم يطلبون الوزير ناكار ويرموننا بالرصاص كاننا نحن نولي ناكار ونخلعه

فسأل بيلو متعجباً وهل عزلوا ناكار · فاجاب نعم عزله الملك بل طرده طرداً وامره ان يرحل من باريز على عجل فهو الآن في بروكسل

فصاح بيلو بصوته الجهوري · طرد الملك ناكار · طرد الملك هذا الرجل العظيم · سنرى ذلك في باريز

ثم وثب على ظهر الجواد واعمل المهماز في شاكلته فسار بما بقي له من القوة · ومن التهور ان بيلو صاح هذا الصياح على الملك وهو لا يذكر انه في وسط جنود من اشد الناس اخلاصاً للملك والملكية

وكان كلما اقترب من باريز رأى النار تزداد دائرتها اتساعاً ولهيباً عظيماً يتصاعد من جانب الحاجز الخارجي · فاخذ بيلو السير حتى بلغ هذا الحاجز

فابصر عنده جماهير من الشعب في اقصى درجات التحمس والهياج تضرم النار في هذا الحاجز وفي امتعة كاتب الدخولية سخطاً وانتقاماً · بينهم جماهير من النساء اشد سخطاً وتحمساً

وكان على الطريق قرب هذا المكان فرق نمساوية والمانية تشاهد هذا الخراب باوجه غير منقبضة

فلم يقف بيتو بل قحم الحاجز الملتهب بجواده فمرّ به كالسهم اذا مرق من غير ان

يؤذيه لهيب النار الذي حلقه . فلما وثب بيلو الحاجز اصبح بين تلك الجماهير المجتمعة التي كان في نفوسها من نار الغضب نار اقوى من التي بين يديها

وكان الناس يتوافدون من داخل المدينة الى هذا المكان جماعات جماعات وهم يصرخون — السلاح اعطونا السلاح

فترجل بيلو عن جواده وسار بين الجموع آخذاً لجام الجواد بيده وهو يصيح افسحوا افسحوا بلهجة الآمر و بيتو وراءه يقول بلهجة المتلطف : افسحوا اذا اردتم . افسحوا من فضلكم فكانت لهجة الثاني توازن لهجة الاول وتذهب بخشونتها

فقطعا بالجواد الزقاق الاول والزقاق الثاني في زحام شديد لا مثيل له واشرفا على الشارع الكبير فوجدا فيه من الزحام ما لا يستطيع الانسان معه ان يخطو خطوة واحدة

ذلك ان الوفاً مؤلفة من الشعب كانت تمشي في مشهد حافل وراء رجلين يحملان في الطليعة محملاً عليها رسمان الواحد محاط بالسواد والثاني محاط بالازهار

اما الرسم المحاط بالسواد فكان رسم الوزير ناكار الذي عزله الملك(١) والرسم المحاط بالازهار رسم الدوق دورليان فسأل بيلو من حوله عن سبب هذا المحفل فقيل له ان الشعب اراد اكرام ناكار الذي طرده الملك والدوق دورليان الذي انتصر له في البلاط بالرغم عن الحزب الملكي فهم الآن يحتفلون برسميهما هذا الاحتفال

وكان بيلو قد عاش في بلاد كان فيها اسم الدوق دورليان مكرماً محترماً . وكان من انصار الفلسفة الجديدة والافكار الجديدة كما راينا فكان يعتبر الوزير ناكار رسول الانسانية لا وزيراً فقط وكفى بذلك باعثاً على تهييج حماسته واثارة خواطره الوطنية فترك لجام الجواد بين يدي بيتو وهجم على مقدمة القوم صائحاً بكل قواه

— عاش الدوق دورليان عاش ناكار



(١) ناكار — هو جاك ناكار ولد في جنيف سنة ١٧٣٢ وكان صاحب بنك كبير في باريز معروفاً بالمهارة والاستقامة . استدعاه لويس السادس عشر الى الوزارة بعد تنحي تيرغو ومالرب عنها فبذل الهمة في ادخال اصلاحات عظيمة في مالية الدولة ولكنها كانت غير كافية . وقد قاومه البلاط ففصله الملك فقام الشعب يطلب اعادته فاعاده وكانت وفاته في سنة ١٨٠٤ وهو ابو مدام دي ستايل الكاتبة الفرنسوية الشهيرة التي سيرد ذكرها ورسمها في اثناء الحوادث القادمة

ثم اختلط بالجمع . ومتى اختلط الانسان بالجمع اصبح يرى رأيه ويشعر شعوره وكان كريشة وضعت في مجرى نهر عظيم يذهب بها ذلك المجرى في طريقه

وكانت الجموع تصيح — عاش ناكار . اطردوا الجنود الاجانب . لا نريد اجانب

فضم بيلو صوته الى اصواتهم حاذياً حذوهم

وكان لبيلو صوت جهوري قوي ولا غرو فهو صوت بدوي عاش في الخلاء بسعة ويسار اما الباريزيون فكانت اصواتهم ضعيفة خافتة بعضها لرداءة الغذاء وبعضها من فعل المسكرات . فاستحسن هؤلاء صوت بيلو الجهوري القوي بازاء اصواتهم الضعيفة فافسحوا له مجالاً فبلغ بيلو طليعة القوم دون ان يَزحم او يُزحم حتى صار وراء حاملي الرسمين

وبعد بضع دقائق تعب احدهما فترك لبيلو مكانه

فكان تقدم بيلو سريعاً . بالامس كان قروياً بسيطاً ينشر مبادىء كتاب الدكتور جيلبار في قرية صغيرة مجهولة فاصبح اليوم عضواً مهماً في المشهد الوطني الذي يقيمه الشعب لاكرام ناكار والدوق دورليان

ولما اخذ بيلو بقبض المحمل افتكر ببيتو والجواد فالتفت ليراهما فوجد الناس قد تعلقوا بالجواد من كل جانب واعتلوا ظهره لمشاهدة المحفل وبيتو يرفع يديه ويخفضهما دفاعاً عنه . فخطر له ان يذهب لاغاثة الجواد لانه رآه قريباً من الهلاك اذا بقي ذلك الثقل عليه ولكنه احجم عن ذلك خوفاً ان يفقد مركزه وما كل يوم ينال شرف المشي في طليعة المشهد الوطني . فاذا هلك الجواد فلا اسف عليه فان بيلو غني والف جواد مثله فدى الوطن والوطنية

فلبث بيلو سائراً في طليعة المحمل حتى وصل الجمع الى زقاق مونمارتر فاندفع منه الى ساحة النصر فالتقى عند الباله رويال بجمهور غفير من الناس في قبعاتهم اوراق من اوراق الشجر الخضراء وهم يصرخون

— السلاح اعطونا السلاح

فوقف الجمعان لمعرفة القادمين وهل هم اصدقاء ام اعداء . قلنا ان في قبعاتهم اوراقاً خضراء والاخضر شعار الكونت دارتوى فما الباعث على وضع العلامات الخضراء

وبعد استطلاع الامر انكشف السبب وهو التالي

لما شاع خبر انفصال ناكار خرج الى الشارع من قهوة (فوى) شاب فاعتلى مائدة هنالك وصاح وهو يرفع بيده مسدساً

— السلاح السلاح

فاجتمع حوله من كان في تلك الجهة واخذوا يصرخون صراخه

وكانت الجنود الاجنبية معسكرة فرقًا حول باريز كما مرَّ بنا وهي كراينناك وساليس ساماد ودي باش واسترهازي ودومار وكفى باسمائهما باعثًا لاثارة افكار الباريزيين وتنبيههم الى انها اسماء جنود اعداء لا اصدقاء . فخطب هذا الشاب في القوم وسمى لهم هذه الجنود ثم قال : ان الجنود السويسيين سيدخلون في هذا المساء الى باريز يجرون اربعة مدافع مع جنود الدراكون بقيادة البرنس لامبزك (١) فانا اقترح عليكم ايها الناس ان تتخذوا لكم شعارًا تمتازون به عنهم فيعرف به بعضكم بعضًا . قال هذا ومد يده الى شجرة كانت فوق راسه فقطف ورقة من اوراقها ووضعها في قبعته قائلاً . هذا شعارنا في هذا النهار

فصاح الجميع صيحة واحدة وصنعوا صنعه فلم تنقض بضع دقائق الا وقد اصبحت تلك الاشجار عارية من الاوراق . وكان عدد الحاضرين ٣ الاف رجل

اما هذا الشاب فقد كان مجهولاً في اول النهار ولكن لم يأتِ المساء حتى صار اسمه ملء الافواه والآذان . وكان يدعى كاميل ديمولين (٢)

فلما وقف رجال المشهد الوطني الذي منهم بيلو على هذه التفاصيل عانقوا اخوانهم اصحاب الاوراق الخضراء وراح كل من الفريقين في سبيله

---

(١) لامبزك — البرنس لامبزك ولد في سنة ١٧٥١ وتوفي سنة ١٨٣٥ وهو احد زعماء المهاجرين من فرنسا في ايام الثورة ومن اشد الناس رغبة في مقاومتها



(٢) ديمولين — هو كاميل ديمولين المحامي والصحافي الفرنسوي ولد في سنة ١٧٦٢ وكان احد عوامل الثورة الفرنسوية وهو الذي اعدَّ الشعب للهجوم على سجن الباستيل كما سيرد في الحوادث التالية وكان ينشىء اثناء الثورة جريدة تدعى « ثورة فرنسا وبرابان » ويلقبونه « نائب اللانترن العمومي » واللانترن عندهم المصباح في الشارع كان الشعب يشنق عنده من يريد شنقه فكان ديمولين يستكثر هذا الشنق كما يدل على ذلك لقبه . وحكم عليه في ٥ افريل سنة ١٧٩٤ بالاعدام فاعدم وقد حاولت امرأته لوسيل دو بلاسي في هذا اليوم ان تستثير الشعب لانقاذه فخاب سعيها والقي القبض عليها فاعدمت ايضًا

الجامعة

(الجزء السابع عشر) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٩٩ — الموافق ١١ رجب سنة ١٣١٧



﴿ فردينان دي لسبس ﴾

فاتح ترعة السويس الذي يحتفل بعد غد بكشف الستار عن تمثاله في بورسعيد

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

فردينان دي لسبس

(فاتح ترعة السويس)

حياته السياسية · شهرته في اسبانيا · فشله في ايطاليا · تركه السياسة خلد اسمه · افتكاره بوصل البحرين · الامام المسعودي وترعة السويس · اتمام هذه الترعة وافتتاحها · ترعة بناما حبادة ترعة السويس · فشله في ترعة بناما · قرار مجلس النواب ومحاكمته غيابياً · موته دون ان يدري بالحكم عليه · ريح تقلب ملكين · عرش الامبراطورة اوجيني · عرش اسماعيل باشا · عرش دي لسبس

يرئس الجناب الخديوي بعد غد (١٧ نوفمبر الجاري) الاجتماع الذي تعقده شركة ترعة السويس في بورسعيد احتفالاً بنصب تمثال لفردينان دي لسبس فاتح هذه الترعة وذلك تذكاراً لانقضاء ٣٠ سنة على فتحها · فرأينا من الفائدة ذكر ترجمة هذا " الفرنسوي العظيم " كما كانوا يسمون دي لسبس في حياته بياناً لما تخللها من الاعمال الكبيرة والصغيرة ومناسبة لهذا الاحتفال · ونقسم الكلام الى ثلاثة اقسام · القسم الاول قبل صعود دي لسبس الى قمة مجده · القسم الثاني بلوغه هذه القمة · القسم الثالث نزوله منها · فنقول

***

✻ قبل صعود دي لسبس الى قمة مجده ✻ هو الكونت فردينان دي لسبس السياسي الفرنسوي · ولد في فرسايل في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٥ وتوفي في لاشينه من اعمال فرنسا في ٧ دسمبر سنة ١٨٩٤ · وقد اتم دروسه العليا في مدرسة هنري الرابع وانخرط في سلك السياسة فارسل في سنة ١٨٢٥ الى ليسبون ملحقاً بقنصليتها ثم عاد الى باريز فاقام سنة في القسم التجاري في الوزارة الخارجية فيها · ثم ارسل الى تونس في سنة ١٨٢٨ ملحقاً بقنصليتها ايضاً وعين في سنة ١٨٣١ قنصلاً فيها

وفي سنة ١٨٣٣ عين قنصلاً في القاهرة فعهد اليه في هذه المدة ان يقوم مرتين بوكالة القنصلية الجنرالية في الاسكندرية · احداهما بين ١٨٣٤ — ١٨٣٥ يوم نزول

الطاعون الهائل فيها وحصده ثلث سكانها · فاظهر دي لسبس مدة هذا الوباء غيرة شديدة وثبات جأش غريب · فانه اتخذ القنصلية الفرنسوية مستشفى للمطعونين وكان يعالجهم بيده و يسكن من روعهم بلطفه وحسن معاملته · وفي المرة الثانية كان عمه وهو باقي القناصل الاوربيين التوسط بين المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية وبين الاستانة لما كان بينهما يومئذٍ مما هو مشهور ومعروف وكان بين امير مصر وبين والد صاحب الترجمة الكونت متيو دي لسبس صداقة ومعرفة

وفي سنة ١٨٣٨ ارسل بمهمة سياسية الى روتردام وفي سنة ١٨٣٩ الى ملقه وفي سنة ١٨٤٢ الى برشلونه · فاظهر في هذه المهمة الاخيرة من الغيرة والنشاط والشجاعة في حماية الاجانب من ثورة السكان واطلاق الجنرال اسبارتيرو المدافع على المدينة في شهر نوفمبر من عام ١٨٤٢ ما اعجب به جميع الحكومات الاوربية فتوالت عليه الوسامات والالقاب من كل جانب جزاء نشاطه وشهامته فوضع تمثاله في قاعة المجلس البلدي في باريز وعين قنصلاً جنرالاً في اسبانيا · الا ان بعضهم سعى به بحجة انه ملكي مخالف للجمهورية وكان ذلك في عهد الحكومة الوقتية في سنة ١٨٤٨ فاستقدم من منصبه برسالة تلغرافية فعاد الى باريز ولكن لا مارتين الشاعر الشهير اعاده الى اسبانيا سفيرًا لا قنصلاً · فلم يقم طويلاً في منصبه هذا لان البرنس نابليون الذي كان قد عين رئيساً للجمهورية الفرنسوية اختار ابن عمه نابوليون جوزيف سفيراً لفرنسا في اسبانيا مكان دي لسبس · فعاد الى باريز واقام فيها حتى عينوه سفيراً في سويسرا · ففيما هو يتأهب للسفر اليها اتاه امر وزير الخارجية الفرنسوية ان يسافر الى ايطاليا على عجل لينفذ فيها القرار الذي قرره المجلس التشريعي بشأن الجنرال رودينو من توبيخه على مهاجمة رومه لكبح جماح الايطاليين الثائرين على السلطة البابوية قصد احتلالها فلما بلغ ايطاليا واخذ في انفاذ مهمته لقي فيها تعباً شديداً · وكان الجنرال الفرنسوي قد صنع ما صنعه بناء على اوامر سرية اصدرها اليه البرنس نابوليون رئيس الجمهورية فكانت مهمة دي لسبس مخالفة لهذه الاوامر على خط مستقيم · ولم ينجح دي لسبس بالرغم عما اظهره من الدهاء السياسي بل اتهمه الثورويون الايطاليون بالانحياز الى السلطة البابوية واتهمه انصار هذه السلطة بالانحياز الى البابويين شان كل عاقل عادل يتوسط بين خصمين فاستقدمته الحكومة الفرنسوية واحالته على مجلس الدولة للنظر في هذه التهم فبرأ دي لسبس نفسه لدى هذا المجلس من كل ما اتهم به ولكن المجلس قرر اعفاءه من منصبه · فكان هذا القرار باعثاً على تخليد اسمه الى الابد



مدخل ترعة السويس عند طرفها الشمالي في بورسعيد حيث نصب تمثال دي لسبس

ذلك ان دى لسبس انزوى في املاك لاحدى قريباته في لاشينه واخذ يشتغل في عزلته بالتفكير في امر عظيم علق بذهنه منذ كان قنصلاً في مصر . فانه قرأ في ذلك الوقت تقريراً مكتوباً في سنة ١٨٠٠ للمهندس لابار احد مهندسي الحملة الفرنسوية التي قادها بونابرت الى مصر وفي هذا التقرير مشروع شق لارض بين البحر الابيض والبحر الاحمر قصد وصل البحرين الواحد بالثاني . ولم تكن هذه الفكرة بالشيء الجديد فان هذا الامر قد خطر لاكثر الذين ولوا مصر من عهد حكامها الاولين . فالفراعنة خطر لهم الجمع بين هذين البحرين وفي قول بعضهم انهم حاولوا ذلك فلم ينجحوا . وروى المسعودي في مروج



﴿ السفن تمخر عباب الترعة في الصحراء ﴾

لذهب بهذا الشان الرواية الآتية :

« وقد كان بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم (البحر الاحمر) وبحر الروم طريقاً فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم . وقد رام الرشيد ان يوصل هذين البحرين مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على ان يكون مصب بحر القلزم الى البحر الرومي فقال يحيى ابن خالد يخطف الروم الناس من المسجد الحرام فامتنع من ذلك . وحكي عن عمرو بن العاص حين كان بمصر انه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك في حال ما افتتحها عمرو بن العاص في خلافة

عمر بن الخطاب رضى الله عنه »

وبقي دي لسبس في عزلته في لاشينه يفكر في هذا المشروع العظيم حتى ذاع خبر وفاة المغفور له عباس باشا الاول امير مصر وذلك في شهر يوليو سنة ١٨٥٤ . وكان المشروع قد اختمر في ذهنه لشدة درسه وتقليبه فرأى ذلك الوقت خير فرصة تغتنم للاقدام على اخراجه من حيز الفكر الى حيز الفعل لانه كان بينه وبين المغفور له سعيد باشا الامير الذي خلف عباس باشا معرفة وصداقة منذ شبابهما . فركب دي لسبس البحر في شهر اكتوبر قاصداً مصر لتهنئة الامير بارتقائه الى سدة الامارة . وكان مجيئه هذه المرة الى مصر بمثابة الخطوة الاولى الى قمة المجد التي ارتقاها بعد حين

فاحسن الامير استقباله . وفي ذات يوم كان دى لسبس راكباً مع الامير وهما يسيران على فرسين سيراً حثيثاً من الاسكندرية الى القاهره فافتتح دى لسبس للامير اي اطلعه على مشروعه وبسط له منافعه للقطر وللعالم اجمع . فاستحسن الامير مشروع دى لسبس من غير اعتراض ولا تردد ووعده بالمساعدة

فلم يضع دى لسبس الوقت بالكلام بل سافر الى اوربا على عجل فجمع لجنة دولية واتى بها الى مصر فخطط الترعة واهتم مع ذلك باذاعة مشروعه . وكان عمره في ذلك الحين نحو ٥٠ سنة فانصرف بالرغم عن ذلك الى مشروعه بنشاط ابن عشرين فعقد اجتماعات خطب فيها داعياً الى هذا المشروع بكلام كان يقنع جميع سامعيه وناظر كثيرين من المعترضين الذين انبروا يقاومونه من كل صقع وناد

وكان ساسة الانكليز في مقدمة هولاء المقاومين اذ ليس من مصلحتهم السياسية حفر ترعة تكون طريقاً مختصرة الى الهند فصرح اللورد بالمرستون ان طالب حفر هذه الترعة يطلب المستحيل ونادى ماليو لندره ان كل من يضع درهماً في هذا المشروع فانه يلقيه في البحر لان مصير شركة السويس الى الافلاس لا محالة . وتهددت انكلترا الباب العالي انها تسيء نيتها وسلوكها معه اذا منح إمتيازاً بحفر هذه الترعة اذ لا سبيل الى حفرها من غير استئذان الدولة العثمانية . وفوق ذلك فان فريقاً من الفرنسويين انفسهم قاموا ينادون بتعذر هذا المشروع واستحالة اتمامه

ولكن دي لسبس داس بهمته الشماء وعزمه الماضي وثباته وحسن دربته جميع هذه المصاعب فاصدر الباب العالي امتيازاً بحفر ترعة السويس مؤرخاً في ٥ يناير سنة ١٨٥٦ واكتتبت الحكومة المصرية باسهم قدرها ١٧٧٦٤٢ سهماً وجرى الشروع في حفر الترعة .



كيف كان يقطع الناس صحراء السويس على الجمال قبل فتح الترعة

وكان ذلك في ٢٥ افريل سنة ١٨٥٩

ويضيق المجال دون ذكر تفاصيل هذا العمل العظيم الذي قام به رجل واحد فنكتفي بالاجمال

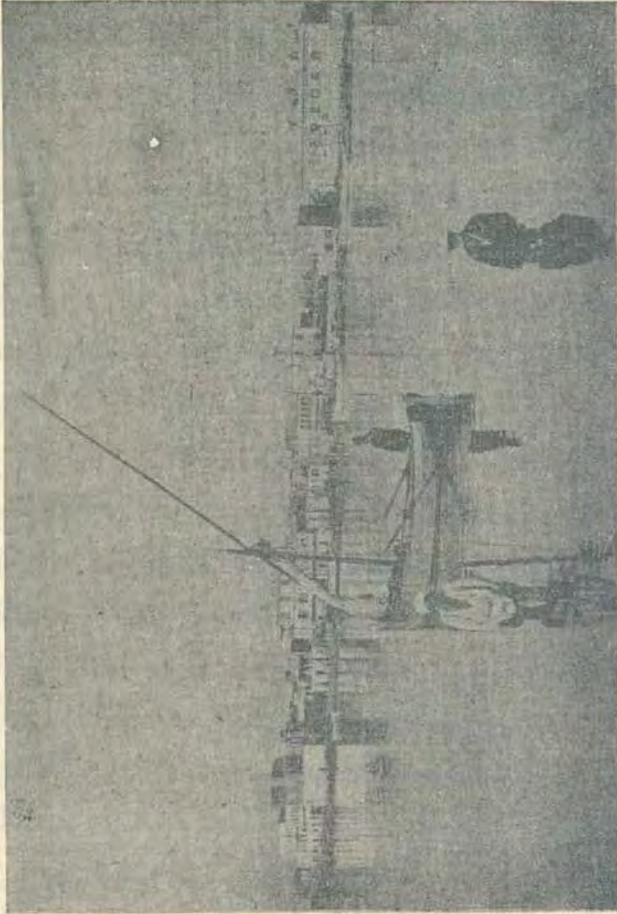
وقد استمر العمل جارياً مجراه اربع سنوات حتى توفي المرحوم سعيد باشا في سنة ٦٣ وخلفه المغفور له اسماعيل باشا . فالظاهر ان انكلترا بقيت على عزمها من منع اتمام هذا المشروع فاستمالت الدولة العثمانية الى رأيها وكاد اسماعيل باشا يأمر بترك العمل لولا توسط

نابوليون الثالث · فعاد العمل الى مجراه حتى تمَّ واحتفل في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ا بفتح الترعة احتفالاً رسمياً عظيماً شهده اكثر ملوك اوربا تزاحموا الى حضور هذا الاحتفال في بورسعيد لاستقبال اوجيني امبراطورة فرنسا لان زوجها نابوليون الثالث كان حينئذٍ في اوج عزه ومنتهى عظمته

❊ بلوغه قمة مجده ❊ وكذلك كان فردينان دي لسبس · فانه ما عدا الامبراطورة اوجيني كان بهجة تلك الاعياد الملوكية الباهرة التي حدثت على ضفاف ترعة السويس · وقد القى في احدى الحفلات خطبة اثنى فيها على الذين ساعدوه في انشاء عمله العظيم الذي قلب الكرة الارضية وغير مجرى التجارة فيها · فانهالت عليه الوسامات العالية من كل الدول الاوربية حتى انكلترا نفسها وتجاذبته الجمعيات العلمية الى عضويتها فعين عضوًا للمجمع العلمي الفرنسوي ولجمعيات اخرى واصبح اسمه في اوربا كلها « الفرنسوي العظيم » بدلاً من دي لسبس · وكانت هيئته الخارجية تزيد تاثير عمله العظيم في النفوس فقد كان حسن المنظر سريع الحركة عريض المنكبين متوسط القامة في عينيه نار متقدة تبعث على جبينه نورًا يكلله فكأنه اكليل النصر والغلبة · واقام خمسة عشر عامًا وهو في اوربا اكثر سكانها شهرة لدى خاصة الناس وعامتهم · فبلغ من المجد والشهرة ما لم يبلغه احد في النصف الثاني من هذا القرن · هذه قمة مجده

❊ نزوله عن هذه القمة ❊ ولكن كتب النزول لكل صاعد اذا كان عاجزًا عن حفظ مقامه · وفردينان دي لسبس عجز عن حفظ مقامه · فان فوزه بحفر ترعة السويس بهر عينيه وجعل له ثقة عمياء بنفسه وبحسن بخته فدفعته هذه الثقة من غير ترو ولا انعام نظر الى طلب المستحيل

وذلك ان ضابطين من ضباط العمارة الفرنسوية وضعا تقريرًا في ذلك الحين عن مشروع يصل الاوقيانوس الاتلانتيكي بالباسفيكي وذلك بحفر ترعة من مدينة كولون التي على شاطىء البحر الاول الى مدينة بناما التي على شاطىء البحر الثاني اي بشق الارض التي تتصل عندها اميركا الجنوبية باميركا الشمالية لتسير السفن في هذا الشق كما سارت في شق السويس وفي ذلك اقتصاد عظيم في الوقت والنفقة كما كان في ترعة السويس · فلما وقف دي لسبس على هذا المشروع انصرف اليه حالاً فجمع في باريز لجنة من مهندسي اوربا في شهر مايو سنة ١٨٧٩ وباحثهم في الامر واقنعهم بصحة العمل وسهولته فعارضه كثيرون لكن كان جواب دي لسبس ان القائد انتصر في الواقعة الاولى وسينتصر في الثانية · يعني



مدينة السويس عند طرف الترعة الجنوبي على البحر الاحمر وقت الجزر

نفسه . وكان عمره اذ ذاك ٧٥ سنة . فاظهر ايضاً في مشروعه الجديد ما اظهره في المشروع الاول من نشاط الشباب وصنع ما صنعه في ترعته الاولى من الدعوة الى الاكتتاب والخطابة والمناظرة وانشاء جريدة لتاييد مشروعه فتبعه الناس وصدقوه لما بهر ابصارهم من نجاحه في ترعة السويس . وهكذا الف شركة جديدة تدعى « شركة بناما » وسار الى بناما بالمهندسين والعملة ومراسلي الجرائد فوضعت ابنة له صغيرة اساس الترعة في احتفال عظيم وذلك في اول يناير سنة ١٨٨٠ . ثم عاد الى باريز وفتح اكتتاباً في ٣ مارس سنة ١٨٨١ فغطيت اسهمه عدت مرات . وقد وعد دي لسبس الناس انه يفتتح ترعة بناما في اول اكتوبر سنة ١٨٨٧

وفي تلك السنة اي سنة ١٨٨١ اضطر دي لسبس ان يسافر الى مصر على عجل . ذلك ان الاسطول الانكليزى احتل ترعة السويس احتلالاً عسكرياً في اثناء الحوادث العرابية فاصبحت الترعة تحت سيادة انكلترا فخف دي لسبس الى الاسماعيلية وقابل قائد الاسطول الاميرال هوسكنس ثم قابل اعرابي باشا فوعده انه يحترم حيادة الترعة واستقلالها فلما صرح اعرابي بذلك سحب الاميرال جنوده من الترعة وسلمها الى دي لسبس فقامت قيامة الجرائد الانكليزية على الاميرال الانكليزي وشددت الطعن على « وقاحة » دي لسبس . ولكنه بالرغم عن هذه الزوابع استطاع وضع الترعة تحت حماية الدول الاوربية كلها في معاهدة عقدت بين انكلترا وفرنسا في ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٨٧ فاصبحت الترعة الآن على الحيادة

ولكن دي لسبس لم يبلغ هذه السنة ١٨٨٧ حتى راى صعوبة العمل الذي شرع فيه في بناما . فان الارض كانت صخرية لا رملية كما هي في السويس ولم يكن في بناما من يساقون الى العمل سوق الانعام كما صنع ذلك بفلاحي مصر وضعفائهم فضلاً عن ان في تلك الجهات انهراً تفيض في ازمنة طويلة فتمنع العملة ان يعملوا وتخرب ما عملوا . يومئذٍ بدأ دى لسبس بالنزول عن قمة مجده . ولكنه بالرغم عن هذا الفشل بقي موقناً بصحة مشروعه وفتح اكتتابات جديدة لنفاد المال من صندوق الشركة واعداً ان افتتاح الترعة يكون قبل سنة ١٨٩٠ . الا انه راى بعد ذلك ان هذا المشروع الذي اقدم عليه من غير تروٍ ولا امعان لا يتم الا بقناطير الاموال وكان جميع ما جمعه من المال قد نفد واكثره ان لم يكن كله من الفرنسويين فعلم يومئذٍ خيبة امله وسقوط عمله

فاعلن في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ تصفية شركة بناما واخذت الاشاعات تتواتر عما جرى من الرشوة بواسطة هذه الشركة للجرائد والماليين ورجال السياسة حتى رجال الحكومة فوضع مجلس النواب الفرنسوي في ٤ يناير سنة ١٨٩٢ قراراً شديداً طلب اليه من الحكومة الفرنسوية تحقيقاً شديداً وعقاباً شديداً بهذا الشان

فقررت الحكومة القاء القبض على فردينان دي لسبس وعلى ابنه الذي كان ساعده في جميع اعماله في بناما . ووُجد في دفاتر الشركة ان اكثر الاموال التي جمعت لم تنفق على العمل ولكن على الجرائد لحث الشعب على الاكتتاب وعلى رجال السياسة ليسكتوا عن ذلك الاكتتاب ويسهلوا اعمال الشركة فكانت فضيحة من اكبر الفضائح التي منيت بها الانسانية . فحكم على دى لسبس وعلى ابنه بالسجن ٥ سنوات وبغرامة قدرها ثلاثة

الاف فرنك

ولكن دى لم لسبس يقف على شيء من اخبار دعواه فانه كان في لاشينه ضعيف الجسم والعقل معاً نحني الظهر من الكبر والحزن على فشله في آخر ايامه فكتمت عنه عائلته خبر دعواه وخبر سجن ابنه وقرار المحكمة ومنعت عنه الجرائد اليومية لئلا يرى فيها ثورة افكار الناس عليه وذلك الوحل الذي قاموا يلطخون به الاكاليل التي نالها في ترعة السويس . وهكذا توفي في لاشينه من غير ان يعلم بحكم المحكمة عليه وعلى ولده وكان ذلك في سنة ١٨٩٤ وعمره ٨٩ سنة . وقد احسنت الحكومة الفرنسوية باحترام هذه العظمة الساقطة فلم تبلغه الحكم قبل وفاته . ولم يحتفل بجنازته في باريز احتفالاً يذكر بل مشى وراءه بعض اصدقائه ومريديه يشيعونه الى حفرته بسكوت وهدوء

***

ولكن بعد غد يُحتفل احتفالاً باهرًا في بور سعيد بنصب تمثال شامخ من البرونز لهذا الرجل الذي مات ولم يُحتفل بدفنه الاحتفال الذي كان يستحقه . وان هذه الحفلة الباهرة التي دعا اليها حضرة رئيس شركة السويس ١٢٠٠ رجل من اكابر السراة والساسة والعلماء ويرئسها الجناب الخديوي بعد غد للاحتفال بنصب هذا التمثال تذكرنا الحفلات الباهرة التي سبقتها في بور سعيد يوم افتتاح الترعة وكان شهودها اكثر الرؤوس المتوجة في اوربا بينها ثلاثة يلمعون كالشمس: الامبراطورة اوجيني والخديوي اسماعيل وفردينان دي لسبس . وقد انقضى اليوم ٣٠ سنة على هذه الحفلات فماذا جرى بتلك الامجاد اللامعة والشموس الباهرة ؟

لقد هبت على اوربا في هذه الثلاثين سنة ريح باردة « اسقطت المتكبرين عن الكراسي وارسلت العظماء خائبين » . ريح زعزع عصفت في اواسط اوربا فاسقطت امبراطورية عظيمة واقامت مكانها امبراطورية عظيمة . سقط نابوليون الثالث وقام غليوم الاول فراحت اوجيني الامبراطورة الجميلة شريدة طريدة في اوربا تندب الملك المفقود . ومجداً هيهات ان يعود

وعصف في مصر اعصار شديد كسر الدوحة القوية وحطم العصا الحديدية . اسماعيل ذو المجد اللامع كالشمس حُط من اوج مجده وحل به قضاء ربه فراح من هذا العالم الصغير الضيق دون نفسه الى عالم كبير اوسع مجالاً . ثم انصرفت الى عرش اولاده هذه الريح التي اسقطته عن عرشه فقلبت مصر راساً على عقب وقيدت عنقها اللطيف الجميل بقيود احتلال

اجنبي فاصبح وطن اسماعيل العظيم العزيز مقيدًا مهانًا

وثالثهما فردينان دي لسبس نزل عن قمة مجده توًا الى حفرة قبره فراح حزينًا مكسور الخاطر كئيبًا . وكل ذلك في ٣٠ سنة . لقد تغيرت الارض ومن عليها . تغيرت الكرة الارضية في جهات البلقان . وبدلت الحدود في اسيا واوربا . وسحقت اليونان . وطحنت اسبانيا . وتُقتل الآن الترانسفال . كل ذلك في ٣٠ سنة

ولكن في الحوادث ما يكون قديمها حاضرًا لدى العقول كانه جديد دائمًا لشدة التصاقه بالانسانية . الا ان ذلك لا يكون الا في الاعمال العظيمة النافعة التي يعملها اصحاب العقول المحسنون الى الهيئة الاجتماعية . ومن هذا القبيل عمل فردينان دي لسبس . فانه قد نُسي اسم اوجيني واسم اسماعيل ولكن الناس يقيمون بعد عد تمثالاً لاسم دي لسبس . مرّ عرش اوجيني وعرش اسماعيل ولكن بورسعيد تقيم بعد غد عرشًا ثابتًا لدي لسبس . فما اقوى العقل واسمى مواهبه . اليس في ذلك دليل على ان سلطانه اقوى من كل سلطان

﴿ الجامعة واصدقاؤها ومشتركوها ﴾

وسنتها الثانية

اوشكت سنة الجامعة الاولى ان تنتهي . فلم نرَ بدًا في هذا المقام من اسداء خالص الثناء الى حضرات وكلاء الجامعة واصدقائها الافاضل في مصر واميركا والشام وغيرها فانها قد بلغت بهمتهم في بضعة شهور من الانتشار والارتقاء ما لا تبلغه الصحافة في الشرق عادةً الا في سنين واعوام . وهذا مقصود احد مريدي الجامعة اذ زارنا في يوم ارسال البوسطة فقال « ان الجامعة وُلدت كبيرة » يعني انها لم تولد صغيرة ثم كبرت وفي ذلك من الثناء ما فيه مما يعود الفضل فيه الى حضرات وكلائنا واصدقائنا ومشتركينا الكرام الذين ارونا من تاييد الجامعة وشد ازرها والارتياح الى مبادئها ما نحسبه خير مكافأة على ما نبذله فيها من القوى الادبية والمادية

والذي يسرنا في ذلك بنوع مخصوص ان حضرات القراء قد قدروا عناءنا في اصدار الجامعة حق قدره فاصبحوا لا يبخلون عليها بكل مساعدة تدفعها الى الامام . ولا غرو فان الجامعة لهم وهي غرس ايديهم . لذلك ارسل اكثرهم فاوصلوا الى الجامعة

حقوق الاشتراك قبل انقضاء بضعة اشهر عليها علماً بما يكون في الشرق في سبيل المشروعات العلمية الكبرى من العقبات وما تقتضيه مجلة كبيرة كالجامعة من شديد العناء وفادح النفقات. فنحن لاننسى لهولاء الكرام فضلاً. ويسرنا جداً ان نرى في بلادنا قوماً احياء يشعرون بالجوانب القوية والجوانب الضعيفة يرون النافع المفيد الصحيح فيقبلون عليه تنشيطاً له لا من قبيل خدمة الاشخاص بل من قبيل الخدمة العمومية

ولكن لابد بازاء اصحاب الحسنات من اناس للسيئات وبضدها تتميز الاشياء. وكما جهرنا بالشكر فاننا نجهر بالشكوى من بعض الادباء والافاضل الذين كنا نؤمل ان تلقى الجامعة منهم غير ما لقيته الى الآن. انما نترك الكلام عن ذلك الى فرصة ثانية ونحن على ثقة بان شكوانا تزول قريباً فلا نضطر الى الكلام مرة اخرى بهذا الشان ولا الى ذكر الرجاء بدفع بدلات الاشتراك في مجلة لا شأن للمال فيها بل همها المصلحة الادبية قبل المصلحة المادية

ولما كان اهتمام حضرات المشتركين بالجامعة يوجب عليها الاهتمام بنفسها عملاً بما وعدتهم به من "انهم كلما زادوها اقبالاً زادتهم تحسيناً" فقد عزمنا بحول الله تعالى على اصدار الجامعة في بداية سنتها الثانية بحلة جديدة تزيد رضى القراء عنها وندخل فيها تحسيناً جديداً مهماً. اما قيمة الاشتراك فاننا نتركها كما هي للمشتركين في السنة الاولى لانهم موسسو الجامعة فمن حقهم هذا الامتياز على الذين يشتركون من بداية السنة الثانية فقط اذ ربما زدنا قيمة الاشتراك لهولاء والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل

فرجاؤنا من حضرات المشتركين الذين لم يدفعوا بدلات الاشتراك الى الآن وقليل ما هم ان يساعدوا الجامعة على زيادة الاهتمام بنفسها بارسال ما عليهم من بدلات الاشتراك او دفعها الى وكلائنا بموجب وصولات الادارة. ورجاؤنا من حضرات الوكلاء ان يتكرموا بترصيد حسابات الجامعة بجمع ما فضل من البدلات راجين ان يكون هذا الكلام آخر ما نقوله بهذا الشأن ولهم الفضل والمنة

باب المقالات

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

(الوجه الادبي)

(١) بين الارض والسماء

نسيم المكان الارفع · لا يزال البشر كما كانوا · سكارى تحت بصحون فوق · ظالمون ومظلومون · الجنرال سيمونس · محاكمة الانكليز والبوير · اللورد شاتام · غلادستون · افلاطون

ووقعت النفوس الطائرة على « المكان الارفع » كما تقع على الشجر اسراب الحمام بعد سفر شاق طويل · وكان في عيونها كلها القلق الشديد والدهشة من حالها الجديدة ولكنها ما دخلت الابواب الابدية حتى هبَّ في وجوهها نسيم ذلك المكان السرمدي · نسيم الهناء الدائم والغبطة الدائمة · نسيم يجفف دموع الباكين · ويبث الفرح في قلوب المكتئبين وينزل الاحمال عن ظهور المتعبين · فحل الاطمئنان في نفوسها مكان القلق والانبساط مكان الانقباض · فكادت حينئذٍ تنسى الارض ومن عليها لو لم يذكرها بها صوت هادئ عميق سمعته يقول :

« ليعمل العاملون وليعدوا مكاناً لاناس قادمين · لايزال البشر على الارض في اواخر القرن التاسع عشر كما كانوا في العصور الخالية : ذئاباً يقتلون بعضهم بعضاً · دارت رحى الحرب في جنوبي افريقيا بين البوير والانكليز فاعدوا ايها المعدون اماكن للفريقين ولتكن هذه الاماكن رحيبة فان القادمين الينا كثيرون · المدافع نُصبت · والسيوف شُحذت · والبنادق حُشيت · والسفن عُبئت وملائكة الموت تحوم الآن فوق الفريقين تحصي الارواح التي سيفكها السلاح من قيود الاجسام · فيالتوحشك ايها الانسان · لقد اسأت التصرف فيما اعطيت من حريتك · ليتك لم تُعطَ هذه الحرية فيكون شأنك شان الحيوان : ناموسه غريزته · اذن لكنت معذوراً فيما ترتكب من الشر والاثام · ومع

(١) تابع لمقالة وردت في باب التربية والتعليم في الجزء الماضي عنوانها « مشنوق الاسكندرية بين الارض والسماء »

ذلك فانك لا تعذر الحيوان فيما يصنع من الشرمع علمك بانه مسوق بغريزته · هل تعذر هرين او كلبين يصرخان و يتناهشان على عظمة مطروحة في قارعة الطريق ؟ كلا · بل تقبحها وتطردهما وتسميهما وحوشاً ضارية · ولكن الا تصنع انت ايها الانسان المتمدن ما يصنعه هذا الحيوان · بل انك تصنع فوق ما يصنع · انه لا ينهش بعضه بعضاً الا بفمه ويديه ومخالبه اما انت فانك لم تكتفِ بما خلقه الله لك من الاعضاء فاخترعت آلات الهلاك من مدفع وحسام ودمدم وديناميت لتكون اشد فتكاً من الحيوانات الضارية · فهنيئاً لك ما اسعدك · ونعما هذه الطرق التي تصرف اليها مواهبك · ولكنك نائم في جوف المادة على الارض وستصحو في هذا المكان · فاعدوا ايها الاخوان مكاناً لاخواننا النائمين الذين سيصحون عندنا وليكن رحيباً فان القادمين كثيرون »

***

ولم ينقض زمن طويل حتى بدت طلائع القادمين وبانت اقوارهم متقدمة من الابواب الابدية · فدخلوا دخول الارواح التي تقدمتهم يزحم بعضهم بعضاً قلقين مدهوشين وعليهم اثار الدماء · وكان قد اعد لهم مكان رحيب قسموه جرياً على العادة في كل حرب قسمين قسماً كتبوا على جداره « ظالمون » وقسماً كتبوا عليه « مظلومون » فقصدت جميع الارواح مقاعد المظلومين

فناداهم حينئذٍ حارس على الباب قائلاً : لا بد في كل حرب من ظالم ومظلوم وانتم فريقان متحاربان فليجلس الظالم منكم على مقاعد الظالمين والمظلوم على مقاعد المظلومين · وكانت روح " مشنوق الاسكندرية " (١) تسمع وترى · فسألت فتى بازائها · من هولاء ؟ قال انكليز وبوير · فاجفلت روح المشنوق لكلمة الانكليز وصاحت : ظالمون ظالمون قد رأينا ذلك عندنا في مصر فان الانكليز لم يكونوا قط مظلومين

فاشتد الجدال بين الفريقين في من يجلس هنا ومن يجلس هناك · فانبرى واحد من البوير وقال : ايها الاخوان الانكليز رفضتم في الارض مبدأ التحكيم افترفضونه ايضاً في السماء · فخرج من فريق الانكليز روح يظهر عليها انها من مقدميهم وكان مرسوماً على جبهتها « الجنرال سيمونس » فقالت بلطف للبوير نعم نرضى بالتحكيم ايها الاخوان البوير لاننا على ثقة من اننا معكم مظلومون ولكننا لا نحكم الا اللورد شاتام · فقال البوير ما انصفتم ايها الاخوان الانكليز تريدون تحكيم وليم بيت الذي افقدكم الولايات المتحدة بشدته كما سيفقدكم

(١) راجع مقالة "مشنوق الاسكندرية " في الجزء الماضي

تشامبرلن افريقيا الجنوبية بسوء سياسته . كلا فاننا نعرف رايه بشان الاستعمار وانما نطلب تحكيم غلادستون فقال الانكليز ما انصفتم ايها الاخوان البوير وكيف نرضى بتحكيم الرجل الذي اعترف باستقلالكم في سنة ١٨٨١

فتقدم حينئذٍ من الفريقين فتى بشوش الوجه وضاح الجبين فقال لهم : اذا اذنتم لي قلت كلمة بهذا الشان . اني ارى الاجدر بكم ان يكون حكمكم فيلسوفًا حكيمًا خالي الذهن من موضوعكم . ولا ارى لذلك خيرًا من افلاطون الحكيم فانكم اذا دعوتموه الى ذلك اجابكم ونحن في شوق لرؤيته وسماع كلامه لما قرأناه من الحكمة في كتبه على الارض فهاتوه لنا

***

فاتفق الجميع على تحكيم افلاطون . ونصبت دكة للحكم وضع امامها كرسيان واحد للورد شاتام (وليم بيت) ليدافع عن فريق الانكليز وواحد للمستر غلادستون ليدافع عن فريق البوير . وكان البوير والانكليز فرحين مسرورين بهذا التحكيم علمًا بانهم سيفصلون به مشكلتهم التي اجرت بينهم الدماء انهارًا فيخلصون به من الخصام ويعودون اصدقاء بعد اذ كانوا اعداء . ذلك ان النفس في ذلك المكان لا تطلب الا الخير وهي فيه مستعدة لقبول الحق لتجردها عما يعميها عنه من الشهوات والاهواء

ولما درى سكان المكان السرمدي بان المتحاكمين لم ينتظروا الى الدينونة الكبرى بل ارادوا التحاكم الى المخلوق قبل الوصول الى الخالق اعلنوا ميلهم الى حضور هذه المحاكمة ولاسيما مذ عرفوا ان رئيسها هو كبير حكماء المتقدمين والمتاخرين . فقصدوا مكان المحاكمة جماعات جماعات ليسمعوا دفاع غلادستون وبيت وحكم افلاطون . وكانت عندهم مسالة الترانسفال من الاهمية بمكان اذ انتصر منهم فريق للانكليز وفريق للبوير كما صنع الناس على الارض وفي العوالم الاخرى . وكان في جملتهم مشاهير المتقدمين والمتاخرين من اليونان والرومان والفرس والانكليز والروس والفرنسويين والالمان وسائر الامم الاخرى من علماء وفلاسفة وجنود وغيرهم ممن سيرد ذكرهم . فاحاطوا كلهم بدكة الحكم احاطة السوار بالمعصم ولبثوا ينتظرون الخطيبين والرئيس . واذا بهم قد هبطوا عليهم تجللهم سحابة تزيد شيخوختهم مهابة ووقارًا . فاستوى الرئيس والخطيبان في كراسيهم . ورفعت روح افلاطون نظرًا حادًا كنظر النسر وصوتًا هادئًا جهوريًا حمله هواء دار الخلد الى اذان الخالدين فاهتزت له نفوسهم وغضوا من ابصارهم خشية واحترامًا . وكان اول ما نطق به الحكيم قوله : افتتحت الجلسة . نسمع الآن دفاع اللورد شاتام (ستاتي البقية)

التمساح الافريقي

صفته · اخلاقه · صيده في السودان · التمساح ومصر في نظر العراقيين · امثال العرب والافرنج في التمساح

التمساح حيوان من الزواحف الهائلة الغريبة خلقاً وخلقاً · وهو من الفصيلة التمساحية واشهره ما يعيش في مياه افريقيا ويسمونه التمساح الافريقي · ظهره مغطى بحراشف قوية منضدة بعضها فوق بعض لا يعمل بها السلاح ولا الرصاص احياناً وكذلك ذنبه · اما بطنه فحراشفه رقيقة صقيلة · ولون ظهره اخضر فيه بقع سود اما لون بطنه فاصفر مائل الى الاكدرار · وله فم مشقوق الى ما وراء اذنيه فيه اسنان قوية بارزة هائلة ولسانه مفرطح ملتصق بالفك السفلي لذلك زعم بعضهم ان التمساح لا لسان له

ومن اغرب ما زعموا ايضاً بشأن هذا الحيوان ما رواه الدميري من انه بلا مخرج يخرج منه فضول غذائه فاذا امتلأت معدته واختمر الغذاء فيها صعد الى البر وفتح فاه فاتى طائر يسمونه القطقاط فيدخل فمه ويخرج منه تلك الفضول شيئاً بعد شيء · وقد ذكر المؤرخ هيرودوتس شيئاً عن هذا الحيوان فقال انه يدخل فم التمساح ليخرج منه نوعاً من الحشرات يهلك التمساح بها اذا تكاثرت في فمه · ووافق كثيرون من العلماء المحدثين على هذا القول بعد جدال شديد اذ وجدوا ان القطقاط يغتذى بتلك الحشرات التي يخرجها من فم التمساح والتمساح لا يؤذيه في دخوله وخروجه من فمه لانه يرتاح الى التخلص من تلك الحشرات · وروى الدميري ان القطقاط طائر ارقط صغير له شوكة في راسه فاذا اطبق التمساح عليه فمه نخسه بشوكته فيفتح التمساح فمه لاخراج ضيفه فيخرج القطقاط

وكان التمساح من جملة معبودات المصريين القدماء وكان الكهنة يربونه في الهياكل ويزينونه بالحجارة الكريمة ويعلفونه الطعام السمين · وكان الشعب شديد الاحترام للتماسيح فاذا مات احدها احتفلوا بدفنه احتفالاً عظيماً وقد وجد كثير منها محنطاً في المدافن المصرية القديمة فنقلت الى معارض اوربا واميركا · ووجدت ايضاً رسوم التماسيح على كثير من الآثار المصرية القديمة

وربما بلغ طول التمساح ١٢ متراً او اكثر وهو اشد الحيوانات نمواً · فانه يبيض اكثر من ٦٠ بيضة بحجم بيض الاوز او اكبر كما روى بعضهم تضعها انثاه في مكان خفي على ضفاف الانهر والرمل فتفقس دون حضانة بحرارة الشمس · وسكان افريقيا

يستطيبون هذا البيض فيجمعونه ويأكلون منه المح فقط . ومتى نقس البيض وخرجت فراخ التمساح تغذيها الانثى بالاسماك لان السمك اهم غذاء التمساح وتأخذها الى ضفة النهر لصيده ومتى فرغت تعيدها الى ادحيها . وهذا الادحي يكون في الغالب على شاطئ الماء كما ذكرنا ويتخذه التمساح كل سنة الا اذا اصابه خراب فانه يتركه ويبني غيره

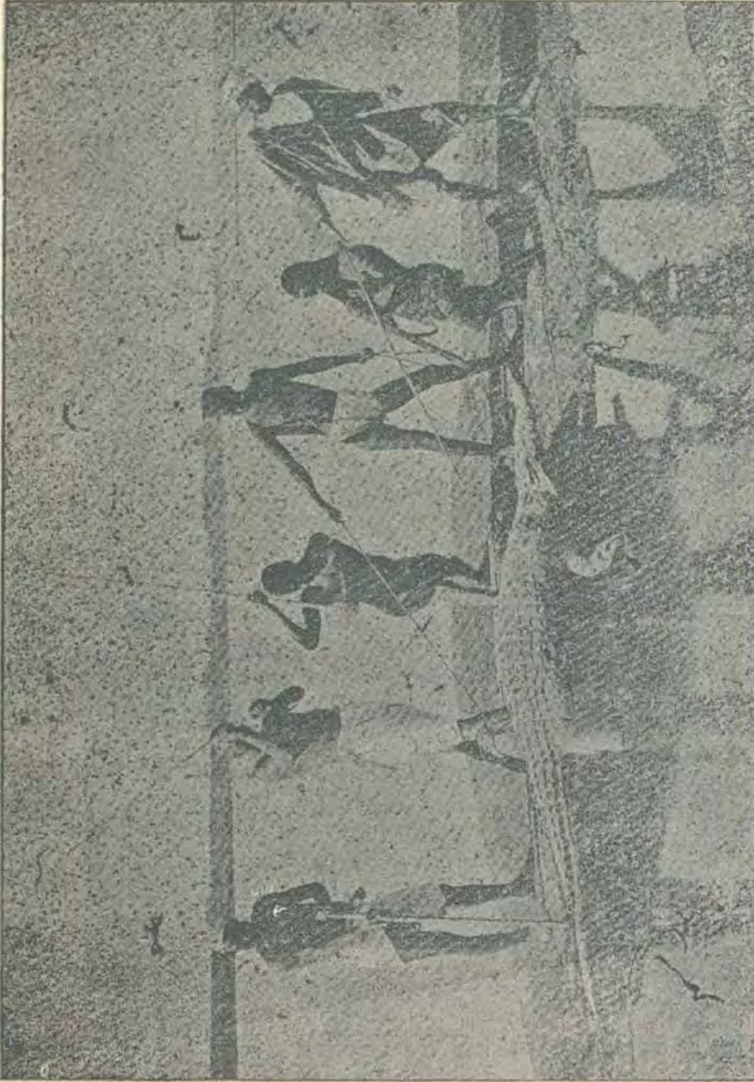
والتمساح شديد العدوان قوي البأس تخافه جميع الطيور والحيوانات حتى الانسان نفسه . وقلما يدخل حيوان او انسان نهرًا تكثر فيه التماسيح وينجو من شرها . ووجد بعضهم ادحي تمساح فيه فراخ لم تخرج من البيض بعد فما مد يده اليها حتى هجمت عليه فاثبت بذلك ان هذا الحيوان مفطور على الهجوم والعدوان

وروى الدميري قوله « من شان التمساح انه يغيب في باطن الماء اربعة اشهر مدة فصل الشتاء كله ولا يظهر » لا ان هذا القول ينطبق على التمساح الاسيوي والتمساح الاميركي لا على التمساح الافريقي . فان هذا التمساح يقيم اكثر النهار على شاطئ النهر في الصيف وفي الشتاء يخرج من الماء ليتشمس اما في الليل فلا يخرج منه ابدًا اذ تكون حرارة الهواء اقل من حرارة الماء

ولا يصاد التمساح بالسلاح لانه لا يعمل في جلده لحراشف القوية التي ترد فعله . ولكنهم يصيدونه كما يصيدون الاسماك . وذلك ان يضعوا في صنارة كبيرة قوية قطعة من لحم ويرمونها في النهر على طريق التمساح فاذا اكلها نشبت الصنارة في فمه فيجذبونه بها الى الشاطئ ، حتى اذا وصل الى سطح الماء تقدم احد الصيادين وطلى بالطين عينيه فيصبح التمساح في ظلام لا يحسن معه هجومًا ولا دفاعًا فيعملون به حينئذٍ الحراب طعنًا والجذابات المعقوفة جذبًا وجرًا الى خارج الماء حتى يخرجوه كما ترى في الرسم الموضوع في هذه المقالة فيجهزون عليه حينئذٍ اذا بقيت له من الحياة بقية

وللعرب في التمساح امثال . منها قولهم « اظلم من تمساح » يضربونه لمن يكون شديد العدوان والظلم . وقولهم « جلده نحس كالتمساح اومتمسح »يضربونه للوقح الوقح الذي لا يؤثر فيه كلام ولا ملام . وقولهم « جزاه جزاء التمساح » ويرادفها قولهم جزاه جزاء سنمار اي قابل الاحسان بالاساءة . وعندهم ان من ينظر التمساح في نومه فانه رمز الى عدو سيعدو عليه

ومن لطيف ما ورد عن التمساح ان اهل العراق كانوا يعيرون اهل مصر بكونه من عيوب بلادهم لكثرة وجوده في النيل يحمي الماء من الوراد . ولذلك حديث طويل دار



صيد التمساح في السودان

بين ابن دأب والخليفة الهادي رواه المسعودي في مروج الذهب . وموضوع هذا الحديث هل فضائل مصر اكثر من عيوبها . وكان الهادي يقول ان الفضائل اكثر فاجاب ابن دأب « هذه دعوى المصريين لها بغير برهان واهل العراق يأبون هذه الدعوى فانهم يذكرون ان عيوبها اكثر من فضائلها . قال الخليفة الهادي مثل ماذا . قال من عيوبها يا امير المؤمنين انها لا تمطر واذا مطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعاء . ومن عيوبها الريح

المريسية وذلك ان اهل مصر يسمون اعالي الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهي الجنوبية ثلاثة عشر يوماً اشترى اهل مصر الاكفان والحنوط وايقنوا بالوباء القابل والبلاء الشامل . ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مراراً كثيرة فيلبسون القميص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف مهاب الهواء وهي تمير ولا تمتار واذا اجدبوا هلكوا . واما نيلها فكفاك الذي هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار (يعني مسألة الفيضان) وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شيء من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة وفي ذلك يقول الشاعر

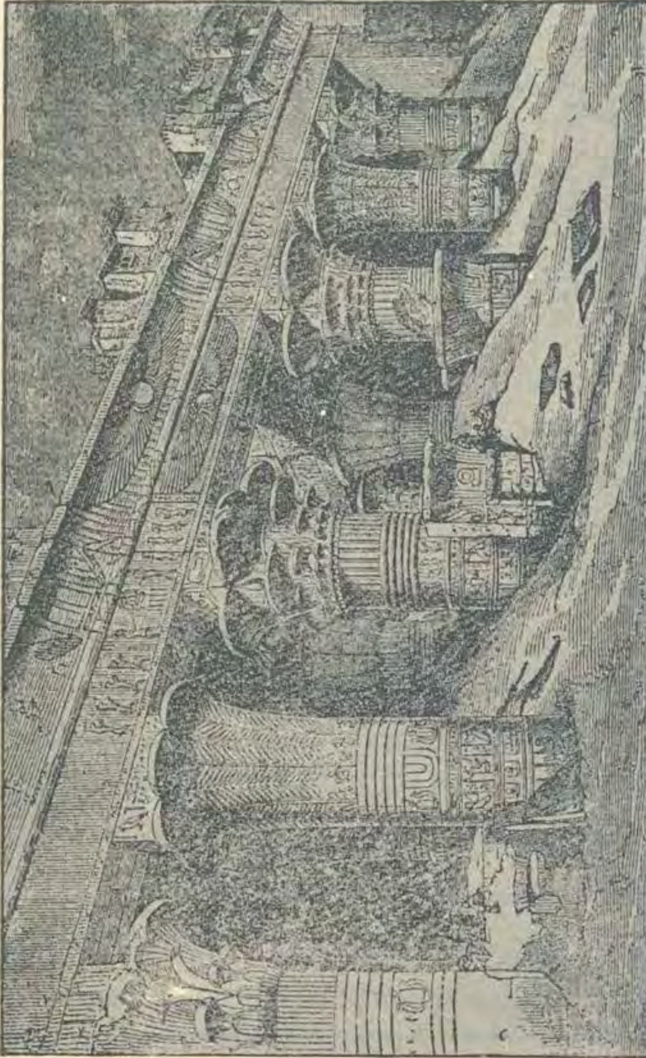
اظهرت للنيل هجراناً ومقلية اذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين من كثب فما ارى النيل الا في النواقيل

قال الخليفة ويحك ما النواقيل التي ترى النيل فيها قال القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لا يتمتع بالماء الا في الآنية لخوف مباشرة الماء في النيل من التمساح لانه يخطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقاً الى النظر الى مصر فلقد زهدتني بوصفك لها» انتهى باختصار

ويشبه كتاب الافرنج التمساح بالاحمق المكابر الذي يكره الحقيقة . قال الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير تلميذ روسو وصديقه : احذر ان تقول الحقيقة لكل انسان . لا تذكرها الا للرجل الصالح الذي يحبها . اما الرجل الشرير فيكون مثله معها مثل التمساح واللؤلؤة . تلقيها اليه في الماء فيهجم عليها ويعضها باسنانه ليكسرها لا ليتزين بها واذ تنكسر اسنانه دون ذلك ينقلب عليك لافتراسك لا لشكرك

ايزيس

ايزيس من اشهر معبودات المصريين الاقدمين . تزوجت اخاها الاله اوزريس وكانت تحبه حباً شديداً . ويرجح العلماء ان العادة التي جرى عليها قدماء المصريين من تزوج الاخ باخته ماخوذة عن ايزيس واوزريس . فلما قتل الاله (ست) اوزريس اخذت ايزيس تجوب البلاد بحثاً عن جثته ولم يهنأ لها عيش حتى وجدتها ودفنتها . وبعد دفنها



هيكل ايزيس في جزيرة انس الوجود (فيله)

حاولت احياء اخيها" باحياء قلبها " فقدرت على ذلك وعاد اليها حبيبها متقمصاً في جسم ولد فصارت ترضعه وسمته هوروس اي الشمس الطالعة التي بددت الظلام . فاصبح اسمها ام الشمس وبذلك عظم قدرها وكثرت عبادتها . وكانت عبادة ايزيس عمومية في مصر ولكنها كانت على اشدها في الازمنة الاخيرة بعد دور الفراعنة الاول . وكان لها هيكل في اصوان ولكن اهم هياكلها في جزيرة (فيله) التي يسميها العرب جزيرة انس الوجود . وقد شرع في بناء هذا الهيكل بطليموس فيلادلفس واكمله الذين اتوا بعده من الملوك . وهو من اجمل الاثار المصرية الباقية الى الآن . انظر رسمه فوق هذه السطور

باب التربية والتعليم

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة	يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

متى ينتهي هذا العالم

نجم احمر بدلاً من نجم ذي ذنب · الخوف والهلع · مسؤولية العلماء · جهل الشعوب · متى ينتهي هذا العالم · كلية العامة في باريز

اليوم ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ والساعة الآن العاشرة ليلاً · نكتب هذه السطور والناس في الشوارع والشرفات والنوافذ قيام وقعود ينظرون كلهم بدهشة واستغراب الى نقطة واحدة في السماء · جرم بحجم النجم ولكنه احمر اللون لا اصفره بدا في وجه السماء بين النجوم فصار الناس يتساءلون : ما هذا ؟ وكيف هذا ؟ هل دب الاحمرار في النجوم قبل تساقطها على رؤوسنا كما يدب الاصفرار في الناس قبل الموت

وكان سبب هذا «النجم الاحمر» ان ظريفاً « ثقيل المزاح » اراد مداعبة سكان الاسكندرية فاطار (بالوناً) كبيراً في هذا المساء ليحدث ما احدثه في قلوب بعض البسطاء والسذج من الهلع والاضطراب(١) على ان هذا الهلع والاضطراب قد بدت آثارهما منذ ١١ الجاري · فقد اسود وجه السماء في مسائه وهطل المطر مدراراً وهبت عاصفة شديدة اضطربت لها نوافذ المنازل وقلوب

---

(١) لا نعلم اذا كانت الحكومة بحثت عن الذي مزح هذا المزاح البارد · فقد علمنا صباح اليوم (١٤ نوفمبر) ان بعض الاولاد حين رؤيتهم هذا البالون مساء امس خافوا خوفاً شديداً وصاروا يبكون · وبعض البسطاء صاروا يولولون ويودعون بعضهم بعضاً ويذرفون دموع الفراق واصفرت وجوه بعض الامهات وبردت اطرافهن خوفاً على اولادهن وعلى انفسهن ايضاً · ولو اتم صاحب هذا المزاح مزاحه البارد وارسل في الفضاء اسهماً نارية تنفرقع وتنشيء مطراً من اللهيب لكانت العاقبة وخيمة عليه وعلى كثيرين من البسطاء

البسطاء . ذلك انهم حسبوها مقدمة لخراب العالم الذي تنبأ عنه رودولف فالب سامحه الله . فبكى كثيرات ممن يكرهن الموت وما كل الناس يكرهونه . ولكن برزت الشمس في اليوم الثاني (١٢ منه) فزال الخوف من مطر الماء وبقي الخوف من مطر نجوم السماء . وكان الخوف كل الخوف عند السيدات . فكثيرات منهن قصدن المعابد للصلاة والدعاء الى الله ان لا يخرب العالم اذ لم يشبعن منه بعد . وروي لنا ان كثيرات من المسيحيات اعترفن لدى الكهنة مع اولادهن وتناولن الاسرار المقدسة . ومنهن من عاهدن انفسهن ان يتمن منذ غروب الشمس فاذا خرب العالم في الليل خرب دون ان يشعرن بخوف او ألم . وروي ان بعض التجار في القاهرة اجل «استلام» بضائع وردته على يد« كومسيونجي » الى ما بعد الظهر ورفض امضاء كمبيالتها حتى يرى اذا كان نار المذنب تتلف البضاعة ام لا تتلفها . واذا كان اشد الخوف عند النساء فاشد اشده كان عند العجائز . فقد بلغنا ان احداهن ابتاعت كفنها واختارته من النسيج الجيد الناصع البياض .... واخرى غيرها حتمت على اولادها ان يناموا عندها في هذه الليلة ليموتوا معاً حين انتهاء العالم . فليتصور القارئ حالة العقول حين ظهور اول نجمة في هذه الليلة . كان الواحد اذا ابصر في السماء سحابة رقيقة مستطيلة حسبها ذنب المذنب واذا مرّ في السوق ووقف ينظر الى السماء متأملاً وقف كل الذين حوله ونظروا الى حيث ينظر . وقد سُمع بعض المساكين والفقراء في الشوارع يقولون : اذا انتهى العالم استرحنا من عذابنا . فمتى يا رباه ينتهي هذا العالم

***

ذكرنا هذه الامور مع عدم اهميتها لجميع القراء ليتاح لنا ابداء ملاحظتين بهذا الشان كلتاهما في غاية الاهمية

الاولى ما على العلماء من المسئولية امام الله والناس في كل ما يقولون . فقول علم العالم رودولف فالب حين قوله بامكان انتهاء العالم في هذا اليوم ان كلامه هذا سيذرف دموع كثيرين من النساء والاولاد في الشرق والغرب ويقلق بعض الناس حتى يحرمهم لذيذ المنام . فكما ان سلطة العالم عظيمة فمسئوليته في كل ما يقول عظيمة ايضاً . وفي المثل العربي « اذا زل العالِم زل عالَم » فما اصدق الآن هذا المثل على الدكتور رودولف فالب اذا صح انه تنبأ النبوءة التي عزيت اليه

اما الملاحظة الثانية فظلام الجهل المحيط بالشعوب الشرقية وما من شيء في العالم

كالجهل يشقي صاحبه . فان الجاهل كالجندي الذي يساق الى الحرب اعزل من غير سلاح نفس ضعيفة مشوهة معذبة بجميع اصناف الاوهام تزعجها اصغر الامور وتقلقها اقل الاحلام هذه هي نفس الجاهل المسكين . وكانا هذا الجاهل في البلاد الشرقية . فما اشد حكوماتنا تقصيرًا في انارة اذهان شعوبها وما اشدها جناية عليهم اذا بقيت على مثل هذا التقصير والاهمال

تسأَلون متى ينتهي هذا العالم فنحن نقول لكم متى ينتهي . ينتهي حين يعدل الحكام . ينتهي حين يعامل ولاة الامر شعوبهم كما يعامل الآباء ابناءهم . ينتهي حين تنفق الحكومات ما تدفعه الشعوب اليها من الضرائب والرسوم على الامور الضرورية من تعليم الشعوب وانقاذها من آفة الجهل الهائلة لا على البذخ والامور الكمالية . يومئذٍ ينتهي هذا العالم عالم الجهل والشقاء والفقر والرذائل والاوهام ويقوم عالم ثانٍ تنيره شمس الفضيلة الباهرة والادب الغض والعلم الصحيح . والا فسواء موتنا وحياتنا في العالم الحاضر . وسواء خرابه وعماره اذا بقي على ما هو عليه الآن

***

نعم نريد عالمًا احسن من هذا العالم والا فاننا لا ناسف عليه سواء اخربته ذوات الاذناب ام احرقته الشمس بحرها اللهاب . واذا اسفنا عليه فانما ناسف لان فيه عوالم اخرى احسن من عالمنا هذا . عوالم فيها همّ الحكومات مصروف الى تعليم الشعوب وخدمتها . فمن تعليم الزامي تنفق عليه الملايين . ومن مكاتب عمومية . ومدارس مجانية . ومجامع علمية . وآخر ما نرويه لك « الكليات العامية »

فقد راينا في جرائد باريز ان نخبة من اكابر علماء فرنسا انشأُوا في حي سانت انطوان وهو حي العامة في باريز مدرسة سموها « كلية الشعب » او « كلية العامة » وغرضها تعميم العلوم والاداب والفضائل والمبادئ الصحيحة بين طبقات الشعب بواسطة الخطب والارشاد . وقد افتتحت هذه الكلية في اوائل هذا الشهر فتقاطر اليها ابناء الشعب رجالاً ونساء شيوخًا وكهولاً وشبانًا وولدانًا يسمعون خطب العلماء في المواضيع العلمية والادبية والسياسية المختلفة فتستنير اذهانهم وتتسع مداركهم وتضعف سلطة الوهم على نفوسهم وتقوى فيها عاطفة الادب والعمل وحب الوطن والرغبة في اصلاح الذات . وقد رأَى احد اساتذة هذه المدرسة انه قد تسلط على بعض العامة في باريز فكر انتهاء العالم في ١٣ نوفمبر فاعلن انه سيخطب في اليوم التالي بهذا الموضوع فلم يبق مكان فارغ في قاعة الخطابة ملأَها العامة

وقد دخلوا خائفين من يوم ١٣ نوفمبر ولكن خرجوا بعد خطبة الخطيب وما اوضحه لهم يضحكون من المذنب وذنبه ومن جميع الاذناب ...

هذه هي العوالم التي يحق ان يؤسف عليها اذا هلكت لا عالم فيه الجهل سائد والحق ضائع والفضيلة مهجورة والعلم تجارة والادب منبوذ والكبير صغير والصغير كبير . فمتى ينتهي ايها الشرقيون هذا العالم؟

تاريخ النجم ذي الذنب

رأينا في جريدة الفيغارو تاريخ هذا المذنب الذي اقلق الناس بقلم المسيو فارمان وروايته تخالف ما رويناه في الجزء الماضي وهذه خلاصته

يدعى هذا المذنب المذنب « بييلا » سمي كذلك باسم الفلكي بييلا الذي اكتشفه سنة ١٨٢٧ وهو يظهر مرة في كل ست سنوات ونصف سنة . وقد ظهر في سنة ١٨٣٢ و١٨٣٩ و١٨٤٥ وانكسر بغتة في « ١٣ » يناير سنة ١٨٤٦ فاصبح نجمين مذنبين لاسباب بقيت مجهولة . وظهر هذان النجمان المذنبان في سنة ١٨٥٢ وبينهما مسافة ٥٠٠ الف فرسخ ولما جاءت نوبة ظهورهما في سنة ١٨٧٧ لم يظهرا ولكن امطرت السماء مطرًا من الشهب لم يصل منه شيء الى الارض فعللوا ذلك بدخول طرف ذنب احدهما في فلك الارض واحتراقه . ولكن الفلكي رودولف فالب قال في العام الماضي ان الارض لا تلتقي هذه المرة بذنب المذنب فقط بل بالمذنب نفسه اي بنواته فاذا لم يقض على الارض باصطدامها بالمذنب المذكور فان الناس يموتون اختناقًا بما ينبعث عنه من الغازات حين اقتراب فلكه من فلك الارض . فالموت المرجح كان الاختناق لا الاحتراق . ونعم الميتتان ...

رسوم الجامعة

سرنا ارتياح القراء الى رسوم الجامعة الجديدة التي اخذنا بنشرها من الجزء الماضي ولا سيما رسوم مشاهير الرجال التي نضعها في الرواية . وقد وضعنا في ملزمة الرواية في هذا الجزء رسمين وسنوالي ذلك في الاعداد القادمة فتكون رواية " نهضة الاسد " عند الفراغ منها كتابًا تاريخيًا فكاهيًا كبيرًا باسلوب جديد لم يُسبق اليه حاويًا ما عدا الحوادث التاريخية والفكاهية تراجم ورسوم عشرات من مشاهير الرجال الذين اشتهروا في بداية هذا القرن . ومما يزيد في قيمة هذه الرواية ان حوادثها السياسية العظيمة قد حدثت في بداية هذا القرن وهي تُنشر الآن في نهايته بلغة شرقية لم تنشر بها قبل الآن

باب تدبير الصحة

« والمنزل »

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

(كلمات صحية)

✻ لكي تعيش عمراً طويلاً ✻ هذه عشرون نصيحة لمن يحب ان يعيش عمراً طويلاً ذكرها الدكتور جامس ساوير من سكان برمنهام في انكلترا وقال ان من يتبعها فقد استغنى عن كل طبيب ودواء اذ لا يعرفه مرض ولا يصيبه داء . وهي

١ نم ثماني ساعات في الليل

٢ ليكن نومك على جانبك الايمن

٣ ابقِ عوارض النافذة مفتوحة طول الليل لتجديد الهواء

٤ ضع ستاراً على باب غرفتك

٥ لا تضع فراشك بجانب الجدار

٦ لا تستحم بالماء البارد في الصباح بل بماء درجة حرارته كدرجة حرارة جسمك

٧ روض جسمك قليلاً في الصباح قبل تناول الطعام

٨ اقلل من اكل اللحم ولا تأكله الا شديد النضج

٩ متى بلغت سن الرشد فلا تتناول لبناً (حليباً)

١٠ كل شيئاً كثيراً من الادهان لتقوى في جسمك خلايا الدم التي تقاوم جراثيم الامراض وتتغذى منها

١١ اجتنب اكل الحوامض فانها تضعف تلك الخلايا وتقتلها

١٢ روض جسمك كل يوم في الخلاء والهواء النقي

١٣ لا تدخل حيوانات الى منزلك كالكلب والهر وما اشبه فانها تفسد هواءه بانفاسها وربما كانت تحمل جراثيم بعض الامراض

١٤ عش عمرك في البرية والخلاء اذا كان ذلك ممكناً

١٥ لا تشرب غير الماء واجتنب الرطوبة خصوصاً جوار مجاري المياه في المنازل

١٦ اجعل اشغالك متنوعة اي لا تقتصر على عمل واحد دائم

١٧ استرح حيناً بعد حين من عملك اي خذ لنفسك فرصة لا تعمل فيها شيئاً

١٨ ضع حداً لمطامعك والا انشقت نفسك من كثرة الجهد اذا كنت لا ترضى بحال تبلغها بل تدفع نفسك كلما بلغت درجة عالية الى درجة على

١٩ املك نفسك

٢٠ اجتنب الطوارئ والعوارض

انتهت نصائح الدكتور ساوير ولا ريب ان في بعضها نظراً لكن من اتبعها فقد اهتدى سبيلاً

﴿ فعل العلق في باطن المعدة ﴾ راينا في الجرائد الطبية في هذا الاسبوع ان فلاحاً من نورماندیا استشار طبيباً في الم في معدته فاشار عليه الطبيب «ان ياخذ علقاً» اي ان يضع علقاً على معدته فحسب الفلاح غير ذلك فذهب واشترى علقاً وقلاها على النار كما يقلى السمك ثم ابتلعها مؤملاً الشفاء . وفي الصباح هب من فراشه وركض الى منزل الطبيب يشكره على دوائه لانه قد شفي من دائه . وهو شفاء غريب لا نعلم هل سببه انتهاء المرض ام وهم المريض ام فعل العلق — (طبيب الجامعة)

﴿ اعلان ﴾ ابقينا فهرس القسم الاول من الجامعة الى نهاية السنة فنرسله الى حضرات المشتركين مع فهرس القسم الثاني مرة واحدة ليجلدوه معاً اما القسم الاول فيمكنهم تجليده الآن . وقد كثر طلب المشتركين من جديد للعدد الاول فنرجوهم ان يمهلونا لاننا قد شرعنا في طبعه مرة ثانية لنفاد الاعداد الاولى من الادارة . ونرجو من الذين ينتقلون من مكانهم ان يرسلوا الينا عنواناتهم الجديدة لكي تصل الجامعة اليهم في اوقاتها . اما الذين يكتبون الينا كتباً غير خالصة اجرة البريد فنؤمل من حسن ذوقهم ان يتركوا هذه العادة . والرسائل التي تردنا بلا توقيع واضح لا يلتفت اليها

﴿ اصلاح خطأ ﴾ ورد في الصفحة ٣٣٠ في الجزء الماضي ان كتاب المواعظ للمقريزي طبع في مصر سنة ١٨٩٤ وهو خطا مطبعي ظاهر والصواب سنة ١٨٥٢

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الدروس الحكمية للناشئة الاسلامية ﴾ اهدانا حضرة العالم الفاضل رفيق بك العظم كتاباً ألفه بهذا العنوان وغرضه «ارشاد النشء الاسلامي الى الدين من طريق العلم والعقل الى العمل من طريق الدين ليزرع في نفوسهم حب العمل والعلم وحب الدين والوطن وحب الثبات وغير ذلك من الكمالات النفسية والواجبات الانسانية التي نبه عليها القرآن وجاء بها الاسلام »

وكفى بهذه الاسطر تبياناً لغرض المؤلف الجليل · وعندنا ان هذا الكتاب قد جاء تتويجاً للحركة الفكرية الاسلامية التي دوى صداها في جرائد مصر والهند والبلاد العثمانية منذ عهد غير بعيد ولا يزال دويها في الآذان والاذهان الى الآن · وحبذا هذه الحركات الفكرية اذا كانت تنتج للشرقيين كتباً كهذا الكتاب في النفع والفائدة · وهو يتضمن سبعة وعشرين درساً في مراتب الانسان · وحاجته الى الدين · والعدل ومراتبه من حرية ومساواة وحسن معاملة · والاخلاق وضرورة الحكومة للاجتماع وغير ذلك من المباحث الفلسفية والادبية المفيدة · فنثني على حضرة مؤلفه الفاضل ونحث مديري المدارس الاسلامية على تعليم هذا الكتاب الجليل فانهم يجدون فيه ما لا يجدونه في كتاب اخر من الكتب التي تنشر اليوم لمثل غرضه

﴿ الروضة الفيحاء ﴾ الروضة الفيحاء في تاريخ الشعر واقدم الشعراء كتاب لمؤلفه حضرة الفاضل عبد السلام افندي امام ناظر زراعة المنشاة بتفتيش الروضة · وهو سفر تلذ مطالعته لما تضمنه من طبقات الشعراء وتعظيم الشعر عند قدماء العرب وذكر من قال الشعر من الصحابة والتابعين ورواة الشعر والمدح والهجاء ومداراة الشعراء · وقد زينه حضرة المؤلف بنفثات مما قاله من الشعر في صباه سعادة عمه المفضال سعادتلو اسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية في مصر وقصائد اخرى من نظم حضرة المؤلف · فنثني على فضله وطول باعه ونشكر له هديته

﴿ روميو وجوليت ﴾ رواية تمثيلية ذات خمسة فصول لمؤلفها شاكسبير الشاعر الانكليزي المشهور ومعربها حضرة الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله احد محرري جريدة

الاهرام في القاهرة وهذه الرواية من احاسن روايات شاكسبير ان لم تكن احسنها فلا حاجة الى تبيان اهميتها وقد اجاد حضرة المعرب في تعريبها ولا سيما في نظم ابيات رقيقة وردت فيها توجب له الثناء على براعته · وقد التزم طبعها حضرة الخواجاجان انجلو صاحب مطبعة الاتقان فنثني على خدمته الادب بنشر انفاس الشعراء والادباء ونشكر لحضرة المعرب هديته

﴿ رواية اوتيلو في الملعب العباسي ﴾

مُثلت في ليل ٩ الجاري رواية اوتيلو في الملعب العباسي في الثغر وكان الحاضرون كثيرين · وقد اجاد الممثلون في التمثيل على الاجمال بالقياس الى التمثيل العربي ولكن المنتقدين شددوا الانتقاد عليهم فجاءتهم السهام من كثير من الاقلام مع عدم اعتياد الكتاب في الغالب الا على المدح والثناء

وسبب هذا الانتقاد ان هذا الجوق قد تألف من ثلاثة من الذين اداروا اجواقاً للتمثيل وهم حضرات اسكندر افندي صيقلي وسليمان افندي القرداحي وسليمان افندي الحداد وكان الاول يمثل دور يعقوب والثاني دور القائد اوتيلو والثالث دور قصي · وبالنظر لما سمعه الناس من انتقاد هؤلاء الادباء على الجوق المصري الشهير الذي يديره حضرة اسكندر افندي فرح وانكارهم عليه ما كانوا يدعونه لانفسهم بحكم الانتقاد ظن الناس انهم سيرفعون التمثيل العربي عما هو عليه باجتماعهم على ملعب واحد· فلما حضروا التمثيل وراءوا ما رأوه من براعتهم مما لا يخرج عن المالوف في الملاعب العربية انقلبوا يندِّدون بالمنددين وينتقدون المنتقدين

ولا ريب ان ممثل دور يعقوب قد اجاد اكثر من زملائه مما يدل على انه كان فاهماً دوره حق الفهم ولكن صوته لسوء الحظ قلما يوافق المواقف العظيمة الجدية فلو كان مكان اوتيلو لاضاع صوته حسن تمثيله وسنرى ذلك اذا مثل دور رودريك في رواية السيد التي يمثلها هذا الجوق في ليلة ٣٠ نوفمبر الجاري · اما القاؤه فحسن للغاية وقلما يلحن في كلامه وهدوه الطبيعي في التمثيل يدل على امتلاكه نفسه على الملعب امام الجمهور وهو امر نادر الوجود في الملاعب الشرقية· ونحن نثني اطيب الثناء على حضرة اسكندر افندي صيقلي لترجمته عن موليير « رواية المتزوج بالرغم عنه » وسبكها في قالب ادبي هزلي لا اثر للخلاعة فيه مما قد لا تخلو منه رواية هزلية تمثلها الاجواق المصرية· وبالاجمال فان الجوق يستحق ثناء محبي هذا الفن ولكن ليلة اوتيلو كانت دون الليالي التي اعتاد احياءها الجوق المصري وبلبله الصداح الشيخ سلامه حجازي فريد هذا الفن في مصر

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

☼ الجناب الخديوي في بورسعيد ☼ يودع الثغر الاسكندري في ١٦ الجاري مبرح البلاد لانتهاء اقامته الصيفية فيه · وسيسافر سموه الى بور سعيد في صباح ذلك اليوم لافتتاح الاحتفال باقامة تمثال لفردينان دي لسبس كما ذكرنا ذلك في صدر هذا الجزء · يلقي سموه في الافتتاح خطبة وجيزة ثم يخطب حضرات البرنس دارنبرج رئيس شركة السويس والكونت دي فوجه والمسيو شارل دي لسبس نجل الفقيد · وقد بلغت اجرة الاقامة في الفندق في بورسعيد للشخص الواحد عن يوم واحد جنيهاً او جنيهين وربما حضر الاسطول الانكليزي والاسطول الفرنسوي الى بورسعيد لحضور هذا الاحتفال · وسناتي على تفاصيله في الجزء القادم مع ملخص الخطب التي تتلى فيه وثمة ترجمة دي لسبس ولاسيما من الوجه الادبي

☼ الموافقة على انتخاب البطريرك الانطاكي ☼ قضي الامر وصدرت الارادة السلطانية بالموافقة على انتخاب غبطة الحبر الجليل السيد ملاتيوس الدوماني بطريركاً للكرسي الانطاكي الارثوذكسي · فكان غبطته اول بطريرك ارثوذكسي عربي تولى مهام منصب بطريركي في الشرق

فنحن قبل تهنئة الطائفة الارثوذكسية في الشام بما نالته من الفوز في مسألتها البطريركية نرفع الى جلالة مولانا السلطان الاعظم فرائض الشكر والدعاء بحفظ ذاته المقدسة لاحقاقه الحق وعدم التفاته جلالته الى وشايات الواشين

ويسرنا ان ما كتبناه في الجزء الحادي عشر عن هذه المسالة كان له صدى لدى افاضل الناس المنصفين · فقد كتب الينا منذ شهرين كريم عالي المقام من الاستانة يشرف الجامعة بصداقته فقال : « اني متأكد ان جميع ما كتبته الجرائد بشأن البطريركية الانطاكية الارثوذكسية قد جمع على حدة ليطالع بالامعان والتدقيق · وقد طالعت في الجزء الحادي عشر مقالة الجامعة بهذا الشان فتاكدوا بان اقوالاً كهذه تقال بعقل واعتدال واخلاص ظاهر للفريقين لا يمكن الا ان يكون لها تأثير على قلوب القابضين على ازمة

الامور . فان الابناء اذا طلبوا بالاخلاص والاعتدال ما طلبته الجامعة فليس في استطاعة الاب ان يردّ هذا الطلب . وانا عالم انه قد قرب وقت انقضاء المشكلة الانطاكية على ما يجب ابناء الكرسي والفضل في ذلك لاعتدال الطائفة الارثوذكسية وثباتها واعتدال اساقفتها وجرائدها واني استطيع تهنئتهم منذ الآن بنيل غبطة بطريركهم الفرمان »

وكتب الينا صديق من القطر الشامي يقول منذ بضعة اشهر : « لقد ارسل الجزء الحادي عشر من الجامعة الذي فيه مقالة « البطريرك الانطاكي » الى بطرسبرج لتترجم المقالة في جرائدها وتنقل رسوم الاساقفة عن رسومها . وسيرسل الى الجامعة نسخة من الجريدة التي تترجمها »

نحن يسرنا ان ينظر الناس الى ما كتبته الجامعة بعين الرضى والقبول ولكن يسرنا على الاكثر ان الجامعة قامت بما يجب عليها في مسألة دقيقة كهذه . هذا ونكرر في الختام التهنئة الى غبطة البطريرك الجزيل الاحترام وحضرات الاساقفة لافاضل الذين عانوا في سبيل تأييد حقوق الطائفة ماعانوه من الجهد والعناء . ولكنه عناء محاه هذا الهناء . وقد مرّ الآن دور وجاء دور . والابصار شاخصة بعد اليوم الى الكرسي الانطاكي الارثوذكسي من كل الجهات . فعسى ان يُري هذا الكرسي بقيادة قائده العربي الجديد ما ينسي ابناءه مرّ الحالة القديمة التي طال شكواهم منها والله ولي التوفيق

(خارجية)

الحرب هم اخبار الحرب بين الانكليز والبوير في هذين الاسبوعين واقعة لاديسمث واحتلال كلانسو وكلتاهما في ناتال . فان البوير وعددهم من ١٨ الى ٢٥ الفاً هاجموا جيش الجنرال هويت المعسكر في لاديسمث وعدده ١٢ الف رجل فخرج الجيش الانكليزي للقتال ودارت رحى الحرب ساعات فاضطر الجيش الانكليزي الى النكوص ولا سيما جناحه الايسر فانه رجع القهقرى امام اعدائه . فارسل الجنرال هويت فرقتين انكليز يتين عددهما نحو الفي رجل لانجاد الجناح الايسر فاحاط البوير بهاتين الفرقتين من كل جانب بخدعة حربية ابدت ما اشتهر عن الجنرال جوبير من البراعة في فن الحرب وهكذا تسنى لجيش البوير جيش الفلاحين الضعفاء ان يأسر الفرقتين وما فيهما من الضباط . فقامت قيامة الانكليز لانكسارهم هذا الانكسار العظيم وشمتت اوربا بهم وفرحت جرائدها بانكسارهم . وبعد هذه الواقعة احتل البوير مدينة كلانسو فوق لاديسميث فقطعوا على جيش الجنرال هويت خط الاتصال

وقد وصل الجنرال السر ردفرس بولر القائد الانكليزي العام الى الكاب فاصدر الاوامر الى النجدات الانكليزية التي ترد الآن اليها يوماً بعد يوم ان يذهب اكثرها الى دوربان مرفا ناتال لانجاد الجيش المحصور في لاديسمث · والبوير يهاجمون الآن معاً مافكنج وكمبرلي في مستعمرة الكاب ولاديسمث في ناتال ولكنهم لا يقدرون عليها فاذا اخذوها قبل وصول النجدات اليها فازوا فوزاً عظيماً والا فالعاقبة وخيمة عليهم

وقد زار قيصر روسيا والقيصرة الامبراطور غليوم في برلين على حين فجأة ومعهما الكونت مورانيف وزير الخارجية · فالقى اللورد سالسبوري بعد هذه الزيارة خطبة قال فيها ان انكلترا لا تطيق مداخلة احد في الحرب · واعلن في برلين ان انكلترا تنازلت لالمانيا عن جزائر ساموى وان الامبراطور غيليوم منع الضباط الالمانيين من السفر الى الترانسفال وعزم على زيارة جدته ملكة انكلترا في ٢٠ الجاري فكان ذلك دليلاً على تقربه من انكلترا في الظروف الحاضرة مما يجعل البوير المساكين الضعفاء منفردين وحدهم بازاء اعدائهم الاقوياء

(وفيات)

☙ المطران بطرس البستاني ❧ نعت اخبار صيدا وفاة الحبر النبيل والشيخ الجليل سيادة المطران بطرس البستاني رئيس اساقفة صور وصيدا على الطائفة المارونية · استأثرت به رحمة الله عن ٨١ سنة قضاها في التقوى والصلاح والتعليم والارشاد فراح الى ربه شيخاً مهيباً جليلاً قد شبع من الايام وقام بما كان على كاهله من الواجبات · وقد احتفل بجنازته رحمه الله احتفالاً عظيماً نادر المثال ودفن في ابرشيته مبكياً عليه بكل شفة ولسان · فنرجو لابرشيته خير خلف له من بعده ونسأل الله ان يتغمده بالرحمة والرضوان

☙ تهنئة ❧ اتانا من كارني نبراسكي في الولايات المتحدة رسالة تتضمن الاحتفال الذي اقيم فيها بزفاف حضرة الاديبة عزيزة كريمة الشيخ نخله حنا موسى من انفه الى حضرة الشاب الاديب الخواجا نخائيل جرجس سميره من طرابلس الشام وكيل الجامعة في كارني فنهنىء العروسين ونرجو لهما التوفيق والهناء

☙ الموسوعات ❧ دخلت مجلة الموسوعات في سنتها الثانية وبرز العدد الاول منها موشى باقلام الكتاب والادباء يديرها حضرة الفاضل محمود بك ابو النصر المعروف ادبه وفضله بين الكتاب في مصر فنتمنى لها مزيد الانتشار والثبات في الخدمة الجليلة التي توختها

وكانت جماهير من الشعب تسير نحو الاوتيل دي فيل بمدفعين صغيرين يجريان امامها والاجراس في جميع الكنائس تقرع قرعاً شديداً متتابعاً . والازقة والشوارع غاصة بالوف من الرجال والنساء . جماهير لا يعرف من اين اتت من الارض ام من السماء . مئات والوف صفر الوجوه حفاة الاقدام عراة الابدان كانوا بالامس يصرخون ويجلبون طالبين خبزاً اما اليوم فانهم يطلبون سلاحاً . كانهم هيا كل اموات تمشي بين ازقة الاحياء كانوا يتوافدون من الاقاليم على باريز منذ شهرين فيجتازون الحواجز سكوتاً ويدخلون المدينة الكبرى دخول اغوال العرب ما بين القبور

وكان في باريز فوق هذه الطبقة من ابناء الامة طبقة اخرى من نواب الامة ومهاجريها . فكانت الامة تنادي الملك على لسان هؤلاء النواب قائلة

— اعطنا حريتنا

رتنادي الله

— اعطنا خبزنا

فسار بيلو وبيتو بين هذه الجماهير المتجمهرة يقصدان مدرسة لويس الكبير فوجدا الشعب قد اقام في الشوارع المتاريس والاستحكامات كما كان يصنع في حرب الفروند ونظرا كثيرين من النساء والاولاد يرفعون الى سطوح المنازل الاثاث القديم والكراسي والكتب الضخمة وقطع الرخام ليرموا بها الجنود الاجانب حين مرورهم بتلك المنازل . ومرا بجماعات من الشعب تجتمعين حول جنود من الحرس الفرنسوي يأخذون عنهم طريقة اطلاق البنادق والاولاد والنساء يتعلمون ذلك مع الرجال

ولما وصلا الى مدرسة لويس الكبير وجدا الطلبة في قيام وقعود . فانهم ثاروا على مدير المدرسة لما سمعوا بثورة الشعب وراموا الخروج من المدرسة فاقفل عليهم المدير باب الحاجز الحديدي الخارجي فاجتمع التلامذة عند هذا الباب . ووصل بيلو الى الباب وثلاثة من التلامذة قد اتوا بسلم ليضعوها على الحاجز فيتسلقوه ويخرجوا . فصاح بيلو بالطلبة من منكم يدعى سيباستيين جيلبار

فاجابه فتى في الخامسة عشرة بجمال رائع يحكي جمال الفتيات : انا ياسيدي . فقال بيلو تقدم يابني . فحاول الفتى ان يصعد على السلم فصاح به مدير المدرسة وكان خارج الحاجز ارجوكم يا اولادي ان لا تخرجوا من المدرسة

فصاح الفتى ولكنني قلت لك انه لا بد لي من الخروج فقد القت الحكومة القبض

حزب الملكة فزعيمه المسيو برتو يل وعشيرة بولينياك · والظاهر ان الحزب الثاني قد تغلب على الحزب الاول حتى طرد الملك نا كار وتيركو · فالملكة هي القابضة الآن على ازمة الاحكام · قلت الملكة واريد بذلك حزبها برتو يل و بولينياك · فهي الغضبى الساخطة دون الملك لان خزانة المملكة فرغت من كثرة نفقاتها على المقربين اليها فلم يبقَ لها ان تنفق عليهم كما كانت تنفق اولاً · ولذلك تطلق جنودها على الشعب ليذبحوه في بلاده· اما الملك (١) فما هو بساخط على الشعب ولكنه مستاء من هذه الاحوال

و بعدهذا الايضاح نام بيتو و بيلو على ضفة النهر الى الصباح · ولما انفجر بركان النهار وطلعت الغزالة على هودج النار نهضا فابصرا باريز على ما كانت عليه من الهياج والاضطراب· فقد كان الشعب في الشوارع كالبحر الزاخر بعضه مسلح بحراب صنعت على عجل والبعض ببنادق لا يعرفون طريقة اطلاقها وغيرهم باسلحة قديمة يتنافس حاملوها بقبضاتها الثمينة ·



(١) لويس السادس عشر — هو حفيد لويس الخامس عشر من ولي عهده البرنس لويس · ولد في فرسايل في سنة ١٧٥٤ وتنفس الفرنسويون الصعداء يوم ارتقائه الى عرش الملك لما سبق من ضغط سلفه الملك لويس الخامس عشر وسوء سيرته · وكان لويس السادس عشر مشهورًا بحسن النية وصدق الحب للشعب ولكنه كان ضعيف الراي ووُجد في زمن وجب ان يكفر فيه عن جميع الرذائل التي تقدمته فصدق فيه قول القائل الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون· وقداستوزر تيركو ومالرب فاثارت سياستهما سخط البلاط والاشراف لانهما قصدا الاصلاح فالتجأ الملك الى فصلهما · فاستوزر بعدهما نا كار الذي مرَّ ذكره من قبل فكان من شانه ما كان من شانهما فعزله الملك ايضاً مضطرًا لا مختارًا وتولى ادارة الحكومة من ذلك العهد صنائع البلاط والمقربين الى الملكة من اسرة برتو يل واسرة بولينياك كما ذكر فاشتد نفوذ الملكة ماري انتوانت زوجة لويس السادس عشر حتى اصبحت في بلاط فرنسا الكل في الكل · ولكن الافكار ثارت على ما كان يجري في البلاط فقام الشعب يطلب نا كار فاسترده الملك فاقنع نا كار الملك بازاء ما رآه من شدة وطأة الاشراف وفراغ خزانة الدولة بوجوب جمع مجالس الولايات للنظر في شؤون الامة فاجتمعت هذه المجالس في فرسايل · وهنا نمسك القلم فان الحوادث القادمة تتم ذلك فيظهر فيها جميع ما دار بين الشعب والملكية من الكبائر والصغائر

الفصل الثاني عشر

(الى الباستيل)

ولما وصلا الى الجسر ابصرا من بعيد سلاحاً يلمع في الظلام نخافا ان يكون هنالك حراس من الاعداء فنزلا الى شاطي النهر واستلقيا على العشب الاخضر النابت على ضفته تحت اشجار الصفصاف الباسقة . واخذا يتحادثان بما شاهداه من الاهوال

وبعد نصف ساعة على الكثير سمعا ساعة التويلري تدق الساعة الحادية عشرة ونصفاً فقال بيلو لم يبق في استطاعتنا مقابلة ابن الدكتور جيلبار لسؤاله عن ابيه فان مدرسة لويس الكبير مقفلة في هذه الساعة

ولم يأت بيلو على هذا الكلام حتى وقع في اذنيهما اصوات الشعب وضوضاء الكسر والتخريب فقال بيتو ما هذه الاصوات قال بيلو اظن الشعب يكسر ويخرب ما امامه و يا لغضب الشعب اذا ثار

فقال بيتو ولكني لا ارى الشعب وحده ساخطاً . قال وكيف ذلك . قال اليس هؤلاء النمساويون والالمانيون من جنود الملك . وغني عن البيان انهم لا يطلقون النار على الشعب من غير اذنه . وهو لا يأذن بذلك الا اذا كان ساخطاً على الشعب سخط الشعب عليه

فقال بيلو اصبت يابيتو واخطأت معاً

فقال بيتو مذهوشاً عتواً ياسيدي لو تعلمت المنطق لعلمت ان قولاً واحداً لا يمكن ان يكون معاً خطأ وصواباً

قال بيلو اسمع لاوضح لك هذا الامر يابيتو . في البلاط الآن حزبان . حزب الملك وهو نصير للشعب وحزب الملكة وهو نصير النمساويين

فقال بيتو لا غرابة في ذلك لان الملك فرنسوي والملكة نمساوية

قال اسمع . اما حزب الملك فزعيمه المسيو تيركو (١) والمسيو ناكار واما



(١) تيركو — اقتصادي فرنسوي شهير ولد في سنة ١٧٢٧ وقد استوزره لويس السادس عشر قبل ناكار فجهد لادخال اصلاحات عظيمة في مالية الدولة ولكنه خاب سعياً لمقاومة الاشراف له وسوء نية الذين تحت يده من العمال فعزله الملك وكانت وفاته سنة ١٧٨١

خلاصاً الا بتسلق جدار التويلري او كسر الحاجز وكان مجتمعاً حوالي التويلري نحو خمسة الاف نفس يبحثون في خروجهم

فقصد بيلو ضفة النهر فوجد عليها جذوعاً ضخمة من اشجار تتخذ لبناء السفن فحمل جذعاً ضخماً مع بيتو وقصدا به الحاجز الحديدي فضربوه بالجذع حتى كسروه فدخل منه الشعب كانه الماء المحتقن وقد وجد منصرفاً

فشعر البرنس لامبزك ان الشعب قد وجد منفذاً . فاستشاط غيظاً ودفع جواده الى الامام ليطلع على ما جرى فظن الفرسان الذين وراءه ان هذه الحركة بمثابة امر لهم بالهجوم فهجموا. ثم لم يبق في استطاعتهم كبح جماح خيولهم او انهم اطلقوها عمداً لينتقموا لانفسهم عما مضى

ولما رأى البرنس لامبزك انه عاجز عن ايقاف فرسانه معهم هجم على قوم ضعفاء بدون سلاح . فاشتدت الضوضاء وعلا الصراخ وارتفع صياح النساء والاولاد الى السماء يطلبون الانتقام للضعفاء

فحدث في ظلام ذلك الليل مشهد مريع تقشعر له الابدان. وسكر المطارِدون بخمرة الانتقام فامعنوا في المطارَدين قتلاً بالحسام والرصاص ودوساً بسنابك الخيل . وطارت الموائد والكراسي من اعالي السطوح تتساقط على البرنس لامبزك وفرسانه انتصاراً للشعب فاصيب البرنس بكرسي في راسه فاجاب عليه بطعنة من سيفه اصابت شيخاً فخر يختبط بدمه . وكان بيلو ينظر هذا المشهد فاقشعر جلده وغلى الدم في عروقه فصوب بندقيته إلى البرنس واطلق النار . ولولا اجفال جواد البرنس ووقوفه على رجليه لقضي على البرنس لامحالة. فاصابت رصاصة بيلو صدر الجواد فسقط البرنس على الارض فظن الفرسان ان قائدهم قد قُتل فهجموا هجمة واحدة وصنعوا بالشعب فظائع واهوالاً

الا ان المكان كان متسع الارجاء وحديقة التويلري فسيحة واسعة فتفرق الشعب فيها شيئاً فشيئاً حتى اختفوا عن اعين اعدائهم فخرج بيلو وبيتو من تلك المعركة ينفضان عنهما غبار الموت والهول فبلغا جسر التويلري بسلام

حتى قامت الامبراطورية فاتخذته مقاماً . وجعلته الجمهورية منذ قيامها مجلساً للنواب كما هو اليوم . وقد احرقه حزب الكومون في سنة ١٨٧١ فاعيد بناؤه

فوقفت خيولهم . وتقدم قائدهم صارخاً بالحرس . انتبهوا ايها السادة فانكم تطلقون النار علينا

فلم يمهله بيلو ان صاح به : وهل في الامر غرابة . ثم فوق بندقيته اليه واطلق النار عليه فخر القائد يختبط بدمه

فاطلق حينئذٍ الحراس النار ثانية على الالمان فالوى هؤلاء اعنة خيلهم وعادوا ادراجهم والشعب يهتف ويهلل صارخاً — عاش الحرس الفرنسوي

و بعد هنيهة صاح بيلو بصوته الجهوري قضيت حاجتي لمن هذه البندقية فاجابه رجل بازائه . هي لي ولكن سيدي رآك تحسن استخدامها فاحب ان تبقى لك . فتأمل بيلو الرجل فعلم من لباسه انه خادم للدوق دورليان . قال له واين سيدك . قال هنالك في هذه النافذة فصاح بيلو حينئذٍ بالشعب قائلاً — ايها الاخوان ان الدوق دورليان مع الشعب فاهتفوا للدوق دورليان . قال هذا واراهم نافذة في اعلى القصر فانفتحت هذه النافذة للحال وظهر فيها الدوق دورليان . فساد السكون على الحاضرين فنظر اليهم الدوق ثم حياهم ثلاثاً ودخل فاغلقت النافذة

فهتف حينئذٍ من الشعب ثلاثة الاف صوت صارخين — عاش الدوق دورليان . وصاح بعضهم . نريد سلاحاً . فقال آخرون اكسروا مخازن الاسحة وقال غيرهم بل هلموا بنا الى الاوتيل دي فيل (المجلس البلدي) لناخذ من الرئيس فلاسال مفاتيح مخازن الاسلحة . فصاح الآخرون هلموا الى الاوتيل دي فيل . واندفق الشعب يقصد الاوتيل دي فيل

وكانت فرسان الالمان في هذه الاثناء قد عادت الى قائدها البرنس لامبزك واخبرته الخبر . فامر البرنس ان تحصر تلك الجماهير المتجمهرة في ساحة القصر الملكي فحصرت في وسط قوس من الجند وتزها جدار التويلري (١)وحاجز بون تورنان . والاول يستحيل تسلقه والثاني يتعذر كسره

وكان بيلو يرغب في المسير مع الشعب الى حيث سار ولكنه قال لبيتو سنقضي اولاً حاجة الدكتور فنبلغه امر الكراس والصندوقة ثم نعود الى هذه الاهوال فهلم بنا

فلما وصل بيلو الى التويلري علم ان الشعب محصور في القوس كما ذكرنا وانه لا يرجو

(١) التو ياري — هو قصر عظيم في باريز تحيط به حديقة واسعة . شرع في بنائه سنة ١٥٦٤ واتخذه ملوك فرنسا الاولون مقاماً لهم . ثم اختاروا عليه قصر فرسايل فهجروه

خلاصاً الا بتسلق جدار التويلري او كسر الحاجز وكان مجتمعاً حوالي التويلري نحو خمسة الاف نفس يبحثون في خروجهم

فقصد بيلو ضفة النهر فوجد عليها جذوعاً ضخمة من اشجار تتخذ لبناء السفن فحمل جذعاً ضخماً مع بيتو وقصدا به الحاجز الحديدي فضربوه بالجذع حتى كسروه فدخل منه الشعب كانه الماء المحتقن وقد وجد منصرفاً

فشعر البرنس لامبزك ان الشعب قد وجد منفذاً . فاستشاط غيظاً ودفع جواده الى الامام ليطلع على ما جرى فظن الفرسان الذين وراءه ان هذه الحركة بمثابة امر لهم بالهجوم فهجموا . ثم لم يبقَ في استطاعتهم كبح جماح خيولهم او انهم اطلقوها عمداً لينتقموا لانفسهم عما مضى

ولما رأى البرنس لامبزك انه عاجز عن ايقاف فرسانه معهم هجم على قوم ضعفاء بدون سلاح . فاشتدت الضوضاء وعلا الصراخ وارتفع صياح النساء والاولاد الى السماء يطلبون الانتقام للضعفاء

فحدث في ظلام ذلك الليل مشهد مريع تقشعر له الابدان . وسكر المطارِدون بخمرة الانتقام فامعنوا في المطارَدين قتلاً بالحسام والرصاص ودوساً بسنابك الخيل . وطارت الموائد والكراسي من اعالي السطوح تتساقط على البرنس لامبزك وفرسانه انتصاراً للشعب فاصيب البرنس بكرسي في راسه فاجاب عليه بطعنة من سيفه اصابت شيخاً نخر يختبط بدمه . وكان بيلو ينظر هذا المشهد فاقشعر جلده وغلى الدم في عروقه فصوب بندقيته إلى البرنس واطلق النار . ولولا اجفال جواد البرنس ووقوفه على رجليه لقضي على البرنس لامحالة . فاصابت رصاصة بيلو صدر الجواد فسقط البرنس على الارض فظن الفرسان ان قائدهم قد قُتل فهجموا هجمة واحدة وصنعوا بالشعب فظائع واهوالاً

الا ان المكان كان متسع الارجاء وحديقة التويلري فسيحة واسعة فتفرق الشعب فيها شيئاً فشيئاً حتى اختفوا عن اعين اعدائهم فخرج بيلو وبيتو من تلك المعركة ينفضان عنهما غبار الموت والهول فبلغا جسر التويلري بسلام

حتى قامت الامبراطورية فاتخذته مقاماً . وجعلته الجمهورية منذ قيامها مجلساً للنواب كما هو اليوم . وقد احرقه حزب الكومون في سنة ١٨٧١ فاعيد بناؤه

فوقفت خيولهم . وتقدم قائدهم صارخاً بالحرس . انتبهوا ايها السادة فانكم تطلقون النار علينا

فلم يمهله بيلوان صاح به : وهل في الامر غرابة . ثم فوق بندقيته اليه واطلق النار عليه فخر القائد يختبط بدمه

فاطلق حينئذٍ الحراس النار ثانية على الالمان فالوى هولاء اعنة خيلهم وعادوا ادراجهم والشعب يهتف ويهلل صارخاً — عاش الحرس الفرنسوي

وبعد هنيهة صاح بيلو بصوته الجهوري قضيت حاجتي لمن هذه البندقية فاجابه رجل بازائه . هي لي ولكن سيدي رآك تحسن استخدامها فاحب ان تبقى لك . فتأمل بيلو الرجل فعلم من لباسه انه خادم للدوق دورليان . قال له واين سيدك . قال هنالك في هذه النافذة فصاح بيلو حينئذٍ بالشعب قائلاً — ايها الاخوان ان الدوق دورليان مع الشعب فاهتفوا للدوق دورليان . قال هذا واراهم نافذة في اعلى القصر فانفتحت هذه النافذة للحال وظهر فيها الدوق دورليان . فساد السكون على الحاضرين فنظر اليهم الدوق ثم حياهم ثلاثاً ودخل فاغلقت النافذة

فهتف حينئذٍ من الشعب ثلاثة الاف صوت صارخين — عاش الدوق دورليان . وصاح بعضهم . نريد سلاحاً . فقال آخرون اكسروا مخازن الاسلحة وقال غيرهم بل هلموا بنا الى الاوتيل دي فيل (المجلس البلدي) لناخذ من الرئيس فلاسال مفاتيح مخازن الاسلحة . فصاح الآخرون هلموا الى الاوتيل دي فيل . واندفق الشعب يقصد الاوتيل دي فيل

وكانت فرسان الالمان في هذه الاثناء قد عادت الى قائدها البرنس لامبزك واخبرته الخبر . فامر البرنس ان تحصر تلك الجماهير المتجمهرة في ساحة القصر الملكي فحصرت في وسط قوس من الجند وترها جدار التويلري (١) وحاجز بون تورنان . والاول يستحيل تسلقه والثاني يتعذر كسره

وكان بيلو يرغب في المسير مع الشعب الى حيث سار ولكنه قال لبيتو سنقضي اولاً حاجة الدكتور فنبلغه امر الكراس والصندوقة ثم نعود الى هذه الاهوال فهلم بنا

فلما وصل بيلو الى التويلري علم ان الشعب محصور في القوس كما ذكرنا وانه لا يرجو

(١) التويلري — هو قصر عظيم في باريز تحيط به حديقة واسعة . شرع في بنائه سنة ١٥٦٤ واتخذه ملوك فرنسا الاولون مقاماً لهم . ثم اختاروا عليه قصر فرسايل فهجروه

فتكاً ذريعاً

فصاح حينئذٍ بيلو ملء فمه : ولكن الستم انتم من الشعب ايضاً . ان من الجبن والعار ان تتركوا الاجانب يقتلون اخوانكم

فاستشاط الحرس غيظاً وصاح بعضهم تقول من الجبانة . فصاح بيلو . قلت واقول ان من الجبن تركَكم اخوانكم. ثم خطا خطوة نحو الجهة التي خرج منها الصوت وقال . من ذا الذي يظهر الغيظ . العلكم تريدون الفتك بنا لتبرهنوا على انكم لستم بجبناء . فقال احد الحرس مسكناً روعه . لا تلمنا يا صاح واعذرنا فانك تعلم اننا جنود علينا الطاعة للنظام والرؤساء

فقال بيلو فاذاً اذا امركم الرؤساء غداً باطلاق النار علينا فانكم لا تخالفون امرهم فصاح احدهم اما انا فلا اطلق ناراً على الشعب. وصاح منهم كثيرون غيره ولا انا ايضاً . فقال حينئذٍ بيلو فاذا كنتم تكرهون اطلاق النار على ابناء الشعب اخوانكم فامنعوا الاجانب من اطلاق النار عليهم

واذا بصيحة قد علت وقائل يقول جاء الفرسان جاء الفرسان

فتقدم بيلو من احد الحراس وقال جاء الاجانب لقتالنا ونحن بلا سلاح فاعطونا سلاحكم ثم مد يده الى بندقيته . فارجعه الحارس وقال دعها فاننا نحميكم اذا ارادوا بكم شراً

فصاح جميع الحراس نعم لا تخافوا فاننا نحميكم . فرجع بيلو مستاءً وهو يقول كيف لم اجئ بسلاحي

واذا به يسمع قائلاً يقول بجانبه خذ هذه البندقية لحاجتك . فالتفت بيلو فابصر رجلاً يمد اليه يده وفيها بندقية فتناولها مسروراً. وكان فرسان الالمانيين قد ظهروا في طرف الشارع . فلما رآهم بيلو خطا خطوات نحوهم صارخاً

— قفوا عندكم ايها السادة

فلم يصغوا اليه بل بقيت خيولهم تركض في الساحة وكان في طريقها امرأة وشيخ فداستهما حوافر الخيل

فصاح بيلو حينئذٍ ملء فمه . اطلقوا النار

وكان بيلو واقفاً بازاء ضابط الحرس . فظن الحرس ان هذا الامر صدر من ضابطهم ففوقوا بنادقهم الى فرسان الالمان واطلقوا عليهم ناراً حامية

جثث القتلى يطاردون الشعب و ينشرون بينه الرعب والهول

و بعد مرورهم اقترب بيتو من بيلو زحفاً على بطنه وهمس قائلاً : اصبتَ يامسيو بيلو فقد كان قدومنا الى باريز في حينه · قال بيلو دع هذا الآن وهلم الى اسعاف هذا الرجل الذي سقط بازائنا فاني ارى جرحه غير مميت · ثم نهضا يختلسان الخطى فحمل بيلو هذا الرجل على ظهره والتفتا فابصرا زقاق سان هونوري خاليا فسارا فيه يقصدان القصر الملكي

الفصل الحادي عشر

(١) (من ليل ١٢ يوليو الى ١٣ يوليو سنة ١٧٨٩)

ولما ثاب الى الشعب رشده عاد من تشتته وفراره وصار الناس يخرجون من منعطفات الطرق وزوايا الابواب وينضمون الى بعضهم البعض · وتكاثروا فاخذوا يصرخون باصوات ضعيفة ثم قويت اصواتهم فصاروا يصرخون بكل قواهم

— الانتقام الانتقام

ولما وصل بيلو و بيتو الى ساحة القصر الملكي رأوا فيه جمهوراً غفيراً من الشعب سكارى بخمرة الغضب وحب الانتقام جاءوا يستنجدون جنود الحرس الفرنسوي على الجنود الاجانب الذين اوسعوهم قتلاً وجرحاً · وكانت شرذمة من هذا الحرس واقفة في عرض تلك الساحة اولها عند باب القصر وآخرها عند زقاق شارتر

فاقترب بيلو وسأل من هم هؤلاء الجنود · فقيل له انهم الحرس الفرنسوي · فتقدم بيلو منهم بنزق وغضب واراهم الرجل الذي بين يديه صارخاً

— يقتلون الشعب وانتم واقفون ههنا

فذعر رجال الحرس وصاح احدهم هل مات · قال بيلو نعم مات هو وكثيرون سواه · قال احدهم ومن قتله · قال بيلو قتله الالمانيون اعداؤنا واعداؤكم اما سمعتم اصوات بنادقهم وركض خيولهم

فقال احد الحراس نعم نعم لقد كانوا في ساحة فاندوم يفتكون في الشعب

---

(١) بقي يوم واحد لهجوم الشعب على الباستيل واستيلائه عليه في ١٤ يوليو وهو اليوم الذي اتخذته الجمهورية الفرنسوية عيداً لها · وسيرد تفصيل ذلك

وفي اثناء هذه الوقفة التفت بيلو باحثاً عن بيتو والجواد فرأى الحيوان المسكين ينوء بمن فوقه من الرجال كانه فيل هندي هائل خارج بالصيادين للصيد · ثم انه رأى الجواد يهوي الى الارض بمن فوقه كطود تميد به الارض فنادى بيلو ثلاث مرات بيتو · كما كان يصنع الرومانيون في جنازات اقاربهم فخيل له انه يسمع نداء بيتو مجيباً ولكن صراخ الجموع وجلبتهم غطت ذلك الصوت

وكان الشعب كالبحر الهائج من شدة التحمس والاضطراب والاسواق مقفلة الا ان نوافذ المنازل مفتوحة يلقي منها السكان كلمات التشجيع والتنشيط لتلك الجماهير المتحمسة · وما زال الجمع سائراً حتى اشرف على ساحة فاندوم

وكما تتراجع جذوع الاشجار التي يحملها النهر حين اصطدامها بقواعد الجسر هكذا تراجعت طليعة القوم لالتقائها بشرذمة من الجنود الالمانية كانت في ساحة فاندوم

وكان هؤلاء الجنود فرساناً من الالمان ملت خيولهم طول الانتظار فما ابصروا الشعب مقبلاً نحوهم حتى اطلقوها عليه وصوبوا بنادقهم اليه · فصدمت الخيل حاملي المحمل الذي عليه الرسمان فسقط وانقلب الرسمان فهجم حينئذٍ فتى من سافوى على رسم الدوق دورليان فوضعه على طرف عصا طويلة ورفعها فوق راسه صارخاً عاش الدوق دورليان · فاراد بيلو ان يصنع برسم ناكار ما صنعه الفتى برسم الدوق فسبقه اليه فتى فوضعه على شيء كالرمح وادناه من رسم الدوق دورليان

وكان بيلو لا يزال منحنياً الى الارض مفتشاً عن الرسم · وبينما هو كذلك واذ شق الفضاء صوت البارود قادماً من جهة الجنود فشعر بيلو بشيء قوي يصدم راسه فسقط على الارض حاسباً نفسه في عداد الاموات

ثم نهض فابصر حامل رسم ناكار يختبط بدمه لرصاصة نفذت صدره فصاح صياح الغيظ والغضب وصاح الجمع لصياحه فاطلق الجنود النار ثانية عليهم لاعتبار صياحهم صياح تمرد وعصيان ففتح الرصاص فراغاً بين الجمع دل على قتل بعض منهم

فزاد بيلو غيظاً وغضباً وهم ان يتناول رسم ناكار عن الارض ويرفعه واذا بيد قد وضعت على كتفه فارد التفلت منها لتناول الرسم فما استطاع ذلك فالتفت وهو يزأر زئير الاسود فابصر بيتو فقال له مالك تقبض علي قال انحنِ سريعاً وبعد ذلك نتكلم · وما كاد ينحني بيلو حتى طبقت الجو اصوات البنادق تطلقها الجنود · فخر الذي كان يحمل صورة الدوق دورليان صريعاً على الارض وكان واقفاً بجانب بيلو · ثم مر الفرسان بخيولهم فوق

الجامعة

(الجزء الثامن عشر) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ دسمبر (كانون اول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٧ رجب سنة ١٣١٧

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

كليوباتره

(آخر من ملك في مصر قديمًا)

موت ابيها طردها من مصر · عودتها حكم قيصر لها حبه لها · سفرها الى انطوان على مركبها المشهور وقوع انطوان بالشرك الذي وقع فيه قيصر حربه مع اوكتاف قدوم اوكتاف بجيشه الى الاسكندرية

امتازت في القديم الملكه كليوباتره المصرية بامور كثيرة منها الجمال واللطف وشدة البذخ والاسراف والتلاعب بقلوب الرجال · فاذا نشرنا ترجمتها في هذا الجزء فاننا لاننشرها رغبة في تفكهة القراء بل رغبة في استنتاج امر ادبي فلسفي من هذه الترجمة الطويلة

***

بنى الاسكندر الكبير الاسكندرية نخلفه عليها بعد وفاته احد قواده بطليموس ابن لاغوس وتعرف سلالته باللاجيديين او البطالسة · ابتدأت في سنة ٣٢٣ قبل المسيح وانتهت بموت كليوباتره الشهيرة آخر ملكة من هذه السلالة وذلك في سنة ٣٠ قبل المسيح

ولدت كليو باتره بالاسكندرية في سنة ٦٩ قبل المسيح من بطليموس اوليتوس ملك مصر. وكان لها حين وفاة والدها بطليموس اختان واخوان اكبرهما يدعى بطليموس ديونيزوس واصغرهما يدعى بطليموس الصغير . وكانت كليو باتره اكبر اخوتها . فاوصى ابوها بالملك لها ولاخيها الكبير بطليموس ديونيزوس بناءً على ان يتزوج بها جرياً على عادة ملوك مصريين في ذلك الزمان من تزوج الاخ باخته . وكان عمرها في ذلك الوقت ١٧ سنة وعمر اخيها ٩ سنوات

فلم يعمل بطليموس ديونيزوس بوصية ابيه بل اثار الشعب على اخته في سنة ٤٩ قبل المسيح بناءً على تحريض الخصي فوتين واشيلاس قائد الجند العام وتيودوتيوس نائب الملك وهم مقرَّبوه وطردها من مصر . فالتجأت كليو باتره الى سوريا وكانت في ذلك الحين تابعة لمصر فهيجت فيها الشعب وجمعت جيشاً كثيفاً سارت به الى مصر لاسترداد ملكها ومغالبة اخيها . فخرج اليها اخوها بجيش يقوده اشيلاس فالتقت به في مدينة بلوز (حيث بور سعيد اليوم انظر الرسم الثاني) فاخذا يستعدان للقتال

وكانت مصر في تلك الايام جزءًا من السلطنة الرومانية العظيمة . ولما توفي ابو كليو باتره وافق مجلس الشيوخ الروماني على وصيته ولكن لم يخطر لكليو باتره ان تستنجد رومه لانفاذ وصية ابيها لانها كانت ترى تفرق كلمة الرومانيين بسبب الحروب الاهلية التي كانت قائمة بين القائدين العظيمين قيصر و بومبيوس . الا ان قيصر تغلب على بومبيوس في واقعة فرساليا في سنة ٤٨ فلجأ بومبيوس الى مصر لانه كان قد انتصر لاخي كليو باتره في بدء الخلاف بينهما فحسب ان اخاها يجمل استقباله ويحسن مكافأته . فكانت مكافأة بومبيوس ان بطليموس امر بقطع راسه واهداه الى قيصر تزلفاً اليه . وكان قيصر قد قدم الى مصر لمطاردة بومبيوس وفصل الخلاف بين كليو باتره واخيها بالرغم عن مقاومة الشعب . فدخل الاسكندرية وارسل الى كليو باتره واخيها ان يترك كل منهما جيشه ويحضرا اليه لفصل ما بينهما من الخلاف . فارسلت اليه كليو باتره رسلاً فلم يجمل قيصر استقبالهم فاطاعت وفرقت جيشها ثم قصدت الاسكندرية ودخلت عليه في قصره بحيلة غريبة . يروى ان احد ثقاتها جاء قيصر في قصره وهو يحمل غطاءً ثقيلاً فقال له قد اتيتك يامولاي بهدية ثمينة . قال هذا وافرغ ما في الغطاء فاذا بكليو باتره مطيبة مزينة خرجت من الغطاء بجمالها الفتان . فجلست الى قيصر وطلبت منه الاصغاء الى دعواها ثم قصت عليه قصتها فسحره جمالها البارع ولطف حديثها حتى مال اليها فاستدعى اليه في اليوم الثاني اخاها بطليموس وامره ان يصالح اخته



رسم الملكة كليو باتره كما وجد مرسوماً في الاثار القديمة في الاسكندرية

وفي اعلى الرسم اسمها باللغة المصرية القديمة

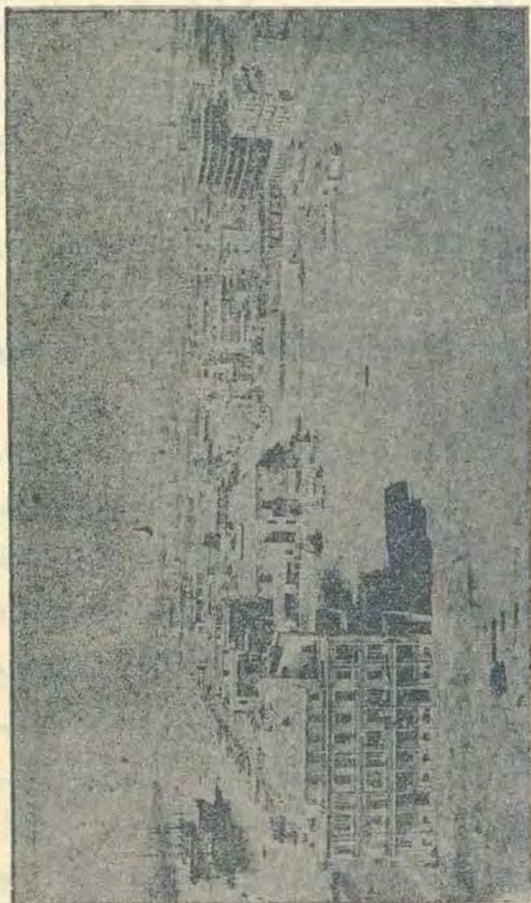
ويقاسمها الملك طبقاً لوصية ابيه . فرفض القائد اشيلاس تفريق الجند وادعى ان بطليموس مسجون في الاسكندرية . واخذ بطليموس يهيج الشعب فوجد قيصر جهد في تسكينه وما سكن حتى اراه انه انما ينفذ وصية ملكهم المتوفى . غير ان الخصي فوتين تمكن من اخراج بطليموس من الاسكندرية ففر الى جيشه المعسكر في بلوز (بورسعيد) وعاد به سرًا الى الاسكندرية فحاصر قيصر في قصره فاصبح قيصر في خطر من جيش بطليموس . وكان مع قيصر في هذا السفر فرقتان من الجند الروماني فاضرم الرومانيون النار في حي من المدينة كانت فيه المكتبة الشهيرة التي اسسها بطليموس فيلادلفيوس فاندلع اليها لسان اللهيب فاحرق منها اربعين الف كتاب . ثم انجدت سوريا قيصر بالجند فافرجت عنه

اما بطليموس الملك فانه لما رأى الدائرة عليه رمى بنفسه في النيل فمات غرقاً فخلا الجو لاخته كليوباتره فتوجها قيصر وجعلها ملكة على مصر وازوجها اخاها الثاني بطليموس الصغير وكان عمره ١٠ سنوات

وبعد تتويجها اخذت قيصر على سفينة مزينة وسارت به في النيل لتريه عظمة مصر واثارها القديمة . وقد احبها قيصر واحبته فولدت منه ولدًا دعته سراريون (اي قيصر او قيصر الصغير) وكانت ولادتها بعد سفر قيصر من مصر . وقد طلب اوكتاف خصم قيصر قتل هذا الولد ودفع جائزة لمن يقتله تخلصاً من نسل قيصر لانه كان مزاحماً له على قلب جمهورية رومه والارتقاء الى عرش الامبراطورية

وكان سبب سفر قيصر من مصر رغبته في اخضاع من بقي من انصار بومبيوس . ولكن كليوباتره تبعته الى رومه بعد عودته اليها من حملته على اسبانيا واخماده الثورة في السلطنة الرومانية . فاستقبلها قيصر كما يُستقبل محالفو الشعب الروماني وبالغ في اكرامها وتعظيمها حتى وضع تمثالها بازاء تمثال فنيس الهة الجمال في الهيكل الذي اقامه لها في رومه . فاستاء الشعب من هذا الاكرام اشد استياء فروى سياتون انه اهداها الهدايا الكثيرة واعادها الى مصر اما شيشرون فيثبت بقاءها في رومه الى ما بعد مقتل قيصر على ما هو معروف

وكان في رومه حزب سياسي يعرف بحزب (تريومفير) انشأه قيصر وبومبيوس وكراسوس وغرضه القبض على ازمة الاحكام بالرغم عن السناتو الروماني (مجلس الشيوخ) فاطلق هذا الحزب بعد مقتل قيصر على اوكتاف ولابيدوا وانصارهما الذين قاموا على كاسيوس وبروتوس قاتل قيصر . فلما عادت كليوباتره الى مصر بعد مقتل قيصر انحازت الى هذا الحزب ضد قاتلي قيصر . وقيل انه بلغها ان احد قوادها الجنرال سيرابيون قد انضم الى



مدينة بور سعيد قائمة على انقاض مدينة بلوز المصرية التي التقى فيها جيش كليو باتره وجيش اخيها
وفيها اقيم بالامس تمثال فردينان دي لسبس

كاسيوس فعاقبته فيما بعد على مخالفته اميالها

وما لبث الحزبان ان التقيا في مدينة فيليبية من اعمال مكدونيا فتغلب في هذه الواقعة اوكتاف وانطوان على بروتوس وكاسيوس فانقسمت السلطنة الرومانية بين اوكتاف وانطوان الغرب للاول والشرق للثاني . فسافر انطوان الى اثينا ثم قصد سيليسيا (اسيا الصغرى) ليجمع فيها حملة على البارثيين (١) وارسل يامر كليو باتره ان توافيه اليها لتؤدي حساباً عن سلوكها الماضي

(١) البارثيون امة قديمة من السيكثيين وربما كان الاكراد وسكان تركستان

فسارت كليوباتره الى انطوان في مركب وصفه فلوطرخوس وشاكسبير وصفاً شائقاً ويعرف بمركب كليوباتره . فقد كان مصفحاً بالذهب يسير بشراع من الارجوان الثمين على انغام موسيقية رخيمة تخرج من داخله وفيه عذارى بارعات الجمال مكشوفات المعاصم والصدور كلهن حول سيدتهن كليوباتره بدور تحيط بالشمس العظيمة . ولما وصلت كليوباتره الى تارس حيث كان انطوان ارسلت تعتذر اليه عن عدم استطاعتها النزول الى البر لما عانته من التعب في سفرها وتسأله ان يمن عليها بزيارتها في سفينتها . وكان اعتذارها هذا حيلة كدخولها على قيصر وهي في باطن الغطاء كما مرّ بنا . فنزل انطوان الى السفينة فاحتفلت به فيها احتفالاً عظيماً فما لبثت ان ملكت قلبه كما ملكت قلب قيصر قبله . وقد روى المؤرخ بلين انها اذابت في احدى كؤوسه لؤلؤة من لؤلؤتيها الثمينتين وتقدر قيمتها بعشرة ملايين فرنك . واللؤلؤة الثانية ارسلت بعد موتها الى رومه فقطعت قطعتين ووضعت كقرطين في اذني تمثال فنيس في البانثيون

فترك انطوان الحملة على البارثيين وسافر مع كليوباتره الى مصر . فقضى فيها فصل الشتاء من سنة ٤٠ قبل الميلاد وهو في اعياد دائمة ونعيم مقيم . ولكنه اضطر الى العودة الى رومه لغيرة امرأته فلوفيا وما طرأ من الحوادث السياسية في هذه العاصمة . فكادت نار الحرب الاهلية تشب من جديد لنزاع اوكتاف وانطوان ولكن اوكتاف كان بحاجة الى انطوان فصالحه بعد موت فلوفيا زوجته وازوجه اخته اوكتافيه فتزوجها انطوان واقام معها ثلاث سنين هنيء البال كانه نسي كليوباتره وجمالها . اما كليوباتره فلم تنسه بل سخطت كل السخط لما سمعت بزواجه واظهرت غيرة شديدة

غير ان انطوان اضطر الى اعادة الكرة على البارثيين فسار اليهم بحملة فكسرها البارثيون وكادوا يفتكون به فلجأ الى سوريا فقصدته كليوباتره في سوريا واعادته معها الى مصر . فاعلن فيها طلاقه امرأته اوكتافيه اخت اوكتاف الا انه لم يعلن زواجه بكليوباتره خوفاً من غضب الرومانيين بل اقتصر على اقامة الاحتفالات بالاسكندرية وترك اللباس الروماني وارتدى بالملابس الاسيوية واقام في الاسكندرية احتفالاً يدعى

من بقاياها . وقد كانت مشهورة بشدة الباس ومهارة فرسانها ومكرهم في القتال . فانهم كانوا يفرون من وجه العدو حتى يتبعهم فلما يصبح قريباً منهم يرشقونه من فوق رؤوسهم بسهام تخرق صدره . ولذلك يضرب الافرنج المثل في مكرهم هذا فيقولون في رجل يخدع رجلاً آخر : « رشقه بسهم بارثي »

عند الرومانيين الاحتفال « بالنصر » كان محرماً في شرائعهم ان يقام في بلد غير رومه ونادى بكليوباتره في هذه الاعياد « ملكة الملوك » فسخط عليه الرومانيون . ووجد اوكتاف ان انطوان عقبة كؤود في سبيل وصوله الى العرش فحمل السناتو الروماني على انذار كليوباتره بالحرب لانها سبب البلاء فاخذ انطوان يستعد للقتال ويجهز الجند في بلاد اليونان ومصر واسيا الصغرى وكليوباتره تحثه على الحرب وتهيجه اليها . فسار اوكتاف بجيشه الى الشرق والتقى بجيش انطوان وسفنه في اكسيوم . فلما اشتبك القتال بين الفريقين امرت كليوباتره سفنها بالسفر على عجل فحسب ذلك بعضهم خوفاً منها واعتبره غيرهم مسالمة لاوكتاف حتى اذا تغلب على خصمه استطاعت مواجهته بطلب العفو والصفح عن ذنبها

فلما رأى انطوان سفن كليوباتره قد استعدت للسير ترك القتال قبل ان يرى اذا كانت الدائرة له او عليه فخسر بذلك الملك على العالم وآماله كلها . وصعد الى سفينة كليوباتره ليسافر معها لانه كان لا يطيق فراقها ثم سار معها الى الاسكندرية ويقال انه اقام ٣ ايام عند سكان المركب صامتاً لا يتكلم وراسه بين يديه من الحزن والكدر

فتبعهما اوكتاف بجيشه الى مصر على طريق سوريا . فلما رأت كليوباتره انها ستقع بين يديه بنت لنفسها مدفناً فخيماً بازاء هيكل ايزيس ووضعت فيه كل كنوزها وتحفها ولم تجعل له الا نافذة واحدة ثم اقامت فيه مع خادمتين لها مخلصتين وهما ايراس وشارميون واذاعت بين الناس خبر موتها . فبلغ هذا الخبر مسامع انطوان فحزن عليها وكره الحياة بعدها فتناول خنجراً وطعن به صدره ليلحق بها . فدرت كليوباتره بذلك فارسلت تطلبه الى مختبئها فادخلوه اليها من النافذة وهو في حالة النزع الاليم فمات على ركبتها

ثم وصل اوكتاف الى الاسكندرية فدخلها واخرج كليوباتره من مختبئها فسألته الاذن في الاحتفال بجنازة انطوان فاذن لها ورآها في الجنازة فحاول تسكين خاطرها فذكرت له ان قيصر العظيم قد احبها وقد ارادت بذلك استمالة قلبه ولكنها رات في عينيه الهادئتين الفاترتين ما يضمره لها فكرهت ان تكون وسيلة الى اظهار عظمته وقوته بعرضها واظهار انتصاره عليها فذهبت الى قبر انطوان فودعته بكلام رقيق مؤثر رواه فلوطرخوس في تاريخ انطوان . ثم عادت الى مقامها فلبست حلتها الملكية ونامت في فراش على حين غفلة من اوكتاف وانتحرت فقضي عليها . وقد روى بعض المؤرخين انها انتحرت بمصها سماً كان معها وغيرهم يقولون انها ادخلت اليها سلة فيها تين وزهر وضمنها حية مختبئة فاخذت

الحية ووضعتها على صدرها فلذعتها واماتتها . وكان ذلك في سنة ٣٠ قبل المسيح فدفنت الى جانب انطوان . وهذا الرسم الذي نشرناه ماخوذ عن رسم لها وجد منقوشاً على الاثار القديمة في الاسكندرية

***

هذه خلاصة حياة كليوباتره الملكة الجميلة الغنية القادرة . وهي حياة جميلة تظهر فيها المرأة في مظهر عظيم . فتارة تملأ البلاد بهاء بالاحتفالات الجميلة وطوراً ترمي البلاد بجيش يملأها رعباً . تارة تكبح جماح الامواج بمركب ذهبي ارجواني الشراع يسير على نغم الموسيقى ورقص العذارى الحسان وآونة تتلاعب بعقول اعاظم الرجال كما يتلاعب بالكرة صغار الصبيان . كل هذا جميل لانه عظيم . ولكن المراة لم تخلق لهذه الامور . المراة خلقت لتكون اماً لا لتكون ملكة بل هي في بيتها كملكة في مملكتها وحسبها هذه المملكة البيتية . ونقول حسبها هذه المملكة البيتية علماً بانها متى خرجت منها الى عمل لا علاقة له بها سقطت وكان سقوطها عظيماً . ولو سئل العقلاء من تفضلون : كليوباتره الملكة الجميلة الغنية القوية . ام امرأة عاقلة بسيطة منزوية في بيتها تقصر همها على زوجها واولادها ومنزلها لفضل العقلاء الثانية على الاولى لا محالة . ولا يفضل الاولى على الثانية الا من كان يرى رأي قيصر وانطوان

على ان هذا الكلام يسوقنا الى موضوع تحرير المراة الذي كثر بحث الكتاب فيه وربما عدنا الى هذا الموضوع

الجامعة وسنتها الثانية

طبقاً لما اعلناه في الجزء الماضي عزمنا بعد الاتكال على الله على اصدار الجامعة من بداية سنتها الثانية بحلة جديدة تزيد في تحسينها وتوسيع نطاق ابحاثها

اما قيمة الاشتراك فاننا نبقيها كما هي في السنين القادمة لجميع مشتركي السنة الاولى لانهم مؤسسو الجامعة وحقهم هذا الامتياز . ولكن الذين لم يشتركوا في السنة الاولى من الجامعة فاننا ربما زدنا لهم قيمة بدل الاشتراك وجعلناها كقيمة اشتراك باقي المجلات العلمية والادبية اذ بدل الاشتراك في الجامعة الآن اقل قيمة من الاشتراك في اية مجلة من المجلات العربية صغيرها وكبيرها

والله نسأل ان يوفقنا الى ما فيه الخدمة العامة ورضى القراء الكرام والسلام

باب المقالات

الترنسفال ظالمة ام مظلومة

(الانكليز والبوير بين الارض والسماء)

(دفاع اللورد شاتام عن الانكليز)

فنهضت روح اللورد شاتام واتجهت نحو منبر الخطابة بخطى ثقيلة وهي مطرقة الى الارض والابصار شاخصة اليها . فتسنمت المنبر ورفعت الى جموع الارواح بصرها الحاد وانشأت تقول :

« ايها الاخوان الخالدون المجتمعون في هذا المكان

« كلكم تعلمون مبداءي . فاني قبيل خلعي ثوب المادة على الارض ابنت رأيي بشان الموضوع الذي دُعيت الآن للدفاع عنه (١)فاذا تكلمت الآن بشان المستعمرة الافريقية فانما اعيد ما ذكرته على الارض بشان المستعمرة الاميركية

« وقد خطأ كثيرون سياستي ولكنهم هم المخطئون . فلو بقيت في ثوب المادة على الارض لما اذنت للذين اعترفوا باستقلال الولايات المتحدة ان يزعزعوا بهذا الاعتراف اساس السلطة الانكليزية في العالم . ولكن الصانع الابدي استدعاني اليه فجئت مكرهاً وفي نفسي غصة ومرارة من المستعمرة الاميركية

« فلا قدّر الله ان يخطىء قومنا ذلك الخطاء بشان المستعمرة الافريقية . تاملوا ايها

---

(١) قبيل وفاة اللورد شاتام « وليم بيت » كان مجلس الامة الانكليزي يتباحث في ثورة الولايات المتحدة فكان منه فريق يطلب التساهل معها وفريق آخر يطلب ان لا تتنازل انكلترا عن شيء من حقوقها صيانة لسلطتها . وكان اللورد شاتام يومئذٍ طريح الفراش وقد منعه الاطباء من الكلام خوفاً على حياته . فطلب ان يُحمل الى مجلس الامة فحمل اليه فدخل مستنداً الى رجلين فقام الاعضاء كلهم اكراماً لمرضه وشيخوخته . فارتقى منبر الخطابة واخذ يخطب بحدة وفصاحة ضد ثورة اميركا اكثر من ساعة . ولما نزل من منبر الخطابة اغمي عليه من تلاشي قواه فكان ذلك معجلاً في موته

السادة ليس لي هنا من طمع ولا شان للمصالح القومية في هذه الاماكن العليا المنزهة عن كل مصلحة وهوى . ولكنها مصلحة الانسانية على الارض . نعم من مصلحة الانسانية والمدنية ان يقبل البوير نير الانكليز فانه نير لوعدلوا لوجدوه خفيفاً . الحرية مطلقة للاديان . المساواة بين جميع العناصر . العدل في المحاكم . تقدم التجارة والزراعة والصناعة . امتلاء الخزائن والجيوب بالاموال . انصاف الضعيف من القوي . الاصلاح والنظام والامن العام — كل هذه الفضائل توجد حيث توجد الراية الانكليزية . فماذا يريد البوير احسن من هذا ؟

نصاح حينئذٍ من بين جموع الارواح صائح يقول

— الاستقلال والحرية

فابتسم غلادستون والتفتت جميع الارواح الى حيث خرج هذا الصوت واهتزت لهاتين الكلمتين نفوسهم فكانهما ماء بارد صُب على التاثير الذي احدثه كلام اللورد شاتام او شهاب شديد النور سطع بغتة فكسف نوره نور النجوم التي حوله

وكان قائل هاتين الكلمتين : روح جان جاك روسو الشهير

فاستانف اللورد الكلام من غير ان يلتفت الى الذي قطع عليه خطابه فقال

« الاستقلال والحرية ؟ نعم حسنٌ ان يكون الانسان حراً . عظيمٌ ان يكون الانسان مستقلاً ولكن المصالح الصغيرة يجب ان تكون فدى للمصالح الكبيرة . ما قولكم اذا قامت كل مقاطعة من مقاطعات انكلترا تطلب الحرية والاستقلال . او قامت كل ولاية من الولايات المتحدة تطلب ان تكون مستقلة بشؤونها . فاية قوة تبقى يومئذ لانكلترا والولايات المتحدة . الا يكون شانها في ذلك الحين شان حزمة قوية من القضبان فُرقت فصار يسهل كسرها قضيباً قضيباً . فيظهر من هذا انه قد يكون ضرر في الحرية والاستقلال . وهذا الضرر قد سعت الترانسفال اليه فكانت الظالمة وانكلترا المظلومة

« كانت ظالمة من وجهين . الاول خاص والثاني عام

« اما الوجه الخاص فرغبتها في ان تكون زعيمة جنس جديد في افريقيا الجنوبية يدعى جنس الافريكندر وتقليص ظل السلطة الانكليزية منها تقلصها من المستعمرة الاميركية كما قال الرئيس كروجر في تلغراف له الى جريدة اميركية . فهي اذاً عادية مهاجمة لا مدافعة . وغرضها طرد انكلترا من افريقيا الجنوبية لا الاستقلال والحرية

« هذا هو السر في مبالغتها في التسلح في السنين الماضية . وهذا هو السبب الذي

ترفض من اجله السيادة الانكليزية · فاقدام انكلترا على محاربتها اقدام على الدفاع عن سلطتها في افريقيا الجنوبية كلها بل في جميع المستعمرات الانكليزية

« وان هذا القول يوصلنا الى الوجه الثاني الذي كانت فيه الترانسفال ظالمة وانكلترا مظلومة وهو الوجه العام الذي اشرت اليه · فانكم كلكم تعلمون اتساع المستعمرات البريطانية وتفاوت اجناسها وتباين اغراضها · والترانسفال احدى تلك المستعمرات او الاملاك كما قالت الملكة في رسالتها الى البرلمان · فهل من مصلحة السلطنة البريطانية ان تقف موقف الضعف او الرهبة والتردد بازاء جزء من املاكها · الا يكون حينئذٍ ضعفها هذا بمثابة مثال رديء واغراء لباقي المستعمرات للنهوض الى ما نهضت اليه الترانسفال · واذا قامت المستعمرات الانكليزية الى ذلك فماذا يحل بالمملكة الانكليزية · الا تسقط حجرًا على حجر ويمحى اسمها من الخارطة الاوربية · فايٌّ اهون وانفع للانسانية : ان تبقى هذه السلطنة العظمى قائمة بوظيفتها الكبرى في العالم · ماشية في طليعة العالم المتمدن تعمر الكون وترقي العالم ام ان تظهر الضعف بازاء احدى مستعمراتها فيزول سلطانها وتنهد اركانها ويخسر العالم اعظم دولة متمدنة واحسن مثال للعمل والعظمة والاندام اكرامًا لحرية الترانسفال واستقلالها

بقي ان ننظر في ما لامنا عليه بعض خصومنا على الارض وكثيرما هم من ان الحرب محرمة ممنوعة واننا اسأنا الى الانسانية اعظم اساءة بخوضنا غمارها مع اناس ضعفاء · ولكن ايها الاخوان اذا حرمنا الحرب وجب ان نحرم ايضًا جميع ما يجري بين الناس من المعاملات خوف النزاع والخصام · لان النزاع بين الافراد بمثابة الحرب بين الامم · فالحرب اذًا في رأيي ورأي فيلسوف فرنسوي كبير (١) ضرورة من ضرورات الهيئة الاجتماعية ما دام الانسان انسانًا اي مخلوقًا ضعيفًا قاصرًا شديد الطمع والجهل والشراهة · وقد احسن هذا الفيلسوف اذ قال « ان اعظم ثمار العقل البشري كالفنون والعلوم والمشروعات العظمى والامال الكبرى انما يتم تحقيقها ونموها بالحرب والاعمال العسكرية كأن دماء الانسانية سماد للمواهب والعقول البشرية »

ايها الاخوان · وغدا ترون ذلك راي العيان · فان هذه الدماء التي تُسفك الآن في جنوبي افريقيا ستكون سمادًا عظيمًا لفسيلة التمدن التي تنبت وتنمو هنالك بعد الآن · سيمتد خط متصل غير منقطع من مدينة الكاب الى مصر قاطعًا افريقيا من طرفها الجنوبي

« ١ » جوزيف دي ماستر ولد في سنة ١٧٥٤ وتوفي سنة ١٨٥٢

الى طرفها الشمالي وتنبت على جوانب هذا الخط في الصحارى الواسعة والاراضي الجدباء القفراء مستعمرات جديدة يزهو فيها غرس التمدن وتصبح افريقيا السوداء بلاداً متمدنة كسائر المستعمرات الاوربية . يومئذٍ يبارك الابناء دماء الاباء التى سفكت في هذه القارة فكانت سماداً للتمدن الذي يتمتعون به في ذلك الزمان . ويباركون معها ايضاً السلاح الانكليزي الذي اجرى تلك الدماء

ولم ينفرد ذلك الفيلسوف في قوله ان الحرب ضرورة فان قائداً عظيماً (١) قال انها « وسيلة شريفة كبرى للمدافعة عن شرف الامة واستقلالها وان محكمة التحكيم ليست الا تخيلات وهمية » وقال كاتب كبير فرنسوي اهين في العام الماضي لانتصاره للعدل (٢) « ان الحرب موجودة في طبيعة الانسان وهي ظاهرة بين اعضاء كل عيلة فضلاً عن الامم » وقال كاتب آخر كان خصماً له (٣) « ان الحرب نزاع عام والخصام بين الناس في امورمعاشهم نزاع خاص وانني اخشى ان يزيد النزاع الخاص اذا ابطلنا النزاع العام » وقال فيلسوف آخر (٤) « ان كلمة السلام الدائم لا تكتب الا على ابواب المقابر » وقال آخره (٥) « ارى راي داروين ان تنازع البقاء ناموس طبيعي في الكون . وارى راي دي ماستر ان هذا التنازع ناموس الهي . واعتقد ان الانسان اذا تأكد دوام السلم وابطال الحرب طرأ على اخلاقه من الفساد والانحطاط ما يكون اشد ضرراً بالانسانية من اشد الحروب »

وغير ذلك كثير ايها الاخوان . فالحرب قد تكون ضرورية لان تنازع البقاء ناموس سياسي ايضاً . وما نحن الا مسوقون الى هذه الحرب بحكم الناموس الطبيعي . والالهي والسياسي

« لهذه الاسباب ولغيرها مما يضيق دونها المقام اعتقد بان البوير في هذه الحرب ظالمون والانكليز مظلومون . لانهم فيها مسيرون لا مخيرون »

قالت الروح هذا ونزلت عن منبر الخطابة . فارتفع ضجيج الارواح منهم من يصوبون ومنهم من يخطئون . وسُمعت احدى الارواح تقول — حقاً ليس احسن من هذا الكلام . وكانت روح غلادستون هادئة صامتة تسمع وترى فالتفتت الى هذا الذي استحسن كلام اللورد شاتام واذ عرفته ابتسمت وقالت له — لا غرابة في كلامك يامسيو بسمارك .

(١) الجنرال مولتك الالماني رفيق بسمارك في حرب السبعين (٢) اميل زولا (٣) جول لومتر (٤) لبنتز (٥) ماكيور دي فوكيه

ولكني اذكر انك تنبأت وانت على الارض « بان افريقيا الجنوبية تكون مدفن انكلترا » فما رايك هل تتم نبوءتك في هذه الحرب

فما اتى غلادستون على هذا الكلام حتى رفع الرئيس افلاطون يمناه وقرع جرساً امامه بيسراه فسكتت الارواح وانصت الجميع . وكان الحزن قد اخذ بالظهور في سحنة افلاطون وبدا عليها مع الهدوء والسكينة القلق واشتغال البال . وكانت جموع الارواح تتكاثر شيئاً فشيئاً والمكان تجلله سحابة رقيقة ونسيم بليل يهب على تلك السحابة فيجليها عن الارواح تارة ويبسطها عليهم اخرى فيزيد جلاؤها المجلس وضوحاً ويزيده انبساطها مهابة ووقاراً

ولما سكت الجميع وبطلت الضوضاء مدّ الرئيس بصره الى المدافع عن البوير وقال بشيء من الابتسام : — نسمع الآن دفاع المستر غلادستون . « ستاتي البقية »

قويان على ضعيف

(رد الاديبين واختيار الزوجة)

لحضرة السيدة الاديبة صاحبة الامضاء

قال الشاعر العربي — : « وضعيفان يغلبان قويّاً » فكيف اذا كان قويان على ضعيف

طلبت في الجزء الثاني عشر من حضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي صاحب مقالات « اختيار الزوج » بعد الثناء على فضله وبراعته ان يتحفنا بعد هذه المقالات بمقالات اخرى موضوعها اختيار الزوجة يودعها النصائح اللازمة للشبان بهذا الشان فانها اهم من النصائح للفتاة بشأن اختيار الزوج . وطعنت في الدوطة فقلت انها تصرف الازواج عن المتهذبات العاقلات الى البنات الغنيات ولو كن جاهلات . فما كان من حضرة الاديب البارع حنا افندي نقاش الا ان قام يتهكم على النساء في الجزء الثالث عشر ويقول ان الدوطة لازمة . وليس دوطة واحدة فقط بل ثلاث دوطات — انعم واكرم — وان النساء في الشرق مسرفات مبذرات يخسر الشبان معهن اذا تزوجهن بدوطة واحدة . وغير ذلك

وتلاه في الجزء الرابع عشر حضرة الفاضل اسعد افندي باسيلي صاحب مقالات اختيار الزوج فردّ علي ردّاً مسهباً ظهر لي منه ان الخلاف بيننا في نقطتين . الاولى تحديد كلمة الاختيار . فقد فتح لنفسه مخرجاً في المناظرة اذ قال بانه استعمل هذه الكلمة لتخصيص لا

للتعميم اي جعلها لاختيار الخطيب متى تقدم لا لاختيار الزوج على الاطلاق · فكأنه بذلك سلم في الباطن بملاحظتي حتى التمس لنفسه هذا المخرج والقى بعض سلاحه من يده

اما النقطة الثانية التي فيها الخلاف فقوله ان الفتاة يجب عليها ان تفضل العزوبة على الزوج الشرير · وقد التمس لنفسه في هذه النقطة ايضاً مخرجاً آخر فقال عند ما وجد نفسه في موقف حرج انه يسلم بوجوب خنض الابنة شيئاً من كبريائها ورضائها بالزوج الوسط · ولكن شتان بين الزوج الوسط والزوج الشرير

اقول · وانا ايضاً ما كنت اتكلم الاعن الزوج الوسط فهو اذاً قد رجع الى رأيي · وان شئتُ اقنعته بما بقي بكلمتين فانني اذا كنت لا اعرفه شخصياً فقد سمعت بمبادئه · ما قوله أليس الزواج بالبخيل خيرًا من العزوبة وسؤال البخلاء · الا تقدر المرأة الحكيمة العاقلة ان تخلص زوجها من رذيلة البخل · وقد رايته في احدى مقالاته يصف عادة النق وصفاً بديعاً ولكن الا تقدر المرأة العاقلة البصيرة الحكيمة ان تخلص زوجها من عادة النق اذا كان نقاقاً · نعم تقدر على ذلك بشرط ان تكون « حكيمة عاقلة » ولكنها لا تقدر ان تخلص اخاها او امراة اخيها او صهرها من عادة النق لوجودها عندهم قاصرة محتاجة اذ ليس لها عليهم سلطة المرأة على الرجل · والعقل كل العقل والفضل كل الفضل للابنة الحكيمة الفاضلة ان تعرف انها وجدت في هذا العالم لا لتتمتع بالمسرات بل لتقوم بواجباتها صعبة كانت او هينة · فعليها والحالة هذه ان تخنض من كبرياء الصبوة حين الحاجة وترضى بالشاب الذي يطلبها اذا كان لا يوجد ضرر في الرضى به ثم تجتهد في اصلاحه اذا كان فيه ما يدعو الى الاصلاح وذلك بالقدوة الحسنة والحب الصادق والاتكال على الله الذي سلطها على الزوج بالحب كما سلطه عليها بالقوة · ولا ينكر احد مقدار سلطة المراة على الرجل وتاثيرها فيه اذا كانت عارفة بحقوقها وواجباتها · فهل نقول للفتاة (وخصوصاً في الشرق) ابقي عازبة اذا كنتِ لم تجدي زوجاً على ذوقك وعقلك · ام نقول لها — ارسلك الله على الارض لتلطفي خشونة الرجل فاستعملي سلطتك هذه على هذا الشاب الذي يتقدم لطلبك وان كان ينقصه بعض الشروط فكملي نقصه

هذه هي وظيفة المراة في هذا العالم وانا اكبر قدر الاديبين ان لا يفهما هذه الوظيفة · واذا كان حضرة اسعد افندي على رأيي بشان وظيفة المراة كما سمعنا عنه فاي اهم : ان ننصح الشبان ان يحسنوا اختيار الزوجات وهم يملكون حرية الاختيار · ام ان ننصح

الشابات ان يحسن اختيار الازواج حال كونهن لا يملكن شيئاً من هذه الحرية ٠ لقد اصبحت المسالة ظاهرة كالشمس في رابعة النهار

اما حضرة « صاحب الدوطات الثلاث » فاستميحه العذر في ان لا ارد عليه مخافة الاسهاب فضلاً عن ان كلامه كان خارجاً عن موضوعنا ٠ ولكن بازاء ما اتهم به بنات جنسي من الاسراف والتبذير اذكر له كلمة قالها سائح انكليزي ساح في الشرق وكتب كتاباً سماه « المواهب النسائية الخمس » وهي — : « ليت جميع النساء يتعلمن من نساء الشرق السخاء في الضيافة والاقتصاد في المعيشة البيتية » نعسى انه بعد هذه الشهادة يرضى بدوطة واحدة ويترك الطمع فانه من الشيطان ٠٠٠

اما السيدات اللواتي اشار حضرته الى اسرافهن فلا ننكر وجودهن الا اذا انكر علينا وجود المسرفين من الرجال ٠ واذا كان في الرجال مسرفون كما في النساء مسرفات فقد ساوى الحساب بعضه بعضاً ولم يبقَ للرجال حق ان يتفخروا على النساء ولا النساء على الرجال لان كل فريق منهما « فيه البركه » كما يقول العامة ومن كان بيته من زجاج فلا يرشقن الناس بالحجارة ٠٠ هكذا يحق ان يقول المسرفات للمسرفين والبوكريات للبوكريين ٠

والآن فاني اجمل القول واجعله آخر كلامي بهذا الشان :

اولاً — ان نصائح حضرة الكاتب صاحب مقالة « اختيار الزوج » في غاية الاهمية لانه حسنٌ ان تحسن الابنة اختيار زوجها من بين الخطاب الذين يتقدمون اليها ٠ ولكن اهم من هذه المسالة ان يحسن الشبان اختيار زوجاتهم جاعلين اساس هذا الاختيار عقل الابنة وصحتها وادبها ومعارفها البيتية لا الدوطة تلك الضرة المضرة التي اسال الله شدها كلها ولو انقطعت واسف لقطعها حضرة « صاحب الثلاث دوطات » وغيره كثيرون

ثانياً — يجب مداواة داء وبيل دخل في هيئتنا الشرقية وهو رغبة البنات في العزوبة متى لم يجدن زوجاً « على عقلهن » ومداواة هذا الداء تكون بالنصيحة الى الابنة الشرقية ان تترك الاوهام والاحلام وترضى بالاقتران باي شاب يتقدم اليها اذا لم يكن في الرضى به ضرر ولم يكن في امكانها الحصول على زوج « على عقلها » ٠ ولا يرهبنها ما ذكره حضرة الكاتب من جحيم الزواج فانها اذا كانت عاقلة حكيمة جعلت بلطفها واعتدالها ذلك الجحيم نعيماً مقيماً واذا كانت غير حكيمة ولم تقدر على ما ذكرتُ فلا حق لها ان تتكبر على ذلك الزوج الذي تقول انه لم يعجبها لانها تكون في الحقيقة ادنى منه شاناً واحط مقاماً

ثالثاً — ان حضرة الكاتب لو وجه كلامه الى الشبان وحضهم على حسن اختيار

زوجاتهم لكان كلامه اهم من كلامه عن اختيار الفتيات ازواجهن لان حرية الاختيار بيد الرجال لا النساء فعسى ان يعود الى ذلك الموضوع بعد فراغه من هذا

رابعًا واخيرًا — ان حضرة « صاحب الدوطات الثلاث » او « المثلث الدوطة » او « الدوطة المثلثة » كيفما شاء — قد حمل حملة منكرة على السيدات المسرفات الباذخات المتكبرات · فانا اوافقه على اكثر ما قاله بهذا الشان · ولكنه قال في ختام كلامه « وخلاصة القول ان الفتاة التي تصلح للزواج بدون دوطة يندر وجودها في هذه الايام » فيؤخذ من قوله هذا انها موجودة ولكنها نادرة · عافاك الله ياصاح · هذا الذي اريد التنبيه اليه · نعم ان الفتيات اللواتي يصلحن للزواج بلا دوطة موجودات وان كن نادرات ولكن الشبان من سوء حظهم وحظ الهيئة الاجتماعية يفضلن عليهن فتيات الدوطة لان لمعان الذهب يخطف ابصارهم ويجتذبهم اليه حتى صار كثيرون من الشبان يتخذون الزواج المقدس — وياللخجل — تجارة يقصدون بها ربح المال غير مهتمين بصفات الابنة ولكن بليراتها ومعرضين عن البنات العاقلات المهذبات البسيطات لغير سبب سوى عدم الدوطة او قلتها : فيكون حضرة « صاحب الثلاث دوطات » قد اسقط كلامه بنفسه · لاننا لا نبحث هل يوجد نساء مسرفات ولكن موضوعنا الضرر الذي يحدث للهيئة الاجتماعية من ترك اكثر الشبان البنات العاقلات المهذبات والركض على ايديهم وارجلهم وراء صاحبات الدوطات · لمجرد الطمع في المال

هذا آخر كلامي في هذه المسألة وانا على يقين من ان كل العقلاء معي من رجال ونساء لا الجامعة فقط · واني اكبر مقام الجامعة ان تنحاز الينا ارضاء لنا كما اتهمها صديقها حضرة « صاحب اختيار الزوج » · وقد جعلت هذا آخر كلامي لئلا اشغل حضرته عن اتمام مقالاته الجميلة التي يقرأها الناس بارتياح شديد · فارجو من الجامعة اقفال هذا الباب ولا ريب عندي ان حضرات الكاتبين يطاوعانني على هذا الطلب رغبة في الفائدة وحتى لا يكونا « قويين على ضعيف » والسلام

(طرابلس الشام) ✻ احدى القارئات ✻

✻ هيكل الكرنك في مصر ✻

كنا ذكرنا قبلاً ان تسعة اعمدة من اعمدة هيكل الكرنك في مصر قد سقطت · وقرأنا اليوم في احدى المجلات الاميركية مقالة بشان هذا الهيكل قال كاتبها انه اعظم هيكل وجد في العالم من يوم اخذ الانسان في بناء الهياكل الى يومنا هذا · واستدل من

ذلك ان المهندسين الذين خططوه هم من امهر واحذق مهندسي العالم وان بناءه كان في ايام اوسرتاسن الاول الذي كان ملك مصر سنة ٢٧٠٠ قبل المسيح

ويقال ان بعض الكتابات المصرية لم تذكر ان اوسرتاسن المشار اليه كان قد بنى هذا الهيكل بل ان بناءه كان قد باشر فيه ثوثمس الاول وانتهى من بنائه ثوثمس الثالث وان هذين الملكين هما من ملوك الدولة التاسعة عشرة

وعرض هذا الهيكل ٢٧٠ قدماً وعلوه ٢٠٠ قدم ومساحته ضعف مساحة كنيسة القديس بطرس في مدينة روميه . ومحيطه ميل وثلاثة ارباع الميل وحيطانه ضخمة يبلغ ثخنها ٢٥ قدماً والى جانبي مدخله برجان علو كل برج منهما ١٤٠ قدماً وفيه كثير من الاعمدة الضخمة الكبيرة اكبرها ١٢٩ عموداً من اكبر الاعمدة واعظمها . وهي كلها من الحجر المعروف بحجر المرمر منها ٤٦ عموداً بمنزلة دعائم لسقفه . وهذه الاعمدة كلها لا يكون في امكان ستة رجال ان يحيطوها باذرعهم الممدودة ومكتوب على كل منها كتابات مصرية قديمة تختص بتاريخ المصريين الذين سبقوا عهدها . وهنالك من الزخارف والنقوش شيء كثير جداً كله يدل على حذق وبراعة نقاشي تلك الايام وذلك كله رائع الاتقان في غاية الاحكام يحير عقول احذق صناع هذا العصر . وقد زاره نابوليون الاول الفرنسوي ايام كان في مصر وذكره في بعض كتاباته قائلاً ان فيه من الزخارف والنقوش والكتابات التاريخية ما ليس في امكاني ان اصفه وصفاً يفي بالغرض المقصود منه

ولا تزال الالوان الحمراء والصفراء والخضراء وغيرها التي قد ازدانت بها حيطانه وسقفه على ما كانت عليه في اوائل امرها وهذا يدل على ان المتقدمين قد فاقوا المتاخرين في صناعة التلوين كما فاقوهم في بعض الامور الاخرى

وعلى حيطان هذا الهيكل كتابات كثيرة تثبت صحة ما جاء في التوراة من الحوادث التاريخية كهجوم نبوخذ نصر ملك بابل على ارض فلسطين واخذه ملك يهوذا الى بابل اسيراً ومحاربة سنحاريب لحزقيا ملك يهوذا ورجوعه الى اورشليم بالخيبة والفشل بعد ان قتل من جنوده ١٨٥ الف مقاتل وغير ذلك من الامور المذكورة في الكتاب المقدس من مثل محاربة ملوك دمشق لملوك اسرائيل

وما هو مكتوب على تلك الحيطان لا يخالف ما جاء في الكتاب الا في امور جزئية لا يعبأ بها

وهنالك ايضاً مكتوب ان ساتي الاول ملك مصر كان يرغب سنة ٣٥٠٠ قبل

المسيح ان يفتح البوغاز المعروف الآن ببوغاز السويس وان فرعون النخو الذي كان ملك تلك البلاد سنة ٦٠٨ ق ٠ م رغب في ذلك ايضًا تسهيلاً لامتداد التجارة وتوسيع نطاقها

ولا يخفى على القارئ الكريم ما هنالك من الفوائد التاريخية العديدة التي هي كثيرة جدًّا مما يدل على ما كان للمصريين القدماء من العوائد والمشارب والمآكل وغير ذلك

واما اليهود فان تلك الكتابات تثبت انهم كانوا في مصر في القرن السادس عشر وتذكر كل ما كان من امرهم في تلك البلاد وانهم كانوا مقيمين في ارض جاسان وان اعظم رجالهم كان يوسف بن يعقوب وان يوسف هذا كان كبير وزراء فرعون الملك المصري

" كوكب اميركا "

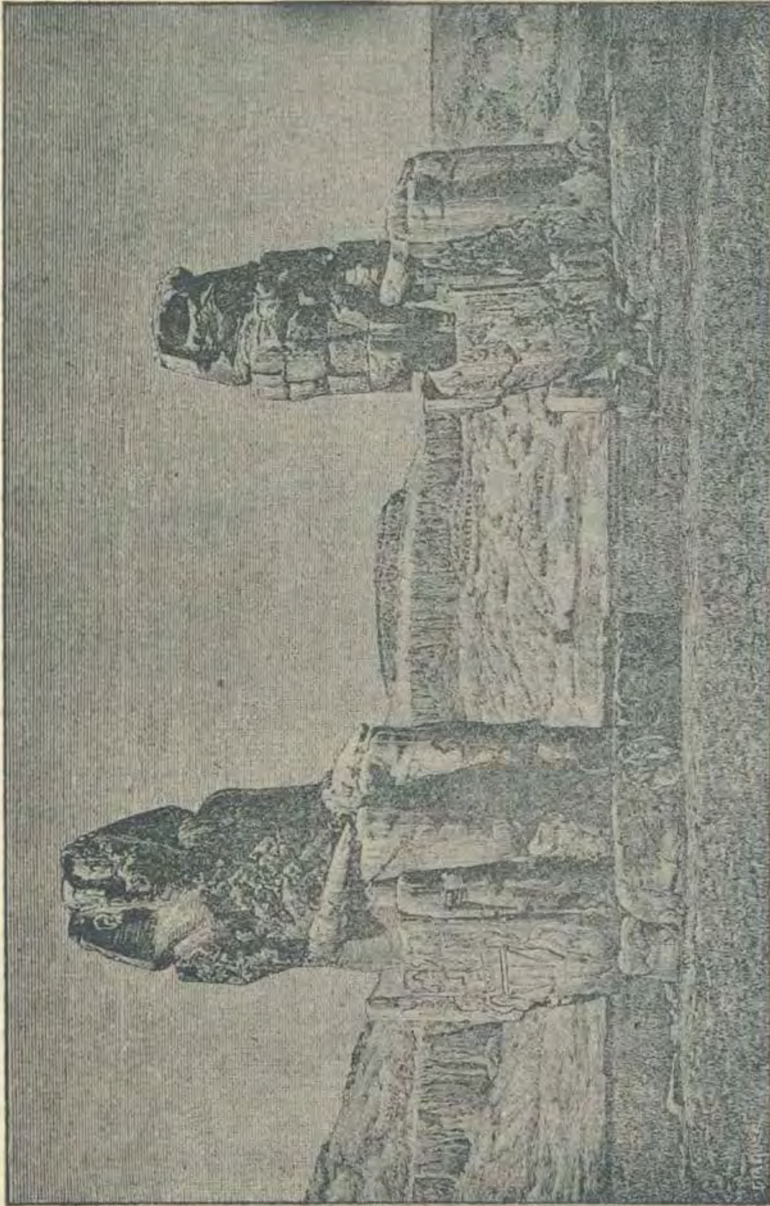
﴿ الجامعة ﴾ انتدبت نظارة الاشغال لجنة لافتقاد الاعمدة التسعة التي سقطت في هيكل الكرنك ٠ وفي النية اعادة بناء هذه الاعمدة اذا كان ذلك ممكنًا ٠ وقد اجتمعت هذه اللجنة بالمسيو ماسبرو مدير الانتكخانة المصرية الذي عُين لهذه الوظيفة في هذا العام وهو اعلم علماء اوربا بالآثار المصرية ٠ وسيسافر حضرته الى الوجه القبلي لافتقاد هذا الهيكل والبحث في الوسائل التي يجب اتخاذها لوقاية الاعمدة الباقية خوفًا من سقوط هذا البناء الفخيم

صنم ممنون الصائت

(في ثيبة — مصر)

في الاساطير القديمة ان ممنون ملك من ملوك الاثيوبيين (الحبشة) وهو حفيد بيرام آخر ملوك ترواده ابوه تيتون ابن بيرام وامه الهة الفجر سار بجنوده الى انجاد ترواده حين حاصرها ملوك اليونان المتحدة ونازل البطل اشيل في اثناء هذه الحرب فقتل فيها

اما اليونانيون فانهم يطلقون اسم « ممنون » على تمثال عظيم الهامة للملك امانوفيس الثالث اقامه للشعب قرب ثيبة على صورته ومثاله ليعبدوه لانه كان يحمل رعيته على عبادته في حياته خلافًا لمن تقدمه من الملوك الذين كان لا يُعبدون الا بعد مماتهم ٠ وعلو هذا الصنم ٢٣ مترًا وهو منقوش في الحجر الصلد الاسود



صنم ممنون الصائت

(في ثيبة — مصر)

وفي سنة ٢٧ قبل الميلاد المسيحي حدث زلزال في ثيبة فانكسر الصنم وسقط اعلاه على الارض فحدث يومئذ امر ادهش المعاصرين . ذلك ان هذا الصنم كان كلما طلعت الشمس يخرج صوتاً كصوت الاوتار اذا انقطعت فكان القدماء يعللون ذلك بان « ممنون » وهو ابن الفجر كما قدمنا يغني مسلماً على امه الشمس حين اشراقها . ولذلك سموه « الصنم الصائت » ولكن بعد اصلاح التمثال لم يُسمع له صوت . وكان السبب العلمي في تلك الاصوات الشجية مرور الهواء في تجاويف التمثال وخلايا مادته وحمو الهواء حين بزوغ الشمس . ولا يزال هذا التمثال موجوداً بين الآثار المصرية الى اليوم . انظر رسمه في الصفحة السابقة وهو بازاء تمثال آخر اصغر منه يقال انه تمثال الالهة ازاب

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اقتراح على العلماء

اذا تصفحت الجرائد المصرية والسورية منذ اكثر من شهرين وجدتها مشحونة بالمقالات الطوال في موضوع التربية والتعليم . واذا تصفحتها في هذا الشهر تكاد لا تجد فيها شيئاً في هذا الموضوع . فما سبب هذا الانقلاب . وكيف ان الجرائد كانت تصيح قبل شهرين هلموا الى المدارس . هلموا الى التعلم والتعليم . واليوم لا تغمز في هذا الموضوع قناةً ولا تغرغر لهاةً

السبب واضح جلي وهو ان تلك الثورة الفكرية كانت ثورة وقتية اي غير ناضجة وبدون اساس راسخ في نفوس القائلين والسامعين . فكان شأنها شان زوبعة تهب على عشب الارض فتحركه هنيهة ولكن لا تضره ولا تنفعه

ومن دلائل ضعف الصحافة في الشرق ان تحمل تلك الحملات فيكون نتيجتها لا ضرراً ولا نفعاً « كصارخ في واد » كما يقول العرب او « كمن يثقب الماء » كما يقول الافرنج . واذا

طلبنا بسيكولوجيًا معرفة الاسباب الداعية الى عدم تاثر الامة من صحافتها تبين لنا امور كثيرة منها ما يكون اللوم فيه على الصحافة ومنها ما يكون على الامة . وليس هذا المقام مقام تبيان لهذه القضية ولكن مقام سؤَال عما يجب على الشرقيين ان يصنعوه ليحسنوا احوالهم بعض الشيء و يستبدلوا حالتهم باحسن منها

الشعب في الشرق ساكت جاهل تعيس مظلوم يعيش في اسفل السلم الاجتماعية ولا يعرف موجود هو ام غير موجود . وفي احشائه الشقاء والعناء وجميع الرذائل التي يمكن نزولها بالانسانيـة

يقابله في الطرف الثاني من تلك السلم طبقة الاغنياء المشغولين بملاذهم ومصالحهم عن كل شغل ادبي ووطني لا يهمهم عاش الناس ام ماتوا ما دامت صناديقهم ممتلئة وبطونهم منعمة

و بين هاتين الطبقتين طبقة متوسطة تعاني جهاد الحياة وتكاد تسقط في هذا الجهاد تشبهها بالطبقة التي فوقهاوطلب الاقتداء بها

هذه هي الانسانية الشرقية الرازحة تحت اعباء الحياة في الشرق . بينها صحافة حسناء ولكنها عمياء توقد الشمع في قاعات عميان . وهذا الشمع غير سليم دائمًا بل كثيرًا ما يكون مغشوشًا ينبعث منه دخان يؤذي العيون ان لم يعمها

فما العمل في هذه الفوضى الادبية والاجتماعية السائدة الآن في البلاد الشرقيـة . يقولون الحكومة ولكن الحكومة في مصر مقيدة اليدين بقيد داخلي هو قيد الاحتلال وقيد خارجي هو قيد المعاهدات الاوربية . والحكومة في بلاد الدولة العثمانية مقيدة بشان التربية والتعليم بقيود لا تستطيع طرحها فلو شاءت ان تعمم التعليم وتوحده وتجعله اجباريًا مجانيـًا لاضطرت الى نقض الفرامانات التي اعطتها للمسيحيين والتي بموجبها يعلمون اولادهم كل في مدارسه الدينية . فما العمل اذن . الحكومات لا يُرجى منها خير . والشعوب تموت من الجهل والشقاء . فهل نبقى في هذه السلاسل . ام ماذا ؟

يقولون الاغنياء . ولكن ما فعل الاغنياء الى اليوم . وما الوسيلة الى تحريك قلوب الاغنياء واستحثاث هممهم . لا ريب انهم اذا اتحدوا على صنع الخير صنع اتحادهم عجائب وغرائب . ولكن اما سمعنا ما قيل في الشرقيين : « انهم اتفقوا على ان لا يتفقوا » وهل من وسيلة لاتفاقهم على النهوض بوطنهم ونفع ابنائه . وما هي هذه الوسيلة . وماذا يُرجى من الخير على ايديهم .

وهل نحن متقدمون ام متاخرون ام واقفون · ولماذا كانت التربية الصحيحة اساس سعادة الامة فاية تربية تنقصنا الآن · وما هي المبادئ العظيمة التي يجب ادخالها الى الشرق لتحيا رفاته الرميمة · وما هي الكتب التي تلزمنا في المدارس على وجه العموم · وما الوسيلة لجعل الصحافة العربية اكثر نفعاً واشد تاثيراً

***

يقولون ان الحقيقة بنت البحث ولذلك عزمنا على البحث عنها حيث يمكن وجودها · والعادة انها لا تسكن الا الاماكن العليا لانها بنت العلى واخت النور · فنقصد الآن علماء الشرق وكبار كتابه للبحث عنها في ادمغتهم الناضجة وعقولهم العالية

وهي فرصة نغتنمها لالتقاط اراء كبار العلماء في حالنا الادبية والاجتماعية · وغرض نبيل لا نظن احداً من حملة العلم يبخل علينا بما يراه من الاراء الموصلة اليه · ولذلك فسنختار بضعة من كبار العلماء الاعلام ونلقي عليهم في رسائل خصوصية الاسئلة التي تقدمت راجين ان لا يكون جوابهم عنها اكثر من عشرة او عشرين سطراً بحرف الجامعة لنتمكن من نشر الاجوبة كلها

ولا خلاف في الفائدة التي ستكون من وراء تبادل علمائنا افكارهم واراءهم في الحالة الحاضرة · ولا بد ان يكون لكل منهم رأي خصوصي في السبيل القويم الى ما ننشده من صلاح الحال وحسن المآل فنحن نطلب منهم باسم العلم والهيئة الشرقية هذا الراي لنبسطه لقراء اللغة العربية · ولهم الفضل اولاً وآخراً وجميل الثناء

﴿ رسوم الرواية ﴾

وضعنا في ملزمة الرواية في هذا الجزء رسوماً اربعة من مشاهير الرجال والنساء وهم الملك لويس الخامس عشر وعشيقته مدام دي بومبادور · والملكة ماري انتوانت صاحبة الشان في هذه الرواية · والعالم بالي رئيس المجلس الوطني اول اجتماعه

نرجو من المشتركين الذين ينقصهم الجزء الاول ان يمهلونا حتى نفرغ من اعادة طبعه فنرسله اليهم ولهم الفضل

ونستلفت انظار ادارة البوسطة العثمانية في بيروت الى اعلان عن البوسطة في ظهر المجلة

باب تدبير الصحة

« والمنزل »

يحرر قسم تدبير الصحة طبيب فاضل من اصدقاء الجامعة بامضاء (طبيب الجامعة)
ويحرر قسم تدبير المنزل اديبة من صديقات الجامعة بامضاء (مدبرة الجامعة)

(كلمات بيتيـة)

قلما تفتكر ربات البيوت بان يستندن علماً يستخدمنه في تدبير منازلهن . فان الابنة تخرج من بيت ابيها الى بيت زوجها الجديد فتاخذ بترتيب منزلها وتدبيره على الطريقة التي رأت امها تعمل بها . ولا باس في ذلك لو كانت تضيف اليه البحث والدرس والسؤال للاستعانة بالعلم على تدبير منزلها لان المنزل كالمعمل الكيماوي وتدبيره فن مستقل بنفسه لا تحسنه الا السيدة التي تدرسه درساً فلا تكتفي بالتقليد بل تضم اليه قواعد العلم الجديد

وساذكر في هذا الفصل وفيما يليه بعض القواعد العلمية المجربة لتنتفع بها الامهات في تدبير منازلهن وتربية اولادهن

❊ تنظيف المنزل ❊ اذا غسلت السيدة بلاط الغرفة ونفحت سقفها وجدرانها ونوافذها بالماء حسبت ان الغرفة قد اصبحت نظيفة سليمة . فهي تخطىء بذلك . فانه اذا كان قد نام في هذه الغرفة مريض ذو داء معدٍ فقلما يفيد الماء والصابون في قتل مكروبات المرض . واصح طريقة يعتمد عليها الاطباء اليوم ان تغلق جميع نوافذ الغرفة بعد غسلها جيداً ويضرم فيها حطب اخضر شديد الدخان حتى يملأ دخانه الغرفة كلها فيقتل المكروبات المختبئة في سقف المنزل وجدرانه . واذا طليت الغرفة بالكلس بعد ذلك فزيادة الخير خير

❊ تنظيف الخضر والفاكهة ❊ قد يكون في الخضر والفاكهة دويبات وحشرات صغيرة مستترة في داخلها فحذراً من طبخ هذه الحشرات مع الخضر او اكلها مع الفاكهة ضعي كل ما تريدين اكله او طبخه في محلول الماء المالح او في الخل المخفف بضع ثوان لتخرج هذه الحشرات من مخابئها وتموت في الماء . واحسن ما تكون هذه الوصفة للارنبيط

(الكرنب) والخضر ذات الاوراق الملتفة فانها تكون مخبأ لحشرات كثيرة تعافها النفس

﴿ نزع بقع الدم عن الثياب ﴾ يعسر احياناً على ربة البيت ان تنزع بقع الدم التي تكون على السكاكين وآنية المطبخ وخصوصاً على الامتعة والثياب . على انه يوجد طريقة سهلة لنزع هذه البقع وهي ان تغسلها بالماء الحار لا بالماء البارد ثم تضع عليها ملعقة صغيرة من الاسيد ترتريك « تطلبه من الصيدليات » وتاخذ بعد ذلك بعركه وفركه في الماء البارد فينتفض الدم و يزول في الحال

﴿ تبييض اواني الفضة المسودة ﴾ قد يطرأ على اواني الفضة اسوداد يغير لونها فاحسن طريقة لاعادتها الى اصلها ان تُغلى على النار في ٤٠ جزءا من الماء يوضع فيه جزء واحد من الاسيد سيلفوريك وهو يطلب من الصيدليات . فتعود الفضة بيضاء لامعة كما كانت اولاً

﴿ معرفة الصابون المغشوش ﴾ الصابون من انفع مواد المنزل واشد المطهرات فعلاً على ان طابخوه يغشونه احياناً اذ يخلطونه عند الطبخ بمواد مختلفة رغبة في جعله ثقيلاً . فاذا اردت معرفة الصابون المغشوش فاقشر شيئاً منه قشراً قشراً ثم أذبها في كاس صغيرة من الكحول . فان ذابت كلها كان الصابون غير مغشوش لان مادته تتحد بمادة الكحول . وانك تعرف مقدار غشه من مقدار رسوبه في اسفل الكاس

﴿ نزع خاتم يضيق عن الاصبع ﴾ كم من مرة تكون السيدة نحيلة نحيفة ثم تمسها الصحة باصبعها المحبوب فيمتلىء جسمها سلامة وعافية حتى تضيق عنها بولكاتها وفساطينها . فماذا تصنع حينئذٍ . الجواب بسيط . يجب فتق هذه الفساطين واصلاحها او صنع فساطين غيرها . ولا اسف على المال في هذا السبيل فان الصحة خير منه

ولكن ماذا تضنع اذا ضاق خاتمها في اصبعها بسبب تحسن صحتها فلم يبقَ في الامكان اخراجه من اصبعها . وربما كان الخاتم خاتم عزيزٍ كأن يكون من خطيب او صديقة عزيزة عليها فحينئذٍ ترفض كل الرفض ان تكسره في اصبعها فضلاً عن ان في كسره خطراً على الاصبع

طريقة اخراجه ان تاخذ خيطاً دقيقاً وتلفه بقوة على دائرة الخاتم نزولاً نزولاً الى قطعة اللحم التي تحته فينزل سطح هذه القطعة عن سطح الخاتم فترفع الخيط حينئذٍ من الطرف التي ابتدأت بلفه فيكون الخاتم قد خطا خطوة الى الامام . فتستانف هذا

العمل حتى يجوز العقبات التي امامه كلها ويخرج من الاصبع وهو سليم والاصبع سليمة — « مدبرة الجامعة »

باب الاسئلة والاجوبة

(اهل بانياس شاهدوا المذنّب)

(اللاذقية) ر · ص ·

ضمني وبعض المعارف مجلس وكانوا يتباحثون بفناء العالم في ١٣ نوفمبر فقرأت عليهم جواب الجامعة عن السؤال المدرج في الجزء الخامس عشر بهذا الشان على سبيل الفكاهة فقبل ان اتمم قراءتي قاطعني احد الحاضرين صارخاً : نعم رأيته · نعم رايته · قلت اي شيء رايت · قال النجم · النجم ذا الذنب · قلت واين · وكيف ذلك · فقال :

« ركبت في الاسبوع الماضي زورقاً قاصداً بانياس (ثغر قريب من اللاذقية وتابع لها) فوصلت الى جبله عند غروب الشمس فدخلت البلدة لنبتاع لنا طعاماً للعشاء ثم ركبنا زورقاً وسرنا منها الى بانياس مقصدنا وكانت الريح تهب علينا من البر فتجري زورقنا على سطح البحر الهادىء والنجوم مشعشعة فوق رؤوسنا · فجعلنا نسبح الله الذي جعل لنا هذه المصابيح في السماء نستضيء بنورها وصرت اراقب حركات النجوم عند بزوغها واقلب بصري فيها من مكان الى مكان حتى وقع نظري على ما فوق الجبال التي امامنا وهي سلسلة جبال النصيرية فلاح لي في السماء شيء حسبته اولاً قطعة غيم وكان يعلو فوق الافق فيزداد بعلوه اشراقاً حتى اصبح كاحد الكواكب ولكن اكبر جرماً منها · وكان بين رفاقنا رجل طاعن في السن · فقلت له ياعم · ما عمرك ؟ فقال لي ستون سنة وانا اركب البحار · قلت ارأيت في زمانك مثل هذا · قال لا · فزاد استغرابنا حتى وصلنا الى بانياس وقصصنا الخبر على اهلها فاخبرونا انه مرّ عليهم ٤ ليال وهم ينظرون فيها هذا النجم الغريب »

هذا ما قصه الرجل علينا · فما راي الجامعة · هل هذا هو مذنب رودولف فالب · وان قالت انه وهم اقول ان جميع اهالي بانياس لبثوا اربعة ايام يراقبون هذا النجم فكان يظهر في وقت معين و يغيب في وقت معين

❊ الجامعة ❊ اول ما نستنتجه من سؤالكم ان القطر السوري كان اقل اضطراباً من

القطر المصري بشان الخوف من المذنب · وكنا ذات يوم نذكر ذلك في مجلس بناء على الرسائل الخصوصية التي وردتنا فسال بعضهم عن السبب الذي جعل الخوف من المذنب في مصر اشد منه في سوريا فقلنا الجرائد· فان وسائل نشر الاخبار كثيرة وسريعة في مصر وليست كذلك في سوريا لقلة الجرائد اليومية فيها وقلة قرائها وضعف تاثيرها على القراء خلافًا للجرائد المصرية

وقد نسبنا تخويف الناس الى الجرائد ولم نظلمها فان كبار الفلاسفة في هذا العصر ينسبون اليها زيادة الجرائم والانتحار في اوربا بما تنقله من اخبار القتل والسرقات والانتحار مما تسري عدواه الى نفوس بسطاء القراء وجهلائهم وهم لا يشعرون· وكذلك كان امرها في مصر بشان النجم ذي الذنب· فان العامة حين قراءتهم في الاهرام والمؤيد ومصر والمقطم وغيرهن من الجرائد المصرية اليومية ان عالمًا في المانيا تنبأ بانتهاء العالم تمسكوا بقول العالم الالماني ونبذوا قول من قام الى تكذيبه لان القائل بعيد والمكذب قريب ولا يخفى احترام الشرقيين لكل ما هو بعيد واستخفافهم بكل ما هو قريب ··

هذا ولنرجع الآن الى سؤالكم فنقول ان النجم الذي رآه رجلكم هو غير مذنب فالب لان للمذنبات ذنبًا طويلاً تبلغ مساحته الوفًا بل ملايين من الاميال فيسهل تمييزها· ولو ابصره اهل بانياس لابصره ايضًا سكان مصر وسوريا · وان اردتم معرفة ما جرى بين الارض والمذنب نقول انها اجتازته من غير ان تقترب منه او يقترب منها فكان الدكتور رودولف فالب مخطئًا في حسابه لزاوية البعد يوم حكم بالتقائها

(ضجر ربة البيت)

(طرابلس الشام) السيدة غرة منصور

نرجو منكم او من مدبرة الجامعة ان تفيدوا القارئات عن دواء يشفي الضجر الذي قد تصاب به ربة البيت من غير سبب ظاهر · فانا نرى هذا كثيرًا في ربات بيوتنا

☙ الجامعة ❧ نترك الجواب عن هذا السؤال الى حضرة مدبرة الجامعة في الاجزاء التالية

باب التقريظ والانتقاد

﴿ قلب الاسد ﴾ اهدى الينا حضرة العالم العامل والدكتور الفاضل يعقوب صروف احد منشئي مجلة المقتطف نسخة من رواية عنوانها « قلب الاسد » عربها منذ سنوات عن الكاتب الانكليزي الشهير السير ولتر سكوت لتكون هدية لمشتركي المقتطف واعاد طبعها الآن لنفاد طبعتها الاولى . ولا نزيد في بيان منزلة هذه الرواية التاريخية على قولنا انها " من قلم الدكتور يعقوب صروف " وكفى فان اسم المؤلف او المعرب قد يغني عن كل وصف وثناء . اما حوادث الرواية فقد حدثت في الشرق منذ سبع مئة سنة ايام زحف الافرنج الزحفة الثالثة على بلاد الشام ورد السلطان صلاح الدين العظيم غاراتهم عنها . وهي تطلب من ادارة مجلة المقتطف في مصر وثمنها ٥ غروش صاغ فقط فنحث معلمي المدارس والاباء والامهات على وضع هذه الرواية المفيدة بين ايدي تلامذتهم وابنائهم وبناتهم فانهم يتعلمون منها الشهامة والاقدام ويستفيدون من لغتها الصحيحة وحوادثها التاريخية الجميلة

﴿ توحيد الاديان ﴾ كتب الينا حضرة خريسطفور جباره في اوائل الشهر يقول ــ

« بما انكم تحبون وتخدمون الامة باحسن ما تستطيعون . وضم قلوب الامة المتفرقة في الله واتحاد ارواح عقائدها هو على أعتقادي من اقوى وانفع واثبت واعم الخدم للشعوب العثمانية وللدولة فاقدم اليكم آخر مؤلفاتي في هذا الباب راجياً مطالعته والتبصر فيه وابداء رأيكم بهذا الشان الخ »

نقول ان حضرة كاتب هذه السطور معروف فيما نظن لدى اكثر القراء . فانه قام منذ سنوات يدعو الى اتحاد الديانتين الاسلامية والمسيحية و« مصالحة وتعارف الامتين العظيمتين العيسوية والمحمدية » وقد طالعنا الكتاب الذي تفضل المؤلف باهدائه الينا فالفينا فيه ابحاثاً لم يقل بها احد قبله . وغرضه من نشر كل ما نشره في هذا الباب توحيد الديانتين الكبيرتين وجعلهما ديانة واحدة . وقد اتخذ لذلك سبيل التأويل رغبة في نفي كل ما يريد نفيه من الديانتين واثبات كل ما يريد اثباته مما يساعده على تقريب العقائد بعضها من بعض

ولكنه في رأينا قد ركب مركباً خشناً فان البلاء كل البلاء ليس في اختلاف عقائد الامتين ولكن في جهل النفوس والجهل مدعاة الى التعصب والبغض والكراهة · ونحن لا يسعنا الا الكلام بكل حرية واستقلال وان كان الموقف صعباً فنقول ان حضرة خريسطفور جباره يعلم ولا بد ما بين المذاهب المسيحية نفسها من التضاغن والتقاطع · فهل العقائد شديدة البعد بين هذه المذاهب « الكاثوليكية والارثوذكسية والانجيلية » حتى يظهر بعضها لبعض ذلك المقت والعداء

واكثر من ذلك ان ابناء كنيسة واحدة وملة واحدة قد يقوم بين جماعاتهم من النفار والبغض ما لا يقوم بين ملتين غريبتين · بل ربما كان في بلدة واحدة كنيستان لمذهب واحد فينقسم الشعب قسمين قسماً من حزب الكنيسة الاولى وقسماً من حزب الكنيسة الثانية لغير سبب الا الجهل وعدم الاعتدال

فاذا كان النزاع قد يحدث في قلب الكنيسة الواحدة افيستغرب بعد ذلك ان يحدث بين امتين متخالفتين في الدين · وما هو الدواء حينئذٍ · أننادي ابناء الدين الواحد « وحدوا دينكم » وهو واحد لا خلاف فيه بينهم ام نبحث عن اصل الداء ونداويه بالدواء

واصل الداء ظاهر لكل ذي عينين وهو جهل الامم وابتعاد الرؤساء عن فضائل الدين الى هو ليس من الدين في شيء او هو عرض من اعراض الدين · ولو جاء ابن الانسان الآن الى الارض لعسر على البشران يستقبلوا تجده برائحة الفضائل التي نزل لغرسها بيننا لان الجميع قد تركوا هذه الفضائل · قد اهملوا الجوهر وتمسكوا بالعرض · وكذلك باقي الاديان · فتعليم الشعوب الآن وانارة اذهانها لمعرفة هذه الفضائل اهم ما يجب على المؤلفين والكتاب ان يشتغلوا به · وننصح لحضرة خريسطفور جباره ان يعدل عن طلب المستحيل ويصرف ذكاءه وعلمه الى هذا الامر المفيد والا كان كمن يصرخ في واد وينفخ في رماد

⁂ الشهباء والسمير الصغير ⁂ اتمت جريدة الشهباء سنتها الاولى فصدر العدد الاول والثاني من سنتها الثانية مدبجاً بمقالات سياسية واخبار مختلفة فنتمنى لها النجاح وسرعة الانتشار · وقد عزمت الشهباء على طبع كتاب فريد في بابه دعته « كتاب اللئالىء السنية لعروس الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية » تضمنه ما تقدم من التهانىء لغبطة السيد الجليل بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس وتزينه برسوم كثيرين من الوزراء

والاساقفة ورؤساء الجمعيات واصحاب الجرائد والمجلات . وجعلت اشتراكه نصف ريال مصري . فنهنئها بهذا المشروع الجميل وندعو لها بالنجاح

وقد دخلت جريدة السمير الصغير في سنتها الثالثة فبرز العدد الاول والثاني منها في ست عشرة صفحة بدلاً من ٨ صفحات مما يدل على ارتقائها في عالم الصحافة فنهنئها بحلتها الجديدة ونرجو لها دوام الارتقاء

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

سقوط دولة الدراويش

سقطت سقطت دولة الدراويش واستراح السودان من الظلم وسفك الدماء . فان عبدالله التعايشي خليفة محمد احمد المتمهدي قُتل في واقعة جرت بينه وبين الجنود المصرية بقيادة سعادة ونجت باشا مدير قلم المخابرات عند (ام دبركي) قريباً من النيل الابيض

وتفصيل ذلك بالاختصار ان التعايشي خرج من مخبأه في جبل قدير قاصداً النيل الابيض فارسل السير ونجت باشا من ام درمان الى سعادة السردار وكان في القاهرة يبلغه ان التعايشي سائر الى مهاجمة ام درمان لذلك استعد الى لقائه . وكان خروجه اليه بنحو الفين من الجنود فالتقى بجند من الدراويش يقودهم احمد الفضيل فهزمهم وفيما كان يطاردهم علم بكمن التعايشي في (ام دبركي) فقصده ودارت رحى الحرب بين الفريقين فثبت التعايشي في موقف القتال ثبات الابطال يحيط به امراؤه وحرسه فابلت الجنود المصرية الباسلة في جند الدراويش بلاء حسناً حتى سقط التعايشي قتيلاً في ساحة الحرب مع كثيرين من امرائه وخلفائه واسر من بقي من الرجال والنساء ويقدرون بالالوف . ولم يخلص من امرائه الا عثمان دقنه المشهور بشدة البأس فانه فرَّ اول ما سمع اطلاق النار . وقد سلم الاسرى جميعاً واخلدوا الى الطاعة فانتهى بذلك الخوف من الدراويش وسقطت دولتهم سقوطاً لاقيام لها بعده اذ قُتل واسر جميع امرائهم وخلفائهم . فارسل حينئذٍ سعادة السردار الى حضرة اللورد كرومر يقول : « تمَّ الآن فتح السودان »



اللورد كتشنر اوف خرطوم مسقط دولة الدراويش
سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام

وقد طار بريق هذا النصر المبين من شمالي افريقيا الى لندن في زمن تطير فيه اليها من جنوبيها بروق اخرى تغشيها ظلمات خوف مدلهمة · فكأن حضرة اللورد كرومر وسعادة السردار قدما الى انكلترا العظيمة قبضة من الزهر في هذا الوقت الذي يقدم اليها فيه عمالها من جهات الترانسفال قبضات من الشوك والقتاد

ومن غريب العادات انه اذا ذُكر انتصار جيش ذُكر النصر لقواده ونُسي جنوده· اما نحن فلا نرتكب هنا هذا الظلم والخطأ بل نعطي كل ذي حق حقه · وعليه فاننا نثني خالص الثناء على بسالة الجنود المصرية والسودانية التي ادهشت اوربا في هذا العام ببسالتها وصبرها على الشدائد· ونهنئ مصر بما ظهر من ابنائها من الفضائل العسكرية· دامت مرفوعة الاعلام عزيزة المقام بحماية جنودها البواسل ورعاية اميرها المعظم ايده الله

ولا يسعنا قبل اختتام الكلام في هذا الشأن الا الافتكار بالدراويش المساكين الضعفاء والتأمل في هذه الدولة التي ضربتها الاقدار على يد اللورد كتشنر فسحقتها كما يُسحق الزجاج . فان العدو متى غُلب استحق الشفقة والعفو وان كان جاهلاً باغياً والدراويش طغوا وبغوا ولكنهم من الجبلة الانسانيّة التي نحن منها فاذا ضربناهم بيد وجب ان نضمد جراحهم بالاخرى وتحتم علينا ان نعلم بانهم مسوقون الى الدفاع عن استقلالهم وحريتهم بفطرتهم البدوية وتلك طبيعة في الحيوان والانسان معاً كما قال شاعر مصر

يسكن الوحش للوثوب من الاسر فكيف الخلائق العقلاء

ولو جاز في الشريعة الادبية السرور بالجهل والظلم لوجب على فاتحي السودان ان يسروا بما كان عليه الدراويش من الظلم والجهل والبغي اذ لولا الظلم والجهل اللذان هدما ملك الدراويش لبقيت لهم حريتهم وثبتت دولتهم ولكان الآن عبدالله التعايشي من انكلترا في شمالي افريقيا بمنزلة الرئيس كروجر في جنوبيها اذ ليس الدراويش اخف بأساً من البوير فضلاً عن انهم اكثر عدداً . ولكن قُدر ان البغي يصرع اهله والظلم مرتعه وخيم والارض لله يورثها من يشاء وهو العزيز الحكيم

✲ تمثال دي لسبس في بورسعيد ✲ تم الاحتفال بكشف الستار عن تمثال دي لسبس في بورسعيد على غاية ما يرام من الابهة والرونق وقد حضره نحو ٥ الاف شخص من اكابر الامم في مقدمتهم سمو الجناب الخديوي المعظم فافتتح الاحتفال بخطبة وجيزة شكر بها الشركة على دعوتها سموه ثم تتالى الخطباء على النظام الذي ذكرناه في الجزء الماضي يعددون مناقب الفقيد ويثنون على عمله العظيم . وقد ضاق نطاق الجامعة عن تلخيص تلك الخطب البليغة فاكتفينا بالاشارة اليها

✲ النادي الادبي في ثغر الاسكندرية ✲ ذكرنا في احد الاعداد السابقة تالف هذا النادي في الثغر من نخبة من افاضل البلدة وادبائها . ويسرنا انه سائر في سبيل النجاح بعناية حضرات مديريه وهمة المقبلين على تنشيطه من الوجهاء والادباء . والحق يقال انه مجتمع شرقي ادبي لم ترَ الاسكندرية مثله قبل اليوم من حيث الانتظام واتساع غرفه وتمام فرشه وسعة مكتبته فنحث الادباء على الاشتراك فيه ونهنىء مديريه واعضاءه الافاضل بنجاحهم وثباتهم . وهو كائن في وقف الشربجي بجانب جريدة السلام

(خارجية)

انكلترا والترانسفال — استعصت لاديسميث على جيش الترانسفال فاوغل البوير وراءها في ناتال يغزون البلاد ولكن الجنرال كلاري الانكليزي زحف لرد غارتهم فاضطروا الى الرجوع القهقرى مرتدين الى لاديسميث بعد مناوشات حدثت بين الفريقين فكانت الدائرة فيها على البوير · هذه اهم حركة حربية حدثت في هذين الاسبوعين · وقد بدأ الانكليز بالتقدم لانجاد لاديسميث وطرد البوير من ناتال وغزو بلاد الترانسفال · فالآن قد بدأت الحرب الحقيقية

روسيا — نبه مكاتب التيمس في بطرسبرج الحكومة الانكليزية الى استعداد روسيا للزحف على هرات عند الفرصة السانحة · فكان لهذا التنبيه دوي في الاندية السياسية

المانيا — زار الامبراطور غليوم جدته جلالة الملكة فيكتوريا في وندسور في ٢٠ الماضي فاستقبل استقبالاً وديًا لا رسميًا وتقول جرائد برلين ان المسيو دي بيلوف الذي يصحبه لم يقابل اللورد سالسبوري والغرض من هذا القول نفي ما شاع عن تباحث انكلترا والمانيا الآن في عقد اتفاق او محالفة

فرنسا — وافق مجلس النواب على الثقة بالوزارة باكثرية ١٠٥ اصوات فكان ذلك فوزًا عظيمًا للجمهورية · وقد خطب المسيو ديلكاسه في هذا المجلس فقال ان محالفة روسيا تضمن لفرنسا مصالحها الحاضرة ومشروعاتها الكبيرة في المستقبل · فصفق الاعضاء لهذا الكلام

قتل الصينيون في كوانشوان ضابطين فرنسويين فالقى الاميرال الفرنسوي القبض على الحاكم الصيني وطلبت فرنسا ترضية من الصين فاعطتها جزيرتين عند مدخل خليج كوانشوان انتهى الخلاف

على ابي فيجب ان اخرج واخلصه من ايديهم

فاجفل بيلو لما سمع هذا الكلام وصاح بغضب :ابوك في قبضة الظالمين

فصرخ الولد . نعم نعم قبضوا عليه فيجب ان اخرج وآخذ سيفاً او فرداً لاخلص ابي

فتحمس التلامذة لصراخ الولد وصاحوا صياحه — السلاح السلاح

وكان الشعب قد بدأ يتجمهر امام باب المدرسة فسرى اليه تحمس التلامذة ورثى لهم فهجم على الحاجز ليكسره ويخرجهم

فحال بينهم وبين الحاجز مدير المدرسة صارخاً — رحماً كم دعوا هؤلاء الاولاد وشأنهم

فلم يعبأ احد بكلامه بل حاولوا كسر الحاجز . فتقدم حينئذٍ بيلو ووقف في وجه الشعب قائلاً . لقد صدق مدير المدرسة اتركوا هؤلاء الاولاد وشأنهم فانهم بذار المستقبل

فضج بعض الحاضرين ضجيج السخط . فخطا بيلو الى الامام قائلاً — من يضج هناك . لا اظنه ابا فان الاب يعرف قدر الاولاد . انظروا اليّ فقد شهدت واقعة امس وهذه اثار الدماء على ملابسي . قال هذا واراهم الدماء على ثيابه ثم قال . شهدت واقعة امس وساشهد واقعة اليوم ووقائع الغد . ولكنني اخجل ان يقال ان الباريزيين جبنوا عن لقاء الظالمين فاستنجدوا بالاولاد

فارتفع ضجيج الاستحسان الى السماء وصاح النساء وجنود الحرس الفرنسوي من كل جانب : احسنت احسنت . وهكذا رجع الشعب عن الحاجز . اما بيلو فطلب من المدير ان يفتح له الباب ثم دخل الى المدرسة فاخذ سيباستيين وساله ان يقص عليه خبر والده فاخبره ان الحكومة القت القبض على والده في مدينة الهافر فيما هو عائد من اميركا منذ ستة ايام . فاخذ الدكتور وهو في سجنه كتاباً وكتب عليه ما ياتي :

« عزيزي سيباستيين

« قُبض عليّ وسأُسجن في الباستيل . اصبر . ادرس . وافتكر .

« في ٧ تموز سنة ١٧٨٩ « جيلبار »

« ذيل — قُبض عليّ لاني من انصار الحرية . لي في مدرسة لويس الكبير ولد يدعى سيباستيين جيلبار . فباسم الانسانية اسال من يجده هذا الكتاب ان يوصله اليه »

قال بيلو وماذا جرى بعد ذلك · قال فوضع ابي خمسة ذهب في الكتاب وربطه ربطاً محكماً ثم القاه من نافذة السجن الى الطريق فوجده كاهن البلدة فاخذه الى رجل فقير وقال له · هذه خمسة ذهب · ابتع بنصفها خبزاً لبنيك الجياع وسر بالنصف الآخر الى باريز لايصال هذا الكتاب الى ولد مسكين القت الحكومة القبض على والده وما ذنبه الا انه يحب الشعب فاتاني هذا الشاب وسلمني الكتاب

فقال بيلو متاملاً · لقد حبب اليّ هذا الكاهن الكهنة مع ما هو معروف عني · واين الكتاب

فمد الولد يده الى جيبه واخرج منها نسخة من كتاب الميثاق الاجتماعي (الكونترا سوسيال) تاليف جان جاك روسو · فتناوله بيلو باحترام وسال عن موضع توقيع الدكتور جيلبار فدله سيباستيين عليه · فوضع بيلو شفتيه على احرف التوقيع وقبلها باحترام · ثم القى الكتاب الى الولد قائلاً — اما الآن فليهنأ بالك فان اباك سيخرج من الباستيل في هذا النهار

قال هذا وظهرت في وجهه لوائح الغيظ والتصميم الشديد

فقال الولد وكيف يخرج والدي · قال بيلو · سكن من روعك فانني ذاهب لافتح له ابواب سجنه

فنظر اليه مدير المدرسة وقال كيف تفتح ابواب الباستيل الا تعلم انه سجن سياسي امنع من عقاب الجو (١)

قال بيلو متاملاً نعم اعلم ذلك ولكني سافتح ابواب الباستيل

وكان بعض الحرس على مقربة من بيلو يسمعون كلامه فصاروا يضحكون ويسخرون من قوله · وبعد هنيهة سرى كلام بيلو الى جميع الحاضرين فطفقوا كلهم يضحكون ويسخرون

فدرى بيلو بسبب ضحكهم فنظر اليهم بعين كعين النسر او مقلة الاسد وصاح بصوته الجهوري وعينه تقدح شرر الغضب والحنق — اخبروني ما هذا الباستيل الذي يخيفكم الى هذا الحد

---

(١) الباستيل قلعة حصينة كانت في حي سانت انطوان سجناً للمجرمين السياسيين شُرع في بنائها في عهد الملك شارل الخامس سنة ١٣٦٩ وتم بناؤها في سنة ١٣٨٢

فقال جندي من الواقفين ساخرًا — ما هو الا حجارة

وقال ثانٍ — وحديد

وقال ثالث — ونار . ولكنها اشد من نار جهنم

فرفع بيلو حينئذٍ راسه بكبرياء وعظمة وصاح ملء فمه وقد اخذ الغضب منه كل ماخذ : —
تبًا لكم ايها البار يزيون الجبناء . تخافون الحجارة وعندكم المعاول والانخال . تخشون الحديد ولديكم الرصاص . ترهبون النار وعندكم البارود . يا ايها البار يزيون المخنثون الجبناء منخلعو القلوب وضعفاء النفوس . يامن الفوا الذل والاستعباد الى متى الصبر على هذا الضيم وحتى متى تطأطئون الرؤوس امام الظالمين . لتهدم امخال الحرية معالم العبودية . ليسقط الباستيل امام ارادة الامة وقوتها . اني هاجم مع هذا الفتى الصغير (واشار الى بيتو) على سجن الباستيل ولا يردني عنه شيءٌ حتى صواعق السماء . فمن منكم الشجاع الكريم الذي يتبعني

وكان بيلو قد بلغ في كلامه قمة الحماسة والعظمة . فسرت روحه الى الشعب فتكهربت نفوسهم وثار فيها ما كان كامنًا من الحماسة ومقت الاستبداد فصاروا يتحادثون مستحسنين كلامه واخذوا يموجون و يضطربون

فرأى بيلو تحمسهم واضطرابهم فاغتنم هذه الفرصة وصاح بهم . كلكم شجعان وكرام فهلموا بنا جميعًا الى الباستيل نهدم في ساعة ظلم قرون واجيال . وخطا خطوة الى الامام

فتعلق به سيباستيين وقال . انا ذاهب معكم لافتح باب السجن لابي

قال بيلو اسمع ياسيباستيين . ما هي آخر كلمة قالها ابوك في كتابه . قال هي : ادرس وافتكر

قال بيلو فادرس هنا يابني وافتكر فهذا عملك انت اما عملنا نحن فهو : هدم وقتل .

فسكت الولد ولكنه ستر وجهه بكفه وسقط على الارض يبكي وينتحب ثم اصابته نوبة عصبية فنقل الى المستشفى

فودعه بيلو بنظرة ملؤها الشفقة والحنو ثم خطا نحو الباب ونظر الى الشعب الهائج امامه صارخًا بكل قواه — هلموا الى الباستيل . فاجاب بيتو من ورائه صارخًا ومحركًا يده — الى الباستيل

فارتفع حينئذ من الشعب صراخ مخيف كانه هزيم الرعد القاصف وسُمع صوت واحد لفظته الوف من الافواه وهو :

— الى الباستيل
واندفعوا كالسيل الجارف متجهين نحو الباستيل

الفصل الثالث عشر

(خلاصة وجيزة)

نترك الشعب الآن سائرًا نحو الباستيل ونورد لمعة من الحوادث التاريخية التي تقدمت هذه الحادثة زيادة في تفهيم الحوادث المقبلة

لما توفي لويس الخامس عشر (١) تنفس الناس الصعداء وفرحوا بارتقاء لويس السادس عشر الى عرش الملك لانه كان شابًا نزيه النفس عاقلاً محبًا للشعب · فلما جلس هذا الملك على تخت اجداده رأى الهاوية التي امامه من فراغ الخزانة ونقمة الامة على الملكية لاسرافها





(١) لويس الخامس عشر — هو ثالث ابناء الدوق دي بورغون احد احفاد لويس الرابع عشر · ولد في فرسايل سنة ١٧١٠ وجلس على تخت الملك في سنة ١٧١٥ تحت وصاية فيليب دورليان · وقد حدثت في عهده حروب شديدة استنزفت الخزانة الفرنسوية واضاعت ما لفرنسا من المستعمرات · ومما ساعد على استنزاف اموال الدولة عشيقات الملك اللواتي اشتد نفوذهن عليه منذ سنة ١٧٤٨ فاصبحن يدرن سياسة الدولة · وكانت مدام بومبادور اشدهن نفوذًا وهي المركيزة انتوانت بواسون دي بومبادور التي وضعنا رسمها مقابل رسم الملك فوق هذه السطور · فانها هي التي دفعته الى الحرب المشومة المعروفة بحرب السنين السبع وقد انفق الملك على هذه العشيقة من خزانة الدولة نحو اربعين مليون فرنك · وكان لويس الخامس عشر ينفق على ملاذه فقط ثلاثة ملايين فرنك في كل سنة · وكان اذا نبهه احد الى زوال الملك ان بقي متبعًا خطته قال « سيبقى ما بقيت » اي لا خوف من زوال ملكه فانه يبقى مدة بقائه على الاقل · وقد استاء البرلمان واليسوعيون من سلوكه وكان هولاء سلطة عظيمة في فرنسا في ذلك الحين فاعرض الملك عنهم وعن البرلمان واساء الى الفريقين مع انهما كانا عماد الملكية وسندها · و بالنظر لما تلطخ به العرش من الاوحال الادبية والسياسية في هذا العهد قام كتاب العصر يشددون الانتقاد على

وتهورها فابطل الصنيعة وترك الانعام على المقربين · فارتاع المقربون لذلك · وكانت الملكة ضعيفة السلطة قبل ولادتها ولي العهد في سنة ١٧٧٧ · فلما وضعت ولي العهد اشتدت سلطتها على الملك بحكم الطبع فاصبح لا يرد لها طلباً · فانفتحت خزانة الدولة من جديد للملكة والمقربين اليها وعاد البلاط الى نفقاته الماضية بعد تركها (١)

فسقط اثر ذلك مالرب وتيرغو عن الوزارة ووليها الوزير ناكار فسار سيرهما كما مرّ بنا وهو الاصلاح بالاقتصاد وترك البذخ والاسراف فاسقطه البلاط

ولكن اشتد سوء الحال في تلك السنة وارسل الله البرد والجوع سوطاً على الشعب يدفعه الى ما تتم به ارادته فاضطر الملك بازاء سوء الحال واختلال المالية ذلك الاختلال ان يسترد ناكار فرده الى الوزارة وجمع مجالس الولايات وهم نواب من المقاطعات جمعهم لتدارك حال الدولة وتدبير المالية · فاجتمعوا في فرسايل وكانوا ثلاثة احزاب · حزب الاشراف · وحزب الاكليروس · وحزب الشعب · بل لم يكونوا ثلاثة احزاب كما قال سياياس ولكن ٣ امم لتباين اغراضهم وتفاوت مبادئهم

فاستقبلهم الملك في فرسايل في ٣ مايو سنة ١٧٨٨ · وبدأ بنواب الاكليروس ثم

الملك وبلاطه منهم فولتير وروسو ومونتسكيو والانسيكلوبيديون فاعدوا الافكار بانتقاداتهم الشديدة لهذه الثورة التي نحكي هنا تفاصيلها فكأنهم بذلك مهدوا سبيلها وكانوا اول من اضرم نارها · وكان هولاء الكتاب السياسيون يضعون اساس الحرية الجديد في اقوالهم وغيرهم من العلماء كلافوازييه وبيفون وفرانكلين وكالفاني ولينه وجوسيو يضعون اساساً جديداً للعلم فكملت بذلك الحركة الاجتماعية · وكانت وفاة لويس الخامس عشر في سنة ١٧٧٤ فتنفس الناس الصعداء لزوال بلاء حكمه وكان يومئذٍ فرح عظيم عند الشعب



(١) ماري انتوانت ملكة فرنسا — هي ابنة الامبراطور فرنسوى الاول ملك النمسا والملكة ماري تاراز الشهيرة · ولدت في فيينا سنة ١٧٥٥ وتزوجت بالملك لويس السادس عشر فاصبحت ملكة فرنسا وصار لها على الملك سلطة عظيمة فاستخدمت هذه السلطة لنفع المقربين اليها ودفع الملك الى مقاومة الاصلاح ومضادة الثورة الفرنسوية · وسيرد ذكر ذلك بالتفصيل مع بيان ما صنعته ابان الثورة من صغائر الامور وكبائرها وما صارت اليه بعد سقوط الملكية

الاشراف ثم الشعب · فكان ذلك داعياً الى انتظار نواب الشعب حتى تاتي نوبتهم · فضجروا وتذمروا

وكانت العادة أن رئيس نواب الشعب يخطب وهو جاث على ركبته امام الملك فرفض رئيسهم هذه المرة ان يجثو فتقرر ترك الخطبة

ولما اجتمع النواب في فرسايل رفض الاكليروس والاشراف مجالسة حزب الشعب وهو الاكثرية فاخذوا يجتمعون في قاعة اخرى · فاقترح سياياس ان ينذر الاكليروس والاشراف بالحضور الى قاعة الشعب لعقد الجلسة العمومية فيها والا استغنى الشعب عن الفريقين

فقال له احد الحاضرين ولكنك اذا استغنيت عن الاشراف والاكليروس فالمجلس لا يكون مجمعاً لنواب الولايات

فقال سياياس : اذن يكون مجمعاً وطنياً

ولما لم يحضر الغائبون تقرر باكثرية ٤٠٠ صوت تسمية نواب الشعب « المجمع الوطني » · وكان ذلك في ١٠ يونيو

وفي ١٩ منه امر الملك باقفال القاعة التي كان يجتمع فيها نواب الشعب لما بلغه انفصالهم عن الفريقين الآخرين · فاتى النواب في صباح ٢٠ منه فوجدوا باب قاعتهم مغلقاً والحراس يحرسونه · فحاولوا كسر الباب ولكن احدهم اشار بالاجتماع في ملعب (البوم) في المدينة · فاجتمعوا فيه ورئيسهم بالي العالم الشهير (١) · فاقسموا فيه يميناً ان لا يتفرق الاعضاء حتى يضعوا دستوراً للامة (٢)



(١) بالي — كاتب وفلكي فرنسوي ولد في سنة ١٧٣٦ في باريز وقد انتخبه حزب الشعب رئيساً للمجمع الوطني فرأس الجلسة الشهيرة التي عقدها هذا المجلس في ملعب (البوم) · ثم عين حاكماً لباريز بعد سقوط الباستيل كما سيرد تفصيل ذلك · ومات قتلاً في سنة ١٧٩٣ · وكان يوم اعدامه يوماً بارداً فكانت تصطك اسنانه فساله احدهم « مالك ترتجف يا بالي » فاجاب ببساطة · « من البرد يا صاح » نفى بذلك الخوف عنه فذهبت مثلاً

(٢) يمين ملعب البوم — لعب البوم كان في القديم نوعاً من لعب الكرة او الطابة · والمكان الذي اجتمع فيه نواب الشعب كان ملعباً للبوم · ويمين ملعب البوم رسم جميل

فارسل الملك اليهم المسيو دي بريزه يامرهم بفض اجتماعهم . فصاح به الخطيب ميرابو قائلاً : « رح وقل الى مولاك اننا نجتمع هنا بارادة الشعب ولا نخرج الا على رؤوس الحراب »

لا كما زعموا انه قال « ولا نخرج الا بقوة الحراب »

فيالك من ملعب كنت مهداً للثورة الفرنسوية كما ان المزود في بيت لحم كان مهداً للمسيح

ومبادىء الثورة الفرنسوية اخت لمبادىء المسيح غير ان المسيح ابن عذراء والثورة ابنة امة اهين شرفها

فذهب المسيو دي بريزه وابلغ الملك انهم لا يخرجون ولا يتفرقون . فخطر الملك في غرفته ذهاباً واياباً وهو يفتل شاربيه ثم ساله : الا يخرجون . قال كلا يامولاي . قال اذن دعوهم وشانهم

ذلك ان الملكية بدأت تحني الراس امام ارادة الشعب وتخفض من كبريائها امام كبريائه

وبقي الشعب هادئاً من ٢٠ يونيو الى ١٢ يوليو ولكن كما تهدأ العناصر قبل الزوابع الشديدة وفي ١٢ منه بلغ الشعب ان الملك فصل ناكار كما مرَّ بنا فثار الشعب يطلبه في ١٣ واستعد للهجوم في صباح ١٤ . وفي هذا الصباح سار بيلو الى الباستيل بالوف الشعب كما راينا في الفصل السابق

وما هو الباستيل ؟

— هو صخرة هائلة كانت على صدور الباريزيين . سجن مخيف كانت تتخذه الملكية مدفناً حياً لمن تريد التخلص منه من الكتاب والفلاسفة والاشراف وانصار الحرية . وكان الملك يضع الرجل في الباستيل فلا يبقى له امل بالخروج الا اذا ذكره الملك . والملك مشغول الفكر بامور كثيرة فينساه او يتناساه فيقضي السجين عمره في الباستيل ويموت فيه فيدفن سراً باسم غير اسمه الحقيقي . وكان في فرنسا سجون كثيرة على هذا المنوال ولكن اعظمها واشدها هولاً سجن سانت انطوان الذي يلقبونه « الباستيل » . فقد كانت فيه حامية خصوصية من الجند وذخيرة ومؤن وحاكم خصوصي يتولى شانه بالارث عن ابائه

للرسام دافيد الشهير رسم فيه نواب الشعب ورئيسهم باليي قياماً في وسط الملعب وهم يمدون ايديهم ويقسمون انهم لا يتفرقون حتى يضعوا دستوراً للدولة

وهو المركيز دي لوناي · وكان له جدران شاهقة رُكبت عليها المدافع ثخن اعلى الجدار ١٥ قدماً وثخن اسفله ٤٠ قدماً وقد وضع الحاكم في اقبيته ١٥ الف كيلو غرام من البارود لنسفه وهدمه على الذين فيه اذا حاول احد من الشعب او من غيرهم دخوله للاستيلاء عليه وذلك لما كان معروفاً من مقت الشعب له

وقد كان الشعب محقاً في مقته فان الباستيل بعد اذ كان سجناً للمجرمين السياسيين اصبح تجارة قبيحة من اشنع التجارات · فانه لا يستطيع احد ان يحصي عدد الاوامر الملكية التي كانت تصدر بسجن الناس في الباستيل · فان كل ابن يريد التخلص من ابيه او كل اب يحب التخلص من ابنه او العدو من عدوه او كل امرأة تريد ارسال زوجها الى حيث لا يرجع — ما لها الا ان تشتري امراً من هذه الاوامر الملكية وتوصلها الى رجال البوليس فيدفن زوجها حياً في الباستيل الى ما شاء الله · وكان ثمن هذا الامر رخيصاً للمرأة الجميلة لان الوزير لطيف ويجمل ملاطفة السيدات · وقد كان من المسجونين من يقضي في الباستيل ٥٠ او ٤٠ او ٣٠ عاماً ومنهم من يموت فيه واهله يسالون عنه لا يعرفون من امره شيئاً · لذلك كان الشعب يكره الباستيل كما يكره وحشاً هائلاً قائماً في وسط المدينة يبتلع الناس ويفترسهم · ولذلك سهل على بيلو اثارة الكراهة والحماسة في نفسه وقيادته الى ذلك السجن الجهنمي وهو يصرخ امامه — الى الباستيل الى الباستيل

وقد كانت هذه الخلاصة ضرورية للحوادث المقبلة فلنعد الآن الى بيلو والذين يتبعونه

الجامعة

(الجزء التاسع عشر) (السنة الأولى)

الاسكندرية ١٥ دسمبر (كانون اول) سنة ١٨٩٩ — الموافق ١٢ شعبان سنة ١٣١٧



﴿ محمد نامق كمال بك ﴾

الكاتب والشاعر التركي الشهير

(ولد سنة ١٢٥٦ وتوفي سنة ١٣٠٦ هجرية)

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الطغرائي

(المنشيء والشاعر الشهير)

هو مؤيد الدين الاصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي ولد سنة ٤٥٥ هجرية وتوفي سنة ٥١٣ وكان عزيز الفضل لطيف الطبع فاق اهل عصره بصنعة النظم والنثر . وله ديوان شعر جيد . ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم . وكان عملها ببغداد في سنة ٥٠٥ يصف حاله ويشكو زمانه . وكان الطغرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقية ان الطغرائي المذكور كان يُنعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانه لما جرى بينه وبين اخيه السلطان محمود المصاف بالمقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فاول من اخذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السميري فقال : مَن يكن ملحداً يُقتل . وقد كانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وقُتل في سوق ببغداد عند المدرسة النظامية . وقيل قتله عبد اسود كان للطغرائي المذكور لانه قتل استاذه (نقلاً عن ابن خلكان)

اما قصيدته لامية العجم المشهورة فهذه اشهر اياتها

اصالةُ الرأي صانتني عن الخطلِ	وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ
مجدي اخيراً ومجدي اولاً شرعٌ	والشمس رأْدَ الضحى كالشمس في الطفل
فيمَ الاقامة بالزوراء لا سكني	بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناءٍ عن الاهل صفرُ الكف منفردٌ	كالسيف عريَ متناه من الخلل
فلا صديقٌ اليه مشتكى حزَني	ولا انيسٌ اليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حنَّ راحلتي	ورحلها وقرى العسالة الذبل
وضجَّ من لغبٍ نضوي وعجَّ لما	يلقى ركابي ولجَّ الركبُ في عذلي
اريدُ بسطة كفٍ استعين بها	على قضاءِ حقوقٍ للعلى قبلي
والدهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعني	من الغنيمة بعد الكد بالقفل

حبُّ السلامةِ يثني همَّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فان جنحتَ اليه فاتخذ نفقاً في لارض او سلماً في الجو فاعتزل
ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهنَّ بالبلل
يرضى الذليلُ بخفض العيش يخفضه والعزُّ بين رسيم الاينق الذلل
ان العلى حدثتني وهي صادقة فيما تُحدث انَّ العزَّ في النقل
لو انَّ في شرف المأوى بلوغَ مُنى لم تبرح الشمسُ يوماً دارة الحمل
اهبتُ بالحظ لو ناديت مستمعاً والحظ عني بالجهال في شغل
لعلهم ان بدا فضلي ونقصهم لعينيه نام عنهم او تنبه لي
اعلل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادةُ النصل ان يزهو بجوهره وليس يعمل الا في يدي بطل
تقدمتني اناسٌ كان شوطهم وراء خطوي اذا امشي على مهل
هذا جزاء امرئٍ اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علاني من دوني فلا عجبٌ لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعوّل في الدنيا على رجل
يا وارداً سؤرَ عيش كله كدرٌ انفقت عمرك في ايامك الاول
ترجو البقاء بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل

ومن جيد شعره قوله في تعزية معين الملك فضل الله في نكبته

فصبراً معين الملك ان عنَّ حادثٌ فعاقبهُ الصبر الجميل جميلُ
ولا تيأسن من صنع ربك انه ضمين بان الله سوف يديل
فان الليالي اذ يزول نعيمها تبشر ان النائبات تزول
الم ترَ ان الليل بعد ظلامه عليه لاسفار الصباح دليل
الم ترَ ان الشمس بعد كسوفها لها صفحة تغشى العيون صقيل
وان الهلال النضو يقمر بعد ما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
فقد يعطف الدهر الابيُّ عنانه فيشفى عليل او يبلَّ غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما تساقط ريشٌ واستطار نسيل

ويستأنف الغصن السليب نضاره فيورق ما لم يعتوره ذبول
ولا غرو ان اخنت عليك فانما يصادم بالخطب الجليل جليل
واي قناة لم ترنح كعوبها واي حسام لم تصبه فلول
اسأت الى الايام حتى وترتها فعندك اضغان لها وتبول
وصارمتها فيما ارادت صروفها ولولاك كانت تنتحي وتصول
وما انت الا السيف يسكن غمده ليشقى به يوم النزال قتيل
فلا تذعنن للخطب آدك ثقله فمثلك للامر العظيم حمول
فلا تجزعن للكبل مسك وقعه فان خلاخيل الرجال كبول

ومن جيد شعره في الفخر

ابى الله ان اسمو بغير فضائلي اذا ما سما بالمال كل مسوَّدِ
وان كرمت قبلي اوائل اسرتي فاني بحمد الله مبدأ سؤددي
يذم لاجلي المهر ان يكب مرة بجدي وان ينهض بجدي يحمد
وما منصب الا وقدري فوقه ولو حط رحلي بين نسر وفرقد
اذا شرفت نفس الفتى زاد قدره على كل اسنى منه ذكرا وامجد
كذاك حديد السيف ان يصف جوهرا فقيمته اضعافه وزن عسجد
وما المال الا عارة مستردة فهلا بفضلي كاثروني ومحتدي
ولولا تكاليف العلى ومغارم ثقال واعقاب الاحاديث في غد
لاعطيت نفسي في التخلي مرادها فذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي
من الحزم ان لا يضجر المرء بالذي يعانيه من مكروهة فكأن قد
ومن يستعن بالصبر نال مراده ولو بعد حين انه غير مسعد

ونكتفي بهذا النزر اليسير من شعر الطغرائي للدلالة على فضل الرجل وانفته وكبر نفسه وحبذا لو كان الآن في الامكان استيفاء الكلام على هذا الشاعر والناثر المجيد لتحليل معانيه واستخراج ما جمعته من الفضائل التي عز وجودها في سواه

باب المقالات

اختيار الزوج

الزوج الجائر — والزوج الضعيف

(الخاتمة)

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

جمعتُ يا ابنتي بين هذين الزوجين لان الجور والضعف — واريد ضعف النفس والعقل — طرفان متقابلان الفضيلة وسط بينهما . فالجور وهو افراط الرجل في استعمال سلطته طرف . والضعف المؤدي الى التفريط في استعمالها طرف آخر . وافضل ما يكون الزوج ان يكون لا جائرًا ولا ضعيفًا

اما الجائر فهو يحسب المرأة عبدة له انما وجدت لخدمته وارضاء اهوائه . فتريته يتبختر في المنزل تبختر المنتصر في مدينة مغلوبة . ودأبه في سلوكه ان يجعل الزوجة تشعر بسلطانه المطلق عليها وعلى جميع من في البيت . ان خاطبها فبلهجة السيد الامر او نظر اليها فبوجه الغضوب العابس . وان خالفت له رأيًا عدّ ذلك عصيانًا وانكارًا لسلطته المطلقة فقام الى العاصية يوسعها تقريعًا وتانيبًا . وما اقول سبًا و بذاءة وضربًا بالعصا لان كلامي ههنا عن المتمدنين

والعجب ان هؤلاء الظلمة يجورون على المرأة ثم يعجبون من انها تكذب وتمكر وتغدر . يستذلونها و يميتون ارادتها ثم يشكون من انها لا تربي في بيتها اباء النفس واستقلال الارادة . يلقونها مكتوفة في البحر ثم يقولون لها اياكِ اياكِ ان تبتلي بالماء . وما دروا انهم بجورهم يجلبون الكذب والغدر وضعف النفوس الى بيوتهم وهم لا يعلمون

واني لا انكر على الرجل حق السيادة على المنزل ولكن هل يعسر كثيرًا ان يسود بتلطف فلا يدع زوجته تشعر بثقل سلطته . اوليس التلطف ادعى الى امتلاك القلوب من التهويل والارهاب ؟

وليس يعسر عليك يا ابنتي معرفة الجائر اذا تدبرتِ اخلاقه وامياله اثناء الخطبة فان جنوحه الى الجور يظهر لك من صوته المتعود لهجة الامر وتسخطه عند اقل معارضة له .

وربما حاول الاستبداد بشؤونك قبل التزوج فيمنعك من زيارة احدى صديقاتك او مخاطبة بعض نسيباتك ولا قصد له الا امتحان صبرك وطاعتك . فمتى ظهر لك منه هذا الجور فعجلي بفسخ الخطبة اذا لم تري لهذا الداء دواء « فنصف الدرب ولا كلها »

اما الزوج الضعيف فهو الرجل الذي له جسم الذكور ونفس الاناث فلا يُعرف عند الحقيقة رجل هو ام امراة . ترينه اذا اقدم على عمل ولو حقير اخذ يعمل الفكرة طويلاً . يحك جبهته تارة ويتامل في الفضاء اخرى واخيرًا بعد تذبذب وتردد طويل يقرّ ... ولكن على ان لا يقر على شيء . وفي خلال ذلك تتداخل امراته فتبت الامر عنه وتخضعه لارادتها . هذا هو الضعيف النفس . اما الضعيف العقل فهو البليد الذهن والطبع معًا ولا ازيده وصفًا امام النساء ضنًا بكرامة الرجال

واني لارى الضعف اخف ضررًا على المراة من الجور ولو لم تكن له ظواهره الخشنة خلافًا لما يخيل لبعض النساء اذ سمعهن يقلنَ للفتاة اذا تقدم لها خاطب غني ضعيف « لاباس به فهو غني وسيكون كخاتم في اصبعك » تديرينه كيف شئتِ

صدقنَ يا بنية . الا انه خاتم من نحاس . وربما استحييت به امام الناس

فما اشد ما ينال المراة المتهذبة من الخجل اذا رأت رجلها الذي كان ينبغي ان تفاخر بقوة عقله وذكائه احط منها ادراكًا واضعف نفسًا

هذا فضلاً عن انها لايمكن ان تحب رجلاً تضحك في سرها من ضعفه اذ لا شيء تحتقره المراة في الرجل مثل الضعف . وهي ربما اغتفرت له ضعف الجسد وقبح الوجه وبياض اللمة اما ضعف النفس والعقل فلن تغتفرهما ابدًا . وُجدت المراة كالكرمة مفتقرة الى جزع قوي تستند اليه فاذا وجدت نفسها مضطرة ان تُسند رفيقها بدلاً من ان تستند اليه فهي قد ترثي له وتشفق عليه ولكن لا يمكن ان تحبه ابدًا . لان اول شروط الحب احترام المحبوب

فالمراة اذًا مع الزوج الضعيف تخسر الحب في جملة ما تخسره . وهل من خسران للمرأة يعدل هذا الخسران ؟ فما اخالكِ يا ابنتي بعد هذا التفصيل ترضين زوجًا يكون « خاتمًا في اصبعك » . ولكن ضربة على قلبك

***

هذا ختام كلامي يا بنية . وقد تكلمنا الى الآن عما ينبغي ان تجتنبيه وقد آن لنا ان نأتي على شيء مما ينبغي ان تصنعيه

ولا لشرف اسرتك ولا لملاحة وجهك بل لانه يحبك حباً حقيقياً مبنياً على احترامه لصفاتك وفضائلك . ومتى اضاف الى هذا الحب صحة الجسم وشيئاً من السعة المالية فهو عندي خير الازواج

امور تحزنه اطلعتك عليها يا ابنتي في هذه الرسالة قد تثير احزانك وتقلق راحتك . ولكن وجدت الاجدر بك ان تعلميها قبل الزواج من ان تعلميها بعده حين لا يجدي العلم بها شيئاً والسلام

راي مهم للورد كلفن

انقضاء العالم ايضاً

(١) نريد بالعالم هذه الكرة الارضية التي نمشي عليها اذ في هذا الفضاء الواسع عوالم اخرى قلما نعلم عنها شيئاً وهي لا تدخل في كلامنا

لكل محدث نهاية والعالم محدث فالعالم لا بد ان يصير الى النهاية

ولكن متى وكيف ؟ هنا موضع الحيرة ومجال البحث والافتراض

ولقد كان هذا الافتراض بادئ ذي بدء شغلاً شاغلاً للدجالين والعرافين يقلقون به افكار الناس ويتخذونه ذريعة لسلب اموال الجهلاء والبسطاء كما جرى سنة ١٠٠٠ الميلاد يوم قيل في اوربا ان العالم بلغ نهايته فتهافت الناس على الصوم والصلاة ووقف الاموال والاملاك على المعابد يقصدون بها الى دفع الشر وابعاد المصاب . ثم انقضت سنة ١٠٠٠ ولم ينته العالم كما زعموا

ثم جاءت بعد الدجالين نوبة العلماء المحققين فقاموا يذهبون في نهاية العالم مذاهب مختلفة شانهم في كل المباحث العلمية

فبعضم ذهب الى ان نهاية العالم تكون بالنار . والبعض بالماء . وآخرون قالوا انها بالبرد والثلج . وغيرهم بحدث طبيعي يؤدي بالعالم مرة واحدة

اما القائلون بالنار فيزعمون ان باطن الارض ذائب مضطرم تغلي فيه المواد الطبيعية

---

(١) مقالة لمنشئ الجامعة نُشرت منذ نحو سنة في جريدة الاهرام ورأينا من الفائدة نشرها الآن

امامنا سبيلان يؤديان الى الزواج

إما الحب اولاً ثم الزواج

واما الزواج ثم الحب

فايهما ياترى طريق السعادة ؟ لا ريب انا جميعاً نجيب على هذا : " ينبغي ان نحب ثم نتزوج " نعم ولكن ليس كل حب حباً · فان هنالك حباً صادقاً صحيحاً يهزأ بما يسميه الناس « شهر عسل » لان جميع الشهور عنده عسل · وحباً ليس الا انجذاباً حسياً وقتياً يزول بزوال سببه · ولمعرفة هذين النوعين من الحب انصحك ان تظهري قلة اهتمام في اول الامر لكل خاطب يظهر لك الحب · عامليه بالطف ولكن بفتور · دعيه يكرر مراراً على سمعك " احبك · احبك " فان كان حبه غير صادق ولا طاهر فانه لا يلبث ان يخمد فتكونين بلوته وامنت شرّه اما اذا كان صادق الحب فانه يزداد لك حباً وبكِ ولوعاً

وقد يكون لك من هذا التربص فائدة اخرى اذ تتمكنين به من مراقبة اخلاق الخاطب ومقابلتها باخلاقك قبل ان يتمكن الحب فان تناسب الاخلاق شرط لابد منه ايضاً لسعادة الزوجين · الوفاق ممكن مع اختلاف الاعمار والثروات والعقول · ممكن بين شيخ وصبيه · وفقير وغنية · وغني وذكية · اما الزوجان المتضادة اخلاقهما فيستحيل ان يعيشا بهناء تحت سقف واحد

وليس المراد بتضاد الطباع ما يستدعيه اختلاف الصنف من مثل وجود البأس في الرجل والجبن في المرأة مثلاً · فهذا التنوع ضروري للوفاق التام وانما المراد به ان يكون ما يسر الرجل يسوء المرأة وما يسبب شقاءها يجاب هناءه كأن يكون الرجل بخيلاً مقتراً والمراة تحب البذل والسخاء · او هو محب للعزلة والانفراد وهي تحب الاختلاط " والجمعيات " · هي عفيفة وهو غير عفيف · فلعمري ان الجمع بين زوجين تختلف طباعهما هذا الاختلاف لهو اشبه بالجمع بين الضب والنون او الماء والنار

الا اني لا انكر يا ابنتي ان التناسب التام في الاخلاق يندر وجوده لان السعادة التامة ليست من هذا العالم · وفي الغالب تجدين توافقاً في بعض الاخلاق وتبايناً في البعض الآخر فهذا التوافق الجزئي لا يعسر على الحب اذا وجد ان يحوله الى توافق تام فان الحب ابو العجائب

ولهذا اجعل خاتمة وصاياي اليك ان تختاري الخاطب الذي يريدك لا " لدوطتك "

المصهورة ولا يفصلنا عنها غير قشرة من الارض سمكها ٤٠ او ٥٠ ميلاً · وهذا الذائب الغالي يأكل في زعمهم من هذه القشرة شيئًا فشيئًا ولولا البراكين النارية التي تكون منه بمثابة مخرج البخار من الآلة البخارية لكانت تلك النار الباطنية اسرع اكلاً في تلك القشرة التي نمشي الآن عليها · على ان هذه البراكين مهما اخرت في اجل تلك القشرة فلا بد يومًا ان تصير هذه بفعل الحرارة الى حال لا تستطيع معها حمل ما عليها من الاثقال فتخسف بها ويغور الانسان والحيوان والنبات في شقوق واخاديد مفعمة بالمواد المصهورة الحامية كما يغور حجر تلقيه في قدر من الرصاص المصهور

وللقائلين بالنار مذهب آخر وهو انهم رصدوا حركة الارض وتقدمها البطيء من الشمس فوجدوا ان الارض صائرة الى الوقوع على الشمس فتبتلعها هذه ابتلاع افعى هائلة لعصفور حلَّ نظر الافعى عزمه فلم يجد الى الفرار سبيلاً

واما القائلون بالماء فيقولون ان الارض تتسطح شيئًا فشيئًا وان جبالها الشامخة تتفتت وتهبط وان تربتها تنقذف في البحار فيعلو قعرها وتهبط الشطوط فتغمرها المياه وتغرق الانسان · ويكون في ذلك اليوم حزن عظيم بين البشر ولكنه يكون فرح ووليمة عظمى بين الاسماك · · · · مصائب قوم عند قوم فوائد

ولهم في الماء رأي آخر وهو ان الارض يدهمها على التعاقب طوفان بعد آخر فيجرف كل ما على سطحها من القطب الى القطب · ولما كان لا يوجد في الارض الآن من هو اهل لمثل ما كان نوح اهلاً له فلا يكون فلك ولا نوح ولا غراب ولا حمامة بل يقضى على الانسان قضاء نهائيًا

واما القائلون بالبرد فيزعمون ان نار الشمس صائرة الى الخمود والانطفاء ويؤيدون هذا القول بادلة طبيعية مقبولة · فمتى خمدت نار الشمس او قلت حرارتها مات الانسان والحيوان والنبات وصارت الارض في طور الهرم اي صارت قمرًا ثانيًا

واما هلاك العالم بالثلج فراي للعلماء بنوه على ما شاهدوه من اتساع ثلج القطبين وامتداده على الكرة شيئًا فشيئًا · فزعموا ان هذا الثلج اذا بقي على هذا الامتداد اودى بالعالم اجمع

وقد تصور الفلكي فلامريون الفرنسوي الشهير هلاك العالم بالثلج وانقراض النسل بضعف النساء عن تحمل اوجاع الحبل ومتاعب الامومة · وكتب بذلك قصة جميلة صغيرة جعل حوادثها في مدينة في قلب افريقيا سماها الشمس ثم ضرب العالم بالثلج وبقلة النساء

وحمل بطل قصته آدم وامرأته حواء الى مصر فاجلسهما تحت جدران الاهرام وهنالك فاضت روحاهما والثلج منصب كالعهن المندوف والارض خاوية خالية . فانقرض بموتهما الانسان عن هذه الارض وساد عليها الهدوء والراحة الابدية . فلم يعد حزن ولا وجع ولا خصام ولا حرب -- بل صار على الارض هدوء القبور وراحة الاموات

اما هلاك العالم بالحدث الطبيعي فرأي لعلماء الفلك قالوا به لمشاهدتهم عوالم الفضاء تدور على خطوط غير متوازية . وعندهم ان الارض ستصدم في سيرها هذا احدى ذوات الاذناب فيؤدي بها وتؤدي به

هذا ملخص آرائهم الماضية وهي نهاية العالم حرقاً وغرقاً وبرداً وحدثاً

على ان المعزي في هذه المحزنات قولهم انها لا تقع كلها قبل ملايين من السنين والعالم يشبع من حياته من الآن الى تلك الملايين

ولكن عالماً من اشهر علماء الارض قام اليوم يقول بنهاية العالم بعد اربعة قرون وهو اللورد كلفن اكثر علماء الانكليز شهرةً واسماهم مكانة . فقد خطب في جلسة عقدها المجمع العلمي في تورونتو خطبةً ابان فيها انَّ الانسان يموت اختناقاً بعد اربعمائة سنة . فصارت الميتات خمساً : حرقاً وغرقاً وبرداً وحدثاً واختناقاً . فاختر لنفسك ما يحلو . . .

والدليل الذي استند اللورد اليه وبنى حكمه عليه نفاد الاوكسيجين من الهواء بعد ٤ قرون . فقد حسب مقدار ما في هواء الارض من الاوكسيجين على معدل المتر المكعب ومقدار ما تفرز منه اشجار الارض ونباتها ثم حسب ما يحرق البشر من ذلك الاوكسيجين على معدل الفرد الواحد فوجد ان الاوكسيجين ينفد من الهواء بعد ٤ قرون ويحل محله الحامض الكربونيك وهو السم القتال للرئة البشرية

واللورد كلفن ثقة من اعظم الثقات وكلامه هذا صادر عن روية وعلم صحيح فاذا صح حسابه كان اجل العالم قريباً .

وقد كان لكلام هذا العالم تاثير شديد في سامعيه وفي كل الاندية العلمية الاوربية . على ان اللورد لم يذكر الداء حتى ذكر الدواء ولكنه دواء مسكن مؤخر اجل المريض لا دافعه . فقد اختتم اللورد خطابه بطلبه الى جميع الزراع في المستعمرات ان يعنوا بزرع الاشجار لا ان يقطعوها ويحرقوها فانهم بزيادة زرعها يزيدون مفرزاتها من الاوكسيجين وفي ذلك زيادة مادة الحياة وتاخير اجل الانسان اما قطعها واحراقها ففيهما حرمان العالم مفرزاتها من الاوكسيجين اولاً واحراق مقدار من اوكسيجين الهواء ثانياً

ثم طلب الى جميع طبقات الناس الاهتمام بزرع الاشجار المثمرة وانشاء الرياض الغناء والبساتين الفيحاء توليداً للاوكسيجين مادة حياة الانسان · وقال ان هذه الطرق لا تدفع اجل الانسان ولكنها تؤخره ولا تمنع نهاية العالم ولكنها تبعدها

فاذا اعتنى الاب والام بعد اليوم باشجار الحديقة وازهارها يستطيعان ان يقولا اننا نروّح بهذا الاعتناء النفس ونروض الجسد ونستنشق الطيب ونزين المائدة والقاعة ··· ونزيد حياة اعقاب اولادنا

والذي يعزي الانسانية من الآن الى ذلك اليوم الاسود ارتيابها في صحة حساب اللورد كلفن اولاً وثقتها بالعناية الالهية وبقوة العقل الانساني ثانياً وهب ان حساب اللورد صحيح فلا نخال العناية تسمح بانطفاء شعلة العقل البشري قبل بلوغه اوج الكمال الذي يسعى اليه · فالاقرب والاصح انها تمن عليه باكتشاف طريقة توصله الى توليد الاوكسيجين توليداً صناعياً

وليس ذلك كبيرًا على عقل ذلّل الرياح والامواج واختصر البعد وسخر برق السماء وقاس ما بين عوالم الفضاء · بل ليس ذلك كبيرًا على من حوّل عناصر الهواء الى ماء وهو الاكتشاف المهم الجديد الذي انتشر خبره في اوائل هذا العام · واذا حُول الهواء الى ماء ايستبعد بعد ذلك ان يحوّل الماء الى هواء

وفي كل حال اذا اتى ذلك اليوم الاسود وماتت الانسانية اختناقاً فلا نكون نحن في جملة المختنقين ···

باب تدبير الصحة

(كلمات طبية)

❊ اسباب التهاب شعب الرئة (برونشيت) ❊ قال الدكتور صموئيل كي في خطاب قدمه في كلية لندن الطبية الملكية ان الخبرة تزرع بذارًا كثيرًا ولكن الحصاد منها قليل · واثمارها انما هي التي تنتجها الطبيعة وآمالنا تتعلق فيها لا غير · ولا ريب ان معالجتنا الجراحية بالوسائط المقاومة للفساد وشفاء الدفثيريا بالمصل مما يذهل له اتباع ابقراط وصيدنهام ويجعلهم في خيبة مما كانوا يعتقدونه وما هذا سوا نتيجة الخبرة · اما الرشح فكانوا ينسبونه

الى تولد رطوبات في الدماغ تنحدر الى الحلق والانف وبذلك كانوا يفسرون كثرة المفرزات المخاطية التي ترافق الزكام وما زال ذلك الراي مقبولاً حتى ايام شنيدر ١٨٦٧ الذي كتب في الفرق ما بين تعاليم الطب القديم والحديث ستة مجلدات ضخمة اوضح فيها جميع القضايا التي حصل فيها التغير في الرأي والعمل . وفيها قد بحث عن باثولوجية الزكام الشعبي . ولاريب ان تقدم علم التشريح وثبوت اكتشافه دورة الدم وارتقاء العلوم والمعارف منذ اواسط القرن السابع عشر قد جعلت الاطباء ينظرون الى الرشح نظرة اصح وصار رايهم فيه انه متسبب عن زيادة افراز من الغشاء المخاطي حاصلاً عن انحراف في وظيفة ذلك الغشاء سواء كان في الانف او الحلق او الشعب . والبرونشيت انحراف في افراز شعب الرئة . ثم قام سنة ١٨١٤ الدكتور تشارلس بدهام ودرس الزكام الرئوي درساً دقيقاً ووضع له اسم البرونشيت مميزاً اياه عن غيره من زكامات الاغشية المخاطية ولا يخفى انه قد يحصل البرونشيت بدون مرتشح مخاطي فيكون مفرزه بلغماً مؤلفاً من غشاء كاذب يتولد في باطن الشعب الرئوية

(اسبابه) ابسطها واوضحها التعرض لهواء بارد اولمادة مهيجة . فقد يدخل غرفة ملأنة من دخان الحامض النتريك جماعة ولا يصابون بشيء وبعد مدة يتعرض شاب منهم صحيح الجسم قوي البنية لهواء بارد داخلاً من نافذ غرفة او يضع منشفة مبلولة بالماء البارد على رقبته فيصاب بالالتهاب الشعبي الذي من اخص اعراضه الم في اعلى الصدر وعسر التنفس . واما الصوت فيبقى على ما كان اول يوم ثم يبح مرافقاً للسعال الجاف والخراخر المخاطية في الرئتين وارتفاع الحرارة وسرعة النبض وعجلة التنفس فياخذ البرونشيت مجراه الى اليوم السادس فيتوقف غالباً . هذا اذا لم يخالطه مرض آخر في سيره . فاذا نظرنا الى سبب الحادثة اعتقدنا لاول وهلة ان التعرض لبخار الحامض النيتروس او للهواء او للماء البارد كان السبب البسيط هذا اذا لم نلتفت الى امر المكروبات المرضية ومن اسبابه ايضاً الغبار واول من لاحظ ذلك رمازيني منذ قرنين وهذا السبب اهم في احداث الالتهاب الشعبي . على انه يجب النظر الى الفرق ما بين الغبار الحاوي مواد حية وبين غيره وما بين الحاوي مواد ذوابة وما بين غيره . فالذي يتضمن مواد غير قابلة الذوبان يكون غالباً معدنياً وقد يحتوي مواد نباتية كغبار معامل القطن والبرونشيت الحاصل منه يكون مزمناً وبطيء السير . ويرجح كونه يسبب العلة بتهييجه غشاء الشعب لذلك يكثر في معامل المعادن والقطن ويعدله ولع العملة بشرب التبغ والكحول . وقد يتحول

الزكام الشعبي الى ربو في بعضهم ولا ريب ان غبار المنازل التي لا تتم التهوية فيها على سقها يتضمن مكروبات مرضية اذا دخلت مجاري التنفس سببت هذا الداء . وهذه المكروبات قلما توجد في البيوت العالية والهواء النقي . واكثر وجودها في الاماكن القذرة الواطئة فهذا سبب آخر مهم من اسباب الداء . ومن اسبابه استنشاق بخار الابكاك الذي يحدث الربو التشنجي ايضاً وكثيرًا ما تكون دقائق البلن في الاعشاب سبباً لتوليد الداء في المستعدين له . وقد ذكرت حوادث تسببت عن رائحة الورد وبعض الرياحين الاخرى وبعضها تسببت عن رائحة الفطر وكانت شديدة الوطأة تسمم الدم بها لنمو جراثيم ذلك الفطر فيه

واما المكروبات الخصوصية فكثيرًا ما تحدث البرونشيت بدخولها الى الدم فكل من مكروبات الحمى التيفويدية والانفلونزا والحصبة والشهقة تحدث البرونشيت بكيفية غير مفهومة الى الآن ولعلها تعد الغشاء المخاطي الشعبي للالتهاب عند اقل سبب (الطبيب)

(كلمات بيتية)

الشعر . تطويله . منع تساقطه . لمعانه . ازالة قشرة الراس
ازالة الدهن من الشعر

لحضرة البارع حسن راسم افندي الحجازي بشبين الكوم

﴿ الشعر ﴾ الشعر مركب من بصيلات منغرسة في الادمة او في الطبقة العضلية . وهو خيط جوهري قرني مملوء تجويفه الباطني بلب حي وتنفرز جزئيات المادة القرنية من هذا اللب وهي كطبقات مخروطية تندفع خارجاً على الدوام وهو عبارة عن عدة مخروطيات متداخلة بعضها ببعض بالتعاقب من عضو مفرز لمادته بكيفية مستمرة ما دامت القوة موجودة . وهي تزداد ثم تنقص فتنقبض البصيلة وتفقد قوتها فيتساقط الشعر ولا يتولد بعدها . وفي سن الكهولة تموت البصيلة ويسقط الشعر ولا يتجدد مطلقاً لان الشعرة تسقط ومعها جزء من البشرة

والشعر يتكون من جوهرين احدهما ابيض اسفنجي من الباطن والآخر قرني صلب متلون من الظاهر بالوان مختلفة وفي الغالب يتكون من الجوهر الصلب

والاقليم له تاثير عظيم على نمو الشعر وتساقطه تساقطاً لا يفيده علاج . وبعض الشعر

زينة وبعضه وقاية كشعر الراس فهو غطأ وزينة . والحاجب فهو وقاية للعين وزية والاهداب فانها كالسياج للعين وتكون عليها كالشباك ينظر الانسان من خلالها عند هبوب الرياح وكالشارب واللحية فانهما يفيدان الجمال والوقار

وقد ينبت الشعر في بعض المواضع الحارة الرطبة كالابط فهو كالعشب الذي ينبت في الماء

« وقد قيل بان وجه الانسان كان اشعر كالقرد ولكن النساء جعلن ينتفن منه الشعر للزينة فثبت ذلك في نسلهن بالوراثة »

والنساء يملن جداً لصيانة الشعر لانه يزيدهن بهجة وجمالاً

والشعر اذا عرض لحرارة الشمس كثيراً يسقط ويصعب علاجه ورجوعه لحالته الاصلية . واذا كانت بصيلات الشعر حية فكل ما يقوي الجسم يقويه وعلى الاخص الدهن بالسوائل المنبهة للدورة الدموية كالسوائل المشتملة على (الزراح) فانها نافعة ومفيدة كما ظهر من التجارب العديدة

ويلزم غسل الراس بالماء والصابون في كل اسبوع على الاقل وتنظيف الشعر يومياً بالمشط في الصباح او بفرشة لينة الشعر حتى لا تزيد قشور الراس وتساقطها

واما اذا اريد تطويل الشعر فيدهن بقليل من المركب الآتي ويمشط بعدها . وليكن ذلك في كل يوم صباحاً . والمركب هو ٦٠ جراماً من ماء كولونيا و٨ جرامات من صبغة الزراح (كنتريدس) وبعض نقط من زيت اللوانده

او اذا دهن مرتين في الاسبوع بقليل من المركب الآتي :

١٢ نقطة من خلاصة ونترجرين و١٢ نقطة من صبغة الكانتاريد و١٣ جراماً من كحول كافوري و٢٥ جراماً من جلسرين بوراتي

واما اذا اريد منع تساقط الشعر فتخلط الاجزاء الاتية بعد معاً ويدهن الراس بها وجميع الشعر . وليكن ما يؤخذ منه بحجم البندقة ويغسل الراس بالماء الفاتر كل ١٥ يوماً على الاقل ويجب تنشيف الشعر جيداً . والاجزاء هي

١٥٠ جراماً من مرهم بسيط و٣ جرامات من خلات الرصاص المتبلور و١٣ جراماً من ريحان البير و٣٠ جراماً كحول وجرامان من صبغة الذباب الهندي وجرامان من صبغة القرنفل

او اذا ذلك الشعر بقليل من المركب الآتي في صباح كل يوم

٤٠ جراماً من زبدة الكاكاو و٢٠ جراماً من زيت زيتون نقي و٤ جرامات كنين

و٦ جرامات من تنين (جوهر قابض يؤخذ من قشور البلوط) و٨ جرامات من صبغة الطيبة

واما اذا اريد لمعان الشعر فيدهن بقليل من المركب الآتي بعد غسل الوجه صباحاً فيلمع الشعر لمعاناً شديداً وهو :

٢٠٠ جراماً من الجلسرين و٥ نقط من روح الياسمين ونقطة واحدة من الانلين

واذا اريد تمويج الشعر فيدعك بقليل من المركب الآتي ويُمشط بالمشط او بآلات مختصة بتمويج الشعر فيتموج تموجاً حسناً ويلمع لمعاناً شديداً ويبقى الشعر محفوظاً زمناً طويلا

واما اذا اريد ازالة قشرة الراس فتمزج الاشياء الاتية ويدهن بها الراس كل ليلة قبل النوم وتغسل بالماء الفاتر والصابون غسلاً جيداً كل ٣ ليالي وتنشف بفوطة ناعمة . وهي :

٤ جرامات من البورق وجرامان من روح النشادر و٢٠ نقطة من روح الورد و٨٠ جراماً من فازلين

واما اذا اريد ازالة الدهن من الشعر فيؤخذ زلال البيض ويضرب حتى يحدث رغوة كثيفة ثم يدلك الراس به ويلف بفوطة حارة الى اليوم الثاني فتمشطه صباحاً بعد الغسل بالماء الفاتر والصابون

واما اذا لم تنفع المركبات التي وصفناها آنفاً وهي من المركبات المهمة المجربة فلا بد ان يكون هناك مرض يُسأل عنه الطبيب

واما الصلع الطارئ لكبر السن فلا دواء له اصلاً وتساقط الشعر بسببه لا ينفعه اي دواء يوصى باستعماله لانه عديم المقدرة على ايقاف تساقطه



❊ نقطة عسكرية انكليزية على حدود مستعمرة الكاب ❊

اشعة رنتجن

جلست الى هند ذات مساء ... وثالثنا القمر الساهر
فحدثتها عن ضياء عجيب ... يسر برؤيته الزائر
له زرقة الماء لكنه ... شرار من النار متطاير
كمنتشر من غبار الزمرد ... يحمله لهب ثائر
كأن به للعيون عيوناً ... فكل خفي به ظاهر
يرينا الجسوم اضالع جفت ... وزايلها حسنها الناضر
هيا كل محكمة شادها ... لطيف لما شاءه قادر
يرفرف فيها الفؤاد كما ... يرفرف في القفص الطائر
فقالت وقد رابها ما وصفت ... واورى اللظى طرفها الفاتر
اتبدو خبايا القلوب به ... شواخص ينظرها الناظر
فياحبذا هو نوراً يريك ... مثالك في القلب يا جائر
فقلت اعيذ وفاءك مما ... يريب فاني اذن غادر
بهذا الضياء يرى كل جرم ... عن العين يستره ساتر
ولكنه لا يرينا الضمير ... ولا ما يجول به الخاطر
فسكنت من روعها ومضينا ... يؤانسنا القمر السائر
فلما رأتني اضالع سوداً ... يحيط سديم بها باهر
كلوح الزجاج المموج بالنو ... ر خط رموزاً به ساحر
ابت ان اراها كغصن تجر ... د من عوده الزهر الزاهر
وقالت عصتيك فيما اشرت ... وبالروح امرك والآمر
اضن بحسني وهو شفيعي ... لديك وعالك لي عاذر
فيا هندان زال منك الجمال ... فحسب المنى قلبك الطاهر
وان بان حسنك عن ناظري ... فان الفؤاد له ناظر

(خليل مطران · ونشرت في مجلة انيس الجليس)

جائزة اوزيريس

(كيف تحيي امم وتموت امم)

قرأت بامعان شديد ما ورد في باب التربية والتعليم في الجزء السابق من الاقتراح على العلماء · وحبذا هذه الفكرة فانها مما يرشد الى موضع الداء من جسم هيئتنا الشرقيـة ويدل على الدواء

وما جئت لالقي دلوي في الدلاء بين علماء افاضل يقاس شبرهم بذراعي وشبرهم بباعي وانما رأيت في الجرائد الباريزية نبأً علميًا جليلاً ذا علاقة بالموضوع الذي تكلمتم عنـه فاحببت بسطه لقراء الجامعة

وتفصيل هذا النبأ ان الغني والمحسن الفرنسوي المسيو دانييل اوزيريس قد وقف على العلم في باريز بموجب صك كتبه على نفسه في ٢٩ نوفمبر الجاري مالاً طائلاً موضوعاً في احد البنوك الكبيرة تبلغ فائدته في السنة ٣٢ الف فرنك اي ١٦٠٠ ليرة فرنسوية وجعله امانة في يد ادارة المجامع العلمية على ان تجمع فائدته كل ثلاث سنوات وتجعلها جائزة لمن يؤلف احسن كتاب او لمن يخترع انفع اختراع للانسانية في العلوم والاداب والفنون والصنائع والطب وغيره من الصناعات النافعة · وحتم ان يكون الذي ينال هذه الجائزة من الجنسية الفرنسوية الا اذا كان في تلك السنة معرض دولي عام فانها تمنح للذي يعرض انفع عمل وان لم يكن فرنسويًا · وقيمة الفائدة في الثلاث سنوات نحو ١٠٠ الف فرنك اي خمسة الاف ليرة فرنسوية وهي ثروة طائلة للعالم او الكاتب الذي ينالها ولا يخفى ما في ذلك من تنشيط العلم واحياء روح النشاط في صدور اصحابه

وللمسيو اوزيريس جوائز كثيرة غير هذه منها جائزة قدرها مائة الف فرنك فرضهـا للذي يعرض في معرض باريز القادم انفع عمل للانسانية او اجمل شيء تراه عينان · وقد حلت جائزته الجديدة محل الاعجاب لدى الامة الفرنسويه كلهـا فقامت جرائدها على اختلاف صبغاتها تردد الثناء على فضله في الاسبوع الماضي وارسل اليه سكرتير الاكادمي الفرنسوية المسيو جورج بيكو كتاباً يشكر له فيه هذا السخاء وقررت ادارة المجامع الفرنسوية دعوة جميع المجامع الى عقد اجتماع عمومي لابلاغها بصفة رسمية امر هذه الجائزة السنية

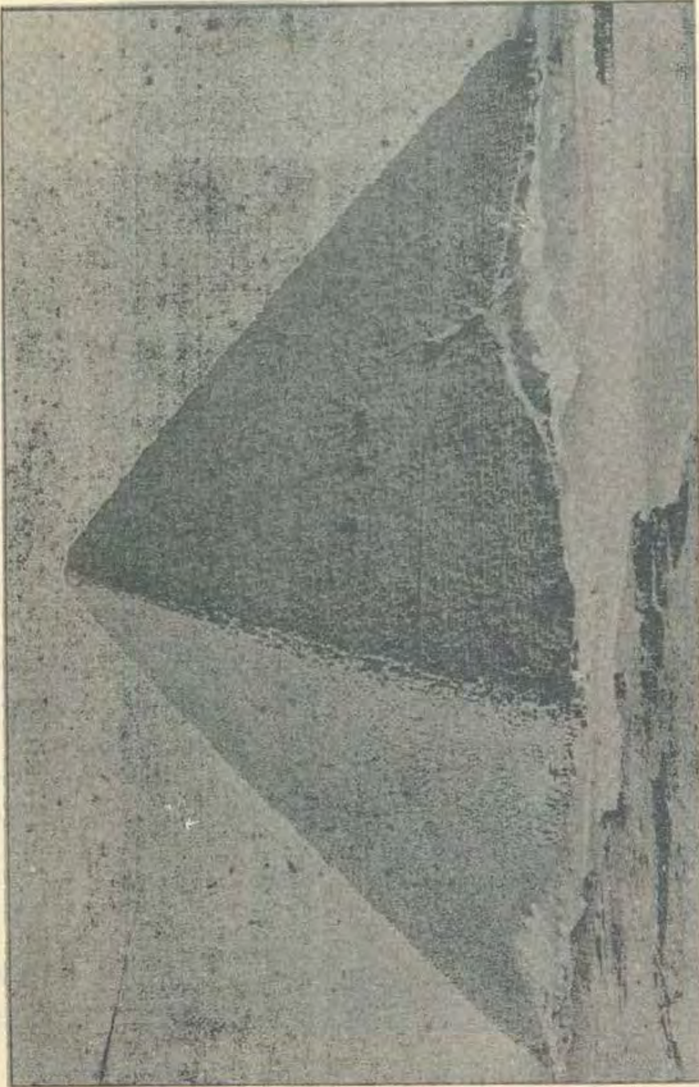
فمن له من اغنيائنا اذنان للسمع فليسمع · كذا تحيى الامم وتنبعث العزائم وتنهض الشعوب · العلم لا يقوم من غير المال واذا اتخذ الناس العلم حبالة لصيد المال كما هي الحال

الآن في الشرق سقطت عظمة العلم وتدنس شرفه ونما ضعيفًا قلقًا مضعضع الاساس حقيرًا ذليلاً . اما اذا خدم المال العلم قوي العلم فخدم بعد ذلك المال واصحابه ورقى الهيئة الاجتماعية كلها فالاغنياء بخدمتهم العلم يخدمون وطنهم و ينفعون انفسهم وابناءهم بعدهم ويخلدون اسماءهم كما قال المسيو بيكو عن المسيو اوزريس بضمها الى الاعمال العلمية الادبية فهل في اغنياء الشرق من تحدثه نفسه بالتشبه بالمسيو اويرزيس ؟

(ت . د . س)

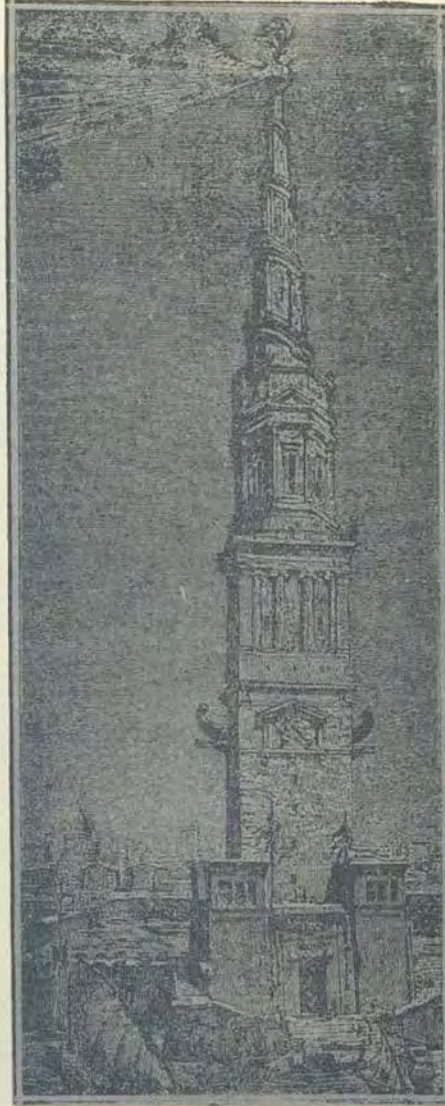


هرم ابي الهول



الهرم الاكبر

انظر تاريخه وتاريخ الاهرام في مقالة « عجائب الدنيا السبع » في الجزء العاشر صفحة ١٧٦



﴿ منارة الاسكندرية احدى عجائب الدنيا السبع ﴾

كذا يصورها بعضهم وبعضهم يصور قمتها مكشوفة من جميع جوانبها · انظر تاريخها في مقالة « عجائب الدنيا السبع » في الجزء العاشر صفحة ١٧٧

توحيد الاديان

حضرة الفاضلين منشىء ومدير مجلة الجامعة الغراء

اطلعت على ما في العدد ١٨ من جامعتكم الغراء بشان رأي هذا العبد الفقير بخصوص اظهار وفاق الانجيل والقرآن الشريفين فاقول

اولاً اني اشكر مزيد فضلكم على ما ابديتم لانه هو برهان لي على وفور حبكم لنشر الحقائق وجدكم في الخدمة العمومية وتنوير الاذهان ولكن اسمحوا لي ان اورد بعض ملاحظات توضيحاً لما ذكرتم وليس الغرض سوى تقديم خدمة عمومية ومنفعة بني الانسان ختمتم نبذتكم« توحيد الاديان » بنصحكم لي ان اعدل عن طلب المستحيل والا كنت كمن يصرخ في واد و ينفخ في رماد و بنيتم هذه النتيجة على وجود البغض والنفور في كل مكان وزمان بين الناس ولو كانوا من مذهب واحد او بلدة واحدة وقلتم ان اصل هذا الداء هو جهل الامم وابتعاد الروساء عن الجوهر وتمسكهم بالعرض ثم قلتم ان تعليم الشعوب وتنوير الاذهان هو اهم ما يلزم الاشتغال به واني اتيت بتاويل جديد

فاقول اما وجود البغضاء والنفور بين بني الانسان فهذا لا شك موجود في العالم منذ توالد الانسان على الارض من زمان قايين وهابيل وبين اولاد نوح وابرهيم وسائر الامم والشعوب حتى الآن ولكن اسأل حضراتكم هل كفَّ اهل الفضل عن التنبيه والتحذير والانذار والارشاد الى الهدى والصواب والاخاء والصفاء ؟ اما غاية كل الاديان والاداب والعلوم ازالة كل نفور وشحناء واسعاد الانسان في الدارين وما زال خدمتها يجدون في ابتغاء ذلك في كل مكان ؟

ثم ان هذه العداوة بين اهل الدين الواحد او البلدة الواحدة او الشعب او الطائفة الواحدة ليست غالباً الا جزئية بالنسبة وعرضية او لصوالح وقتية او خصوصية وغالباً محلية اما هنا في مسألتنا هذه فالنفور ابدي والعدوان ولا سيما الباطني القلبي هو كلي وديني وما زال منذ ١٣ قرناً في حدة واحدة ثم . انه ليس لامور وقتية او صوالح دنيوية بل لاهم الامور الجوهرية في الدنيا والاخرة . ولا بين امة او قبيلة او بلدة او طائفة بل بين مئات ملايين من الاحياء العائشين والوف ملايين من الذاهبين . وهذا ليس كل الامر بل ان شقاق هاتين الامتين العيسوية والمحمدية العظيمتين ممكن بقاء وجود الاغلاط والشحناء عند فروعهما ووطد دوام سائر شعوب الارض الوثنية في الضلال والبعاد عن قبول انوار الهدى

الصحيح الالهي الوارد في التوراة والانجيل والقرآن · مع ان دعائم واركان هذا الشقاق العظيم الكائن بينهما ليس في الحقيقة الا سوء مفهومية والتباسات وهميه في بعض نصوص منزلة لا تزيد حقيقة عن عشرين آية و يوجد ضد سوء تاويلها الوف من النصوص الصريحة في الثلاثة الكتب المنزلة وقد بينت ذلك صريحاً في ما نشرت حتى الان مما يضيق هذا المقام عن استيفائه · وما خلا ذلك فهو عرضي حقيقة و باعتبار الظروف والاحوال والبلدان والازمان· ولا تضاد اصلاً في هذه الكتب المنزلة المشار اليها

فبالله هل يجوز او يصح كتمان هذه الحقائق البسيطة الصريحة التي سوء فهمها اوقع اشد العدوان كل هذه العصور بين بني الانسان وسبب حروباً لا عدد لها كلية وجزئية قد اشقت مئات ملايين من البشر ؟

فلو التفت اصحاب الجرائد والمجلات والنشر الدينية الآن ولو جزئياً لاظهار الحقائق المجردة وتقريب القلوب بعضها من بعض وكذلك رؤساء الاديان وحفظة عقائد الايمان لو التفتوا في الله لهذا الامر الذي هو جوهر خدمتهم ودعوتهم وواجب ذمتهم ووظيفتهم وغاية علومهم وسلطتهم لكان خيرًا من تشغيل الناس بعد امواج ابحر السياسة والاخنباطات الدنيوية والهائهم بتقوية وتمكين دعائم الشقاقات الدينية والاختلافات المذهبية عوض الاشتغال في الحقائق الالهية والآداب العملية المطلوبة اولاً في الكتب الالهية

فانا يا سادتي اقوم بالواجب عليّ ذمة بتادية شهادة الحق في هذا الامر الجليل العظيم لواسع الاطراف باذن الله ونعمته لمن يريد ان يسمع او يقبل

ثم اني حتى الآن ما قصدت جهلاء الناس او بسطائهم الاميين بل اعرضت لروساء الاديان والعلماء وارباب الجرائد والمجلات التي تنادي دائمًا برغبتها في خدمة العموم والدولة اوالاوطان· فها اعظم مجال للاشتغال لا للجدال بل لاظهار حقيقة الحال · والعبد الفقير اخدم يقين قلبي وعقلي و باطني وظاهري لدى الله والملائكة ولدى الناس اجمع وكل يجزى بما يعمل

اما من جهة تاويلي الجديد فهذا حقيقة قديم بقدر قدمية الكتب المنزلة لانه مطابق تماماً لسائر نصوصها وحق مفاهيمها حرفياً ومعنوياً اجمالياً وافرادياً

فارجو من فضلكم وفاء لحقوق الانصاف ان تتكرموا بنشر ملاحظاتي هذه ولكم مزيد الاجر والثواب خريسطفور جباره

ق ا

الجامعة — من مزايا هذه المجلة انها منبر حر تتلى فيه جميع الاراء وتبدو فيه جميع

الافكار التي لا تكون صادرة عن هوى وقد نشرنا هذه الرسالة استناداً الى هذا المبدا وبناءً على الحاح صاحبها

﴿ تأثير المسكرات في النسل ﴾ وُلد لسكير سبعة اولاد مات اثنان منهم في الطفولية واصيب الثالث بالجنون وهو في الثانية والعشرين من سنه · واصيب الرابع بالبله وعاش الخامس معطل الجسد وكان السادس عصبياً الى حد ينذر بقرب الجنون · واما السابع فكانت انثى مصابة بمرض عصبي يشبه الجنون

وهناك عائلة كان والدها سكيراً اولاده ١٢ مات ٨ منهم اطفالاً بالتشنج العصبي المشهور وعاش صبيٌ من الباقين مصروعاً (اي مصاباً بداء النقطة) سيئ الآداب دنيء الاخلاق وصبيٌ آخر نشأ سكيراً · وظلت بنتان احداهما مصابة بالهستيريا الجنوبية والاخرى نشأت على الفجور

وفحص بعضهم ٨٣ مصروعاً فوجد ٦٠ منهم من نسل السكيرين (الهلال)

﴿ عرابي باشا وكنته ﴾

اخبرت جريدة سيلان عن حدوث خلاف بين عرابي باشا وكنته امرأة نجله محمد عرابي بك ادى الى اقامة الدعوى امام المحاكم · وتحرير الخبر ان الكنة تدعي بان عرابي طلبها من ابيها عبد القادر بك الذي كان بوظيفة اميرالاي بالجيش المصري حينما كان عرابي قائداً عاماً فقبل ابوها لكنه كان يجهل ان صهره مصاب بمرض في عينيه فلما وقف على الحقيقة طلب الى عرابي باشا ان يضمن معيشة ابنته واولادها ولما نفي حموها الى جزيرة سيلان رتبت له الحكومة المصرية معاشاً شهرياً قدره ٣٠ ليرة انكليزية اسوة بباقي المنفيين فذهب ابنه وامرأته معه ثم زادت له الحكومة ذلك الراتب الى ٥٠ ليرة بالشهر نظراً لوفرة اسرته المؤلفة من ٦ اشخاص · وكان عرابي يعول نجله وقرينته واولادهما حتى عام ١٨٩٠ اذ اضطر الفريقان الى الافتراق فخرج نجله وامرأته واولادهما الخمسة من منزله واكتروا لهم منزلاً خاصاً فرتب لهم عرابي باشا ٢٠٠ روبية بالشهر · وفي العام الماضي طلق محمد امرأته وعاد وحده الى منزل ابيه فعين عرابي لها ولاولادها راتباً شهرياً يبلغ ١٦٠ روبية ودام الحال على هذا المنوال حتى شهر آب الماضي اذ قطع عنهم هذا المرتب فجأة فهي الان تطالب حماها براتب شهري لها ولاولادها ليعيشوا (الاحوال)

قلب مريض لجنح مهيض

وكل اخ يفارقه اخوه لعمر ابيك حتى الفرقدان

على شاطيء البحر المتوسط ارض كانت في القديم تدر لبناً وعسلاً وتمين اربعة عشر مليوناً من النفوس · مدنها كانت طريق القوافل بين الشرق والغرب وبحرها الرومي ذو العين الزرقاء الذي يعانق شواطئها الجميلة كان يحمل على متنه اول الاساطيل الحربية القوية واول المراكب التجارية

هرمت هذه الارض العظيمة في التاريخ لما نزل بها من تواتر الحروب واشتداد شوكة الجهل الذي تنضب معه ينابيع الثروة وتزول به كل سعة وهناء · ثم انصرفت عنها مجاري التجارة والصناعة الى طرق اخصر منها فضاقت هذه الارض العظيمة بسكانها حتى اصبحت لا تمين ٣ ملايين بعد ان كانت تمين اربعة عشر مليوناً

فنام ابناؤها قروناً نوم الضعة والخمول بعد ذلك المجد المعهود والظل الممدود حتى انتبهوا من رقادهم بوسائل يطول ايرادها فقاموا الى بلاد الله الواسعة يضربون في فلواتها وينشدون العز حيث وجدوه والثروة حيث ظفروا بها وهم يلقون في كل ارض حلوا فيها اهلاً باهل واخواناً باخوان

فكان مثلهم في ذلك مثل الطيور التي يجف نهرها ويذبل زهرها وتحرم موارد عيشها وتغادر بقعتها الى بقعة تجد فيها سعة العيش ورخاء البال

***

وكان بين هذه الطيور المهاجرة اوطانها العزيزة ومواقعها الجميلة طائر نزعت به نفسه الى ان يحذو حذوها لثقل اصبح يجده في المعيشة فوق الارض التي وُلد عليها · فاطلع اهله على عزمه · وكان له اخ ذكرٌ واختان يعيشون تحت رعاية اب وام شيخين في عش جميل مبني في جوف شجرة قوية لا سبيل للزوابع والامطار اليها وهذه الشجرة قائمة في وسط حديقة فيحاء تعطر نفحاتها شواطيء البحر المتوسط وتلتقي انفاسها بانفاسه فوق ارض الفينيقيين كانها تحيي الاجيال الماضية · فحزن اهل الطائر لعزم كبيرهم على مغادرتهم وحاولوا اثناءه عن عزمه · فقال ابواه الشيخان — تتركنا ونحن في هذا العمر فماذا يحل بنا بعدك · وقالت احدى الاختين — اسافر معك وقدمي قبل قدمك · وقالت الثانية — سافر ولكن على شرط ان نسير اليك بعد زمن قليل · وكان الطائر الذكر الصغير ساكتاً · فساله الكبير

رأيه فقال . — الله معك يا اخي سافر فانا ابقى هنا بعدك . صار واضحًا ان المجال في هذه الحديقة ضيقًا دونك . وهذا الفضاء اهل لسماع انغامك لانه وطنك ولكن يلزمك فضاء اوسع وارض اشد خصبًا . فاذهب الى بلاد الله الواسعة وارتد لنا المكان فنلحق بك جميعًا بعد حين . انا اسلي ابويَّ في شيخوختهما بالنيابة عنك واخدم اختيَّ بما لدي من القوة . اترك العائلة على ظهري فانه يستطيع حملها وان كان لا يزال لينًا ضعيفًا . على ان الواحي اذا كانت لا تزال ضعيفة وريشي لم يكمل بعد فان قلبي كبير وارادتي قوية . رح واعد لنا مكانًا اوسع من هذا

هكذا تكلم الصغير . فلم يقتنع الابوان والاختان بل نادوا الطيور الاصدقاء وقالوا تعالوا وانظروا هذا صديقكم سيرحل عنا وعنكم فغيروا عزمه . فحاولوا ذلك بطرق مختلفة فلم ينجحوا . وكان اشدهم تاثيرًا عليه واحد منهم قال له ان وطنك الذي ربيت فيه احق بانغامك من جميع الاوطان واجدر ان تميت ما في تربته من الحشرات والدود من تربة سائر البلدان . ولكن الطائر الكبير اسكتهم جميعًا بقوله « ما انا الذي طلبت الغربة بل هي التي طلبتني »

فسكت الجميع واستعد ذلك الطائر لمفارقة اهله واصدقائه ووطنه . وقبل سفره اخذ اخاه الطائر الصغير الى جانب لمحادثته في واجباته نحو العائلة مدة غيابه . فقال الصغير — لا تقل شيئًا يا اخي ولا يهمك شيء انا هنا نائب عنك . ويلذ لي ان يكون على ظهري واجبات وانا صغير لا استطيع الطيران بعد . فان همة الانسان تكبر بكبر واجباته . فثق ان همتي ستكون مضاعفة . ان دم النشاط والكبر الذي يغلي في عروقك احس بغليانه في عروقي لان دمي من دمك . وارى منذ اليوم ان الدنيا تبسم لي وطريقي وطريقك مفروشتين زهرًا وريحانًا ... الحياة ما احلاها يا اخي وما احلى جهادها . هكذا علمتني في صغري فانتقش ذلك على صفحات قلبي . وسترى نشاطي وقوتي في هذا الجهاد متى استطعت الطيران من عشي والنزول الى ميدان العالم . سأترك طيوره تتحسر على سبقي واقدامي وادعك تفتخر بي بين طيور جميع الحديقة . فسافر الى ارض واسعة واعد لنا فيها مجالاً نبرز فيه ما لدينا من النشاط والاجتهاد ولا نترك ذلك يُدفن في هذه الارض الضيقة والتربة القاحلة

فقبله الكبير وقلبه طافح سرورًا باخ هذه عواطفه ثم ودع الاهل والاصدقاء وبسط جناحيه وراح يسبح في الفضاء الواسع قاصدًا بلاد الله الواسعة

***

سار وسيره خطوة والتفاتة . التفاتة الى ما خلف وراءه من الاعزاء وخطوة الى عالم جديد كبير يجرب قواه فيه ويقتحم تياره وهو بلا سلاح غير قوة ارادته وثبات عزمه واستصغاره كبائر الحياة. فحط في وادٍ ظليل تسقي ضفتيه مياه النيل . والقى بنفسه في زوابع حياة جديدة غير معتمد الا على نفسه ولا معول على غير قواه

وهنا نمسك القلم عن وصف اعماله في هذه الحياة الجديدة فان ذلك لم يأت وقته بعد وربما افرد له عند الانتهاء قريباً كان او بعيداً سفر مخصوص تُذكر فيه الحوادث تفصيلاً لان فيها ما يستحق التدوين في بطون الاوراق للوصول الى الاجيال الآتية . وانما نذكر الآن ما كان منه قبيل انتهاء امره واخراج بزره . فقد كان هذا الطائر في كل ادوار اغترابه عن وطنه واصدقائه واهله عظيم الثقة بنفسه بساماً للمستقبل ناسياً للماضي . وقد بلغ مقاماً صار يحتاج عنده الى من يعينه في عمله فذكر اذ ذاك اخاه الطائر الصغير . فارسل يساله ما قولك في المجيء. فاجاب الصغير — ذلك احب ما يكون اليَّ يا اخي . فقال الكبير فتيهأ للحضور فاني قد اعددت لك المجال الواسع الذي كنت تطلبه

ومن ذلك الحين صار الكبير يفتكر بما سيكون من مستقبل الصغير . فانه نُشيط قوي شديد كدعامة البيت . وديع بسيط كالطف الفراخ . قوي العقل شديد الاخلاص مفتوح القلب للعواطف الكريمة والاخلاق الفاضلة . كان يفتكر الكبير بهذه الاخلاق ويقول انها اثمن من كنز ومن ملكها فانه غني بها عن كل شيء . ومن ملك مالكها فقد ملك كنوزاً ثمينة

فهنيئاً ياصغيري لاخ انت اخوه وسقياً لعش درجت فيه فاعطاك ما فيك من الفضائل الكامنة . تعالَ يا اخي الى ارض الفراعنة لانماء تلك الفضائل في تربة وادي النيل المخصبة تحت شمسها الشديدة المنضجة . الاخ ضعيف مهما كان قوياً اذا كان بلا اخيه فان الاخ جنح اخيه بل شطر من نفسه فتعالَ ياجنحي وياشطر نفسي . شجيرة واحدة لا تثبت في وجه العواصف طويلاً ولكنها اذا اشتبكت بشجيرة مثلها او اضعف منها قويتا معاً على مقاومة العاصفة . فما احلى يوماً يكون فيه جنبي الى جنبك وجنحي الى جنحك نطير معاً في جو هذا العالم فنهزأ بعواصفه ونضحك من قواصفه ونصرف حياتنا على هذه الارض في التعاون على نفع انفسنا وذوينا وخدمة الله والناس بما في استطاعتنا

***

ولكن يا للاحلام الكاذبة والامال الخائبة . يالزوال الدنيا وغرور هذه الحياة .

نُسجت خيوط هذه الحياة من الاحزان ونحن نريدها خلوًا منها . طُبعت على كدر ونحن نريدها خلوًا من الاكدار . تكلمي يا ازاهر الروض وقولي كم فجعك الزمان بنضارتك وبهائك . كم احرقتك الشمس واتلفك البرد واكلتك الحشرات وداستك الاقدام . وانتِ ياجميع مخلوقات الله الدابة على الارض والسابحة في الماء والهواء نادي بمصائبك على السطوح ليسمعها صاحب المصيبة الآتية لعله يتعزى بها

واسفاه . لقد كان الطائر الكبير كمن بنى قصورًا في الهواء . فقد كان في مساء يوم واقفًا على شجرة يتهيأ للمبيت للاستراحة من جهاد النهار واذا به من غير تنبيه ولا توطئة ضُرب ضربة اسقطته على الحضيض راسًا على عقب . وسمع قائلاً يقول : « راح الصغير » فاختبط واراد النهوض مذعورًا فاذا به مكسور الجنح لا يستطيع طيرانًا . وسمع عقب ذلك هذا القائل يقول « مات الصغير مات الصغير »

فالسلام على آماله الماضية ورحمتاه لعذاباته الآتية . راح الصغير فراح معه دور من العمر وجاء دور . راح الامل بهناء العيش في مستقبل الحياة وجاءت ايام مسمومة بالحزن عليه وستبقى كذلك حتى المماة . كان واقفًا بازاء عشه قريبًا من ابويه واختيه فباغته باز قاس واختطفه منهم . فهلا رحمت ايها البازي القاسي صباه . هلا احترمت غربة اخيه وكفيت اهله مصابهم فيه . امن اجلك ربوه وسهروا عليه . امالك اخوة واولاد فتعلم قدر الاخوة والاولاد . ياقاسي لماذا لم تسألهم اذا كانوا يفدونه . ياظالم هلا امهلته حتى يشبع من هذه الحياة . تاخذه دون ان اودعه والثم محياه . ليتك اخبرتني وانتظرتني حتى اراه

هكذا قال الكبير وهو معذب الفؤاد . الا انه ما اتى على هذا الكلام حتى سمع خفقان اجنحة فوق راسه فرفع عينيه فابصر روح اخيه ترفرف في الفضاء وهي تنظر اليه وتشير بالوداع . فبسط الكبير جنحيه دهشة واضطرابًا وقال :

« الله معك يا اخي . هكذا اقول لك حين سفرك من هذا العالم كما قلت لي يوم سفري . عش سعيدًا بعدنا ولكن اذكرنا . تتركنا مكسوري الاجنحة والقلوب فنحن لا نلومك لانك مضطر الى هذا السفر البعيد . ولكن ليتنا نستطيع السفر معك . اتذكر يا اخي ما طلبت مني يوم سفري من ان اعد لك مكانًا واسعًا في الارض التي اسافر اليها . فقد جاءت نوبتك الآن بان تعد لي مكانًا واسعًا في الارض البيعدة التي تسافر انت اليها . ولا تخشَ ان اكون اقل وفاء منك . صعدتُ بالفكر قبلك الى تلك الارض ورأيتها قبل ان تراها . لقد كرهت هذه الحياة واطوارها وسئمت الدنيا وزينتها والشهرة ولذتها

وكل ما هو تحت الشمس صار بعدك اسود في اعيننا · الله معك سافر ولكن اذكرنا وعلى الخصوص انتظرنا · تذهب الى ارض النور ونحن نبقى في ارض الظلمة · فهنيئاً لك يا اخي · لا احزن على انك لم تدخل هذا العالم لاني اعلم انك قلما كنت تجد فيه شيئاً يسرك وانما احزن لاننا لم نعد نراك ولم تعد ترانا · اصحيح انّنا بعد اليوم نعيش هنا من دونك وتعيش فوق من دوننا · تعالَ الينا ام نذهب اليك فان الحياة على هذا الوجه صعبة عليك وعلينا · وما هي الحياة ؟ — هي ان يكون الانسان سعيداً · ولكن هل في الامكان ان تكون سعيداً بعيداً منا او نكون سعداء بعيدين منك · فاما ان نذهب اليك او تأتي الينا »

***

ولكن ما اتى الكبير على هذا الكلام حتى غابت الروح وسمع صوتاً جهورياً يقول

« الموت ناموس كالحياة فلا تفرحوا للولادة ولا تحزنوا للوفاة · وانت من انت يامن تحزن بهذا اليأس · امادي ام الهي · ان كنت مادياً فهذه المادة قد انحلت عناصرها طبقاً لناموس المادة · فمن تشكو ؟ وماذا يفيد حزنك ؟ اما انت القائل بضرورة هذا الانحلال ووجوبه ؟

وان كنت الهياً انسيتَ ان ارادة الله فوق ارادتك ونواميسه الازلية الابدية لا بد من ان تجري مجراها فمتى كان للمخلوق ان يحتج على عمل الخالق »

وكان الطائر الكبير يسمع ولكن لا يرى شيئاً فلما سكت الصوت السري هزّ الطائر راسه وقال « هذا صوت العقل ولكن ما العمل بصوت القلب · وكيف يسكت القلب وقد طُعن في صميمه · كيف تُحتمل الحياة بعد الآن وقد ذهب الامل وزالت الثقة وانكسر السلاح في يد المحارب · كل المصائب تهون على الانسان لو انقضت الصاعقة فشقت الارض تحت قدميه · لو فقد ماله الذي هو مورد عيشه وسلم ارتقائه · لو انهدم بيته وماتت حيواناته وتلفت مزروعاته وبارت تجارته · لو فقد نور عينيه وقوة بنيته — كل ذلك هين محتمل ولكن فقدك ياصغيري ووحيدي صعب غير محتمل · فمالي ولصوت العقل فانني لا اسمع الآن الا صوت قلبي · وساحزن عليك حزناً يعلم كل اخ كيف يكون حزن الاخ على اخيه »

قال هذا ثم راح كسير الجناح يطوف شطوط البحار وضفاف الانهار وحيداً متاملاً يبكي بدمع سخي · وهو يقول

كنا كغصنين في جرثومة سمقا حيناً باحسن ما يسمو له الشجرُ
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما وطاب فيئاهما واستنظرَ الثمرُ

اخنى على واحدٍ ريب الزمان وما يبقي الزمان على شيء ولا يذرُ

وكان يهب عليه احياناً في الليالي الصافية تحت شعشعة النجوم في قبة السماء نسيم بليل من جهة بلاده فيمسح دمعه صامتاً في سكون الليل وهو يضغط قلبه لئلا يسمع زفيره و يقول

اذا ما اتتني الريح من نحو ارضه اتتني برياه فطاب هبوبها
احنُّ لذكراه اذا ما ذكرته وتنهلُّ عبرات تفيض غروبها
حنين اسير نازح شُدَّ قيده واعوالَ نفس غاب عنها حبيبها

واذا قيل له نم واطلب راحة لنفسك انشأ يقول

ابعد اخي يلذ النوم عيني وكيف ينام مقروح الجفونِ
سابكي ما حييتُ على شقيقٍ اعزَّ عليَّ من عيني اليمينِ
وقالوا لِمْ بكاؤك قلت مهلاً الا ابكي وقد قطعوا وتيني

و بقي هكذا على ضفاف الانهار والابحار يقضي الليل والنهار باكياً نادباً . وكانت الطيور السعيدة اذا لقيته اقبل بعضها عليه لتخفيف ما به و بعضها يشير اليه من بعيد قائلاً — مسكين هذا الطائر فانه ذو قلب مريض وجنح مهيض

تاريخ الاسبوعين

مصاب الجامعة

﴿ مخائيل انطون ﴾ قال لابروبير الحكيم ينبغي ان يكون للانسان صبغة فلسفية تساعده على احتمال هذه الحياة . وقد جعلنا هذا الكلام توطئة لنبأ اليم نذكره لقراء الجامعة واصدقائها واقربائها في اميركا ومصر والشام نزل علينا في اوائل هذا الشهر نزول الصاعقة دون ان يُمهدله . وهو وفاة الشاب الاديب المأسوف عليه

((مخائيل انطون))

شقيق منشيء هذه المجلة وخال مديرها

توفاه الله في اسكلة طرابلس الشام في ٣٠ سبتمبر الماضي بالحمى التيفوئيدية التي اتخذت

دماغه وقلبه مقيلاً لها فلم تمهله اثني عشر يوماً فراح الى ربه وعمره ٢١ سنة ممتلئ الجسم قوة ونشاطاً ومفعم الصدر املاً وادباً

وانما نلقب مصيبتنا مصيبة الجامعة وننعي فقيدنا العزيز الى قرائها لانه كان قبل وفاته قد ترك مدرسة الفرير الكبرى في طرابلس الشام استعداداً للحضور الى مصر ليكون لنا عوناً على خدمة هذه المجلة . فيحق لها ان تنعيه وتبكيه وتلبس السواد حداداً على خادم كان يستعد لقضاء عمره في خدمتها

وننعيه الى اصدقاء الجامعة واقربائها لانهم عرفوا الفقيد فعرفوا معنا قدر هذه المصيبة العظيمة التي رزئنا بها وما كان يرجى من مستقبله رحمه الله لو افسح الله في اجله

خلاصة ترجمة زهرة عاشت صباحاً واحداً ولد رحمه الله في اسكلة طرابلس الشام وربي في مدارسها الابتدائية ثم دخل مدرسة حضرات الآباء الفرير في الاسكلة فتلقن فيها مبادىء اللغة العربية والفرنسويه . ومنها انتقل منذ اربعة اعوام الى المدرسة الوطنية الارثوذكسية التي كان يديرها منشىء هذه المجلة في اسكلة طرابس فدرس فيها اللغة الفرنسوية والعربية والتاريخ والجوغرافيه والحساب والخطابة والانشاء والمبادىء الطبيعية . وكان في هذه المدرسة ١٩٠ تلميذاً من كبار وصغار فكان الفقيد انبغهم في الحساب وكل ما يتعلق بالامور الرياضية . ولم يجاره في الخطابة والانشاء الا اثنان من رفاقه . وكفى بذلك دلالة على استعداده وقواه العقلية . ثم انتقل من هذه المدرسة الى مدرسة الفرير الكبرى في طرابلس البلدة فسار في صفها الاول يكمل ما بدأ به من الدروس الادبية حتى اضطرتنا كثرة اشغال الجامعة الى استدعائه لمساعدتنا في شؤونها فسبق داعي ربه داعيَ الجامعة فقضى واسفاه قبل بلوغه دعوتنا النهائية

صفاته واخلاقه ونعلم انه ليس من حسن الذوق امتداح الاخ القريب لان ذلك بمثابة امتداح النفس ولكن علينا هنا واجب ادبي ينبغي ان نقوم به نحو الفقيد العزيز . ولا نحاول استيفاء الكلام على كل ما يخطر في الخاطر الحزين بشأن اخلاق الفقيد وما نعرفه عنه وانما نجعل الكلام مقصوراً على ما يدل منها على حقيقة نفسه

منها (الاقدام) فانه كان على رطابة عوده لا يتهيب شيئاً ولا يحجم عن شيء . ولكنه اقدام مصروف الى الخير لا يغمس في الشر اصبعاً ولا ينقل اليه قدماً . ومنها (الايثار) فانه كان شديد الاحتمال لمر هذه الحياة وخلها كثير الصبر على كل ما يعرض له منكراً ذاته من اجل اهله واصدقائه . ومنها (العدل والاعتدال) فانه كان محباً للحق

سواء كان معه او عليه غير مفرط ولا مفرّط كالحمل الوديع يقوده طفل صغير بزمام الحق ولكن بغير الحق لا يقوده رجل كبير . ومنها (بياض السيرة والسريرة) فانه في جميع المدارس التي درس فيها كان في مقدمة التلامذة في الاجتهاد وحسن السمعة وكل رفاقه يشهدون بان من كان منهم يسيء اليه اليوم اذا جاءه غداً قابله الفقيد بفم باسم وقلب لا يحفظ حقداً . ومنها (الادب والتدين والاجتهاد) فانه قضى ايامه القليلة على الارض ورفاقه واهله يسمونه « بنت البيت » لادبه واجتنابه الاجتماعات الدنيوية وملازمته المدرسة والبيت اشتغالاً بالدرس . ومنها (حب المطالعة) فانه كان شديد الولع بقراءة الكتب المفيدة كسر النجاح والنقش في الحجر والمقتطف والهلال . كثير البحث والاستطلاع لمعرفة حقائق الامور ونواميسها

وكان رحمه الله قوي الجسم وان كان نحيف الوجه طويل القامة كالنخلة القوية شديد التاثر « رخص الدمعة » اي سريعها وتلك خصلة تغلب في الفتيان الذين يُظلمون بين رفاقهم ولا يَظلمون لانطباعهم على القناعة وحب السلامة ولين العريكة

هذا هو الشاب الذي فقدناه . وتلك بعض البذار التي كانت في نفسه الرطبة الكريمة . ومن هذه البذار على صغرها في اول امرها تُعلم حقيقة نفس الفقيد ومقدار الخسارة التي رزئ بها اهله ومبلغ الخسارة التي خسرها هو نفسه بانقصاف غصن شبابه قبل ان يقضي حاجات نفسه ويعطي كل ما كان يُنتظر منه من الثمار الادبية

فنم سعيداً في منزلك الابدي ايها الفقيد العزيز . لقد اريتنا كيف تكون الاخوة في حياتك فنحن نريك كيف تكون الاخوة في مماتك . نخاطبك ونحن من حفرتك المقدسة على بعد مئات من الاميال ولكننا نعرف كراماً سيأخذون هذه السطور والتي نقدمتها اليك ويتلونها عليك فتتحرك لها عظامك تحت التراب . ولكن فلتسترح هذه العظام ايها الحبيب في حفرتها ولتطمئن نفسك في منزلها فانه ليس من شانها القلق والاضطراب اذ قد قامت بواجباتها . وقد كانت ترغب في ان تصنع اكثر مما صنعت لو لم يُسدل عليها ستار ذلك السر العظيم الذي يسمى موتاً بحكمٍ من خالقها .

واذا كان خطبنا فيك عظيماً فان عظمه قد يكون داعياً الى تخفيفه فقد عرف كرام الناس مبلغ رزئنا فيك فتتالت علينا وعلى اهلك من داخل القطر وخارجه تعازي المعزين بينها تعازي كتابية من كرام ليس لنا شرف معرفتهم تكرموا بمشاركتنا في هذا المصاب لمعرفتهم وقعه علينا . وكلهم يقول فقدتم اخاً ولكن كلنا اخ لكم . اليس في هذا اللطف والرقة

ما يخفف الحزن مهما كان عظيماً

ان الانسانية كالزهرة الفارسية التي ذكرها شعراء الفرس · فانها تكون في ايام الصحو والشمس طالعة ملوية الراس عديمة الرائحة · فاذا غامت السماء وهبت الريح رفعت راسها· فاذا هطل المطر وعصفت الزوبعة استقامت ساقها وانتعشت ونشرت ريحاً طيباً

وكذلك زهرة الانسانية في هذه الحياة · فانها تكون ساكنة في ايام الصحو وقد تكون منقسمة الاهواء فاذا عصفت بها زوبعة المصائب سكتت اهواؤها واجتمعت عواطفها ونشرت الى ذوي المصائب اذكى ما في جبلتها من الرائحة الطيبة

فنشكر من صميم قلوبنا الجريحة بالنيابة عن جميع اهل الفقيد جمهور الاصدقاء والمعارف والقراء الذين شاركونا في مصابنا في داخل القطر وخارجه ونسأل الله ان يقيهم كل سوء والا يريهم مكروهاً بمنه وكرمه

اما انت ايها الحبيب الراحل فنسأل الله تعالى ان يلهمنا نعمة الصبر بعدك ويمطرك صيب الرحمة والرضوان ويحسن اليك في المماة عداد حسناتك في الحياة · ولا تخشَ ايها الحبيب ان نسلوك او ان ننسى مناقبك وفضائلك فان ذكرك يبقى ملء الافواه والقلوب حتى تجمعنا واياك المنازل الابدية

وان سلوي عن مخائيلَ ساعة　　من الدهر ماحانت ولا حان حينها

سواء علينا ياحبيب قلوبنا　　اذا غبتَ بأساء الحياة ولينها

اعتذار

يعذرنا حضرات القراء الكرام اذا لم يجدوا في هذا الجزء من الجامعة ما تعودوا ان يروه فيها من تسلسل المواضيع واطراد الابواب واستيفائها فان المصاب حبس الفكر والقلم فحيل بينهما وبين المواد التي كنا قد اعددناها لهذا الجزء· ولذلك استعرنا لبعض صفحاته اقلام بعض الرصفاء والاصدقاء حتى لا يكون حزننا مانعاً من صدوره فيفوت القراء شيء من حقوقهم

اما ملزمة الرواية فقد ابقيناها لننشرها مع ملزمة الجزء القادم للعذر المذكور آنفاً والكريم من عذر والسلام

السنة الاولى

الجامعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

تصدر مرتين في الشهر



لصاحبيها

منشئها فرح انطون

ومديرها مخائيل كرم

قيمة الاشتراك في السنة اربعون غرشاً مصرياً في داخل القطر وثلاثة عشر فرنكاً في الخارج

وعن نصف سنة ٢٠ غرشاً مصرياً في الداخل وثمانية فرنكات في الخارج

(الدفع سلفاً)

AL- JAMYAT

REVUE SCIENTIFIQUE ET LITTERAIRE

Alexandrie - Egypte

جميع المراسلات يجب ان تكون خالصة اجرة البريد بعنوان « ادارة مجلة الجامعة »

فهرست السنة الاولى من الجامعة

مظفر الدين شاه على عرشه

الجامعة

(الجزء الاول) (السنة الثانية)

الاسكندرية ١ افريل (نيسان) سنة ١٩٠٠ الموافق ١ ذي الحجه سنة ١٣١٧



﴿ عظمة مظفر الدين شاه ﴾

شاه ايران الحالي جالس على عرشه الملكي وحوله حاشيته ورجال سلطنته في قاعة العرش المكللة بالازهار والمرصعة بالاحجار الكريمة . وهو رسم فوتوغرافي رسمه سائح اميركي في طهران باذن الشاه في السنة الماضية . وثمن العرش الذي يجلس عليه الشاه ٢٥ مليون فرنك



مشاهير المتقدمين والمتأخرين

دولة ايران

ناصر الدين شاه * مظفر الدين شاه

روسيا في ايران · البلاد الايرانية · ناصر الدين شاه · مظفر الدين شاه ·
الجيش الايراني · تجارة الايرانيين وصنائعهم · كلمة لفيكتور هيغو
تصدق اليوم في ايران وغيرها

توجهت انظار العالم في الاشهر الاخيرة الى بلاد الفرس لامرين · الاول لتواتر الاشاعات عن استفحال نفوذ روسيا في تلك البلاد والثاني لعزم عظمة مظفر الدين شاه الفرس على السفر الى اوربا لزيارة معرض باريز واهم العواصم الاوربية

اما استفحال نفوذ روسيا في ايران فليس بالامر الغريب لان ذلك امر طبيعي منتظر اذ بلاد الفرس واقعة في وجه روسيا وطريقها الى خليج فارس والاوقيانوس الهندي ولا غنى لروسيا عن مرفاء في هذا الخليج لتأييد مصالحها التجارية والسياسية · اما مصالحها التجارية فهي جعل منافذ لتجارتها وحاصلاتها على خليج فارس واما مصالحها السياسية فهي اقامة مرافئ عسكرية لها في هذا الخليج تتأيد به عمارتها في حركاتها في الاوقيانوس الهندي وتكون قريبة الى الهند اذا ارادت شن الغارة عليها

لذلك كان لا غنى لروسيا عن التقرب من شاه الفرس توثيقاً لروابط الوداد والاتفاق بينها وبينه · وهذا ما حققته الآن · فانها نالت امتيازات كثيرة من حكومة ايران بمد سكك حديدية في بلادها واستخراج المعادن منها وانشاء الطرق الزراعية فيها · واقامت في طهران عاصمتها فرعاً لبنكها الروسي واذنته بان يقرض الحكومة الايرانية ما تطلب من المال فضلاً عن القرض الاخير الذي عقدته معها · فاوجس ساسة الانكليز من هذه الامور خيفة لانهم يخشون ان تقتل روسيا نفوذ دولتهم في بلاد فارس مع ما لهم في جنوبيها من المصالح الكبرى · فقاموا يسالون وزراءهم في مجلس العموم والاعيان اذا كان حقيقاً ما شاع عن نيل روسيا الامتيازات بمد السكك الحديدية واقراض المال لحكومة ايران مقابل



❊ ناصر الدين شاه ❊
بالملابس الرسمية

تاجيرها لها بندر عباس وهي فرضة في جنوب الفرس واقعة في الخليج الفارسي كما اجرتهم الصين بورت ارثر · فاجاب الوزراء انهم لم يبلغهم شيء من ذلك · اما الجرائد الانكليزية فانها حنقت على روسيا لانها اغتنمت فرصة اشتغال انكلترا بحرب الترانسفال لتشطح وتمرح في بلاد فارس على هواها · فاجابتها الجرائد الروسية ان روسيا لا تعبأ بتهديد انكلترا ولا سيما بعد ما بدا منها من الضعف في حربها الاخيرة · ويقال ان روسيا قد أرسلت ٣٠ الف جندي من القوقاز الى الكشك على سبيل التجربة لترى كيف تقطع الجنود هذه المسافة · فايقن الناس ان روسيا تنوي الاستيلاء على هرات لتتخذها قاعدة لاعمالها الحربية عند

غزوتها الهند. ولكن بعض مراسلي الجرائد الانكليزية في روسيا ارسلوا الى جرائدهم يقولون ان جلالة القيصر قد صرح لوزير الحربية في ذات يوم رفع فيه الوزير الى جلالته مشروعاً حربياً للاستيلاء على هرات انه يكره ان تغتنم حكومته فرصة اختلال شؤون انكلترا لعمل عمل عدائي ضدها . هذا ملخص ما تناقلته الاقلام من منذ شهرين عن استفحال امر روسيا في ايران

واما زيارة الشاه لاوربا فهي زيارة حاكم يهمه خير رعيته وبلاده . فانه سيطلع في سياحته هذه على اهم شؤون التمدن الحديث ليدخل منها الى بلاده ما ينطبق على اخلاق امته فضلاً عما يشده بينه وبين ملوك العالم من روابط الوداد . لذلك يقال ان زيارة الشاه لاوربا ستكون نافعة لبلاده من وجهين : سياسياً واقتصادياً

وقد ورث الشاه هذا الميل الى التمدن الحديث من المرحوم والده ناصر الدين الشاه . ونحن نذكر بهذه المناسبة شيئاً من ترجمة هذا الملك مشفوعة بشيء من اخلاق الفرس وصنائعهم وجيشهم واحوالهم فان ذلك مما يرتاح اليه القراء الآن لتوجه انظار الناس الى هذه المملكة كما قدمنا. فنقول

***

﴿ بلاد الفرس ﴾ بلاد الفرس الآن هي نصف مملكة ايران القديمة والنصف الثاني يشتمل على افغانستان وبلوخستان . يحدها شمالاً روسيا وبحر قزبين وجنوباً خليج فارس والاوقيانوس الهندي وشرقاً افغانستان وبلوخستان والحدود الروسية وغرباً تركيا اسيا . وهي على علو ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر . مساحتها تقدر بمليون و٦٥٠ الف كيلو متر وعدد سكانها تسعة ملايين نفس على الاقل بموجب احصاء المؤرخ كورزون

واسمها الرسمي « دولة ايران العلية » وهي مقسومة الى تسع ولايات وهذه اسماؤها. ولاية العراق العجمي وقاعدتها طهران العاصمة وعدد سكانها ٢٠٠ الف نفس . وولاية ازربيجان وقاعدتها تبريز وعدد سكانها ١٧٠ الى ٢٠٠ الف نفس . وولاية طبرستان وولاية كردستان ولورستان وكوزيستان وفارستان وقرمان وخراسان

وللفرس تمدن قديم عظيم واثار مجيدة وهم غاية في الذكاء والفطنة ومستعدون بفطرتهم لكل تمدن وارتقاء . وقد شرعوا في ذلك منذ عهد حديث فخطوا خطوات واسعة بفضل المرحوم ناصر الدين شاه وابنه مظفر الدين الشاه الحالي

﴿ ناصر الدين شاه ﴾ اما ناصر الدين شاه فهو ابن الشاه محمد خان . ولد سنة

١٨٣١ وارتقى الى العرش في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٤٨ . وكان لا يعرف الا اللغة التركية فتعلم الفارسية والفرنسوية وكان مولعاً بدرس الجغرافية والشعر و بالرسوم الهزلية . وفي سنة ١٨٥٥ عقد تحالفاً مع روسيا ولكن لما ثارت الحرب بينها و بين الدولة العثمانية في تلك السنة التزم الحيادة بالرغم عن المحالفة . وفي سنة ١٨٥٦ شن الغارة على هراة وافتتحها فشبت نار الحرب بينه وبين شركة الهند في اول نوفمبر سنة ١٨٥٦ فزحف الجنرال او ترام على بشير فاستولى عليها واستمر يزحف في شاة العرب فطلب الشاه الصلح فعقد يومئذٍ بواسطة فرنسا في باريز وذلك في ٤ مارس سنة ١٨٥٧ . فترك الشاه الانكليز وانصرف الى محاربة امير خوى وامام مسقط ثم ارسل حملة على مرو ففنيت عن آخرها . وفي سنة ١٨٥٩ استفحل النفوذ الانكليزي في طهران فخول الحكومة الانكليزية امتياز مد سلك الهند التلغرافي في بلاده وفي سنة ١٨٦٥ ضرب النقود الايرانية على الطريقة الاوربية ومنح البارون رتتر في سنة ١٨٧٢ امتيازاً باحتكار الاشغال العمومية واستخراج المعادن من الغابات في جميع بلاد ايران ثم الغى هذا الامتياز بعد انقضاء سنتين

وفي سنة ١٨٧٣ و١٨٧٨ و١٨٨٩ ساح في اوربا سياحات كبيرة استلفتت الانظار الى الفرس وتمدنهم . وكانت تطيب له الاقامة في باريز على الخصوص وقد زار معرضها في سنة ١٨٨٩ . وعهد في خلال سياحاته الى بعض الكتاب ان يؤلف كتاباً بما كان يراه ويشعر به لدى مشاهدته الامور الاوربية . وكذلك صنع حين سياحته في بلاده فانه وضع كتاباً يصف فيه ما شاهده في سياحته

ولما عاد الشاه من اوربا الى بلاده ازداد رغبة في ادخال التمدن الاوربي اليها . فجعل النقود فيها على حساب النقود الفرنسوية وانشأ البريد ونظمه وادخله في الاتفاق البريدي العام. ثم اعطى احدى الشركات امتيازاً باحتكار التبغ ولكن اضطر بعد ذلك الى الغائه بسبب مقاومة الشعب لهذا المشروع

وقد نادى في آخر ايامه بالحرية الدينية كما يقولون . ولكن مذهباً من المذاهب ظهر في الفرس لم يعطه ناصر الدين الحرية وهو مذهب البابيين . و يستوجب البحث في هذا المذهب الجديد او الدين الجديد ان نخصص به فصلاً مخصوصاً لذلك لا نتعرض له الآن ولكننا نقول ان الشاه استفرغ وسعه في اضطهاد انصار هذا المذهب وقسا عليهم قسوة شديدة لانه كان يرى في مذهبهم خطراً على ملكه بل على ديانة الفرس نفسها . فنقم عليه البابيون انصار هذا المذهب فهجم عليه احدهم وطعنه بخنجره فقتله وذلك في اول مايو سنة ١٨٩٦ .

ويقال في رأي آخر ان قاتله غير بابي وانما قُتل لاسباب اخرى مجهولة والرأي الاول هو الارجح

وقد خلف ناصر الدين شاه ٢٠ ولداً اكبرهم غير شرعي وكان حين مقتل ابيه والياً للولايات الفارسية الجنوبية ومن انصار الانكليز . فولي الملك ابنه الثاني وهو مظفر الدين شاه الملك الحاضر

﴿ مظفر الدين شاه ﴾ ولما جلس مظفر الدين الشاه على تخت اجداده صرف همه الى تحسين شؤون مملكته وكان ميالاً الى الروس لانه رأى ان المستقبل والحول والطول لهم في الازمان الآتية فكره ان يتخذهم خصوماً له وعلى الخصوص لانهم جيرانه . اما الانكليز فبعيدون عنه . ولكن ذلك لم يمنعه من محاسنة الانكليز وممالئتهم

وهو الآن يستعد للسياحة في اوربا كما قدمنا اتباعاً لخطة ابيه . وسيزور اكبر العواصم الاوربية وفي مقدمتها الاستانة حيث يحل ضيفاً كريماً في قصر جلالة السلطان الاعظم

وعظمة مظفر الدين شاه محب للعلوم العصرية ميال للتمدن الحديث كل الميل . وهو يكرم السياح الاجانب الذين يزورون عاصمته اكراماً خصوصياً . وقد زاره منذ اكثر من سنة في طهران سائح اميركي يدعى الدكتور ماك ايلرث طاف وامرأته حول الكرة الارضية على دراجة (بيسيكليت) فاحسن مظفر الدين شاه استقباله ورضي ان يجلس امامه على عرشه بين رجال حاشيته ليأخذ السائح صورته بالفوتغراف . وقد وضعنا في هذه المقالة الصورة التي صورها السائح يومئذٍ وهي تمثل الشاه في عرشه كما ترى في الرسم الاول

﴿ الجيش الفارسي ﴾ ولما كان موقف الفرس الآن حرجاً بين روسيا من جهة وانكلترا من جهة اخرى اصبح الناس يتساءلون عن مقدار القوة التي تستطيع الفرس ان تقاوم بها الجيش الذي يعتدي عليها . وبهذه المناسبة نشير الى حديث جرى في الثغر لاحد وزراء ايران السابقين مرّ بالقطر قاصداً الاقطار الحجازية وقد روت جريدة صدى الاهرام هذا الحديث وعنها نقلته الشركات البرقية الى اوربا . وقد جاء فيه « ان الفرس مستعدون لكل الطوارئ . فالدولة التي تعتدي عليهم تلقى من مقاومتهم اكثر مما لقي الانكليز من البوير لان البوير قوم قلال العدد والعدد بالنسبة الى الفرس »

اما الجيش الفارسي فهو منظم على الطرق الروسية ومنظموه ضباط من الروس . وهو مؤلف من جنود نظامية يسمونها (نظام) ومن الرديف . والجنود النظامية تُقسم الى ٣ اقسام : بيادة (مشاة) وطوبخانة (مدفعية) وسواري (خيالة) والجنود المشاة مقسومون الى



﴿ مظفر الدين شاه ﴾

الشاه الحالي بملابسه غير الرسمية

٨٤ اورطة عدد كل اورطة ٨٠٠ جندي فيكون عدد الجنود المشاة فقط ٦٧٢٠٠ جندي ولكن لا يكاد يوجد من هذا العدد الا نصفه في صفوف الجنود

ولا يوجد عندهم مدة محدودة للخدمة العسكرية بل الجندية عندهم معتبرة مهنة من المهن يحترفها صاحبها مدى عمره · وبالنظر لقلة ايرادها وعدم انتظام رواتبها يضطر الجنود الى عمل اعمال اخرى معها ولذلك ترى اكثرهم يعنون بزراعة الحدائق والبساتين · اما ملابس الجنود ومعداتهم فانهم ينفقون عليها من جيوبهم · وقد حاول الوزير الاول مرزا حسين خان في سنة ١٨٧٥ ادخال القرعة العسكرية وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط فاخفق سعياً

واشد الجنود الفارسية بأساً الجنود التي تُجمع من الولايات التي اصل سكانها من الاتراك كازربيجان وحمدان وكردستان وكذلك العراق · وجميع الجنود مسلمون اما

المسيحيون واليهود والمغاربة الذين يقطنون بلاد الفرس فانهم معفون من الخدمة العسكرية·
الا ان الامير نظام الذي كان صدرًا اعظم في بداية ملك الشاه ناصر الدين حاول تغيير
هذا القانون فجمع الايًا من الكلدانيين المسيحيين وقد افاد هذا الالاي الحكومة الايرانية
افادة كبرى في كبح جماح البابيين لان الحكومة كانت على ثقة من ان مبادئ البابيين لا تؤثر
في رجاله فكانت اذا ساقتهم على انصار هذا المذهب لم تخشَ ان ينضم اليهم منهم احد ·
ولكن الصدر الاعظم الذي خلفه صرف الجنود الكلدانية واعاد النظام القديم

وهذه هي المراتب العسكرية عندهم و بازائها مرادفاتها عند الامم الاوربية — سرتيب
اول (جنرال يقود جيش) سرتيب ثانٍ (جنرال يقود اورطة) سرهنك (كولونل) ياور
(ماجور) سلطان (كابتن) نائب (قائمقام) وكيل (سرجان) دهباشي (كابورال)

واما الجندي (النفر) فيسمى عندهم سرباز · ومعنى ذلك لا يخلو من نكتة فان « السر »
معناها الراس و « باز » اللعب · فيكون معنى الكلمتين : الذي يقامر برأسه اي يخاطر به ·
وهكذا الجندي في الحرب كما لا يخفى

☼ تجارة الفرس وصناعتهم ☼ واما تجارة الفرس فاهمها البسط والشالات العجمية
المشهورة والقطن والحرير والافيون والشعير والارز والاثمار المجففة والتبغ وصوف الغنم والجلود
وكذلك الخيل والبغال · ولكن السكك الحديدية نادرة في بلاد الفرس اذ لا يوجد منها
حتى الآن الا خط طوله ٥ كيلومترات ممتد من طهران الى مكان دُفن فيه الشاه عبد
العظيم يذهب اليه الاهالي للتبرك بزيارته · على انه يوجد سبع طرق تجارية مهمة تسير
عليها البغال والخيل بين طهران وارزروم وقزوين و بغداد وحمدان وقيرمانشاهان و بندر
عباس والخليج الفارسي · هذا ما عدا الطريق الجديدة التي فُتحت في الشهر الماضي
الى بلوخستان

واما الصنائع الفارسية فانها في غاية التأخر وجميع حاجيات الفرس تردهم من اوربا الا
بعض الحاجيات التي يصنعونها عندهم · وقد حاول ناصر الدين شاه ادخال الصنائع الى بلاده
فانشأ فيها معامل واستحضر لها عمالاً من فرنسا و روسيا وآلات تعب تعبًا شديدًا في ايصالها
الى اماكنها ولكن هذه المعامل اضطرت الى اقفال ابوابها لعدم نجاحها

☼☼☼

هذا واننا نذكر في ختام الكلام عن الفرس كلمة لفيكتور هيغو قالها في احد مؤلفاته
وهي « ان الامة قد توجد في ساعة يتوقف عليها ارتقاء هذه الامة او انحطاطها » ونحن نقول

ان دولة الفرس هي الآن في هذه الساعة · فان الانقلاب الاجتماعي الذي يحدث فيها الآن وتنازع الدول فيها سيعودان عليها اما شرًا عظيمًا واما خيرًا عظيمًا · فنحن ندعو لها بان يعودا خيرًا لا شرًا ونرجو لعظمة الشاه الهناء والسرور في سياحته سائلين الله ان يجعل سعيه في اخراج بلاده من الظلمة الى النور وادخال فضائل التمدن الاوربي فيها دون رذائله مقرونًا بكل فلاح ونجاح حتى تكون الفرس يابانًا ثانية باذن الله

باب المقالات

كيف تعظم الامم

المدرسة الالمانية ـ السياسة الاقتصادية ـ زيادة السكان ـ المهاجرة ـ عامل عظيم ـ مدارس عملية والا فالموت العاجل

كانت المانيا منذ ٣٠ سنة دولة ثانوية ضعيفة الجانب منخفضة الجناح تهزأ اوربا بها وتنظر اليها شزرًا · واليوم هي دولة رفيعة الشأن في مقدمة الدول العظمى حيثما مالت مالت كفة الميزان السياسي معها · وحسبك دليلاً على رفعة شأنها ان ساسة اوربا يعزون اليوم الى امبراطورها عجز الدول الاوربية عن المداخلة في حرب الترانسفال · ذلك انه ابى هذه المداخلة فاحجمت الدول عنها ولو ارتضاها لاقدمت عليها · وهذا منتهى الحول والطول وغاية النفوذ والعزة

فما سبب هذا الانقلاب السياسي العظيم الذي حدث في ٣٠ سنة

لذلك جملة اسباب اولها المدرسة الالمانية

المدرسة الالمانية

لم نضع نحن «المدرسة» في مقدمة الاسباب التي نهضت بالمانيا ولكن بسمارك هو الذي وضعها في هذه المنزلة· فقد قال «اننا ما غلبنا فرنسا الا بعلم المدرسة» ومعنى هذا الكلام ان المدارس الالمانية قبل حرب السبعين كانت ارقى من المدارس الفرنسوية · فقد كان التعليم فيها اجباريًا لعامة الامة وخاصتها· ولم يكن كذلك في فرنسا في ذلك الزمان · وكان ايضًا تحبيب العسكرية الى التلامذة وتعليمهم تعليمًا وطنيًا صحيحًا وبث روح الشجاعة والاقدام

في نفوسهم بواسطة كتب حربية تصويرية او قصص عسكرية يقصونها عليهم — كل ذلك كان في مقدمة الدروس الابتدائية التي كان يتلقنها التلامذة . فنشأ الجيل الالماني على حب القوة والوطن والاقدام فكان جيلاً قوياً غلب بقوته الجيل الفرنسوي الذي اخلد في تلك الايام الى الدعة واستنام الى الاسوار . والاستنامة الى الاسوار كما قال ابن خلدون من دواعي الضعف والدمار

فبالمدارس غلبت المانيا فرنسا . وهذا معنى قول جول سيمون في كتابه المدرسة « ان الامم التي لها ارقى المدارس تكون ارقى الامم ان لم يكن في الزمن الحاضر ففي المستقبل »

السياسة الاقتصادية

وعند غلبة المانيا فرنسا وُضع اساس الوحدة الالمانية والعظمة الالمانيـة معاً . وبعد وضع هذا الاساس انصرف واضعوه الى البناء فوقه فجعلوا همهم اتباع السياسة الاقتصادية وهي السياسة التي ان لم تكن مكملة للسياسة العسكرية ذهب كل فوز ونصر هباء منثوراً

وقد كانت قيمة تجارة المانيا في سنة ١٨٧٢ نحو ٥ مليارات و٩٦٠ مليون مارك وتجارة فرنسا ٧ مليارات ونصف مليار فرنك . فانعكست اليوم الحالة اذ اصبحت تجارة المانيا تزيد تجارة فرنسا اكثر من ٣ مليارات ونصف مليار . وكان عدد الشركات المالية في المانيا منذ عشر سنوات فقط ٨٢٥ شركة راس مالها ٤٠٣ ملايين مارك فاصبحت اليوم ٤٢٠٠ شركة راس مالها ٨ مليارات مارك . وهذه الشركات توزع على مساهميها من الارباح كل سنة ١٠ في المائة و١٢ و١٥ واحياناً ١٨ في المائة . وبعض شركات معامل الانيلين وزعت على مساهميها ٢٣ في المائة

وكان وزن الحديد المستخرج من معادنها في سنة ١٨٧٠ ثلاثة ملايين و٨٣٩ الف طن قيمتها ٢٥ مليوناً و١١٣ ماركاً . اما اليوم فان المستخرج يزيد على ١٥ مليون طن قيمتها ٦٠ مليون مارك . وقد زاد المستخرج من الفحم الحجري نحو الثلث وتضاعفت المتصدرات من الآلات الميكانيكية واوشكت آلاتها الكهربائية ان تكون في المنزلة الاولى في العالم . وزادت ايضاً الصادرات في المحصولات الكيماوية حتى اصبحت الصادرات من الانيلين فقط تقدر قيمتها بنحو ثلاثمائة مليون مارك

هذا فيما يختص بالتقدم الصناعي

اما التقدم التجاري فليس اقل من التقدم الصناعي · ويكفي للدلالة عليه ما قاله الامبراطور غليوم يوم افتتاح مرفاء ستيتين وهو " ان مستقبلنا على سطح البحار» والمانيا سائرة نحو هذا المستقبل العظيم بخطى واسعة · فانها ادركت فرنسا فيما يختص بالسفن التجارية وسبقتها اذ محمول سفنها يتجاوز الآن محمول السفن التجارية الفرنسوية ٣٠ في المائة · وشركة همبورج الاميركية وشركة البواخر الالمانية الشرقية هما الآن اعظم الشركات في العالم · واسرع باخرة الآن هي الباخرة الالمانية كازار وليم دركروس التي قطعت الاوقيانوس الاتلانتيكي بين اميركا واوربا في مدة خمسة ايام و٢٢ ساعة و٣٥ دقيقة · وكأن الالمانيين لم يكتفوا بهذه السرعة فشرعوا في بناء باخرة اخرى تدعى " دوتشلاند» طولها ٦٨٥ قدماً ولها آلتان بخاريتان قوتهما ٣٣ الف حصان ومحمولها ٢٣ الف طن وسرعتها ٢٣ عقدة في الساعة وستكون اعظم واسرع سفينة في العالم · وقد قال احد القناصل الفرنسويين في كلامه على تقدم الالمان في التجارة " انه لا ينقضي عليهم ٣ سنوات اخرى حتى تبلغ تجارتهم مبلغ التجارة الانكليزية اذا لبثوا على هذا الجد والنشاط »

زيادة السكان

فما هي اسباب هذا التقدم الصناعي والتجاري الباهر الذي غير الحالة الاقتصادية وقلب الموازنة الدولية

السبب الاول وهو الرئيسي كثرة التناسل في المانيا وزيادة السكان · فان سكان فرنسا بينما يزيدون في السنة ٢٩ الف نفس يزيد سكان المانيا ٧٠٠ الف نفس ما عدا المهاجرين · ولذلك اصبح عددهم اليوم ٥٤ مليوناً ولم يكونوا في سنة ١٨٧٠ الا ٤٠ مليوناً فقط · اما فرنسا فان عدد سكانها اليوم ٣٨ مليوناً فقط وكان في سنة ١٨٧٠ نحو ٣٦ مليوناً ونصف مليون فتكون المانيا قد زادت في هذه الثلاثين سنة ١٤ مليوناً وفرنسا لم يزد سكانها الا مليوناً ونصف مليون · ونسبة سكان المانيا الآن الى سكان فرنسا كنسبة ١٣٥ الى ١٠٠ · فاذا انقضى على الفريقين قرن وبقيت نسبة الوفيات والمواليد بينهما على ما هي اصبحت نسبة سكان المانيا الى سكان فرنسا كنسبة ٢٥٦ الى ١٠٠

والسبب في زيادة السكان هذه الزيادة طبيعة الامة الالمانية المفطورة على كثرة التوليد وقلة العزوبة

المهاجرة

على ان زيادة السكان هذه الزيادة تبعث الالمانيين على المهاجرة من بلادهم وهذا هو

الامر العظيم الذي وسع نطاق تجارتهم وصنائعهم · فانه يهاجر منهم في كل عام اكثر من مليون نفس يقصدون بلاد الله الواسعة للعمل بجد ونشاط فينتشرون في معامل اوربا واميركا وجميع المستعمرات انتشار الجراد ولاهمّ لهم غير العمل واكل خبزهم بعرق جبينهم· ويلبثون في هذه الغربة متعلقين بوطنهم فلا يبتاعون الا من بضائعه وبذلك يروجونها في البلاد الغربية التي يسكنونها ويحببونها الى سكان تلك البلاد · وينشرون مع بضائعهم لغتهم وعاداتهم· وكثيرون من ابناء الاغنياء منهم يبرحون وطنهم ويسافرون الى المعامل او المكاتب التجارية الاجنبية فيخدمون فيها من غير اجرة وقصدهم الاطلاع على اسرار الصنائع والمتاجر الاجنبية فيقضون على هذا المنوال بضع سنوات ثم يعودون الى بلادهم باسرار صناعية ومعارف تجارية فضلاً عن اللغة الاجنبية التي يكونون قد تعلموها في سفرهم · وبعد عودتهم يقيمون معامل جديدة في بلادهم لمزاحمة المعامل التي خدموا فيها واطلعوا على اسرار صناعتها

فمهاجرة الالمانيين من اشد عوامل تقدمهم التجاري لانهم يهاجرون للعمل الجدي المفيد لهم ولوطنهم ويكونون في غربتهم كالبناء المرصوص يساعدون بعضهم بعضاً · فليت اخواننا العثمانيين الذين يهاجرون الى اميركا يتشبهون بالالمانيين من هذا الوجه فانهم هنالك قريبون منهم · وقد طمى سيل المهاجرة الالمانية حتى بلغ بلاد الدولة العثمانية اذ انشأوا لهم محلات زراعية في جهات فلسطين يعيشون فيها عيشاً هنيئاً · وقد زرنا يوماً احدى هذه المحلات في ضواحي يافا فشاهدنا ما أدهشنا من دلائل الترتيب والنظام والنجاح في منازل اولئك الفلاحين الالمان · وقد سرنا نجاحهم بقدر ما ساءنا تكاسل الوطنيين وتركهم الاجانب يختطفون من بين ايديهم خيرات ارضهم

عامل عظيم

ولكن هل هذه هي اسباب عظمة المانيا فقط

كلا · فانه قد بقي سبب عظيم ابقيناه الى ختام الكلام · ونريد به " تعليم الامة تعليماً منطبقاً على حاجاتها "

فانَّ تأني الالمان وصبرهم ورفعة شأن مدارسهم وزيادة عددهم في كل سنة زيادة عظيمة ومهاجرتهم الى البلاد الاجنبية — كل ذلك لا يثمر الثمرة الواجبة ان لم يكن مقروناً بالتعليم الصحيح المنطبق على حاجات الاهالي · وهذا التعليم هو تعليم " التجارة والصناعة والزراعة " في مدارس تجارية وصناعية وزراعية · فان الطالب الالماني لا يتمم دروسه

الادبية حتى يدخل هذه المدارس . وهي كثيرة في بلاده وعلى انواع مختلفة . ومن اهم هذه المدارس ١٢ مدرسة من مدارس الفنون يتلقى فيها الطلبة علم الهندسة . وكان عددهم منذ عشر سنوات ٢٥٠٠ طالب فقط فاصبحوا اليوم ١٢ الف طالب . وفي كل عام يخرج من هذه المدارس مئات من الطلبة فيستخدمون في المعامل الكبرى والشركات التجارية العظمى ولا وظيفة لهم الا مراقبة اعمال المعامل الميكانيكية او فحص الطرق الجديدة التي تعود بالفائدة على الشركات التي يخدمونها

وقد قال بعض الاقتصاديين ان صناعة المانيا ستتغلب على صناعات باقي الامم بهذه الطريقة المثلى

على ان بازاء هذه المدارس مدارس اخرى لتعليم التلامذة الصنائع والحرف وطلبتها يعدون بالالوف . ومتى خرج هؤلاء الطلبة من هذه المدارس كانوا عمالاً في غاية المهارة والبراعة فيدخلون المعامل للعمل باتقان . وقد قال اقتصادي آخر « ان المانيا اذا كانت تنتصر الآن على اوربا في ساحات الحروب التجارية فالفضل لتلامذة مدارسها الصناعية »

ويوجد في المانيا غير المدارس الصناعية ٣٦٥ مدرسة تجارية يدرس فيها ٣١ الف تلميذ بينما المدارس الفرنسوية التجارية لا تتجاوز ١١ مدرسة وعدد تلامذتها ٣ آلاف فقط . وقد انشأ الالمانيون في سنة ١٨٨٧ مدرسة لتعليم اللغات الشرقية وذلك لتسهيل معاملات تلامذتها مع البلاد الشرقية . وهم ينوون الآن تاسيس مدارس استعمارية تعلم طلبتها كيف الاستعمار واستثمار الارض وادارة المال . وما عدا ذلك فانهم يسوحون في البلاد الاجنبية لفحص احوالها الاقتصادية وعرض بضائعهم على اهلها بالحاح ويربون اولادهم تربية يقصدون بها اعدادهم لجهاد الحياة لا حشد الاموال لهم ليكفوهم حوادث الزمان

بهذه الوسائل الكبرى نهض الشعب الالماني هذه النهضة وارتقى المنزلة العليا بين الدول الاوربية . بهذا السلاح غالبت المانيا انكلترا فغلبتها . بالمدارس الصناعية والزراعية والتجارية قام الغربيون ونحن لا نزال نحشو ادمغة طلبتنا بالصرف والنحو والشعر والسجع وما اشبهها من الدروس العقيمة الباردة ونشغل بعضنا بعضاً بالمخاصمات الدينية والضغائن الشخصية . فلنستعد لزيادة شقائنا شقاء وضيقنا ضيقاً بل فلنستعد للانقراض والموت بازاء الغربيين اذا كنا لا نعمم التعليم الصحيح وننشئ مدارس زراعية وتجارية وصناعية بازاء مدارسنا العلمية والادبية التي تعلم تعليماً ناقصاً لانها تعلم علماً غير مقرون « بعمل »

ما وراء المادة

صعود امرأة الى المريخ

قرأ بعض علماء الاسلام في القرآن الكريم قوله « الرحمن على العرش استوى » فكتب الى فيلسوف الاسلام الامام الغزالي يسأله كيف تجاس العزة الالهية على العرش وهل هي مادة او ماذا لتأتي فعل الجلوس فاجابه الامام بهذه الابيات

انت لا تعرف ذاتك ولا تدري من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات رُكبت فيك حارت في خفاياها العقول
اين منك الروح في جوهرها هل تراها او ترى كيف تحول
انت اكل الخبز لا تعرفه كيف يجري فيك ام كيف يجول
فاذا كانت طواياك التي بين جنبيك بها انت جهول
كيف تدري من على العرش استوى فتعالى ربنا عما تقول

ويجوز ان يُقال هذا القول لكل من كانوا ذوي افكار محدودة واذهان محصورة في دائرة واحدة لا تتخطاها متى نبذوا نبذاً قطعياً من غير فحص ولا بحث المسائل الروحية التي تقصر عقولهم عن فهمها . وهذه المسائل انواع شتى ولكن اهمها كلها مسالة السبيريتزم او التنويم المغنطيسي التي اشرنا اليها في قسم الرواية في الجزء الماضي وفي هذا الجزء

والذي دعانا الآن الى العودة اليها خبر غريب عثرنا عليه في الجرائد الاوروبية . وهو ان العالم فلورنوى استاذ الكلية العلمية في جنيف قد نشر في هذا الشهر كتاباً خصصه بفحص احوال سيدة لم يسمها وانما لقبها مدام س . وعنوان كتابه هو « من الهند الى المريخ » وموضوعه ان مدام س . المذكورة آنفاً سارت بالخروج من الهند الى السيارة المريخ فعاشت فيها وقتاً طويلاً

قال هذا العالم المدقق الذي لا يرتاب احد بكلامه . انني قضيت سنوات في استقصاء احوال هذه السيدة ومشاهدتها حين تنام نوماً مغنطيسياً فسمعتها تقول انها تقمصت ثلاث مرات . تقمصت مرة في المريخ وعاشت بين سكانه ومرة في الهند منذ قرون سابقة ومرة في عهد الملكة ماري انطوانت في نهاية القرن الثامن عشر . وقد سمعتها تتكلم في نومها عن تقمصها في المريخ وتصف اخلاق سكانه وتتكلم لغتهم وهي عبارة عن اصوات متقطعة

يلفظ بعضها تلوَ بعض . وقد خطت على ورق امامي حروف هذه اللغة بحسب الكتابة المريخية ... واما تقمصها في الهند فانها تروي عنه في نومها اموراً شتى . وكذلك عن تقمصها في عهد ماري انطوانت ومشاهدتها حوادث الثورة التي حدثت في تلك الايام

وقد ارتبتُ اولاً في صحة كلام هذه المرأة كل الارتياب . ولكنني عثرت في سياحة لي في الهند على كتب قديمة تثبت كل الحوادث التي روتها عن تقمصها في الهند مما لا يتسنى لاحد الاطلاع عليها . فضلاً عن كونها تتكلم في غيبوبتها اللغة العربية والسنسكريتية (لغة الهنود المقدسة) مع انها حين انتباهها لا تفهم كلمة من هاتين اللغتين ولم تتمكن قط من درسهما حتى نقول انها تغشنا . وهذه المراة مستخدمة في احد المكاتب التجارية وهي في الثلاثين من العمر وفي منتهى الادب والحشمة وحسن السمعة

ولا حاجة الى القول بان هذا العالم لا يصدق الآن قول هذه المراة تصديقاً اعمى ولكنه يظهر قلقه الشديد بازاء مسالة روحية كهذه . ويدعو زملاءه العلماء الى زيادة البحث في المسائل الروحية وعلاقتها بالجسد وعلاقة الجسد بها . ولا شبهة في انه لا يوجد دليل حسي على وجود النفس وخلودها احسن من الادلة التي ياتينا بها السبيريتزم خصوصاً هذا الدليل اذا صح

اما الذين يزعمون من غير بحث ولا فحص ان هذه المسائل ليست الا خرافات واوهام فشانهم في ذلك شان رجل من ابناء القرن الثامن عشر يقوم الان من قبره فياتيه على حافة القبر من يقول له : في الارض الآن اناس يتخاطبون في ساعة واحدة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب . في البحار سفن تسير من تلقاء نفسها من غير اشرعة . في البر قواطر تسابق الطير من غير خيل تجرها . في عين رنتجن آلة ترى ما في باطن جسمك . لا ريب انه لو سمع هذا الكلام لحسب محدثه يهذي في نومه . ولكن صغار الاولاد في هذا العصر صيحوا يعلمون ان هذا الكلام ليس هذياناً . فلا نحتقرنَّ ما نجهل لان ما نجهل لا يزال اكثر مما نعلم

بعث ملك الى عبد له : ما لك لا تخدمني وانت عبدي . فاجابه : لو اعتبرتَ لعلمتَ انك عبدُ عبدي . لانك تتبع الهوى فانت عبده وانا املكه فهو عبدي

(للمستعصمي)

كتاب الى البوير الابطال

منقول عن جريدة صدى الاهرام انشاته بعد انقاذ لادبسمث وكمبرلي

يغور الدم الى القلب ويصعد الغيظ الى الرأس لدى قراءة تفاصيل معاركم الاخيرة امام لادبسمث مع الانكليز خصومكم . فقد ورد في بعضها ان ٩٥ مدفعاً كانت تطلق على جيوشكم دفعة واحدة . وكانت البطارية الانكليزية التاسعة عشرة تطلق عليكم وحدها ٧٩٤ قنبلة في كل ١٠ ثوان . وكان الليديت يصبغ وجوه احيائكم وجرحاكم وقتلاكم بصفرة تحكي صفرة الموت . ومقذوفاته تخدُّ الارض خداً كانها محراث يشق الارض . نعم انها محراث ولكن لزرع الارض من جماجم الضعفاء وسقيها بالدماء البشرية

وليس هذا فقط بل ان خصومكم حين رجوعكم القهقرى امام عددهم العديد وجدوا بين قتلاكم فتيات في زهرة الصبا لا يتجاوزن سن السابعة عشرة منهن جرحى ومنهن قتلى بين جثث صبيان صغار قتلتهم قنابل القوة الوحشية . فماذا نقول لكم بعد هذه البسالة الرومانية التي تدافعون بها عن حريتكم واستقلالكم . ان الدموع تصعد الى اعيننا حين قراءة اخبار عنكم كهذه الاخبار ونجثو ونحن في شمال افريقيا امام تلك الدماء المقدسة التي تجري في جنوبها من جروح نسائكم واولادكم

فالمجد لكم ايها المغلوبون والسلام عليكم وعلى جرحاكم وقتلاكم . واناالكم الله اماني نفوسكم . لا نقول ذلك بغضاً لخصومكم ولكن انتصاراً للحق الذي تدافعون عنه وهو يشدد عزائمكم بين صفوفكم . انكم تذوقون الآن مرارة هذا التمدن الفاسد السقيم . فنحن نشنق عليكم ونقول معكم : قبحاً لتمدن يترك القوي على الضعيف يأكل لحمه ويمتص دمه . ونذكر حينئذ ما قاله فيكتور هيغو " قتل امرء في غابة جريمة من الجرائم التي لا تغتفر . ولكن قتل شعب آمن ضعيف مسالة فيها نظر "

فايئسوا ايها الابطال من هذه الارض التي تسود فيها الدناءة والجبانة ووجهوا انظاركم الى السماء . فانكم اذا كنتم في هذا العالم مغلوبين فستكونون في ذلك العالم غالبين

اما نحن الضعفاء مثلكم المضغوط علينا كما يضغط عليكم فليس لنا ما نعزيكم به سوى عواطفنا التي نرسلها اليكم . عواطف عشرة ملايين نفس في وادي النيل تحملها ريح الشمال الى الجنوب حيث انتم الآن تذودون عن ذماركم

فاقبلوها عواطف حب واشتراك في مصابكم لا يكدرها شيء حتى ولا بغض مخصومكم

الشمس

عبادة الاقدمين لها · عمرها · حقيقتها · نورها · لونها الحقيقي ازدياد حرارتها · سكنى الناس كلهم في خط الاستواء · وبعدُ ·
حادثة لفولتير مع الشمس

عبد الاقدمون الشمس لما ابصروا من جلالها وتاثيرها على الكائنات · فانها لا تنزل في كهف المغرب وراء الافق البعيد حتى تصبح الارض باردة مظلمة قفراء عليها سحة الانقباض والحزن · ولكن غزالة النهار كريمةٌ لا تطيل هجر الارض بل تطل في صباح اليوم



كيف يتصور الذهن الشمس متى شبهتها وجه الحسناء

التالي من هودجها الناري على تلك المخلوقات الباردة التي كأنها ممتلئة حزنًا وانقباضًا فتبعث السرور بافئدتها وتبث الحياة مع الحرارة في اجسامها · فالعصافير تتداعب وتتفلى على الاشجار · والزهر يرفع راسه بعد نوم طويل متمايلاً لظهور عروسة النور · وقطرات الندى تترقرق في تيجانه وعلى اغصان الشجر كانها قطع ماس من ماس كمبرلي ··· علقتها فيها يدٌ غير بخيلة كيد المستر سسل رودس او دموع اذرفتها النجوم حسرة على فراق الليل او حسدًا من الكوكب العظيم · فليس غريبًا بعد ذلك ان يكون الاقدمون قد عبدوا الشمس واتخذوها الهًا

على ان هذا المعبود غير ازلي ولا ابدي اي ان له بداية كما ان له نهاية ولكن بدايته مجهولة كنهايته · وانما هي افتراضات وقياسات يرويها العلم ونحن نرويها لك معتمدين في هذه الرواية على بحث جديد للعالم بوسكو يتنر فنقول

وُجدت الشمس منذ ٣٥ مليون سنة · اما كيفية وجودها فالعلماء غير متفقين عليها ·

الا انهم اتفقوا على انها جرم عظيم ثابت في الفضاء الواسع الذي لا نهاية له بواسطة الجاذبية المتوازنة بينه وبين الاجرام التي حوله · وهي مركز عالمنا الفلكي ولذلك يسمونه العالم الشمسي

اما حقيقة الشمس فيقول العلماء انها نواة متجمدة مظلمة يحيط بها جو منير هو سبب النور المنبعث منها · وهذا الجو عمقه نحو ٨ الاف كيلومتر وهو مؤلف من ابخرة معدنية وغازات مختلفة فاذا نظرت اليه بالتلسكوب حسبته بحرًا متماوجاً وفيه بقع بيض شديدة اللمعان وهي ما يسمونه غيوم الشمس

وهذه الغيوم مؤلفة من نقط كاربونية سائلة وهي هي المادة التي يتولد النور منها كما ان النور الكهربائي يتولد من الفحم على ما هو معلوم · ومتى عرفت ذلك سهل عليك ان تعلم بان اشعة النور تجتاز من الشمس الينا ١٥٢ مليون كيلومتر · وانما يسهل ذلك لمعرفتك ان النور منبعث عن ملايين مصابيح كربونية محيطة بالشمس كما رأيت

ولون الشمس الحقيقي هو ازرق لا اصفر كما نراه · هكذا قال العالم لانكلي والاستاذ مي وتابعها العلماء · وانما نراها نحن صفراء لا زرقاء لان الاشعة الصفراء المنبعثة عن جوها البخاري اكثر واطول من الاشعة الزرقاء فتصل الينا قبلها فتملأ اعيننا ولذلك اذا وصلت الينا الاشعة الزرقاء وجدت النظر مشغولاً فلم تؤثر فيه

وحجم شمسنا هائل · فاننا اذا قسمناها ١٢٥٠٠٠٠ قسماً بعضها بقدر بعض كان حجم كل قسم بقدر ارضنا اي انها اكبر من ارضنا مليوناً و٢٥٠ الف مرة · وحرارتها اذا مست ٥٠ مليون كيلومتر مكعب من الماء البارد جعلته في ثانية واحدة ماء غالياً

وهذه الحرارة مع شدتها آخذة بالازدياد حتى الوف من القرون · على انها بعد انقضاء ٨٠٠ الف سنة سيشتد لونها زرقة لاشتداد حرارتها فيستطيع سكان الارض يومئذٍ ان يروا لون الشمس ازرق لا اصفر · هذا اذا ابقاهم الله

ولما تبلغ الشمس معظم حرارتها تاخذ في الهبوط اي تدخل في طور الهرم · فياخذ حجمها يصغر شيئاً فشيئاً وتبرد حرارتها · فتبرد الارض من جراء ذلك فيرحل جميع سكانها الى خط الاستواء ويقيمون فيه مدة مائة قرن ولكن في شتاء دائم بسبب برودة الشمس · ثم يشتد البرد فينقرض به نوع الانسان على الارض · هذا اذا لم تطرأ عليه طوارئ اخرى تهلكه

ومتى بردت الشمس فماذا يحل بها — يقال انها تستمد حينئذٍ حرارتها ونورها من

الشمس « فيكا » وهي منذ الآن تتجه نحوها

وبعدُ ؟

— بعد ذلك ننجذب شمسنا وعالمنا الى تلك الشمس بالرغم عنها . ولكن من المحتمل ان تعود فتضطرم مرة ثانية وتجدد شبابها . فيكون شانها شان من مات وبُعث من قبره . على انها سواء بقيت باردة وانجذبت الى شمس اخرى او اضطرمت وعاشت مرة ثانية فانها تكون قد قامت بالوظيفة التي خُلقت لها وهي احياء عالمنا الوفاً والوفاً من القرون بفضل حرارتها المحيية

على ان للشمس فضلاً آخر وهو تذكيرنا في غروبها وشروقها بعظمة خالقها . ولا نتمالك في هذا المقام عن ان نذكر حادثة بهذا الشأن للفيلسوف فولتير الشهير رواها اللورد بروغام وضمن صحتها وهذه خلاصتها

في الساعة الثالثة بعد منتصف ليل من ليالي ايار بعث فولتير الى الكونت دي لاتور يسأله اذا كان يرغب في مرافقته للتنزه في تلك الساعة . فدهش الكونت وحسب نفسه في حلم . ولكن ما لبث ان اتاه رسول ثانٍ من قبل الفيلسوف يلح في الطلب فنهض في الحال وذهب اليه فوجده ينتظره وقد لبس ملابسه . فسأله عن مراده فقال له فولتير دعوتك لترافقني الى بعض الآكام القريبة لانني اريد ان اشهد منها طلوع الشمس في هذا الصباح فقد حبب اليَّ ذلك ما كتبه عنه جان جاك روسو في فصل « اعتراف راهب من سافوى » فسارا يتقدمهما دليل ومعه مصباح لانارة الطريق . وما زالا في تصويب وتصعيد حتى اخذ بركان النهار في الانفجار وبانت اصابع الفجر الوردية فطفق الفيلسوف يصفق بيديه فرحاً تصفيق الاولاد وهو يمشي متثاقلاً لانه كان في الواحدة والثمانين من العمر . ثم تسلقا اكمة فلما بلغا قمتها ابصرا منظراً باهراً . فان المشرق كان مضطرماً بانوار الغزالة الطالعة كأن تلك الانوار منبعثة عن مصابيح قُدمت امامها لتنير طريق هودجها . فوقف فولتير لدى هذه المناظر مبهوتاً متاملاً حتى طلع جبين الغزالة الجميلة فابرقت حينئذٍ اسرته ولمع برق عينيه فكشف راسه باحترام والشمس آخذة بالاشراق وخرَّ جاثياً على ركبتيه ناظراً الى السماء وقائلاً « عرفتك عرفتك ايها الخالق العظيم » واخذ يصف تلك المحاسن ببلاغته العجيبة . لكن من الغريب انه قطع كلامه بغتة ونهض منقبض الوجه وهو يرفس الارض برجله وقائلاً « كلا . لا يوجد شيء »

فما اعظم ذلك المنظر الذي فعل بنفس فولتير ما لم يفعله العلم والفلسفة

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اصلاح عظيم في روسيا

التعليم الالزامي

في روسيا في الدولة العلية · في القطر المصري

عزمت حكومة روسيا على ادخال اصلاح في بلادها يُحسب اعظم اصلاح اقدمت عليه بعد تحرير الفلاحين ونريد بهذا الاصلاح تقرير "التعليم الالزامي" · فقد قررت ان تجرب ذلك اولاً في بطرسبرج وضواحيها فاذا نجحت التجربة عممتها في جميع اقطار الامبراطورية الروسية

ويوجد الآن في بطرسبرج وضواحيها ٨٣٥ مدرسة ابتدائية عدد تلامذتها ٧٦ الفاً فقياماً بحاجات التعليم الالزامي فيها يجب انشاء ٥٢٨ مدرسة ابتدائية غيرها · وهذا ما قررت الحكومة الروسية الشروع فيه

وبما ان بعض المدارس ستكون بعيدة عن بعض القرى والمزارع فقد قررت ان تنشيء بازاء المدارس ملاجيء ينام فيها التلامذة في الليل حتى لا يحتجوا ببعد المسافة بين البيت والمدرسة · وهي عازمة عزماً شديداً على ادخال الالزامية في مدارسها مهما كلفها الامر من العناية والنفقة لانها لا ترى طريقة لجلاء الجهل عن عقول ابنائها الا بواسطة "المدرسة الالزامية"

واننا بازاء هذا الامر العظيم لا يسعنا الا ان نتساءل ماذا يمنع الدولة العثمانية من ان تسلك طريق "الالزامية" ايضاً

فنجد ان الموانع ثلاثة · الاول كثرة النفقة اللازمة · والثاني عدم قدرتنا التعليم الابتدائي قدره · والثالث — وربما كان اهمها — اختلاف العناصر العثمانية

اما الامر الاول وهو كثرة النفقة اللازمة فلا يكبر على حكمة الحضرة السلطانية ان تدبر اموالاً طائلة للتعليم الالزامي كما تدبر اموالاً طائلة لترقية شان الجيش . وكلاهما في نظرنا اهم ضروريات الامة . بالجيش تدفع الامة عن نفسها غارات الاعداء . وبالمدرسة الالزامية تدفع الامة عن نفسها غارة الجهل الذي قد يكون اشد من الاعداء خطراً

فالعناية بالتعليم الالزامي واجبة وهي بمنزلة العناية بالجيش سياج الامة

واما الامر الثاني وهو عدم قدرنا التعليم الابتدائي قدره فهو امر نود ان ننكره على انفسنا لانه يسوءنا ان يقال فينا اننا في هذه المنزلة من الجهل والغباوة . ولذلك فاننا لا نبحث فيه

واما الامر الثالث وهو اختلاف العناصر فهو امر في غاية الاهمية . فان الفرامانات السلطانية تخول العثمانيين المسيحيين في بلاد الدولة الحق بان تكون لهم مدارس ملية حرة هذا فضلاً عن وجود المدارس الاجنبية . فكيف يمكن انشاء الالزامية ما دام التعليم غير موحدٍ . وكيف يمكن اجبار المسيحيين على ارسال اولادهم الى مدارس الدولة الالزامية

نجيب على ذلك بان هذا الاختلاف موجود في فرنسا ولكنهم داووه فيها بدوائين . الاول انهم جعلوا المدرسة « مستقلة » اي انهم اخرجوا التعليم الديني منها . والثاني انهم يطلبون من كل اب وام ان يبرزا شهادة من المدارس التي يتعلم فيها اولادهما ولو كانت لغير الحكومة دلالة على انهم يتعلمون . ففي الامكان ان يتقرر الامر الثاني في بلاد الدولة العثمانية اذا كان لا يمكن تقرير الاول

فالذي نطلبه الآن هو انشاء مدارس الزامية لابناء الامة العثمانية على اختلاف اجناسها . مدارس صحيحة التعليم والتربية اسلامية ومسيحية . الحكومة تنفق على المدارس الاسلامية وروساء الدين المسيحي ينفقون على المدارس المسيحية بمساعدة طوائفهم مساعدة « الزامية » وعلى الخصوص بمساعدة الحكومة « مساعدة مالية حقيقية »

ولقد سمعنا بعض الكتاب ينادون ان روسيا هي عدوتنا اللدودة فينبغي ان نستعد لها وان نبتاع مدفعاً كلما ابتاعت مدفعاً ونبني سفينة كلما بنت سفينة . فنحن لا نكره ان نغتنم هذه الفرصة لاثارة الغيرة في نفوس حكامنا ولذلك نقول لهولاء الكتاب : ان روسيا التي تدعون انها عدوتنا قد شرعت باصلاح عظيم يزيد قوتها زيادة هائلة . فان لم تزد الدولة قوتها بادخال مثل هذا الاصلاح الى بلادها وذلك « بتقرير التعليم الالزامي » فان الدولة تزداد ضعفاً بالنظر لازدياد روسيا قوة

فنحن نطلب الآن ان تجرب الحكومة العثمانية « الالزامية » في الاستانة كما ستجربها روسيا في بطرسبرج . وان لم تكن الاستانة فاحدى الولايات الشامية . و يسرنا جداً ان يسمع اولياء الامر هذا النداء الصادر عن نية خالصة ورغبة في خير الوطن وارتقاء شان الامة حتى لا يسبقها السابقون

اما ادخال « الزامية التعليم » الى القطر المصري فيخيل لنا انه امر اصعب من ادخاله الى بلاد الدولة العثمانية واسهل معاً . نقول اصعب لان الحكومة المصرية لا تستطيع الانفاق كما تشاء اذ هي مقيدة بمراقبة مالية اجنبية . ونقول اسهل لان قناطيرها الذهبية المقنطرة الموفرة في صندوق الدين كفيلة لها باخراج هذا المشروع من حيز القوة الى حيز الفعل اذا اقدمت عليه وطلبت من الصندوق بالحاح الاموال اللازمة له . ونحن على يقين بان الوزير الذي يقوم في مصر الى هذا العمل العظيم يخلد اسمه في تاريخ مصر و يستحق ان يلقب بالمحسن الى الامة المصرية

ولكن هل يقوم في مصر هذا الوزير . ام تمنع الحالة السياسية الحاضرة من قيامه فيبقى الشعب المصري بلا نور ولا علم الى ما شاء الله . مسألة نرفعها الى عطوفة الوزير الكبير مصطفى فهمي باشا الذي نستحب له ان يكون ذلك الوزير المنتظر لهذا الامر الخطير

الشبان وخطرهم وما يجب لهم

خطران . سلاح هجوم وسلاح دفاع . المدارس والشبان . مسئولية المدارس والهيئة الحاكمة . اذا قصرت الحكومة من حيث تقرير التعليم الالزامي فانها تستطيع ان تمحو بعض تقصيرها بانشاء المدارس العملية

نود قبل الكلام عن هذا الموضوع ان نقول كلمة بشان ما ننشره في هذا الباب . وهي اننا لا نستطيع ان نقول كل ما يجب ان يقال في هذا الموضوع لأن التفصيل والاسهاب من شأن الكتب والمؤلفات المطولة ونحن لا نستطيع هنا الا الاشارة اشارةً الى اهم مسائل التربية لئلا يستغرق هذا الباب ابواب الجامعة الاخرى . فنحن اذاً انما نكتب هنا للادمغة الناضجة والنبهاء والنبيهات الذين يكفي ان تُعرض على افكارهم الثاقبة عبارة واحدة في احد المواضيع فتنفتح بها في اذهانهم ابواب عالم جديد لم يكونوا قد ابصروه او التفتوا اليه . اما الذين لا يفهمون الامور الا اذا فُصلت لهم تفصيلاً مملاً وبُسطت لهم تبسيطاً كلياً فانا نشير عليهم ان لا يقرأوا هذا الكلام

والآن نعود الى الموضوع

اشرنا في الجزء الماضي الى خطر الاطفال ووعدنا بان نذكر في هذا الجزء كلمة عن خطر الشبان . ونريد بخطر الشبان حالتين يوجد الشاب فيهما . الحالة الاولى تسليم الطبيعة اليه قياد نفسه . والثانية نزوله الى العالم

اما الحالة الاولى فنريد بها بلوغه سن الرجولية . فان الشعور الجديد الذي يشعر الشاب فيه يومئذٍ اذا لم يحكم عليه ويصرف امياله في طريق الخير اضاع نفسه واضاع مستقبله معه فضلاً عن جنايته على نسله وعلى الفضيلة والادب العام . ومن امعن النظر وجد ان الاباء والامهات قلما يلتفتون الى العناية باولادهم من هذا القبيل فانهم يتركونهم وشانهم دون مراقبة وربما تركوهم بلا عمل ايضاً فهنالك الطامة الكبرى لان " راس البطال مخزن الشيطان" كما يقول المثل والبطالة آفة الآفات ولاسيما في هذا الشأن الذي نبحث فيه تلميحاً لا تصريحاً . وقد وصف جان جاك روسو لهذا الداء دواء نراه ناجعاً وهو ان تُشغل اوقات الفتى كلها بما يلهيه عن امياله الجديدة وذلك بالصيد في البر والبحر . فان الصيد لذة واذا وُجد بازاء الولد من يحثه عليها ازداد رغبة فيها ولكنه يشترط ان يبقى الفتى تحت المراقبة الشديدة ليلاً ونهارًا واخماد ثورة عواطفه الجديدة بالاعتدال حتى بالماكل والمشرب وبابعاده عن المجتمعات التي تثير عواطفه وتزيدها هياجاً واضطراماً وهذا الدواء موصوف لابناء الاغنياء البطالين

وليعلم الاباء والامهات ان مستقبل اولادهم بل حياتهم نفسها قد تكون متوقفة على هذه المسالة . وننصح لهم ان لا يهملوا ذلك . فانهم اذا ابصروا فتاهم حين دخوله في سن البلوغ قد اخذ ينحل و يتغير لونه فليبحثوا وليسعوا جهدهم الى معرفة السبب منه نفسه وليبينوا له الخطر الصحي والادبي الذي يلقي فيه نفسه ونسله من بعده وذلك باستسلامه الى امياله الجديدة . وهذا موضوع واسع نكتفي الآن بالاشارة اليه وربما عدنا الى البحث فيه في فرصة اخرى لانه من اهم ما يجب البحث فيه فيما يختص بخطر الشبان

واما الخطر الثاني وهو نزول الشاب الى العالم فيمكن اجتنابه بامر واحد وهو ان يبقى الولد تحت جنحي ابيه وامه فلا يُسمح له بالاستقلال باعماله وعلى الخصوص بالسفر الى بلاد اخرى بعيدة الا متى رسخت اخلاقه وثبتت امياله واشتدت الواحه واصبح لا يُخشى عليه من ان يسقط في تجربة او ان يحيد عن الطريق القويم والصراط المستقيم

هذا ما نقوله الآن في خطر الشبان وانما اختصرناه لننتقل الى البحث التالي وهو نسبة الشبان من الامة وماذا يجب لهم

شبان الامة هم منها بمثابة دمها · فاذا كان هذا الدم صحيحاً نقياً كان جسم الامة صحيحاً قوياً · واذا كان فاسداً كان جسمها ضعيفاً سقيماً · ولا ننكر ان الكهول والشيوخ ولاسيما من العلماء والكتاب لاتنضج مواهبهم الا بالشيخوخة وتكرار الايام فيكونون في آخر عمرهم اكثر فائدة مما كانوا في اواسطه او في اوائله ولكن هذه امور نادرة شاذة وانما القياس الصحيح والقاعدة المطردة هما ان قوة الامة تكون بقوة شبانها · اولاً لان كل عظائم الامور السياسية والعسكرية والتجارية والصناعية والزراعية يكون الشبان اقدم عليها من الشيوخ وثانياً لان هؤلاء الشبان سيمسون شيوخاً فاذا كانوا اقوياء في شبابهم من الوجه الادبي ازدادوا قوة في شيخوختهم · فقوتهم اذاً تشتمل على قوتين قوتهم في الحاضر وقوتهم في المستقبل · لذلك قلنا انهم من الامة بمثابة دمها اذا صح صحت واذا فسد فسدت

واذا كان الشبان هم دم الامة كما قدمنا ومدار صلاح حالها وجب ان تكون العناية بهم فوق كل عناية · ولا خلاف في ان كل امة تعنى بتربية شبانها · ولكن عقدة المسالة هي الطرق التي تجري هذه العناية عليها · فالشبان في فرنسا يشبون وغايتهم العظمى نيل الشهادة الادبية او العلمية والاستخدام في الحكومة · بخلاف انكلترا كما بسطنا ذلك غير مرة فان همّ مدارسها مصروف الى تعليم شبانها العظمة والاقدام وحب المعيشة الحرة · فلنبحث ما هي الطريقة المثلى للعناية بالشبان

انا نرى لذلك طريقتين متلازمتين الاولى هي تربية هجوم والثانية تربية دفاع · ومعنى هذا ان الشبان في هذه الحياة الطويلة والقصيرة معاً يشبهون ركباً في سفر · فيجب ان يكون معهم سلاح للاقدام يمهدون به طريقهم ويجوزون كل ما فيها من الصعاب · وسلاح للدفاع يدفعون به كل ما يعدو عليهم في سفرهم · وبلا هذا السلاح المزدوج يشبه الشبان جنوداً بلا سلاح ارسلوا الى ساحة القتال

وكأننا نسمعكم تقولون ما هو هذا السلاح سلاح الهجوم · فنجيب على ذلك انه سلاحان مادي وادبي · اما السلاح المادي فهو تقوية اجسام الشبان بالرياضة والعمل والهيجيين اي جعل اجسامهم اجساماً صحيحة لتسكنها عقول صحيحة · فان كل رجال الاقدام والعزائم في العالم هم من اصحاب الاجسام القوية · واما السلاح الادبي فتثقيف عقول الشبان بعلوم وفنون تكسبهم رزقهم في هذه الحياة لا بدروس سقيمة يحفظونها اليوم لينسوها غداً ولا تفيدهم في دور من ادوار حياتهم

واما سلاح الدفاع فهو القوة التي يجب ادخالها في نفوس الشبان لتكون سلاحاً لهم ضد ما قد يطرأ عليهم من الضعف في هذه الحياة · فالرذيلة ضعف يطرأ على النفس يقتضي

ازالته بقوة الفضيلة · والبطالة ضعف يطرأ يجب ان يُزال بقوة حب العمل والمقدرة عليه · والتبذير ضعف يزال بالاقتصاد وهلم جرًّا · والا فان الشبان اذ لبثت نفوسهم من غير هذا السلاح سلاح الدفاع فانها تسقط سقوطًا هائلاً بازاء اعدائها الكثيرين الذين يهاجمونها من كل جانب في هذه الحياة

فالطريقة المثلى لتربية الشبان ان نعطيهم سلاحًا للهجوم وسلاحًا للدفاع

فهل تعطي مدارسنا هذين السلاحين

قلنا مدارسنا ولم نبدأ بالبيت مع كون التربية البيتية هي اساس كل تربية كما مر بنا لاننا يحق لنا ان نقطع الرجاء من التربية البيتية بازاء ما فيها من الفساد المستاصل · وسبب فسادها انه لا يوجد في البيت كما يوجد في المدارس عقول نيرة وافكار ثاقبة تفهم معنى التربية ان لم يكن حق الفهم فبقدر الاستطاعة · فلا نرجونَّ في هذا الزمان فائدة من التربية البيتية قبل اصلاحها من اساسها

ولكن ما هو تاثير التربية المدرسية عندنا · هل هي تعطي السلاحين للذين اشرنا اليهما آنفًا من الثمرة تعرف الشجرة · واذا اردنا معرفة احوال التربية والتعليم في مدارسنا فلننظر الى تلامذتها الشبان الذين يخرجون منها في كل عام مئات والوفًا · فان اكثرهم يكونون بعد المدرسة عالة على اهلهم دابهم البطالة والاقامة في القهاوي والحانات · المقامرة احب عمل اليهم والعمل اكره الاشياء عندهم · يناموں في المسكرات والرذيلة و يصحون في الكسل والبطالة · وهكذا يصرفون زهرة عمرهم و ينفقون دماء حياتهم في هذه المعيشة السوداء والبلية الدهماء

وفي وسط هذا الليل المدلهم يوجد من يصرخ ان الامة فقيرة متاخرة · نعم وكيف لا تكون الامة فقيرة تعيسة شقية اذا كان شبانها وهم دمها الذي به تحيا وتقوى منغمسين هذا الانغماس بهذه المعيشة القبيحة · ان الامة تعيسة وستزداد تعاسة اذا بقيت على هذه الحالة من الفساد · واذا سالتم من هو المسئول عن هذا الفساد اجبنا ان المسئول فريقان الاول المدرسة · والثاني الهيئة الحاكمة

اما المدرسة فلانها تعلم طلبتها تعليماً غير منطبق على حاجاتهم · فبدلاً من التعليم الصناعي والزراعي والتجاري الواجب تقديمه على كل تعليم يعلمون اولئك الشبان تعليماً ادبياً ناقصاً يجعلهم قاصرين في كل شيء ويمنعهم حتى من العمل بشرف لا كل خبزهم بعرق جبينهم · وهذه جناية كبرى لا تلتفت اليها مدارسنا ولكنها تحتمل تبعتها بالرغم عنها .

انكم تعلمون تلامذتكم علوماً ادبية من لغات ونحو وصرف فمثلكم مثل من يثقب الماء او يضرب الهواء . اي انكم لا تؤثرون فيهم تاثيراً مفيداً بل تضرونهم من حيث اردتم ان تنفعوهم . فاذا اردتم نفعهم نفعاً حقيقياً فعلموهم مع التعليم الادبي تعليماً صناعياً وزراعياً وتجارياً

واما مسئولية الهيئة الحاكمة فلانها لا تفتح لابنائها موارد جديدة للرزق والاستعمار والعمل في املاكها الواسعة واراضيها القفراء المخصبة فضلاً عن انها لا تعمم المدارس الزراعية والصناعية . وهي بذلك تخطئ الى نفسها لان شبان الامة الذين لا يجدون مصرفاً لقواهم واعمالاً لهم ينسبون الخطأ كله اليها لا الى المدرسة فينقلبون باللائمة عليها ويسخطون ويكظمون

فحرام والف حرام ان تتركوا دماء الشباب الذي هو دماء الامة ان يذهب سدى بلا فائدة . اصرفوه الى الاعمال النافعة بدلاً من تركه ينصرف الى الشر والبطالة والرذيلة ويفسد في مستنقعاتها . علموا الشبان تعليماً عملياً . انزعوا في المدرسة من عقولهم بغض العمل وعلموهم ان كل عمل حتى اصغر الحرف اشرف من الكسل والبطالة . مدارس عملية مدارس عملية . انظروا ما صنعت المدارس العملية بالمانيا في مدة ٣٠ سنة فقط كما ترون في مقالة « كيف تعظم الامم » في هذا الجزء . انشئوا عندنا مدرسة عملية بازاء كل مدرسة ادبية ونحن الضامنون لكم ان حالنا تنقلب في اقل من ٣٠ سنة

باب تدبير الصحة

﴿ لا تاكل من اثمار معروضة على الطريق ﴾

نشر الدكتور قرمي فصلاً في مجلة العلم الفرنسوية نصح فيه لجميع الذين يرغبون في حفظ صحتهم ان لا يبتاعوا شيئاً للاكل من الاثمار التي تعرض على ابواب المخازن او في اطباق خصوصية على الطريق . قال . ان جميع ذوي العلل والامراض يبصقون في الشوارع فيتحول بصاقهم الميكروبي الى تراب والتراب يطير الى الاثمار . وما عدا ذلك فان الناس ينفضون غبار منازلهم من النوافذ فينزل ذلك الغبار راساً الى تلك الاثمار المعروضة . والغبار في الشوارع والمنازل غاص بميكروبات الامراض فتنتقل هذه الميكروبات بهذه الواسطة الى الذين

يا كلون من تلك الاثمار فعلى الذين يريدون الخير لصحتهم ان لا يشتروا فاكهة او خضرًا الا من الحوانيت النظيفة المغلقة التي لا يصل اليها غبار الشوارع . وحبذا لو كانت الحكومة تجبر الباعة على صنع بيوت زجاجية لستر بضائعهم وقاية لها من الميكروب فان هذا الامر من الاهمية الصحية باعظم مكان

الانفلونزا وجراثيمها وعدواها

نشرت مجلة المجلات مقالة مهمة للدكتور كاز عن الانفلونزا وانتقال جراثيمها فرأينا ان نلخص منها شيئًا . قال

ان هذه العلة انتقلت في هذا العام الى اوربا واميركا من تركيا فان جراثيمها انتقلت منها اليها مع البواخر التجارية . ذلك ان جراثيم الانفلونزا سريعة الانتقال وهي تسافر كالكوليرا في البر والبحر

اما محل اقامتها فالخياشيم والرئة والشعب الرئوية والامعاء والفم . وتدخل الى الجسم عن طريق الفم او الانف

وهذه الجراثيم تموت في مدة ٢٤ ساعة اذا جفت او اغرقت في الماء . ولا تعيش في لعاب الانسان اكثر من اسبوعين ولكنها قد تثبت في الاجسام المصابة بالدفثيريا وامراض الصدر شهورًا وسنوات عديدة

والجرثومة الواحدة تشبه البيضة في تكونها لانها مؤلفة من قشرة صغيرة جدًا ضمنها مادة حية وهذه المادة الحية تفرز سيالاً يسبب النزلة حين دخوله للجسم . فليست الجرثومة اذا هي السبب في العلة ولكن السيال الذي تفرزه

واما كيفية انتقال هذه الجراثيم فبواسطة اللمس . فانه يكفي ان تصافح باليد صديقًا لك مصابًا بالانفلونزا فتعلق جراثيمه بكفك . ولما تحك فمك او تضع فيه لقمة ينتقل المكروب بهذه الطريقة الى جوفك . وقلما يكون انتقاله بغير هذه الواسطة

ويمكن ان يدخل الى جسم الانسان مدة ٢٤ ساعه فقط ١٦ مليونًا وخمسمائة الف جرثومة من جراثيم الانفلونزا لانها سريعة التولد . فيجب والحالة هذه ان تتخذ التدابير اللازمة لتخفيف سريان عدواها اذا لم يكن منعها في الامكان والوسيلة الاولى لذلك هي ان يمتنع المصابون بالانفلونزا من البصاق في الشوارع والمركبات والاماكن العمومية وان يجتنب الاصحاء الاقتراب منهم

علاج للسم

كثيرًا ما حدث ان مريضًا اراد ان يتناول دواء فاخذ بدل زجاجة الدواء مادة سامة بجانبها . فالذي يجب لمعالجة السم في هذه الحالة ثلاثة امور . الاول سقي مقيء يخرج السم . الثاني اعطاء دواء مضاد للفعل الذي يكون قد احدثه السم ويسمون هذا المضاد (ترياقًا)والثالث العناية الهيجينية بشارب السم

اما اعطاء المقيء ومضاد فعل السم فامران من شان الطبيب فيجب ان يدعو اهل المريض الطبيب حالما يدرون بتسممه . والى ان يحضر الطبيب يجب ان يحفظوا حرارة مريضهم وذلك يتم بتغطيته بصوف يحمونه على النار . ويجب ايضًا ان يسهلوا له التنفس وذلك بتحريك مروحة امام وجهه و رفع ذراعيه معًا فوق راسه وخفضهما معًا

معالجة الغرقى

اذا وجدت غريقًا يتخبط في الماء فمن الشهامة ان تلقي بنفسك لانقاذه . ومتى اخرجته فاول امر تفعله ان تمدده على ظهره وتجعله مائلا بعض الميل الى الجانب الايمن . ثم افتح فمه وارفع جسمه واخفض رأسه لينزل ما في بلعومه ومعدته من الماء . وبعد ذلك يجب عليك ان تصنع امرين . الاول اعادة الحرارة الى جسمه . والثاني اعادة التنفس الى رئته

اما اعادة الحرارة الى جسمه فتتم بان تحمى " مكواة " حديدية الى درجة خفيفة يحتملها الجلد ثم تمرها على اعضاء جسمه . وحسنٌ ايضًا ان تاخذ قطعًا من الصوف او الفلانلا وتدلك بها جسده دلكًا شديدًا ثم ضع على انفه زجاجة ممتلئة خلاً او روح النشادر ممزوجًا بالماء

واما اعادة التنفس الى رئتيه فتستوجب ان تضغط على صدره واسفل بطنه ضغطًا خفيفًا متراوحًا يشبه حركة الرئتين . ثم خذ ذراعيه معًا وارفعهما فوق راسه واخفضهما . واذا لم يعد اليه التنفس بهذه الطريقة فيجب ان يُنفخ في معدته بواسطة منفخ صناعي يعرفه الطبيب ولا بأس ايضًا ان تنفخ في فمه فمًا لفم

قال الدكتور ارنود الذي نقلنا عنه هذه التفاصيل . ولي اليك وصيتان . الاولى ان لاتضجر من العناية بالغريق اذا لم ترجع له الحياة في مدة قريبة فانه قد يبقى غائبًا عن الصواب ساعات طويلة وهو حيٌّ فلا تقطع النجاة من حياته ابدًا . والثانية انك اذا ابصرت غريقًا قد مضى عليه ربع ساعة في البحر او في النهر فلا تحسب انه لم يبقَ امل بشفائه فكثيرون من الغرقى لبثوا في الماء ساعة بل ساعات ثم عند المعالجة عادت الحياة اليهم

شفاء الروماتزم بالصاعقة

كان المسيو فينو من سكان رامبن من اعمال « اود » في فرنسا واقفاً امام باب حانوته وهو مصاب بالروماتزم لا يستطيع ان يمشي الا متوكئاً على عصاه واذ انقضت على ذلك المكان صاعقة صعقته والقته بعنف الى داخل الحانوت على مسافة بضعة امتار . فتجلد الرجل وحاول النهوض فلم يرَ طريقه لانه اصيب بعمى وقتي ولكنه مقابل عماه وجد انه شُفي من الروماتزم فاصبح قادراً على المشي بقوةٍ من غير عكاز . وبعد هنيهة عاد اليه نظره فاصبح صحيح الجسم وعاد الى عمله كما كان . فتكون الصاعقة بتاثيرها الكهربائي قد شفته من الروماتزم . وقد روت هذه الحادثة مجلة « الصحة » الفرنسوية

وروت ايضاً ان الصاعقة صعقة ايضاً رجلاً من سكان افرلي في فرنسا وكان بيده مصباح فيه شمعة كبيرة فاذابت الصاعقة الشمعة دفعة واحدة دون ان تبقي لها اثراً وجعلت « تنك » المصباح لامعاً كالفضة مع انه تنك قديم . اما الرجل فلم يصب بضرر

الغليسرين وزينة السيدات

ان السيدة التي تكره استعمال الزيت دهاناً للشعر بسبب رائحته يمكنها ان تستبدله بالغليسرين . وذلك ان تاخذ زجاجة من الغليسرين وتضع فيها زهوراً كالياسمين او الفل او البنفسج مدة ٣ اسابيع فيمتص الغليسرين رائحتها لانه شديد الامتصاص للرائحة وحريص على حفظها فتدهن بعد ذلك شعرها منه فيكون دهاناً للشعر فلماعاً ومعطراً معاً خلافاً لزيت الزيتون

واذا وُضعت بعض نقط من هذا الغليسرين المطيب في ماء وغسل به الوجه لين البشرة وعطرها . فهذا اذاً من كل وجه خير من زيت الزيتون

تنبيه

وقع في الجزء الماضي خطاء في وصفة الدكتور بورن للانفلونزا . فقد جاء فيها ٥٠ غراماً من التربين وصوابه غرامان و ٥٠ جزءا وهو خطاء مطبعي ظاهر لانه لا يمكن ان يوصف ٥٠ غراماً من التربين مرة واحدة

وبهذه المناسبة نقول ان الجامعة تنقل كل ماتنشره في هذا الباب « باب تدبير الصحة » عن اشهر الاطباء والمجلات في العالم علماً بان المسائل الطبية لا ينبغي ان يبحث فيها غير الاطباء . ولذلك لا يجد القراء في هذا الباب رايا او قولاً لغير طبيب

نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب فصولاً لكبار كتاب ومؤلفي العرب المتقدمين والمتاخرين مما لا يوجد الا مطوياً في الكتب النادرة والمكاتب القديمة الكبيرة ونراعي في ذلك اللذة والفائدة

﴿ في بعض الاخلاق التي تكون في بعض الناس ﴾
﴿ فضيلة وفي بعضهم رذيلة ﴾

ليحيى بن عدي من كتابه في تهذيب الاخلاق وهذا الفصل الادبي الجميل جدير بانتباه جميع القراء

(منها حب الكرامة) وهو ان يسرّ الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على الرغبة في اكتساب الفضائل . وذلك ان الحدث والصبي اذا مُدحا على فضيلةٍ وُجدت فيهما كان ذلك داعياً لهما الى الازدياد في الفضائل . واما الافاضل من الناس فان ذلك يُعد منهم نقيصة . لان الانسان انما يُمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه اما اذا كان من اهل الفضل فلا ينبغي ان يسر او يستغرب ما يظهرونه من الفضائل . وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زائداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة

(ومنها حب الزينة) وهو التصنع بلبس الثياب الفاخرة وركوب الخيل وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظماء والاحداث والظرفاء والنساء . فاما الرهبان والزهاد والشيوخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظون ورؤساء الدين فان التصنع بالزينة مستقبح منهم والمستحسن بهم هو لبس الخشن وكراهية التنعم ولزوم بيوت الصلاة

(ومنها المجازاة على المدح) وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل . وهذا الخلق مستحسن من الملوك والرؤساء لانه يدعو المادح الى الازدياد في مدحه فيكتسب الممدوح ذكراً جميلاً يبقى الى الدهر . ومن فضائل الملوك والرؤساء بقاء ذكرهم الجميل . واما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهةً فذلك غير مستحب منهم لانه من جنس الملق وحب الملق مكروه لكونه من قبل الخديعة كما تقدم . فاما ايثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم وتناول الناس له وبقاؤه بعدهم فانه محمود . ومجازاة المادح مستحسنة من الملوك ومنعهم مستقبح

وعار عليهم لان ذلك يدعو الى ذمهم وذمهم يبقى ايضاً الى الدهر فينشيء لهم ذكراً قبيحاً وذلك مكروه من الملوك والرؤساء . اما اصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح لهم غير مستحسن لان المادح اذا مدح الدنيء من الناس فانما يخدعه فاذا اجازه اعتقد انه اخذ منه تلك الجائزة بالحيلة . وكثير من الناس اذا مدحوا بما ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه فلو صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء واهل المسكنة كان ذلك اجمل بهم واليق

(ومنها الزهد) وهو قلة الرغبة في الاموال والاذخار وغيرها وايثار القناعة بما يقيم الرمق والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستصغار الملوك وممالكهم وارباب الاموال واموالهم وهذا الخلق مستحسن جداً من العلماء ورؤساء الدين والخطباء والواعظين ومن يرّغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت . فاما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا اظهر الزهد صار ناقصاً اذ ان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض واذخارها ليدبر بها ملكه ويصون بواسطتها حوزته ويفتقد بها رعيته وهذا مضاد للزهد فانه اذا ترك الاذخار ابطل ملكه وصار معدوداً في جملة الملوك الحائدين عن طريق السياسة

فهذه الاقسام التي ذكرناها هي اخلاق جميع الناس . اما الممدوحة منها المعدودة فضائل فقلما تجتمع كلها في انسان واحد واما المذمومة منها المعدودة نقائص ومعائب فقلما يوجد انسان يخلو من جميعها حتى لا يكون فيه خلق مكروه وخاصةً من يروض نفسه ويؤدبها فان من لا يتعمل لضبط نفسه وتفقد عيوبه لم يخلُ من عيوب كثيرة وان لم يحس بها ولم يفطن اليها . واذا كان الحال على ما ذكرناه كان اولى الامور بالانسان ان يتفقد اخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في اصلاحها وينفيها عن نفسه ويتبع الاخلاق المحمودة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها لان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة انهم يتفاضلون باحوالهم واموالهم وكثرة ذخائرهم . وافتخار اكثر الناس بالاموال والذخائر والآلات وتعظيمهم الاغنياء وذوي الجاه ليس في محله . وذلك لان كثرة المال انما تتفاضل بها احوال الناس واما نفوسهم فلا تكون افضل من نفوس غيرهم بكثرة المال . وذلك لان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى اموالاً عظيمة فلا يكون بافضل من العفيف الحكيم الخير العالم ولو كان فقيراً بل انما يكون بكثرة امواله اغنى منه اذا كان ذاك معسراً فقيراً واما التفضيل فلا يكون الا بكثرة الفضائل فقط . ولكن ان اجتمع

بالانسان مع الاخلاق الجميلة والعادات المستحسنة الغنى والثروة ايضاً فلعمري انه يكون احسن حالاً من الفاضل المعسر لان ذلك من جملة سعادات الانسان وخاصةً اذا كان فاضلاً عادلاً عفيفاً يصرف ماله في وجهه وينفقه في حقه ويتنقد به من يجب عليه ولا يتهامل في مكرمة تزيد في محاسنه

اما الناقص الجاهل السيء العادات فان الغنى ربما زاده نقصاً وعيوباً واضاف الى معائبه عيوباً اخرى . ولا يعدُّ بخيلاً من لا مال له وان كان البخل من طبعه لان فقره يخفي ذلك منه ومتى لم يظهر منه هذا الامر فلا يعاب عليه لان الانسان انما يعاب بما يظهر منه واما من كان ذا مال وايثار ولم يجدْ به ظهر بخله فيصير المال جالباً عليه عاراً . وايضاً فان اكثر الفجور والمحظورات والشهوات الرديئة لا تُنال غالباً الا بالاموال فالفقير المعسر وان كان فجوراً فلا يكاد يظهر ذلك منه اما اذا كان ذا مال تمكن من شهواته فتظهر حينئذٍ عيوبه . وبناءً عليه يكون الغنى مكسباً لصاحبه احياناً عيوباً ونقائص والفقر فضائل ومحاسن . فينتج من ذلك اذًا ان الناس لا تتفاضل حقيقةً بالاموال والذخائر بل انما يتفاضلون بالاداب والمحاسن الذاتية . فالخليق بالانسان ان يسوس نفسه بالاداب المستحسنة ويسلك بها الطريق المحمودة فانه بذلك يكون محبوباً عند الناس مقبولاً لديهم معظماً في نفوسهم مفضلاً عن غيره موقراً عند الرؤساء والملوك مقبول القول عظيم الجاه

فهذه حالة العظمة الحقيقية المكتسبة بالاموال لان المال قد تلحقه المصائب فاذا فارق صاحبه سقطت منزلته من نفوس الناس وساوى العامة والسوقة وذلك لان المعظَّم له كان ماله فمتى زال ذلك المال لم يبقَ له شيء يعظم من اجله . وليس كذلك العالم النفيس الفاضل المهذب الاخلاق لان عظمته بفضائله وهي غير مفارقة له فهو معتبر دائماً ومعظم من اجل ذاته لا لشيء خارج عنه

✻ يانصيب خيري ✻

قررت الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية انشاء يانصيب خيري قدره ٢٠ الف غرش تقسم الى الفي ورقة الواحدة بعشرة غروش صاغ وجعلت منها ٣ الاف وستمائة غرش للرابحين مقسومة الى ٣ اقسام (١) ورقة واحدة تربح الفاً وخمسمائة غرش (٢) اربع اوراق تربح ستمائة غرش (٣) خمس عشرة ورقة تربح الف وخمسمائة غرش . فهي تؤمل من ارباب الحمية والسخاء مساعدة هذا العمل الخيري وذلك بالاقبال على ابتياع هذه الاوراق العائد نفعها للفقراء

شوون نسائية

✵ وبيتية ✵

نصائح للام بشان ارضاع طفلها

ومعرفة صحته واعتلاله

يعطي الله الام طفلاً لترضعه بنفسها لا لتسلمه الى خادمتها . والتي تكره ارضاع ولدها تقصر في ما يجب عليها له وتنزع عن رأسها بيدها تاج الامومة المقدس

وقد نشر الدكتور روكاز كلاماً للامهات بشان الرضاع فنلخصه باختصار . قال

لا ينبغي ان تغير الام نظام اكلها الاعتيادي بل يجب ان تاكل ما اعتادت اكله . لذلك لا اشير عليها بان تاكل كذا وكذا ولكن امنعها من اكل التوابل والحوامض والموالح لان ذلك يسري الى لبنها فيكون سبباً في اضطراب صحة طفلها ولاسيما احداث الاسهال في باطنه

وكذلك امنعها من اكل الكرنب والقرنبيط للسبب المذكور آنفاً . ويحسن ان لا تاكل بصلاً وثوماً وما اشبه من ذوات الرائحة الكريهة فان ذلك يسري الى لبنها فيشمئز الطفل منه

اما المشروبات الروحية فينبغي ان لا تشرب منها شيئاً لانها تضر الطفل ضررين صحياً ووراثياً . اما الضرر الصحي فهو انشاء الاضطراب في مزاجه وصحته لانها تصل اليه عن طريق اللبن فيكثر صراخه ويقل نومه . واما الضرر الوراثي فهو انه يستطيب طعم الكحول الممزوج بلبن امه فينشأ ذوقه على استطابة الكحول وبذلك يوجد عنده ميل وراثي الى السكر . فلا يجب اذاً ان تتناول المرضعات شيئاً من المسكرات

ولكن لا بأس من تناول شيء قليل من الجعة (البيرة) لانها على ما يقال تزيد لبن المرضعة انما يجب ان يكون هذا المشروب خالصاً نقياً . واما الشاي والقهوة فلا ينبغي ان تشرب المرضعة منها شيئاً لانها من المهيجات كما لا يخفى

وكذلك لا ينبغي ان تتناول المرضعة دواء من غير استشارة طبيبها لان الدواء قد يؤثر عليها اولاً وعلى طفلها ثانياً ويجب ان تنام في اول الليل اي ان لا تسهر ابداً وان

لا تحضر الجمعيات والمراقص والروايات فان كل ذلك يهيجها والهياج يضرها ويضر طفلها سواء كان عن لذة او الم . على انها تستطيع الخروج لتنزيه النفس بهدوء في الاماكن المطلقة للشمس النقية الهواء

بقي ان احذرها من تغذية طفلها بلبن الحيوانات مع لبنها فان ذلك مضر ولا يجب ان تلجأ اليه الا في حالة الضرورة القصوى

	الذكر	الانثى
وزنه حين الولادة	٣ كيلو و٢٥٠ غراماً	٣ كيلو
» بعد ١٠ ايام	٣ » و٢٥٠ »	٣ »
» » ٣٠ يوماً	٣ » و٧٥٠ »	٣ » و٥٠٠ غراماً
» » ٦٠ »	٤ » و٥٠٠ »	٤ » و٢٥٠ »
» » ٣ اشهر	٥ » و٢٤٠ »	٥
» » ٤	٦ »	٥ » و٧٥٠ »
» » ٥	٦ » و٧٠٠ »	٦ » و٤٥٠ »
» » ٦	٧ » و١٥٠ »	٦ » و٩٠٠ »
» » ٧	٧ » و٦٠٠ »	٧ » و٣٥٠ »
» » ٨	٧ » و٩٠٠ »	٧ » و٦٥١ »
» » ٩	٨ » و٢٠٠ »	٧ » و٩٥٠ »
» » ١٠	٨ » و٥٠٠ »	٨ » و٢٥٠
» » ١١	٨ » و٨٠٠ »	٨ » ٥٥٠
» » سنة واحدة	٨ » و٩٥٠ »	٨ » ٧٠٠
" " سنتين	١١ "	١١

واذا اردت ايتها السيدة ان تعرفي اذا كان طفلك حسن التغذية ام لا فان ذلك يعرف بواسطتين . الاولى منظر الطفل . فانه اذا كان نشيطاً مورد الوجه ضحوكاً ينام كثيراً ونومه هادئ لطيف وقلما يبكي فصحته على غاية ما يرام وتغذيته طبق المطلوب واذا كان غير ذلك فاللوم عليك لانك لم تحسني تغذيته

واما الواسطة الثانية التي تستطيعين بها ان تعرفي تقدم صحة طفلك او تاخرها فهي

وزن جسمه . نعم وزن جسمه النحيف اللطيف ولا تعجبي من هذا الكلام فان هذه الطريقة شائعة في اوربا كلها وهي احسن طريقة لمعرفة صحة الاطفال . ويتم وزن الطفل بميزان افرنجي خصوصي تبتاعينه لهذه الغاية وبه تستطيعين ان تعرفي كل يوم مقدار تقدمه ومقدار تاخره

ولتسهيل ذلك عليك وضعنا لك في الصفحة السابقة جدولاً يتضمن معدل وزن الطفل من حين ولادته الى ان يبلغ السنتين من العمر هذا اذا كان صحيح البنية حسن التغذية وبموجبه تكون زيادة وزن الطفل في الاشهر الثلاثة الاولى من ٢٠ الى ٣٠ غراماً في اليوم وفي الاشهر السبعة الاخيرة من ١٠ الى ١٥ غراماً فقط وبما ان وزن الطفل ينقص بطروء الامراض عليه او بانحراف صحته فقط انحرافاً بسيطاً فانهم يتخذون اليوم الميزان وسيلة لمعرفة صحته او اعتلاله

زيادة بيض الدجاج

اطعم بعض الفلاحين الدجاج من دقيق البلوط معجوناً بفتات من اللحم فزاد بيضها وطريقة ذلك ان يحمص البلوط في فرن ويطحنه ثم يعجنه بشيء من اللحم والغذاء

اهلاك الجرذان في المنازل

لاهلاك الجرذان طرق كثيرة (١) ان تقتني هرة في البيت . ولكن الهرة قد تكون مضرة اذ كثيراً ما يكون في فمها وانفاسها ميكروبات كثيرة اخصها ميكروبات الدفثيريا (٢) ان تصب شيئاً من صولفور الكاربون في اوكارها اذا عثرت عليها ثم تسد هذه الاوكار فتختنق الجرذان فيها بواسطة الكربون (٣) ان تنصب لها فخاخاً (٤) ان تضع لها طعاماً ساماً واحسنه الطعام الآتي — عشرون غراماً من الفصفور واربعمائة غرام من الدقيق (الطحين) واربعمائة غرام من الدهن الذائب ومائتا غرام من زيت الجوز ومائتان وخمسون غراماً من ملح البارود تصبها شيئاً فشيئاً في اربعمائة غرام من الماء المغلي حتى تذوب وتبردها فتجمد . فتضع منها على قطع خبز وتقدمها للجرذان

المراة والجنين

هل للمرأة الحامل ان ترفض ان تجري عملية لانقاذ الجنين اذا اشار الطبيب بهذه العملية رغبة في انقاذه

اختلف الناس في هذه المسألة ولكن الطبيب بودلوك يقول انه ليس من حق المرأة ان ترفض ذلك لان الولد الآتي ليس لها فضلاً عن ان المرأة لا تعرف متى يجب اجراء

العملية ومتى لا يجب ذلك. فلا ينبغي ان يكون ذلك متوقفاً على ارادتها

ثم هل من حق الرجل ان يقول عند عسر الولادة : قطعوا الجنين في بطن امرأتي على شرط ان تسلم . قال الدكتور المذكور . كلا ليس ذلك من حق الرجل ايضاً لان الولد الآتي ليس له فضلاً عن ان قتل الجنين في باطن الحامل لا ينجيها خلافاً لما يعتقده بعض البسطاء . فحق الحياة والموت وحق اجراء العملية اوعدم اجرائها امران منوطان بالطبيب فقط لانه وحده يعلم ضرورة ذلك او عدم ضرورته

الماء الحار في النوم

عند الافرنج عادة للدفاء في فراش النوم يستعملونها في الشتاء وهي ان يملأوا زجاجات ماء حاراً ويضعونها في الفراش معهم وينامو وقد اخذ بعضهم في الشرق هذه العادة ولكن احسن منها ان يحموا رملاً دقيقاً ويضعوه في اكياس ثم يضعوها بفراشهم وينامو. لان زجاجات الماء كثيراً ما انكسرت في الليل فجرحت النائم

ماء معطر

تستعمل نساء فرنسا قشر البرتقال لتعطير الماء الذي يغسلن وجوههن به. ذلك ان البرتقال الذي يأكلنه يغسلن قشره و يلقينه في وعاء الماء الذي على مائدتهن فبعد بضع ساعات يصبح الماء ذا رائحة طيبة

الغصة

قد يغص الولد وهو يأكل فيصبح غير قادر على ابتلاع اللقمة فتقرع امه عادةً ظهره ليسيغ اللقمة. ولكن احسن من ذلك ان تأخذ يديه معاً وترفعهما رفعاً عمودياً الى ما فوق راسه فيتسع بلعومه بهذه الواسطة فتنزل اللقمة

﴿ العناية بالبيانو ﴾ البيانو لا يفيده الهواء الجاف ولكن الهواء الرطب ولذلك يجب ان تضع في الغرفة التي يكون فيها بيانو شيئاً من النبات ليرطب الهواء . وحسنٌ ان تضع بجانبه اسفنجة مغموسة في الماء فترطب الهواء ببخارها المائي

﴿ آلة لمسح الاحذية ﴾ اخترع المسيو مارتين الفرنسوي آلة توضع في الشوارع فاذا مررت بها والقيت في صندوقتها ١٠ سنتيمات ووضعتَ قدمك عليها بدأت تمسح حذاءك فتنزع الوحل منه وتدهنه (بويه) وتلمعه كانها قوة مدركة

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابةً لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

العظيم يعف عند المقدرة
انكلترا والترانسفال ...

زعموا بان الصقرَ صادف مرة عصفور برٍّ ساقه التقديرُ
فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقضٌّ عليه يطيرُ
اني لمثلك لا اتم لقمة ولئن شُويتُ فانني لحقيرُ
فتهاون الصقر المدلُّ بصيده كرماً وأفلت ذلك العصفورُ

(نصر بن منيع)

فساد الشيء اذا تولاه من هو غير اهل له

لليث ملك القفار وما تضم الصحارى
سعت اليه الرعايا يوماً بكل انكسار
قالت تعيشُ وتبقى يادامي َ الاظفار
مات الوزير فمن ذا يسوس امرالضواري
قال « الحمار وزيري قضى بهذا اختياري »
فاستضحكت ثم قالت (ماذا رأى في الحمار)
وخلفته وطارت بمضحك الاخبار
حتى اذا الشهر ولى كليلة او نهار
لم يشعر الليث الا وملكه في دمار
القرد عند اليمين والكلب عند اليسار
والقط بين يديه يلهو بعظمة فار
فقال مَن في جدودي مثلي عديم الوقار
اين اقتداري وبطشي وهيبتي واعتباري
فجاءه القرد سرًّا وقال بعد اعتذار

ياعاليَ الجاه فينا كن عاليَ الانظار
رأي الرعية فيكم من رايكم في الحمار
(احمد بك شوقي)

تاثير الذهب

رأيت شاةً وذئبًا وهي ماسكةٌ باذنه وهو منقادٌ لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى ما بين نابيه ملقى نصف دينارِ
فقلت للشاةِ ماذا الالف بينكما والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة « بالتبرِ يُكسر ذاك الضيغم الضاري»
(من كتاب انيس الجليس)

وصف احدب

لا تظنن حدبة الظهر عيباً فهي في الحسن من صفات الهلالِ
وكذاك القسي محدودبات وهي انكى من الظبا والعوالي
واذا ما علا السنامُ ففيه لقروم الجمالِ اي جمالِ
كوّن الله حدبة فيك ان شئت من الفضل او من الافضالِ
فاتت ربوةً على طود علمٍ واتت موجةً ببحرِ نوالِ
ما رآها النساء الا تمنت ان غدت حلية لكل الرجالِ
(ابن الذروي)

باكيةٌ ضاحكةٌ خدّامها جلاسها
مظهرةٌ انوارها ان جزّ منها راسها
(الاكنبي يلغز في شمعة)

كنا كانجم ليلٍ وسطها قمرٌ يجلو الدجى فهوى من بيننا القمرُ
ياصخر ما كنتُ في قوم اسرّبهم الا وانك بين القوم مشتهرُ
فاذهب حميداً على ما كان من حدثٍ فقد سلكتَ سبيلاً فيه معتبرُ
(الخنساء)

باب الاخبار العلميّه

✵ التمدن والفحم الحجري ✵ تنبأ بعض العلماء ان التمدن الحاضر سينكسف نوره ويقف سيره بسبب نفاد الفحم الحجري يوماً من الايام · ولكن الكابتن جمسون من مهندسي الجيش الانكليزي قد اخترع مادة رخيصة الثمن كثيرة الوجود تولد حرارة شديدة كحرارة الفحم الحجري · وهو يصنعها من فضول المنازل التي تُطرح خارجاً (الزبالة على انواعها) يجمعها ويحرقها حتى تصبح رماداً فيصب عليها نوعاً من الزيت ويجمدها قطعاً قطعاً زنة الواحدة كيلوغرامان · ومتى جفت اصبحت تقوم مقام الفحم الحجري في توليد الحرارة حين اشتعالها ·

✵ لغة الاسماك ✵ يقول المسيو كوليكر انه ثبت له من مراقبة الاسماك في قعر البحار حين غوصه بالغواصات ان للاسماك لغة تتفاهم بها ولها اصوات خصوصية يمكن سماعها

✵ الخلد يحمي الزراعة ✵ راقب بعضهم الخلد فوجد انه يا كل من الديدان التي تكون في الارض ٢٣ غراماً في مدة يومين وبذلك ينقي التربة منها ويقي الزراعة شرها ولكن قد يا كل هو نفسه من الزراعة فيصح فيه قول المثل « حاميها حراميها »

✵ خبر من اندريا ✵ علم القراء قصة اندريا مما كتبناه في الجزء الماضي · ويسرنا الآن ان نذكر ما رأيناه في الاخبار الاخيرة وهو ان بعضهم وجد على شاطىء جزيرة رونولزاي اوركني الشمالية زجاجة (قنينة) مسدودة وفيها رسالة مختومة مؤرخة بسنة ١٨٩٨ والمظنون انها من اندريا القاها من المنطاد وكتب فيها رجاء الى من يجدها ان يرسلها في البوسطة الى جمعية الاكتشاف في كوتمبورج · فوضعها الرجل الذي وجدها في البوسطة طبقاً لطلب صاحبها

✵ اكتشاف لصنع الخل ✵ يصنعون الخل بالاختمار اي انهم يتركون الخمر يختمر بمرور الزمن عليه · وسبب اختماره ميكروب خصوصي يتولد فيه · لكنهم اكتشفوا طريقة جديده لصنع الخل وهي مزجه بشيء من الاوزون

❊ مدى المدافع ❊ قال المسيو هنري بارفيل في جريدة الديبا ان المدافع كان مداها في ايام نابوليون من ٥ الى ٦ مائة متر اما اليوم فان مداها من ٥ الى ٦ كيلومترات ومن المنتظر اذا استمر هذا التحسن ان يبلغ مداها ٢٥ كيلومترًا

❊ شروط النجاح في الاعمال ❊ نشرت المجلة الانكليزية نصائح وضعها المالي الشهير بارنوم لرجل استشاره ماذا يجب ان يصنع لكي ينجح في اعماله . فقال له اولاً اختر لنفسك العمل الذي ينطبق على استعدادك وقواك فمن الناس من يخلق ليكون مهندساً مثلاً ومنهم من يخلق ليكون مشعوذًا . ثانياً انجز وعدك دائماً . ثالثاً مهما عملت فاعمله باتقان . رابعاً لا تشرب مسكرًا ليبقى عقلك صحيحاً دائماً . خامساً لا تفقد الامل بالنجاح ابدًا ولكن لا تكن كثير التصور والتخيل . سادساً لا توزع قواك واياك ان تعمل عملين في وقت واحد . . . سابعاً احسن اختيار عمالك وآلات عملك . ثامناً لا تعهد الى غيرك ان يصنع لك ما تقدر على صنعه بنفسك . تاسعاً لا تبذر ولا تنفق اكثر من دخلك . عاشرًا أكثر من الاعلان عن عملك واعلم ان رجلاً خبيرًا كان يقول انني اذا اقدمت على عمل وليس معي الى ٥ فرنكات فانني انفق منها ٤ ونصفاً على الاعلانات »

❊ داء الطباخين والطباخات ❊ قال احد اطباء برلين أن الطباخين والطباخات يكونون هادئين ساكنين فلا تشعر الا وقد اخذ احدهم يغضب فيصرخ ويكسر الصحف التي يراها امامه . فلا تحسب ذلك شراسة منه ولكن داء أسميه « كَلَب المطبخ » وهذا الداء ينشأ فيهم لتعرضهم الدائم للنار وتاثير حرارتها عليهم . نقول وهذا الداء يعرفه نساؤنا ويسمينه ضيق الخلق بسبب تاثير النار . فما اكتشف الدكتور الالماني امرًا مجهولاً

❊ فائدة العنب ❊ قال المصارع التركي الشهير قره احمد ان سرّ قوته وشدة باسه اكل العنب فانه ياكل منه كل يوم كيلوغرامين

❊ الصحة في الجيش الالماني ❊ قررت نظارة الحربية الالمانية ان تؤلف في كل موقع عسكري لجنة من الاطباء لفحص اللحوم التي يغتذي بها الجنود لان كثيرًا من الامراض قد تنتقل بواسطتها

❊ اطباء طباخون ❊ تحتم كلية مينازوتا الطبية على اطبائها ان يتعلموا فن الطبخ فيها لينفعوا مرضاهم بارشادهم الى حسن انضاج الطعام وجودة اختياره

﴿ كحول جديد ﴾ اكتشف احد الزراع في باريز طريقة لصنع الكحول من قشر حبّ الحمص وهو يصنع من مائة كيلوغرام قشرًا ليترين او ليترين ونصفًا من الكحول · فازداد الكحول بذلك بدل ان ينقص

﴿ الضحك داء ﴾ في احدى مستشفيات شيكاغو الآن رجل يدعى متاس يقضي وقته ضاحكاً مقهقهاً واحياناً يغمى عليه من شدة الضحك دون ان يستطيع ان يملك نفسه · وهم يعالجون داءه · اما خدامو المستشفى فانهم يضحكون كلما ضحك ولكن شتان بين ضحكهم وضحكه

﴿ اشد الناس ولعاً بالمسكرات ﴾ هو طبيب اميركي يدعى الدكتور موناي وعمره ٧٠ سنة · اعتاد ان يشرب كل يوم ٢٥ كاساً كبيرة من الويسكي ما عدا البيرة والنبيذ· وهو يقيد كل ما ينفقه على المسكرات فبلغ مجموعه من اول عمره الى اليوم ٣٠٠ الف فرنك

﴿ اعادة البصر الى لعمي ﴾ شاع في نيويورك ان المستر اديسون العالم الكهربائي الشهير يجرب شفاء العميان بواسطة اشعة رنتجن فاعلن المستر روس من كبار اغنياء تلك المدينة وهو اعمى انه يدفع ٥ ملايين فرنك للمستر اديسون او لكل عالم يخترع اختراعاً يشفيه من العمى · والمستر اديسون يوالي التجربة في هذا الشان

﴿ اختراع لتنظيف البسط ﴾ البسط التي تُبسط على الارض يجب ان تنظف تنظيفاً دقيقاً لانها تكون معششة بالميكروبات · فاذا كان يمكن رفعها تنفض بشدة في مكان واسع بعيد عن الناس وعن المنزل واذا كان لا يمكن نزعها لانها مسمرة بارض البيت فقد اخترعوا طريقة لتنظيفها من الميكروب وهو اطلاق مجرى هواء مضغوط عليها فيهب كانه زوبعة ويطرد كل الميكروبات والغبار عنها و يلتقطها في علبة خصوصية

﴿ جواد غريب ﴾ وردت الجرائد الاميركيـة وفيها صورة جواد اميركي كبير يُدعى لينوس الثاني يجر وراءه ذيلاً طوله عدة امتار وشعر رقبته مسترسل على كتفيه الى الارض فاذا سار غطى حافري يديه وكنس الارض لطوله

﴿ العيون الصناعية ﴾ تصنع معامل المانيا وفرنسا في كل سنة نحو مليوني عين صناعية من الزجاج شديدة الشبه بالعيون الطبيعية · وتجارة هذه العيون رائجة لكثرة طلابها

عادات واخلاق

نشر في هذا الباب تتفًا في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحًا اليه منهم زدنا توسعًا فيهِ

اذا كان زيد جالساً في قهوة واتاه فقير مسكين يطلب خمس بارات ليسد بها رمقه انتهره وطرده طردًا . ولكن عمرو يعطيه دائمًا واذا لم يعطه مالاً فانه على الاقل يعطيه ابتسامة . نعم ان الابتسام لا يطعمه خبزًا ولكنه لا يزيد مصابه وربما خفف المه . فابتسم للفقير اذا طلب منك ولم تعطه فان الابتسام لا يكلفك شيئًا . . وهو يفيده لانه يسره ويفيدك لانه يدل على كرم اخلاقك وحسن تربيتك

لبعض اهالي زامبيز والكونغو عادة وهي ان يحددوا اسنانهم اما لسهولة نهش العدو بها او لسهولة اكل اللحم النيء . وطريقة ذلك ان ينام احدهم ويفتح فاه فيجلس رفيق له على صدره وفي يده سكين وحجر فيضع حد السكين على طرف السن ويضرب بالحجر فينزع قشرة من السن وهكذا حتى يجعلها ذات حد كالسهم او انه يبردها بمبرد . ولكن بعض المتمدنين لا يحتاجون الى تحديد اسنانهم لنهش لحم الغير بل تكفيهم ألسنتهم . . .

اميلي واميليا فتاتان جميلتان كانهما وردتان في بستان ولكنهما مختلفتان خلقاً

فان اميلي فتاة غنية على آخر موضة . لا تلبس الفسطان اذا كان ثمنه اقل من مائة فرنك . تحضر كل المراقص والجمعيات وتذهب كل يوم الى الملعب . اذا جلست في جمعية لا يتكلم احد غيرها . حادة الطبع كثيرة الحركة ترفع صوتها كثيرًا وتقهقه كثيرًا . لذتها امران : النميمة بالناس و لعب البوكر . اذا كانت في الملعب فكل النظارات توجه الى لوجها . واذا كانت في جمعية فكل الانظار تحوم عليها . والسعيد من يفوز بابتسامة منها . هذه هي اميلي

اما اميليا ففتاة فقيرة بسيطة القلب والملابس . لا تذهب الى الملاعب الا مرة او مرتين في السنة . اما الجمعيات فانها تكرهها لانها لا تجد فيها شيئًا غير اللعب وهذا ليس من ذوقها . اذا تكلمت خفضت صوتها وغضت من طرفها . تخيط فساطينها بيدها وتصلحها مرة او مرتين قبل ان ترميها . اذا نمّت احدى رفيقاتها باحدٍ امامها غيرت ذلك الحديث . تقول امها انها تدفع جنيهين لكل من يراها غضبى او يسمعها ترفع صوتها . ذلك لانها تعلمت ان

تملك نفسها في الحزن وفي الفرح على السواء . مقتصدة مجتهدة تقضي اوقات فراغها في الدرس والمطالعة لتثقف عقلها . نقية القلب والثوب كالثلج النقي . ولا يوجد بين رفيقاتها من تكرهها او تحسدها لانها لطينة بادب واحتشام مع الجميع ولطفها لا يبقي لها كارهة . هذه هي اميليا

. فقل لي الآن . اذا كنت اعزب وقدموا لك هاتين الابنتين فايهما تختار لتكون شريكة حياتك .

جرت عادة عند قدماء الغاليين وهي ان الرجل الذي تضربه امرأته يركبونه على حمار ركوباً معكوساً اي ظهره الى رأس الحمار ووجهه الى ذنبه ثم يطوفون به في الشوارع وهم يضحكون. وقد اعاد عملة مونلوسون في هذا العام هذه العادة فان احدهم تخاصم وامرأته فقويت عليه وضربته فاركبه رفاقه على حمار ركوباً معكوساً وطافوا به الشوارع وقد علقوا على ظهره ورقة كتبوا عليها هذه العبارة : « رجل ضربته امرأته » وقد ضحكوا منه طول ذلك النهار

ولكن اذا كان ذلك جزاء الرجل الذي تضربه امرأته فما هو جزاء الرجل الذي يضرب امراته

قالت مدام دي ستايل : ان فضيلة النساء تتوقف دائماً على سلوك الرجال وقال جان جاك روسو ان فضيلة الرجال تتوقف على سلوك النساء — فايهما نصدق

اذا كنت ذا دعوى كبيرة تحسب كل انسان دونك ولا ترى فضيلة وفضلاً لغير نفسك وتجعل دأبك انتقاد عيوب للناس اكثرها فيك فانك بذلك تحط من كرامتك ومنزلتك لدى العقلاء وانت لا تشعر . نعم ان ذلك قد يرفعك لدى الجهلاء والحمقى والبسطاء بعض الشيء ولكن يكون ارتفاعك اغتصابياً اي كما يرتفع الحجر في الجو ثم يسقط بسرعة الى الارض

هند دابها الكلام عن الناس . فتقول : فلانة فمها كبير كالمغارة. فلان لطيف ولكنه جامد كالصنم . فلانه فسطانهـا بخس ما ابشعه . صوتها قبيح حين الكلام . تلبس ملابس نظيفة من الخارج وسخة من الداخل . الخ . الخ . وفيما هي تخرج من فمها هذه الدرر تقطع احدى الحاضرات عليها الكلام وتقول : لما صديقتك املا قالت ان قلبك اسود

وتنمين بالناس . فتستشيط غيظاً لان صديقتها نمت بها ناسيةً انها قد انقضى عليها ساعة وهي تنم بالناس

مغزاه — لاتصنع بالناس ما لاتريد ان يصنع الناس بك

يقال ان الناس تُعرف اخلاقهم من خطوطهم او من منظر وجوههم . ولكن ما سُمع انها تُعرف من وضع سكائرهم في افواههم . فقد قال بعضهم ان الذي يضع سيكارته في فمه على خط مستقيم سواء كانت مشتعلة او لا فهو رجل صعب المعاملة شديد الاعتداء يجب الاحتراز منه . والذي يضعها في فمه بلا تصنع ويدخنها كيفما كان ثم يسره ان ينظر الى دخانها وهو يصعد من فمه فهو رجل كريم حر الفكر والقلب فصادقه . والذي لا ينفض الرماد عن سيكارته حتى يتكاثر ويتراكم عليها فهو متكبر ومدّعٍ كالرجل الذي يربي اظفاره حتى تطول

ويمكن ايضاً معرفة فضائل الانسان ورذائله من حذائه .... فاذا تمزق الحذاء من اطرافه الداخلية فيكون لابسه كسولاً واذا تمزق من اطرافه الخارجية فلابسه كثير الدعوى والبله . اما اذا تمزق من وراء الكعب فان لابسه يكون شديداً قوي السلطة وجسوراً مقداماً

والغريب ان كتاب الافرنج يضيعون اوقاتهم بكتابة هذه الامور ونصنع نحن صنعهم لارضاء فئة من القراء لا تطلب الفائدة بل اللذة والطلاوة ولو كانتا بعيدتين عن الحقيقة

لبعض الذين يُدعون متمدنين عادة غريبة . وهي انك تقابلهم فيقابلونك بالهشاشة والبشاشة ويظهرون لك كل حب وانعطاف فاذا درت قفاك وسرت في طريقك سبوك وشتموك في قلوبهم او بالسنتهم . فهولاء يجب ان تضحك منهم ولاتؤاخذهم فانهم لايهينون غير انفسهم

متى رايت امرأة تحب الخروج كثيراً من البيت للزيارة والتنزه فاعلم انها غير سعيدة فيه

باب الاسئلة والاجوبة

نجيب في هذا الباب على الاسئلة الادبية والعلمية التي تردنا مما يتسع المجال للاجابة عنه اما المسائل الصحية فنعهد بالاجابة عنها الى « طبيب الجامعة » ونشترط ان يكون السائل مشتركاً فراراً من اتساع نطاق هذا الباب

* اكثر اللغات انتشاراً *

(يافا) ي · ب

ما هي اوسع اللغات انتشاراً في العالم

* الجامعة * اوسع اللغات انتشاراً في العالم هي اللغة الانكليزية وعدد المتكلمين بها ١٢٥ مليوناً ثم الروسية وعدد المتكلمين بها ١٠٠ مليون ثم الالمانية والمتكلمون بها ٧٠ مليوناً ثم الفرنسوية والمتكلمون بها ٥٠ مليوناً ثم الاسبانية والمتكلمون بها ٣٢ مليوناً · وغني عن البيان ان هذا الاحصاء انما هو من باب التقدير فقط

ويقول بعض الباحثين ان اللغة الانكليزية ستسود في القرن العشرين على سائر اللغات لكثرة امتداد السلطة الانكليزية لان اللغة كالتجارة تتبع الراية دائماً فحيثما ذهبت الراية تبعتها اللغة · ولكن اناساً غيرهم يقولون انه لا خوف على اللغات الاخرى من اللغات الانكليزية اذ قام لهذه اللغة مزاحمات في العالم · فاللغة الروسية تزاحمها في آسيا واواسطها· واللغة الفرنسوية تزاحمها في شمالي افريقيا واواسطها وفي الشمال الشرقي من اميركا الجنوبية· واللغة الهولاندية تزاحمها مزاحمة شديدة في جنوب افريقيا كما لا يخفى

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان المتكلمين باللغة الروسية اليوم وعددهم مائة مليون كما ذكرنا لم يكونوا في سنة ١٧٠٠ الا ١٢ مليون نفس وكانوا في سنة ١٨٠٠ نحو ٣١ مليوناً وهو تقدم غريب لم تتقدمه لغة غيرها في امد قريب كهذا

على ان كلامنا هذا لا يشمل الا اللغات الاوروبية الحية الآخذة بالنمو والتقدم ولكن في آسيا لغة اكثر انتشاراً من جميع لغات العالم لكثرة المتكلمين بها وهي اللغة الصينية فان المتكلمين بها مئات ملايين

* دواء الحصاة *

(مليج) برسوم افندي حنا

عندنا رجل مصاب بمرض رمل الكلى وقد تعاطى كثيراً من الادوية والمياه المعدنية ومع ذلك لم ينقع نزول الرمل بالبول . وقد يتألم احياناً الماً شديداً فما علاج هذا المرض

※ طبيب الجامعة ※ متى وُجدت الحصاة في المثانةوجب اخراجها باحدى عمليتين . اما بعملية جراحية واما بتفتيتها بالادوية والمياه المعدنية . والعمليـة الاولى اضمن لازالة الحصاة هذا اذا لم يحدث خطر من جرائها فقولوا لمريضكم ان لا يضجر من مرضه بل يحتمله بالصبر الجميل ويعمل بارشادات طبيبه فيما يختص بالامتناع عن اكل اللحوم وعن الافراط في كل شيء . ويجب ان يواظب على المياه المعدنية التي يصفها له الطبيب

* فقر الدم *

(قنا) مصطفى افندي ابرهيم

لي اخ نحيل الجسم اصفر اللون قليل القابلية للطعام شديد التاثر والتهيج فما هي الطريقة لتحسين صحته

※ طبيب الجامعه ※ نظن ان اخاكم مصاب بفقر الدم اي ان دمه قل وضعف فيجب تجديده وهذا يتم بالرياضة الخفيفة وحسن التغذية والامتناع عن الافراط والتعب ويجب على الخصوص ان يكثر من استنشاق الهواء النقي في الخلاء . وقلما تفيده الادوية الا بعض اشربة الحديد فهذه لا باس منها . وانما الامر المهم في هذا المرض جودة التغذية التي يتجدد بها الدم . فاجيدوا تغذية مريضكم واجعلوه يستنشق الهواء النقي كل يوم اكثر من ساعة وساعتين واتركوه يمشي في الخلاء متروضاً مشياً معتدلاً ولا تجعلوه يتعب تعباً شديداً

* تخفيف السمن *

(طنطا) محمد . م

انا سمين الجسم كثير الشحم واللحم فما هي الطريقة لتخفيف سمني

—* طبيب الجامعة *— لا تتكل في ذلك على الادوية فان الدواء اذا نجح في تخفيف سمنك قد يضر بنيتك فيلزمك حينئذٍ دواء لمداواة نفس تاثيره . واحسن واسطة لتخفيف السمن هو انك تمشي كثيراً حتى تعرق وان تخفف اكلك وشربك فتبقى مراراً بلا اكل ولا شرب متى طلبتهما نفسك وهكذا يكون ما ينفقه جسمك اكثر مما يكسبه فيخف سمنك

باب التقريظ والانتقاد

(* الفخري *) كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية كتاب جزيل الفائدة للمؤرخ العربي محمد بن علي بن طبا طبا المعروف بابن الطقطقي . انجزت شركة طبع الكتب العربية في مصر طبعه حديثاً واهدت الينا نسخة منه فتلقيناه بالشكر لهذه الشركة التي لا تألو جهداً في القيام بالخدمة العلمية الجليلة التي انتدبت نفسها لها . وموضوع هذا الكتاب معروف من اسمه وقد جاء في مقدمته ان علماء اوروبا قد عرفوا اهميته قبل علماء الشرق « فسبقوا الى طبعه وجعلوا له ثمناً باهظاً جداً بحيث يتعسر على كثير اقتناؤه . فتعميماً للفائدة وخدمة للتاريخ والادب والعلم التزمت الشركة المومى اليها بطبعه في مطبعة الموسوعات »

وهو يطلب من ادارة المؤيد الغراء ومن جميع وكلائها في الجهات وثمنه ٨ غروش صاغ وهي قيمة لا تذكر بازاء حجمه وفوائده

(* جمعية زهرة الاحسان *) وردتنا ميزانية جمعية زهرة الاحسان في بيروت لسنتها التاسعة عشرة مصدرة بهذه العبارة « انني اريد رحمة لا ذبيحة » وحبذا هذا القول

وهذه الميزانية ناطقة بهمة الجمعية ونشاط حضرات رئيستها واعضائها الكريمات فان وارداتها في السنة قد بلغت ٢٣٠٥٩٩ غرشاً بما فيه رصيد السنة السابقة وقدره ٥٨٤٧١ غرشاً اما نفقاتها فبلغت ١٥١٠٧٩ غرشاً فيكون الرصيد الصافي في صندوقها ٧٩٥٢٠ غرشاً . وقد جاء في مقدمة الميزانية « انه قد جدّ في الجمعية في هذه السنة امور ثلاثة مهمة اولاً تاليف رهبنة باسم القديسة كاترينا . ثانياً تاليف عصبة من كرام السيدات تجتمعن مرة في كل اسبوع في المدرسة للاشتغال ببعض الاشغال اليدوية التي يعود نفعها على اليتيم ثالثاً الوقف الذي تبرع به كل من جناب المحسنين الفاضلين يوسف افندي سرسق ومدام جورج افندي موسى سرسق » وايراد هذا الوقف ٩ الآف غرش سنوياً

فنحن نثني على همة هذه الجمعية الكريمة وعلى جميع الذين ياخذون بيدها و يساعدونها في عملها . ونسال الله الاجر لرئيستها واعضائها وجميل الثواب

(* اللئالئ السنية *) اعلن حضرة الاديب البارع عبد المسيح افندي انطاكي منشئ جريدة الشهباء ان كتابه « اللئالئ السنية لعروس الكنيسة الانطاكية الارذثوذكسية » ينجز في شهر نيسان القادم وقد جعل بدل الاشتراك فيه ١٠ غروش تُدفع قبل شهر نيسان ولا يُباع الكتاب بعد هذا الميعاد الا بريال مجيدي. وقد اشترك غبطة بطريرك الطائفة الارثوذكسية المحترم في دمشق الشام بخمسين نسخة منه دلالة على رضاه فنحن نعيد للمؤلف كلمات التشجيع على هذا العمل ونسال له النجاح

(* الدائرة *) عزم حضرات الاديبين البارعين عيسى افندي مخائيل الخوري والامير يوسف شديد بللمع في نيويورك على اصدار مجلة تاريخية فكاهية ادبية عنوانها « الدائرة » وقد وصلتنا نشرة اذاعاها بهذا الشان فنحن نرحب سلفاً برصيفتنا الجديدة التي هي اول مجلة عربية تصدر في الاقطار الاميركية

(* التمثيل *) مجلة تمثيلية ادبية انتقادية تصدر ثلاث مرات في الشهر لمحرريها حضرات الاديبين محمد افندي صادق ويوسف افندي ابرهيم ومديرها محمد افندي عرابي وبدل اشتراكها في السنة ٢٠ غرشاً فنرجو لها الثبات والانتشار

(* المفتاح *) صدر العدد الثالث عشر من مجلة المفتاح يشتمل على مقالة في كيف نال الاستقلال والدجالون والمحتالون والعوائد الشرقية وافات الاختراع واضرار الاستخدام وغير ذلك من الفصول والشذرات المفيدة وفي ذيلها رواية ادبية فنثني على همة حضرة منشئها البارع ونسال له النجاح

(* الصواب *) انشأ حضرات الادباء البارعين بطرس افندي روفائيل كرم وحبيب افندي الخوري ومخائيل افندي مراد جريدة سياسية علمية ادبية في ريو جانيرو من اعمال البرازيل عنوانها « الصواب » وقد طابق الاسم المسمى لانها اتخذت الاعتدال رائداً لها وهي طلية العبارة لطيفة الاسلوب فنرجو لها ولسائر رصيفاتنا العربية في الاقطار الاميركية الاعتدال والانتشار

كلمات زراعية

﴿ تنقية الاشجار ﴾

عرف الزراع منذ غُرستَ الاشجار ضرورة قضبها وتشذيبها · قال الشاعر العربي

ان الاشاء اذا اصاب مشذباً   منه اغلّ ذرى وأثّ اسافلا

ولكن لم يعرفوا ضرورة تنقيتها الى الازمنة الاخيرة · فان الشجرة اشبه بجسم الانسان · وكما يجب للجسم ان ينقى وينظف من الجراثيم التي يمكن ان تعلق به كذلك يجب للاشجار ايضاً

واحسن الازمنة لتنقية الاشجار فصل الشتاء فانها فيه تصبح عارية من الاثمار والاوراق وتستعمل لتنقيتها آلة خصوصية تزيل من جذوعها ما يكون لاصقاً بها من الحويونات والفطر والديدان المختلفة وذلك بفركها بها · ومتى فُركت الاغصان والجذوع بهذه الآلة فركاً شديداً وجب ان لا تلقي في البستان الحويونات والفطر التي تجدها لانها تعود اليها فتكون كانك لم تصنع شيئاً وانما يجب ان تخرجها من البستان حتى لا تعود تتعلق باشجاره · ثم لا يكفي الفرك بالآلة الفاركة بل يجب غسل الشجرة وذلك بمسحها " بفورشة " لينة مغموسة بمزيج من الصابون الاسود مركب كل جزء منه مع ٢٠ جزءًا من الماء · فانك اذا احسنت استعمال هذه الفورشة تمكنت بها من ايصال هذا المزيج المطهر الى اصغر ثقب في الشجرة وادق خلاياها و بذلك تنظفها تنظيفاً تاماً · ورغبة في حفظها من الديدان الصغيرة التي يمكن ان تعود اليها ينبغي غسلها ايضاً بالمزيج الآتي

٢٥ جزءًا	ماء
٣	كلساً جافاً (جيرًا)
٣	سلفات النحاس

ويحلل السلفات ببضعة ليترات من الماء اما الكلس الجاف فانه يسحق اولاً ثم يذاب في الماء و يصب في اناء السلفات وتدهن الشجرة بهذا المزيج فتتم نظافتها و يذهب الخوف من ان تعلق الحيوانات والفطر بها · فما مرّ بك ترى ان الشجرة كجسم الانسان كما ذكرنا لانه يلزمها زينة كزينته

دواء لتهريب الخلد

اذا كان الخلد لا يضر كثيرًا في الحقول فانه شديد الضرر بالمزروعات في البساتين. وقد صنع بعضهم طريقة لتهريبه من المزروعات ذلك انه يصنع دواليب صغيرة تدور بالهواء ويركزها بين المزروعات وبما ان الخلد بليغ السمع فانه يسمع صوت دورانها دائمًا فيهرب منه ظنًا بانه صوت اقدام البستاني . وهكذا لا يلبث ان يهجر بستانك غير ماسوف عليه

مرض القرنبيط

كثيرًا ما يرى البستاني ان نبات القرنبيط قد اخذ بالذبول والاهتراء . وقد ثبت الآن ان البكتيريا او الميكروبات هي سبب هذا الاهتراء . فان بعض الديدان تاكل من اوراق القرنبيط وبذلك تترك جوف الورقة مفتوحًا للميكروب فلا يعاق بها حتى يدخل اليها فيدب الاهتراء فيها . ويبدأ عادة في اصلها ثم يتطرق الى ضلوعها

اما دواء هذا الداء فهو اولاً اقتلاع كل قرنبيطة يدب بها المرض . واخراجها من البستان حتى لا تعدي جاراتها . ثانيًا حسن تسميد الارض بسماد المزارع وجودة انتقاء التقاوي وتطهير القرنبيط قبل انفتاحه ببرمانيات البوتاسا باعتبار جزء واحد لمائة جزء من الماء والامتناع عن سقيها في مدة الازهار وتطهير مكان القرنبيط المريض بمواد مطهرة كالجير او الاسيد سيلفوريك

العناية بنباتات المنازل

كثير من المنازل تكون غاصة بالنباتات التي يسمونها نباتات الفيء لانهم يربونها في القاعات والغرف ولكن هذه النباتات تكون على الغالب ضعيفة صفراء لعدم معرفتهم العناية بها . وهم يقتصرون على ريها حاسبين ان الماء وحده كاف لاصلاح حالها . والحقيقة ان الماء لا يكفي وحده . فيجب اولاً فتح النوافذ لدخول النور والهواء في الايام المعتدلة الهواء . وبقدر دخول النور والهواء اليها تحسن حالها الا ان ذلك لا يكفي وحده ايضًا. بل يجب تغذيتها بسماد مؤلف من المواد الآتية على النسبة المذكورة هنا

	جزءا
فوصفات الامونياك	٢٥
نيترات البوتاس	٤٥
نيترات الامونياك	٢٠

فهذا المزيج يحسن حال النباتات فيجعل لزهرها رونق الزهر النابت في الحديقة تحت قبة السماء ويعطي ورقها لون الخضرة الذي هو في النبات دليل العافية بدل لون الصفرة الذي هو دليل المرض · ومن هذه النباتات البيتية التي نشير اليها الازهار التي توضع في النوافذ · وهي على الغالب تكون ضعيفة من الجانب الموجه الى البيت وجميلة مزهرة من الجانب الموجه الى الخارج حتى كأن اصحاب البيت يزرعون هذه الازهار للمارة لا لهم · ولكن تحسين حالة هذه النباتات بسيط جدًّا وهو ان تدير من حين الى حين جانبها الذي الى البيت نحو الخارج لان ذلك الاقبال في الجانب الخارجي لا سبب له غير الهواء والشمس كما لا يخفى

اجفال الخيل

الخيل مشهورة بسرعة الاجفال · واذا اجفلت اصبح من الصعب جدًّا تسكينها ولكن لذلك واسطة بسيطة جدًّا وهي ان تضع على راس الجواد شيئًا يغطي عينيه اذ اكثر اجفاله يكون لانخداعه برؤية يراها فيسكن الجواد ويصبح طوع العنان

الترانسفال ظالمه ام مظلومة

الرسالات الثلاث

سسل رودس ـ الملكة ـ سالسبوري ـ شامبرلن

ونزلت الفتيات الثلاث من المكان الارفع كحمامات بيض اطلقت من اقفاصها قاصدات الاماكن التي ارسلن اليها (١)

وكن يتحادثن وهن طائرات نزولاً نزولاً في فضاء الابدية فوق افلاك الكواكب والنجوم فقالت « فالي » ما احلى هذا المنظر يا اخواتي · فسالت « اوربا » ما تلك الاجرام التي حولنا · فقالت « البيون » هذه الشموس والكواكب التي كنا نراها من الارض صغيرة انظري ما اكبرها هنا وما اشد نورها · فقالت اوربا والغريب اننا نشعر بنورها ولكننا لا نشعر بنارها · فقالت فالي كانك نسيت اننا خلعنا ثوب المادة على الارض وان جوهرنا لا تؤثر المادة فيه

فقالت البيون نعم جوهرنا جوهرنا ما احلاك ياجوهرنا · انني ارى نفسي كريشة طائرة في الفضاء · باطني صاف نقي ووجودي منزه عن كل ألم وروحي متنعمة بملاذها الطاهرة

(١) انظر الجزء الماضي

وليس للمادة القبيحة الثقيلة ضغط عليها . فما اجمل هذه الحالة واحلاها . اني اعجب كيف ان سكان الارض يبكون حين فراق اعزائهم كما بكى اعزاؤنا حين فراقنا

فتنهدت نالي وقالت انهم يبكون يا اختي على انفسهم لا علينا . لاننا بمفارقتهم ناخذ منهم اشياء كثيرة كانت لهم بوجودنا . ناخذ منهم هناءهم لانهم بعدنا لا يجدون هناء لتعودهم الهناء معنا . وناخذ منهم شيئاً من قواهم لاننا كنا لهم قوة فبسفرنا عنهم يفقدوننا ويُحرموننا . ثم انهم يرون اننا صرنا الى حفرة القبر فبالرغم عن اعتقادهم بالآخرة يقوم في ذهنهم شك فيها فيحسبون —واهولاه — ان تلك نهايتنا غير عالمين اننا ننظر اليهم من اعلى هذا المكان حين احتفالهم بدفن ثوبنا او قشرتنا التي يسمونها جسمنا . من اجل ذلك هم يبكون ولو انصفوا لفرحوا لاننا نستريح بموتنا

هذا ما تقوله الارواح فوق . لكن واحر قلباه مما تقوله الاجسام تحت في ارضنا

ثم استمرت الفتيات نازلات وهن يتحادثن حتى بلغن العالم الشمسي واشرفن على الارض فتنفسن الصعداء حين ظهور الارض لهن وهتفن معاً قائلات : السلام لك ايها العالم . النفس التي فيك تكرهك فتطلب الخروج منك والتي خارجك تحبك وتشتاق العودة اليك

واول ما وقعت انظارهن على بلادهن المحبوبة فصرخت فالي والدموع في عينيها « سلام ايها المنزل الاول » ولكن ما لبثت ان انقبضت سحنتها لانها ابصرت فيه من فوق جنازة حافلة . ففتحت فمها لتسأل رفيقتيها عن هذه الجنازة واذا بها تبصر نفساً رزينة صاعدة الى المكان الارفع فعرفتها وصاحت : هذا الجنرال جوبير

ولكن تلك النفس الصاعدة كانت لا تزال قلقة لقرب عهدها بخلع ثوب المادة فلم تسمع الصوت ولم تلتفت الى الارواح النازلة . فشيعتها هذه الارواح بنظر طافح حباً وانعطافاً وضحكن لانهن رأينها لا تحسن بعدُ الطيران في فضاء الابدية

فرحن ولم يبكين لانه كما ان البشر يضحكون حين ولادة مولود لهم اي دخول روح الى عالمهم كذلك تفرح الارواح حين دخول روح الى عالمها

وهكذا فعند موت عزيز يبكي الباكون على الارض ويضحك الضاحكون في السماء . وعند ولادة عزيز يضحك الضاحكون على الارض واذا كانت روح المولود قادمة من العالم الثاني كما يقول بعض المتفلسفين فانه يكون ساعتئذٍ بكاء في السماء . من اجل هذا قال شاعر عربي : لا تبكِ ميتاً ولا تفرح بمولود . لان الضحك والبكاء امران متكافئان ومتلازمان . فالضحك نعمةٌ والبكاء نعمة . وقد قُدر لكل انسان ان تصيبه هاتان النعمتان

ولما صرن على مقربة من جو الارض عزمن على الافتراق ليقمن بمهاتهن فودعن بعضهن بعضاً وسرن كل الى غرضه : فالي الى الترانسفال والبيون الى انكلترا واوربا الى الى الاقطار الاوربية . وتواعدن ان يلتقين على شاطئ نهر بارديبرج مما يلي مدينة كمبرلي بعد الانتهاء من رسالاتهن

***

وهبطت الفتاة " البيون " من السحاب على البلاد الانكليزية في ضواحي قصر وندسور لتبدأ بالملكة . فابصرت تحت شجرة في ضاحيـة القصر رجلاً ضخماً راقداً . وكانت لم تجرب بعد فعل الكتاب الغريب الذي معها فقالت اجربه في هذا الرجل الراقد اولاً فدنت منه وتناولت الكتاب وفتحته ثم وضعته على صدر الرجل

فيالغرابة والدهشة . فان الرجل ما وُضع الكتاب على صدره حتى فتح شفتيـه وهو مستغرق بالنوم وقال بصوته الاعتيادي

" انا سسل رودس "

فقالت البيون في نفسها لم اضع تعبي سدى فلنسمع استنطاق هذا الرجل اولاً . قالت ذلك ثم مست جبهة النائم وحركت الكتاب على صدره وقالت " تكلم ايها الرجل بكل ما تعلمه عن الحرب "

فانفتحت شفتا سسل رودس واندفع يقول " نلنا امانينا بفضل المستر تشمبرلن . ضممنا الترانسفال الى بلادنا . استولينا على معادنها الذهبية . انقذنا شركة الشارترد من الافلاس . انشأنا الخط الحديدي من الكاب الى القاهرة . اتممنا تاسيس السلطنة الافريقية "

فسالت الفتاة النائم " وشكاوى الويتلاندر " فاجاب النائم شكاوى الويتلاندر اعذار فارغة اتخذناها حجة لبلوغ امانينا "

فهزت الفتاة البويرية راسها ونظرت شرراً الى ذلك الرجل الذي كان سبباً في شقـاء وطنها ثم تناولت الكتاب عن صدره بعد ما عرفت ما عرفته منه وطارت عنه فانتظرت حتى امس المساء وقصدت قصر الملكة

ولما بلغت البيون هذا القصر اخذت ترفرف فوقه كانها حمامة تطلب الوقوع على مكان فيه ثم اخذت تسرح نظرها في تلك الامجاد الملكية وتقول : هنا تقيم رئيسة الحكومة التي هي عدوة بلادي . هنا تقيم اعظم ملكة في العالم . ملكة ينحني امامها اربعمائة مليون من النفوس البشرية . سلطنتها لا تغيب الشمس عن املاكها وقد فاقت سلطنة الرومان واليونان وجميع

الامم المتقدمة . تبغضنا وتكرهنا فكيف ادخل قصرها . تقتل الآن رجالنا ونساءنا فكيف استطيع مقابلتها . ولكني مبعوثة لامر فيجب ان اقوم به . فلننزلن اليها

وكانت الساعة العاشرة ليلاً . فدخلت البيون الى القصر الملكي غير خائفة ولكن متهيبة . فان ستار الليل المسدول على ذلك المكان الملكي وحركة الحراس الذين يحرسونه في سكون الليل الرهيب قد اثرا في نفسها . ولكنها مع ذلك دخلت متشجعة حتى وصلت الى غرفة نوم الملكة

اما الحراس فلم يروها لانها كانت روحاً لا جسماً

فرفعت البيون ستاراً على باب الغرفة الملوكيـة واطلت منه بتردد واضطراب وهي تحسب ان الملكة مستريحة في فراش نومها

فماذا رأت ؟

رات الملكة جالسة بجلال وبساطة في سريرها . راسها المهيب محني الى الامام وكفها اليمنى موضوعة على عينيها . وهي جامدة كانها نائمة

فارادت البيون ان تتقدم من السرير الملكي فسمعت من صوبه صوتاً ضعيفاً فوقفت خائفة فسمعت الملكة تقول

« شعبي يارب القوات شعبي . كل نقطة من الدماء تجري منه يقطر لها دماً قلبي . ما اثقل التيجان واعظم مسئوليات الملوك . يا ملك الملوك ما اصنع لاحجب هذه الدماء . صرفتُ عمري وانا اكره الحروب وكنت اود منع هذه الحرب لو لم ارَ الشعب يريدها واحببت ان اتنازل عن الملك الى ولدي حتى لا تحدث في عهدي ولكني خفت ان لا تفهم امتي سبب تنازلي . فانرني الآن ياملكي وارشدني . ماذا اعمل . أأصالح البوير . ولكن هذا امر لا ترضاه حكومتي . ابقى على حربهم . ولكن هذا امر تاباه طبيعتي . فانني كامرأةٍ اشعر مع نساء البوير بالمصائب التي اصبن بها . وكملكةٍ اشعر بنكبة جنودي . فانرني ياملك الملوك والهم البوير ان يتركوا العنفوان ويسترضوا حكومتي »

فبكت البيون عند سماع هذا الكلام وجثت على الارض امام الملكة . ولكن الملكة لم ترها واردفت تقول

« حمل ثقيل حمل ثقيل على عاتقي . خففه بحكمتك وقدرتك . صرفت شيخوختي بسلام فاجعلها تنتهي بسلام . انشأت هذه السلطنة لبلادي فاحفظها وباركها . اذا كان يحدث فيها ظلم فالهم رجالي ان يزيلوه انا لا اجهل ان ايرلنده مظلومة ومصر مهضومة والترانسفال كذلك فساعدني يارب القوات لاستطيع انصاف الاولى والوفاء بالوعد للثانية ومسح دموع الثالثة . بلا

مساعدتك لست الا امراة ضعيفة لا تقدر شيئاً . فساعدني ياملكي والهي »

فزاد بكاء البيون وقد علمت حينئذٍ ان الملكة تصلي صلاة النوم فزحفت زحفاً بتأنٍ حتى دنت من سريرها فاخذت طرف الغطاء الذي عليه وقبلته باحترام ورهبة وخرجت والدموع في عينيها لانها علمت ما تريد ان تعلمه

ولكنها بعد أسدالها الستار على باب الغرفة وراءها سمعت صوت الملكة في هدوء ذلك الليل وسكونه يقول مرة ثالثة

« رحمتك يارب القوات رحمتك . لجميع البشر لا لنا فقط . كلنا ضعفاء وجهلاء فقوّنا وانرنا بنور من عندك . لا تتركنا نقوم على بعضنا البعض ونقتل بعضنا بعضاً فان ذلك من اعمال الحيوانات لا من اعمالنا نحن البشر الذين خلقتنا على صورتك ومثالك . بثّ في كل فئة منا روح المسالمة والاعتدال والحق لنستطيع ان نعيش مع بعضنا البعض اخواناً كما عاش يوسف وبنيامين لا كما عاش قايين وهابيل . احرس جنودي ياربي وعزي البوير في مصابهم وانرنا جميعاً لحجب الدماء وتابيد السلام »

ثم انقطع صوت ملكة انكلترا وامبراطورة الهند فخرجت البيون من القصر وطارت تواً الى لندرا لترى اللورد سالسبوري

وكانت وهي طائرة تلتفت الى قصر الملكة فتراه مجللاً بنور جميل وكانت قبل سماعها كلامها تراه اسود مظلماً . فالله ما اشد سلطة الاهواء والمصلحة حتى على الارواح الخالدة

ولما وصلت الى قصر اللورد سالسبوري دخلت في احدى نوافذه وما زالت حتى بلغت غرفة نوم اللورد . فوجدته امام سريره جاثياً على الارض يصلي . بل ما كان يصلي وانما كان يخاطب في ظلام الليل وهدوئه قرينته التي توفيت منذ بضعة شهور . ولكن اليست مخاطبة عزيز غائب في العالم الثاني نوعاً من الصلاة ان لم تكن صلاة . بل هي صلاة تعودها اللورد من حين فارقته اليفته فصار كل يوم ينتظر مجيء ساعة النوم بفروغ صبر ليجثو امام سريره ويخاطب عزيزته

وهذه صلاة من اشرف الصلوات ما اطيب ان يتلذذ بها كل من فقد عزيزاً

ثم فرغ اللورد من صلاته ونام في فراشه وبالرغم عن تهيج دماغه بالمواضيع السياسية في جميع اقطار العالم استطاع ان ينام بسهولة . فتقدمت منه البيون ووضعت الكتاب على صدره فانشأ يقول

« انا اللورد سالسبوري . انفذت هذه السنة بلادي . حرب الترانسفال جائرة لانها

ستفضي الى الضغط على شعب صغير ولكنها عادلة لان مطالب انكلترا عادلة »

فقالت البيون وهي تتناول الكتاب عن صدره . كنا نعلم ان هذه افكاره . ثم طارت من حيث دخلت قاصدة منزل المستر تشمبرلن فوجدته نائمًا في سريره نوم الابرار والصالحين

وا اسفاه . ينام تشمبرلن هادئ البال في سريره الحريري و ٣٠٠ الف رجل في ساحة القتال يتفانون في النهار ويحلمون في الليل بالمدافع والبنادق والدماء

فدنت البيون ووضعت الكتاب على صدره ففتح في الحال فمه واعاد ما قاله المستر سسل رودس قائلاً « انا المستر تشمبرلن . نلنا امانينا بفضل المستر سسل رودس . ضممنا الترانسفال الى بلادنا . استولينا على معادنها الذهبية . انقذنا شركة الشارترد من الافلاس . انشأنا الخط الحديدي من الكاب الى القاهرة . اتممنا تاسيس السلطنة الافريقية »

***

ولما اتمت البيون مهمتها لدى سسل رودس والملكة وسالسبوري وتشمبرلن وعرفت حقيقة افكار كل منهم اطلقت اجنحتها فوق مدينة لندرا العظيمة لتسافر الى بلادها وتلتقي برفيقتيها . ولكنها قبل ان ترحل مدت بصرها الى ما تحتها فابصرت للندرا في ظلام الليل منظرًا جميلاً . فوقفت في الهواء تتامل محاسن عاصمة السلطنة الانكليزية واخذت تقول

« هذه بابل الثانية . ولكن هل يكون مصيرها كمصير بابل الاولى . انت عظيمة يالندن ولا تشبهك بين المدن مدينة . فكوني عادلة لتبقى عظمتك . دخلت جنودك بلونفونتين امس وغدًا تدخل بريتوريا . فاكرر عليك قولي ان تكوني يومئذٍ عادلة . الترانسفال لا تغنيك ولا تفقرك فاصفحي عنها صفح الكبير عن الصغير والا فان عظمتك لا تحميك من حكم الاجيال الاتية وربما جوزيت على قتل حرية الترانسفال اذا قتلتها جزاءً مؤلمًا »

قالت البيون هذا ثم اطلقت اجنحتها للريح قاصدة بلادها الترانسفال لتراها وتنظر ماذا صنعته رفيقتاها (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

☼ الجناب الخديوي في اوربا ☼ يسافر الجناب الخديوي المعظم في النصف الاول من شهر يونيو الى لندرا فيقابل جلالة الملكة فيكتوريا في ١٨ منه مقابلة رسمية ثم يبرح سموه عاصمة انكلترا ويحضر الى باريز لمشاهدة معرضها بصفة غير رسمية · ويتمم بعد ذلك سياحته في اوربا جرياً على العادة السنوية

☼ المحمل الشريف ☼ احتفل في ١٨ مارس الماضي في القاهرة بتشييع المحمل الشريف المسافر الى الحجاز جرياً على العادة السنوية اعاد الله هذا الاحتفال على ذويه بوافر الخيرات والبركات

☼ البطريرك الاسكندري للارثوذكس ☼ وافق الباب العالي على انتخاب غبطة السيد فوتيوس بطريركاً للطائفة الارثوذكسية في القطر المصري · ولكن لم ترد بعد البراءة السلطانية

☼ النيل والزراعة ☼ قررت الحكومة تاخير زراعة الارز والذرة الى ايام الفيضان والتشديد في المناوبة وذلك لانخفاض مياه النيل انخفاضاً لم يسبق له مثيل في التاريخ · وقد تعين اول افريل موعداً لابتداء المناوبات ولكن وردت اخبار من اعالي النيل تفيد ان عزتلو بيك بك قد ازال اكثر السدود وان المياه هطلت في تلك الجهات فارتفع النيل في جهات الدويم وفشوده ارتفاعاً لا يعرف اذا كان سببه ماء المطر او ازالة السدود · فاجلت الحكومة المناوبة بضعة ايام ايضاً وهبطت اسعار القطن بعد ارتفاعها

☼ زلزال خفيف ☼ زلزلت الارض في ٦ مارس زلزالاً خفيفاً في القاهرة و بعض مدن القطر كبورسعيد والسويس وغيرها فلم ينشأ عنه ضرر غير الخوف والهلع

خارجية

حرب الترانسفال — يحق للورد روبرتس ان ننشر رسمه وننوه بذكره فقد انقذ وطنه من خطر عظيم واعاد حسن السمعة الى جنود بلاده · وقد تركناه في الشهر الماضي



﴿ اللورد روبرتس القائد العام للجيوش الانكليزية ﴾
﴿ في حرب الترانسفال ﴾

ياسر الجنرال كرونجه ويزحف على بلونفونتين عاصمة اورانج والآن قد احتل هذه العاصمة وبدأ يزحف على كرونستاد التي جعلتها حكومة اورانج عاصمة مكانها ومنها يزحف الى بريتوريا . ولما رأى البوير قوة الجنود الانكليزية ارسل الرئيس كروجر والرئيس ستاين يسالان اللورد سالسبوري عقد الصلح وحقن الدماء على شرط ان تُمنح بلادهما الاستقلال التام . وطلبا مثل ذلك من الدول . فرفض اللورد سالسبوري منح الترانسفال واورانج الاستقلال واجابت الدول انها لا تستطيع المداخلة لان انكلترا لا ترضاها . فدب اليأس في نفوس البوير وتهددوا اوربا بنسف المعادن اذا تخلت عنهم

ولكن برقت بارقة الامل للبوير في اول الجاري فان فرقاً انكليزية كانت زاحفة الى الامام نحو كرونستاد فباغتها البوير واسروا منها ٢٠٠ وقتلوا ١٥٠ عند مدينة واركسروم الا ان هذا الفوز الوقتي بلا اهمية على ما يظن والارجح ان البوير لا تقوم لهم بعد اليوم قائمة لان الجنود الانكليزية قد بلغت في ساحة القتال ٢٥٠ الفاً وليس عددهم هم الا ٤ او ٥ الاف على الكثير . فقد قضي اذاً على استقلال هولاء المساكين ان لم تحرك الدول الاوربية ساكناً

واعظم مصيبة دهمت البوير في الشهر الماضي بعد تسليم الجنرال كرونجه موت بطلهم وقائد جيوشهم الجنرال جوبير وهذه ضربة شديدة عليهم ما كانت تخطر ببال . وكان موته بمرض في معدته



☙ الممثلة مداموازيل هنريوت ❧
☙ التي ماتت احتراقاً ❧

الكوميدي فرانسز — ملعب الكوميدي فرانسز في باريز اشهر ملعب للتمثيل في الدنيا كلها . ويسمونه بيت موليير وكورنيل وراسين لان اكثر الروايات التي تمثل فيه من تأليف هولاء المؤلفين المشهورين . اضطرمت النار في الشهر الماضي في هذا الملعب وذلك بسبب مجرى النور الكهربائي الذي فيه فاحرقته في برهة وجيزة فقامت لذلك قيامة الباريزيين لان مصابهم به عظيم ولا سيما لقدوم المعرض وشدة لزومه في ايامه . وتراكمت على مديره المسيو كلارسي وعلى وزير الفنون رسائل التعزية من وزراء اوربا وعظمائها وكبار ممثليها مما دل على عظم شان فن التمثيل في اوربا . حتى ان رئيس الجمهورية نفسه ارسل يعزي الشركة في مصابها والذي زاد المصاب الماً ان احدى شهيرات الممثلات في ذلك الجوق قد احترقت ضمن القاعة وهي المداموزيل هانريوت التي وضعنا رسمها هنا وقد احتفل بجنازتها كما يحتفل بجنازات الامراء وابنها المسيو كلارسي بالنيابة عن وزير الفنون . فاعجب بمقام هذا الفن في تلك البلاد

ولم تبرد جمرات النار في هذا الملعب حتى قدم وزير الفنون اقتراحاً الى البرلمان فحواه

تخصيص مليوني فرنك لاعادة البناء في مدة ٤ شهور ليتسنى للجوق ان يمثل رواياته في خلال المعرض فوافق البرلمان على ذلك

هذا هو اهتمام الحكومات الاوربية بفن التمثيل عندها فلنقابل هذا بما عندنا من اهمال هذا الفن الجميل

معرض باريز — يفتتح معرض باريز في ١٤ الجاري وهو اعظم عيد سلمي يتوج به القرن التاسع عشر ويفتتح به القرن العشرون · جعله الله فألاً حسناً للقرون المقبلة

(* ليزه حموي *) تلقينا بمزيد الحزن والاسف نعي الماسوف عليها المرحومة ليزه حموي كريمة سعادة المفضال سليم باشا حموي مدير جريدة الفلاح الغراء · قصف البين غصن شبابها الرطب وعمرها ٢٠ سنة كانت في خلالها مثالاً للدعة ومكارم الاخلاق وحميد الخصال · فنحن نكف عن تعزية اسرة حموي الكريمة بهذه الفاجعة الذي اصابتها لان التعزية لا تبرد حزناً كهذا الحزن وانما نسال الله تعالى ان يلهمها نعمة الصبر الجميل و يبرد حر القلوب ببرد وسلام من عنده

وقد احتفل بجنازتها احتفالاً عظيماً يليق بمقام سعادة والدها الذي قضت وأسفاه في غيابه وهو في الاستانة العلية · فنشترك مع سعادته في مصابه ونكرر الطلب من الله تعالى ان يلهمه مع حضرة نجله الفاضل عزتلو الياس بك حموي وسائر الاسرة الحزينة جميل الصبر والسلوان ويتغمد فقيدتهم بالرحمة والرضوان

(* يوسف وسليم خياط *) مصيبة مزدوجة طرأت على اسرة خياط الكريمة وذلك بفقد المرحومين الماسوف عليهما يوسف وسليم خياط في يوم واحد · فنحن نقدم الى جميع اسرة الفقيدين عبارات التعزية في مصابهم ونسال الله ان يهبهم طول البقاء و يرحم فقيديهم بواسع رحمته ورضوانه

(* مدولي نمور *) وردنا من صيدا نعي المرحومة مدولي نمور قرينة حضرة الوجيه الفاضل مارون افندي نمور ولها من العمر ٦٨ عاماً اثر مرض عضال تحملته مدة طويلة بالصبر الجميل · وقد توافد جمهور الاعيان في المدينة والخارج على منزل حضرة قرينها يقدمون له التعزية على مصابه فنحن نسال الله ان يجمل عزاءه وعزاء سائر آل نمور الكرام وان يرحم فقيدتهم عداد حسناتها و يتغمدها بالرحمة والرضوان

(* كاترينا افيرينوه *) انتقلت الى رحمة الله تعالى في ١١ الماضي في الثغر الماسوف عليها ارملة المرحوم اسكندر افيرينوه والدة حضرة المسيو افيرينوه قرين حضرة الفاضلة السيدة الكسندره افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس · توفاها الله وعمرها ٧٤ سنة صرفتها في الصلاح والتقوى فنقدم عبارات التعزية لجميع انجالها وسائر اسرتها ونسال للفقيدة الرحمة الواسعة والغفران

(* رزق الله بورصلي *) نعي الينا من طنطا الماسوف عليه المرحوم رزق الله بورصلي والد حضرات الخواجات جورجي وتوفيق بورصلي · توفي الى رحمة ربه في مساء ٢٧ الماضي وعمره ٥٩ عاماً صرف معظمها بالنشاط والصلاح فنحن نقدم لحضرات انجاله الاماجد وسائر اسرته الكريمة عبارات التعزية على مصابهم ونستمطر على فقيدهم صبيب الرحمة والرضوان

ألغاز بجائزة يطلب حلها

ما شيء اذا اوقفته على القدم مشى على راسه

اي مخلوق يستطيع التنزه في البستان دون ان يخرج من بيته

ما شيء لا يوجد في الهند ولكن يوجد في باريز ولا يوجد في موسكو ولكن يوجد في بطرسبرج ولا يوجد في الكاب ولكن يوجد في اورانج والترانسفال

ما شيء يكبر كلما اخذتَ منه

ما شيء لا تراه عند الظهر ولكن تراه حينما لا ترى شيئاً

ما شيء لا يريده صانعه ولا يحتاج اليه مشتريه والذي يحتاج اليه لا يدري به

ما شيء ينكره حامله والذي ياخذه لا يعرفه والذي يعرفه لا يريده

اي عمل يعمله كل انسان من دون استثناء حينما ينهض من فراشه

***

تمنح الجامعة للذي يحل هذه الالغاز الثمانية روايتين جائزة والذي يحل نصفها فقط رواية واحدة · ولكن لا ينال الجوائز الا عشرون حلاً اي الذين يسبقون في ارسال حلهم لغاية العشرين شخصاً

نوجه انظار القراء الى كلمات على ظهر المجلة

الفكاهة في التاريخ

احترام القانون — دخل اللورد بالمرستون رئيس الوزارة الانكليزية في سنة ١٨٥٦ محطة السكة الحديدية في لندرا فوجد ان القطار قد بدأ بالمسير . ولكن ملاحظ القطار فتح له باب احدى المركبات ليدخل فتأهب للدخول واذا برجل من رجال البوليس في المحطة تقدم منه واخذه بيده قائلاً « ممنوع ياسيدي اللورد» وكان هذا الرجل قد عرفه ولكن النظام يمنع ركوب الركاب حين مسير القطار . فامتثل اللورد ضاحكاً واضطر ان ينتظر ٤ ساعات ليركب قطاراً آخر

الكبير يُعرف وهو صغير — كان في اجاكسيو من اعمال كورسيكا مسقط راس نابوليون الاول وهو صغير رجل انكليزي يجمع الخرق البالية وكان قذراً هائل المنظر فكانت الامهات تخيف اولادهن به بقولهن لهم انه يخطف الاولاد فلا تخرجوا الى الشارع . وكان الانكليزي يتظاهر بذلك ارضاء للامهات . ففي ذات يوم كان نابوليون وبعض الاولاد في الشارع يلعبون واذا بالانكليزي يمر فلما رآهم وضع كيسه وصار يتظاهر انه يريد ان يُدخل ولداً فيه فخاف جميع الاولاد . اما نابوليون فكان بيده سيف صغير من سيوف الاولاد فهزه وهجم عليه به . فظن الرجل انه سيف حقيقي فاطلق ساقية للريح هارباً فقال الفتى نابوليون لرفاقه الخائفين « لاتخافوا لا تخافوا فقد هزمت العدو » فكان ذلك اول انتصاراته



الملكة ماري انطوانت ذات الشان العظيم في رواية نهضة الاسد

انه باسل وكريم فانه نذل واذا كنت قد اسفت لهدم الشعب الباستيل فانما اسفت لانني اصبحت لا استطيع ان اضعه فيه . فقال الملك ولكن لو وضعت فيليب دورليان في الباستيل هل تعلمين ما كان قد اصابنا . قالت ماذا . قال كان الشعب اخرجه من الباستيل ووضعه مكاننا ووضعنا مكانه

فصاحت الملكة مستغربة . فقال الملك لا تستغربي يا ماري ما اقول فقالت الملكة وهي تحرق الارم . نعم نعم ما كان اجدره بالباستيل . فقال الملك نعم قد يكون جديرًا به لان الباستيل كان سجن العقلاء

فاجفلت الملكة وصاحت بالملك انت تقول هذا الكلام . قال نعم انا اقول هذا . ان الباستيل كان سجن العلماء والفلاسفة والكتاب وطالبي الاصلاح وهم جمهور العقلاء . وبرهانًا على كلامي اقول لك انني من منذ نحو ساعة رأيت رجلاً عاقلاً خارجًا من الباستيل فسالته الملكة ومن هو هذا العاقل فقال الملك رجل يدعى الدكتور جيلبار

فاجفلت الملكة لهذا الاسم وسالته هل هذا هو الرجل الذي قابلته اليوم الكونتس دي شارني . فاجاب الملك اصبت ومن اين علمت هذا . على انني كنت اود لو حضرت مقابلته لها لانني اعلم انك تحبين مشاهدة ما جرى بينهما

فنظرت الملكة الى الغرفة التي كانت اندري مختبئة بها وقالت قلما يهمني ذلك قال بل اعرف انه يهمك كثيرًا لانك تحبين التنويم المغنطيسي ودليلي على ذلك انك تخفيت يومًا وزرت مسمر فنوّمك

فاحمرت وجنتا الملكة وحوّلت نظرها عن الملك . فقال ارايت انني لا اجهل شيئًا واني اعرف كل شيء . وقد لامتك يومئذٍ الجرائد اما انا فغضيت الطرف عن عملك اكرامًا لك . ولكن الدكتور جيلبار يفوق مسمر مهارةً ياماري . فان طريقة مسمر في التنويم كانت صعبة لانه يضع الانسان حول اناء كبير من الخشب ويمسه بقضيب فولاذ ويتخذ وسائل كثيرة في طريقته واما جيلبار فطريقته سهلة جدًا وهي ان يرفع يده ويدنيها من المراة فتسقط وتنام في الحال . وحينما تنام تتكلم

فدخل الخوف قلب الملكة فقالت كيف تتكلم . قال نعم تتكلم بالرغم عنها وتقول امورًا غريبة عجيبة . وليتك شهدت اليوم المشهد الذي كان بين جيلبار والكونتس فان الكونتس نامت وقالت امورًا مدهشة

فنظرت الملكة مرة ثانية الى باب الغرفة وقالت لا اظن في الامر اهمية كبرى .
قال بالعكس فانني عرفت من كلامها امرًا مهمًا جدًا ولكنني لا اخفي عنك انني ما عرفت كل شيء بعد غير ان جيلبار اصبح طبيبي وغدًا يقصُّ عليَّ كل قصته مع الكونتس

فصاحت الملكة . كيف اصبح جيلبار طبيبك . وكيف تستامن هذا الرجل حياتك
فقال لا تعارضيني في هذا فانك لا تستطيعين تغيير عزمي لانى قرأت في عيني هذ الرجل اخلاصه وامانته . اما حادثته مع الكونتس فالظاهر انها مهمة جدًا

فحاولت الملكة صرفه عن هذا الحديث فقالت ما لنا ولحادثته معها . فقال الملك واؤكد لك ان الكونتس من حسن حظها ان لم يسمعها احد سواي وهي نائمة

فضاقت الملكة ذرعًا بهذا الكلام الذي كانت تسمعه اندري من الغرفة التي كانت مختبأة فيها فقالت للملك ارجو من جلالتك ترك هذا الحديث . فقال الملك ضاحكاً الظاهر انك قد سئمت الحديث معي فانا اودعك الآن واهنئك بحبك السلامة . عمي مساء ياماري . ونامي نومًا هادئًا

قال هذا ومدَّ يده اليها مبتسماً فحيته وحياها ثم خرج وسار الى غرفته
ولم يخرج الملك وينغلق الباب وراءه حتى فُتح باب الغرفة التى كانت اندري مختبئة فيها وخرجت اندري مضطربة هائجة صفراء اللون كانها من الاموات لا من الاحياء . فسارت توًا الى الباب الذي خرج منه الملك فاقفلته كلمح البصر ثم تقدمت من النوافذ فاسدلت الستائر عليها وهجمت بعد ذلك على قدمي الملكة جاثية باضطراب وهياج شديد وصارخة

— . مولاتي انقذيني انقذيني فاطلعك على كل شيء

تمَّ الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

الفصل الاول

(بماذا كانت تفتكر الملكة في ليل ١٥ يوليو سنة ١٧٨٩)

بعد اختلاء اندري بالملكة الى الساعة الحادية عشرة خرجت من لدنها وهي تمسح عينيها ولوائح الخجل والانفعال الشديد بادية في وجهها . اما القصة التي قصتها على الملكة فلاسبيل الى ذكرها الآن

وبعد خروج اندري دخلت الملكة الى غرفة نومها

وكان السكون قد ساد في قصر فرساليا وارخى الظلام سدوله على المنزل الملكي وجميع من فيه قد ناموا حتى الملك نفسه بالرغم عن اخبار باريز المزعجة ولم يبقَ في القصر ساهر الا الحراس الذين كانوا يحرسون دهاليز القصر بسكون كأنهم اشباح خرساء في ظلمة ذلك الليل . والملكة

وكانت الملكة تخطر في غرفتها ذهاباً واياباً امام نافذة فتحتها ليدخل منها هواء الليل تبريداً لما كان يجري في مفاصلها من الحرارة والحمى الدموية

وكانت متهيجة لامرين الاول سياسي والثاني قلبي . الاول لما ورد من اخبار باريز المقلقة والثاني لما سمعته من حبيبها دي شارني

فان اخبار باريز دلتها على قرب انحاء سلطة الملكية . وتلك الضربة التي ضربها الشعب في الباستيل دوى صداها في قلبها دوياً شديداً فرغبت ان تقابل القوة بالقوة فرأت نفسها عاجزة فصغرت نفسها واشتد غيظها

هذا من جهة السياسة . واما من جهة حبيبها دي شارني فقد آنست منه هذه المرة انه مع امرأته الكونتس دي شارني اشد لطفاً من ذي قبل . وقد سمعته يقول عنها قولاً جميلاً فخافت ان يكون قد انتبه قلبه الى جمالها فنهض الى حبها ولذلك لذعت عقرب الغيرة قلب الملكة

فكان في هذا القلب الملكي عقربان عقرب سياسي اثاره الشعب . وعقرب حبي اثارته الكونتس دي شارني

على ان حزنها هذا كان يمازجه بعض السرور . فان ضرتها الكونتس دي شارني قد

اعترفت لها بالجناية التي جناها عليها الدكتور جيلبار في حياتها . لقد ذكرت لها ان هذا الدكتور منذ كان ولداً بستانياً في تريانون وعمره ١٧ سنة باغتها واعتدى على شرفها . وانما سرت الملكة بهذا الخبر الهائل الذي سمعته من فم اندري وهي محمرة خجلاً ووجهها مطرق الى الارض لانها علمت ان هذه المرأة لم تبقَ اهلاً لحب رجل شريف كريم النفس كالكونت دي شارني

ولكن الكونت لم يدرِ بتلك الجناية فكيف يعدل عن حب امرأته وهو لم يعرف بذنبها

واذا كانت الملكة قد سرتها حادثة اندري كضرةٍ لها فقد ساءتها كامرأةٍ لانها رأت في كبرياء عظمتها ان هذا الاعتداء الدنيء السافل الذي اعتدى به جيلبار في صغره على جسم اندري وشرفها لاحق بالشرف الانثوي فهو اذاً اعتداء على شرف جميع النساء . فثارت هنا كبرياء المرأة واتقدت نفسها بنار الغيظ والغضب من ذلك الرجل

ثم فكرت في خروجه من الباستيل وذكرت كتبه التي كتبها ومبادئه التي نشرها فخيل لها ان سقوط الباستيل وضربة الملكية هذه الضربة لم يكونا الا بسبب جيلبار . فان الشعب ما فتح الباستيل الا لانقاذه وما ثار على الملكية الا لما انبث في نفوس ابنائه من تلك التعاليم الثوروية الذي كان جيلبار من نصرائها . فاشتد هنا بغضها لهذا الرجل واصبحت ترغب كل الرغبة في ان تراه لتعرف ذلك الوحش الهائل الذي سرق شرف امرأة شريفة واثار الهيئة المحكومة على الهيئة الحاكمة

ثم تاملت ماري انطوانت في اعتداء جيلبار على اندري فوجدت انه صورة مصغرة لاعتداء الشعب على الملكية . فان جيلبار وهو فتى مجهول من الطبقة السفلى ارتقى وصعد في السلم الاجتماعية الى درجة اصبح عندها جليس الملوك وباتت نساء الملكة وصديقاتها يرهبن جانبه . والشعب وهو في اسفل السلم السياسية ارتقى وصعد الى درجة اصبح عندها يناطح الملكية ويصفعها بضربات هائلة

فصممت الملكة على مشاهدة هذا الرجل الغريب في الصباح

وقضت ليلها من غير ان تنام لشدة هياجها وانفعالها . وما زالت في النافذة تشرف منها على رؤوس اشجار فرساليا والنجوم مشعشعة فوق راسها في قبة السماء حتى بدت في الافق رسل النور وانتشرت ذرات الضياء في الفضاء . وكانت وقتئذٍ الساعة الرابعة وقد دب في جفنيها النعاس فاستلقت على كرسي امام النافذة ونامت وهي تفتكر بالدكتور

جيلبار وقصته مع اندري

فحلمت في نومها حلماً مريعاً · حلمت انها كانت في تريانون فابصرت فتى بستانياً يدعى جيلبار فلما رآها تقدم منها ومدّ نحوها يدين باصابع معكوفة كأنه يناديها اليه فاجفلت الملكة وصاحت في نومها

فجاوب صياحها صياح شخص من باب غرفة النوم

ذلك ان احدى نسائها دخلت عند انشقاق الصباح لافتقاد الملكة في سريرها فلما ابصرتها نائمة في كرسيها بقلق وانزعاج لم تتمالك ان صاحت صيحة استغراب ودهشة · ففتحت الملكة عينيها

فقالت خادمتها شغلتِ بالي يامولاتي بقلقك وانزعاجك فهل نادي طبيباً

وكانت الملكة قد نهضت مذعورة لحلمها وهي تذكر الدكتور جيلبار فاجابتها · نعم نادي طبيباً فاني اشعر بضعف · نادي بالحال طبيباً من اطباء الملك يُدعى الدكتور جيلبار

فخرجت الخادمة لانفاذ امر الملكة

الفصل الثاني

(القوي ضعيف والضعيف قوي)

وكان الدكتور جيلبار في تلك الساعة في قصر الملك فابلغه احد الحواس ان الملكة تطلبه · فلما بلغه ذلك اضطرب في الباطن وان كان لم يبدُ في وجهه شيءٌ من الاضطراب · ثم قام على عجل وسار وراء الحارس قاصداً غرفة الملكة

وكانت الملكة تنتظره بصبر فارغ لشدة رغبتها في مشاهدة ذلك الرجل الغريب · وقد تصورته قبل دخوله انه رجل خشن الهيئة ضخم الجثة منبوش الشعر كالاغوال هائل المنظر شرس الطباع · وعند حضور هذه الصورة في ذهنها ذكرت ميرابو الذي كانت تكرهه اشد كراهة فازدادت كراهتها لجيلبار

ولكن لما دخل جيلبار الى غرفتها ابصرت امامها شاباً نحيل الجسم منتصب القامة لطيف الهيئة جميل الطلعة نظيف البزة حسن الهندام · فثارت نفسها دفعة واحدة · لانها رأت ان ذلك الرجل الخشن الذي خرج من الطبقة السفلى قد سرق ظواهر الطبقة العليا اذ خلع عنه لباس الخشونة والسماجة وارتدى لباس اللطف والظرف والكياسة فاصبحت تعتبره انه سارقاً لما ليس له وصار في نظرها مذنباً ذنباً جديداً

ولما دخل جيلبار رأت نساء الملكة في وجهها علائم الغيظ والحنق فعلمن ان الزوبعة قريبة ولكن لم يدرين لذلك سببًا . فالتفتت اليهن الملكة واشارت اليهن بنظرها بنزق اشارة فهمن معناها فخرجن من الغرفة في الحال

فاصبحت الملكة وجيلبار منفردين وجهًا لوجه

وكان جيلبار قد دخل الى الغرفة بهيئة فيها شيء من الاحترام ولكنها تدل على كبر نفس الرجل وشممه فزادت هذه الهيئة الملكة غيظًا على غيظ . فانتظرت حتى اغلق نساؤها الباب خلفهن فالتفتت الى الدكتور بنظر طافح بالكبرياء والاحتقار فرأت هذا الرجل يطيل النظر والتامل فيها من غير رهبة ولا احترام . فصاحت في وجهه قائلة . مالك تنظر اليَّ هذه النظرات الطويلة . ألمثل هذا دعوتك الى هنا

وقد قالت هذه الكلمات بلهجة لو خاطبت بمثلها اميرًا من امراء البلاط او قائدًا من كبار القواد لانطرح على قدميها من الخوف والجزع . اما الدكتور جيلبار فانه اجاب بكل هدوء ورزانة قائلاً

استدعتني جلالتك لمعالجتها فانا اعمل بوظيفتي وافحصها بعيني اذ اهم عمل في مهنتي هو الفحص والاستقصاء

فقالت الملكة اذًا انت الآن تفحصني فقال نعم قالت وهل تجدني مريضة . قال اجدك متهيجة فقالت متهكمة لماذا لا تقول غضبى قال انما استعملت الكلمة الطبية بصفتي طبيبًا . قالت فما سبب مرضي . قال هذا لا اعلمه لاول نظرة ياسيدتي لانني لست نبيًا . قالت متهكمة ولكنك تعلمه فيما اظن عند النظرة الثانية . فاجاب الدكتور برزانة وهدوء ربما قدرت على ذلك . فقالت الملكة واين درست فاجاب درست في كل مكان . فرفعت رأسها وصاحت به ما هذا الاعتساف في القول . وكيف يدرس الانسان في كل مكان . فاجاب الدكتور من غير ان يغضب نعم ياسيدتي درست في كل مكان

فازدادت الملكة غيظًا وصاحت به ولكنك تذهب بصبري بهذا الكلام فما تقصد بقولك « في كل مكان »

قال اقصد ياسيدتي اني درست في قصور الاغنياء واكواخ الفقراء . في المدن وفي الخلاء في الانسان وفي الحيوان اي ان درسي كان اختبارًا لجميع امور الحياة

فسكتت الملكة وازداد غيظها لانغلابها فنهضت بنزق ثم جلست فاصابت يدها كاس شوكولاته على مائدة امامها فسقطت الكاس على الارض فانكسرت قطعًا

فرأى الدكتور الكاس تتدحرج وتنكسر فلم ينحنِ ليلتقطها بل بقي صامتاً ساكناً فصبغ الاحمرار وجهها من الغيظ ولكنها تجلدت وسألته . ومن كان معلمك في حياتك . فاجاب الدكتور اخشى اذا اجبتك ياسيدتي على هذا السؤال ان اجرحك ايضاً

ولكن ما اتى جيلبار على هذه الكلمة حتى طار صواب الملكة فنهضت كاللبوة وصاحت به . تجرحني . تجرحني انا الملكة . انت تجرحني بكلامك . انت تجرح الملوك يارجل . يخيل لي انك لم تدرس ادب الكلام كما درست الطب او انك لم تدرس الطب اكثر مما درست ادب الكلام . ان من كان مثلك لا يجرح ملكة ولكن يتعبها و يضجرها فقط . قالت هذا وجلست بكبرياء وازدراء

اما جيلبار فقد بقي في خلال ذلك هادئاً صامتاً . ولكنها حين اتت على كلامها انحنى باحترام من غير ان تظهر علامات الغضب في وجهه وهمّ بالخروج . فلما رأت الملكة انه يطلب الخروج نهضت كأنها تطلب ايقافه . فوقف وقال . عفواً ياسيدتي فقد اخطأت في عزمي على الخروج ونسيت انك استدعيتني لاعالج مرضك وهياجك واني الآن امام مريض . فارجو ان تعذريني واعدك انني لا انسى ذلك فيما بعد

فاحست الملكة بما في هذا الكلام من المعنى ولكنها بقيت ساكتة . ثم نهضت فطافت الغرفة قليلاً وعادت فجلست قائلة . أأنت تُدعى جيلبار . فاجاب نعم ياسيدتي . قالت فاسمع لاقص عليك قصة صغيرة بقيت في ذهني منذ صغري . ذلك انني منذ سنوات طوال كنت في تريانون فوجدت في بستان هناك فتى حقيراً يلبس ملابس قذرة تدل على سوء حاله واسمه جيلبار

فقطع الدكتور الكلام عليها وقال برصانة وهدوء غريب . انا ذلك الفتى ياسيدتي فرفعت الملكة راسها وقالت بكبرياء وشيء من الحنق . وهل من الفخر ان تكون انت ذلك الفتى . فسكت الدكتور لانه لم يفقه مراد الملكة فاستتبعت قائلة . ام تخالني انني لا اعرف ذلك الفتى حق المعرفة

فغار دم الدكتور الى قلبه واصفر لونه فشاهدت الملكة تاثره وسرت بذلك . ولكنه ما عتم ان قال . وما الذي يوجب سخطك على ذلك الفتى ياسيدتي . فقالت لا تضف الرياء والكذب الى الاثم فانك لا تجهل ان ذلك الفتى جانٍ اثيم . وللاثم والجناية عقاب صارم كما تعلم

فادرك هنا الدكتور ان الملكة عالمة بكل شيء وان الاحترام لم يعد يجدي شيئاً

فاستعد للنضال ورفع راسه قائلاً . قلتِ جلالتك ان للاثم عقاباً في هذه الحياة ولكني اسالك ياسيدتي اين الانسان الفاضل او المرأة الفاضلة التي يجوز ان ترشق غيرها بحجر

فكانت هذه الضربة شديدة شديدة على قلب ماري انطوانت . فتحفزت للنهوض كاللبوة الغضبى وصاحت به ماذا تعني بهذا الكلام ايها الدكتور

فقال اعني به يامولاتي انك تصلينني حرباً لا استحقها وليس لك مقدرة عليها . فانك وان كنت ملكة فان سلطاني فوق سلطانك . وان شئت جربت ذلك واريتك قوتي.

فقالت الملكة مستهزئة سمعت انك من اولئك الاشرار الذين يستجيزون جناية التنويم وسرقة النفس والجسد معاً

فقال كلا ياسيدتي ليس التنويم المغنطيسي جناية ولكنه علم سيكون له في مستقبل الزمان شان عظيم . وان كنت ترتابين في تاثير هذا العلم فدعيني اجربه فيك

قال هذا وخطا اليها خطوة ومدَّ نحوها يده . فارتعدت فرائص الملكة لقوة غريبة شعرت بدبيبها في جسدها . فضحك جيلبار وقال . نعم هذا هو بدء التنويم ياسيدتي . ومنه تعرفين قوتي . لقد قضيت وقتك وانت تهينينني منذ ساعة دخولي لغير سبب اعرفه مع احترامي واخلاصي لك . فان اردت ابقاء هذه الحرب بيننا سهل عليَّ جداً اظهار ضعفك بازاء قوتي . فانه يكفيني ان اوجه ارادتي الى اردتك فاصرعها وافتح اسرار قلبك

نصاحت الملكة وهل تجسر ان تصنع ذلك بملكتك

فقال عفواً لا اصنع ذلك الا في حضرة شاهد يشهد عليَّ وعلى جلالتك . فقالت اذاً يكون ذنبك مزدوجاً . قال ولكن ما قولك اذ كان هذا الشاهد هو الملك بعينه

فطار صواب الملكة وتراجعت الى الوراء صائحة : الملك

فقال جيلبار نعم الملك . فانني استدعيه وباشارة مني انومك وافتح امامه خبايا قلبك فيسمع من فمك اموراً تدفنينها في اعماق صدرك ولا تقولينها حتى لنفسك . وليس ذلك فقط بل انني اشير اليك الآن اشارة وآمرك بتناول القلم وكتابة ما في ضميرك على هذه الورقة التي على المائدة ثم آخذ هذه الورقة وانقلها الى الملك فيعلم منك ما لا تريدين اظهاره هل ترغبين في ان اجرب ذلك . وخطا نحوها خطوة

فارتعشت الملكة وازداد شعورها بذلك الامر الغريب الذي شعرت بدبيبه في جسمها فتراجعت الى الوراء وصاحت دكتور دكتور

فقال عفواً يامولاتي لا تخافي فانني اؤثر الموت على غضبك ولذلك فانني لا اصنع اقل

الامور التي توجب سخطك . وانما ارجو من فضلك بعد الآن ان تعرفي اخلاصي واحترامي وتتركي اهانتي

ثم ابتعد عنها فبطل ارتعاشها وفارقها ذلك الشعور الغريب . فنهضت كما ينهض عصفور كان مبتل الجنح وجف جنحه فقالت له بكبرياء وعظمة وهل تجد من دلائل الاخلاص والاحترام ان تسيء معاملة الملكة الى هذا الحد ايها الدكتور . ام انت تقصد الملوك لهذه الغاية

فانحنى الدكتور وقال عفوًا يامولاتي فانني كما قلت لك اؤثر الموت على الاساءة اليك . ولكنك انت التي بادئتني بالعدوان واذا كان وجودي في البلاط ينغص لك عيشًا او يقلق بالاً فمريني بالسفر اسافر في الحال ولا اعصي لك امرًا . انما انبه جلالتك الى امر وهو انك اذا اردت ابعادي عن القصر رغبة في ابطال سلطة ارادتي ونفسي على ارادتك ونفسك فان عملك يكون لغوًا اذ هذه السلطة في البعد والقرب سيان اي ان التنويم المغنطيسي يعمل في الحالتين . والآن بعد هذه الملاحظة ارجو ان تامريني بالسفر او بالاقامة

ولكن ما اتم الدكتور كلامه حتى سُمع صوت الملك وهو قادم الى غرفة الملكة فقال جيلبار . الملك قادم ايتها السيدة فهل تتكرمين بابلاغي اذا كان يجب ان اسافر ام ان ابقى . فقالت الملكة وهي مبهوتة متاملة بل ابقَ . وفي هذه الساعة دخل الملك

الفصل الثالث

(نصيحة تغيظ الملكة)

ودخل الملك بطيئًا متثاقلاً كعادته . وكان يبدو في وجهه اشتغال البال الا انه كان هادئًا ساكنًا على عكس منظر الملكة التي كانت في تلك الساعة في اقصى درجات التهيج والانفعال .

ولما دخل الملك قال على الفور اين الدكتور فقد ساءني غيابه . ثم التفت الى الملكة وقال عمي صباحًا ايتها السيدة لماذا حرمتني من الدكتور في هذا الصباح . فقالت ماري انطوانت دعوته لامر ما . فقال اراك صفراء اللون متهيجة وهذا ما كنت اخشاه لذلك جئت افتقد صحتك حين علمت انك طلبت الدكتور . فقالت انطوانت بل انا في خير ياسيدي . فقال الملك اظنك لم يبقَ بك حاجة اليه فاتبعني يادكتور فان لي معك شأنًا مهمًا

ثم همّ الملك بالخروج · فقالت انطوانت بل استميح جلالتك ان لا يذهب هل تعصيني ياحضرة الدكتور · فقال الملك ولكن علينا ان نتحادث في هذا الصباح بامر سياسي قالت وما الذي يمنع من ان تتحادثا عندي · فقال الملك ضاحكاً اما هذا فلا نقدر عليه · فقالت ولماذا قال لانك تعلمين ان آراءنا مخالفة لآرائك · قالت بل اطلب ان اسمع حديثكما · فقال الملك باسماً ايضاً انصحك ان لا تطلبي ذلك لانك لا تطيقين استماع الآراء التي نراها · قالت بل اطلب سماعها · فقال الملك ما رأيك ايها الدكتور فقال الدكتور رايي ان نجيب جلالتها · فجلس الملك على كرسي مخملي هناك واشار الى جيلبار بالجلوس فجلس ايضاً · فقال الملك اخبرني الآن ايها الدكتور ما جاء بك باكرًا في هذا الصباح

فقال جيلبار جئت يامولاي لاقدم لجلالتكم نصيحة · وهي انني اطلعت على آراء الباريزيين ووقفت على ما ينوونه فثبت لي انه يجب ان تسافروا الى باريز

ولو ان جمرة نار سقطت في عشرة آلاف كيلوغرام من البارود وانفجر البارود لما كان انفجاره اعظم من انفجار الغيظ والغضب في صدر الملكة · فانها ما سمعت كلام جيلبار حتى وثبت عن كرسيها بقوة غريبة وصاحت به ماذا تقول ؟ الملك يذهب الى باريز

فقال جيلبار بهدوئه الاعتيادي نعم يامولاتي

اما الملك فنظر الى الدكتور وقال له اما قلت لك انها لا تطيق سماع حديثنا

فازدادت انطوانت غيظاً وهياجاً وقالت تخاطب جيلبار · كيف اجترأت ان تنصح الملك هذه النصيحة · اتريد قتل الملك حتى تشير عليه بالسفر الى باريز · الا تعلم ان سبعمائة الف وحش ينتظرونه في تلك المدينة الثائرة المتمردة للاساءة اليه والى رجاله

فعبس الملك وقال لماذا هذا الغيظ ايتها السيدة قبل استماع كلام الدكتور · اما الدكتور فالتفت اليها وقال · لو كنت اعلم ياسيدتي ان الملك يُساء اليه في باريز لما كنت اجترئ على النصيحة له بالسفر اليها · ولكني بعد درس طويل وبحث كثير وجدت ان وجوده في باريز مفيد الآن كل الافادة لذلك جئت اقترح ذلك على جلالته فاذا لم يجبني الى اقتراحي اضطر بعد ذلك ان يجيب الباريزيين الى هذا الاقتراح لانني تركتهم يفتكرون باستدعاء جلالته اليهم

فصاحت الملكة افهمت ياسيدي الملك · يقول الدكتور انك اذا لم تسافر الآن من تلقاء نفسك الى باريز فان الباريزيين يامرونك بالسفر اليها فتضطر الى انفاذ امرهم

فقال جيلبار ما قلتُ ذلك يامولاتي وانما قصدت ان اقول ان الملك اذا لم يذهب الى الباريزيين من تلقاء نفسه فانهم سياتون هم الى هنا و ياخذونه

فصرخت الملكة مظهرة علامة الفرح · تقول انهم ياتون الى هنا فاهلاً بهم وسهلاً · وكم يكون عددهم · خمسة الاف او عشرة او عشرين · انظر الى الجيوش التي تحيط بفرساليا فانني باشارة واحدة اسوقها عليهم فاعلمهم حينئذٍ كيف تكون الوقاحة والجرأة على ملوكهم

فقال الملك وهل تحسبين ياماري ان قلبي يطاوعني على ان اتركك تقتلين عشرين الف رجل من رعيتي

فصاحت الملكة ولكنك لن تذهب الى باريز وفي نسمة حياة · انني اخشى عليك خشونة الباريزيين واعتداءهم فقال لا تخافي فانهم يحبونني · فابتسمت الملكة ابتسام استخفاف وقالت يحبك الباريزيون ؟ لو كانوا يحبونك لوجب ان يحترموا ممثليك · وهل قتلوا نائبك دي فلاسيل وعاملك دي لوناي لانهم يحبونك · او هل تظن انك لو كنت مكان دي لوناي لكانوا اقل جرأة على الشر الذي صنعوه بل كانوا اكثر جرأة لانك انت لا تدافع عن نفسك ولا يطاوعك قلبك ان تطلق النار عليهم بل تفتح صدرك لحرابهم · فانا لا ادعك تسافر الى باريز

فقال جيلبار بل تدعينه ياسيدتي · فان ذلك واجب في الاحوال الحاضرة · فازدادت غيظاً وصاحت ولكنك الا تعلم ان لوجوده الآن في باريز معنى عظيماً · فانه اذا ذهب الى هذه المدينة بعد ما حدث فيها من التمرد وجرى فيها من الدماء يكون كانه يوافق على كل ما حدث وجرى · كانه يقول حينئذٍ بوجوده انني راضٍ عن القتلة · راضٍ عن المتمردين الثائرين فهل تريد ذلك انت ايها الدكتور

فدبت روح الحماسة في نفس الدكتور وقال كلا ياسيدتي لا اريد ان يكون ذلك معنى سفره · ولكن سفره لا يكون له هذا المعنى ابداً · بل يكون معناه انكم اذنبتم فجئت لاعفو عنكم · انتم ابنائي وانا ابوكم · جنودكم هم جنودي وضباطكم ضباطي ومدينتكم عاصمتي والاصلاح الذي تطلبونه انا ارغب منكم فيه · فساعدوني والحقوني في هذا السبيل لنصلح ما في وسعنا اصلاحه

فقال الملك كئيباً هادئاً نعم وانا من رأيك ايها الدكتور وساسافر اليوم لا محالة

فهمت الملكة بالصياح · فقال الملك بشيء من الحدة والغضب لا تعترضي ياماري

فانني ساسافر ولا يثنيني عن سفري شيء لانه واجب كما قال الدكتور هلمَّ بنا لنستعد له

ولا يستطيع قلم ان يصف غيظ الملكة في هذه الساعة ولكنها اضطرت ان تكظم ما في نفسها بازاء ارادة الملك . على انها سالته بحزن ظاهر متى عزمت جلالتك على السفر فقال في هذا النهار . قالت بل ارجوك ان تؤخره . قال ذلك امر يصعب عليَّ . قالت بل ارجو ذلك منك . اخره الى الغد فقط وغدًا تسافر بحراسة الله . فقال الملك وما الموجب الى هذا التاخير الديك امر سياسي ام تنتظرين مددًا عسكريًا من الخارج او ماذا . فاجابت لا انتظر شيئًا ولكني ارجوك ان تنتظر الى الغد . قال وهل تمانعين غدًا . قالت غدًا لا امانع بل اودعك واستودعك الله . فقال اذًا اترك ذلك الى الغد اكرامًا لك . ثم نهض واشار الى الدكتور ان يتبعه . فقالت الملكة للدكتور وهو خارج اذكر ايها الدكتور انك الرجل الوحيد الذي يقترح على الملك هذه الاقتراحات ويحادثنا بهذه اللهجة التي تحادثنا بها . فقال جيلبار ذلك ياسيدتي لانني الرجل الوحيد الذي يقول الحقيقة لكم في الاحوال الحاضرة وكوني جلالتك على ثقة من انه لا يوجد الآن شيء لانقاذ الملكية غير العلم بالحقيقة والعمل بها

قال هذا وانحنى باحترام كثير وخرج يتبع الملك

وكان في فناء قصر الملكة ضباط يتحادثون فلما راوا الملك مقبلاً هتفوا جميعًا « ليحيى الملك » فجاوبهم من داخل القصر وجوانبه صياح ضباط وحراس آخرين قائلين « ليحيى الملك » فوجد الملك لهذه المظاهرة سرورًا كثيرًا في وسط احزانه وشواغله

وقد سمعت الملكة ايضًا صياح الضباط « ليحيى الملك » فاطلت من النافذة لتراهم فوقع نظرها على باريز البعيدة فقالت وهي تنظر اليها بغضب وغيظ . نعم ليحيَ الملك والملك يحيى لا محالة . الملك يحيى وانت ياباريز الملعونة لا تستطيعين ان تمسيه بسوء . سانتشل من مخالبك الفريسة التي تطلبينها وادعها تحيى بالرغم عنك ايتها الهاوية الجهنمية الهائلة

قالت ذلك وهي تمد قبضتها النحيفة النحيلة نحو باريز البعيدة متهددة متوعدة . ثم نادت اقرب نسائها اليها وهي مدام كمبان ودخلت واياها الى غرفتها واغلقتا الباب خلفها

الفصل الرابع

(شهامة الملك)

وفي صباح اليوم الثاني ارسلت الملكة تستدعي الملك باكرًا اليها

فاستغرب الملك هذه الدعوة . وكان قد لبس ملابس السفر . فتناول طعام الصباح وهو شيء من مرق اللحم والنبيذ ثم قصد منزل الملكة وهو خائف من ان تكون قد غيرت عزمها في تلك الليلة

فلما دخل الملك عليها لم يجد عندها احدًا غير مدام كمبان اقرب نسائها اليها . وكانت الملكة اشد صفرة من اليوم السابق ولكن فمها كان يبتسم ابتسامًا اغتصابيًا اذ ادل على سكينة بالها فان عينيها كانتا تدلان على قلقها

فحياها الملك ثم سالها كيف اصبحت وما تطلب . فاجابت كنت احب ان جلالتك تاتيني بملابس النوم قبل لبس ثيابك طبقًا لما طلبت منك مع الرسول . فزاد استغراب الملك لهذا الكلام وخطرت في باله خواطر كثيرة تفسيرًا لقول الملكة ثم قال وهو مشتغل البال لم افهم معنى كلامك ألعلك غيرت عزمك في هذه الليلة . فقالت كلا وانما كنت احب ان تأتيني بملابس النوم لا بهذه الملابس . فقال الملك وهو يكاد يفقد الصبر لهذا لهذا الكلام المبهم ولماذا تكرهين هذه الملابس فان هذا الثوب البنفسجي الذي البسه الآن يحبه الباريزيون لانهم الفوه فقالت لا اكره ملابسك بل بالعكس اراها جميلة ولكن اسمع لي كلمتين يا ملكي . انت الان مسافر الى باريز فانت الآن مستهدف لرصاص الثائرين وخناجر المتمردين . افلا تجد من الحكمة ان يلبس الملك عند القائه بنفسه في وسط المدينة المتمردة ثوبًا يمنع ان تصل اليه رصاصة تطلقها يد اثيمة او سكين تمدها قبضة جانية

فاجاب الملك احسنت بهذا القول وازيد عليه ان الوسام الذي على صدري فوق القلب تمامًا دليل للرصاص الى مقتلي

فسرت انطوانت لموافقة الملك على كلامها واشارت الى مدام كمبان اشارة معنوية والسرور بادٍ في وجهها . فتقدمت مدام كمبان من خزانة وتناولت منها شيئًا ثقيلاً ملففًا بقطعة نسيج والقتها الى الملكة

ففتحت ماري انطوانت هذه « البقجة » واخرجت ما ضمنها فاذا به صدرة لامعة لمعاناً غريب الهيئة . فاخذتها وارتها للملك قائلة انظر هذه الصدرة الجميلة

فقال الملك متعجباً . ما هذا . ثم تأمل الصدرة بين يديه وقال . هذه صدرة من الفولاذ الدقيق . ما احسن حبكها وادق فولاذها . فقالت ماري أنطوانت نعم فانها مفردة في بابها لانها تكسو لابسها من عنقه الى اعلى فخذيه وتكون خير واقٍ له . فقال الملك احق ما تقولين ثم خلع سترته ليجربها

فكادت الملكة تطير فرحاً فلبس الملك هذه الصدرة الغريبة فغطت جسمه من عنقه الى اسفل بطنه . وكانت الملكة تنظر اليها باسمة مسرورة بلبس الملك اياها . ولما فرغ الملك من لبسها وتزريرها امرّ يده عليها فاحس بان يده لمست خدشاً خفيفاً فجس هذا الخدش وسأل الملكة ما هذا . فضحكت ماري انطوانت وقالت اذا ذكرت لك سبب هذا الخدش الخفيف فانك تستغرب ذلك كثيرًا . فقال وما سببه . قالت سببه انني لما ابتعت هذه الصدرة اردت تجربتها لارى اذا كانت كما قيل لي . فدخلت انا ومدام كمبان الى غرفة عميقة واغلقنا كل الابواب ثم تناولت فردًا محشوًا واطلقت رصاصة على هذه الصدرة بيد مرتجفة وقلب خافق . فبلغ الاستغراب من الملك مبلغه فقال وبعد ذلك ؟ فقالت بعد ذلك فحصتُ موضع الرصاصة فوجدت انها لم تخدش الصدرة الا الخدش الخفيف الذي رايته وقد انبطحت الرصاصة وتسطحت لمقاومة الصدرة لها وعجزها عن خرقها .

فضحك الملك وقال ما اكرم اخلاقك يا ملكتي واشد عنايتك . ثم مدّ يده وهم بخلع الصدرة عن جسمه

فاضطربت الملكة وصاحت ما لجلالتك تنزعها فقال كفى فانني قد اختبرتها قالت ولكنني لم ابتعها لتختبرها فقط بل لتلبسها وتدخل باريز بها خوفاً عليك من رصاص الاشقياء وخناجر الاشرار لان الرصاص والخناجر ترتد خاسئة عنها

فضحك الملك وقال اما هذا فلا تطلبيه مني يا ماري . فصاحت الملكة ولكنهم يقتلونك فقال الملك انني كأبٍ للشعب اعتبر من واجباتي ان لا اسيء الظن بابنائي . ومع ذلك فان اشراف مملكتي يذهبون الى الحرب مستقبلين الرصاص بملابس القطن و ينزلون الى ساحة البراز مستقبلين رؤوس السيوف بقمصانهم الحريرية فقط . وبما انني انا زعيمهم ورئيسهم فينبغي ان اصنع صنعهم ولذلك استقبل الرصاص والحراب بملابسي الحريرية

فرفعت الملكة يديها حين فرغ الملك من كلامه وصاحت آه ليت جيشه يسمعه الآن

ليشهد بسالته . واما الملك فانه خلع الصدرة ولبس رداءه ببساطة عجيبة وهو يجهل انه قال قولاً شريفاً وعمل عملاً سامياً

ثم خرج من غرفة الملكة والملكة تثني الصدرة بين يديها المتهيجتين وتقول في نفسها ايمكن سقوط ملكية يكون في ملكها هذه الكبرياء في مثل هذا الموقف

الفصل الخامس

(السفر)

وبعد خروج الملك من لدن الملكة دعا اليه الضباط الذين اختارهم لمراقبته في سفره الى باريز وحضر معهم القداس في كنيسة القصر . وفي الساعة التاسعة جلس معهم الى المائدة

فطلبت الملكة ان تجلس معه الى المائدة ايضاً لا لتاكل فانها لتهيجها كانت لا تشتهي طعاماً ولكن وداعاً له فجلست وعيناها حمراوان منتفختان من البكاء واجلست معها ولديها وهما فتى وفتاة

وكانت قد اطلعتهما على سبب سفر ابيهما فكانا كئيبين حزينين يا كلان والدموع في عينيهما تتساقط بسكوت وهدوء فتأمرهما امهما ان يمسحاها فيمسحاها بصبر وثبات جأش ملكي فاثر هذا المنظر في نفوس الحاضرين اشد تاثير وملأ نفوسهم حناناً على الولدين وغيظاً من الباريزيين

اما الملك فكان يظهر البشاشة وكان يحادث الملكة والضباط وهو ياكل بشهوته الاعتيادية دون ان ينظر الى احد منهم

ولكن ما كاد الملك يفرغ من الطعام حتى دخل بعض الضباط مسرعين واخبروه بان الوفاً من الباريزيين قادمون على طريق باريز وقد قربوا من قصر الملك

فاصفرت الملكة عند هذا الكلام اما الدكتور جيلبار وكان حاضراً فانه نظر اليها نظرة معنوية كانه يقول لها : اما اخبرتك انهم يأتون

فسأل الملك الضباط وكيف هيأتهم . فاجابوا انهم في سرور ولوائح الرضى على وجوههم

فصاحت الملكة اغلقوا مع ذلك حواجز القصر الخارجية زيادة في الاحتياط . فصرخ الملك لا لا اياكم وهذا الامر اما انت يامسيو بوفو فانزل على عجل واعدّ لهم مرطبات

لتبريد غليلهم

فاطاع المسيو بوفو وهو رئيس مائدة الملك وخرج لانفاذ امره

وما خرج بوفو حتى سمع الحاضرون نافذة تُفتح في تلك القاعة . فالتفتوا فابصروا الدكتور جيلبار يفتح نافذة بحجة تجديد هواء الغرفة . وبعد فتحها اطل منها على الجمع الزاحف الى فرساليا وقال . يا للغرابة فاني ارى بين القادمين اولادًا صغارًا

فسالت الملكة مدهوشة اولاد صغار فقال جيلبار نعم . ففتحت الملكة فاها لتقول كلمة ولكن هذه الكلمة وقفت في فمها اوقفها البغض والكبرياء فسكتت . اما الملك فقال في الحال . تقول ايها الدكتور ان معهم اولادًا . فقال الدكتور نعم ومنهم بعض لا يتجاوزون العاشرة من العمر وجميعهم لابسون ملابس الحرس الوطني وذلك لشدة حب الشعب لهذا الجند الجديد الذي تالف حديثًا

فقال الملك حرام علينا ان نترك هؤلاء الاولاد الصغار في حر الشمس خارج القصر افتحوا الابواب وادخلوا الجمع كلهم ليستريحوا في الظل

فنظر حينئذٍ جيلبار الى الملكة نظرة ذات معنى فعلمت انه يريد بنظرته انه كان يحب ان يسمع الملكة تجيب ذلك الجواب بدل الملك لانها امرأة والحنان من شان النساء . فاحمرت خجلاً وسكتت

فادخل الجمع الى فناء القصر ودهاليزه وعدده عشرة الآف رجل ثم اديرت عليهم المرطبات فصرخوا يهتفون للملك وهم في اتم سرور ورضى . وكان غرضهم من المجيء الى فرساليا استقبال الملك لانهم سمعوا بانه مسافر في ذلك النهار الى باريز

وقبل تألف الموكب للمسير الى باريز سئل الملك كيف يكون سيره فاجابت الملكة يسير في مركبته ركضًا بقدر استطاعة الخيل فقال الملك لضباطه كلا وانما تسير مركبتي مع الجمع سيرًا بطيئًا كسيره لانني اكره ان اتعبه ولا سيما الاولاد الذين معهم . فتنهدت الملكة وسكتت

ثم نهض الملك الى ركوب مركبته فعانقته الملكة تودعه وتعلق بعنقه ولداه يبكيان فحول الملك وجهه عنهما حتى لا يزيد انفعاله وتاثره . واخذت الملكة تحادث كلاً من ضباط الملك على حدة وتحثهم على حفظ حياة الملك والسهر عليها فكانوا كلهم يضعون ايديهم على قلوبهم وعلى سيوفهم للدلالة على انهم يفدون الملك بارواحهم . ثم ركب الملك مركبته وركب ضباطه ورجال حاشيته في مركبات وراءه

اما الدكتور جيلبار فان الملكة دنت منه قبل سفره وقالت له انك قد اشرت على الملك بهذا السفر فاعلم انني اطالبك بحياته واذا اصابه شر فان حياتك في خطر . فانحنى الدكتور باحترام وقال نعم حياتي معلقة بحياة جلالته

ثم ركب المركبة التي خصصوها به وراء موكب الملك . وكانت هذه المركبة مركبة المسيو بوفو

ولما تحركت مركبة الملك احاط بها حرسه الخاص من كل جانب وسارت بين تلك الالوف المؤلفة والجماهير المتماوجة قاصدة باريز المتمرّدة

وكانت الجماهير حول المركبات الملكية كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وجميع الناس في فرح وسرور لعودة الملك الى مدينتهم . وكانوا يتحدثون فيما بينهم باحاديث مختلفة فاصغى الدكتور وهو في مركبته لبعضهم فسمعهم يتساءلون عن هذا الراكب في هذه المركبة فاجاب بعضهم هذا المسيو بوفو رئيس مائدة الملك . فقال غيرهم ما هذا بالمسيو بوفو لان المسيو بوفو سمين غليظ الجثة وهذا نحيل نحيف . فقال آخرون ولكن الا ترى شعار مركبته

واذا بصوت جهوري ينادي قائلاً من يقول انه المسيو بوفو . هذا هو الرجل الفاضل الطائر الصيت . سلام ايها الدكتور

فالتفت جيلبار لهذا الصوت وصاح . بيلو ما جاء بك . فقال بيلو جئت لاستقبل الملك قال واين بيتو قال ها هوذا خلفي ثم التفت وصاح . بيتو تعالَ وسلم على الدكتور

فاندفع بيتو نحو المركبة يدفع الناس تارة بيديه وطورًا بمنكبيه حتى وصل الى الدكتور فسلم عليه . وحينئذٍ قص عليهما الدكتور كل ما جرى له مع الملك واطنب في وصف مآثره ورغبته في خير الرعية وذلك بقصد استمالة رأي الجمهور اليه فاثر كلام الدكتور في سامعيه فاخذ بيلو وبيتو يصيحان بكل قواهما « ليحيَ الملك » فتناقلت اصوات الحاضرين هذا الهتاف من مكان الى مكان حتى بلغ الجماهير التي كانت محيطة بمركبة الملك فسمع الملك هتافهم ووجد لذلك سرورًا جديدًا

وبذلك نفعه الدكتور نفعًا كبيرًا

وفيما كان جيلبار يحدث بيلو عن مناقب الملك قال بيلو بغتةً شوقتني الى رؤية الملك فكيف اراه . واتفق حينئذٍ ان جيلبار مد بصره الى بعيد فابصر احد حراس الملك يدنو من مركبته وهو يفسح مجالاً لفرسه بين الجمهور بلطف وتأن فعلم ان الفارس يطلبه . فنزل

من المركبة وساله اظنك تطلب الدكتور جيلبار فقال الفارس نعم قال انا هو قال يدعوك جلالة الملك اليه فقال هلم بنا ثم اشار الى بيلو وبيتو ان يتبعانه واتجه بهما صوب مركبة الملك يزحمون الناس زحماً

الفصل السادس

(على الطريق)

وظل الدكتور وبيلو وبيتو يزحمون الجمع ويدفعونه تارة بايديهم وطوراً باكتافهم سائرين وراء فرس الحارس حتى وصلوا الى مركبة الملك فكان الشعب يتزاحم تزاحماً شديداً حول هذه المركبة لان لويس السادس عشر كان لا يزال يومئذٍ محبوباً

ولما رصلوا الى المركبة التفت الملك الى جيلبار وقال له ما اجمل الطقس واجمل هذا الشعب ايها الدكتور . فانحنى جيلبار وقال اؤمل ان تكون جلالتكم مسرورة بسفرها فاجاب الملك كل السرور ثم التفت الى المسيو بوفو الذي كان يسير على فرسه الى جانبه وقال بصوت عالٍ ليسمعه الجميع اذا كنا مسرعين في السير فلنسر اكثر بطئاً حتى لا يتعب الشعب . فاجاب المسيو بوفو لا نقطع الآن ياذا الجلال بهذا السير الا ميلاً واحداً في كل ساعة

وكان الشعب قد سمع كلام الملك فازداد تحمساً

اما بيلو فاقترب من الدكتور وقال له حقاً ان الملك رجل كريم

فسمع الملك هذا الكلام هو ورجال حاشيته فضحكوا جميعاً اما الملك فانه ابتسم ابتساماً خفيفاً وقال يعجبني هذا المديح

فسمع بيلو هذا الكلام فالتفت الى الملك وقال حقه ان يعجبك ياذا الجلال لانني لا اقوله لكل الناس

وبذلك دخل بيلو في الحديث مع الملك

اما الملك فاصبح همه المحافظة على المهابة الملكية وعلى رضى هذا الرجل معاً لانه كان يرى انه ذو تاثير على الشعب . فقال بلطفٍ . كلامك هذا يزيد سروري

فاعجب بيلو وبيتو لكلام الملك فاخذا يصيحان قائلين : ليحيَ الملك . ليحيَ ابو الفرنسويين

وكان الملك لم يعتد بعد ان يُسمى ملك الفرنسويين بل كان يُسمى ملك فرنسا وبين

الجامعة

الجزء الثاني — السنة الثانية

الاسكندرية ١ مايو (اذار) سنة ١٩٠٠ الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨



﴿ الامير عبد الرحمن ﴾
امير افغانستان الحالي

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

افغانستان

احوالها * اميرها

الشبه بين افغانستان والترانسفال · سكانها · لغتهم · هواؤها محصولاتها ومعادنها وحيواناتها · حكومتها · آثارها · تاريخها · اميرها عبد الرحمن الحالي مع ابها تكون افغانستان

يقال في الترانسفال انها هلكت او ستهلك بمعادنها الذهبية ومركزها الجغرافي · فان معادنها الذهبية اثارت اطماع طلاب الذهب فدفعوا انكلترا الى هذه الحرب بالرغم عنها وساعدهم على بلوغ امانيهم وقوع الترانسفال في الطريق الشهيرة بين الكاب والقاهرة فكان لا بدَّ من ازالة هذه العثرة من تلك الطريق لتصبح الطريق كلها انكليزية محضة · وبذلك يكون مركز الترانسفال الجوغرافي مع معادنها هما اللذان جنيا عليها

وما يقال في الترانسفال من هذا القبيل يصح ان يقال في افغانستان ايضاً · فان هذه الامارة واقعة بين دولتين قويتين هما انكلترا وروسيا · انكلترا في الهند وروسيا في تركستان· وافغانستان بينهما كالواقف بين الحوت والفيل لا يهنأ له عيش لانه يخشى تارة ان يبتلعه الاول وطوراً ان يدوسه الثاني · وبالنظر لاهمية هذه البلاد من هذا القبيل وزحف الجنود الروسية على حدودها في هذه الاثناء تتهدد الهند تهدداً اوجبت زيادة انكلترا حاميتها فيها واهتمامها بالتاهب اهتماماً شديداً راينا ان نذكر للقراء شيئاً عن احوال تلك البلاد وفذلكة من ترجمة اميرها فنقول

***

﴿ افغانستان ﴾ اختلف الباحثون في اصل كلمة افغانستان فمنهم من زعم انها مشتقة من كلمة « اسافا » الفارسية ومعناها الفارس فقالوا اسافاستان ومنها افغانستان و يقصدون بها « بلاد الفرسان » وذلك لمهارة اهلها في ركوب الخيل · ومنهم من زعموا انها مشتقة من الكلمة الفارسية « افغان » ومعناها مضيق الجبل وذلك لكثرة المضايق فيها · وهو الاصح

ومساحة افغانستان اختلفت باختلاف احوالها السياسية . اما اليوم فمساحتها ٧٢٠ الف كيلو متر يحدها غرباً بلاد الفرس وشرقاً الهند وشمالاً تركستان وجنوباً بلوخستان . وكانت هذه البلاد اي بلوخستان تابعة لها ولم تفصل عنها الا من عهد قريب

﴿ سكانها ﴾ وسكان افغانستان متفاوتون اصلاً وجنساً ويقدر عددهم بنحو ٦ ملايين و٢٠٠ الف نفس منهم ٣ ملايين و٥٠٠ الف نفس من الافغانيين الاصليين ومليون نفس من الايرانيين (الفرس) و٥٠٠ الف نفس من الهنود و١٠٠ الف نفس من العرب والارمن واليهود والاحباش والباقون قبائل مختلفة

وهم قوم اشداء العزائم حريصون على حريتهم يفتخرون بجنسيتهم ولا يعتبرون الافغاني افغانياً الا اذا اثبت ستة جدود لنفسه . ولا يعتدون على حرية بعضهم البعض لانهم يكرهون الاستعباد . وهم ممتازون بالبسالة والجد والقناعة والحكمة ولكن فيهم مع هذه الفضائل الفطرية الرذائل التي تنشأ عن الجهل كالحسد والبخل والعناد والطموح الى مال الغير . والنساء عندهم محترمات مكرمات اكثر من اخواتهن في البلاد الشرقية الاخرى وهن ينظمن الشعر وقلما يراعين الحجاب لمعيشتهن البدوية

والافغانيون من الاصل الايراني وهم يزعمون انهم من الاصل السامي ليثبتوا قدم وجودهم ونظرهم مهيب شديد ولونهم ابيض ولحاهم كثيفة وعيونهم وشعورهم سود الا سكان جبال سليمان في بلادهم فان فيهم من عيونهم زرق وشعرهم اسمر . وهم يكرهون الفرس لانهم هم سنيون والفرس شيعيون كما لا يخفى

﴿ لغتهم ﴾ واما لغتهم فهي الافغانية ولكنها عندهم بمثابة اللغة العربية العامية عندنا فهم لا يستعملونها الا في كلامهم . اما الكتابة فيستعملون فيها اللغة الفارسية . ويذهب بعض العلماء ان اللغة الافغانية مشتقة من احدى اللغات الاصلية القديمة انفصلت عنها قبل التاريخ ولذلك لا يُعلم لها مبدأ . وهي اقرب الى اللغة الفارسية من اللغات الهندية وفيها كلمات كثيرة فارسية دخلت اليها بالامتزاج وفيها ايضاً كلمات عربية دخلت اليها مع الاسلام . وحروفها الهجائية ماخوذة من الحروف العربية

﴿ مناخها اي هواؤها ﴾ وافغانستان بلاد كثيرة الجبال والوديان واعلى جبالها جبل هندو كوه ومعناها « مقتل الهنود » سمي كذلك لكثرة ما يقتل فيه من الهنود الذين يجتازونه وعلو اعلى قمة في هذا الجبل ٧٥٠٠ متر عن سطح البحر . وبالنظر لعلو جبالها وانخفاض وديانها ترى الهواء فيها يختلف اختلافاً عظيماً . فانك في يوم واحد قد تسير من مكان

حرارة هوائه لا تُطاق الى مكان يجمد فيه الماء من شدة البرد · ومن بلاء الهند ان جبال سليمان الافغانية تمنع احياناً من وصول الريح التي تنزل المطر اليها · واكثر الاهوية الناشفة الحارة التي تهب في افغانستان تردها من بلاد العرب · وتهب في بعض جهاتها ريح السموم فتؤذي القوافل وتمنعهم من المسير · واليها اي الى ريح السموم ينسب الافغانيون كلب الكلام والذئاب · على ان المناخ فيها جيد ولا تُعرف فيها امراض خصوصية ملازمة لها والربيع فيها يفد معجلاً ولكنه لا يدوم طويلاً · ويتلوه عادة حرٌّ محرق والنبات فيها سريع النمو والمطر يبدأ في وادي كابول في شهر يوليو

﴿ محصولاتها ومعادنها وحيواناتها ﴾ والافغانيون يُعنون بالزراعة عناية شديدة ويحسنون الفلاحة ولهم فيها طريقتان الاولى ان يشارك الفلاح صاحب الارض فيزرع ارضه بآلة صاحب الملك وبذور يبتاعها هذا ثم يعطيه نصف المحصول · والطريقة الثانية ان صاحب الملك يستاجر الفلاحين لزراعتها · وهم يحسنون جيداً حفر السواقي حتى انهم يجرونها مسافة عشرات كيلومترات في الاراضي المطلوب ريها · وفي بعض جهات افغانستان معادن كثيرة لم تُستخرج بعد · منها معادن ماسية في جبال هندوكوه التي مرّ ذكرها ولذلك يسميها الافغانيون « بلورستان » اي بلاد البلور لشبه الماس به وذلك من قبيل تشبيه الاجود بالجيد · اما التجارة فضيقة النطاق لاختلال الامن بالرغم عن غنى التربة ونشاط اهلها · ولذلك فتجارة الصادرات فيها لا تكاد تذكر وهي محصورة في الخيل والجلود والشالات والتبغ والاثمار · واما تجارة الواردات فتردها من الهند واهمها الانسجة القطنية والعاج والشمع والسكر وغيرها من خاجيات المعيشة · واكثر اصحاب الحوانيت فيها من الايرانيين والهنود · اما الصيارفة واصحاب البنوك فيها فكلهم من الارمن واليهود

ومن حيواناتها الثعلب والنمر والارنب والجاموس وحمار الوحش وانواع كثيرة من الطيور اهمها الحجل

﴿ حكومتها ﴾ وتقسم افغانستان الى اربعة ولايات كبرى تابعة لامهات مدنها الاربع وتسمى باسمائها · الاولى ولاية كابول والثانية ولاية قندهار والثالثة ولاية هرات والرابعة ولاية بلخ · والولاية الاولى اهم الولايات لان ارضها أخصب اراضي تلك الولايات وهي اقربهن الى الحدود الهندية وطريقها اليها اسهل الطرق مما يبعث على الظن بان غارة روسيا على الهند اذا تمت فلا تتم الا عن طريقها

وكابول عاصمة افغانستان وفيها يقيم الامير · اما باقي الولايات فانها تابعة لها بالاسم

فقط ولكن حكامها في الحقيقة مستقلون وخصوصاً امارة بلخ . ذلك ان اهالي افغانستان قوم رضعوا افاويق الحرية منذ نعومة اظفارهم وهم يحبونها كما يحبها جميع القبائل الرحل . ويشبهون في هذا اهالي ايكوسا قبل الفتح الانكليزي او اليونانيين قبل قيام الاسكندر المكدوني . فان كل ولاية من تلك الولايات مقسومة الى مدن ونواحٍ يقوم حكامها بشؤون حكومتها ولا يخضعون لاحد الا لانفسهم ولا يدفعون الضريبة الا خوفاً ورهبةً . والامير يعين بالانتخاب وكان لا ينتخب الا من قبيلة الدورانيين وهي اقوى قبائل الافغان اما اليوم فانه لا ينتخب الا من ذات العائلة الحاكمة وهو يقيم قاضياً نائباً عنه في كل مدينة من امهات المدن الافغانية ليتولى القضاء بين المتخاصمين ولكن قلما يرفع احد اليه شكوى من خصمه لان اكثر قضاياهم يفصلها زعماء قبائلهم اصحاب السلطة عليهم . فكأن كل مدينة او قرية من مدنهم وقراهم جمهورية صغيرة تخضع لزعيمها دون سواه

واشهر مدن افغانستان كابول العاصمة وعدد سكانها ٧٥ الف نفس ومدينة قندهار وسكانها ستون الف نفس وهرات وسكانها خمسون الف نفس وخزنه وسكانها ٨ الاف نفس ثم اسطاليف وشاريار وكانيكورام وماكين وجلال اباد وزرني وعدد سكان هذه المدينة ١٢٠٠ نفس

﴿ آثارها ﴾ وفي افغانستان كثير من الاثار القديمة الرائقة تدل على عظمة هذه المملكة في سالف الزمان . ويوجد في ولاية كابول خرائب هياكل بوذية قديمة عليها مسحة من اثر الفنون اليونانية مما يستدل منه على مرور اليونان الى الهند في هذه الطريق . وفي « خزنة » اثار الدولة العظيمة التي انشأها الامير الخراساني كما سيلي وبجانبها قبر السلطان محمود الذي يزوره كثيرون من الدراويش الى هذه الايام فيتلون عليه الصلاة ويذكرون العظمة الماضية . والناظر يرى بين الاثار الفخيمة القديمة وبين ما بجوارها من المساكن الحقيرة والاكواخ الصغيرة فرقاً يزيد الماضي عظمة ويجعل الحاضر صغيراً جداً بالقياس اليه . وتكاد تكون اكثر المنازل في كابول مبنية من الخشب خوفاً من الزلازل التي تكثر في تلك الجهات

﴿ تاريخها ﴾ جميع كبار الفاتحين من ايام تغلات فلاسر الاشوري واسكندر المكدوني ومن اتى بعدهما مروا بافغانستان لان وادي كابول هو الطريق العام الى الهند كما قدمنا . الا انهم لم يستطيعوا ان يخضعوا الافغانيين لان هؤلاء كانوا يعتصمون بجبالهم وبذلك حفظوا استقلالهم . ولم يخضعهم الا احد امراء خراسان وذلك في القرن العاشر

بعد الميلاد المسيحي فانه دوخ بلادهم واتخذ مدينة خزنه عاصمة سلطنته فدانت له افغانستان الا بعض القبائل الافغانية التي اعتصمت بالجبال الشامخة ولبثت مستقلة فيها نحو قرنين . ثم تمكن احد امراء الافغانيين من امير خزنة الخراساني فاحرق عاصمته وذلك في سنة ١١٥٩ وانشأ لنفسه مملكة مدّ تخومها الى الدجلة والفرات والهند . ولكن ما لبث التتر ان اغاروا على سهول افغانستان فخرجت من ايدي الافغانيين وانما بقيت لهم بعض اقطار الهند حتي استعادوا ملكهم واستقلالهم في سنة ١٤٠١ وذلك عند موت تيمورلنك . ولبثوا مستقلين الى سنة ١٥٠٦ فاغار عليهم قائد من نسل تيمورلنك يدعى بابر فاستولى على كابول وجعلها قاعدة ملكه . ثم ضعف امر التتر فغلبتهم قبيلة الجيلزايسيين الافغانية على افغانستان وغزت فوق ذلك بلاد فارس حتى قام نادر شاه الفارسي واسقط سلطتها وغزا افغانستان في سنة ١٧٣٠ فضمها الى بلاد الفرس . ولكن احد قواد الافغان ويدعى احمد ثار بعد ١٧ سنة فاعاد الاستقلال الى بلاده واسس العائلة الحاكمة الحالية . فارتقت البلاد منذ ذلك الحين الى عهد الامير تيمور . ولكن ببعد وفاة هذا الامير سادت الفوضى فيها وتنازعها القواد والامراء . ثم ولي امرها الامير دست محمد خان فاسخط الانكليز عليه لميله الى الروس فحاربوه في سنة ١٨٣٨ واستولوا على كابول وقندهار وخزنه وخلعوه وولوا مكانه الامير كوجه خصمه . ولكن ما لبث الافغانيون ان ثاروا في سنة ١٨٤١ فقتلوا هذا الامير والحامية الانكليزية التي كانت في كابول فحمل الانكليز عليهم حملة ثانية فاسترضاهم الافغانيون فعادوا عنهم وعاد دست محمد خان الى سرير الامارة

﴿ اميرها الحالي ﴾ وكان لدست محمد خان ولدان شير علي خان ومحمد افضل خان . فلما توفي دست محمد اصبحت افغانستان فوضى لتنازع الامراء الامارة عليها وكان لشير علي خان ولد يدعى ايوب خان ولمحمد افضل خان ولد يدعى عبد الرحمن خان . فقامت الحرب على ساق وقدم بين شير علي ومحمد افضل وكان قائد جيش الثاني ابنه عبد الرحمن فانكسر جيشه فلجأ عبد الرحمن الى سمرقند واقام فيها ضيفاً على الروس سنوات طويلة

اما الانكليز فانهم تداخلوا منذ ظهور النزاع ولاسيما لاستيلاء شير علي على هرات وهو معروف بميله الى الروس فدخلوا الى كابول في سنة ١٨٧٨ وولوا الامير ايوب خان نجل شير علي خان اميرًا على افغانستان وابقوا فيها حامية انكليزية . فلجأ شير علي الى تركستان

ولكن الافغانيين ما لبثوا ان ثاروا على الحامية الانكليزية فذبحوها وحصروا حامية

قندهار فسار اليهم اللورد روبرتس وافرج عن المدينة · ويومئذٍ خلع الانكليز ايوب خان لظنهم انه هو الذي اثار الشعب واستدعوا من روسيا عبد الرحمن خان وولوه الامارة مكانه · وكان عمره يومئذٍ ٥٠ سنة · وهو امير افغانستان الحالي الذي ترى رسمه في صدر هذا الجزء

قال المرحوم جمال الدين الافغاني « ان الامير عبد الرحمن اذا لم يُعد عالمًا فهو على الاقل واسع الاطلاع متضلع من تاريخ الشرق اصيل الراي في حكومة بلاده · وهو يكره الاستبداد في الراي والقسوة خلافًا لحكام الشرق وقد ضُرب المثل ببساطته وبشاشته كما ضُرب بصلابة عزمه وبسالته » · كذا شهد المرحوم جمال الدين الافغاني ونقل شهادته احد العلماء الافرنج

وقال ايضًا في هذه الرواية « ان الناس استغربوا ما بدا من ميل الامير الى انكلترا مع ما هو مشهور عنه من الميل الى روسيا ولكنهم يرون ان هذا الميل ضرب من ضروب السياسة · على ان الامير يعلم انه عاجز عن حفظ استقلال بلاده لانه لا يجهل انه قد قُضي عليها بالزوال لوقوعها في طريق الروس الى الهند وهذه الطريق لا بد ان تنفتح لهم يومًا من الايام · » ولكننا ننقل هذه الرواية عن لسان المرحوم جمال الدين الافغاني بكل حذر وان كان قد اكدها عالم من علماء الافرنج في احدى الانسيكلوبيذيات الاوروبية

وقد نقلت الجرائد المصرية اليومية في الشهر الماضي نص خطبة القاها الامير في ساحة عاصمته يحث بها رعيته على طلب العلم قائلاً — العلم العلم العلم · بهذا السلاح قد ارتفع شان الاوربيين

ونقلت الجرائد الانكليزية حديثًا جرى له منذ شهرين مع سائح انكليزي كان في بلاده · ومفاد هذا الحديث انه لا ينسى انه حليف انكلترا يقوى بقوتها ويضعف بضعفها · وانه كان يرغب في ارسال ٥٠ الفًا من جنوده لمساعدتها في الترانسفال لولا كراهة الافغانيين ركوب البحر وتالمهم منه · ولكنه يشكو من ان حاكم الهند اللورد كرزون بعث له بكتاب يطلب فيه ان يكف عن التسلح وشراء المعدات الحربية الكثيرة · قال الامير · وقد كان يجب ان يحثني على التسلح لا ان يطلب ان نكف عنه وذلك للدفاع عن بلادنا عند الحاجة وفي الدفاع عن بلادنا دفاع عن الهند نفسها · غير ان بعض الجرائد الانكليزية تقول ان الامير يُظهر لانكلترا غير ما يُضمر

وقد حشد الامير في الايام الاخيرة جيوشاً كثيفة من القبائل على الحدود الانكليزية والحدود الروسية اتقاء الحوادث المستقبلة بعد ما رأى ان روسيا من جهة وحكومة الهند من جهة اخرى تحشدان الجند كل واحدة على حدودها

***

وقبل ختام الكلام عن افغانستان نتساءل سؤالاً لا بد منه وهو « اذا شبت نار الحرب بين روسيا وانكلترا على حدود الهند فمع اية دولة منهما تكون افغانستان » . فنقول

يلوح لنا ان روسيا اذا ارادت دخول الهند فانما تدخلها لاستثارة سكانها على انكلترا من قبيل الايذاء فقط لا للاستيلاء على الهند نفسها اذ روسيا لا تحتاج الى اراضٍ للاستعمار وكفاها ما لديها من الاقطار الشاسعة التي تكاد لا تغيب الشمس عنها . وهي لم تحارب الافغانيين قط ولم تعتدِ عليهم يوماً بامر من الامور . فغير بعيد ان تضمن لهم استقلالهم اذا اذنوا لجيشها بالمرور الى الهند من جهة هرات وكابول

اما الانكليز فان خطة دفاعهم عن الهند تقضي عليهم بتوسيع حدودهم الشمالية التي من جهة الافغان دائماً وذلك لينشئوا الاستحكامات والحصون بعيداً عن الهند وهذا هو سبب حروبهم دائماً مع قبائل الشترال والافريدس وطموحهم الى افغانستان . فغير بعيد ان يذكر الامير هذا المبدأ الذي اتخذوه قاعدة لسياستهم فضلاً عما ذاقه هو واجداده من مرارة حروبهم في الزمن الماضي فينضم الى الجيش الروسي ويحالفه عليهم . والله علام الغيوب

الصبر عشرة اقسام : الصبر عن شهوة البطن يسمى قناعة وضده الشره . والصبر عن شهوة الجسد يسمى عفة وضده الشبق . والصبر على المعصية يسمى صبراً وضده الجزع والصبر على الغناء يسمى ضبط النفس وضده البطر . والصبر عند القتال يسمى الشجاعة وضده الجبن . والصبر عند الغضب يسمى حلماً وضده الحمق . والصبر عند النوائب يسمى سعة الصدر وضده الضجر . والصبر على حفظ السر يسمى الكتمان وضده الخرق . والصبر عن فضول المعيشة يسمى الزهد وضده الحرص . والصبر عند توقع الامور يسمى التؤدة وضده الطيش (القليوبي)

باب المقالات

السيارات وسكانها

شيئان لا اجمل منهما · الواحد ينحصر في كلمة والواحد لا يحصره شيء · النظام الشمسي·
عطارد · الزهرة · الارض · المريخ · المشتري· زحل · اورانوس نبتون ·
هل هذه السيارات ماهولة · هل يجب ان يكون سكان النجوم
مثلنا· تصور جميل

يوجد شيئان لا اجمل منهما في العالم وهما : الشريعة الادبية في باطن الانسان وقبة السماء فوق رأسه · اما الشريعة الادبية فيمكن حصرها في كلمة واحدة وهي : « اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك » · واما قبة السماء فلا يفي حقها من الوصف كلمة او كلمات· فانها فضاء لا نهاية له تسبح فيه مئات ملايين ومليارات من الشموس والسيارات ونحن ساكنون في احد تلك العوالم نسبح معها و بيننا و بينها نظام يشبه نظام التضامن والتكافل كما قال المسيو بوانكاره

ولشدة بعدنا عن تلك العوالم لا نرى الاَّ بعضها وما بقي فانه محجوب عنا وراء ستار الخفاء في هذه القبة الزرقاء ومن الاجرام التي نراها ما هو جزء من نظامنا الشمسي ومنها ما هو خارج عنه ولبيان ذلك نقول

يقول علماء الفلك ان الفضاء كان منذ ملايين لا تحصى من السنين خاليًا من الاجرام الموجودة الآن وانما كان فيه السديم منتشرًا والسديم الضباب الرقيق الذي تخالطه الغازات يفترض علماء الفلك وجوده لتعليل خلقة الاجرام اذ التولد الذاتي ممتنع ولا يمكن « في العلم » ان يخلق الشيء من لا شيء · فبتكرار الايام اخذ هذا السديم يدور على نفسه و يلتف بعضه حول بعض حتى تكاثف وانعقد حول نواة تجمعت منه ثم طرأت طوارئ على هذا المزيج فاخذ ينقطع اجسامًا كما تتقطع نقطة زيت كبيرة ضربتها باصبعك في الماء ولكن لم تتفلت تلك الاجسام من النواة الاصلية كل التفلت بل بقيت حولها متعلقة بها بقوة ناموس الجاذبية · وهذه النواة الاصلية تدعى مركز النظام الفلكي وهي عبارة عن شمس ثابتة في وسط دائرة تدور حولها الاجرام التي تفلتت منها وتسمى السيارات لسيرها · وفي الفضاء

كثير من هذه النظامات الشمسية بعضها شموسه متقدة تشع اليه حرارتها المحيية وبعضها شموسه منطفئة لقدمها تدور حولها كواكبها في ظلام دائم ووحشة دائمة



رسوم ستة سيارات كما تظهر في المكبرات الاول وهو اصغرها في الرسم
عطارد الثاني الارض الثالث المريخ . الرابع الزهرة
الخامس نبتون السادس اورانوس

وشمسنا التي نراها في كل يوم هي احدى تلك الشموس وهي مركز نظامنا الشمسي وهذا النظام يشتمل على ٨ سيارات و٢٠ قمرًا تابعة لهذه السيارات و٤٠٠ نجم شبيهة بالسيارات . واهم هذه الاجرام السيارات الثمانية وهذه اسماؤُها . عطارد والزهرة والمريخ والمشتري واورانوس ونبتون وزحل وارضنا . كلها تدور حول الشمس الثابتة في الفضاء على ابعاد مختلفة منها . وقد وضعنا في هذه المقالة رسمها كما تظهر في النظارات المكبرة ورأينا ان نقول كلمة في كل منها

عطارد

واول جرم من هذه السيارات انفصل عن النواة الاصلية هو نبتون لانه ابعدها عن مركز النظام اي الشمس ويليه في البعد اورانوس فزحل فالمشتري فالمريخ فالارض فالزهرة فعطارد وهذا الجرم هو اقربها الى الشمس لانه آخر جرم انفصل عنها . وهو يدور حولها على بعد ٣٥ مليون ميل وُيرى دائمًا بقرب الشمس احيانًا بعد الغروب قليلاً واحيانًا قبل الشروق قليلاً ويدور حولها في كل ٨٨ يومًا . وهو يستمد حرارة من الشمس اكثر منا بسبع مرات والثقل النوعي فيه نصف الثقل النوعي في ارضنا فالقنطار عندنا يكون فيه نصف قنطار سنته ٨٨ يومًا ويومه ٢٤ ساعة و٢١ دقيقة وفصله ٢٢ يومًا . وتظهر الشمس منه اكبر ٣ مرات مما تظهر من عندنا . وُترى ارضنا منه نجمًا من الدرجة الاولى

ورصده صعب جدًا لقربه من الشمس وحيلولة اشعتها دون ذلك فلا يعلم هل فيه ماء وهواء وارض مما يكون صالحًا لنمو الحياة ولكن ُعلم من فعله بغيره من الاجرام ان كثافته اشد من كثافة الارض ومقدار مادته نحو نصف مقدار مادة الارض

الزهرة

هي عروس السيارات لانها اشدهن نورًا واكثرهن سطعانًا . وهي تبعد عن الشمس ٦٦ مليون ميل وتُرى بعد الغروب وصباحًا قبل الفجر . فيها بحور وجبال شامخة وسنتها ٢٣١ يومًا اي انها تتم دورتها السنوية حول الشمس في هذه المدة . ويومها ٢٣ ساعة و٢١ دقيقة و٢٢ ثانية . والشمس تظهر منها اكبر مرة ونصف مرة مما تظهر من عندنا وتُرى ارضنا منها نجمًا ساطعًا كما تظهر الزهرة لنا

الارض

وتلي الزهرة الارض في البعد عن الشمس ولا نظنك تحتاج الى وصف ما فيها

المريخ

معدل بعده عن الشمس ١٣٩ مليون ميل والثقل فيه اخف ٣ مرات من الثقل عندنا فالثلاثة ارطال عندنا رطل واحد عنده . وسنته ٦٦٨ يومًا ويومه ٢٤ ساعة و٣٩ دقيقة و٣٥ ثانية . وتظهر منه الشمس اصغر قليلاً مما تظهر لنا اما الارض فتظهر منه انها نجم من النجوم الصغيرة

وقد ثبت انه يوجد في المريخ ابحار وانهار وجزائر وفي قطبيه بقعة بيضاء تضيق في الصيف وتتسع في الشتاء فاستنتج العلماء انها ثلج وهو الارجح . ومن مزايا المريخ ان العين المجردة تراه احمر اللون . وله قمران تابعان له كما يتبع قمرنا ارضنا اكتشفهما الدكتور آصف هال في سنة ١٨٧٧ وسماهما نوبوس وذيموس

المشتري

هو اكبر السيارات . حجمه اكبر من الارض بخمسة الآف و٠٠ ٣ مرة والثقل فيه نصف الثقل في الارض . سنته ١١ سنة من سنينا اي انه يقضي نحو اربعة الاف يوم في دورته حول الشمس ويومه ٩ ساعات و٥٥ دقيقة وتظهر منه الشمس اصغر مما تظهر لنا بخمس مرات اما الارض فتبان منه نجمًا صغيرًا جدًا وهو يبعد عن الشمس ٤٧٦ مليون ميل ويظهر بالتلسكوب انه محاط بالسحب



* المشتري *

وللمشتري اربعة اقمار تدور حوله وتكون كقمرنا تارة اهلة وطورًا بدورًا وهي تنخسف في كل

دورة لان افلاكها مائلة على سطح فلك السيار · واسماء اقماره : الاول والثاني والثالث والرابع · ولا بدع ان يكون منظرها جميلاً فان الارض جميلة بقمر واحد فكيف المشتري باربعة اقمار · وفي المشتري ربيع دائم وذلك مما يزيد جماله جمالاً

زحل

سنته ٢٥٢١٧ يوماً اي يتم دورته حول الشمس في هذه المدة ويومه ١٠ ساعات و١٤ دقيقة وتُنظر الشمس منه اصغر ١٠ مرات مما تظهر لنا · اما الارض فانها لا تكاد تُرى منه · وهو اكبر منها بثمانمائة و٧٠ مرات ومسافة بعده عن الشمس ٨٧٦ مليون ميل



* زحل *

والغريب في هذا السيار انه محاط بحلقة نيرة · وهذه الحلقة مركبة في الحقيقة من ٣ حلقات متراكزة وعمقها كلها ١٣٨ ميلاً وقد رجحوا انها مؤلفة من اجرام صغيرة كاذناب المذنبات تدور حوله

ولزحل ٨ اقمار شديدة البعد عنا ولذلك لا نراها الا بنظارة مكبرة ولا نقدر على رصد بحورها وخسوفها واحتجابها كما نرصد اقمار المشتري · وهذه اسماؤها : ميماس انكيلاد تتيس ديونه رها تيتان هيبريون يابت

ويُرى زحل بالمكبرات محاطاً بالغيوم وفيه بقع تكون تارة قاتمة وتارة لامعة

اورانوس

هو اكبر من الارض بخمسة وسبعين مرة سنته ٨٤ سنة من سنينا ويومه ١٢ ساعة وفصله ٢١ سنة · وهو يستمد من الشمس نوراً اخف من النور الذي تستمده ارضنا بثلاثمائة و٦٠ مرة · وتظهر منه الشمس اصغر مما تظهر لنا بتسع عشرة مرة · واما الارض فانها لا تظهر له فنحن نراه وهو لا يرانا

بعده عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميل وكان مجهولاً الى سنة ١٧٨١ فاكتشفه في ١٣ اذار من هذه السنة السير وليم هرشل الفلكي الشهير · وكان مجهولاً لدى القدماء · وله ٤ اقمار هذه اسماؤها : اريل وامبريل وتيتانيا واوبيرون

نبتون

تقدم لنا القول في الجزء الخامس عشر عن طريقة اكتشاف العالم لفريه هذا السيار فليراجعه القارئ هناك · وهو اكبر من ارضنا بخمسين مرة وابعد منا عن الشمس بثلاثين مرة ويستمد منها نورًا اخف من نورنا بتسعمائة مرة · سنته ١٦٥ سنة من سنينا ويومه ١١ ساعة وكل فصل من فصوله ٤١ سنة

وجوه غازي يختلف اختلافًا كثيرًا عن جو الارض · وله قمر واحد وهو ابعد سيارات النظام الشمسي ونجومه · وقد اكتشف في سنة ١٨٤٦ وبعده عن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميل

هل هذه السيارات ماهولة

هذه هي السيارات التي هي رفيقة ارضنا في الدوران حول الشمس مركز نظامنا الشمسي · ولكن هل هذه السيارات مأهولة ام غير ماهولة · هل نحن البشر منفردون على هذه الارض ام يوجد في الكواكب والنجوم الاخرى سكان غيرنا

اذا نظرنا الى هذه المسألة من الوجه العلمي لم يفدنا العلم افادة تذكر لان العلماء يبنون حكمهم فيها على القياس والاستنتاج · فيقولون ان الاجرام السموية ثلاثة اقسام · القسم الاول لا يزال بعد في الحالة النارية الغازية لحداثة عهده في الانفصال عن نواته الاصلية اي شمسه · والقسم الثاني بردت حرارته لقدمه بردًا متناهيًا في الشدة · والقسم الثالث وسط بين القسمين الاولين اي ان حرارته لا باردة ولا حامية · ويزعمون ان عطارد والزهرة في القسم الاول الذي لم يبرد بعد فلا حيَّ فيهما اذ هواؤهما غير ملائم للحياة · وقمر ارضنا من القسم الثاني كما اثبت المسيو لوي مدير مرصد باريز لان الحياة متعذرة فيه بسبب ذهاب حرارته لتقادم عهده · وارضنا هذه من القسم الثالث لملائمة هوائها للحياة · ويعبرون عن هذه الادوار الثلاثة بادوار « الطفولية والشيخوخة والشباب » فالزهرة وعطارد في الطفولية والقمر في الشيخوخة وارضنا في الشباب

وعلى هذا القياس تكون كل سيارة في دور الشباب مأهولة · ولذلك يرجحون ان المريخ الذي يلي ارضنا في بعده عن الشمس ماهول لانه مثلها في دور الشباب بدليل وقوعه في منتصف البعد بين طرفي النظام الشمسي اي طرف الحرارة القريب من الشمس في عطارد وطرف البرودة البعيد منها في نبتون · والذي جعل العلماء يرجحون هذا الراي كل الترجيح وجود السحب والضباب بكثرة في جوه

هل يجب ان يكون سكان النجوم مثلنا

والآن فاذا كانت النجوم ماهولة هل يجب ان يكون هولاء السكان مثلنا في الخلق والخلق . كلا . لان الاحياء تتكيف وتتغير طبقاً للوسط الذي تعيش فيه . وحسبنا دليلاً على ذلك تغير بيئات البشر في الارض واختلافهم خلقاً وخُلقاً مع انهم سكان جرم واحد . وقد ذهبت تصورات البشر في وصف سكان السيارات مذاهب شتى

منها انهم قالوا ان ثقل الجسم في المريخ اخف من ثقله في الارض ٣ مرات كما قدمنا فيقدر اذاً سكان المريخ لخفتهم ان يثبوا في الهواء الى علوٍ شاهق كما تثب الطيور . فيكون سكان هذا السيار قوماً وثابين وطيارين

وقال غيرهم ان الشقوق المستقيمة التي نُظرت في هذا السيار هي خلجان وترع مصنوعة صنعاً يدل على مهارة صناعها في علم الهندسة . ولذلك فكر بعضهم في ان يغرس في مساحة شاسعة في صحراء افريقيا اشجاراً من النخيل على اشكال هندسية ليراها سكان المريخ فيعلموا من شكلها الهندسي ان هذه الارض ماهولة فيخاطبونا بمثل هذه العلامات

وقد الف الكاتب فونتنل في سنة ١٧٥٠ كتاباً عنوانه « سياحة في السيار عطارد » قال فيه ان جميع سكان هذا السيار مجانين من شدة فعل حرارة الشمس فيهم لقربهم منها . وهم مخلوقات باجنحة يطيرون بها في الفضاء كالطيور وفي وجوههم لوائح الجنون وعدم الاكتراث . انظر الشكل هذا



* سكان عطارد *

وزعم فلكي الماني ان سكان المشتري واورانوس ونبتون ذوو اعين واسعة كبيرة وذلك لضعف حرارة الشمس في هذه السيارات . وطول اجسامهم ٥ امتار ويمتاز منهم سكان نبتون فان طول جسم الواحد منهم ٥٧ متراً . . . هكذا يزعم المسيو وولف الفلكي الالماني . وترى في الشكل التالي رسم ٣ من سكان المشتري وبازائهم رجل مسكين من جنسنا نحن البشر الاقزام بالنسبة اليهم . وهم يضحكون منه ويسخرون من قصره وقبعته وقضيبه الذي بيده كانه اضحوكة عندهم

وغيره يتخيل ان سكان السيارات اشجار تسير وتنتقل فتا كل وتشرب وتسلم على بعضها

البعض بخفض اغصانها. وقد راق للكاتب برناردين دي سان بيير ان يقول عن سكان الزهرة انهم قوم مولعون بالرقص فلا ينفكون عنه وهم يصرفون اوقاتهم في رعاية مواشيهم في الجبال والوديان . والظاهر ان برناردين الفاضل كان يحب هذه المعيشة فتصورها في الزهرة ليراها ان لم يكن بعيني راسه فبعين تصوره



* سكان المشتري *

وبعدُ فانه من البديهي الطبيعي ان يتصور هولاء الكتاب والعلماء وجود سكان في الاجرام السموية . اذ من العبث والتجديف ان يقال ان العناية الالهية لم تضع الحياة الا في هذه القبضة الترابية التي اتخذناها مسكناً لنا وابقت ملايين ومليارات الاجرام الاخرى السابحة مثلنا في الفضاء بلا حياة تؤنس وحشتها وتعمر خرابها . واذا كان ذلك كذلك ظهرت لنا حقيقة منزلتنا من الكائنات . فاننا لا نكون والحالة هذه ملوك الكائنات كما يسمينا الشعراء ولكننا نكون ذراتٍ حيةً ضعيفة من الذرات الحية المنتشرة في الفضاء وجزءًا صغيرًا جدًا من العالم الواسع الذي لا نهاية له . وحينئذٍ ينبغي ان نخفض من كبريائنا وغلوائنا ونعلم اننا لا شيء بازاء الاشياء الاخرى العظيمة التي في الفضاء فوقنا وتحتنا وامامنا وخلفنا. فننصرف عن التقاطع والانشقاق الى التواد والاتفاق رغبة في التعاون على تعمير هذه الارض التي ارسلنا عليها ومسح الدموع فيها مخافة ان يسبقنا اخواننا البشر في العوالم الاخرى فيكونوا اكثر رشداً واجزل نفعاً واقوم بواجباتهم منا

وهذه افكار تحلو لمحبي التامل وان كانت من قبيل الاحلام والتصورات

طلب العلم لذاته * كم من ليالٍ احييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم . لا اعلم ما كان الباعث فيه . فان كان نيتك غرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك . وان كان قصدك فيه تهذيب اخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك

(من كتاب ايها الولد . للغزالي)

الحج والحجاج

الحج اعظم موسم في العالم · وقد يعجب الناس بالمعارض عندما تنشئها الدول حيناً بعد حين كمعرض باريز في هذا العام ولكن موسم الحج معرض عام يقام في الحجاز في كل سنة ويجتمع فيه كثير من عناصر الانسانية من جميع الاقطار للتآخي والقيام بواجب ديني

وقد اتم الحجاج الحج في هذا العام واخذوا في العودة الى اوطانهم في جهات الارض الاربع مسرورين بقيامهم بفريضتهم واذا بهم يقولون انه قدحدث في ينبع اربع اصابات مشتبه انها بالطاعون فقرر مجلس الصحة المصري اعتبار الحج ملوثاً بالوباء في هذا العام وضرب الحجر الصحي على الحجاج

وبهذه المناسبة نذكر في هذا الفصل شيئاً عن الحج والحجاج ومكة المكرمة معتمدين في القسم الاول من الكلام على مؤلف اوربي وفي القسم الثاني على مؤلف عربي · فنقول

﴿ مكة المكرمة ﴾

مكة هي البلد الحرام وتسمى ايضاً ام الكورة والبلد الامين والمشرفة · ويقال فيها ايضاً بكة بالباء على البدل وقيل بالباء البيت وبالميم ما حوله وقيل بالباء بطن مكة · وهي مهد الديانة الاسلامية واقعة في قسم الحجاز الجنوبي ومرفأها جده على البحر الاحمر ومسافة البعد بينهما ٨٠ كيلومتراً

ومكة غير مسوَّرة ولكنها محمية بثلاث قلاع قوية · وهي ممتدة في وادٍ قاحل على مسافة ٢٥٠٠ متر طولاً و٥٠٠ او ١٠٠٠ متر عرضاً تحيط بها من كل الجهات جبال وآكام جرداء علوها من ٨٠ الى ٢٥٠ متراً · والحرُّ بها شديد تكاد تزهق الارواح منه ولكن هواءها جاف وتربتها ناشفة وهذا مما يكون باعثاً على عدم استفحال جراثيم الامراض والاوبئة فيها · ولكن قد يقع فيها في بعض السنين مطر غزير ينساب في ذلك الوادي فيحدث ضرراً عظيماً في ابنية المدينة · وماء مكة يردها من جبال في شرقيها بواسطة قناة بنتها زبيده زوجة هرون الرشيد · وطول هذه القناة ٤٠ كيلومتراً

ولم تتغير هيئة المدينة كثيراً منذ ظهور الاسلام · ولكنها ازدادت ترتيباً ونظاماً منذ توطدت فيها سلطة الدوله العثمانية · وهي الآن ولاية من ولايات الدولة يحكمها والٍ عثماني وامير عربي · واسم الامير اليوم دولتلو الشريف رفيق باشا عون الذي ترى رسمه في هذه المقالة



﴿ الامير رفيق باشا عون ﴾
شريف مكة الحالي

اما اهم الاماكن الدينية في مكة فانا ننقل وصفها عن كاتب عربي . (١)

﴿ المسجد الحرام ﴾

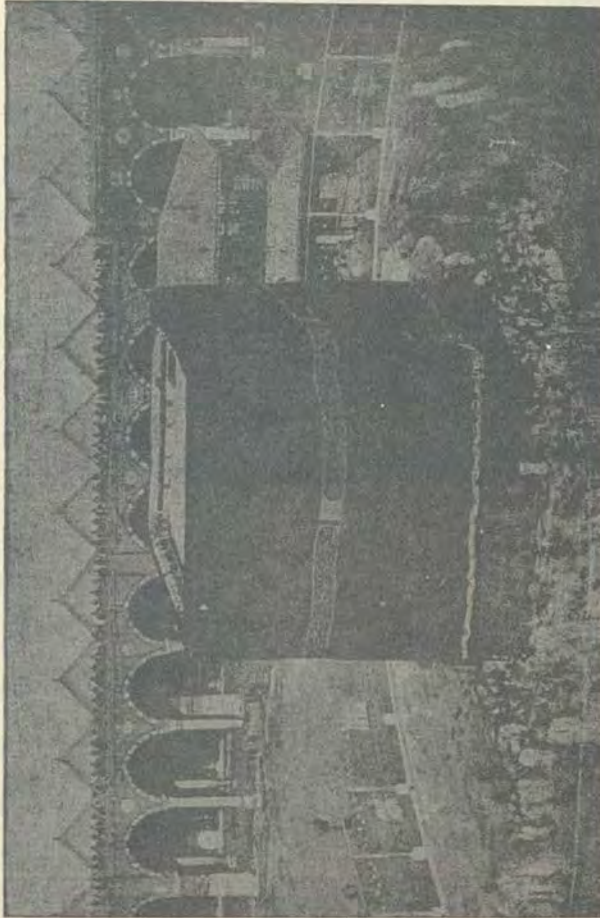
صحنه كبير واسع ذرعه طولاً اربعمائة ذراع واربعة اذرع وذرعه عرضاً ثلثمائة ذراع واربعة اذرع وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض عددها في طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن ٥٠ عموداً وفي عرضه ٣٠ عموداً بين كل عمودين مثل ١٠ اذرع وجملة عمد المسجد ٤٣٤

(١) منقول حرفياً ولكن باختصار من كتاب « العقد الفريد » للامام شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسي المالكي

عموداً طول كل عمود منها ١٠ اذرع ودوره ٣ اذرع ٠ والمذهبة من رووس العمد ٣٢٠ رأساً وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء وابوابه على عمد رخام بين الاربعة الى الثلاثة الى الاثنين وهي ٢٣ باباً لاغلق عليها يصعد عليها في عدة من درج

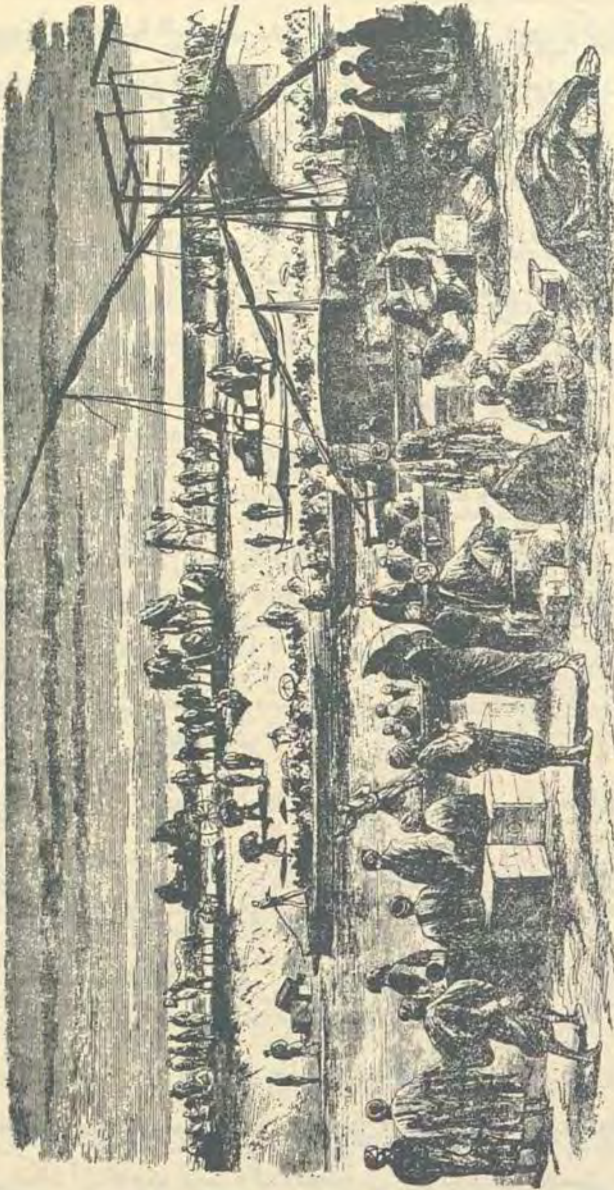
﴿ الكعبة ﴾

والبيت الحرام بوسط المسجد كان ارتفاعه في عهد ابرهيم عليه السلام فيما يقال والله اعلم ٩ اذرع وطوله في الارض ٣٠ ذراعاً وعرضه ٢٢ ذراعاً وكان له ثلاثة سقوف ثم بنته قريش في



﴿ الكعبة ﴾

الجاهلية فاقتصرت على قواعد ابرهيم ورفعته ١٨ ذراعاً ونقصت من طوله في الارض ٦ اذرع وشبراً ٠ وحول البيت كله الا موضع الركن الاسود درجة مجصصة يكون ارتفاعها عظم



سفر الحجاج من السويس الى الحج

الذراع في عرض مثله وقاية للبيت من السيل . وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الارض طوله ٦ اذرع و١٠ اصابع وعرضه ٣ اذرع و١٨ اصبعاً . والباب من ساج غلظ كل باب ٣ اصابع ظاهرها ملبس بالذهب وباطنها بالفضة في كل باب ٦ عوارض ولها عروتان يُضرب فيهما قفل من ذهب وحواجبه كلها مذهبة وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة

والبابان من ورائهما والعتبة السفلى مستورة بالديباج الى الارض وبين الركن الاسود والباب ٥ اذرع او نحوها وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس . والحجر الاسود على راس صخرتين من وجه الارض قد نحت من الصخر مقدار ما ادخل فيه الحجر واشفت الصخرة الثالثة عليهما مثل اصبعين . والحجر املس نجزع حالك السواد في قدر الكف المحنية قد لزمن جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفي جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظية منه شظيت فجبرت بها . وصخر الركن الاسود احرش اكبر من صخرنا قليلاً وللبيت سقفان سقف دون سقف وفيهما ٤ روازن ينفذ بعضها الى بعض للضوء والبيت كله مستور الا الركن الاسود فان الاستار تفرج عنه مثل القامة ونصف واذا دنا وقت الموسم كسي القباطي وهو ديباج ابيض خراساني فيكون بتلك الكسوة ما كان الناس محرمين فاذا حل الناس وذلك يوم النحر حل البيت فكسي الديباج الاحمر الخراساني وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه فيكون كذلك الى العام القابل . ثم يكسى ايضاً على حال ما وصفت فاذا كثرت الكسوة يخشى على البيت من ثقلها خفف منها فاخذ ذلك سدنة البيت وهم بني شيبة . وذكر بعض المصريين انه حضر كشف البيت سنة ٦٥ فرأى ملاطه الزعفران واللوبان . وذكر ايضاً عن بعض المكيين حديث يرفعونه الى مشايخهم انهم نظروا الى الحجر الاسود اذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ٣ اذرع وهو ناصع البياض في ما ذكروا الا وجهه الظاهر واسوداده فيما ذكر والله اعلم لاستلام الجاهلية اياه ولطخه بالدم . والمقام بشرقي البيت على ٢٧ ذراعاً منه وجه المصلى خلفه مستقبل البيت الى الغرب والركن العراقي على يمينه والباب والركن الاسود على يساره . وهو فيما ذكر من رآه حجر غير مربوع يكون ذراعاً في ذراع وفيه اثر قدم ابرهيم عليه السلام وطول القدم مثل عظم الذراع . والحجر موضوع على منبر لئلا يمر به السيل فاذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الايدي . وحمام المسجد كثير انيس يكاد الانسان يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو في لون حمام الابرجة عندنا الا انه اقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه . ولقد همني ذلك فرأيتها حين تكاد ان تحاذي البيت وهي مستعلية في طيرانها ذلك غطست حتى تصير دونه واخذت عن يمينه او يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد الا بيت الله الحرام فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر

المسجد النبوي

بلاطاته في قبلته معترضة من الشرق الى الغرب في كل صف من صفوف عمدها ١٧

عموداً ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة والعمد التي في البلاطات القبلية بيض مجصصة شاطة جداً وسائر عمد المسجد رخام · والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة و رؤوسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ثم السماوات على النجف · وهي ايضاً منقشة مذهبة

﴿ قبو المحراب ﴾

وفيه دارات بعضها مذهبة و بعضها خمرية وسود وتحت القبو صفة ذهب منقشة تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتها الى الارض ازار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الاول عند قيامه من السجود فيما ذكر والله اعلم

﴿ المقصورة ﴾

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الامام ويخرج وعن يساره باب صغير مشطرج قد سد بعوارض من حديد و بين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف

من السور الغربي لاصقة بالباب الى الفصل اللاصق بالسور الشرقي ومن هذا الفصل يصعد الى ظهر المسجد وهي قد مختصرة العمل لها شرافات وار بعة ابواب وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سرب في الارض يهبط فيه على درج يفضي منها الى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه

﴿ المنبر ﴾

المنبر عن يمين المحراب في اول البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة من الرخام محجوز حولها به وله درج وسمر في اعلاه لوح لئلا يجلس احد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن

﴿ القبر النبوي ﴾

بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي مما يلي الصحن بينه و بين السور الشرقي مثل ١٠ اذرع · قد حظر حوله بحائط بينه و بين السقف مثل ٣ اذرع وله ٦ اركان وليس بازار رخام اكثر من قامة وما فوق القامة مخلق بالخلوق · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة · وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا يمشى عليه وخبايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الاربع الى مناكب العمد بخشب منقش · وللمسجد ٣ منارات اثنتان للجنوب وواحدة للمشرق ·

وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء اولها وآخرها وله ١٨ بابًا عتبها مذهبة وهي ابواب عظيمة لاغلق عليها ٤ منها في الجنوب و٧ في الشرق و٧ في الغرب. وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذان وكذلك الشرافات فينبغي للداخل في المسجد ان يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ثم ياتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يلصق بالقبر فانه من فعل الجهال وقد كره ذلك فاذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا بما امكنه

وقد زار كثيرون من الكتاب الاوربيين مكة وهم متزيون بازياء حجاج المسلمين وغرضهم من ذلك مشاهدة المدينة العظمى التي هي كعبة الاسلام · منهم بريثما الايطالي زارها في سنة ١٥٠٨ وباديا الاسباني وقد تسمى علي بك وروش الفرنسوي وبورتون الانكليزي وهوركرونج الهولاندي زارها في سنة ١٨٨٥ واقام فيها ٦ شهور · وكلهم كتبوا بعد عودتهم منها كتبًا يصفون فيها مكة والاسلام والمسلمين

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

﴿ المعرض ﴾

وظلت البيون طائرة في الفضاء ما بين الارض والسماء حتى اصبحت فوق بحر المانش فوقفت فوق هذا البحر تشاهد منه الشواطىء الانكليزية والفرنسوية

وكان الوقت منتصف الليل والهدوء سائدًا على سطح البحر لا يكدره الا مخر البواخر التجارية والسفن الحربية في مياه الشاطئين · الاولى تمر كالبرق الخاطف تقل الثروة للامم وتمزج القارات بعضها ببعض والثانية تتبختر في تلك الشواطىء كانها حراس تحرس جانبيها· وفي الحقيقة انها حراس كما لا يخفى

فتنفست البيون الصعداء وقالت: متى يعود البشر الى رشدهم فيجعلوا هذه السفن الحربية سفنًا تجارية

وفيما هي تنتقل فوق بحر المانش اخذت تسمع من جهات الشواطيء الفرنسوية اصواتًا غريبة · فوثبت في الهواء وثبتين فاصبحت فوق "كاله" ولكنها بقيت تسمع تلك الاصوات الغريبة· فهبطت الى الارض على الشاطيء · فاول ما حطت قدمها على الارض الفرنسوية

سمعت بحارًا يقول لرفيقه — : « الا تسافر غدًا لمشاهدة افتتاح المعرض »

وكان ذلك المساء مساء ١٤ افريل فصاحت البيون في نفسها : قبحًا لذا كرتي ما اقصرها. يفتتحون المعرض غدًا وانا هنا مشغولة عنه . عرفت الآن سبب تلك الاصوات. انها اصوات معاول العملة ومطارقهم تجدُّ في عملها لاعداد المعرض غدًا اذ يقال انه غير مستعد تمام الاستعداد. انها اصوات المطارق التي ضُربت في الايام الماضية يتردد صداها على مسامعنا الى الآن. انها نداء السلم تخرجه في اواخر هذا القرن لاستقبال القرن القادم فنون قرون كثيرة مجتمعة في بقعة واحدة. وهذا النداء يجب ان يصغي اليه كل ذي قلب شريف فهلم لنصغي اليه »

قالت ذلك واطلقت اجنحتها في الفضاء تقصد باريز العظمى

ولكن البيون ابطأت في الطريق الى باريز اذ صرفت مدة من الوقت في مشاهدة البلاد التي كانت تمر فوقها في هدوء ذلك الليل فبلغت باريز في الصباح والشمس تشرق عليها من وراء الافق وتفنض عليها اشعتها الذهبية . فابصرت من علوها الشاهق منظرًا مدهشًا لا يراه الانسان مرتين في حياته

رأت باريز لابسة حلة العيد وسماؤُها التي كانت غائمة في ١٢ افريل هي الآن صافية كمرآة الغريبة . وناسها في هرج ومرج ومنازلها مزينة بالرايات وشوارعها غاصة بالوجوه المبتسمة الطافحة حبورًا وبشرًا بعد الوجوه التي جعلتها حادثة دريفوس تطفح سخطًا وانقباضًا . وسط ذلك معرضها العظيم يتيه عجبًا بما فيه من بدائع المصنوعات ونفائس الامور . كنوز كانت مبعثرة على سطح الارض في الشرق والغرب فجمعتها يد الانسانية في بقعة واحدة

فهبطت البيون . وكان هبوطها على قسم وطنها الترانسفال القائم بجانب القسم المصري واخذت تتأمل ابناء وطنها بحزن وسرور. وفيما هي تسرح الطرف لاحت منها التفاتة فابصرت على غير توقع رفيقتيها فالي واوربي فصاحت بنفسها ما جاء بهما الى هنا . ثم هرعت اليهما واظهرت نفسها لهما . فقالت فالي واوربي بعد التسليم عليها كنا نتوقع ان نراك ههنا . قالت لماذا وما الذي جاء بكما مع انكما مبعوثتان احداكما الى ساحة القتال والثانية الى عواصم العالم

فقالت فالي « اي قتال واي عالم يا اختي. لم يبقَ الآن في العالم قتال ولم يبق عالم غير هذا العالم. انظري فوقك هذه البالونات الصغيرة والكبيرة والوسط التي تهبط في ساحات

المعرض كانها طيور تقع عليه · هذه سفن تحمل ابناء الانسانية من الجهات الاربع ليتآخوا هنا في آخر القرن التاسع عشر ويتعاهدوا ان يكونوا في القرن العشرين اكثر اعتدالاً ورشاداً · الزارع ترك زراعته والتاجر تجارته والصانع صناعته والكاتب كتابته والامير امارته والجندي ساحته والفقير شحاذته — وكلهم لبوا دعوة الانسانية الى ساحة الانسانية · قصدتُ الترانسفال الى حيث ارسلتُ فقيل لي ان انفاس الحرب الجهنمية قد خمدت امام انفاس المعرض السلمية فركب اللورد روبرتس مع الرئيس كروجر مركبة هوائية قاصدين المعرض · كهروفأرضمهما مكان واحد · ثم تبعهما الجنود الانكليز والبوير في مركبات هوائية ايضاً ليعيدوا هنا عيد السلم ثم يعودوا الى الحرب · فلحقت بهم لاعيد معهم واعود معهم · وكذلك رفيقتنا اوروبي فانها طافت في عواصم اوربا كلها فوجدتها قاعاً صفصفاً لان الملوك والحكام والسكان نسلوا الى المعرض من كل حدب وصوب · هذا هو سبب وجودنا هنا »

فقالت البيون وهل لم يفتحوا المعرض بعد فقالت فالي يفتحه رئيس الجمهورية بعد ظهر اليوم ونحن ننتظره · فقالت البيون باسمة ولماذا ننتظره هيا بنا نذهب اليه ونعود معه في مركبته

فضحكت فالي واوربي ولكن البيون جرأتها مقابلتها للملكة فيكتوريا على مقابلات الملوك فاقنعتها بمرافقتها لمشاهدة باريز ثم يعدن مع رئيس الجمهورية

فاطلقن اجنحتهن البيضاء للريح وحلقن في الجو فوق باريز العظمى واخذن من ذلك العلو الشاهق يشاهدن عاصمة العالم · فلبثن مبهوتات لدى ذلك المنظر الفخيم · ثم تنفسن الصعداء معاً وقالت البيون ليقل كل منكن يا اختيَّ كلمة في مدح هذه المدينة العظمى

فسكتت اوربي وفالي هنيهة ثم قالت فالي ملتفتة الى باريز ومشيرة اليها

« سلام ياعاصمة اللطف والظرف في العالم · سلام يا قلب الانسانية الذي يخفق لكل الاعمال العظيمة والعواطف الكريمة · نساؤُك الطف النساء وازياؤُك اظرف الازياء وذوقك احسن الاذواق · فنونك الجميلة امتازت عن جميع الفنون وملاعبك عن جميع الملاعب وصناعة الادب فيك ارقى منها في جميع اقطار العالم »

وقالت اوروبي « سلام يا واهبة الحرية للعالم · كم قد تقدمتِ دول الارض في الاراء الحرة والاعمال المجيدة · كم حررت امماً وشعوباً وهدمتِ بفأس الحرية معالم العبودية ·

جنودك الفاتحة كانت تتراوح بين عواصم اوربا تراوح المتنزهين · جمهوريتك رفعت منذ مائة سنة في الارض منار الحرية فاستضاء به جميع الشعوب · وهي الآن ترفع منار السلم في اول القرن العشرين ليكسف نوره لهيب نار الحرب الجائرة المتقدة في افريقيا الجنوبية »

وقالت البيون« سلام يا ارض غاليا المجيدة · سلام ايتها الارض التى انبتت هنري الرابع ولويس الرابع عشر و بونابرت وميرابو وهوش وتييرس و باستور وجول سيمون و رنان و برتلو وفيكتور هيغو وميشيله · يزعم خصومك انك آخذة في الانحطاط وما دروا انك الآن تستريحين من جهادك الماضي في سبيل الحق والحرية كما يستريح العامل بعد عمله · وهذا المعرض حد راحتك · فانك بعده ستبدئين بالعمل والوثوب الى الامام لتحتلي مقامك الذي كنت فيه · فاسرعي اليه يا ام باستور ونابوليون اي يا ام الخير والقوة · انك لو كنت فيه لما اجترأ ماليو الانكليز على اثارة الحرب علينا نحن الضعفاء اذ كم من مرة رددت الاقوياء عن الضعفاء · ففي احتلالك مقامك الماضى فائدة لجميع العالم »

هكذا تكلمت الرفيقات الثلاث · وما زلن يتنزهن في الفضاء فوق قمة برج ايفل و باريز منبسطة تحتهن بجمالها الباهر حتى سمعن اصوات مدافع · فصاحت فالي ما هذا فمدت اوربي بصرها الى قصر الرئاسة ثم قالت قد خرج الرئيس من قصره قاصداً افتتاح المعرض

فوثبت البيون في الفضاء هبوطاً قائلة لرفيقتيها اتبعاني ولا تجبنا فتبعتاها وما زلن طائرات حتى اصبحن فوق مركبة الرئاسة

وكان في الشوارع منظر من اجمل المناظر البشرية · فان الجنود كانت مصطفة على خط مستقيم في الشارع و وراءها الشعب كانه البحر الهائج من الزحام وهو يهتف للرئيس والرئيس يرد التحية باحناء راسه باسماً كأب يبسم لابنائه · وفي خلال ذلك تدوي اصوات المدافع من قلاع باريز مؤذنة بافتتاح المعرض افتتاحاً رسمياً

فهبطت البيون و رفيقتاها حتى اصبحت على علو عشرة امتار من مركبة الرئيس فقط · فرفع الرئيس راسه ليرى ما هذا الحفيف الذي سمعه في الفضاء فاجفلت البنات الثلاث وهممن بالفرار · ولكنهن ذكرن انهن ارواح ترى ولا تُرى فسكنت خواطرهن · وزاد سكونها حينما ابصرن الرئيس قد ترك النظر الى فوق لانه لم يرَ شيئاً

فقالت البيون اتبعاني على مهل ثم جمعت نفسها في الفضاء وتحفزت ونزلت معها بتأن

كثير الى مركبة الرئيس كحامات تنزل على غصن من الاغصان

وكان نزولهن الى يمين الرئيس لان رئيس الوزارة كان جالساً الى يساره فلم يشعر الرئيس بشيء . ولكن خيل المركبة ازدادت شدًّا لجر المركبة كانها شعرت بزيادة الثقل فيهـا

وما وقفن على جانب المركبة حتى فتحت فالي فمها لتتكلم فاسرعت البيون واشارت اليها بالسكوت لئلا يسمعها الرئيس . فسكتت

ولكن من حين نزولهن الى المركبة انشرح صدر الرئيس من غير ان يعلم السبب . فازداد ابتساماً للشعب وزاد به السرور حتى قال لرئيس الوزارة : لا اعلم ايها الرئيس لماذا انا مسرور هذا السرور في هذا اليوم كأن ارواحاً سماوية اتتنا اليوم بسرور من العالم الثاني

فنظر الفتيات بعضهن الى بعض واخذن يضحكن بسكوت وهدوء . ثم اردف الرئيس بقوله . ولكن ينقص سروري شيء واحد . فقال المسيو والدك روسو وما هو يا حضرة الرئيس . فقال المسيو لوبه . انني اليوم اكلل بيدي هامة القرن التاسع عشر وافتح باب السلم للقرن العشرين فكم يكمل سروري لو كنت قادرًا ان اقفل باب الحرب ايضاً في افريقيا الجنوبية . فابتسم المسيو والدك روسو وقال اظن حضرة الرئيس يعرف طريقة لاقفال هذا الباب . فضحك المسيو لوبه وقال اما تلك الطريقة فدعنا منها ايها الرئيس لانك تعلم مثلي اننا لا نقدر عليها وعلى المعرض في وقت واحد فضلاً عن اننا نخبئها لغير من تعني

فطارت نفوس الفتيات الثلاث فرحاً وحزناً . فرحاً في اول كلام الرئيس وحزناً في آخره . ثم التفتت فالي الى رفيقتها اوربي وهمست قائلة بحزن : عرفتِ راي المسيو لوبه فانت في غنى عن زيارته بعد الآن

وظل الموكب سائرًا بذلك الاحتفال والجلال حتى دخل الى باب المعرض الفخيم . فهبت على رجال الموكب نسيم ذلك المكان السلمي فدخلوه مسرورين مبتهجين

وكانت الجنود صفوفاً صفوفاً خارج المعرض وداخله لتحية رئيس الجمهورية والوزراء . والشمس في قبة السماء كانها برزت خاصة في ذلك اليوم لتعيد عيد السلم مع المعيدين

وكانت ساعتئذٍ قاعة الافتتاح التي يسمونها « قاعة الاعياد » غاصة بسفراء الدول ووكلاء اقسام المعرض واعضاء مجلس الشيوخ والنواب وكبار الموظفين والمدعوين وعددهم

كلهم نحو ١٠ الاف شخص · ولا غرابة في ذلك فان تلك القاعة تسع ١٤ الف نسمة

فلما وطأ المسيو لوبه عتبتها صدحت الموسيقى بالسلام الفرنسوي وساد سكوت مهيب فدخل الرئيس ببساطته المعروفة يتلوه الوزراء والكبراء فجلس في صدر منبر الرئاسة

وكان منبر السيدات بازاء هذا المنبر زاهياً زاهراً بظريفات الباريزيات وهن بحللهن الربيعية الجميلة ينثرن الجمال والبهاء على تلك الحفلة العظيمة

فانتظرت الفتيات الثلاث حتى دخل الرئيس واستوى في مكانه فدخلن خلسةً وانضممن الى منبره — دون ان يراهن احد · وكن مدهوشات من ذلك المنظر الفخيم منتظرات بصبر فارغ ما عسى ان يحدث في ذلك المكان

وما سكتت المارساليز حتى رأين رجلاً قد نهض واقفاً من بين الوزراء وبيده ورقة واخذ يتلو خطاباً · فسألت البيون من هذا فقالت فالي هذا يا اختي وزير التجارة يسلم الآن المعرض الى رئيس الجمهورية ليفتتحه اسمعي لنرى ما يقول · فقالت البيون من سوء حظي انني لا افهم الفرنسوية جيداً · فقالت فالي اسمعي الآن وبعدها نرى

ولكن ما لفظ الخطيب بضع كلمات حتى علا التصفيق الشديد من كل جانب · ذلك ان المسيو ميلران من ابلغ خطباء فرنسا واقواهم عارضة فكان سامعوه يقطعون كلامه كل عشر ثوانٍ بتصفيق شديد · وقبل الفراغ من خطابه هتف الوف الحاضرين هتافاً شديداً ثم لما اتى على آخر كلامه لم تبقَ يد الا وصفقت ولا لسان الا وهتف « احسنت احسنت » فلبثت الفتيات مدهوشات مبهوتات · وسالت البيون فالي ماذا قال هذا الوزير يا اختي حتى استحق كل هذا الاستحسان فقالت فالي

" هذا الوزير هو المسيو ميلران من زعماء الاشتراكيين يا اختي · اصبح وزيراً وهو اشتراكي لان فرنسا تسبق العالم دائماً في تقدم الافكار الحرة · وقد قال هذا الاشتراكي كلمة ثناء على القيصر لعقد مؤتمر السلم في لاهاي فاحدث مدحه القيصر وهو اشتراكي والقيصر ملك مطلق تاثيراً شديداً كما رأيتِ · اما هتاف الحاضرين له في نهاية خطابه فسببه ختامه البديع · فانه بعد ذكره ببلاغته الاعتيادية عجائب الاختراعات واظهاره تقدم الانسانية فيما يختص بالتضامن البشري من حماية الشيخوخة وازالة الجهل والشقاء من هذا العالم قال في الختام

" وكلما ازدادت الصلات الدولية بزيادة الحاجات وسهولة المبادلات ازداد املنا في الوصول الى يوم لا يكون فيه بين الامم من تنازع الا في سبيل

الجد والعمل

" فسقياً لك ايها العمل المقدس . يامحرر الانسان ومشرفه ومعزيه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تتحرر الانسانية من نير العبودية والظلام وترتقي في الافاق العلوية المنيرة الهادئة التي لابد ان تبلغها الانسانية يوماً من الايام "

وكانت فالي تترجم هذا الكلام لالبيون والقاعه تموج كالبحر الزاخر واصوات الهتاف تعلو من كل جانب . فالتفتت الفتيات فرأين الرئيس لوبه واقفاً ليلقي خطابه والحاضرون يهتفون له هتاف الاكرام والتجلة

فانتظر الرئيس حتى خف هتافهم له ثم اخذ يتلو خطابه (١)

فكان التصفيق شديداً والتحمس عظيماً . وفي ختامه هتف له الوف الحاضرين من فم واحد هتافاً استمر وقتاً طويلاً

اما اوروبي فالتفتت الى فالي وسالتها ماذا اراد الرئيس يا اختي بقوله في خطابه " ان هذا القرن

(١) هذه خلاصة الخطبة التي القاها المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية حين افتتاحه المعرض

" لم تقصد فرنسا بهذا المعرض عرض غرائب المصنوعات فقط ولكنها تقصد ايضاً غرضاً اسمى . وهذا الغرض هو اكرام امم الارض على حميد اتفاقها ووئامها (تصفيق) . وهي مقتنعة بانها بالمعرض تعمل عملاً مفيداً للانسانية في آخر هذا القرن المجيد الذي تغلب على الضلال وعواطف البغض تغلباً غير تام والذي مع ذلك يورثنا الامل الشديد بالتقدم والارتقاء (تصفيق)

على ان الشعوب مع تنازعها نزاعاً شديداً فيما يختص بالامور الصناعية والتجارية والاقتصادية تشترك معاً اشتراكاً كلياً في تخفيف المصائب والآلام وزيادة المساعدات الخيرية العمومية وتعميم التعليم وتهذيب العمل والعاملين ومساعدة الشيوخ في شيخوختهم (تصفيق)

فانا ابعث من هنا سلامي الى حكومات هؤلاء الشعوب (تصفيق) وارحب بمندوبيها عندنا الذين يُنسب اليهم قسم عظيم من نجاح المعرض (تصفيق)

وانا اعتقد ان هذا الملتقى السلمي لا يحدث عبثاً . فان القرن العشرين سيشهد تخفيف الشقاء على انواعه وتشتد فيه عواطف الاخاء بين البشر (تصفيق) ورويداً رويداً يزيد العمل ثروة والانسان اقتراباً من الانسانية (تصفيق)

والآن فانني على هذا الامل اعلن افتتاح المعرض (تصفيق هائل وهتاف عظيم)

تغلب على الضلال والبغضاء تغلباً غير تام » فقالت فالي باسمة هذا يطول شرحه يا اختي . ومعناه باختصار ان الذين يبغضون ويصرون على الضلال وان عرفوه لم يتلاشوا من وجه الارض بعد ولكن قلّ عددهم بالقياس الى الازمنة الماضيـة . خذي مثالاً لذلك المسيو لوبه وخصومه في فرنسا فانهم هم يبغضونه ولكنه هو لا يبغضهم فالانسانيـة هنا تغلبت على البغض ولكن تغلباً غير تام . وهذا معنى المسيو لوبه

فقالت البيون الحق اقوله لكما يا اختيّ انني قد احببت المسيو لوبه . فانه في بساطته يشبه رئيسنا كروجر . وقد ظلمه خصومه باضطهادهم اياه في السنة الماضيـة . ولكن حسبه رئاسة هذه الحفلة تعزية عن كل ما لقيه من الاساءة في الزمن الماضي . فانه اصبح الآن عراباً « للقرن العشرين » واصبح القرن العشرون فليوناً له . الا يشتري الانسان هذا الشرف العظيم بضربة عصا خفيفة على راسه من يد رجل قليل الادب (١)

ثم خرج المدعوون من قاعة الاحتفال الى قاعة الاستقبال . وبعد ذلك ركب الرئيس البواخر معهم ومخروا بين اقسام المعرض في مياه نهر السين عائدين كل في سبيله . وذلك لانتهاء الاحتفال

فقالت البيون قد انتهى افتتاح المعرض فهل تحسبين يا اختي ان اصحابنا يعودون الى اماكنهم . فقالت فالي . انني ارى المركبات الهوائية قد اخذت بالصعود وفي اعتقادي ان الذي يطلب منهم اعمال سريعة لا بد من عودتهم الى اعمالهم بعد الاحتفال . اما الذين لا عمل لهم فانهم يبقون ههنا ويأتي غيرهم كثيرون من جميع اقطار العالم

ولم تأت فالي على كلامها حتى صعدت من ساحة المعرض الوف من المركبات الهوائية وعليها اعلام انكليزية وترانسفالية وعلامات ملكية . فقالت البيون . انظرا هذه هي الجنود الانكليزية والبويرية عائدة بعد حضور افتتاح المعرض الى مراكزها الاولى فهلم معي يا اختي فالي لنلحق بها . وتلك هي مركبات الملوك العائدين الى عواصمهم فالحقي بهم يا اوربي قياماً بمهمتك

فودعتها اوروبي ولحقت بمركبات الملوك التي طارت بركابها نحو العواصم الاوربية . واما فالي والبيون فلحقتا بمركبات الجنود الانكليزية والترانسفالية . وقبل ان تغيب

(١) اشارة الى ضرب رجل من رجال الحزب الملكي المسيو لوبه بعصاه في سباق اوتيل في السنة الماضية ابان حادثة دريفوس

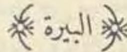
عنها باريز التفتت البيون من ذلك العلو الشاهق وقالت · حقاً يا اختي ان من يخرج من هذه المدينــة يبقى مسحوراً فانه يخرج وقلبه عندها · فقالت فالي وهل شعرتِ بمثل ذلك حين خروجك من لندرا فقالت البيون « لندرا يا اختي هي بلد الحديد والفحم والمعامل والبواخر والاسلاك والخطوط الحديدية · لندرا بلاد العمل والنشاط والاجتهاد · ولكن باريز بلاد اللطف والظرف والكيـاسة وحسن الذوق · الاولى عقل يفتكر ويعمل دائماً · والثانية قلب رقيق الاحساس يحس دائماً · ولست اقول ان القلب انفع او اعظم من العقل · ولكني اقول ان القلب اكثر استمالة واشد تاثيراً · وكذلك باريز اللطيفـة بازاء لندرا العظيمة

ثم سكتت البيون وبهتت وبعد هنيهة قالت · ولكن الحق اقول لك يا اختي ان اكواخ بريتوريا وبلونفوتين لهي احب اليَّ من قصور باريز اللطيفة ولندرا العظيمة · ولو كانت لي هذه القصور التي شاهدناها الآن لفديت بهـا تلك الاكواخ التي يهجم جيش اللورد روبرتس للاستيلاء عليها غداً

فقالت فالي · نعم حب الوطن حب الوطن ما احلاك يا حب الوطن

ثم ظلتا تابعتين مركبات الانكليز والبوير الى ساحة القتال (ستأتي البقية)

باب تدبير الصحة



البيرة

البيرة او الجعة هي الشراب الروحي الوحيد الذي يحلله الاطباء · وهم يذكرون لها خواصاً في غاية الاهمية · فيقولون ان البيرة شراب مرطب ولذيذ معاً · وهي تتضمن كثيراً من الفوصفات والمواد المعدنية فتفيد الصحة افادة تذكر · ويقولون انها خفيفة جداً على المعدة حتى ان المعد التي لاتستطيع هضم اللبن تستطيع هضمها · ومن صفاتها انها تنفع جداً فقراء الدم والمصابين بالتدرن الرئوي وعسر الهضم وربما شفت بعضاً منهم شفاء عجيباً · وهي تعيد القابلية وترجع الى الانسان قواه وتسمن الاجسام النحيفة بما فيها من السكر والمادة النشوية والكحول وتسكن الجهاز العصبي بما فيها من اللوبولين

وهي لا تصنع من الشعير فقط بل تصنع من جميع الحبوب كالارز والذره والقمح

وغيرها وكانت معروفة عند قدماء اليونان فكان ايبوقراط وارسطو يصفانها دائماً . ولكنها لم تدعى يومئذٍ جعة ولكن " شراب او نبيذ الحبوب " وفي التقاليد المصرية القديمة ان الاله اوزريس كان يشرب منها وهذا يدل على عظم قدميتها

ولكن اذا كان للجعة المنافع التي مرّت فلها مضار . ومضارها ليست في ذاتها ولكن في استعمالها وتركيبها . فاذا شربت منها شرباً معتدلاً وكانت خالصة غير مغشوشة استفدت منها لا محالة . وانما يغشونها في الاكثر بمزجها بالكحول قصد تسفيرها لئلا تفسد على الطريق . فالطريقة الوحيدة لصنع البيرة خالصة مفيدة هي انشاء معامل لها خصوصية في البلاد التي تستعمل فيها ومراقبة هذه المعامل لئلا تمزجها بشيء من المواد المضرة

وكل القراء يعلمون ان الجامعة من اعداء كل الاشربة الروحية لكن بعد هذه الاقوال التي وجدناها للدكتور " مونين " في مجلة من اشهر المجلات الطبية الجدية اصبحنا نخفف من عداوة البيرة ونشير باستعمالها ولكن استعمالاً معتدلاً كما مرَّ بنا وعلى شرط ان تكون خالصة غير مغشوشة

﴿ دوار البحر ﴾

التى الدكتور " مادوف " في الجزائر ووهران خطبة عن دوار البحر قال فيها انه خابر اكثر اطباء اوربا واميركا فلم يجد احداً منهم مهتماً بالبحث في مسألة مداواة الدوار ولذلك عزم على عقد مؤتمر بهذا الشان في معرض باريز في هذا العام . ثم قال ان داء الدوار لا يمكن ان يكون واحداً لانه يختلف باختلاف اعمار المسافرين . ونسب الدوار على وجه ما الى عدم انطلاق الهواء النقي في غرف البواخر . واشار على المسافرين بشد بطونهم بمناطق (زنانير) شداً مكيناً وطلب من شركات السفن ان تبني غرفها على اسلوب يكون الهواء فيه اكثر انطلاقاً فيها وسال الحكومة ان لا تمنح اعانات الا للسفن التي تكون كذلك واقترح على الشركات ان تعين جائزة لمن يخترع آلة لملاشاة الحركات التي تتحركها السفن في سيرها

وفضلاً عن ذلك فانه وضع بياناً يتضمن اسئلة يريد توجيهها الى جميع الذين ركبوا البحر واصيبوا بالدوار ليعلم هل شعروا بالدوار على الاكثر قبل الاكل او بعده . في المساء ام في الصباح وهلم جرًّا . ومتى اجتمع لديه كثير من الاجوبة بحث فيها قصد الوصول الى حل مرض لهذه المسألة

الفأر والمعرض والطاعون

يطارد رجال معرض باريز الفأر على ضفات نهر السين مطاردة شديدة . لان الفار ينقل ميكروب الطاعون كما لا يخفى ولما كان في المعرض الآن اناس من جميع اقطار الارض فيخشى ان ينقل هذا الداء منهم اذا كان يوجد شيء من ميكروباته في امتعتهم و بضائعهم ولا سيما الامتعة والبضائع الاسيوية . ولذلك فرت جميع فيران نهر السين الى البيوت المجاورة للنهر فكثرت شكوى اصحابها . ولكن اشار بعض الاطباء عليهم بوصفة بسيطة للتخلص من ضيوفهم الثقال . ذلك ان يمزجوا شيئاً من مسحوق الجبسين بالدقيق و يضعوا بازاء هذا المزيج اناء ماء فيا كل الفأر من الدقيق والجبسين لانه يستطيب الدقيق ثم يشرب من الماء فيجتمع في باطنه الماء والجبسين فيتحجر الجبسين في معدته تحجراً يقتله لساعته

شفاء الجدري بالعسل

اكتشف احد اطباء اوكزاكا في مكسيكا ان العسل يشفي من داء الجدري . وكان اكتشافه اتفاقاً . وبيان ذلك انه كان يعالج فتاة مصابة بهذا الداء . فبعد وقت وجيز رآها شفيت تمام الشفاء ففحص عن السبب فوجد انها كانت تاكل في كل يوم سراً شيئاً من العسل فجرب مداواة الجدري بالعسل في غيرها من المصابين فنجحت التجربة

الحمى التيفوئيدية

ظهرت الحمى التيفوئيدية في هذا العام في باريز فقلق لها سكانها . وقد انشأ الدكتور كابانس فصلاً في هذا الموضوع سرد فيه الاحوال التي تبعث على احداث الحمى التيفوئيدية فقال . انها تنشأ اولاً عن ماء الانهر التي تحمل ميكروباتها بسبب هطول الامطار على اماكن ملوثة بهذا الداء وقريبة من مياه النهر . وثانياً من التعب والجهد وذلك ان تكون جراثيمها كامنة في جسم الانسان فتظهر حين تعبه وجهده . وثالثاً من ازدحام الناس في مكان واحد تكثر فضولهم فيه . ورابعاً من شرب اللبن كأن يكون ابن المرأة التي حلبته مصابة بهذا الداء او احد اقربائها . ولذلك يجب ان يُعنى اشد العناية بلبن المدن وان يغلى اشد غليان . وقد لا تكون العدوى مقصورة على اللبن فقط بل ان جميع مواد الغذاء التي تُبتاع من السوق قد تكون ملوثة بميكروبات الداء . وهذا الامر يثبت وجوب تنظيف تلك المواد اشد تنظيف وعدم تناول شيء منها في اوقات الوباء او في غير اوقاته ما لم يغسل جيداً

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

مدرستان تجاريتان في سوريا

الاولى حاصلة — والثانية منتظرة

نشرنا في صدر باب المقالات في الجزء الماضي مقالة عنوانها " كيف تعظم الامم " اثبتنا فيها ان ارتقاء المانيا في الثلاثين سنة الاخيرة من مصاف الدول الثانوية الى الدول العظمى كان لجملة اسباب اهمها مدارسها التجارية والصناعية والزراعية فضلاً عن مدارسها الادبية والعسكرية . ثم ختمنا هذا الفصل بما نصه

((بهذا السلاح غالبث المانيا انكلترا فغلبتها . بالمدارس الصناعية والزراعية والتجارية قام الغربيون ونحن لا نزال نحشو ادمغة طلبتنا بالصرف والنحو والشعر والسجع وما اشبهها من الدروس العقيمة الباردة ونشغل بعضنا بعضاً بالمخاصمات الدينية والضغائن الشخصية . فلنستعد لزيادة شقائنا شقاء وضيقنا ضيقاً بل فلنستعد للانقراض والموت بازاء الغربيين اذا كنا لا نعمم التعليم الصحيح وننشيء مدارس زراعية وتجارية وصناعية بازاء مدارسنا العلمية والادبية التي تعلم تعليماً ناقصاً لانها تعلم علماً غير مقرون بعمل))

ويسرنا أن نداءنا جاء في وقت كانت فيه بعض المدارس السورية الكبرى تفتكر بالشروع في سد فراغ عظيم في المدارس السورية . فقد عزمت الكلية الاميركية في بيروت على انشاء مدرسة تجارية فيها وهذا ما جاء في جريدة المقطم في اواخر الشهر الماضي بشان هذه المدرسة

" عزمت الكلية الاميركية في بيروت على انشاء مدرسة تجارية فيها لعلمها ان التجارة هي من اوسع المعايش في هذه الايام وان البلاد التجارية تتقدم وتحوز قصب السبق على

غيرها وان بلادنا متاخرة تجارياً ولا بد من تقوية العنصر التجاري فيها · وقد اتى اليها برئيس اميركي من المتخرجين في مدرسة التجارة في شيكاغو وستفتح ابوابها في العاشر من اكتوبر القادم · ويشترط على طالب الدخول فيها ان يكون له ست عشرة سنة من العمر على الاقل وله المام بالانكليزية والعربية والحساب ومبادىء الجبر والجوغرافية الحديثة او يكون حائزًا لشهادة القسم الاستعدادي في المدرسة الكلية · والتعليم في هذه المدرسة التجارية يكون باللغة الانكليزية اوسع اللغات التجارية انتشارًا ومدة الدرس سنتان يدرس الطالب في السنة الاولى الانكليزية والعربية والفرنسوية ومسك الدفاتر والحساب التجاري والجغرافية التجارية والخط ويدرس في السنة الثانية المخاطبات التجارية في اللغات الثلاث المتقدم ذكرها وكتابة الكمبيالات والفاتورات ومسك الدفاتر بالتطويل ونظام البنوك والسمسرة واشغال البورصة وتاريخ التجارة في العصور القديمة والوسطى والحديث ونمو الصناعة والمعاملات والتجارة في هذا القرن والاقتصاد السياسي بكل فروعه وقانون التجارة الفرنسوي والقانون التجاري والبحري الانكليزي واداب التجارة الى غير ذلك مما لا استغناء للتاجر المدقق عن معرفته »

نقول اما نحن فنرى انه في العام القادم لا تُفتح مدرسة تجارية واحدة في بيروت بل تُفتح مدرستان تجاريتان · واليك البيان

كانت المناظرة بين مدارس الاباء الفرير ومدارس المرسلين الاميركيين في احدى مدن فلسطين منذ بضع سنوات في غاية الشدة · فكانت ادارة الفرير لا تفتح مدرسة في قرية او في حي حتى تفتح ادارة الاميركان مدرسة مثلها بازائها · وبالعكس · فكان مدير الفرير يقول باسماً كلما اراد فتح مدرسة في قرية : سافتح مدرستين لا مدرسة · يعني مدرسة للفرير ومدرسة للاميركان

وهكذا نقول الآن في مدرسة بيروت التجارية · فان حضرات الاباء اليسوعيين الذين يناظرون حضرات مرسلي الاميركان في تهذيب الشبيبة السورية مناظرة حميدة سيفتحون ولا شك في كليتهم الكبرى مدرسة تجارية يسوعيـة بازاء المدرسة التجارية الاميركية · واذا كانت تلك المناظرة القديمة قد زالت او خفت — ولا شيء يدل على ذلك — فرغبة في ان لا تُحرم سوريا منافع مدرسة تجارية ثانية نذكرهم بان منزلتهم الادبية والعلمية في سوريا تقضي بان لا تكون الكلية الاميركية اكثر فضلاً من كليتهم · وبالنظر لما نعلمه من فضلهم وما يعلمونه من ان لا غرض لنا من هذا الاقتراح الا الخير العام

فاننا بتنا نؤمل ان يقدموا على هذا المشروع النافع المفيد في وقت غير بعيد

هذا والآن فاننا نوجه انظارنا الى حكومتنا العثمانية ونؤمل بعد هذه الخطوة التي خطتها المدارس الاجنبية في سبيل التعليم العملي في بلادنا ان تخطو الدولة مثلها · نعم ان هذه المدارس تحتاج الى المعلمين والمال ولكن هذه مسائل ثانوية يمكن تسويتها باي طريق كان · وانما المسالة الرئيسية معرفة اهمية الشيء والعزم عليه والشروع فيه

ولقائل ان يقول » ما الفائدة لسكان الدولة العثمانية من المدارس الصناعية والزراعية والتجارية · فان ابواب الرزق اذا كانت فيها ضيقة لتلامذة المدارس الادبية والعلمية فانها تكون كذلك ايضاً لتلامذة المدارس الصناعية والتجارية والزراعية · اذ اين المعامل في البلاد لاخراج صناع من المدارس لها · اين الاهالي الموسرون الاغنياء لتعليم اولادهم اصول التجارة حتى اذا خرجوا من مدارسها تاجروا برؤوس اموال آبائهم · اين الزراع الواسعو الاملاك الذين يريدون تعليم اولادهم اصول الزراعة استثماراً لاملاكهم · اكثر الاهالي فقراء وقليل منهم مستورو الحال والاغنياء فيهم اقل من القليل · وابناء هؤلاء الاغنياء يعولون على غناهم فينغمسون في البطالة والكسل غير عابئين بتجارة وزراعة وصناعة · فعلامَ اذاً انفاق الاموال على انشاء المدارس التجارية والزراعية والصناعية · أليكون تلامذتها في الكسل وعدم وجود العمل بمنزلة تلامذة المدارس العلمية والادبية «

هذه حجة لا تنكر قوتها ولكن لدينا حجة اقوى منها · وهي ان ابناءنا الذين نعلمهم اصول الزراعة او التجارة او الصناعة معاذ الله ان نترك مواهبهم وقواهم تفنى في الكسل والبطالة لقلة الاعمال في بلادنا فان المهاجرة باب واسع امامهم ندفعهم منه الى بلاد الله الواسعة ليكتسبوا فيها قوى جديدة و يفيدوا و يستفيدوا معاً · تاملوا الآن في مهاجرة العثمانيين الى الاقطار الاميركية · فانها في رأينا مفرحة ومحزنة معاً · مفرحة لانها تدلنا على مضاء عزم اولئك المهاجرين وحبهم العمل ورغبتهم في التفلت من اسر الضيق والكسل والبطالة · ومحزنة لانهم يهاجرون بلادهم وهم كجنود بلا سلاح يرحلون الى ساحة القتال · اذ بصرف النظر عن بعض الادباء والافاضل منهم الذين يشرفون سوريا بتمثيلها حيثما وُجدوا ما حكم العقلاء في باقي المهاجرين · وعلى اي شيء يعتمدون في مهاجرتهم ؟

يحسون بلذع الضيق والضيم و يرون باب الرزق مسدوداً في وجوههم فينادون بعضهم بعضاً هلموا الى الاقطار الاميركية · فيسافرون · ثم يصلون الى تلك الجهات بلا راس مال بل بلا مال ولا صناعة فلا يجدون امامهم غير الخدمة في بعض حوانيت ابناء وطنهم او الدوران

للبيع بالطريقة التي يعرفها الجميع · فيقاسون في هذا السبيل من عناء الغربة وذل العمل وصعوبة المعيشة ما لم يقاسوا نصفه في وطنهم · وفي الختام اما انهم يعودون بخفي حنين وهم في حال يرثى لها او يرضون بتحصيل القوت اليومي في تلك البلاد · اما المفلحون منهم فهم قليلون

قابلوا هذه الصورة بصورة اخرى · افترضوا ان هولاء المهاجرين الى اميركا او ابناءهم · كلهم او بعضهم · قددرسوا اصول التجارة او الصناعة او الزراعة في مدارس تجارية وصناعية وزراعية · فانهم يصلون الى مكان غربتهم بنفوس مطمئنة واثقة بالنجاح لوثوقها بقوتها اذ صناعة الانسان قوة له · وعند وصولهم لا يلجأون الى تلك « الكشة » القبيحة ولكن ينتشرون كالجراد في المعامل والمتاجر والمزارع الاميركية باجرة مرضية قليلة او كثيرة · فيعملون فيها براحة ويكسبون خبزهم بشرف ويصبحون في سعة في وقت قريب · والسعة تجر وراءها العائلة فيتزوجون في ارض واشنطون ويتكاثرون وبذلك يزداد عددهم زيادة مهمة · والسعة تذكر بالوطن ايضاً فيعود كثيرون منهم الى وطنهم وبما انهم صناع وزراع وتجار فينشئون في وطنهم المصانع والمزارع والمتاجر · فيكون شانهم شان الالمانيين الذين يهاجرون وطنهم ليعودوا بعدئذٍ اليه بالاموال او بالاسرار الصناعية · فيا لارتقائك يومئذٍ ايها الوطن بارتقاء ابنائك · اما الذين يبقون منهم في بلاد الغربة فانهم يعيشون فيها براحة مكرمين محترمين لعملهم وتنعهم البلاد التي يعملون فيها منصرفين عن الانقسامات الاليمة لاشتغالهم باعمالهم التي تستغرق كل اوقاتهم

هذه هي صورة المهاجرين من غير سلاح يعتمدون عليه وصورة المهاجرين وسلاحهم صناعة او تجارة او زراعة يتعلمونها في بلادهم · فايهما فيه سعادة الوطن وراحة ابنائه

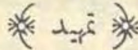
لذلك نقترح انشاء المدارس العملية العمومية · ونسميها عمومية لاننا نود ان تعمم بين جميع طبقات السكان ويكون التعليم فيها بسيطاً بقدر الامكان وقليل الاجرة اذا لم يكن في الاستطاعة جعله مجاناً · فرحماكم اسمعوا نداء الذين لا يطلبون الا الخير المجرد لابناء وطنهم وانشأوا لهم المدارس العملية

لا تشترِ كتباً قديمة لا تعرف صاحبها لئلا تنقل لك امراضاً وانت لا تدري · ولكن اذا كان لا بد من شرائك من هذه الكتب فيجب ان تطهرها · وطريقة ذلك ان تغمسها بضع دقائق في مياه « جافل » ثم تغمسها بماء صافٍ · وتجففها بعد ذلك بالشمس · ولا ريب ان هذا العمل يقتضي عناية كبرى ولكنه ضروري فلا تهمله

شؤون نسائية وبيتية

تعليم البنات التربية الصحية

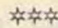
من كتاب المراة في القرن العشرين تاليف الفيلسوف جول سيمون



وعدنا القراء يوماً ان ننشر لهم فصولاً من الكتاب الفلسفي الجليل الذي وضعه الفيلسوف الشهير جول سيمون بعنوان « المرأة في القرن العشرين » ونقلناه منذ سنوات الى اللغة العربية باذن خصوصي من المؤلف رحمه الله · وهذا الكتاب قسمان قسم فلسفي لجول سيمون وقسم طبي لنجله الدكتور جوستاف سيمون · ولم نرَ في كل ما كتب الى الآن عن تربية الاولاد الصحيحة وتعليم الامهات ذلك اقوالاً مؤثرة طلية مفيدة كالاقوال التي قالها الدكتور سيمون في قسمه الطبي بهذا الشان · ولذلك عزمنا على نشر هذا القسم تباعاً في الجامعة ونشير على الامهات ولا سيما الفتيات منهن ان يقرأنه بامعان شديد

ومن مزايا اقوال هذا الدكتور انه جعل كلامه على سياق رواية · فانه اخذ فتاة فزوجها واولدها طفلة ثم ربى هذه الطفلة وتتبعها في ادوار حياتها كلها حتى زوجها ايضاً · كل ذلك بعبارات بسيطة واسلوب متناهٍ في الرقة حتى ان من يقرأ الفصول التالية يحسب انه يقرأ رواية ولا يدري انه يقرأ كتاباً جليلاً في التربية الصحية

ولنبدأ اولاً بالمقدمة التي جعلها تمهيداً للكلام وقد قصد بها اظهار ضرورة تعليم البنات الهيجيين ليحسنَّ العناية باولادهن في المستقبل · قال



لا ينكر احد ان امرأة القرن التاسع عشر واريد امراة الجمعيات والملاهي جديرة بما يوجه اليها من الملام · فانها تهتم بخارج المنزل اكثر من اهتمامها بداخله وتعرف اشياء كان يجب عليها جهلها وتجهل اموراً كان ينبغي ان تعرفها · فضلاً عن انها تعتبر نفسها زينة الهيئة الاجتماعية لا المربية المرشدة المعزية في الهيئة العائلية

وكأن كل اعمالها تتجه نحو غرض واحد وهو الافتخار بالنفس والمباهاة فانها لا عمل لها غير استمالة الناس وطلب المدح والاطراء والاشتغال بالتزين والتحلي · ومن اجل ذلك تتراوح بين مخازن الخياطات وباعة الانسجة وتخضع خضوعاً اعمى لاذواق مخترعي الازياء

وتحتمل بالصبر الجميل كل الآلام والاوجاع التي تنشأ عنها . وهي تخفي عن رفيقاتها الازياء التي تختارها وذلك لتكون اول من يلبسها . تزور زيارات متتابعة لانها تميل كل الميل الى استمالة الناس الى منزلها . تحوم حول رجال الشهرة والوجاهه فتجذبهم الى بيتها وتحاول فتنهم باساليبها اللطيفة . امس كانوا غرباء عنها لا تعرفهم ولا يعرفونها واليوم اصبحوا من اخص اصدقائها . فتبدأ تترنم بذكر نفوذها على صديقها فلان وتفتخر بصداقة فلان مع ان تلك الصداقة تكون في الحقيقة اوهن واوهى من البضائع والسلع التي تزين جسمها بها

وتراها في مقدمة الذين يصنعون الخير ولكن غرضها الحقيقي صنع الخير لنفسها وذلك باكتساب الشهرة والسمعة . تحضر ليالي التمثيل ولكن غرضها ان تري نفسها لا ان ترى الرواية : تطالع الروايات الادبية جهراً وغير الادبية سرّاً . تسعى لارضاء اميالها المضرة وتصرف همها الى تزيين جسمها لا الى تزيين عقلها ونفسها . تنغمس في الميشة الدنيوية في المراقص والملاعب والجمعيات فتذوق من بلائها ونتائجها ما لو حكم عليها بان تذوقه لنفرت منه لا محالة

وما عدا ذلك فان لها قاعة ايضاً . قاعة لا يدور فيها الحديث على الموسيقى والفنون والعلم والادب ولكن على الوشاية والنميمة والامور التافهة الصغيرة

ولقائل ان يقول « اراك قد بالغت في القول فانك وصفت امرأة من نساء الملاهي لا كل النساء . اذاً انت قد عممت وكان يجب التخصيص »

كلا لم اعمم ولكني ذكرت بعض ما يوجه الى النساء في هذا القرن من الملام . ولا انكر ان المراة المتوسطة الحال قد تكون بعيدة من الصورة التي رسمتها ولكن ما اقرب الشبه بينهما

على انني لا الوم النساء على تلك المعيشة وانما الوم الذين ربوهن هذه التربية . واطلب من نساء القر التاسع عشر ان يربين بناتهن تربية اساسها الادب الصحيح والاعتدال والحكمة ليكن سعادة العائلة واساسها في القرن العشرين الآتي

واذا بقيتم مصرين على قولكم باني بالغت في الكلام فسلوا النساء اذا كنت قد بالغت فيما قلت . سلوهن اذا كن هن انفسهن لا يشكين من تلك المعيشة التي وصفتها . سلوهن عن معارفهن . ماذا تعلمتن ايتها السيدات — تعلمنا الصرف والنحو والبيان والتاريخ والجوغرافيا والحساب والاملاء والانشاء وشيئاً قليلاً من الخياطة : ولكن هل علموهن

واجبات الامّ واعدوهن لوظيفة الزوجة . سلهن هن اللواتي يطلب منهن ان يقدمن للوطن رجالاً اقوياء الاجسام هل يعرفن مبادىء علم حفظ الصحة واصول التربية البيتية الصحية . هل درسن شيئاً من هذا العلم الذي يجب عليهن ان يضعنه فوق كل علم . هذا العلم الذي يقلل مخاوفهن ويخفف همومهن ولا يجعلهن كما هن اليوم بلا سلاح ولا معرفة بازاء المخلوق الصغير الذي تعطيهن اياه العزة الالهية

وا اسفاه كم قد سمعت من الامهات من تقول: اننا لا نغتفر في حياتنا ذنوب اولئك الذين علمونا الصرف والنحو واللغات ولم يعلمونا كيف يجب ان نربي اولادنا وعلى الخصوص الولد الاول

على اننا سنبدأ بتعليمهنّ ذلك في المقالات التالية

طبخ الدجاج المسنة

بعض الدجاج الكبيرة في العمر اذا طبختها ربة البيت لم تؤكل لعصيان لحمها على الاسنان . على ان لتليين هذا اللحم طريقة وهي ان يوضع ماء على النار ويضاف اليه شيء من الملح . ولما يغلي الماء توضع الدجاجة فيه مدة ساعة كاملة . ثم تقلى او تشوى فيكون لحمها كلحم الفراخ ليناً . هذا اذا لم يكن عمرها ١٠ سنوات . فانها حينئذٍ يصح فيها قول الشاعر

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا يلين اذا قومته الحطب

حفظ الليمون

اذا اردت حفظ البرتقال او الليمون وقتاً طويلاً فأتِ بصندوق مسدود سدّاً محكماً وليمون صحيح غير مصاب . ثم احمِ رملاً دقيقاً على النار حتى تزول رطوبته . ومتى برد افرش منه في قعر الصندوق قشرة على سمك ٦ او ٧ سنتيمترات ثم لف الليمون بورق رقيق وضعه على قشرة الرمل دون ان يمس بعضه بعضاً . ومتى انتهى الصف غطه بقشرة اخرى من الرمل المذكور يكون سمكها ٦ او ٧ سنتيمترات واعد صف الليمون طبقة ثانية في الصندوق وهلم جرّا حتى يمتلئ فغطه بقشرة رمل سميكة وسمره ليسد سدّاً محكماً وضعه في مكان رطب . فتحفظ الليمون بهذه الواسطة وقتاً طويلاً

الشعر

يغسل بعض السيدات شعرهن بمح البيض (صفاره) فينظف الشعر ويصبح لامعاً .

وبعضهن تعودن في اوربا ان يقصصن في راس كل شهر عند محاق القمر اطراف شعرهن تفاولاً فيتكاثف شعرهن بهذه الطريقة ويتضاعف حجمه في مدة سنتين او ٣ سنوات

ازالة بقع البيرة

لازالة بقع البيرة عن الثياب طريقة بسيطة وهي ان تفركي البقع بالغليسرين الخالص ثم تغسليها بالماء الحار وتكويها وهي مبللة فتزول البقعة ويعود مكانها الى لونه الاصلي

ازالة رائحة اليودوفورم

خير طريقة لازالة رائحة اليودوفورم الكريهة ان يفرك الاناء او اليد المطلوب تنظيفها بقليل من الماء الممزوج بالتربنتينا ثم بماء الصابون فتزول الرائحة

الازهار في عروة الثوب

يلذ لبعض المتانقين في ملابسهم ان يعلقوا زهرة في عروة ردائهم · وقد تكون الزهرة احياناً من سوء حظهم مما يصعب تعليقها في العروة اذ تسقط كلما خطوا خطوة · والطريقة لتعليقها باطمئنان وامان ان يخيطوا في قفا العروة خيطاً من الكاوتشوك ليسند طرف الزهرة وبذلك يقضون لبانة الظرف والتانق

غسل وجوه السيدات

اي ماء احسن لغسل وجوه السيدات الماء البارد ام الماء الحار · قال الدكتور ديس لا يجب ان تغسل المرأة وجهها بماء بارد مطلقاً لانه يزيل بهاء الوجه ونعومته ولكن يجب غسله بماء فاتر اي حار بعض الحرارة الا اللواتي تكون وجوههن سمينة فكلما كان الماء حاراً كان احسن

النساء السكيرات اولادهن سكيرون

لاحظ علماء الوراثة ان ابناء السكيرين والسكيرات يأتون على الاكثر ضعاف البنية ويغلب فيهم الجمود والبله · ويرى بعض الاطباء ان المرأة السكيرة تنقل الكحول الى طفلها بلبنها لان هذا اللبن يتضمن كريات الكحول · ولكن المسيو نيكلو لم يكتف بذلك بل قدم في الشهر الماضي الى جمعية العلوم في باريز تجارب اثبت فيها ان المرأة التي تشرب المسكرات تنقل المسكر الى جسم طفلها حينما تكون حاملاً به لان الكحول يتمشى بدمها ومنه ينتقل الى دمه قبل ان يُولد وهذا سبب انتقال السكر بالوراثة · فلتحذر الامهات

نساء البوير

كتب مكاتب جريدة الديلي ميل من بريتوريا يقول اننا لما ظننا انه يسهل علينا

التغلب على البوير لم نحسب حساب نسائهم . فان نساء البوير قمن في هذا الصيف مقام الرجال بحصد الحبوب وجمعها فلم ترتفع اثمان الماكولات مع كون الرجال كلهم في ساحة القتال . وفضلاً عن ذلك ايضاً فان نساء البوير اشد النساء جلداً وصبراً على المصائب فقد سمعت احداهن تقول في احدى المعارك حين سقط ولدها قتيلاً بين يديها " هذا هو الولد الرابع الذي فقدته في هذه الحرب فدى للشعب والوطن فليكن اسم الرب مباركاً "

فكم تذكرنا هؤلاء البويريات الباسلات بهذا السلوك اخواتهن العربيات والاسبرطيات . وهل يمكن ان يسمح الله بانسحاق قوم هذه عواطفهم

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابةً لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

الاقتراح على الشعراء

مصر والنيل

اقترحنا على الشعراء في الجزء الرابع والعشرين نظم قصيدة بشان نقص فيضان النيل في هذا العام وعينا للمبرز هذه الجائزة : خمسون نسخة من رواية البرج الهائل . كتاب الحكمة الشرعية لفيلسوف الاسلام الامام الغزالي وهو جزءان . السنة الاولى والثانية من هذه المجلة

وقد وردتنا الى حين كتابة هذه السطور من الادباء سبعة قصائد منها ستة من مصر وواحدة من سوريا بتوقيع " يزيد بن جابر الاسدي من وادي النقا " وعلى الغلاف ختم بوسطة اللاذقية . وبعد فحص هذه القصائد ومطالعتها مع بعض الشعراء اجمعت الاراء على ان القصيدتين التاليتين استحقتا الجائزة وهما من نظم حضرات الشاعرين المجيدين الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي في الازهر بمصر وصديقنا الشيخ امين افندي الحداد . فقسمنا الجائزة بينهما ونشرنا قصيدتيهما بحسب ورودهما في باب " صفحة الشعر " مع الثناء على براعتهما والشكر لهما ولباقي الادباء الذين اجابوا دعوتنا

وهذه قصيدة حضرة الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي

استعطاف النيل

فديتك من جان تجور وتعتب … ونبذل جهداً في رضاك وتغضب
ترى كل شيء انت حبة قلبه … فتحلو لك العتبى ويحلو التجنب
اما بين ايدٍ ضارعات مشفع … وبين دموع سائلات مقرب
عهدناك صباً بالوفاء فما لنا … نرى ماء ذاك العهد قد صار ينضب
قسوت وما عهدي بقلبك صخرة … فجوهرك السيال بالرفق انسب
فرحماك نهر النيل بالانفس التي … اذا لم تداركها برحماك تعطب
ورفقاً ببهيمٍ ضامرات بطونها … لها الجوع عشب والخصاصة مشرب
يبيت حزيناً ربها لمصابها … فيطوى كما تطوى الليالي ويندب
لقد عاش هذا القفر دهراً حظيرة … من الخصب في الوانها تتقلب
بها ما يشاء الطرف من حسن منظر … انيق وما تهوى القلوب وترغب
فما زال سهم للرزايا يصيبها … وسهم الرزايا في الورى لا يخيب
الى ان غدت قفراً فلا غصن ناضر … يلوح بمغناها ولا روض مخصب
وكان البنان الرطب يحسد لينها … فاضحت كصم الصخر او هي اصلب
فمد يداً بيضاء منك تنيلها … من الخير ما ترجو وما تتطلب
وليس لنا الا الدموع وسيلة … اليك فان الشبه بالشبه يجذب
وقد كان في فيض المدامع ناقع … لغلتنا لو كان مثلك يعذب
فقدناك فقدان الرضيع لامه … ولم يبق من يحنو عليه ويحدب
فما كنت الا الروح فارق جسمه … فأنّى له من بعدُ في العيش مأرب
لئن كان قد اقصاك قلة شكرنا … لنعماك والهجران نعم المؤدب
فها يدنا ان لانعود رهينة … وان لا نزال الدهرَ بالشكر ندأب
لعلك خلت الارض يبلغ ريها … دماء باصقاع الجنوب تصبب
اجل غير ان الحر تكبر نفسه … عن الامر فيه ما يهين ويثلب
فمن ذا الذي يرضى الحياة يشوبها … من الجور عيش بالدماء مخضب
اما في قلوب الناس للناس رحمة … وترضعهم ام ويجمعهم أب

مصطفى لطفي المنفلوطي بالازهر بمصر

وهذه قصيدة حضرة الشيخ امين افندي الحدّاد

ايها النيل كم غدوت منيلا ولكم كنت بالحياة كفيلا
ولكم كان من مياهك ما احيى عليلاً اشفى وروّى غليلا
انت روح لمصر تلقي عليها رَغَدًا دائمًا وظلاً ظليلا
كيف اضحى منك النعيم شقاء وتبدى ذاك الكثير قليلا
ألأن دنسوا محياك بالاشلاء ام صار بالدماء غسيلا
قد تمنعت ان تجود عليهم وتأبيت ان تلوح نحولا
ام ترى قد علمت انك امٌّ ارضعوا دون توأميها الدخيلا
فتجانيت ان تجود عليهم ثم فضلت ان تكون ثكولا
انت في مصر غير ان جميع الارض صارت لضفتيك مسيلا
ترقب الخير ان يجود عليها من اياديك بكرة واصيلا
انت ميزانها يسف بك الخير ويعلو فلا اصبت نزولا
ونرى الجزء منك كلاً فما تزداد شبرًا الا رايناه ميلا
عبدتك الاقوام قبلاً ولم تبعث اليها سوى المياه رسولا
وكفى بالمياه منك نذيرًا دون ذكرى جهنم تهويلا
ظن فرعون انه بك صار الله اذ كنت للحياة سبيلا
وهو ظن الذي يرى الله بالحس وما كان غيره مستحيلا
قد عبرت الزمان قرنًا وقرنًا وطويت الانام جيلاً فجيلا
لم تغيرك حادثات الليالي لا ولكن غيرت منا العقولا
كنت خيرًا محضًا على كل حالٍ مازجًا منك باليسير الجزيلا
مستفيضًا مخففًا كل همّ وعسير فصرت همًا ثقيلا
اذ ابى البعض ان تكون لهم نيران شر ولم يكونوا عدولا
حوّلوا منك نعمة الخير للشر الا ساء فعلهم تحويلا
سعدوا من شقا السوى ولقد كنت عميمًا ولم تخص قبيلا
يصبح النيل منهم كل حينٍ ناقصًا زائدًا دقيقًا جليلا
ولكم انقصوه في الساعة الفردة ما يعجز الزمان الطويلا
واذا ما سالتَ واحدهم من اين تدري انتقاصه قال قيلا

ايها النيل لو دريت بمن تسقي ومن فيك صرفوا التاويلا
لشققت الثرى وغرت انتقاماً وسالت السحاب ان لا يسيلا
او تحولت للجنوب لقوم غاسلاً منهم الدم المطلولا
او تبدلت من زلال الى سم كما بدلوا الهدى تبديلا
بكلام ابدوا به الحق زوراً وضلالاً والنيل ما زال نيلا

الشيخ امين الحداد

كلمات زراعية

النيل والزراعة في مصر

ننشر هنا ما ذكره جناب اللورد كرومر في تقريره السنوي عن انخفاض النيل والزراعة في هذا العام لاهمية القول وقائله وهو :

« ان انخفاض الفيضان لا يؤثر في احوال الحكومة المصرية على الاطلاق فان مالية البلاد قائمة الآن على اساس متين تستطيع معه ان تدفع كل شر وضرر الا اذا طرأت حوادث غير منتظرة وظروف غير محتسبة . وذلك امر غير محتمل حدوثه بل هو امر مستحيل . هذا من جهة ومن جهة ثانية فانه لا يخشى من حدوث مجاعة في البلاد واني اعتقد كل الاعتقاد بانه يستبعد كثيراً ان تحوج الحالة الى انشاء اعمال لاعانة الاهالي (كما هي الحالة في الهند) وفي هذا المقام اذكر ان اشغال الخزان الجارية الان في اصوان واسيوط هي مصدر معاش ورزق لعدد عظيم من افقر اهالي الوجه القبلي . ومن جهة ثالثة فان هذه الحالة لم تؤخر نجاح الاعمال والشؤون في الادارة المصرية على اختلاف وجوهها تاخيراً يستحق الذكر وهو ذلك النجاح المستمر الذي كان رائد هذه الادارة وحليفها في السنوات الاخيرة فان النفقات لم يخفض منها شيء ولا اهمل اصلاح من الاصلاحات الصغيرة الجارية وغاية ما حدث انه ارجئ الى زمن قصير اعمال يمكن اجراؤها في اوقات ثانية نظير تخفيف ضرائب او اجراء اصلاحات جديدة تتطلب نفقات اضافية

وعلى ذلك فانه يمكن النظر الى العواقب التي قد تنجم عن نقص الفيضان نظراً يتخلله الرجاء والامل دون تفاؤل بالخير العظيم . اذ لا ريب في انه سيمضي نحو خمسة اشهر تكون الحالة فيها حرجة جداً قبل ان يبدأ الفيضان في شهر يوليو القادم ولا ريب انه في خلال

هذه المدة تكون الحاجة الى المياه شديدة عظيمة و يصيب الضرر موسم القطن على الخصوص ولو ان ارتفاع اسعاره سيعوض ما ينقص من كمية المحصول على نوع ما. ولا يمكن في الوقت الحاضر تقدير المساحة التي تزرع قطناً لان احوال هذه السنة لم يسبق لها نظير وخبرة السنين السابقة لا يمكن الاستدلال بها استدلالاً اكيداً على منسوب الانخفاض الذي يصل اليه النيل في شهري مايو و يونيو. وغاية ما يقال في هذا الصدد انه يمكن الاعتماد اعتماداً تاماً على كفاءة عمال نظارة الاشغال وحسن درايتهم وتدبيرهم فهم دون ريب سيستخدمون كمية المياه التي توجد لديهم في انفع الوجوه والطرق المخصصة لها »

انتهى كلام اللورد عن النيل .

ولكن حضرة اللورد كرومر استند في تقريره هذا الى مذكرة للسير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال لخصناها في عدد مضى وفيها يظهر الخوف على زراعة القطن من انخفاض النيل . وقد سافر السير وليم جارستن الى اعالي النيل لافتقاد حاله وارسل في ٢٧ الماضي مذكرة تظهر ان اكثر خوفه قد زال . فقد قال فيها ان الامطار اخذت تهطل بغزارة في اعالي النيل والزوابع تهب هبوباً شديداً فهي على الغالب مقدمة للامطار المنتظمة التي على ما يظهر ستبتدئ باكراً جداً وتكون سبباً لتعجيل الفيضان القادم ان شاء الله . وقال ايضاً انه منذ ازبل ١٤ سداً من اعالي النيل جرت المياه التي كانت محتقنة هنالك وارتفعت المياه بسبب ذلك ارتفاعاً يؤمل ان يدوم الى ميعاد الفيضان . وقال في موضع آخر من هذا التقرير انه متأكد تقريباً ان الامطار تؤدي في وقت قريب جداً الى ارتفاع النيل الاعلى واذا لم تحدث امطار في هذه السنة وهو امر ليس عليه دليل ظاهر فانه لا يخشى ان يحدث هبوط فوق الهبوط السابق في مناسيب النيل الابيض

ومن ذلك يستفاد انفراج ازمة المياه بعض الانفراج . و يزداد التحسن اذا صح خبر ورد في الاسبوع الاخير من مدير سنار في اعالي النيل وفحواه ان المياه ارتفعت عنده ٤٠ سنتيمتراً دفعة واحدة . فهذه اذاً بداية الفيضان . حقق الله الآمال

حفظ البيض

قال جناب اللورد كرومر في تقريره السنوي الاخير عن مصر والسودان ان تجارة البيض آخذة في الانتشار في مصر وانها ستكون مورداً جديداً للاهالي . وقد رأينا في احدى الجرائد الزراعية ان تجارة فرنسا من هذا الصنف قد بلغت ملياراً و٦٠٠ الف مليون بيضة تردها في كل عام من الخارج . واوسع البلاد تجارة بالبيض بلاد الدانمرك

ومرجع الفضل في ذلك لجمعيات خصوصية متألفة فيها لتنشيط هذه التجارة · وقد توصل العلم الآن الى حفظ البيض من الفساد شهورًا طويلة · من ذلك تجربة جربتها احدى الجمعيات الالمانية فانها اخذت كميات من البيض الطرىء وحفظتها بالطرق المختلفة المعروفة كل مائة بيضة بطريقة فاسفرت التجربة عن النتيجة التالية

١٠٠ بيضة	مغمورة بالماء الملح	فسد منها في ٨ شهور	١٠٠
« «	ملفوفة بالورق	« « « «	٨٠
« «	مغموسة بالحامض الساليليك والغليسرين	« «	٨٠
« «	مفروكة بالملح	« «	٧٠
« «	مغمورة بالنخالة	« «	٧٠
« «	مغمورة بالبرافين	« «	٧٠
« «	غُطست ١٢ او ١٥ ثانية في ماء غالٍ	« «	٥٠
« «	غطست في محلول الون	« «	٥٠
« «	غطست في محلول الحامض سليسريك	« «	٥٠
« «	مدهونة بسيليسات البوتاسا	« «	٤٠
« «	مدهونة بالكلوديون	« «	٤٠
« «	مغمورة بنشارة الخشب	« «	٢٠
« «	مدهونة بالصمغ	« «	٤٠
« «	مدهونة بالاسيد بوريك وسلفات البوتاسا	« «	٢٠
« «	مدهونة برمنغنات البوتاسا	« «	٢٠
«	مغمورة بالازلفلين	«	٠٠
«	مغمورة بماء الكلس	«	٠٠
«	مغمورة بمحلول سلفات البوتاسا	«	٠٠

فتكون احسن الطرق لحفظ البيض الطرق الثلاث الاخيرة واسهلها طريقة غمره بماء الكلس وهي ان يُذاب الكلس بالماء على نسبة غرام و٣ اجزاء الغرام في كل ليتر ماء ويغمر البيض به فيبقى البيض محفوظًا من الفساد

حياة اوراق الاشجار وموتها

بحث العالم رامان في حياة اوراق الشجر فثبت له ان المواد المعدنية التي تنحل في

جسم الاوراق تكون على اشدها في شهر يونيو وتبقى نسبتها معتدلة الى الخريف ولا سيما فيما يختص بالبوتاس والازوت. وفي الخريف يزداد الحامض الفصفوريك فيها زيادة خفيفة ثم ياخذ بالنكوص والرجوع من الاوراق الى جذع الشجرة هو ومواد الازوت وذلك بسرعة شديدة فتصفر الاوراق وتاخذ تتساقط شيئاً فشيئاً. وعلى ذلك تكون الاوراق اذا قُطفت وُجعلت طعاماً للمواشي كانت لوجود الازوت بكثرة فيها اكثر غذاء من الاوراق التي تُجمع من تحت الشجرة بعد تساقطها من تلقاء نفسها

مرض جديد للشمام

اشارت جريدة الزراعة الالمانية الى مرض جديد ظهر في الشمام في شمالي اوربا. وهو حدوث بقع رمادية في ورقه مساحة البقعة الواحدة سنتيمتران الى ٥ سنيمترات وتولد الحيوانات الفطرية عليها بعد ذلك ثم اهتراؤها. وقد انتقل هذا المرض من اميركا ووصفوا لمداواته غسل الاوراق اول ظهور المرض فيها غسلاً خفيفاً بمحلول خفيف من سلفات النحاس على نسبة ٨ او ١٠ غرامات في ليتر الماء

زراعة الاثمار في المانيا

ساءت حال زراعة الاثمار في المانيا لان الزراع اصبحوا لا يربحون ارباحاً توازي اتعابهم فاخذوا يعدلون عن هذه الزراعة. ثم خطر لهم ان يؤلفوا جمعيات لبيع محصولاتهم « بالمفرق » بدل بيعها بالجملة فلم ينجحوا ايضاً. وبما ان سبب بوار زراعتهم انخفاض الاسعار وسبب انخفاض الاسعار مزاحمة الاثمار الاجنبية قاموا يطلبون بالحاح وضع رسوم باهظة على الاثمار الاجنبية

جرثومة الحياة في النبات

امتحن السير وليم دير صبر النبات على البرد كالشعير والقمح والقثاء وما اشبه فوجد ان البزرة تحتمل البرودة الى ٢٥ درجة ثم تنمو حين وجود معدات النمو. وقد ثبت من ذلك ان الثلج مهما اشتد على البزرة لا يضر بها قبل انشقاقها وخروج الجنين منها ولكن اقل برد بعد ذلك يؤثر فيها

السم والنباتات

اذا كنت مع اولادك في بستان او برية فلا تسمح لهم ان يقطفوا نباتات برية مجهولة ويأكلوا منها اذ يحتمل ان يكون بعض هذه النباتات ساماً

باب الاخبار العلمية

❋ جسر على البوسفور ❋ يضع الالمانيون الآن خطة جسر عظيم ينوون اقامته على البوسفور ومد خط حديدي عليه لوصل سكة حديد بغداد بسكة حديد برلين حتى ان المسافر من برلين يبقى مسافرًا راسًا الى بغداد . وسينار هذا الجسر بالنور الكهربائي ويبنى شاهقًا جدًا بحيث تستطيع اضخم السفن ان تمر تحته . وتقول الجرائد العلمية ان انشاء هذا الجسر سيكون من اعظم الاعمال التي يفتتح بها القرن العشرون

❋ رحلة ثانية لنسون ❋ صرح الرحالة ننسون الشهير لاحد مراسلي الجرائد في برلين انه ينوي السفر في هذا العام الى الاوقيانوس المتجمد الشمالي للسياحة فيه

❋ معدن جديد ❋ اكتشف المستر ديكران معدنًا جديدًا سماه " الاكتينيوم "

❋ اجف البلاد هواء ❋ هي بلدة باتيا في البيرو . مرّ عليها ٨ سنوات ولم ينزل فيها مطر الا في هذا العام فقد هطلت الامطار فيها ٢٦ ساعة متوالية

❋ زيت البترول ❋ وصلت الى كلكتا في الهند الباخرة سيريان مشحونة بالبترول من ينابيع بيرمانيا وهي الباخرة الاولى التي نقلت من هذا البترول الجديد الى الهند وستوالي عمليا هذا . مما يحدث قلقًا في منابع البترول في اميركا وروسيا

❋ المسكرات في روسيا ❋ في روسيا عادة جرت عليها في بعض بلادها وهي ان تبيع الحكومة المسكرات بنفسها لئلا يغشها التجار فيلحق ذلك ضررًا بالشاربين . وقد قررت اخيرًا تعميم هذا الامر اي ان تحتكر الدولة المسكرات وتبيعها في جميع بلادها . وربما كان هذا الامر اخف على الصحة العمومية من اطلاق الحرية في بيع المسكرات

❊ التلغراف بلا سلك ❊ استطاع ماركوني في انكلترا ان يخابر بالتلغراف بلا سلك على مسافة ٥٠ كيلومترًا واستطاع القائمقام تيسو في فرنسا ان يخابر به على مسافة ٤٦ كيلو مترًا

❊ مركبات باريز في ايام المعرض ❊ يبلغ عدد المركبات في باريز ١٣ الف مركبة ولكنها زيدت الآن لكثرة الزحام في المعرض ٤ الاف مركبة فاصبح عددها ١٧ الفًا

❊ مدافع بلا دخان ولا نار ولا صوت ❊ يوجد في مدينة البندقية مدفع مصنوع من الجلد في سنة ١٨٤٩ . وقد صنع مهندس اميركي في هذا العام مدافع على هذه الطريقة وجربها فاستطاع واحد منها ان يقذف ثلاث كرات وهو محشو بارودًا حشوًا تامًا

واغرب من مدافع الجلد مدافع تدنع من الورق المضغوط . والظاهر انه سيشيع في المستقبل صنع المدافع على هذه الطريقة لانها تكون خفيفة الحمل سهلة الاستعمال ولا سيما في الجبال التي لا تصل اليها المدافع الثقيلة

ولكن اغرب من هذا كله مدفع جديد صنعه الكولونل همبرت الايطالي . وهو مدفع اذا اطلقته لم تسمع له صوتًا ولم ترَ له لهيبًا ولا دخانًا ولذلك لا يستطيع العدو معرفة مركزك فتبقى انت مخبوءًا في مكانك تصب منه عليه كراتك المهلكة دون ان يهتدي اليك . والسر في هذا المدفع الجديد ان لفوهته غطاء قويًا فاذا انطلقت القنبلة انطبق الغطاء في الحال على الفوهة ومنع الهواء بذلك من الخروج او الدخول لاخراج دوي الانطلاق ومنع كذلك ظهور النار . وعليه فان الحروب المستقبلة ربما اصبحت هادئة صامتة لا يُسمع فيها صوت البارود ولعلعة المدافع

❊ افعى في المعدة ❊ من اغرب الامور ان ابنة من هركيمار في اميركا جاءت الى مستشفى اوتيكا في نيويورك تشكو المًا شديدًا في معدتها . ففحصها الاطباء فوجدوا في معدتها افعى طولها قدمان او ٣ اقدام وثخانتها كثخانة مقبض المكنسة . فعزموا الآن على شق المعدة لاخراجها وهم اذا دسوها من الخارج يشعرون بحركتها . ويقولون انها دخلت الى المعدة صغيرة جدًا مع الماء ثم نمت فيها فليحذر الشاربون حين شرب الماء

❊ مسير رصاصة في ٥٠ سنة ❊ اصيب نمساوي في حرب سنة ١٨٤٨ برصاصة في

في فخذه ثم التأم الجرح دون اخراج الرصاصة. وفي الشهر الماضي احس بالم في قدمه وبعد النظر فيها باشعة رنتجن نظرت الرصاصة فشق الجلد لاخراجها . فتكون الرصاصة انتقلت في ٥٠ سنة من فخذه الى قدمه

﴿ العماد بالبيرة ﴾ عمد رجل ابنه بالبيرة بدل الماء وقصده ان يكره المسكرات اليه منذ الصغر وهو يقول ان هذه الطريقة نجحت في احد الاولاد

﴿ نسج الرتيلاء الحرير ﴾ يوجد ٤٠٠ نوع من الرتيلاء واهمها كلها رتيلاء في مدغسكر تنسج خيوطاً قريبة من خيوط الحرير بلمعانها وقد نسجوا منها نسيجاً وعرضوه في معرض باريز فاشبه نسيج الحرير الحقيقي

﴿ اختراعات الانكليز في الحرب ﴾ جرب الانكليز في هذه الحرب اختراعات جديدة فنجحت معهم . منها اختراع سكة تحفر استحكامات في الارض بسرعة غريبة ليختبيء فيها الجنود من رصاص العدو . وهي تحفر حفرة عمقها متر و٢٠ سنتيمترًا ومساحتها ٣ كيلومترات و٥٠٠ متر في ساعة واحدة

﴿ نبت القمح في جسم الانسان ﴾ شكا احد العملة في رومه من موضع في جسمه فشق احد الاطباء هذا الموضع فوجد فيه حبة قمح نابتة اي مبرزة جذورها على الشرايين. فاستغرب الاطباء هذه الحادثة وعجبوا من دخول حبة القمح الى دمه

﴿ التلامذة والاقلام الرصاص ﴾ اصدر مامور الصحة في سان باولو (ميناسوتا) امرًا بمنع التلامذة من ان يعيروا بعضهم بعضاً الاقلام الرصاص التي يستعملونها للكتابة لانه اذا كان احدهم مصاباً بالدفثيريا او باي مرض كان واعار قلمه الى رفيقه اتصل مرضه به حين بله القلم بلعابه للكتابة به . فيجب على معلمين المدارس وعلى الامهات ان لا يدعوا التلامذة يعيرون او يستعيرون اقلاماً رصاصية

﴿ القرود تتكلم ﴾ ربى المستر جون هو بكنس احد اعضاء الجمعية الطبية في بلتيمور قرداً اسماه « هاني » وقد علمه ان يلفظ هذه الكلمات « ماما . نعم لا . كيف حالك . » وغيرها وعلمه ان يلبس ملابسه بنفسه ويأكل على المائدة من صحنه بالسكين والشوكة بادب واحتشام

المسيو هانوتو والاسلام

لكاتب فاضل ونستلفت الى هذه المقالة انظار جميع القراء

كتب المسيو غابريل هانوتو وزير الخارجية في فرنسا سابقاً مقالتين في جريدة « الجوونال » الفرنسوية عنوانها « الاسلام » بحث فيها بحثاً فلسفياً سياسياً عن علائق فرنسا بالمسلمين في مستعمراتها . وقد عثرت جريدة المؤيد الغراء على كلام المسيو هانوتو فترجمته ونشرته فكان له تاثير شديد في النفوس

وقبل الدخول في هذا الموضوع نلاحظ اولاً ان اسم « غبريال » كان سيء البخت مع الشرق والشرقيين . فان المرحوم غبريال شارم الكاتب الفرنسوي الشهير زار منذ عدة سنوات مصر والشام وكتب بما شاهده فيهما كتابين جاء فيهما عن بعض العادات المصرية والسورية ما اسخط بعض الشرقيين فقام اديب بك اسحق بحدته المعروفة رحمه الله بصنعه بعبارات لا يزال الناس يحفظونها الى الآن منها : غبريال شارم او شارم غبريال كن كيفما شئت وكيفما قلبك الهواء انت ضيف قليل الحياء . كذا قال او مثله

اما « غبريال » هانوتو فقد كان مناظروه اكثر اعتدالاً معه ولكن ذلك لم يمنعهم من اعطائه بلا عدّ ولا حساب القاب الجهل والغباوة والادعاء وغير ذلك . ولكن هذا حساب بين هانوتو ومناظريه فلا ندخل فيه ولا نبحث فيما دعا اليه وانما خطرت لنا ملاحظة فرأينا من الفائدة ان نذكرها للمنصفين

الفرق بين المرحوم غبريال شارم والمسيو غبريال هانوتو ان الاول قال ما استحق عليه اللوم والثاني لم يقل ما ليم عليه . وقد نبهت الى ذلك جريدة الاهرام العربية والاهرام الفرنسوية . فانها اظهرتا ان مترجم المقالة قد اخطأ فهم بعض العبارات الاصلية لدقة اسلوبها . مثال ذلك ان الكاتب كان يستفهم استفهاماً انكارياً فحسب المترجم هذا الاستفهام ايجابياً . وربما لم يحسب المترجم ذلك ولكن كل قارىء بسيط تلا تلك العبارات اعتقدها من قول الكاتب نفسه وهذا هو سبب التاثير السيء العظيم الذي احدثته هذه المقالة . على اننا نقول في هذا المقام ان المسيو هانوتو لو اراد باستفهامه عند التعقيب على كلام المسيو كيمون الموافقة على قوله لما قابل كلامه كل العقلاء من مسلمين ومسيحيين الا بالاشمئزاز لان التساهل واحترام الدين من اعظم الفضائل الدينية . ولكن المسكين هانوتو لم يقل ما عُزي اليه . وكل مقالته تدل على اعتداله

ولقد طالعنا مقالته باللغة الفرنسوية فلم نأتِ على آخرها حتى خطرت لنا ملاحظتان.
الاولى ان هانوتو سيء البخت. فان الفرنسويين يسمونه هانوتو باشا وقد راينا في وقائع جلسات البرلمان غير مرة ان النواب كانوا يلقبونه كذلك في وجهه لما كان وزيرًا وغرضهم من ذلك الدلالة على تساهله مع الدولة العثمانية في سياسة فرنسا الخارجية. وقد طعنوا عليه لهذا السبب مطاعن مؤلمة. هذا من جهة. ومن جهة اخرى فان بعض العثمانيين ينسبون اليه الآن التطرف وقصد معاداتهم. فاي القولين اصدق في المسيو هانوتو

نحن نرى ونعتقد ان كلا هذين الفريقين مخطئان في حكمهم على المسيو هانوتو. فان هذا الرجل من كبار ساسة فرنسا ولا يحرك قلمه سواء كان وزيرًا او غير وزير الا لما يكون فيه نفع لبلاده. فلما كان وزيرًا جرى على سياسة مسالمة دولتنا العلية وهي السياسة المثلى التي تنطبق على مصلحتي فرنسا والدولة معًا. فغرضه من سياسته اذًا كان نفع دولته. ولما ترك الوزارة وانقطع الى التاليف والكتابة خطر له خاطر ادبي سياسي بشان الاسلام فقام يبديه لابناء وطنه. وغرضه ايضًا نفع دولته

اما هذا الخاطر فهو تنبيه الحكومة الفرنسوية الى ان فرنسا بعد انكلترا هي الدولة الاوربية الاسلامية الاولى. ولما كان من واجبات الدول المتمدنة تمدنًا حقيقيًا افادة رعاياها وهضم مستعمراتها بشد روابط الاتحاد بينها وبينهنّ وازالة كلما يحول دون ذلك فانه يقترح على الحكومة ان تنشئ كتبًا تُدرس فيها اخلاق وعادات رعيتها المسلمين حتى يدرسها رعيتها الفرنسويون في المستعمرات ازالة لسوء التفاهم الذي طال بين الفريقين وحملاً لها على المعيشة معًا باتحاد وسلام

ومن الغريب ان المسيو هانوتو ما اظهر هذا الخاطر حتى قام فريقان من الناس يرجمانه بحجارة ضخمة. الفريق الاول فرنسوي وقد اتهم هذا الفريق المسيو هانوتو بالاستمرار على سياسة الانحياز للمسلمين تزلفًا للحكومة العثمانية كما كان يصنع لما كان وزيرًا والفريق الثاني شرقي وقد اتهم هذا الفريق المسيو هانوتو بانه يدس السم في الدسم لاعتباره ان اقتراحه آلة للاضرار بالمستعمرات الفرنسوية الاسلامية

والحقيقة التي تبدو لكل منصف يتجرد عن الوهم والتشيع ان مقالتي المسيو هانوتو هما عمل من اعظم الاعمال الادبية والفلسفية والسياسية التي عُملت في القرن التاسع عشر

انظروا كيف كان سلوك اوربا في العالم الى هذا العهد. اوربا بلاد مسيحية كما

تعلمون · واعظم الوصايا التي جاءت في ديانتها قول معلمها العظيم " احبوا بعضكم بعضاً "ولكن اوربا لم تسمع هذا النداء في اكثر الاحيان · فانها في الاعصر الوسطى اثارت الحروب الصليبيــة على الشرق ففتحت بها وادياً عميقاً بين الاسلامية والمسيحية وقتلت في الشرق وخربت وهدمت ما شاء التعصب والجهل · اوربا اكتشفت اميركا في القرن الخامس عشر وعدد سكانهـا نحو مائة وخمسين مليون نفس من الهنود الاميركيين اصحاب الجلود الحمراء فافنتهم قتلا واضطهاداً وسكرًا حتى لم يبقَ منهم الآن سوى بضع عشرات الوف في داخلية البلاد · اوربا احتلت الهند مهد الفلسفة والحكمة فاهانتها ودنستها بالدماء · قطعت اجزاء من الصين ام كونفوشيوش واهانت تعاليمه · اقامت في وادي النيل مصدر العلوم والفلسفة تضغط عليه · قيدت تونس اخت قرطنجه العظمى بقيود احتلال دائم · نشرت الرعب والهول في افريقيا بالسيف والنار · اباحت تجارة الافيون التي تقتل الآن الجنس الاصفر وحاربت الصين لما ارادت مقاومة هذه التجارة القاتلة · وهي الآن مندفعة من كل جانب على الشرق تتسلط حيثما يمكنها التسلط وتضغط حيثما يمكنها الضغط

في وسط هذه الفوضى الاستعمارية الهائلة التي كانت مدار السياسة الاوربية الى اليوم وقف المسيو هانوتو بين صفحات جريدة الجورنال على ابواب القرن العشرين وصاح بالامم الاوربية لا بفرنسا وحدها قائلا : اعدلوا اذا اردتم ان تكون سلطتكم دائمة · غيروا السياسة السيئة التي اتبعتموها الى الان مع الامم الاسلامية · صالحوا التمدن الاسلامي والتمدن المسيحي ليتعاونا معاً بدل ان يتقاطعا ويتدابرا · ليدرس كل من الفريقين اخلاق الآخر وعاداته حتى يزول سوء التفاهم من بينهما

هذا هو العمل الادبي الفلسفي السياسي العظيم الذي عمله المسيو هانوتو ولم يفهمـه الشرقيون فانقلبوا عليه بالذم بدل المدح الذي يستحقه على اعتداله وحسن رأيه · نعم انه لا يبعد ان يكون قد اخطأ في امور تكلم بها عن الاسلام لجهله به كما انه كان يمكن ان يخطئ في نفس ديانته المسيحية لو تكلم عنها ولكن خطأه بازاء قصده الحميد لا يستوجب كل هذا النكير الذي شدد عليه

وقد يستغرب البعض دفاعنا عن هانوتو · كلا لا ندافع عنه اذ لا ناقة لنا بذلك ولا جمل ولكننا ندافع هنا عن الشرقيين انفسهم

واذا قيل كيف الدفاع عن هانوتو يصح ان يكون دفاعاً عن الشرقيين نقول ان الغربيين فريقان عقلاء وجهلاء شان كل امة من الامم · فالعقلاء هم الفلاسفة والعلماء

الحقيقيون الذين يتجردون عن الاطماع والاوهام البشرية ويطلبون الحقيقة لذاتها حيثما وُجدت . هم مثل رنان الذي قال للمرحوم جمال الدين الافغاني « انني احترم الدين الاسلامي كما احترم الدين المسيحي » ومثل جول سيمون الذي يقول « كل من لا يحترم دين الغير فانه يهين دينه » ومثل المسيو هانوتو الذي يقول في مقالتيه يجب ان تصالح فرنسا بين التمدن المسيحي والتمدن الاسلامي في افريقيا

هؤلاء هم العقلاء الذين ينزلون الى لباب الامور غير مكتفين بالوقوف عند قشرتها . فليت شعري اذا كان الشرقيون يقابلون امثال هولاء العقلاء المعتدلين بما قوبل به المسيو هانوتو من الذم والطعن فماذا يتركون للجهلاء امثال كيمون ومن اشبهه ممن كل الاديان عندهم على حد سواء

فالدفاع اذاً عن هانوتو دفاع عن كرامة الشرقيين انفسهم لاننا نكره ان يقال فينا اننا لا نعرف جميلا ونساوي في طعننا وذمنا بين المعتدلين العقلاء الذين يمدحوننا ويحترموننا وبين الجهلاء المتطرفين الذين يذموننا ولا يحترموننا وليس هذا من حسن السياسة والحكمة في شيء كما لا يخفى

هذه هي الملاحظة التي اردنا الاشارة اليها . واذا قيل ان كلام المسيو هانوتو مع اعتداله قد جاء فيه ما لا يرضينا قلنا يجب على العقلاء ان يغتفروا هفوات العقلاء وان لا يفتحوا ابواب المجادلات الدينية التي تضر بالشرق ضررًا بليغًا

وبعد فانا نقول بكل حرية ان كثيرًا مما قيل في هذه المناظرة قد جرح عواطف العقلاء من الفريقين . ولم يجرحها لما بدا فيها من الافكار والاراء . كلا فان حرية البحث والراي واجبة ولكل انسان فكره ورايه وعلى كل انسان عاقل ان يحترمها . وانما جرحها لانه دلّ على عدم رضى فريق من الشرقيين بالاتحاد والاتفاق مع مواطنيهم او مع الذين تقضي الاقدار بوقوعهم تحت حكمهم حتى ولو انصفوهم كما طلب المسيو هانوتو وهذا مما يجهز على الشرق اذا كان العقلاء لا يتلافونه ويكمل الخراب

باب الاسئلة والاجوبة

❊ اربعة اسئلة ❊

(دمنهور) اسكندر افندي جاماتي

(١) ما الطريقة لاهلاك المادة التي يسميها العامة « منّ » والتي توجد على الاشجار ويتهافت النمل عليها

(٢) وجدت في لبنان على ارتفاع الف ومائة متر عن سطح البحر صدفاً وابواقاً محجرة فكيف اتصلت هذه المواد البحرية الى ذلك العلو الشاهق

(٣ نعلم ان الارض تسير في الهواء فهذا يقتضي ان لا تكون مهاب الريح عليها مختلفة بل تكون متساوية دائماً فما سبب ذلك الاختلاف

(٤) من هو الرجل الاول الذي انتحر وما سبب الانتحار وما دواؤه

❊ الجامعة ❊ اما سؤالكم الاول فترون الجواب عنه في نبذة نشرناها في باب الزراعة في الجزء الماضي وعنوانها « تنقية الاشجار »

اما وجود اصداف البحر متحجرة في بعض رؤوس جبال لبنان فينبغي ان يكون سببه واحداً من اثنين اما ان تلك الاصداف قد نقلت نقلاً الى هناك في القرون الماضية واما ان تلك الجبال كانت مغمورة في الماضي بالبحار وانحسرت المياه عنها . والثاني هو الارجح لدى العلماء اذ يقولون ان لبنان كان مغموراً بالمياه في الزمن القديم

واما سؤالكم الثالث فجوابه ان سير الارض في الفضاء لا علاقة له بهبوب الارياح وتجدون سبب هذا الهبوب في الزيت اذا صببتموه في كاس ماء . فان الزيت لا بد ان يطفو على وجه الماء لان ثقله النوعي اخف منه وكذلك هبوب الارياح . فان حرارة الشمس اذا لطفت الهواء في مكان وابقت هواء مكان آخر كثيفاً تحرك الخفيف للصعود فوق الكثيف فيحدث ما نسميه هبوباً ويكون هذا الهبوب شديداً او خفيفاً بحسب شدة لطافة الهواء او كثافته

اما سؤالكم عن الرجل الاول الذي انتحر فهذا امر مجهول . والانتحار على الارجح مرض يطرأ على الدماغ . هكذا اثبت الفسيولوجيون . فانهم شرحوا ادمغة بعض المنتحرين

فوجدوا ما يدل على حدوث مرض فيها ساعة الانتحار · واذا لم يكن الانتحار مرضاً فهو جبن شائن لان معناه ضعف قوى الانسان وفراره من واجباته في هذه الحياة · اما دواؤه فمعرفة الواجب واحتماله ثقيلاً كان او خفيفاً والثقة بالله والاعتماد على النفس في الجد والعمل لتمهيد مصاعب الحياة

﴿ تهنئة وملاحظة وسؤال ﴾

(طرابلس الشام) غره منصور

اهنىء الجامعة بما حازته من اقبال الناس عليها ونهنىء انفسنا لحصولنا على مجلة مثلها تنشر المباحث المبتكرة ولا سيما في مسائل التربية والتعليم · ولكن لي ملاحظة اجترىء على ابدائها وهي انها تركت عادتها القديمة من الدعوة الى تربية النساء فنرجو منها ان تفسح مجالاً لهذا الامر المهم · ولي مع هذه الملاحظة سؤال · وهو انني عثرت في مقالة التربية والتعليم في الجزء الماضي صفحة ٢٥ على هذه العبارة " لا نرجونّ في هذا الزمان فائدة من التربية البيتية قبل اصلاحها من اساسها " فوقفت عندها اقول ما هو اساس التربية البيتية

﴿ الجامعة ﴾ اما التهنئة فنقبلها مع الشكر ولم نثبت منها الا سطرين مع انها في كتاب حضرة القارئة ١٤ سطراً · وكذلك نقبل الملاحظة بالشكر وانما نحن قد فتحنا باب " شؤون نسائية وبيتية " خاصة للكلام في ما يعود بالخير على الجنس اللطيف وقد بدأنا بذلك من هذا العدد

واما سؤال السائلة " ما هو اساس التربية البيتية " فالجواب عليه ظاهر من سياق الكلام ونقول الآن ان ذلك الاساس هو " المرأة " فان النساء لا يعرفن اليوم كيف يجب ان يربين اولادهن ولذلك لا ننتظر الفائدة منهن قبل تعليمهن ذلك · وانما ننتظر الفائدة من المدارس وان كانت غير عالمة كل العلم بواجباتها وذلك لانها على الاقل اكثر معرفة بالتربية من الامهات عندنا

ولا ننكر ان هذه الحالة لا تستحق ان نُحسد عليها لانه من العار على الامم ان تكون تربيتها المدرسية ارقى من تربيتها العائلية اذ ذلك من اعظم دلائل الضعف والتأخر · ولكن الحالة كذلك عندنا من سوء حظنا

باب التقريظ والانتقاد

(* المنطق الانتقادي العملي *) اهدى الينا حضرة الاب الجليل الفاضل الخوري خير الله اسطفان الوكيل البطريركي الماروني في القدس الشريف كتاب «المنطق الانتقادي العملي» وهو الجزء الثاني من كتابه «لباب المباحث الجدلية في المطالب الفلسفية» . وقد رفعه هدية اكرام واحترام لغبطة العلامة الحبر المفضال البطريرك الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق للطائفة المارونية . والكتاب متين الحجة بليغ العبارة يدل على سعة علم مؤلفه وطول باعه فنشكر لحضرته هديته ونرجو ان ينتفع الشرق بعلمه وفضله

(* تقويم المؤيد *) اصدرت ادارة جريدة المؤيد الغراء تقويمها السنوي الذي اعتادت اصداره سنوياً على نحو ما تفعله المكاتب الكبرى في البلاد الاوربية . وهذا التقرير تام الترتيب والتبويب جزيل الفوائد يشهد لحضرة مؤلفه الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد بطول الباع وحسن الذوق . وهو يشتمل على فصول في الفلك وفي الجوغرافيا والتاريخ والسياسة والزراعة وتدبير المنزل والاحصاء وفوائد من كل نوع في غاية الطلاوة . فنثني على حضرة مؤلفه الذي نحسب تقويمه اول تقويم مفيد ظهر في اللغة العربية على اسلوب مفيد افادة حقيقية . وهو يطلب من ادارة جريدة المؤيد او من وكلائها في الجهات وثمنه ٤ غروش صاغ فقط

(* جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس *) وصلتنا خلاصة تتضمن ميزانية هذه الجمعية المتالفة في اسكلة طرابلس الشام من بعض ادبائها النشيطين برئاسة قدس الاب الفاضل الخوري ابرهيم اللاذقي . وقد تصفحناها بسرور فرأينا فيها ما اعتدنا رؤيته في هذه الجمعية النشيطة من آثار الغيرة والاجتهاد في سبيل الاحسان . وقد بلغ دخلها في سنة ١٨٩٩ الماضية ١٤٣٧٠ غرشاً ونفقاتها على تجهيز الموتى ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء وغير ذلك ٥٢٩١ غرشاً فنشكر لحضرات رئيسها واعضائها سعيهم في خدمة ابناء وطنهم ونهنئهم بثباتهم واتحادهم

(* الانسانية *) هي جريدة اسبوعية ادبية اخبارية فكاهية لمحررها حضرة الاديب " سيدهم " وقد تصفحنا العدد الاول منها فرايناه جامعاً لشتات الحوادث والاخبار فندعو لها بالثبات والانتشار

(* العصر الجديد *) العصر الجديد جريدة اسبوعية تصويرية سياسية لمحررها حضرة الاديب اسكندر افندي شلهوب صاحب جريدة السلطنة . وهي تبحث على الاخص في الامور الشرقية فنسال لحضرة مديرها النجاح وندعو لجريدته بما تستحقه من الانتشار

(* الهوانم *) جريدة انتقادية تصدر مرة في الاسبوع وبدل اشتراكها ٣٠ غرشاً صاغاً في السنة . وهي تنشر ابحاثاً انتقادية لطيفة كانت مما تلذ مطالعته كثيراً لو لم تتطرف في المجون احياناً تطرفاً غير محمود . فنحن ندعو لها ولسائر الجرائد الهزلية المصرية التي لها سلطة ونفوذ لدى عامة الناس هنا بكل اعتدال . ولا نسأل لها النجاح فانها ناجحة طبعاً

(* جمعية خيريه في وسترماس *) اهدت الينا الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في وسترماس نسخة من قانونها مصدرة بهذه العبارة " حب قريبك كنفسك " . وقد تالفت هذه الجمعية حديثاً وانشات في وسترماس كنيسة بهمة حضرات رئيسها واعضائها فنثني على اتحادهم وسعيهم الحميد في سبيل طائفتهم

قال لاروشفوكول : من علامات عظمة الانسان ان يمدحه الذين يحسدونه

قال فرنسيسك سارسي : العمل يُنسي الانسان ما عمله من السيئات ويمنعه من ان يعمل سواها

قال فولتير: من اراد الوصول الى الحقيقة وجب عليه ان لا يكون منحازاً لوطن من الاوطان

جاء في احد الامثال الايطالية « للمرأة اربعة اسلحة : اللسان . والاظافر . والدموع والاغماء »

عادات واخلاق

ننشر في هذا الباب نتفاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحاً اليه منهم زدنا توسعاً فيه

فيكتور رجل بسيط القلب ضعيف النفس · يمر على قصر شاهق وسط حديقة واسعة فيقف يتامل في القصر والحديقة · ويبدأ يقول · ما اكثف هذا الظل الظليل والطف هذا النسيم البليل · يخيل لي ان السعادة تنبت بين هذه الاشجار · هنيئاً لصاحبها ما اسعده واهنأ عيشه · جاه · وثروة ونعيم مقيم · لا كهولاء المساكين الذين ينامون هنا على بلاط الاسواق · ثم التفت الى بعض الفقراء المجتمعين حول جدار الحديقة واقترب منهم فابصر اباً وابنه يأكلان ويضحكان · فعجب من ان حالتهم لا تثير فيهم الافكار التي ثارت فيه · ثم التفت فابصر من الشباك الحديدي صاحب البيت جالساً في صحنه على كرسي وهو مبهوت منقبض النفس · فزاد استغرابه لحزن ذلك الرجل ذي الجاه والثروة وفرح ذلك الفقير مع ولده · فقال بصوت عالٍ : لقد صدق الذي زعم ان الراحة ليست في الثروة

فسمعه رجل مار في سبيله · فقال له : اخطأت واصبت معاً : الراحة ليست في الثروة ولكن الثروة جزء من الراحة والجزء الثاني هو المعرفة · واعني بالمعرفة معرفة نواميس الحياة وواجباتها · فالغني الذي يعرفها يعرف كيف يستخدم ماله فيكون به سعيداً والذي يجلها يتسلط عليه ماله فيجعله شقياً · فالسعادة اذاً نسيج جميل لحمته الثروة وسداه المعرفة — هذا اذا كان في الارض سعادة

اسألك يا صاحبي سقراط هل يجب ان اتزوج ام ان لا اتزوج · الجواب ياصاحبي انك اذا تزوجت ندمت على زواجك واذا لم تتزوج ندمت على عدم زواجك · فاختر اهون الشرين

بعض الناس مولع بالجديد من كل شيء · يشتري مركبة في هذا الاسبوع ويبيعها في الاسبوع الآتي · يبتاع ثوباً اليوم ويرميه غداً · وبعض الناس اذا صحب الشيء ولو مدة وجيزة ولع به وارتبط بصحبته كانه صديق لا يحب فرقته · وهكذا يكرم كتابه القديم اكثر من كتابه الجديد ويصعب عليه جداً ان يترك قديمه ·

الاول منقلب الوداد غير ثابت على عهد والثاني كريم ثابت الود طاهر القلب · ومن الحزب الاخير ابو الطيب المتنبي الذي قال في المعنى السابق ما نصه

خُلقت الوفا لو رجعت الى الصبي لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

لا تلم المتكبر · فان الداعي الى الكبرياء ثقة الانسان بنفسه · والثقة بالنفس قوة · فالكبرياء قوة · ولكن الكبرياء نوعان · نوع نافع ونوع ضار · فالنوع النافع هو الذي مرّ ذكره واساسه عزة النفس واباء الضيم والاعتماد على الذات · والنوع الثاني هو احتقار الغير والازدراء بجميع الناس · فيجب غرس النوع الاول في نفوس الاولاد · ونزع الثاني

يمتحن الخطيبان بعضهما البعض ثلاثة اسابيع · ويحب بعضهما البعض ثلاثة اشهر ويتخاصمان ثلاث سنوات · ويتساهل بعضهما مع بعض ٣٠ سنة ثم يعيد الابناء ما عمله الاباء

﴿ اخلاق بعض القراء ﴾

يجدر ان نذكر في باب العادات والاخلاق اخلاق وعادات فريق من قراء اللغة العربية · فقد ابتلينا ببعض « الادباء » الذين ارسلوا يطلبون المجلة لهم ولبعض اصدقائهم فاجبناهم ولم نطلب بدل الاشتراك سلفاً لثقتنا بهم فكانت النتيجة انهم قطعوا اخبارهم عن الادارة وسدوا آذانهم لما طالبتهم بحقوقها

ومن ذلك ايضاً ان بعض الاصدقاء الذين يريدون الخير للجامعة الحوا علينا بارسالها الى فلان وفلان وفلان من اصدقائهم ومعارفهم الافاضل والادباء لانهم يرغبون في المطالعة وتنشيط الادب وبعضهم اكد انهم هم الذين طلبوا ذلك منهم فرضينا وارسلنا المجلة لهم مع اننا لا نرسلها الا بموجب طلب مقرون ببدل الاشتراك سلفاً · فكانت النتيجة ان بعض هولاء الادباء بعد قرائتها سنة ردّ احد الاعداد وكتب عليه « مردود » وبعضهم كتب « لا يمكن ان نقبلها الا مجاناً · · » وبعضهم « لا يمكن ان تقبل الا بنصف القيمة » وبعضهم لفرط ادبه وحسن ذمته انكر وصولها اليه مع ان الشهادات الخطية من البوسطة تكذبه

فنحن بازاء هذه الامور الصبيانية لا يسعنا الا الضحك من سلوك اصحابها · ولا نلومهم فان هذا احسن ما عندهم من الادب وحسن الذمة وانما نلوم اصدقاءنا الذين الحوا علينا بالارسال اليهم · ومأمولنا ان لا يتركوا لنا مجالاً لهذه الشكوى في المستقبل حتى نشغل سطور

المجلة بما هو اهم من هذه الامور التافهة والا اضطررنا حينئذٍ الى ان نعاملهم شخصياً معاملة يستحقونهـا اذا لم يكرموا انفسهم . فان غش الناس ليس بالامر الهين ولا هو مما تصبر النفوس عليـه

ونحن قد اوقفنا ارسال المجلة اليهم اذ لا اسف على ثلاثين قارئاً مثلهم يكونون عثرة في سبيلنا بدل ان يقتدوا بافاضل قرائنا الذين ينشطوننا من كل جانب . واذا اضطرتنـا الحال لم نتأخر عن ذكر اسمائهم خدمة لباقي الرصفاء وذلك لئلا ينخدعوا بالقابهم او بطلباتهم وفي هذا القدر كفاية الآن

ونحمد الله ان هذه الفئة قليلة بين قراء الجرائد والمجلات وان الذين يقدرون قدر متاعب الخدمة الادبية في الشرق كثيرون . وكان يجب على الجامعة ان لا تشير الى اساءة المسيئين مع رضاها كل الرضى عن قرائها الكرام ولكننا اردنا ان نغتنم هذه الفرصة لذكر صغر عقول المسيئين وفضل العقلاء المساعدين وذلك على سبيل المقابلة بين الحسن والقبيح وبضدها تتميز الاشياء

وقد مضى علينا اكثر من شهرين ونحن نتحفز لتصفية هذا الحساب فنؤمل بعد الآن ان لا نضطر الى اشد منه لانه يعز علينا ان نجرح عاطفة احد وان نشغل وقتنا بهذه السفاسف

تاريخ الاسبوعين

❊ السنة الهجرية الجديدة ❊ نهنئ السادة المسلمين بدخول عام ١٣١٨ الجديد ونرجو ان يكون عليهم عميم الخيرات والبركات

❊ الجناب الخديوي ❊ اشرقت طلعة الجناب الخديوي على الثغر في اول مايو لقضاء فصل الصيف فيه جرياً على عادته السنوية فنرجو لسموه بيننا طيب الاقامة

وجنابه العالي مسافر الى اوربا في آخر الشهر الجاري فيصل الى لندرا على الارجح في اواسط يونيو

❊ عثمان باشا الغازي ❊ لم تبقَ جريدة حتى ذكرت المرحوم عثمان باشا الغازي واثنت عليه . ولم نسمع قبل الغازي برجل اجمعت على مدحه السن الشرقيين والغربيين

على اختلاف مذاهبهم واجناسهم كما اجمعت على مدحه . وهذا وحده يدل على عظم نفس الرجل ورفعة مقامة

والحقيقة ان نفس الغازي رحمه الله كانت حاوية لاكثر المواهب الكريمة التي تحبب الناس الى الناس وتجعلهم في مصاف الرجال العظام . ومن ذلك ما رواه بعضهم عن الغازي يوم حصار بلافنا ذلك الحصار الذي كتب تاريخه باحرف ذهبية في تاريخ الدولة العثمانية . فان الروسيين وعددهم اكثر من ١٤٠ الف جندي كانوا يحصرون عثمان باشا وجنوده في قرية بلافنا وعددهم نحو ٤٠ الف فقط حتى نفذ الزاد واصبحوا يأكلون اصول الاشجار . فجاء يوماً مكاتب جريدة التمس وقدّم الى الغازي علبة صغيرة من الكعك المسكر (بيسكوتي) فارجعها اليه الغازي قائلاً . — بل ابقها لك لانني لا استطيع أكل البيسكوتي بينما جنودي يأكلون اصول الاشجار

وقد نشرت اكثر المجلات والجرائد تاريخ حياة الغازي اما نحن فنكتفي بهذه القصة الصغيرة فانها تدلنا على حقيقة اخلاق الرجل وفيها تنحصر كل حياته . منها يظهر ان الغازي كان شريف النفس عادلاً عظيماً كريماً محباً لجنوده غير مؤثر نفسه على سواه ولا مهتم بملذاته عند القيام بواجباته . توفي في ٤ افريل الماضي وكانت وفاته رحمه الله خسارة على الجيش العثماني لا تعوض . وتقول الصحف الاوربية انه اعظم قائد عثماني قام في هذا القرن

وقالت الكاتبة الفرنسوية الشهيرة السيدة مدام ادم في مجلتها « المجلة الجديدة » انها قبل وفاته باسبوع واحد وردتها منه رسائل يستغرب فيها ما اشاعه بعضهم عن وفاته حال كونه في صحة وعافية ثم اردفت بقولها ان كل من عرف هذا الرجل العظيم حفظ له في نفسه تذكاراً خالداً لرقته وعظمة نفسه ومكارم اخلاقه . نسأل الله ان يرحم فقيد الامة العثمانية عداد حسناته ويجمل عزاء اسرته الكريمة

---

* ﴿ حادثة بيروت ﴾ مصيبة عظمى اصابت بيروت في ٢٠ افريل الماضي . فان عطوفة الوالي ركب سفينة للخواجات بسترس ونحاس تقصد السفر الى طرابلس الشام واللاذقية فركب بعض اعيان بيروت الطراد العثماني « سهام » الراسي في ذلك الثغر وخرجوا به الى عرض البحر في اثر عطوفته فلم يبعدوا عن الشاطيء قليلاً حتى سُمع صوت كهزيم الرعد القاصف فرأى الناس من البر ان الطراد سهام انفجر قسمين وغاص مقدمه في الماء وارتفع مؤخره عمودياً في الهواء . وكان سبب ذلك انفجار المرجل والتوربيل فيه ففقد من ركابه

الثاني والثلاثين اكثر من ٢٥ شخصاً والباقون جُرحوا وكان في جملة القتلى ميشل بسترس والكونت دي طرازي وربان الطراد فعظم الخطب على بيروت وقد احتفل بجنازات القتلى احتفالاً عظيماً فنسال الله الرحمة لهم لفرط ما اصابهم من عذاب تلك الميتة ونهنئ الذين نجوا بنجاتهم · ثم نؤمل ان ينجلي البحث في هذه الحادثة عن معرفة اسباب الانفجار والمسئول عنه

(* الطاعون في بورسعيد *) عاد الضيف الثقيل الى القطر · فقد حدثت في ٢٧ و٢٨ الماضي اصابتان بالطاعون في يونانيين ببورسعيد فوضعت الدولة العثمانيـة و بعض الدول الحجر الصحي على واردات بور سعيد ١٠ ايام و بعضها وضع الحجر على واردات القطر كله ٥ ايام ولكن طاعون بور سعيدوالحمدلله خفيف ضعيف كما كان طاعون الاسكندرية

حرب الترانسفال — ما كان احد ينتظر ان اللورد روبرتس بعد دخوله بلونفوتين عاصمة اورانج ظافرًا منصورًا يقف عن الزحف الى كرونستاد فبريتوريا لانهاء هذه الحرب المشومة · ولكنه اضطر الى الوقوف ليستريح جيشه من التعب الذي عاناه في مطاردة البوير لفتح كمبرلي ولكي ترده خيول جديدة وملابس للجنود لان اكثر خيوله ماتت او مرضت من شدة التعب والجهد والشتاء مقبل على الجيش فلا يستطيع ان يدخل به الى قلب الترانسفال الا اذا كان مستعدًا تمام الاستعداد · ولما ابصر البوير منه ذلك ايقنوا بضعفه فعادت اليهم الجرأة فزحفوا على الانكليز ليقطعوا عليهم خط الاتصال في جنوب بلونفوتين فقلق الراي العام الانكليزي لزحفهم وخاف ان يحصروا بلونفوتين كما حصروا لاديسميث وكمبرلي من قبل · وفيما هم زاحفون حصروا مدينة و يبنر في طريقهم فقاومتهم اياماً حتى جاء حاميتها مدد عدده ٤٠ الف جندي فاجلى البوير عنها لان عددهم لا يتجاوز ٤ او ٥ الاف رجل · وبما ان اللوردروبرتس قدوصلته بعض الخيول والامتعة وسئم الانكليز الانتظار فضلاً عن استراحة الجيش فقد استانف الزحف · والهجوم والقتال دائر الآن بينـه و بين البوير الذين يقاومونه · وقد دبت الحمية في نفوس انصار البوير وعاد الامل اليهم لما شاهدوه من اقدامهم من جديد

ومن اهم اخبار هذا الشهر ايضاً انزال انكلترا جنودًا لها في مرفا بايره البرتغالي لايصالهم

على سكة حديد البرتغال الى حدود روديزيا الانكليزية وحدود الترانسفال الشمالية . فكان لهذا العمل دوي عظيم في اوربا لانه خرق صريح لاصول الحيادة الدولية اذ البرتغال على الحيادة كما لا يخفى

ومن امهات الحوادث في هذا الشهر ايضاً موت الكولونل فيلبوى دي ماروبل المتطوع الفرنسوي في جيش الترانسفال الذي دعته جرائد اوربا « لافاييت » هذه الحرب راجع كلمة « لافاييت » في الصفحة الاولى من ملزمة الرواية

وفيات

(* حسين جوجو *) نعزي حضرة الوجيه عزتلو علي بك جوجو بوفاة نجله المأسوف عليه المرحوم حسين افندي جوجو . توفي رحمه الله بصدمة من مركبات الترامواي . والحق يقال ان هذا الترامواي قد استفحل امره في القاهرة والثغر . وياليت كل مصاب به يرفع على الشركة قضية ويطالبها بالتعويض لعلها تكون اكثر عناية بارواح العباد . تغمد الله الفقيد بواسع الرحمة والغفران والهم حضرة والده وسائر آله جميل السلوان

(*ارملة المرحوم نقولا خلاط *) نعيت الينا من طرابلس الشام المرحومة مريم زريق ارملة المرحوم نقولا خلاط فنقدم لحضرات آلها عبارات التعزية على فقدها ونسال ان يتغمدها برحمته ورضوانه

(* انطونيوس حنانيا *) انتقل الى رحمة الله في ١٧ الماضي في الثغر المرحوم انطونيوس حنانيا فعز فقده على آله رحمه الله وعزى ذويه على فقده

(*جرجي نحاس *) استاثرت رحمة الله تعالى في صباح ٢٣ افريل الماضي في كفر الزيات بالمأسوف عليه جرجي نحاس نجل حضرة الخواجا اسعد نحاس . قصفته المنون في زهرة الصبا وعمره ١٥ سنة فنسال الله ان يلهم والديه نعمة الصبر الجميل ويتغمده بالرحمة والرضوان

التسميتين فرق لا يخفى

وما زال الموكب سائرًا حتى صارت الساعة الثانية بعد الظهر فوصل الى صفوف من الحرس الوطني اقيمت في الطريق للتسليم على الملك وكان هذا الحرس الوطني جيشًا قد نظم بامر جديد وولي الجنرال لافاييت قيادته (١)

وكان هذا الجنرال محبوبًا الى الشعب الباريزي وذا سلطة عظيمة عليه فكان الشعب يهتف بملء فمه ليحيَ لا فاييت ليحيَ لا فاييت

ومما سرّ لويس السادس عشر المسكين انه سمع الشعب يهتف ليحيَ الملك بقدر ما كان يهتف ليحيَ لافاييت

ولكن هذه نعمة لا تدوم للملك لانه سيأتي يوم لا ينادون صوتًا واحدًا ليحيَ الملك حتى ينادوا عشرين مرة ليحيَ لا فاييت

وكانت مقابلة الملك للجنرال لافاييت حسنة فان الجنرال استقبله خافضًا سيفه والملك احسن مجاملته



(١) لافاييت — هو المركيز دي لافاييت المارشال الفرنسوي الشهير الذي كان رفيق واشنطون في تحرير اميركا واليه ينسب اكثر الفضل في مداخلة فرنسا وتاييدها الولايات المتحدة في ذلك الزمان . ولد في سنة ١٧٥٧ وربته جدته لابيه . وفي سنة ١٧٧٦ قرأ اخبار الحرب بين سكان الولايات المتحدة والانكليز كما يحاربهم البوير الآن وكان لافاييت غنيًا لانه كان يملك ايرادًا سنويًا قدره ١٢٠ الف جنيه فحدثته نفسه ان ينصر الضعفاء على الاقوياء فسافر سرًا الى انكلترا ومنها كتب كتابًا الى اهله يطلعهم على عزمه ثم سافر بالرغم عنهم الى فيلادلفيا فعرض نفسه على دار الندوة متطوعًا فاجمل الاميركيون وفي مقدمتهم واشنطون استقباله وولوه قيادة احد جيوشهم فحاز اكليل النصر على الجنود الانكليزية مرارًا . وفي خلال الحرب سافر مرتين الى فرنسا واستحث حكومة لويس السادس عشر على المداخلة فتداخلت وارسلت اسطولها وبعض فرق من جندها . وكان الجنرال الانكليزي كورنواليس يسميه « الصبي » لحداثة سنه ويقول انه سيأسره في وقت قريب . ولكن ما لبث هذا « الصبي » ان ضايق الجنرال وجنده بحركات حربية بديعة حتى حصره في يوركتون والجأه الى التسليم في ١٧ اكتوبر سنة ١٧٨١ فانتهت الحرب بذلك وفاز لافاييت فوزًا مبينًا . ثم عقدت مقدمات الصلح بين انكلترا والولايات المتحدة في فرساليا في ٢٠ يناير

وفيما كان الملك يستقبل لافاييت مدّ بيلو نظره فابصر قبعة الملك وعليها شعاره الملكي وهو « شريطة » بيضاء فالتفت الى جيلبار وسأله باستغراب لماذا ايها الدكتور لا يحمل الملك « الشريطة » الوطنية وهي المثلثة الالوان

فاجاب جيلبار لان « الشريطة » البيضاء شعار الملك وهو لا يعلم رسمياً ان الفرنسويين اتخذوا لهم شعاراً وطنياً غيرها وفضلاً عن ذلك فان « الشريطة » البيضاء قد كللت بالنصر والامجاد في ساحة القتال منذ قرون عديدة واما شريطتكم المثلثة الالوان فماذا صنعت الى الآن حتى يحملها الملك

فاجاب بيلو كيف تقول ذلك ايها الدكتور انسيت انها فتحت الباستيل

فاستغرب الدكتور هذا الجواب البديهي القوي وقال احسنت واصبت يابيلو ثم سكت الدكتور

و بينما كان الموكب سائراً وقف على حين بغتة . ذلك أن حاكم مدينة باريز كان ينتظر الملك عند ساحة تدعى ساحة الملكة قرب الشان اليزه و بازائه اثنان من اعضاء المجلس البلدي يحملان بعناء طبقاً كبيراً احمر اللون عليه مفتاحان كبيران هما مفتاحا بابي

سنة ١٧٨٣ وهو الصلح الذي انال الولايات المتحدة الاستقلال . فارتفع شان لافاييت في اميركا وفرنسا ارتفاعاً عظيماً واصبح واشنطون صديقاً حميماً له . وقد نصب له الاميركيون التماثيل في بلادهم وفي فرنسا لانه كان احد العوامل الكبيرة في تحريرهم

ثم عاد لافاييت الى فرنسا فاصبح اشهر رجل فيها واحبه الشعب حباً عظيماً . وكان مشهوراً بارائه الحرة مع كونه من طبقة الاشراف فاسخط ذلك البلاط عليه . فلم يهمه سخط البلاط لان كل الشعب كان متعلقاً به . ولما نُظم جند الحرس الوطني الجديد في ذلك الزمان عُين قائداً له باجماع الآراء . وهو يقابل الملك الآن بصفته قائداً لهذا الجند وسيرد في ما يلي تتمة ترجمة هذا الرجل الكبير

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الاميركيين ذكروا في هاتين السنتين خدم لافاييت الماضية فقرروا انشاء تمثال له في باريز وضربوا وساماً خصوصياً سموه « ريال لا فاييت » واهدوه الى رئيس الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي فسلمه اليه سفير اميركا في باريز بالنيابة عن المستر ماكنلي . ومنذ ايام لافاييت الى اليوم والصداقة شديدة العرى بين فرنسا والولايات المتحدة

باريز من ايام الملك هنري الرابع

فوقف الجمع وانصت الناس لهذا المشهد الرسمي · فتقدم حاكم باريز وتلا خطاباً رحب فيه بالملك

وكان الحاكم هو العالم بالبي (١) الفلكي وفحوى خطابه مديح الملك والثناء على ملكه منذ تولية تيرغو ازمة الحكومة · ولم يكن فيه شيء يجرح الملك الا كلمة كانت في صدرهذا الخطاب كالصاعقة في شدتها وهي " مولاي اقدم لجلالتكم مفاتيح مدينة باريز الجميلة · وهي المفاتيح التي قُدمت الى هنري الرابع حين دخوله اليها · انما هنري الرابع كان هو الذي قوي على شعبه اما الآن فالشعب هو الذي قوي على ملكه "

فاحمر وجه الملك لهذا الكلام ولكنه مع ذلك اشار براسه دلالة على رضاه وهو يقول بنفسه لو كانت الملكة الآن مكاني لما كانت تجيب هذا الفلكي البارد بما ساجيب به

ولما انتهى بالبي من الخطابة اجاب الملك جواباً لم يشر فيه الى شيء بل قال انه مسرور كل السرور بالاستقبال الجميل الذي يستقبله الباريزيون به

واما تلك الكلمة الشديدة فلوضعها في خطاب بالبي نكتة لا بأس بايرادها (٢)



(١) العالم بالبي الذي كان حاكماً لمدينة باريز يوم عودة الملك اليها بعد فتح الباستيل · وكان قبل ذلك رئيساً للجمع الوطني كما مرّ في الجزء الاول راجع هناك ترجمة حياته

(٢) الكلمة القوية — قبل خروج بالبي لاستقبال الملك كان يتنزه مع بعض اعضاء المجلس البلدي فقال لهم ان المفاتيح التي سنأخذها للملك ثقيلة جداً وهل تحسبون انني ساعود بها · فسأله احدهم وماذا تصنع بها اذاً فقال القيها على الارض واستريح منها · فاجاب العضو اياك وهذا الامر فانها ثمينة لانها من عهد الملك هنري الرابع · وكان بالبي قد كتب خطابه فلما سمع كلمة هنري الرابع حضره خاطر فتناول نسخة خطابه من جيبه ووضع في صدره العبارة التي وردت آنفاً وهي " مولاي اقدم لجلالتكم مفاتيح مدينة باريز الجميلة · وهي المفاتيح التي قدمت لهنري الرابع حين دخوله اليها · انما هنري الرابع كان هو الذي قوي على شعبه اما الآن فالشعب هو الذي قوي على ملكه " ذلك ان هنري الرابع حصر باريز وافتتحها عنوة اما الملك لويس السادس عشر فالشعب يأتي به الى باريز عنوة ·

وبعد هذا الخطاب استأنف الموكب السير وكان الدكتور جيلبار لا يزال مع بيلو سائرين بازاء نافذة مركبة الملك

ولما وصلت المركبة الى ساحة لويس الخامس عشر سُمع على حين بغتة بين حركة الجمع صوت انفجار خفيف ونُظر شيء قليل من الدخان صاعداً في الهواء · وفي هذا الوقت نفسه شعر جيلبار بصدمة شديدة على صدره ورأى امرأة كانت واقفة امامه وجهاً لوجه تسقط على الارض مجروحة برصاصة اصابت كتفها

فاصفر وجه جيلبار ونظر الى صدره فرأى على احد ازراره النحاسية الضخمة آثار الرصاصة · ذلك ان الدخان الذي صعد كان دخان رصاصة اطلقت على نافذة مركبة الملك فاصابت زرّ الدكتور جيلبار النحاسي فلم تستطع ان تنفذه فارتدت الى امرأة كانت واقفة بازائه وجرحتها

اما الملك فانه لما سمع صوت الانفجار اطل من نافذته ليعلم السبب ثم نظر الى الدكتور جيلبار وقال ضاحكاً اظنهم يطلقون البارود احتفالاً بي · فابتسم جيلبار وهو لا يزال اصفر اللون وقال نعم ياذا الجلال

ولكن من اطلق تلك الرصاصة على الملك ? ومن اي جهة اطلقت ? · امران بقيا مجهولين اذ لم يبحث احد عن ذلك في ذلك الزمان

وما زال الموكب سائراً حتى وصل الى ساحة المجلس البلدي وكان مرسوماً على صدره باحرف ضخمة هذه العبارة

« الى لويس السادس عشر ابي الفرنسو بين وملك شعب حر »

فلما قرأ الناس هذه العبارة هتفوا هتافاً بلغ عنان السماء · فسال بيلو بيتو عن سبب الهتاف فقرأ له بيتو هذه العبارة · فتحمس بيلو وصاح احذر ان تكون قد خدعتك عيناك · واقرأ جيداً · هل المجلس البلدي كتب على جدار المنزل ان الشعب حر · فقال بيتو نعم فصاح بيلو وكان لم ينسَ بعد حديث الشعار مع الدكتور · اذا كان الشعب حراً فله الحق بان يقدم للملك شعاره

وقد قال ديماس ان الناس نسوا خطاب باليي بل نسوا كل مؤلفاته ولم يبق منه اثر في اذهانهم الا هذه العبارة الشديدة التي ثبتت كانها حُفرت فيها باحرف من نار · والذي روى هذه الرواية عن هذه العبارة هو باليي نفسه في تاريخ حياته الذي كتبه قبل مماته

قال هذا ثم وثب الى مدخل المجلس البلدي · وكان الملك قد نزل من المركبة وارتقى الدرج ليدخل الى المجلس · فصاح بيلو · مولاي انك رأيت في ساحة « الجسر الجديد » تمثال الملك هنري الرابع مزيناً بالشعار الوطني · فقال الملك نعم رايته · فقال بيلو ولماذا جلالتك لا تزين قبعتك ايضاً بالشعار الوطني

فانصت الجميع عند ذلك واجاب الملك مضطرباً نعم ··· سافعل ذلك ·· لو كان لديَّ منه

فرفع بيلو حينئذٍ يده وفيها قطعة من الشعار الوطني وهي « شريطة » مثلثة الالوان كما مرَّ بنا وقال للملك · خذ يامولاي اني باسم الشعب اقدم لك شعاره لتضعه مكان شعارك

فنظر الملك الى باليي حاكم باريز فقال باليي · ان هذا الشعار يامولاي رمز الى ان حامله فرنسوي لا الى شيء آخر · فمد الملك يده ليتناوله وقال · اذا كان هذا هكذا فانني احمله بسرور · ثم رفع شعاره الملكي الابيض عن قبعته ووضع مكانه شعار الشعب

فارتفع هتاف تلك الالوف من كل جانب وساد الهرج والمرج ابتهاجاً بصنع الملك

اما الدكتور جيلبار فحول وجهه عن ذلك المشهد مشمئزاً ومستاء لانه راى الشعب يمشي الى غرضه بخطى واسعة والملك لا يتأنى في مقاومته

وكان الشعب يصرخ « ليحيى الملك · ليحيى الملك» فقال الدكتور في نفسه · لم يبقَ ملك بعد الآن

ثم مد الجند سيوفهم من مدخل المجلس البلدي الى الداخل فدخل الملك تحت سماء بارقة من السيوف فتنهد جيلبار وقال · ماهذا بقوس نصر ولكنه رمز الى سلطة الشعب الهائلة · ماذا تقول الملكة اذا علمت بهذا

الفصل السابع

(ما كانت تصنع الملكة في فرساليا والملك في باريز)

واستقبل اعضاء المجلس البلدي الملك في داخل المجلس استقبالاً شائقاً · فانهم لقبوه « واهب الحرية» فاظهر الملك لهم سروره بمقابلتهم ثم خرج من المجلس

فوجد الملك الشعب يداعب خيل مركبته ويزينها مع المركبة بقطع من الشعار الوطني حتى اصبحت كانها مغطاة بالحمائل المثلثة الالوان · فركب الملك المركبة ضاحكاً

وكان الدكتور جيلبار واقفاً حينئذٍ في احدى نوافذ المجلس البلدي ولم يرافق الملك لانه علم انه قد اصبح في امن من الشعب . ولكن الملك لم يكد يركب مركبته حتى نظر جيلبار فارساً من فرسان البلاط يتقدم على جواده من قصر المجلس فعلم جيلبار ان هذا الفارس رسول من الملكة

وكان هذا الفارس هو الكونت دي شارني

فلما وصل الى مركبة الملك سلم باحترام فساله الملك كيف تركت الملكة قال تركتها بخير ولكنها مشغولة البال بشان جلالتكم . قال فلتطمئن بالاً فكل شيء انقضى على احسن ما يرام . ثم نظر الكونت الى ما حوله فابصر الجنرال لافاييت فابتسم له الجنرال فتقدم منه الكونت مسلماً فمد له الجنرال يده مصافحاً

فكانت هذه الحركة كافية لانزال فارس الملك في اعلى منزلة من الشعب فهتف الشعب للفارس " ليحيى الملك " ثم حمله مع جواده وساروا به كالبحر الزاخر

واما قدوم الكونت دي شارني من فرساليا الى باريز لمقابلة الملك فسببه في ما يلي

كان الدكتور جيلبار ما وصل بالملك الى قرب باريز حتى انفذ الى الملكة ثلاثة رسل يبلغها معهم سلامة الملك وراحته . فاحدثت هذه الاخبار سروراً حقيقياً في نفس الملكة . وفيما كانت تظهر سرورها بذلك امام حاشيتها في ذلك اليوم قال احد مقربيها لها من ادرانا ياسيدتي اذا كانت هذه الاخبار حقيقية . فنظرت اليه الملكة وقالت . اما هذا فكونوا على ثقة منه لان الذي يرسل الينا الاخبار من اصدقائنا

فقالت البرنسس دي لامبال ومن عساه يكون هذا الصديق ياسيدتي . فقالت الملكة هو الدكتور جيلبار طبيب الملك الجديد

وكانت الكونتس اندري حاضرة . فلما سمعت الملكة تقول عن الدكتور انه من اصدقائها وثبت كلبوة ثائرة وقالت : جيلبار صديق جلالتك

فبهت الحاضرون وذكرت الملكة حينئذٍ انها جرحت الكونتس في ما قالته . فنظرت الى لاندري فرأت عينيها متقدتين غيظاً وحنقاً وهي صفراء اللون كانها من الاموات . ولكن الملكة نظرت في الوقت ذاته الكونت دي شارني قادماً باتفاق غريب فقالت بهدوء كانها تدعو بذلك اندري الى الانتباه وكظم ما في نفسها : جاء الكونت دي شارني

فدخل الكونت . وكان قد رأى من بعيد اضطراب زوجته اندري واصفرارها وسمع ما قالته عن جيلبار . فلما دخل سالت الملكة اندري . وهل يغيظك ياعزيزتي ان يكون

الدكتور جيلبار من اصدقائنا

فعضت اندري شفتيها . ودنا منها الكونت زوجها بعد التسليم والتحية وسالها ما بك ايتها الكونتس فاني اراك صفراء مضطربة . فسكتت اندري . فقال الكونت وقد سمعت اعتراضك على صداقة جيلبار فهل لك ما تقولينه عن فضل هذا الرجل وادبه

وكان قلب اندري في خلال هذا الكلام يقطر دماً فكرهت الملكة ان تطيل عذابها فقالت . اظن ان الكونتس لم تعترض على صداقتنا للدكتور الا لانها رأتنا نعتبره من اصدقائنا مع حداثة معرفتنا به . اليس كذلك ايتها الكونتس

فاجابت الكونتس بهدوء وتردد . نعم .. نعم هذا هو السبب

فقال الكونت دي شارني . لاندري . هذا لا يقنعني ولا بد ان يكون لك سبب آخر

فلذعت الغيرة هنا قلب الملكة . فبعد ان كانت معذّبة اصبحت معذّبة . فنظرت الى الكونت وقالت بشيء من السخط ما لك عدتَ الى هذا الموضوع ايها الكونت كانك لم تعتقد بصحة التعليل الذي عللته . فاجفل شارني لهذا الانقلاب واجاب مولاتي ... فقطعت الملكة عليه الكلام قائلة . فهمتُ سبب قلقك على الكونتس انك غيور وحقك ان تغار كما اغار انا الآن على الملك في باريز . فحاول شارني الكلام مرة ثانية فقطعت الملكة بغضب شديد كلامه للمرة الثانية وصاحت : لماذا تريد الاعتذار عن غيرتك وهل الغيرة عار . كن غيورًا بقدر ما تشاء فان الغيرة دليل على الحب

فلبث جميع الحاضرين صامتين مبهوتين بازاء غضب الملكة اما شارني فاطرق الى الارض واما اندري زوجته فانها كانت تعض شفتيها مدهوشة وخائفة

مدهوشة مما كانت تسمعه . وخائفة مما خُيل لها انها فهمته

ولما سكتت الملكة انحنى شارني باحترام وقال . سمعت جلالتك تظهرين خوفك على الملك لوجوده في باريز فانا ذاهب لحراسة جلالته فاما ان اعود به سالمًا واما ان لا اعود . ثم زاد في الانحناء وهم بالخروج

فوثبت اندري اليه وحالت بينه وبين الباب قائلة لا ادعك تذهب وارفق بنفسك

فاستشاطت الملكة هنا غضباً وصاحت بها . من اين لك ايتها السيدة ان تقومي هنا مقام الملكة فتامري وتنهي . ومتى جاز لك اذا كان المسيو شارني يريد الذهاب للدفاع

عن الملك ان تُقعديه عن هذا الواجب

فسكتت اندري واطرقت الى الارض . اما شارني فقال . اعذريها ياسيدتي فانها لا تزال مضطربة الافكار ونحن كلنا فدى جلالة الملك وجلالتك

قال هذا وانحنى باحترام شديد وخرج . وبعد دقيقتين سمعت الملكة وقع حوافر جواده على البلاط وهو ينهب الارض نهباً قاصداً باريز . وما زل حتى وصل الى الملك على ما مرّ بنا

الفصل الثامن

(عودة الملك)

وصرفت الملكة بقية ذلك النهار منقبضة النفس لما بدأت تشعر به من حب شارني لزوجته وحب زوجته له . وفي المساء كانت مبهوتة في نافذة قصرها واذ دخل عليها بعض الحراس ركضاً صائحين قد جاء رسول قدجاء رسول . فقامت الملكة مدهوشة وسالت عن الرسول فادخلوه اليها فسالته فابلغها ان الملك في عافية وسلامة وانه يعود بعد نصف ساعة الى فرساليا . ففرحت الملكة فرحاً حقيقيا لان حب الملك كان عندها فوق كل حب اذ هو ابو اولادها وشريكها في نعمتها

ولم تنقضِ نصف ساعة حتى ظهرت المشاعل تتقدم موكب الملك على طريق فرساليا . فانتظرته الملكة على سلم القصر وقلبها يرقص فرحاً بلقائه سالمًا . ولما وصل اليها انطرحت الملكة بين ذراعيه باكية وضمته مرارًا الى صدرها لانها تحققت خلاصه من الخطر الذي كان امامه

وبينما كان الملك يقبل ابنه صاح به الولد ما هذا الذي في قبعتك يا ابتِ . فالتفتت الملكة فابصرت الشعار المثلث الالوان الذي وضعه الملك في قبعته مكان الشعار الملكي الابيض . فصاحت الملكة ما هذا انزعه انزعه . ثم مدت يدها واخذت الشعار المثلث الالوان باطراف اصابعها والقته بعيداً على السلم تحت ممر الاقدام فداسه الصادرون والواردون

وبذلك اهانت الملكة الشعب باسره . ولكنها اهانة انتقم لها الشعب بعد ذلك انتقاماً هائلاً

اما الملك فانه عند اخذ الملكة الشعار المثلث الالوان من قبعته انحنى على ابنته ليقبلها

والحقيقة ان انحناءه كان ليخفي ما بدا في وجهه من آثار الخجل والانفعال

وقد شغل لقاء الملك الملكة عن الالتفات الى شارني الذي كان يصحبه . ولكن شارني لم يشغله شيء عند الوصول عن التقدم من زوجته اندري ومصافحتها بهز يدها مصافحة شديدة فاتت الملكة

غير ان الملكة ما لبثت ان بحثت بعينيها عن الكونت دي شارني فوجدته هادئاً رزيناً فقالت له شكراً لك ايها الكونت فانك انجزت وعدك واتيتني بالملك سالماً

فسالها الملك من تخاطبين . فاجابت بشجاعة وشهامة . اخاطب الكونت دي شارني . فقال الملك نعم لقد قاسى شارني عذاباً شديداً حتى وصل اليّ في وسط الزحام . وجيلبار كذلك . ولكن اين هو فانني لا اراه

فغيرت الملكة الحديث في الحال وقالت لشارني . نتعشى الليلة على مائدتنا ايها الكونت انت والكونتس دي شارني . قالت ذلك مسرورة ولكن ما لبث ان انقلب سرورها كدراً لما ابصرت شارني قد سره قولها ان ياتي للعشاء " مع زوجته "

الفصل التاسع

(اهوال الثورة)

قلنا ان الشعب كان نصير ناكار وكان يدعوه " فاضل جنيف " فلما فصل خلفه فولون فابغضه الشعب ونسبوا اليه اموراً جمة . منها انه قال ان الشعب لا ينبغي ان يجوع اذ لديه كثير من التبن والقش لسد رمقه

لذلك كان الشعب شديد السخط عليه . ولكن في ذات يوم شاع خبر موته واحتفل الباريزيون بجنازته فمشى الشعب فيها وكاد يهجم على النعش ليأخذ فولون منه ويهينه مقابلة اهانته للشعب . فصعد بيلو على حجر عال هناك وخطب في الجمع مظهراً وجوب احترام الاموات فانثنى الشعب عن عزمه وترك الميت وشانه

ولكن ما انقضت بضعة ايام على هذه الحادثة حتى ركض في ذات يوم بيتو يطلب بيلو على عجل فوجده في المجلس البلدي . فساله بيلو الخبر لما رآه من سرعته ولهفته . فقال بيتو لدي خبر عظيم لم يسمع بمثله احد . قال ماذا . قال وجدوا فولون . قال اي فولون . قال فولون الذي خلف ناكار ذلك الرجل اللئيم الذي قال ان الشعب يسد رمقه بالتبن والقش . فقال بيلو ضاحكاً دع عنك هذا فاني في ذلك اليوم سرت بنفسي في جنازته .

قال وانا ايضاً نظرته اليوم بعيني · قال ويحك وكيف ذلك · قال الحقيقة ان هذا الرجل اشاع انه مات فراراً من غضب الشعب الذي يسخط عليه وقد وشى به اليوم احد اتباعه ويدعى سان جان · فقال بيلو قبحاً لخادم يشي بسيده · قال بل عافاه الله لانتصاره للشعب فان فولون يستحق كل بلاء ونقمة · فقال بيلو وماذا فعلوا به الآن فقال بيتو لقد تجمهر الوف من الشعب يطلبونه لما علموا بوجوده وها هو الآن قادم الى هنا في مركبة مقفلة وقد سبقت انا الخيل فتقدمتها

ولم يكد بيتو يتم كلامه حتى وقفت مركبة في ساحة المجلس البلدي وخرج منها فولون مذعوراً خائفاً ومعه حارسان مسلحان · وكان وراء المركبة بعض الفتيان يركضون مع الخيل ويصيحون فولون فولون

ثم ما انقضت على وصول المركبة بضع دقائق حتى بدأت اصوات بعيدة ترتفع ارتفاعاً مخيفاً في الفضاء وسمعت زمجرة كانها زمجرة الاسود القساور في الغابات · ذلك ان الشعب كان قادماً الوفاً الوفاً وهو مسلح بالحراب والفؤوس والرماح يطلب فولون الذي اهانه وجوعه فعلم باليي خطر الموقف فارسل يستدعي الجنرال لافاييت وحض حراس المجلس على التاهب للدفاع · واما فولون فكان يرتعد خوفاً على نفسه

ولما وصلت جماهير الشعب الى باب المجلس اومأ زعماؤها اليها بالدخول من حيث دخل فولون لاخذه فبدأ الناس يضربون جدران المجلس بايديهم واقدامهم وبنادقهم وفؤوسهم وحرابهم حتى ارتجت لذلك اسس المجلس وهم يصرخون بغضب شديد فولون فولون

وكان فولون يستحلف باليي الحاكم وباقي الاعضاء ان يخلصوه وهم يعدونه انهم يبذلون قصارى جهدهم لانقاذه · ولكن الشعب بدا يفرغ صبره ولاسيما لما كان يسمعه من ان اعضاء المجلس قد مهدوا سبيل الفرار من المجلس لفولون فاخذوا يصيحون انهم سيكسرن الباب او يحرقون المجلس ويدخلون فاوجس باليي خيفة من عزمهم هذا فقال لفولون اظهر نفسك من النافذة لئلا يحسبوا اننا هربناك · فتقدم فولون من النافذة وهو خائر العزم من الضعف والخوف

ولكن ما ظهر وجهه لتلك الالوف المؤلفة التي كانها موج البحر الزاخر حتى اندفعوا اندفاع التيار الى المجلس ففتحوا الباب عنوة ودخلوا لاخذ فولون · فصاح باليي بجنود المكان ان تستعد ثم تقدم بنفسه من الهاجمين واخذ يعظهم ويخطب فيهم فاستطاع بجلده وصبره ان يقنعهم بوجوب محاكمة فولون اولاً فان كان مذنباً عوقب اشد عقاب

فارتضى الشعب ذلك وعاد عن المجلس . واتفق في تلك الساعة مجيء الجنرال لافاييت فافسحوا له مجالاً فايد الجنرال قول باليي من وجوب محاكمة فولون وامر باخذه الى السجن اولاً قبل المحاكمة

فلما درى الشعب بذلك طار فرحاً لا ابتهاجاً بسجن فولون بل ابتهاجاً بانه سيسلم اليهم حين اخذه الى السجن . وهكذا جرى . فان الرجل ما اودع في مركبة ليؤخذ الى سجنه حتى هجم الشعب الوفا على حراسه ففرقوهم وتناولوا فولون كما تتناول الافعى عصفوراً صغيراً وقصدوا به وتد المصباح ليشنقوه به

فحاول باليي ولافاييت وبيلو الوصول اليه لانقاذه ولكن ماذا يصنع ثلاثة رجال مع عشرة الاف رجل . ولما وصل الشعب بفولون الى المصباح علق بوتده حبلاً ووضعه في عنق فولون وشنقه به

ومن سوء حظ هذا المسكين ان الحبل كان مهترئاً فانقطع فوقع فولون على الارض فانكسرت ساقه

فضحك الناس من وقوعه فاعادوا ربط الحبل ورفعوه به وهم يصرخون ويضحكون . وكان فولون ضخم الجثة والحبل قديماً فانقطع مرة ثانية وسقط فولون على الارض بين حي وميت

فاحضروا حينئذٍ حبلاً جديداً وشدوه به ولبثوا يرقصون حول جثته وينشدون ويصرخون

ولما اسلم الروح قطعوه قطعاً قطعاً فرفعوا الراس على رمح (١) واخذوا يلعبون بالاعضاء الاخرى



(١) فولون — ان المجلة التي نقلنا عنها رسم الماجور دي لوسم الذي وضعناه في « المثلث الهائل » من الجزء الاول من الرواية ترتاب في ما اذا كان هذا الراس راس الماجور دي لوسم او راس فولون . ولكن يرجح انه راس فولون لان الشعب بعد قتله وضع في فم الراس قشاً كما ترى في الرسم لان فولون كان يقول ان الشعب يكفيه ان ياكل قشاً . ولذلك نشرنا هنا هذا الرسم

فحول باليي ولافاييت و بيلو وجوههم عن هذه المناظر البربرية ثم عادوا ونفوسهم صغيرة من جراء هذه الفظائع التي ما استطاعوا منعها

ولكن الشعب ما كاد ينتهي من اللعب باشلاء فولون حتى علت ضوضاؤه مرة ثانية وترك تلك الاشلاء وسار لاستقبال فريسة اخرى كانت قادمة الى المجلس البلدي

ذلك ان برتيه صهر فولون وشريكه في منصبه تجمهر عليه الشعب تخوفاً من ايصال اذاهم اليه ارسلوه الى المجلس . وكان قادماً في مركبة وهو ثابت الجاش ساكن البال يحادث عضواً من اعضاء المجلس ارسل لاحضاره . وكان الشعب حول مركبته يهينه ويشتمه بجوع الامة ويتهدده وهو ساكت يبتسم للعضو الذي الى جانبه

فاسخط هذا الهدوء الشعب فهجم منه اثنان على مركبته وصوبا حربتين الى صدره فلم يلتفت اليهما برتيه بل بقي ساكناً يخاطب رفيقه

فازداد الشعب سخطاً وكانوا قد قربوا ساعتئذٍ من المجلس البلدي والتقوا بالشعب الذي قتل فولون فاخذوا الرمح الذي عليه الرأس وادنوا شفتيه من شفتي برتيه

فعبس برتيه بثبات جاش وظل سائراً في طريقه دون ان يلتفت اليهم . وكانت الجماهير حول مركبته كانها البحر الزاخر وصياح الناس يطبق عنان السماء

ثم وصلت المركبة الى باب المجلس البلدي فنزل منها برتيه وسط زحام شديد وقاسى عناءً كثيراً في الدخول الى المجلس

ولما دخل اصفر وجه لافاييت و باليي و بيلو لانهم رأوا ان مسئولية جديدة قد القيت عليهم بعد مسئولية فولون

اما الشعب فلما غابت عنه فريسته بين جدران المجلس اخذ يصيح ويصخب طلباً لها . واشتد به الهياج فازداد صياحاً

فنزل اليهم باليي واسترعى سماعهم فكانوا يصرخون كلما طلب اليهم ان يصغوا وذلك لكي لا يتركوا له مجالاً للكلام لانهم كانوا يعرفون ما كان يريد ان يقوله . فعاد باليي خائباً فنزل اليهم الجنرال لافاييت بنفسه ودس نفسه بين صفوفهم واخذ يحثهم على السكينة و يستعطفهم و يصالحهم على سبيل الاستمالة ولكن ذلك كله لم يغن شيئاً ولم يسمع له احد كلمة فجثا امامهم على بلاط درج المجلس والتمس منهم باسم الامة ان لا يدنسوها بعمل فظيع ثان وان لا ينجسوا الثورة بتلك الفظائع . فلما رأوه يلح هذا الالحاح تهدده بعضهم ورفعوا سلاحهم عليه . فنهض لافاييت وهجم الى الامام قائلاً اضربوا ان قدرتم . فخفضوا

سلاحهم وعاد لافاييت خائباً ايضاً

وبذلك خرج قياد الشعب من يدي هذين الرجلين . فان باليي الشيخ ولافاييت الشاب اثارا الشعب وحسبا انهما يبقيان متسلطين عليه يصرفان قوته كيفما شاء اونسيا ان الشعب كالمرأة يغير سريعاً قلبه وارادته

وخاف لافاييت ان يبقى برتيه في المجلس فيشدد الشعب الحصر عليه فامر بنقله الى سجن الاباي وكان الرجل لايزال ثابت الجاش هادئ البال فاركبوه المركبة للمسير به . ولكنه ما ظهر للشعب حتى ارتفع هتاف غريب طبق العنان ومدت الايدي والآلات المعكوفة الى ذلك المسكين فتناولته وفرقت حراسه في بضع ثوانٍ وسار الناس به الوفاً الوفاً كزوبعة هائلة نحو المصباح الذي شنق فيه فولون

فلما ابصر بيلو هذا المشهد اندفع يركض الى الفريسة لعله يستطيع انقاذها فوصل الى برتيه واخذ يصيح بالناس ان يتركوه حتى يحاكم فكان جواب الناس لكمه ولطمه وهم في عراك وهياج يعجز القلم عن وصفها . ولما بلغوا المصباح نظر برتيه الى فوقه فابصر حبلاً مربوطاً فيه

فبوثبة واحدة افلت من قابضيه وخطف حربة من احد الواقفين امامه واخذ يطعن بها الذين حوله . فارتفعت حينئذ مئات من الحراب والسيوف واغمدت في جسمه دفعة واحدة فسقط برتيه على الارض وخرجت روحه من جسمه بخروج دمه من جروحه الكثيرة

وحينئذٍ نُظر منظر ترتعد له الفرائص . فان رجلاً من الواقفين مدَّ يده من جرحٍ في صدر القتيل وقبض بيده على قلبه وانتشله من جوفه وهو حارٌّ يقطر دماً . فجعل بيلو يلطم راسه وينتف شعره اشمئزازاً من هذا المنظر الهائل . ثم وضع ذلك الرجل القلب على راس سيف وسار به الى المجلس البلدي فوضعه على مائدة الاعضاء

فلما رآه لافاييت تناول سيفه وكسره على ركبته ورمى به الى الناس وهو يكاد يبكي من تلك الفظائع والاهوال

اما بيلو فكان لا يزال ملقى على حجر هناك فاتاه بيتو وسار به الى شاطئ النهر القريب بعيداً عن اعين الناس

الفصل العاشر

(بيلو بدأ يكره الثورة)

ومنذ هذا الحين بدأ بيلو يرى ان طريق الثورة ليست كلها مفروشة زهراً . وقد ذكره منظر النهر قريته وسكينتها ورغد العيش فيها فقام في نفسه في الحال ان يعود الى مزرعته فاشار الى بيتو ان يتبعه ثم سار لمقابلة الدكتور جيلبار قبل سفره

وكان نا كار قد عاد يومئذٍ الى الوزارة واتخذ الدكتور جيلبار عضداً له . فزاره بيلو و بيتو في فرساليا وقال له بيلو انه عائد الى مزرعته

فنظر اليه الدكتور باسماً وساله لماذا تترك باريز العلك سئمت فظائع الثورة . فقال الحق اقول لك ايها الدكتور انني لم اعد اطيق هذه الاهوال . واخشى انني اذا بقيت ان اعوّد نفسي القتل والذبح ايضاً

فقال الدكتور وكيف تعود نفسك القتل والذبح فقال بيلو بحدة نعم فانني اذا بقيت فان نفسي تحدثني بان اقتل كل رجل يقتل واذبح كل رجل يذبح وبذلك اكون قد صنعت شراً . فالاجدر بي ان اعود الى مزرعتي

فحدجه الدكتور بنظره طويلاً ثم قال بل الاجدر بك ان تبقى مقيماً في باريز . فقال بيلو ولماذا فقال الدكتو اسمع لابرهن لك وجوب ذلك

انا مثلك قد بدأت اكره الفظائع والاهوال ولكني لا ارى من الحكمة ان نغادر موقفنا . فان صانعي الشر في هذه الايام كثيرون وصانعي الخير قليلون . فماذا يحل بباريز اذا تركها كل الصالحين الذين يستطيعون صنع الخير و بقيت بين ايدي الاشرار الذين لا همّ لهم الاصنع الشر . فابقَ يابيلو فان بقاءك نافع . خذ مثلاً لذلك حادثة فولون و برتيه . فانك خاطرت بنفسك لانقاذهما ولكن لو كان معك مائة شخص او مائتان بمبداءك وافكارك اما كنتم فزتم بذلك . فابقَ ولا تضجر فان ضجر امثالنا الآن يجر على الامة ويلات عظيمة

فقال بيلو وما الفائدة من بقائنا اذا كنا لا نستطع منع حدوث الشر . فقال جيلبار بلى نستطيع منع حدوثه بما في الامكان . واعلم قبل كل شيء انه يوجد الآن ايدٍ سرية تحرك الشعب نحو الشر فينبغي ان يكون مقابل هذه الايدي السرية ايدٍ اخرى تمنع صنع ذلك الشر . وان سالت ما هي هذه الايدي اريتك هذا الكتاب المطبوع

ثم قدم اليه ورقة مطبوعة وقال له اقرأ ما فيها . فقال بيلو انت تعلم انني لا احسن

القراءة · قال فاجعل بيتو يقرأها لك فمد بيتو عنقه ليقرأ فلم يحسن ذاك فقال ما هذا الكلام بفرنسوي ولا لاتيني ولا يوناني · فقال جيلبار كلا ولكنه انكليزي · فقال بيتو مفتخراً اما انا فلا اعرف اللغة الانكليزية · فاجاب الدكتور اما انا فاعرفها · انظر يابيتو هذا التوقيع الذي في ذيل الكتاب فنظر بيتو فوجد هذه الكلمة « بيتْ » فقال ما معنى كلمة « بيتْ » فقال جيلبار اصغيا لافسر لكما هذه الكلمة

الفصل الحادي عشر

(بيتْ)

ثم استانف جيلبار الكلام قائلاً · ان بيت هو ابن بيت

فقال بيتو اذاً يوجد بيت اول وبيت ثانٍ كما في التوراة

فقال جيلبار نعم · اما بيت الاول اي الذي هو والد بيت الثاني فقد كان عدو فرنسا اللدود فانه صرف ٣٠ سنة في مقاومتها وجعل محور سياسته اسقاطها واذلالها فابث ياخذ منها المستعمرة بعد المستعمرة سواء في الهند وكندا وغيرها حتى اذا كاد يخربها مات واثار عليها ابنه بيت الحالي (١) وهو الآن شاب عمره ٣٠ سنة فقط وقد انقضى عليه سبع سنوات يدير سياسة انكلترا · فيكون قد استلم ادارتها وهو في الثالثة والعشرين من العمر · وقد اقتفى في سياسته اثار ابيه ومن يشابه ابه فما ظلم



(١) بيت — يوجد سياسيان انكليزيان بهذا الاسم · الاول وليم بيت وهو اللورد شاتام السياسي الانكليزي الشهير الذي كان خصم الولايات المتحدة في حربها مع انكلترا · ولد سنة ١٧٠٨ وتوفي سنة ١٧٧٨ · ويكفي لمعرفة اخلاقه وسياسته ان نقرأ هذا الفصل ·
والثاني هو ابنه وليم بيت الذي كان خصم فرنسا والثورة الفرنسوية وقد جعل اوربا تتحد عليها ٣ مرات انتقاماً منها لمساعدتها الولايات المتحدة كما ورد في صفحة ١٧ عند الكلام على لافاييت · ولد سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٠٦ · وكان في مذهب بعض الفرنسويين يدس الدسائس في فرنسا ليزيد نار الثورة اضطراماً قصد الاضرار بها · لذلك مات ميرابو وهو ينادي في فراش الموت · بيت آه يا بيت ليتني ابقى حياً لاريك كيف تكون السياسة · وهذا الرسم هو رسم بيت الثاني

فقال بيتو اذا كان عمر بيت الآن ٣٠ سنة فقط فهذا يدل على اننا سنقاسي منه عناء طويلاً

فقال جيلبار نعم وخصوصاً لقوة جرثومة الحياة في هذه العائلة · فان بيت الاول عاش سبعين سنة وقد حدثت له حادثة قبل موته دلت على قوة جرثومة الحياة فيه

ذلك ان بيت كان في سنة ١٧٧٨ على فراش المرض والموت وقد اشار عليه الاطباء بالانقطاع عن كل حركة والا ذهبت حياته · وكان البرلمان الانكليزي يبحث في ذلك الزمان في مسالة الحرب مع الولايات المتحدة · وكان الملك لويس السادس عشر قد اعترف باستقلال هذه الولايات مما اغاظ بيت وانكلترا اشد غيظ · فرات الحكومة الانكليزية ان تقترح في ذلك الحين على الولايات الثائرة عليها انها تعترف باستقلالها على شرط ان تحالفها ضد فرنسا التي كانت تساعدها

فصاح بيلو ولكن هذا اقتراح غير شريف للذي يقترحه وللذي يرضى به

فقال جيلبار باسماً ولكن هذا ما يسمونه سياسة يا بيلو وطريقته محبوبة الى السياسيين · ومع ذلك فالولايات المتحدة رفضت هذا الاقتراح بواسطة واشنطون الذي هو اكرم واشرف رجل وُجد في العالم ولولاه لوُجد بين الاميركيين من يشتري استقلال بلاده بذلك الثمن الدنيء

فلما علم بيت الاب بنية الحكومة الانكليزية وكان مطروحاً في فراش المرض والموت كما ذكرت طلب الى ابنه بيت وكان عمره ١٩ سنة فقط ان يسنده ويسير به الى البرلمان · فاستغرب الاعضاء حضوره بينهم · اما هو فانتظر حتى انتهى اللورد ريشمون من الخطابة فارتقى المنبر بعده بخطى مرتجفة وابتدأ الكلام بصوت ضعيف خافت

ولكنه كلما كان يتقدم في الكلام كان صوته ينجلي وعيناه تتقدان بنار الجدال حتى احتدم واصبح كانه عاد الى الشباب · فخطب ثلاث ساعات متوالية خطبة اعجب بها جميع الاعضاء وكلها تهديد ووعيد لفرنسا والولايات المتحدة · وقد حث فيها انكلترا على ان لا تتنازل عن اصغر بقعة من مستعمراتها حرصاً على كرامتها ولو فنيت انكلترا كلها · ثم صاح الحرب الحرب داوموا حرب الولايات المتحدة حتى ننتصر او نموت · ونزل عن منبر الخطابة مغمياً عليه فمات بعد بضعة ايام

فقال بيلو وبيتو مستغربين لله ما اقوى نفس هذا الرجل · فقال الدكتور نعم والابن الآن يقاومنا كما قاومنا الاب · اسمعوا لاقرأ لكم ماجاء في الكتاب الذي رأيتم توقيعه عليه

الجامعة

الجزء الثالث السنة الثانية

الاسكندرية ١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٠ الموافق ٤ صفر ١٣١٨

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اسكندر الكبير

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظيم
الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق
وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

استحسن قراء الجامعة الاقتراح الذي اقترحناه على الكتاب بشأن نقل تراجم اعاظم اليونان والرومان التي وضعها المؤرخ اليوناني فلوطرخوس الشهير الى اللغة العربية لانها مكتوبة باسلوب طلي رقيق جامع بين اللذة والفائدة جمعاً لم يوجد قبل هذا المؤرخ ولا نظن انه يوجد بعده · وقد اراد بعض القراء في فلسطين ان يقدم على هذا النقل فارسل يسألنا اذا كان يوجد في مصر من يطبع التراجم بعد ان ينقلها · وسألنا غيره لماذا لا نفرد في الجامعة باباً لهذا الموضوع اذا كانت له الاهمية التي ذكرناها في الاعداد الماضية

اما الفريق الاول فنشير عليه بان لا يتجشم عناء نقل هذه التراجم الجميلة اذا كان

لا يريد الانفاق عليها ولا يطلب في نشرها الفائدة الادبية دون الربح المالي · واما الفريق الثاني فنجيبه اننا اذا اردنا نقل هذه التراجم في الجامعة لم نتمكن في خلال الاثني عشر جزءًا التي تصدر في السنة منها من نقل اكثر من ترجمة عظيم او عظيمين · واذا قيل اختصروا أجبنا ان الاختصار يذهب بطلاوة تلك التراجم المفيدة و يبطل الغرض المقصود منها

على ان ما لا يدرك كله لا يترك كله ولذلك راينا ان ننشر في هذه السنة من الجامعة ترجمة عظيمين من اعاظم فلوطرخوس (١) ولعلهما اعظم الرجال الذين كتب تاريخ حياتهم وهما اسكندر الكبير المكدوني وقيصر الروماني · وهذان القائدان العظيمان هما مع نابوليون وانيبال اعظم قواد العالم في كل العصور المتقدمة والمتاخرة

وقد كتب فلوطرخوس ترجمة هذين البطلين واردفها بالمقابلة بينهما اي بمعارضة فضائل الواحد ورذائله بفضائل الآخر ورذائله كما صنع بجميع ابطال اليونان والرومان الذين تكلم عنهم ولذلك فاننا سنردف الترجمة بهذه المقابلة ايضاً

ولا نحث القراء على مطالعة هذه الترجمة بامعان فان الحوادث العظيمة اليونانية والرومانية التي حدثت في عهد هذين البطلين والعادات والاخلاق القديمة وطلاوة اسلوب فلوطرخوس وحسن اختياره للمواضيع التي يكتب بها — كل هذه امور يعرفها القراء و يعرفون اهميتها ولذلك فانهم سيطالعون المقالات التالية عن حياة اسكندر الكبير وقيصر مع



(١) فلوطرخس — فلوطرخس او (بلوتارك) موْرخ وفيلسوف يوناني ولد سنة ٥٠ للميلاد وتوفي سنة ١٢٠ وهو من اكابر موْلفي اليونان واعظم ادبائهم · وقد امتاز في كتاباته بسرد امثال وقصص صغيرة تُشرب الفكر والنفس الموضوع الذي يتكلم عنه · واهم موْلفاته كتاب « تراجم اعاظم الرجال » وهو الكتاب الذي جمع فيه تراجم كثيرين من اعاظم اليونان والرومان وقابل بين فضائلهم و رذائلهم فتارة فضل اليونانيين وطوراً فضل الرومانيين · وقد تُرجم هذا الكتاب الى جميع اللغات الا العربية وفي جملة الذين طالعوه بامعان وشهدوا بانهم استفادوا من مطالعته فوائد كبرى نابوليون الاول وجان جاك روسو ولويس الخامس عشر كما ذكرنا في الاعداد الماضية · وقد اخذنا منذ اليوم ننقل عنه تاريخ الاسكندر كما ترى

المقابلة بينهما بارتياح يوازي الارتياح الذي نجده ونحن نكتبها

وقبل الشروع في هذا الامر الخطير نقول اننا ننقل اقوال فلوطرخوس في هذه الشؤون بالتصرف الذي يقتضيه المقام و يطلبه القلم مما لا يخرج عن الموضوع الاصلي . وننبه ايضاً ان الرجل لا يكتب هنا تاريخاً جافاً ناشفاً وانما يقبض بيديه على نفسي اسكندر وقيصر العظيمتين و ينزل الى اعماقها و يشرحهما تشريحاً بسيكولوجياً جميلاً دالاً على ما اشتهرتا به من الفضائل والرذائل وما صنعتاه من عظيم الاعمال وصغيرها مكتفياً في بعض الاحيان بعبارة واحدة للدلالة على اخلاق قائلها باحسن ما تدل عليه معارك شهور وايام . فهو يكتب سياسة وفلسفة وادباً واخلاقاً وعادات ملتوتة كلها بالتاريخ كما تلت قطعة من الخبز بالسمن والعسل فتكون مغذية ولذيذة معاً

***

❊ولادة الاسكندر❊ ولد الاسكندر(٢) في السادس من شهر " هكاتومبون " الذي كان المكدونيون يسمونه " لوس " ونسميه نحن اليوم يوليو وذلك على الارجح في سنة ٣٥٦ قبل الميلاد المسيحي . وابوه هو فيليبوس ملك مكدونيا وامه اولمبيا وهي يتيمة من مدينة ساموتراسوس عرفها فيليبوس في صباها فاحبها واقترن بها . وقبل اقترانه بها رات اولمبيا في الحلم ان صاعقة انقضت عليها فاضرمت ناراً هائلة ثم تفرقت قطعاً قطعاً وتلاشت (*) . هذا ما راته هي في الحلم . اما ما رآه فيليبوس فهو ان امراته مختومة بختم اسد . فنهض من نومه مذعوراً واذ عرض حلمه على المفسرين اشاروا عليه بمراقبة امرأته مخافة ان تخونه . اما اريستاندر تلماز الذي كان يرافقه في حروبه فانه ازال سوء ظنه بقوله " ان الاناء الفارغ

(*) اذا راى القراء فيما يلي كثيراً من هذه الاحلام والرؤى وما اشبهها من التقاليد اليونانية والرومانية فلا يضربوا بها عرض الحائط ويحسبوها اوهاماً فانها على افتراض انها اوهام في الحقيقة فانها قد اصبحت لشيوعها وتناقل الالسنة والاقلام لها جزءاً من التاريخ القديم : واذا حاولنا تجريد التاريخ منها لان فيها شيئاً فاسداً كنا كمن يقلل جمال التاريخ القديم لان بهاءه وجماله في هذه الخيالات والرموز التي كان يحترمها الاقدمون احتراماً دينياً . ومع ذلك فاننا نقول مع برناردين دي سان بيير اي رجل يستطيع ان يؤكد ان ما يقوله في التاريخ هو الحقيقة استناداً الى اقوال لسواه لا يبعد ان تكون هي الفاسدة

لا يُختم وانما يختم الملآن فامراتك حامل والولد الذي حملت به سيكون اسداً عظيماً »

وفي بعض التقاليد ان اسكندر ليس لابيه ولكن لشخص آخر لم تذكر اولمبيا اسمه لاحد الا لاسكندر نفسه قبل سفره الى حروبه . وفي هذه التقاليد ايضاً ان جو بيتير وهو اله الالهة عند اليونان تجسم في تنين واختلى باولمبيا فاتى فيليبوس زوجها فراى باب غرفتها مغلقاً فوضع عينه على ثقب الباب فابصر جو بيتير على فراشها فعميت في الحال عين فيليبوس التي ابصر جو بيتير بها . وفي بعض الروايات ان اولمبيا كانت اذا حدثها احد عن ابي اسكندر الحقيقي وقال لها ان اسكندر نفسه يطلب معرفته تافقت واظهرت الضجر ثم قالت « ان اسكندر لا يسكت عن هذا الامر حتى يُغضب جينون عليَّ » وجينون هي امراة الاله جو بيتير تخشى ان تغار منها اذا قيل ذلك القول عن زوجها . فاذا صح ان اولمبيا كانت تقول ذلك كان قولها هذا اما لوهمها وخوفها من جينون او لانها كانت لا تكره ان يظن اليونانيون بعلاقتها مع الاله جو بيتير(٣)

وولد الاسكندر في اليوم الذي احترق فيه هيكل ديانا العظيم في افسس . قال فلوطرخوس : وقد قال الكاتب هجيزياس ما نيبزي في سبب هذا الحريق قولاً بارداً كان كافياً لاطفائه ... وهو « ان الالهة ديانا كانت في ذلك اليوم مشغولة بولادة اسكندر فلم تستطع ان تحمي هيكلها » على ان جميع المجوس الذين كانوا يومئذٍ في افسس دب الخوف في نفوسهم لاعتقادهم بان احتراق هذا الهيكل العظيم دليل على قرب وقوع خطب جسيم فخرجوا الى الشوارع واخذوا يركضون ويلطمون ويصرخون انه يجب ان يكون قد ولد في هذا اليوم بلاء عظيم لآسيا كلها

ولما ولد الاسكندر كان ابوه فيليبوس يستولي على بوتيده وهي مدينة في مكدونيا فبلغه في ذلك اليوم ثلاثة اخبار سارة . الاول ان قائده بارمنيون هزم الايليريين في معركة كبيرة والثاني انه نال جائزة سباق المركبات في الالعاب الاولمبية والثالث انه ولد له



(٢) اسكندر الكبير — رسم اسكندر ذي القرنين المكدوني القائد العظيم وهو مخضع اليونان وفاتح فارس وصور وصيدا ومصر والهند وبابل وغيرها . وفيه قال بعضهم انه لكبر نفسه لما رأى انه لم يبقَ في الارض بلاد يفتحها اخذ يبكي كصغار الاولاد وبذلك كانت نفسه اكبر من العالم . انظر تفاصيل ترجمته في الفصول التالية

غلام · فيكون قد انتصر في يوم مولد اسكندر ثلاثة انتصارات · وقد استشار العرافين في ذلك فقالوا له ان ولدًا يولد في يوم ينتصر فيه ابوه ٣ انتصارات فذلك دليل على ان الولد سيكون غالبًا طول عمره

***

﴿ جسمه واخلاقه ﴾ ولم ياذن الاسكندر لاحد من النحاتين ان يصب تمثاله غير النحات ليزيب وقد حاول كثيرون من خلفائه ان ينقشوا تمثال الاسكندر فلم يبلغ احدهم حد الاتقان الذي بلغه ليزيب فانه تفرد بجعل عنق الاسكندر مائلة الى الكتف اليسرى كما كانت في الحقيقة وبتمثيل اللطف الذي كان يبدو في عينيه · وقد نقشه النقاش آبل بصورة جو بيتير وهو حامل الصاعقة بيده ولكنه لم يحسن جعل لون بشرته كما هو فانه جعله اسمر مع انه ابيض ناصع البياض · ومما كان يزيد هذا البياض جمالاً كونه مشربًا احمرارًا ورديًا لطيفًا في كل جسمه وعلى الخصوص في وجهه وصدره · ويقول اريستو كسينوس في كتاب له ان جسم اسكندر كانت تنبعث عنه رائحة طيبة فلعل السبب في ذلك كون طبع الاسكندر حاميًا ودمه حارًا قويًا لان الرائحة الطيبة على ما قاله« تيوفراست » نتيجة الحرارة الشديدة بدليل ان البلاد التي تكون اشد حرارة تكون ازهارها اذكى رائحة لان حر الشمس يمتص كل الرطوبة التي هي من اسباب الفساد في كل الامور والشؤون · · وفي هذا المقام نقول ان حرارة طبع الاسكندر هي السبب في شجاعته وميله الشديد الى شرب الخمر

غير ان الاسكندر كان مع طبعه الحامي معتدلاً في ملاذه الجسدية ولكن مفرطًا في ما بقي · اي انه كان لا يعبأ كثيرًا بالمآكل والمشرب وما اشبه ولكنه كان من صغره شديد النزوع الى العلى وطلب المجد · وكان يميل بالاكثر الى المجد العسكري اما





(٣) جو بيتير وجينون — هو جو بيتير اله الآلهة عند اليونان وهذا تمثاله كما نقشه النحات فيدياس اليوناني الشهير ووضعه في هيكل مدينة اولمبيا · وفي سياق الكلام عن ولادة الاسكندر ترى انهم يزعمون ان جو بيتير ابوه · ويروى ان اسكندر وهو على فراش الموت كان يقول « احس بان الدم الجاري في عروقي هو دم بشري لا الهي »

اما جينون فهي زوجة جو بيتير والهة الزواج انظر رسمها مقابل جو بيتير زوجها · وقد رأيت ان اولمبيا ام اسكندر كانت تخشى ان تغار منها جينون فتنزل غضبها بها ظنًا منها ان جو بيتير يحبها

المسابقات في الالعاب الاولمبية التي كان ابوه ذا ميل اليها حتى انه كان ينقش على نقوده الاكاليل التي ينالها فيها فانه كان غير راغب فيها وقد ساله احد اصدقائه يوماً لماذا لا تسابق في هذه الالعاب فاجاب بعظمة « اسابق ولكن على شرط ان يكون الذين يسابقونني ملوكاً »

ومن علامات عظمة نفسه في صغره ان اوخوس ملك الفرس ارسل الى فيليبوس وفداً وكان فيليبوس غائباً في مكدونيا فاستقبلهم الصبي اسكندر . ولما تعرف بهم اخذ يحادثهم فلم يسألهم مسائل تافهة باردة ولكنه اخذ يسالهم كم تبعد عاصمتهم عن بلاد اليونان . وما هي الطرق الموصلة الى اطراف اسيا . وكيف سلوك ملكهم مع رعاياه واعدائه هل يجور ام يعدل . وما هي قوات الفرس . فكأنه منذ صغره كان يفكر في صرع دولة الفرس التي صرعها بعد ذلك ومن اجل هذا كان يسال عن قواتها وطرقها . اما اعضاء الوفد فانهم اعجبوا بالفتى اسكندر وذكائه كل الاعجاب وقالوا ان كل مهارة فيليبوس ليست شيئاً مذكوراً في جانب ذكاء ابنه الصغير وحدة طبعه

وكان اسكندر يسمع وهو فتى ان اباه في حروبه يفتح البلد بعد البلد فيهز راسه كئيباً ويقول لاصدقائه « سيفتح ابي كل البلدان ولايترك لي شيئاً اصنعه معكم بعده »

ومما يدل على اخلاقه ايضاً حادثته مع الجواد « بوسافال » وكان جواداً لرجل من تساليا يدعى « فيلونيكوس » جاء به الى فيليبوس ليبيعه اياه بما قيمته ٦٥ الف جنيه . فاخذه فيليبوس مع رجال مملكته الى الميدان لتجربته وحاول الفرسان ركوبه لهذا الغرض فكان يجمح ويمنع ظهره من كل انسان . فضجر فيليبوس وقال لصاحبه خذ عنا جوادك فانه جموح لا يُعلى له ظهر . وكان الفتى اسكندر حاضراً يرى ويسمع فساءه جداً ان اباه ترك الجواد فقال على مسمع من الحاضرين « آسف كل الاسف لانهم يضيعون من ايديهم هذا الجواد الكريم بجبنهم وجهلهم » وردد هذا القول غير مرة حتى ضجر منه ابوه فقال له « اراك تلوم من هم اكبر سناً منك واكثر خبرة كأنك اقدر منهم على كبح جماح الجواد » فاجاب اسكندر نعم انا على صغر سني اقدر منهم واستطيع كبح جماحه . فقال ابوه مدهوشاً واذا عجزتَ عن ذلك . قال اسكندر اذا عجزتُ فانني ادفع ثمنه

فضحك الجميع من هذا الجواب وامر فيليبوس ان يؤتى الاسكندر بالجواد فدنا منه اسكندر متلطفاً وتناول لجامه ثم ادار راس الجواد الى الشمس مواجهة لانه لاحظ انه كان يرى ظله بالشمس وان ذلك كان السبب في اجفاله وجموحه . ثم جعل يدلس له على عنقه

ويخاطبه بلهجة لطيفة حتى آنس اليه بعض الشيء فتحفز من غير ان يدري الجواد به ووثب كالطير الى ظهره وجمع العنان في يده جمعاً شديداً على الجواد دون ان يغيظه بوكزة او ضربة او كلمة. ثم لما رآه قد اصبح لا يطلب الا الانطلاق ارخى له العنان وزعق به ورفسه بقدميه في بطنه فانطلق الجواد به كالبرق البارق او السهم المارق

فاجفل فيليبوس مع رجاله خوفاً على اسكندر ولبثوا مبهوتين شاخصين الى الفارس وفرسه كأن على رؤوسهم الطير. واذا بالاسكندر يعود كالسهم بالجواد وهو ثابت في ظهره كالطود الشامخ — على صغر سنه وجسمه. ففتح ابوه ذراعيه له فنزل الفتى اسكندر عن الجواد فعانقه فيليبوس وبكى من شدة فرحه لبسالة ابنه وقال له « يا بني اطلب مملكة تكون اهلاً لك غير هذه المملكة فان مكدونيا تضيق دون نفسك » (٤)

وهكذا اظهر الاسكندر وهو صغير عظمة نفسه وكبر مستقبله

***

﴿ تربيته ﴾ وسلم فيليبوس ولده في بدء الامر الى عدة معلمين لتربيته وتعليمه الادب واللغة والموسيقى وكان اكبرهم ليونيداس من اقرباء الملكة اولمبيا ام اسكندر. وكان يدعى « مهذب اسكندر » ولم يدعَ معلماً رغبة في زيادة اكرامه لانه نسيب الملكة

الا ان فيليبوس كان يرى ان اخلاق ابنه صعبة شديدة لا يقدر على تلطيفها وتهذيبها هولاء المعلمون بل يقتضي ذلك مهذباً اوسع علماً وابلغ حكمة لان النفس كما قال فيها سوفوكل تستوجب ادارتها « اكثر من لجام واكثر من دفة » ولذلك استدعى له اكبر فلاسفة اليونان في ذلك الزمان وهو الفيلسوف اريسطو (٥). وهذا نص الكتاب الذي كتبه اليه بهذا الشان

« سلام من فيليبوس الى اريسطو



(٤) فيليبوس — هو فيليبوس المكدوني ابو اسكندر الكبير ولد في سنة ٣٨٢ قبل الميلاد وحكم على عرش مكدونيا من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ وهو اول من اخضع اليونان وقضى على استقلالهم. وكان الخطيب ذيموستينوس الشهير عدوه الاكبر فقام ينبه الاثينيين بخطبه الشهيرة الى الخطر الذي يصيبهم بتنافرهم وترك فيليبوس يستفحل امره فلم يعبأوا باقواله حتى كسرهم فيليبوس واخضعهم انظر ترجمة ذيموستينوس في هذه المقالة

اما بعد فانني ابلغك بانه قد ولد لي غلام . وانني اشكر الالهة لانه ولد في زمانك لتهذبه وتربيه لي حتى يكون جديراً بان يكون ابني واهلاً للمملكة التي خُلق لها »

وكان عمر الاسكندر يومئذٍ ١٣ سنة فتولى اريسطو الفيلسوف تهذيبه وتثقيفه ورغبة في مكافاته واكرامه على ذلك اعاد فيليبوس بناء مدينة ستاجير مسقط راس اريسطو التي كان قد هدمها في حروبه واستدعى اليها سكانها الذين كانوا قد فروا منها وانشأ للفيلسوف وتلميذه مكاناً سماه « نينفيوم » قرب ميبزا حيث اقام اريسطو مقاعد حجرية للجلوس عليها ومظالاً حجرية ايضاً للتنزه واتقاء حر الشمس تحتها

وبقي اريسطو يهذب نفس اسكندر ويغذيها بحكمته وفلسفته حتى اتم عمله فبقي في مكدونيا حتى اتم ١٨ عاماً فيها ثم سافر الى اثينا . ولم يتعلم منه اسكندر الادب والسياسة والعلم فقط بل تعلم الفلسفة الالهية وما وراء الطبيعة وهي العلوم التي كان اريسطو لا يطلع العامة عليها وقلما يباحثهم بشانها . ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان اسكندر بعد سفره في حروبه الى آسيا بلغه ان اريسطو نشر كتباً بهذا الموضوع فكتب اليه كتاباً اظهر فيه غيرته على هذه العلوم ان تُنشر وهذه خلاصته

« سلام من اسكندر الى اريسطو

« اما بعد فانني لا استحسن نشرك للجمهور كتباً كالكتب التي نشرتها . اذ اية مزية تكون لنا على عامة الناس اذا كانوا يعلمون العلوم التي نعلمها . ولا اكتمك انني اكثر رغبة في ان امتاز عنهم بالمعارف السامية من ان امتاز عنهم بالقوة »

فما اسماك ايتها الفلسفة التي يفتخر الملوك باقتنائك ويفضلونك على القوة والامجاد العالمية

ما اريسطو فاجابه بالكتاب التالي

« سلام من اريسطو الى الملك اسكندر

اما بعد فانك كتبت اليَّ تقول انه كان يجب ان لا انشر الكتب التي نشرتها في الفلسفة ولكن فاعلم انني نشرتها وكأنها لم تُنشر اذ لا يفهمها احد الا الذين سمعوني اخطب في



(٥) اريسطو — هو اشهر فلاسفة اليونان وُلد في ستاجير من اعمال مكدونيا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ في كالسيس . وله مؤلفات جمة تخلد اسمه الى ابد الدهور وكان مربي الاسكندر كما ترى في هذه المقالة

موضوعها والسلام »

وكان اسكندر يحب اريسطو ويعجب به ويقول انه لا يحب اباه فيليبوس اكثر مما يحب معلمه اريسطو لان اباه لم يمنحه شيئاً غير الحياة واما اريسطو فانه علمه كيف يقضي الحياة . الا انه في ايام ملكه ارتاب في هذا الفيلسوف فابتعدعنه دون ان يسوءه بشيء . ومع ذلك فان قلبه بقي ملتهباً بحب الفلسفة والادب وكفى برهاناً على ذلك اكرامه الفلاسفة مثل اناكسارخوس ومنحه الفيلسوف كسنوكراتوس ما قيمته ٢٥٠ الف جنيه واحترامه للفيلسوفين دأنداميس وكالانوس

ومن دلائل حبه للادب انه كان وهو في غزواته يبعث في طلب الكتب الادبية كروايات اوريبيد وسوفوكل واشيل وكان مولعاً بمطالعة رواية الايلياذة الشعرية التي وضعها هوميروس(٦) اشعر شعراء اليونان فكان يطالعها في الليل بعد معارك النهار وعند نومه يضعها تحت وسادته . وبالجملة فانه كان ذا ميل شديد للدرس والمطالعة والفضل في ذلك لمعلمه اريسطو الذي ربى هذا الذوق فيه

***

﴿ ابتداء حياته السياسية ﴾ ولما دارت رحى الحرب بين فيليبوس والبيزانتيين



(٦) هوميروس — هو اشعر شعراء اليونان بل يعتبرونه اشعر شعراء العالم على الاطلاق . وفي التقاليد اليونانية انه رجل اعمى رث الملابس كان يطوف المدن والقرى اليونانية وهو ينشد اشعاره . ومن مجموع هذه الاشعار تالفت قصيدتاه البديعتان البليغتان وهما « الايلياذه والاوديسه » وفي الايلياذه يصف معارك اليونانيين وحروب ترواده وغيرها وهذا ما كان يطالعه الاسكندر في حروبه كما كان يطالع نابوليون الاول تفاصيل معارك الاسكندر . ومنهم من يزعم ان هوميروس شخص وهمي اي انه لم يوجد قط وانما قصائده هذه مجموع اشعار نظمها كثيرون من شعراء اليونان في عدة ازمنة . ولكن يرد بعضهم على هذا القول بان هذه الاشعار منظومة على وتيرة واحدة اي ان البلاغة والبساطة والسهولة التي فيها موجودة في كل اجزائها مما يثبت ان ناظمها رجل واحد اذ لو كان غير واحد لما كانت كذلك . وحسنٌ بالذين يطلبون اقتباس البلاغة والاصطلاء على نار الحماسة اليونانية القديمة ان يطالعوا الايلياذه والاوديسه . وهما قد تُرجمتا الى جميع اللغات الا العربية

كان عمر اسكندر ١٦ سنة فولاه ابوه الملك مكانه في مكدونيا تاركاً ختم المملكة بين يديه وسار الى الحرب . فاغتنم المداريون هذه الفرصة وشقوا عصا الطاعة فسار اليهم الفتى اسكندر فاخضعهم ودخل الى عاصمتهم فطردهم منها واسكن فيها اقواماً غيرهم وسماها « الكسندروبوليس » اي اسكندرية فكانت المدينة الاولى التي سُميت باسمه . ثم رافق اباه في معركته مع اليونان في شيرونه وكان اسكندر فيها اول من هاجم فرقة الثيبيين . قال فلوطرخوس ولا يزال يوجد الى ايامنا هذه سنديانة بقرب سفيزيا تدعى سنديانة اسكندر لان خيمته نُصبت بازائها . وبجانب هذه الشجرة دفن المكدونيون الذين قُتلوا في هذه الحرب . وقد اعجب فيليبوس بما اظهره ابنه من البسالة في هذه المعارك . ولما كان يسمع المكدونيين يلقبون



ذيموستينوس — ذيموستينوس او ديموستين اخطب خطباء اليونان على الاطلاق . ولد سنة ٣٨٥ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ . وكان في اول عمره خامل الذكر وفي لسانه حبسة ولثغة وفي قامته اعوجاج . فقام في ذات يوم يخطب على الاثينيين فهزأوا به واسكتوه . فنزل عن المنبر قائلاً «سيأتي يوم ايها الاثينيون تتمنون فيه ان تسمعوا كلامي» ثم سار وانقطع الى تعلم الخطابة فجعل همه تقوية صوته وصدره وتقويم لسانه وقامته وضبط حركاته . فانفرد يخطب على امواج البحر وكان يقول انه يجب ان يعتاد هياجها لان تقلبات الشعب تشبهها في الهياج . ولما كان يخطب عليها كان يضع حصى في فمه لاصلاح لثغته . واحياناً كان يجرد سيفاً ويضع راسه على جانب من جسمه ليمنع نفسه من بعض حركات غير جائزة عند وقفته . ومن غريب ما كان يصنعه ايضاً انه كان يحلق شعر راسه حتى يمنع نفسه من الخروج من منزله رغبةً في ان يبقى فيه مقيماً على نسخ كتب المؤلف توسيديد فكان ينسخ الكتاب الواحد ٧ او ٨ مرات لترسخ معانيه واساليبه البليغة في ذهنه . وما فتئ على هذه المثابرة والجد حتى بلغ اقصى درجات الخطابة فادهش الاثينيين واستمالهم اليه بسحر بيانه وطلاقة لسانه . ويسمونه عدو فيليبوس ابي الاسكندر الذي مرَّ ذكره كما تقدم عند الكلام على فيليبوس . وله فيه خطب باهرة تدعى « الفيليبوسية » نسبة الى فيليبوس . وكان يعيره خصومه الذين تغلب عليهم وكسف نورهم بان رائحة الزيت تُشتم من خطبه يعنون انه يستعد لها ويكتبها في الليل فيجيبهم « نعم ولكن الزيت الذي ينير خطبي هو غير الزيت الذي ينير خطبكم » يعني ان روح البلاغة التي يضعها في اقواله هي غير الروح التي يضعونها في اقوالهم

اسكندر « الملك اسكندر » و يلقبونه هواي فيليبوس بلقب القائد فقط كان يضحك من ذلك و ينشرح صدره فرحاً وسروراً

ولكن فيليبوس ما لبث ان احب نساء غير زوجته وتزوج بهن فثارت الغيرة بين نسائه فتحاسدن واتصل هذا الداء القبيح بجميع اجزاء مملكته فتحاسدت تحاسدهن ايضاً . وكانت اولمبيا ام اسكندر تبث في صدر ولدها روح مقاومة ابيه حتى وقع النزاع والخلاف بينهما . وزاد هذا الخلاف يوم زواج فيليبوس بكليوبتره . فان اتالوس عم هذه الملكة شرب من الخمر في العرس حتى فقد الرشد فالتفت الى المكدونيين الحاضرين وطلب منهم ان يسالوا الالهة ان تمنحهم من كليوبتره زوجة فيليبوس الجديدة وارثاً شرعياً للملك . وكان اسكندر حاضراً فصاح به « يالك من وغد لئيم . اوتحسبني لقيطاً حتى تقول هذا الكلام » ثم تناول كاسه ورماه بها في راسه . فاغتاظ فيليبوس من صنيع ابنه فجرد سيفه ونهض هاجماً به عليه . ولكنه ما خطا خطوتين حتى عثر فسقط على الارض من السكر والغضب . فنهض حينئذٍ الفتى اسكندر وصاح بالحاضرين مشيراً الى ابيه « ايها المكدونيون انظروا الى ملككم فانه يطلب ان يسير بكم من اوربا الى آسيا وهو لا يستطيع المسير من مائدة الى اخرى » ثم خرج من القاعة واخذ امه اولمبيا وسار بها الى ابيروس فنزل ضيفاً عند الايلير بين

وسنأتي في الجزء القادم وما يليه على تتمة الكلام . ولا شبهة لدينا ان القارئ يرتاح الى هذا الاسهاب الذي نسرد به تاريخ اسكندر لما فيه من الفائدة واللذة كما ترى مع اننا الآن لا نزال في اول حياته

رسوم هذه المقالة — سننشر في اثناء الكلام عن تاريخ حياة اسكندر وقيصر رسوم اهم الاشخاص والاثار القديمة التي تعرض لنا كما صنعنا في هذا الجزء . ولا يسعنا الا ان نقف بازاء هذه السحن اليونانية العظيمة متاملين في عظمتها الماضية . فنجد انها تمثل اسمى القوات الفلسفية في ارسطو واسمى القوات العسكرية في اسكندر واسمى القوات الادبية في فلوطرخوس المؤرخ والعالم بادب النفس الشهير واسمى قوات التصور والفصاحة في هوميروس وذيموستينوس واعظم الاميال الروحية في جوبيتير . واذا اضفنا الى ذلك منظر جينون التي تمثل المرأة اليونانية احسن تمثيل وما ينعكس عن وجوه هولاء الرجال الاعاظم من اثار الشمم اليوناني وملامح العظمة العسكرية والفلسفية والادبية خيل لنا ان شمس التمدن اليوناني القديم التي انارت العالم كله تنير الآن هذه الصفحات القليلة وتنثر عليها شيئاً من بهاء مجدها القديم

باب المقالات

ثوران بركان يزوف

في الشهر الماضي

يزوف بركان عظيم قائم في ايطاليا الى جنوب نابولي الشرقي على مسافة ٨ كيلو مترات منها. ثار هذا البركان في سنة ٧٩ بعد الميلاد فدفن تحت مقذوفاته مدينتي بومباي وهركيلانوم الرومانيتين كما فصلنا ذلك مطولاً في مقالة « ثلاث مدن تحت الرماد » التي نشرناها في الجزء العشرين



جبل يزوف وثورانه

وقد ثار هذا البركان في ٧ الجاري فاخذ يجيش ويصعق صعقات هائلة كانت ترتج لها اسس الارض والدخان ينبعث من فوهته ومقذوفاته من الحجارة والرماد تصعد الى علو ٣ او ٤ مائة متر . فجزع سكان القرى والبلاد القائمة على سفحه وحسبوا انهم سيدفنون كما دُفن سكان بومباي وهركولانوم قبلهم. فخرج بعض اهالي مدينة توردل كريكو الى الخلاء وقضوا ليلهم ونهارهم فيه خوفاً من زلزلة الارض. واخرج البسطاء في توردل كريكو وريزينا وتور برانكا كيو صور القديسين الى الشوارع وعرضوها فيها استنجاداً بها على البركان الثائر

وبعد ثورة البركان ببضع ساعات والناس في خوف وجزع همدت مقذوفاته وسكتت صعقاته فاصدر الاستاذ سيمولا مدير المرصد الفلكي الايطالي القريب من البركان مذكرة لتسكين الافكار وفيها يقول ان الخوف قد زال والحمد لله. ولكن ما انتشر هذا الخبر وكادت القلوب تسكن حتى ثار البركان على حين فجأة ثورة اشد وانكى . فانحجبت قمته بالدخان الكثيف الذي كانت تلمع فيه السنة اللهيب المنقذفة وتُسمع منها ومن جوف الارض صعقات ترتجف لها القلوب في الصدور . فصدرت الاوامر الى الحراس المتطرفين في الجبل ان يرتدوا في الحال ويمنعوا السياح من الصعود اليه . ولكن ثلاثة من سياح الانكليز تسلقوا الجبل لمشاهدته على غير علم من الحراس فما لبثت الحجارة المنقذفة من البركان ان اصابتهم فقتلتهم فراحوا شهداء شجاعتهم وحبهم الاستطلاع والمشاهدة . ثم اشتد قذف الحجارة والرماد فخربت اكواخ الادلة الذين يرشدون السياح في الجبل ودفنتها تحتها وخربت ايضاً بعض المحطة العليا التي في الجبل . واستمر هذا الهياج حتى ١٠ الجاري ثم خمد على حين فجأة ايضاً كما ثار على حين فجأة

وبعد هذا السكون صعد دليل الى قمة البركان بحذر وتأن ثم عاد بعد مشاهدة فوهته وقال ان البركان لا يزال يقذف الرماد قذفاً خفيفاً وجوفه يُسمع له ازيز هائل كازيز قدر هائلة تكون فوق نار حامية . وقمته ينبعث منها غاز شديد يقتل لشدته كل من يدنو منها . وكأنها قد اتسعت من ثورة البركان وتجمع حولها من حممه شيء كثير

ويقول الادلة والحراس انهم خافوا هذه المرة خوفاً حقيقياً . وقد رفض كثيرون منهم ان يسيروا مع السياح الانكليز والانكليزيات النازلين في الفنادق التي عند سفح الجبل والذين كانوا يطلبون منهم بالحاح شديد ان يسيروا بهم في الجبل ليشاهدوا اثار هياجه . ومن الغريب المدهش ان يكون الحراس والادلة الذين عاشوا في تلك الاماكن هم الذين يخافون الاقتراب منها والانكليز السياح مِن كل مَن

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

هم الذين يطلبون الاقدام على مشاهدة البركان . اليس في ذلك احسن دليل على عظمة التربية الانكليزية واتخاذ ابناء هذه الامة الاقدام والجرأة شعاراً لهم في كل الامور

ويبلغ ارتفاع بركان يزوف ١٢٠٠ متر عن سطح البحر وقد ثار في القرن التاسع عشر ثلاث مرات : سنة ١٨٢٢ و١٨٦١ و١٨٧٢ . وهذه هي المرة الرابعة التي يثور فيها

اما ثورته في ١٨٢٢ فيقال ان الرماد المقذوف من فوهته يومئذٍ قد بلغ الاستانة . وفي

سنة ١٨٦١ اشتدت زلازله حتى شعر بها سكان نابولي وخافوا منها ونزل عليهم منه يومئذٍ مطر من الرماد الحامي والرمل · وقد جرت مصهوراته في هذه الثورة الى مدينة توردل كريكو القريبة منه فكانت كأنها نهر عرضه ٣٠٠ متر يجري ولكنه لا يقطع اكثر من كيلو متر واحد في اليوم · وقد هُدمت هذه المدينة لتشقق الارض بسبب هذه المقذوفات بعد جفافها ودُفنت تحتها بعض شوارعها ثم اعيد بناؤُها

والآن فلا بد ان يسأل القارئ من اين تاتي النار والرماد والمواد المصهورة التي تنقذف من فوهاتِ البراكين· فنجيب ان هذه المسالة اختلف العلماء في حلها ولكن اكثرهم يذهب الى ان باطن الارض مصهور ذائب من فعل الحرارة التي في باطن الارض · ويثبتون وجود هذه الحرارة بالبرهان الحسي وذلك بحفرهم في المناجم فانهم كلما تعمقوا حفراً في الارض ازدادت الحرارة · واذا قيل من اين اتت هذه الحرارة الى باطن الارض قلنا ان العلماء يذهبون ان هذه الحرارة محفوظة في جوف الارض منذ كانت الارض كتلة نارية غازية حين انفصالها عن الشمس والله اعلم

ومما مر يظهر فساد زعم الذين قالوا وفي مقدمتهم سترابون المؤرخ بان يزوف قد انطفأت نيرانه وخمدت انفاسه · ويظهر لنا ايضاً من ذلك ان الانسان مهما عظم وتسلط على الطبيعة واخضع نواميسها فانه يبقى ولداً صغيراً بالنسبة اليها عاجزاً عن اخضاعها كلها

الاصلاح في الدولة العلية

تلقينا في العام الماضي بتمام الارتياح والسرور خبر منح الدولة العلية الامتياز بمد سكة حديدية ما بين النهرين لان هذه السكة تعمرّ بلاداً من اخصب البلاد العثمانية ان لم نقل اخصبها · وننقل الآن بتمام الاتياح والسرور ايضاً خبر عزم الحكومة على مد الاسلاك البرقيـة والسكك الحديدية بين دمشق الشام والاقطار الحجازية لانها تُمد في بلاد شديدة الحاجة اليها

وقد صدرت ارادة مولانا السلطان الاعظم بتاليف لجنة تتولى هذا العمل العظيم تحت رئاسة جلالته وعهد الى صاحبي الدولة ناظم باشا والي ولاية سوريا والمشير جواد باشا في دمشق الشام بتنفيذ قراراتها · وسيرسل بلوكان من الجنود لبناء هذه السكة تحت مراقبـة ضباطهم لان السكة عسكرية والجنود تبني السكك العسكرية في جميع البلاد

اما خطة هذه السكة فلم توضع بعد · ولكن يلوح لنا منذ الآن انه سيكون منها فوائد عظيمة

الفائدة الاولى ادارية · فان الحجاز متى ارتبط بالاستانة بالاسلاك البرقية والسكك الحديدية كما ترتبط الاعضاء بالراس اصبح اقل اضطراباً مما كان في الايام الماضية لان الاستانة تصبح اقدر على الضغط عليه وتنفيذ ارادتها في عربانه · وكأن بعض الجرائد الافرنجية التي لا تريد الخير للدولة قد ادركت ذلك فقامت تدعي ان دولة شريف مكة سيعارض في مد الاسلاك البرقية والحديدية في بلاد الحجاز لانها تضعف نفوذه وتقلل استقلاله · ولكن نسيت هذه الجرائد التي تطالب الدولة بالاصلاح دائماً ان قولها هذا قد يكون بمثابة عثرة في سبيل الاصلاح لانها تقوله على سبيل الاغراء والتحريض

والفائدة الثانية عسكرية · فان الدولة لم تمد هذا الخط من جده او من ينبع اي من شواطئ بحرية ولكنها مدته من مدينة داخلية ليس للسفن الحربية اليها وصول وبذلك تقبض على ناصية الحجاز وتأمن على الاراضي الاسلامية

والفائدة الثالثة تعمير الحجاز · فانه من الثابت الذي لا مكابرة فيه انه حيثما دخلت السكك الحديدية دخلت وراءها العمارة وتعززت التجارة والزراعة وتحسن حال السكان ولا سيما اذا كانت تلك السكك غير محصورة في ولاية او ولايتين · وهذا الامر يذكرنا الامتياز الجديد الذي نالته شركة سكة دمشق الشام من مد خطها الى حماه · فان مد هذا الخط الى حماه وان كان ظلماً واضحاً لمدينة طرابلس التي تُعتبر حماه وحمص من املاكها الخلفية التي لا يحق لبيروت ان تعتدي عليها في شرع السياسة المدنية فانه مع ذلك سيكون خيراً للبلاد · لان دمشق متى ارتبطت بحماه اصبح من السهل ربطها بحلب ثم سهل ايضاً ربط حلب ببغداد وحينئذٍ يظهر الى الوجود مشروع نافع عظيم وهو اتصال السكك الحديدية في الاناضول ووادي الفرات والشام والحجاز · فتصبح البلاد العثمانية جسماً مرتبطاً بعضه ببعض فوقه الاستانة مرتبطة به ارتباطاً مكيناً

ولكن لا ننسينَّ مصر في كلامنا عن هذا المشروع العظيم · فقد راينا ان الدولة تحذر بعض الحذر ان تمد سكة الحجاز من ميناء بحري على شاطئ البحر الاحمر وهذا مما يجعل الحجاج في المستقبل يسافرون الى بلاد الدولة ومنها يركبون القطارات الى مكة المكرمة فراراً من السفر براً عن طريق جده وينبع · فماذا يصنع الحجاج المصريون يومئذٍ

يقيننا ان مصر لا تتركهم يومئذٍ يعانون عناء السفر بحرًا الى بلاد الدولة ثم الانتقال الى القطارات للسفر الى مكة بل انها تبحث في اخراج المشروع المصري السوري القديم من حيز القوة الى حيز الفعل ونريد بهذا المشروع وصل القطر المصري ببلاد الشام بسكة حديدية. فاذا تم ذلك بسبب مد سكة الحجاز كانت منافع هذه السكة مما لا يحصيه قلم ولا يعده لسان

ويومئذٍ يصبح المصري قادرًا على السياحة وهو جالس ناعم البال في مركبة ناعمة الفراش تجري به من الاسكندرية الى الحجاز فالشام فوادي الفرات فالاناضول حتى عاصمة السلطنة السنية

والفائدة الرابعة لسكة الحجاز دينية وهي تسهيل الحج وتأمين سبيل مكة. ولا يخفى ما في هذا الامر من زيادة عدد الحجاج

ورغبة في تبيان المصاعب التي يلقاها الآن الحجاج في مسيرهم الى الحج يكفي ان ننقل عن جريدة ثمرات الفنون الغراء جدول بيان مراحل ركب الحج الشريف من دمشق الى مكة مع اسماء المحطات والمسافات التي بين كل منها مما لم نقف عليه في غير رصيفتنا بالضبط والتدقيق الواجبين. واليك هذا البيان

الطريق من دمشق الى مكة

المرحلة الاولى من دمشق الى الكسوة ساعتان والمرحلة الثانية الى الكتيبة ٩ ساعات والمرحلة الثالثة الى المزيريب ٣ ساعات والمرحلة الرابعة الى الرمته ٥ ساعات والمرحلة الخامسة الى المفرق ١٠ ساعات المرحلة السادسة الى الزرقاء ١٣ ساعة المرحلة السابعة الى البلقاء ١٦ ساعة المرحلة الثامنة الى القطرنة ١٤ ساعة المرحلة التاسعة الى الحسا ١٣ ساعة المرحلة العاشرة الى عنزة ١٣ ساعة المرحلة الحادية عشرة الى معان ١٠ ساعات المرحلة الثانية عشرة الى العقبة ١٨ ساعة المرحلة الثالثة عشرة الى المدوره ١٨ ساعة المرحلة الرابعة عشرة الى داد حج ٨ س المرحلة الخامسة عشرة الى القاع الصغير ١٣ ساعة المرحلة السادسة عشرة الى عاصي خرما ١٢ س المرحلة السابعة عشرة الى الاخضر ١٨ س المرحلة الثامنة عشر الى المعظم ١٤ س المرحلة التاسعة عشرة الى ظهر الحمراء ١٦ س المرحلة ٢٠ الى مداين صالح ١٨ س المرحلة ٢١ الى آبار الغنم ١٠ س المرحلة ٢٢ الى بئر الزمرد ١٦ س المرحلة ٢٣ الى بئر الجديد ٨ س المرحلة ٢٤ الى هدية ١٨ س المرحلة ٢٥ الى فحلتين ١٨ س المرحلة ٢٦ الى آبار ناصيف ١٠ س المرحلة ٢٧ الى المدينة المنورة ساعة واحدة المرحلة ٢٨ الى آبار علي ٣ س المرحلة ٢٩ الى

بئر ماش المرحلة ٣٠ الى الغدير ٨ س المرحلة ٣١ الى الريان ١٠ س المرحله٣٢ الى ام الضباع ١٢ س المرحله الى ٣٣ظهر العقبة ١٤ المرحله ٣٤الى رابغ محل الاحرام ٧ س المرحله ٣٥ الى القضيمة١٣ س المرحله ٣٦ الى عسفان ١٣ س المرحلة ٣٧ ال مكة ٢٠ س

وجملة هذه المراحل ٣٧ مرحلة وجملة الساعات ٤٣٠ اي نحو ١٨ يوماً

وكفى ذلك داعياً لانشاء السكة الحديدية التي يستريح فيها الحجاج من هذا العناء وعناء اعتداء العربان . ولا ريب عندنا ان انشاء هذا الخط الحديدي سيذكره التاريخ في جملة الاعمال العظيمة التي عملها جلالة السلطان في ايام ملكه

عجائب العلم

يرى القراء في هذه النبذة رسم توأمين متصلين الواحد بالآخر من صدريهما . هذا هو رسم طفلتين برازيليتين تدعى احداهما روزالينا والثانية ماريا ولدتا في بطن واحد كما ترى واخذهما ابواهما في الشهر الماضي الى " مستشفى الشفقة " في ريوجانيرو من اعمال



البراز بل لاستشارة اطبائه في فصل الواحدة عن الاخرى

فحص الدكتور راموس جراح المستشفى هاتين الابنتين وصرف انتباهه قبل كل شيء الى البحث في هل ان اعضاء الهضم فيهما مشتركة او هي مستقلة في كل واحدة منهما . وهل يوجد عند حد الاتصال بين صدري الطفلتين مواد تحول دون الانفصال ام لا

ولمعرفة ذلك استخدم الدكتور راموس اشعة رنتجن التي يُرى بها باطن الاجسام . فاخذ كمية كبيرة من هيبونترات البزموث التي تظهر باشعة رنتجن ظهورًا واضحًا في الاجسام ثم اطعم الابنتين منها ونظر باشعة رنتجن الى جوفيهما حين ابتلاعهما هذه المادة فابصر كلاً من اللقمتين تنزل مستقلة في آلتي هضم الابنتين . وبذلك ثبت له ان اعضاء الهضم فيهما غير مشتركة

على انه مع تحققه ذلك بقي في نفسه شيء من وجود الكبد . فانه خشي ان تكون الكبد مشتركة بين روزالينا وماريا كما يُرى ذلك كثيرًا في الاجسام المتصلة وحينئذٍ يستحيل فصلها اذ يستحيل شطر الكبد . ومن المعلوم ان الكبد لا تظهر باشعة رنتجن في باطن الجسم بالوضوح اللازم لفحصها فحصًا دقيقًا فلم يكن اذا بدٌّ من تحقيق ذلك جراحيًا

فاستدعى الدكتور راموس بعض رصفائه الاطباء وشاورهم في الامر بعد ان اطلعهم على رأيه ونتيجة امتحانه فصوبوا رأيه وشجعوه على اجراء العملية الجراحية لفصل الطفلتين الواحدة عن الاخرى فيطيب لهما العيش بدل من بقائهما متصلتين هكذا كانهما مقيدتان بقيود ثقيلة . فاستحضر الاطباء روزالينا وماريا واعدوا كل المعدات اللازمة للعدول عن العملية وارجاع كل شيء الى اصله اذا ثبت لهم في ابان العمل ان الفصل امر مستحيل . ثم اناموا هاتين الطفلتين المسكينتين على مائدة نومًا افقيًا حتى برز مكان الاتصال من جسميهما فاخذ احد الدكاترة الحاضرين ينشق ماريا الكولوروفورم واخذ آخر يصنع مثل ذلك بروزالينا فما مرَّت ١٥ دقيقة حتى غابتا عن الحس واصبحتا بتأثير المخدر جثتين هامدتين

فدنا حينئذٍ الدكتور راموس من روزالينا وشق بسكينه جسمها عند « الابدومين » شقًا مساحته ٦ سنتيمترات وجعله مائلاً نحو جسم ماريا . ثم رفع قليلاً الجلد الذي يغطي خط الاتصال بين الطفلتين فابصر العضلات التي هي سبب الاتصال اليمنى في جانب

ماريا واليسرى في جانب روزالينا . فاجرى العملية اللازمة لكشف الجوف من توسيع الشق وازالة ما في طريق السكين الجراحية . فانكشف له حينئذٍ جوفا الابنتين وظهرت له معدتاها وامعاؤُها مستقلة بعضها عن بعض و بذلك ثبت الفحص النظري الذي تقدم

فاراد حينئذٍ ان يتحقق مسألة الكبد كما تحقق مسالة اعضاء المضم فوسع الشق ايضاً ٣ سنتيمترات ونظر الى قسمي جسميها العلوبين فابصر الكبدين الواحدة بجانب الاخرى وهما منفصلتان في الحقيقة ولكنها متصلتان ببعض الاغشية . فسرّ لانها منفصلتان ولكنه رأى من الضرورة ان يجري عملية فصل الاغشية ليتم الانفصال . وتمهيداً لهذه العملية مدّ يده وجسّ الكبدين ليرى مساحتها

غير انه عاد فرأى ان الطفلتين لنحافة جسميها وصغر سنيها لا تستطيعان احتمال الكولورفورم مدة اجراء عملية فصل الكبدين وفصل الجسمين ثم وضع كل شيء في محله وضمد الجرحين لان ذلك يقتضي وقتاً غير وجيز وقد كادت تنفد قواها الحيوية في نومها هذا . فقرر ان ينبهها ثم يعود الى العملية في فرصة اخرى. فضمد الشق الذي شقه ونبهها فانتبهتا باكيتين خائفتين فاضحكتا كل الحاضرين . وبعد انقضاء ايام اعاد الدكتور الكرة عليهما فشق جسميهما وفصل الكبدين الواحدة عن الاخرى ثم فصل صدريهما الواحد عن الآخر ووضع كل شيء في محله وضمد الجرحين واخذ يعتني بمعالجتهما اعتناء خصوصياً تكلل بالنجاح فاصبحت كل واحدة من الاختين مستقلة بنفسها وصارتا تأكلان وتمشيان وتضحكان وتلعبان

فتأمل غرائب العلم وانظر كم تقدم علم الجراحة في هذا الزمان. ولو تقدم علم الطب النظري الباطني كما تقدم علم الجراحة لكان حضرات الاطباء الآن على الارض بمنزلة انصاف الآلهة

قال الاصبهاني في الاغاني : لما رأى الفلاسفة تابوت الاسكندر وقد اخرج ليدفن قال بعضهم : كان الملك امس اهيب منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس . وقال آخر سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان اخذهما ابو العتاهية برثاء ابنه علي قال

بكيتك ياعليُّ بدمع عيني   فما اغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عظاتٌ   وانت اليومَ اوعظ منك حياً

القسم العثماني والمصري

في معرض باريز

نشرت جريدة " لفنت هرالد " التي تطبع في الاستانة فصلاً ذكرت فيه عن القسم العثماني في معرض باريز تفاصيل لم تنشرها الجرائد بعد · ونشرت جريدة " الاكلير " الفرنسوية كلاماً عن القسم المصري في المعرض فرأينا تلخيص القولين في هذه النبذة

والذي سرنا بنوع خاص من كلام اللفنت هرالد قولها ان جميع تفاصيل الامور التي ستجري في القسم العثماني من معرض باريز قد عُرضت على السفارة العثمانية فيها والسفارة عرضتها على كومسير المعرض ووزارتي التجارة والصناعة · ولذلك فكل عثماني يمكنه ان يزور القسم العثماني والمصري دون ان تحمر وجنتاه خجلاً كما كان يحدث في بعض المعارض الماضية اذ كل لعب غير اديب وكل حركات غير ملائمة للادب من رقص او ما اشبهه — كل ذلك ممنوع منعاً قاطعاً · هكذا روت جريدة اللفنت هرالد نقلاً عن مراسلها في باريز

وقد بلغ عدد العارضين من عثمانيين ومصر بين ٦٥ عارضاً وهذا العدد هو مضاعف العدد الذي كان قد قُدر حين انشاء المعرض · واما العارضون فمنهم شركة الريجي في بلاد الدولة العثمانية ومعمل هركة السلطاني والمعمل الصيني الشاهاني في الاستانة وسعادة بوغوص باشا نوبار وشركة سكة حديد الشام ومعامل السجاد والبسط في الاناضول ومعامل حرير بروصه ومعامل حرير دمشق الشام وبعض صياغ بيروت وكثيرون من زراع جزيرة ساموس وبعض كبار التجار العثمانيين في جملتهم حضرات كوهين وتاجلوني وكساب ونسيم ومنصور وحسين · كذا جاء في الهرالد من غير القاب تعرّف هذه الاسماء

ومعروضات العارضين كلها موزعة في اقسام المعرض العثماني الثلاثة · وما عدا هذه الاقسام يوجد بازائها اماكن شرقية للهو والانس منها ملعب لبناني يلعب فيه اللبنانيون الذين لعبوا العاباً لطيفة في دمشق الشام عند زيارة الامبراطور غيليوم اياها · ومنها ملعب تركي لتمثيل روايات بالاشارة وملعب للشعوذة والعاب الخفة والمهارة · والملعب المصري المعروف · ومنها ايضاً قهوة تركية تحت ارض المعرض وبازائها متحف صغير تُعرض فيه الملابس العثمانية القديمة · وتحت الطبقة الاولى من المعرض العثماني قهوة سورية فيها غناء سوري وهي مزينة بخشب منقوش نقشاً شامياً صنع دمشق الشام

اما الطبقة الاولى من المعرض ففيه منظر القدس الشريف وبيت لحم مصنوعتين من المعدن ومنظر البوسفور البديع وهما من اكثر المعروضات جمالاً

واكثر ما يسر الاوروبين في المعرض العثماني منظر القدس الشريف فانهم يرون فيه باب الخليل المؤدي الى بيت لحم والباب الذي دخل منه السيد المسيح الى اورشليم ويرون فيه ايضاً منظر القبر المقدس يحرسه شيوخ جاثمين حوله وجانباً من جدار سليمان حيث ياتي الاسرائيليون للصلاة ولذلك ترى الاوربيين يقبلون افواجاً لمشاهدة تلك الاثار التاريخية العظيمة

وفي القسم العثماني مطعم (لوكندة) تركي يطابخ في كل يوم لزائري هذا القسم والمقيمين فيه الواناً فاخرة واذا كان الطباخون فيه ليسوا كلهم اتراكاً فلا يمنع ذلك من طبخ الوان كثيرة من الاطعمة العثمانية التي يأكل منها العثمانيون في المعرض ويفضلونها طبعاً على الالوان الافرنجية

ويوجد في القسم العثماني ما عدا ما ذُكر كثير من الامور التي تلذ مشاهدتها وتفيد معاً وعليه فانه يؤمل ان يكون القسم العثماني في معرض باريز مما يحق الافتخار به

ومما يحق الافتخار به ايضاً بناء القسم المصري الذي راينا وصفه في جريدة الاكلير . فانه مبني على شكل هيكل مصري قديم . ترتفع بضع درجات وله باب كبير واسع كابواب الهياكل العظيمة

وتحت هذا الهيكل اقبية تمثل غرف قبور سلالات الفراعنة . وفي كل غرفة مومياء ملك اوملكة من الملوك الذين حكموا مصر قديماً وعلى جدران الغرفة زينة غرف الاموات المصرية القديمة

وهذا ما جعل جريدة الاكلير تقول ان الفراعنة سيكونون في جملة الملوك الذين يزورون معرض باريز في هذا العام

اما قبة هذا الهيكل فهي من اجمل ما بنته الهندسة المصرية القديمة وهو يشبه كل الشبه بعض الهياكل المصرية القائمة في الوجه القبلي

ويوجد في القسم المصري اسواق تمثل الاسواق المصرية القديمة ومنزل يمثل المنزل الذي يسكنه جناب وكيل فرنسا السياسي في العاصمة وفيه ايضاً مرسح مصري قديم مصنوع صنعاً متقناً وفي هذا المرسح تجري الالعاب المصرية القديمة من رقص وغناء وتمثيل . قالت الاكلير . والقسم المصري في معرض باريز موضوع تحت رعاية شقيق الجناب الخديوي

صاحب الدولة البرنس محمد علي باشا وهو الامير اللطيف الذي يعرفه الباريزيون حق المعرفة

وقد احتفل في ١٦ الماضي بافتتاح القسم العثماني احتفالاً في غاية الرونق والبهاء وقد اقام عطوفة منير بك سفير الدولة في باريز وكومسير القسم الثاني فتاة على باب هذا القسم ومعها طبق عليه باقات الازهار الجميلة فكانت تهدي باقة منها الى كل سيدة من المدعوات للاحتفال فسر بهذا اللطف كبار رجال المعرض ومندوبو الدول واثنوا على حسن ذوق السفير

وقبل ختام الكلام في موضوع المعرض نود ان نوجه الانظار الى امر مفيد . وهو انه يليق بالامم العاقله ان لا تعتبر المعرض العوبة من الالاعيب يتفرج بها الناس بل ان تعتبره مدرسة تُدرس فيه جميع الشؤون الصناعية والزراعية والتجارية والعلمية ايضاً . وقد راينا كثيرين من العثمانيين يشدون رحالهم الى المعرض ولكن ما سمعنا ان بعضهم اجتمعوا لامر مفيد يصنعونه فيه

وقد قرأنا في جرائد البريد الاخيرة ان حزب الزراع في مجلس بروسيا قد اقترح على المجلس اقتراحاً مفاده تخصيص اموال تنفق لمساعدة الفلاحين والزراع الذين يرومون السفر الى معرض باريز لدرس ما فيه من الطرق الزراعية ومشاهدة احوال التقاوي والمحصولات وقد وافق وزير الزراعة والتجارة على هذا الاقتراح ورأينا ايضاً ان احد اصحاب معامل منشستر ارسل على نفقته الى المعرض الفي عامل من عملته ليشاهدوا غرائب مصنوعاته . فحبذا لو ان الحكومة العثمانية والمصرية تقدمان على شيء من ذلك . واذا استكثرتا النفقة التي يقتضيها هذا العمل فلا اقل من اختيار بعض من الزراع العارفين وارسالهم وفداً زراعياً الى المعرض لدرس ما فيه من الشؤون الزراعية . وما قلناه عن الشؤون الزراعية يصح ان نقوله ايضاً عن الشؤون الصناعية وغيرها . ولكنا قدمنا الشؤون الزراعية لانها الآن قوام حياة البلاد ومن اهم حاجاتها

ويقيننا ان الحكومة اذا صنعت ذلك افادت افادتين . الاولى ترقية الشؤون الزراعية في البلاد . والثانية ان تدل الغربيين على ان الشرقيين اذا كان فيهم من يزور معرض باريز للخلاعة والخفة واللهو وربح المال من اي طريق كان ففيهم من يزوره للدرس والفحص والفائدة . وبذلك ننفي عن انفسنا عاراً وُصمنا به لدى الغربيين في معرض باريس الماضى (***)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اساتذة المدارس وتلامذتها

في اوقات العطلة الصيفية

خلو الاعشاش من صغارها · الحكمة في الفرص المدرسية · لا ضرر ولا نسيان · التعليم الحقيقي · زراعة او تجارة · اقتراح مهم على الاساتذة · حفلات مفيدة · دمعة فرح لذكرى تسر ودمعة حزن لذكرى مؤلمة

قربنا من ايام العطلة المدرسية

غداً تخلو المدارس الكبرى والصغرى من تلامذتها كما تخلو الاعشاش من صغارها · غداً هذه الاماكن الطاهرة الجميلة التي تنشأ فيها الاجيال بعضها بعد بعض والتي يدوي الآن في فضائها صراخ ابناء « الانسانية الصغيرة » تصبح ساكتة هادئة لا يُسمع في جنائنها غير غناء الطيور التي تزداد غناء في غياب رفقائها التلامذة كأنها استوحشت وحدها فقامت تشكو فراقهم

ولا يخفى ما في منح المدارس فرصها الصيفية (المسامحات) من الحكمة والفائدة · فان المقصود من اعطاء التلامذة فرصة شهر او شهرين او ثلاثة اشهر في السنة هو على ما نرى خمسة امور

اولاً راحة ادمغة الطلبة والمعلمين من تعب الدرس مدة تتجدد فيها قواهم العقلية والجسدية

ثانياً اظهار الفرق للتلامذة والمعلمين بين العمل والبطالة وكيف ان الاول سارٌّ مفيد مع ما فيه من العناء وكيف ان الثاني مضجر مضر مع ما فيه من الراحة فيعود كل من الفريقين الى اعماله المدرسية اكثر نشاطاً واشد شوقاً اليها

ثالثاً عودة التلامذة الى المعيشة العائلية مع اهلهم لاستعادة بعض ما افقدتهم اياه المعيشة المدرسية من الانعطاف العائلي لانه من الثابت — و ياللاسف — ان المعيشة المدرسية ونعني بها هنا المعيشة في المدارس الداخلية تسلب من قلب التلميذ قسماً من الالفة البيتية

رابعاً جعل السنة المدرسية شوطاً بعيداً يجري فيه التلميذ على امل ان يصل الى الغاية اي الراحة بعد التعب واحراز قصب السبق في الامتحان بعد طول الدرس والتنقيب فان هذا الامل مما يخفف عليه مشاق الدرس و يجعله يقطع تلك الطريق الطويلة بشيء من السهولة

خامساً الفرار من حر الصيف الذي يكون الدرس فيه شاقاً متعباً

فانت ترى مما مرّ بك ان العطلة المدرسية نعمة لعنصريّ المدرسة ونعني بهما المعلمين والتلامذة · فينبغي السرور بها والارتياح اليها خلافاً لما يعتقده بعض بسطاء الاباء والامهات من انها تضر الاولاد وتجعلهم ينسون ما تعلموه

اما نسيان الاولاد ما تعلموه فهذا امر لا نحب ان نسمع به من فم عاقل يفهم معنى التعليم · افتحسبون التعليم هو تلك القواعد الباردة الشاردة الكاسدة التي يحفظها التلامذة في ذاكرتهم فاذا لم يتذاكروا بها او لم يراجعوها في كتبهم نسوها و بذلك يخسرون ما تعلموه · كلا · ثم كلا ان التعليم الصحيح غير متوقف على قاعدة او دفتر او كتاب حتى ولا على مكتبة · وانما يتوقف على المبادئ التي يكون المعلم قد بثها في نفس تلميذه ونعني بهذا توسيع نطاق مداركه وتربية دماغه وتثقيف نفسه حتى اذا خرج من المدرسة ونسي كل قواعد التصريف والاعراب وكل مبادئ البيان وما اشبهها بقي له معرفة نواميس الحياة ومقدرة على فهم كل شيء يطالعه والتمييز بين الفاسد والصحيح والنافع الضار والحرام والحلال

هذا هو التعليم الحقيقي · اما القواعد فليست الا آلة لهذا التعليم و ينبغي ان تكون كل واحدة منها بمثابة حجر يُوضع في اساس هذا البناء العظيم الذي يسمى تربية وتعليماً · اما اذا كانت هذه القواعد مما يمنع التربية العقلية والنفسية التي اشرنا اليها لا مما يؤيدها فاننا نشفق حينئذٍ بنيةٍ خالصة على معلميها ومتعلميها

اذاً لا خوف من ان ينسى التلامذة في الفرص المدرسية ما تعلموه اذا كان التعليم

صحيحاً واذا لم يكن كذلك فلا اسف عليه اذا نسوه اذ بذلك يطردون الفضول من ذاكرتهم

واما قولهم ان هذه الفرص تضر بالتلامذة فهو قول فاسد وكلامنا في هذه المقالة عن هذا الموضوع

فان العطلة المدرسية تكون مما يضر و يفسد حال التلامذة اذا صرفوها في وجه ضار كالبطالة والمعاشرة الرديئة التي تفسد الاخلاق · وتكون مما ينفع اذا صرفوها في وجه نافع · وهذه اولية لا تحتاج الى تبيان · وما جئنا لاقامة الدليل عليها ولكن جئنا للاشارة الى امر مختص بالفرص المدرسية وهو عظيم الاهمية للمدارس ومعلميها وتلامذتها وللهيئة الاجتماعية

وهذ الامر العظيم الذي نوجه اليه انظار جميع اصحاب العقول الناضجة من المعلمين والمتعلمين هو انشاء « مدارس عامية » في ابان العطلات المدرسية · ومعنى هذا ان لا يصرف المعلمون والتلامذة اوقات العطلة في البطالة والكسل فان ذلك امر لا يليق باصحاب العقول

وان قيل ان العطلة المدرسية قد وُضعت للراحة قلنا ان الراحة شيء والكسل والبطالة الذميمة شيء آخر · ونحن لا نطلب ان ينصرف المعلمون والتلامذة ابان العطلة الى التدريس والدرس اللذين يشتغلون بهما في اوقات المدرسة وانما نطلب ان يعمل كل من الفريقين في اوقات راحته عملاً مفيداً لنفسه ولغيره من غير ان يعاني مشقة وتعباً

اما التلامذة فانهم ينبغي ان يطلبوا الخلاء والهواء النقي ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً واحسن ما يشتغلون به فيهما مدة الفرصة حراثة الارض كالبستان او الحقل وسقيها من عرق جبينهم فترد لهم هذا العرق صحةً وعافية في العقل والبدن · ولو كان الصيد ملذة طاهرة اي لو لم يكن فيه قتل ارواح وكان من القبيح ان يعتاد الاولاد من صغر ان يقتلوا ولو حيواناً لاشرنا عليهم بالصيد والقنص · على اننا نفضل الحراثة والزراعة لانها فن واذا مارس التلميذ هذا الفن اكتسب ميلاً اليه والميل الى استخراج خيرات الارض واجادة ذلك من اهم اسباب الثروة ووسائل العمران

واذا لم تكن الفلاحة والزراعة في الخلاء كالقرى في اعالي الجبال ترويضاً للجسد وللعقل معاً فلا احسن من ان يعمل التلميذ بصناعة كالنجارة مثلاً فان هذه الصناعة التي

كان يحبها جان جاك روسو حتى قضى بتعليمها للتلامذة والتي كان يحسنها لويس السادس عشر المسكين الذي تحكي قصته في رواية نهضة الاسد — هذه الصناعة مما يروض الجسم والعقل ايضاً . فيجب على الطلبة ان يختاروا بينها وبين الزراعة

هذا فيما يختص بصغار الطلبة اي الذين لم يبلغوا الدروس العلمية بعد اما الذين بلغوا الدروس العلميـة فعليهم في اوقات الفرصة ما على معلميهم من الواجب العظيم الذي اشرنا اليه

وهذا الواجب العظيم هو انشاء « المدارس العامية » كما قدمنا . والمقصود بذلك ان نحذو حذو الامم الحية التي لا تعرف السكون بل تتحرك دائماً . فان علماء فرنسا ومعلميها والمتقدمين من طلبة مدارسها ينتشرون حين اقفال ابواب المدارس في المدن والقرى والمزارع يخطبون على العامة وعلى تلامذتهم في المواضيع الصحية والادبية والعلمية والفلسفية البسيطة والامة عامتها وخاصتها تقبل على استماع اقوالهم والانتفاع بعلمهم فاي مانع —غير التواني وعدم الاكتراث — يمنع اساتذة مدارسنا ان يعملوا كذلك في اوقات الفرص المدرسية

تصور مدينة شرقية اقفلت مدارسها اليوم وانتشرت غداً في اسواقها اعلانات من الاساتذة يدعون الشعب فيها الى استماع خطب بسيطة صغيرة يلقيها كل استاذ مرتين او ثلاثاً في الاسبوع . ومتى اجتمع المجتمعون اخذ الاستاذ يلقي على سامعيه كلاماً بسيطاً في العلم والادب والهيجيين والجوغرافيا والتاريخ والمبادىء الطبيعية التي يجب اطلاع العامة عليها والمبادىء الصحية التي من واجبات كل هيئة اجتماعيـة ان تعلم عامة الشعب اياها . اليس يحضر تلامذة المدارس حينئذٍ هذه الخطب فيكملوا خارج المدرسة ما بدأوا به في المدرسة ؟ ألا يستفيد الشعب من هذه الخطب فوائد لا يستطيع تحصيلها بطريقـة غير هذه الطريقة ؟ الا تكون هذه الاجتماعات الادبية اللطيفة مما يقتل روح الجهل في الامة ويدعو الى الاتحاد والالفة لكثرة اجتماع العناصر المختلفة بعضها مع بعض ؟ الا ترقي هذه الخطب اداب الامة وذوقها اذ تصرف الافكار عن القهاوي والحانات الى طلب مكان افيد واسمى ؟ الا تتأثر نفوس ابناء الشعب مما يذكره الخطباء في هذه الاجتماعات من وصف العادات القبيحة والحث على ترك المسكرات الآفة الكبرى . ثم الا يعتبر العقلاء هذه الخدم الجليلة التي يقوم بها الاساتذة ابان الفرصة المدرسية موازية للخدم الجليلة التي يقومون بها داخل المدرسة . وماذا يخسر الاساتذة . لا شيء بل انهم يربحون اتساع الشهرة

ويكتسبون اميال الناس وحبهم واحترامهم وفوق ذلك كله يشعرون حينئذٍ بالكبرياء الطاهرة الجميلة التي يشعر بها كل من يصنع خيرًا حقيقيًا ٠ وهذا خير جزاء لهم

فالى هذا الامر العظيم نوجه انظار اساتذة المدارس ومعلميها وتلامذتها في الشرق ٠ نوجه انظارهم اليه ويتنازعنا عاملان : عامل سرور وعامل كآبة

اما عامل الكآبة فلاننا نخشى وا اسفاه ان يكون كل ما يكتبه الكاتبون ذاهبًا ادراج الرياح ٠ فاننا لا نحتاج اليوم الى من يقول وانما نحتاج الى من يفعل ٠ نحتاج الى اساتذة ومعلمين يعرفون ما يجب عليهم ويدركون عظم المسئوليـة التي وضعوها على عواتقهم يوم تسموا معلمين وجلسوا علي كرسي سقراط وافلاطون واريسطو فيقومون الى العمل بواجباتهم

واما عامل السرور فلاننا نرجع بالفكر الى اوقات بعيدة تختلج لها القلوب في الصدور ٠ سلام يا اوقات التلمذة الجميلة ما كان احلاكِ واسعد ايامك ٠ يا ربيع الحياة المفروشة طريقه وردًا وريحانًا ٠ ياعمر الزهر والطهارة وعدم الاكتراث سقيًا لك من جنة لا يراها الانسان الا بعد ان يجتازها ٠ يا طيرًا ذا الف لون ولون يطير في فضاء هذا العالم بسرعة الحلم ولا نراه الا بعد ان يفلت منا ٠ يا احلام الصبي الوردية وآماله الذهبيـة ٠ يا جوَّ الكمال التصوري الذي ترفرف فيه اجنحتنا الرطبة الرخوة في الصغر حتى اذا اتت حوادث الحياة الحقيقية في الكبر كسرتها واجتذبتنا الى الارض بالرغم عنا

هذا ما يحلو حين الافتكار بالفرص المدرسية ولكنه يحلو لمن كانوا تلامذة فاين حلاوته لمن كانوا معلمين

يا لك من فن شريف عظيم يا فن المعرفة والحكمة ٠ بيدك يا فن التعليم زمام الامم ومستقبل الشعوب ٠ انت القوة الحقيقية والسياسة الحقيقية ٠ صرفنا فيك اوقاتًا لا نذكرها الاَّ ويصعد الدمع الى عيوننا ٠ ذلك لاننا نذكر رفيقًا ساعدنا فيك وصرف فيك قواه واوقاته معنا ٠ فنحن نبعث له بالتحية في هذا المقام وان خرجنا عن موضوعنا ٠ سلام ياروح ذلك الرفيق العزيز نكتفي الآن بهذا القول ونترك الدمع يكمل تحيتنا

كلمات زراعية

الآبار الارتوازية

وجعلها الصحراء جنائن فيحاء

الماء من اهم حاجيات الزراعة . اذا فاض انبتت الارض خيراتها واكتست ثوباً سندسياً جميلاً واذا غاض اقفرت الارض واصبحت خراباً يباباً

اذاً فالبلاد التي تشقها الانهار او التي تجري على مقربة منها تكون بلاداً عامرة غامرة اذا كان سكانها اذكياء ومجتهدين . ولكن من المعلوم ان بعض الجهات لا يجري فيها نهر ولا ساقية بل ان بعضها كالصحراء تكون لشدة حرارة هوائها وعدم وجود الماء فيها رمالاً قاحلة قرعاء قلما يعيش فيها ذو حياة من الحيوان والنبات . فهل قُضي على هذه الاراضي مع شدة اتساعها ان تبقى خراباً ام يوجد طرق لتعميرها وجعلها صالحة لسكنى الناس

اذا نظرنا الى ما حدث في جنوب بلاد الجزائر في الصحراء منذ نحو ٣٠ سنة الى اليوم تحققنا ان الصحراء قد تصبح بالطرق العلمية جنائن غناء . فان الاراضي الشاسعة المحاذية للصحراء هناك كانت منذ ٣٠ سنة رمالاً وقفاراً بلا زرع ولا ضرع . واليوم فيها الواحات الغناء التي تتمايل فيها الاشجار ذوات الاثمار والنباتات المختلفة . فما سبب هذا الانقلاب

السبب هو ان الجزائريين النشيطين انصرفوا انصرافاً كلياً الى حفر الآبار الارتوازية في تلك الجهات التي لا يسقيها ماء من الارض ولا من السماء . وكلامنا الآن في هذه المقالة على هذه الابار

الابار الارتوازية هي حفر يحفرها الزراع في الارض الى اعماق بعيدة او قريبة حتى يصلوا الى مجرى من المياه جارٍ تحت قشرة الارض فيفتحوا له منفذاً فينبثق بزخم شديد من هذا المنصرف الى سطح الارض و يفيض على الاطيان فيرويهـا . وقد يكون عمق هذه الآبار ٤٠ او ٥٠ متراً وسميت ارتوازية نسبة الى اقليم «ارتواز» وهو من اقاليم فرنسا لان هذه الآبار تكاثر حفرها فيه في الاعصر الوسطى . وكانت الآبار الارتوازية معروفة عند قدماء المصريين والفرس والصينيين . وحفرت ايطاليا والنمسا كثيراً منها في الاعصر الوسطى ولكن فرنسا امتازت بها عن جميع البلاد

والظاهر ان الجزائريين اخذوا حفر هذه الآبار عن العرب او ان الحاجة التي في بلادهم

الى المياه قد ارشدتهم اليها · ولهم في حفرها طريقتان · الاولى التي كانوا يجرون عليها قبل مداخلة الفرنسو بين في شؤونهم والثانية التي يجرون عليها بعد هذه المداخلة

اما طريقتهم في حفر الآبار الارتوازية قبل الاحتلال الفرنسوي فهي في غاية الخطر · و بيانها ان العملة يتخيرون بقعة من الارض و ياخذون يحفرون فيها فاذا غاص العامل في الارض وقف رفيقه فوقه ليسحب الدلو الذي يملأه العامل في الحفرة ترابًا وهكذا يستمرون في الحفر الى عمق ٤٠ او ٥٠ مترًا في الارض بالرغم عن الحرارة وعن مشاق الحفر وخطر انهيار التراب · ورغبة في منع التراب ان ينهار يضعون حول جدران الحفرة كلما عمقت اغصانًا من النخل فتحفظ التراب من السقوط بعض الحفظ

ولا يزال العامل عاملاً حتى يصل الى صخر و يسمع تحته هدير مجرى الماء · فهنا يقف واجمًا لدنو ساعة الخطر · وحينئذ يصعد العامل و ينزل مكانه معلمه والمعول في يده وهو مربوط من وسطه بحبل يقبض على طرفه الواقفون عند فوهة البئر · فياخذ المعلم المعول و يضرب به الصخر حتى يزيحه او يثقبه فينفجر الماء صاعدًا من ذلك المنصرف الى وجه الارض · والويل لذلك المعلم اذا كان لا يجذبه القابضون على الحبل الى خارج البئر قبل ان تصيبه المياه · فانه يموت غرقًا

و بعد انبثاق الماء الى سطح الارض يجب ان يُخرج من قعر هذه البئر التراب الذي يكون قد انهار فيها حين انفجار المياه · وهذا عمل مختص بفئة تدعى فئة الغواصين · وطريقتهم ان يسدوا آذانهم بالقطن المنقوع بدهن الماعز و يأتوا فم البئر الذي يتدفق الماء منه فيحموا اجسامهم على نار قريبة و يصلوا ثم يغطسون في الماء الى قعر البئر وفي يدهم حبل ودلو او سلة لاخراج التراب بها · و يقيم الواحد منهم في جوف الماء من دقيقتين الى ٦ دقائق وهو يملأ في كل غوصة دلوًا من التراب يسع ١٠ التار فقط ولا يستطيع في اليوم ان يغوص اكثر من ٣ او ٤ مرات · فتصور مبلغ المشاق التي يعانيها الغواص والوقت اللازم لاصلاح بئر واحدة · ومن اجل ذلك تلاشى في الماضي فن حفر هذه الآبار في تونس حتى ان اقليم « ودرير » لم يكن فيه في سنة ١٨٥٤ الا ٣ « معلمين » للحفر و١٢ غواصًا

واما الطريقة الثانية فهي حفرها بالطرق الميكانيكية اي بواسطة آلات تغوص في بطن الارض لتحقق اذا كان يوجد مجرى مياه في ذلك المكان ومتى ثبت ذلك استعملت آلة اخرى للحفر وخرق الصخر فتنبثق المياه من نفسها · واول بئر فرنسوية حُفرت في الجزائر على الطرق الميكانيكية المذكورة بئر في واحة « تمرنا » حفرت في ١٧ يونيو سنة

١٨٥٦ في مدة ١٥ يوماً وانبثق منها ينبوع قوي يجري منه في الثانية الواحدة اربعة الآف لتر ماء

وقد عُممت هذه الآبار في صحراء الجزائر وتونس والسنغال وطرابلس الغرب . ودخلت مصر حديثاً فنحن نود ان يصرف اليها اغنياء مصر وكبار زراعها الاهتمام الواجب فانها مما تفيد الزراعة المصرية وعلى الخصوص الزراعة السودانية التي يصعب ان يؤخذ لها شيء من مياه نيل مصر ولا سيما في اوقات انخفاض الفيضان كما في هذا العام الذي نرجوان لا يعود مثله على مصر باذن الله

قال العالم رجلسبرجر ان الآبار الارتوازية نفعتنا في استمالة الجزائريين الينا اكثر مما نفعتنا حروبنا معهم . فان هذه الابار في بعض الاقاليم ضاعفت عدد السكان وذلك لسعة معيشتهم من زراعتهم . اذ ان عدد النخيل في اقليم « ودرير » كان في سنة ١٨٥٦ نحو ٣٦٠ الف نخلة فاصبح في سنة ١٨٨٠ نحو ٥١٨ الف نخلة . وكان محصول التمر في هذا الاقليم في سنة ١٨٣٦ نحو ٥ ملايين و٤٠٠ الف كيلوغرام فاصبح في سنة ١٨٨٠ نحو ٨ ملايين كيلوغرام وقس على ذلك

وبازاء النخل الذي ينمو بمياه الآبار الارتوازية تنمو الاشجار المثمرة من كل نوع . وتحت الاشجار المثمرة تنمو البقول والنباتات المختلفة لذلك يصح ان نقول بان الآبار الارتوازية كنز عظيم للزراعة فيجب على كل بلاد زراعية ان تهتم بها اهتماماً عظيماً

المدارس الزراعية

اسست فرنسا المدارس الزراعية حتى بلغت لغاية سنة ١٨٩٣ ست عشرة مدرسة للزراعة في الفدادين والمزارع و٣٩ مدرسة زراعية عملية وست مدارس للفلاحة العمومية وزراعة الحدائق . وذلك عدا مدارس مخصوصة لتعليم الرعاية وتربية المواشي واخرى لتعليم عمل الجبن ومدرسة لتربية دود الحرير . وكان في مدارسها الجامعة لغاية التاريخ المذكور ايضاً مائة وستون استاذاً يعلمون علوم الزراعة ويبحثون عن غوامض اسرارها . وهي تنفق في هذا السبيل ٤٥٠٤٠٥٠ فرنكاً في كل سنة . وروسيا فيها ٦٨ مدرسة زراعية يبلغ عدد الطلبة فيها ٣١٥٧ طالباً وتبلغ نفقتها السنوية ٢٠٢٥٠٠ فرنكاً تدفع الحكومة ثلثيها ويدفع مؤسسوها الثلث الباقي . وادخلت المانيا التعليم الزراعي بصفة اجبارية في جميع مدارسها حتى مكاتب الاطفال . وتنفق هذه الحكومة على مدارسها الزراعية في كل سنة مائتي الف ريال الماني . وكذلك النمسا لها مدارس زراعية على ثلاث درجات عليا

و وسطى وسفلى · واقدم مدارسها الزراعية اسست سنة ١٧٩٩ · وفي سويسرة مدرسة زراعية شهيرة في زوريخ فيها الف تلميذ وخمس مدارس جامعة اخرى وكلها تساعد في تعليم العلوم الزراعية · واقدم مدرسة زراعية في سويسرا انشئت سنة ١٨٠٦ يتلقى فيها العلوم الزراعية ثلاثة الآف تلميذ · وهولانده الصغيرة تنفق حكومتها اكثر من مائة و٧٥ الف فرنك في السنة على العلوم الزراعية · وفي ايطاليا الآن ٣٥ مدرسة لتعليم الزراعة وفي اسبانيا سبع مدارس كلية لتعليم الزراعة انفق عليها في سنة ١٨٩٦ مائة وخمسون الف فرنك · و بلاد نروج الصغيرة تنفق كل عام على تعليم الزراعة في مدارسها الابتدائية اكثر من ٧٧٥٠٠٠ فرنك · وهكذا بقية الممالك الاوربية وحكوماتها لها اهتمام كلي بتعليم الزراعة كل على حسب وارداتها حتى كادت تكون نسبتها تفوق نسبة العلوم العقلية · ولذلك نحث على انشاء المدارس الزراعية (***)

القطن ومحصوله في المستقبل

ارسل الجنرال ترناتينان من السودان الفرنسوي الى سوق مرسيليا منذ بضعة شهور ٣٠ طناً من القطن المزروع في الاراضي السودانية الفرنسوية وهو الآن يستعد لارسال ٥٠ طناً اخرى · والناس يفحصون هذا القطن الجديد باهتمام كثير · واذا قيل ان هذه الكمية قليلة لا يُعبأ بها قلنا ان اميركا كان محصولها من القطن في سنة ١٧٨٤ اي منذ نيف وقرن واحد ٧١ بالة قطن فقط زنتها ١٠٦٥٠ كيلوغراماً صدرتها الى ليفربول فالقى الجمرك الانكليزي الحجز عليها بحجة التهريب والحقيقة انهم خافوا يومئذٍ على محصول القطن في الهند من ان يقوم له مزاحم في اميركا · ولكن ما انقضت مئة سنة على اميركا حتى اصبحوا يقدرون محصولها بعشرة ملايين او اثني عشر مليون بالة زنتها مليار ونصف مليار كيلو غرام · فماذا يمنع ان يحدث في افريقيا في مستقبل قريب او بعيد ما حدث في اميركا فيصبح محصول القطن السوداني الفرنسوي والمصري ملايين من البالات حالة كونه الآن فقط عشرات ومئات ·

والذي يرجح ذلك اهتمام رجال المستعمرات الفرنسوية في السودان الفرنسوي والكونغو والسنغال والابنغي فضلاً عن رجال المستعمرات البلجيكية والالمانية في افريقيا بزراعة القطن في جهاتهم · وهمهم الآن مصروف الى تحسين التقاوي المحلية لا الى زرع تقاوي القطن الاميركي او المصري او الهندي في اراضيهم لان هذه التقاوي لا تعطي في تلك الاراضي النتائج المطلوبة · وقد عهدوا الى علمائهم الزراعيين مساعدتهم في

تدبير تلك التقاوي وتحسينها

فنرجح اذاً ان محصول القطن في العالم لم يبلغ معظمه بعد وانه ربما اتى يوم اصبح فيه هذا المحصول ضعفه اليوم

طريقة زراعة البنجر (الشمندور)

كيفية زراعة البنجر هي ان تحرث الارض بالتقاطع وتزحف حتى تصير منقنة على عمق ٣٠ او ٣٥ سنتيمتراً ثم تخطط الارض من الشمال الى الجنوب ويكون البعد بين قمم الخطوط ٧٠ او ٨٠ سنتيمتراً كما اشارت بذلك شركة تكرير السكر. ولكننا نأمل ان تعمل تجارب للوقوف على اوفق الابعاد مع ملاحظة ازدياد المحصول وعدم نقص مقدار السكر. ثم تروى الارض الى ان تصل المياه الى ثلثي ارتفاع الخطوط وحينما تجف الارض اي بعد ٤ او ٦ ايام توضع التقاوي اسفل الخط الذي وصلت اليه المياه غير ان هذه الفترة تتعلق بطبيعة الارض وميعاد الزرع. ففي الارض الرملية الخفيفة والطقس السخن تقل هذه المدة عن ٤ ايام وتزيد عن ذلك في الاراضي الثقيلة والطقس البارد. وقد توضع بذرتان او ثلاث من التقاوي في كل حفرة على جانبي الخط وتبعد الحفرة عن الاخرى بمقدار من ١٥ الى ٢٠ سنتيمتراً. ويشترط ان تكون الحفرات التي في احدى الجانبين في وسط اثنتين في الجانب الآخر ويجب ان لا توضع البذور على عمق اكثر من ٣ سنتيمترات. والمقدار اللازم من التقاوي لزرع فدان واحد يبلغ من ٨ الى ٩ كيلوغرامات او ما يقرب من ٢٠ رطلاً وثمن الكيلو خمسة غروش ونصف والرطل غرشان ونصف غرش. ويمكن الحصول على التقاوي في الوقت الحاضر من شركة تكرير السكر في مصر. والتقاوي المستعملة هي عبارة في الحقيقة عن ثمن النبات تحتوي على عدة بذور ينبت منها نباتان او اكثر ولذلك يرى بعد زرعها انبات نباتات كثيرة من حبة واحدة ويجب ان تزال هذه النباتات ما عدا واحداً منها وهذا ما يقال له في عرف المزارعين بالخف. وعملية الخف هذه يلزم ان يُعتنى بها وخصوصاً ان يلاحظ ابقاء احسن النباتات وان لا تحدث اضرار لتلك النباتات الباقية وفي ذلك الحين تعزق الارض ويخلط بها ما ظهر على سطحها من الاملاح بواسطة المياه. وفي هذا الاوان يصح وضع سباخ نيترات الصودا اذ تكون النباتات حديثة الظهور ولم تثبت في منبتها جيداً لانها ستسقى اول مرة اي بعد ٦ او ٨ ايام بعد الخف. والبنجر لا يحتاج الى مياه كثيرة فقط من الضروري ان تعزق الارض لتهويتها وانقاذها من الحشائش

اذا كان المحصول ناجحاً . اما عدد مرات الري اللازمة فتعيلق بحالة المحصول فانه حينما يحتاج الامر الى ري تذبل الاوراق ويصفر لونها لكن اذا منع ماء الري فان النباتات تتعمق في الارض طلباً للمياه وتجدها حقيقة في طبقاتها السفلى . وهنا لا ينبغي ان يغتر المزارع بنظر المحصول في ظهر الايام الشديدة القيظ بانه يحتاج الى ارتواء لان النباتات ترجع الى حالتها النضرة اثناء الليل وعلى كل حال يجب ان لا يسقى البنجر لمدة ٣٥ يوماً على الاقل قبل الحصاد حتى يتم نضجه ويتكون السكر فيه — المجلة الزراعية

صفحة الشعر

بعث الينا كثيرون من القراء يطلبون ان ننشر في كل جزء من الجامعة مختارات من الشعر كما كنا نصنع في القسم الاول من السنة الاولى فاجابةً لطلبهم فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية وقصائد تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

القصيدتان

انتقاد

حضرات الفاضلين صاحبي مجلة الجامعة

اطلعت في العدد الاخير من مجلتكم على قصيدتين هما جوابا اقتراح كنتم اقترحتموه على الشعراء وهو ان ينظموا قصيدة في شأن النيل ونقصانه في هذا العام وان من يحوز قصب السبق له الحق في اخذ الجائزة التي ذكرتموها ثم نشرتم قصيدتين فرأيت انكم ساويتم بينهما وجعلتموهما في درجة واحدة من غير زيادة ولا نقصان ولذلك قسمتم الجائزة بين صاحبيهما نصفين فلم ادرِ كيف كان ذلك مع شهرتكم في الفضل واتساع باعكم في البلاغة وشدة احساسكم ولطيف ذوقكم . ولعلكم لكثرة اشغالكم عهدتم بالحكم على القصائد الى من لا يفرق بين غثها وثمينها فاسمحوا لي ان ابدي رأيي ويعلم الله ما هو الا رأي لفيف عظيم من الشعراء بمصر ما انا بالاضافة اليهم الا كالواو في عمرو

من رأى القصيدة الاولى وهي لحضرة الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي رأى عقداً منظوماً تناسبت حباته وابيات رائقات هي احسن معنى في اجمل لفظ حسنة الاتساق جميلة الوضع بحيث لا يمكن ان يقدم بيت فيها على بيت ولا ان يفصل بين بيت وآخر باجنبي . سهلة التركيب مع الجزالة لا يحتاج قارئها الى اعمال روية في فهم ابياتها مع بلاغة انشائها وعلو الفاظها في الفصاحة فضلاً عما بها من المعاني المخترعة التي اتى فيها بالسهل الممتنع من الالفاظ

والاسلوب العالي من التراكيب . ألا يكاد السامع يرقص طرباً عند سماعه قوله منها يخاطب النيل

قسوت وما عهدي بقلبك صخرة فجوهرك السيال بالرفق انسب

وقوله

فمد يداً بيضاء منك تنيلنا من الخير ما نرجو وما نتطلب

وليس لنا الا الدموع وسيلة اليك فان الشبه بالشبه يجذب

لقد كان في فيض المدامع ناقع لغلتنا لو كان مثلك يعذب

وقوله

فقدناك فقدان الرضيع لامه ولم يبق من يحنو عليه ويحدب

فما كنت الا الروح فارق جسمه فانى له من بعدُ في العيش مارب

وما اخترت هذه الابيات لانها هي احسن ما في القصيدة بل كلها على هذا المنوال . ان لم يكن معنى مخترع فبيت منسجم او تركيب نخم . وبالجملة والحق يقال ان قصيدة حضرة الشيخ المنفلوطي لا تكلف قارئها كبير تأمل او عظيم عناء في معرفة درجتها من الشعر ومقامها من قسيمتها . واما الاخرى وهي لحضرة الشيخ امين الحدّاد وان كنت لا اذم بعض ابيات في اولها فان عمل مقايسة بينها وبين الاولى ظلم مبين لهما . ظلم للاولى بوضعها بجانب الثانية وظلم للثانية باظهار صغرها بجانب الاولى فلربما تكون شيئاً مذكوراً لو انفردت

القصيدة طويلة جداً ودرجة ابياتها واحدة فانّى لي ان انتخب ابياتاً منها اتكلم عنها . اني أكل معرفة درجتها الى قارئها ليعلم ان كانت النسبة بينها وبين الاولى بعيدة ام لا وهل يوجد بيت فيها يصح ان يسمى بن عم لملاصقه فضلاً عن اخ . وهل ابياتها التي يمكن فهمها بمقدار الابيات التي يتعذر فهم مغزاها . على ان ليست فيها كلمة غريبة حتى نقول انه تعذر فهمها نشأ عما بها من الغريب

واني اسأل القارىء عما يتبادر له من فهم معنى قوله يخاطب النيل

اذ ابى البعض ان تكون لهم نيران شرّ ولم يكونوا عدولا

وعن اي موضوع يتكلم فيّ قوله

يصبح النيل منهم كل حينٍ ناقصاً زائداً دقيقاً جليلا

ولكم انقصوه في الساعة الفردة ما يعجز الزمان الطويلا

واذا ما سألتَ واحدهم من اين تدري انتقاصه قال قيلا

وهل يستلذ قوله

كنت خيراً محضاً على كل حالٍ مازجا منك باليسير الجزيلا
مستفيضاً مخففاً كل همّ وعسير فصرت (همّاً ثقيلا)

ولست اسأل في ذلك الناظم لانه طبعاً يقصد معنى من المعاني ولكن الشعر الفصيح ما يفهمه السامع لا ما يريده الناظم فكم يريد الناظم معنى يعبر عنه بتركيب يظنه دالاً على المعنى الذي يريده ويكون الامر بخلاف ذلك فالحكم العدل في الفهم هو القاريء لا الناظم لانه لا ينظم الشعر لنفسه بل للناس . ولو اردت الموازنة بين القصيدتين لضاقت الصحيفة وضاعت الاوقات بل يكفيني منها موضوع واحد

بنى الشيخ المنفلوطي قصيدته على استعطافٍ للنيل يلين له الصخر واستمالة ترق لها الجلاميد حتى جعل النيل في مطلع القصيدة كغادة حسناء ذات دلّ يستميلها عاشقها حيث يقول

فديتك من جانٍ تجور وتعتب ونبذل جهداً في رضاك وتغضب
ترى كل شيء انت حبة قلبه فتحلو لك العتبى ويحلو التجنب

ولو كان نهر النيل رجلاً يسمع فيفهم لجرى طوفاناً عند قوله

اما بين ايدٍ ضارعات مشفع وبين دموع سائلات مقرب

وقوله يستعطفه للبهائم السائمة

فرحماك نهر النيل بالانفس التي اذا لم تداركها برحماك تعطب
ورفقاً ببهم ضامرات بطونها لها الجوع عشب والخصاصة مشرب
يبيت حزيناً ربها لمصابها فيطوى كما تطوى الليالي ويندب

وقوله ايضاً معتذراً له عما يحتمل ان يكون سبباً لاعراضه وفيه من حسن التعليل ما فيه

لئن كان قد اقصاك قلة شكرنا لنعماك والهجران نعم المؤدب
فها يدنا ان لا نعود رهينة وان لا نزال الدهر بالشكر نداب

قابل بين هذا الاستعطاف الرقيق والاستماحة الجميلة التي نحن احوج اليها في هذا العام وبين ما قاله حضرة الشيخ امين الحدّاد يغري النيل بالتمادي في نقصانه بل يحثه على ان (يغور) جملة واحدة وان يسأل السماء الامساك عن المطر وان يتحوّل لقوم سوانا وينقلب من ماءٍ زلالٍ الى سم ناقع حيث يقول

ايها النيل لو دريت بمن تسقى ومن فيك صرفوا التاويلا
لشققت الثرى (وغرت) انتقاماً وسالت السحاب ان لا يسيلا
او تحولت للجنوب اقوم غاسلاً منهم الدم المطلولا
او تبدلت من زلال الى سمٍ كما بدلوا الهدى تبديلا

وهل لاجل تقصير بعضنا في حقوق وطنه نستحق اعدام حياتنا وفقد منبع عيشنا وهل من العدل ان يعاقب البريء لاجل المذنب و يؤخذ الجار بذنب الجار

هذا ما رأيته اكتبه اليكم واثقاً ان حرية مبداء المجلة يحملكم على نشره وما اختلفت الآراء على حقيقة الا محصتها وكشفت عن دخيلتها والسلام احد القراء

(محمد صالح الفندر بالازهر)

سفر الجناب الخديوي
الى انكلترا

من نظم حضرة شاعر مصر المجيد احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية قالها وداعاً للجناب الخديوي المعظم حين سفره في هذا الشهر الى اوربا

بدأ الطيفُ بالجميل وزارا يارسولَ الرضى وُقيتَ العثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا وتيمّمْ من السويداء دارا
انت ان بتّ في الجفون فاهلٌ عادةُ النور ينزل الابصارا
زار والحرب بين جفني ونومي قد اعدّ الدجى لها اوزارا
حسنٌ ياخيال صنعك عندي اجملُ الصنع ما يصيب افتقارا
ما لرب الجمال جار على القلب كأنْ لم يكن له القلب جارا
وارى القلب كلما ساء يجزيهِ عن الذنب رقة واعتذارا
اجريح الغرام يطلب عطفاً وجريح الانام يطلب ثارا
ايها العاذلون نمتم ورام السهد من مقلتيّ امراً فصارا
آفة النصح ان يكون جدالاً واذى النصح ان يكون "جهارا"
سألتني عن النهار جفوني رحم الله ياجفون النهارا
قلن نبكيه قلت هاتي دموعا قلن صبراً فقلت هاتي اصطبارا
ياليالي لم اجدكِ طوالا بعد ليلى ولم اجدكِ قصارا
ان من يحمل الخطوب كبارا لا يبالي بحملهنّ صغارا

لم نفق منك يا زمان فنشكو — مدمنُ الخمر ليس يشكو الخمارا
فاصرف الكأس مشفقاً او فواصل — خرج الرشد من اكف السكارى
شعراء الزمان مهلاً رويداً — ان في مصر شاعراً لا يجارى
حاملاً في الصبا لواء القوافي — مسترقاً لملكه الاشعارا
قد بلغنا (ابا محمدٍ) النجم — كما يبلغ السراة المنارا
نرتجى منه للديار اعتزازاً — وجديرٌ بان يعزَّ الديارا
ودَّع الصبر امةً ودعت عبا — سها المرتجى عشيةَ سارا
بعثتْ اثره القلوب تراعيه — وترعى وتاخذ الاخبارا
فاعدها قريرة يا ابن توفيـ — ـقٍ وهيء لقومك استبشارا
انتَ في نضرة الثلاثين كسرى — قانل الدهر او اجل وقارا
لا يزال الوقار في الشيب حتى — نتردى المشيب ثوباً معارا
لنعيشن كالنجوم نراها — جاوزتْ وهي في الصبا الاعمارا
افنِ ان شئتَ بالثواء الليالي — واذا شئتَ افنها اسفارا
وجبِ البرَّ واركب البحر واسلم — انَّ للبدر في السرى اوطارا

وقال في وصف المقابلة المنتظرة بين سمو الجناب الخديوي المعظم وجلالة الملكة فيكتوريا

فاذا جئت ملكة تملك البر — يمنى وباليسار البحارا
صافح اليمن والسعادة والتوفـ — ـيق والجد والحظوظ الكبارا
والقَ ما شئت من حفاوة شمس — تكبر الشمس عرشها اكبارا
كلما القت الشعاع بارض — شاطرتها العباد والامصارا
واحقُّ الاقوامِ بالعز قوم — يقدرون الامورَ والاقدارا
ورجال اذا سعوا للمعالي — ركبوا في سبيلها الاخطارا
لا يبالون بالحوادث ربحا — حملت في بطونها ام خسارا
جمعوا المجد والمفاخر طراً — وجمعنا صغائراً وصغاراً
انما يبلغ الذي بلغوه — من حذا الحذو واقتفى الآثارا
وسما للعلى سمو ابيٍّ — يانف الهون منزلا وقرارا
واذا ما العزيز ساس بلاداً — علمَّ المجد اهلها والفخارا

كوكب الآملين صبح التمني كلما همت الخطوبُ انارا
نحن راضون في جوارك ياعبـ ـاس لا زلت للعناية جارا

باب تدبير الصحة

النوم

النوم الطبيعي · وقت النوم · جانب النوم · مدة النوم

قال شاكسبير اشعر شعراء الانكليز « النوم موت لطيف تصاب به الحياة · النوم من الجسم بمثابة الاستحمام بعد تعب شديد · النوم بلسم للانسانية المعذبة وغذاء من اقوى الاغذية للحياة »

وهي تصورات شاعر اما الاطباء فيقولون ان النوم من الاجسام بمنزلة الاكل والشرب اي انه حاجة من اكبر حاجات الحياة الانسانية · وهو ٣ انواع · (١) النوم الطبيعي ويسمى النوم الفسيولوجي (٢) النوم المرضي اي الحادث عن مرض (٣) التنويم وهو التخدير الحادث بمنومات كيماوية او بالتنويم المغنطيسي

النوم الطبيعي — وكلامنا الآن عن الاول لانه اهم الثلاثة لشدة التصاقه بكل انسان فنقول ان النوم الطبيعي واجب لراحة الجسم كما تجب الراحة من العمل للعضلات · واذا حُرم الانسان منه او قلّ نومه اصيب بالضعف والامراض · ولذلك لا نجد غرابة في ما ورد في التاريخ من ان الرومانيين رغبة في عذاب « برسه » احد ملوك مكدونيا قضوا عليه بان لا ينام بل ان يبقى ساهرًا · وورد ايضًا ان القرطنجيين قطعوا اجفان ركولوس لمنعه من النوم عقابًا له

احسن الاوقات للنوم — والليل احسن الاوقات للنوم فانه خُلق للراحة وكل الطبيعة تستريح فيه فلا ينبغي ان يخالفها الانسان · وفي الامثال الالمانية ان ساعة نوم قبل نصف الليل تساوي ساعتين بعده · وقال العالم هوفلاند « لا يسرُّ الانسان شيءٌ كالنهوض في الصباح على ان من لا يتمتع بذلك المنظر الفجري فانه يبقى عاجزًا عن فهم

الشباب والحياة » ولذلك اصبحت حكومات كثيرة تتساهل جداً مع الجنود وتاذن لهم بالنوم في اول الليل بدل الحراسة رغبة في صيانة صحتهم

على اي جانب يجب ان ينام الانسان — ويقول بعض الاطباء انه يجب على الانسان ان لا ينام على جانبه الايسر لئلا يضغط على قلبه واعضائه الرئيسية بل ان ينام على جانبه الايمن · وهو قول صحيح · وذهب احد اطباء ماكدبورج الى ان الانسان يجب ان يوجه راسه في النوم الى جهة الشمال وقدميه الى جهة الجنوب لان المجرى المغنطيسي الذي يجري في هذا الخط يزيد القوة الحيوية ··· وقد قام لهذا الراي انصار بعد موت صاحبه

وزعم احد الاطباء الفرنسويين ويدعى الدكتور ديلوناي ان الانسان اذا نام على ظهره راى احلاماً دماغية شديدة · واذا نام على جانبه الايسر حلم احلاماً تدل على نباهة وذكاء واذا نام على جانبه الايمن راى احلاماً قبيحة ومضرة · وحجته ان الدم يقل توارده في مدة النوم الى الجوانب المضغوط عليها وينصرف الى ما يقابلها او ما يليها من الجوانب فيؤثر عليها

مدة النوم — ولا توجد مدة معينة لنوم الانسان بل ان ذلك يكون تابعاً لعمره · فالطفل كل وقته نوم ورضاع والفتى يجب ان ينام ثلث ايام حياته اما الشيخ فانه يسهر كثيرا ولذلك جاء في بعض الامثال الافرنجية « ان الشاب الذي يسهر كثيراً والشيخ الذي ينام كثيراً فذلك فيهما دليل على الموت او داع اليه »

ومعدل ساعات نوم الشاب يجب ان يكون ثماني · واما الفتاة فيجب ان تنام ١٠ ساعات · انما في كل حال يجب على الانسان الذي يريد حفظ صحته ان ينام في اول الليل وينهض باكراً ما استطاع بعد ان يكون قد قضى مدة النوم المذكورة · وقد جاء في احد الامثال « النوم الباكر والنهوض الباكر يجعلان الانسان صحيح الجسم غنياً حكيماً »

ويروى ان احد الاطباء كان يعتقد ان الانسان يكفيه ان ينام كل يوم ٤ او ٥ ساعات فقط واخذ يجرب ذلك بنفسه فما انقضت عليه سنتان حتى توفي باقبح الامراض

الهواء الذي نستنشقه

والفضول والميكروبات

اذا جلست في غرفة مقفلة النوافذ وجدت هواءها ساكناً وفضاءها صافياً فتحسب هواءها خالياً من الفضول . ولكن اذا فتحت فيها نافذة ودخل اليك منها نور الشمس رايت حينئذٍ ما يسميه العامة حبال الشمس ونسميه الهباء وهو ذرات منتشرة في الهواء

وهذه الذرات هي فضلات كل شيء في الوجود اي انها مجموع غبار المنازل والشوارع وغير ذلك وقد حلل بعضهم هواء باريز فوجد فيه المعدل الآتي

٣٢ غراماً	و ٢٦٥ جزءاً	من	المواد الآلية وهي من اثار النبات والحيوان
٢ «	٢٢٠ «	« «	كلور يروسالات الكالين ونيترات النشادر
٩ «	١٢٠ «	« «	سكسيوكسيد الحديد
١٥ «	٩٤٠ «	« «	كربونات الكليسوم
٢ «	١٢١ «	« «	كربونات المنازيوم والالومين
٣٤ «	٣٣٤ «	« «	السيليس

فانت ترى ان الهواء الذي يحتوي على كل هذه الامور ليس هواء نقياً ولذلك قال العالم بوسينكول : ان الانسان اذا تامل في المواد التي تمازج الهواء الذي نستنشقه اشماز منه لامحالة

ولكن هذا العالم قال هذا القول قبل ان يعرف ان العلم قد اكتشف في الهواء الميكروبات مع تلك الفضول القبيحة . وهذه الميكروبات تنتقل على اجنحة الرياح من مكان الى آخر فربما سارت من مدينة الى مدينة وربما صعدت الى اعالي الجبال على انها ليست كلها من الميكروبات المضرة فانه يوجد منها ميكروبات غير مؤذية بل نافعة لانها تتغذى بالفضول الموجودة في الهواء وبالميكروبات المضرة فكانها تفترسها لتخلصنا من شرها

وغبار الهواء وميكروباته تنمو في الربيع وتزداد زيادة عظيمة في الصيف ولكنها لا ياتي الخريف ويبدأ المطر بالنزول حتى تتناقص وتاخذ بالهبوط الى الارض شيئاً فشيئاً مع الامطار التي تنزلها . وهذا معنى قولهم ان الامطار تنقي الهواء . وتكون هذه الميكروبات

والفضول على اشدها في الهواء في الاوقات الحارة التي تمازج حرارتها رطوبة شديدة كما في الاسكندرية وا اسفاه . ومتى اخذت بالهبوط هبط على الهيكتار الواحد من الارض في السنة ما وزنه ٣٢ كيلو غراماً . فتامل . ومن هذه المواد الهابطة الى الارض من الهواء ما يفيد الارض خصباً فيكون سماداً لها . ومنها ما لا يفيدها شيئاً لوجود كثير منه فيها كالسيليس مثلاً وفي الميكروبات المنتشرة في الهواء ما هي سبب اختمار العنب وصيرورته خمراً واختمار الخمر وصيرورته خلاً وسبب اختمار كثير من المواد

وليست ميكروبات الهواء في فضاء المدن اكثر منها في الخلاء فقد وجد في بعض منازل باريز ٣ الاف ميكروب في كل متر مكعب من الهواء مع انه وجد في الحدائق الواسعة في الخلاء قرب باريز ١٤ الف ميكروب في المتر المكعب . وذلك اعظم دليل على ان الميكروبات لا تضر كلها . وقد استدل من ذلك ايضاً على امرين : الاول ان تلك الميكروبات تعيش في الحرارة او في الرطوبة نحو ٤ اشهر . والثاني ان النور لا يقتل الميكروبات كما ظن بعضهم

والفضول التي مرَّ ذكرها قد تتراكم على الاشجار فاذا جاءت الريح اسفتها على المدن والمنازل فنقلت الجراثيم اليها . وقد روى بعضهم انه كان كلما جلس تحت بعض الاشجار حضره السعال واصبح يبصق دماً وذلك لدخول الفضول المذكورة بالاستنشاق الى صدره . ولما كان هذا الامر من الاهمية الصحية باعظم مكان كما لا يخفى اخذ العلماء يبحثون عن طرق صناعية كهربائية لتنقية الهواء من غباره وميكروباته فاذا نجحوا بذلك افادوا الصحة العمومية في المدن والقرى افادة عظيمة

وقد يُذعر الناس ان يعلموا ان الميكروبات المضرة التي هي اعداء حياتنا منتشرة هذا الانتشار فوقنا وتحتنا وخلفنا وامامنا . ولكن من يتبع اصول حفظ الصحة يقوى عليها ولا تقوى عليه . وتوصلاً الى ذلك يجب على الانسان ان يقوي جسمه بحسن الغذاء والرياضة الجسدية والنظافة التامة والنوم في اول الليل والاعتدال في كل شيء وطلب نور الشمس والهواء النقي حتى اذا دخلت الميكروبات المضرة الى جسمه هضمها لقوته فلم تؤثر فيه . هذه هي انجع طرق الوقاية

باب الاخبار العلمية

البترول . ظهوره . اكتشاف اصله

البترول بين السويس وعدن

تدل الاثار القديمة على ان البترول (زيت الكاز) كان معروفاً في القرون الماضية . فقد وُجد منه في خرائب بابل واما في العصور المتاخرة فاول من استنار به الايطاليون الذين اكتشفوا بعض منابعه في انسيانو قرب بارما . وفي اواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان البترول لا يزال مهملاً حتى اذا وجد الاميركيون منابعه العظيمة في وادي كاناوه نادوا به ودعوا الناس الى استعماله . فخشي الناس في بدء الامر انفجاره واشتعاله فصنع الاميركيون لهم مصابيح قوية تقي من الانفجار والاشتعال فلم تنقضِ بضع سنوات حتى بادر الناس الى الاستنارة به ولما اكتشف في سنة ١٨٥٠ النبع الاول من البترول قرب تيتوسفيل في ولاية بنسيلفانيا وتدفق منه مجرى البترول بثخن ساعد اليد اضطربت الافكار اضطرابها لاكتشاف معادن الذهب في كاليفورنيا وكلونديك والترانسفال . ثم عمَّ استعماله جميع المعمورة ولا نعلم اذا كانت الكهربائية تتغلب عليه في مستقبل الزمان

ومع انتشار البترول هذا الانتشار فان سبب تكونه لا يزال مجهولاً . والعلماء يفترضون له واحداً من ثلاثة اسباب . الاول ان اصله نباتي . اي ان الاشجار والنباتات التي تُدفن في جوف الارض تختمر بمرور الزمن وتتحول بترولاً بتركيبها مع مواد اخرى في بطن الارض . ولكن بعض العلماء اثبت فساد هذا القول وذلك بانه اقام الدليل على ان بعض طبقات الارض التي لم تصل اليها المواد النباتية قد وُجد البترول نابعاً منها . وهي حجة دامغة

والاصل الثاني للبترول هو انه معدني غير آلي والعالم برتلو الفرنسوي من انصار هذا الراي . فانه يعتقد ان بعض المواد المعدنية الموجودة في باطن قشرة الارض كالصوديوم والبوتاسيوم وغيرها تتحد بالاسيد كربونيك في الطبقات الارضية ثم بالهيدروجين والماء فتتحول الى بترول

والاصل الثالث هو ان البترول حيواني وربما كان هذا الراي اهم الآراء الثلاثة . وقد قال هذا القول العالم هنري دوتش فزعم ان مصدر البترول الاحياء التي تجمعت في قعر البحار في القرون المتقدمة . فان البحر يبتلع جثثاً لاتحصى من الانسان والحيوان والاسماك وكلها تتراكم في قعره . ومع مرور الايام تجف مياهه بحرارة الشمس فيرسب ملحه فوق تلك الجثث المتراكمة . فاذا تم الجفاف وصار ذلك البحر يبساً او لم يتم بل دفنت تلك الجثث تحت الاملاح فقط اتحدت الاملاح بالبقايا الحيوانية وببعض المواد الارضية فصارت بترولاً

والذي يرجح هذا القول وجود منابع باكو الغزيرة على مقربة من البحر القزويني ووجود البترول بغزارة في اراضٍ على شاطئ البحر الاحمر . فان الشاطئ الغربي منها بين عدن والسويس اذا حفرت بيدك حيثما تشاء فيه ولو حفرة صغيرة جداً فانه لا يلبث ان يتحلب اليها ويجتمع فيها سائل كالماء فاذا فحصت هذا السائل وجدته بترولاً . هكذا يقول المسيو بول كومب

على انه قد يحتمل ان يكون اصل البترول حيوانياً ولكن ليس من صحة الراي ان يقال ان الطبيعة لا تصنعه الا من الحيوان فقط اذ لا يبعد ان يكون اصل البترول مثلثاً اي حيوانياً ونباتياً ومعدنياً معاً والله اعلم

❋ الآلات الميكانيكية وغرائب انواعها ❋ وضع بعض المصورين رسماً يمثل منزلاً وفيه آلات ميكانيكية تقوم مقام الخدم . ففيه آلة تبسط الطعام على المائدة من تلقاء نفسها واخرى تساعد السيدة على نزع ثيابها او على لبسها وثالثة تغسل ورابعة تكنس وخامسة تصب الماء وهلم جرّاً . وغرضه من هذا الرمز اظهار تقدم الميكانيكيات والتنبوء بانها ستصل الى حد عجيب

وهي الآن في الحقيقة قد وصلت الى حد عجيب فان في الآلات آلة تخيط وآلة تكتب وفيها منبهات للوقت وحاسبات وآلات تعطيك طوابع البوسطة من تلقاء نفسها اذا وضعت فيها ثمن الطابع وتنير الغرفة وتمسح الحذاء وتسقيك اللبن والماء المثلوج من تلقاء نفسها كل ذلك اذا وضعت قطعة من النقود فيها

وما عدا هذا فيوجد ايضاً آلة لترتيب الحروف وهي تغني المطابع عن المرتبين . وفي فرنسا آلة لجمع الدخان وتنقيته ووزنه واذا جاءت الرزمة ناقصة عن الوزن الاعتيادي القتها

جانباً . واغرب من هذه الآلة آلة لشرب الدخان رغبة في معرفة مقدار قابليته للاحتراق وهي عبارة عن ممص يمتص طرف السيكارة بتفريغ الهواء فتشتعل ويخرج دخانها

وفي الآلات آلة لسحب الصور الفوتوغرافية والة تصنع اكياساً من الورق وصناديق صغيرة . ومنها ما يقشر الحمص و يقطع قشره . واغرب من ذلك كله آلة لحلب البقر وطريقتها ان تصفَّ البقر صفوفاً وتوضع تحت ثديها آنية من زجاج متصلة بها وبآلة يحركها ولد صغير كما يحرك مقبض المنفخة (الطلمبة) فينزل اللبن في آنية الزجاج من تلقاء نفسه . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة الصحية لان هذه الاواني تنظف وتطهر كلها وليس للهواء وصول الى اللبن لينقل اليه ما فيه من الجراثيم

ولا ننسينَّ الآلة الحاكية وهي الفونوغراف ولا الآلة الموسيقية . ومما لا يقل عنها غرابة الآلة التي تصفق في المراسح وتستعمل الآن في مراسح فيينا وهي عبارة عن كيسين من الجلد متقابلين عمودياً فاذا اراد صاحب المرسح ان يظهر للتمثيل تاثيراً في الحاضرين انتظر حتى رأى بعضهم يصفقون فيضغط على زر كهربائي متصل سلكه بهذين الكيسين فيصطدمان اصطداماً متتابعاً تشبه اصواته اصوات تصفيق مئات من الناس فيحسب الحاضرون ان القاعة كلها تصفق للمثلين فيصفقون هم ايضاً

واذا استمرَّ التقدم الميكانيكي على هذه الوتيرة فانه لا ياتي وقت قريب حتى يصبح العلم قادراً على ان يعمل من الآلات كل شيء الا الشيء الاعظم وهو : الحركة المجردة المختارة ونعني بها الحياة

☀ الشراع وزيادة سرعة المراكب الشراعية ☀ تزداد المراكب الشراعية في العالم بالرغم عن البخار لانها اقل نفقة من المراكب البخارية واكثر سعة لشحن البضائع . والمراكب الكبيرة الهائلة يجعلونها ذات خمسة سوارٍ لتوزيع الاشرعة عليها اجتناباً لخطر جمعها على ٣ سوارٍ . والخطر الوحيد الذي يُخشى منه في المراكب الشراعية انقلاب مهاب الهواء حين انتفاخ الشراع لعدم انصرافه . ورغبة في تلافي ذلك اكتشفوا اكتشافاً يزيل هذا الخطر ويزيد سرعة المراكب وهو ان يثقبوا كل شراع مربع ثقبين وكل شراع مثلث ثقباً واحداً ويكون قطر الثقب نصف متر او ٩٠ سنتيمتراً فتزداد سرعة المركب بقدر خمس سرعته . فيجدر باصحاب المراكب الشراعية الانتباه الى ذلك

وقد اخترعوا في انكلترا شراعاً بشكل المظلة تماماً وهو يُفتح و يغلق مثلها و يستعملونه

في زوارق انقاذ الغرقى في النوء الشديد لان الريح اذا نفخت المظلة المربوطة بالزورق فانما تجذبها الى فوق سطح البحر فيأمن الزورق الانقلاب والغرق كما يحدث بالزوارق الشراعية الاعتيادية

والشراع يستعمل لاجراء المركبات على الجليد في الاقاليم المتجمدة . ومنه ما يصنع في اميركا من الورق و يستعمل للزوارق شراعاً قوياً . ومنه ما يُصنع من حرير خفيف سريع الانتفاخ . وكان في هولانده في سنة ١٦٥٠ مركبة للبرنس اورانج تجري بالشراع وكانت تسع ٢٨ شخصاً وتجري ٧ فراسخ في الساعة . وكان في اميركا منذ مدة وجيزة تراموای يسير بالشراع فيجتاز في الخلاء حين اشتداد الريح ٦٠ كيلومترًا في الساعة . وفي مالدين اليوم وهي جزيرة انكليزية في الباسيفيكي سكة حديدية تجري بالشراع حين هبوب الريح ويدفعها الناس دفعاً بالايدي حين سكونها وذلك لقلة الماء والمواد المحترقة اللازمة لتسييرها بالبخار

ويطير بعض البالونات بالشراع . وبه تجري بعض الدراجات . وبه تدار دواليب المطاحن ومضخات الماء . ومنه تُصنع آلة لوقاية الانسان حين سقوطه من علو شاهق وذلك بتخفيف جسمه و يسمونها آلة الوقاية عند السقوط

﴿ اختراع بندقية هائلة ﴾ ربما اصبحت البندقية الايطالية في وقت قريب اشد بنادق الدول هولاً . فقد ورد من رومه ان احد ضباط العسكرية اخترع بندقية هي عبارة عن رشاش يرش الرصاص رشاً فتطلق في دقيقة واحدة اكثر من ٣٠٠ خرطوشة تكون مخزونة في مكان فيها ولا يقتضي اطلاقها غير الضغط على الكبسول . فاذا صح هذا النبأ كان هذا الاختراع ذا شان عظيم

﴿ منع البصق في نيو يورك ﴾ اصدر المجلس البلدي في نيو يورك قرارًا بمنع الناس من البصق في الاماكن العمومية ومركبات الترامواي والسكك الحديدية وغيرها من الاماكن وقضى على كل صاحب معمل يكون في معمله ١٠ اشخاص او اكثر ان يضع لهم مباصق للبصق فيها وذلك فرارًا من عدوى الامراض بواسطة الميكروبات التي تكون في البصاق . فنحن لا نطلب مثل ذلك في الشرق ولكن يحسن بالبعض ان يتركوا عادة البصق بشدة ولا سيما في المطاعم والمنازل والقهاوي النظيفة

شؤون نسائية

الام والمرضعة

من القسم الصحي من كتاب « المراة في القرن العشرين » للفيلسوف جول سيمون ونجلهِ الدكتور غوستاف سيمون

عرفتكِ ايتها السيدة وعمرك ١٥ سنة وانت تلميذة تتعلمين التاريخ والحساب والانشاء والتصوير . ثم بعد ايام المدرسة جاءت ايام المنزل والحياة البيتية فصرت ترافقين امك الى السهرات والحفلات وذلك بقصد زواجك لان الأزواج على ما يظهر اصبحوا لا يوجدون الا في المراقص والسهرات بعد بضع دورات من الفالس . واذكر انني كنت احادثك مرة عن مستقبلك فهمست في اذني قولك « انا لا احب الزواج الا لاني احب الاولاد » وفي الحقيقة انك كنت تحبينهم حبًّا عظيمًا . فانك كنت تصرفين اوقاتك في ملاعبة اولاد صديقاتك واولاد جيرانك فتحملينهم وتداعبينهم وتغيرين لهم ثيابهم وتحادثينهم . وما كنتِ تحادثين في الحقيقة غير نفسك لانهم كانوا لا يفهمون حديثك

وقد بلغ منك حبهم انك اسررتِ اليَّ يومًا قولك « متى تزوجتُ فاذا لم يأتني اولاد لا سمح الله فلا شبهة في انني ساتبنى ولدًا » . فاذكرني قولك هذا اعمالك في صباك وكفى بهذه الاعمال دليلاً على حبك للاولاد . فانك كنت تعتنين بلعبتك اعتناء الام بطفلها فلا تضعينها على البلاط مخافة ان تبرد او تصاب بالم المغص . وتحفظينها كل الحفظ مخافة ان يصدمها شيء او يسوءها شيء . وعند خروجك من المنزل الى اماكن النزهة كنتِ تاخذينها معك وتلبسينها قبعتها اذ لا يليق بها ان تخرج الى مقابلة الناس مكشوفة الراس . فاذا امطرت السماء وضعتها تحت ردائك لئلا تُصاب بالزكام واذا اشتد الحر روحتِ لها بمروحتك . والخلاصة انك كنتِ تعتنين بها اعتناء الام بولدها

اما الآن فقد وصلتِ الى منتصف طريق الحياة . لقد تزوجتِ برجل نشيط مجتهد مقتصد واتاك منه الولد الاول فاصبحتِ امًّا . ولا ازال اذكر ذلك اليوم العظيم . فانكِ نسيت فيه كل شيء : العالم والمنزل ونفسك والناس ولم تفتكري الا بالمولود ذلك القادم الجديد . وكان فرحك مزدوجًا لان المولود كان ابنةً وانت تحبين البنات لذلك كنت تسالين الله ان يرزقك الولد الاول بنتًا لا غلامًا . فاستجاب الله لك . فوضعتها بجانبك وحمتِ عليها

كما تحوم الدجاجة على فراخها فضحكتُ من عملك وامرتك ان تامري باخذها عنك . فحدقت فيَّ مدهوشة مستغربة وقلتِ كيف ياخذونها عني . قلت نعم فان ذلك واجب خوفاً عليك من التاثر والهياج . فساءك ذلك ولكني ابعدتها عنك الى غرفة ثانية وجعلتُ عليها من يعتني بها . فاسفتِ لذلك وكنتِ كلما سمعتها تبكي تصيحين للسؤال عنها وتقولي " آه لو كانت بجانبي لما كانت تبكي "

وقد رمتِ ارضاعها فمنعتك من ذلك لا لاني اريد ان لا ترضع الام طفلها حاشا فان ذلك واجب طبعاً وانما رايت انك عصبية شديدة التاثر والهياج فخفت عليك وعلى ابنتك من لبنك حين انفعالك ولذلك امرت باستحضار مرضعة لطفلتك . فتحسرتِ وتاوهتِ لانني لم اتركك ترضعينها وكان يخيل لك — وانت مصيبة في ذلك — ان المرضعة تسلب الام شيئاً من قلب ولدها . فساءك استحضار المرضعة ولكنك قلت في نفسك انك ستراقبينها ثم تطردينها بحجة انها لا تحسن القيام بواجباتها . ولكن من سوء حظك او بالحري من حسن حظك انها كانت تعتني بطفلتك في غرفة منفردة مطلقة للهواء والنور فكنت لا تعلمين ماذا تصنع بها . غير انك كنتِ تسمعين الطفلة تبكي في بعض الاحيان فتتمزق احشاؤك حنواً عليها وتقولين متضجرة " لو كانت بجانبي لما بكتْ ولما تألمت "

وكنت قد اذنت لك برؤيتها مرة في كل مساء . ووزناها في اليوم الاول فكانت زنتها ٣ كيلوغرامات بل ٣ كيلوغرامات و ١٢٠ غراماً فيما اذكر . فدهشتِ لعملي وسالتني " هل يجب ان يوزن الاولاد " فقلت لك نعم لانها الطريقة الوحيدة لمعرفة صحتهم وارحت بالك بقولي ان وزن ابنتك في اليوم الاول يدل على انها ذات بنية جيدة وصحة جيدة

فجعلت تزنينها في كل مساء . وفي ذات يوم اتاني رسول مستعجلاً من قبلك فبادرت الى منزلك خائفاً من ان يكون قد طرأ عليك مرض او الم . فرايتك في حالة لا انساها في زماني . فانك كنت خائفة غضبى وعيناك مغرورقتان بالدموع فسالتك عن السبب فاجبتني بغضب " ان الطفلة بدأت تضعف والسبب هو المرضعة . اما قلت لك انها لا تحسن التربية " فسالتك من اين علمت ان الطفلة بدأت تضعف فقلت انكِ وزنتها فوجدتِ وزنها ناقصاً عن وزن اليوم السابق

وكنا حينئذٍ في اليوم الرابع من ولادتها . فضحكت بالرغم عن غضبك وقلت لك " لا تخافي فان وزن الطفلة يتناقص في اليومين التاليين للولادة ولا يبدأ بتزايد الا بعد

انقضاء الاسبوع الاول ونحن الآن في اليوم الرابع فقط . اما المرضعة فلا ذنب لها » فتنهدت تنهداً عميقاً وقلت « آه لو كنت انا التي ارضعتها لما كانت قد ضعفت » ثم لبثت تنتظرين الزيادة في الاسبوع التالي

وكانت المرضعة المسكينة قد خافت لغضبك واغتاظت لسوء معاملتك فقل لبنها واصبح اقل جودة مما كان لانها لم تأكل بقابليتها الاعتيادية ونامت نوماً مضطرباً . فنشأ عن ذلك ان الطفلة لم يتزايد وزنها في الاسبوع التالي . فاتاني رسولك المستعجل . ولما حضرت اليك صحت بي « اما قلت لك ايها الدكتور انه يجب تغيير هذه المرضعة لرداءة لبنها فان الطفلة لم يزد وزنها » فاعدت عليك قولي السابق لاني كنت عارفاً خطاءك ومطلعاً على نيتك . فانك كنت ترين مرضعتك صغيرة الجسم فتحسبين ان المرضعة ذات الجسم السمين الضخم تكون احسن لبناً وهذا اعتقاد فاسد . فثبت على رايي ولم احذُ حذو اولئك الاطباء الذين يخضعون للمراة حين اول نظرة استعطاف منها بل خاطبتك بلهجة جدية قائلاً « من الواجب ان تبقي المرضعة لطفلتك لانهما كلتاهما في صحة جيدة واخشى ان تطلبي مرضعة احسن منها فلا تجدي الا اقل موافقة وارداً لبناً . فاسترضيها وابتاعي لها قبعة لتطمئن نفسها وتُسرّ فيزداد لبنها ويجود فيزداد وزن ابنتك في الاسبوع الثالث »

فاغضبك كلامي وهذه هي المرة الاولى التي وجد فيها الكدر مجالاً بيننا . ولكنك اضطررت الى التسليم والخضوع فعملت بما اشرت عليك به ولم تندمي على ذلك ايتها السيدة لان الطفلة بدأ وزنها يزيد في الاسبوع التالي (ستاتي البقية)

المرأة والتشبيه

قال احد الادباء تشبه المرأة البزاقة ولا تشبهها . تشبهها لانها تلازم بيتها . ولا تشبهها لانها لا تحمل كل ما في البيت على ظهرها . ويجب ان تشبه المرأة الصدى وان لا تشبهه . يجب ان تشبهه اي ان لا تتكلم الا اذا كلموها . ويجب ان لا تشبهه اي ان لا تكون هي آخر من يتكلم . ويجب ان تشبه ساعة المدينة وان لا تشبهها . يجب ان تشبهها اي ان تكون دقيقة محكمة الضبط مثلها . ويجب ان لا تشبهها اي ان لا تكون كثير الحركة والضوضاء فتسمع صوتها المدينة كلها . هذا ما يشبه به الرجال النساء فهل بين السيدات من تقول لنا بماذا يجب ان يشبه الرجال

نشر صفحات مطوية

الشمس وكسوفها

من تاليف العلامة المرحوم كرنيليوس فنديك نشرها بمناسبة الكسوف الذي حدث اخيرًا كما ترى في تاريخ الاسبوعين · وقد تاخرت الرسوم التي كنا قد اعددناها لها مع رسوم مقالات اخرى اجلناها الى الجزء القادم

فعل الشمس في النظام الشمسي — في ما تقدم(١)قد تبين ان الارض ان جسم مظلم بارد دائر حول الشمس ولكونها باردة لا نور لها فلا تضيء لنفسها ولا لغيرها الا بنور مستمدٍ من الشمس منعكس عن سطحها

وتبين ايضاً ان الارض جرمٌ من عدة اجرام مظلمة دائرة حول الشمس سميت سيارات وهي ايضاً مظلمة باردة مثل الارض فلا تضيء الا بنورٍ مستمدٍ من الشمس

وقد تبين ايضاً ان السنة على الارض والسنين في سائر الاجرام الدائرة حول الشمس هي المدات التي تقتضي لكل جرم لكي يدور دورانًا كاملاً حول النير المركزي اي الشمس وطول اليوم على الارض وعلى سائر الاجرام متوقف على مدة دورانها على محورها حتى يمرّ كل قسم منها بالتتابع في نور الجرم النير المركزي

وتبين ايضاً ان الفصول متوقفة على ميل فلك الارض على خطها الاستوائي وان ذلك علة الفصول ايضاً في كل جرم لان ذلك الميل هو علة توجيه اقسام مختلفة من الجرم بالتتابع نحو الشمس او عن الشمس

فترى والحالة هذه ان للشمس الفعل الاكبر في كل امر طبيعي حادث في كل الاجرام الدائرة حولها فيهمنا اذًا ان نبحث عن الشمس نفسها لانها اصل وعلة للحيوة الحيوانية والنباتية ولولا نورها وحرارتها وجاذبيتها لما ثبت هذا النظام البهيج

(١) يجدر ان تكون هذه المقالة تتمة لمقالة « السيارات وسكانها » التي نشرناها في صدر باب المقالات في الجزء الماضي

حرارة الشمس ونورها وقدرها و بعدها — الشمس كرة نارية وليس لنا قياس نقيس عليه حرارتها ولا عبارات نعبر بها عن درجة حرارتها . واشد الحرارة التي يمكننا ان نحدثها بالوسائط المعروفة ليست بشيء باعتبار حرارة الشمس ولكون الارض وسائر الاجرام التابعة للشمس باردة تكون المواد عليهـا اما جامدة واما سائـلة وقد تعلمت ان حالة المواد بين غازية وبخارية ومائعة وجامدة متوقفة على درجة الحرارة ولا شيء جامد ولا مائع في الشمس بل كل المواد في حالة البخار والغاز الحامي الى درجة البيـاض

و بسبب هذه الحرارة العالية جدًا جدًا تضيء الشمس من نفسها اي نورها ذاتي غير مستمد من جرم آخر خلاف السيارات الاصلية واقمارها التي تضيء بنور واقع عليها من الشمس ومنعكس منها الينا

اما قدر الشمس فخمس مئة ضعف كل السيارات معًا واذا اخذت ١٣٠٠٠٠٠ كرة مثل ارضنا وجعلتها كرة واحدة تكون الحاصلة نحو جرم الشمس وحدها

اما بُعد الشمس فلا سبيل في هذا المختصر الى تبيين كيفية استعلام ذلك ومعدل بعدها ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل وقطرها ٨٦٥٠٠٠ ميل اي نحو ١٠٨ اضعاف قطر الارض اما كثافة الشمس فنحو ٢٥‚٠ من كثافة الارض وهي كرة تامة لا دليل على تسطيحها من ناحيتي قطبيها

ولا تُرصد الشمس الا بواسطة نظارة ذات بلورة عينية خصوصية تكسر حدة نورها وحرارتها فاياك ثم اياك ان تنظر اليها بنظارة اعتيادية كبيرة كانت او صغيرة لانك اذا فعلت تعدم عينك لا محالة . واذا نظرت اليها من وراء زجاجة مدخنة تراها قرصًا نيرًا مستديرًا وما تراه منها انما هو قشرة نيرة تحيط بها على استدارتها وهذه الطبقة الخارجيـة سميت الفوتوسفيرا اي الكرة النيرة و بعض الاحيان تُرى عليها بقع قاتمة مغبرة او سوداء وتلك البقع تُرى في اكثر الاوقات بواسطة نظارة ولا تُرى بالعين المجردة الا اذا كانت كبيرة وبقرب تلك البقع تُرى قطع لامعـة بيضاء سميت مشاعيل هي كوم ابخرة محماة الى درجة البياض طولها الوف من الاميال واذا راقبت البقع والمشاعين مدة تراها تتغير كل التغيير من ساعة الى اخرى هيئة وقدرًا

الكلف او البقع والمشاعيل — والكلف التي رُصدت على وجه الشمس لو القيت فيها عدة اروض مثل ارضنا لبلعتها وقد تُشاهد كلفة على حافة الشمس الشرقيـة ثم بعد ايام تُرى في وسط قرصها وبعد ايام ايضًا تُرى على حافتها الغربية وهناك تختفي عن النظر

ويستنتج من ذلك ان الشمس تدور على محورها والكلفة التي اختفت على حافتها الغربية تُرى ايضاً على الحافة الشرقية بعد نحو ١٢ يوماً وتعود الى المحل التي رُصدت فيه اولاً في نحو ٢٦ يوماً اي ان الشمس تدور على محورها مرة في نحو ٢٦ يوماً . وثبوت الكلفة على هيئتها كل هذه المدة نادر ولكنه قد يحدث . واذا اعتبرنا حركة الارض في مدة دوران الشمس على محورها تعود الكلفة الى موضعها بالنسبة الى الارض في نحو ٢٧ يوماً وان لم يلتفت الى حركة الارض بل الى دوران الشمس على حدته تكون مدة دورانها على محورها ٢٥ يوماً و٧ ساعات . غير ان الكلف التي هي على خط الشمس الاستوائي تكون حركتها اسرع من حركة تلك التي هي بعيدة عنه نحو احد قطبيها واكثر الكلف هي بقرب خطها الاستوائي لا تبعد عنه اكثر من ٣٠° نحو احد القطبين والتي هي بعيدة عنه تكمل دورانها في نحو ٦٦ يوماً ونصف يوم

واذا رسمت دائرة على قطعة قرطاس ولصقتها على كرة واستقبلتها تماماً ترى الرسم دائرة كما هي واذا ادرت الكرة غرباً او شرقاً ترى الدائرة تتطاول عرضاً وتضيق طولاً حتى تصير اهليلجية الشكل واخيراً يكاد ينطبق جانب على جانب . والكلف على قرص الشمس على هذه الكيفية تظهر واسعة عند ما تقع بقرب وسط القرص وتتطاول وتنطبق جانباها عند ما تكون بقرب احدى الحافتين

او خذ طاساً مقعراً وسود قطعة من باطنه على شكل مستدير فاذا نظرت اليه عمودياً ترى الاجناب تحيط بالقطعة السوداء على التساوي ثم افتل الطاس حتى تنظر الى باطنه من نحو حافته فترى حافة القطعة تختفي والحافة الاخرى تتسطح وتصير القطعة متطاولة وهذا نفس منظر كلفة شمسية في مواقع مختلفة من قرص الشمس . وبناء على ذلك يُزعم بان تلك الكلف انما هي جُوَر واعماق في الكرة النيرة اي ان صعود الغازات الحامية من الاعماق دفعت الكرة النيرة الى كل جهة وكوّنت مقوّرات عميقة وملأتها الغازات فحجبت النور فظهرت تلك البقع سوداء

اما قرص الشمس الظاهر فهو القسم الاكثف منها فقط اما القسم الالطف فابخرة لطيفة نيرة تمتد حولها الى مسافه مئات الالوف من الاميال ولكنها محتجبة عنا بشدة نور قرص الشمس مثل احتجاب النجوم بنور النهار ولكن عند حدوث كسوف الشمس واحتجاب نور قرصها بواسطة جرم القمر المظلم نرى النجوم ونرى الشعاع اللامعة مادة الى ابعاد مهولة عن الشمس الى كل جهة على الوان مختلفة . غير ان الاحمر غالب فيها وكلما قربت الى الشمس

تموّرت اكثر حتى تكونت كرة حولها سميت الكروموسفير اي الكرة الملونة وهذا المنظر سمي اكايل الشمس وهو يظهر على اشكال مختلفة سميت تورات وُترى في اي وقت كان بواسطة الة سميت السبكترسكوب

والسبكترسكوب آلة مؤلفة من عدة منشورات بلور مثلثة الاشكال بها يحل النور الى الوانه السبعة كما ترى في قوس قزح و بواسطته وُجد ان في شمسنا عدة من المواد الموجودة في ارضنا غير انها ليست في حال الجمودة كما هي عندنا بل في حال البخار لان الحرارة هناك كافية لاحالة كل المعادن بخارًا كما يتحول الماء عندنا بالحرارة بخارًا . والمواد التي تحقق وجودها في الشمس هي الهدروجين و بخار المغنيسيوم والكلسيوم والصوديوم والحديد والمنغنيس والنكل والباريوم والسترونتيوم وغيرها مع عدّة غازات غير موجودة في الارض . ومن كون الشمس مؤلفة من ابخرة وغازات لا عجب من خفة وزنها وقلة كثافتها بالنسبة الى الارض كما تقدم ذكره اي ان كثافة الشمس اقل من ربع كثافة ارضنا ومن عظمها مع قلة كثافتها تكون قوتها الجاذبة كافية لحفظ كل السيارات في افلاكها

والشمس انما هي نجم من النجوم وهي انور النجوم واكبرها لانها اقرب الينا من سائر النجوم والنظام الشمسي انما هي عدة اجرام باردة دائرة حول جرم حامٍ وارضنا مثال السيارات الباقية . والشمس مثال النجوم الدراري المالئة الكون الوسيع على ابعاد لا تدركها عقول البشر وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها اما تلك السيارات فلا تظهر لنا لكونها اجرامًا مظلمة وتظهر شموسها لكونها اجرامًا نيرة مثل شمسنا

كسوف الشمس — اما كسوف الشمس فهو حادث من اجمل الحوادث الطبيعية انما هو وقوع ظل القمر على الارض عند الاقتران اي في اول الشهر القمري والخسوف هو مرور القمر في ظل الارض عند الاستقبال . موضع من الارض يقع عليه ظل القمر هناك تنكسف الشمس كلها لان القمر يحجبها عن نظر سكان تلك المواضع وفي المواضع التي لا يقع عليها الظل تمامًا يكون الكسوف جزئيًا لان القمر هناك لا يحجب كل قرص الشمس وكل ما بعدتَ عن المواضع التي هي داخل الظل تمامًا يصغر القسم المحتجب من الشمس لانه حول الظل العميق ظل خفيف غير عميق سُمي الظليل وكل المواضع الواقعة داخل الظليل يكون الكسوف فيها جزئيًا

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ الزواج وعدمه ﴾

(الاسكندرية) حنا افندي يوسف عياني

ذكرتم في باب العادات والاخلاق قول سقراط ان من تزوج ندم ومن لم يتزوج ندم ايضاً وبما ان الرجل العازب لا يكتفي بالنصح بل يطلب بيان السبب فاننا نطلب منكم ذلك

﴿ الجامعة ﴾ تجدون الجواب في باب العادات والاخلاق

﴿ شراب الكازوزه ﴾

(الاسكندرية) م ١٠

هل تضر الكازوزه التي تباع الزجاجة منها في الثغر بعشرين بارة ام تنفع

﴿ طبيب الجامعة ﴾ الكازوزه كسائر المشروبات قسمان اما صحيحة واما مغشوشة فان كانت مغشوشة فهي مضرة طبعاً ولا يمكن الا ان تكون كذلك هذه الزجاجات البخسة الثمن التى تشيرون اليها

وهبها صحيحة غير مغشوشة فانها غير نافعة · نعم انها قد ترطب الجسم ولا تضر اصحاب المعد القوية والاجسام المتينة ولكن المعد التي تطلبها على الاكثر هي المعد الضعيفة والكازوزه تضر هذه المعد ضرراً بليغاً وذلك بتمديدها بسبب الغازات التي فيها وبذلك توقف عمل الهضم فضلاً عن توليدها شيئاً من الحامض الكربونيك في المعده

﴿ تاريخ افغانستان ﴾

(القاهرة) ا م

نرجو ان تذكروا لنا المصادر التي اعتمدتم عليها في الكتابة عن تاريخ افغانستان الذي صدرتم به الجزء الماضي لرغبتنا في التوسع في هذا الموضوع

﴿ الجامعة ﴾ اعتمدنا في كتابة هذه المقالة على المجلة البحرية الاستعمارية الفرنسوية التي نشرت اخيرًا عن افغانستان مقالة لكولونل الماني ساح في العام الماضي في اواسط اسيا وعلى مقالتين لمؤرخين من كبار مؤرخي الافرنج منشورتين في « الانسيكلوبيذية الكبرى » الفرنسوية · وتوجد كتب كثيرة عن افغانستان منها كتاب لرافرتي وآخر لرودولف وآخر لالفنستون وغير ذلك

﴿ المرأة في المريخ ﴾

(قنا) احمد افندي محمد

هل صحيح ماذكرتموه في الجزء الاول من السنة الثانية من صعود امرأة الى المريخ نقلاً عن احد اساتذة جنيف · فقد كنا نروي ذلك لبعض الناس فانكروه

﴿ الجامعة ﴾ لو راجعتم المقالة بامعان لرأيتم ان الاستاذ الذي اشرنا اليه لا يقول ان المرأة صعدت الى المريخ ولكنه يقول انه ينومها تنويمًا مغنطيسيًا فتقص عليه قصصًا مختلفة وتكلمه لغة غريبة وتكتب خطًا غريبًا وتدعي — ولكن في نومها — انها اتت بذلك من المريخ · فاي غرابة في دعواها هذه فان النائمين نومًا مغنطيسيًا يدعون امورًا اغرب منها · اما اصحابكم الذين ينكرون هذه الرواية من غير ان يراجعوا الاصل فليسوا اكثر اطلاعًا من العلماء اصحاب المجلات العلمية الجدية التي نقلنا عنها ذلك القول كمجلة « العلم التصويري »

باب التقريظ والانتقاد

(* نور الاسلام *) نور الاسلام مجلة علمية دينية ادبية لصاحبيها ومحرريها الفاضلين حضرات امين افندي ابو يوسف المحامي ومحمود افندي عبد الكريم تاجر بالزقازيق وهي فصيحة العبارة معتدلة المشرب تشهد لصاحبيها بطول الباع وسعة الاطلاع في المواضيع التي تنشرها فنرجو لها الرواج والانتشار · وهي تطلب من ادارتها في الزقازيق

(* الدنيا في باريز *) ينشئ حضرة الكاتب الفاضل احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار وهو مقيم في باريز مجلة عنوانها « الدنيا في باريز » وغرضه منها وصف

غرائب المعرض وعجائبه · وقد وردنا الجزء الاول والثاني منها يشتملان على وصف رحلة الكاتب بقلم رقيق لا يمله القارئ لطلاوته واختلاف اسلوبه · وهذه المجلة تصدر في ادارة مجلة طبيب العائلة في العاصمة وتطلب منها فنثني على اجتهاد حضرة ذكي بك وخدمته للادب

(* الدائرة *) صدر الجزء الاول من مجلة الدائرة التي اشرنا اليها في احد الاجزاء الماضية · وهي مجلة ادبية تاريخية فكاهية ينشئها حضرة الاديب البارع عيسى افندي مخائيل الخوري · فنحن نهنئ الدائرة بكونها المجلة العربية الاولى التي صدرت في الاقطار الاميركية ونتمنى لها اواسع الانتشار

(* جمعية اخوة الفقراء المارونية في بيروت *) وردتنا ميزانية جمعية اخوة الفقراء المارونية في بيروت التي يرئسها حضرة القانوني الفاضل عزتلو انطون بك شحيبر المشهور فضله وادبه في الاقطار السورية · ويؤخذ من هذه الميزانية ان واردات الجمعية قد بلغت منذ ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ الى ٣١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٠ نحو ٥٦٤١٤ غرشاً والنفقات ٢٤٨٦٠ غرشاً فيكون الرصيد الباقي في صندوقها ١١٥٥٣ غرشاً · فنحن نثني على همة حضرات رئيسها واعضائها الكرام ونسال الله لهم جزيل الاجر لما يبذلونه في سبيل البر والاحسان

ونغتنم هذه الفرصة لتهنئة حضرة انطون بك شحيبر بالرتبة التي انعم عليه بها من لدن جلالة السلطان والوسام الذي انعم عليه به من لدن قداسة البابا ونسال لجنابه ما يستحقه فضله من المزيد

(* مرقاة التمثيل *) تالفت في الثغر جمعية من بعض ادبائه غرضها تمثيل الروايات الادبية واختارت حضرات سليمان افندي حداد رئيساً لها وعبد اللطيف افندي حلمي نائباً فنتمنى لها النجاح في خدمة هذا الفن الجميل

(* المفتاح *) صدر العدد الخامس من مجله المفتاح وفيه رسم دولة الغازي مختار باشا ورسم بعض مشاهير الاميركيين ومقالة في آفات الاختراع ونظرة في الجمعيات واخرى عن كمون الارواح وفي بابي السؤال والاختراع والمتفرقات شيء كثير من الفوائد والاخبار ورواية نابوليون في مصر

عادات واخلاق

ننشر في هذا الباب نتفًا في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء واذا آنسنا ارتياحًا اليه منهم زدنا توسعًا فيه

قلنا في هذا الباب في الجزء الماضي : اذا تزوجت تندم واذا لم تتزوج تندم ايضًا . فما هذا القول الفاسد . اليس ذلك بمثابة قولهم : اذا شربتَ بقيتَ عطشان واذا لم تشرب بقيتَ عطشان

كلا . فانك اذا لم تتزوج تندم لان في قلب الانسان فراغًا ينبغي ان يُسد . وهذا الفراغ هو الانعطاف النفسي الذي وضعه الله في كل نفس هو الحب الطاهر الشريف الذي يقضي علينا بان ناخذ لنا شريكة في حياتنا لنجعلها سعيدة وتجعلنا سعداء . واذا لم ياخذها الانسان بقي يشعر بانه ينقصه شيء ما . اذا رأى اي وجه صبوح ناجاه الذي في قلبه يقول له : اين رفيقك ذو الوجه الصبوح . اذا رأى زهرة جميلة ذكر انه محروم من الجمال . الجمال الطاهر الطبيعي . الجمال الحقيقي الذي اساسه قبل حسن الوجه شرف النفس وادب الطبع ومكارم الاخلاق . واذا رأى صورة جميلة سمع من يهمس في اذنه قائلاً : الورق اسعد منك . وان رأى عصفورين على غصن او حمامتين فوق سطح وجد من يقول له في داخله : الحيوان اكمل منك

فالزواج المقدس اذًا كمال وناموس طبيعي لا يخالفه الانسان الا و يكون قد خالف النواميس الالهية نفسها ومن يخالف نواميس الله يندم اذ لهذه المخالفة عواقب طبيعية هائلة

اما انك اذا تزوجت فانك تندم ايضًا فليس ذلك لانك تزوجت بل لانك لم تحسن اختيار زوجتك . وهذا البحث يقتضي القول بان كل الازواج لا يحسنون اختياز زوجاتهم او ان في كل الزوجات لا توجد من تصلح لان تكون زوجة حقيقية لا يندم زوجها على زواجه بها على ان هذا البحث موضوع هائل يخشى كل داخل فيه غضب السيدات

ما شيء اذا لم تنله بقيتَ صغيرًا حقيرًا . أهو العلم ؟ كلا فانك قد تكون عالمًا وتكون حقيرًا . اهو المال ؟ كلا فانك قد تكون غنيًا وتكون حقيرًا اهو الجاه ؟ كلا فانك قد تكون عند هولاء وجيهًا وعند اولئك حقيرًا . ماذا اذًا — هو ان يكون قلبك لا يعرف

الحقد والبغض لاحد وفي نفسك مقدرة على احتقار صغائر وكبائر الحياة

جلستْ في المركبة مع زوجها وسارت بهما المركبة خبباً · هو عن يسارها وهي عن يمينه · هو جالس محني الظهر وهي جالسة متصدرة كالديك المعجب بنفسه · فمر بالمركبة رجلان فقال الاول : انظر انظر يا اخي كيف الرجل يخفض الرأس ذلاً وكيف المرأة ترفع الراس تيهاً · فقال الثاني هذه موضة هذا الزمان يا اخي الرجال يتذللون والنساء يترفعن · — وما درى هذا الجاهل ان سبب تصدر المرأة ورفعها راسها دون الرجل هو الكورسه (المشد) الذي يشد صدرها ···

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

في الترانسفال مع اللورد روبرتس

(تابع)

وبينما البيون وفالي سائرتان وراء المركبات الهوائية التي تقل الانكليز والبوير من معرض باريز الى ساحة القتال ليستأنفوا الاعمال الهمجية التي كانوا يعملونها قبل سفرهم الى المعرض قالت البيون الى فالي وكانوا قد وصلوا حينئذٍ فوق البحر المتوسط عند المكان الذي يفصل القارة الاوربية عن القارة الافريقية « هلمي يا اختي نشاهد ما بطريقنا وعلى جوانبها من البلدان» فقالت فالي لا ينبغي ان نترك المركبات تسبقنا · فقالت البيون لا بأس اذا سبقتنا فاننا نتبعها يا اختي · هنا مناظر لا ينبغي ان تفوتنا · انظري حدود مراكش التي امامنا فانه يجري فيها الآن عمل عظيم · اسد غربي يهجم على بقرة شرقية · ولم اقل « نعجة » لان النعجة تكون وديعة مسالمة ومراكش لم تكن قبائلها على حدود الجزائر مسالمة لذلك زحفت الجنود الجزائرية عليها والله اعلم بما ستدنعه فيها

انظري الى تلك البلاد الجميلة هذه بلاد تونس اخت قرطجنة العظيمة · هي البلاد التي قال فيها المسيو هانوتو على صفحات جريد الجورنال انها كانت بلاد النزاع والخصام في الماضي بين عنصرين من عناصر الانسانية فاصبحت اليوم بلاد الاتفاق والوئام

انظري الى تلك البلاد البعيدة هذه مصر الجميلة مصدر التمدن الاول ومهد العلم والفلسفة والحكمة · هذه بلاد سكانها الطف خلق الله طباعاً واكثرهم لو تعلمين مسالمة

ودعةً · بلاد بيننا و بينها اوجه للشبه واوجه للاختلاف · بلادنا الترانسفال غنية بمعادنها وهي غنية بنيلها · بلادنا في طرف جنوب افريقيا وهي في طرف شمالها · اي اننا نحن اساس السلطنة الافريقية الانكليزية الجديدة من جهة ومصر اساسها من جهة ثانية · ولعل السياسة الانكليزية لولا معرفتها انها قد ابتلعت مصر لم تقدم على طلب ابتلاعنا لاتمام تاسيس سلطنة الكاب والقاهرة ولولا طمعها في هذه السلطنة لم تحتل مصر وتغض الطرف عن وعودها وعهودها · فبلادنا اذاً جرت البلاء على مصر كما ان مصر جرت البلاء علينا · فنحن اذن في المصيبة مشتركان متضامنان

مصر قديمة المدنية كالسنديانة الجميلة القديمة والترانسفال نبتة جميلة حديثة الظهور في ارض المدنية · مصر القديمة يحكمها امير شاب له حكمة الشيوخ · والترانسفال الحديثة يحكمها حكيم شيخ له همة الشبان

مصر اصبحت بلاداً دولية فخلصت بذلك من الاستعباد ان لم يكن في الحاضر ففي المستقبل · والترانسفال بلاد كرهت ان تكون دولية فهاجمتها انكلترا لتضع نير العبودية على عنقها · فالشرائع الدولية اذاً كانت لمصر خيراً لا شراً · كانت القضيب الواقي من الصاعقة الذي سيصرف الصاعقة في المستقبل عنها · فلا ينبغي اذاً ان ييأس ابناؤها ويحاربوا الشرائع التي سيخلصون بها

ثم انظري الى ما وراء مصر نحو بلاد العرب وفلسطين تلك الاماكن التاريخية العظيمة التي قامت فيهما مدنيتان عظيمتان · مدي بصرك الى ما وراء ذلك في اواسط آسيا حيث الالمان يعملون · والروس على حدود افغانستان وفارس يتاهبون · والى الاستانة مدينة المدن وام الدنيا حيث تفترق اوربا عن اسيا كما تفترق هنا افريقيا عن اوربا · اليست هذه كلها مناظر بديعة شائقة تلذ مشاهدتها · فهلمي معي واتبعيني لنشاهدها اذ ليس لنا بعد اليوم اليها من وصول ثم نعود الى بلادنا فيكون رفاقنا قد وصلوا اليها ورجعوا الى اعمالهم فيها

فغادرت البيون وفالي اثر المركبات وحلقتا في الجو فوق الاماكن التي ذكرتاها · فشاهدتا قتال المراكشيين والفرنسويين على حدود مراكش واتفاق الغربيين والشرقيين في الجزائر وتونس ومناظرات الجرائد العنيفة في مصر · والشروع في مد السكة الحديدية في الحجاز

ثم همتا ان تستأنفا السياحة واذا بفالي قد طرأ عليها على حين بغتة انقباض لم تعلم له

سبباً · مرارة حزن دخلت الى نفسها وغشاء اسود سدل على عينيها وطنين عظيم اخذ يطن في اذنيها · فذبلت كالوردة فوق غصنها · فسالتها البيون ماذا اصابك يا اختي · قالت لا اعلم ما حدث لقومنا فان طنين اذني دليل على انهم يذكروننا الآن واخاف ان يكون ذكرهم موتاهم على سبيل الاستنجاد والاستغاثة

فقالت البيون لا تخافي فالله يا اختي معنا كما قال كروجر عمنا ورئيسنا · وبلادنا بلاد الحرية بلاد الفلاحين النشيطين المجتهدين بلاد البساطة والسذاجة البشرية — بلادنا هذه ستبقى بلاد القوة· ولكني اراكِ قد تعبت من السفر فهلمي نعود اليها فتستريحي فيها وتروحي نفسك بمناظر مروجها وحقولها

فقالت فالي احسنتِ باقتراحك يا اختي هلمي اليها فانني اشعر بان قلبي معها · ثم سارتا كالبرق الخاطف في الهواء قاصدتين افريقيا الجنوبية ارض الوطن الهادئة اللطيفة المقدسة

ولكن يا للاوهام والاحلام الجميلة· فانهما ما وصلتا الى ارض الحرية حتى وجدتا منظراً من اشد المناظر البشرية هولاً

رعود قاصفة تلعلع في كبد السماء · وزوابع هائلة تعصف في الهواء · وبروق تخفق في غيوم سوداء · متكاثفة فوق ارض مفروشة بالاشلاء· ومخضبة بالدماء

فيا للوحشية والهمجية · يا للفظاعة البشرية · يا للحيوانية

فقالت فالي اظن اننا ضللنا السبيل يا اختي فما هذه البلاد ببلادنا · اين جونا الهادىء اللطيف · اين مروجنا الجميلة التي ترعى فيها مواشينا متداعبة على الاعشاب· اين ضفات انهارنا التي تتلاعب عليها صغارنا · ما هذه ببلادنا يا اختي فقومي نفتش عن بلادنا

ولكن ما اتمت فالي كلامها حتى سمعت في الفضاء صوتاً هائلاً يقول

« قولوا لبنات الترانسفال ان يلبسن السواد · قولوا للنساء والرجال ان يحنوا الاعناق امام قيود الاستعباد · قولوا للانهار ان تجف · وللازهار ان تيبس · وللجبال ان تميد · وللارض ان تخسف · وللشمس ان تكسف : فقد مات الحق في هذا العالم »

فاقشعر جسم الفتاتين لهذا الصوت ونظرت كل واحدة الى الاخرى مبهوتتين مرتعشتين ثم اصغيتا فسمعتا الصوت يقول مرة ثانية

« سيفك يا لورد روبرتس لم يطعن قلبنا فقط بل طعن الدنيا كلها · وجزمتك لم تدس حقوقنا فقط بل داست مبادىء الكرة الارضية كلها · قولوا لبناتنا ان يلبسن السواد·

وللازهار ان تذبل · وللانهار ان تجف · فقد قتل اللورد روبرتس الحق في هذا العالم »

فلم تتمالك فالي ان صاحت هنا باعلى صوتها والدموع في عينيها : « لمن هذا الصوت »

فكأن صوت فالي كان اعصارًا هبَّ على الارض فجرف الغيوم السوداء جرفًا عن الجبال والسهول المجاورة فابصرت الفتاتان على قمم الجبال منظرًا جرى له الدم باردًا في عروقها

ابصرتا شعبًا باسره معتصماً بهذه القمم ومتحصنًا فوقها · رجال ونساء واولاد واطفال كلهم لابسون ملابس الحداد على حريتهم المقتولة · كلهم يحملون البنادق دفاعًا عن ارض الوطن المقدسة · شعب لا يريد ان يموت ولا يريد ان يُستعبد · شعب ينظر الى السماء حيث يقيم الذي اعطاه الحرية والى جنوبي جوهنسبورج حيث يزحف جيش لقتل هذه الحرية

شعب اتكل على الله وواثق بانك لا تتخلين عنه ايتها العناية الالهية

فغطت فالي والبيون وجهيهما بايديهما وشهقتا وبكتا بكاء مرًّا · ولم تكفا عن البكاء حتى سمعتا من صوب الجبال جلبة عظيمة فحلقتا في الجو فشاهدتا منظرًا اليماً · شاهدتا الجيش الفاتح يزحف لاحتلال جوهنسبورج مدينة الذهب مدينة المستر تشمبرلن مدينة المستر سسل رودس مدينة غارة جمسون · وجيش البوير الصغير الضعيف متقهقر عنها ·

فسمعت عند ذلك البيون وفالي وهما في الجو صياح الرجال والنساء والاولاد من الآكام والجبال قائلين « سبحوا الله لعله يدفع البلاء عنا سبحوا رب الجنود لعله يقوينا »

فانحدر دمعهما ثانية واصغيتا الى ذلك الخليط الهائل الذي على الآكام التي كانها وادي يهوشافاط والناس قد حُشروا فيها · فسمعتا الصوت الذي سمعتاه اولاً يقول « لماذا لاننسف المعادن ونهدم المنازل ونخرب المدن ونحرق البلاد فلانتركها في ايدي اعدائنا الا رماداً »

فاجابت فتاة كانت تسمع « لان صنع الشر يا اخي يكون شرًّا في كل حال ولا يبرئه شيء · نحن قادرون على ما ذكرت ولكن الذمة والشرف والدين تمنع ان نقدم عليه »

فنظرت البيون الى رفيقتها قائلة « ايبقى العالم كما هو اي لا يفتكر منه بالذمة والشرف والدين غير القوم الضعفاء »

ولم تنقض ساعة حتى رُفع العلم الانكليزي في جوهنسبورج فسمع حين رفعه نداءان هائلات : نداء فرح ونداء احزان

نداء احزان من البوير المساكين الذين تحققوا عند ذلك انهم خسروا كل شيء
ونداء فرح من ماليي الانكليز الذين تحققوا عند وجودهم المعادن سالمة انهم قد ربحوا كل شيء

نداء قطع البحار والسهول والجبال قادماً من انكلترا ومستعمرة الكاب وقد امتازت فيه قهقهة المستر سسل رودس وضحك المستر تشمبلن

قهقهة وضحك موجهان الى العالم كله لان هذين الرجلين لم يغلبا الترانسفال فقط بل تغلبا على كل دول العالم

فيا لك من دهر قبيح تموت فيك اشرف العواطف والمبادئ الانسانية ويمتلك زمامك ارباب الاموال

وبعد احتلال جوهنسبورج زحف الجيش الظافر على بريتوريا · فتقهقر البوير امامه الى عاصمتهم للدفاع عنها · ولكن وا اسفاه لم يغن الدفاع شيئاً فسقطت ايضاً بريتوريا

بريتوريا حرم الحرية وهيكل الوطنية · بريتوريا التي شهدت نشأة ذلك الشعب الصغير واشتركت معه في سرائه وضرائه قد داس الخصم ارضها المقدسة وخضبها بدماء ابنائها

وكانت فالي والبيون مستغرقتين طول الوقت في البكاء تذرفان دمعاً سخياً لما تسمعانه من ندب عذارى الترانسفال وصياح الاولاد وعويل النساء · ثم سالت فالي البيون ماذا تظنين ان قومنا يعملون بعد الآن يا اختي

وكان بازائها على الآكام القريبة ثلاثة جماهير من النساء والاولاد والرجال فسمعوا كلهم هذا السؤال فصاح الرجال : يسألوننا ماذا نعمل · اننا سناخذ بنادقنا ونحارب في الجبال حتى نموت موت الابطال

وقال الاولاد · يسالوننا ماذا نعمل · اننا اذا عقدوا الصلح الآن فاننا سنعمل في المستقبل ما عمله الاباء فلا يكون في هذه البلاد طول العمر اتفاق ولا سلام

وقالت النساء : يسالوننا ما ذا نعمل · اننا هذه المرة سنحمل البنادق ونحارب مع الرجال واذا انكسرت بنادقنا كما انكسرت بنادق رجالنا فسنربي اولادنا تربية تُري المستبدين كيف تكون عاقبة الاستبداد

فما اعدلك ايتها العناية الالهية انك لم تسمحي للانسان ان يستعبد اخاه الانسان حتى قضيت بابقاء مصباح الامل متقداً دائماً في نفوس الضعفاء وأنشأت في باطن

هذه النفوس حصوناً لا تصل اليها ايدي الاقوياء

ولما سمعت البيون من تلك الجماهير هذا الكلام التفتت الى فالي وقالت: أليس من العار يا اختي ان نترك دول الارض شعباً صغيراً ضعيفاً بهذه القوة والحماسة ينسحق تحت اقدام خصم عظيم قوي · فقالت فالي الحق معك يا اختي ولكن يجب قبل الحكم في هذا ان نعلم من رفيقتنا «اوربي» افكار واعذار ملوك الارض الذين ذهبت تزورهم من بطرسبرج فالاستانة في اسيا واوربا حتى واشنطون في اميركا · وينبغي قبل ذلك ايضاً ان ننفذ مهمتنا لدى الرئيسين ستين وكروجر · فلنبحث عنهما الآن (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ يوبيل الحضرة السلطانية الفضي ﴾ يحتفل العثمانيون والمصريون في هذا العام بتذكار عيد جلوس الحضرة السلطانية احتفالاً خصوصياً لانقضاء ربع قرن عليه وسنفصل ذلك في حينه تفصيلاً وافياً ولا ريب عندنا ان مظاهر الاحتفال التي تقام في ذلك اليوم ستكون مما لم يسبق له مثيل في بلاد الدولة العلية

﴿ سفر الجناب الخديوي ﴾ سافر الجناب الخديوي المعظم في ٢ الجاري بالعز والاقبال الى تريسته ومنها يسافر الى لندرا لزيارة جلالة الملكة فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند · وستقيم جلالتها في لندرا لسموه حفلات شائقة ويقيم مجلس لندرا البلدي مادبة لجنابه العالي ويقدم له خطاباً موضوعاً نصه في صندوقة ذهبية مصنوعة على الطراز المصري القديم

﴿ اكتتاب لمنكوبي الهند ﴾ افتتح بعض اكارم المصريين اكتتاباً لاعانة منكوبي المجاعة والطاعون في الهند وقد تبرع الجناب الخديوي المعظم بمائة جنيه في هذا السبيل

﴿ كسوف الشمس ﴾ كسفت الشمس في ٢٨ مايو الماضي وكان الكسوف كلياً في اسبانيا والبرتغال والجزائر واصوان وجزئياً في ما سوى ذلك من البلدان · وقد تقاطر

العلماء والسياح من اميركا واوربا الى تلك الاماكن لمشاهدة منظر من اعظم المناظر الارضية حتى لم يبقَ في فنادق بعض المدن مكان لنزول الزائرين فنزلوا في مركبات السكك الحديدية . وقد أخذ علماء الفلك في كل مكان رسوم الشمس وهي مكسوفة والى الآن لم نعرف نتيجة هذه الرسوم ولكن يحتمل انهم يكونون قد اكتشفوا فيها اكتشافات جديدة تتعلق بقرص الشمس اكليلها

واما النظارة الكبرى في معرض باريز فقد رُصدت الشمس بها فنجحت نجاحاً تاماً دل على انها ارقى تلسكوب صنع الى هذه الايام . ولكن لم نعرف ايضاً نتيجة الرصد بعد

اما عندنا في الثغر فان الشمس التحفت ساعة الكسوف بالغيوم كانها خجلت من الارض وسكانها . ثم تلا الكسوف في اليوم الثاني زوبعة شديدة وبروق وامطار

وبعد كتابة ما تقدم رأينا في الاخبار الاخيرة ان السماء في البرتغال واسبانيا كانت صافية حين الكسوف فكان الناس في الشوارع والنوافذ ينظرون كلهم الى الشمس وعلى عيونهم الزجاجات المدخنة . وقد رسم الفلكيون صوراً متقنة جداً لاكليل الشمس ولم يظلم النهار كثيراً في الاماكن التي كان فيها الكسوف كلياً وذلك لاطراف الاكليل التي بقيت منيرة . ويسمون اكليل الشمس الدائرة المنيرة التي حول قرصها . سميت كذلك لشبهها الاكليل . وفي ابان الكسوف نظر العلماء بعيونهم المجردة في النهار المريخ وعطارد وسيريرس واكتشف العالم الاميركي المسيو " هو " السيارة " اروس " من جديد

وقد صعدت الفلكية مدموازيل كلومبك ساعة الكسوف في بالون (منطاد) من باريز فارتفعت به الى علو ٣٥٠٠ قدم لترصد الكسوف من هذا الارتفاع ولكن الغيوم كانت تسبح فوق بالونها فمنعتها من مشاهدة الكسوف وقد بلغ مقياس برودة الجو في ذلك العلو ٣ درجات تحت الصفر مما اقنعها بان الكسوف ينزل مقياس الحرارة اكثر مما يظنه العلماء . وقد لاحظ العلماء ان مقياس الحرارة نزل ساعة الكسوف ٥ درجات

وقد خاف البسطاء في بعض البلاد فاخذ بعضهم يقرع الطبول ومن القبائل المتوحشة من ذعر ذعراً شديداً وخافت الحيوانات ايضاً ففرت تختبئ . هذا اهم ما نقلته الينا الجرائد عن الكسوف الى ساعة كتابة هذه السطور

﴿ الحرب ﴾ احتل الجيش الانكليزي بريتوريا عاصمة الترانسفال في الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ من ظهور يوم الاثنين ٤ الجاري بعد الافراج عن مفكنج فاصبح الصلح قريباً على ما نرى لان البوير يئسوا من مداخلة الدول ولم يبقَ في امكانهم الثبات لان عددهم لا يتجاوز ٣٠ الف رجل وعدد الانكليز كما صرح وكيل وزير الحربيــة في مجلس العموم الانكليزي ٢٢٠ الف رجل . ومن المحتمل انهم يعتصمون بالجبال ويحاربون الانكليز منها ولكن هذه الحرب قلما تفيدهم شيئاً كثيراً بعد الآن

وقد خطب المستر تشمبرلن وزير المستعمرات واللورد سالسبوري رئيس الوزارة فصرحا بان الحكومة الانكليزية ستحتل الترانسفال احتلالاً عسكرياً وتضمها الى الاملاك الانكليزية اما اورانج شقيقتها فقد ضمتها اليها وسمتها « مستعمرة نهر اورانج »

﴿ المرحوم ميشل بسترس ﴾ صدق الذي قال ان الكريم كشمعة من عنبر يضوع نشرها حين انطفاء نورها . فان ميشل بسترس لم يقضِ رحمه الله نحبه حتى قامت الجرائد والمجلات ترثيه وتبكيه وقامت الجمعيات الخيرية الارثوذكسية في القطرين المصري والسوري تحتفل باحياء ذكره . وامامنا الآن اوراق النعي واردة لنا من جمعيات الاسكندرية وطرابلس واسكلة طرابلس وبيروت ومرسين تنطق بفضل الفقيد رحمه الله وتستمطر عليه غيوث الرحمة والرضوان . فنكرر طلب الرحمة لنفسه والتعزية لآله الكرام مع الشكر لهذه الجمعيات على عنايتها باحياء ذكر افاضل الناس

﴿ اصلاح خطأ ﴾ جاء في صدر هذا الجزء انه الجزء الثاني والصواب انه الجزء الثالث فلزم التنبيه

﴿ خطبة ﴾ وردنا من الثغر انه احتفل في يوم الاحد ٦ مايو الماضي في منزل حضرة الخواجا انطونيوس حموي بعقد خطبة كريمته حضرة المدموازل انيسه الى حضرة الاديب الخواجا عارف صباغ وذلك بحضور الاهل والاصدقاء . فنهنئ الخطيبين ونرجو لهما تمام الافراح

ثم ادنى الورقة من بيتو وقال له اقرأها فقال بيتو انا لا اعرف الانكليزية فقال جيلبار انظر هذه العبارة (دنت مين ذي مني)

فقال بيلو اراها فما معناها · قال جيلبار معناها موافق لمعنى هذا السطر الثاني الذي فوقها · قال وما معناه · قال معناه « قل لهم ان ينفقوا بلا حساب وان لا يعبأوا بالمال »

فبهت بيلو و بيتو فقال بيلو وما المراد بذلك فقال جيلبار اما فهمتَ بعد · قال بيتو اظنهم يبتاعون اسلحة لمحاربتنا · فقال جيلبار كلا ولكنهم يرشون العامة افسادًا لاعمالنا · قال بيلو وكيف يرشون العامة

فقال جيلبار أ كنت انت يا بيلو تقتل ديلوناي · اكنت تقتل فلاسل ولوسم · أ كنت تشنق فولون وتخرج بيدك قلب برتيه من صدره

فصاح بيلو مشمئزًا معاذ الله وقد سئمت العيش من هذه الامور التي رأيتها

فقال جيلبار عافاك الله وهذا هو الامر الذي يريده اعداؤنا· انهم يسعون في افساد الثورة التي نقوم بها الآن لكي يسأم منها خاصة الامة وافاضلها · ولذلك ينفقون المال جزافًا من غير حساب

فقال بيلو واي فائدة للمستر بيت في رشوة بعض سفلة الشعب لارتكاب الفظائع وجعل افاضل الامة يسئمون هذه الثورة

فضحك جيلبار بهدوء ضحكة دلت على اقتناعه ثم قال · ما ابسط قلبك · انسيت ان المستر بيت هو عدو فرنسا اللدود الذي لا يهنأ له عيش الا اذا افرغ كل جيب فيها وكسر كل بندقية او سيف يتقلده جنودها · فاذا اثار على الامة عامتها وسوقتها فان الامة لا تلبث لسئامتها الثورة أن تدعو جنودًا المانية او جنودًا انكليزية لنجدتها على القتلة والمعتدين فتدخل الجنود الاجنبية الى بلادنا بحجة اغاثتنا ويكون الغرض الحقيقي من دخولها زيادة اذلالنا وتمزيق شملنا

فقال بيلو وهو مبهوت مفكر وكيف مداواة الحالة الحاضرة · قال جيلبار مداواة الحالة الحاضرة في بقاء افاضل الامة في وسط الثورة ليصرفوا مجراها الى الخير ويمنعوا رجال السوء من ارتكاب الاثم وصنع الشر · ولذلك اكره ترك امثالك باريز يا بيلو فابق فيها لتكون لي عصًا تارة اتوكأ عليها وطورًا اضرب بها

فبقي بيلو مبهوتًا · فقال بيتو قد اصاب الدكتور في قوله فهل لديك جواب مقنع ايها الاب بيلو

فقال بيلو نعم وانا ارى مثلك ان الدكتور قد اصاب في قوله بالرغم عن ضجري من الثورة واهوالها وشوقي الى مزرعتي واهلي . فسافر انت يابيتو لتنوب منابي في المزرعة اذ قد طال غيابنا عنها وانا ابقى هنا طوعاً للدكتور لان حجته لا تُرد

وما اتى بيلو على هذا الكلام حتى ابرقت اسرة بيتو وطار فرحاً . لانه ذكر كاترين وايامه الماضية معها فرقص قلبه في صدره شوقاً اليها والى البلاد التي ربي فيها . وقبل ان يلفظ كلمة جواباً على قول بيلو قال جيلبار . نعم سافر ونب مناب بيلو في مزرعته وخذ معك ابني سباستيين من مدرسة لويس الكبير الى مدرسة الاب فورتيه في فيله كوتره اعل هواء الخلاء يكون احسن تاثيرًا في صحته من هواء باريز

وهكذا جرى . فسار بيتو وعاد بسباستيين الى ابيه ليودعه ثم سافر معه الى فيله كوتره وقلبه يرقص طرباً لقرب اجتماعه بكاترين الجميلة

الفصل الثاني عشر

(الملكة قلقة)

عادت الراحة قليلاً الى النفوس بعد عودة الملك من باريز الى فرساليا . وقد سرَّ الملك بسياحته لانها امالت الشعب اليه

اما ناكاروزيره فقد كان يعمل اعمالاً تميل الشعب عنه والاشراف يستعدون لمقاومة هذه الاعمال والشعب هادئ يراقب الفريقين

واما الملكة فكانت هي القلقة وحدها في خلال هذه المدة لانها كانت تحس بكونها ملتقى بغض الشعب باسره . على انها كانت تحس بهذا وتحس ايضاً بانها ملتقى امال جميع انصار الملكية

وكانت لم تشاهد جيلبار منذ عودة الملك من باريز . ففي ذات يوم كانت خارجة من قاعة الملك فوجدت جيلبار داخلاً . فحياها الدكتور باحترام كثير فوقفت ماري انطوانت وسألته أأنت داخل على الملك . فقال نعم . فقالت باسمة تدخل عليه كطبيبه ام كمستشاره . قال بل كطبيبه يامولاتي لاني اليوم في نوبتي في القصر

فابتسمت الملكة واشارت اليه ان يتبعها فلحق بها جيلبار باحترام فدخلت معه الملكة الى قاعة صغيرة هنالك وجلست في كرسي ثم اشارت اليه بالجلوس فجلس فقالت له الملكة

أكنت تخدعني ايها الدكتور يوم قلت لي ان الملك لا خوف عليه من السفر الى

باريز . فقال جيلبار حاشا ياسيدتي . قالت فما هذا الذي سمعته اذاً من قتل امرأة كانت واقفة امام مركبة الملك برصاصة اصابت زرّ ثوبك وارتدت عنه الى صدرها

فاصفر الدكتور جيلبار وقال لم ارَ هذا الامر مهماً بقدر ما تحسبين جلالتك فانني ارتاب في ان رجلاً اطلق الرصاص عمداً

فاغتاظت الملكة وقالت كيف ترتاب في ذلك والمرأة قد قُتلت كما ذكرت لك . وهل هكذا يكون الدفاع عن الباريزيين

فقال جيلبار مولاتي مولاتي لا تتهمي شعب باريز بهذه الجناية فان الشعب بريء منها . لقد خبرت اخلاق الشعب وشهدت غضبه في كثير من الاوقات فرأيت انه اذا اراد الانتقام فانه لا يستعمل آلة للقتل بل يتناول غرضه بيده فاذا كان حقيقياً ان رصاصة اطلقت على الملك فليس الشعب الذي اطلقها

فقالت الملكة تقول ان الشعب لا يستعمل آلة للقتل بل يقتل بيده ولكن انسيت انه قتل فلاسل برصاصة ايضاً

فقال جيلبار ولكن نسيتِ جلالتك ان كثيرين غير الشعب كانوا يرغبون في قتل فلاسل

فسكتت الملكة هنيهة ثم قالت له ولماذا لم اركَ بعد عودة الملك من باريز . قال لان جلالتك لست بحاجة الي . فقالت الملكة هذا تواضع منك فقال انا لا احب ان اكون متواضعاً . قالت عجباً ولماذا قال لانني اذا لم اكن متواضعاً كنت قوياً شديداً وفي هذه الحالة اكون اكثر مقدرة على منفعة اصدقائي والاضرار بالاعداء

فقالت الملكة لماذا تقول الاعداء ولا تقول اعدائي . فقال جيلبار لانني لا اعرف لي عدواً ياسيدتي . فقالت الملكة مبهوتة وكيف لا تعرف لك عدواً . قال لا اعرف لي عدواً او بالحري لا اعرف اني عدو احد وذلك لاني لا ابغض احداً فقالت . ولماذا انت لا تبغض احداً . قال لاني لا احب احداً

فدهشت الملكة من هذا الكلام وقالت له تقول انك لا تحب احداً فهل انت اذاً طامع بالمجد حتى يشغل حب المجد كل قلبك . فقال جيلبار بهدوء كنت طامعاً اما الآن فقد زال طمعي لسقوط املي . فقالت الملكة باسمة ولكن لا بد ان يكون بقي في نفسك نوع واحد من الطمع والامل . قال اي شيء تعني جلالتك قالت حب الوطن

فقال اما حب الوطن فانني اسيره ووقف له . فتنهدت الملكة وقالت وا اسفاه ما

اصعب هذه الايام وما احلى تلك الايام التي كان فيها حب الملك جزءاً من حب الوطن ·

فاحسَّ جيلبار بما في كلام الملكة فقال باحترام انني احب الملكية يامولاتي اكثر من كل شخص سواي

فعادت هنا للملكة كبرياؤها الطبيعية فرفعت راسها وقالت بعنفوان وخيلاء ان من يحب ملكه فانه يقوم بما يجب عليه

فرفع جيلبار عند ذلك راسه ايضاً لانه ما كان ينتظر هذه الكبرياء الفجائية بعد استرسال الملكة في ملاطفته وقال ولكن هذا الواجب يامولاتي قد يكون القيام به صعباً وربما جاء وقت اصبح من واجبات الملكية ان تشكر من يقوم بما يجب عليه لها

فنهضت الملكة عند هذا الكلام بهدوء واستياء قائلة· هذا ما تراه انت اما انا فارى ان الله الذي اعطى الملوك عروشهم وتيجانهم قد قضى على الرعايا ان يخدموهم دون ان يجب لهم الشكر على خدمتهم · وقد علمتُ غير مرة انك تنادي كثيراً بقوة الشعب وسلطته فانا · انا وحدي ساري كل معتدٍ على سلطة الملك كيف يكون الاعتداء

ثم سارت في طريقها بغضب تاركة جيلبار مبهوتاً مدهوشاً· فكأنها بريح غضبها هذا قد رفعت عن عيني جيلبار طرفاً من ستار كثيف كان يحاول بعضهم وضعه على الثورة وهو ستار مقاومتها وخنقها

فقال جيلبار بعد مسيرها علمت الآن شيئاً وهو ان الملكة تفكر بامرٍ ما · ثم دخل على الملك

اما الملكة فسارت وهي تزمجر وتقول في نفسها · لم يبقَ الآن شبهة لدي في انه لا يجب ان نرجو من هذا الرجل اخلاصاً

مساكين انتم ايها الملوك والعظماء الذين تريدون بكلمة « الاخلاص » الذل والعبودية لا الحب والصدق في الخدمة

الفصل الثالث عشر

(القلب والحب)

ولما دخلت الملكة الى غرفتها ضاقت الارض بها واصبحت الدنيا سوداء في وجهها لانها كانت تجد نفسها قلقة مضطربة بصفتها امرأة و بصفتها ملكة

بصفتها ملكة لانها حيثما وضعت قدمها كانت تجد الارض متحركة تحتها وسلطة الشعب تقوى شيئاً فشيئاً وتعلو على سلطتها

وبصفتها امرأة لانها رات كل احبائها ومقربيها بدأوا يتخلون عنها. فنساؤها المقربات اليها اخذن بالمهاجرة من فرنسا خوفاً من عواقب الثورة ورجال البلاط اصبح همهم وقاية انفسهم واموالهم حتى عزيزها الكونت دي شارني الذي تحبه كما تحب نفسها تغير قلبه وانقلب عليها

كلا لم يتغير قلبه ولكنه كان آخذاً في التغير. والخوف من تغير قلب الحبيب عذاب هائل للمرأة التي تحب حباً قلبياً وشيء لا تصبر عليه المراة التي تحب بكبرياء وعظمة

والملكة تحب شارني حباً قلبياً وكبريائياً لذلك كان خطبها مزدوجاً

فكان في قلبها جرحان جرح امراة تحب وجرح ملكة ترى ان رجلاً لا يعبأ بها

ومع ذلك فقد كانت الملكة تستطيع ضمد هذين الجرحين لو ارادت وذلك باطلاع شارني عليها ومحادثته بالعذاب الذي تقاسيه من فتور حبه

ولكنها كانت ملكة. والملكة ان احبت فهي تحسب انها تولي حبيبها جميلاً غير جميل الحب. وهذا في الحب من سوء حظ الملكات

ولذلك لم تسعَ الملكة في استرضاء شارني واستمالته بالرغم عنها لان كبرياءها لم تكن تطاوعها على ذلك

وكانت قد لحظت ان شارني ينصرف عن حبها ميلاً الى الكونتس زوجته فصارت تحسدها وتغار منها

ومتى حسد الانسان او غار نقصت قيمته الادبية

ومن نتائج نقص القيمة الادبية عواطف رديئة

ونتائج العواطف الرديئة افكار رديئة

ونتائج الافكار الرديئة اعمال رديئة. ولذلك ابتدأت الملكة بالاعمال الرديئة

وقد راينا كيف اصبحت تسيء معاملة شارني وتغضب منه ومن زوجته بلا علة ولا سبب

وكان شارني رجلاً كريماً لا يطيق ذلاً ولا ضيماً

فلما راى غيرة الملكة من زوجته قال في نفسه لا بد اذاً ان يكون في اندريه

شيء يستحق الحسد والغيرة ولم يرَه فيها

ومن الثابت ان لا شيء في العالم يقرب رجلاً من امرأة كغيرة حبيبة من هذه المرأة غيرة ظالمة

لذلك كانت الملكة كلما ازدادت غيرة من اندري ازداد شارني ميلاً اليها

كانت الملكة غيورة من الكونتس دي شارني والغيور يكون عادة احط من الذي يُغار منه . فهل ان في الكونتس شيئاً لا يوجد في الملكة ؟ ام ان الملكة اكتشفت فيها الآن اشياء ما كانت تعلم بها قبلاً . ام انها رأت ان شارني اصبح اقل حباً لها مع انه لا موجب لتقليل حبه ؟

على انه لا شيء يزيد القلب الذي يطلب البعد بعداً مثل طلب تقريبه . ولا شيء يدل الحبيب على شروعه في الابتعاد عنا مثل غيرتنا عليه كأننا بهذه الغيرة ننبهه الى فتور حبه

ومتى تنبه الى ذلك وعلم انك مصيبة في نسبة الفتور الى قلبه فهل ترينه يعود ايتها الحبيبة الى سابق عهده . كلا . فما اجهلكم ايها المحبون بقلوب المحبين . بل ما اجهل الذين يسمونكم جهلاء وانتم عميان لا جهلاء فقط اذ الحب لا يرى ولا يسمع ولا يختبر بل يسوق قلباً الى قلب وخلقاً الى خلق كما تسوق قوة الجاذبية الحديد الى المغناطيس

فهل يسمى المغناطيس اعمى متى نفدت قوته وضعفت عن جذب الحديد

كلا . وكذلك لا يسمى قلب شارني اعمى لان عيني الملكة اصبحتا ضعيفتين عن جذبه كما كانتا تجذبانه من قبل

والذي نبهه الى ضعفها وفتور حبه لها هو غيرتها عليه . فما اقبحك ايتها الغيرة وما احلاك

ما اقبحك لانك تشين بالحبيب الى حبيبه وتعكرين صفو الكاس . وما احلاك لانك اذا كنت دليلاً على ضعف الحب في احد القلبين فانك دليل على زيادته واشتداده في الثاني

وهكذا كانت كلما ازدادت الملكة غيرة على شارني ازدادت حباً وازداد فتوراً

والملكة اذا ازدادت حباً ازدادت كبرياء لانها لا تحب الا كملكة وكبرياؤها تجعل حبها ممزوجاً بالسخط والغضب

بالسخط على ذلك المتمرد على قلبها وعلى تلك الجريئة الجسورة التي سلبتها حبيبها

ولذلك اصبحت الملكة ساخطة على شارني وعلى الكونت معاً

اما شارني فانها اصبحت لا تعبأ به ولا تلتفت اليه . هذا اذا كان حاضرًا . حتى انها كانت تتجاهل حضوره . واما اذا كان غائباً فلا تفتكر باحد سواه ولا تفتش عيناها عن احد سواه

واذا فتشت عنه عيناها وقتاً طويلاً ولم تجداه اغرورقتا بالدمع وتضخمتا واحمرتا فاصبحتا كجمرتين منقدتين . ذلك لان كل ما في القلب يصعد حينئذٍ الى الراس

ولكن متى وجدتاه قادماً فانهما تنصرفان عنه بالحال الى اول قادم غيره نكاية به فتبتسم لهذا وتلاطفه اشد ملاطفة كأن شارني المسكين غير موجود في حضرتها . وبما ان جميع الشبان الذين تقابلهم الملكة هم من رجال الظرف والكياسة فان عقرب الغيرة والعذاب يلسع حينئذٍ قلب الكونت دي شارني

قطرة من الصاب يذوقها بازاء الكؤوس المرة التي تجرعها الملكة

والعادة ان الغيرة تكون دليلاً على نمو الحب كما قدمنا . فياخذ الحب بالنمو في قلب شارني بعد شروعه في الضعف والفتور . ولكن هنالك عينان ساهرتان على قلب شارني وهذان العينان هم عينا الكونتس زوجته

تقرأ الكونتس بهما في هذا القلب آيات العذاب من معاملة الملكة فيثور قلبها لتعزية قلبه وهكذا تجمل ملاطفته وتزداد عناية به . فتؤثر هذه العناية بشارني تاثيرًا شديدًا

اولاً لانها من قبيل مقابلة الاساءة بالاحسان . والاحسان ذو تاثير حسن دائماً

والسبب في كونها كذلك هو ان شارني صرف سنوات وهو مشغول عن زوجته المسكينة بالملكة . فكيف لا تؤثر فيه ملاطفتها مع انه ما كان يعبأ بها

وثانياً لانه كان يشعر بما يجب لها عليه بصفته زوجها

اذاً كان قلب شارني يدنو من قلب الكونتس زوجته بقدر ما كان يبتعد من قلب الملكة عشيقته

مسكينة ايتها الملكة . فانها جعلت سياستها من بدء حبها لشارني « فرق تسد » ولكنها ما لبثت ان رات ان التفريق بين قلبيهما انتهى باجتماعهما . فكبر الخطب عليها واصابها اليأس في حبها واشتد بها اليأس حتى اصبحت لا يهنأ لها عيش في نهارها وليلها

فيا ما قاست هذه المراة المسكينة بسكوت وهدوء دون ان يدري شارني بشيء من عذابها . عذاب بعظمة ملكية اذا جاز ان يقال هكذا . عذاب يجعل المخلوق يسبح الخالق

ويشكره على القوى العظيمة التي مُنحها الانسان لاحتمال مثل هذا العذاب

ولكن من كان جسمه معيي من التعب والجهد لا تطلب منه ان يشعر كثيرًا بخشونة فراشه اذا كان خشنًا · وقلب ماري انطوانت كان معذبًا بالسياسة بازاء الحب لانها كانت تخشى على عرشها فكانت ترى خطبها الحبي هينًا بازاء خطبها السياسي · ولذلك لم تستغرق طويلاً في ياس الحب وعذابه

بل نظرت الى حالتها السياسية وضعف سلطتها فقام في نفسها انها لم تصل الى هذه الحالة من الضعف الا لانها استسلمت الى عواطف المراة ولم تجتنب الوهن · فعزمت حينئذٍ على ان تقوي عزمها وتشدد قواها استردادًا لما فاتها

وحين عزمها هذا العزم شعرت بفرار شيء من ياس الحب من قلبها وعودة الحماسة والقوة اليها فقررت الشروع في مشروعها

ولكن واأسفاه هذا المشروع هو الذي اضاعها (١)

الفصل الرابع عشر

(مأدبة كانت الملكية في غنى عنها)

كان في هذه الاثناء نزاعٌ بين الملك والمجلس الوطني · فان الملك كان يطلب ان يبقي المجلس له حق الموافقة على قراراته او رفضها وهو ما يسمونه « فتو » والمجلس يقول ان قراراته هي صورة لارادة الشعب فليس من حق الملك ان يتصرف فيها

وبما ان كل شيء يعارض الملك فيه كان يُعزى الى الملكة فعزوا اليها هذه المرة ايضًا معارضة الملك · ولذلك لقبوها « مدام فتو »

مسكينة ماري انطوانت · هذا هو اللقب الثالث الذي تلقب به · فانها لقبت اولاً « النمساوية » لانها نمساوية في الاصل اجنبية عن فرنسا كما هو معلوم · ثم لقبت « مدام

(١) لخصنا هذا الفصل بشيء من التطويل في حوادثه الغرامية لنطلع القراء على الاسلوب البديع الذي يتبعه كتاب الافرنج في كتابة الروايات ولا سيما تشريحهم قلب الانسان بسيكولوجيًا فيما يختص بالعواطف الحبية لعل ذلك يفيد بعض كتابنا ويرشدهم الى المقصود من كتابة الروايات · وقد تصرفنا بالترجمة كثيرًا جريًا مع القلم شاننا في هذه الرواية

دفيسي » « اي مدام ينقص » لان الخزينة كان ينقصها المال . والان تسمى « مدام فتو »
اي « مدام اعترض » لانها تعارض ارادة الامة

فلما رات الملكة استفحال كراهة الشعب لها قام في نفسها مشروع كما قدمنا . والذي
زادها تفكيرًا في مشروعها انها رأت ان ٦٠ الف رجل من اعيان انصار الملكية هاجروا
فرنسا في تلك السنة وسافروا الى اوربا

سافروا للانضمام الى المهاجرين الذين كانوا ينصرون الملكية وهم في الخارج وقد
برحوا فرنسا لخوفهم من الثورة واستفحال امرها

فقالت الملكة في نفسها لماذا لا اهاجر انا ايضاً

فعزمت منذ ذلك الحين على السفر من فرنسا . وكان قصدها ان تخرج منها كرهاً او
طوعاً ومعها الملك زوجها وولداها فاذا اصبحت معهم في امن من الفرنسو بين اثارت حزب
الملكية في فرنسا على حزب الثورة ليعاقبه عقاباً صارماً . واذا اقتضت الحال بعثت الى
حزبها بجنود اجنبية لانجاده بل ترسل الملك نفسه في مقدمة هذا الجند لارجاع سلطة
الملكية واخماد ثورة الامة

ولم يكن في هذه الخطة شيء يمنع نجاحها ولكن سوء بخت الملكة كان غالباً على
حسن بختها

ذلك انها من قبل ان تعزم على الفرار من فرنسا بالملك علم البار يز يون بمشروعها . لان
المقربين من الملكة كانوا مع اخلاصهم لها قلما يكتمون اسرارها . ولما درت الملكة
بان شعب باريز قد درى بمشروعها لم تنثنِ عنه بل بقيت مصرة عليه

ورغبة في انفاذ هذا المشروع سعت في استقدام فرقة فلاندر الى فرساليا بحجة حراسة
قصر الملك . وكان قصر الملك في الحقيقة مهددًا لكثرة ما كان يحدث من الفتن . وهذه
الفرقة فرقة فلاندر كانت اشد الفرق اخلاصاً للملكية . فحضرت الى فرساليا وخرج لاستقبالها
جنود الحرس الفرنسوي والحرس الملكي . فاصبحت الملكة بعد وصولها قوية وكان في
امكانها السفر حينئذٍ لو اقدمت عليه

ولكن سوء بختها كان متغلباً على حسن بختها كما قدمنا . ولذلك ثارت مدينة لييج
على امبراطور النمسا في ذلك الحين فاشتغل الامبراطور باخضاعها وكرهت ماري انطوانت
ان تشغله بنفسها مع هذه الشواغل فاستمرت الحوادث جارية بسرعة هائلة

وكان الجند الملكي قد استقبل فرقة فلاندر استقبالاً عظيماً جدًّا فلم يكتفِ بذلك

وعزم ضباطه على اقامة مادبة لضباطها

فيالك من مادبة كنتِ السبب في اضرام نار هائلة

فاجتمع الضباط وطلبوا قاعة في قصر الملك لاقامة المادبة فاجابتهم الملكة الى طلبهم فاقاموا « الواجا » فيها واعدوا المادبة

وكان الوقت اول اكتوبر واليوم يوم خميس . وكان الملك في الصيد لانه كان يكره صرف الوقت في التثاءب والكسل فلجأ الى الصيد حين راى ان المجلس الوطني لم يترك له ان يعمل شيئاً فكان يرئس الامة دون ان يحكمها

فاسف الضباط لان الملك لا يحضر مادبتهم ولكنهم مع ذلك اجتمعوا واخذوا يشربون ويأكلون . وكان الشعب قد تجمهر امام قاعة المادبة مئات والوف من اناس صفر الوجوه خمص البطون نحلاء الاجسام ممزقو الثياب ينظرون من خلال الابواب والنوافذ الى الضباط ذوي الرياش المتماوجة والسيوف اللامعة والزينة الفاخرة

وكان يخرج من قاعة المادبة انفاس الخمر واللحم فتهب على ذلك الشعب المسكين فكان يتلذذ بمجرد رائحتها . ولكن كان من الخطاء والخطر ان يشم اولئك المساكين رائحة النعمة والراحة وهم في ما هم فيه من الضيق والشقاء

وكانت الملكة في غرفتها حزينة كئيبة والحزين لا صبر له على سماع احتكاك الاقداح واصوات السرور

فشرب الضباط في اول المادبة بهدوء وتحادثوا بتانٍ . ولكن في وسط المادبة نهض احدهم واقترح عليهم شرب نخب الملك والملكة وولي العهد والاسرة المالكة . فشرب الجميع هذا النخب المربع وهتفوا اربع مرات هتافاً عظيماً

فراى احد الحاضرين حينئذٍ ان الجالسين قد اغفلوا اسماً لا يجب ان يغفل وعلى الخصوص في مثل تلك الايام فنهض واقترح عليهم شرب نخب « الامة »

وكانوا يومئذٍ اذا قالوا الامة فانهم لا يعنون بهذا القول حزب الملكية

فثار الضباط وصاحوا لا لا . فرفض نخب الامة

فيا للاهانة العظيمة . ليس بدعاً اذا نسي الناس نخب الامة ولكن الذنب العظيم ان يرفضوا نخبها فان الرفض اهانة لها . وفي الحقيقة ان الرفض كان اهانة . على ان الامة انتقمت بعد ذلك لهذه الاهانة انتقاماً هائلاً

ويروى ان الرجل الذي قام واقترح هذا الاقتراح لم يقترحه رغبة في الامة ولكن

ليحمل الضباط على رفض النخب واهانتها · فهو اذاً من اعدائها لا من اصدقائها

ثم ساد الهرج والمرج بين الضباط وفاضت كؤوس الخمر تزيد هياجهم هياجاً · فانشدت الالحان وصدحت الموسيقى واستسلم الحاضرون الى الهياج الشديد

ولكن كان ينقصهم الملك والملكة

فخرج بعضهم وسار الى غرفة الملكة ليسالوها التعطف بزيارة المادبة · فوجدوها حزينة في غرفتها فعرضوا عليها التماس الضباط فاجابتهم انها لا تستطيع زيارة المادبة من غير ان يكون الملك معها · فقال لها احدهم ولكن جلالتك تستطيعين حضورها مع ولي العهد فسكتت الملكة · ولكنها ما لبثت ان سمعت قائلاً يقول لها بصوت منخفض بجانبها احذري يامولاتي وكوني حكيمة

فالتفتت الملكة فابصرت الكونت دي شارني

وكان قلب الملكة في ذلك الحين طافحاً حزناً ويأساً وفي نيتها ان تصنع عكس ما يقوله شارني · فلما قال لها ذلك رمقته شزراً بنظر طافح احتقاراً وهمت ان تسمعه كلاماً قارصاً · فقال دي شارني في الحال · رحماك يامولاتي لا تحضري المادبة فان الهياج فيها شديد وانتظري على الاقل راي جلالة الملك

واذا بضابط واقف بالنافذة ينادي عاد الملك من الصيد ياسيدتي

فابرقت اسرة الملكة · وكان ما قصه عليها الضباط من تحمس زملائهم في المادبة وطلبهم حضور ملكتهم بينهم ورفضهم نخب الامة — كل ذلك اثر في قلبها تاثيراً عظيماً فقالت في نفسها : اذاً بقي لنا الامل في المقاومة والنجاة اذا احسنا استخدام هذا الاخلاص والامانة

ثم نهضت وخفت لاستقبال الملك وفي يسارها يد ابنها · ولما التقت بالملك قالت له الحق بي ياسيدي لاريك حفلة اهلا لحضورك فيها ثم اخذته بيدها اليمنى واخذت ابنها باليد اليسرى وسارت نحو قاعة المادبة

فلما نظرها شارني تسير قبض بيديه على احشائه من الم وغيظه · وقد وصل الملك والملكة الى مدخل القاعة وجلبة الضباط تشق عنان السماء وهم يفرغون كؤوسهم في بطونهم للمرة العشرين ويصرخون « ليحيَ الملك · لتحيَ الملكة »

الفصل الخامس عشر

(في المادبة)

ولما دخل الملك والملكة وولي عهدهما الى قاعة المادبة زعق الحاضرون كلهم بصوت واحد زعقة زُلزلت لها اسس المكان هاتفين « ليحيَ الملك لتحيَ الملكة » وصدحت الموسيقى العسكرية

اما الملكة فسرها هذا التحمس فقابلته بالابتسام واما الملك فدلته غريزته على ان حضوره في وسط ذلك التحمس ليس امرًا محمودًا . ولكنه مع ذلك صبر وسرَّ بما اظهره الضباط من الميل اليه

واما شارني فقد ساءه حضور الملك والملكة هذه المادبة اذ لولا حضورهما لامكن في اليوم الثاني تكذيب كل ما يُراد تكذيبه من حوادثها اما حضور الملك فيجعل حوادثها حوادث تاريخية لا يمكن تكذيبها

وبلغ استياؤه اقصى الدرجات لما راى اخًا له في جملة اولئك الضباط ويسمى جورج تقدم من الملكة وطلب منها شيئًا

فابتسمت الملكة له ومدَّت يدها فحلت منطقتها (زنارها) ودفعتها اليه

وكانت هذه المنطقة سوداء والاسود شعار النمسا ورايتها . فطار صواب شارني لما راى صنع اخيه والملكة

اما اخوه جورج فانه اخذ المنطقة السوداء التي هي رمز الى راية النمسا وقطعها وناول الضباط من قطعها

فهتف الضباط هتاف السرور العظيم والقوا الشعار الملكي وهو الابيض جانبًا وداسوا الشعار الوطني وهو المثلث الالوان باقدامهم ووضعوا مكانها الشعار الاسود النمساوي

فغلى الدم في عروق الكونت دي شارني عشيق الملكة لانه ادرك خطارة هذا الامر العظيم

ذلك لان الملكة بتسليمها منطقتها السوداء ورضاها ان تتخذ لذلك الرمز لم تقصر في ما يجب عليها لفرنسا وطنها الجديد ولكن خانتها

وحينئذٍ اشتد الهياج الى درجة لا يستطيع قلم ان ياتي على وصفها . فخرج الملك والملكة من القاعة بعد مجاملة من فيها

وبعد خروجهما من المادبة بلغ الهياج بين الضباط مبلغاً يقرب من الجنون فهاجوا وماجوا وسكروا حتى لم يبقَ في امكانهم الوقوف على اقدامهم . وصاروا يدوسون الشعار الوطني المثلث الالوان ويرفعون الشعار النمساوي فوق رؤوسهم

وكان بين الضباط بعض من ضباط الحرس الفرنسوي فرفعوا اصواتهم بالشكوي من اهانة الامة ولكن اي تاثير لاصواتهم القليلة بازاء اصوات باقي الضباط الكثيرة لذلك لم يعبأ احد بشكواهم ولا التفت الى ملاحظتهم

الا ان الشعب كان واقفاً خارج المكان يراقب ويسهر على اعمال رجال المادبة . فبلغه ان الضباط داسوا شعار الامة باقدامهم ووضعوا الشعار النمساوي مكانه فثار ثائره وغلت مراجل الانتقام في صدره

ثم انقضت المادبة بعد هياج لا حد له

ولم يشترك شارني في هذا الهياج لانه كان مستاء وعارفاً ان الشعب سياخذ بثاره . واما الملكة فكانت مسرورة كل السرور بنهارها فزارها الملك قبل النوم في المساء فسالته رأيه فاجابها كيئباً : غداً ترين نتيجة تاثير هذه المادبة

فما اشد الملك جهلاً بعواطف امراته . لقد حسب انه بهذه الكلمة يبث الخوف والحذر في نفسها وما درى انه بث بها حب المقاومة والمصادمة

ففي المساء اخذت الملكة وهي في فراشها تفتكر فيما صنعته فقالت في نفسها . لقد صدق الملك لا بد ان يتاثر الشعب غداً مما حدث في المادبة . واذا تاثر ذلك الوحش الهائل فانه لا يبعد ان يشحذ اسنانه لافتراس اولئك الضباط المساكين . هولاء البواسل المخلصون للملك والملكة الذين هم بقية ما بقي من انصار الملكية . الذين لا يحجمون حين الحاجة عن الجود بنفوسهم في سبيل ملكتهم — هولاء البواسل غداً يعرفهم الشعب فيحفظ الحقد لهم في قلبه ويغتنم الفرصة الاولى لانشاب اظفاره في مهجهم . وكل ذلك بسببي انا الملكة . فيجب عليَّ اذا ان لا اجحد الجميل وان اسعى في انقاذهم . وتوصلاً الى ذلك ينبغي ان اتحمل وحدي تبعة كل ما جرى امس في المادبة

وفي اليوم التالي كان احتفال بتوزيع الاعلام على جنود الحرس الوطني في فرساليا . فحضر الجنود حزانى كئيبين لاستلام اعلامهم من ملكتهم . وكانوا يمشون نحوها وهم مطرقون الى الارض . فرأت الملكة في وجوههم علامة استيائهم مما حدث البارحة

وكان الشعب مع هولاء الضباط ينتظرون راي الملكة في تلك المادبة . والضباط

الذين اقاموها ينتظرون رايها فيها ايضاً ليعلموا الى اي حد يمكنهم السعي لمقاومة الثورة ونصرة الملكية . فكانت جميع الانظار في الحفلة متجهة الى الملكة وجميع الاسماع تترقب الكلمة الاولى التي ستخرج من فمها اذ يتوقف عليها امر عظيم . وكانت الملكة قد عزمت ان تاخذ كل شيء على نفسها تبرئة للضباط وما صنعوه امس . فلما وزعت الاعلام على الحرس الفرنسوي قالت لهم

« ايها السادة يسرني ان اسلمكم اليوم اعلامكم . ولا تنسوا ان الامة والجيش يجب عليهما ان يحبا الملك كما نحب نحن الجيش والامة . اما مادبة امس فقد سرتني كثيراً »

فلما لفظت هذه الكلمات « اما مادبة امس فقد سرتني كثيراً » تحمس الضباط وهتفوا ملء اصواتهم قائلين « ليحيَ الملك لتحيَ الملكة » ذلك لانهم علموا ان الملكة معهم وغرضها مقاومة الثورة بما في استطاعتها واما باقي ضباط الحرس الفرنسوي وجنودهم فازدادوا كدراً وانقباضاً (١)

وكان شارني حاضراً وقد سمع قول الملكة فتنهد مستغرباً ان تثني الملكة على الاعمال التي اهان الضباط الامة بها في المادبة

اما الملكة فانها فتشت عنه بنظرها ولما وقعت عينها على عينه ابتسمت له ابتساماً كان معناه « الستُ جريئة »

فهزّ شارني راسه هزة خفيفة بضجر وكآبة وكان معنى هذه الاشارة « وا اسفاه انت متهورة لا جريئة »

الفصل السادس عشر

(متى تداخلت النساء حل البلاء)

كان جند الملك يقيم المآدب في فرساليا ويأكل اللحوم ويشرب الخمور وشعب باريز المسكين بلا كسرة خبز يسد بها رمقه

ومن ذلك يظهر قصر نظر الذين كانوا يقاومون الثورة في ذلك الزمان . فانهم بدل اهتمامهم باعطاء الشعب اعمالاً يعملها وخبزاً ياكله فيشتغل به عنهم ولا يعود يحسدهم على ما في ايديهم اخذوا يشتغلون بمقاومة نوابه واهانة شعاره

(١) لا نرى هنا بداً من التنبيه الى ان ما يرد ذكره في هذه الرواية عن الشعب وتقلباته مع الملكية انما هو من الحوادث التاريخية الحقيقية وكل هذا تاريخ كما نرى

وما دروا ان الشعب لا يكون قليل الصبر كثير الانفعال شديد المقاومة الا متى كان جائعاً

وكان الجوع شديداً في تلك السنة في باريز فكان الشعب يطوف الشوارع والازقة وهو ينادي بسخط وغضب طالباً خبزاً ويده على سلاحه . الا انه اصبح يجتنب سفك الدماء لانه ذكر معركة الباستيل ومقتل فلاسل وفولون وبرتيه فكره ان يسمى قاتلاً وجانياً مرة ثانية . لذلك كان ينتظر

ولكن اذا انتظر الرجال فالنساء لا يستطعن الانتظار لان اولادهن يبكون ويطلبون خبزاً وهن من طبعهن انهن شديدات الانفعال

ففيما كان الدكتور جيلبار جالساً مع بيلو في ذات يوم في احد الاندية واذا بامرأة صفراء الوجه كانها خيال من النحافة والرقة قد دخلت واخذت تنادي وتحث الحاضرين على مقاومة الظالمين . فذكرت حادثة المادبة واكرام الشعار النمساوي ودوس الشعار الوطني

فقال جيلبار لبيلو : هذه علامة من اسوإ العلامات فانه اذا تداخلت النساء لم يبطئ البلاء

ثم نهض وسار به في شوارع باريز فابصرا في الطريق فتاة في الخامسة عشرة تضرب طبلاً معها . فاستغربا ذلك . فدنا منها بيلو وسالها ما وراءك ايتها الجميلة ولماذا تضربين الطبل فقالت تلك المسكينة التي كانت كانها زهرة ذابلة في غصنها — انا جائعة واناديالناس ليطعموني

فتمزق قلب بيلو حزناً عليها . اما جيلبار فقال هذا يخيفني فان الحالة تزداد هولاً

وبقيت هذه الفتاة تضرب على طبلها والنساء يجتمعن حولها حتى تجاوز عددهن الف امراة فاصبحن جيشاً عرمرماً . وكان في جملتهن نساء من البائعات والبوابات وغيرهن وفيهن من كانت لم تذق طعاماً منذ ٣٠ ساعة . فتصور هياجهن

وكان غرضهن الزحف الى المجلس البلدي فاتجهن اليه وامامهن الابنة التي تضرب الطبل وهن ينادين النساء اللواتي يجدنهن في النوافذ والابواب للحاق بهن فكن ينضممن اليهن طوعاً او كرهاً . ولذلك ما وصلن الى ساحة المجلس البلدي حتى كان عددهن ١٠ الاف امراة

١٠ الاف امراة كانهن جيش زاخر ومعهن الحراب والعصي والبنادق بعضهن يطلبن

الخبز لسد رمقهن و بعضهن يطلبن الانتقام لشرف الامة الذي يُهان

وحينما اصبحن تحت جدران المجلس البلدي اخذن يبحثن فيما يلزم ان يصنعنه . فصاحت احداهن : يجب ان نحرق المجلس وما فيه من الاوراق التي تمنع الخبز من الوصول الينا

وكان بالبي ولافاييت لما بلغهما خبر اجتماع النساء وامامهن طبل يُضرب ضحكا وحسبا الاجتماع مزاحاً . ولكن لما ابصرا الوف النساء المسلحات وشاهدا وراءهن الوفاً اخرى من الرجال قادمين وهم يضحكون من صنعهن ضحكاً مخيفاً هالهما الامر وخافا سوء المنقلب

وكان خوفهما في محله . فان النساء ما لبثن ان اندفعن الى المجلس لاضرام النار فيه وقذف اعضائه في نهر السين

اذاً كان غرضهن امرين : اغراق واحراق

ولكن احداهن وهي اشدهن اسراعاً على ما يظهر قالت ان الاغراق امر يطول اذ يقتضي حمل ٣٠٠ عضو من اعضاء المجلس وقذفهم في النهر فاقترحت ان يكتفي الثائرات باحراق المجلس رغبة في سرعة انهاء العمل

فوافقن على اقتراحها وطلبن ناراً

وقبل ان تاتي النار ابصر النساء راهباً في المجلس فهجمن عليه ووضعن حبلاً في عنقه وهن يضحكن ثم شنقنه في نافذة قريبة

وكان بينهن رجل يراقبهن وقد جاء معهن من اقصى المدينة الى هذا المكان وهو جندي يُرى في وجهه علامات الشهامة والبسالة . فلما ابصرهن يشنقن الراهب استل سكيناً وهجم فقطع الحبل بالحال فسقط الراهب على الارض فانكسرت رجله . ومع ذلك فانه نهض مذعوراً خائفاً وصار يعدو وهو يصرخ غير مصدق انه قد نجا بنفسه . وهذا الراهب يُدعى ليففر دورميسون

ثم جاءت مشاعل النار فتناولها النساء وهجمن لاضرام الاوراق

فهاجمهن ذلك الرجل بلا خوف واختطف النار من ايديهن . فهاجمنه لاستردادها فكان كلما اقتربت واحدة منهن اضرم النار في اذيال ثوبها فتنشغل باطفاء اذيالها عن مهاجمته

هنّ كن يشتغلن باطفاء اذيالهن وهو كان يشتغل باطفاء الاوراق المضطرمة

الجامعة

الجزء الرابع — السنة الثانية

الاسكندرية ١ لوليو (تموز) سنة ١٩٠٠ الموافق ٤ ربيع اول سنة ١٣١٨



﴿ سمو الجناب الخديوي عباس باشا حلمي ﴾

الجناب الخديوي

من اسواء الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اعتلال الجناب الخديوي المعظم حين وصوله على اليخت اوسبورن الانكليزي الى ميناء فيكتوريا في سفره الى لندرا لزيارة جلالة ملكة انكلترا . وهذه هي صورة التلغرافات التي وردت عن صحة سموه من اول هذه الحادثة الى خاتمتها التي كانت خيرًا وسلامًا والحمد لله

في ٢١ من لندرا — وصل الجناب الخديوي الى كوينبورو على اليخت الملكي . وقد اشتد عليه دوار البحر فلم يبقَ في استطاعته السفر الى لندرا فاستدعي لسموه من لندرا الدكتور فليكس سيمون طبيب الحلق الشهير فوصل الى كوينبورو على قطار خاص

في ٢١ من لندرا — كان الجناب العالي معتل الصحة من ألم في حلقه قبل ركوبه اليخت اسبورن . ولكن اشتد عليه الالم مدة السفر وشاع انه قد ظهرت فيه اعراض الدفثيريا وقد بقي سموه في اليخت وسيعود الدكتور سيمون غدًا لعيادة سموه

في ٢٢ من لندرا — صرف الجناب الخديوي المعظم ليله في حالة حسنة . وهذه صورة النشرة الصحية التي صدرت عن صحة سموه « لا يستطيع الجناب الخديوي ان يستانف سياحته وزيارته الا بعد مدة قليلة . وسموه يشكو المًا في الحنجرة سببه التهاب فيها »

في ٢٣ من لندرا — صورة تلغراف من عزتلو شفيق بك الى عطوفتلو مصطفى باشا فهمي القائم مقام الخديوي . « ابشركم بغاية السرور ان الفحص البكتريولوجي اثبت ان المرض التهاب عفني بسيط مسبب عن (الستربتوكوك) لا يدعو الى القلق مطلقًا انما يلزمه راحة بضعة ايام . والجناب العالي يشعر اليوم بتحسن في صحته وهو محاط بجميع اسباب الراحة والعناية والاهتمام وممتن على الخصوص مما اظهرته جلالة الملكة والعائلة الملوكية من حسن الانعطاف والرعاية

في ٢٥ من لندرا — امضى الجناب العالي ليله في حالة احسن وحرارته تنازلت الى الدرجة الاعتيادية . وقد دخل سموه في دور النقاهة ولذلك لا تصدر بعد الآن نشرة صحية عن صحة سموه

في ٢٦ من لندرا — يسافر الجناب العالي الى لندرا غدًا صباحًا

في ٢٧ من لندرا — وصل الجناب العالي الى هنا فاستقبل في محطة شرينغ كروس باكرام عظيم وسار بعد وصوله الى قصر بكنهام يصحبه جناب الدوق دي يورك . وسموه في صحة جيدة وليس من اثر للمرض في وجه سموه

الجامعة — فنحن نحمد الله على سلامة سمو الامير المعظم دام محروسًا بعناية الله تعالى بمنه وكرمه

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

امرأة اقوى من الرجال

"سي تاي هو" امبراطورة
الصين

هي خالته لا امه · تغزل شاعر صيني · قبضها على ازمة المملكة للمرة الاولى · موت الامبراطور ابنها · خلفه وتاثير سياسته · نفوذ الاجانب في الصين قبل سنة ١٨٩٣ · حرب اليابان · الامبراطور غيليوم مصور · مبدا الاستيجار الى ٩٩ سنة · امبراطورة تصفع امبراطور · قبضها على ازمة الملك للمرة الثانية · تاثيرسياستها · البوكسرية تتبر البوكسريين · الطرفان متشابهان · مستقبل الصين · فوائد للشرقيين

ولو كان النساء نظير هذي   لضاق الناس ذرعاً بالنساء

خير ترجمة نصدر الجامعة بها في هذا الشهر ترجمة الامبراطورة «سي تاي هو» امبراطورة الصين التي يتهمها الاوروبيون اليوم بانها هي التي اثارت الصينيين عليهم فقاموا يذبحونهم ويحرقون منازلهم ومعابدهم ليطردوهم من بلادهم · وغرضنا من نشر ترجمتها ذكر ما يهم ذكره عنها وعن المسالة الصينية التي اتجهت اليها جميع الانظار في الايام الاخيرة ولا يُعرف كيف تكون خاتمتها فنقول

❋ ترجمة الامبراطورة ❋ ولدت الامبراطورة الحاضرة في سنة ١٨٣٤ فعمرها اليوم ٦٦ سنة وابوها مرشال من التتر وكان له ابنة اخرى غيرها فرباها تربية اهلتها لان تكونا زوجتين لاميرين فاقترنت الامبراطورة بالامبراطور "هن فونغ" الصيني وذلك في سنة ١٨٥٠ واقترنت اختها بامير من الاسرة الصينية المالكة يدعى البرنس "شوين" وهو والد الامبراطور الشاب الحالي · فالامبراطورة الحاضرة الآن هي خالة الامبراطور الشاب لا امه كما يظن كثيرون

ولما اقترنت الامبراطورة بالامبراطور "هن فونغ" سنة ١٨٥٠ لم تدخل الى قصره

كامبراطورة وزوجة اولى لان هذا الامبراطور كان مقترنًا بامرأة تدعى " تنغ تاي هو " التي كانت هي الامبراطورة بل دخلت كزوجة ثانية . ولكن من حسن حظ هذه ان الامبراطور لم يولد له غلام من زوجته الاولى وفي شرائع الصين ان الامبراطور الذي لا يولد له غلام بعد ارتقائه الى العرش بخمسة اعوام فانه يجب عليه ان يُعين وليًا لعهده او ان البلاط يعينه فاغنته عن ذلك زوجته الثانية اذ ولدت له غلامًا فجعله وليًا لعهده وابنًا لزوجته الاولى الامبراطورة لا لامه الحقيقية . ومع ذلك فقد اشتركتا كلتاهما بتربيته والقيام عليه

ولما ولدت الزوجة الثانية الغلام للامبراطور لقبها الصينيون " تسي هي " اي المحسنة الشفوقـة سرورًا بولي عهدهم وسميت حينئذٍ الامبراطورة " سي تاي هو " وهو الاسم الذي تُعرف به

وكانت " سي تاي هو " بارعة الجمال في شبابهـا . واليك خلاصة ما قاله فيها احد شعراء الصينيين متغزلاً

« قدها اهيف وجسمها ناعم كانه عنق البطـة السابحة على وجه الماء . وجهها الجميل مستطيل ينتهي بذقن مستطيلة ويبتدئ بجبين واسع صبوح مستدير كنصف قوس . انفها ظريف دقيق مستقيم يتحرك حين التأثر والانفعال . عيناها سوداوان تضيئان وجهها »

ويروي كتاب الغرب عن هذه الامبراطورة روايات عجيبة غريبـة . منها ان الامبراطورة كانت تصرف ايامها في الرياضة البدنية لتقوية جسمها فتلاكم المقربين اليهـا الملاكمة المعروفة بلعبة " البوكس " وتصرعهم على الارض برفسهم بقدمها على طريقة « الرفس بالاقدام » وهي لعبة فرنسوية تقابل لعبة البوكس الانكليزية

ومنها ان الامبراطورة كان لها مقربون تضعهم منها باسمى مكانة كالبرنس « كنغ » الذي كانت تحبه وهو اخو زوجها وكان هذا البرنس شديد الغيرة عليها حتى انه فتك يومًا من الايام برئيس الخصيان في القصر لسوء ظنه به

ولما توفي الامبراطور زوجها اوصى بالملك لابنها « تنغ تشي » الذي كان وليًا للعهد كما قدمنا . الا انه عين قبل وفاته مجلسًا للوصاية عليه واخرج زوجتيه الامبراطورتين من هذا المجلس . فساء ذلك الامبراطورة ام ولي العهد . فتركت الوزراء ورجال الدولة حتى عادوا من دفن الامبراطور وامرت بالقاء القبض على جميع الذين عُينوا للوصاية على ابنهـا ثم ضربت رقابهم جميعًا الا واحدًا اماتته تسميمًا وجعلت نفسها مع الامبراطورة ضرتهـا

وصيتين على الامبراطور ابنها

وفي سنة ١٨٧٣ ادرك الامبراطور ابنها سن البلوغ فازوجته ونادت به امبراطوراً ولكن ما لبث ان توفي باقبح الامراض لشدة افراطه في الملاذ وتوفيت زوجته بعده فشاع ان الامبراطورة سممتها لتستأثر بالملك

وبعد موت ابنها زعمت انها سمعت من فمه وهو يجود بنفسه انه يوصي بالملك من بعده لابن خالته الامير « كنغ سو » وهو ابن اختها الامبراطور الحاضر فنودي به امبراطوراً وكان عمره حينئذٍ ٣ سنوات فجعلت الامبراطورة نفسها وصية عليه وعينت السياسي الصيني الشهير « لي هنغ شنغ » وزيراً اول لها

وفي مدة هذه الوصاية توفيت ضرتها الامبراطورة الاولى وقيل انها ماتت تسميماً ايضاً وما زالت الامبراطورة سي تاي يو متولية زمام الاحكام حتى بلغ الامبراطور سن الرشد في سنة ١٨٨٩ فاستلم ازمة المملكة

﴿ الامبراطور وسياسته ﴾ وكانت الصين لا تزال الى هذا العهد مرهوبة الجانب لانها مملكة متسعة الارجاء يسكنها اكثر من اربعمائة مليون من النفوس. وكان نفوذ الاجانب فيها محصوراً وهو بين ثلاث دول : روسيا وفرنسا وانكلترا . اما انكلترا فانها حاربتها في سنة ١٨٣٩ لاجبارها على اباحة تجارة الافيون في بلادها وهي الحرب المعروفة بحرب الافيون فنالت انكلترا بهذه الحرب بموجب معاهدة ننكين السيادة على جزيرة هنغ كنغ وفتح موانىء صينية للتجارة الاوربية . ثم حاربتها حرباً اخرى بمساعدة فرنسا وذلك في سنة ١٨٦٠ فزادت تجارتها في الصين تعزيزاً دون ان تستفيد فرنسا شيئاً من هذه الحرب وكان ذلك في عهد نابوليون الثالث

واما روسيا فانها من غير حرب ولا قتال احتلت جميع الاراضي الواقعة على حدودها عند نهر « امور » ثم احتلت وادي « ايلي » عند ثورة مسلمي الصين فيه على الحكومة الصينية فاعدت بذلك الطريق لسكة سيبيريا الحديدية

واما فرنسا فانها هاجمت جنوب الصين واقتطعت منها « التونكين » و « انام » التي كانت تابعة للصين ثم عقدت معها في سنة ١٨٨٥ معاهدة تعرف بمعاهدة تيينتسين نالت فرنسا بموجبها امتيازات تجارية في ولايات كنغ تنغ وكنغ سي ويونان وهي الولايات المتاخمة لاملاكها في الاقطار الصينية . فقامت انكلترا يومئذٍ وطلبت مكافأة لهذه الامتيازات فاعطيت اراضي من اراضي ولاية يونان لاصلاح تخوم املاكها في برمانيا

وُمنحت ايضاً امتيازات تجارية في شرقي يونان وسي كنغ

هذا كل ما كان من نفوذ الاجانب في الصين الى سنة ١٨٩٣ قبل الحرب الصينية اليابانية . وكانت الدول الاوربية تنظر يومئذٍ الى الصين بعين الحذر والاتقاء لضخامتها وكثرة سكانها : حتى ان الامبراطور غيليوم رسم يوماً من الايام وهو الرسام البارع رسماً يمثل الصين في هيئة وحش عظيم قد هاجم اوربا وطمس تمدنها كما طمس البرابرة تمدن رومة في القديم وكتب تحت هذا الرسم « الخطر الاصفر » يعني انه يُخشى من ان يهجم الصينيون في المستقبل وهم مئات ملايين على اوربا فيستولوا عليها ويبيدوا تمدنها

ولكن الضعف الذي اظهرته الصين في حربها الاخيرة مع اليابان سنة ١٨٩٤ ازالت مهابتها من نفوس الدول ودلت على سوء سياسة الامبراطور الذي قبض على ازمة الاحكام في سنة ١٨٨٩ كما قدمنا . وقد تداخلت فرنسا وانكلترا وروسيا في تلك الحرب فمنعن اليابان من ان تنال ما تريده من الصين وجعلنها تخلي وي هاي واي وبور ارثر بعد احتلالها وتكتفي بالسيادة على جزيرة فرموزه الكبرى . غير ان هذه الدول الثلاث مقابلة مساعدتها الصين هذه المساعدة اغتنمت اول فرصة لاخذ جزائها . فما قتل الصينيون وراء كياوتشو بعض الالمانيين حتى هجمت المانيا فاحتلت هذه المدينة ثم تبعتها روسيا وانكلترا وفرنسا فاحتلت الاولى بور ارثر وتاليان وان واحتلت الثانية وي هاي واي والثالثة كنغ تشو . وكلهن لم يستولين على هذه الثغور استيلاء ولكنهن استأجرنها من حكومة الصين استئجاراً الى ٩٩ عاماً . . .

ولم يكتفِ الاوربيون بهذه الغنائم بل قاموا من كل جانب يطلبون من حكومة الصين ان تمنحهم الامتيازات بمد الخطوط الحديدية وانشاء الشركات في البلاد . فاستفحل نفوذ الاجانب في الصين استفحالاً عظيماً ونسخ الامبراطور التقاليد القديمة وقرب اليه اناساً من انصار المدنية الاوروبية واخذ بمساعدتهم يحاول تغيير حالة البلاد وادخال اصلاحات جديدة اليها

فدخلت حينئذٍ الى مرسح السياسة الامبراطورة خالته يدفعها الحزب القديم . فقصدته وهو في قصره في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ليلة ٢٢ منه ومعها شهود يشهدون لها . فسألت الامبراطور الشاب عن الاعمال التي يعملها واتهمته بانه يخون الاسرة الملكية لانه جعل نفسه آلة في ايدي الانكليز وحزبهم في البلاط فانكر الامبراطور ذلك فرفعت الامبراطورة يدها

ولطمته على وجهه · فامتثل المسكين في الحال وسلم اليها ختم المملكة ووقع على امر قاضٍ بجعلها وصية عليه من جديد · فقبضت هذه المراة القوية على ازمة السلطة مرة ثانية

﴿ الامبراطورة وسياستها ﴾ وقد صنعت الامبراطورة ذلك مدفوعة بعاملين · الاول عامل خاص والثاني عامل عام

اما العامل الخاص فهو ان الامبراطورة نفسها نفس رجل لا نفس امرأة اي انها شديدة الشكيمة قوية الميل للسلطة والشره للسيادة ولذلك كانت تنظر بعين الحسرة الى سفينة المملكة الصينية تجري من غير مساعدتها· فكانت هذه المرأة تشبه الجواد الذي تؤذيه الراحة او كما قال المتنبي يضرُّ به فرط الجمام · ولهذا السبب اغتنمت الفرصة الاولى للهجوم على ازمة الملك التي افلتت منها قبلاً

واما العامل العام فهو خوفها على بلادها ورؤيتها ان سياسة الامبراطور الشاب ستفضي الى تجزئتها اذا استمر على تساهله مع الاوربيين · ولذلك جعلت نفسها وصية عليه لتكون لها السيطرة والسيادة على اعماله

وفي اليوم التالي لقبضها على زمام الملك على الوجه الذي بسطناه امرت فقتل جميع خصيان البلاط واعدم جميع زعماء حزب الاصلاح الذين يلقبونهم بالحزب الانكليزي · ثم اخذت تهدم ما بناه الامبراطور فحالت دون مشروعات اجنبية كثيرة واظهرت عزمها على ان لا تمنح الاجانب امتيازات جديدة في بلادها · ثم صرفت افكارها الى استمالة الشعب اليها لتشد به ازرها

وهذا هو خطأها العظيم · فانها هنا ناقضت نفسها بنفسها · لانها عند قبضها على ازمة الملك قالت ما يقوله كل ملك لا يريد ان يمنح الشعب حريته من ان «الحرية لا تُعطى دفعة واحدة والاصلاح لا يؤتى دفعة واحدة» والحجة في ذلك ان الشعب لا يفهم حينئذٍ معنى الحرية والاصلاح حق الفهم· فاذا كان ذلك كذلك فكيف جاز للامبراطورة ان تقول للشعب اقوالاً لا يفهمها او انه من سوء حظه يفهمها اكثر مما يجب ان يفهمها

ذلك ان الامبراطورة نشرت على حكام الصين في كل الاصقاع منشورات تحثهم فيها على تدريب الشعب على استعمال السلاح للدفاع عن انفسهم وعن بلادهم وعلى مقاومة الاجانب بالقوة الفعلية اذا حاولوا الاستيلاء على ارض صينية · فهب الصينيون للتدرب على استعمال السلاح وتالفت جمعيات لتعلم ذلك واخرى لتعلم العاب الرياضة البدنية

لتقوية الاجسام . فنشرت الامبراطورة منشوراً آخر تقول فيه انها تسر كل السرور بالالعاب الرياضية التي تقوي ابدان ابنائها . ولا بدع فانها كانت « بوكسرية » كما مرَّ بنا

ففهم الصينيون المساكين من كل ذلك ان امبراطورتهم تحثهم على مقاومة الاجانب واضطهادهم فثاروا عليهم في الشهر الماضي يقتلون مرسليهم وتجارهم و يذبحون نساءهم واولادهم ويحرقون معابدهم وامتيازاتهم

وامتازت منهم جمعية « البوكسر » سميت كذلك لانها تالفت لتعلم لعبة « البوكس » وهي الملاطمة بجمع اليد على الطريقة الانكليزية . ومن الكتاب من يقدر عدد هولاء البوكسر بمائة الف رجل ومنهم من يقول ان عددهم ١٠ ملايين ولكن مهما كان عددهم فان ثورتهم من اشد الثورات هولاً . وقد هاجموا ثغر تيينتسين ولا يزالون يطلقون القنابل عليه الى ساعة كتابة هذه السطور وهاجموا بكين عاصمة الصين فقطعوا اسلاكها البرقية وخربوا سككها الحديدية

☙ اعلانات البوكسر ❧ وهذه صورة احدى الاعلانات السرية التي يلصقها البوكسر في الاسواق والشوارع الصينية حضاً للناس على الثورة

— اقرأوا هذا كلكم —

ان آلالهة التي تساعد جمعية البوكسر وهي المستقيمة جداً واللطيفة جداً

تأمركم بان تطردوا الابالسة الاجانب

الذين ياتون لازعاج مملكة ابن السماء

الذين يجبرون الناس على الحنث بيمينهم

الذين يجبرون النساء على ارتكاب الفحشاء

انتم كلكم افنوا هولاء الشياطين . اهدموا السكك الحديدية . اكسروا القوائم التلغرافية . وعلى الخصوص اغرقوا السفن . فان ذلك يجعل في القلوب برداً وسلاماً . وحينئذٍ فان فرنسا العظيمة تصبح تراباً مع الانكليز والروس . ومملكتنا اللطيفة تنمو وتزهو »

نقول نعم تنمو وتزهو ولكن بعد استيلاء الاجانب عليها بجنون ابنائها

وفي بعض الاخبار التي لم تثبت بعد ان هولاء البوكسر هدموا سفارات الدول في بكين وذبحوا السفراء فكان من نتائج ذلك ان الدول ارسلت اساطيلها الى الصين فاحتلت حصون تاكو بعد ان قتلت ٤٠٠ جندي من جنود الصين وهي الآن آخذة بانجاد رعاياها في بكين وتيينتسين

وغيرها واخماد الثورة في السلطنة الصينية

﴿ الطرفان يتشابهان ﴾ هذا ما كان من تاثير سياسة الامبراطورة التي قبضت على « دفة » السلطنة الصينية لتنقذها فتكاد تغرقها . ولا غرابة في ذلك فحب التناهي في كل شيء غلط وخير الامور كما قال الشاعر الوسط . فان سياسة الامبراطور كان محورها اباحة كل شيء للاجانب فيها وسياسة الامبراطورة منع الاجانب من كل شيء. ولهذا السبب كان لا بد من ان تؤديا الى نتيجة واحدة

وقد رأينا ان الدول الآن على اتم اتحاد في المسالة الصينية . ولكن هذا الاتحاد لا يدوم لانه ان جمعت المصائب الدول فاتحدن على الدفاع فان اتحادهن يزول حين زوال الخطر وانقضاء دور الدفاع. فاذا وُجد الآن بازاء العرش الصيني يد حكيمة كيد البرنس « لي هنغ شنغ » السياسي الشهير فانها تستطيع اخماد الثورة على عجل واعادة التنافس بين الدول وبذلك تنقذ استقلال الصين. اما اذا بقيت الحكومة الصينية تدوس حقوق الامم بمحازبتها الثائرين على الاوربيين فان استقلال الصين يصبح في خطر واذا طالت الثورة فان اوربا تذكر « الخطر الاصفر » فلا تكتفي حينئذٍ بخلع الامبراطورة او تغيير الحكومة الصينية . ويومئذٍ يصح ان يقال في الصين « على نفسها جنت براقش »

﴿ فوائد ﴾ وقبل ختام الكلام في هذا الموضوع نود ان نقول كلمة عن الفوائد التي في امكان الشرقيين ان يستفيدوها من الحوادث الصينية الحاضرة فنرى ان هذه الفوائد اربع

(١) ان في الامكان اتحاد دول الغرب على الشرق متى اصبحت مصالحهن في خطر . فلتنعم النظر في ذلك كل الدول الشرقية التي تعتمد في سياستها على المنافسات الاوربية فان هذا الاتحاد الذي ظهر بمظهر جديد لهو باعظم مكان من الاهمية

(٢) ان الصينيين مع ضعف عزائمهم وانخلاع قلوبهم ثاروا على حكومتهم وعلى الاجانب . ذلك ان الظلم وسوء السياسة قد يدفعان اضعف النفوس الى الاستياء والثورة رغبة في دفع الضيم وصلاح الحال فليتامل في ذلك حكام الشرق في كل مكان

(٣) ان الغربيين لا بد من دخولهم الى بلاد الشرقيين فعلى حكومات الشرق ان تستخدمهم مساعدين لنشر التمدن في بلادها لا ان تعتبرهم اسياداً فتبيح لهم كل شيء او اعداء فتمنعهم من كل شيء. فان كلا السياستين تؤديان الى سوء المصير . وخير ما تصنعه الحكومات لرعاياها في هذا الشان ان تربيهم تربية اقتصادية وتساعدهم المساعدة الصناعية والزراعية والتجارية اللازمة ليتسنى لهم مزاحمة الاجانب في بلادهم بدل النهوض الى طردهم

منها حسداً وبغضاً بوسائل تفضي الى تسليمهم البلاد وما فيها

(٤) على الشعوب الشرقية ان تنبذ كراهة الامم الغربية وعلى هذه الامم ان تمهد لها ذلك بتلطيف سياستها واتخاذها العدل والانصاف سبيلاً معها والا ساءت العاقبة على الفريقين

باب المقالات

الانسانية تتعذب في الهند

— الاعانة العثمانية والمصرية —

احصِ القتلى الذين سقطوا في ساحة الحرب في الترانسفال وفي ساحة الجهل في الصين تجد عددهم لا يساوي عدد الهنود المساكين الذين افنتهم المجاعة والطاعون والهواء الاصفر في هذا العام . ثلاث آفات هائلة سُلطت على الهند الجميلة مهد الفلسفة والحكمة فتركت الانسانية فيها تعاني عذاباً لم تسمع بمثله الانسانية في هذا الزمان

ولسنا نلجأ الى الاوصاف الشعرية تبياناً لتلك الحالة الهائلة بل يكفي لذلك ذكر الحقيقة كما هي مجردة عن كل زينة وزخرف . اسمع ما كتبه بهذا الشان الدكتور " رخت " من كودره في الهند وهذا نصه

" ما كدت اصل الى كودره حتى رايت في مجرى النهر الذي قد جف ماؤه اكداساً خضراء وفوقها في الهواء شيء كالسحاب الكثيف . فدنوت منها لاراها فاذا بها جثث هنود ماتوا جوعاً ملقاة بعضها فوق بعض بينها الكلاب تأكل منها حتى لا تجوع ايضاً وفوقها اسراب من الذباب تحوم عليها لتمتص ما فضل في جلدها من الدم اذا كان قد بقي فيها دم وهي لكثرتها تشبه السحاب من بعيد "

وكتب طبيب آخر في الهند يقول " لا انسى في زماني اولئك التعساء الذين زرتهم في شوتانا غبور . فانهم كانوا هياكل من العظام جالسة على ارض رطبة سوداء فوق حصر مهترأة فاسدة . جلودهم لاصقة بعظامهم لذوبان اللحم عنها وعظامهم تُرى بارزة وتُعد واحدة واحدة اما بطونهم فانها منتفخة بارزة لاعتيادهم اكل اصول الشجر ونبات البرية . ذلك انهم كانوا ينتشرون كالحيوانات السائمة في البر للتفتيش عن العشب ليأكلوه والسعيد من يجد منه شيئاً "

وكتب طبيب ثالث يقول " عندنا اهوال ترتجف لها فرائص الانسانية . فان الاهالي

يموتون من المجاعة الوفًا الوفًا . ومن لا يموت جوعاً فانه يبتلى بالجنون. وجنونهم انواع شتى. فمنه جنون غليظ كما جرى في شندر لسبعمائة جائع لم يهدأوا و يسكنوا حتى سُجنوا في قلعة حصينة . ومنه جنون لطيف كما حدث لثلثمائة جائع في حرش اوجمر مرو ره فانهم ربطوا في اعناقهم حبالاً وشنقوا انفسهم باشجار الحرش وهم هادئون ينشدون بلطفٍ اغانيهم البوذية المقدسة . ومنه جنون اليأس والانتحار كما حدث في بنحاب لثلاث وستين عيلة بمن فيها من الرجال والنساء والاولاد فانهم اجتمعوا واخذ كل واحد منهم ابرة طويلة ووضع راسها فوق قلبه ثم وقف رجل امامهم واشار اشارة فرزوا الابر في قلوبهم دفعة واحدة فسقطوا كلهم قتلى المجاعة والشقاء »

وكتب طبيب رابع يقول « لقد مات من الجوع والهواء الاصفر ٢٥٠٠ هندي في ٤٨ ساعة في كودره وحدها . ومات في دواد ٣٠٠٠ هندي في ٤٨ ساعة فقط . ومات في بومباي ٤٠٠٠ هندي في يوم واحد . وقد غصت المستشفيات بالجثث حتى اصبحوا يضعونها بعضها فوق بعض امام المرضى حتى تاتي نوبة احراقها لان الهنود يحرقون موتاهم كما لا يخفى . ونيران اتنهم في هذه الايام لا تنطفئ لكثرة ما يُحرق فيها . على انها وا اسفاه لا تحرق الا جلداً وعظاماً فقط لان الجوع يذيب اللحم في الاجسام ويجفف دماءها قبل ان تفارقها ارواحها . . »

هؤلاء هم التعساء الذين اردنا رفع صوتنا الضعيف من اجلهم في هذه المقالة . بشر بروح خالد مثلنا اجدبت ارضهم في هذا العام فاصبحوا يموتون الوفًا الوفًا . نعم ان اللورد كرزون حاكم الهند صنع ما في استطاعتـه صنعه فجمع الاعانات واستدعى الاطباء واستاجر السفن والقوافل لنقل المؤن . نعم ان مدينة لندن وحدها قد جمعت الى الآن اكثر من ٣٠٠ الف جنيه اعانةً ولكن كل ذلك ليس بالقياس الى الهند الشاسعة الا بمثابة كاس من الماء تُصب في وادٍ عميق . فاذا كانت الانسانية في الهند تتعذب الآن الى هذا الحد فمن واجبات الانسانية ان تساعدها في كل مكان بقطع النظر عن السياسة والجنسية

وقد اوردنا هذه التفاصيل لما ذكرناه في حينه من تالف لجنتين في الاستانة والقاهرة لجمع اعانة لمنكوبي الهند المساكين استفزازاً للهمم الى مساعدة التعساء . ويقيننا ان اغنياء العثمانيين والمصريين يقومون بما يجب عليهم لاخوانهم في البشرية فيحققوا ما اشتهر عنهم من الكرم والسخاء . كما ان المامول من اغنياء العالم المتمدن واكابره ان يكونوا اكثر اهتماماً بالمصائب الهندية الهائلة بصرف النظر عن الصبغة السياسية والقومية والا فان المدنية والعلم والاخاء البشري وصنع الخير وحب القريب والتقدم العام — كل هذه لا تكون الا الفاظاً فارغة وكلاماً بكلام بكلام

اسكندر الكبير

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظيم
الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق
وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

وصلنا في الجزء الماضي الى استياء الفتى اسكندر من ابيه فيليبوس وسفره بامه اولمبيا الى بلاد الايليريين . وبعد سفره زار ديماراثوس الكورنثي فيليبوس وهو صديقه فساله فيليبوس كيف حال اليونان وهل هم متفقون متحدون . وكان ديماراثوس لما بينه وبين فيليبوس من الوداد لا يكتم عنه افكاره فاجابه « ليس لك ان تطلب من رعيتك ان يكونوا متفقين متحدين اذا كنت مع عيلتك على غير اتحاد ولا وفاق »

فاثرت هذه الكلمة في نفس فيليبوس فارسل صديقه ديماراثوس الى الاسكندر فاسترضاه واعاده هو وامه الى وطنه

لكن لم يستمر اتفاق اسكندر وابيه زمناً طويلاً بعد ذلك فان بيكسودوروس ملك كاريا رام ان يحالف فيليبوس محالفة هجوم ودفاع فارسل يقترح عليه توطئةً لذلك ان يزوج ابنته البكر الى « اريده » ابن فيليبوس . فدرى الاسكندر بهذا الاقتراح وادرك ان « اريده » اذا اقترن بابنة بيكسودوروس فانه يشد ازره بحليف عظيم يساعده بعد موت فيليبوس على ارتقاء عرش مكدونيا فيخسره الاسكندر . فاضطرب لذلك واتى الممثل الشهير ثسالوس فعهد اليه امراً يدل على شدة تاثير فن التمثيل في ذلك الزمان . ذلك انه طلب منه ان يسافر الى كاريا ويمثل على مسمع من بيسكودوروس رواية تكره اليه ازواج ابنته الى اريده الفتى « اللقيط » الضعيف وتحبب اليه ازواجها الى امير كبير كالاسكندر . فذهب الممثل وقام بمهمته . فاحل بيكسودوروس هذا الاقتراح محل الرضى . ولكن فيليبوس ابا الاسكندر درى بالامر فطلبه وعنفه اشد تعنيف لرغبته في محالفة رجل غريب دنيء ثم كتب الى الكورنثيين فارسلوا اليه ذلك الممثل مكبلاً بالقيود ونفى اربعة من اصدقاء الاسكندر لظنه انهم هم الذين اغروه بما صنع

وبعد زمن غير طويل حدث النزاع بين فيليبوس وبوسانياس فاهانه فيليبوس وضغط عليه الى حدٍ اخرجه عن هداه فهجم على فيليبوس وقتله . ومن الكتاب من يتهم اولمبيا

زوجة فيليبوس بانها هي التي حرضت بوسانياس على قتله ومنهم من يُشرك معها في الجناية ابنها الاسكندر نفسه . وقد خلف هذا اباه على عرش مكدونيا في سنة ٣٣٦ قبل الميلاد وعمره ٢١ سنة

وكان الاضطراب سائداً يومئذٍ في مملكة اليونان . نعم ان فيليبوس كان قد اخضعها ولكنه توفي دون ان يخمد اضطرابها وينظم شؤونها فكانت دلائل الفتنة والاضطراب بادية في كل مكان فيها . ولذلك اشار بعض المشيرين على الاسكندر بان لا يكون شديد الوطأة عليها بل ان يحسن معاملتها فيستميلها باللطف والتؤدة . ولكن نفس الاسكندر القوية كانت تكره الخضوع لاحد فعزم على كبح جماح كل ثائر بالقوة اعتقاداً منه بانه اذا اتبع سياسة اللطف والتؤدة حسبوا ذلك منه ضعفاً وخوفاً لا حلماً وكرماً فيقوموا الى الثورة قومة واحدة

فجيش في بدء الامر جيشاً وزحف به الى نهر ايستر (الدانوب) لاخضاع الذين شقوا عصا الطاعة في تلك الجهات . فاخمد الثورة وكسر سيرموس ملك التريباليين في معركة كبرى . الا انه لم يفرغ منهم حتى بلغه خبر ثورة ثيبة العظيمة وان الاثينيين يشدون ازرها فكر راجعاً اليهم ليذيقهم بأسه . وبعد ان عبر مضيق الترموبيل قال هذا الفتى العظيم لقواده « انني لما زحفت بالجند على الايليريين والتريباليين سماني الخطيب ذيموستينوس ولداً صغيراً . ولما صرت في تساليا سماني شاباً فانا متى اضحيت غداً تحت اسوار اثينا ساجعله يسميني رجلاً » فما اعظم هذا الكبر من فتى عمره ٢١ عاماً

ولما اصبح الاسكندر تحت اسوار ثيبة اراد ان يتخذ الحلم سبيلاً مع اهلها فوعدهم بالعفو عنهم اذا دفعوا اليه الزعيمين اللذين استثاراهم الى الفتنة فاجاب الثيبيون انهم لا يكفون عن الحرب الا على شرطين ان يدفع اليهم الاسكندر رجلين يحرضانه عليهم وان يعلن في اليونان كلها ان من يطلب تحرير اليونان فلينضم الى اهالي ثيبة

فادرك اسكندر حينئذٍ انه لا يجدي مع الثيبيين امر غير الحسام فهاجمهم بجميع قواه فدافعوا عن انفسهم اشد دفاع . ولكن كان في حصن ثيبة حامية مكدونية فخرجت من الحصن وجاءتهم من وراء ظهورهم فاصبح الثيبيون بين حربين واحدة من خلف وواحدة من امام فقاتلوا قتال الابطال حتى كادوا يفنون . وبعد فتح المدينة نهبها جنود الاسكندر وقد تركهم ينهبونها لان محالفيه كانوا يطلبون ذلك بالحاح ولانه اراد معاقبة الثيبيين عقاباً يكون عبرة لسائر اليونانيين . وقد قُتل من الثيبيين في هذا القتال ٦ الاف رجل وباع

الاسكندر من بقي منهم وعددهم ٣٠ الف رجل · ولم يعفُ الا عن كهنتهم وعن الثيبيين الذين كانوا موالين للمكدونيين ومقاومين للثورة

على ان الاسكندر عفا عن اثينا بعد فتح ثيبة كأن الدماء بردت غضبه كما تبرد غضب الاسود او كانه ارتاع من فظاعة عمله في ثيبة فاراد ان يعمل عملاً حميدًا في اثينا · وقد ندم في ايامه التالية على ما صنعه بثيبة وكان كلما اصيب بمكروه في حياته قال انه ما اصيب به الا تكفيرًا عن فظائع ثيبة · وكلما افتكر في تلك الفظائع كان يلبث مبهوتًا نادمًا

وبعد عفوه عن اثينا اصبح اليونان في خوف من بأس داريوس ملك الفرس وقد اجتمعوا في برزخ كورنثيوس فقر رأيهم على ان يجعلوا الاسكندر قائدًا لهم للحملة على داريوس · فرضي الاسكندر وسار الى كورنثيوس فزاره فيها الفلاسفة ورجال السياسة ليشكروه ويكرموه · فسرَّ اسكندر باكرامهم ومنَّى نفسه بزيارة الفيلسوف ديوجينوس الشهير الذي كان في تلك المدينة · ولكن ديوجينوس لم ينقل قدمًا اليه فعمل الاسكندر طبقًا للمثل القائل : من لم يأتِ اليك فرح اليه · فقصد ديوجينوس ضواحي المدينة وكان هذا الفيلسوف جالسًا في الشمس مفكرًا · فلما دنا منه اسكندر بحاشيته الكثيرة رفع ديوجينوس راسه قليلاً ولبث ناظرًا الى الاسكندر · فحياه اسكندر وساله ماذا تطلب يا ديوجينوس · فاجاب الفيلسوف بالعبارة المشهورة « اطلب ان تحيد عن شمسي » ذلك ان الاسكندر وقف بينه وبين الشمس فحال دون وقوع نورها عليه · فاعجب الاسكندر بما في جواب ديوجينوس من العظمة · اما ضباطه وحاشيته فاخذوا يستخفون بالفيلسوف فالتفت اليهم الاسكندر وقال « لا تستخفوا به فانني لو لم اكن اسكندر لفضلت ان اكون ديوجينوس » وهذا اعظم اكرام للفلسفة

وقبل زحفه بالحملة الى آسيا اراد استشارة الالهة جريًا على عادات اليونان في ذلك الاوان فسار الى دلف فرفضت الكاهنة ان تسير الى الهيكل لاستشارة الاله لان الاستشارة كانت محرمة في ذلك الشهر فساقها اسكندر الى الهيكل بالرغم عنها فلما دخلته صاحت قائلة « يابنيَّ انت لا تُغلب » فقال الاسكندر حينئذ كفى كفى رضيت بهذه النبوءة وقد اعتبر كلمة الكاهنة تنبئًا بانه سيكون ظافرًا

ويعتقد اليونانيون ان الالهة ارسلت الى اسكندر انباء اخرى غير هذا النبأ لتخبره بانه سيكون الظافر على اعدائه · منها ان صنم اورفه اشهر موسيقيي القرون المتقدمة قد

نضح ماء حين زيارة الاسكندر فتشاءم بعضهم من هذا الامر ولكن صديقاً للاسكندر فسره له بانه سيعمل في ملكه من الاعمال العظام ما يتعب الشعراء والموسيقيين وصفها وانشاد ما يقال فيها حتى يعرقوا من التعب . وفي الحقيقة ان هذا التفسير الغريب لا يخلو من فكاهة

ثم بدأ الاسكندر بحملته الشهيرة على الفرس ويقدر اشد المؤرخين مغالاة عدد جنودها باربعة وثلاثين الفاً من المشاة و٤ الاف من الفرسان . ولم يصحب من المؤونة الا ما يكفيه شهراً ومن النقود الا النزر اليسير . وقبل سفره فرق كثيراً من امواله واملاكه على اصدقائه حتى اوشك ان لا يبقي لنفسه شيئاً . فصاح به برديكاس « ماذا ابقيت لنفسك ايها الامير فقد فرقت علينا كل شيء » . فاجاب الاسكندر بهذه الكلمة العظيمة — ابقيتُ لنفسي الامل

نعم لقد صدق الاسكندر فان الامل اعظم من كل شيء في هذا العالم بل اعظم من العالم

فاجابه حينئذٍ برديكاس . اذا كنت تبقي لنفسك الامل فاننا نود ان نبقيه لانفسنا ايضاً . قال هذا ورفض الهدايا التي اهداها اسكندر اليه . فحذا حذوه كثيرون من رفقائه فارتاح الاسكندر الى كبر نفوسهم واعطى الاموال التي رفضوها الى سواهم

ثم زحف اسكندر بجنوده الى آسيا فعبر الهلسبونت (الدردنيل) وكان قواد داريوس ينتظرونه عند نهر الغرانيك ليمنعوه من العبور الى بلادهم وقد صفوا جنودهم على شاطىء النهر ليلقوه بها حين عبوره

فرأى قواد اسكندر صعوبة هذا الامر فحاولوا صرفه عنه فراراً من خطر لقاء الفرس قبل الخروج من النهر . وقال له بعضهم ان عبور النهر محرم في ذلك الشهر فامر اسكندر بتغيير اسم الشهر وقال للقواد « ان خوفنا من عبور الغرانيك بعد عبور الدردنيل اهانة للدردنيل » قال هذا ثم القى بنفسه مع فرسه الى النهر فتبعه فرسانه يقصدون العدو على الشاطىء الثاني

وكان النهر طاغياً ونبال الفرس تهطل حوله كالمطر الهاطل فلقي اسكندر في عبوره بلاء وجهداً حتى انه كاد يغرق فيه . ولما وصل الى الشاطىء الثاني كان قد اعياه التعب هو وفرسانه

وكان الفرس ينتظرونه بفرسانهم فلم يمهلوه ان يخرج من المياه بل بادروه بالطعان بالحراب والسيوف وهم يصرخون صراخاً هائلاً فالتقتهم فرسان الاسكندر وهي على غير نظام · واحاط بالاسكندر اعداؤه وقد عرفوه من لباسه فكادوا يفتكون بحياته · وكان موقفه في تلك الساعة حرجاً جداً

الا انه بينما كان يحارب الفرس بفرسانه اخذت مشاته تعبر النهر ثم لما فرغت من ذلك هجمت على مشاة الفرس هجمة صادقة فلم يثبت الفرس طويلاً بل ولوا الادبار الا المسترزقة من اليونانيين الذين كانوا متطوعين بالاجرة في جيش الفرس فانهم لجأوا الى اكمة هناك وحاربوا المكدونيين عليها

ويقدرون عدد قتلى الفرس في هذه المعركة التي انتهت بانتصار الاسكندر بعشرين الف رجل من المشاة والفي فارس وعدد قتلى جيش اسكندر باربعة وثلاثين رجلاً فقط كما رواه اريسطو بولس · وكان عدد جيش اسكندر لا يتجاوز الاربعين الفاً كما قدمنا وعدد جيش الفرس ٦٠٠ الف رجل وهذا من الغرابة باعظم مكان

وكان من نتيجة هذا النصر ان مدينة سارد عاصمة ثغور الامبراطورية الفارسية سلمت الى الاسكندر هي وغيرها من المدن فازداد اليونانيون جرأة · ولكن اسكندر تردد بين خطتين · الاولى ان يغتنم فرصة تضعضع الجيش الفارسي ويقصد داريوس فيقضي على ملكه والثانية ان يستولي على شواطئ الامبراطورية الفارسية قبل دخوله الى قلبها · على انه ما لبث ان اختار الخطة الثانية على الاولى لانه كره ان يخاطر بالمستقبل في معركة كبيرة اذ لو غُلب مرة فانه لا تقوم له بعد ذلك قائمة وخاف ان يزحف قواد الفرس وراءه بعد زحفه الى داخل بلادهم فيصبح بين عدوين ولذلك اختار فتح الثغور الفارسية

ففتح الاسكندر بنفيليا ثم اخضع البيزيديين وسار من غورديوم الى بافلاغونيا وكبدوسه لفتحها · فبلغته حينئذٍ وفاة ممنون القائد الفارسي الذي كان يخشى الاسكندر بأسه من جهة الثغور فرأى حينئذٍ ان يزحف الى اعالي الولايات بعد أمنه الهجوم من الشواطئ · وكان داريوس يومئذٍ في «سوزه» يستعد للقاء الاسكندر وهو واثق بالنصر اتكالاً على كثرة عدد جيشه وعلى حلم رآه وهو ان اسكندر يخدم في جملة خدامه · وقد اراد الزحف اليه بجنوده فعارضه رجل فرَّ من مكدونيا واسمه امينتاس واشار عليه بان يبقى حيث هو فاذا زحف اليه الاسكندر لقي جيشه القليل بجيشه الكثير في السهل فتمكن منه اما اذا زحف هو الى حيث الاسكندر في مضائق الجبال والوديان فانه يُفقد بذلك

الجيش الفارسي مزية من مزاياه الحربية فقال له داريوس « اخاف ان يفرَّ الاسكندر من يدي » فضحك المكدوني وقال . « اذا كنت يا ايها المولى لاتعرفه فانا اعرفه ولاشك عندي انه الآن زاحف اليك لانه يتلهب شوقاً الى لقائك » وفي الحقيقة ان اسكندر كان في ذلك الوقت زاحفاً اليه

اما داريوس فلم يقنعه هذا الكلام فزحف بجيش عرمرم الى جهة سوريا للقاء الاسكندر ولكن من سوء حظه انه سار في طريق غير الطريق التي سلكها الجيش اليوناني فاجتاز احدهما الاخر في ظلام الليل دون ان يدري بصاحبه . ولكن اسكندر علم في اليوم الثاني بانه اجتاز جيش داريوس فكر راجعاً اليه ليلتقي به في المضائق بدل السهول فوجده قرب مدينة « اوسوس » احدى مدائن سيليسيا القديمة وهناك جرت بينهما المعركة الشهيرة

ومن حسن حظ الاسكندر ان جيشه حين وصوله الى جيش داريوس وقع على مركز عسكري اقوى من مركز خصمه . وفوق ذلك فان اسكندر تفنن في صف جنوده في هذه المعركة . والى مراكزهم وحسن قيادتهم وادارتهم مدة القتال يُنسب النصر العظيم الذي ناله عليهم . ومع ان عدد الفرس كان اضعاف عدد جنوده فانه لم يتركهم قط ان يحيطوا به او يحصروه وقد جُرح اسكندر في هذه المعركة في فخذه وبلغ عدد قتلى الفرس فيها مائة وعشرة الاف رجل اي اضعاف جميع الجند اليوناني ثلاث مرات

وقبل هذه المعركة عمل الاسكندر عملاً يدل على عظمة الثقة وعلو شان الصداقة . فانه استحمَّ يوماً من الايام على ما يقال في نهر السندوس الذي ماؤه ابرد من الثلج فاصيب بمرض ولعله الروماتزم . فاقعده هذا المرض في خيمته دون ان يقدم اطباؤه على وصف علاج له مخافة ان يصيبه شر فتقوم عليهم قيامة جنوده . وكان لاسكندر طبيب اول يدعى فيليب وهو صديقه وموضع ثقته فاخذ هذا الرجل على نفسه شفاء مولاه فاعد علاجاً جديداً قوياً لمعالجته به

وقبل دخوله عليه بهذا العلاج ورد على الاسكندر من المعسكر كتاب يقول فيه كاتبه ان الطبيب فيليب يتآمر مع الملك داريوس على حياة الاسكندر وقد وعد هذا الطبيب ذلك الملك بانه يفتك بحياته في وقت قريب . فليحذر الامير اسكندر . فاخذ اسكندر هذا الكتاب ووضعه تحت وسادته

واتفق حينئذٍ دخول الطبيب فيليب عليه وفي يده دواؤه الجديد الذي اشرنا اليه ووراءه جميع اطباء الملك فدنا فيليب من فراش اسكندر وقال . خذ يامولاي هذا

الداء الجديد فانه يشفيكم من كل علة · فمداسكندر يده واخرج الكتاب المذكور من تحت وسادته ثم ناوله الى طبيبه بالشمال وتناول منه كاس الدواء باليمين · وقبل ان يفتح الطبيب فيليب ذلك الكتاب و ينظر فيه أُدني اسكندر كاس الدواء من فمه وافرغه فيه مثبتاً بذلك عظم ثقته بطبيبه وصديقه · وفي الحقيقة ان عملاً عظيماً كهذا العمل ليس في امكان احد ان يعمله غير الاسكندر ومن كان بعظمة نفسه وشدة ثقته بهاو بالمقربين منها· ويحسب الفلاسفة وعلماء الاداب هذا العمل الذي عمله الاسكندر من اسمى اعماله لانه به شرّف الصداقة والثقة واعلى شانهما في هذا العالم

اما الطبيب فانه انطرح على قدمي اسكندر يرجوه ان لا يسمع فيه اقوال الوشاة فاجابه لو كنت سمعت ذلك لما كنت قد شربت علاجك

و بعد انتصار اليونان على الفرس اخذ المكدونيون ينهبون الجيش المغلوب · ولكن داريوس كان قد امر بارسال كل شيء نفيس الى دمشق الشام فلم يجد المكدونيون كثيراً من النفائس في جيش فارس · انما وجدوا فيها خيمة داريوس فدخلها الاسكندر وجلس فيها في مجلس داريوس معجباً بزينتها وجمالها · وقال ضاحكاً « هل ان الملك عندهم ان يجلس الانسان في هذا المجلس » وقد اراد به ان الملك لا يكون ملكاً بمجلسه او بزينته ولكن باعماله

وقبل ان يجلس على المائدة ليستريح من معركة النهار اتاه رسول يبلغه انهم وجدوا امرأة داريوس وابنته في جملة الاسرى وانهما بكتا ولطمتا حينما رأتا خيمة الملك داريوس ظناً منهما انه قد قُتل فارسل الاسكندر اليهما من يسكن خاطرهما و يبلغهما ان الملك لا يزال حياً · قال فلوطرخوس وقد اكرمهما وبالغ في ذلك حتى اذن لهما ان تدفنا من قتلى الفرس كل من ارادتا دفنه · ولكن بعض الكتاب المحدثين ينكرون على فلوطرخوس ان يكون الاسكندر قد اذن بذلك لابنة داريوس و زوجته لان الفرس كانوا لا يدفنون من موتاهم وقتلاهم غير الملوك فقط

وامر اسكندر فوضعت هاتان الملكتان في مكان امين واحتاطهما بكل اكرام واحترام حتى انهما ما كانتا تسمعان كلمة تخدش الخاطر او تسوء الادب بشيء · بل ما كانتا تريان احداً او يراهما احد · وكانتا رائعتي الجمال ولكن اسكندر لم ياذن لاحد ان يذكر جمالهما امامه ولم يشأ ان يقابلهما

ذلك ان هذا الرجل او بالحري هذا الشاب كان نزيه النفس لا يفكر الا بالاعمال

العظيمة التي اقدم عليها فكانت تستغرق جميع اوقاته وامياله . وكان نزيهاً بالطبع فكان اذا ابصر اسيرات الفرس وشاهد جمالهن الرائع قال لمن حوله " ان نساء الفرس فتنة للناظرين" ولكي لا يقع في هذه الفتنة كان اذا مرَّ بهن يمر وهو مطرق الى الارض كأن الواقفات بازائه تماثيل جميلة لا اجسام بشرية

ومما لا يجدر اغفاله في هذا المقام تبياناً لشرف نفس اسكندر ان « فيلوكسين » عامله في الولايات الساحلية ارسل اليه يوماً من الايام يقول له " ان رجلاً من التتر يعرض للبيع غلامين بارعي الجمال فهل يريد الملك ان اشتريهما له " فغضب اسكندر اشد غضب وصاح « اي عمل دنيء راى فيلوكسين انني عملته حتى يراني اهلاً لان يقترح عليَّ مثل هذا الاقتراح » وبلغه في ذات يوم ان جنديين من جنود مكدونيا اغتصبا امراة فامر باعدامهما في الحال فاعدما كما تُعدم الوحوش الضارية . ذلك لانه كان شديداً جداً فيما يختص بالعرض والنوم . فاذا نام احد كان قد وكل اليه ان يسهر على امر او انتهك حرمةً فانه يعاقبه بلا رحمة اعتباراً ان النوم دليل الاهمال والكسل وانتهاك الحرمة دليل الدناءة واللؤم والخيانة

وكان غير شره ولا نهم . فان الملكة آده التي ولاها شؤون كاريا كانت تبعث اليه دائماً بالاطعمة اللذيذة والحلوى المختلفة مع مهرة الطباخين استرضاء له فارسل يقول لها انه في غنى عن هؤلاء الطباخين لان معلمه ليونيداس منحه طباخين هما امهر الطباخين « الاول طباخ لطعام الظهر وهو التنزه قبل بزوغ الصباح . والثاني طباخ لطعام المساء وهو غداء قليل » . وكان يقول ايضاً ان معلمه هذا كان يزور في كل ليلة فراشه ليرى اذا كانت امه قد فرشت له عليه شيئاً ليناً خلافاً للعادة . وكان غرضه من ذلك تعويده من صغر معيشة الشظف والاحتمال وهي المعيشة التي تنشئ رجالاً خلافاً لمعيشة الترف والنعمة

اما الخمر فانه كان يشرب منها اقل مما ظنه بعضهم . وانما نسبوا اليه الاكثار من الخمر لانه كان يطيل الجلوس على المائدة . وما دروا ان غرضه من ذلك كان المحادثة بعد الطعام لولعه بها لا تناول المسكرات . وكان حريصاً على جعل مائدته كما يجب ان تكون مائدة ملك وامير ويراقب بنفسه توزيع الطعام بالسواء على الجالسين . وكان يبلغ عددهم عادةً ٧٠ رجلاً . وينفق على مائدته في كل وقعة ١٠ الاف دراخمة . وكان لطيفاً جداً على الطعام انما كان كثير المباهاة والافتخار بنفسه الى حد كان جلاسه عنده يمجون سماع ذلك

منه وكان يسمع لمملقيه كثيرًا و يلذ له ملقهم وكذبهم

هذا و بعد استراحة الاسكندر وجيشه بعض الاستراحة زحف به لفتح سوريا وفلسطين ومصر وسيرد الكلام على ذلك في الجزء التالي

زيارة المعرض في يوم واحد

وغرائب الملاهي التي فيه

تخرج السفن من موانىء الغرب والشرق في هذا العام غاصة بالمسافرين الى باريز لمشاهدة معرضها العام . فهولاء المسافرون الى المعرض او الذين ينوون من القراء السفر اليه هم في غنى عن قراءة هذا الفصل. اما الذين تقضي عليهم اشغالهم بعدم السفر فجدير بهم ان يقرأوه اذا شأوا ان يرسموا في اذهانهم صورة اجمالية للمعرض

ورغبة في جعل هذه الصورة واضحة ثابتة نسير بالقارىء في جميع اجزاء المعرض فنشاهدها معه في يوم واحد ابتداء من الساعة التاسعة صباحًا الى الساعة السادسة ونصف مساء . على انه يلزم عادةً لمشاهدة المعرض حق مشاهدته والوقوف على اهم شؤونه شهر كامل على الاقل اذا زاره الانسان زيارة يومية متتالية . ولكننا نحن الآن في ضيق من الوقت والمجال ولذلك نمشي على عجل فليشمر القارىء وليتبعنا

الساعة التاسعة صباحًا — نستأجر اولاً مركبة الى مدخل المعرض من باب الشان اليزه في شارع نيقولا الثاني . ومتى وصلنا ندخل من هذا الباب الى الشارع الجديد فنجد الى يميننا « القصر الكبير » والى يسارنا « القصر الصغير » وكلاهما معرضان للفنون الجميلة فنقف هنيهة للتمتع بمنظر ذلك الشارع الجميل

الساعة ٩ والدقيقة ١٥ — ثم ندخل الى القصر الكبير من باب الوسط لمشاهدة السلم الكبيرة التي فيه وهي آية في حسن النقش ثم نجول جولة فيه ونخرج من حيث دخلنا

الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ — و بعد ذلك ندخل الى القصر الصغير فننظر نظرة الى قاعتيه الجميلتين المعروضة فيهما ابهى الصور والرسوم . ثم نعود بسرعة لئلا يفوتنا الوقت . فنسير في طريقنا على ضفة نهر السين اليمنى الى « قسم مدينة باريز »

الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ — فنصل الى معرض الزراعة والازهار والاثمار وهو آية في

الجمال و بازائه معرض الاقتصاد السياسي

الساعة ١١ — وفي الساعة ١١ نصل الى « معرض باريز القديمة » الذي تُمثل فيه حالة باريز في القرون الماضية

الساعة ١١ والدقيقة ١٠ — ثم نصل الى « قسم التروكاديرو » الذي فيه معارض المستعمرات الفرنسوية والاجنبية من هندية وصينية وسيبيرية وترانسفالية وتونسية وجزائرية وهلم جرا . اما مصر فلم توضع بين المستعمرات لئلا يُغضب ذلك الدولة العلية ولم توضع في قسم الدولة لئلا يُغضب ذلك انكلترا بل وُضعت على حدة بصورة استثنائية

ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل فلنمضِ في سبيلنا نزولاً نحو نهر السين مارين بين البنائين الجزائريين

الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ — فنصل الى جسر يِنا قبل الظهر بعشر دقائق فنعرج حينئذٍ هناك على مطعم بازاء برج ايفل لنتغدى . ولا نستطيع الآن الصعود الى البرج لمشاهدة باريز منه لاننا مسرعون كما قدمنا . وهكذا نأكل بسرعة لقمة في الفم ولقمة في الاذن كما جاء في المثل العامي وننهض عن المائدة في الساعة ١٢ والدقيقة ١٥

الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ — فنزور حينئذٍ الشان دي مارس مبتدئين من الجانب الايمن بمعرض العلوم والفنون والآداب ومعرض وسائل النقل ثم نصل الى معرض الصنائع الكيماوية ونخرج بعد ذلك من الباب الذي هناك يشرف على حديقة المعرض

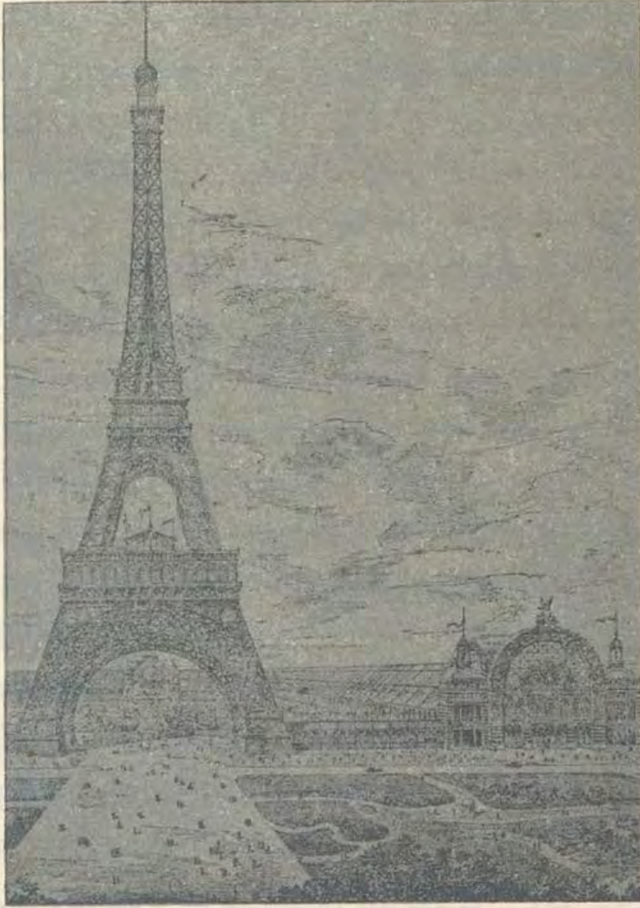
الساعة ١ والدقيقة ٣٠ — فنصل الى شلال قصر المياه ومعرض الكهربائية ثم نعود الى جانب السين الايمن فنشاهد معرض صناعات الغزل ومعرض المعادن

الساعة ٢ والدقيقة ٥٠ — وحينئذٍ نكون على السين فلنركب هناك السكة الحديدية او فلنقف على الرصيف الدائر فنصل الى جسر ينا حيث تبتدئ معارض الدول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ — وبما اننا لا نستطيع لضيق الوقت ان ندخل كل قسم من اقسام الدول فنكتفي بالمرور على شاطئ السين لنشاهد منه على وجه الاجمال تلك الاقسام الجميلة بين عثماني وروسي وانكليزي وفرنسوي والماني وهلم جرا

الساعة ٤ والدقيقة ١٥ — ثم نمر في طريقنا على قسم المؤتمرات وقسم معرض باريز الزراعي والانفاليد والاقسام التابعة للمعرض هناك

الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ — وبعد ذلك نصل الى جسر اسكندر الثالث وهو من اعظم اثار المعرض وهنا يجب ان نسير رويداً رويداً ليتمتع النظر بالمناظر الباهرة التي تُرى من



﴿ برج ايفل ﴾

هذا الجسر

الساعة ٦ — وقبل الخروج من دوائر المعرض النفت لتنظر اجماله نظرة اجمالية كما نظرته تفصيلاً فان منظره من هذه الجهة جدير بالالتفات لروائه وبهائه

الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ — وفي هذه الساعة لك ان تخرج من رتاج المعرض العظيم (بابه الكبير) الذي هو من افخم ابنيته واعظمها نقشاً واتقنها صنعاً

هكذا يُزار معرض باريز في يوم واحد لرسم صورة اجمالية منه في الذهن · بقي علينا ان ننظر ما فيه من الغرائب الفكاهية

برج ايفل — ففيه اولاً برج ايفل الشهير وقد بني لمعرض سنة ١٨٨٩ وعلوه ٣٠٠

متر وهو مصنوع من الحديد طبقات طبقات وصانعه المهندس ايفل الفرنسوي وداخله المنازل والفنادق والادوات فكانه مدينة مستقلة بنفسها ويصعد اليه في مراقٍ لولبية استبدلوها في العام الماضي بمراقٍ جديدة فانفقوا عليها وعلى اصلاح هذا البرج ودهنه بالبويا البيضاء ما قيمته مليون و٨٠٠ الف فرنك. واكثر الذين يزورون المعرض يصعدون اليه لمشاهدة باريز من علوه الشاهق على ان مراقيه تُصعد في الساعة التي تُشخص اي اكثر من ٢٠ الف نفس في النهار. واجرة الصعود اليه اقلها خمسون سنتيماً واكثرها فرنكان

الكرة السماوية — وثانية غرائب المعرض الكرة السماوية وهي كرة عظيمة قطرها ٤٥ مترًا قائمة على اربع قوائم حديدية مرسوم عليها بعض الاجرام السموية بحسب مواقعها وباطنها مجوف فيه جرم يمثل الارض يدور حوله جرم يمثل القمر وهو يدور حول جرم ثالث كبير يمثل الشمس باسلوب بديع تظهر فيه الحركات الشمسية والقمرية والارضية حتى لكسوف والخسوف لان هذه الاجرام تكون مُنارة بالنور الكربائي ويكون لها منظر ابهر العيون

الطواف حول الارض — والطواف حول الارض من غرائب المعرض ايضاً ذلك انه يوجد قرب السين قاعة فيها رسوم في منتهى الانقان تمثل جميع بلدان العالم واخصها نسيج طوله ٢٠٠ متر في مثلها عرضاً رُسمت عليه بواخر المساجري وهي تنقل المسافرين حول الكرة الارضية فترى جميع البلدان مرسومة امامك كانك سائح فيها

السفر وانت جالس — ولكن اغرب من ذلك كله ان تسافر في البحر فترى امواجه هائجة والسفينة منخفضة وصاعدة وتسمع اصوات الزوابع وتشم رائحة البحر وترى نفسك سائرًا بسرعة شديدة والبحارة يهتمون بالحبال والسفينة . — كل ذلك وانت في الحقيقة جالس على كرسي في وسط غرفة في المعرض . وسبب ذلك انهم يجلسونك على مرسح يمثل سفينة تتحرك ثم انهم بحركات مدبرة متناسبة ينشرون على الجدران رسوماً سريعة الحركة تمثل المناظر التي رأيتها فتحسب نفسك لشدة اتقان التمثيل انك سائر في البحر ترى حقيقة لا خيالاً

قصر الآلة الفلكية — وقد ذكرنا شيئًا في احد الاعداد السابقة عن التلسكوب العظيم الذي يعرضونه في هذا القصر وهو التلسكوب الذي قال العامة فيه انه يرينا القمر كانه على بعد متر واحد . ومما يجدر ذكره ان النظر من هذا التلسكوب الى اجرام السماء مباح لكل

انسان حتى ابسط الزائرين · وفوق ذلك ان المسيو ديلونكل صانع هذا التلسكوب يُري الزائرين فيه ما لم تره عينان قبل الان · يريهم الزوابع تعصف في الهواء ومخلوقات غريبة هائلة تدب في الاجرام السموية و يريهم في نقطة ماء بحرًا خضماً تسبح فيه وحوش هائلة وفي الفضاء مناظر عجيبة غريبة لم يتمثل التصور مثلها · هذا ما عدا رؤيتهم الاجرام السموية وانتظامها البديع

قصر الاحتفالات — ومن ملاهي المعرض قصر الاحتفالات او الاعياد سمي كذلك لانه يتضمن المراسح والاندية الموسيقية · وفيه الآن اكبر مرسح في العالم لانه يسع ١٥ الف شخص والحكومة الفرنسوية تشدد المراقبة الادبية على الروايات التي تمثل فيه لانها تمثل امام الاجانب

وفي المعرض من الملاهي ايضاً قصر النور الذي ينار بلوره بالانوار الكهربائية بصورة تدهش النواظر · وقصر المياه الذي تنفجر مياهه تمازجها دقائق النور بصورة تخطف الابصار والرصيف الدوار الذي يطوف بالواقفين عليه والدولاب الهوائي العظيم الذي يحسب راكبه انه يسوح سياحة في الفضاء والسينماتوغراف والبانوراما على اختلاف مناظرها وكلها مما يقف لديه الانسان مبهوتاً مدهوشاً · هذا ما عدا الملاهي الخاصة باقسام الدول الاجنبية مثل ملاعب التمثيل والاندية الموسيقية وما اشبه

ولا يلوم العقلاء منشئي المعرض لاهتمامهم بالملاهي فيه الى هذا الحد فان ما في المعرض من الشؤون الجدية بين امور صناعية و زراعية وتجارية وعلمية وادبية واجتماعية لاتكون تلك الامور الهزلية بالنسبة اليها شيئاً مذكورًا · وما عدا هذا فان الناس كلهم ليسوا في درجة واحدة من العقل والفهم والمعارض يجب ان تكون على قدر افهامهم · فمنهم من يحسبها كتاباً يقرأ فيه اسمى ايات الاخاء البشري والوداد الدولي · ومنهم من يحسبها مخزناً كبيرًا يستفيد منه صناعة وتجارة وزراعة · ومنه من يحسبها العوبة فيلهو بها كما يلهو الولد بالعوبته · وبودنا ان يكون الشرقيون من الفريقين الاولين وان لا يكون فيهم من الفريق الثالث الا نفر قليل

باب تدبير الصحة

داء التدرن الرئوي

مستشفى لمرضاه في مصر
او سوريا

يموت مائة الف رجل في حرب كبيرة فتقوم قيامة الناس على الحروب ومثيري غبارها وسافكي الدماء فيها · ويفشو وباء يموت فيه عشرون الف نفس فيستكبر الناس الخطب ويستعظمون المصاب · وما دروا ان بعض الامراض المألوفة يقتل في السنة الواحدة اضعاف اضعاف ما تقتله الحروب والاوبئة

هذا داء التدرن الرئوي او مرض السل فان الذين يموتون به في فرنسا فقط يبلغ عددهم ١٥٠ الف نفس في كل سنة · وقس على ذلك باقي البلدان مع حفظ النسبة بين اعتدالها وافراطها · فهل قُضي على الانسانية ان تبقى محصودة بمنجل هذا الداء الوبيل · ام وجد العلم طرقاً لشفائه · ولكن قبل الكلام عن ذلك فلنذكر شيئاً عن ميكروب هذا الداء

❊ ميكروب التدرن ❊ اكتشف الدكتور كوخ ان لداء التدرن ميكروباً خاصاً وذلك في سنة ١٨٨٢ غير ان الدكتور فيلمين الفرنسوي اثبت ان داء السل داء ينتقل بالعدوى قبل كوخ بسبع عشرة سنة اي في عام ١٨٦٥ وذلك بحقنه الحيوانات ببصاق المسلولين وظهور اعراض السل بعد ذلك فيها · وقد سمى الدكتور كوخ هذا الميكروب حين اكتشافه اياه " باسيل " وهي ماخوذة من الكلمة اللاتينية " باشلس " ومعناها القضيب لان هيئة هذا الميكروب مستطيلة قليلاً كالقضيب · وهي جرثومة حية متناهية في صغر الحجم كسائر الميكروبات لا يتجاوز طولها ٣ اجزاء من المليمتر اذا قُسم الى مليون جزء وتتوالد بالتجزوء كسائر الميكروبات · ومما هو جدير بالذكر انها سريعة النمو فربما اصبحت الجرثومة الواحدة منها في بضع ساعات الوفاً من الجراثيم وتمتاز عن كثير من الميكروبات بكونها تفرز سيالاً ساماً هو اصل الداء

❊ كيفية دخول الميكروب ❊ اما طرق انتقال ميكروب الداء فكثيرة اهمها شرب اللبن (الحليب) لوجود الجراثيم فيه بكثرة فان لم يُغلَ غلياناً جيداً نقل الداء الى شاربيه . ثم اكل لحم البقر المسلولة لان البقر كثيرة الاصابة بهذا الداء ولذلك يجتنب كثيرون الاكل من لحمها . ثم انك لا ينبغي ان تخالط المرضى به وعلى الخصوص اذا كانوا قد تجاوزوا الدرجة الاولى لان الميكروب يكون في هذه الدرجة ضعيفاً لا يعدي . ويجب ان لا يبصق المرضى في الشوارع فان بصاقهم يجف بالغبار ثم تطير ميكروباته في الهواء فيستنشقها الناس ويصابون بالداء . وهذه اهم طريقة لنقل العدوى ولذلك كان من واجبات كل حكومة ان تمنع البصق في الشوارع والاماكن العمومية كما صنع المجلس البلدي في نيويورك في الشهر الماضي حفظاً للصحة العمومية لامن هذا الداء فقط بل من جميع الادواء

❊ بعد دخول الميكروب ❊ ولكن من حسن حظ الانسان ان الطبيعة قد تدبرت في وقايته من امور كهذه الامور فان الميكروبات حين يستنشقها الانسان تمر بانفه وعند مدخل الانف كما هو معلوم شعر يعيق بعضها عن الدخول ثم عند المدخل الداخلي سيال يلتقط ما بقي منها . وحين تراكم تلك الاوساخ في الانف ياخذ الانسان منديله وينفضها فيه دفعة واحدة . ولذلك قال الاطباء انه لا ينبغي ان يتنفس الانسان من الفم لئلا تدخل الفضول والجراثيم رأساً الى الشعب الرئوية . فيكون الانف والحالة هذه بمثابة « منخل » يمر منه الهواء وتعلق به الفضول

ولكن قد يحتمل ان هذه الميكروبات تتمكن من عبور الانف والنزول الى باطن الجسم . فهل قضي على الانسان حينئذٍ باصابته بالتدرن الرئوي ؟

كلا . لان هذه الميكروبات تعلق بالشعب الرئوية التي هي مما يلي الرئة فتبقى فيها وحينئذٍ فاسعل قليلاً واتفل تخرجها شيئاً فشيئاً

هذا اذا بقيت الشعب سليمة ولكن اذا فتح الميكروب ثغرة في هذه الشعب ودخل الى الرئة وعشش فيها اصبح الامر خطيراً . ولكن هل يستوجب ذلك اصابة الانسان بالمرض ايضاً

كلا . فان في الرئة بل في كل دم الانسان جراثيم حية تتغذى من الفضول والجراثيم الداخلة اليها من الخارج . فاول ما يدخل ميكروب التدرن الى الرئة تبادر جراثيم الجسم

الى هذه الجراثيم الغريبة لأن كلها فينشب قتال بين الفريقين . فاذا كان دم الانسان قوياً وبنيته صحيحة وصحته جيدة قويت جرثومة الدم على الجراثيم الغريبة فابتلعتها وهضمتها وخلصت الجسم من شرها . ولكن اذا كانت عكس ذلك اي ضعيفة عاجزة قويت عليها جراثيم المرضى فعششت في الرئة وتولدت التولد السريع الذي ذكرناه

فيكون المانع الاكبر من اصابة الانسان بالتدرن الرئوي بل من جميع الامراض قوة البنية وجودة الصحة وخصب الدم . ولذلك فان هذا الداء اكثر ما يكون انتشاره بين العملة الذين يعملون في اماكن غير نقية الهواء او بين الطبقات الواطئة السيئة الغذاء

والآن فلنفرض ان هذا الميكروب القبيح استطاع عبور الانف ثم نفذ الى الشعب ومنها الى الرئة فالتقى فيها بجراثيم الصحة فقاتلها وتغلب عليها . هل قُضي الامر حينئذٍ وانقطع الرجاء من خلاص المصاب

﴿ الدواء ﴾ كلا فان هذا الداء الذي كان في الاعوام الماضية مما ترتجف له الابدان اصبح اليوم بفضل العلم داء قابلاً للشفاء التام اذا اتخذت له جميع الوسائل الصحية اللازمة . وهذا هو الغرض من انشاء هذا الفصل

و يسرنا هنا ان نقول ان مجلة « الطبيب » في بيروت قد اقترحت في احد اجزائها الماضية انشاء « مستشفى للمسلولين » ومن سوء الحظ ان اكثر جرائد سوريا فضلاً عن جرائد الاستانة ومصر لم تعضد هذا الاقتراح كما كان يجب ولعل ذلك لعدم قدرها قدر فنحن تأييداً له وتبياناً لمنافعه نقول كلمة في مستشفيات المسلولين التي هي الدواء الوحيد لهذا الداء

واول من انشأ هذه المستشفيات هم الالمانيون . فانهم انشأوا منها منذ ٥ سنوات ٢٥ مستشفى وهم آخذون الآن بانشاء ٢٥ مستشفى غيرها ومن غرائب شفائها انها تشفي ٩٥ في المائة من المرضى الذين يدخلون اليها في بدء مرضهم وهذا بمثابة شفائها المرض تماماً

وقد بنوها على ثلاثة قواعد

(١) الهواء النقي . فانهم يبنون المستشفيات خارج المدن في الغابات بين الاحراش ويجعلون الغرف المتطرفة الكثيرة الهواء غرفاً لنوم المرضى و يبقون نوافذها مفتوحة في الليل والنهار والصيف والشتاء و يحملونهم على قضاء اوقاتهم كلها تحت الاشجار في الهواء النقي

اذا كان الجو صاحياً والهواء دافئاً واذا كان الجو غير دافىء جعلوهم يجلسون في مجالس خصوصية بنوها لهم في الرياض وهي مستورة من جميع الجهات الا من جهة الجنوب · وهكذا يستنشقون الهواء النقي وهم يطالعون او يتحادثون اكثر النهار وعلى اجسامهم الملابس الدافئة اللازمة

(٢) حسن التغذية · فان المريض ينهض من النوم فيرتب فراشه ويستحم في حمام قريب « بالدوش » ثم ينزل الى قاعة الاكل فيتناول في وقعته الاولى ما شاء من اللبن (الحليب) والخبز والزبدة · ويتناول وقعة ثانية في الساعة التاسعة ونصف وهي كالوقعة الاولى · ثم يأتي وقت الغداء فيأكل ما شاء من الخبز واللحم المشوي والخضر والفاكهة واللبن ويشرب شيئاً من البيرة (الجعة) · وفي الساعة الرابعة يتناول الوقعة الثالثة وهي مؤلفة من اللبن (الحليب) والقهوة والخبز والزبدة · وفي الساعة السابعة يتناول الوقعة الرابعة وهي العشاء وطعامها كطعام الغداء · وفي كل هذه الوقعات يأكل المريض قدر ما يشاء كما ذكرنا

(٣) الراحة التامة · وبعد الطعام يذهبون جميعاً الى قاعة خصوصية فيغسلون افواههم واسنانهم بمحلول مطهر ثم يذهبون الى النزهة في الغابة بين الاشجار او في الحديقة او الى المطالعة في مكتبة المطالعة التي في المستشفى او الى النادي الموسيقي الذي فيه ايضاً. وبالجملة فان المرضى لا همَّ لهم الا استنشاق الهواء النقي دائماً والتغذي جيداً جيداً والراحة التامة المطلقة · هذا هو الدواء الوحيد لداء التدرن

وقد نجحت هذه المستشفيات في المانيا نجاحاً حمل جميع الامم على التشبه بها والنسج على منوالها فقامت تنشئ المستشفيات الصحية لمرضاها · فغير غريب ان تكون مجلة الطبيب قد اقترحت انشاء واحد منها في لبنان ذي الهواء العليل والماء النمير ولكن الغريب ان لا يُنشأ هذا المستشفى في وقت قريب

اما مصر فقد قرأنا يوماً في الجرائد المحلية ان شركة اوربية تنوي ان تقيم فيها مستشفى صحياً من هذا النوع ولكن لم نعد نسمع شيئاً عن تلك الشركة · ولا شبهة في ان هواء مصر موافق جداً لهذه المستشفيات على انه اذا انشيء مستشفى في مصر استغني به عن مستشفى لبنان · واذا انشئ مستشفى في لبنان استغنى به عن مستشفى مصر · ولا ندري الآن من يكون السابق الى هذا العمل المفيد

كلمات زراعية

الزراعة في تونس

كُتب من تونس عن زراعتها ما يلي

الشؤون الزراعية عندنا من اهم حاجات هذه البلاد لان البلاد التونسية بلاد زراعية والزراعة عندنا قد تقدمت تقدماً بعيداً . نعم ان اكثر الوطنيين لا يزالون جاهلين باصول الزراعة العلمية فيزرعون اراضيهم كما كانوا يزرعونها منذ ٥٠ سنة مثلاً ولكن كبار زراع الوطنيين وجميع زراع الاجانب الذين يتوافدون الى هذه الجهات كلهم يعملون بالقواعد العلمية في زراعاتهم فتزكو وتنمو نماء غريباً

وقد نفعتنا الابار الارتوازية في الجهات القاحلة المجدبة هنا نفعاً عظيماً ونحن نحفرها في كل مكان ليس فيه مياه فتتحول الارض بعد عدة سنوات من حفر هذه الابار الى جنائن غناء لانه حيثما كان الماء كان الخصب والسعة والخيرات

ولكن من الاسف اننا مع كل التسهيلات التي حدثت عندنا للزراعة لا يزال كثيرون من التونسيين معرضين عن هذه الصناعة مع انها حياة بلادهم الوحيدة . ويكفي ان ابرهن على صحة ذلك بقولي ان المدرسة الزراعية الكبرى التي انشئت عندنا لم يدخل اليها الاَّ ٣ شبان من شباننا مع ان عدد التلامذة فيها من الفرنسويين والاجانب يزيد عن المائة . ونحن نعلم ان هذا التقصير في الشؤون العملية امر شائع بين جميع شبان الشرق ولكن الشبان في كبرهم اذا كانوا يُعذرون لانهم لا يعملون الاعمال الصناعية والزراعية التي فيها حياة البلاد فما عذر ابائهم الذين لا يدخلونهم منذ صغرهم في المدارس الصناعية والزراعية ليربوا فيهم الميل الى استخراج خيرات الارض واسعاد انفسهم واهل وطنهم بجدهم واجتهادهم

ولو قابلنا بين هذه الحالة المحزنة وحالة الاجانب الذين يتوافدون الى بلادنا من كل صقع وناد لشراء الاراضي الزراعية وانشاء المزارع وبناء القرى فيها لتولانا اليأس من خمول اخواننا وتهجم الغرباء على اراضينا المخصبة لامتلاكها واستثمارها . ولكن يسرني ان اقول ان الحكومة الفرنسوية قد انتبهت الى هذا الداء ورأت من الواجب ان تتلافاه بتسهيل

امتلاك الاراضي للوطنيين والفرنسو بين القادمين الينا . ذلك انها تبتاع اراضي واسعة شاسعة وتجري اليها المياه ثم تقسمها حصصاً حصصاً وتطرحها للبيع باثمان قليلة مقسطة تقسيطاً ولكن لا يجوز شراء هذه الاراضي الا للفرنسو بين والاهالي و بذلك يزداد عدد الزراع والملاك الوطنيين والفرنسو بين بازاء عدد الايطاليين والاسبان وغيرهم من الاجانب الوافدين الينا كالجراد المنتشر

وقد اشترت الحكومة اخيرًا اراضي المورناغيا وهي ارض شاسعة مساحتها ٤ الاف هكتار على مسافة ٢٠ كيلو مترًا من تونس وستخصص منها ٣٠٠ هيكتار لعشرين تلميذًا من تلامذة المدرسة الزراعية الذين انهوا دروسهم حديثاً لينشئوا فيها مزارع وقرى و يخرجوا ما في تربتها من الخيرات

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان المسيو اوليفيه مدير مجلة العلوم العمومية وفد الى تونس مع وفد عظيم من كبار باريز للسياحة في بلادنا وافتقاد زراعتها واحوالها . وقد ذهب هذا الوفد اخيرًا للسياحة في واحة قابس فسار معهم الجنرال الجرو الحاكم العسكري ليدلهم على تلك الجهات فزاروا واحة قابس وابصروا العملة ينشئون فيها الترع والخلجان لصرف مياه النبع اليها ومنعها من الجري الى البحر ضياعاً

وقد قال الجنرال لهم وهو يريهم اشجار النخيل الباسقة وما تحتها من البساط السندسي والنباتات النامية ان العناية بهذه الواحة تجعلها في كل عام اكثر اتساعاً حتى ياتي يوم تتضاعف فيه مساحتها اضعافاً ولا تضيع نقطة ماء من مياهها في غير ارضها المخصبة

ثم زار هولاء السياح آكام بوكات و بايدا وشاهدوا منها بساتين اشجار الزيتون المصطفة صفوفاً صفوفاً كانها جنود في ساحة القتال تغيب في الافق البعيد لاتساع مساحتها فاعجبوا بخصب تلك الاراضي التي كانت منذ سنوات غير بعيدة قفارًا جدباء وثبت للناظر ما يصنعه الكد والاجتهاد . فاملنا ان ينتبه التونسيون وغيرهم من الشرقيين الى هذه العبرة فلا يتوانوا في تعلم الشؤون الزراعية ولا يحجموا عن استخدام رووس اموالهم في استثمار اراضيهم والاسبقهم اليها السابقون وكانت العاقبة للعاملين

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تربية المرأة

يكون الرجال كما يريد النساء

ابنة مخطيبة فزوجة فام فجدة · تاثير المراة في هذه الادوار · عقاب اهال تربيتها
واقع علينا · عالم جديد يتحادث فيه المجتمعون بدل ان يأبوا

عرف القراء الذين تتبعوا ما كتبناه في هذا الباب المعنى المقصود من احدى العبارتين اللتين صدرناه بهما وهي : « ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

بقي علينا ان نتكلم عن الكلمة الثانية وهي « يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا فضلاء وعظماء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

والذي يزيدنا رغبة في الكلام عن هذا الموضوع طلب كثيرين من القارئات والقراء · فان بعضهم يرسل الينا يقول : النساء النساء تكلموا عن النساء · وغيره يقول ما معنى قولكم يكون الرجال كما يريد النساء ونسي هذا السائل ان هذا القول لحان جاك روسو لا لنا كما ان القول الثاني عن المدرسة هو لاستاذنا الفيلسوف جول سيمون رحمه الله

وتقول بعض القارئات « نحب ان نقرأ تفسيركم لهذه العبارة : « يكون الرجال كما يريد النساء » وسالت واحدة اخرى : لماذا لا تتكلمون عن تعليم البنات في باب التعليم والتربية كما تتكلمون عن تعليم الفتيان · وسالت واحدة اخرى لماذا نسيتم النساء · وقالت ثانية ما هو دواء ضجر ربة البيت · وسالت ثالثة ما هي واجبات الابنة العاقلة · ورابعة : ما هي واجبات ربة البيت · — كل هذه الاسئلة جاءتنا مع كثير غيرها فاخرناها الى اليوم لنجيب عنها في مقالة خصوصية

واول ما نجيب به اننا لم ننسَ النساء في ما كتبناه الى الآن عن التربيــة والتعليم ذلك لاننا نعتبر ان الكلام في اصلاح التربية العائلية والتربية المدرسية كلام في تربيــة الفتيان والفتيات معاً . فاذا كان ذلك كذلك افنكون قد نسينا النساء

معاذ الله ان ننساهن . معاذ الله ان ننسى ملكات الكون ورياحين الوجود اللواتي في ايديهن مستقبل الامم وازمة الشعوب لانهن مربيات الاجيال ومنشئات الرجال . وانما قصرنا الكلام على الرجال لان الكلام عنهم يشملهن ايضاً

ولكن لا مندوحة لنا عن الاعتراف بانه كان الاجدر بنا قصر الكلام على تربيــة النساء لان الكلام فيها اعم من الكلام على تربية الرجال لكونهن المربيات المثقفات . فاذا رُبين تربية حسنة استطعن ان يربين النسل كله كذلك . وهذا معنى قول " ايمه مارتين — متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال لان النساء يربينهم لا محالة . وقول روسو" كما يريدالنساء يكون الرجال فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

وزيادةً في تفسير هذه العبارة وايضاح المعنى المقصود منها اجابة للسائلين والسائلات نقول

نقسم هذه العبارة الى قسمين . الاول " يكون الرجال كما يريد النساء " وهي القضية والثاني اذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة " وهي النتيجة

اما القسم الاول فمقتضاه ان المرأة متسلطة على الرجل فتجعله كما تريد . وهو قول فاسد وصحيح معاً . يكون فاسداً لدى كل الامم اذا اعتبرناه من حيث الظاهر ويكون صحيحاً لدى كل الامم ايضاً اذا اعتبرناه من حيث الحقيقة الطبيعية

اما فساده فظاهر من ان الرجل هو المتسلط شرعاً على المرأة في كل البلدان وجميع الاديان لا المرأة على الرجل واما صحته فظاهرة من ان المرأة هي المتسلطة ادبياً واجتماعياً على الرجل لا الرجل على المرأة

ويكفي لاثبات ذلك ان ننظر الى ادوار عمر المرأة وتاثيرها في كل منها

المرأة تكون ابنة ثم خطيبة فزوجة فاماً فجدة

خمسة ادوار جميلة تنقلب فيها بين طهارة الصبوة وجمال الشباب ووقار الشيخوخة . وهي في كل منها متسلطة على قلب الانسان وحاكمة عليه

فانها اول ما تولد يأخذ ابوها بالتفكير والتدبير استعداداً لزيادة رزقه على نسبة زيادة نفقته · لان « المدموازل » اذا كانت اليوم صغيرة فانها ستصبح غداً كبيرة · غداً تحتاج الى الحلل الجميلة وتطلب القبعات النفيسة وبعد ذلك يأتي « النصيب » فيطلب المال فوق الجمال والكمال · وكل ذلك يزيد النفقة · ومعلوم ان توقع زيادة النفقة يزيد اجتهاد الانسان ونشاطه في الكسب والتحصيل · فالابنة اذاً تجلب لوالديها يوم ولادتها نشاطاً جديداً واجتهاداً جديداً يوجبان عليهما ان يفرحا بولادتها لا ان يحزنا كما يحدث احياناً عندنا · فهي اذاً من صغرها تبدأ بالتاثير والتسلط على ما حولها · فما اعظم هذه القوة التي تتسلط حتى في بدء طفوليتها

ثم ينقضي دور الصبوة بطيشه ونزقه ويأتي دور الشباب بجماله وكماله · ومن هنا يبدأ التاثير العظيم الذي يفوق كل تاثير في الوجود والسلطة الكبرى التي تفوق كل سلطة في العالم

كانت تلك الفتاة امس ولداً في المدرسة تلعب وتثب غير مكترثة بشيء من هذه الحياة · همها مقصور على رضى امها ومعلمتها ودرس مثالتها واشباع معدتها ومداعبة لعبتها · ولكنها اليوم اخذت تهدأ شيئاً فشيئاً · هوذا الورد اخذ يتفتح في الخدود · والعيون اخذت تذبل وتتجلل بثوب من البهاء جديد · والنظر صار مطرقاً · والفكر مبهوتاً · والراس محنياً كوردة اثقلها الندى · والوجنات شديدة التأثر كلمة تفضضها وكلمة تعسجدها · فما هذا الانقلاب العجيب الذي حدث · لا شيء سوى ان « ملكة » الوجود قد بلغت سن الملك والسلطة · لقد قبلتها الطبيعة الجميلة في فمها القرمزي الجميل والبسها الحسن تاج الملك ودفع اليها الشباب صولجان السيادة

ثم مرَّ الرجل فابصر هذا السلطان فخضع صاغراً · خضع لانه كُتب له الخضوع كما كُتب لها السيادة · فاصبح همه مقصوراً على رضى حاكمته · ما يُرضيها واي شيء يسرها؟ هل ترضيها الحلى والحلل · والخيل والخول · والمراقص والمتنزهات · هيا اذاً وانفق المال بلا حساب · ايرضيها المزاح الكثير فاجعل نفسك مزاحاً · او المقامرة الكبيرة فاجعل نفسك مقامراً كبيراً · او الادب والحشمة والاعتدال فاجعل نفسك اديباً ومحتشماً ومعتدلاً · كل ذلك اكراماً لعيونها لانه لا يهمك وقتئذٍ شيء في هذه الحياة الا رضاها

ثم ان هذه الفتاة الخطيبة تصبح زوجتك اي انك توليها على شرفك وبيتك ومالك فيكون القول قولها والامر في كل ذلك لها · ثم تصبح اماً اي ان الطبيعة تهبكما ثمرة حبكما

واتفاقكما وتوليها على مخلوق لطيف لتربيته فتكون هي القابضة على مستقبل ولدك وعيلتك .
ثم ان هذه الام يشب اولادها فتبقى بازائهم سيدة عليهم . ثم يتزوجون فتبقى مراقبة عليهم
وعلى اولادهم كأنها رمز الى الماضي والمستقبل وبركة للبيت الذي يعيشون فيه

فالآن قولوا لنا . هذه الفتاة التي لها السلطة المطلقة على الرجل وهو شاب خطيب تتصرف به كيفما تشاء وتجعله يصنع ما تشاء . هذه الفتاة التي تقبض على زمامه اراد ام لم يرد لما يصبح زوجاً لها وتزداد سلطة عليه لما تصير اماً ويصير اباً . هذه الفتاة التي نسلمها شرفنا وقلبنا ومنزلنا والتي تسلمها الطبيعة النسل لتربيه لنا . هذه الفتاة التي يكون لها تاثير عظيم كهذا التاثير وسلطان قوي كهذا السلطان اية تربية ربيناها لتحسن القيام بكل تلك الواجبات الصعبة . سلمناها شرفنا وشرفها وشرف العائلة فهل اعطيناها السلاح لتدافع به عنها؟ سلمناها البيت وما فيه ومن فيه فهل ربيناها التربية اللازمة لتحسن الاعتناء به والقيام عليه . جعلتها الطبيعة سيدة الوجود وريحانة الكون فهل علمناها كيف تستعمل سيادتها لتفضي بنا الى الخير بدل ان تفضي الى الشر

كلا لم نعلمها شيئاً من ذلك بل تركناها تنغمس في الازياء والملاهي والالعاب . صارفين فكرها عن الامور النافعة لها ولمنزلها هذا اذا لم نسجنها بين اربعة جدران هائلة . فاخطأنا بذلك اليها والى انفسنا والى النسل والهيئة الاجتماعية كلها

ذلك لان اهمال تربية المرأة ذنب تقع تبعته على كل مسئول عن هذه التربية . على العائلة اولاً وعلى كل فرد ثانياً وعلى الهيئة الاجتماعية ثالثاً

على العائلة لان المرأة التي هي ربتها ومدبرتها اذا كانت بلا تربية فان الجهل والاهمال والشقاء يكون سائداً فيها . وعلى كل فرد لان كل فرد يجب ان يمرّ بين ايدي الام فاذا كانت جاهلة اساءت تربيته فكان جاهلاً . وعلى الهيئة الاجتماعية كلها لانها مجموع الافراد فاذا كانوا جهالاً كانت الهيئة مجموعة جهل لا غير

فالطبيعة اذاً تعاقبنا على اهمال تربية المرأة دون ان ندري بهذا العقاب

ولكن اشد عقاب تعاقبنا به على ذلك هو العقاب الادبي . فان المراة ملكة كما قدمنا ملكة وكل واحد من الرجال يخطب رضاها . فما هو رضى المرأة . وكيف يُنال هذا الرضى

هنا عقدة المسالة . فان البسيكولوجيين يقولون ان رضى الانسان يُنال بمجاراة اهوائه ومشاركته فيها . فاذا كان سكيراً وجعلت نفسك سكيراً مثله اصبحت صديقاً حميماً له

وربما اغنتك صداقة الكاس والطاس عن كل شيء · وهذا امر من الامور المشاهدة في كل يوم· اذا كان نماماً فنمَّ معه ومحباً للتمليق فملقه وكذاباً فاكذب فانك بذلك تكتسب صداقته لا محالة · وكذلك اذا كان فاضلاً واديباً وعاقلاً فكن مثله تكتسب صداقته لانك تصيب هوى نفسه وتكون شاعراً بعواطفه ومن اجل هذا قال الشاعر « ان الطيور على اشكالها تقع »

فالآن والرجل محتاج الى رضى المرأة كما ذكرنا احتياجاً جنسياً واحتياجاً ادبياً اجتماعياً كيف تكون حاله معها اذا كانت جاهلة لا يهنأ لها عيش الا بالطيش والمزاح والاسراف واللعب والنميمة والمراقص والجمعيات واهمال المنزل والقاء حمل الاولاد على الخدمة والمراضع · الا يضطر طلباً لرضاها الى مجاراتها في كل ذلك فيكون طائشاً مزاحاً مسرفاً لاعباً وهلم جرا الى آخر ما في دركات الهيئة الاجتماعية · اذا كانت امراة تضحك من الادب والمتادبين في قاعة الا يسبقها الى ذلك كل الشبان والرجال الحاضرين ارضاء لها · اذا كانت تضحك من فلانة لانها لا تلعب ومن فلان لانه لا يغني ويصرخ ويمزح اضحاكاً للحاضرين الا يصبح جميع الرجال الجالسين في ذلك المجلس صراخين مزاحين اضاحيك · نعم لانه يجب ان يُرضوا النساء · ينبغي ان لا يضجر النساء · يلزم ان تُسرَّ النساء · وهذا معنى قول روسو « يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

فانتن اذاً ياسيداتنا الجميلات رئيسات الهيئة الاجتماعية · انتن ملكات الملوك وسلطانات السلاطين · فرحماكن لا تصرفن هذه القوة والسيادة اللتين في ايديكن الى الامور التافهة المضرة بكن وبالهيئة الاجتماعية بل اصرفنها الى الامور المفيدة لكن ولمنزلكن وذويكن والهيئة الاجتماعية

رحماكن وبعيشكن اوجدن لنا عالماً جديداً غير عالمكن الذي اصبح العقلاء لا يستطيعون المعيشة فيه · بل اصبحوا — واسمحن لنا ان نقول ذلك — يانفون من المعيشة فيه عفواً · انهم يانفون ذلك لا من اجلكن فان الورد في الرياض والنجم في السماء والطيب في القارورة لا يملها الا البله ولا يانف منها غير الحمقى · ولكنهم يانفون من خشونة الذين يتخذون في تلك المجالس بساطتكن وخفة ارواحكن ذريعة لاظهار ثقل ارواحهم وفساد آدابهم

وهذا العالم الجديد الذي نطلبه هو عالم يكون ميلكن فيه مصروفاً الى الامور النافعة المفيدة · عالم يتقرب فيه الرجال اليكن بالاعمال الحميدة وطيب الاحدوثة والادب والفضيلة

والعلم والمعرفة فتكون هذه الفضائل هي الرائجة لديكن المقربة منكن لا نقيضها من ضروب الخلاعة والجهالة . ومتى صارت هذه اميالكن تلطفت خشونة الرجال وتغيرت اميالهم حرصاً على رضاكن لانه « يكون الرجال كما يريد النساء »

ونحن لا نجهل اعتراضكن على هذا الكلام . فانكن تقلن اولاً « لماذا لا تعكسون القضية فتقولون « يكون النساء كما يريد الرجال فاذا كانوا فضلاء وعظماء كان النساء فاضلات وعظيمات » فاننا انما نظهر للرجال بالصفات والحالات التي يحبونها »

وتقلن ثانياً « اذا كنتم ترغبون ان نكون فاضلات وعظيمات الا يجب اولاً ان تطلبوا من الرجال ان يربونا تربية تجعلنا كذلك »

نقول اما الاعتراض الثاني فانتنّ مصيبات فيه وسنتكلم عن هذه التربية بالتفصيل في الجزء التالي ان شاء الله

واما الاعتراض الاول فانتنّ غير مصيبات فيه . لان الهيئة الاجتماعية لا تربح اذا جعلت الرجل مرجع الذوق والادب والعظمة والفضيلة في هذا العالم . الرجل من طبعه الخشونة ومن طبعكن اللطف . من طبعه الاثرة والقسوة والطمع وانتن من طبعكن الشفقة والحلم وصنع الجميل . وان لم يكن ذلك من طبعه فاعماله ومصالحه تشجعه على ذلك ان لم نقل انها تقضي به عليه . فاذا كان في ايديكن ميزان اللطف والادب والشفقة والحلم وصنع الخير وسائر الفضائل البيتية فكيف نجعل الرجال مرجعها ومقياسها

كلا ثم كلا . ليس من احد غيركنّ دعامة هذه الفضائل في هذه الحياة . انتن بيننا المربيات المهذبات المسعدات المعزيات . اذا رأى الانسان ان كل شيء في هذا العالم يسقط كمنازل مبنية من الورق او بيوت مؤسسة على الرمال . اذا رأى الراحة خيالاً لا يُقبض عليه . البشر وهم اخوان يتقاطعون و يتذابحون كالذئاب الضارية . الاصدقاء ينسى بعضهم بعضاً . الاقربون يقوم بعضهم على بعض . العالم فوضى فيه شياطين الظلم والطمع والغش والاعتداء والسلب تتسابق لافساد الارض ومن عليها — اذا رأى الانسان كل ذلك لا يسعه الا ان يفتش بنظره عن وتد يتمسك به في وسط هذه الزوابع الهائلة وكوة يدخل منها اليه النور وسط ذلك الظلام الحالك . فلا يرى حينئذٍ الا وجهك الباسم ايتها السيدة . يا ايتها الاخت والابنة والزوجة والام والجدة . فبالحال ينقلب ذلك السواد بياضاً والعناء هناء بنظرة او نظرتين من عينيك السحريتين وبسمة او بسمتين من شفتيك الجميلتين . فانت اذاً ممثلة الكمال والهناء والراحة والادب والفضيلة في هذا

العالم لا الرجل . لذلك نطلب منك ان تكوني اكثر منه كمالاً لتكوني له قدوة وجمالاً ومثالاً . ولذلك نقول مع روسو ولو غضب الرجال « كما يريد النساء يكون الرجال »

صفحة الشعر

للمعمار في انخفاض النيل

اعدى احتراق النيل اكباد الورى ... فغدت تذوب تلهباً وتلهفا
وتزايدت نيرانه من نقصه ... فاذا به طاف البلاد وقد طفا

وله في الفيضان الذي سيتم قريباً ان شاء الله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت ... عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره ... فاستكثر الماء في عينية ثم عمى

وله فيه وفي الخزان

حزن الخزان لما ان راى ... نيلنا قد عم سهلاً وجبل
وراى الارض لنا قد اخرجت ... سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه ... زادها الله عروقاً وسبل

لاحمد بك شوقي في « أسد وضفدع »

انفع بما اعطيت من قدرة ... واشفع لذي الذنب لدى المجمع
اذ كيف تسمو للعلى يافتى ... ان انت لم تنفع ولم تشفع
عندي لهذا نبأ صادق ... يعجب اهل الفضل فاسمع وع
قالوا استوى الليث على عرشه ... فجيء في المجلس بالضفدع
وقيل للسلطان هذي التي ... بالامس آذت عاليَ المسمع
تنقنق الدهر بلا علة ... وتدّعي في الماء ما تدعي
فانظر اليك الامر في ذنبها ... ومر نعلقها من الاربع
فنهض الفيل وزير العلى ... وقال يا ذا الشرف الارفع
لا خير في الملك وفي عزه ... ان ضاق جاه الليث بالضفدع
فكتب الليث امانا لها ... وزاد ان جاد بمستنقع

قال ابو تمام في السيف والقلم

السيف اصدق انباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال المتنبي

حتى رجعت واقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

ولكن ابن الرومي يقول

ان يخدم القلمُ السيف الذي خضعت له الرقابُ ودانت خوفه الامم

فالموت (والموت لا شيء يعادله) ما زال يتبع ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله في الاقلام اذ بُريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

باب الاخبار العلمية

❊ كم ارضاً توازن الشمس ❊ ثبت لاحد علماء الفلك انه اذا وضعت الشمس في كفة ميزان وجب ان توضع ٣٢٥ الف كرة بحجم كرتنا الارضية في كفته الثانية لتساويها في الوزن اي ان وزنها اخف من وزن الشمس ٣٢٥ الف مرة

❊ اختراع حربي عجيب ❊ كتب العالم نقولا تسلا الكهربائي الشهير الذي يناظر اديسون في هذا الزمان مقالة يقول فيها انه اخترع اشخاصاً كالبشر يتحركون كرًّا وفرًّا هجوماً ودفاعاً صفوفاً صفوفاً وفي ايديهم الحراب والسيوف والبنادق يطلقونها و يضربون بها من يقف في طريقهم فيكون كل شخص منهم قائماً مقام جندي في الحرب وهكذا فهو يستطيع زيادة عدد الجنود الى ما شاء الله . فاذا صح هذا الاختراع كان له شأن عظيم

❊ خبز بلا اختمار ❊ كتب احد ضباط الجيش الفرنسوي الى وزير الحربية يبلغه انه اكتشف طريقة لاختمار الخبز من غير خمير اي بواسطة صناعية لا تستوجب انتظاراً فارسل وزير الحربية يستدعيه الى باريز لتجربة اكتشافه . فاذا صح نفع الجيوش في ايام الحرب نفعاً عظيماً وذلك بسرعة اعداد خبزها

﴿ الماس الصناعي ﴾ اخترعوا طريقة جديدة لصنع الماس وهي اشعال الفحم بمجرى كهربائي والضغط عليه ضغطاً شديداً على سندان يحتمل الضغط مهما اشتد فيتبلور الفحم وينقلب ماساً

﴿ معرفة بُعد الزوابع ﴾ اذا اردتَ معرفة مسافة الزوابع المنتظر هبوبها فانظر الى البرق . فاذا خفق فاحصِ الثواني من حين خفقانه الى حين وصول صوت الرعد الى اذنيك ثم اضرب هذا العدد بثلاثمائة و٤٠ وهي قياس سرعة الصوت في الهواء في كل ثانية . فالحاصل هو مسافة بعد مركز الزوبعة عنك امتاراً

﴿ آلة جديدة للانتحار ﴾ لم يكتفِ الاميركيون بانهم انشئوا في بعض مدنهم جمعيات يتعهد اعضاؤها بانهم ينتحرون تخلصاً من هذه الحياة بل اخترعوا اختراعاً جديداً يُسهل لهم هذا الانتحار ودفن جثثهم بعده . وذلك انهم يحفرون القبر الذي يطلبون ان يُدفنوا فيه ثم يضعون بازائه الآلة المذكورة وفيها الكلس (الجير) الذائب . ثم يتمددون في الحفرة ويضغطون على زر الآلة فتتصل بهم منها مجرى كهربائي يقتلهم للحال ثم تاخذ الآلة من تلقاء نفسها برد الكلس والتراب عليهم حتى تمتلىء الحفرة فاذا كان الرجل لم يمت من الكهربائية مات بالكلس والتراب

﴿ كسوف الشمس وبيض الدجاج ﴾ لاحظ احد فلاحي المانيا ان الدجاج التي في مزرعته قد ذُعرت يوم كسوف الشمس وفرت الى بيوتها وباضت فيها في المساء بعد بيضها في الصباح فتكون قد باضت مرتين في يوم واحد . وقد روى صحافي اميركي ان الفلاحين في ولاية جيورجيا بعد اطلاعهم على هذا الامر صاروا يُذعرون الدجاج في البيوت ويجعلونها في ظلمة كظلمة الكسوف فتبيض في النهار مرتين . اما الجرائد الاوربية فانها تضحك من هذه الغرابة الاميركية

﴿ نور النجوم والقمر والشمس ﴾ ان نسبة النور المنبعث من النجوم الينا نسبة نور شمعة موضوعة على مسافة ٢٠ كيلومتراً منا اي لا شيء . اما القمر فان نسبة نوره الينا كنسبة شمعة موضوعة على ٥ امتار منا . اما نور الشمس فانه يقتضي ان يُجمع محصول العالم من الفحم الحجري مدة ٦٠٠ الف سنة كومة واحدة ويُشعل بالنار فيكون له نور مساوٍ لنور الشمس

﴿ نور الحباحب ﴾ ثبت لاحد علماء الطبيعة ان نور الحباحب غير ناشىء عن حياتها ولكن عن احتراق مواد في غاية الضعف في باطنها · وهذا النور يبقى بعد موت الحباحب واذا وُضع على الترمومتر فانه لا يُصعده الا جزءا من مليون اذا قُسمت درجة الحرارة الى مليون جزء ...

﴿ المدافع وبرد السماء ﴾ يُنتشر في اوربا استعمال المدافع لمنع نزول البرَد وقد بلغ عدد المحطات التي اقيمت في ايطاليا الفي محطة فيها المدافع تُطلق على الغيوم وقاية للزرع من بردها وثمن كل مدفع ١٦٠ فرنكاً فقط وهو يحشى كل مرة ١٠٠ غرام من البارود وكل مدفع يحمي ٢٥ هكتاراً من الارض

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المكتبة الشرقية في القاهرة ﴾ اهدى الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في القاهرة ست روايات من الروايات التي طبعها على نفقته وتباع في مكتبته · الاولى رواية لايس وهي جزءان احدهما تعريب المرحوم شاكر شقير والثاني تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا · والرواية الثانية رواية غصن البان تاليف الشاعر لامارتين الفرنسوي الشهير وتعريب فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدَّاد · والثالثة رواية الفتاة النهيلستية · والرابعة رواية الامير النهلستي تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا · والخامسة السمر في السهر وهو « كتاب يحتوي على حكايات فكاهية والاوهام التي يعتقد بها العامة من الافرنج والشرقيين والعاب الورق الفكاهية والحوازير الحسابية ولغة الازهار ونوادر لطيفة وغير ذلك » وكلها تُطلب باثمان بخسة من هذه المكتبة

﴿ التيبيكون ﴾ جمع حضرة العالم الفاضل الارشمندريتي جراسيموس مسرة رئيس كنيسة السور بين الارثوذكس في الاسكندرية ترتيب الفروض الكنائسية الارثوذكسية في كتاب حسن التبويب والوضع وطبعه على نفقته ليوزع على كنائس الكرسي البطريركي

تذكاراً لارتقاء غبطة البطريرك السيد ملاتيوس الى هذا الكرسي وقد اهدى الينا نسخة منه فنشكر له هديته

❋ جمعية عيادة المرضى ودفن الموتى في يافا ❋ وردت الينا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية لعيادة المرضى ودفن الموتى في يافا فوجدنا فيهـا دلائل النشاط والاجتهاد في سبيل صنع الخير مما يوجب الثناء الجزيل على غبطة رئيسها وجناب نائب رئيسها ابرهيم افندي القدسي. وقد بلغ مجموع دخلها ٥٢١٣١ غرشاً و٣٩ بارة ومجموع نفقاتها ٢٢١٦٥ غرشاً و٥ بارات فيكون الباقي في صندوقها من النقود والكمبيالات ٣٩٩٦٦ غرشاً و٣٤ بارة فنثني على اجتهادها ونشاطها اجمل ثناء

❋ طوغري سوز ❋ اذاع جناب المفضال والصحافي القديم سعادتلو سليم باشا حموي مدير جريدة الفلاح الغراء نشرة تركية يعلن فيها عزمه على انشاء جريدة تركية في القطر المصري عنوانها « طوغري سوز » اي الكلام الحق وغرضها خدمة الدولة العثمانية فنرجو لسعادته كل توفيق في هذه الخدمة العمومية

❋ الشمس ❋ الشمس مجلة ادبية علمية فكاهيـة تصدر في دمشق الشام لجناب منشئيها البارعين جورج افندي متى وجورج افندي سمان وقد وردنا العدد الاول منها محتوياً بعد المقدمة على ابحاث مفيدة في القيام بالواجبات واشعة رنتجن واول نسافة في العالم وقوة الفطنة والذكاء فنرجو لها النجاح والانتشار

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

الرئيس كروجر

(تابع)

فقالت البيون لفالي هلمي اذاً يا اختي نفتش عن الرئيس ستاين والرئيس كروجر فحلقتا في الجو وحامتا فوق الاراضي التي تلي بريتوريا تبحثان عن مركز الرئيس كروجر بعد سفره من عاصمته . فابصرتا ان الارض قد تغيرت ومن عليها . فالحقول مهملة يسود فيها الخلل وعدم النظام . والمزارع خاوية خالية ليس فيهـا غير بعض النساء وصغار الاولاد لان الرجال خرجوا كلهم الى ساحة القتال . والعدو سائد على تلك الامكنة

ولكنه هدوء مخيف لانه هدوء الرعب والموت

فقالت فالي اين بركات السلم من ويلات الحرب يا اختي · اين نعم تلك من نقم هذه · الحرب حيثما حلت حلت وراءها جميع الافات · فالقتل والسلب والامراض والاوبئة والخراب والجوع وتيتيم الاولاد وترميل النساء ودوس الحقوق وتنغيص الحياة وتضييق العيش — كل هذه نباتات هائلة قلما تنمو وتزهو الا في الدماء · اما السلم ففيها الطمأنينة والعمار والهناء والسعة والخير على انواعه · الاول شيطان ينثر في الارض شوكاً وحسكاً والثاني ملاك ينثر على الارض ازهارًا وريحانًا

فقالت البيون صدقت يا اختي وانظري الى ما تحتنا الآن فانك ترين الشوك قائماً نامياً والزهر والزرع ذابلاً ذاوياً · فنحن الآن في وقت تسود فيه مملكة الشوك والحسك· ولكن من بذر هذا الشوك والحسك لا يجني كما يقول رئيسنا كروجر وكتابنا الا شوكاً وحسكاً

وفيما كانتا تتخاطبان بهذا الكلام في تلك الجهات وهما تبحثان بنظرهما فيها كما يبحث في الارض شحيح ضاع في التراب خاتمه واذا بهما تبصران محطة من محطات السكة الحديدية وفيها حركة غير اعتيادية· فنزلتا فابصرتا زحاماً حول مركبة فوق الخط الحديدي فاقتربتا فسمعتا صوتاً جهورياً ضعيفاً يقول ·

« قل لهم ايها المكاتب ان الله لا يتخلى عنا · اخذوا بريتوريا عاصمتنا ولكن هذه المركبة اصبحت عاصمتنا· لقد بنيتها خفيفة لطيفة كما ترى لاتمكن من الانتقال فيها بالسرعة اللازمة اذا هاجمونا · وقد حار بناهم الى اليوم في السهول وجهاً لوجه اما الآن فليتبعونا الى الجبال والوديان لمحاربتنا »

ثم سكت الصوت فقالت فالي هذا صوت عمنا كروجر فقالت البيون وهي تتطاول لترى ما في داخل المركبة نعم وهو يخاطب احد مراسلي الجرائد الانكليزية لابلاغ صوته الى انكلترا وحكومتها

وبعد سكوت الصوت خرج اناس من المركبة التي صارت « العاصمة » كما قال الصوت وتفرق الناس من حولها فدنت البيون وفالي من احدى نوافذها واطلتا ثم قالت فالي « هو بعينه »

فقالت البيون ندخل اليه · فقالت فالي اذا دخلنا فانني انطرح بين ذراعيه · قالت اياك ان تُظهري نفسك اما سمعتِ ما اوصينا به فوق · فتنهدت فالي وقالت الامر لهم ·

ثم دخلتا الى المركبة بلطف، وتأن كحامتين من النافذة

فابصرتا رجلاً طاعناً في السن جالساً على مقعد هناك في صدر المكان . يداه على عينيه لرمد بهما وظهره محني من الحزن والتعب ولكن على وجهه لوائح الكبر والعظمة مضافين الى البساطة الطبيعية . وكانت لحيته المستديرة حول وجهه كانها اكليل تكلله وقبعته الطويلة ونظاراته (عويناته) الزرقاء تزيد منظره غرابة على غرابة وتجعل له مشهداً لطيفاً وعجيباً معاً

فلما دخلت الفتاتان همست فالي باذن البيون قائلة : هذا هو الشيخ الذي ارتعدت له فرائص انكلترا كلها وزُعزعت له اساساتها

واذا بهذا الشيخ الذي كان مطرقاً يفكر بهيئة الحزن واشتغال البال ويداه على عينيه يشدهما كانه يحاول استخراج الالم منهما قد رفع ذراعيه في الفضاء بعظمة وشيء من الحماسة قائلاً

« ... ولكن شيئاً واحداً لا تستطيعون الاستيلاء عليه اذا استوليتم على بلادنا كلها . وهذا الشيء هو هذا الذي في نفوسنا . هو نور الله الذي وضعه فينا اي حب حريتنا . فاذا قتلتم اليوم هذه الحرية فانكم لا تستطيعون اطفاء جذوة حنا لها ولا منع نهوضنا في المستقبل لاسترجاعها »

ولكن الشيخ كروجر لم يكد يتم كلامه حتى دخل ضابط من جند البوير بلهفة وقال « رسالة من الانكليز يا جناب الرئيس » فاجفل كروجر لهذا القول لانه لا ينتظر رسالة ومد يده اليها فتناولها وطالعها من غير ان يفرك عينيه حتي ولا مرة مع مرضهما وذلك لفرط اهتمامه بموضوعها

ثم بعد تامل وتفكر قال « عجباً ما هذه الاقتراحات المتتالية . اقترحوا علينا اولاً ان نسلم فهزأنا بهذا الاقتراح . اقترحوا عليَّ ثانياً هدنة فهادنتهم . والآن يقترحون عليَّ ثانية ان اسلم على شرط ان يبقوا لي حرية السكنى في جنوب افريقيا »

واذا برجل ثانٍ مهرول وفي يده رزمة كبرى فتقدم من الرئيس وقال « بريد اوربا يا جناب الرئيس » فضحك كروجر ضحكة غريبة وقال . « اوربا . اوروبا . ما اضعفك يا اوروبا » ثم تناول من البريد الكتب واخذ يفضها ويقرأها

وما اتى على الكتاب الاول حتى اتقدت عيناه وابرقت اسرته فقام وقعد بعنف وقوة بالرغم عن ضعفه وشيخوخته . ثم ترك الكتب من يده وتناول اولاً جريدة التمس وجريدة

الطان فوضع احداها على ركبته ومزق غلاف الثانية

ثم اخذ يقرأ . اخذ يقرأ ويضحك . اخذ يقرأ ويفرك تارةً جبينه وطورًا ركبته ويهتز كعصفور بلله القطر . وبعد قليل القى الجريدة من يده وقرع جرسًا قرعًا عنيفًا فدخل سكرتير وزارة الخارجية

وكأن تلك الغمامة التي كانت على جبين ذلك الشيخ قد انقشعت فاستقبل السكرتير ضاحكاً حتى القهقهة وقائلاً « اعلمتَ يامسيو رتز سبب اقتراحهم علينا هذه الاقتراحات » قال كلا ياسيدي الرئيس . قال سببه انهم ربما احتاجوا الى اللورد روبرتس لارساله ينزه في اقاصي المعمورة في هذه الايام . فقال المسيو رتز وكيف ذلك

فانتصب حينئذٍ الشيخ كروجر قائمًا على قدميه بقوة وعنف كأن الشباب قد عاد اليه ومدَّ يده صارخاً

« نور جاءنا من الشرق يارتز . نور طلع علينا من بلاد الصين بلاد المدنية القديمة . لقد نجح الوفد الذي ارسلناه اليها مع ان الوفد الذي ارسلناه الى اميركا بلاد الحرية قد اخفق فكأن الشرق في هذه الحادثة قد اصبح هو الميال للحرية والنور . والغرب هو الميال للعبودية والظلمة . لان الاول قام يضحي كثيرًا من مصالحه في سبيل طلبها لنفسه ولغيره والثاني سدَّ اذانه دون ندائنا ولم يشأ ان يضحي شيئًا حتى ولا كلمة تعزية لنا . فالسلام لك ايها الشرق الذي مهما نزل بك من النوازل فانك تبقى جوادًا كريمًا

فقال رتز واي وفد تعني يا جناب الرئيس فاني لم اسمع به قبل الآن مع اني مطلع فيما اظن على جميع الامور الخارجية

فضحك كروجر وقال « لا تجعل ملاحظتك بمثابة لوم يا رتز فانني قد صنعت هذا من غير اطلاعك طلبًا للسلامة مما نحن فيه . لقد ارسلت وفدًا الى الصين ووفدًا الى الهند . الثاني ليستثير الهنود على خصومنا شغلاً لهم عنا والاول ليفتح المسالة الصينية بوساطته لدى الامبراطورة فتاخذ انكلترا الى الصين جنودها الذين عندنا . وقد كنت في عجب من اقتراحات اللورد روبرتس علينا في هذا الاسبوع وكيف انه اصبح كانه يجتنب لقاءنا فلا يطاردنا ولا يطلبنا اما الآن فقد عرفت السبب وهو ان انكلترا خافت الحرب في الشرق الاقصى فارسلت اليه سرًا ان ينتظر ويصبر لعلها تحتاج اليه والى جنوده معه . فاملنا الان اصبح موضوعًا في المسالة الصينية

وقد فهمت من هذا الكتاب ان الثورة قد اشتدت في الصين فحدث فيها قتل

السفراء والاجانب وهدم منازلهم وطردهم فارسلت اوربا الاساطيل اليها · ولكن اوربا ان اتفقت اليوم اختلفت غدًا · وخلاصنا الآن متوقف على اختلافها

وكان في جملة الجالسين غلام عمره ١٢ سنة جميل الوجه لطيف المنظر وهو حفيد للرئيس كروجر · فنهض على قدميه عند ذلك الكلام ومدّ اصبعه اللطيف مستأذنًا جده بالسؤال فقال كروجر · ما تريد يا بطرس · فقال الولد : قلت ياجدي ان الصينيين يقتلون الاجانب ويطردونهم وان خلاصنا متوقف على استمرار ذلك فهل تريد ان نخلص نحن من الشر بشر يقع فيه غيرنا · اذًا لا نكون قداردنا لغيرنا ما نريده لانفسنا كما علمتني واوصيتني

فضحك كروجر وقال : عندك يابني · لقد فهمت معنى كلامك · ولكن ما العمل اذا كان البشر الجهلاء قد جعلوا بفساد آدابهم وسوء اعمالهم الخير لا يتم الا بشر · ومع ذلك فلا تحسب ما قلته عن القتل صحيحًا فان الصينيين الآن يمثلون الحوادث تمثيلاً · فهم لا يقتلون ولا يذبحون ولا يهدمون ولا يحرقون ولا ولا ولا ولكنهم يُظهرون انهم يفعلون ذلك ارهابًا للاجانب فقط · وانما هم في الحقيقة ياسرون الاوربيين في بيوتهم · ولديهم وسائط سرية وخزعبلات غريبة يستعملونها امامك فترى الدم جاريًا والنار تحترق في المنازل فتحسب القتل والحرق جاريين ولا يكون في الحقيقة شيء من ذلك · ولا غرابة في هذا فان التمدن الصيني القديم يكنّ غرائب لا يعلمها احد · من ادراك انك اذا فتشت خزائن الحكومة القديمة في بكين لا تجد فيها بقايا مخترعات معفنة قديمة تفوق التلفون والتلغراف والفونوغراف واشعة رنتجن اتقانًا · اما هم الذين اول من اخترعوا البارود والطباعة والبسيكلت وغيرها من الاختراعات المجهولة عندنا · فغير بعيد ان يكون عندهم وسائل غريبة كالتي ذكرتها · وغدًا متى طالبتهم الدول بالتعويضات عن خسائر الاجانب ترى ان كل واحد منهم يُخرج الاوربيين واموالهم من منزله كما يُخرج المشعوذ الغرائب من صندوقته فيسلمهم الى دولهم احياء مع انهم كانوا يحسبونهم امواتًا وبذلك يكتفون بخبثهم الصيني دفع التعويضات · فلا تحسب يابني اني اخالف ديني فاطلب تخليص وطني من شره بشر اوقع فيه سواي فقد دبرنا كل ذلك مع امبراطورة الصين احسن تدبير

ثم بهت الرئيس كروجر قليلاً · وبعد ذلك رفع راسه المهيب المجلل بالشيب بعظمة ومدّ يده الضخمة بقوة قائلاً بصوت قوي

" وهب ان الصينيين لا يخلصون من الموت والعبودية الا بسفك الدماء فماذا يصنعون · اما من حقهم ان يكونوا احرارًا في بلادهم · أمن العدل ان تؤخذ موانئهم وتُبتز اموالهم · أمن

الانصاف ان يُعتدى على تقاليدهم ودينهم ويكونوا كالغرباء في بلاد اجدادهم انت ايتها الحرية المقدسة التي نطلبك لا نطلبك لنا فقط لاننا حينئذٍ نكون كذابين مرائين على الله والناس ولكننا نطلبك لكل امم العالم . لانك مبدأ الانسان وقوام كيانه وقوة نفسه وبدونك لا يكون الانسان انساناً . انت نظير نور السماء وماء الارض وهواء الفضاء اي مشاعة بين جميع البشر وملكهم كلهم لا ملك القوي دون الضعيف والكبير دون الصغير . فانت اذاً من حق الصيني . واذا كنت من حقه فمن حقه ان يصونك بكل ما في استطاعته وجهده

قال كروجر هذا ثم قرع الجرس ثلاث مرات فدخل خادم فقال الرئيس قل لهم ان يهيئوا لي « بالوناً » الى الصين . فدهش ريتز والحاضرون . وساله احدهم كيف تتركنا الآن الا تخشى يا حضرة الرئيس هجوم الانكليز علينا . فقال كروجر ضاحكاً لا تخافوا فانهم الآن منتظرون حوادث الصين ولذلك لا يهجمون وانا ذاهب لازيد هذه الحوادث استفحالاً لدى صديقتي الامبراطورة فكأنني ذاهب للسعي لكم . ومع ذلك فان المسافة بيننا وبين الصين في هذا البالون مسيرة ساعتين فقط فاعود حين الحاجة سريعاً اليكم

وكانوا قد اعدوا له البالون فركب كروجر ومعه حفيده الغلام فقط . اما فالي والبيون فقالت احداهما للاخرى . ما قولك يا اختي في سياحة في الصين مع عمنا كروجر فتململت البيون وقالت : لكن اصحابنا فوق يستبطئوننا . فقالت البيون لا نبطىء في الصين يا اختي واؤكد لك انك ستسرين بما ترينه فيها . فقالت البيون الامر اذاً لك يا اختي فقالت فالي هلمي بنا . — ثم اطلقتا اجنحتهما في الهواء للسفر وراء بالون الرئيس كروجر

وبعد هنيهة اطلق هذا البالون فصعد كالسهم في الهواء واخذ يدنو من الغيوم في كبد السماء . وكان الشيخ كروجر وحفيده الغلام ينظران في صعودهما الى ذلك الفضاء الواسع الذي كانا راقيين اليه وهما يرنمان بصوت خاشع ترنيمة هذه خلاصتها

انني ادنو بخشوع يا الهي من هذا المكان الرفيع
ولكنني اشعر ان المادة التي في جسمي تجذبني الى المكان الوضيع
فمتى ياتي امرك يا الهي وتمسح هذه الدموع
وتقول للحمامة التي في باطني ان تطير الى جنابك الرفيع
اشتقت اليك . وللذين عندك . فارحمني . واسمح لي بالوصول
لا تُرجعني لا ترجعني الى المكان الوضيع
مللت ما فيه . سئمت ما فيه . خذني اليك . الى تلك الربوع

وهكذا بقي كروجر والفتى حفيده ينشدان هذا النشيد اللطيف وهما صاعدان في الهواء يقتربان من غيوم السماء وفالي والبيون تسبحان في الهواء وراءهما وهما تسمعان وتبكيان وكلهم متجهون نحو البلاد الصينية (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

(* الجناب الخديوي في لندرا *) ذكرنا في صدر هذا الجزء الاعتلال الذي طرأ على الجناب الخديوي في سفره الى لندرا · وقد نال سموه العافية بعد ذلك وزار في ٢٧ الماضي لندرا وقصر وندسور حيث قابل جلالة الملكة فيكتوريا فاستقبل سموه استقبالاً عظيماً نادر المثال واقام له المجلس البلدي في اندرا مادبة في كيلد هال · ثم سافر سموه من لندرا فزار معرض باريز متنكراً وسار بعد ذلك الى حمامات ديفون الفرنسوية

(* الجنسية المصرية *) قررت الحكومة المصرية مشروع تجنس العثمانيين بالجنسية المصرية · ومقتضاه ان العثمانيين الذين في القطر المصري والذين وفدوا اليه قبل سنة ١٨٤٨ والذين يقيمون فيه ١٥ سنة و يقومون بالخدمة العسكرية او بدفع البدل العسكري كلهم يُحسبون مصريين

(* خطة سكة الحجاز الحديدية *) روت الجرائد الاوربية ان هذه السكة ستمد من دمشق الى الحجاز فيمر خطها قرب شبه جزيرة سيناء في جهة العقبة و يصل الى الحرمين الشريفين بعد ان يخترق الحجاز · ثم يُمد الى جده فينبع · وسيكون عدد محطاته ٣٥ محطة وقُدرت نفقته بعشرة ملايين ليرة عثمانية · اما مسافته فهي ١٨ يوماً يسير فيها القطار في النهار دون الليل ليتمكن الحجاج من تادية فروض الصلاة · وستصنع له المعامل العثمانية ٥ آلاف متر من الخطوط الحديدية في كل يوم

(* الجمعية الاسيوية الفرنسوية وعلماء الشرق *) سرنا ما علمناه من اخبار طرابلس الشام من تعيين الجمعية الاسيوية الفرنسوية في باريز حضرة العالم الفاضل مؤرخ سوريا الشهير جرجي افندي يني الطرابلسي صاحب التصانيف التاريخية الجليلة عضواً من اعضائها بناء على طلب صديقه جناب العلامة كلاريون كانيو الفرنسوي · فان الجمعيات الاوربية

العلمية تحتاج في الشرق الى عالم كصديقناجرجي افندي يني كما ان الشرق يحتاج ان يمثله لدى الغرب شرقي بعلمه وفضله · فنهنئه بهذا الاكرام العلمي الذي هو جدير به كما نهنيء الجمعية بعضويته ونرجو له ما يستحقه فضله من المزيد

(* رصيفنا المصباح *) تفضل رصيفنا المصباح البيروتي الاغر وخصص بعض صفحاته للكلام عن الجامعة ومنشئها فقال قولاً يدل على فضله وحسن ظنه وعلى انه ينظر الى رصيفته الجامعة بعين الرضى التي ترى المحاسن ولا ترى سواها · فنحن نشكره شكرًا جزيلاً على كلامه اللطيف الذي املاه عليه ادب مديره ومحرره الفاضل وحسن ذوقه ونرجو للجامعة ان تبقى حائزة استحسان رصفائها الافاضل وقرائها الكرام مع ما نشعر به من ضعفنا وقصورنا · والله نسال ان يوفقنا جميعًا الى ما فيه الخير العام والسلام

(* الحوادث الخارجية *) كسفت حوادث الصين حوادث الترانسفال واحتلت محلها من الاهمية في العالم · وقد ثبت ان الصينيين قتلوا سفير المانيا في بكين فارغى الامبراطور غيليوم وازبد وعين الف « تايل » لكل صيني ينقذ اوربيًا · وفي بعض الروايات ان كل الاوربيين الذين في بكين قد ذُبحوا عن آخرهم مع جميع السفراء · وقد عزمت اوربا على ارسال جنود الى بكين لفتحها · ويقال ان الامبراطورة قد فرَّت منها · اما الاميرال سيمور الذي زحف اليها بالفي رجل فقد عاد الى تينتسين لانقطاع الخط الحديدي الموصل الى تلك العاصمة · ولا يعلم الآن احد كيف تكون نهاية المسالة الصينية

اما حرب الترانسفال فانها اصبحت الآن مناوشات بين البوير والانكليز وهذه المناوشات اشد على الجيوش المنظمة من الحرب المنظمة الحقيقية

(* سابا زكا بك *) استاثرت رحمة الله تعالى في العاصمة بالماسوف عليه المرحوم سابا زكا بك باشكاتب محكمة الاستئناف الاهلية بمصر · توفاه الله بعد عمر قضاه في الفضل والاعمال الحميدة والاخلاق الطيبة فنحن نسال الله ان يتغمده بواسع رحمته ورضوانه وان يلهم آله الكرام جميل العزاء على فقده

فهرس الجامعة — يجد القراء في هذا الجزء فهرس السنة الاولى من الجامعة وقد وضعنا فيه ايضاً مقدمة الجزء الاول من الرواية وهو الذي نشرناه ذيلاً للسنة الاولى وذلك بناءً على طلب الذين يرغبون في تجليد الرواية على حدة فيكون الفهرس لتجليد الجامعة ومقدمة الرواية لتجليد الرواية

نوجه الانظار الى بضع كلمات على ظهر المجلة

ولكن ما لبث النساء ان ثار ثائرهن على هذا الرجل وعجبن من انهن صبرن عليه الى الآن · فاستحضرنَ في الحال حبلاً طويلا والقينه من بعيد حول عنقه ثم جررنه الى نافذة ورفعنه ليشنقنه فيها

واذا برجل ضخم الجثة ينقض من الخارج وفي يده سكين فقطع الحبل كما قطعه ذلك الرجل لما كان في عنق الراهب قبل هنيهة

واحدة بواحدة · ومن يصنع الخير يلقى مثله

اما الرجل القادم فانه بعد قطع الحبل التفت الى النساء صارخاً بصوت جهوري · ماذا تصنعن ايتها الوطنيات · اما تعلمن ان هذا الرجل هو « مايار » الباسل احد الابطال الذين فتحوا الباستيل

فتقدم مايار من الرجل ومد يده اليه مصافحاً ثم قال له — شكراً لك يامسيو بيلو · فقال بيلو لا شكر ياسيدي لانك خلصتني مرة تحت اسوار الباستيل

واما النساء فلما علمت ان هذا الرجل هو مايار وهو من ابطال الباستيل وكن قد سمعن ببسالته انقلبن من الغضب الى الرضى وهجمن على مايار يوسعنه ملاطفة وتقبيلا

فيا لك من بحر غريب يا بحر الشعب · فان نسمة ترفع امواجك جبالاً الى السماء واقل شيء يجعلك ساكناً راكداً

وبعد ذلك التفت مايار الى النساء وطلب منهن ان لا يحرقن المجلس فان هذه القوة التي يطلبن هدمها هي القوة المدنية التي تنصر الشعب على مقاوميه فيجب عليهن مساعدتها لا مقاومتها · فاقتنعت النساء ولكن ساءهن ان لا يصنعن شيئاً فصاح بعضهن فلنذهب اذاً الى فرساليا لنرى الخباز والخبازة

وكانوا يعنون بالخباز الملك وبالخبازة الملكة

فصاح حينئذٍ غيرهن نعم الى فرساليا الى فرساليا نحن جيش ومايار جنرالنا كما ان لافاييت هو جنرال الرجال · ومنذ هذا الحين اخذوا يسمون « مايار » جنرال النساء فرضي مايار باللقب وبالوظيفة

الفصل السابع عشر

(الشعب يسير الى فرساليا)

وكان عدد هؤلاء النساء المتجندات ٨ الآف امرأة ومعهم المدافع والحراب

والبارود يضعنه في مناديلهن وجيوبهن فرأى مايار انهن يحدثن هياجاً عظيماً في باريز اذا بقين فيها فضلاً عن استمرار هياجهن فراى من الحكمة ان يسوقهن الى فرساليا كما يطلبن ثم متى وصلن الى هناك اخمد هياجهن بما اصبح له من السلطة عليهن

فدنا مايار من الفتاة الجائعة التي كانت تضرب الطبل في المقدمة وتناول الطبل منها. فالقته الابنة اليه تخلصاً من ثقله فوق ثقل جوعها . وبعد ان اخذه مايار منها سقطت من الجهد والجوع على الحاجز الحجري هناك والقت راسها عليه كانها مائتة

فكان الحاجز الحجري وسادة لها. وهو في الحقيقة بالنسبة الى المعذبين في الشوارع وسادة الجوع والفقر والشقاء

فسالها مايار عن اسمها . فقالت ان اسمها « مادلين شامبري ». وقد كانت صناعتها في اول عهدها نقش الاخشاب لتزيين الكنائس بها . ولكن حوادث الثورة صرفت الافكار عن الكنائس وزيناتها فلم تعد هذه المسكينة تجد عملاً

فاتخذت صناعة بيع الازهار في الشوارع لتربح ما تسد به رمقها . ولكن باقات الازهار نجوم تسطع في اوقات السلم والسعة وتذبل عند ما تهب عليها انفاس الجوع والثورة لان الجوع لا يبقي في الجيوب مالاً لابتياع الخبز فكيف الازهار . لذلك اضطرت الى ترك هذه الصناعة ايضاً. ولما لم تجد عملاً تعمله حملت طبلاً واخذت تطوف باريز وهي تقرعه وتطلب خبزاً كما قدمنا

فاقترح مايار عند اخذه هذا الطبل منها ان تُرسل هذه الفتاة مع ١٢ امرأة من الباريزيات وفداً الى الملك ليطلبن منه « باسم الجوع والجائعين » اطعام الشعب خبزاً . نعم انها لا تستطيع السير لضعفها ولكنها تسير الى فرساليا مع رفيقاتها في مركبة

فسرّ النساء بهذا الخاطر سروراً عظيماً وتركن تهديد الملك وعماله لانهن اصبحن يؤملن من الملك انصافاً

فاخترن منهن اثنتي عشرة امراة وقدمن عليهن الفتاة الجائعة « مادلين » ثم وضعنهن في المقدمة وزحفن بهن الى طريق فرساليا لمقابلة الملك

ولكنهن ما وصلن الى قصر التويلري حتى وقفن كما يقف التيار لشيء يحول دون مجراه . ذلك لان حارساً كان يحرس مدخل القصر

فاراد النساء ان يمررن بالرغم عنه فتقدم جنرالهن مايار وسالهن متلطفاً ان لا يفعلن ذلك لان فيه اهانة الملك والاعتداء على الحرية الشخصية والعمومية . قلن وما السبيل

اذاً . قال مايار السبيل ان نستاذن الحارس اكراماً للملك

فصرخ النساء معاً . نعم نستاذن الحارس .

فتقدم مايار من الحارس وقد رفع قبعته عن راسه وقال له متلطفاً . نحن قاصدون جلالة الملك في فرساليا فهل تاذن لهولاء السيدات ان يمررن من حدائق التويلري للوصول الى الطريق وانا اتعهد لك بانهن لا يحدثن ضرراً

فكان جواب الحارس انه جرد حسامه بغضب وهجم به على مايار

فجرد مايار حينئذٍ حسامه ولقي به الحارس . فلما ابصر النساء ذلك انفرد بعضهن واتين الحارس وهو يناضل مايار فرفعت احداهن مقبض مكنسة ضخمة كانت في يدها وضربت الحارس بها على راسه فسقط من شدة الضربة تحت اقدام مايار . فتناول مايار سيف الحارس ومرّ النساء من طريق التويلري دون ان يحدثن فيه ضرراً كما تعهد جنرالهن ثم اخذن بالمسير نحو فرساليا وهن على ما رأيناهن فيه من الهياج والاضطراب

فلنتركهن سائرات على الطريق ولنعد الى باريز

ولا شبهة في ان اضطرابهن وهياجهن كان من شانهما ان يسريا الى الشعب . وهكذا كان

وكان لافاييت قائد الحرس حين سماعه بهذا الاضطراب يستعرض الجيش في ساحة التمرين فبادر في الحال الى ساحة المجلس البلدي حيث كان الشعب آخذاً في الاجتماع كما تجتمع الغيوم السوداء في كبد السماء

وكان لا فاييت يصرف ايامه وهو لا يعرف راحة بل كان طول اوقاته راكباً جواده الابيض الذي اشتهر اشتهاره ويتنقل عليه من مكان الى مكان . وكان يصرف النهار والليل احياناً على متنه بل ربما أكل ونام على متنه افرط تأهبه واستعداده . ولذلك صور مصورو الجرائد الجنرال لا فاييت في تلك الايام حيواناً ضخماً هائلاً اسفله جواد ابيض واعلاه انسان

وبينما كان لا فاييت مسرعاً الى ساحة المجلس البلدي وجد في طريقه فارساً عائداً منها وهو ينهب الارض بجواده نهباً . وكان هذا الفارس الدكتور جيلبار وهو سائر الى فرساليا لاطلاع الملك على ما جرى . فاستوقف الدكتور لافاييت وقص عليه ما جرى بكلمتين ثم استانف السير الى فرساليا والجنرال لافاييت الى ساحة المجلس البلدي

ولما وصل الجنرال الى هذه الساعة وجد صعوبة شديدة في المرور الى باب المجلس لكثرة

الجمع المحتشد و بعد دخوله استفهم عما جرى واخذ يملي على احد الكتبة كتاباً الى الملك بتفصيل حوادث ثورة الصباح

ولكنه لم يصل الى السطر السادس حتى دُفع باب الغرفة التي كان فيها دفعاً شديداً وظهر فيه وفد يتقدمه ضابط . فاومأ اليهم لافاييت ان يتقدموا فدخلوا الى الغرفة ثم تقدمهم الضابط الذي كان موكولاً اليه ان يتكلم وبدأ يخطب قائلاً بجأش ثابت :

« ياسيدي الجنرال . اوفدتنا اليك عشر فرق من الفرسان لنقول لك اننا لا نستطيع ان نرفع حرابنا على نساء يطلبن خبزاً . نحن موقنون انك لست خائناً ولكن الحكومة تخوننا . واللجنة التي عُهد اليها القيام بحاجات الشعب غير قائمة بواجباتها فينبغي فصلها . ثم ان مصدر المصائب في فرساليا فنحن نريد ان يعود الملك الى باريز ونطلب اعدام جنود فلاندر و الحرس الذين داسوا الشعار الوطني باقدامهم في المادبة في فرساليا . واذا كان الملك ضعيفاً الى حد لا يستطيع عنده ان يحكم فليتنازل عن الملك الى ابنه »

وكان الخطيب يتكلم بشجاعة وثبات جأش ولافاييت مدهوش مبهوت يسمع و يرى بعجب واستغراب . فانه قد شهد فتناً كثيرة واضطرابات هائلة . رأى الشعب يزأر زئير الاسود والرصاص يهطل كما يهطل المطر فلم يؤثر فيه ذلك قط كما اثر فيه هذا الكلام القوي . ذلك انه شعر بان هذا الكلام هو انفاس الثورة الحقيقية تهب للمرة الاولى في وجهه

ومما زاد استغرابه طلب الشعب ان يتنازل الملك عن عرشه وهي المرة الاولى التي يُظهر فيها الشعب امكان استغنائه عن ملكه

فقال لافاييت للوفد بشيء من الحدة والنزق . ما هذا القول ايها السادة . اراكم تجاوزتم الحد بتعرضكم للملك ومن واجباتي ان انبهكم الى ذلك

فاجاب الضابط باحترام « نحن ياسيدي الجنرال نسفك دماءنا في سبيل مرضاتك ولكن الشعب تعيس واصل تعاسته في فرساليا وهو يريد ان يعود الملك الى باريز . هذه ارادة الشعب الواقف تحت هذا القصر »

فانعم لافاييت النظر في هذا الموضوع وهو يسمع صراخ الشعب « الى فرساليا الى فرساليا » فرأى وجوب اخماد هياجه واقناعه بترك العزم الذي عزم عليه من الذهاب الى فرساليا للعودة بالملك فترك الوفد ونزل الى ساحة المجلس واراد ان يخطب في القوم . فغطوا صوته بصراخهم الهائل قائلين « الى فرساليا الى فرساليا »

واتفق في هذا الوقت ان باليي رئيس المجلس قدم الى المجلس فازداد الشعب صراخاً وهياجاً واصبحوا يصرخون « نريد خبزاً نريد خبزاً »

وكان الجنرال لا فاييت قد دخل بين الجمع ليحاول تسكينهم فاطبق الجمع عليه من كل جانب وهم يصيحون الى فرساليا الى فرساليا ثم حالوا بينه وبين باب المجلس فلم يبقَ في استطاعته الوصول اليه . بل اصبح كزورق صغير على ظهر امواج الاوقيانوس وهي تتلاعب به وتقذفه الى حيث تشاء

غير ان لافاييت جهد النفس حتى وصل الى جواده المربوط في ساحة المجلس وامتطى صهوته . فكان كغريق وجد بين الامواج الهائلة خشبة فتعلق بها

اما الشعب فلما راى لافاييت قد امتطى جواده وجد انه قد اصبح اكثر تأهباً للسفر فازداد صراخاً « الى فرساليا الى فرساليا » ثم احاط بالفارس وفارسه احاطة السوار بالمعصم واخذ يشد بهما ويدفعهما بالرغم عنهما في طريق فرساليا

فبقي لا فاييت متردداً عن السير في هذه الطريق . نعم انه اذا سار الى فرساليا فانه يستطيع نفع الملك ولكن من يضمن له انه يستطيع حينئذٍ التسلط على تلك الجماهير الهائلة التي تسير معه . فانه الآن وهي لا تزال في باريز يجد انها اصبحت لا تسمع له كلمة فكيف بها اذا اصبحت في فرساليا بعيدة عن مركز قوته في باريز

وبينما كان الجنرال يتامل في هذا واذا برجل قد خرج من باب المجلس وبيده ورقة . فشخصت اليه جميع الانظار . وكان هذا الرجل هو بيلو نفسه

فما زال سائراً يشق الجموع وهم يفسحون له المجال حتى وصل الى لافاييت فالقى الكتاب اليه فعلم الجنرال انه من اعضاء المجلس قبل ان يتناوله . ولكنه ما اخذه بيده حتى علا صياح الناس من كل جانب « اقرأه جهراً اقراه جهراً » وكان الاضطراب هائلاً والصراخ مما تصم له الاذان

فاومأ اليهم لا فاييت ان يسمعوا ليتلوه عليهم فسكتت الاصوات في الحال كانها سكتت بقوة سحرية واصغى الجميع اصغاء تاماً

فقرأ الجنرال لا فاييت في الكتاب هذه الاسطر

« بناء على ارادة الشعب وعلى ما طلبه الجنرال لافاييت القائد العام مما ليس في استطاعتنا رفضه قد اذنا له بل امرناه بالذهاب الى فرساليا وسيصحبه اربعة من اعضاء المجلس »

مسكين لافاييت . فانه لم يطلب قط ذلك الطلب ولكن الاعضاء راوا ان يحملوه هذه المسئولية فكتبوا ما كتبوا بناء على ما راوه من ارادة الشعب التي لا مردّ لها اما الشعب فانه لما سمع من هذه السطور ان الجنرال لافاييت قد استاذن المجلس بالسفر بهم الى فرساليا صاح من فم واحد صيحة كالرعد القاصف قائلاً « عاش لا فاييت»

فاصفر وجه لا فاييت عند ذلك ثم مدّ يده مشيرًا الى طريق فرساليا وصارخًا — هلموا الى فرساليا

فاندفع وراءه خمسة عشر الف رجل قاصدين فرساليا ليطلبوا من الملك ان يسد رمقهم بكسر الخبز الفاضلة عن مآدب بلاطه

الفصل الثامن عشر

(فرساليا)

وكان البلاط في فرساليا جاهلاً ما كان يجري في باريز حسب العادة

اما الملكة فانها بعد حوادث المادبة اصبحت ترى ان لديها جيشًا قويًا مستميتًا في حب الملكية فازدادت عنفوانًا وكبرياء

وكانت قد اصبحت تبتعد بما في استطاعتها عن شارني لا رغبةً عنه بل اهمالاً له كما مرَّ بنا اما زوجته الكونتس دي شارني فانها كانت تقربها منها لا رغبةً فيها ولكن حتى لا يقال انها غضبت عليها

ولم يكن هذا الانقلاب الذي حدث في عواطف الملكة ناشئًا عن سخطها على هذه الاسرة فانها في صباح هذا اليوم ابصرت جورج دي شارني وهو اخو الكونت وضابط في حرس الملك مارًا في القصر مسرعًا فدعته اليها واخذت تحادثه متلطفة معه . فسألته الى اين يسرع في مثل تلك الساعة . فاجاب الفتى جورج انه سائر ليبلغ خدمة الصيد ان الملك يتصيد في هذا النهار . فارسلت الملكة نظرها الى السماء وقالت ان الغيوم السوداء متكاثفة فوق باريز افلا يخاف الملك المطر في مثل هذا اليوم . فقال جورج . هذه ارادة جلالته . فتنهدت الملكة وقالت اذًا فلتكن ارادة الملك . ثم خفضت صوتها وقالت . يجب ان تبقى له الارادة في هذه الشؤون على الاقل . ثم رفعت صوتها وسالت الفتى جورج . واين يتصيد الملك اليوم فقال في حرش مودون فقالت الملكة اصحبه اذًا واسهر على حياته

وكانت الكونتس اندري حاضرة هذا المشهد

ولكن ما اتت الملكة على آخر كلامها حتى سُمع صوت من ورائها يقول

— لا يسهر على حياة جلالته فقط ياسيدتي ولكنه يبذل حياته دونها ولا سيما في الاخطار الحاضرة

فارتعدت الملكة عند سماعها هذا الصوت لانها علمت انه صوت شارني قبل ان ترى وجهه . فالتفتت فابصرت الكونت دي شارني داخلاً فقالت له بشيء من النزق : كان حقي ان ادهش لو كان قائل هذا الكلام غير الكونت دي شارني . فسأل الكونت باحترام ولماذا ياسيدتي . قالت لانك تتشاءم وتنذر بالشر دائماً

فاصفر وجه الكونت عند هذا التوبيخ واصفر وجه الكونتس اندري زوجته ايضاً . ولكن شارني لم يجب بل اكتفى بالانحناء احتراماً . اما زوجته فانها نظرت اليه نظرة كان معناها لماذا هذا الجبن والضعف . فتشجع شارني وقال : الحق اقول لجلالتك انني اصبحت تعيساً لانني صرت لا اقول كلمة الا وتسوؤها

وكان هنا لكلمة « صرت » معنى كبير وقد شد عليها الكونت حين لفظها كما يشد الممثلون في المراسح على الكلمات التي يودون توجيه الاسماع اليها بنوع خاص . فثار دم الملكة وصاحت به . تقول « صرتُ صرتُ » فما معنى هذه الكلمة

فاجاب الكونت بهدوء : يظهر انني لم احسن التكلم هذه المرة ايضاً . ثم وجه نظراً معنوياً الى اندري فابصرته الملكة واصفر لونها فقالت بغضب وحدة — انما يكون الكلام سيئاً متى كانت النية سيئة

فاجاب شارني انما يكون الكلام سيئاً متى كانت الاذن التي تسمعه تود جعله سيئاً ثم سكت

فاجابت الملكة انا لا اجاوب حتى ارى المسيو شارني قد اصبح اكثر اعتدالاً في كلامه فدنت حينئذٍ اندري من زوجها واخذت يده كانها تساله السكوت خوفاً من اغاظة الملكة فوق ما اغاظها . وهمت بالخروج معه فاوقفتها الملكة بنظرة شديدة وسالتها . والخلاصة ما كان يريد « زوجك » مني

فقالت اندري ان الكونت كان امس في باريز وقد عاد منها اليوم بعد ان شاهد اضطراباً مخيفاً

فقالت الملكة . احدث اضطراب جديد ايضاً ؟ ولماذا ذلك . لقد فتح الشعب الباستيل

وهو آخذ الآن بهدمه فماذا يريد اكثر من ذلك. تكلم ايها الكونت

فقال دي شارني نعم هدم الشعب الباستيل ياسيدتي ولكن حجارته لا تؤكل والشعب جائع يريد خبزًا

فاجابت الملكة بحدة . وماذا نصنع بالشعب اذا كان جائعاً . فقال ذي شارني بحدة ايضاً . لا تقولي هذا القول ياسيدتي فان من واجبات الملوك ان يصنعوا كل شيء للشعب وان يبذلوا كل شيء في سبيل خدمته ونفعه . فقالت الملكة ولكن ماذا شاهدت

فقال الكونت . شاهدت يامولاتي مشاهد ترتجف لها الابدان . شاهدت جماهير لا تحصى مجتمعة على الارصفة تنتظر الدقيق والدقيق لا يأتي . شاهدت جماهير اخرى خمص البطون صفر الوجوه عراة الابدان تنتظر الخبز امام ابواب الافران والخبز لا ياتي . شاهدت شعباً باسره جائعاً مجهودًا . الآباء ينظرون الى الامهات بحزن والم لانهم لا يستطيعون سد رمقهن بكسرة من الخبز والامهات تتمزق احشاؤهن من الجوع ومن الجزع على اولادهن الجياع امامهن . هذا ما شاهدته امس في باريز . وشاهدت ايضاً الايدي تمد الى فرساليا بالتهديد والالسنة تلفظ بغضب وجنون كلمات اليأس والوعيد . فصدقيني ياسيدتي ان الخطر شديد وانه ربما اتى عاجلاً او آجلاً ذلك اليوم الذي يحلو لي ولاخي ان نموت فيه في خدمة جلالة الملك وجلالتك

وكأن هذا القول قد اعيى الملكة فادارت ظهرها الى الكونت وذهبت الى النافذة واسندت يدها اليها . ثم نظرت الى الخارج

ولكن ما وقع نظرها على الطريق الموصلة الى القصر حتى اخذت تنعم النظر فيها ثم قالت للكونتس انظري معي ايتها الكونتس من هذا الفارس القادم الى القصر . فدنت اندري من النافذة . غير انها ما وقع بصرها على الطريق حتى تراجعت الى الوراء مذعورة وقائلة . ما هذا ياسيدتي

فتقدم عند ذلك الكونت من النافذة فابصر رجلاً على جواد ينهب الارض نهباً . فقال هذا الدكتور جيلبار عائد من باريز

فقالت الملكة نعم الآن عرفته

فنظرت اليها اندري لترى اذا كانت الملكة صادقة في قولها ام غير صادقة . فانها اذا كانت صادقة فذلك دليل على ان السهر والدموع والمصائب قد اضعفت بصرها فلم يبق في امكانها معرفة معارفها عن بعد مئات من الخطوات . واذا كانت غير صادقة فانها تكون قد

فعلت ما فعلته انتقاماً من اندري لانها تعلم ان فرائصها ترتعد لمجرد رؤيتها ذلك الرجل فلم تستطع اندري ان ترى في نظر الملكة اذا كانت صادقة او كاذبة

وكان القادم هو الدكتور جيلبار نفسه وقد قدم لاطلاع الملك على حوادث ذلك الصباح كما مرَّ بنا . الا انه لما لم يجد الملك في قصره طلب ان يواجه الملكة فاستاذن في الدخول عليها . فاذنت له فدخل لمقابلتها

الفصل التاسع عشر

(وصول النساء)

وحين وصوله انحنى باحترام امام الملكة و باقي الحاضرين ثم قال قد جئت يامولاتي مسرعاً من باريز لاطلع الملك على حركة هذا الصباح . فقالت الملكة واي حركة . فقال جيلبار ان ٨ الآف امرأة متسلحات خرجن من باريز قاصدات هذا المكان

فبهتت الملكة والحاضرون ثم سالت وماذا يطلبون عندنا . قال انهم قادمون ليطلبوا من الملك خبزهم اليومي لان منهن من يمتن جوعاً

فنظر دي شارني الى الملكة كانه يقول . اذاً قد صحت نبوءتي

فالتفتت الملكة الى جيلبار ودي شارني قائلة — وماذا العمل الان . فاجاب جيلبار ينبغي اولاً ان نخبر الملك بالحادثة . فان الملك لا يزال محبوباً فاذا قابلهن هنا وخطب فيهن ولاطفهن القين السلاح من ايديهن وعدن على اعقابهن . فقالت الملكة . ولكن الملك الآن في مودون يتصيد وكيف السبيل اليه . فتقدم دي شارني وقال انا اسرع لاخبار جلالته

فقالت الملكة ولكني لا اخال الطريق اميناً الآن فان القادمين او القادمات قد يقطعنها على المارين . فقال دي شارني . ولكنا خُلقنا نحن ياسيدتي ليوم مثل هذا اليوم والموت للرجال فمن لم يمت بالسيف مات بغيره

ثم انه من غير ان ينتظر جواب الملكة انحنى باحترام وخرج فركب فرسه وسار الى مودون لاخبار الملك

وقبل ان يغيب عن الابصار قصدت اندري النافذة وارسلت اليه منها التحية بيدها فحياها الكونت وهو ينهب الارض نهباً بجواده و يلتفت اليها

اما الملكة فانها نظرت اشارة اندري ولم تنظر اشارة الكونت زوجها

ولما انتشر بين الجنود خبر سفر النساء من باريز الى فرساليا مسلحات اخذوا بالاستعداد والتاهب . ولكنهم كانوا يتاهبون بقلق واستغراب اذ ماذا يصنعون مع النساء وكيف يهاجمون النساء وعلى الخصوص اذا كن ضعيفات خائرات القوى من التعب والجوع

ولنعد الآن الى هولاء النساء

كانت صفوف النساء فريقين فريقاً قادماً من سان كلود وفريقاً من " سفر " وقد افترقن هذا الافتراق في منتصف الطريق . ولكنهن قبل افتراقهن ظفرن في " سفر " بثمانية ارغفة من الخبز وهي كل ما كان من الخبز فيها فاقتسمنها بينهن

اي انهن قسمن ٨ ارغفة زنتها ٣٢ ليبره من الخبز بين ٨ الآف شخص ...

ولما استانفن السير الى فرساليا اجهدهن التعب والجوع حتى لم يبق في استطاعتهن حمل السلاح في ايديهن فطرح ثلاثة ارباعهن سلاحهن على الطريق تخفيفاً لسيرهن . فبقي الربع الرابع فهذا اقنعه مايار قائد النساء بان يودع اسلحته في الطريق فتركها ايضاً . فاصبح النساء بلا سلاح

وما زلن سائرات وهن يتمايلن مترنحات لان الجوع يفعل فعل الخمر في الرؤوس حتى اشرفن على فرساليا مقر الملك . فخطر لهن خاطر وهو انهن يكرهن ان يقول احد عن سفرهن الى فرساليا انه ضد الملك ولذلك اقترحن ان ينشدن في دخولهن نشيد هنري الرابع دلالة على حسن نيتهن للملكية

وهكذا ما وصلن الى المدينة حتى علت الوف من اصوات النساء بذلك النشيد الملكي فاستغرب جند فرساليا وسكانها ذلك النشيد لانهم سمعوا ان النساء قادمات للوعيد لا للنشيد . وكان منظرهن وهن داخلات مغنيات كاشباح الموتى من الجوع وسوء الحال — منظراً محزناً يسيل الدموع و يفتت القلوب

ولما وصل النساء الى القصر وجدن الحاجز الحديدي المذهب مقفلاً و وراءه الجند متاهبين فرفعن ايديهن ومددنها بعضهن ملتمسات طالبات وبعضهن مهددات

وكان جميع اكابر الضباط ورجال البلاط قد التفوا حول الملكة فالتفتت هذه الى المسيو سن بريست احد الوزراء وبعثته الى النساء ليسألهن ماذا يطلبن . فجاءهن الرجل من وراء الحاجز وسالهن ماذا تطلبن فقلن من فم واحد — نريد خبزاً نريد خبزاً

فاجاب المسيو سن بريست بغضب قائلاً : لما كان لكم رئيس واحد لم تجوعوا قط اما الآن ولكم مئات من الروساء (يعني النواب في المجمع الوطني) فانكم تموتون جوعاً

قال هذا ثم عاد ادراجه بعد ان اوصى بابقاء الحاجز مقفلاً والنساء يصرخن صراخاً هائلاً

وبعد برهة قدم النساء وفدهن وهو مؤلف من ١٢ امرأة تتقدمهن بائعة الزهر كامرتنا · وكان معهن رئيس المجمع الوطني المسيو مودون الذي اقنعه مايار برئاسة هذا الوفد والامتثال به لدى الملك

ولكن ما وصل الوفد الى حاجز القصر حتى ظهر الملك عائداً من الصيد بدعوة الكونت دي شارني · ولما دخل الى قصره سمع ضوضاء شديدة من جهة الجمع وصراخاً عظيماً

ذلك ان الحرس الملكي آلى على نفسه ان لا يترك الوفد النسائي ورئيسه يدخلون الى القصر فحملوا عليهم واطلقوا بنادقهم بينهم فسقط رئيس المجمع الوطني من الصدمة وجرحت امرأتان من الوفد برصاص الحراس

فلما سمع الملك هذا الامر غضب وصاح برجاله ان يفتحوا الحاجز على عجل ويوصلوا ذلك الوفد اليه · فبادر شارني وجيلبار لانفاذ امر الملك ومنع الحرس من مقاومة جمهور الشعب

وهكذا دخل وفد النساء تتقدمه بائعة الازهار · فدنت هذه من الملك خائفة مرتعدة فلم تتمكن من ان تلفظ غير هذه الكلمات · ياجلالة الملك نريدخبزاً · ثم سقطت مغمى عليها من الضعف والتعب والخوف والجوع

فبادر الملك واندري لاعانتها اما الملكة فبقيت كالصنم جامدة في مكانها

فاخذ الملك الابنة بين ذراعيه واخذوا ينشقونها الارواح لتفيق · ثم لما انتبهت ورات نفسها بين يدي الملك خجلت وهمت بتقبيل يديه · فقال لها الملك اطمأني يا بنية ودعيني اقبلك · ثم قبلها · فقالت الابنة مولاي اذا كنت كريم الخلق الى هذا الحد فلماذا لا تصدر امرك · فقال الملك بماذا يا بنية · قالت بجلب الخبز الى باريز فاننا نموت جوعاً فيها فقال الملك اذا كان الجوع يذهب بامر اصدره فساصدره في هذه الساعة يابنية

ولكن لم يتم الملك كلامه حتى سُمع صوت البارود من جهة ساحة القصر فاجفل الملك وبعث جيلبار ليستخبر له

وكان سبب هذا الطلق ان المسيو سافونيير احد ضباط الحرس رفع يده ليضرب جندياً كان يحمي امراة منه فسدد رجل من الشعب بندقيته الى اليد المرفوعة واطلق النار

عليها فكسرها

فلما ابصر رجال الحرس ما اصاب احد ضباطهم جاوبوا باطلاق بنادقهم على الشعب المجتمع بين نساء ورجال . فسقطت امرأتان على الارض واحدة قتيل والثانية جريح

فجاوب الشعب باطلاق النار فسقط من الحرس اثنان عن جواديهما قتيلين

ثم ساد الهياج وقامت القيامة فاتى الشعب بمدفع كان معه وصوبه الى القصر ثم ادنى النار من خزانة بارودہ . ولكن من حسن الحظ ان المطر كان يهطل في تلك الساعة فلم يشتعل البارود لانه كان مبتلاً

ولما وقف جيلبار على كل هذه التفاصيل علم ان الموقف حرج جداً فحار في امره واذا برجل يهمس في اذنه قائلاً : ان الجنرال لا فاييت قادم فاركض واستعجله فانه لا يُسكن هذه الحركة احد سواه

فالتفت جيلبار ليرى هذا الناصح فلم يعرفه ولكنه رأى النصيحة في محلها ففتش ليرى جواداً فوجد الجوادين اللذين قتل فارساهما فانفرد باحدهما وامتطاه ثم سار به ينهب الارض نهباً

فهمّ الجواد الثاني ان يلحق برفيقه ولكن بعضاً من الشعب اوقفوه . فظن جيلبار انهم دروا بسبب سفره فارادوا اللحاق به على ذلك الجواد ليمنعوه منه . فالتفت ليرى ما وراءه فابصرهم يقبضون على ذلك الجواد ويحيطون به من كل جانب

ذلك انهم جياع و يطلبون ذبحه ليأكلوه . فما لبثوا ان ذبحوه وسلخوه وقطعوه

وكان الملك في هذه الساعة يوقع على امرين . الاول للفتاة بائعة الازهار ومفاده جلب الخبز الى باريز والثاني للمسيو مودون رئيس المجمع الوطني ومفاده موافقة الملك على اللائحة التي سماها المجمع « حقوق الانسان »

و بعد توقيع الملك على الامر بجلب الخبز حسب النساء انهن نلن ما كنّ يطلبنه فاجتمع الف واحدة منهنّ وعدن مع بائعة الازهار الى باريز ومعهن امر الملك بجلب الخبز وهن يرفعنه في الهواء فوق الرؤوس ويهتفن للملك ابتهاجاً وسروراً

اما من بقي من النساء والرجال فانهم لبثوا حول القصر يزئرون كما تزئر الاسود في الغابات

واما جيلبار فانه ما زال مغذاً السير حتى ادرك لا فاييت وهو قادم مع جنده الى فرساليا كما مرّ بنا . فاطلعه الدكتور على التفاصيل التي مرّت واستعجله الى فرساليا لمساعدة

الملك فسار لافاييت مع جنده ركضاً

وكانت الملكة في ذلك الوقت تطلب من الملك ان يركب معها ومع ولديها مركبة و يسافر بهم الى رامبوليه اجتناباً لما عساه ان يحدث في فرساليا ولاسيما بعدوصول البار يز يين اليها لانها كانت قد علمت بسفرهم من باريز

فالتفت الملك الى دي شارني وساله ما رايك في السفر فقال شارني رايي انه موافق وغير موافق . موافق اذا كانت جلالتك تضمن انها تستطيع اجتياز الحدود في وقت قريب . وغيرموافق اذا كان غير ذلك

فقال الملك اذاً فالاحسن البقاء ههنا

قال ذلك لا لرغبته في الاقامة في فرساليا ولكن لعدم اقدامه على السفر منها

وما زال لافاييت سائراً حتى وصل الى قصر الملك وكان الهياج لا يزال سائداً . فدخل جيلبار مسرعاً وابلغ الملك خبر وصول لافاييت

وكان الملك لا يحب لا فاييت ولكنه لا يكرهه . اما الملكة فانها كانت تكرهه ولا تطيق رؤيته

ولذلك سكت الملك والملكة حين ابلغهما جيلبار خبر وصول هذا الرجل مع انه كان قادماً لانقاذهما

فاعاد جيلبار قوله ان الجنرال لافاييت قد حضر فهل للملك امر يصدره

فقال الملك حينئذٍ اشكروه من قبلي وقولوا له ان يدخل

و بعد برهة دخل لافاييت وكانت الملكة قد تنحت عن الملك واحاط بها ضباط القصر فلم يبقَ حول الملك الا جيلبار وشارني

فلما دخل لافاييت صاح صائح من حول الملكة

— قد اتى كرمويل

و كرمويل هو زعيم الثورة الانكليزية التي شبت نارها في عهد شارل الاول سنة ١٦٥٢ وهو الذي اعدم هذا الملك

فاجاب لافاييت . « ولكن كرمويل لم ياتِ الملك شارل الاول منفرداً وحده »

واما الملك فانه التفت الى ذلك الضابط الذي قال عن لا فاييت ذلك القول ليرى من هو ذلك الجاهل الذي يسيء في تلك الاوقات الصعبة الى الذين يستطيعون نفع الملك والملكة . ثم التفت الملك الى دي شارني وقال . انني باقٍ هنا

ايها الكونت لان الجنرال لافاييت قد اتى فاصبحنا في امن من كل طارىء فقل للجند ان يرتدوا الى رامبوليه ودع الحرس الوطني يحرس خارج القصر والحرس الملكي يحرس داخله . اما انت ايها الجنرال فاتبعني ثم سار به وبالدكتور جيلبار الى غرفة مجاورة

وكان الشعب في تلك الساعة يضرم حريقة كبيرة ليشوي على نارها لحم الجواد الذي ذبحه ليسد بلحمه رمقه

الفصل العشرون

(الليلة الهائلة)

من ٥ الى ٦ اكتوبر سنة ١٧٨٩

وانقضى النصف الاول من تلك الليلة هادئاً ساكناً . وكان المجمع الوطني مهتماً بحوادث النهار وقد طالت جلسته الى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فارسل ساعتئذٍ من قبله حراساً ليطوفوا حول القصر ويفتقدوا الراحة والامن فعادوا وابلغوا المجلس ان النظام تام وكل شيء في موضعه فتفرق الاعضاء مستريحي الخواطر

ولكن ما علموا انه عند صفو الليالي يحدث الكدر

فان ذلك السكون كان سكوناً غير طبيعي كالسكون الذي يتقدم الزوبعة اذ بعد اعمال المحركين في النهار جاءت نوبة المحركين في الظلام

ذلك ان في كل الحركات الاجتماعية والثورات السياسية يوجد عاملان مستقلان الاول عامل الذين يديرون الحركة ويقصدون بها بلوغ غرض معلوم فمتى بلغوه اوقفوها والثاني عامل الذين ينتبهون عند حركة هولاء ولكنهم لا يقفون بوقوفهم بل يتقدمون مسرعين ويعملون اعمالاً ترتجف لها الابدان

الاولون يعملون الاعمال السياسية والاخرون يعملون الاعمال البربرية

وهكذا جرى في ذلك اليوم . فانه بعد منتصف الليل وصل الى فرساليا جماهير من العامة مائجة هائجة . كانها حيتان البحار خرجت من الاعماق الى سطح الماء تلتمس الجيف الطافية عليه . لقد حضرت هذه الجماهير سقوط الباستيل ولكن الباستيل حجارة لا تُنهب واما قصر الملك في فرساليا فهو ملآن بالنفائس والتحف الثمينة . لذلك اتت هذه الحيتان للنهب والسلب بعد الذين جاءوا مستغثين مستنصفين

وكان القصر الملكي هادئاً ساكناً لا تُسمع فيه الا اصوات اقدام الحراس وقد نام

الملك من اول الليل واما الملكة فكانت مضطربة هائجة · وفيما هي داخلة الى قصرها عائدة من قصر الملك وجدت جورج دي شارني اخا الكونت دي شارني واقفاً يحرس الباب المؤدي الى غرفتها · وكان متاثراً مضطرباً فسالته الملكة كيف انت ايها البارون قال الشاب بخير ياسيدتي ومستعد لبذل حياتي في سبيلك فقالت واين الكونت اخوك قال هو الآن ساهر امام غرفة الملك لحراسته كما اسهر انا ههنا · قالت وزوجته اندري قال قد دخلت الى غرفة جلالتك وهي في الانتظار داخلاً

فمدت الملكة يدها الى الفتى قائلة شكراً لكم فان اسرتكم قد غمرتنا بالجميل · فاجاب الشاب ان اليوم الذي اسفك فيه ياسيدتي دمي فدى عنك فذلك يوم يكون سعيداً عندي

فكأن هذا الشاب كان يقرأ في صفحات الحوادث المستقبلة

ثم دخلت الملكة فوجدت اندري عندها فحيتها ولاطفتها ودخلت الى غرفتها · ثم انطفأت انوار القصر ونام كل من فيه غير الحراس كما ذكرنا

ولكن في الساعة الخامسة ونصف من ذلك الليل والجميع نيام في القصر سُمع في فنائه صوت طلق ناري قوي فدوت جوانب القصر كلها

وكان السبب في ذلك ان اربعمائة او خمسمائة صوت من الحيتان البشرية التي اشرنا اليها قصدت في تلك الساعة حاجز القصر وتسلقته بسرعة غريبة تفوق سرعة القرود وهي ساكتة مختلسة الخطى ورامت الدخول الى القصر اختلاساً فابصرها الحارس الذي كان واقفاً يحرس المكان فصوب بندقيته اليها واطلقها بينها

فدوى المكان لصوت البارود وسقط رجل من تلك الجماهير قتيلاً

فافترق حينئذ اولئك الناس فريقين وسارا ركضاً الواحد الى قصر الملك والثاني الى قصر الملكة

فلنتبع الفريق الاول

وكان امام غرفة الملك حارس واقفاً يحرس وهو يخطر ذهاباً واياباً · واذا به يسمع ضوضاء شديدة واصوات صعود على السلم فتقدم مسرعاً وبندقيته في يده فابصر بعيداً عنه قوماً راكضين وهم سكوت لا يتكلمون فصاح ملء فمه الصياح النظامي المألوف " من القادم " فلم يجبه احد· فصاح بصوت اقوى — من القادم · ثم صوب البندقية الى اولئك الصاعدين

ولكنه رأى ان صوت البارود في منزل الملك يقلق القصر كله فتناول سيفه وهجم قائلاً — ماذا تريدون ايها السادة

فاجاب بعض الصاعدين متهكمين — لاشيء لا شيء دعنا نمرّ فاننا من اصدقاء جلالته ·

فصاح الحارس ولكن من انتم

فلم يجبه حينئذٍ احد ولكن ضحك الجميع ضحكة هائلة ارتج لها المكان · فزاد الحارس هجوماً وسيفه في يده

فحدث حينئذٍ حادث مريع · امواج بشرية كانت صاعدة كالجبال على السلم وليس في وجهها غير رجل واحد يمنعها من المرور بضربات حامية

ولكن لم يطل هذا العراك حتى تنبه باقي حراس المكان فركض احدهم صارخاً — انجدوا انجدوا الكونت دي شارني

وكان الحارس الذي وقف في وجه الهاجمين هو الكونت دي شارني

فبادر الحراس الى مساعدته ولكن الملك كان قد استيقظ مرعوباً مدهوشاً فلما بلغه الخبر اصدر امره في الحال بان يدخل الحراس من وجه الهاجمين ويقفلوا الابواب

فاطاعوا وكان دي شارني آخر الداخلين

فاخذ الهاجمون يقرعون الباب ويضربونه بالفؤوس ليكسروه فامر دي شارني ان يوضع وراءه كل ما في المكان من الخزانات والمقاعد والمساند حتى اذا كسروه وجدوا وراءه منها باباً ثانياً

هذا ما جرى في قصر الملك · فلنتبع الآن الذين هاجموا قصر الملكة

فانهم ما وصلوا الى حيث كان الفتى جورج شارني واقفاً حتى صاح بهم الصياح المالوف « مَن القادم » ولما لم يجبه احد منهم فوق اليهم بندقيته واطلقها فسقط احدهم قتيلاً

فارتعد المكان وانتبهت النساء واندري من النوم ففتحت اندري الباب ومدت منه راسها وعليه الاصفرار ولوائح ثبات الجاش فرأت الفتى جورج وحده بين اولئك الذئاب وهو يدافعهم عن نفسه وعن الطريق مدافعة الاسود فصاح بها · مدام · ابلغي الملكة انهم يريدون الفتك بحياتها ثم خذيها واذهبا معاً من حيث تقدران فانني استطيع الثبات في وجوههم ولو قُتلت حتى تتمكنا من النجاة · اسرعا اسرعا

فاغلقت اندري الباب · ودخلت مسرعة فصاح جورج اقفليه جيداً واسرعا لئلا يفوت الوقت



جلالة السلطان الاعظم

الجامعة

الجزء الخامس السنة الثانية

الاسكندرية اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ — ربيع الثاني سنة ١٣١٨

جلالة السلطان

﴿ عبد الحميد خان الثاني ﴾

بوبيل جلالته الفضي اي الاحتفال بانقضاء ٢٥ عاماً

على ارتقائه عرش السلطنة

لاتنقضي بضعة ايام على صدور هذا الجزء حتى تقوم الاعياد في عاصمة السلطنة العثمانية وملحقاتها احتفالاً بيوبيل جلالة السلطان الفضي لانقضاء ٢٥ سنة على ارتقائه عرش السلطنة . فوجب علينا ان نفتتح هذا الجزء بذكر هذا العيد العظيم اشتراكاً مع المعيدين

وقبل ان نرفع الى جلالة مولانا السلطان تهنئتنا الخالصة بيوبيله الكريم نلتمس الاذن للجامعة بنقل الترجمة التي وجدناها في الجزء الاول من " دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى " تحت امضاء العالم ل . فير . وهذه ترجمتها بالحرف الواحد

﴿ جلالة السلطان ﴾ هو السلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان ولد من السلطان عبد المجيد خان في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ . وخلف اخاه السلطان مراداً في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦ . ولما ارتقى الى العرش العثماني كانت المسألة الشرقية مفتوحة فان سربيا والجبل الاسود آذنتا الدولة العلية بالحرب في ٣ يوليو ثم ازداد الخلاف لرفض

الباب العالي الرضى باقتراحات الدول فآذنت روسيا تركيا بالحرب ايضاً في ١٢ افريل سنة ١٨٧٧ . فاظهر جنود الدولة في هذه الحرب من البسالة والصبر على المكاره واظهر قوادها نظير عثمان باشا وسليمان باشا من الدراية والمهارة في القيادة ما اوقف سير الجنود الروسية وقتاً طويلاً واصابها بخسائر عظيمة ولا سيما في بلافنا . ولكن هذه الحرب انتهت بمعاهدة سان ستفانو (٣ مارس سنة ١٨٧٨) ثم صُححت هذه المعاهدة في مؤتمر برلين (١٣ يونيو و١٣ يوليو) فحرمت روسيا بعض الفوائد التي كانت لها في معاهدة سان ستفانو ومع ذلك فقد بقيت معاهدة برلين شديدة على الدولة لانها قضت باعطاء النمسا البوسنه والهرسك . ثم اخذت انكلترا قبرص مقابلة وعدها بمدافعة روسيا حين الحاجة وذلك في معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ . فمما مرَّ يتضح ان بداية حكم جلالته كانت صعبة جداً ولكن لا خلاف في ان جلالته غير مسئول عما حدث يومئذٍ اذ كان لا بد لذلك ان يحدث لانه نتيجة السياسة السابقة

وبعد هذه الحرب المشومة رأى جلالته ان السكوت والهدوء خير الامور لان حرباً كهذه الحرب قد احدثت تعطيلاً عظيماً في مصالح الدولة الاجتماعية والاقتصادية فصرف همه الى مجاملة الدول في الخارج واظهر في الداخل رغبته في استبدال اسراف سلفائه بالاقتصاد وادخال اصلاحات مهمة الى الدولة . ولما قبض على زمام السلطنة ابقى حزب تركيا الفتاة في مناصبهم وادار هذا الزمام بقوة دلت على مضاء عزمه وقوة ارادته فانقص نفقات البلاط وقضى بان تنفذ الارادات التي يُصدرها بكل دقة معنىً ومبنى . واخذ يزور بنفسه الثكنات العسكرية ويلاطف الضباط والجنود ويتناول الطعام معهم وذلك مما لم يُرَ في تركيا قبله . ثم شرع في ادخال الاصلاح الى شؤون الدولة الادارية فالف لجنة عامة للاصلاح اعضاؤها ٣٠ من المسلمين و٣٠ من المسيحيين ونودي في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ بمنح الامة الدستور الاساسي

اما هذا الدستور فمقتضاه سلامة السلطنة وعدم مسئولية جلالة السلطان ومساواة جميع رعية الدولة لدى القانون وقبول الرعية المسيحيين في مناصب الدولة ووظائفها وحرية التعليم وحفظ الحرية الشخصية وحرمة المنازل واستقلال المحاكم وحسن تنظيم الولايات وتنظيم ميزانية الدولة وموازنتها

وكان من مقتضى هذا الدستور انشاء مجلس نيابي للاعيان يكون بمثابة مجلس الشيوخ في اوربا وانما لا يُنتخب اعضاؤه انتخاباً ولكن جلالة السلطان يعينهم لهذه العضوية طول



﴿ الآستانة ﴾

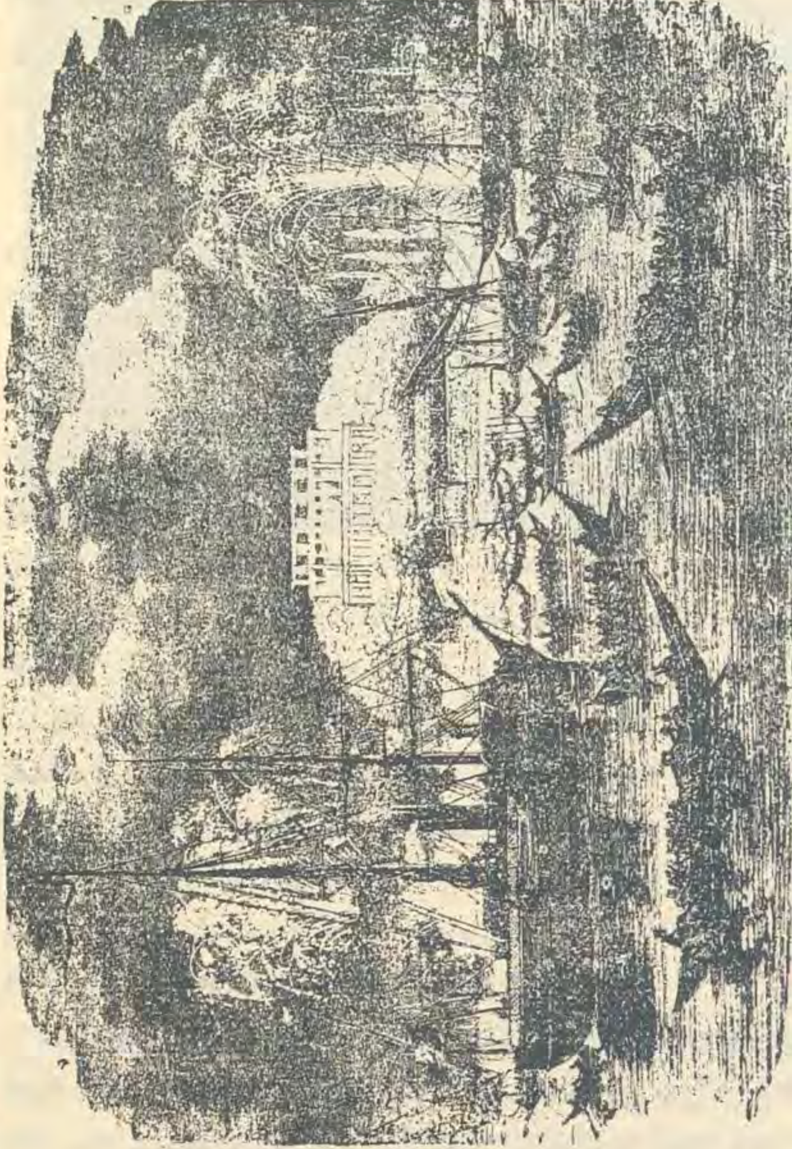
حياتهم وانشاء مجلس نواب (مجلس مبعوثان) ينتخب الاهالي اعضاءه الى مدة ٤ سنوات باعتبار ان كل ٥٠ الف عثماني ينتخبون عضواً . وكان من وظيفة الوزراء ان يقدموا الى هذين المجلسين القوانين والنظامات التي يريدون سنها ليوافقا عليها او يرفضاها وكانوا مسئولين لديهما وتحت مراقبتهما وللجلالة السلطان الحق في اطالة اجل المجلسين او صرفهما

وكان مدحت باشا الصدر الاعظم في ذلك الزمان . فما لبث ان غضب عليه جلالة السلطان بعد انقضاء اقل من شهرين على وزارته فنفي من الاستانة وصُرفت لجنة الاصلاح

في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ ومجلس المبعوثان وقبض جلالة السلطان عبد الحميد على سياسة الدولة كلها . فجاءت هذه السياسة بنتائج حسنة لانه استطاع بها تنفيذ كل معاهدة برلين تقريباً واجتناب الاخطار التي كانت تتهدد الدولة . ثم اخذ في تنظيم مالية الدولة وادارتها وجيشها مستنداً في ذلك الى المانيا . وقد تحررت ولايات الروملي الشرقية دون ان يتداخل جلالته ولكنه لم يتنازل عن حق من حقوقه في كريت وارمينيا . ويُستدل من زيارة الامبراطور غيليوم للاستانة في سنة ١٨٨٩ (المرة الاولى) ان تركيا تحفظ مقامها بين الدول العظمى) . انتهى بنصه حرفياً ومنه يستدل القارئ ان هذا الفصل قد كتب منذ زمن بعيد

﴿ شهادة سياسي ﴾ ويجدر بنا بعد نقلنا هذا الفصل ان ننقل شهادة سياسي وهو المرحوم غبريل شارم الذي ساح في بلاد الدولة العثمانيه سياحة طويلة وزار الاستانة فكتب في احد كتبه يصف جلالة السلطان بما خلاصته (لا يحدث شيء في بلاد الدولة العثمانية ولا تخرج ورقة من ايدي حكامها الا بعد علم جلالة السلطان واطلاعه عليها وفحصها فحصاً دقيقاً مع ان تلك الاوراق تُعد بالالوف وعشرات الالوف . وقد كانت شهوات اسلافه السلاطين مختلفة . اما شهوة جلالة السلطان فانها العمل والشغل الدائم ولا يفكر في ما سوى ذلك . وهو يشتغل في غرفة شغله الى ما بعد منتصف الليل بساعة وساعتين واحياناً بثلاث فيبقى النور موقداً في قصر يلدز في حين ان جميع انوار الاستانة قد اطفأت وتكون عين جلالة السلطان آخر عين تنام في الاستانة . وهو لشغفه بالشغل يلذ له استقبال السفراء وكبار الزوار في قاعة على موائدها الخارطات والاوراق ومواد شغله فيكون لقاعة الاستقبال منظر جميل

﴿ شهادة عالم ﴾ وتشرف العالم الرحالة فمبيري النمساوي الذي استدعاه في هذا العام جلالة السلطان الى الاستانة للبحث في انشاء كلية علمية فيها بمقابلة جلالته في يوم من الايام ثم كتب مقالة طويلة عن هذه المقابلة فقال فيها انه رأى من لطف جلالة السلطان واتضاعه وعظمته وسعة معارفه ما لم يكن يعلم منه شيئاً . ونقل ان جلالة السلطان قال له ان اوربا تحسب الاصلاح في بلادنا امراً هيناً كما هو في بلادها ولكنها تجهل ان الارض العثمانية ارض قديمة يجب اولاً نزع ما فيها من الحجارة والاشواك ليتسنى لنا بعد ذلك الشروع بحراثتها وزرعها . وان جلالته صارف همه الى ذلك اسعاداً لمملكته ورعيته



﴿ منظر الاحتفال بعيد الجلوس السلطاني في البوسفور ﴾

﴿ الاصلاح ﴾ على ان هذا الكلام يسوقنا الى موضوع الاصلاح في بلاد الدولة العلية · وقبل ان نقول كلمة في هذا الموضوع لا نجد بدًّا من الاشارة الى ثلاث فئات من الناس يهتمون بالاصلاح · الفئة الاولى تنادي الاصلاح الاصلاح ولا تقصد بذلك الا معاكسة الحكومة العثمانية بدليل انها اذا اتت اصلاحاً مفيدًا ازدادت تلك الفئة صياحاً

وصغرت ذلك الاصلاح ان لم تعتبره افساداً . الفئة الثانية ترى كل حسن حسناً وتثني على كل اصلاح تاتيه الحكومة العثمانية وان كان صغيراً لانها تعلم ان الطفرة محال ولا تجهل الصعوبات التي تعترض عادةً كل تغيير . والفئـة الثالثة تُكبر كل شيء وتقول انه لا ينقصنا شيء

ونحن من الفئة الثانية اي من الفئة الوسطى التي يقضي عليها العقل والمصلحة العامة بالاعتدال والروية . لذلك لم نالُ جهداً في اظهار سرورنا من كل اصلاح اتته الحكومة في السنوات الاخيرة . وقد كنا منذ يومين في مجلس دار فيه الكلام على اليوبيل الفضي العظيم الذي تستعد له الاستانة والولايات العثمانية فقلنا ان هذا العيد جاء في اجمل اوقاته فان الثقـة المالية بالدولة اليوم حسنة وجميع الدول راغبات في مصافاتها والتودد اليها والمشروعات الاصلاحية تتوالى فقد نُظم الجيش سياج الدولة واقيمت معامل تصنع السلاح في الاستانة واعتني باصلاح الاسطول اعتناء يذكر فيشكر وانصرفت العنـاية الى التعليم وانشاء المدارس بعض الانصراف واخذ في تنشيط الزراعة واحياء الصناعة وشُرع في مد السكك الحديدية في وادي الفرات والحجاز وغيرها وبالجملة فنحن سائرون الى الامام باذن الله

فقال احد الحاضرين نعم وكل هذه شؤون اصلاحية سيكون لها نتائج عظيمة اذا ثبتت العزائم فيها ولكن عامة الناس بل كثيرين من خاصتهم لا يدرون بها لانها غير مباشرة لهم كل المباشرة . والمباشر لهم حكامهم في الولايات ومحاكمهم . فاذا بقي هولاء الحكام يُختارون للحكومة وكثيرون منهم غير اكفاء لها وبقيت المحاكم غير جارية على الخطة التي يريدها لها محبو العدل والمساواة اللذين هما اساس كل حكم وكل ملك فقلما يشعر العثمانيون بالاصلاح بل قلما يكون الاصلاح اصلاحاً حقيقياً

فنحن ننقل اليوم هذه الملاحظة لاننا راينا فيها صواباً وسداداً . ونرى ان الحركة الاصلاحية الاخيرة التي دوى صداها في جو الفرات والحجاز وفي نفس كل راغب في صلاح حال الدولة صلاحاً حقيقياً اذا اضيفت اليها العناية بحسن اختيار الحكام ليحسنوا تمثيل جلالة مولانا السلطان لدى رعيته في الولايات فيقربوا النفوس من الدولة بدل ان يبعدوها عنها مع قطع الفساد من المحاكم العثمانية وهو الفساد الذي يفسد كل صلاح واصلاح وينشئ في نفوس المتقاضين والمتعاملين وهم مجموع الامة سخطاً لا يجهله احد — خطونا خطوة عظيمة في سبيل النجاح والفلاح باذن الله . واما اذا بقي هذان الامران — وهما



﴿ جامع اجيا صوفيا في الاستانة ﴾

حسن اختيار الحكام وتطهير المحاكم — على ما كانا عليه فان الاصلاح — اذا كان يوجد اصلاح بدونها — لا يسير الا اعرج على قدم واحدة — هذا اذا استطاع سيراً

ولكن ليس هذا الموقف موقف بحث بل موقف تهنئة وتبريك بيوبيل الحضرة السلطانية . واذا ذكرنا ذلك فيه فانما نذكره لتبيان التبعة العظيمة التي على حكام الولايات العثمانية واظهار انه يكفي قيام كل واحد من اولئك الحكام بواجبات وظيفته قياماً حقيقياً للنهوض بالدولة النهضة المطلوبة

وعلى امل هذا الاختيار المزدوج — اختيار الحكام للحكومة والقضاة للمحاكم — ليدخل الشعب العثماني والامة العثمانية في دور جديد وقياماً بالواجب المفروض على الرعية لراعيها نرفع مقدماً الى عرش جلالة مولانا وسيدنا السلطان الاعظم عواطف الولاء والشكر والتهنئة ببلوغه العيد الفضي مقرونة بالدعاء لجلالته بدوام الهناء وطول العمر لينيل مملكته وامته ما يريده لها من الاصلاح والصلاح بمنه تعالى وكرمه

راجع وصف الاستانة القديمة وجامع آجيا صوفيا في مقالة لابن بطوطة منشورة في الجزء الثالث عشر من السنة الاولى . وقد زار هذا الرحالة الاستانة في سنة ١٣٣٤ للميلاد

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

بلغاء كتاب العرب

بديع الزمان الهمذاني * ابو بكر الخوارزمي

الدرس الانسيكلوبيذي · الهمذاني عندنا ولينره عندالافرنج · صنعة همذان وتاريخها · اربعة مدن تُدعى اكبتانا · اربعة مدن لم يدرسها الزمان · ترجمة الهمذاني · تفصيل المناظرة الكبيرة بينه و بين ابي بكر الخوارزمي · شدة وطأة الهمذاني على خصمه · موته الغريب المشتبه · الخلاصة · السام والبرسام

في شباة بعض الاقلام

اذا نظرنا الى بعض اكابر كتاب الفرس والعرب المتقدمين لا يسعنا الا ان نعجب بمواهبهم ونأسف للطرق التي صرفوها فيها · ونقول حين مطالعة تراجمهم او كتاباتها انهم لو درسوا الدرس « الانسيكلو بيذي » اللازم فلا يبعد انهم كانوا غيروا وجه الشرق بقوة مواهبهم واستعدادهم

ونعني بالدرس « الانسيكلوبيذي » الطريقة التي يتبعها الافرنج اليوم في مدارسهم فانهم يعرضون في المدارس على التلامذة في خلال الدروس الكثيرة التي يتلقونها جميع فروع العلوم واصولها حتى ترى عقول الطلبة ألعلم الذي هي مستعدة له ومؤهلة لاقتباسه فتنصرف اليه · لانه من الثابت الذي قد اصبح في حكم الاولية ان في كل عقل استعداداً خاصاً وميلاً خاصاً اذا صُرفا في غير وجهيهما لم يستفد المتعلم ولم يفد شيئاً مذكوراً

وليس يحتمل ان اولئك النوابغ الذين امتازوا بقوة الحفظ الى حد غريب و بلغوا من سرعة البداهة وجودة الروية ومضاء الذهن مبلغاً يدهش العقول — ليس يحتمل ان تكون مواهبهم قد قُصرت على حفظ مفردات اللغة وقواعدها لتركيب عبارات فصيحة بليغة فقط · وانما قلة وسائل العلم الاجتماعي حينئذٍ اي العلم النافع لصلاح حال الاجتماع وترقية شؤون الامم هي التي دفنت مواهبهم الخارقة في ارض قاحلة فلم تثمر الثمر النافع الذي كان يُنتظر منها

هذا بديع الزمان الهمذاني عند العرب والفرس وهذا « ليتره » عند الافرنج خير شاهد على ما نقول · فان ليتره لم يكن امضى من البديع ذهناً ولا اقوى حفظاً ولا اسرع بديهة ولا اشد ذكاء · وانما ما تم لليتره من وسائل التعلم والتعليم لم يتم للبديع فاثمر سعي الاول حتى اصبح فيلسوفاً ولغوياً عظيماً وحبط مسعى الثاني فلم يكن الا كاتباً بليغاً · ولو تمت للبديع الوسائل التي تمت لليتره لكان مقامه الآن من اللغة العربية اسمى مما هو الآن كثيراً بل ربما كان عندنا اعظم من ليتره عندهم

ولا نعني بذلك انه لم ينبغ من العرب فلاسفة نظير ليتره فان ليتره ما كان ليذكر بازاء ابن سينا وابن رشد والغزالي وغيرهم من اكابر علماء العرب الذين نبغوا ولم يكن لديهم نصف الوسائل التي كانت لنوابغ الغرب · وانما نعني بذلك ان قلة وسائل العلم واعوجاج طرق التعلم والتعليم قد قتلا مواهب عربية كثيرة واضعفا عقولاً كبيرة من عقول المتعلمين منهم · وقد خصصنا منهم بديع الزمان الهمذاني لان ذلك كان كثير الظهور فيه ولرغبتنا في نقل ترجمته

ولكن قبل الشروع في ترجمة البديع يجدر بنا ان نقول كلمة عن وطنه همذان

❊ وطنه همذان ❊ همذان ثالثة مدن الفرس في هذه الايام · وهي من اشهر مدن العالم في التاريخ واسمها الاصلي « اكبتانا » بناها الملك ديجوسيس اول ملوك السلالة المادية ودعاها « هكمتانا » فاصبحت بعد ذلك عاصمة مملكة الفرس · وهي احدى المدن الاربعة القديمة التي لم يدرسها الزمان ولم تذهب باهميتها وعمارتها القرون الطوال ونعني بها ازمير واورشليم ودمشق الشام وهمذان

ويقول المؤرخون بوجود اربع مدن كانت تُدعى « اكبتانا » الاولى همذان التي نحن في صددها الآن · والثانية مدينة في ازربيجان كانت شهيرة في العصور الماضية · والثالثة مدينة في شرقي برسيديا · والرابعة مدينة في سوريا وهي حماه · روى هيرودوتس ان قمبيز في مسيره لفتح مصر اجتنب دخول « اكبتانا » لان بعض العرافين تنبئوا له بانه يموت فيها · فلما جُرح في سوريا عند عودته من مصر ورحل الى حماه سأل عن اسم المدينة التي هو فيها فقالوا له انها تُدعى اكبتانا فتطاير وايقن بدنوا اجله · ولكن يحتمل ان حماة لم تُدع اكبتانا او هكمتانا ولكنهم لما لفظوا اسمها لتمييز اشبعوا الهاء ولفظوا « هماة » فصارت قريبة من « هكمتان » ويحتمل ايضاً ان لا تكون هذه القصة صحيحة

وهمذان او اكبتانا او حمدان التي تعاصرنا اليوم قائمة على مسافة ٣٤٠ كيلو متراً من

طهران وهي تابعة لولاية العراق العجمي وعدد سكانها ٣٥ الف رجل · وفيها نحو الف عائلة من الاسرائيليين وهم يحترمونها كل الاحترام لقولهم ان فيها قبر استير ومردخاي المذكورين في التوراة · وفيها ايضاً نحو مائة عائلة ارمنية تعمل مع الاسرائيليين بالصنائع الفارسيـة

اما مصنوعات همذان وحاصلاتها فالجلود والسجاد الثمين ولها تجارة واسعة مع الموصل والبصره و بغداد ومركزها الجوغرافي يجعلها في غاية الاهمية لانها قائمة صلة بين بلاد الفرس وما بين النهرين · اما الهواء فيها فغير حار وذلك للثلوج التي تعمم قمة جبل ايلفان الذي يجاورها · وتجري في همذان الترع ونجاري المياه وتزكو فيها الكرمة فيعصر الاسرائيليون والارمن من عنبها خمراً خفيفة

وفي همذان كثير من الاثار التاريخية الجليلة اهمها كاها قبر فيلسوف العرب الرئيس ابن سيناء وجامع مبني في القرن الرابع عشر للميلاد · وتربتها ممتلئة بالاثار القديمة ولكن المنازل الجديدة اقيمت على انقاض المدينة القديمة فاصبح التنقيب مستحيلاً فيها وذلك مما يوجب الاسف

﴿ ترجمته ﴾ هذه هي المدينة العظيمة التي هي مسقط راس احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الملقب بابي الفضل و بديع الزمان · وكانت ولادته فيها سنه ٩٦٨ للميلاد · فلما شب لزم ابا الحسين بن فارس واخذ العلم عنه فامتاز بطلاقة اللسان وحدة الذهن وشدة الحفظ واشتهر امره فاستدعاه الصاحب و زير مؤيد الدولة فلزمه بديع الزمان حتى اشتدت الواحه واخذ من اللغة كل ماخذ · ومن عجائبه التي رواها له صاحب اليتيمة انه كان يقرأ مرة واحدة القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من ٥٠ بيتاً « فيحفظها كلها و يؤديها من اولها الى آخرها لا يخرم منها حرفاً » ويقرأ مرة واحدة في ٤ او ٥ اوراق من(كتاب لم يعرفه ولم يره ثم يمليها عن ظهر قلبه · وكان يقترح عليه عمل قصيدة او انشاء رسالة في معنى بديع فيفرغ منها في الوقت المعين والجواب عنها فيها· وكان يترجم ما يقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع الاسراع) ووصفه صاحب اليتيمة ايضاً فقال « وكان مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الطرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص المودة حلو الصداقة مر العداوة » ومما قاله في وصفه ايضاً (هو نادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر· من لم يلف نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء

الذهن وقوة النفس ولم يروَ ان احداً بلغ مبلغه من لب الادب ومره)

ولكن (نادرة الفلك و بكر عطارد) لم يترك لنا مع ذكائه وفضله سوى ٤٠٠ مقامة كتبها في نيسابور ورسائله الشهيرة التي كتبها في اثناء حياته . وهو شيء قليل من رجل كابي الفضل منح ما مُنع من المواهب الطبيعية وان كان كثيراً على طلاب اللغة والراغبين في اقتباس البلاغة

وقد جلعت له مقاماته ورسائله كما يقول " مقاماً سنياً ووساداً مثنياً " ولكن لم ينشر شيء شهرته بين الناطقين بالضاد في تلك الايام مثل المناظرة التي دارت بينه وبين اديب خراسان الشيخ ابي بكر الخوارزمي صاحب الرسائل المشهورة

﴿ المناظرة ﴾ وكان بديع الزمان قد تعمد هذه المناظرة لانه قصد ابا بكر في نيسابور للقائه وفصل الخطاب بينه وبينه . فكان شانهما في ذلك شان مملكتين تروم كل واحدة منهما ان تستاثر بالعظمة والاولية او شجرتين نبتتا في بقعة ضيقة من الارض فكل واحدة منهما تجتذب مواد الغذاء اليها ولو ماتت اختها . واذا كان هذا التشبيه غير صحيح كأن كانت بلاد الفرس والعرب لا تضيق في ذلك الزمان عن شهرة اديبين كهذين الاديبين فيكون ابو الفضل قد قصده طمعاً في سرعة نشر فضله وشهرته . وهذه صورة المناظرة التي دارت بينهما منقولة عن سفر طويل عريض كتبه الهمذاني نفسه وما كان من هذا الكلام بين ضمتين القوسين فهو منه فيجدر بالقارىء مطالعته كله

﴿ المناظرة الكبرى بينهما ﴾

قصد بديع الزمان نيسابور في خراسان للتعرف بافاضل العلماء والفقهاء فلقيه العرب في الطريق فسلبوه ما معه " فمن بزة بزوها . وفضة فضوها . وذهب ذهبوا به . فورد نيسابور براحة انقى من الراحة وكيس اخلى من جوف حمار وزي اوحش من طلعة المعلم " فقصد منزل الخوارزمي فلم يحسن استقباله بل قابله " بطرف نظر بشطره . وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بامره " فصبر بديع الزمان على هذا اللقاء " وورد الامر في ذلك الى زي استغثه ولباس استرثه وكاتبه يستمد وداده . ويسلس قياده . ويستميل فؤاده . بما هذا نسخته "

بسم الرحمن الرحيم

الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه ان وجده يضرب اليه اباط القلة في اطمار الغربة فاعمل في رتبته انواع المصارفة . وفي الاهتزاز له انواع المضايقة من ايماء

بنصف الطرف واشارة بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف لرد السلام . وقد قبلت تربيته صعرًا واحتملته وزرًا واحتضنته نكرًا وتابطته شرًّا ولم آله عذرًا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست مع هذه الحال وفي هذه الاسمال انقزز صف النعال . فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناسًا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم   واندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بابي بكر ايده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبًا ومحط الرحل رحيبًا ووجه المضيف خصيبًا وراي الاستاذ ابو بكر ايده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شاء الله)

فاجاب الخوارزمي بما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلت رقعة سيدي ومولاي ورئيسي اطال الله بقاءه الى آخر السكباج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر . ونبا به دهر والحمد لله الذي جعلني موضع انسه . ومظنة مشتكى ما في نفسه . اما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي اياه في القيام فقد وفيته حقه ايده الله سلامًا وقيامًا على قدر ما قدرتُ عليه . ووصلت اليه . ولم ارفع عليه الا السيد ابا البركات العلوي ادام الله عزه . وما كنت لارفع احدًا على من جده الرسول . وامه البتول . وشاهداه التورات والانجيل . وناصراه التاويل والتنزيل . والبشير به جبرائيل وميكائيل . فاما القوم الذين صدر سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال تفصيل وجملةٍ ولقد جاورتهم فاحمدت المراد ونلت المُراد

فان كنت قد فارقت نجدًا واهله   فما عهد نجدٍ عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للاخوان كافةً ولسيدي من بينهم خاصةً فان اعانني الدهر على ما في نفسي بلغت اليه ما في الفكرة وجاوزت مسافة القدرة . وان قطع عليَّ طريق عشرتي بالمعارضة وسوء المواخذة صرفت عناني عن طريق الاختيار . بيد الاضطرار

فما النفس الا نطفةٌ بقرارةٍ   اذا لم تكدر كان صفوًا معينها

وبعدُ فحبذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبًا . واقترفنا ذنبًا . فاما ان يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون انفسنا عن احتماله . ولست اسومه ان يقول استغفر لنا ذنوبنا

انا كنا خاطئين ولكني اساله ان يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)

فبعد هذه المكاتبة استحكم النفار بين الاديبين فصار كل واحد منهما يستجهل صاحبه في غيابه ويعزو اليه القصور ويزعم الفضل عليه . فكبر الامر على الخوارزمي لبعد صيته وعلو قدمه اذ لم يكن قد ظهر البديع كل الظهور بعد فطلب ان يناظر ذلك الشاب ليثبت جهله . فاتفق الفقهاء والعلماء على الجمع بينهما فجمعوهما في منزل السيد ابي الحسين . فلما دخل الخوارزمي « قام له بديع الزمان واليه » فاخذ الخوارزمي « يحرق ارمه ويفرغ جعبة وسواسه » فقال له البديع « لا ترقص لغير طرب ولا تحمَ لغير سبب وانما ذكرناك لتملأ المجلس فوائد ونباحثك فنسعد بما عندك وتسأ لنا فتسر بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه . ولتبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك » فقال الخوارزمي وما هو قال الحفظ ان شئت والنظم ان اردت والنظم ان اخترت والبديهة ان نشطت » فقال الخوارزمي ابادهك ثم مال الى السيد ابي الحسين يساله بيتاً ليجيز فاقترح البديع ان يكفيه ذلك العناء فياخذ ديوان ابي بكر ويقرن كل بيت منه بوفقه دون ان يقطع النفس فقال ابو بكر ما الذي يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ما تريد انشاده الآن . فقال بديع الزمان اقترح لكل بيت قافية . ثم اقترح عليهما وزن وقافية فقال البديع على الفور ابياتاً جاء في ختامها

هذا الشريف على تقدم بيته	في المكرمات ورفعه في سمكهِ
قد رام مني ان اقارن مثله	وانا القرين السوء ان لم انكهِ
واذا نظمت فصمت ظهر مناظري	وحطمت جارحة القرين بدكه
اصغوا الى الشعر الذي نظمته	كالدر رُصع في مجرة سلكه
فمتى عجزت عن القرين بديهة	فدمي الحرام له اراقة سفكه

اما ابو بكر « فلم يخرج ابياته من الغلاف ويبرزها من اللحاف » . فقال له البديع « ان البيت لقائله كالولد لناجله فمالك تعق ابنك وتضيعه . ابرزها للعيون وخلصها من الظنون » فكره ابو بكر (ان تكون الهرة اعقل منه لانها تُحدث فتغطي) فمسح جبينه وطلب المبادهة نفساً اي دون ان يكتب فاقترح عليهما الحاضرون ان يقولا على وزن قول المتنبي

ارق على ارق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرقُ

فقال ابو بكر ابياتًا اولها

واذا ابتدهت بديهةً ياسيدي فاراك عند بديهتي تتقلق

ثم وقف يعتذر و يقول « ان هذا كما يجيء لا كما يجب » فقال البديع « قبل الله عذرك . لكني اراك بين قواف مكروهة وقافات خشنة كل قاف كجبل قاف منها تنقلق وتنشقق وتنغلق نخذ الآن جزاءً عن قرضك » ثم انشد ابياتًا اولها

مهلاً ابا بكر فزندك اضيق فاخرس فان اخاك حيٌّ يرزق

وختامها

يا احمقًا وكفاك ذلك خزيةً جربتَ نار معرتي هل تُحرق

فقطع ابو بكر عليه وقال يا احمقا لا يجوز فان احمق لا ينصرف » فقال البديع « ان احمق لا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه » ثم اخذ الهمذاني ينتقد ابيات ابي بكر . فحمي وطيس الجدال وخرجا من المناظرة الى المهاترة . فعيره البديع بقلة عقله فقال ابو بكر مشيرًا الى غناه « انا قد كسبت بهذا العقل دية اهل همذان معقلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته » فاجاب البديع « اما انك شحذت فاخذت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم ياعافاك الله . واما مالك فعندنا يهودي يماثلك في مذهبه و يزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفني الا بعين الرهبة » ثم حدد البديع سهام مجونه فصاح ابو بكر « والله لاضربنك وان ضُربت » فقال البديع (نصفعك الآن وتضربنا فيما بعد) . فقال ابو بكر « والله لو دخلتَ الجنة واتخذت السندس والاستبرق جُنة لصفعتَ » فاجاب البديع « والله لو ان قفاك غدا في درجٍ في خرجٍ في برج لاخذك من النعال ما قدم وما حدث »

فلما بلغ الجدال الى هذا الحد اسكتوهما وصرفوا بقية الليل بالانس والانشراح . فاخذ الناس منذ هذا الحين يترامزون و يتغامزون « فراب ابا بكر غمزاتهم مثل ما راب المريض تغامز العواد » فجعل يحلف للناس انه اخذ قصب السبق . ثم سعى بعض الافاضل بينهما بالصلح « فعرف بديع الزمان لخصمه فضل السن فقصده معتذرًا » فدعاه الى الاكل عنده فاجاب البديع واقام لديه سحابة يوم فحسب الناس ان الخلاف قد زال

لكن زاد انتشار الخبر بين الناس بفوز بديع الزمان على ابي بكر فوجد ابو بكر انه اذا سكت اضاع سمعته فارسل بعد بضعة ايام رسولاً الى البديع يساله ان يناظره في مجلس عظيم من خاصة الناس وعامتهم او ان يعترف له بالسبق والا فانه لا يأمن ان تعتدي تلامذته عليه لان تلامذة ابي بكر كانت قد هاجت خواطرهم على بديع الزمان . فاتفقت

الاراء على ان يُعقد هذا المجلس في دار الشيخ ابي القاسم الوزير « العالم الذي افرغ في عالمَ » وقد حضره الامام ابو الطيب والسيد ابو الحسين والشيخ ابو عمر البسطامي والقاضي ابو نصر وابو سعيد محمد بن ارمك وابو القاسم بن حبيب والنقيه ابو الهيثم والشيخ ابو نصر بن المرزبان والشيخ ابو سعيد الهمذاني . وكان بديع الزمان اول من حضر

فلما انتظم المجلس وغص بالفقهاء والعلماء حضر ابو بكر « ومشى الى فوق اعناق الناس يريد الصدر » فقال له البديع « يا ابا بكر تزحزح عن الصدر قليلاً الى مقابلة اخيك » فقال « لستَ برب الدار فتأمر الزوار » فقال البديع « حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر او من النظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حُسن النظر ان يكون مقعدنا واحداً حتى يتبين الفاضل من المفضول » فرأت الجماعة راي بديع الزمان فانحط الخوارزمي عن مكانه

وكان المجلس كالدر المنظوم غاصاً باكابر الفقهاء والعلماء والكل متشوقون لاستماع مناظرة هذين الاديبين . فقال البديع في اي علم تريد ان نتناظر فاومأ ابو بكر الى علم النحو فقال البديع اذاً انت تسلم لي ما كنت تدعيه من البداهة والرواية والحفظ والترسل . فقال لا اسلم شيئاً ولا اناظر في غير النحو اولاً . فقال له الاستاذ ابو عمر « ايها الاستاذ انت اديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق » ثم اضطره الى منازلةٍ فيها او نزول عنها فقال ابو بكر سلمت الحفظ وذلك لان البديع كان مشتهراً به كما قدمنا

فقال البديع سلم ايضاً الترسل والبديهة لنفرغ للنحو فاجاب ابو بكر لا اسلم الترسل والبديهة ولا سلمت الحفظ . فقال له البديع « الراجع في شيئه كالراجع في قيئه » فسلم ابو بكر الحفظ ثانياً ثم صارا الى البديهة يتناظران فيها وهي ارتجال الشعر فاقترح احد العلماء الحاضرين ان يقولوا على شعر ابي الشيص

ابقى الزمان به ندوب عضاضِ ورمى سواد قرونه ببياضِ

فقال ابو بكر ابياتاً لم يفرغ منها حتى اخذ البديع بانتقادها ثم اندفع يقول شعراً فحاول ابو بكر مؤاخذته ببعضه فقالت الجماعة « علمنا ايكما اشعر واي البديهتين اسرع » يريدون بديع الزمان فقال ابو بكر فاشهدوا لي بالسبق فسكتوا . ثم مال المتناظران الى الترسل فقال البديع « اكتب كتاباً اذا قرئ من آخره الى اوله كان كتاباً . او اكتب كتاباً ليس فيه حرف منفصل . او كتاباً خالياً من الالف واللام . او كتاباً

خاليًا من الحروف العواطل او كتابًا اوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم · او اكتب كتابًا يُقرأ منه جوابه · او كتابًا اذا فُسر على وجه كان مدحًا واذا فُسر على وجه آخر كان قدحًا» فقال ابو بكر « هذه الابواب شعبذة » فقال البديع « وهذا القول طرمذة » ثم مالا الى الرسائل الاعتيادية فكتب ابو بكر ما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرهم والدينار ثمن الدنيا والاخرة بهما يتوصل الى جنات النعيم · ويخلد في نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى : خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم · وقد بلغنا من فساد النقود ما اكبرناه اشد الاكبار · وانكرناه اعظم الانكار · لما نراه من الصلاح للعباد · وننويه من الخير للبلاد · وتعرفنا في ذلك ما يُربح للناس في الزرع والضرع · ويعود اليه امر الضر والنفع · الخ

فقال له بديع الزمان « يا ابا بكر ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد نبتت في المعد ولم تزل في اليد » ثم قرأ البديع الرسالة التي كتبها وهي رسالة لا يستقيم معناها الا اذا قُرأت معكوسة اي من آخرها الى اولها وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الله شاء ان المحاضر · صدور بها وتملأ المنابر ظهور لها وتفرع الدفاتر وجوه بها وتمشق المحابر · بطون لها ترشق اثارًا كانت فيه آمالنا مقتفي على اياديه في تاييده الله ادام الامير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا و يرفع الدين اهل عن الكل هذا يحط ان في اليه نتضرع ونحن واقفة · والتجارات زائفة · والنقود صيارفة · اجمع النار صار فقد كريمًا نظرًا لينظر شيمه · مصاب وانتجعنا كرمه · بارقة وشمنا هممه · على امالنا رقاب وعلقنا احوالنا · وجوه له وكشفنا آمالنا · وفود اليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا ان ونعماءه · تاييده وادام بقاءه · الله اطال الجميل الامير رأى ان · وصلى الله على محمد وآله الاخيار

فلما فرغ من قراءتها « انقطع ظهر احد الخصمين ». ثم صارا الى اللغة فكان ابو بكر لا يطلب بابًا حتى يندفع البديع فيه فيأتي على آخره وعلى الباب الذي يليه فقالوا له كفى كفى · فقال البديع حينئذٍ لابي بكر « اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام » فسكت ابو بكر · فقال البديع هاتوا العروض وسرد منه خمسة ابحر بالقابها وابياتها وعللها وزحافها ثم قال لابي بكر هات الآن فاسرده كما سردته فسكت ابو بكر · فقام الناس معجبين

بديع الزمان اما ابو بكر فغشي عليه من قهره فركضت الجماعة اليه وفي مقدمتها البديع فقبل جبينه ومسح وجهه ثم انشد

يعزُّ عليَّ في الميدان اني قتلت مناسبي جلداً وقهرا
ولكن رمتَ شيئاً لم يرمه سواك فلم اطق ياليث صبرا

ثم دعوهما للطعام مع افضل ذلك المقام فعاد البديع الى مخاشنة خصمه فانشد على المائدة

يا قوم اني ارى الاموات قد نُشروا والارض تلفظ موتاكم اذا قُبروا

فاخبرني يا ابا بكر لمَ غُشي عليك . فقال ابو بكر « لحمى الطبع وحمو الفرو » فقال البديع « اين انت عن السجع هلا قلتَ « حمى الطبع وحمى الصفع » فقال ابو بكر « هذه اسجاع كنتَ حفظتها فقل كما اقوله يصير في عينك قذى . وفي حلقك اذى . وفي صدرك شجى » فقال البديع « يا ابا بكر على الالف تريد . خذ الآن . بفيك البرا . وعلى هامتك الثرى . ولا اطعمك الخ . . الا كما ترى » فضحك الحاضرون . وقال ابو بكر والله لاتركنك بين الميمات . فقال البديع ما معنى الميمات . فقال « بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم » فقال البديع « واترك بين الميمات ايضاً بين الهيام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام . و بين السينات فقد علمتنا طريقة بين منحوس منكوس معكوس متعوس محسوس معروس . و بين الخاآت ايضاً فقد فتحت علينا باباً بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ . و بين الباآت بين مغلوب مسلوب مرعوب مصلوب منكوب منهوب مغصوب » . ثم خرج بديع الزمان فلقوه « بالشفاه تقبيلاً و بالافواه تبجيلاً » واحتجر ابو بكر فلم يخرج حتى هبط الليل واسدل الليل ستره » انتهى تفصيل المناظرة كما ذكرها بديع الزمان

وقال صاحب اليتيمة في هذه المناظرة وفي موت صاحب الترجمة

(وناظر ابا بكر الخوارزمي فغلبه مع انه ما كان يظهر ان احداً يتجرأ على مجاراته و بذلك طار صيته في الافاق وادرَّ الله تعالى له اخلاف الرزق . وقد صاهر ابا عليّ الحسين بن محمد الخشنامي الفاضل الكريم الاصل فانتظمت احوال ابي الفضل واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة وعاش عيشة راضية . وحين اربى سنه على الاربعين توفاه الله تعالى فقيل مات مسموماً وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه وانه افاق في قبره وسُمع صوته بالليل فنبش فوجد انه قد مات وقد قبض على لحيته)

✻ الخلاصة ✻ فمما مرّ يتضح ان بديع الزمان كان وحيد زمانه في اللغة وصناعة الترسل وانه فاز فيهما وهو شاب على الخوارزمي الذي قد قطع ايامه في مزاولتهما . على اننا مع ذلك ناسف له ان يكون قد صرف مواهبه في ما مرّ بك من (المنحوس والمنكوس والمعكوس والجذام والزكام والسام والبرسام) وما اشبهها لانه صرفها في ما لا يفيد فائدة تُذكر . ولكننا نعود فنقول انه غير جدير باللوم وانما الجدير به معاصروه الذين كانت عندهم هذه المنات في اسمى منزلة مما كان يحمل الادباء على الاقبال عليها والايغال فيها والاعراض عن العلوم الحقيقية التي فيها صلاح حال البشر وترقية العمران . فعسى ان نتعظ بما فقدناه من المواهب الثمينة السابقة التي قتلناها بالدروس العقيمة ونصلح هذا الخلل في الاجيال الحاضرة والآتية وذلك باصلاح طرق التعليم اصلاحاً حقيقياً ولا سيما اننا لا نزال نرى في اطراف اقلام كثيرين من المعلمين والمتعلمين كثيرًا من هذا (الزكام السام والبرسام) والله ولي التوفيق في البداية والختام

باب المقالات

احياء الموتى بعملية جراحية

عملية هائلة عُرضت على المجمع العلمي الفرنسوي
في الشهر الماضي

اذا نظر البسطاء غرائب المكتشفات والمخترعات في هذا العصر قالوا من دهشتهم ان العلماء والمخترعين سيصنعون في القرون الآتية كل ما يتصوره الفكر من العجائب والغرائب فلا يبقى لديهم صعباً الا الموت والحياة . ويعنون بذلك ان العلماء مهما بلغوا من العلم فانهم لا يستطيعون احياء الميت وصنع الحياة من غير ذي حياة

غير ان العلماء يشتغلون اليوم بذلك . ولا يشتغلون به الاوهم يؤملون ان يقدروا عليه ويصلوا اليه يوماً من الايام . وقد رأينا بهذا الشان في وقائع المجمع العلمي الفرنسوي في الشهر الماضي امرًا مدهشاً كان له دوي عظيم في جميع الاندية العلمية والطبية في العالم

و بيان ذلك ان الجراحين المسيو توفيه والمسيو هاليون الفرنسويين قد عرضا في الشهر الماضي على هذا المجمع بواسطة احد اعضائه المسيو ماراي تفصيل عملية جراحية عملاها في انسان ميت لاعادة الحياة اليه . وهما يقولان انها اتت بنتيجة حسنة . وهذان العالمان هما من مشاهير الجراحين في العالم وقد اعتادا صنع العجائب الجراحيــة قبل اليوم . فانهما يستخرجان المعدة من الجسم و يبقى الجسم حياً . ويقطعان المريء و يضعان مكانه حنجرة صناعية وهلم جرّا . فغير غريب ان يكونا قد اقدما على اعظم تلك العجائب وهي احياء الاموات

و بما اننا نذكر ههنا هذا الامر استناداً الى وقائع الجمعية العلميــة المذكورة والمجلات العلميــة الكبرى التي بحثت فيه بروية وامعان فلا مسوغ للارتياب في ذلك . وعليه نقول ـــ

ان المبدأ الذي جعله العالمان توفيه وهاليون قاعدة عملهما في هذا الشان هو اعادة الدورة الدموية الى الجسم بعد وقوفهــا بسكون القلب . وتوصلاً لذلك جعلا طريقتهما الضغط باليد على القلب وتحريكه حركةً تشبه حركته اثنــاء الحياة فيعود الدم الى دورته و يتوزع على اعضاء الجسم طبقاً لعادته فتعود الحياة الى الانسان بعودة دمه الى الدوران . وقد جربا هذه العملية في بدء الامر في بعض الحيوانات فالظاهر انها نجحت معهما فيها بعض النجاح حتى جرباها بعد ذلك في الانسان . فاخذا جثة شاب عمره ٢٤ سنة كانا يعالجانه في المستشفى وغاب عن الحس حتى ظهرت فيه جميع اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس . ثم تناول كل واحد منهما سكينه و بدأ بالعملية . فشقا البشرة فوق معدته وفتحا شقاً واسعاً فيها ثم مد احدهما يده الى داخل جسم الميت واخذ باصابعه طرف القلب الاسفل . و بعد ذلك بدأ يحركه بلطف الحركةَ التي تشبه حركته في الحياة

فما بدأت يد الجراح تحرك القلب هذه الحركة حتى ابصر العالمان منظراً مدهشاً . ابصرا الجثة التي امامهما قد فتحت عينيها ونظرت اليهما كانها عرفتهما . ثم اغمضت العينان فكانت تلك الحياة التي ظهرت فيهما هنيهة بمثابة البرق اذا خفق خفقة ثم خبا او بمنزلة شمعة آخذة في الانطفاء فهبت عليها نسمة فزادت نورها قليلاً ثم اطفأتها . وبعد ثلاث دقائق مات ذلك الشاب حينئذٍ موتاً حقيقياً

ولا يجهل احد انه يوجد على هذه المسالة اربعة اعتراضات مهمة . الاعتراض الاول المسالة الدينية ونعني بالمسالة الدينية الاعتقاد بوجود جوهر في الجسم الانساني مستقل عن المادة وهو النفس التي هي سبب الحياة عند اللاهوتيين . فهذه العملية الجراحية تفترض ان

جسم الانسان كجسم الحيوان مادة في مادة وليس فيه شيء مستقل عن لحمه ودمه . نعوذ بالله من هذا الاعتقاد حتى ولو كان صحيحاً لانه يقذف عقول البشر في هاوية مظلمة

والاعتراض الثاني انه يستحيل احياء الميت بعملية كهذه العملية لان الجسم الانساني حين بلوغه درجة الموت اي درجة الانحلال والضعف التام لا يقدر على حمل تاثيرها بل ان الاصحاء انفسهم لا يقدرون عليه . ولذلك فان الموتى ليس فقط انهم لا يشفون بهذه العملية بل ان الاحياء المغشي عليهم يموتون بها اذا اجريت فيهم

والاعتراض الثالث ان العلماء اذا اعترفوا بسهولة بوجود الموت الوقتي اي سكون حركات الجسم كلها سكوناً يشبه الموت فانهم لا يعترفون بوجود حياة وقتية . وسبب ذلك ظاهر . لان الموت الوقتي يكون له عادة أكثر اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس وغياب الحس واما الحياة الوقتية فلا يكون لها الا حركة بسيطة كالحركة التي رايناها في عيني هذا الشاب مما لا يستحق ان يسمى حياة ولكن عرضاً من الاعراض

والاعتراض الرابع ان كل حياة يصحبها حس واذا كان هذا الشاب قد عاد الى الحياة بالعملية الجراحية فيجب ان يكون قد عاد الى الحس . ولو عاد الى الحس لصرخ على الاقل وتألم من تلك العملية الهائلة . فسكوته دليل على عدم حياته . ونظره الذي وجهه الى الجراحين اللذين كانا يرتكبان ذنب تعذيبه هذا العذاب الهائل لم يكن نظر غضب منهما وتخط على قساوتهما

ولكن هذا الاختبار مع ذلك لا يخرج عن كونه في اقصى درجات الاهمية . وقد اهتم به العلماء في كل مكان . نعم انهم لم يستفيدوا منه سوى معرفة ان الدم اذا ارسل الى اطراف جسم الميت بعد موته ببضع دقائق او قبل ذلك ببضع دقائق فانه يعطيها ظاهر الحياة ولكن اذا كانت هذه بداية هذا الاختبار فالله اعلم ماذا تكون نهايته . على ان العالمين توفيه وهاليون يقولان انهما مسروران بهذه النتيجة الابتدائية و يؤملان ان يتقدما في هذه الابحاث تقدماً يذكر

فنحن لا نستطيع ان ندعو لهما بالنجاح للاعتراض الاول الذي ذكرناه

ايطاليا ونشأتها

مقتل بري · تاريخ ايطاليا قبل الوحدة و بعدها · همبرت الاول وصفاته ·
الملكة مرغريت · الملك الجديد والملكة الجديدة · ملكان
في رومه

اذا اردت دليلاً على فساد التمدن الحاضر فحسبك ان تنظر الى هذه الحادثة · ملك يكاد يكون بلا سلطة لانه مقيد بدستور صارم قد ابيضّ شعر راسه في خدمة شعبه وكان رؤوفًا به دائمًا حضر احدى حفلات الالعاب الرياضية في احدى مدنه تنشيطًا للآخذين بها وفيما هو يضحك لشعبه و يستعد للعوده الى قصره مُدت اليه يد اثيمه فقتلته · قتلته وهو بريءٌ لا لامر سوى انه ملك اي صاحب السلطة العليا والاهتمام العالي في شؤون دولته · قتلته لان الانسانية في هذا الزمان اصبحت تنزل احيانًا الى دركات الوحشية سواءٌ في اممها او في افرادها فلا يعود يرويها شيءٌ غير شرب الدماء ولا يردها شيءٌ عن الاعتداء · قتلته لفساد التمدن الحاضر الذي يجعل طبقة من اسافل الناس و بسطائهم اعداءً للنظام الحاضر وللذين يديرونه

واننا بمناسبة مقتل هذا الملك الدستوري المحبوب من شعبه ومن سائر الشعوب يجدر بنا ان نبسط الكلام على نشأة ايطاليا مملكته ونلمّ بما يهم من تاريخها وشؤونها

﴿ قبل الوحدة ﴾ لايطاليا تاريخان تاريخ قديم وتاريخ حديث · اما التاريخ القديم فهو تاريخ نشأتها في عهد الرومانيين وليس من غرضنا الكلام على ذلك في هذه المقالة · واما التاريخ الحديث فهو تاريخ وحدتها

ولم تكن ايطاليا منذ نحو نصف قرن مملكة واحدة كما نراها اليوم بل كانت ولايات منقطعة ومدنًا مبعثرة · وكان اهم امرائها في القرن الرابع عشر ثلاث عيال · الاولى عائلة الكونت دي سافوى وهي تملك على امارتين البيمونت وسافوى · والثانية عائلة المركيز مونفرات والثالثة عائلة المركيز سالوس · وكان النزاع بين امراء هذه العيال مستمرًا ومضعفًا شأن اماراتهم

ولكن مصائب ايطاليا لم تكن ناشئة عن نزاع امرائها وحكامها فقط فان الدول القوية التي تجاورها وهي النمسا والمانيا وفرنسا كان همها مهاجمتها للتسلط عليها · فذاقت من نير

النمساو بين والالمانيين المقعد المقيم مع ما هو مشهور عنها من حب الحرية منذ القديم

ولكن الضعيف مهما كان ضعيفاً فانه لا يصبر على الضيم وقتاً طويلاً . فبعد احتمالها نير النمساو بين والالمانيين ونير الفرنسو بين ايام فتح بونابرت لها اخذت تثور على الاجانب طلباً للحرية غير انها ما لبثت ان أدركت انها قاصرة لضعفها وتفرق كلمتها عن مقاواة خصومها فادى بها هذا الشعور طبعاً الى طلب الوحدة لتقوى بها على مرادها

وكانت السلطات فيها مختلفة والاحكام مختلفة ايضاً . فمن مبادئ استبدادية متخلفة عن سلطة رومه وحكم الاشراف القديم . ومن مبادئ ديموقراطية متخلفة عن الجمهورية التي كانت فرنسا قد اقامتها فيها وعن الثورة الفرنسوية نفسها . اما البابوات الذين كانوا يحكمون رومه ولهم السلطة العليا الاسمية على جميع امراء ايطاليا فكانوا من انصار المبادئ الاولى فلم يبقَ في سنة ١٨٥٠ في ايطاليا كلها بعد حروب ومشا كل كثيرة لا يحصى عددها من بلد فيها حكومة دستورية منظمة غير امارة البيمونت التي كان يحكمها فيكتور عمانوئيل الثاني من عائلة سافوى

فيومئذٍ بدأت الحركة العظمى التي انتهت بالعمل الجليل الذي جعل ايطاليا دولة واحدة . فان جميع المظلومين والمقهورين وطالبي الحرية جعلوا موعدهم ومجتمعهم في هذه البلاد الدستورية فاخذت البيمونت تتفلت من قيود الشقاق وترقى مراقي التقدم والنجاح ولا سيما حين قبض الكونت دي كافور السياسي العظيم على ازمة وزارتها في ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٢

وقد صرف كافور همه الى تنشيط التجارة والزراعة اولاً تحسيناً لاحوال السكان ثم نظم الجيش واخذ يتودد الى فرنسا حتى اتفق معها لتكون له عوناً على النمسا التي كانت قابضة على الولايات الايطالية المتاخمة لها . ثم صار يشجع جمعية تُدعى «الجمعية الايطالية الوطنية» وهي جمعية سرية كان غرضها جعل ايطاليا للايطاليين وطرد الاجانب منها . واغتنم كافور فرصة حرب القريم واشترك مع الدول في مساعدة الدولة العثمانية رغبة في اظهار شأن العلم الايطالي . وفي شهر مارس من سنة ١٨٥٥ طرح المسالة الايطالية في المؤتمر الذي عقد في باريز فاغاظ ذلك النمسا وزاد الطين بلة ان الامبراطور نابوليون الثالث فاه في احدى مقابلاته بكلام يُستفاد منه ان وحدة الجنسيات امر واجب ففهمت النمسا معنى ذلك واخذت تستعد للحرب

فحاربتها البيمونت بمساعدة فرنسا فكسرتاها في معركتي ماجنتا وسلفرينو شرّ كسرة وبذلك

استولتا على اقليم لومبارديا وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت في قبضة النمسا. فاخذ الايطاليون يصفقون طربًا سرورًا بانهم سيمدون مملكتهم من البحر المتوسط الى البحر الادرياتيكي كما كان يقول نابوليون الثالث . ولكنهم ما لبثوا ان رأوا هذا الامبراطور لاسباب جهلوها يعقد الصلح مع النمسا بناء على ان تكون ايطاليا امارات متحدة تحت رئاسة البابا الاسمية

فاسخط ذلك الذين حاربوا لتوحيد ايطاليا واصبح النزاع مزدوجًا نزاعًا مع النمسا في الخارج ونزاعًا مع السلطة البابوية في الداخل . ولكن الشعب الايطالي كان قد انتعش وافاق ودبت في نفسه حلاوة الامل فلم يبقَ عائق يعيقه عن توحيد المملكة توحيدًا حقيقيًا . فصرح كافور في ٢٥ مارس من سنة ١٨٦١ في وسط مجلس النواب الايطالي ان ايطاليا لا يهنأ لها عيش حتى تستولي على رومه عاصمتها الطبيعية

فاحدث هذا الكلام تاثيرًا هائلاً ولا سيما في بلاط الفاتيكان ونفوس الكاثوليك خارج ايطاليا . ولكن كافور كان داهية عصره فوضع هذه القاعدة رغبة في طمأنينة الافكار وهي : « يجب حفظ حرية الكنيسة وحرية الدولة معًا فتكون الاولى حرة في الثانية » ومعنى ذلك بقول اصرح يجب فصل السلطة الدينية من السلطة المدنية . ولكن هذا الوزير العظيم الذي يُنسب اليه الفضل في انشاء الوحدة الايطالية كما يُنسب الفضل لبسمارك في انشاء الوحدة الالمانية توفي في ٦ يونيو من ذلك العام قبل ان ينال هذه الامنية

فخلفه الوزير ريكازولي وانصرف الى تحقيقها . ولكن نابوليون الثالث صاحب السلطة المطلقة في اوربا في ذلك الزمان اخذ على نفسه حماية السلطة البابوية من كل اعتداء . فعاد يومئذٍ غاريبالدي الى مرسح السياسة. فالف هذا الزعيم الشهير الذي كان اكبر داعٍ الى الثورة الايطالية واعظم عامل في المعارك النمساوية لشدة سلطته على الشعب الايطالي جيشًا ورام الزحف به على رومه. فاغاظ ذلك نابوليون فسقطت الوزارة الايطالية

ثم حدث النزاع بين بروسيا والنمسا لان بروسيا اخذت تنتبه الى المبداء الذي وضعه نابوليون وهو « وحدة الجنسية » وقامت تطلب بلادها الواقعة في حوزة النمسا. فرات ايطاليا ان تشارك بروسيا في محاربة النمسا طلبًا لمقاطعة البندقية التي كانت في قبضتها . فانتقلت الحكومة الى فلورنسه واستاذنت نابوليون بالحرب فاذن لها من سوء سياسته كما اساء السياسة في مبداء وحدة الجنسية اذ جعل بروسيا تنتصر على النمسا وتقوم بعد ذلك الى معاداة فرنسا وتوحيد الجنسية الالمانية . فكسر النمساويون الايطاليين في معركة كوستوزه

البرية ومعركة ليسا البحرية ولكن البروسيين كسروا النمساويين في معركة سادوى فاستفادت ايطاليا من هذا الانكسار ثم تنازلت النمسا الى نابوليون الثالث عن اقليم البندقيـة الذي عليه الخلاف فوهبه نابوليون لايطاليا فجرح ذلك كبرياء غلاة الايطاليين لانهم لم يستطيعوا اخذه بالقوة

ثم ثارت الحرب بين فرنسا و بروسيا في سنة ١٨٧٠ وكان في رومه بعض من الجنود الفرنسوية المرسلة لحفظ السلطة البابوية فلما شبت نار الحرب استدعى نابوليون هذه الجنود لحاجته اليها اعتماداً على وعد ايطاليا ان تحترم سلطـة البابا . فبعد خروج الجنود الفرنسوية رات الحكومة الايطالية ان تغتنم هذه الفرصة لنيل اعظم امانيها وهي الاستيلاء على عاصمتها الطبيعية لا سيما وان بعض غلاة الايطاليين اخذوا يحركون راكد الفتنة فيها . فساق فيكتور عمانوئيل جنوده اليها فاستولت عليها الجنود في ٢٠ سبتمبر سنـة ١٨٧٠ بعد قتال ضعيف بينها و بين حامية المدينة . وكان نابوليون الثالث قد سقط وقامت الجمهورية فارسلت الجمهورية تهنىء حكومة ايطاليا بفوزها و بذلك غيرت مجرى السياسة الفرنسوية في ايطاليا بكلمة واحدة . وفي ٥ دسمبر سنة ١٨٧٠ افتتح الملك فيكتور عمانوئيل البرلمان الايطالي في فلورنسه فقال فيه « اصبحت ايطاليا اليوم مملكة حرة واحدة فعلينا ان نجعلها بعد الآن سعيدة » وكان ذلك بداية توحيد المملكة الايطالية

﴿ بعد الوحدة ﴾ وفي ٢ يوليو سنة ١٨٧١ دخل الملك فيكتور عمانوئيل الى رومه دخولاً رسمياً . وكانت ايطاليا قد اصبحت عظيمة الشان في الخارج وتقدمت تقدماً بيناً في الداخل . ولكن المسالة المهمة كانت مسالة المالية . فان ميزانيـة الدولة كانت ناقصة فجاء الوزير منكلتي ووازنها بجعله النفقات بقدر الدخل غير ان مجلس النواب ما لبث ان اسقطـه

وكانت الاكثرية في البرلمان منذ وزارة كافور من حزب اليمين وهو حزب الملكية فكان هو الذي يدير زمام الحكومة . ولكن حوادث الثورة الايطالية والحروب التي تلتهـا وحوادث الثورة الفرنسوية التي حدثت على مقربة من الايطاليين واثرت في اخلاقهم أنمت في ايطاليا مبادىء الجمهورية والديموقراطية . وكان الملك فيكتور عمانوئيل دستورياً محضاً ولكن الجمهوريين لا يكتفون بذلك . فما لبث ان كثر عديدهم في مجلس النواب فاصبحت اكثريته من حزب الشمال واكثرهم من الجمهوريين فصاروا القابضين على ازمة الامور . فقامت قيامات النزاع في الشؤون الداخلية بين الايطاليين ولا سيما منذ استقرت وحدتهم

ولم يبقَ لديهم شان خارجي يشغلهم عن الشؤون الداخلية

وقد توفي الملك عمانوئيل في ٩ يناير سنة ١٨٧٨ اي في وقت كانت ايطاليا في اشد حاجة اليه لتسكين اولئك الاحزاب الهائجة وقيامه نفسه صلة بينها . فخلفه في ذلك اليوم ابنه همبرت الاول الملك الفقيد

﴿ الملك همبرت الاول ﴾ ولد الملك همبرت الاول في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في تورين وتوفيت امه الملكة عدلائيد ابنة الارشيدوق رنيه النمساوي وعمره ١١ عاماً فاسلمه ابوه الى الجنرال كيسب روسي لتربيته . فربي همبرت تربية عسكرية محضة

وبقي البرنس همبرت في معزل عن شؤون البلاد الى سنة ١٨٦١ فارسله ابوه مع اخيه البرنس اميده الى فلورنسه للتعرف برجال اقليم توسكانا الذي كان قد ضُم من جديد الى ايطاليا . ثم ولاه قيادة الفرقة السادسة عشرة في معركة كوستوزه التي مرّ ذكرها فامتاز فيها البرنس همبرت بسكون جأش غريب . فانه كان سائرًا بها في ايام الحرب على طريق فيلافرانكا وهو في غفلة عن النمساويين لانه كان يحسبهم بعيدين عنه واذا بفرقة من خيالتهم قد فاجأت الجيش الزاحف وهجمت عليه . وكان هذا الجيش يسير سير مسافر لا سير مقاتل فلو بلغته الخيالة وهو كذلك لفرقته وكسرته شر كسرة . فثبت قائده البرنس وامره بسرعة ولكن بسكون وهدوء دون انزعاج او قلق ان يتالف مربعات في الحال . فسرى هذا الهدوء والاطمئنان الى نفوس الجنود فلم يذعروا لمهاجمة مهاجميهم بل انتظموا على شكل مربع باسرع من لمح البصر فلما ابصر ذلك الخيالة النمساويون عادوا عنهم فنجا هذا الجيش بثبات جأش قائده

وقد علمنا ان الايطاليين انكسروا في معركة كوستوزه ولكن هذه البسالة التي بدت من اميرهم خففت عليهم مرارة الانكسار

وفي سنة ١٨٦٨ اقترن البرنس همبرت بابنة عمه الاميرة مرغريت ابنة دوق جنوى فاتاه منها في العام التالي البرنس دي نابل فسرت به ايطاليا كلها . ولما استولت الجنود الايطالية على رومه ارسل الملك فيكتور عمانوئيل ابنه همبرت ليسبقه اليها . ولما انتقل البلاط الايطالي الى رومه قبضت البرنسس مرغريت زوجته على ادارته فكانت له جمالاً وبهاء

ثم توفي الملك فيكتور عمانوئيل وهو يوصي ابنه بحفظ الدستور دائمًا لان سياسة الايطاليين اصبحت صعبة بالدستور فكيف بدونه . فلما جلس همبرت على عرش ابيه نشر



الملك همبرت الفقيد والملكة مرغريت قرينته خارجان من حفلة احد المعارض
والملك يسلم بيده على الشعب الذي يهتف له

المنشور الملكي الاعتيادي وفيه يقول « ايها الايطاليون · لقد مات ملككم الاول غير ان ملككم الثاني سيبرهن لكم ان الدستور لم يمت بموته » ذلك ان الايطاليين كانوا يحبون فيكتور عمانوئيل حبّاً ما وراءه حب لانه كان حارساً للحرية والدستور فخافوا ان لا يحذو ملكهم الجديد حذوه

ولكن الملك همبرت الاول ازال خوفهم · فانه جعل نفسه فوق الاحزاب كلها واقتصر على انفاذ ارادة وزرائه حسبما يقتضيه النظام و يقرره البرلمان · وكان الانقسام الشديد في الاحزاب وسرعة انقلاب الاكثرية في مجلس النواب مما يجعل الحكومة امرًا صعباً جدًا · فرأى الوزير كريسبي المشهور مع بعض من الرجال الذين يطلبون اعادة ايطاليا الى عظمتها القديمة ان يوجهوا سياسة البلاد الى الاستعمار رغبة في تكبيرها وزيادة ابواب الرزق فيها وصرفاً للافكار عن الانقسام الداخلي الى الامور الخارجية · فعقد الملك همبرت في سنة ١٨٨٢ محالفة هجوم ودفاع بينه وبين النمسا وهي المعروفة بالمحالفة الثلاثية ثم اخذت ايطاليا في الاستعمار فاحتلت مصوع وارسلت المعلمين والمعلمات الى جميع اقطار الشرق لفتح المدارس فيها للذكور والاناث مزاحمة لفرنسا · فادى ذلك طبعاً الى زيادة

النفقات وظهور عجز في المالية ثم كانت معركة عدوه التي انتصر فيها النجاشي على الايطاليين ذلك الانتصار الباهر فشفي الايطاليون اذ ذاك من داء الاستعمار واسقطوا السنيور كريسبي الذي كان يدفع الامة اليه

فاشتد يومئذ سخط الساخطين في ايطاليا وخيف من حدوث ثورة لقلب الملكية واقامة الجمهورية · ثم مرت تلك الزوبعة ولكن ما لبثت ان هبت بعدها زوابع المجاعة لسوء حالة الشعب الاقتصادية فنودي بالاحكام العرفيــة حتى هدأت الافكار بعض الهدوء واخذت الحكومة تقتصد وتقلل النفقات بما في استطاعتها

ولكن كل هذه الفتن والحوادث اولدت في ايطاليا حزباً جديداً غير حزب اليمين وحزب الشمال · حزباً ينمو بنمو الشقاء في العالم ونعني به حزب الاشتراكية

ولا نعني بذلك انه لم يوجد اشتراكيون في مجلس النواب قبل هذه الفتن ولكنا نعني ان شوكتهم كانت ضعيفة · اما في السنوات الاخيرة فانها قويت واخذوا يقاومون الحكومة مقاومة لم يُسمع بمثلها قبلاً ولا سيما في ما ارادته الحكومة من سن نظامات جديدة تغل ايدي الاشتراكيين والعملة والمعتصبين وما اشبه ذلك · فان هولاء المعارضين اختطوا لمقاومة الحكومة خطــة جديدة وهي الصراخ والنداء وضرب موائد مجلس النواب بالايدي ورفسها بالارجل كلما وقف خطيب من حزب الحكومة لاظهار فائدة القوانين التي تطلبهـا الحكومة · فافضى هذا الامر طبعاً الى امتناع البحث والجدال في مجلس النواب · ولما اصر الاشتراكيون على هذه الخطة وانفذوها عند خطابة كل خطيب من خصومهم لم يبقَ الا ان يُحلّ المجلس لانتخاب سواه لعل الشعب يقلل عدد الاشتراكيين الذين ينتخبهم فحل الملك المجلس في العام الماضي فجاءت النتيجة معاكسة لذلك لان الاعضاء الاشتراكيين زاد عددهم بدل ان ينقص · ولا نقول ان هذا الحل قد اغاظ الاشتراكيين فازدادوا في جرائدهم المتطرفة تهييجاً للافكار حتى اثاروا الفوضويين على الملك لاغتياله فان الجرائد الاوربية لم تصلنا بعد لنعلم منها الخبر ولكن نقول ان الفتن التي حدثت في ايطاليا في هذه السنوات الاخيرة قد بلغت من الحدة والجنون مبلغاً لم يعد عنده مصرع المأسوف عليه الملك همبرت امراً مستغرباً · ولكن الشعب الايطالي وا اسفاه غير ملوم وان كان غير معذور · فان الجمعيات السرية الجمهورية تثير ثائره والحكومة قد اثقلت كاهله بكثرة نفقاتها على التسلح وكثرة الرسوم التي وضعتها على شخصه وعلى ملكه وبضائعه · وان جميع محبي خير الامم يسألون له الهداية الى السبيل القويم ليخرج من هذه الازمات التي فيها لئلا

يُقال عنه انه لم يكن بعد وحدته واستقلاله اكثر هناء وسعادة مما كان قبلها

﴿صفاته واخلاقه﴾ واخلاق الملك همبرت الفقيد من اشد اخلاق الملوك دماثة وله نوادر كثيرة تدل على حبه الدستور ورغبته في خير شعبه . يروى ان عاملين قصداه لامر فجثيا امامه بخوف فانحنى همبرت واخذهما بذراعيهما قائلاً — انهضا فان الايطالي لا يجب ان يتذلل

وقد اعتدي عليه مرتين في حياته قبل المرة الاخيرة . المرة الاولى في سنة ١٨٧٨ في نابولي فان رجلاً مختل الشعور يدعى باسافانت هجم على مركبتــه وفي يده خنجر وطعنه به فمال الملك عن الضربة فلم تصبه ثم جرد سيفه مسرعاً وهو ساكن الجأش وضرب به المعتدي بطحاً على راسه

والمرة الثانية في رومه . فانه كان سائراً في مركبته الى حفلة سباق خيل فهجم عليه الفوضوي اكسيار يتو لقتله فاوقفوه والقوا القبض عليه . ولما وصل الملك الى حفلة السباق وكان السفراء وجميع الحاضرين قد بلغهم امر الاعتداء خفوا لاستقباله فقالـــ لهم باسماً " هذا من لوازم حرفتي " يعني ان الملك مُعرض دائماً لهذه الاخطار

وكان همبرت ذا علاقات مع اعضاء حزب الشمال كما كانـــ مع حزب اليمين وكفى بذلك دلالة على احترامه اراء شعبه وحبه للدستور . وقد زار غاريبالدي في حياته فاحدثت زيارته هذه تاثيراً عظيماً في نفوس الايطاليين فازدادوا حباً له

وكان رحمه الله يرقد في الساعة العاشرة مساء وينهض في الساعة السادسة ونصف صباحاً وهو محب لركوب الخيل ومولع بتربيتها . وما كان يحضر التمثيل في الملاعب الا ما كان منه للاحتفالات الرسمية . الا انه كان كثير الحب للالعاب الرياضية يحضرها بنفسه ويحضر المعارض تشجيعاً لها . وقد قتل في مونزه حيث يقضي قسماً من فصل الصيف وهو خارج من احدى حفلات الالعاب الرياضية . ووضعنا رسمه في هذه المقالة مقروناً برسم الملكة زوجته حين خروجها من احد المعارض والشعب يهتف لها والملك كما ترى في الرسم يسلم عليه السلام العسكري والملكة تضحك ملء فمها

﴿الملكة مرغريت﴾ مسكينة هذه التي كانت تضحك ملء فمها فانها الآن اصبحت تبكي ملء عينيها . وهكذا

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ويقولون ان الملكة مرغريت هي سبب عقد التحالف الثلاثي . فانهـا رغبةً في حفظ

العرش لابنها البرنس دي نابل (فيكتور عمانوئيل الثالث اليوم) اقنعت الملك همبرت زوجها بمحالفة المانيا ظناً منها ان فرنسا تطمع ببعض الاملاك الايطالية وخوفاً من ان يزداد سريان المبادىء الجمهورية الى الامة الايطالية من جارتها وشقيقتها الامة الفرنسوية . فعقد الملك هذا التحالف السري دون ان يعرضه على البرلمان لان الدستور يبيح له عقد المحالفات والمعاهدات التجارية دون استشارة البرلمان ولا يجب عليه ان يطلع البرلمان على مضمون تلك المحالفة او المعاهدة الا اذا اوجبت مصلحة الدولة ذلك . اما اذا كان مقتضى المعاهدة او المحالفة التنازل عن شيء من املاك ايطاليا فالعقد فاسد لان ذلك من حقوق البرلمان لا من حقوق الملك

وقد كان للملكة مرغريت تاثير عظيم على الامة الايطالية في اوقات بؤسها . فانه كان يكفي ان تظهر الملكة في المدن الهائجة او بين القوم الساخطين على الملكية ومثل ذلك الابتسام في فمها فينقلب ذلك السخط الى رضى والصراخ هتافاً وابتهاجاً

وهي كاتبة ومؤلفة بارعة تحسن الفرنسوية والالمانية والانكليزية واللاتينية فضلاً عن الايطالية وجميلة مولعة بالفنون الجميلة . ومن ولعها بفن التمثيل تتردد كثيراً على الملاعب وتقرب الممثلين والممثلات اليها

ويروى عنها انها قالت في يوم من الايام للملك الا ترى انه يجب عليّ بعد الآن ان اترك الملابس الملونة المفرحة والبس الملابس اللائقة بسني فانني قد تقدمت في العمر . فاجاب الملك ساجيبك على ذلك . وبعد اسبوع وردتها ثلاثة صناديق ممتلئة ملابس ملونة جميلة تكفيها ثلاث سنوات فعرفت الملكة ان هذا جواب الملك فضحكت

الملك الجديد والملكة الجديدة اما ملك ايطاليا الجديد فيكتور عمانوئيل الثالث الذي كان قبل مقتل ابيه يُدعى البرنس دي نابل فهو شاب في الواحدة والثلاثين لانه ولد في ١١ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وقد رباه ابوه تربية عسكرية شديدة وولاه قيادة الجند في نابولي ثم قيادتها في فلورنسه . ولما انكسرت الجنود الايطالية في معركة عدوه الشهيرة كان البرنس دي نابل قائداً في هذه المدينة فطار ركضاً الى رومه من غير اذن وزارة الحربية ليلح على ابيه الملك بان يعزل السنيور كريسبي رئيس الوزارة الذي يقود الدولة الى الدمار . فعاقبه ابوه بايقافه ٢٤ ساعة لتركه منصبه من غير اذن الحكومة ولكنه مع ذلك أقال يومئذ الوزير كريسبي كما هو معروف

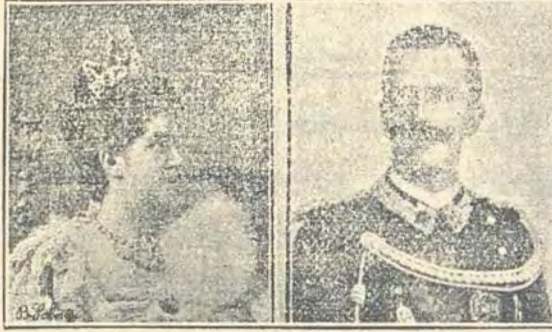
وفيكتور عمانوئيل الثالث يحسن الفرنسوية والانكليزية والالمانية جيداً وقد اخذ عن

امه الميل الى الادب والفنون . وهو مع ضعف منظره كما ترى شديد النشاط قوي الارادة . وقد اقترن في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٦ بالاميرة اللطيفة الجميلة البرنسس هيلانه كريمة امير الجبل الاسود التي ترى رسمها بازاء رسمه . وقد كان الفونسو بون ينظرون الى البرنس دي نابل بشيء من السخط قبل هذا الزواج لان البرنس حضر استعراضاً عسكرياً المانياً في ساحات متز في سنة ١٨٩٣ وفي ذلك من المجاهرة بعداء فرنسا ما فيه . الا ان كثيرين منهم اصبحوا يقولون انه كما ان الملكة مرغريت امه قد اثرت على ابيه فجعلته يصافي المانيا ويعقد التحالف الثلاثي كذلك ستجعل الملكة هيلانه ابنة امير الجبل الاسود قرينها الملك فيكتور عمانويل الثالث يسالم فرنسا اتم مسالمة . وهكذا ربما قلبت امارة الجبل الاسود الصغيرة ميزان التحالف الثلاثي وبذلك تقلب هذه العصفورة التوازن السياسي في اوربا كلها . ولعل ذلك معنى قول القائل : « لا تستخفوا بضعف المرأة فان الصاعقة لا تصدر الا عن لطيف الغمام »

ولم يولد بعد للملك الجديد ولد ليكون ولي عهده فاصبح ابن عمه الدوق دوست ولياً لعهده وقتياً . والدوق دوست هو ابن البرنس اميده شقيق الملك همبرت الذي جلس مدة من الزمان على عرش اسبانيا . وله ولدان غير الدوق دوست الاول الكونت دي تورين الذي بارز البرنس هنري دورليان والثاني الدوق دي زابروز الذي ذهب لاكتشاف القطب الشمالي في بعثة علمية روينا خبرها بالتفصيل في الجزء التاسع وانقطعت اخباره بعد ذهابه فارسلوا بعثة اخرى للتفتيش عنه

﴿ ملكان في رومه ﴾ وقد نشر الملك الجديد في اوائل هذا الشهر منشوره الملكي الاعتيادي فقال فيه انه مستعد لحماية الدستور بكل قوته . وقوله هذا عن حماية الدستور موجه الى فريقين الاول الفاتيكان والثاني الحزب الجمهوري والاشتراكي

اما الفاتيكان فقد قلنا ان رومه كانت عاصمة الاملاك البابوية فيرى الكرسي البابوي ان ملك البيمونت قد غصبه ملكه باستيلائه على رومه ولذلك اقام البابا بيوس التاسع الحجة على هذا الصنع والتزم قصره البابوي لا يخرج منه . ولما جلس لاون الثالث عشر على العرش البابوي كرر هذا الاحتجاج . وقد انحاز الى البابا ملك رومه القديم قسم عظيم من اشراف الايطاليين وعامتهم فاصبحوا يتجاهلون وجود ملك في رومه غير البابا واذا التقوا بمركبة ملك ايطاليا في الطريق حادوا عنها او لم يسلموا على من فيها . واكثر الامراء الكاثوليكيين لا يحضرون الى رومه لانهم مضطرون الى زيارة ملك ايطاليا وذلك يسخط



البرنس دي نابولي ملك ايطاليا الجديد والبرنسس هيلانه
ابنة امير الجبل الاسود قرينته

البابا. وقد جرى ذلك لملك البرتغال شارل الاول الذي هو ابن اخت الملك همبرت فانه امتنع عن زيارة خاله ارضاءً للبابا . والامبراطور فرنسوى جوزيف امبراطور النمسا لم يردَّ الزيارة للملك همبرت الذي زاره في فيينا في سنة ١٨٨١ لهذا الغرض ايضاً . ولما زارت البرنسس كلوتيلد اخت الملك همبرت اخاها الذي يحبها حباً شديداً اعتذرت عن النزول في قصره ارضاءً للفاتيكان

هذا من جهة الفاتيكان واما من جهة الحكومة الايطالية فانها تبذل قصارى جهدها لجعل الفاتيكان بمعزل عن السياسة الدولية لانكارها سلطته الزمنية . ولذلك ضغطت كل الضغط ايام عقد مؤتمر السلم لتمنع روسيا وهولانده من دعوة قداسة البابا الى الاشتراك في مؤتمر لا هاي

ولكن من حسن الحظ ان البابا اذا كان قد حرم ملك ايطاليا وقطع كل علاقة مع حكومته فهو لم يحرم الا الملك الذي غصب رومه اما ملك البيمونت فانه غير محروم ولذلك تناول الملك فيكتور عمانوئيل القربان المقدس قبل وفاته باذن من البابا وكان الملك همبرت رحمه الله يحضر الصلاة ويتناول القربان ايضاً . وذلك مما يخفف شيئاً من الفتور الذي بين الفريقين

هذا ما وسعه المقام عن ايطاليا وشؤونها. ومنه تتضح المصاعب العديدة التي في طريق ملكها الجديد الشاب فيكتور عمانوئيل الثالث . فنحن ندعو له بالنجاح ليرفع شأن امته وبلاده ونكرر الاسف والحزن على مقتل الشهم همبرت الاول

ثلاث مدارس جديدة

في بيروت

عزمت الكلية الاميركية في بيروت في الشتاء الماضي على فتح فرع تجاري فيها لتعليم الطلبة فن التجارة باصوله بالنظر الى اهمية هذا الفن للشبيبة السورية فكتبنا يومئذٍ في الجزء الصادر في اول مايو الماضي في هذا الموضوع مقالة طويلة جاء فيها ما يأتي

« اما نحن فنرى انه في العام القادم لا تفتح مدرسة تجارية واحدة في بيروت بل تفتح مدرستان تجاريتان واليك البيان

« كانت المناظرة بين مدارس الاباء الفرير ومدارس المرسلين الاميركيين في احدى مدن فلسطين منذ بضع سنوات في غاية الشدة فكانت ادارة الفرير لا تفتح مدرسة في قرية او في حيٍ حتى تفتح ادارة الاميركان مدرسة مثلها بازائها . و بالعكس . فكان مدير الفرير يقول باسماً كلما اراد فتح مدرسة في قرية — سافتح مدرستين لا مدرسة . يعني مدرسة للفرير ومدرسة للاميركان

« وهكذا نقول الآن في مدرسة بيروت التجارية . فان حضرات الاباء اليسوعيين الذين يناظرون حضرات مرسلي الاميركان في تهذيب الشبيبة السورية مناظرة حميدة سيفتحون ولا شك في كليتهم الكبرى مدرسة تجارية يسوعية بازاء المدرسة التجارية الاميركية . واذا كانت تلك المناظرة القديمة قد زالت او خفت — ولا شيءٌ يدل على ذلك — فرغبة في ان لا تُحرم سوريا منافع مدرسة تجارية نذكرهم بان منزلتهم الادبية والعلمية في سوريا تقضي بان لا تكون الكلية الاميركية اكثر فضلاً من كليتهم . و بالنظر لما نعلمه من فضلهم وما يعلمونه من ان لا غرض لنا من هذا الاقتراح الا الخير العام فاننا بتنا نؤمل ان يقدموا على هذا المشروع النافع المفيد في وقت غير بعيد » انتهى

والآن نقول انه يسرُّ محبي الخير للشبيبة السورية ان حضرات الاباء اليسوعيين لم يخيبوا حسن الظن بهم فقد قرروا في الشهر الماضي انشاء مدرسة للتجارة والصناعة في كليتهم وهذا ما ورد بهذا الشان في جريدة الارز الغراء الواردة في الشهر الماضي قالت

« نقلنا في احد اعدادنا السالفة عن مجلة الجامعة مقالة نفيسة في شدة حاجة البلاد السورية الى مدارس للتجارة والصناعة وافتقار الشبيبة فيها الى الوقوف على ما يمهد لها

اسباب المعايش ويوسع عليها نطاق الحياة ادبيًا وماديًا

« وراق لدينا كثيرًا راي الجامعة في استنهاضها همم اباء الكلية اليسوعية في بيروت الى انشاء مدرسة يتخرج فيها ابناء البلاد صناعيًا وتجاريًا . فاذا هي كالسيف او امضى وكالسيل او اجرى هبت فجردت عزيمتها القاطعة واندفعت الى تحقيق اماني البلاد وفي مقدمتها ناشر لواء الفضل ورافع منار العلم حضرة رئيسها الفاضل الاب كاتين فوفد اليوم بشيرها الصادر في ٢ الشهر الحالي حاملاً للوطن هذا الاعلان

« ان الرغبة في تيسير فرصة جديدة لطلبة المدارس المختلفة في سوريا حتى يبنوا لنفوسهم مركزًا مشرفًا ومفيدًا لمواطنيهم ولبلادهم حركت رؤساء كلية القديس يوسف في بيروت على تاسيس مدرسة عالية للتجارة والصناعة تُعطى دروسها ضمن دائرة الكلية المشار اليها

« وستكون مدة هذه الدروس سنتين ومدة كل سنة مدرسية تسعة اشهر تبتدئ من ١٥ تشرين الاول وتنتهي في ١٥ تموز وقد تعين دخول الطلبة للمرة الاولى في ١٥ تشرين الاول من سنة ١٩٠٠ الحالية ويكونون جميعًا خارجين احرارًا

« اما شروط القبول في هذه المدرسة فهي ان يكون الطالب بالغًا من السن سبع عشرة سنة في الاقل وان يقدم عند دخوله صكاً مصادقًا بتاريخ ولادته مع شهادة بحسن سلوكه من رئيس المدرسة الاخيرة التي تعلم فيها وحينئذٍ يجري عليه الامتحان في لائحة الدروس الثانوية حتى يتبين هل هو مقتدر على اتباع دروس المدرسة اما موعد الامتحان المذكور فبين العاشر والخامس عشر من تشرين الاول

« وفي ختام السنتين يجري امتحان عام في جميع المواد التي تعلمها الطالب ويُسلم ديبلوما عالية او شهادة دروس فقط على حسب ما يظهر من نتيجة امتحانه » انتهى

ويسرنا ايضًا بعد ما تقدم ان نقول ان همم افاضل الطائفة الارثوذكسية في بيروت قد تحركت الى انشاء مدرسة علمية جامعة جديدة وبذلك تصبح المدارس الجديدة المهمة التي تنشأ في بيروت في الشتاء القادم ثلاثًا . وسنذكر ما يتصل بنا من اخبار المدرسة الجامعة الارثوذكسية الجديدة بعد وضع اللجنة تقريرها الذي عُهد اليها وضعه ورفعه الى غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي والامور مرهونة باوقاتها

وفي ختام المقال نثني على همم الآخذين بهذه المشروعات المفيدة فان الخير محبوب من اينما جاء . وكل يد تمدُّ لصنعه يد بيضاء

فلسفة الصينيين واديانهم

واخلاقهم

يولد العلم والفلسفة تحت سماء الشرق كما يولدان تحت سماء الغرب . لانه ما دام العقل مشاعاً بين الناس فان العلم الذي هو ثمرته يبقى مشاعاً . فلا تقل اذاً هذا الرجل غير مستعد للعلم لانه شرقي وهذا مستعد له لانه غربي فان الشرق والغرب في نواميس الطبيعة سيان . ويقابل هذا القول قول الشاعر : كل من سار على الدرب وصل

وكفى ان نستشهد على صحة هذا القول بالامة الصينية القديمة التي يذبح الآن ابناؤها ابناء الغرب تعصباً وجهلاً . فانه لما قام فلاسفتها يعلمون الفلسفة والادب كانت باقي الامم في اقصى دركات الجهالة والغباوة . وغرضنا في هذا الفصل ان نذكر شيئاً عن فلسفة الصينيين واديانهم واخلاقهم فنقول

الفلسفة عند الصينيين مقرونة بالدين كما كانت مقرونة به عند جميع الامم القديمة بل هي الدين نفسه . فاذا نظرنا فيها فكاننا ننظر في الاديان الصينية

والاديان الصينية ثلاثة . الاول « جوكيو » او دين « جو » وهو الدين الذي وضعه كونفوشيوش اعظم فلاسفة الصين الذي عاش بين سنة ٤٧٩ و٥٥١ قبل الميلاد . الثالث « توكيو » او دين « تو » وهو دين تلامذة لوتسي . الثاني « فوكيو » او دين « فو » وهو الدين البوذي

اما دين كونفوشيوش فهو اعظمها كلها وعليه مدار الكلام هنا . وهو يؤخذ من الكتب التي وضعها هذا الفيلسوف وهذه خلاصة فلسفته

عنده ان اساس كل الفضائل المحبة البنوية والاحترام البنوي . وهو يقسمها الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما يجب للاباء والاجداد والقسم الثاني ما يجب للامبراطور وللوطن باعتبار ان الانسان ابن لوطنه وملكه والقسم الثالث ما يجب على الانسان لنفسه حتى يقتبس الفضائل ويكون اهلاً لان يُدعى ابناً لآبائه ويعود مجده عليهم

وهو يقول ان المحبة البنوية ليست عاطفة بل واجباً حقيقياً ينبغي ان يشمل الجميع من احقر الناس الى اعظم الملوك

ومن اقواله في الحث على حب الاباء « استفد من كل الفصول وكل العلوم وابذل

الجهد في كل سبل الاجتهاد والاقتصاد لتغذي امك واباك »

ومنها « ان الولد الذي يحب والديه حباً حقيقياً يسمع صوتهما دون ان يحادثاه و يراهما دون ان يكونا حاضرين »

ومن اقواله في ذلك ايضاً « حبّ والديك واكرمهما في حياتهما واسف عليهما وابكهما بعد موتهما فان هذا هو القيام بالواجب الانساني العظيم »

واما مدة الحزن والحداد ففيها يقول « يجب ان تحزن على موتهما اشد حزن ولكن لا ينبغي ان تحزن حزناً يُضعف بصرك وسمعك . فانه اذا كان في راسك جرح فلك ان تغسله واذا حمي جسمك فلك ان تستحم واذا مرضت فلك ان تاكل لحماً وتشرب خمراً ولكن متى زالت هذه الطوارىء ينبغي ان تعود الى الحداد والا فانك تهين الطبيعة وتكفر بنعمة والديك »

و يقول كونفوشيوس في احد كتبه « كلما افتكرتُ بك يا ابتاه احسست باني انتقلت الى السماء . وانني الآن في مماتك اذكرك فاقتدي بك كما كنت في حياتك اصغي اليك واطيعك »

فهذه التعاليم التي نشرها كونفوشيوس في جملة ما نشره من تعاليمه الادبية الجميلة اصابت هوى شديداً في نفوس ابناء وطنه ولا سيما تلامذته فتمسكوا بها تمسكاً لا مثيل له حتى اصبحت بعده واجباً لا يجوز اغفاله . ثم اكتسبت بمرور الزمان صفة دينية فصارت ديناً خاصاً للقسم الاكبر من الصينيين . بل صارت شقاءً لهم و بلاءً

ذلك انه اذا كان يجب على الصينيين عبادة ابائهم فهو دليل على ان اولئك الاباء افضل الناس واعظمهم . واذا كانوا افضلهم واعظمهم فيجب التشبه بهم في كل ما كانوا يصنعونه في حياتهم والخروج عن ذلك اهانة لهم وتهور يؤدي الى الشقاء والتعاسة . وهذا هو الامر العظيم الذي اغضبهم على الاجانب فضلاً عن المسالة السياسية التي بسطناها في الجزء الماضي . فان السكك الحديدية التي تُمد في بلادهم تمر فوق قبور آبائهم فتدنسها وتقلق بصوت البخار الارواح التي في فضاء البلاد . والدين المسيحي الذين يدعونهم اليه يعلمهم ان اباءهم كانوا قوماً وثنيين جهلاء وفي ذلك ما فيه من الكفر بنعمة الاباء والاجداد . وهكذا اصبحت وا اسفاه فضيلة محبة الوالدين اعظم موانع تمدن الصين

اما القسم الثاني من فلسفة كونفوشيوس فهو البحث في طريقة سياسة الامم . وعنده ان اساس كل حكومة « اخلاق الحاكم وكفاءته » فاذا كان اهلاً لوظيفته صلحت حال

رعيته واذا كان غير اهل فسدت حالهم . ولذلك يقول لتلامذته " يجب ان يكون للادباء نفوس سامية قوية لان الحمل الذي على عواتقهم ثقيل " ويعني بالادباء الذين تُسند اليهم وظائف الحكومة وبالحمل شؤون الحكم . ذلك ان الادباء هم الذين يُديرون ازمة الصين على حين انهم " يدورون " عندنا كما لا يخفى على العارفين

واما الديانة البوذيه فاصلها من الهند وواضعها بوذه الفيلسوف الهندي الذي عاش بين سنة ٦٢٢ و٥٤٢ من الميلاد . واساس تعاليم هذه الديانة فلسفية مُحضه وهي مبنية على اربع قواعد الاولى وجود الالم والثانية سبب وجود الالم والثالثة ازالة هذا السبب والرابعة الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة الالم . وقد بدأ مرسلو الديانة البوذية بدخول الصين في القرن الثالث قبل الميلاد فلم ينجحوا فيها اولاً ولكن الامبراطور هنغ تي قرر جعل الديانة البوذية في سنة ٦١ قبل الميلاد من ديانات الصين الرسمية مع التاوتية والكونفوشية وارسل من اتى بكاهن من كهانها من الهند في سنة ٧٥ ومعه تعاليم بوذه وكتاب مقدس من كتبه . وقد حارب الصينيون الهنود بعد ذلك غير مرة للحصول على الكتب البوذية . ثم انتشرت الديانة البوذية في الصين كلها ورجحت على ديانة كونفوشيوش نفسها ودخلت من الصين الى كوريا في سنة ٣٧٢ للميلاد والى اليابان في سنة ٥٥٢

غير ان كل دين تقريباً يتوقف صلاحه او فساده على اخلاق الآخذين به . وقد كانت الديانة البوذيه رفيعة الشان في الهند لانها فلسفه لطيفة علم فيها بوذه اللطيف احتقار ملاذ الحياة والعزلة والادب والفضائل العديدة وازالة الحزن والالم من الحياة لانهما ينغصان العيش وينشئان الشقاء في العالم . اما في الصين فما لبث الصينيون ان افسدوا هذا الدين الادبي بما ادخلوه اليه واخرجوه منه من التعاليم فانحط شأنه وشأن الآخذين به واصبح دين الكسل بعد ان كان دين الفضيلة . وليس الغرض من هذا المقال بسط الكلام على الديانة البوذية فانّ ذلك يضيق عنه هذا المقام وربما افردنا له فصلاً خصوصياً نودعه ترجمة واضعه بوذه العظيم بالنظر الى اهميتها . لذلك نكتفي بما ذكرناه عنه وننتقل الى الديانة الثالثة

فنصل هنا الى اسمى ديانات الصين . الى فضائل من اسمى الفضائل التي دوى صداها في جو العالم . فان تعاليم كونفوشيوش تعاليم ادبية ولكنها ارضية بسيطة اما هذه التعاليم فهي فلسفة علوية ترفرف فوق باقي التعاليم كما ترفرف النسور في الفضاء

وهي لطيفة وديعة تكره الاعتداء وتحرمه وتعلم التسامح والاتضاع ولطف المعاملة والرضى والسرور بكل شيء في هذه الحياة . وتُلبس اكثر المواضيع جداً وخطارة ثوباً جميلاً من الحكمة والظرف فتسر بها النفس لحكمتها وظرفها معاً

اسمع ماذا تقول هذه الديانة في الخصام والنزاع بين البشر

« افترض ان رجلاً وحشي الاخلاق اساء معاملتي . فاذا كنتُ حكيماً وجب عليَّ ان افحص ضميري واسأل نفسي هل قصرت بما يجب عليَّ له . فاذا شهد لي ضميري بانني لم اقصر وجب عليَّ ان اسأل نفسي ايضاً هل عملت شراً في حياتي يستحق هذه الاهانة . فاذا رايت انني لم اسيء معاملته ولم اعمل شراً قلت ان ذلك الرجل احمق وابتعدت عنه »

ومن اقوالها « اذا سافرتُ مع اثنين فلا بد ان يكون فيهما واحد يقتدي بي وآخر ارى نقائصه فاجتنبها في نفسي »

« ان الرجل الحكيم الفطن مديون للمصائب بحكمته وفطنته لانها هي التي علمته اياها »

« اكبر عيوب الناس انهم يتركون الاشواك في حقولهم و يركضون لنزعها من حقول جيرانهم »

ومن اسمى هذه الاقوال بل من اسمى ما قيل في كل فلسفة ودين ما جاء في هذه التعاليم عن معاملة الناس وهو

« ابذل كل جهدك لتعامل الناس كما تحب ان يعاملوك »

ومن الغريب ان تكون البلاد الصينية التي كانت مهبطاً لهذه الفلسفة مرسحاً للحوادث الفظيعة التي حدثت فيها في هذا العام . ولكن يبطل الاستغراب متى علمنا ان الصين تعمل الآن بديانة كونفوشيوش التي تقضي بحرصها كل الحرص على تقاليد الاباء والاجداد لا بهذه الديانة التي تعلمها اللطف والحكمة واحترام حقوق الغير والسلوك مع باقي الامم كما تريد ان يسلك باقي الامم معها . لذلك يصح القول بان ديانة كونفوشيوش اذا كانت ستبيد الصين فان ديانتها الثالثة تنقذها . هذا بصرف النظر عما يخالط جميع تعاليم البشر من الخرافات والاوهام . ولذلك اقترح على الدول كثيرون من الكتاب ان يقتصرن في عملهن بالصين على هدم هيا كل الديانة الاولى و زيادة هيا كل الثانيـة وهو قول يُقصد به امتداح هذه الديانة فقط لانه لا يخفى ما في مس اديان البشر من الخطر فضلاً عن وصمة الاعتداء

ومن المعلوم ان اخلاق كل شعب نتيجة تربيته وديانته او فلسفته التي يتلقنها فتكيف

افكاره وتغرس في ذهنه المعرفة او الجهل الخير او الشر . وقد كان يُرجى ان تغرس هذه الفلسفات الثلاث في نفوس الصينيين الطف العادات والاخلاق لما انها في اصلها لطيفة جميلة . ولكن « كل شيء يخرج حسناً من يد الخالق ولا يفسد الا متى لعبت به يد الانسان » كما قال جان جاك روسو في مقدمة كتابه الجميل « اميل » . فان الصينيين اساءوا فيهم هذه الفلسفات الثلاث فافسدوها وحولوها الى وثنية قبيحة اذ اقاموا لها الاصنام واصبحوا يتقربون منها بالذبائح وبغض باقي الناس واليوم يتقربون منها بقتلهم

ولا نحاول في هذه النبذة الالمام بجميع اخلاق الصينيين وعاداتهم فان ذلك يقتضي بحثاً مفرداً وانما نروي هنا شيئاً من تلك الاخلاق فان البعض يدلُّ على الكل ونفتتحها بذكر حال المرأة في الصين فان في ذلك دلالة على حقيقة الهيئة الاجتماعية لان حال المرأة مقياس تمدن كل امة

وحال المرأة الصينية ليست مما يجب ان تحسدها عليه اخواتها الشرقيات . فانه اذا ولد للرجل غلام ساد الفرح في منزله واذا ولد له ابنة قال حزيناً « لقد سقط حجر من سقف بيتي » او آجرة اي احدى القطع الحجرية التي يُسقف البيت بها . ومعنى ذلك مفهوم من هذا المثل الصيني « لما يولد الغلام ينام في سرير ويلبس الملابس الفاخرة ولكن لما تولد الابنة تنام على آجرة من سقف البيت ملفوفة بنسيج بسيط . وهي لا تقدر في كبرها على خير او شر وكل وظيفتها ان تعد الخمر والطعام لزوجها ولا تسوء اهلها بشيء »

ومن امثالهم فيها ايضاً « يجب ان تكون العروس بعد زواجها صدى زوجها وظله فقط » وفي ذلك ما فيه من الدلالة على انحطاط هيئتهم الاجتماعية بانحطاط شأن النساء عندهم

ومن امثالهم في الجنود قولهم « ان تسعة اعشار الجنود الصينية لصوص » وهذا يدل على انحطاط شان الجندية عندهم وكفى به دليلاً على ضعف وطنيتهم وعدم ثقتهم بحكومتهم

ووظائف الحكومة عندهم تُباع بالاموال ولا يوجد بلاد افسد حكماً واكثر رشوة من بلاد الصين وذلك لان الشعب في ادنى دركات الجهل والغباوة لا همّ له غير زراعة الارض اما زمام الحكومة ففي ايدي المتجرين بها . ومما يدل على جهل الشعب وضعفه ان الفرنسو بين

لما تغلبوا على الصينيين واخذوا منهم التونكين في سنة ١٨٨٥ اشاع البلاط الصيني ان الجنود الصينية قد انتصرت على الفرنسويين انتصارًا باهرًا ولكن بما ان فرنسا دولة فقيرة ضعيفة فقد تنازل الامبراطور وتعطف عليها بمنحه اياها بلاد التونكين جبرًا لخاطرها المكسور . وقد صدق يومئذٍ الشعب هذه الخرافة

ولكن مما هو ادل على ذلك الجهل المطبق الجرائد الصينية . ونكتفي بايراد مثل عنها . فان احد الكتاب الصينيين اذا بعث الى احدى الجرائد مقالة ولم تستطع هذه الجريدة نشرها لضعفها او عدم اهميتها بعث محرر الجريدة الى صاحب المقالة يعتذر اليه بهذا الكلام الذي وجدنا ترجمته في جريدة الرائد المصري الغراء

« يا اخا الشمس والقمر . انظر الى العبد الذي يقف عند موطىء قدميك ويقبل الارض امامك ويلتمس من حلمك العفو والاذن لكي يتكلم ويحيا . قرأنا رسالتك بسرور تام وبعظام اجدادنا نقسم لك اننا لم نقرا في حياتنا مقالة بديعة كمقالتك

« فلو قبلناها وادرجناها لامرنا جلالة الامبراطور ان نتخذها مثالاً لكل الكتابات وان لا ننشر بعدها كتابة دونها في البلاغة والفصاحة . وبما ان كتابة مثلها ضرب من المحال حتى بعد عشرة آلاف عام فاننا بارتعاش نرجع اليك رسالتك ونلتمس منك عشرة آلاف سماح . انظر فان رأسي عند قدميك وانا عبد عبدك » محرر الجريدة

فاذا كان هذا هو مبلغ جهل كتاب الصينيين وقادة عقولهم فما القول بعامتهم . ومنه تعلم مبلغ جهل هذه الامة المسكينة

على ان في هذه الامة مع جهلها اخلاقًا محمودة وصفات لا تكاد توجد في سواها . منها القناعة الى حد غريب وشدة تعلق الصيني بالارض التي يولد فيها واحترام ابائه واجداده وامبراطوره اشد احترام كما مرَّ بنا وغير ذلك مما يضيق دونه المقام

هذه هي الامة التي تعاند الآن اميركا واوربا كلها ولو عقلت حكومتها فانتظرت حتى انارت عقول شعبها واصلحت شؤونه شدًا لازرها به لكان ذلك اعود عليها واجدر بها وبتمدنها القديم من العمل الفظيع الذي عملته او تركته يُعمل على مرأى ومسمع منها

باب تدبير الصحة

الوقاية

ﷺ ميكروبات الامراض ﷺ

انقسم الناس في مسالة الميكروبات الى قسمين · قسم لا يبالي بوقاية جسمه منهـا ولا يعبأ بها فيعرض نفسه وذويه لافبح الامراض في الحاضر وفي المستقبل وقسم يبالغ في هذه الوقاية حتى ينغص بها عيشه · فلا يمس شيئاً ولا يا كل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يُسلم على شخص ولا ولا ولا الا وهو مفتكر بتلك الحويينات الصغيرة التي تروعه ونفسه خائفة من انتقالها بواسطة ذلك اليه · وكلا الفئتين مخطئان لان الافراط مضر كالتفريط في هذه المسالة وخير لامور الوسط فيها وفي جميع مسائل الحياة

وربما توصلوا في المستقبل الى اغناء الانسان عن وقاية نفسه من الميكروبات المنتشرة في كل شيء حوله وذلك باكتشاف المادة التي تقوي كريات الدم على جراثيم المرض من اي نوع كانت وتجديد الدم بهذه الواسطة واطالة الحياة · ولكن الى ان يتحفنا العلماء بهذه النعمة ينبغي ان لا تهمل الوقاية من الميكروبات فان الوقاية خير دواء لها

والوقاية من الميكروبات على نوعين الاول هيجيين العقل والثاني هيجين الجسم · اما هيجيين العقل فالحرص على ابقائه هادئاً سليماً صحيحاً فان ذلك مما يؤثر احسن تاثير على المجموع العصبي وصحة الجسم باجمالها · ولذلك ينبغي ان لا تغضب من شيء وان لا تفرح كثيراً ولا تحزن كثيراً وان لا تطالع كتابات مضرة تقلب التوازن في عقلك ولا تنظر لمناظر تحرك في نفسك عوامل لا تتحرك بدونها فكثيراً ما تكون صحة الانسان وادبه بل حياته كلها متوقفة على هذه الامور التي تحسبها صغيرة وهي في الحقيقة كبيرة جداً

واما هيجيين الجسم فهو العناية بصحته وعافيته من كل الوجوه · وبما اننا لا نبحث هنا الا في وقايته من الميكروبات فنقتصر على احصاء الوسائل التي يجب عليك اتخاذها لاجتناب مباشرة هذه الجراثيم بقدر الامكان

(١) لا تشرب الماء الا مرشحاً ومبرداً بعد اغلائه على النار ولا تدع الهواء يمسه

(٢) اجتنب الاماكن التي يثور الغبار في هوائها فان الغبار الذي تستنشقه حينئذ

غاص بالجراثيم

(٣) نظف دائماً غرف المنزل ولا تضع فيها اثاثاً يمكن للغبار ان يختبئ فيه ولا تهمل الغبار ابداً

(٤) كثيرون يجتنبون ركوب المركبات العمومية (مركبات الاجرة) لانه من يعلم اذا كان لم يركب ذوو امراض فيها ولذلك يجب ان يُعنى دائماً بتطهيرها سواء كانت للسكك الحديدية اوالترامواي او كانت مركبات خيل

(٥) لا تأكل شيئاً دون ان تكون واثقاً كل الثقة بنظافته ولا تأكل من غير غسل يديك والا خيف ان تُدخل الى باطنك ميكروبات الامراض التي علقت بهما

(٦) اياك ان تضع في فمك نقوداً او قلم رصاص يكون لسواك اواي شيء آخر ليس لك

(٧) لا تلصق طابع البوسطة (البول) بلسانك ولا تختم به الكتاب ايضاً

(٨) اجتنب المرور بالشوارع القذرة وحوالى الاماكن التي يوجد فيها مرض والمزابل واماكن الاختمار ومخازن الخرق البالية واياك ان تمسك منها شيئاً

(٩) لا تبتع كتباً قديمة ولا امتعة قديمة واحذر الغبار والبقع على ثيابك

(١٠) ابطال البصق في الشوارع والمركبات والاماكن العمومية

(١١) انشاء المجالس البلدية آلات لتطهير المنازل والشوارع واستعمال الاهالي هذه الآلات كثيراً

(١٢) التلقيح بالمصل المقاوم لفعل الميكروب

والخلاصة ان الوقاية من ميكروبات الامراض مسألة من اهم المسائل ولكن ينبغي ان لا يفرط الانسان ولا يفرط فيها

الزواج والتدرن الرئوي

قال الدكتور كيرشنر ان الزواج يساعد على استفحال التدرن الرئوي لان كل نقص في قوى الجسم يحدث في الرئة درنة ويكبر الدرنة الموجودة . والزوج الذي يكون سالماً يسري اليه من زوجته هذا الداء وربما كان المرض كامناً في احدهما فيظهر في الحال في الرجل بعد زواجه وفي المراة عند الولادة او الحمل . اما الاولاد التي تاتي من هذا الزواج فانهم

تعساء محكوم عليهم بارث اسود . ولذلك كله يجب ان يُمنع من الزواج كل شخص يكون مستعداً لقبول هذا الداء . وبعد شفائه منه لا يجب ان يتزوج الا بعد انقضاء سنتين على ذلك . وبما ان حكومات الامم لا تزال مقصرة في مسالة منع الزواج اذا كان احد الزوجين مستعداً لبعض الامراض الوراثية فلا يُرجى منها الآن قطع هذا الشر بل يجب على الكتاب والجرائد والخطباء تنبيه الناس الى سوء عاقبته واظهار ضرره العظيم في شخص المريض المتزوج وفي اولاده من بعده . ولكننا نرى ان الامم قد تنبهت الى الخطر الذي في ترك حرية الزواج للمرضى فقد قام طبيب كبير في المانيا يدعو الحكومة الى سن نظام يمنع كل رجل ان يتزوج ما لم يكن في يده شهادة من الطبيب تشهد له بسلامة البنيـة من كل داء يعدي و يوجد بلاد صغيرة في اميركا الجنوبية قدقررت ذلك منذ عدة سنوات . ولا يخفى ما في هذا الامر من الوقاية للصحة العمومية وللاجيال الآتية وان كان فيه ما فيه من التضييق على الحرية الشخصية

✻ التدخين ✻

اختلف الناس عموماً في هل ان التدخين مضر ام لا . اما نفعه فلم يقل به الا فئة قليلة جداً وقد حصرت هذا النفع في تنبيه الدماغ والمساعدة على الهضم وعلى الاخص قتل الميكروبات التي تكون في الفم بواسطة حرارته ودخانه وهو قول ضعيف وان كان يقول به بعض الاطباء

واما ضرره فان بعض الناس يعزون اليه اضراراً شتى وهذا ما حمل الدكتور ماكس بريتنغ الالماني على اجراء بحث دقيق في المانيا بشان مضار التدخين فثبت لهذا الباحث ان الضرر يكون بالاكثر متوقفاً على صفة التبغ الذي يشربه الانسان وعلى كميتـه فالكم والكيف هما منشأ الضرر لا التدخين نفسه

وقد وجد ان التبغ الذي يشربه الالمانيون على وجه الاجمال غير مضر بالصحة العمومية لانه خفيف . هذا اذا اقتصر الشارب على سيكارة او اثنتين في النهار . ولكن العشرين او الثلاثين سيكارة تضر شاربها و بالتالي الصحة العمومية ضرراً كبيراً . غير انه لما كانت السيكارة الواحدة توصل عادةً الى العشرين فهي خطر ايضاً . وهنا يحثُّ الدكتور ماكس المجلات والجرائد على اظهار قبح التدخين وقذارته وضرره للجمهور ليتعظ بها و يترك هذا الضرر العام . ثم يطلب وضع قانون يحظر التدخين على الاولاد و يقضي بمعاقبة اصحاب

الحوانيت الذين يبيعونهم تبغاً او سكائر

ثم ذكر تاثير التبغ في صحة الجسم فقال ان هذا التاثير يحل اولاً في القلب و يشتد شيئاً فشيئاً . وان الذين يبلعون الدخان عند التدخين يصابون بالزكام الشعبي وبعد ذلك تاتي نوبة الحواس فربما ضعف بعضها ضعفاً غير يسير

صفحة الشعر

اجابةً لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعريةوشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

اي بيت تقوله العرب اشعر — قيل لابي عمرو بن العلاء اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي اذا سمعه سامعه سولت له نفسه ان يقول مثله ولان يخدش انفه بظفر كلب اهون عليه من ان يقول مثله . وقيل للاصمعي اي بيت تقوله العرب اشعر قال الذي يسابق لفظه معناه وقيل للخليل اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي يكون في اوله دليل على قافيته وقيل لعميرة اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء . واحسن من هذا كله قول زهير

وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

قيل للحطيئة من اشعر الناس فاخرج لساناً رقيقاً كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع . وقيل لكثير عزة لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما اعجب وماتت عزة فما اطرب ومات عبدالعزيز فما ارغب . يريد عبد العزيز بن مروان . وقالوا اشعر الناس النابغة اذا رهب و زهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند لعبيد بن الابرص ولقيه في يوم بؤسه انشدني من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمنع الشعر على قائله ولا يسلسل حتى يبعثه خاطر او صوت حمامة . وقال الفرزدق انا اشعر الناس عند الياس وقد ياتي عليَّ الحين وقلع ضرس عندي اهون من قول بيت شعر وقال الراجز

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه
كان غثاً اوسمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

تاثير الشعر عند العرب — كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملاً لا يذكر

حتى طرقه الاعشى في فتية وليس عنده الا ناقة فاتى امه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رايتِ ان تاذني في نحر الناقة قالت نعم يا بني فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابًا وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر المحلق حتى اتته القيصدة التي أولها

ارقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي تعشق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لباني ثدي ام تقاسما ... باسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يسري سائلاً فوق وجهه ... كما زان متن الهندواني رونق

فلما اتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول «وبات على النار الندى والمحلق» وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يفترقوا ابد الدهر

قال المامون لمحمد بن الجهم انشدني بيتًا اوله ذم واخره مدح اولك به كورة فانشده

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم ... حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال له زدني فانشده

ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

وقال هارون الرشيد للمفضل الضبي انشدنا بيتًا اوله اعرابي في شملته هب من نومه وآخره مدني رقيق غذى بماء العقيق قال المفضل هوات عليّ يا امير المؤمنين فليت شعري باي مهر تطلب عروس هذا الخدر قال هو بيت جميل حيث يقول

الا ايها النوام ويحكموا هبوا ... اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال له المفضل فاخبرني يا امير المومنين عن بيت اوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالدا والدواء قال له هرون ما هو قال هو بيت الحسن بن هاني حيث يقول

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

سمر الفرزدق والاخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة فبينما هم حوله اذ خفق فقالوا نعس امير المؤمنين وهموا بالقيام فقال لهم سليمان لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعرًا فقال الاخطل

رماه الكرى في راسه فكانه ... صريع سقى ما بين اصحابه خمرا

فقال له ويحك سكران جعلتني ثم قال جرير بن الخطفي

رماه الكرى في راسه فكانما — يرى في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له ويحك اجعلتني اعمى ثم قال الفرزدق بعد هذا

رماه الكرى في راسه فكانما — اميم جلاميد تركن به وقرا

قال له ويحك جعلتني مشجوجاً ثم اذن لهم فانقلبوا لخيامهم واعطاهم (العقد الفريد)

شؤون نسائية

ننشر في هذا الباب شذرات وفصول مختصة بموضوع النساء
وتدبير المنزل وما اشبهها

الميكروب في اذيال النساء

اجمع المؤتمر الطبي الذي عُقد اخيرًا في رومه ان الحلل «الفساطين» الطويلة الاذيال مضرة جدًا بالصحة لانها تنقل الميكروبات من الشوارع · وقد فحص احد اطباء هذا المؤتمر ذيل فسطان طويل مشت فيه صاحبته في احد الشوارع فوجد عالقاً فيه ما لا يُحصى عدده من الميكروبات المختلفة فلتحذر السيدات

شراب الصيف

تعددت انواع الاشربة التي يتخذها الناس في الصيف لتخفيف حرارة اجسامهم وقد ذكر احد الاطباء شرابًا يصنعه ويشرب منه دائمًا وهو — ياخذ ٤ او ٥ (التار) من الماء فيغليها ثم ينقع فيها الشاي حتى تصبح شايًا خفيفًا فيبردها ومتى بردت تكون درجة حرارتها اقل من حرارة الماء عادةً · ثم يضيف اليها سكرًا وبعض قطع من الليمون الحامض فيزداد طعمها طيبة وتصير شرابًا مرطبًا ولذيذًا

اي شيء في الرجال اكره الى النساء

القت احدى المجلات سؤالاً على قارئاتها وهو : اي شيء في الرجال اكره اليهن من كل الاشياء · فاجبن اجوبة مختلفة ولكن الصفات المذمومة التي اتفق اكثرهن على كراهتها في الرجال هي هذه " السكر · والاثرة · والدناءة · والخداع · والمقامرة · والجبانة

والادعاء . والكسل . والقساوة . وكتمان عيوبهم " وبودنا ان نعلم اي شيء في النساء هو اكره للرجال

دواء ناجع لازالة الناموس (البرغش)

يقاسي الناس احيانًا في ليالي الصيف الحارة عناء شديدًا من لسع الناموس . وقد ذكروا طريقة ناجعة لاخراجه من غرفة النوم . وهي ان تاخذ قطعة من السكر وتحرقها على جمرة فلا تنتشر رائحتها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة لانه يكره هذه الرائحة فتقفل النافذة حتى لا يعود

او انك تاخذ قطعة من الكافور وتحرقها بتأنٍ على لهيب المصباح فلا ينتشر بخارها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة فراره من الموت ولا يعود الى الغرفة ولو ابقيت نافذتها مفتوحة . ولكن حذار ان تقفل النافذة وتبقي بخار الكافور يملئها وانت نائم

حواس النساء

بحث احد العلماء في حواس النساء وحواس الرجال على سبيل المقابلة بينهما . واهم شيء ثبت له ان حاسة الشم في المرأة هي اعظم منها كثيرًا في الرجل . ولا غرابة في ذلك فان المرأة تمرن هذه الحاسة بالروائح العطرة اكثر من الرجال ولكن رغبةً في انصاف بعض الشبان نقول ان حاسة الشم فيهم قد تكون مساوية لها في النساء وذلك لانهم يمرنونها مثلهن

الاستحمام بماء الزنبق

تصنع الجميلات الباريزيات من زهر الزنبق ماء للاستحمام به . ذلك انهن يقطفن في كل صباح من الحديقة قبل شروق الشمس ازهار الزنبق وهي ممتلئة بالندى ثم ينزعن منها الخيوط الصفراء التي فيها ويضعن الزهر مع نداه في اناء رقيق مكشوف ثم يغلين ماء على النار ويضعن هذا الاناء فيه بضع دقائق ويتركنه حتى يبرد . وبعد ذلك يصفين الماء من الزهر بنسيج رقيق فيكون لهن ماء زنبق . ثم يضفن الى هذا الماء ٤ غرامات من البورق ويأخذن اسفنجة ويمسحن بها وجوههن وابدانهن مسحًا للاقتصاد بالماء فيحسن هذا الماء البشرة وينعمها ويعطيها ريحًا طيبًا ويزيل البقع التي تكون عليها . واذا اضفن الى هذا الماء شيئًا من الشهد الذائب اثر تاثيرًا عظيمًا في تحسين الجلد وتنعيمه

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تربية البنات

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية
فاصلحوا النساء

أبنا في الجزء السابق في هذا الموضع من المجلة اهمية مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية فثبت معنا يومئذ ان « الرجال يكونون كما تريد النساء » وانه يجب ان يكن عظيمات وفاضلات ليكون الرجال عظماء وفضلاء . فبناء عليه تكون تربية النساء اهم من تربية الرجال في الهيئة الاجتماعية

واذا كانت تربية النساء اهم من تربية الرجال فمن دلائل التاخر والانحطاط اهمال تربيتهن واعتبارها امرًا ثانويًا ومن دلائل الاستمرار في هذا التاخر الاستمرار في هذا الاهمال

وليس من غرضنا الان تبيان وجوب تربية النساء فان ذلك اصبح امرًا مسلمًا وانما نود ان نشير الى اصول هذه التربية

ذلك اننا نرى ان كثيرين يحسبون انه يكفي لتربية النساء حتى الرجال ان تُنشأ المدارس بصرف النظر عن حالتها . ولذلك تراهم قد نعموا بالاً ورقصوا طربًا كلما فتحوا مدرسة . وهذا الامر فاش في مصر والشام وفي كل البلاد الشرقية . وسببه عدم معرفة الناس المهم من الاهم في مسائل التعليم والتربية . افترضوا اننا نفتح في القاهرة او الاسكندرية او بيروت مائة مدرسة كل يوم اي ان يكون مجموع ما نفتحه في السنة ٣٦٥٠٠ مدرسة ولم يكن في كل هذه المدارس الكثيرة واحدة تعلم تعليماً صحيحاً وتربي تربية صحيحة فما هي الفائدة منها كلها . فالامر المهم اذًا في التعليم والتربية حسن اختيار المعلمين الذين

يعرفون كيف يغرسون المبادئ العظيمة في نفوس الطلبة وحسن تاليف جدول الدروس « البروغرام » الذي هو بمثابة « الدفة » من المركب لانه يوجه عقول الطلبة ونفوسهم الى حيث يريد والمعلم هو الربان الذي يدير هذه الدفة

فعبثاً تحاولون النفع من هذه المدارس كلها ان لم يكن فيها معلمون يفهمون معنى التعليم ومعنى التربية . وهذا الكلام يُطلق على تربية الفتيان والفتيات معاً وقد اشرنا اليه هنا في عرض هذا البحث تمهيداً لما نريد ان نقوله في هذا الموضوع

واول ما نقوله ان تربية النساء عندنا ناقصة ويجب سد هذا النقص عاجلاً . والنقص في امرين الاول عدم وجود مدارس كافية لهن وعدم اقبالهن على التعلم والثاني اصلاح مدارسهن الموجودة

اما الامر الاول فلبس من ينكر اهميته عندنا ولذلك اخذ العاملون بفتح هذه المدارس تدريجاً . على ان البحث في الامر الثاني يتناول الامر الاول ولذلك نقول اولاً ما هي وظيفة المرأة

الجواب ان وظيفتها أن تكون زوجة واماً . لهذا خُلقت في هذه الحياة لا لامر سواه . فتربيتها اذاً يجب ان تعلمها واجبات الزوجية والامومة

وواجبات الزوجية نحصرها في امرين . الامر الاول تدبير منزلها . فانه من الواجب عليها ان لا تدع خادمتها في المنزل تعرف من هذا الفن اكثر منها ولا ان تعمل فيه اكثر منها . ومن دلائل شرف المرأة ونشاطها ومعرفتها واجباتها ان لا تانف من الاعمال البيتية بل تسرّ بعملها كما انه من دلائل صغر العقل وانكار الواجبات التنازل عن تلك الاعمال كلها الى الخدم لغير ضرورة لا بدّ منها . ولا يخلو من فائدة ان تعلم المرأة ان عظمتها متوقفة على نظام منزلها وحسن حاله وحال الساكنين فيه . فان هذا المنزل هو مملكتها الصغيرة فماذا يقول العقلاء في ملكة تهمل مملكتها او تتكل على غيرها في ادارتها وتدبيرها

والامر الثاني ارضاء الزوج وهو امر لا يقل عن الاول اهمية لان عليه مدار سعادة العائلة . ونحن الآن هنا تجاه مسالة كبرى وهي مسالة سلطة الزوج وسلطة الزوجة في العائلة . نعم ان النزاع في هذه السلطة قليل في بلادنا خلافاً لما يحدث في الغرب ولكننا نجد من الفائدة ان نشير الى اراء فلاسفة الغرب في هذا الموضوع على سبيل المقابلة . فانهم يقولون ان كل شركة وكل هيئة وكل حكومة يجب ان يكون فيها ادارة تتولى الاهتمام

والتدبير واعضاء يخضعون لها مقابلة اهتمامها وتدبيرها · والزواج شركة فيه الرجل عامل قوي خشن لانه مخلوق للعراك والزحام والمراة لطيفة نحيفة عملها في منزلها · الاول يكسب ويقوم باود العائلة والثانية تعطيه هذه العائلة · فمن الحق الطبيعي والناموس الاجتماعي اذاً ان يكون الرجل هو مدير العائلة · واذا كان الرجل هو المدير تحتمت الطاعة على المراة وصارت سلطته فوق سلطتها · بهذا النظام تقوم المنازل والا تنهدم ويتفرق من فيها ايدي سبا

فاذا كان هذا ما يقوله فلاسفة الغرب والمراة عندهم ارقى من المراة عندنا وجب ان يقال مثله على الاقل في حالة منازلنا · فالرجل اذاً هو صاحب السلطة في الظاهر وان كانت المراة في الحقيقة هي صاحبة السلطة في الباطن كما مرَّ بنا في العدد الماضي · فترتب عليها ارضاؤُه ليرضيها هو ايضاً

هذان الواجبان هما اعظم واجبات الزوجة · بقيت واجبات الام · وهي عندنا ثلاثة · الاول تربية اجسام الاولاد · والثاني تربية عقولهم ونفوسهم · والثالث القيام باودهم

اما الامر الاول فهو عمل هيجييني محض ولذلك يجب ان تُعلم الفتاة منذ صغرها في المدارس التي تتعلم فيها كيف يجب ان تكون تربية الاولاد نظرياً وعملياً · وما احسن ان يُبنى بازاء كل مدرسة للبنات ملجأ خيري صغير لاطفال الفقراء لتصرف فيه كل تلميذة ساعة او ساعتين من يومها تتعلم فيها عملياً تربية الاطفال وتنمي في نفسها الميل الطبيعي الذي فيها لتلك المخلوقات الصغيرة الجميلة التي سيمنحها الله منها

والامر الثاني عمل ادبي بسيكولوجي يقتضي معارف واسعة وخبرة وملاحظة وهو فن مستقل بنفسه بل هو الفن الاعظم الذي يسمونه فن التربية النفسية

والامر الثالث وهو القيام باود الاولاد يقتضي ان تكون المراة حين الحاجة نصف رجل لتكسب رزق اولادها حين الحاجة

هذه هي واجبات المراة في العائلة على وجه الاجمال · ولكننا نرى هنا بعض السيدات يحملقن ويقلن — ماذا ؟ اهذه اعمالنا فقط ؟ ايبلغ بكم الظلم ان تضعوا على ظهورنا النحيفة كل هذه الاحمال دون ان تاذنوا لنا بشيء يخففها ؟ كلا ايتها السيدات لا تقلن « ان تاذنوا لنا » فان ذلك من حقكن والحق مباح لا يقتضي اذناً · نعم من حقكن رئاسة المنزل والعائلة في بعض الاوقات رئاسةً عليا تكون فيها سلطتكن فوق سلطة الرجل نفسه · بل ان

ذلك من واجباتكن لانه عمل من الاعمال المنزلية المهمة

ونريد بهذا العمل تحبيب المنزل الى زائريه

اي نعم ان استقبال الزائرين واجب من الواجبات البيتية الجميلة وعمل لطيف نحيف مملوء شوكاً كما انه مملوء زهراً . اما الزهر فان السيدة تتصل بالعالم بواسطته وتتعرف بالناس وترأس مجالس الحديث في القاعات وتكون ملكة المنزل الحقيقية . ويا حبذا لو كان في الاستطاعة الآن نقل الفصل الجميل الذي كتبه الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » بخصوص هذه المجالس وهذه القاعات ولكننا نكتفي بالاشارة . فانه قال فيه ان قاعة المراة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال وبالمراة من السيدات فيقطعون اوقاتهم — عفواً ايتها السيدة — لا بلعب الورق ولا بالازياء ولا بالكلام عن الناس ولكن بالمسائل المفيدة والمفكهة معاً من ادبية وسياسية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية وحكماً عظيماً في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقاص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكات جالسات على عرش الادب واللطف والظرف يرئسن الحديث فيها واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها وضخامته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

هذا هو الزهر الذي تجده المراة في هذه المجالس . وهو يقتضي ان تكون عارفة باساليب الحديث تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك احداً يمل في قاعتها . وهذا امر لا يجب تعليمه في مدرسة لانه طبيعي في المراة كما لا يخفى

واما الشوك فانه مؤلم وذو خطر عظيم . ونعني هنا بالشوك تلك التجارب التي تعرض للمراة في خلال هذه المجالس فان كل الناس ليسوا من سوء الحظ ادباء كرام النفوس بل ان كثيرين منهم يتخذون هذه الزيارات والمجالس حبائل للاقتناص . وانت تعلم ما هذا الاقتناص . فبازاء هذا الخطر العظيم على راحة العائلة وفضيلة المراة يجب ان تربى المراة تربية خصوصية تقيها هذا الخطر وذلك بايقافها على اخلاق الرجال وتدريعها بدرع

الفضيلة والدين والادب ومعرفة الواجبات

والآن هل تمت واجبات المراة بعد ما ذكرناه منها او بقي منها شيء

اذا كان المراد التفاصيل فقد بقيت اشياء لاننا هنا نشير الى امهات المسائل اشارة فقط . واذا كان المراد هذه الامهات فاننا نرى انه لم يبق الا مسالة واحدة . ولكنها من اهم المسائل النسائية

وهذه المسالة هي : هل يجب ان تبقى المراة داخل البيت ام يجب ان تخرج منه للعمل كالرجل

فنجيب على الفور ان المراة قد خُلقت لتكون زوجة واماً . زوجة واماً قبل كل شيء وبعد ذلك يأتي ما بقي . ومقام الزوجة والام هو في المنزل فعلى المراة ان تبقى ملازمة منزلها لزيادة النسل وتربيته وغرس الفضائل البيتية فيه لنشرها منه في العالم

هذه حقيقة يؤيدها جميع انصار النساء الحقيقيين وكل محبي خير الهيئة الاجتماعية . ولكن لدينا مسالة مهمة تتفرع منها . وهي: ان امراة خضعت للناموس الطبيعي والالهي القاضي بان يكون عمل المراة داخل المنزل وعمل الرجل خارجه فتزوجت واقامت تربي اولادها فرزقت ستة منهم . ثم في يوم من الايام وهي مطمأنة الخاطر باسمة الثغر هبت على منزلها احدى زوابع الاقدار الهائلة السوداء التي طالما هبت على المنازل فكسرت قلوباً ونغصت عيشاً وسودت حياة وخربت عماراً فمات زوجها ولم يترك من يعولها ولم يخلف لها سوى اولاد صغار على يديها الضعيفتين . فماذا تصنع حينئذ

لا خلاف في انه يجب عليها حينئذ ان تشمر عن ساعد النشاط والهمة وبرأس مرفوع عظمة كانها تناطح الاقدار التي تدلت عليها لسحقها تقوم الى العمل بشرف وجد لتكسب خبزها وخبز اولادها بعرق جبينها . فعلى المراة اذاً ان تكون مستعدة للعمل اذا انتدبتها العناية الالهية له متى انهدم سندها . ويجب عليها ان تضع هذا الامر دائماً نصب عينيها . وهي مسالة خطيرة توجب الاهتمام بتعليمها عملاً تعمله يكون منطبقاً على استعدادها النسائي وذوقها ومواهبها . وجميع فلاسفة العالم يجيزون عمل المراة حتى خروجها من البيت لهذا العمل في حادثة كهذه الحادثة

هذه اهم واجبات النساء في الهيئة الاجتماعية . فلننظر الآن ماذا تعلم مدارس البنات منها . وسنبحث في ذلك في مقالة تالية

ولكن قبل ذلك لا بد لنا في ختام هذا المقال من الاشارة الى اهمية الامور التي مرّت بنا

والتصاقها بالنساء دون سواهن · فان تدبير المنزل وتلطيف معيشة الزوج فيه وتربية الاولاد التربية البدنية والادبية ورئاسة العائلة في ايام الاستقبالات العائلية لتحبيب المنزل الى الزائرين وادارة الحديث ومراقبته لئلا يُقال فيه ما لا يجب ان يُقال في منزل سيدة — كل هذه امور من شان المرأة والرجل لا يستطيع ان يعمل منها شيئاً · فيالجهالتنا وتعاستنا اذا اهملنا تعليم المراة اياها · يالشقائنا وشقاء اولادنا من بعدنا اذا تركنا النساء بلا علم ولا ادب ولا فضيلة تقودها بين صخور هذه الحيـاة الهائلة · اتعرفون ما هي المراة · كلا انكم لا تعرفونها وان كنتم ترونها كل يوم · المراة مخلوق يمرّ امامكم ضعيفاً نحيفاً باسم الثغر او مبهوتاً ولكن بين جنبيه قلباً لا يعرف عمقه الا الله ونفساً متسعة اوسع من الفضاء لتناقض الاميال التي فيها · وهذه الاميال تتجاذبها وتتقاذفها كما تتقاذف الامواج في البحر زورقاً صغيراً فوقها · افتسلمون الزورق للامواج تذهب به كل مذهب وتطرحه على الصخور فتكسره ام تضعون فيه « دفة » وربانًا لايصاله بامن وسلام الى برّ السلام · وهذه الدفة وهذا الربان هما المعرفة والضمير · المعرفة التي تنير الضمير والضمير الذي يدير المعرفة · ونعني هنا بالمعرفة المعرفة الادبية التي تُري المراة انها اذا لم تكن فاضلة فانها تكون تعيسة محتقرة مهما كانت جميلة · المعرفة باصول تربية اولادها وتدبير منزلها · المعرفة باخلاق الرجال لارضاء رجلها واجتناب اشراك سيء الادب من الرجال · المعرفة التي تجلو عن النفس غياهب الجهل وتعلمها كل فضيلة وتدنيها من ابواب السماء · المعرفة عدوة الظلمة وصديقة النور · عدوة التوحش وصديقة التمدن · عدوة الضلال وصديقة الحقيقة · عدوة الرذيلة وصديقة الفضيلة · هذه هي المعرفة التي نعنيها هنا · فوا اسفاه عليكم وعلى هيئتكم الاجتماعية اذا كنتم لا تعطون النساء هذه المعرفة

✱ تمثال للفيلسوف جول سيمون ✱

عزم الفرنسويون على انشاء تمثال لفيلسوفهم الكبير استاذنا العلامة جول سيمون وقد زار رئيس مجلس الشيوخ المسيو فاليير حضرة ارملة الفيلسوف في الشهر الماضي وعرض عليها رسم التمثال · وهو يمثل الفيلسوف واقفاً في منبر كلية السوربون يخطب ويداه مطويتان على صدره وهي أجمل وقفاته في موقف الخطابة · وسينصبون التمثال في ساحة « مادلين » امام المنزل الذي كان يسكنه في حياته وفيه كتب اكثر كتبه الجميلة · وسناتي في حينه على رسم التمثال وما يقال في هذا الشان

باب الاخبار العلميّة

(* النقب في اثار اشور *) نقب العلماء اخيرًا في اثار اشور في قرية عثمانية تدعى سيبزرانا فوجدوا فيها مائة وخمسين قبرًا قديمًا فيها عظام بشرية وهيا كل خيل وفؤوس وخناجر وزينات من حديد ونحاس وفضة . ووجدوا ايضاً في بعضها قطعاً من النقود الفضية منقوش عليها باللغة العربية سنة ٧٣٣ هجرية

(* البرنيطة تسلم من نفسها *) اخترع احد الاميركيين آلة صغيرة توضع في باطن القبعة التي يلبسها الاوربيون فاذا اراد احدهم التسليم على عشرين صديقاً في طريقه ا كتفى بان يحني راسه فتنقلب الموازنة في تلك الآلة فترتفع قبتعه للتسليم عليهم من تلقاء نفسها دون ان يمد يده اليها ويتكلف عناء رفعها كل حين

(* نبات غريب *) في زيلانده الجديدة نبات يسمونه باللغة العلمية "كلوزيا" وباللغة العامية "خانق النبات" وذلك لان الطائر اذا اتى ببذر منه ليأ كله على شجرة علقت احد البذور في غصن الشجرة ونبتت فيه ثم اخذ جذرها بالتدلي الى الارض حتى يبلغها ويغوص فيها ولا يزال يكبر ويمتد وينتشر ممتصاً الغذاء من اصول تلك الشجرة نفسها حتى تقوى جذوره على جذورها فتموت الشجرة الاصلية ويبقى هذا النبات مكانها

(* دواء للافيون والحشيش *) يقول الدكتور اونومريش من بادن بادن انه اخترع دواء يكره الافيون الى شاربيه . وهو سائل ياخذ منه الشارب نقطتين او ثلاثاً قبل كل وقعة طعام فيصبح اذا شم رائحة الافيون اشمأزت نفسه منه . نقول والدواء الذي نجع في الافيون لا يبعد ان ينجع في الحشيش لانهما صنوان وفرسا رهان . وفي هذا المقام نقول ايضاً انه بالنظر لشروع الاطباء في التفتيش عن مصل يمنع السكر بالافيون او بالاشربة الروحية كما ترى في هذا الخبر وفي ما تقدمه من الاخبار التي رويناها قبلاً فغير بعيد ان يصير التلقيح بمصل المسكرات بعد قليل امرًا الزامياً كالتلقيح بمصل الجدري وهي الطريقة الوحيدة لمنع آفات المسكرات منعاً عاماً حقيقياً . ولكن المهم الآن ان يجد الاطباء ذلك المصل فاذا وجدوه احسنوا الى الانسانية كلها

(* هل كان المتقدمون يدخنون *) قال جورنال الهيجيين نقلاً عن « جنتيلمن ماغازين » ان المتقدمين كانوا يدخنون ورق الخس المجفف بالطريقة التي يدخن بها المتاخرون التبغ ومما يؤيد ذلك ان بعض كتابهم اشار بتدخين الخس لانه مخدر ومريح للاعصاب في الليل · وقد وجدوا في آثار بومباي رسوماً تمثل الرومانيين جلوساً وفوقهم سحب من الدخان المنبعث عن القصبات التي في ايديهم يدخنون بها

(* اصل لعبة البلياردو *) نشرت البريتش موزيوم كتاباً مؤرخاً في سنة ١٧٥٠ مفاده ان لعبة البلياردو قد وُضعت في القرن السادس عشر وواضعها رجل يُدعى ويليم كو · وسبب تسميتها « بلياردو » ان هذا الرجل في كل مساء بعد انتهاء اعماله كان ياتي بثلاث كرات ويضعها على مائدة امامه ثم يجعل يتقاذفها بمقياس في دكانه يُدعى « يرد » ومعلوم ان الكرات تُدعى « بيل » فصاروا يسمونها « بيل يرد » اي كرات اليرد

(* هل ينفع النوم بعد الظهر *) اعتاد كثيرون النوم بعد الظهر وهو ما يسمونه القيلولة ولكن الاطباء اختلفوا في منفعة ذلك · فقال بعضهم ان النوم حينئذٍ يخبل الجسم ويجعله كسولاً وقال بعضهم بل يريح الجسم ويمده بنشاط جديد · والذي اجمع عليه العارفون ان النوم ١٥ او ٢٠ دقيقة بعد الاكل نافع ولكن اذا طال النوم زال النفع

(* اكرام الصينيين للزراعة *) يوجد في الصين عيد يسمونه عيد الزراعة يرئسه الامبراطور نفسه فيأخذ محراثاً ويحفر به ثلمين في الارض على سبيل الاكرام للزراعة · واجمل من ذلك انه يوجد في داخل القصر الملكي الصيني قطعة ارض مخصصة بزراعة التوت وفي اوقات معينة تقصد الامبراطورة هذا المكان مع اشهر نساء البلاط فيخفضن لها اغصان التوت فتقطف الامبراطورة بيدها الورق وتوزعه على دود الحرير ويقيمون هذا الاحتفال تذكاراً لاكتشاف دودة الحرير في الصين فان احد الامبراطورات اكتشفت هذه الدودة في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد المسيحي كما يزعمون · وكان من شان هذا الاحتفال الذي تقيمه الامبراطورة في كل عام لاكرام التوت والدود انه نشر زراعة الحرير في الصين كلها فصار الصينيون يلبسون ملابس حرير بدل ملابس الجلود القديمة

(* معالجة المرضى بالهواء السائل *) جُرب في مستشفى نيويورك معالجة الجروح

بالهوا السائل فكان الهواء يميت اللحم المصاب الذي حول الجرح و يقتل ما فيه من الميكروب فيشفي المريض شفاء عاجلاً . ولكن اذا اصاب الهواء اللحم غير المصاب احدث ضررًا

(* لغة جديدة بالصفير *) عاد رحالة الماني من جزائر كناري فروى انه راى فيها الاهالي يستعملون على بعد ١٥٠٠ او ١٨٠٠ متر من بعضهم البعض لغة خصوصية بالصفير فيتفاهمون كما لو كانوا يتخاطبون بالكلام وهم يقولون في هذه اللغة كل ما يريدون قوله

(* تجارة الضفادع *) يقدرون عدد الضفادع التي ترسل في كل اسبوع من بلجيكا الى باريز لاتخاذها طعامًا ٣٠ الف ضفدعة . واما صيدها فتارة يكون بالاشراك وطورًا بالصنارة . ذلك ان يعلقوا بها قطعة صغيرة من نسيج احمر و يلقونها في البحيرة فتحسب الضفدعة القطعة الحمراء قطعة لحم فتنطرح من شراهتها لا كلها فتؤخذ

(* مادبة في قعر البحر *) اقام الكابتن لسيك مخترع الغواصة الاميركية «ارغونوت» مادبة لبعض اصدقائه في قعر البحر ذلك انه ركب بهم غواصته وغاص بها من بريدبورت في جنوبي لون ايسلاند ثم مُدت المائدة وجلس معهم ياكلون في جوف البحر حتى قطعوا عدة اميال وهم في اتم سرور . فما اجمل هذا السفر اليوم في هذا الحر

باب التقريظ والانتقاد

✱ تقدمة الشكر ✱ اهدت الينا الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية ميزانيتها السنوية عن سنة ١٨٩٩ فجاء فيها بعد المقدمة المفتتحة بشكر الذين احسنوا اليها والترحم على المرحوم السيد صفرونيوس البطريرك الاسكندري السابق ان ايرادها قد بلغ ٥٣٨٧١ غرشًا ونفقاتها ٥٧٣٣٩ غرشًا هذا عدا ما في صندوق الجمعية من الاوراق المالية وقيمتها ٢٢٠ جنيهًا

وقد سحبت هذه الجمعية في هذا الشهر يانصيبها السنوي التي اعتادت انشاءه في كل عام لفائدتها بعناية جناب رئيسها الهمام جزاه الله مع سائر اعضائها المجتهدين خير جزاء لما يبذلونه من الهمة في سبيل البر والاحسان

﴿ الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا ﴾ انشأت الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا يانصيباً لفائدة الفقراء ووزعت من اوراقه على الطوائف الارثوذكسية في مصر والشام وقد اقبل المحسنون على ابتياع هذه الاوراق اشتراكاً معها في هذا السبيل الخيري جزاهم الله جميعاً خير الجزاء

﴿ الخزانة ﴾ صدر الجزء الاول من مجلة الخزانة لصاحبها حضرة الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وهي مجلة شهرية في السياسة والادب توخى منشئها فيها جمع اقوال الكتاب المجيدين في هذين الفنين ولذلك كانت الخزانة معرضاً صغيراً جميلاً لاقلام الكتاب الذين يعرضون بضائعهم فيها . على انها كلها بضاعة مختارة تدل على حسن ذوق ورغبة في افادة القراء وتفكهتهم

وهي ابواب منها في السياسة وتاريخ الاعلام وحديث اليوم ومقتطفات المجلات وفي ذيلها رواية . وهي مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق جيد وقيمة اشتراكها مائة غرش صاغ في السنة

والخزانة مع حداثة عهدها لا ينقصها سوى بعض المباحث العلمية المفيدة التي لا يجدر ان تخلو منها مجلة يُعانى في طبعها وترتيبها واتقانها ما يُعانى في الخزانة . فنحن نتمنى لها كل نجاح وانتشار ونثني على صاحبها البارع الذي اتحف اللغة العربية بمجلة جميلة كالخزانة

﴿ المجلة المصرية ﴾ المجلة المصرية مجلة نصف شهرية علمية ادبية اقتصاديه قضائية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل خليل افندي مطران ويديرها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود ويشترك في تحريرها بعض اكابر الكتاب . وهي تبحث في كل المواضيع المفيدة من التجارة والاقتصاد والتاريخ والزراعة والادب ويحليها جناب شوقي بك شاعر مصر المجيد بشيء من شعره

والمجلة المصرية على حداثة عهدها قد تقدمت تقدماً يشهد لصاحبها ومديرها بطول الباع وحسن السعي واذا استمرَّ التحسن فيها كما نراه في كل جزء منها بالنظر الى سابقه بلغت المجلة المصرية شأواً بعيداً

لكن ما قلناه لرصيفتها الخزانة نقول عكسه لها . فان الجمع بين الفائدة واللذة امر لا بدَّ منه في المجلات والجرائد التي تُلقى بين ايدي الناس لاختلاف عقولهم وتباين اذواقهم والا فاذا ارضت المجلات والجرائد فريقاً اغضبت فريقاً

هذا واننا نتمنى للمجلة المصرية مستقبلاً واسعاً بهمة حضرة صاحبها ونرجو ان ينتفع قراء اللغة العربية بها

﴿ الصبا ﴾ جريدة اسبوعية ادبية سياسية فكاهية لصاحبها ومحررها جناب الأديب احمد افندي عبدالله حسين . وقد وصلنا مع العدد الاول منها ان صاحبها قد تبرع بالف نسخة من رواية « شرف الامانة وعاقبة الخيانة » اعانة للسكة الحديدية الحجازية فنثني على اجتهاده وغيرته

﴿ قصة يوسف بك كرم ﴾ قصة موضوعة على نسق الروايات العامية لتقريب موضوعها من الافهام وضعها حضرة الكاتب المجيد نعوم افندي مكرزل منشئ جريدة الهدى الغراء في فيلادلفيا من اعمال الولايات المتحدة واودعها خلاصة تاريخ المرحوم يوسف بك كرم وزينها برسوم كثيرة فجاءت قصة تحلو مطالعتها وتبث الشجاعة في نفوس قرائها . فهي عندنا من هذا الوجه خير من القصص العامية التي يتداولها العامة ويسمونها بالقصص الهلالية . وقد وعد جناب واضعها الفاضل بانه عازم بعد هذه القصة الفكاهية على وضع كتاب جدي كبير فنثني على اجتهاده وندعو له بالنجاح

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ المحاسن الثلاث ﴾

(ابو نجاح) احمد افندي الصراف ملاحظ بوليس ابو نجاح

جاء في الصفحة ١١٨ من « الدنيا في باريز » لحضرة احمد بك زكي ما نصه في وصف ساعة تحيط بها ثلاثة تماثيل تُعرف عند الافرنج بالمحاسن الثلاث وكل واحدة من المحاسن واقفة بهيئة مخصوصة تسحر العقول » فارجو افادتي ما هي هذه المحاسن

﴿ الجامعة ﴾ يسمون « المحاسن الثلاث » ثلاث الهة معروفة عند قدماء اليونان باسماء « افروسينا وتاليا واكلايي » وكانوا يعبدونها في عدة جهات وبها يرمزون الى الجمال النسائي وانواعه فكل واحدة منها تمثل نوعاً من الجمال . ومن مزاياها عند اليونان انها قادرة على تخفيف تاثير الملاذ في النفوس فاذا كانوا على مائدة وافرطوا في الشرب والا كل صبوا ثلاث كؤوس على الارض اكراماً لهذه الالهة وفي ذلك حكمة ظاهرة وهي تخفيف هذه الكؤوس عن معد الشاربين . وهم يرسمونها ثلاث فتيات في منتهى الظرف وغاية الجمال تارة واقفات وكل واحدة منهن آخذة بيد الاخرى وطوراً منفردات بيد الاولى وردة والثانية نرد والثالثة غصن آس

﴿ امرأة قايين ﴾

(سان كارلوس . برازيل) ابرهيم افندي . ا

لما قتل قايين اخاه طرده الله من امام وجهه وجعل له علامة لكل من رآه ان لا يقتله . ثم انه اخيراً عرف قايين امراته فحبلت وولدت حنوك فمن اين اتت هذه المرأة

﴿ الجامعة ﴾ لا نعلم . ونشير عليكم بان تصرفوا فكركم الى غير هذه المواضيع التي قلما تفيد الباحث فيها شيئاً فضلاً عن ان البحث فيها تاريخياً امر متعذر لقدم عهدها والتخمين ليس من شان الباحثين

﴿ اسئلة ﴾

(الاسكندرية) احمد افندي علي سعد بقلم الفواتير بجمرك اسكندرية

(١) هل مياه المطر ضارة او نافعة

(٢) هل تضر الالعاب الجسدية المتزوج

(٣) ما انفع اصناف الثلج وكيف يجب تناوله

(٤) لماذا يطفىء التراب زيت البترول ولا يطفئه الماء

﴿ الجامعة ﴾ (١) جواب سؤالكم الاول ان مياه المطر تكون نافعة في مدينة كالاسكندرية ليس فيها مياه نقية هذا على شرط ان تكون الصهاريج نظيفة كل النظافة ولا ينبغي الشرب من ماء المطر اول نزوله في اوائل الشتاء لانه ينزل معه شيئاً من

الميكروبات المنتشرة في الهواء

(٢) الالعاب الرياضية نافعة للشبان والاولاد ومضرة للكهول والشيوخ

(٣) انفع اصناف الثلج الصنف الذي يُصنع من ماء نقي ولا ينبغي ان يؤكل ولا ان يُذاب في الماء بل ان يبرَّد به الماء تبريداً في « الثلاجة » من الخارج

(٤) يطفئ التراب زيت البترول المشتعل لانه يمنع الهواء عنه وكل نار يُمنع عنها الهواء تنطفئ . ولا يطفئه الماء لانه لا يمنع الهواء عنه بل ربما زاده هواء فيزيده اشتعالاً

﴿ الاقتصاد السياسي ﴾

(الاسكندرية) احد القراء

ما هو افضل كتاب عربي في الاقتصاد السياسي ومن اين نطلبه

﴿ الجامعة ﴾ اذا شئتم مطالعة شيء في هذا الفن فطالعوه في اصله باللغات الاجنبية لاننا لا نعرف كتاباً عربياً يمكنكم الاعتماد عليه في هذا الموضوع . ولعلكم تجدون به بعض المقالات المتفرقة في المجلات العلمية او بعض الكتب

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

في الصين

وكان نزول الرئيس كروجر بحفيده وبالونه على سور الصين ووراءه البيون وفالي فلما اشرفنا على هذا السور العظيم قالت فالي لالبيون ان هذا السور يا اختي يثير في النفوس تذكارات قديمة . يُذكرنا اولاً عاطفة حب البقاء في الامم لان هذا السور قد بني لمنع البرابرة من الوصول الى الصينيين لمحاربتهم . ثم يذكرنا ان الدول تدول فان الصينيين الذين سبقوا امم العالم في حلبة التمدن اصبحوا اليوم فريسة تختبط بين اظفار اوربا في هذا الزمان . ويذكرنا ايضاً ان البشر في هذه الهيئة الاجتماعية خُلقوا للتضامن والتكافل والاجتماع لا للانزواء والانفراد وراء الاسوار بدليل ان الاوربيين لم يمنعهم هذا السور الهائل نفسه من دخول الصين . وكيف تقوى الاسوار مهما كانت عالية وسواء كانت مادية او غير مادية على الوقوف في وجه تيار التقدم ناموس الكون ونظام الوجود الذي يجرف كل ما في طريقه ان لم يجد منه من تلقاء نفسه . فمثل هولاء الصينيين في

اقامة سورهم هذا لمنع الناس من دخول بلادهم مثل الاولاد الصغار الذين يبنون على شاطئ البحر حواجز من الرمل لمنع البحر ان يجري الى الشاطئ

فقالت البيون تشبيهك جميل مثلك يا اختي . وانا اشبه تشبيهاً آخر . وهو ان الشعوب التي تطلب الانفراد عن الانسانية مثل الصينيين لا تنجح اكثر منهم سواء طلبت ذلك ببناء الاسوار حولها او بوضع تعاليم تقضي بعزلتها . لان الحواجز غير المادية تسقط كالحواجز المادية امام سير التقدم العظيم . ويكون مثل هذه الشعوب حينئذٍ مثل تلميذ يطلب الوحدة عن باقي الرفاق لانحراف في صحته يغير مزاجه ويؤثر على افكاره فيأتيه الطبيب ليجبره على معاشرة الناس ترويحاً لنفسه وتلافياً لعلته

وكان الرئيس كروجر قد نزل حينئذ على السور وهو آخذ بيد حفيده فنزلت البيون وفالي على مقربة منه . فاخذ الشيخ كروجر يسير بحفيده على سطح السور سير المتفرج الذي يروقه ما يشاهده من الاثار القديمة . وبعد هنيهة قال الفتى . اين بكين التي قصدناها ياجدي

فقال الشيخ . ما حاجتنا بيكين اذا كانت صاحبة بكين ههنا . فانني عالم بان للامبراطورة قصراً صغيراً ضمن هذا السور تأتيه احياناً للتسلي فيه ولا سيما في اوقات ضجرها

وما اتى الشيخ على آخر كلامه حتى سُمعت جلبة اصوات فالتفت الشيخ وقال لعلنا قد وصلنا

واذا به امام قصر داخل في السور غير بارز عنه كانه قطعة منه . ومنه صاعدة جلبة كثيرة . فتناول كروجر حصاة من الارض ورمى بها احدى النوافذ التي تحته . فلم تنقضِ دقيقتان حتى خرج جندي صيني مهرولاً . ولكنه لما ابصر الشيخ كروجر وقف مبهوتاً مدهوشاً ثم هرول ثانية داخلاً الى القصر

فابتسم الرئيس كروجر . وبعد دقيقتين ايضاً خرج ثلاثة جنود ولكن خروج رسول مطمئن يذهب ليستقبل لا ليستخبر . فاشاروا للرئيس كروجر باحترام ان ينزل فعلم الشيخ كروجر انهم عرفوا في القصر بمجيئه فكرَّ نازلاً

واما البيون وفالي فكانتا كلها اعيناً ترى هولاء الصينيين وبعد تاملها برهة قالت فالي — انظري عمنا كروجر النازل من السور الى الصينيين يا اختي فانه متى التقى بهم التقى التمدن الجديد بالتمدن القديم

فقالت البيون نعم ولكن كم من فرق بين الفريقين . ان تمدن كروجر نبتة جديدة

خارجة من ارض افريقيا المخصبة بقوة عظيمة . بكر عذراء عارية عن ادران التمدن ومفاسده . واما تمدن الصينين فانه شجرة قديمة نابتة في ارض اسيا التي نفدت خيراتهـا وجفت مادتها وهذه الشجرة قد نخرها سوس الانحطاط والضعف فاصبحت في الحالة التي ترينها فيهـا

ثم وصل كروجر الى الصينيين ويده في يد حفيده فانحنوا امامه مسلمين ودخلوا به الى القصر فوثبت البيون وفالي وثبتين من احدى النوافذ فسبقتاه اليه

ولما ادخلوا كروجر ادخلوه الى قاعة فسيحة جميلة ولكنها غريبة هائلة . فقد كان حول الجدران على الارض حيوانات مربوطة بالجدران باذنابها بين نمر وثعلب وفيل ودب وثور وما اشبه . ومن السقف تتدلى مخلوقات هائلة مربوطة به باذنابهـا ايضاً . افاعي وحيات تتمايل في سقف ذلك المكان كانها اغصان تحركها الرياح

فنظر كروجر هذا المنظر وهو ثابت الجأش اما الفتى الصغير فمع انه ربي في الترانسفال في الخلاء وسمع غير مرة زئير الاسد الافريقي وفحيح الافعى فانه اقشعر جلده ولكن لم يظهر الخوف في وجهه . ثم ذهب التاثير الاول فعاد اليه سكونه واصبح يبتسم لتلك المخلوقات الهائلة التي كانت تعجّ وتتمايل وتضطرب فوقه وحوله

وهكذا عجز التمدن القديم عن اخافة التمدن الحديث بفضل التربية الطبيعية البدوية التي ترباها ابن هولانده في افريقيا : ولكن تصوّر ان بعض المترفهين المتمدنين الذين عاشوا في القصور الباذخة بين الحشم والخدم والاستبرق والحرير لا تراهم الشمس ولا يمسهم النسيم قد دخلوا دخول كروجر وحفيده الى هذه القاعة الهائلة . اما كانوا يصعقون لحينهم عند مشاهدة مناظرها او يفرون واقدامهم تسبق رؤوسهم

فيا لفساد تربية الترف الحاضرة . ويا ما يبعد الانسان عن طبيعته ويخرج عن الدائرة التي وُضع فيها . نحن الآن يخيفنا اقل الامور . العصفور اذا مرّ في الهواء على بغتة . الانسان اذا خاطبنا على حين فجأة . الهرة او الكلب اذا مرّ امامنا . فاذا كنا قد اصبحنا ترتعد فرائصنا لرؤية هذه المخلوقات الحيوانية التي هي رفيقتنا في الحياة أتحسبون انه لا يأتي وقت نصبح فيه نخاف ان نرى بعضنا بعضاً

بلى وقد أتى هذا الوقت . انظر الى المسافر في الغاب او في شوارع المدينة في الليل واحياناً في النهار فانه يتلفت خوفاً ايرى اذا كان لا يفاجئه اخوه اي انسان مثله لقتله وسلب ماله . انظر الى الواقف امام الحاكم الكبير او الصغير فانه يرتجف امامه كقصبة

تحركها الريح . انظر الى الناس في معاملاتهم ومعيشتهم فان صغيرهم يخشى دائماً شر كبيرهم . انظر الى الامم فان صغيرها لا يرتعد نقط خوفاً لدى كبيرها بل يفنى فيه كما يفنى الجزء في الكل . هذه الترانسفال تقتلها انكلترا الآن وتدوس حريتها . هذه الفيليبين تحاول اميركا اخضاعها . هذه الصين تهاجمها اوربا لارهابها . كل هولاء بشر وكلهم يخشون بعضهم بعضاً . فما معناك اذاً ايها الاخاء البشري . ما معناكِ ايتها المحبة . اين انتِ ايتها العدالة . ياحاملة السيف وغصن الزيتون . على مَ ترينا السيف كل يوم ولا ترينا غصن السلام مرة . بل اريتنا اياه في موتمر لاهاي ولكن وا اسفاه يوماً واحداً كما يُرى البرق في الغمام

هكذا كان يقول كروجر في نفسه وهو خارج من قاعة الحيوانات الى القاعة التي كانت تنتظره فيها صديقته « سي تاي هو » امبراطورة المملكة الصينية (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ الاسطول العثماني ﴾ اوصت الحكومة العثمانية معامل المانيا لصنع ٧ طرادات حربية جديدة . واتفقت مع معامل كروب الالمانية دون معامل ارمسترنغ الانكليزية التي كانت تزاحمها على تسليح المدرعات العثمانية الثماني التي اصلحتها في جنوى

﴿ الحوادث الخارجية ﴾ اطلنا الكلام في هذا الجزء عن ايطاليا وملكها همبرت الاول الفقيد وملكها عمانوئيل الثالث الحالي فلا حاجة بنا الى العودة اليه في تاريخ الاسبوعين ولكن مما نذكره عن هذه الجناية ان بوليس ايطاليا قد تهاون في حراسة همبرت الاول ومراقبة بريسي القاتل . فان احد رجال البوليس في باريز قال انه لما مرَّ بريسي في باريز عائداً من اميركا نبه بوليس باريز بوليس ايطاليا اليه لانه فوضوي شهير فلم يراقبه المراقبة اللازمة . ويظهر من مطالعة الجرائد الاخيرة ان مقتل ملك ايطاليا قد خفف شيئاً من تطرف الاحزاب المتطرفة فيها فكان ذلك داعياً الى تحسين الحالة السياسية العامة في ايطاليا هذا اذا لم تعد اليها الزوابع الماضية بعد ذهاب تاثير الحادثة . وقد اظهر الملك الجديد

في المنشور الذي نشره بمناسبة ارتقائه الى عرش الملك انه سيحافظ على الدستور والحرية · ولهجة المنشور معتدلة ولا تحتوي شيئاً مما خيف ان يكون فيها اولاً من اضطهاد الاحزاب المتطرفة

وقد كادت تحدث ايضاً في الشهر الماضي جناية اخرى من هذا القبيل فان عاملاً فرنسوياً يدعى سالسون ترك عظمة شاه ايران سائراً في مركبته من قصره في باريز الى المعرض فهجم على المركبة وبيده مسدس لقتله · فقبض الصدر الاعظم على يد المعتدي حتى حضر البوليس وساقه الى السجن · اما سبب عدم انطلاق الرصاص من المسدس فهو ان سالسون كان في عشية ذلك اليه قد حدد رأس الآلة التي تضغط على الرصاصة لاطلاقها وذلك رغبة منه في زيادة تأكيد الانطلاق · فمن حسن الحظ ان الآلة حين ضغطه عليها باصبعه لم تصب وسط الخرطوشه ولكن طرفها فلم تنطلق

هذا اهم ما جرى في الشهر الماضي من هذا القبيل · اما حرب الترنسفال فانها لا تزال مناوشات والبوير يزدادون ضعفاً والانكليز تقدماً يوماً فيوماً · واما حرب الصين فان جنود الدول قد زحفت الى بكين لانقاذ السفراء اذ رفض هولاء السفر من بكين الى تيينتسين الا مع جنودهم خوفاً من الجنود الصينية وثوارهم · فدخلت بكين في ١٥ الجاري وانقذت السفارات ففرت الامبراطورة مع اعداء الاجانب من العاصمة · وقد انزلت انكلترا جنوداً الى شنغاي فثار ثائر الدول لهذا الصنيع خوفاً ان تحتلها دونهن · وعين المارشال والدرسي الالماني قائداً عاماً للجيوش الاوربية في ولاية بتشيلي وهي الولاية التي منها بكين · ولعل سبب تعيين هذا القائد المانياً اختلاف روسيا وانكلترا على القيادة · والظاهر ان حكومة الصين قد ندمت على ما صنعت · ولكن لات ساعة مندم

ومن اهم الحوادث الخارجية في هذا الشهر ان ملك سربيا تزوج بمدام ماشين وهي امرأة كانت من نساء شرف امه الملكة ناتالي فسخط ابوه ميلان لانه لم يتزوج باميرة وسافر من سربيا · ولعل الملك قد فعل ذلك اسخاطاً للملك ميلان رغبة في التخلص منه استمالة لروسيا

صدور الجامعة — تأخر صدور هذا العدد الى اواسط اغسطس بسبب سفر مدير المجلة الى سوريا لقضاء قسم من فصل الصيف فيها مع حضرة والدته · وبناء عليه اصبحت الجامعة تصدر في منتصف كل شهر بدل اوله لتعويض الايام التي فاتتها

(وفيات)

(نسيم بشور) نعي الينا من برج صافيتا الماسوف عليه الطيب الاثر المرحوم نسيم بشور نجل المرحوم تامر بشور الشهير · توفاه الله اثر داء عياء فكان لوفاته دوي شديد في نفوس معارفه لما امتاز به رحمه الله من الصفات التي حببته الى القلوب · وقد بعث الينا احد الاصدقاء بتفصيل الاحتفال العظيم الذي اقيم لتشييع جثته فقال ان الناس تقاطرت من الحصن وصافيتا وعكار والمرقب وسائر الجهات المجاورة للاشتراك مع آل الفقيد الكرام في حزنهم الاليم فنحن نسال الله تعالى ان يجمل عزاءهم في هذا المصاب ولا سيا نجل الفقيد جناب اسبر افندي بشور ونطلب لفقيدهم واسع الرحمة والرضوان

(الكومندور جوفاني استاني) استاثرت رحمة الله تعالى في ١٣ الجاري بالماسوف عليه الكومندور جوفاني ستاني عميد النزالة الايطالية في الثغر واحد اكابر تجاره · توفي بعد شيخوخة صالحة قضاها بالاستقامة والجد والنشاط فاحتفل بتشييع جثته احتفالاً نادر المثال رحمه الله رحمة واسعة والهم آله الصبر الجميل على فقده

(نزها صدقه خلاط) نعيت الينا من طرابلس الشام المرحومه نزها صدقه خلاط قرينة حضرة الخواجا اسكندر خلاط · توفاها الله ولها من العمر ٤٦ عاماً فدفنت بالاكرام اللائق بها · تغمدها الله برحمته ورضوانه والهم اهلها جميل الصبر

ولما دخلت اندري الى غرفة الملكة وجدتها قد انتبهت من النوم وهي تلبس ملابسها مسرعة وقد علمت بكل شيء . وبعد ان فرغت من لبس ملابسها سارت مع اندري ركضاً وخرجتا من دهليز سري في داخل المكان قاصدتين قصر الملك . وقد اقفلت اندري ابواب الدهليز بعد اجتيازه مخافة ان يلحق بهما الثائرون اذا كانوا قد خلصوا من جورج شارني وكسروا ابواب القصر

الفصل الواحد والعشرون

(طلوع الصباح)

وكان الكونت اوليفيه دي شارني ينتظر الملكة عند الحد الفاصل بين القصرين علماً منه بانها لا بد ان تاتي من ذلك المكان السري فلما وصلت اليه ماري انطوانت وابصرت ثيابه المخضبة بالدماء صاحت مذعورة — اين الملك . فقال لا تخافي ياسيدتي فانه سالم بحمد الله . ثم التى نظرة الى ما وراء الملكة فعلمت الملكة انه يفتش عن اندري فتنهدت وقالت بنزق لا تخف فانها قادمة . ثم خفت الى ابنها ولي العهد واخذته بين ذراعيها

وكانت اندري قد تأخرت لانها كانت تقفل الابواب فلما عادت وجدت الكونت واقفاً ينتظرها فابتسم كل واحد منهما ابتساماً دلّ على ما في خاطره ودخلا في اثر الملكة

فوجدا الملكة تنادي — الملك الملك اين الملك . فاجاب شارني — ان جلالته يفتش الآن عنك فانه ذهب اليك من دهليز بينما كنت آتية من دهليز ثانٍ

وفي هذا الوقت اشتد الصياح في الخارج وسمعت الملكة الهاجمين يصرخون — لتسقط النمساوية . لتسقط مدام فتو . يجب ان نخنقها ونشنقها

ثم سُمع صوت طلق ناري . ذلك ان احد الواقفين وراء الباب المحصور اطلق رصاصتين على خشب الباب فخرقت الرصاصتان الخشب ومرت احداها على بعد بضع اصابع من راس ولي العهد

فصاحت الملكة وهجمت على ابنها قائلة — يا الهي لقد قُضي علينا بالموت . فاشار حينئذٍ شارني الى الحراس فهجم منهم خمسة واحاطوا بالملكة والولدين وقاية لهم

فدخل الملك في هذه الساعة بخطى ثقيلة والاصفرار في وجهه والدموع في عينيه فطارت الملكة حينئذٍ ركضاً اليه والقت بنفسها بين ذراعيه صائحة — سالم والحمد لله .

فقال الملك · نعم سالم والفضل في ذلك للكونت شارني · وانت سالمة ايضاً · فقالت نعم سالمة والفضل بذلك لاخيه البارون دي شارني

فنظر الملك الى الكونت ثم مد اليه يده مصافحاً وقائلاً لقد غمرتنا اسرتكم بفضلها ايها الكونت حتى اننا اصبحنا عاجزين عن مكافأتها

اما الملكة فان نظرها التقى حينئذٍ بنظر اندري فحولت وجهها خجلاً

ثم ازداد هياج الهائجين خارجاً فاشتد ضربهم الباب بالعصي والحراب والفؤوس وكثر لغطهم

فصاح الكونت دي شارني بالحراس · ايها الحراس شدوا عزائمكم فانه يجب علينا ان نثبت امامهم ساعة على الاقل وبعدذلك لا بد ان ياتينا مدد · ونحن هنا سبعة جنود فلا يستطيعون قتلنا كلنا في اقل من ساعة

ثم بادر الى خزانه كبرى كانت في زاوية المكان فحملها ووضعها ايضاً خلف الباب المحصور · فحذا باقي الحراس حذوه حتى لم يبقَ في الغرفة شيء الا ووضعوه وراء ذلك الباب · ثم كمنوا وراء تلك الاشياء وسددوا بنادقهم الى الباب من فوقها

اما الملك فانه دخل الى غرفة مجاورة ليحرق بعض الاوراق السرية لئلا يستولي الهاجمون عليها اذا استولوا على القصر · واما الملكة فانها اخذت ابنيها بين ذراعيها ووضعت يديها على راسيهما واخذت تصلي

فكانت تلك الساعة من اشد الساعات هولاً واكثرها تاثيراً في النفوس

وكان يخيل للمحصورين ان كل دقيقة تذهب انما تذهب من عمرهم الذي اصبح قصيراً · وقد اشتدت الضربات على الباب بالفؤوس والمعاول حتى تطايرت منه بعض الشظايا وانفتحت الثغور فيه · فحينئذٍ مدَّ الجنود بنادقهم من هذه الثغور واطلقوها على المجتمعين وراء الباب فقتلوا بعضاً منهم · فجاوبهم الثائرون باطلاق الرصاص على الباب فمزق الرصاص الخشب وراح يصدم ارض الغرفة وسقفها وجدرانها

ثم استمر القتال على هذا المنوال والهياج بالغ مبلغه والناس لا يزالون يضربون الباب من الخارج حتى نفد الرصاص من الحراس · وكان الثائرون قد كسروا الباب والخزانة التي وراءه فبانت منها وجوههم الوحشية الهائلة فاخذ الحراس يدافعونهم عنها بالحراب منعاً لهم من الدخول · ولكن شارني ادرك انهم كادوا يخسرون كل شيء فخف الى الملك وقال له — تفضل يامولاي وادخل الى الغرفة المجاورة مع الملكة والولدين واثنين منا فاننا نثبت هنالك

ساعة كما ثبتنا هنا ساعة

فتردد الملك في ذلك اذ خجل ان يفر من مكان الى مكان ويختبئ وراء الابواب والاثاث . ولو لم تكن الملكة معه لما خطا خطوة واحدة . وكذلك الملكة لو لم يكن معها ولداها لما طاوعت الملك على ذلك . ولكن في نفوس جميع البشر ملوكاً كانوا او عبيداً أبواباً تخرج منها الجرأة ويدخل فيها الخوف في بعض الاحوال

فرضي الملك واصدر امراً بالارتداد الى الغرفة الخلفية للتحصن فيها

ولكن لم يكد الملك يصدر هذا الامر حتى هدأت الحركة والجلبة وراء الباب المحصور وانسحبت الحراب والرماح التي كانت ممدودة من الثغور . فعجب الجميع واصغوا فسمعوا صوت اقدام متوازنة يشبه صوت مشي الجنود

فصاح الكونت دي شارني هذه جنود الحرس الوطني . ثم سكنت الغوغاء سكوناً تاماً كأن المجتمعين قد تفرقوا

وبعد هنيهة دنا رجل من الباب وصاح مسيو دي شارني مسيو دي شارني ثم ظهر من احد ثغور الباب وجه بيلو القوي

فصاح الكونت دي شارني بيلو بيلو هذا انت ايها الصديق . فقال نعم اين الملك والملكة . فقال هنا . قال ماذا حدث لهما . قال لا شيء بل هما في خير وسلامة

فصاح بيلو ملء فمه — نحمد الله على ذلك . ثم نادى — يامسيو جيلبار

فما لفظ بيلو هذا الصوت حتى تحرك في الغرفة قلبان حركة مختلفة . الاول قلب الملكة والثاني قلب الكونتس اندري . فابصر الكونت دي شارني اضطرابهما واصفرارهما فتنهد وسكت لانه كان لا يدري السبب

فتقدم الملك في تلك الساعة وقال افتحوا الباب ايها الحراس فبادر الحراس الى رفع قطع الاثاث والخشب التي كانت وراءه . ثم سُمع صوت لا فاييت صارخاً يقول

ايها السادة جنود الحرس الوطني . لقد وعدت الملك امس وعد حرٍ بان لا اترك احداً يمس كل ما هو ملكه فاذا تركتم احداً من الشعب يقتل احد حراسه فانني اخلف بوعدي فاصبح غير اهل لان اكون رئيساً لكم (يعني انه يستعفي من وظيفته)

ولما فتح الباب دخل لافاييت وجيلبار ووراءهما بيلو الذي كان فرحاً بخلاص الملك لانه هو الذي ذهب وايقظ لافاييت من النوم . فهجمت مدام عدلايد على لافاييت وعانقته قائلة — انت الذي انقذتنا ايها الجنرال . فتقدم لافاييت نحو الملك فعارضه احد

الحراس قائلاً — هل معك ورقة دخول على الملك ياسيدي · فنظر اليه الملك ثم خف الى لافاييت مادًا اليه يده وقائلاً — اذا لم يكن معه ورقة دخول فها انني اعطيه اياها

فصاح بيلو من وراء لافاييت — ليحيى الملك لتحيى الملكة

فالتفت الملك عند سماعه هذا الصوت وقال هذا صوت قد سمعته قبل الآن

فقال بيلو مسرورًا نعم ياذا الجلال فانك سمعته على طريق باريز آه ليتك يامولاي بقيت في باريز

فعبست الملكة لهذا الكلام · واما الملك فقال للافاييت مستفهماً · ماذا يجب ان نصنع الآن ايها الجنرال · فقال لا فاييت ارى الآن من النافع ان تظهر جلالتك للشعب من شرفة القصر (البالكون)

فنظر الملك الى جيلبار نظرة يستشيره بها ثم انه لما لم يرَ ممانعة اتجه نحو النافذة ففتحها وخرج الى احدى الشرفات مطلاً على الشعب ·

فخرج حينئذٍ من الوف الشعب التي كانت متجمعة هنالك صوت عظيم طبق السماء اذ صرخوا كلهم قائلين — ليحيَ الملك ليحيَ الملك

ثم تلاه صياح آخر — الى باريز الى باريز

وتلاها صياح ثالث — الملكة نريد الملكة

ولكن ما صاح الشعب نريد الملكة حتى اقشعرت جلود جميع الواقفين حول الملكة واصفرت وجوههم كلها حتى وجه الملك والملكة نفسها · اذ كيف يمكن ان تخرج الملكة لمقابلة ذلك الشعب الذي كان قبل بضع دقائق يصيح ويصرخ طالبًا ان يخنقها و يشنقها · الا يُخشى ان تطير من بين الجموع رصاصة فتقضي عليها

ولكن الشعب كان شديد الاصرار فاخذ يصرخ من جديد صراخًا اقوى ـ الملكة الملكة

فالتفت لافاييت اليها وقال ـ ان الشعب يطلب ان يراكِ يا مولاتي

فصاحت ابنتها ـ لا لا · لا تذهبي يا امي · ثم عانقتها كانها تريد ان تمنعها من الخروج الى الشرفة · فنظرت الملكة الى لا فاييت وهي ساكتة · فقال لافاييت لا تخافي ياسيدتي · فقالت الملكة ولكن كيف اذهب وحدي

فابتسم لا فاييت اذ فهم مرادها · ثم دنا من الولدين فاخذهما منها بلطف واحترام ودفعهما امامها الى البالكون · ثم قدم اليها يده قائلاً ـ اتكلي عليَّ ياسيدتي فاتحمل تبعة كل امر · ثم دخل معها وراء الولدين الى الشرفة وهي مستندة الى ذراعه

فكان منظر جميل وعظيم معاً · فان الشعب كان تحت شرفة القصر كالبحر العجاج المتلاطم الامواج · وكانوا كلهم مشرأبي الاعناق ينظرون الى الشرفة وينتظرون الملكة ولما ظهرت لهم هاجت نفوسهم وصاحوا صيحة لم تسمع الاذان مثلها · ولكن لا يعلم احد اذا كانت هذه الصيحة صيحة سرور وفرح او صيحة تهديد ووعيد

فاخذ حينئذ لافاييت امام الشعب يد الملكة وقبلها · فطرب الشعب ساعتئذٍ وهتف هتاف السرور واخذ يصفق ابتهاجاً وحبوراً

فتنفست الملكة الصعداء كأن خاطرها اطمأن بعد قلقه وقالت ـ يا لهذا الشعب الغريب

ثم اجفلت وقالت للافاييت · حرمي · حرمي ايها الجنرال فانهم انقذوني من الموت افلا تستطيع ان تصنع شيئاً من اجلهم· فاجاب لا فاييت نادي احدهم ياسيدتي

فصاحت الملكة · كونت دي شارني · كونت دي شارني

فادرك الكونت غرض الملكة فرجع الى الوراء لانه كان يرى نفسه غير مذنب فلا حاجة به اذاً للصفح والعفو · وكان ذلك راي زوجته الكونتس اندريه ايضاً · فانها حين صياح الملكة مدت يدها نحوه كانها تريد صده عن الذهاب الى الشرفة فالتقت يدها بيده فتضاغطتا · فابصرت الملكة ذلك فثار ثائر غضبها ونادت بغيظ احد الحراس القريبين منها ـ تعال الى هنا ايها الحارس

فذهب الحارس الى الشرفة · فاخذه لا فاييت على انفراد امام الشعب ثم تناول الشعار الوطني المثلث الالوان من قبعته ووضعه في قبعة الحارس وقبله في وجهه

فصرخ الشعب صراخاً هائلاً ـ عاش لا فاييت · عاش حرس الملك

فقال لافاييت · قد ذهب الخوف الآن وعادت ايام الصحو ايتها السيدة

ثم خرج مع الملكة والولدين من الشرفة الى القاعة حيث كان الملك · فقال لافاييت ولكن رغبةً في ان لا تعود ايام القلق والاضطراب اطلب من جلالتكم امراً

فقال الملك قل ماذا تطلب ايها الجنرال

فقال لا فاييت اطلب ان تسافروا الى باريز · فقال الملك لك ما تشاء فاعلن الشعب انني مسافر اليها مع الملكة وولديَّ بعد ساعة واحدة · ثم التفت الى الملكة وقال — اذهبي الى قصرك ايتها السيدة واستعدي للسفر

وكأن هذا الامر اذكر الكونت دي شارر ني امراً ثانياً · فما تحركت الملكة للذهاب

الى قصرها حتى سبقها الكونت اليه · فقالت الملكة بغضب لانها كانت ساخطة من رفضه الذي تقدم الى اين انت ذاهب ايها الكونت · فقال عفوًا يامولاتي فان لي حاجة في قصرك ولكنني لا اطيل الاقامة فيه

ثم سار طالبًا حاجته والملكة في اثره

ولما فتح جميع الابواب التي كانت اندري قد اغلقتها ووصل الى الباب الذي هجم الثائرون للدخول منه الى الملكة والكونتس اندري جعل يفتش بنظره في ذلك المكان وهو طائش الافكار والملكة وراءه ترى ماذا يطلب · واذا به يعثر بشيء برجليه في ظلمة الدهليز · فانحنى ليرى الشيء الذي عثر به واذا به جثة انسان · فالوى على وجهه ليراه ثم قال بصوت خافت حزين ـ وجدتُ ياسيدتي ما كنتُ اطلبه

وكانت هذه الجثة جثة اخيه المسكين البارون دي شارني وقد قتل في الدفاع عن الملكة.

الفصل الثاني والعشرون

(امام جثة)

اختلف الرواة في رواية هذه الحادثة التي يحسبها المؤرخون من اعظم الحوادث التي حدثت في اعظم ازمان الثورة الفرنسوية اي الزمن الذي بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٦ وتعددت رواياتهم · ولكن ماذا تنفع الروايات وان كثرت وماذا ينفع التاريخ نفسه · هل استفاد الملوك عبرة منه فاجتنبوا السير على الطريق التي سار عليها الملوك الذين كتب لهم السقوط · هل اثرت دماء اولئك الملوك التي سُفكت ودموعهم التي اذرفت قدر ما تؤثر نقطة من ماء المطر في وجه الارض · بكى الملوك وخافوا وسفكوا دماءهم ولكن كل ذلك لم يجدِ الملوك نفعًا · واخلصت الرعية وسفكت دماءها في سبيل الدفاع عن ملوكها وكل ذلك لم يجدِ نفعًا · بل حملت زوبعة العالم الهائلة تلك الدماء والدموع والذنوب والمسرات فمزجتها معًا واسفتها في الفضاء الى حيث لا شيء يؤثر فيها او تؤثر فيه · فيا للاشاة · يا للعدم · يا لضعف القوة البشرية

وبعد انقضاء ساعة على هذه الحادثة كان الملك سائرًا مع الملكة وولديه الى باريز عملاً بارادة الشعب تاركاً فرساليا التي كتب له ان لا يعود اليها فيما بعد · وبينما هو سائر على طريق باريز كان في قصر الملكة في فرساليا منظر يفتت الاكباد

فقد كان الكونت دي شارني · محنيًا على جثة اخيه الشاب جورج الممددة في ارض

الدهليز ووراءه رجلان واقفان وقفة الحزن والتأمل

وكان هذان الرجلان الدكتور جيلبار و بيلو

اما الكونت دي شارني فكان جاثياً امام الجثة بنفس ملئها مرارة الموت وهو يتأمل في ذلك الثوب الترابي الذى طارت منه روحه · يتامل الجروح الكثيرة التي في راسه وصدره والتي منها سال جميع دمه· يتامل ملامح الكبرياء والشمم التي رسمها الموت على وجهه· ملامح اليأس في الدفاع · ملامح من يعلم انه مائت· يتامل ذلك الشاب الذي لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد حارب مئات وهو واحد · يتامل تلك القوة التي اوقفت وهي في ابان عزمها · والهمة التي انحلت قبل ان تبلغ اشدها · والروح التي جادت بنفسها فدى ملكها وملكتها · فيخال له ان تلك الجثة الهامدة مكللة با كليل بهي من الشباب والجمال والامانة والاخاء والايثار ومعرفة الواجبات · فياخذها بين يديه ويضمها بحرقة زائدة

ثم يقول بصوت خافت وقلب محترق ـ مات · مات ·واحسرتاه عليه

فلم يستطع بيلو صبرًا على هذا المنظر فانزوى في زاوية اخفاء لتاثره ودموعه · واما جيلبار فازداد تاملاً وتفكرًا حتى اصبح بازاء الاخوين صنماً جامدًا لا يتحرك منه شيء غير قلبه · وكان كفيلسوف يروقه ذلك المنظر و يسوءه معاً · يسوءه لان اخاً كان يحترق على اخيه · ويروقه لانه رأى فيه كيف يكون الحب الاخوي وبذل الذات في سبيل القيام بالواجبات

و بعد مرور زمن على اوليفيه وهو جاث فوق جثة جورج نهض الشاب واخذ الجثة بين يديه ثم اوقفها على الجدار واخذ ينظر اليها · ثم وضع يديه على عينيه فمسحهما ورام الخروج من المكان · فخيل له حين خطا الخطوة الاولى ان اخاه جورج سيتبعه

ثم التفت الى ذلك الاخ الجامد الساكن وتنهد ثم خرج

فتقدم بيلو بعد خروج شارني من الدكتور جيلبار وقال طاويًا يديه على صدره · قلت لك يوماً من الايام ايها الدكتور انني انفت من قتل القتلة الثائرين بعض الاشرار فما قولي الآن وقد اخذوا يقتلون الابرياء· ثم اشار بيده الى جثة جورج

وكان الدكتور جيلبار صنماً لا يتحرك كما ذكرنا · فلما سمع قول بيلو اجاب · وماذا تعني بذلك يا بيلو · فقال اعني بذلك انني سئمت باريز وفظائعها وازددت رغبة في العودة الى مزرعتي

فرفع جيلبار حينئذٍ راسه وقال ـ عافاك الله يا بيلو . فانك بعد ان تكون قد هدمت البناء بيديك تود هجر الخرابة والخروج منها قبل اعادة بنائها

فقال بيلو ماذا اصنع فانني لا استطيع رؤية هذه الفظائع . فقال جيلبار بل انك خشيت ان تقع بعض حجارة البناء على راسك

فقال بيلو وهل من سوء الراي ايها الدكتور ان يهتم الانسان قليلاً بنفسه فانني ذو عائلة واملاك وعائلتي تحتاجني في هذه الاوقات . فاجاب جيلبار بلهجة شديدة ـ ولكن الا تعلم يا بيلو ان الانسان لوطنه قبل عائلته

فقال بيلو نعم ولكني لا اخالك ترضى ان يراك ابنك مكان هذه الجثة او ترى ابنك مكانها . فقال جيلبار . بيلو . بيلو . اعلم انني لو رايت ابني الآن مكانها لنظرت اليه كما انظر الآن اليها . واعلم ايضاً انني اربي ابني تربية تجعله في المستقبل يراني كما اراها متى صرت مكانها

فاحس بيلو بلذع هذا الكلام لانه مع شدة اخلاقه وصلابة نفسه لم يكن قد سمع مثله فقال للدكتور . ولكن قولك هذا بمثابة قولك انك تريد ان تعوده منظر الدماء وان القتل والنهب والسلب كل هذه امور بسيطة يجب ان يشاهدها الانسان دون ان يتاثر لها

فقال جيلبار باقوى صوته ـ كلا ليس هذا المقصود من كلامي يا بيلو . وانما المقصود منه ان مصائب الحياة كثيرة واهوالها عديدة فيجب على الانسان ان يتعلم طرق احتمالها والا ناء بها وسقط تحت حمله . واذا كان القتل والسلب والنهب اموراً فظيعة فاشد فظاعة منها ان نترك القتلة والناهبين والسالبين يعملون هذه الاعمال وننفر من وجوههم بدل مقاومتهم ومنعهم من العودة اليها

فصاح بيلو ولكن ماذا يستطيع رجل واحد ان يصنع وحده . اقدرتُ ان امنع هذا الشاب المسكين ان يُقتل . اقدرتُ على منع اللصوص القتلة الاشرار من تدنيس قصر الملك بهجومهم عليه

فضحك هنا جيلبار وقال يا لنيتك الخالصة واتضاعك ايها الرجل . تقول انك لم تصنع اليوم شيئاً مع انك انت الذي خلص الملك والملكة وولديهما . انسيت انك انت الذي بادرت في صبيحة هذا اليوم الى فراش الجنرال لا فاييت وهو نائم وايقظته ثم اطاعته على هجوم الرعاع على قصر الملك ثم ركضت معه لارجاعهم عنه . افتحسب كل هذا يا بيلو امراً

لا يستحق الذكر . اما كان الملك والملكة وولداهما الآن لولاك جثثاً في هذا القصر كهذه الجثة التى امامنا . فكيف تقول انك لا تستطيع ان تصنع شيئاً للوطن

فسكت بيلو واخذ يفرك جبينه و يفتكر . فقال جيلبار فابقَ اذاً معي يابيلو . ابقَ اذا كنت تحب وطنك وتبغي خدمته . اما اذا كنت تفضل خدمة عائلتك على خدمته فاذهب اليها فانك حينئذٍ تكون غير اهل لحبه ولصداقتي

فرفع بيلو حينئذٍ راسه ومد يده الى الدكتور قائلاً — الحق اقول لك ايها الدكتور انني لا اجادلك مرة الا و ينتهي الجدال بفوزك . ذلك لانك قوي كريم اصيل الراي ثابت العزم . واني لا ارى احداً كذلك في هذا العالم غيرك . فقل لي ما الذي جعلك هكذا

فقال الدكتور بابتسامة اقرب الى الحزن منها الى السرور — المصائب المصائب يابيلو .

فقال بيلو ولكن هذا امر غريب لانني احسب ان المصائب تجعل الناس اشراراً

فقال جيلبار نعم تجعل الناس اشراراً اذا كانوا ضعفاء النفوس . اما الاقوياء فانها تزيدهم قوة . فقال بيلو ولكني اخشى انني اذا بقيت ههنا واصبت بمصيبة اصبحت تعيساً شريراً . فقال جيلبار . لا تخف . فانك قد تكون تعيساً ولكنك لا تكون ابداً شريراً اذ ليس فيك شيء من صفات الاشرار

فقال بيلو . اذاً ابقى معك هنا واذا ظهر مني ضعف فانني استند اليك

فقال جيلبار وانا اقويك حين الحاجة

الفصل الثالث والعشرون

(رجوع بيتو الى حيث يحب)

لقد آن لنا ان نترك باريز وفرساليا ونخلص من انفاس الثورة الجهنمية لنتبع بيتو الذي عاد الى مزرعة بيلو حيث الهدوء والسكينة مصطحباً ابن الدكتور جيلبار الى مدرسة الاب فورتيه بناء على طلب والده كما مرَّ بنا . وكان الدكتور قبل سفره بولده قد اوصاه به عدة وصايا اكثرها صحية ووضع في يده قبضة من الليرات تخفق لها قلب بيتو المسكين طرباً . ثم جاء بيلو واخذه على حدة واوصاه بما يريد ان يوصي به امرأته وابنته كاترين وبعد ذلك سار بيتو بالولد سيباستيين وهو مفتخر بان الدكتور جيلبار وثق به وسلمه ولده

وكان بيتو لا يزال يلبس في راسه الخوذة العسكرية التي كان يلبسها يوم فتح الباستيل

و يضع على جنبه السيف الذي كان يحمله في هذا اليوم فكان له منظر عسكري يُضحك معارفه و يوجب له اكرام من لا يعرفه

وفي طريقه من باريز الى فيلله كوتره اخذ يقص على الناس الذين يجدهم في طريقه حوادث باريز وتفاصيل ثورتها فكانوا يحيطون به و يصغون اليه باكرام و يدعونه الى موائدهم ومنازلهم مع رفيقه سيباستيين فارتفع بيلو في عيني نفسه وصار يشمخ بانفه كبرياءً واعجابًا

وما زال سائرًا برفيقه حتى قربا من فيلله كوتره فاصبح بيتو متاملاً مفكرًا . وعند وصوله الى مفترق الطرق وقف حائرًا فساله سيباستيين ما بك يا بيتو فقال الفتى مترددًا الا ترى بانه يجدر بنا المرور بهرامونت في مسيرنا الى فيلله كوتره

وكانت هرامونت مسقط راس بيتو كما علمنا وفيها دُفنت امه

فقال سيباستيين نعم قد فهمت قصدك هلم نزور القرية التي ربينا فيها . فسرَّ بيتو وسار بسيباسيين على طريق هارامونت

ولما دخلا هذه القرية عرضت لبيتو جميع تذكارات ايامه الماضية فتنهد من اعماق قلبه ثم اتجه نحو منزل والدته ليزوره . ولكن عمته انجليك كانت قد باعت هذا المنزل والذي ابتاعه هدمه وبنى غيره . فاستاء بيتو لهذا التغيير الذي حدث ولكنه ما لبث ان اخذ بيد سيباستيين قائلاً - تعالَ معي الى المكان الذي لانجد فيه شيئًا متغيرًا. ثم اتجه به صوب مدفن القرية حيث دُفنت امه

وفي الحقيقة ان ذلك المكان مما لا يتغير فيه شيء على مرور الايام بل فيه ثبات الابدية ودوامها . ولكن العشب كان قد نبت كثيرًا على القبر وغصن الصفصاف الذي غرسه بيتو فوق تربة امه قد نبت ونما واصبح شجرة باسقة تتدلى اغصانها فوق القبر

فوقف بيلو هناك برعدة وخشوع ووجهه بين يديه . فصلى اولاً ولما فرغ من الصلاة رفع يديه بقلب محترق وضم بهما الى صدره اغصان الصفصاف المتدلية. فخيل له انه يضم شعر امه . وفي هذه الساعة هبت نسمة على ذلك المكان الابدي فتحركت اغصان الصفصاف فوق راس بيتو وتماوجت تماوجًا لطيفًا فخيل لهذا الابن الامين ان حفيف تلك الصفصافة صوت والدته يدعوه و يدعو له

فزاد بكاؤه. وكان سيباستيين واقفًا بازائه وهو جامد كالصنم جمود ابيه في مثل هذا الموقف . و بعد هنيهة مدَّ بيتو يده وكسر قطعة من غصن الصفصافة ليجعله معه تذكارًا

من امه . ولكن خُيل له بعد كسر هذه القطعة من الشجرة التي تظلل تربة امه باغصانها وتحتضن في جوف الارض تابوتها بجذورها ان امه قد تألمت من الكسر الذي حدث في شجرتها

فياللعواطف الوالدية الكريمة في نفوس الابناء والاباء . اين الذين يقولون انه لا يوجد فضيله ولا حب صادق في هذا العالم

ثم ان بيتو قبل اطراف اغصان الصفصافة مرارًا وخرج مع سيباستين بهدوء وسكون متجهًا نحو فيله كوتره

وحين وصوله اليها قصد مدرسة الاب فورتيه وكان الاب من حسن الحظ غائبًا لانه خرج لينزه تلامذته فسلم بيتو سيباستيين الى اخت الاب فورتيه ودفع اليها اجرة المدرسة وكتاب الدكتور الى ذلك الاب ثم عانق سيباستيين فبكيا كلاهما ولكنهما تواعدا بالاجتماع في كل فرصة و بعد ذلك خرج بيتو من هذه المدرسة

فرأى حين خروجه منها امرًا ادهشه . فان الاهالي كانوا قد دروا بحضوره فاجتمع منهم كثيرون في الساحة التي تلي المدرسة لمشاهدة خوذته وسيفه . وقد عرفوه لانه لم يكن انقضى على سفره من بلدتهم الى باريز الا ٣ اسابيع فقط اما اهالي هارامونت فلم يعرفوه لانه انقضى على سفره من عندهم اكثر من ٣ سنوات

فلما التقى بيتو بمنتظريه بشّ لهم وسلّم عليهم فاحاطو به من كل جانب واخذوا يتاملون منظره الغريب . ثم استقصوه تفاصيل باريز فقص عليهم الحوادث وما صنعه بيلو والدكتور وزاد على ذلك انه تعرف بنا كارو بالي ولافاييت فاصبح من اصدقائهم

فاشتدت حماسة الناس وزاد اعجابهم به حين قوله انه من اصدقاء لافاييت ونا كار و بالي واخذوا يدعونه الى منازلهم و يبالغون في اكرامه . اما هو فاعتذر لهم اذ من واجباته مقابلة عمته اولاً ثم ودعهم وسار قاصدًا منزل عمته

فتبعه الجمهور من بعيد اولاً لانهم كرهوا ان يفارقوه وثانيًا لانهم ارادوا رؤية ما يحدث بينه و بين عمته لانهم كانوا يعلمون حوادثها الماضية معه

ولكن لما وصل بيتو المسكين الى بيت عمته وجد الباب مقفلاً لانها كانت غائبة . فجرد بيتو سيفه ودفع طرف القفل براسه فانفتح الباب بالحال

فعجب الواقفون من بعيد للبسالة التي جرد بها بيتو سيفه ولجرأته على فتح باب عمته لانهم كانوا لا يجهلون مبلغ سلطتها عليه

ولكن الثورة الفرنسوية كانت قد غيرت اخلاق هذا الفتى ومن يفتح الباستيل لا يخشى فتح باب العمة انجليك . لذلك دخل بجاش ثابت الى المنزل الذي فتحه . ومن يعرف اخلاق بيتو و يعرف ان السير يستدعي التعب والتعب يستدعي الجوع وان الجوع متى تملك بيتو فهو لا يعود يفتكر الا بارضائه ـ من يعرف ذلك فانه يقول ولا شك ان بيتو يركض الى خزانة الطعام اول دخوله الى منزل عمته . وهكذا كان . ومن حسن حظ بيتو انه وجد في تلك الخزانة صحناً كبيرًا ممتلئًا ارزًا مسلوقًا وفوقه ديك مقلي كبير كانه والارز جزيرة في بحر . اما راس الديك المقلي فقد كان يحكي فوق الارزقة سوتا في مضيق جبل طارق ...

فمد بيتو الى الصحن يديه الطويلتين المعهودتين واخذ يمضغ ريقه استعدادًا لمضغ ذلك الطعام الشهي . ثم اوقف الصحن على اطراف اصابعه اليسرى وتناول اكبر الملاعق بيده اليمنى وبعد ذلك اتجه الى كرسي العمة انجليك المشهورة بما في جوفها من الكنوز فجاس عليها بعظمة واغمد ملعقته في الارز ولحم الديك فاشبهت يداه وفمه واضراسه وبلعومه في اكله مقاذف تقذف ومغارة تنفغر وطاحونًا تطحن وبالوعًا يبلع

غير انه بينما هو في الذاوقات مضغه واذا به يرى خيالاً في الباب فالتفت فرأى وجه عمته

عمته التي يعرف قسوتها وبخلها . عمته التي يعرف شراسة اخلاقها ودناءة نفسها . فضحك بيتو حين رؤيتها ثم نهض مسرعاً والملعقة والصحن في يديه هذا في واحدة وتلك في اخرى فعانقها وضمها ضماً شديدًا الى صدره . فحسبت العمة ان بيتو ينوي الانتقام منها لشدة ما ضمها الى صدره فكادت تصيح لو لم يتركها بيتو ويعود باسماً الى كرسيه وفي يده الملعقة والصحن لاستئناف الاكل

فدهشت العمة من وقاحة هذا الفتى الذي كان منذ عهد قريب كالنعامة تذعره اقل حركاتها. فلبثت محدقة به وهي مبهوتة مستغربة وهو ياكل ياكل ياكل بسرعة كجواد ينهب الارض نهباً حتى انكشف له قعر الصحن وبان اخضراره من تحت بياض الارز

فزأرت العمة انجليك كما تزأر الاسود اما بيتو فضحك كما تضحك القرود فزاد ضحكه سخطها وغضبها حتى لجما لسانها عن الكلام فلم تعد تستطيع ان تتكلم

ولكنها ما لبثت ان شددت عزمها وجمعت قواها واخرجت صوتاً نخيفاً قائلة —

لص شقي

فقهقه بيتو ووضع الملعقة في الصحن والصحن على كرسي هناك ثم نهض متنفساً الصعداء تنفس من فرغ من عمله وقال ضاحكاً . لماذا تسميني لصاً ايتها العمة

فزمجرت انجليك وصاحت بصوت مخيف ايضاً ـ يا ابن اللئام

فقال بيتو . هل تسميني لصاً لانني اكلت من طعامك . اذا كان من اجل ذلك فانني صرت في غنى عنك وهذا ثمن ديكك

ثم مد يده الى جيبه لاخراج النقود فحملقت العمة انجليك ولبثت مبهوتة تنتظر ان يخرج بيتو يده بالنقود . فقال بيتو . احسبي ثمن الطعام لادفعه لك . ثمن الارز ٢٠ باره والخبز ١٠ فالمجموع ٣٠ باره

فصاحت انجليك ولكنك احمق مجنون اتحسب ثمن ما أكلت ٣٠ بارة فقط . وقد قالت ذلك بلهجة اليأس والغيظ الشديد

فقال بيتو اما الديك فانه لا يجب ان يُحسب ياعمتي لانه ولا يخفاك ملكي اكثر مما هو ملكك . اما انا الذي سرقته لك لما كان صغيراً . انسيتِ انك ضربتني لانني لم اسرق معه حبوباً لاطعامه فاعطتني يومئذ مدموازل كاترين بعض الحبوب لتخفيف غضبك . فانا اذاً اكلت ما هو ملكي

فنظرت اليه عمته بعين ملئها الغضب والجنون وصاحت بصوت اجش وهي تشير الى الباب ـ اخرج من هنا

فقال بيتو ولكن هذا الامر مهين ياعمتي ولم يبقَ في وسعي احتماله كما كنت احتمله في الماضي . ثم خطا نحو الباب فوقف فيه ونظر الى الخارج فابصر جمهور الاهالي لا يزالون ينتظرون خروجه فحدثته نفسه ان يثأر لنفسه من عمته فرفع راسه ووضع يده على قبضة سيفه ثم نظر اليهم في الخارج واليها في الداخل وصاح بصوت جهوري قوي ـ لماذا تطردينني من بيتك

فعجبت العمة لهذه اللهجة الفجائية اما بيتو فاستانف يقول ـ انني استشهد هولاء القوم الكرام على ما تصنعينه مع احد اقاربك . انا يتيم مسكين جئت ماشياً من باريز فوصلت معي من الجوع والتعب فقصدت ان استريح عندك فكرهتِ ذلك وطردتني

فاخذ المجتمعون يتململون ويظهرون استياءهم فيما بينهم من عمل العمة انجليك فاردف بيتو بقوله ـ طردتني انا الوطني الصادق . انا فاتح الباستيل . انا الذي يشرفني بيلو والدكتور جيلبار بصداقتهما . انا صديق بالي ولافاييت . طردتني فاستشهدكم كلكم

على ذلك

فاشتد استياء الجمهور واخذوا ينظرون الى العمة شزرًا فخافت المسكينة منهم ومن هذه الجرأة التي اظهرها بيتو · ثم اردف هذا الشقي بقوله ـ ولكي لا ابقى مديونًا لك بشيء فانني ادفع لك الآن ثمن الطعام الذي اكلته عندك واحاسبك متى اردت على عملك ·

ثم مدَّ يده الى جيبه فاخرج ريالاً والقاه امامها وخرج خروج الساخط وجميع الواقفين يستحسنون عمله ويظهرون استياءهم من عمته · فمدت انجليك يدها فتناولت الريال وهي تقول في نفسها انها اخطأت باغضابها بيتو اذا كان يدفع ثمن كل وقعة ريالاً

الفصل الرابع والعشرون

(بيتو وكاترين)

وخرج بيتو من بيت عمته وسار قاصدا مزرعة الاب بيلو اذ بقي عليه القيام بحاجات قلبه بعد قيامه بحاجات معدته

وكان يسير في طريق المزرعة وقلبه يكاد يذوب شوقًا وتذكارا وهو يقول في نفسه ـ غدًا استريح من جميع الاتعاب التي عانيتها فاعيش في المزرعة مسرورا هنيء البال · غدًا لا يكون همي الا ارضاء كاترين الجميلة وخدمتها والمعيشة تحت ادارتها · وكان كلما ذكر كاترين في نفسه وجد لذكرها ارتياحًا لا يوصف وكلما دنا من المزرعة شعر بازدياد ارتياحه وسروره

ولما وصل الى باب المزرعة كان خبره قد انتشر في جميع الناحية لاستغرابهم ذلك الشاب الطويل الذي على رأسه خوذة تزيده طولا والى جنبه حسام · فدخل بيتو وهو يرفع راسه افتخارا بخوذته وحسامه وعيناه تفتشان عن كاترين قبل كل شيء

وكانت مدام بيلو في المطبخ فاستغربت دخول هذا الرجل الغريب وسالته من هو فرفع بيتو الخوذة عن راسه · فقهقهت مدام بيلو ضحكًا وصاحت ـ بيتو قد جاء بيتو انظروا ملابس بيتو

فاجتمع الخدم وبعض العملة لمشاهدة بيتو فسلم الفتى عليهم بهيئة خطيرة ولبث يفتش عن كاترين بنظره فلم يرَها فتنهد تنهدا خفيفًا

فاجلسته مدام بيلو على كرسي عندها في المطبخ واخذت تستقصه حوادث باريز وتساله عن بيلو زوجها وقداحاط به الجميع فحك بيتو راسه وقال قصتي طويلة يا مدام بيلو

فاذا قصصتها الآن اضطررت الى اعادتها على مسامع مدموازل كاترين

والحقيقة انه قال ذلك لكي ينادوا كاترين

فصاحت مدام بيلو اصبت يا بيتو اين كاترين نادوها · فذهب خادم ثم عاد وقال انه لم يجدها

وفي اثناء ذلك دنا بيتو من النافذة والتي نظرة الى غرفة كاترين في الطبقة الثانية فنظر منظراً جعله مبهوتاً · نظر كاترين جالسة في النافذة العليا وهي مستغرقة في تيار الافكار وموجهة نظرها باهتمام شديد الى جهات الحرش البعيد كانها تراقب شيئاً

فقال بيتو عند ذلك ـ هذه كاترين يامدام بيلو · فدنت مدام بيلو من النافذة ونظرت ثم صاحت باعلى صوتها · كاترين · كاترين

فاجفلت الابنة لمنظر امها ولصوتها واسرعت الى اغلاق النافذة اسراع من يرى نفسه انه قد بوغت مباغتة · فصاحت بها حينئذ امها ـ انزلي يا كاترين فقد جاء بيتو من قبل والدك

فقالت كاترين انها نازلة فاخذ بيتو يتامل ويسأل نفسه ما الذي كانت تنظر اليه كاترين من شباك غرفتها بذلك الاهتمام · الا ان سروره بقرب لقائها وما يعرفه من فرحها بلقائه انسياه ذلك الشغل الوقتي فلبث ينتظر نزولها بقلب يتمشى في صدره تمشياً سريعاً

ثم نزلت كاترين ودخلت الى حيث كان بيتو · فاصبح بيتو وكله عيون تراها · فلم يجد في وجه هذه الفتاة الجميلة ما كان يؤمل ان يراه · نعم ان جمالها بقي كما كان بل زاد ولكن لم يبقَ في وجه كاترين شيء من لوائح اللطف والبشاشة التي كانت قبلاً فضلاً عن ان بياض وجهها الجميل اصبح مشوباً بشيء من الاصفرار وان كان هذا الاصفرار قد زاده بهاء وجمالاً

فاحس بيتو بلذع اليم في قلبه · لان كاترين لم تسرع اليه فتلاطفه وتبش في وجهه وتاخذ يده للتسليم عليه بل اكتفت بان نظرت اليه نظرة بادٍ فيها عدم الاكتراث وسالته كيف والدي يابيتو

فقالت لها امها ضاحكة انظري انظري ياكاترين ما اجمل خوذته وسيفه · فرفع بيتو راسه افتخاراً · اما كاترين فاجابت من غير اكتراث ايضاً وما فائدته من هذه الخوذة والسيف

فاجهزت كاترين بكلامها هذا على امل بيتو المسكين فصار يغص بريقه · ولكنه راى

في كلام كاترين اهانة له فاراد فتح باب للحديث ولو كان عتباً وملاماً فقال بعظمة وافتخار — فائدتي من هذه الخوذة وهذا السيف انني احارب بهما اعداء الوطن

فنظرت اليه كاترين بهدوء دون ان تضحك او تعبس وسألته — ومن هم اعداء الوطن

فقال بيتو ان اعداء الوطن هم الاشراف الذين نذبحهم الآن في باريز

فارتعدت فرائص كاترين وسالته هل يقتل الشعب الآن الاشراف في باريز . كنت احسب ان الفريقين تصالحا وانقضى الخلاف

فقال بيتو وهو يظهر الحماسة — لا صلح ولا اتفاق فان الشعب يشقى والاشراف ينعمون لديهم الاموال والقصور والمركبات والشعب ليس لديه خبز يا كله بل هم الذين يجوعونه . فمن العدل ان يعاقبهم عقاباً شديداً

وقد قال بيتو هذا القول بصوت قوي فاصفرت كاترين ثم عبست وقالت له — ما كنتَ يابيتو خشناً الى هذا الحد قبل سفرك

فصعق بيتو وحار في ما ذا يقول لهذا التوبيخ الشديد وعلم ان كاترين لا تحب مثل هذه الحماسة فقال معتذراً بصوت ضعيف . لم اكن خشناً من قبل سفري ولا من بعده يامدموازل كاترين

فقالت مدام بيلو قاطعة حديثه قص علينا الآن اخبار بيلو زوجي . فقال بيتو . اما هذا فانه يستوجب ان ننفرد للكلام عنه على حدة لان الاب بيلو عهد اليَّ ان ابلغكما امراً مهماً . فاشارت مدام بيلو الى الحاضرين فتفرقوا ولم يبقَ في المكان الا الثلاثة — مدام بيلو و بيتو وكاترين . وكان بيتو يختلس النظر في كل برهة الى كاترين والذي في قلبه من الارتياح والوجد يزداد بزيادة تشاغل كاترين عنه

الفصل الخامس والعشرون

(الابنة مكان الام)

ولما اختلى بيو بالام وابنتها قص عليهما اعمال بيلو في باريز وكيف كان عازماً على الرجوع الى مزرعته فمنعه الدكتور جيلبار من ذلك ليبقى عونه وساعده . ثم اخبرهما ان بيلو راى ان يريح زوجته لطول غيابه من عناء ادارة المزرعة و يلقي زمامها الى ابنته كاترين لانها لشبابها ونشاطها اقدر على احتمال متاعب الاعمال . فساء ذلك مدام بيلو لاول وهلة ولكنها عادت فتاملت شيخوختها ونشاط ابنتها المقرون بقوتها ومعرفتها فصوبت راي زوجها

الجامعة

الجزء السادس — السنة الثانية

الاسكندرية سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — جماد الاولى سنة ١٣١٨



راما ساما

انسان طبيعي

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

راما ساما

الانسان الطبيعي

الانسان الاول · جسم اشعر · راما ساما وصفته الجسدية والعقلية · انطفاء شعلة الادراك · اصل راما ساما واختلاف الاقوال فيه · حلقة داروين المفقودة · جمال الطبيعة عند جبال حملايا · وقفة لراما ساما فيها

قال « كوفيه » ان الانسان المتمدن كما نراه اليوم هو ثمرة تربية واختبار خمسة الآف سنة · ولكن كيف كان الانسان قبل هذه المدة · قبل تمدن المصريين القدماء والهنود والصينيين والاشوريين · قبل ان عرف الاجتماع ولبس اللباس وبناء المنازل كان كما تراه في الرسم الذي في الصفحة السابقة

فان هذا الرسم يمثل مخلوقاً غريباً لا هو حيوان اعجمي لان منظره منظر انسان واعضاؤه اعضاء بشرية كاملة من فرقه الى اخمصيه ولا هو انسان لانه لا يحسن النطق والفهم فضلاً عن ان جسمه اشعر مغطى بشعر طويل

واسم هذا المخلوق الغريب راما ساما وقد جيء به في العام الماضي الى اوربا جاء به رجل يعرض الحيوانات لعرضه في جملة حيواناته · ولما وصل به الى بلجيكا استاجره منه الدكتور لاسكوسكي من اساتذة كلية جنيفا واحد اكابر علماء الحيوان وعرضه على تلامذته في قاعة الكلية · فكان من ذلك دهشة للجميع

وهذا المخلوق الغريب يبلغ نحو الخمسين من العمر وهو اشعر الجسم كالدب كما مرّ بنا ولا سيما القسم العلوي منه فانه كله مغطى بشعر ناعم رمادي طوله ١٢ سنتيمترًا في ظهره وحقويه و٦ سنتيمترات في كتفيه · واما شعر راسه فانه مسترسل على كتفيه وطوله ٤٠ سنتيمترًا وشعر ذراعيه نابت من اعلى الى اسفل وكذلك شعر ساقيه الذي يبلغ الارض · اما اخمصاه

وراحتاه فشعرهما غير مطوي ولا مجعود مع ما في وظيفتها من الاضطرار الى طيه وتجعيده
واما رأس راما ساما فمنكشف الجبهة وفيه عينان سمراوان تحتهما انف مستقيم قوي وفم واسع بشفتين ضخمتين واذناه متساويتا النمو . واما جسمه باجماله فهو حسن التركيب وساقاه قصيرتان وقامته قصيرة

ومما لاحظه العالم لاسكوسكي ان راما ساما اسنانه واضراسه كاملة التركيب كالانسان التام مع انه قد ثبت لدى علماء الحيوان والانسان ان الجسم الذي يكون اشعر اي كثير الشعر الى حد غير اعتيادي يكون على الغالب من غير اسنان بل بلثة فقط او ان يكون صف اسنانه واضراسه مزدوجاً في فمه كما كان لجوليا بسترانا المشهورة بانها شعراء

هذه صورة راما ساما الجسدية . اما صورته العقلية فليس فيها ما يستحق الذكر . فان الرجل — اذا صح ان يسمى رجلاً — اخرس لا يتكلم ولا ينطق بشيء وانما اذا ذُعر صرخ صراخاً مبهماً وفرّ هارباً ليختبئ . اما ادراكه فمقصور على الطعام والشراب لان عقله وقف عن النمو وقوفاً تاماً ولكنه ليس بابله ولا معتوه . وهو مهما تعرض للبرد لا يحسُّ به على الاطلاق لان جلده قد الفه كما يألفه جلد الحيوان . وقد راقبه الدكتور لاسكوسكي مراقبة طويلة ليرى منه عملاً صادراً عن تأمل او فكر فلم يرَ شيئاً بل كان يجده امامه مستغرقاً دائماً كما تراه في الرسم في خمول عقل وابهام لا نهاية له

والآن من اين اتى هذا المخلوق الغريب وما هو اصله . اما الرجل الذي يقتنيه منذ ست سنوات فانه يقول انهم وجدوه سارحاً مع الحيوانات في الاحراش التي تحت سفح جبال حملايا فاسروه . فقام القائلون يذهبون في ذلك مذاهب شتى . فمنهم من زعم انه من بقايا الانسان الطبيعي الاول الذي كان يعيش كالحيوانات في القفار وعلى ضفات الانهار . ومنهم من زعم تأييداً لمذهب دروين انه الحلقة المفقودة بين القرد والانسان . ومنهم من رأى ان هذا الرجل تاه في احراش حملايا في صغره حينما كان فتى صغير السن ثم اعتاد المعيشة الطبيعية في تلك الاحراش فشب فيها مع الحيوانات فوقف نمو عقله وفقد النطق لعدم هيئة الاجتماع . ومنهم من رأى راما ساما رجلاً من قبائل المتوحشين . اما العلماء المحققون فانهم لا يقطعون في شيء من ذلك لعدم وجود ادلة صحيحة للنفي او للاثبات ولذلك لا يعلمون ماذا يقولون

وراما ساما لا يأكل الا النبات والاثمار . ويظهر من ضعفه وجبنه انه غير قادر على مصادمة الحيوانات التي كان يعيش معها في القفار بل انه كان يخلص منها بالاختباء او



الانسان الطبيعي الذي كان يعيش قبل الاجتماع سارحاً في الجبال والسهول والاحراش مع زوجته التي الى جانبه . وهذا الرسم شديد الشبه براما ساما ولعل الرسام تصوَّر راما ساما وزوجته سارحين في جبال حملايا كما تصور الكاتب ذلك في آخر هذه المقالة فرسمهما كما ترى

الفرار وليس ذلك من صفات الانسان الطبيعي الاول فان هذا الانسان كان جريئاً قوياً على كل شيء·

وقد وضعنا الآن رسم راما ساما في باب مشاهير المتقدمين والمتاخرين لانه قد كان في العام الماضي من اشهر الحيوانات الناطقة وغير الناطقة حتى اصبح رسمه في كل يد · وعندنا ان الذين يزعمون بان هذا الرجل لا يفهم ولا يُفهم غير مصيبين · فانهم اذا اطلقوا سراحه واعادوه الى الطبيعة العظيمة امه ووطنه حيث له في احراش حملايا ولا بدّ رفاق قلوا او كثروا فانه يعود غير راضٍ من تمدننا الذي يسبب العذاب له ولكثيرين غيره · وحينئذ فربما رأيناه اذا تبعناه من بعيد يجلس مع رفيقته تحت احراش حملايا الواسعة وسط الطبيعة الساكتة الهادئة حيث كل شيء صحيح نقي لم تفسده يد الانسان · حيث الراحة والهناء وفراغ البال · ويخاطبها بلغة تفهمها خطاباً يشرح لها فيه ما قاساه في امر برابرة العالم الثاني الذين اسروه

فما اصغرك واكبرك ايها الانسان

❊ الهمذاني والخوارزمي ❊ عتب كثيرون من الادباء الذين قرأوا ترجمة الهمذاني والخوارزمي في الجزء الماضي على ما كان من شدة وطأة الهمذاني على مناظره مما لا يليق ان يكون بين الادباء · وقد نبهنا بعضهم تخفيفاً لذنب الهمذاني الى كتاب كتبه لصديق بعث اليه يقول : سرَّ وافرح فان مناظرك الخوارزمي مريض فاجاب الهمذاني بما نصه

« الحر اطال الله بقاءك لا سيما اذا عرف الدهر معرفتي ووصف احواله صفتي اذا نظر علم ان نعم الدهر ما دامت معدومة فهي اماني فان وجدت فهي عواري · وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تُصب فكأن قد · فكيف يشمتُ بالمحنة من لا يؤمنها في نفسه ولا يعدمها في جنسه · والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت · وما اقبح الشماتة بمن امن الاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة · والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار · فهل يشمت المرء بانياب آكله ام يسرُّ العاقل بسلاح قاتله · وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلاً فقد باطناه وداً جميلاً · والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد · فلا تتصور حالي الا بصورتها من التوجع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقاني سماع السوء فيه بحوله ولطفه

باب المقالات

قاعة باستور في المعرض

في التقاليد اليونانية ان هرقل البطل الخرافي اليوناني عمل في حياته اعمالاً اوجبت له الفضل على الانسانية . ذلك انه قصد اسداً عظيماً كان يفترس الناس في حرش نيميا فدنا منه بالرغم عن اللهيب الذي كان يخرج مع انفاسه وقبض على عنقه فاماته خنقاً وانقذ الناس من شره . وكان في مستنقعات لارنه تنين هائل ذو سبعة رؤوس اذا قُطع واحد منها نبت مكانه راس جديد اشد هولاً من القديم فتناول هرقل "نبوتاً" عظيماً وسحقه به بضربة واحدة . ثم قتل بنباله الحادة الطيور المفترسة التي كانت في بحيرة ستنفاليا واهلك ثور كريت . ونهاية اعماله انه نزل الى الجحيم ليخرج منه الفاضلة السست جزاء لها على اخلاصها لرجلها . ولذلك سمي هرقل في التاريخ الخرافي القديم "محسناً الى الانسانية"

وكذلك يجب ان يسمى ذلك الرجل الخالد الذكر الذي يدعى باستور لما صنعه من الاعمال العظيمة المفيدة للانسانية . فانه كم قتل من اسود نارية الانفاس وكم سحق من تنانين وافنى من طيور مفترسة وثيران مهلكة . انما اسوده وتنانينه وثيرانه تُدعى الطاعون وداء الكلب والدفثيريا وما اشبه ذلك وتنانين هرقل تنانين خيالية

والذي اذكرنا الآن هذا الامر وساقنا اليه الاهمية التي كانت لاعمال باستور في معرض باريز . فقد خصصت لجنة المعرض بهذه الاعمال قاعة فسيحة وضعت فيها جميع اكتشافات هذا العالم وما تفرع منها وسمتها "قاعة باستور" فصارت حجاً لجميع العلماء من جميع امم العالم

واذا دخلت الى هذه القاعة وجدت تلك الاسود والتنانين والثيران مقيدة ضمن زجاجات صغيرة من كل جانب . فهنا الطاعون في زجاجة . وهناك الدفثيريا . وهنالك السل . وهنا الهواء الاصفر . ثم الجذام والكلب وذات الرئة والتتانوس والكرن بو : اسماء هائلة كانت ترتعد لها فرائص الانسانية لكثرة ما كانت تفتك فيها واليوم اصبحت بفضل اكتشافات باستور بمثابة الامراض العادية

وانما اصبحت كذلك لان باستور اكتشف سرها فاستطاع اخضاعها · وهذا السرّ لم يعد خافياً على احد في هذا الزمان وهو ان جميع هذه الافات التي مرّ ذكرها وغيرها مما لم يُذكر انما تنشأ عن ميكروبات لا تُرى بالعين المجردة تدخل الجسم الصحيح او تتولد فيه فيصاب بها صاحبها · وبعد وقوفه على هذا السرّ الذي نشر اسمه في الخافقين وضمن له خلود الاثر ما بقي الانسان انساناً انصرف فكره الى اكتشاف سر ثان اسمى من الاول كثيرًا وهو دواء هذه الميكروبات فوفقه الله من لطفه بالانسانية الى اكتشاف داء الكلب ووضعه اساس مداواة « الداء بالداء » وان كان مجنون ليلى وضعه في عالم النفس قبله

ذلك انه اخذ من السم الذي تفرزه ميكروبات الكلب بعد اكتشافها وحقن بشيء منه بعض الارانب حتى اعتادت عليه · وسبب اعتيادها عليه ان جسمها صار يُفرز مادة لمقاومة ذلك السم الداخل اليه · وبعد ذلك استخرج دم الارنب المحقون بسم الميكروب المذكور ورشحه مما فيه من الفضول فكانت فيه تلك المادة المقاومة لفعل سم الميكروب · فحقن بها المصاب بداء الكلب فكان فعلها ذريعاً بميكروبه وشفت المصاب من دائه · وهكذا اكتشف باستور مبدأه العظيم

وقد عمم تلامذة باستور هذا المبدا بعده وغير بعيد ان يعم جميع الامراض الهائلة المعروفة · فان الدكتور رو اكتشف المصل الواقي من الدفثيريا فاصبح لا يموت بها من اطفال باريز سوى ٥٠٠ طفل في السنة بعد ان كان يموت منهم الفا طفل · وصنع الدكتور يرسين المصل الواقي من الطاعون وقد افاد هذا المصل فوائد لا تنكر في الطاعون الذي فشا اخيرًا في اوبورتو من اعمال البورتغال · وصنع « كالمت » مصل الترياق اي الدواء الشافي من سم الافعى فانهم يقدرون عدد الملسوعين في الهند وحدها ٢٠ الف نفس في السنة الواحدة وكلهم يشفون بفضل اكتشاف الدكتور كالمت · وصنع ما · مورك المصل الواقي من الستربتوكوك ومتى تمّ نفع هذا الدواء كان امره عظيماً في شفاء تسمم الدم وكثير من الحميات والامراض العامة

وكل هذه النعم العظيمة وغيرها مما سيتلوها نتيجة ذلك المبدا الذي اقره باستور · فكانه بعمله العظيم قد فتح في هذا العالم كوة مشرفة على عالم الاسرار والحقيقة المتجلببة بجلباب الخفاء · فيجدر بجميع الذين يزورون اليوم معرض باريز من اي جنس كانوا ان يزوروا قاعة باستور ويذكروا فيها بتمام الاحترام والخشوع ذلك الرجل العظيم الذي بعثته العناية الالهية الى الارض لتخفيف قليل من الشقاء الذي فيها

اختيار الزوجة

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

الى الذين يُقدمون على الزواج مغمضي العيون
والى الذين يفتحون عيونهم كثيرًا فيصرفون الشبيبة يقدمون ثم يُحجمون الى ان
يبلغوا الشيخوخة ولا يتزوجون
والى الذين لا يريدون بالزواج غير قرن المال بالمال والنسب بالنسب وعن
مقارنة القلوب والاخلاق والافكار لا يسالون
اقدم هذه الرسالة وارغب اليهم ان يجربوا ما فيها وارجح انهم اذا تزوجوا بعدئذ فلا يندمون

١

امامنا في التمدن الحاضر ثلثة سبل لقضاء لبانة الحب : الشراء · والسرقة · والزواج · ولكن الادب والدين لا يجيزان الا الطريقة الثالثة وهي الزواج اساس العائلة ورباطها الوحيد · اذن ان شئت ان تحب وتلبث شريف النفس ، رتاح البال مستريح الضمير فليس امامك غير الزواج

غير ان الزواج لا يؤدي بنا دائمًا الى الهناء بل هو مثل غيره من المبادئ الحسنة بذاتها قد يكون خيرًا اذا استعمل فيه ما يجب وشرًا اذا اسيء التصرف في استعماله · ولهذا نرى المتزوجين منهم من يجد الزواج نعمة ومنهم من يجده نقمة

من جهة ترى بسمارك يقول " ان زوجته هي التي ابلغته ما بلغ " · ولوثر يقول : " الفقر والمسكنة معها خير من جميع كنوز كسرى بدونها " · وولتر سكوت القصصي الانكليزي يعزو معظم نجاحه الى زوجته · ولو جرت العادة عند المشارقة ان ينوهوا بفضل زوجاتهم لامكن ان ننقل عن مشاهيرهم ايضًا مثل هذه الاقوال

ومن جهة اخرى ترى الاميرال دي كاستيل يقول : ان الذي يتخذ له زوجة والذي يمضي الى الحرب سواء في التعرض للخطر · وموليار الفرنسوي يقول بلسان حاله : " ان احببتَ ان تموت غيرة وقهرًا فتزوج " وفي بعض الامثال القديمة · " اذا اردت السفر فصلِّ مرة وان اردت ركوب البحر فصل مرتين وان اردت الزواج فصلِّ ثلاث مرات " والسير جون مور الانكليزي يقول " ان الذي يريد ان ينتقي له زوجة من النساء اشبه بمن يمد يده الى جراب مملوء من الحيات بينها سلور (انكليس) واحد فمن مائة رجل يمدون ايديهم الى ذلك الجراب تسعة وتسعون تقع ايديهم على حية وواحد فقط يصيب السلور " وكثيرون

من المتزوجين حولنا يقولون مثل هذه الاقوال او اقبح منها

على انه لو انصف هؤلاء الناقمون على الزواج والزوجات لما لاموا غير انفسهم اذ ان اكثرهم في الغالب هم الذين يفسدون بسوء تصرفهم هذه الشركة اللطيفة المسماة زواجاً وذلك باختيارهم شريكة لا يصلحون لها ولا تصلح لهم

فلهذا ما اخالني مخطئاً ان قلت لكل شاب يريد الحب : تزوج فلا خوف عليك ولا انت تندم · ولكن تعلم قبل الزواج كيف ينبغي ان تختار شريكة حياتك واليك الطريقة التي يحسن بك اتباعها في الفصل التالي

٢

من رأي افلاطون او من تصوراته في الزواج ان الرجال والنساء بمثابة انصاف كرات وكل رجل وامرأة ينفصلان في الاصل عن كرة واحدة فاذا اتفق التقاء تلك الانصاف بانصافها الحقيقية التي تكملها كان الزواج سعيداً والا فلا · وعلى هذا الحساب يكون لكل رجل امرأة واحدة تصلح له زوجة في هذا العالم ولكل امرأة رجل واحد يصلح لها ليس الا

ولا ينكر ما في هذا القول من التصور · الا انه لا يسعنا القول مع ذلك بان كل امرأة من فضليات النساء تصلح لكل رجل ولا كل رجل من خيرة الرجال يصلح لكل امراة · فرب فتاة رائعة الادب حسنة الخصال قد تكون مثال الزوجات الصالحات لا تصلح لزيد وتصلح لعمرو وذلك للتفاوت بينهما

فاذا تبين لك هذا كان عليك عند اختيار شريكة حياتك ان لا ترتضي بما يقول الكثيرون « هي جميلة · غنية · عاقلة · مهذبة فهي تصلح ان تكون لي زوجة » بل عليك ان تنظر الى الفتاة من حيث نسبتها اليك اكثر مما الى صفاتها الذاتية · والنسب بينكما قد تكون طبيعية · وهي الاميال القلبية والاخلاق والمدارك العقلية والاعمار فضلاً عن الصحة · وقد تكون اكتسابية وهي الثروة والطبقة الاجتماعية · ولما كان الوفاق بين الزوجين متوقف على توافقهما من حيث هذه النسب كان عليك اذاً عند الاختيار ان تسأل

هل بينك وبين الفتاة تبادل في الاميال القلبية وباللغة الفصحى هل تحبها وتحبك

هل بينكما ائتلاف في الاخلاق

هل بينكما نسبة في المدارك العقلية والاعمار

هل بينكما تناسب في الثروة والطبقة الاجتماعية

وسافرد في ما يلي فصلاً لكل من هذه الفروع . الا اني ارى ان انبهك اولاً انك باطلاً تجهد نفسك ان التمست توافقاً كاملاً من حيث جميع هذه النسب فان الكمال ليس من هذا العالم فلا ينبغي اذاً ان يكون شانك شان ذلك الشاب الاميركي الذي نشر في بعض الصحف الاميركية الاعلان الآتي

« شاب من اسرة نبيلة يطلب الاقتران بفتاة سنها بين الثامنة عشرة والثانية والعشرين »
« طولها ٥ اقدام واربعة انشات بقطع النظر عن ارتفاع حذاءها . دوطتها لا تقل عن ٥ »
« آلاف جنيه . صحيحة جميع اعضاء الجسم . لا كثيرة السمن ولا مفرطة في النحافة . »
« لا تفرط في التبرج ولا تهمل النظافة . لا كثيرة الكلام ولا ضعيفة الحجة عند الحاجة »
« لا عبوسة ولا كثيرة القهقهة . كتومة للاسرار . مقتصدة في النفقات . تفضل الاهتمام »
« بشؤون بيتها وصحبة رجلها على لعب البوكر وانتياب المراسح والزيارات . فعلى الفتاة »
« الراغبة في الزواج المجتمعة فيها هذه الصفات ان تتكرم بالجواب على العنوان التالي » ثم يليه العنوان

ولست اعلم شيئاً عما ورد لصاحب هذا الاعلان من الجوابات الا ان اعتقادي بذكاء الاميركيات يحملني على الظن ان لا بدَّ وان تكون احداهن ارسلت اليه هذا الجواب : « هل انت كامل ياهذا لتطلب هذا الكمال »

وهذا الجواب نفسه يحسن بان يوجه لكل شاب يتردد عن الزواج لانه لا يجد زوجة كاملة

على انه اذا تعذر وجود الكمال اي الاتفاق التام من حيث جميع النسب وجب ان تقدم الاهم منها على المهم فتطلب اولاً التوافق من حيث النسب الطبيعية وهي الاميال والاخلاق والمدارك والاعمار ثم تسأل بعدئذٍ عن مال الفتاة وجاهها وجمالها اذ لا ينبغي ان يذهب عنك ان الهناء والوفاق لا يتوقفان بالاكثر على مال او جاه او جمال بل على تحاب القلوب وائتلاف الاخلاق والافكار . فان كوخاً صغيراً يسود فيه الحب والائتلاف قد يجد فيه ساكنوه من الهناء والوفاق ما لا تجده القلوب المتخالفة والاخلاق المتناقضة وان كانت تسكن اعظم القصور

هذه هي الطريقة الفضلى التي يجدر بكل من يروم الهناء الحقيقي بعد الزواج ان يتبعها . ولكن في زماننا هذا اين الشبان الذين يقصدون في الزواج الهناء الحقيقي الناشيء عن

امتزاج القلوب والاخلاق والافكار · دوطة كبيرة · عائلة وجيهة · جمال فتان · هذا كل ما يسألون عنه · اعطيني مالك وسواء عندي اعطيتني قلبك او لم تعطنيه · الفقير يريد زوجته من الاواسط والوسط يطمح الى الغنيات والغني الى صاحبات الملايين بصرف النظر عن الاخلاق والصفات · فهل تعجبون بعد هذا اذا ندم المتزوجون

الذهب في بنك فرنسا

بحث مالي فكاهي

بلغت قيمة المخزون من الذهب في بنك فرنسا في الشهر الماضي ٢٢٥٥ مليون فرنك اي مليارين و٢٥٥ مليونًا · وهو مبلغ هائل واعظم مخزون من الذهب في العالم كله · واذا اردت جمع مبلغ يساوي هذا المبلغ من اوربا وجب عليك ان تجمع المخزون في بنوك المانيا وانكلترا وتضيف اليه المخزون في بنوك اسبانيا وهولانده وايطاليا ومع ذلك يبقى في مجموع مخزون الذهب في هذه البنوك نقص عن مخزونه في بنك فرنسا وحده ٤ او ٥ ملايين فرنك · واما روسيا فمخزون بنكها الامبراطوري اقرب مخزون الى مخزون البنك الفرنسوي لانه يبلغ الآن نحو ٢٠٧٣ مليون فرنك اي بنقص ١٨٢ مليونًا فقط · وعليه فيكون لدى روسيا وفرنسا وحدهما من الذهب اكثر من ٤٣٣٨ مليونًا · وبما انهم يقدرون مخزون الذهب في جميع بنوك اوربا بنحو ٨٣٨٠ مليونًا فيكون لدى روسيا وفرنسا اكثر من نصف هذا المخزون وحدهما

ولا يخلو من فكاهة ان ننظر في قيمة الذهب المخزون في بنك فرنسا من حيث عددها فقد احصى الاحصائيون ان هذا المبلغ لو لم يكن اكثره سبائك وركائز لما وُجد قصر يسعه · فانه لو كان كله ليرات فرنسوية (بنتو) لكان عدده ١١٢٧٥٠٠٠٠ ليرة · فاذا افترض امكان نصبه عموديًا كل ليرة فوق اختها بطحًا بقطع النظر عن الموازنة لبلغ طول هذا العمود الذهبي ١٤٦٥٧٥ مترًا اي كان ثلاثين مرة اعلى من الجبل الابيض الذي هو اعلى جبل في اوربا و١٦ مرة اعلى من جبل كوريزانكار الذي هو اعلى جبل من جبال حملايا بل من جميع الجبال في العالم · واذا وضع هذا العمود الذهبي الغريب بجانب برج ايفل كان اعلى من هذا البرج بخمسمائة مرة

ولو اراد امين صندوق البنك المسكين ان يعدَّ هذا المبلغ وكان يعدُّ في كل ثانية ليرتين و يشتغل عشر ساعات في اليوم لاقتضى عدُّ هذا المبلغ ٤ سنوات و٣ اشهر و١٦ يومًا ٠٠ واما اذا غلط في الحساب فالويل له فانه يصرف كل عمره في مراجعة حسابه

واذا كانت ابنية البنك غير كافية لعد هذا المبلغ واراد امين الصندوق ان ينقله اولاً الى الخلاء لعده احتاج الى قطارات لنقله لان وزنه يساوي وزن شحن ١٢ قطارًا يكون شحن كل منها ثلاثين الف كيلو غرام

وقد يخطر له ان يبسط هذا المبلغ بسطًا على الارض ليتمكن من عده ويضع كل ليرة بازاء اختها في سهل واسع فسيح . فحينئذ يحتاج الى سهل مساحته ٢٢٧٠ كيلو مترًا و٧٥٠ مترًا لكي يسع المبلغ مبسوطًا بسطًا . واذا اراد افتقاده بعد بسطه وصفه وجب عليه أن يركب مركبة تسير في الساعة ٦٠ كيلو مترًا و ينطلق عليها مدة ٣٨ ساعة متوالية حتى يتسنى له اجتيازه فقط من اوله الى اخره . ولا نقل ان هذا الاحصاء امر غريب فانه مقدر على موجب مساحة الليرة الواحدة وثخانتها

ولا يذكر بنك فرنسا ان الذهب فيه قد بلغ هذا المبلغ في سنة من السنين الماضية . فقد كان اكبر مبلغ دخل اليه ٢١٥٠ مليون فرنك وذلك في سنة ١٨٩٥ حتى كانت هذه السنة فزادت عليها . وقد كان في البنك في ١٤ افريل الماضي وهو يوم افتتاح المعرض قيمة ١٩٤٢ مليونًا فقط فتكون الزيادة في هذه الاثناء ٣١٣ مليونًا وهي زيادة مهمة قد يمكن ان يكون المعرض سببًا لها ولكن لا ريب ان الثقة المالية بفرنسا في هذه السنوات واقبال تجار العالم على تفضيل هذ البنك هو السبب الاصلي في هذه الحالة

وفي بنك فرنسا غير ما ذكر من الذهب ١١٣٤ مليون فرنك من الفضة فيكون المجموع ٣٣٨٩ مليونًا تُستعمل حين الحاجة لتغطية اوراق البنك التي يتعامل بها الناس

ولكن اذا نظرتَ الى قيمة هذه الاوراق وجدتها تزيد عن المخزون في البنك زيادة عظيمة . فان قيمتها قد بلغت لغاية ١٦ الجاري ٣٩٤٦ مليونًا فتكون الزيادة فيها ٥٥٧ مليونًا . فما العمل اذا هجم حاملو هذه الاوراق على البنك يطلبون منه دفع قيمتها . ألا يتضايق البنك من ذلك

كلا . وذلك لسببين . السبب الاول ان قبول الاوراق المالية امر الزامي في فرنسا والسبب الثاني ان للبنك ديونًا لدى الحكومة قيمتها ١٨٠ مليونًا وقد اقرض عملاءه في باريز في هذا الشهر ٢٢٤ مليونًا واقرض عملاءه في الولايات ٢٦٨ مليونًا فمجموع هذه الديون

التي له ٦٧٢ مليونًا . ولما كان نقص قيمة الاوراق التي عليه عن قيمة المخزون عنده ٥٥٧ مليونًا فقط كما ذكرنا فتكون الزيادة له بعد دفعه جميع ما عليه ١١٥ مليونًا

فما اسهل هذه الملايين في الكلام واصعبها في التحصيل ولا سيما من الطرق الشريفة وفيدها اذا كانت مصروفة في وجهها النافع المفيد:

رواية الخداع والحب

انتقاد

لحضرة الكاتب البارع زاكي افندي مابرو

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

ان استحسنتم وما العهد بكم الا ممن يستحسنون خدمة الادب والادباء افسحوا لي مجالاً في مجلتكم لكلمة اقولها في

رواية « الخداع والحب »

فهي مأساة لشيلر الالماني نقلها الى الفرنسوية اسكندر دوماس ومنها نقلت الى العربية بقلم حضرات البارعين الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي نسيم طراد دون ان يُشيرا الى نقلها عن الفرنسوية ومُثلت في القنصلية الروسية في بيروت ثلاث ليالٍ . وهذه الرواية حدثت حوادثها في احدى الامارات الالمانية يوم كان كل امير مستقلاً في امارته يسوس رعيته كما يشاء ويريد الهوى . وكان امير تلك الامارة مولعًا بحب حليلة له تُدعى لادي ميلفور وكانت السياسة في تلك الاثناء تفطره توطيدًا لعرشه وتثبيتًا لاركان دولته الى الاقتران باميرة المانية فوقع الامير من جراء ذلك في حيرة وارتباك . وكان له وزير داهية طماع توصل بطريق الجريمة الى ارفع مقام فلما رأى حالة الامير قال في نفسه ان دبرتُ لهذه المعضلة حلاً ينطبق على اميال الامير ملكت زمامه ودانت لي الامارة . وعلى هذا وطد العزم ونوى ان يزوج ابنه فرنند بخليلة الامير حتى يظهر للملاء ان حبهن قد انفصمت عراه وهكذا يذر الرماد في العيون وينقضي الامر على ما تروم السياسة ويشتهي الغرام . ولكن فرنند لم يكن يشابه اباه بخلاله فابى الانقياد اليه لا سيما وانه كان يحب لويز ابنة الموسيقي ميلر . فعمد الوزير الى الحيلة ودبر مع الكاتب ورم الخبيث شريكه في الجرائم مكيدة شيطانية وذلك انهما القيا القبض على ميلر وسجناه

وقالا للويز ان لا خلاص لابيها الا اذا كتبت رسالة غرامية باسم المارشال وحلفت انها لا تبوح بذلك ففعلت ووقعت الرسالة بيد فرنند فطار صوابه وسار الى لويز نحتدماً متعمداً قتلها ولكنه دسَّ السم في الشراب وشربه امامها فلما علمت بذلك تجرعت البقية وباحت له بالسر فندم ولات ساعة مندم · وحينئذ دخل عليهما الوزير ورم والشرطة فاسرع فرنند الى ورم وطعنه بخنجره منتقماً ووقع ميتاً بالقرب من لويز التي كانت قد سبقته الى الابدية · اما ورم فلما رأى نفسه مائتاً اقر بجناياته الماضية التي ارتكبها بالاشتراك مع الوزير الذي اعترف بها ايضاً وسلم نفسه للشرطة

فهي رواية جديرة بالتفات اهل الادب وتعريبها حسن جيد خال من الركاكة والتعقيد وابياتها رقيقة وبالاجمال انها حسناء ولهذا لم تعدم ذاما

كنت قد طالعت هذه الرواية بالفرنسوية فعلقت في ذهني فصولها ومواقفها التي تستاثر باللب وترسخ في النفس الى ما شاء الله · فلما اطلعت على الترجمة العربية وجدت فيها تصرفاً شوَّه محاسنها الاصلية فلم يسعني الاغضاء عن ذلك لئلا (يطلع كتبتنا الذين لم يسعدهم الحظ او الوقت بمطالعة الكتب الافرنجية على ما ليس للكاتب الغربي حقيقة فيضعوه في غير مكانه) ولهذا اسال حضرات المعربين ان يسمحا لي بان اقول كلمة في روايتهما

فلقد رايت انهما ابدلا بعض العبارات بعبارات لهما لا تجمع بينهما جامعة على الاطلاق · وحذفا مشاهد ومواقف لا داع الى حذفها

جعلا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ورم هو الذي نصب الفخ وبسبب هذا الابدال ظهر المشهد الثالث مبتوراً وكان خروج الممثل من المرسح بتكلف لا كما جاء في الاصل · وهكذا بُتر المشهد الرابع في الصفحة التاسعة فليراجع

وابدلا كتاب ميلادي الى الامير بكتاب آخر لولا ضيق المقام اوردتها اظهاراً للفرق بيد انني لا استطيع الا ان اورد هنا ما جاء في الصفحة ٧٢ من الرواية حيث فرنند يقول

" انت ايها الابله · كيف انت · وما هي اغراضك لتحافظ على خزائن سيدك وتكون هدفاً لسهام هزئه ورقاعته · لعمري ليس ذلك بابهج من ان اقتادك معي كحيوان عجيب تستلفت الانظار وسترقص هناك كابرع القرود واحذق السعادين على نغمات عواء

الهالكين وتبدي امامهم من الالعاب آيات التفنن والغرابة مما يدهش له جماعة الجحيم ويطيب له قلب المعذبين الى الابد ...» (الى اخر تلك الصفحة مما عن للمعربين تاليفه على هذا النمط)

اما الاصل حسبما جاء في النسخة الافرنسوية فهاك تعريبه وهو قول فرنند يخاطب المرشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه :

« بل انا اعلم لماذا انت تتمسك باهداب الحياة . ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة اللعينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ... ولعل للعناية الالهية بذلك قصداً خفي عنا وراء حجب الاستقبال » وفي ختام هذا الكلام « اجل لا بد لميزان هذا الكون ان تتوازن كفتاه . فلا بد اذاً من وجود الافاعي والمدلسين المنافقين بازاء القوم الكرام اصحاب النفوس الابية . فليحذر المماق المنافق ان يزحف الى حبي وليحذر الافعوان ان ينفث سمه على ازهاري والا فاني اسحق المماق والافعوان تحت اقدامي »

فاين هذا القول من ذاك . ولماذا مسخاه بذلك الابدال الغريب . بل الاعرب انهما ابدلا جملة باخرى فتغير موقف الممثل من حال الى حال وهذا مما لا يسمح به المؤلفون للناقلين عنهم . انظر صفحة ٨٤ اذ كان فرنند يتلظى بنار الغيرة وقد اودت خيانة لويز بحبه وآماله كيف جعلاه يقول لما رآها متاثرة صفراء ولا اصفرار الموت (اجل هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله) وكان المؤلف رحمه الله قد انطقه بما معناه : آه ياشقية لم يعد يسعك الانكار بعد الآن

ويوجد على « الابدال » امثلة كثيرة غير هذه اضرب عنها صفحاً خوف التطويل وملل القراء اما الحذف فكثير ايضاً ولكنني لا اشير هنا الا الى الحذف الذي غابت معه مقاصد المؤلف فقد حذفا مشهداً يظهر فيه خادم الامير وهو يهدي الى ميلادي من قبل سيدها عقداً من الجوهر الغالي فيدور الحديث على ان هذا العقد الفريد قد دُفع ثمنه من مال الايتام والارامل والفقراء وينددد بالحكومة التي تبيع شعبها بيع الاغنام سداً لمطامع الامير فترق ميلادي لهذه الحالة وترسل خادمتها تبيع العقد وتوزع ثمنه على البائسين . وحذفا كل حديث الرئيس ورم في بداية الفصل الثالث مع ان فيه افتضاح سر (توصل الرئيس الى الرئاسة) كما كان وعيد فرنند الى ابيه في ختام الفصل الثاني . ولعل لحضرتيهما عذرا في جعل مقدمة الفصل الرابع خاتمته مع انني لم اجد مسوغاً لهذا القلب . اما الختام ففيه الغلطة الكبرى فانهما استبدا فيه وايما استبداد وتصرفا فيه وايما تصرف سامحهما الله . وانني على

يقين انه لو نُشر شيللر من قبره وعلم بما فعلاه لآخذهما اشد موءاخذة بذلك نقد جعلا فرنند يلعن اباه ويدعو عليه ويشتمه بما لم يلمح اليه المؤلف اقل تلميح ولا يمكن ان يجيزه الادب مهما كان الاب جانياً. فما الطف الختام في الاصل وما اثقله في التعريب

هذا واني بعد كل ما تقدم من اظهار البون بين الاصل والترجمة اقول انني لم اتجشم عناء هذه النقلية والمقابلة لاثبت وجود الحذف والابدال فان ذلك امر مالوف في الترجمة الى اللغة العربية لان المترجمين يراعون دائماً اذواق الناس الذين يترجمون لهم فضلاً عن المكان والزمان فيختصرون كل ما لا يرون فيه فائدة للقراء ولوانه كان مفيداً في زمانه ومكانه . لكن اذا جاز الحذف او الابدال بناء على هذا الامر فانه يجوز على شرط واحد وهو الحذر الشديد من ان يشوه محاسن الاصل ويخرجه عن غرض المؤلف . لانه من المعلوم ان اكابر الكتاب نظير شيللر وديماس وشكسبير وغيرهم من مؤلفي الروايات لا يقصدون بالرواية التي يؤلفونها سرد الحوادث الفكاهيه وسوق الاخبار فقط وانما الرواية عندهم سلسلة مبادىء وآراء مسبوكة في قالب الاخبار بل هي درس بسيكولوجي لنفوس الاشخاص التي يتكلمون عنها يظهرون فيها نظام احتكاك العواطف والاهواء وسيرها ونتيجة احتكاكها . فكل حركة غضب وكل حركة بغض او حب او نفور او ميل هي حلقة لسلسلة سابقة ولاحقة ونتيجة للمقدمات التي قبلها . فكيف يجوز اذاً حذف هذه الحلقات او استبدالها بحلقات اخرى تختلف عنها . الا يكون في ذلك تشويه محاسن الاصل وهدم عمل المؤلف . بل الا يكون المعرب الذي يتناول قلمه ويشطب على ما شاء من حوادث الرواية حذفاً او ابدالاً من غير روية ولا هداية بمثابة ولد دخل الى حقل مزروع فصار يدوس بقدميه كل ما في طريقه

من هذا الوجه فقط انتقد رواية الفاضلين المعربين واتمنى لو انهما كانا اشد حرصاً وانتباهاً لمسالة الحذف والابدال التي هي عندي اهم المسائل في التعريب . اما الانتقاد من حيث اللغة فهو امر صغير لا يستحق في رأيي اهتماماً كبيراً لاني اعتقد ان اللغة وجدت للتعبير عن الافكار وايصال المعنى من ذهن المتكلم والكاتب الى ذهن المخاطب والقارىء لا للتقعر فيها وقطع الوقت والعمر في ما لا فائدة منه ولذلك فانني لا اقول فيها شيئاً. على انني اشكرهما كيفما كانت الحال على هذه التحفة الادبية واقدر فضلهما حق قدره ولا انكر عليهما مشقة التعريب فانني ممن عاناها وارجو ان يحملا انتقادي على محمل الاخلاص والله اسال ان يوفقنا جميعاً الى سواء السبيل

الهيئة الاجتماعية في الاستانة

منذ ٩٣١ سنة اي في ايام ملوك الروم

مقالة بقلم حضرة العالم المسيو غوستاف شلومبرجر من اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي واكبر العلماء بتاريخ القرن العاشر للميلاد وقد ضمنها معيشة حسناء يونانية عظيمة في يوم واحد ليصف الهيئة الاجتماعيـة في الاستانة وصفاً تاريخياً بديعاً تُعرف منه اخلاقها وعاداتها في ذلك الزمان

طلعت الشمس على البوسفور في صباح يوم من ايام صيف سنة ٩٦٩ مسيحية تنثر التبر من اشعتها الذهبية على الحي الجميل الذي كان يدعى « كريزو بوليس » اي المدينـة الذهبية والذي نسميه اليوم « اسكي دار » اي الدار القديمة لقدم عهده . وتجاهه بيزانس (الاستانة) الجميلة عاصمة الامبراطورية المسيحية الشرقيـة ترفع قبابها وقصورها الى السماء وتحف بها الجنائن المرصعة بالازهار الفيحاء (١

كان في ذلك اليوم من تلك السنة في احد قصور اسكي دار فتاة مستغرقة في نوم هادئ لطيف وماء الجمال يترقرق على وجهها واسمها ماري وهي ابنة الجنرال العظيم مخائيل بورتزيس الذي تغلب في تلك السنة على عرب حلب واخذ من ايديهم مدينة انطاكية التي هي حصن الجنوب الكبير (٢ . وقد فرحت الامبراطورية كلها بذلك في هذا العام وكافأ الامبراطور عائلة هذا القائد بالجوائز السنية وعين ابنته ماري المذكورة آنفاً « امرأة ذات نطاق ذهبي » اي من نساء شرف الامبراطورة . ذلك لان ماري كانت قد ذهبت الى الحرب مع ابيها وشهدت المعارك التي انتصر فيها . وهي الآن قادمة من ذلك السفر البعيد الى وطنها وستزور الامبراطور والامبراطورة للاحتفال بجعلها امراة من نساء شرفهـا

وكانت الامبراطورة تُدعى تيوفانا وهي ارملة الامبراطور رومانوس الثاني . وبعد وفاة هذا الامبراطور احبت الامبراطورة الجنرال نيسيفوروس فوكاس الذي كانوا يلقبونه « مطرقة العرب » لانه كان شديد البطش وجعلته امبراطوراً (٣ . ولكن هذا الزواج ما لبث

١) طلوع الشمس في الاستانة ٢) اخذ الروم انطاكية من العرب
٣) كل ما يرد ذكره في هذه المقالة من الحوادث والاخلاق والعادات والاسماء امور تاريخية حقيقية لا خيالية

ان تعكرت كاسه اذ احبت الامبراطورة من جديد الضابط حنا تزيمسيس احد قواد القصر وابغضت الامبراطور زوجها ولذلك اخذت تفكر في الطرق التي تتخلص بها منه فشاع في كل الاستانة اشاعات غريبة عن عزمها على الفتك به . ومنهم من كان يقول ان حلّ هذه المسالة اصبح قريباً جداً (١

وكانت ماري تعبة من سفرها الطويل ولذلك كانت مستغرقة في النوم ولكن خادمتين عندها فينيقيتين ما لبثتا ان نادتاها تنبيهاً لها . فأفاقت وفتحت عينيها الذابلتين الممتلئتين جمالاً ورواء . ثم نهضت من الفراش واول عمل عملته انها سارت الى صورة العذراء الكبيرة الموضوعة في غرفتها واخذت تصلي امامها بخضوع وخشوع (٢

ثم عمدت الى ملابسها بعد الاستحمام على عجل لان الوقت قصير وعليها من الاعمال في ذلك اليوم شيء كثير . فلبست فوق قميصها الحريرية الثمينة حلة دقيقة ناعمة تغطي جسمها كله ثم حلة اخرى مثلها ولكن اكمامها اقصر من اكمام الاولى وصبغت بعد ذلك شعرها باللون الاصهب وشبكته بالشبكة الاعتيادية (٣

ثم جيء لها بابنها وهو وحيدها تحمله مرضعته التي هي من النساء المسترقات فنظرت اليه ماري نظرة لانها كانت مسرعة (٤ ثم سارت في دريقها لدخول المدينة العظمى الى قصرها الكبير فيها حيث تنتظرها صديقاتها . فركبت زورقاً مع زوجها الذي كان قد لحق بها واثنين من الحرس السكنديناف « النروجيين » الذين كل واحد منهم طويل القامة كالنخلة السحوق وفي يد كل منهما فأس ذات حدين . ثم سار الزورق بين شاطئي اوربا واسيا في وسط السفن العديدة التي كانت تتكسر على سطوحها اشعة شمس بيزانس الجميلة (٥

ولما وصلت الى مرسى بيزانس وجدت هناك هودجاً وخيلاً . اما الهودج فلها واما الخيل فللرجال فركبت هودجها يحمله ارقاء من السيثيين يركضون به في الشوارع وسط الشعب المزدحم وامام الهودج حارسان مسلحان بعصا طويلة محددة يفرقون الناس بها بخشونة دون رفق لمرور السيدة . وما زالت سائرة على هذا المنوال حتى وصلت الى قصر زوجها العظيم « ارجير » القائم في احسن شوارع بيزانس قريباً من هيكل الرسل حيث يرقد جميع امبراطرة

١) اداب البلاط الامبراطوري ٢) التقوى ٣) الملابس الاعتيادية ٤) يستدل من هذا على اهمال شؤون العائلة في ذلك الزمان ٥) يظهر من هذا ان لماري قصرين واحداً في اسكي دار وواحداً في بيزانس

الشرق تقريباً في توابيتهم رقاداً ابدياً . وكان الوقت صباحاً ومع ذلك فقد حضر كثيرون من الناس للتسليم على ماري لان غيابها عن وطنها طال نحو سنة . ولذلك كنت ترى الخدم يهرعون الى تقبيل ركبتيها والرهبان يسعون لطلب صدقتها وكثيرات من صديقاتها ينتظرنها (١ ليرين ماذا جرى لها في سفرها الى تلك البلاد بلاد العرب القاصية البعيدة

وكانت عائلة ماري وهي عائلة « ارجير » من اشراف القسطنطينية ولذلك بادرت اعظم السيدات شاناً لاستقبالها . فكان قصر ارجير في ذلك اليوم ملتقى جميع جميلات القسطنطينية وشريفاتها . فلما لقينها احطن بها من كل جانب احاطة الهالة بالقمر ثم انهن اخذن يجررنها الى مكان بعيد عن الانظار ليسمعن حديثها بينما كان الرجال قد اخذوا بالانصراف . فاخذنها الى بركة ماء جميلة في حديقة القصر محاطة بالازهار من كل جانب وجلسن على مقاعد هناك لتقص عليهن ماري ما راته في البلاد البعيدة

فدار حديث طويل بين هؤلاء النساء على خرير ماء تلك البركة وكان الضحك شديداً بينهن . فقصت عليهن ماري كيف كان يستقبلهم الاساقفة والرهبان في البلاد التي كانوا ينزلون فيها وكيف كانوا يسيرون في الاراضي القفراء سيراً شاقاً متعباً وجلبة الجيش وضجة الخيل ووصول الاسرى على اصوات الطبول المضروبة والانسجة السورية الجميلة التي شاهدتها والآنية النحاسية الدمشقية وانواع الطيب التي ترد من بلاد العرب ونوعاً من النسيج الجميل لا مثيل له يصنع في معامل بغداد اهداه اليها امير حلب وكفنها الذي اختارته من تلك الانسجة لتنزل فيه في قبرها متى جاء اجلها

ولكن كل ذلك لم يكن شيئاً مذكوراً . فمدت يدها واخرجت عظمة صغيرة وقالت . هذا اثمن ما جئت به . فشخصت الابصار الى هذه العظمة بدهشة واستغراب . فقالت ماري ان اغابيوس حبر انطاكية هو الذي اعطاني هذه العظمة المقدسة وهي من عظام قديس عظيم . فامتدت اليها حينئذٍ جميع الايدي وصارت كل واحدة منها تتناولها وتقبلها باحترام عظيم وهي ترسم الصليب على صدرها مراراً تكراراً وتدعو بحلول بركتها عليها

ولكن ماري ما لبثت ان ضجرت من الكلام واخذت تسال رفيقاتها ما عندهن من الاخبار الجديدة (٢ . ماذا عملت الامبراطورة تيوفانا . (وقد قالت ذلك بصوت منخفض جداً) الا تزال تحب القائد تزيميسيس وتظهر السخط والغضب للامبراطور زوجها . هل

١) استقبال الذين كانوا غائبين ٢) بماذا كان النساء يتحادثن في مجالسهن الخصوصية

جرت احتفالات جديدة · هل بنيت ديور جديدة · اي قائد فقئوا عينيه خوفاً منه · اي موظف نُفي الى ديور الجزائر · هل دخلت بعض بنات الاشراف الى الدير من جديد · هل وردت بضائع جديدة من البندقية وجنوى · الا يزال الناس يتقاطرون لمشاهدة الناسك الذي يعيش عاري الجسم على عمود أتراب (١

فكانت رفيقاتها تجيبها على كل سؤال فينبئنها باخبار الباعة الذين جاءوا من الغرب حديثاً والرجل الذي جاء من القاهرة ومعه جلود ثعابين اذا نُقعت بالخمر ردت القوة الى كل من كان غير ذي قوة والطبيب الذي اكتشف دواء يحسن الوجه و يرد الجمال ودواء ثانياً يشفي من مرض المعدة

ثم ان ماري بعد هذا الحديث الطويل ودعت رفيقاتها و رفضت مقابلة التجار والباعة الذين عرفوا بعودتها فاجتمعوا امام قصرها وذلك لانها تقصد زيارة القصر الامبراطوري على عجل للاحتفال بجعلها من نساء شرف الامبراطورة

فخلعت اولاً ملابس الصباح ودلكت نساؤها جسمها بالطيوب ثم رتبن شعرها والبسنها فوق ملابسها الخفيفة اللطيفة حلة الاستقبال الرسمية (٢ وهي منسوجة من الحرير والذهب معاً تغطي جسمها من عنقها حتى قدميها وعليها نقوش مختلفة في غاية الجمال والاتقان · ثم جمعت شعرها بتاج حريري وضعته نساؤها على جبهتها وشددن خصرها الرقيق بالمنطقة الذهبية التي تدلُّ على وظيفتها ولذلك سُميت « المراة ذات المنطقة الذهبية » كناية عن كونها من اكبر نساء الامبراطورة كما تقدم · ثم زينت ماري جيدها بعقد نفيس وقصدت هودجها فركبت فيه يحملها الرجال الى « السراي المقدسة »

وكان البلاط الملوكي « المحروس من الله » قد انتقل الى هذه السراي قادماً من قصر « بوكوليون » الحصين حيث كان الامبراطور يختبئ حرصاً على حياته (٣ وانما انتقل هذا الانتقال ليقابل امراء الاجانب واكابرهم الذين طلبوا مقابلته فضلاً عن استقبال ثلاث نساء رفيعات المقام جُعلن من نساء الملكة · الاولى ماري · والثانية ارملة امير بلغاريـ قُتل زوجها في حرب الروم واسرت · والثالثة ابنة ملك جيورجيا ارسلت من اقاصي جبال القوقاز بمثابة رهينة في يد الامبراطور

وقبل وصول ماري الى السراي مرَّ هودجها بكنيسة صوفيا الكبرى وكان في ساحتها

١) ذكر اخلاق وعادات عديدة ٢) الملابس الرسمية التي يُستقبل بها الملوك ٣) خوف الامبراطور على حياته

كثيرون من الجنود والموظفين والكهنة والشعب فعرفعوا جميعهم من الشعار الذي على الهودج انه هودج عائلة « ارجير » الشهيرة فسلموا على صاحبة الهودج دون ان يروها · ولما وصلت ماري الى السراي التقت برفيقتيها اللتين ستدخل معها لمقابلة الامبراطور والامبراطورة (١ ولكن ما لبثن هنيهة حتى جاءهن عدة من العبيد يلبسون ثياباً بيضاء وادخلوهن مسرعين لان الامبراطورين يكرهان الانتظار ويحبان الاسراع في المقابلات فدخلن وسط صفوف من الموظفين والحرس السكنديناف الواقفين بجمود وقفـة الاصنام حتى وصلن الى الباب الكبير الذي يؤدي الى قاعة « كريزوتر يكلينيون » حيث كان الامبراطور والامبراطورة جالسين على عرشين عظيمين تحت تاج عظيم فوق رأسيهما وكلاهما موشحان ببرفير واحد يبهر النظر مرآه · وكانت الامبراطورة تيوفانا جامدة منقبضة ووجنتاها يكسوهما نوع من البودرة وعليهما الجواهر فكانها معبودة من المعبودات الشرقية القديمـة · فلما دخلت النساء الثلاث وماري بينهن جثين عند الباب ولا يخفى ما في ذلك من المشقة لصعوبة انطواء ملابسهن الذهبية · ثم دنا اثنان من العبيد « الذين هم بمثابة التشريفاتجي » من كل واحدة منهن فانهضاها ثم ادنياها بخضوع وخشوع من الامبراطورين · فدنت النساء الثلاث وجثين ثانية امام الملكيين ثم اخذن يقبلن اقدامهما وايديهما دون ان يتنازلا وينظرا اليهن ولو نظرة واحدة · ثم انهضهن العبيد ودنا السر تشريفاتي فلمس كل واحدة منهن بعصاه الذهبية وقال عبارة مالوفة تقال في مثل ذلك المقام · ثم ابعدوهن على عجل وبذلك انتهت الحفلة واصبح هؤلاء من نساء الملكة يتمنطقن بالمنطقة الذهبية ويدخلن القصر كلما اردن ذلك ويحضرن مع الامبراطورة الصلاة والملاعب والاستعراضات والحفلات · وهو شرف عظيم

وبعد انتهاء الحفلة عادت ماري الى قصرها فخلعت ملابسهـا الرسمية واخذت تهتم بشؤونها · فذكرت اولاً اباها الدوق دنتيوش اي دوق انطاكيـة الذي يقيم فيها فاستدعت سكرتيرها واملت عليه كتاباً اليه ثم طوته وخطت عليه عنواناً وربطتـه بخيط حريري ثم ختمته بالرصاص باسمها ودفعته الى رسول ليحمله الى ابيها في انطاكية (٢

وبعد ذلك ذكرت ام زوجها وهي امرأة شيخة مقيمة في دير بنته قرب القصر فقصدتها لزيارتها فضمتها هذه المرأة بين ذراعيها ثم جعلت تسألها اذا كانت قد اتمت جميع واجباتها

١) كيف كانت استقبالات الامبراطور الرسمية وهيئتها ٢) طريقة المكاتبة والمراسلة يومئذ

الدينية واحسنت الى الرهبان واوقدت الانوار امام الصور المقدسة . ثم سالتها عن قطعة العظم التي جاءت بها من انطاكية وطلبت ان تراها تبركاً بها هي والراهبات اخواتها " رفيقات الملائكة "

ثم عادت ماري الى منزلها فاتاها زوجها وسالها عن ولدها فاجابته انها تركته في « المدينة المذهبة » " اسكي دار " لان الهواء هناك احسن ملائمة لصحته . فسالها الزوج هل كان كل شيء في موقعه من الترتيب في غيابنا (١ فاجابت ماري ان الاخبار الواردة من مزارعنا في بلاد التراس «الروملي» وكبدوكية جيدة . فان المؤن قد خزنت في المخازن وقد وصلنا اليوم من مزارعنا في اسيا جياد كريمة لمركبتي . اما المستشفى الذي بناه ابوك العظيم لمعالجة البرص وغير ذلك من الامراض الجلدية فقد دخله في غيابنا مرضى آخرون وسازوره بعد ساعتين . ثم اذهب الى القصر اجابة لدعوة الامبراطورة التي تستقبل في هذا المساء بعض الاميرات البلغاريات

وفي الساعة الثالثة ركبت ماري مع احدى صديقاتها مركبتها الفاخرة تجرها الجياد الكريمة التي ذكرتها وامامها رجلان يعدوان فزارت المستشفى وافتقدته . ثم خرجت منه وسارت مركبتها نحو جسر القرن الذهبي تمشي خيلها خبباً . وكان قد اجتمع في تلك الساعة امام وزارة الحرب التي هناك جماهير لا يحصى لها عدد من الضباط وقواد الحرب الاجانب من سكنديناف وارمن وامراء العرب الموالين للروم ومسترزقة اوربا وكلهم يقصدون قبض رواتبهم ورواتب جنودهم من وزير الحرب(٢ فلما مرت بهم مركبة ماري توجهت اليها جميع الابصار وكانت ماري تنظر اليهم من النافذة . فما لبثت ان وقع نظرها على احد اولئك القواد فعلت وجهها حمرة الحياء وصبغ الدم وجه ذلك القائد (٣

وكانت ماري تحب زوجها كل الحب وقد ربتها امها تربية دينية صارمة . الا انها كانت من الاسرات السامية التي كانت تفسد آدابها تلك القدوة السيئة التي كانت تردها من اسرة اسمى منها نعني الاسرة الامبراطورية . فان ماري سمعت كثيرين من الشبان يقولون لها في الحفلات بين الازهار والخمور والطيوب انها جميلة فكانت تحرك نفسها لهذه الكلمة بالرغم عنها . وفي ذات يوم قبل سفرها الى انطاكية ذهبت الى احدى الكنائس التي كانت اكثر الكنائس ازدحاماً بالمصلين من اصحاب الشان الرفيع لتسأل الله ان يسهل

١)سلطة المراة في العائلة في ذلك الزمان وكونها القابضة على كل شيء فيها

٢) اختلاف عناصر الجند اليوناني يومئذ وطريقة تعبئته ٣)ماري تحب حباً طاهراً

سفرها ويردها سالمة الى وطنها فوقع نظرها فيها على قائد من قواد حرس الملك . ولما خرجت رأته يطيل النظر اليها . ومن غرائب الامور انها عرفت اسمه بعد قليل دون ان تسأل عنه فعلمت انه هرالد بن هرالد ملك نروج البعيدة وهو الآن قائد الفرقة الاولى من حرس الملك السكنديناف « النروجيين » فمنذ هذا الحين بدأت تحمر وجنتاها كلما وقع نظرها عليه . وبدأ يحمر وجهه كلما وقع نظره عليها

فلما التقت به الآن بين الجمع امام وزارة الحربية وانقلبت فضتها النقية عسجدًا كما تقدم صاحت بها رفيقتها « وحياة العذراء يا ماري انك تحبينه » فقالت ماري وهي تضحك وقد زاد احمرارها « لا تمزحي يا صديقتي في هذه الامور » ثم سكتت الصديقتان . ولم يتجاوز حب ماري هذه الهنات الصغيرة لطهارة نفسها (١

وكانت مركبتهما قد وصلت الى باطن القرن الذهبي حيث كان قائمًا دير سان ماماس وحيث قائم اليوم جامع ايوب تحت الاشجار الضخمة الظليلة (٢ وكان هذا المكان في ذلك الزمان سوقًا لينزل فيه تجار الروس الذين كانوا يأتون من البحر الاسود على سفن مشحونة ببضائعهم ويبسطون هنالك هذه البضائع مثل العنبر البطليكي والعسل والشمع والجلود والفراء الثمين وما اشبه (٣ وكان رجال الجمرك يراقبونهم اشد مراقبة وحسان الاستانة يتقاطرن الى هذه السوق ليبتعن منها حوائجهن وينثرن الذهب نثرًا على تجارها . وكن يشاهدن فيها ايضًا ماعدا ذلك بعض الهنود الذين كانوا يأتون من الهند عن طريق البحر الاحمر بالقرود الضخمة والتماسيح الهائلة والافيال والدببة من ثيبة ويقصدن العرافات بالبخت اللواتي كن يجلسن على موازاة اسوار القسطنطينية استطلاعًا لحوادث حياتهن المستقبلة (٤

ولم تكن هاتان الابنتان قاسيتي الطبع او سيئتي الخلق ولكن فساد الاخلاق في ذلك العصر كان يجعلهما تريان الكبائر امورًا هينة . ولذلك كانتا تريان الرجلين اللذين يركضان امام مركبتهما يضربان الشحاذين الذين في طريقهما دون ان يردعانهما عن ذلك . وكانتا تريان شيخًا يجره الجنود وهو يستغيث ٥ وموظفًا متهمًا بكونه غير امين يوخذ الى الدير لسمل عينيه بحديد محمي وسجنه فيه دون ان يتحرك لها قلب شفقة وانفة من تلك الفظائع

---

١) شيء يخنق في النفس الكريمة الطاهرة قبل ولادته ٢) مكان جامع ايوب في الاستانة ٣) سوق الروس في الاستانة يومئذٍ ٤) اوهام النساء والاستانة ومسراتهن ٥) الظلم في الاستانه يومئذٍ

وذلك لانها كانت اموراً عادية

وما زالتا تتنزهان في المركبة حتى وصلتـا الى كنيسة سنت ماري اجل الكنائس في القسطنطينية في ذلك الزمان (١ فدخلتا اليها فابصرتا فيها شعباً كثيفاً يرحم بعضه بعضاً قياماً بفرض الصلاة . فتبدلت حينئذٍ هيئة ماري ورفيقتها وجثتا خاشعتين امام صورة العذراء تصليان . وبعد هنيهة سمعتا خطيباً يخطب فالتفتا فابصرتا راهباً يستعطي الناس لفك اسرى الروم بالاموال التي يجمعها وهو يمد يديه ليلتقط ما يلقى اليه (٢ وكانت ماري قد رأت في انطاكية عذاب الاسرى وعلمت فضيلة فديتهم فمدت يدها في الحال الى جيبها واخرجت منها نقوداً ثم دفعتها الى الراهب فباركها واثنى عليها

وكانت الشمس قد مالت الى الطفل وصديقات ماري ينتظرنها في منزل صديقتها حنه افالاسينه التي دعتها لزيارتها فسارت ماري ورفيقتها اليها . فلما وصلت الى المنزل استقبلها صديقاتها بندائهن « مباركة العذراء التي حرستك في سفرك في البلاد البعيدة » ثم احطن بها وقدمن لها (٣ الاشربة المبردة بالثلج الذي كان يؤتى به من جبال اولمبيا والموضوعة في اباريق مصنوعة من الطين والمزخرفة بزخرف كثير . وقدمن لها ايضاً شيئاً من العسل والاثمار وجبن الماعز في اللبن . ثم جلسن ودار الحديث بينهن . فاخذن يتحادثن عن الازياء الجديدة الواردة من البندقية « فينيسيا » ورومه وبلاد فرنسي البعيدة وغير ذلك من حوادث الحب وبناء الاديرة وانهدام الكنائس بسبب الزلازل . وكن قلما يتحادثن بشأن اولادهن لان هذا الامر كان عندهن من شؤون الخادمات . وكذلك الازواج فانهم كانوا يفارقونهن في الصباح ولا يجتمعن بهم الا في المساء لكثرة اشغال الرجال ولعدم وجود حياة عائلية صحيحة (٤ وبما ان اهل القسطنطينية كانوا مولعين باتخاذ زوجاتهم من النساء الاجنبيات فكنت تسمع في ذلك الحديث اللغة اليونانية بلهجات مختلفة من افسسية وازميرية وبلغارية وبندقية وقوقازية وارمنية وهلم جرا (٥

ثم غابت الشمس وراء بحر مرمرا فودعت ماري صديقاتها وركبت مركبتها وسارت الى العمود الذي كان يعيش فوقه ناسك عاري الجسم يعيش من احسان المارين ولما وصلت اليه وضعت في سلته شيئاً من النقود فعرفها الناسك وصار يدعو لها (٦

---

١) اجل الكنائس في الاستانة ٢) فك الاسرى ٣) الشراب والطعام ٤) حديث النساء ومنزلة الاولاد والازواج ٥) الزواج ٦) النساك

وكان قد امسى المساء فعادت الى قصرها . فوجدت زوجها ينتظرها وهو قلق فسألته عن قلقه فاخبرها ان الامبراطور اشتد به الخوف حتى عزم على السفر من العاصمة حرصاً على حياته (١ ولذلك امر حرسه السكنديناف بالاستعداد للسفر غداً . ولكن ما اتى الزوج على هذه الكلمات حتى علا الاصفرار وجه ماري لانها علمت ان هرالد ابن هرالد الذي تحمر وجناتها كلما رأته يجب ان يكون مسافراً في مقدمة الحرس لانه قائدهم الاول. فتنهدت تنهداً خفيفاً وقالت في نفسها صلاة للعذراء

وكان قد خيم الظلام على القسطنطينية . ظلام اسيوي جميل فوقه سماء صافية مرصعة بنجوم كانها مصابيح معلقة في الفضاء وتحته ارض مطيبة بعبير النسيم الاسيوي البليل . وكانت (٢ الشوارع مظلمة والخدمة يمرون من حين الى حين وهم يحملون المشاعل لايصال اسيادهم الى منازلهم وكانت ماري مدعوة الى القصر في هذا المساء كما قدمنا فقامت بعد العشاء ولبثت حلتها الرسمية ثم ركبت هودجها واصطحبت خداماً مسلحين لا يصالها وسارت الى القصر الامبراطوري

ولكنها ما بلغت منتصف الطريق حتى علت ضجة وارتفعت اصوات ثم اضطربت الشوارع وامتلأت بالناس. فخافت ماري . ثم اشتدت الضجة واهتزت المدينة من اقطارها الاربعة فسال احد خدمة ماري واحداً من الشعب ماذا جري فصاح به هذا الرجل « قد قُتل الامبراطور » فصعقت ماري واصدرت امراً بالعودة الى قصرها في الحال. ولما وصلت اليه وجدت رجلها ينتظرها بقلق واضطراب فدخلت الى غرفتها وانطرحت على مقعدها حزينة كئيبة لما اصاب امبراطورها . ولكن شيئاً واحداً (٣ سلاها في حزنها هذا وهو: « ان هرالد ابن هرالد لا يسافر بعد الآن »

---

١ عزم الامبراطور على السفر من عاصمته خوفاً ٢ ليالي الاستانة وفقد الامن فيها في ذلك الزمان ٣ لا يسافر

اسكندر الكبير

في سوريا وفلسطين

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظيم
الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق
وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

وبعد تغلب اسكندر الكبير على الفرس في معركة ايسوس الكبرى اراد ان يُذيق جنوده لذة النصر فارسل فريقاً منهم الى دمشق الشام ليأتوا بالاموال والنفائس التي كان داريوس قد وضعها فيها قبل زحفه اليه · وبعث اسكندر في جملة هؤلاء الجنود فرسان ثساليا مكافأة لهم على ما اظهروه من البسالة والشجاعة في ساحة القتال حتى قيل عنهم انهم سبب النصر · فاغتنى الجنود الذين ساروا الى دمشق لفرط ما نالوه من النفائس والاموال ودب الطمع في نفوس المكدونيين فاصبحوا يرغبون في طلب الفرس حيثما وجدوهم للتمتع باموالهم ونفائسهم · وبذلك كان اسكندر كانه زاد حمية جنوده ورغبتهم في القتال

غير انه راى وجوب الاستيثاق من الثغور البحرية قبل الايغال في داخلية البلاد · وكانت قوى هذه الثغور في قبضة الفرس وهي مؤلفة من اساطيل المدن الفينيقية صور وصيدا وجبيل وارواد وقبرص فخضعت له هذه البلاد لما راته من باسه وبطشه ولانها كانت تطلب التخلص من نير الفرس ولكن صيدا ابت الخضوع وطلبت ان تكون على الحيادة بين الفريقين المتحاربين · فكبر ذلك على اسكندر لاسيما وان بلاد اليونان اخذت تتحرك وصارت سبارطه تستعد للقتال فقصد اسكندر صيدا لاخضاعها · الا ان اخضاع صيدا كان يقتضي اسطولاً بحرياً لحصرها من البحر فامده ملوك قبرص باسطول مؤلف من ٢٥٠ مركباً حربياً · ولو لم تمده قبرص بهذه السفن واتحدت عمارات فينيقيا كلها لما كان لاسكندر سبيل اليها ولكن المدن الفينيقية وامارات قبرص كانت يومئذ في تحاسد وشقاق عظيم ولذلك تمكن منها الفاتح باستعمال بعضها في محاربة البعض الآخر · وهذا شان الشقاق في كل زمان ومكان فهو يفرق القوى ويحكم الغريب الاجنبي في رقاب ابناء البلاد

ولما حصل اسكندر على تلك السفن حصر بها مرفأ صيدا واقام في البحر استحكامات كبيرة ثم اخذ يقاتل الصيداويين البواسل قتالاً متتابعاً · فثبتوا امامه ثباتاً عظيماً حتى

كاد يعيل صبره · وقد ورد في التقاليد اليونانية ان اسكندر راى في نومه وهو مقيم على هذا الحصار ان هرقل وقف على اسوار صيدا واشار اليه بيديه ان يذهب اليه · ففسر ذلك مفسرو الاحلام بقرب استيلاء الاسكندر على المدينة · وروى الصيداويون ان بعضهم سمع تمثال ابولون اله الشمس الذي كان في المدينة يصيح بهم انه عازم على الفرار من مدينتهم الى الاسكندر وذلك لما صنعوه فيها من الشرور · فكبر هذا الامر على الصيداويين فجاءوا بسلسلة وقيدوا بها التمثال المذكور لئلا يفرّ من عندهم ثم سمروا التمثال بقاعدته ولقبوه « اسكندري » اشارة الى انه من حزب اسكندر

ولما ضجر اسكندر من حصر صيداء اراد الذهاب الى جبل الكرمل لمقاتلة العرب الذين كانوا نازلين فيه فسار مع قسم من جيشه وابقى القسم الثاني في الحصار · وقد صحب في هذه الحملة مؤدبه ليزيماكوس صاحب الجسم الضخم والحركات الثقيلة · فلما وصل اسكندر الى ذلك الجبل اراد ان يصعده راجلاً لا راكباً فقدم جنده امامه وتاخر مع مؤدبه المذكور وشرذمة منهم · ولكن ما لبث ان امسى المساء وادرك بعض العرب اسكندر وشرذمته · فجعل اسكندر يحث مؤدبه على السير السريع للنجاة من العرب ومؤدبه يلهث من الشعب لانه لا يستطيع السير لضخم جثته فاوشك يومئذٍ اسكندر ان يقع في شر عظيم · ولما مد الليل اطنابه واضرم العرب النيران راى الاسكندر انه لا ينجيه شيء غير الشجاعة فتناول حسامه وهجم على اقرب النيران اليه فطعن اثنين من العرب فجندلهما ثم تناول من امامها عوداً من الحطب مضطرماً وعاد الى رجاله فاوقد معهم نيراناً عظيمة ولبثوا ليلهم يحرسون فلما راى العرب تلك النيران العظيمة ظنوا ان عدوهم كثير العدد والعدد فارتد اكثرهم تاركين اسكندر وشانه واقدم بعض منهم على جنوده ففرقهم المكدونيون ثم ساروا في اليوم الثاني ولحقوا بسواد الجيش · هكذا ورد في رواية المؤرخ شاريس

ثم عاد اسكندر الى صور وكانت جنوده ترسل الى حاميتها شراذم من الجند لمناوشتها في كل يوم رغبة في ان تتعبها ولا تُترك لها سبيلاً للراحة · ففي ذات يوم وقد طال الحصار لانه قد تجاوز ستة شهور قال العراف اريستاندر لاسكندر وجنوده انني اتنبأ لك بانك ستفتح المدينة في هذا الشهر · فقهقه جميع الحاضرين لانهم كانوا يومئذٍ في اليوم الاخير من الشهر · فراى اسكندر ان يغتنم هذه الفرصة شانه في اغتنام كل فرصة وقال للحاضرين لا تضحكوا فان عرافنا صادق الا انني اطلب اليكم ان لا تحسبوا هذا اليوم اليوم الاخير من الشهر بل احسبوه الثامن والعشرين · ثم نفخ في الابواق وجمع جنده وهجم بهم على المدينة

هجمة شديدة لم يهجم مثلها قبل ذلك اليوم حتى انه كان كأنه جمع قوة جميع جيشه في تلك الهجمة فاستطاع ابلاغ استحكاماته الى الاسوار فاخذت الآلات تعمل فيها فتحت فيها ثغرة فصدّ الصيداويون اعداءهم عن الدخول الى المدينة في المرة الاولى ولكن ما لبثت قلوبهم ان ضعفت فدخلها المكدونيون عنوة واقتداراً وصدقت نبوءة العراف . وقد قتل من الصيداويين في تلك المعركة ٨ الاف رجل وباع اسكندر منهم ثلاثين الفاً وبذلك قتل هذا الفاتح صيداء الجميلة عروسة البحار يومئذ وهدم تمدنها

وكانت العمارة الفارسية في خلال هذا الحصار قد تفرقت وعادت السفن الى مدنها الا فريقاً منها هاجمه انتيباتر احد قواد الاسكندر وقهره فعفا اثر العمارة الفارسية

وبعد صيدا قامت غزة فرفض حاكمها الخصي باتيس الخضوع للاسكندر فقصده اسكندر على عجل واقام ابراجاً شامخة تحت الاسوار لتوازيها في الارتفاع ثم اقام على حصرها . فطال الحصر وكان شديداً كما كان في صيدا . وفي احد الايام مرّ عصفور فوق راس اسكندر فوقع منه على كتفه قليل من طين الارض ثم ذهب العصفور فوقع بين الحبال المنصوبة للآلات والاستحكامات . فاستدعوا المفسر اريستاندر ففسر ذلك بان اسكندر سيصاب بجرح في كتفه ثم ياخذ المدينة . وبعد ايام والمكدونيون يحصرون اهل غزة خرج المحصورون اليهم وردوهم عن المدينة في معركة دموية جُرح فيها اسكندر في كتفه فاستشاط غيظاً لانه خاف ان ترى باقي امم الشرق هذا الثبات الشديد الذي ثبتته صيدا وغزه امامه فتقوى قلوبها على مقاومته وبذلك يمتنع عليه ما اراده من فتح الشرق فهاجم غزة بعد ذلك هجمات متتالية وفتحها ثم دخلها بجنده مستشيطاً غيظاً للسبب الذي مرّ بنا فامعن في اهلها قتلاً حتى في شوارع المدينة ثم قبض على حاكمها وربطه بفرسه وسار يجره عدواً حول المدينة . وكأن ما رآه اسكندر كان حقيقة فان اليهود كانوا مترددين قبل فتح صيدا وغزة بين ان يكونوا مع الفرس او مع اسكندر ولكنهم ما لبثوا بعد فتح غزة ان خضعوا له . وهم يقولون انه سار الى اورشليم باحتفال عظيم فخرج رئيس احبارهم وبشره بانه يقهر كل خصم له لانه راى آية النصر مكتوبة على جبهته . ويقولون ايضاً انه دخل الى هيكلهم وذبح ذبيحة فيه

وبعد الاستيلاء على غزه بعث اسكندر الى امه اولمبيا وكليوباتره وبعض اصدقائه كثيراً من التحف والنفائس التي وجدها في هذه المدينة وفي جملتها نحو ٦٠ ليبرة من البخور بعث بها الى مؤدبه القديم ليونيداس . ولذلك قصة لا تخلو من فكاهة . فان

مؤدبه هذا رآه يوماً في صغره يقبض البخور ملء راحته ويحرقه في النار فقال له « يا اسكندر ليس لك ان تبذرهذا البخور الثمين بهذا القدر الا متى فتحتَ البلاد التي يرد منها » فذكر اسكندر قول مؤدبه حين فتحه غزة و بعث اليه بالبخور كما مرّ بنا مع كتاب قال له فيه « انني مرسل اليك الآن كمية كثيرة من البخور لكي لا تكون شديد التقتير على الآلهة » ذلك لان البخور يحرق لها

ويُروى عنه في حصار غزة حكاية ثانية · وهي انهم جاءوه بصندوق ذهبي اغلى ثمناً من جميع النفائس التي وجدوها الى ذلك اليوم فاخذه بين يديه وقال لاصحابه والمحيطين به « فليقل كل واحد منكم كلمة في اي شيء احق بان يوضع في هذه الصندوقة · فقال كل واحد كلمة حتى اتت نوبة الاسكندر فقال « اما انا فانني اضع فيها الايلياذه » والايلياذه كما مرّ بنا قصيدة الشاعر هوميروس البليغة التي يصف بها حروب تروادة : قال فلوطرخوس فاذا صحت هذه الرواية التي رواها ثقاة المؤرخين ومنهم هيرا كليدس كان هوميروس قد افاد اسكندر ودربه في حروبه هذه لانه لا بد انه كان يطالع هذه القصيدة

ثم برح اسكندر غزة بعد ان انزل فيها نزالة يونانية تستعمرها وسار الى مصر وسيرد الكلام عن ذلك

المرحوم جواد باشا

الصدر الاعظم سابقاً

توفي في اواخر الشهر الماضي المشير جواد باشا من كبار رجال الدولة فابنته الجرائد العثمانية وغير العثمانية تأبيناً حسناً · وقد عثرنا في جريدة ثمرات الفنون الغراء على خلاصة ترجمته ماخوذة عما كتبه الفقيد نفسه في حياته فرأينا الاستغناء بها عن طلب ترجمته من المصادر التركية او الاوربية

« هو احمد جواد بن مصطفى عاصم بك احد اعضاء الشورى العسكري المعروف بقبا اغاجلي زاده من بلدة قره حصار صاحب · وُلد في دمشق سنة ١٢٦٥ ثم نقله ابوه الى بروسه وتعلم في مكاتبها الرشدية والاعدادية ثم دخل المكتب الحربي في دار السعادة واحرز شهادته · وهو يعرف التركية والفرنسوية وله المام بالعربية والف كتابين احدهما « المعلومات الكافية في الممالك العثمانية » والثاني « التاريخ العسكري العثماني » ثم اصدر مجلة باسم يادكار



﴿ المرحوم جواد باشا ﴾

« اي التذكار» واخرج منها ٢٤ عددًا واشتغل ايضاً بترجمة بعض الكتب الرياضية وتطبيق الصناعة على فن الكيمياء الى غير ذلك من الرسائل. وكان قبل وفاته ابتدأ بتاليف تاريخ جليل لمعركة « سادوى »

وقد نشأ المترجم في ٢٥ شعبان من سنة ١٢٨٦ من المكتب الحربي برتبة ملازم في الاركان وكان عمره يومئذ ١٩ سنة فرقي بعد سنة الى رتبة يوزباشي وادخل في سلك حجاب الحضرة السلطانية براتب خمسمائة قرش وبعد سنة اخرى رقي الى رتبة القول اغاسي ثم قدم للسدة الملوكية كتابه « المعلومات الكافية » المتقدم ذكره فوجهت اليه رتبة البيكباشي عام ١٢٨٩ وفيها عُين معلماً للرياضيات في المدرسة الهندسية الملكية وبقي فيها نحو سنة ثم عين مامورًا في الفيلق الخامس فانشأ في جبل الدروز ثكنة عسكرية فكوفئ بضم ٢٥٠٠ غرش على راتبه ثم لما نشبت حرب الصرب نقل المترجم من دمشق الى جيش الطونه وعهد اليه برئاسة اركان الحرب في فرقة الفريق عزيز باشا وقد ابرز في واقعة ازروجه في « شمني» من مآثر الشجاعة والبسالة ما استلزم ترقيته الى رتبة القائمقام وعين رئيساً لاركان حرب في فرقة نجيب باشا . ثم ما لبث ان رقي الى رتبة امير الاي اثر وقعة « قروسار » واحسن اليه بالنشان المجيدي الرابع. ومازال الجواد يتقلب في رئاسة الاركان الحربية في تلك الحرب الى ان ابرم الصلح فعين مندوباً ثانياً لتحديد الحدود الصربية براتب ٣٥٠٠ قرش عدا راتبه الاصلي ثم عين مندوبًا اول فاتم مهمة التحديد خلال سنتين فمنحه ملك الصرب وسام « طاقوى» الثالث . ثم ذهب صحبة الغازي مختار باشا لتحديد التخوم اليونانية ثم

الروسية من جهة الاناضول الى بايزيد فانعمت عليه الحضرة السلطانية عامئذٍ بالنشان العثماني الثالث ومنحه القيصر وسام « سانت آن » الثالث

وفي تلك السنة عين عضوًا فخريًا في لجنة النافعة التي عقدت عامئذٍ برئاسة السرعسكر نامق باشا ثم عين عضوًا في لجنة تحكيم الحدود التي عقدت في يلديز ثم عضوًا في لجنة تنسيقات الحدود وفي سنة ١٣٠١ عين لسفارة سمته في الجبل الاسود براتب الف قرش علاوة على راتبه العسكري واحسن اليه بالعثماني الثاني . وفيها وجهت عليه رتبة امير اللواء ومنحه امير الجبل الاسود مدالية الشجاعة الذهبية . ثم اصيب بمرض في معدته فاذنته الحضرة السلطانية بالحضور الى الاستانة ليستخدم فيها . وفي اواخر سنة ٣١٥ عين عضوًا في لجنة التفتيش العسكري بزيادة ٢٥٠٠ غرش على مرتباته العسكرية . وفي اواخر سنة ٣٠٦ وجهت عليه رتبة الفريقية ونقل الى رئاسة الاركان الحربية في كريد واحسن اليه بالمجيدي الاول ثم عين وكيلاً لواليها يومئذ شاكر باشا ولم تمضِ برهة حتى صدرت الارادة السنية بتعيينه اصيلاً واحسن اليه بمدالية كريد الذهبية وفي ٢٥ ج ١ من سنة ٣٠٨ وجهت اليه رتبة المشيرية وابلغ راتبه الى ٣٢٥٠٠ وبقي في ولاية كريد الى ٢٩ محرم من سنة ١٣٠٩ حيث صدرت الارادة السنية باسناد مسند الصدارة العظمى اليه براتب ٧٥ الف غرش وقد توالت عليه خلالها النعم السلطانية فاحسن اليه بالنشان العثماني المرصع ثم بلقب الياور الاكرم ثم اضيف الى راتبه ٥٠٠٠ قرش ابقاء لمرتبات رتبة المشيرية ثم احسن اليه بالنشان المجيدي المرصع ومدالية اللياقة الذهبية ونشان الافتخار المرصع ومدالية الصنائع النفيسة ونشان الامتياز المرصع . وكذلك منحته اكثر الدول الاوربية وساماته الكبرى واهداه كثير من الجمعيات العلمية وساماتها الافتخارية . وبقي في مسند الصدارة الى اواخر سنة ١٣١٢ ففصل عنها وعين له راتب معزولية ٣٠ الف قرش . وفي سنة ٣١٣ عين وكيلاً لوالي كريد وقومندانًا فوق العادة ثم صدر الامر السلطاني بتعيينه مامورًا لاستقبال حضرة الامبراطور غيليوم اثناء زيارته لسوريا وفلسطين فغادر الجزيرة وجاء بيروت . وفي ٨ تشرين الثاني سنة ٣١٤ فوضت اليه مشيرية الفيلق السلطاني الخامس بدمشق وبقي فيها الى ان اشتد عليه المرض فشخص الى الاستانة واقيل منها ولم تمض برهة يسيرة حتى اتاه اليقين رحمه الله رحمة واسعة

وقد كان رحمه الله عدا معارفه العسكرية متادبًا متفننًا ذا همة عالية وخلال حسنة وقد تعطفت الحضرة السلطانية وانفذت نجلها الكريم برهان الدين افندي الى دار الفقيد لتعزية عائلته الكريمة مما دل على رفيع منزلته لديها »

باب تدبير الصحة

اسهال الاطفال ومعالجته

لحضرة الدكتور البارع عارف افندي نحاس

اسباب الاسهال · تعيين اوقات الرضاعة · البكاء غير دليل على الجوع دائمًا · الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية · الخطر العظيم من عدم مراقبة اللبن والرضاعة · مسئولية الام عن طفلها لدى الهيئة الاجتماعية

لا يخفى ان الطفل الصغير معرض لامراض وآفات كثيرة لما هو عليه من ضعف البنية ولطف المزاج · فهو كالغصن الرطيب يؤثر فيه اقل حادث وطارىء وقد يؤدي به الى الموت العاجل · ولا عجب فقد تبين من الاحصاآت العديدة ان الموت اشد فتكاً في دور الطفولية منه في باقي ادوار الحياة · فحرام على الامهات اهمال اطفالهن في ذلك الدور وحرام عليهن الجهل بمعرفة الطرق الواقية قبل وقوع الداء لئلا يتعذر الدواء · لان ذلك الطفل الذي عانت امه عناء حمله ٩ اشهر في بطنها والذي يرضع الآن من ثديها لبان الحياة انما هو ابن للهيئة الاجتماعية فيجب عليها تقديمه الى العالم رجلاً قوياً صحيح الجسم والعقل ليستطيع ان يقوم بواجباته فيها

واكثر الامراض فتكاً بالاطفال خصوصاً في فصل الصيف هو الاسهال مصحوباً بمغص والم شديدين مع اختباط قوي في المعدة · فانك بينما ترى الام او المرضع بتمام الصحة والنشاط والطفل يترقرق على محياه ماء القوة والعافية واذا به قد تغيرت حالته فجأة وبدت فيه عوامل الضعف والانحطاط واخذ يذبل رويداً رويداً كما تذبل الزهرة عشية قطفها · وهكذا يتدرج الى حالة تقارب الموت

فماذا جرى ؟ وما اصابه ؟ جرى ان اللبن « الحليب » اصبح غير صالح لغذائه واصاب الطفل من جراء ذلك اسهال قد يؤدي به الى الموت المفجع

وهذا المرض قد يحدث اما عن عدم انتظام اوقات ارضاعه فيحدث سوء هضم واما لوجود كمية كبيرة من المواد الدهنية في اللبن او من الرضاعة وقت الحيض او من تغذية

الام غذاءً فاسداً غير مرتب او شربها المشروبات الروحية كالشاي والقهوة وما اشبهها او تناول الادوية كالعقاقير المهيجة

ولاجل مداواة المرض الذي ينشأ عن عدم انتظام اوقات الرضاعة يجب توقيت ساعات الرضاعة لا ان ترضع الام طفلها كلما خطر ذلك في بالها . وقد وضع استاذي الدكتور روفيه ترتيباً لذلك هذا بيانه

في الشهر الاول ترضع الام طفلها في كل ساعتين مرة واحدة بالنهار

في الشهر الاول ترضع الام طفلها في كل ٣ ساعات مرة واحدة بالليل

وتبقى على ذلك حتى يبلغ الطفل اربعة اشهر فتنقص الساعات رويداً رويداً حتى تصبح الرضاعة بعد الشهر السادس مرة كل ٣ ساعات في النهار ومرة كل ٦ ساعات في الليل

ومما هو جدير بانتباه الامهات اليه انتباهاً شديداً لانه في اقصى درجات الاهمية ان الام قد ترى طفلها يبكي ويصرخ فتظن انه جائع فتعطيه في الحال ثديها ليرضع وهذا خطأ فاضح يجب العدول عنه لان البكاء ليس دليلاً على الجوع دائماً بل قد يحدث ان الحر او البرد يسبب للطفل قلقاً وضجراً او قد يكون ذلك من شدة الظماء لان اللبن يسبب العطش. وفي هذه الحالة يجب ان يُعطي الطفل شيئاً قليلاً من ماء مغذٍ كماء فيشي او ماء فاس لترطيب المعدة وارواء الظماء

اما اذا كان لبن الام كثير المواد الدهنية فامامنا احد امرين الاول استدعاء مرضع صحيحة الجسم سليمة اللبن لارضاعه مخافة ان يؤذيه لبن امه الدهني. والثاني الرضاعة الصناعية . وهذه الرضاعة تكون بواسطة الزجاجة المعروفة « بالمصاصة » وافضلها مصاصة الدكتور « بودن » فهي من احسن ما استنبطه الطب حديثاً لرضاعة الاطفال عند الحاجة الى ذلك سواء لقلة حليب الام او عدم صحته او لغير ذلك من الموانع. وقد اشتد الجدال بين الاطباء بشان الرضاعة الصناعية فمنهم من قال بفائدتها ومنهم من قال بضررها . ولكنه ثبت بعد البحث الدقيق ان الرضاعة الصناعية امر مفيد اذا روعيت فيها جميع الشروط الهيجيينية من حفظ النسبة بين الماء واللبن ومراقبة اللبن اشد مراقبة ليكون صحيحاً نقياً وتنظيف آلة الرضاعة وثديها من كل آثار العفن والفساد والاختمار

على اني مهما رفعت صوتي هنا واكثرت من التنبيه والتحذير في هذا الموضوع فانني اكون كمن يقول شيئاً ويترك اشياء فعلى الامهات قبل كل شيء اصلاح اللبن لانه مهما اجتهد الطبيب الماهر في اعطاء الدواء الناجع فهو لا يقطع الداء ما دام السبب موجوداً . فان

فساد اللبن انما هو السم في الدسم وكم من الاطفال يذهبون فريسة الاهمال والجهل بهذه الشؤون . ومن الاقوال المأثورة عن استاذي روفيه قوله لنا : عليكم باصلاح اللبن قبل اعطاء الدواء » وهذا المبدأ الصحيح قدجريت عليه في معالجتي كثيرين من الاطفال في هذا الفصل الذي تكثر فيه هذه العلل

ومن اسباب فساد اللبن في الرضاعة الصناعية اختمار فضلة اللبن على حلمة المصاصة او فم الطفل وذلك يحدث الاسهال والاسهال يُحدث حمى في المعى او دوسنطاريا . فيجب غسل المصاصة وفم الطفل بماء البوريك الحار بعد كل رضاعة لئلا يختمر اللبن وتنشأ الميكروبات فيه فيرضعه مع الرضاعة الثانية

وقد يكون اللبن غير صالح بسبب مزجه بمواد غير صالحة لهضمها ولصحة الطفل فعلى الامهات الاعتناء الزائد باللبن الذي يحلبونه من المواشي للرضاعة الصناعية مخافة ان تكون البقرة غير صحيحة الجسم او ان يكون بائع اللبن او الذي يحلبه مصاباً بداء معدٍ فينتقل معه الميكروب الى الطفل ولا يخفى انه يجب اغلاء الحليب اغلاء جيداً لقتل كل الجراثيم المضرة التي تكون فيه

غير انه كثيرًا ما يكون اللبن مستوفياً لشروط الصلاحية المذكورة آنفاً ومع ذلك يكون فاسداً كأن يكون قد مُزج بماء غير نقي ولا مصفى تصفية كافية بمرشح باستور مثلاً لانه ولا يخفى يجب تخفيف اللبن في الرضاعة الصناعية بماء قليل فاذا لم يكن هناك ماء نقي كالزلال وجب استبداله بماء معدني

كل هذه الامور اذا اعتنيت بها ايتها السيدة نجا طفلك من اخطار لا عداد لها وكان في اكثر اوقاته صحيحاً معافى مسرورًا كثير الضحك قليل البكاء وذلك مما ينشر الفرح والسرور في العائلة اما اذا اهملت هذه الامور فان الفرح يتبدل ترحاً وويل حينئذ للعائلة خصوصاً ربتها لا سيما اذا انتهى الامر بالحادث العظيم وهو لبس الحداد على ذلك الطفل المسكين الذي يقتله اهمال امه وكان يحتمل ان يكون لو افسح الله في اجله رجلا من رجال الهيئة الاجتماعية العاملين النافعين

السل في المؤتمر الطبي الدولي

في هذا العام

يستحيل ان تفتح اليوم كتاباً طبياً ومجلة طبية الا وتجد فيهما اهتماماً شديداً بمسالة السل ومعالجته . ذلك ان هذا الداء الوبيل انتشر في العالم انتشاراً هائلاً يُخشى معه ان يكون آفة الانسانية في المستقبل . ولذلك قال عنه المسيو لاندوزي والمسيو موسني في المؤتمر الطبي العظيم الذي عُقد اخيراً في معرض باريز واجتمع اليه اكابر الاطباء من جميع اقطار العالم « انه خطر اجتماعي يشتد يوماً عن يوم فيجب علينا مراقبته وذكر تقدمه ونتائجه والبحث في ايقاف سيره »

وقد كتب الدكتور شوكه فصلا مسهباً يصف فيه ما جرى بشان هذا الداء في المؤتمر المذكور فنقتصر هنا على ما قاله بشان الطرق التي اقترحها هؤلاء الاطباء لمعالجته في الجلسة التي خُصصت له فانها اهم الطرق التي اكتشفت الى الان . قال الدكتور شوكه ما خلاصته

ثبت من اعمال المؤتمر ان انتقال السل بالعدوى امر مهم جداً وان الوراثة شيء حقيقي ولكنها ليست بالاهمية التي يعزونها اليها . واول ما تنتقل جراثيم السل الى الطفل من مرضعته او امه او الذين يقبلونه فانهم يعطونه بقبلاتهم جراثيم الامراض وهم لا يشعرون ومتى شب الولد قليلاً تغير هذا الخطر فاصبح يخشى عليه من انتقال جراثيم المرض بواسطة الاشياء التي يضعها في فمه واصابعه التي يضعها فيه ايضاً لان الاولاد كما لا يخفى شديدو الولع بوضع كل شيء في افواههم فيجب حملهم على ترك هذه العادة القبيحة . ثم متى كبر الولد تغير الخطر فصار ياتيه عن طريق المعاشرة والاختلاط فضلاً عن الطعام . ومن اهم المسائل مسالة العدوى في المدرسة فانه يجب على المدارس ان لا تعين في جملة تلامذتها ومعلميها تلميذاً او معلماً مصاباً بهذا الداء فان ذلك ينشره فيها اقبح نشر . واما المنزل فان كان فيه مسلول وجب اخراجه ووضعه في مكان منفرد اذا كانت العائلة ذات يسار يمكنها من ذلك والا وجب اتخاذ التدابير الصحية الشديدة لمنع العدوى واتقاء المرض

اما طرق المعالجة فقد ذكر منها المسيو دسبين في المؤتمر طريقة لمعالجته بهواء البحر . وقال الدكتور شارل لارو انه وجد هذا العلاج نافعاً على شرط ان تطول مدة اقامة

المريض على شاطىء البحر عدة سنوات · وقد ايد المسيو دسبين رايه باحصاء للمسلولين الذين دخلوا مستشفى جان دوانفيس في كان من اعمال فرنسا وذلك بين سنة ١٨٨٩ و١٨٩٩ فقد بلغ مجموع المسلولين الداخلين الية ٢٨٣ مريضاً فشفي منهم ١٦٢ مريضاً وتحسنت حال ١٤٠ مرضى

ثم قُدم الى المؤتمر مذكرتان · الاولى من الدكتور كينار وفيها يقول انه حقن بعض الخنازير بميكروب السل وكان يضع لها سكرًا في طعامها من ١٠ الى ١٢ غرامات في اليوم فكانت مقاومتها للحقن تتناقص

والمذكرة الثانية من الدكتورين ريشه وهريكورت وفيها يُظهران فائدة مداواة السل باللحم النيء او بالمرق المتجمعة فيه مواد اللحم تجمعاً كثيفاً · فايد رأيهما الدكتور لاندوزي وقال انه وصف لمرضاه كل يوم ١٥٠ غراماً من اللحم فكان ذلك مفيداً لهم ولكن اشد الفائدة في لحم البقر · اما مرق العضلات الكثيف الذي انتشر اخيرًا استعماله دواء للسل فان مستعمليه كانوا لا يلبثون ان يفقدوا القابلية او ان يصابوا باضطراب في المعدة او المعى فيضطروا الى تركه والعودة الى اللحم النيء

ثم قدم كثيرون من الاطباء طرقاً جديدة لمعالجة السل وايدوها باحصاءات واختبارات اجروها منها المداواة بالكهربائية والمداواة بالراحة التامة ونقاوة الهواء وجودة التغذية وغير ذلك · واما المصل الشافي من السل فلم ينجح نجاحاً اكيدًا بعدُ غير ان الدكتور باراده اظهر فوائد مصل برتين و بيك بعد ما ادخل اليه من التغيير وقال انه شفي به مرضى ما كان يُرجى شفاؤهم

ثم اعلن المسيو ماليبران وابانزيلر انه سينشأ قريباً في كوربيو قرب مانتون مستشفى صحي للمسلولين وذلك على علو ٢٤٠ مترًا من سطح البحر · وابرز المسيو لاندوزي وموسني ارقاماً تحصي سير السل في اوربا من سنة ١٨٨٧ الى ١٨٩٧ فظهر منها ان السل اخذ يتناقص في انكلترا وبلجيكا وهولانده وبروسيا وبقي على حاله في النمسا وفرنسا واخذ في الانتشار في ايطاليا والدانمرك وبافاريا وساكس ونروج

ثم اقترح الدكتور مالفوز والدكتور كالمت ان يُقام في الاحياء العامية الكثيرة الازدحام ملاجىء صحية لمراقبة هذا الداء ومنع سريانه وعزل مرضاه فيها مع اعانة اهلهم · وقرر المؤتمر في جلسة ١٤ اغسطس باصوات قدرها ٨٠ صوتاً ضد ٧ اصوات وجوب اعلان الطبيب مرض المريض متى كان سلاً وكثيرون يزيدون على ذلك فيقولون ايضاً بوجوب

اهتمام الحكومات نفسها بعزل المرضى والعناية بهم على نفقتها متى ثبت مرضهم بشهادة الطبيب وذلك وقاية للصحة العمومية

وسيعقد موتمر الهيجيين والطب اجتماعه القادم في مدينة بروكسل في سنة ١٩٠٢

﴿ مداواة الامراض بالالوان ﴾

حدث يوماً حادث جدير بالالتفات في معمل المسيو لوميير المصور الشهير في مدينة ليون فان عملة معمله كانوا يعملون في غرفة زجاج نوافذها احمر اللون فكانوا طول وقتهم فرحين ينشدون و يصرخون و يسيئون معاملة النساء اللواتي بينهم · ثم نُقلوا من هذه الغرفة الى غرفة ثانية زجاجها اخضر اللون فانكسرت حدتهم ولبثوا صامتين هادئين

فلما درى بذلك الدكتور دونزه قال في نفسه ان للون تاثيرًا في ذلك التغيير · فاخذ يجرب احداث هذا التاثير في المرضى ثم نشر خلاصة تجاربه فقال

اخذت مريضاً حزيناً كئيب النفس يكره السرور و يرفض الطعام ووضعته في غرفة مفروشة ببسط حمر والنور يدخل من نوافذها في خلال الزجاج الاحمر فما لبث فيها ثلاث ساعات الا وقد اصبح مسرورًا وطلب الطعام من تلقاء نفسه

وجئت مريضاً آخر كثير الضيق والخوف يُخشى ان يتسمم من استنشاق الهواء وتناول الطعام ويقضي وقته جالساً في زاوية كئيباً فاخذته ووضعته في تلك الغرفة فنهض في اليوم الثاني مسرورًا وطلب طعاماً ثم شُفي من دائه بعد بضعة ايام

ثم اخذتُ مريضاً ثائرًا لا يسكن الا بالقوة ووضعته في غرفة زجاج نوافذها خضر فسكن واصبح هادئًا في اقل من ساعة · وكذلك اقام مريض في غرفة زجاجها بنفسجي اللون فما بات فيها ليلة حتى شفي وخرج من المستشفى

وقد قالت الجرائد الطبية ان تجارب الدكتور مونزه لا تخلو من الاهمية ثم اشارت الى ان تاثير الالوان على المجموع العصبي وعلى الامراض نفسها امر قال به منذ اكثر من عشرين سنة بعض الاطباء الايطاليين

كلمات زراعية

شذرات وفوائد زراعية لا يخلو الوقوف عليها من لذة وفائدة

موءتمر الزراعة الدولي العام

انعقد في باريز في هذا العام موءتمر الزراعة الدولي العام برئاسة المسيو فيجه فجرى فيه بحث في ما ينتظر من زيادة تقدم مزروعات الازهار في الحدائق والصناديق المخصوصة بها لان الحدائق المذكورة اصبحت زينة المنازل من جهة ومجالاً للدرس النباتي المفيد من جهة اخرى . ثم تباحث علماء النبات والفلاحة المجتمعون فيه في تاريخ ازهار المنازل من بدء وجودها الى اليوم وقدم المسيو كانتين مذكرة اظهر فيها تاثير الكهربائيــة في نمو الزهر المزروع في الصناديق الشتوية فقال ان الزجاج الذي يحيط بهذا الزهر يفرز كهربائية توءثر في زيادة نموه

ثم جرى الحديث في موضوع السماد وهو الموضوع الذي لا يخلو منه كتاب زراعي ولا موءتمر زراعي واذا خلا خرج عن دائرة وظيفته . ذلك لان السماد اصبح اهم المسائل الزراعية كلها لان اقبال الزراعة او محلها انما هو متوقف عليه . فقال المسيو تروفان بفائدة السماد الصناعي اي الكيماوي وخص منه كربونات البوتاسه وذلك رغبة في اجتناب الاختمار الشديد الذي ينشأ عن كثرة السماد الطبيعي مما يضر بنمو النبات . فعارض ذلك المسيو جيرار استاذ الزراعة في مدرسة ليون وقال ان السماد الصناعي يجعل التربة يابسة جافة فيضر ذلك بالنبات فيجب والحالة هذه ان يضاف الى الارض من حين الى حين تربة جديدة وسماد طبيعي لحفظ النسبة المعتدلة فيها

وقد عرض المسيو ريموكور في هذه الجلسة سماداً للنباتات ذات الاوراق التي تُزرع في الصناديق مركبًا من المواد الاتية — كيلوغرام واحد من نيترات الصوده ومثله من سلفات الامونياك وكيلوغرامان من سيبرفوسات الكلس ونصف كيلوغرام من كلورير البوتاسيوم وكيلوغرامان من سلفات الكلس ونصف كيلوغرام من سلفات الحديد . وذلك ان تُسقى تلك النباتات الورقية مرة في الاسبوع بماء فيه من المركب المذكور ٣ غرامات في كل لتر . وعرض سماداً آخر للازهار المزروعة في الصناديق وهذا تركيبه — ٢٥٠

غراماً من فوصفات الامونياك و٤٨٠ غراماً من نيترات البوتاسه و٣٠٠ غراماً من نيترات الامونياك ٠ او المركب الآتي وهو — ٨٠٠ غراماً من سيبرفوسات الكلس و٤٣٠ غراماً من نيترات البوتاسه و٥٦٠ غراماً من سلفات الامونياك ٠ وذلك ان يمزج غرام او غرامان من هذا المركب بستمائة غرام من التراب ويضاف الى تربة الازهار المذكورة مرة في كل شهر

فتتضح مما تقدم اهمية زراعة الازهار والنباتات في البلاد المتمدنة فانها في الحقيقة هناك تجارة عظيمة رائجة فعسى ان يزداد الناس اهتماماً بها في مصر والشام٠ ولكن صدق ديماس اذ قال في رواية نهضة الاسد ان الازهار نجوم لا تطلع كثيراً الا في سماء السعه واليسار والخيرات

خصب الارض واستعدادها للزرع

ثبت للمسيو سافيلد احد اساتذة الزراعة من تجاربه العديدة ان الحبوب والبقول لا تجود في ارض واحدة فربما جاد القمح في ارض لا يجود بها الفول مثلاً لان كل نوع من الحبوب والبقول يقتضي تربة مخصوصه يكون فيها ميكروب مخصوص يساعده على النمو٠ وقد استنتج بعد تجاربه العديدة هذه الامور الثلاثة — اولاً في الارض الخفيفة الرملية ازرع الترمس ثم لا تقطفه بل اطمره كله بالتراب وابقيه سماداً فذلك اربح لك من جنيه و بيعه لانه يخصب الارض للزراعة المقبلة ثانياً في الاراضي الجيرية ازرع باقية (كرسنة) ٠ ثالثاً في الاراضي القوية ازرع الحمص والفول والبرسيم

دودة الارض وفوائدها

يظن كثيرون من الزراع ان الدودة التي يجدونها في التراب حين نبشه ونسميها عادة دودة الارض والتي تسمى باللغة العلمية « لومبريكوس ترستري » أو لومبريك هي مضرة بالزرع بناء على انها تا كل من اصول النبات المزروع ٠ ولكن قد ثبت ان هذه الدودة تنفع ولا تضر٠ فان دروين قد اثبت ان هذه الدودة تضيف الى كل متر مكعب من الارض ٦٤٧ غراماً من السماد وذلك من المفرزات التي تفرزها فضلاً عن جسمها نفسه بعد انحلاله ٠ وهي لا تسعى لا في اشد ايام الحر ولا في اشد ايام الشتاء فاذا افترضنا انها تسعى في الايام المعتدلة فقط نتج انها تفرز في نصف سنة فقط ثلاثة كيلو غرامات و٨٨٢ غراماً

في كل متر مكعب اعني ٣٨ الف كيلوغرام في كل هكتار . فاذا انقضى عليها عشر سنوات على هذا المنوال بلغ سمك القشرة التي تضيفها الى التربة ثلاثة سنتيمترات

وقد بحث الاستاذ هنري استاذ الزراعة والاحراش في مدرسة ننسي في وظيفة هذه الدودة بحثاً دقيقاً فاستنتج من ذلك ما يلي (١) ان تركيب فم الدودة يدل على انها لا تأكل النبات اصلاً ولكنها تتغذى من الحشرات والحيوانات الصغيرة التي تكون في التربة (٢) انها تأكل كل من هذه الكائنات العضوية وتهضمها ثم تفرزها في الارض بطريقة تجعلها سماداً صالحاً لها لان قناتها الهضمية تجيد هضمها حتى تجعلها كذلك. (٣) ان وجود الدودة في الارض يجعل في التربة خلايا وفراغاً يتيح لجذور النبات التوسع وللهواء والماء النزول اليها فانت ترى مما مر بك ان هذه الدودة نافعة غير موءذية . فلا يحاربها الزراع فانها مسالمة

جعل رؤوس البصل كبيرة

اذا اردت ان تجعل رؤوس البصل كبيرة فطريقة ذلك ان تنتقي في الخريف اكبر الرؤوس واصحها ثم تضعها في كيس وتعلقها قرب موقد توقد فيه النار كل يوم تقريباً . ثم متى جاء الربيع خذ هذا البصل وازرعه في ارض جيدة فتجد انه اخذ يورق ايراقاً كثيراً دون ان يرسل منه ساقاً ومتى تم نموه كان المحصول منه ضخماً اذ كل بصلة تزن حينئذٍ ٥٠٠ غرام وزيادة

وقاية الزرع من الارانب

قالت مجلة « الفلاحة الحديثة » ان كثيرين من الزراع جربوا طريقة بسيطة لوقاية الزرع من الارانب . وذلك انهم جاءوا بحبل ومسحوه بزيت الاسماك ثم نصبوه حول الزرع على ارتفاع ١٠ سنتيمترات من الارض فكانت الارانب تقصد الدخول الى الزرع لترعى فيه حسب عادتها فلا تصل الى ذلك الحبل حتى تعود ادراجها فراراً من رائحة الزيت وهي طريقة بسيطة كما ترى

شؤون نسائية

ننشر في هذا الباب شذرات وفصول مختصة بموضوع النساء وتدبير المنزل وما اشبهها

جمال وجوه السيدات

نشرت الكونتس دي سورجر في احدى المجلات الصحية فصلاً عن جمال وجوه السيدات وتحسين بشرتهن فقالت فيه ان البودره التي يضعها النساء على وجوههن مضرة من وجهين . الاول مادي والثاني ادبي . اما الادبي فهو جعل النساء متشابهات في المدينة الادبيات وغير الادبيات لان غير الادبيات يكثرن من وضع البودره وتزيين الوجه فاذا وضعت الادبيات مثل ذلك ظنت مثلهن فربما اعتدي عليهن . واما الضرر المادي فهو تشويه محاسن الوجه من ازالة رونقه ونعومة البشرة ولمعانها . ومتى اعتادت المراة على ذلك تعذر عليها ابطال هذه العادة والا ظهر وجهها قبيحاً من تاثير البودره وما اشبهها من المسحوقات التي تضعها . هذا فضلاً عن الوقت الثمين الذي تضيعه المراة في غرفة زينتها في هذا الشان في كل صباح وهو الوقت الذي لو انفقت نصفه في كل يوم لتزيين عقلها بلذة المطالعة المفيدة لكان ذلك خيراً لادبها وصحتها . وكثيرون من الناس يرون وجوه بعض النساء مصبوغة بالاحمر والابيض فيقولون في نفوسهم ان هولاء النساء يجب ان يكن عجائز حتى يرمن اخفاء اعمارهن تحت هذا الطلاء . فتقع الشبهة على اعمارهن ولو كن في شرخ الشباب . واذا اتفق لهن في احدى الجمعيات انهن سمعن ما يضحكهن او يبكيهن فهناك المناظر المضحكة فان الدمع او العرق يصنع في تلك الوجوه المصورة جزائر ورسوماً من الابيض والاحمر فتخجل صاحباتها كل الخجل . وما اكره ان ترى في الصباح تلك الوجوه المزوقة المنمقة وذلك قبل زينتها فانك ترى وجنات صفراً ولوناً شاحباً وشفاهاً بيضاً واسناناً سوداً وعيوناً مطوقة بطوق اسود وكل ذلك من تاثير البودره والابيض والاحمر . ويقلن ان البودره اذا كانت من مسحوق الارز الصرف لا تضر فنعم ولكن لا ينبغي الافراط فيها اما اذا كانت من غير الارز فهناك الطامة الكبرى . اما الاحمر والابيض فربما تألف من مواد سامة تدخل الى الدم من مسام الوجه فتسمم الدم وتوقع صاحبته في امراض هائلة

كل هذه الاضرار والقبائح تحتملها المراة المسكينة ولماذا ؟ لجعل وجهها جميلاً . فما اجهل النساء في هذا الشان . انهن لو عقلن لعلمن ان المراة تزينها لطفها وآدابها اكثر مما تزينها حلاها وثيابها . وان الوجه المزوق المنمق دليل على نفس تلتفت الى العرض لا الى الجوهر وقلب طماع غير راض بما قسم الله له . وفضلاً عن ذلك كله فان المراة تخطىء اذا حسبت ان ذلك الصبغ يجعلها جميلة . فانه اولاً يفقدها معانيها وملامحها الحقيقية اذ يغير وجهها وثانياً يجعلها في المستقبل شنيعة قبيحة لافساده بشرة وجهها فتندم حينئذ ولات ساعة مندم .

اما الذي يجعل الوجه جميلاً و يبقيه كذلك حتى في ادوار الكهولة والشيخوخة فهو الاعتناء التام بنظافته ومداراته وعدم وضع شيء عليه من تلك الاصباغ الكريهة وغسله دائماً بماء لا بارد جداً ولا حار جداً بل بماء اشد حرارة من الماء السخن فيبقى له هذا الماء لمعانه ومسحة وردية يمسحه بها . وقد كان بعض علماء الاخلاق يقول "انني اعرف اخلاق المراة ومبلغها من الادب من احد امرين . الاول من عينيها فان العينين دليل على ما في القلب . والثاني من وجهها اذا كان مصبوغاً او غير مصبوغ فان ذلك دليل على ما في النفس " فلتعتبر السيدات ولا سيما اللواتي ما زلن في شرخ الصبا اي البنات "

تهوية المنازل من غير ضرر

من اهم المسائل البيتية مسالة تهوية المنازل لتجديد الهواء لان الهواء النقي من اشد حاجات البيت . وقد اعتادوا من اجل ذلك ان يفتحوا النوافذ ليدخل الهواء ولكن الهواء قد يدخل منه مجرى مضر بالجالسين في الغرفة ولا سيما اذا كانت اجسامهم حامية من طول الجلوس او من نار الموقد . ولذلك اكتشفوا وسيلة جديدة لتهوية المنازل من غير ضرر وهي ان يُجعل زجاج النوافذ مزدوجاً لا مفرداً ثم يفتحون القسم الاعلى من الزجاج الداخلي والقسم السفلي من الزجاج الخارجي لان الزجاج مزدوج كما تقدم واحد من الخارج وواحد من الداخل . فيدخل الهواء بهذه الطريقة من قسم الزجاج السفلي الخارجي المفتوح ثم يصعد الى القسم الاعلى الداخلي المفتوح و ينتشر في الغرفة من غير ان يتكون منه مجرى يؤذي الجالسين . وقد جربوا هذه النوفذ المزدوجة في قاعات الدكتور بوتين في مستشفى الشفقة في باريز فزالت كل رائحة من هذه القاعات مما دل على حدوث تجدد الهواء بواسطتها دون ان يدخل منه مجرى مضر . وغني عن البيان ان هذه المجاري المضرة قد تكون في ايام الصيف والشتاء من اشد عوامل الاعتلال والاصابة بالامراض المختلفة

قلة النساء وكثرة الرجال

بلغ عدد العزاب في اوستراليا ٣٠٠ الف نفس وعدد البنات فيها ٢٠ او ٣٠ الفاً اكثرهن من اللواتي لا يصلحن للزواج لتشوه بعض اعضائهن . ذلك لان البنات لا يبلغن هناك سن الزواج حتى يتخذهن الرجال زوجات من قلتهن في تلك البلاد . ومن اجل هذا صار الشبان الاوستراليون ينتظرون بصبر فارغ حضور البواخر من اوربا تحمل اليهم بعض الفتيات الانكليزيات والفرنسويات والايطاليات وغيرهن ليبادرن الى التزوج بهن والمزاحمة عليهن . ومنهم من يسافر لاستقبال هذه البواخر مسافة اسبوع في البحر ليختار زوجته قبل حضور المزاحمين له . ولذلك قام بعض الكتاب الاوربيين يحث البنات الاوربيات على المهاجرة لايطاليا ولا سيما اللواتي تقدمن في العمر

ازالة البقع المختلفة عن الثياب

بقعة الشمع — تزال بقعة الشمع بصب نقطتين او ثلاث من روح السبيرتو عليها ثم فركها باليد فركاً شديداً فتزول ولا يبقى لها اثر وهذه الطريقة خير من طريقة ازالتها بالنار او باحماء ملعقة ووضعها عليها من فوق قطعة ورق

بقع السكر والجلاتين والدم والالبومين — تغسل بالماء البارد

بقع الادهان — اذا كان النسيج حريرياً فيجب فركه بالمنازيا او بالطباشير واذا كان غير حريري فيغسل النسيج بالصابون والماء الفاتر (السخن) ثم بالنادول وهو بنزين بلا رائحة وغير قابل الاشتعال

بقع الالوان — تفرك بروح التربنتينا او النادول ثم بالصابون

بقع الخمر او الاثمار — تُغسل بالماء الفاتر والصابون ممزوجاً ببعض نقط من الامونياك

بقع الوحل — يمزج مح البيض بالماء الفاتر وتغسل البقع به فتزول

ضمد الجرح بنسيج العنكبوت

اذا جُرح اصبع ولد ركضت امه الى نسيج العنكبوت لتضمد الجرح به ظناً منها انه شاف وقد تعجب اذا ذكرنا لها ان الدكتور كولومب قال ان نسيج العنكبوت قد ينقل اقبح الامراض الى الاجسام وذلك ان الذباب الذي يصطاده العنكبوت ينقل اليه الميكروبات التي تكون عالقة به فضلاً عن ان الهواء يسفي عليه هذه الميكروبات ولا سيما اذا كان العنكبوت في اسطبل فيه حيوانات مريضة او منزل فيه مريض . وقد انتقلت ميكروبات

التتانوس بهذه الواسطة الى ولد ضمد جرحه بخيوط عنكبوت اخذها من اسطبل فرس مصاب بالتتانوس وذلك بدخول ميكروبات هذا الداء من جرح الولد الى جسمه . فلتترك اذًا هذه العادة

المرأة والرضاعة والحبل

قالت احدى المجلات الطبية يظن النساء انهن متى شعرن بالحبل وجب عليهن ان يفطمن اطفالهن لان لبنهن (الحليب) يصبح سماً نافعاً لهم وهو خطأ ظاهر . فعلى المراة ان تبقى على ارضاع طفلها شهرين او ثلاثة او خمسة او ستة وزيادة اذا كانت قادرة على ذلك ولم يتغير لبنها لمرض او لغير ذلك من الاسباب . وتستطيع معرفة هذا التغيير او عدمه من تحليل اللبن على يد الطبيب

ارق الاولاد ومداواته

ذكر الدكتور نيبو طرقًا لازالة ارق الاولاد وهي (١) الرياضة الجسدية كأن يمشي الولد ساعتين او ثلاثًا في الخلاء خارج المدينة (٢) استعمال الفراش المنضوح بماء حرارته ٣٠ درجة صباحًا ومساء (٣) ترك العمل العقلي والاقتصار على العمل ساعتين في النهار على شرط ان يكون العمل غير شاق (٤) يجب ان ينام الولد باكرًا واذا لم يستطع الرقاد وجب ان يتنزه نصف ساعة في هواء مطلق ثم يعود الى فراشه (٥) ان هواء الجبال افيد للمصابين بالارق من هواء البحر

طبخ البطاطس

كثيرًا ما تصبح البطاطس بعد طبخها رخوة لا تؤكل فالطريقة لاجادة طبخها وجعلها جامدة دائمًا هي ان لا تضعها في قدر الماء الا متى كان الماء في اشد غليانه ثم ارفعها فتكون جامدة القوام حتى ولو كانت من الجنس الردىء

خطر الهرة في المنازل

اثبت مكتب الهيجيين في لندره ان الهرة من اشد الوسائل لنشر الدفثيريا لان ميكروبات هذا الداء قد تكون موجودة بكثرة في فمها وسائر جسمها ومعششة على الخصوص بين شعرها . ولذلك يجب ان يحذر الاولاد من امساكها وينبغي تخصيص صحن بطعامها وشرابها

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

المدارس الداخلية

وهل يجب وضع البنات والصبيان فيها ام لا

نوجه انظار الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات الى هذه المقالة المهمة فانها من كتاب المرأة في القرن العشرين لمؤلفه الطائر الصيت جول سيمون الفيلسوف الفرنسوي الكبير وموضوعها البحث في وضع البنات والصبيان في المدارس الداخلية اي المدارس التي يأكل التلامذة وينامون فيها بعيدين عن اهلهم مدة الاوقات المدرسية · ومما يجعل لها لذة خصوصية ان الفيلسوف يتكلم عن نفسه كما سنرى

لما عرض المسيو كاميل ساي (١) لائحة تعليم البنات قال فيها انه سيكون في مدارس البنات اقسام داخلية للاكل والنوم كما كان في مدارس الذكور · فعارضه يومئذٍ كثيرون · وكان المعارضون فريقين · فريقاً كان في ذلك الوقت اي بين سنة ١٨٧٥ و١٨٨٠ يصلي مدارس الذكور الداخلية نفسها حرباً عواناً وفريقاً كان يطلب ان لا يتولى احد غير الامهات تربية البنات

اما انا فلا استحسن البتة وضع الاولاد في المدارس الداخلية سواء كانوا بنات او صبيان لاني اعتبر هذه العادة خالية من كل مبادىء الحنو والشفقة وقد ذقت يوماً ما طعمها وان كان مدة وجيزة فابقت في نفسي تذكارات محزنة

فقد كنت خارجياً في مدرسة لوريان حيث اتممت دروسي الابتدائية · وكنا في

(١) كاميل ساي هو منشىء التعليم الثانوي للبنات في فرنسا وقد تقدم ذكره وطريقة انشائه هذا التعليم في الصفحة ١٨٢ من الجزء العاشر للسنة الاولى وقد نشرنا هذه المقالة لتكون تتمة لمقالة التربية والتعليم المنشورة في الجزء الماضي لما بينهما من العلاقة

الساعة السابعة من صباح كل يوم حتى في ايام الشتاء نأتيها وفي جيب كل واحد منا قطعة خبز ملفوفة بقطعة من الورق وكان ابناء الاغنياء منا يضيفون اليها شيئاً من الجبن او الزبدة (١) وبعد اجتماعنا كنا نصرف ساعة في قاعة الدرس من غير نار في الموقد لوقايتنا من لذع البرد ثم نُعطي فرصة نصف ساعة وبعد ذلك نعود الى غرف التعليم حيث لا نار للتدفئة ايضاً ثم نعود منها الى قاعة الدرس فنقضي فيها ساعة ونصفاً وبعد ذلك نعود الى منازلنا لنتغدى . وبعد الظهر بساعة نعود الى المدرسة فنقضي ساعة في قاعة الدرس وساعتين في غرف التعليم ثم نُعطى ساعة فرصة وبعد ذلك نصرف ثلاث ساعات في قاعة الدرس الى الساعة الثامنة فنعود الى منازلنا والبرد يقرصنا ويلذعنا . وقد كنا ونحن راجعون نلتفت وننظر نظر الشنقة الى رفقائنا الداخليين الذين كانوا يدخلون الى قاعة الطعام بعد ذهابنا ويتعشون بانقباض وسكون تحت مراقبة المسيو جيكيل الناظر الثاني . ثم يخرجون هادئين صامتين ايضاً الى قاعة النوم فيرقدون ومتى طلع الصباح قاموا لاستئناف الاعمال التي مرّ ذكرها

ثم كنت بعد ذلك في مدرسة داخلية في فانّ فصرفت فيها ستة اشهر . وكان القسم الداخلي اي مكان الاكل والنوم بادارة الاب « دوده » وهو قائم قرب المدرسة وكان يُقال عن الاب دوده انه عازري وانه كان يتولى ادارة هذا القسم على نفقته الخصوصية. وكان بين نظار المدرسة ناظر يُدعى الاب بوينو وهو يسوعي بلا شك

وكان البون شاسعاً بين مدرسة لوريان ومدرسة فانّ . فان الاولى كان نهجها عسكرياً ولذلك كان نظامها صارماً واوامرها ثقيلة ولم يكن من علائق شخصية بين الاساتذة وتلامذتهم الا قليلاً . وكان بيننا علامات للامتياز والشرف كما كان في العسكرية . ولكن لم يكن يخطر في بال احد منا ان يشي برفيقه او يسعى به ولم يرتكب قط احدنا ذنب الكذب في اي حال من الاحوال . اما في مدرسة فانّ فقد كان الامر على عكس ذلك. فان الطلبة كانوا يرقبون بعضهم بعضاً وكل واحد يقف لرفيقه بالمرصاد . وكان يُعين واحد منهم مراقباً لقاعة النوم وآخر للسلم وثالث لقاعة الدرس . وكان عددنا يومئذ ١٥٠ تلميذاً وكنا ندرس في قاعة واحدة ومع ذلك فالاب بوينو وحده كان قادراً على مراقبتنا جميعنا ذلك لانه كان يعين في كل « طاولة » سرّاً تلميذاً وان شئت فقل جاسوساً لمراقبتنا واطلاعه

---

(١) ان هذه التذكارات تذكارات الصبا التي يتكلم عنها الفيلسوف هنا تثير في نفس كل قارىء تذكارات حلوة لاننا كنا قد مررنا في هذه الطريق الجميلة

على حركاتنا وسكناتنا . وكان الاب بوينو يأتي قاعة النوم في كل صباح وينبهنا من النوم صارخاً بصوته الجهوري Benedicamus Domino فيجيبه على الفور مائة وخمسون صوتاً صارخين Deo gratias ثم ننهض الى ملابسنا وبعد ذلك ننزل الى القاعة فنسمع فيها صلاة طويلة وخطبة وجيزة من الاب دوده او من الاب بوينو ونذهب بعد ذلك ونحن مصطفون زوجاً زوجاً الى الكنيسة لحضور القداس مع رفاقنا التلامذة الخارجيين

فانت ترى ان معيشتنا هذه كانت ولا شك اقل مللاً من تلك والنظام اكثر تساهلاً انما كان على كل واحدمنا ان يحذر رفيقه وان لا يثق باخص اصدقائه لان النظام يقضي على كل واحد ان يُطلع رؤساءه على كل ما يعلمه من دخائلهم واسرارهم . وكان الداخليون فريقين منهما فريق ممتاز وهو فريق الاغنياء الذي كان يُعطى على المائدة لوناً من الطعام زيادة على اللون الاعتيادي ولعل ذلك لترويض افكار الفقير من صغر وتعليمه التواضع والقناعة في بدء حياته . .

وخلاصة القول انني خبرت نوعي التربية المدرسية الداخلي والخارجي والآن اصرح بانني لا احسب من عمري تلك الايام التي قضيتها مسجوناً في شرخ الصبا وربيع الحياة . وقد كنت في لوريان وفانت تعيساً على وجهين . ولما اصبحت رب عائلة اقسمت باني لا القي اولادي في ذلك العناء والعذاب . وقد رزقني الله ولدين فوضعتهما خارجيين مدة تسع سنوات في مدرسة بونابرت التي تسمونها انتم مدرسة كوندورسه . وكنت في خلال هذه السنوات ازور المدرسة بنفسي مرتين في النهار تارة منفرداً وحدي وطوراً مصطحباً امهما وذلك لاخذهما اليها في الصباح والعودة بهما منها في المساء (١) واني اعترف بانه يتعذر على الاب المنهمك في اشغاله ان يتفرغ لتدريس اولاده فرغبةً في تعويض هذه الخسارة آليت على ان اتولى بنفسي تلقينهما الادب (علم ادب النفس) فلم آل جهداً في ذلك . غير انني كنت قلقاً لانني كنت ارى من بعيد قرب السنة الفلسفية الا انني كنت اسكن بالي بقولي ان في المدرسة استاذاً بارعاً اصيل الراي والعقيدة ولكن . يالسوء الحظ فانهم ما لبثوا ان ابدلوا هذا الاستاذ وكنت يومئذ في رومه مع ولدي فلما وردني من الوزير خبر هذا الابدال ساءني جداً . فاضطررت بعد ذلك الى مراقبة دروسهما

---

(١) فليقابل قومنا هذا الاهتمام بتربية الاولاد وتعليمهم بما عندنا من التقاعد والاهمال وانما كان الفيلسوف يأخذ ولديه بنفسه حذراً عليهما من العشرة الرديئة في الطريق وايناساً لها وزيادة في الاهتمام بها

مراقبة شديدة والسؤال عن كل شيء يحدث في صفوفها · فلو خرجا عن سلطتي اي لو اقاما داخليين في مدرسة داخلية لما وجدت سبيلاً الى الراحة والطمأنية(١)

وليكن معلوماً انه يكون بين اولئك الاولاد الخاضعين لقوانين صارمة والمقيمين بين جدران المدرسة الداخلية كما يقيم المسجونون في سجونهم حيل ورذائل كحيل المسجونين ورذائلهم · فانه اذا كان النظام صارماً وقاسياً اضطرت الاخلاق الى الكذب والرياء تخلصاً من ضغطه لان الضغط يولد الكذب دائماً ·والغريب ان كل الاباء يعرفون هذا الامر ومع ذلك فتراهم يقبلون على المدارس الداخلية · وهذا الميل اشد في بلادنا منه في البلاد الاخرى· وسببه اننا كثيرو الاعتماد على السلطة· فاننا نضع ابناءنا في المدارس الداخلية ولو كانت المدارس الخارجية اكثر اتقاناً واصح علماً· ولماذا ؟ · اهرباً من المسئولية ام فراراً من عناء الاولاد ؟ لا اعلم · ولكني اعلم ان محبي الانسانية قد برهنوا للاباء غير مرة ان اولادهم لا يمكن تربيتهم تربية حسنة الا تحت ملاحظتهم ومراقبتهم ومع ذلك فتراهم ياخذون اولادهم الى المدارس الداخلية يوم افتتاحها ثم يعودون منها وهم مستريحو البال ٩ شهور المدة المدرسية (٢)

ولكن لما نهض المسيو كاميل ساي يطلب من الحكومة انشاء الاقسام الداخلية للبنات قامت عليه قيامة الامهات وقوبل طلبه بالهياج الشديد · وكان الاباء من رأي الامهات فعارضوا وقالوا — و ياحسن هذا القول — ان البنات يجب ان يكونوا دائماً تحت ملاحظة الامهات ومراقبتهن · وقد احجمت الحكومة يومئذٍ ايضاً عن تحمل تلك المسئولية لانه اذا حدث حادث في مدارس الذكور الداخلية فلا مشاحة انه شر كبير ولكن اذا حدث مثله في مدارس البنات فهو المصاب الاكبر والبلاء الاعظم الذي لا يوصم به رؤساء اولئك المدارس فقط بل يتعدى عاره الى كل فتاة ربيت في تلك المدرسة · فبعد قال وقيل طويل تقرر ان لا تتداخل الحكومة في هذا الامر بل ان يؤذن للجمعيات الاكايركية ببناء الاقسام الداخلية للبنات بازاء مدارسهم وكلياتهم لا ضمنها وان يكون لها رئيسات

---

(١) القصد من هذا الاهتمام الذي يجدر بان يكون مثالاً حسناً لكل أب هو مراقبة دروس الاولاد لئلا يعلموا تعاليم غير صحيحة او مضرة بارائهم واراء اهلهم وبمستقبلهم

(٢) لا نعلم اي كاتب قال « كم من أب يفرح و يسر لحسبانه انه قد اتم تعليم ولده لما يدفع عنه ثمن الكتب وراتب المدرسة »

مستقلات تعينهن ادارة المدارس العمومية . ولكن ما لبث ان قام النزاع بين رئيسات الاقسام الداخلية ورئيسات مدارس التعليم فتقرر حصر رئاسة القسمين في رئيسة واحدة. ثم اذن بالتدريج لكل مدارس البنات بان يُنشأ فيها اقسام داخلية (١)

وقد كانت السرعة التي تم بها انشاء الاقسام الداخلية في مدارس البنات دليلاً على شدة الحاجة الى التعليم يومئذٍ . ولكنني اذا سررت بذلك فانني لا اسر بطريقة « الداخلية » لا للبنات ولا للذكور كما تقدم (٢) وانصح للاباء ان لا يضعوا ابناءهم وبناتهم في مدارس داخلية الا متى كانوا مضطرين الى ذلك . اما الامهات فاني اؤكد لهن ان الانفع لهن وابناتهن ان يفضلن لهن المدارس الخارجية على المدارس الداخلية . لان الاقامة الداخلية في المدرسة انما يكون نفعها مقصورًا على اعداد الفتيان للحياة العمومية وهي الحياة التي يُقابل فيها اللطم باللطم والزحم بالزحم مما قد اصبح نوعًا من تربيتهم اذ يجب عليهم ان يتعلموا منذ الصغر ان يعتمدوا على ذواتهم ويدافعوا عن انفسهم بانفسهم . اما الفتيات فلسن في حاجة الى ذلك لان وظيفتهن في المجتمع الانساني تختلف عن وظيفتهم (٣) فهن لم يُخلقن لمعاناة ذلك العراك الهائل عراك الحياة العموميـة ولا مقاساة المعيشة الحرة . واني اصرح بملء فمي (٤) بانه في المدرسة الداخلية تتولد أفكار وتجري حوادث وتُقال اقوال يجب عليهن جهلها ولا يجوز لهن البتة المعرفة بها . واعلن ايضًا على رؤوس الاشهاد بان الام العاقلة الحكيمة تستطيع مراقبة ابنتها ادق مراقبه والسهر على حركاتها وسكناتها ادق سهر ولكن يستحيل على معلمة واحدة او على رئيسة واحدة ان تراقب ٣٠ او ٤٠ تلميذة (٥) مراقبة تستدرك بها كل شيء وتمنع حدوث كل شيء . هذا فضلاً عن ان هاتين المدرستين الداخليتين مدرسة الذكور ومدرسة الاناث تُخرجان تلامذة شديدي الشبه بعضهم ببعض وذلك مما يُخيف محبي العائلة والانسانية . فانني كلما كنت انظر الى تمثالي آدم وحواء في

(١) هنا انتقل من الكلام عن مدارس الذكور الى مدارس الاناث

(٢) طريقة المدرسة الداخلية غير مفيدة للاناث ولا للذكور (٣) وجوب اختلاف تربية المراة عن تربية الرجل (٤) كلام شديد ولكنه صحيح

(٥) عجز واحدة عن مراقبة اربعين مراقبة حقيقية فعلية تستاصل الشر وتغرس الخير

متحف بروكسل كنت اعجب بهذين الجمالين المستقلين جمال الرجل وجمال المرأة البادين في هاتين الصورتين. ولا ريب ان حواء اذا كانت تحتاج حماية رجلها وعنايته فما ذلك لضعفها فقط (١) بل لان هذا الاحتياج من محاسنها الجذابة . فلندع المراة تجهل بعض الاشياء التي يجب ان تجهلها لان هناءها وهناءنا متوقفان على ذلك . ولا انكر ان الآداب واحدة للرجال والنساء لانها لا تقبل التغيير ولكن للنساء آداباً خصوصية غير هذه الآداب وواجبات غير الواجبات العمومية . فانا لا اعتمد في تعليمهن هذه الواجبات وتلك الآداب مطلقاً على الفلاسفة ولا على رجال الدين بل اعتمد في ذلك (٢) على امهاتهن . اني اطلب تسليمهن الى المدرسة لتجعلهن نساء متعلمات مثقفات والى امهاتهن ليجعلنهن نساء فاضلات . فمتى وُضعت الابنة في المدرسة امها الادبية لا ينبغي ان تُفطم عن امها الطبيعية

لكن ما العمل اذا كانت الاقدار تقضي عليك ايتها السيدة بوضع ابنتك العزيزة في مدرسة داخلية بعيدة عنك ؟ لا باس بذلك اذا لم يكن لك غير هذا السبيل ولكن على شرط واحد (٣) وهو ان لا تتركيها مطلقاً . اهتمي حينئذ بزيارة مدرستها كلما مكنتك الفرصة من ذلك . افتكري بها ليلاً ونهاراً . لا تدعي يوماً يمر من غير مكاتبتها . اطلبي منها في كتبك ان تبسط لك افكارها وعواطفها لتقرأي فيها ما تريدين قراءته وتقفين على حركات نفسها . اعتني ايضاً بمراسلة معلماتها وكوني صديقة اصديقاتها ورفيقة لرفيقاتها قياماً بما يجب عليك لعائلتك ولها

واكرر عليك في الختام قولي : لا باس بابعادها عنك اذا قضت عليك الضرورات بذلك ولكن فاعلمي ان الله والناس لا يسمحون لك بتركها واهمالها : تلك اول وآخر كلمة تُقال في تربية البنات واحسن نصيحة توجه للآباء والامهات »

انتهى ببعض تصرف

---

(١) ضعف المراة انما هو من محاسنها وحاجاتها (٢) وظيفة الام اسمى من وظيفة الفلاسفة (٣) شرط واحد فيما يختص بتربية البنات اذا اهملته الام كان ذنبها عظيماً عند الله والناس

باب الاخبار العلميّة

❊ البحث عن الحلقة المفقودة ❊ بعث المستر فندر بلت الغني الاميركي الكبير عالماً اميركياً يُدعى الدكتور والتر الى جافا للبحث فيها عن الحلقة المفقودة . ويعنون بالحلقة المفقودة كما مرّ ذكره المخلوق الذي يجب ان يكون وسطاً بين الحيوان والانسان عند الذين يقولون بارتقاء الانسان عنه وهؤلاء زعيمهم داروين الشهير . وقد سافر الى جافا ايضاً الاستاذ هاكل الالماني للبحث فيها عن الغرض المذكور اذ بلغه ان الحيوان الذي هو الحلقة المفقودة موجود في جافا . وكلاهما الآن يتسابقان للوصول الى غرضه

اما العالم الالماني فغرضه معلوم وهو علمي محض . واما العالم الاميركي فلم يرسله فندر بلت الاميركي لغرض علمي بل لامر غريب . ذلك ان اغنياء اميركا العظام مولعون على ما يقال بتزويج بناتهم من اشراف اوربا وهولاء الاشراف مولعون بالتزوج من بناتهم لانهم ياخذون معهن دوطات قدرها ملايين من الريالات . فالظاهر ان للمستر فاندر بلت صهراً يُدعى المستر بواريه يعجب كثيراً بشرف آبائه واجداده و يزدري غنى المستر فاندر بلت فقام في نفس هذا الرجل ان يبعث بعثة للتفتيش عن الحلقة المفقودة ليبرهن له ان رسوم اجداده الاشراف الموضوعة على جدران قاعته يجب ان يكون في مقدمتها صورة قرد لان اجداده .رتقون عن القرود مثل باقي الناس فلا يجب ان يفخر احد على احد . وما برحت اميركا بلاد العجائب

❊ البخار والكهربائية في المعرض ❊ من زار معرض باريز ورأى الآلات الميكانيكية الهائلة التي تعمل فيه تساءل في الحال اين البخار الذي يُدير تلك الآلات او يولد الكهربائية لادارتها . والجواب عن ذلك انه يوجد تحت معرض باريز معرض آخر في باطن الارض فيه معملان عظيمان المعمل الاول معمل بوردونه وهو يحتوي على ٥٠ مرجلاً تبخر ١٢٠ الف كيلوغرام من البخار في الساعة للعارضين الفرنسويين والمعمل الثاني معمل سوفرين وهو يحتوي على ٤١ مرجلاً تبخر في الساعة بخاراً بذلك القدر للعارضين الاجانب . ومتى تبخر البخار جرى من تحت الارض في انابيب ممدودة الى الآلات الموضوعة في اطراف المعرض كله ولذلك فالزائر الذي يشاهد تلك الآلات يحسبها انها تتحرك من تلقاء نفسها وما درى

انه يمر اليها في كل يوم من تحت اقدامه مليون و٥٠٠ الف كيلوغرام من البخار · واما الفحم الحجري الذي يُحرق لهذا التبخير فقدره ٢٠٠ طن في كل يوم تنقلها الى هذين المعملين مائة مركبة على السكة الحديدية الموصلة اليها · والبخار بعد قيامه بوظيفته يخرج من مدخنتين مبنيتين في وسط المعرض وارتفاع كل واحدة منهما ٨٠ مترًا وثقلها ٥٧٣٣ طنًا

وجميع الذين زاروا القسم الاميركي في المعرض اعجبوا بما شاهدوه فيه من خفة الآلات الكهربائية الحديثة · فان الآلات البخارية الماضية اذا دارت كان لها ضوضاء وجلبة شديدة تصم لها الاذان على صغرها اما هذه الآلات الاميركية الكهربائية فانها على ضخامتها وجسامتها تدور بسكوت وهدوء دون ان يُسمع له اقل صوت كأن الغرفة التي هي فيها لا شيء فيها · ولذلك قال العلماء بعد اختبارهم هذا الاختبار العجيب انه قد دنا اجل البخار وقرب ملك الكهربائية التي ستقضي عليه في القرن العشرين قضاءً نهائيًا

﴿ تأثير الطعام في الاخلاق ﴾ بحث احد دكاترة الانكليز في تاثير الطعام على الاخلاق ونشر نتيجة ابحاثه فكانت كما يلي

ان من يقتصر شهورًا على اكل لحم البقر يصبح نشيطًا جسورًا شجاعًا · ومن يقتصر على اكل لحم الخنزير يصبح متشائمًا ضجرًا لا يرضيه شيءٌ في هذه الحياة · وكذلك الذين يقتصرون على اكل لحم العجل فانهم يفقدون كل نشاط وعزة نفس ويصبحون ضعفاءً · وقد لاحظ ان كل الرجال الذين يحتملون ان تضربهم نساؤُهم انما هم من اكلة لحم العجول · واما الذين يقتصرون على اكل البيض واللبن فانهم يزدادون عقلاً ولطفاً ولا سيما النساء · والاكثار من اكل السمن او الزبدة يجعل الانسان قليل التاثر ساكن الحركات ولذلك يكره الرياضة الجسدية · وعلى الذين يجهدون قواهم بالاشغال العقلية ان يكثروا من اكل التفاح ... اما اكل البطاطس فيجعل الانسان ضجرًا كسولاً واكل الخردل يحفظ الذاكرة من الضعف ويجعلها قوية

هذا ما اختبره الدكتور الانكليزي فان لم يسعك تصديقه فما عليك الا التجربة

﴿ اصل البيرة مصري ﴾ لما تعب الانسان القديم وحمي جسمه فظمىء اخذ يبحث عن شراب غير الماء القراح الذي يجري من النبع في الحرش او في الجبل الى جانبه فوجد يومئذٍ لبن الحيوانات وعصير الاثمار والعسل · ثم تدرج من هذا الدور الى دور آخر وهو صنع العصير من الحبوب · وهذا الامر قديم جدًا · فقد روى ديودور دي سسيل وايد

روايته هيرودوتس ان المصريين القدماء كانوا يعرفون البيرة (الجعة) قبل الفي سنة من التاريخ المسيحي وان الملك اوزريس هو الذي علمهم صناعتها وكانت مدينة بلوزه (بور سعيد اليوم) اشهر المدن المصرية التي تُصنع فيها البيرة كما اشتهرت بذلك مونيخ اليوم

﴿ كلام الملوك ملوك الكلام ﴾ سألت الدوقة داروبل بعض ملوك اوربا هذا السؤال « اي هو الشخص الذي تحسده ايها الملك » وقد قصدت بذلك الوقوف على حالة نفوس الملوك · وقد نشرت مجلة انكليزية بعض الاجوبة · وفيها ان البرنس دي غال اجاب « انني احسد الرجل الذي اذا اكل لا يقال ان سموه قد اكل · واذا سافر لا تنادي كل الجرائد ان سموه قد سافر واذا ابتسم لا تصرخ بالتلغراف ان سموه قد ابتسم وتؤول كل ذلك كما تهواه » واجاب ملك الدانمرك « تسألينني من احسد فانا اجيبك انني احسد الذين يستطيعون ان لا يهتموا الا باشغالهم » واجاب ملك النمسا « انني احسد كل من لم يكن امبراطورًا » واجاب القيصر « انني احسد كل من لا يحمل عبء السلطة ولا تتفطر كبده على مصائب الشعب » · اما الامبراطور غليوم فاجاب « يوجد شخص واحد لا احسده وهو الذي لا يحب وطنه »

﴿ الميكروبات في ورق اللعب ﴾ بحث احد دكاترة تنت فوجد ان ورق اللعب « الشدة » يحتوي على كثير من ميكروبات الامراض المختلفة ولا سيما السل وذلك من كثرة تناقله بالايدي · وثبت له انه شديد العدوى للاعبين ولا سيما اذا كانوا يضعون اصابعهم في فمهم لبلها باللعاب كلما ارادوا عد الورق · فورق اللعب اذًا لا يؤدي في الغالب الى الخراب والخبال والانتحار فقط بل قد يؤدي الى اقبح الامراض ايضًا

﴿ فائدة جديدة لاشعة رنتجن ﴾ في الهند جمعيات لصوص يتمرنون على السرقة باساليب مختلفة ولا سيما سرقة الجواهر · منها جمعية يتمرن اعضاؤها على هذه السرقة بابتلاعهم قطع الماس وذلك انهم بعد طول المزاولة يتعلمون طريقة معروفة عندهم لابتلاع الشيء وحفظه في البلعوم ومتى شاؤوا لفظوه · وعلى هذه الكيفية يستطيعون ان يبتلعوا نقودًا بحجم ٨ او ١٠ روبيات ثم يلفظونها متى شاؤوا · فتوصلاً لاكتشاف سرقتهم صارت محاكم الهند وتجارها يستعملون اشعة رنتجن للتفتيش في بلاعيمهم عن الاشياء المتهمين بسرقتها

﴿ الغنى والعمران ﴾ قال بعض الكتاب في كلامه عن اغنياء الاميركان ان

الاغنياء قوة في العالم اذا استعملوا غناهم لمنفعته . اما اذا ابقوا ثروتهم لانفسهم فقط فانه يحل بهم ما حل بالاشراف في ايام الثورة الفرنسوية . فان الاشراف كانوا مكرمين لما كان فيهم عون وفائدة فلما اصبحوا حملاً على ظهر الامة رمتهم الامة عن ظهرها وداستهم باقدامها . فعلى الاغنياء ان يحذروا الوقوع بما وقع به الاشراف لانه لا باس ان تعيش الهيئة الاجتماعية من غير اشراف اما الاغنياء فلا غنى عنهم لان العمران لا يقوم الا برؤوس الاموال . ثم ذكر هذا الكاتب ان الكليات العلمية الاميركية العظيمة لم تبنَ الا بسخاء الاغنياء الاميركيين الذين تبرعوا لها بالملايين فالغنى عندهم من اقوى عوامل الارتقاء ولكنه ليس كذلك في اوربا . نقول فكيف عندنا ؟؟؟؟

✻ النور الحي واختراعه الجديد ✻ عرض المسيو ديبوي على المجمع العلمي في باريز اقتراحاً جديداً وهو انارة الغرف بنور حي . ومعنى النور الحي ان النور ينشأ عن ميكروبات حية تتولد وتنير الظلام بكثرتها . وقد وضع منها شيئاً كثيراً في زجاجات خصوصية ثم جعلها في غرفة كبيرة مظلمة فانارتها كما ينيرها القمر في تمامه واستطاع الحاضرون ان يقرأوا في الجرائد على نورها

✻ اختراع جديد لانارة البحر ✻ اخترع احد الاميركيين قنبلة منيرة اذا اطلقت من المدفع سارت على سطح الماء دون ان تغرق فيه ثم جعلت تنير الظلام بما يتولد في ثقوبها من الغاز وبذلك تنير طريقها على مسافة بعيدة جداً

✻ مضار البيانو للضاربين ✻ وجد الجراحون بعد اختبار كثير ان الضرب على البيانو ولا سيما الافراط فيه يُحدث التهاباً في بعض اعصاب اليد الضاربة فضلاً عن ان النساء قد يُصبن من جراء ذلك بضعف خاص وقد بحث مؤتمر عقد في برلين في وجوب صنع انواع خصوصية من البيانو تكون لينة الملمس على الفتيات . واما الدكتور راير فيطلب ابطال البيانو اصلاً

✻ قتل الفئران بالكهربائية ✻ تكاثرت الفئران في معمل للكهربائية في برمنهام الى حد غريب فمد صاحب المعمل سلكاً كهربائياً في جميع غرف معمله وربط به قطعاً مختلفة من الطعام فكانت الفئران تتهافت على الطعام فلا تمسه الا وتصعق وتموت حتى ملأت جثثها ارض المعمل

باب التقريظ والانتقاد

❊ تاريخ الامة القبطية ❊ اتحف حضرة الفاضل تادرس افندي شنوده المنقبادي مدير جريدة مصر الغراء اللغة العربية والتاريخ بتحفة جديدة وهي تاريخ الامة القبطيــة وكنيستها تاليف السيدة ا · ل بتشر وهو كتاب كثير الفوائد جليل الموضوع لمــا يتضمنه من تاريخ امة قديمة من اجلّ الامم فنحث جميع محبي الفوائد على اقتنائه ونشكر لحضرة ناشر هذا الكتاب هديته الجليلة

❊ نجم المشرق ❊ صدر العدد الاول من جريدة تُدعى « نجم المشرق » وهي جريدة ادبية تهذيبية دينية تصدر مرة في كل ١٥ يوماً لمديرها جناب الفاضل القس توما فني ويحررها حضرة البارع متري افندي صليب · وهي مصدرة بعنوان لطيف نُقشت فيه هذه الكلمات « دعوا الاولاد ياتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات » وهذه الكلمة تدل على غرض الجريدة وهو غرض نبيل كما يُستدل من الاسطر الآتية التي وردت في المقدمة « وستكون مباحث الجريدة قاصرة على ما ذُكر مع بعض المباحث العلمية التهذيبية التي تمس الحاجة اليها في مدارسنا اليومية ولا دخل لها في امر الاختلافات الدينية والمباحث المذهبية والاخبار الجمعية والكنائسية » فنحن ندعو لها بالنجاح وباقبال التلامذة عليها لانها مفيدة لهم لاسيما وانها تخاطبهم بلغتهم

❊ الوطن ❊ الوطن جريدة يومية سياسية بالحجم الكبير لمديرها جناب الفاضل جندي افندي ابرهيم ويشترك في تحريرها حضرات الاديبين البارعين مخائيل افندي عبد السيد وتوفيق افندي حبيب · وقد عادت الى الظهور بعد انحجابها زمناً لاسباب دعت الى ذلك واشتراكها في السنة ١٣٠ غرشاً · ومما يسر ان الوطن معتدلة اللهجة نزيهة المشرب تدعو الى الوئام والاتحاد فنهنئها بخطتها ونرجو لها النجاح

❊ مجلة الهلال ❊ اعلنت ادارة مجلة الهلال انها عزمت على تغيير مواعيد صدوره فجعلت سنته ١٠ اشهر يصدر منه في خلالها ٢٠ جزءًا وتمنح مشتركيها في مقابلة الاجزاء الاربعة الباقية لهم كتاباً مفيداً وقد جعلت لهم امتيازات منها خصم ٢٠ في المائة من الكتب التي

يبتاعونها من مكتبتها وعدت بزيادة اتقان الهلال والاهتمام بمواضيعه ليكون منيرًا من كل الوجوه خلافًا لهلال السماء الذي لا ينير الا من وجه واحد فنحن ندعو لها بالنجاح وزيادة الانتشار ونثني على جناب منشئها الفاضل جرجي افندي زيدان لاجتهاده في خدمة الادب وادباء اما اشتراك الهلال فقد زيد الى ١٥ فرنكًا في القطر و٢٠ فرنكًا في الخارج

❊ الصباح ❊ اصدر حضرة الاديب عبده افندي بدران صاحب المطبعة المصرية في الثغر جريدة اسبوعية عنوانها « الصباح » تصدر في صباح الاحد من كل اسبوع وتنشر التلغرافات الاخيرة لعدم صدور جرائد الثغر في ذلك اليوم وهي حسنة العبارة طلية المواضيع لا سيما وانها تهتم بالمواضيع المحلية اكثر من المواضيع السياسية فندعو لها بالانتشار

❊ الخداع والحب ❊ اهدانا حضرات الفاضلين الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي نسيم طراد نسخة من رواية « الحب والخداع » التي نقلاها عن الكاتب شيللر الالماني الى اللغة العربية ومُثلت غير مرة في القنصلية الروسية في بيروت في هذا العام . وقد نشرنا في باب المقالات في هذا الجزء انتقادًا لهذه الرواية وذلك دليل على اهميتها لان انتقاد الشيء دليل على مكانته وقلما انتقد الناس شيئًا غير ذي اهمية فنحن نثني على المعربين الفاضلين اللذين اتحفا اللغة العربية برواية الخداع والحب ونشكر لهما هديتهما

❊ القليوبية ❊ جريدة ادبية اخبارية فكاهية تصدر في بنها مرة في كل اسبوع لصاحبها الاديب محمد افندي زكي الاتربي وهي معتدلة اللهجة تحث على الاداب والفضائل فندعو لها بالنجاح

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

ملكة السلام

(القيصرة)

ودخل الرئيس كروجر وحفيده الى القاعة التي كانت تنتظره فيها الامبراطورة « سي تاي هو » امبراطورة الصين فرآها جالسة في كرسي فخيم وبازائها شاب اوربي يحادثها وهو ضاحك

فما وقعت عين الرئيس كروجر على هذا الشاب حتى وقف حائرًا مبهوتًا يتامله فنظر اليه

حفيده ليعلم سبب وقوفه ونظرت اليه الامبراطورة نظرة كأنها تقول له بها « ما لك لا تتقدم» اما الشاب المذكور فانه ابتسم له عن شفتين جميلتين ابتساماً زاد كروجر حيرة فصار يقول في نفسه « خدعتني عيناي . فان هذا الرجل لا يمكن ان يكون صاحبنا » . ولما قال كروجر ذلك خطا نحو الامبراطورة متقدماً

فنهضت له مي تاي هو ونهض الشاب ايضاً وهو يبتسم كما ابتسم اولاً فكان ابتسامه يُجري الدم بارداً في عروق الرئيس كروجر لانه كان يريد ان يعرف له سبباً . وبعد ان هزَّ كروجر يد الامبراطورة مصافحاً على الطريقة الاوربية هزَّ يد الشاب ايضاً فضغط الشاب على يده ضغطاً خصوصياً . فلم يستطع كروجر صبراً فالتفت الى الامبراطورة وسألها متلطفاً هل لجلالتك ان تخوليني شرف معرفة هذا الشاب

فاومأ الشاب للامبراطورة بعينيه فاجابت باسمة هو صديق لي لا تعرفه وهو يحبك ويغار على بلادك . فتنهد كروجر عند ما ذكرت الامبراطورة اسم بلاده ثم جلس بازائها واخذوا في الحديث . فالتفت الشاب الى كروجر وقال . خير يا كروجر الى اين انت سائر

فلما وقع صوت الشاب في اذن كروجر وجد له ارتياحاً شديداً فاجاب كنت قادماً لازيد الحركة في هذه البلاد تخليصاً لبلادي . لانني ظننت ان الصين اذا اشتغلت اوربا وانكلترا بثورتها عجزت انكلترا عن اخضاعنا في بلادنا لاشتغالها بهذه البلاد . اما الآن فقد تغير فكري . فاني ارى اوربا تضغط على الصين كما تضغط انكلترا علينا في وقت واحد . فلم يبقَ لنا الا سبيل واحد وهو ان اسافر مع صديقتي الامبراطورة الى بطرسبرج ونسال قيصرها الرفق باخوانه عباد الله

وقد قال كروجر ذلك وحدق كثيراً في وجه ذلك الشاب . فقال الشاب . وماذا تنتظر ان يصنع لك القيصر

فاجاب كروجر محتدماً غيظاً " اذا لم يصنع القيصر لي وللامبراطورة شيئاً فقد مات الحق في هذا العالم ووجب ان لا يُسمى القيصر بعد الآن ملاك السلام . اين المبادئ الاخوية . اين استقلال الانسان وحقوقه . اترى اوربا عدلاً ان نموت تحت سنابك الخيل ليحيى غيرنا ويبني سلطنة واسعة في افريقيا . ألم يبق في العالم شيء حقيقي من هذه الكلمات الفارغة التي يُنادى بها في منابر اوربا وكنائسها وجرائدها وهي : العدل الحقيقة الحرية الدين الادب الاخاء المساواة . أسادت على العالم الفوضى الادبية تلك الفوضى التي تحكم القوي في رقبة الضعيف والكبير في عنق الصغير . كلا ثم كلا انني ارفع رامي ما بقي

لي راس وما بقيت اؤمن بانه يوجداله عادل في السماء . ولذلك لم اياس بعد لان المؤمن لا ييأس من شيء . ولذلك اذهب لاسعى لاستقلال بلادي

ثم استأنف كروجر الكلام قائلاً « اسعى لبلادي واسعى للامبراطورة صديقتي لان في نيتي مشروعاً عظيماً كما تعلم جلالتها . لقد اتحد الغرب على الشرق و زحف على الدين زحفة واحدة لانقاذ عشرة الاف اوربي فيها على حين انه يترك عشرات الوف منا نحن البوير الاوروبيين اصلاً نهلك في جنوبي افريقيا . اليس في ذلك ما يبعث النفس على التبروء من الاصل الغربي وطلب الانضمام الى العنصر الشرقي . نعم نحن الآن شرقيون كهولاء الصينيين لان المصائب جمعتنا ورباط المصائب قد يكون رباطاً قوياً . وساسعي جهدي في ان اجعل الشرق كله يداً واحدة وعصبيـة واحدة ضد الغرب من اقاصي الهند الى اقاصي الدولة العثمانية وافريقيا . ويومئذٍ نرى قوة الغرب بازاء هذا التحالف الهائل الجديد . وانت تعلم ان روسيا دولة شرقية ايضاً فهي ستكون معنا في مقدمة هذا التحالف ولذلك فانني ذاهب لمقابلة قيصرها

فسدد الشاب هنا سهام عينيه الحادتين الى وجه الشيخ كروجر وقال له بهيئة جدية : كروجر كروجر ان قيصرها مشتغل الآن بالتوفيق لا بالتفريق فلا تعرض عليه مشروعك لانه يزدريه

فكبر هذا القول على الرئيس كروجر فقال للشاب بهدوء وتهكم : ما هذا التوفيق الذي يسعى القيصر اليه الآن والدماء تجري في كل مكان . وكيف يسمي مشروعي تفريقاً

فاجاب الشاب وقد اتقدت عيناه بنار سماوية « ان مشروعك مشروع تفريق لانه لا يتناول الا جزءاً من العائلة الانسانية اما القيصر فانه اذا طلب الاتحاد والتحالف فهو يطلبهما بين جميع امم العالم كبيرها وصغيرها شرقيها وغربيها . هو يطلب رفع الحدود من بين جميع الممالك لا وضع حدود جديدة بين الشرق والغرب . هو يطلب سبك السلاح لتصنع منه آلات للزراعة والصناعة لا صنع اسلحة جديدة . ان تحالفك الشرقي تحالف للحرب ولمقاومة القوة بالقوة اما التحالف الذي يطلب القيصر ان يكون بين اجزاء الانسانية كلها فهو تحالف للسلام . لا انكر عليك ان المعيشة في هذا العالم قد اصبحت امراً قبيحاً فان الدماء تجري في كل مكان . والظلم كثير . والرذيلة شائعة . والشقاء والفقر سائدان . والفساد في كل شيء يكاد يكون عاماً . ولكن ما العمل . كذا قُضي على الانسانية ان تكون في اول امرها . ان الانسانية كالثمرة التي قال فيها احد كتاب العرب (١)

(١) بديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله

« تكون مُرَّة قبل تمامها · ثم تصيرة مُزَّة كثيرًا من ايامها · ثم تكون لجة عفصة · ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها · حتى تصبح رطبًا جنيًا · وتؤكل حلوًا هنيًا » ونحن الان في دور العفوصة فاصبر فاننا سنصل الى الدور الاخير واعلم ان من نواميس هذا الكون القاسية الغريبة ان لا يخطو العالم خطوة الى الامام الا بعدان تشق نفوس وتسفك دماء · فاذا طلبنا الارتقاء فلا نبخل على المستقبل بشيء من العناء والتسليم بل والدماء اذا كان ذلك ضروريًا · وقد قابلت امس رجلاً قادمًا من عند القيصر نفسه وهو مطلع على اسراره فابلغني ان القيصر يهتم بك كثيرًا وقد اعدّ لك وظيفة جديدة سامية اسمى من وظيفتك الحاضرة في جنوبي افريقيا ولا بد ان يستدعيك اليها قريبًا · ولهذه الوظيفة علاقة بالموضوع الذي اتكلم عنه · وقد قصدتك هنا لاطلعك عليها · فهل ترضى بها

وكان كروجر مبهوتًا صامتًا فاجاب · وما هي · فقال الشاب هي « السكرتير الاول لملكة السلام » فقال كروجر اني اسألك لا تخبر لا لامر آخر ولذلك اقول لك انني لم افهم شيئًا من قولك « ملكة السلام »

فقال الشاب بعظمة اعجب بها الرئيس كروجر وارتاح اليها

« ان العالم فاسد الآن لان اساسه فاسد · واساسه حكوماته فيجب اصلاح هذه الحكومات · واصلاحها لا يتم الا بتوحيدها وخضوعها لقانون واحد يجريها في طرق الخير ويصرف قوى شعوبها في سبيل الارتقاء لا في معدات الهلاك · فيجب قبل كل شيء توحيد ممالك العالم وانشاء تحالف عظيم بين جميع حكوماتها ليأمن بعضها بعضًا فتكون كلها بمثابة جمهوريات متحدة او ولايات متحدة

« وتوصلاً لهذه الغاية لم يجد القيصر الا سبيلاً واحدًا وهو تذليل كبرياء الملوك واقناعهم بوجوب ذلك التحالف العظيم · غير ان الطريق الى اذلال تلك الرؤوس الشامخة ليست سهلة وانت تعلم ذلك من نفسك لانك من تلك الرؤوس وقد سبب عنادك وشدة راسك شقاء شعب بامره · ولكن لما كان الحديد لا يفله الا الحديد فقد راى القيصر ان يستعين بالمرأة لاذلال كبرياء الرجل وصنع الخير الاعظم على يدها اللطيفة · فولى الامبراطورتين امه وقرينته ادارة حركة عظمى يقصد بها تقريب الملوك بعضهم من بعض وسمى امه ملكة السلام · واعلم ان ما اقوله لك الان امام الامبراطورة مي تاي هو سر لا يعلمه الا قليلون · فازوجت ملكة السلام ابنة امير الجبل اسود الى ملك ايطاليا

الجديد و بذلك استمالته الى روسيا وفصلته قليلاً عن التحالف الثلاثي . وستزوج كذلك كل ولي عهد من اولياء العهد باميرة يكون لها سلطة عليها او نفوذ لديها ومتى اصبحت هؤلاء الاميرات ملكات اثرن على ازواجهن التاثير المطلوب فيكون ذلك تمهيداً للاتحاد العمومي والاخاء العام . اما سمعت ما قيل من ان المرأة على العرش تحكم بالفعل والرجل يحكم بالاسم وان المراة اذا هزت السرير بيمينها فانها تستطيع هز الدنيا بشمالها

„ثم ان القيصر راى الحكومة الانكليزية كثيرة النفور من مشروع التحالف الاعظم الا اذا ضمت الترنسفال اليها وانشأت سلطنتها الافريقية فاذن لها في ذلك قائلاً اذا كانت الحدود كلها سترتفع من بين الممالك فما ضرّ ان ترتفع الحدود الآن بين انكلترا والترانسفال . ولكن لم ياذن لها بذلك الا بناء على ان يتزوج امير انكليزي بالفتاة ويلهلمين ملكة هولانده . والبوير هم هولانديو الاصل كما تعلم . فمتى اصبح الامير الانكليزي في قبضة ملكة هولانده استطاعت التاثير عليه ليسعى لدى امه الملكة فكتوريا في ان يكون اميراً للترانسفال . وهكذا تصبح ملكة هولانده ملكة الترنسفال ايضاً

„ثم حدثت الحركة العظيمة . فان القيصر رأى وجوب مزج عواطف العالم الاوربي مزجاً شديداً في حركة عنيفة فاشار الى امبراطورة الصين فانشات الحركة الصينية التي اتحدت فيها اميال الدول ومشى فيها العدوان فرنسا والمانيا والخصمان روسيا وانكلترا تحت راية واحدة وقيادة واحدة . وهو الان متابع السعي لتوحيد العالم وانشاء الاتحاد والسلام فيه على يد ملكة السلام كما تقدم . فهل تريد ان تكون سكرتيراً لها فان يديك تكون حينئذٍ فوق ايدي جميع ملوك العالم حتى فوق تشمبرلن نفسه . ومالك ومنصبك في جنوبي افريقيا فانه اصبح اسماً بلا مسمى فاذا شئت ذلك فهلم وعد الى بلادك لتهيئة شؤونك ثم سافر الى بطرسبرج عن طريق لورنسو مركز

فبهت كروجر قليلاً ثم قال . اريد قبل كل شيء مقابلة القيصر

فاجاب حينئذٍ ذلك الشاب بهدوء قائلاً „ انا هو فماذا تريدمني "

فنهض حينئذ الامبراطورة وكروجر مهابةً واحتراماً (ستأتي البقية)

نوجه الانظار الى كلمات على ظهر المجلة

تاريخ الاسبوعين

❊ الجناب الخديوي ❊ عاد الجناب الخديوي المعظم في اواخر الماضي من سياحته في اوربا الى بلاده بالعز والاقبال فاستأنس القطر بسموه بعد استيحاشه واقبلت الرعية من كل صوب لتهنئته بالسلامة فندعو معها لجنابه الفخيم بدوام العز وطول البقاء

وقد احتفل في يوم الثلثاء ٢٥ سبتمبر الجاري بعيد مولد سموه وجرى لذلك استقبالات حافلة في قصر راس التين اعاده الله على سموه بتمام العافية والهناء



غبطة السيد فوتيوس بطريرك الكرسي الاسكندري للروم الارثوذكس

❊ غبطة البطريرك الاسكندري ❊ وصل غبطة الحبر الجليل السيد فوتيوس بطريرك الكرسي الاسكندري الى الثغر في يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر الجاري مع الباخرة النمساوية للاحتفال باجلاسه على العرش البطريركي وتسليمه صولجان البطريركية . وقد جرى هذا الاحتفال

على غاية الرونق والبهاء فكان في الثغر يوم مشهود فنهنىء غبطته بالسلامة وبارتقائه الى هذا المنصب الرفيع ثم نكرر الرجاء بان يبلغ الكرسي البطريركي في عهده كل نجاح وفلاح باذن الله · وقد نشرنا في الجزء ٢٢ من السنة الاولى ترجمة غبطته

❊ دولتلو محمود باشا داماد ❊ حضر في اواسط الجاري الى الثغر دولتلو محمود باشا داماد صهر جلالة السلطان مع نجليه صاحبي النجابة الامير صباح الدين افندي ولطف الله افندي · وقد وصف حضرة الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد دولة الباشا ونجليه في خلال حديث في غاية الاهمية جرى له معهم في فندق ابات فقال ان دولة محمود باشا هو نجل المرحوم خليل باشا داماد صهر المغفور له السلطان محمود ولكنه من ام غير سلطانة · وهو يبلغ من العمر ٤٨ سنة ربعة القامة ممتلىء الجسم قمحي اللون عظيم الهامة تلوح على جبينه وعينيه ملامح الذكاء والفطنة وهو تركي الاصل كاتب منشىء وشاعر مجيد في لغته وعارف باللغتين الفارسية والفرنسوية وله شغل كثير بالعلوم العصرية

اما نجله الامير صباح الدين افندي فهو متوسط القامة قمحي اللون كوالده الا انه نحيف الجسم يعرف التركية والفرنسوية والعربية والفارسية وهو متبحر في الطبيعيات يكاد يقضي اكثر اوقاته في مطالعتها وسنه ٢٣ سنة · واما الامير لطف الله افندي فهو طويل القامة ممتلىء الجسم قليلاً ابيض اللون يعرف من اللغات ما يعرفه الامير اخوه الا انه مولع بالفنون الجميلة لا بالطبيعيات · وقد ترجما معاً الى التركية كتاباً من كتب «لامارتين» الشاعر الفرنسوي المشهور وطبع هذا الكتاب في الاستانة فاشتهر كثيراً · ومع الباشا ونجليه شاب اديب يدعى حسين دانش بك بمثابة سكرتير وكان معلماً للاميرين

ولا نحتاج الآن الى ذكر السبب الذي من اجله حضر دولتلو محمود باشا الى مصر فقد اصبح معلوماً انه خرج من الاستانة مع ولديه الكريمين مستاءً فساح في اوربا وكثيرون يؤكدون انه قدم الى القطر تمهيداً لعودته الى وطنه · وقد تقاطر حضرات النظار وكبار الناس لزيارة الامراء واجمل الجناب الخديوي ملاطفتهم واستقبالهم اكراماً للاسرة السلطانية · وتهافت مراسلو الجرائد لمقابلة دولة الباشا ومباحثته فنشروا عنه اقوالاً مختلفة

وقد زارنا جناب السكرتير حسين دانش بك فحادثناه اكثر من ساعة في شؤون مختلفة · فدعانا الى مقابلة الباشا والاميرين الكريمين فاعتذرنا لضيق الوقت وكان في حديثه كثير الادب والرزانة · ومما قاله لنا ان جلالة السلطان موضوع فوق الاحزاب وان

دولة الباشا يحترمه ويجله فاذا قال قولاً في شان الاصلاح فانما يعني به الحكومة لا جلالته فاثنينا على ادب دانش بك وعقله

ونحن نؤمل ان يصرف الامراء عندنا مدة على الرحب والسعة ثم يعودوا بامن وسلام الى وطنهم حيث تنتظرهم قلوب شفوقة ونفوس يؤلمها فراقهم . واملنا هذا ينطبق على ما قاله دولة الباشا في ختام حديثه مع حضرة مدير المؤيد اذ قال « انني صرت افضل العناية بصحتي الآن على كل شيء ويكون بعد ذلك ما يريده الله »

﴿الحوادث الخارجية﴾ من اهم حوادث هذا الشهر سفر الرئيس كروجر من الترانسفال الى لورنسو ماركز قاصداً اوربا ليسأل حكوماتها التوسط للابقاء على استقلال بلاده تحت سيادة انكلترا . وانما عزم الرئيس كروجر هذا العزم لانه راى صعوبة ثبات جنده القليل امام جند خصمه الكثير . اما الحرب نفسها فانها كما قلنا قبلاً اصبحت حرب مناوشات لكن لا يُخشى ان تطول اشهراً على هذا المنوال . وقد صار البوير يلجأون الى الاراضي البرتغالية افواجاً افواجاً فراراً من عدوهم الذي يطاردهم . ومما يجدر ذكره ان الحكومة الانكليزية اعلنت قرب عودة اللورد روبرتس من ساحة القتال ليتولى اصلاح الجيش الانكليزي

وقد بدأت الانتخابات في انكلترا وسيكون العراك شديداً بين المحافظين والاحرار . فالمحافظون يقولون انهم خلصوا المملكة من الخطر لانهم اخضعوا الترانسفال وانقذوا افريقيا فضلاً عن ان حزب الاحرار حزب متفرق الكلمة ومن غير جامعة شاملة فلا يجب تسليمه زمام الحكومة . وحزب الاحرار يقول ان المحافظين اهملوا الاصلاحات الداخلية واهملوا شؤون الجيش حتى اذلوا انكلترا ذلاً لم تُصب بمثله منذ حربها مع اميركا . كذا قال اللورد روزبري في المنشور الذي نشره . وذلك يثبت ان العراك سيكون شديداً

واما مسالة الصين فقد اصبحت مسالة بين الدول فان روسيا بعد استيلاء الدول على بكين اقترحت عليهن الجلاء عنها لعودة الحكومة الصينية اليها تمكناً من مخابرة هيئة مسئولة فعارضت انكلترا في ذلك فسحبت روسيا سفارتها وجندها من بكين . وقد نشرت المانيا مذكرة قالت فيها انه يجب على الصين ان تدفع الذين كانوا سبب الثورة الى الدول لمعاقبتهم فاجابتها الولايات المتحدة ان الدولة لا تستطيع ان تسلم ابناءها الى الغرباء لمعاقبتهم بل ان عقابهم اذا كان منها فهو افعل فيهم . وقد وصل المارشال والدرسي الى شنغاي وسافر نحو تيينتسين وعزمت الجنود الاميركية ان لا تشترك في المعارك التي يجريها هذا

المارشال تحت قيادته على سبيل الهجوم · والخلاصة ان مسالة الصين لا يزال جوها مكفهرًا

وقد حدثت في خلال هذا الشهر حادثة هائلة في تكساس احدى الولايات المتحدة الاميركية · فان اعصارًا شديدًا هب على مدينة كالفستون وجوارها فهدم المنازل واتلف الزروع وكسر الاشجار وقتل الوفًا من الناس وحفر الارض واغرقها بطوفان من الماء · فنشط العبيد هناك الى النهب والاعتداء على النساء وسلبهن فقتلت الجنود بعضًا منهم حفظًا للامن واعلنت الاحكام العرفية لاضطراب الحالة فيها اشد اضطراب · اما مدينة كالفستون نفسها فانها ستهجر لانها اصبحت خرابًا · وقد مرَّ الاعصار في مزارع القطن فاصابها بضرر بعضهم يقدره بمائة الف بالة والبعض بنصف مليون بالة · ثم ان هذا الاعصار بعد تخريب ماخربه في تكساس اندفع نحو الاوقيانوس الاتلانتيكي فكنس كل ما وجده في طريقه على مسافة مئات من الاميال في ظهر البحر

والاعصار زوبعة هائلة تكون في بدء الامر بقعة صغيرة من السحاب ثم تتسع وتنتشر وتزداد اسودادًا ثم تهجم تدفعها ريح شديدة هائلة وتملاها في جوفها الكهربائية يخرج منها قصف البرق والرعد ويعقبها مطر تسيل به الارض وقد يتدلى منها اعمدة من السحاب فيسميها العامة في بر الشام تنينًا · وهي تجتاح كل ما تمر به من المنازل والاشجار والبشر والحيوان بل ربما حملتهم وطارت بهم في الهواء الى مسافات بعيدة

فعسى ان يكون هذا المصاب الذي اصيبت به ولاية تكساس لم يمس اخواننا العثمانيين الذين هناك بضرر واذى بمنه وكرمه

نهضة الاسد

ما كان يخطر في البال حين شروعنا بكتابة رواية نهضة الاسد انها تلقى الاقبال العظيم الذي لقيته الى الآن فان القراء ومحبي التاريخ يبعثون كل يوم في طلبها من اقاصي البلاد التي تصل الجامعة اليها ليحفظوها على حدة عندهم حتى اخذت النسخ التي حفظناها منها تقل كثيرًا · وقد مضت الآن نوبة التاريخ وجاءت نوبة الحوادث الفكاهية الممزوجة بالحوادث التاريخية مزجًا في غاية الطلاوة كما ترى في القسم المنشور منها في هذا الجزء

وهي تطلب الآن من ادارة المجلة وثمنها عشرة غروش صاغ تُرسل سلفًا

ثم انها بعد رضاها اخذت تفكر ملياً وما لبثت ان قالت هذا امر لا يخلو من نظر فانه قد اصبح من واجبات ابنتي كاترين ان تطوف الحقول والغابات وتروح وتجيء وهذا من شؤون الرجال

فقال بيتو على الفور لا تخافي لا تخافي يا مدام بيلو فانني اكون رفيقاً لها حيثما ذهبت

فعبست كاترين . فارتجف قلب بيتو المسكين لذلك وقال خائفاً هل ساءك قولي يامدامو زل كاترين

فاجابت بهدوء نعم لان ما قلته ثرثرة في غير محلها . فاحمر وجه بيتو . وقالت مدام بيلو صدقت كاترين فانها تأنف من وجود حرس يحرسها . فقال بيتو بلهجة من يقول قولاً وهو يظن انه لا مردّ له . وما قولك حين ذهابها في الاحراش والحقول البعيدة الا تحتاج حينئذٍ الى حارس ايضاً . فقالت كاترين اين رايت البنات يامسيو بيتو يسحبن وراءهن شباناً مثلك في كل حركة من حركاتهن . افي باريز رايت ذلك

فكانت هذه الضربة الشديدة كافية لاسكات بيتو المسكين

وبعد ذلك اخرجت مدام بيلو مفاتيح الخزائن والاماكن وجمعت جميع العاملين في المزرعة لتبلغهم ارادة الاب بيلو وتسلم الاعمال الى ابنتها

ولما اخذوا يجتمعون وعلموا بطرف من سبب اجتماعهم اظهروا سرورهم بذلك لانهم كانوا يحبون كاترين ويحترمونها معاً . يحبونها لان هذه الابنة جمعت في نفسها كل الصفات التي تجعل الابنة محبوبة فهي لطيفة كريمة الاخلاق جميلة سخية . ويحترمونها لانها كانت اذا لاطفتهم فانها تصل معهم الى حد معلوم من اللطف لا تتعداه اي انها تبقي دائماً بينها وبينهم حاجزاً

ولم ينفرد العملة في المزرعة بحبها بل ان كل ما في المزرعة من الحيوان كان مولعاً بها. فانها اذا سارت في الحقول اسرعت اليها البقر والحملان لالفتها اياها . واذا سارت في دار المزرعة وقع الحمام عليها فنزل منه على كتفيها وحام الباقي حولها وفوق وجهها وكاترين تبسم لها . واذا دخلت الاسطبل حمحمت الخيل فيهاوقس على ذلك . فتكون كاترين هي صاحبة السلطة الادبية الحقيقية في المزرعة فمن حقها اذاً ان تضاف الى هذه السلطة الادبية السلطة الفعلية

ان في ادوار المراة دوراً يجعلها كالمغناطيس تجذب كل شيء . وهذا الدور هو دور الصباوالشباب . فعلى المراة ان تراقب جاذبيتها في هذا الدور لكي لاتدع شيئاًرديئاًينجذب اليها

ولما تكامل عدد العملة تقدمت منهم مدام بيلو ووراءها كاترين وبيتو وقالت لهم · ان زوجي بقي في باريز الى اجل غير معلوم · وقد علم انني متقدمة في السن لا استطيع القيام بحاجات المزرعة بالنشاط الواجب لها فارسل مع بيتو يعهد بذلك الى ابنتي كاترين النشيطة التي تعرفون حسن ادارتها· فاعتبروها منذ الآن مديرة للمزرعة بدلاً مني وانا اول الطائعين لها

فاظهر العملة سرورهم بتولي كاترين ادارتهم فشكرتهم كاترين على ذلك · فطلبوا منها ان تعين لهم اعمالهم فابقت كل واحد منهم في العمل الذي كان يعمله

وكان بيتو في اثناء ذلك يسمع ويرى وهو ساكت لالم الضربة التي ضربته اياها كاترين آنفاً · فلما انصرف العملة الى اعمالهم وجاءت نوبته تقدم منها وقال خاضعاً · وانا يا مداموزل كاترين · ماذا تريدين ان اعمل في المزرعة

فابتسمت كاترين له وقالت · انت · لا شيء يامسيو بيتو · فلم يفهم بيتو هذا الكلام فقال هل تحبين ان اعود الى حسابات المزرعة · فاجابت كاترين حينئذ وهي غير مبتسمة · انا لا ارى لك عملاً في المزرعة يامسيو بيتو

ففتح بيتو فاه وعينيه وحاول ان يسد اذنيه حتى لا يسمع ماسمع · ثم قال متألماً كيف تقولين لا عمل لي في المزرعة · فاجابت كاترين نعم لا عمل لك لانني لا اريد ان اهينك يامسيو بيتو · فانت الآن اصبحت رجلاً عالماً كبير الجاه لانك من فاتحي الباستيل والعلم وكبر الجاه لا ينطبقان على الخدمة في مزرعة

فعلم حينئذ بيتو ان كاترين تتكلم دون مزاح فقال · اذن انت ترين الآن ان علي يوجب طردي من المزرعة ومنعي من اكتساب خبزي · فقالت كاترين من يطردك يامسيو بيتو ؟ ابق عندنا اذا شئت ولكنك تبقى دون عمل

فثارت كبرياء بيتو وحبه · واحد يجذب وواحد يدفع · اما كبرياؤه فانها كانت توجب عليه ترك المزرعة حفظاً لكرامته بعد القول الذي قالته مدامو زل كاترين · واما حبه فكان يقول له اسكت وتذلل والتمس يابيتو

فقال للمصالحة بين الاثنين · الا تريدين ناظراً للحقول يا مدامو زل كاترين · الا تحتاجين الى مراقب للماشية في المزرعة · الا يلزمك من يقيد حساباتك او يتولى صندوقك · وبالجملة الا يوجد عندك مكان صغير لي اخدمك فيه على الراس والعين

قال ذلك وانتظر جواب كاترين · ولبث ناظراً الى شفتيها الجميلتين ليرى حركتها فما لبث ان رآها قد انفتحتا قليلاً وخرجت منها هذه الكلمة الهائلة — كلا

فازداد الم بيتو وعلم من هذا الرفض ان كاترين مصممة على ان لاتوليه عملاً . فقال لها . اتحبين اذاً ان اترك المزرعة

فابتسمت كاترين . واما بيتو فتنهد لهذه الفتاة التي كانت تلعب بقلبه كانه في يدها عصفورة تذبحه وهي تبتسم . ثم قالت له كاترين يعز علينا فراقك يا مسيو بيتو واذا ذهبت فاننا ناسف لذهابك قالت هذا ثم قصدت غرفتها

الفصل السادس والعشرون

(كاترين افلتت من يده)

فبقي بيتو المسكين في اضطراب عظيم كانه ريشة في مهب الريح وفي نفسه مرارة اليأس والهم والغم . وقد اصبح يرى ان جميع آماله حبطت وذهبت ادراج الرياح . اين ما كان يعلل به نفسه من لطف كاترين وميلها اليه . اين ما كان يرجيه من السعادة في المعيشة في بيت كاترين . بقرب كاترين . وتحت نظر كاترين . كل ذلك ذهب هباء منثوراً . لقد سقطت القصور التي بناها بيتو في الهواء فلم يبقَ له الا السكوت وانتظار رحمة كاترين

فذهب وهو صاغر النفس مكسور القلب ملوي الرأس الى المقعد الموضوع بازاء غرفة كاترين وجاس يرقبها وينظر اليها كما يرقب المجوسي طلوع الشمس في الصباح

فما لبث بيتو ان رأى خيالاً في الغرفة يروح ويجيء فامعن النظر فراى ان كاترين تتزين وتلبس ملابسها الجميلة امام مرآتها . فغص بريقه ووضع يده على قلبه . ثم لما عاد من سكرته اخذ يسال نفسه . لماذا تتزين الآن كاترين . لماذا تلبس اليوم ملابس العيد

وبعد برهة خرجت كاترين من غرفتها وطلبت جوادها . فحك بيتو راسه وسال نفسه اين تذهب كاترين . فاحضروا لها الجواد فوضعت يدها على لجامه وقالت للخادم انها ذاهبة لافتقاد الحقول في فرته ميلون ثم وثبت وثبة عصفور خفيف فاصبحت في السرج وسارت في طريق فرته ميلون

فبعد ان سارت كاترين قال بيتو في نفسه : ان في استطاعة كاترين ان تقول لي — لا احب ان اراك . ولكنها لا تستطيع ان تقول لي — امنعك من ان تتبعني . قال هذا ونهض يقفو اثار كاترين

ذلك ان الفتى بيتو اصبح غير قادر على المعيشة دون كاترين لانها صارت منتهى امله واقصى امانيه . وكان غرضه من اقتفاء اثارها ان ينظر اليها نظرة حين مرورها . وتوصلاً

الى ذلك لم يسر وراءها بل قطع عليها الطريق وسار توًا الى الحرش القريب الذي كان يجب ان تمر به في سيرها الى فرته ميلون

وقد كان بيتو في سيره الى هذا الحرش مسرعًا يختبيء من حين الى حين لكي لا تراه كاترين · ولما بلغه اختبأ وراء شجرة على الطريق ليتسنى له ان يتزود من كاترين نظرة حين مرورها

فما اقنع بيتو وما اقل خطر الحب اذا كان كله كما كان يحب

ولبث بيتو ينتظر كاترين وراء الشجرة بصبر فارغ وكله اعين ترى الطريق وتفتش عن شبح كاترين من بعيد دون ان ترى شيئًا · ومرَّ عليه ربع ساعة ثم نصف وهو واقف هذه الوقفة من غير نتيجة · فشعر بيتو انه اخطأ في حسابه بل شعر ان كاترين قد كذبت في ما قالته من قصدها فرته ميلون لانها لو كانت ذاهبة اليها لوجب ان تكون قد مرَّت من هذه الطريق · فخطر له حينئذٍ ان كاترين قد غيرت طريقها وافلتت من يده فوثب من مكانه وثبة الارنب التي يناجئها الصياد حتى خرج من الحرش ومدّ بصره الى الطريق

فابصر بيتو كاترين على الطريق المقابلة وهي سائرة بجوادها ركضًا نحو بورسون اذ غيرت طريقها واجتازت تلك الناحية · فطار صوابه وحمحم حمحمة الجواد الذي يطلب الركض ثم انه من غير ان يفتكر بشيء او ينظر الى شيء اطلق ساقيه الطويلتين وراء الجواد وراح يعدو من كل قوته

وانت تعرف قوة بيتو وسرعته في الركض · فان ساقيه قد خُلقتا من فصيلة الخيل لا من فصيلة البشر ولذلك لم تكونا تقصران عن الخيل في الركض ان لم نقل انهما تسبقانها

وبينما كان بيتو يركض ورجلاه تسابقان راسه ويداه الطويلتان كانهما مجاذيف تتحرك حركة شديدة في الهواء وكل جسمه مضطرب ثائر قال في نفسه ان الاجدر به ان يصنع ما صنعه في المرة الاولى اي قطع الطريق على الجواد وقصد حرش بورسون توًا ليتسنى له الوصول اليه قبله · فحاد بيتو باسرع من لمح البصر عن الطريق وانطلق كالسهم الى الحرش

وكانت كاترين في هذه الاثناء ثابتة بقامتها الهيفاء على متن جوادها والجواد يعدو بها والنسيم يعبث بشعرها ويداعب ملابسها · وكان بيتو يركض يركض يركض وعيناه شاخصتان الى جميلته كاترين وهو خائف ان تلتفت وتراه · ولكن فات هذا المسكين ان كاترين كان بالها مشغولاً في تلك الساعة بما امامها لا بما وراءها

وبقي بيتو يركض على ساقيه وكاترين تركض على فرسها حتى اصبح بيتو على موازاة الجواد فكانه ركض ضعف ركضه حتى استطاع ان يوازيه · ذلك ان بيتو كاد يشق نفسه بهذا الركض السريع ليقف على سبب كذب كاترين واصبح الآن يتبعها ليراقبها لا ليراها · فانها قالت قبل خروجها من المزرعة انها سائرة الى فرته ميلون فلماذا كذبت وقصدت بورسون

ولما وصل بيتو الى الحرش في ركضه السريع اصبح يجد في طريقه الادغال والنباتات تمنعه عن السير فكان يقمز فوق بعضها ويضرب البعض الآخر بسيفه وهو يعدو فيقطعه · وكان كلما ضرب ضربة راى فرس كاترين يرفع راسه في سيره وينصب اذنيه ناظرًا الى المكان الذي صدر عنه صوت الضربة · فازداد بيتو حرصًا على الاختباء وهو يركض

وكان قد اخذ يسبق الجواد بعد موازاته فتمهل في ركضه حتى لا يفوته · وفيما هو سائر وعيناه شاخصتان الى كاترين من بعيد سمع حمحمة جواد قادم تتلوها حمحمة جواد كاترين · فقال بيتو في نفسه ربما قد وصلنا · وبعد برهة راى فارسًا مسرعًا صوب كاترين لملاقاتها

فابتدأ الالم في نفس بيتو ولكنه كان هذه المرة شديدًا لا يحتمل · فاخذ يتميز لوائح الشاب فلم يقدر على ذلك لانه كان بعيدًا عنه · وكان الشاب قد وصل الى كاترين ووصلت كاترين اليه فعلم من الاحمرار الذي صبغ وجه الفتاة حين مده يده للتسليم عليها ومن الابتسام الذي انار وجهها فوق نور الاحمرار ان كاترين مرتاحة جدًا الى هذا الملتقى · فدنا بيتو قليلاً من الاثنين ووجه كل قوى نفسه الى وجه هذا الشاب فلم يتميزه · ولكنه ادرك من قبعته وجلوسه في سرج جواده ولطف حركاته ورشاقته حين نزوله عنه للاخذ بركاب كاترين ومساعدتها على النزول انه من اعلى طبقات الهيئة الاجتماعية · فبهت في نفس بيتو زوبعة هائلة اذ ذكر ان هذا الشاب قد يكون هو المسيو ايزيدور دي شارني الذي رآه يومًا يرقص مع كاترين في فيلله كوتره رقصًا بديعًا وصاحب القصر البديع في بورسون · فلم يعد بعد هذا الفكر يستطيع الصبر عن الدنو منها فتقدم مسرعًا وهو يختبئ بين الادغال وجذوع الاشجار حتى اصبح على بعد ٢٠ خطوة منها

غير انه ما وصل الى هذا المكان حتى راى الشاب قد التفت اليه لصوت حركة الاقدام فاستلقى بيتو باسرع من لمح البصر على بطنه الى الارض ومد جسمه عليها فاصبح كانه داخل فيها · اما الشاب فلما لم يرَ احدًا ترك النظر الى ذلك المكان

واما كاترين فان اذنيها ما كانت تسمع صوتاً لان عينيها كانتا مشتغلين بالشاب الذي امامها

واما بيتو فانه راى وجه الشاب حينما التفت اليه فوجد انه هو المسيو ايزيدور دي شارني نفسه فزأر في نفسه زئيراً يحكي زئير الاسود وعض شفتيه باسنانه ومد يده الضخمة الى قلبه بشدة وقوة كانه يحاول تسكين هياجه العظيم او يريد نزع عقارب الغيرة والحسد الهائل التي اخذت تدب فيه دبيباً هائلاً . ثم ادنى بيتو وهو في هذا الهياج والعذاب يده من عينه ومسح دمعة اخذت تبرز فيها . ثم تنهد من اعماق قلبه وخرج من صدره مع زفرات التنهد هذا الصوت — آه يا كاترين

وكانت كاترين والشاب واقفين في هذه الاثناء الواحد بازاء الآخر ساكتين والارواح تتكلم وكل منهما شاخص الى رفيقه . وكان بيتو وهو يراهما يرى منظراً بديعاً يروق العيون . فانه كان يرى منتهى الجمال الطبيعي الفلاحي مقروناً بمنتهى عظمة النبلاء وجمالهم . يرى زهرتين في منتهى الجمال وشرخ الصبا واقفتين في هدوء المساء تحت اشجار الحرش الغضة وفوقهما العصافير تغرد كانها تردد جهراً ما كانا يقولانه سراً . يرى جسمين جامدين وسط تلك الطبيعة المتحركة التي كانت تستعد لسبات النوم ونسيم المساء يهب على الاغصان فيحركها تحريكاً خفيفاً كانه روح الاثنين ضاقت عنها مادة البدن فخرجت الى الفضاء الواسع الذي اخذت منه قبلاً . يرى السماء تظلل بزرقتها من بعيد هذين الملتقيين وتمدها بشيء من بهاء لونها . يرى الشمس وهي مائلة نحو كهفها البارد ترسل اليهما شيئاً من اشعتها الصفراء الفاترة كانها تسلم تسليم الخضوع والاحترام على اختها كاترين وتغبطها على الهناء الذي تجده في ذلك الملتقى بينما هي مفارقة حبيبها العالم . — ولكن كل هذه المناظر والتصورات التي كانت تملأ عيني بيتو جمالاً وحلاوةً كانت تملأ نفسه غيظاً ويأساً وشقاء فيشعر باشد عذاب تشعر به مهجة انسان . واي عذاب اشد من عذاب نحب حباً صحيحاً كبيتو يري آماله واحلامه تذهب في الهواء في ساعة واحدة

وبينما بيتو يراقب كاترين والشاب ايزيدور وكله اعين ترى سمع صوتاً من جهتهم فاصبح كله اذاناً تسمع . واذا بكاترين تقول

— ابطأت اليوم يامسيو ايزيدور

فقال بيتو في نفسه — ما شاء الله فهو اذاً في الايام الاخرى ما كان يُبطىء

فاجاب الشاب . لا تلوميني ياعزيزتي كاترين فقد اخذت اليوم كتاباً من اخي الكونت دي شارني في باريز فكان سبب ابطائي . واعدكِ انني لا ابطيء بعد الآن

فابتسمت كاترين اما بيتو فان قلبه كان يقطر دماً . ثم قالت كاترين . الظاهر انك قد وردتك اخبار من باريز . قال نعم واني ارى الحال سيئة . قالت وانا ايضاً وردتني اخبار منها . قال مع من قالت مع " بيتو "

فضحك الشاب وقال " بيتو بيتو " ما هذا بيتو . انه في الحقيقة اسم مضحك

فاخذ بيتو يحك راسه عند هذا الكلام

فقالت كاترين ان بيتو هو ذلك الفتى الذي رايته يوماً معي في حفلة الرقص في فيلله كوتريه . فقال الشاب ضاحكاً عرفته عرفته فهو صاحب الركبتين التي كل واحدة منهما كانها راس طفل من كبرها

فضحكت كاترين ضحكاً شديداً اما بيتو فانه في مخباءه اصبح يرى نفسه صغيراً صغيراً اصغر من النمل والحشرات التي كانت تزحف تحته في نومه على الارض . ثم نظر الى ركبتيه ليرى هل هما حقيقة كما قال الشاب النبيل . اما كاترين فقالت للشاب وهي تضحك . لا لا . ارجوك ان لا تضحك من بيتو كثيراً . ولو كنت اعلم ان ضحكك منه لا يزداد لكنت اقول لك ماذا اقترحه عليَّ هذا الولد قبل حضوري

فلما قالت كاترين " هذا الولد " شعر بيتو ان نفسه ازدادت صغراً

فقال الشاب وماذا اقترحه عليك . قالت وهي تضحك ايضاً اقترح عليَّ ان يصحبني الى هنا . فازداد الشاب ضحكاً وقال ولماذا لم تاتِ به فانه كان يسلينا

فهنا اخذت جبهة بيتو المسكين تنضح عرقاً لتاثره وعذابه وقال في نفسه كانني اضحوكة حتى اُسلي هذا البارد

فاجابت كاترين على سؤال الشاب . نعم يسلينا ولكن ما كل مرة . قالت هذا وصبغ الحياء والخجل وجهها . فضحك ايزيدور دي شارني ومد يديه فضم راسها المصبوغ بماء الخجل والحياء ليقبلها

فطارت نفس بيتو شعاعاً فاغمض عينيه وستر وجهه بيديه لكي لا يرى القبلة ثم اخذ بشعره يشده من اليأس . ولكن هذا التعيس قد نسي من سوء حظه ان يسد اذنيه فسمع صوت القبلة وان لم يرَها

وكان المساء قد امسى واخذ ينزل على العالم ذلك الستار الرهيب الهادىء الجميل الذي يُسمى ظلاماً . فلما رفع بيتو راسه بعد اغماضه عينيه راى الشاب والفتاة قد اخذ كل منهما بيد رفيقه وسارا وهما يقودان فرسيهما اللذين كانا في اثناء تلك المدة يتلاعبان ويتداعبان

لانهما الفا بعضهما البعض لطول اللقاء والعبد على دين سيده

فرآهما بيتو يبعدان عنه بعينين ملئهما الغيظ دون الدمع لان نفس بيتو بعد تلك القبلة وهذا الملتقى قد تغيرت كما تتغير نفس حرّ ينبو عن الضيم و يأبى الذل فقام واقفاً فسمع كاترين وهي ذاهبة مع رفيقها تقول له — اصبت فلنتنزه في هذا المكان الجميل فما احلى النزهة في هذه العزلة (١)

واما بيتو فقال في نفسه اني عائد ولكن لا الى مزرعة بيلو . فان نفسي تكره الاكل من خبز امراة تحب رجلاً سواي وفي الحقيقة انه اجدر بجمالها . قال هذا ثم اتجه صوب هرامونت مسقط راسه حيث ينتظره فيها شان عظيم ومقام كريم وكان بيتو وهو سائر الى هرامونت يهز راسه ويقول في نفسه — ما يصنع الاب بيلو لو علم بكل هذا . ثم يقول: هذه نتيجة تولية النساء

الفصل السابع والعشرون

(بيتو خطيب)

ولما وصل بيتو الى مسقط راسه هرامونت استأجر غرفة فيها وكان ذكر خوذته وسيفه لا يزال في اذهان اولئك القرويين فلما دروا باقامته عندهم سروا كل السرور واكرموه كل الاكرام حتى انهم كانوا يجتمعون عليه في الشوارع لمشاهدة سيفه وخوذته كما يجتمعون على امر غريب فانتشر صيته بينهم انتشاراً عظيماً

وزيادة في اكرامه وايجاد علائق معه اوفدوا اليه في ذات يوم وفداً لزيارته والسؤال منه عن راحته وحوائجه فاستقبلهم بيتو بلطف واكرام ولما انتهت زيارتهم شيعهم الى باب الغرفة واخذ يشكرهم على التفاتهم وعنايتهم

فاتخذ كلامه معهم اسلوب الخطابة فاصغى اليه اولئك القرويون بارتياح شديد . ومعلوم ان بيتو قد تلقى في المدرسة بعض الدروس الادبية فضلاً عن سماعه خطب الخطباء في باريز فكان يعلم الكلم الثماني التي يثير بها قواد الامم افكار الشعوب ويقودونها الى حيثما يشاؤن وهي — الحرية والوطن والاستقلال والعظمة والعائلة وما اشبهها . ولذلك اخذ يؤثر على اولئك القرويون . فاستهل كلامه بمطلع على طريقة لافاييت اذ قال ما نصه

---

(١) يجدر بعقلاء القراء ان لا يسرعوا في اللوم لوضعنا في المجلة حباً كهذا الحب بل فلينتظروا الى الحوادث المقبلة

— ايها الاخوان . يلذ لي ان اسميكم اخوانًا لان كل الفرنسويين عائلة واحدة . اني وجدت عندكم هنا في مسقط رامي من الاكرام ما جعلني احسب نفسي في عائلتي

وكان بعض النساء في جملة الحاضرين فلما سمعن قول بيتو اني احسب نفسي في عائلتي اثرت فيهن هذه الكلمة اعظم تاثير لمعرفتهن يتم بيتو وموت اهله منذ صباه فاذرفن الدمع وكان ذلك بدء تاثيره وتوفيقه

فحكى بيتو في خطابه قصته منذ سفره الى باريز ثم فصل اعماله واعمال الشعب هناك حتى فتح الباستيل . واستنتج من ذلك ان الشعب كما انه نهض في باريز لمقاومة الظلم وطلب الحرية كذلك يجب ان ينهض في هرامونت لهذا الغرض النبيل

فكان الحاضرون يتحمسون ويصفقون كثيرًا

ثم ختم كلامه باشارة حماسية كهربت نفوس الحاضرين فانه القى سيفه الى الارض ثم تناوله وجرده بعظمة فتحركت في نفوس الناظرين عواطف الحماسة والبسالة وصاروا يهتفون ويستحسنون كلام بيتو . وبذلك كان بيتو لم ينشيء خطابًا ولكنه انشأ ثورة

وفي ليلة ذلك اليوم نام بيتو متاثرًا . فانه سر بالفوز الذي اصابه لدى اهالي هرامونت ولكن فوزه اذكره كاترين فبقي في هذه الليلة يتقلب على فراشه حتى الساعة الحادية عشرة لتاثره من ذكرى فوزه وذكرى كاترين . ولكن ما لبثت اعضاؤه ان خدرت واجفانه ان ثقلت فنام ملء عينيه . فابصر في نومه انه يخطب على الوف من الناس وبينهم كاترين تصفق له تصفيقًا شديدًا مع المصفقين . وكأنه قال قولاً بليغًا جدًا فدوت قاعة الخطابة من تصفيق الحاضرين وهتافهم دويًا انتبه له بيتو من نومه . وكانت الساعة السادسة صباحًا

فلما فتح بيتو عينيه في فراشه ابصر من نافذته جمهورًا من اهالي هرامونت يبلغ ٢٠ نفسًا ينظرون اليه من النافذة ويشاهدون نومه . فعجب بيتو من تبكيرهم ونهض اليهم باسمًا نهوض القائد المنتصر فسلم عليهم وسالهم ماذا يطلبون . فتقدم احدهم وهو الذي عهد اليه ان يتكلم بالنيابة عنهم وقال . علمتنا امس يامسيو بيتو انه يجب على شعب هرامونت ان يتسلح كما تسلح شعب باريز ليكون على حذر وقد وقع اقتراحك هذا في نفوسنا اشد وقع فصرفنا ليلنا ونحن نتباحث في الامر ثم جئناك الآن نطلب منك ان ترشدنا عن الطرق التي نطلب بها الحرية

فابتسم بيتو وقال اما الطريق الى الحرية فهي واحدة وهي البنادق والحراب . فتقدم حينئذٍ الباقون وقال احدهم نعم ولكن من اين لنا السلاح . فقال بيتو كم عدد الرجال في

هذه القرية فقالوا له عددنا ٣٢ شخصاً فقال بيتو فعليّ اذاً تدبير السلاح لكم

فطار القرويون فرحاً · فاستانف بيتو الكلام قائلاً · نعم انا ادبر لكم سلاحكم فانني اعلم ان في منزل الاب فورتيه صاحب المدرسة كثيراً من البنادق فناخذ منها حاجتنا · فقال قائل من الجمع وان لم يعطنا منها · فقال بيتو نغصبها لان البنادق ملك الحكومة لا ملكه · فقال احد الحاضرين لا باس بذلك فلنتسلح خدمة للحرية ولكن يجب ان لا يطول امرنا في ذلك لوجوب عودتنا الى العمل في حقولنا

فقهقه هنا بيتو وقال ماذا تقول · العمل · واي عمل تعني · فقال ذلك الرجل بشيء من الجبن قلت ان نعود الى العمل لعلي اننا اذا لم نعمل لم نكسب شيئاً لنا كل ونسد رمقنا

فضحك بيتو وقال " ان نا كل " وهل يا كل الذين يطلبون خدمة الحرية · هل اكل الذين فتحوا الباستيل في ١٤ لوليو · نعم شربوا لان الحر كان شديداً وحر البارود يزيد النفوس ظماء · اما الاكل فالذين يطلبون الحرية لا يسالون عنه (١)

فاعجب القرويون هذا الكلام ولكن جريئاً منهم اعترض بقوله وهل لم يا كل الباريزيون في اليوم التالي · فاجاب بيتو نعم لا بد ان يكونوا قد اكلوا في اليوم التالي · فقال الرجل فاذا كانوا قد اكلوا فذلك دليل على انهم عملوا اذ لا اكل بلا عمل

فقال بيتو بهيئة جدية · انت لا تعرف باريز يامسيو بونيفاك فتقيسها على هرامونت وباقي القرى · ان باريز كما يقول المسيو لافاييت هي دماغ الامم وراس الشعوب لانها تفتكر لجميع الناس فهل سمعت ان الدماغ يا كل

فاكبر هولاء القرويون البسطاء هذا القول وصاحوا احسنت يابيتو · ولكن بونيفاك اعترض بقوله فكيف يعيش اهلها اذاً · فقال بيتو بهيئة خطيرة يعيشون كما يعيش الدماغ · انظر الى دماغك هل يا كل · هل يشرب · ومع ذلك فهو حي · ومع ذلك انت حي تروح وتجيء · ذلك ان باقي الاعضاء تسعى وتعمل وتا كل خدمة للدماغ · وهكذا باريز والمدن والقرى التابعة لهاالتي هي منها بمنزلة الاعضاء

ثم راى بيتو ان سامعيه مدهوشين من كلامه ومصغين اليه بتمام الارتياح فاغتنم هذه الفرصة لزيادة التاثير عليهم فقال

ومع ذلك فانك تقولون العمل العمل · فماذا تسمون تسلحنا وسهرنا وسعينا اليس هذا

(١) اراد المؤلف بذكر هذه الامور شرح حركة الثورة في القرى والمدن الصغيرة بعد شرح تفاصيلها في باريز ولذلك لم نختصر الكلام كثيراً

عملاً . واي عمل اشرف من هذا العمل الذي يقضي بالدفاع عن شرف امة وحياتها وحريتها . تسمون الذي يحرس الارض و يزرعها لاستنبات الحبوب منها عاملاً ولكن ماذا تسمون الذي يفتكر و يعمل بقوة عقله الاعمال العظيمة الا تسمونه عاملاً عظيماً فانا الآن اذاً اكثر عملاً منكم لانكم انتم تعملون باستخراج خيرات الارض اما انا فاعمل لتحريركم ومنحكم الحرية التي هي اعظم خيرات الارض والسماء فدقيقة من دقائقي توازي في الاهمية اياماً من ايامكم انتم كالبقر تزحفون على الارض وانا كالنسر ارفرف في الهواء فانا اذا وحدي افضل منكم كلكم . انظروا الى المسيو لافاييت فانه رجل صغير الجسم ذو يدين ضعيفتين وساقين نحيفتين ومع ذلك فقد حمل على ظهره عالمين اميركا وفرنسا و يداه الضعيفة قد كسرت قيودهما افلا تسمون عمله السامي العظيم عملاً ثم اذا كانت يد لافاييت الضعيفة قد عملت ذلك فكيف بهاتين اليدين القويتين

قال هذا وبسط لهما يديه الطويلتين الضخمتين وهو واثق بانه قد اثر فيهم تاثيراً شديداً وفي الحقيقة ان الحاضرين كان قد بلغ منهم كلام بيتو مبلغه من التاثير فازدادوا له حباً واحتراماً وهتافاً وهكذا اصبح بيتو في يومين زعيماً محبوباً محترماً

الفصل الثامن والعشرون

(التلميذ تجاه معلمه)

او مبدأ الثورة تجاه مبدا الملكية

ولكن بيتو لم ينس كاترين في فوزه بل كان كلما سكت ليسمع وخلا الى نفسه يذكرها و يتذكر صنيعها معه ولما كانت النقود التي اخذها من الدكتور جيلبار كادت تنفد عاد بيتو الى حرفته القديمة ليكسب منها رزقه وهي صيد الارانب فرأى انه اذا صاد كل يوم ارنباً واحداً استطاع ان يبيعه فيكفيه ثمنه للعيشة اسبوع فكل ارنب اذاً يكفيه اسبوعاً وما زاد من الصيد في هذا الاسبوع فهو مال مقتصد لحين الشدة

الا انه في نومه تحت اشجار الحرش وهو ينتظر الارانب ان تقع في الحبائل التي يكون قد مدها لها كان يفكر بمرارةٍ بكاترين و يتنهد تنهداً يدوي له جو الحرش وتجاوبه الاشجار بحفيفها وزفراتها كانها هي مفارقة ايضاً واستلقى يوماً تحت الشجر فذكر ماضيه في المزرعة وحاضره في هرامونت ثم اخذ يسال نفسه هل قُضي عليه ان لا يرى كاترين فيما بعد فاجابه ضميره ان ليس من عزة النفس ان يجعل كاترين تراه بعد ما صنعت معه فاجابه هو

في نوبته ولكن اذا كانت عزة النفس تقضي بان لا تراني كاترين فما المانع من ان اراها دون ان تراني ما المانع ان اختبئ وراء الاشجار حين مرورها لانظر اليها نظرة فقط هل في ذلك ما يغض من كرامة النفس وعزتها ثم انه لا يخفى ان الاب بيلو قد عهد اليَّ مراقبة البيت وما فيه وهو الآن يعتقد انني في بيته مقيم على هذه المراقبة افلا يوجد هنا واجب عليَّ للاب بيلو وهو مراقبة كاترين على الاقل لانقذها او اساعدها حين الحاجة ان لم يكن من اجلها نفسها فمن اجل الاب بيلو ابيها. فراى بذلك انه ليس من حقه فقط ان يرى كاترين بل من واجباته ذلك خدمة لبيلو فعزم على ان يراها ويراقبها

ولذلك كان كثيرًا ما كان يذهب بحبائله ويمدها للارانب تحت الاشجار المجاورة للمزرعة وهو يجتهد بالاختباء حتى يراها حين مرورها دون ان تراه ولكن من سوء حظه ما كان يظفر بها

وفي ذات يوم وهو جالس تحت اشجار هرامونت يفتكر بها وحبائله منصوبة للارانب راى رجلين يتقدمان صوبه بتردد فامعن النظر فيهما فوجد انهما اثنان من سكان القرية الذين عزموا على التجند في سبيل الحرية فجلس بيتو ولبث ينتظر ولما وصلا اليه جلسا بجانبه واخذا يطلعانه على سبب مجيئهما

فقالا ان خواطر سكان القرية قد اضطربت بعد خطابه ووقفت ايديهم عن العمل لاشتغال افكارهم بالدفاع عن الحرية وحقوق الامة ولذلك يطلبون من بيتو ان يعجل في تجنيدهم للشروع في العمل

فدهش بيتو لهذه السرعة واجاب انه آخذ في تدبير ذلك ولكنه يجب عليه الاهتمام بالحصول على السلاح اولاً . فقال احدهما اما قلت ان لدى الاب فورتيه رئيس مدرسة فيلله كوترية كثيرًا من السلاح . قال بلى قلت ذلك ولكنني افكر الآن بطريقة لطلبها منه دون تعرض لغضبه فقال الرجل الثاني عافاك الله ايها القائد الهمام ومتى اصبح القواد يخشون الرهبان

فراى بيتو انه اذا اصر على رايه اضاع ثقة رجاله فيه وخاف خوفًا شديدًا من ان ينسبوا اليه الجبن وهو لم يبتدئ بعد ولكنه من جهة اخرى قال في نفسه ان هؤلاء الجنود يدفعون قائدهم قبل ان يكونوا جنودًا له ويقبض على قيادتهم فماذا يصنعون متى اصبح قائدًا لهم

وبعد ان فكر بيتو قليلاً قال لهما اسمع يا كلود وانت يا دزيره انني اكثر شوقًا منكم الى تجنيدكم ولكني اخرت ذلك قليلاً لاتبصر في ماذا يجب ان اصنع مع الاب فورتيه

لاحصل على البنادق التي عنده لاني اعرف عناده واخلاقه فحسبتم تبصري واعتدالي خوفاً فانا تارك ذلك وعازم غداً على زيارة الاب فورتيه لطلب البنادق منه وغير عابىء بكل ما يجري لي معه

قال بيتو ذلك بجرأة ولكنه كان يقول في نفسه ان لقاء الاب فورتيه الصلب الشديد العنيد الذي كان قد خرج من مدرسته مطروداً امر غير هين ولكن اذا لم يكن غير الاسنة مركبًا فلا يسع المضطر الا ركوبها

وفي اليوم التالي قصد بيتو فيلله كوتريه لزيارة الاب فورتيه وطلب البنادق التي عنده فلما وصل الى الباب اشتد خفقان قلبه مع ان هذا الفتى احتمل نار الباستيل دون ان يخفق له قلب او ينبض له عرق ذلك ان تذكارات الصبا تبقى في النفس تاثيراً حسنًا اذا كان صاحبها قد وجدها حسنة في صباه وتاثيراً سيئًا اذا كان قد وجدها سيئة

ولما قرع بيتو هذا الباب كان يردد في نفسه الكلام الذي استعد لقوله للاب فورتيه ويزينه بزخرف الفصاحة والالتماس رغبة في اقناع ذلك الراهب العنيد

ولكن ما لبث ان فتح الباب وكان فاتحه سيباستيين ابن الدكتور جيلبار لانه كان يتنزه في تلك الساعة في الحديقة فسلم عليه بيتو وساله عن ابيه ثم طلب منه ان ياخذه الى الاب فورتيه فالتفت سيباستيين فرأى رئيسه نازلا من السلم بتمهل وفي يده جريدة يقرأها فقال سيباستيين لبيتو هذا الاب فورتيه

فتقدم حينئذ بيتو وهو ثابت الجاش حتى اصبح على مقربة من الراهب وهو لا يزال يقرأ لكنه ما وقف امامه حتى اطبق الراهب الجريدة ونظر الى الواقف امامه قائلاً . هذا انت يابيتو ؟

وقد قلنا « اطبق » الجريدة ولم نقل « طواها » لان الجرائد الفرنسوية في تلك الايام كانت كلها بشكل المجلات الآن

فلما سال الراهب بيتو هذا انت يابيتو اجاب الفتى نعم خادمك ياسيدي الراهب فضحك الاب فورتيه وقال متهكمًا وضاحكاً ايضاً هذا انت ايها الثوري . هذا انت ايها المرائي وكان سيباستيين سامعاً هذا الكلام فعلم ان الزوبعة قريبة لا سيما لما كان يسمعه احيانًا من الراهب عن اعمال بيتو فاغتنم فرصة هذا السكوت الوقتي ومضى في سبيله

فساء بيتو ذهاب سيباستيين لانه كان يراه عضداً له لما بينهما من الاتفاق في المذهب السياسي واصبح وحيداً امام خصمه فكان وهو امام الاب فورتيه يمثل مبدأ الثورة تجاه

مبدأ الملكية والحالة القديمة

وبعد ذهاب سيباستيين تجلد بيتو وقال بادب لماذا تسميني ثوريًا ومرائيًا يا حضرة الراهب فقال الراهب بشيء من النزق . لماذا تستحي من لقبك الحقيقي اما انت ثوري تشعل نار الفتنة في البلاد . قال بيتو كلا لا اشعل نارا في البلاد . وهبني ثوريًا كما قلت فكل انسان حرٌ يفتكر بما يشاء

فصاح به الاب فورتيه اخرس ايها المرائي واخسأ انت وهذه الحرية التي تزعمها . احريتكم ان تقتلوا ضباط الملك وتعتدوا على سلطته . احريتكم ان تدخلوا ايديكم الى صدور الذين تقتلونهم لتخرجوا قلوبهم منها بايديكم الوحشية . اهذه هي حريتكم ايها المنافقون

فقال بيتو اخفض صوتك ايها الراهب لئلا يسمعك الشعب فانك تهينه اهانة عظمى

فضحك الاب فورتيه ضحكاً مخيفاً وقال دعني منك ومن شعبك وقل لي على عجل ما جاء بك اليَّ . أانت محتاج الى الطعام

فقطع عليه بيتو الكلام بنزق قائلاً كلا كلا لست احتاجك ولا احتاج احدا لانني اعمل فآكل خبزي بتعبي وعرق جبيني

فبهت الراهب لانه ما كان يعهد بيتو هذا الكبر وهذه العزة فقال ولكن لماذا جئتني . قل سريعًا والا فرغ صبري

فقال بيتو جئتك ياسيدي الراهب لابلغك ان اهالي قرية هرامونت عزموا على الانخراط في سلك الحرس الوطني فقهقه الراهب وقال تريد ان تجعلهم عصابة كعصابات باريز ايها الشقي وماذا يهمني اذا ارادوا ما ارادوا

فاجاب بيتو وهم يحتاجون الآن الى سلاح فقال الراهب وان كانوا يحتاجون ذلك قال وهذا السلاح موجود عند جنابك في هذا المنزل ياسيدي الراهب فهل تامر بتسليمي شيئًا من البنادق التي عندك

فما لفظ بيتو هذا الكلام حتى استشاط الراهب غيظًا فوق غيظه فجرد سوطه المشهور ورفعه كما يرفع القائد حسامه في ساحة الحرب وصاح بالفتى — يا لك من ابله مجنون جئت تطلب مني السلاح الذي تقلده جنودنا الابطال في معاركهم الشهيرة ليحمله رجال عصابتك الطغام اتظنني ادنس ذلك السلاح الكريم الى هذا الحد بلغت بك الوقاحة اخرج اخرج اخرج

قال هذا ورفع سوطه فوق راس بيتو . فعلم بيتو انه لم يبقَ له شيء في هذا المكان

فاخذ يرجع القهقرى ووجهه الى الاب فورتية وهو يلاطفه بالكلام ويحاول اخماد غضبه لانه خاف انه اذا ادار ظهره للخروج هوى الاب فورتيــه بالسوط على قفاه فادماه وما زال بيتو يرجع القهقرى والاب فورتيه يتقدم منه في رجوعه وهو مجرد سوطه بيده حتى وصل بيتو الى الباب فاغتنم هذه الفرصة واندفع للخروج

ولكن ما ادار ظهره ليخرج حتى صدم سوط الراهب قفــاه صدمة ارتعدت لشدتها فرائص بيتو فصاح صياح الالم منها مع انه لم يتالم من قنابل الباستيل فخرج كثيرون من الجيران ليروا سبب هذه الصيحة فابصروا شابًا متقلدا سيفًا ولابسًا خوذة يعدو باشد قواه فرارًا والاب فورتيه واقف بالباب وهو يهز سوطه بيده كـانه ملاك الموت يحمل سيف النقمة

الفصل التاسع والعشرون

(بيتو يبلغ امله)

وكان سقوط بيتو عظيمًا فانه بعد ان كان علي الشان رفيع المقام يزحمه الناس بالمناكب تسليماً واحتراماً اصبح يُضرب بالسياط ويُهان ويطرد كرعاع الناس فذهب الى مكان منفرد خارج القرية وجلس يفتكر

فراى بعد الافتكار قليلاً انه قد اخطأ في سلوكه مع الاب فورتيه وقال في نفسه لنفترض انني انا المسيو لافايت والاب فورتيه هو الملك واراد المسيو لا فايت طلب سلاح من الملك لجنوده فما كان يقول له اكان يُظهر له فضل الثورة ويفاخر برجالها واعمالهــا كما صنعت انا كلا بل كان يقول للملك ان الملكية الآن في خطر من الرعاع والاسافل فيجب تجنيد جيش عظيم لحمايتها وهذا الجيش يحتاج الى السلاح فمر باعطائنــا سلاحاً للدفاع عن جلالتكم وعن الملكية فلو انني لاقت الاب فورتيه ان جند هرامونت يؤلف للدفاع عن حقوق الملك ولاطفته بدل ان اخاشنه لبلغت ولا شك الامل وهذا ما يسمونه السياسة وان كان كذبًا فانا لم اكن هذه المرة سياسيًا

على انه ما اخذ يفتكر بلافايت ويدور ذكره في فمه حتى تنبه لامر كان غافلاً عنه واخذ يقول في نفسه ما الذي انساني اياه الى الان انني اعلم ان هرامونت احدى قرى فرنسا وفرنسا الآن تحت قيادة الجنرال لا فايت لانه قائد الحرس الوطني فهرامونت اذًا

تحت قيادته واذا كنت انا وجنودي تحت قيادته فوجب علينا ان نطلب استحساننا منه لا من سواه

ثم اشرق وجهه لدى هذا الخاطر فقام مهرولاً الى غرفتـه وفيما هو على الطريق جعل يفتكر في طريقة الكتابة الى باريز بهذا الشان فعزم على ان يكتب بذلك الى الاب بيلو وبيلو يبلغـه الى الدكتور جيلبار وجيلبار يبلغـه الى لا فاييت

فكتب في صباح اليوم التالي هذا الكتاب الى الاب بيلو

حضرة المسيو بيلو المحترم

ان انصار الثورة يزدادون يوماً عن يوم وانصار الاستبداد القديم يتناقصون وقد ارادت قرية هرامونت ان تنخرط في سلك الحرس الوطني دفاعاً عن الحرية واستعداداً للطوارىء وهي محتاجة الى السلاح وبما انه يوجد لدى بعض الاشخاص اسلحة كثيرة فالمرجو ان تعرض ذلك الى قائدنا المسيو لافاييت لاصدار امره الى الذين يخزنون سلاحاً بتسليمنا اياه لننتفع بـه الوطن ونقاوم محبي الاستبداد مواطنك وخادمك

انج بيتو

ولكـنه ما اتى على آخر هذا الكتاب حتى راى انه لا يجدر به نسيان عائلة بيلو والا شغل باله فكتب له في الكتاب هذه الحاشية « العائلة والمزرعة في احسن حال وهم يسلمون عليكم » وبذلك اجتنب الكذب واتقى اقلاق خاطر بيلو

وبعد ذلك ختم هذا الكتاب واخذه الى البريد امام انصاره الذين كانوا يراقبونه وهم خاشعون احتراماً اذ رأوه يرسل كتاباً كبيراً مربعاً الى باريز فعلموا انه ذو شان عظيم

ولم ينقض يومان على ارسال بيتو هذا الكتاب الى باريز حتى وفد على القرية ضابط من ضباط الحرس الوطني على جواد كريم وسال عن المسيو « انج بيتو » فقامت قيامة سكان القرية فرحاً ودلوه على بيتو · فتقدم منـه الضابط باسماً وسلم اليه امراً عسكرياً ففتحه بيتو بالحال فاذا هو امر من الجنرال لا فاييت وهذا نصه

« كل الذين في منازلهم من السلاح اكثر من بندقية واحدة يجب ان يسلموه الى قواد الحرس الوطني في القرى · وهذا الامر نافذ في جميع هذه الولاية »

فكاد بيتو يطير فرحاً لانه علم الآن انه اصبح قادراً على ان ياخذ بنادق الاب فورتيه بالرغم عنه · اما رجاله فقد اصبحوا لا ينظرون اليه الا خشعاً لما راوه من نفوذه ولا سيما بعد ان قراوا على غلاف الامر الذي ارسله لا فاييت هذه العبارة « الى المسيو انج بيتو قائد الحرس الوطني في هرامونت » فاخذ بيتو يستعد لطلب البنادق طلباً رسمياً

الجامعة

الجزء السابع — السنة الثانية

الاسكندرية ا كتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠٠ — جمادى الثانية سنة ١٣١٨



الفيلسوف تولستوي الشهير

الذي حرمه المجمع المقدس الروسي في هذا العام

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الكونت لاون تولستوي

الفيلسوف الروسي الشهير

تجارة الكتب في روسيا وعندنا · الروس اعجب البشر · فلسفته وادابه واخلاقه · رأيه في الحرب على الاطلاق وفي البوير والتحالف الثنائي · ميله لروسو · كتاب غريب وجواب أغرب · قطعة من كتابه (البعث) الذي اعجب به الفلاسفة والكتاب في العالم كله · صورة حرم المجمع المقدس له · الخلاصة

كان رجال الادب في روسيا منذ خمسين سنة يقولون : ان الذي عندنا من العلم والادب ليس علماً ولا ادباً ولكنه تجارة كتب · يريدون بذلك الدلالة على انحطاط شان الادب عندهم كما هو عندنا الآن

﴿ روسيا وتقدمها ﴾ اما اليوم فقد تبدلت الحال وخطت روسيا الى الامام خطوات واسعة فقد اقيمت فيها المدارس الخصوصية والعمومية واتخذت طرق التعليم الالزامي في بعضها وقامت فيها المصانع والشركات تساعدها الحكومة كما تساعد الام طفلها ونبغ فيها الكتاب والعلماء والفلاسفة فجاروا علماء الغرب بعلمهم وفلسفتهم وفي مقدمتهم الفيلسوف الكونت تولستوي الذي ارتقت فيه النفس الروسية الى درجات الحكمة فدلت على ان ارتقاء الروس امر حقيقي لا سطحي ظاهري كما هو الآن في البلاد الشرقية

ويقولون ان الرواد والسواح قد خاضوا ظلمات افريقيا واسيا واميركا فاكتشفوا مجاهيلها ولم يبقوا فيها شيئاً مجهولاً · نقول بلى بقي شيء عظيم مجهولاً وهو النفس الروسية · فان هذا الشعب العظيم الذي يساوي نجوم السماء عدداً والمنتشر في اراض واسعة لا يعرف لها المسافر بداية من نهاية انما هو مجموع قوى عظيمة كامنة في طيات نفسه العقيمة وهي اليوم تبرز شيئاً فشيئاً ولذلك يسمون الرجل الروسي « رجلاً عجيباً » ويقولون « اذا كان الانسان اعجب المخلوقات فالانسان الروسي اعجب بني الانسان »

ونحن نزيد على ذلك « اذا كان الروس اعجب بني الانسان فالفيلسوف تولستوي اعجب الروس بلا مراء »

ولد هذا الفيلسوف في سنة ١٨٢٨ فعمره اليوم ٧٢ سنة وهو من اسرة نبيلة خدمت روسيا بالسيف والقلم فقد كان منها الكونت دي تولستوي السياسي الشهير الذي توفي في سنة ١٧٢٩ والجنرال تولستوي القائد الذي توفي في سنة ١٨٤٤

وقد انصرف تولستوي في شبابه الى ما انصرف اليه اجداده من خدمة امته بالسيف والقلم ولكن عرضت له في حياته امور جعلته يكره الاجتماع و يتنحى عن البشر فاخذ يكتب و يؤلف محاربًا الشر في العالم وداعيًا الى الفضيلة والخير والدين البسيط . فوجدت كتاباته هوى شديدًا في نفوس الشعب الروسي لانه يخاطبهم بروايات يفهمون لغتها فاحبوه حبًا شديدًا الا انه على ما يقول مناظروه قد تطرف في بعض الاقوال الدينية فحرمه المجمع المقدس في هذا العام كما ترى في ما يلي حرمانًا كان له صدى اليم في كل نفس حرة تكره الاضطهاد ايًا كان مصدره وبما ان فلسفة هذا الفيلسوف من اسمى الفلسفات البشرية الآن وهو لا يقول كلمة الا ويدوي صداها في العالم باسره فلا يخلو من فائدة ان نطلع القراء على ما وقفنا عليه من مبادئه وآدابه لان تراجم الاعلام ان لم تكن مقرونة بالمبادىء والنتائج الادبية فالاجدر عدم كتابتها اذ لا فائدة للناس منها

***

﴿ فلسفته وآدابه واخلاقه ﴾ اشتهر الفيلسوف تولستوي ببسط فلسفته في روايات يؤلفها وفلسفته ثلاثة اقسام من حيث الدين . ومن حيث الاجتماع ومن حيث الفنون . اي الفلسفة الدينية والاجتماعية والفنية . على انها كلها فروع شجرة واحدة لانها مبنية على قاعدتين الاولى « احبوا بعضكم بعضًا وساعدوا بعضكم بعضًا في كل شؤونكم » والثانية « لا تقاوموا الشر بالشر فان الشر لا يقتله الا الخير »

وقد اوصلته فلسفته الدينية الى النتيجة التالية « ان التعاليم المسيحية التي تستحق ان تكون قاعدة للضمير البشري انما هي الاناجيل الاربعة فقط متى ومرقص ولوقا ويوحنا وما سواها فخارج عن الديانة المسيحية الحقيقية . فعلى من اراد ان يكون مسيحيًا حقيقيًا ان لا يتمسك بشيء يناقضها وان يعيش كما عاش المسيحيون الاولون من حيث البساطة والقناعة والاشتراك والحرية »

هذه هي فلسفته الدينية اما فلسفته الاجتماعية فهي هذه « يقولون ان الهيئة الاجتماعية

فاسدة رديئة . نعم ولكن الذنب ذنبنا واللوم علينا لاننا نتكاسل فتسوء حالنا ونقاوم الشر بالشر فنزيد الفساد فساداً ذاهلين عن قول المسيح من اخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . فاذا لم نعوّد انفسنا مقاومة الشر بالخير اي باللطف والمجاملة والاحسان والمحبة فاننا لا نتغلب على الشر في العالم وتزداد الانسانية فساداً على فساد . فاذا كنا نطلب اصلاح الهيئة الاجتماعية فلنعمل اولاً على اصلاح انفسنا بغرس المحبة والمسالمة والاعتدال وحب العمل في قلوبنا فان في ذلك اصلاح الهيئة الاجتماعية »

واما فلسفته في الفنون فمقتضاها ان كل فن وعلم وصناعة يجب ان تكون غايتها نبيلة وهي ترقية شان البشر والمساعدة على رفع راية السلام والراحة في العالم واذا خرجت العلوم والفنون عن دائرة هذا الغرض فانصرفت الى اختراع آلات الحرب والدمار واسباب القصف واللهو فانها تكون حقيرة وتصبح عبثاً في عبث

هذه خلاصة فلسفته التي اودعها كتبه وهي تنطبق كل الانطباق على ما نرويه هنا عن اخلاقه وارائه

فانه لما شبت نار الحرب بين انكلترا والترانسفال سُئل رايه في هذه الحرب فاجاب ان كل حرب جائرة وانني كلما فتحت الجرائد الاخيرة التي تردني لاقرأ فيها اخبار الحرب تمنيت من صميم قلبي ان ارى فيها انتصار البوير وانكسار شوكة انكلترا العادية المتكبرة . فكان لهذا الكلام دوي شديد

ولكن لما سافر وفد البوير من اوربا الى اميركا ليستنجد بحكومة الولايات المتحدة بعثت احدى الشركات البرقية الى تولستوي لما عرفته من ميله الى البوير تطلب منه ان يبعث على يدها الى وفد البوير يوم وصوله الى اميركا تلغرافاً يتمنى له الفوز فيما قصده . فاجابها تولستوي بهذا الجواب الغريب : لا استطيع ان ادعو للبوير ان يفوز وفدهم في اميركا لان فوزهم متوقف على مداخلة الولايات المتحدة ومداخلتها تجر حرباً بينها و بين انكلترا فاذا دعوت للبوير ان يخلصوا كنت كمن يدعو بازالة حرب بحرب مثلها

ذلك ان الحرب اكره الامور الى تولستوي وهو يعتبرها جناية بشرية اياً كان سببها ولذلك لقبوه في اوربا كلها رسول السلام وداعي البشر الى الاخاء العام وقد صدر في هذا الشهر كتاب فرنسوي موضوعه اخلاق تولستوي وفيه ان المسيو بول ديروليد الفرنسوي زعيم الحزب الوطني واكبر القائلين بوجوب محاربة المانيا لاسترداد الالزاس واللورين منها ساءه هو وحزبه دعوة تولستوي الى السلام العام على حين انهم يعتبرون ان فرنسا لم

تحالف روسيا الا لتثأر من المانيا وتسترد ولايتيها منها فقصد قديمًا فيسلوفنا في مقامه في « كيسنايا بولوليانا » ليقنعه بان من حق فرنسا ان تحارب المانيا . فلما التقيا جرت بينهما محادثات طويلة كان يغضب الفيلسوف في اثنائها ويخرج بنزق ساخطًا لشدة تمسك مناظره برأيه وغضب مرة غضبًا شديدً فقال له المسيو ديروليد ان اصغر الفلاحين الروس يرى آراء اصح من رأيك في الحرب والتحالف الثنائي . فضحك تولستوي وقال هلم نتنزه لنسمع راي فلاحينا فخرج ملاك السلام وملاك الحرب الى النزهة فما سارا خطوتين حتى وجدا في طريقهما فلاحًا روسيًا قادمًا فاستوقفاه واخذ ديروليد يشرح له مطالب فرنسا وحقها في محاربة المانيا ووجوب مساعدة روسيا لحليفتها فلما فرغ من كلامه سال تولستوي ما رايك ايها الفلاح فاجاب ذلك البسيط « رايي ان الفرنسو بين والروس يشتغلون وبعد الانتهاء من الشغل يذهبون معًا الى القهوة ليتناولوا قدحًا من العرق معًا ولا بأس ان يدعوا الالمانيين الى مجالستهم » فضحك تولستوي لانتصاره وذهب ديروليد ساخطًا وعاد في نفس ذلك المساء الى وطنه

وفي هذا الكتاب اقوال كثيرة عن اخلاق تولستوي وآرائه منها « ان تولستوي يضع في مقدمة المؤلفين الذين يحب مطالعة كتبهم سقراط واربكتيت وبسكال وروسو وفيكتور هيغو وديكنس وقد اثر كتاب « الاعتراف » الذي كتبه روسو في نفسه تاثيرًا شديدًا حتى قال « ان روسو قد سحرني في صباي وقد كنت اعتبر هذا الفيلسوف الهـًا فاحمل رسمه على صدري كما احمل رسمًا مقدسًا » وقد ألف باكورة تآليفه وهو في السابعة عشرة من عمره . وكانوا ذات يوم في حلقة من العلماء يتحادثون فصار احد الطلبة يعجب بالفيلسوف تاين فاجاب تولستوي ان تاين ذو عقل محدود . فانكر الطالب ذلك فاجاب تولستوي ساخطًا « قلتُ انه ذو عقل محدود لانه اراد ان يجعل المقام الاول للمادة في هذا العالم . افليس هذا جنونًا محضًا اليس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقًا جديدًا فماذا تصنع المادة من غير العقل الذي يخلق ويحيي ويؤثر حتى في الاجيال المستقبلة »

كتاب غريب وجوابه

واذا كانت كل الاقوال التي تقدمت لم تدل القارئ بعد على اخلاق الفيلسوف وارائه الدينية والفلسفية دلالة كافية فالكتابان التاليان يدلان على ذلك احسن دلالة

اما الكتاب الاول فقد كتبه الى تولستوي في السنة الماضية رجل يدعى « اندريا

باسيليبيفيتش لابسف » ولا حاجة بنا الى وصف هذا الرجل الغريب الاخلاق فان كتابه يدل عليه وهذا نصه

« باكو في ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٩

« الى الحكيم العظيم المحترم لاون نيكولايفيتش تولستوي سلام باحترام كثير من اندريا

« باسيليبيفيتش لابسف

« اريد ان اعترف لك باختصار . انني بدأت اومن منذ سنة ١٨٦٩ فقد قال المسيح من اراد ان يكون معي فليحمل صليبه وليترك نفسه ويتبعني . فهذا القول يدل على ان كل واحد يمكنه ان يكون كالمسيح . وقال ايضاً ليس العبد افضل من سيده يكفي العبد ان يكون كسيده . يعني ان كل رجل من تلامذة المسيح يجب ان يكون رجلاً كاملاً كما كان السيد

ورغبة في ان اكون انا كاملاً ايضاً قطعت كل علاقة لي في هذا العالم فتركت اسمي واعتقادي وعيلتي واصبحت مالك امري اقول للناس « لست منكم ولكنني انسان وحيد مفرد انا ملك نفسي »

« فمن اجل هذا قبضوا علي واخذوني الى القاضي ليسالني عن اعتقادي فلما وصلت اليه جلست فقال لي انزع قبعتك . فاجبته امام من؟ قال امام السلطة . فقلت ما هو مصدر السلطة فقال الله فقلت هل انت الله لانزع امامك قبعتي فاجاب كلا فقلت اذاً لم تكن الله فلماذا تطلب مني ان انزع قبعتي

« فقال لي انهض واقفاً فسالته امام من ؟ فقال امام القانون . فاجبته انني لا اعرف هذا القانون فسالني ما هي مهنتك فقلت هل اعطيتني مهنة حتى تسالني عنها فقال ما هو اسمك فقلت ليس لي اسم قال بماذا تؤمن . قلت بماذا تريدون ان اؤمن فانني قلت لكم انني لست منكم فلم تصدقوني . فسالني اتؤمن بالله ؟ فقلت اي اله . فسالني كيف تسال اي اله فانه لا يوجد غير اله واحد . فقلت له اين هو . وهل تعرفه ارني اياه لاصدقك . فاجاب انه في السماء فقلت هل صعدت الى السماء ونظرته . فاجاب كلا . فقلت من ادراك اذاً انه في السماء . فالتفت القاضي اليّ ساخطاً وقال اترك هذا البحث الان . فقلت له اترك انت هذا السؤال ايضاً

« ثم سألني ما هو وطنك . فقلت ليس لي وطن . فقال ولكنك تعترف بالقيصر . قلت اي قيصر فقال اسكندر الثاني . قلت القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا

يهمه امري · فقال ولكنك ستدفع ضريبة النفوس (يعني الضريبة الموضوعة على كل نفس) فقلت هل انتم الذين اعطيتموني نفسي لادفع ضريبة عنها · فقال وستدفع الرسوم ايضاً · فقلت انني لا ادفع شيئاً · قال ولكن جميع الناس يدفعونها فقلت اذا كان جميع الناس يدفعون وجب ان لا يدفعوا لانه لا يعود يوجد من يقبض · فقال لي يوجد القيصر · فقلت : القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا يهمه امري

« وبعد سجنهم اياي تسعة شهور حاكموني لدى محكمة فقال لي القاضي

« انزع قبعتك · فسألت لماذا قال لان المحكمة مجتمعة فقلت المحكمة محكمتكم وانا ملك نفسي · فقال يجب ان تنزعها · فسألته امام من ؟ فقال امام المحكمة · فقلت انني لا اعرف المحكمة ولذلك لا اكشف لها راسي احتراماً · فتقدم مني رجل ونزع القبعة عن راسي بالرغم عني فجلست حينئذٍ على الارض غير مبالٍ بهم

« فقال لي الرئيس · ايها المتهم انهض · قلت انا لست متهماً · فقال تفضل وانهض احتراماً للقانون · فقلت ان القانون لم يوضع من اجلي ولكن من اجل الاشقياء واذا كنتم انتم خاضعين للقانون فانكم لا تستحقون ان تكونوا قضاة لي

« فقال القاضي اتعترف بذنبك؟ فاجبته وانت تعترف بذنبك ؟ قال اي ذنب · فقلت وانا اي ذنب قال ذنبك انك عصيت المحكمة ورفضت نزع قبعتك · فقلت له حينئذ

« اذا كنت لم انزع قبعتي فذلك لانني حريص على صحتي · فانكم هنا تدخنون وتبصقون على الارض · فالبصاق يمتزج بالتراب ثم يجف ويتطاير في هواء الغرفة ويقع على الرؤوس · فاذا كان راسي مكشوفاً وصل الغبار اليه ثم دخل الى الدماغ واحدث فيه اضطراباً · ولذلك ترون عقولكم انتم الجالسون ههنا كلها مضطربة · لماذا تعذبونني · انني لم اؤذ قط احداً ولم اضر احداً · لم اسرق ولم اقتل ومع ذلك فانكم اودعتموني السجن مع القتلة واللصوص · اليس هذا دليلاً على ان عقولكم مضطربة

« فقرع الرئيس حينئذ الجرس ودخلوا للمذاكرة · ثم خرجوا واصدروا الحكم ونصه « برئت ساحة المتهم ولكن يجب ان يدخل الى مستشفى قزان لفحص قواه العقلية »

« فلما دخلت الى المستشفى المذكور جاءني طبيبه قائلاً · لقد كتبوا اليَّ انك لا تؤمن بالله فهل ذلك صحيح فقلت له واين الله · فقال في كل مكان · قلت لا تقل في كل مكان · فانه لو كان في كل مكان لكان ساكناً في الذين يقتلون والذين يضطهدون · فسالني اين هو اذن فاجبت انه ساكن في الضمير الصحيح والعقل السليم لان العقل والضمير

لا يشتركان في القتل والآثم · فقال الطبيب اسمع يالابسف انني لا اريد لك الا كل خير ولكنهم كتبوا لي انك فرد مؤذٍ مضر من افراد الهيئة الاجتماعية · فقلت له اذا كنتُ مؤذياً ومضراً فارسلني الى مكاني الحقيقي · فقال اين مكانك الحقيقي · قلت حيث لا يكون لكم ولشرائعكم من اثر · فقال لا اقدر على ذلك لاني لا اعرف في العالم مكاناً خالياً من الشرائع والسلطة · فاجبته « فهل الذنب ذنبي اذا كنتم قد جعلتم انفسكم على مثال الالهة فاستوليتم على الاراضي والشعوب لتتصرفوا فيها تصرفكم باملاككم الخصوصية ان الصانع يستبد بمصنوعاته فيكسرها و يلقيها دون ان يساله احد عنها لان ذلك من حقه فهل ان الشعوب ملك لكم حتى تصنعوا بها كذلك

« فقال الطبيب لا تنطق بهذا الكلام يالابسف فان الانسان اصبح اليوم حراً وهو سيد نفسه · فقلت نعم هو سيد نفسه ولكن على الورق فقط وفي بطون الكتب اما في الحقيقة فهو ليس سيداً · واذا كان كل واحد سيداً لنفسه فلماذا تعذبونني · هل للسيد ان يعذب السيد · انكم فرقتم بيني و بين رفيقتي التي كنت اعيش معها بلا موجب لذلك انتم تفرقون بين الرجال ونسائهم ثم ترسلونهم الى الجندية للقتل والذبح وبذلك تنشرون فساد الاخلاق بين البشر لان الرجل والمرأة حينئذٍ يرتكبان الخطيئة وانتم السبب في ذلك · لماذا فرقتم بيني و بين امراتي وتجتمعون هنا تطعمونني وتسقونني كانني خنزير يعلف ليسمن انا لست خنزيراً ولا احب ان آكل خبز غيري في البطالة والكسل لانني قوي الجسم قادر على كسب خبزي دون ان اسفك الدم المسيحي كما تصنعون · ان الرجل الذي يأكل خبز غيره من غير بذل عرق جبينه يكون خبزه مغموساً بالدم فكانه كان قاتلاً · فانا لا اريد ان اكون قاتلاً · انا لا اريد ان آكل خبزاً دموياً · فلماذا لا تتركونني اعمل لآكل خبزي بعرق جبيني · لماذا تلزمونني بهذه الخطيئة

« فقال الطبيب اترك هذه التخرصات يالابسف · قلت ما هذا الكلام بتخرص ولكنه كلامُ ذي عقل سليم · ان الله لا يُكره الانسان على الخير ولا على الشر واما انتم فتكرهونني على كل شر · فقال على اي شيء اكرهناك · قلت « تُكرهونني على ان انزع قبعتي عن رأسي واجثو و امامكم لاعبدكم ولا يوجد الا ابليس الذي يطلب ان يعبدوه · انا لا اريد ان اجثو امام احد · ولم يطلب احد من خدمة الله ان يجثو الناس امامهم بل قد حرموا ذلك · لان العبادة حرام الا لله ومع ذلك فعبادة الله تكون بالروح لا بالجسد لان الله روح هو · من اجل هذا ارى من التجديف والكفر بنعمة الله ان يجثو مخلوق امام مخلوق · و بما

انني كرهت ان اجثو امام الناس قبضوا عليَّ وسجنوني . فجاء سجني طبقاً لقول يوحنا سياتي زمن يضعكم فيه ابليس في السجن ليجربكم فابليس هو الذي اودعني السجن

« ثم اقمت في هذا المستشفى ستة اسابيع وبعد ذلك ارسلوني لاقيم في قرية كوفانتزا التابعة لاقليم ارزاماس من ولاية نيجني نوفوكورود

« فاستدعيت في نيجني للمحاكمة مرة ثانية فلم اجب المحكمة بشيء فابقتني في السجن سنة ثم حكمت عليَّ بالحبس ثلاثة شهور

« وفي سنة ١٨٨١ قتل القيصر اسكندر الثاني فرفضت ان اقسم يمين الطاعة لخلفه اسكندر الثالث لانني لا اعترف بشرائع البشر ونظامهم فقالوا لي . اتريد اذاً ان تدخل السجن يالابسف . قلت ولماذا قالوا لانك لا تقسم يمين الطاعة للقيصر . فاجبتهم بما اجبتهم به قبلاً : القيصر هو القيصر وانا انا فلا يعنيني امره كما انه لا يعنيه امري

« وبعد ذلك جئت باكو ثم انتقلت منها الى اليزابتبول والقرص فاقمت في القوقاز عشر سنوات . ثم سافرت الى فلاديفوستوك ومنها رجعت في ٢٨ الماضي الى باكو لارى بعض الاصدقاء وافسر لهم آيات سالوني تفسيرها

« هذا ما انقله اليك ايها المحترم لاون نيكولايفيتش وهو يتضمن كل ايماني فاذا كان ينقصني شيء فاخبرني عنه في رسالة منك « قد قرأت كتابك « سيروا في النور ما دام النور موجوداً » فوجدته منطبقاً كل الانطباق على افكاري ولذلك كتبت لك هذا « انا في هذا التاريخ في الحياة والصحة . فارجو مثلها لك

اندريا باسيليينتش لابسف

الذي لا يعرفك وهو في الخمسين من عمره

***

﴿ جواب الفيلسوف تولستوي ﴾ فاجاب الفيلسوف تولستوي عن هذا الكتاب بالكتاب التالي

« ايها الاخ المحترم اندريا فاسيلييفيتش

« تناولت كتابك وسررت بانني عرفتك وعرفت ايمانك

« والآن اخبرك ان نفس الاضطهاد الذي اصابك يدل على انك سائر في طرق المسيح . وكل رجل يسير في هذه الطرق لا بد ان يصدم في طريقه ملك هذا العالم . ان الانسان يجب ان لا يخفي النور تحت المكيال بل ان يضعه في مكان ينير الناس وهذا امر لا

يريده ملك هذا العالم لان النور يُظهر ظلمه واعماله · فلذلك يجب على الراغبين في مساعدة التقدم وانشاء مملكة الله في الارض ان يكشفوا الستار عن اعماله مهما اصابهم من الاضطهاد وبناءً عليه فاني اسال الله ان يعينك

· انا من رأيك في كل ما ذكرته في كتابك واوافق على اقوالك كل الموافقة غير انني اريد ان اقدم لك نصيحة وهي انك حين كشف الستار عن كذب الناس لاتنسَ المحبة الواجبة لاخيك التائه الذي تكشف ذنبه واعتمد بالاكثر على العقل والمحبة لا على آيات الكتاب · لان الكتاب مكتوب بيد الانسان فليس هو بمعصوم وكل واحد يفسره كما يشاء اما العقل السليم فانه يردنا راساً من الله وهو واحد لا يتغير في التتر كما في الصينيين وفي سائر الشعوب وليس في استطاعتنا انكار شعوره وتكذيب تعليمه اذ لا ينكره ويكذبه الا الذين يرفضون معرفة الحقيقة

· واني اضع لك في كتابي هذا مقالات صغيرة عن الايمان الذي اؤمن به منها مقالتان من قلبي احداهما عنوانها « وصايا المسيح » والثانية « كيف يجب ان نقرأ الانجيل » واما المقالات الاخرى فليست من قلبي ولكنني موافق على ما فيها اخوك الذي يحبك

لاون تولستوي

انتهى جواب الفيلسوف وهو غريب كالكتاب الذي تقدمه ولكن الاغرب ان تولستوي استعار خلاصة اقوال مكاتبه لابسف في روايته الشهيرة « البعث » او الاحياء فجعله فيها شيخاً يصادفه سائق على ضفة احد الانهار واجراس الكنائس تُقرع للصلاة دون ان يكشف الشيخ رأسه عند سماعها فيدور بينه وبين السائق الحديث التالي

· انت ايها الشيخ لماذا لا تصلي · فنظر الرجل شزرًا الى السائق نكلودوف واجاب · اصلي ؟ ولمن تريد ان اصلي · فقال السائق ما هذا السؤال لعلك لا تؤمن بالله · فقال الشيخ اتؤمن به انت وهل تعلم اين هو · فصاح السائق يالك من بليد كيف تسأل اين يقيم الله وكل الناس تعلم انه مقيم في السماء · فقال الشيخ بهدوء لعلك صعدت الى السماء ونظرته فيها · فاجاب السائق كلا لم اصعد الى السماء ولكن جميع الناس يقولون بوجوب الصلاة · فاجاب السائق بصوت اجش وهو يقطب حاجبيه ان الله لم يره احد هكذا قال ابنه الوحيد المقيم في احشائه · فقال السائق حينئذ · يظهر من هذا انك لست مسيحياً · فبل انت وثني · فحول الشيخ وجهه عنه وبصق على الارض دلالة على احتقاره · وكان سائق مركبة نقل واقفاً هناك بازاء خيله يسمع حديثهما فسال الشيخ متلطفاً ·

ما هو دينك اذاً ايها الاب · فالتفت الشيخ اليه ووجه نحوه نظرة غضب ثم قال · انا لا ادين بدين ولا اومن في احد سواي · فاستغرب السائق الاول هذا الجواب وساله · كيف يؤمن الانسان بنفسه وما هو هذا الايمان · فاجاب الشيخ · ان هذه الطريقة لهي الطريقة الوحيدة التي تصون الانسان من الخطاء · فساله السائق هل انت تؤمن هذا الايمان منذ عهد بعيد · فاجاب الشيخ بهدوء نعم منذ عهد بعيد لانه قد انقضى عليَّ ٢٣ سنة وهم يضطهدونني · فساله ولماذا يضطهدونك · فاجاب الشيخ :

· يضطهدونني كما اضطهدوا المسيح · فانهم يلقون القبض عليَّ ثم ياخذونني الى القضاة والكهنة والكتبة والفريسيين ويضعونني في اماكن المجانين ولكنهم لا يقدرون عليَّ لانني حر النفس والفكر · يسالونني ما اسمك لانهم يظنون ان لي اسماً اما انا فليس لي اسم لانني تركت كل شيء في هذا العالم · ليس لي اسم ولا مسكن ولا وطن وليس لي شيء سوى نفسي يسالونني ما اسمك ؟ اسمي « انسان » · وكم هو عمرك ؟ فاجيبهم انني لا احصي السنين التي مرت علي ومع ذلك فليس لي عمر محدود لان الروح الذي يسكن فيَّ كان وسيكون فيَّ دائماً · ومن هو ابوك ومن هي امك · كلا ثم كلا ليس لي اب ولا ام غير الله والارض · الله هو ابي والارض هي امي »

***

﴿ صورة الحرم الكنائسي ﴾ فالظاهر ان مبادئ الفيلسوف تولستوي لم ترق المجمع الروسي الاعلى المقدس فكتب سيادة رئيسه يوانيكيوس اسقف كييل الى جميع اساقفة روسيا في ٣١ مارس الماضي كتاباً يبلغهم فيه ان المجمع المقدس قد حرم الفيلسوف تولستوي حقوقه الدينية او بالاحرى الكنائسية وهذه خلاصة صورة الكتاب المذكور الذي هو كتاب الحرمان

· ان تولستوي اظهر انه عدو لدود للكنيسة في كل الكتب التي بسط فيها مبادئه الدينية فانه لا يعترف بوجود اله واحد مثلث الاقانيم وينكر الوهية الاقنوم الثاني ابن الله ويعتبره انساناً كالبشر وفضلاً عن ذلك فقد جدف على سر التجسد وحرف نصوص الانجيل وانكر الكنيسة المقدسة اذ اعتبرها من وضع البشر ثم انه انكر السيادة الاكايريكية والاسرار المقدسة والطقوس فبناء عليه وبما ان فرزه فرزاً علنياً عن الكنيسة الارثوذكية قد يحدث تاثيراً في الافكار ويجرح عواطف المؤمنين ويثير سخطاً في النفوس فقد اكتفى المجمع المقدس الان بان يقرر عدم اقامة صلاة الجنازة والصلاة عن نفس الكونت لاون

تولستوي بعد موته اذا كان لا يسترد في حياته الاقوال التي قالها وينكرها ولذلك ابلغت سيادتكم هذا للقرار .

***

﴿ الخلاصة ﴾ هذا ما رأينا نقله عن الفيلسوف تولستوي . ولا بد ان القارىء ينتظر ان نبدي رأياً في ما تقدم فنقول ان رأينا هو الاسف من قيام النزاع بين الفلسفة واللاهوت لان الفلاسفة ورجال الدين هم قواد النفوس والعقول في العالم فاذا تنازعوا واختلفوا فلا يكون الضرر واقعاً الا على هذه النفوس والعقول التي تتيه لاختلافهم في مهامه الحيرة فلا تدري اي فريق تتبع ثم نرى بعد الاسف ان كل المسائل التي تكون من هذا القبيل انما يكون فيها الذنب للفريقين معاً فتولستوي مخطئ لانه نقض بغلوه قاعدته وهي « لا تقاوم القوة بالقوة » وذكر في كتبه اقوالاً توقع الارتياب والشك في نفوس الشعب فتزعزع في صدورهم اثمن ما لديهم وهو ايمانهم . ان الشعب الذي يعاني الشقاء في اسفل الهيئة الاجتماعية . الشعب الذي يتعذب في تحصيل قوته اليومي . الشعب الذي يحمل اليوم جميع احمال الانسانية واثقالها ليس له من تعزية ولا سلوى في شقائه وعذابه واحماله في هذا الوجود غير الايمان ورجاء حياة ثانية احسن من هذه الحياة المملوءة شوكاً وحسكاً . فليس يحسن والحالة هذه زعزعة هذا الايمان والامل بمبادىء قلما يفهمها ولا يفيده ان تُعرض عليه كل الاراء والافكار صحيحها وفاسدها الا متى استنار وبلغ مبلغ الخاصة من المعرفة والحكمة فاصبح قادرًا على تمييز غثها من سمينها

والذين حرموا تولستوي مخطئون ايضاً لان الاضطهاد لم يزد الفلاسفة والعلماء والكتاب في كل زمان ومكان الا نشاطاً في دعوتهم واصرارًا على مبادئهم . والدليل على ذلك انه ما بلغ تولستوي خبر حرمانه حتى اخذ ينشر على ما يقال كتاباً يصف فيه معيشة الرهبان في روسيا وصفاً ينتقم به لنفسه عن اضطهادهم اياه . وما برح الضغط يولد الضغط دائماً

وفضلاً عن ذلك فان حرية الفكر حق من حقوق الانسان الطبيعية وحق حرية الفكر يتناول حق حرية القول في كل فلسفة صحيحة واذا كانت هاتان الحريتان حقاً طبيعياً للانسان فمن العبث ان يحاول البشر حرمانه منها

فياما احلاكِ ايتها الحرية حرية الفكر والقول اذا كنتِ ضمن دائرة القانون اي مقرونة باخيكِ التساهل والاعتدال واختك المعرفة والحكمة وويل للبشر ما اشقاهم في ازمان لا يفهمون فيها معنى هذه الفضائل السامية

باب المقالات

عبادة الانسان النبات

درو بن · عبادة النبات في افريقيا · تاثير الاسلام فيها · قول عالم عن بعض بسطاء القاهرة · مقاومة الديانة المسيحية لها كالاسلامية · اسباب عبادة النبات الاولى · عبادة الدبق والسنديان · عبادة التينة الهندية التي يوجد مثالها في حديقة الازبكية في القاهرة · القضبان السحرية · عبادة النبات بسبب عبادة النور والنار · عبادة الاشجار لنفعها · جنات آسيا العذراء الاولى وجنة عدن · الشجرة المدافعة عن نفسها والشجرة التي تخلق الحيوان · شجرة الخلد المصرية المقدسة · اشتقاق الانسان من النبات

كان العالم الطبيعي الشهير داروين يسيح في سنة ١٨٣٣ في افريقيا الجنوبية · ففي ١١ اغسطس من هذه السنة كان قاصداً بونس ايرس فنظر في سهل فسيح هنالك منظراً عجيباً وصفه بما يلي · قال · « بعد انقضاء بضع ساعات على مروري بالبئر الاولى لمحت شجرة شهيرة في ذلك السهل الفسيح · وكان الوقت شتاء فدنوت من الشجرة فلم اجد فيها ورقاً ولكني وجدت مكان الورق خيوطاً لا يحصى لها عدد معلقة بها وقد رُبطت بهذه الخيوط هدايا كثيرة من السكائر والخبز واللحم والانسجة وما اشبهها · وهذه الهدايا يقدمها اليها الاغنياء اما الفقراء الذين لا يستطيعون ان يقدموا مثلها فيكتفون بان يسحبوا من ملابسهم خيطاً ويربطوه بها · واما الممتازون في الغنى فانهم يصبون في ثقوبها المشروبات الروحية المصنوعة من الحبوب او من نبات عندهم يُدعى « ماته » ثم يقفون تحت اغصانها ويدخنون مرسلين دخانهم فوق رؤوسهم لاعتقادهم ان تلك الشجرة التي هي الههم ترتاح الى ذلك · وحول هذه الشجرة شيء كثير من عظام الخيل التي كانوا يقدمونها ضحايا لها » اه

وقد سأل درو ين بعض الهنود هنالك عن اسم هذه الشجرة فقالوا له انها الههم « واليشو » ولكن درو ين يعلم ان الشعوب مهما انحطت اخلاقها الدينية فان الالوهية تبقى لديها في مقام سامٍ · فلذلك ولما كان يعلمه من ان الاله « واليشو » انما يقيم في بطن الارض ويتمثل احياناً في النباتات قال ان الهنود كانوا يعتبرون تلك الشجرة بمثابة هيكل لواليشو لا واليشو نفسه

غير انه مهما يكن من امر هذا القول فان عبادة هذه الشجرة وسواها من النباتات التي روى المؤرخون ان الشعوب قد عبدوها لا تخرج عن كونها مسالة عملية في غاية الاهمية يجب النظر فيها لمعرفة الاسباب التي دعت اليها . وتوصلاً لذلك يجب النظر في تاريخ بعض النباتات التي عبدها الاقدمون

مقاومة الاسلام لها

على ان هذه العبادة كانت عامة في الدنيا كلها . فان قبائل الاشانتي في جهات النيجر كانت تذبح منذ بضع سنوات الذبائح لاشجار مقدسة عندها تدعى « الميموزا المقدسة » وهي الشجرة المستحيية ويعلقون الهدايا باغصانها . وكان سكان الداهومي في القرن الماضي يضعون المرضى في ظل اشجار عندهم ليشفوا من امراضهم . وروى مونغو بارك انه وجد في احدى سياحاته شجرة قال له الدليل عنها ان الانسان اذا مرّ من امامها دون ان يلقي اليها شيئاً فانها تغضب عليه . وقد نقل ريشارسون انه كان يوجد في مملكة البورنو غربي بحيرة تشاد اشجار يُعدم الاهالي تحتها المجرمين وكانوا يعبدونها قبل دخولهم في الديانة الاسلامية . وكان عدد هذه الاشجار خمساً او ستاً . والسلطان ملك البلاد كان يخرج اليها مرة في السنة للاحتفال باكرامها وعبادتها وذبح البقر والغنم ضحايا لها . فلما دخل اهلها في الاسلام بطلت هذه الخرافات كلها

وروى العالم قسطنطين الذي نعتمد عليه في كتابة هذه المقالة انه لا يزال يوجد في القطر المصري اثر لعبادة النبات . قال « منذ بضع سنوات كان الانسان يستطيع ان يشاهد في ضواحي القاهرة شجرة كبيرة يعتبرها اهالي القاهرة (كذا) مقدسة ويسمونها « الحكيم الكبير » لانها تشفي من الامراض وهم يقصدونها افواجاً افواجاً للاستشفاء من الحمى وغيرها من الامراض الالتهابية . وطريقة استشفائهم انهم يجثون لدى جذورها ويتلون الصلوات . وهذه الشجرة قديمة العهد ضخمة الجذع والاغصان وعلى فروعها امتعة كثيرة يلقيها الناس اليها على سبيل الهدية . ومن فرط احترامهم لها يمنعون الناس من تصويرها ولذلك لم يقدر المصور على رسم صورتها التي نشرناها الا بالحيلة »

انتهى قول الراوي وكان بودنا ان لا يتورط المسيو قسطنطين في هذا القول فانه اذا كان بعض البسطاء في بلدٍ يعتقدون بان الزيارة لاحدى الاشجار والصلاة عندها مما يشفي المريض من مرضه فليس يصح ان يُطلق ذلك على جميع اهالي البلد

وكما وجدنا عبادة النبات في افريقيا فاننا نجدها في آسيا . فان السائح برلوارو في سنة

١٤٧١ والسائح بطرس دل فال في سنة ١٦٢٢ قد وجدا في بلاد الفرس اشجاراً كثيرة عليها الانسجة المختلفة . و يقال ان هذه العادة لا تزال موجودة هناك الى هذه الايام . على ان العرب كانوا يقطعون كثيرًا من هذه الاشجار ابطالاً لبدعها و ربما قطعوا معها رؤوس بعض المعارضين في قطعها

مقاومة المسيحية لها

وقد قاومت الديانة المسيحية هذه البدع كما قاومتها الاسلامية . فقد كان في القرن الرابع للميلاد المسيحي قرب اوكسر على مسافة ١٧٥ كيلو متراً من باريز شجرة كانوا يعلقون بها الاسلاب التي يغنمونها من العدو في ساحات القتال والاسلحة المختلفة التي كانوا يزينون منازلهم بها . وكان الشعب يكرمها الى حد اعتبر عنده قطعها فوزاً للدين المسيحي الذي كان يومئذ يضطهد انصاره . وكان اهالي الجهات الجنوبية في فرنسا يعبدون المغائر والاشجار في عهد القديس اماندوس وكان من الفضائل المسيحية يومئذ تخريب هذه المغائر وتقطيع هذه الاشجار وقد قرر مجامع ارل وتور وننت قراراً تحرم فيه اكرام الاشجار والينابيع والحجارة وقس على ذلك في الهند و بلاد اليونان والاقطار الاميركية مما يصح ان يقال فيه مع العالم لانج « ان الانسان قد عبد النبات منذ ازمنة المصريين الاولى الى ازمنة المتوحشين في هذا الزمان »

فما أصل هذه العبادات كلها . وهل ان الانسان عبد النبات اتفاقاً ام وُجدت اسباب حملته على هذه العبادة . وما هي هذه الاسباب . ان البحث في هذا الموضوع الطبيعي الجليل في غاية الاهمية لما فيه من الفائدة واللذة

اما الاتفاق فليس له وجود في الطبيعة حقيقةً بل لكل معلول علة ولكل نتيجة مقدمة ولذلك ننظر في الاسباب والمقدمات التي حملت الانسان على عبادة النبات

اصل عبادة الدبق والسنديان

فننظر اولاً في نباتات الدبق واشجار السنديان التي كان يعبدها سكان غاليا في العصور المتقدمة . فقد قال المؤرخ بلين ان كهنة الغاليين كانوا يحتفلون اعظم احتفال بقطف اثمار الدبق و يقدسونها و يعزون اليها مزايا دينية كثيرة . وهم يقطفونها عادة بواسطة سكين من الذهب ومن المحرم عليهم قطفها بآلة حديدية لئلا ينجسها الحديد . وهذا الامر الاخير يدل على ان عبادة نبات الدبق كانت قديمة جداً اي انها سبقت العصر الحديدي حتى حُرم الحديد في قطفها . ولكن ما اصل هذه العبادة

اصلها ان هذا النبات حلمي يعيش بلا جذور على الاشجار التي يعلق بها . وقد كان

يعلق في بلاد غاليا باشجار السنديان فيمر الانسان الاول فيجد على هذه الشجرة نباتًا مستقلاً عنها وهو يعيش عليها فيتساءل من اين اتى هذا النبات المستقل. ثم انه ياخذ بمراقبة مصدر هذا النبات فيجد ان عصفورًا ياتي ببذور منه و يلقيهــا على اغصان بعض الاشجار فتنبت عليها وتنمو . ولا يخفى ان الاقدمين كانوا يعزون الى المشيئة الالهية كل ما يقع تحت حواسهم من الاعمال العجيبة التي يعملهــا الحيوان والنبات فاخذوا يعتقدون منذ ذلك الحين بان ذلك العصفور الذي ياتي ببزرة الدبق الى تلك الشجرة مرسل من الالهة وتلك الشجرة مختارة منها فهي مقدسة . و بناء عليه عبد الغاليون القدماء شجرة الدبق اولاً ثم السنديانة التي تحملها. وقد جاء في الامثال الرومانية قولهم " ان العصفور ياتي هو نفسه بالدبق الذي يؤخذ به "

هذا اصل عبادة الدبق والسنديان في غاليا اي ان استغراب الانسان الاول النبات الحلمي الذي يقع على السنديانة باختيار طائر غريب مُرسل هو الذي نبه العقل البشري الى تقديس ذلك النبات ثم انتقل التقديس من النبات نفسه الى الشجرة التي ينمو عليهــا . هذا هو الاصل الاول

اصل عبادة التين الهندي

والاصل الثاني نجده في عبادة شجرة مقدسة شهيرة في الهند معروفة " بشجرة التين الهندي المقدس " او تين الهيا كل . وقد كانت عبادة هذه التينة من اهم العبادات الاسيوية . اما صفتها فهي شجرة ضخمة تنتشر اوراقها وفروعها انتشارًا بعيدًا حتى انها قد تظلل لسعة انتشارها مئات من الناس . ولكن ليست هذه مزيتها الكبرى . وانما مزيتها الكبرى بروز اغصان من وسطها وتدليها الى الارض على شكل الجذور ثم غوصها في الارض كما تغوص الجذور وقيامها مقام هذه من حيث امتصاص الغذاء. وقد تبلغ هذه الجذور البارزة مئات كما تشاهد ذلك في اشجار من هذه الفصيلة موجودة في حديقة الازبكية في القاهرة

وقد ورد لهذه الشجرة ذكر في الكتب الهندية المقدسة فانهم يسمونها شجرة الحكمة التي جذعها فوق واغصانها تحت تستند اليها الارض ومن عليها . وقد جاء في التقاليد البوذية ان ولادة بوذه كانت بمثابة بروز جذر عظيم في وسط شجرة العالم . وروي ايضاً عن امه مايا انها لما نُقلت من فراشها لتلده نُقلت الى احدى قمم جبال حملايا ووُضعت تحت شجرة منتشرة الاغصان والاوراق فكانت اذا مدت يدها لتقطف ثمر الشجرة تدلت اليها اغصانها

من نفسها · ولا يخفى ما في ذلك من الرمز الى التينة الهندية

فهذه الامور اذا اضفت اليها مزية بروز الجذور من فوق الى تحت وهي المزية التي تميز هذه الشجرة عن سائر العالم النباتي وجدت انها كافية لاكرام الهنود اياها والاهتمام بها· وفضلاً عن ذلك فقد كان لهذه الشجرة مزية اخرى على باقي الاشجار مما جعل الانسان الاول يزداد بها اهتماماً· وهي ان بزر هذه التينة كانت كثيراً ما تنبت بازاء شجرة فتلتف عليها وتستند اليها· ولكنها لا تشب وتقوى حتى تاخذ جذورها الظاهرة التي اشرنا اليها بالتدلّي الى الارض فتضخم التينة وتنمو وتزداد التفافاً على تلك الشجرة حتى تخنقها وتقتلها · ولذلك سُميت خانقة الاشجار ايضاً فكانت ذات مزية غريبة

وكما ان الريح القت بزرة التين بازاء شجرة فنبتت وخنقتها بعد بلوغها اشدها كذلك قد يحتمل ان يحمل العصفور تلك البزرة الى هياكل الهنود فتنبت على سطوحها او في جدرانها فيحسب الهنود ان الالهة قد انبتتها هنالك · وقد وُجدت نقوش كثيرة في الهياكل البوذية في الهند تمثل نمو شجرة التين المذكورة في جدران الهياكل وبروزها من نوافذها

هذا هو اصل تقديس الهنود شجرة التين الهندي · وزد على ذلك ان ورق هذه الشجرة كثيف ثخين يقي المستظل بها من هبوب الارياح وانهمار المطر الشديد في تلك البلاد فضلاً عن اعتقادهم بان الصاعقة لا تسقط عليها لان الآلهة تحميها · ولعل سبب ذلك اذا صح وجود كهربائية دافعة فيها

القضبان السحرية

ثم انه ورد في التقاليد الاسوجية ذكر لقضبان سحرية يكشف بها الانسان المخبئات · وطريقة الحصول على هذه القضبان الثمينة مذكورة في اوراق وجدت في القرن السابع عشر ومنها هذه العبارة « متى لقيت على جدار او على صخرة او في جوف شجرة نبتة « السوبريه » نابتة من بزرة تكون قد سقطت من منقار عصفور فاذهب اليها في مساء اليوم الثالث من عيد نوتردام واقطف قضيباً منها فيكون له مزية اكتشاف المخبئات ومعرفة الاراضي التي فيها ينابيع » فانت ترى من ذلك ان هذه الشجرة التي لها مزية الاكتشاف انما هي من النباتات الحلمية او النباتات التي تبرز من جذعها جذور على طريقة التينة الهندية

تولد عبادة الاشجار من عبادة النار

ويمكن الاستدلال على تقديس الاشجار بسالة النار · فان الاقدمين كانوا يحترمون

النار و يقدسون انواعها . فقد ورد عن الرومانيين انهم كانوا يضعون النور المقدس في الهيا كل و يقيمون عليه العذارى حارسات و يسمونهن الفستال . وورد عن اهالي مكسيكا قبل اكتشاف الاسبانيين بلادهم انهم كانوا يقيمون في كل سنة حفلة عظيمة على جبل فيه اشجار كثيرة من « اليوكساستين » فياتي كاهنهم باضخم رجل من اسرى الحرب الذين لديهم و يلقيه تحت الشجرة ثم يضع على صدره شيئاً منقوباً و ياتي بغصن شجرة ثم ياخذ بحكه في ذلك الثقب حكاً عنيفاً شديداً متتابعاً حتى تظهر النار و يلتهب العود بشدة الاحتكاك فيشق حينئذٍ صدر الاسير و يستخرج قلبه ليكون هدية للنار المقدسة الجديدة . و يكون الشعب مجتمعاً في سفح الجبل فلما تظهر له النار الجديدة يتعالى هتافه وصراخه لانه يتخذها في كل عام علامة لعدم انطفاء الحياة في هذا العالم

وقد ورد في كتب الفيدا الهندية ان احترام النار امر مقدس وله عند البراهمة حفلة عظيمة ولا سيما النار المقدسة التي يضرمونها باحتكاك غصنين يؤخذان من شجرة معلومة . و يقول الفيدا « ضع رباطاً في احد الغصنين كما يوضع اللجام في رقبة الجواد . هذا هو الذي يعيد الحياة . ثم جئ بسيدة النسل وحك الغصنين لتوليد « اني » وهي النار . ان اني كامن في الغصن كما يكمن الجنين في جوف امه »

وقد عثرنا على تفسير بديع للذبائح التي كان يذبحها الهنود وغيرهم من الاقدمين و يستخرجون احشاءها . فانهم كانوا يرمزون بالحيوانات المذبوحة الى مبدأ الحياة العظيم . فيقولون . ان غيوم السماء هي البقر التي في احشائها النار . ومتى اضطرمت النار وانفجرت في الغيوم بشكل صاعقة اتخذت شكل الماء ثم نزل الماء مطراً الى الارض فتحول الى عصير النبات ثم متى جف العصير و يبس النبات بقيت النار فيه وهي موجودة في كل حي لانها مبدأ الحياة . ومن اغرب الغرائب ان يكون العلم الحديث قد توصل الى شبه هذه النتيجة فانه يقول ان كل جرثومة حية تفرز الحرارة ولا تبرد الا متى عدمت الحياة

فالنتيجة التي تظهر من كل ما تقدم عن تقديس النار بسيطة وهي انه اذا كانت النار مقدسة فالاشياء التي تُتخذ لا ضرامها يجب ان تكون مقدسة . وهكذا قُدست الاشجار . والغريب ان النار المقدسة التي مرَّ ذكرها عند المكسيكيين والهنود انما كانت تُستخرج باغصان من النباتات الحلمية والاشجار التي يبرز من جذعها جذور الى الارض على طريقة التينة الهندية وهذا مما يزيد الاقوال السابقة ثبوتاً

عبادة الاشجار لمنفعتها

وفي استطاعتنا ان نضع في جملة اسباب تقديس الاشجار انتفاع الانسان بها . فان من اثمار بعض الاشجار ما يُعصر منه شراب طيب مسكر كشراب « الصومه » الهندي الذي يقدسه الهنود . ثم ان الانسان الاول كان يقتات من اثمار الشجر فقط فكان يجب عليه بحكم الطبع ان يكرم مادة رزقه . ومعلوم ان من الاشجار ما هو مثمر كثير الاقبال وما هو عاقر لا يثمر او قلما يثمر . فبديهي ان الانسان الاول قد انتبه الى ذلك واكرم المثمرة واهمل العاقرة . وانما يصح هذا القول بالخصوص على اشجار آسيا التي كانت جبالها واُوديتها تغص بها في الزمن القديم وكلها مثمرة تكفي البشر . وقد اثبت الباحثون ان في اذهان البشر في كل البلاد المتوحشة والمتمدنة ذكرى وطن قديم فيه خضرة دائمة وجنات لا يجف لها ماء ولا يفنى لها ثمر فاستنتجوا من ذلك ان الانسان انما يذكر بذلك جنات اسيا التي كان يعيش فيها في بدء امره ومنها هاجر بعد ذلك الى البلاد القاصية . وبعضهم يسمي تلك الجنات عدناً

الشجرة المدافعة والتي تخلق الحيوان

ومن الاشجار المقدسة شجرة تعرف باسم « سكروبيا » كان لها شان عظيم في اميركا الجنوبية . وليس ذلك فقط لان اهالي تلك البلاد كانوا يستخرجون النار منها بحك عود في ثقب يكون في جذعها بل لانها كانت ذات مزية اخرى عظيمة

ذلك ان النمل كما هو معلوم يكون خطراً شديداً على النبات في الاقاليم الحارة لهجومه عليه جيوشاً جيوشاً وقطعه اوراقه مما يوقف نموه وينتهي بايباسه . وهكذا كان شان النمل في اميركا الجنوبية مع اشجارها الا مع الشجرة « سكروبيا » التي تقدم ذكرها . فقد كانت هذه الشجرة وطناً دائماً لنوع من الحشرات يشبه النمل ولكنه عدو لدود له . فاذا صعد النمل الى « السكروبيا » ليؤذيها هاجمته الحشرات الصغيرة التي فيها وحدث بين الفريقين قتال ينتهي دائماً بانغلاب النمل وارتداده . فكأن تلك الحشرات حراس للشجرة

ثم ان الغريب في امر هذه الشجرة سوى ما ذُكر انها تجازي هذه الحشرات عن دفاعها عنها احسن جزاء . فانه يتولد على اطراف غصونها العليا حويوينات او هنات نباتية صغيرة تتخذها تلك الحشرات طعاماً لها . فكأن الشجرة تهيئ لها الطعام جزاء عن دفاعها عنها . وقد اعجب علماء النبات بهذا الاتفاق بين الشجرة والحشرات

ومعلوم ان الانسان الطبيعي الاول كان شديد الملاحظة لما حوله اذ لم يكن لديه شيء يشغله عنه كما لديه الآن في الاجتماع فلا بد ان يكون قد انتبه الى هذا الاتفاق . ولا بد انه يكون حين انتباهه اليه قد حكم بان الشجرة تخلق من تلقاء نفسها هذه الحشرات للدفاع عنها . فهي اذاً مباركة اذ لو لم تكن كذلك لما كانت لها هذه المزية العجيبة . وهكذا قدسها وعبدها

ثم انه يوجد امثلة اخرى على الاشجار التي كان يعتقد الاقدمون انها تخلق حيوانات . فان السائح نورنفور شاهد في سياحته في الشرق في القرن الثالث عشر طريقة كان يتخذها اليونان لزيادة نماء ثمار التين عندهم . وذلك انه كان يوجد لديهم نوعان من التين التين الجيد والتين الرديء البرّي . فكانوا يقطفون التين الرديء في شهري يونيو ولوليو ثم يربطون ثماره بخيوط و يعلقونها في التينة الجيدة فتعطي ثماراً كثيرة وربما تجاوز حاصل التينة ٢٨٠ ليبره على حين انهم اذا لم يضعوا التين الرديء عليها مربوطاً بالخيط فان التينة لا تاتي بربع هذه الكمية

فما سبب ذلك . سببه ان ثمار التين الرديء تحمل الى التينة الجيدة لقاحاً لتلقيح ثمارها ومن غير هذا اللقاح لا ينضج للتين ثمر . وقد كان هذا التلقيح يتم في العصور الماضية بواسطة الحشرات التي كانت تنتقل من الثمار الرديئة الى الجيدة فتلقحها . فالظاهر ان متوحشي ذلك الزمان قد راقبوا ذلك وشاهدوا ان الحشرات تخرج من جوف الثمرة فاستنتجوا منها انها تخلقها فاكرموا التينة وعبدوها

شجرة الخلد المصرية

و يوجد في تاريخ المصريين مثال مهم على اشتقاق الحيوان من النبات . فانهم قد وجدوا في كتاب الاموات الذي يعتبرونه دليل النفوس التائهة بعد الموت قولاً غريباً يؤيد ذلك . وهذا نصه « ان الميت يحمل عصاه في يده و يذهب في الافاق مفتشاً عن ضالته . ولكنه لا يلبث ان يصل الى طرف الدنيا الحقيقية . فيجد نفسه تجاه جميزة ممتلئة من اثمار تين الجميز وعليها امرأة نابتة من جذعها وفي يدها اناء يتضمن ماء الحياة . فاذا رفض ان يأخذ منها عجز عن اتمام سيره لان هذه الشجرة شجرة الخلد » . وهذه المرأة هي الالهة « نوت » الهة الخلد التي تحمل في يدها كوز ماء الحياة فالذي يشرب منه يحيى والذي لا يشرب يموت (انظر الرسم التالي)



شجرة الخلد المصرية في نهاية الدنيا نابتة منها الاهة الخلدالتي بيدها كوز ماء الحياة تصب منه للاموات حين وصولهم اليها فالذي يشرب يحيى بعد الموت والذي لا يشرب يموت · وبازائها شجرة مزينة براس بشري وقد وجد رسمها في الهند مع كثير من الاشجار على هذا المثال ·

وقد بحث المسيو ماسبرو في سبب عبادة المصريين القدماء لشجرة الجميز وتقديسهم اياها فقال انهم في بدء الاجتماع كانوا يستغربون انفراد شجرة من اشجار الجميز في سهل فسيح دون ان يكون لها رفيقة في الحياة فيكرمونها و يعتقدون البركة فيها · وكانت السهول الواقعة قرب الجيزة تدعى « مكان الجميز » وكانت مصر نفسها تُدعى في ايام الفراعنة « ارض الجميز »

اشتقاق الانسان من النبات

هذا ولاشتقاق الانسان من النبات مثال آخر ادل مما تقدم · وهو ان كثيرين من متوحشي اميركا وآسيا يعتبرون انفسهم انهم اخوان للاشجار والنباتات التي حولهم و يعتقدون ان لها ارواحاً تحسُّ وتشعر بها · وقد وجدت في الهند وغيرها رسوم كثيرة تمثل اشجاراً معلقة بها رؤُوس بشرية كما ترى في الرسم · وكانت العادة في اوربا منذ القديم ان يزينوا الاشجار بوجوه صناعية من جلد ملون · وكان سكان جزائر بحرايجه يعبدون البحر و يزعمون انه مصدر كل شيء ان فيه كل ما في الارض · ففي الارض افراس و بشر واثمار كالخيار وما اشبه وكذلك في البحر · وانما قالوا هذا القول لما وجدوه من الشبه بين مخلوقات البر والبحر · وفي تقاليد كثير من الشعوب ان زبد البحر الطافي على وجهه هو مادة الحياة الاولى ومنها خلق كل ذي حياة · وكان الرومانيون والهنود والمصريون ايضاً وغيرهم من المتقدمين يعتقدون كما قال المسيو لنورماند « ان العالم شجرة عظمى الارض جذعها

والسماء اغصانها وثمرتها النار . ولما قام الرجل الاول الذي علم الناس كيف تُستخرج النار من الشجرة حسبته الالهة كافرًا لانه « سرق من الشجرة المقدسة ثمرتها الممنوعة » وهو قول يقرب مما جاء في التوراة »



الشجرة الخالقة التي كان يقول الاقدمون في العصور الاولى انها كائنة في البحر ومنها يخرج كل شيء حي حتى الانسان نفسه فانك ترى وجهه آخذًا بالبروز من راس الشجرة فضلاً عن الولد الصغير الذي خُلق منها وهو واقف على احدى اوراقها السفلى .

ولكن اين الشجرة التي اعتقدت شعوب كثيرة بان الانسان مشتق منها . الجواب الذي تجيب به كل تلك الشعوب انها كائنة في قعر البحر . فمن البحر يخرج كل شيء . البحر هو مصدر الحياة وصانع المخلوقات . وقد كان هذا الاعتقاد شائعًا كل الشيوع في الهند والصين واليونان . ووجدت في هيا كل بوذة والبراهمة في الهند والصين رسوم كثيرة كالرسم السابق تمثل الشجرة الخالقة العظمى نابتة من قعر البحر ورافعة فروعها فوق الامواج ومنها مشتق الانسان كما ترى في الرسم . ومما ينطبق على هذا الاعتقاد ما رواه فلوطرخوس نقلاً عن عامة اليونان فقد روى انهم كانوا يعتقدون بان سنديانة زوس نبتت من قعر البحر بعد الطوفان . وقوله « بعد الطوفان » يدل على الزمن الذي تلاشى فيه البشر وقام بشر غيرهم . فكانه قال ان الانسان الجديد نبت من تلك السنديانة الجديدة

هذا اهم ما عثرنا عليه في موضوع عبادة الانسان النبات · ومنه يستدل القارئ ان البشر الاول لم يعبدوا اشباههم من المخلوقات الا لما كانوا يرونه فيها من المزايا ويشاهدونه فيها من الرموز او المقدرة او المنفعة وفوق كل ذي علم عليم

الرتيلاء تنسج الحرير

طريقة غزلها الحرير · حريرها اجود من حرير الشرانق · صناعة جديدة لا خوف على القديمة منها · مكتشف هذا الاكتشاف · شجرة تمدن الشعوب

اصبحت تجارة الحرير من اهم تجارات العالم ولذلك كان اصحابها يرتاحون الى كل ما يزيدها انتشارًا

ولقد اكتشفوا في مدغسكر منذ عهد قريب حيوانًا صغيرًا يغزل حريرًا اجود من حرير دود الحرير فسر اصحاب هذه الصناعة بهذا الاكتشاف سرورًا يعادل استياء اصحاب بساتين التوت ومربي الدود منه · وحسب الناس ان دولة دودة الحرير قد انقضت وقامت مكانها دولة جديدة

❊ غزل الرتيلاء الحرير ❊ وهذا الحيوان الذي تقدم ذكره هو الرتيلاء (العنكبوت) التي توجد في جزيرة مدغسكر احدى المستعمرات الفرنسوية · فان هذه الرتيلاء تفرز خيوطًا كالحرير · وهي توجد عادةً في البرية في الاحراش التي يكثر فيها وجود الغذاء ويسميها اهالي مدغسكر "هالابه" ولعلها "حلابه" لانها تفرز مادة سيالة كما تفرز ذوات الثدي الحليب · وهم يطاردونها في الحرش فيصطادونها ويضعونها في سلال ثم يعودون بها الى المدينة لبيعها فياخذها المشترون ويستخرجون منها الحرير بالطريقة الآتية

يصنعون لها ثقوبًا في خشبة ويُدخلون رؤوسها من هذه الثقوب حتى لا تستطيع التفلت منها فتصبح اجسامها خارج الخشبة فيؤتى بالاولاد الذين يُعهد اليهم استخراج الحرير فيأخذون بلمس بطن الرتيلاء باصابعهم فتعلق بها المادة السائلة فيبعدون اصابعهم عنها رويدًا رويدًا فيكون فيها خيط دقيق جدًا لامع وهو الحرير المطلوب · والعادة ان يكون عدد الاولاد ١٢ او ٢٤ ولدًا على حسب المطلوب فاذا كانوا يرومون جعل الخيط المستخرج بثخانة ٢٤ خيطًا كان الاولاد ٢٤ والا كانوا ١٢ ومتى استخرج الولد الخيط علقه بآلة

قريبة وهي تضم الخيوط المستخرجة كلها وتبرمها فتجعلها خيطاً واحداً متيناً . وهذه الطريقة هي نفس طريقة « حل » الحرير المتبعة في الفيالج

ولما يطول هذا العمل وتفرغ الرتيلاء اي تنضب المادة السيالة من جسمها تؤخذ وتُلق في البستان لتجدد قواها وتستعيد مادتها وتوضع مكانها رتيلاء جديدة . وهكذا كلما فرغت الرتيلاء وضعت مكانها رتيلاء ملآنة . والفارغة تملئ بعد معيشتها في البستان بضعة ايام فتعاد الى الخشبة لاستخراج المادة التي تكون قد خزنتها من جديد . وهلم جرًا

﴿ صفة الحرير المستخرج من الرتيلاء ﴾ اما الحرير المستخرج من هذه الرتيلاء فانه يفوق حرير الفيالج من كل الوجوه . فانه اشد ليناً ونعومة وعلى الخصوص اشد لمعاناً لان لمعانه يشبه لمعان الذهب بل يفوقه . وهذا الذي ادهش ناظريه . وهو مع ذلك دقيق الخيوط يسهل صنع الانسجة الدقيقة منه . على انه مع دقته قوي متين لا يُبلي نسيجه ولا تفنيه القرون . ولكنهم يخشون ان يكون ذلك الرونق الجميل الذي يزينه يذهب عند غسله بالماء لانهم لم يجربوا غسله

﴿ استحالة جعله صناعة واسعة ﴾ والآن فلا بد ان يرى القارئ ان خوف زراع التوت ومربي دود الحرير في مكانه لان هذه الرتيلاء قد تغني عنه . فنقول انه لا خوف على دود الحرير من هذه الرتيلاء ولا يمكن ان يُصبح حريرها صناعة واسعة منتشرة قادرة على مزاحمة حرير الدود وذلك للسبب التالي

ان الرتيلاء التي تفرز خيوط الحرير هي الانثى اما الذكر فانه لا يفرز شيئاً . ومن طبيعة هذه الانثى انها اقوى من الذكر فاذا دنا منها على غير رضاها قتلته واكلته في الحال ولذلك لا يدنو منها الا في ايام معلومة تكون فيها راضية عنه . وبناء عليه فان تربيتها وتوليدها على طريقة تربية دود الحرير امر غير ممكن . ولما يأتي نساء مدغسكر بسلال الرتيلاء من الحرش يُسرعن الى اطلاقها منها حين وصولهن الى البيت لانهن اذا ابقينها في السلة وقتاً طويلاً فربما اكلت هذه الحيوانات الشرسة بعضها بعضاً فلم يبقَ في السلة الا الاخيرة منهن . على ان تربيتها اذا كانت متعذرة لهذا السبب فذلك لا يمنع ان يُستخرج منها كميات قليلة من الحرير تُنسج ويباع نسيجها لنساء الاغنياء باثمان باهظة جداً فلا خوف اذاً على صناعة الحرير منها

﴿ مكتشف هذا الاكتشاف ﴾ اما مكتشف هذا الاكتشاف فهو الاب كمبوي من رجال البعثة الكاثوليكية في مدغسكر . فانه كان يرى في حديقته خيوط

الرتيلاء التي تنسجها على الاشجار كما ينسج العنكبوت خيوطه فجمع منها شيئاً كثيراً ثم نسجه فكان نسيجاً قوياً لا يوجد نسيج بقوته ومتانته ولكنه خشن . فخطر له ان يستخرج الخيوط من الرتيلاء رأساً فامسك بعضها وجرب استخراج تلك المادة منها بلمس بطنها فنجحت الطريقة وتم اكتشافه وكان ذلك منذ عامين

وقد جيء ببعض هذه الرتيلاء في هذا العام الى المعرض وهي الآن معروضة فيه تغزل امام الحاضرين الذين يشاهدونها وتغتذى بالذباب الباريزي الذي قد استطابته على ما يظهر ولذلك صارت نشيطة في غزلها ... وقد ادخل الجنرال غالييني حاكم مدغسكر هذه الرتيلاء الى مدرسة الصنائع الفرنسوية التي انشأها في تاناناريف عاصمتها وذلك لتربيتها فيها واستخراج حريرها . وهم يوالون ذلك ويجتهدون باتقان هذه الصناعة الجديدة

﴿ شجرة تمدن الشعوب ﴾ وعلى ذكر دود الحرير والتوت لا يسعنا الا الاسف من ان الحكومة المصرية لم تنشط بعد تربية دود الحرير في بلادها التنشيط الواجب . وحسبنا في اظهار اهمية هذه التربية ان نورد كلمة عنها وردت في كتاب « تربية امهات العائلة » للكاتب « ايمه مارتين » . قال ما خلاصته . « منذ نصف قرن كان سكان احدى الجهات الجنوبية في فرنسا قوماً اشبه بالمتوحشين . فقد كانت طباعهم خشنة واخلاقهم شرسة يصرفون ايامهم في الجبال في مقاتلة بعضهم بعضاً ومطاردة الحيوانات الكاسرة لصيدها وليلهم في قطع الطرق وهم في احط درجات الهيئة الاجتماعية من حيث قذارة الملبس والمسكن ومعاملة النساء . واخلاقهم هذه انما كانت منقولة عن ارضهم . فان بلادهم كانت جبالاً وعرة فيها بعض سهول قاحلة جدباء ليس لها شيء يستانس به الناظر اليها او المسافر فيها . وكان سكانها يقصدون بعض الاحيان كنيسة قائمة في جهة اخرى على مسافة قريبة منهم وهم يحملون بنادقهم ويلبسون "جزماتهم" الضخمة كانهم سائرون لقتال . وبالجملة فقد كانت تلك الجهة لا يُذكر اسمها حتى يستعيذ كل الناس من سكانها

" ثم كرت الايام والاعوام فما شعر سكان البلاد المجاورة الا وقد تبدلت حالة اولئك الاهالي الخشنين . فتلطفت عاداتهم وحسنت اخلاقهم وبشت وجوههم ونظفت ملابسهم ومنازلهم وصاروا يحترمون نساءهم ومتى ذهبوا الى الكنيسة كانوا يذهبون اليها باحترام وخشوع . اما ارضهم فقد تغيرت ايضاً كما تغيروا فاصبحت خضراء يروق الابصار منظرها . فما سبب كل هذا الانقلاب العظيم

سببه شجرة واحدة . فان احد الاغنياء ابتاع ارضاً في جوار ارضهم وغرسها توتاً ثم

احد بتربية دود الحرير فيها فربح ار باحاً طائلة فغار اولئك السكان منه فعزقوا جبالهم وسهولهم ومهدوها ثم غرسوا شجرة التوت فيها وربوا دود الحرير فما لبثت السعة ان انتشرت بينهم فنقلتهم من حالة الى حالة . ولذلك لقب الكتاب في ذلك الزمان شجرة التوت" ممدنة الشعوب " فما احرى هذه الشجرة الممدنة بالدخول الى كل ارض شعبها محتاج مسكين

القطب الشمالي

الدوق ابروزي وعودته من القطب فائزاً . ماذا يوجد في القطب الشمالي .
نتائج رحلته التي ظهرت الى الآن . تهنئة الجمعية الخديوية الجوغرافية
رحلة جديدة

لما شاع في العام الماضي خبر عزم الدوق ابروزي ابن اخي المرحوم الملك همبرت وابن عم الملك عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا على السفر لاكتشاف القطب الشمالي قلنا يومئذٍ في العدد السابع من السنة الاولى ما نصه

" ان نفوس البشر تختلف ملذاتها باختلاف اميالها ومشاربها فزيد لذته ان يجمع الذهب اكواماً في خزانته و يقفل عليه فلا ينتفع به احد . وعمرو لذته ان يتصدر في قومه فيكون منهم مكان المركز من الدائرة . و بكر ان يصرف نهاره وليله في الحانات بين الاقداح والقداح . وخالد ان يثلب اعراض اصحابه ومعارفه لدى جلاسه دلالة على طلاقة لسانه . وآخر لذته ان يحشو جوفه بالمآكل السمينة فلا تسمعه يتحدث الا باللحوم والخمور . وغيره سبت لبه الحسان والجمعيات الدنيوية فلا يرى في غيرها حياة وهناء . الى آخر ما هنالك .

" ولكن من حسن حظ الانسانية لكمال عمار هذه الارض ان يوجد فيها رجال تعلو نفوسهم عن هذه المطالب التافهة الحقيرة وتغلو في جو الحياة مسوقة الى الاغراض النبيلة والمطالب الشريفة . افراد من البشر يزهدون في تلك الطيباب المادية و يرغبون في طيبات " نفسية " فيقدمون بها العالم و يرقون الانسانية . انظر الى نيوتن في معمله تائه الافكار في النواميس الطبيعية التي بين يديه ذاهلاً عن كل شيء في العالم حتى عن غذائه الذي فيه قوام حياته . انظر باليسي وراء اتونه يطعم النار اثاث منزله تحت المطر والبرد عازماً على ان يموت و يفني كل ما يملكه او يتم اختراعه . انظر اديسن في معمله يصارع النواميس الطبيعية و باستور



الدوق ابروزي

ابن عم ملك ايطاليا الحاضر الذي عاد حديثًا
من رحلته الى القطب الشمالي

في مخبره يربي الجراثيم ويكتشف مبدأ يدفع الانسانية به الى امام دفعًا شديدًا . انظر جول سيمون وسبنسر في مكتبتيهما ينظران في النواميس الفلسفية والادبية ويحلان عقدها . جوٌّ رفيع تتناجى فيه تلك النفوس الكبيرة وتحلق ارواحهم فيه فوق حيوانات نهمة شرهة تدعى بشرًا انوفها لاصقة بتراب الارض لتأكل مما فيه من الخشاش والدود وما اشبهها مما تسمى الطيبات المادية

« وقد اراد الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت بسفره الى القطب الشمالي ان ينفض عن نفسه غبار هذه الارض ويحلق في ذلك الجو الرفيع اما تفصيل سفره فاليك بيانه

« يسافر في اواسط يونيو الجاري من لورويك قرب كريستيانا على سفينة متينة ابتاعها وسماها « النجم القطبي » ويكون في صحبته من مهرة البحارة والادلة عشرون نفسًا فيهم طبيبان وقائدان للسفينة ويكون حمل هذه السفينة ٣٥٠ طنًا من الفحم الحجري و٢٥٠ طنًا من المؤن والامتعة موضوعة في ١٥٠٠ صندوق ثقل كل صندوق منها ٢٥ كيلو غرامًا وذلك لتسهيل نقلها على ظهور الرجال حين الاقتضاء . وعند وصول السفينة الى اكانجليسك ينضم

الى حاشية الامير ورفاقه ١٢٠ رفيقاً لا يستطيع ان يصل الى القطب من غير مساعدتهم وهم كلاب الاسكيمو لجر المزالق التي تسير بهم على الثلج ومعها سواقها » انتهى

نقول . وقد عاد هذا الامير المقدام من هذه السياحة في الشهر الماضي مكللاً با كاليل الفوز وان كان فوزه غير تام فجرى له في اسوج وايطاليا استقبال عظيم وقد خف ملك ايطاليا عانوئيل الثالث نفسه الى نابولي لاستقباله فيها وهتف له الشعب هتافاً عظيماً وتناقلت جميع جرائد العالم ومجلاتها تفاصيل رحلته مثنية عليه بما يستحقه اقدامه واجتهاده من الثناء الجزيل . وهذا ملخص هذه الرحلة

سارت بعثة الدوق بامن وسلامة حتى وصلت الى كاب فلورا التي كانت محطة السفر الحقيقية فعجب رجال البعثة من وجودهم خضرة وطيوراً في تلك الدرجة فبعثوا الى اهلهم بكتب يظهرون فيها استغرابهم ويخبرونهم ان فواتح السفر تدل على انه سيكون سفراً حميد النتيجة . ثم سافروا من كاب فلورا الى ارض فرنسوى جوز يف فاجتازوا في اغسطس المكان الذي شتى فيه ننسن وجوهنسن بين سنة ٩٥ و٩٦ ثم ظلوا متجهين شمالاً شمالاً قاصدين نقطة القطب الشمالي

ولنذكر الآن كلمة عن القطب الشمالي والغرض من اكتشافه .

خذ خريطة الكرة الارضية فتجد للكرة جانبين متقابلين الواحد شمالي وهو في اعلى الكرة على الورقة والثاني جنوبي وهو في اسفلها . فالاول يسمى في اصطلاح الجوغرافيين القطب الشمالي والثاني القطب الجنوبي . واذا تاملت في الخريطة وجدت ان علماء الجوغرافيا لا يرسمون في دائرتي هذين القطبين شيئاً لانهم يجهلون ما فيهما

اما القطب الجنوبي فانهم يجهلونه تماماً واما القطب الشمالي فقد سافر كثيرون لارتياده واشهرهم الرحالة ننسن الذي فاق جميع الرواد الذين قبله بتقدمه من هذا القطب الى درجة لم يبلغها احد قبله

والآراء منقسمة في ما يوجد وراء ذلك . فبعضهم يذهب انه يوجد عند القطب عالم جديد مأهول ببشر قد الفوا البرد الهائل الذي عنده . وغيرهم يزعم ان هنالك ارضاً قفراء غير ماهولة . وآخرون يقولون بل هنالك بحر واسع لا غير . ولما كان من دلائل ضعف الانسان وعجزه ان يبقى فتراً من الارض التي يسكنها مجهولاً منه فلذلك كان العلماء حتى الامراء يهتمون بأكتشاف ذلك المجهول هذا فضلاً عما يكون للعلم من الفوائد في درس احوال تلك الاقطار المجهولة والوقوف على طبيعة حيواناتها وعناصرها

ولكن الدوق ابروزي ما اجتاز ارض فرنسوى جوزيف واخذ بالاقتراب من القطب في طريق تقابل الطريق التي اتبعها ننسن حتى وجد نفسه في ٩ اغسطس امام جبال وسهول فسيحة من الثلج قائمة في وسط البحر على شواطئ جزيرة البرنس رودولف عند الدرجة ٨٢ . فاضطر الى الوقوف والعدول عن التقدم ولذلك انشأ على هذا الشاطئ خيمة كبيرة ليشتي فيها مع رجاله . فما صرف فيها ليلاً واحداً حتى رأى في الصباح ان الثلج قد غطاها وكان البرد شديداً الى درجه لا تحتمل . وفي ٨ ستمبر وهم صابرون على هذه الحالة ينتظرون ان ينقضي الشتاء فتذوب تلك الثلوج وتنفتح طريقهم واذا بقطع الثلج كالجبال اخذت تتكاثر حول السفينة في البحر حتى زحمتها من كل جانب فانكسر احد جوانبها من كثرة الضغط ودخلت المياه اليها فبادر الرجال الى اصلاحها وانقاذ المؤن منها . وهذه هي الساعة الوحيدة التي دخل فيها الجزع الى قلوبهم لانهم خافوا اذا اجهزت الثلوج على السفينة ان يموتوا في تلك الجهات جوعاً وبرداً . وقد بقيت السفينة محصورة بين الثلج ١١ شهراً

ولما راى البرنس انه لا سبيل بعد ذلك للمسير الى القطب الا براً على الثلوج عزم على ارسال البعثات نحوه لتنشئ في الطريق محطات على طريقة ننسن ولتصل الى ابعد نقطة تستطيع الوصول اليها . فبعث اربع بعثات . اما الاولى فعادت سريعاً بعد ان اتمت عملها وسارت الثانية ولكنها لم يبن لها بعد ذلك اثر . اما الثالثة فغابت ٢٤ يوماً ثم عادت . واما الرابعة فانها تجاوزت الجميع اذ غابت ١٠٥ ايام وقد انشأت في طريقها محطات وضعت فيها مؤناً للبعثة التي تاهت لعلها تهتدي اليها

واما نتائج الرحلة التي ظهرت الى الآن فاليك بيانها

(١) ان الكابتن كاني الذي كان يقود البعثة الرابعة التي غابت ١٠٥ ايام على ثلوج القطب قد فاق ننسن لانه وصل الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ اي انه تقدم ننسن بنحو ٣٨ كيلو متراً فلم يبقَ بينه وبين نقطة القطب سوى ٣٧ كيلومتراً

(٢) ان الكابتن المذكور لم يرَ في كل تلك الجهات التي رادها في مدة الـ ١٠٥ ايام سوى جبال من الثلج وسهول ثلجية يغطيها ضباب كثيف لا تنفذه اشعة الشمس وذلك يدل على عدم وجود ارض هناك بل ولا بحر لانه لو كان بحر القطب خالياً من الثلج لرأى ذلك لانه تقدم الى مسافة ٣٧ كيلومتراً منه كما قلنا

(٣) تحت دائرة الثلج التي تحيط بالقطب بحر عظيم ذو مد وجزر وقد تحدث فيه

زوابع ايضاً وقد استدلوا على ذلك بما شاهدوه من الثقوب الهائلة التي تحدث في الثلوج فوقه وربما كانت حرارة الماء تحت الثلج ٥ درجات فوق الصفر على حين انها تكون في الهواء فوق الثلج ٢٠ درجة تحت الصفر . واما عمق هذا البحر فقد يبلغ في اعمق الجهات ٤ الاف متر

(٤) ان اشد برد شعر به الدوق في تلك الاصقاع كانت درجته ٥٢ درجة تحت الصفر ولكن مقياس السائح دي لونغ هبط يوماً هناك الى الدرجة ٥٨ تحت الصفر فكان برده اشد من برد لونغ . وقد هرأ البرد اصبعين من اصابع الدوق ولذلك استشار الاطباء بعد عودته في بترهما فلم يشيرا به

(٥) ان علماء الجوغرافيا يرسمون في الخرائط الى هذه الايام بين ارخبيل فرنسوى جوزيف وكاب فلوفا ارضين يسمونهما « باترمان » و « كاب اوسبورن » ولكن الدوق ابروزي استثبت ان هاتين الارضين غير موجودتين ولذلك سيجعل الخريطة التي رسمها ببيان سياحته خالية منهما

وقد قاسى الدوق ورجاله في هذه الحملة اهوالاً لا سيما حينما نفد زادهم واخذوا يقتاتون بلحم الدببة التي كانوا يصطادونها او بلحم الكلاب التي معهم ويقال انهم اقاموا مائة يوم لا يأكلون الا من لحم الكلاب . وقد بلغت نفقات الحملة نحو مليون فرنك . وسئل الكابتن كاني ربان السفينة بعد عودة البعثة الى اوربا هل حقيقي ما شاع من ان الدوق سيعود الى القطب فاجاب انني لا انكر انه لولا فراغ الزاد مني لقدرت في بعثتي على الوصول الى القطب ولكن مع ذلك فان رحلة كهذه الرحلة لا يرحلها الانسان الا مرة في العمر

على ان كثيرين ممن قابلوا الدوق رأوا منه شفقة شديدة على البعثة الثانية التي تاهت في ثلوج القطب فاستنتجوا انه لا بد ان يعود لاغاثة رجالها اذا كانوا لا يزالون احياء . وغيرهم يرى ان ذلك الامير المقدام الذي جعل همه تارة السفر الى الاسكا لتسلق جبالها وهبوط اوديتها وطوراً الصعود الى جبال الالب الشاهقة وآونة الرحلة الى مجاهيل القطب لا يهنأ له عيش اذا لم يصرف عمره في الاعمال الجليلة واقتحام الاخطار في سبيلها ولذلك يعتقدون انه سيرحل الى القطب مرة ثانية ليدوس كل المصاعب التي في طريقه ويبلغ غرضه . فما اجدر هذا الشاب بان يكون مثالاً حسناً للشبان الذين يتركون قواهم تفنى في الكسل والبطالة

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الجمعية الجوغرافية الخديوية المصرية في العاصمة قد بعثت في هذا الشهر الى الدوق الشاب تلغرافاً تهنئه فيه بكونه تقدم من القطب اكثر من



منظر من مناظر القطب الشمالي . الثلوج كالجبال الراسية في البحر وعليها الدببة ترتص وتتداعب وسفينة للسياح ترتاد تلك الجهات وامامها الشمس مائلة الى الغروب

جميع الرواد والسياح الذين رحلوا اليه قبله فاجابها الدوق بتلغراف يشكر لها هذه التهنئة ·
ويقال ان شركة اميركية قد عزمت على تسيير بعثة جديدة في العام القادم لاكتشاف القطب الشمالي وهي ستنفق عليها خمسة ملايين فرنك فعسى ان نرى في هذه البعثة الاميركية بعض السوريين المقيمين في اميركا ليقال فيهم ما قيل في اجدادهم « في كل وادٍ اثر من الفينيقيين »

آداب الاتراك ولغتهم

لحضرة الكاتب البارع جميل افندي معلوف احد تلامذة المكاتب السلطانية

قلما يعلم قراء العربية شيئاً عن آداب جيرانهم الاتراك وعوائدهم واخلاقهم وسائر احوالهم مع انهم يعرفون اشياء كثيرة عن لغات الافرنج وادابهم وما ذلك الا لان القليلين من ابناء العرب قد درسوا اللغة التركية وتلقوا دروسهم في مدارس الدولة العلية التي اصبحت لا تخلو منها ولاية من ولاياتها

ومن اعتقادي ان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما زالت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة · ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد وآداب بعضهم البعض فان ذلك يزيل من بينهم سوء التفاهم وينتج الالفة والمحبة

ولما كنت قد تلقيت بعض دروسي في المكاتب السلطانية وتعمقت في دروس اللغة التركية ووقفت على ادابها وقرأت مؤلفات مشاهير كتابها وشعرائها المتقدمين والمتاخرين احببت اجابة لبعض اصدقائي الادباء ان اتكلم عن اداب الاتراك مع ابداء رايي الشخصي بها ومقابلتها باداب العرب والافرنج والفرس · وقد رايت استيفاء لهذا الموضوع ان اقسم البحث فيه الى ٣ مقالات · في المقالة الاولى ابحث عن حقيقة اللغة التركية وادابها وفي المقالة الثانية عن اداب الاتراك في الازمنة القديمة وبعض حكايات عن مشاهير الكتاب والشعراء وفي المقالة الثالثة اكتب عن ادباء اليوم

❊ المقاله الاولى · اللغة التركية قديماً وحديثاً ❊

التركية لغة من لغات الشرق القديمة وانما سميت بهذا الاسم نسبة الى الاتراك الذين

يتصل نسبهم بترك ابن يافث وهي الآن اللغة الرسمية للدولة العثمانية ولكنها تختلف اختلافاً كلياً في الوقت الحاضر عما كانت عليه في الازمنة الغابرة حتى انك اذا اتيت بكتاب تركي قديم العهد واطلعتَ عليه شاباً من شبان الاتراك في هذه الايام لما استطاع ان يفهم منه الا القليل من الكلام ذلك نظراً للتغيير العظيم الذي طرأ على هذه اللغة في ادوارها الاخيرة اذ انها تنقحت وتهذبت ورُبطت بقواعد واصول جعلتها اشبه باللغات الغربية

وشبان الاتراك الذين نشأُوا بهذا العصر يسعون الان لقطع كل علاقة بين اللغة التركية القديمة واللغة العصرية الجديدة حتى انهم لا يسمونها اللغة التركية بل (اللغة العثمانية) على ان كثيرين من الاتراك وعلى الاخص القسم الذي يقطن ولايات الاناضول لا تزال لغتهم قريبة من لغة اجدادهم واهالي الاستانة يستهجنون كلامهم كما يستهجن اهالي باريس كلام الفرنسويين الذين في بلاد كندا

ولا يخفى ان اللغة التركية مزيج من ثلاث لغات : لغة الاتراك القدماء : واللغة العربية واللغة الفارسية : والكلام العربي فيها يزيد عن الفارسي وقد يزيد عن الكلام التركي وكثيراً ما تكون العبارة مؤلفة من كلمات عربية يربطها في النهاية الفعل كقولهم « مشرق بطحا دن شمس اسلامك طلوعي قبائل متفرقة عرب ايجون بر علامة اتحاد ايدي » ومعنى هذه العبارة « ان طلوع شمس الاسلام من مشرق البطحاء كان علامة الاتحاد لقبائل العرب المتفرقة »

فيرى القارىء في هذه الجملة التركية عشر كلمات عربية بينما لا يجد الا ثلاث كلمات تركية فقط وهذا يحسب عندهم من الفصاحة . وهو من مستحدثاتهم في الايام الاخيرة لان الاتراك الاقدمين لم يكونوا يستعملون في كتاباتهم الفاظاً عربية الا نادراً بل كانت كتاباتهم تركية محضة مع بعض الفاظ فارسية مهجورة

اما في هذه الايام فانهم لا يستعملون من الالفاظ الفارسية الا ما كان لطيفاً على السمع وعلى الاخص في تحريرات الحكومة الرسمية . كذلك الكلمات العربية فانهم يختارون منها ما هو مالوف ويهجرون الكلمات الغويصة الخشنة . وشعراء الاتراك يجدون سهولة كافية في نظم الشعر لان مجال الكلمات واسع عندهم فان لم يوافق الوزن كلمة تركية وضعوا مكانها كلمة عربية او فارسية توافق المعنى والوزن معاً

وتختلف التركية عن سائر لغات العالم بمسألة تركيب الجمل فانهم يضعون الفعل في آخر العبارة دائماً فاذا ارادوا ان يقولوا مثلاً

« حضر الى الاستانة من بيروت احمد افندي احد طلبة المكتب الاعدادي »
فيجعلون الجملة مقلوبة هكذا
« احد طلبة المكتب الاعدادي احمد افندي من بيروت الى الاستانة حضر »
ويقال ان اللغة الالمانية قريبة من هذا النوع

والعبارة في لغتهم طويلة حتى انك تقرأ اكثر من عشرين سطرًا قبل ان تصل الى الفعل الذي لا يأتي الا في نهاية العبارة كما تقدم

ولكن ادباء الاتراك العصريين يسعون اليوم لاجتناب هذا التطويل الممل لا سيما في الروايات والمقالات الادبية فلا يجعلون العبارة اطول من سطر او سطرين · وتمتاز لغتهم عن اللغة العربية باستعمال العلامات المالوفة في اللغات الغربية كادوات الاستفهام والتعجب والعلامة المسماة (فركل) وغيرها مما لا وجود له في اللغـة العربية وقد حذا حذوهم الفرس فادخلوا هذه العلامات في لغتهم ايضاً

وقد تألفت في الاستانة لجنة خاصة لترقية اداب اللغة التركية وتعميم المعارف في السلطنة ودعيت (انجمن معارف) وقد كان المرحوم جودت باشا المؤلف الشهير من اعظم العاملين بها · ولهذا الباشا ابنة تدعى فاطمة عليه خانم تُعد الآن من اشهر كاتبات الاتراك وسياتي الكلام عنها وعن مؤلفاتها في المقالة الاخيرة

وخلاصة ما يقال بهذا الموضوع ان اللغة التركية قد تهذبت وترقت في العشرين سنة الاخيرة ترقيًا سريعًا حتى صارت من الطف اللغات على السمع بعد ان كان يضرب المثل بخشونتها · ومن احب الامور ان تسمع ولدًا تركيًا يكلم والده او تراه يوبخ خادمه او يغني الاغاني الاستانبولية فان في نبرات صوته حلاوة شرقية امتازت بها اللغة التركية

﴿ المقالة الثانية · ادباء الاتراك في الازمنة القديمة ﴾

الترك امة نشأت بالسيف وعظمت بالسيف ولا تزال عائشة بالقوة العسكرية · وهذه الامة لم ترَ في بادىء نشأتها حاجة شديدة الى القلم لان لسان حالها كان يقول « ويفعل السيف ما لا يفعل القلم » لذلك لا نقدر ان نقول انه قد نشأ فيها من الكتاب والعلماء ما نشأ في العرب والفرس الذين استفاد العالم فائدة كبيرة من علومهم وفلسفتهم

على ان الترك مع ذلك لم يقصروا في اجتناء فوائد العلم ولا اهملوا صناعة الشعر وفن الانشاء فنبغ فيهم شعراء وكتاب كان يجب ان يكونوا معروفين في عالم الادب اكثر مما عُرفوا حتى الآن · وعندي ان السبب الحقيقي في انطماس آثارهم عدم اهتمام كتاب الاتراك

الحديثين بتاريخ احوالهم وتدوين اخبارهم ونشرها باللغات الاجنبية لتطلع عليها باقي الامم الشرقية والغربيـة فان في بعض مكاتب الاستانة القديمة كتباً نفيسة من تاليف كتاب الترك القدماء ولكنك لا تجد منها الا نسخاً بالية مطبوعة طبعاً حجرياً تعسر قراءته وفهمه مع ان اعادة طبعها ونشرها بين الايدي امر واجب لحفظ اثار السلف واحياء النهضة الادبية في صدور الخلف

اما اداب الاتراك فانها تقسم الى ثلاثة ادوار فالدور الاول ينتهي في عهد السلطان سليمان القانوني والدور الثاني في اواسط القرن الثالث عشر للهجرة اي في اواخر عهد السلطان محمود الثاني والدور الثالث يشمل اواخر العصر الاخير وايامنا الحاضرة ولكل دور من هذه الادوار الثلثة نوابغ يُنسبون اليه والدور المتوسط هو اغنى تلك الادوار اذ نبغ فيه اكثر كتاب الاتراك وسياتي الكلام عنهم

اما الدور الاول فقد اشتهر من نوابغـه الكاتب الشهير ملا خسرو وهو رجل مسيحي الاصل اعتنق الديانة الاسلامية واشتهر بعلمه وتقواه فقربه منه السلطان محمد الفاتح وجعله قاضياً على القسطنطينية بعد فتحها . وكان وزراء المملكة ورجالها يبالغون في اكرامه فاذا خرج الى الجامع اصطفت الناس من عن جانبي الطريق التماساً للبركة من لمس اذياله وكان يلقب بابي حنيفة وله في علم الفقه مؤلفات نفيسة منها الغرر والدرر والمرآة وغيرها

وقد اشتهر بالزهد والتواضع فكان مع سعة ثروته لا يلبس الا لباساً رثاً وكان يكنس منزله بيده بالرغم عما كان لديه من الجواري والخدم

وكان من معاصريه عالم شهير يدعى احمد بن اسماعيل الكوراني . هذا الرجل نشأ في مصر وكانت اذ ذاك لم تدخل في حكم الدولة العثمانية فحدث ان لكاين الرومي الذي كان مقرباً من السلطان مراد الثاني ذهب لاداء فريضة الحج وفي عودته عرج على مصر وهنالك عرف الكوراني المشار اليه فاعجب بذكائه واصطحبه معه الى مقر السلطنة ولما ذهب لمقابلة السلطان ساله السلطان قائلاً

— ما هي الهدية التي جئتنا بها من سفرك الى الحج فاجاب لكاين الرومي — جئتكم يامولاي بعالم كامل (وهو يعني الكوراني) فقال السلطان

— انها والله لافضل هدية فاخرة جئني به لاراه

ولما مثل الكوراني في حضرة السلطان اعجب السلطان به و بغزارة علمه وقربه منه ثم جعله استاذاً لابنه محمد فاتح القسطنطينية واليه ينسب الفضل في حسن تربية هذا السلطان

على انه لما تولى السلطان محمد زمام الملك اكثر الكوراني من معارضته في اعماله فرام التخلص منه وابعده الى بروصه فعاد منها الى مصر واكرمه سلطانها قايتباي ولكن السلطان محمداً عاد فاستدعاه اليه وعينه قاضيعسكر وكان يحب مجالسته فيستدعيه اليه و يستدعي نخبة من المشايخ والعلماء و يفتح لهم باب المجادلات الشرعية والمباحث العلمية ليرى الفائز منهم

ولما توفي مشى في جنازته السلطان با يزيد نفسه وكان عليه دين يبلغ ١٨٠٠٠٠ غرش فدفعها لاصحابها من بيت المال

وكان هذا ايضاً تقياً فاضلاً فكان لا ينام كل ليلة قبل ان يتم قراءة القرآن من اوله الى آخره الا انه كان على طرفي نقيض مع ملا خسرو الآنف الذكر · وقد حدث ان الشيخ ابن وفا ابى زيارته مفضلاً الالتصاق برقيبه ملا خسرو فلما ابلغه ذلك الناس قال لهم « لا عجب فان الطيور لا تقع الا على اشكالها » وله مفاوضات مشهورة مع السلطان الفاتح تعرف « بكلام الملوك ملوك الكلام » ونشأ في ذلك العهد شعراء كثيرون من جملتهم لطفي الذي قتل بسبب فتوى اصدرها

فارخ وفاته بعض الشعراء بقوله (قد مت شهيداً) ومجموع هذه الكلمات الابجدية ٨٩٤ وهي سنة وفاته هجرية

واشتهر ايضاً في ذلك العهد بن كمال وابو السعود · وللاول قصة لطيفة تظهر سبب رغبته في العلم ذلك انه وجد في ذات يوم في مجلس ابراهيم باشا احد وزراء السلطان با يزيد وكان هناك كثيرون من الكبراء وعظماء الدولة فدخل عليهم درويش رث اللباس فقير الحال وتصدرهم جميعاً فدهش بن كمال من هذا الامر وحسب عمل ذلك الدرويش وقاحة وتطاولاً وسال عن السبب فقيل له ان الرجل استاذ عالم والرتبة العلمية هي اعلى الرتب

فمنذ ذلك العهد اقبل بن كمال على اكتساب العلم حتى نبغ فيه وبلغ درجة الافتاء وكان يلقبه الاشراف (بمفتي الثقلين) وله تآليف كثيرة في التفسير والفقه والفلسفة والتاريخ والشقائق النعمانية من اشهر آثاره الشائعة بين ايدي العموم

اما ابو السعود فانه اشهر عالم نبغ بين الاتراك في العلوم العربية والشرعية فكان يكتب العربية ببلاغة نادرة عند كتاب العرب انفسهم وروي عنه انه كان يصدر في كل يوم الف فتوى شرعية وكان بيته محجة العلماء

و ينتهي الدور الاول من اداب الاتراك بالشاعر الشهير فضولي وله ديوان في الشعر يعتبر عند الترك بمقام ديوان المتنبي عندنا وقد ترجم كتاب مجنون ليلى الى الشعر التركي ببلاغة فائقة الحد

اما مشاهير كتاب الدور الثاني فانهم كثيرون يضيق دون ذكرهم المقام ولاكثرهم تآليف جيدة باللغة العربية فضلاً عن مؤلفاتهم بالتركية . فمن مشاهير الشعراء نابي وقد اشتهر بالغزل اللطيف ويلقب بملك الشعراء . وباقي الملقب بسلطان الشعراء . ومن آثاره خيريه التي كتبها نصيحة لابنه وتحفة الحرمين وديوانه الشهير وهو شاعر السلطان سليمان ويعتبر عند الاتراك بمقام ابي العتاهة عند العرب . واشتهر نفعي بالهجو والفخر ومن آثاره سهام قضا وهي في الحقيقة سهام القضاء لان فيها هجواً شديداً لا تحتمله الاذن كتبه في عدوٍ له

كذلك السيد وهبي فانه شاعر جليل ويلقبه الاتراك برئيس الشعراء وراغب باشا الذي اشتهر بالاسفار الحكمية ومن تاليفه بالعربية كتاب سفينة العلوم

وقد اشتهر سروري باشعاره الهزلية ولطائفه الظريفة كما اشتهر نديم بقصائده الغزلية التي تشبه اشعار الفارضي

وقد الف الاتراك كما تقدم كتباً كثيرة بالعربية فان منجم باشي احمد دده الف التاريخ العمومي العربي المسمى صحائف الاخبار وسليمان جلبي الف كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ذكر فيه اسماء المؤلفات الشهيرة مرتبة حسب حروف الهجاء (ولعل نجل المرحوم فانديك قد اخذعنه هذه الطريقة في مؤلفه الذي نشره مؤخراً بهذا الموضوع) وله تاريخ عربي آخر يدعى فذلكة وهناك مؤلفات عربية جمة الفها الاتراك وجلها شرعية يضيق بنا المقام دون ذكرها

وقد ترجم الاتراك الى لغاتهم بعض الكتب العربية المهمة التي منها تاريخ بن خلدون وترجمة شيخ الاسلام بيري زاده صاحب افندي وللكاتب الشهير ويسي اعتراض شديد على قاموس الفيروزابادي . وقد ترجموا ايضاً الى لغتهم كتاب كليلة ودمنة وهو معروف عندهم باسم « همايوننامه »

واكثر مؤلفات الاتراك في التاريخ واشهرها « تاج التواريخ » الذي كتبه الخوجه معد الدين شيخ الاسلام

وينتهي الدور الثاني بفؤاد باشا الكبير الذي ذهب الى سوريا عام ١٨٦٠ فانه من

اعاظم كتاب الاتراك ومن مشاهير شعرائهم · ومن آثاره الشعرية كتاب يدعى (محنتكشان) يحتوي على حكم وشكوى من الدهر

اما النساء فلم يكن لهن نصيب كبير من العلم فاشتهر منهن مهري خانم وزينب خانم وفطنة خانم بنت احمد افندى شيخ الاسلام وتحسب في الشعر من طبقة راغب باشا ولكنها لم تبلغ درجة الخنساء عندنا

ومما يستحق الذكر هو سرعة خاطر شعراء الاتراك الى درجة لا اظن ان لها مثيلاً عند غيرهم فانهم ينظمون الشعر بسهولة ولهم على النظم جلد وصبر فان الشاعر كاشني باشر نظم التاريخ العثماني كله بالشعر فنظم بمدة قليلة ٢٠٠٠٠ بيتاً منه ثم مات قبل ان يتمه

ويروى عن بعضهم انه كان يهوى معشوقة فاشترطت عليه يوماً ان ينظم ديواناً من الشعر لا تقل صفحاته عن خمسمئة صفحة يصف فيه طبائع وجمال نساء العالم وصفاً مدققاً ولم تعطه مهلة لذلك سوى اسبوع واحد فما كاد ينتهي الاسبوع حتى اتى على اخره وهو من الدواوين المشهورة ولكن فيه بعض المجون والاحماض

هذا اخر ما بقي في ذاكرتي من اخبار شعراء الاتراك في الازمنة القديمة والمتوسطة وسافيض في الكلام عن شعراء اليوم

***

❊ الجامعة ❊ نشرنا هذه المقالة اللطيفة مع الشكر لحضرة كاتبها البارع لاننا نعتقد كما قال في صدرها " بان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما دامت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة · ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد واداب بعضهم البعض " وقد كنا نستعد للكتابة في هذا الموضوع ولكننا اكتفينا الآن بنشر ما تقدم · على ان ابواب الجامعة مفتوحة لكل الادباء الذين درسوا في المكاتب التركية اذا ارادوا اطلاع قراء اللغة العربية على تمدن اخوانهم الاتراك الذين قال فيهم بسمارك " انهم اكثر الشرقيين ظرفاً ولطفاً " لانه لا يجدر بهم ان يجهلوا شؤون اقرب الناس اليهم

باب التربية والتعليم*

متى امتلات المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اصلاح تعليم البنات

رأي الفيلسوف

اصلاح الاساس مقدم على أصلاح الجدران · بروغرام الدروس الثانوية للبنات في فرنسا راي الفيلسوف جول سيمون فيه وحملته عليه · وصف عقول التلميذات ومبلغ فهمهن · التعليم الصحيح هو الذي يربي الذوق وينشئ الاخلاق لا الذي يملأ الذاكرة فقط

نبدأ منذ اليوم بالدخول الى المدرسة للنظر في طرق تعليمها الصحيحة والفاسدة فقد آن لنا ان ندخلها بعد وقوفنا على ابوابها وقفة طويلة نشرنا في اثنائها المبادئ العامة التي يجب ان تكون تمهيداً للدخول اليها

واذا جعلنا بدء دخولنا اليها الكلام عن اصلاح تعليم البنات فانما نتكلم عن موضوع يجب تقديمه على سواه من وجهين · الوجه الاول ان كل اصلاح مختص بشان النساء مقدم على كل اصلاح سواه لان العمل باصلاح النساء يُحسب لدى العقلاء وعلماء الاجتماع عملاً بترميم اساس الهيئة الاجتماعية · اما سواه من ضروب الاصلاح فلا يُحسب في الحقيقة الا عملاً باصلاح الجدران فقط · والعمل باصلاح الاساس مقدم في كل زمان ومكان على العمل باصلاح الجدران

والوجه الثاني الذي يوجب تقديم الكلام بهذا الشان هو ان الكلام عن اصلاح تربية البنات في هذا الجزء يكون خير تتمة للمقالات التي تقدمت في الاجزاء الاخيرة فيما يختص بتربية النساء · ولذلك نجعل المقالة التالية حلقة نضمها الى سلسلة تلك المقالات ونودعها بعد المقالة التي نقلناها في الجزء الماضي عن الفيلسوف جول سيمون بشان مدارس البنات

الداخلية خلاصة آراء هذا الفيلسوف الكبير في مسالة اصلاح تعليم البنات . وتوصلاً الى هذا الغرض نلخص مقالة له انتقد فيها تعليم البنات في فرنسا . قال ما خلاصته

***

«اذا انعمنا النظر في تعليم الذكور وتعليم الاناث رأينا ان الخطة المتبعة فيهما هي واحدة تقريباً ولا يخفى ما في هذا الامر من الاضرار العظيمة . واثباتاً لذلك فلنبحث في (بروغرام) تعليم البنات فندخل اولاً اذا شئتم الصف الاول من السنة الاولى في القسم الاول فان تلميذاته في الثانية عشرة من عمرهن . واليكم البروغرام الذي تتبعه

» قراءة بصوت عالٍ مع شرحها وتفسيرها في الصف (نظماً ونثراً)

» حفظ شذرات مما كتبه المؤلفون الفرنسويون غيباً

» الصرف الفرنسوي . الاصوات . الكلمات . اقسام الكلام

» تمرينات شفاهية وخطية باللغة الفرنسوية واملاء . اعراب صرفي . املاء في مواضيع مختلفة

» تمرينات ابتدائية في مفردات الكلم وتركيبها . اسماء مصوغة من النعوت والافعال . نعوت مصوغة من الاسماء والافعال الخ . افعال مصوغة من الاسماء والنعوت الخ . درس بعض ملحقات الكلم وزوائدها . اظهار مشتقات وتراكيب فعلٍ او اسم بسيط وصيغتها بعبارة صغيرة الخ

» امتحان في مواضيع تُتلى في الصف ويُطلب من التلميذات مراجعة تلاوتها شفاهاً

» ثم يلي ذلك بيان يتضمن اسماء بعض المؤلفين والكتب وفي صدره هذه العبارة شذرات من تاريخ ادب المؤلفين الذين تدرس الطالبات كتبهم »

هذا هو بروغرام السنة الاولى من التعليم الثانوي للبنات . وكنت اود اظهار افكاري بشان هذه الملحقات والزوائد وهذه المشتقات والتراكيب والنعوت المصوغة من فعل او اسم ولكني اعدل عن ذلك مخافة ان لا استفيد منه غير اظهار جهلي . ولو كان الامر اليَّ لجعلت البروغرام مؤلفاً من القراءة والاملاء وحفظ شذرات تُتلى شفاهاً وتُكتب كتابة ثم متى حفظت تلميذتي جيداً هذه الشذرات المختارة احسن اختيار فانني اكون راضٍ عنها ومسرور منها . ومع ذلك فلننتقل من هذا البروغرام اللغوي الى البروغرامات الاخرى

فلا نجد في طريقنا بروغراماً لعلم الادب لا في السنة الاولى ولا في السنة الثانية . ولكننا نجد بروغرام التاريخ . وهو يحتوي سبعة وثلاثين فعلاً من زمن الغاليين القدماء

الى افتتاح الاتراك القسطنطينية · فاخبار الغاليين والفرنك والعرب واسبانيا والمانيا وايطاليا وشارلمان وفتح انكلترا والصليبيين ومملكة اورشليم وترجمة جان دارك : كل هذه امور يطلبون ادخالها في ادمغة الفتيات الرطبة الصغيرة في سنة واحدة مع زيادة عليها في اللغة والبيان والفنون والعادات وفروع الجوغرافيا مثل مهاب الارياح والمد والجزر وما في القطبين والانهار والجبال والبحيرات والحيوانات والنباتات المهمة وعلائق الدول بعواصمها والثغور التجارية المهمة · ثم انهم يدرسوننا في هذه السنة ايضاً (اعني يدرسون الابنة التي في الثانية عشرة من العمر) القواعد الاربع من الحساب وينبهوننا انهم لا يدرسوننا من القسمة الا كيفية العمل كانهم يدرسوننا فلسفة القواعد الثلاث الاخرى · ثم ندرس الكسور وحساب المتر وقليلاً من مبادئ الهندسة والتصوير · ويعلموننا الانكليزية والالمانية ايضاً اما اشغال الابرة فلم اجد لها اثرًا في الجدول ولا ريب عندي انني انا المخطئ لانني لم ارها اذ لا بد ان تكون موجودة

هذه هي الدروس التي تتلقنها تلميذتكم في السنة الثانية عشرة · فانا انبهكم انكم تملأون ذاكرتها باشياء كثيرة لا فائدة منها · وهذه الاشياء لا ترسخ في ذهنها بل لا يبقى منها فيه اثر بعد كبرها لان عقلها لا يميل اليها · انكم لم تفهموا الى الآن القاعدتين العظيمتين اللتين تُحسبان اساساً للتعليم والتربية · وهما : تربية الذوق وتعليم القواعد التي تؤدي الى غرض معلوم · انتم تُخرجون من مدارسكم دائمًا (وذلك مما يسوؤني ويُخيفني) بنات مدعيات لا اديبات عالمات · انتم لا تهتمون بانشاء الاخلاق الجميلة وترقية الصفات الحسنة ولا تفتكرون باضرام شعلة الذكاء والنباهة في تلك النفوس الذكية النبيهة من طبعها · بل انكم تحشون تحشون عقولهن ناهجين في ذلك منهج تربية الذكور · رايناكم في تربية الذكور تنادون بوجوب جعلهم قواميس اي تعليمهم كل شيء · وانتم تعتذرون عن ذلك باعذار قد يصح ان تسمى اعذارًا وان كانت اعذارًا فارغة · ولكن اي عذر لكم يا اصحاب في تربية الفتيات هذه التربية ايضاً ؟ انتم بهذه التربية تقتلون عقل الابنة وتمنعون النساء ان يكن حقيقة نساء · اني ارى في بروغراماتكم علم البيان هنا وهناك ولكنني ارى ايضاً ملحقات الكلم وزوائدها ومشتقاتها وتراكيبها وصوغها الخ · نعلا مَ هذه الضوضاء الصرفية كلها · تأكدون ان تلميذاتكم يحفظن قواعد الصرف ولا ينسينها ولكن تأكدوا ايضاً انهن لا يستفدن منها في المستقبل شيئاً لانه لم يُستفد منها قط · اما البيان فلا اقول فيه ما قلته في الصرف · ولكن نجاحهن فيه موكول للاتفاق

وانتم تعلمون انني لم اتكلم هنا بعدُ الا عن التلميذة التي في الثانية عشرة من العمر ولكنني اذا تقدمت من التلميذات الاكبر سناً رايت هناك غرائب جديدة . فهناك شروح مسهبة عن الصناعة وتاريخ المعاهدات التجارية وارتقاء الافكار الديموقراطية ودرس شيء من الحقوق والهندسة والمغنطيسية والكهربائية وعلم النور والبصريات والحوامض المتبخرة والحوامض التي لا تتبخر بالنار وعلم التشريح الحيواني والنباتي . وهناك ايضاً الاقتصاد السياسي والبيتي وهذا العلم استحسنه لهن كثيراً . ثم علم حفظ الصحة وهذا استحسنه من كل قلبي . اما الطبخ فانهن لا يتعلمن من اصوله الا نزراً يسيراً على حين ان الفتيات الانكليزيات يتعلمن الطبخ ويمارسنه في كل يوم احد بعد القيام بامثولة الاحد . وكذلك كان في فرنسا في عهد الملكية فان بنات الامراء كن يتعلمن الطبخ عملياً في المطابخ كل واحدة في نوبتها كما ترون ذلك مذكوراً في تاريخ حياة الاميرة دي ليني

ولكن ما تصنع الطالبات بهذه الاصول والفروع كلها وهل يقدرن على فهمها حق الفهم هنا استشهد بكلام للمسيو مانو بيل المفتش العام للكليات الموكول اليه بناءً على وظيفته هذه ان يرئس بعض حفلات الامتحان التي تجري في مدرسة الفنون . فانه شهد بشان عقول الطالبات اللواتي حضر امتحانهن الشهادة التالية قال « ان تلميذاتنا اميل الى المسائل اللغوية والصرفية منهن الى البيان والنقد . وذلك لان تعليمهن القانوني يشبه في اكثر الوجوه التعليم الابتدائي الذي تشغل المبادىء الصرفية فيه مكاناً اوسع من المكان الواجب ولذلك ترى عقولهن تنظر الى قشور الامور لا الى البابها فيشتغلن بالثوب اللغوي الذي يغطي الفكر عن الجسم الحقيقي الذي هو ضمن ذلك الثوب »

وقال في موضع آخر « ان افكارهن تكون على الغالب مطلقة لا شخصية واذا اكدن امراً فانهن يؤكدنه من غير برهان . واما المباحث التي يجب فيها الترتيب والاتساق والسير فيها باتصال دون انقطاع الى غرض معلوم فانهن يخرجن فيها احياناً عن دائرة الموضوع خروجاً يكون شروداً حقيقياً . وهن اذا قلن فانما يقلن عن تاثر لا عن مبدأ راسخ في نفوسهن . و يشعرن بالامور شعوراً جيداً ولكنهن يحكمن فيها حكماً ناقصاً . وانظارهن اكثر اتجاهاً الى تفاصيل الامور منها الى اجمالها فكأن فيهن ضرباً خاصاً من قصر النظر . اما الفلسفة فان اقدامهن تزلُّ فيها لاول خطوة »

***

انتهى كلام المسيو مانو بيل وكلام الفيلسوف جول سيمون . وكأن هذا الخطأ الذي

يشير الفيلسوف الى وجوده في طرق التعليم الفرنسوية موجود في كل مكان · ففي كل مكان تجد المدارس ساعية لتعليم الاناث كتعليم الذكور كانها تقصد جعل النساء رجالاً · وفي كل مكان تجد المعلمين والمعلمات يستفرغون وسعهم في حشي عقول صغيرات الطالبات وكبيراتهن بالصرف والنحو وبدروس لا توسع دائرة العقل ولا تنشئ الاخلاق الجميلة ولا تضع في نفس الطالبات اساس الادب والفضيلة ولا تُعدها لوظيفة الام والزوجة في الهيئة الاجتماعية بل تضعف ذاكرتها وبنيتها وتقتل وقتها وتُكره المدرسة اليها وتذهب بجميع اتعابها

ومع ذلك فهذه الابنة التي يُساء تعليمها الى هذا الحد هي ام العائلة وحجر الزاوية وسلم الارتقاء في الهية الاجتماعية · هذه الابنة التي يساء تربيتها وتُنهك قواها بلا جدوى ولا فائدة انما هي مربية النسل وفائدة الانسانية · فما اسعد الانسانية والهيئة الاجتماعية يوم يُصلح الناس تربية البنات بحسب الطرق التي يشير اليها الفلاسفة والعقلاء ومآلها اعدادهن لوظيفتهن الشريفة الانثوية التي هي فوق وظائف الملوك والامراء والتي جعلتها عذراء منهن منذ نحو الفي سنة تمس درجة الالوهية

كلمات زراعية

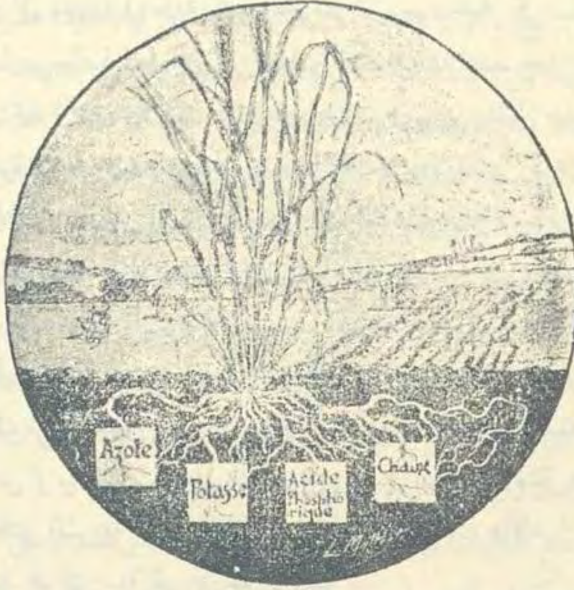
شذرات وفوائد زراعية لا يخلو الوقوف عليها من لذة وفائدة

غذاء النبات

كيف يتغذى · ما هو غذاؤه

اذا مررنا في حقل مزروع اعجبنا بنضارته وخضرته واستغربنا عمل هذه الكيماوية الشهيرة المسماة ارضاً التي نلقي فيها بزرة صغيرة فتردها لنا نبتة كبيرة او شجرة عظيمة · ولكن لا يوجد بيننا اناس كثيرون يعلمون كيف ينمو النبات في الارض وما هي المواد التي يتخذها غذاء له · ولذلك نلخص مقالة بهذا الشان نشرتها مجلة « المطالعات العامة » الفرنسوية فانها لا تخلو من فوائد للزراع نوجه انظارهم اليها

☼ المواد التي يتالف منها غذاء النبات ☼ اذا اردت جمع المواد التي يتالف



كيفية امتصاص النبات غذاءه من الارض · وغذاؤه اربعة مواد كما ترى في الرسم · الاول الكلس (الجير) والثاني حامض الفوصفوريك والثالث البوتاس والرابع الازوت

منها غذاء النبات في باطن الارض رايتها اربع كما ترى في الرسم وهي : الازوت والحامض الفوصفوريك والبوتاس والجير (الكلس)

اما الازوت فوظيفته تقوية النبات وانماؤه من الخارج وتلوينه بلون جميل فكانه خمر يتشدد به قلب النبات · واما الحامض الفوصفوريك فهو مركب من الاوكسيجين والفصفور ووظيفته انماء النبات من الداخل وهو منه بمثابة الخبز من الانسان · واما البوتاس فهو مغذٍ شديد كاللحم · واما الجير فان خشب النبات يتالف منه كما ان عظامنا مؤلفة منه ايضاً

هذه هي المواد الاربع التي يتالف منها غذاء كل نبات · ولكن لا يُشترط ان تكون موجودة في الارض بكميات متعادلة · فان البنجر مثلاً يعتمد في غذائه على الازوت بالاكثر فهو لا يهمه اذا كانت المواد الاخرى ناقصة · والكرمة تعتمد على البوتاس فيجب ان يكون بكثرة في تربتها وان نقصت المواد الاخرى وهلمَّ جرًّا · فالسر العظيم في خصب النبات ونموه انما هو اذًا اعطاء كل نبتة او شجرة الغذاء التي هي مستعدة له ومفتقرة اليه

﴿ فقر الارض وطريقة تعويض خسارتها ﴾ ومعلوم ان الارض هذه الام العظيمة قد انقضت عليها القرون الطوال وهي تغذي بحنو ابنها الانسان فلا بد ان تنفد خيراتها منها . فماذا يصنع الانسان حينئذٍ

عليه ان يعوض الارض ما فاتها اي ان يلقي فيها سماداً يعيد اليها المواد التي امتصتها نباتاتها . فالسماد اذاً هو اهم حاجات التربة والزراعة

﴿ السماد الطبيعي ﴾ ولكن السماد على الغالب يكون غالي الثمن فضلاً عن كونه انواعاً لا تحتوي كلها المواد اللازمة للارض. لان السماد المعني هنا وهو الطبيعي يكون غالباً مؤلفاً من الماء وبعض الخرق البالية والمواد التي يمكن تركيبها من الهواء والماء فقط وشيء من المادة المعدنيــة او الحامض الفصفوريك . اما البوتاس والجير والازوت فلا وجود لها فيه ولذلك يكون السماد الطبيعي ناقصاً

وفضلاً عن ذلك فان النباتات لا تطلب غذاءً واحداً كما تقدم بل ان كل صنف منها يطلب غذاءً مخصوصاً . هذا يطلب بالخصوص الفوسفات وذاك الازوت وهلم جرّاً . فكيف والحالة هذه يمكن اعطاء الارض ما تطلبه من هذه المواد دون اسراف فيهــا او امساك . ان السماد الطبيعي لا يفيد الفائدة المقصودة كما راينا . فهل قضت الطبيعة اذاً ببقاء الارض فقيرة بعد نفــاد مادة غذاء النبات منها . ام وجد العلم مادة هذا الغذاء

﴿ السماد الصناعي ﴾ نعم قد وجد العلم المواد اللازمة لغذاء النباتات كل واحدة حسب مطلوبها . وقد عُرضت هذه المواد في هذا العام في قسم خاص في معرض باريز يسمونه « قسم السماد الصناعي » وقد قال علماء الزراعة في كلامهم عن هذا القسم انه مصدر حياة زراعة العالم بل حياة الانسانية والمدنية كلها اذ لولا انواع السماد التي فيه لهرمت الارض واصبحت في وقت قريب عاجزة عن تغذية ابنائها

وانواع هذا السماد اربعة كل واحد منها يقابل مادة من مادة غذاء النبات ويتحول في التربة اليها . الاول الفوسفات . والثاني نيترات الصودا التي تتحول ازوتاً تحت جذور النبات . والثالث الكاينيت الذي يتحول بوتاس . والرابع سُلفات الجير او فوسفات الجير او الحامض الفصفوريك يتحول في الارض جيراً نباتياً

اما نيترات الصوده التي يخرج منها الازوت فانها ترد من بيرو في اميركا حيث يوجد

لها مناجم واسعة تكفي العالم كله وقد ملأت الى الآن جيوب اصحابها ذهباً . فشانها في ذلك شان معادن الذهب وقد جرى اكتشافها منذ ٢٥ عاماً

واما الكلس فكان المتقدمون يعرفون فوائده الزراعية فيمزجون التربة بشيء من التراب الكلسي او الجص (الجبسين) . وقد اكتشف المتاخرون اكتشافاً غريب الفوائد والتاثير في تسميد الارض بالجير وهو احراق عظام الحيوانات وذر رمادها على الارض فان تربتها تخصب خصباً ما وراءه خصب

واما الفوسفات فانه يُستخرج من معادن توجد في الارض . ويقال ان لجنة انتدبها قلم المساحة في العاصمة قد وجدت في الواحة الداخلة وما يليها من اطراف مصر وغيرها كثيراً من معادن الفوسفات فارتاح كبار الزراع الى هذا الاكتشاف لانه يتيح لهم شراء هذه المادة بثمن بخس اذا استخرجت من معادنها

﴿ المواد المهيئة والمواد المغذية ﴾ وهذه المواد الغذائية النباتية قسمان قسم يغذي وقسم يهيء الغذاء . والمادة المهيئة هي الجير فانه لا يغذي النبات ولكنه يحل البوتاسه التي في الارض ليقدمها له فكانه طباخ يهيء له غذاءه

على ان السماد الصناعي لا يكفي لتسميد الارض لانه اذا وضع فيها وحده من غير السماد الطبيعي جعلها محجرة وبذلك يخنق جذور النبات ويمنع وصول الهواء والماء من سطح الارض اليها . ولذلك يشير علماء الزراعة بمزجه بشيء من السماد الطبيعي

وهذه الاسمدة موجودة في جميع البلاد الزراعية فجدير بالزراع الذين لا يألون جهداً في خدمة مزروعاتهم ان يهتموا بها لانها تضاعف خيرات ارضهم عشرات من المرات . وقد نشرنا في هذا الفصل رسماً يمثل نبتة من القمح وهي تمتص من الارض غذاءها من المواد الاربع التي تقدم ذكرها الجير والبوتاس والازوت والفوسفات فمنها يرى الانسان كيف يتغذى النبات وبماذا يتغذى وما هي المواد التي يتغذى بها

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة · والعائلة قاعدتها
المراة ففي اصلاح المراة اصلاح الهيئة كلها

رأي الرجال في النساء

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

ورد في باب الشؤون النسائية في الجزء ٩ و١٠ من السنة الثانية نبذة تحت عنوان (اي شيء في الرجال اكره الى النساء) · نقلاً عن احدى المجلات الاوربية التي القت على قارئاتها هذا السؤال · فاجبن ان الصفات التي يتفقن على كراهتها في الرجال هي « السكر · والاثرة · والدناءة والخداع · والمقامرة · والجبانة · والادعاء · والكسل · والقساوة · وكتمان عيوبهم » وقلتم بودكم ان تعلموا اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال فنحن نجيب · ان الامور المكروهة بالاكثر في النساء الى الرجال عشرة وهي اولاً عدم الاخلاص او النشوز وقد ورد على ذلك في الكتب المنزلة واقوال الحكماء ما لا يحصى وهي المسالة الهائلة التي يجوز من اجلها القتل ويبرأ القاتل في شرائع الانام · ثانياً البلادة وقلة الفهم التي هي نتيجة قصر الادراك ثالثاً الطيش والحمق والافراط في الضحك الذي هو دليل الخفة والجهل وسبب اسقاط هيبة المرأة وكرامتها رابعاً اهمال البيت والتبذير وعدم النظافة خامساً عدم القناعة سادساً محبة الذات سابعاً خشونة المعاملة ثامناً التصلب بالرأي اي العناد تاسعاً كثرة الكلام والثرثرة الفارغة عاشراً عدم التقوى

(الجامعة) تمنينا عرضاً في احد الاعداد الماضية ان يذكر لنا الرجال الصفات التي هي اكره الصفات في النساء اليهم وذلك في اثناء كلام مختص بهذا الشان فاجتمعت لدينا اجوبة لم نرَ بدًّا من نشر بعضها ارضاء لاصحابها وافادة للقراء

ولا يجهل حضرات القراء اننا لا نتحمل مسئولية ما ننشره من غير قلمنا في ابواب المجلة واذا وجدوا فيه بعض الهزل فالهزل مستحب بعد الجد الكثير

هذه هي الخصال التي ارى انها اكره الى الرجال واني اترك الافاضة في بيان مضارها للجامعة منبع الادب وللذين تلذ لهم الكتابة في هذه المواضيع الادبية من كرام القراء

• القناطر الخيرية نسيم فهمي
معاون المحطة الاميرية

٢

اذا كنتُ متزوجاً فكل نقيصة من امراتي استطيع ان اصلحها ٠ هبها جاهلة حمقاء كثيرة الكلام كذوبة مخادعة مبذرة مهملة : كل ذلك استطيع ان اصلحه اذا كنتُ زوجها على شرط ان لا تكون مدعية اي معتقدة بانها ارقى مني واكثر فهماً ٠ فالادعاء اذاً هي الصفة الكبرى التي اكرهها في النساء

يافا احد القراء

٣

لا اذكر ماذا اكره في النساء ولكني اذكر ماذا احب فيهن ٠ فانا احب فيهن كونهن قد خلقن في هذا العالم كزهرة لتزيين هذه الحياة ٠ ولذلك فكل شيء يخلو منهن يكون بارداً مظلماً وكل شيء يضعن ايديهن فيه يصبح منيراً محبوباً ٠ فكأنهن يمثلن على الارض مبدأ الجمال

ثم اني احب في النساء معيشتهن العائلية ٠ فان في العائلة تنمو الفضائل البيتية ٠ من العائلة نشأ اعاظم الرجال الذين مدنوا العالم بما اقتبسوه من انفاس امهاتهم ٠ في العائلة الراحة الوحيدة على هذه الارض ٠ من العائلة فقط يجري للفقراء والضعفاء والمظلومين ينبوع الاحسان ودموع الشفقة والرحمة ٠ والعائلة هي المراة فالمراة اذاً تمثل في هذه الحياة مع مبدا الجمال الذي مرَّ ذكره مبدا الخير والفضيلة والراحة والتضامن البشري لجميع بني الانسان ٠ وهذا الذي احبه في النساء

الاسكندرية محب لا يكره

٤

لا اكره شيئاً في النساء بل كل ما فيهن من الصفات محبوب اليَّ لاني اعرف ان الشيء القبيح لا يصنعنه قصداً وانما لجهلهن بقبحه لانهن معدن كل شيء حسن ٠ فبدلاً من كراهتنا القبيح فيهن يجب علينا ان نسعى لاصلاحه وان نلوم انفسنا لاننا تركناه ينغرس

فيهن . فالحق اذاً في كل الامور على الجنس الخشن لا على الجنس اللطيف

القاهرة متى حنا

٥

المرأة كثمرة الجوز الخضراء فيها ما هو مرّ مكروه وفيها ما هو حلو محبوب . والواحد يقابل الثاني فلا تذم الكريه ولا تمدح المحبوب

الاسكندرية فنوع

٦

لا احب شيئاً في النساء ولا اكره شيئاً

الاسكندرية حجر اصمّ

﴿ الجامعة ﴾ ونحن ننشر في الجزء التالي تتمة هذه الافكار اذا اجتمع لدينا منها ما يستحق النشر وكانت على هذا الاختصار

جمال وجوه السيدات

من يقرأ ومن يسمع

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

قرأت في مجلتكم الجامعة الغراء في باب " الشؤون النسائية " فصلاً في جمال وجوه السيدات نشرته الكونتس دي سورجر في احدى المجلات الصحية . فجاءت نصيحتها فيه خالصة لا تشوبها غاية غير غاية الاخلاص في منع سريان هذا الداء الوبيل داء الصباغ والدهان والبودره الذي يكاد لسوء الحظ لا يخلو منزل في هذه الايام من جراثيمه المضرة لاسيما بعد ان جرينا شوطاً بعيداً في ميدان هذه الحرية التي ظننا انها اساس التمدن والعمران

وشواهد حضرة الكاتبة عن اضرار الصباغ والدهان والبودره على كثرتها نراها كلها صحيحة معقولة ولا نجد من ينقضها او يدحضها الا كل متزلف الى النساء راغب في بياض الوجه . . على اننا لو تركنا كل هذه النصائح واغضينا الطرف عن تاثير اضرار الصباغ في وجوه السيدات وتمسكنا بواحدة من نصائح حضرة الكاتبة حيث قالت عندما تكلمت عن اضرار البودره " اما الوجه الادبي فهو جعل النساء متشابهات في المدينة الاديبات وغير

الاديبات لان غير الاديبات يكثرن من وضع البودره وتز يين الوجه فاذا صنعت الاديبات مثل ذلك ظننت مثلهن وربما اعتدي عليهن » لكفى به برهانًا قاطعًا على وجوب ترك هذه العادة المستقبحة التي لا يدفع الفتاة اليها الا سوء التربية وترك حبل ارادتها على غاربها

ولست بمبالغ في القول ان بعض السيدات اللواتي قد اصبن بهذه العلة — علة الدهان اذا قرأن هذه النبذة التي تضمنت اجلّ النصائح وافضلها لا يلبثن ان يعترفن ضمنًا بكل ماجاء فيها من وجوب التقريع ولوم كل من تتبع هذه العادة التي سرت اضرارها في اغلب بنات اليوم ونسائه . بل ربما حاولت بعضهن ترك هذه العادة الذميمة والفرار من سلطة احكامها الثقيلة لولا ان وجهها وا اسفاه قد لطخته يدها فشوهته بسموم تلك الالوان فاصبحت مُكرهة على متابعة دهانه في كل صباح ومساء لتستر تلك العيوب التي لم يجنها غير الطيش والغرور

على انني اريد من باب التفكهة ان اطرح بعض اسئلة في موضوع الصباغ والدهان والبودره . حتى اذا وجدتُ من بين السيدات والفتيات البارعات في فن التصوير .. من يفحمني بالجواب سلمت بوجوب استعمال هذه الالوان الباهرة للابصار .. وكنت ولو ثقل على طبعي اول من ذهب الى السوق وعاد لامراته باحمال منها مؤونة سنين لتوالي الدهن والصقل الى ما شاء الله والا فاكون من راي حضرة الكاتبة في مضادة جميع النساء اللواتي يستعملن هذا الدهان وابقى الى آخر نسمة من حياتي كارهًا كل امراة وبنوع خصوصي كل فتاة تصبغ وجهها لتزينه بتلك المواد السامة

اما ا[illegible] ي

اولاً — لماذا تضع الفتاة الالوان على وجهها اذا كانت بيضاء البشرة

ثانيًا — اذا كانت الفتاة ذات لون اسمر طبيعي جميل ما الموجب الى هذا البياض الظاهر الذي تكذب فيه على نفسها وعلى الناس وعلى خالق ذلك اللون

ثالثًا — اذا عذرنا الفتاة على صبغ وجهها لتستعين به على خداع الشبان . فما عذر المتزوجة

ثلاثة سوآلات القيها على مسامع السيدات والفتيات وانا غير هياب من سخطهن ولا غضبهن عليّ لانني (ولا اقول من كمال حظي وتمام سعدي) متزوج وامراتي بفضل حرية هذه الايام سائرة على طريق التمدن الذي سيجرنا الى الخراب قريبًا ... وتابعة لضروب المودة وفنونها ولها في كل حديث منها حديث اطول من مصيبتي فيها . وهي بفضل عقلها الكبير — قياسًا الى عمرها — لا تترك شيئًا من اسباب الزينة والبهرجة يفوتها كل ذلك

لتوهمني انها جميله وانها بيضاء الوجه ... وقد خفي عنها ان هذا البياض طالما سود وجهي بين الناس ....

ولحضرات السيدات حرية الدفاع والاستعانة ببعض الكتبة الادباء الذين يُظهرون تمام رضاهم عن مشاهدة هذه الوجوه ذوات الالوان .. ولا عجب فانني اعرف كثيرًا من هولاء الادباء هذا يحرض خطيبته وذاك يدفع قرينته او امرأته الى وضع الاحمر والابيض ليبرزنَ في جمالهنَّ الاصطناعي كالاصنام المتحركة وسبحان مفرق العقول

الاسكندرية في ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٠ متزوج قليل البخت
حنا نقاش

باب تدبير الصحة

طريقة لمعرفة رطوبة المنازل

الرطوبة في المنازل من اعظم اسباب الامراض فاجتنب الرطوبة ما امكنك اجتنابها واذا اردت ان تعرف هل غرفتك رطبة ام لا فضع فيها كيلو غرامًا من الكلس (الجير) ثم اقفل نوافذها وابوابها جيدًا واتركها مدة اربع وعشرين ساعة مقفلة ثم افتحها وزن الكلس فاذا زاد وزنه اكثر من عشرة غرامات اي اذا زاد اكثر من واحد في المائة مما يكون قد امتصه من الهواء فيكون منزلك رطبًا

تغيير ملابس الصيف

حينما يشتد الصيف و يتكاثر عرق الجسم يجدر بالانسان ان ينزع ثيابه كل يوم . واذا نزعها فلا يجب عليه غسلها فان هذا الامر يطول بل يمكنه الاقتصار على تعليقها في الشمس والهواء فيزول ما كان قد علق بها من مفرزات البدن. اما اذا بقيت على البدن فان هذه المفرزات تعود اليه من مسامه فربما جرت كثيرًا من الامراض

غذاء المرضعة

يصف بعضهم للمرضعة ان تشرب الخمر والجعة ليزداد لبنها . ولكن زيادة لبن المرضعة

لا يكون دائماً دليلاً على تحسنه لان العبرة بكيفيته لا بكميته · والاجدر بالمرضعة ان لا تشرب الا لبناً (حليباً) فانه مفيد جداً لدرها اما الخمر فانها تجعل في لبنها طعماً كاوياً يؤذي معدة الطفل لما هي عليه من اللطافة في بدء امرها · ويجب ان تجتنب المرضعة المآكل المالحة الكاوية وان لا تتناول خلاً ولا طماطم ولا ثماراً حامضة · واحسن غذاء لها الثمار الناضجة والمطبوخة واللبن والبيض واللحم وما اشبه

اصلاح الزبدة والسمن بعد فساده

اذا فسدت الزبدة والسمن ففسادهما يكون ناشئاً عن تولد حامض البوتيريك فيهما · فطريقة اصلاح هذا الفساد غسل الزبدة باللبن الجديد لان ذلك الحامض ينحلّ في اللبن ويذوب · ثم بعد ذلك تغسل بشيء من الماء البارد وتعصر بتأنٍ فيزول فسادها

تقطيع البصل وازالة رائحته

تتضايق ربات المنازل او الخادمات من تقطيع البصل لانه يتطاير الى عيونهن شيء من عصيره فيكويها وينزل دموعهن · فالطريقة لاجتناب ذلك سهلة جداً وهي ان تقطع البصل تحت الماء في اناء مملوء ماء فهو يمنع العصير ان يتطاير فضلاً عن انه يحفظ اليد من رائحته ايضاً

واما طريقة ازالة رائحة البصل او الثوم من الفم فهي تناول القهوة· واذا لم تنجح فخذ شيئاً من البقدونس وامضغه على ان الطريقة المضمونة هي ان تأكل شيئاً من الفول الاخضر او من البنجر المشوي تحت الرماد

البالونات التي يلعب بها صغار الاولاد

يباع في الاسواق بالونات صغيرة يلعب بها الاولاد · على ان هذه البالونات قد تكون مملوءة بمواد سامة استعملت لنفخها فيجب الحذر من تركها في غرف النوم او ترك الاولاد يدنونها من وجوههم· وقد اخذت الجمعية الطبية في باريز تبحث لمعرفة المواد التي تنتفخ بها

طريقة لمنع التبويل بالليل

تشكو اكثر الامهات من ان اطفالهن يبولون في فراشهم في الليل فالطريقة لمنع ذلك ان ينام الولد وقسمه العلوي اي صدره وبطنه اوطا من قسمه السفلي اي رجليه وبذلك يتعذر مرور البول في القناة البولية ويجب تكرار ذلك عدة ايام حتى تزول هذه العادة

ازالة رائحة الفم

اذا كانت رائحة الفم كريهة فذلك يكون لسببين اما ان يكون الفساد ناشئًا عن الفم نفسه او عن المعدة · فاذا كان عن الفم فيجب تنظيف الاسنان دائمًا بمسحوق الفحم ممزوجًا بشيء من روح النعنع واذا كان من فساد في المعدة فتناول مسهلاً او مقيئًا

باب التقريظ والانتقاد

﴿ اسرار البلاغة ﴾ نشر حضرة صديقنا العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار اعلانًا فحواه انه عزم على طبع كتاب اسرار البلاغة لامام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني « وعليه هامش يشرح ما لا بد من شرحه وذلك تحت نظر اعلم البلغاء وابلغ العلماء صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي يقرأ الكتاب درسًا في الجامع الازهر الشريف» وقد جعل قيمة الاشتراك في الكتاب عشر غروش صاغ من الورق الناعم المتوسط و١٥ غرشًا من اجود الورق وهو يطلب من ادارة مجلة المنار فنشكر له هذه الخدمة الجليلة للغة العربية ولا ريب عندنا ان طلاب البلاغة يقبلون اشد اقبال على هذا الكتاب الجليل

﴿ المناظر ومجموعتها ﴾ المناظر جريدة ادبيه تهذيبية وطنية تصدر مرتين في الاسبوع في سان باولو من اعمال البرازيل لحضرات صاحبيها الفاضلين حبيب افندي حنون ونعوم افندي لبكي · وهي رشيقة العبارة معتدلة المشرب اعتدالاً يشهد لمحرريها بالفضل والعقل · وردتنا من ادارتها مجموعة لطيفة الاسلوب مطبوعة طبعًا حسنًا على ورق جيد وهي تحتوي بعض الفصول والشذرات المهمة التي نُشرت في المناظر في خلال العام وتصدرها الادارة في ٦ ايلول من كل سنة تذكارًا للامتيازات التي مُنحها جبل لبنان · فنحن نحث الادباء على اقتناء هذا الكتاب فان فيه من الفصول الرقيقة والمقالات المفيدة والامثال والحكم ما يشوق الى المطالعة

والمناظر باعتدالها وخوضها المباحث الوطنية المفيدة جديرة باقبال الادباء عليها فنحن نهنئها بخطتها ثم نغتنم هذه الفرصة لشكرها على ما تفضلت به على الجامعة

﴿ النجاة من الضيم ﴾ رواية ادبية لحضرة الاديب الياس افندي عازار الخوري وهي سهلة العبارة حسنة الاسلوب تُطلب من محل الخواجا نقولا دياب في الثغر ومن مكتبة الهلال في مصر وثمنها عشرة غروش صاغ فنرجو لها الرواج

﴿ مائة مسالة ومسالة ﴾ صدرت الرسالة الثالثة من كتاب مائة مسالة ومسالة لواضعه حضرة الاديب رشدي افندي كمال في مصلحة السكة الحديدية فنثني على اجتهاده ونشاطه

باب الاخبار العلميّة

﴿ اكتشافان جديدان بشان الانجيل ﴾ ابتاع من اسواق القاهرة في الشتاء الماضي العلماء سبيجلبرج وشميد وجاكوبي من اساتذة كلية سترسبورج اوراقًا من البردى المصري فترجح لديهم بعد فحصها ان فيها شذرات من انجيل قبطي كُتب في القرن الثاني للميلاد اي انه سابق للنسخة الموجودة في الفاتيكان · ولم ياذن لهم البرنس هوهنلوه حاكم الالزاس واللورين بان يبتاعوا هذه الاوراق لكلية سترسبورج الا بعد فحصها فحصًا دقيقًا

ومما لا يقل عن ذلك اهمية ان الاستاذ غريغوري من اساتذة كلية ليبزيك اكتشف في العام الماضي اكتشافًا مهمًا مختصًا بالاصحاح الثامن من انجيل يوحنا · فانه قد ورد في هذا الاصحاح ان الكتبة والفريسيين جاءوا السيد المسيح بزانية واوقفوها في الوسط ثم سالوه عن عقابها فقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرجمها بحجر ثم انحنى واخذ يكتب باصبعه على الارض · وبعد ذلك انتصب قائمًا فلم ينظر احدًا سوى المراة · كذا ورد في الانجيل · فماذا كتب يسوع على الارض · هذا امر لم يرد عنه اشارة في كتاب

ولكن الاستاذ غريغوري المذكور يقول انه اكتشف في اوراق قديمة وجدها في جبل اتوس واثينا وديسو ان يسوع اخذ يكتب باصبعه على الارض خطايا كل واحد من الواقفين مع اسمائهم · فكتب " عبداد قتل في القفار صديقه مودار وهوران خدع امراة يونان واخرجها من بيتها وموثان اكره امراة ارفيد على الفجور " فلما راى الواقفون انه سيكشف اسرارهم كلها خرجوا هاربين · وقد روت خبر هذين الاكتشافين مجلة المجلات الفرنسوية

﴿ الاسلاك البرقية وداؤُها ﴾ عرض المسيو رنس من مهندسي مصلحة التلغراف الفرنسوية على المجمع العلمي الفرنسوي مسالة علمية مختصة بفناء الاسلاك التلغرافيـة . فانه ظهر له من ابحاثه الكثيرة ان الاسلاك التي يجري عليها مجرى كهربائي مستمر الجري الى جهة واحدة يصيبها ضعف قد ينتهي بتلفها خلافاً للاسلاك التي يجري عليها المجرى الكهربائي ذهاباً واياباً كأن التجويف الذي يحدثه فيها مجرى الذهاب يزيله مجرى الاياب . ولذلك يجب ان تكون المخابرة على الاسلاك مزدوجة اي ذهاباً واياباً

﴿ الحمير المصرية ﴾ تكلمت جريدة وزارة الزراعة الفرنسوية عن حمير مصر فقالت ان مصر اهم البلاد التي يصدر منها الحمير والحمار فيها يقوم بخدم جليلة ولا سيما في السكك الضيقة والآكام الموازية للنيل . وهو صنفان الابيض السوداني وهو احسنهما والاعتيادي وهو الاسمر . والاول يُتخذ لركوب الاكابر وربما بلغ ثمنه من الف فرنك الى ١٢٠٠ فرنك (كذا) اما الحمير الاعتيادية فثمن الواحد منها من مابة الى ١٢٥ فرنكاً ويقدرون عدد الحمير في مصر بمائة واربعين الف حمار وقد صدر منها الى فرنسا فعاشت فيها وتناسلت . ثم وجهت هذه الجريدة انظار الحكومة الى استعمال هذه الحمير في املاكها في الصين ومدغسكر لانها نافعة في البلاد التي هي كثيرة الوعور والجبال

﴿ خطر الترامواي ﴾ هبت زوبعة في كونكتيكوت من اعمال انكلترا الجديدة فاقتلعت شجرة والقتها على سلك الترامواي الكهربائي . واتفق وجود سلك تلغرافي بجانب سلك الترامواي فما مسته اغصان الشجرة حتى سرت كهربائية سلك الترامواي اليه وانتقلت الى اقرب مكاتب التلغراف فاضرمت النار فيه بسرعة البرق ففرَّ المستخدمون ولو لم يزيحوا الشجرة عن السلكين لما قدر احد على اخماد النار

﴿ احدى عجائب التنويم المغنطيسي ﴾ اتى طبيب اميركي في كلسفكتون في هذا العام بفتاة تُدعى مس مود ماتيوس فنومها نوماً مغنطيسياً وامرها ان لا تفيق من نومها حتى يامرها بذلك . ثم جاء بتابوت ووضعها فيه وهي نائمة واخذ التابوت الى المقبرة فحفر لها حفرة ووضع التابوت فيه ثم طمر الحفرة بالتراب وراح لسبيله . وبعد مدة عاد الى القبر ونبش الحفرة واستخرج التابوت امام الناس فوجد انها ما زالت مستغرقة في النوم فانحنى عليها وقال لها كلمتين في اذنها يامرها بهما ان تنتبه وتنهض ففتحت الفتاة عينيها في الحال ونهضت من تابوتها وسلمت على الذين حولها . قالت المجلة التي روت هذا الخبر ولو صنع هذا الطبيب مثل

ذلك في بلادنا لالقت الحكومة القبض عليه في ساعة واحدة

﴿ النحل لحمل الرسائل ﴾ كانوا يستعملون الحمام الزاجل في الحروب وغيرها اما الآن فانهم اخذوا يستعملون النحل ايضاً . وذلك انهم يكتبون بخط دقيق جداً على ورقة دقيقة جداً ويلصقونها بالنحلة فتحملها النحلة وتقطع السهول والجبال عائدة الى قفيرها الذي اخذت منه . وهي تفضل الحمام من حيث انها تمرُّ دون ان يراها العدو ولذلك فانه لا يتمكن من صيدها

﴿ اكتشاف داء للكتاب ﴾ اكتشفوا داء جديداً يصيب الكتاب الذين يُطلب منهم ان يكتبوا في وقت محدود شيئاً كثيراً محدوداً فان الاسراع في الكتابة الى ذلك الحد يهيج الفكر ويجهد الدماغ فربما اصيب صاحبه بما لا تحمد عاقبته . وهم يشبهون الكاتب المسرع الى هذا الحد بالصاعد جبلاً ركضاً فانه لا يلبث ان يفقد قواه كلها . وهذا القول يصدق على كتاب الجرائد اليومية الذين يجب ان تكون اقلامهم كالبرق في خفتها وسرعتها وليس له من دواء غير التاني لاراحة اعصاب الدماغ واخماد ثورة الفكر

﴿ سبب رحلة الأمبراطور غليوم الى فلسطين ﴾ ذكرت احدى الجرائد الاميركية ان السبب في رحلة الامبراطور غليوم الى فلسطين هو ان الاطباء اشاروا على الامبراطورة بالسياحة وتبديل الهواء لانها مصابة بالسل . وقد ارسل ولي العهد للخدمة العسكرية خارج برلين لانه مستعد استعدادها لهذا الداء اذ لم يسبق ان ولي عهد خدم في العسكرية خارج برلين . وقد كان لهذه الاشاعة دوي شديد . ومما جعل الناس يصدقونها ما ذكرته احدى الجرائد الالمانية من ان الامبراطورة اصبحت نحيلة الجسم وقد اصفر وجهها بعد جماله ورواءه . فعسى ان لا يكون هذا الخبر صحيحاً لان هذه الامبراطورة الفاضلة من اعقل الامبراطورات . وغير بعيد ان يؤَولوا غداً سفر ولي عهد المانيا الى فلسطين كما اولوا سفر ابيه . اما ما روته بعض الجرائد الاوربية من ان الحكومة العثمانية طلبت من امبراطور المانيا ان يؤجل سياحة ابنه لان اهالي سوريا وفلسطين مستاؤُون من الالمان فتخشى ان يقوموا بمظاهرة ضده فهو افتراء محض على ادب اهالي سوريا وفلسطين لانهم ارفع ادباً من مخاشنة ضيوفهم حتى ولو كانوا مستائين منهم

نوجه الانظار الى كلمات على ظهر المجلة

عادات واخلاق

نشر في هذا الباب نتفاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها لذة وفائدة للقراء

ملاحظات صحافية

الدفاع عن النفس واجب على الانسان حتى ان القانون يجيز لك القتل دفاعاً عن نفسك ضد من يطلبها . ومن المبادئ الفلسفية المقررة لدى جميع الفلاسفة « لا تترك حقك يُداس من غير معاقبة دائسه » ومعلوم ان البشر يختلفون عقولاً واخلاقاً . فزيد يردعه عن الاعتداء عليك ان تُذكره باصغر مبادىء الادب وبكر لا يردعه الا ان تقابل اهانته بمثلها . فبناء عليه يجوز ان تحارب بالسلاح الذي يحاربونك به . اما مبدأ « من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر » فاحفظه للمعتدلين المنصفين الذين يعتبرون سكوتك عقلاً لا عجزاً فان هؤلاء قلما يعتدون اعتداء يثير النفس الى حد الغضب . فاذا سكت عنهم كنت رابحاً لا خاسراً

الفضل الحقيقي لا في تقريظ اعمال غيرك مثل قولك انني اؤلف لا اترجم وان جريدتي ارخص الجرائد قديمها وحديثها اي ان الستين اقل من الاربعين والعشرة اكثر من العشرين . ولا في امتداح النفس . بل الفضل الحقيقي في ان تترك القراء يحكمون على عملك وعمل غيرك ويقابلون بينهما . والقراء الافاضل يرون ان كتابنا لا بد ان يعتمدوا على اساطين العلم من الافرنج والا زلت اقدامهم وعلموا الناس خطأ يسمونه تاليفاً فاضروا من حيث ارادوا ان ينفعوا . او انهم يعتمدون على الغير ويقولون انهم يؤلفون او انهم يكتبون فلا يفيدون . ومع ذلك فاذا قيل هذه مقالة لخصها فلان الكاتب عن نيوتن او افلاطون مثلاً وهذه مقالة الفها هذا الكاتب بهذا الموضوع فايها يُطالع العقلاء . لا ريب انهم ينبذون الثانية ويطالعون الاولى لانهم يطالعون علماً بحتاً واثقين انه غير مشوب بخطاء

اذا رايتَ اناساً يغضبون من رجل يذود عن نفسه وعن ذويه ويدافع عن مبادئه ومبادئهم بكل ما في نفسه من قوى الامانة لها فلا تعبأ بغضبهم واعلم ان ذلك الرجل يستحق صداقتك واحترامك ولو كان قوله فيك . اذ ما اقلَّ الذين يكتبون عن اقتناع لا تشفياً

من اشخاص ولكن دفاعاً عن مبادئ يقررونها في نفوسهم وتكون هذه النفوس مستريحة معها

اعظم ما يتمناه عقلاء الصحافيين المسالة التالية وهي : مهما اختلفت مبادئ الرصفاء مهما تصادمت مصالحهم . مهما احتكت عواطفهم . يجب ان يذكروا انهم بشر تجمعهم جامعة اللغة والجنس والوطن فضلاً عن الرفقة الصحافية والمبادئ الادبيـة . فاذا ذكروا ذلك في اوقات الغضب خمدت حدتهم وكانوا احسن معاملة لبعضهم البعض . واذا زادوا على ذلك انهم نصبوا انفسهم لتعليم الناس الحقيقة والادب والاعتدال الذي هو اساس كل فضيلة ندموا على كثير من الاقوال التي قالوها

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

❊ ملك السلام ❊

القيصر نقولا الشاب — والرئيس كروجر الشيخ

ولكن لما انقضت سكرة الدهشة والعجب وعلم الرئيس كروجر انه واقف لدى القيصر تحولت جرأته كلها لا الى جبن فان رجلاً مثله عرك الدهر لا يجبن ولكن الى ضعف . فاضطربت احشاؤه وصعدت الدموع دفعة واحدة الى عينيه فبسط اليه يديه وقال باكياً

— هكذا تتركنا وتتخلى عنا

ولا شيء يؤثر في الشبان مثل بكاء الشيوخ . فترقرق الدمع في عيني القيصر فاومأ اليه ان يجلس ثم جلس وجلست الامبراطورة سي تاي هو ايضاً . فقال القيصر بهدوء

" ما كنتَ تُريد ان اعمل ايها الرئيس

فاجاب كروجر . تسالني ما كنتُ اريد . الامر بسيط جداً . كنتُ اريد ان تمدَّ يمناك القادرة وتقول للذين هاجمونا لسلب بلادنا : ان السلب غير جائز في القرن التاسع عشر على مرأى من جميع الامم المتمدنة

فابتسم القيصر . وقال . ذلك ما ينطبق على مصلحة الترانسفال وحدها ولكنه من سوء الحظ لا ينطبق على مصلحة الامم المتمدنة بالعموم ولا على مصلحة روسيا بالخصوص . اما الامم المتمدنة فانها تخشى الحرب العمومية من وراء المداخلة والحرب العموميـة تخرب العالم وتعيد التمدن قرناً الى وراء . واما مصلحة روسيا فهي الآن السلام . السلام قبل كل

شيء · السلام بقطع النظر عن كل شيء · وقد يقولون عنا اننا لا نحب السلام لذاته بل لان مصلحتنا اليوم فيه اذ علينا تمدين شعبنا واتمام مد سككنا · فليقولوا ما يقولون فان السلام عندنا مقدم على كل شيء مهما كانت اسباب التقديم

فقال كروجر مبهوتاً · تقدمون السلام على كل شيء ولو كان سلاماً غير شريف؟

فلمع عند هذا القول برق غريب في عيني نقولا الثاني وقال باسماً · لو يقول احد غيرك هذه الكلمة

فقال كروجر وقد علم انه تهور في قوله ولكن جلالتك تذكر مصلحة اوربا وروسيا دون ان تذكر مبدأ اوربا وروسيا · فهل المصلحة مقدمة على المبداء ايضاً

فقال نقولا كلا ليست المصلحة مقدمة على المبداء في العالم كما ان المبدأ غير مقدم على المصلحة لانهما كليهما متلازمان متفقان فحيث يكون المبدأ تكون المصلحة وبالعكس · ولا يبحث الانسان في تقديم الواحد على الثاني الا متى حدث تناقض بينهما فيقدم حينئذٍ المبدأ على المصلحة بلا جدال لان المبدأ شيء ادبي والمصلحة شيء مادي والادبي مقدم على المادي دائماً · ولكننا هنا لا نتعلم فلسفة يا كروجر ولا نعلم ادباً · فقل لي وابن لي اين التناقض بين مبداءنا ومصلحتنا · اما انتم الذين اعتديتم اولاً وقدمتم ذلك الانذار · ومبدأنا كراهة الاعتداء

ولكن ما اتم القيصر كلامه حتى دخل احد حراس الامبراطورة مهرولاً وقال البرنس شنغ في الباب يامولاتي · فقالت سي تي هو خير ان شاءت الآلهة ماذا اتى به · ادخله · فدخل البرنس شنغ وهو محني الراس فدنا من الامبراطورة وسلمها كتاباً ووقف ينتظر

ففضت الامبراطورة الكتاب ولكنها ما قرأت اول سطوره حتى اخذت تبتسم ثم قالت بعد الفراغ منه · اتفاق كبير بين المانيا وانكلترا بشان حفظ استقلال بلادنا · فما اغرب هذا الاتفاق · بل ما اغرب هؤلاء الناس الذين يتفقون على حفظنا ونحن لا خطر علينا الا منهم · ثم ناولت الكتاب الى صديقها نقولا

وكان القيصر قد عبس اما كروجر فسطع في عينيه الضعيفتين برق لانه راى انه وجد حجة جديدة يدعم بها كلامه فلبث منتظراً · واخذ القيصر يقرأ وهو ساكت حتى اتى على آخر مواد الاتفاق الاربع · فطوى الكتاب ثم قام بهدوء الى مائدة هناك وتناول قلماً فكتب رقعة وطواها وختمها ثم ناولها الى الامبراطورة قائلاً · هل تامر جلالتك بايصال هذه

الرسالة الى السفارة الروسية في بكين على يد البرنس شنغ . فتناولتها الامبراطورة ودفعتها الى البرنس . فرأى كروجر على الرسالة في مرورها امامه هذا العنوان « جناب المسيو ويت وزير المالية الروسية »

وبعد خروج البرنس شنغ انحنى كروجر باحترام امام القيصر وقال . هل لجلالتكم الآن ان تقولوا ايضاً ان تركَكم انكلترا علينا كان منطبقاً على مصلحتكم

وكان القيصر قد اشتغل باله ولكنه كان هادئاً هدوء الحكماء الذين مهما اصابهم الدهر بحوادثه فان حكمتهم تعطيهم قوة تكون فوق كل شيء . فاجاب وما تعني بهذا القول

قال اعني انك بتركك انكلترا تنتصر علينا وتحشد ٣٠٠ الف جندي من جنودها قد عملت عملاً غير منطبق على مصلحة بلادك . واسمح لي يامولاي ان اخاطبك بهذه اللهجة الابوية فانني شيخ ويجوز للشيوخ ما لا يجوز لغيرهم . ساقرأ غداً تفاصيل الاتفاق الانكليزي الالماني في الجرائد ولكنني اعلم الآن معناه من غير وقوف عليه . اما جاء فيه ان انكلترا تتعهد بحماية الصين من كل دولة اخرى . فمن هي هذه الدولة التي تريد انكلترا حماية الصين منها غير دولتكم . اليوم تقول انكلترا هذا القول وغداً تقول اشد منه ويحتمل ان تجترئ عليكم فيما بعد بما لا يحبه محبوكم فيكون ذلك كله ناشئاً عن انها رأت في نفسها القوة في هذه الحرب وفيكم الضعف فازدادت جرأة واقداماً . فهل ينطبق هذا على مصلحتكم

فابتسم القيصر ابتساماً في فمه لم يمسح العبوسة التي كانت بادية في عينيه وجبينه فكأنه ضحك بعين وعبس باخرى . ثم قال اتعرف يا كروجر ما هذه الرسالة التي ارسلتها . فاجاب كروجر كلا . فقال القيصر هي امر بعثته الى وزيري دي ويت ناظر المالية وهذا نصه « امر الى وزير المالية بان يكتب الى حاكم غلاسكو في انكلترا بان روسيا ترضى بالاشتراك في معرضها وهي تؤمل ان يكون هذا الاشتراك خطوة في سبيل الوداد والسلم بين البلادين »

فضحكت الامبراطورة مي تاي هو ومدت يدها الى القيصر وصافحته قائلة . احسنت احسنت وقد فهمت مرادك

اما كروجر فانه لم يفهم فبقي مبهوتاً

كروجر الشيخ الحكيم . كروجر الداهية الذي شهد بسمارك بانه ما دخل في بحث او مسالة معه الا وخرج بسمارك مغلوباً . كروجر الذي ابيض شعره في السياسة والادارة والدهاء . لم يفهم مراد القيصر الشاب الذي لم تمض على ملكه بضعة اعوام

فيا ايتها الشبيبة . اذا كانت الشيخوخة تسبقك عادة في ارتقاء مدارج الحكمة والعلم والسياسة

فانك بوثبتين قد تبلغينها وتسبقينها ايضاً

ولما راى القيصر نقولا ان كروجر لا يزال مبهوتاً نظر اليه نظرة تنفذ الى اعماق القلوب وقال بهيئة امبراطورية « انا ازيل حيرتك . السياسة الانكليزية اظهرت بهذا الاتفاق انها غير واثقة بروسيا . والذي لا يثق بالناس لا يستحق ان يوثق به . ولذلك يميل الناس عنه . والذي يثق بالناس يدل بذلك على انه اهل لثقة الناس ولذلك يميلون اليه . وانا يهمني جداً ان يميل الناس الى روسيا في سياستها وان يكون الراي العام الانساني معها لا عليها

« اذكروا معاركم الكبرى مع الانكليز . او تحسبون انكم كنتم تغلبون بقوتكم فقط . كلا وانما كنتم تغلبون بقوة الراي العام الذي وراءكم يشد ازركم ويقوي سواعدكم . ان هذا الراي العام من اقاصي الشرق الى اقاصي الغرب . من بلاد المتوحشين الى بلاد المتمدنين . كان معكم يدفعكم الى الامام بقوته فهو سبب من اعظم اسباب قوتكم وان كان وا اسفاه من اعظم اسباب انسحاقكم ايضاً . فالراي العام اذاً قوة للافراد وللشعوب وعلى كل انسان أن يهتم باستمالته اليه

« ولكن انظر ما ابدع نواميس الكون الالهية . ان هذا الراي الذي هو قوة عظيمة لا يُستمال الا بالاعمال الحميدة التي تنشأ عن الاعتدال وحب الخير وكراهة الشرور . ولذلك بنت روسيا سياستها على هذه الامور فصارت اذا رشقتها انكلترا بحجر ردته اليها روسيا وردة . ومن هذا القبيل رسالة دي ويت التي رايتها

وهنا ابرقت عينا القيصر ودبت فيهما حماسة لم نَرَ فيهما من قبل فاردف قائلاً بغضب « فاذاث حدِ غداً الحادث الاكبر . غداً اذا اتى الحادث المنتظر . اذا ارتجت جبال حملايا من وقع حوافر القوزاق ونادى الملاك حامل البوق قد حلت دولة محل دولة فحينئذٍ يذكر البشر اننا كنا المسالمين وغيرنا المعادين . ويعلمون اننا لم نالُ جهداً في اجتناب الحروب والدعوة الى السلام فيكون رايهم معنا لا علينا وكفى بذلك قوة وفخراً لنا »

وما اتم نقولا الثاني هذا الكلام حتى نهض الشيخ كروجر اليه مهرولاً وهو يمدُّ يديه ويقول رضيت رضيت الآن ياسيدي بان اكون سكرتيراً لامك ملكة السلام . فساله القيصر وقد خمد غضبه ولماذا . فاجاب كروجر لانني اريد تقبيل تلك اليد الحكيمة التي ربت ملكاً مثلك

فاغرورقت هنا عينا القيصر بالدموع فحول وجهه عن كروجر كي لا يراه . ثم قال

بنفسه « تقبل يد العاملة الكريمة اما يد العامل العظيم فقد ابلاها الدود وا اسفاه

ولكن اذا كان كروجر لم يرَ دموع القيصر فان الامبراطورة سي تاي هو قد راتها ٠ فقالت في نفسها ان تقولا يذكر الآن اباه لانه لا يبكي الا عند ذكر شعبه وابيه

فمباركة انتِ ثلاث مرات ايتها الحكمة اذا سكنتِ نفوس البشر ٠ ومباركة انتِ الف مرة اذا سكنت نفوس الملوك (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ الجناب الخديوي ﴾ برح الجناب الخديوي العالي مصيفه في المنتزه في الثغر عائدًا الى عاصمته بالعز والاقبال بعد تمضية اشهر الصيف عندنا فاحتفل بتوديع سموه هنا واستقباله في العاصمة وفي طريقه اليها احتفالاً يدل على ما لجنابه الفخيم من الرفعة والحب في نفوس الامة على اختلاف عناصرها دام محفوظًا من العناية الالهية

﴿ الحوادث الخارجية ﴾ لم تنتهِ مشكلة الصين بعد والمظنون انها لاتنتهي في وقت قريب لان الدول ينظرن الى بعضهن البعض بعين الحذر والاتقاء ٠ وقد ذكرنا في الجزء الماضي اقتراح روسيا ان تعود جنود الدول من بكين وهو اول اقتراح اقترحته الدول ٠ وتلاه اقتراح المانيا ان تطلب الدول من الصين دفع زعماء الفتنة اليها لمعاقبتهم فاجابتها الولايات المتحدة ان ذلك متعذر على الصين اذ يصعب عليها تسليم ابنائها الى الاجانب فضلاً عن ان العقاب بيدها يكون اوقع في نفوس الصينيين ٠ فاقترحت فرنسا بعد المانيا اقتراحين الاول يتضمن الامور التالية : معاقبة الثائرين ودفع غرامة وتعويضات واقامة حراس في السفارات واحتلال بعض المراكز في الطريق بين بكين وتيينتسين وهدم حصون تاكو وغيرها من الاستحكامات ٠ فوافقت جميع الدول على هذا الاقتراح فكان فوزًا ادبيًا مهمًا للسياسة الفرنسوية ٠ اما الاقتراح الثاني فهو ان تُقدم كل واحدة من الدول الى الصين مطلوبها من حيث التعويض والغرامة ٠ فوافقن عليه ايضًا وصدر الامر الى السفراء في بكين لمخابرة لي هنغ تشنغ والبرنس شنغ المندوبين الصينيين للمفاوضة في عقد الصلح ٠ فاعلن هذان المندوبان السفراء في منشور بالبنود التالية ٠ اولاً ان الصين تاسف لما جرى

وتعد ان هذه الفتن لا تعود · ثانياً انها تعترف بوجوب دفع غرامة · ثالثاً ان الجنود الاوربية تخرج من الصين حينما يتم الاتفاق على هذه الغرامة · رابعاً بما انه قد بدأت المخابرات لعقد الصلح فالصين تطلب ان تكف جنود الدول عن القتال · فاجابه سفير فرنسا بلسان السفراء ان الدول لا تكف عن القتال ما دامت رؤوس زعماء الفتنة فوق اكتافهم

وبينما الدول في هذا القيل والقال واذا بحادث عظيم حدث في لندرا · وهو ان المانيا وانكلترا قد وقعتا فيها على اتفاق مآله (١) ان كل واحدة من انكلترا والمانيا تتعهد بابقاء الموانىء الصينية مفتوحة لتجارة الامم (٢) انهما تتعهدان ايضاً بان لا تغتنما فرصة المشاكل الحاضرة للاستيلاء على اراضٍ جديدة صينية (٣) اذا ارادت احدى الدول اية كانت ان تستولي على شيء من ذلك فان الدولتين تعقدان اتفاقاً ثانياً لصيانة مصالحهما · (٤) تُبلغ الدولتان هذا الاتفاق الى النمسا وفرنسا وايطاليا واليابان والولايات المتحدة وتطلبان موافقتهن عليه · فقامت قيامة الساسة والجرائد لان هذا الاتفاق عُد بمثابة انفصال المانيا وانكلترا عن الاتحاد الاوربي ورغبتهما بمقاومة روسيا · فكأن المسالة الصينية قد تاخر حلها ولم يتقدم خطوة واحدة

اما الترانسفال فقد سافر رئيسها كروجر قاصداً اوربا ولا تزال المناوشات قائمة قاعدة فيها مما يدل على ان هذا القتال لا ينتهي قريباً

ومن امهات الحوادث في هذا الشهر زيارة جلالة الشاه مظفر الدين شاه الفرس لجلالة



جلالة مظفر الدين شاه على عرشه الذهبي
وهو مُحاط برجال دولته

السلطان الاعظم في الاستانة زيارة كان لها صدى في جميع اقطار العالم وقد عاد الشاه منها الى بلاده عن طريق بودابست و بطرسبرج و يقال انه انفق في سياحته ٢٢ الف فرنك في كل يوم · وقد نشرنا هنا رسم جلالته بلغه الله عاصمة بلاده بالسلامة والهناء

مدام جول سيمون
Mme Jules Simon

نعت اخبار باريز في هذا الشهر المرحومة السيدة الفاضلة مدام جول سيمون استاذنا الفيلسوف الشهير · وقد كانت رحمها الله من فضليات النساء وكفى دليلاً على فضلها انها كانت من اكبر مساعدي قرينها العظيم في سرائه وضرائه على الاعمال العظيمة التي قام بهـا · فنحن نتقدم الى حضرات نجليها الفاضلين الدكتور جوستاف سيمون والمسيو سيمون رئيس سكرتيرية مجلس الشيوخ وسائر آلها الكرام بفروض التعزية ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه ويلهمهم الصبر الجميل

☀ قرينة نعمة الله كرم ☀ نعيت من اسكلة طرابلس الشام الماسوف عليها المرحومة قرينة حضرة الخواجا نعمة الله كرم استاثرت بها رحمة الله عن عمر صرفته بالصلاح وقد احتفل بتشييع جنازتها احتفالاً كبيرًا فنحن نشارك جميع آلها الكرام في حزنهم ونسال الله ان يرحم فقيدتهم رحمة واسعة و يمطرها سحائب الغفران

☀ والدة اسعد وابرهيم مظهر ☀ نعزي حضرات الفاضلين الخواجات اسعد وابرهيم مظهر في دمنهور بوفاة المرحومة والدتهما في لبنان سائلين لهم ولسائر آلهم الكرام نعمة الصبر والسلوان ولفقيدتهم واسع الرحمة والغفران

☀ عيسى يازجي ☀ نعزي حضرة الشاعر الاديب عبد الله افندي يازجي في مرمريتا الحصن بوفاة نجله عيسى ونسأل له الصبر الجميل على فقده

(تولستوي) ذكرنا في صدر هذا الجزء خلاصة فلسفة تولستوي وحرم المجمع المقدس له · و بعد كتابة ما تقدم راينا في رصيفتنا جريدة الهدى الغراء التي تُطبع في فيلادلفيا ان جريدة النورث اميركان التي تُطبع في تلك المدينة بعثت تسأل تولستوي عن الحرم فاجابها بتلغراف معناه « لم يحرموني ولكنهم منعوا اقامة جناز على جسدي الفاني بعد موتي وانا راضٍ بهذا المنع »

الفصل الثلاثون

(انتصار بيتو)

وبعد ان اصبح بيتو قائداً رسمياً للحرس الوطني في هرامونت بامر من الجنرال لا فاييت دعا جنوده وامرهم ان يختاروا لهم ضابطين يساعدانه في قيادتهم . فوقع اختيارهم على المدعوين تليه ومانيكه ثم سألوه ان يبدأ بتمرينهم وتدريبهم على الحركات العسكرية لانهم كانوا في غاية الشوق الى ذلك فاجابهم بيتو كيف يكون التمرين من غير بنادق فقال مساعداه فلنسعَ اذاً للحصول على البنادق على عجل فان الامر الذي لدينا كافٍ لارغام الاب فورتيه على تسليمنا ما نريده منها

فذهب بيتو الى شيخ القرية واطلعه على هذا الامر يساله ان يرافقه الى مدرسة الاب فورتيه لاخذ السلاح منها لجنوده فاطاع الشيخ وسار الى المدرسة مع بيتو ومساعديه وهم اركان حرب جند هرامونت

ولما وصلوا الى المدرسة كان الاب فورتيه يحادث سيباستيين ابن الدكتور جيلبار في الحديقة ويبرهن له ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق الصالحة وانه بما ان الاجتماعات المضرة تمتد في كل المدن والقرى فالاجدر بالعاقل اجتنابها ليبقى اميناً لملكه ووطنه

ولكن واأسفاه ان الاب فورتيه كان يعني بقوله لهذا الولد « اميناً لملكه ووطنه » خلاف ما يعنيه جيلبار ابوه بهاتين الكلمتين لان كل واحد من المعلم والاب كان يفسر الامانة كما يراها فكأنَّ الاب فورتيه بذلك يغرس في نفس سيباستيين ما يناقض مبادئ ابيه

ولما دخل شيخ هرامونت الى المدرسة وابصره الراهب بادر اليه مسلماً وقائلاً . ما وراءك يامسيو لونبره

فاجاب الشيخ اتيتك ياحضرة الراهب بناءً على امر من الحكومة . فقال الراهب وما هذا الامر . قال ان الحرس الوطني في هرامونت يطلب سلاحاً وقد جئت مع وفد من قبله لنطلب منك حاجته منه

ولم يأتِ الشيخ على هذه الكلمات حتى برز بيتو

فصعد الدم الى راس الاب فورتيه وصاح ببيتو . لئيم . وغد . سافل . جئت مرة ثانية لتسرق مالي . فرفع بيتو راسه وقال ما جئت اسرقك ياحضرة الراهب وانما جئت بناءً

على امر من الحكومة اسالك اعطاءنا حاجتنا من السلاح الذي عندك

اما شيخ القرية فانه حول وجهه وسكت لانه كان يرغب في مسالمة الفريقين

و بعد جدال طويل واحتدام الاب فورتيه غيظًا وغضبًا مرارا دخل بيتو ومساعداه وشيخ القرية الى مخزن السلاح واخذوا منه ثلاثًا وثلاثين بندقية على قدر عدد الجنود ثم اخذ بيتو لنفسه بندقية ضابط وسيفًا مسنقياً كسيف الجنرال لافاييت وعادوا بعد ذلك آمنين الى القرية

اما الراهب فكان عند خروجهم من منزله ملقى على كرسي من يأسه وغيظه وراسه بين يديه وهو يفكر في مصيبته

ولما وصلوا الى القرية وزع بيتو البنادق على جنوده ففرحوا بها فرحًا شديدًا وطلبوا منه الشروع في تعليمهم · فوعدهم بيتو بان يعلمهم في اليوم التالي

وهنا مصيبة بيتو الجديدة · مصيبة حرمته الرقاد في تلك الليلة · فان هذا الولد المسكين كان لا يعرف شيئًا من اصول التعليم العسكري وهو يجهل كيف نقل البندقية · فماذا يحدث غدًا عند افتضاح امره ومعرفة الناس جهله · الا يسقط من شامخ مجده و يصبح سخرية لكل الناس · فكيف العمل لتلافي سقوطه

وكان بيتو يفكر في ذلك وهو ملقى في ظلام الليل على فراشه ينقلب عليه نقاب المسوع · فلا قيصر حين وقوعه في ادغال غالية الموحشة ولا انيبال عند تيهه بين الثلج في جبال الالب الشاهقة ولا كولومبوس حين مسيره الى المجهول على سطح الاوقيانوس العظيم — لا احد لم يفكر اكثر مما فكر به بيتو في تلك الليلة

وفيما هو يفتكر ابرق شيء على حين بغتة في فكره فهبَّ من نومه كمن لدغته حية وصاح كما صاح ارخميدس « وجدتها وجدتها »

ثم انه نهض ونادى مساعديه في قيادة جيش هرامونت وابلغهما ان تدريب الفرقة سيكون بعد غد لا غدًا · فساله الرجلان عن سبب هذا التاخير فقال لهم بيتو بهيئة جدية تعلموا منذ الآن ان تطيعوا القائد من غير اعتراض حين صدور امره · فسكت الرجلان احترامًا وخرجا لابلاغ الجنود امر القائد

فما غابا عن الابصار حتى خرج بيتو من غرفته فاغلق الباب ثم سار ركضًا في ظلام الليل نحو الجانب الكثيف من الغابة طالبًا ما حسبه يفرج كربته · وكانت الساعة الحادية عشرة

الفصل الواحد والثلاثون

(رجل في الطبيعة)

وبقي بيتو راكضاً نحو الجانب الكثيف من الحرش حتى قطع مسافة بعيدة . ولو رآه حينئذٍ احد الاهالي سائرًا في هذه الجهة لعلم انه يقصد الاب كلويس

ومن هو الاب كلويس

الاب كلويس رجل في التاسعة والستين من العمر كان جندياً منذ سنوات بعيدة فاصيب برصاصة في فخذه فعجز عن العمل فاذن له الدوق دورليان بان يبتني كوخاً في حرشه ويعيش فيه من صيده . ولكنه لم ياذن له بان يطلق سوى طلق ناري واحد في اليوم اعتماداً على انه يقتل في كل طلق ارنباً فيبلغ مجموع صيده في السنة ٣٥٦ ارنباً وهو قدر كاف لمعيشته سواء من لحم الارانب او من بيعها . ذلك ان الاب كلويس كان مشهورًا في فرقته بانه لا يطلق رصاصة من بندقيته الا ويقتل بها أثناء القتال انساناً فاذا كانت هذه القاعدة مطردة في الانسان وجب ان تكون كذلك في الحيوان . وهكذا كان

وكان الاب كلويس يعيش في الطبيعة خالياً من هموم الاجتماع واقذار الحضر الا ان كثيرين من الاشراف كانوا يقصدونه ويضعون نقودًا في يديه ليروا كيف ان هذا الرجل يقتل في كل رصاصة ارنباً دون ان يخطئ مرة في حياته . فكان يجرب ذلك على مرأى منهم فيعجبون بمهارته . وكانت هذه التجربة تاتيه بدخل غير قليل

وفضلاً عن ذلك فان قوة الاختراع تقوى في الذين ينفردون للتامل او للمعيشة على حدة ولذلك خطر للاب كلويس امر جديد . فانه كان على مقربة من كوخه بلاطة منحنية ملساء فجعل الاب كلويس يُشيع بين اهالى تلك الجهات ان كل البنات اللواتي يزلقن على البلاطة في يوم القديس لويس اي في ٢٥ اغسطس فانهن يتزوجن في تلك السنة بلاشك فجاءه في بدء الامر ثلاث فتيات وزلقن عليها فتزوج منهن فتاتان في تلك السنة . فازداد الاقبال على صخرة الاب كلويس . وكان الفتيات يدفعن له شيئاً من النقود رسماً مفروضاً على الزالقات فكان يقول لمن ازلقن فتياتٍ وشباناً في آن واحد فالتي تكون حسنة النية تتزوج بلا شك في هذا العام والتي لا تكون حسنة النية فاللوم عليها لا على الصخرة . وهكذا كان يتخلص من الملام بهذه الحيلة . ثم انه خطر له لزيادة ايراده من هذا اليوم ان

يوجب على الزالقين والزالقات ان يبتاعوا طعامهم في ذلك اليوم من عنده واحضر لهم اطعمة مختلفة . فكان يربح من ذلك ومن ضيوفه النبلاء الذين مرَّ ذكرهم ومن بيع الارانب ارباحاً يخزنها لانه كان لا ينفق شيئاً

هكذا كانت معيشة الاب كلويس في تلك الغابة وقد انقضت عليه ٢٥ عاماً على هذا المنوال حين سار بيتو اليه . وكان امره مشهوراً في تلك الجهات كلها

الا ان الاب كلويس كان من سوء حظ بيتو قد اصيب في اليوم الذي قصده فيه بمصيبة لم يُصب بمثلها منذ بداية معيشته فانه كان يطلق بندقيته العزيزة على ارنبة فانفجرت البندقية وانجرحت يده ثم —وا اسفاه— نجت الارنبة

فكانت هذه الارنبة هي الارنبة الوحيدة التي اطلق عليها النار منذ ٢٥ عاماً ونجت من بندقيته

اما يد الاب كلويس فانه ضمدها بشيء من الورق الممضوغ ولكن كيف السبيل لجبر كسر البندقية . لذلك كان حزنه على بندقيته العزيزة التي فقدها اشد كثيراً من حزنه على انسحاق اصبعين في يده . ومن اجل هذا كان الاب كلويس راقداً في كوخه تلك الليلة وهو في منتهى الحزن والغضب

فلما وصل بيتو الى الكوخ وكان يعرف مقره احدث حركة شديدة لينتبه الاب كلويس فسمع من داخل الكوخ في وسط هدوء الليل في تلك الاماكن الخاوية الخالية زئيراً يحكي زئير الاسود . نخاف بيتو ونادى . ايها الاب كلويس . فاجابه صوت اجش من الداخل قائلاً بغضب من انت . فقال انا بيتو . قال من هذا بيتو . قال انا انج بيتو من هرامونت فصاح الاب كلويس وماذا يهمني ان تكون بيتو وان تكون من هرامونت . اذهب لشانك ودعني وشاني

فتلطف بيتو معه ووعده بالجائزة اذا سمع له ثم دخل عليه وقص عليه قصته وقال له انه يطلب منه ان يعلمه التمرين والتدريب العسكري وهو يعطيه جزاء ذلك ما يشتهي ويريد

فابرقت هنا اسرة ذلك الشيخ وهب من فراشه صائحاً — تعطيني ما اشتهي واريد اذا علمتك الحركات العسكرية احسن تعليم . فاجاب بيتو نعم مهما اردت . فصاح الرجل وقد ذكر بندقيته المفقودة انني اريد جزاء ذلك بندقية

فاجاب بيتو عندي بندقية ضابط اخذتها اليوم فساحضرها لك غداً

فابتهج ذلك الشيخ ونهض الى بيتو ليعلمه نخرج به من الكوخ الى بقعة متسعة بين الاشجار وهناك في ذلك الهدوء العظيم بين حفيف الاشجار وهبوب النسيم وانعكاس اشعة القمر الفضية عن زمرد الاوراق اخذ الاب كلويس يعلم بيتو الحركات العسكرية من نقل البندقية والتسليم والزحف النظامي. ولو رآهما احد وهما يروحان ويجيئان في ذلك الظلام بين الاشجار الواسعة بحركات تارة عنيفة وطوراً خفيفة لحسبهما شبحين من عفاريت الجن يمرحان في الظلام في تلك الغابة

الفصل الثاني والثلاثون

(كاترين تلجأ الى الدهاء والسياسة)

ولما عاد بيتو في تلك الليلة الى فراشه بعد ما تعلمه من الاب كلويس كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فنام مستريح البال . ولكنه حلم في نومه انه يعلم في ساحة عسكرية جيشاً خضماً فيدير حركاته باوامره احسن ادارة . ولما نهض في اليوم الثاني استدعى مساعديه في قيادة الحرس الوطني واخذ يعلمهما بهيئة جدية ونزق الحركات التي تعلمها في الليل من الاب كلويس . فاعجب المساعدان بمهارته

وما امسى المساء حتى تناول بيتو بندقيته وسار نحو كوخ الاب كلويس ليفي وعده له ويكمل تعليمه ولما عاد هذه المرة من لديه كان عالماً بجميع الحركات العسكرية فتنفس الصعداء واصبح يرى نفسه قوي القلب ساكن الجاش بعد ضعفه واضطرابه

وهذا شان المعرفة والجهل فان المعرفة تجعل الانسان قوياً دائماً والجهل يجعله ضعيفاً دائماً

وفي صباح اليوم التالي اجتمع جند الحرس الوطني بساحة القرية فاجتمع الاهالي عليه . ثم جاء بيتو الى الساحة شامخ الراس جريء القلب وسيفه الى جانبه فتناول كل واحد من الجند بندقيته واصطفوا في ساحة التعليم

فتقدم منهم بيتو بقلب مطمئن واخذ يعلمهم ما تعلمه وهم خاضعون له مصغون اليه كما يصغي الجنود الى قائد عظيم . واستمر على هذا التعلم شهرين فاتقن حرس هرامونت تلك الحركات احسن اتقان . وكان بيتو يثني على اجتهادهم وذكائهم وهم يزدادون حباً له وتعلقاً اه

ولما اتقنوا الحركات العسكرية صار يجب تعليمهم المناورات فسافر بيتو بضعة ايام الى سلسون وحضر هناك مناورات الجيش ثم عاد وقد تعلم المناورة

ان الانسان اذا تامل في الارتقاء العظيم الذي يبلغه بعض الافراد راى ان ذلك الارتقاء قد نشأ اما عن قوة ارادة الانسان وشدة سعيه واما عن عدم اكتراثه بامور الحياة. في ان ارتقاء بيتو ناشئ عن هذين الامرين معاً . فان ارادته كلها انصرفت الى الصعود الى سلم الاجتماع فكان يسعى الى ذلك بكل قواه وهو غير مكترث الا بالشيء الذي صرف فكره اليه

ولكن لما بدأ بيتو بالصعود واصبح مشهورًا ومحبوبًا في هرامونت وضواحيها اخذت تعود اليه عاطفة الاهتمام بكاترين فكان كثيرًا ما يسير في الحرش على غير هدى لعله يراها او يرى من يراها . وكان كلما وقعت عيناه على املاك شارني وراء الحرش البعيد تنهد من اعماق قلبه وحسد ذلك الرجل الذي كان سعيدًا بحب من يحبه على حين ان كل شيء حوله كان يتعذب ويشقى في ذلك الزمان

وكان بيتو لو اراد في استطاعته ان يحب اجمل بنات القرية والضواحي لانهن كن يتزلفن اليه كل حين ولكن قلبه كان عالقًا بكاترين ولا يبغي منها بديلاً . فقال يومًا في نفسه وهو تائه في الحرش على وجهه لا يلوي على شيء لقد جربت استمالتها باللطف وحسن المعاملة فلم اقدر عليها فلماذا لا اجرب العنف

وكان بيتو موقنًا ان بيلو لو علم بميل ابنته الى ذلك الشاب الشريف فانه يقتلها لساعته فخطر له ان يتخذ هذا الفكر سلاحًا ضد كاترين . وكان بيتو قد ابتاع كتبًا عسكرية صدرت في ذلك الزمان فاخذ منها كتابًا وسار نحو الجهة التي يعلم انها طريق كاترين الى املاك شارني حيث اعتادت ان تلتقي بالمسيو ايزيدور الشاب اللطيف . ولما وصل الى هناك جلس في ظل شجرة واسند ظهره الى جذعها ثم فتح الكتاب واخذ يقرأ

وفي الحقيقة انه لم يكن يقرأ ولكنه كان ينظر في الكتاب نظرًا فقط اذ مر عليه نصف ساعة دون ان يقلب ورقة منه

ولكن لم يمر عليه اربعون دقيقة حتى ظهر له من بعيد فارس ينهب الارض نهبًا على جواده . ولما اقترب الفارس وجد بيتو انه كاترين نفسها قادمة الى موعد المسيو ايزيدور دي شارني

نخفق قلب بيتو وصار وجهه في الكتاب ولكن عينيه في كاترين

فمرت كاترين على الجواد كالسهم المارق دون ان تراه وقصدت منزلاً هناك للمسيو دي شارني فربطت فرسها في شجرة توت ثم دخلت

فلما غابت كاترين عن عيني بيتو في المنزل امتلأ قلبه حنقًا ولبث ينظر الى الجهة التي غابت فيها كما ينظر المجوسي الى المشرق في الصباح عند انتظاره غزالة النهار او كما ينظر كلب الصيد الى وكر غابت فيه ارنبة

فطال انتظار بيتو ربع ساعة ثم ثلثًا ثم نصفًا ثم ثلاثة ارباع دون ان تظهر كاترين . وكانت نفس بيتو في هذه الاثناء تحدثه اشكالاً والوانًا

ولما انقضت ساعة سمع حفيف ثوب وكان المساء قد امسى فالتفت فابصر كاترين قادمة صوبه من غير الجهة التي غابت فيها . فلبث شاخصًا بها ينتظرها . اما هي فكانت تمشي على غير هدى وهي تلتفت ذات اليمين وذات اليسار لترى هل هنالك احد ينظرها حتى صارت على مقربة من بيتو

وكما يحدث لارنب وُجدت على حين بغتة على بعد مترين من كلب صيد قوي . وكما يحدث لفارة رات نفسها على بعد متر واحد من هرة قوية هكذا حدث للجميلة كاترين . فانها حين وقع بصرها على بيتو امامها وهي لا تعلم بوجوده هناك اصطبغ وجهها بصفرة تحكي صفرة الموت واصطكت ركبتاها فصرخت صرخة خفيفة وعادت ركضًا كالجواد السريع نحو جوادها فوثبت عليه كلمح البصر واطلقت له العنان قاصدة مزرعتها

اما بيتو فانه نظر اليها وهي هاربة وصدره منشرح ومنقبض معًا . منشرح لانه استطاع الانتقام قليلاً من تلك المتكبرة وراى في يده سلاحًا لاخافتها . ومنقبض لانه خاف نتيجة هذا الفخ الذي نصبه لها فاخذ يتساءل هل يبقى لها على الوقوف في هذه الطريق ام يتركها وشانها

وفي يوم الاحد التالي كان احتفال عظيم في قرية هرامونت . فان اكثر القرى المجاورة لها عزمت على ارسال جنود حرسها الوطني لاستعراضها مع جنودها لما بلغ الناس من بسالة جند هرامونت ومهارة قائدهم . فتواعد الناس ان يلتقوا في هذه القرية لمشاهدة الاستعراض

وما اشرقت شمس يوم الاحد حتى اخذ الناس ينسلون الى هرامونت من كل تلك الضواحي . وكانت جنود القرى المجاورة تاتيها على اصوات الابواق والطبول العسكرية فتزيد الناس رغبة في الذهاب الى هرامونت في ذلك اليوم لمشاهدة الاستعراض . ولذلك

كنت تري خاصة الناس وعامتهم متجهين مشاة او راكبين الى تلك القرية

وكان بيتو في ذلك اليوم قد استعار حصانًا ابيض كحصان المسيو لافاييت لتكون المشابهة تامة فركبه وهو عزيز النفس شامخ الانف وجمع فرقته ثم اصدر اليهم امرًا بالزحف الى ساحة الاستعراض فسارت على ضرب الطبول سيرًا سريعًا قويًا فكان لها منظر جميل

وما زالت حتى اطلت على ساحة الاستعراض وبيتو على فرسه يهتز طربًا ويشمخ عجبًا. وكان الاهالي من القرى المجاورة لا يزالون يتواندون الى الساحة بين زراع واشراف واصحاب املاك. فوجه بيتو نظرًا الى اناس كانوا حينئذ قادمين . فابصر كاترين وامها راكبتين كل واحدة فرسًا

فاحمرت وجنات بيتو واصفرت وجنات كاترين

ولما درى بيتو بوجود كاترين ازداد اهتمامه بذلك الاستعراض ليظهر لكاترين مهارته ومقامه

فاخذ كل قائد من قواد الجند يستعرض فرقته على حدة ويجعلها تقوم بحركات عسكرية مختلفة . فراى الحاضرون ان فرقة بيتو ممتازة عن جميع تلك الفرق بضبط حركاتها وخفتها وشدة حماستها فصفقوا لها تصفيقًا كثيرًا وكانوا كلما صفقوا لها ازدادت مع قائدها بيتو حماسة واجادة

ثم اجتمعت تلك الفرق كلها للقيام بعمل واحد وولت قيادتها الى قائد اقدم من بيتو عهدًا ولذلك يجب ان يتقدم عليه فشرع ذلك القائد في اجراء مناورة كبرى

ولكن ما انقضى على ذلك عشرون دقيقة حتى ارتبك هذا القائد واضطرب لانه كان لا يُحسن المناورة فتضعضع هذا الجيش الصغير وتقلقلت صفوفه واصبح فرقًا فرقًا لا يعرف كيف يجتمع ولا كيف يسير . فاستاء الجنود من القائد لانه جعلهم سخرية امام الاهالي واستاء الاهالي ايضًا فصاحوا كلهم من فم واحد « بيتو بيتو »

فتنحى حينئذٍ هذا القائد مفسحًا المجال لبيتو . فوكز بيتو فرسه متقدمًا بجأش ثابت وقلب مطمئن فزعق في تلك الصفوف المضطربة زعقة ارجعتها الى النظام على عجل . ثم اصدر امرًا الى جنوده جنود هرامونت بالوقوف في مقدمة الجيش وصاح بها بالزحف . فكرت كرة رجل واحد بحماسة ونظام صفق لهما الحاضرون كثيرًا . ثم شرع بيتو في موقفه يامر وينهى بصوت جهوري عسكري كانت ترتج له تلك الصفوف كانها اشجار تضطرب

امام الريح وتهب معه كيفما هب حتى انتهت المناورة على احسن ما يُرام وهتف الاهالي لبيتو وللجنود هتافاً طبق السماء

فنزل بيتو حينئذٍ عن جواده وهو مبلل الوجه والجسم بالعرق وكان انتصاره عظيماً فتهافت عليه الناس ليهنئوه ويشكروه واحاطت به الفتيات ليشاهدونه ويحيينه

فكان بيتو عظيماً في موقفه منهم يردّ لكل واحد تحيته بابتسام او باشارة وعيناه تفتشان عن كاترين

فما لبث ان سمع قائلاً يقول له بجانبه

صباح الخير يامسيو بيتو

فالتفت بيتو واجاب سعدتِ صباحاً يامدموازل كاترين

فقالت كاترين ما لك لا تلتفت الينا يامسيو بيتو ولا تعبأ بنا اهكذا يصنع القواد العظام

فسلم بيتو على مدام بيلو التي كانت بازاء كاترين ثم اجاب · كلا يامدموازل انني لست قائداً عظيماً ولكني رجل خامل الذكر ملتهب شوقاً لخدمة وطني

فسمع الحاضرون هذه الكلمة فازدادوا تحمساً لبيتو وهتافاً له

فتقدمت كاترين حينئذ من بيتو وقالت همساً بيتو اريد ان اراك اليوم

فقال بيتو في نفسه عدنا والعود احمد · ثم اجاب · انا خادم مطيع ياسيدتي · فقالت كاترين عد معنا اليوم الى المزرعة · فقال الامر لك

الفصل الثالث والثلاثون

(الخل والخمر)

ولما تفرق الناس تسنى لبيتو وكاترين ان ينفردا للمحادثة على حدة · وهما سائران الى المزرعة فابتدرته كاترين بالسؤال قائلة لماذا عاملتنا هكذا يامسيو بيتو وما الذي دعاك الى ترك المزرعة

فبهت بيتو لهذا السؤال الذي ما كان ينتظره ثم قال تعلمين يامدموازل سبب سفري من المزرعة · فقالت لا اعلم شيئاً بل اقول لك انك عملت عملاً مبيناً

فعض بيتو شفتيه حنقاً لانه كان يعلم ان كاترين لا تجهل كونهـا هي التي طردته من مزرعتها . فقالت كاترين . ثم اجبني ما كنت تعمل في ذلك اليوم في الحرش حينما رأيتني فقال الشاب متردداً . انا . ما كنت اعمل شيئاً . فقالت ولماذا ذهبت الى تلك الجهة مع انها بعيدة من هرامونت . فقال الشاب كنت اقرأ هناك . قال ولماذا لم تقصدني حينما نظرتني بل لماذا لم ارك حينما مررت بك في مجيئي

فامتلأ هنا قلب بيتو حنقاً لانه ادرك ان كاترين تحاول خداعه . والتمويه عليه بهذا الكلام فقال لها . انا لم اركِ في مجيئك ياسيدتي فلعلك لم تاتي من الطريق بل من داخل الحرش

فعضت كاترين شفتها واجابت نعم نعم صدقت جئت من داخل الحرش لاجل النزهة ولكن ذلك لا يمنعك من رؤيتي لو قصدت ذلك . ولكنك لم تقصد من سوء الحظ . اما انا فقد كنت اطوف على فرسي في نواحي الحرش مفتشة عن عشبة لضمد جرح اصبت به ولذلك بقيت سائرة حتى وصلت الى المنزل وانا افتش عن العشبة

فقطب بيتو حاجبيه وقال اي منزل

فقالت المنزل ... منزل اسرة شارني القائم وسط الحرش الا تعرفه

فاجاب نعم اعرفه

فشعرت كاترين بضربة شديدة في قلبها حينما لفظ بيتو هذا الكلام

ثم التفت الشاب الى يدي الفتاة وسالها لا ارى في يديك جرحاً ياسيدتي كما ذكرتِ .

فقالت الجرح في قدمي لا في يدي . اما رايتني اعرج في مشيي

فقال بيتو في نفسه وحق السماء والارض انني رايتك تركضين اكثر مني حينما فررتِ من وجهي

اما كاترين فحسبت بعد ما تقدم ان بيتو لا يعلم شيئاً من امرها فقالت له بهيئة جدية . هذا امر لا ارضاه منك يامسيو بيتو ولا يرضاه ابي ايضاً . فان تركك المزرعة والغضب علينا بلا سبب امران لا يدلان على ودك لنا

وكان بيتو يشعر في اثناء كلام كاترين انها تهزأ به وتسخر منه . اذ كيف تجهل انها هي التي طردته من المزرعة واساءت مقابلته . فثارت نفسه لهذه المعاملة الجديدة لانها جرحت من جديد انانيته والانانية افعى لا يجدر بالانسان ان يدوس عليها مخافة ان تهب وتلدغه اللهم الا اذا كان يستطيع سحقها مرة واحدة

ولذلك رفع بيتو راسه امام كاترين وقال بهيئة جدية · مدموازل ارجوكِ ان لا تسخري منا · فعجبت الفتاة واجابت كيف اسخر منك يامسيو بيتو · فقال الشاب · نعم الا تذكرين انك انت التي قلت لي انه لا يوجد لي عمل في المزرعة · وما معنى ذلك غير طردي منها · ثم انني غبت اياماً وشهوراً دون ان تسالي عني لتعلمي اذا كنت قد متُّ من الجوع او لا ازال حياً · ولما شاهدتني ذلك اليوم عند منزل شارني فررت مني فرارك من الموت

فصاحت كاترين · انا فررتُ · فقال بيتو محتدماً · نعم نعم · فررتِ فررتِ ولا اكذب عيني · وقد قلتِ انك ذهبتِ الى هناك لتفتشي عن عشبة تضمد جرحك فالذي يفتش عن عشبة في ذلك المكان لا يقيم ساعة فيه

فصرخت كاترين وقد هلع قلبها خوفاً · انا مكثت ساعة هناك ؟ لاتصدق ذلك يا مسيو بيتو

فاجاب الشاب بابتسامة اذا كنت انا لا اصدق ذلك فان الشجرة التي ربطتِ بها جوادك قد صدقته · ذلك ان هذا الجواد قد قشر جذعها كله واكل القشرة · وانت تعلمين ان ذلك لا يتسنى للجواد في اقل من ساعة · فاذهبي واسالي الشجرة

فازدادت كاترين هلعاً وصبغ الاصفرار وجهها فلم تنبث ببنت شفة · وكذلك بيتو فانه شعر بانه قال شيئاً ما كان يجب ان يقوله كله فسكت ايضاً

وبعد سكوت برهة من الزمان وهما سائران على الطريق وراء مدام بيلو التي كانت مشتغلة بالحديث مع بعض الرفيقات قالت كاترين مبهوتة · اصدقني يابيتو الستَ صديقاً لي

وقد قالت كاترين هذا القول بلهجة سحرية تختلب الالباب · فطاش لب الفتى بيتو وذهبت نفسه شعاعاً وصعد الكلام الى فمه فكاد ينطق بما تكنه نفسه من الشغف بهذه الفتاة التي ما فتأت تعذبه · ولكنه ضغط على نفسه وتساءل ماذا اصنع اذا قلت لها انني احبها ثم قالت لي انها تحبُّ سواي · الا اموت حينئذٍ ياساً وغماً · فالاجدر بي ان اسكت

فالتفت بيتو اليها · وقال وا اسفاه ياسيدتي انت تعلمين انني صديق حميم للاب بيلو وكل اسرته

قال هذا وكانه لم يعدقادرًا على كتمان ما في نفسه فانحنى مسلمًا ثم ذهب مسرعًا دون استئذان كاترين

وكان ذهابه الى الحرش القريب . فكان يمشي وهو يرقص طربًا . ذلك لانه راى كاترين . وحادث كاترين . ومست يده يد كاترين . فاخذ يهيم بين تلك الاحراش مغنيًا مع عصافيرها متمايلاً مع اغصانها طربًا نشوان من خمرة الحب الذي يملأ نفسه . ثم اخذ يبكي كصغار الاولاد . وبعد البكاء اخذ يغني اشبه برجل فقد الصواب . ولما كان نسيم المساء يهب عليه في مسيره فيبرد حرارة جبهته وينعش صدره المتقد بالنار كان بيتو يقف ناظرًا من خلال اغصان الاشجار الى صفحة السماء الصافية الزرقاء التي فوقها والفضاء الذي حوله ويقول في نفسه وهو يتألم من ذكر كاترين . هل هذا ما يسمونه حبًا فانه تارة يكون حلوًا وطورًا مرًا

وا اسفاه يا بيتو ان الحب خلٌ وخمر وقد اخذ النبيل ايزيدور شارني كل الخمر ولم يبقِ لك غير الخل

اما كاترين فانها سارت وراء امها نحو المزرعة مبهوتة وقد اخذت منذ هذا الحين تشعر بالخوف من بيتو والرغبة في مداراته واتقائه . واما بيتو فبعد بكائه في الحرش تارة والغناء تارة اخرى شعر بجوع شديد فعاد الى هرامونت على عجل . وقد قال الكاتب شاتوبريان « عجب الناس من غزارة الدموع التي وُجدت في مقلة ملك ولكن من يستطيع ان يقيس الفراغ الذي يُحدثه البكاء في معد الفتيان»

الفصل الرابع والثلاثون

(حلٌ غير منتظر)

ولما عاد بيتو الى هرامونت وجد جنوده مجتمعين في مادبة مع بعض بنات القرية وهم يأكلون ويتحادثون ويضحكون فجلس بيتو معهم واخذ يأكل ويشرب باشتهاء شديد . فسرى عنه ما كان يجده من تضخم القلب وامتلاء الصدر واضطراب الفكر

ثم انه بعد نصف ساعة لما سطا الخمر على عقله وطرد كل ما كان فيه اخذ بيتو يفكر في حادثته مع كاترين فوجد نفسه قد اساء معاملتها . فاخذ يقول في نفسه ما الذي اوجب

علي ان اخاشن كاترين تلك المخاشنة · ولماذا لم اجاوبها باللطف والمجاملة على لطفها ومجاملتها

ثم في سكرة حبه وخمره ذكر ان يده لمست يدها وكتفه كتفها وسمع صوتها الرخيم يناديه بكلمات لطيفة ويوبخه توبيخ المحب · وعيناها البراقتان الساحرتان تبث الكهربائية في نفسه وفي كل جسمه فطار صوابه لانه احزنها وتركها على حين فجأة وراح في سبيله دون ان يعبأ بها او يلتفت اليها · ولماذا كل ذلك · الا انها تحب ايزيدوردي شارني ومن يعلم اذا كانت تحبه حباً حقيقياً · ربما انها شغفت بغنى هذا الشاب وشرف مقامه فمالت اليه ميلاً بسيطاً فقط · فهل يستوجب الميل البسيط ان يسخط بيتو هذا السخط على كاترين · ومن يعلم اذا كان شارني لا يسافر في مدة قريبة الى باريز حيث يتزوج بفتاة من العيال الشريفة فتنساه كاترين وينساها

فاستنتج بيتو من كل ذلك انه سلك مع كاترين مسلكاً في غير موضعه وانه يجب عليه ان يعوض ما فاته

ولو كان بيتو شاباً فاسد الاخلاق لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتظهر الحب لي خوفاً مني فانا اجاريها في حبها واضحك منها كما تضحك مني

ولو كان شاباً قاسياً جامد القلب لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتظهر الحب لي خوفاً مني فانا لا بد لي ان انتقم منها · ولذلك فاني اخيفها واكشف امرها واجعل لها طريق الحرش التي تسير فيها الى حبيبها مملوءة شوكاً وحسكاً

ولكن بيتو كان ذا طبيعة كريمة وقلب طاهر فكان لا يظن السوء باحد ولا يريد الشر لاحد · ولذلك رأى من واجباته بعد كل ما جرى ان يسترضي كاترين ويحسن مجاملتها بدل مخاشنتها والاساءة اليها

وتوصلاً لذلك ينبغي اولاً الوصول الى كاترين

وكان قد انقضى على كاترين اكثر من ثلاث ساعات منذ فارقها بيتو · على ان بيتو كان نشوان من حبه وخمره كما تقدم فلم يفطن لذلك · بل نهض في الحال عن كرسيه وخرج مسرعاً قاصداً الحرش ثم اطلق ساقيه للريح شاخصاً الى مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها في ظلمة ذلك الليل ويطرد بها الحيوانات عنه

فلندعه سائراً بخطاه الواسعة التي نعرفها نحو كاترين ولنعد الى هذه الابنة

فان كاترين سارت وراء امها بعد مفارقة بيتو وهي تضرب اخماساً لاسداس وفي

يدها عنان جوادها وكانت تعيد في نفسها الحديث الذي دار بينها وبين بيتو لترى اذا كان يفهم منه شيء مما تريد فهمه

وما زالت الام وابنتها سائرتين نحو المزرعة حتى وصلتا الى مستنقع قريب منها. وكانت الام متقدمة والابنة متاخرة فمرت الام اولاً ولما اتت نوبة كاترين في المرور سمعت في الظلام حركة خفيفة بازائها فالتفتت فسمعت صفيرًا خفيفًا جدًا فوقفت اما الام فبقيت سائرة اذ لم تسمع شيئًا

وما وقفت كاترين حتى تقدم منها رجل مسرعًا فوقفت له كاترين غير هيابة كأنها اعتادت ان تراه . اما الرجل فدنا من جوادها وهمس قائلاً مولاتي ان مولاي ايزيدور يرجوك ان تنتظر يه في هذا المكان

فعرفت كاترين ان الرجل خادم ايزيدور دي شارني ولكنها عجبت من طلبه مقابلتها في تلك الساعة. وتساءلت في نفسها ما سبب هذه المقابلة. هل ذلك للاجتماع بها ومحادثتها كلا . لانه كان يطلب منها ذلك على الاقل بصورة الطف من هذه الصورة . فماذا جرى له اذًا . وما هذا الشان الجديد

كذا كانت تفتكر كاترين حين ابلاغ الرسول هذه الرسالة اليها. ثم انها اجابته بانها تعود هذه الليلة الى ذلك المكان ثم سارت في طريقها

ولما وصلت مع امها الى المزرعة تعشتا بعد الاستراحة مدة وجيزة ثم دخلت الام الى غرفتها لتنام . فدخلت الابنة الى غرفتها ايضًا

فخلعت الام ملابسها واما كاترين فاستلقت على فراشها من غير ان تخلع ملابسها وبقيت تنتظر

وبعد هنيهة دقت الساعة العاشرة . فتقلبت كاترين في فراشها وبقيت تنتظر ايضًا . ثم دقت الساعة العاشرة ونصف ثم الحادية عشرة فنهضت كاترين بتأنٍ ونزلت الى غرفة الطعام

وكانت غرفة الطعام مشرفة على الشارع وفيها نافذة تؤدي اليه ففتحت كاترين هذه النافذة وخرجت منها الى الشارع ثم ابقتها مفتوحة لتتمكن من الرجوع منها

ولما اصبحت في الشارع سارت ركضًا الى المكان الذي وعدت بانها تكون فيها . وكان قلبها يخفق خفقانًا شديدًا والنار تتاجج في دماغها لخروجها من بيتها في مثل تلك الساعة وعلى هذا الوجه. وماوصلت الى المكان المذكور حتى كان الاضطراب قداخذ منها كل ماخذ

فوقفت تحت شجرة هناك تنتظر مرتجفة ويداها واحدة على راسها والاخرى على قلبها

ولكنها لم تنتظر وقتاً طويلاً · فانها ما لبثت بعد بضع دقائق ان سمعت وقع حوافر خيل قادمة · وبعد دقيقة ابصرت ايزيدور دي شارني واقفاً قريباً منها

فمد لها الفتى ذراعيه من غير ان ينزل عن جواده واخذ راسها بين يديه قائلاً · كاترين ان اخي يستدعيني الى فرساليا

ولكن كاترين ما سمعت هذا الكلام حتى شهقت وخنقت صوتاً كاد يخرج من صدرها ثم قالت بل ابقَ ابقَ لا تسافر

فقال الفتى · كاترين لقد قتلوا اخي جورج ولذلك طلب مني اخي الذي هو اكبر سناً مني ان اسافر لناخذ له بالثار · فقالت كاترين وراسها بين يديه مستند الى راسه · بل ابقَ ابقَ رحماك لا تسافر فتقتلني · فقال وما العمل بالشرف يا كاترين فانه يجب ان ننتقم · فصاحت كاترين بهذه الكلمة · يا لتعاستي · ثم سقطت بين ذراعيه · فانحنى ايزيدور عليها فشعرت كاترين بدمعة سقطت على وجهها · فالتفتت اليه وقالت · شكراً لك يا ايزيدور فانني علمت الآن من بكائك انك تحبني · فقال الشاب · القبلة الاخيرة يا كاترين · ثم انحنى على وجنتيها فقبلها بشفتين ملتهبتين وقلب محترق · فلما رات الفتاة انه لا مناص من هذا السفر خانتها قواها كلها فاغمي عليها وسقطت على الارض من بين ذراعيه

وكان ايزيدور يخشى ان لا يقدر على السفر بسبب كاترين مع ان واجباته توجبه عليه ولذلك فانه حين انفصل عنها وانفصلت عنه تزود نظرة منها واعمل المهماز في شاكلة الجواد فسار به الجواد بسرعة البرق الخاطف ووراءه خادمه فبقيت كاترين المسكينة ملقاة على الارض بلا حراك

ولكن لم يغب هذان الفارسان وراء حجب الظلام حتى ظهر رجل ماشٍ بخطى واسعة وهو يقصد مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها · وكان هذا الرجل يبثو نفسه يمشي وهو مطمئن البال · غير انه ماوصل الى مكان الملتقى حتى عثر بشيء كان في وسط الطريق فسقط ممدداً على الارض · وفي سقوطه شعر بوجود جثة انسان وهي التي عثر بها فدنا من وجه الجثة وحينئذٍ اقشعر جلده وارتعدت فرائصه فصاح ملء فمه — كاترين هل ماتت كاترين

ثم صرخ صرخة سمعتها كلاب المزرعة وجاوبتها بالعواء واخذ يدور حول الجثة و يقول كاترين ميتة يالله من قتل كاترين

قال هذا ثم اخذ تلك الجثة الباردة الجامدة بين ذراعيه وجلس بهما على حجر هناك وهو دامع العين مصفر الوجه يندب ويقول . آه يا كاترين

تمت رواية « نهضة الاسد » وتليها رواية
« وثبة الاسد » وهي تابعة لها



الجامعة

الجزء الثامن — السنة الثانية

الاسكندرية نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٠ — رجب سنة ١٣١٨



بوذه الحكيم

وهو جالس تحت الشجرة يتأمل ويتفكر ليكتسب الروح وقد آلى على نفسه ان لا ينهض قبل ان يكتسبها ولو يبست جثته · وهذا الرسم وجد على هذا الشكل في اثار الهند · الشجرة فوق بوذه وتحته البساط الاخضر

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الحكيم بوذه الهندي الشهير

صاحب الشريعة البوذية

قال الفيلسوف تولستوي · « اليس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقاً جديداً » · وقال العلامة مكس مولر « لو لم يكن بوذه انساناً لقلنا انه اله » · وقال المؤرخ رنان « انني اذا بحثت في شوونك يا بوذه دنوت منك باحترام ورهبة كالاحترام والرهبة الواجبين للآلهة »

لم نلقَ احداً من قراء الجامعة بعد صدور الجزء الماضي الا وذكر لنا مقالة تولستوي التي نشرناها في صدر ذلك الجزء واطنب في الثناء عليها · وفي الحقيقة ان تلك المقالة قد شغلت حيزاً ما كنا نتوقعه لها والفضل في ذلك للموضوع نفسه لانه موضوع جديد بالاضافة الى عصرنا

وقد خطر لنا بعد هذه المقالة ان نردفها باربع مقالات ذات علاقة بها من حيث الفلسفة الدينية وذلك لما رايناه من ميل العقول الى هذه المباحث الخطيرة التي تهم كل انسان وتشغل فكر كل ناطق · وسنودع المقالة الاولى تاريخ بوذه الفيلسوف الهندي الكبير صاحب الشريعة البوذية والثانية تاريخ صاحب الشريعة الموسوية والثالثة تاريخ حياة المسيح كما يكتبها اللاهوتيون وكما يكتبها العلماء والرابعة تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية ونحن نكتب من هذه المقالات المقالة الاولى عن بوذه الحكيم ونعهد بالمقالات الاخرى الى ثلاثة من افاضل الكتاب الذين نعهد فيهم العلم والمقدرة وخصوصاً النزاهة والاعتدال فضلاً عن التضلع من الموضوع الذي نطلب منهم الكتابة فيه · ولا ريب عندنا ان القراء سيقرأون هذه المقالات الاربع الفريدة في هذا الموضوع الفريد بارتياح عظيم

ونبدأ الآن بكتابة ترجمة بوذه · ولكن يجدر قبل الشروع في ذلك ان ننبه القراء اننا نسرد تاريخ بوذه كما يقصه البوذيون انفسهم اي بما فيه من الخوارق والمعجزات · ولا نجرده منها

حرصاً على رونقه واطلاعاً على تقاليد البوذيين · فنقول

***

﴿ ولادة بوذه وصباه ﴾ ولد بوذه على الارجح بين سنة ٦٢٣ و٥٤٢ قبل الميلاد المسيحي في حديقة « لومبنت » قرب « كابيلافستو » عاصمة مملكة سكيا الصغيرة في شمالي الهند على سفح جبال حملايا · اما ابوه فهو سودودانا ملك تلك البلاد واما امه فهي مايا دفي وقد ماتت بعد ولادته بسبعة ايام · واما طريقة ولادته فهي خروجه من خاصرتها اليمنى دون ان تنجرح او تصاب بالم وكان قد دخل في بطنها من هذه الخاصرة منذ عشرة اشهر قبل الولادة بهيئة فيل ابيض صغير · وقد حضر ولادته الاله برهما وايندرا · ولما نزل من بطن امه خطا بضع خطوات في الجهات الاربع معلناً بذلك انه جاء لهذا العالم ليفني المرض والشيخوخة والموت · وقد ولد ساعة ولادته اربعة من ابناء الملوك · وسماه ابوه من فرحه به « سرفارتاسيد دا » اي (بلوغ كل الامال)

وقد ربته عمته « براجاباتي » اخت امه التي كانت زوجة لابيه ايضاً فوجدت في جسمه العلامات التي تدل على انه سيكون رجلاً عظيماً يمتلك ناصية الحكمة ويتسلط تسلطاً عاماً وهذه العلامات هي ٣٢ علامة اصلية و٨٠ علامة فرعية

وقد اظهر بوذه منذ صغره نباهة وذكاء غريبين في كل الرياضات العقليــة والجسدية حتى انه كان يعلم مقدماً كل ما يريدون تعليمه اياه · ويروون من ذلك ان معلم المدرسة اراد يوماً ان يعلم بوذه طريقة الكتابة فسبقه بوذه وشرح له اصول ٦٤ نوعاً من انواع الكتابة الهندية وغير الهندية مما لم يسمع ذلك المعلم به قبلاً فلبث لدى ذلك الفتى مبهوتاً مدهوشاً · وكان مع سنه يعمد الى رياضات عقلية وجسدية تدلُّ على ان في جسمه نفس رجل فوق البشر · ويروي الهنود انه لما كان بوذه يروض عقله تحت الشجرة بالتامل الشديد كان ظلها لا يفارقه وقاية له · وكان شائعاً لدى الهنود ان التامل تحت الاشجار يُكسب الحكمة

***

﴿ نفس لا تعبأ بشؤون هذا العالم ﴾ وقد اشتهر بوذه منذ صباه بشؤون عظيمة وذلك مما كان يساعده على بلوغ اعلى مراتب المجد لو اراد ولكنه كان يشعر منذ صغره بانقباض شديد في نفسه لا يعرف له سبباً وبحزن دائم مستمر لا يذهب به شيء فكان اهله يباغتونه في الحديقة تحت الاشجار مبهوتاً غائصاً في الافكار والتاملات غير شاعر بشيء من العناصر التي حوله · فيسألونه ما بك ياغوتاما لان اسمه الحقيقي هو غوتاما لا بوذه

كما سيرد معنا · فلا يجيبهم بكلمة بل يكون جوابه احيانًا دمعة تنحدر من عينيه وتنهد يخرج من صدره · فيتساءل اهله ما سبب هذا الانقباض · وما الطريقة لازالته

ولما اشتدت عليه هذه الحالة ارادوا ان يشغلوا عقله بالزواج خوفًا على حياته فازوجوه بالفتاة « كوبه » ابنة « سكيادندباني » ظنًا منهم ان فكره ينصرف عن التامل · ومنهم من يقول انه لم يتزوج بواحدة بل باربعة · ومنهم من يرى ان عدد نسائه بلغ ٨٠ الف امرأة · ولكن المحققين على انه لم يتزوج الا امراة واحدة

وبقي بوذه بعد الزواج كما كان قبله منقبضًا حزينًا يحلو له التامل والافتكار في معزل عن جميع الناس اكثر من كل شيء · ومما زاد الطين بلة ان امراته لم تلد له ولدًا ليشتغل به الا بعد انقضاء عشر سنوات على زواجها فانها وضعت حينئذٍ غلامًا فحزن بوذه لذلك حزنًا شديدًا لانه كان يفكر في ذلك الوقت في قطع ما له من العلائق والصلات بالهيئة الاجتماعية وهذا الولد يزيد ويقوي صلاته بها · ومنهم من يقول ان امراة بوذه لم تلد الغلام الا بعد انقضاء ست سنوات على هجر بوذه لها فذهب بعضهم الى ان الولد احدى كرامات بوذه بقي في جوف امه وخرج حينما اراد · وغيره عيرها بانه من غير بوذه فاستشاطت غيظًا وتناولت حجرًا وربطت الغلام به ثم اجلسته عليه والقته مع الحجر في النهر قائلة ان الولد اذا كان ابن بوذه فانه يطفو هو والحجر على وجه الماء واذا لم يكن بابنه فانه يغرق · فطفا الولد والحجر على الماء دلالة على انه من بوذه · ولكن الامر الذي لا خلاف فيه ان بوذه كان غير راض كل الرضى عن سيرة زوجته وكان يشك فيها

***

❋ المشاهدات الاربع التي جعلته يترك العالم ❋ على ان ارتياب بوذه في امراته وعدم راحته في معيشته العائلية لم يكونا السبب في قطعه علائقه مع الهيئة الاجتماعية بل ان التقاليد البوذية تجعل السبب في ذلك المشاهدات الاربع التي رآها · وبيان ذلك ان اهله رغبة في ازالة انقباضه وحزنه اللذين مرَّ ذكرهما قد اتخذوا كل الوسائل لمنعه من رؤية ما يثير الانقباض في نفسه كالمناظر المحزنة والحوادث المكدرة · ففي ذات يوم خرج بوذه من قصر ابيه للتنزه في مركبة · فمن سوء حظه او من حسن حظه وجد في طريقه شيخًا احنت الايام ظهره · والبوذيون يقولون ان الآلهة هي التي جعلت ذلك الشيخ في طريقه ليؤثر فيه · فلما رأى بوذه عذاب الشيخ الوى عنان الجواد وعاد الى القصر من حيث اتى واخذ يندب حظ البشر ويرثي الشيوخ لما يعانونه من العذاب · هذا هو المشهد الاول ·

وفي المرة الثانية خرج فجعلت الآلهة في طريقه مريضاً . فعاد في الحال منقبضاً واخذ يندب المرضى ويرثي لحالهم . وفي المرة الثالثه خرج فصادف جنازة فثارت نفسه كلهافعاد وفيها مرارة الموت . وبعد ايام خرج فجعلت الآلهة في طريقه ناسكاً فلما شاهده بوذه رأى في وجهه هدوء الراحة ونعيم البال وسكون الضمير خلافاً للمشاهد الثلاثة الاولى فعزم منذ هذه الساعة ان يترك العالم ويطلب هذه الراحة التي شام برقها في وجه ذلك الناسك

فقصد اباه وطلب منه ان يأذن له باعتزال البشر والتنسك في البرية فرفض ابوه ذلك رفضاً قطعياً فعزم بوذه حينئذٍ على الفرار من القصر لبلوغ امنيته

***

﴿ بداية اعتزاله العالم ﴾ وكان اذ ذاك في التاسعة والعشرين من العمر . ففي احدى الليالي شد جواده « كنتا » الى مركبته ثم ركبها وخرج سراً من القصر . وقد ساعدته الآلهة فانامت الحراس وفتحت له الابواب بايديها فخرج بوذه فلقي في طريقه صياداً فاعطاه ملابسه الملوكية واخذ ملابس الصياد وهي من نسيج ثخين ذي لون احمر يشوبه اصفرار . فلبسها ثم تناول سيفه فقص به شعره وراح طريداً على وجهه ينشد الحقيقة التي ما كان يجدها

فمنذ هذا الحين اصبح يُدعى سكياموني « اي ناسك سكيا » وهو اللقب الذي كان يُعرف به . وما زال سائراً وحيداً شريداً حتى بلغ مدينة « فايسالي » التي كان يعلم فيها العالم الهندي آراتا كالاما فتتلمذ بوذه له مدة وجيزة ولكنه ما لبث ان ادرك نقص فلسفته ففارقه وقصد « رادجا كريها » عاصمة « مكادا » فدرى به ملكها « بمبيساره » احد الملوك الاربعة الذين ولدوا يوم ولادته فعرض عليه ان يشاركه في ملكه فرفض بوذه ذلك واعتزل الناس في الجبال المجاورة وما كان ينزل منها الا لحضور الدروس التي كان يلقيها العالم " رودراكا " ابن " راما " . ولكنه بعد قليل راى نقص فلسفة هذا الرجل كما راى نقص فلسفة " اراتا كالاما " فهجره وسار الى جهات ففراء في جبل كايا واقام فيها

***

﴿ بدء قهره النفس واكتسابه الروح ﴾ وهنا يبدأ تنسكه الصحيح . فانه لزم هذا المكان ست سنوات مروضاً نفسه فيها على كل اسباب القهر والامتناع توصلاً الى الحقيقة . وقد اخذ يمتنع عن الاكل بالتدريج حتى صار لا ياكل الا قبضة صغيرة من الارز في النهار . والبوذيون يقولون انه صار لا ياكل الاحبة ارز واحدة كأن حبة الارز يمكنها ان

تشغل في المعدة حيزًا . وكان يعوّد نفسه على قطع النفس وغير ذلك من المشاق وما زال على هذه المعيشة الهائلة حتى اصبح عجيفاً ضعيفاً لا همة له ولا عزيمة كأنه هيكل عظام او خيال في رمة . فعلم بوذه انه تاه عن طريق الحقيقة وان قهر النفس لا يوصل اليها فعزم على العدول عن هذه المعيشة

وكان سكان تلك النواحي ينظرون اليه من بعيد فيضحكون منه و يستهزئون به بمثل قولهم ان ناسك كايا اليوم اسود الوجه . ان ناسك كايا اليوم يشبه سمك ماد كورا . وهلمَّ جرًا . وكان معه في منسكه في الجبل خمسة رفاق فطلب منهم ذات يوم ان ينزلوا معه من الجبل الى القرى فصحبوه فلما وصلوا الى قرية هناك قدمت بنت قروي الى بوذه طعاماً من اللبن والعسل فاكله بوذه بارتياح ولذة بعد ذلك الامتناع الطويل عن الطيبات . فلما راى رفاقه ذلك منه غضبوا وهجروه قائلين انه شره نهم يحب بطنه . اما بوذه فعادت اليه قواه بعد هذا الطعام فاستحم في النهر فاصبح قوياً كما كان قبل اقدامه على قهره نفسه ذلك القهر الذي هو افظع من طرق القتل

ومنذ هذا الحين اخذ يعيش عيشاً وسطاً بين معيشته الملوكية الاولى التي تحط النفس برخائها ومعيشته القهرية الثانية التي تضعف النفس وتقتلها . فاختار مكاناً صالحاً للتامل والافتكار وذلك تحت شجرة من التين الهندي لان الانسان لا يبلغ الكمال الا تحت ظل شجرة كهذه الشجرة . وهناك كان يقيم الليل والنهار متاملاً في امور هذه المعيشة باحثاً عن الحقيقة التي هي روح بوذه وروح بوذه التي هي الحقيقة . وكان لا يلبس يومئذ من لباس غير كفن من اكفان الاموات التقطه من احدى المقابر . وقد جعل تحته في ظل هذه الشجرة بساطاً من الخضرة وجلس عليه بعد ان اقسم انه لا يبرح مكانه الا متى اكتسب الروح ولو يبست جثته وجمد دمه (انظر الرسم في صدر الجزء)

فبدا هنا العراك بينه وبين العناصر الشريرة . فانه كما ان الالهة كانت تمهد له كل سبيل لبلوغ الحقيقة وتعليمها للناس كانت العناصر الشريرة تكره ذلك وتسعى في منعه من بلوغها . فجاءه « مارا » الشرير الاعظم وحاول تشتيت فكره وافقاده صبره باثارة العناصر ضده فبعث اليه المطر والزوابع والانواء فبقي بوذه مع ذلك جامداً كالصنم تحت تلك الشجرة فوق بساطه السندسي . فلما راى الشرير ان الشدة لم تجدِ نفعاً عمد الى الطرق الجميلة اللينة فارسل الى بوذه بناته الثلاث الجميلات ليستهوينه اليهن بحركاتهن الفتانة وجمالهن الساحر وكلامهن المسكر . فجئنه في الليل ولم يدخرن وسعاً في استمالته فبقي بوذه مع ذلك جامداً

معرضاً عنهن غير عابئ بهن . فلما انقضت هذه التجربة الهائلة وخرج بوذه منها فائزاً انفتحت امامه مغاليق الحقيقة وحينئذ بلغ الروح الذي كان يطلبه واصبح « بوذه » فصار عالماً بالامور التالية (١) معرفة الحوادث والمخلوقات الماضية (٢) مقدرته على ازالة كل فكر ردئ يجول في نفسه (٣) المعرفة التامة بكل شؤون الالوهية (٤) معرفة الاسباب الاثنى عشر وارتباطها بعضها ببعض (٥) العلم الكامل واقسامه الثلاثة . اي انه اوحي اليه بهذه الامور بعد طول تفتيشه عنها وتفكيره فيها واجتياز الطريق الوعرة الشاقة الموصلة اليها

ويقول انصار بوذه في الهند ان المكان الذي اكتسب فيه بوذه « الروح العلوية » لا يزال معروفاً والشجرة التي اخذ الروح تحتها لا تزال موجودة غير انها محاطة مع ذلك المكان بحاجز حفظاً لها . و يوجد تحتها احجار فيها كتابات منقوشة تدل على ان هذا المكان كان مزاراً عظيماً وكان الهنود يقصدونه من كل جانب

***

﴿ بدء تعاليمه ﴾ ولما اصبح سكيموني « بوذه » اقام سبعة اسابيع في ذلك المكان وعلى ضفات الانهار والبحيرات متردداً . وكان عمره اذ ذاك ٣٥ سنة . وقد اصبح لا يأكل ولا يشرب لان الالهة كانت تدخل الطعام الى جوفه بطرق سرية غير ان تردده وحذره لم يطولا فان الاله برهما نزل من السماء بنفسه وشدد عزيمته وقوى قلبه على اتمام عمله فتشدد وتقوى وعزم على الدعوة وتعليم الحقيقة التي اكتشفها

فسال اولاً عن العالمين اللذين سمع دروسهما فقيل له انهما ماتا . فسال عن الرفاق الخمسة الذين كانوا معه في بدء معيشته الزهدية فقالوا له انهم سافروا الى بيناريس فلحق بوذه بهم ليبدأ بتعليمهم وتلمذتهم . فلما علموا بمجيئه تواطئوا على ان يستقبلوه باحتقار و يعيروه بانه نهم شره . على انه ما دنا منهم حتى قاموا له اجلالاً لهيبته بالرغم عنهم فخطب بوذه فيهم خطبته الاولى التي يسمونها « الخطبة الاساسية » او الاصلية لانها اساس فلسفته . وهي مبنية على الامور التالية

***

﴿ فلسفته ﴾ وهذه الامور اربعة وهي قاعدة فلسفته كلها وهي . (١) وجود الالم (٢) سبب وجود الالم (٣) ازالة هذا السبب (٤) الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة سبب الالم . وهم يسمون هذه القواعد الاربع " القواعد التي بها يدار دولاب العالم " وغيرهم قال بل يسمونها " القواعد التي بها تنشأ مملكة العدل " وهذه التسمية ابلغ واجمل

وتوصلاً لفهم هذه الفلسفة يجب ان تعرف فروعها قبلاً . واليك بيان هذه الفروع

يرى بوذه وانصاره ان العالم كان من قبل لا شيء فخلقه الاله « كارما » لا « برهما » كما يظن بعضهم . وكارما هذا هو اله الجهالة . « فالجهالة » اذاً هي التي خلقت العالم

وقد خلقت « الجهالة » العالم وجعلت للناس مقدرة على الوصول الى المعرفة . ولكنها جعلت الطريق اليها صعبة فان الانسان يتكرر وجوده في مخلوقات عديدة من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل وهو ما يُعرف بالتقمص . فاليوم يكون انساناً وغداً فيلاً وبعد غد كلباً ثم نمراً ففاراً وهلم جراً . وقد يعود انساناً

ولكن لماذا هذا التقمص . الجواب انه عقاب على ما يفعله الانسان في حياته من الشرور . ولا يجوز له ان يستريح الا متى صار « بوذه » اي اكتسب الروح العلوية البوذية بحكمته وقوة ارادته . وكيف تكون راحته . راحته ان يعود الى العدم الذي خرج منه فلا يتقمص ولا يعود موجوداً

ولكن ما هو هذا العدم . هل هو التلاشي . كلا لان الكائن الصالح لا يتلاشى . هل هو الوجود . كلا لان الوجود يجب ان يكون محدوداً محصوراً . فما هو اذاً . لا يعلم ذلك احد . وهذا سبب من اسباب النزاع والخلاف بين انصار البوذية

فيؤخذ من ذلك ان الوجود الم والراحة هي في السكون وعدم التقمص اي في عدم الوجود في العالم . فمداواة ذلك الالم اذاً عبارة عن طلب الراحة اي ترك الوجود والدخول في العدم وهنا نلتقي بالقواعد الاربعة التي هي اساس فلسفة بوذه وقاعدتها ازالة اسباب الالم بتعلم الحكمة وممارسة انواع الفضائل

***

﴿ آدابه ﴾ وهذه الفضائل عنده نوعان سلبية وايجابية . وكل نوع منهما عدده عشرة لانه كان لديهم على ما يظهر لعدد العشرة معنى خاص

اما الفضائل السلبية العشر او الوصايا العشر فهي : (في دائرة العمل) اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزن (في دائرة القول) رابعاً لا تكذب خامساً لا تنمّ سادساً لا تهن احداً سابعاً لا تنطق بكلام لغو فارغ (في دائرة الفكر) ثامناً لا تبغض تاسعاً لا تشته مال الغير عاشراً لا تخطىء في العقيدة

وبعضهم يرى لهذه الفضائل عدداً آخر وهو اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزن رابعاً لا تكذب خامساً لا تشرب شراباً مسكراً سادساً لا تاكل طعاماً محرماً سابعاً لا ترقص

ولا تنشد ولا تحضر موسيقى ولا ملاهي ثامناً لا تستعمل اكاليل الازهار والطيوب تاسعاً لا تنم على فراش عالية وعريضة عاشراً لا تقبل ذهباً ولا فضة

واما الفضائل الايجابية فهذا نصها

اولاً تصدق ثانياً كن حسن الادب ثالثاً كن صبوراً رابعاً كن نشيطاً خامساً كن عاملاً سادساً كن حكيماً سابعاً اختطَّ لك خطة تجري عليها ثامناً انذر النذور تاسعاً كن قوياً عاشراً كن عالماً

فهذه الفضائل السلبية والايجابية اذا عمل بها الانسان ازال الم وجوده وكفى نفسه عناء التقمص فاصبح « بوذه » اي دخل الى مملكة الراحة مملكة العدم وبقي فيها الى الابد

***

﴿ انتشار دعوته ﴾ وبعد انضمام الرفاق الخمسة في بيناريس الى بوذه وتتلمذهم له سافر بوذه من بيناريس الى « اوروفيلفا » قرب جبل (كايا) ليتلمذ ثلاثة من النساك هناك ولهم الف تلميذ . فلقيهم في الجبل وخطب فيهم خطبة يسمونها (نار الشهوات) وهي ابلغ ما قاله حتى سماها العلماء (خطبته على الجبل) وبعد ظفره بهم سافر الى (راجا كريها) فدخل اليها باحتفال عظيم ونزل الاله (اندره) ومشى في ذلك الموكب امامه . فوهبه ملك (راجا كريها) حرشاً ليتخذه مقاماً له ولتلامذته . وفي راجا كريها هذه تلمذ بوذه له اخص تلامذته وهما « ساريبوتره » التلميذ الذي يجلس عن يمينه وهو مشهور الحكمة « ومودجالبانا » التلميذ الذي يجلس عن يساره وهو مشهور بالمهارة وصنع الغرائب

وكانت سمعته قد انتشرت في الهند كلها وطار صيته في كل ناحية منها . فبعث اليه ابوه الملك يسأله ان يزوره والح في هذا الطلب فعزم بوذه على ذلك مشترطاً ان لا ينزل في قصر الملك ابيه لانه لا يدخل القصور . فجرى له يومئذٍ في « كابيلفستو » مسقط راسه استقبال عظيم بلغ مبلغ الجنون . وقام جميع السكان في مملكة ابيه يطلبون ترك العالم ليتبعوه وكان في مقدمتهم الملك ابو بوذه فانه تنازل في الحال عن ملكه لما رآه من ان مجد ابنه الطبيعي البسيط قد كسف مجده . وحينئذٍ ارتفع صراخ النساء الهنديات من كل جانب لان ازواجهن واولادهن واخوتهن كانوا يهجرونهن افواجاً افواجاً ويتبعون بوذه الحكيم . فاضطر بوذه الى المداخلة وقرر عدداً معلوماً لكل عائلة لا يتجاوزه الذين يريدون ان يتبعوه منها . وقد غارت النساء من الرجال فجاءته عمته « كوتامي » وطلبت منه ان ينشيء جمعية مثل جمعيته للنساء فرفض اولاً ثم رضي بناء على الحاحها والحاح النساء

والّف لهنّ جمعية كجمعيته وجعل ادارتها لعمته مع ابقاء الرئاسة العليا له

***

﴿ اخلاقه وطريقة معيشته وسبب انتشار دعوته ﴾ وكان لانتشار دعوته هذا الانتشار العظيم في وقت قريب عدة اسباب . اولها ان نفوس الهنود كانت مستعدة لتلك التعاليم الجديدة التي جاء بها . فان الشعب الهندي كان تعيساً فقيرًا مثقلاً باعباء الحياة وكان مذهب بوذه بمثابة انزال حمل الشعب عن ظهره. لانه الى ايّ شيء كان يدعوهم ؟ كان يدعوهم الى ترك كل شيء والمعيشة في الجبال والاحراش من غير اقتناء ذهب ولا فضة ولا الاعتداء على احد وتلك معيشة طيبة ولا سيما للنفوس الضعيفة الشديدة التأثر . وفضلاً عن ذلك فان اخلاق بوذه كانت تسحر تلامذته سحرًا مبينًا . فان البشر لم يروا الى ذلك العهد رجلاً صبورًا لطيفًا حكيمًا كارهاً للشر محبًا للخير مثل ذلك الرجل . وكان يعلمهم اذا ضربكم احد فلا تلتفتوا اليه . اذا وجدتم غريقًا في نهر فالقوا انفسكم وانقذوه وان غرقتم . اذا اهانوكم فانفضوا ملابسكم تذهب الاهانة عنكم ولا تعبئوا بكلام الناس . وغير ذلك من المبادىء التي فعل بوذه بقوتها — لا بقوته — ما فعل من فتح العالم ونشر مذهبه فيه وحمل الناس على عبادته

وكانت معيشته اليومية كما ياتي . ينهض في صباح كل يوم باكرًا فيرتدي بردائه البسيط ويتناول وعاء الشحاذة ثم يذهب في المدينة من باب الى باب طالبًا قوته ورافضاً كل ما يُعطاه من الذهب والفضة . وكذلك كان يفعل تلامذته . ولما يعود الى مكانه في الحرش او الجبل يتناول في الظهر طعامه وهو الطعام الوحيد الذي ياكله في اليوم ثم يجلس للتامل والافتكار او للتعليم والوعظ

فهذه المعيشة البسيطة مع ما ذكرناه من اخلاق بوذه وحكمته استمالت الوف الشعب اليه وغلبت مذهبه على كل المذاهب التي كانت شائعة في الهند في ذلك الزمان

***

﴿ عدد البوذيين في العالم ﴾ وبقي بوذه يعظ الناس ويعلمهم ٤٥ سنة فعلا اسمه على كل اسم وصار الرجل الاعظم في هذا الوجود . وبعد موته انتشر مذهبه الى ما وراء الهند فتغلب على اديان الصين ومنشوريا وثيبة ومنغوليا واليابان وكوريا وسيلان وانام وغيرها من البلاد الواسعة حتى بلغ عدد المتدينين به نحوًا من ٥٠٠ مليون نفس . وهي موزعة الآن كما يلي في سيلان ١٥٢٠٥٧٥ بوذيًا وبرمانيا ٥٤٤٧٨٣١ وسيام ١٠ ملايين وانام ١٢ مليونًا

والهند الاصلية (دجاينس) ٤٨٥ الفاً وهولانده ٥٠ الفاً والهند الانكليزية ٥٠٠ الف وآسيا روسيا ٦٠٠ الف وجزائر ليوكيو مليون وكوريا ٨ ملايين وبوتانيا وسيكيميا مليون وكشمير ٢٠٠ الف وثيبة ٦ ملايين ومونغوليا مليونان ومنشوريا ٣ملايين واليابان ٣٢٧٩٤٨٩٧ ونابال ٥٠٠ الف والصين ٤١٤٦٨٦٩٩٤ فالمجموع في كل الجهات ٤٩٩ مليوناً و٧٨٥ الفاً و٢٩٧ بوذياً

وغني عن البيان ان المذهب البوذي لم يعد كما وضعه بوذه في الاصل بل قد تغير في كل مكان دخل اليه تبعاً لاخلاق سكانه وعاداتهم · واي دين بقي كما شرعه شارعه· مثال ذلك اهل الصين · فان هؤلاء البشر قد افسدوا الدين البوذي لانهم جعلوه دين فساد بعدان كان دين صلاح كما رايت · واذا قلنا دين صلاح فانما نقول ذلك بصرف النظر عن الاجتماع لان الاجتماع ودين بوذه نقيضان لا يجتمعان · وقد اتخذ اعداء بوذه هذا الامر حجة عليه فكانوا يقاومونه بقولهم ان مذهبك يخرب العالم فكأنه كان يجيبهم « وهل نحن عقدنا ميثاقاً مع العالم على ان نبقيه عامراً وما هذا العمار اذا كان الشقاء العظيم من نتائجه »

***

﴿ وفاته ﴾ وقد بلغ بوذه الثمانين من العمر فزاد طول عمره هيبته وكرامته لدى انصاره · وقد صرف من هذه السنين الطويلة ٢٩ سنة في قصر ابيه و٦ سنوات في قهر النفس في البرية والرياضة والتامل و٤٥ سنة في الوعظ والتعليم · ولكنه ابتلي في سنواته الاخيرة بالحزن والاضطهاد الشديد · فان تلميذيه الكبيرين توفيا قبله اي دخلا في « نيرفانا » التي هي مملكة العدم والراحة · ثم تولى مملكة فاكودا ملك لا يميل اليه فاضطهده وطارد انصاره حتى انه قد قتل احدى نساء ابيه لانها اوقدت مصباحاً اكراماً لبوذه · وبعد ذلك كله هاجم ملك كوزالا مملكة مكيا وطن بوذه وخربها ونهبها فكان ذلك حزناً جديداً للحكيم العظيم

وقد توفي بوذه بعد هذا العمر الطويل الذي يعتبره البوذيون احدى العجائب الكثيرة التي صنعها وذلك في مدينة « كوسانا كارا » من اعمال مالاس بين اربعة اشجار فيها · فاعتنى به في فراش موته تلميذه اندا وحده وهكذا طارت في فضاء الهند نسمات تلك الروح العظيمة التي اخذت منها

اما سبب وفاته فهو التخمة لانه اكل لحم خنزير · ولماذا اكل لحم خنزير · الجواب انه اخطأ في يوم من الايام خطأ ما فجعلت الالهة هذا الامر عقابه · ومن الغريب ان

يأكل بوذه في شيخوخته لحم خنزير هو الذي كان يقتصر على قليل من الارز في معيشته ·
ولكن متى وقع القدر عمي البصر

وقد احتفل باحراق جثة بوذه على طريقة الهنود احتفالاً لم يسبق له مثيل في الهند كلها وحزنت الناس والآلهة والطبيعة في ذلك اليوم حزناً شديداً فابرقت السماء وارعدت واظلم الفضاء وكادت تزلزل الارض · وبعد احراق جثته قسم رمادها ثمانية اقسام وجعلت في ثمانية قبور للتبرك بها · وبعد مائتي سنة نبش ملك ازوكا هذه القبور وانشأ ٨٤ الف قبر مثلها ووضع فيها كلها من رماد بوذه وآثاره المحفوظة

والامر الغريب في الهند الآن ان الديانة البوذية قد تلاشت منها تقريباً مع انها مهدها الاول · واما سبب ملاشاتها فهو على الارجح اضطهاد البراهمة لها كما انها نشأت اولاً لمقاومة البراهمة

والاغرب من ذلك ان كثيرين من الباحثين ينكرون ان يكون قد وجد بوذه في العالم ويذهبون الى ان هذا الحكيم خيالي ولكن الصحيح انه وجد اذ اي رجل هندي غيره يقوم ويضع آداباً وفلسفة كالاداب والفلسفة البوذية ولا يرد ذكره في تاريخ الهند

ومما ينسب الى الغرابة ايضاً قولهم ان بوذه كان مسيحياً حتى استطاع ان يعلم تلك الاداب · على ان قولهم هذا بمثابة قول القائلين ان المسيح زار الهند قبل شروعه بالتعليم وكان بوذياً

***

﴿ الخاتمة ﴾ والخلاصة ان عظمة بوذه في ثلاثة امور (١) هجره القصور وتركه زخارف المعيشة الملكية ليعيش ببساطة في البرية ويعلم الحقيقة فيها · وهذا الامر مستصغر من رجل من السوقة ولكنه من ابن الملك امر عظيم · (٢) ان بوذه بادابه السامية ومعيشته الصارمة البسيطة احيى نفوس ملايين من البشر واعطاهم ان لم يكن الروح البوذي الالهي فالروح الادبي الذي مقتضاه طلب الخير البحت المجرد واجتناب الشر من اي نوع كان ولولاه لبقيت تلك النفوس في ظلمات الخشونة والغباوة · فبالروح الادبي ساد بوذه واحيى نصف العالم تقريباً (٣) اننا لا نرى الآن اداب بوذه وفلسفته شيئاً عظيماً لقيام المسيحية والاسلامية بعدها ولكن اذا ذكرنا ان بوذه ابتكر تلك الاداب السامية والفضائل الرائقة لما كان العالم في اقصى درجات الهمجية استحق ان يكون لدينا هذا الحكيم العظيم في اعلى مقام وان كان لم يصل الى التوحيد ووجب ان لا نذكر اسم هذا العامل الذي خدم نصف الانسانية خدمة جليلة الا بالثناء والاحترام فلنطاطئ الرؤوس امام بوذه

باب المقالات

الهيئة الاجتماعية في رومه

في بداية القرن الاول للميلاد (١)

كيفية زينة نساء رومة ووخز الدبابيس · تيوفين الجميلة الفاضلة · اتخاذ العبادة وسيلة للتنزه · أفعى تشهد بفضيلة العذارى · الالاهة ديانا وهيكلها وعبادتها وذبيحتها واختيار كاهنها بالقتل · ملاهي الرومانيين · الشبان المتزلفون للنساء · المرأة في الهيئة الرومانية · مكانة الاولاد واين كانت عواطف الام · فيضلة النساء والطلاق · هل كانت هيئتهم اكثر فسادًا ممن اتى قبلهم او بعدهم · كلمة لسنيكا الحكيم

نقلنا في الجزء السادس عن العالم شلومبرجر وصف الهيئة الاجتماعية في الاستانة في القرن العاشر للميلاد اي منذ ٩٣١ سنة · وقد كان لهذه المقالة وقع حسن لدى القراء فاحببنا ان نردفها بمقالة اخرى في وصف الهيئة الاجتماعية في رومه القديمة في ايام القيصر اغسطس اول امبراطرة الرومان الذي ولد في سنة ٦٣ قبل المسيح وتوفي في سنة ١٤ بعده· وكانت رومه في ايام ملكه الاخيرة قد الفت حكم رجل واحد فسكنت وتركت الفتن والاضطراب والعالم استراح من الحروب الهائلة التي خضبت اصقاعه بالدماء وكل شيء فيه ساكت ساكن كأنه علم بذلك النور الذي انبثق في اورشليم فشغله النظر اليه عن كل شغل او انه كان قد ملّ قديه من الجهد فسكن ولبث ينتظر الجديد

واليك المعيشة الاجتماعية في رومه في ذلك الزمان نعتمد في وصفها على مقالة للعالم المسيو بواسيه السكرتير الدائم للاكادمية الفرنسوية وعلى مقالة اخرى للعالم المسيو كانيان

معيشة الرجال

ينهض السراة عادة من النوم باكرًا عند انبثاق الفجر وينتظرون في منازلهم الاصحاب الذين يفدون لزيارتهم والتسليم عليهم · ثم يذهبون معهم الى الساحة العمومية التي تكون

(١) اي في عهد امبراطرة الرومان الاولين منذ نحو ١٨٩٠ سنة

اغاصة بالناس وفيها القضاة والخطباء · هذا هو اجمال معيشة الرجال

زينة نسائهم ونسائنا

اما نساؤهم فانهن ينهضن في ذلك الوقت ايضاً ويبدأن بالتزين والتحلي وهو عمل شاق وطويل · فان لكل سيدة رومانية اماء يتولين الباسها ملابسها وتزيين وجهها · فواحدة لتنظيف جواهرها او ملابسها وواحدة لاعداد دهانها وروائحها · وثالثة لصنع دواء يحفظ نعومة البشرة وبياضها · ورابعة لترتيب شعرها وذلك برفعه طبقاً للزي الذي كان قد ابتدأ في ذلك الزمان · واخرى لمزج شعرها بشعر مستعار اشقر جميل لما يكون شعرها قصيرًا غير كافٍ · وكانت لهذه الشعور تجارة مخصوصة اذ كان يؤتى بها من جرمانيا وتباع في سوق مخصوصة قرب هيكل هرقل في رومه · وكانت السيدة تتبع حركات نسائها وهي امام المرآة تنظر اعمالهن فاذا اخطأت احداهن زجرتها ووبختها واحياناً تناولت دبوساً ووخزتها به في يدها عقاباً على اهمالها او جهلها · وقد روي ان سيدة كبيرة في عهد الامبراطور " ادريين " ضربت احدى نسائها وهي تزينها ضرباً مبرحاً لانها اخطأت فنفاها الامبراطور من رومه ست سنوات جزاء اعتدائها · اما السيدة " تيوفين " التي ننقل هنا خبرها ونصف معيشتها فانها اكثر ادباً ولذلك فانها كانت تكتفي بتوبيخ نسائها عند الاهمال توبيخاً لطيفاً · فانت ترى فيما مرّ ان نساء رومه في ذلك الزمان لم يكنّ اكثر عقلاً ولا اشد اعتدالاً فيما يختص بالزينة من نسائنا · وكيف تريد ان يكن كذلك · فهل العالم يمشي الى امام ام الى وراء · اليس يجب ان يكون نساؤنا اكثر عقلاً واشد اعتدالاً منهن حتى يقال اننا نتقدم لا نتأخر

المتنزهات وهياكل العبادة

غير ان " تيوفين " مع ادبها واعتدالها كانت في صباح هذا اليوم مستاءة ضجرة ذلك لانه قد حان وقت النزهة ولم تفرغ نساؤها من تزيينها بعد · وقد تعجب من قولنا ان نزهة النساء الرومانيات كانت في الصباح عند اشراق الشمس ولكن يزول عجبك متى علمت ان للنهار الروماني حدّا وهو غياب الشمس · فمتى غابت الشمس سكنت حركات المدينة العظيمة ومن اجل هذا فالتي لا تخرج للنزهة في الصباح فانها قد لا تجد في باقي ساعات النهار ساعة للتنزه والانبساط

ولكن نساء تيوفين ما لبثن ان رفعن ايديهن عنها متنهدات تنهد الفراغ من عملهن ومبتسمات لها ابتسام الاعجاب بجمالها الفتان · فقامت تيوفين مسرعة الى هودجها · وكانت

لها قامة مستقيمة كانها الرمح في اعتداله وارتفاعه ووجه روماني صبوح من تلك الوجوه العظيمة التي جمعت بين قوة الرجال ورقة النساء · فركبت تيوفين هودجها وحولها نساؤها يحادثنها ويثنين على جمالها فحمل هذا الهودج ستة او ثمانية من الارقاء الاقوياء وساروا بسيداتهم الى حيث تجتمع كرائم سيدات رومه

ولم يكن في رومه حدائق عمومية للنزهة كما في عواصم العالم اليوم ولكنه كان فيها شوارع واسعة محفوفة على جوانبها بالاشجار الظليلة الجميلة المصفوفة امام ممرات ومماش منقوشة منمقه وقائمة في ساحة « مارس » على اعمدة رخامية جميلة وفيها كثير من التماثيل البديعة التي اخذتها رومه عن اليونان · ففي هذا المكان كان يجتمع المتنزهون والمتنزهات

وكان للمتنزهين والمتنزهات متنزه ثان وهو هياكل الآلهة · فان النساء كن يذهبن اليها للعبادة والتنزه معاً لان هذه الهياكل كانت ملتقى عاماً · ولكن الهياكل التي كانوا يقصدونها بالاخص هي هياكل الآلهة التي اخذها الرومان عن اليونان لان الحفلات في الهياكل الرومانية كانت خالية من الرونق الذي كان لحفلات الالهة اليونانية · وكانوا يفضلون هيكل ايزيس التي هي ممثلة الشمس فيحتفلون فيه كل يوم حفلتين واحدة في الصباح حين شروق الشمس للتسليم عليها وواحدة في المساء حين غروب الشمس لتوديعها وطلب حمايتها

ومن جملة الامور التي كانت تجعل النساء يفضلن هذا الهيكل على سواه ان كثيرات من النساء كن يقصدنه منبوشات الشعور مكشوفات الصدور ليطلبن بالحاح من « ايزيس امهن المقدسة » ان تحنن عليهن وتنظر اليهن · وغيرهن يحسبن انهن اخطأن اليها فيأتين ليستغفرنها وهناك يقفن امام تمثالها ويعترفن جهراً بصوت قوي بكل ما صنعنه من الخطايا والذنوب · فلا بدع ان يكون هذا المكان مقصوداً

وكانوا يتخذون العبادة وسيلة للتنزه ايضاً خارج المدينة في « لانوفيوم » و « نيميا » حيث يوجد هيكلان واحد « لجونون » (امراة جوبيتير) والثاني « لديانا » الاهة الاحراش · ومما كان يزيد نساء السراة رغبة في الذهاب الى هذين الهيكلين انهن كنّ يستطعن النزهة على طريقهما بالمركبات لان النظام المعروف بنظام « جوليا » قد قضى بمنع المركبات من الجري في اسواق رومه منذ بزوغ الشمس ذلك لان ازقة رومه وشوارعها ضيقة فالمركبات تعيق السير فيها في النهار · وكان الزائرات يقصدن هيكل لانوفيوم للتفرج بمشاهدة افعى مقدسة تشهد للعذارى بالطهر والبكورية اذا كنّ ابكاراً طاهرات

ويقصدن نيميا لان النزهة عند تلك البحيرة في مركبة تجرها جياد الخيل مما ترتاح النفوس اليه فضلاً عن ان كل واحدة من المتنزهات بازاء الحرش هناك كانت تنتظر في تنزهها ان ترى امرًا غريبًا لم تسمع بمثله الاذان

طريقة عبادة ديانا وذبحها

وهذا الامر الغريب نصفه في ما يلي

ان الهيكل الذي كان مخصصًا بديانا الاهة الاحراش كان قائمًا قرب راس بحيرة نيميا الشمالي . وهو مبني على سطح صخري منحوت من صخر عظيم وطوله ٣٠ مترًا . وكان محاطًا بالحرش من كل الجهات وفي هذا الحرش يقيم كاهن الهيكل العظيم . اما الامر الغريب فهو انتخاب هذا الكاهن . وطريقة هذا الانتخاب الحرب والقتال . فان كل رجل بل كل شقي او لص كان يجوز له الدخول الى هذا الحرش بسلاحه ومتى دخل اليه وجب على الكاهن ان يتناول سيفه وينازله فاذا قتله الكاهن امن شره واذا قتل الرجل الداخل الكاهن كان ذلك دليلاً على ان الاهة ديانا غاضبة على كاهنها ولذلك اختارت رجلاً آخر مكانه وجعلته بعد تمكينه منه كاهنًا مكانه . ومن اجل هذا كانت الزائرات المتنزهات على طريق بحيرة نيميا يطيب لهن النظر الى الحرش ليرين اذا كان قد دخل احد اليه لينازع كاهن ديانا الرئاسة

والآن فلنصف ذبيحة من ذبائح ديانا : فندخل اولاً في الليل الى الحرش فنجد فيه الكاهن العظيم جالسًا لا يعرف النوم جفنيه خوفًا من رجل يفاجئه وكان مصغيًا الى كل حركة وكل صوت في الحرش وهو ينتفض رهبة وذعرًا لاقل الاصوات . وبازائه سيفه الذي كان لا يفارقه لا في الليل ولا في النهار . اما هيكل ديانا فقد كان يسود فيه في ذلك الوقت سكون عميق

ولكن النهار اخذ يرسل رسل الفجر والقمر الذي هو صورة ديانا الجميلة ينثر امواجه الفضية على الحرش وعلى طريق رومه التي تسير عليها الزائرات في مثل تلك الساعة قاصدات عبادة الالاهة . ولما وصلت هؤلاء الزائرات الى الهيكل في سكون الليل تفرقن حوله لاعبات متداعبات واخذ بعضهن يستحم في سافية من الماء جارية ليتطهرن قبل دخول الهيكل وبعضهن انتشر في حوانيت موجودة هناك لشراء التقدمات التي يجب ان يقدمنها الى الالاهة . وكان يوجد انواع كثيرة من هذه التقدمات فمن اكاليل زهر لتزيين المذبح والهيكل ومن تماثيل على صور الالهة مصنوعة من برونز وشمع ونحاس . وما عدا ذلك فقد كان

يوجد رسوم على صور الاعضاء البشرية من رأس ويد وقدم وساق وبطن وما اشبه فالذي يشكو من الم راسه يبتاع راساً ويقدمه لديانا فتشفيه والذي يشكو من داء في يده يبتاع يداً يقدمها لها مستشفياً وهلم جرّا

وظل النساء متفرقات حتى برز جبين الغزالة فما كللت اشعتها الاولى قمة الهيكل حتى دنا رفيقان من اعلى السلم المؤدية اليه واخذا يبوقان ببوقين . فانفتحت عند ذلك ابواب الهيكل وخرج منها الموكب الكهنوتي يتقدمه صبيان يلبسون ملابس بيضاء وكانوا يسمونهم « كاميل » وهم يحملون بايديهم الخبز والملح وآلات الذبيحة . اما الرجال الذين كانوا وراءهم فهم الكاهن العظيم وحوله حاشيته وكلهم مرتدون بالملابس الدينية وفي مقدمتهم اربعة رجال اكبر سناً منهم يحملون على اكتافهم محملاً صغيراً عليه تمثال ديانا المقدس وهو من الخشب ويقال انه قديم وقد صُنع في زمن بناء ذلك الهيكل . وكان هذا التمثال عظيم الجاه لدى الشعب ولذلك كان الكهان يحفظونه مخبوءا ولا يبرزونه له الا مرة في السنة . وكانت ديانا في هذا التمثال تلبس الى ركبتيها لباساً فاخراً جميلاً وعلى راسها قبعة صغيرة وفي يدها قوس فضية موتره تكاد تنطلق نبلتها وهي لمسير الكهان ترتجف في يد ديانا ارتجافاً يجعل لها تاثيراً شديداً

فما وقعت ابصار الشعب المجتمع على هذا التمثال حتى ضج وارتفعت طلباته من كل صوب هاتفاً

» ياديانا القانصة . ياحارسة الجبال والاحراش . يا صاحبة القوس الفضية والنبال التي تقتل الآيال السريعة والفهود الضارية . احرسينا «

فدنا عند ذلك الكاهن العظيم متشحاً بالالبسة الفاخرة المذهبة من المذبح وكانت عليه نار تتقد فاخذ شيئاً من البخور والقاه فيها ثم رفع كاساً مملوءة من الخمر وصبّ منها بضع نقط على هذه النار . ثم التفت صوب الهيكل ورفع يديه الى السماء مقدماً العبادة . ثم طلب كتاباً يحتوي التقاليد الدينية المكتوبة بلغة لا يفهمها احد من الشعب واخذ يقرأها جهراً . وكان بازائه اثنان من الموسيقيين ينفخان بالشبابة انغاماً تنطبق على ترنم الكاهن وتخفي اصوات الشعب اذا خطر لاحد ان يتكلم مخافة ان يُساء الى العبادة . وكان الشعب في ختام كل عبارة يردد منشداً مقاطعها الاخيرة بعد الكاهن والموسيقيين

وبعد ذلك جاؤا بالحيوان المعين للذبيحة وهو بقرة في جبهتها علامة بيضاء تقرب من الهلال . وكانوا لا يذبحون للالاهات الا الحيوانات الانثى كما انهم لا يذبحون للالهة

الذكور الا حيوانات من الذكور . وكانت البقرة مزينة يقودها رجل في يده فأس وسكين لذبحها بها . وكانت تتبعه مطيعة فيقولون ان الالاهة ديانا تخضعها وتلين مراسها

فدنا الكاهن عند ذلك منها واخذ سكيناً ليجز من شعرها و يلقيه في النار قبل ذبحها حسب العادة فجز الجزة الاولى والقاها في النار ولكن ما مس الشعر النار حتى خمدت النار في الحال . فتراجع الكاهن الى الوراء وضج الشعب مدهوشاً واخذ يقول ان ديانا ساخطة على كاهنها ولذلك لم تقبل تقدمته

تعيين الكاهن بالقتل

وما كاد الكاهن يتراجع الى الوراء حتى علت في الحرش صيحة عظيمة . فدب الرعب في صدور الحاضرين ورفع الكاهن راسه وتناول سيفه في الحال لانه علم ان رجلاً يطلب منازعته الرئاسة قد دخل الى الحرش . فهرع رجاله الى نزع ملابسه الذهبية . ولما فرغوا من ذلك وثب الكاهن من الهيكل قياماً بالفرض المحتوم وفي يده سيفه واندفع يطلب خصمه

فحدث حينئذ بين الشعب سكوت عميق . سكوت كانت فيه الانفاس مقطوعة اصغاء لما سيحدث في الحرش . وكان يصل الى الاذان من حين الى حين صوت تقارع السيفين وصراخ الخصمين فتعرو القشعريرة النفوس ويزداد الشعب رغبة في معرفة النتيجة

وكانت كل المصليات في الهيكل مضطربات تشرئب اعناقهن لمعرفة ما يحدث في الحرش حتى السيدة تيوفين نفسها . وكانت سحنهن منقبضة وايديهن ممدودة الى السماء وافواههن ضارعة . ولم يكن في الهيكل من ساكن هادىء غير تمثال ديانا التي كانت كانها مرتاحة الى ذلك المنظر الغريب

ولكن ما انقضت على ذلك مدة من الزمن حتى علت صيحة هائلة من جهة الحرش في ذلك السكون فهلعت لها قلوب النساء واغمي على تيوفين لرقة قلبها وخوفها على الكاهن المسكين ثم بعد انقضاء برهة وجيزة ظهرت فوق المذبح جثة انسان ممدودة وملفوفة بغطاء قاتم يحملها رجلان فوضعاها امام تمثال ديانا وتلاها رجل عظيم الهامة يحمل بيده سيفاً مخضباً بالدم فوقف امام الجمع وقال « ان كاهن ديانا قد راح وقد اختارتني ديانا لاكون كاهناً مكانه » وكان هذا الرجل هو قاتل الكاهن التعيس

فضج الجمع حينئذٍ بالترنيم الديني الذي يقال في هذا المقام وهذا نصه « ياديانا الهائلة .

انت التي تحبين الذبائح الدموية · يا أرتميس ملكة توريد · ارحمينا · احفظينا »

الملاهي الاخرى

تلك كانت احدى ملاهي الرومانيات · ومن هذه الملاهي ايضاً التمثيل والمصارعات البشرية والحيوانية وسباق الخيل والمركبات · وقد كثرت هذه الملاهي في عهد اغسطس اولاً لان هذا الامبراطور كان يلهي الشعب بها عن حريته المفقودة وثانياً لان الشعب قلَّ اهتمامه بالمسائل السياسية لقبض رجل واحد عليها فاصبح اكثر اشتغالاً بالملاهي عنها · وقد كانت النساء قبل اغسطس يحضرن تمثيل الروايات في صحن القاعة مع الرجال فلما جاء اغسطس اراد ان يصلح كل شيء حتى الملاعب فجعل لهن « الواجاً » خصوصية في اعلى الملعب يرين منها دون ان يراهن احد · ولم ياذن لهن في الجلوس مع الرجال الا في مراسح المصارعة اذ ليس في الامكان صنع الواج لهن فيها · وكانت النساء شديدات الولع بحضور المصارعة البشرية والحيوانية الى حد اصبحن عنده لا يطقن الانقطاع عنها حتى انه لما سافرت احداهن الى مصر لتلحق برجل احبته لم يعجب نساء رومة من انها تركت زوجها واولادها لتلحق بعشيقها ولكنهن عجبن من انها استطاعت ترك لعب المصارعة · فتأمل

الشبان المخنثون

وفوق هذه الملاهي فقد كان للرومانيات ملاهٍ عائلية ونريد بها الاجتماعات التي كانت تنعقد في المنازل · فانه كان يوجد بين الرومانيين شبان دابهم التخنث والخلاعة وصقل الشعور وتطييب الملابس وحمل الازهار وزيارة المنازل لمحادثة النساء · وكانوا يسمون هولاء الشبان « المعلمين الصغار » · سلهم تجدهم عالمين بكل الامور · فانهم يعرفون من يحب فلانة ومن تحب فلاناً و يحفظون كل حوادث الخطبة والزواج والطلاق و يعرفون اسراراً كثيرة يهمسون بها في اذان النساء · ولذلك كانت النساء شديدات الميل اليهم واذا خلا مجلسهن من واحد منهم فانه يكون مجلساً بارداً (١)

المراة والاولاد في الهيئة الرومانية

وكانت المراة في ذلك الزمان سيدة العائلة وهذا يقضي بالعجب العجاب · فمتى حضرت اصبح الرجال ولا همَّ لهم غير خدمتها وارضائها فكانت مقدمة عليهم جميعاً · وكان بعضهن بالغاً من الادب مبلغاً يمكنهن من المقارنة بين هوميروس شاعر اليونان وفرجيل شاعر الرومان كما روى جوفنال · وكان العشاء اخص مجالسهم وهو يبدأ منذ الساعة الرابعة بعد

(١) كأن الكلام هنا مسوق الى الهيئة الاجتماعية في هذا الزمان

الظهر ساعة يكون دولاب الاشغال قد وقف والجميع عادوا من الحمامات التي كانوا يستحمون فيها و يلعبون الالعاب الرياضية المختلفة . وكانوا ينهضون عن العشاء عادة عند هبوط الظلام ولا يوغلون في الليل لان الطرق كانت غير امينة فكم قد ذهبت فيها في الظلام الدامس دماء هدرًا . غير ان اغسطس كان قد عين حراساً للمدينة في الليل ليقبضوا على اللصوص ويخمدوا النار حين اضطرامها في المنازل والحوانيت فبات الناس في امن من كل شر

وكانوا اولاً ينقشون على قبر المراة الرومانية هذه الكلمات " كانت تقيم في بيتها على غزل الصوف " كناية عن حشمة النساء واجتهادهن . ولكن ما اتى اغسطس حتى صار الرومانيات يهملن هذه الشؤون . فخطر لاغسطس ان يعلن انه لا يلبس الا من الصوف الذي تغزله امراته وكان غرضه من ذلك تحبيب العمل البيتي اليهن وتنفيرهن من الاعمال العمومية التي اخذن يهتممن بها . ولكن سعي اغسطس ذهب عبثاً

اما الاولاد في رومة فكان يربيهم الخدمة والخادمات . ومتى ولد الطفل قُدم لابيه فاذا عرف انه منه وضعه على الارض وابقاه في منزله وان لم يعرف انه منه او لم يرد ان يعرف ذلك لكثرة الاولاد في منزله وعجزه عن القيام باودهم كلهم او اذا راى فيه عضواً مشوهاً فانه ياخذه و يلقيه على باب منزله و يقفل الباب . فاما ان هذا الطفل المسكين يموت برداً وجوعاً واما ان يلتقطه احد المارة ليسترقه . وكان الطفل السعيد ذاك الذي لا يقع بين يدي القساة الذين كانوا يلتقطون الاولاد و يشوهون بعض اعضائهم ليربوهم و يجعلوهم يحترفون الشحاذة في كبرهم انتفاعاً بما يتصدق به الناس عليهم

فماذا كانت تقول النساء امهاتهم ؟ ما كنَّ يقلن شيئاً . فاين الحنان الوالدي ؟ اين الشفقة الوالدية ؟ لا نعلم . وانما نعلم ان الامهات كن ينظرن الآباء يصنعون هذا الصنع البربري دون ان يقلن شيئاً . ولذلك استنتج بعض العلماء من هذا الامر ان شفقة الام والاب ليست طبيعية ولكنها اكتسابية تتغير بتغير احوال الزمان والمكان

فضيلة نساء رومه

واما طهارة نساء رومة فقد اختلفت الاقوال فيها . وقد قال احد المؤلفين الرومان بهذا الشان ما نصه " ليس بين الرومانيات امراة طاهرة الا التي لا يلتفت الناس اليها " فما افظع هذه الشهادة . ومما يجدر الانتباه اليه انه لا يوجد لدى الرومانيين كلمة بمعنى " الحب " الحقيقي المتعارف بين الحكماء نعني الحب الصادق الذي مقتضاه امتزاج روحين امتزاجاً

مجرداً عن تاثير المادة او سلطتها · فهم أذا قالوا في رواياتهم « يحب » فانما يعنون بذلك الفساد والفجور · وهذا الامر ينطبق على الشهادة السابقة · ومع ذلك فالتعميم ظلم للهيئة الرومانية القديمة لان كل هيئة اجتماعية تحتوي على نصيبها من الفساد والطهارة تبعاً لاختلاف الاهواء فيها بين الشدة والاعتدال فضلاً عن اختلاف التربية والعادات

الطلاق

وقد كان الطلاق شديد الانتشار في رومه حتى انه لم يكن يصدر عدد من « جرنال رومه » الا وفيه ذكر لنساء مطلقات مع ان هذا الجرنال لم يكن يذكر سوى اسماء نساء الطبقة العليا · ومما زاد الطلاق ان المراة الرومانية كانت حرة التصرف باملاكها فكانت تتخذ لها ثقاة للمناظرة عليها فكان الخصام يشتد بين زوج المراة وثقاتها الذين يديرون املاكها فيؤدي ذلك الى النزاع مع المراة ثم الى تطليقها · وفضلاً عن ذلك فان الطلاق نفسه كان يزيد الطلاق وهذا شانه في كل مكان وزمان · وسبب ذلك ان الزوجين متى وجدا انه لا سبيل لهما الا الافتراق كانا اكثر تسامحاً الواحد مع الآخر ولكنهما اذا وجدا ان الطلاق مباح فانهما لا يعمدان الى تساهل او تسامح بل يتخذان اقل خلاف او نزاع وسيلة الى الطلاق

هل هيئتهم اكثر فساداً ام اقل

ولا بد ان يسأل القارئ بعد ما تقدم هل كانت الهيئة الرومانية اكثر فساداً من الهيئات التي عاصرتها او التي تلتها · فنجيب مع المسيو بواسيه على سبيل الاستشهاد بكلمة لسنيكا الحكيم الروماني وان كانت هذه الكلمة تخالف رأينا « شكا الناس قديماً وهم يشكون الآن وسيشكون الى الابد· وفي كل عصر ينادون بان كل شيء متضعضع متهدم· ان الرذيلة تنتصر والفضيلة تنخذل· ان الانسانية راجعة القهقرى الى الوراء · والحقيقة ان كل شيء باقٍ على حاله تقريباً واذا حدث تغيير فالتغيير يكون ضعيفاً جداً كان العالم اوقيانوس ياتي الجزر فيبعده بضع خطوات عن الشاطئ ثم ياتي المد فيعيده كما كان »

عود الى جميلة المقالة

اما تيوفين صديقتنا فلم تكن كالنساء التي مرَّ ذكرهن · فانها ربت اولادها بنفسها ولم تعرض واحداً منهم على ابواب منزلها· وعاشت عيشة طاهرة بسيطة مع زوجها واولادها فلم يدرج اسمها في « جرنال رومه » ولما ماتت — رحمها الله وعزى القارئ عن وفاتها —

كتب زوجها على قبرها هذه العبارة « كانت تقيم في منزلها على غزل الصوف ولم تسيء الى يوماً بغير موتها »

فليت جميع النساء في هذا العصر يقتدين بها



﴿ تمثال ديانا ﴾

وهو من الهدايا والتقدمات التي كان يقدمها عابدو ديانا استرضاء لها · وعلى الغالب يكون بازائها رسوم حيوانات كالكلاب والخرفان وما اشبه كما ترى في الرسم · وقد وجد هذا الرسم في الاثار الرومانية

هراة نظماً ونثراً

وصفنا افغانستان في الجزء الثاني من السنة الثانية وصفاً كافياً ولكننا لم نسهب في وصف هراة التي هي من اهم مدنها ان لم نقل اهمها . والذي يجعل لهراة هذه الاهمية الخصوصية امران . الاول كونها الطريق التجارية الوحيدة للقوافل التجارية بين الهند وآسيا ولذلك كان همّ الفرس الاستيلاء عليها في سالف الزمان . والثاني كونها ايضاً طريق جميع الفاتحين الذين قصدوا الهند من الاسكندر المكدوني فما فوق وما دون ولذلك فان اول ما تعمله روسيا اذا ارادت الاقدام على الهند هو احتلال هراة ومن اجل هذا اخذ الامير عبد الرحمن الذي لا يالو جهداً في خدمة بلاده بتحصينها وحشد الجند فيها

❊ صفة هراة ❊ وهراة هذه قاعدة اقليم هراة الافغاني وهي قائمة في وادٍ جميل يدعى وادي هرى روند على الضفة اليمنى لنهر بهذا الاسم . وهي مبنية على شكل مسطح مستطيل طولها كيلو متر ونصف وعرضها كيلو متر واحد وفيها اقنية عديدة تاتيها بالمياه من النهر المذكور آنفاً . وقد كانت هذه المدينة محاطة بسور شاهق حوله خندق عريض مملوء ماء اما الآن فقد زاد الامير تحصينها بمساعدة الضباط الانكليز حتى صارت حصناً حقيقياً . وفيها شارع كبير واسع يشقها من الشمال الشرقي الى الجنوب ولكن الشوارع الاخرى ضيقة قذرة

❊ سكانها ومعايشهم ❊ اما سكانها فعددهم ٥٠ الف نفس وهم بين افغان وفرس وتتر وهنود ويهود وارمن . واهم صناعاتهم السيوف الخراسانية والسجاد والحرير والجلد . وفي المدينة جامع كبير هدمه الفاتح جنكيزخان فاعيد بناؤه في القرن الثالث عشر للميلاد وهو اليوم متضعضع . وفي شمالها الغربي قلعة كبيرة يسمونها قلعة شكار باغ او قلعة هراة

وقد افتتح العرب هراة في حوالى سنة ٦٥٠ للميلاد فبلغت في عهد الاسلام من الاهمية والحضارة مبلغاً عظيماً كما ترى في القصيدة التالية التي نظمها الامام بهاء الدين العاملي المشهور

وهذا نصها باختصار

مقدمة

يقول راجي العفو يوم الدين المذنب الجاني بهاء الدين
تجاوز الرحمن عن ذنوبه واسبل الستر على عيوبه
بليتُ في قزوين وقتاً برمد مقرحٍ للقلب من فرط الكمد
يمنع من صرف النهار فيما يُرضي اللبيب الحاذق الفهيما
من بحثٍ او تلاوة او ذكر او درس اوعبادة او فكر
حتى سئمت من لزوم منزلي والنفس عن اشغالها بمعزل
ولم يكن من عادتي البطالة لانها من شيم الجهالة
فرمتُ شيئاً مشغلاً لبالي عما اقاسيه من البلبال
فلم اجد ابهى من الاشعار وليس نظم الشعر من شعاري
وكنت في فكر باي واد التي جياد الفكر في الطراد
فبينما الامر كذا اذ سألا مني بعض الاصدقاء العقلا
ان اصف الهراة في ابيات جامعة للنشر والشتات
فقلت والجفن بادمعي سخي على الخبير قد سقطت يا اخي
ثم نظمت هذه الارجوزة بديعة رائقة وجيزة
سميتها اذ كملت بالزاهرة فيها كها مائة بيت فاخرة

في وصفها على الاجمال

ان الهراة بلدة لطيفة بديعة شائقة شريفة
خندقها متصل بالماء وسورها سامٍ الى السماء
ذات فضاء يشرحُ الصدورا ويورث النشاط والسرورا
حوت من المحاسن الجليلة والصور البديعة الجميلة
ما ليس في بقية الامصار ولم يكن في سالف الاعصار
است ترى في اهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها في الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء
كذلك الباغات والمدارس فما لها فيهنَّ من مجانس

في وصف هوائها

هواؤها من الوباء جنة كانه من نفحات الجنة
فيبسط الروح وينفي الكربا ويشرح الصدر ويشفي القلبا

لا عاصف منه تمل الحرة ... ولا بطيء السير فرد مره
بل وسط يهب باعتدال ... كغادة ترفل في اذيال
فمن رماه الدهر بالافلاس ... حتى عن المسكن واللباس
فلا يصاحب بلدة سواها ... لانه يكفيه في هواها
حبيبة واحدة في القر ... وشربة باردة في الحر

في وصف مائها

لو قيل ان الماء في الهراة ... يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيد ... فكم على ذلك من شهيد
تراه في الانهار جار صاف ... كانه لآلئ الاصداف
لا يحجب الناظر عن قراره ... بل يطلعنه على اسراره
تظن غور عمقه شبرين ... من الصفا وهو على رمحين
خفيف وزن رائق الاوصاف ... ما مثله ماء بلا خلاف
يهضم ما صادف من طعام ... كانما اكلته من عام

في وصف نسائها

نساؤها مثل الظباء النافره ... ذوات الحاظ مراض ساحره
من كل خود عذبة الالفاظ ... تقتل من تشاء بالالحاظ
اضيق من عيش اللبيب ثغرها ... اضعف من حال الاديب خصرها
فاتكة قد شهدت خداها ... بما بنا تفعله عيناها
والجسم في رقته كالماء ... والقلب مثل صخرة صماء

في وصف ثمارها

ثمارها في غاية اللطافة ... لا ضرر فيها ولا مخافة
عديمة القشور عند الجس ... تكاد ان تذوب حال اللمس
تخال في اغصانها الدواني ... اشربة الحسن بلا اواني
مع انها بهذه الكيفية ... رخيصة عندهم زرية
يطرحها البقال فوق الحصر ... حتى اذا ما جاء وقت العصر
وقد بقي شيء من الثمار ... يطرحه في معلف الحمار

في وصف عنبها

ولست محصياً لوصف العنب فانه قد نال اعلى الرتب
ادق من فكر اللبيب بزره ارق من قلب الغريب قشره
ابيضه في لطفه والطول يحكي بنان غادة عطبول
اصنافه كثيرة في العد ليس لها في حسنها من حد
فمنه فخري وطائفي وكشمشي ثم صاحبي
وغيرها من سائر الاقسام فوق الثمانين بلا كلام
مع هذه الاوصاف والمعاني في ارخص الاسعار والاثمان
ترى الذي ما مثله في النقر يبتاع منه الوقر بعد الوقر
وربما يعلفه الحميرا ان لم يصادف عنده شعيرا

في وصف بطيخها

بطيخها من حسنه يحير في وصفه ذو الفطنة الخبير
جميعه حلو بغير حد احلى من اللقاء بعد الصد
مهما يقول الواصفون فيه نزر فانه بلا تمويه
يباع بالبخس القليل النزر لانه وافٍ بغير حصر
ياتي به المرء من الصحاري فلا يفي باجرة المكاري

في مدرسة المرزاء

وما بُني فيها من المدارس ليس لها في الحسن من مجانس
اشهرها مدرسة المرزاء مدرسة رفيعة البناء
رشيقة رائقة مكينة كانها في سعة مدينة
في غايه الزينة والسداد عديمة النظير في البلاد
بالذهب الاحمر قد تزخرفت كانها جنة عدن ازلفت
في صحنها نهر لطيف جاري مرصف جنباه بالاحجار
في وسطه بيت لطيف مبني كانه بعض بيوت عدن
من الرخام كله مبنيّ كانما صانعه جنيّ
وكل ما يقوله النبيل في وصفها فانه قليل

في ساحة كازركاه

وبقعة تدعى بكازركاه ليس لها في حسنها مباهي

هواؤها يحيي النفوس اذ بدا   وماؤها يجلو عن القلب الصدا
والسرو في رياضها المطبوعة   كخود اذيالها مرفوعة
فيها البساتين بغير حصر   يقصدها الناس بعيدَ العصر
من كل صنف ذكر وانثى   وحرة وامة وخنثى
لا همَّ عندهم ولا نكادُ   كانهم قد حوسبوا وعادوا
تراهم كالخيل في الطراد   وكل شخص منهم ينادي

خاتمة التحسر من فراقها و بعد رفاقها

يا حبذا ايامنا اللواتي   مضت لنا ونحن في الهراة
نسترق اللذات والافراحا   ولا نملُّ الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد   والدهر مسعف بما نريد
واهاً على العود اليها واها   فما يطيب العيش في سواها
فانتِ يا سوالف الايام   عليكِ مني اطيب السلام

النساء الهستيريات

بحث طبي شرعي

لحضرة الدكتور البارع عارف افندي نحاس

دقت الساعة العاشرة ليلاً . الجماهير مزدحمة في الملاعب والملاهي . المنازل مكتظة بالزائرين ولزائرات وهم في حديث ومسامرة او بين لعب بوكر و بكره : هذه هي حالتنا الاجتماعية في كل ليلة وقد تصرَّم الشفق وخيم الغسق و برزت البلدة بانوارها البهية الاصطناعية

على اني لست اقصد هنا البحث في الاجتماع والعمران لاني لست من فرسان هذا الميدان بل قد جعلت ذلك توطئة لكلام اريد سرده عن كثيرات من النساء اللواتي نصادفهن في اجتماعاتنا هذه فيدهشنا ما نراه منهنَّ من الحركات والسكنات ونسمعه منهن من اللهجة والحديث والتنقل من موضوع الى آخر من غير رابطة ولا داع فنسيء الظن باخلاقهن وهنَّ براء من كل سوء ونسلقهن بالسنة حداد ظلماً وعدوانًا

ذلك ان هؤلاء النساء هستيريات . فانهن كن عصبيات المزاج شديدات التأثر ثم دخلن في طور الهستيريا وهذه علة في الجهاز العصبي تصيب اكثر النساء ولا فرق بينهن

كبيرات او صغيرات . فالمصابة بهذا الداء قد تظهر في اعين الجمهور كأن بين جوانحها روح الخلاعة والنزق وهي ليست من ذلك في شيء . وكم كنت اودُّ وصف هذه العلة وصفاً طبيعياً محضاً لولا ان ذلك لا يهم سوى الاطباء ولذلك اقتصر على الكلام فيما يختص بالاخلاق مما يكون جامعاً بين اللذة والفائدة

وتقسم الهستيريا الى قسمين اصليين . الهستيريا الصغرى والهستيريا الكبرى او الحقيقية . وللصغرى درجات متفاوتة طبقاً لحالة المزاج . فالمصابة قليلاً يصعب تمييزها عن السليمة الصحيحة ولا يُشعر بامرها الا نادراً . وهي تكون عادة خفيفة الحركة شديدة التصور والتخيل طلقة اللسان لا تخلو من ظرف في احاديثها يهيج الخاطر ويسر السامع . وقد يحدث عندها من جراء سرعة خاطرها تهوُّر في كلامها بيدَ ان حلاوة عقلها تجعل هذا التهور في نفس السامع اثراً بعد عين . وهي تميل الى البهرجة والتزين وتقتبل بثغر باسم عبارات التجلة والتكريم وبالاخص اذا كانت صادرة عن الرجال . ومع حريتها في القول والعمل تراها لا تترك العنان لنفسها فتقف حيث يدعوها الواجب والادب ولا ينقصها الا شيء من الرزانة والرصانة

ومن كانت اشدَّ علة فاخلاقها كالسابقة وانما اشدّ اقداماً واكثر تهوراً فهي ذكية الفؤاد طيبة المعشر وان كانت تُلقي الريب والظنون بما تجريه من غير تروٍ ولا تبصر فيما يصدر عنها من الحركات والسكنات فتصبح مضغة في افواه الناس . وانما يكون قلبها في الحقيقة طاهراً ابيض كالثلج او كالثوب الذي تلبسه اذا كانت من السيدات المولعات بلبس البياض

اما الهستيريا الكبرى او الحقيقية فهي اشد مما تقدم بكثير . بل انها خطر على صاحبتها فيجب عليها ان تتلافاها وتساعد الاطباء بما في طاقتها على مداواتها

واذ قد علمت ذلك فتعالَ الآن وادخل معي الى بيت فيه رجل وامرأة هستيرية . فانك ترى المراة نزقة خفيفة كثيرة الكلام سريعة الضجر . تصيح باولادها وبزوجها بسبب ومن غير سبب . وربما تلح من زوجها شيئاً فتحسبه خروجاً عن محبتها ودليلاً على عدم اكتراثه بها فتقيم حينئذٍ قيامة البيت على راسه وتتهمه بانه لا يحبها وبانه وبانه وبانه وحينئذٍ فعلى ايام الصفاء في تلك العائلة الف سلام

هذا مثال امرأة في دور الهستيريا فان سبباً طفيفاً يؤثر في عواطفها تاثيراً سيئاً فيضرم نار النزاع والخلاف في العائلة ويؤدي بها الى سوء المصير وقد يتجاوز هذا الضرر الى

ما وراء العائلة وذلك متى كانت الهستيريا بالغة مبلغها من الشدة والقوة والحادثـة التالية خير دليل على ذلك وهي من الاهمية بمكان عظيم

حكى الدكتور برواردل الشهير انه حدث في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٣٢ ان ابنة الجنرال رئيس المدرسة الحربية في سامور بفرنسا كانت ذات ليلة في بيت ابيها مستغرقة في نومها واذا بها سمعت ضوضاء في غرفتها فقامت مذعورة فرأت على ضوء القمر يداً مُدّت وحطمت زجاج نافذتها ثم رفعت اليد الحواجز ودخل رجل اليها فهبت مسرعة كالبرق الخاطف فنزلت من عن سريرها واخذت كرسياً وجعلته حاجزاً بينها و بينه دفاعاً عن نفسها ثم تاملت بالرجل فاذا هو متوسط القامة متزي بزي ضابط من تلامذة مدرسة ابيها . فدنا منها وهو يتميز غيظاً وغضباً قائلاً لها : هذه ساعة الانتقام منك . ثم دفع بقدمه الكرسي الذي جعلته حاجزاً وهجم كالذئب الضاري فامسكها من ذراعيها ودفعها الى الارض بعنف ثم مزق قميصها وشد وثاقها بحبل واخذ في ضربها ضرباً مبرحاً وصار يعضها باسنانه و يرفسها برجله وهو يردد كالمجنون : اني انتقم منكِ . من يوم عرفتك شعرتُ من نفسي بميل الى ايذائك : ثم تناول مدية وطعنها ثلاث طعنات في ساقها فصرخت باعلى صوتها من شدة الالم ففر الضابط وتركها على الثرى كجثة بلا روح وهي تأنُّ من الالم والرعب . وكانت معلمتها راقدة في الغرفة المجاورة لغرفتها فانتبهت على صوت ابنتها فاسرعت اليها فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت بها وهي تشير الى النافذة المفتوحة : من هنا قد خرج . انظر به هناك . ها هو واقف على الجسر الذي امامنا . انظري كيف يحملق فينا

وكانت المعلمة تجهد نفسها لترى الرجل فلا ترى شيئاً ولكن ذلك لم يمنع من اجراء تحقيق صارم في اليوم الثاني فوقعت التهمة على ضابط في المدرسة يشبه الضابط المعتدي لا سيما وانه كان في تلك الليلة غائباً عن المدرسة وقد اضطرب حينما سالوه اين صرفت ليلتك . فحوكم لدى مجلس حربي و بالرغم عن بلاغة محاميه حكم المجلس عليه بالسجن عشر سنوات

ولكن هل تعلمون الحقيقة في هذه المسالة ؟ الحقيقة ان هذا الضابط بريء وابنة الجنرال كانت مصابة بالهستيريا الشديدة وكل ما رأته من الاعتداء عليها كان وهماً في وهم لا اثر له في الحقيقة . وقد قالت انها طُعنت بسكين في ساقها ثلاث طعنات . ولكن ذلك لم يمنعها من حضور مرقص بعد ثلاثة ايام وقد رقصت فيه الى الصباح

وشكت هذه الفتاة نفسها مرة اخرى من رجل هجم عليها وهي مارة في مركبتها على

قارعة الطريق في مكان سمته فسئل الحوذي عن ذلك فانكر انه راى شيئاً

وكانوا يومئذٍ يخطئون في المحاكم الى هذا الحد لان الطب الشرعي كان مهملاً اما اليوم فان هذا الطب اصبح فرعاً عظيماً من فروع القضاء ومتى كانت القضية بين نساء او بين رجل وامراة انصرف القضاة قبل كل شيء الى البحث عن اخلاق المراة لان الهستيريا قد تكون سبباً في كثير من البلايا والتهم

من ذلك ما حدث في باريز في العام الماضي . فان الكاتبة الشهيرة الكونتس مارسل التي يلقبونها " مدام جيب " قصدت في ذات يوم ادارة الشرطة مضطربة منبوشة الشعر مجروحة اليد وقصت عليهم ما ياتي : كنت سائرة في مركبتي فدعاني اثنان الى مقابلة صديق فتبعتهما فهجم عليّ احدهما وغطى رامي بسرعة وقذفني الثاني في مركبة واقفة ثم سارا بي سيراً حثيثاً الى قصر في ضاحية باريز فوضعاني في الغرفة واقفلاها واعدين بان يعودا قريباً . ففتحت النافذة فوجدت الارض قريبة مني فاخذت اغطية الفراش ووصلتها بعضهـا ببعض ثم تدليت عليها فلم تصل الاغطية الى الارض فالقيت بنفسي فانجرحت يدي ولكني لم اعبأ بالجرح بسبب الخوف ثم اخذت اركض حتى وصلت الى هنا

فقامت قيامة الباريزيين لهذا الاختطاف ولكن البوليس اعياه الجهد لمعرفة ذلك القصر الذي وصفته الكونتس مارسل فلم يستطع ذلك لانه لا يوجد في الجهة التي ذكرتهـا قصر بتلك الصفة فاستنتجوا ان الكونتس هستيرية وان ما راته كان اضغاث احلام واوهاماً في اوهام

والنساء الهستيريات منهن من يُصبن بنوبات ومنهن من لا يصبن بنوبات . وهنا اكثر في الغرب منهن في الشرق لان الملاهي والمدنية الغربية تثير نفوس النساء اكثر مما تثيرها ملاهينا ومدنيتنا . ومع ذلك فان الهستيريات كثيرات في بلادنا ولا سيما اللواتي ينبعثن في المعيشة الغربية ويكثرن من السهر واللعب بالورق وانتياب الملاهي والسهرات في كل ليلة . واللواتي يسلسلن الى الخفة والنزق غير شاكمات نفوسهن بشكيمة الادب والحشمة والاعتدال في كل شيء . فهولاء يجب مداواتهن خدمة للعائلة الشرقية

ومداواتهن تكون بتسكين الافكار الثائرة وعدم التعرض للمهيجات حزناً كانت او فرحاً والامتناع من السهر والتعب واستنشاق الهواء النقي والرياضة والمشي في كل يوم والاعتدال في الماكل والمشرب وكبح جماح النفس كلما خطر لها النزق والطيش والخفة . وفضلاً عن ذلك فانه يجب حسن معاملة المريضة وتسكين افكارها وعدم ازعاجها في شيء وصرف خاطرها

عن حالتها بامور تنفعها . فان الهستيريا مرض من اشد الامراض انتياباً للنساء ومتى اصيبت المرأة بها فربما فقدت راحتهـا و بذلك تفقد العائلة راحتها والزوج هناءه والاولاد ملاكهم اللطيف ذو الخلق اللطيف . فالعمل اذاً لمقاومة الهستيريا وتعليم النساء طرق اجتنابها والشفاء منها عمل لصحة النسل وهناء العائلة وادب الهيئة الاجتماعية وراحة النساء اللواتي حسبهن ما لديهن من العناء

دفاع بلافنا

من كتاب صدر حديثاً بقلم حضرة الفاضل عظم زاده حقي

رأينا ان ننقل للقراء فصلاً من اهم فصول هذا الكتاب الذي صدر اخيراً وقرظناه في باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء . وقد اخترنا لهم الفصل الاخير الذي فيه تسليم الغازي عثمان باشا لانه اهم فصوله . وقبل ذلك ناتي على توطئة ماخوذة من الكتاب لتكون تمهيداً للفصل الذي سننقله

كانت اسباب الحرب طلب روسيا واوربا تحرير بلغاريا طبقاً لبروتوكول لندرا واباء الدولة العلية ذلك . وقد جرى اعلانها في يوم ٢٤ افريل سنة ١٨٧٧ واحتل الجيش الروسي زيشتوفا باجتيازه نهر الدانوب (الطونه) في ٢٧ يونيو

وكانت مجموع القوى العثمانية ستة فيالق مؤلفة من مائتين وعشر اورط بيادة واربعة وخمسين بلوكاً سوارياً وخمسة وثلاثين بطارية مدافع وعدد نفوس كل اورطة من البيادة بين الستمائة والثمانمائة رجل وعدد جنود بلوك السواري بين السبعين والمائة فارساً . وكان لكل بطارية ستة مدافع وثلاث عربات . والقيادة العامة بيد السردار عبد الكريم باشا واحمد ايوب باشا . وكان عثمان باشا الذي هو بطل هذه الواقعة قائداً لفيلق فيدين المؤلف من ٤٤ اورطة بيادة وستة بلوكات سواري وعشر بطاريات مدافع سهلية . وهو واقف على المراكز الواقعه بين مصب نهر (ايسكير) وتخوم الصرب للمحافظة عليها .

واما الجنود الروسية فكانت مؤلفة من اربعة فيالق عددها ٣٥٠ الف محارب ومعها الف مدفع . وهي بقيادة الغراندوق نقولا اخي القيصر اسكندر الثاني

ولما عبر الروس نهر الطونا وزحفوا قاصدين عاصمة البلغار سيروا طلائعهم الى كل الجهات فدخلت واحدة منها الى « بلفنا » في ٨ يوليو من ذلك العام فانسحبت الحامية العثمانية

منها . فلما درى بذلك عثمان باشا غضب وارسل في الحال فرقة عاطف باشا لاحتلالها من جديد . وكانت قد وردته الاوامر بقصد الروس ومقاتلتهم لمنعهم من التقدم

وقد اختار الروس طريق بلفنا لزحف الجيش لعدة اسباب منها خصب هذه الطريق وسهولة الحصول على لوازم الجيش فيها فضلاً عن سهولة مسلكها الى صوفيا

ثم ان الغازي بعد ارساله فرقة عاطف باشا الى بلفنا سار اليها في اثره . وهنا بدأت الصفحات المجيدة التي ضمها هذا القائد المغوار الى تاريخ جندية الدولة العثمانيـة مما يحق للدولة الافتخار به في كل آن

فان الروس وعددهم اضعاف عدد جنوده هاجموه مرارًا فلم ينالوا منه منالاً ولا سيما في المعركة الثانية التي ردهم فيها على اعقابهم بعد ايقانهم بانهم فازوا فيها عليه . وكان انتصاره عليهم في هذه المعركة انتصارًا دوى صداه في اوربا كلها . فبعث جلالة السلطان يهنئه بانتصاره في كتاب افتتحـه جلالته بقوله « لقد اعليتَ شان العثمانيين بجهادك الجديد » وكفى بهذه الشهادة شهادة . وقد انعم على الغازي في هذا الكتاب بالنشان العثماني الاول

﴿ الخروج ﴾

ولكن كان قد كتب لبلفنا السقوط لانها لم تكن محصنة قبل الحرب فضلاً عن نفود المؤن والذخائر . فبعد المعركة الاولى والثانية ومناوشات كثيرة طالت مدة اسابيع وقد ابلى فيها كل من الجيش العثماني والروسي بلاءً حسنًا رأى الغازي صعوبة بقائه في بلفنا لنفاد زاده فعقد النية على الخروج واختراق صفوف الروس . وهو عزم لا يقدم عليه الا من كان بشجاعة الغازي وعلو نفسه . فرتب جنوده وقسمهم قسمين زحف باحدهما وانشأ (كوبريًا) من العربات على نهر فيد قرب الكوبري القديم ثم سار بسكون تام والجنود يمشون مشيًا سريعًا وحرابهم في بنادقهم . وكان الغازي في مقدمتهم شاهرًا سيفه وممتطيًا جواده ومدافع الروس تنطلق عليهم من وراء الاستحكامات كالمطر المنهمر

وما زالوا سائرين هكذا تحت النيران حتى وصلوا امام المتاريس فوثبوا عليها وثبة الاسود فاحتلوا نقطة الاي سيبيريا وحينئذٍ التحم القتال بالسلاح الابيض وجهـًا لوجه فاستولت الجنود العثمانية على ستة مدافع من المدافع المنصوبة بين الخط الاول والخط الثاني من الحصار

ففرح الجند العثماني لدى معرفته بانه اخترق الصف الاولـــ من الحصار ووثبوا على الخط الثاني للاستيلاء عليه ايضًا . فقامت قيامة الروس حينئذٍ وطلبوا المدد فوردهم المدد

صريعاً وكان عظيماً فلم يقوَ الغازي ان يثبت لان جنود الروس كان عددها اضعاف عدد جنوده · وقد قال نابوليون الاول

« ان نسبة جيشين متحاربين بينهما مسافة هجوم فقط كنسبة كأس طافحة اذا زيد عليها نقطة فاضت وكذلك الجيش الذي يزاد عليه مدد فان النصر يفيض له »

واما سبب عدم ورود المدد للغازي فهو انه كان قد امر القسم الثاني من الجيش ان لا يلحق به الا بعد ساعتين ذلك لانه رأى انه لا يستطيع اختراق صفوف الروس باقل من ساعتين · وما كان يعلم انه سيخرقها بثلثي ساعة · هذا هو السبب في ابطاء المدد عليه

وبينما كان الجيشان يتراميان بالرصاص عن مسافة بعد الجند العثماني عن الروس اصيب الغازي برصاصة في فخذه اليسرى وقتل حصانه برصاصة اخرى فسقط الحصان والغازي فذعر الجيش لانه حسب ان قائده قد قتل فتقهقر بدون نظام نحو استحكاماته الاولى · والذي زاد الهرج والمرج وجود اكثر من ٣ الاف مركبة وراء جيش الغازي تقل الاولاد والنساء والعجزة الذين ارادوا الخروج من بلفنا للذهاب الى صوفيا فراراً من الروس

فلو ورد القسم الثاني مدداً للغازي قبل انجراحه فربما كانت تغيرت نتيجة المعركة ولم تأتِ الساعة السابعة الاَّ وكان الجيش قد خسر مواقعه الحصينة في الشرق والشمال واصبح محصوراً في قطعة ارض على ساحل نهر فيد لا يقدر على التحرك فيها ونيران الروس تنصب عليه من كل جانب

﴿ التسليم ﴾

وهنا نترك تتمة الكلام لمؤلف الكتاب · قال

« وبينما كانت المدافع تدوي والبنادق تفرقع اذ رؤي على الجانب الآخر من النهر المحتشدة عليه بقية جيش عثمان باشا علم ابيض فحالاً انقطعت النيران من الطرفين وبعد برهة ظهر على الكوبري ضابط عثماني ممتطياً حصانه وبيده علم ابيض · ولعدم معرفة هذا الرسول اللغة الفرنسوية اعادوه وارسلوا معه بطاقة باسم القائد العثماني مكتوب عليها هذه الكلمات :

(ياصاحب الدولة · ان الجنرال جانه تسكي يرجو دولتك ان ترسل له للمداولة من يقوم مقامك لاننا نعلم انك جريح)

فامر الجنرال جانه تسكي الجنرال ستروكوف ان يذهب مع الرسول العثماني الى

الكوبري وينتظر هناك الجواب . وكان احد شاطئي النهر مغطى ً بالجنود العثمانية والاخر بالجنود الروسية . وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف الى الكوبري ومعه اركان حربه

وبعد قليل ورد من جهة الجيش العثماني توفيق باشا رئيس اركان الحرب وعلى وجهه علامات اليأس والكدر بادية وبعد ان عرف كل من الجنرال ستروكوف وتوفيق باشا وظيفة الاخر ورتبته خاطب القائد العثماني الجنرال المذكور باللغة الفرنسوية قائلاً ان عثمان باشا وجيشه يرومان التسليم ولكنه مجروح فلا يتمكن من الحضور الى هنا فيود ان يحضر الجنرال جانه تسكي لعنده ليتفاوضا في امر التسليم

فبعث الجنرال ستروكوف بهذا الخبر الى الجنرال جانه تسكي وبعد قليل من الزمن حضر هذا القائد وامر الجنرال ستروكوف بالذهاب لعند الغازي عثمان باشا فاجتاز الجنرال ستروكوف الكوبري ومر بين الجنود العثمانية الى ان وصل الى منزل صغير امامه كثيرون من الياوران والضباط واطباء الجيش العثماني وعلى سواعدهم علامة جمعية الهلال الاحمر . وهناك نزل عن حصانه ودخل ذلك المنزل فوجد ثلاثة ابواب الواحد منها مفتوح شطره وبداخله كثير من الضباط ما بين قائم على قدميه وقاعد على بعض المراتب والكراسي يتكلمون بصوت خفي جداً فسالهم باللغة الفرنسوية عن غرفة الغازي فاشار له احد الضباط بيده الى الغرفة المقابلة لغرفتهم

فدخل الجنرال الغرفة فراى الغازي عثمان باشا جالساً على منصة مستنداً الى الحائط ماداً رجله المجروحة على صندوق خرطوش وامامه طبيبه الخاص حسيب بك يعالج جرحه والى جانبه جميع الآلات الجراحية . وكان الغازي مصفر الوجه مع سكون تام لابساً ثوباً بسيطاً من القماش الاسود متقلداً بسيف نفيس وكثيرون من القواد وقوف على اقدامهم حوله منهم الفريق عادل باشا وتوفيق باشا وعاطف باشا وحسين باشا وصادق باشا وادهم باشا وغيرهم . وامارات الكدر بادية على وجوه الكل

وبدخول الجنرال ستروكوف اخذ الغازي بالقيام من محله بعناء شديد وصافح الجنرال الموما اليه فقال له بتلهف وسرعة « ارجوك يادولة الباشا ان لا تقوم لانك جريح » وساعده على القعود فدعاه عثمان باشا للجلوس فابى هذا القائد الروسي الا ان يقف على قدميه مؤدياً بذلك الاحترام العسكري للقائد العثماني العام حسب القواعد الحربية الآمرة بتعظيم رؤساء القواد . فخاطب ستروكوف عثمان باشا باللغة الفرنسوية قائلاً ارسلني قائدي الجنرال

جانه تسكي الى هنا لاهنيء دولتكم باعمالكم الجليلة اثناء الدفاع وهجومكم الاخير وان ابلغكم بان الجنرال لا يقبل منكم الا التسليم بدون شروط

فبعد ما انتهى كلام الجنرال الروسي اطرق الغازي عثمان باشا برهة غائصاً في بحر التفكر واخذت علامات التاثر والكدر والحزن تظهر في وجهه ثم رفع راسه اخيرًا مخاطباً للدكتور حسيب بك بقوله « هذه اعمال الدنيا يوم لنا و يوم علينا »

و بعدها وجه الخطاب للجنرال ستروكوف بصوت خافت وقال انني مستعد لقبول تكليف قائدكم العام فاجابه الجنرال « ياباشا ان كل شيء مرتبط بارادة الله تعالى »وخرج من الغرفة ليبلغ قائده الروسي العام ذلك . فلما وصل الخبر الى الجنرال جانه تسكي حضر حالاً الى المعسكر العثماني ودخل غرفة عثمان باشا و رفع خوذته عن راسه تعظيماً له وصافحه بكل بشاشة ومودة قائلاً له « اهنئك ايها المارشال لان هجومك كان عملاً حربياً عظيماً . ارجو الآن ان تامر بجمع السلاح من الجنود »

و بعد ذلك قعد بجانب عثمان باشا واخذ كل من القائدين ينظر احدهم في وجه الاخر

و بعد مضي برهة وجيزة نزع عثمان باشا سيفه من وسطه وسلمه الى الجنرال جانه تسكي وامر الفريق عادل باشا بجمع كافة السلاح من الجنود التي لم ترضَ بتسليم سلاحها الا بعد مشقة زائدة ومداخلة ضباطهم مع نصائح عادل باشا ووعظ ائمة الاورط . وكان كل جندي عند ما يضع بندقيته للتسليم يرمقها بنظر التحسر و يلوي معرضاً والدموع ملء عينيه والحزن ملء فؤاده

وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف ودخل غرفة عثمان باشا وسلم عليه قائلاً « انني بصفتي عسكرياً احسدك ايها الباشا على هذه الخدمة الجليلة التي قمت بها وخدمت وطنك بصدنا مدة ٥ اشهر في ربوع بلفنا » فاجابه الغازي « انك ايها الجنرال مع حداثة سنك قد كسبت من الشهرة والسمعة ما يحسدك عليه الشيوخ . وستحييك اولادي وانت متقلد رتبة فلد مارشال السامية ان لم يسمح لي الدهر بذلك »

مقابلة عثمان باشا للقيصر والغراندوق نيقولا

وفي الساعة العاشرة مساء اتكأ الغازي عثمان باشا على اكتاف ضباطه وركب مركبة يجرها اثنان من جياد الخيل قاصدًا السير الى بلفنا مارًا بين جموع الجنود الروسية التي كانت ترمقه باحترام تام . وسارت امام مركبته ووراءها كوكبتان من فرسان الروس

كالحرس . وكان الجنرال ستروكوف ممتطياً جواده بجانب المركبة المحاطة بضباط اركان الحرب العثماني

وقد صادف الغازي الغراندوق نيقولا في منتصف الطريق بين كوبري نهر « فيد » ومدينة بلفنا فوقفت المركبة ومد الغراندوق يده وهو راكب على حصانه وصافح القائد الجريح مراراً ببشاشة تامة قائلاً له « اهنئك من صميم فؤادي على دفاع بلفنا فانك اتيت بعمل عظيم سيخلد لك ذكر الفخر في صفحات التاريخ الى الابد »

فاجابه عثمان باشا ببعض كلمات الشكر وهتفت ضباط الروس مع كافة الجنود هتاف التعظيم مراراً لبطل بلفنا العثماني وحيته رافعة خوذها عن راسها

وبعد ذلك سارت المركبة ثانياً بين صفوف الروس التي كانت ترمقه بنظر الاحترام وتؤدي له التحية العسكرية ايضاً وعند وصوله الى المدينة نزل في منزل احد سكان بلفنا البلغار بين وفي اليوم الثاني صباحاً دعى لتناول الغذاء مع القيصر اسكندر الثاني فذهب وهو متكئ على كتف طبيبه الى غرفة الطعام فاستقبله القيصر من وسط الغرفة وبعد المصافحة والتحية قال له

— ارجوك ان تقول لي ما كنت تقصد من هجومك لخرق صفوف الحصار ؟

فاجابه :

— يامولاي بصفتي عسكرياً لا اقدر على عمل سوى الهجوم على الصفوف حتى اتمكن من خرقها وبكل اسف خابت حملتي هذه ولكن الامر الذي يقلل احزاني هو تشرفي بين ايدي جلالتكم

فقال القيصر :

— انني أعترف بشجاعتك وبسالتك الفائقة الحد وان تكن هذه البسالة هي موجهة ضد جيشي

فاجابه الغازي :

— يامولاي انني لم اعمل الا العمل الواجب على كل جندي مدافع عن وطنه

وبعد تناول الطعام قال له القيصر « اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحمله في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة »

فخرج عثمان باشا من عند القيصر شاكراً له هذا الجميل وسلمه القائد « ستين » سيفه

فتقلده حالاً كما ان الميرالاي كليوتساروف قدم له غصناً من الريحان يشير به الى ان جيش بلفنا العثماني وقائده العظيم غير موجودين من الآن وصاعداً بين العثمانيين المحاربين لهم « اي صاروا احباباً لهم بقطع النظر عن العثمانيين المحاربين لهم في الجهات الاخرى »

وبعد اقامة ستة ايام في بلفنا سافر الى « خاركوف » احدى المدن الروسية على قطار خصوصي وبقي الى ان انعقد الصلح بين الدولتين

هذا ما انتهى اليه حال هذا القائد العظيم وجيشه الباسل بعد دفاع خمسة شهور ولم يكفه ما اظهره من الشجاعة الفائقة الحد في غضون هذه الحرب بل اضاف اليها من علائم الشهامة ما لم يصدر عن جيش مثله وهو انه لما راى ان لا بد من الخروج من بلفنا وخشي خطراً يحيق به من قبل العدو دفن سائر اعلامه العظيمة في قلعة بلفنا اباء من سقوطها في ايدي العدو وتفضيلاً للموت في معترك الصدام على تسليم هاته الاعلام التي لم يعلم احد بدفنها الا من بضع سنين حيث ظهرت بطريق الصدفة اثناء عمليات الحفر

وبعد انعقاد الصلح رجع الغازي عثمان باشا الى الاستانة العلية فاستقبله اهلها استقبالاً لا يوصف وكانت الالوف من الاهالي ينتظرون وصوله

فلما وصل ارسل له جلالة مولانا السلطان الاعظم بعضاً من حاشيته ليحضر الى المابين الهمايوني فركب حالاً العربة وسار قاصداً السراي العامرة وكان اغلب الناس يسيرون بجانبه ليحظوا بتقبيل يده الكريمة والدموع ملء عيونهم قائلين « انت والدنا انت الذي اعليت شاننا » وعثمان باشا يجيبهم ببشاشة « لماذا كل هذا المدح والتعظيم فانني لم اعمل الا الواجب عليّ »

ولما وصل الى المابين الهمايوني تشرف بمقابلة مولانا السلطان الاعظم فعانقه جلالته معانقة الاباء للاولاد وسلمه سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة مكتوباً عليه « هدية الى الغازي عثمان باشا » وابلغه انه انعم عليه بلقب غازي ايضاً » انتهى بحروفه

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزاميا

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة.

وجوب تعلم المرأة عملاً

نصائح فيلسوف لابنة غربية يجدر باختها الشرقية ان تتامل فيها

لم يعطِ الله الكتاب هذه السلطة العظيمة على النفوس والعقول حتى اعطاهم المقدرة على افادتها وتنبيه اشرف العواطف فيها . ومتى اردت الحكم على كاتب فحسبك ان تقرأ مقاله ثم تسأل نفسك ماذا ابقى هذا المقال فيها من الاثر . فان كان قد تركك بعد قراءته بارداً من غير تاثر ولا فائدة كما كنت قبله فاضرب بهذه الكتابة عرض الحائط وان كان قد بث الحرارة في نفسك وحرك اعماقها غارساً فيها افكاراً جديدة في منتهى السمو والفائدة كما سيفعل كاتب هذه المقالة الفيلسوف جول سيمون فبارك الكاتب والوقت الذي صرفته في مطالعة اقواله . ولا نوجه الى هذه المقالة المفيدة انظار البنات والنساء فقط بل انظار كل انسان

خذي لك زوجاً يا بنية ففي الزواج السعادة لانه السبيل الى الامومة(١) اما الحب فما هو الا نشوة ذاهبة . انتِ بحاجة الى مدافع يحميك ويذود عنك . انظري الى الرجال فان الضعيف منهم قادر على سحقك بقبضته . كذلك انت بحاجة الى رئيس مدرّب يُحسن تدريبك في هذه الحياة لان عقلك مهما كان سامياً فانه يكون دائماً بحاجة الى امر لا بد منه . وهذا الامر هو قوة الطبع . ولذلك فانه يتحطم كلما استفرغت وسعك في امر ويضعف بعد العناء . فيكون بحاجة لان يجد في غيره القوة التي ليست له

انتِ كثيرة التخيل والتصور . لذلك تعتقدين بخلود الحب . ان خلود الحنو والوداد امر ممكن اما خلود الحب فوهم لا يوجد الا في مخيلة الشعراء والقصاصين . لان الحب يذهب

(١) ما اجمل هذا القول وهو ان الزواج لا يجب ان يُقصد به الا جعل المراة اماً لتكثير النسل المبارك في الارض وتعمير الكون

بذهاب سببه وهو الجمال · حتى انتِ نفسك لا ترضي بان تكوني محبوبة لجمالك فقط فان هذا الاساس ضعيف واهٍ ولا يخلو من خطر على سعادة مستقبلك · بل يجب ان تعتمدي في الزواج على امتزاج الارواح واتحاد النفوس · فان محاسن النفس اسمى واشرف من محاسن الجسد دائماً · ومما يزيد شرفها ان الوقت لا يزيدها الا نمواً وازدياداً · وانك ترين الجسد في كل الامور آلة تخدم النفس فيكفي ان لا يكون الجسد كريهاً وان يخضع للنفس وهي مع الوقت تزينه وتحسنه وتختمه بختمها الجميل · فلا تفتكري يابنية الا بها ولا تنظري الاّ اليها

واحذري يابنية الشبان وما يُبدون من الظواهر الكاذبة (١) واحترسي لئلا تصادفين من يقول عنكِ في سره « هذه عشيقتي » بينما تقولين عنه انت في سرك « هذا خطيبي وزوجي »

واحذري يابنية ان تكترثي بالخطيب اكثر مما يجب فانه ربما يكون شاباً رديء الاخلاق يبغي التلاعب باقدس ما في هذا الوجود وهو شرف العذراء

وكوني ايضاً على حذر من كل من يظهر لك الحب فانه قد يكون مخادعاً لا يقصد غير قطع الوقت والضحك منك غير عابىء بشرفك وبصيتك

وبينما انت عذراء في زهرة العمر منهمكة باعداد نفسك لواجبات الحياة لا تنسي ان الزواج — متى تزوجتِ — يخفف مصاعب الحياة دون ان يمنع حدوثها · ثم اذكري ان عليك بعد الزواج واجبين عظيمين : الاول ارضاء زوجك · والثاني تربية اولادك احسن تربية

هذه واجباتك الخصوصية · ولكن عليك ايضاً واجبات اخرى قد تصبح من اهم الواجبات التي يجب عليك القيام بها · اني اخاطبك بلهجة الاب الحنون فعي قولي واصغي لنصائحي · يجب ان تتبصري في عواقب الامور وتعملي لاستدراك مصاعب الحياة (٢) واذا كنت لا تعدّين نفسك الا للتصدر في حفلات اللهو والزهو فانك تلحقين بنفسك ضرراً كبيراً · وحينئذٍ فانني اشفق عليك كثيراً · انك لم تخلقي لتكوني صنماً يُنصب في القاعات

(١) عبث الشبان بسذاجة البنات وفضيلتهن

(٢) لم تخلق المراة لتكون صنماً يُنصب في القاعات ولا زهرة تشتم رائحتها ولا عصفوراً يُستمع تغريده ولكن عاملاً ممدناً مهذباً مربياً في الهيئة الاجتماعية

فضلاً عن ان في وظيفة الصنم امرًا مملاً شائنًا وهو الضجر وعدم الفائدة . واعلمي انك ربة العائلة في الحقيقة وان كان زوجك يُدعى صاحبها . ذلك لان اعمالك فيها اكثر من اعماله واشد صعوبة منها . واذا صح هذا القول فانت اسمى منه قدرًا وارفع شانًا لان الفضل في العائلة كما في الدولة انما يُقاس بمقدار الواجبات واهميتها

واول شيء من واجباتك العظيمة التي لا يليق بك نسيانها هو الموت (١) نعم الموت الهائل الذي قد يضعضع اساس العائلة في بعض الاحيان . فانه قد يختطفك من بين ذويك قبل ان تتمي ما يجب عليك لاولادك من غرس اصول الادب والشرف والفضيلة في اعماق نفوسهم . وهو فكر هائل يجعلك لا تهملين تربية ابنائك دقيقة واحدة اذ تخشين في كل عام ان تؤخذي منهم دون ان يكون لهم من يقوم مقامك بينهم

وقد يكون الموت اقسى قلبًا فيختطف من بين يديك زوجك الكاتب او العامل او البحار . فما انت صانعة بعد هذا الخطب العظيم . قد قيل ان المراة تلقى من الصعوبة في القيام بشؤونها الخصوصية فوق ما يلقاه الرجل في القيام بشؤون عائلة . وهو امر حقيقي . فماذا تصنعين يوم تصبحين ارملة ويصبح على يديك الضعيفتين اولاد يُطلب منك القيام باودهم ؟

وقد تصبحين ارملة بطرق مختلفة . الاولى بموت زوجك . ثم بمرض عقلي او داء عقام يعتريه . وحينئذٍ فانك لا تخسرين عمله واسعافه فقط بل يصبح هو نفسه حملاً ثقيلاً على كاهلك الضعيف . ثم قد يمكن ان يهجرك بلا خوف من الله والناس ويتوارى عن الابصار . بل قد يمكن ان يهجرك دون ان يتوارى متسلحًا بقانون الطلاق . فماذا تصنعين حينئذٍ ؟

انك لا تفتكرين بذلك يا بنية حينما يُعمي الحب بصرك او يغلب عليك حب الانتقال من طبقتك الى طبقة اعلى منها او بالاحرى الى ما تتوهمين انه اعلى منها . فان الحاضر يحجب حينئذ المستقبل عن عينيك فيظهر لك كل شيء خالدًا حسنًا . ألا فاعلمي ان كل شيء في هذه الحياة متقلب غير ثابت . بل ان الحياة نفسها غير ثابتة كما تعلمين . وانما الثابت هو الواجب . فافتكري حين زواجك بامرين : الاول موتك والثاني موت زوجك

واعلمي ان الحياة انما هي في الحقيقة واحدة لجميع المخلوقات البشرية وان كانت مختلفة في الظاهر . وكل الناس سواء لدى الاحتياجات المادية والعقلية والادبية لانهم كلهم يفتقرون

(١) كلام يُهدى الى العائلة التي لا تفتكر بمستقبلها

اليها ويحصلونها بوسائط واحدة وهي النشاط وعلو الهمة (١) وقد يلقي ما بين البشر من الاصطلاح والاتفاق ستاراً على تلك الحقيقة الباطنية الازلية يجللها وينكرها . ولكن فاعلمي انه حينما يُفتح كتاب الادب يبطل ذلك التباين او ينقص نقصاً عظيماً . فالملكة كالنقيرة مسئولة عن اجسام اولادها وعن نفوسهم وعقولهم . وكلتاهما تكونان بالاعمال التي تعملانها عظيمتين او حقيرتين . والمسيحية تعلمك ان هاتين المرأتين متساويتان لانهما كلتاهما فُديتا بدم اله واحد . اما الزينونيون (٢) فانهم يقولون قولاً اقل مجازاً وهو « ان العالم مرسح فسيح وكل واحد من الناس يمثل فيه الدور الذي خُص به . فالامر المهم الطريقة التي يمثل بها الدور لا الدور نفسه »

فانت يا ابنتي مع كونك ابنة عامل اعلمي انك امام الله — وان جاز ان يُلفظ بعد اسمه اسمٌ آخر فامام الحكماء — مساوية لملكة ذات عرش وسلطان . بل انك افضل من الملكة وارفع شاناً اذا اظهرتِ في واجباتك من الشجاعة والفضيلة ما يفوق شجاعتها وفضيلتها . وبعد الموت لما تفرغان من واجباتكما في هذا الوجود وتُتمان كلا كما تمثيل الدور الذي خُص بكل واحدة منكما فانكما لا تُعاملان في العالم الثاني والحياة الثانية الا بحسب اعمالكما الذاتية من خير وشر . على ان ذلك لا يمنع من ان تخضعي لها في هذه الحياة وتقومي بما اوجبته عليك لها المواثقات والاصطلاحات البشرية

ولست ايتها العزيزة بذاهب كالزينونيين الى ان اختيار الدور امر ليس بذي شان بل اقول ان اهميته بدون ريب اقل من اهمية الواجب . لان الواجب ازلي تتوقف عليه المصالح الازلية اما الدور فانه حادث وقتي وسحابة تمر . اما الزينونيون فانهم يزعمون بان الالم الذي ينالك من تمثيل ذلك الدور هو الم بالاسم فقط وانه لا شيء في الحقيقة . وبذلك يفسرون احدى مبالغاتهم بمبالغة مثلها . كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء . اما انا فانني اقول ان ذلك الالم شديد الوطأة وانه يحق لك الشكوى منه وان كان حادثاً وقتياً . ولكن الشكوى لا تُزيل البلوى . بل الاجدر بك ان تبذلي قصارى الجهد وتعملي بهدوء

---

(١) جميع البشر متساوون لدى الحقيقة وان كانت احوالهم مختلفة في الظاهر . وما اجهل الذين يرون للبشر مميزات غير الفضيلة

(٢) الزينونيون هم انصار الفيلسوف زينون الذي مقتضى فلسفته ان السعادة الحقيقية في الفضيلة دون سواها وان الانسان لا يجب ان يعبأ بشيء في هذا العالم

وسكوت لاصلاح شؤونك و بلوغك احسن حالة تستطيعين بلوغها . واذا كنت عاجزة او سقيمة اي اذا كنت عاجزة عن تحصيل خبزك وخبز اولادك فذلك لا يمنع من ان تكوني اختاً ومساوية لي . ولكنك اذ ذاك تكونين اختاً شديدة التعاسة . ولا اعرف لك والحالة هذه من دواء عدا الاحسان الذي انا مديون لك به سوى وضعك تحت حماية الله وكرمه . فالله وحده يعلم اسرارك وهو وحده قادر على تخفيف حملك وتقليل مصاعب حياتك

ولكنك اذا كنت عاملةً وكنت متمتعة بصحتك ومقترنة برجل اديب نشيط فلا تحسبي نفسك يابنية انك تعيسة ساقطة . فان الزعم بكون الحاجة الى العمل امراً دنيئاً زعم فاسد باطل . نعم يجوز لك الشكوى من عملك اذا كان شاقاً وطويلاً جداً ولكن العمل بحد ذاته . العمل المناسب لقوى العاملة وذوقها واستعدادها انما هو نعمة و بركة من الله(١) افتكري يابنية بالذي كان يصيبك لو حُكم عليك هذا الحكم الهائل وهو : عدم المقدرة على العمل . وليس هذا الحكم قاسياً وهائلاً لانه يمنعك من الربح فقط بل لانه يمنعك من العمل نفسه . فان كوننا ذوي قوة وعجزنا عن انفاذ هذه القوة مصاب لا يُحتمل . وانما تكون حينئذٍ تلك النفس المرتبطة بذلك الجسم العاجز القاصر كحيٍّ مرتبط بميت . والعياذ بالله

ان العمل هو التحصيل . هو انفاذ القوة والتمتع بها . واذا قلنا « قوة » فانما نعني بذلك استعداداً طبيعياً . أفيجوز لك ان تعتبري جري الاستعداد الطبيعي في مجراه الطبيعي امراً دنيئاً متعباً . ان البطالة في رأيي اكثر اتعاباً واشق حملاً . ولو سُئل العقلاء ايًّا تفضلون الافراط في العمل ام البطالة الدائمة . لفضلوا الامر الاول على الامر الثاني حفظاً لصحة اجسامهم وعقولهم وآدابهم . ولكنا لسنا الآن في مقام الغلو ولسنا نطيق الافراط في اي امر من الامور . بل اني ارى ان كل انسان يُضام من عمل فوق وسعه وطاقته يحق له ان يسعى لكشف الضيم عن نفسه وعلى الناس ان يساعدوه على ذلك . وانما اتكلم هنا عن العمل المناسب لقوى العامل ومواهبه الطبيعية . فاقول ان هذا العمل منحة ونعمة من الله يجب علينا قبولها برضى وسرور ومن يفرُّ منها فانه يفر من واجباته نفسها

وكثيراً ما يكون الانسان المتولي عملاً ما غير قادر على القيام به ولكنه قادر كل المقدرة على القيام بعمل آخر غيره . فيجب والحالة هذه فصله عن عمله الاول وتقليده العمل الثاني المنطبق على ذوقه وقواه . وكل الحكماء والفلاسفة يشتغلون الآن بحل هذه المسالة

---

(١) يُهدى هذا الكلام وما يليه الى كل من كان بلا عمل اي بلا فائدة . وجدير بكثيرين ان يقرأوه مراراً

اعني مسالة اعطاء كل انسان الدور الذي يقدر عليه · وقد ابان فوريه هذه المسالة ببراعة فلم يتصدَّ احد لمعارضتها · ولكن من يتولج وظيفة رئاسة الممثلين ؟ ومن يستطيع القيام باعبائها كلها ؟ وكيف يُجبرون الناس على الرضى بالادوار الصغيرة ؟ تلك هي المصاعب الثلاث التي لا تزال تعترضهم حتى الآن والتي يسكت عنها اكثر الاشتراكيين غير ان سكوتهم عنها لا يُعدُّ حلاً لها (١)

اما انصار العدالة — الذين هم ايضاً انصار الحرية ولكنهم يمتازون عن الاشتراكيين بهذا الخلق الاخير اي نصرة الحرية — فانهم يشتغلون بتعميم التعليم بين الجميع على السواء وبتسهيل وسائل العمل لافراد الامة · وبهذه الواسطة تنشط القوى من عقالها وتنهض الى المقام الحقيقي الذي خُلقت له · وهو عمل صحيح وسعي مفيد · ولكن هنا نقطة سوداء وما جئت يابنية الا لتوجيه نظرك اليها · وهذه النقطة هي الاعتقاد بكون بعض المهن والاعمال افضل من البعض الآخر وذلك بمجرد طبيعتها لا بنسبتها الى اميال صاحبها واستعداده الطبيعي · ومن اجل هذا الاعتقاد الفاسد اصبح جميع الوسائل التي نتخذها لتسهيل سبل الارتقاء لذوي الاستعداد والمواهب آيلة لاكثار « الساقطين والساقطات » الذين هم الضربة الحقيقية واصل كل الضربات التي تئن من وقرها الهيئة الاجتماعية (٢)

---

(١) هذه هي اهم الاعتراضات على مذهب الاشتراكيين · ومعنى ذلك ان الناس اذا اقيمت المساواة التامة بينهم بقيت مع ذلك هذه المساواة ناقصة اذ لا بد من السلطة والاعمال الصغيرة · فمن يكون رئيساً للجميع · ومن هو قادر على النهوض باعباء الرئاسة العامة · ومن يرضى بان يعمل الاعمال الصغيرة بازاء الاعمال الكبيرة التي يعملها جيرانه · فالامتياز اذاً لا بد منه بين الناس تبعاً للقوى والمواهب · وانما الدواء الوحيد لازالة الضرر والفساد الحادثين في المدنية الحاضرة هو تعميم التعليم كما قال الفيلسوف بعد ذلك بسطرين ليتسنى للنفوس الكبيرة المستعدة ان تنهض بدلاً من اختناقها في الجهالة والاهمال · ومما مرَّ يتضح ان هذه المقالة الادبية المحضة تحتوي على نقط من اجل النقط الفلسفية والعمرانية

(٢) يريد بالساقطات والساقطين الطبقة الاجتماعية الصغيرة التي تود التشبه بالطبقة الكبرى دون ان تستطيع ذلك فتسقط من طبقتها ولا تقدر على بلوغ الطبقة التي فوقها · وسيرد الكلام عليها مطولاً في بعض الاعداد التالية

فانك يابنية فتاة ذكية نبيهة قادرة على تحصيل خبزك بشرف في المعامل بواسطة عملك اليدوي · ولكن صديقتك لا تميل الى الاعمال اليدوية بل الى الاعمال الادبية · ولذلك دخلت المدرسة فما مرّت عليها فيها بضع سنوات حتى نالت شهادتها واصبحت معلمة بارعة · فمهما بذلت انت من الجهد ومهما بذلت هي فلا هي تقدر على عملك ولا انت تقدرين على عملها

ولكن ماذا يحدث في بعض الاحيان ؟ يحدث ان المعلمة سيدة تلبس قبعة ويسميها الناس سيدة · فهذا البرق الخلب يخطف ابصار بعض البسيطات فيقدمن على التعلم ليصرن « سيدات » · فيصرفن اهم قسم من حياتهن في متاعب الدروس التي لا يستطعن البراعة فيها والتضلع منها ثم ينلن الشهادة بعد شق النفس وحينئذٍ يعلمن انهن خرجن عن الوظيفة التي خُلقن لها والعمل الذي هن مستعدات له فيندمن ولكن لات ساعة مندم

وانني مهما بالغت في القول لا اقدر ان اصف البون الشاسع الكائن بين عاملة مجتهدة قانعة بعيشها ومعلمة منضجرة غير راضية بعملها · اما انا فانني احسد الاولى واغبطها واما الثانية فلا اعبأ بها · فاحذري ايتها العزيزة ذلك الثوب الحريري الذي يسمونه حريريًا مع انه مشوب بالقطن · واعلمي ان سيدة فاضلة لا تُلبس احدى خادماتها ثوبًا كهذا الثوب · بل ان الثوب الصوفي يكون اليق بك وبجمالك · لانه لا اقبح من منظر الزينة الكاذبة

لقد خطبتُ احيانًا في بعض فتيان خرجوا من المدرسة او من المعامل لينخرطوا في سلك الجندية فكنت اقول لهم ما يلي(١) « اني اتمنى لكل واحد منكم يا ابنائي الاعزاء ان يقوم بالوظيفة التي هو اهل لها والتي يقدر على اتقانها · فاتمنى لمن كان منكم ذا معارف وعقل ان يكون قائدًا · فانه يكون حينئذٍ سعيدًا مساويًا لزملائه القواد وصديقًا لرجاله الذين يثقون به كل الثقة ويمشون الى النار مسرورين تحت قيادته · اما الذي لا يفهم من نظام الجندية شيئًا والذي تكون معرفته محصورة في حمل جرابه وحشو بندقيته والمشي بلا تعب وقتًا طويلاً فهذا لا اتمنى له ولا وظيفة ضابط ثانٍ · لان رجاله يقولون عنه في سرهم « هذا الضابط جاهل » نعم انهم لا يقولون ذلك في وجهه بسبب النظام العسكري ولكنه يقرأه بسهولة في عيونهم وعلى جباههم · وقد يرتكب هفوات تذهب بحياته وحياة رجاله

(١) كلام جميل يُهدى مع ما يليه الى الذين يؤثرون البطالة على ان يعملوا اعمالاً يحسبونها احط شانًا منهم

مع انه لو كان ماهرًا في وظيفته لسار بهم الى النصر سيرًا محققًا· فليطلب كل واحد منكم يا ابنائي المقام الذي هو اهل له »

وكنت اقول لهم ايضًا « لا تمزجوا كلامي بالتعاليم الارستوقراتيسة التي تقضي على الانسان بان يبقى في الطبقة السفلى اذا وُلد فيها وان تنحصر مقامات الشرف والسيادة في طبقة الممتازين اصحاب الجاه والثروة فانني انما اريد ان يحتل كل واحد المقام الذي هو اهل له من حيث الكفاءة الشخصية · هذا نائب او عضو من اعضاء مجلس الشيوخ له ولد حمار بليد · ومن الممكن ان يعتني به ابوه وينفق على تعليمه النفقات الطائلة لينيله الشهادة العلمية · وبعد ذلك ؟ لا شيء بعد ذلك · كان الابن قبل نيل الشهادة حمارًا اما الآن فانه اصبح حمارًا بشهادة وصار ادعى الى الهزء والسخرية · فلو كان ابوه رجلاً حازمًا او لو كان الولد نفسه ذا ذوق واحساس لتعلم صناعة البناء لانه كان لا يصلح الا لها ولو فعل ذلك وكان مجتهدًا اديبًا لاكتسب احترام جميع الناس واعجابهم واصبح في الوطن عضوًا نافعًا مكرمًا »

اما انت يابنية فانك تقدرين بدون شهادة وبدون فحص ان تندمجي في سلك « السيدات » ولا يكلفك ذلك الا الاقتران بشخص من تلك الطبقة اي التزوج" بموسيو " ولكن هذا الامر خطر عظيم تجتازينه وتحملين متاعبه · لان هذه الطفرة من طبقة الى اخرى لا تنجح الا نادرًا جدًا · وبينما يكون الجميع يعجبون بك ويمدحونك وانت بلباس العملة يصبح الجميع يهزأون بك ويمدحونك وانت بحلل السيدات · هذا واخبرك ان الف واحدة من الطافرات لا تثبت منهن الا واحدة فقط في محلها بعد هذا التغيير والانقلاب

ولكن هل تعرفين يابنية الامر الذي هو اصعب من الصعود ؟ هو النزول · وهذه المصيبة تصيب دائمًا اللواتي تتطاول اعناقهن الى العلى وحب الارتقاء فيهبطن هبوطًا سريعًا ويفرح الجميع يومئذٍ بهبوطهن لانه القصاص العادل على طمعهن الذي تعدى حده

واني لا انكر وجود بعض مصائب غير اعتيادية ولكننا اذا تاملنا وامعنا النظر نرى اننا نجلب تلك المصائب بانفسنا الى انفسنا · مثال ذلك اننا نعتقد بقوة بنيتنا ومنعتها فنبدأ في زمن الشباب بالافراط والاكثار من كل شيء · وكلما اتينا نوعًا من الافراط نباهي بقوتنا ونهزأ بمن ينصحنا ويبدي لنا رأيًا صحيًا · ويخيل لنا حينئذٍ ان بنيتنا غير قابلة للضعف والمرض · ولكن المرض يأتينا في ذات يوم من حيث لا ندري · فنودع حينئذٍ العافية

وصفاء العيش . — اواه لو عرفت ذلك لوقيتُ نفسي وداريت صحتي . — ولكنك كنت تعرفه يا احمق جدّ المعرفة فلا تَمحل لنفسك عذرًا . انك بحثت عن حتفك بظلفك وسعيت الى شقائك على قدمك

وما قيل عن الصحة يقال عن الثروة فان اقل الاشياء يبددها تبديدًا . وقد يوجد بعض مراكز وبيوتات مالية يقولون عنها انها راسخة لا تتزعزع حال كوننا نرى في كل يوم على عدم ثباتها ادلة جديدة . على ان هذا الرسوخ الذي يعتني موءسسو الحكومات الدستورية بدعمه وتأييده والذي يعتبرونه حاجزًا ضد هجمات الديموقراطية آخذ بالتضعضع شيئًا فشيئًا . حتى ان رئيس البلاد نفسه ليس بآمن من السقوط حين يحتدم غضب الشعب و يثور ثائره . وقد يسقط البعض من علٍ فيهوون حتى الى دركات الحضيض فيمنعهم حينئذٍ ذكرهم حياتهم الماضية من ان ينتهجوا في معيشتهم منهجًا جديدًا او ان ياتوا عملاً ما . فافتكري بذلك يابنية وتذكري انه يجب عليك هنا واجبان عظيمان يُطلب منك القيام بهما بكل شرف وشجاعة . الاول قبل السقوط ومقتضاه النصيحة والارشاد والثاني بعد السقوط ومقتضاه المعونة والاسعاف . وكثيرات من السيدات يقلن ويعتقدن ان قولهن فضيلة : « انا لا اتداخل في السياسة » ومن وراء ذلك يُشرن على ازواجهن بفعل الدنايا . ويقلن الى ازواجهن : « انت اسير عائلتك » كلا ثم كلا انه بصفة كونه ابن البلاد اسير بلاده ثم بصفة كونه رجلاً اسير الشرف اما العائلة فلا تاتي نوبتها الا بعد . فتاهبي يابنية لمعاركة الدهر ومحاربة الايام واعدّي نفسك لاسعاف زوجك بنصائحك وآرائك في حالتي السراء والضراء . واعلمي انه ربما اتاك يوم ترين نفسك فيه مضطرة الى ان تقولي له (١) « انك مديون لي بامرين : الخبز اليومي وشرف اسم مشترك بيننا . فان كان لا بدّ من ضياع احدهما فانا افضل خسارة الاول — وهو الحياة والتمسك بالشرف : فافعل انت فعلي » فاذا كنتِ ترين نفسك لا تستطيعين النطق بمثل هذا الكلام الشريف وكنتِ توجسين من نفسك ضعفًا فانصحك ان تجتنبي بقدر الامكان الاقتران برجل يتعاطى الاعمال العمومية . وفي هذه الحال قابلي يابنية ضعفك بمقدار طمعك

وربما تقولين ان ثروتي موءسسة على صخرة الازلية لا تصل اليها الاغراض والمطامع البشرية . ثابتة وراسخة كمبادىء الملكية التي هي حصن الهيئة الاجتماعية . وليس من الضروري ان نُعدّ بالملايين لان الرجل الغني هو الذي يتاتى له القيام بحاجاته قبل نفاد

(١) النساء واشغال الرجال

ايراده. فانت هذا الرجل او بالاحرى امرأة هذا الرجل. وثروتك مضمونة تكفلها كل قوات النظام الاجتماعي. فاذا فقدت زوجك بقيت لك وتبقى لاولادك اذا فقدوك. فمركزك اذاً مضمون احسن ضمانة يمكن وجودها في هذا العالم. وقد يمكن ان تفقدي الراحة والهناء لانهما غير منوطين بالمال ولكنك لن تفقدي قط ذلك المركز الراسخ لانه بحرز عن مطامع البشر واهوائهم

ولكن يا للوهم والضلال ؟ فان الملكية العقارية نفسها ليست بما من من التغييرات والتقلبات. اما باقي انواع الملكية فلا اسهل من زوالها. فالرجل يقود المرأة والعائلة الى هاوية الخراب والدمار ثم يعمد الى الانتحار فراراً من العار. ولا يستلزم خرابه وافلاسه ان يصاب بمصيبة او تلم به نكبة(١) فان اساليب المعاطاة والاشغال المالية في هذا الزمان صارت تصعد في يوم واحد بفقير الى قمم الثروة والغنى وتهبط في ساعة واحدة بصاحب الملايين الى حضيض الفقر والحاجة. فان زوجك قد يفتح رسالة فيجد فيها فجأة نبأ افلاسه وخرابه. فينتحر ويقضي بين امواج الابهة والعظمة. فياتي بعد موته رجال الحكومة فيفتشون منزله بكل دقة وهكذا تنهمر الديون انهمار السيل فتصابين في لحظة واحدة بالفقر المدقع بعد الغنى الواسع وبالضيق بعد السعة وبالشقاء بعد الرخاء. وتجدين نفسك في موقف حرج لانك ربة عائلة وام اطفال صغار يجب منك تحصيل خبزهم والقيام باودهم. فاين قوتك ؟ واي امل يبقى لك ؟

ان المتسولات فئتان. فئة تطرق المنازل والبيوت فتنتقل من باب الى آخر وتتحمل الطرد والشتائم والخشونة بصبر وهذه لا يبعد ان يُقضى عليها في الشوارع والاسواق جوعاً وبرداً. وفئة تقصد الاستدانة او تطلب الاستخدام براتبٍ قليل في العيال او في احدى المراكز الصغيرة وهذه لا يعلم احد كل العلم مقدار تعاستها ودناءتها لانها محجوبة عن الابصار. فالى اية الفئتين تقصدين حينئذٍ الانضمام يا بنية

واني لا اقدر يا بنية ان اغير الهيئة الاجتماعية كما اني لا اقدر على تغيير الانسانية. فانبهك منذ الآن لتكوني مستعدة للقيام بواجبات الحياة وللشغل والعمل اذا اقتضت الحال "٢". فاتخذي لك منذ الآن مهنة وتعلمي عملاً بالرغم عن كونك في سعة وغنى وعودي نفسك

---

(١) كلام يُهدى مع ما تقدمه من المقال الى البورصة ومضاربيها في هذا الزمان

(٢) وجوب استعداد المرأة للعمل اذا احتاجت اليه للاسباب المذكورة في هذه المقالة

على الشغل وعلى خدمة نفسك وخدمة غيرك ايضاً · وتعلمي جيداً دورك لتحسني غداً تمثيله لفائدتك وفائدة الذين يلوذون بك · واجتهدي على الاخص مهما كان مركزك باكتساب الصفات التي هي ضرورية لك والتي تدوم وتبقى لك اذا اعترى مركزك التغيير واعتوره الانقلاب · ولا تخلطي يا بنية بين الواجبات وضروب الغنج فان لكلّ شيء وقتاً · افتكري دائماً بالله والتي اتكالك عليه لانك بدون مساعدته ترزحين تحت اثقال الحياة · لا تصغي الى اصحاب العقول الكبيرة الذين يظنون انهم يصنعون خيراً باقتلاعهم الايمان من الصدور خصوصاً من صدور التعساء الذين ليس لهم غير ايمانهم · علمي اولادك اصول الايمان والديانة · امنحيهم هذا السلاح القوي ضد مصائب الحياة وضد شهواتهم · انظري دائماً الى نفوسهم وتفرّغي لتربيتها وتقويتها وترقيتها · اوفقي حياتك لخدمتهم · تفاني في اتمام واجباتك نحو الله ونحوهم · تغذّي وغذّيهم مع اللبن بالحب وانكار الذات اذ ليس من امر قوي مثل الحب ولا امر عظيم مثل انكار الذات

صفحة الشعر

اجابةً لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية وشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

بعث الينا حضرة الشاعر البليغ الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي بقصيدة اودعها غزلاً ووصفاً ومديحاً في غاية الرقة والبلاغة فنشرناها مع الشكر له لان هذا الباب مفتوح لنفثات جميع الشعراء المجيدين · اما المديح فهو في حضرة الاستاذ الافضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اهداه الشاعر الى فضيلته بمناسبة اختياره رئيساً للجمعية الخيرية الاسلامية في العاصمة التي جاءته رئاستها منقادة اليه تجرر اذيالها · وقد اجاد الشاعر في موضعين في القصيدة اجادة لا يوجد الآن في جميع شعرائنا المعاصرين في مصر والشام من يعلو عليه فيها · الموضع الاول وصفه سيره في الليل نحو الخيام على مطيته والثاني اجتماعه في الخيام بمن سعى اليها في الخيال · وهذا نص القصيدة

قال في الغزل

جرى الدمع حتى ليس في الجفن مدمع ... وقاسيت حتى ليس في الصبر مطمع

وما انا من يبكي ولكنه الهوى ... يريد من الاسد الخضوع فتخضع

فلله قلبي ما اجلّ اصبطاره واثبته والسيف بالسيف يقرع
ولله قلبي ما اقل احتماله اذا ما نأى عنه الحبيب المودع
اذا لاح لي سيف من الخطب رعته وان لاح لي سيف من اللحظ اجزع
واقتاد ليث الغاب والليث مخدر ويقتادني الظبي الغرير فاتبع
وليل أضل الفجر فيه طريقه فلم يدر لما ضل من اين يطلع
سهرت به ارعى الكواكب والكرى عصي على الاجفان والدمع طيع
اود لو ان الطيف منّ بزورة وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
لقد عشت دهرًا ناعم البال خاليًا من الهم لا اشكو ولا اتوجع
اروح ولي في معهد الغي مربع واغدو ولي في مسرح اللهو مرتع
فما زلت ابغي الحب حتى وجدته فلما اردت القرب كان التمنع
فلم يبقَ لي عن ذلك الحب مهرب ولم يبق لي في ذلك القرب مطمع
كأني في جو الصبابة ريشة بايدي السوافي ما لها الدهر موقع
كأني في بحر الهيام سفينة احاط بها موج الردى المتدفع
كأني في بيداء دهماء مجهلٍ تضل رخاة في دجاها وزعزع
فلا انا فيها واجد من يدلني ولا نجمها يبدو ولا البرق يلمع
فمهلاً رويدًا ايها اللائم الذي يجرعني في لومه ما يجرع
نصحتَ فلم اسمع وقلتَ فلم اطع فما نصح حب لا يطيع ويسمع
فيا حبّ هذا القول لو كان مجديًا ويا نعم ذاك النصح لو كان ينفع
قضى الله ان لا راي في الحب لامرىء وذاك قضاء نافذ ليس يُدفع
مررتُ على الدار التي خفّ اهلها وطال بلاها فهي بيداء بلقع
معاهد كانت آهلات وكان لي مصيف تقفى في رباها ومربع
فياليت شعري هل يعودنّ عيشنا بمعهدها والشمل بالشمل يُجمع
فتقضى لبانات وتطفى لواعج وتبرد اكباد وتنضب ادمع

وقال في سيره نحو الخيام في الليل

فما انس ما الاشياء لا انس ليلة تجشمت فيها الهول والهول مفزع
ولا مؤنس الا ظلام ووحدة ولا مسعد الا فؤاد مروع
ولا صاحب الا المطية حولها ذئاب تبارى في الفلاة واضبع

ولا عين الا النجم ينظر باهتاً ويعجب لي ماذا بنفسي اصنع
اذا ما تشكت من كلال مطيتي وقد كلمتها السن السوط تسرع
اسير بها سير السحاب كأنني باذرعها عرضَ الفدافد ذرع
الى ان تنورت الخيام ولاح لي ضياءٌ بدا من جانب الحيِّ يسطع

وقال في وصوله الى الخيام

فاقدمت نحو الحي والحي هاجع وخضت سواد القوم والقوم صرّع
وما كنت ادري قبل ذلك خدرها ولكن هداني نشرها المتضوع
فبت وباتت يعلم الله لم يكن سوى اذن تصغي وعين تمتع
نخال دوي الريح في الجو واشياً بنا وضياء البرق عيناً فنفزع
وما عين الا خوفنا وارتياعنا ولا ناظر يرنو ولا اذن تسمع
واعذب ورد راق ما كان نيله عزيزاً واحلى القرب قرب ممنع
فكانت برغم الدهر احسن ليلة رايت بعمري بل هي العمر اجمع
وما راعنا الا هدير حمامة على فنن عند الصباح ترجع
فقمت ولم تعلق بذيلي ريبة ولا كان الا ما يشاء الترفع
وودعتها والحزن يغلب صبرنا واحشاؤنا من حسرة تتقطع
فقالت اهذا آخر العهد بيننا وهل لتلاقينا معاد ومرجع
فقلت ثقي بالله يافوز انها سحابة صيف عن قليل تقشع
وسرت وقلبي في الخيام مخلف ولي نحو قلبي والخيام تطلع

وقال في الاستسلام الى الصبر وفيه التخلص

حنانيك رفقاً ايها الدهر واتئد فحسبي ما القى وما اتجرع
ورحماك بي فالسيل قد بلغ الربى ولم يبقَ في قوس التبصر منزع
على انني اصبحت لا متخوفاً ملماً ولا ان نالني الرزء اجزع
قد اعتصمت بالصبر نفسي وفوضت الى الله ما يعطي الزمان ويمنع
وامسيت لا اخشى الخطوب ووقعها ولو انها سم الاساود منقع
فقد بت جاراً للامام وانه اعز بني الدنيا جواراً وامنع

وقال في المديح

سمعت به دهراً فلما اتيته (رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع)

وشاهدت وضاح الاسارير اروعاً على وجهه نور من الله يسطع
تزاحم اقدام العفاة ببابه فلا هو محجوب ولا الفضل يمنع

ومنه

اذا سرتَ فالابصار نحوك حوّم وان قلت فالاعناق حولك خضع
واضحى بك الافتاء يختال عزة فما انت الا التاج منه مرصع
امولاي هذا الدهر والى صروفه عليَّ فانجد او اشر كيف اصنع
فما انا الا غرس نعمتك الذي يفاديه غيث من نداك فيمرع
فان شئتَ فالفضل الذي انت اهله والا فاني في الانام مضيع

باب تدبير الصحة

الصحة والجو والهواء

كثيرًا ما يسمع الانسان بعض الاشخاص يقولون وهم ينظرون الى السماء « نشعر الآن بانقباض شديد لهذا الطقس المنحوس » او « ما احسن هذا الطقس فاننا نشعر معه بارتياح شديد » فتحسب انهم واهمون والحقيقة انهم مصيبون. لان الجو والهواء يحملان من الكهربائية كمية تؤثر في نفس الانسان من حيث الانقباض والارتياح . واذا سمعت بعضهم يقول ان جسمي كالبارومتر تؤثر فيه تقلبات الجو فيكون صافياً متى صفى ومضطرباً متى اضطرب فصدقه للسبب المذكور آنفاً . وقد تكلم احد الاطباء في باريز عن هذه المجاري الهوائية وتاثيرها في الاخلاق فقال . نحن في باريز اذا هبت علينا الريح من الشمال فانها تاتينا باردة قارصة لمرورها على شواطئ نروج وثلوج سبيزبرج واذا هبت علينا من الشمال الغربي كانت جافة لمرورها على قفار روسيا وسيبيريا ولكنها تكون غير نقية لما يمكن ان تحمل في مرورها . وقد تكون في بعض الاحيان جافة الى درجة لا تحتمل . واذا اتتنا من الشرق فانها لا تجيء بمطر ولا بثلج ولكنها تكنس الينا جميع الميكروبات المتجمعة

على آكام تركستان وفارس . واذا هبت من الجنوب الشرقي جاءتنا حارة كالجمر لمرورها على سهول بلاد العرب لو لم يلطفها البحر المتوسط وتبردها جبال الالب قليلاً وتجعلها في بعض الاحيان ثلجاً يتراكم عليها . واذا هبت من الجنوب فانها تجيء من افريقيا مارة في البحر المتوسط كمن يخرج من موقد و يستحم هنيهة بالماء . واذا هبت من الجنوب الغربي فانها تجيء من اميركا الجنوبية حارة كاوية . واما اذا هبت من الغرب فانحوا « الشمسيات » لانها تكون قادمة من عرض الاوقيانوس تحمل البخار المائي الذي ينزل المطر كافواه القرب . ولكنها تكون نقية من كل شائبة . فهل يستغرب ان تؤثر هذه التقلبات العديدة في صحة الناس واخلاقهم

وقد ذكر الدكتور ريشمان في احدى المجلات الالمانية ان النزلة الوافدة لا تشتد وطأتها في الغالب الا في اشهر الشتاء وما ذلك لان البرد يسهل لها الفتك بل لان ميكروباتها تكون في مأمن من حرارة الشمس التي تقتلها . لانه من المعلوم ان حرارة الشمس تقتل كثيراً من الميكروبات . غير انها لا تقتلها كلها بدليل ان بعض الينابيع الموجودة في الخلاء قد تعيش الميكروبات فيها في الصيف وفي الشتاء

على ان علماء الطب لم يكتفوا بالبحث عن تاثير حرارة الشمس في قتل الميكروبات بل هم يرون ان ما في الجو من الكهربائية قد يؤثر فيها ايضاً . وهم يرون للكهربائية تاثيرين في اخلاق الناس . الاول تاثيرها لما تكون ايجابية ومآله تهييج الاعصاب واثارة الدم والثاني تاثيرها لما تكون سلبية وهي على الغالب تكون كذلك في اوقات الشتاء لما تكون السماء ملتحفة بالغيوم . ومآل تاثيرها هذا هو الضغط على الاجسام والتضييق عليها . ولا يزالون يواصلون البحث لمعرفة جميع الصلات التي بين الاخلاق والجو وهاتين الكهربائيتين . فلا يسوغ والحالة هذه ان يقال ان ما يشعر به الانسان احياناً من الارتياح او من الانقباض في نهار واحد منشأه الوهم فان منشأه الجو والهواء وما يحملانه من الكهرباء

المسكرات ونتيجتها ورسم جديد لها

اهتموا في فرنسا في هذه الاثناء بوضع رسوم جديدة على المسكرات فعارض بعض السياسيين بقولهم ان لجمارك الحكومة من المسكرات ايراداً كثيراً فاذا زيدت الرسوم على هذه البضاعة ولا سيما زيادة طائلة قل المستهلك منها فخسرت الدولة . فاجابهم علماء الطب والهيجيين في الحال بقولهم ان المسكرات شر الآفات واذا كانت تعطيكم بعض الرسوم من جهة فانها

تاخذ منكم اضعافها من جهة اخرى . ذلك ان شربها يفضي بهم شربها في الغالب الى السل والجنون والتشوه والمرض فتضطر الدولة الى انشاء الملاجيء والمستشفيات الكثيرة قياماً عليهم واعتناء بهم . فتخسر من هذه الجهة اضعاف ما تربحه من رسوم المسكرات . وما عدا ذلك فدعوا الناس يشربون من المسكرات ما يشاؤون ولكن بما انهم سيحملون الدولة في كبرهم خسائر العناية بتمريضهم سواء من الجنون او السل او غير ذلك من الافات فيجب عليهم ان يدفعوا لذلك منذ الآن رسوماً . فضعوا هذه الرسوم على المسكرات وسموها « رسوم السل والجنون على الكحول » فانكم تصيبون بذلك غرضين . الاول انكم تجمعون من هذه الرسوم الجديدة اكثر من ٤٠ مليون فرنك في السنة فتنفقونها لمداواة العجزة والمسلولين . والثاني انكم تنبهون في نفوس السكيرين ان السكر يفضي الى السل فربما اثر فيهم هذا التنبيه اكثر من الوعظ والارشاد . فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

وقد ورد في هذا الاسبوع ان مجلس النواب الفرنسوي قد جعل رسم الهيكتوليتر الواحد من الكحول ٢٢٠ فرنكاً بعد ان كان ١٥٦ فرنكاً والهيكتوليتر مائة ليتر . اما رسم الهيكتوليتر في اميركا فهو ٢٤٥ فرنكاً وفي هولانده ٣٥٢ فرنكاً وفي انكلترا ٤٧٧ فرنكاً والغرض من زيادة رسوم المسكرات جعلها غالية الثمن حتى لا يفرط الشعب ولا سيما الفقراء في تناولها . فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

الطاعون والبق والفار والدواء

من الثابت ان الطاعون والبق من اخص الوسائل التي ينتشر الطاعون بها . لان البق يعلق بالمريض فياخذ الميكروب منه ثم يعلق بالفار فينقله من بيت الى بيت واحياناً ينقله من مملكة الى مملكة وذلك بانتقال الفار في السفن او في اكياس البضاعة . ولكن المسيو ابيري الكيماوي كتب في المجلة الطبية والصيدلية في الاستانة فصلاً يظهر فيه التجارب التي اجراها لقتل الفار والبق فثبت منها ان الفار يموت بالحامض الكربونيك في مدة ٦ او ٨ دقائق وان الانيدريد كربونيك يقتل البق اختناقاً في بضع ثوانٍ فاذا استعمل الناس هذين الدوائين استراحوا من هاتين الآفتين

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة · والعائلة قاعدتها
المراة ففي اصلاح المراة اصلاح الهيئة كلها

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

انا اكره في النساء الخشونة وبنوع خصوصي اكره المراة المتكبرة والتي تشتغل بلعب البوكر اكثر من شغلها بتربية اولادها وترتيب بيتها

وفي المراة صفات كثيرة مكروهة من الرجال فهي مكروهة اذا كانت كثيرة الحركة كثيرة الكلام كثيرة الزيارات كثيرة السؤالات

واحترم المراة العاقلة والتي لا تنخدع بظواهر المودة والتي تكون ارفع من ان تخضع لاحكامها الثقيلة · واحب المراة الرزينة المتواضعة التي تمد رجلها على قدر بساطها وتلبس لكل حالة لبوسها والتي تفضل القيام بواجباتها العائلية على كل زينة وبهرجة

ويجب على المراة في رايي ان تكون لطيفة ولكن لطفاً من غير خفة وذلك لانها منسوبة الى الجنس اللطيف

الاسكندرية حنا نقاش

٢

اكره شيء فيهن التصنع · مداخلتهن بما لا يعنيهن في اشغال ازواجهن الخصوصية · الادعاء · زعمهن ان لهن التقدم والتسلط على الرجال · كبرياؤهن بمجرد تلقيبهن بالجنس اللطيف · ضحكهن الكثير في تحادثهن مع بعضهن وتصويتهن اذا اجتمعن في مكان قل فيه الرجال كأنهن يحسبن ان من يجلس بينهن · يطرب به صوت الضفادع ...

اللاذقية حر الضمير

٣

ما ابرد الذي يكره فيهن شيئاً

مخمس

٤

قرأت في جريدة الهدى الغراء التي تطبع في اميركا ان احد الآلهة عند الهنود خلق الرجل ثم اراد ان يخلق المراة فوجد ان جميع المواد قد نفدت لديه فاستعار الامور التالية . اخذ تلوي الحية وتموج العشب ولين البان ونعومة الزهور ورائحتها وخفة الريش ولفتات الظبي واستدارة القمر وبهاء اشعة الشمس ودموع الغمام وتقلب الاهواء وعجب الطاووس وصلابة الماس وحلاوة الشهد وقسوة النمر وحرارة النار وبرد الثلج وطيش الماعز وتغريد الحمام وكل طير مغرد . ثم مزجها بعضها ببعض وصاغ منها المراة وقدمها للرجل

فانا احب كل ما كان محبوباً من هذه الصفات واكره كل ما كان مكروهاً منها

هندي

٥

الكمال معدوم من سوء حظ الانسان ولكل انسان عيوب فمن شاء انتقاد عيوب المراة وكراهة نقائصها وجب عليه ان يكون بلا عيوب ولا نقائص

....

باب الاخبار العلمية

جزيرة جافا والحلقة المفقودة

جزيرة جافا مستعمرة هولاندية في ارخبيل سوند عدد سكانها اكثر من ٢٠ مليون نفس وعاصمتها باتافيا

وقد ذكرنا في بعض الاجزاء السابقة ان عالمين واحداً اميركياً وواحداً المانياً يتسابقان الآن اليها للتفتيش فيها عن الانسان القرد او الحلقة المفقودة التي يزعم انصار النشوء والارتقاء انها حلقة تربط الانسان بالحيوان . وقد رأينا في وصف هذه الجزيرة انها اكثر بلاد الدنيا الآن حيواناً ونباتاً وغياضاً ورياضاً . ومن مزاياها انه يوجد فيها الآن كثير من الحيوانات المنقرضة وجميع الحيوانات التي عاشت منذ الخليقة الى اليوم

موجودة فيها اما لحماً ودماً في الاحراش والغابات واما هيا كل عظام في تربتها

والذي اثار العالمين الاميركي والالماني انه شاع في مدجون احدى مدن الجزيرة انهم اكتشفوا فيها على جماجم اذا قيست بجماجم الانسان كانت ادنى منها رتبة ولكنها ارقى من جماجم ارقى الحيوان الآن . وهذا ما يسمونه الحلقة المفقودة . ومع ذلك فالامر غير مقصور على جماجم الاموات بل يوجد في الجزيرة كثير من القرود المتسلسلة من الحلقة المفقودة ... وهي اليفة لا تنفر من الانسان بل تدنو منه وتلاعبه . وسبب الفتها هذه ان الاهالي يكرمونها اكراماً يقرب من العبادة ويهدونها الهدايا كأن مُنباء سرياً طبيعياً يدلهم على انها اجدادهم وانهم ابناؤها . ويوجد في كل جهات الجزيرة غابات محترمة مقدسة لدى الاهالي لا يسكنها غير افواج من هؤلاء القرود وخصوصاً في حرش قرب بستان النبات في بويتزورج حيث توجد خميلة غاصة بالقرود والاهالي يقدمون لها في كل يوم هدايا من الارز والاثمار . ومما يروونه عن هذه القرود ان لها ملكاً عليها . فاذا قدموا لها هذه الهدايا وهي جالسة في ظلِّ الاشجار لم تمدّ الى الهدايا يداً بل انتظرت حتى ياتي ملكها ويتناول شيئاً من كل هدية ثم ياذن لها بالاكل فتاكل طائعة خاضعة

وقد ساح الدوق بانتيفر في سنة ١٨٨٨ في جافا وكتب تفاصيل سياحته فقال اني نظرت في المكان المذكور آنفاً منظراً غريباً . فان القرود فيها لطاف الاخلاق هادئون تمدّ اليهم يدك فيصافحونك بهز اليد مسرورين مرتاحين الى ذلك . وهم يمشون على ارجلهم منتصبي القامة كالانسان تماماً . وفي احدى الليالي كنا نتسامر في الحديقة واذا بنا نرى ان احد القرود الكبرى قد نزل من الاشجار الينا . فاستقبلناه وما شيناه فمشى بيننا منتصباً مثلنا دون ان يضع قط يديه على الارض . وكان قد تعود ان يرانا نأخذ باذرع بعضنا بعض رجالاً ونساء ونمشي فمد ذراعه كالمرأة واعطاني اياها فادخلت ذراعي بذراعه ومشيت معه والكل يضحكون وهو مسرور مرتاح . وبقي يداعبنا ونداعبه ساعة ونصفاً واذا بمطر من البلح قد تساقط علينا فعلم حينئذٍ ان رفاقه في اعالي الاشجار ينادونه بهذه الطريقة فتركنا وتسلق النخيل مسرعاً اليها

وليست القرود بالعجيبة الوحيدة الموجودة في جافا . فان فيها من عجائب الحيوان شيئاً كثيراً . من ذلك انك تكون ماراً في الطريق فتجد ورقة خضراء كبيرة كورق الاشجار فتنحني وتمد يدك لتتناولها فلا تشعر الا وهذه الورقة قد انقلبت حيواناً كلمح البصر

ثم اخذت تعدو مبتعدة عنك · ذلك ان حيوانًا يسمونه « فيليا » يضغط نفسه على الارض حتى يصبح بشكل الورقة تمامًا وهم يسمونه في الجزيرة « الحيوان الورقة »

فيتضح مما تقدم ان العالمين الاميركي والالماني قد يجدان في جافا الحيوان الذي سارا للتفتيش عنه لان الجزيرة غاصة بالحيوانات العجيبة الغريبة التي لا يوجد لها الآن من اثر في باقي اقطار العالم · واذا صدقنا جريدة الطان المهمة كان العلماء قدوجدوا هذا الحيوان منذ خمس سنوات · فان عالمًا من الفرنسو بين كتب اليها يوم روايتها خبر سفر الاميركي والالماني الى جافا للتفتيش عن الحلقة المفقودة كتابًا يقول فيه ان الدكتور ديبوى الهولاندي قد اكتشف منذ خمس سنوات في جافا جمجمة الحيوان المذكور والف كتابًا اثبت فيه ان هذا الحيوان هو الحلقة المفقودة · فالفضل اذًا له لا لاميركي ولا لالماني · فنشرت جريدة الطان هذا الخبر بسرور واستنتجت منه نتيجة جميلة يسرنا ان ننقلها هنا · وهي قولها « ماذا ؟ اذًا وجدوا الحلقة المفقودة ونحن غافلون ؟ على اننا لا نستاء من ذلك بل نسرّ به لانه يثبت ان ثبوت مذهب داروين في هذا الشان لا يهدم دينًا من الاديان ولا مبدأ من المبادىء اذ قد وجدت الحلقة المفقودة دون ان يؤثر ذلك في المذاهب الدينية والفلسفية »

﴿ معرفة الطقس من النظر الى القمر ﴾ لما يكون القمر في تمامه صافيًا منيرًا من غير ان يكون حوله هالات حمراء فاعلم ان الطقس جيد · ولكن اذا رايت كلفه شديدة السواد وحوله هالتان او ثلاث كثيفة مظلمة فاعلم ان الجو رطب وان الطقس سيكون رديئًا جدًا · واذا كان القمر في التمام والسماء صافية من كل جانب فذلك علامة الطقس الجيد والجفاف · واذا كان القمر احمر اللون حين اشراقه فذلك يدل في الشتاء على قرب هبوب رياح شديدة وفي الصيف على حر شديد · واما اذا كان صافيًا في اشراقه فذلك يدل في الصيف على طقس جيد وفي الشتاء على برد شديد

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دفاع بلفنا ﴾ هو كتاب جديد لمؤلفه الفاضل عظم زاده حقي وصف فيه حصار بلفنا وثبات الجيش العثماني فيها اشهرًا طويلة . وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذا التاريخ على « كتاب دفاع بلفنا » التركي لمؤلفه احمد بك جمال وكتاب « حرب الشرق بين الدولة العثمانية والروس » الفرنسوي وكتاب « دفاع بلفنا » تاليف الفريق مظفر باشا وهو باللغة الفرنسوية ايضاً . وقد تصفحنا هذه النسخة العربية فسرنا ان نرى باللغة العربية تاريخًا لتلك المعركة التي كللت الجيش العثماني باكليل الفخر . غير اننا كنا نود لو كان المؤلف اكثر عناية بلغة هذا الكتاب الثمين وموعده في ذلك الطبعة الثانية ان شاء الله

وقد نقلنا في باب المقالات بعض صفحات الكتاب لتكون مثالاً له . وهو يطلب من المكاتب وثمنه ستة غروش صاغ فنشكر لحضرة المؤلف هديته ونرجو ان يقتدي به كثيرون من الادباء في نشر المفاخر الوطنية

﴿ المكتبة الخديوية ﴾ لا يوجد احد من الادباء في الثغر الا ويعرف المكتبة الخديوية لصاحبها حضرة الاديب جرجي افندي غرزوزي مدير جريدة الرقيب والمطبعة التجارية وقد اهدتنا هذه المكتبة ست روايات من رواياتها التي نُشرت في جريدة الرقيب معربة عن اسكندر دماس الشهير بقلم صديقنا الكاتب الفاضل نجيب افندي ابرهيم طراد منشىء الرقيب الذي اوحش الاسكندرية في هذا الشهر وسافر الى الاقطار الاميركية من غير ان يودع اصدقاءه . اما هذه الروايات فهي المتمولة الحسناء وخليلة هنري دي نافار ووقائع رني ووقائع الملكة كاترين وحصار باريز وكلها سلسلة واحدة من التاريخ والفكاهة . ثم رواية ملكة النوَر . وهي تباع مع غيرها من الروايات الطلية في المكتبة الخديوية باسعار زهيدة فنحث الادباء على مطالعتها

﴿ شقاء الامهات ﴾ تنشر رصيفتنا الفاضلة السيدة الكسندره افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس الغراء في ذيل مجلتها الحسناء رواية بليغة العبارة طلية الاسلوب عنوانها « شقاء الامهات » وقد اتمت نشرها فجمعتها على حدة واهدتنا منها نسخة مطبوعة في مطبعة البصير الغراء طبعاً حسناً وعلى ورق جيد فنشكر لها هديتها ونرجو رواج روايتها

﴿ محمد علي الكبير ﴾ اهدي الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة رواية طبعها على نفقته بقلم المرحوم زين زين وعنوانها محمد علي الكبير وهي مزينة برسوم الامراء الذين تولوا مصر ومطبوعة طبعاً حسناً وتطلب من ناشرها بستة غروش صاغ

﴿ السمير الصغير ﴾ اعلنت ادارة مجلة السمير الصغير انها قررت منذ بداية سنة المجلة الرابعة ان تغير حجمها وتزيد في تحسينها وقد وصلنا العدد الاول منها ناطقاً بتقدمها فنرجو لها النجاح وزيادة الانتشار في حلتها الجديدة

﴿ الجغرافيه الحديثة ﴾ هو كتاب في مبادىء الجوغرافيه تاليف حضرة البارع محمد افندي صالح سليمان ناظر مدرسة تلا . ومن مزاياه انه يحتوي على رسوم تشرح الموضوع الذي يُساق الكلام عليه زيادة في تفهيم الطالب الدروس التي يراها فيه . وهو مؤلف بناء على مقرر السنة الاولى حسب بروجرام نظارة المعارف فنرجو له الرواج في المدارس

﴿ مجلة اللواء ﴾ وردنا العدد الاول من مجلة اللواء وهي مجلة شهرية لصاحبها عزتلو مصطفى بك كامل صاحب جريدة اللواء يجمع فيها في كل شهر اهم المقالات والفصول التي تُنشر في جريدته من قلمه او من اقلام بعض الكتاب المجيدين . وهي تحتوي فضلاً عن ذلك على اهم حوادث الشهر واخباره السياسية وترسل مجاناً لمشتركي اللواء فنرحب بهذه الرصيفة الجديدة

تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف ماكس مولر

المستشرق الانكليزي الشهير

كان الفيلسوف ماكس مولر الذي توفي في هذا الشهر من اعاظم رجال العلم في اللغات الشرقية في هذا القرن فخسر العلم بوفاته مرجعاً عظيماً يعول عليه ويُرجع اليه · وكان رايه راجحاً في مسائل اللغات الشرقية فلا يبديه في مسالة من هذه المسائل حتى تحني امامه الهام ويتلقاه العلماء الاعلام بكل احترام · فخسارته خسارة كبرى للعلم في هذا القرن



الفيلسوف ماكس مولر

والفيلسوف ماكس مولر انكليزي ولكنه من اصل الماني · وقد كان صلة من اشد الصلات بين المانيا وانكلترا · وهو من اعاظم رجال العلم والسياسة الاجانب الذي تكانزوا — اذا صح هذا التعبير — ورفعوا شان انكلترا بعلمهم وفضلهم · وكثيرما هم

ولد في ديسو من اعمال المانيا في سنة ١٨٢٣ وابوه وليم مولر الشاعر الالماني · وقد تلقى العلم في كلية ليبزيك ثم قدم برلين وسافر منها الى باريز فتتلمذ للاستاذ الكبير بورنوف

الذي افاده في حياته فوائد جمة

وكان مولر منصرفاً منذ شبابه الى درس اللغة السنكريتية وهي لغة الهنود المقدسة وقد عزم على الاقامة في باريز والتجنس بالجنسية الفرنسوية . غير ان معلمه الاستاذ بورنوف زين له السفر الى لندرا لفحص نسخة من كتاب الفيدا الهندي الذي هو عبارة عن انجيل او قرآن عند الهنود كان موجوداً في مكتبتها الملكية . فسافر اليها وهو يؤمل العودة الى باريز . ولكن سفير المانيا في لندرا اقنعه بالاقامة في لندرا فهجر باريز واقام فيها وتجنس بالجنسية الانكليزية فخسره الفرنسويون وربحه الانكليز فخسر الاولون بخسارته خسارة عظيمة وربح الآخرون بربحه ربحاً يوازي ضمهم مستعمرة كبرى الى بلادهم لان هذا الرجل اصبح رجلاً عظيماً مسموع الكلمة ومحبوباً في اوربا كلها وهذه الشهرة كانت عائدة الى انكلترا وحدها

وفي حوالى سنة ١٨٤٩ تمكن ماكس مولر بمساعدة الانكليز له واقبالهم على تعضيده من نشر كتاب الفيدا بعد تنقيحه وتحقيقه جيداً . فقامت قيامة براهمة الهنود حين وقوفهم على النسخة المنشورة وحسبوا ان احد اكابر علمائهم قد خانهم وترجم كتابهم الى الانكليزية ولم يصدقوا قط ان رجلاً اوربياً استطاع التضلع من لغتهم الى ذلك الحد . وذهلوا عن ان البلاد البوذية كاليابان نفسها كانت ترسل الى ماكس مولر كهنتها ليحسن تعليمهم اللغة السنسكريتية

وكان ماكس مولر مولعاً اشد ولع ببوذه الذي لخصنا حياته في صدر هذا الجزء ولذلك كان يقول « لو لم يكن بوذه انساناً لقلت انه اله »

اما صلاته بفرنسا التي كان قد عزم على ان يتخذها اماً له قبل سفره الى انكلترا فانها بقيت قوية حسنة . وكان له بين الفرنسويين كثيرون من الاصدقاء والمعجبين به والآسفين لتركه بلادهم . لكن مولر ساء الفرنسويين كثيراً بحضوره افتتاح الكلية العلمية في ستراسبورج من اعمال الالزاس واللورين وكان في ابان الحرب بين المانيا وفرنسا شديد الانتصار الى الاولى ضد الثانية غير ان الفرنسويين من فرط حبهم له وشدة مجاملته لهم بعد ذلك تناسوا هذين الامرين في المدة التالية

وقد نال هذا الفيلسوف كثيراً من مراتب الشرف وكان عضواً في مجامع علمية كثيرة وله مؤلفات جمة في غاية الاهمية . وكان له مناظرون كثيرون انما كان له في المناظرة اسلوب غريب لفرط قوته . فانه كان يهاجم مناظره من حيث يدري ولا يدري ويصدمه

بغتة صدمة تضعفه و يبرز بعد ذلك فائزًا غالبًا

وقد زاره قبيل وفاته بعض تلامذته وهو على فراش الموت لحادثهم الفيلسوف حديثًا مقتضبًا ثم نصح لهم ان لا يضيعوا الوقت بل فليتمتعوا بهذه الحياة دون ان يعبئوا بمصاعبها واحزانها · فذهل كثيرون من هذه النصيحة الاخيرة لاسيما وانها تشبه النصيحة التي نصحها الفيلسوف ارنست رنان على فراش موته · على ان رنان نصح هذه النصيحة للشبان لانه يرى الحياة في التمتع واغتنام اللذات والمسرات اذ هو لا يعتقد بحياة ثانية · فهل ان مولر اوصله علمه وهو على ابواب الازلية الى هذه النتيجة السوداء الممقوتة · لا نعلم ولكننا نعلم ان نصيحته الاخيرة الى تلامذته قد اثارت كثيرًا من الارتياب والشك في نفوس كثيرين من الذين يقدرون كلامه قدره وذلك لانه لم يسبق له انه نصحهم بمثلها

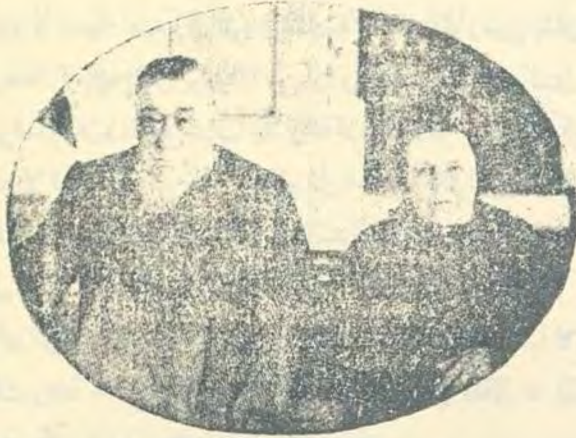
وقد رأينا من الواجب ان نلخص ترجمة هذا الفيلسوف في السطور التي تقدمت وننشر بينها رسمه لان وفاته من اعظم الحوادث التي حدثت في هذا العام

الرئيس كروجر في اوربا

ومسألة الترانسفال

اهم حوادث هذا الشهر وصول الرئيس كروجر الى اوربا · وقد سافر اليها مع رجال حكومته على الباخرة جلدرلند الهولاندية التي بعثت بها اليه الملكة ولهلمين ملكة هولاندا لتقله الى مرسيليا فمر عليها الرئيس في قناة السويس دون ان يعرج على السويس او بور سعيد مع ان جميع مكاتبي الجرائد المصرية كانوا في انتظاره · فذهب تعبهم سدى

ولما وصل الرئيس الى مرسيليا هاج الشعب فيها وماج واستقبله كما يستقبل الملوك العظام فلم ترَ مرسيليا يومًا مثل ذلك اليوم · وقد القى الرئيس عند الاستقبال خطبة قال فيها انه قدم الى اوربا لطلب التحكيم في مسالة الترانسفال لانه لا ينهي الحرب امر غير التحكيم وانه معتمد في ذلك على جميع الشعوب اخصها الشعب الفرنسوي · واذا قيل ان البوير قد خضعوا فذلك دليل على انهم قد فنوا عن بكرة ابيهم لانهم يفنون ولا يخضعون · ثم قال انه حارب المتوحشين في زمانه ولكن حرب الانكليز اشد هولاً من حروبهم · وهو قول قد اخطأ فيه الرئيس كروجر لان المنتظر من عقله وسعة صدره ان يكون اكثر اعتدالاً وهدوءًا بالرغم عن ياسه فان الانسان لا يعرف عقله الا في شدائده



الرئيس كروجر وقرينته

ولما وصل الى باريز قامت قيامة الباريزيين فدخلها باحتفال يحاكي الاحتفال الذي سيدخل اليها به الجنرال الذي يرد الى فرنسا الالزاس واللورين كما قالت الجرائد الفرنسوية · وقد زار المسيو لوبه رئيس الجمهورية زيارة رسمية فرد له الرئيس الزيارة وزاره ايضاً المسيو ديلكاسه ناظر الخارجية مع جميع اكابر فرنسا من رجال العلم والسياسة · وقرر مجلس النواب ومجلس الشيوخ قرارين اظهرا فيهما ميلهما ووددهما الى الرئيس كروجر بمناسبة نزوله في باريز · وقبل سفره منها نشرت الجريدة الرسمية الفرنسوية نسخة من المعاهدات التي عقدت بين الدول في مؤتمر لاهاي فزعم الغلاة ان فرنسا تقصد بذلك التمهيد الى المداخلة بين انكلترا والترانسفال لان من اهم قرارات المؤتمر اقامة التحكيم الالزامي بين الدول

والخلاصة ان استقبال الرئيس كروجر في فرنسا كان عظيماً جداً · ولكن الرئيس ما وصل الى كولونيا من اعمال المانيا في سفره الى برلين لمقابلة الامبراطور غيليوم حتى ابلغه الامبراطور انه لا يستطيع مقابلته لبعض الشؤون الخصوصية · ثم نشرت الحكومة الالمانية مذكرة قالت فيها انها تحسب من الجناية ان تبقي للبوير املاً او شبه امل بمساعدتهم لانها بذلك تطيل المناوشات الدموية في جنوبي افريقيا · فهاجت الجرائد الفرنسوية لهذا القول ونددت بالامبراطور غيليوم قائلة انه كان اول من شجع البوير على مقاومة الانكليز بتلغرافه المشهور ايام غارة جمسون فكيف يقول الآن ان تشجيعهم جناية

وفي راي هذه الجرائد ان فرنسا قد قامت بما يجب عليها للانسانية والحرية · فانها صنعت كل ما كان في امكانها لمساعدة البوير واذا لم تتداخل اوربا فالذنب يكون ذنب

الامبراطور غيليوم لا ذنبها. وغداً في القرون القادمة اذا قال المؤرخون بشان الترانسفال ما يقوله مؤرخو هذا الزمان بشان بولونيا « من ان رؤساء الحكومات الذين حضروا تقسيم هذه المملكة بشر قساة بلا ذمة ولا شرف ولا رافة لانهم اذنوا بتقسيم مملكة حية وقتل حريتها » فيومئذٍ لا توجه كلمة من هذا الكلام الى الحكومة الفرنسوية . وبناء عليه فان المبدأ الادبي الذي دافعت فرنسا عنه اسمى من المبداء الذي دافعت عنه المانيا . فان الاولى نظرت الى الحق والمستقبل . والثانية نظرت الى المصلحة والحاضر

ولا ريب ان الرئيس كروجر الآن في منتهى اليأس بعد بلاغ المانيا لانه يقطع له كل امل تقريباً ولذلك رفقنا به ولم نجعله يمثل دوره الاعتيادي في مقالة « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » اذ هو الآن مشغول عنها بما هو اهم منها

بقي ان نسال ماذا يصنع البوير بعد الآن . اما نحن فنرجح مع كثيرين ان هولاء الفلاحين الذين ينبون عن كل ضيم سيرحلون بعد ضجرهم من المناوشات العجيبة التي يقومون الآن بها الى ما وراء بلادهم من البلاد شمالاً شمالاً في القفار والجبال كما رحلوا قبل ذلك من الكاب والناتال الى حيث الترانسفال الآن وهنالك يبنون ترانسفالاً ثانية ويعيشون فيها بامن وحرية . لان قوماً يثبتون هذا الثبات في وجوه الخصم يستحيل عليهم ان يعيشوا معه بعد الآن فان الدماء قد اريقت انهاراً والجرح بليغ والقلوب مثل الزجاج اذا تنافر ودها وانكسرت فكسرها لا يجبر والسلام

☙ صندوق التوفير والاقتصاد ❧ قررت الحكومة المصرية انشاء صندوق توفير واقتصاد سمته « صندوق توفير البوسطة » لانها عهدت الى مصلحة البوسطة ادارته . وقد ضمنت الحكومة للاهالي المال الذي يودعونه فيه وهو يعطيهم عنه ٢ ونصف بالماية فائدة . ويجوز لهم ان يودعوا فيه المبالغ الصغيرة على سبيل الاقتصاد على شرط ان لا يتجاوز المبلغ المقتصد في العام ٥٠ جنيهاً وان لا يتجاوز المبلغ كله في كل الاعوام ٢٠٠ جنيه واذا انقضت ١٥ سنة على المبلغ دون ان يطلبه صاحبه اصبح ملكاً للصندوق فنحن يسرنا ان نسطر مشروعات اقتصادية مفيدة كهذا المشروع ونتمنى ان تكثر امثاله عندنا

☙ اسعد منصور ❧ نعي الينا من طرابس الشام الماسوف عليه المرحوم اسعد منصور توفاه الله فيها وعمره ٥٧ سنة وكان قد ذهب اليها من الثغر لتبديل الهواء رحمه الله رحمة واسعة والهم آله جميل الصبر على فقده

الفصل الاول

﴿ حدّاد الملك ﴾ (١)

تركنا الملك في الجزء الماضي عائداً مع الملكة والبلاط من فرساليا الى باريز بعد هجوم الشعب على قصر فرساليا وقتله بعض حراسه . فلنعد الآن الى باريز لنشهد دخوله اليها

وكان المجمع الوطني في فرساليا لما علم بعزم الملك على السفر الى باريز اعلن ان المجمع تابع للملك فحيث يكون الملك يجب ان يكون المجمع ولذلك ركب اعضاؤه المائتان مركبات وراء مركبات البلاط وعادوا معه الى باريز

اما شعب باريز فلما بلغه هذا الخبر ارتاح اليه كل الارتياح لانه كان بمثابة فوز عظيم له فضلاً عن كونه صار يؤمل ان تنقضي المجاعة الهائلة التي كانت في باريز اذ حسب ان وجود الملك بينه كافٍ لازالة المجاعة

فما اشد الشعوب سذاجة واكثرها تعلقاً بالاوهام

ولذلك اخذ الشعب يتجمهر تجمهراً هائلاً لمشاهدة دخول الملك الى عاصمته . وكان الوقت صباحاً واليوم ٦ اكتوبر من سنة ١٧٨٩

(١) حداد الملك — كان الملك لويس السادس عشر الذي نحكي هنا قصته مولعاً بالحداة والنجارة . فاذا قلنا حداد الملك اردنا بذلك الحداد الذي كان يعلمه الحدادة فيجدر بالقارىء ان يطالع الفصل التالي بامعان ليرى فيه شهادة المعلم « كامين » لتلميذه لويس السادس عشر . ولا ريب ان روسو الذي كان غير ميال الى الملوك ولكن شديد الرغبة في ان يتعلم كل انسان حرفة يدوية لوعلم بان الملك لويس السادس عشر كان اكثر ميلاً الى الحدادة منه الى الملك لاصبح اكثر ميلاً الى هذا الملك بالرغم عن رخاوته وضعفه . ومما يجعل لوقائع الملك وحداده اهمية خصوصية ان شهادة هذا الحداد كانت من

وكان في جملة القادمين الى حانة على الطريق التي سيمر الملك فيها تدعى حانة « بون سفر» رجل يمشي بخطى واسعة وهو مفكر ومطرق الى الارض و بيده بندقية . ولكن هذه البندقية كانت من اجود انواعها وعليها مكتوب اسم « لكلير» الذي كان يصنع سلاح النبلاء في ذلك الزمان لشهرته بصنع السلاح . وكان الرجل يقبض عليها بيد قوية ضخمة ملطخة بسواد مما يدل على انها اعتادت عرك الحديد والعمل به ولذلك كان البون واضحاً بين تلك البندقية اللطيفة الثمينة واليد الضخمة التي تقبض عليها

ولكن في ايام الثورات الهائلة لا تكون البندقيات اللطيفة الثمينة في الايدي اللطيفة البيضاء دائماً . بل انها اكثر ما تكون في الايدي الضخمة القوية

ولما وصل هذا الرجل الى الحانة المذكورة دخل اليها فوجدها خالية خاوية فجلس على مائدة هناك واخذ ينظر الى الباب كانه يتوقع قدوم قادم عليه . ولكنه لم ينتظر طويلاً . فانه ما لبث ان دخل عليه رجل يقارنه في العمر اي انه في نحو الاربعين غير ان منظره وهيئة وجهه يدلان على ما في نفسه من الخشونة والجهل والفساد . فجلس هذا القادم الجديد على مقعد في الحانة بازاء الرجل الاول

ولكنه لم يستقر به المكان حتى التفت اليه الرجل صاحب البندقية وقال ضاحكاً — البرد قارص ايها الرفيق والملك لا يصل الا بعد مدة فهل لك ان نشرب معاً كأساً من الخمر

فحسب الرجل الثاني ان ذلك الرجل يخاطب انساناً غيره ولكنه رآه ناظراً اليه فسأله اتخاطبني انا . فاجاب نعم اخاطبك انت لانني قد ضجرت من الوحدة في هذه القهوة ومن طبعي الضجر دائماً فهل تشاركني في زجاجة من الخمر

فاجاب الرجل كيف لا ولك الفضل ايضاً . ثم قام وانحرف نحوه وجلس معه

الاسباب التي حملت المحكمة العليا على الحكم على الملك . ذلك ان هذا الحداد قد شهد ان رجال الملك دعوه الى قصره ليعمل له خزانة حديدية سرية كما ترى في هذا الفصل ثم انهم بعد اتمام عمله سقوه سماً لكي لا يبقى احد عارفاً بوجود هذه الخزانة . وسيرد الكلام عن ذلك بالتفصيل . وقد نشرت مجلة المقتطف في احد اجزائها الاخيرة على ما نذكر مقالة لاحد الكتاب الادباء عنوانها « صفحة من تاريخ فرنسا » وموضوعها هذه الحادثة التي حدثت بين الملك وحداده فالذين قرأوا تلك المقالة يجدون لذة خاصة في الفصل التالي والفصول التي تتلوه بهذا الموضوع

فاحضر صاحب الحانة زجاجة من الخمر وصب كاسين للرجلين فتناول كل واحد كاسه فقال الرجل الاول « نشرب نخب الامة » فنظر اليه الرجل الثاني وقال باسماً · احسنت نعم نشرب نخب الامة

ذلك ان اسم الامة قد شغل في ذلك الزمان كل شيء حتى الحانات فصاروا لا يشربون الا نخب الامة بعد ان كانوا يشربون نخب الملك · والسبب في ذلك ان السلطة والسيادة كانتا قد انتقلتا من الملك الى الامة

وبعد شرب الكاسين التفت الرجل الاول الى الثاني وساله · وهل انت مشتاق كثيرًا الى رؤية الملك حتى تبكر الى مشاهدته

فهزَّ الرجل الثاني كتفيه وقال له انا لا اشتاق الى رؤية الملك · فقال الرجل الاول ضاحكاً ولماذا · قال لانني قادر على رؤيته كلما اردت · فاظهر الرجل الاستغراب ثم قال عجباً وكيف ذلك فان اعظم الناس لا يستطيعون مشاهدة الملك كلما ارادوا · فقال ذلك الرجل ضاحكاً نعم لان اولئك العظماء الذين تعنيهم ليسوا معلمين للملك · فازداد الرجل اظهارًا لدهشته وقال · وماذا تعني بهذا القول هل انت معلم الملك · فاجاب نعم انا معلمه فقال وماذا تعلمه · قال لا اعلمه الآن ولكنني علمته منذ بضعة اعوام قال وماذا علمته · قال علمته صناعة الحدادة

فما لفظ الرجل الثاني هذه الكلمة حتى نهض الرجل الاول قائماً وانحنى باحترام قائلاً هل انا متشرف الآن بمخاطبة المعلم « كامين » — فضحك الرجل ولكنه سرَّ بهذا الاكرام واجاب نعم انا « كامين » الحداد اكبر الحدادين ومعلم المعلمين

فجلس الرجل الاول وهو يقول انك تعذرني اذا كنت لم اعرفك لاول وهلة يامسيو كامين على انني مسرور بهذا الاتفاق الذي اتاح لي شرف معرفتك · فحدثني الآن كيف كنت تعلم الملك لا ريب ان تعليمه صعب ومضجر لانك في كل كلمة يجب ان تقول له جلالتك وجلالتك · ثم صب كاسين من الزجاجة ايضاً · فضحك كامين وقال · لا لا · عندي في المعمل لا يوجد جلالتك ولا عظمتك فانني كنت اعامله كما اعامل رجلاً مثلي يريد ان يتعلم صناعتي · وهو رجل بسيط القلب لين العريكة فكان يرضى مني بكل شيء · كنت اقول له اصنعوا هذا · لا تصنعوا هذا · اضربوا هنا لا تضربوا هناك · امسكوا كذا لا تمسكوا هكذا · نعم انني كنت اخاطبه بالجمع وهو يخاطبني بالمفرد ولكنني ما كنت اقول له لا جلالتك ولا عظمتك لانه في معملي رجل مثلي ولو لم يكن ملكاً لكان دوني لان التلميذ

دون معلمه

فقال الرجل الاول نعم ولكنك في وقت الغذاء كنت ولا بد تذهب الى مائدة الخدامين فتاكل عليها والملك يذهب الى مائدته

فاجاب الرجل بنزق لا لا فانه كان يلذ له ان ياكل معي من الصحن الذي آكل منه لان ذلك يكفيه كما كان يقول عناء غسل يديه في غدائه مع الملكة ولذلك كان يفضل مائدتي في المعمل على مائدتها . وكانت الملكة تاتيه احيانًا فترى يديه الملطختين باثار الحديد فتقول له باشمئزاز « يداك قذرتان ياذا الجلال » وقد نسيت ان الذي يشتغل بالحدادة لا يمكن ان يكون نظيف اليدين

فقال الرجل الاول اترك هذا فانه يستدر الدموع وقل لي هل كان الملك لا يضجر من صناعة الحدادة . فاجاب المعلم كامين . كلا كلا وقد عهدته انه لا يكون مسرورًا كل السرور الا في معمل الحدادة وفي غرفة الجوغرافيا لما يبحث في خرائطه واوراقها وفي غرفة المكتبة لما يحادث امينها . ولكن المسيو ناكار كان لا يترك له وقتًا طويلاً لذلك بل ياتيه باكداس من الورق تضيع وقته وتسبب له الانقباض والحزن . فياليته خصص كل وقته بصناعة الحدادة فانه كان قد برع فيها براعة تفوق براعة المعلمين فيها لانه مستعد لهذه الصناعة كل الاستعداد خلافًا لصناعة الملك فانه بسيط القلب شريف النفس والاخلاق ولذلك لم يبرع فيها

فقال الرجل الاول لا بد انك صرت غنيًا لان الذي يعاشر الملوك يغتني من خيراتهم . فاجاب المعلم « كامين » لا ازال كما كنت فقيرًا وقد اصبح لويس السادس عشر مثلي لانه كان يعطي نصف ماله للفقراء والنصف الثاني للاغنياء ولذلك افتقر ولم يصنع لامثالي شيئًا . وقد كانت تحدثه نفسه ان يخفف نفقات بلاطه فانقص يومًا من الايام راتب المسيو كوانيي فجاء هذا الرجل وانتظره امام باب المعمل فما خرج الملك حتى عاد مسرعًا وهو اصفر اللون كالاموات فسالته ما به فاجاب ان المسيو كوانيي كاد يضربه لانه انقص راتبه فسالته ماذا صنعت فاجاب انه ابقى له راتبه كما كان خوفًا من غضبه . فتامل وقاحة هولاء النبلاء الذين يطلبون اخذ الرواتب والاموال بالقوة والغصب . ثم ان الملك في ذات يوم ابدى ملاحظة للملكة بشان ٣٠٠ الف فرنك تقبضها مدام بولينياك صديقتها . فاجابته الملكة ان هذا المبلغ يسير وجعلته بالرغم عنه عقابًا له ٥٠٠ الف فرنك . هكذا كان يعطي الملك النبلاء ابناء كوانيي وفودريل وبولينياك حتى انهم رحلوا الآن عن فرنسا وصناديقهم

طافحة بالملايين بعد ان كانوا لا يملكون شيئاً . كل ذلك دون ان يعطيني مبلغاً اكتفي به الفقر انا صديقه ورفيقه ومعلمه الذي علمه كيف يمسك المبرد والمطرقة في يده

فقال الرجل الاول ولكن لا بد انك تربح ربحاً وافراً من العمل معه بالحدادة فقال كامين ومن قال لك انني اعمل معه الآن فانني اصبحت اجتنبه لان معاشرته صارت خطراً في هذا الزمان ولا سيما بعد سقوط الباستيل . على انني لقيته مرة او مرتين منذ امد بعيد . المرة الاولى في الشوارع وكانت غاصة بالناس فاكتفى بانه سلم علي من بعيد . والمرة الثانية في طريق ساتوري فانه اوقف مركبته لما رآني وقال « صباح الخير يا كامين المسكين » وقد قالها متنهداً فاجبته يظهر من تنهدك انك غير مستريح البال فلا باس بذلك فانه عقاب لك على تركك الحدادة . فقال كيف امرأتك واولادك فاجبته بصحة جيدة وقابلية تفني كل شيء فقال لي الملك اصبر وخذ لهم مني هذه الهدية ثم مد يديه الى جميع جيوبه وفتشها كلها فلم يجد فيها غير تسع ليرات (بنتو) فتناولها واعطانيها قائلاً « يسوؤني ان اقدم لك هدية حقيرة كهذه » فتامل هذا الملك الذي لا يوجد في جيبه سوى تسع ليرات

فقال الرجل الم تره منذ ذلك الحين . فاجاب كلا فقال وكيف لم تره في ليل امس حين سفره من فرساليا عائداً الى هنا فقال الحداد لانني سافرت في الساعة الثالثة بعد نصف الليل اي قبل سفره . فاظهر الرجل استغرابه وقال كيف تسافر في الساعة الثالثة فقال هذا امر حيرني انا نفسي ولا باس ان اذكره لك . فان صاحب منزل كبير في باريز دعاني مساء امس الى ان اجيء باريز واصنع له شيئاً في منزله . ولكنه اشترط علي ان يستر عيني حين دخولي الى المكان وخروجي منه لئلا اعرفه . اما الشيء الذي يطلب ان اصنعه فهو خزانة كبيرة حديدية سرية توضع في جدار وتغطى بقطعة من الخشب مدهونة بلون الجدار حتى اذا اقفلت الخزانة لم يبن لها في الجدار اثر . فرضيت بذلك لانهم عرضوا علي اجرة وافرة وانا محتاج الى المال من اجل عائلتي فجئت معهم امس في الساعة الثالثة . فلما وصلت الى احد الشوارع صادفني رجل وسالني أانت المعلم كامين قلت له نعم فتناول منديلاً وربط به عيني ثم سار بي الى المنزل المذكور وادخلني الى الغرفة التي يريد وضع الخزانة في جدارها فرفع الرباط عن عيني واراني العمل الذي يجب ان اعمله فما زلت اعمل حتى الصباح ففرغت منه فانقدوني مبلغاً وافراً من الذهب ثم اخرجوني مربوط العينين كما ادخلوني

وكان الرجل الاول يسمع هذا الحديث وهو مهتم به في نفسه اشد اهتمام وان كان لم

يظهر على وجهه شيء من علائم الاهتمام به . فلما سكت كامين ساله افلم تسترق نظرة من وراء الرباط وتنظر الى طريق المنزل الذي دخلته . فاجاب كامين ضاحكاً لا اكتمك انني استرقت نظراً فانني وانا عائد من المنزل عثرت بدرجة فكدت اسقط فاغتنمت هذه الفرصة وزحزحت الرباط . فقال الرجل باهتمام . فماذا ابصرت . قال ابصرت صفوفاً واسعة طويلة من الاشجار . فقال الرجل ان هذا يدل على ان المنزل قائم في شارع كبير فاجاب الحداد ذلك محتمل

ولكن ما اتى كامين على هذا الكلام حتى دخل ثلاثة اشخاص الى الحانة وجلسوا امام المائدة الذي كان كامين وصاحبه جالسين اليها . فسكتا وحانت منهما التفاتة فسال كامين من هم هذان الرجلان والمرأة . فقال . الرجل الاول هو جان بول مارات (١) فسال كامين والاحدب الثاني . فاجاب هو بروسبير فريه . فقال كامين والمراة الجالسة بينهما . فضحك الرجل الاول وقال اذا سميتها لك لم تصدقني فقال كامين ومن هي . فاجاب الرجل هي « الدوق دكويلون في زي امراة »

ولكن ما لفظ الرجل هذه الكلمة حتى ارتعدت فرائص المراة والتفتت الى الرجل الذي سماها والتفت الرجلان الى تلك الجهة معها . فوقعت ابصارهم على الرجل الذي يجالس كامين فدهشوا واستعدوا للقيام على الاقدام قيام اكرام واحترام من مرؤوس الى رئيسه . فوضع الرجل الاول اصبعه على فمه مشيراً لهم بالسكوت والجلوس ثم نهض مع كامين وخرج من الحانة كانه وقف منه على ما كان يحب الوقوف عليه

وفي خروجه من الحانة ابصر الشعب مضطرباً يركض وراء رجل يدعى المزين ليونار واثنان من الرجال يحملان راسين بشريين من رؤوس الحرس الذين قتلوا في فرساليا وغرضهم ان يجعلوا ليونار يمشط شعر الراسين ويزينهما كما يزين رؤوس الاحياء . وكان هذا الجمهور الذي يحمل الراسين طليعة الشعب العظيم القادم بالملك من فرساليا

---

(١) مارات — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ٥٢

الفصل الثاني

﴿ كاليوسترو الرجل الهائل ﴾

ولم تنقض مدة يسيرة حتى وصل موكب الملك الى باريز ووراءه مركبات اعضاء المجمع الوطني . وكان الملك هادئًا جامدًا في مركبته والملكة شامخة الراس في مركبتها تحمل بين يديها ولي عهدها و بازاءها الدكتور جيلبار يمشي على قدميه بازاء باب المركبة . اما بيلو فانه بقي مع الكونت دي شارني في فرساليا لدفن جثة جورج . واما اندري امراة الكونت دي شارني فانها كانت جالسة في مركبتها وراء الملكة وهي مبهوتة جامدة غير ملتفتة الى الحركات الهائلة التي كانت تجري حولها كانها تمثال من رخام ناصع البياض يزيده اسوداد الشعب من حوله جمالاً وبياضًا . الا ان عينيها كانت تبرقان وترعدان كلما وقعتا على سبيل الاتفاق على عيني الدكتور جيلبار الذي كان سائرًا بازاء مركبة الملكة

وكان الشعب يهتف ملء رئتيه « فليحيَ لا فاييت فليحيَ ميرابو » كأنَّ الملك غير موجود في ذلك الموكب او كأن لافاييت وميرابو هما الملكان الحقيقيان

اما لافاييت فانه كان سائرًا على جواده امام مركبة الملك وسيفه مصلت في يمينه وهو يحيي الشعب به و يرفع قبعته . واما ميرابو فانه كان جالسًا في احدى المركبات التي كانت تقل أعضاء المجلس الوطني وقد جعل مجلسه السادس في المركبة ليكون قرب النافذة طلبًا للهواء اللازم لرئتيه الواسعتين . وكان يُخرج راسه من نافذة المركبة ليشاهد الشعب كلما صرخ الشعب « فليحيَ ميرابو »

وكان الشعب ينشد مع ذلك الصراخ اناشيد مختلفة و يتحادث بامور كثيرة . فكأن الملكة قد ثقل عليها صراخه ولا سيما هتافه لميرابو ولافاييت دون الملك فالتفتت الى جيلبار السائر امام مركبتها وسالته متهكمة . ماذا يقول شعبك ايها الدكتور

فعض الدكتور جيلبار شفتيه لهذا السؤال وقال في نفسه « لا تغير هذه المراة عادتها » ثم اجابها . وا اسفاه يامولاتي ان هذا الشعب الذي تسمينه شعبي هو في الحقيقة شعبك وقد كان يهتف لك منذ سنوات اضعاف الهتاف الذي تسمعينه الآن

فقالت الملكة مستاءة من هذا الجواب . انا لا اسالك عن هذا وانما اسالك بماذا

يهتف وماذا ينشد وما هو موضوع حديثه حتى اننا نسمع له هذه الضوضاء الشديدة

فاجاب الدكتور جيلبار انه يهتف « ليحيَ ميرابو ولافاييت » (١) فقالت الملكة متهكمة ولماذا يطلب الشعب ان يحيَ ميرابو ولافاييت · فقال الدكتور جيلبار يطلب الشعب ذلك وانا اطلبه معه لاننا لا ننقذ الملكية الا ببقاء هذين الرجلين واتحادهما

فقالت الملكة وقد ارادت تغيير هذا الكلام لانه كان لا يرضيها وماذا ينشد الشعب فسكت الدكتور جيلبار · فقالت لا تسكت يا دكتور وصرح لي بكل شيء لانه لا يسوئني شيء · فقال الدكتور ان الشعب ينشد يامولاتي انشودة الفها وهي

ان للخبازة مالاً لا يكلفها عناء

فعبست الملكة وقالت · انا عالمة انه يلقبني الخبازة ولكني لا اعلم معنى هذين البيتين · فقال جيلبار ومعناها ياسيدتي انك صاحبة السلطة وقادرة على الحصول على المال دون ان تتعبي فيه اي ان خزانة الدولة تحت امرك واموالها في قبضتك

فقالت الملكة وقد حولت وجهها ضجرًا وما هو حديث الشعب الآن · فقال جيلبار ان الشعب يقول الآن « انه قد حصل على الخباز والخبازة وخادمهما ولذلك فانه يؤمل ان يزول الجوع الذي يعانيه»

وكانوا يعنون بالخباز الملك والخبازة الملكة وبخادمهما ولي العهد

فقالت الملكة وما هذا الكلام البارد · فقال الدكتور جيلبار · ليس هذا الكلام باردًا ياسيدتي وانما هو نكتة لا تخلو من حكمة · فان الشعب يعتقد بانه يوجد في فرساليا تجارة عظيمة بالدقيق · وهذه التجارة هي التي تحول الدقيق في اعتقاده عن باريز الى فرساليا لمنفعة الملك واتباعه · فاذا سكن الملك باريز تحولت اليها تجارة الدقيق فزالت المجاعة الهائلة التي يقاسيها الباريزيون الآن · واي شيء احسن من ان يعتقد الشعب ان الملك لا يحل بين ظهرانيه حتى تحل البركة معه فياتيه خبزه عفوًا · وفي الحقيقة اليس الملوك نوابًا عن الله الذي يوزع الخبز على البشر · واذا كان الملوك نوابًا عن الله في توزيع الخبز فاية غرابة في ان ينتظر شعب خبزه من الملك و يطلب ان يكون ساكنًا بين ظهرانيه ليكون قريبًا منه فيتمكن من توزيع الخبز عليه

فحولت الملكة حينئذ نظرها عن جيلبار والغضب بادٍ في عينيها لعدم رضاها عن

(١) ميرابو ولافاييت — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ١٠٣ والثاني صفحة ١٧

هذا الكلام واذا باصوات ارتفعت وحركة عظيمة حدثت في الشعب المجتمع حول مركبتها فالتفت جيلبار ليرى سبب ذلك فابصر الشعب يندفع فرارًا من وجه جمهور قادم نحو الملكة وهو يحمل الرأسين اللذين مرّ ذكرهما ليريها اياهما . فصاح عند ذلك الدكتور جيلبار بالملكة مولاتي استحلفك بالله ان لا تنظري الى يمينك

ولكن الملكة كانت ممن لا يرهبهم شيء ولا يطيعون امرًا فما سمعت كلام الدكتور حتى التفتت الى اليمين فابصرت الرأسين المحمولين على رمحين فصرخت صراخًا هائلاً

غير انها ما صرخت هذا الصوت حتى انصرف نظرها عن هذا المنظر الهائل الى منظر اشد هولاً

ذلك انها وجدت في الجهة التي التفتت اليها رجلاً واقفًا ينظر اليها وهو باسم . فعرفت هذا الرجل ولذلك اصفرّ وجهها حتى صار كوجوه الاموات وخفق قلبها وشخصت عيناها اليه كانها اصبحت عاجزة عن صرفهما عنه

وكان هذا الرجل الذي احدث في الملكة هذا التاثير المخيف هو الرجل الذي حادث في الحانة الحداد "كامين" وشرب الخمر معه

اما جيلبار فقد راعه اصفرار الملكة وخوفها ولا سيما انه رآها تنظر الى جهة غير جهة الرأسين . فتحقق المكان الذي كانت تنظر اليه مبهوتة خائفة ونظر اليه ايضًا

ولكنه ما وجه نظره اليه ووقع نظره على ذلك الرجل حتى اجفل جيلبار واي اجفال وحينئذ خرج من فمه ومن فم الملكة معًا هذه الكلمة

— كاليوسترو . يالله (١)

فضحك ذلك الرجل ومد يده مشيرًا باصبعه الى جيلبار اشارة معناها: تعالَ مسرعًا .

---

(١) كاليوسترو — هو الكونت كاليوسترو الذي كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه كان يزعم انه ولد في مالطه او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل واسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها . وكان يزعم معرفة الغيب ويدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان لغناه ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسيح فيها . وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء . اما النساء فكن يحسبنه الهًا لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن . وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها . وقد كان صديقًا

واتفق ان الشعب كان يزحم مركبة الملكة في تلك الساعة فمدت الملكة يدها ودفعت جيلبار لحفظه من الزحام فحسب جيلبار ان الملكة تامره بالذهاب الى ذلك الرجل . فسار نحوه . اما الرجل فلما راى جيلبار قد قصده ترك مكانه وسار في طريقه متلفتاً من حين الى حين ليرى اذا كان الدكتور لا يزال يتبعه . واما الملكة فقد استمرت سائرة في موكب الملك وهي غائصة في بحر الافكار والتاملات

الفصل الثالث

﴿ ملكي وجمهوري ﴾

وما زال الرجل سائراً والدكتور جيلبار يتبعه حتى وصلا الى قصر شاهق فقصد الرجل المجهول باباً صغيراً وفتحه بمفتاح معه ثم ابقى الباب مفتوحاً لدخول ضيفه . فدخل الدكتور وراءه

فراى الدكتور نفسه في فناء واسع فصعد منه الى القصر ودخل الى قاعة مفتوحة وهي مفروشة باثمن الاثاث وافخر الفراش ولبث ينتظر فيها لان الرجل غاب عنه في القصر بعد دخوله

ولكنه ما غاب بضع دقائق حتى عاد اليه وكان قد غير ملابسه ولبس ثياباً من افخر الثياب . فلما رآه الدكتور قادماً اليه وهو باسم الثغر هرع اليه والقى نفسه بين ذراعيه قائلاً — يامعلمي . فقال الرجل وهو يضحك . لا ياجيلبار لم اعد معلمك لانك اصبحت رجلاً كبيراً وقد عملتَ من الاعمال الكبيرة ما صيرني تلميذك وصيرك معلماً لي

حمياً للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسالة « عقد الملكة » وهي المسالة التي اتهم بها الكردينال . ولذلك حكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا . وكانت الملكة ماري انطوانت تخشى شره وتريد بُعده ولذلك ارتاعت هنا لما رأته عاد من منفاه واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم . اما ديماس فانه يجعله رجلاً قوياً كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه . وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه . ولما كان يقول عن الملوك « اننا نسقطهم » فقد كان يعني بقوله نفسه والماسونيين رفاقه . وقد انشأ في

ثم جلسا فقال جيلبار شكراً لك على هذا الثناء ولكن من ادراك بما صنعت حتى تقول هذا القول

فنظر اليه الرجل ضاحكاً وقال . الا تزال تسالني هذا السؤال كانك نسيت انني اقرأ ما في القلوب واعرف ما في الكلى . فضحك جيلبار وقال ولكنني رجل مادي كما تعلم . فقال انت مادي اي انك لا تصدق الا بالبرهان فاليك البرهان . اتريد ان اقص عليك ما صنعته من يوم افتراقنا الى الآن حادثة حادثة فقال جيلبار نعم اريد ذلك . فاخذ الرجل يقص عليه كلما صنعه من صغيرة وكبيرة حادثة حادثة حتى دهش الدكتور وظهرت دلائل الاستغراب على وجهه بالرغم عنه . فساله الرجل ما قولك الآن . الا تزال تسالني من يدريني بالامور فقال الدكتور اشكرك على هذه الاقوال التي قلتها لانها تدل على شديد اهتمامك بي وسؤالك عني

ثم قال الدكتور جيلبار تكلمت الآن عني فهل لك ان تتكلم عن نفسك . فقال ماذا تريد ان اقول . قال اريد ان تخبرني ماذا فعلت في السنوات الثماني الماضية التي افترقنا في اثنائها فاجاب كاليوسترو

صنعت ما صنعته انت اي انني كنت ادنو من الملوك والامبراطرة . ولكن الفرق بيني وبينك انك تدنو منهم لتثبتهم وتعينهم وانا ادنو منهم لاسقطهم عن عروشهم فقال جيلبار وبماذا تسقطهم فقال ذلك الرجل

اسقطهم بانني اجعلهم فلاسفة وعلماء . ولا اكتمك ان فولتير وديدرو قد مهدا لي

باريز في حوالى سنة ١٧٨٤ لوجاً ماسونياً سماه « اللوج المصري » وجعل فيه لقب « القبطي العظيم » مكان لقب « المحترم » ثم انشأ لوجاً آخر سماه لوج « ايزيس » كان خاصاً بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة بريين ومدام شرلوت دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن . وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج

ولاسكندر دياس رواية تدعى جوزف بالسومو سابقة لهذه الرواية وموضوعها كاليوسترو نفسه لان « جوزف بالسومو » من القابه . ولميرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتباً في هذا الموضوع . ولا ريب ان القارئ بعد ما علمه عن هذا الرجل قد اصبح كثير الاستطلاع لمعرفة ما يعمله ويراه كاليوسترو في الحوادث المستقبلة

هذا السبيل احسن تمهيد فضلاً عن صديقي الملك فردريك(١) الذي كان قدوة حسنة لجميع الملوك · ولكنني مع ذلك عانيتُ في هذا السبيل ما عانيتُ · على ان كل عناء في هذا السبيل لا يُعد امراً مذكوراً بازاء النجاح · والنجاح مضمون ما دام كثيرون من الملوك يساعدوننا بجهلهم وغلوهم على قلبهم واسقاطهم كما ساعد بعض البابوات على اسقاط المذابح والهياكل · واحصِ معي الملوك الذين نجحنا الى الآن معهم · اولهم الامبراطور جوزيف الثاني (٢) شقيق ملكتنا الذي اخذ يضطهد الاكليروس ويلغي الديور ويطرد الرهبان حتى النساك من مناسكهم ويرسل الى شقيقتـه الملكة رسوماً تمثل رجال الدين شر تمثيل · وثانيهم ملك الدانمرك الذي كان يقول (١) وهو في السابعة عشرة من عمره « ان المسيو فولتير هو الذي جعلني رجلاً افتكر واعي ما في هذا الوجود » وثالثهم الامبراطورة كاترين قيصرة روسيا التي نالت من الفلسفة اوفر نصيب (٣) والتي كتب اليها فولتير مع انها كانت تعذب بولونيا وتجزئها « انني مع ديدرو ودالمبر اقيم لكِ هياكل الاكرام والاحترام » ورابعهم ملكة اسوج ثم يليهـا امراء المانيا · هؤلاءهم الملوك الذين ربحناهم الى الآن بقوة الفلسفـة · فهل رأيت اعظم من الفلسفة واشد قوة منها في هذا العالم

فاجاب جيلبار ولكن بقي لديكم البابا فهل تستطيعون استمالته

فقال كاليوسترو اما البابا فان استمالته امر في غاية الصعوبة ولكن كما ان الملكية قد

(١) الملك فردريك — هو فردريك الثاني ملك بروسيا الملقب بفردريك العظيم وانما لقب كذلك لشهرته في ساحة الحرب ولانشائه الجيش البروسي وحبه للعلوم والآداب والفنون · وقد كان من انصار الفلسفة الحديثة ولذلك استدعى اليه فولتير لما اضطهده مقاوموه وكان شديد الميل اليه والاعجاب به وكان يكتب له « صديقي العزيز » · ولد في سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٨٦ · وكان قدوة حسنة لملوك اوربا كلهـا في نصرة الآداب وحب خير البلاد · ولذلك قال عنه كاليوسترو في هذا الفصل ما قال

(٢) جوزف الثاني — هو الامبراطور جوزف الثاني ملك المانيا من سنة ١٧٦٥ الى ١٧٩٠

(٣) كاترين الثانية — هي قيصرة روسيا الملقبة بكاترين العظيمه وزوجة بطرس الثالث · حكمت روسيا وحدها منذ سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٩٦ · وكانت محبة للعلم والفلسفة ولذلك شهد لها فولتير الشهادة التي تراها فوق

تزعزعت ولقيت يومها فكذلك ستلقى البابوية يومها ايضاً . وقد كنت منذ مدة في قصر سنت انج (١) لما كنت انت منذ مدة في الباستيل

فقال الدكتور اكنت ضيفاً ام اسيراً . فقال كنت سجيناً فيه ولكني استطعت الفرار منه فاشاعوا انني انتحرت ودفنوا احد الحراس بدلاً مني ولو اتيتهم الآن وقلت لهم انني كاليوسترو لما صدقوني

فقال وكيف عدت الى باريز ألا تخشى ان يلقوا القبض عليك لسوابقك الماضية فقال ضاحكاً كلا لا اخشى الآن احداً لانني قادر ان اثير فتنــة بكلمة واحدة لما لي من العلاقة مع الشعب . هذا فضلاً عن انني صديق للافاييت وميرابو ولك انت ايضاً فمن يستطيع ان يمسني بسوء . ومع ذلك فانني عدت الى باريز متنكراً باسم « البارون زانون » وانا ادعي انني صاحب بنك من جنوى اصرف الاوراق المالية مهما كانت قيمتها . وعلى ذكر الاوراق المالية اقول لك كلمة ياجيلبار فاخبرني الست في حاجة الى المال

فقال جيلبار ضاحكاً كلا فانني املك ٢٠ الف ليره دخلاً سنوياً . فقال كاليوسترو ضاحكاً نعم انني اعلم بذلك واعلم ايضاً انك شريك لبيلو المزارع القوي الذي تبقيه في باريز لمساعدتك بالرغم عنه مع ان عائلته الآن محتاجة اليه في بلاده . ولكني اذا عرضت عليك المال الآن فانما افعل ذلك للمستقبل اذ ربما احتجت الى مال كثير وكنت غير قادر على الوصول الى شيء منه فحينئذ ليس عليك الا ان تقصد هذا القصر فتدخل من الباب الذي دخلته الآن بضغطك على زر ساعتك الآن كيف تضغط عليه ثم تصعد الى هذه الغرفة فتجد هذه الصندوقة في هذه النافذة فتمد يدك اليها وتضغط على هذا الزر فتنفتح لك فتجد فيها دائماً لا اقل من مليون فرنك

قال الرجل ذلك ثم ضغط على الزر فانفتحت الصندوقة وبان للدكتور ضمنها كومة من الذهب واوراق مالية كثيرة . فاجابه الدكتور شكراً لك يا معلمي ولكن اخبرني ماذا قدمت تصنع في باريز . فاجاب كاليوسترو قدمت لاصنع ما صنعت انت في الولايات المتحدة : اي ان اؤلف جمهورية

(١) سنت انج — هو حصن من حصون رومه اتخذته السلطة البابوية تارة سجناً للذين تريد سجنهم وطوراً ملجاء لها . وقد سجن فيه كاليوسترو هو وامرأته في ٢٣ دسمبر سنة ١٧٨٩ بامر من ديوان التفتيش وذلك لانه ماسوني وقد حُكم عليه بالاعدام ثم ابدل الاعدام بالسجن المؤبد

فهز جيلبار راسه وقال وهل تظن ان في فرنسا روحاً جمهوريًا . فقال سنبث فيها هذا الروح . قال ولكن الملك يقاومكم . قال ذلك من المحتمل . قال والاشراف يحملون السلاح لاحباط مساعيكم . قال ذلك من المحتمل . قال فماذا تصنعون حينئذٍ . قال اذا لم نستطع ان نصنع جمهورية فاننا نصنع ثورة

فلوى جيلبار راسه على صدره ولبث مفكرًا . ثم قال . امر هائل يا يوسف اذا وصلتم الى هذا الحد . فقال نعم يكون هائلاً اذا وجدنا في طريقنا كثيرين بقوتك ومقدرتك . فقال جيلبار انا لست قويًا ولكني امين لمبداءي . فقال كاليوسترو وهذا اشد علينا من القوة (١) ولكن ما رايك في عملنا . فقال جيلبار رايي اننا قادرون عليكم . قال على ماذا انتم قادرون . اعلى منعنا من ان نعمل . قال كلا ولكن على ايقافكم في الطريق قبل الوصول الى غرضكم . فقال كاليوسترو

لا شك انك مجنون ياجيلبار لانك تجهل مهمة فرنسا والوظيفة التي خُلقت لها في العالم وليس في استطاعة احد ان يمنعها منها . ان فرنسا هي دماغ العالم فيجب ان يكون هذا الدماغ حرًا يفتكر بما يشاء ليعمل العالم بفكره ويكون حرًا مثله . اتعلم ما الذي هدم الباستيل ياجيلبار

قال الشعب هدمه . قال كلا فان قولك هذا من قبيل اعتبار المعلول علة . ليس الشعب الذي هدم الباستيل . فان ملوك فرنسا صرفوا خمسمائة سنة وهم يسجنون فيه الامراء والنبلاء والاشراف ومع ذلك فقد بقي الباستيل قائمًا . ففي ذات يوم خطر للملك جاهل ان يسجن فيه الفكر . الفكر الذي يحتاج الى الفضاء الذي لا نهاية له ليرفرف فيه . الفكر الذي لا يُحصر في مكان الا ويفجر ذلك المكان . ففجر الفكر الباستيل بقوته ونسفه نسفًا . فالفكر هو الذي هدم الباستيل لا الشعب ياجيلبار

فقال جيلبار لقد صدقت . فقال كاليوسترو اتذكر ما كان يقول فولتير قبل موته . انه كتب الى المسيو شوفلين في ٢ مارس سنة ١٧٦٤ اعني منذ ٢٦ سنة ما نصه

« كل ما اراه يدل على انه يوضع الآن في هذه البلاد بذار ثورة لا بد ان تنفجر يومًا من الايام . ويسوؤني انني لا اكون من شهود هذه الثورة . ولكن يسرني ان الفرنسويين سيصلون اليها وان كانوا متاخرين . فان النور آخذ بالانتشار يومًا عن يوم

(١) ما اجمل هذا الكلام

حتى انه سياتي يوم يكفي فيه اقل الامور لينفجر انفجارًا . وحينئذٍ تحدث ضوضاء جميلة فما اسعد الفتيان لانهم سيرون امورًا شائقة »

هذا ما كتبه فولتير منذ ٢٦ عامًا وانت ترى انه كان نبيًا اذ هل رايت اجمل من هذه الضوضاء التي يقوم بها شعب باريز في هذا الزمان . ومع ذلك فما زلنا يا جيلبار في بداية الضوضاء

فقال جيلبار نبوءتك نبوءة شؤم . فقال كلا وانما ارى الدلائل تدل على ذلك . اسمع لاقص عليك هذا الخبر . من منذ بضعة ايام زرت صديقًا لي يدعى الدكتور كليوتين(١) فهل تعلم باي شيء وجدته مشغولاً وجدته يصنع آلة هائلة تعدم ٥٠ او ٧٠ او ٨٠ شخصًا في اقل من ساعة . فهل ليس ذلك دليلاً على ان هذا الزمان قد اصبح محتاجًا الى هذه الآلة حتى قام رجل يفكر باختراعها . اولا تذكر ما يقولون من ان الحاجة ام الاختراع واذا كانت هيئتنا الآن محتاجة الى هذه الآلة فذلك دليل على ان رؤوسًا كثيرة ستسقط عن اكتافها بضيق اوقات الجلادين عنها . ومن اجل ذلك قلت لك اننا الآن لا نزال في بداية هذه الضوضاء

فتضجر جيلبار من هذا الكلام وقال . انك تخيفني بهذا القول يا يوسف فلماذا لا تكون هنا معزيًا ومطمئنًا للافكار كما كنت معي في اميركا

فقال كاليوسترو بهدوء . لان البون بين هنا وهناك عظيم . فقد كنا هناك في وسط هيئة آخذة بالنهوض ونحن الآن في وسط هيئة آخذة بالسقوط

فقال جيلبار . انني اترك لك النبلاء يا كونت فليسقطوا . ولكني اريد انقاذ الملكية لانها حصن الامة

فضحك كاليوسترو ثم قال . الا تزال الكلمات الكبيرة تفتن عقلك ليس . من حصن للامة غير الامة نفسها ومع ذلك فالملكية لا يمكن انقاذها بملك كهذا الملك

فقال جيلبار ولكنه من نسل عظيم . فاجاب كاليوسترو نعم انه من نسل نسر ولكنه انقلب الآن وا اسفاه حمامًا . وهل ترى في لحمه الرخو وشفتيه البارزتين المتدليتين وعينيه الضعيفتين وخطوته الواهنة ما يدل على نشاط وقوة ارادة يستطيع بهما الخروج من الهاوية التي سقط فيها . قابل بينه و بين سان لويس وفرنسوى الاول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر وفيليب اغسطس اولئك الرجال الذين كانوا ممثلين قوة ونشاطًا وانظر الا ترى فيهم ما يدل على انهم قوم ينهضون وفيه ما يدل على انه رجل آخذ في السقوط . وسبب ذلك

(١) هو طبيب فرنسوي صانع « الكليوتين» الآلة القاتلة ولد سنة ١٧٣٨ وتوفي سنة ١٨١٤

« الزواج بين الاقرباء » . فان اجداد لويس السادس عشر كانوا يتزوجون باقرب البنات اليهم وهكذا يتكرر دم العائلة فيهم فيضعف شيئًا فشيئًا لعدم دخول عنصر قوي جديد اليه من دم غريب . انظر آخر الرجال من الاسر المالكة التي سقطت انظر هنري الثالث آخر اسرة فالوى وغاستون آخر اسرة مدسيس والكردينال ديورك آخر اسرة ستوارت وشارل السادس آخر اسرة هبسبورج فانهم كلهم كانوا ضعاف العزائم صغار النفوس وذلك لان دماء اسرتهم تكررت فيهم بزواج اجدادهم باقرب قريباتهم . اترك الانسان وخذ الحيوان خذ كلبًا او فرسًا جوادًا وكرر النسل فيه مرارًا من غير ان تدخل الى نسله دمًا غريبًا عن نسله فانك عند الفرس الرابع من هذا النسل تجد هذا الفرس احط كثيرًا من الفرس الاول . فاذا كان نسل الحيوان يضعف بتكرار دمه فكيف الانسان . ماذا ترى في هذا ايها الدكتور

فنهض حينئذ جيلبار واتجه صوب الباب قائلاً ان قولك هذا يزيد خوفي ورغبتي في البقاء قرب الملك . فقال كاليوسترو ولكنني احبك ياجيلبار . احبك ولذلك اشير عليك بان تنصح للملك ان يهرب من باريز ويترك فرنسا كلها . فالتفت اليه جيلبار وقال وكيف تستجيز ان تشير على الجندي ان يفر من مكانه . فاجاب كاليوسترو بهدوء . نعم اذا كان العدو قد احاط بهذا الجندي من كل جانب واقفل دونه كل باب للامل فانني اشير على الجندي بالانسحاب والتماس مفر

فقال جيلبار بشيء من الحدة . انت تعلم يا كونت انني رجل لا يعبأ بتصاريف الزمن . فليكن ما يكون فانني انصح له بالبقاء في مركزه . استودعك الله يا كونت . ستراني واراك في اثناء النضال وربما نمت واياك النوم الابدي في ساحة القتال الواحد بجانب الآخر . فقال كاليوسترو سترى ان نبوءتي كانت صادقة . فالتفت اليه جيلبار وهو سائر وقال ضاحكاً اما زلت تقصد اقناعي بانك نبي

وهنا قُرع الباب . فقال جيلبار . اسمع يا كونت ان الباب يُقرع وانت تدعي النبوءة فهل لك ان تخبرني الآن قبل ان ترى القادم من هو وماذا يحدث له

فقال كاليوسترو بهدوء ان القادم هو المركيز ففراس وهو من عملائي الذين يستقرضون المال مني . فقال وماذا يحدث له في حياته

فقال انتظر لاقول لك ذلك ان يدخل . ثم اتجه نحو الباب وفتحه فدخل رجل تدل هيئته على انه من اكابر النبلاء . فسلم على كاليوسترو فعرفه كاليوسترو

الجامعة

الجزء التاسع — السنة الثانية

الاسكندرية دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠٠ — شعبان سنة ١٣١٨



٦



٣



٢



١



٥



٤

(١) اسكندر المكدوني صاحب الترجمة · (٢) الفيلسوف ارسطو معلمه
(٣) الملك فيليبوس ابوه · (٤) الخطيب ذيموستينوس مقاوم فيليبوس اباه
(٥) المؤرخ فلوطرخوس · (٦) تمثال جوبيتير الذي كانوا يزعمونه
ابا الاسكندر

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اسكندر الكبير في مصر

وبناؤه الاسكندرية

فرح المصريين بانتصاره على الفرس · قطعه الصحراء لزيارة هيكل عمون · ردّ قولهم عن غرق الناس في رمال الصحراء · تلقيب الكهنة المصريين اسكندر «ابن جوبيتير» والخلاف في ذلك · توزيعه السلطة في مصر · روايتان فكاهيتان عن بناء الاسكندرية واحدة لفلوطرخوس والثانية للمسعودي

وصلنا في الاجزاء السابقة الى استيلاء اسكندر المكدوني على سوريا وفلسطين في شنه الغارة على مملكة الفرس وقصده داريوس ووعدنا بالكلام على قدومه الى مصر وانجازًا للوعد نقول

لما خرجت سوريا وفلسطين من ايدي الفرس فرح المصريون بذلك لان الفرس كانوا قد اساءوا اليهم باضطهادهم وسوءمعاملتهم : وبعد استيلاء الاسكندر على سوريا وفلسطين قصد مصرًا فاجمل المصريون استقباله لانه تغلب على عدوهم فدخل اسكندر بلادهم في شهر دسمبر من سنة ٣٣٢ للميلادالمسيحي واغتنم فرصة رضائهم فتحبب ما استطاع اليهم

قال فلوطرخوس : وقد رام اسكندر السفر الى هيكل الاله عمون ليذبح له · ولكن الطريق كانت طويلة شاقة فضلاً عن ان فيها صعوبتين · الاولى قلة الماء في الصحراء وشدة ظمإ المسافرين فيها والثانية هبوب ريح شديدة من جهة الجنوب تثير الرمال وتسفيها على القوافل فربما دفنتها تحتها كما حدث لجيش قمبيز الذي دفنت منه ٥٠ الف رجل · نقول وتعرف هذه الريح اليوم بريح الخماسين · على انها ليست بذات خطر الى الحد الذي رواه فلوطرخوس · فقد قال مؤلف كتاب« بحث في منتقدي تاريخ اسكندر » ان المصريين كانوا يشيعون هذه الاشاعات في ذلك الزمان رغبة في اثناء الفاتحين عن التوغل في بلادهم · وقد اقام هذا المؤلف البرهان على فساد هذه الاشاعات بقوله انه كان لليونان طريق يسلكونها حين قصدهم هيكل عمون لزيارته

الا ان اسكندر كان ممن لا يثنيهم شيء عن عزمهم متى عزموا على امر فشد رحاله وسافر في الصحراء بقصد هيكل الاله . قال بعض المؤرخين اليونان : فاعانه الاله جو بيتر بان ارسل مطرًا غزيرًا برد معه الهواء واعتدل الجو ورصت الارض فاصبح رملها لا يثار بسهولة . وفضلاً عن ذلك فانه لما كانت الحواجز القائمة في الصحراء لهداية المسافرين قد تضعضعت وتهدمت وصارت جنود اسكندر تروح وتجيء على غير هدى فقد بعث اليها الاله المذكور بسرب من الغربان لتهديها سواء السبيل فاذا سارت الجنود طارت الغربان وسارت في مقدمتها واذا وقفت الجنود انحطت الطيور الى الارض. اما في الظلام فان هذه الطيور كانت تنعق نعيقًا شديدًا كلما ضلت الجنود الطريق ..... وقد روى هذه الفكاهة المؤرخ كاليستين

ولما وصل اسكندر الى هيكل الاله عمون دعاه نبي الهيكل بابنه فسال اسكندر الاله هل انه قد انتقم من جميع قتلة ابيه . فاجابه نبيُّ الاله « ماذا تقول ؟ الا تعلم ان اباك لا يموت » ولا يخفى ان في هذا القول اشارة الى ما ذكرناه قبلاً من اعتقاد اليونانيين بان اسكندر هو ابن الاله جو بيتير لا فيليبوس المكدوني . اما اسكندر فلما سمع جواب الاله (وكل ذلك بحسب رواة التقاليد المصرية واليونانية) استدرك وقال على الفور « هل انتقمتُ من جميع قتلة فيليبوس ثم سأل هل تسلطه الآلهة على جميع الناس فيحكم البشر كلهم » فاجابه كاهن الاله عمون انه قد انتقم من جميع قتلة فيليبوس وان الالهة ستحكمه في رقاب البشر . فاهدى حينئذ اسكندر الى الاله والى كهنة الهيكل هدايا نفيسة زادت في ميلهم اليه

هذا ما رواه مؤرخو اليونان والرومان عن هذه الحادثة التي اختلفت الاقوال فيها لاهميتها . اما اسكندر نفسه فانه قال في كتاب كتبه الى امه ان كاهن الاله المصري اجابه اجوبة سرية لا يستطيع ان يقولها لاحد غير امه ثم وعدها بان يطلعها عليها حين عودته . وروى غيره ان كاهن الاله قد اخطأ في كلامه مع اسكندر فحسب اسكندر انه لقبه « ابنه » . ذلك ان الكاهن خاطبه باليونانية تحببًا اليه فقال له O paidion ومعناها « يابني » ولكنه وضع S في آخر الكلمة بدلاً من N فصارت O pai dios ومعناها « ابن جو بيتير » لان الكاهن المصري كان لا يحسن اليونانية . فعاد اسكندر من هذه الزيارة مبهوتًا مفكرًا . وروى غيره رواية اخرى فقال بل ان اسكندر نفسه كان لا يكره ان يوصل الناس نسبه الى الآلهة على سبيل الاعتزاز والافتخار ليزداد رفعة في

عيونهم ولذلك لم يكذب ما تناقلوه عن الوهيته بل ترك رجاله يشيعون عنه بهذا الشان اشاعات مبهمة غامضة كان يؤولها الشعب و يفسرها على هواه . وقال غيرهم بل انه هو نفسه كان مرتاباً في اصله . وهذه الحقيقة لم تتقرر الى الآن

ولكن قد نقرر ان اسكندر استحسن جداً في حديث جرى له مع الفيلسوف بسامون المصري هذا المبدأ « ان الله ملك على جميع البشر لانه حاكم عليهم . وكل حاكم هو ذو سلطة الهية مقدسة » . على اننا نعرف لاسكندر فلسفة في هذا الموضوع ارقى من هذه الفلسفة وهي « ان الله ابٌ لجميع البشر ولكنه يفضل ابناءه الفضلاء على غير الفضلاء »

اما سبب زيارته لهيكل عمون فقد اختلفت الاقوال فيها ايضاً . فمن قائل انه زار هذه الزيارة استرضاءً للاهالي واستمالةً لهم . ومن قائل ان اسكندر كان يعتقد بالتوحيد الرباني وكان التوحيد معروفاً عند الكهنة المصريين وان كانوا يكتمونه فذهب الى هيكلهم الاعظم لمباحثتهم والوقوف على آرائهم

وقد نال اسكندر بعد هذه الزيارة الدينية حظوى في عيني الشعب فاحبوه وزادحبهم له انه كان في نظرهم فوق البشر لانه من نسل الآلهة . اما عمله في مصر فانه كان مقصوراً على توزيع السلطة فيها لئلا يستأثر بها رجل واحد فتقوى عصبيته ويشتد ساعده عليه . هذا فضلاً عن بنائه مدينة « الاسكندرية » الذي يعدّ في الحقيقة اعظم عمل عمله فيها

✻ بناء الاسكندرية ✻

روايتا فلوطرخوس والمسعودي

وكانت مصر في ذلك الزمان معتزة بتمدنها الشرقي وكان يحق لها ان تعتز به لانها كانت صلة بين الشرق والغرب . فبنى فيها الاسكندر المدينة التي سماها باسمه وهي « الاسكندرية » كأنه علم بانها ستزيد مصر عزاً وفخراً وترث مدينة صور التي كانت سيدة البحار في تلك الايام

وقد قص كلٌّ من فلوطرخوس والمسعودي تفصيل بناء اسكندر مدينته فنحن نروي هاتين الروايتين من قبيل التفكهة والتسلية لا من قبيل التاريخ . اما رواية فلوطرخوس فهي

لما كان اسكندر في غزة قبل قدومه الى مصر سمع في الحلم شيخاً ينشد امامه بيتين من قصيدة « الاوديسه » جاء فيهما ما ترجمته

« في وسط البحار الواسعة التي تبلل شواطئ مصر
« توجد جزيرة " فاروس " المشهورة منذ الدهر

فانتبه اسكندر من نومه وعزم حينئذٍ على قصد مصر ومشاهدة جزيرة فاروس المذكورة في البيتين · وهذه الجزيرة هي الآن جزيرة الفنار امام الاسكندرية

فلما وصل اسكندر اليها وشاهدها استحسن ان يبني عندها مدينة ويسميها باسمه فاستدعى المهندسين والبنائين وامرهم ان يرسموا المدينة · ولم يكن لدى هولاء طباشير ليرسموا حدود المدينة بها فتناولوا شيئًا من الدقيق واخذوا يذرونه على الارض حتى رسموا به للمدينة رسمًا بشكل هلال متسع جدًا · فاعجب اسكندر بهذا الرسم ولكنه ما لبث ان رأى اسرابًا من الطيور الكبرى قد هبطت الى ذلك الدقيق وصارت تأكله · فتطاير اسكندر من ذلك فسكن العرافون خاطره بقولهم ان ذلك رمز الى ان المدينة التي يبنيها ستكون متسعة تغذي كثيرين من السكان على اختلاف اجناس الاسكندريين كما هي الحقيقة الآن

واما رواية الامام ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب فهذا نصها وعسى ان لا يملّ القارئ من مطالعتها · قال

" ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المكدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار ارضًا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها اثر بنيان وعمدًا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند فنزل الاسكندر ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالاً وحشد اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاشجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقيه واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اوقيانوس وحمل اليه من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندريه على ليلة منها في البحر وهي اول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة في وقتنا هذا (وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) دار صناعة الروم وبها تُنشأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي

"وامر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالاً منوطة بعضها ببعض واوصل جميع ذلك بعمود من الرخام كان امام مضربه وعلق على العمود جرسًا

عظيماً . صوتاً وامر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر اقطارها واحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد . نخفق الاسكندر براسه واخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود الماخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية وحيل حكمية . فلما راى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال اردت امرًا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد . اردت طول بقائها واراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها

" وان الاسكندر لما احكم بنيانها واثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فاتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يُبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان . فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر ما الذي يصنع واي حيلة يوقع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد احاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرًا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال . ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان معه من كتابه ممن لهم علم باتقان التصوير ومبالغة فيه وامر ان تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من الاطلية وامر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلاً اذا كان من شانه لما فيه من الهواء ان يطفو فوق الماء ولا يرسب في سفله . وجعل التابوت الى المركبين وطوّل حباله نغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤوسهم على مثال رؤوس السباع وفي ايدي بعضهم الفؤوس وفي ايدي بعض المناشير والمقاطع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في

ايديهم من آلات البناء . . . .

« فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور واحكموها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم واشكالهم ثم حرك الحبال فلما احس بذلك من في المركب جذبوا الحبال واخرجوا التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية امر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطيء البحر ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك :

« ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت امر الاسكندر ان يكتب على ابوابها « هذه الاسكندرية اردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والارض ومفنى الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها واتاني الله من كل شيء علماً وحكماً وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر عليّ في العالم شيء مما اردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفاً من الله اعز وجل وصنعا بي وصلاحاً لي ولعباده من اهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شيء »

« ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء . وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب اهلها شيء من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام ابصار الناس لشدة بياضه . فلما احكم بناؤها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير . ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على اعمدة هناك تدعى المسال - وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على

هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً واشكالاً وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم . وعند اصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين انه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفضت اخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تاتي في هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من اصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى ولهم في ذلك سر من اسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له . ولغيرهم ممن ذهب الى ان ذلك للطف قوي الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس . وما ذكرنا من درج الفلك فموجود في كتب من تاخر من علماء المنجمين والفلكيين كابي معشر البلخي والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني وماشاء الله وحسن اليزيدي ومحمد بن جابر البناني في زيجه الكبير وثابت بن قره وغير هولاء ممن تكلم في علوم هيئات الفلك والنجوم

انتهت هذه الرواية . وانه من الغرابة بمكان عظيم ان يصدق المسعودي خرافات كهذه الخرافات ولكننا نبهنا منذ البداية الى اننا لا ننقل هذه الرواية الا على سبيل الفكاهة

اما اسكندر فانه بعد اقامته مدة في مصر عاد الى سوريا ليزحف منها الى داريوس وسنأتي على تتمة الكلام

من الجنون ان يعتقد الانسان بانه يعرف كل شيء ومن العقل ان يدرس دائماً لزيادة معارفه (نيوتن)

في بعض الناس من يكون ثناؤهم عليك مهيناً شائناً كذم الذامين اياك . وفي طعن بعضهم ما يكون في الحقيقة مدحاً وثناءً (غريم)

في كل سنة تفقد البلاد مائة الف طفل بسبب استئجار الامهات مراضع لهم وعدم ارضاعهم بأنفسهن (الدكتور دوجاردين بومتز)

اهون على الانسان ان يقتبس مائة فضيلة من ان يصلح في نفسه نقيصة واحدة (لا بروبير)

ان اعظم مدح توجهه الى امرأة تريد مدحها هو ان تذم امامها المرأة التي تكرهها (مدام دي جراردين)

باب المقالات

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

او

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مولفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفة بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها . ويتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رئيسهم واخلاق الهنود ووصف شوءونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة يجدر بجمهور العقلاء ان يطالعوها بامعان كثير

١

منذ زمن بعيد انعقد في لندن مجمع موءلف من بعض علمائها للبحث عن الحقائق العلمية والتفتيش في جميع اقطار العالم عن كل ما من شأنه انارة عقول البشر وترقية شوءونهم وزيادة راحتهم . وقد انضم الى هذا المجمع كثيرون من نبلاء الانكليز واساقفتهم وتجارهم وبعض امراء الاسرة الانكليزية المالكة وبضعة من امراء شمالي اوروبا

وكان عدد العلماء في هذا المجمع عشرين عالمًا . فالقى المجمع الى كل واحد منهم سفراً فيه بيان المسائل العلمية التي عزم على ارسالهم الى اقطار الارض للبحث عن حل لها وعددها ثلاثة الاف وخمسمائة مسالة . وكانت كلها مع اختلاف موضوعها ملائمة لطبيعة الاقاليم التي قرر البحث فيها ومرتبطة بعضها ببعض اشد ارتباط حتى اذا انحلت احداها انحلّ معها ما يتقدمها وما يليها كأن رئيس المجمع الذي انشأها بمساعدة رفاقه الاعضاء قد شعر بان القضية قد يتوقف حلها على حل قضية اخرى مرتبطة بها وهلم جرًّا

وكان الرئيس يرى ان هذا العمل الذي عزم المجمع على عمله سيكون اعظم الاعمال

العلمية التي اقدم الانسان عليها لانه يكشف الغطاء عن مجهولات الكون ويجمع شتات الحقائق المتفرقة على ظهر الكرة الارضية . قال . واذا نجح هذا العمل العظيم كان اعظم دليل على ضرورة الهيئات الاكاذيمية (المجامع العلمية) لجمع الحقائق العلمية من اطراف العالم

وقد عهد المجمع الى اولئك العلماء فوق ما تقدم من البحث في المسائل التي اشرنا اليها ان يبتاعوا في طريقهم كل ما يجدونه من نسخ التوراة القديمة والكتابات والآثار القديمة . واذا لم يتمكنوا من ابتياعها فلينسخوها او يستنسخوها . ثم ان زملاءهم اللوردات والامراء تمهيداً لهذا السبيل اعطوهم رسائل توصية الى سفراء انكلترا في الجهات التي يقصدونها فضلاً عن الحوالات المالية اللازمة التي هي انفع من رسائل التوصية

٢

وكان اشهر هؤلاء العلماء عالم كبير يعرف اللغة العبرانية والعربية والهندية فارسل الى الهند مهد الفلسفة والفنون ليبحث فيها . فمرّ اولاً بهولانده فزار المجمع العبراني في امستزدام ومجمع دوردريخت ثم عرّج على فرنسا فزار كلية السوربون واكاذيميتها . ومنها قصد ايطاليا فزار كثيراً من الجمعيات والمكاتب والمتاحف منها متحف فلورنسه ومكتبة سان مارك في البندقية (فينيسيا) ومكتبة الفاتيكان في رومه . واذ كان في رومه خطر له الشخوص منها الى اسبانيا لزيارة كلية سالمانك الجامعة ولكن خوفه من ديوان التفتيش اثناه عن عزمه وجعله يؤثر السفر راساً الى تركيا فوصل الى الاستانة ووقف على الكتب الثمينة التي في جامع آجيا صوفيا

ومن هنالك قصد مصراً وباحث اقباطها ثم اتى لبنان وباحث علماء المارونيين ورهبان جبل الكرمل . وشخص من لبنان الى سانا في بلاد العرب ومنها الى اصفهان فزار قندهار ودلهي واكرا

وهكذا صرف في سياحته ٣ سنوات وهو يتنقل من مكان الى مكان ويناظر العلماء في كل بلاد نزل فيها حتى انتهى الى ضفاف نهر الكانج الى بيناريس التي هي من الهنود بمنزلة آثينا من اليونان اما ما جمعه في اثناء هذه السياحة من الكتب والنسخ القديمة والكتابات والاثار في كل فن وعلم فحدث عنه ولا حرج . فانه جمع مجموعة لم يجمعها احد قبله وليس لاحد ان يجمعها بعده . وكفى في وصفها ان يقال انها كانت مطوية في تسعين " رزمة " زنتها الفان وثلاثمائة وست وثمانون اقة . وكان الدكتور مسروراً بها لانها جاءت من وراء آمال المجمع الذي بعثه لجمعها

الا انه جلس في ذات يوم يفكر في سياحته ويقلب « رزم » مجموعته فخطر له خاطر ملأ نفسه حزناً وانقباضاً . ذلك ان الدكتور سأل نفسه اي امر عظيم صنعتُ بعد كل ما جمعتُ من الكتب المختلفة والآثار المتباينة . انني باحثت علماء اليهودية والبروتستانتية والكاثوليكية والارثوذكسية والاسلامية والارمنية والفارسيـة والهندية . وذاكرت اكاذيبيات باريز وكريسكا واركاد و٢٤ اكاذيمية اخرى . ولكن ماذا عملت بعد كل هذا . هل استطعت حل مسالة واحدة من الـ ٣٥٠٠ مسالة التي ارسلت للسؤال عنها والبحث فيها

وكانت هذه المسائل مقسومة اقساماً . منها ٢٠٠ مسالة في الديانة العبرانيـة و٥٨٠ في الكنيسة اليونانية والرومانية وفروعها و٣١٢ في ديانة البراهمة القديمة و٥٠٨ في اللغـة السنسكريتية اي لغة الهنود المقدسة و٣ مسائل في حالة الهنود الاجتماعية الحاضرة و٢١١ مسالة في التجارة الانكليزية في الهند و٧٢٧ في الاثار القديمة التي في جزائر اليفانتا وساالسيته وبومباي و٥ في تاريخ العالم وقدمه و٦٧٣ في مصدر الند السنجابي وحجر البازوارد وانواعه العديدة و١ في السبب الذي يدفع الاوقيانوس الهندي ٦ اشهر الى الشرق و٦ الى الغرب وهو الامر الذي لا يزال مجهولاً و٣٧٨ في مصادر نهر الكانج وفيضانه . وقد عُهد الى هذا العالم بهذه المناسبة ان يبحث بحثاً مدققاً في مصادر نهر النيل واسباب فيضانه وذلك مما شغل عقول العلماء قروناً عديدة . ولكنه لم يكن يلتفت كثيراً الى هذه المسالة لانها خارجة عن دائرة ابحاثه الاصلية فضلاً عن ان جبهة العلماء كانت قد فرغت في المناظرة فيها

وقد قال هذا العالم في نفسه بعد ما عدّد المسائل التي مرّ ذكرها . ماذا استفدت من كل الاثار التي جمعتها . ان الكتب والاسفار والملاحظات المذكورة تجيب كلها على المسائل المطلوب حلها اجوبة متناقضة متباينة . فاذا افترضنا انها تجيب على كل مسالة منها بخمس اجوبة متباينة فقط كان مجموع اجوبة الـ ٣٥٠٠ مسالة ١٧٥٠٠ جواب . واذا افترضنا ان كل واحد من زملائي التسعة عشر الذين ارسلوا للبحث مثلي قد جاءوا بهذا العدد من الاجوبة ترتب على المجمع الملكي المذكور آنفاً ان يحلّ ثلاثمائة وخمسين الف مسالة قبل ان يتمكن من تقرير حقيقة ووضع مبداء على اساس وطيد

اذن فالمجموعة التي جمعها هو ورصفاؤه كانت نتيجتها ابعاد المسائل المطلوب حلهـا الواحدة عن الاخرى بدلاً من جمعها وتوجيهها كلها الى مركز واحد ونقطة واحدة . اذن فهذه المجموعة تزيد ظلام العقول ظلاماً وتزيد البعد عن الحقيقة بعداً . وهذا هو الامر

الذي ساءه وملأ نفسه حزناً وانقباضاً . فجعل يقول في نفسه « ماذا صنعت اذا كنت بعد كل ما عانيت من المشاق والاضطهاد لا احمل لابناء وطني في هذه الرزم الكثيرة سوى وسائل جديدة للشك والارتياب ومواضيع جديدة للمناظرة والخصام »

وقد كان يفكر في ذلك وهو على اهبة السفر للعودة الى انكلترا وفي نفسه مرارة الضجر واليأس واذ بلغه من براهمة بينار يس ان رأس البراهمة المقيم في هيكل « جاكرينا » قادر وحده على حل جميع المسائل التي كان يسال عنها . وكان هذا الهيكل قائماً على شاطىء اوريكسا بجانب البحر قريباً من احد مصاب نهر الكانج

وكان هذا البرهمي اعظم البراهمة في ذلك الزمان واوسعهم علماً واكثرهم شهرة وقد طبق صيته الخافقين فكان الهنود وغير الهنود يفدون عليه من كل اقاليم الهند وممالك آسيا لاستشارته واستفتائه

فسافر الدكتور في الحال الى كلكيتا وقابل مدير الشركة الانكليزية الهندية واطلعه على عزمه . فاجلالاً للعلم وللوطن الذي ينتمي الدكتور اليه قدر المدير هذا الامر قدره واعد للدكتور معدات السفر . فخرج الدكتور من كلكيتا بحاشية غريبة الازياء . فانه ركب هودجاً هندياً يحمله ٨ من اقوياء الهنود على اكتافهم وصحبه رجال واحد منهم لحمل الماء وثانٍ لحمل الابريق وثالث لحمل النرجيلة ورابع لحمل مظلة تقي الدكتور حر النهار وخامس لحمل النور في الظلام وسادس لجمع الحطب وشقه وطباخان لاصلاح الطعام وجملين بقائديهما لنقل المؤونة والاثقال وساعيان لاعلان حضوره واربعة فرسان على جياد فارسية لحراسته . ورجل لحمل العلم الانكليزي في المقدمة . وكان مدير الشركة عالماً بعادات الهنود . فلم يكن يجهل انه لا يجب المثول لدى كبرائهم بايدٍ فارغة ولذلك اعد للدكتور هدية ليرفعها الى رئيس البراهمة . وكانت هذه الهدية تلسكوباً بديعاً وبساطاً فارسياً جميلاً يليق بان يُبسط تحت قدمي عظيم البراهمة فضلاً عن انسجة جميلة لامراته و٣ قطع من التفتا الصينية الحمراء والبيضاء والصفراء ليجعل منها وشائح لتلامذته . وكان الدكتور قد حمل هذه الهدايا في هودجه وسار محمولاً على اكتاف الرجال قاصداً هيكل جاكرينا

٣

وفيما هو سائر على اكتاف رجاله اخذ يقلب سفر المجمع الملكي ويبحث فيه عن المسائل التي يجب ان يستهل بها كلامه مع رئيس البراهمة . فجعل يسأل نفسه قائلاً :

أ استهله باحدى المسائل المتعلقة بنهر الكانج . ام بالمسالة المختصة بالبحر الهندي

وتعاقب امتداده الى الشرق والغرب فاننا اذا وقفنا على اسباب هذا الامتداد تمكنا من الاستدلال على مصادر الاوقيانوس وحركاته في كل اقطار العالم . ولكن الدكتور ما لبث ان عدل عن هذه المسالة لانها على اهميتها كانت لا تزال في حيز الاهمال . فراى ان يسأله اولاً هذا السؤال: « هل كان الطوفان عاماً على الارض » فان هذا الامر قد اضرم نار الجدال والخصام مرات عديدة . ثم عدل عن هذا و بدا له ان يساله عما جاء في تقاليد المصريين حسب رواية هيرودوتس من ان الشمس غيّرت مجراها مراراً فكانت تشرق من المغرب وتغرب في المشرق . ولكنه راى ان يعدل عن هذا السؤال ايضاً ويختار الاستفهام منه عن قدمية العالم وتاريخ الخليقة الذي يجعله الهنود منذ عدة ملايين من السنين . ثم جال في خاطره ان يساله عن حقوق الانسان وواجباته واحسن الحكومات وافضلها لسياسة الشعوب . الا ان هذه المسائل لم تكن وا اسفاه من ضمن مسائل المجمع

وبينما هو يُجيل هذه المسائل كلها في خاطره استوى بغتة جالساً في الهودج والقى الكتاب من يده وقال في نفسه : لا هذه ولا تلك . بل استهل كلامي مع رئيس البراهمة بسؤاله عن الحقيقة واين نجدها وما هي الطريق اليها فانَّ حلَّ هذه المسالة بمنزلة حل جميع المسائل التي لدي . فاذا قيل اننا نجدها في الكتب قلت ان جميع الكتب متناقضة متباينة . وان قيل ان العقل يوصلنا اليها و يعرفنا بها اجبت ان العقل يختلف في البشر باختلاف اذواقهم وتربيتهم واخلاقهم ومصالحهم . فاذا اجابني رئيس البراهمة وحلَّ مسالتي اصبحت قابضاً على مفتاح الحقائق الادبية والعلمية كلها فافتح بها حينئذ اقفال المسائل التي معي واعيش بواسطتها مع الناس براحة وسلامة

هذا ما عزم الدكتور عليه وهو سائر على اكتاف الرجال و بعد مسير عشرة ايام بلغ الى خليج بنكال فكان يلقى في طريقه افواجاً افواجاً من الناس عائدين من هيكل جاكرينا وكلهم السنة ناطقة بفضل راس البراهمة الذي تشرفوا بمقابلته لاستفتائه واستشارته فادهشهم بسمو مداركه وسعة معارفه

ولما طلع صباح اليوم الحادي عشر ظهر للدكتور هيكل جاكرينا القائم على شاطىء البحر و بدت له جدرانه الحمراء الضخمة وا روقته وقبابه وابراجه الصغيرة المصنوعة من الرخام الابيض . وكان هذا الهيكل قائماً في ملتقى تسعة طرق كبرى على جوانبها صفوف الاشجار الظليلة الدائمة الخضرة . وكان كل واحد من هذه الطرق يؤدي الى واحدة من الممالك التالية: سيلان وخولكند و بلاد العرب والفرس وثيبة والصين وآفا وسيام وجزائر البحر الهندي .

وكل واحد منها مغروس بنوع من الشجر فاحدها مغروس بالنخيل الهندي والثاني بالنارجيل والثالث بالعنباء والرابع بالكافور والخامس بالخيزران والسادس بالموز والسابع بالصندل والثامن بشجر التيك والتاسع بشجر اللاتانيه

اما الدكتور فوصل الى الهيكل من الطريق المغروسة بالخيزران وهي التي تجاور الكانج والجزائر الجميلة التي هي عند مصبه ٠ ولما بلغ الهيكل وتامله عن قرب عرته الدهشة لما شاهده في بنيانه من الضخامة والفخامة ٠ فقد كانت ابوابه البرونزية تتالق تحت اشعة الشمس تالق البلور والنسور حائمة حول قبابه الشاهقة التي كانت تناطح السحاب وتتوارى في العنان ٠ وكان محاطاً باحواض كبرى من الرخام الابيض تنعكس الى مائها الصافي صورة قبابه واروقته وابوابه ٠ حول ذلك كله فناء متسع وحدائق فسيحة فيها كثير من الابنية يسكنها البراهمة القائمون على خدمة الهيكل

ولما دنا الدكتور من ابواب الهيكل تقدمه سعاته ركضاً لاعلان قدومه ٠ فما دخل هؤلاء حتى خرجت من احدى الحدائق جمهور من العذارى الهنديات ممن وظيفتهن الرقص والغناء امام الهياكل واستقبال الزائرين فامرعن لملاقاة الدكتور بالغناء والرقص وفي اعناقهن عقود من الازهار الجميلة وفي خصورهن اكاليل من زهر طيب الرائحة ٠ فسار الدكتور مع رجاله بينهن وهن راقصات منشدات تنبعث منهن الروائح العطرة ثم دخل الى فناء الهيكل

ولما اصبح الدكتور عند الباب الداخلي التي نظره الى داخل الهيكل فراى في صدر المكان على نور القناديل الفضية والذهبية الموقدة فيه تمثال « جاكرينا » بشكل هرم ولا يد له ولا رجل لانه فقدها يوم اراد حمل العالم ليخلصه ٠ اما جاكرينا هذا فانه المخلوق الذي تجسد فيه برها للمرة السابعة ٠ وكان على قدمي التمثال كثيرون من الهنود جاثين امامه برهبة وخشوع ووجوههم لاصقة بالارض وكلهم يستغفرون جاكرينا ويسالونه ان يرضى عنهم ٠ وكان بعضهم ينذر له ان يعلق نفسه من كتفيه وراء مركبته في يوم الاحتفال الذي يُحتفل بعيده و بعضهم ان يلقي بنفسه تحت عجلاتها ترضياً له

فقام في نفس الدكتور انفة واشمئزاز من تلك النذور والمناظر فصرف وجهه عنها وهمّ بالدخول الى الهيكل ٠ فاعترضه برهمي شيخ كان يحرس الباب وساله عن الامر الذي جاء من اجله فابلغه الدكتور ذلك فقال له البرهمي انه لا يجوز له المثول بين يدي « جاكرينا » او كاهنه الاعظم ما لم يُغسل ثلاثاً في احد مغاسل الهيكل ويُنزع عنه كل

ما كان عليه من اثر الحيوان وخصوصاً البقر والخنزير لان البراهمة يعبدون الاول ويكرهون الثاني

فاجابه الدكتور « وما الحيلة اذاً بالهدية التي جئت بها الى راس البراهمة فان فيها بساطاً فارسياً مصنوعاً من شعر ماعز انكورا ونسيجاً مصنوعاً من الحرير » فاجابه البرهمي بقوله « ان كل ما يقدم الى هيكل جاكرينا او الى كاهنه الاعظم يطهر من نفسه اذا كان نجساً »

فاضطر الدكتور الى خلع ملابسه وحذائه لان الملابس مصنوعة من الصوف والحذاء من جلد الماعز . ثم خلع قبعته لانها مصنوعة من جلد كلب الماء و بعد ذلك اخذوه الى احد مغاسل الهيكل فغسلوه فيه ثلاث مرات ثم جاءه البرهمي بغطاء قطني كبير فالتف به الدكتور وسار في اثر البرهمي الى باب القاعة الكبرى التي هي مقام راس البراهمة

ولكنه لما وصل الى الباب رآه البرهمي يتأبط كتاباً وهو السفر الذي يحتوي مسائل المجمع الملكي فساله عن المادة التي صُنع منها غلاف هذا الكتاب فاجاب الدكتور انه من جلد العجل . فاستشاط البرهمي غيظاً وصاح بالدكتور « اما اخبرتك ان البقر من معبودات البراهمة فكيف تُقدم على مقابلة احدهم وفي يدك كتاب مغلف بجلد معبوده . يجب عليك الآن ان تُغسل ثلاثاً ايضاً فانك اصبحت نجساً بمسك هذا الجلد »

ولكن الدكتور كان من حسن الحظ حكيماً وممن يحسنون التخلص . فذهب الى ملابسه ثم عاد و وضع في يد البرهمي قطعاً من النقود فلزم البرهمي الصمت كأن المال ماء الكانج يطهر من كل رجس . ثم انه القى ذلك الكتاب في محله وقال في نفسه : لست بحاجة الى هذا الكتاب اذ حسبي ان اسال عظيم البراهمة هذه المسائل الثلاث

ما هو الطريق الى الحقيقة

اين نجد الحقيقة

هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً

قال ذلك ثم دخل في اثر البرهمي الى قاعة رئيس البراهمة وهو مكشوف الراس عاري القدمين لا يستر جسده الا الغطاء القطني الذي ذكرناه آنفاً ستاتي البقية

زراعة التوت وتربية دود الحرير

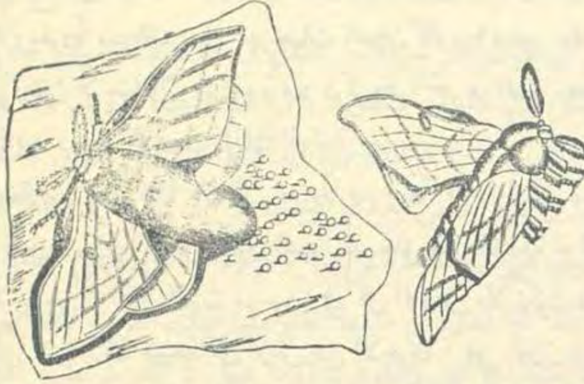
ادخال اللبنانيين هذه التربية الى البرازيل

مما نسطره بمداد السرور ان السوريين واللبنانيين المهاجرين الى الاقطار الاميركية قد اهتدوا بعد طول عهدهم بالمهاجرة الى الطرق الحقيقية التي تؤدي بهم الى النجاح الحقيقي وتجعلهم في المستقبل رجالاً وتصير امتهم امة قوية محبوبة ومحترمة · فقد اخذوا يهتمون في تلك الاقطار بالزراعة والتجارة والصناعة اهتماماً مخصوصاً · من ذلك انهم ادخلوا الى البرازيل صناعة استخراج الحرير من (دود القز) فقامت الجرائد البرازيلية تحرض امتها على تنشيط هذه الصناعة واقترحت الجمعية الزراعية البرازيلية الكبرى على الحكومة ان تاخذ بناصر اللبنانيين الذين يربون دود الحرير وتساعدهم · وقد اقترح بعض البرازيليين على جريدة الاصمعي الغراء ان تكتب فصلاً في تاريخ دود الحرير وصفته وطريقة تربيته ليترجموا هذا الفصل وينشروه في بعض جرائدهم فانشأ الاصمعي الفصل التالي· وقد نشرنا هذا الفصل لغرضين · الاول رغبتنا في نشر شيء عن هذا الموضوع الذي طلب منا في الاسبوع الماضي بعض القراء في جبل لبنان ان نكتب فيه · والثاني نشر هذه المأثرة للبنانيين النشيطين الذين سيذكرها لهم التاريخ البرازيلي بالشكر والحمد لادخالهم الى تلك البلاد صناعة ستصبح من اهم الصنائع البرازيلية · اما الفصل المذكور انفاً فهذه خلاصته

في تاريخ دود القز وخروجه من الصين

اول ما يدهش المؤرخ عند البحث في تاريخ هذه الدودة هو بقاؤها قروناً عديدة مجهولة من الانسان · اذ ابعد وقت عُرف انها اكتشفت فيه كان في سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ولكن اذا انتحل المؤرخ للانسان عذر توحشه في القدم وعدَّ ذلك عذراً مقبولاً له فانه لا يلبث اذا علم ان تلك الدودة قد امكن حصر اكتشافها في بلاد الصين مدة ثلاثة قرون ونيف قبلما درى بها اهل المغرب والمشرق الادنين ان يزيد به الانذهال لا سيما وان امة الصين تبلغ ثلث العالمين

على اننا اذا نظرنا الى هذه الامة وما هي عليه من العادات والتقاليد وكيف ان سوادها الاعظم كان ولا يزال يعيش ويفنى وهو لا يُسمح له بتعلم القراءة مثلاً او النظر الى وجوه ملوكه بطل منا ذلك العجب وعددنا حصر ذاك الاكتشاف امراً بسيطاً في



دود القز – ذكر وانثى تبزر بزر الحرير

جنب ما ذكر . وليس الخفاء مع ذلك مدة طويلة بالعجيب فقد ظل العالم الجديد دهوراً طوالاً مجهولاً لا يدري به اهل العالم القديم ولم يكن يسمع احد بوجوده قبل ان عثر عليه الرحالة كولومبوس منذ ٤٠٠ سنة

ومما هو باعث على الاستغراب ايضاً عدم وجود الدودة المذكورة او بالحري عدم تولدها في غير بلاد الصين في حين ان شجر التوت كان معروفاً في غيرها . والذي يدعونا الى هذا القول هو ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان التوت انما قد خلق لتلك الدودة . والذي دعاهم الى هذا الزعم استحالة معيشة هذه بسواه

وذهب بعض المؤرخين الى ان التوت لم يكن موجوداً في غير الصين وانه هو والدودة قد نقلا منها معاً بوقت واحد . ولنا على هذا الزعم اعتراضات تنقضه . اولاً انه لا يمكن ان يؤتى ببيظ الدودة و بزر التوت فتنظر الدودة بعد فقسها بزر التوت الى ان يُبذر فيقلع فيغرس و يصير شجراً صالحاً لتغذيتها . لان الدودة لا تعيش بدون غذاء بعد فقسها في حين ان التوت لا يورق و يصبح كافياً لاطعامها الا بعد مرور ثلاث سنين . ولكننا اذا فرضنا ان التوت قد نُقل من الصين اولاً او جيء به شتلاً ثم تبعته الدودة بطل هذا الاعتراض وامكن ان يقال بنقل الاثنين معاً على هذه الكيفية . واذا صعب نقل الشتل دون ان تدري بها الحكومة كالبزر فيعلل ذلك بانه ربما نقل جهراً . ولا يخفى ان الصين انما كانت تهتم بحصر بيظ الدود اكثر من بزر التوت اذ لم يكن يهمها خروج هذا النبت وحده من بلادها . ولعله ايضاً قد انتقل منها بواسطة بعض فراخ الطير التي لا تهضم معدها

البزور او التي تقع من افواهها الحبوب في حال زقها صغارها · ثانياً ان التاريخ يدلنا على ان التوت كان معروفاً من القديم في غير جهات الصين كاوربا ومصر وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين لا سيما وان وقت ورود ذكر هذ الشجر هو اقدم بكثير من الوقت الذي ظهرت فيه دودة الحرير في الممالك الدانية

ورب معترض يقول فاذا كان ثمت معروفاً وموجوداً فلماذا لم تكن معه دودته في هذه الارضين · نقول ان زعم البعض بكون التوت قد خلق لهذه الدودة او هي خلقت له ليس ثابتاً · اذ قد يصح ان يكون التوت موجوداً في كل الارض ولا تكون دودته موجودة الا في الصين نظراً لاختلاف طبيعة كل ارض عن الاخرى · ففي البرازيل مثلاً من النبات والحيوان ما لا يوجد في سواها· وفي البرازيل لا يوجد حمر وجمال · وبعض السمك في شواطئها يختلف عن اسماك بقية شواطى، غيرها والبحر واحد · وربما نما الجنس الواحد في بلدٍ نمواً لا يبلغ معشاره اذا ربي في بلد ثانية · ففي بعض البلدان تجد من الخفافش ما هو بقدر الصقر والبازي وتجد من نمل غيرها او بعوضها ما يصير الى حجم الزرزور وكل ذلك راجع الى طبائع الاقاليم من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة على اختلاف المقادير

ولنضرب شاهداً آخر فنقول انه كثيراً ما يصيب بعض المزروعات آفة في جهة لا تصاب بها في غيرها فالقطن مثلاً قطن في اميركا وفي مصر والبرازيل وغيرها ولكنه قد تعرض له في مصر دويبة لا يرى لها اثر في اميركا· ودودة القز هي بالحقيقة آفة لشجر التوت ربما كان الانسان يسعى بابادتها لو لم يرَ منها نفعاً جاءه باعظم من نفع التوت له · وافتراض انها آفة طرأت على توت الصين يعلل لنا ايضاً سبب عدم اكتشافها في كل تلك القرون الغابرة · اذ لا يبعد ان التوت كان من قبل سليماً منها في الصين وفي كل الدنيا

واذا فرضنا ان الدودة تولدت وتتولد مع شجر التوت اينما كان وان التوت الذي كان في ايطاليا ومصر وغيرهما كان ذا دودة ايضاً ولكنهم لم ينتبهوا لطريقة تربيتها وحل قزها كما توفقت الى ذلك احدى ملكات الصين لاول الامر الا لما انتقل اليهم بتفصيل ما تعمله فيها الصين لجاز هذا الفرض · ولكنه ربما وهن جوازه من حيث ان فرنسا مثلاً التي كان فيها التوت بناء على قول المؤرخين انه كان موجوداً في اكثر بلدان او ربما كانت عمدت لما سمعت بظهور الدودة في اليونان وايطاليا الى البحث في اصول وفروع شجر التوت الذي عندها فالفتها فيها اذا كانت من ثم موجودة وما انتظرت ان تجلبها من تينك المملكتين · او بالحري لكنا اذا فتشنا نحن الآن في شجر التوت اينما وجد لالفيناه مدوداً وليس هو

كذلك بالواقع اذ لسنا نرى للدودة اثرًا عليه

نتج مما تقدم ان التوت كان معروفًا من القديم في بلاد الدناة سيان ُخلق هو والدودة اولاً في الصين ونقل قبلها بازمان او كان نابتًا من طبعه عند الادنين ولكنه بغير دودة عندهم و بدودة في الصين . كما نتج ان الدودة المذكورة اصلها من الصين وحدها وقد نقلت منها عمدًا على تقدير انتقال بعض الجراثيم الوبائية من بلد الى اخرى اتفاقًا فقدر المعتنون بها نظرًا لتيسر وجود التوت ومعاهدة تربيتها بالحرارة و بالبرودة على انمائها وابقائها حية فيها الى الآن . هذا اذا قدرنا ان طبيعة اقاليم هذه البلاد القريبة لا توافقها . و ربما لو تركوها وشانها ولم يعتنوا بها لعجل ذلك في دثورها فيها كما كاد يتم عليها الهلاك عند ما اصابتها بعض الامراض في السنين الاخيرة وكما تدثر احيانًا اكثر الميكروبات بعد طول مكوثها في البلد الواحد اذ لا شك ان ما كان يسبب فناء هذه احيانًا ان هو الا امراض من قبيل الامراض التي اعترت جراثيم القز اذا لم تكن مثلها تمامًا

اما تاريخ اكتشاف طريقة حل القز وتربية تلك الدودة فتبدأ منذ سنة ٢٦٥٠ ق.م كما سبق حيث توفقت اليه ملكة صينية اسمها سِلنغتشي . ولما عرف الصينيون مقدار الثروة التي تنتج لهم من هذا الاكتشاف حصروه في بلادهم و رفعوا مقام تلك الملكة الى مقام الآلهة وسموها سي آنتشان . قال المسيو ستنسلاس جليان الفرنسوي ان معنى هذا الاسم هو المربية الاولى لدودة الحرير . وما زال كثيرون من الصينيين يعبدون سي آنتشان حتى الآن ويقربون لها في عيدها القربان . و بعض النساء الشريفات يجدن بركة في الاقتداء بها فيربين الدودة و يغزلن حريرها . وهذا الامر دعا احدى الاميرات الى تهريب بيظها مخبأ في شعر راسها الى بلاد خوطان عند ما اقترن بها ملكها ورات انها لا يمكنها ترك عبادة آنتشان . ولكنه ُحظر عليه فيها ايضًا حتى سنة ٥٥٢ ب م حيث نقله راهبان ضمن عكازيهما المجوفين على نحو ما يفعله مهربو الحشيش الآن وقدماه هدية الى احد ملوك اليونان فاجازهما بجائزة سنية . وانتشرت دودة القز في اقليم البلبنيسا من بلاد اليونان ولذلك سمي بالموره اي التوت وهو لفظ يوناني . وفي سنة ١٣٠٠ انتقلت الى ايطاليا بعد تغلب ملك صقلية على اليونان ومن ثم الى فرنسا حوالي القرن الخامس عشر . وكانت الملوك والحكومات تبذل جميع المساعدات المادية لترويج هذه الزراعة . ومن اولئك الملوك شارل الحادي عشر وهنري السادس وغيرهما من الوزراء العظام

في حياة دودة القز

اما حياة هذه الدودة وكيفية طبائعها فاكثره قد اصبح معروفاً لدى اهل بلادنا وقد ذكر الابشيهي ملخصاً عن احد علماء الحيوان من العرب حياة دودة القز فقال · « ومن عجيب امرها انها تكون اولاً مثل بزر التين ثم تصير دوداً وذلك في اوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مضروراً في حق وربما تاخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض · قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوماً· قال ثم ياخذ في النسيج بما يخرجه من فيه الى ان ينفد ما في جوفه ثم يخرج شيئاً كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان عن الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان · قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا اريد منهما البزر وان اريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس الرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك » اه

قلنا والسبب في قوله وان اريد الحرير تُركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت · هو ان الدودة يتولد في فمها وهي في البيضة المنسوجة مادة سائلة متى لامسها النسج تحلل وفسد ولم يعد صالحاً للحل · وانما تتولد منها تلك المادة لتسهل لها الخروج من حبسها عند ما تنتهي من عملها

والدودة تسلخ جلدها اربع مرات وقد تسلخه ثلاثاً فقط نظراً لسرعة نموها فتبدل جلدها بغيره كلما ضاق عليها الاول وتصوم عند السلخ وهذه حكمة فيها لانها تكون بهذه الحالة مريضة والحمية افضل الادوية لمن كان مريضاً· ويكون كل سلخ اشرق بياضاً من الاخر وهذا تعليل قوله · وينتقل من البياض الى السواد · وهي تزداد شراهة بعد السلخ الرابع فتاكل ليلاً ونهاراً مدة ثمانية ايام وفي اليوم العاشر تصعد الى غصن وتغزل نسجها · وفي جوفها اجربة مستطيلة ينصب اليها سائل لزج يخرج من انبوبتين دقيقتين قريبتين من فمها بهيئة خيطين يمتدان قليلاً ويلتصقان فيكونان خيطاً واحداً تنسج منها البيضة « الفيلجة » · وتبدأ ذلك من الخارج الى الداخل على غشاء تجعله كاساس لبنيانها وهي

لا تكل من العمل · فاذا تمت البيضة احتجبت ضمنها · وقد تتمها بيومين او ثلثة فاذا اريد حريرها سبب لها ذلك هلاكها وفي هذا المعنى قال البستي

الم ترَ ان المرء طول حياتة معنى بامرٍ لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفني الحريص بجمع المال مدته وللحوادث ما يبقي وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

ويقولون ان معدل ما تنسجه الدودة الواحدة يبلغ خيطاً طوله ١٥٠٠ متر · ويتغير جثمان الدودة بعد تحولها الى فراشة تغيراً كبيراً يتناول داخلها ايضاً فلا يبقى من اعضائها شيء على اصله من معدة ومعي وجهاز وعضل

ويستعيض اهل الزمن الحاضر عن وضع البزر تحت ثدي النساء بحرارة صناعية يرفعونها له حسب اللزوم · وبدلاً من وضع الدودة في حرارة الشمس عند التماس حريرها جعلوا الآن يخنقونها بالبخار

واجناس دود القز كثيرة والوانها مختلفة وكذلك اشكال بيوضها الحريرية ولكل منها بعض طبائع تختلف عن الاخرى قليلاً الا انها لا تحسب شيئاً يذكر فاضربنا عن بيانها اقتصاراً على ذكر الجنس الاعم منها وهو الذي تدخل تحته باقي الاجناس

في امراض الدود

ولقد كان فشا في الدود من زمن وباءان اكتشف احدها العلامة باستور فكادا بسبب كونهما معديين يمحقانها عن وجه الارض لو لم يتداركها العلامة المشار اليه بعد عناء كبير بطريقة تربيتها المشهورة التي اذا جرى عليها المشتغلون بالدودة امكنهم ان يحفظوا حياتها بها · وللدود امراض اخرى ولكنها غير خطرة

سكان الارض وسكان السماء

المريخ والارض

ورود « تلغراف » في هذا الشهر من اهالي المريخ الى الارض · صعود امراة الى المريخ ووصفها معيشة سكانه وحفلاتهم واناشيدهم ولغتهم · حادث غريب

كلمة سابقة

« المريخ سيار من السيارات التي تدور حول الشمس · معدل بعده عنها ١٣٩ مليون ميل والثقل النوعي فيه اخف ٣ مرات من الثقل في ارضنا فالثلاثة الارطال عندنا رطل واحد فيه · اما سنته فهي ٦٦٨ يوماً ويومه ٢٤ ساعة و٣٩ دقيقة و٣٥ ثانية وتظهر منه الشمس اصغر قليلاً مما تظهر لنا · اما الارض فتظهر منه انها نجم من النجوم الصغيرة

« وقد ثبت انه يوجد في المريخ ابحار وانهار وجزائر · وفي قطبيه بقعة بيضاء تضيق في الصيف وتتسع في الشتاء فاستنتج العلماء من ذلك انها ثلج وهو الارجح · ومن مزايا المريخ ان العين المجردة تراه احمر اللون · وله قمران تابعان له كما يتبع قمرنا ارضنا اكتشفهما الدكتور آصف هال في سنة ١٨٧٧ وسماهما نو بوس وذيموس

« وقد ذهبت تصورات البشر في وصف سكان السيارات مذاهب شتى منها انهم قالوا انه لما كان ثقل الجسم في المريخ اخف من ثقله في الارض ثلاث مرات كما قدمنا ففي استطاعة سكان المريخ اذاً لخفتهم ان يثبوا في الهواء الى علو شاهق كما تثب الطيور وقال غيرهم ان الشقوق المستقيمة التي نُظرت في هذا السيار هي خلجان وترع مصنوعة صنعاً يدل على مهارة صناعها في علم الهندسة · ولذلك فكر بعضهم في ان يغرس في مساحة شاسعة في صحراء افريقيا اشجاراً من النخيل على اشكال هندسية ويضرم ناراً كبيرة حيناً بعد حين على موازاة خطوطها ليراها سكان المريخ فيعلموا من شكلها الهندسي ان هذه الارض ماهولة فيخاطبونا بمثل هذه العلامات »

رسالة واردة من المريخ

هذا بعض ما كتبناه عن المريخ في الجزء الثاني من هذه السنة في مقالة موضوعها السيارات وسكانها · وكأنه قد جرى شيءٌ من توارد الخواطر بيننا وبين « اخواننا » سكان المريخ فانهم بعثوا الى الارض في الشهر الماضي برسالة على الطريقة التي مرَّ ذكرها واليك

البيان جداً من غير هزل ولا مزاح

في ٨ دسمبر الماضي كان الفلكي الاميركي « دوكلاس » يرصد المريخ في مرصد فلكستوف من اعمال الولايات المتحدة فرأى بغتة في المكان الذي اجمع العلماء على انه بحار واسعة في المريخ نيراناً شديدة متقدة على مسافة بضع مئات من الكيلومترات وذلك على خط مستقيم. وقد دام اتقاد هذه النيران ساعة وعشر دقائق ثم خمدت بسرعة كما اتقدت بسرعة

فاسرع الفلكي « دوكلاس » وابلغ هذا الامر الى مرصد هروارد فاوصله مرصد هروارد الى مرصد كيل ومنه انتشر وذاع في جميع المراصد الاوربية وقد قيده مرصد باريز الكبير في اللوح العمومي الذي اعتاد تقييد الانباء الكبرى فيه توجيهاً للانظار اليه فتلقته الجرائد الباريزية من هذا اللوح وافرغت في الكلام عليه جعبة تهكمها ومزاحها

اما الذين صدقوا هذا الامر فانهم اعتبروه رسالة يرسلها الينا اهالي المريخ ليروا جوابنا. وحجتهم على ذلك ان النور من نواميسه انه لا يتقد على شكل هندسي بل انه اذا اتقد ينتشر انتشاراً الى كل الجهات. فلو لم تكن توجد قوة مختارة في المريخ توقده بشكل هندسي لما كان هندسياً وقد قال هؤلاء المصدقون ايضاً انه لدى الاوربيين الآن فرصة شهرين لارسال الجواب الى اخوانهم سكان المريخ اذ ان وجه المريخ الذي حدثت الاشارة فيه لا يتحول عن الارض الا بعد انقضاء شهرين

على ان الاعتقاد بان في الاجرام السماوية اجراماً ماهولة مثل ارضنا اعتقاد شديد الانتشار بين العلماء وحسبنا دليلاً على ذلك ان المجمع العلمي الكبير في باريز قد عين منذ بضع سنوات جائزة قدرها مائة الف فرنك لكل عالم يكتشف طريقة لمخابرة سكان الاجرام السماوية. بل لدينا برهان احسن من هذا البرهان وهو ما ذكرناه في ختام مقالة « السيارات وسكانها » التي ذكرناها آنفاً والتي بحثنا فيها في هذا الموضوع وهو قولنا « من البديهي ان يتصور الكتاب والعلماء وجود سكان في الاجرام السماوية. اذ من العبث والتجديف ان يقال ان العناية الالهية لم تضع الحياة الا في هذه القبضة الترابية التي اتخذناها مسكناً لنا وابقت ملايين ومليارات الاجرام السابحة مثلنا في الفضاء بلا حياة تؤنس وحشتها وتعمر خرابها »

بقي الآن ان ننظر ماذا يكون جواب الفلكيين على هذا « التلغراف » الوارد الينا من المريخ. وقد قالت احدى الجرائد الاوربية متهكمة « ما ادرانا ان المريخيين (اهالي المريخ) لا يدهشوننا يوماً من الايام بهبوطهم علينا من على بالونات متقنة افواجاً افواجاً

ضاحكين مسرورين للقائنا وغير عابئين بالبرد الهاري الذي يفصل بينهم وبيننا »

نقول واننا نسالهم اذا هبطوا هذا الهبوط الغريب ان يفتشوا لنا عن البيون وفالي واوربا عرائس « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » فقد غبن عنا في الفضاء الواسع منذ مدة ولذلك لم نكتب عنهن في الجزء السابق شيئاً ...

صعود امرأة الى المريخ

وقد تكلمنا فيما تقدم عن ورود « تلغراف » من المريخ الينا فلنتكلم الآن عن امراة تقول انها صعدت الى المريخ ·

يذكر القراء اننا اشرنا الى هذه المراة في الجزء الاول من السنة الثانية فكان لكلامنا دهشة شديدة لدى بعض الذين لم ينعموا النظر فيه · فاننا لم نقل ولا يمكن ان يقول عاقل ان بشراً صعد الى المريخ وانما قلنا ان امراة تنام نوماً مغنيطيسياً او تغيب عن حسها وتقول انها صعدت الى المريخ وتتكلم لغة تقول انها لغة سكانها وتصف بلادهم وملابسهم وهيئتهم · وقد عثرنا الآن على تفصيل ذلك الاجمال مقتطفاً من الكتاب الذي نشره المسيو فلورنوى العالم البلجيكي الذي اختبر احوال المرأة المذكورة آنفاً اختباراً دقيقاً وسمعها مراراً تقص قصة سياحتها · وهذا ما راينا تلخيصه من ذلك الكتاب الذي سماه « سياحة من الهند الى المريخ »

تُدعى المرأة المذكورة « هيلانه سميث » وهي في الثلاثين من عمرها جميلة نبيهة قوية البنية نقية السمعة والصيت مستخدمة في محل تجاري في بلجيكا ولصاحب المحل ثقة كبرى بادبها وعقلها وحسن ادارتها

وقد كان هذا الوصف لازماً لنظهر فيه ان هذه المراة ليست بمشعوذة ولا كاذبة الا ان « هيلانه سميث » مع قوة بنيتها وجودة صحتها تصاب احياناً بنوبات شديدة في نومها فتنتقل بها من حالتها الاعتيادية الى الحالة الخصوصية التي سنصفها

فانها تجلس حول مائدة مع الناس الذين يطلبون مشاهدة حالتها · فيسكت الجميع كأن على رؤوسهم الطير انتظاراً للحادث الكبير · وبعد برهة تنام هيلانه سميث في جلوسها فيلبث الحاضرون صامتين ساكتين منتظرين

ولكنهم لا ينتظرون طويلاً · فانهم على حين بغتة لا يشعرون الا وقد انطرحت هيلانه سميث على كرسيها وفتحت عينيها باضطراب وهياج تنظر بهما فضاء الغرفة التي هي فيها والاشخاص والاشياء التي حولها · فاذا امعن الانسان نظره فيها حينئذٍ علم انها غائبة

عن الحس وانها مع فتحها عينيها لا ترى شيئاً من الاشياء الواقعة تحت حواسها

وتبقى هيلانه في هذا الهياج والذهول ساعة او ساعتين وتكون متصلة بالحاضرين بواسطة واحد منهم تعي كلامه وتجيبه على سؤالاته . وهي تقول في هذا النوم الذي تنفتح فيه العين بدلاً من انطباقها اقوالاً مختلفة عن امور تراها او تشعر بها وهي في تلك الحالة مما سيرد تفصيله . ومتى انتهت نوبتها عادت فاطبقت جفنيها واستغرقت في نوم طبيعي عميق . ومتى انتبهت من هذا النوم الطبيعي لم تذكر شيئاً من كل ما راته او قالته في النوم الاول الغريب

ولنفصل الآن ما تقوله في نومها . فانها تتكلم فيه عن خمسة امور. الاول انها تعتقد بوجود « روح » يُدعى « ليو بولد » وهي تعتبره مرشدها وحاميها فتتكلم عنه ما شاءت

والثاني انها تحسب ان « كاليوسترو » الطبيب والمشعوذ الشهير الذي ذكرنا خلاصة ترجمته في الصفحة التاسعة من رواية نهضة الاسد الجزء الثاني يتجسد فيها فتاخذ تقلد حركاته وسكناته واقواله تقليداً ينطبق كل الانطباق على ما هو مشهور عن ذلك الرجل . ولا تجيب الا اذا لُقبت كاليوسترو لانها تعتقد حينئذ بانها اياه . ويكون كلامها حينئذ برزانة وهيئة خطيرة وتتخذ لهجتها لهجة الرجال

والثالث انها تحسب نفسها الملكة ماري انطوانت زوجة لويس السادس عشر فتقلدها

والرابع انها تحسب نفسها الاميرة الهندية " سيمانديني " التي كانت ابنة شيخ عربي وتزوج بها الامير " سيفروكا " الهندي الذي كان حاكماً على كناره وبنى في سنة ١٤٠١ حصن تشندر كويري

وهي في هذه الحالة تعمل اعمالاً غريبة . فانها تتكلم العربية واللغة السنسكريتية لغة الهنود المقدسة وترقص رقصاً هندياً وتجلس على ركبتيها على الارض كما يجلس العرب والهنود وتلاعب قرداً تتصورانه معها ملاعبة في غاية الخفة والرشاقة وتنشد اناشيد رخيمة غريبة

والعجيب في ذلك كله ان هذه المرأة حين انتباهها من هذا الذهول لا تعرف كلمة من اللغة العربية والسنسكريتية ولا تدري شيئاً من جلوس العرب والهنود واناشيدهم واصطلاحاتهم التي تكون قد اتتها في نومها. وزد على ذلك انها تجهل القراءة والكتابة حتى في لغتها

ماذا رات في المريخ

ولكن الاغرب من ذلك كله ما تقصه في نومها من سياحتها في المريخ وهذه خلاصته

صعدت هيلانه سميث الى المريخ في المرة الاولى التي نامت فيها نومها الغريب . فانها



تصور المسيو رولف الفلكي الالماني ان طول الواحد من سكان المشتري ٥ امتار وطول سكان نبتون ٥٧ مترًا ٠٠٠ وفي هذاالرسم صورة ثلاثة اشخاص من سكان المشتري وبجانبهم رجل من جنسنا نحن البشر الاقزام وهم يضحكون منه لقصر قامته ولغرابة هيئتـه عندهم

رأت لاول وهلة نورًا ساطعًا امامها ثم اخذت تشعر بانها طائرة وان جسمها يتمايل و راسها فارغ وانها تصعد بلا جسم الى اعالي الفضاء . وبعد مدة يسيرة رات ثلاثة اجرام كبرى بينها جرم اشد لمعانًا من الآخرين . فسالت هيلانه سميت « على اي شيء امشي الآن » فسمعت من يجيبها بقوله « انك تمشين على ارض المريخ »

فابتدأت هيلانه حينئذٍ تصف ما تراه في تلك الارض

فاسهبت في وصف مركبات تسير فيها بلا خيل ولا عجلات ولكنهـا تزحف زحفًا والشرر يتطاير من تحتها . وذكرت آلات للطيران يطير بها اهالي المريخ ومنازلاً في سطوحها نوافير من الماء واولادًا يرقدون في اسرة حديدية عليهـا تماثيل حديدية مجنحة واناسًا يتكلمون لغة غريبة لا تعرفها

ولكنها ما لبثت ان تعلمت هذه اللغة التي هي اللغة المريخية وصارت تقرأها وتكتبها فتناولت قلمًا وخطت على القرطلس كلمات غير مفهومة بلغة مجهولة . وقد زارت هيلانه في بعض المرات التي نامت فيها حاكم المريخ واسمه « استانه » ٠٠٠٠ فذهب بها الى عيد عظيم احتفل به المريخيون فابصرت في طريقها حيوانات غريبة الشكل بعضها يشبه النقمة . اما الاشجار في المريخ فان منظرها احمر اللون للاثمار التي عليها واما اوراقهـا فسوداء . ولما



كتب الكاتب فونتنل في سنة ١٧٥٠ كتاباً عنوانه "سياحة في السيار عطارد" قال فيه ان جميع سكان هذا السيار مجانين من شدة فعل حرارة الشمس فيهم لقربهم منها · وهم مخلوقات باجنحة يطيرون بها في الفضاء كالطيور وفي وجوههم لوائح الجنون وعدم الاكتراث كما في هذا الشكل

وصلت هيلانه سميث الى الحفلة رات اهالي المريخ رجالاً ونساء بنات وشباناً في انس وابتهاج · وكانت البنات مرتبات شعورهن على شكل اجنحة فراشة بلون وردي او ازرق او اخضر · وما وصل استانه حاكم المريخ الى الحفلة حتى اشار اشارة فبادر الجميع الى الجلوس حول مائدة مزينة بالازهار وعليها خادمان واحد يلبس لباساً وردياً والثاني يلبس لباساً ابيض لخدمة الجالسين · ولما جلس المدعون تقدم الخادمان ووزعا عليهم صحافاً مربعة وسكاكين بلا مقابض · ثم جاءا بطعام غريب وهو قضبان بعضها وردي اللون وبعضها ابيض وفي رؤوسها ازهار لذيذة الطعم · فاكل المريخيون بلذة واشتهاء ثم انتهت الحفلة باناشيد حفظت منها هيلانه النشيد التالي باللغة المريخية وهذه ترجمته

« كوني سعيدة باسيكيه · فقد جاء العصفور الاسود الصغير · وقرع امس نافذتي ·
« فسرت نفسي وانبسطت · وقد سمعته يغني · اما انت فستسمعينه غداً »

« يا ماتان · يازهرة تحبب اليَّ الحياة · يا شمس احلامي · تعالَ هذا المساء · تعالَ
« وامكث طويلاً عندي · وكن سعيداً »

هذا بعض ما قصته هيلانه في نومها عن المريخ وسكانه · وكلما نامت تقص مثله

بزيادة او نقصان ولكنها لا تنقض حرفاً واحداً منه ولا نقول في نومها كلمة تعاكس ما قالته في نومها قبلاً . وقد حاول بعضهم مغالطتها بهذا الشان فاصرت على قولها الاول ولم تغلط

انفي ذلك غرابة

والآن بعد ما علمناه عن هذه المراة لا يسعنا الا ان نتساءل ونقول : هل في هذا الامر غرابة

وجوابنا على ذلك . نعم . في هذا الامر غرابة . ولا . ليس فيه من غرابة

اما الامر الثاني فهو ان جميع ما ابصرته هيلانه في المريخ ينطبق على معيشة البشر في الارض ففي الارض حكام وفيها اعراس ومآدب ورقص ونشيد وفيها حيوانات كالقمه واشجار خضراء وحمراء . فما الذي يدل في كلام هيلانه على انها صعدت الى المريخ وانها لم تكن تهذي هذياناً في كل ما وصفته قياساً على ما شاهدته في الارض . اما اللغة المريخية فقد حللها العالم البلجيكي المذكور فاذا بها تحتوي على احرف بعدد احرف اللغة الفرنسوية التي تتكلمها هيلانه سميث . وهي قريبة منها

وفضلاً عن ذلك فان هيلانه ولدت من ام كانت تصاب بنوبات هستيرية وهي نفسها مع ذلك هستيرية منذ صغرها اي انها اصيبت منذ اول عمرها بنوبات شديدة

واما قولنا ان في هذا الامر غرابة فلانه يدل دلالة كبرى على وجود شخصين مستقلين في جسم الانسان . الاول شخصه الاعتيادي الذي يروح ويجيء ويعمل ويشتغل في اوقات صحوه والثاني شخص مستقل عن الشخص الاول لانه يفتكر ويتصور ويتكلم ويعي خارجاً عنه ومن غير واسطته . وهو ما يسمونه الانسان المزدوج . وهذا الازدواج دليل من ادلة الروحيين على الماديين الذين ينكرون النفس والخلود

على ان كل ذلك من سوء الحظ لا يثبت وجود سكان في المريخ ولا ينفيه . فنحن معه ومع تلغراف سكان المريخ كما كنا بدونهما

وقد اجبنا في باب الاسئلة والاجوبة في هذا الجزء على سؤال ذي علاقة بهذا الموضوع فنرد القارئ اليه ونختتم الآن هذا الفصل فقد طال اكثر مما اردنا

رواية الحب والخداع

رد على انتقاد

لحضرة الكاتب الفاضل صاحب التوقيع

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

جاء في العدد ١١ و١٢ من الجامعة كلمة لحضرة الاديب ذاكي افندي مابرو انتقد فيها رواية الخداع والحب انتقاداً شدد فيه النكير على معربيها · ولما كان في انتقاده مآخذ للاعتراض جئنا بهذه الاسطر نرجوكم درجها ليعلم حضرته اننا ممن يحافظون على كرامة المؤلفين ويحرصون ما امكن على حفظ الاصل في تعريب كتاباتهم · واننا في نقل هذه الرواية عن شيللر لم نشوه محاسنها الاصلية ولم نهدم عمل المؤلف او نستبد فيه الى غير هذا من التهم التي رمانا بها حضرته سامحه الله كما سأله ان يسامحنا

اول ما آخذنا به حضرته جعلنا الوزير ولتر يتفق مع المارشال على حيلة الرسالة التي تتظاهر فيها لويز بخيانة حبيبها مع ان ويرم الكاتب هو الذي نصب الفخ الخ .. ولا نعلم كيف اتصل الى هذه النتيجة لانه لو قرأ المشهد الاول من الفصل الثالث لرأى فيه ان ويرم هو الذي دبر الحيلة وليس المارشال فليراجع صفحة ٤٠ حيث يقول ويرم في حديثه مع الرئيس : « الآن ننصب للماجور حبائل المكر ونسلك مع الفتاة سبل التحكم والامر وبنفوذك نرغمها على كتابة رسالة حبية الى شخص ثالث وهذه الرسالة نحتال على ايقاعها في يد الماجور الخ ... » وفي هذا الكلام من الجلاء والوضوح ما لا يحتمل اللبس · والظاهر ان حضرته لم يطالع الرواية بل قرأ نتفاً منها فرأى شيئاً وفاتته اشياء · ثم انه اورد قطعة كاملة من ترجمتنا (صفحة ٧٢) زاعماً انها تاليف لا تعريب واردفها بقطعة اخرى من ترجمته مدعياً انها هي الترجمة الصحيحة وهكذا فعل في انكاره علينا ايضاً ما ترجمناه صفحة ٨٤ ونحن في كلا الموضعين لم نستكتب شيللر شيئاً من عندياتنا كما ظن ولكن يظهر ان النسخة التي بيده وهي ترجمة ديماس مقتضبة بخلاف النسخة التي اخذنا عنها وهي رنييه ·

ولزيادة الايضاح نورد هنا الترجمتين · قال حضرته وهو قول فرنند يخاطب المارشال الذي يسترحمه ان يبقي عليه : « بل انا اعلم لماذا تتمسك باهداب الحياة · ذلك لان بك تدوم تلك الطغمة اللعينة التي تحوم حول الامراء فتسبب لهم اللعنات من الرعية ...

ولعل للعناية الالهية بذلك قصداً خفي عنا وراء حجب الاستقبال » وفي ختام هذا الكلام: اجل لا بد لميزان هذا الكون ان تتوازن كفتاه : فلا بد اذن من وجود الافاعي والمدلسين المنافقين بازاء القوم الكرام اصحاب النفوس الابية . فليحذر المملق المنافق ان يزحف الى حبي وليحذر الافعوان ان ينفث سمه على ازهاري والا فاني اسحق المملق والافعوان تحت اقدامي »

وهاك ما عربناه عن النسخة التي بيدنا في الموقف نفسه :

« انت ايها الابله ولماذا .. » الى آخر القطعة التي اوردها في الجامعة وزعم انها مما عنّ لنا تاليفه . ثم : « اجل هذا هو الانسان ابن الاوجاع وكما وجد لليوم السادس من خلقته .. كأن يداً بشرية اقدمت على تقليد جبلة الخالق .. يالها من خسارة . يعز عليّ ان ارى هذه الكمية من الدماغ الموضوعة في هذه الجمجمة تذهب ضياعاً وهي لو وجدت في راس ادنى الحيوانات لرفعته الى مصاف البشر . ومع ذلك لم تانف من ان تملكه فؤادها »

ثم يقول : » فليبقَ على حاله . فالرفق بالدودة الصغيرة لا بد ان ينفعها . يقابلونها بهزّ الاكتاف هزاً ولربما اعجبوا بحكمة الخالق في تدبيره واقتصاده اذ خلق ايضاً من الناس من ياكل بقية الطعام ويشرب ثمالة الكاس .. من يدري ربما اخذهم العجب بتلك الحكمة اذ اوجد الخلاق ايضاً عقارب وافاعي تنفث سموم الشر في العالم العقلي ولكن حذار ايتها الحشرات ان تزحفي فوق ازهاري والا سحقتك هكذا (يهز كتف المارشال) ومزقتك شذر مذر »

فلو صبر حضرته وقرأ هذا الخطاب لادرك ان النسخة التي بيده مقتضبة لان كل ما ذكره موجود في ترجمتنا بالتطويل وهذا ما يحملنا على الظن ان النسخة التي بيدنا اقرب الى الاصل من النسخة التي اخذ عنها

ثم انتقد علينا ابدال كلام فرننداند عند مراى لويز متاثرة : صفراء ولا اصفرار الموت بقولنا : « هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله . » وان ما انطقه به المؤلف هو : « اه ياشقية لم يعد يسعك الانكار بعد الآن »

فتعجبنا شديداً لتباين معنى الجملتين ونفور الثانية عن مقامها وعدم مطابقتها مقتضى الحديث كما يتبين من قراءة ما قبل الجملة وما يليها . وللبيان نورد هنا القطعة بكاملها

فرناند ... صفراء ولا اصفرار الموت .. هكذا احب ان ارى ابنتك يا رجل . فما

ظهرت لي ابداً بمثل هذا الجمال . تلك البنت التقية الفاضلة . اه يخال لي ان اليوم الاخير الذي تمزق لفحاته براقع الرياء قد محا عن وجهها ذلك الخضاب الذي خدعت به هذه الساحرة حتى ملائكة النور . اه ما اجمل هذا الوجه الآن اجل هذا هو وجهها الحقيقي دعني اقبله

فيقول ابوها :« مكانك ابتعد عنها . لم اقدر ان احميها من مغازلاتك ولكني اقدر ان ادفع عنها اهاناتك »

فمن اين اتى بتلك الجملة . واي دخل لها هنا . ام كيف يصح ان ينطبق ما اورده على فكر المؤلف ويفسره هذا التفسير

اما بقية « الامثلة الكثيرة على الابدال التي ضرب عنها صفحاً خوف التطويل » فلا نظنها الا نتيجة اختلاف الترجمتين اذ نحن على ثقة اننا لم نغير شيئاً من افكار المؤلف ولا من معانيه الا ما كان منها بعيداً عن روح اللغة التي ترجمنا اليها غريباً عن المالوف فيها

ولا نعلم بما نجيب حضرته على ما عابه علينا من حذف مشهد العقد . فكأنه نسي رعاه الله ما يجب على الكاتب مراعاته في البلاد التي طبعنا فيها روايتنا وفاته ان سوريا ليست مصر وان ما يكتب في الاسكندرية لا يكتب في بيروت ؟ سامحه الله ايضاً هذه المرة لانه لا يعلم ماذا يقول

وقد زعم اننا حذفنا حديث الرئيس وورم في الفصل الثالث الذي فيه افتضاح سر توصل الرئيس الى الرئاسة مع اننا ذكرناه صفحة ٣٩٥ فليراجع

اما السبب في ابدال مقدمة الفصل الرابع بخاتمته فلا نظنه خافياً على حضرته . وقد اضطررنا الى هذا الابدال اولاً مراعاة للذوق العمومي عندنا وثانياً اختلال الترتيب في وضع المشهدين لان من المالوف في الروايات استبقاء المشاهد الشديدة للختام رغبة في تشويق السامع ومحافظةً على التاثير . فضلاً عن ان نقل المقدمة الى الخاتمة في روايتنا يطابق كل المطابقة سير الواقعة في مجراها الطبيعي اذ لا يخفى ما في ذلك من التحام هذا المشهد مع ما يليه في الفصل الخامس . افبعد هذا لا يجد حضرته مسوغاً لهذا القلب ؟

واشد لوم كان هو لابدالنا ختام الرواية وجعلنا فرنند يلعن اباه ويدعو عليه مع اننا في هذا المشهد خصوصاً لم نتصرف ادنى تصرف بل عربناه حرفاً حرفاً واذا كان حضرته في ريب فما له الا ان يقابل بين ترجمتنا والنسخة التي اخذنا عنها فيتحقق اننا لم نرتكب ما ينكره علينا شيللر ولا الادب

وعلى كلٍّ فاننا نشكر حضرته لغيرته على الاداب ونعذره اذا لم يكن مصيباً في انتقاده لان النسخة التي بيده خلاف النسخة التي نقلنا عنها فلا لوم عليه من هذا القبيل وانما نلومه على تسرعه في الحكم واتهامه ايانا بحذف جمل ومشاهد هي في الواقع موجودة لم تفته لو كانت مطالعته مرتبة وعلى ما يظهر ان حضرته لم يقرأ من الرواية الا بعض صفحات متفرقة وهذا ما لا يغتفر للمنتقد المدقق اذ يكون انتقاده والحالة هذه على غير روية ولا هداية بمثابة ولد دخل حديقة وذاق من ثمر اول شجرة صادفها فوجده غير ناضج فاعرض عن البقية وحكم على كل اثمارها بانها غير ناضجة . وهو لو قطف من غيرها لوجد عكس ما يظن

بيروت عن المعربين

نجيب نسيم طراد

القرن العشرون

وماذا عمل القرن التاسع عشر

احتفل الالمانيون منذ بداية العام الماضي بانتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فودعنا معهم يومئذٍ القرن التاسع عشر وداعاً يجدر ان نعيده الآن توديعاً مع المودعين

***

يصدر هذا الجزء من الجامعة بعد انتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فوداعاً ايها القرن الراحل وسلاماً ايها القرن القادم . لقد نزل الاول في مهاوي التاريخ وطلعت غرة الثاني طلوع مولود جديد على الوجود . فمباركٌ هذا المولود

وقد جرت عادة قدماء المصريين انهم عند موت ملوكهم يجتمعون فيتبادلون آراءهم في الساحات العمومية بشأن الملك الراحل عنهم منتقدين حكمه واعماله ذامين منها ما يوجب الذم ومثنين على ما يوجب الثناء . والقرن التاسع عشر هو الآن منا بمثابة ميت فليس يخلو من فائدة ان ننظر في اعماله وما تم في عهده من خير وشر

ولسنا نصرف الفكر الى الامور المادية فقط فنجعل الكلام مقصوراً على تاريخ الاختراعات العظيمة التي اخترعت في هذا القرن والاكتشافات العجيبة التي اكتشفت . كلا فان هذه

الامور المادية ليست الاثمرة حياة هذا القرن الادبية . لذلك ننظر في اعماق هذه الحياة الادبية ليكون كلامنا شاملاً جميع انفاس القرن التاسع عشر . وتوصلاً لذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام : كلام على عالم السياسة . كلام على عالم العلم . كلام على عالم الادب . فنقول

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر السياسية ﴾ وُلد هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسوية ومدافع نابوليون يدوي صداها في الجهات الاربع . وقد كان من تاثير هذه الثورة انها وضعت اساس الحرية في العالم على اسس ثابتة لا تتزعزع وفتحت عيون الامم في الشرق والغرب فكأن تلك الشعلة التي احرقت فرنسا حيناً من الزمان قد انارت الدنيا باسرها

نخفت بعد ذلك وطأة الاستعباد وخاف الملوك سوء المنقلب فاصبحوا يعتبرون الرعية ابناء لهم لا خداماً وعبيداً يسومونهم ما تسام الانعام من الذل والحيف . وسقطت الحواجز العظيمة التي كانت بين الطبقات فاصبح الشريف شريفاً بادبه لا بنسبه وتساوى الناس لدى القانون ومذ تساووا عرفوا انهم اخوان بعضهم لبعض لا خصوم واعداء . ثم اتسعت حلقة هذا الاخاء بحكم الناموس الطبيعي و بواسطة مبدأ الحرية والمساواة الذي تقرر في العالم . فقال الشارعون اذا كان من حقوق الفرد ان يكون حرًا مساويًا لغيره في الحقوق والواجبات وجب ان يكون الشعب كذلك فنشأ عن هذا القياس الصحيح حق كل امة في الاستقلال والمساواة . فاسقطت عن اعناق الامم نير العبودية السياسية كما اسقط عن اعناق الافراد نير العبودية الاجتماعية . فكان ذلك منشأ ثورات شديدة زعزعت لها اسس الارض وانكسرت فيها قيود امم كثيرة فاصبحت حرة مستقلة تحت قبة السماء

ولا ريب ان عمل القرن التاسع عشر من هذا القبيل ناقص نقصاً عظيماً . ولكنّ هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله . واذا لم يكن له من فضل غير المناداة بالحرية والمساواة للافراد والشعوب لكفى بذلك فضلاً على القرون الخالية . ولكنه لم ينادِ بذلك فقط بل اعطى الافراد والشعوب قوة توصلهم الى اغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية واتبعوها بلا افراط ولا تفريط

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر العلمية ﴾ وقد كان لاعماله السياسية تاثير عظيم على اعماله العلمية . ولا نقول ان العلم كان غير موجود قبله فان اهم اسس العلوم الطبيعية لم

توضع في القرن التاسع عشر بل قبله. ولكن امتاز القرن التاسع عشر بكونه اطلق العقول من القيود وهدم الحواجز القوية التي كانت تحول دون نموها وتقدمها. وقد روى الفيلسوف جول سيمون ان التعليم في فرنسا كان في القرن الثامن عشر وما قبله محصوراً في طبقات الاشراف والوسط في حين ان جمهور الشعب كان في ظلام من الجهل والغباوة. وقال هذا الفيلسوف مستشهداً على فضل هذا القرن « انني الآن اشغل مقاماً من اسمى مقامات بلادي (عضوية مجلس الشيوخ) ولكنني لولا الثورة الفرنسوية التي اطلقت قيد العقول لكنت الآن اما صاحب صناعة يدوية في قريتي او عضواً في احدى الجمعيات الاكليريكية »

ومن نتائج هذا الاطلاق الذي اشار اليه الفيلسوف عناية الحكومات بابناء عامة الشعب كما تعنى بابناء خاصته. وهذا منشأ التعليم الالزامي المجاني الذي اتبعته الامم الغربية مع انه لم يقم احد بعد الى الدعوة اليه في البلاد الشرقية

وقد وضعنا التعليم الالزامي في مقدمة اعمال هذا القرن العلمية لانه في نظرنا اهمها كلها. نعم لا ينكر احد تقدم العلوم الطبيعية الى حد غريب. فقد قاست هذه العلوم مساحة الفضاء. وعرفت مادة الكواكب. واخترعت المركبات البخارية في البر والبحر. واوجدت التلغراف فقصرت به وبالسفن المذكورة آنفاً شاسع المسافات واختصرت الابعاد ومزجت العالم بعضه ببعض مزجاً مفيداً. لقد اكتشفت المكروبات فدفعت عالم الجراحة والطب الى الامام دفعاً شديداً. لقد اتت من الاكتشافات والاختراعات ما لو قام اجدادنا اليوم من قبورهم ورأوه لحسبوا انفسهم انتقلوا الى عالم الف ليلة وليلة او ظنوا ما يرونه سحراً مبيناً — كل ذلك نعرفه ونعجب به. ولكن يعجبنا اكثر منه كله ذلك المبدأ السامي الذي اجمعت عليه في هذا القرن اكثر الامم الغربية. ونريد به : التعليم المجاني الالزامي لخاصة الامة وعامتها

فبارك الله فيك ايها القرن الراحل على هذا العمل العظيم الذي عملته وذلك المبدأ السامي الذي اقررته. فانه اذا لم يكن لك في عالم العلم الا هذا الفضل لكفى ان يعلي بين القرون شانك ويخلد اسمك

***

❊ اعمال القرن التاسع عشر الادبية ❊ واهم اعمال القرن التاسع عشر الادبية عتق الرقيق. فقد كان الانسان الظالم يشتري في القديم ويبيع اخاه في الانسانية

والحكومات ساكتة والفلاسفة وعلماء الاداب لا يحرمون هذه التجارة المنكرة · وقد شهد ارسطو وافلاطون في زمانهما عذاب الرقيق ولم تتحرك احشاؤهما حنواً عليه بل ان ارسطو نفسه كان له عبيد وارقاء · وقد لبث العالم في هذه الخشونة والهمجية حتى جاء القرن التاسع عشر فحرم ان يتاجر الانسان باخيه الانسان · وهي احدى بركات القرن وخيراته

ومن هذه البركات ايضاً ارتقاء الادب السياسي · فانه قد مضى الزمان الذي كانت فيه المدن والمقاطعات تباع وتشرى بين الحكومات كانها انعام سائمة · وانقضى ايضاً ذلك الجنون السياسي الذي كان في العصور الخالية وهو جنون الفتوح وحب الاستيلاء فقلت الحروب وارتقت اسبابها واصبح كلٌ من المتحاربين يدعي انه مضطر اليها ومُدافع لا مهاجم فيها · فظاهرٌ من ذلك انه قد مضى في السياسة دور الهجوم والافتخار بالحرب وجاء دور الدفاع والافتخار بالسلام

وماذا نقول عن ذلك النور السماوي الذي خفق هنيهة في العالم على يد القيصر العظيم نقولا الثاني امبراطور روسيا · لا ريب ان اقتراح القيصر عقد مؤتمر السلام في لاهاي قد كان بمثابة تتويج ادبي لهذا القرن · واذا كان هذا المؤتمر لم يات بثمار عاجلة فانه سيأتي بثمار آجلة · وسيبقى هذا الاجتماع الذي عقدته الامم في لا هاي وتصافحت فيه عناصر الانسانية كلها تحت انظار ويلهلمين الفتاة ملكة هولاندا — سيبقى هذا الاحتفال اكبر عمل ادبي عملته الانسانيه في القرن التاسع عشر وفي القرون الماضية

ومن اعمال هذا القرن الادبية ايضاً صرف الحكومات شيئاً من عنايتهـا الى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة وحرية الدفاع والميل الى منع الاعدام اي التحريم على الانسان قتل الانسان · وكذلك تخفيف مصائب المجرمين باعتبارهم مرضى في عقولهم يجب مداواتهم بتحسين احوالهم وتعويدهم وهم في السجون العمل السهل المفيد لابدانهم وعقولهم · وتخفيف ويلات الحروب وفظائعها بقوانين دولية مرعية وانشاء المستشفيات العمومية والملاجئ الخيرية للشيوخ والاولاد وتاليف لجان وجمعيات لتربية الايتام واللقطاء الذين لا ذنب لهم غير ولادتهم

ولا نعلم في اي قسم نضع تلك الحركة الاقتصادية الغريبة التي امتاز بها الربع الاخير من القرن التاسع عشر · افي جملة الاعمال السياسية ام العلمية ام الادبية · ولكن نرجح وضعها في قسم رابع نفرده لها ونسميه « اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية »

فان الحركة الكبرى التي تغلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة

الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء وتباريها في حلبة التجارة والصناعة والزراعة حتى ان الدول اصبحت ولا همّ لها الا المسائل الاقتصادية واذا خيف من شبوب نار حرب بينها فانما يكون سببها المسائل الاقتصادية لان دور تنازع السلطة بينهن قد مضى وجاء دور التنازع على الامور الاستعمارية التي بها تتعلق المسائل الاقتصادية والتجارية

ومن اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال امر الاشتراكيين استفحالاً نفع المبادىء الديموقراطية وافاد ضعفاء الامم افادة تذكر لهم بالشكر من هذا الوجه بصرف النظر عن الاوجه الاخرى وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفي بهذا البيان

***

هذا اهم ما رأينا بسطه عن اعمال القرن التاسع عشر . وكله حسن نافع مفيد يستحق عليه القرن ثناء ابنائه وثناء الاجيال الآتية

ولكن بازاء هذه الجوانب اللامعة البراقة التي اظهرناها للقراء الا يوجد جوانب اخرى سوداء مظلمة ؟ الا يوجد للقرن التاسع عشر سيئات بازاء هذه الحسنات ؟

لقد اقدم هذا القرن على حل مسائل لا قبل له على حلها كلها دفعة واحدة . فقد اطلع شمس الحق على الناس فانفتحت لاشعتها الباهرة عيون الكبير والصغير فكانت للكبير بمثابة النور من الخفاش وكانت للصغير بمثابة النار من الفراش . وهكذا بالرغم عن اشراق هذه الشمس بقي الكبير معربداً شامخ الانف والصغير مدوساً مسحوقاً اليس هذا الذي نقوله الآن مدافع الانكليز والبوير في افريقيه الجنوبية

لقد ارتقت في هذا القرن الاداب السياسية ولكن انحطت الاداب الشخصية . فان الشر ينمو بنمو التمدن والرذائل على انواعها تتكاثر بتكاثر الثروة وتزداد بازدياد اسباب المدنية . فالكذب والرياء والخداع والاضرار بالناس والاحتيال لسلبهم وغشهم — كل ذلك اصبح في القرن التاسع عشر امراً شائعاً مقبولاً وربما لُقب صاحبه بالمهارة والدهاء وحسن السياسة . الفجور — وافظيعتاه — قد اصبح مباحاً ويكاد يكون شرعياً . المسكرات تقتل في بعض البلاد ٧٥ في المئة من سكانها . الجرائم والجنايات تملأ السجون بالاشقياء . المبادىء الدينية تضعف وتنحل شيئاً فشيئاً . الفضيلة تخفض جنحيها بازاء الرذيلة . الشعوب لا تزال تتخبط في ظلام الجهل وليس لها خبز تغذو به ابدانها وتعليم تغذو به عقولها . الحياة اصبحت فوضى لان هذا القرن اعطى الانسانية قوة الدفع ولم يعطها قوة الجذب . اعطاها

الحرية ولم يعطها الاخاء والمحبة . فتنافرت القلوب واختلفت الاهواء وقام الناس بعضهم على بعض باسم الحرية والدين والحرية الحقيقية والدين الصحيح براء منهم ومما يفترون . وفي وسط هذه الحياة الزوبعية الهائلة التي نشأت في هذا القرن انقلب ميزان الانسانية وفقدت الهيئة الاجتماعية قيادة قوادها لان كل فرد منها اصبح قائداً مستقلاً بنفسه . اصبحوا كالبصل كلهم رؤوس كما قال الفيلسوف جول سيمون . فتامل هذه الحياة الجديدة وسرعة انقلابها وشدة خطرها بازاء الحياة القديمة الهادئة و بساطة المعيشة فيها وقناعة اهلها وتسليمهم ورضاهم باحوالهم

ولكن القرن التاسع عشر لا يستحق اللوم الشديد اذا كان لم يحلّ جميع المسائل التي اقدم عليها فانه لكثرة هذه المسائل ناء بها ورزح تحتها بعد ان حل ما حله منها . فاملنا الآن موضوع فيك يا ايها القرن العشرون . كن للانسانية خيراً من اخيك القرن التاسع عشر . لا تسمح ان يحدث فيك ما حدث في اخيك من السيئات وكمل كل تلك الحسنات .

امحق بفاس العقل والادب والدين جراثيم الشر والفساد والرذيلة التي ظهرت في القرن الماضي اخيك ومهد للانسانية طريق السعادة التي تنشدها فانها قد تعبت في طلبها دون ان تدركها . حتى اذا اكملت عملك واتممت اجلك وقف ابناؤنا في ختام ايامك الآتية وقالوا مؤرخين اعمالك : مباركٌ القرن التاسع عشر على ما عمل . ومبارك القرن العشرون على ما اكمل

فسر بامانٍ وسلام يا ايها القرن العشرون

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزامياً

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

فلسفة الحكيم تولستوي ومبادئه

واحتجاجه على الهيئة الاجتماعية

كتاب في مقالة نهديها الى جمهور المعلمين والمتعلمين وكل ذي عقل سليم

فاتحة الكتاب · قصة فتاة تسقط ثم تنهض · لمع من فلسفة تولستوي: انتباه النفس الادبية · كلمة «الله» في افواه الاشقياء · سوء الظن بجميع البشر · الفساد في الهيئة الاجتماعية · الارض لله لا للبشر · عدم فهم الناس هذه المبادئ · الجرائد والطعن والمحاكم · الرذيلة في الطبقات العليا تحت الاثواب اللامعة · رايه في المحاكم والبراز والعقاب · اقوال متفرقة · خاتمة الكتاب

اشهر واحسن الكتب التي الفها الفيلسوف الشهير الكونت لاون تولستوي الروسي الذي حرمه المجمع الروسي المقدس في اواخر العام الماضي ولخصنا ترجمة حياته في الجزء السابع هو كتاب «البعث» او القيامة الذي كان له في اوربا واميركا دوي عظيم · وقد لخصنا هذا الكتاب الاجتماعي الفلسفي البديع في المقالة التالية لاطلاع القراء على حقيقة مبادئ عظيم الروس في هذا الزمان · ونحن نتمنى ان يكتب الينا كل واحد من القراء بما يشعر به ويخطر له حين قراءة هذه المقالة التي اذا علم اننا طالعنا من اجلها في اقل من اسبوع كتاباً عدد صفحاته ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير مع ما لدينا من الشواغل الكثيرة علم مقدار التعب الذي بذلناه فيها خدمة للقراء وطلباً للفائدة · ونحن نفتخر بان نكون اول من شرع في اخراج فلسفة الحكيم تولستوي الى اللغة العربية ونعاهد القراء بان لا نضن عليهم بنقل كل ما نعثر عليه من اقوال هذا الرجل العظيم · اما الآن فلنشرع في تلخيص هذا الكتاب

فاتحة الكتاب

افتتح تولستوي كتابهبهذه المقدمة

« عبثاً يحاول بضع مئات من البشر المتراكمين بعضهم على بعض في مكان ضيق تشويه الارض التي يعيشون عليها. عبثاً يسحقون تربتها بالحجارة حتى لا ينبت فيها نبات. عبثاً يغيرون الهواء برائحة البترول والفحم الحجري . عبثاً يقطعون الاشجار . عبثاً يطاردون الحيوانات والطيور . عبثاً يصنعون كل ذلك فالربيع في المدن لا يزال ربيعاً : الشمس فيه تزداد اشراقاً . والنبات تدب فيه روح الحياة لا في جوانب الشوارع الكبرى فقط بل بين بلاط الطرق ايضاً . وكذلك الاشجار والازهار والطيور وسائر المخلوقات التي تسر وتبتهج باشعة الشمس المحيية . كلها تكون مسرورة مبتهجة في الربيع الا الانسان . الا الانسان الذي يستنكر جمال تلك الامور الطبيعـة المقدسة ولا يرى جميلاً غير ما يضعه ويتصوره من الامور التي يغش بها بعضه بعضاً ويعذب بعضه بعضاً

وهكذا كان في سجن الحكومة في ٢٨ افريل الجاري فان رجال السجن لم يروا صبيحة ذلك اليوم الربيعي امراً جميلاً مع روائه ورونقه ولكنهم رأوا ان الجميل الجدير باهتمامهم والتفاتهم هو ورقة وردتهم عشية هذا اليوم مزينة بختم ونمرة وبعض عنوانات . وفي هذه الورقة امر من ادارة السجن بارسال امرأتين ورجلاً من المسجونين فيه لاجل المحاكمة»

خلاصة القصة التي في الكتاب

ومن هنا ابتدأ تولستوي قصته . فاخذ رجال السجن المرأتين والرجل الى المحكمـة . وكان اسم احدى المرأتين « ماسلوفا » وعليها مدار الكتاب كله . ولما عزمت هذه المرأة على الخروج من السجن اوصاها بعض رفاقها بان تنكر كل شيء وتتنصل من كل شيء فاجابته « سيان لديَّ الامران فانهم اذا حكموا عليَّ فلا اعيش عيشاً اسوأ من عيشي الآن »

ولما دخلت الماسلوفا الى قاعة المحكمة كان القضاة ينتظرونهـا وفي جملتهم امير يدعى نكلودوف . وكانت ماسلوفا متهمة مع رفيقتها ورفيقها بانهم قتلوا تاجراً من سيبيريا وسرقوا ماله . وبيان ذلك بالاجمال ان ماسلوفا كانت من « بنات الهوى » وكانت مستخدمة لذلك الغرض القبيح في بيت تديره امرأة المانية لهذه الغاية . فاحبها التاجر الروسي المذكور وانفرد بها في الغرفة التي كان نازلاً بها فارادت التخلص منه فاغراها بالهدايا لتبقى عنده . فغافلته ووضعت له في كاس كونياك شيئاً من حنجور اعطيته وهي تحسب ان فيه افيوناً

لتنويمه وكان الخنجور يحتوي سمًا ناقعًا فمات الرجل لساعته . فحضر البوليس والقى القبض على الماسلوفا والمراة والرجل اللذين شاركاها في العمل بتهمة القتل والسرقة وزجهم في السجن للمحاكمة

اما نكلودوف الذي كان بين المحلفين الذين عُينوا للحكم في قضية الماسلوفا ورفيقيها فانه ما وقع نظره على المراة حتى ارتعدت فرائصه . ذلك انه عرفها

ومن اين عرفها ? عرفها لانها كانت في صباها خادمة لدى عمته . وكانت في غاية البهاء والجمال وكان هو في غاية الطهارة وصفاء القلب والضمير . فاحبها ولكن حبًا طاهرًا كحب العذراء للعذراء . ولكن ما بلغ امه حب ابنها للخادمة كاتوشا (وكانت تدعى كاتوشا) حتى ذعرت وارسلت تستدعيه ففارق الامير الصغير كاتوشا وفي نفسه غصة منها . فقضى في قصر امه وابيه بضع سنوات تغيرت فيها اخلاقه من الطهارة الى الدعارة لان « امه كانت تسرّ كل السرور اذا سمعت بان ابنها تغلب على احد رفاقه اذ استمال حبيبته اليه وتستاء اذا سمعته يقول انه سيبقى طاهر الذيل الى حين زواجه » ولما تغيرت اخلاق الامير نكلودوف اصبح اكثر تذكرًا لكاتوشا . فحين شبوب نار الحرب بين روسيا والدولة العثمانية عزم على السفر الى ساحة القتال فعرج في طريقه على قصر عمته وشاهد كاتوشا

فرآها قد زادت رونقًا وجمالاً فازداد ولوعًا بها . ولكنه ولع بها هذه المراة ولوعًا ماديًا حيوانيًا . وكانت كاتوشا عذراء نقية القلب نقيب قيصها ولكنها كانت تحبه كما يحبها . فجار عليها نيكادوف اذ دخل في احدى الليالي الى غرفتها . وهناك سرق شرف العذراء بيده الاثيمة الجانية

ثم سار الى الحرب . فبعد انقضاء بضعة اشهر احست عمته بان كاتوشا صارت حاملاً فطردتها . فلم تجد هذه الشقية بابًا امامها غير باب الفجور فدخلتــه واستخدمت عند المراة الالمانية التي تقدم ذكرها . وبذلك نزلت الى اسفل دركات الهيئة الاجتماعية بل اصبحت خارجة عن حدود الهيئة الاجتماعية بعد طهارتها وبساطتها الماضية

ولما جيء بها الآن للمحاكمة ووقع عليها نظر نكلودوف ذكر ماضيه معها نعلم انه هو الذي جرها الى هذا الشقاء وهذه التعاسة . فانتظر ليرى حكم المحكمة . اما المحكمة فانهــا اثبتت التهمة على ماسلوفا وحكمت عليها بالسجن المؤبد والاشغــال الشاقة في سيبريا وذلك لتهمة القتل والسرقة

فثارت هنا نفس نكلودوف لا سيما وانه تحقق من سير القضية ان ماسلوفا بريئة من

الذنب الذي حُكم به عليها. فحمل محاميها على استئناف الحكم فرفض السناتو هذا الاستئناف لانه لم يكن مستوفياً للشروط القانونية . فاصبح بعد ذلك هذا الحكم نافذاً على كاتوشا

وكان نكادوف قد شبع الى هنا من ملاذ الدنيا وانتبهت في داخله النفس الادبية التي تجعل الانسان انساناً فاصبح يرى نفسه تعيساً جانياً اكثر من كاتوشا بل اكثر من اشد الناس جناية . ولذلك عزم على اصلاح الفساد الذي صنعه واعادة البناء الذي هدمه . فقصد كاتوشا في سجنها وطلب منها في مشهد موثر ان تعفو عنه لانه كان اصل بلائها ثم اقترح عليها ان يتزوج بها تكفيراً عن جنايته . فرفضت كاتوشا

فزاد رفض كاتوشا نكلودوف تعلقاً بها . فابلغها انها اذا سافرت الى منفاها في سيبيريا فانه يلحق بها اصلاحاً لخطاءه معها

وهكذا كان . الا ان نكلودوف قبل سفره مع كاتوشا الى سيبيريا طلب العفو لها من الحكومة لانه كان نافذ الكلمة فوعدوه بفحص المسالة . ثم استدعى نكلودوف اهالي القرى التي له فيها املاك واطيان ووهبهم حق استغلالها والانتفاع بها دائماً بلا اجرة ولا عوض لانه كان قد بلغ قمة الحقيقة ووصل الى حد من الفلسفة والاداب اصبح عنده يرى من الواجبات البشرية (لا من الاحسان) مساعدة الاغنياء لغير الاغنياء وهبة حق استقلال الاراضي للزراع بدل تاجيرهم اياها

وقد سافرت كاتوشا الى سيبيريا في قطار المنفيين فاستاذن لها نكادوف فنقلوها من مركبات الجناة الى مركبات المجرمين السياسيين . وكانت قد تحسنت نفسها وانتعشت قليلاً من كبوتها الادبية . فاحبها رجل من المجرمين السياسيين . فاعظمت كاتوشا ذلك لانها كانت ترى نفسها حقيرة غير اهل للحب وكان هذا الرجل يحبها لذاتها خلافاً لنكلودوف الذي كان يظهر لها الحب من اجله لا من اجلها اي اراحة لضميره واصلاحاً لخطاءه معها . ولذلك دب في كاتوشا شعور جديد واصبحت كثيرة الرغبة في تحسين احوالها . ففازت بذلك وهكذا عادت الى ادبها القديم فكانها بُعثت من قبرها . وهذا سبب تسمية الكتاب « البعث » او القيامة

اما نكلودوف فانه لحق بها في قطار الركاب التالي . وهنا يسهب الفيلسوف الكاتب في وصف المنفيين الى سيبيريا ومعيشتهم ومقاومتهم للحكومة الروسية ومقاومة الحكومة الروسية لهم وصفاً بديعاً سناتي على بعضه اذا اتسع المجال . وبعد دخوله الى سيبيريا ورده كتاب من بطرسبرج بصدور العفو عن كاتوشا . فقصدته حينئذٍ كاتوشا لتبلغه انها

عزمت على الاقتران بالرجل الذي احبها ثم تقول له انه وفي دينه وتذهب وهو متاسف على فراقها . ولكنه يظهر له من مقابلتها اياه انها لا تزال تحبه كما كانت وانما ترفض الاقتران به حرصاً على حياته وشرفه بين الناس وهذا مما يزيد اسفه اسفاً لانه على ما يظهر اصبح يحبهـا

لمع من مبادىء الفيلسوف

هذا هو اجمال القصة . ولكنه اجمال بعيد عن الاصل بعد الارض عن السماء . فان الفيلسوف تولستوي لم يكتبها في ٥٩٣ صفحة بالحرف الصغير ليحكي فيها فقط حكاية ابنة سقطت سقطة هائلة ثم نهضت ولكن ليظهر ما ينشأ في هذا العالم من المظالم والشرور والاحزان وما يجب صنعه لمداواتها كلها . وفي اثناء ذلك يصف عادات الروس واخلاقهم ويورد مبادىء وآراء فلسفية في غاية السمو والغرابة . وقد اخترنا نشر شذرات منها لتكمل الفائدة لاننا لم نقدم الكلام على قصة الكتاب الا تمهيداً لما راينا تلخيصه منها

﴿ انتباه النفس الادبية ﴾ ونبدأ في تلخيص بعض المبادىء الادبية والفلسفيـة التي ضمنهـا الفيلسوف تولستوي كتابه المذكور آنفاً بوصف انتبـاه نفس نكلودوف بعد معرفتها الشر الذي صنعته بكاتوشا . فان نكلودوف اخذ يقول بنفسه بعد صدور الحكم عليها : اليس من مظالم الهيئة الاجتماعية ان يُحكم على هذه المراة بذنب لم تجترمه . اليس من الهول ان تُسجن وابقى انا شريكها في الاثم بل مغريهـا عليه مطلق السراح مكرماً . بل اليس من دوس الحق والعدالة في هذا العالم ان اكون انا من قضاتها ... وقال في مكان آخر : صار يعروني اشمئزاز من نفسي وخجل من وجودي ... فيجب ان اخرج من هذه الدائرة دائرة الكذب والرياء التي دخلت فيها ... يجب ان اعود الى طريق الحق والعدالة واطلب العفو من كاتوشا بل يجب ان اقترح عليها الاقتران بها

وحينئذٍ انحدرت الدموع من عينيه . « دموع حسنة وقبيحة . حسنـة لانها دليل على انتباه الروح الادبي الذي انقضت عليه اعوام وهو نائم في باطن نفسه . وقبيحة لانها دليل على كبريائه واعجابه بنفسه لما عزم عليه من العمل العظيم » . فدنا نكلودوف من نافذة غرفته المشرفة على الحديقة . وكان الليل هادئاً والقمر يرسل اشعته اللطيفة على اشجار الصفصاف التي كانت تستنشق نسيم الليل البليل . فقال نكلودوف متنفساً الصعداء : ما اجمل هذه المناظر ما اجملها . ولم يكن الجمال حينئذٍ الا في نفسه التي انفتحت بعد

طول انغلاقهـا
و بعد ذلك ذهب وعرض امره على كاتوشا

☀ كلمة « الله » في فم الاشقياء ☀ بين نكلودوف وكاتوشا في سجنها. فقال نكلودوف لها : جئت اسألك العفو . فقالت له . بغضب دع عنك هذا . فقال وجئت ايضاً لاصلح ما افسدت لا بالقول بل بالفعل فقد عزمت على الاقتران بك . فاتخذ وجه كاتوشا حينئذ شكلاً هائلاً ثم نظرت اليه قائلة بهدوء ما كان ينقصك غير هذا . فقال نكلودوف انني اشعر بانني مديون لك بذلك امام الله . فاستشاطت كاتوشا غيظًا وصاحت ملء فمها : هو يجسر ايضاً على لفظ اسم الله بفمه . الله ؟ واي اله تعني . ولماذا لم تذكر الله في ذلك اليوم الذي صنعت به ما صنعت .. انا ابنة ساقطة محكوم عليّ بالاشغال الشاقة وانت سيد كبير وامير . فاذهب عني الى اميراتك .. اذهب فانني اكرهك واشمئز من كل شيء فيك . اذهب ..اخرج من هنا» ثم انحدرت الدموع من عينيها فاثرت دموعها فيه تاثيرًا هائلاً فقال لها ان رفضك لا يمنعني من خدمتك طوعاً او كرهاً فقالت له هذا الشان شانك ولا يهمني . فخرج نكلودوف . وحينئذٍ جلست كاتوشا في سجنها مبهوتة مطرقة الى الارض لانها ذكرت حينئذٍ الطبقة الاجتماعية العليا التي عاشت فيها في صباها ثم خرجت منها وهي تكرهها وتبغضها »

☀ سوء الظن بجميع البشر ☀ الصفحة ١٧٥ السطر ١٠ — « ولما علمت كاتوشا بالحكم عليها اخذت تفكر في مستقبلها . فقالت في نفسها انها لا تتزوج ابدًا باحد من المجرمين في منفاها ولكنها ستتزوج بحارس او مفتش او كاتب . وكانت تقول انه من السهل استمالة كل اولئك الناس على شرط ان لا ينحل جسمها . اما اذا نحل وضعف فانها تفقد كل شيء . وحينئذٍ اخذت تذكر النظرات التي كان يوجهها اليهـا المحامون و رئيس المحكمة والقضاة انفسهم وكيف كان الناس في الطريق عند سيرها الى السجن يرمقونهـا بعيون طافحة بالرغبة »

☀ الفساد في الهيئة الاجتماعية ودواؤه ☀ وقال تولستوي في الصفحة ١٦٤ من كتابه مقيماً الحجة على الهيئة الاجاعية بما خلاصته

« وحوكم في الجلسة التالة للجلسة التي حكم بها على كاتوشا فتى عمره ٢٠ سنة متهم بسرقة حزمة مكانس من احد الحوانيت · وبيان ذلك ان ابا هذا الولد ادخله الى معمل للخدمة فيه فاقام خمس سنوات في خدمته ولكن صاحب الحانوت طرده في ذات يوم مع جميع عماله لنزاع قام بينه وبينهم فلجأ هذا الشاب الى الازقة والحانات· فتعرف فيها بشاب سيء السيرة فعلمه السكر وانتياب اماكن الفساد ففسدت اخلاقه وساءت سيرته · ولم يسأل ابوه عنه لانه كان عاجزاً عن القيام باوده · فسكر الشاب ورفيقه في ذات يوم وكسروا في سكرهما باب حانوت واخذا منه رزمة من المكانس فقبض البوليس عليهما وسجنهما فمات احدهما في السجن وبقي الثاني في اسواء حال · وقد اعترف الشاب بذنبه امام القضاة اثناء المحاكمة · فطلبت النيابة اعتبار ذنبه جناية والحكم عليه · فقال نكلودوف احد القضاة المحلفين في نفسه

« لا ريب ان عمل هذا الشاب خطر على الهيئة الاجتماعية · ولكن ما قولنا عن جميع قضاته · ما قولي عن نفسي مثلاً انا الفاسد السريرة المرائي الكاذب الفاسق الذي جعلت قاضياً للحكم عليه · واذا افترضنا ان هذا الشاب هو بين الموجودين في هذه القاعة قاعة المحاكمة الرجل الوحيد الذي في وجوده خطر على الهيئة الاجتماعية فماذا يجب ان نصنع به وماذا يصنعون به · انهم ياخذونه ويضعونه بين المساكين الاشقياء الذين يحرمونهم من حريتهم في السجون ويعلمونهم فيها البطالة والرذيلة وفساد الاخلاق · فيزيدون بذلك فساده فساداً · وقد كان يجب استئصال الشر من اصله وذلك لا يتم الا بمنع الهيئة الاجتماعية من ان توجد اناساً كهؤلاء · فهل تسعى الهيئة في ذلك · معاذ الله بل انها تسعى في زياده الشر وذلك بادخال الناس في المعامل والمصانع والحانات واماكن الفساد · واذا وقعت يدهـا اتفاقاً على شخص واحد من الاشقياء سجنته وهي تظن انها انقذت نفسها من الخطر غير عالمة انها تترك الوفاً والوف الوف غيره يعيشون في الارض ويمرحون

« وماذا جرى لو ان هذا الشاب حين خروجه من معمل سيده جاءه رجل وقال له : لا تذهب يافانيا الى هناك فانه مكان قبيح وتعال الي وعش شريفاً بعملك وعرق جبينك عندي · لا بد انه كان قد اجتنب الحفرة التي وقع فيها · ولكن لم يات احد اليه ليقول له ذلك القول · فسقط ذلك السقوط · بل لم يقل له احد في زمانه مثل هذا القول وانما سمعهم يقولون في المعمل ان راس الحكمة للشاب مخادعة الناس والسكر لمسرة النفس والمزاح والملاكمة واصطياد البنات · فعمل بهذه الحكمة التي تعلمها · ولما اتقنها جيء به بهيئة رسمية

الي جلسة رسمية جمعونا فيها نحن الاغنياء وطلبوا منا الحكم على هذا الرجل التعيس الذي هو اخونا والذي لم يسقط الا من قصورنا واهالنا »

نقول وان هذا الكلام البليغ خير ما يقال في وجوب التعليم الالزامي والتربية الادبية الحقيقية

﴿ الارض لله لا للبشر وفلسفة تولستوي في ذلك ﴾ ولما انقشع حجاب العالم عن عيني نكلودوف بان له ان الثروة التي جمعها له ابوه ليست ملكاً حلالاً له لانها ماخوذة من الجمهور فضلاً عن انها لم تجمع كلها بطرق شريفة . ثم انه كان قد سمع بعذاب الفلاحين وشقائهم والصعوبة التي يجدونها في تحصيل قوتهم فعزم ان يؤجر بعضهم بعض اطيانه (اراضيه) باجرة قليلة جداً مساعدة لهم فرضوا بذلك بعد ترددهم بسبب عدم تعودهم اياه فاجرهم نكلودوف اراضيه باجرة قليلة ولكنه بقي مع ذلك قلقاً منقبض النفس دون ان يدري لذلك سبباً . فعزم على زيارتهم في المزارع والقرى والحقول للوقوف على احوالهم فراى عندهم من الفقر والحاجة والشقاء ما يفتت القلوب وقد تجمهر الفلاحون عليه لمشاهدة هذا السيد الكبير الذي جاءهم لفحص معيشتهم والسؤال عن اكلهم وشربهم . فعاد نكلودوف من عندهم وهو يقول في نفسه « ان هؤلاء التعساء يموتون جوعاً وشقاء لانهم محرومون من الارض التي خلقوا لها وخلقت لهم . فانهم يحرثونها و يزرعونها وغيرهم يصدر محصولاتها الى الخارج و ياكل الخبز الذي اخرجوه بعرق جبينهم . الخيول ترعى في الحقول وتشبع واما هم فانهم لا يشبعون . وهم آخذون شيئاً فشيئاً في تعود الشقاء الذين هم فيه كما اننا اخذنا نحن نتعود التحكم فيهم واعتبار شقائهم ضرباً لازباً . وفي خلال ذلك ترى السياسيين والجرائد يتباحثون في اسباب شقاء الفلاحين ضاربين صفحاً عن السبب الحقيقي الذي هو حرمانهم من الارض التي يحتاجون اليها

« فثبت حينئذ لنكلدوف وجوب اعطاء الفلاح ارضاً ليعيش منها . وكم قد سمع ان فلاناً الفلاح مات طفله لعدم وجود لبن يرضعه منه . ولم يكن لديه لبن لانه لا يملك حقلاً ترعى فيه بقرته لتدر له لبناً

وحينئذ ذكر مبادئ « هنري جورج الاميركي » التي قاعدتها « لا يجب ان تكون الارض ملكاً لاحد من الافراد ولذلك لا يجوز بيعها وشراؤها كما انه لا يجوز بيع الهواء والماء ونور الشمس بل ان لجميع البشر حقاً فيها وفي الخيرات التي تخرج منها » فذكر عند

ذلك نكلودوف الانقباض الذي اصابه بعد تاجيره بعض اراضيه وعلم ان سببه هو استياؤه بالطبع اي من غير روية ولا تفكير من بيعه الفلاحين خيرات ارضه بثمن وعزم على هبتهم الارض هبة . فاستدعاهم وابلغهم الامر فلم يفهموا كلامه لغرابته واجابوه انهم يكتفون بان يقدم التقاوي لهم اذ جرت العادة في روسيا ان تكون التقاوي من الزارع نفسه . فقال لهم نكلودوف بل انني اهبكم اراضيَّ هبة . اسمعوا . اليست الارض كلها لله . فقالوا بلى قال فاذا كانت لله وجب ان لا تباع ولا تشرى . لانه اذا جاز بيعها استطاع الاغنياء احتكارها وحرموا غير الاغنياء منها . فقال الفلاحون اصبت اصبت ايها السيد . فقال نكلودوف ومع ذلك فان البشر حين بيعها او تاجيرها يطلبون مبلغًا وافرًا لا يقوم به ايراد الارض فعلامَ اذًا شراؤُها لزراعتها . ومن اجل هذا عزمت على ان اهبكم جميع اراضيَّ . ولكن يجب قبل كل امر ان نتفق على طريقة الهبة . فقال احدهم الطريقة سهلة وهي ان تقسمها بيننا كلنا . فقال نكلودوف ولكن فيكم اناسًا لا يزرعون او انهم يزرعون على نفقة اسيادهم فاذا وهبناهم اقسامًا من الارض ذهبوا وباعوها للاغنياء فتعود الارض وتنحصر في ايدي هؤُلاء . وفضلاً عن ذلك فان للزراع عيالاً فاذا ماتوا توزعت الارض على اولادهم بالارث وبذلك تنقسم فيضعف شانهم وتقوى ايدي الاغنياء على ايديهم . فقال بعض الحاضرين اصبت واحسنت . الا ان احدهم اعترض بقوله ولكننا نحرم على الفلاحين ان يبيعوا اراضيهم . فاجاب نكلودوف فمن يخبرنا انهم لا يبيعونها في السر ويبقونها في ايديهم لزراعتها لاسيادهم . هذا فضلاً عن ان قسمة الارض بين الناس بالسواء امر صعب جدًا . فقالوا لماذا . قال لان في الارض ارضًا جيدة وارضًا غير جيدة فاذا حدث التقسيم فمن ياخذ الجيدة ومن ياخذ غير الجيدة . لا بد ان ذلك يفضي الى النزاع والخلاف . فقال بعض الحاضرين نعم نعم ولا اقرب من الخلاف منا في هذه الامور . فقال نكلودوف فما مرَّ يتضح ان المسالة ليست سهلة الى الحد الذي كنتم تظنونه . ولسنا نحن وحدنا نفتكر في هذه المسائل الهامة . فقد قام رجل اميركي يُدعي جورج ورأَى في هذا الشان رايًا استحسنه واوافق عليه وهو : ان الارض ملك للجمهور لا للفرد الواحد . وهي جنسان جنس جيد وجنس غير جيد . فكيف السبيل لقسمتها بالسواء بين جميع البشر . السبيل الى ذلك انه يجب على الذي يستغلُّ الارض الجيدة ان يقسم الزيادة التي تحدث في حاصلاتها بينه وبين الزارع الذي يستغل الارض غير الجيدة . ولذلك طريقة اسهل من دفع المال . وهي ان يُقرر ان كل رجل يستغلُّ ارضًا يدفع الى الهيئة التي يعيش فيها رسمًا

معلوماً . وهذا الرسم يكون كثيراً للاراضي الجيدة وقليلاً للاراضي غير الجيدة . وبذلك تتم المساواة بين الجميع . اما اذا كان الرجل لا يستغلُّ ارضاً فانه لا يدفع شيئاً

فابتهج الفلاحون بهذا الحلّ وكان احد اتباع نكلودوف حاضراً فساله واذا طلبت انا قسماً من الارض العمومية فاجابه انك تُعطى ما تطلبه لان لكل انسان حق الاشتراك في استغلال الارض واستخراج خيراتها

وهكذا صنع نكلودوف . فانه وهب اطيانه الواسعة للفلاحين كلها فسر الفلاحون بذلك اعظم سرور وكذلك سرّ نكلودوف وارتاح بعد ذلك الانقباض ارتياح مسافر اكتشف في سياحته بلاداً جديدة

وفي الحقيقة انه كان قد اكتشف امراً جديداً

﴿ عدم فهم الناس هذه المبادئ ﴾ وذهب نكلودوف لزيارة عمته الاميرة ليسالها متى يصدر العفو عن كاتوشا وعن امراة اخرى محكوم عليها . فاجابته عمته دع هؤلاء النهيليست وشانهم فقال نكلودوف ماذا تقولين ياعمتي اما انت مسيحية . الا تؤمنين بالانجيل . فكيف لا تشفقين على المراة التي اعنيها . فقالت عمته اي دخل للانجيل هنا ولماذا يتداخل هؤلاء البشر في ما لا يعنيهم . فقال نكلودوف انهم يسعون لمساعدة الشعب . فقالت عمته اننا لا نحتمل ان تتصدر فينا ابنة من الشعب لتعلمنا واجباتنا . فقال نكلودوف صدقيني ياعمتي ان الشعب محتاج الى المساعدة والاغاثة فانه يتعذب ويشقى . هو يعمل ويتعب ونحن الاغنياء ناكل في البطالة والترف الخبز الذي تصنعه يمينه . فصاحت عمته ماذا تطلب ماذا تطلب .. اتريد ان اذهب انا الى النهر فاغسل فيه امتعتي بيدي ولا آكل الا من البطاطس ... لا ريب انك قد اصبحت ابله ولا شك عندي انه سيسوء مصيرك »

﴿ الجرائد والطعن والمحاكم ﴾ وفي ذات يوم شهد نكلودوف محاكمة مدير جريدة وسبب محاكمته ان جريدته نشرت مقالة تكشف فيها الغطاء عن اختلاس مدير احدى الشركات المالية العمومية . فسمع نكلودوف في اثناء المحاكمة اموراً غريبة . فانه في شرع العدل الصحيح كان يجب ان تبحث المحكمة هل ان هذا المدير مختلس ام لا . ولكنها ضربت صفحاً عن ذلك واخذت تبحث هل ان في تلك المقالة طعن وقذف في حق المدير

ام لا . ومقتضى ذلك ان مدير الجريدة قد يُحكم عليه وان كان مدير الشركة مختلساً . فاين الحقيقة هنا واين العدالة

﴿ الرذيلة وثوبها اللامع في الطبقات العليا ﴾ وبينما كان نكلودوف يسعى لاطلاق سراح كاتوشا لقي امرأة يعرفها تُدعى « مار بيت » وهي من اسمى النساء مقاماً لانها متزوجة باحد الوزراء وكانت في غاية الجمال والبهاء فاخذت تحادثه وتُظهر الميل له . فثارت في نفس نكلودوف عوامل الحب . وكانت تنظر اليه في خلال الحديث نظرات خصوصية فكأن عينيها تقولان له « هل تستطيع ان تحبني » فتجيبها عينا نكلودوف في خلال الحديث ايضاً « نعم استطيع ذلك » الا ان نكلودوف ندم في اليوم التالي على افتكاره بالسوء . وكانت مار بيت قد طلبت اليه ان يزورها لتطلعه على امر هام فذهب اليها فرآها في اجمل حلة وابهى زينة وهي مكشوفة الصدر والذراعين فحادثته طول الوقت دون ان تطلعه على الامر فعلم نكلودوف انها ما طلبته الا لتوقعه في شراكها فثارت في نفسه عوامل استحسانها واستقباحها معاً . استحسنها لجمالها الفتان ومنظرها البديع واستقبحها لما رآه تحت هذا الثوب اللامع من الفساد والرغبة في الرذيلة . فاغتنم فرصة وفرَّ من الغرفة التي كانت مار بيت فيها . وفي خروجه ابصر امرأة جميلة واقفة تنظر اليه باسمة بعينين ملئها الرغبة فخرج من المنزل وهو يقول في نفسه .

« بسمة هذه كبسمة تلك كلتاهما تفيدان معنى واحداً وتنطقان بلغة واحدة . ولا فرق بينهما سوى ان هذه تتكلم بحرية وصراحة وتلك تراوغ بكلام منمق مزوق . الاولى تفصح عما في نفسها والثانية تكذب وتكتم ما في نفسها

« ما افظع الهوى الحيواني في الانسان واشده هولاً ولكنه يكون ضعيفاً لما يكون مكشوفاً فانه اذا كان مكشوفاً بقيتَ بعده كما كنتَ قبله سواء ثبت في وجهه وعصيته او جاريته واطعته اما اذا كان غير مكشوف بل مستتراً تحت ظواهر لامعه اذا كان يطلب منك ان تحترمه وتكرمه لاقامته في نفس تزعم العلو والعظمة بدل ظهوره بمظهره الحقيقي من الحيوانية والوحشية فحينئذ تتغلب الحيوانية على الانسانية في نفسك وتصبح عاجزاً عن تمييز الخير من الشر والصلاح من الفساد قال نكلودوف ذلك ثم افتكر بالهيئة التي كان عائشاً فيها فعلم ان تحت ظواهرها البراقة واثوابها اللامعة رذائل وفظائع من اشد الرذائل والفظائع الحيوانية »

﴿ الاعتراض على المحاكم والقضاة ورأيه في العقاب ﴾ وذهب نكلودوف لزيارة شقيقته ناتالي زوجة البرنس انياس نيسفور وفيتش ليطلعها على ما عزم عليه من السفر الى سيبيريا والتزوج بكاتوشا وهبته اراضيه للفلاحين فجرى بينه وبين صهره انياس الحديث التالي · قال البرنس انياس الذي هو من رجال القضاء : لا تقل ان المحاكم تسجنها وهي بريئة حسب العادة فان المحاكم لا تسجن في العادة الا المجرمين · فقال نكلودوف اما انا فارى عكس ما تقول واني مقتنع بان نصف البشر الذين تحكم المحاكم عليهم هم ابرياء · فقال انياس ان العصمة لله وحده وقد يقع الخطأ في بعض الاحيان · فقال نكلودوف بل ان اكثر المحكوم عليهم اناس ابرياء · غير ان منهم من هم ابرياء من كل ذنب براءة حقيقية ومنهم من هم ابرياء لان الوسط الذي عاشوا فيه جعلهم يظنون ان الذنوب التي صنعوها ليست في الحقيقة ذنوباً · فقال البرنس انياس بغضب · لا تقل ذلك فان كل لص يعلم ان السرقة حرام ومع ذلك فانه يسرق · فاجاب نكلودوف وقد اخذ التأثر يظهر فيه · كلا ان اللص لا يعرف ان السرقة حرام ذلك لانه يرى سيده يسرق عمله ويتمتع بتعب جبينه ومستخدمي الحكومة ينهبون من كل جانب امواله · فماذا يفيد ان نقول له ان السرقة حرام والكل يسرقونه · فالتفت البرنس انياس الى نكلودوف وقال له بهدوء ورزانة · الا تعلم ان ما تقوله الآن يُدعى « فوضوية » · فاجاب نكلودوف لا يهمني اسم الامر الذي اقوله لانني لا اقول الا الواقع · فان ذلك الرجل يعلم ان المستخدمين يسرقونه واننا نحن الاغنياء نسرقه ايضاً اذ نستغل لمنفعتنا دون سوانا هذه الارض التي كان يجب ان تكون ملكاً شائعاً للجميع · ثم انه اذا خطر لذلك المسكين ان ياخذ من غير علمنا قضباناً من الاشجار التي تحتها ليضرم النار بها ويصطلي عليها قبضنا عليه وزججناه بالسجن · فقال البرنس وهل تنكر مبدأ الملكية الا ترى انه يجب ان يكون للارض مالك حر التصرف بها · وافترض انك قسمتها بالسواء على الجميع ألا تعلم انها تعود وتجتمع اقسامها في ايدي الذين هم اكثر نشاطاً واجتهاداً · فقال نكلودوف ومن قال لك انه يجب ان تُقسم · ان الارض لا يجوز بيعها ولا شراؤها · فقال البرنس ولكن البشر بلا مبداء الملكية يعودون الى الحالة الوحشية · فقال نكلودوف لا صحة لهذا القول بل بالعكس فان الناس ينتفعون حينئذٍ من الارض بدل بقاء خيراتها في بطنها بلا فائدة

فغضب صهر نكلودوف لهذا الكلام وغضب نكلودوف ايضاً فرأت شقيقته ان تغير الحديث فسألته عن امر البراز الذي قتل فيه الفتى كامانسكي · وكانت هذه الحادثة

اكبر حوادث بطرسبرج في تلك الايام . فاسف انياس لانهم لا يعاملون الرجل الذي قتله في البراز معاملة القتله . فساله نكلودوف وما الفائدة من ذلك فاجاب ان ذلك عدل فضحك نكلودوف وقال تقول ذلك كما لو كان العدل هو الغرض من الشرائع الموجودة الآن . فساله انياس مدهوشاً وماذا تزعم غرضها . فاجاب : غرضها ابقاء الحالة الحاضرة كما هي لمنفعة فريق قوي من البشر . فقال انياس بغضب لا يمكنني ان اسمع هذا الكلام لانني اعلم ان المحاكم انشأت لغرضين الاول لتقويم اعوجاج المجرمين . فضحك نكلودوف وقال ما شاء الله على هذا التقويم الذي يزيد المسجونين في السجون اعوجاجاً . فاردف انياس بقوله اما الثاني فهو عزل المجرمين لمنعهم من الاضرار بالهيئة الاجتماعيـة لانهم خطر دائم عليها . فقال نكلودوف ساخطاً اما انا فارى ان المحاكم لا تؤدي الى هذا الغرض ولا الى ذاك . ولا يوجد في العالم سوى عقابين ناجعين . الاول السوط والثاني الاعدام . فقال البرنس انياس لم اكن انتظر ان اسمع منك كلاماً كهذا الكلام . فقال نكلودوف . اقول ذلك لانني اعتقد ان جلدك المذنب لتجعله يشعر بالم ذنبه واعدامك المجرم لتريح الهيئة الاجتماعية منه امران معقولان مقبولان . واما السجون ووضع البشر فيها ليعيشوا بين جدرانها في البطالة والفساد والقدوة السيئة فاية فائدة منها . لقد مرت قرون والمجرمون يُسجنون فهل قل عددهم . كلا بل كثر وزاد . وان قلتَ ان السجون اتقنت واحكم بناؤها وفرشها كانت اصلح حالاً واكثر تاثيراً اجبتك ان الاموال الطائلة التي تُنفق عليها تذهب سدى . ولا شيء اكره اليَّ من تلك السجون النظيفة المرتبة المنارة بالكهربائية والتي يُجلد فيها المجرمون بالكهربائية ويُعدمون بالكهربائية

﴿ من هم كبار الناس ؟ ﴾ واذ خبر نكلودوف شقاء الشعب ورأى تلك الالوف والملايين الذين يعيشون جياعاً عراة عطاشاً معذبين من الطبيعة ومن البشر جعل يقول في نفسه وهو بينهم : هؤلاء هم كبار الناس الحقيقيون . هذه هي الانسانية العظيمة الحقيقية . لا تلك الطبقات التي يسمونها عالية وما هي الا واطئة دنيئة تضحي كل شيء من اجل مصالحها وشهواتها

﴿ الاضطراب السياسي في روسيا ﴾ ولما كنا نطالع الكتاب كنا نطلب فيه بشوق لا مزيد عليه رأي الفيلسوف في الاضطراب السياسي في روسيا ومذهبه في المنفيين

السياسيين الى سيبيريا . وهذه خلاصته على لسان نكلودوف ايضاً

كان نكلودوف في بدء حركة الثورة في روسيا يجتنب القائمين بها و يستاء من اعمالهم . ولكنه لما خبر بعضهم ورأى المعاملة الهائلة التي يعاملون بها اصبح يميل اليهم . فانهم كانوا يصطادون جماعات جماعات كما يصطاد السمك بالشبكة ثم يطرحون في السجون سواء ماتو او عاشوا . ولم يكونوا كلهم اشقياء كما انهم لم يكونوا كلهم ابطال وشهداء كما يقول بعضهم . بل انهم ثلاث فئات . فئة تكره الشر ولذلك تقاومه بكل قوتها . وهؤلاء هم الصالحون وفئة تنضم الى المقاومين لاذى اصابها او طلباً للشهره او رغبة في الاذى . وهولاء هم اصحاب العقول المتوسطة والاشقياء . وفئة تنهض رغبة في العمل والمخاطرة بالنفس وتغيير المعيشة التي هي على وتيرة واحدة . وهولاء هم الشبان المقدمون الذين يكرهون السكون . وقد شعر نكلودوف منذ كان في ساحة الحرب انه من الفئة الثالثة

ولا نسهب في هذا الموضوع لان ذلك يقتضي مقالة على حدة

✵ عود الى لابسف واعتراف تولستوي بالقيصر ✵ وقد نقلنا في الجزء السابع الكتاب الغريب الذي كتبه لابسف الى تولستوي وذكرنا كيف ان تولستوي لخص هذا الكتاب ببعض تصرف في كتابه « البعث » الذي نحن في صدده . ونحن الآن نزيد على ما تقدم ذكره في ذلك العدد الكلام الآتي ماخوذاً من الكتاب المذكور

فلما قال الشيخ لسائق نكلودوف (لا للسائق نكلودوف كما ورد خطأ) الله هو ابي والارض هي ابي اردف بقوله : و يسالونني عن القيصر الا تعترف به ؟ فاجيبهم لماذا لا اعترف به . فهو يملك من جهة وانا املك من جهة اخرى (يعني ان الانسان ملك في حد ذاته اذ ليس لاحد سلطان على نفسه) فساله نكلودوف واين انت ذاهب الآن . فاجاب الشيخ الى حيث يرسلني الله . فانني اذهب لاعمل واذا لم اجد عملاً فانني اشحذ . فمد نكلودوف يده الى جيبه واخرج منها قطعة من النقود الفضية واومأ بها الى الشيخ فقال الشيخ . لا لا . انا لا آخذ من هذا . ولا اقبل غير الخبز . فقال نكلودوف . صفحاً اذا كنت قد اهنتك بنقدمتي . فقال الشيخ كلا لم تهني بل لا يقدر احد ان يهينني . ثم حمل الشيخ كيسه الذي كان على الارض وسار في طريقه

وبعد ايام زار نكلودوف السجن فوجد هذا الشيخ فيه وقد سجنوه بحجة انه من المشردين . فلما رآه الشيخ شخص في وجهه وصاح به . وانت ايضاً من عمال المسيح

الدجال الذين وضعوني في السجن. فاجاب نكلودوف كلا فانني زائر فقط . فقال الشيخ . اذن انت جئت لترى كيف يعذب المسيح الدجال البشر . فانظر كيف يصنع ذلك . انه يلقيهم في اماكن مقفلة الوفاً الوفاً ويطعمهم ويسقيهم بلا عمل كانهم خنازير وفي الحقيقة انه يجعلهم بذلك خنازير . فطلب انكليزي كان حاضراً ان يسال ذلك الشيخ ماذا يجب اذن صنعه بمن يخالف الشريعة . فضحك الشيخ كثيراً ثم قال . الشريعة . لا تقل شيئاً عن الشريعة . فان الانسان استولى على الارض قبل كل امر وسلب الجمهور خيراتهم وافنى كل مقدرة لهم على مقاومته ثم كتب الشريعة وقال فيها لا تقتل لا تسرق ولكن لماذا لم يكتب ذلك قبل ان يصنع بالارض ما صنع . فضحك الانكليزي لهذا الجواب وطلب ان يسال الشيخ : اذن ماذا يصنعون باللصوص والقتلة . فاجاب الشيخ . قل له ان الهيئة الاجتماعية يجب ان تمحو عن جبينها ختم المسيح الدجال اولاً ومتى صنعت ذلك وجدت امامها من الاعمال ما يشغلها عن اللصوص والقتلة . فخرج الانكليزي ضاحكا وبقي الشيخ في السجن معربداً

❊ خاتمة الكتاب وفيه نتيجته ❊ وقد آن لنا الآن ان نبلغ خاتمة الكتاب فنقول لما صدر العفو عن كاتوشا وجاءته لتبلغه انه اصبح في حل من ذنبه لانه كفر عنه وانها عزمت على الاقتران بالسجين الذي احبها كما تقدم الكلام هاج خاطر نكلودوف لانه صار يحبها . وفي ذلك اليوم نفسه مات لنكلودوف صديق اصطفاه من المسجونين في سيبيريا وكان يدعى « كريتزلوف » وهو شاب حميد الصفات كريم الاخلاق توفي بداء الصدر لسوء المعيشة في السجن . فلما تحقق نكلودوف هاتين المصيبتين ذهب الى غرفته حزيناً كئيباً

وهناك اخذ يتامل في امور الحياة وما حدث له في ايامه الاخيرة . فراى ان امره مع كاتوشا قد تم وانه لم يبق بها حاجة اليه فاستراح ضميره من هذا الوجه . ولكنه بقي متعباً من وجه آخر

ذلك انه ذكر ما شاهده في طريقه من الشقاء والجرائم والاحزان بين البشر فراى من واجباته ان يسعى لهدمها كلها وبذلك يكون قد مضى دور من عمره وجاء دور آخر وفيما هو يتامل في ذلك كان يسال نفسه « هل انا في الحقيقة مجنون حتى انني ارى الناس كما اراهم ام هم في الحقيقة مجانين فاراهم كذلك »

قال ذلك ثم القى بنفسه على مقعد وتناول « انجيلاً » كان قد اهداه اليه الانكليزي الذي تقدم ذكره وهو يقول : « يوجد اناس يزعمون ان الانسان يجد في هذا الكتاب جواباً لكل المسائل التي يطلبها . فلنجرب ذلك » ثم فتح الانجيل اتفاقاً فوجد امامه الاصحاح الثامن عشر من انجيل متى . فقرأ ما يلي :

١ في تلك الساعة تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين : فمن هو اعظم في ملكوت السموات

٢ فدعا يسوع اليه ولداً واقامه في وسطهم

٣ وقال . الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات

٤ فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات

فقال نكلودوف في نفسه وقد قطع القراءة « نعم . نعم . هذا امر حقيقي » ان الانسان لا يعرف لذة السلام وهناء الحياة الا اذا جعل نفسه صغيراً متواضعاً كالولد الصغير . ثم استانف المطالعة فقرأ ما يلي

٥ ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني

٦ ومن اعثر احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر

فترك نكلودوف القراءة هنا متاملاً وقال : ما معنى هذه الكلمة « من يقبل هؤلاء الاولاد » فانني لم افهمها . واي دخل لحجر الرحى والعنق وقعر البحر في هذا الموضوع . هذا لم يكتب لي . هذا بلا معنى لي . ثم قرا بعض آيات اخرى وجعل يقول في نفسه « يا لها من خسارة ان يكون ذلك غامضاً وغير مكتوب بوضوح تام . فانني اشعر بوجود شيء عظيم فيه ولكنني لا افهمه . ثم قرأ ما يلي

١١ لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك

١٢ ماذا تظنون . ان كان لانسان مئة خروف وضلَّ واحد منها افلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضالَّ

١٣ وان اتفق ان يجده فالحق اقول لكم انه يفرح به اكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل

١٤ هكذا ليست مشيئة امام ابيكم الذي في السموات ان يهلك احد هؤلاء الصغار

ولما بلغ الى هذه الآية قال « لا شك ان الآب لا يريد ان يهلكوا ولكن ذلك لا يمنعهم ان يهلكوا مئات والوفاً . افما من سبيل الى انقاذهم

ثم استانف القراءة

٢١ حينئذ تقدم اليه بطرس وقال . يارب كم مرة يخطىء اليّ اخي وانا اغفر له هل الى سبع مرات

٢٢ قال له يسوع لا اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات

٢٣ لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً اراد ان يحاسب عبيده

٢٤ فلما ابتدأ في المحاسبة قُدم اليه واحد مديون بعشرة الاف وزنة

٢٥ واذا لم يكن له ما يوفي امر سيده ان يباع هو وامراته واولاده وكل ماله ويوفى دينه

٢٦ فخرّ العبد وسجد له قائلاً . ياسيدي تمهل عليّ فاوفيك الجميع

٢٧ فتحنن سيد ذلك العبد واطلقه وترك له الدين

٢٨ ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمئة دينار . فامسكه واخذ بعنقه قائلاً اوفني ما عليك

٢٩ فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلاً تمهل عليّ فاوفيك الجميع

٣٠ فلم يرد بل مضى والقاه في سجن حتى يوفي الدين

٣١ فلما راى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً واتوا وقصوا على سيدهم كل ماجرى

٣٢ فدعاه حينئذ سيده وقال له ايها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لانك طلبت اليّ

٣٣ افما كان ينبغي انك انت ايضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك انا

ولكن نكاودوف ما وصل الى هنا حتى توقف بغتة واخذ يتامل و يقول في نفسه « هل هذا هو الجواب الذي اطلبه »

وحينئذٍ سمع صوتاً باطنياً يقول له « نعم هذا هو الجواب الذي تطلبه »

فحدث في داخله اذ ذاك ما يحدث عادةً في باطن كل انسان يرى بعض الامور غريبة

عجيبة ثمّ يثبت له الاختبار صحتها فيستنير عقله بغتة و يعترف بصحتها . وهكذا جرى لنكلودوف فانه ادرك عند قراءة ذلك الكلام ان الدواء الوحيد الذي يمكن وجوده لمعالجة الشر الآن في العالم انما هو وجوب ان يعتبر كل واحد من البشر انه مديون لله بكل شيء ولذلك فليس له حق في ان يدين غيره و يعاقبه . لقد ادرك حينئذٍ ان كل الشر الذي رآه في السجون وفي الاماكن الاخرى مصدره واحد وهو ان البشر اصحاب الاخلاق الفاسدة يطلبون اصلاح اخلاق بعضهم البعض . فكيف يُرجى الصلاح من الفساد . الفساد لا يُنشئ الا الفساد . والناس الفاسدي الاخلاق يجعلون الناس فاسدي الاخلاق بالطبع بدلاً من ان يصلحوهم . ولا دواء لذلك غير جواب المسيح لبطرس وهو : اذا اخطأ اليك اخوك فاغفر له سبعين مرة سبع مرات

ثم اخذ نكلودوف يتامل و يقول اصحيح ان هذا الامر بسيط الى هذا الحد . وكان مقتنعاً كل الاقتناع بان السجون لا تؤثر في اصلاح شان البشر لانها تزيدهم فساداً فازداد اقتناعه الآن شدة فجعل يقول في نفسه " ان الهيئة الاجتماعية اذا كانت قائمة الآن فليس ذلك بقوة القضاة والمحاكم بل لان البشر لا يزالون يحبون بعضهم بعضاً و يرفقون بعضهم ببعض »

ثم فتح الانجيل مرة ثانية لانه اخذ يشعر من نفسه بانجذاب جديد اليه فطالب خطبة المسيح على الجبل من اولها واخذ يقرأها . وكان يعتبر من قبل ان هذه الخطبة السامية التي هي اسمى قول خُط على قرطاس انما هي مجموعة قواعد سامية سهلة لدى القول مستحيلة لدى العمل . اما الآن فانه رآها قواعد في غاية البساطة والجلاء ووجد انه لا اسهل من العمل بها . و وجد ايضاً ان البشر لو عملوا بها لنشأت هيئة اجتماعية جديدة خالية من كل ظلم وشقاء وشدة واتى على الارض ملكوت الله

وهذه القواعد تنحصر في المبادئ الخمسة التالية

(١) المبدأ الاول ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يقتل اخاه الانسان بل يجب ايضاً ان لا يغضب منه ولا يشكوه ولا يحتقره واذا خاصم انساناً فيجب عليه ان يصالحه قبل ان يقدم قرباناً لله اي قبل ان يتحد مع الله بالصلاة القلبية

(٢) المبدأ الثاني ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يستسلم الى شهواته وان لا يدنس جمال المراة بجعلها آلة للذته الخشنة بل يجب عليه ايضاً اذا تزوج بامراة ان لا ينفصل عنها مدة حياته

(٣) المبدأ الثالث انه يجب على الانسان ان لا يحلف بانه يصنع كذا او يهب كذا فانه لا يملك نفسه ولا اي شيء في هذا الوجود

(٤) المبدا الرابع ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يطلب عقاب العين بالعين والسن بالسن بل يجب عليه اذا ضربوه على خدٍ ان يدير لهم الخدَّ الثاني وان يصفح عن مهينيه ويحتمل الاهانة بصبر جميل وان لا يرفض شيئاً مما يطلبه منه البشر اخوته

(٥) المبدا الخامس ان الانسان لا يجب عليه فقط ان لا يبغض اعداءه ولا يقاومهم بل يجب عليه ايضاً ان يحبهم و يساعدهم و يخدمهم

هذه هي المبادىء الخمسة . وكان نكلودوف يفكر فيها وهو ملقى على المقعد يتامل و بقي ساهراً طول ذلك الليل وهو يطالع الانجيل فقراه كله من اوله الى آخره . وكان يشعر بارتياح عظيم وهو يقراه لانه كان يفهمه حق فهمه . وقد قال في نفسه « كنت اشعر في نفسي بهذه المبادىء فاحسبها خطا اما الآن فانني اؤمن بها وارى انها الحقيقة بعينها » ذلك ان الاختبار الذي اختبره في مصائب الناس رفع الغطاء عن بصره

وقد راى نكلودوف في الانجيل مثلاً منطبقاً اشد انطباق على ما نحن في صدده . وهو مثل الكرامين . فان الكرامين حسبوا ان الارض التي اعطوها ليحرثوها و يزرعوها هي ملكهم لا ملك سيدهم ولذلك صاروا يقتلون كل من يجيء ليذكرهم بواجباتهم نحو سيدهم . قال نكلودوف : وهكذا يصنع البشر الآن على الارض . فاننا نحسب ان حياتنا لنا واننا ما اعطيناها الا لنتلذذ بها . وهذا قول فاسد وعقيدة حمقاء . ان الانسان لم يات باختياره ومن تلقاء نفسه الى هذا العالم بل ان هنالك قوة ارسلته اليه لغرض ما . اما نحن فاننا نسينا هذه الاولية واخذنا نتصور اننا لم نعطَ الحياة الا لنتمتع بها . فهل من الغرابة بعد ذلك اذا اصبحنا تعساء اشقياء . اليس ذلك لاننا اعتبرنا الحقل ملكنا وخالفنا ارادة سيدنا

اما ارادة سيدنا فهي في هذا الكتاب . هذا الكتاب الذي يقول اطلبوا ملكوت الله وما بقي فيعطى لكم حالة كوننا لا نطلب اولاً الا « ما بقي » فهل من الغرابة ان لا نحصل عليه

كذلك كانت حياتي . ولكن هذه الحياة قد انتهت وابتدات الآن حياة جديدة

ختام المقالة

وهنا اوقف تولستوي قلمه ووعد القراء بتفصيل الحياة الجديدة التي قضاها نكلودوف

بعد ذلك. حياة مملوءة بصنع الخير وانكار الذات وخدمة الانسان من اي جنس واي دين كان . ولا يزال قراء تولستوي الذين يُعدون بالملايين لان فيهم الروس وغير الروس في العالم كله ينتظرون بصبر فارغ صدور تتمة هذا الكتاب الجليل

هذا ولا يسعنا قبل الختام الا ان نذكر ثلاث ملاحظات لتكون تتمة للكلام الاولى ان تولستوي في كل ما قاله وانتقده لم يخصص الهيئة الاجتماعية الروسية لانه لا يجهل ان في جميع بلاد العالم ما في روسيا من المظالم والشرور والآثام وانما هو يحارب الشر على الاطلاق ويحتج على المجتمع البشري كله . والملاحظة الثانيـة انه لا يصح نسبة كل ما جاء في هذا الكتاب الى تولستوي واعتباره رايًا له راسخًا في نفسه يجوز الرد عليه اذا كان احد يتطاول لان يواجه هذا الفيلسوف العظيم برد ظاهرًا او مضمرًا. لان اكثر ما في الكتاب وارد على السنة الاشخاص الذين تخيلهم فلا يجب ان يعزى اليه الا ما جاء عن لسانه . والملاحظة الثالثة انه لا يفهم فلسفة تولستوي الا كل من منحه الله فكرًا سليمًا وقلبًا نقيًا وعقلاً نيرًا منزهًا عن الخرافات والاوهام. ولكن فهمها لا يوجب الاشتراك فيها كلها

وفي ختام هذا المقال يجب علينا شكر وحب الفيلسوف تولستوي لثلاثة اسباب. الاول لان كتابه جعلنا نكتب في الجامعة هذه المقالة التي هي مع طول ذيلها احسن مقالة قرأها قراؤها الى الآن . والثاني لانه جعلنا مدة اعدادها وكتابتها نعيش معه بالفكر بضعة ايام في جوه السامي الرفيع فوق رذائل الهيئة الاجتماعية الحاضرة ورياء البشر ومظالمهم ودناءتهم وخزعبلاتهم . والثالث لانه جعلنا نتعلم طريقة مفيدة للجامعة وقرائها وهي تلخيص اطايب الكتب والمؤلفات الجليلة في مقالات على نحو هذه المقالة . ولا ريب ان ذلك يتعب كاتبها تعبًا لا يجده في كتابة عشر مقالات من غير نوعها غير انه يسرُّ قارئها كثيرًا وحسبنا رضى القراء وسرورهم مكافاة على اتعابنا . ولذلك نعاهدهم على ان ننحو هذا النحو في كثير من الكتب المفيدة . فيطالعون الكتاب الواحد في مقالة واحدة . وعلى الله الاتكال

❊ رجل يحيى بلا معدة ❊ استخرج الدكتور جول بيكل في ستراسبورج المعدة من جسم رجل عمره ٣٨ سنة لمرض فيها فبقي الرجل حيًا يأكل ويشرب ويروح ويجيء الى الآن فارسل الدكتور يطلع المجمع الطبي في باريز على هذه الغريبة

باب تدبير الصحة

مضار النقاب (الفوال) ومنافعه

للنقاب (الفوال) الذي تضعه النساء والفتيات على وجوههن فوائد · منها انه يزيدهن جمالاً لانه اذا كان ازرق اللون جعل وجه المراة كقمر تجلله سحابة زرقاء · ومنها انه يمنع وصول ميكروبات الطرق الى وجهها لان الغبار اذا كان لا يصل الى قمر السماء فهو قد يصل الى اقمار الارض · على ان للنقاب ضررًا بازاء النفع · وهو انه يضعف العينين ويصيبهما باذى اذا كان النقاب سميكاً او اذا كانت خيوطه شديدة الالتحام بعضها ببعض لا تبقي فراغاً للنظر والهواء · ولذلك قال بعض اطباء العيون يسرني ان تضع النساء نقاباً لانه يضعف عيونهن

ولكن لا يفرحنّ طبيب العيون فان النساء اصبحن في مصر والشام يجتنبن النقاب السميك ولا يقل انهن يجتنبنه ليرين و يُرين فان النتيجة واحدة · ·

رائحة الفم ونظافة الاسنان واهميتها

اغسل فمك كلما اكلت لان البخر (الرائحة الكريهة في الفم) قد يكون من قذارة الاسنان اذا لم يكن من سبب في المعدة · ولا تخرج الفضول التي تعلق بين اسنانك واضراسك بدبوس او بآلة معدنية فان ذلك يضر اللثة وانما اتخذ لذلك مسواكاً من الريش او قشة · ولكن لا تضع قشة غير نظيفة بفمك · وحسناً تصنع اذا كنت تجعل آخر لقمة تاكلها على الطعام قطعة من الخبز تسحقها جيدًا باضراسك واسنانك ليعلق بها ما هنالك من الفضول · ولا تفرك اسنانك فركاً بمنديل لانك بذلك تزيل الاقذار من سطح الاسنان وتدخلها الى الشقوق التي بين بعضها البعض · وكلْ بتانٍ على المائدة وامضغ جيداً وافتكر دائماً انه اذا كانت المعدة عماد الصحة فالاسنان عماد المعدة

اصلاح الديباج او المخمل المجعد

لا تكوي الديباج او المخمل المجعد بمكواة رغبة في جعل خيوطه تستقيم بعد نومها وتجعدها ولا تغسليها بالماء فان ذلك يزيدها نوماً وتجعداً · وانما احمي قطعة حديد ثم رطبي

قطعة المخمل من قفاها لا من وجهها وضعيها فوق قطعة الحديد المحمية دون ان تمسها . فتبخر حينئذٍ الحرارة الماء وتخرجه من وجه المخمل . فالبخار بخروجه يفصل الخيوط النائمة بعضها عن بعض ويجعلها مستقيمة

حفظ رائحة البنفسج

لحفظ رائحة ازهار البنفسج طريقة بسيطة . وهي ان تقطعي سوق الازهار بتانٍ وتضعي بعضاً منها بعد قطعها في زجاجة ثم تاخذين شيئاً من الملح الناعم فتضعينه طبقة في الزجاجة فوق الازهار ثم تضعين فوق طبقة الملح طبقة من الازهار . وهكذا حتى تمتلىء الزجاجة . ثم تسدينها سدًّا محكماً وتضعينها في مكان لا رطب ولا حار . وكلما اردت نشر رائحة البنفسج في غرفتك افتحي قليلاً هذه الزجاجة يتعطر الهواء من ريحها كأن البنفسج مقطوف لساعته

تحسين زيت البترول للانارة

تستطيع تحسين زيت البترول (زيت الكاز) بالقائك ملعقة ملح في البترول الذي في المصباح او بالقاء قبضة ملح في وعاء البترول الكبير (التنكة او الصفيحة) فيصبح البترول اكثر قابلية للاشتعال واشد نورًا واقل قابليته للانفجار في الوعاء

دواء لحرق الاصابع

اذا احترق اصبع لك فاحضر في الحال شيئاً من زيت الزيتون واغمسه به ثم رش فوق الزيت شيئاً من دقيق القمح (الطحين) واربط الجرح بعد ذلك ربطاً خفيفاً يقف الالم ويزول اثر الحرق

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الواسطة بين الخلق والحق ﴾ اهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد كتاب « الواسطة بين الحق والخلق ويليه رفع الملام عن الائمة الاعلام » وكلاهما لشيخ الاسلام تقي الدين الامام ابي العباس احمد بن تيميه المتوفي في سنة ٧٢٨ هجرية وهو يطلب من ادارة المؤيد فنشكر لحضرة الاستاذ هديته

﴿ ايثار الحق على الخلق ﴾ استنسخت « شركة طبع الكتب العربية » هذا الكتاب من مكتبة الجامع الاموي بدمشق الشام واعتنت بتصحيحه كل الاعتناء ثم طبعته طبعاً حسناً على ورق جيد بحسب العادة التي جرت عليها في اصدار الكتب المفيدة التي تشتغل بنشرها . اما موضوع الكتاب فهو رد الخلافات الى المذهب الحق في اصول التوحيد وهو تاليف « ابي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني من مجتهدي القرن الثامن الهجري وقد اهدتنا الشركة نسخة منه فنشكر لها هديتها ونثني على ثباتها في نشر الكتب الجليلة

﴿ رواية وردة ﴾ ما كل الروايات التي يعربها المعربون وتقرظها الجرائد كهذه الرواية التاريخية الادبية التي عربها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد عن مؤلفها الدكتور جورج ابيروس الالماني . فانها تتضمن في سياق قصة لطيفة الاسلوب رشيقة العبارة وصف اخلاق المصريين القدماء وعاداتهم وهيئة حكومتهم واديانهم وسلطة كهنتهم عليهم مما تلذ مطالعته وتفيد . فنشكر لحضرة المعرب هذه التحفة التي اتحف بها قراء اللغة العربية والمامول ان يشفعها بكتب اخرى من بابها فان الكتب الجدية المفيدة فائدة حقيقية في هذا الزمان لا يُرجى اخراجها الا من اقلام كتاب بفضله وطول باعه . وحسبنا ثناء على هذه الرواية اننا وضعناها على حدة لمطالعتها في اوقات الفرص بالامعان الذي هي جديرة به . وهي تطلب من ادارة جريدة المؤيد بسبعة غروش صاغ

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ شجرة تطرب للغناء ﴾

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

اطلعت في العدد الثامن من السنة الاولى على كلام الجناب الاديب نقولا افندي حداد في مقالة عنوانها الموسيقى وملخصه انه سمع بانه يوجد في جبات حمص (سوريا) نبات صغير شبيه بنبات الحناء ذي زهر اصفر يعلو عن الثرى نصف ذراع الى ذراعين واحياناً اكثر من ذلك وان من خواصه انه يتاثر تاثراً عجيباً من الاصوات الموسيقية فاذا

انشد منشد تحته بلحن الاصفهان تناثرت اوراقه طرباً الخ · والحقيقـة ان ذلك النبات يوجد في جميع جهات فلسطين وسوريا وقد شاهدته مراراً عديدة واعرف عنه تقريباً كما اعرف عن الورد العادي ولكن من الغرابة ان يقال عنه انه يتاثر من لحن الاصفهان ولو انشد ذلك امامه كل الموسيقيين في العالم فان هذا امر عار عن الصحة

نعم ان لهذا النبات امراً يستحق الالتفات · وهو انك اذا دنوت منه في ابان الزهر وهززته هزاً شديداً فانك لا ترى زهرة تسقط منه لاول مرة الا ما كان يابساً غير انك بعد دقيقة او دقيقتين ترى اكثر الزهر قد اخذ يتناثر على الثرى وذلك فقط من سبب الهز نفسه · وهو اذا انشدت بلحن الاصفهان عند الهز او لم تنشد فلا بد من تناثر الزهر · ولكنك اذا لم تنشد بلحن الاصفهان فقط بل بالحان داود ابي سليمان ولم تهز ذلك النبات فلا تسقط زهرة واحدة منه · وبما انكم قد طلبتم في ذلك العدد من قرائكم في هذه الجهات ايضاح الحقيقة فقد جئت بهذا البيان

حلب　　　　حبيب صبيحة

الجامعة ✻ نشكركم على هذا البيان · اما سؤالكم عن مدرسة صيدلية في مصر لتعليم هذا الفن مجاناً فلا وجود لها في هذا القطر بل ان للتعليم فيها اجرة كما في المدارس التي من نوعها · ومن كانت مدارس بيروت قريبة منه فلا يجب ان يفتكر بمدارس مصر

✻ التنويم المغنطيسي ✻

وروايتنا (نهضة الاسد ووثبة الاسد)

(اسيوط) السيد علي افندي مصطفى

استغربنا كل الاستغراب ما ورد في الصفحة ٩٠ من رواية نهضة الاسد في ترجمة فردريك انطوان مسمر المشهور بمبداءه المغنطيسي وقد اقلق خواطرنا ما ذكرتموه فيها عن عجائب التنويم المغنطيسي فما هو تعليلها وما هي حقيقتها

✻ الجامعة ✻ لستم انتم وحدكم تعجبون من نتائج التنويم المغنطيسي بل جميع الناس يعجبون منها معكم ونحن في جملتهم · والتنويم ليس حقيقة ادبية او علميـة حتى نبحث في مقدماتها ونتائجها ونعللها ولكنه امر واقع لا تزال اسبابه مجهولة والواقع لا جدال فيـه ·

وقد روينا ما رويناه عن مسمر نقلاً عن ترجمة له من اوثق المصادر وقلنا في ختامها السطر ٢٤ ما ياتي " وبعض الناس يعزو الشعوذة الى مسمر بالرغم عن ثبوت فعل التنويم وذلك لعجزهم عن تعليله ولكن ليس ذلك من الحكمة في شيء اذ كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس يصح ان ينكرها لانه يجهلها » وكفى بذلك جواباً عن سؤالكم

على اننا مع ذلك نوجه انظاركم الى نقطة في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء مختصة بهذا الشان . فان سيباستيين ابن الدكتور جيلبار ربي دون ان يعرف امه او يراها ولكنه كان يتصورها وينظرها في احلامه واوقات ذهوله حتى انه ما وقع نظره عليها في المشهد المؤثر الموصوف هناك حتى عرفته وعرفها للحال وركض اليها مع ان اباه الدكتور جيلبار اختطفه منها ليلة ولادته . والمقصود من هذا القول الذي قاله مؤلف الرواية اثبات ان القلب البشري قد يصله وحي عن طريق الدم بان هذا الشخص امك وذاك ابنك دون ان يسبق له معرفة به وهذا من قبيل غرائب النفس كالتنويم المغنطيسي . ولا ريب ان دياس لما كتب ذلك كتبه كمبداء بسيكولوجي يوجه اليه الانظار ويذهب الى امكانه لان الروايات في الغرب دروس بسيكولوجية وادبية وسياسية ممزوجة بالفكاهة خلافاً لما عندنا من سوء حظنا

والخلاصة ان التنويم المغنطيسي امر مدهش وعجيب . ولكنه امر واقع لا نستطيع الآن انكاره كما اننا لانستطيع تعليله بشهادة العلماء الذين هم شهود عدول لانهم رأوا باعينهم وسمعوا باذانهم ولم يقم احد لتكذيبهم

باب الاخبار العلميّة

﴿ المريخ وآراء العلماء ﴾

ما شاع خبر الفلكي دوكلاس الذي ذكرناه في مقالة « سكان الارض والسماء » في هذا الجزء ونحواه ان اهالي المريخ بعثوا باشارة الى الارض حتى قام العالم نقولا تسلا الشهير يقول انه متحقق انه سيصنع آلة قوية قادرة على ارسال رسالة كهربائية الى المريخ ولكنه حائر في اللغة التي يرسل هذه الرسالة بها لانه يجهل لغة المريخيين . وهو لا يشك مطلقاً في ان المريخ مأهول . اما مناظره المستر اديسون الاميركي الشهير فانه قال جواباً على

سؤال بهذا الشان « ان علمه لا يتجاوز جبال حملايا » اي انه يبحث في الارض لا في السماء . وقد روت الجرائد الاوربية عن نقولا تسلا انه كان في هذا الشهر يجرب ارسال مجرى كهربائي الى المريخ على احدى قمم الجبال العالية واذا باشارات ترتسم على مرآته فقال انها واردة من المريخ . غير ان هذا الخبر لم تثبته المجلات العلمية المهمة

واما الفلكي السير وليم بيل الانكليزي فانه خطب في هذا الموضوع بعد ظهور خبر الفلكي دوكلاس في لندن فقال انه يستحيل على سكان الارض ان يرسلوا رسالة الى المريخ ويستحيل على سكان المريخ ان يرسلوا رسالة الى الارض لان اكبر الاشياء في المريخ وفي الارض لا تظهر بعضها لبعض في اكبر المكبرات الا نقطة سوداء صغيرة لما بينهما من البعد الشاسع (انظر الصفحة ٥١٨) . فعاد المستر تسلا واكد بعد هذه الخطبة انه سيخاطب في السنة القادمة سكان المريخ

وقد القى الفلكي الفرنسوي كاميل فلامريون الشهير خطبة بهذا الموضوع في احدى جلسات المجمع العلمي الفرنسوي في باريز بعد ورود خبر دوكلاس نغصت القاعة بالحاضرين لسماع اقواله في هذا الشان حتى اضطروا الى اقفال الباب دون القادمين . وهذه هي المرة الاولى التي جرى مثل ذلك في قاعة المجمع . فاكد المسيو فلامريون في خطبته ان المريخ ماهول . وان تمدن سكانه ارقى من تمدننا . اولاً لان كل هيئته الخارجية تدل على ذلك وثانياً لان المريخ سابق ارضنا في الانفصال عن الشمس وكتلتها حين التكوين الاول . وبما انه سبقنا في الانفصال فالحياة وجدت فيه قبل وجود الحياة في ارضنا لان قشرته بردت قبل قشرة ارضنا . وبناء عليه يكون قد انقضى على عمرانه وقت اطول من الوقت الذي انقضى علينا فعمرانه بالتالي ارقى من عمراننا

ولكنه قال انه لا يبعد ان يكون النور الذي رآه دوكلاس نور منعكس عن غيوم في جو المريخ لان المريخ اذا انحجب عنا فانه لا ينحجب ابداً بالغيوم التي في جوه وانما بالغيوم التي في جونا . وفي اثناء ذلك ارى فلامريون سامعيه بالنور الكهربائي على جدران القاعة مناظر من المناظر التي يذهبون الى وجودها في المريخ ومنها الاقنية الهندسية البديعة التي يرونها بالمكبرات والتي يقولون ان اهالي المريخ حفروها لصرف مياه الثلج الذائب اليها ولري مزروعاتهم ريًّا في غاية الاتقان منها

هذا مجمل ما وقفنا عليه من آراء العلماء في هذا الموضوع بعد كتابة ما تقدم في الصفحة ٥١٨ من هذا الجزء

تاريخ الاسبوعين

❊عيد الجلوس الخديوي ومظاهرة وطنية كبرى❊ احتفلت الامة المصرية في هذا العام بعيد الجلوس الخديوي احتفالاً لم يسبق له مثيل في مصر

واكبر مظاهرة كانت في الحفلات البهيجة التي حدثت في حديقة الازبكية والاوبره الخديوية مظاهرة اهداء وسام ذهبي الى سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم ولي العهد . فقد تألف وفد من سكان مصر على اختلاف اجناسهم وفيهم الوطنيون والسوريون والاجانب والارمن تتقدمهم لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي ورفعوا الى الجناب العالي الوسام الذهبي الذي ضربوه ليكون الوسام الاول الذي يضعه شعب مصر على صدر ولي عهده . فقبل الجناب الخديوي هذا الوسام برسم نجله الكريم

وبالجملة فان الحفلات التي اقيمت في هذا العيد دليل ناصع على تعلق القلوب بحب الجناب الخديوي اعزه الله وازدياد الامة ميلاً الى سموه على ممر السنين والاعوام .

الحوادث الخارجية ـ كأن حرب الترنسفال عادت من اولها . فان البوير دخلوا الى مستعمرة الكاب واستثاروا بعض الهولانديين فيها فاعلنت حكومة الكاب الاحكام العرفية في كل الاقاليم وبعث اللورد كتشنر الذي خلف اللورد روبرتس في القيادة العامة يطلب مدداً جديداً ولا سيما من الفرسان فكثر الخوف في انكلترا من مصير هذه الحرب ولعل ذلك هو الامر الذي احزن جلالة الملكة فيكتوريا فاعتلت صحتها على اثره حتى توفاها الله الى رحمته كما سنفصل ذلك في الجزء القادم

❊وفيات❊ اتصل بنا والجامعة تحت الطبع خبر وفاة المغفور له السيد غفرئيل مطران بيروت ولبنان للروم الارثوذكس ووفاة شاب من اعزاء الجامعة ومحبيها في اسكلة طرابلس الشام وهو المأسوف عليه الشاب الاديب ميشل حكيم . فضاق نطاق المجلة عن بيان حزننا واسفنا لهاتين الفاجعتين

❊تنبيه❊ نوجه الانظار الى اعلان في ظهر المجلة عن يانصيب المشتركين في الجامعة

ثم طلب من المركيز ان ينتظره في القاعة فذهب المركيز في سبيله فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال له سألتني ماذا يحدث لهذا الرجل فهل تعرف ساحة « الاعتصاب » في المدينة · قال اعرفها · قال فاذهب اليها في ذلك اليوم الذي يشنقونه فيها

فدهش الدكتور لهذا الكلام · اما كاليوسترو فمدّ اليه يده مصافحاً ثم اراه كيف يضغط على الزر ليفتح الباب متى اراد الدخول الى القصر وبعد ذلك عاد الى حيث كان ينتظره ضيفه فخرج جيلبار غير مصدق ما سمعه ولكنه مبهوت وغائص في بحار الافكار

الفصل الرابع

﴿ الملك في باريز ﴾

وكان الملك في اثناء هذه الحوادث سائراً في موكبه مع الملكة الى باريز والشعب حوله يحمل على رؤوس الحراب قطعاً من الخبز عاد بها من فرساليا وذلك لقلة الخبز في باريز بسبب المجاعة

فاتفق ان ولي العهد الذي تحمله الملكة امه في المركبة قد جاع فطلب من امه كسرة خبز · فنظرت الملكة يميناً وشمالاً مفتشة عن الدكتور جيلبار لتطلب منه ان يأتيها بكسرة خبز لولدها · ولكن جيلبار كان في قصر كاليوسترو · فلما لم تجده الملكة سكتت ولم تطلب خبزاً من احد الرجال الذين كانوا امامها · اما الولد فلم يسكت بل اعاد طلبه الخبز من امه · فقالت له الملكة لا يوجد لدينا الآن خبز يا بني فاشار الغلام الى الخبز الذي كان على رؤوس الحراب · فقالت له الام هذا الخبز لحامليه لا لنا وقد جاؤوا به من فرساليا اذ ليس لديهم خبز في باريز · فانتبه الولد وقال فهل كانوا يبيتون بلا أكل قبل ذهابهم الى فرساليا فاجابت الملكة ذلك ليس ببعيد لان الخبز قليل في باريز · فالوى ولي العهد راسه وتنهد شفقة عليهم ثم سكت عن طلب الخبز واغمض عينيه طلباً للنوم

فما احسن هذه العواطف من هذا الولد الصغير وما اتعس هذا الشهيد الذي مات بعد ذلك وهو يطلب خبزاً ليسدّ به رمقه

ثم استمر الموكب سائراً حتى وصلوا الى مدخل المدينة فوقفوا عند الحواجز للاحتفال بدخول الملك فرقصوا وانشدوا واطلقوا بنادقهم في الفضاء مرة واحدة اطلاقاً ارعب ولي العهد واخته الصغيرة فبكيا ونسيا من الخوف الخبز والجوع

وفي اثناء ذلك وقع نظر الملكة على خادمها و يبر النمساوي الذي جاء معها من النمسا فامرته ان يسبقها الى قصر التويلري و يعد لهم طعاماً ومكاناً للمبيت

وقد قالت له هذا القول باللغة الالمانية . وكان الملك يفهم الالمانية ولكنه لا يحسن النطق بها فاجابها باللغة الانكليزية . احسنت بهذا الامر ايتها السيدة

اما الشعب فانه سمع كلام الملك والملكة ولكنه لم يفهم شيئاً من اللغة الاجنبية فسخط واخذ يغضب على الملك والملكة

ثم ظلوا سائرين حتى وصلوا الى قصر المجلس البلدي فاستقبلهم بالي محافظ المدينة ورحب بالملك فاجابه الملك بقوله « انني كلما قدمت الى باريز قدمت اليها بسرور واثقاً بسكانها » غير ان الملك قال هذا القول بصوت ضعيف من التعب والكلل فاخذ بالي يعيده للشعب حتى يسمعه فاعاده ولكنه اهمل قول الملك « واثقاً بسكانها » ولم يقله للشعب فالتفتت الملكة اليه وقالت . نسيت كلمة ياحضرة المحافظ فان الملك لم يقل انه ياتي الى باريز بسرور فقط بل قال انه ياتي واثقاً بها و بسكانها ايضاً

فنظر اليها المحافظ ذلك الفلكي الذي كان يحسن القراءة في كواكب السماء ولا يعرف شيئاً من اصول القراءة في وجوه الناس ثم سكت . اما الملكة فانها صعدت الى العرش الذي نصبوه للملك في قصر المجلس البلدي وجلست عليه بجانب زوجها

وكان هذا العرش مكسواً بالمخمل والحرير ولكنه متقلقل متضعضع لوهن اجزائه وضعف تركيبه فكانه عرش لويس السادس عشر الحقيقي

وفي الساعة العاشرة مساء اتم الملك زيارته القصر المجلس البلدي وقصد قصر التويلري للنزول فيه . فدخله هو والملكة ونجلاهما ومدام اليزابت والكونتس اندري

فوجد الملك كل شيء معداً في القصر ولاسيما طعامه فابتهج واثنى على و يبر لانه كان محباً للطعام كما تقدم ثم جاس الى المائدة واخذ ياكل متلذذاً

اما الملكة فانها علمت من نظرها الى المائدة انهم لم يضعوا صحفة للكونتس اندري اذ لا يجوز ان ياكل احد على مائدة الملك من غير اذنه فالتفتت الى الملك وسالته . الا تامر جلالتك بان يوضع على المائدة صحفة للكونتس اندري . فالتفت الملك مدهوشاً وقال . كيف لم يضعوا لها صحفة . نحن الآن ناكل كعائلة واحدة وهي من العائلة . ثم قال . ضعوا صحفة للكونتس

فالتفتت الكونتس الى الملك وقالت هل تامر في جلالتكم بالاكل امراً . فقال الملك

كلا لا آمرك امرًا فقالت اندري فانا اذن غير قادرة على الاكل ياذا الجلال

ففتح الملك عينيه مدهوشًا من ان شخصًا يتعب طول النهار ثم يقول انه غير قابل للاكل وقال لها . كيف لا تاكلين ايتها الكونتس مع ما عانيته من التعب والسفر . فقالت الملكة وانا ايضًا لست جائعة . فقالت مدام اليزابت ولا انا ايضًا . فزادت دهشة الملك من اناس يتعبون طول النهار ولا ياكلون ثم قال اذا كانت الكونتس غير جائعة فلا ريب انها تعبة فاعدوا لها غرفتها . فقالت الكونتس يعدون لي غرفة . كلا فانني اعرف ان المكان ضيق وكرسي واحد يكفيني للنوم . فقال و يبر انهم لم يجدوا سوى غرفة واحدة خالية فاعدوها للكونتس دي شارني

غير ان و يبر لم يقل هذا القول حتى اهتزَّت له الملكة . ذلك لانها علمت انهم اذا كانوا لم يجدوا سوى غرفة فارغة للكونتس فان هذه الغرفة ستكون لها وللكونت زوجها . اما اندري فانها لم يفتها اهتزاز الملكة بل لم يكن يفت كلاً من هاتين المرأتين شيء من حركات وسكنات رفيقتها

و بعد هنيهة انحنت اندري باحترام امام الملك والملكة ومدام اليزابت ثم سارت الى غرفتها . ولما شبع ولي العهد واخته نهضت الملكة وسارت بهما لتنيمهما . اما مدام اليزابت فبقيت في خدمة الملك

وكانت الغرفة التي جعلوها لاندري محاذية لغرفة الملكة وغرفة ولديها فدخلت الملكة الى غرفتها وما استقربها المقام حتى غمضت عينا ولي العهد ونام فدخلت به امه الى فراشه والقته عليه بتأن وهدوء ثم نزعت ملابس ابنتها وانامتها

ولكن الابنة قبل ان تنام جثت بازاء سريرها واخذت تصلي بسكون وسكوت . ثم نهضت فسالتها الملكة ما لك ابطأت في صلاتك يا تريزه هذه المرة . فقالت الفتاة . رايت ان اخي نام من غير ان يصلي فقلت صلاتي ثم اردفتها بصلاته لكي لا ينقص شيء من المطالب التي نطلبها كل يوم من الله للملك ابي

الفصل الخامس

﴿ الشمعات الاربع ورمز مخيف ﴾

وبعد ان نامت الفتاة وضعت امها على جبينها قبلة خفيفة وغطت جسمها لئلا تؤثر فيه رطوبة هواء الليل ثم خرجت بهدوء من غرفة الولدين الى غرفتها

وكان يوجد في وسط هذه الغرفة مائدة عليها شمعدان فيه اربع شمعات موقدة . وهذا الشمعدان موضوع على بساط احمر شديد الاحمرار فجلست الملكة على كرسي بازاء هذه المائدة واخذت تفتكر باحوالها

فاستعادت في ذهنها حوادثها الماضية فرات انها ولدت في ٢ نوفمبر سنة ١٧٥٥ وهو اليوم الذي زلزلت فيه الارض في ليشبونه زلزالاً هائلاً قتل فيه اكثر من ٥٠ الف شخص وانهدمت فيه مائتا كنيسة

ثم ذكرت ان اول مكان نزلت فيه في فرنسا حين زيارتها سترسبورج كان مكاناً مفروشاً ببساط عليه رسوم هائلة تمثل « مذابح الابرياء » وقد اكثرت في تلك الليلة من التامل في هذه الرسوم حتى خيل لها على النور الضئيل ان ما كانت تراه هو حقيقة لا رسم وان تلك الصور اشخاص تُقتل وتُسفك دماؤها هدرًا فصاحت مذعورة واستغاثت ثم سافرت من تلك الغرفة قبل طلوع الصباح

وذكرت ايضاً انها وهي قادمة من هذه المدينة الى باريز لقيت في قصر تافرناي كاليوسترو الرجل المخيف فاثر عليها تاثيرًا هائلاً اذ اراها في زجاجة ماء آلة مخيفة تنثر الرؤوس البشرية بسهولة عظيمة . فبقي في قلبها خوف هذا الرجل

ثم ذكرت انها لما وصلت الى فرساليا ووضعت قدمها على بلاط القصر الملوكي لعلع الرعد في الفضاء عن يسارها لعلعة هائلة اخافت الواقفين حولها وفي جملتهم المرشال دي ريشليه ثم انقضت صاعقة عظيمة فهز المرشال راسه وقال « ليست هذه العلامة علامة خير »

ذكرت الملكة كل ذلك وهي تنظر الى الديباجة الحمراء التي كانت تغطي المائدة التي عليها الشمعدان فاشتعلت تصوراتها وحسبت انها تنظر الى بركة من الدماء . واذا بها ترى على حين بغتة ان احدى الشمعات الاربع الموقدة في الشمعدان قد انطفأت من نفسها

ولم يكن يوجد في الغرفة مجرى هواء فعجبت الملكة من هذا الانطفاء ولكنها لم تبال به

فبقيت غائصة في تاملاتها وافكارها في هدوء ذلك الليل وسكونه

وكانت عيناها شاخصتين الى الغطاء الاحمر الذي كانت تراه كبركة من الدماء . وبعد هنيهة رأت نور احدى الشمعات الثلاث قد اخذ يضطرب فرفعت اليه راسها . فرأت الشمعة الثانية قد تراوح نورها وامتد ثم انطفأ ايضاً

فاقشعر جلد الملكة ولبثت شاخصة بالدخان الذي كان ينبعث منها . واخذت تتساءل ما الذي يطفئ هذه الشمعات . فتصورت ان هذه الشمعات الاربع تمثل الملك والملكة وولديهما . وكان هذا التصور قريباً من ذهنها في ذلك الزمان والشعب ثائر من كل جهة فجرى الدم بارداً في عروقها عند تصورها ذلك وانتفضت كما ينتفض عصفور بلله القطر . ولكنها ارادت ان تسكن بالها وتريح خاطرها فقالت في نفسها ان ما حدث قد حدث بالصدفة واي امر غريب في ان تنطفئ شمعتان بين اربع شمعات

على انها ما اتمت هذا التامل حتى دب المرض بالشمعة الثالثة وضعف نورها فذعرت الملكة هذه المرة وتراجعت وهي شاخصة الى الشمعة الضعيفة . فرأت ان نورها قد اخذ يستطيل ويندلع لسانه ثم يضعف ثم يستطيل ثم يضعف . وبعد ذلك تلاشى من نفسه وانطفأ

فنهضت الملكة حينئذٍ والخوف آخذ منها كل ماخذ وكادت تستغيث من الذعر والخوف . ولكن الشمعة الرابعة كانت لا تزال موقدة والنور مؤنس للوحشة فعادت وجلست وهي خافقة القلب مرتعدة الفرائص

وما كادت تستقر في كرسيها الا ونور الشمعة الرابعة قد انطفأ من نفسه على حين بغتة كأن جناح غراب الموت مسه فجأة فاطفأه وصار ظلام في الغرفة

فصرخت عند ذلك الملكة من اعماق صدرها ثم حاولت النهوض فسقطت على الارض مغمى عليها

وما كاد يخرج صوت الملكة من صدرها حتى انفتح باب غرفة الكونتس اندري ودخلت منه الكونتس بثوب النوم فرات على النور المنبعث من باب غرفتها جثة الملكة مطروحة على ارض الغرفة فبادرت اليها فحملتها باحترام وتانٍ والقتها على سريرها . ثم تناولت من جيبها زجاجة فيها ارواح منعشة ووضعتها على انف الملكة . ثم كررت هذا العمل فافاقت الملكة بعد بضع دقائق وقالت وهي تجهل ما تقول — رحماكِ انقذيني

فاجابت الكونتس اندري . جلالتك في امن وسلامة ياسيدتي فلا تخشي شرّاً

فكأن صوت اندري قد نبه الملكة الى نفسها فرفعت راسها ولما ابصرت الكونتس قالت لها بهدوء شكرًا لك ايتها الكونتس · لا تتعبي بالعناية بي · اذهبي الى غرفتك ونامي براحة

فعلمت اندري ان الملكة تامرها بالذهاب قطعيًا فنهضت وقالت انا ذاهبة ياسيدتي ولكنني لا انام بل ابقى ساهرة على راحة جلالتك

ثم خرجت تمشي بخطى ثقيلة هادئة كانها خطى التماثيل لو كانت التماثيل تمشي

الفصل السادس

سيباستيين جيلبار

وفي مساء اليوم الذي جرت فيه هذه الحادثة جرت حادثة اخرى في فيلله كوتريه اقلقت الخواطر في مدرسة الاب فورتيه · ذلك ان التلميذ سيباستيين ابن الدكتور جيلبار قد فقد من المدرسة

وقد فتشوا عنه في كل الضواحي وبحثوا في كل الاحراش فلم يجدوه فاستاء الاب فورتيه من هذا الامر لانه كان يعلم المسئولية التي عليه

اما سيباستيين فلفراره سبب لا بدّ من ذكره · وهو انه سمع الاب فورتيه في ذات يوم يحادث كاهن القرية بشان ثورة العامة وهجومهم على قصر فرساليا فابلغ الاب فورتيه الكاهن انه قد تالف حزب جديد من انصار الملكية لمقاومة الثورة وسيبرز هذا الحزب قريبًا ثم ابلغه تفاصيل حادثة فرساليا وذكر له عدد الجرحى والقتلى

فلما سمع سيباستيين ذلك وكان يسمعه اتفاقًا في زاوية والراهبان في شاغل عنه ثارت نفسه كلها واضطرب خوفًا من ان يكون ابوه قد قتل في جملة من قتلوا لانه كان لا يجهل مقامه في قصر الملك · فانتظر حتى جن الظلام فخرج سرًا من المدرسة وسار ركضًا الى قرية هرامونت

واذا ذكرنا هرامونت علمت انه سار لمشاهدة صاحبنا انج بيتو

الا ان الولد لم يجد بيتو في غرفته من سوء حظه فانتظره طويلاً فلم يات · فجلس حينئذٍ على مائدة هناك واخذ قلمًا ثم كتب الى بيتو كتابًا مطولاً اظهر له فيه تخاوفه وسبب عزمه على السفر الى باريز وبعد ذلك طوى الكتاب وتركه على المائدة ثم خرج من

الغرفة في نحو الساعة التاسعة مساء وانطلق مسرعاً على طريق باريز

ولم يدخل الخوف قلب هذا الولد من سفره منفرداً وحده في ظلام الليل البهيم لان الذي يكون ابن جيلبار واندري يكون رجلاً وهو في سن الصبي

وانما كان سيباستيين مستوحشاً لانه كان يجهل الطريق المؤدية الى باريز . ومما زاد وحشته انه ما صرف ساعة في السير السريع حتى وصل الى ملتقى طريقين مختلفتين كل واحدة منهما تؤدي الى بلد . فحار في امره لانه كان يجهل ايتهما طريق باريز ولم يكن احد في الطريق ليسأله فجلس حزيناً كئيباً على حجر هناك

ولم يستقر به الجلوس حتى سمع سيباستيين اصوات حوافر خيل على الطريق فنهض الولد بثبات جاش ناظرًا الى جهة الصوت فما لبث ان بان له فارسان واحد متقدم والثاني متاخر فلما وصلا اليه برز لهما سيباستيين الى وسط الطريق فمد الفارس الاول في الحال يده الى مسدسه فبادره سيباستيين بهذا الكلام

— عفوًا ياسيدي فانني لست لصاً وانما انا ولد قاصد باريز وقد تهت عن الطريق فهل لك ان تدلني اليها

وقد قال سيباستيين هذا القول برصانة وقوة اثرتا في نفس الرجل المخاطب . فادنى منه فرسه واجابه ما الذي اضلك يابني نحن قاصدون باريز مثلك فاسلك الطريق التي نسلكها

فاجاب سيباستيين شكرًا لك ياسيدي وذهب في السبيل الذي دله الرجل عليه

ولكن لم يخطُ سيباستيين خطوتين حتى قال الفارس الثاني للاول — اما عرفت هذا الولد ياسيدي ايزيدور فانه سيباستيين ابن الدكتور جيلبار الذي كنا نشاهده احياناً مع كاترين . فاجاب الفارس الاول اصبتَ اصبتَ وقد عرفته الآن ثم نادى . سيباستيين سيباستيين . فوقف الولد وعاد راجعاً وقال . نعم عرفتك يامسيو ايزيدور وانني اعيد لك شكري . فدنا ايزيدور منه وقال له وماذا انت ذاهب تصنع في باريز يابني . فاجاب الولد علمت ياسيدي ان الشعب هجم على قصر فرساليا وقتل بعض من فيه وقد خشيت على ابي فقصدت السفر الى باريز للتثبت من ذلك

فتنهد الفتى ايزيدور لما سمعه من ارتياب سيباستيين بقتل والده لانه هو كان يعلم ان اخاه قد قتل ولم يبقَ مجال للارتياب في مقتله . ثم قال لسيباستيين . ولكن الطريق طويلة يا ولدي والوقت ظلام فهل لك ان تركب وراء خادمي على جواده

فاجاب سيباستيين جواب من جُرح في عزة نفسه شكرًا لك ياسيدي

فشعر ايزيدور بانه جرح كبرياء الولد فقال بل لدي خاطر آخر اقرب من الاول وهو انني احب رفقتك ومحادثتك على الطريق فاركب ورائي على فرسي ومتى وصلنا الى المحطة الاولى اخذنا مركبة وسرنا في طريقنا

فرضي سيباستيين بهذا الامر فاردفه ايزيدور وراءه ثم سار الجوادان بالثلاثة يخبان خببًا على طريق باريز

الفصل السابع

الخيال العجيب حقيقة متجسمة

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي وصل ايزيدور وسيباستيين الى قصر التويلري في المركبة التي استاجراها من دامارتين

فصعدا الى القصر ليسألا الواحد عن اخيه الكونت دي شارني والثاني عن ابيه الدكتور جيلبار

وكان لا فاييت يشدد حراسة الملك ولذلك كان النفوذ الى القصر امرًا صعبًا جدًّا ولكنه كان سهلاً لايزيدور دي شارني اذ يكفي للاذن له بالدخول ان يذكر اسم عائلته

ولما صعد ايزيدور وسيباستيين الى القصر ادخلهما احد الحراس الى غرفة للانتظار فيها فجلس سيباستيين على مقعد هناك واخذ ايزيدور يخطر في الغرفة ذهابًا وايابًا

وبعد هنيهة قدم احد الحراس وابلغهما ان الكونت دي شارني في غرفة الملكة وان الملك مختلٍ باحد اطبائه فربما كان هذا الطبيب الدكتور جيلبار

فتنفس سيباستيين الصعداء لانه علم انه سيشاهد اباه سالمًا بعد حين

وبعد بضع دقائق دخل حارس ثانٍ وقال . اين الفيكونت دي شارني فاجاب ايزيدور هاءنذا . فقال الحارس ان جلالة الملكة قد امرت بان تذهب لمقابلة اخيك في غرفتها

فالتفت ايزيدور الى سيباستيين وساله ان ينتظره لانه سيعود بعد هنيهة ثم دخل وراء الحارس قاصدًا غرفة الملكة

فبقي سيباستيين وحده

والعادة انه اذا بقي سيباستين وحده تتراوح في دماغه جميع التصورات التي تصورها في

حياته وتعود اليه الخيالات التي علمنا امرها فيبقى ساعة او ساعتين مبهوتاً متاملاً غائصاً في بحار الافكار والخيالات . فحضرته هذه المرة الخيالات ايضاً فاستسلم اليها

فذكر رياض فيلله كوتريه واحراشها حيث كان يرى الرؤى التي يرتاح اليها. ذكر تطوافه في ذلك الخلاء العظيم تحت ظل الاشجار الباسقة ينشد الخيال البخاري الذي ينقلب بعد ذلك جسماً بشرياً . ذكر تلك المراة التي ما فتئ يراها في احلامه ورؤياه ويركض وراءها في الاحراش ويدعوها امه

فارتاحت نفس سيباستيين الى هذه الذكرى فلبث مبهوتاً غائصاً في افكاره كالعادة وهو يقول مردداً بين شفتيه . اماه . اماه

ولكن لم يحضر في ذهنه خيال تلك المراة التي كان يراها في الاحراش تركض امامه وهو يركض وراءها وما ردد قوله اماه اماه مرتين بين شفتيه حتى انفتح باب تجاهه وظهرت فيه تلك المراة نفسها

الا ان هذه المراة كانت هذه المرة حقيقة لا خيالاً

اي انها كانت من لحم ودم لا من بخار دماغي او وهم تصوري

وكان سيباستيين حين انفتاح هذا الباب ينظر اليه من غير قصد ولذلك فان المراة لما ظهرت في الباب اول ما وقع نظره وقع عليها

فاجفل سيباستيين ونهض مذعوراً وقد دبت في عروقه روح جديدة فجعل ينظر الى تلك المراة وقلبه يخفق خفقاناً شديداً

اما هذه المراة فانها خرجت من الباب بعظمة تحاكي عظمة الملكات ثم سارت مسرعة بقامة هيفاء مستقيمة كالرمح او كالالف وبهيئة تجعل في النفوس تاثيراً لا يزيله شيء

وقد اجتازت القاعة دون ان تنظر الى سيباستيين او تعلم بوجوده

فازداد سيباستيين التهاباً وحرقة . ولما خرجت من الباب الخارجي ثارت نفسه كلها وخشي ان تفلت من يده مع انه قد قضى سنوات طوالاً وهو يبحث عنها ويتلهب للوصول اليها

ولذلك وثب من الغرفة مقتفياً آثارها

اما المراة فكانت منقبضة النفس حزينة . فلما سمعت صوت اقدام وراءها اسرعت في المسير فراراً منها

فلما اسرعت هال سيباستيين اسراعها خوف ذهابها منه فصاح بها . مدام . مدام

فلما وقع هذا الصوت في اذني المراة ارتعدت فرائصها وظهر التاثر على جسمها فازدادت اسراعاً

فوثب سيباستيين من سلم غير السلم التي كانت تنزلها وصار يركض وراءها . غير ان المراة ما لبثت هنيهة ان وصلت الى مركبة هناك ففتحت بابها والقت نفسها فيها

ولكن سيباستيين لم يدعها تستقر في المركبة حتى وصل اليها قبل ان تقفل بابها فدنا منها وهو يلهث من التعب وعيناه تقدحان شرر الذكاء في وجهه ثم اخذ ذيل ثوبها وجعل يقبله ويقول . آه ياسيدتي . آه ياسيدتي

فالقت المراة عند ذلك نظرها الى وجه هذا الفتى الجميل الذي اخافها صوته وجعلها تفر من وجهه ثم قالت له بصوت يبدو فيه التاثر

ماذا تريد مني ايها الفتى ولماذا تركض ورائي

فاجاب سيباستيين اريد مشاهدتك وتقبيلك . ثم قال بصوت ضعيف كمن يهمس همساً . اريد ان ادعوك « امي »

فارتعدت هنا فرائص المراة لهذه الكلمة فصاحت صيحة خفيفة ثم مدت يديها اليه كأن وحياً نزل عليها فتناولته وعانقته والصقت شفتيها المرتجفتين المضطربتين على جبهته الملتهبة

ثم انها ضمته الى صدرها بقوة كأنها خافت ان ياتي احد وياخذه منها وجذبته الى المركبة بحركة عنيفة وصاحت بالسائق

— الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

فراحت المركبة في الشوارع كالبرق الخاطف

اما المراة فانها التفتت الى فتاها وسالته وماء الحنو الوالدي يترقرق في عينيها . ما اسمك . فاجاب اسمي سيباستيين . فعانقته وقالت تعالَ تعالَ ياسيباستيين الى قلبي

ثم انها استلقت على المركبة استلقاء من يكاد يغمى عليها وضمت سيباستيين الى صدرها وجعلت تقول وراسها بازاء راسه : ما هذا الذي اشعر به الآن يارباه . اهذا ما يسمونه السعادة

وكانت هذه المراة هي الكونتس اندري زوجة الكونت دي شارني

الفصل الثامن

منزل اندري

راينا ان اندري سارت بسيباستين الى منزلها في شارع كوك هيرون ولذلك سبب لا بد من ذكره . فانه جرت العادة ان تقيم نساء الملكة في القصر الملكي لا في منازل خاصة فكيف انتقلت اندري الى منزل خاص

سبب ذلك ان اندري كانت تشعر بان مقامها في قصر الملك بجانب الملكة اصبح ثقيلاً عليها لما بينها وبين الملكة من العواطف المختلفة بشان زوجها الكونت دي شارني الذي تقدم لنا القول انه زوجها بالاسم والا كليل فقط ولكنه في الحقيقة ليس زوجاً لها . فلما اغمي على الملكة في ليلة الشمعات الاربع وابعدتها الملكة عنها على الوجه الذي مرّ ذكره زاد هذا الامر مقامها بجانب الملكة صعوبة على صعوبة فعزمت في تلك الليلة ان تترك قصر الملكة وتسكن وحدها

فلما طلع الصباح ارسلت احدى نسائها الى المنزل الذي ورثته من ابيها في شارع كوك هيرون وامرتها ان تعدّه لتقيم فيه . ولما اتمت الخادمة ذلك دخلت اندري على الملكة وابلغتها رغبتها في المعيشة وحدها للاهتمام بصحتها فلم تلح الملكة ببقائها عندها الا الحاح من تريد ان لا يقال انها قصرت في استبقائها فودعت اندري الملكة وخرجت ثائرة النفس من لدنها . وفي خروجها لقيت سيباستيين في القاعة وجرى لها معه ما تقدم لنا تفصيله

فكأن سيباستيين قد جاءها في حينه لانها لولا انفصالها عن الملكة واعدادها منزلها لما كان لها ان تبقيه عندها

ولما وصلت مركبة اندري الى هذا المنزل كانت اندري قد شبعت من سيباستيين ضماً وتقبيلاً فوثبت الى الارض كالغزال النافر دون ان تنتظر السائق ليفتح لها باب المركبة ثم اخذت سيباستيين بيده ودخلت به المنزل مسرعة

وكانت تقول في نفسها وهي داخلة . لقد عاد ولدي اليّ . لقد سُرق في ليلة مظلمة من هذا المنزل نفسه والآن يعود اليه نفسه . وهو يعود اليه باعجوبة سماوية دون ان يدلني احد عليه او يدله احد عليّ

ولما اغلقت اندري باب منزلها استسلمت حينئذٍ الى عواطفها الوالدية فالتفتت الى سيباستيين وقلبها يقطر حنوًّا وعيناها تترقرقان بالدمع وقالت له بصوت من لا يصدق ان ما يراه حقيقة لا خيال

اذًا هذا انت يا ولدي

ولم يكن سيباستيين باقل ارتياحًا الى مشاهدة هذه المراة التي يدعوها امه وتدعوه ولدها فاجابها باسماً منشرحًا نعم يا اماه

ففعلت كلمة « اماه » التي لم تسمعها هذه المراة قط قبل الآن في نفسها فعل الكهربائية في الاجسام فاكبت على ولدها تضمه وتقبله وهي لا تصدق انه هو

ولما عاد اليها رشدها التفتت الى الغرفة التي كانت فيها وقالت وهي تهز راسها · هنا · هنا فسالها سيباستيين ماذا تريدين يا اماه بقولك هنا · فاجابت اندري

اريد بقولي هنا انك كنت ههنا لما سرقوك مني منذ ١٥ سنة · لقد ولدتك في هذه الغرفة وسرقوك من هذه الغرفة والآن تعود الى هذه الغرفة باعجوبة سماوية

فقال سيباستيين · نعم باعجوبة سماوية يا اماه وبوحي سماوي · لانني لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي لم اسافر من المدرسة ولم اقصد باريز ولم اصل الى مفترق الطريق في الظلام فابقى حائرًا عنده · ولو لم اصل الى هذه الطريق في الظلام لما وجدت المسيو ايزيدور دي شارني ولو لم اجده لما كان اردفني وراءه وجاء بي الى التويلري ولو لم اجئ الى التويلري لما رأيتك ولما رأيتني ابدًا

وكانت اندري تصغي اليه بارتياح شديد · ولكنه لما قال « لو لم اشعر بالخوف على حياة ابي » انقبضت نفس اندري وظهر على وجهها شعور غريب فاغمضت عينيها لتخفي انقباضها

ثم انبسطت نفسها لما قاله في آخر كلامه · وسالته علمت الآن كيف لقيتك ياسيباستيين فقل لي كيف عرفتني

فضحك سيباستيين واجاب هذا امر غريب يا امي لانني لا اعرف كيف حدث · فقالت اندري ولكن من قال لك حينما رأيتني انني امك · فاجاب قال لي ذلك قلبي · ففتحت اندري ذراعيها وضمته الى صدرها ضمًّا شديدًا قائلة — تعالَ الى قلبي

ثم سالته · ولكن الم ترني قبل الآن ابدًا

فاستجمع سيباستيين قواه لدى هذا السؤال وقال اسمعي يا امي لاقص عليك امرًا

غريباً · فانني اعرفك منذ عشر سنوات

فدهشت اندري · وقالت كيف تعرفني منذ عشر سنوات ولم تأتِ اليَّ او لم تبلغني خبر وجودك · فقال سيباستيين · اسمعي لاخبرك كيف كنت اعرفك · انني ارى في بعض الاحيان اموراً عجيبة اسميها احلاماً اما ابي فيسميها مرضاً دماغياً

فلما لفظ سيباستيين كلمة « ابي » شعرت اندري كأن سهماً رُزَّ في قلبها

فاستانف سيباستيين الكلام قائلاً · وذلك انني كلما اصبحت منفرداً وحيداً في حرش او في مكان هادئ صرت اتامل تاملات غريبة وارى رؤى عجيبة فيتمثل لي في اول الامر شيء من البخار امام عيني ثم يكبر هذا البخار ويتجسم فيصبح امراة شبيهة بك في ملامحك · في قامتك ووجهك ويديك وكل ما لك · فحينئذٍ انهض مسرعاً من مكاني واركض وراء هذا الخيال الذي يكون امامي وهو يركض مني · وقد اقطع مسافات بعيدة راكضاً وانا اناديه يا امي يا امي وهو يركض مني ملتفتاً من حين الى حين اليَّ ولا ازال كذلك حتى اسقط على الارض من التعب والجهد فتزول حينئذٍ هذه الرؤيا · هذا سبب قولي لك انني اعرفك من عشر سنوات ذلك انني ارى هذه الرؤيا من عشر سنوات · ولما رايتك الآن في قصر التويلري حين خروجك من الباب الذي كان امامي عرفت انك انت هو الخيال الذي كنت اراه في احلامي واسميه امي · فلم يبقَ عندي ريب انك امي · ولكن كيف عرفتني انتِ

فقالت اندري انا كنت اقل سعادة منك يابني لانني ما كنت اراك لا في الحقيقة ولا في الخيال · ولكنني لما اجتزت القاعة التي كنت جالساً فيها شعرت دون ان اراك بقشعريرة عرتني · ولما سمعت وقع اقدامك ورائي احسست بانفعال عظيم في نفسي ولما ناديتني « ياسيدتي » كدت اقف لك وحينما دعوتني « يا امي » كاد يغمى عليَّ · ولما لمستك عرفت انك ولدي

فمد سيباستيين يديه وعانق امه وقبلها ثم قال لها · قد اجتمعنا الآن فلا نفترق فيما بعد

وكانت اندري قد نست المستقبل فلم تنظر الا الى الماضي والحاضر فلما تكلم سيباستيين عن المستقبل عرتها قشعريرة واصبحت متاملة مبهوتة · ثم قالت متنهدة · انني اباركك يابني اذا كنتَ قادراً على ابقاء شملنا مجموعاً

فقال الولد نعم انا كفيل بذلك ولكن دعيني اصنع ما اريد · قالت ماذا تريد ان

تصنع قال مصالحتك مع ابي على شرط ان تقولي لي سبب افتراقكما

ولكن الولد ما لفظ هذا الكلام حتى اصبحت اندري صفراء كالاموات . ولما رأى سيباستيين انها بقيت ساكتة قال . على ان السبب مهما كان عظيماً فاني ازيله لان ابي يحبني ودموعي كفيلة بارضائه مهما كان غاضباً وساخطاً

فازداد اصفرار اندري وانقباض نفسها : فقالت كلا ثم كلا

فقال الولد اسمعي يا امي انني قادر على كل شيء فانا آخذك بيدي واذهب باكياً الى ابي الذي يعبدني كما قلت لك واقول له يا ابي هذه امي انظر ما اجملها والطفها فانا اريد ان تصالحها

فما لفظ سيباستيين هذا الكلام حتى وثبت اندري مذعورة ودفعت سيباستيين عنها . فنظر اليها الولد نظرة دهشة واستغراب فقالت اندري . كلا . ثم كلا . لا تحادثني عن هذا الامر

فذكر الولد حينئذٍ ما قاله له ابوه بنزق يوماً من الايام « ياسيباستيين لا تكلمني بعد الآن عن امك » فلبث الولد مبهوتاً لا يعرف لهذا اللغز حلاً . ولكنه سال امه بشيء من الرصانة وثبات الجاش لماذا لا تريدين ذلك

وكانت اندري حينئذ في اقصى درجات الغضب والهياج فاجابته تسالني لماذا لا ارد ذلك . لا لا . دع هذا لانك لا تعرف شيئاً

فاجاب الولد مصراً بل اريد ان اعرف لماذا لا تريدين

وكان الغضب قد طفح في صدر اندري فلم تعد قادرة علي كظم ما في نفسها فصاحت ملء فمها . تريد ان تعرف السبب فانا اقوله لك . انني لا اريد ان ارى اباك لانه رجل شقي تعيس لئيم

فوثب سيباستيين عن الكرسي وثبة السبع فاصبح تجاه امه وجهاً لوجه ثم صاح بها . انقولين هذا القول عن ابي ايتها السيدة . عن ابي الدكتور جيلبار تقولين كذلك . عن ابي الذي رباني واعطاني كل شيء وجعلني اكون كما انا الآن . تقولين هذا القول . اذن انا مخطىء لانك لستِ امي

ثم هم الولد بالوثوب الى الباب للخروج منه . فاوقفته اندري متعلقة به وقالت له . اسمع اسمع ياسيباستيين . ان هذا امر لا تستطيع ان تفهمه . ولا تقدر على الحكم فيه

فانتفض الولد للتخلص من يديها وقال . دعيني دعيني فانني ما عدت احبك

فصاحت حينئذٍ اندريه عند هذا الكلام . ولكنها خنقت صياحها في فمها لصوت مركبة وقفت على باب منزلها

فاصغت اندري ناظرة الى جهة الباب واذا بالبواب قد دخل بعد هنيهة وقبعته في يده وقال لها ان حضرة الكونت دي شارني يطلب مقابلة الكونتس

فصعقت اندري لهذه الزيارة الفجائية فجذبت سيباستيين بعنف من يده الى غرفة نومها وقالت بسرعة ادخل ادخل ياولدي ولا تدع احد يراك او يعلم بوجودك . ادخل فساقص عليك كل شيء . لا لا . لا اقص عليك شيئاً لانك لا تفهم شيئاً من ذلك ولكني اقبلك واضمك الى صدري فتعلم انك ولدي

ثم تركته في الغرفة واقفلت الباب عليه وخرجت . وبعد ذلك جلست في كرسيها واهية القوى خائرة العزم من شدة التأثر والانفعال وامرت البواب بصوت اظهرت فيه الثبات الجاش ان يُدخل الكونت دي شارني زوجها

الفصل التاسع

✻ الرجل وامرأته ✻

وبعد دقيقة دخل الكونت دي شارني . وكان مرتدياً بالسواد حداداً على اخيه . ولكن الحداد لم يكن في ثيابه بل كان في وجهه ايضاً لما كان عليه من آثار الاصفرار والدموع

ولا شيء يزيد في جمال الوجه الجميل مثل الدموع والتاثير الذي تجعله فيه ولذلك كان وجه دي شارني في هذا اليوم في غاية الجمال

فنظرت اليه اندري من بعيد برصانة وثبات جاش . اما دي شارني فدنا منها كما كان يدنو الرومان واليونان من تمثال ديانا الجميلة . فلما وقع نظره عليها اغمضت عينيها هنيهة ثم فتحتهما فابصرت زوجها واقفاً لديها

وحينئذٍ دخل البواب وسأل هل يذهب السائق ام يبقى في انتظار حضرة الكونت

فنظر دي شارني الى اندري ليعلم من نظره اليها ماذا يجيب السائق . فراى نظر اندري مبهماً غامضاً فتنهد وقال للبواب . بل فلينتظر

فخرج البواب واغلق الباب فكانت هذه هي المرة الاولى التي وجد فيها هذان الرجلان منفردين وجهاً لوجه

فافتتح دي شارني الكلام بقوله · عفوًا ياسيدتي اذا كدرت صفوك بزيارتي الآن فانني مامور بها من لدن جلالة الملك

فاجابت الكونتس بل يسرني ان اراك ايها الكونت وما كنت اتوقع زيارتك الآن لانني علمت انك عند الملكة

وقد لفظت الكونتس اسم الملكة ووجهت نظرها الى عينيه لتقرأ فيهما ماذا تحدثه هذه الكلمة في نفسه · ففهم دي شارني مرادها واجاب · يسرني ياسيدتي كل السرور ان تكوني افتكرت بي وسالت عني · اما زيارتي للملكة فلم تكن مرضية

فانتبهت اندري هنا كل الانتباه وفتحت عينيها ثم سالته كيف لم تكن زيارتك مرضية ·

قال لان الملكة امرتني بالابتعاد عن باريز وقد عصوت هذا الامر

فزادت دهشة اندري وقالت كنت انتظر ان تامرك الملكة بالاقامة بجانبها لا ان تامرك بالابتعاد عنها · وكيف استطعت ايها الكونت ان تعصي امر الملكة

ففهم دي شارني مراد زوجته بقولها «كيف استطعت» فتنهد واجاب ان الملكة ارادت ارسالي في مهمة الى تورين لمقابلة الكونت دارتوى والدوق دي بوربون اللذين برحا فرنسا فرفضت ذلك لانني اشد نفعاً في فرنسا مني في خارجها وقد اقترحت عليها ان ترسل مكاني اخي ايزيدور دي شارني الذي قدم اخيرًا الى باريز فرفضت فحكمت الملك في هذا الامر فحكم لي

ولما كان الملك مجتمعاً بالملكة سالها عنك فاجابته انك خرجت من القصر فدهش الملك وسالها اين نزلت فاجابت انها لا تعلم فزادت دهشته وعلم انه حدث بين الملكة وبينك امر فامرني ان آتي اليك واطلب منك ان تذهبي لمقابلته · وقد قال لي انه لا بدَّ ان تذهبي اليه ولو اقتضى ذلك ان يحضر هو نفسه ويعود بك

فاطرقت اندري ثم اجابت شكرًا للملك على تعطفه والتفاته فلا ريب انه ذو خلق كريم

فقال دي شارني نعم انه ذو خلق كريم · وقد ابكاني كرم نفسه في هذا الصباح فانه بعد ان امرني بالمجيء الى هنا لمقابلتك والعودة بك استوقفني حينما هممت بالذهاب ومدَّ اليَّ يده قائلاً · نسيت ان احادثك بالامر الذي كان يجب ان اجعله مقدمة الحديث وهو مصابك الذي البسك الحداد · ولكنه من سوء الحظ مصاب لا يجدي فيه كلام الناس وان كانوا ملوكاً · فانا لا سبيل لي الى تعزيتك عن وفاة اخيك الذي قام بواجباته

الجامعة

(الجزء العشرون) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شعبان سنة ١٣١٧

القرن العشرون

(وماذا عمل القرن التاسع عشر)

يصدر هذا الجزء من الجامعة يوم انتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فوداعاً ايها القرن الراحل وسلاماً ايها القرن القادم . لقد نزل الاول في مهاوي التاريخ وطلعت غرة الثاني طلوع مولود جديد على الوجود . فمبارك هذا المولود

وقد جرت عادة قدماء المصريين انهم عند موت ملوكهم يجتمعون فيتبادلون اراءهم في الساحات العمومية بشأن الملك الراحل عنهم منتقدين حكمه واعماله ذامين منها ما يوجب الذم ومثنين على ما يوجب الثناء . والقرن التاسع عشر هو الآن منا بمثابة ميت فليس يخلو من فائدة ان ننظر في اعماله وما تم في عهده من خير وشر

ولسنا نصرف الفكر الى الامور المادية فقط فنجعل الكلام مقصوراً على تاريخ الاختراعات العظيمة التي اخترعت في هذا القرن والاكتشافات العجيبة التي اكتشفت . كلا فان هذه الامور المادية ليست الا ثمرة حياة هذا القرن الادبية . لذلك ننظر في اعماق هذه الحياة الادبية ليكون كلامنا شاملاً جميع انفاس القرن التاسع عشر . وتوصلاً لذلك نقسم الكلام

الى ثلاثة اقسام : كلام على عالم السياسة · كلام على عالم العلم · كلام على عالم الادب · فنقول

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر السياسية ﴾ وُلد هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسوية ومدافع نابوليون يدوي صداها في الجهات الاربع · ومن غريب الاتفاق ان ننشر في آخر يوم من القرن التاسع عشر تفاصيل اهم حادث سياسي حدث في بدايته وهو فتح الشعب للباستيل كما ترى في قسم الرواية · وقد كان من تاثير هذه الثورة انها وضعت اساس الحرية في العالم على اسس ثابتة لا تتزعزع وفتحت عيون الامم في الشرق والغرب فكأن تلك الشعلة التي احرقت فرنسا حيناً من الزمان قد انارت الدنيا باسرها

نخفت وطأة الاستعباد وخاف الملوك سوء المنقلب فاصبحوا يعتبرون الرعية ابناء لهم لا خداماً وعبيداً يسومونهم ما تسام الانعام من الذل والحيف · وسقطت الحواجز العظيمة التي كانت بين الطبقات فاصبح الشريف شريفاً بادبه لا بنسبه وتساوى الناس لدى القانون ومذ تساووا عرفوا انهم اخوان بعضهم لبعض لا خصوم واعداء

ثم اتسعت حلقة هذا الاخاء بحكم الناموس الطبيعي وبواسطة مبدأ الحرية والمساواة الذي تقرر في العالم · فقال الشارعون اذا كان من حقوق الفرد ان يكون حرّاً مساوياً لغيره في الحقوق والواجبات وجب ان يكون الشعب كذلك فنشأ من هذا القياس الصحيح حق كل امة في الاستقلال والمساواة · فاسقطت عن اعناق الامم نير العبودية السياسية كما اسقط عن اعناق الافراد نير العبودية الاجتماعية · فكان ذلك منشأ ثورات شديدة زُعزعت لها اسس الارض وانكسرت فيها قيود امم كثيرة فاصبحت حرة مستقلة تحت قبة السماء

ولا ريب ان عمل القرن التاسع عشر من هذا القبيل ناقص نقصاً عظيماً ولكنَّ هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله · واذا لم يكن له من فضل غير المناداة بالحرية والمساواة للافراد والشعوب لكفاه ذلك فضلاً على القرون الخالية · ولكنه لم ينادِ بذلك فقط بل اعطى الافراد والشعوب قوة توصلهم الى اغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية واتبعوها بلا افراط ولا تفريط

﴿ اعمال القرن التاسع عشر العلمية ﴾ وقد كان لاعماله السياسية تاثير عظيم على اعماله العلمية · ولا نقول ان العلم كان غير موجود قبله فان اهم اسس العلوم الطبيعية لم توضع في القرن التاسع عشر بل قبله · ولكن امتاز القرن التاسع عشر بكونه اطلق العقول

من القيود وهدم الحواجز القوية التي كانت تحول دون نموها وتقدمها . فقد روى الفيلسوف جول سيمون ان التعليم في فرنسا كان في القرن الثامن عشر وما قبله محصوراً في طبقة الاشراف والوسط في حين ان جمهور الشعب كان في ظلام من الجهل والغباوة . وقال هذا الفيلسوف مستشهداً على فضل هذا القرن « انني الآن اشغل مقاماً من اسمى مقامات بلادي (عضوية مجلس الشيوخ) ولكنني لولا الثورة الفرنسوية التي اطلقت قيد العقول لكنت الآن اما صاحب صناعة يديوية في قريتي او عضواً في احدى الجمعيات الاكليريكية »

ومن نتائج هذا الاطلاق الذي اشار اليه الفيلسوف عناية الحكومات بابناء عامة الشعب كما تعنى بابناء خاصته . وهذا منشأ التعليم الالزامي المجاني الذي اتبعته الامم الغربية مع انه لم يقم احد بعد الى الدعوة اليه في البلاد الشرقية

وقد وضعنا التعليم الالزامي في مقدمة اعمال هذا القرن العلمية لانه في نظرنا اهمها كلها. نعم لا ينكر احد تقدم العلوم الطبيعية الى حد غريب . فقد قاست هذه العلوم مساحة الفضاء . وعرفت مادة الكواكب . واخترعت المركبات التجارية في البر والبحر . واوجدت التلغراف فقصرت به وبالسفن المذكورة آنفاً شاسع المسافات واختصرت الابعاد ومزجت العالم بعضه ببعض مزجاً مفيداً . لقد اكتشفت المكروبات فدفعت عالم الجراحة والطب الى الامام دفعاً شديداً . لقد اتت من الاكتشافات والاختراعات ما لو قام اجدادنا اليوم من قبورهم ورأوه لحسبوا انفسهم انتقلوا الى عالم الف ليلة وليلة او ظنوا ما يرونه سحراً مبيناً — كل ذلك نعرفه ونعجب به . ولكن يعجبنا اكثر منه كله ذلك المبدأ السامي الذي اجمعت عليه في هذا القرن اكثر الامم الغربية وهو من مخترعات القرن التاسع عشر . ونريد به : التعليم المجاني الالزامي لخاصة الامة وعامتها

فبارك الله فيك ايها القرن الراحل على هذا العمل العظيم الذي عملتـه وذلك المبدأ السامي الذي اقررته . فانه اذا لم يكن لك في عالم العلم الا هذا الفضل لكفى ان يعلي بين القرون شانك ويخلد اسمك

﴿ اعمال القرن التاسع عشر الادبية ﴾ واهم اعمال القرن التاسع عشر الادبية عتق الرقيق . فقد كان الانسان الظالم يشتري في القديم ويبيع اخاه في الانسانية والحكومات ساكتة والفلاسفة وعلماء الاداب لايحرمون هذه التجارة المنكرة . فان اريسطو وافلاطون شهدا في زمانهما عذاب الرقيق ولم تتحرك احشاؤهما حنواً عليه بل ان اريسطو نفسه كان

له عبيد وارقاء. ولبث العالم في هذه الخشونة والهمجية حتى جاء القرن التاسع عشر فحرم ان يتاجر الانسان باخيه الانسان . وهي احدى بركات هذا القرن وخيراته

ومن هذه البركات ايضاً ارتقاء الادب السياسي . فانه قد مضى الزمان الذي كانت فيه المدن والمقاطعات تباع وتشرى بين الحكومات كانها انعام سائمة . وانقضى ايضاً ذلك الجنون السياسي الذي كان في العصور الخالية وهو جنون الفتوح وحب الاستيلاء فقلت الحروب وارتقت اسبابها واصبح كلٌّ من المتحاربين يدعي انه مضطر اليها ومُدافع لا مهاجم فيها مما يدل على ارتقاء ادب الحكومات . ومما يدل على ذلك ايضاً تصريح الحكومات نفسها بحب السلامة وحسن النية في مجالس الامة التي انعقدت في ايام القرن التاسع عشر الاخيرة . فان حكومات فرنسا والمانيا وايطاليا تبادلن في هذه المجالس منذ نحو شهر على السنة المسيو ديلكاسه والمسيو دي بيلوف والمركيز دي فوستا الطف عبارات المجاملة . فظاهرٌ من ذلك انه قد مضى في السياسة دور الهجوم والافتخار بالحرب وجاء دور الدفاع والافتخار بالسلام

وماذا نقول عن ذلك النور السماوي الذي خفق هنيهة في العالم على يد القيصر العظيم نقولا الثاني امبراطور روسيا . لاريب ان اقتراح القيصر عقد مؤتمر السلام في لاهاي قد كان بمثابة تتويج ادبي لهذا القرن . واذا كان هذا المؤتمر لم يات بثمرة عاجلة فانه سياتي بثمرة آجلة . وسيبقى هذا الاجتماع الذي عقدته الامم في لاهاي وتصافحت فيه عناصر الانسانية كلها تحت انظار و يلهلمين الفتاة ملكة هولاندا — سيبقى هذا الاحتفال اكبر عمل ادبي عملته الانسانية في القرن التاسع عشر وفي القرون الماضية

ومن اعمال هذا القرن الادبية ايضاً صرف الحكومات شيئاً من عنايتها الى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة وحرية الدفاع والميل الى منع الاعدام اي التحريم على الانسان قتل الانسان . وكذلك تخفيف مصائب المجرمين باعتبارهم مرضى في عقولهم يجب مداواتهم بتحسين احوالهم وتعويدهم وهم في السجون العمل السهل المفيد لا بدانهم وعقولهم . وتخفيف و يلات الحروب وفظائعها بقوانين دولية مرعية وانشاء المستشفيات العمومية والملاجئ الخيرية للشيوخ والاولاد وتاليف لجان وجمعيات لتربية الايتام واللقطاء الذين لا ذنب لهم غير ولادتهم

ولا نعلم في اي قسم نضع تلك الحركة الاقتصادية الغريبة التي امتاز بها الربع الاخير من القرن التاسع عشر . افي جملة الاعمال السياسية ام العلمية ام الادبية . ولكن نرجح

وضعها في قسم رابع نفرده لها ونسميه « اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية »

فان الحركة الكبرى التي غلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء وتباريها في حلبة التجارة والصناعة والزراعة . حتى ان الدول اصبحت ولا همّ لها الا المسائل الاقتصادية واذا خيف من شبوب نار حرب بينها فانما يكون سببها المسائل الاقتصادية لان دور تنازع السلطة بينهن قد مضى وجاء دور التنازع على الامور الاستعمارية التي بها تتعلق المسائل الاقتصادية والتجارية

ومن اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال امر الاشتراكيين استفحالاً نفع المبادىء الديموقراطية وافاد ضعفاء الامم افادة تذكر لهم بالشكر من هذا الوجه . وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفي بهذا البيان الوجيز

***

هذا اهم ما رأينا بسطه عن اعمال القرن التاسع عشر . وكله حسن نافع مفيد يستحق عليه القرن ثناء ابنائه وثناء الاجيال الآتية

ولكن بازاء هذه الجوانب اللامعة البراقة التي اظهرناها للقراء الا يوجد جوانب اخرى سوداء مظلمة ؟ الا يوجد للقرن التاسع عشر سيئات بازاء هذه الحسنات ؟

لقد اقدم هذا القرن على حل مسائل لاقبل له على حلهـا كلها دفعة واحدة . فقد اطلع شمس الحق على الناس فانفتحت لاشعتها الباهرة عيون الكبير والصغير فكانت للكبير بمثابة النور من الخفاش وكانت للصغير بمثابة النار من الفراش . وهكذا بالرغم عن اشراق هذه الشمس بقي الكبير معربدًا شامخ الانف والصغير مدوساً مسحوقاً . اليس هذا الذي تقوله الآن مدافع الانكليز والبوير في افريقيا الجنوبية

لقد ارتقت في هذا القرن الاداب السياسية ولكن انحطت الاداب الشخصية . فان الشر ينمو بنمو التمدن والرذائل على انواعها تتكاثر بتكاثر الثروة وتزداد بازدياد اسباب المدنية . فالكذب والرياء والخداع والاضرار بالناس والاحتيال لسلبهم وغشهم — كل ذلك اصبح في القرن التاسع عشر امرًا شائعاً مقبولاً وربما لُقبَ صاحبه بالمهارة والدهاء وحسن السياسة . الفجور — وافظيعتاه — قد اصبح مباحاً ويكاد يكون شرعياً . المسكرات تقتل في بعض البلاد ٧٥ في المئة من سكانها . الجرائم والجنايات تملأ السجون بالاشقياء . المبادئ الدينية تضعف وتنحل شيئاً فشيئاً . الفضيلة تخفض جنحيها بازاء الرذيلة . الشعوب

لا تزال تتخبط في ظلام الجهل وليس لها خبز تغذو به ابدانها وتعليم تغذو به عقولها . الحياة اصبحت فوضى لان هذا القرن اعطى الانسانية قوة الدفع ولم يعطها قوة الجذب . اعطاها الحرية ولم يعطها الاخاء والمحبة . فتنافرت القلوب واختلفت الاهواء وقام الناس بعضهم على بعض باسم الحرية والدين والحرية الحقيقية والدين الصحيح براء منهم ومما يفترون . وفي وسط هذه الحياة الزوبعية الهائلة التي نشأت في هذا القرن انقلب ميزان الانسانية وفقدت الهيئة الاجتماعية قيادة قوادها لان كل فرد منها اصبح قائداً مستقلاً بنفسه . اصبحوا كالبصل كلهم رؤوس كما قال الفيلسوف جول سيمون . فتأمل هذه الحياة الجديدة وسرعة انقلابها وشدة خطرها بازاء الحياة القديمة الهادئة وبساطة المعيشة فيها وقناعة اهلها وتسليمهم ورضاهم باحوالهم

ولكن القرن التاسع عشر لا يستحق اللوم الشديد اذا كان لم يحل جميع المسائل التي اقدم عليها فانه لكثرة هذه المسائل ناء بها ورزح تحتها بعد ان حل ما حله منها . فاملنا الآن موضوع فيك يا ايها القرن العشرون . كن للانسانية خيراً من اخيك القرن التاسع عشر . لا تسمح ان يحدث فيك ما حدث في اخيك من السيئات وكمل كل تلك الحسنات . اسحق بفأس العقل والادب والدين جراثيم الشر والفساد والرذيلة التي ظهرت في القرن الماضي اخيك ومهد للانسانية طريق السعادة التي تنشدها فانها قد تعبت في طلبها دون ان تدركها . حتى اذا اكملت عملك واتممت اجلك وقف ابناؤنا في ختام ايامك الآتية وقالوا مؤرخين اعمالك : مباركٌ القرن التاسع عشر على ما عمل . ومبارك القرن العشرون على ما اكمل

فسر بامانٍ وسلام يا ايها القرن العشرون

يا راقدَ الليل مسروراً باوله	ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله	فرب آخر ليل اجج النارا
عادت تراباً اكف الملهيات وقد	كانت تحرك عيداناً واوتارا

(ابو العتاهية)

باب المقالات

ثلاث مدن تحت الرماد

في اواخر القرن الاول للميلاد كان في البر الواسع الذي يحيط بمدينة نابولي الايطالية وحيث توجد اليوم القريتان الايطاليتان بورتيزي و ريزينا — ثلاث مدن تدعى الاولى بومباي والثانية هركيلانوم والثالثة ستابيا · كانت هذه المدن الثلاث قبل سنة ٧٩ للميلاد المسيحي تحت حكم الرومان وكان التمدن الروماني فيها على اشده· فقد كانت فيها الفنون زاهية زاهرة منازلها منظمة وشوارعهـا فسيحة واسواقها غاصة بالناس وفيها مرسح عظيم للتمثيل والالعاب يسع ١٠ الاف شخص · وكانت محاطة باراض واسعة خصيبـة مغروسة بشجر الزيتون والارز والغار وحدائق غناء فيها الورود والازهار تعطر رائحتها الزكية هواء ايطاليا الجميلة

ولكن هذه المدن كانت قائمة قرب سفح جبل يزوف (فزوف) ذي البركان المشهور بهذا الاسم · ففي ٢٣ اغسطس سنة ٧٩ للميلاد وسكان هذه المدن الثلاث مشغولون بعضهم بالاعمال اليومية وبعضهم بالملاهي والاجتماعات ابصروا الدخان يغشى قمة هذا الجبل منبعثًا من فوهة البركان · نخافوا ان يعود البركان الى الثورة لانهم وجدوا في ثورته في شهر فبراير من تلك السنة عناء وبلاء لما حدث من الزلازل في ذلك الحين

وكان خوفهم في موضعه · فان الجبل ما لبث ان توارى عن ابصارهم بما جاله من غيوم الدخان الكثيفة · ثم صار هذا الدخان يتخلله وميض نار كانه البرق اذا خفق حتى اذا انتصف النهار هبت ريح من صوب الجبل تحمل الى تلك المدن وما حولها من القرى رمادًا مقذوفًا من فوهة البركان ولفحات حر شديدة

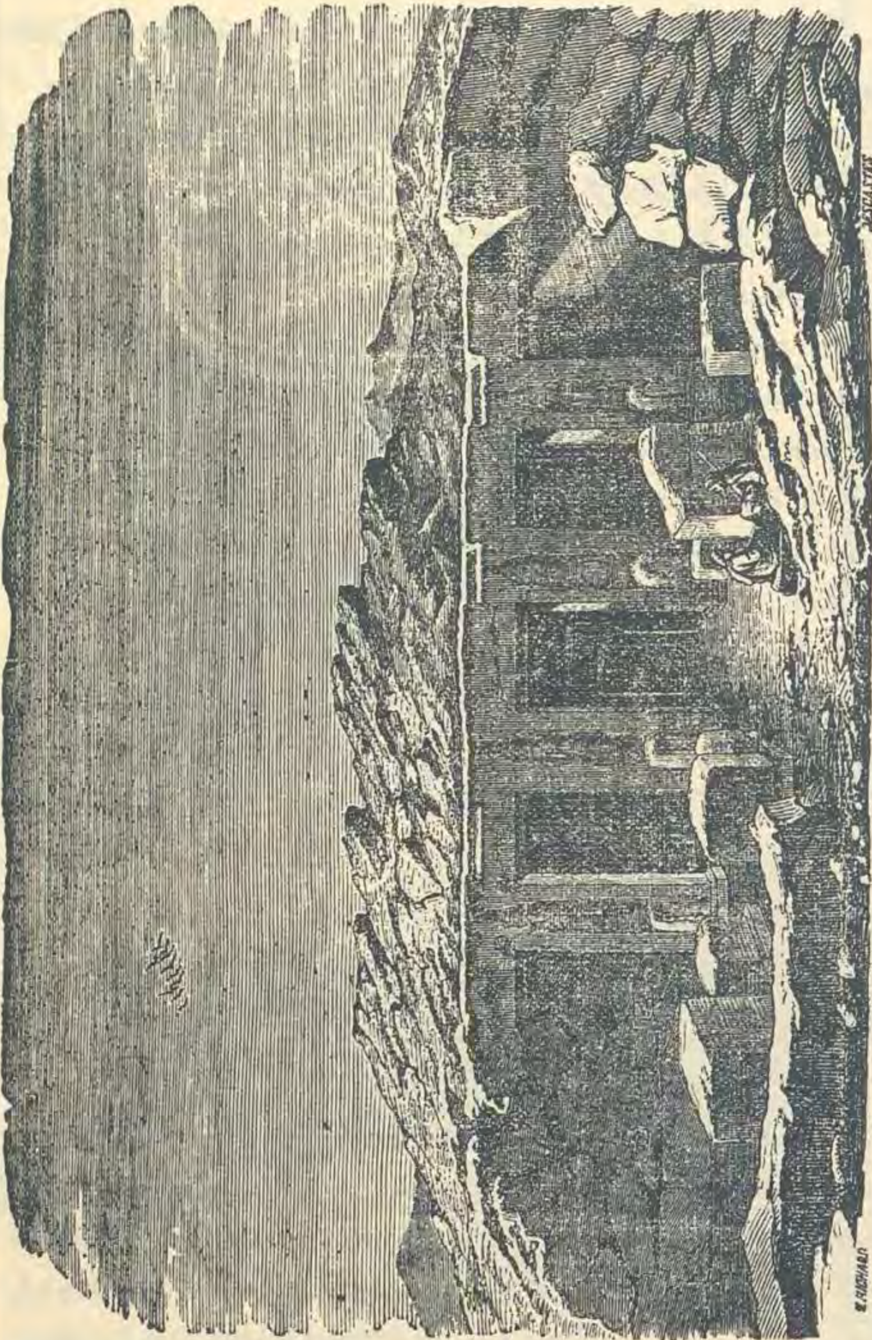
فذعر جميع السكان في تلك المدن والقرى · فترك الفلاحون حقولهم ولجأوا الى منازلهم· واشرأبت اعناق السكان نحو يزوف وصدورهم ملئها الخوف والامل · وازداد السكان ذعرًا وخوفًا عند رويتهم تكاثر الدخان على قمة الجبل ومشاهدتهم تساقط حجارة حامية مع الرماد وذلك دليل عندهم على شدة ثورة البركان

فثار ثائر الناس في كل الجهات وخيل لهم ان جهنم فتحت ابوابها وقذفتهم بنيرانها ·

فلجأوا الى الفرار تخلصاً من الرماد والنار · فسار منهم افواج الى الشواطئ يقصدون ركوب السفن الى بلاد آمنة · واما الذين لم يستطيعوا السفر اما لعجزهم او لرغبتهم في البقاء في وطنهم حفظاً لاملاكهم واموالهم فانهم تركوا الخلاء لشدة تساقط الرماد والحجارة الكبيرة الحامية ولجأوا الى المنازل واغلقوا الابواب والنوافذ · فمنعوا بذلك وصول الرماد ولفحات النار اليهم · ولكن ما لبثت جدران المنازل ان تحركت حولهم وماجت الارض بهم فعلموا بان الارض تزلزل زلزالها وتخرج اثقالها فاصبحوا بين ميتتين : الموت تحت الرماد او الموت تحت الانقاض · فليتصور القارئ حالة اولئك التعساء وقد امطرتهم السماء ناراً تغطيهم وتهددتهم الارض بفتح جوفها لابتلاعهم · وقد كان بين هولاء التعساء امهات واطفال وشيوخ ضعفاء غير الرجال والنساء الاقوياء · ولكن يزوف لم يشفق عليهم فزادهم من حممه ورماده حتى اشبهت مقذوفاته وابلاً ينصب تسكاباً · فغطى الرماد الارض وحطمت الحجارة النوافذ والابواب والمنازل · واضطرمت نار يزوف في تلك المدن فاحرقت من منازلها ما احرقت وغطت الحمم من ارضها ما غطت فاختنق كل ما في تلك المدن وقراها من الاحياء ولم تبق فيها نسمة حية بل نامت كلها نوم اليأس والاضطراب تحت قشرة سميكة من الرماد ·

ثم ثار هذا البركان مرات اخرى بعد هذه المرة اخصها سنة ٤٧٢ للميلاد فزادت هذه القشرة من الرماد والحمم حتى بلغ سمكها من ٢٠ الى ٣٤ متراً فاصبحت تلك المدن الثلاث في جوف الارض بما فيها من المنازل والاسواق والحوانيت والنفائس والثروة والبشر والحيوانات · ونبت العشب على سطح الارض فوق تلك المدن المدفونة حية واشرقت شمس ايطاليا الجميلة عليها واصبح ذلك البركان القاتل اكثر رأفة واقل حدة من ذي قبل فقامت على ذلك الرماد قرى جديدة مكان المدن القديمة وفي جملة هذه القرى القريتان بورتيزي وريزينا الايطاليتان اللتان تقدم ذكرهما

وفي سنة ١٧١٩ للميلاد وقد نسي الناس تلك المدن المدفونة كان بعض من سكان هاتين القريتين يحفرون بئراً فحفروا الى عمق ٣٠ متراً · فلما بلغ الحفارون هذا العمق وجدوا انفسهم في وسط بناء عظيم · وعثروا في طريقهم على تمثالي امرأتين فاخرجوهما وجعلوا يتوسعون في النقب والتفتيش حتى كشفوا كل ذلك البناء فوجدوا انه المرسح القديم الذي كان في هركولانوم · فاقاموا يحفرون في هذه المدينة وفي ما جاورها فكشفوا عن قسم منها ومن مدينة بومباي فشاهدوا فيها منظراً من اجمل المناظر التي شاهدتها العين



احدى خرابات بومباي في ايطاليا

البشرية واشدها رهبة ومهابة

فقد وجدوا هذه المدينة كما كانت منذ نحو ١٧ قرناً · الشوارع متسعة مبلطة وعلى بلاطها اثار عجلات المركبات · والمنازل منظمة ابوابها ونوافذها منها ما هو مقفل ومنها ما هو مفتوح · ووجه الغرابة انهم وجدوا البشر فيها في الحالة التي دفنوا عليها تحت الرماد فان منهم من وجدوه يستر انفه وعينيه بمنديل في يده حتى يمنع نفوذ الرماد اليهما وهو يسخط ويتشنج غضباً ويأساً· ومنهم من وجدوه قابضاً على كيس مفعم بنقود ذهبية وفضية وهو يحاول الفرار بها · ووجدوا ايضاً اناساً متعانقين تدل هيئاتهم على انهم ازواج وزوجات وخاطبون وخاطبات آثروا ان يموتوا معاً جنباً الى جنب ووجدوا ايضاً امهات يضممن اطفالهن بين ايديهن واطفالاً متعلقين في اعناق امهاتهن ودخلوا المنازل والاصطبلات فوجدوا فيها الكلاب والخيول هياكل عظام ممدودة على الثرى واعناقها مربوطة باعنتها والاعنة مشدودة الى مسامير في الجدران ووجدوا بين تلك الجدران الخاوية الخالية كثيراً من الاموال والنفائس والتحف والمصنوعات الثمينة · وشاهدوا على جدران الاسواق الاعلانات التي كان يلصقها بها رجال السياسة ليستميل بعضهم الشعب الى ان ينتخبه للوظائف العمومية دون سواه · وشاهدوا ايضاً فنادق تلك المدينة وحوانيتها ومعاملها ومحاكمها ومجلسها البلدي وبورصتها ومراسحها وساحاتها العمومية وغير ذلك من لوازم الاجتماع · فكشفوا الغطاء بذلك عن التمدن الروماني واغناهم هذا الاكتشاف عن مكتبة كبرى تبحث في هذا التمدن واحواله

ومساحة مدينة بومباي تبلغ ٦٦٢ الف متر مكعب ولكنهم لم يكشفوا منها الى اليوم الا ٣٥٠ الف متر وهم يجدون في النقب والحفر كل عام فيعثرون من حين الى حين على اكتشافات جديدة تكشف الغطاء عن بعض شؤون التمدن الروماني مما يسر به المؤرخون وعلماء الاثار ومحبو الفنون سروراً كبيراً

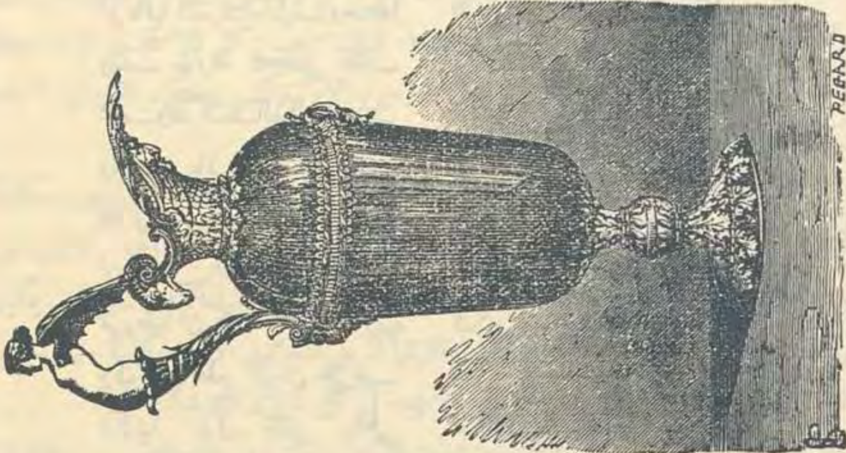
وقد اذكرنا اليوم هذه المدن التي دفنها يزوف تحت الرماد رواية انكليزية للورد ليتن نشرتها في اللغة العربية في الشهر الماضي حضرة السيدة الفاضلة والكاتبة الادبية فريدة عطيه وسنقرظها في الجزء القادم · وعنوان هذه الرواية هو « ايام بومباي الاخيرة » وفيها وصف بومباي قبل دفنها تحت الرماد في سياق قصة تروق مطالعتها فنرد اليها كل من يطلب الزيادة من هذا الموضوع

ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الالوف البشرية التي

هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحجارة الحامية في يوم واحد من سنة ٩٧ للميلاد · نتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قويّاً · ويتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الرؤوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء · فما اقسى هذه النواميس احياناً · وما اعدلها احياناً



قطعتا شطرنج وجدتا في خرائب بومباي ·



اناء فضي من الآنية الكثيرة التي وجدت في خرائب بومباي

وصف النفس لابن سيناء

هو ابلغ ما قيل في تصور هبوط النفس من الاماكن العليا الى الارض ثم انطلاقها من الحبس في الارض الى وطنها القديم

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنعِ
محجوبةٌ عن كل مقلة عارفٍ وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كرهٍ اليك وربما كرهت فراقك فهي ذات توجع
انفت وما انفت فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها من ميم مركزها بدار الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى بمدامع تهمي ولما تقلع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفناء الاوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها نقص عن الاوج الفسيح الاربع
وغدت مفارقة لكل مخلف فيها حليف الترب غير مشيع
هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وتعود عالمةً بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
فلايّ شيء اهبطت من شاهق سامٍ الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب لتكون سامعة لما لم يسمع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكانها برق تالق بالحمى ثم انطوى فكانه لم يلمع

رسوم الرواية — وضعنا في الرواية في هذا الجزء ٣ رسوم منها رسمان للباستيل ورسم مارات صاحب الشان العظيم في حوادث الثورة الفرنسوية وضاق هذا الجزء عن باقي رسوم المجلة

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

احياء المواهب الشرقية

شرع الكرسي البطريركي الانطاكي للروم الارثوذكس في انشاء كلية اكليريكية بطريركية في دير البلمند القائم في سفح لبنان فوق طرابلس شام وجعل ميعاد افتتاحها اول يناير على الحساب الشرقي . ويرى كثيرون ان الطائفة الارثوذكسية في الشام غير مفتقرة الى كلية اكليريكية افتقارها الى مدارس عمومية الذكور وخصوصاً للاناث او الى مدارس صناعية وزراعية تلقن الشبان معارف عملية لتكون تتمة لمعارفهم العلمية . الا اننا مع تسليمنا بصحة هذا الرأي يسرنا انشاء الكرسي الانطاكي كلية اكليريكية لان هذه الكلية تفيد الاكليروس الارثوذكسي افادة عظيمة اذ تعد شباناً ذوي ادب ومعرفة واعتدال للاندماج في السلك الاكليريكي ولا يخفى ما في ذلك من ارتقاء الاكليروس وفي ارتقائه ارتقاء الطائفة نفسها لانه قائدها ورئيسها . لذلك نستحسن كل الاستحسان قرار غبطة البطريرك المحترم لانه وسيلة الى ترقية الاكليروس الارثوذكسي ونشكره لاختياره البلمند مكاناً لهذه الكلية فان هواء لبنان مشهور بكونه يربي رجالاً

لكن بما اننا نرى هذا الكرسي قد بدأ يخطو الى الامام بقيادة غبطة قائده الجديد مكذباً بذلك زعم الذين يزعمون بان الشرقيين اموات وقد قُضي عليهم بان يبقوا كذلك فمن واجباتنا ان نذكر هنا ملاحظة خطرت لنا عند معرفتنا بانشاء كلية البلمند عسى ان يكون فيها نفع وفائدة . وهذه الملاحظة يجوز اطلاقها لا على الطائفة الارثوذكسية في سوريا فقط بل على جميع الطوائف الاسلامية والمسيحية في كل البلاد الشرقية

والمراد بها تسهيل سبيل العلم للنابغين وذوي المواهب ليرتقوا ويرقوا وطنهم معهم . فانه اذا كان لا سبيل لنا الى جعل التعليم الزامياً لاسباب سياسية وغير سياسية ولم يكن في وسعنا تعميم المدارس والانفاق عليها عن سعة لتزهو وتثمر ثمراً جيداً فلا اقل من ان نصنع ما في

وسعنا صنعه لئلا يقال فينا

ولم ارَ في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

واقتراحنا الذي نقترح العمل به على جميع الطوائف السورية وفي جملتها الكرسي الانطاكي الارثوذكسي هو

يوجد دائماً في المدارس الابتدائية وغير الابتدائية تلامذة ممتازون عن رفاقهم بانخفاض الجناح وحسن السلوك وشدة النباهة والرغبة في العلم · وعلى الغالب يكون هولاء التلامذة من الوسط او فقراء لا يملكون خبز يومهم · فاذا زرت مدرستهم شهدت معلمهم ينظر اليهم من حين الى حين باسماً منشرح الصدر واذا سألته عن سبب ابتسامه ذكر لك شدة نباهتهم وحسن سيرتهم وسريرتهم ثم يقول متأملاً متوجعاً : ولكنهم مساكين فقراء لا يستطيعون اكمال دروسهم ولو اكملوها لاصبحوا في المستقبل رجالاً يُفتخر بهم

لكن اذا انقضت عدة سنين وسألت عن هولاء التلامذة النجباء الذين كانوا يتلهبون ذكاء ورغبة في العلم وجدت اكثرهم ان لم يكن كلهم في الاسواق يحترفون حرف آبائهم وقد ذهب ما كان في وجوههم من لوائح النجابة والنباهة واصبحوا قلما يمتازون عن رفاقهم الاردياء بشيء

فما سر هذا الانقلاب ؟ السر واضح جلي وهو ان اولئك التلامذة النجباء الذين خُلقوا ليكونوا رجالاً وربما رجالاً عظاماً قد قتل الفقر مواهبهم وخنقت قلة وسائل التربية استعدادهم فخسرهم وطنهم واهلهم

فنقترح الآن ما يمنع هذه المواهب ان تُقتل وهذا الاستعداد ان يخنق وهو ان تُنشأ مدرسة كبرى مجانية على نفقة صاحب الشان تكون صحيحة التربية والتعليم وفيها المعلمون الاكفاء لوظائفهم · ثم يعلن صاحب هذه المدرسة اساقفة جميع الابرشيات انه يطلب منهم ان يرسلوا اليه من مدارس ابرشياتهم كل تلميذ يمتاز عن رفاقه بالرغبة والعلم وحسن السيرة سواء كان غنياً او فقيراً · فيجتمع لديه من جميع الابرشيات نحو ثلاثين ولداً او اربعين على الكثير · فاذا ربتهم هذه المدرسة المجانية قدمت للبلاد ٤٠ رجلاً كبيراً نافعاً مفيداً لولاها لما كانوا شيئاً مذكوراً

هذه طريقة في استطاعة جميع الطوائف السورية اتباعها اذا ارادت وعلى الخصوص كلية البلمند اذا حل هذا الاقتراح محل القبول لدى غبطة البطريرك · فقد علمنا ان تلامذة هذه الكلية سيكونون في هذه السنة ١٥ تلميذاً فقط · والذي نعلمه ان دير البلمند ذو

ايراد سنوي يكفي لنفقة مدرسة كبرى عدد تلامذتها ٣٠ و ٤٠ و ٥٠ تلميذًا . فما الذي يمنع ان يتوسع غبطة البطريرك في غرض الكلية التي اقدم على انشائها فيجعلها مدرسة « للتلامذة الفقراء النابغين » وكلية اكليريكية

ولا يخفى ان هولاء « التلامذة الفقراء النابغين » الذين يُجمعون من جميع مدارس الكرسي لتعليمهم على نفقته يكونون دماً قوياً صحيحاً يمكن صرفه بعضه او كله الى عروق الطبقة الاكليريكية بدلاً من قبول اي دم كان لافراغه في هذه العروق فلا يكون ذلك اذاً اخارجاً عن غرض هذه الكلية . وفضلاً عن ذلك فان تربية ٤٠ تلميذًا من نوابغ التلامذة الفقراء تربية صحيحة قد تكون في رأينا انفع للبلاد من فتح ٤٠ مدرسة

وغرضنا من هذا الاقتراح كما ذكرنا احياء المواهب التي تظهر تحت سماء الشرق بدلاً من تركها تموت في الجهالة او في الضيق للفقر وقلة وسائل التعليم والتربية . فرجاؤُنا من اغنياء الشرق ورؤساء اديانه ان ينظروا في هذا الامر بما هو اهل له من الامعان . وبودنا ان لا نكون كمن ينفخ في رماد والسلام

باب تدبير الصحة

والمنزل

(تاثير كأس كونياك وتاثير كاسين) — اختلف العلماء في هل ان المشروبات تساعد المعدة على هضم الطعام ام تلبك المعدة . ورغبة في حل هذا المشكل تناول الدكتور نوفو سالومون الالماني طعاماً وشرب معه قدحاً من الكونياك ثم استخرج الطعام من معدته بواسطة صناعية عند ابتداء الهضم . وفي المساء تناول طعاماً وشرب معه عدة كؤُوس صغيرة من الكونياك واستخرج هذا الطعام ايضاً فوجد ان الكاس الواحدة قد سهلت الهضم والكؤُوس الكثيرة قد لبكت المعدة ومنعتها من الهضم . ولكننا بالرغم عن شهادة هذا الطبيب نحرم الكاس والكاسين معاً لان الواحدة تجر الاثنتين وهلم جرًا . الا اننا نثني على شجاعته في خدمة العلم وذلك لاستخراجه الطعام من معدته بالوسائط الصناعية التي لا تخلو من الخطر على حياته

(تنظيف مصابيح البترول) — تنظف ربات المنازل مصابيح البترول (الكاز)

بغسلها بالماء والصابون وهو عمل صعب · واحسن منه ان تاخذ من رماد الحطب وتفرك المصابيح به بورق لين فيشرب الرماد البترول و يزيل رائحته فتاخذ قطعة قماش ناعمة وتفرك المصباح بها

(الكحول في لبن الامهات السكيرات) ثبت لعالم الماني من تجارب كثيرة ان النساء اللواتي يتعاطين المسكرات يوجد في لبنهن شيء من الكحول (السبيرتو) فربما اعتاد اولادهن منذ الرضاع على هذه الافة المهلكة فاصبحوا يستطيبونها في كبرهم · قال هذا العالم وربما كان ذلك السبب الحقيقي في ما يقوله العلماء من انتقال السكر بالوراثة من الاباء والامهات الى الاولاد

(منع البصق في الشوارع) اقترح المسيو فورتين من اعضاء المجلس البلدي في باريز ان يُمنع الباريزيون من البصق في الشوارع لانه قد ثبت ان بصاق المرضى من اكبر وسائل نقل الامراض ولاسيما مرض الصدر · ولذلك سيوضع في جميع شوارع باريز الواح كبيرة خط عليها رجاء الى المارين ان لا يبصقوا وقاية للصحة العمومية

(تقشير السمك الطريء) — اذا كان السمك طريئًا لقيت ربة البيت صعوبة كبيرة في تقشيره وتنظيفه من القشر تمامًا لان قشوره لا تخرج بسهولة · ولكن اذا غمست السمك برهة وجيزة في ماء غالٍ على النار اصبح تقشيره سهلاً جدًا

(وجع الاسنان) — كثيرون يشكون آلامًا في اسنانهم لتجوفها وتعطلها فرغبة في ازالة هذا الالم وايقاف علة الاسنان وصف الدكتور فورتيه ان يضع الانسان على مائدته زجاجة صغيرة فيها قليل من ذائب المغنيسيا" المانازيا" وفي كل مساء قبل النوم يمسح اسنانه جيدًا بفرشة مغموسة بهذه الزجاجة و يبقي في فمه شيئًا من دوائها حتى يجمد على الاسنان منه قشرة تقيها من الهياج في الليل عند اختمار الطعام وحدوث الحوامض في الفم لان هذه الحوامض هي سبب الالم · ويصف اطباء الاسنان بيكاربونات الصوده لتسكين الم الاضراس وهو دواء يشبه المانازيا المذكورة في مقاومة الحوامض مسببة الالم · وتبقى المانازيا على الاسنان مدة ٤ ساعات يكون الانسان في اثنائها مستريحًا من المه

(آلة صناعية تصنع خبزًا) تناقلت الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر خبر آلة المسيو شو يتزر التي تصنع خبزًا · وهي آلة مركبة من آلات عديدة لتنقية القمح وغسله وتنشيفه وطحنه ونخله وعجنه وخبزه · فاذا وضعوا القمح من احد جوانبها فلا يلبث ان يخرج بعد مدة وجيزة من جانبها الاخير خبزًا نقيًا حارًا · فتامل

باب الاخبار العلمية

❊ اطلاق المدافع على الغيم يمنع نزول البرَد ❊ اكتشف عالم ايطالي اكتشافاً جديداً لوقاية المزروعات من البرَد وجربه فنجح فيه . ذلك انه لاحظ الغيوم التي تكون سبب نزول البرَد فوجد لها منظراً خصوصياً يختلف عن منظر سائر الغيوم بشدة كثافتها واسودادها . فوضع مدفعاً خصوصياً في حقل يكثر فيه نزول البرَد ولما رأى الغيوم التي ينزل منها اخذ باطلاق المدافع عليها فكانت طلقة المدفع تدفع عموداً من الهواء شديداً الى تلك الغيوم فلا تلبث ان تفرقها وتخلص الزرع من شرها . ثم اعيدت هذه التجربة في حقول عديدة وُضعت فيها مدافع لاطلاق البارود فلا تتكاثف فوقها الغيوم حتى ياخذوا باطلاق المدافع عليها فيشتتوها كما يشتت الجيش القوي جيشاً ضعيفاً في ساحة القتال . ولا ريب ان هذا المبدأ سيرتقي عما هو عليه اليوم ويفيد الزراعة فائدة عظيمة . فليفتكر بذلك زراع الشرق الذين يصيبهم البرد احياناً بخسائر جسيمة خصوصاً زراع القطن في مصر وزراع الليمون في يافا وطرابلس الشام

❊ حمص مصري من ٣٠٠٠ سنة ❊ زار مصر المستر ستوارت من كلاسكو وهو زراع انكليزي فحصل فيها على حفنة من حمص مصري قديم وُجد في ناووس احد الفراعنة الذين ماتوا منذ ٣٠٠٠ سنة فاخذ هذا الحمص الى بلاده وزرعه في ارض جيدة فنبت ونما حتى بلغ علوه ٦ اقدام انكليزية مما ادهش جميع من شاهده . ولكن زهرته حمراء لا بيضاء وطول غلاف حبته ٧ او ٨ سنتيمترات وعرضها سنتيمتران . اما الحبة نفسها فهي اكبر قليلاً من الحمص الاعتيادي واميل منها الى الحلاوة . وقد كان لهذا الامر تأثير ودهشة لدى علماء الانكليز لانه من الغرابة ان تبقى جرثومة الحياة حية في حب الحمص مدة ٣٠ قرناً

❊ سبعمائة كتاب شرقي ثمنها ٤٠٠٠ جنيه ❊ توفي المسيو شامار مدير مدرسة اللغات الحية في باريز فخلف مجموعة كتب شرقية ثمينة لا مثيل لها في اوربا . فقد ساح هذا العالم في مصر وسوريا والولايات العثمانية وفارس والهند فجمع في سياحته ١١٦٠ سفراً جعلها في ٧٠٠ كتاب منها ٤٠٦ كتب عربية و٤٠٤ فارسية و٣٥٠ تركية . وقد قررت الحكومة

الفرنسوية ان تبتاع هذه الكتب بمبلغ مائة الف فرنك ولا تتركها في سوق المزاد مخافة ان يبتاعها الاجانب كما جرى بمجموعة كاترمار الشرقية التي ابتاعتها مكتبة مونيخ · وستضعها الحكومة بعد ابتياعها في مكتبة باريز الوطنية ليستخرج العلماء المستشرقون ما فيها من المعارف الشرقية الجليلة

﴿ حرب الترنسفال وعلم الفلك ﴾ قال العالم الفلكي فونفيل في احدى المجلات الاوربية ان الناس في القرن السادس عشر والسابع عشر ما كانوا انتظروا انذار البوير الانكليز بالحرب حتى يعلموا بشبوب نارها بل كانوا تنبأوا بوقوعها قبل وقوعها · ذلك ان السيارة المريخ وهي اله الحرب قد ابتدأت منذ ١١ اكتوبر تقترب من المشتري وهو اله العقل والحكمة · وفي ١١ اكتوبر كان الانذار بالحرب وهذا اتفاق غريب

﴿ بقع الشمس والثورات البركانية ﴾ نشر عالم اميركي في اواخر شهر مايو الماضي انه يتنبأ بقرب ثورة بركان هواي بين سنة ١٨٩٩ و١٩٠١ مستنداً في هذه النبوءة الى بقع بدت في الشمس ومن الغريب ان هذا البركان ثار في ٤ يوليو الماضي فتحقق بذلك قول العالم الاميركي من وجود علاقة بين بقع الشمس وثورة البراكين

﴿ كيف يكون الزواج في الترانسفال ﴾ متى اراد الشاب الزواج في الترانسفال يضع قائمة باسماء البنات اللواتي يرضى بالتزوج باحداهن ثم يهيء شيئاً من الخوخ والشمع ويركب فرسه ويبدأ بزيارة اهل البنات · فاذا وصل الى البيت الاول نزل عن جواده وتقدم الى الام فناولها الخوخ والشمع · اما الخوخ فتقبله الام دائماً واما الشمع فتفهم معناه فاذا كانت لا ترضاه صهراً لها ترد عليه شمعته فيركب جواده ويذهب في طلب ابنة اخرى · واما اذا كانت ترضاه صهراً فتاخذ الشمعة وتوقدها في الحال فيدخل الشاب الى البيت ويجلس مع الابنة ليحادثها ويعرف اخلاقها· فتغرز الام حينئذٍ دبوساً في اعلى الشمعة على بعد سنتيمتر من لهيبها وتخرج تاركة الاثنين يتحادثان · ومتى رأت هذا السنتيمتر قد ذاب تعود ولا تسمح له بان يجالس ابنتها على انفراد اكثر من ذلك · ولكن من ادراها ان الخطيبين لا يؤخران الدبوس سنتيمتراً كلما ذاب سنتمتر

﴿ قطع مسافة ميل باقل من دقيقة ﴾ قطع المستر مورفي الاميركي وهو راكب دراجته مسافة ميل واحد (١٦٠٩ امتار) بنحو ٥٧ ثانية واربعة اخماس الثانية وهي سرعة غريبة اهتم بها العلماء لعلاقتها بمسالة مقاومة الهواء فضلاً عن تقريب البعد

باب التقريظ والانتقاد

(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) — وردنا كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لمؤلفه العلامة شمس الدين ابي عبدالله محمد بن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هجرية وهو آخر كتاب نشرته شركة طبع الكتب العربية بعد الكتب المفيدة التي تقدم لنا تقريظها في الاجزاء الماضية · وموضوع هذا الكتاب معروف من عنوانه وهو السياسة الشرعية واصول القضاء الشرعي وثمنه ١٣ غرشاً مصرياً عدا اجرة البريد ويطلب من ادارة المؤيد في القاهرة او من وكلائها في الجهات

وليس لنا غنى في هذا المقام عن تكرار الثناء على هذه الشركة النافعة التي توالي عملها المفيد من نشر كتب علماء العرب الاعلام التي لولاها لبقيت مدفونة في زوايا المكاتب الكبيرة او كثيرة الثمن لاتصل اليها ايدي جميع الذين يحبون المطالعة والاستفادة فنحن نهنئها بنجاحها ونرجو لها الثبات على هذه الخطة الجليلة

(تذكار الصبا) — ما نقلنا في الجزء الاول من هذه المجلة شيئاً من شعر فقيد الادب العربي الكاتب المجيد والشاعر الشهير الشيخ نجيب الحداد بعد وفاته بزمن قصير حتى تناقلته بعض الصحف العربية في مصر واميركا والشام كأن شعره الدر يلتقطه الادباء كلما عثروا عليه · وقد ذكرنا هذا الامر للدلالة على مبلغ ما يكون قد بدا من ارتياح الادباء الى ديوان « تذكار الصبا » الذي صدر في منتصف الشهر الماضي وفيه كثير من شعر الفقيد رحمه الله · اصدرته حضرة الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه منشئة مجلة انيس الجليس الغراء وصدرته برسم الفقيد وقد ذيلته ببيتين نظمهما رحمه الله في زمن اعتلاله وهما

قد كان لي جسم رسمت خياله   حرصاً عليه قبل يوم زواله
واليوم اوشك ان يزول من الضنى   فانا لكم اهدي خيال خياله

وكان الفقيد قد شرع في طبع هذا الديوان في حياته وجعله هدية لحضرة رصيفتنا الفاضلة ناشرة هذا الديوان وفي ذلك يقول من قصيدة في صدر الكتاب

قد ضلَّ قوم باهداء القريض الى   ارباب مال وليس المال من شاني
وانتِ غادة خدر قد جمعت لنا   حسن الفتاة الى همات فتيان

اهديك شعري فاهدي في مجانسة غصن البيان الى غصن من البان

وشعر هذا الديوان غني بمحاسنه وشهرة قائله عن كل ثناء وتقريظ · فنثني على حضرة ناشرته الفاضلة ونكرر طلب الرحمة للفقيد والاسف على انقصاف غصن شبابه قبل ادراكه تمام البلوغ

والديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة جريدة البصير الغراء ويطلب من ادارة مجلة انيس الجليس وثمن النسخة فرنكان ونصف

(النبراس) — جريدة اسبوعية اصلاحية تهذيبية عمرانية لمنشئها حضرة الكاتب المجيد نجيب افندي الجاويش · صدر العدد السادس عشر منها بعد انقطاعها مدة لاسباب خصوصية فظهرت نبراساً في عالم الادب كما كانت من قبل · وفي هذا العدد مقالات مفيدة مصدرة بمقالة عنوانها « كن كيف شئت ولا تكن صحافياً في الشرق » فنرجو للنبراس دوام الاشراق ونتمنى له الثبات والانتشار

وهو يصدر في القاهرة وقيمة بدل اشتراكه ٦٠ غرشاً مصرياً في داخل القطر و١٥ فرنكاً في الخارج

(سلاسل القراءة) — اهدت الينا المطبعة الادبية في بيروت لمديرها حضرة المفضال عزتلو خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال الاغر كتاب السلسلة الرابعة من سلاسل القراءة التي تصدر في ادارتها فتصفحناه تصفح من يروقهم الوقوف على كتب مدرسية كهذا الكتاب في النفع والسهولة · وقد الف هذا الكتاب على اسلوب مستحدث وغرض حضرة المؤلف « اولاً تمرين اللسان والشفاه وثانياً تهذيب العقل بحيث يتسنى للتلميذ الحدث ان يعي شيئاً مما يقرأه ويُعنى به » ونزيد على ذلك ويستفيد به · لان هذا الكتاب مع ضبط شكله وسهولة مأخذه حاوٍ فصولاً مفيدة في شرح الامور الطبيعية مثل المطر والهواء وسقوط الثلج والزوابع وفصولاً في ذكر الابحار والانهار والشهب والممالك والمقاييس والموازين وفي ختامها فصول في تدبير الصحة · فاذا اتى عليه التلميذ اصبح عالماً بكثير من الحقائق الطبيعية التي قد يجهلها كبار التلامذة وفي ذلك من الفائدة ما لا يخفى · فنحث مديري المدارس والمعلمين على تدريس هذا الكتاب فانه ربما فضل كثيراً من الكتب التي بين ايديهم · وهو يطلب من المطبعة الادبية في بيروت

لدينا تقاريظ كثيرة ضاق عنها هذا الجزء فموعدنا بها الجزء القادم

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

☀ المولد السلطاني والجلوس الخديوي ☀ احتفلت الامة العثمانية في ١٩ الماضي بتذكار مولد جلالة مولانا السلطان الاعظم اطال الله عمر جلالته ووفقه الى خير البلاد والعباد

وتحتفل الامة المصرية في ٨ الجاري بتذكار الجلوس الخديوي اعاده الله على سمو الامير المعظم بالعز والهناء

☀ حاكم السودان ☀ صدر الامر العالي بتعيين الجنرال ونجت باشا سردارًا للجيش المصري وحاكمًا عامًا للسودان مكان سعادة اللورد كتشنر باشا الذي سافر الى الترانسفال كما ترى ذلك في اخبار الحرب

☀ زوال الطاعون ☀ رفعت الدولة العثمانية في ٢٧ الماضي الحجر الصحي عن واردات القطر المصري لزوال الطاعون من الاسكندرية وسلامة القطر كله . وبهذه المناسبة نروي نكتة عن الطاعون لاحد مشتركي الجامعة في احدى ولايات سوريا وهو دكتور . فانه اول ظهور الطاعون في الاسكندرية وذلك منذ بضعة شهور قطع اشتراكه في الجامعة مخافة ان تنتقل اليه جراثيم الطاعون بواسطتها .... فاذا كان الاطباء يخافون هذا الخوف فلا لوم اذًا على البسطاء

☀ تذكار كريم ☀ احتفلت الطائفة السورية الارثوذكسية وجمعيتها في صباح الاحد ٣١ الماضي بقداس وجناز عن نفس المأسوف عليه المحسن الشهير المرحوم سمعان كرم في الكنيسة السورية الارثوذكسية في الثغر . وهو التذكار السنوي الذي رتبته الجمعية اعترافًا بما كان للفقيد رحمه الله من الايادي البيضاء على الكنيسة والطائفة فنكرر هنا طلب الرحمة لنفسه الكريمة ونردد فيه قول كريم العرب

اماويَّ ان المال غادٍ ورائح ... ويبقى من الاحاديث والذكرُ
اماويَّ ان يصبح صداي بقفرة ... من الارض لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ
ترى ان ما انفقت لم يك ضرَّني ... وان يدي مما بخلت به صفرُ

(خارجية)

حرب الترنسفال — زحفت في هذا الشهر ثلاثة جيوش انكليزية على البوير للافراج عن لاديسميث وكمبرلي ومفكنج ورد البوير عنها الواحد بقيادة الجنرال جاتاكر والثاني بقيادة الجنرال مثوين والثالث بقيادة الجنرال السر ردفرس بولر القائد الانكليزي العام . فردها البوير على اعقابها بحمية غريبة ادهشت العالم لقلة عدد هذا الشعب وعدم تمدنه تمدناً تاماً. فدوى خبر انكسار الجنرال بولر القائد العام في اوربا كلها وعرفت الحكومة الانكليزية انها في حرب كبيرة لا صغيرة فولت القيادة العامة في الحرب للمرشال روبرتس قندهار وجعلت اللورد كتشنر باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام سابقاً رئيساً لاركان حربه واخذت تستعد لارسال نجدات جديدة الى ساحات القتال حتى يبلغ عدد جنودها في افريقيا فوق المائة الف جندي . واللورد روبرتس واللورد كتشنر يمخران الآن عباب البحر قاصدين ساحة القتال

اما اللورد كتشنر فمعروف لدى القراء . واما اللورد روبرتس فهو من اصل ايرلندي وهو القائد العام لجيوش ايرلنده ولد سنة ١٨٣٢ فهو الآن شيخ يكالله الشيب وله حروب في الهند اعلت شانه العسكري . اهمها حربه في افغانستان سنة ١٨٨٠ يوم عين لقيادة الجنود الانكليزية في افغانستان في احوال كالاحوال التي عين فيها اليوم . فان الامير ايوب خان الذي كان مطالباً بالامارة هزم في تلك السنة الجنرال بيروس الانكليزي فلجأ هذا الجنرال الى قندهار في جنوبي افغانستان وتحصن فيها فحصره الامير ايوب خان وكاد يفتك به وبجنوده لو لم يسر الجنرال روبرتس الى نجدته بتسعة الاف جندي فيرد الامير ايوب خان عن قندهار وينتصر عليه انتصاراً عظيماً رن صداه في اوربا كلها . فكافأته الملكة عقيب هذه الحرب بمنحه رتبة مارشال ولقب لورد . واليوم يؤمل الانكليز ان يفعل اللورد روبرتس في لاديسميث ما فعله في قندهار

ومما هو جدير بالذكر ان اللورد روبرتس عين في سنة ١٨٨١ والحرب مضطرمة بين انكلترا والترانسفال قائداً عاماً في جنوبي افريقيا ولكنه ما وصل الى ساحة القتال حتى عُقد الصلح بين المتحاربين . فيتفاءل الآن محبو السلم خيراً بتعيينه لعل الصلح يُعقد هذه المرة ايضاً حين وصوله الى افريقيا وتُحقن الدماء

ومهما يكن من الامر فان انكلترا قد خسرت بانخذالها الوقتي في هذه الحرب بعض ما

كان لها من المهابة في قلوب الاقوياء والضعفاء واختتم البوير القرن التاسع عشر بتمثيلهم امام اعيننا بسالة الرومانيين القدماء

﴿ تكرار الشكر — صدور الجامعة في آخر الشهر ﴾

نكرر الشكر لحضرات الاصدقاء والمعارف والقراء الذين لا يزالون يلطفون حزننا بتعازيهم ورسائلهم اللطيفة ونسأل الله ان لا يريهم مكروهاً ثم نعتذر الى حضراتهم لعجزنا عن المجاوبة عن جميع الرسائل التي وردتنا لكثرتها ونرجو من فضلهم ان يعتبر كل منهم هذه الاسطر بمثابة رد خصوصي له والكريم من عذر . وقد ذكرنا سهواً في الجزء الماضي ان وفاه فقيدنا كانت في ٣٠ ستمبر والصواب ٣٠ نوفمبر ولما كان هذا المصاب قد اثر في صحة منشئ الجامعة فضلاً عن اشتغال باله وزيادة اشغاله فقد اضطررنا الى اعلان حضرات المشتركين الكرام اننا سنصدر الجزء ٢١ و٢٢ معاً في آخر الشهر الجاري والجزء ٢٣ و٢٤ معاً ايضاً في آخر الشهر الذي يليه حتى لا يفوت حضرات المشتركين شيء من حقوقهم وتخمد ثورة الافكار التي اثارها وقع المصاب . وبعد الجزء ٢٤ تبتدئ سنة الجامعة الثانية فتبرز حينئذٍ بالحلة الجديدة التي اعلنا عنها في الماضي مرتين في الشهر حسب العادة . فرجاؤنا من حضرات القراء المعذرة لهذا التغيير الوقتي الذي اوجبته ظروفنا الحاضرة التي عرفوها والعذر من شيم الكرام والسلام

﴿ داود ابرهيم عبده ﴾ نعي الينا من القدس الشريف الطيب الخصال المرحوم داود ابرهيم عبده والد حضرات الخواجات سابا عبده واخوانه . توفاه الله عن ٧٠ عاماً قضاها بالنشاط والصلاح فنتقدم الى جميع آله وانسبائه بكلمات التعزية ونسأل الله للفقيد الرحمة والرضوان

﴿ تعزية ﴾ نعزي حضرة رصيفنا الفاضل مصطفى افندي واصف مدير جريدة الشام الغراء بفقد اخيه المأسوف عليه المرحوم عمر افندي واصف ونسال الله ان يتغمد الفقيد بالرحمة والرضوان

﴿ هزل وجد ﴾

نشرت رصيفتنا جريدة المناظر التي تطبع في البرازيل في عددها الاربعين مقالة عنوانها « لو كنتُ لكنتُ » قال كاتبها انه لو كان متصرفاً لجبل لبنان « لكان يقرب اليه

الافاضل ليسمو قدر الفضيلة » ولو كان عضوًا في مجلس ادارة لبنان لكان يصنع « كل ما يعود بالخير على الوطن » ولو كان بطريركاً لاتفق مع باقي بطاركة المسيحيين « على تخصيص جزء من دخل الاوقاف لاجل انفاقه في سبيل التعليم» ولو كان صاحب جريدة في لبنان لقال الحق وما رهب غضب الموظفين . ولو كان ولو كان . الى ان قال :

« ولو كنت موسرًا مثل الكثيرين لكنت اشترك بخمسين نسخة من مجلة « الجامعة العثمانية » واطلب ان تُرسل الى خمسين شيخًا من شيوخ القرى الكبيرة في لبنان واطلب الى الشيوخ ان يبيحوها الى كل من يريد مطالعتها » انتهى

نقول . ولكننا نقول باسف للفاضل صاحب هذا التمني انه « لو كان موسرًا » كما تمنى لشغله ايساره عن العلم والادب وكل ما يعزى اليهما فليكن راضياً بحاله فانها خير له واقرب الى الادب وذويه

هذا اولاً . اما ثانياً فباسف نقول له ايضاً ان الجامعة لا تستطيع الآن قبول اشتراكه في خمسين نسخة منها لان ما يُطبع منها الآن لايكاد يكفي مشتركيها فنضطر والحالة هذه الى زيادة المطبوع الآن وهو امر صعب لقرب نهاية السنة الاولى اونضطر الى تاجيل اشتراكه الى السنة القادمة ...

قلنا هذا على سبيل المزل ولكن نقول فيما يلي قولاً جدياً وهو :

بما ان عدد المشتركين في هذه المجلة قد تزايد في الاشهر الاخيرة عن عدد الاجزاء التي تطبع من الجامعة حتى انه لم يبقَ في الادارة من الاجزاء الصادرة الى الآن ما يجب علينا حفظه من السنة الاولى فقد اضطررنا على اسف منا ان لا نعتبر كثيرًا من طلبات الاشتراك الجديدة التي تردنا الا من تاريخ وصولها الينا لان اجزاء السنة الاولى قد نفدت من الادارة . هذا عذرنا وسنصلح هذا الخطأ في السنة الثانية فنضاعف عدد المطبوع من الجامعة ان شاء الله واذا اقتضت الحال اعدنا طبع السنة الاولى ارضاء لطلابها

ولما كانت اجزاء الجامعة قليلة عندنا الآن الى هذا الحد وجب علينا ان ننبه فريقاً من حضرات القراء الى ذلك ليعلموا حاجتنا اليها فلا يتأخروا عن وفاء حقوق المجلة والا تصرفنا مع الاسف باجزائهم وطالبناهم بشدةٍ بما عليهم من الحقوق . وهذا القول مسوق لفريق قليل نخاطبه هنا تلميحاً وعلى ظهر المجلة تصريحاً . فنوجه انظار هذا الفريق الى اعلان على ظهر المجلة

الفصل الرابع عشر

(السلطات الثلاث)

كان بيلو يسير نحو الباستيل في مقدمة جمهور الشعب وهو يفكر بالامر العظيم الذي اقدم عليه . فادرك بعد التفكير صعوبة العمل ورأى حقناً لدماء الشعب ان يذهب الى المجلس البلدي قبل مهاجمة الباستيل

فتبعه الشعب لانه اصبح عظيم الثقة به فوصل بيلو الى الاوتيل دي فيل ووراءه نحو ٣ او ٤ الاف رجل

فدخل بيلو الى قصر المجلس وسأل عن اسم الرئيس . فقيل له انه المسيو دي فلاسيل (١) فقال في نفسه : اذن هو من اعداء الشعب لانه على ما يظهر من الاشراف . ثم قال لمن حوله : احب مقابلته . فاجابوه ان الرئيس مشغول الآن مع الاعضاء بوضع مشروع جديد لتنظيم جندرمة جديدة . فقال لهم بيلو . لقد كان قدومي اذاً في حينه فان معي هنا الوفاً للتجنيد ولا ينقصها غير الاسلحة

وكانت هذه الالوف التي تتبع بيلو تجعله مرهوب الجانب لدى كل من رآها فدخل بعض رجال المجلس وابلغوا الامر الى المسيو دي فلاسيل فامر بادخال بيلو اليه

ولما اصبح بيلو بازاء دي فلاسيل تفرس فيه هذا فبادره بيلو بالسؤال قائلاً : أأنت المسيو دي فلاسيل رئيس المجلس

فقال فلاسيل انا هو ولكن اسرع في تبيان غرضك فان وقتي قصير

فقال بيلو احب ان اسألك كم سلطة في فرنسا اليوم يا مسيو دي فلاسيل . فاجاب الرئيس هذا سؤال قد يصعب الجواب عليه . انك اذا سألت المسيو دي بالي اجابك انه ما من سلطة غير سلطة المجمع لوطني . واذا سألت المسيو دروز بريزه اجابك ما من سلطة غير سلطة الملك

فقال بيلو وانت ما رأيك في صاحب السلطة اليوم . فقال دي فلاسيل اما انا فارى

---

(١) دي فلاسيل — هو جاك دي فلاسيل آخر روساء تجار باريز ويقابله رئيس المجلس البلدي في هذه الايام . ولد سنة ١٢١١ ومات سنة ١٧٨٩ بطريقة سيرد تفصيلها في الفصول الاتية

ان السلطة للامة · وبما انك قد سألتني واجبتك فقد جاءت نوبتي في السؤال ونوبتك في الجواب · فقل لي من تقصد من اصحاب هذه السلطات الثلاث

فقال بيلو اقصد الملك · قال وماذا تطلب منه · قال اريد ان يصدر امرًا باطلاق سبيل الدكتور جيلبار

فقال الرئيس العله ذلك الكاتب الذي سجن من اجل الكراس · قال نعم وهو فيلسوف شهيد الحرية · قال لا تطمع في ان يستقبلك الملك فانه مشغول عنك · قال اقصد المجمع الوطني اذًا واطلب منه الافراج عن الدكتور · قال ولكن طريق فرساليا مسدودة والجنود تحرسها · قال اذهب بهذه الالوف التي معي · قال فالجنود تفرقها بالقوة · فقال بيلو اذًا اترك الملك والمجمع واقصد الامة فافتح بها باب الباستيل واستولي عليه

فرفع دي فلاسيل راسه وقال تستولي على الباستيل وباي شيء يتم لك ذلك · فقال بما في اقبيتك من براميل البارود مر بتسليمها الينا · فقال دي فلاسيل اظنك تمزح في كلامك

فدنا عند ذلك بيلو من الرئيس وقبض عليه بكلتا يديه من طوقه وقال · كلا لا امزح اعطني مفاتيح الاقبية والا استدعيت رجالي بالحال

فامتقع وجه الرئيس وظهرت فيه لوائح الغيظ ولكنه كظم ما في نفسه وقال له : تصنع حسنًا باراحتي من هذا البارود فانني في خوف دائم من ان ينفجر فيؤذي بالمجلس · انزل وتصرف به كما تشاء

فتركه بيلو ثم قال تشجعني على طلب آخر · قال ماذا تريد · قال اتعرف حاكم الباستيل · قال اسمه المسيو دي لوناي وهو صديقي · فقال بيلو اذا كان صديقك فلا بد انك تكره ان تصيبه مصيبة · فقال دي فلاسيل نعم اكره ذلك · فقال بيلو · فاكتب اليه اذًا ان يسلمني اما الدكتور جيلبار واما الباستيل

فقال دي فلاسيل بهدوء انك تعلم انني اذا طلبت ذلك منه فهو لا يجيبني · قال دع هذا اذًا واكتب لي اذنًا بالدخول الى الباستيل

فقال دي فلاسيل اكتب لك هذا الاذن ولكن اعلم انك تدخل وحدك · قال اعلم · قال واعلم ايضًا انك اذا دخلت الى الباستيل فربما لا تخرج منه ابدًا · قال اعلم ذلك ولكن ورائي الوفًا تخرجني اكتب الامر ياسيدي · فاخذ المسيو دي فلاسيل قلمًا وكتب بعد الحاح بيلو ما ياتي :

« حضرة حاكم الباستيل

« نحن رئيس المجلس البلدي في باريز نرسل اليك المسيو بيلو ليخابرك بامور تتعلق بالمدينة

١٤ يوليو ١٧٨٩ « دي فلاسيل »

ثم ناول هذه الورقة الى بيلو فقال ارجوك ان تقرأها لاني اجهل القراءة . فقرأها دي فلاسيل عليه وما اتى على آخرها حتى صاح صائح من ورائه قائلاً : بقي عليك ذيل يادي فلاسيل . فالتفت دي فلاسيل وقال من هذا . فقال القادم انا مارات

فصاح بيلو مارات الفيلسوف والطبيب . قال مارات نعم انا كما تقول . خذ القلم يادي فلاسيل وضع الذيل الذي امليه عليك

فنظر اليه دي فلاسيل بعينين متقدتين غيظاً وساله ما هذا الذيل . قال هو هذا « ان اخانا بيلو رسول وما على الرسول الا البلاغ فحياته مطلوبة من ذمتك وشرفك »

فذيل دي فلاسيل كتابه بهذين السطرين والقاه الى بيلو . ثم طلب منه ان لا يبدأ باخراج البارود من الاقبية قبل سفره خوفاً من الانفجار . وبعد ذلك نزل سلم القصر وركب مركبته وقبل مسير المركبة صاح بالسائق — الى المجمع الوطني . وقد قصد بذلك ايهام الشعب المجتمع حول المجلس انه يقصد المجمع الوطني فصفقوا جميعاً تصفيق الارتياح والاستحسان اما مارات فنظر اليه قبل ان يغيب عن البصر وقال لبيلو : اقسم براسي ان هذا الرجل يسير لا لمقابلة المجمع الوطني بل الملك

فقال بيلو اتريد ان امر بالقاء القبض عليه . قال دعه الآن فانه لا يهمنا في مستقبل فقال بيلو فلنهتم الآن اذاً بتوزيع البارود على الرجال

الفصل الخامس عشر

(امام الباستيل)

ثم نزل الاثنان الى اقبية القصر فتبعها الشعب يطلب البارود وكان بيلو قد نظمه تنظيم الجنود اي جعل لكل فريق منهم روساء يقودونهم فمنع الروساء تزاحم الشعب على الاقبية . وكان البارود موضوعاً في براميل صغيرة سعة كل واحد منها ٢٠ ليبرة فاصطف جماعة من الرجال من داخل الاقبية الى خارجها يناول بعضهم بعضاً تلك البراميل ويخرجونها لتوزيعها على المنتظرين

وكان اعضاء المجلس البلدي مجتمعين في ذلك الوقت يبحثون في تنظيم جندرمة

جديدة يسمونها الحرس الوطني (غارد ناسيونال) وقد اختلفوا في من يجعلونه قائداً لهذا الجند الجديد واذا بالمسيو دي فلاسيل عائد في مركبته مسرعاً . وكان السبب في رجوعه ان الجنود التي كانت تحرس طريق فرسايل حيث يقيم الملك منعته من المرور واكرهته على الرجوع

وكان الشعب قد اخذ ما اخذ من البارود ولكن البارود بلا سلاح لا يغني شيئاً . فلما ابصروا المسيو دي فلاسيل راجعاً صاحوا به من كل جانب . نطالب سلاحاً نطالب سلاحاً

فقال المسيو دي فلاسيل السلاح موجود في الترسانة فصاح الجمع هلموا الى الترسانة

فذهبوا ولكنهم لم يجدوا شيئاً فعادوا يرغون و يزبدون

فقال لهم دي فلاسيل ربما وجدتم سلاحاً في دير الشارتره . فقصدوا الشارتره وفتشوه فلم يجدوا فيه آلة جارحة . وفي اثناء هذا الوقت كان بيلو ومارات لا يزالان في الاقبية يخرجان البارود فاجتمع دي فلاسيل باعضاء المجلس واقترح ان يرسلوا الى حاكم الباستيل وفداً يسالونه ان يرفع المدافع عن اسوار الباستيل اطفاء لثائرة الشعب وارضاء له

ذلك ان الشعب كان شديد السخط على تلك المدافع التي كانت تبرز فوهاتها من فوق جدران الباستيل الشاهقة كأنها تهديد دائم للشعب . فحسب دي فلاسيل انها اذا سُحبت الى الداخل سكت الشعب وخمد غضبه

فاجابه الاعضاء الى هذا الاقتراح وارسلوا هذا الوفد

واتفق عودة الشعب من الشارتره في هذا الوقت وهم يرغون ويزبدون و يطالبون سلاحاً . فحاول دي فلاسيل تسكين خواطرهم بان اقترح عليهم ان يصدر امراً بصنع الفاً من الحراب والرماح على عجل

فنظر اليه مارات بغيظ وقال لبيلو والذين حوله لا ريب ان هذا الرجل يغشنا . اذهب يا بيلو برجالك الى الباستيل وسارسل اليك بعد زمن قليل عشرين الف رجل مسلح

وكان بيلو قد سمع قبل اليوم باسم مارات (١)فان شهرة هذا الرجل لدى العامة كانت



(١) مارات — هو جان بول مارات الكاتب المشهور بتطرفه وشدة تاثيره على العامة ابان الثورة الفرنسوية . كان يحرر في ذلك الزمان جريدة « نصير الشعب » و يحرض فيها العامة على القتل والتطرف وكان يقول في جريدته انه لا تصلح امور فرنسا حتى تقطع ٣٠٠ الف راس من رؤوس رجالها الاشراف . وكان اكبر المحرضين على فتح الباستيل . ولد في سنة ١٧٤٤ وسيرد تفصيل الكلام عن اعماله الغريبة ابان الثورة في الاجزاء القادمة

عظيمة جداً وتاثيره عليها اعظم · فعلم بيلوانه ممن اذا قالوا فعلوا · فجمع من كان مسلحاً من جماهير الشعب واستعد للمسير بهم الى الباستيل

اما مارات فوقف على مكان مرتفع وصاح : انا مارات اسمعوا لي كلمتين

فانصت الجميع بسرعة غريبة واصغوا اليه فقال لهم : تطلبون سلاحاً · فاجابت الالوف المجتمعة نعم نريد سلاحاً · فقال مارات · اتبعوني تجدوا ما تطلبون هلموا الى الانفاليد · ونزل للمسير في مقدمتهم

وكان دي فلاسيل يرى الجماهير من نافذة القصر وقد استعدت للسير فصاح بهم ايها الاخوان ما هذه الاوراق الخضراء التي في قبعاتكم

فوقف الشعب ملتفتاً الى الرئيس وكانت الاوراق المذكورة هي اوراق الشجر الخضراء التي وضعوها في قبعاتهم يوم حادثة كاميل دي مولين

فاجابته جماهير الشعب : انها رمز الى الامل

فقال الرئيس نعم ولكن الاخضر هو لون الكونت دارتوى وشعاره كما تعلمون · فهل تحملون شعار الامراء

فصاح الشعب لا لا · فقال دي فلاسيل فاحملوا اذاً ايها الاخوان شعار مدينتنا وامنا باريز وهو اللون الابيض والاحمر

فصرخ الجميع نعم نريد شعار باريز الابيض والاحمر · ثم اخذ الجميع الاوراق الخضراء من قبعاتهم وداسوها باقدامهم (١)

فانفتحت عند ذلك نوافذ المنازل التي فوقهم بسرعة غريبة ووقعت منها شرائط وحمائل بيضاء وحمراء فتخاطفها الشعب وجعلوا قطعها في قبعاتهم · ولكنها كانت غير كافية لالف

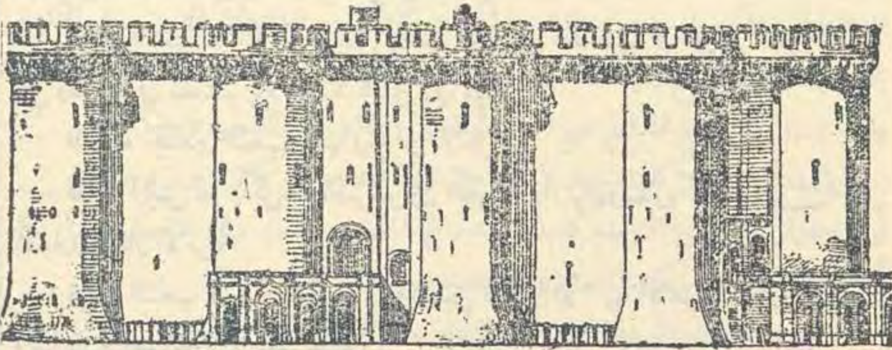
---

(١) هذا هو اصل الراية الفرنسوية المثلثة الالوان · و بعد زمن قصير لاحظ الجنرال دي لافاييت الذي حارب في اميركا مع واشنطون لتحرير اميركا وسيرد الكلام عليه مع رسمه فيما يلي — ان اللون الازرق واللون الاحمر هما شعار اسرة اورليان فاضاف اليهما اللون الابيض فاصبح شعار حكومة الثورة الالوان الثلاثة : الابيض والازرق والاحمر وهي الوان الراية الفرنسوية الآن · وقد قال لافاييت كلمة شهيرة يوم اشار باضافة اللون الابيض اليها وهي : « انني اعطيكم الآن شعاراً سيطوف الكرة الارضية كلها » وصدق فان حروب فرنسا في هذه المائة سنة قد نشرت الراية الفرنسوية المثلثة الالوان في جميع اقطار العالم

منهم . فنزعت ستائر النوافذ وحلل الحرير وسواها فمزقت والقيت اليهم فتخاطفوها واتخذوا منها شعارهم

وبعد ذلك ساروا وهم فريقان فريق يلحق بمارات وهو يقصد الانفاليد في طلب السلاح وفريق يلحق ببيلاو وهو يقصد الباستيل . وكان عدد هولاء ٥٠٠ او ٦٠٠ رجل

ولكنهم قبل ان يصلوا الى الباستيل انضم اليهم اشد العامة تحمساً في الازقة المؤدية الى شارع سانت انطوان . واتفق وصولهم الى الباستيل عند وصول نحو مائة من جند الحرس الفرنسوي اليه مع جمهور آخر من العامة اتت من شارع سانت انطوان



لقينا عناء كثيراً في التفتيش عن رسم الباستيل لوضعه تحت انظار القراء لانه قد هُدم منذ بدء الثورة ولكن فزنا بعد تفتيش كثير في مكاتب اوربا ومصر بوجود رسمين في احدى الانسيكلوبيذيات هذا احدها وهو يمثل جدران الباستيل من الخارج . والرسم الثاني في ختام هذا الفصل

وكان امام جدران الباستيل فريق من الشعب واقفاً بعضهم ساخطون وبعضهم متخوفون فلما وصلت هذه الفئات الثلاث زاد الساخطون سخطاً واجترأ المتخوفون فاخذ الناس ينظرون شزراً الى المدافع البارزة فوق اسوار الباستيل ويتهددونها بقبضاتهم صارخين . — فلتسقط المدافع . فلتسقط المدافع

واتفق في هذا الوقت ان اعناق المدافع سُحبت وغابت في نوافذ الباستيل . فصفق الشعب وهتف هتاف الفرح والابتهاج ظناً منه ان المدافع سُحبت ارضاء له واصبح اشد جراءة وتحمساً

وكان بعض حرس الباستيل يخطر على اسواره ذهاباً واياباً وكان من السويسيين فابصره الشعب فصار يصرخ : فليسقط السويسيون

وكأن واحداً من الشعب ملّ الصراخ فاخذ بندقيته واطلقها على الحارس . فوقع وصاصها على اعلى جدار الباستيل قرب المكان الذي كان يمر الحارس به ففتت الحجر ولكن الحارس لم يلتفت اليه كأن الرصاص لم يطلق عليه

اما الشعب فهاله لاول وهلة اطلاق النار على الباستيل . وكانت هذه الطلقة الاولى . فاخذوا يتجادلون ويتباحثون . وكثيرون منهم افتكر عند اطلاق النار على الباستيل انه جرم عقابه الاعدام

واما بيلو فكان ينظر الى تلك الاسوار الشاهقة التي امامه فخيل له ان الباستيل وحش هائل كالوحوش القديمة المصفحة بالحراشف القوية . ثم جعل يعد نوافذه التي تبرز منها فوهات المدافع وثقوبه التي تطلق منها البنادق كانها عيون للباستيل يرى بها اعداءه . فازداد علماً اذ ذاك بصعوبة الامر الذي اقدم عليه

وكان مارات قد وعده بارسال ٢٠ الف رجل مسلح كما مرّ بنا فوجد بيلو تحت اسوار الباستيل بين الجمع رجلاً وعده بارسال ٣٠ الفاً اخرى . وهذا الرجل هو كونشون المسمى بميرابو الشعب . فان مارات اوصى بيلو بالاعتماد على هذا الرجل لشدة تاثيره على العامة فطلبه بيلو ووجده فشجعه كونشون وودعه ليرسل اليه الوف الرجال ووعده انه ياتيه بهم قبل خروجه من الباستيل ومقابلته حاكمه

ثم سار كونشون في طريقه ودخل بيلو الى الباستيل لمخابرة الحاكم والشعب هائج مائج كانه البحر العجاج المتلاطم بالامواج

وكان بيتو يتبع بيلو فامره بيلو ان ينتظره خارج الباستيل لتذكير الشعب به اذا ابطأ ولم يخرج لشر يصيبه في داخل الباستيل

وكان امام مدخل الباستيل ووراءه جنود يحرسون الطريق وهي تؤدي الى مستقر حاكم الباستيل المسيو دي لوناي . فاظهر بيلو للجنود التذكرة التي كتبها له دي فلاسيل فتركوه يمرّ فسار حتى وصل الى الحاجز الحديدي الداخلي فوجد وراءه المسيو دي لوناي واقفاً

وكان المسيو دي لوناي حاكم الباستيل كهلاً بين الخامسة والاربعين او الخمسين سنة وكان في ذلك اليوم مرتدياً بثوب كتاني رمادي ولابساً شعار وسام سان لويس وهو يحمل في يده عصا في داخلها نصلة كبيرة شبيهة بالسيف . وكان هذا الرجل سيء الخلق من حيث المال فانه كان اشد الحكام الذين تقدموه عناية بجمع المال . وقد كان راتبه السنوي

٦٠ الف فرنك فكان يضيف اليها ٦٠ الف اخرى ياخذها رشوة من اية طريق اتت وكان للمسجونين في ذلك السجن الهائل تعزية جميلة وهي حديقة صغيرة كانوا يتنزهون فيها فلما اتى دي‌لوناي اجر هذه الحديقة رغبة في قليل من المال فحرم المسجونون نور الشمس وهواء السماء · وكان شديد العناية بالسجناء الاغنياء لانهم يشترون راحتهم باموالهم فربما اعطاهم بالمال كل شيء حتى عشيقته التي كان يُسكنها في الباستيل معه · ولو اردنا تعداد ما كان من هذا القبيل لضاق بنا المقام على اننا نرد طالب المزيد منه الى كتاب « فضائح الباستيل » فان فيه كلاماً كافياً

وكان المسيو ديلوناي مع ذلك رجلاً شجاعاً · فان الشعب كان يزئر منذ امس تحت اسوار الباستيل زئير الاسود ويقرع بلاط الاسواق بالسلاح وهو رابط الجاش وان كان اصفر اللون · وكان عنده في الباستيل اربعة مدافع وجنود من السويسيين والانناليد فلم يعبأ ببيلو اذ رآه داخلاً عليه بل بقي ينتظره في مكانه وراء الحاجز الحديدي ولما اجتاز بيلو هذا الحاجز واغلق الباب وراءه سمع له بيلو صوتاً مخيفاً ارتعدت له فرائصه بالرغم عما هو مشهور به من ثبات الجاش وقوة القلب

واذ اصبح على مقربة من دي‌لوناي بادره هذا بالسؤال قائلاً بنزق

— وماذا تريد مني ايضاً

فقال بيلو تقول « ايضاً » مع انني لم ارك قبل الآن · قال اسرع واخبرني من اين قدومك · قال من الاوتيل دي فيل وهذا كتاب من المسيو فلاسيل · ثم اعطاه الكتاب

فتناول دي لوناي الكتاب وقال له بعد تلاوته : فما هي حاجتك · قال حاجتي ان تسلمنا الباستيل

فقال الحاكم كانه لم يسمع كلام بيلو ماذا تقول

فقال بيلو اقول اني داخل الآن الى الباستيل باسم الشعب لاسالك ان تسلمه اليَّ

فهز الحاكم رأسه وكتفيه وقال · ان هذا الشعب حيوان لا يفهم الامور التي يطلبها · فقال له بيلو ماذا تقول

فقال الحاكم وماذا يريد الشعب ان يصنع بالباستيل · قال يريد ان يهدمه · قال ولماذا يطلب هدم الباستيل مع انه ليس سجناً للشعب بل للفلاسفة والعلماء والاشراف والوزراء والامراء وغيرهم من اعداء الشعب

فقال بيلو ذلك يدل على ان الشعب عادل محب لذاته ولغيره على السواء فهو يكره الباستيل

ليس لانه سجنه بل لانه رمز الى الظلم والعبودية

فقال الحاكم يظهر لي انك لست من باريز ايها الرجل فلست تعرف ما في الباستيل من السلاح والذخائر والرجال فتعال معي لاريكها كلها

فخاف بيلو ان يكون الحاكم قد اراد به شرًا ولكنه تجلد وتشدد وسار وراءه

فاصعده الحاكم الى اسوار الباستيل واراه المدافع والحامية فلما راى بيلو المدافع وجدها لا تزال في اماكنها فقال انك لم تنزلها بعد · قال كلا ولكني سحبتها سحبًا · قال ولكني ساخبر الشعب بذلك فانه يطلب انزالها · قال اصنع ما تراه · قال وهل تطلقها على الشعب قال اذا بدأ الشعب باطلاق النار · فقد ارسل اليّ اليوم المجلس البلدي وفدًا يطلب مني وعدًا بان لا ابدأ باطلاق النار على الشعب وان اسحب هذه المدافع فوعدته وسحبتها

وفيما هما يتحادثان مدّ بيلو بصره من سطح الباستيل الى الشوارع التي تحته فابصر فيه الوفًا من الشعب متجهة نحو الباستيل كانها النمل في كثرتها · وكانت هذه الجماهير رجال مارات وكونشون اللذين وعدا بيلو بها

فلما وقع نظر حاكم الباستيل على هذه الالوف الجديدة التي كانت سائرة للانضمام الى الالوف المتجمعة تحت جدران الباستيل ثار الغيظ في نفسه فتقدم من بيلو وصاح بغضب ويل لك تدخل علينا للمخابرة بالسلم مع ان رفاقك يستعدون للحرب · هلموا الى المدافع ايها الجنود

فتقدم بيلو عند ذلك من الحاكم وقبض عليه من وسطه ورفعه عن الارض بكلتا يديه القويتين قائلاً : وويل لك انت ايضًا فانك تستحق ان اقذف بك من هذا الشاهق الى الحضيض فتتكسر اربًا اربًا

فارتفع في هذا الحين من تحت جدران الباستيل صراخ الوف من الشعب · وصعد ماجور الباستيل المسيو لوسم يطلب بيلو فلما رآه صاح به : اظهر نفسك لهذا الشعب بالحال فانه يثور ويصرخ ظنًا منه انه قد اصابك شرّ

فترك بيلو دي لوناي وقصد طرف الجدار واشرف من هنالك على جماهير الشعب فلما ابصروه صفقوا تصفيقًا شديدًا وهاجوا وماجوا · فكان بيلو وهو على اعالي الباستيل بمثابة روح الثورة الفرنسوية تدوس قمة الظلم بقدمها وتشرف منها على فرنسا وجميع اقطار العالم

وبعد ذلك، اخذ حاكم الباستيل يستعد للقتال فالتفت الى بيلو وقال له باسم الملك

آمرك بالخروج من هذا المكان

فقال بيلو مستهزئًا احذر فانك ان اخرجتني من هذا المكان باسم الملك فاني لا البث ان ادخل اليه باسم الشعب · ثم التفت بيلو الى جنود السويسيين والانفاليد وقال لهم : من اي حزب انتم · معنا اومعهم ؟ فصاح به دي لوناي · اخرج والا اخرجتك بالقوة

فقال بيلو باسم الامة و باسم اخوانك اطلب منك تسليم الباستيل وحقن الدماء

فقال دي لوناي لا تسمِّ اخوتي اولئك الذين يصرخون : « فليسقط الباستيل وليمت حاكمه » فان هولاء اخوتك لا اخوتي

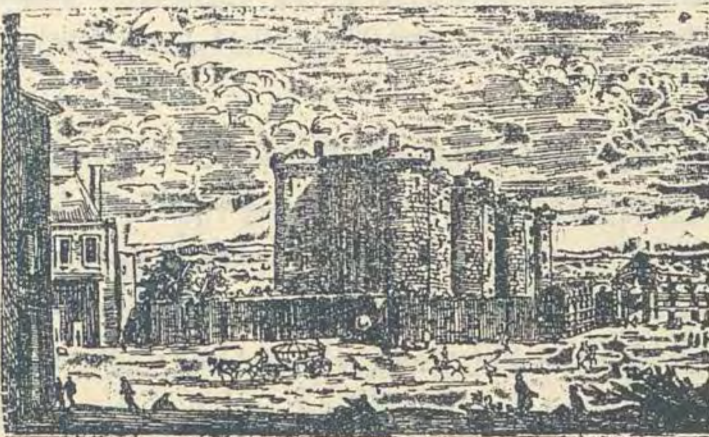
فقال بيلو اذًا اطلب ذلك منك باسم الانسانية

فقال دي لوناي ان الانسانية لا تطلب ان تهاجموا وانتم مائة الف رجل مائة رجل يقومون بواجباتهم في هذا المكان

فنادى بيلو الجنود قائلاً : سلموا ايها الاخوان تسلموا وتُحقن الدماء

فصاح به الحاكم حينئذٍ ملء فمه قائلاً · ان لم تخرج امرت باطلاق الرصاص عليك في الحال

فنظر اليه بيلو نظرة استخفاف كانه يقول له انك عاجز عن ذلك · ثم خرج الى الشعب الذي كان ينتظره بصبر فارغ



﴿ منظر الباستيل وشارع سانت انطوان من حيث هاجمه الشعب ﴾
﴿ وهو رسم تاريخي جليل ﴾

الفصل السادس عشر

(الباستيل)

ولما خرج بيلو من الباستيل ابصر الوف الشعب المؤلفة في هياج واضطراب فتقدم منه كونشون وساله ماذا جرى · فاخبره خبر الحاكم · فقال كونشون لقد قضى على نفسه

فقال بيلو ولكن كم من الدماء ستسفك في هذا النهار · فقال كونشون لا بأس فانه لا يوجد من الخبز ما يكفي نصف هذا الشعب فاذا مات النصف الثاني استراح واراح · ثم التفت الى الشعب وقال: الا تستحسنون هذا الراي ايها الاخوة· فنادى الشعب قائلاً: بحماسة غريبة — اصبت · اصبت

فقال بيلو وكيف نفتح الباستيل وبيننا وبينه خندق عظيم · فقال كونشون نملأ هذا الخندق من جثثنا فيجتاز عليها الباقون · ثم التفت الى الشعب وقال : الا ترون رايي ايها الاخوة · فاجابوه جميعاً نعم نعم نملأه بجثثنا

وفي هذا الحين ظهر على سطح السور المسيو دي لوناي حاكم الباستيل · فابصره كونشون فناداه قائلاً — ابدأ بالقتال · فادار له دي لوناي ظهره دون ان يلتفت اليه

ولو ان الحاكم تهدد كونشون لاحتمل كونشون تهديده الا انه لم يحتمل احتقاره · فتناول بندقيته واطلقها على الحاكم · فسقط احد رفاقه قتيلاً على سطح الباستيل

وكأن هذا الطلق كان علامة للجميع فان البنادق اطلقت على الباستيل من كل الجهات فاصاب رصاصها حجارته الصماء ففتتها

ثم ساد السكون كأن الشعب هاله الامر الذي اقدم عليه فلبث صامتاً

ولكن لم يطل هذا الصمت فان الباستيل ما لبثت اسواره ان تكللت بدخان كثيف واومض البرق في وسط ذلك الدخان وتلاه صوت كالرعد القاصف · فعلم الشعب ان هذا الصوت صوت مدافع الباستيل

ولم يكن يخطر في بال الشعب ان الباستيل يطلق ناراً عليه لان الشعب كان قد تعود ان ينال ما يطلب من الحكومة فحسب هذه المرة انه اذا طلب الباستيل ناله ايضاً · فلما رأى النار وسمع صوت المدفع وابصر الذين جُرحوا علم ان المركز حرج جداً · الا انه لم يخطر له الفرار بالرغم عن حرج الموقف فانه كان كثير العدد وقد خجل من الفرار لكثرة عدده · فاجاب على مدافع الباستيل باطلاق البنادق مئات والوفاً · وكان رصاص هذه

البنادق لا يصيب الا جدران الباستيل مما جعل الشعب يملّ هذا القتال لانه كان لا يؤثر شيئاً

فتتالت الاقتراحات حينئذٍ لفتح الباستيل . فان رجال المطافىء اقترحوا ان يقذفوا الماء بمضخاتهم الى مدافع الباستيل فيطفئوا جذوات النار قبل ان تضرم البارود لاطلاق المدفع . ولم يذكروا ان المضخات لا توصل الماء الى اكثر من ثلثي اسوار الباستيل

ومنهم من اقترح ان يُقذف الباستيل بزيت قابل للالتهاب فيحترق

ومنهم من اقترح ان تبنى آلة للهدم كالآلة التي كان يستعملها الرومانيون فيفتحوا بها ثغرة في الباستيل ويدخلوا اليه منها

وكان بيلو سامعاً هذه الاقتراحات كلها فلم يعجبه منها شيء : ولكن خطر له امر فخرج من صفوف الناس وتقدم من الجسر الاول تحت مطر من الرصاص كان يحصد الارواح حصداً وبيده فاس عظيمة . ثم تدلى واخذ يضرب سلاسل الجسر لقطعها رغبة في المرور عليه الى ساحة الباستيل الاولى وكان الرصاص منصباً على الشعب وعلى بيلو كالبرَد والشعب لاه عن نفسه بمشاهدة هذا الرجل الجريء الذي خاطر بنفسه هذه المخاطرة حتى اتى بيلو على قطع السلاسل وسقط الجسر . فصاح الشعب صياح الفرح واندفع على الجسر الى ساحة الباستيل الاولى

فعلم حاكم الباستيل من صراخ الشعب ان الشعب قد فاز بامر يطلبه . واذا بالمدافع الاربعة التي مرَّ ذكرها قد فتحت افواهها وقذفت ناراً مهلكة على الساحة الاولى فحصدت من فيها حصد المناجل السنابل في الحقول . فسقط من الشعب ١٠ او ١٢ رجلا قتيلاً و١٥ او ٢٠ جريحاً . ومنذ هذا الحين اصبح القتال شديداً وزاد موقف الشعب حرجاً

فبلغ الهياج والاضطراب مبلغهما وحميت نار القتال بين جنود الحاكم وجماهير العامة فطبقت السماء اصوات المدافع والوف البنادق . ورأى الضباط ان الجنود تضعف عزائمها فاخذوا هم انفسهم البنادق وصاروا يطلقونها

اما الشعب فكان قد استمات وهو يصرخ « نريد الباستيل » ومما زاده جراءة وحماسة ان جماعة الحرس الفرنسوي اتوا بمدفع وساروا يحاربون معه

ولكن في وسط الهياج والنار مصبوبة والشعب يجمع جرحاه وقتلاه ليخرجهم من ساحة العراك وينتفع بسلاحهم ظهرت جماعة من الناس تحمل علماً ابيض وهي تشق الجماهير قاصدة الباستيل

فعلم بيلو بعد السؤال ان هذه الجماعة وفد ارسله المجلس البلدي الى حاكم الباستيل ليقترح عليه عدم اطلاق المدافع والكف عن القتال فلما علم بيلو بذلك طلب من كونشون الكف عن القتال ايضاً ريثما يرى جواب الحاكم . ذلك ان الشعب بازاء ما رآه من امتناع تلك القلعة قد اصبح راضياً بنصف انتصار اذا كان حاكمها يرضى بنصف انكسار

فامر كونشون اثنين من رجاله ان يكف الناس عن اطلاق النار فانسل هذان الرجلان بين الجمع ولم تنقض بضع دقائق حتى بطلت اصوات البارود وسكتت البنادق

ولما وصل الوفد الى الساحة الاولى سكتت نار الساحة الثانية واشير اليهم بالتقدم فتقدموا ودخلوا واقترحوا على الحاكم ذلك الاقتراح فصاح بهم الحاكم : «لا تطلبوا المستحيل ايها البار يزيون لقد بدأتم بالعدوان فلا تلوموا احداً غير انفسكم » واذ الحوا عليه تهددهم بمثل ما تهدد به بيلو وهو ان يامر باطلاق النار عليهم اذا لم يخرجوا على عجل

فخرجوا ولما اصبحوا خارجاً علم بيلو وكونشون من وجوههم انهم اخفقوا سعياً . فصاح كونشون : قد قضى الله على هاته القلعة قضاء لا مرد له . الى السلاح ايها الناس

فعلت اصوات البنادق من الجانبين . وكان الوفد لم يغب بعد واذا بطلقات هائلة من المدافع قد حصدت الناس فاصاب الرصاص واحداً من الوفد فخر على الارض صريعاً

فلما راى الناس هذا الرجل يخر صريعاً وهو رسول سلام وذو صفة مقدسة محترمة عند جميع الشعوب غلت دماؤهم في عروقهم فبلغ الهياج منهم مبلغه وازدادت طلقات النار من الجانبين

ولكن الحاكم ورجاله احسوا بانهم مغلوبون بازاء عدد خصومهم وشدة تحمسهم وعنادهم . وراوا ان هذه الامواج العامية لم يبقَ شيء يردها ولا الموت . فتقدم الماجور دي لوسم رئيس حامية الباستيل وشرح ذلك للحاكم وذكر له ما سفك وما سيسفك من دماء الشعب قبل فوز احد الفريقين . فقال له الحاكم بوقاحة . وماذا تريد ان اعمل انسلم القلعة لهم . قال الماجور ولكنك تعلم انه يكاد لا يبقى لدينا ذخيرة وغداً لا يبقى لدينا مؤونة فنضطر الى التسليم . فلماذا رفضت اقتراح وفد المجلس البلدي من كف النار حقناً للدماء

فقال الحاكم انك تعتقد يامسيو دي لوسم انه يجب علينا الطاعة لهذا المجلس ورئيسه . فقال دي لوسم نعم يجب ذلك اذا لم يكن لدينا امر من الملك . فقال الحاكم اذا كان يجب علينا الطاعة للرئيس دي فلاسيل فتعالَ واقرأ

قال هذا واخرج من جيبه ورقة عليها بضعة سطور فقرأها دي لوسم فاذا فيها ما ياتي

« شد عزمك وادفع دفاعاً حسناً فانني اشغل الباريزيين بالوعود والحمائل وسيردك قبل
« المساء نجدة من المسيو بزانفال «دي فلاسيل»

فقال دي لوسم بعد تلاوة هذه الورقة ومن جاءك بها . قال وجدتها ضمن الورقة التي جاءنا بها الرجل الذي طلب منا تسليم الباستيل . لقد حسب نفسه انه يجيئنا بالامر بفتحه وما درى انه يجيئنا بالامر باغلاقه

فسكت دي لوسم واطرق مفكراً . فقال له الحاكم : اذهب الآن الى مركزك يامسيو دي لوسم ولا تتركه الا اذا ناديتك . فاطاع الماجور ساكتاً . ثم تقدم الحاكم من الجنود وامرهم ان يحسنوا تسديد المدافع والبنادق على الناس فاطاعوا واطاعت المدافع كما اطاع دي لوسم

ولكن الشعب كان يجاوب على كل طلق ناري بصراخه « نريد الباستيل » ويرسل الى اسوار هذا البناء العظيم رصاص بنادقه ولعنات غضبه وانتقامه . وكان عند كل طلقة يزداد تحمساً وهياجاً وفي جملته نساء واولاد وشيوخ يقاتلون بحمية الشبان . وكانت الجموع التي حول الباستيل يبلغ عددها نحو مائة الف نفس مستميتة مستقتلة

وكان بيلو يفكر في الطريقة التي تنيلهم اكليل النصر . فان مدافع القلعة وبنادقها كانت تحصد الشعب حصداً وبنادق الشعب لا تؤثر الا في حجارة الباستيل لانها لا تصيب سواها . فخطر له على حين بغتة امر فصرخ ملء فمه . اريد مركبة . وكان بيتو بجانبه فصرخ اثنتين لا واحدة

فلم تمض برهة حتى جاء الناس بعشر مركبات

فصاح بيلو : واريد تبناً او قشاً . فصرخ بيتو : تبناً وقشاً . فجاء الشعب بعد برهة بمقدار عظيم منهما . ولو لم يصرخ بيتو « كفى كفى » لجاؤوا منهما بكومة يبلغ ارتفاعها ارتفاع الباستيل

فاخذ بيلو وبيتو وغيرهما من الرجال المركبات وملأوها قشاً ودفعوها امامهم بدلاً من ان يجروها جراً وتقدموا بها من الخندق الثاني الذي يفصلهم عن الباستيل وكان على هذا الخندق جسر مفتوح يجب قطع سلاسله ليسقط فيصبح صالحاً للمرور عليه . فاضرم بيلو النار في التبن وفي المركبة ليضعها على السلاسل فتحمى وتنقطع ويسقط الجسر . فلما

ابصر الحاكم ذلك هاج وماج وصاح برجال المدافع اصلوهم نارًا تشويهم شيًا · فاطلقوا عليهم نار المدافع والبنادق ولكن النار كانت تصيب القش فلا تؤثر شيئًا او تصيب المركبات فتكسرها دون ان تصيب الرجال الذين وراءها · وما زال هولاء الرجال يدفعونها وهي تلتهب حتى وضعوها على السلاسل · وكانت ساعة هائلة فان الرصاص كان ينصب عليهم كالبرَد والشعب ناظر اليهم وهو يجيب على رصاص المدافع برصاص البنادق

فصعد الحاكم الى سطح الباستيل ليرى اذا كانت النجدة التي وعدوه بها قداتت ولما لم يرَ شيئًا نزل وفي وجهه علائم الغضب والغيظ الشديد

وفي هذا الوقت سمع جلبة في الساحة الثانية فنظر ليعلم السبب فابصر ان سلاسل الجسر قد قُطعت · قطعتها النار وكرات المدفع الذي كان يطلقه الحرس الفرنسوي كما مر بنا فسقط الجسر وانفتح الحاجز الحديدي فاندفع الشعب بفرح وهياج عظيم قاصدًا دخول الباستيل

فعلم الحاكم انه قد ضاع كل امل · فهبت ريح الغيظ والياس في نفسه فتناول فتيلاً مضطرمًا وسار ركضًا الى قبو خصوصي في الباستيل

وكأن جنود الحامية قد ادركت الامر الذي يريده الحاكم فصاحوا : البارود البارود وركضوا يطالبون الحاكم

فادركه جنديان فوضعا حربتيهما في صدره ليحولا بينه وبين مراده

وكان الشعب ينظر اليهم دون ان يعلم سبب هذا المشهد · واذا بالحاكم يصيح ملء فمه : اذا كانوا يدخلون الباستيل فهذه النار في يدي وهذا مخزن البارود القيها فيه فانسف هذا السجن ونصف شارع سانت انطوان

فلما سمع الشعب هذا القول خيل لهم ان الارض تميد بهم · فاضطربوا وهم سكوت لا يدرون ماذا يقولون

وكان بيلو في مقدمتهم فلما سمع بنسف الباستيل ذكر الدكتور جيلبار فارتعدت فرائصه وخار عزمه

فكان مشهد مؤثر جدًا · فان الحاكم كان واقفًا وبيده الفتيل المضطرم لا يقتضي نسف الباستيل وهدمه حجرًا على حجر الا القاءه هذا الفتيل من يده في المخزن · وجنديان يحولان بينه وبين المخزن وحربتاهما على صدره والشعب واقف خارجًا وقفة الرهبة والسكون

واذا بيبلو يصيح بالشعب اذكروا المسجونين ايها الاخوة ولا تهجموا · فالتفت بعضهم

الى الحاكم وقال له ماذا تطلب . قال اطلب ان اسلمكم الباستيل تسليماً شريفاً . ارجعوا من حيث اتيتم لاكتب صورة التسليم . فرضي بيلو بذلك لانهم خافوا على المسجونين رحمة بهم ورجع الشعب من حيث اتى . فوضع الحاكم الفتيل المضطرم من يده وتناول قلماً وورقاً واخذ يكتب شروط التسليم

فساد الفرح والابتهاج في الشعب لانه فاز فوزاً عظيماً ولبثوا ينتظرون شروط الحاكم . وبعد هنيهة نُظر جندي يشير اليهم بحربته وعلى راسها ورقة فسار بيلو اليه

ولكنه اضطر ان يجتاز الخندق على خشبة فما بلغ نصفها حتى هوت الخشبة فسقط في الخندق . فتبعه بيتو ركضاً وقد خاف على حياته

فارتفعت في هذا الوقت اصوات بنادق لا يُعلم من اين خرجت . فما سمعها الشعب حتى اندفع من جديد الى الباستيل لا يلوي على شيء . وكان اندفاعه الوفاً الوفاً كامواج البحر الهائلة . فلما رآهم الحاكم اراد ان يتناول الفتيل فسبقه اليه احد الجنود وداسه بقدمه فاطفأه . فاخذ الحاكم سيفه واراد الانتحار فاخذوه منه . ودخل الشعب الباستيل ظافراً منتصراً (١) بعد واقعة تشيب لهولها الولدان

وانتشر الناس في غرف ذلك السجن المائل وصعد منهم بعض الى سطحه فلما ابصرتهم الوف الشعب المؤلفة المجتمعة في الخارج هتفت هتافاً كالرعد القاصف دوى صداه في الجهات الاربع . وكان ظهور هذه الجماعة على سطح الباستيل كظهور روح الحرية للعالم من فوق تلك الجدران القديمة الشاهقة

وهكذا استولى الشعب على الباستيل وسقطت امام ارادته القوية معالم الظلم والعبودية . واما تلك الطلقات التي اطلقت والشعب هادئ ينتظر شروط التسليم فكانت سبباً لهجوم الجماهير على الباستيل وفتحه عنوة واقتداراً فان سببها بقي مجهولاً ولم يُعرف الذين اطلقوها فكان الاقدار شاءت ان لا يوخذ الباستيل الا عنوة واقتداراً ولله حكمة لا تدركها العقول البشرية

---

(١) وقد جعلت الجمهورية الفرنسوية يوم فتح الشعب للباستيل عيداً رسمياً لها تحتفل به في كل ١٤ يوليو . ولما طار في اوربا خبر سقوط الباستيل في يد الشعب الفرنسوي تعانق الناس في اسواق بطرسبرج ولندره وغيرها فرحاً وابتهاجاً " بنهضة الاسد" من عرينه بعد نومه الطويل لاسقاط الظلم ورفع منار الحرية في العالم

الجامعة

(الجزء ٢١ و٢٢) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٠ — الموافق اول شوال سنة ١٣١٧



—﴿ محمد علي باشا ﴾—

مؤسس العائلة الخديوية

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مصر وامراؤها ومستقبلها

محمد علي باشا * ابرهيم باشا

هيرودوتس ومصر · قصبة تبقى وسنديانات تزول · سكان مصر الاصليون · الامم التي حكمت مصر · محمد علي باشا امير مصر · اخماد ثورة الوهابيين · الفتوحات في السودان · احتلال الجنود المصرية بلاد اليونان · ما استعصى على نابوليون لم يستعصِ على ابرهيم · احدى القصص التي يرويها شيوخ سوريا عن ابرهيم باشا اجمال الحوادث التالية · اختتان

اجيبتوس في لغة اليونان · واوجيبتيس في لغة الرومان · وماصور او مصرايم في لغة العبرانيين · وموصوري في لغة الاشوريين — كلمات كانت تطلق في القديم على هذه لارض الطيبة المنبسطة بين بحر الروم وما يسمونه بلاد النوبة التي قال فيها هيرودوتس اشهر مؤرخيها انها « هبة من النيل » الذي يسقي ضفتيها · فسلام يا ايتها الارض القديمة التي كانت مهد التمدن الانساني والتي شهدت منذ ابتداء العمران قيام الممالك العظيمة وسقوطها الدولة بعد الدولة والامة بعد الامة وهي بين هذا القيام والسقوط راسخة القدم في هذا الوجود كقصبة لينة نحيفة تخفض رأسها للزوابع فتمر فوقها دون ان تؤذيها مع انها تحطم السنديانات القوية التي حولها

***

كانت مصر في القديم بلادًا للسود فغزاها قوم اتوا من اسيا دخلوها من جهة السويس فطردوا السود الى داخل بلاد السودان واستوطنوها · فيؤخذ من هذا ان الذين عمروا مصر ليسوا سكانها الاصليين ولكن قومًا لا يذكر التاريخ شيئًا عنهم جاءوها من بلاد لا تزال مجهولة

وقد زهت مصر في عهدهم وبلغت في الفنون والعلوم والاداب مبلغًا عظيمًا يدل عليه ما تخلف عن ملوكهم الفراعنة من الاثار الجليلة التي يعجب العالم بها وباتقانها الى هذه الايام · ثم دالت دولة الفراعنة بفتح الفرس مصر في سنة ٥٢٥ قبل الميلاد المسيحي ودالت بعد ذلك



ابرهيم باشا

دولة الفرس فيها بغلبة الاسكندر اياهم عليها . ثم توفي الاسكندر فحكمها البطالسة بعده حتى انقضى ملكهم فيها بانقضاء انفاس الملكة كليوباتره في سنة ٣٠ قبل المسيح وهي آخر من ملك منهم في مصر كما جاء في ترجمتها في الجزء الثامن عشر وبعد البطالسة حكمها الرومان وبعد الرومان رماها العرب بجيش يقوده عمرو بن العاص فاخذها من الاقباط عمال الدولة الرومانية ثم افتتحها السلطان سليم في القرن الخامس عشر وضمها الى السلطنة العثمانية

وبقيت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية يحكمها المماليك حتى جاءها بونابرت فاتحاً ليجعلها اساساً لامبراطورية شرقية كان يرغب في انشائها . فارسلت الدولة العثمانية جنوداً الى مصر لاخراج نابوليون منها . فكان في جملة هذه الجنود رجل باسل عالي الهمة يقود ٣٠٠ انكشاري اسمه « محمد علي » وهو مؤسس العائلة الخديوية

محمد علي باشا ولد محمد علي سنة ١٧٦٩ في قرية قوله من اعمال مكدونيا

في الاناضول فربي يتيماً فقيرًا ولكنه كان نبيهًا منذ صباه فتبناه احد ضباط الانكشارية فتعلم منه الفتى محمد قيادة الجند وفنون القتال · ثم شب فتزوج فتاة ذات مال فاثرى وُعين ضابطًا من ضباط الجنود غير النظامية · وتعرف بتاجر فرنسوي من مرسيليا يدعى ليون فتعاطى معه تجارة الدخان فربح ارباحاً وافرة حتى كانت الحملة العثمانية على مصر فسار معها كما قدمنا

وعند خروج الجنود الفرنسوية من مصر كان خسرو باشا مندوبًا للدولة فيها فولى محمد علي قيادة الارنؤوط لما آنس فيه من النشاط والاقدام وحسن التدبير · وكان محمد علي عليّ الهمة كما ذكرنا فكانت نفسه تحدثه بامر عظيم يصنعه · فاتخذ تدبيره ونباهته سبيلاً الى مراده · فما لبث ان اهاج الارنؤوط على المماليك والمماليك على الارنؤوط فاستفحل الامر حتى استقدمت الدولة مندوبها خسرو باشا وُجعل محمد علي قائمقاماً مكانه فقبض على ازمة الامور ولكن لم يرضه لقب القائمقام فتلقب بلقب باشا فاضطرت الدولة العثمانية الى المصادقة على هذا اللقب في سنة ١٨٠٩ مقابل جزية عظيمة تقبضها منه

ومن هذا الحين اخذ محمد علي باشا بالنهوض باعباء الامر العظيم الذي اقدم عليه وهو اصلاح مصر واحياؤها · فاجهز اولاً على المماليك الذين كانوا يعارضونه وذلك انه جمع زعماءهم في قلعة القاهرة واصدر الامر بقتلهم كلهم تقريباً وكان ذلك في اول مارس سنة ١٨١١

وبعد حين جاءه الامر من الاستانة بالزحف على الوهابيين الذين ثاروا في بلاد العرب فساق عليهم حملة بقيادة ابنه طوسن باشا ثم قاد بنفسه حملة اخرى عليهم بين سنة ١٨١١ و١٨١٢ وارسل بعد ذلك عليهم ابنه ابرهيم باشا حسامه القاطع وعصاه الحديدية فكسرهم ابرهم باشا في سنة ١٨١٨ شر كسرة فطار ذكره في جميع اقطار العالم الاسلامي لما كان يخشى من استفحال امر الوهابيين وكوفئ على هذا الفوز اجمل مكافاة

وبعد الفراغ من امر بلاد العرب وجه محمد علي باشا جنده الى السودان فافتتح بلاد النوبة وسنار وكردفان في سنة ١٨٢٠ فاصبحت بذلك مصر دولة عظمى وقوة عسكرية كبرى يخشى بأسها ويُرهب جانبها · وكان اتكاله في كل مشروعاته على فرنسا فامدته بكثير من الضباط والمهندسين والعلماء فانشأ بمساعدتهم اسطولاً عظيماً وعزز الزراعة والصناعة وفتح المدارس وارسل الطلبة المصريين الى باريز ليتعلموا في مدارسها فتحسنت حال مصر وزادت واردات خزانتها وفي سنة ١٨٢٤ ارسل بناء على طلب الدولة الاسطول المصري بقيادة ابنه ابرهيم



— عباس باشا —

باشا وعليه ١٨ الف جندي مصري من المشاة و٢٠٠٠ فارس لمساعدة الدولة العلية على اليونان الذين ثاروا عليها . فانزل جنده في مودون واخذ بمهاجمة مدن المورة حتى استولى عليها كلها ببسالة ومقدرة عظيمة ولكنه ما لبث ان بلغه خبر اتحاد الدوارع الانكليزية والروسية والفرنسوية على الاسطولين العثماني والمصري و غراقهما في مرفاء نافارين فاضطر الى التسليم بشروط شريفة جدًّا بناء على امر ورده من القاهرة بعد اذ كان مصممًا على المقاومة الى النهاية . وفي ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٨ عاد الى مصر فدخل القاهرة دخول الفائز المنتصر وكان ذلك من حقه لانه اظهر في هذه الحرب من البسالة ما اعجب به كبار القواد

وبعد جلاء الجنود المصرية عن المورة طلب محمد علي باشا من الدولة العثمانية مكافأة على هذه المساعدة ان تمنح اولاده حق الارث للملك من بعده فرفضت الدولة ذلك فقام

النزاع بين مصر والاستانة فسار ابرهيم باشا بجيش الى سوريا في ٢ نوفمبر سنة ١٨٣١ فافتتح غزه ويافا وحيفا . وكانت اسوار عكا قد ردت نابوليون الاول عنها ولكنها لم تستطع ان تردّ ابرهيم باشا فافتتحها في ٢٥ افريل وبذلك كان اعظم من نابوليون واحسن حظاً . ثم احتل دمشق الشام وحلب وحمص وضرب في الاناضول حتى وصل الى قونيه فحارب فيها رشيد باشا الذي كان يقود ٦٠ الفاً من الجنود فبقي النصر له . فعقدت حينئذٍ عهدة بين الدولة ومصر على ان تبقى سوريا تابعة لمصر وذلك في ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ ثم اختلفت الاحوال فعاد النزاع الى اشده فهاجت الخواطر في سوريا فتداخلت الدول وسافر اسطول انكليزي وآخر نمساوي اليها في صيف سنة ١٨٣٨ فاطلقا المدافع على بيروت ويافا وعكا وهكذا اضطر ابرهيم باشا الى العودة عن سوريا بموجب معاهدة تعرف بمعاهدة الاسكندرية أُعقدت في دسمبر سنة ١٨٤٠ فمنح ساكن الجنان السلطان عبد المجيد محمد علي باشا مقابل تعابه الماضية الحق الذي طلبه من جعل الملك وراثياً في اعقابه بموجب خط همايوني مؤرخ في ١٣ فبراير من تلك السنة

ولا يزال كثيرون من شيوخ سوريا يذكرون جنود ابرهيم باشا ومنهم من عرفوه هو نفسه . وقد حدثنا احدهم ان ذلك القائد الكبير كان شديد الحب للاولاد فكان يجمعهم وهو يتنزه على شاطىء البحر في احدى المدن السورية ثم يأمر رجلاً من اتباعه ان يبتاع حملاً من البرتقال فيأخذ منه ويرمي بينهم فيتزاحمون على البرتقال حتى يملأوا منه ايديهم وجيوبهم . فيمد ابرهيم باشا عند ذلك يده الى جيبه ويخرجها طافحة بقطع من النقود الصغيرة وينثرها على الارض امامهم . فيلقي الاولاد حينئذٍ ما بايديهم من البرتقال غير آسفين عليه ويرمون انفسهم على قطع النقود متضاربين ومتزاحمين عليها تزاحماً كان يضحك له ابرهيم باشا اشد ضحك . وما درى هولاء الاولاد ان هذا القائد الذي كانوا يضحكون في حضرته ويضحك لضحكهم وتنازعهم كانت ترتعد منــه حين الحاجة فرائص اشجع الشجعان

ثم شاخ محمد علي باشا فتنازل عن الامارة لابنه ابرهيم باشا فسار ابرهيم الى الاستانة لزيارة متبوعه ولكنه توفي بعد عودته منها بستة اسابيع وذلك في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ . فولي الامارة بعده عباس باشا حفيد محمد علي باشا من ابنه طوسن باشا واثر كبر السن والحزن على عقل محمد علي فتوفي في ٢ اغسطس سنة ١٨٤٩

***

هذه خلاصة ترجمة حال محمد علي باشا وابرهيم باشا وهي تاريخ نشاة البلاد المصرية وبعد عباس باشا ولي الامر سعيد باشا فكان حكمه نافعاً معتدلاً ثم جاء اسماعيل الشهير فانال مصر امتيازات كثيرة من الاستانة في جملتها لقب خديوي له ولاولاده بعده الا ان نفقاته الكثيرة وما اقتضته حروب الوهابيين وفتح السودان في عهد والده من النفقات افرغت خزانة مصر واثقلت كاهل الفلاح فاضطر اسماعيل باشا الى الاستدانة من اوربا فلم تزدد المالية المصرية الا سوء حال على سوء حال فاقامت اوربا عليها لجنة مراقبة كانت بمثابة وصاية على مصر وكانت هذه اللجنة مؤلفة من عضو انكليزي وعضو فرنسوي. فاستثقل اسماعيل باشا الخضوع لها فعزل هذين العضوين فطلبت فرنسا وانكلترا من الاستانة انزاله فانزل وولي بعده نجله المرحوم توفيق باشا . فحدثت في عهده الفتنة العرابية الشهيرة التي كانت غلطة كبرى من بعض نبهاء المصريين ومغروريهم فاحتلت انكلترا مصر لتأييد السلطة الخديوية في سنة ١٨٨٢ وفي تلك السنة ثار السودان بتحريض احمد محمد الملقب بالمهدي فتخلت عنه مصر لاسباب متعددة . ثم اخذ المحتلون في اصلاح البلاد التي احتلوها فحسنوا كثيراً من شؤونها ولكن كل ما يبلغه الانسان من حسن الحال ونعيم البال لا يساوي عنده حلاوة الحرية والاستقلال . ثم توفي المرحوم توفيق باشا وتربع في الاريكة الخديوية سمو الامير عباس باشا حلمي الثاني الخديوي الحالي الذي ازدادت مصر في عهد ملكه حسن حال على حسن حال وارجعت اليها ما فقدته من بلاد السودان

والآن فمصر سائرة سيراً حثيثاً في سبيل المدنية والعمران . فان عدد سكانها في ازدياد مستمر وقد بلغوا في الاحصاء الاخير نحو ١٠ ملايين نفس ومستعمرتها السودانية الواسعة قد عادت اليها والحرية السياسية قد اطلقت فيها فانتعشت بها النهضة العلمية والادبية التي كان محمد علي بعد حملة نابوليون اول من زرع بزورها . فمستقبلها عظيم جداً اذا لم توضع عثرات جديدة في سبيلها وعلى الخصوص اذا اتحدت عناصرها اتحاداً حقيقياً وفكت من كل قيد معنوي او سياسي يحول دون نموها وتكوّن نفسها. وان اخواتها من ممالك الشرق ليحسدنها على ما بلغته من حسن الحال وتوقع الزيادة في الاستقبال لو لم تكن قد ابتاعت ذلك بثمن غال

ومن هولاء الاخوات واحدة لا يسع الناظر في تاريخ مصر الا ان يذكرها لان بينهما كثيراً من الروابط التاريخية والطبيعية . ونريد بهذه الاخت سوريا . ومتى ذكرنا سوريا مع مصر تبادر الى الذهن سؤال وهو : ايهما الاسبق في سبيل العمران . مصر ام سوريا ؟



﴿ تمثال محمد علي باشا القائم في وسط المنشية بالاسكندرية ﴾

ولكننا نترك الاجابة عن هذا السؤال ونكتفي ببسط قصة صغيرة يصح ان تكون جوابًا . وهي ان اختين نشيطتين كانتا تعيشان في بقعة واحدة . ولما سئمتا الاقامة في ارض لا تجدان عليها ما تلتمسانه من صلاح الحال سارتا في طلب هذه الضالة المنشودة . وكانت احداها تسير سيرًا طبيعيًا بطيئًا واما الثانية فكانت تسير سيرًا مضطربًا غير طبيعي اذ كانت تثب في سيرها وثبًا . فسبقت اختها ولكنها ما لبثت ان وثبت وثبة من فوق حفرة اعترضتها فسقطت فيها وكسرت رجلها

فهل ظلمنا سوريا بتشبيهها بالاخت الاولى ومصر بتشبيهها بالاخت الثانيه

باب المقالات

القبة الزرقاء

رسم خارطة لاجرام السماء — منظر القمر كانه على بعد متر واحد

من ابهى المناظر الارضية واكثرها جمالاً منظر السماء في ليلة انقشع الغيم وسكن الهواء . فان الاجرام العلوية تكون كمصابيح تتألق في الفضاء او كدنانير نُثرت على ديباجة زرقاء . سل صغار الاولاد عن هذه الاجرام اجابوك بما لقنتهم اياه امهاتهم من انها " عيون الملائكه " تراقب الاولاد الصالحين والاشرار . سل عنها جداتهم العجائز يخبرنك انها مصابيح علقها الله في السماء ليستضيء بها البشر على الارض ويحذرن اولادهن واحفادهن من ان يشيروا اليها باصابعهم فان كل اصبع تشير الى نجم تُبتلى بثألولة والتي تشير الى نجمين تُبتلى بثألولتين وهلم جرًا . سل عنها تلامذة بعض المدارس التي تُنشأ للاتجار او الاسترزاق لا للتعليم وتربية الاخلاق يجيبوك انهم لا يعرفون عنها شيئاً لان معلميهم لم يطلعوهم على ما في الارض فكيف ما في السماء . سل عنها رجلاً كنابوليون يجبك انه يرى بينها نجماً خاصاً به مشرقاً اشراقاً يدل على حسن بخته . سل جمهور الناس عنها اجابوك : " النجوم هي نجوم " كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء

ولكن سل عنها عالماً فلكياً او تلميذاً من المدارس التي تهتم بتوسيع مدارك تلامذتها اجابك ان هذه النقط الظاهرة مشعشعة متالقة في قبة السماء هي عوالم كعالمنا هذا كبيرة وصغيرة تستمد نورها من الشمس ومسافة البعد بينها وبين اقربها الينا ٨ الاف مليار فرسخ . وهي تُعدُّ بالملايين شديدة البعد بعضها عن بعض حتى ان الجرم الواحد منها قد لا يلتقي برفيقه الا بعد ٣٢٨ مليار سنة . وكفى بذلك دلالة على الفضاء غير المتناهي الذي تدور هذه الاجرام فيه ولذلك قال باسكال : ان الانسان مهما تصور اتساع فضاء الكون بقي تصوره قاصرًا وفكره عاجزًا عن تناول جميع ما في هذا الفضاء من الامد الذي لا نهاية له

وقد قسم الفلكيون هذه الاجرام الى ثلاثة ادوار . الدور الاول دور الطفولية

ويريدون به قرب عهد تكونها . والدور الثاني الشباب والدور الثالث الكهولة. ويقرب من هذا قسمتهم اياها الى بيضاء وصفراء وحمراء . فالنجوم البيضاء في دور الشباب والنجوم الصفراء تكون من الاجرام المعاصرة للشمس والنجوم الحمراء في دور الكهولة . اما الشمس نفسها فانها الآن من الاجرام الصفراء ومتى احمر لونها كان ذلك ايذانًا بقرب انقضاء العالم

ولما كانت هذه الاجرام السماوية مجللة بستار من الخفاء والجمال كان لا بد من انتباه عقول الناس في القديم الى البحث في شانها تمتعًا بجمالها واستكشافًا لما وراءها . ومن الذين انتبهوا الى ذلك في القديم الكلدانيون وقدماء المصريين فان كلاً من الفريقين اشتهر برصد النجوم . ولكن لم يات هذا الرصد بالنتيجة المطلوبة الا منذ اختراع البلورات المكبرة التي تقرب المرئيات البعيدة وذلك في اوائل القرن السابع عشر . ومخترعها هو غاليله الفلكي الايطالي الشهير . فانه صنع النظارة الاولى لرصد الاجرام في سنة ١٦٠٩ وكانت يومئذٍ تكبر المرئيات سبع مرات فقط ثم اتقنت النظارات بعده فاصبحت اليوم تكبر المرئيات الوفًا من المرات

فانتشرت المراصد الفلكية في اوربا واميركا وآسيا تقرأ في صفحات السماء الغامضة آيات ما قرأ مثلها المتقدمون وما حلم بها قبل اختراع المكبرات المتأخرون . وازداد العلماء تفننًا في اختراع الآلات الفلكية فصوروا الاجرام وعرفوا مادتها وحللوها وقاسوا مسافة البعد بين بعضها البعض وبيننا وبينها وحسبوا السنين والقرون التي يقضيها النور للوصول منها الينا . وهم يهتمون الآن بعمل عظيم سيكون فخرًا في علم الهيئة للقرن التاسع عشر . وهو رسم خارطة لاجرام السماء كما رسم الجوغرافيون خارطة للكرة الارضية

ويشتغل الآن برسم هذه الخارطة السماوية سبعة عشر مرصدًا من مراصد العالم . انقضت عليها عشر سنوات وهي تشتغل بهذه الخارطة وبقي عليها العمل عشر سنوات اخرى لاتمامها

وهذه الخارطة ستكون حاوية لجميع الاجرام التي تستطيع العين رؤيتها الآن بالمكبرات . ويقدرون عددها من ٢٥ الى ٣٠ مليون جرم بين كبير وصغير . وستكون السماء مقسومة في هذه الخارطة الى ١٢ الف قسم تصور بالمكبرات الفوتوغرافيــة ثم تجمع فيتكون منها خارطة القبة الزرقاء وفيها مراكز الاجرام كلها من شموس وكواكب وثوابت وسيارات وذوات اذناب . وستنشر هذه الخارطة في اربعين او خمسين مجلدًا ضخمًا في كل منها الف صفحة كل صفحة تحوى مراكز ثلاثين جرمًا او اكثر

وكل هذه الاجرام لا تظهر بالعين المجردة او بالمكبرات الا نقطاً كبيرة مضيئة في الفضاء البعيد وذلك لشدة بعدها عنا . ولكن القمر رفيق الارض الذي يدور حولها لا يبعد عنا اكثر من ٣٨٤٠٠٠ كيلومتر لذلك يُرى الآن بالمكبرات التي تكبره الف مرة كانه على بعد ٣٨٤ كيلومترًا منا و بالمكبرات التي تكبره الفي مرة كانه على بعد ١٩٢ كيلومترًا . فترى في هذه الحال سهوله وجباله ووديانه و براكينه . ذلك ان هذا القرص الفضي السابح في الفضاء " كزورق من فضة اثقلته حمولة من عنبر " انما هو ارض كارضنا ولكنه ارض جرداء قفراء لم ترَ فيها المكبرات ماء ولا سحاباً ولا اثرًا لذي حياة . وانما رات فيه ودياناً يبلغ اتساع بعضها ٢٥٦ كيلومترًا وعمقها نحو الف متر كانها قعر بحر عميق نضب منه الماء لاسباب مجهولة . ورات فيه ايضاً جبالاً شامخة ارتفاعها من ٦ الى ٧ الاف متر بينها قمتان علو كل واحدة منهما سبعة الاف وستمائة متر اي بزيادة ٣ الاف متر عن قمة الجبل الابيض . وهو اصغر من ارضنا بنحو ٤٩ مرة ولكنه يستمد نوره من الشمس مثلنا و يدير لنا دائماً وجهاً واحداً واما وجهه الثاني فلا نراه ولا نعرف عنه شيئاً ولكنه لا يكون اقل اقفارًا وخراباً من الوجه الذي يديره لنا

هذا اهم ما يعلمه الآن البشر عن القمر على انك اذا اصغيت الى بعضهم سمعتهم يقولون ان الفرنسويين سيعرضون في معرضهم في هذه السنة تلسكوباً عظيماً يُري القمر للناظر فيه كما يرى الانسان شيئاً على مسافة متر واحد منه . ولا يخفى ما في هذا القول من الغلو وان كان قد صدقه كثيرون في اول ظهوره . والصحيح منه ان الفرنسويين قد بنوا تلسكوباً عظيماً لا يوجد الآن له شبيه في العالم وسيعرضونه في معرضهم المقبل . وطول نظارة هذا التلسكوب ٦٠ مترًا وثقلها ٢١ الف كيلوغرام وثقل الآلة التي تحملها ٤٥ الف كيلوغرام فيكون ثقلها معاً نحو سبعين الف كيلوغرام . اما زجاجتا النظارة فقطرها متر و٢٥ سنيمترًا اي اكبر من قطر زجاجتي تلسكوب شيكاغو بعشرين سنتيمترًا وتلسكوب شيكاغو هو اكبر تلسكوب في العالم بعد تلسكوب باريز الجديد

ولما كان هذا التلسكوب الهائل لا يمكن لشدة ثقله جعله تلسكوباً منتقلاً يدور مع الاجرام ويتبعها في سيرها كسائر التلسكوبات الاخرى جُعلت له مرآة تتحرك بلولب خاص وتنتقل مع الاجرام في انتقالها عاكسة صورها الى نظارة التلسكوب فيكون التلسكوب ثابتاً والمرآة متحركة . وهذا تفنن جديد في صناعة التلسكوب واختراع حديث

والآن لا بد ان يسأل القارىء كم مرة يكبر المرئيات هذا التلسكوب الجديد ؟ فنقول

انه يكبر المرئيات عشرة الاف مرة عماهي . وبما ان مسافة بعد القمر عنا ٣٨٤٠٠٠ كيلومتر كما ذكرنا فيظهر القمر فيه كانه على مسافة ٣٨ كيلومترًا منا لا ٦٧ كيلومترًا كما ذكرت مجلة المقتطف . اي ان القمر يظهر من هذه النظارة كأننا انزلناه من شاهق سمائه ووضعناه على قمة جبل علوها نحو اربعين الف متر

هذا هو الامر البديع الذي تشرئب الآن نحوه اعناق جميع علماء الهيئة في جميع اقطار العالم . وهم ينتظرون بفارغ الصبر افتتاح معرض باريز ليحققوا هذه الامنية . واذا تسنى لهم رؤية القمر كانه على مسافة ٣٨ كيلو مترًا كما يؤملون فانهم ينظرون فيه كل جسم لا يقل طوله عن متر وهذا اصل قول العامة « ان النظارة الجديدة تُري القمر كانه على بعد متر » .

ولكن اذا كان العلم في القرن التاسع عشر قد اختصر المسافة التي بيننا وبين القمر حتى جعلها ٣٨ كيلومترًا أيُستبعد ان يجعلها في القرن العشرين مترًا واحدًا . ومن يعلم اذا كانت الاجيال الآتية بعدنا في القرون التالية لا تقرأ في تلك الاجرام السماوية المشعشعة فوق رؤوسنا بواسطة اختراعاتها الجديدة كما نقرأ الآن في جرائدنا وكتبنا . على ان هذا التلسكوب الجديد اذا صح مبدأه فلا بدّ ان يُري البشر امورًا جديدة في الفضاء المتسع الذي امامنا وعلى الخصوص في القمر لانه اقرب اجرام السماء الينا . ونحن ننتظر بشوق كثير افتتاح المعرض وتجربة هذا التلسكوب العظيم لننقل الى القراء خبر نجاحه ان شاء الله

مسألة الدوطة

ـ منافعها ومضارها ـ

تفردتْ جامعتكم الغراء بين المجلات العربية بالمباحث التهذيبية المبتكرة والفصول الادبية والاجتماعية التي جعلت لها المقام الاول في نفوس القراء والقارئات . لان النفوس الشرقية ولا يخفاكم متعطشة بالاكثر الى الاراء الادبية السديدة والمباحث التهذيبية الجديدة التي اشتدت اليها الحاجة لمداواة الحالة الحاضرة وتحسين هيئتنا الاجتماعية مما لا يُتوصل اليه بالمقالات السياسية او الفصول العلمية والتاريخية التي تنقلها مجلاتنا وجرائدنا عن المجلات والجرائد الاوربية ولكن بالبحث بكل تروٍ وتدقيق وسعة اطلاع في حاجاتنا والتنبيه الى كل منها

لذلك كنت مع كثيرين من قرائكم وقارئاتكم في هذا الثغر ننتظر صدور جامعتنا

بفارغ الصبر لتنزيه النفس والفكر بالمباحث الادبية والتهذيبية التي تفردت بها فضلاً عن المباحث العلمية الاخرى . وقد همنا بنوع خاص من مواضيع الجامعة موضوع اختيار الزوج والزوجة الذي طالت المناقشة فيه بين" قويين وضعيفة " كما قالت حضرة الكاتبة الطرابلسية فجئت اضم الآن الى " الضعيفة " ضعيفة اخرى لنكون ضعيفتين بازاء قويين وكم من ضعيف غلب قوياً باذن الله

ولا اقصد الدفاع عن ابنة جنسي ولا الاعتراض على الاديبين وانما غرضي البحث في مسألة طال البحث فيها من غير ان يهتدي احد الى وجهها الحقيقي . واريد بها " مسألة الدوطة " فان هذه العادة قد قويت شوكتها في بلادنا واشتدت سلطتها على هيئتنا الشرقية حتى أصبح لا يصح السكوت عنها بل يجب الحكم بشأنها فان كانت خيرًا وجب ان ننادي بانها خير وان كانت شرًا وجب ان ننادي بانها شر . وسابحث بذلك بكل نزاهة واعتدال واحصر الكلام في ثلاث نقط

(١) هل للدوطة منافع

(٢) هل للدوطة مضار

(٣) اي أكثر منافعها ام مضارها . فاقول

الامر الاول هل للدوطة منافع — لا خلاف في ان من حق الابنة الطبيعي ان ترث من ابيها اذا كان ذا مال . فاذا كان الاب يعطي ابنته دوطة تخليصاً لها من الميراث او لمساعدتها في حياتها العائلية الجديدة على حسن المعيشة فانما هو يقوم بما يجب عليه لابنته شرعاً وطبعاً . فالدوطة في هذه الحال واجبة وهي منفعة

منفعة للزوجة لانها اي الدوطة تدبر لها زوجاً في وقت قريب وبذلك تتألف هيئة عائلية جديدة لا تلبث ان تزيد الهيئة الاجتماعية بما تفرخه من الصغار . ومنفعة للزوج ايضاً لانها تسهل له سبيل الزواج وتجعل حمل العائلة خفيفاً على ظهره لان امرأته تنفق من دوطتها على ما تريد الا نفاق عليه هذا اذا لم تضم مالها الى ماله . فينشأ عن هذه الشركة اللطيفة في المال والحياة منافع جمة خصوصية وعمومية هذه اهمها :

اولاً تكثير الزواج وتقليل العزوبة . ثانياً حفظ الاداب العمومية . ثالثاً الراحة العائلية الناشئة من وراء السعة والثروة . رابعاً مقدرة العائلة على تربية اولادها تربية حسنة مهما كلفت من النفقات . خامساً رفع شأن المرأة في بيت زوجها وزيادة احترام الرجل لها لان الدوطة تجعل لها حقاً جديداً في شركة الزواج فوق الحق العائلي

هذه اهم منافع الدوطة فلننظر الآن في الامر الثاني

الامر الثاني هل للدوطة مضار — نعم وقد ذكرت لها الكاتبة الطرابلسية بعض المضار . منها ان الدوطات تكون في الاكثر لبنات الاغنياء وعلى الغالب يكون العقل الراجح والادب الصحيح والاقتصاد والتدبير من مزايا بنات الوسط والفقراء لان الثروة ونفخة الغنى تفسدان كثيرًا من اخلاق النساء والرجال . فتكون الدوطة في هذه الحال سببًا لانصراف الشبان طالبي الزواج الى بنات الاغنياء وان كن جاهلات طمعًا في المال معرضين عن بنات الوسط والفقراء وان كن آية في الكمال

هذا هو الضرر العظيم الذي ذكرته رفيقتي الطرابلسية . وانا اوافقها عليه . ولكني اذكر للدوطة مضارًا اخرى . منها انها تعود الزوج الكسل بعد الزواج لانه يتكل على دوطة امرأته . وتعود الشبان الكسل وكراهة العمل قبل الزواج اتكالاً على انهم ينالون بسود عيونهم وحمرة خدودهم دوطة تريحهم من العمل فكأنهم بذلك يتاجرون بانفسهم . وتعودهم التبذير والاسراف ايضًا لان المال « الذي لا تتعب فيه الايدي لا تحزن عليه القلوب » . وتعلمهم الدناءة والاعتماد على الغير لان اشتراطك على الاب انك لا تقترن بابنته التي تحبها حبًا شديدًا الا مقابل الوف الجنيهات عار على حبك وعلى شرف نفسك وباعث على تكبر امرأتك واهلها عليك لانهم يبتاعونك بالمال ابتياعًا لابنتهم

والدوطة مضرة ايضًا لانها تغطي في الابنة كل شيء ولا سيما في هيئة كهيئتنا الشرقية اصبحت فيها الدوطة هي المقصودة من الزواج . نعم الدوطة تغطي اليوم كل عيب يكون في الابنة . اذا كانت غير جميلة الخلق والخلق لا بأس فان الدوطة تغطي ذلك . اذا كانت غير حسنة السمعة لا بأس فالدوطة تغطي ذلك . اذا كان في عائلتها مرض وراثي لاباس فان الدوطة تغطي ذلك . اذا كانت مقامرة حمقاء مسرفة بل اذا كانت مهما كانت فان كل شيء مقبول منها لان الذهب يغطي ذلك . ولكن يغطيه كما يغطي الزهر فوهة البئر وويل لمن لا ينظر للادب والاخلاق والصحة والوراثة قبل النظر الى الدوطة فانه يسقط في هذه الفوهة لا محالة

هذا اهم ما اراه من مضار الدوطة فلننصب الآن الميزان لنزن المنافع والمضار رغبة في معرفة الراجحة منها

اقول ان زيادة منافع الدوطة على مضارها او زيادة مضارها على منافعها امر يتوقف على اخلاق الناس في البلاد التي تكون الدوطة فيها . فالدوطة الآن في فرنسا والمانيا

وانكلترا لا تضر مثلما تضر في بلاد سوريا ومصر مثلاً . فانه لا يُسمع في اوربا ان زيداً استدان مالاً ليعطيه دوطة لابنته اذا لم يكن له مال بحجة ان الصهر العزيز لا يقترن بالابنة العزيزة من غير مال . ما سُمع ان ابًا يبيع ملكه او يرهنه ليعطي دوطة لابنته والا بقيت الابنة في بيته . ما سُمع ان شبانًا لا يملكون الخمسة يطلبون الدوطة عشرة وعشرين اي اكثر من راس مالهم باربع مرات فضلاً عن الذين يطلبون الدوطة ليجعلوها راسمالاً لهم .

كل هذه امور محزنة شائنة تدل على جهل شديد وخروج عن المبادئ الادبية والقواعد الطبيعية ولا يحدث مثلها الا تحت سماء الشرق المشهورة بالعجائب والغرائب . اما في الغرب فنعم ان الابنة لا تتزوج الا ومعها دوطتها ولكنها تجمع هذه الدوطة من شغل يدها وتعب جبينها اذا كانت من الفقراء او الوسطِ وتأخذ دوطتها من ابيها بمثابة ميراث منه اذا كان من الاغنياء . والاب لا يعطي دوطة الا اذا كان ذا مال يعطي منـه ولا يعطي ايضًا الا جزءًا يسيرًا بالنسبة اليه حفظًا لمال العائلة . والزوج يخجل ان يطلب دوطة ٤ الاف جنيه اذا كان لا يملك ٤ الاف فرنك (على الغالب تكون دوطة زوجته لا اكثر من ربع رأسماله فيكون الزواج في هذه الحال شركة لطيفة تضع فيها المرأة ربع راس المال والزوج ٣ ارباعه وهو امر معقول لا ينكره طبع ولا يمنعه شرع

فالضرر العظيم الذي يشكو منه الشرقيون بشان الدوطة ناشيء اذًا عن اخلاق شبان الشرق لا عن مبداء الدوطة نفسه لانني قد اقمت الدليل على ان هذا المبدأ حسن في حد ذاته اذا جرى فيه الناس على خطة الاقتصاد والاعتدال . ومضار الدوطة في بلادنا اكثر من منافعها لان مضار اكثر شباننا اكثر من منافعهم . فليصطلحوا وليصلحوا اذواقهم واميالهم وليكونوا اكثر حبًا للعمل واعتمادًا على النفس ورغبة في الزوجة الصالحة والنسل الصالح بقطع النظر عن الغنى والفقر يذهب بذلك كثير من مضار الدوطة التي نشكو منها وترتقي هيئتنا الشرقية ارتقاء حقيقيًا . فالبلاء كل البلاء اذًا من فساد ذوق شبان الشرق وطمعهم وسوء تربيتهم الادبية والعلمية التي تجعلهم قاصرين عن العمل يفضلون المال في الابنة على العقل والادب والكمال . ودواء هذه الحال المحزنة انما يكون كما قالت رفيقتي الطرابلسية في تربية الشبان تربية صحيحة وتعليمهم كيف اختيار الزوجات

هذا رأيي في هذه المسالة وارجو ان يكون فصلاً للخطاب والسلام لجامعتنا وقرائهـا وقارئاتها الكرام

﴿ احدى القارئات ﴾ بيروت

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

(دفاع المستر غلادستون عن البوير)

— تتمة —

فتسنم المستر غلادستون منبر الخطابة امام جمهور الارواح الملتفة حوله المصغية اليه وقال :

" ايها الاخوان

" لم يبق لي رفاقي " الاحرار " في الارض شيئاً اقوله . فان كثيرين منهم وفي مقدمتهم مورلي و بنرمن قد اقاموا انكلترا واقعدوها باحتجاجاتهم الشريفة المعتدلة على هذه الحرب المشومة . وما احسن قول صديقي مورلي قبل اعلان الحرب . واسمحوا لي ان اعيده هنا لانه مما يليق بان يحرك هواء دار الخلد . قال مخاطباً رجال الحكومة في بلادنا : انكم تستطيعون بقوتكم الهائلة سحق تلك الجمهورية الصغيرة ولكن عملكم يكون عملاً سيئاً . تستطيعون قهر الترانسفال على الرضى بمقترحاتكم ولكن عملكم يكون عملاً سيئاً . تستطيعون اغتصاب معادنها الذهبية وضمها الى املاككم في افريقيا ولكن هذا ايضاً يكون عملاً سيئاً

هذا ما قاله مورلي ولا استطيع ان اقول احسن من هذا الكلام وانما اشرحه للسامعين ليعلموا ان حزب المحافظين قد اكره انكلترا على ان تعمل عملاً سيئاً

وهو عمل سيء من وجهين . الاساءة الاولى الى شعب صغير آمن والاساءة الثانية الى انكلترا نفسها

اما الاساءة الى انكلترا فيكفي لاقامة الدليل عليها ان اذكر بعض اسماء فقط وهي : توجيلا مرريفر لاديسمث كمبرلي مفكنج . الا تخفض اليوم انكلترا العظيمة رأسها الشامخ خجلاً عند ذكر هذه الاسماء الناطقة بانخذالنا وضعفنا . لقد خسرنا في المعارك التي حدثت في هذه الاماكن خسارة اثمن من المال والرجال والوقت . خسرنا شيئاً لا يقوم مقامه شيء بعد الآن وليس لنا اليه من سبيل الا بشق النفس وهو : سمعتنا وسطوتنا العسكرية . فها ان خصومنا في كل الجهات يقهقهون ضاحكين من ضعفنا على فخامة سلطتنا بازاء قلة عدد عدونا . فهل كان من الحكمة وحسن الراي ان نكشف الستار عن قوتنا البرية



المستر غلادستون في شبابه

وندل على ضعفنا بيدنا . وهل اذا افضت هذه الحرب الى ضم الترانسفال الى املاكنا واخذنا جميع ما في معادنها من الذهب يوازي هذا النفع « غير الحلال » الضرر الادبي الذي اصابنا في جميع اقطار العالم من خسارة سطوتنا ومهابتنا العسكرية . لقد كانت هذه السطوة خيراً لنا من جيوش واساطيل . وهي هي التي احنت رأس فرنسا امامنا في حادثة فاشوده فصدقوني ان هذه السطوة قد زالت وان اصغر الدول في اوربا كهولانده والبرتغال قد تحدثها نفسها بعد حرب الترانسفال ان تجترئ علينا

هذه هي الاساءة الاولى اما الاساءة الثانية فهي للبوير كما ذكرنا

ما ذنب شعب آمن يعيش في بلاد عمرها بعرق جبينه ؟ ذنبه انه شديد الحب للحرية ذنبه ان في بلاده معادن ذهبية . ذنبه ان بلاده واقعة في خط السلطنة الافريقية من الكاب الى القاهرة

فيالسقوط مبادئ انكلترا العظيمة . يا للاطماع السياسية التي تقتل الفضائل الادبية والاجتماعية . متى كانت انكلترا تكره الحرية وهي التي اعطت الحرية للعالم . الا تغار انكلترا اذا قيل ان فرنسا في بداية هذا القرن اعلنت للعالم ان كل شعب يريد ان يتحرر فهي تساعده على نيل حريته وانكلترا في نهايته تقول : كل شعب يحب الحرية ويأبى ان يكون رقاً انكليزياً فعليّ قتل حريته . الا تخجل انكلترا ان يقال عنها هذا او مثله

فدوى هنا المكان من تصفيق الحاضرين وضجيج استحسانهم فاردف غلادستون وهو اشد تحمساً فقال

متى كانت انكلترا النشيطة الباسلة تغضب لنشاط البوير المساكين وبسالتهم . اما كان الاجدر بعظمتها والاحق بقوتها ان تدع هذا الشعب الصغير وراء محراثه وبقره وتعطيه حريته الداخلية باخلاص وصدق نية فيصبح حسن الظن بها بعد اذ كان سيئه محباً لها بعد اذ كان كارهاً . الاخلاص الاخلاص هذا هو المفتاح العظيم الذي تنفتح به مغاليق الامور فلو ان المستر تشامبرلن استعمله لحفظ السلم لنالت انكلترا مطالبها من غير قتال واستراحت من هذه الحرب المشومة

ولكن تشامبرلن اراد ضربة كبرى يتخذها سلماً الى رتبة الاشراف ورئاسة الوزارة فليحمل تبعة اعماله فان كل هذه الدماء التي تُسفك الآن واقعة على راسه الخفيف . قلت الخفيف لانه ليس في العالم وزير يدفع دولته الى حرب جائرة كهذه الحرب دون ان

تكون دولته مستعدة لها ودون معرفة قوى الخصم الا اذا كان راسه خفيفاً

والآن فكل عقلاء الامة الانكليزية عارفون اننا في هذه الحرب مخطئون وظالمون . الرأي العام في جميع اقطار العالم ضدنا . البحر يعيق سفننا والطبيعة تحاربنا والله الذي استنصر به كروجر ساخط من عملنا . لا نقولنَّ اننا نحارب من اجل تمدين الترانسفال فان التمدن الذي في بلاد البوير منطبق على اخلاقهم وتمدننا لا يوافقهم . لا نقولنَّ اننا نسفك الدماء ليكون سماداً لفسيلة التمدن في افريقيا الجنوبية كما قال الخطيب السابق فان من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ ولا يجوز قتل فرد لمنفعة جمهور الافي شريعة من لاشريعة له . لا نقولنَّ اننا مدافعون والترانسفال مهاجمة فان هذه حجة واهنة يكفي لردها ذكر غارة جمسون ورغبة الحزب الامبريالي الانكليزي وفي مقدمته سسل رودس في الاستيلاء على الترانسفال لوصل السلطنة الافريقية بين الكاب والقاهرة واخذ المعادن الذهبية كما استولى على كمبرلي لمعادنها الماسية

اذا نحن اخطأنا في هذه الحرب خطأً عظيماً . لقد خدعوكم ايها الانكليز وغشوكم حتى استطاعوا الاقدام عليها . لقد قالوا لكم انها ليست الا نزهة عسكرية لا تقتضي الا عشرين الف جندي وبضعة ملايين من الشلنات وها ان جنودنا في افريقيا يبلغ الآن عددها مائة الف جندي تطلب كل شهر ٨ ملايين من الجنيهات وقد انقضى عليها ١٢ اسبوعاً دون ان تطأ شبراً من ارض الترانسفال . بل بعكس ذلك ان اولئك الفلاحين الضعفاء الذي يحارب الحق بين صفوفهم والله الحرية يقوي قلوبهم قد اكتسحوا قسماً كبيراً من الاراضي الانكليزية في مستعمرة الكاب والناتال . كداوود يصرع الجبار جليات

فلا قدر الله ان تكونوا جلياتاً ثانياً . لقد صرع داوود جليات لا بقوة ذراعه ولكن بما في نفسه من القوة الدينية والادبية . فلا تعجبوا ان يصرع البوير بما في نفوسهم من الحماسة الوطنية والعواطف الدينية الوف الجنود الانكليزية التي تسوقونها عليهم ولا رعبة لها في محاربتهم لانها تعلم بكونها تهاجم شعباً بريئاً اوربياً على دينها شديد الحب لحريته كما انها شديدة الحب لحريتها . فرحماكم ارجعوا هذه الالوف المسوقة الى الحرب بالرغم عنها ولا تُروا العالم الساخر منا الضاحك علينا منظر اسد عظيم يحارب بعوضة صغيرة وهو لا يقدر عليها

لقد ارجعتها انا في سنة ١٨٨١ حينما رأيت الخطر عليها وعلى السلطة الانكليزية في

افريقيا · ارجعتها بعد واقعة ماجوبا هيل لثلاثة اسباب · الاول خوف ثورة الهولنديين في افريقيا · الثاني كثرة النفقات والدماء التي يقتضيها احتلال بريتوريا · والثالث مصالحة البويرلنا

والسبب الاخير في رأيي اهم الاسباب كلها · لاننا اذا لم نصالح البوير ليخلصوا لنا النية ونخاص السياسة لهم بقينا في خطر ثورتهم وبقيت سلطنتنا الافريقية تحت رحمتهم سواء كانوا مستقلين او غير مستقلين بشؤونهم · اما اذا منحناهم حريتهم وبرهنا على صدق نياتنا لهم وعدم رغبتنا في مس استقلالهم فانهم لا يلبسون ان يستخفوا نيرنا ويكونوا عونًا لنا وانصارًا لدولتنا

اذًا فانبدأ باصلاح خطانا العظيم · وليكن هذا الاصلاح عظيمًا بقدر الخطأ · لنبدأن بانزال المستر تشامبرلن من الوزارة سواء سقط المحافظون ام لم يسقطوا وبعد ذلك نعترف بغلطنا ونسأل الترانسفال صلحًا شريفًا لها ولنا يكون مبنيًا على شروط يحكم فيها رئيس جمهورية الولايات المتحدة وامبراطور النمسا · اما اذا قلنا الآن اننا مغلوبون فمن واجباتنا الاخذ بالثار اولاً ثم النظر في حقن الدماء اضفنا الى الخطاء السابق خطأً لاحقًا وهو العناد والكبرياء · ولكن فليحذر العنيدون والمتكبرون فكم انزل الله العنيدين عن الكراسي وارسل المتكبرين خائبين»

قال غلادستون هذا ونزل عن منبر الخطابة · فهاجت الارواح وماجت وصنقت تصفيقًا شديدًا · فتحرك الرئيس افلاطون في كرسيه متململاً وقرع الجرس · فانصت الجميع لسماع حكم افلاطون فانتصب افلاطون بعظمة وهيئة خطيرة وقال (ستاتي البقية)

التحنيط عند قدماء المصريين

احراق جثث الموتى · حفظها · تحنيط ثيبة ومنفيس · طريقة تحنيط الفقراء وتحنيط الاغنياء · ابو العلاء و٢٠٠ موميا وجدت في اصوان

كانت مسالة جسم الميت ولا تزال شاغلة عقول الامم · فمنهم فريق كاليونان كانوا يحرقون جثث الموتى ويحفظون رمادها في منازلهم عملاً بما يفرضه دينهم · ومنهم فريق كقدماء المصريين كانوا يحنطون اجسام موتاهم ويحفظونها عملاً بتقاليدهم لانهم كانوا يعتقدون برجوع النفس الى هذه الحياة بعد الموت فتجد جسدها صحيحًا فتعود اليه كما كانت

وقد اخذ المتاخرون عن هذين الفريقين هذين المبدأين ولكنهم استعملوها لغير الغرض الذي وُجدا لاجله . فان القائلين باحراق الموتى في اوربا الآن — وكثير ما هم — لا يدعون الى حرق هذه الجثث لاسباب دينية ولكن لاسباب صحية . فهم يزعمون ان المقابر التي تدفن فيها الجثث البشرية المختلفة تنبعث عنها روائح تفسد الهواء فاذا كان في اصحابها امراض معدية سرت هذه الامراض الى الاحياء . ولذلك يذهبون الى وجوب احراق هذه الجثث لا دفنها حفظاً للصحة العمومية . وهذا الحزب قوي في اوربا الآن وقد صنع انصاره اتناً خصوصية في اميركا والمانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها يحرقون فيها اجسام الموتى التي ياذن ذووها باحراقها دون ان تعارضهم الحكومات في هذا الامر ومذهبهم يزداد انتشاراً عاماً فعاماً . وزعماؤهم من العلماء ورجال الطب والهيجيين

اما المبدأ الثاني وهو تحنيط الاجسام لحفظها فلا يستعمله اليوم لكثرة نفقته الا كبار الناس لعظيم او عزيز يريدون حفظ رمته . ولكنهم مهما بالغوا في هذا الحفظ فانهم لا يبلغون شأو قدماء المصريين في حفظ الجثث وتحنيطها

وقد كانت هذه العادة شديدة الشيوع في مصر ولكن ليس كما زعم بعض المؤرخين من انها كانت عمومية . فان جثثاً كثيرة من جثث الفقراء وجدت في مصر مدفونة في حفرة واحدة بعضها فوق بعض من غير تحنيط ولا عناية بها . كما انه وجد كثير من الجثث المحنطة في جملتها بعض جثث الفراعنة . وقد قسم العالم ماريت هذه الجثث الى نوعين . نوع منفيس ونوع ثيبة . اما جثث منفيس فهي سوداء ويابسة الى حد تنكسر عنده باقل صدمة . واما جثث ثيبة فهي ارقى صناعةً من جثث منفيس لانها ذات لون اصفر كاون الموتى لامعة بعض اللمعان واعضاؤها لينة حتى انها تلتوي وتُنقل من غير ان تنكسر . واذا ضغطتَ باصبعك على جلد احسنها انضغط الجلد تحت يدك كأن الميت ميتٌ من عهد قريب مع انه قد انقضت عليه الوف من السنين

واما طريقة التحنيط التي كانت عند قدماء المصريين فقد كانت على وجهين . الوجه الاول قليل النفقة للطبقة الوسطى والفقراء والوجه الثاني للاغنياء . وقد عرفنا هذه الطرق مما وُجد منقوشاً على الآثار المصرية وقراه العلماء المتاخرون ومن الكتب القديمة التي نُقلت الينا

اما الطريقة القليلة النفقة فهي ادخال سوائل كاوية الى باطن الجسم فتذيب ما فيه من المعي والقلب والاحشاء فيوضع الجسم بعد ذلك في اناء مملوء بالنطرون (كربونات



الصوده) حتى ينظف باطنه فيفرغ وُيغسل وُيجفف · وكانوا في بعض الاحيان يغسلونه بقطران معدني يتخلل خلايا الجسم كلها

اما طريقة تحنيط جثث الاغنياء فهي شق الجثة من الجانب الايسر ونزع المعى والقلب والاحشاء · ثم اخراج الدماغ بواسطة آلة معكوفة تُمد اليه من المنخرين · ومتى تم ذلك يُدخل الحنوط في جوف الجثة ويحشى الدماغ بالاسفلت الذائب لتتحجر فيه بعد دخوله اليه · وفي بعض الاحيان يضعون نسيجاً وخرقاً مكان الاسفلت · ثم يعرضون الجثة لمجرى هواء حار قصد تجفيفها ويغطسونها بعد ذلك بالنطرون ويطلونها بذائب الاسفلت حفظاً لها من تقلبات الطقس · وبعد الفراغ من ذلك كله ياخذون لفائف من نسيج دقيق او كثيف تبعاً لبخس الثمن او كثرته فيغمسونها بمركب نباتي معلوم ثم يجعلون يلفون الاعضاء بها واحداً واحداً لفاً محكماً ومتى فرغوا منها كلها لفوها معاً بلفافة واحدة وجعلوا اليدين ممدودتين على طول الجثة اوجعلوها على صدرها كما شوهد ذلك في بعض النساء

مومياالفرعون رعمسيس الثاني الملقب بسزوستريس العظيم فاتح سوريا · عثر عليها المسيو ماسبرو سنة ١٨٨٦

ومتى انتهى اللف كان به انتهاء التحنيط · اما المعى والاحشاء فانها تحنط على حدة وتحفظ في اناء يسمونه « كانوب » وعلى الغالب تكون اليد اليسرى للجثة مزينة بخواتم كثيرة ويوضع بجانب الجثة او بين فخذيها او في التابوت صحائف من ورق البابيروس وهي عندهم بمثابة كتب الموتى

وقد بقي التحنيط شائعاً في مصر الى القرن السادس بعد الميلاد المسيحي · وكان المظنون انه لم يوجد قبل السلالة الحادية عشرة ولكن المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية اليوم اكتشف في سنة ١٨٨١ في سقره جثة فرعون من السلالة السادسة يدعى مرانرا سوكار يساهنا وهو ابن بابي الاول · واليه اي الى المسيو ماسبرو ·رجع الفضل باكتشاف جثث احمسيس الاول وامانوفيس الاول وتوتمس الثاني وساتي الاول ورعمسيس الثاني والثالث · وقد نُبشت جثث كثيرة غيرها ولا تزال تُنبش الى اليوم · فاننا قرانا ونحن نكتب هذه السطور ان العملة في اصوان كانوا في الاسبوع الماضي يمهدون الطرق الموصلة الى فندقها فوجدوا في الارض نحو ٢٠٠ جثة محنطة فكسروها بالمعاول ومهدوا الطريق برفاتها قبل ان تدري مصلحة الآثار بها · فراحت تلك الجثث وابو العلاء فيلسوف الشعراء ينشدنا وينشدها

صاحِ هذي قبورنا تملأ الر	حب فاين القبور من عهد عادِ
خفف الوطء ما اظن اديم الا	رض الا من هذه الاجسادِ
وقبيحٌ بنا وان قدمَ العه	دُ هوان الآباء والاجدادِ
سر ان اسطعتَ في الهواء رويداً	لا اختيالاً على رفات العبادِ
ربَّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً	ضاحكٍ من تزاحم الاضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ	في طويل الازمان والآبادِ
تعبٌ كلها الحياة فما اع	جبُ الا من راغب في ازديادِ
ان حزناً في ساعة الموت اضعا	فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ

ولكن لو عادت غداً نفوس هولاء المساكين تطلب اجسادها فاين تجدها؟ ومن تُطالب بها؟ ......

وكان المصريون يحنطون غير الجثث البشرية بعض انواع الحيوان التي كانت في تقاليدهم مقدسة كالتمساح والهر وابن آوى وطائفة من الطيور طويلة الارجل تدعى ايبيس · ويوجد في متحف الجيزة في العاصمة وفي كثير من المتاحف في العواصم لاوربية كثير من هذه الجثث المحنطة البشرية والحيوانية · ويسمونها موي او موميا · وقد وضعنا للقراء في هذا الفصل رسم احداها وهو رسم جثة الفرعون رعمسيس الثاني الملقب بسزوستريس العظيم الذي افتتح سوريا وقد وجد المسيو ماسبرو هذه الجثة في سنة ١٨٨٦

القرن العشرون

— وهل انتهى القرن التاسع عشر ام لم ينتهِ —

تاريخ الميلاد واختلاف العلماء · الخلاف في آخر القرن الثامن عشر · رواية القرن التاسع عشر · احتفال المانيا الرسمي

اختلف الناس في الشرق والغرب في هل دخل القرن العشرون للميلاد في اول يناير الماضي ام لم يدخل · وقد شددت النكير بعض الجرائد والمجلات الاوربية والعربية على الذين قالوا بدخوله محتجة ببساطة هذا الامر ووضوحه · ويعلم حضرات القراء ان الجامعة كانت في الجزء الماضي في جملة الذين قالوا هذا القول في فصل افتتاحي كان له حسن الوقع لدى القراء فترتب اذًا عليها الدفاع عن قولها · وقد قالت ذلك القول استنادًا الى ما قرره علماء المانيا وامبراطورهم وحكومتهم ومجلسهم العالي من دخول القرن العشرين في اول يناير الماضي · وما كنا نحسب ان هذا القرار يلقى معارضة لمعرفتنا بان الحكومة الالمانية لا تقرره الا وهي مستندة الى حجج دامغة · وقد وقفنا على حججها فوجدناها مقبولة وهي كثيرة يطول بنا ايرادها واهمها ثلاث · الاولى انه اذا قيل « سنة ١٩٠٠ » فانما يعنون بذلك ان هذه السنة قد انتهت لا ابتدأت بناء على ان السنة لا تلقب الا بعد انتهائها · والثانية ان تاريخ الميلاد الذي لم يُوضع الا في بدء القرن الثاني اي بعد اكثر من مائة سنة من ولادة المسيح فاخطأ واضعوه التاريخَ الحقيقي بسنة واحدة وهذا سبب الفرق

واما الثالثة وهي الاهم فهي اختلاف اكابر علماء الارض بشأن السنة التي وُلد المسيح فيها · فان العالمين كبلر وكابر الشهيرين يجعلان ولادة المسيح في سنة ٧٤٨ بعد تأسيس رومة · ورنان يقول انها في سنة ٧٥٠ بعدها والكاردينال بارونيوس في سنة ٧٥١ ودنيس لي بتي في سنة ٧٥٣ وسوبليس سافار في سنة ٧٥٠ وبول دي ميد لبورج في سنة ٧٥٦ وجورج هرفه في سنة ٧٥٤ · وجميعهم من العلماء الذين يعول عليهم · فاذا امعنت النظر في ما مر بك رأيت ان اقصى سنة لتاريخ ميلاد المسيح هي سنة ٧٤٨ من تاسيس رومة في حساب كبلر وكابر واقربها هي سنة ٧٥٦ في حساب بول دي ميدلبورج · وبين التاريخين فرق قدره ٨ سنوات فقط ····· فاذا كان علماء الارض لم يتفقوا بعد على تاريخ السنة الحقيقي لولادة المسيح بل يوجد بين اقوالهم اختلاف اقله سنة واكثره ٨

سنين كما رأيت فكيف يجوز الحتم والقطع بان القرن العشرين لا يبتدئ الا بانتهاء سنة ١٩٠٠ . وما ادراهم ان القرن العشرين لم يبتدئ منذ بضع سنين او لا يبتدئ بعد بضع سنين اذا كان العلماء مختلفين هذا الاختلاف في تاريخ ولادة المسيح الذي هو اساس حساب القرون الماضية حتى ان تقديمه سنة او تاخيره سنة يحدث الخلل في الحساب كله

ومما يدلنا على ان هذا الاختلاف جوهري بين العلماء المناظرات الشديدة التي تحدث بينهم بهذا الشان في كل مائة سنة . فقد حدث خلاف بين الناس في اول القرن السابع عشر كما حدث الخلاف امس بشان القرن العشرين . وامامنا الآن اسطر كتبتها جريدة المورنن هرالد التي كانت تطبع في انكلترا في اواخر القرن الثامن عشر اي منذ مائة سنة . وهذه الاسطر مؤرخة في سنة ١٨٠٠ واليك نصها : « قد اختلف الناس هنا اختلافهم في فرنسا بشان انتهاء القرن الثامن عشر او عدم انتهائه ولكن العالم نيوتن قال ان القرن الثامن عشر لا ينتهي الا بانتهاء سنة ١٨٠٠ . ولا ريب ان هذه مسالة يبقى الخلاف فيها وربما حدث نزاع بشانها في اواخر القرن الآتي ايضاً » نقول وقد تمت نبوءة هذه الجريدة كما رأينا

اما اختلاف علماء فرنسا في هذه المسالة في سنة ١٨٠٠ فقد كان شديداً حتى ان كاتبين اسمها ديولافوى ولونشان وضعا في ذلك الحين رواية غنائية سمياها « القرن التاسع عشر » فيها رجل اسمه سنة ١٨٠٠ له دين عند رجل اسمه القرن الثامن عشر بموجب كمبيالة الى مئة سنة ابتداؤها من اول القرن السابع عشر وراغب في الاقتران بابنته التي تسمى « القرن التاسع عشر » فجاءه في سنة ١٨٠٠ يطالبه بالدين ويخطب اليه ابنته فرده الاب بخشونة قائلاً « لا يستحق ديني الا بعد سنة اذ بقي لي سنة من الميعاد . وكذلك زفاف ابنتي « القرن التاسع عشر » لا يكون قبل انقضاء هذه السنة »

اما الذين يقولون ان القرن العشرين لم يدخل بعد فحجتهم ان عدد سني القرن مئة سنة لا ٩٩ والى اليوم لم ينقض من القرن التاسع عشر الا ٩٩ سنة فقط . ولكن هل تستوجب معرفة هذا الامر كثيراً من النباهة والفلسفة

فما مرَّ بك تعلم ان الذين يقولون بدخول القرن العشرين يستندون الى الخطأ الحادث في تقدير سنة الميلاد الاولى والى رغبة الشعوب كلها في القول بانتهاء القرن متى انتهت التسعات ودخلت العشرات كما دل على ذلك اعتبارهم اليوم في كل البلاد ان القرن التاسع عشر قد انتهى وابتدأ القرن العشرون . والذين يقولون بعدم دخول القرن العشرين

يستندون الى بقاء سنة واحدة يجب ضمها الى القرن التاسع عشر حتى يصير عدد سنيه مئة فيسمى حينئذٍ قرناً وربما كان كل من الفريقين غير مخطيءٍ في رايه

ولذلك راينا في بعض الجرائد الاوربية واخصها الفيغارو ان قداسة البابا قد امر باقامة قداس في منتصف ليل ٣١ دسمبر الماضي وآخر في منتصف ليل ٣١ دسمبر الاتي لمباركة القرن الراحل فايهما كان نهاية القرن كان مباركاً . وغرض قداسته من ذلك ارضاء الحزبين

وقد جرى في يوم راس السنة في المانيا كلها احتفالات عظيمة وداعاً للقرن التاسع عشر واستقبالاً للقرن العشرين فقابل الامبراطور غيليوم جميع سراة المملكة وموظفيها وضباط الجيش وخطب فيهم واطلقت المدافع ايذاناً بانتهاء القرن التاسع عشر حتى ان طراداً المانياً كان في ذلك اليوم في ميناء بيروت احتفل بدخول القرن العشرين واطلق المدافع استقبالاً له . ولكن امارة واحدة المانية رفضت الاحتفال بدخول القرن العشرين وهي امارة روس الصغيرة الشهيرة بكراهتها للتحالف الالماني

فليست اذاً هذه المسالة من البساطة والوضوح بقدر ما ظن بعضهم

لغة المجرمين

(اكتشاف جديد)

— من له اذنان للسمع فليسمع —

كلما تقدم الخير ونما في هذه الحياة تقدم الشر ونما ايضاً كأنهما رفيقان متلازمان فاذا ازدادت الثروة قست معها القلوب وغلظت واشتدت الاطماع والاهواء اذا اقيمت مدينة وبُني فيها مدرسة ومعبد ومستشفى فلا يلبث ان يُبنى فيها ايضاً حانة ومجلس قمار ومكان خلاعة وما اشبه . اذا تقدم علم الطب خطوة تقدمت الامراض خطوة ايضاً لازدياد الناس افراطاً او تفريطاً . اذا ارتقى القضاء واصبح القانون حاكماً عدلاً بين الناس ضاق الناس ذرعاً باقل اعتداء يشعرون به فتهافتوا على المحاكم افواجاً اذا ضُبط نظام البوليس ضبطاً شديداً حتى اصبح اللصوص والمجرمون في ضيق من شدة انتباهه وسهره ازدادوا مهارة وتفنناً في اساليب الشر بمقدار ازدياده انضباطاً وانتظاماً

وغرضنا في هذا الفصل الكلام عن الامر الاخير . فقد كتب حديثاً الدكتور هانس



الانسانية تتعذب

(تتركها الحكومات هكذا بلا خبز ولا عناية ولا علم تنهض به ثم تطلب منها ان تبقى بلا اثم ولا)
(شر · واذا اثمت ـ وقد يكون اثمها سرقة قطعة خبز فقط لتمسك بها رمقها او رمق من)
(هو لديها اعز من نفسها ـ فانها اي الحكومات تعذبها بالسجن والاشغال الشاقة)
(والاعدام بدلاً من رفع نفوسها من هاوية الشر والجريمة بالمدارس والارشاد والتربية ·)
(والحكومات مع ذلك مشغولة ببناء القصور الشاهقة وتاثيثها بالرياش الفاخرة وبذل النفقات)
(الفادحة من اموال الشعب على حين انها تتركه يموت جهلاً وفقراً وشقاء · انظر ختام هذه المقالة)
(وقول جول سيمون في مقالة التربية الثانية)

كروس القاضي النمساوي الشهير كتاباً في غاية الاهمية عن الجرائم والمجرمين اودعه اكتشافاً اكتشفه بشأن ما سميناه لغة المجرمين وحققه بنفسه بعد بحث دقيق · فانه ذهب في هذا الكتاب الذي كان له شأن عظيم لدى قضاة اوربا كلها الى انه يوجد بين المجرمين في جميع البلاد الاوربية فريق يصح ان يُسمى « المجرمين الدوليين » اذ لا وطن لهم بل هم يقيمون حيث تلقيهم الريح ويشرعون في ارتكاب الجرائم للمعيشة من هذا الباب الحرام مشتركين فيها مع كل من يجدونه في طريقهم من الرفاق وكل اللصوص والمجرمون لهم رفاق · قال الدكتور كروس · وهولاء المجرمون هم المجرمون الحقيقيون الذين في وجودهم خطر على الافراد وعلى الهيئة معاً فيجب درس اخلاقهم درساً دقيقاً والانتباه الى كل شان من شؤونهم ليكون في استطاعة الهيئة الاجتماعية ان تدفع عنها شرهم

وقد وجد الدكتور كروس ان هولاء المجرمين ما عدا الاجتماعات التي يعقدونها سرًّا وجهرًا يتعارفون ويتفاهمون برموز واشارات يخطونها على الجدران فيحسب البوليس والمارة انها لا شيء مع انها في الحقيقة شيء عظيم · قال هذا الدكتور : ان المجرمين قد ازدادوا تفنناً في طرق الشر · فانهم قد يصبغون اجسامهم تغييرًا لالوانهم · وقد يحفون لحاهم وشواربهم او يجعلون في وجوههم شوارب ولحى عارية · وقد يسملون احدى عيونهم ويكسرون احدى ارجلهم او ايديهم · وقد يتخذون جوازات السفر التي يجدونها في جيوب من يفتكون بحياته ويتسمون باسمه خداعاً للحاكم · ولكن رجال البوليس والقضاة اصبحوا لا يعبأون بكل هذه الامور لمعرفة المجرم · فانهم يستعينون بالعلم المعروف بعلم قياس الاعضاء الذي وضعه المسيو برتيليون الفرنسوي فيعرفون المجرم مهما حاول الاستخفاء · ثم انهم يستطيعون بواسطة التحليل الكيماوي ان يعرفوه من اطراف انامله اذا كان قد امسك بها وهي ملوثة بالدم شيئاً من اثاث البيت الذي ارتكب الجناية فيه · ويعرفونه ايضاً من آثار اقدامه

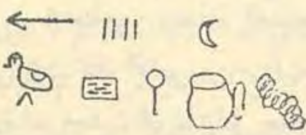
كل ذلك اصبح امرًا سهلاً على القضاة ولكن احسن منه ان نعرف بالشر قبل وقوعه فنعمل على تلافيه · وهذا يستوجب درس احوال المجرمين واخلاقهم وبالخصوص درس رموزهم واشاراتهم التي يتفاهمون بها ويتداعون بواسطتها الى الشر لدفع ضررهم قبل وقوعه

ثم ذكر الدكتور كروس شيئاً كثيرًا من تلك الرموز والاشارات ونحن نذكر ههنا بعضاً منها على سبيل الفائدة والتفكهة ونشفعها بالرسوم زيادة في الايضاح

منها رمز وُجد على جدار كنيسة في بلاد النمسا وهو مؤلف كما ترى في الشكل الاول

من خطين . الخط الاول فوق وفي اوله حربة تدل على " جهة المكان " ثم اربعة خطوط تدل على " المنزل الرابع من الكنيسة " ثم هلال . ومقصود المجرم الذي رسم هذه الاشارة " انه عازم حين طلوع الهلال على مهاجمة البيت الرابع الكائن وراء تلك الكنيسة " واما الخط الثاني الذي تحته ففي اوله عصفور ثم (كشتبان) ثم مفتاح ثم قدر ثم سلسلة . والمقصود بها تواقيع بعض المجرمين الذين مروا بذلك المكان ففهموا معنى الحربة والخطوط الاربعة والهلال فوضعوا تواقيعهم تحتها دلالة على رغبتهم في مشاركة طالب السرقة في سرقته . وتوقيع الاول عصفور والثاني كشتبان والثالث مفتاح والرابع قدر والخامس سلسلة . فيكون المجرم الاول قد ظفر بخمسة شركاء دون ان يبحث عنهم . (انظر الشكل الاول)

(١)



اما الشكل الثاني فهو اكثر غرابة . فانه يمثل ببغاء واقفة امام كنيسة ووراء الكنيسة مفتاح وتحتها طفل صغير مقمط وخط عليه ثلاثة حجارة . ومراد اللص الذي رسم هذا الرسم في غاية الغرابة . اما الببغاء فمعناها انه لص مشهور بشدة الباس والكنيسة كنيسة . واما الحجارة الثلاثة المجتمعة فوق الخط فهي رمز الى القديس اتيين الذي يوافق عيده يوم ٢٦ دسمبر . واما الطفل المقمط فهو رمز الى ميلاد المسيح الذي يوافق يوم ٢٥ دسمبر . فيكون مراد اللص الذي رسم هذا الرسم « انه لص مشهور بشدة البأس يطلب رفاقاً يشتركون معه في سرقة كنيسة في ٢٦ دسمبر والاجتماع للمفاوضة يكون في ٢٥ دسمبر في ذلك المكان » (انظر الشكل الثاني)

ولهم اصطلاحات كثيرة مختصرة للدلالة على اغراضهم . منها رسم دائرةٍ على الجدار ومعناها ان اصحاب البيت يحسنون الى الفقير ورسم الصليب ومعناه انهم لا يحسنون . وقد وجد الشكل الثالث مرسوماً على جدار وهو يمثل كفاً مفتوحاً وتحتها الى اليسار هذه الارقام كما ترى : ٤ " ٧ " ١١ " ٢٠ والى اليمين هذان الرقمان ٦ " ٣ " ومعناها انه يوجد كف سخية اي رجل كثير الاحسان في البيت الرابع والسابع والحادي عشر والعشرين عن اليسار وفي البيت السادس والثالث عن اليمين . والمجرمون والشحاذون كلهم يفهمون هذه الاشارات فيتهافتون على المنازل المذكورة (انظر الشكل الثالث)

(٢)



واذا كان على جدار رسم شبابة فمعناها انك تستطيع « اللعب على الشبابة » اي السرقة في ذلك المكان . واذا كان على الجدار رسم حربة او سيف كان معناه ان البوليس شديد الانتباه فالسرقة صعبة في تلك المدينة

واذا نظرت الى الشكل الرابع رأيت راس حارس تحيط به ٤ خناجر . ومعناها انه يوجد في ذلك المكان حارس يجب قتله للتخلص من مراقبته الشديدة . وهذه الصورة قد وُجدت هي بعينها على جدار في مدينة ستيريا من اعمال النمسا قرب مكان وُجد فيه حارس مقتولاً بطعنات خناجر في صدره مما يدل على ان قاتليه هم اصحاب الرسم المذكور

(٣)



وقس على ذلك باقي الرموز والاشارات . على ان للمجرمين لغات اخرى غير هذه اللغة الرمزيه منها التخاطب والتفاهم وهم في السجون بمجرد القرع على الجدران او بالتصويت اصواتاً متقطعة معروفة المعنى عندهم او بالكتابة على الورق بعصير الليمون الحامض ثم توضع الورقة على لهيب شمعة فيظهر الخط واضحاً . او بالكتابة بالبول او باللبن ثم يذر على الورقة ترابٌ فتظهر الكتابة

فظاهرٌ من كل ما تقدم ان الرذائل والجرائم والآثام قلما تنجح بها شيءٌ من تلك الوسائل الشديدة التي تُتخذ لقهرها وهي العقاب بالسجن او بالاشغال الشاقة او بالاعدام لان القانون كلما ازداد تضييقاً على المجرمين والجناة ازدادوا هم تفنناً في طرق الشر ومبالغة في كتمان اعمالهم ومقاصدهم . اذاً فالقانون مهما كان شديداً ودقيقاً وعادلاً يكون قاصراً في كل اقطار الارض عن منع الشر لان عقابه لا يتناول غير الجسد والشر من اعمال النفس لا من اعمال الجسد . فيجب اذاً مداواة نفوس المجرمين لا اعدامها لذلك يقترح اليوم احد اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسوي على هذا المجلس افتتاح القرن العشرين بعمل عظيم وهو الغاء حكم الاعدام في فرنسا لان وجوده وعدمه في دفع الشر سيان . ومداواة النفوس تكون بمعالجتها منذ الصغر بتربية ادبية ودينية صحيحة وافتقادها بكل الوسائل المهذبة المثقفة في الكبر . لذلك قال الفلاسفة : « متى امتلأت المدارس فرغت السجون »

(٤)



نا كسروا اذاً تلك القيود الحديدية الشنيعة التي يرسف بها المجرمون المساكين في

سجونهم واسبكوا منها محابر للمدارس الالزامية المجانيـة الصحيحة تعليماً وتربيةً التي يجب انشاؤُها في كل مدينة وكل قرية وكل مزرعة للذكور وللاناث على السواء . اهدموا تلك الاقبية الرطبة السوداء التي يقتل فيها الهواء الفاسد اجسام اولئك المجرمين وتزيد فيها البطالة والعشرة الرديئة نفوسهم الخشنة الجاهلة فساداً على فساد واقيموا مكانها اماكن صحيـة فيها العمل المعتدل المفيد والمعيشة الحسنة والمثال الصالح والارشاد المؤثر لترفعوا بها نفوس اولئك المساكين اخواننا واخوانكم في البشرية . من له اذنان من حكام الشرق فليسمع . ومن له قلوب حساسة من عظمائه ورؤساء اديانه فهذا اوان العمل . ولا قدّر الله ان يصدق اليوم في البشر على الارض تلك الكلمة الهائلة التي صدقت فيهم منذ نحو الفي سنة وهي : « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون ..... »

باب التربية والتعليم

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة	يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

التربية الثانية

(المدرسية)

نشرنا في هذا الباب من الجزء الثالث عشر مقالة عنوانها « التربية الاولى » جعلنا فيها التربية ثلاثة انواع « نوع يتولى شان الانسان في صغره في البيت ونسميه التربية الاولى . ونوع يتولى شان الانسان في كبره في المدرسة ونسميه التربية الثانية . ونوع يتولى تثقيف عقل الانسان بعد البيت والمدرسة ويكون له تاثير شديد على اخلاقه وادابه وآرائه وهو يتناول الكتب والجرائد والجمعيات ونسميه التربية الثالثة »

وقد استوفينا الكلام في الجزء الثالث عشر عن التربية الاولى وجئنا الآن نبحث في الجزئين الباقيين من هذه السنة في التربية الثانية والتربية الثالثة حتى اذا فرغنـا من هذا

الاجمال عدنا الى التفصيل فتناولنا مسائل التربية والتعليم مسالة مسالة وبحثنا فيها مع القراء بحثاً دقيقاً . اما الان فنقول في التربية الثانية

***

لو كان الولد يبقى في المنزل تحت جنح امه من غير ان يحتاج الى الخروج للعالم للعمل والقيام بواجباته لكنا نقول للام ابقيه الى جانبك وغذي نفسه بحبك وحنوك فحسبه ذلك تربية وتعليماً . ولكن تعلمين ايتها السيدة انه كما ياتي على فرخ الطير يوم " يطير فيه من عشه " كذلك ياتي على ولدك يوم يرى فيه نفسه مضطراً الى الخروج من تحت جنح والديه الى العالم والعمل فيه مستقلاً بذاته . وذلك دور جديد يدخل الولد حينئذٍ فيه . فان كان مهيئاً له بحكم تربيته نجح وافلح والاّ فانه يسقط في وسط ذلك الزحام الشديد كما يسقط في ساحة النضال جندي ضعيف او بلا سلاح يدفع به عن نفسه

والبيت مهما اينعت فيه ازهار الفضائل لا يحسن اعداد الاولاد لهذه الحياة الجديدة . وذلك لامرين . الاول لان تربيتك ايتها السيدة انما تكون في الغالب تربية حنظٍ ووقاية . فانك اكثر اهتماماً براحة ولدك ورفاهته وارضاء امياله منك باعداده لحياة الرجولية . اميل لا تصنع هذا . حذار البرد والحر يا اميل . لا تزعل يا اميل الكل فداك . لا تخرج وحدك الى السوق :— هذه هي تربيتك ايتها السيدة وهي تربية غير مضرة كثيراً بالفتيات ولكنها شديدة الضرر بالفتيان . لان الذكور خُلقوا للعراك والنضال والزحام الشديد خلافاً للاناث . فاذا اهملتِ اعدادهم لهذه الحياة الصعبة الثقيلة جنيتِ عليهم جناية كبرى

اذاً لا بد من ان تعهدي الى اناسٍ غيرك تربية ولدك متى بلغ اشده لانك تجهلين كيف يجب ان تكون تربيته لزحام العالم اولاً ولان حنوك الوالدي لا يقدر على هذه التربية ثانياً . وليس ذلك واجباً عليك لهذا السبب فقط بل هنالك سبب ثانٍ اكثر اهمية . وهو ان الولد في البيت كملك في مملكته . ارادته فوق ارادتك وارادة جميع من البيت . اذا طلب قمر السماء فيكفي لحصوله عليه ان يصرخ صرخة وينزل من عينيه دمعة يحضر له القمر في الحال اذا كان احضاره في استطاعتك . فماذا يعمل هذا الولد « المدلل » المسكين حين نزوله الى العالم وزحامه ورؤيته فيه انه لا يوجد معه احد يمسح دموعه ويمهد طريقه بل كل الناس لا يهمهم ضحك ام بكى عاش ام مات . يومئذٍ يجد نفسه ضعيفاً ضئيلاً قاصراً في غاية الكآبة والتعاسة ويكون حنوك قد جنى عليه . فرغبة في تلافي هذا

الامر يجب عليك وضعه في عالم وسط بين منزلك الهادىء اللطيف الذي لا يسمع فيه كلمة تسوءه ولا يجد في طريقه عقبة تتعبه بل كل طريقه فيه مفروشة زهرًا وريحانًا وبين العالم الحقيقي وزحامه الشديد وحياته المتعبة . — عالم وسط يكون فيه شبه العناية البيتية ورأفتها ووقايتها وشبه زحام العالم الكبير وشيء من متاعبه حتى يعتاد عليها . وهذا العالم الوسط هو المدرسة

فيجب اذًا ايتها السيدة ان تدخلي ابنك الى المدرسة

هذا واجب ادبي اجتماعي . ولكن فلننظر اذا كان لا يوجد بازائه واجب آخر وطني او سياسي

تتألف الهيئة الاجتماعية من الافراد . فاذا كان الافراد اقوياء كانت قوية واذا كانوا ضعفاء كانت ضعيفة . فالهيئة اذًا واجب على اعضائها وهو ان يكونوا اقوياء لتقوى بقوتهم

واذا ترتب على الاعضاء ان يكونوا اقوياء قيامًا بما يجب عليهم للهيئة ترتب على الهيئة ان تسهل لهم كل سبيل الى هذه القوة قيامًا بما يجب عليها لهم . لان الواجب المطلوب من احد الفريقين يخول هذا الفريق حقًا بقدره اذ الحق بقدر الواجب دائمًا . ولما كان لا قوة حقيقية للانسان من غير تربية علمية وادبية توسع مداركه وتسقط غشاء الجهل والوهم عن عينيه ترتب على الانسان ان يتربى هذه التربية وعلى الهيئة الاجتماعية ان تربيه قيامًا بواجباتها لانها اذا اهملت هذه التربية قصرت بواجباتها اولاً واضرت بنفسها ثانيًا لما يلحق بها من جهل ابنائها وضعفهم اذا ابقتهم جهلاء وضعفاء . وكذلك لا يجوز لهؤلاء الافراد ان يبقوا جهلاء لانهم اذا كانوا يملكون الاضرار بانفسهم فهم لا يملكون الاضرار بالهيئة الاجتماعية وحرمانها المواهب التي اعطيت لهم كامانة لبني جنسهم . فنشأ اذًا عن هذين الامرين العظيمين واجب عظيم على الافراد وهو ان يتعلموا وواجب عظيم على الهيئة وهو ان تعلمهم . والواجب الاول يستدعي الزامية التعليم . والثاني يستدعي مجانيته اي وجوب تعليم الهيئة افرادها مجانًا لانه متى وجبت الالزامية وجبت المجانية . فمن « واجباتك الوطنية والسياسية » ايضًا ايتها السيدة ان تدخلي ابنك الى المدرسة

***

اما وقد اثبتنا الآن ضرورة التعليم والتعلم فلندخل الى المدرسة

ما هو غرض الناس من ادخال اولادهم الى المدرسة ؟ الغرض من ذلك تربيتهم تربية

صحيحة وبما اننا قد ذكرنا في ما مرّ من الكلام على التربية الصحيحة الكاملة انها ثلاثة اقسام عقلية . ونفسية . وجسدية . اي تربية العقل وتربية النفس وتربية الجسد . فوظيفة المدرسة اذاً ان تربي تربية عقليــة ونفسية وجسدية

وهنا نلتقي بالكلمة الجميلة التي قالها الفيلسوف جول سيمون وجعلناها شعاراً لباب التربية والتعليم وهي « ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة الاقدام من اخص وظائف المدرسة » . فالعلوم من وظائف العقل والفضيلة والاقدام من وظائف النفس والجسد . اما النفس فلأن الادب والفضيلة غذاؤها الذي به تحيا ومن غيره تموت . واما الجسد فلان النشاط والاقدام الواجبان في هذه الحياة على كل من يرغب في اجتناب السقوط في جهادها الشديد لا يكونان في الاجسام الضعيفة والعزائم الواهية ولكن في الابدان القوية والعزائم الماضية فضلاً عن تاثير صحة الجسم او ضعفه على العقل نفسه ولذلك قال العارفون : العقل الصحيح في الجسم الصحيح . فوظيفة المدرسة اذاً مثلثة وهي تربية العقل بتعليمه العلوم المنطبقة على حاجاته . وتربية النفس ببث الادب الصحيح والحكمة الرائعة فيها . وتربية الجسد بتقويته على حمل النفس وتمهيد سبيل عيشها في هذه الحياة بالاقدام والعمل والنشاط

هذه هي وظيفة المدرسة . فهل تقوم مدارسنا بها

ولكن قبل هذا السؤال ينبغي ان نسأل اذا كان عندنا مدارس . وهو سؤال يسهل الجواب عليه اذا القينا الابصار الى الشوارع والاسواق ورأينا الاولاد فيها يتمرغون باوحال الازقة ونفوسهم تتمرغ بحمأة البطالة والشر والرذيلة . من بين عشرة اولاد يدخل ولد الى المدرسة وفي بعض الجهات لا يدخل الولد الا من بين خمسين . وكثيرون من الاولاد يدخلون المدرسة ثم يهجرونها بعد سنة او سنتين او بضعة شهور . ومنهم من يقضي فيها بضع سنوات دون ان يستفيد شيئاً مهماً لفساد التعليم واهمال المدرسة . ومن المدارس ما هو اشبه بحظائر الحيوانات بلا نور ولا هواء ولا نظافة يرعى فيها المعلم تلامذته وهو اجهل منهم كما يرعى الراعي الانعام السائمة

فقبل دخولنا الى المدرسة لنبحث في طرق التربية والتعليم فيها تمييزاً للغث من السمين ندعو من كل قوانا حكام الشرق وعظماءه الى امر كثيراً ما ينسونه . وهو نشر المدرسة

قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه المدرسة . — الحكام يعدون المحاكم للمجرمين والمعتدين . ويقيمون المشانق وينشئون السجون . والاغنياء يجودون بالمال للمحتاجين حتى لا

تدفعهم حاجتهم الى ارتكاب الشرور . وهما امران قد يدفعان الشر ولكل احسن منهما تعميم المدرسة

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب

« اسمعوا ملوك الارض كيف يعطون المملكة حساباً عن رعيتهم عند افتتاح مجالس النواب — » ايها السادة النواب علائقنا حسنة مع جيراننا ... الراحة في الداخل والسلم في الخارج ... البلاد تتقدم في سبيل العمران ..

ولكن هل يقول هولاء الملوك لنواب مملكتهم ان الشعب يموت من الجهل والبطالة والاهمال في بعض الطبقات . هل يقولون لهم ان عدد الذين يدخلون السجون والحانات اكثر من الذين يدخلون المعابد والمدارس بالوف المرات . هل يقولون لهم ان في الشعب من لا يعرف ان يمسك كتاباً او قلماً بل عقله في ظلمات دائمة بعضها فوق بعض

نقول . فاذا كان يوجد مثل هذه الحال في بلاد الغرب فما القول بهذا الشرق المسكين فلترتفع من جهاته الاربع صراخ اليأس والحزن بالدعوة الى هذا الامر العظيم . مدارس مدارس مدارس نطلب ان تتركوا كل شيء وتفتحوا مدارس . اننا لنتهلل فرحاً كلما سمعنا بانشائكم مدرسة جديدة لاننا نعلم بان نوراً سموياً جديداً سيسطع في الارض على يدكم وقوة جديدة ستوضع في نفوس صغار ضعفاء جهلاء بواسطة مدرستكم . فانشروا المدارس في كل مدينة وكل قرية وكل مزرعة فانكم تنشرون بها نور الله على الارض وكفى بذلك فخراً لكم

هذا اجمال سيتلوه تفصيل في الاعداد الآتية اذ نا خذ مسائل التربية العقلية والنفسية والجسدية مسالة مسالة للنظر فيها على حدة كما قدمنا والله المستعان وهو الموفق الى السبيل القويم

﴿ التعليم ومدارس الحكومة في فرنسا ﴾

من شاء ان يعلم اهمية المدارس وخطارة مسالة التعليم فليتصفح في هذه الاثناء الجرائد والمجلات الفرنسوية . فانها قائمة قاعدة بشان نظام جديد تقترح الحكومة وضعه بشان التعليم واليك البيان

يذكر القراء فيما نظن الاهوال التي لقيتها حكومة فرنسا في مسألة دريفوس في العام الماضي . وقد ثبت للجمهورية بعد تلك الاهوال ان الشر قد اتاها من الجمعيات الاكليريكية ومدارسها

لان هذه الجمعيات تفضل الحكومة الملكية او الامبراطورية على الحكومة الجمهورية ولذلك تسعى الى قلب هذه الحكومة بما تنشره من الجرائد ومن تستميله من الاحزاب ومن تخرجه من مدارسها العديدة · فبعد مرور تلك الزوابع الشديدة التي عصفت في السنة الماضية ارادت الحكومة الفرنسوية ان تضرب على ايدي اعداء الجمهورية فحكمت على بعض من رؤسائهم بالنفي والسجن واقترحت على البرلمان ان يصادق على نظامات وضعتها لمضايقة الجمعيات الاكليريكية ومدارسها · ومن هذه النظامات قانون يقضي على كل راغب في خدمة الحكومة ان يبرهن على كونه قد اقام في مدارس الجمهورية الثلاث سنوات الاخيرة من تعلمه

والغرض من هذا النظام ظاهر وهو اشباع نفس ذلك الطالب في مدة السنين الثلاث المذكورة من المبادئ الجمهورية لينسى المبادئ الملكية والاكليريكية التي يكون قد تلقنها في المدارس التي ليست للحكومة · هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الطلبة متى عرفوا انهم لا يتوظفون في الحكومة الا اذا درسوا في مدارسها تركوا المدارس الاخرى واقبلوا على مدارس الحكومة اقبالاً شديداً · وهذا غرض الشارع من هذا النظام

لكن فريقاً من عقلاء الجمهوريين وجميع الاحزاب الملكية والامبراطورية والاكليريكية قاموا باسم " حرية التعليم " يعارضون الحكومة في هذا المشروع وصاح بها المسيو كاسنياك زعيم الحزب الملكي في مجلس النواب انه عار على جمهورية تقول انها ام الحرية ان تعمل بيدها لخنق الحرية · ويقابل هولاء فريق الجمهوريين المتطرفين وبعض المعتدلين يقولون ان هذه النظامات الجديدة حسنة ومفيدة لانها تضمن الراحة لفرنسا كلها اذ تجعل اعداء الجمهورية اخفض جنحاً واضعف عزماً فلا ينتهزون كل فرصة لتكدير كاس السلم ومحاولة قلب الحكومة

والآن فالعراك شديد بين هذين الفريقين وكل عقلاء الفرنسويين وساستهم مشتغلون بهذه المسالة المدرسية · ولا ريب عندنا في ان حزب « حرية التعليم » يفوز في النهاية لان الحق في جانبه ولكن سواء فاز ام لم يفز فان الذي نريد تقريره الآن هو ان مسالة مدرسية تقيم فرنسا وتقعدها وفي بلادنا لا يعبأ احد من كبارنا ولا صغارنا بالمسائل المدرسيــة

﴿ الصرف والنحو الفرنسوي والعربي ﴾

قلنا في المقالة السابقة اننا نؤجل النظر في مسائل التربية المدرسية الى الاعداد التالية ·

ولكن لم نرَ الآن بدًّا من النظر في احدى تلك المسائل لما قرأناه في الجرائد الفرنسوية بشأن الصرف والنحو الفرنسوي . فان مجلس المعارف الفرنسوي الاعلى قد قرر في هذا الشهر قرارًا بهذا الشان شديد الاهمية وهو مراجعة « الصرف والنحو الفرنسوي » ونبذ كل ما يُستغنى عنه من هذين العلمين تسهيلاً لتناول اللغة الفرنسوية على طلابها . وقد كان قراره هذا باجماع الاصوات وعين لجنة لفحص هذا المشروع وتمهيد سبيله

نقول وقد اختبرنا نحن بانفسنا تدريس الصرف والنحو الفرنسوي وعلمنا مقدار الصعوبة التي يجدها الطلبة في فهم بعض القواعد الغويصة التي لا يحتاج في الكتابة والكلام اليها بل هي من متخلفات الكتاب وقد اختلفوا فيها . ولكن قد اختبرنا ايضًا تدريس الصرف والنحو العربي فرأينا انه مهما يكن من صعوبة درس الصرف والنحو الفرنسوي فانها لا تساوي جزءًا من الصعوبات الهائلة التي تعترض طلاب النحو والصرف العربي اذا درسوهما في الكتب القديمة . ذلك ان هذه الكتب مشحونة بالمذاهب المتناقضة والمبادىء التي لا حاجة بهم اليها كلها يتلقنها التلامذة من غير ان يفهموهـا وذلك على طريق الذاكرة فقط دون ان يكون دخل فيها للقوة المميزة المدركة . ولنا في هذا الشان وغيره كلام طويل نبقيه الى فرصة اخرى . اما الآن فنقول انه اذا كان الصرف والنحو الفرنسوي مع ما فيه من السهولة محتاج الى حذف واثبات واختيار وتنقية فما القول بالصرف والنحو العربي؟ ولكن لو قام عندنا الآن احد يدعو الى هذا الامر وشرع فيه لشرعت نحوه اسنة الاقلام من كل الجهات لاعتبار بعض الناس عمله بمثابة بدعة في اللغة اذ للتقاليد عندنا قوة الحقيقة ان لم نقل قوة الدين سواء كان التقليد صحيحًا او فاسدًا . وهذا من اهم دواعي تأخرنا العلمي والادبي والاجتماعي

☀ جريدة تغذي العقل والجسد معًا ☀ عزمت احدى مكاتب برلين على نشر جريدة على مادة تؤكل فمتى ابتاعها الانسان وفرغ من مطالعتها قطعها واخذ باكلها ليغذي جسمه منها كما غذى عقله ....

☀ الفيلة تربي الاولاد ☀ الامهات في سيام تعهد الى الفيلة تربية اولادهن . فترى الاولاد في الشوارع وفي الحدائق يلعبون بين قوائم هذه الحيوانات . فاذا اتفق مرور فارس يركض فرسه او ظهور افعى او غير ذلك مما يخشى منه على الاولاد مدت الفيلة خراطيمها بالحال فتناولت بها الاولاد بلطف ثم وضعتها على ظهورها وسارت بها بكل حنو وعناية كأنها امهاتها

باب تدبير الصحة

والمنزل

الوقاية من الحمى التيفوئيدية

نشر الدكتور دوجاردين بوماتز الفرنسوي الشهير مقالة في صدر احدى المجلات الطبية ابان فيها الوسائل التي يجب اتخاذها للوقاية من الحمى التيفوئيدية واليك خلاصة اقواله

« متى ظهرت الحمى التيفوئيدية في منزل فينبغي فحص الماء في الحال فان كانت العلة منه سهلت مداواتها . وكذلك ينبغي تطهير المرافق (اماكن الراحة) وذلك بنضحها كل يوم بمحلول سلفات النحاس او كلور الكلس باعتبار ٣٠ غراماً لكل لتر ماء

ويجب اطلاق الهواء والنور في اماكن الراحة وينبغي ان يكون فيها نوافذ الى خارج البيت . ويجب على الخصوص ان لايكون هواؤها متماساً مع هواء المنزل اي ان لا يكون بينهما اتصال واهم من ذلك كله ان لا تترك اماكن الراحة مكشوفة على الطرق العربية فان هذه الطرق شديدة الضرر وكم ولدت الحمى التيفوئيدية . واحسن طريقة لمنع هذا الضرر ان تجعل حفر اماكن الراحة مغطاة على الطرق الافرنجية وان يوضع فيها دائماً كلور الكلس ويلقى الماء بكثرة فيها كلما زارها احد

واما الوسائل الواجب اتخاذها حين ظهور هذه الحمى فهي

١ — يجب عزل المريض في غرفة وحده وان لا يدخل عليه احد الا الذين يمرضونه وان لا يأكل ولا يشرب احد في غرفته وان كل ممرض يدخل عليه يغسل يديه بكلور الكلس او محلول سلفات النحاس باعتبار ٢٠ كيلوغراماً لكل لتر ماء

٢ — يجب ان يكون اطلاق الهواء في الغرفة سهلاً ويجب نزع الستائر والبسط والاغطية من الغرفة ووضع سرير المريض في وسط البيت وكل متاع من امتعة المريض ينبغي ان يطهر بتدقيق شديد

٣ — يطهر براز المريض قبل القائه في حفرة (مكان الراحة) وذلك بوضع سلفات النحاس او كلور الكلس في اناء البراز باعتبار ٥٠ كيلوغراماً لكل لتر ماء . ثم يلقى من هذا المحلول في الحفرة نفسها كلما افرغ هذا الاناء فيها

٤ — كل الامتعة التي يستعملها المريض يجب ان تغمس في محلول سلفات النحاس او كلور الكلس المذكورين آنفاً قبل اخراجها خارج الغرفة ثم توضع في ماء غالٍ على النار مدة ٤ ساعات وتعطى بعد ذلك في الحال الى الغسالة لتغسلها

٥ — بعد شفاء المريض ينبغي تطهير الغرفة وذلك يتم كما ياتي · اولاً اغلق نوافذ الغرفة جيداً ثم اغلِ فيها ماء مدة ساعة حتى ينتشر البخار في الغرفة كل الانتشار فضع ناراً على الارض واحرق بها كمية من الكبريت على معدل ٢٠ غراماً لكل متر مكعب فينتشر دخانه في الغرفة ويطهرها ولا يخرج خارجاً لان بخار الماء يمنعه من الخروج · ولكن لا تنسَ ان تقفل الغرفة جيداً واتركها مقفلة لا اقل من ٢٤ ساعة · ثم اشرع في غسلها ومسحها بتدقيق واتركها مفتوحة ليلا ونهاراً مدة اسبوع على الاقل دون ان يسكنها احد· واما اثاثها فانفضه باعتناء وطهر منه كل ما يمكن تطهيره بالمحلول المذكور آنفاً

٦ — ولما كان تبخير الامتعة بالمباخر الصناعية مما يفيد كثيراً في تطهير الامراض فاننا نقترح على كل مجلس بلدي ان يعد مبخرة خصوصية ويرسلها الى بيت كل مريض يكون مصاباً بمرض معدٍ لاجل تطهير منزله كما ان المجالس البلدية ترسل المطافئ لاخماد النار متى اضطرمت في المنازل » انتهى

﴿ النوم والسهر ﴾

خلق الله النهار للعمل وخلق الليل للاستراحة · فالليل يعوض على الانسان ما يخسره في النهار من القوى وذلك بواسطة الرقاد · فمن الواجب اذاً النوم باكراً وعند الالمانيين مثل يقول "ان ساعة نوم قبل منتصف الليل تساوي ساعتين بعده" وذلك لان السهر يجهد جسم الانسان وعقله فينام متعوباً بدل ان ينام مستريحاً ولو فتش كثيرون من الناس عن اسباب امراضهم وسوء حالتهم الصحية لوجدوها في ما سهروه من الليالي وانما يكون اهل القرى احسن صحة من اهل المدن لان اهل القرى ينامون باكراً اكثر من اهل المدن

اما ساعات النوم فهي للاولاد الصغار بعد العشاء مباشرة لان هضم غذائهم اللطيف لا يقتضي وقتاً طويلاً · واما الفتيان فحسبهم ساعة او ساعتان بعد العشاء واما الرجال فيجب ان يناموا قبل منتصف الليل ليمكنهم ان يناموا لا اقل من ٧ ساعات وهي المدة اللازمة لهم · وخيرٌ للانسان ان ينام باكراً وينهض باكراً فان النهوض قبل شروق

الشمس مفيد جدًّا له من الوجه الصحي ومن الوجه الادبي ايضاً اذ يتعلم النشاط · وما سُمع ان احدًا من كبار رجال العمل والاقدم كان ينام الى ما بعد شروق الشمس · فنم باكرًا وانهض باكرًا تكن كمن يسبق الوقت يتبعك فلا يلحقك · اما اذا ابطأت في النهوض من فراشك كل يوم فانك تكون كمن يسبقه الوقت تتبعه فلا تلحقه

ولا نعلم كيف تطيق ان تطلع الشمس من وراء الافق البعيد وتنهض الاطيار من اعشاشها مغردة ويهب نسيم الصباح عليلاً بليلاً وتتفتح الازهار في الرياض وتدوي حركات النشيطين في المدينة — كل ذلك وانت غائص في فراشك بكسل وخمول · فاترك ذلك اذًا شئت ان تكون رجلاً صحيح الجسم نشيطًا مقدامًا ونم باكرًا وانهض باكرًا

﴿ اسباب قيء الاطفال ﴾

كتب الدكتور فاريوت فصلاً في اسباب قيء الاطفال فقال ان هذه الاسباب كثيرة منها (١) تمدد معدة الطفل لكثرة اللبن (الحليب) الذي يتناوله وعلى الخصوص اذا كان قوي البنية وشديد الشراهة والقابلية للرضاع · (٢) بكاؤه الشديد وسعاله (٣) رداءة اللبن او عدم مزجه مع الماء بالنسبة اللازمة له هذا اذا كان الطفل يرضع بالوسائط الصناعية · اما اذا كان يرضع من امه او من مرضع فان القيء نادر جدًّا عنده · (٤) تناوله طعامًا غير اللبن كالمرق او الخبز وما اشبه فهذا امر شديد الاضرار به (٥) مرض المرضع او تأثرها تأثرًا شديدًا سواء كان حزنًا او سرورًا وتناولها بعض الادوية التي تؤثر في لبنها (٦) غليان اللبن في اناء من نحاس فينبغي الانتباه الى ذلك (٧) اذا كان لا هذا ولا ذاك فيجب ان يكون الطفل قد ابتلع شيئًا وُضع في يده ولذلك لا يجب ان يوضع في يديه شيء (٨) واذا كان لم يبتلع شيئًا فهو اذًا قريب من الاسنان

قال الدكتور فاريوت في ختام هذا الفصل · والخلاصة ان اسباب قيء الاطفال كثيرة ولكنها في الاكثر تنشأ عن امرين : الاول كثرة تغذية الطفل اي ارضاعه اكثر مما يجب · والثاني رداءة اللبن · ودواء هذا الداء جعل الرضاعة مرات متقطعة في اوقات معينة ومراقبة اللبن (الحليب) وعلى الخصوص جعل تركيبه بالنسبة اللازمة ولا بأس ان يضاف الى ذلك سقي الطفل قبل كل رضاعة ملعقة صغيرة من مياه (فيشي) الخالصة فانها تساعده على هضم غذائه

﴿ دواء غريب لمنع السكيرين من السكر ﴾

يداوي الناس السكيرين عادة بالوعظ والارشاد والحكومات قد تداويهم بالسجن . وكان الاسبرطيون يسكرون عبيدهم و يعرضونهم في الساحات في حال سيئة من السكر حتى يراهم اولادهم فيجتنبوا هذه الرذيلة . ووصف بعضهم لشفاء السكيرين ان يصور السكير وهو غائب عن الرشد متمرغ باوحال الازقة وتوضع صورته في الاسواق والشوارع ليراها الشعب ويعتبر بها

ولكن كل هذه الطرق لم تنجح في رد الشعوب عن المسكرات بل بقيت مقبلة عليها بالرغم عن وعظ الوعاظ وتشديد الحكومات حتى اصبحت المسكرات كما قال غلادستون اشد فتكاً في الارواح من الطاعون والكوليرا وكل الامراض الهائلة . فكادت تيأس جمعيات منع المسكرات التي تألفت في اوربا لمقاومة هذه الآفة من نجاحها في عملها واذا بها تسمع الآن باكتشاف عظيم يمنع السكيرين من السكر فانتعشت آمالها . واليك بيان هذا الاكتشاف

اعلن الدكتوران سابيليه وتيبو الفرنسويان والصيدلي بروكا الباريزي انهم اكتشفوا بعد التدقيق والتجربة مصلاً يبغض المسكرات الى السكيرين . ذلك انهم تناولوا فرساً وعودوه شرب الكحول بالوسائط الصناعية حتى اعتاد عليه وصار لا يهنأ له عيش الا اذا تناول منه . فاستخرجوا عند ذلك من دمه مصلاً وحقنوا به جسم السكيرين فكلما دخل هذا المصل الى دم سكير تغير ذوق السكير واصبح يكره تناول المسكرات وشم رائحتها . والسر في هذا الاكتشاف تأثير المصل على الجهاز العصبي نفسه . وقد جرب اصحاب الاكتشاف دواءهم في كثيرين من السكيرين فاسفرت تجاربهم عن نجاح عظيم . فرفعوا اكتشافهم الى الجمعية الطبية الفرنسوية فتقبلته باهتمام وعينت لجنة من اعضائها لفحصه . فاذا كان مبدأه صحيحاً كان هذا الاكتشاف اجزل فائدة للانسانية من جميع الاكتشافات العلمية التي ظهرت حديثاً لشدة اضرار المسكرات وقتلها الآن العقل والصحة والنسل والادب في جميع اقطار العالم .

ولكن يوجد اعتراض مهم على هذا الاكتشاف وهو ان السكيرين يأبون ان يُحقنوا بهذا المصل لانهم يكرهون ترك المسكر رفيقهم وعزيزهم . ولذلك قال الصيدلي بروكا المذكور آنفاً وهو اول من افتكر بهذا الاكتشاف : يجب علينا ان لا نكتفي بشفاء السكير من داء السكر بواسطة حقنه بالمصل لانه قد لا يمكننا من ذلك بل ينبغي جعل هذا المصل صالحاً

لتطعيم الاطفال منذ صغرهم على طريقة التطعيم بالمصل الواقي من الجدري فيشب الاولاد دون ان يكون لآفة المسكر سبيل الى نفوسهم

وقبل وقوفنا على هذا الاكتشاف الغريب رأينا في بعض المجلات العلمية دواء للسكرات تستعمله حكومة سويسره · ذلك ان كل رجل سكير يوجد ملقى في الطرق — وكثيرًا ما يحدث ذلك في البلاد الاوربية لشدة افراطهم في السكر — يؤخذ الى السجن فيبقى فيه ١٠ ايام لا يُطعم في خلالها الا الخبز فقط منقوعًا بالمسكرات حتى تعاف نفسه المسكر فيخرج من السجن وهو يكرهه

اما الاكتشاف الجديد الذي اشرنا اليه آنفًا فلم تبق جريدة او مجلة اوربية حتى اشارت اليه في خلال هذا الشهر لشدة اهميته فعسى ان يكون صحيحًا ليستريح البشر من آفة الكحول الهائلة

﴿ لا تسعل سعالاً شديدًا ﴾

كثيرون يصابون بزكام او التهاب شعبي او غير ذلك من امراض الصدر فيطيب لهم جدًّا ان يسعلوا سعالاً شديدًا لاخراج الفضول من صدرهم · والحقيقة ان السعال الشديد يزيد مرضهم استفحالاً اولاً ويكون غير لائق بهم امام الناس ثانيًا · اما زيادة مرضهم بالسعال الشديد فلأن غشاء الرئة يتمزق شيئًا فشيئًا بشدة السعال لشدة نحافته · فلا تحسب اذًا حينما تسعل سعالاً شديدًا وتنفث نفثة كبيرة انك قد استفدت من ذلك بل بالعكس تكون قد اضررت بنفسك · وانما يفيدك ان تعوّد نفسك السعال بتأنٍ ولطف وقاية لغشائك الرئوي · ويؤكد الاطباء العارفون انك اذا تعودت هذا السعال الخفيف اللطيف كان ذلك باعثًا على اطالة عمرك بضع سنوات · اما السعال الشديد فيقصره بضع سنوات · فتدبر وانتبه

﴿ دواء لشفاء الثآليل ﴾ قال الدكتور فيدال ان من كان في يده ثألولة او ثآليل واراد شفاءها من غير عملية جراحية تستاصلها فعليه وضع قشور من الصابون الاسود على قطعة من الفلانلا وابقاؤها على الثالولة مدة ١٥ يومًا ليلاً ونهارًا وبعد هذه المدة يحكها بظفره فتخرج من تلقاء نفسها

﴿ اطفاء قنديل بترول يلتهب على الارض ﴾ اذا سقط قنديل البترول فانكسر والتهب على الارض فلا تصب عليه ماء فان الماء لا يطفئه ولكن الق عليه ترابًا او رمادًا او رملاً · واذا لم يكن منها لديك شيء فان اللبن (الحليب) يغني عنها اذ يطفئ البترول في الحال

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ مملكة اشور ﴾

واصلاح عظيم في السلطنة العثمانية

(دمنهور) موسى افندي مينا

" ما هي مملكة اشور الوارد ذكرها في التوراة وكيف كان اهلها وما هي معبوداتهم واحوالهم الاجتماعيــة "

﴿ الجامعة ﴾ مملكة اشور او اسور او اسيريا من اشهر الممالك القديمة كانت تمتد شمالي ما بين النهرين من ولاية الموصل وجنوبي كردستان على مسافة ١٦٠ الف كيلو متر وقد كان القدماء يطلقون اسم اشور على كل البلاد الممتدة بين كردستان وخليج فارس وجعل هيرودوتس مملكة بابل الكائنة جنوبي اشور داخلة في هذه المملكة وكان اليونان يحسبون من بلاد اشور كل شواطىء الفرات وجهاته الى سوريا التي منهـا اي من اشور (اسيريا) قد اشتق اسمها

وكان يسقي اشور نهر الدجلة ومن مدنها الكبرى نينوى عاصمتها وكالاش وريزان واربيل وايلا سار وكيلة وشركات . اما اهلها فلا يذكر التاريخ شيئاً عن اصلهم وربما كان اول من سكن اشور قبائل من جبال القوقاز القديمة لكن قد ثبت ان القبائل الاولى التي عُرفت في بلاد اشور هي قبائل جاءتها من اواسط اسيا وهي التي اخترعت الكتابة الاسفينيــة

اما تربتها فقد كانت تختلف في الخصب والجدب باختلاف مواقعها ولكنهـا كانت مشهورة بقلة المطر وندرة الشجر . الا ان زراعة القمح فيها كانت في غاية الخصب . وكان الاشوريون يجنون من اشجار تنبت في اطراف الجبال شيئاً غير يسير من الاثمار كالتين والرمان والتفاح والكمثري . ومن الغريب ان شجر النخل كانت لا تثمر في بلادهم . وكان في جبالهم الشمالية والشرقية معادن للرخام والصوان والحديد والرصاص وغيرها

والظاهر ان حكام اشور الاولين كانوا من ملوك بابل الكلدانيين بدليل ما وُجد في الاثار التي تخلفت عن تغلت فلاسر الاول في سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد من تلقيب ساماس

بين صاحب اشور الذي حكم قبل تغلت فلاسر بسبعمائه سنة « بحاكم » اشور لا ملكها . لكن ما لبث ان انعكس الامر فاخضع الاشوريون الكلدانيين وحكموا بابل وانشأوا سلطنة عظمى غزت جنودها جميع الممالك التي في جوارها حتى مصر وسوريا وفلسطين والهند . الا ان سياكسار يس ملك الفرس ونابوبلصر ملك بابل اتحدا عليها في سنة ٦٠٦ قبل الميلاد وقهراها فسقطت حينئذٍ نينوى كما قال سترابون وقامت بابل مقامها . ومن بعد هذا التاريخ لم تقم لاشور قائمة

اما ديانة الاشوريين فعبادة الكواكب والآلهة المتعددة . اخذوها عن الكلدانيين كما اخذوا عنهم شيئاً كثيراً من تمدنهم . ويضيق بنا المقام دون تعداد هذه الآلهة لكثرتها ولكن نذكر منها فقط ما ورد في الاثار التي امر تغلت فلاسر الاول بنقشها وهي سبعة : اشور وبعل وسين اي القمر وسناس اي الشمس وبين وهو اله الاحداث الجوية ونينيب وهو اله الحرب والاستار وهو اله الولادة . وُوجدت مسلة متخلفة عن شلمنصر الثالث الذي حكم اشور سنة ٨٧٠ قبل الميلاد عليها اسماء كثير من الهتهم فنكتفي بالاشارة اليها . اما عقائدهم الدينية نفسها فلا يعرف عنها شيء يذكر وقد اشتهر عنهم انهم كانوا يعتقدون بان الكون موجود قبل وجود الالهة ولكن لم يوجد في اثارهم ما يدل على اعتقادهم بشان الخلود والحياة الثانية

وكانت المعارف والعلوم عند الاشوريين اموراً مقدسة . فان ملوكهم كانوا يتعلمون الصرف ويعلمونه ايضاً ارضاء للآلهة وقد وصل الى المتاخرين من آثارهم مكتبة انشأها الملك اسور بنابال من اللبن (الطين المجفف) وجدت قطعاً قطعاً فقرأ فيها العلماء علوم تلك الامة من لاهوت وحقوق وطب وعلم هيئة ورياضيات ووجدوا على بعضها توقيع هذا الملك وكتابة كتبها عليها فحواها انه نقل تلك المعارف بامر من الآلهة التي تعلمه العلم والقراءة

وقد بلغ الاشوريون في الفنون مبلغاً يذكر يشهد لهم بذلك آثارهم التي اكتشفها المكتشفون . واول من اعمل النقب في اثارهم العالم ريش في سنة ١٨٢٠ ثم تبعه العلماء من فرنسويين وانكليز وغيرهم . وقد عثر السير اوستين لا يارد في خلال بحثه بعد هذا التاريخ ببضع سنين على قصر ملوك اشور في نينوى وذلك بقرية قويونجيك تجاه الموصل واكتشف ايضاً اثار مدينة كالاش الاشورية القديمة حيث قرية « نمرود » اليوم . ولكن بقي من الاكام الاشورية اثار كثيرة لم تنقب بعد فاذا نبشت كلها كان في ذلك فائدة

عظمى لعلماء التاريخ والاثار لا تساويها فائدة . ويشبه العلماء اليوم اثار نينوى بآثار مدينة بومباي الايطالية التي ذكرنا امرها في الجزء الماضي من حيث الخطارة والاهمية التاريخية

ولا يسعنا اختتام الكلام بهذا الشان دون الاشارة الى ان هذه المملكة الضخمة التي دوخت اكثر الممالك الاسيوية القديمة هي الآن جزء من السلطنة العثمانية . وليست هي فقط بل ان جارتها دولة الكلدانيين وممالك الحثيين والفينيقيين والفلسطينيين واليونانيين والمصريين وقرطجنة العظمى وارمينيا وغيرها — كلها انقاض قديمة مجيدة قائم الآن فوقها صرح الدولة العلية . وكانت كل من هذه الدول في القديم مملكة عزيزة الجانب متسعة للعمران لان بلادها من البلاد التي تدر فيها اخلاف السعة والثروة وتربي رجالاً . واذا لم يكن فيها الآن غير خصب ارضها العذراء التي اكثرها مهمل لاهمال الشعب والحكام وارواح سكانها الاقدمين التي تتطاير في فضائها الهادىء الآن هدوء المقابر والاموات لكفى بذلك عاملاً لرفع شان الدولة التي تملكها فوق كل شأن

ولكن هوذا قد انقضى ذلك الهدوء هدوء المقابر والاموات لجلبة تتقدم شيئاً فشيئاً. وامتدت في ارض الاشوريين والكلدانيين والحثيين يد التمدن الحديث تصافح يد تمدنها القديم . فان البخار آخذ بالتقدم بخطاه المحبوبة الهائلة من قونيه الى بغداد والبصرة تدفعه شركة المانية وفرنسوية نالت في هذا العام امتيازاً به من الحكومة العثمانية . وغداً متى بني هذا الخط الحديدي العظيم خط بغداد والبصرة الذي سينشر السعة والخيرات في تلك الجهات ويفتح ابواب الرزق لالوف بل لملايين من ابناء الدولة العثمانية — متى بني هذا الخط وزحف القطار الاول على بلاد الاشوريين يشق صوته هدوء تلك الاماكن الساكنة فاتحاً لسكانها العثمانيين عصراً جديداً فانظر حينئذٍ نظرة في مقابر الاشوريين والكلدانيين والعباسيين تجدهم قد رفعوا رؤوسهم بدهشة ليشاهدوا مع جمهور الفلاحين البسطاء الواقفين في ذلك المكان تلك الحركة الغريبة التي تتقدم من بلادهم . واذا صدقت رواية بعض الجرائد السورية عن وجود بعضهم كنزاً من النقود العباسية الذهبية على ضفة الدجلة في بغداد ساغ ان نقول ان ارض ما بين النهرين بدأت منذ الان تفيض ذهباً

﴿ اثينا ﴾

(البترون) جرجي افندي مرعي

" نرجو ان تذكروا لنا فذلكة من تاريخ اثينا ومركزها وتجارتها وهوائها "

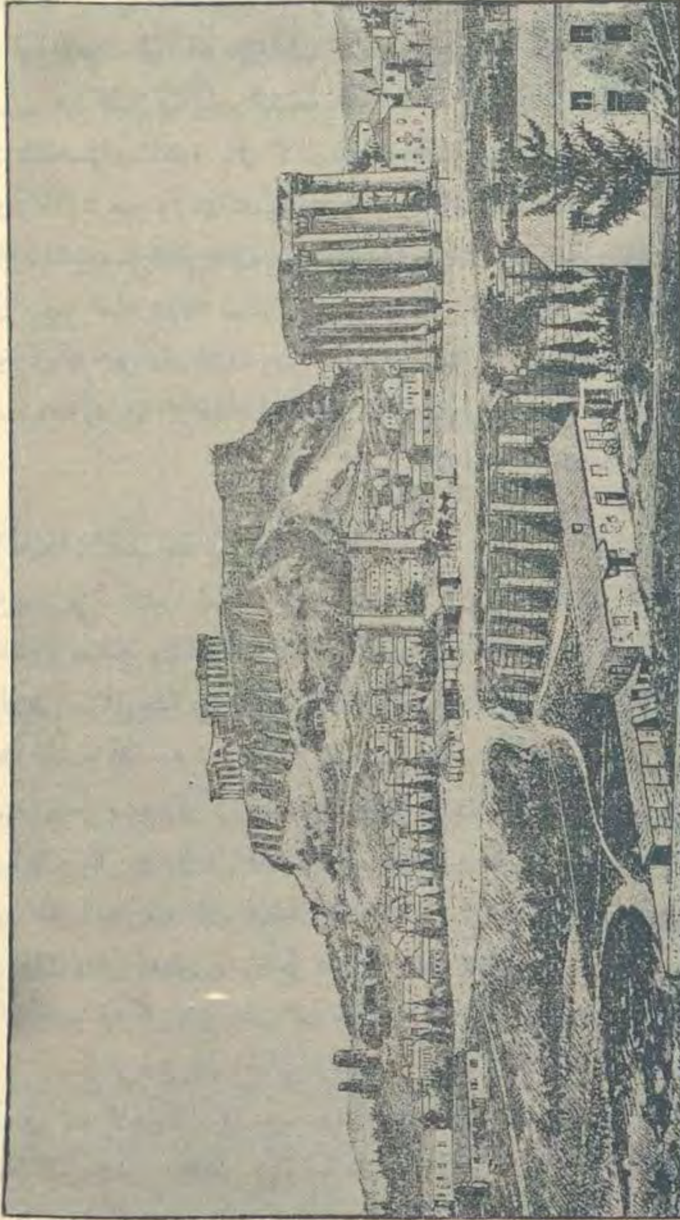
﴿ الجامعة ﴾ يوجد في التاريخ القديم تسع مدن تسمى اثينا اعظمها بل اعظم مدائن الدنيا قاطبة المدينة التي يلقبونها " اثينا اتيك " لقيامها في وسط سهل اتيك وهي عاصمة اليونان قديماً وحديثاً . وسميت اثينا نسبة الى مسيزفا الهة الحكمة التي تلقب " اثينا " وهي حاميتها وحارستها عند اليونانيين

ولا تُذكر اثينا حتى يذكر معها الظرف واللطف والعظمة والشهامة والفلسفة والعلوم والفنون وحب الوطن لان هذه الفضائل قد اينعت في تلك المدينة واثمرت للعالم ثمار تمدنه الحاضر . فهو مديون لها به ولولاها لما وصل التمدن اليوم الى الحد الذي هو عنده

اما تاريخ اثينا فهو تاريخ مملكة عظمى لا تستوفيه صفحة او صفحات ومحصله ان بلاد اليونان كانت اولاً مدناً متفرقة تتنازع السلطة وتحارب بعضها بعضاً . فهاجمها الفرس لاكتساحها فاتحد اليونان على ردّ غاراتهم وكانت اثينا زعيمة هذا الاتحاد . وقد كان هذا النزاع بين الفرس واليونان نزاعاً بين مبدأين كما قال شاتوبريان وهما مبدا التقدم ومبدأ التاخر فلو فاز الفرس وخنقوا اثينا لخنقوا معها تمدنها الذي انار العالم كله . ولكن العناية الالهية ابت الا حفظ هذه الشعلة لاضاءة العالم

وبعد حروب اليونان والفرس بلغت اثينا اوج عظمتها ولكن ما لبثت سبارطه الشهيرة ان نازعتها السلطة فبقيت الحرب بينهما من سنة ٤٣١ الى ٤٠٤ قبل الميلاد وتعرف بحروب المورة القديمة . وقد انتهت هذه الحروب بسقوط اثينا ونهوض سبارطه . ثم تنازعت اثينا وثيبة ايضاً واشتد النزاع بين اليونانيين حتى قام فيلبوس المكدوني فاخضعهم في سنة ٣٣٨ قبل الميلاد لتفرقهم ونفاد قواهم بالتضاغن والتعادي . وبعد موته وموت ابنه اسكندر الكبير اصبحت اثينا وبلاد اليونان ايالة رومانية خاضعة للسلطنة الرومانية الشرقية الى ان افتتحها الاتراك في القرن الخامس عشر فبقيت في قبضتهم حتى ثورتها التي انتهت بتداخل الدول الاوربية وتحريرها في سنة ١٨٢٧ . وهي اليوم مملكة دستورية يحكمها ملك وبرلمان مساحتها ٦٤ الف كيلو متر وعدد سكانها نحو مليونين و٢٠٠ الف نفس . وعدد سكان اثينا وحدها نحو ١٢٠ الفاً وكانوا في سنة ١٨٢٧ اقل من ٨ الاف

وهذه المملكة هي الان صغيرة في الجسم ولكنها كبيرة في التاريخ كاطماعها واما لها



﴿ اثينا عاصمة اليونان . معهد الفلسفة والعلوم والفنون وام التمدن الحاضر ﴾

في المستقبل . وعظمتها التاريخية تستميل اليها جميع الامم الاوربية على اختلاف اجناسها وهي التي انقذتها من الهاوية التي سقطت فيها يوم حرب الدولة العثمانية الاخيرة لا التعصب الديني كما يردده بعضهم حيناً بعدحين

وكانت اثينا في القديم قسمين القسم الاول اثينا الجديدة وهي الاحياء الحديثة والقسم الثاني اثينا القديمة وهي آكام عالية عليها الاكروبول . والاكروبول مكان اقام فيه اليونان هيا كلهم وتماثيلهم البديعة التي يقصدها اليوم السياح وعلماء الارض من كل الجهات لمشاهدتها ومشاهدة باقي الآثار القديمة المتخلفة عن اعظم امة قامت في العالم

وهواء اثينا جيد وتربتها مخصبة ولكنها تجارية وصناعية اكثر مما هي زراعية . وهي متصلة بمدينة بيره على شاطئ البحر المتوسط بخط حديدي يربطها بها ومسافته ٩ كيلومترات ونصف . ومن هذا المرفاء تصدر اثينا بضائعها على بواخر مختلفة تتناوبها في اوقات معينة

ويرى القراء في هذه النبذة رسم هذه المدينة التي لا تشبهها في التاريخ مدينة غير رومه شقيقتها وضرتها العظيمة . وفيه رسم الاكروبول ايضاً

دواء النسيان

(طهطا) حليم افندي ميلاد

" يعسر عليَّ كثيراً حفظ ما اطالعه وانسى ما اكون في حاجة الى الافتكار به فتتعطل لذلك احياناً مصالحي ولا اعلم اذا كان ذلك مرضاً او امراً طبيعياً لا يرجى شفاؤه . فارجو عرض سؤالي هذا على طبيب الجامعة لعله يتكرم بارشادي الى دواء شافٍ "

الجامعة عرضنا سؤالكم على حضرة طبيب الجامعة مع علمنا بان ما ذكرتموه ليس مرضاً ولكن ضعف ذاكرة . اما عسر الحفظ فلا دواء له غير تمرين ذاكرتكم على الحفظ لتقوى شيئاً فشيئاً . واختاروا الحفظ في وقت تكون فيه المعدة خالية من الطعام فان الحفظ في هذه الحال اسهل منه حين الامتلاء . اما عدم ذكركم المسائل التي تريدون ذكرها فيكون ذلك داعياً لتعطيل مصالحكم فدواؤه بسيط جداً وهو ان تضعوا في جيبكم دفتراً صغيراً وتكتبوا فيه كل ما تريدون عمله مسالة مسالة . ثم تفتقدون هذا الدفتر في اوقات معينة فلا يفوتكم شيء من المصالح التي ترغبون في قضائها . وقلما تجدون رجلاً حريصاً ومدققاً في عمله الا ويكون في جيبه دفتر كهذا الدفتر يقيد فيه نفقاته وما يريد عمله من كبير وصغير . والناس في اوربا يضيفون الى ذلك تقييد كل الحوادث التي تحدث لهم . ولكن اذا كنا قد ارشدناكم الى منفعة " الدفتر " فاننا نحذركم كثيراً من ضرر له وهو جعل الانسان يعتمد على قلمه ودفتره لا على عقله وذاكرته فاذا زل قلمه في حسابٍ تاه عقله في حساباته ولم يجد له مخرجاً . هذا فضلاً عن ان استعمال الدفتر اذا زاد اعمال الانسان ضبطاً فانه يزيد ذاكرته ضعفاً لقلة استعمالها والاعتماد عليها كما قدمنا

باب الاخبار العلمية

﴿ منافع المدفع ﴾

اذا كان للمدفع مضار في ساحة القتال فله منافع بازاء هذه المضار وهذه منافعه

(المدفع لهدم ما يُطلب هدمه) — في سنة ١٨٨١ كانت قطعة جبل فوق قرية ايلين السويسرية تتهدد القرية فاطلق عليها مدفع عن بعد ٨٥٠ مترًا عدة ايام ففتتت قنابلها الجبل وخلصت القرية من شر سقوطه عليها · ومنذ هذا الحين اخذوا يستعملون المدفع لهدم الجبال والبيوت القديمة المتداعية

(المدفع لمنع انزال البرَد) — ذكرنا امره في الجزء الماضي فليراجع في موضعه في باب الاخبار العلمية

(المدفع لانزال المطر) — وهو اختراع اميركي · ذلك انهم يطلقون المدافع في الجو لتحريك الهواء وقلب موازنته فيفضي ذلك الى تكاثف الغيوم ونزول المطر كما ثبت بالتجربة

(المدفع لاتقاء شر الاعصار) — وذلك في البر والبحر · فكثيرًا ما سمعنا ان ارباب السفن ينزل عليهم وهم في البحر اعصار (ويسمونه في لغة بر الشام تنين) فيطلقون عليه قنبلة مدفع فيقطعونه ويخلصون من شره ولولا ذلك لاغرق الاعصار السفينة مهما كانت كبيرة · وقد روى احد زراع كوبا انه كثيرًا ما انقذ مزروعاته وحقوله من هذا الاعصار باطلاق القنابل عليه

(المدفع لصنع الماس) — وهو اختراع اخترعه عامل اميركي في سنة ١٨٩٧ ذلك انه يضع الفحم على سندان حديدي قوي ويطلق عليه قنبلة مدفع صغير فيتفتت الفحم لصدمة القنبلة ويحمى شديدًا بضغطها فتلتهب بعض دقائقه وتتبلور فاذا فحصتها بعد ذلك وجدت بينها ذرات لامعة فهي ماس

(المدفع للعب الطابة) — وهي العوبة للاولاد الصغار اخترعها اميركي ايضًا وما اكثر غرائب الاميركيين · وبيان ذلك ان الاولاد يقفون صفوفًا وفي يد كل منهم مدفع

صغير (شبيه بالطبنجة) تحشوًا بارودًا وكرات خشبية فاذا احرق البارود انطلقت القنابل ولكن انطلاقها لا يكون افقيًا ولا نزولاً ولكن صعدًا في الفضاء لوجود آلة عند فوهة المدفع تدفعها الى فوق فتكون الكرة كانها ملقاة القاءً بيدٍ لا مدفوعة بالبارود

(مدفع كالساعة ينبه الى الظهر) — يوجد هذا المدفع في بور رويال في باريز وقد وُضع فيه منذ سنة ١٧٨٦ · وطريقة تنبيهه الى الظهر انه موضوع في مكان مكشوف للشمس وفي بيت البارود منه ذرة كبريت سريعة الالتهاب بقدر حبة العدس · فلما ينتصف النهار ويكون الظهر تمامًا تشتعل هذه الذرة من تلقاء نفسها بحرارة الشمس اذ تكون على اشدها في ذلك الحين فينطلق المدفع موْذنًا بانتصاف النهار اما اذا حجب الشمس سحابٌ فانه لا ينطلق

(مدفع مساعد في الموسيقى) — ذلك انهم يستعملون طلقات المدفع الصغيرة بين الانغام الموسيقية وقرع الطبول ونفخ الابواق· واول من جرب ذلك روسيني الايطالي الشهير وذلك في المعرض العام سنة ١٨٦٧ فكان للالحان توقيع حسن جدًا مع اصوات المدفع

فليس لاحد ان يقول بعد الآن ان المدفع يضر ولا ينفع

❊ الوراثة الى حد غريب ❊ يقول العلماء ان الانسان اذا تكلم فانه كثيرًا ما يعبر عن افكار ونيات انتقلت اليه عن اجداده بالوراثة فيكون اجداده كأنهم ينطقون بلسانه · ولكن عالمًا ايطاليًا من علماء الفيسولوجيا يدعى المسيو جيانيلي لم يقل بذلك فقط بل اثبت ان الاحلام نفسها قد تنتقل الى الابن بالوراثة عن اهله واستشهد على ذلك بولد اصيب بالحمى فاصبح بعد شفائه منها يرى في احلامه رجلاً كبيرًا اسود الوجه يتقدم من فراشه ويحدق فيه بعينين متقدتين غيظًا · وبعد البحث وُجد ان ابا هذا الولد كان يرى هذا الحلم بعد ان اعتراه يومًا خوف شديد · وذكر هذا العالم ولدًا آخر يرى في نومه هرًا اسود ينظر اليه بعينين متقدتين وكان ابو الولد يرى هذا الحلم لاحتقان طرأ على دماغه · وذكر ولدًا آخر كان مصابًا بالجاثوم (الكابوس) وقد اتصل به من ابيه الذي كان مصابًا به · واكثر ما يكون هذا الانتقال الوراثي حين اصابة الابناء بحمى او بضعف فكأن تلك الاحلام كامنة في زوايا نفوسهم فتظهر حين ظهور الضعف فيها · وبذلك تصبح هذه الاحلام الهوائية والاوهام الطارئة امورًا — ويا للعجب — مستقلة خالدة

❊ غذاء اسبوع في جيب ❊ روى بعض الذين ساحوا في اميركا ان بعض القبائل من متوحشيها يجففون اللحم على وجه غريب فاذا سحقته فيكفيك منه قبضة واحدة لغذاء يومك وذلك لشدة تغذيته . وهكذا تستطيع اذا كنت في سفرٍ ان تحمل في جيبك كيساً صغيراً من مسحوق هذا اللحم فكيفيك اسبوعاً كاملاً

❊ معرفة مراكز المدافع التي بارودها بلا دخان ❊ كانت الصعوبة في الحرب ولا تزال ان يطلق العدو على عدوه مدافعه محشوة باروداً بلا دخان فلا يعلم المضروب مكان مدافع الضارب ليعطلها او ليهجم عليها . اما الآن فان المستر سمارت من الجيش الاميركي اخترع نظارة تدل على مكان المدافع المذكورة من حركة الهواء الذي تؤثر فيه طلقاتها . فقررت حكومة اميركا ان تجرب هذا الاختراع في حربها مع الفيليبين

❊ حشرات مطيبة ❊ اذا كان بين الحشرات والهوام حشرات قبيحة كالبق ففيها ايضاً حشرات محبوبة كالتي تدعى (سيسينديل) فان لها رائحة كرائحة الورد والتي تدعي (سرامبيسيد) فان لها رائحة المسك . وروي انه وجد فيران وافاعي ممسكة ايضاً

❊ اكبر جوهرة في معرض باريس ❊ تُعرض في معرض باريز الماسة تقدر قيمتها بعشرة ملايين فرنك .. وقد وجدت في معادن كمبرلي واجرى اصحابها ضمانتها لدى شركات الضمانة بهذه القيمة وسيقف اربعة حراس لحراستها في المعرض في النهار وفي الليل تغوص بها علبتها في الارض و يقفل عليها

❊ معرفة مرض المريض من رائحته ❊ قال العالم ماك كاسي ان لكل مرض من الامراض رائحة خصوصية يجب على الاطباء معرفته منها من غير جس نبض او فحص . ويقول ان الطب سيبلغ هذه الدرجة في مستقبل الزمان

❊ اطول نهار واقصر ليل ❊ اطول نهار في العالم نهار في جزائر سبيتزبارج طوله ٣ اشهر ونصف شهر اي ان الشمس لا تغرب هذه المدة كلها . واقصر ليل هو ليل ٣١ يونيو في تورنا وفينلاندا (روسيا) لان هذا الليل ساعتان فقط والا ٢٢ ساعة الباقية نهار . وفيها اقصر نهار ايضاً وهو عيد الميلاد فان طوله ٣ ساعات فقط

﴿ اكتشاف في مكدونيا ﴾ اكتشفت جمعية الاثار في الاستانة ٣٢٢ مدفناً قديماً في مكدونيا بين موناستير وسالونيك . وهي مدافن مؤلفة من حجارة متناهيــة في الضخامة وفي جملتها مدافن ٥ ملوك وفيها كلها عظـام مرتبة ترتيباً حسناً وآنية ثمينة تدل على تقدم اصحابها في الفنون . ولكن لا يوجد في هذه الاثار كتابة مما يدل على عدم معرفتهم بالكتابة . وهذا اول اكتشاف وجد في شرقي اوربا لذلك اهتم به العلما اهتماماً شديداً لأنهم رأوا فيه صلة بين اثار الغرب واثار الشرق اي ان الذين تخلفت هذه الاثار عنهم قوم كانو صلة بين العالمين ولا يعرف التاريخ شيئاً من امرهم الى هذه الايام

﴿ العاب الحيوان ﴾ اذا امتلأ جوف الانسان طابت له المسرة وطلب اللعب . وقد اثبت العالم الطبيعي المستر جامس وير في كراس نشره ان الحيوان كذلك . فان الكلب والهر يلعبان حين فراغ بالهما بشان غذائهما . وقد راقب هذا العالم الرتيلاء فوجدها وهي في ابان صيدها الذباب تترك عملها وتنفرد فتنسج خيطـاً ثم تاخذ تتنزه عليه مبهوتة كانها تطلب الراحة . وراقب النمل فوجدها تصطف صفوفاً ويركض بعضها وراء بعض ذهاباً واياباً . وراقب الميكروبات والحويينات فوجدها بعد فراغها من الغذاء تتلاعب وتداعب بعضها بعضاً وقد وجد انها تلعب لعبة معينة وتتراجم بالحجارة ايضاً .... قالت الجريدة التي نقلنا عنها هذا الخبر لقد علمنا بعد هذا الكراس كيف يصرف الحيوانات وعلماء الطبيعة اوقاتهم

﴿ الفأر رمز الى الطاعون عند المصريين ﴾ يظن المتاخرون انهم اكتشفوا من عند انفسهم ما بين الطاعون والفار من العلاقة المعروفة . والصحيح ان الفار كان رمزاً الى الطاعون عند قدماء المصريين . وقد وُجد في ثيبة هيا كل للاله " فتا " اله التخريب والتدمير ورمزه فار في يده . وجاء في تقاليد المصريين القدماء ان سنحاريب ملك اشور حين غزوته مصر اضطر الى الفرار منها الى نينوى على الفور لان الاله " فتا " المذكور آنفاً ارسل الى معسكر الاشوريين كثيراً من الفيران فاهلكت عدداً كثيراً من جنوده . والغريب ان هذه الرواية تنطبق على ما جاء في التوراة من ان الملائكة دخلت معسكر الاشوريين وقتلت في ليلة واحدة ١٨٥ الف رجل

﴿ مملكة اوفير ﴾ كتب السائح باتر الى جريدة التمس يقول انه اكتشف في افريقيا عند نهر الزامبيز بقايا مدينة اوفير التي كان الفينيقيون يستخرجون الذهب منهـا .

وان هذه البلدة كائنة بين سنا وتيتي على مسافة ١٥ ميلاً من جنوب هذا النهر واسمها الآن فورا مشتقة من اوفير . وهو يقول ان سكان تلك الجهات لا يزالون يستخرجون الذهب من ارضهم الى اليوم وفي بلادهم كثير من ابنية المعادن القديمة التي يرجح انها فينيقية

☼ آلة لتبديد الضباب من وجه السفن ☼ اخترع المسيو توجرين آلة لتبديد الضباب من وجه السفن حين تكاثفه عليها . وهي اسطوانة طويلة تدفع من فوهتها على الضباب امواج الهواء دفعاً شديداً فيبتعد الضباب عن السفينة الى مئات من الامتار عنها وبذلك يتسنى لها التخلص منه لمشاهدة طريقها ورؤية السفن المسافرة معها فلا تصطدم بها

☼ عدد شعر الرأس ☼ احصى عالم اميركي شعر الراس فوجد ان عدده للشعر الاشقر ١٤٣ الف شعرة وللشعر الاسود ١٠٥ الاف وللشعر الاصهب اكثر من ٢٩ الفاً لان هذا الشعر اي الاصهب هو اغلظ انواع الشعر

☼ اذا اردت ان تضحك كثيراً ☼ اذا اردت ان تضحك كثيراً فجرب وصفة وصفها احد اطباء ريس . وهي ان تذيب سكراً في كاس ماء وتضع فيه ملعقة صغيرة من صبغة (اركودي سكل) وملعقة كبيرة من محلول فوصفات الصوده ويجب ان يكون جزءا واحداً لعشرة اجزاء من الماء ثم اشرب هذا الشراب فلا يستقر في جوفك حتى تاخذ بالضحك والقهقهة دون ان تستطيع امتلاك نفسك . فما احسن هذه الوصفة للذين يضحكون قليلاً واقبحها للذين يضحكون كثيراً

☼ المتوحشون وعلم الفلك ☼ الكفرة في الترانسفال وهم الوطنيون الاصليون يبيعون المطر لمن يريد مطراً لزراعته . وذلك انهم يراقبون حالة الجو وحركات الفيل والنعامة بنباهة شديدة فمتى علموا باقتراب الزوبعة ودنو المطر اعلنوا انهم يبيعون المطر لكل من يشتري منهم فيتقاطر الوطنيون اليهم بالهدايا من اللبن والخرفان وما اشبه يشترون به مطراً لزراعتهم . فلا ينقضي يوم او بضع ساعات حتى ينزل المطر فياخذ اولئك البسطاء يعجبون بمقدرة كهانهم

☼ البوم يحمي الحمام ☼ اذا كان في بيتك كثير من الجرذان تمنعك من تربية الحمام فربِّ مع الحمام بوماً فانه يأكل الجرذان ولا يضر الحمام

باب التقريظ والانتقاد

(مدرسة زهرة الاحسان) لم يبقَ احد من خاصة الناس في مصر والشام حتى سمع بفضل المحسنة الشهيرة حضرة السيدة الفاضلة املي سرسق منشئة مدرسة زهرة الاحسان الارثوذكسية في بيروت · وقد وردنا كراس يتضمن تفاصيل الاحتفال الذي اقامته هذه المدرسة في ٢٥ نوفمبر وهو يوم عيدها السنوي ونص الخطب الرقيقة التي تليت فيه يضوع منها الثناء على صاحبة تلك اليد البيضاء التي لا تألو جهداً في صنع الخير · فنضم صوتنا الى اصوات المهنئين ونسأل الله ان يجمل ثواب هذه السيدة الكريمة التي تفردت بين بنات جنسها عندنا في حب الخير والولع بالاحسان

(الاهرام الفرنسوية) تصدر ادارة الاهرام الآن نسخة يومية في العاصمة بعنوان « الاهرام» واخرى يومية ايضاً في الاسكندرية بعنوان « صدى الاهرام» وقد اصدرت في رأس السنة الجديدة في العاصمة نسخة ثالثة فرنسوية يومية بعنوان « البيراميد» وهي لطيفة الاسلوب حسنة الطبع والورق والتبويب فاصبحت بذلك ادارة الاهرام اكبر ادارة صحافية في البلاد الشرقية

(اللواء) انشأ سعادة مصطفى باشا كامل الوطني الشهير جريدة يومية سياسية عنوانها اللواء للدفاع عن حقوق مصر والاسلام وخدمة الشرق · وقد رأينا في اللواء منذ اعداده الاولى استعداد صاحبه ومواهبه الصحافية مما يرجى معه لهذه الجريدة الوطنية مستقبل حسن · لنثني على اجتهاده ونؤمل ان ينتفع الشرق على وجه العموم بادبه وفضله

(ايام بومباي الاخيرة) اشرنا في مقالة « ثلاث مدن تحت الرماد » التي نشرناها في الجزء الماضي الى هذه الرواية التي عربتها عن الانكليزية حضرة الكاتبة الاديبة السيدة فريده عطيه وموضوعها كما تقدم لنا ذكره وصف ما كانت عليه مدينة بومباي الرومانية القديمة قبل ثورة بركان يزوف عليها ودفنها تحت حممه في سنة ٧٩ للميلاد المسيحي · وهي مطبوعة في مطبعة الهلال طبعاً متقناً على ورق جيد في اكثر من ٣٠٠ صفحة وتطلب من

مكتبة الهلال في القاهرة · فنثني على حضرة المعربة الفاضلة والزوجة النشيطة التي تجد مع اعمالها البيتية وقتاً تصرفه في الافادة والاستفادة ونرجو ان يقتدي بها كثيرات من بنات جنسها الاديبات

(غذاء النفوس) اهدى الينا حضرة الاديب البارع مينا افندي راغب من مستخدمي السكة الحديدية في السويس كتاباً جمعه بعنوان غذاء النفوس في تاريخ حياة المغفور له انبا باسيليوس مطران القدس للاقباط الارثوذكس · وقد اودعه خلاصة ترجمة حال سيادته رحمه الله واجمال اعماله الشهيرة التي تركت له ذكراً حسناً واحتفالات ابناء طائفته يوم وفاته واقوال الجرائد والمجلات فيه · وهو يطلب من حضرة مؤلفه في السويس وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

(المفتاح) مجلة علمية صحية تاريخية ادبية تصدر في ٤٠ صفحة مرة في الشهر لمنشئها حضرة الكاتب البارع توفيق افندي عزوز انشأها كما قال في المقدمة « بعد مزاولته مهنة الصحافة عدة سنوات وتوليه مهمة التحرير في كثير من الجرائد العربية بين سياسية يومية وعلمية اسبوعية حتى درس هذا الفن حق دراسته واراد الاستقلال في العمل خدمة لابناء جلدته » فنرحب برصيفتنا الجديدة ونرجو لها كل خير ونجاح

(نزهة الزمان في تاريخ عربستان) عزم حضرة الفاضل نعوم افندي مغبغب ناظر المدرسة الانكليزية في القاهرة على طبع كتاب خطي عثر عليه بعد بحث طويل وهو كتاب نزهة الزمان في تاريخ مصر والشام والعراق وبلاد الروم والعرب والبلغار وغيرها لمؤلفه المرحوم الامير حيدر احمد الشهابي وقد ساعده فيه اللغوي الشهير احمد فارس الشدياق · وقد فتح باباً للاشتراك في هذا الكتاب وجعل قيمة الاشتراك ١١ فرنكاً · وعدد صفحاته ٨٠٠ صفحة بالحرف الصغير فنرجو لحضرة ناشره النجاح ونشكر له هذه الخدمة الادبية

(تنوير الاذهان والتحفة الاساسية) وردنا كراسان واحد بعنوان تنوير الاذهان تاليف حضرة الاديب رشدي افندي كمال والثاني بعنوان التحفة الاساسيه تاليف الاديبين وهبه افندي ابرهيم منصور واسكندر افندي عبد النور وهما يتضمنان مبادئ علم الجغرافية مشفوعة برسوم تفسرها فنثني على اجتهادهم ونشكر لهم هديتهم

(قصيدتان) وردتنا قصيدتان من نظم حضرة الشاعر الاديب عبدالله افندي

اليازجي من قضاء الحصن . الاولى في مدح صاحب السيادة والسماحة السيد الشيخ ابي الهدى افندي الصيادي الرفاعي . والثانيه في مدح غبطة السيد ملاتيوس دوماني بطريرك الشام للارثوذكس وتهنئة غبطته بارتقائه الكرسي البطريركي فنثني على براعة الناظم ونشترك معه في مدح من مدح وتهنئة من هنأ

تقرير السير وليم جارستن

عن الزراعة والنيل في مصر

كان تجار القطر وزراعه — وهم الاكثرية الكبرى في القطر — ينتظرون بفارغ الصبر تقرير السير وبليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية عن الزراعة والنيل لشدة خوف الناس على مستقبل الزراعة المصرية في السنة القادمة وذلك بسبب انخفاض ميـاه النيل في هذا العام . وقد نشرت الجريدة الرسمية هذا التقرير واليك خلاصته

اثبت حضرة صاحب التقرير اولاً ان تاريخ مصر يذكر سنتين اشتد فيهما انخفاض مياه النيل عن السنوات الاخرى وهما سنة ١٨٧٨ و١٨٨٩ ثم قال ان مياه النيل في هذا العام اشد انخفاضاً مما كانت في هاتين السنتين مما لم يسبق له مثيل . فان منسوب النيل في اصوان كان في ١٥ يناير الماضي احط منه في مثل هذا اليوم من عام ١٨٧٨ بقدر ذراعين و٤ قراريط اعني متراً و١٧ سنتيمتراً وبقدر ذراع واحد و١٢ قيراطاً اي ٨١ سنتيمتراً عنه في عام ١٨٨٩

فاذا استمر الهبوط اصبح مقدار المياه الصيفية اقل جداً مما كان في عامي ١٨٧٨ و١٨٨٩ « غير انه قد يحتمل ان تخفف سرعة الهبوط وتأتي الامطار عاجلة في الاصقاع القبلية من اقاليم السودان فتفيض مياه البحر الابيض وينشأ عن ذلك اما زيادة النيل واما وقوف الهبوط في ايام الشدة والضيق اعني في شهري يونيو ولوليو »

ثم قال ان انخفاض النيل ظاهر ايضاً في أعاليه ومصادره « فقد كتب جناب مندوب الاوغنده في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٩٩ يقول ان منسوب المياه في بحيرة فيكتوريا نيانزا كان في ذلك الحين احط من المعتاد بقدمين ومياه النيل الاعلى عند وادلاي احط من متوسط السنين بقدر ٤ اقدام ونصف وان جميع تلك الانحاء في القارة الافريقية وخصوصاً انحاء بحيرة البرت نيانزا لم تمطرهـا السماء الا ما دون الطفيف حتى يخشى القحط

والمجاعة »

ثم قال ان الزارعين مصيبين في قلقهم على مستقبل زراعتهم ولكن « اذا جاءت مياه الفيضان عاجلة خفت جدًا وطأة هذه الحال الخطيرة واذا كان الامر على خلاف ذلك وجاءت المياه آجلة فتزيد هذه الحال خطارة » . ولذلك كان من هم مصلحة الري وقاية زراعة القطن قبل كل شيء . وهنا اشار صاحب التقرير على الزراع ان لا يزرعوا الارز في هذا العام او يزرعوه بعد اقبال مياه الفيضان القادم « لان الارز يستدعي ريًا مستديمًا فهو بخلاف القطن لا يحتمل زرعه اثقال المناوبة الصارمة » ولان المياه الموجودة لا تكفي الزارعين معًا فالواجب اختيار اهون الشرين وترك زراعة الارز احياء لزراعة القطن وكذلك زراعة الذره . وقد اخذت نظارة الاشغال باعداد لائحة تقضي بمنع ري الشراقي البدري وتفرض عقوبة صارمة على من يخالف احكامها . اما المناوبة فستكون ثلاثة ترتيبات كل واحد منها اشد واصرم من الآخر ويُعمل بكل منها طبقًا لانخفاض المياه او ارتفاعها . واذا لزم ترتيب رابع اشد منها وضع في الحال . » فليعلم الزراع ذلك لئلا يقولوا ان نظارة الاشغال تبدل نظام المناوبات على غير علم منهم » . ثم اشار عليهم بوجوب التعجيل بزراعة القطن لتقوى شجيراته وتشتد قبل حدوث الجفاف فتكون اقدر على احتماله . ثم نصحهم ان لا يغمروها دفعة واحدة بالماء بعد الجفاف حين ورود مياه الفيضان « فان ذلك اشبه برجل مضت عليه مدة مستطيلة وهو يقاسي الم الظماء فاسقيناه ماء كثيرًا دفعة واحدة »

ثم انتقل الى تقدير محصول القطن القادم فقال ان المحصول كان ١٦٨٠٥٩٥ قنطارًا في سنة ١٨٧٨ و٣٢٠٠٠٠٠ قنطار في سنة ١٨٨٩ وهما السنتان اللتان كانت فيهما مياه النيل اشد انخفاضًا . « ولكن لم تكن القناطر الخيرية حينئذٍ قد ظهر فعلها التام فان اعمال الاصلاح فيها لم تكمل الا في عام ١٨٩٠ » اي انه يقدر المحصول باكثر من ذلك

ثم حاول تسكين خواطر الزراع فقال انه « لا موجب الى توقع الشر وتقدير السوء وتصوير المستقبل بلون اشد سوادًا مما تدل عليه الظواهر » « لانه اذا انكفت مياه النيل عن الهبوط السريع وجاء الفيضان معجلاً فذلك يؤدي الى تخفيف مشاق الري وصعوباته واحد هذين الامرين او كلاهما جائز محتمل الحدوث »

وفي الختام دعا « جميع من يهمهم امر الري من موظفي المديريات والمشايخ والعمد وخصوصًا كبار الزارعين » ان يساعدوا مصلحة الري على توزيع المياه توزيعًا عادلاً

هذه خلاصة هذا التقرير المهم الذي لو نشرناه بحرفه لملأ نحو ست صفحات من صفحات الجامعة . وفيما نحن نلخصه للقراء وقفنا في رصيفتنا المنار المصرية الغراء على كلام بشان النيل عنوانه « انخفاض النيل وتوقع الجدب ووجوب الاقتصاد » ومما جاء فيه ان الناس « كانوا يتشاءمون في بعض المجالس العالية من سنين كسني يوسف (عليه السلام) وقد سخر الله تعالى في تلك السنين نبيًا من انبيائه عالج لمصر بين ذلك الدواء الدوي فمن عساه يعالجه في هذه الايام ؟ نعم ان سهولة المواصلات في هذا العصر تمكن التجار من جلب الغلات الى هذه الديار فلا يهلك الناس ولكن اين المال عند الفلاحين الذين هم الجزء الاكبر من سكان مصر ؟ ثم ماذا يكون من امرهم اذا دام ذلك سبع سنين كما كان في زمن يوسف لا قدر الله ؟ » ثم حثت رصيفتنا الفلاحين على « الاقتصاد في النفقات استعدادًا لما عساه يكون مخبوءًا لنا في المستقبل »

نقول . لقد احسن المنار في النصيحة ولكنه بالغ جدًا في وصف المصيبة . على اننا في كل حال نسال الله ان يكفي هذا القطر كل مصاب في زراعته لانها قوام حياته وعماد ثروته

تاريخ الاسبوعين

بطريرك الكرسي الاسكندري

للطائفة الارثوذكسية

بعد خلاف او شبه خلاف حدث بين العثمانيين السور بين الارثوذكس وبين اخوانهم اليونان في هذا القطر بشان انتخاب بطريرك يخلف المرحوم صفرونيوس على العرش البطريركي الاسكندري انتهى الامر بالاتفاق والوئام وذلك بايعاز الحكومة المصرية الى حضرة القائمقام البطريركي وحضرة قنصل اليونان بوجوب ارضاء العثمانيين السور بين الارثوذكس . فاتفق حينئذٍ الفريقان على ان يكون نواب السور بين ٣٠ نائبًا بدل ١٢ نائب وذلك من بين ١٦٩ نائبًا لمجموع الطائفة في القطر

وقد اجتمع هؤلاء النواب في ٢٢ يناير الماضي في كنيسة القديس سابا في الثغر



السيد فوتيوس
البطريرك الجديد للكرسي الاسكندري الارثوذكسي

لانتخاب البطريرك الجديد من المرشحين للانتخاب وعددهم سبعة فاصاب السيد فوتيوس مطران الناصرة ١٥٩ صوتاً ومطران الاستانة ٨ اصوات ومطران الاسكندرية صوتان فنودي بالسيد فوتيوس بطريركاً للكرسي الاسكندري على الطائفة الارثوذكسية

﴿ ترجمة غبطته ﴾

وقد عهدنا الى صديق لنا فاضل يعرف غبطة السيد فوتيوس حق المعرفة ان يكتب للجامعة خلاصة ترجمة غبطته فبعث الينا بالنبذة الاتية

« ولد السيد فوتيوس في الاستانة في سنة ١٨٥٣ فعمره الآن ٤٧ سنة . وقد حضر الى القدس الشريف منذ نعومة اظفاره وانخرط في سلك تلامذة مدرسة الصليب اللاهوتية فاتم دروسه فيها وكان نبيهاً متقد الذهن وشديد الذكاء . وبعد اتمام دروسه عين كاتباً في مكتب البطريركية فاشتهر بالبلاغة والمقدرة على الكتابة فانيطت به رئاسة هذا المكتب وهي وظيفة سامية في بطريركية اورشليم تخول صاحبها سلطة واسعة في تدبير شؤون الكرسي . وكان ذلك في عهد المرحوم البطريرك ايروثاوس . وعند وفاته كان السيد

فوتيوس في رتبـة ارشمندريت فوقع انتخاب اخوية القبر المقدس عليه ليكون بطريركاً لاورشليم · فانتخب ولكن صغر سنه في ذلك الحين ووشايات بعض حاسديه حالت دون المصادقة على انتخابه من قبل الباب العالي · فاعيد الانتخاب فوقع على البطريرك نيقوديموس · فرفض السيد فوتيوس ان يعترف به بطريركاً فابعده السيد نيقوديموس الى دير طورسينا فاقام فيه مدة سبعة سنوات حتى استقال نقوديموس وانتخب المرحوم جراسيموس · فاعترف به السيد فوتيوس فاتخذه جراسيموس رئيساً للمكتب واناط به تدبير شؤون البطريركية كلها حتى اصبح صاحب السلطة المطلقة وكان هو البطريرك فعلاً لقوة ارادته وشدة هيبته · وقداظهر في هذه المدة من حسن السياسة والتدبير ما جعله اشهر من نار على علم

ثم توفي المرحوم جراسيموس فانتخب غبطة البطريرك الحالي السيد دميانوس خلفاً له وذلك بمساعي السيد فوتيوس · فرقاه البطريرك الى درجة الاسقفية وجعله مطراناً لابرشية فيلاذلفيا (السلط) وابقاه مع ذلك في رئاسة المكتب يدير شؤون الكرسي · وما زال في هذه الحال حتى طلب ارثوذكسيو الناصرة جعله اسقفاً لابرشيتهم فاجابهم البطريرك الى طلبهم وعينه اسقفاً عليهم في العام الماضي

والسيد فوتيوس طويل القامة ممتلئ الجسم مهيب الطلعة جهوري الصوت · ذو يراع سيال ولسان طلق في الخطابة ولكلامه وقع عظيم في النفوس · وهو يحسن من اللغات اليونانية لغته والعربية والروسيةوالفرنسوية ويخطب في كل واحدةمنها ببلاغة كبيرة · ومن مزاياه انه مقدام عالي الهمة سديد الرأي شديد الارادة الى الدرجة القصوى عظيم الثقة بنفسه والاعتماد عليها في كل شؤونه فلا يكل امراً الى غيرها · وهو مع ذلك لين العريكة دمث الاخلاق يقدرالناس قدرهم لا يستخف باحد ولا يميل مع الهوى كيفما مال · وما هو بغني كما قال بعضهم على انه لو اراد ان يكون غنياً لكانه وانما سخاؤه حال بينه وبين الغنى »

هذه خلاصة ترجمة غبطة السيد فوتيوس بطريرك الاسكندرية الجديد للروم الارثوذكس · وقد رُفعت لائحة الانتخاب الى الباب العالي للمصادقة عليهـا ومتى صدرت الارادة السلطانية بالمصادقة على هذا الانتخاب يسافر وفد من ابناء الطائفـة الارثوذكسية الى القدس او الناصرة للعودة بغبطته الى القطر وتسليمه الصولجان البطريركي باحتفال عظيم حسب العادة



المرحوم صفرونيوس الرابع
البطريرك السابق للكرسي الاسكندري الارثوذكسي

فنحن نهنئ غبطته بما حازه من ثقة الطائفة الارثوذكسية في القطر المصري ونرجو لها كل خير ونجاح على يده باذن الله

---

* عيد الميلاد وعيد الفطر * احتفل السادة المسلمون في ١ فبراير الجاري بعيد الفطر المبارك واحتفلت الطوائف المسيحية الغربية والشرقية في الشهر الماضي بعيد الميلاد ورأس السنة الجديدة اعاد الله هذه الاعياد على اصحابها جميعاً بالخير والبركة

* عيد الجلوس الخديوي * واحتفلت الامة المصرية في ٨ يناير الجاري احتفالاً باهراً بعيد جلوس سمو الامير المعظم فاق جميع الاحتفالات الماضية بهاءً ورونقاً . وقد اقامت لجنة الاحتفال في مساء ذلك اليوم حفلة شائقة في حديقة الازبكية في القاهرة خصص

ايرادها بفقراء جميع الطوائف على اختلاف اجناسها مما زاد تلك الليلة اقبالاً وجمالاً وزاد الذين اهتموا باحيائها اجرًا وثوابًا فنثني على حضراتهم اولاً لقيامهم بالواجب لسمو الامير المعظم وثانيًا لاظهارهم فضيلة الاتحاد والوفاق بمظهر جديد

اسباب انتصار البوير

وانغلاب الانكليز

استطاع الجنرال بولر في هذا الشهر ان يعبر نهر التوجيلا اما لان البوير اختاروا الدفاع في مراكزهم او لانه باغتهم مباغتة · ولما ابصر البوير من مراكزهم الشاهقة المشرفة على النهر عبور الجنود الانكليزية اليهم اخذوا ينشدون الاناشيد الحماسية تشجيعًا لبعضهم البعض فدوت اصواتهم بالنشيد في كل تلك الآكام والليل هادىء والقمر طالع فكان منظر من اشد المناظر رهبة وجمالاً

ثم ابتدأ القتال فهجم الجنرال وارين على ميمنة البوير ومعه نحو ٢٠ الف مقاتل فأجلاهم عن بعض مراكزهم بعد قتال شديد وما زال حتى وصل الى احصن هذه المراكز وهو جبل سبيونكوب الذي هو مفتاحها والطريق الى لاديسمث · فهاجمه الجنرال وارين بجنوده فتسلقوه تسلقًا حتى وصلوا الى قمته · فصب عليهم البوير حينئذٍ وابلاً من رصاص المدافع والبنادق من جميع مراكزهم فثبت الانكليز تحت وابل الرصاص حتى قتل قائدهم ووجدوا التقدم امرًا مستحيلاً عليهم فصدر اليهم حينئذٍ الامر بالرجوع بعد ان قتل منهم ٢٠ ضابطًا و١٥٠٠ رجل في رواية هافاس و٥٠٠ في رواية روتر · فعادوا ادراجهم وقد اخلوا الاراضي التي كانوا قد احتلوها راجعين الى شاطىء نهر التوجيلا الجنوبي فكأنَّ جهدهم ودماءهم قد ذهبت ادراج الرياح

وقد اقامت هذه المصيبة الجديدة انكلترا واقعدتها فطلبت بعض جرائدها ارسال ١٠٠ الف جندي اخرى الى ساحة القتال وطلبت غيرها تأجيل هذه الحرب الى فرصة ثانية

واجتمع البرلمان الانكليزي في ٣٠ الماضي فقرئت فيه رسالة الملكة وخطب فيه خطباء الاحرار والمحافظين ومفاد كل اقوالهم ان انكلترا تحارب الى ان تنتصر · والمجلس يناقش الآن الحكومة الحساب فلا نعلم اذا كانت تخرج منه غالبة او مغلوبة

***

ولا بد ان يتساءل الناس اجمعون كيف ان هذا الشعب الصغير شعب البوير الفلاحين

استطاع الثبات الى الآن في وجه الجيش الانكليزي المشهور بالبسالة بل كسره عدة مرات شر كسرة . وقد جمعنا اسباب انتصار البوير على الانكليز في الامور التالية وهي

اولاً — ان مدافع البوير وبنادقهم وكلها فرنسوية او المانية اقوى وارقى من مدافع الانكليز وبنادقهم لانها ابعد مرمى

ثانياً — ان البوير يحسنون الرمى اكثر من الانكليز وهم مشهورون بالمهارة والرمي صغارهم وكبارهم حتى النساء لانهم يتعودون استعمال السلاح من صغرهم

ثالثاً — ان البوير عارفون جغرافية الارض التي يحاربون فيها حق المعرفة اما قواد الانكليز فقلما يعرفون عنها شيئاً غير المرسوم في خارطاتهم

رابعاً — في صفوف البوير الوف من المتطوعين الالمانيين والفرنسويين من ضباط وجنود . ورئيس اركان حرب الجنرال جوبير كولونل فرنسوي . فهولاء الضباط الاجانب قد افادوا جيش البوير افادة عظمى

خامساً — ان بعض قواد الانكليز غير أكفاء للقيادة فانهم غرروا بالجيش مراراً بقيادته الى الاعداء من غير استطلاع مراكزهم فلا ينتبهون الا والعدو محيط بهم كما قال الجنرال بولر في تقريره لنظارة الحربية . اما قواد البوير فعلى غاية الدربة والمهارة في القيادة

سادساً — وهو الامر المهم ان البوير يحاربون وهم واثقون ان الله معهم والحق في جانبهم وقلوب الناس في جميع اقطار الارض منعطفة عليهم . ولذلك فانهم واثقون بالنصر وهذه الثقة هي قوة جديدة لهم

سابعاً — اذا اخذتَ كلاً من جنود البوير وجنود الانكليز على حدة وجدت ان الجندي البويري اقوى من الجندي الانكليزي بنية واضخم جثة واثبت جأشاً فضلاً عن كونه احسن رمياً . وهو يحارب للدفاع عن وطنه وارضه واهله اما الجندي الانكليزي فيساق الى الحرب في افريقيا على غير رضى منه

ثامناً — ان الانكليز مهاجمون والبوير مدافعون ويقتضي ان تكون قوة المهاجم ضعف قوة المدافع ٤ او ٥ مرات حتى يقدر عليه

تاسعاً — وجود جواسيس البوير في جميع الجيوش الانكليزية تطلعهم على حركاتها ونياتها وانحياز الوطنيين والهولانديين اليهم حتى البغال نفسها . . . كما حدث في معركة لاديسمث الاولى

عاشراً — هجوم البوير على المستعمرات الانكليزية وهي غير مستعدة للحرب فاوقعوا الفشل

والخوف فيها وفي حاميتها

حادي عشر ـ غلطات قواد الانكليز التي اتاحت النصر للبوير غير مرة من غير بسالة ولا قتال شديد

هذه اهم اسباب انتصار البوير وانكسار الانكليز · على ان هذه الحرب اذا كانت قد اضرت انكلترا فقد نفعتها اذ دلتها على جانب الضعف من جيشها لذلك يتحدث اليوم جميع ساستها بتنظيم الجيش الانكليزي تنظيماً جديداً

(ارملة المرحوم اسبر كرم) انتقلت الى رحمة الله تعالى في مساء ٣١ الجاري في الثغر المرحومة كاترينا ارملة المرحوم اسبر كرم ووالدة حضرات الوجهاء الخواجات اسكندر وجرجي اسبر كرم · توفاها الله عن ٨٠ سنة اثر داء عياء الزمها الفراش مدة طويلة وهي تحتمل اوجاعه بالصبر الجميل حتى دعاها داعي ربها فسارت اليه بهدوء ولطف كأن فراق نفسها لجسدها رقادٌ لاوفاة

وقد احتفل بجنازتها في كنيسة الارثوذكس السوريين في الثغر احتفالاً عظيماً مشى فيه وجوه الناس وكبارهم · وبعد الصلاة عليها دفنت باكرام يليق بها ثم عاد الجمع يستمطرون على ضريحها صيب الرحمة والرضوان

فنحن نتقدم الى حضرات انجالها الكرام وسائر اسرتها الكريمة بعبارات التعزية سائلين الله ان يلهمهم جميل العزاء والسلوان وان يتغمد فقيدتهم برحمته ويسكنها فسيح جنانه

(ارملة المرحوم مخائيل نحاس) نعيت الينا في اواخر الشهر الماضي الماسوف عليها ارملة المرحوم مخائيل نحاس ووالدة حضرة الخواجا حنا نحاس في الثغر · فنقدم لحضرته ولسائر آل الفقيدة في مصر والشام عبارات التعزية ونسأل للفقيدة الرحمة والرضوان

---

* زيادة مباحث المجلة * شرعنا منذ اليوم بان ندخل في الجامعة التحسين الذي وعدنا القراء به كما يرون في هذا الجزء · وسنوالي ذلك ولا سيما في بدء السنة الثانية اذ نوسع مباحث المجلة ونزيد مواضيعها وابوابها زيادة مفيدة سنعلن عنها في ما يلي

وقد عزمنا على ان لا ترسل العددين الباقيين من هذه السنة الى بعض المشتركين الامتى دفعوا حقوق المجلة فرجاؤنا ان لا يؤخروا حتى لا نؤخر · اما الذين دفعوا هذه الحقوق مقدماً او مؤخراً فنغتنم هذه الفرصة لاظهار جزيل شكرنا لحسن ذوقهم وجميل مساعدتهم · وبمثلهم تقوم وتتأيد المشروعات الادبية

الفصل السابع عشر

(الدكتور جيلبار)

كان الشعب عند هجومه الوفًا الوفًا لدخول الباستيل قد حسب ان بيلو اصيب بسوء فزاد ذلك في غضبه وانقضت طلائعه على جندي كان في الساحة فقطعته اربًا اربًا فقال كونشون : أن غضب الشعب كالتيار . اذا واجهته لتحول دونه كان اشد ضررًا مما اذا تركته يجري على هواه . ولذلك ترك القتلة وشانهم . ولكن كان معه رجلان يدعيان ايلي وهولين كانا في مقدمة الذين هاجموا الباستيل لفتحه . فلما رأْيا الشعب قد بدأ بالقتل حالا بينه وبين فريسته بحجة انهما وعدا حامية الباستيل بانقاذ حياتها . وكان ذلك كذبًا ولكنه كذب ممدوح في مثل هذه الاحوال اذا جاز مدح الكذب

ولم يخمد غضب الشعب حتى ظهر له بيلو ووراءه بيتو سالمين لا ضرر بهما غيرما على ثيابهما من الوحل الذي وقعا فيه

ودخل بيلو مسرعًا للتفتيش عن الدكتور جيلبار . فوجد في طريقه رجلاً جالسًا مفكرًا فامعن النظر فيه فعرف انه المسيو دي لوناي حاكم الباستيل . فلما رآه دي لوناي طوى يديه على صدره كأنه يقول له اسرع واقتلني لاخلص من حياتي . فلم يدنُ منه بيلو ليكلمه مخافة ان يعرفه الشعب فينزل به غضبه . فوقف بيلو مترددًا لا يعرف اين يجد الدكتور فرأى دي لوناي حيرته فسأله ماذا تريد . فاجاب بيلو من غير ان ينظر اليه : لا شيء فانني افتش عن الدكتور جيلبار . اما انت الا ترى الباب مفتوحًا . واشار باصبعه الى الباب يدعوه الى النجاة بنفسه . فقال دي لوناي : الدكتور جيلبار في نمرو ٣

ولكن لم يأت دي لوناي على هذه الكلمة حتى صاح صائح قائلاً — هذا حاكم الباستيل فالتفت جميع الحاضرين ثم هجموا عليه هجمة واحدة وقبضوا عليه واخذوا يصيحون . هلموا به الى الاوتيل دي فيل . فما لبث دي لوناي المسكين ان غاب بين تلك الالوف كما تغيب ريشة تتلاعب بها الامواج الهائلة . فلما رأى بيلو انقضاض الناس عليه وخطفهم اياه خطف الذئاب النعاج وهم يتوعدون ويتهددون علم ان الحاكم في خطر فترك القوم وسار يطلب الغرفة نمرو ٣ التي علم انها سجن الدكتور جيلبار . فلم يجد مفتاحها مع الحارس فاستعار فأسًا كبيرة واندفع يضرب بها باب الغرفة السندياني لكسره

فدوت جدران ذلك المكان العميق لضرباته القوية واجتمع الناس ينتظرون النهاية .

فما لبث بيلو ان فتح بالفاس ثغرة صغيرة فوضع عليها عينه ومد بصره الى داخل المكان فابصر فيه رجلاً واقفاً بحذاء الباب وهو يحمل قطعة من حديد اخذها من سريره ليكسر بها راس كل من يدخل عليه اذ رابه كسر باب غرفته · فعرفه بيلو في الحال وصاح به : — دكتور · دكتور

فرفع الرجل راسه وصاح من يناديني · فقال بيلو انا صديقك بيلو

فدهش الرجل وصاح انت بيلو · فقال بيلو والجمع الذي كان وراءه · نعم نعم نحن نحن

فزاد استغراب الرجل وصاح بهم ومن انتم · فاجابوا نحن فاتحو الباستيل · اخرج فانك حرٌّ مطلق

ثم عاد بيلو الى ضرب الباب بالفاس فحطمه وظهر الدكتور جيلبار

فاذا به شاب في نحو الخامسة والثلاثين ذو لحية مرتبة اسود الشعر اصفر اللون لا عن مرض ولكن صفرة طبيعية · وهو حاد النظر كأنَّ في عينيه سهاماً خارقة تنفذ الى اعماق القلوب تحتها انف اقنى كأنه انف النسر مشرف على شفتين فيهما ابتسام الكبر والاحتقار تنكشفان عن صفي اسنان بيضاء كالثلج· وكان قد ظهر من سرعة تاثره انه عصبي المزاج شديد الانفعال

فخرج الدكتور جيلبار اليهم وصافح بيلو وبيتو والحاضرين ثم قال : لقد جاء اذاً اليوم الذي تنبأت عنه فالحمد للقوة الابدية التي تحفظ حرية الشعوب

ثم خرج الى الساحة مع بيلو وبيتو والناس يتبعونهم فلما راى نور السماء وهياج الشعب رفع بصره الحاد قائلاً : سلام ايتها الحرية · لقد شهدت نزولك في اميركا وها أنا ذا اشهد نزولك في هذه البلاد

ثم سال الدكتور بيلو عما جاء به الى باريز فقص عليه بيلو قصته التي اولها فقد الصندوقة وآخرها فتح الباستيل· فساله الدكتور بهدوء ورزانة· متى سُرقت الصندوقة من مزرعتك · فقال بيلو امس · فتامل الدكتور قليلاً ثم قال لا يخلو من مناسبة بين سرقة الصندوقة وسجني في الباستيل اريد الآن معرفة الشخص الذي طلب القاء القبض عليَّ وهذا امر نعرفه من صورة الامر الذي صدر بسجني فهلموا بنا الى غرفة الدفاتر والاوراق· قال هذا وسار بالحاضرين الى مركز الحاكم حيث كانت هذه الغرفة

الفصل الثامن عشر

(المثلث الهائل)

ولما وصلوا الى غرفة الدفاتر وجدوا الشعب قد اخذ في احراق كل ما وجده فيها من الدفاتر والاوراق لان من عادة الشعوب التخريب من بعد الانتصار . ولكن الدكتور عثر بين الدفاتر التي لم تحرق على دفتر سنة ١٧٨٩ فقلبه على عجل حتى وقف على الامر الصادر بسجنه . فوجد ان هذا الامر صادر بطلب ناكار فاجفل الدكتور وصاح . صديقي ناكار يامر بسجني ؟

فلما سمع الشعب ان الدكتور يلقب ناكار صديقه زاد مقام الدكتور ارتفاعاً في اعينهم لان ناكار كان لديهم في اعلى منزلة

وبقي الدكتور مبهوتاً ثم قال . لا شك انه امر بالقاء القبض عليَّ من غير تروٍ فيجب ان اذهب لمقابلته

فساله بيلو مقابلة من ؟ فقال مقابلة ناكار فقال بيلو ناكار في بروكسل لان الملك قد عزله . فقال الدكتور اذاً اقابل ابنته . ولكني لا اعرف مكان اقامتها

فقال قائل من الجمع انها تسكن في قصر ابيها في سانت وين . فقال الدكتور ساذهب اذاً الى سانت وين . ثم التفت الى النار المضطرمة امام الغرفة تاكل الاوراق والدفاتر وقال للواقفين . ايها الاخوان العلم يحتاج في المستقبل الى هذه الاوراق والدفاتر التي تحرقونها . فاهدموا الباستيل ان شئتم حجراً على حجر اما هذه الاوراق والدفاتر فباسم العلم والتاريخ اسالكم ان لا تحرقوها

ففشا قوله هذا بين الحاضرين كلهم فصوبوه وتركوا حرق الدفاتر والاوراق ثم اخذوا بنقلها الى الاوتيل دي فيل

فالتفت الدكتور الى بيلو وقال له هلم بنا الى الخارج . ولكن الخروج كان في غاية الصعوبة فان الشعب كان الوفاً الوفاً في ساحة الباستيل يشاهد المسجونين الذين اخرجوا منه وعددهم سبعة غير الدكتور جيلبار . وهذه اسماؤهم : جان بشاد . برنارد لاروش . جان لاكوريج . انطوان بوجاد . دي هويت . الكونت دي سولاج . تافرنيه

اما الاربعة الاول فقد سُجنوا لاتهامهم بتزوير كمبيالة وقد مضت عليهم في الباستيل سنتان من غير محاكمة ولا استنطاق ولا سؤال عنهم او بحث في شانهم . مما يرجح ان

اتهامهم كان افتراء وزورًا

واما الكونت دي سولاج فقد صدر الامر بسجنه في سجن فنسان سنة ١٧٨٢ بناء على طلب ابيه . ثم نُقل من فنسان الى الباستيل فانقضت عليه ٥ سنوات وتوفي ابوه دون ان يفتكر احد به او يبحث في شانه . ولو لم يُفتح الباستيل لبقي فيه طول عمره

واما دي هويت فهو شيخ في الستين من العمر لا يذكر السبب الذي سُجن من اجله واما تافرنيه فهو شيخ في الثمانين قضى في الباستيل ٣٠ سنة ولا يذكر الذنب الذي اوجب سجنه . ولما قيل له ان الشعب فتح الباستيل قال مستغربًا . ماذا يقول الآن لويس الخامس عشر ومدام دي بومبادور . ذلك لظنه ان لويس الخامس عشر لا يزال حيًا

ولما خرج هولاء المسجونون الى الجموع وسمعوا ضوضاءهم ورأوا هياجهم وجدوا انفسهم في عالم غريب . فانهم اعتادوا السكوت والهدوء في سجنهم لا يسمعون فيه غير نسج العنكبوت او قرض الفأر في الظلام لذلك اثرت بهم الضوضاء شر تاثير وكادت تؤدي بحياة بعض منهم . وكانوا واقفين مبهوتين مدهوشين امام الشعب والشعب يتأهب لحملهم على الايدي والمسير بهم الى الاوتيل دي فيل . واذا بالدكتور جيلبار قد ظهر لهم فانقضوا عليه لحمله معهم . فحاول بيلو ان يدفعهم عنه فتغلبوا عليه واصعدوا الدكتور على مائدة ورفعوها فوق رؤوسهم وقد اثبتوا فيها رمحًا صغيرًا ليتمسك الدكتور به . وحمل باقي الشعب باقي الاسرى واندفعوا يسيرون نحو الاوتيل دي فيل

وكانوا جماعات جماعات . منهم جماعتان في المقدمة تدفع الواحدة دي لوناي حاكم الباستيل والثانية الماجور دي لوسم ماجور الباستيل في وسط هياج عظيم . وجماعات وراءهم يحملون الاسرى . وكان الدكتور فوق المائدة على ايدي الجمع كخطيب في منبر عال يشرف منه على مائة الف رجل كما يشرف الربان من سفينته على امواج الاوقيانوس المتلاطمة

وكان كلما تقدم الشعب نحو الاوتيل دي فيل ازداد الخطر على حياة دي لوناي . ولو لم يكن حوله رجال يحرسونه لقضى عليه الشعب في ساعة واحدة . اما حراسه فكانوا خمسة وهم : هولين وايلي وارنه وكولات وليبين . حفظ التاريخ اسماءهم جزاء لهم على شهامتهم وحفظهم للمبادىء الانسانية . فانهم تعرضوا لكل انواع اللكم والضرب بل والموت ايضًا رغبة في انقاذ حياة الحاكم والماجور . وكانوا تارة يصيحون برفاقهم : اننا وعدناهم بانقاذ حياتهم . وطورًا : لا تسودوا بالقتل بياض عملنا في هذا النهار . ولكن الشعب — ذلك الوحش

الهائل الذي لا يفهم شيئاً في ساعات غضبه — كان يزداد حول الفريستين ازدحاماً وهياجاً

ورأى الدكتور من مكانه الخطر قريباً من الرجلين فارسل بيلو وبيتو الى نجدتهما . فرأى بيلو ان الشعب انما كان يعرف دي لوناي من كونه مكشوف الراس فتقدم واخذ قبعته ووضعها على راس دي لوناي

فالتفت دي لوناي فنظر بيلو فشكره وقال عبثاً تسعى بانقاذي فانهم سيقتلونني . فقال بيلو لا تخف فمتى وصلت الى الاوتيل دي فيل اصبحت آمناً . فقال دي لوناي بيأس ولكن من لنا بايصالنا الى الاوتيل دي فيل

وكان الماجور دي لوسم يلقى بين الجماهير من التهديد والوعيد واللكم والضرب ما يلقاه دي لوناي

فظلت تلك الالوف سائرة على هذا الوجه نحو الاوتيل دي فيل وبجانب حاكم الباستيل ٣ رجال يحمل احدهم الراية الفرنسوية والثاني مفاتيح الباستيل والثالث قانون الباستيل موضوعاً على رأس حربة

ولكنهم ما كادوا يشرفون على ساحة الاوتيل دى فيل حتى ابصروا هذه الساحة غاصة بالوف العامة المسلحين . ذلك انه طار في باريز خبر سقوط الباستيل واخذ الشعب حاكمه اسيراً الى الاوتيل دي فيل فاجتمع العامة وتسلحوا ثم قصدوه طلباً للانتقام من ضعيف اصبح بلا سلاح . وهذا شأن الطبقة السفلى في كل امر عظيم . فانها تحجم عن العمل في ساعة الخطر احتفاظاً بارواحها فاذا انقضى الخطر ونزل النصر اقدمت بعد ذلك الاحجام فهي ان لم تشترك في القتال طلباً للنصر اشتركت في الانتقام

فلما وصلت جموع الباستيل الى ساحة الاوتيل دي فيل هجمت جماهير العامة تطلب دي لوناي والماجور دي لوسم . فعلم حراس دي لوناي ان الخطر الاعظم في تلك الهجمة . فصاح هولين برفاقه : شددوا عزمكم يا رفاق ودافعوا دفاعاً حسناً حفظاً لشرفنا

ولكن ما تصنع خمسة ايدٍ بازاء الوف من الايدي . وكانت الهجمة شديدة فسقط دي لوناي على الارض مع بيلو . ومن الغريب ان دي لوناي كان ساكتاً بشيء من الكبرياء الوقت كله . فلما سقط على الارض صاح بازدراء

— ويلكم ايها اللصوص اجهزوا عليَّ واريحوني من هذا العذاب

فبالدعوة اجيبت كلمح البصر . فان ذلك الشعب الهائل اندفع على دي لوناي قبل ان

ينهض عن الارض اندفاع افعى هائلة على عصفور صغير . فرأى الدكتور من منبره هذا المنظر فكاد يلقي بنفسه ليخلص تلك الفريسة فامسكه حاملوه واثبتوه على المائدة التي كان محمولاً عليها . فمد الدكتور بصره نحو دي لوناي ليرى ما جرى فلم يرَ له اثرًا ولكنه رأى فوق المكان الذي سقط فيه راساً على رمح تسيل منه الدماء

وكان هذا الراس راس دي لوناي المسكين (١)

فصاح الدكتور : ويل للقتلة الاشرار اني لأخجل ان يقال بان هولاء القتلة هم الذين خلصوني فسمعه بيلو فقال : كلا ايها الدكتور . لم ينقذك هولاء القتلة لانهم لم يحاربوا معنا وانما الذين انقذوك انبل غرضاً واشرف مبدأ

وكان قتل دي لوناي تحت نوافذ المجلس البلدي ودي فلاسيل مع الاعضاء ينظرون الى الجموع من النافذة . فقدم حامل راس دي لوناي هذا الرأس من رأس دي فلاسيل فتراجع هذا خائفاً وعلى وجهه صفرة تحكي صفرة وجه دي لوناي

—※ المثلث الهائل ※—



رأس دي لوناي
على الرمح



راس دي فلاسيل
على الرمح



راس دي لوسم
على الرمح

※ انظر تفسير ذلك في هذا الفصل ※

وهذه الرسوم الغريبة هي رسوم تاريخية ماخوذة بالفوتوغراف ساعة حدوث الحوادث المذكورة فوق وقد عثرنا عليها بعد بحث كثير

فخرج في هذا الحين من فوق جثة دي لوناي صوت هائل يتخلله الوعيد والتهديد . وكان هذا الصوت صوت الشعب . فانه وجد في ثياب دي لوناي الورقة التي كتبها اليه دي فلاسيل وهي :

« شد عزمك وادفع دفاعاً حسناً فانني اشغل الباريزيين بالوعود والحمائل وسيردك قبل « المساء نجدة من المسيو بزانفال « دي فلاسيل »

فلما اطلع الشعب على هذه الورقه علم منها ان دي فلاسيل كان يخدعه ويغشه فثار ثائر الناس وهبوا هبة رجل واحد لدخول المجلس البلدي حتى ان الذين يحملون الاسرى تركوهم وتبعوا رفاقهم . وبعد هنيهة خرجت مئات الشعب من ساحة المجلس وبينها رجل مكشوف الراس وهو دي فلاسيل . فاخذت تدفعه امامها وهي متجهة صوب نهر السين لتلقيه فيه . ولكن واحداً من الجمع لم يمهله بل عاجله باطلاق الرصاص عليه فصاح الدكتور من مكانه ووضع يد على عينيه بغضب واحتقار . ثم رفعهما وفتح عينيه فوجد راساً ثانياً بازاء راس دي لوناي المحمول على الرمح

وكان ذلك الرأس رأس دي فلاسيل المسكين (انظر الرسم السابق)

ثم ما عتم الجمهور الذي كان يدفع الماجور دي لوسم ان انقض على هذا الرجل انقضاض الذئب على الحمل . وكان الماجور شديد الرأفة بالمسجونين محباً لراحتهم الا ان الشعب كان يجهل ذلك فساوى في غضبه بين الصالح والشرير . فضربه احدهم بفاس على راسه القاه على الارض . وبعد هنية ارتفع راس ثالث بازاء الراسين السابقين

وذلك الرأس كان رأس دي لوسم المسكين

فكان من هذه الرؤوس الثلاثة المرتفعة على ثلاثة رماح في ساحة الاوتيل دي فيل مثلث هائل تقشعر منه الابدان . فصاح الدكتور جيلبار : قبحاً لهذا المثلث من رمز اذا كان رمزاً الى الحرية . ثم اندفع يعدو تاركاً تلك الجموع ووراءه بيلو وبيتو

الفصل التاسع عشر

(ابن الدكتور جيلبار)

ولما وصل الدكتور الى شارع بلانش ميبراي وجد مركبة فصعد اليها مع بيلو وبيتو وامر السائق بالمسير الى مدرسة لويس الكبير ليشاهد ولده

فما زالت المركبة سائرة بين جماهير الناس الذين كانوا يتحادثون بامر فتح الباستيل وقتل حاكمه وهم في جدال وهياج حتى وصلت الى باب هذه المدرسة

فدخل الدكتور و بيلو اما بيتوفيقي في المركبة

وكان سباستيين لا يزال في مستشفى المدرسة وقد عرف الدكتور ذلك مما قصه عليه بيلو . فلما رأى سباستيين اباه ابرقت عيناه وانطرح على عنقه يضمه اليه . ولكن سروره كان هادئاً لطيفاً كانه سرور شاب او كهل لا سرور فتى صغير

اما الدكتور فجعل ينظر الى ولده نظرات حنو مبهمة . ولو شهد هذا المشهد رجل اشد نباهة وفراسة من بيلو الذي كان واقفاً بازائهما لعرف من هذه النظرات ان بين هذا الوالد والولد سرًّا عميقاً

و بعد مصافحة سباستيين اباه سلم على بيلو وشكر له انجاز وعده من انقاذ ابيه فضحك بيلو وقال له لا تحسب ان ذلك كان امرًا هيناً . فنظر اليه الدكتور مبتسماً ثم قال لسباستيين

— اتيت الآن لاراك بسلام ياسباستيين وابلغك انيخرجت من الباستيل ولكني مضطر الى مفارقة باريز على عجل

فقال الولد ما هذه السرعة يا ابتِ هلا اقمت عندنا بضعة ايام . فقال الدكتور اسمع لاطلعك على السبب . اودعت صديقنا بيلو منذ سنوات صندوقة في غاية الاهمية لدي فسرقت هذة الصندوقة من مزرعته بعد القاء القبض عليّ فغرضي الآن البحث عن سارقها وعن الذي طلب سجني وفي ظني ان كلاهما واحد

فسكت سباستيين اما الدكتور فاردف بقوله . على انني لا اغيب عنك وقتاً طويلاً فوصيتي اليك ان تجد وتجتهد ياسباستيين

وكان ناظر المدرسة واقفاً يسمع كلام الوالد والولد فلما اتى الدكتور على هذا الكلام طلب اليه الناظر ان يحادثه على انفراد . فمشى الدكتور معه الى زاوية في ذلك المكان ولكن سباستيين قبل ابتعاد ابيه طلب ان يرى بيتو رفيقه في المدرسة وفي الرضاع فخرج بيلو ليأتيه به

ولما انفرد ناظر المدرسة بالدكتور قال له اهنئك ياسيدي بهذا الولد فانه سيكون فخرًا لمدرستنا . ولا ريب عندي انه سينال كل جوائز المدرسة فان اجتهاده غريب ونفسه على صغر سنه كبيرة كانها نفس رجل تسكن جسم فتى صغير . اقول ذلك تمهيداً لامر اطلبه

منك وهو ان لا تسأل ولدك الزيادة في الجد والاجتهاد فحسبه ما يجد ويجتهد

فقال الدكتور وماذا تعني بذلك يا سيدي . فاجاب الناظر اعني ان نفس هذا الولد تكاد تنشق من كثرة الدرس والعمل فانصحه ان يكون معتدلاً في العمل بدلاً من نصحه ان يزداد جداً واجتهاداً . ليتك تراه وهو وراء مائدة الكتابة قاموسه في يده وقلمه بين اصابعه ودفتره امامه . فان افكاره تغوص وهو في هذه الحالة في بحر البلاغة والفصاحة فتستخرج اسمى المعاني وافصح الالفاظ . ويبقى غائصاً في ذلك التيار كانه لا يشعر بشيء مما حوله

فظهر الاهتمام في وجه الدكتور لهذا الكلام فقال . وهل يطول تامله . فقال الناظر يطول حتى ننبهه الى نفسه . ثم نظر الناظر الى سباستيين وصاح بصوت خافت . انظره ياسيدى فانه حتى في مرضه يغوص في دروسه وتاملاته

فالتفت الدكتور الى ابنه فوجده واقفاً كالصنم لا حراك به وهو باهت بهتة اجرت الدم بارداً في عروق الدكتور . فسال بصوت خفيف وهل يبهت كثيراً هكذا . فاجاب الناظر كلما كان وحده . فسال الدكتور وكيف تنبهونه . قال نقترب منه ونهزه فيعود الى نفسه

فظهر الكدر والاستياء في وجه جيلبار فقال . ذلك يضرُّ به ضرراً بليغاً بل يجب ان تخاطبوه بصوت ضعيف اولاً حتى يعود الى رشده . انظر انظر الآن ماذا سيحل به

وكان بيلو في ذلك الوقت عائداً ببيتو فلما راى بيتو رفيقه سباستيين هجم عليه فرحاً جذلاً واخذه بيده قائلاً : اشكر لطفك ياسباستيين لانك سالت عني

ولكن ما مس بيتو ذراع الولد حتى اجفل سباستيين وامتقع وجهه واصطكت ركبتاه وكاد يسقط على الارض من الدهشة والخوف . ولكنه مع دهشته كان يبتسم لبيتو

فقال الدكتور للناظر ارايت ما يكون لتنبيهه على حين بغتة من التاثير المضر

ثم استاذن جيلبار الناظر واتجه صوب سباستيين وساله ان يتبعه الى حديقة المدرسة ليحادثه على انفراد . فسار الولد وراءه

فلما بلغا الحديقة جلسا على كرسيين تحت ظل شجرة فابتدر جيلبار ولده بالسؤال قائلاً . رايتك الآن مبهوتاً ياسباستيين فلماذا انت كئيب

فابتسم الولد وقال لا شيء يا ابت . قال بل لا بدَّ من شيء يوجب كآبتك اصدقني الخبر . قال لاشيء . فقال جيلبار يكدرني سكوتك يابني فاني ارى الكآبة ظاهرة في

جبينك وعينيك

فحنى الولد راسه وقال ليس ذلك بكآبة يا ابت ولكنه امر عرضي. فقال قل ما هذا الامر قال هو انني لا اجد سرورًا في المعيشة . قال وماذا تعني بذلك . قال اعني انني لا اجد سرورًا في الالعاب التي يلعبها الاولاد الذين بسني . فقال الاب وكيف تقضي اوقاتك . قال اقضيها بالسكوت والوحدة والتامل

فقال جيلبار مشغول الفكر لهذا الكلام . احذر ياسباستيين من هذه الحالة فهي تدل على واحد من اثنين : اما الكبرياء واما المرض . فان ولدًا مثلك في الثانية عشرة من العمر لا ينبغي ان يكون بهذا الهدوء الذي اجده فيك بل ينبغي ان يثب ويلعب ويذوق كل مسرات الصبوة . والا فهو متكبر او مريض فايهما انت

فقال سباستيين لا هذا ولا ذاك . فقال ابوه بشيء من الاستياء لماذا لا تصدقني ياسباستيين

فاطرق الفتى متاملاً ثم قال . اقول لك الحق يا ابت اني ارتاح الى ذلك الهدوء والتامل . قال ولماذا هذا الارتياح . قال لاني ارى رؤيا غريبة تروقني . قال الدكتور باهتمام . وما هذه الرؤيا . فقال الولد

اسمع يا ابت فهذه هي المرة الاولى التي اقص عليك فيها هذا الحديث . انني اكون كباقي الناس مادمت مع اصحابي ورفاقي . ولكني اذا انفردت عنهم واصبحت وحدي شعرت كاني انتقلت من هذا العالم الى عالم آخر . فيطيب لي التامل في هذا العالم ولا اغوص في بحار الافكار حتى اسمع حفيف ثوب بحذائي فالتفت فارى شيئًا كالدخان تكاثف امام عيني ثم يزداد هذا الدخان تكاثفًا حتى يتجسم وياخذ بالسير امامي . وحينئذٍ ارى في وسطه امراة طويلة القوام تنظر اليَّ . فتتحرك شجوني واحس بيد قوية تدفعني الى هذه المراة بالرغم عني فاتبعها وهي تركض امامي . ولا ازال كذلك حتى اشعر بحفيف ثوبها مرة اخرى فيتبدد حينئذٍ ذلك الدخان وتتوارى عن نظري فيخور عزمي واسقط في المكان الذي توارت فيه عني

وكان الولد يتكلم وابوه يزداد دهشة واهتمامًا بكلامه فلما اتى الولد على آخر حديثه قال جيلبار . وهل ترى هذه الرؤيا منذ زمن طويل . فقال كنت اراها منذ صغري لما كنت في فيلله كوتريه وكانت تلك المراة تركض امامي في الاحراش فاتبعها حتى تتوارى عن نظري فاسقط على الارض وكثيرًا ما وجدني بيتو ممددًا هنالك وقد مضى عليَّ

الليل كله

فقال هل ترى هذه الرؤيا في المدرسة • قال اراها كلما انفردت عن رفاقي وطابت لي الوحدة في مكان هادىء متسع كهذه الحديقة • قال وهل ترى وجه تلك المراة التي تظهر لك • قال اراه كما ارى وجهك يا ابت • قال وهل تحاول امساكها• قال كلما رايتها هجمت عليها بشوق وانا امدُّ اليها يديَّ فتهرب مني• قال وما هي هيئتها • قال كهيئة الملكات يا ابت • قال وماذا تشعر كلما رايتها • فقال الولد اشعر بارتياح شديد وقلبي يقول لي انها امي

فما لفظ الولد كلمة « امي » حتى وثب جيلبار عن كرسيه كان يدًا اوقفته بالرغم عنه وقال • امك ؟ وكيف ظننت ذلك • فقال الولد كنت اظن ذلك اما الآن فقد ذهب هذا الظن • فجلس جيلبار وقال ما الذي ذهب به • فقال الولد ذهب به امر اغرب من الامر الذي ذكرته لك يا ابت • قال الدكتور وما هو • فقال الولد :

اخذنا ناظرُ المدرسة في احد الاعياد الى حرش ساتوري قرب فرسايل فانفردت حسب عادتي بين تلك الاشجار واخذت اغوص في تاملاتي الحلوة • فقطع جيلبار كلامه قائلاً فظهرت لك الرؤيا حينئذٍ • فقال الولد نعم ظهرت ولكن هذه المرة كانت حقيقة لا وهماً • ذلك انى رايت امام عيني على الطريق تلك المراة التي كنت اراها في التاملات والرؤى جالسة بعظمة كعظمات الملوك في مركبة فاخرة تجرها اربعة من جياد الخيل وهي سائرة نحو فرسايل • فكدت اختنق في تلك الساعة من ياسي وكدري اذ علمت حينئذٍ ان الخيال الذي كنت اراه في الوهم موجود في الحقيقة وهو غير امي• لان امي كما قلت لي ماتت وانا طفل صغير

وما انتهى الولد من هذا الكلام حتى اصبح وجه جيلبار ممتقعاً لشدة تاثره فنظر اليه سباستيين وقال • ما بك يا ابت ليتني لم اقص قصتي عليك • فقال جيلبار متاثرًا بل قصَّ عليَّ كل ما تراه من هذا القبيل يابني لعلنا نشفيك من هذا المرض الدماغي • فهز الولد راسه وقال • كلا لا اريد ان تشفيني منه يا ابت لانه اصبح لذتي الوحيدة • فانني تعوَّدت على هذه الرؤيا حتى انك اذا عدت الآن الى اميركا وغبتَ عنى سنوات فانني احتمل فراقك لانني لست وحدي بل ذلك الخيال معي يسليني • ولكنى اسالك يا ابت سؤالاً وهو هل كانت امي جميلة

فاجاب جيلبار متنهدًا نعم كانت بارعة الجمال

فقال الولد وهل كانت تحبك كثيرًا

فلم يتمالك هنا الدكتور ان وثب من كرسيه بتاثر شديد فلثم ولده على عجل وصاح به : سباستيين سباستيين لا تسالني عن امك بعد الآن

ثم تركه وسار مسرعاً نحو بيلو و بيتو فاخذهما وركبوا المركبة · اما سباستيين فبقي في مكانه غائصاً في تصوراته وتاملاته حتى جاء ناظر المدرسة فاعاده الى المستشفى

الفصل العشرون

(مدام دي ستايل)

لما جلس جيلبار في المركبة بازاء بيلو وبيتو كان التأثر الشديد ظاهراً في وجهه ولكن هذا الرجل اعطي سلطاناً عظيماً على تاثراته · فوضع وجهه المضطرب بين يديه واطرق قليلاً ثم رفع راسه فظهر الهدوء التام في وجهه بعد ذلك التاثر الشديد · فقال للسائق بسكينة · خذنا الى اقرب مخزن من مخازن الخياطين فانني اريد تغيير ثيابي · ثم التفت لبيلو وسأله امعك نقود · فمد بيلو يده الى جيبه واخرج قبضة من الذهب فيها عشرون او ثلاثون قطعة فاخذ منها جيلبار عشراً فقط

و بعد ان ابتاع جيلبار ثوباً اسود اللون على زي الثياب التي كان يلبسها اعضاء المجمع الوطني امر السائق بالمسير بهم الى قصر سانت وين حيث تقيم مدام دي ستايل ابنة المسيو نا كار

ولما وصل الى هذا القصر استقبله خادم وساله ماذا يطلب · فاجابه جيلبار انني اطلب مقابلة المسيو نا كار فاجاب الخادم انه سافر الى بروكسل · فقال جيلبار اطلب مقابلة البارونة زوجته · قال قد سافرت معه · قال اذاً اطلب مقابلة مدام دي ستايل ابنته فقال مدام دي ستايل هنا ولكنها تتنزه في الحديقة ولدينا منها امر ان لا نكدر صفوها اذا كانت تتنزه

فمد حينئذٍ جيلبار يده الى جيبه واخرج منها ذهباً ثم دسه في يد الخادم قائلاً · ارجوك ان تقبل هذا وتبلغها انني صديق اطلب مقابلة ابيها او مقابلتها · فادخله الخادم ثم سار وابلغ سيدته قول جيلبار فتركت مدام دي ستايل (١) نزهتها واتت لمشاهدة زائرها



(١) مدام دي ستايل — هي ابنة البارون نا كار الكاتبة الفرنسوية الشهيرة التي اقلقت بال نابوليون الاول بانتقاداتها الشديدة الصحيحة حتى اضطر الى نفيها من البلاد الفرنسوية · على ان نفيها كان خيراً لعالم الادب والسياسة فانها كتبت في منفاها وهي في المانيا كتاباً مهماً عنوانه « المانيا » مازال الكتاب الى عصرنا هذا يعتبرونه احسن ما كتب عن المانيا على

وكانت مدام دي ستايل لم تكتب بعد روايتها « كورين » ولا كتابها الشهير «المانيا» الا ان شمس شهرتها كانت قد بدأت بالطلوع في عالم الادب . فلما رآها جيلبار مقبلة عليه اخذ يفحص هيئتها فوجد لوائح النباهة تلوح في وجهها ولكن راسها كان اشبه براس رجل منه براس امرأة ولم يكن في سحنتها شيء من الظرف والكياسة

وكانت تخطو نحوه وفي يدها غصن من الرمان تلهو باكل ما فيه من الزهر (الجلنـار)

فلما وصلت اليه سلم عليها جيلبار وسلمت عليه فسالها عن ابيها البارون ناكار . فاجابت انه سافر الى بروكسل منذ ثلاثة ايام فقال جيلبار . ولكني ارى سفره في غير محله حتى انني لاشك فيه . قالت ولماذا تشك في سفره . قال لانه ليس من حسن الراي ان يبتعد عن باريز في وقت قد يحتاج فيه الملك اليه ويرى نفسه مضطرًا الى ارجاعه الى منصبه قالت ولكنه سافر ياسيدي فقال جيلبار وما العمل بما اريد ابلاغه اياه فانه من الاهمية باعظم مكان

فرفعت مدام دي ستايل راسها وقالت . ما هذا الامر المهم ياسيدي الا تستطيع اطلاعي عليه . فقال كلا ياسيدتي لانه متعلق بالمسيو ناكار وحده وهو في اقصى درجات الاهمية . فقالت مدام دي ستايل شغلت بالي ياسيدي بهذا الكلام . واؤمل انك تطلعني على هذا الامر ليطمئن بالي . ارجوك ان تتبعني لنتحادث في القاعة بهذا الشان

ثم مشت امامه فسار جيلبار في اثرها . فادخلته الى غرفتها وهي غرفة اشبه بغرف الرجال منها بغرف النساء . ثم جلست وجلس جيلبار . فقالت له ارجوك ان تشرح لي ياسيدي هذ الامر ليطمئن بالي . فقال جيلبار . لا اقول لك ياسيدتي الا كلمة واحدة وهي

الاطلاق وهذا الكتاب احسن كتب مدام دي ستايل ولها غيره كتاب " دلفين " ورواية فلسفية فنية اسمها " كورين " نقلتها الى اللغة العربية منذ بضع سنوات حضرة الدكتورة الفاضلة السيدة انيسة صيبعة الطرابلسية باختصار كثير بقي معه كثير من اغراض المؤلفة اهمها مشهد ختام الرواية وهو من اشد المشاهد تاثيرًا وقبل وقوفنا على اصل هذه الرواية الفرنسوي طالعنا الترجمة العربية تحت اشجار الارز في جبال لبنان والهواء عليل بليل والمناظر الطبيعية تذكر القارئ مناظر ايطاليا التي تصفها مدام دي ستايل في هذه الرواية فوجدنا لها تاثيرًا كان يجري دموعنا ودموع صديق بازائنا كنا نقراؤها معه

وكانت ولادة مدام دي ستايل في سنة ١٧٦٦ ووفاتها في سنة ١٨١٧

انه لو كان المسيو نا كار والدك يسمعني الآن وعرف انني انا الرجل الذي كتبت يوماً كتاب « حالة الافكار والتقدم العام » فانني اؤكد لك انه يتقدم مسرعاً اليّ ويقول لي — تكلم فاني مصغ اليك ايها الدكتور جيلبار

ولكن ما اتم جيلبار كلامه حتى انفتح بغتة باب في جدار هذه الغرفة وظهر فيه البارون نا كار باسماً ثم اقترب من جيلبار وقال — هاءنذا تكلم فاني مصغ اليك ايها الدكتور جيلبار

ثم تناول البارون كرسياً وجلس بازاء ضيفه . فنهضت حينئذٍ مدام دي ستايل فودعت جيلبار بابتسام وخرجت من حيث دخل البارون . فقال جيلبار . سمعتَ الآن ياسيدي سرّا يطلعك على حقيقة افكاري . فاني انا الذي ارسلت الى الملك من اميركا التقارير التي وصلته عن جميع المسائل الداخلية . فقال نا كار نعم وقد اطلعني الملك على بعضها . قال واظنك تذكر ان ما تنبأت به في هذه التقارير قد حدث كله . قال وبماذا تنبأت . قال جيلبار النبوءة الاولى قولي ان الملك سيضطر الى عزلك بازاء الحاح مقربيه . فابتسم نا كار وقال والثانية . فقال جيلبار اما نبوءتي الثانية فهي فتح الباستيل . فقال نا كار وهل تنبأت بفتح الباستيل . قال نعم لان الباستيل لم يعد سجن الملكيــة ولكن رمزًا الى ظلمها واستبدادها . فكان لا بد من ان تهدمه الحرية بفاسها القوية

فنظر اليه البارون باسماً وقال الا تخشى عقبى هذا الكلام . فقال جيلبــار ومن اي شيء اخشى اذا كنت الآن خارجاً من الباستيل

فدهش نا كار وقال انت كنت في الباستيل : قال نعم . قال ومن وضعك فيــه . فقال جيلبار هذا هو الامر الذي جئت اسالك عنــه . انظر ياسيدي توقيعك على الامر بسجنى . ثم اخرج من جيبه الامر الذي اخذه من سجل الباستيل واراه لنا كار . فقال نا كار لا اذكر انني امرت بسجنك ولكني اذكر انني قبل تركي الوزارة قدموا اليّ بعض هذه الاوامر وهي بيضاء لا يوجد عليها اسماء من يُطلب القبض عليهم فوقعت عليها جرياً على العادة . ولا اكتمك انني كنت اكره التوقيع على هذه الاوامر واقلل من اصدارها ما استطعت على اني بالرغم عن هذا التقليل ما كنت اوقع في السنة على اقل من اربعة الاف امر . .

فقال جيلبار فما العمل اذًا لمعرفة الذي طلب القاء القبض عليّ . فقال نا كار انتظر لافحص اوراقي فانني اصطحبتها كلها لكي استطيع تبرءة نفسي عند الحاجة

ثم نهض الى درج فاخذ منه اوراقًا ولبث يفحصها حتى عثر على ورقة فادناها من جيلبار وقال له اقرأ هذه الورقة ففيهــا طلب سجنك وعليها توقيع « الكونتس دي شارني »

فقال جيلبار وهو يتامل الورقة لا اعرف سيدة بهذا الاسم . قال ناكار والورقة اتت عن يد الملكة لان الكونتس دي شارني اعز عزيزاتها واقرب المقربات اليها لذلك كتبت الملكة على هذه الورقة سطرا بخطها وهو : « فلتنفذ ارادة الكونتس دي شارني في هذا الشان على عجل »

فعض جيلبار شفتيه ولبث يتساءل عن هذا الامر المبهم . ثم هزَّ راسه وقال كل البلاء من الملكة

فضحك ناكار وقال انك تعرف الملكة اذًا . قال اعرف انها عدوة الملك والملكية ولولاها لما وقع الملك في ما هو واقع فيه الآن . فلنترك الآن امر سجني فانني ساعرف كل شيء ولننظر في امرك يا حضرة البارون

فقال واي امر تعني . قال امر ارجاعك الى الوزارة فان الملك لا بد ان يفكر في ذلك الآن قال ناكار وان رجعتُ الى الوزارة؟ قال اذا رجعت اليها فانك تفقد شهرتك لدى الشعب بما يضعه الملك والملكة من العثرات في طريقك قال وماذا ترى واجبًا ان اصنع قال اسمع لاطلعك على افكاري وقبل ذلك اسالك أأنت تعتقد بوجود الجمعيات السرية في فرنسا قال نعم يوجد منها قال وهل انت مشترك في بعضها قال كلا فقال جيلبار :

اما انا فاني مشترك فيها كلها وعلى الخصوص بالجمعية الماسونية نحن ٣ ملايين اخ قد اقمنا الجمهورية الاميركية وفي عزمنا الآن ان نقيم الجمهورية الفرنسوية ومتى انتهينا من هذا سعينا لاقامة جمهورية اوربية تتالف من جميع الامم الاوربية كما تالفت الجمهورية الاميركية من الولايات الاميركية وهذه الجمعية كلية القدرة ايها البارون فان اعضاءها بين جميع طبقات الامم بين الملوك والصعاليك والكبار والصغار هي قوة سرية هائلة لا تقف صعوبة في طريقها وقد اتمت عملها في اميركا فجاءت الآن تجرب عملها في هذه البلاد

فقال ناكار ولكنني لا اكره مبادىء الجمهورية الاميركية بل انني من انصار هذه المبادىء فليدخلوها الينا

قال جيلبار ولكن شتان بين جمهوريتنا وجمهورية الولايات المتحدة فان الارض في اميركا بكر عذراء لا تقاليد فيها تحول دون الحرية ولا بغض ولا انقسام بل هنالك شعب واحد عظيم مجتمع تحت راية الاخاء والحرية واما ارضنا فهي ارض قديمة مملوءة بالخراب وهمْ اهلها الشقاق فكم من بناء يجب ان يُهدم لاقامة بناء الجمهورية مكانه كنت جمهوريًا في اميركا اما في هذه البلاد فانا ملكي لان الجمهوريين في هذه البلاد لا يعرفون

ماذا يصنعون ولا الى اين يسيرون فقال نا كار واين الآن الجمهوريون عندنا فقال جيلبار في المجمع الوطني حزب ساكت يراقب الحوادث الآن ويعد اعمالاً عظيمة وهذا الحزب هو الحزب الجمهورى المخيف الذي سينشر الرعب والهول في هذه البلاد لذلك جئت اليك ايها البارون قال وما غرضك قال غرضي خدمة بلادي وتاخير نزول الزوبعة ان لم يكن في استطاعتنا منع نزولها قال وماذا تقترح عليَّ قال اقترح عليك امرًا بسيطًا وهو ان تكتب بيدك كتابًا الى الملك توصيه بي قال مثلك لا يحتاج الى كتاب توصية قال لا غنى لي عن كتاب منك وتساله في هذا الكتاب ان يثق بي كطبيب ومشير فاكون مستشاره وطبيبه معًا ومتى اصبحت قرب الملك سهل علينا مقاومة نفوذ الملكة فنخدم بذلك بلادنا من جهة واستطيع من جهة اخرى متى رجعتَ الى منصبك ان انبهك الى اليوم الذي يجب فيه ان تستقيل من الوزارة حتى اذا هبت الزوبعة وسقط البناء لم يسقط عليك بل كنتَ سالمًا معافى

فاطرق نا كار ثم مد يده الى جيلبار قائلاً رضيت بشروطك ياسيدى ومثلك اهل لكل ثقة ثم نهض الى مائدة وكتب عليها للملك الكتاب الآتي

مولاي — لا بد ان تكون جلالتكم محتاجة في الاحوال الحاضرة الى رجل امين تباحثونه بحرية في كل ما يهم جلالتكم من الشؤون السياسية . لذلك رايت ان اقدم اليكم الدكتور جيلبار حامل هذا الكتاب فانه الرجل الذي تحتاجون اليه . وهذه التقدمة آخر خدمة نافعة اقدمها لجلالتكم . ويسركم بالخصوص ان تعرفوا الدكتور متى علمتم انه هو كاتب التقارير العديدة التي ارسلت اليكم من اميركا وكنتم تعجبون بها كل الاعجاب وموضوعها : « ادارة وسياسة »

على اعتاب جلالتكم

البارون نا كار

ولما فرغ نا كار من كتابة هذا الكتاب القاه الى جيلبار فنهض جيلبار مودعًا فقال له نا كار ولكن لا تنس ان تقول للملك اذا سالك عني انني في بروكسل لا في باريز فوعده جيلبار بذلك ثم ودعه وخرج . وفي خروجه لقي مدام دي ستايل في طريقه ولكنها كانت تحمل في هذه المرة كتابًا صغيرًا بدلاً من غصن الرمان . فلما دنا جيلبار منها ادنت عنوان الكتاب منه فقرأ جيلبار على ظهر الكتاب هذه الكلمات « استقلال الانسان وحرية الشعوب » وهو عنوان الكراس الذي نشره الدكتور فودعها جيلبار مبتسماً وخرج وهو يقول : ساعرف من قصر الملك اولئك الذين طلبوا سجني وسرقوا صندوقتي

الجامعة

الجزء ٢٣ و٢٤) (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣١٧



﴿ اليزابت دي بافاريا ﴾

امبراطورة النمسا وهي في التاسعة والعشرين من العمر قبل نزول مصائبها عليها ·
وفي الصفحة ٥٥٢ رسمها ورسم الامبراطور زوجها بعد مصائبها

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

أشقى ملك واشقى ملكة

فرنسوى جوزيف * اليزابت

الامبراطور فرنسوى جوزيف · النمسا والمجر · معيشته في فيينا معيشته في بودابست
انشقاق مملكته · الامبراطورة اليزابت · نفس منقطعة عن هذا العالم الى ما وراءه
هل هذا مرض جبل شاهق تُرى الحقيقة من قمته ملك لا يستحق
ان يحسده صعلوك

في الناس من دأبهم حسد الناس · وتلك شهوة لا تدخل الا النفوس الصغيرة كما قال الفلاسفة ولكنها من سوء حظ البشر كثيرة الانتشار · فالعامل الفقير يرى سيده الغني فيحسده على ماله وعقاره · والغني يرى نخفخة العظماء والكبار فيحسدهم على عظمتهم · والعظماء يرون مجد الملوك وابهة الملك فيحسدونهم عليها · وقد جهلوا ان في هؤلاء الملوك مع عظمتهم وابهة ملكهم من يحسد افقر الناس على راحة باله وحسن حاله

وحسبنا ان نستشهد على صحة هذا القول بالامبراطور فرنسوى جوزيف امبراطور النمسا وملك المجر · فكم من الصعاليك في اكواخهم الحقيرة حيث يغطيهم السماد ويعوزهم القوت انعم بالاً منه ومن الامبراطورة اليزابت قرينته التي قُتلت في جنيف سنة ١٨٩٧ وفي ترجمة هذين الملكين وفائدة للقراء فنلخصها باختصار

(* الامبراطور فرنسوى جوزيف *)

ولد الامبراطور فرنسوى جوزيف في ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ فهو الآن شيخ يكلله الشيب · وهو قليل الصلع نحيف القامة مستقيمها بالرغم عن كبر سنه يتوارى انفه وراء شاربين ضخمين ابيضين تحتهما كتلة شعر بيضاء في ذقنه · وهو شديد الملاطفة والمجاملة ولكن في لطفه ومجاملته شيئاً رسمياً ملكياً يبقي جليسه مقيداً دائماً بقيود احترامه

تعرف بابنة عمه الاميرة اليزابت ابنة امير بافاريا وذلك في ١٦ اغسطس سنة ١٨٥٣ في احد المراقص وعمره ٢٣ سنة · وكان شاباً جميلا واليزابت فتاة بارعة الجمال كانها وردة في بستان وعمرها ١٧ سنة فقط · فاحبها واحبته فتزوجها وجاء بها الى فيينا

ليلبسها تاج الامبراطورية على مملكته وقلبه

وكان كلُّ شيء في حياة هذين العروسين يدل على هناء عيشهما في مستقبل الحياة . فان الامبراطور غني وعظيم السلطة والامبراطورة محبوبة من الشعب حتى انه حين دخولها بلاد النمسا خرج الشعب الوفاً الوفاً لاستقبالها والهتاف لها في الشوارع والاسواق ابتهاجاً بها ولكن يد الاقدار كتبت لهذين العروسين في صفحات المستقبل الهائلة سطوراً ترتعد لها الفرائص وترتجف الابدان . فانها ابتلتهما بجميع صنوف المتاعب والاحزان وقبل تبيان ذلك نذكر شيئاً عن مملكة النمسا تمهيداً لما يلي

(* النمسا والمجر *)

تتألف الامبراطورية النمساوية من مملكتين الواحدة المملكة النمساوية وعدد سكانها نحو ٢٤ مليون نفس يتكلمون الالمانية وعاصمتها فيينا والثانية مملكة المجر وعدد سكانها ١٧ مليوناً ونصف مليون يتكلمون اللغة المجرية وعاصمتها بودابست . ولكل واحدة من هاتين المملكتين برلمان خصوصي ووزارة مخصوصة تدير شؤونها وليس يوجد بينهما امر مشترك غير الجيش والمالية والعلائق الخارجية فان هذه الامور الثلاثة تديرها حكومة مخصوصة مشتركة بين الفريقين يرئسها الامبراطور . والامبراطور يقيم كل السنة في فيينا عاصمة النمسا الا شهري دسمبر ونوفمبر فانه يقضيهما في مملكة المجر

(* معيشته في فيينا *)

ومعيشة الامبراطور فرنسوى جوزيف في النمسا تختلف عن معيشته في المجر . فانها في النمسا جدية مصروفة الى العمل والشغل دائماً . فان الامبراطور يفيق في الساعة الخامسة بعد نصف الليل فيلبس ثيابه ويدخل الى غرفة عمله . فياتونه بغذاء الصباح من شاي وكعك فيتناوله على زاوية منضدته ثم بعد الغذاء يشرع في اعماله فيراجع جميع الاوراق التي عليها ورقة ورقة ويفحصها بتدقيق ولا يوقع عليها الا متى اتم فحصها واستيعابها . وله ذاكرة قوية جداً كثيراً ما دهش لقوتها وزراؤه

ويبقى وراء منضدته يقرأ ويفحص حتى الظهر . فيؤتى حينئذٍ بمائدة عليها صحنتان من اللحم وصحفة من الحلوى وشيء من الجعة (البيرة) والخبز فيتغدى منها وهذا كل غذائه . ثم بعد تناول طعام الغداء يعود الى عمله فيبقى عاملاً الى نحو الساعة الخامسة او السادسة . فيقوم حينئذٍ الى قاعة الطعام لتناول العشاء وعلى الغالب انه يكون على مائدته في العشاء بعض الكبراء من الغراندوقات وغيرهم وهذه هي الراحة الاولى التي يستريحها بعد شغله

طول النهار
ويستمر الامبراطور في فيينا منزويًا في قصره هذا الانزواء فلا يشاهده الشعب الا في اوقات معلومة اخصها في زيارته المستشفيات او المعارض او حضوره بعض الحفلات الدينية ولا سيما حفلة غسل الاقدام · فان الامبراطور يغسل في الجمعة الكبيرة في حفلة عظيمة اقدام ١٢ شيخًا من الشيوخ رمزًا الى غسل السيد المسيح اقدام تلاميذه على نحو ما يصنعه الى اليوم البطريرك الاوروشليمي للارثوذكس · ولا يقبل الامبراطور في فيينا دعوات خصوصية الا الحفلة السنوية التي يقيمها مجلس فيينا البلدي فمعيشته في عاصمة امبراطوريته جد وعمل دائم كما رأيت · اما رقاده فيكون عادة في نحو الساعة التاسعة

(* معيشته في بودابست *)

واما معيشته في بودابست فانه لا ينحو فيها هذا النحو بل يتسامح مع المجريين اكثر من النمساويين لرغبته في استمالتهم · فانه لا يصل بقطاره النمساوي الى حدود مملكة المجر حتى ينزل منه ويركب قطارًا عليه شعار هذه المملكة وينزع ثياب « امبراطور النمسا » فيرتدي بثياب « ملك المجر » · وحين استقباله المجريين يخاطبهم بلغتهم لا بالالمانية لغة النمساويين · ويقبل ان يزوره اشراف المجر وان يزورهم ويجيبهم الى دعاويهم الخصوصية مما لا يصنعه قط في فيينا كما ذكرنا

(* انشقاق مملكتيه *)

وهذا الامبراطور الشيخ يحبه الشعب من الفريقين حبًا عظيمًا · ولا يكاد يوجد في اوربا شعب يحب ملكه كما يحب النمساويون والمجريون امبراطورهم · وما ذلك عبثًا ولكن لان فرنسوى جوزيف يحكمهم كما يحكم الاب ابناءه اي بحب واخلاص للفريقين على السواء · ومما زاد في محبتهم له انه خولهم في الثلاثين سنة الاخيرة من الحرية ما هم اهل له فزهت الصنائع في النمسا وتقدمت المعارف وزاد حسن الحال

ولكن خطرًا عظيمًا يتهدد الآن هذه الامبراطورية تهددًا جعل كثيرين من الساسة يزعمون ان انحلالها اصبح قريبًا لاستفحال الخلاف بين تينك المملكتين وتنافر قلوبهما تنافرًا ناشئًا عن اختلاف عنصريهما حتى زعم بعضهم ان الامبراطور فرنسوى جوزيف هو الرباط الوحيد الباقي بينهما فمتى توفي قامت هاتان المملكتان على بعضهما البعض وربما نشأ عن ذلك قيام اوربا على بعضها البعض ايضًا اذ تطلب روسيا ضم المجر اليها والمانيا ضم بلاد النمسا اليها وهنالك الطامة الكبرى

واليوم يرى الامبراطور فرنسوى جوزيف هذا المنظر المحزن الكئيب منظر مملكته منشقة انشقاقًا يكاد يؤدي بها دون ان يستطيع التوفيق بين عنصريها . ولو كانت هذه مصيبته فقط لكان خطبه هينًا . فانه ابتلي بمصائب خصوصية لو نزلت على رضوى لما دكّها رضوى . ولما كانت مصائبه هذه هي مصائب قرينته الامبراطورة اليزابت ايضًا فلنقل الآن كلمة في الامبراطورة

(☆ الامبراطورة اليزابت ☆)

علمنا ان الاميرة اليزابت تزوجت بالامبراطور فرنسوى جوزيف وعمرها ١٦ سنة وعمره ٢٣ سنة وان شعب النمسا قام وقعد ابتهاجًا بدخولها الى فيينا . ولكن من سوء حظها لم تطل افراحها هذه بل انتها المصائب تترى الواحدة وراء الاخرى . واول مصاب اصابها ما شاع عن شرود قلبها مما كان له تاثير على هنائها وسعادتها . ثم اصيبت بفقد ابنتها الاولى وهي الارشيدوقة صوفيا . ولكن ذلك كله لا يوازي الخطب العظيم الذي اصيبت به من موت ابنها الوحيد ووارث عرش ابيه الارشيدوق رودولف الذي وجد قتيلاً في مفرلين في النمسا وهو قابض على مسدس بيده دون ان يدرى احد بسبب موته بل ظنوا انه انتحر لانه عشق واراد طلاق امرأته فمنعه ابوه من ذلك . وقد كان لهذه الحادثه دوي عظيم في النمسا كلها وانكسر يومئذٍ قلب الامبراطورة والامبراطور انكسارًا اليماً حزنًا على وحيدهما . ثم تتالت المصائب فقتل اخو الامبراطور زوجها مكسيميليان امبراطور المكسيك قتلته رعيته بعد ان ثارت عليه . ثم اصيبت امرأته بالجنون بسبب ذلك فسجنت في البيمارستان . وفي سنة ١٨٩٧ كانت الدوقة دالنسون شقيقة الامبراطورة في سوق الشفقة في باريز فاحترق السوق واحترقت فيه اختها فاخرجوا جثتها رمادًا . ومن اغرب الغرائب انّ هذه التعيسة التي اهينت في شرفها وهي عروس . ثم ماتت ابنتها . ثم انتحر ابنها الوحيد . ثم قُتل اخو زوجها . ثم جُنت امرأته . ثم احرقت اختها . ثم انشقت مملكة زوجها شطرين انشقاقًا يخشى معه من انقسامها وانفراط عقدها — من اغرب الغرائب ان تنتهي حياتها التعيسة الى هذا الحد بطعنة خنجر طعنها بها في جنيف الفوضوي الاثيم لكشيني في ١٠ ستمبر سنة ١٨٩٧

ولا ريب ان هذه الحوادث الهائلة تذكرنا ما جاء في اساطير الاولين عن السعد والنحس . فقد روي ان عيالاً كان يعلق بها النحس فيلازمها من الابناء الى الاباء وبذلك تبقى المصائب والرزايا مصبوبة على رؤوسها . والامبراطورة اليزابت المسكينة قد

لازمها النحس في هذه الحياة فاصيبت بما لم تصب به نفس بشرية ولم تغنِ عنها ضخامة ملكها ووفرة ثروتها واتساع سلطتها . وكل امرأة من الفقيرات العاقلات لا تتمنى ان تكون قد خُلقت مكانها

(* نفس منقطعة عن هذا العالم الى ما وراءه *)

على ان خنجر لكشيني الاثيم لم يقطع خيطًا قويًا . فان خيط حياة الامبراطورة قد ضعف جدًا بعد انتحار الارشيدوق رودولف ولدها فاصبحت منذ هذا الحين تكره الحياة وسئمت العالم وملاذه فصارت تطلب الانفراد والوحدة للتأمل والافتكار فيها . ولما اجهز الزمان على بقية ما بقي لها من اللذة بالحياة وذلك باحتراق اختها في سوق الشفقة في باريز قطعت الامبراطورة علائقها مع الاجتماع وراحت شريدة طريدة في سهول الارض وجبالها وبحارها تطلب العزاء في الانفراد والتامل . والعزاء يفر منها . فجعلت شانها ركوب الخيل والجولان في الوديان والجبال وهي من امهر الفرسان وابرع راكبات الجياد . وكثيرًا ما كانت تتسلق بنفسها الجبال الوعرة وتقف على قممها تنظر وجه السماء الذي فوقها والارض التي تحتها والفضاء الذي امامها يسود فيها كلها سكوت هادىء لطيف يبعث الدموع في عينيها وذكرى الالم واليأس من هذه الحياة في قلبها . فتذكر ساعتئذٍ امام الطبيعة الجميلة الصامتة الاحزانَ التي صبها الله على راسها . وفي وسط ذلك الهدوء الشديد تذرف الدمع ساكتة هادئة لما اصبحت تجده من الالم والضيق في مرافقة جسدها والبقاء في ارض برحها كل اعزائها

فيالانكسارك ايتها النفس الضعيفة المسكينة

وكانت احيانًا تترك البر وتعمد الى البحر فتركب يختًا وتتيه عليه في عرض البحار دون ان تنزل في المواني حتى لا ترى البشر ولا يروها واذا أرادت النزول في مكان انتظرت خلو الشاطىء من الناس ونزلت اليه . واذا اجتمع عليها الناس لمشاهدتها ازعجها ذلك كثيرا فتتناول مروحة كبيرة بيدها وتستتر بها وجهها كما ترى في الرسم الاول وهذا هو الغرض من اصطحابها هذه المروحة الكبيرة في كل اسفارها في البر والبحر

وقد بنت لها في جزيرة كورفو اليونانية قصرًا يونانيًا عظيمًا على الطراز القديم واقامت فيه التماثيل القديمة الكثيرة لتقضي فيه ايام عزلتها ووحدتها . وكان يحلو لها الاقامة في هذه الجزيرة لهدوئها واعتدال هوائها واوصت قبل موتها ان تُدفن فيها . وقد نقشت على ذلك القصر على شاطىء البحر هذه العبارة « على هذه الصخور كانت تجلس اليزابت فيخف فيها

هبوب الريح عليها و ينبت جلمودها زهرًا اكرامًا لها »

ويعرف مبدأها في الوحدة والانفراد من عبارة قالتها يومًا من الايام وهي : « لا شيء يجعلني اشعر بثقل هذا الوجود مثل معاشرة الناس والدنو منهم . اما الجبال والسهول والبحار فانها تنسيني ذلك الثقل . على انه يوجد اناس استسهل رؤيتهم كما استسهل رؤية البحار والسهول والجبال وهم الذين يشبهونها اعني ابناء الطبيعة من الصيادين والفلاحين والبله الذين لهم علاقات قليلة بهذه الحياة وكثيرة بالحياة الثانية »

وقد قتلت هذه المرأة المسكينة كما ذكرنا في احدى سياحاتها في جنيف بينما كانت تسير من الشاطىء قاصدة يختها . وبذلك انتهت حياتها التعيسة التي كانت لا تكره انتهاءها

(* هل هذا مرض ؟ *)

وقد التمس بعضهم تعليل حالة الامبراطورة من حيث اجتناب الناس والتزام التأمل في الخلوات فقال ان هذه الحالة نشأت عن مرض اصاب الامبراطورة وزاد هذا المرض ضعف بنيها وكونها عصبية المزاج بل شديدة العصبية تتأثر من اقل شيء فضلاً عن وراثتها المرض وضعف البنية والنفس من اناس في عائلتها . ولكن لماذا نقول ان حالة الامبراطورة هذه كانت ناشئة عن مرض ولا نقول انها ناشئة عن صفاء نفسها من كدورات المادة على الارض بكثرة المصائب التي ساورتها

وهنا نذكر كلمة قالها الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير في كتابه « الكوخ الهندي » وهي « ان المصائب مدرسة للانسان يتعلم فيها ما لاتعلمه المدارس العلمية . واذا قيل ان المصائب تحط العزائم وتقتل النفوس قلنا ان هذا القول لا يصح الا في الذين لم يصابوا بمصائب حقيقية تجعلهم تعساء كل التعاسة لان مثل المصائب مثل الجبل الشاهق الوعر فانك تتعب في صعوده ولا تجد في وجهك الا حجارة وشوكاً ولكنك متى بلغت قمة هذا الجبل ابصرت منظرًا طبيعيًا جميلاً : السماء فوق راسك والارض بمناظرها الطبيعية الرائقة منبسطة تحت قدميك »

ومعنى ذلك ان الانسان الذي يكون مصابًا بالمصائب الصغيرة يستثقل الوجود ويجد كل شيء في طريقه صعبًا ولكن متى وصل الى قمة المصائب اي متى اصبح في اقصى درجات التعاسة فان غشاء كثيفًا يسقط عن عينيه فيستسهل حينئذٍ كل شيء ولا يعود يسأل في هذا الوجود عن شيء سوى اتباع الحقيقة التي ابصرها من قمة مصائبه



☼ الامبراطور فرنسوى جوزيف والامبراطورة اليزابت ☼

يتنزهان في حديقة القصر في شهر اغسطس سنة ١٨٩٨ قبل قتل الامبراطورة ببضعة ايام
وفي يد الامبراطورة مروحتها الاعتيادية

فمن ادرانا ان الامبراطورة اليزابت المسكينة لم تكن مصيبة في حكمها على الناس والناس هم المخطئون في حكمهم عليها من نسبة المرض اليها. من ادرانا انهم ليسوا هم المرضى لاهي... من ادرانا انها لم ترَ الحقيقة من جبل مصائبها العظيمة فتبعتها ونبذت من اجلها الارض ومن عليها

فيا لك من جبل شاهق اذا كان في سفحك العناء والشقاء ففي قمتك كبرياء القوة والمعرفة والحكمة واحتقار ملاذ الحياة . اي شان للمتاعب الصغيرة التي يتعبها الانسان في ارتقائك اذا كان عندك النور والحكمة جزاء هذا الارتقاء . كل مدرسة بازائكِ صغيرة قاصرة يامدرسة المصائب السامية وكل علم لا تكملينه وتختمينه بختمك الهائل يكون علماً ناقصاً . فمباركة انت اذاً ومباركة اليد الحكيمة التي تغرس شوكك بين الزهر على الارض لتهذب الناس وتهديهم سواء السبيل . الملوك في قصورهم يحتاجون اليك حتى لاتبطرهم النعمة فينسوا ان فوق يدهم يداً وحتى يراك الصعاليك في قصورهم فتخف احمالهم حين رؤيتهم احمال من فوقهم ويتركوا حسدهم . والصعاليك يحتاجون اليك حتى يراك الملوك في اكواخهم فيذكروا

في اوقات نشوتهم ان اولئك الصعاليك مساوون لهم وانهم اي الملوك يجب عليهم السعي لخيرهم لكشف المصائب ورفع الاثقال عن ظهورهم . فامرحي ايتها المصائب في العالم واتمي فيه عملك النافع المفيد . ولكن ارفقي بالصغار واضربي بالاكثر الكبار . لانك اذا ضربت الصغار فتكون فائدتك قاصرة على جعلك في الارض ديوجنيس ثانياً لا يستطيع ان يفيد بحكمته غير نفسه اما اذا ضربت الكبار وازحت عن ابصارهم ستار الجهل والطمع والاثرة وعدم الاكتراث بالمصلحة العمومية فانهم ربما استفادوا بمصائبهم وافادوا غيرهم . ولكن لا تجوري كما جرتِ على زوج اليزابت المسكين . فانك اخذت ابنته ثم ولي عهده ثم اخاه ثم امرأة اخية ثم اخت زوجته ثم زوجته موتاً باشنع الميتات . و بعد ذلك كله شطرت مملكته شطرين . حقاً انك قاسية وان كنت نافعة . وحقاً ان اصغر صعاليك فيننا لا يجب ان يحسدوا امبراطورهم

باب المقالات

الطيران في الهواء

اختراع البالون . فوائده الحربية . فوائده العلمية . البالون العظيم الذي سيطلق قريباً . من باريز الى بكين باجرة ربع فرنك في ساعتين . البطل اندريا وهل يعود

في الانسان ميل طبيعي الى استكشاف ما في قبة السماء والصعود في الهواء . كان نفسه المقيدة بقيود المادة على الارض تنزع به من فطرتها الى نفض غبار المادة عنه وطلب السباحة في الفضاء

واول من صنع آلة وطار بها في الفضاء يوسف واتيين مونجوفييه الفرنسويان وذلك في ٥ يونيو سنة ١٧٨٣ . وقد تقدمها اناس غيرهما في طلب هذا الامر ولكن لم ينجحوا فيه . منهم اليسوعي الاب بطرس لانا الذي وصف في سنة ١٦٧٠ زورقاً يطير في الهواء . ومنهم العالم الطبيعي البرتغالي كوسمان الذي صنع منطاداً (بالوناً) صغيراً من الورق وطار به في ليسبون على مشهد من الملك حنا الخامس في سنة ١٧٣٦ . ولكنه صدم في صعوده سقف

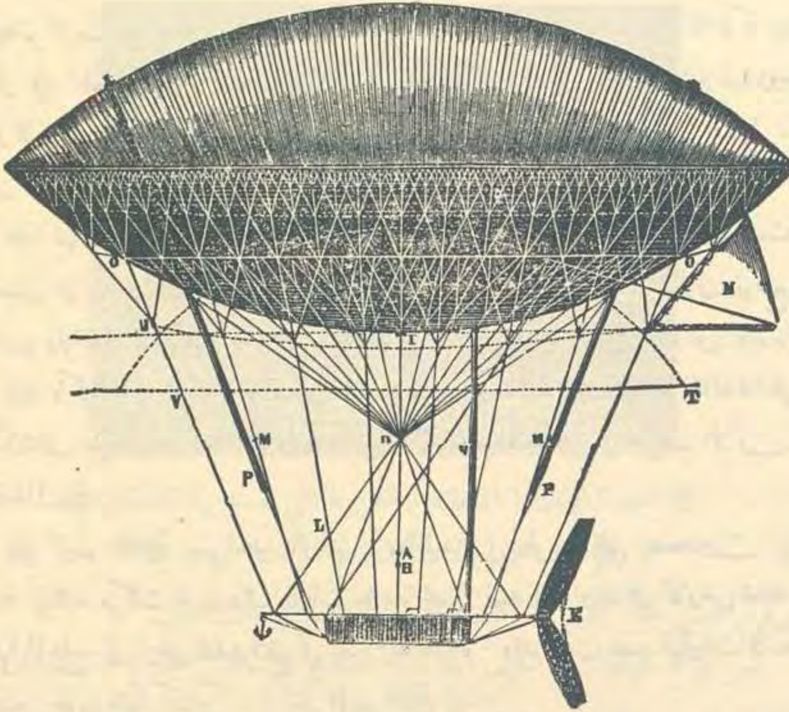
منزل فانشق البالون وسقط كسهان الى الارض · وبعد مدة اراد استئناف التجربة فالقى ديوان التفتيش الاسباني القبض عليه بتهمة السحر · حتى قام يوسف واتيين مونجوفييه في سنة ١٧٨٣ كما قدمنا فصنعا اول بالون وذلك من النسيج المغطى بالورق وصعدا فيه الى علو ٥٠٠ متر في بلدة انوناي · فكان لهذا الامر رنة عظيمة في باريز · فاجتمع بعض سكانها واكتتبوا بمبلغ الفي فرنك لصنع بالون غيرة من سكان انوناي

ولكن اول ما ثبت بتجربة مونجوفييه امكان الطيران في الهواء لم يقتصر الناس في صنع البالون على طلب اللذة في ركوبه بل طلب رجال الحرب في الحال اتخاذه من آلات الحرب وذلك لاستكشاف حركات الاعداء والقاء قذائف الهلاك منه عليهم وطلب رجال العلم وفي مقدمتهم الكيماوي لافوازيه الشهير ان يصرف العلماء افكارهم الى اختراع طريقة لادارة البالون في الفضاء كما تُدار السفن فوق الماء لتتم الفائدة من هذا الاختراع العظيم وحتى لا يكون آلة للمسرة فقط بل آلة للفائدة ايضاً

فكثرت الاقتراحات بهذا الشان · فمنهم من حاول ادارة البالون بمجاذيف ودفة (سكان) كما تدار السفن · ومنهم من صنع له شراعاً كشراع المراكب يسير به فنجح بعض النجاح · ومنهم من وضع فيه آلة دافعة كآلة السفن البخارية (رفاص) يديرها البخار او الكهربائية او يد الانسان

ويرى القراء في الرسم الاول شكل بالون يدار بالرفاص وهو يعرف ببالون ديبوي دي لوم الفرنسوي سمي كذلك نسبة الى اسم مخترعه · اخترعه في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٧٠ مدة حصار باريز ورفع امره الى جمعية العلوم الفرنسوية · وقد جربه في فنسان يوم ٢ فبراير سنة ١٨٧٢ فسار به ضد الريح بسرعة مترين و٨٠ سنتيمترًا في الثانية · اما طريقة ادارته فهي ان يجلس ٨ رجال فيه ويديروا بايديهم الآلة الدافعة (الرفاص) التي يراها القارئ في طرف البالون من اسفل · فيسير البالون بحركتها كما تسير السفينة بحركة رفاصها · وقد قال المسيو ديبوي دي لوم في تقريره عن تلك التجربة انه لو جُعلت تلك الآلة تُدار بالبخار لاصبح البالون اقدر على اقتحام الارياح والمسير ضدها

ثم قام بعد المسيو ديبوي دي لوم المسيو تيساندييه فجعل رفاص البالون يدار بالكهربائية واضاف اليه الشراع · وبعده جاء كريب ورينار فزادوا البالون اتقاناً · ولكن مهما يكن من امر اختراعاتهم في البالون فانها كلها لا توازي البالون الهائل الذي ينشئه الآن على شواطئ بحيرة كونستانس في المانيا الكونت دي زبالين من كبار قواد المانيا · فان طول



﴿بالون دبيوي دي لوم انظر صفحة ٥٥٤﴾

هذا البالون سيكون ١٢٥ مترا وهو يدار بالبخار و بالشراع فيسير ضد اقوى الارياح واشدها سيرًا سريعاً بواسطة دفتين واحدة في مقدمه وواحدة في موَّخره وآلتين دافعتين (رفاصين) تحت كل دفة آلة . وسيطير به الكونت قريباً فيحضر مشهد طيرانه على شواطىء بحيرة كونستانس الامبراطور غيليوم نفسه مع كثيرين من كبار رجال العلم والحرب والسياح الذين سيفدون الى ذلك المكان من كل صقع وناد حتى من اقصى البلاد الاميركية

ولا نجد حاجة لوصف البالون وذكر تركيبه وطريقة ارتفاعه فان كل ذلك اصبح امرًا معروفاً مالوفاً . وانما نقول بوجه الاجمال ان البالون يتالف من قسمين القسم العلوي والقسم السفلي . اما القسم العلوي فهو كيس كبير من نسيج الحرير المصمغ ينتفخ بواحدة من ثلاث . اما ببخار الماء الحار . واما بالاوكسيجين . واما بالبترول يصب على امتعة ويحرق . ومتى انتفخ هذا الكيس الحريري استوى واصبح قائماً ومائلاً الى الصعود في الهواء بمقتضى الناموس الطبيعي الشهير وهو ان السوائل والموائع الخفيفة تطفو على وجه السوائل والموائع الثقيلة وذلك

كما يطفو الزيت على وجه الماء لان ثقله النوعي اي ثقل الزيت اخف من الماء وكما يطير البخار في الهواء لان ثقله النوعي اخف منه ايضاً . ولما كان بخار الماء والهيدروجين وبخار البترول اخف من الهواء بمرات كثيرة وجب ان تطفو عليه حين نفخها نسيج البالون و بطفوها تحمل نسيج البالون معها

هذا فيما يختص بالقسم العلوي اما القسم السفلي فهو مؤلف من زورق صغير مشدود الى حبال قوية في الكيس المنتفخ . وفي هذا الزورق يجلس ركاب البالون وتوضع فيه مؤونتهم وفراشهم للنوم فيه اذا كانوا يرغبون في قضاء ايام طوال بين الارض والسماء .

وقد ذكرنا ان للبالون فائدتين الاولى حربية والثانية علمية . اما الفائدة الحربية فاستكشاف حركات الاعداء في وقت الحرب كما يصنع الانكليز في حربهم الآن في الترانسفال

وفي الرسم الثاني رسم احد بالوناتهم (مناطيدهم) الحربية التي يصعدون بها في الفضاء لمراقبة حركات البوير وهي بالونات مقيدة بحبال تشد الى اوتاد في الارض مخافة ان تقذفها الرياح الى ارض العدو فتقع في يده غنيمة باردة . وقد نفعت هذه البالونات الانكليز في هذه الحرب نفعاً كثيراً . (انظر الرسم الثاني)

ومن فوائد البالون في وقت الحرب انه ينقل في اوقات الحصار رسائل المخابرات من المدينة المحصورة الى خارجها كما حدث في حصار باريز سنة ١٨٧٠ . فان غمبتا ركب بالوناً وسار به من باريز من فوق الصفوف الالمانية وقد بلغ عدد البالونات التي خرجت من باريز مدة الحصار ٦٥ بالوناً فقد منها ٢ فقط واحد وصلت اليه يد الالمانيين وكان فيه رجل انكليزي فحاكموه لدى مجلس حربي بطلب بسمارك لانه كان يريد اعتبار ركاب البالون بمثابة الجواسيس . ولكن برأ المجلس الحربي ساحته

ويهتم رجال الهول والرعب ونريد بهم رجال الحرب بجعل البالون آلة من افتك آلات القتال . ذلك انهم يجنحون الى وضع قذائف مهلكة في ابان الحرب وقذفها منه على الاعداء لابادتهم واصعاد كثير من الفيران التي تحمل جراثيم الطاعون او قوارير مملوءة بجراثيم الامراض الهائلة كالجدري والطاعون والكوليرا والتيفوس واطلاقها من البالونات في النهار او في الليل على معسكر الاعداء . وغير ذلك مما يشبهه . ولكن يظهر ان الدول لا تميل الى اتخاذ هذه الوسائل البربرية من وسائل الحرب بدليل ان مؤتمر السلم الذي انعقد اخيراً في لاهاي قد قرر منع اطلاق المواد الملتهبة من البالونات على معسكر العدو او المدن المحصورة .



﴿ احد البالونات (المناطيد) الحربية التي يصعد بها الانكليز ﴾
﴿ في الحرب لاستكشاف حركات البوير ﴾

وهو قرار حسن جداً اللهم اذا كانت الدول تعمل به في وقت الحرب

ومن فوائد البالونات في الحرب ايضاً انها تتخذ في الاساطيل البحرية لاستكشاف سفن الاعداء من بعدٍ . ولذلك يوجد في كل عمارة بالونات مقيدة تصعد الى الجو لمشاهدة السفن القادمة . وسميت مقيدة لانها تكون مربوطة بالحبال حتى لا تفارق الاساطيل

ولكن اذا كان للبالون هذه الفوائد الحربية او بالاحرى هذه الاضرار السلمية فله ايضاً فوائد علمية . وهي اولاً اللذة التي يجدها الانسان في السياحة فوق امواج السحاب تحت افلاك الكواكب . وثانياً تصوير المدن والاراضي بالفوتغراف تصويراً كاملاً ودرس احوال الجو وتقلباته العلمية . وثالثاً اجتياز البلاد التي لا يمكن السير فيها كالصحراء والبلاد المتوحشة . ورابعاً السفر الى البلاد البعيدة كالقطب الشمالي والجنوبي . وخامساً اصعاد الآلات الفلكية الى ما فوق السحاب حين تكاثف الغيوم في وقت كسوف او خسوف او حين سقوط مطر النجوم ليرصدها الفلكيون . وسادساً اختصار المسافة وتقريب الابعاد

وهنا نذكر اننا راينا في احدى المجلات الاوربية في ذات يوم بهذا الشأن رسماً هزلياً ذا معنى كبير . وهذا الرسم يمثل منظر بالونات كثيرة مسافرة من باريز الى بكين عاصمة الصين بعضها كبير كالبيت وبعضها صغير كالمركبة الصغيرة وجميعها مشحونة بالركاب . وبعد مسير ساعتين ... وصلت من باريز الى بكين فنزل ركابها ودفع كل واحد منهم لاصحاب المركبات الهوائية ربع فرنك اجرة سفره . اي مضاعف اجرة الركوب في الترامواي من

المنشية الى شارع الرمل في الثغر ...

ومعنى هذا الرسم ان السفر في الهواء سيصبح في زمن قريب شائعاً شيوع السفر في مركبات الخيل وترخص اجرته كرخص اجرتها

ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الموضوع دون الاشارة الى الابطال الذين راحوا ضحية هذا الفن مستبسلين في سبيل ترقية هذا الاختراع وخدمة العلم · وآخرهم البطل الشجاع اندريا · فان هذا الرحالة صنع بالوناً كبيراً بمال منحه اياه ملك اسوج ونروج والمسيو نوبل وديكسون وقدره ١٧٠ الف فرنك اي ٨٥٠٠ ليرة فرنسوية وركبه مع اثنين من العلماء في ١١ يوليو سنة ١٨٩٧ وانطلق به الى القطب الشمالي لاكتشافه وهو يعلل النفس بان يكون اسعد حظاً حتى من ننسن نفسه الذي سار الى هذا القطب في سفينة بخارية · وقد انقضى الآن على بالون اندريا « النسر » اكثر من سنتين دون ان يظهر له اثر او يرد منه خبر بواسطة حمام الزاجل الذي اصطحبه في بالونه · فرجح قوم انه قضى نحبه · واستندوا في هذا الزعم الى ان العلم يجهل الان حالة الجو في القطب الشمالي وبالخصوص حركة الرياح فيه · فغير بعيد ان يكون اندري قد وصل ببالونه الى القطب فعبثت به رياحه واودت به لانه يجهل اختلاف مهابها ليحتاط لها · وهذا هو اكبر خطر امامه

على ان الكابتن سكوت هنسين الذي كان رفيق ننسن في سياحته الشهيرة يقول انه لا يجب ان ييأس الناس من عودة اندريا فائزاً منتصراً لانه يحتمل ان يكون قد لجأ الى مكان في القطب ليقضي فيه ٣ فصول من فصول الشتاء وبعدها يعود من سياحته فاذا صح هذا القول وعاد الشجاع اندريا من سفره سالماً فان ذلك اليوم يكون يوم سرور في جميع البلاد المتمدنة

سياسة الزوجة

(كيف ينبغي ان تسوس المرأة زوجها)

لحضرة الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي صاحب مقالات اختيار الزوج

لا يرعك يا ابنتي الحبيبة عنوان مقالتي هذه · فان السياسة اذا كان اساسها عند السياسيين المكر ومخادعة بعضهم بعضاً فاساسها بين الرجل والمرأة الاخلاص والحب الصادق مع العلم باطوار القلب الانساني · فهي اذاً سياسة جائزة لانها لا تجيز الخداع والرياء

وقد كان مدار وصاياي اليكِ عند كلامنا عن اختيار الزوج ان تفتحي عينيكِ لنقد المعائب وان تحذري الزوج الشرير لان اتقاء الداء فرض على كل عاقل . ولكن متى صار الخطيب الرديء زوجاً فاول ما يجب عليك ان تغمضي عينيكِ عن النقائص وان "تحملي صليبك وتتبعية "

واول وصية تجعلينها قاعدة لهذه السياسة اتباع الآية الشهيرة مع زيادة عليها ايضاً يقول الكتاب : تحب قريبك كنفسك . اما للزوجة فنقول : تحبين زوجك اكثر من نفسك ومتى لم يكن الزوج فاسد الخلق ميت القلب شديد الحب لذاته فهو يحبك ان احببته لان الحب في الغالب يولد الحب

لكن حياة الورد قصيرة ويا للاسف . والحب بابنية وردة جميلة يعاجلها الذبول ان لم تتعهديها بمضادات الفساد . اني اعلم ان زوجك سيعاهدك على الحب الدائم وتعاهدينه على مثل ذلك وهي عهود تدور على السنة المتحابين كافة قبل الزواج . ولكن الديمومة هي من صفات الله سبحانه وحده . وكل حب مهما كان مبلغه لا بدّ وان يمر على الادوار الثلاثة التي يمر عليها كل حي وهي : النشأة . والنماء . والموت

وانجع الادوية المضادة لفساد الحب وحفظ نضارته طويلاً ان نجعل نموه بطيئاً . بطيئاً جدًا كي لا يبلغ منتهى النماء في زمن قصير فينكص الى الوراء . وذلك انما يكون بالحياء من جانب المرأة المستلزم للعفاف من جانب الرجل . بالحياء تسودين على قلب الرجل فان شئت ان تتملكي طويلاً تعلمي بان تملكي نفسك

اما اذا افلتَ من سوء حظك قلبُ الرجل من يدك فاياك ان تكثري من تعنيفه ولومه لانك بذلك تبعدينه عنك من حيث ترومين تقريبه منك . وهل رأيت قط تعنيفاً احيى حباً مائتاً ؟ . اما الوسيلة الفضلى لاسترجاع الضالّ تائباً اليك فهي ان تقابلي فتوره بنصح وتكثري من الادلة على ثباتك في حبه فان القاء السلاح امام الرجل هو اقوى سلاح في يد المرأة تستعين به عليه . واي رجل يا ترى مهما بلغ من قسوة القلب لا يخزه ضميره ويُقلع عن غيه اذا رأى المرأة مثابرة على حبه مع غدره وسوء صنيعه

واياك ان تتخذي من صديقاتك او جاراتك امينة لسرك تحكمينها سرًا بينك وبين زوجك . فربَّ ناصحةٍ لك وانت في ساعة غيظك بما يكون فيه هلاكك ودمار العائلة معاً قد تسمعين كثيراتٍ يقلن لك : لو كنتُ مكانك لما احتملت هذا . ولا صبرت على ذاك ولصنعت كذا وكذا

ولكن ما من واحدة منهنّ هي في الحقيقة مكانك . اذ ليس لهنّ قلبك ولا قلب رجلك فحكمهنّ في الغالب بعيد عن الصواب

ومما يحسن ان انبهك اليه مما قد يكون سبباً لفتور الحب الاّ تظهري للرجل داخل المنزل شعثاء الشعر قذرة الوجه مهملة الملبس شان الكثيرات من الشرقيات داخل بيوتهن . فانهن يحسبن العناية بالوجه وترتيب اللباس واجبات انما تلزمهن فقط عند الخروج من المنزل وفاتهن ان اهمالهنّ هذا يحدث صورة قبيحة من المرأة في نفس الرجل فتحط من منزلة جمالها وكرامتها عنده

وما اريد بهذا ان تزوق المراة وجهها وملبسها داخل المنزل كما تصنع عند خروجها منه فليس الجمال المستعار مما يفتن الرجل او يؤثر عليه ولا يحسن بك انتحاله لا داخل المنزل ولا خارجه . بل قد يكون صبغ الوجه باعثاً على الشبهة في اخلاص المراة اذ لا اكتمك يا ابنتي اني ما حادثت قط امراة على وجهها آثار الابيض والاحمر الا وقلت في نفسي " ما ادراني انها لا تخدعني بلسانها كما تخدعني بصباغ وجهها " واكثر الرجال على ظني يخطر لهم هذا وان لم يصرحوا به امام النساء

ويندر يا ابنتي عند وقوع شقاق بين الزوجين ان يكون الذنب فيه كله على الرجل او كله على المراة . وفي الغالب يكون الخطأ من الاثنين معاً . فان حرصتِ على ان لا يكون من جهتك ما يبعث على الشقاق اجتزتِ بذلك اكثر من نصف الطريق المؤدي الى الهناء العائلي .

واذا وقع خلاف بينك و بين الرجل ناشيء عن اختلاف الاذواق والاراء فاياك ان تعارضيه او تحاولي تأييد رايك وتعجيز رايه ولو تراءى لك الحق في جانبك في اكثر الاحيان فان للمعارضة الدائمة حدّا يقرض الحب شيئاً فشيئاً وقد يقطعه . اما ان احببت حمل الرجل على صنع امرٍ لا يراه عدلاً وصواباً فتصرفي معه بحيث تجعلينه يعمل ما تريدين وهو يعتقد انه يعمل ما يريده هو . فان للمراة حقاً بان تكون ملكة في بيتها ولكن من غير ان يبدو عليها شيء من سمات الملك مما قد يغيظ الرجل ولا يغني شيئاً

وان احببتِ ان يكون لك ارادة نافذة في ادارة المنزل — ولك كل الحق بذلك — فتلطفي جهدك عند التعبير عن ارادتك امام الرجل لانه شديد الغيرة على ما له من حق التفرد بالسيادة على المنزل . فهو لا يطيق السماع لك اذ تقولين : يلزم ان يكون كذا . و يستاء كثيراً من قولك : اريد كذا . الا انه ينفذ ارادتك بسولة ان قلت : الا يحسن لديك

صنع هذا

كل هذا سياسة الا انه ليس من الكذب في شيء • وهنا اوصيك ان تجتنبي الكذب فانه من اقبح الرذائل واشنعها ولا تقولي في نفسك كما يقول اكثر النساء عند ما يكذبن « اكذب فانجو ولا يعلم الرجل اني كذبت » فانه يكفي ان يعلم بانك كذبت مرة واحدة من بين كذباتك الكثيرة لسقوط مقامك عنده

تتحفين زوجك عند دخولك منزله بباقة من الازهار الجميلة وهي شبيبتك وجمالك ومحاسنك • ولكن هذه الازهار تذبل سريعاً الواحدة بعد الاخرى فاوصيك ان تضيفي اليها زهرة الاخلاص والصدق فهذه وحدها تبقى نضارتها الى آخر نسمة من حياتك وتبوئك اسمى مكانة في عين زوجك وقلبه

وما احوج الرجل الى مثل هذه الزهرة في عصر تفشى فيه وباء الرياء تفشياً مريعاً وبات الكذب يساورنا من كل الجهات • فالتاجر يظهر النزاهة والصدق وتحت ذلك البرقع الشريف يرتكب اقبح السرقات • والصانع يحسن مصنوعاته بالطلاء والتمويه • الصغار يتوددون بالمداهنة والملق والكبار يعتدون ويؤذون • في المعابد الصلاة من الشفاه لا من القلوب • في الجرائد لا نقرأ غير نداء الاخلاص للوطن وخدمة المصلحة العمومية دون ان يوجد من يضحي بعض مصلحته في سبيل هذه الخدمة • كيف اتجهنا في الاسواق لا نرى غير توددوابتسام ولكن اول ريح تحولها جفاء وانقباضاً

فبين هذه القفار المحرقة ما اسعد الرجل الذي يجد زوجته واحةً يلجأ اليها من لفح سموم رذائل الدنيا ومتاعبها اذ تكون شريكة له في سرائه وضرائه وعوناً له على احتمال مشاق الحياة • ان مثل هذه الزوجة يملكها الرجل عن طيبة خاطر على قلبه ومنزله وماله • فاحرصي اذاً يا ابنتي على الصدق والاخلاص ان احببت ان تكوني في عداد الملكات

الا يا صخر ان ابكيت عيني لقد اضحكتني دهراً طويلاً
بكيتك في نساء معولات وكنتُ احق من ابدى العويلا
دفعت بك الجليل وانت حيٌّ فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل رايت بكاءك الحسن الجميلا

(الخنساء في اخيها صخر)

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

حكم افلاطون وثلاث رسالات

— تتمة —

ولكن ما انتصب افلاطون ورفع عيناه وخفض يسراه للكلام حتى انتصبت الارواح كلها معاً احتراماً للفيلسوف واجلالاً لحكمته . وانجلى الضباب عن المكان وسكنت الريح وهدأت العناصر كأنها كلها قد تركت الحركة لتصغي لقول الفيلسوف مع جمهور الارواح المصغين امامه

فاستهل افلاطون كلامه بقوله

« ايها الاخوة

« لا تنتظروا مني حكماً طويلاً بليغاً في هذا الموضوع العظيم الذي سمعنا الدفاع عن وجهيه وانما هي كلمات بسيطة اضمنها رايي فعسى ان اكون غير مخطىء فيها

من اطلع منكم على تاريخ حياتي على الارض علم اني قصدت مصر في بعض السنين وانشأت فيها حانوتاً لبيع الزيت رغبة في المعيشة (١) فاضفت بذلك التجارة الى الفلسفة كما تضيف الحكومات في القرن التاسع عشر التجارة الى السياسة في اكثر امورهن السياسية

ومن سوء الحظ ان حانوتي كان واقعاً بين حانوتين لتاجر غني كبير واحد عن يساري وواحد عن يميني . فكان يزاحمني كثيراً ولكني ما كنت اعبأ بمزاحمته لاني كنت اعمل لآكل واعيش واما صاحبنا فكان يعمل ليذخر ويخزن . ولذلك فقد ساءه وجود حانوتي بين حانوتيه . فاستدعاني يوماً وقال لي : اراك تسحر المشترين بعذوبة لسانك واساليب كلامك فيجب ان تبيعني حانوتك والا فانني آخذه منك غصباً

فكبر عليَّ هذا الكلام وهبت ريح الحق في وجهي فقلت له الحانوت حانوتي والمال مالي فليس لك وصول اليه . فاستشاط غيظاً مني وذهب فاغرى رجال الحكم وابتاع الحانوت بالرغم عني وطردني منه مقابلة مالٍ يسيرٍ دفعه اليَّ . واقام بعدي حراً ناعم البال يبيع زيته في الحوانيت الثلاثة . فهجرت مصر غير آسف على مكان يموت الحق فيه

---

(١) رواه فلوطرخوس في تاريخه اعاظم الرجال

هذا مثل صغير اردت القاءه على مسامعكم لاريكم الشبه الذي بينه و بين مسالة الترانسفال التي نحن في صددها • فانني ارى من جهة تاجرًا غنيًا كبيرًا ممتلئ الجوف شحمًا ولحمًا له اراض في الجنوب واراض في الشمال و بينهما قطعة ارض لتاجر صغير اراد شراءها منه فابى فاثار عليه حربًا لا كراهه على بيعها

وهي حرب جائرة • جائرة من جهة التاجر الكبير وجائرة من جهة التاجر الصغير فان التاجر الكبير عازم على اخذ تلك الارض لوصل املاكه مهما بذل في سبيلها معتمدًا بذلك على قوته بالمال والسطوة والرجال • فهو قد جار لانه طلب مطلبًا غير عادل

والصغير اخذ يمانعه بعداوة وخشونة مع ضعفه بالقياس اليه معتمدًا في ممانعته على وجود الحق في جانبه مغتنمًا كل فرصة لاظهار عجز خصمه القوي عن اخذ الارض منه والاستعداد لمحاربته حتى احدث الريبة والقلق في نفس جاره بشان ارضه نفسها • فهو جائر ايضًا لانه ضعيف واراد مناهضة القوي غير ذاكر ان الحق للقوة في تلك الحياة لا يعطاه الا من ظفر

فالفريقان اذا جارا واخطأا • واذا تاملتم في هذا الامر وجدتم ان هذا الجور والخطأ حادثان في كل مشكلة من مشاكل الحياة تقريبًا • الكبير فيها يستند الى قوته والضعيف الى حقه فيقوم النزاع بينهما ويختلف الناس في اي هو المحق واي المحقوق منهما

واذا سالتموني رايي في هذا المشكل الدقيق اجبت انهما كلاهما مخطئان • فانه يجب على الكبير ان لا يعدو على الصغير ويجب على الصغير ان لا يخاشن الكبير ولو سار هذان العنصران هذا السير في الحياة لزالت كثير من المشاكل البشرية

ولكن نقطة الخلاف الكبرى هي انه متى وقع النفور بين هذين العنصرين : الكبير والصغير • واستفحل الخلاف بينهما : الاول يعتمد على قوته كما قدمنا والثاني يعتمد على حقه • فايهما يكون اجدر باللوم اذا اصرّا ولم يحكما بينهما العقل بل الحسام ؟

هنا ارى واديًا عميقًا ينفرج بين الانكليز والحق وارى البوير مخطئين ولكن خطأهم قليل بازاء خطاء خصومهم

البوير شعب مسكين ضعيف صغير لم يخرج بعد من ظلمة البداوة الى نور الحضارة تمام الخروج داخل الريب نفسه من مسلك الانكليز معه ورغبتهم مرارًا في الاعتداء على حريته فقام يتسلح ويتاهب لظنه ان خصومه طامعون في بلاده • والانكليز شعب

كبير لا يعوزه مال لانه اغنى شعب ولا قوة لانه اقوى امة ٠ولا يهمه تقبيح او تحقير لانه اعظم واعز دولة ٠ افما كان من واجبات هذا العظيم العزيز الغني القوي الكبير ان يمد بعظمة وكبرياء يد المسالمة والمصالحة الى ذلك الضعيف الصغير الذي تريبه اقل الامور واصغرها ٠ ان الصغير اذا القى السلاح من يده وتقدم يطلب ازالة النفور وسوء الفهم عُدَّ عمله ضعفًا وجبنًا وذلاً ٠ اما الكبير اذا تقدم من الصغير يطلب ذلك فان عمله يحسب عظمة وشهامة وشرفًا ٠ فقد كان يجب على الانكليز ان يلقوا السلاح من ايديهم قبل البوير ويصافوهم ويصالحوهم عن طيب خاطر وصفاء نية فيزول بذلك سوء التفاهم من بينهما ويكون البوير لهم انصارًا لا خصومًا

ولكنهم انتظروا حتى يخضع البوير بازاء التهديد والوعيد وجهلوا ان النفس البشرية كالبترول المشتعل كلما زدته رشًا بالماء زادك اشتعالاً ٠ فالخطأ اذًا واقع على رؤوس الانكليز لانهم لم يريدوا ان يبلغوا من العظمة الدرجة التي يمدون عندها ايديهم الى البوير ليعانقوهم ويصافحوهم بدل ان يذبحوهم كما يصنعون الآن

وقولي هذا لا ينفي الخطأ عن البوير ولكني اقول ان الانكليز اشد خطاء ٠ ومتى قلت الانكليز عنيت بقولي انكليز المستر تشمبرلن ٠ انكليز اللورد روزبري ٠ لا انصار الحق والحرية كغلادستون وسبنسر وبانرمن ومورلي وكمبرلي وهاركورت فان هؤلاء فخر انكلترا والانسانية كلها

مسكينة ايتها الارض التي يخضبها الانسان بالدماء ٠ ما كفاها ما فيها من المصائب والرذائل والشرور حتى اضاف اليها الانسان الظالم آفات الحرب واهوالها فقبحًا لك ما اظلمك ايها الانسان

يضحكني الآن ما تصنعه في جنوب افريقيا ٠ فان المستر كروجر يستنصر اله الحق ٠ ورؤساء الدين في معسكر البوير يطلبون من الله نصرة الحق ٠ والنساء تطلب ان تقوم لمحاربة الانكليز مع الرجال دفاعًا عن العدل والحق ٠ والمتطوعون يطيرون افواجًا ووحدانًا للانخراط في سلك البوير دفاعًا عن الحق

هذا من جهة ٠ ومن جهة اخرى تتلى في جميع كنائس انكلترا صلوات الى « اله القوة » بطلب نصرة الحق ٠ وتشمبرلن ذو الراس الخفيف ينادي في مجلس العموم حربنا حق ٠ والجرائد الانكليزية الا الدالي نيوز التي استعفى رئيس تحريرها تنادي ان انكلترا تدافع عن العدل والحق ٠ وانت ايها الحق قل لي في اي من الجانبين انت ٠ وفي اي صف تحارب من

صفوف المتحاربين . ام انت لا مع اولئك ولا هؤلاء نقف بعيداً من الاثنين ونضحك من جهل الفريقين وصغر عقول الفئتين

ما اجدركم بالرحمة والشفقة ياسكان الكرة الارضية . انقضت عليكم مئات قرون وانتم لا تزالون كالذئاب تأكلون بعضكم بعضاً . هبي يا انفاس دار الخلد علينا وانسينا انفاس الحياة الارضية الجهنمية . فقي ايتها الريح امام دار الخلد واطردي هذه الانفاس النارية الفاسدة عنا وامنعيها من الوصول الينا . وانتم ايها الاخوان الخالدون انبذوا من اذهانكم مشاغل الارض ومن عليها وعيشوا في هذا النعيم السرمدي في هناء دائم ورغد مقيم دون ان تفتكروا باوحال الارض ومستنقعاتها . ولاتدعوا السموم الارضية تصل الى نفوسكم في الاماكن السرمدية

***

قال افلاطون هذا ونزل عن كرسيه وغلادستون واللورد شاتام يبسمان . فعلا ضجيج الارواح من جديد واخذوا يبحثون في اقوال الخطباء . وكان بين الارواح فتاة بارعة الجمال رقيقة القوام عصبية المزاج ظهر في وجهها التاثر من كلام الفيلسوف اثناء كلامه . فتركته حتى نزل من كرسيه ودنت منه فقالت له . لافض فوك يا افلاطون . فاجاب الشيخ افلاطون شكراً لك ياجان دارك . فقالت ختمت يا ابا الفلسفة قولك بان الخبائث لا ينبغي ان تنفذ الى الاماكن الطاهرة . ولكن ما رأيك الا تستطيع الامور الطاهرة ان تنفذ الى الاماكن الخبيثة

فحدق افلاطون في وجهها الجميل قليلاً ثم قال لها باسماً . قد فهمت معنى كلامك فانك ترغبين في النزول الى الارض لمشاهدة الحرب فاني اعهدك تحبينها وتبغضين الانكليز بغضاً شديداً . قالت كلا يا ابا الفلسفة لا اريد النزول الى الارض ولكني اريد ارسال رسولين واحداً الى لندرا وواحداً الى بريتوريا وهذان الرسولان هما فتاتان من فتيات البوير قتلتهما مدافع الانكليز عن غير عمد في احدى المعارك وهما الآن واقفتان بيننا . وغرضي من هذه الرسالة لا اخفيه عنك فانكم تباحثتم وحكمتم في هذا الموضوع دون استماع اقوال الخصمين فانا اود ان ارسل الى مثيري هذه الحرب المشومة التي دنست الانسانية في القرن التاسع عشر من يعلم خفايا ضمائرهم وينقلها الينا لنحكم فيها حينئذٍ حكماً كاملاً فما رأيك

فقال الفيلسوف ذلك لك يا بنية ولكن الا تستشيرين حراس المكان قالت ان الحراس لا يمانعونني وسافعل باذنك

ثم اتجهت صوب فتاتين مكسورتي الجفن والقلب كانتا واقفتين بثياب ناصعة البياض مخضبة بالدماء تحت شجرة من اشجار الليمون المزهرة فتناولت جان دارك كتابين من جيبها ثم قالت لها · فلتنزل احداكما الى البلاد لانكليزية والاخرى الى الترانسفال لاستنطاق رجال الحرب الحاضرة · واليكما هذين الكتابين فانهما كتابا الاسرار القلبية · وقد سُميا كذلك لان صاحبها لا يضع احدهما على قلب رجل نائم حتى تبتدئ شفتاه بالنطق بما يكنه ضميره ويجيب حينئذٍ بالرغم عنه على كل سؤال يلقى عليه · فلتذهب صاحبة هذا الكتاب لاستنطاق الملكة وسالسبوري وتشمبرلن وبولر وروبرتس وكتشنر وسسل رودس بشأن الحرب الحاضرة · ولتذهب الثانية لاستنطاق كروجر وجوبير وستاين والدكتور ليدس وباقي ساسة الترانسفال لعلنا نقف على شيء جديد ولكن عودا على عجل فان الجميع في انتظاركما

فالوت صاحبة الكتاب الاول رأسها حزنًا وقالت وهل لا تأذنين لي بزيارة بلادي كما تزورها اختي فقالت جان دارك والدمع في عينيها زوريها يابنية لاني عرفت قيمة محبة الاوطان ولكن لا تبطئي فيها بل عودي مع اختك فحيتها الاختان واطلقتا اجنحتها نازلتين من حيث صعدتا واحدة تقصد البلاد الانكليزية والاخرى تقصد بريتوريا وساحة القتال

وبعد طيرانهما قصدت جان دارك فتاة اخرى من فتيات البوير وقالت لها هذا كتاب كذينك الكتابين طيري به لاستنطاق ملوك الارض وعظمائها بشان حرب الترانسفال وعودي الينا بآراء كل واحدٍ منهم ولا تدعي رفيقتيك تسبقانك فطارت الفتاة الثالثة نازلة الى الارض وهي فرحة بكونها ستنظر بلادها مرة اخرى

فيا ما اسماك ياحب المنزل الاول · الا ينسينا اياك شيء حتى المنازل السرمدية

وكان اسم التي طارت الى البلاد الانكليزية « الييون » والتي طارت الى الترانسفال « فالي » والتي طارت الى ملوك اوروبا وعظمائها « اوربا » (ستأتي البقية)

التمثيل العربي في مصر والشام

نكتب هذا الفصل وامامنا بحث نشرته المجلة الانسيكلوبيذية موضوعه الملاعب الشرقية. وقد قسمتها الى ٣ اقسام الملعب الفارسي والملعب العربي والملعب التركي . وقالت ان الملعب الفارسي يُقصد به التمثيل الديني فقط والملعب التركي ابتدأ بالاعيب (كراكوز) وانتهى بالروايات الاوربية التى دخلت اليه مع الحربة على عهد ساكن الجنان السلطان عبد المجيد. والملعب الثالث الملعب العربي وهو حديث النشأة دخل الى البلاد العربية بدخول العادات الاوروبية

وقد فضلت هذه المجلة الملعب التركي على الملعبين الآخرين وقالت انه بُني على اساس متين وهو آخذ بالنمو تدريجاً . وقد مُثلت اولى الروايات التركية في ملعب طوله بفحه الذي بناه السلطان عبد المجيد ومنذ هذا الحين ابتدأت الروايات التركية واليوم يوجد كتاب مجيدون من الاتراك منصرفون الى التاليف في هذا الفن منهم افالي بك وعكرم بك وثانيهما مؤلف رواية عنوانها العفة وموضوعها ابنة تختار الموت وترك الحب على الرضى بما يمس شرفها . قالت هذه المجلة : فهذه الرواية هي ارقى الروايات التركية وظهور مثلها في الملعب التركي دليل على بلوغ هذا الملعب حداً يستحق عنده ان يسمى ملعباً

والذي نراه ان هذا الكاتب قد بخس الملعب العربي حقه فانه لو زار مصر في هذه السنوات وراى النهضة التي نهضها بعض الكتاب ومحبو هذا الفن الى الكتابة والتمثيل لعلم ان المرسح العربي اصبح اهلاً للالتفات والاهتمام ولذلك راينا ان نهتم به في هذه النبذة فنقول

فن التمثيل في مصر

يصح ان يعتبر فن التمثيل مقياساً لتمدن الامة ودليلاً على ادبها . لان العناصر التي يتألف منها هذا الفن هي سواد الامة ان لم نقل كلها

وهذه العناصر هي ثلاثة . العنصر الاول الجمهور وهو الذي عليه ارتقاء هذا الفن او سقوطه لان التمثيل لا يكون من غير اناس يشهدونه وينفقون على مشاهدته احياء له . والعنصر الثاني الكتاب وهم الذين يضعون الروايات ويقومون بحاجات الملاعب . والعنصر الثالث الاجواق وهم الذين يكونون صلة بين الكتاب والجمهور يبلغون اليه آدابهم وتصوراتهم فاذا كان ذلك منطبقاً على ما في نفوسهم اقبلوا عليه وشجعوه والا اعرضوا عنه واماتوه .



الشيخ سلامه حجازي

ولذلك قلنا ان التمثيل يصح ان يكون مقياساً لتمدن الامة ودليلاً على ادبها

ومن اراد معرفة حال فن التمثيل في امة وجب عليه ان يبحث في كل من هذه العناصر الثلاثة وهي : الجمهور . والاجواق . والكتاب فتوصلاً لمعرفة حال فن التمثيل في مصر نبحث في كل منها

الكتاب — كتاب الروايات في مصر وسائر البلاد العربية لا تزال قرائحهم حصرماً اي لم تنضج بعد . والعقلاء منهم يترجمون اذ يعلمون انهم لا يستطيعون التاليف . اما من يقدم منهم على التاليف فاما انه يخفي روايته ولا يظهرها كما احرق اسكندر ديماس الروايات الثلاث الاولى التي الفها لضعفها وتقصيره فيها واما انهم يظهرونها غير مبالين بضعف تاليفها لانهم يقصدون بها الربح المادي لا العمل الادبي . على انهم مهما قصروا فانهم معذورون لقرب عهدهم في هذا الفن وعدم نيلهم منه ربحاً يوازي تعبهم . ولكنهم لا يُعذرون في مسأَلتين مهمتين نود لو ينتبه اليهما الكتاب . الاولى اختيار مواضيع الروايات وجعلها مما يكون جامعاً بين اللذة والفائدة . والثانية وهي الاهم تنزيه الروايات عن السموم التي يدسها بعضهم فيها . فاننا ما حضرنا تمثيل بعض الروايات ورأينا ما فيها من الخلاعة والمجون الذي تنفر منه الاسماع الا وتمنينا ان لا يسمع تلك السفاسف فتى او فتاة . ومن



السيده لبيبه مالي

سوء الحظ ان الفتيان والفتيات كباقي الرجال والنساء يصغون كل الاصغاء في الملاعب الى تلك السفاسف و يقهقهون ضاحكين غير عالمين انهم يدسون بذلك سم الرذيلة في نفوسهم وهم لا يشعرون

ويدهشنا هنا ان الحكومة لم تفكر في مصر الى الآن في وضع حد للفوضى الادبية السائدة في الملاعب المصرية · فان من الروايات التي تمثل على هذه الملاعب ولا سيما الهزلية منها ما لا يجب ان تسمعه اذنان ولا تراه عينان · فحسنًا تصنع الحكومة ان تنشىء قلمًا لمراقبة الروايات وقاية للآداب العمومية ولا سيما في هذا الوقت الذي اشتد فيه ميل الجمهور الى التمثيل



اسكندر افندي فرح

وليس الكتاب هم الملومين وحدهم في مسالة هذه السموم التمثيلية فان الاجواق كثيرًا ما « ترش » على روايات الكتاب شيئًا من « سكر المجون » على غير علم منهم وذلك استمالة للجمهور · فيؤخذ من ذلك ان الجمهور نفسه مشترك مع الكتاب والاجواق في هذه الجناية الكبرى على الآداب العمومية · والحكومة نفسها تشترك معهم فيها لعدم ردعهم عنها وهي حال من اقبح الاحوال وكم عاقت هذه الحال فن التمثيل عن التقدم والنماء لاعراض عقلاء الامة عنه ورؤيته في منزلة لا يستحق عندها التنشيط والاهتمام · فمن مصلحة الكتاب ومصلحة الاجواق معًا ان ينبذوا السموم من رواياتهم ويهذبوا مواضيعها رفعًا لشان مهنتهم

الاجواق — في مصر الآن ثلاثة اجواق عمومية اولها واكبرها الجوق المصري يديره حضرة اسكندر افندي فرح ويرئس ممثليه حضرة الممثل البارع والمنشد الشهير الشيخ سلامة حجازي الذي طار ذكره في مصر والشام · والجوق الثاني جوق حضرة ابي خليل افندي القباني وترئس ممثليه وممثلاته العديدات حضرة الممثلة البارعة السيدة لبيبه مالي التي هي زينة الممثلات كما

ان الشيخ سلامه زينة الممثلين . والجوق الثالث جوق حضرة سليمان افندي قرداحي

ولكن هذه الاجواق لعدم مساعدة الحكومة اياها لا تقوم بوظيفتها كما كان يجب ان تقوم بها . ومن غرائب المدهشات ان الحكومة تخصص مالاً طائلاً في كل سنة بالاجواق الاجنبية التي تمثل في القطر رغبة في ارضاء السياح ولا تلتفت الى الاجواق العربية . وقد نشأ جوق حضرة اسكندر افندي فرح وشب وقوي دون ان تمد الحكومة له يداً كأنه فرخُ طائر ربي من غير مساعدة امه . وهذا سبب الاهمال والتقصير البادبين في الاجواق العربية فانه يُنتقد عليها انها لا تجعل ملابسها منطبقة على مواضيع رواياتها . وبانها لا تكافىء الكتاب مكافأة تجعلهم يواصلون الاشتغال بالكتابة فتحسرهم وتقتل مواهبهم . و بانها لا تنتقي ممثليها وممثلاتها من الطبقة التي تستطيع فهم المواضيع التي يُطلب منها تمثيلها ولذلك يكون تمثيلها مغلوطاً ضعيفاً . وكل هذه مآخذ كبرى ولكن منشأها واحد وهو فقر الاجواق لعدم مساعدة الحكومة لها كما تصنع الحكومات الاوربية باجواقها. ولاشبهة في ان الحكومة اذا خصصت في كل سنة ٥٠٠ جنيه لكل جوق يرتفع شان التمثيل العربي ارتفاعاً عظيماً يعود نفعه على آداب الامة وكتابها وادبائها الذين تستطيع الاجواق حينئذٍ ادخالهم في جملة ممثليها مقابل رواتب مهمة تدفعها لهم

ولكن اذا كانت الاجواق معذورة في هذا فانها مقصرة تقصيراً عظيماً في اختيار الروايات . ونذكر ان احد الاجواق مثل في الثغر منذ مدة رواية حضرها فاضل مصري كبير ولم يكن قد حضر التمثيل العربي قبله فخرج وهو مستاء من التمثيل وحالة الجوق كل الاستياء . ولا نجهل ان الاجواق تعتذر عن ابقائها الروايات الساقطة بين رواياتها بانها مما يرتاح اليه الجمهور . ولكن لا خير في ارتياح يظهره من لا ذوق لهم ولا معرفة في هذا الفن اذا كان العقلاء واصحاب الذوق يعرضون عن التمثيل من اجل رواية ساقطة يحضرونها . ولا يعرضون عنه فقط بل ان حكمهم يرجع الاجواق سنوات الى الوراء . فلتهتم الاجواق بحكم الخاصة اكثر من اهتمامها بحكم العامة . لان العامة اذا كانت تأتيها بالايراد فالخاصة تأتيها بالسمعة والشهرة وهما خير من الايراد لانه متوقف عليهما كما لا يخفى

الجمهور — واذا كنا قد لمنا الجمهور لتسامحه في امر الروايات المضرة والروايات الضعيفة الساقطة فاننا نثني عليه لتنشيطه فن التمثيل في مصر . فانه مقبل عليه بكليته اقبالاً لم تظفر بمثله الملاعب العربية في بلاد غير البلاد المصرية . اذ كثيراً ما تغص الملاعب بالحاضرين على اتساعها حتى لا يبقى فيها مكان لواقف فضلاً عن الجالس كما حدث لرواية البرج

الهائل حين مثلها جوق حضرة اسكندر افندي فرح لاول مرة في الثغر . فان الحاضرين كانوا مئات من كل الطبقات حتى لم يبقَ في الملعب مكان توضع فيه قدم وبلغ ايراد تلك الليلة مبلغاً غير يسير بالقياس الى حداثة هذا الفن في مصر وهو اعظم ما بلغه التمثيل عندنا وقدره ٨٠ جنيهاً

ولكن لا بد من الاعتراف بان اقبال المصريين هذا الاقبال الحميد على تنشيط هذا الفن ليس ناشئاً عن رغبة في الروايات نفسها بل هنالك سبب عظيم يجذبهم بالرغم عنهم الى الملاعب ونريد بهذا السبب صوت ممثل وبراعة ممثلة وهما الشيخ سلامه حجازي والسيده لبيبه مالكي

ولقد سمعنا كثيرين يقولون ان حضرة الشيخ سلامه حجازي قد قتل فن التمثيل في مصر قتلاً . ويحتجون على هذا القول بان الجمهور لا يحضر لسماع الروايات بل لسماع انغامه الشجية التي تطرب الجلمود وتحرك النفوس كما تحرك الريح الاغصان . ولذلك اصبح الجمهور لا يعبأ اجاد الممثلون ام لم يجيدوا على شرط ان يحرك الشيخ نفوسهم بانغامه العذبة وامسى كل جوق يقوم غير الجوق الذي فيه الشيخ سلامه حجازي محكوماً عليه بالسقوط لعجزه عن مجاراته للسبب المذكور آنفاً

ولكن لو انصف القائلون هذا القول لرأوا ان الشيخ سلامه حجازي اوجد هذا الفن في مصر واحياه لا قتله اذ بصوته يجتذب الناس بالرغم عنهم الى فن التمثيل ولولاه للبثوا معرضين عنه ولما حضر التمثيل ربع الذين يحضرونه الآن

وما قلناه عن حضرة الشيخ من حيث الانشاد وحسن التمثيل ايضاً نقوله عن السيدة لبيبه مالكي فانها شريكة الشيخ في اجتذاب الجمهور الى الملاعب بالرغم عنه وذلك فضل لها لا ينكر على الملاعب العربية . لذلك رأينا ان نزين هذه المقالة برسمها ورسم حضرة اسكندر افندي فرح صاحب الجوق المصري الذي هو اكبر جوق في مصر الآن

واكثر ما تظهر براعة هذين الممثلين في رواية البرج الهائل حيث يمثل الشيخ دور « بوريدان » وفي رواية مطامع النساء حيث تمثل السيده لبيبه دور كاترين هوار . ولا شبهة عندنا انه لو شاهد كاتب مقالة الملاعب الشرقية التي اشرنا اليهـا في افتتاح الكلام حضرة الشيخ سلامه في دور بوريدان يتسلط على الملكة مرغريت دي بورغون ويتلاعب بها تلاعباً يسترعي الاسماع ويشغل الخواطر ويقلق قلوب الحاضرين فيجعلهم كلهم اعيناً ترى ذلك الممثل وبراعته . ورأى ايضاً تلك الرزانة واللهفة والدقة التي تمثل بها السيدة

لبيبه دور كاترين هوار لما تمالك ان يعترف بخطاه ويقرّبانه وجد التمثيل العربي ارقى مما كان يظن · ونحن نعتقد بان آخر درجة من الاتقان بلغها التمثيل العربي هي تمثيل حضرة الشيخ سلامه دور بوريدان وحضرة السيدة لبيبه دور كاترين هوار

التمثيل في سوريا

ولا نطيل الكلام على التمثيل في مصر ليتسنى لنا ايراد كلمة عن التمثيل في سوريا · ويسوءنا ان نقول انه لا يوجد في سوريا اثر لهذا الفن كأن مصر وسوريا فيه على طرفي نقيض · فحكومة مصر تبيحه حتى ما كان منه فاسدًا ومضرًا وحكومة سوريا تمنعه حتى ما كان منه نافعًا ومفيدًا · ومن الغرائب انها تمنع التمثيل العربي مخافة تخديش الافكار كما يقول بعضهم وتأذن للاجواق الاجنبية ان تمثل في بيروت وسواها روايات اجنبية ممتلئة بما يخدش الافكار· واغرب من ذلك انها تضع العثرات في سبيل التمثيل المفيد وتتسامح تسامحًا غير حميد مع بعض الاجواق الهزلية المضرة التي تتخذ الخلاعة ديدنًا لها فضلاً عن القصاصين في القهاوي واصحاب الالعاب الشائنة التي تدعى العاب «كراكوز» التي تفسد آداب الامة ·ونحن لا نزيد على هذا القول لمعرفتنا بان الكلام في هذا الشأن قلما يفيد شيئًا

والخلاصة ان فن التمثيل العربي في مصر والشام لا يزال طفلاً وان كان قد تقدم تقدمًا مهمًا · ولو ساعدته الحكومات ونشطته لفتحت به موردًا جديدًا للادباء الذين ينخرطون في سلك اجواق التمثيل ولازهر في حديقته غرس الادب والشعر وراجت سوق الكتاب ودخل بواسطته سرور جديد وفوائد جديدة في روح الامة

النعامة

جاء في محيط المحيط « النعامة حيوان يقارب الرخ اغبر الى البياض مركب من خلقة الطير والجمل · اخذ من الجمل العنق والوظيف والمنسم ومن الطير الجناح والمنقار والريش يأكل الحصاة والرمل ويذيبه وليس له حاسة السمع ولكن له شم بليغ ولذلك تقول العرب هو اشمّ من نعامة · والنعامة تذكر وتؤنث وسميت نعامة لنعامة ريشها »

نقول وهو تعريف جامع ولكن في قوله « له شم بليغ » نظرًا لان علماء الحيوان المحدثين يقولون ان للنعامة نظرًا بليغًا لا شمًا بليغًا · ولعل العرب نسبوا الشم البليغ اليها لانهم كانوا لا يستطيعون الدنو منها اذ كانت تحس بهم من بعد قصي فتجتنبهم ولكن ذلك لا ينفي قولنا



بل يدل على انها كانت تحس بهم بنظرها لا بشمها

ويبلغ علو النعامة الكبيرة مترين ونصفاً وثقلها ١٥٠ ليبرة وهي لا تستطيع الطيران لعجز اجنحتها عن حملها · ولها عنق طويل كعنق الجمل مساوٍ في ارتفاعه لطول ساقيهـا · وساقاها شديدتان قويتان على السير تخطو بهما في سيرها الاعتيادي متراً او مترين ولكنها اذا ركضت فان خطوتها تبلغ اربعة امتار ولذلك تسابق الخيل وتكون كالريح او كالسهم المارق حين ركضها

وهي متى كانت برية تقتات بالاعشاب على الاكثر ولكنها اذا دُجنت اصبحت تاكل من الحشرات حتى من التراب والحصى وتهضمه لشدة معدتها كما مرَّ في بدء الكلام

وتكون اقامتها على الاكثر في الواحات حيث توجد المياه والاظلال لا في القفار كما زعم بعضهم · ولكل ذكر منها ثلاث اناث او اربع تبيض كل واحدة منها في اعشاش كبيرة بيضاً صقيلاً ناعماً كالعاج ويساوي حجم البيضة الواحدة منه ٢٤ بيضة من بيض الدجاج · وزعم بعضهم ان النعامة تترك بيضها ولا تحضنه فيفرخ من تلقاء نفسه والحقيقة ان الذكر والانثى يحضنانه معاً ولا يتركانه للطبيعة الا في الاقاليم الاستوائية الشديدة الحرارة· وفي هذه الحال لا يتركانه مكشوفاً بل يطمرانه بالرمل حتى لا تهتدي الافاعي والكواسر اليه · ولا تعتني النعامة بفراخها الا ٤ او ٥ اسابيع لان الفراخ بعد ذلك تصبح قادرة على

السعي واكتساب معيشتها

واكثر ما تكون النعامة موجودة في اواسط افريقيا وجنوبها · واهالي تلك البلاد يصيدونها بثلاث طرق · الاولى انهم يطاردونها على الخيل او ركضاً على الاقدام · والثانية انهم يباغتونها ويطلقون البنادق عليها فيقتلونها · والثالثة انهم ينصبون لها اشراكاً ويصيدونها بها ويقبلون على صيدها لا من اجل لحمها فقط بل من اجل الريش الجميل الذي في ذنب الذكر وجنحيه · وهم يتجرون بهذا الريش تجارة يربحون منها ارباحاً طائلة · والناس في اوربا تستعمله لتزيين قبعات السيدات وما اشبه · وقد كانوا قبلاً يصيدون النعامة لنتف ريشها اما الآن فمن حسن حظ تلك الحيوانات المسكينة انهم اصبحوا يربونها تربية كما تربى الخرفان وينتف ريشها للانتفاع به فينبت غيره مكانه فينتف ايضاً وهلم جرًّا وفي جنوب افريقيا حظائر كثيرة للنعامة تربى فيها · وقد عُني الجزائريون والسودانيون اخيراً بصيد النعامة وتدجينها في حظائر يرعونها فيها · وفي هذه النبذة رسم حظيرة كائنة قرب القاهرة فيها نعامات صغيرة لم تبلغ اشدها بعد

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان حكومة السودان قد وضعت في الاسبوع الماضي قانوناً لصيد الحيوانات في السودان كالنعامة والجاموس والخنزير والفيل ووحيد القرن ابقاء عليها وصيانة لها من الانقراض · فحبذا لو تحذو سائر الحكومات في افريقيا حذوها حفظاً لهذه الحيوانات الجميلة ان تنقرض اجناسها كما انقرضت اجناس كثير من الحيوانات في القرون الغابرة

ويروى عن النعامة انها اذا ابصرت الصياد من بعيد وضعت احياناً راسها بين جنحيها حتى لا تراه ظنّاً منها انها اذا لم تره فانه لا يراها · فذهبت جهالتها هذه مثلاً

ومن الامثال العربية التي تضرب بالنعامة قولهم اجفل من نعامة · ومنه قول الحريري « واجفلت نحوها اجفال النعامة » وقول الشاعر في وصف جبان

اسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

ويقال للرجل اذا خاف من شيء او اذا ارتحل او مات « نفرت نعامته » ومن امثالهم فيها ايضاً قولهم « انت كصاحبة النعامة » يُضرب لمن يثق بمن هو غير اهل للثقة · واصله ان امرأَة من نساء العرب وجدت نعامة قد غصت بصعرور اي بصمغة فاخذتها وربطتها بخمارها الى شجرة دنت ثم من الحي وصرخت « من كان يحفنا ويرفنا فليترك » وقوضت بيتها لتحمل على النعامة وترحل · فلما عادت اليها كانت النعامة قد اساغت غصتها وافلتت فبقيت المرأَة « ولا صيدها احرزت ولا نصيبها من الحيِّ حفظت »

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

التربية الثالثة

(الاجتماعية)

بحثنا في ما مرّ بنا من الكلام في التربية الاولى والثانية فبقي علينا الكلام على ما سميناه التربية الثالية . ونريد بالتربية الثالثة المؤثرات التي تؤثر في الانسان بعد البيت صاحب التربية الاولى والمدرسة صاحبة التربية الثانية

وتفسير ذلك لا يقتضي عناء كثيرًا . فانك قد ترى في المدرسة فتى اديبًا مثالاً للفضيلة والطهارة وحسن السيرة . دأبه الدرس والاستفادة لا يضيع وقته في اللهو ولا يهتم الا بانماء قوى عقله ونفسه وجسده . فتقول في نفسك حين رؤيته ان مستقبل هذا الشاب سيكون عظيمًا

ولكن غب عن هذا الشاب بضع سنوات ثم عُد واسأل عنه فانك قد تجده سعيدًا وقد تجده شقيًا . تجده سعيدًا اذا كان لم يتعرض بعد خروجه من المدرسة للعشرة الرديئة ولم يندفع مع اهوائه وشهواته بل استطاع كبح جماحها او وُجد بازائه من يجري به في الطريق القويم وينقذه من الاخطار التى امامه . وتجده شقيًا اذا جرى على عكس ذلك اي اذا استسلم الى تيار شهواته واهوائه وحاد عن طريق النشاط والاجتهاد والفضيلة

فتربية الانسان لا تنتهي اذًا في المدرسة بل توجد تربية جديدة قلما ينتبه اليها قومنا وهي التربية الاجتماعية

ومؤثراتها كثيرة . اولها عشرة الانسان واصدقاؤه . وما اصدق المثل الفرنسوي القائل « قل لي من تعاشر اقل لك من انت » وثانيها الجمعيات والمنتديات العمومية . فانه

بقدر ارتقاء هذه الاجتماعات ترتقي نفس الانسان وبقدر انحطاطها تنحط نفسه · وثالثها الجرائد وتكاد تكون اعظم تلك المؤثرات تاثيرًا ولاسيما في البلاد التي تكون سلطتها فيها عظيمة · ورابعها الآداب العمومية في الاسواق والشوارع · فان كلاماً تسمعه وانت مار في طريقك في السوق · ومنظرًا تراه قبيحاً او حسناً · وانتظام هيئة المدينة او غير انتظامها ونظافتها او قذارتها — كل ذلك يؤثر في نفس الانسان تاثيرًا قبيحاً اذا كان المؤثر قبحياً وحسناً اذا كان المؤثر حسناً

ولذلك فالتربية الاجتماعية غير منوطة بالاهل فقط بل منوطة بالحكومة ايضاً · الاهل من واجباتهم منع اولادهم عن العشرة الرديئة التي تفسد اخلاقهم وتقودهم الى مهواة الرذيلة والشر على غير علم منهم · والحكومة من واجباتها السهر على الاداب العمومية في المنتديات والقهاوي والجرائد والجمعيات وملاحظة الادب والفضيلة في الاسواق والشوارع فضلاً عن تحسين منظر المدينة ليكون كل شيء يقع النظر عليها حسناً فلا يكون تاثيره في النفس الا حسناً · واذا اهملت الحكومة ذلك فانها تقصر في واجباتها تقصيرًا عظيماً

اذا غضت الحكومة الطرف عن الرذيلة في الشوارع فتركت فيها نساء يبعن شرفهن ليلاً كلن بثمنه خبزًا فانها تجنى على الاداب والانسانية جناية عظيمة

اذا تركت الحكومة بنات الشعب الفقيرات المترغات في الاسواق بلا سلاح تجاه وقاحة بعض من الاشرار الذين يجعلون دابهم الاعتداء عليهن ونصب حبائل المكر والشر لهن فانها بذلك تفسد دم الامة وتجني على الشرف الانثوي جناية عظيمة

اذا تركت الحكومة الجرائد فوضى بلا قانون يكبح جماحها و يوقفها عند حد الادب ويمنعها من ان تكون آلة لابتزاز الاموال والطعن على الاعراض وتغذية الامة بغذاء فاسد مضر ادبياً وسياسياً · فانها تجني على روح الامة وآدابها جناية عظيمة

اذا منعت الحكومة الجمعيات المفيدة واطلقت الحرية للجمعيات المضرة في القهاوي والحانات فانها تاتي اثماً عظيماً

اذا لم تسهر الحكومة على الاداب العمومية في الاسواق والشوارع سهرًا شديدًا يمنع حدوث كل شرّ قولاً وفعلاً واشارةً · فانها تكون قد قصرت في ما يجب عليها للامة من حيث التربية الاجتماعية

بقي علينا الآن الشروع في التفصيل بعد هذا الاجمال عن التربيات الثلاث · ونبدأ بذلك في ما يلي

خطر الاطفال وخطر الشبان

خطران يجب اجتنابهما · خطر الاطفال · اقتراح على الكتاب كيف يكون الدواء
حرب الترانسفال وصغار الاولاد · المؤثرات في بدء الحياة

تحتاج هيئتنا الشرقية الآن الى من يظهر النقط الضعيفة في تربيتنا البيتية والمدرسية ويدل على موضع الداء ويصف الدواء لا الى من يدعو فقط الى التربية والتعليم دعوة اجمالية ولذلك رأينا بعد الفراغ من الدعوة الاجمالية وتقسيم موضوع التربية ان ناخذ على انفسنا هذا الامر العظيم الذي لا يلتفت رصفاؤنا اليه فنؤمل من حضرات القراء ان يتبعونا فيه الى النهاية ونرجو من حضرات المعلمين والآباء والامهات بالخصوص ان يطالعوا هذا الباب بما يستحقه من الامعان والانتباه فانهم يجدون فيه ما لا يجدونه في موضع آخر

خطران يجب اجتنابهما

في الاطفال والشبان يوجد دوران من العمر ينبغي الانتباه اليهما كل الانتباه اذ عليهما يتوقف مستقبل الانسان في الهيئة الاجتماعية

الدور الاول في الاطفال عند ابتدائهم بالفهم وتمييز ما حولهم فان دماغ الطفل لاول عهده كالشمع ينطبع فيه كل ما يعرض له فاذا كان ما يعرض له حسناً كان المطبوع حسناً واذا كان ما يعرض له سيئاً كان المطبوع سيئاً والمطبوع لاول مرة على ذلك الدماغ اللطيف الحساس قلما يمحوه شيء في المستقبل الا بصعوبة كلية وربما بقيت الانفعالات الاولى في دماغ الولد حتى يشب ويهرم فتحضره على فراش موته كما قال جول سيمون فمستقبل الانسان اذاً بين يدي امه او مربيته وهو طفل قبل ابتدائه بالفهم والتمييز

فمن ذلك نتبين الاهمية العظمى التي للتربية الاولى

ان ذلك الوقت الذي يبدأ فيه الولد بالتمييز والادراك لهو الوقت الذي يجب ان ترتعد فيه فرائص الامهات خوفاً على اولادهن · لا على اجسام اولادهن فان علل الاجسام قد يشفيها الاطباء ولكن على نفوس اولادهن التي متى دخلتها الامور السيئة لم يبق في استطاعة احد ان ينزعها منها · فاحد الخطرين الذين اشرنا اليهما هو امكان دخول الامور السيئة الى نفس الطفل اول انتباهه للحياة

والدور الثاني الذي يجب على الانسان ان ينتبه في التربية اليه انتباهه الى الدور الاول

هو ابتداء الفتيان بالانتقال من الفتوة الى الرجولية اي عند حدوث ذلك الانقلاب العظيم الفجائي في بواطنهم وتغير عواطفهم وشعورهم تغيرًا كليًا · ولنا هنا في التلميح غنى عن التصريح

يومئذٍ يوجد خطر على الانسان يشبه الخطر الذي كان امامه عند ابتداء نفسه بالادراك والتعقل · واجتناب هذا الخطر يكون باخماد ثورة النفس وتسكينها بالعمل والاعتدال والعفاف والمسرات الطاهرة والمثال الصالح · ولكن هذين الموضوعين الخطيرين يقتضيان تفصيلاً كافيًا ولذلك نقول

الخطر على الاطفال

قلنا ان خطر الاطفال أن تدخل الى نفوسهم عند ابتدائها في الفهم امور سيئة تنطبع على صفحات دماغهم اللطيف الحساس فتبقى معهم حتى مماتهم · ومن سوء حظ التربية الشرقية انه لا يوجد بيت في الشرق خالٍ من هذا الخطر من اكبر القصور في اكبر المدن الى اصغر الاكواخ في اصغر المزارع والقرى · فان اولادنا اول ما يفتحون آذانهم وعقولهم للسمع والفهم لا يسمعون الا قصصًا وخرافات بعضها يقصها العجائز عليهم و بعضها الخدامون والخادمات · واكثر ما يقصونها عليهم قبل النوم والاطفال في فراشهم او بعد العشاء ليسترعوا انتباههم ويمنعوهم من النوم بعد الطعام مباشرة · ولكن لو علم قومنا مبلغ الضرر الذي تصاب به تلك الادمغة الصغيرة الرطبة من هذه الاقاصيص الممثلة بالعفاريت والجن وارواح الموتى والبقر الطائرة والمعزى الناطقة لدهشوا دهشة عظيمة

اما نحن فنخبرهم ان الضرر مزدوج ونريد بذلك انه ضرران : ادبي وصحي

اما الضرر الادبي وهو اعظمها واهمها فهو تربية الجبن والخوف في نفوس الاولاد من صغر · فان فرخ الدجاجة او جرو الكلب او الهرة لا يخاف اذا تركته امه في مكان منزوٍ في جنح الظلام لانه ليس له جدة ولا خادمة تهمس في اذنه قصص العفاريت والجن · · · ولكن صغار البشر بل وكثيرين من الكبار تنخلع قلوبهم خوفًا اذا وُجد احدهم في غرفة مظلمة · وسبب ذلك تلك القصص الوهمية التي سمعوها من صغرهم · فان هذه القصص تجعل الاولاد خوافين جبناء منذ يبدأون بالادراك فيصبحون لا يسمعون حركة النافذة في الليل الا ويتصورون ان عفريتًا من العفاريت التي تحكي لهم عنها جدتهم او خادمتهم داخلٌ اليهم فترتعد فرائصهم خوفًا · واذا راوا نورًا في الشارع حسبوه نور الجن او لمحوا خيالاً ظنوه روحًا من ارواح الموتى · وهذا الخوف يستحكم في نفوسهم فيقتل فيها الاقدام والشجاعة ·

وقتل الاقدام بمثابة الانتحار وقتل الذات . هذا ما تجنيه حكايات العجائز وخرافاتهن على الاولاد من الوجه الادبي

اما الضرر الصحي فنترك الكلام عنه للدكتور ليون ما يل الذي اختبره باحد الاولاد . فانه كان يجالسه وهو في فراشه وياخذ يقص عليه اقاصيص الجن والعفاريت فيصغي الولد مدهوشاً ساكتاً مسروراً . ثم ينام الولد ولكنه في نومه يبدو الاضطراب والانزعاج في وجهه وياخذ يتحرك حركات عنيفة في نومه واحياناً يجفل ويفيق باكياً وصارخاً . ذلك ان نفسه تتيه في نومه في افق الاحلام المريعة التى تصورتها في اليقظة فتؤثر هذه الاحلام على مزاجه العصبي اسوأ تاثير حتى انه اذا كان من ذوي الاستعداد للامراض فانه قد يُصاب بالبله او الجنون واذا كان قوي الجسم يصاب باقبح الامراض

واحياناً كان يجالسه ويقص عليه قصصاً ادبية لطيفة فكان الولد يسمعها باسماً وينام مسروراً ويبقى طول ليله هادئاً ويصبح في اليوم الثاني مستريحاً ضاحكاً

فيجب على كل الاباء والامهات اللواتي يرغبن في خير اولادهم ان يقوهم شرّ هذا الخطر العظيم وهو قتل الاقدام والشجاعة في نفوسهم ليحلوا محلها الخوف والجبن فضلاً عن الاضرار الصحية . ولا نشير على الامهات بان لا يدعن اولادهن يسمعون قصصاً ولكن نُشير باختيار تلك القصص

ولكن مَن مِن المربين والمربيات في المنازل يحسن هذا الاختيار اذا كان لا يوجد بينهم من يفهم معنى التربية الحقيقية . فنحن لنا هنا اقتراح نتمنى من صميم القلب ان يوجد من الكتاب من يحسن الى الجيل الناشىء ويخرجه من حيز القوة الى حيز الفعل ولولا شواغلنا الكثيرة لما تاخرنا عن الاقدام على ذلك دقيقة واحدة واليكم هذا الاقتراح

الاقتراح

قال نابوليون الاول ولويس الخامس عشر وجان جاك روسو وغيرهم من اعاظم الرجال انهم هذبوا نفوسهم وقووها بمطالعة سير اعاظم الرجال من اليونان والرومان التي كتبها المؤرخ فلوطرخوس الشهير . وقد اثنوا كلهم على هذا الاسلوب الذي تفرد به هذا المؤرخ لان قراءة السير التي كتبها تبث في النفس ميلاً الى التشبه باصحابها في العظائم والمحامد وبذلك ترتفع النفس وتعلو وهي تحسب انها تقرأ قصصاً بسيطة

فنحن نتناول هذه الشهادة من اعاظم الرجال ونقول . يجب ان يقوم كاتب من اكابر الكتاب ويكتب ثلاثة كتب يودعها تراجم اعاظم الرجال على الطريقة التي كتب بها

فلوطرخوس سيره لا على الطريقة الناشفة الجافة التي اتبعها غيره وتكون هذه الكتب درجات الكتاب الاول ابتدائي لصغار الاولاد تقرأه امهم او اخهتم ونقص عليهم منه قصصاً مفيدة يفهمونهـا واذا كانت مشفوعة برسوم نزيادة الفائدة فائدة . والكتاب الثاني يكون ارقى من الاول ويُعطى للاولاد حين شروعهم في المطالعة فيغنيهم عن الروايات المضرة التي يقرأونها . والكتاب الثالث يكون ارقى من الكتابين السابقين و يعطى للشبان بل لنا نحن الكتاب فاننا لا نكره ان نروض عقولنا من حين الى حين بكتاب يكون مترجماً ترجمة صحيحة عن فلوطرخوس متضمناً سير اعاظم اليونان والرومان وزبدة التمدن اليوناني والروماني. فالكاتب الذي يقوم الى هذا العمل يستحق بركة كل الامهات والقراء على الاطلاق

ولكن كتابنا مشغولون ايتها السيدة عن هذه الامور النافعة المفيدة بامور غيرها ... انهم يؤلفون و يترجمون تحصيلاً للقوت من شق هذه القصبة الضيق فلا تلوميهم فانهم مضطرون الى الافتكار بانفسهم قبل الافتكار بغيرهم ولذلك فلا يجدر بك ان تنتظري الى ان يقوم منهم من يعمل هذا العمل المفيد الذي اشرنا اليه . فانك قد تنتظرين زمناً طويلاً . بل يجب الآن قبل كل شيء ان تمنعي حماتك او امك او خادمتك من دس تلك السموم في آذان اولادك . وان قلت انك كنت تجهلين اضرار تلك القصص والحكايات وان الضرر قد حدث فشب اولادك جبناء خوافين فتريدين مداواتهم لم نبخل عليك بكلمة في مسالة الدواء

كيف يكون الدواء

الدواء في رأينا سهل جدًا اذا كنت تحسنين استخدامه وصعب جدًا اذا كنت تجهلين ذلك واسمعي هذه القصة الصغيرة فان فيها مطلوبك

اخذنا اليوم خبرًا ساء كل محبي الحق والحرية وهو تسليم الجنرال كرونجه وجيشه الى اللورد روبرتس قائد الجيوش الانكليزية في بلاد اورانج ولا نعلم اذا كان اولادك في هذه الحرب مع الانكليز او البوير اما نحن فنخبرك ان الاولاد الذين حولنا كلهم مع البوير الا واحداً مع الانكليز لانه ربي (الحقيقة ربيت) في مدرسة انكليزية . فلما جاء خبر تسليم البوير كان في يدنا نسخة من جريدة البتي باريزين وفيها رسم مؤثر جداً يمثل نساء البوير واولادهم في الحرب يناولون الرجال الخراطيش و يسقطون قتلى بقنابل الانكليز قلنا ونستغفر الله انهم يسقطون كما سقط الاسبرطيون في مضيق ترموبيل شهداء

الحرية والوطنية

وكان واقفاً بازائنا ولد يدعى « انيس » اظنك لا تعرفينه ولكن من سوء حظك انك لا تعرفينه لانه كان يجدر ان يكون خير رفيق لاولادك فاريناه الولد البويري الصغير الساقط تحت قنبلة البوير . فاتقدت عيناه بنار الحماسة وقال انا احارب معهم ايضاً هلموا بنا لاسعاف البوير عفواً يامستر تشمبرلن لا تغتظ فليس عمر هذا الولد الا ٩ سنوات . . . بل حقك ان تغتاظ وتخجل ايضاً لانه اذا كان الصغار يدافعون عن البوير فما قولك بالكبار

فقلنا له اتذهب لمحاربة الانكليز مع البوير قال اذهب فاعطوني بندقية وعلموني ان اطلقها قلنا اما تخاف من النار قال لا لا اخاف من شيء

وكان في يده قطعة حلوى ذات طرفين اذا شُدت منها اخرجت صوتاً لالتهاب كمية صغيرة من البارود فيها . فاراد أكلها فقال كيف السبيل الى ذلك فاني اخاف من صوت البارود . فصاح به صائح ما شاء الله الآن قلت انك تريد المحاربة مع البوير وانك لا تخشى من اطلاق البارود . فصاح الولد مراجعاً نفسه . لا لا . لا اخاف . ثم قبض بيديه على طرفي القطعة وشدها فانطلق البارود والولد يبسم مشجعاً نفسه ثم قالوا له ان الذي يحارب لا يخاف ان ينام في الغرفة وحده فاجاب انا لا اخاف وهذه الليلة انام وحدي

هذا مثل طويل ولكني اضمن انك لا تضجرين من قرائته ومنه تتعلمين شيئاً مهماً وهو ان دواء الجبن والخوف اللذين تغرسها اقاصيص العجائز في نفس ولدك هو اثارة كبرياء الولد وتحريك نفسه . فان الكبرياء كما انها مضرة فانها نافعة . ولا دواء لهذا الداء غير اثارة الكبرياء ومعنى ذلك ان تقنعي الولد اولاً بانه لا يوجد شيء يُخشى منه بل ان كل ما سمعه اوهام وخزعبلات ثم عيريه بكونه جباناً لا يستطيع ان يدخل الى غرفة مظلمة وحده فانه يقدم على دخولها عيريه بكونه لا ينام وحده فيتشجع وينام وحده . ولكن لا تنسي انه يجب عليك قبل كل شيء ان تكوني له قدوة بالشجاعة في كل شيء وان تقنعيه بانه لا يوجد في الحياة شيء يُخشى منه كالعفاريت وما اشبه

هذا فيما يختص بالجبن والخوف . ولكن الخطر الذي يكون امام الطفل عند ابتدائه بالفهم والادراك لا يكون مقصوراً على الخوف والجبن فقط . فان هنالك ايضاً العناد والمسبات التي تجعلها بعض الامهات الجاهلات اول ما يلفظه اولادهن . والاستسلام الى

الولد اي الخضوع له وجعله ملكاً من صغر يُعطى كل ما يشاء ولو طلب نجوم السماء · وجرح نفسه بالظلم لمعاقبته من غير ذنب سوى ضيق خلق امه · كل هذه امور سيئة تضر بنفس الولد ولكن اشدها ضررًا العادة التي خصصنا بها هذه المقالة الطويلة اي عادة الجبن والخوف وضعف القلب · فلتحذر الامهات

لتحذر الامهات فان مستقبل اولادهن يتوقف على ذلك الدور من حياتهم · فان الولد اذا شب ضعيف النفس منخلع القلب فالذنب يكون للمؤثرات الاولى في بدء عمره · اذا كان يخفض رأسه بذل امام الاقوياء ويرتجف كقصبة تحركها الريح امام الحكام فالذنب للمؤثرات الاولى في بدء عمره · اذا كان الاقدام ميتاً في نفسه والشجاعة الادبية والاباء وعزة النفس لا اثر لها فيه بل كل ما يشتهيه في هذه الحياة هو ان يأكل ويشرب وينام كالعجماوات لا غير فاللوم ليس عليه ولكن على المؤثرات الاولى التي طرأت عليه في بدء عمره · فلتسلم الامهات اولادهن الى الخادمات والعجائز وليهملن مراقبتهم مراقبة ادبية شديدة في بدء حياتهم اذا اردن قتل نفوسهم واطفاء النور اللامع المقدس الذي وضعه الله فيها

هذا خطر الاطفال وسنتكلم على خطر الشبان الذي اشرنا اليه آنفاً

باب تدبير الصحة

﴿ والمنزل ﴾

﴿ مضار مياه الينابيع كالآبار وما اشبهها ﴾

وأهمية تنقية المياه

يحسب بعضهم ان المياه متى كانت صافية فانها تكون صالحة للشرب وهذا خطأ اصبح اليوم غير خافٍ على احد ولا سيما بعد الحادثة الآتية التي حدثت حديثاً

وبيانها ان غنياً ابتاع في فرنسا قصرًا جميلاً في برية واسعة · والذي حبب اليه ابتياعه عين من الماء الصافي كالزلال تنبثق في وسط حديقته · وكان كلما زاره بعض اصدقائه اظهر لهم اعجابه بصفاء ذلك الماء ونقاوته وسقاهم منه وشرب هو ما استطاع ان يشرب

ولكن في بعض الايام مرض ابنه فاستدعى احد الاطباء فقال له ان ابنه مريض

بالحمى التيفوئيدية . وبعد يومين مات ابنه المريض ومرضت ابنته ثم زوجته ثم ابن له آخر مرضوا كلهم بالحمى التيفوئيدية . فخطر للطبيب ان يفحص ميكرسكوبياً ذلك الماء الزلال الصافي النقي الذي كانت العائلة تشرب منه . ومن الغرابة ان الطبيب وجد هذا الماء بعد فحصه معششاً بميكروبات الحمى التيفوئيدية

وسبب ذلك انه كان على مسافة ٤ كيلومترات من ذلك القصر قرية صغيرة فشت فيها هذه الحمى . فكان الاهالي الفلاحون يطرحون براز مرضاهم على الارض . ثم جاء الشتاء واذاب ذلك البراز فامتصته الارض مع ماء المطر واتفق ان هذا الماء الذي يحمل جراثيم الحمى التقى تحت سطح الارض بمجرى مياه ذلك النبع فامتزج به وملأه بالجراثيم فانتقلت الحمى الى ذلك النبع بوصل تحت الارض من غير ان يتغير لونه الصافي او يتبدل طعمه

وقد جرت حادثة اخرى مثلها للاستاذ ديكلو مدير معمل باستور في باريز . فان الحمى التيفوئيدية فشت في سنة ١٨٩٧ في مدينة كنتال فبحث الاطباء لمعرفة الطرق التي اتصلت بها جراثيم هذه العلة الى اهاليها فلم يقفوا عليها . وكان الاهالي يشربون من آبار غير عميقة يحفرونها فاخذ الاستاذ ديكلو من مياه هذه الابار وفحصها فوجد فيها كميات كثيرة من الكلس والكلور وكلاهما نفذا الى مياه الآبار مع مياه الامطار التي كانت تذيب على سطح الارض براز الحيوان والانسان فضلاً عما كان يرشح الى تلك الآبار من المرافق . وهذا خطر عظيم يجب الالتفات اليه . وتدل الحادثة الاولى على ان صفاء الماء في الظاهر لا يكون دائماً دليلاً على نقاوته وخلوصه عن الجراثيم المهلكة . والحادثة الثانية على ان الشرب من مياه الينابيع لا يخلو من خطر

ولا بأس ان نشير بهذه المناسبة الى خطر المياه غير النقية . فان اكثر الناس لا يعبأون بصفات المياه التي يشربونها . وقد تكون هذه المياه كدرة عكرة او ذات طعم كريه فيشربونها مع ذلك غير عالمين بما قد ينجم عن ذلك من الخطر . فان المياه اذا لم تكن نقية وجدت فيها ميكروبات وجراثيم مضرة كثيراً ما تكون سبباً للامراض المختلفة كالحمى التيفوئيدية والدفتيريا والانفلونزا والدسنطاريا والهواء الاصفر . وقد وضعنا في هذه النبذة صورة نقطة صغيرة من الماء كما تظهر في الميكرسكوب اذا كان فيها جراثيم الامراض . وهذه الجراثيم مختلفة الاشكال والانواع كما ترى في الرسم

فاهم ما يجب على الانسان لصحته ان ينقي الماء الذي يشربه من كل ما يفسد صحته . ولذلك ثلاث طرق الاولى ان يغلي الماء على النار ويبقيه محجوباً عن الهواء حتى لا تصل



اليه المكروبات منه ثم يبرده من الخارج بثلج يضعه عليه او يتركه في انائه في الهواء مسدوداً ويشرب منه بعد ذلك مطمئن البال . والثانية أن يرشحه برشحات تضبط الكدر والجراثيم وتنزل الماء نقياً صافياً والثالثة ان يمزج الماء بمواد تقتل تلك الميكروبات كالقطران ولذلك يصنعون القطران مع الماء

واحسن هذه الطرق واصدقها واشدها ضبطاً الطريقة الاولى . فلا تشرب الماء الا مغلياً على النار اذا شئت اتقاء كل مرض ولا سيما في ازمنة الامراض الوافدة كالهواء الاصفر والانفلونزا خصوصاً متى دخل احد هذه الامراض الى بيتك

﴿ ميكروبات الامراض في نقطة ماء ﴾

﴿ اكتشاف جديد لمعالجة الانفلونزا ﴾

الانفلونزا او النزلة الصدرية فتكت هذا العام في اوربا فتكاً ذريعاً حتى بلغت وفياتها في بعض المدن ٣٠ و٤٠ شخصاً في كل يوم كأنها وباء من الاوبئة الهائلة وقد وصلت الى مصر فرحت في العاصمة والاسكندرية وطرحت في الفراش الوفاً من الناس ولكن اصاباتها خفيفة والحمد لله

وقد اتتنا جرائد البريد الاخير تحمل اكتشافاً جديداً اكتشفه لشفائها الدكتور بورن الفرنسوي من اعضاء مجلس النواب وقد شفي به حضرات المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية والمسيو والدك روسو رئيس الوزارة والمسيو ديشانل رئيس مجلس النواب الذين اصيبوا كلهم بالنزلة الصدرية . ولم تطل مدة معالجتهم اكثر من ٣ ايام بدواء الدكتور بورن ثم برحتهم النزلة كانها شوكة اقتلعت من جسمهم

وقد قابل هذا الدكتور احد محرري الجرائد فاثبت له انه اكتشف هذا الاكتشاف مستنداً في ذلك الى مبداء تطهير الاقنية الهضمية في جوف الانسان وهي الاقنية التي تعشش فيها مكروبات هذه العلة . ودواؤه عبارة عن مسهل مطهر للفساد يجتاح في طريقه تلك الميكروبات والفضول المتجمعه في جوف الانسان ويخرجها منه دفعة واحدة . وقد روي

انه مؤلف من هذه المواد٦٠ غراماً من ماء ممزوج بالكلوروفورم و٦٠ غراماً من الماء الصرف و٦٠ غراماً من المنازيا و٨ من السالول وواحد من البتول وواحد من الانتيفبرين و٢٤ من شراب زهرة البرتقال تمزج كلها معاً مزجاً جيداً ويؤخذ منها ملعقة في كل ثلث ساعة . هذا في اليوم الاول واما في اليوم الثاني فيؤخذ ١٠ غرامات من المنازيا و٥ من البتول و٢ من السالول و٥٠ من التربين تمزج ويصنع منها ٢٠(برشانه) ثم يؤخذ منها اثنتان في الصباح واثنتان قبل النوم فتذهب النزلة في الحال

اما طريقة اكتشاف الدكتور بورن لدوائه الناجع فهي في غاية الغرابة فانه سار يوماً لمقابلة احد الوزراء فلما وصل الى قاعة الانتظار اقام فيها ينتظر فوجد هنالك حارساً يسعل و يعطس كثيراً فساله ما به فاجابه انه مصاب بالانفلونزا ثم طلب علاجاً فتناول الدكتور بورن قلماً من جيبه وكتب له اول علاج خطر في باله دون ان يفكر في ذلك و بعد يومين عاد الى مقابلة الوزير فخف اليه الحارس شاكراً لانه تناول العلاج فشفي في يوم واحد . فاستغرب الدكتور نفسه هذا الشفاء السريع واخذ يجرب ذلك العلاج بالمصابين بالانفلونزا فكان يشفيهم بسرعة غريبة وقد شفي مئات من زملائه النواب الذين اصيبوا بهذه النزلة وهم الآن يهتمون باهدائه هدية جزاء فضله وتذكاراً لاكتشافه

❋ نصائح للمرّضين والمرضى في المنازل والمستشفيات ❋

❋ للمرضين ❋ اولاً — لا تنفض شيئاً في الغرف . ثانياً — لا تكنس غرفة من غير رش ماء واحسن من الكنس ان تغسلها وتمسحها مسحاً بقطعة نسيج مبتلة بالماء ثالثاً — لا تأكل شيئاً من غير ان تغتسل وعلى الاقل ان تغسل يديك جيداً رابعاً — ابقَ لابساً ثوب التمريض المطهر للمرض كل الوقت ولا تخلعه الا حين خروجك الى الخارج . خامساً طهر كل الامتعة التي يمكنك تطهيرها من غير استثناء سادساً — مراقبة بصاق المريض كل المراقبة وتطهير المباصق تطهيراً دقيقاً . سابعاً — لا تدخن مدة عملك . ثامناً — لا تشرب مسكراً لئلا تغلط مرة في تجريع الدواء او تهمل عملك . تاسعاً — كن بشوشاً ولطيفاً مع المرضى

❋ للمرضى ❋ اولاً — لا تضع في فراشك شيئاً من ملابسك . ثانياً — لا تبصق في مكان آخر غير المباصق الخصوصية التي توضع بجانبك . ثالثاً — استحم كل يوم بالماء واذا كنت لا تستطيع ذلك لضعفك فامسح عنقك وفمك ووجهك و يديك واذنيك رابعاً —

استحم على الاقل مرة في الاسبوع الا اذا منعك الطبيب من الاستحمام . خامساً — لا تدخن في غرفتك . سادساً — لا تقامر مع رفاقك لان المقامرة تهيج دمك وتؤثر في مزاجك سواء ربحت ام خسرت . سابعاً — لا تأكل ابداً من غير اذن الطبيب طعاماً جامداً والاحسن ان لا تأكل شيئاً الا باذنه . ثامناً — لا تدع على مائدتك في غرفتك شيئاً من الطعام ولا شيئاً آخر حرصاً على نقاوة هواء الغرفة

(* الميكروبات والامراض *) الظاهر ان التعاليم الميكروبية آخذة بالضعف بعد استفحال امرها . فقد زعموا انه يحتمل ان ياتي زمن يبرهن فيه العلم على ان الميكروبات سبب كل مرض وضعف والم . ولكن قام الآن عالمان يدعى اولها غليمونات وثانيهما ليفاديتي يبرهنان على ان بعض الامراض الميكروبية تحدث ولا يكون في الجسم اثر للميكروب وبعض الاحيان تدخل الميكروبات الى الجسم ولا يكون اثر للمرض فيه . فتكون التعاليم الميكروبية هي المريضة . لانها لو كانت صحيحة للزم دائماً ان يصحب الميكروب المرض والمرض الميكروب

(* ابقاء ايدي ربات المنازل بيضاء ناعمة *) كل السيدات اللواتي يدبرن شؤون المنزل بايديهن يأسفن جداً لرؤيتهن ايديهن الناعمة البيض تفقد نعومتها ولطفها شيئاً فشيئاً . ولكنا نبشرهن ان حسان اميركا الشمالية قد اكتشفن اكتشافاً يبقي ايديهن بيضاء ناعمة مع كونهن يعملن اكثر اعمال المنزل حتى الطبخ . ذلك انهن بعد فراغهن من شؤونهن البيتية يغسلن ايديهن بدقيق (طحين) الذرة والماء ممزوجاً ببعض نقط من الغليسرين . فتنظف ايديهن اكثر مما تنظف بالصابون وتبقى ناعمة طرية كايدي المتنعمات اللواتي لا يعملن شيئاً . فلتنتبه السيدات الى هذا الدواء البسيط

(* الزكام وجلاء الصوت *) اصيب احد مغني الاوبرا في باريز بزكام فلم يعد يقدر على الغناء . وكان يربي نحلاً في بيته فاتفق انه مدَّ يده الى خلية النحل ليجني شيئاً من العسل فهجمت عليه النحل ولذعته في يديه لذعاً كثيراً فتألم . ولكنه في المساء رأى ان صوته اصبح اكثر جلاء من قبل . فلما درى طبيبه بذلك قال له ان لذع النحل هو الذي ازال بعض زكامه واعاد اليه صوته . ثم شرع الطبيب في تجربة شفاء الزكام وتحسين الصوت بواسطة لذع النحل فنجح وهو الآن يوالي تجاربه

(* نقاوة الهواء *) اثبت الدكتور ميكل ان الهواء يكون نقياً من كل الجراثيم المضرة على علو ٣ الاف متر عن سطح البحر لان الميكروبات المضرة لا تعيش فيه

باب الاسئلة والاجوبة

﴿ عادة المساخر او الكرنفال ﴾

(قنا) م · ح ·

قرأنا في الجرائدة اليومية ان حفلات الكرنفال كانت قليلة في هذا العام فما معنى ذلك

﴿ الجامعة ﴾ معنى المساخر او الكرنفال ستر بعض من النساء والرجال وجوههم ولبس ازياء مختلفة غريبة الشكل ونزولهم الى الاسواق مشاة او في المركبات يعرضون انفسهم للمارة ويتضاربون واياهم بمقارع في ايديهم او بحب الفصوليا او بالحصى على سبيل اللعب والمداعبة

واصل الكلمة الافرنجية كرنفال ولا يعرف لها معنى لان العلماء قد اختلفوا في وضعها واما الكلمة العربية التي اصطلحوا عليها فهي مساخر ويسمونها في بر الشام « لعوبات » ولكن غرضها يختلف عن غرض المساخر وان كانت تشبهها في لبس الوجوه العارية والازياء الغريبة · والمساخر مشتقة من السخرية وهي الهزء والضحك من الشيء لغرابة شكله · وعنها نقلت الكلمة الفرنسوية « مسكراد » ماخوذة من المفرد وهو « مسخرة » · والغريب ان الافرنج قد اخذوا عنا هذه الكلمة الى لغتهم واتخذوها لمعنى الكرنفال في حين انه يوجد بيننا من يمنع تسمية رجال الكرنفال بالمساخر بحجة ان هذه الكلمة لا تدل على معنى الكرنفال · فاعجب للفرق بين اللغات الحية التي تطلب النماء ولو بالاخذ عن كل اللغات واللغات التي تنبذ حتى الكلام الذي يُشتق منها · ·

والمقصود من المساخر مختلف فيه · فقد قيل ان الغرض منها توديع اكل اللحم بدليل انها تكون دائماً سابقة لايام الصوم الكبير عند المسيحيين · ولكن ينقض هذا القول كون التوديع لا يقتضي عادة شهراً بل يكفي فيه اسبوع واحد · والمساخر تدوم اكثر من شهر وفي ايطاليا قد تدوم شهوراً

واعظم المساخر التي تحدث في القطر المصري هي مساخر الاسكندرية فان سكان الثغر

يجتمعون الوفا في ساحة محمد علي في المنشية في الاسبوع الاخير من ايام المساخر للتفرج بروأيتها ويغص شارع شريف باشا مع طوله واتساعه بجماهير الناس ومركبات المساخر بعضها آخذ برقاب بعض ورمي خيوط الورق الزرقاء والرشق بحب اللوبياء والحصى قائمان على قدم وساق والويل لمن يترك وجهه مكشوفاً . كل ذلك في وسط سرور عام شامل جميع السكان على اختلاف طبقاتها واجناسها فكأنه عيد عمومي يعم فيه الفرح ولا يكدر صفوه غير منازعات خصوصية قد تنشأ عن شدة الضرب واحياناً عن الزحام

اما عادة المساخر فماخوذة عن الالعاب الرومانية التي كان الرومانيون يقيمونها في اعياد جوبيتر الههم ويسمونها (ساتورنالية) فان الناس كانوا يلبسون في تلك الاعياد ازياء غريبة ويسترون وجوههم بوجوه عارية . وما زالت هذه العادة عندهم حتى جاءت الديانة المسيحية فتركتها بين ابنائها اذ لم ترَ بها من بأس وهي عادة شائعة في جميع البلاد الاوربية . الا انها على اهمها في ايطاليا ومما يجدر ذكره ان الاسكندرية كما انها مدينة « دولية » اي فيها نزالة من كل دولة من الدول كذلك مساخرها دولية اي فيها من جميع اصناف المساخر التي في العالم من المانية وبلجيكية وايطالية واسبانية وغيرها

ومن المساخر الالمانية التي في الثغر عادة في بافاريا وهي ان يملأ رجال المساخر اكياساً بالرماد معهم ثم يحملونها ويطوفون الشوارع يضربون بها اصدقاءهم ضرباً شديداً على ظهورهم والاصدقاء يضحكون من ذلك لعلمهم ان الضارب صديق وان كانوا لا يرون وجهه غير ان رجال مساخر الثغر يستبدلون اكياس الرماد بالمقارع وبعضهم بالقضبان

ومن العادات الاسبانية في مدريد ان يصنعوا شخصاً ذا سبعة ارجل ويطوفو به الاسبانيون شوارع المدينة منشدين لاعبين ثم يضعونه في غرفة وفي كل اسبوع من الصيام يقطعون رجلاً من ارجله حتى يقطعوا ارجله كلها فيكون قد انقضى الصيام فياخذوا جسمه ويحرقوه في الشوارع فرحين مبتهجين بدخول العيد

وفي جميع بلاد العالم يحدث في ايام المساخر لشدة الزحام وتزيي الناس بغير ازيائهم امور مخلة بالاداب العمومية كثيراً ما توجهت اليها انظار الحكومات الاوربية فمنعت المساخر ثم اعيدت لشدة ارتياح الامم اليها . من ذلك ان الملك شارلمان اراد يوماً ابطال المساخر في مملكته فلم يقدر على ذلك . وقد حاولت احياناً المجالس النيابية ان تمنع لبس الوجوه العارية بقرارات تقررها كما صنع البرلمان الفرنسوي سنة ١٥٠٩ فلم تنجح ايضاً

الشعار

(يافا) احد القراء

رأينا انكم كثيرًا ما تستعملون في رواية نهضة الاسد التي نقرأها بارتياح وشوق كثير كلمة « الشعار » مثل قولكم اجعلوا ورق الشجر شعارًا لكم . فما المقصود من ذلك وما معنى الشعار على الاطلاق

الجامعة — المقصود من قولنا « اجعلوا ورق الشجر شعارًا لكم » ان يتخذوه علامة يَعرف بها بعضهم بعضاً . وذلك بمثابة قولنا فليضع كل منكم ورقة من ورق الشجر تحت قبعته او طربوشه حتى اذا رآها رفاقه عرفوا انه من حزبهم



شعار الملك لويس الرابع عشر

ولا ننكر عليكم ان كلمة شعار في الاصل لا تؤدي هذا المعنى ولكن من رأينا انه يجب التوسع في استعمال الالفاظ والا ضاقت بالكتاب مذاهب الكلام . فان الشعار في اللغة

العلامة في السفر او في الحرب ومنه الحديث انه جعل شعار المسلمين يوم بدر "يا بني عبد الرحمن" ويوم الاحزاب " هم لا يُنصرون " وهو اء نداءٌ في الحرب. ينادي به المحاربون ليعرف به بعضهم بعضاً . وجاء في قواميس اللغة " شعار السلطنة علاماتها " فاذا كان ذلك كذلك لم نرَ مانعاً من تسمية الشيء الذي يتخذه الاحزاب علامة لهم " شعارًا " ولذلك نقول عن جمعية تتالف وتجعل علامتها لبس الطربوش الاحمر مثلاً ان " شعارها الطربوش الاحمر "

وبهذه المناسبة ننشر هنا " شعار " الملك لويس الرابع عشر الفرنسوي وهو علامة ملكه التي كان يرسمها على ملابسه وسائر الاشياء الملكية واصلها في الفرنسوية ARMES

باب الاخبار العلمية

السحر في الزراعة

يروي بعض سريعي التصديق عن الهنود ان بعض براهمتهم يبسطون امامك ترابًا رطبًا ثم يزرعون فيه بزرًا فينبت البزر امامك وينمو ويصبح شجيرة وانت واقف تشاهده على ان هذا الامر اذا كان من الخرافات فهنالك مبدأ حقيقي يشبهه . ونحن نستطيع ان ندلك على كثير من الطرق تستنبت بها النبات في مدة وجيزة

كيف تستنبت ربة البيت خساً في مدة ٤٨ ساعة — من ذلك ان ربة البيت تستطيع ان تزرع بزر الخس وتجني منه خساً " للصلطة " في مدة ٤٨ ساعة فقط . وبيان ذلك انها تأخذ بزر الخس الطري وتنقعه ١٢ ساعة في روح السبيرتو ثم تزرعه في قطعة من الارض ترابها ممزوج بالكلس الناشف وبراز الحمام وتسقيه كثيرًا فينبت البزر سريعاً وينمو ويصبح صالحاً لعمل الصلطة في مدة ٤٨ ساعة على الكثير . ولكن الخس الخارج على هذه الصورة ضعيف يؤثر فيه اقل الامور وربما ذبل من حرارة الشمس او لفح الهواء

كيف تستنبت ربة البيت فجلاً في مدة ٣ ايام — ومن ذلك ان ربة البيت تستطيع ايضاً ان تزرع فجلاً في غير اوان الفجل وتاكل منه في مدة ٣ او ٤ ايام فقط . ذلك ان تاخذ بزرًا طريئاً من بزر الفجل وتنقعه ٢٤ ساعة في الماء ثم تضعه في كيس وتعرضه للشمس

فتنشق البزرة بعد انقضاء ٢٤ ساعة وتاخذ بالنمو · فازرعها حينئذٍ في صندوقة ترابها كثير السماد واسقيها ماء فاترًا (قليل الحرارة) من حين الى حين فلا ينقضي وقت وجيز حتى يصبح هذا الفجل صالحًا للاكل · على ان التعجيل في الاستنبات الزراعي صناعة خصوصية في اوربا يتعيش منها كثيرون وعلى الخصوص في ايام الشتاء · ولما زار قيصر روسيا باريز شاهد اماكن الاستنبات وزُرعت امامه فيها بزور جاء في اليوم الثاني وافتقدها واكل من نتاجها · اما سبب تعجيل النبات بالنمو على هذا الوجه فهو كثرة تغذيته وزيادة حرارته بالوسائط الصناعية

(* نبع من الاسيد كربونيك *) عثر بعض العملة في قرية سودره الالمانية وهم يحفرون بئرًا على نبع من الاسيد كربونيك والغاز فسر صاحب الارض بهذا الكنز

(*التلغراف بلاسلك*) اعلن العالم الكهربائي الشهير نقولا تسلا انه سيتوصل بعد قليل الى مخابرة جميع اقطار العالم من نيويورك بواسطة التلغراف بلا سلك مهما كان البعد ويؤمل انه يستطيع ارسال ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ كلمة في الدقيقة الواحدة

(* بشرة الانسان *) احصى احدهم عدد المسام التي في بشرة الانسان فبلغ مجموعها ٧ ملايين · اي ان في جلد جسمه ٧ ملايين ثقب

(* زمن خروج بني اسرائيل من مصر *) اكتشف المسيو لوره في شهر مايو سنة ١٨٩٨ عشر جثث محنطة في قبر امنوفيس الثاني في مصر · فارتاب في احداها وحسبها جثة امنوفيس الرابع · ولكن المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية اليوم اتى في هذا الشهر بهذه الجثث العشر من الوجه القبلي الى العاصمة وفحصها مع بعض من زملائه العلماء المصريين والاجانب فثبت لهم جميعًا ان الجثة التي حدث الارتياب فيها ليست جثة امنوفيس الرابع ولكنها جثة (منفتاح) الكبير الذى ذهب المؤرخون ان خروج بني اسرائل من مصر كان في ايامه وقد علموا ذلك من قراءة اسمه على جثته كما روى بعضهم · ومعلوم ان الفرعون الذي خرج بنو اسرائيل من مصر على ايامه قد غرق في البحر الاحمر هو وجنوده الذين اقتفوا آثار المصريين فكيف يكون الفرعون قد غرق ثم توجد جثته محنطة · فالارجح ان بني اسرائيل لم يخرجوا من مصر على عهد منفتاح · وهذا الاكتشاف الجديد سيكون له تاثير عظيم لدى المؤرخين وعلماء الاثار

(* اشعة رنتجن والموميا الكاذبة *) لكثرة رغبة مقتني الآثار في اقتناء الجثث المحنطة القديمة اصبح كثيرون يحنطون الاجسام الحديثة و يبيعونها كموميا قديمة باثمان باهظة . ولكن اشعة رنتجن تظهر كذبها وذلك باظهار طراوة العظام في داخلها

(* المصابيح لتطهير هواء المنازل *) وجد الاميركيون ان لبعض المواقد الكهربائية التي اخترعوها خاصة تطهير هواء المنازل سواءٌ كان ذلك بحرارتها او بنورها او بالاوزون الصادر عنها فانهم ما وضعوها في منزل خبيث الرائحة حتى زالت رائحته الخبيثة . فخطر لهم ان يصنعوا مصابيح كهربية يتخذونها للانارة ولتطهير هواء المنازل معاً

(* حتى الكلاب لها هناك مدافن *) قامت مدام دوران مديرة جريدة الفروند الفرنسوية والمسيو بارموى مدير جريدة المحامي يدعوان الى انشاء مدفن للكلاب في باريز . وقد نجحا وجمعا لهذا الغرض ٣٥٠ الف فرنك . والمقصود من عملهم (١) وقاية الصحة العمومية لان الكلاب قد تُلقى في الشوارع او في الخلاء من غير دفن فتنبعث الروائح الكريهة منها (٢) منع ما اعتاده بعضهم من القاء جثثها في نهر السين مما يفسد الماء على شاربيه (٣) مكافأة ذلك الحيوان الامين على امانته للانسان (٤) تسهيل دفن تلك الحيوانات على الاهالي وتوفير نفقات دفنها عليهم

(* جعل الانسان وحشاً *) في الصين صناعة في منتهى الغرابة وهي جعل الانسان وحشاً . وبيانها انهم يسلخون بشرة الانسان قطعة قطعة ويضعون مكانها قطعاً من جلود الوحوش فتلتصق مكانها . ولما يفرغون من استبدال الجلد على هذا الوجه يقطعون الارجل ويجعلونها مساوية للايدي فيصبح الانسان يدب دبيباً على الاربع كانه وحش ضار

(* الاملاح في البحار *) الاملاح ليست متساوية في البحار فان اللتر الواحد من ماء الاوقيانوس الاتلانتيكي يتضمن ٢٥ غراماً من الملح و١٧ جزءًا من الغرام ومن البحر المتوسط يتضمن ٢٧ غراماً و٥٢ جزءًا فيكون ماء البحر المتوسط املح من ماء الاتلانتيكي

(* ما ذا يصيب العالم لو خلا من العصافير *) قال عالم فرنسوي ان العالم لو خلا من العصافير لما استطاع الانسان ان يعيش في الارض اكثر من تسع سنوات بعدها . وسبب ذلك ان العصافير تأكل الحشرات المضرة بالزروع وقد قدّر عدد الحشرات التي تاكلها

العصافير في اليوم فبلغت مئات ملايين حشرة اكثرها مضر بالزرع · وتوصل الى هذا التقدير من فحص معد العصافير فلولا العصافير لتكاثرت الحشرات واكلت كل ما ينبت في الارض من الزرع والانسان لا يستطيع المعيشة من غير زرع مدة ٩ سنوات· فالعصافير اذاً من انصار الزراع لا من اعدائهم

باب التقريظ والانتقاد

❋ المقتطف وانيس الجليس والمنار ❋ يسر مريدي الخير للبلاد الشرقية ان يشاهدوا المجلات المفيدة آخذة في الارتقاء والصحافيون العقلاء يشهدون هذا الارتقاء بعين الرضى علماً بان ارتقاء المجلات المفيدة دليل على ارتقاء اذواق القراء وكثرتهم ومتى كثر القراء كان في ذلك نفع عام لجميع الجرائد والمجلات لا لواحدة دون اخرى

ونحن يسرنا ان نشير هنا الى دخول مجلة المقتطف المفيدة في سنتها الرابعة والعشرين مبرزة في حلبة المعارف وتوسيع نطاقها بزيادة صفحاتها ١٦ صفحة كما انه يسرنا ارتقاء رصيفتنا انيس الجليس المجلة النسائية الجميلة المشهورة بحسن الذوق وخدمة السيدات واجتيازها عقبات الصحافة وكذلك رصيفتنا المنار المصرية الغراء فانها قد دخلت في سنتها الثالثة قائمة في عالم الادب والدين مناراً ساطعاً يبث فيها منشئها الفاضل روحاً زكياً مفيداً· فنهنئهن جميعاً بل نهنئ البلاد الشرقية بحياة مجلاتها المفيدة وارتقائها عاماً فعاماً

❋ تقرير في اصلاح المحاكم الشرعية ❋ اهدى الينا حضرة صديقنا الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء التقرير الشهير الذي وضعه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية · وقد سرنا طبع هذا التقرير المفيد على حدة ليطلع عليه القاصي والداني ممن تعنيهم او تهمهم مباحثه · ونحن نرى ان هذا التقرير لا يكفي ان يُطبع على الاوراق فقط بل يجب ان يُطبع على صفحات القلوب وذلك بتنفيذه والعمل بارشاداته التي لم يُسبق اليها واضعه الحكيم وقد تصفحناه بامعان كثير منذ اخذت الجرائد في نشره فاعجبتنا الحكمة التي املت ما املت على قلم كاتبه

فنثني على حضرة منشيء المنار الذي سهل اقتناء هذا الاثر المفيد وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن جميع المكاتب في العاصمة

﴿ الارج الزاكي ﴾ اهدى الينا حضرة الشاعر المجيد امين افندي خيرالله كتاباً وضعه حديثاً بعنوان « الارج الزاكي في تهانىء غبطة البطريرك الانطاكي » وقد زينه بشيء كثير من شعره الرائق وحلاه برسوم غبطة بطريرك انطاكية للطائفة الارثوذكسية والسادة اساقفة الكرسي مشفوعة بتراجم حياتهم · فنشكر لحضرة المؤلف هديته ونرجو ان ينتفع الادباء بكتابه

﴿ جمعية السلام في نيويورك ﴾ اتانا من نيويورك كراس يتضمن نظام جمعية انشأها السوريون في تلك الاقطار عنوانها « جمعية السلام » وغرضها الحث على التعاون والاتفاق ونزع الانشقاقات المذهبية والمجادلات الدينية العقيمة من بين العثمانيين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم فنحن نثني على غرضها الحميد وسعيها المشكور في سبيل الاتحاد ونرجو لها النجاح والثبات في هذه الخطة الجليلة

تاريخ الاسبوعين

اقتراح على الشعراء

﴿ وجائزة ﴾

تشغل مسالة هبوط مياه النيل في مصر افكار الحكام والزراع والتجار وهم الاكثرية الكبرى في القطر · فرأينا ان نشغل بها ايضاً افكار الشعراء باقتراح نقترحه عليهم

وهذا الاقتراح هو نظم قصيدة في موضوع فيضان النيل ونسبته الى مصر ونسبة مصر اليه · وقد اذكرنا هذا الامر قصيدة فرنسوية عثرنا عليها بهذا المعنى ولا بأس من تلخيص شيء منها ليكون مثالاً للقصيدة المطلوب نظمها قال الشاعر الفرنسوي

***

« يا ايها النيل المبارك ابو مصر وواهبها الحياة ما لك غضبتَ هذه السنة على ابنتك

ومنعت عنها مواهبك . ألأن الانسان دنس مياهك الطاهرة بدم اخيه الانسان (اشارة الى حرب الدراويش) ام لانك ترى خيراتك تُصب في جيوب الاجانب لا في جيوب ابنائك ... ان عشرة ملايين نفس تسأل عن صعودك وهبوطك في كل صباح ومساء ووراء هذه الملايين القريبة ملايين بعيدة من الزراع والتجار في الاقطار النائية تنتظر اخبارك . فهل اكرمك الاقدمون الذين كانوا يعبدونك باعتناء احسن من هذا الاعتناء ... اذا صعدتَ ايها النيل المبارك هبطتْ البورصة واذا هبطتَ صعدتْ كأنك في كفة ميزان والبورصة في كفة ثانية ... كم يحدث باسمك من السرقات البورصية التي يسمونها مضاربات ... ما تريد لترضى وتعود الى الصعود ازكاة ام صلاة استسقاء ام ازالة سدود من طريقك في اعاليك ام ضحايا بشرية كالماضي ... هل قلَّت مياهك لان جزءاً منها صار يجري الى الجنوب بدل الشمال ليغسل الدماء التي تجري الآن في الجهات الجنوبية (اشارة الى حرب الترانسفال) ... اصعد وردَّ الحياة الى ابنائك الزراع فانهم يرصدونك بقلق ووجل .. وان كنت تأبى في هذا العام الا الهبوط فعجل بالصعود في العام الآتي فان ملايين الناس بانتظارك »

***

بهذا المعنى وبما يشبهه من الفوائد التاريخية والتصورات الجميلة نقترح على شعرائنا المجيدين نظم قصيدة لا تكون ابياتها اكثر من ٥٠ بيتاً ولا اقل من ٣٠ بيتاً . والشاعر الذي يحوز قصب السبق تمنحه ادارة الجامعة الجائزة الاتية

خمسون نسخة من رواية البرج الهائل المذكورة في مقالة التمثيل في هذا الجزء وثمن النسخة ٥ غروش صاغ — كتاب الحكمة الشرعية لفيلسوف الاسلام الامام الغزالي وهو جزءان ثمنها ٢٠ غرشاً — السنة الاولى من الجامعة مجلدة تجليداً حسناً والسنة الثانية وثمنها لمصر ١٠٠ غرش — فيكون قدر الجائزة المعينة للقصيدة ٣٧٠ غرشاً مصرياً

ونقبل القصائد الى ما بعد شهرين من تاريخ هذا الجزء ولذلك فاننا سننشر القصيدة التي تنال الجائزة في الجزء الذي يصدر في اول يونيو اما القصائد الاخرى فاننا نلخص بعضها اذا تضمنت فوائد تاريخية او تصورات جميلة ونؤمل من شعرائنا في مصر والشام وسائر البلاد العربية ان يُجروا جياد قرائحهم في هذا المضمار لما في ذلك من الفائدة

نوجه انظار حضرات المشتركين الى اعلان عن انتهاء سنة الجامعة على ظهر المجلة

﴿ الجناب الخديوي ﴾ سافر الجناب الخديوي المعظم الى حدود طرابلس الغرب ترويحاً للنفس من عناء الملك والتماساً لهواء الخلاء ويعود سموه من سياحته في يوم الاربعاء ٧ الجاري فندعو لجنابه الفخيم بدوام العافية والهناء

حرب الترانسفال

— مضارها ومنافعها —

دار دولاب الدهر والدهر قلب · فبعد ان كان البوير فائزين غانمين في جهات اورانج وجهات ناتال حول كمبرلي ولادسميث اصبحوا الآن مغلوبين مقهورين

فقد هاجم الجنرال روبرتس بجيش عدده أكثر من ٤٠ الف محارب مدينة كمبرلي التي يحصرها الجنرال كرونجه البويري ومعه ٤ الاف جندي فقط فارتد الجنرال كرونجه عنها بازاء كثرة عدد عدوه فطارده الجنرال روبرتس واللورد كتشنر الى نهر بارديبرج فبقي الجنرال كرونجه يدافع بجيشه الصغير ذلك الجيش العرمرم اياماً طويلة واوربا كلها تصفق طرباً لبسالته وحسن دفاعه · ثم اضطر الى التسليم لحصر الجيش الانكليزي اياه من كل جانب فسلم هو وجنوده تسليم الابطال وارسل الى كاب تون بحراسة قائد انكليزي · وارسل جنوده الاسرى اليها ايضاً جماعات جماعات

ولما رأى البوير فشلهم رجعوا عن لادسميت فدخلها الجنرال بولر بلا حرب ولا قتال فساد السرور والفرح في انكلترا كلها اذ قُرعت الاجراس واطلقت الاسهم النارية واقيمت الزينات فرحاً وابتهاجاً بخلاص كمبرلي ولادسميث · ويرجح الآن ان البوير بعد انسحابهم يلتزمون خطة الدفاع عن بلادهم ويتركون خطة الهجوم وقد بلغ عدد الجيش الانكليزي في ساحة القتال اكثر من ٢٠٠ الف محارب اما البوير فالارجح ان عددهم لا يتجاوز الستين الفاً

***

وقد بسطنا في الجزء السابق اسباب انتصار البوير على الانكليز في الاشهر الماضية ونحن الآن نذكر مضار هذه الحرب ومنافعها

مضارها

اما مضارها فكثيرة اهمها ستة وهي

١ هجوم شعب قوي على شعب صغير ودوس الحق بقدم القوة جهاراً امام جميع

الدول من غير ان تعارض احداهن في ذلك وهي جناية سياسية اشتركت فيها الدول كلها ومجرد حدوث هذه الجناية مغرٍ لباقي الشعوب القوية بالعدوان على الشعوب الضعيفة وباعث للشعوب الضعيفة على الخوف منذ الآن فصاعداً على انفسهن من الشعوب القوية اذ لم يبق لهن من يضمن سلامتهن وحريتهن

٢ سفك الدماء البريئة وقد بلغ عدد القتلى من الفريقين منذ بداية الحرب الى اول الشهر الجاري اكثرمن ١٢٠٠٠ قتيل اي ان اكثر من اثني عشر الف عيلة ما عدا قد لبست اثواب الحداد

٣ بوار التجارة والصناعة والزراعة وغلاء حاجيات المعيشة

٤ اضطراب العلائق الدولية اضطراباً يخشى ان يثير حرباً عمومية

٥ اثبات ان حياة الامم يتلاعب بها الماليون كسسل رودس وانصاره

٦ اظهار ان الانسان لا يزال في القرن التاسع عشر اميل الى الحيوانية منه الى الانسانية ولا سيما بعد موءتمر السلام الذي انعقد في لاهاي

منافعها

هذه اهم مضارها على وجه الاجمال اما منافعها فنحصرها في ثمانية امور متى اطلع عليها القارئ ذهب استغرابه من قولنا ان لهذه الحرب منافع وهذه الامور الثمانية هي

١ معرفة انكلترا قلة اسلحتها وضعف جيشها البري وقيامها الى اصلاحه وتنظيمه فتكون خبرتها في هذه الحرب قد نفعتها نفعاً عظيماً مهما خسرت من الاموال ومهج الرجال

٢ قلة الجنايات في انكلترا. فقد اثبت القضاة الانكليز ان الجنايات قلت في المحاكم الانكليزية لان كثيرين من الاشرار والرعاع ذهبوا الى الحرب فضلاً عن انصراف افكار الامة كلها الى اخبار الحرب

٣ تعليم العالم كيف يكون الانتصار وكيف يُحتمل الانكسار فان البوير علموا الناس كيف يدافعون عن حريتهم والانكليز علموا الناس بصبرهم وعظمتهم كيف يحتملون مصائبهم

٤ اظهار ما تستطيعه فئة صغيرة اذا كانت متحدة ونفوسها ملتهبة بنار الدين والحق والوطنية

٥ معرفة الانكليز كراهة كل الامم لهم لان كل الامم تظاهرت ضدهم الا الامة اليونانية . ولا ريب ان ذلك لشدة اثرتهم فاذا كانوا عقلاء وجب ان يخففوا اثرتهم بعد الآن لا ان يبقوا « فريسيي » اوربا كما قال المستر ستيد مدير مجلة المجلات

٦ اختبار رجال الحرب اختبارات جديدة

٧ ربح اصحاب المعامل الحربية ... وعلى الخصوص اخوة المستر تشمبرلن وهم من اصحاب هذه المعامل

المنفعة الثامنة لم تظهر بعد وهي ان تتداخل الدول في الحرب وتمنع القوي من دوس الضعيف فتبرهن بذلك للشعوب الصغيرة على ان حريتها محفوظة وان الحق لا يموت في هذا العالم

ولكن هل لدى الدول من الشجاعة الادبية وحب الحق والانسانية ما يبعثها على الاتحاد ونبذ مصالحهن الخصوصية لعمل هذا العمل العظيم

« السياسة بلا قلب » كما يقول السياسيون ومن لم يكن ذا قلب فلا تطلب منه ان يكون شفوقاً حنوناً . ولكن هل يدري السياسيون ان السياسة التي « بلا عقل » قد تكون اعقل واخف جناية من السياسة التي « بلا قلب »

﴿ الجنود السودانية في السودان ﴾ دوى في القطر في اوائل الشهر الماضي خبر عظيم فحواه ان الجنود السودانية شقت عصا الطاعة على رؤسائها في السودان . وقد امر الجناب الخديوي باجراء تحقيق في هذا الشان فتألف مجلس حربي وبعد التحقيق حكم على سبعة ضباط احكاماً تختلف بين الطرد والتاديب وانزال الرتبة وقد ارسل المحكوم عليهم الى القاهرة

خاتمة السنة الأولى

نختتم السنة الاولى للجامعة بحمد الله تعالى على ما اسبغ من نعمه ثم نقدم الشكر لحضرات وكلائنا ومشتركينا وجميع الاصدقاء الذين اخذوا بيدنا وشدوا ازر الجامعة فابلغوها بفضلهم في زمن يسير مبلغاً لم تعتد الصحافة في الشرق ان تبلغه الا في سنوات واعوام . وما كنا حين اقدامنا على انشائها نتوقع لها ما نالته من الحظوى في اعين قرائها لاننا نعرف القصور والتقصير في انفسنا ولكن افاضل الناس نظروا اليها بعين الرضى

وعين الرضى عن كل عيب كايلة   كما ان عين السخط تبدي المساويا

وستتابع الجامعة السير نحو الغرض الجليل الذي نصبته امامها من الدعوة الى الاصلاحات الاجتماعية وجمع الكلمة وغسل القلوب والتعاون على الخير وحمل لواء التربية والتعليم في صفوف المجاهدين في خدمة البلاد الشرقية فان هذه الامور انفع الآن للشرق من ترجمة الفصول العلمية والتاريخية وارفع شأناً منها · ويسرنا ان قراء اللغة العربية قد قدروا سعيها قدره فاقبلوا عليها اقبالاً استنفد اعداد السنة الاولى كلها واضطرنا الى مضاعفة المطبوع منها في السنة الثانية

هذا من جهة القراء · وما كان ذلك ليسرنا فقط لولا التاثير الحسن الذي نراه يبدو بين قرائها · فان اكثرهم يظهرون لنا في رسائل خصوصية ارتياحهم الى ما نكتبه ولا سيما في باب التربية والتعليم و يستزيدوننا منه وعلى الخصوص فيما يختص بالمسائل النسائية وذلك يدلنا على ان الجامعه قد سدَّت فراغاً كان في الصحافة الشرقية · وهذا اعظم شرف يتسنى للصحافيين بلوغه

فنحن اذاً راضون عن قرائنا الكرام من كل وجه ونؤمل منهم دوام ثقتهم ومساعدتهم لناحتى نستطيع القيام بالوظيفة التي انتدبنا انفسنا لها والله نسأل ان يوفقنا واياهم الى سواء السبيل

❋ السنة الثانية للجامعة ❋

وقد اشرنا في بعض الاجزاء الماضية الى عزمنا على تحسين الجامعة وتوسيع مباحثها زيادة في الفائدة والآن نقول اننا سنجعل ترتيب الجامعة وورقها في السنة الثانية احسن مما كان في السنة الاولى اتباعاً لسنة الارتقاء ونفتح ابواباً اربعة جديدة فيها فتصبح ابواب الجامعة كما يلي

الابواب الموجودة

مشاهير المتقدمين والمتاخرين — باب المقالات — باب التربية والتعليم وهو اهم ابواب المجلة — باب تدبير الصحة — باب الاسئلة والاجوبة — باب الاخبار العلمية — نشر صفحات مطوية — صدى المجلات — باب التقريظ والانتقاد — تاريخ الاسبوعين — غذاء المعد القوية والضعيفة

وسنجتهد في السنة الثانية بجعل كل عدد من الجامعة حاوياً جميع ابواب المجلة

الابواب الجديدة

هذه الابواب القديمة · اما الابواب الجديدة التي سنفتحها من اول السنة الثانية فهي باب الزراعة — فانه لاهمية المسائل الزراعية في مصر والشام راينا ان نفتح لها باباً

ننقل فيه فصولاً وشذرات زراعية عن اهم المجلات الزراعيه ونودعه الاكتشافات الزراعية الحديثة وما يتحفنا به بعض الزراع من الآراء والملاحظات المفيدة

اخلاق وعادات — وهو باب لانتقاد الاخلاق والعادات الشرقية من ادبية واجتماعية بين الرجال والنساء وسنضمنه ابحاثاً لطيفة مفيدة نوجه اليها الانظار سلفاً

استشارات طبية ـ وبما انه قد تكاثرت علينا سؤالات صحية يبعث بها الينا حضرات المشتركين لعرضها على طبيب الجامعة فقد راينا ان نفتح باباً مخصوصاً لها يجيب فيه طبيب الجامعة عليها كلها خدمة للسائلين الا اننا نشترط ان يكون السائل مشتركاً وليس غرضنا من هذا الشرط الا عدم توسيع نطاق هذا الباب

شؤون نسائية وبيتية وهو باب ننشر فيه المباحث التي تتعلق بالنساء وتدبير المنزل مثل المباحث في الزواج والعائلة والاقتصاد وترتيب المنزل وفيه تُنشر فصول «مدبرة الجامعة»

رسوم الجامعة — ولما كان طابع الجامعة لم يحسن الى الان طبع رسومها فقد رأينا استبداله بمن يحسن ذلك جيداً ولذلك فتكون الرسوم الآتية في غاية الاتقان

كل ذلك ونبقي بدل الاشتراك كما هو ونعد القراء مرة ثانية انهم كلما زادوا الجامعة اقبالاً زادتهم تحسيناً وان تكن قد بلغت في عام واحد ما لم يبلغه غيرها في اعوام طوال ولم تبقَ زيادة لمستزيد

فهرس السنة الاولى
وتتمة الرواية

يصل الى حضرات المشتركين مع الجزء الاول من السنة الثانية فهرس مواد السنة الاولى للجامعة الذي هو الآن تحت الطبع وكذلك تتمة الجزء الاول من رواية نهضة الاسد ويليه الجزء الثاني

❊ وكيل الجامعة في الولايات المتحدة والبرازيل ❊

نرجو من حضرات المشتركين في الولايات المتحدة اعتماد حضرة صديقنا نعمه افندي تادرس في نيويورك وكيلاً للجامعة مطلقاً في جميع شؤونها في الولايات المتحدة · ونرجو من حضرات المشتركين في البرازيل اعتماد حضرة صديقنا زاهي افندي سمعان في ريوجنيرو وكيلاً للجامعة مطلقاً في جميع شؤونها في البرازيل ومامولنا من الذين لم يدفعوا منهم ومن باقي المشتركين في باقي الاقطار الاميركية بدلات الاشتراك الى الآن ان يقدموها الينا عن يديهما ولهم الفضل وجزيل الشكر

❊ صاحبا الجامعة · منشئها فرح انطون ومديرها مخائيل كرم ❊

قال بالعكس فانني عرفت من كلامها امرًا مهمًا جدًا ولكني لا اخفي عنك انني ما عرفت كل شيء بعدُ غير ان جيلبار اصبح طبيبي وغدًا يقصُّ عليَّ كل قصته مع الكونتس

فصاحت الملكة . كيف اصبح جيلبار طبيبك . وكيف تستامن هذا الرجل حياتك

فقال لا تعارضيني في هذا فانك لا تستطيعين تغيير عزمي لانني قرأت في عيني هذا الرجل اخلاصه وامانته . اما حادثته مع الكونتس فالظاهر انها مهمة جدًا

فحاولت الملكة صرفه عن هذا الحديث فقالت ما لنا ولحادثته معها . فقال الملك واؤكد لك ان الكونتس من حسن حظها ان لم يسمعها احد سواي وهي نائمة

فضاقت الملكة ذرعًا بهذا الكلام الذي كانت تسمعه اندري من الغرفة التي كانت مختبأة فيها فقالت للملك ارجو من جلالتك ترك هذا الحديث . فقال الملك ضاحكاً الظاهر انك قد سئمت الحديث معي فانا اودعك الآن واهنئك بحبك السلامة . عمي مساء ياماري . ونامي نوماً هادئاً

قال هذا ومدَّ يده اليها مبتسماً لحيته وحياها ثم خرج وسار الى غرفته

ولم يخرج الملك وينغلق الباب وراءه حتى فُتح باب الغرفة التي كانت اندري مختبئة فيها وخرجت اندري مضطربة هائجة صفراء اللون كانها من الاموات لا من الاحياء . فسارت توًا الى الباب الذي خرج منه الملك فاقفلته كلمح البصر ثم تقدمت من النوافذ فاسدلت الستائر عليها وهجمت بعد ذلك على قدمي الملكة جاثية باضطراب وهياج شديد وصارخة

— . مولاتي انقذيني انقذيني فاطلعك على كل شيء

تمَّ الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وهو يُنشر الآن

ذيلاً لمجلة الجامعة

انه باسل وكريم فانه نذل واذا كنتُ قد اسفت لهدم الشعب الباستيل فانما اسفت لانني اصبحت لا استطيع ان اضعه فيه . فقال الملك ولكن لو وضعتِ فيليب دورليان في الباستيل هل تعلمين ما كان قد اصابنا . قالت ماذا . قال كان الشعب اخرجه من الباستيل ووضعه مكاننا ووضعنا مكانه

فصاحت الملكه مستغربة . فقال الملك لا تستغربي يا ماري ما اقول فقالت الملكة وهي تحرق الارم . نعم نعم ما كان اجدره بالباستيل . فقال الملك نعم قد يكون جديرًا به لان الباستيل كان سجن العقلاء

فاجفلت الملكة وصاحت بالملك انت تقول هذا الكلام . قال نعم انا اقول هذا . ان الباستيل كان سجن العلماء والفلاسفة والكتاب وطالبي الاصلاح وهم جمهور العقلاء . وبرهانًا على كلامي اقول لك انني من منذ نحو ساعة رأيت رجلاً عاقلاً خارجًا من الباستيل

فسألته الملكة ومن هو هذا العاقل . فقال الملك رجل يدعى الدكتور جيلبار

فاجفلت الملكة لهذا الاسم وسالتــه هل هو الرجل الذي قابلتــه اليوم الكونتس دي شارني . فاجاب الملك اصبت ومن اين علمت هذا . على انني كنت اود لو حضرت مقابلته لها لانني اعلم انك تحبين مشاهدة ما جرى بينهما

فنظرت الملكة الى الغرفة التي كانت اندري مختبئة بها وقالت قلما يهمني ذلك . قال بل اعرف انه يهمك كثيرًا لانك تحبين التنويم المغنطيسي ودليلي على ذلك انك تخفيت يومًا وزرت مسمر فنوّمك

فاحمرت وجنتا الملكة وحولت نظرها عن الملك . فقال ارأيت انني لا اجهل شيئًا واني اعرف كل شيء . وقد لامتك يومئذٍ الجرائد اما انا فغضيت الطرف عن عملك اكرامًا لك . ولكن الدكتور جيلبار يفوق مسمر مهارة يا ماري . فان طريقة مسمر في التنويم كانت صعبة لانه يضع الانسان حول اناء كبير من الخشب ويمسه بقضيب فولاذ ويتخذ وسائل كثيرة في طريقته واما جيلبار فطريقته سهلة جدًا وهي ان يرفع يده ويدنيها من المرأة فتسقط وتنام في الحال . وحينما تنام تتكلم

فدخل الخوف قلب الملكة فقالت كيف تتكلم . قال نعم تتكلم بالرغم عنها وتقول امورًا غريبة عجيبة . وليتك شهدت اليوم المشهد الذي كان بين جيلبار والكونتس فان الكونتس نامت وقالت امورًا مدهشة

فنظرت الملكة مرة ثانية الى باب الغرفة وقالت لا اظن في الامر اهمية كبرى .

وكذلك المسيو بالي فانني لو انشأت الآن وزارة تدعى وزارة الفنون واسندتها اليه لاصبح اطوع لي من كلبي ايضاً

فهزت الملكة راسها . فقال الملك تهزين رأسك ولكنك تجهلين مثلاً كان يقوله جدي هنري الرابع . قالت وما هو قال « هو ان الذبان لا تؤخذ بالخل » اي انها لا تقع على الخل بل على العسل

فقالت الملكة بشيء من الكبرياء اما انا فلا ارى ما تقوله منطبقاً على العظمة الملكية

فضحك الملك وقال انني لا ارى في الدنيا كلها احداً تعظمتك الملكية ياماري ومع ذلك فانني لا اجد لهذه العظمة التاثير الواجب

فعضت الملكة على شفتها وقالت قد فهمت ما اردت جلالتك بهذا الكلام انك تريد ان الشعب يكرهني مع عظمتي ومهابتي

قال ما قلت ان الشعب يكرهك ولكنك لو دخلت الى الباستيل الذي فتحه الشعب اليوم لوجدت فيه غرفة ملأى بالكتب التي كتبت بالطعن عليك . بل ما لنا وللكتب القديمة هوذا في جيبي الآن كراس بشانك

ففتحت الملكة عينيها وصاحت بشاني ؟ وماذا يوجد في هذا الكراس اورني اياه . فقال الملك لا استطيع ذلك لان فيه رسوماً قبيحة لا يجدر بك ان تشاهديها

فرفست الملكة الارض برجلها وصاحت ملء فمها هل لم تبحث الى الآن عن ذلك اللئيم صاحب هذا الكراس فقال الملك برزانة وهدوء ولكنك لا تجهلين ياماري ان رجال بوليسي قد ابيضت شعورهم كلهم في البحث عن مثل هذه الامور . وهذا وصل من صاحب الكراس بقيمة ٢٢ الف و٥٠٠ ذهب قبضها ليسكت ويسلمنا كراسه . لانه قد نشره خارج فرنسا وليس لنا اليه في الخارج وصول . وهبي اننا اردنا اذيته وطلبناه . فاننا في بدء الامر نتصور الطاعن فينا القاذف علينا رجلاً قوي النفس كبيراً فطلبه لنسحقه فنجده حشرة صغيرة بل نملة قذرة ضعيفة نانف ان نمد يدنا اليها . ونرى حينئذ ان الاوفق لنا ترك هذه الحشرة وشانها تتمرغ بالاوحال التي نزلت فيها

فقالت الملكة غضبى اذا بلغت من الضعف الى حد اصبحت عنده لا تعاقب الائمة الطاعنين فلماذا لا تعاقب الذين يحثونهم على الطعن . فقال الملك ومن تعنين . قالت اعني فيليب دورليان سبب كل هذه الشرور

فاجاب الملك لا تتهمي فيليب فانه رجل باسل كريم . فقالت الملكة لا تقل بعيشك

فقالت الملكة فهمت الآن انك تخاف الشعب كما يخاف الكاب سيده · فقال الملك كلا وانما كما يخاف السيد كابه · وكم من سيد يجامل كابه ويلاطفه ليأمن شره · خذي مثالاً لذلك ميرابو (١) فقطعت الملكة عليه الكلام قائلة · نعم نعم قل لي شيئاً عن هذا الوحش الضاري · فقال الملك لو انني الاطفه قليلاً واضع في يده ٥٠ الف ذهب في كل شهر لكان يصبح لي اطوع من كابي · ولكنك تجبرينني على ان اؤخر ذلك واؤكد لك انه في السنة القادمة يقتضي اسكاته نصف مليون ذهب في الشهر بدلاً من الخمسين الفا ·

سلطة · ولهذا الكاتب كتب اخرى في غاية الاهمية منها كتابه المسمى « اميل » وموضوعه التربية وهو من احسن ما قيل في التربية حتى سماه الكتاب انجيل التربية · ومنها كتاب « هيلو بيز الجديدة » وهو يتضمن رسائل مختلفة المواضيع في غاية البلاغة · وقد ولد هذا الكاتب في جنيف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٧٨ وعاش مضطهداً لانه كان غريب الافكار والاطوار · ومن غريب اطواره انه كتب تاريخ حياته في مجلدين سماها « اعتراف جان جاك روسو » وقد اودعها كل تفاصيل حياته من الحسنات والسيئات حتى انه اودعها اموراً شائنة لا ينبغي ان تسطر في الاوراق · ولكنه آثر فضيحة نفسه على الرياء وكتمان شيء من تاريخ حياته · وقال في مقدمة هذا الكتاب الغريب « انني سانقدم غداً من عرش الذات الاعظم وفي يدي هذا الكتاب فاطرحه لديه واقول له هكذا انت صنعتني »

ويضعون روسو في مرتبة فولتير من حيث انكار الوحي · وهذان الفيلسوفان مبغوضان جداً الى جميع رجال الدين في جميع اقطار الارض حتى ان ذكرها ليرجف ابدان بعضهم · وقد كان لهذين الفيلسوفين تاثير عظيم على الافكار قبل الثورة حتي انه قيل انهما هما اللذان اعدا سبيلها · وبالنظر لما لهما من الاهمية ينبغي ان نفرد في الجامعة لترجمة كل منهما فصلاً مخصوصاً لذلك نقتصر هنا عن الاسهاب

(١) ميرابو — هو الكونت دي ميرابو ذيوستين فرنسا واخطب خطبائها · كان خطيب الثورة الفرنسوية ومذكي نارها لانه كان ذا تاثير عظيم على الافكار · ولا نصف هنا شيئاً من اعماله لان ترجمته سترد بالتفصيل مع رسمه في خلال الحوادث العظيمة التالية ولا سيما خطبه البليغة في المجمع الوطني · ولد في بينيون سنة ١٧٤٩ وتوفي في باريز سنة ١٨٩١ وكانت وفاته ابان انفجار بركان الثورة الفرنسوية الذي فجرته بلاغته · وتفاصيل حياة هذا الرجل مع تفاصيل موته من اهم الامور التي سترد معنا في تتمة هذه الرواية

سوء الحال الذي وصلنا اليه · فانهم استنزفوا خزانة الدوله بما كانوا يقبضونه من الملايين في حين ان الشعب كان في المدن والقرى يموت جوعاً

فقالت الملكة غضبي لم يعد مكان للامتنان لانهم سيهجرون فرنسا قريباً خوفاً من الحوادث الحاضرة · فقال الملك فليرحلوا بحراسة الله لنتخلص منهم · زوديهم سلامي واذا كانوا يحتاجون نفقة للسفر فانني اقدمها لهم بطيبة خاطر · ان كل الذين يحيطون بك من عائلة بولينياك فنازلاً قوم لا شهامة لديهم فيجب الفرار منهم · ولست اعلم في حاشيتك احداً من الافاضل الكرام غير ذلك الشهم الكونت دي شارني

فاحمر هنا وجه الملكة وحوّلت وجهها عن الملك ثم قالت تفضل جلالتك بالجلوس فقد اتعبك الوقوف

فقال نعم اتعبني الوقوف ويتعبني بالخصوص بعد العشاء · وانني اضحك كلما افتكرت بان الذين شاهدوني اتعشى يقولون الآن انني مستريح في فراشي لهضم غذائي · ولكن انظري راحتي · راحتي الآن انني لا استطيع النوم لاشتغال خاطري · وفكري قلق على شعبي · فآه ياماري انني الآن اكفر عن ذنوبي

فقالت الملكة مستغربة ما هذه الذنوب التي تكفر عنها

فقال الملك بحدة اكفر عن الذنوب الماضية فان الاباء يا كلون الحصرم والابناء يضرسون · اكفر عن مدام بومبادور · اكفر عن مدام دي باري · اكفر عن جميع الفظائع والرذائل التي ارتكبها البلاط الفرنسوي منذ قرون وقرون · آه كم انا نادم لانني تساهلت واذنت بصنع ما كانت تكرهه نفسي · فانني كم سجنت من الفلاسفة والكتاب والعلماء دون ان افطن الى خطاءي ولو فطنت اليه واتخذتهم انصاراً لي بدلاً من ان اتخذهم اعداء لكانوا فخراً لملكي ومجداً لعهدي · خذي مثالاً لذلك جان جاك روسو هذا الوحش الاسود الذي كان لا يعبأ بشيء ولا يرهبه شيء · فانني نظرته في ذات يوم في تريانون وثوبه مغبر ولحيته طويلة من الاهمال فلو دنوت منه حينئذٍ ورفعت ردائي عن كتفي ووضعته على كتفيه ثم قلت هلم بنا ياروسو نتنزه قليلاً في احراش فيلدافراي

فقالت الملكة مستفهمة باستغراب ولو كنت قلت له ذلك ؟

فقال الملك لوقلت له ذلك لما كتب كتابه « الميثاق الاجتماعي » (١)

---

(١) روسو — الميثاق الاجتماعي او الكونترا سوسيال كتاب لجان جاك روسو الكاتب والفيلسوف الفرنسوي الشهير · وموضوعه اثبات السلطة للشعب وان سلطته فوق كل

فضحك لويس وقال انت تعنين عن عجز اما انا فاعف ياماري عن عقل . قالت وماذا تريد بهذا الكلام . قال اريد به انني اكره ان احارب شعبي وعلى الخصوص لانني اجده محقاً في هياجه

فرفعت ماري انطوانت راسها بكبرياء عظيمة وصاحت ملء فمها . تقول ان الشعب محق في هياجه . قال نعم اقول ذلك . قالت تقول ان الشعب محق في تمرده واقدامه على الحرق والقتل . قال اقول انه محق في هياجه ياماري لانه مظلوم ومهضوم فقالت مستهزئة ما احلى هذه الافكار . قال ولكنها افكاري ولا اغيرها . قالت افكارك بعد غذاء ثقيل قال رجعنا الى مسالة الغذاء . انا اعلم انك تلومينني دائماً على كثرة الاكل ولكن ذلك ليس بيدي اذ قد ورثته عن اجدادي فان لويس الخامس عشر كان كثير الاكل وكذلك هنري الرابع ولويس الرابع عشر ولا اجهل ان كثير الاكل لا يرضيك بل تختارين ان يكون غذائي التامل والشعر والتصور ولكن ما العمل بهذا الجسم الكبير الذي يحملني فانه لا قوام له الا بالاكل الكثير واذا كانت كثرة اكلي حاجة لا بد منها فيجب ان تعذريني عليها وان كانت عيباً فينبغي ان تغضي عنه

فقالت ولكنني لا اباحث جلالتك في هذا الامر ولكن في مسالة الشعب . فقال تريدين ان تقولي ان الشعب محقوق فيما صنع ولكن هذا القول خطأ ظاهر ياماري . ماذا تريدين ان يصنع الشعب اذا كان لم يرَ في عهدنا نهاراً ابيض يسره طلوع شمسه عليه فان من جميع الوزراء الذين تولوا شانه لم يهتم به منهم احد غير اثنين وهما تيرغو ونا كار ولكن رجالك ومقربيك اضطروني الى عزلهما . فاثار الشعب من اجل الاول فتنة وها هو الآن يثير ثورة عظيمة من اجل الثاني . اما باقي الوزراء فقد كانوا يلعبون بمصالحه لعباً وما كان همهم الا اشباع بطونهم وارضاء البلاط سواء عاش الشعب ام مات ولنضع انفسنا نحن مكان الشعب . لنفترض ان اناساً يعتدون علينا فيستنزفون اموالنا و ينفقونها في ملاذهم واهوائهم دون ان يسالوا عن راحتنا وحياتنا واعراضنا . لنفترض ان خرفانهم ترعى زرعنا وكلابهم تاكل دجاجنا . وثيرانهم تتلف محصولاتنا . وجباتهم تاخذ اموالنا . وشبانهم يعتدون على نسائنا وبناتنا وحكومتهم تاخذ للحرب ابنائنا — لنفترض ذلك فهل تحسبين اننا لانثور عليهم لندفع الشر عنا ونلتمس مخرجاً من ضيقنا

فقالت الملكة باستهزاء يسرني جداً ان اسمع هذا الكلام من فم جلالتك . فقال ولكني انا يسوءني ان اقوله . ويسوءني ان اقول ايضاً ان المقربين منك هم من اكبر اسباب

المقتضب الذي دار بينهما انهما عدوتان وصديقتان معًا . فانه كان يعلم من حذر احداهما الاخرى وعدم استسلامها اليها انهما عدوتان وكان يعلم من انعطاف الملكة على اندري واحترام اندري الملكة احترامًا حقيقيًا ظاهرًا في كلامها وحركاتها انهما صديقتان

ولما سالت اندري الملكة الاذن بالذهاب اذنت لها فقامت اندري متثاقلة واتجهت صوب الباب ووضعت يدها عليه لفتحه

ولكن قبل فتح الباب سمعت وراءه صوتًا جهوريًا علمت انه صوت الملك يصدر امرًا الى الخدم وهو قادم لمقابلة الملكة

فجرى الدم باردًا في عروق اندري ورجعت القهقرى بخوف صائحة الملك الملك يامولاتي . فقالت الملكة مدهوشة واية غرابة في ان ياتي الملك يا كونتس . فصاحت اندري مولاتي مولاتي . لا اريد الآن ان ارى الملك ولا ان يراني لانني اموت خجلاً . فقالت الملكة وقد اشتدت دهشتها ولماذا ذلك ياعزيزتي قالت اندري سافول لك السبب انما التمس منك الآن مكانًا اختبئ به لكي لا يراني . فقالت الملكة مبتسمة . ولكنك تخبرينني بكل شيء فقالت اندري مضطربة خائفة . نعم نعم بكل شيء فقط دعيني اختبئ عندك فاشارت الملكة الى غرفة مجاورة وقالت لاندري ادخلي هذه الغرفة واقفلي الباب وراءك وانا على ثقة من ان سجنك لا يطول فان الملك لم يعتد ان يطيل اقامته في زيارتي . فدخلت اندري الغرفة واقفلت بابها

الفصل السادس والعشرون

(الملك والملكة وجهًا لوجه)

فدخل الملك حينئذٍ والسرور بادٍ في وجهه . فسلم على الملكة فردت السلام بلطف فمدَّ اليها يده فاخذتها ماري انطوانت قائلة — ما احسن الصدفة التي اتت بك اليَّ

فقال صدقت ياعزيزتي فانها صدفة حلوة كما قلتِ . لقد التقيت بالمسيو دي شارني في خروجه من لدنك فقص عليَّ انك امرته بابلاغ جنودنا ان يتركوا التعجل في الامر جنوحًا الى السلم فسرني ذلك جدًا وجئت لاشكرك بنفسي

فاطرقت الملكة وقالت ولكنه سلم عن عجز لا عن مقدرة . فقال وقد تغيرت هيئته وما تعنين بهذا . قالت اعني انني لو كنت قادرة على هدم باريز الآن حجرًا على حجر واحراقها في ساعة واحدة لما قعدت عن ذلك دقيقة واحدة

فقالت الملكة انما قلت ما قلت ياعزيزتي استناداً الى ما نطقتِ به مدة اغمائك

فامتقع هنا وجه اندري وغار كل دمها الى قلبها فسالت . بماذا نطقت في اغمائي . قالت ذكرتِ اسماً . قالت وقد اشتد امتقاع وجهها . ما هذا الاسم . فقالت الملكة وهي تحدق جيداً فيها هو " جيلبار "

وكما ينغلق السحاب بعد وميض البرق هكذا انغلقت سحنة اندري بعد التاثر الذي بدا على وجهها اولاً . فقالت بتجلد ورزانة غريبة . فهمت الآن ماذا تقصدين ياسيدتي فانني في مقابلتي الملك في هذا المساء وجدت لديه رجلاً فاضلاً عالماً يدعى جيلبار وهو يفصل لجلالته حوادث باريز ويذكر اهوالها وفظائعها مما ارعبني فبقي تاثيره في نفسي . وفيما كنت قادمة لزيارة جلالتك اغمي علي قبل دخولي

وكأن الملكة لم يقنعها هذا الكلام فسكتت هنيهة ثم قالت للكونت . ارجوك ايها الكونت ان تهتم بما كنا نتباحث به فاذهب من قبلي الى لامبزك وبرولي وبزانفال وابلغهم ان يجمعوا جيوشهم وينتظروا امر الملك غداً . وان لا يتعجلوا شيئاً

فانحنى دي شارني وتاهب للخروج فنظرت اليه الكونتس نظرة خصوصية بعينين طافحتين حنواً وحباً كانها تريد ان تدفعه بنظرها الى الخارج دفعاً . وقبل خروجه نظر الكونت الى الملكة ونظرت الملكة اليه ففهم كل منهما معنى نظرة الآخر . ولو كان هنالك من يقرأ في العيون لعرف ان الملكة كانت تقول له بنظرها « لا تغب كثيراً عني » وان الكونت يجيبها " ساعود قريباً "

وبعد خروج الكونت تغيرت حال الكونتس فاصفر وجهها وخانها جلدها فالقت بنفسها على المقعد خائرة القوى . وكانت الملكة تنظر اليها فقالت لها . كونتس انني ارسلت الكونت في مهمة ليخلو لنا الجو ونتحدث في شانك فهل تسأليني حاجة او انت تشكين من امر فانك تعلمين حبي لك ورغبتي في خيرك . وقد كنتِ متجلدة امام الكونت فلما ذهب استسلمتِ الى الضعف مما يدلني على وجود سرّ يزعجك فهل لك ان تطلعيني على سبب ذلك

فرفعت الكونتس راسها بشيء من الخجل والكبرياء وقالت . كلا ياسيدتي فانني في راحة فقط والتمس منك ان تأذني لي بالذهاب الى منزلي طلباً للراحة . فعلمت الملكة ان الكونتس لا تريد ان تقول لها شيئاً

ولو نظر الى هاتين المرأتين رجل على شيء من الفراسة والنباهة لادرك من هذا الحديث

وجهها عنه بشراسة دون ان تعرفه ودفعته عنها الى بعيد . ثم رجعت الى نوبتها

ندهش دي شارني وقال للملكة ارجو المعذرة يامولاتي لتكدير صفوك على انني الآن في غاية الدهشة اذ لم يسبق لي ان ارى اندري مغمى عليها قبل الآن لما اعرفه من ثبات جاشها وقوة نفسها

فنظرت اليه الملكة وابتسمت فتعامى دي شارني عن هذا الابتسام لانه كان مشغول البال بعلة اندري فقال . هل تامرين جلالتك ان ننقلها الى منزلها . فاجابت الملكة اصنع ما تشاء. ثم مدت يدها وقرعت جرساً تدعو خادماً لنقل الكونتس

ولكن ما قُرع الجرس حتى اجفلت اندري لصوته فنهضت قائمة على قدميها بقوة وعنف وصاحت وهي ترتجف — جيلبار جيلبار

فنظرت الملكة الى الكونت ونظر الكونت اليها عند لفظ اندري اسم «جيلبار» كأن كلاً منهما يسال الآخر عن مقصود اندري بهذا الاسم

ولكن اندري بعد هذا الاضطراب الاخير عاد اليها صوابها ففتحت عينيها بلطف وهدوء واتفق حينئذٍ دخول الخادم الذي دعته الملكة فصرفته اذ لم تبق حاجة اليه

ولما وقع نظر اندري على الكونت زوجها عرفته فابتسمت له الطف ابتسام وامتلأت عيناها بدل الغضب الذي كان فيهما حباً وحنواً . ثم التفتت فابصرت الملكة فتركت الابتسام وانحنت باحترام امامها

فقال لها الكونت . ماذا اصابك يا كونتس فقد ملات نفوسنا خوفاً عليك اني اعهدك قوية فما هذا الضعف . فاجابت اندري بهدوء ورزانة وهل من غرابة في اغماء النساء اذا كان الرجال انفسهم يخافون في الاحوال الحاضرة . لقد احسنت جداً في تركك باريز ايها الكونت

فقالت الملكة فيكون اذاً سبب اغماء الكونتس خوفها على الكونت فقط . فقالت نعم ياجلالة الملكة . فأحس الكونت بما في سؤال الملكة من الغيرة

ثم قالت الملكة ولكن لا موجب للخوف يا كونتس واخشى ان يكون لانفعالك سبب آخر تكتمينه عنا . فقالت الكونتس كيف تقولين ياسيدتي انه لا موجب للخوف مع انني ارى جلالتك نفسك في قلق واضطراب ايضاً بدليل ان عينيك مبتلتان بالدموع

فعضت الملكة شفتها واحس الكونت هذه المرة ايضاً بما في كلام اندري من المرارة والابهام

واضطرب ثم اجاب انك تعلمين ياسيدتي ان حياتي وقلبي بين يديك قالت لي اليك سوءال فهل تجيبني اليه قال مري يامولاتي فانني عبدك وخادمك فترددت ماري انطوانت قليلاً ثم سالته هل تحب الكونتس كثيراً يا اوليفيه

فسكت الشاب قليلاً ثم قال ما كنت انتظر من جلالتك هذا السوءال بعد ما علمته من الاتفاق الذي عقد بيننا فقالت ماري انطوانت اسمع يا اوليفيه انني لا ازال شابة فانا اشعر دائماً في داخلي بصوت الحب والشباب يصرخ بازاء صوت الهول والمصاب الذي يتوعدني الآن من كل الجهات وهذا الصوت صوت الحب يعذبني كثيراً كلما رايتك مستنداً الى ذراع اندرى لانني اذكر كلما رايتك مستنداً الى ذراعها ان قلبها قريب من ذراعها

فاطرق الشاب قليلاً ثم قال كانني فهمتُ قصد جلالتك . ولكنك تعلمين ياسيدتي ان اندري وحيدة فريدة في هذه الحياة لاسند لها غير اخ يدعى مزون روج لا تراه الا مرة في السنة . ولا تجهلين ياسيدتي ان اندري لا تذوق في بيتي هناء المعيشة الزوجية وانها لا تزال الى الآن طاهرة التصورات عذراء كما كانت قبل زواجنا . فبازاء المتاعب الكثيرة التي لقيتها معي لا ارى من واجباتي ان ازيد متاعبها بالانفصال عنها

فحاولت الملكة هنا تغيير هذا الحديث فمدت اليه يدها للمرة الثالثة فاخذها الشاب بين يديه وقبلها باحترام

ولكن لم يفرغ من تقبيلها حتى سُمع من وراء الباب صراخ شديد . فالتفتت الملكة فوجدت اندري تختلج امام الباب مغمياً عليها . فاندفع اوليفيه ليرى ماذا حلّ بزوجته واما الملكة فتراجعت الى الوراء وقد طار صوابها واصفر لونها لعلمها بان الكونتس قد سمعت ما دار بينها و بين اوليفيه زوجها

الفصل الخامس والعشرون

(حب وغيرة بين ثلاثة)

اخذ الكونت دي شارني امرأته اندري بين يديه وهي ترتعش وتختلج من النوبة العصبية التي كانت مصابة بها و وقفت الملكة بجانبه تنظر اليه واليها

وبعد اختلاج بضع دقائق صرخت اندري صوتاً وفتحت عينيها . فاذا بهما كجمرتين متقدتين فيهما شرر الغضب والغيظ . ولما وقعت عينا اندري على الكونت زوجها حوّلت

هدم السجن ولكن سريان المبادىء الجديدة الهائلة التي تصنع العجائب في هذا الزمان فان حرب الحرية الاميركية قد نشر روح الاستقلال في جميع اقطار الارض فهبَّ على العالم القديم ريح جديدة سمرت في كل النفوس تملاؤها حماسة جديده وقوة جديدة والشعب هدم الباسثيل في هذا النهار بقوة هذه المبادئ الجديدة

فنظرت اليه مارى انتوانت نظرة حزن وحب معًا وقالت

وما رأيك في الشعب اظنك تقول انه محق ايضًا فقال اوليفيه نعم اقول انه محق يا ملكتي لانه قد تعذب كثيرًا وكيف لا يتعذب اذا كان يقضي عمره بلا خبز ولا عناية ولا حرية في حين اننا نحن ابناء الاشراف نلبس الملابس الذهبية وناكل المآكل الطيبة ونخزن الاموال الوافرة فلا تلوميه وانما اللوم على حكامه الذين احرجوه فاخرجوه من الطاعة الى التمرد والعصيان فقالت الملكة مبهوتة وهل تحسب انه لم يبق امل لنا بالنجاة بعد قال نعم ياملكتي لقد اضعنا كل امل ولكننا اذا متنا فاننا نموت معًا وهذا الذي جاء بي اليك لقد سمعتك الآن وانت في القاعة تحرضين الملك على ارسال جنوده الى باريز فنصيحتي اليك ياملكتي ان تتركي ذلك فان اربعين او خمسين الف جندي تسوقينها على شعب باريز لا يكون شانها معه الا شان جرة ماء تصب في الاوقيانوس العظيم لان في باريز خمسمائة الف رجل مسلح وجميعهم مستعدون للقتال يفلون اعظم جيش في ساعة واحدة

قال هذا واتقدت عيناه بنار الحماسة والحب اما الملكة فاظلمت الدنيا في وجهها واغرورقت عيناها بالدمع فاخذت يد الشاب بين يديها بحنو وحب شديد فجثا الشاب امامها كما يجثو المجوسي امام الشمس في الصباح او كما كان يجثو قدماء المصريين امام الالاهة ايزيس وقبل ذيلها باحترام يقرب من العبادة فانهضته ماري انتوانت ثم مسحت دمعها قائلة دعني الآن من السياسة واصدقني اجئت لتراني ام جئت لامر آخر فاجاب الشاب وهل تشكين ياسيدتي في انني قادم لاجعل جسمي سورًا دونك وحياتي فدى لحياتك قالت ولكنني اسالك ان تصدقني اما كتبت لك الكونتس دي شارني زوجتك بالمجيء الى فرساليا قال لا فسكتت الملكة هنيهة ثم سالته بغتة . اتحبني يا اوليفيه فاجفل الشاب لهذا السؤال



رأينا نشر رسم مدام دي سنايل هنا ايضًا لان الرسم الذي نشرناه في الملزمة السابقة صفحة (٧٦) لم يكن واضحًا

فلما قرأت الملكة هذه الكلمات قالت بنفسها هذا خطه فيجب ان يكون قد عاد . ثم سألت بصوت عالٍ هل عاد المسيو دي شارني . فاجابها الحارس نعم عاد في هذه الساعة . فقالت الملكة انتظروني قليلاً ايها السادة ثم دخلت الى الغرفة المجاورة

الفصل الرابع والعشرون

(حبيب الملكة)

لما خرجت الملكة من القاعة ودخلت الى الدهاليز الخارجية وجدت في غرفة مجاورة الرجل الذي بعث بالورقة اليها

وكان هذا الرجل شاباً في نحو الخامسة والثلاثين من العمر . عالي الهامة حاد النظر ذا عينين زرقاوين ووجه صبوح وهيئة حربية ومنظر يدل على شرف نسبه . فلما وصلت اليه الملكة وجدته يرتجف والغبار على ملابسه من السفر فصاحت به ما جاء بك ايها الكونت فانحنى الشاب بلطف كثير . وقال رأيت من واجباتي ان اكون بجانب جلالتك في هذه الاحوال الخطرة فاتيت واذا امرتِ فانني اعود على عجل الى مركزي في حراسة قصر التويلري في باريز . قالت وما وراءك من اخبار باريز . قال باريز قائمة قاعدة ياسيدتي فالتفتت الملكة ولما لم تجد احداً جلست واجلسته بجانبها وقالت . اسمع يا اوليفيه انك قد جئتني ونفسي حزينة حتى الموت . فانني اصبحت ارى كل شيء حولي خطراً في خطر . السماء حمراء كانها تنبئ بقرب سفك الدماء واصدقائي وانصاري يتخلون عني والهواء تعصف فيه عواصف بعيدة اسمع منذ الآن اصواتها الهائلة فكيف العمل في هذه الاوقات السيئة

فاجاب الشاب لا شيء ياسيدتي غير الصبر وانتظار رحمة الله . اما الزوبعة القادمة فاننا نقاومها بما في استطاعتنا فان صرعتنا رحنا شهداءها وان قدرنا على صرفها عنا كان ذلك عوناً من الله لنا

وفيما كان يتكلم مست يد الملكة يده فاخذتها الملكة بين يديها وضغطتها ثم قالت ما ليدك باردة كالثلج ثم مدت راحتها فوضعتها على جبهته ومسحتها قائلة وما لجبهتك ملتهبة كالنار فقال الشاب لان النار متقدة في راسي ياسيدتي فان ما رأيته اليوم لم يسبق لي انني رايته قبل الآن شعب هائج كالاوقيانوس العظيم سكران بخمرة الانتقام والقوة قد هدم الملكية بضربة واحدة

فعبست الملكة وقالت وهل تُهدم الملكية بهدم احد سجونها فقال الشاب ليس المؤثر

وبعد ان جلس الملك الى مائدة الطعام التي وضعت له في تلك القاعة تقدمت منه الملكة تحادثه في الامر ايقاداً لنار الحمية في صدور الضباط والقواد بعد ان اخمدها الملك " بعشائه " كما تخمد الماء ناراً مضطرمة . فقالت له . ما راي جلالتك واي امر تصدر بهذا الشان فاجاب الملك وفمه ملآن بالطعام واي امر يجب ان اصدره فقالت الملكة ان جميع الناس مجمعون على انه يلزمنا الآن ملك حربي يقمع ثورة الثائرين وان الاعتدال والرفق والحلم لا تغني مع هولاء المعتدين شيئاً . فماذا تقول جلالتك . فقال الملك وهو يضحك ويقضم لقمة كبيرة من لحم الحجل اقول ان في العجلة الندامة وفي التأني السلامة

فامتلأت نفس الملكة غيظاً وحنقاً . فانها كانت تريد ان تقاوم القوة بالقوة وتضرب الثائرين ضربة كبيرة كما ضربواهم ضربة كبيرة فاذا بها ترى الملك بهذا الفتور والضعف والعجز فتحولت عنه الى النافذة وعيناها مغرورقتان بالدمع غيظاً وحنقاً

وكان الضباط قد اخذوا بالتفرق لما رأوه من ضعف الملك وسقطت امالهم فيه . فاستشاطت الملكة غيظاً ورأت ان تفرق هولاء المجتمعين لاستماع امر الملك بمثابة تفرق قوة الملكية وتضعضع اساسها فاقتربت من الملك بنزق وصاحت به . ان جميع هولاء الشجعان ينتظرون امر جلالتك ونحن الآن بحاجة الى العمل . فما راي جلالتك

فرفع الملك بصره فوقع على المارشال دي برولي الذي كان حاضراً فساله ما رايك ايها المارشال فاجاب هذا القائد رايي يا مولاي انك اذا ابعدت جيشك عن الباريزيين قيل انهم هزموه واذا بقي قريباً منهم وجب ان يهزمهم

فصاحت الملكة احسنت احسنت ايها المارشال ومدت اليه يدها فصافحته

فقال الملك وايها تختار انت

فقال المارشال انا اختار ان يهزم الجيش الباريزيين . فمر بالزحف عليهم

فصاحت الملكة نعم مر بالزحف عليهم

فقال دي بزانفال نعم مر بالزحف عليهم

فقال الملك حينئذٍ اذا كان هذا رايكم فازحفوا عليهم

ولكن ما اتى الملك على هذا الكلام حتى دخل حارس والقى الى الملكة ورقة صغيرة ففتحتها فوجدت فيها ما ياتي :

" استحلفك باسم الله ان لا تسرعي في هذا الامر واني في انتظار جلالتك في الغرفة المجاورة "

فقالت الملكة بغيظ وماذا يجب ان نعمل فاجاب البرنس لا شيء

فصاحت الملكة كيف تقول لا شيء . الباريزيون يسفكون الدماء ويهدمون السجون وتقول انه لا يجب ان نصنع شيئاً

وكان الضباط وقواد الجند وجمهور الحاضرين مصغين الى الملكة كل الاصغاء فعلا بينهم ضجيج الاستحسان لهذا الكلام . وصاح صائح من بين الضباط قائلاً يجب ان يعاقب المتمردون

فالتفتت الملكة الى حيث خرج الصوت فوقع نظرها على شاب لطيف الهيئة فقربته منها وسالته رايه . فاجاب رايي ان يامر جلالة الملك الجند الذين حول باريز وعددهم نحو اربعين الف مقاتل ان يزحفوا على المدينة ويطلقوا النار عليها من جهاتها الاربع فيخمد ثورتها في ساعة واحدة

وكان هذا الراي راي جميع اكابر القواد والضباط الحاضرين . وكلهم متحمسون ملتهبون غيرة ومستعدون لسفك آخر نقطة من دمائهم في سبيل ملكهم وملكتهم . وكانوا يتحادثون فيما بينهم في طرق القتال الذي يجب ان يكون اخماداً للثورة والهياج سائد بين جميع الحاضرين واذا بالملك داخل عليهم من غير اعلان حضوره

فلما ابصروا الملك داخلاً نهضوا جميعاً وسكتت ضوضاؤهم . فتقدمت الملكة من الملك ولبث الحاضرون شاخصين اليهما كليهما ينتظرون الكلمة الاولى التي سيقولها الملك لمعرفة رايه في ذلك الحادث العظيم

اما الملك فدخل متثاقلاً في مشيه حتى اقترب من الملكة وقال — الظاهر انهم نسوا عشائي وسط هذه الحوادث ايتها السيدة فجئت اسالك ان تعشيني عندك

فدهش الجميع لهذا الكلام في مثل ذلك الوقت وبهتوا وعضت الملكة شفتيها حنقاً ولكنها عادت فافتكرت ان الملك ما قال هذا القول الا ليخمد ثورة الافكار ويطمئن الخواطر فسكن جاشها ولكنها قالت له بصوت منخفض . كيف يمكن ان تتعشى هنا وسط هذا الجمهور . وفضلاً عن هذا فيجب ان نتحادث في الامر العظيم الذي حدث . فقال الملك بصوته الجهوري لا باس لا باس اتعشى هنا ونتحادث وانا على العشاء

فسكن بلبال الضباط والقواد قليلاً عند قول الملك « نتحادث على العشاء » وتحققت الملكة ان الملك مهتم بالامر ولكنه لا يظهر هذا الاهتمام . ولكنها كانت مخطئة في ظنها فان الملك كان جائعاً وهذا هو كل السر في المسالة . . .

هنا فانها تخجل من رؤية جلالتكم ورؤيتي بعد ما صُنع بها فالاوفق اذاً ان تُنقل الى مكان آخر تنتبه فيه وتنبيهها في يدي فانها لا تفيق الا متى اردت ثم سال الملك الى اين تطلب جلالتكم نقلها فقال الملك الى منزل الملكة قال وهل المسافة بعيدة فاجاب الملك عشر دقائق فاقترب جيلبار من جثة الكونتس وامرَّ يده عليها وصاح بها ابقي نائمة ولا تنتبهي الا بعد عشر دقائق

ثم قرع الملك الجرس فدخل حارس فقال له احملوا الكونتس دي شارني الى منزل الملكة فانها قد اغمي عليها عندنا لما سمعته من اخبار باريز

فحملها الحراس وساروا بها لوضعها في احدى غرف منزل الملكة

وبعد مدة وجيزة عاد الحارس الذي انفذه الملك للمجيء بالصندوقة وهو يحملها بين يديه فتناولها جيلبار فرحاً بها وقبل خروجه من عند الملك ساله الملك قائلاً فرغنا الآن من امر صندوقتك فماذا تطلب منا . فقال جيلبار اسال جلالتكم ان تاذنوا بتعييني من اطبائكم فاكون بازاء جلالتكم خادماً اميناً وطبيباً نافعاً . فاجابه الملك الى طلبه وخرج جيلبار من لديه ليعود بعد ذلك ويقيم في قصر الملك اقامة نهائية

الفصل الثالث والعشرون

(الملكة ماري انطوانت)

كان الملك يهتم بهذا الامر الصغير ومنزل الملكة غاص بالقواد والاعيان ورجال الاكليروس ونساء الاشراف . ذلك ان اركان الملكية في ذلك الزمان كانوا يرون الملكة قوية شديدة فكانوا يلتفون في اوقات الضيق حولها

وكانت الملكة جالسة على كرسي وفي وجهها وعينيها لوائح الغيظ والكبرياء وحولها جماهير ممن ذكرنا وهم يتحادثون بثورة الشعب واستيلائه على الباستيل . وبقيت الملكة مبهوتة ساكتة حتى دخل البرنس لامبزك نخفت اليه لاستطلاع الامر لانه كان قادماً من باريز وسالته بلهفة ماذا جرى ايها البرنس فاجاب البرنس منحنياً لا شيء يا جلالة الملكة سوى ان الشعب يقتل ويحرق . قالت ولماذا قال لانه وحش قاسٍ

فسكتت الملكة مبهوتة ثم قالت اصدقني ايها البرنس لماذا الشعب يقتل ويحرق قال قلت الحق لجلالتك وهو انه وحش قاسٍ . قالت اذن لا يفعل ذلك عن بغض لي . فسكت البرنس هنيهة ثم قال لا عن بغض لجلالتك ولكن عن بغض لجميع الذين يحكمونه

فاخبرينا الآن اين هي · فقالت هي عند رجل البوليس الذي اخذها من المزرعة · قال وماذا يصنع بها قالت قد جاء بها الى منزلي في فرساليا · قال في اية غرفة وضعها · قالت انني اراه الآن وقد وضعها في القاعة وهو بانتظاري · قال وهل هو جالس ام قائم قالت بل هو قائم ومستند الى الموقد قال والصندوقة قالت الصندوقة موضوعة الآن على مائدة امامه · ولكن آه · آه · فقال الملك ماذا · قالت ويلاه يجب اخراجه واخراجها · قال لماذا قالت لان زوجي المسيو دي شارني عائد الآن الى المنزل وكان في عزمه ان لا يعود الى فرساليا قبل غد · اخرجوها اخرجوها لئلا يراها

فقال جيلبار وهل تريدين ان تقولي للملك ما يوجد ضمن هذه الصندوقة

فصاحت عند ذلك اندري صيحة الهول والرعب وغطت وجهها بيديها · فندم الدكتور على هذا السؤال فالتفت الى الملك قائلاً · سمعت يامولاي من فمها ان هذه الصندوقة ملكي فهل تامر جلالتك بارجاعها اليّ · فقال الملك ذلك من حقك ثم سحب على الكونتس ستاراً يغطيها وقرع جرساً فدخل حارس فهمس اليه الملك في اذنه يامره بالذهاب الى منزل الكونتس في الحال لاحضار الصندوقة

وبعد خروج الحارس كشف الملك الغطاء عن جسم اندري · وكان الدكتور قد ابتعد عنها ففارقها الاضطراب والاختلاج اذ قد فارقها المؤثر فيها وحل مكان الانفعال الشديد هدوء تام فاصبحت اندري نائمة نوماً طبيعياً هادئاً

ولما كشف الملك الغطاء عن جسم الكونتس ظهر لها جمال بارع يفتن النواظر كان التنويم المغنطيسي قد اكسبها بهاء جديداً فتنهد جيلبار واغمض عينيه وحولها عن ذلك الجمال الفتان

فسال الملك جيلبار كيف العمل بالكونتس فاجاب جيلبار ارى من الاوفق ان لانتبهها

فقام حينئذٍ احد تلامذته ويدعى بركاس وجمع نحو ٣٤٠ الف جنيه واشترى بها سر استاذه فلقنه مسمر شيئاً من اسراره ولكن لم يطلعه عليها كلها · ثم عينت الحكومة الفرنسوية لجنة من العلماء لفحص مبادىء التنويم فوضعت اللجنة تقريراً ضده فغضب مسمر وسافر من باريز بعد ان صرف في فرنسا نحو سبع سنوات · وبعض الناس يعزو الشعوذة الى مسمر بالرغم عن ثبوت فعل التنويم وذلك لعجزهم عن تعليله ولكن ليس ذلك من الحكمة في شيء اذ كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها · وفي هذا الفصل بيان طريقة التنويم ووصف بعض تاثيره ولمسمر مؤلفات جمة في المغنطيسية الحيوانية

تضم شفتيها قصدًا لمنع الكلام ان يخرج منها فلما ان حرك الدكتور يده فوق رأسها هدأ اضطرابها وتنفست الصعداء كأن بلاطة انزلت عن صدرها . ثم ارتخت اعضاؤها وخرج من فمها هذه الكلمات : الهي الهي رفقًا بي

فسال الدكتور الملك ان يشرع بسؤالها فسالها الملك اسئلة متتابعة كانت تجيب على كل واحد منها بالرغم عنها . وهذه صورة الاسئلة والاجوبة

سالها الملك هل ان الشخص الذي اردت سجنه هو الدكتور جيلبار . فقالت اندري وهي نائمة . نعم نعم وما اشد بغضي له . فقال الدكتور ابغضيه ما استطعت ولكن تكلمي . فسالها الملك وما هذه الصندوقة التي ذكرها . فقالت اندري كيف استطيع ان اترك هذه الصندوقة في حوزته . فنظر الملك الى جيلبار ونظر جيلبار اليه . ثم سالها الملك وهل اخذتها فقالت نعم اخذتها قال وباية واسطة قالت ارسلت رجالاً من البوليس الى مزرعة في جوار فيلله كوتريه فاخذوها منها . فسال الملك وكيف علمت بوجودها في هذا المكان . قالت ذهبت الى مسمر (١) فنومني نومًا مغنطيسيًا فرايتها فقال في اي مكان كانت . قالت كانت في خزانة كبيرة مخبوءَة تحت الثياب ولما نمتُ رايتها . فسال الملك واين هي الآن . فاختلجت هنا اندري اختلاجًا شديدًا لانها ارادت ان تمنع نفسها من الكلام . فصاح بها الدكتور اريد ان تقولي اين الصندوقة الآن . فزمجرت اندري كما تزمجر اللبوة فقال الملك اني اخشى على حياتها ايها الدكتور فقال جيلبار لا خوف ابدًا . ثم قال لها . قولي اولاً للملك اذا كانت هذه الصندوقة لك ام لي . فقالت اندري بل هي لك فقال الملك اذا كانت له

مسمر — هو فردريك انطوان مسمر من علماء المانيا ولد في سنة ١٧٣٧ وتوفي في سنة ١٨١٥ وهو ناشر التعاليم المتعلقة بالتنويم المغنطيسي الحيواني الذي قد يسمونه مسمر يسم نسبة الى اسمه . الف في اول امره كتابًا موضوعه تاثير اجرام السماء على الاحياء ذهب فيه الى ان الاجرام بتجاذبها بنسبة معتدلة تؤثر على الاحياء وبالخصوص على اصحاب الامزجة العصبية بواسطة سيال يدخل الى باطن الانسان والحيوان وهو المغنطيسية الحيوانية . ثم بعد هذا الكتاب اخذ ينشر مبدأه في التنويم المغنطيسي فنجح نجاحًا غريبًا فانه شفى امراضًا بالتنويم واكتشف اسرارًا وعلم بالغيب وكان يجعل النائمين ينظرون في نومهم امورًا بعيدة عنهم كانهم يشهدونها في الحقيقة وذلك على نحو ما جرى للكونتس دي شارني في هذا الفصل من الرواية . ولاشتهاره في اوربا استدعته الحكومة الفرنسوية في سنة ١٧٧٨ الى باريز واقترحت عليه ان يطلعها على اكتشافه وطريقة تنويمه فتمنحه عشرين الف جنيه فابى

والآن فانني اسالك امام الملك اين صندوقتي

قال هذا وتقدم منها محدقاً بها بنظره الحاد . فحوّلت وجهها عنه مرة ثانية قائلة لا اعرفك ولا اعرف صندوقتك ثم حاولت الفرار من الغرفة فقطع عليها الدكتور الطريق وصاح قائلاً . ولكن لا بد من سحق كبريائك وطأطأة عنفوانك امام ارادتي . اخبريني هل تدلينني على صندوقتي ام لا . فاجابت لا اعرفك ولا اعرف صندوقتك

فرفع حينئذٍ الدكتور يده وقال اذن انفتحي ايتها النفس المغلقة واظهري خفاياك للشاهد ممنا في هذا المكان . اندري اندري . ستتكلمين بالرغم عنك وتدلينني على صندوقتي . تقدم ياجلالة الملك واسمع اقرارها من فمها . اندري . اندري آمرك الآن بالنوم . نامي نامي هذه ارادتي

وما لفظ الدكتور هذه الكلمات حتى اصطكت ركبتا اندري وارتجف جسدها ثم انطرحت على غير هدى بين ذراعي الملك كأنها تلتجيء اليه . فاخذ الملك يرتجف عند هذا المنظر وعلم ان الدكتور ينومها نوماً مغنطيسياً فقال للدكتور انني سمعت بهذا ويسرني الآن ان اراه ولكنني اخشى على حياة الكونتس فقال الدكتور لا تخشَ يامولاي فاني اؤثر على النفس لا على الجسد . ثم التفت الى الكونتس قائلاً . مدام دي شارني آمرك بان تنامي

فاخذت الكونتس تختلج اختلاجاً شديداً لانها نامت النوم الصناعي الذي اراده الدكتور . فاوعز الدكتور الى الملك ان يتقدم منها ويأخذ يدها ثم يسألها ما يريد معرفته

فتقدم الملك وهو متردد حذر واخذ يدها والقى عليها هذا السؤال . اذاً انت التي القيت القبض على الدكتور جيلبار ايتها الكونتس

فارتجفت الكونتس وتنهدت من اعماق صدرها واصطكت اسنانها ثم صاحت . لا اتكلم لا اتكلم

فعجب الدكتور من قوة ارادتها مع نومها . فتقدم منها وقال بلى بلى تتكلمين فهالها جداً تقدمه منها فاضطربت واختبطت . فدنا منها الدكتور قليلاً ايضاً فزاد اضطرابها واختباطها حتى وصل اليها فرفع يده فوق رأسها ثم انزلها وهو محدق بها وقال . تكلمي الآن

فاثرت فيها هذه الحركة تأثيراً غريباً . فانها كانت مضطربة مختلجة مصطكة الاسنان

اعرف رجلاً آخر باسم جيلبار ولكني احتقره لانه وغد ولئيم فقال جيلبار التمس من جلالة الملك ان يسال الكونتس لماذا تقول عن هذا الرجل انه وغد لئيم . فقالت اندري بكبرياء ايضاً اقول ذلك لانه قد ارتكب منذ ١٧ سنة جناية تدل على لؤمه ودناءة نفسه فقال جيلبار ارجو من جلالتكم ان تسالوها كم عمر هذا الرجل الآن فسالها الملك كم سنة عمر هذا الرجل الآن . فاجابت الكونتس عمره ٣٢ سنة

فقال جيلبار فيكون اذاً عمر هذا الرجل عند ارتكابه الجناية التي اشارت اليها الكونتس ١٥ سنة فقط . اذاً كان هذا الشخص ولداً غير مسئول لا رجلاً

فقالت اندري اما انا فاني احتقر الولد والرجل معاً

فقال جيلبار اذا استحق جيلبار الولد احتقاراً فان جيلبار الرجل لا يستحق الاحتقار لان حياته بيضاء كالثلج لم توصم بعار وقد قضى حياته منذ الغلطة المذكورة مكفراً عن ذنوبه

فقالت اندري ليس التكفير عن الذنوب بكتابة الاسفار والمقالات التي يُطعن فيها على الحكومة فضحك الدكتور وقال هذه حجة ليس الا والتمس من جلالتكم ان تسالوها اذا كانت لم تتخذ هذه الحجة وسيلة للحصول على صندوقة صغيرة كانت للرجل الذي نعنيه الآن

فارتعدت فرائص اندره عند ذكر الصندوقة وجرى الدمُ بارداً في عروقها فقال الملك سمعتِ ايتها الكونتس سؤال الدكتور

فقالت بغيظ وهياج لا اعلم ماذا يقول . فقال الملك يسالك عن الصندوقة هل امرت باخذها . فقالت لا اعرف هذه الصندوقة

فاحتدم هنا الدكتور غيظاً وصاح غير متهيب . كونتس كونتس فلنترك الرياء والكذب جانباً . انا هو جيلبار المعني . جيلبار الجناية كما ذكرت . وانتِ المراة المعنية . فانتخذ الملك الآن حكماً عادلاً بيننا فنطلعه على كل شيء وهو يحكم فينا

فحوّلت اندري وجهها عنه بالم شديد وهياج بالغ حده لا يُعرف معه اذا كانت حمرة وجهها خجلاً ام انفعالاً ثم صاحت به قل ما شئت انت . اما انا فلا اعرفك ولا اعرف صندوقتك

فاستشاط جيلبار غيظاً وخرج عن حد الاعتدال وصاح بها مدام . مدام اذكري انني تلميذ بالسومو وان لي قوة غير اعتيادية . فاذا لم تتكلمي طوعاً جعلتك تتكلمين كرهاً

ان اقوله لجلالتكم · فعبس الملك وقال الا تستطيعين ان تقولي سبب ذلك لي انا الملك فاجابت كلا يا ذا الجلال · فقال الملك بشيء من الغيظ اذا كنت لا تقولين ذلك لي فلا ريب انك تقولينه الى الرجل نفسه · اخرج ايها الدكتور

فخرج الدكتور جيلبار من مخباءه في الحال ووجهه اصفر كوجه الكونتس · فلما راته اندري تراجعت بخوف الى الوراء كانها على وشك الاغماء واصطكت ركبتاها وبقيت جامدة كالصنم لا يتحرك منها شيء غير قلبها الذي كان يخنق خنقاناً شديداً

فتقدم جيلبار وانحنى امامها باحترام شديد وقال اسمحي يا حضرة الكونتس ان اكرر عليك سؤال جلالة الملك وهو : لماذا امرتِ بسجني

فتمالكت اندري ورفعت راسها بكبرياء وعظمة ثم القت اليه نظرة احتقار واشمئزاز وصاحت في وجهه · انا لا اعرفك

ولكن قبل ان تتم كلامها اوقد جيلبار النار في نظره الحاد الذي ينفذ الى اعماق القلوب والقاه على نظرها بقوة وعنف فخفضت اندري نظرها امام نظره واطرقت الى الارض صامتة · فقال الدكتور · اذا كنتِ لا تعرفينني ايتها السيدة فكيف تامرين بسجني

فالتفت هنا الملك الى اندري قائلاً اندري اظنك قد اخطات المرمى · فان الدكتور جيلبار رجل فاضل عالم لا يستحق الاهانة التي لقيها

فرفعت اندري راسها مرة ثانية والقت على الدكتور نظراً طافحاً بالاحتقار والازدراء · فبقي الدكتور ثابت الجاش وهادئاً فقال الملك لا ريب عندي انك اذا ابغضت احداً فانه يكون مستحقاً لبغضك وعقابك ولكن يجب ان تحرصي مرة اخرى على ان لا يصيب العقاب رجلاً بريئاً · اما عملك مع الدكتور ايتها الكونتس فهو عمل سيء .

فقالت اندري اظن جلالتكم : فقطع الملك عليها الكلام مخافة ان يكون قد اغضبها وهي المقربة من الملكة زوجته وقال لا يغضبك كلامي ايتها الكونتس فاننا كلنا عرضة للخطاء في هذه الحياة واؤمل ان لا تخطئي مرة اخرى بهذا الشان

ثم سكت الملك حاسباً انه ارضى الفريقين بهذا الكلام ولكن الدكتور لم يرض فتقدم من الملك وانحنى باحترام قائلاً — التمس من جلالتكم ان تسالوا حضرة الكونتس اذا كان حقيقةً ما تقوله من انها لا تعرفني قبل الآن · فقال الملك اجيبي ايتها الكونتس · فاجابت كلا لا اعرف الدكتور جيلبار

فقال الدكتور ولكن الا تعرف رجلاً آخر يدعى جيلبار فقالت اندري باحتقار

وهي امرأة غضة الصبا رشيقة القوام طويلته عصبية المزاج بجمال فتان وراس شائخ يرتفع فوق قامتها الهيفاء كانه قمر علق في طرف غصن نضير وكان في يديها النحيفتين المقفزتين قضيب لطيف تداعبه وتلاعبه ولوائح الكبرياء والعظمة على وجهها ممزوجة بلطف باهر وظرف ساحر تمشي لها القلوب في الصدور

فلما دخلت تقدم منها الملك وسالها متاطفاً اظنك كنت على عزم الخروج من القصر ياحضرة الكونتس

فاجابت الكونتس نعم يا ذا الجلال وقد جئت امتثالاً لامرك

ولكن ما وقعت كلمات الكونتس في اذن الدكتور جيلبار حتى ثار دمه ثورة شديدة وخيل له انه يسمع صوتاً هائلاً . ثم ارتعدت فرائصه واطلّ بالرغم عنه من وراء الستار يرى صاحبة هذا الصوت الذي اثر به هذا التاثير

فما وقع نظره على الكونتس حتى لطم جبهته بقبضته وتراجع بعنف الى الوراء مدمدماً بين شفتيه وقائلاً : هي هي بعينها . اندري . اندري . وما جاء بها الى هنا

اما الملك الذي لم يرَ اضطراب جيلبار كما ان الكونتس لم ترَ ذلك ايضاً فانه قال لها بعثت في طلبك لاسالك امراً يا حضرة الكونتس . فاجابت مر بما تشاء ياذا الجلال

فقال الملك اريد ان اسالك اذا كنت تذكرين امراً وقع عليه نا كار منذ ٩ او ١٠ ايام بالقاء القبض على رجل ما

فسكتت الكونتس ولبثت مبهوتة ولكن بدا الاضطراب والقلق في وجهها فاستانف الملك السؤال قائلاً هل تعلمين شيئاً عن هذا الامر ايتها الكونتس فاجابت مترددة ومضطربة انني افتكر بذلك لعلني اذكره

فقال الملك ولكي اساعدك على ذكره اقول لك ان الملكة قد امرت بانفاذ ذلك الامر على عجل وكتبت بذلك على هذا الامر سطراً بيدها

فسكتت الكونتس

فصاح الملك وقد كاد يفرغ صبره ما هذا السكوت ايتها الكونتس . انني اكرر سؤالي عليك فاجابت الكونتس بشيء من النزق . نعم اذكر ذلك وانا التي كتبت هذا الامر وجلالة الملكة امرت بانفاذه . فقال الملك . حسن فاريد الآن ان تقولي اي ذنب ارتكب الرجل الذي اردت القاء القبض عليه

فاضطربت الكونتس اضطراباً بيناً واجابت بنزق ايضاً اما هذا الامر فلا استطيع

كان سجنك فقال جيلبار يامر جلالتكم فضحك الملك وقال ولكنني انا لم اسمع باسمك ولم اعلم بوجودك في هذه البلاد · فقال جيلبار بهيئة جدية · مولاي ان في كلامك هذا دنيلاً على انك تجهل ما يُصنع الآن باسمك من الشرور وهذا مما يبرِّؤك لدى الاجيال الآتية ولكن لا يوجد على ورقة الامر سجني اسم جلالتكم فقط بل عليه امر من جلالة الملكة ايضاً

فرفع الملك راسه وقال لعلك اغضبت الملكة · فقال جيلبار انا على يقين ياسيدي من انها تجهل وجودي في العالم ايضاً فقال الملك فما هذا السر اذاً · فاجاب جيلبار السرّ في ذلك ان امرأة تدعى الكونتس دي شارني طلبت من جلالتها اصدار الامر بالقاء القبض عليّ وقد ذُكر ذلك بخط الملكة على هذه الورقة

فدهش الملك وصاح · الكونتس دي شارني · هذه المرأة من صديقات الملكة وهي مثال اللطف والفضيلة والطهارة · فقال الدكتور جيلبار اذاً وُضعتُ في السجن باسم هذه الفضائل الانجيلية الثلاث فقال الملك ولكن اي ذنب صنعتَ مع هذه المراة الفاضلة فقال جيلبار انني لا اعرفها ولم اسمع باسمها الا من المسيو ناكار

فقال الملك ياللعجب ان في المسالة سرّاً · انتظر لنرى اذا كانت الكونتس في البلاط للاطلاع على هذا السر العجيب

قال هذا ومد يده فقرع جرساً

فدخل حارس فساله الملك هل الكونتس دي شارني في غرفة الملكة · فاجاب الحارس كانت الآن في غرفة جلالتها وقد نزلت الساعة لتركب مركبتها وتبرح القصر فصاح به الملك اسرع وادعها اليّ على عجل وان كانت قد سارت بها المركبة فالحق بها

الفصل الثاني والعشرون

(التنويم المغنطيسي)

وبعد مدة وجيزة عاد الحارس فقال انه وجد الكونتس دي شارني وانها قادمة لمقابلة الملك فنظر الدكتور الى الملك واتجه نحو باب قريب يجلله ستار كثيف ليتوارى وراءه فادرك الملك قصده فتركه وشانه

وما توارى جيلبار وراء الستار حتى سُمع في باب القاعة حفيف ثوب حريري ودخلت الكونتس دي شارني

فقال الملك وانك لتعلم ان هذا المصباح قد وضع في النافذة في الوقت المعين فقال الدكتور نعم اعلم ذلك ولم يكتفَ بوضعه بل اصعد وانزل في النافذة ثلاث مرات وفي اليوم الثاني وُجدان هذان السطران في الجريدة الرسمية

« ان الذي رفع المصباح في النافذة وانزله ٣ مرات يطلب الذي رآه ان يحضر اليه ليحسن جزاءه »

فقال الملك نعم اذكر انني نشرت ذلك لكي اعرف صاحب تلك التقارير . وقد انتظرتك طويلاً اما الآن فانك قد اتيتني حين يئست من مجيئك فتركت انتظارك ولكني اسألك ايضاً لماذا لم تاتِ قبل هذا اليوم

فقال جيلبار تركت ذلك الى حين حاجة جلالتكم اليَّ فقال الملك وهل تظنني الآن في حاجة الى شيء

فاجاب الدكتور انني استاذن جلالتكم بالكلام بكل حرية . واذا اذنتم لي بذلك قلت ان الخطر الذي تنبأتُ به في تلك التقارير قد اصبح قريباً

فعبس الملك عند هذا الكلام فرآه جيلبار يعبس فاستدرك قائلاً ولكن تعذرني جلالتكم لهذا القول لانني طبيب والطبيب لا يحسن التلطف في المعالجة وانما يشق الجروح شقاً رغبة في شفائها

فقال الملك بهدوء وهل ترى في فتنة اليوم اهميــة كبرى فقال الدكتور ليس ما سمعتْ به جلالتكم فتنة ولكنها ثورة ناضجة . فقال الملك وما العمل اتريدون ان اعاهد اثمة وقتلة يقتلون دي لوناي ولوسم ودي فلاسيل

فاجاب جيلبار مولاي لا تمزجوا هولاء القتلة بالذين فتحوا الباستيل فان الفريق الاول اثمة قتلة كما ذكرتم اما الفريق الثاني فهم ابطال وشجعان

فعبس الملك هنا مرة ثانية ثم قال يحلو لي كلامك وان كان ثقيلاً لانك تتكلم كما يتكلم البارون ناكار . وكيف تركت البارون . فقال جيلبار تركته بانتظار امر جلالتكم فقال الملك ومن اين انت آتٍ الآن . فاجاب الدكتور باسماً من الباستيل

فرفع الملك رأسه وسأله كيف تأتي من الباستيل فقال الدكتور كنت من جملة مسجونيه . فزاد استغراب الملك وقال ولماذا سُجنت في الباستيل فقال جيلبــار باسماً ايضاً هذا هو الامر الذي تشرفت بمقابلة جلالتكم لاسألها عنه . فقال الملك وبامر من

بتعيين بعض كبار الباريزيين لبعض الوظائف العسكرية . ولكنه رفض العودة الى باريز قبل ان يخلد الباريزيون الى الطاعة والسكينة

فحاول الوفد تغيير عزمه فلم يستطع فعادوا من حيث اتوا وعاد الملك الى غرفته فوجد الدكتور جيلبار بانتظاره والحارس بازائه

فدخل الملك بتثاقل وكدر واذ ابصرهما قال من غير ان يلتفت اليهما — ماذا يطلبون مني

فانحنى الحارس وقدم له كتاب ناكار والدكتور جيلبار واقف يتأمل بهدوء وثبات جاش هيئة الملك لويس السادس عشر فابصر الدكتور امامه جسماً ضخماً (١) رخواً قصيراً بلا عظمة ولانشاط يحمل شيخوخة معجلة تلت شباباً ضعيفاً ضئيلاً في داخله شيء قليل من النباهة ولا شيء مما يجعل الملك ملكاً غير الارث الطبيعي . فعلم الدكتور جيلبار ان هذا المنظر الذي كان امامه رمز مخيف الى الخراب والعجز والانحلال الآتي

وبعد تلاوة الملك كتاب ناكار بصبر فارغ التفت الى الدكتور وقال له انت الدكتور جيلبار فانحنى الدكتور واجاب — نعم ياذا الجلال . فساله الملك وكم عمرك فاجاب الدكتور عمري ٣٢ سنة ولكن الدرس والمصائب قد ضاعفتها فاعتبرني يامولاي شيخاً لا شاباً

فساله الملك وهل انت الذي ارسلت اليَّ التقارير التي ذكرها ناكار في كتابه فاجاب الدكتور نعم فقال الملك ولماذا لم تأتِ قبل اليوم لمكافأتك عليها فانني قداعلنت مراراً في الجرائد الرسمية رغبتي في معرفة صاحب تلك التقارير ومكافأته

فقال الدكتور نعم يامولاي فانني اذكر انني طلبت من جلالتكم منذ خمس سنوات ان تضعوا مصباحاً في نافذة قصركم في ليلة معينة اذا كنتم قرأتم تقاريري




(١) بما انه لايوجدفي هذه الصفحات رجال عظام لنشر رسومهم بل كل الكلام مقصور على الملك في هذا الفصل وعلى الملكة في الفصول التالية الى آخر الجزء الاول فقد راينا ان ننشر رسمي الملك والملكة مرة ثانية تبياناً لما يوجد فيهما من المناسبة بين الملامح التي رسمها قلم الكاتب فوق والملامح التي رسمها قلم الرسام في هذين الرسمين

عساه ان يصنع الملك بعد هذه الاهانة الكبرى التي اصابه الشعب بها

وكان منهم من يقول ان ميرابو في جوابه الى المسيو دروز بريزه (١) قد لطم الملكية في وجهها . اما الشعب باسقاطه الباستيل فانه طعنها في قلبها

وكانوا احزاباً ففريق منهم يقول ان حل هذه المشكلة سهل جداً على الملك . وطريقة ذلك ان يستصدر الملك قراراً بسيطاً من المجمع الوطني مآله : « ان التمرد على الحكومة جناية » وبموجب هذا القرار يسوق الملك ٣٠ الف جندي و٢٠ مدفعاً على الباريزيين فيحني بها رؤوسهم الشامخة ويرغم انوفهم

ولكن كان بازاء هذا الفريق فريق ثانٍ يبث في صدور الناس عواطف الاستياء والكدر من حالة الحكومة ويحثهم على الثورة لاكمال ما بدأ به الباريزيون . وفريق ثالث كان بين رجاله اناس تدل ايديهم البيضاء ووجوههم المشرقة اللامعة على انهم ليسوا من الطبقة التي تدل عليها ملابسهم العامية . وكان هذا الفريق يحرض الشعب سراً على ترك المجمع الوطني والملك لتمليك الدوق دورليان

فوقف الدكتور جيلبار امام كل فريق من هؤلاء الجماهير فسمع شيئاً من اقوالهم واطلع على حركة افكارهم ثم قصد قصر الملك

وقبل دخوله الى الداخل اعترضه حارس فاراه الدكتور ختم ناكار والكتاب الذي معه . فتركه الحارس يمر مع شدة المراقبة على الداخلين الى القصر والخارجين منه في ذلك الوقت وتطويق القصر والطرق المؤدية اليه بصفوف الجند كأن الملك في حرب لا في سلم ولكن علامَ هذا الجند كله . وممن كانوا يحرسون الملك به

وقد ترك الحارس الدكتور جيلبار يمرّ لانه علم من ختم المسيو ناكار ان في المسالة امراً خطيراً . ولذلك اخذ الحارس الدكتور بنفسه الى غرفة الملك . ولكن هذه الغرفة كانت خالية

ذلك ان الملك كان يستقبل في القاعة الكبرى وفداً من الحرس الوطني اتى يطلب منه ثلاثة امور : الاول صرف الجنود لان منظرها يثير افكار الباريزيين والثاني تأليف حرس جديد والثالث عودة الملك الى باريز

وبعد الحاحهم الشديد رضي الملك بان يتوارى الجنود عن الانظار توارياً فقط ووعد

---

(١) انظر الصفحة ٤٧ السطر ٢

الفصل الواحد والعشرون

(الملك لويس السادس عشر)

ولما خرج الدكتور جيلبار من منزل البارون ناكار كانت الساعة التاسعة فكره ان يؤجل زيارته للملك الى الغد لان مزاجه العصبي الشديد التأثر والحركة كان من اكره الامور اليه ان يؤجل شغلاً يكون لديه· فترك بيلو وبيتو في فندق صغير اعتاد بيلو النزول فيه كلما قدم الى باريز ثم استأجر مركبة وسار بها الى فرساليا (١) لمقابلة الملك

فوصلها في منتصف الساعة الحادية عشرة · ولو كان قد جاءها في غير هذا اليوم لوجد اهلها في تلك الساعة كلهم نياماً اما في ذلك اليوم فكانوا قائمين قاعدين للامر العظيم الذي حدث في باريز · وكان اكثرهم من حزب الملكية ينكر على الباريزيين ما صنعوه

ذلك ان فرساليا بلدة ملكية قلباً وقالباً فان ملوك فرنسا انشأوها وغطوها بالمرمر والذهب فكان عليها مسحة ملكية دائمة · حتى الآن وتلك العظمة قد زالت · والذهب قد ذهب · والعشب قد نبت بين بلاط المرمر وجنائنها التي شهدت عظمة الملوك السابقين يسود فيها هدوء المقابر والاموات — حتى الآن تكاد تكون فرساليا ملكية الظواهر كأن تلك المسحة الملكية التي مسحت بها ما زالت عليها

وكان السكان افواجاً افواجاً في الشوارع يتحادثون في سقوط الباستيل ويتساءلون ماذا

---

(١) فرساليا — مدينة الى جنوب باريز الغربي على مسافة ١٨ كيلومتراً منها حسنها تحسيناً عظيماً لويس الرابع عشر في سنة ١٦٦١ واتخذها هو ومن جاء بعده من الملوك كلويس الخامس عشر والسادس عشر والثامن عشر وشارل العاشر مقاماً لهم· وقد حدثت في هذه المدينة اول اعمال الثورة المهمة مثل يمين لعبة البوم (صفحة ٤٦) واجتماع مجالس الولايات وقد نهبها البروسيون في سنة ١٨١٥ وجعلت في سنة ١٨٧٠ المعسكر العام للجيش الالماني الذي فتح باريز وفي احد قصورها الملكية توج الملك غيليوم الاول البروسي امبراطوراً لالمانيا وعقدت الوحدة الالمانية وهي مركز مديرية يتبعها ١١٥ مركزاً وعدد سكانها ٢٣٢ الف نفس

وفي فرساليا تجتمع دار الندوة الفرنسوية لانتخاب رئيس الجمهورية هرباً من شدة الزحام في باريز

الجامعة

﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية – اغسطس (آب) سنة ١٩٠١ – ربيع الثاني ١٣١٩ ﴾



جبل طارق

﴿ حديث حديث يذكر بالحديث القديم ﴾

(واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر)



مشاهير المتقدمين والمتاخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

مجد الاسلام القديم

﴿ تاريخ الاندلس من اوله الى آخره ﴾

(ومشاهير رجال الاسلام الذين عاشوا في ذلك العصر)

﴿ سلطان مراكش الحالي ﴾

حنين الى مجد قديم · العناصر التي تالفت منها اسبانيا قبل المسلمين · اوروبا تلميذة الفينيقيين · غزوة الاندلس على يد طريف وطارق وموسى بن نصير وافتتاحها · معاملة العرب للمغلوبين · العزم على فتح اوروبا والعودة الى الشام عن طريق البحر الاسود · الواقعة الفاصلة بين التمدن الاندلسي والاوروبي · ثلاثة ابيات شعر تولي صاحبها امارة الاندلس · بنو امية وبلوغ التمدن الاندلسي اعلى ذراه في عهدهم · اوروبا تلميذة مسلمي الاندلس في العلم والصناعة والفلسفة · اضطهاد الدين للعلم · زوال عز عظيم · سلطنة المغرب اليوم · جبل طارق القديم والحديث

حنت اللغة العربية في الشهر الماضي شوقاً الى مجدها القديم · فقد سمعت في كل جرائد العالم ذكر «طارق» و «جبل طارق» واسبانيا و «سلطنة المغرب» والوفود التي اوفدتها هذه السلطنة الى انكلترا وفرنسا والمانيا فذكرت ذلك العز المعهود والظل الممدود · ذكرت طارق وفتحه الاندلس (اسبانيا) وليالي الامير عبد الرحمن فيها وازدحام العلماء والشعراء والكتاب في بابه · والمصنوعات الاندلسية التي كانت تتوزع من المصانع والمعامل العربية الاندلسية في الغرب والشرق · والفنون العربية الاندلسية التي لا تزال آثارها في غرناطه واشبيلية وطليطلة الى هذه الايام · ووصول خيول العرب والمغاربة الى مدينة ليون (فرنسا) فاتحة غازية · وبلوغ امراء الاندلس من الجاه والسطوة مبلغاً صاروا معه يعيدون ملوك الافرنج الى عروشهم اذا انزلتهم رعيتهم عنها وصارت دول الارض تترضاهم وتوفد الوفود اليهم

كل ذلك ذكرته اللغة العربية في الشهر الماضي فحق لها ان تنشد قول الشاعر

وانى لتعروني لذكراكِ هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

وفي الحقيقة انها ذكرى تسرُّ وتُنسي المتأمل شيئاً كثيراً من احزان الحالة الحاضرة. وسنقلّب في هذه المقالة صفحات ذلك الزمن المجيد ملخصين تاريخ فتح الاندلس وذاكرين طرفاً من التمدن العربي الذي بلغ فيهـا مبلغاً لم يبلغه التمدن الافرنجي الى ذلك الحين ثم نتطرق الى ذكر طارق وجبله القديم والحديث وبلاد المغرب وما كان بينهـا وبين امراء الاندلس وبغداد اتماماً للفائدة فنقول وعلى الله الاتكال

﴿ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ﴾ لاسبانيـا في التاريخ خمسة ادوار وقد صارت بالحرب الاميركية الاخيرة ستة . اما دورها الاول فهو الدور القديم الذي كانت فيـه قبائل متفرقة . وقد كان يسكنها على الارجح قوم يسمونهم « الايبيريين » ومن ذلك اشتق اسم اسبانيا فانه كان من قبل « هباريا » ثم صار اسبانيا ومعنى هباريا « بلاد الغربيين » اما مؤرخو العرب وفيهم ابن الاثير فانهم يقولون « ان النصارى يسمون الاندلس اشبانيه باسم رجل صُلب فيها يُقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها في الزمن الاول اسمه اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس »

اما قبائل الايبيريين الذين تقدم ذكرهم فقد وقع الخلاف في اصلهم . فمن قائل انهم قدموا من جبال القوقاز حيث لا يزال لهم اثر فيها وبناء عليه فانهم يعتبرونهم طليعة الاسيويين الذين اغاروا على بلاد اوربا منذ القديم . ومن قائل انهم من جنس تتوني وان لغتهم فرع من اللغة التتونية . وغيرهم يزعم انهم من جنس افريقي عبر مضيق جبل طارق الذي يفصل افريقيا عن اسبانيا واقام فيها

وكان الفينيقيون اول من اكتشفوا اسبانيا فان هذه الامة التجارية كانت في ذلك الزمان تصنع ما تصنعه اوربا اليوم فكأنَّ اوربا تلميذة لها . وذلك انها كانت تصنع في معاملها في صيدا وصور وسواها مصنوعات كالمصنوعات التي تتجر بها اوربا اليوم مع الزنوج

﴿ الجامعة ﴾ اعتمدنا في كتابة هذا التاريخ العظيم الفائدة والجليل الشأن على مصادر مختلفة اهمها الكتب الآتية : تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابي الفداء وتاريخ الاندلس للمؤرخ باولوسكي وتاريخ غرناطة وقرطبة للمسيوكات وغيرها . ونحن واثقون بان القراء سيطالعونه بلذة وسرور ينسياننا شيئاً من التعب الذي عانيناه في المراجعة والمقابلة والتنقيب . وحسبنا ذلك

والقبائل مثل الآنية الزجاجية الملونة والانسجة المصبوغة واشياء كثيرة لزينة الرجال والنساء ثم انها تحمل هذه السلع التافهة وتطوف بها الارض المعمورة لتقايض عليها بحاصلات نفيسة . وقد وصلت السفن الفينيقية الى اسبانيا في القرن الرابع عشر او الخامس عشر قبل الميلاد المسيحي اي منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام فاحسن الفينيقيون معاملة اهلها خلافاً لما صنعه الاسبانيون في اميركا حين اكتشافهم اياها وعرضوا لهم سلعهم فسرّت قبائل الايبيريين بها وقايضتهم عليها بما كان لديهم من زيت الزيتون والخمر والصوف والمعادن الذهبية والفضية التي لم يكن الاسبانيون يعرفون لها قيمة . وقد قال سترابون « ان ما وجد في ارض اسبانيا من الذهب والفضة والنحاس والحديد لم يوجد له مثيل في جودته وكثرته في جميع اقطار العالم » . فمن هناك كان الفينيقيون يعودون بالخيرات الكثيرة

وقد بنى الفينيقيون على شواطىء اسبانيا وافريقيا كثيراً من المراكز التجارية فصارت بعد ذلك مدناً عامرة . منها في اسبانيا « قادر » او قادس وهي فادش كما يسميها العرب ومالقه وقرطبه ومعناها (بلاد الزيتون) لكثرة ما كان منه فيها . وكانت هذه المدن الثلاث اهم مراكزهم التجارية . وكان السكان على اتفاق تام مع ضيوفهم اذ لم يكن لهؤلاء الضيوف سوى اغراض تجارية خلافاً للمستعمرين في هذا الزمان الذين يسعون في استعمارهم الى التهام البلاد وثروتها معاً . اما الفينيقيون فانهم كانوا لحكمتهم يكتفون بالثروة ويتركون البلاد لاهلها

وكان اليونان يزاحمون الفينيقيين في التجارة في ذلك الزمان فلم يلبثوا ان تبعوهم الى اسبانيا فترك لهم الفينيقيون شاطىء اسبانيا الشرقي فانشأ فيه الرودوسيون مدينة « روزا » وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد المسيحي ثم جاء الفوسيون وهم من يونان (ايونيا) في اسيا الصغرى فبنوا مدينة امبورياس ومعناها (السوق) واقاموا في (دنيا) هيكلاً للالاهة ديانا حامية افسس . فكان ذلك اول شعاع من اشعة التمدن التي دخلت الى اسبانيا

ثم سقطت فينيقية تحت ضربات نبوخذ نصر الفاتح الاشوري الذي خرب صور ملكة التجارة والبحار في تلك الايام فاصبحت جميع المدن التي انشأها الفينيقيون خارج بلادهم هدفاً لطمع الطامعين . فاغار قبائل التورديتانيين في اسبانيا على مدينة قادش الفينيقية فاستنجدت قادش بقرطجنة ابنة فينيقية واحدى مستعمراتها لان الفينيقيين هم الذين عمروا قرطجنة كما لا يخفى . فاحتلت قرطجننة محل الفينيقيين بعد سقوطهم فوالت الاسبانيين

وحالفتهم وقد كانت تتخذ منهم جنوداً لمحاربة الرومانيين · ولولاهم لما استطاعت الثبات امام رومه وقتاً طويلاً

فلما راى السناتو الروماني هذا الخطر تلافاه بان ارسل قواده يوالون الاسبانيين ويحالفونهم فتردد الاسبانيون في بدء الامر ولكن بعضهم عاد فحالفهم فتمكن الرومانيون حينئذٍ من اسقاط قرطجنة فاصبحت اسبانيا بلاداً رومانية

وكان قد دخل الى اسبانيا قبائل جديدة من السلتيين فانضمت الى الايبيريين وامتزجت بهم امتزاج الماء بالراح فصارت اسبانيا مؤلفة من عنصرين

ثم كانت غزوة برابرة الشمال للرومانيين في عام ٤٠٦ للميلاد المسيحي وهم بين جرمان وسلاف وتتر فطاف منهم فريق كبير في غاليا (فرنسا) وايطاليا حتى بلغوا جبال البيرينه التي على تخوم اسبانيا فدخلوا اليها في عام ٤٠٩ وامعنوا فيها سلباً وقتلاً وحرقاً · وقد قال ابن الاثير في كلامه عن فتح الاندلس « ثم دخلت عليهم (الاسبانيين) امة القوط (يعني الغوثيين امة الغوث) مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس (يعني اسبانيا) فاقتطعوها من يومئذٍ عن صاحب رومه وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ايطاليا شرق الاندلس » فصارت اسبانيا مؤلفة من اربعة عناصر : الايبيريين والسلتيين وبرابرة الشمال والغوثيين · هذا فضلاً عن العنصر الفينيقي والعنصر القرطجني اللذين هما في الحقيقة واحد وان كانا اثنين · ولذلك قلنا في صدر الكلام ان لتاريخ اسبانيا خمسة ادوار : الاول دور الفينيقيين · والثاني دور الرومانيين · والثالث دور الغوثيين · والرابع دور المسلمين الذي قد بلغناه الآن

٢

﴿ ابتداء الفتح الاسلامي فيها ﴾ وقد اختلف المؤرخون في سبب هذا الفتح · فمن قائل ان الفتح الاسلامي كان عقاباً الهياً للغوثيين وملوكهم على افسادهم في البلاد وظلمهم للعباد · ومن قائل ان الفتح الاسلامي لاسبانيا كان نتيجة لازمة لاستيلاء المسلمين على افريقيا لانَّ النزاع استمرَّ شديداً بين كل القبائل التي عاشت على مرور الزمان فوق الشاطىء الافريقي والشاطىء الاوروبي من مضيق جبل طارق · ومن قائل ان احد امراء الغوثيين هو الذي استدعى العرب الى الاندلس انتقاماً من ملك الاسبان لانه اهان ابنته · ولعل هذا القول هو القول الراجح · قال ابن الاثير بهذا الشأن : وكانت عادة امراء الاسبان انهم يبعثون اولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة ليكونوا في خدمة الملك ويتأدبوا بذلك فاذا بلغوا الحلم ازوج بعضهم بعضاً وتولى تجهيزهم · فلما ولي رذريق (يعني الامبراطور

رودريك) ارسل اليه يوليان (يعني الكونت جوليين امير سوتة وهي سبتة) ابنة له فاستحسنها رودريك" واعتدى عليها " فكتبت الى ابيها فاغضبه ذلك . وكانت افريقيا يومئذٍ في قبضة المسلمين والوالي عليها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك هو موسى بن نصير وكرسيه في القيروان عاصمة افريقيا يومئذٍ . فكتب اليه يوليان يجامله ويستدعيه اليه فسار اليه فوصف له يوليان الاندلس وزين له غزوتها فكتب موسى الى الوليد يبلغه ذلك فاجابه الوليد "خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال" . فكتب اليه موسى عن مضيق جبل طارق « انه ليس ببحر متسع انما هو خليج يبين ما وراءه » فكتب اليه الوليد « ان اختبرها بالسرايا اذا كان الامر ما حكيت » فبعث رجلاً من مواليه يقال له « طريف» في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فعبر طريف المضيق في اربع سفائن ونزل في جزيرة الاندلس (١) فسميت جزيرة « طريف » لنزوله فيها . ولا يزال هذا الاسم اسم مدينة هناك الى هذه الايام ومن الكتاب من يعربها تاريف او تعريف لذهاب اصلها عنه .

٣

﴿ طارق وغزوته ﴾ ثم اغار طريف على الجزيرة الخضراء فاصاب غنيمة ورجع سالمًا في رمضان سنة احدى وتسعين . فلما راى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو طلباً للغنيمة . فدعا موسى والي افريقيا عاملاً له او مولى له كان قائد جيوشه يقال له « طارق بن زياد » وبعثه لغزوة الاندلس في سبعة الاف من المسلمين اكثرهم من البربر والموالي واقلهم من العرب . فساروا في البحر حتي انتهوا الى جبل شامخ على الشاطئ الاسباني فنزلوا فيه فسمي " بجبل طارق" الى هذه الايام

ثم زحف طارق من الجبل مع جيشه فطرد امامه الاسبانيين الذين وجدهم في طريقه وكانوا بقيادة تودمير وبعد ذلك قسم جيشه سرايا سرايا فسارت تقذف الرعب والخوف في قلوب السكان . فلما بلغ الامر الى الملك رودريك جمع من الغوث والاسبانيين الرومانيين مائة الف رجل في رواية ابن الاثير وقصد بها طارق . فاسرع طارق الى لم شمل السرايا التي فرقها وكتب الى رئيسه موسى ابن نصير يستنجده على الاعداء فامده موسى بخمسة الاف رجل فبلغ بهم الجيش العربي في اسبانيا ١٢ الف مقاتل . فلقي طارق بهذا

---

(١) والصواب انها شبه جزيرة او بحيجزيرة كما يقول العرب . ويسمي كتاب العرب اسبانيا بلاد الاندلس من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان الاندلس اقليم من اقاليم اسبانيا



﴿ لمحة من خريطة اسبانيا ومضيق جبل طارق ﴾

الجيش جيش رودريك على ضفة نهر « كادالت » الذي يسميه العرب « لكه » وذلك قرب مدينة كسيرس التي يسمونها « شذونه » وكان الكونت جوليين في جيش العرب على ما يُقال يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار وكان في الجيش العربي ايضاً كثيرون من اليهود والمسيحيين الساخطين على الملك رودريك ورجال بلاطه . فاستمرّ القتال على ما يُقال ثلاثة ايام وانتهى بانتصار العرب ومقتل الملك رودريك من يد طارق ومنهم من قال انه لم يُقتل ولكنه ارتد بقسم من جيشه المكسور الى جبال غاليسيا . فاخذ طارق يطارد الهاربين ويُخضع البلاد بسرعة غريبة . وكانت هذه اشد معارك الفتح مع الاسبانيين

ولما سمع موسى بن نصير بما اوتي عامله طارق من الفتح العظيم حسده فجمع جيشاً كثيفاً من اهل الشام الذين كانوا معه ودخل الى الاندلس ليتمّ الفتح بنفسه وامر طارقاً بالكف عن القتال . فلم يكف طارق اما لانه رأى من الحكمة ان لا يُمهل الاسبانيين

فيلموا شملهم واما انه وجد من حقه ان يتم الفتح الذي بدأ به ٠ فقسم جيشه ثلاثة اقسام ووجهها لفتح مالقه وقرطبه (كوردو) واستجه (اسيجا) ثم سار بنفسه لفتح طليطلة (توليدو) الواقعة في وسط اسبانيا فاحتلها ووجد فيها كثيرًا من النفائس والاموال ٠ وكان جيش الاسلام مامورًا بعدم النهب والسلب وبحسن معاملة السكان وباطلاق حرية الدين لهم وبابقاء املاكهم وحفظ قضاتهم واستقلالهم النوعي على شرط ان يؤدوا الجزية التي كانت تختلف بين خمس دخل الرجل او عشره٠ ومع ذلك فقد كانت هذ الجزية اخف من الجزية التي كان يدفعها الاسبانيون للغوثيين ٠ فضعفت همة الاسبانيين عن مقاومة العرب بعد ما راوه من حسن معاملتهم وفضلوهم على الغوثيين الذين كانوا يظلمونهم ٠ وانما كانوا يخافون العرب خوفًا شديدًا لان طريفًا كما قال مؤرخو العرب اوهم الاسبانيين انه يا كلهم هو ومن معه رغبةً في ارهابهم فبقي الاسبانيون يحذرونهم ويذكرون هذا الامر حتى عرفوا دماثة اخلاقهم فتركوا ذلك الفكر الغريب الذي اثاره مزاح طريف

٤

﴿ غزوة موسى بن نصير عامل الوليد ﴾ اما موسى بن نصير فانه اوغل بجيشه في اسبانيا للفتح فقيل له تسلك طريق طارق فابى واستنكر ان يقلد عامله ويمشي على اثره ٠ فسار الى قرمونه واشبيلية (سيفيل) وغيرها من المدن الاسبانية فافتتحها٠ ووصلته في ١١ يوليو من ذلك العام (٧١٢ للميلاد) نجدات عظيمة من افريقيا ٠وكان همّ موسى عامله طارق الذي عصي امره ٠ قال ابن الاثير " وسار موسى من مدينة مارده في شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم " ثم ان موسى وابنه عبد العزيز وطارقًا عامله الذي عزله ثم ولاه القيادة سار واكل واحد في جهة واخذوا يفتحون المدن ويخضعون السكان فلم يأتِ عليهم عام في اسبانيا حتى دوخوا البلاد من جبل طارق الى تخوم جبال البيرينه

وكان موسى بن نصير تحدثه نفسه بامر عظيم ٠ فانه كان ينوي النزول من البيرينه الى غاليا « فرنسا »ومنها يفتح اوربا كلها ويعود الى الوليد في الشام عن طريق البحر الاسود٠ ولكن الوليدلم يمهله فاستدعاه اليه في عام ٧١٣ للميلاد مع طارق مولاه الذي اصبح مناظرًا له٠ فاستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز ثم عبر البحر الى سبته « مقابل جبل طارق وتدعى اليوم سوته » فاستخلف عليها وعلى طنجة ابنه عبد الملك واستخلف على افريقيا

واعمالها ابنه الكبير عبدالله ثم قصد الشام مع طارق لمقابلة الخليفة

فحكم عبد العزيز بن موسى في الاندلس حكماً عادلاً استمال الاهالي اليه وحبب اليهم سلطة الاسلام . ولكنه لم يلبث ان عُزل بعد عامين لان خصومه اتهموه بالميل الى المسيحيين وبانه تزوج باجيليون ارملة الملك رودريك وهو امر لم يثبت عليه . واما ابن الاثير فانه يقول ان الجنود قتلته بامر الخليفة لحمله الناس على السجود له طوعاً لارملة رودريك . وبعد عبدالعزيز نادى رؤساء الجيش برجل يدعى « ايوب » والياً للاندلس وكان شجاعاً واحد قواد الجيش . فنقل ايوب كرسي الولاية من اشبيلية الى قرطبة واخذ يطوف في جميع الاقاليم الخاضعة للاسلام لافتقاد الامن والعدل وانصاف الناس . ثم انه التفت الى عمارة المدن وراحة السكان لينسيهم شقاء الحروب فبنى على انقاض مدينة بلبلس التي هدمت في اثناء الفتح مدينة سماها « قلعة ايوب » واسمها اليوم عند الافرنج " كالاتايود" وكانت الاندلس تابعة لولاية افريقيا فعزل والي افريقيا ايوب عن ولاية الاندلس بامر من الخليفة وولى مكانه رجلاً يدعى « الحر » ثم عُزل الحر وولي « السمح » فاحصى هذا الوالي عدد السكان في الولايات الاندلسية وغزا غاليا " فرنسا " فوصلت جنوده الى مدينة طولوز الفرنسوية فجرى بالقرب منها بينه وبين الكونت اوديوس قتال شديد انتهى بمقتل ايوب وانكسار جنوده فعادوا ادراجهم الى الاندلس وقد سميت تلك الطريق " طريق الشهداء " لكثرة ما قتل من العرب فيها . وكان بين القواد الذين عادوا من واقعة تولوز قائد يُدعى عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي فنادى به الجيش والياً للاندلس ثم خلفه عنبسة بن شحيم الكلبي فاقام عبد الرحمن تحت زعامته وكان عنبسة قرماً صنديداً فطلب الغاليين " الفرنسويين " ليثأر منهم للذين قُتلوا في واقعة تولوز ففتح مدينتي قرقسونه وليون (١) ثم خرب شاطىء نهر الرون ونهر السون ونهب مدينة اوتين وعاد بكثير من الغنائم والاسلاب . ولكنه بينما كان عائداً من غزوته تكاثر عليه الغاليون فقتلوه قرب مدينة نربون . فخلفه عزره بن عبدالله ثم يحيى بن سلامه ثم حذيفة القيسي وغيرهم ممن لا همة لهم فلم يفعلوا فعلاً يُذكر فاعيد الى الولاية عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي

---

(١) تولوز المذكورة آنفاً مدينة فرنسوية على مسافة ٧٥١ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ١٥٠ الف نفس وليون مدينة فرنسوية مشهورة وهي على مسافة ٥١٢ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ٤٥٠ الف نسمة . فما تقدم يظهر ان العرب وصلوا في غزواتهم الى قلب فرنسا تقريباً

٥

﴿ الواقعة الفاصلة بين التمدن الاسلامي والتمدن الاوروبي ﴾ ومن الغريب ان كثيرين من مؤرخي العرب وفي جملتهم ابن الاثير اكتفوا فيما ذكروه عن عبد الرحمن بقولهم " نخرج عبد الرحمن غازياً ببلاد الافرنج (١) فقتل هو ومن معه شهداء " مع ان المعركة التي قُتل عبد الرحمن في اثنائها من اعظم المعارك وعليها كانت تتوقف سيادة العنصر العربي او العنصر الاوروبي في العالم ولذلك نذكرها بشيء من التفصيل وان كان المجال ضيقاً فنقول

لما ولي عبد الرحمن امارة الاندلس للمرة الثانية اخذ ينظم حملة قوية لغزوة الفرنك بها. وقد نادى بالجهاد في سبيل الله فتقاطر عليه الناس من سوريا ومصر وافريقيا قياماً بحق الجهاد . فاجتاز بهم عبد الرحمن جبال البيرينه وانقض على بلاد الفرنك كالصاعقة ففتح مدينة بوردو واخرب جميع امارة غسكونيا وكسر الكونت اوديوس الذي تقدم ذكره وهاجم مدينة بواتيه فاحرق احد احيائها . وكانت ضرباته شديدة سريعة فاسرع اليه شارل مارتل بقبائل الجرمانيين لرد غاراته عن البلاد فالتقى به في سهول قرب مدينة بواتيه فحدث هناك بين الجيشين قتال لم يحدث اشد منه . وقد كانت القبائل الجرمانية تلبس الحديد اتقاء للسلاح وقبائل العرب مكشوفة على خيولها الخفيفة والمغاربة نصف اجسامهم عارية فكان لهذا الخليط في ساحة القتال منظر غريب . وقد دام القتال فيما يقال يومين كاملين لان كل فريق منهما كان يعتبر هذه الواقعة حداً فاصلاً . غير انه كان في جيش العرب شيء لا يحصى من الغنائم والنفائس التي جمعها في غزوته وكان زعيمه عبد الرحمن قد مات في القتال موت الابطال فرأى الجيش من الحكمة ان يعود ادراجه لتولية زعيم مكانه وخوفاً من فقد النفائس التي في يده . فاقتلع اطنابه تحت جنح الليل وعاد الى الاندلس . ولو قدر عرب الاندلس على قهر اعدائهم في هذه الواقعة لفتحوا اوربا كلها وقتلوا التمدن الاوربي كما يُقتل الطفل في مهده . وكانت هذه الواقعة المشهورة في شهر اكتوبر من عام ٧٣٢ للميلاد المسيحي اي منذ ١١٦٩ عاماً . فيكون الجرمانيون والفرنك قد انقذوا اوربا من الهلاك

(١) تطلق اليوم لفظة « افرنجي » على جميع اهل الغرب من اوربا واميركا . ولكن لم يُقصد بها في الاصل سوى « الفرنك » وهم الغاليون الفرنسويون الذين وقفوا في وجهه العرب بعد فتحهم الاندلس

٦

﴿ تعاقب الولاة ﴾ ثم ولي الاندلس عبد الملك بن قطن وخلفه عقبه بن الحجاج السلولي وقد حاول كلاهما الاخذ بالثأر من الافرنج فعجزوا عن ذلك . وكان الامل قد عاد الى الاسبانيين فهاجموا العرب من الجبال وكسروهم عدة مرات . فاخذ عقبه يستعد لغزوة بلاد الفرنك غزوة كبرى واذا بامر ورده من والي افريقية وهو العامل الكبير عليها وعلى الاندلس بعبور البحر الى افريقيـة لاخماد ثورة الخارجين من المغاربه والبربر . وكانت هذه الثورة شديدة فعبر عقبه البحر اليهم وكسرهم شر كسرة . فاغتنم شارل مارتل هذه الفرصة وحصر المراكز العربية مما يلي جبال البيرينه خارج اسبانيا وهي نربون ومغلون واجده وبزبير ففتحهـا . ثم اعيد منصب الولاية الى عبد الملك بن قطن بعد ان حكم عقبه الاندلس حكماً عادلاً . فحدث في افريقية في عهده قتال شديد بين العرب والبربر فاضطر عشرون الفاً من العرب الى عبور البحر الى الاندلس ولما وصلوا اليها قتلوا عبد الملك لانه لم ينجدهم على اعدائهم وولوا على الاندلس احد قوادهم واسمه بلج فانكر هذه الولاية قائد ثانٍ لهم وخرج على الوالي وكذلك صنع المغاربة والبربر المقيمون في الاندلس فثارت بين الجميع حروب اهليـة شديدة انتهت بمقتل بلج وولاية عبد الرحمن بن خطار الذي قتله بيده ولذلك تلقب (المنصور) فاخذ الوالي الجديد في الضرب على ايدي البربر الخارجين على والي افريقية تأييداً لسلطنته

ثم ولي الاندلس ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي . وسبب توليته ثلاثة ابيات من الشعر قالها فاعجب بها هشام بن عبد الملك فامر حنظلة بن صفوان الكلبي عامله في افريقية ان يوليه الاندلس . اما الابيات فهذا نصها

افادت بنو مروان قيساً دماءنا ... وفي الله ان لم يعدلوا حَكم عدلُ
كانكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكمُ حرَّ القنا بنحورنا ... وليس لكم خيل تُعدُّ ولا رجلُ

فالعجب لزمن كان الشعر فيه يولي صاحبه ازمة البلاد ويحكمه في العباد

ولما وصل ابو الخطار الى الاندلس قبض على رؤساء الخوارج ثم امر باحصاء السكان واعطاء القبائل الرحل اراضي يحرثونها ويزرعونها وذلك لاغرائهم بالاقامة فيها وصرف خواطرهم عن التقاطع والتنازع فيما بينهم لان اهل الشام كانوا قد عزموا على مغادرة الاندلس والعودة الى اوطانهم . ولكن لم يلبث ان خرج عليه ثوابة بن سلمـه الحداني احد عمال الاندلس الناقمين فحدث بين الفريقين قتال انتهى بهرب ابي الخطار وولاية ثوابة . فحكم ثوابة سنتين

حكمًا سيئًا ثم توفي فعاد اهل الاندلس الى الاختلاف على الولاية وكان كلٌّ من الحضريين واليمنيين يطلب ان تكون الولاية فيه ولكنهم عادوا فاتفقوا على ان يكون والي الاندلس قرشيًا فولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري

وكان هذا الرجل عظيم القدر واسع الاطلاع محبًا للعدل والانصاف فاصلح احوال الاندلس اصلاحًا يُذكر فانه قسمها الى خمسة اقاليم : الاول اقليم الاندلس ويسميه الافرنج « اندالوس » والثاني اقليم طليطلة ويسميه الافرنج اليوم « اقليم قرطجنه » والثالث مارده ويسمونه اليوم « لوزيتانياوغاليسيا » والرابع سرقسطه ويسمونه اليوم « تاراكونيزيا » ثم انه طاف في هذه الاقاليم كلها واخذ ينشيء فيها الجسور « الكباري » ويصلح الطرق ويبني الجوامع والمساجد وما زال على هذه الهمة والسعي المشكور حتى حدثت الفتنة المشهورة بين بني امية وبني العباس في الشام

٧

﴿ دولة الامويين في الاندلس ﴾ ولما سقطت دولة الامويين في بلاد الشام وقامت دولة العباسيين وتقررت الخلافة للسفاح اول خلفائها جعل السفاح يطارد الامويين قتلاً وتشريدًا وفي ذلك روايات وحكايات لا محل لذكرها هنا . فكان لتلك الحادثة العظيمة رجع صدى في الاندلس اذ قام العرب والبربر فيها بعضهم على بعض ففريق مع العباسيين وفريق مع الامويين وشبت بينهم نيران حروب اهلية كادت تفضي الى ضعضعة سلطة المسلمين في اسبانيا لولا قدوم عبد الرحمن بن معاوية احد الامراء الامويين اليها فرارًا من وجه العباسيين في المشرق . فجمع هذا الامير حول لوائه بعض القبائل الشامية والمصرية والبربر فضلاً عمن كان في صحبته من الاعوان وهاجم يوسف الفهري عامل العباسيين فهزمه ثم قصد قرطبة العاصمة ففتحها ونادى بنفسه اميرًا للاندلس ولم يسم نفسه خليفة لانه كان ممن بايعوا خليفة العباسيين في المشرق . ويسمي الافرنج هذا الامير عبد الرحمن الاول لانه اول امراء بني امية في الانداس ويسميه العرب عبد الرحمن الداخل لانه اول من دخل اليها منهم . وكان ذلك في عام ٧٥٦ للميلاد

ولكن انصار العباسيين في الاندلس اصروا على عدائهم للامير عبد الرحمن واستنجدوا بالفرنك عليه فزحف شارلمان الكبير ملك الفرنك لانجادهم فعبر جبال البيرينه في عام ٧٧٧ وفتح بمبلونه ولكنه اضطر الى النكوص فهزم الفسكونيون مؤخرة جيشه في واقعة رونسفو المشهورة هزيمة شديدة قُتل فيها البطل رولاند وقد بنى كورنيل على هذه الواقعة رواية

« شارلمان » التي نقلها المرحوم اديب بك اسحق الى اللغة العربية

٨

﴿ بلوغ التمدن الاسلامي اعلى ذراه في الاندلس ﴾ ومنذ هذا الحين بدأ في الاندلس عصر جديد · عصر تمدن زاهر وعز مقيم · فان الامير عبد الرحمن اخذ يزين عاصمته احسن زينة غيرة من العباسيين في بغداد فانفق ٨٠ الف دينار على انشاء قصر له وعلى وضع اساسات جامع قرطبة المشهور وقد توفي دون ان يتمها · فخلفه ابنه هشام في عام ٧٨٨ ويسميه الافرنج هشام الاول ثم خلفه الحكم بن هشام في عام ٧٩٦ ويسمونه الحكم الاول ثم خلفه ابنه عبد الرحمن الاوسط في عام ٨٢٢ ويسمونه عبد الرحمن الثاني ثم خلفه ابنه محمد في عام ٨٥٢ ويسمونه محمد الاول ثم خلفه ابنه المنذر في عام ٨٨٦ ثم خلفه اخوه عبد الله في عام ٨٨٨ · ولكن حكم هؤلاء الامراء جميعاً كان في مدة القرن الذي انقضى عليهم مضطرباً جداً لان الافرنج كانوا يهاجمونهم من جانب وانصار العباسيين من جانب · وما زال الحال على هذا المنوال حتى قام عبد الرحمن الثالث وهو حفيد الامير عبد الله اخي المنذر الذي تقدم ذكره

وكان عمر عبد الرحمن عند قبضه على ازمة الامارة ٢١ عاماً فكان مع صغر سنه شهماً هماماً ورجلاً من خيرة الرجال فاقدم على ما احجم عنه اجداده فتلقب بالخلافة وسمى نفسه امير المؤمنين ثم ضرب النقود باسمه وامر ان يُخطب باسمه في الجوامع ويقال انه منع رعيته من الحج لئلا يصادرهم العباسيون · وبذلك قطع كل صلة بين الاندلس وبغداد · وقد حكم هذا الامير من عام ٩١٢ الى عام ٩٦١ اي ٤٩ عاماً فبلغت اسبانيا في حكمه مبلغاً من التمدن لم تعرفه قبل ذلك العهد ولا عرفته بعده فانه نشر لواء العدل والامن في البلاد واعلى منار العلم حتى جعل الشعراء يقولون في وصف قرطبة

بأربعٍ فاقت الامصار قرطبة ... منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هذان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم اعظم شيء وهو رابعها

فبارك الله في عصر كان ابناؤه يعدون العلم خير ما يُقتنى واعظم ما يُجتنى

اما الجامع العظيم الذي ذُكر في هذين البيتين فقد تقدم ذكره واما الزهراء فهي جنة فيحاء بل فردوس ارضي انشأه عبد الرحمن على مسافة ٥ اميال من قرطبة بناء على طلب جارية له تسمى « الزهراء » وكان شديد الشغف بها · وقد بنى الزهراء في بدء بنائها قصراً للاقامة فيه ثم توسع في البناء فبنى بازاء القصر مدينة تحت جبل يسمى جبل العروس وقد

غرسه اشجارًا مثمرة كالتين واللوز . وقد قدر بعضهم انه كان ينفق على بناء هذه المدينة ٣٠٠ الف دينار في كل يوموقد دام هذا الانفاق ٢٥ عاماً . وقد طلب لها الرخام من اقطار العالم ابيض ومجزعًاوسماقيًا وغير ذلك وانشأ فيها حياض المياه مزينة بالتماثيل الرخامية والذهبية وحفر فيها بحيرة وضع فيها الاسماك المختلفة وقد روى بعضهم انه كان يُخبز لهذه الاسماك في كل يوم١٢ الف خَبزة ويُنقع لها في الماء ستة اقفزة من الحمص الاسود

وقد طارت شهرة عبد الرحمن الى اوربا فجاءته الوفود من المانيا واليونان استرضاء له . وبلغت الاندلس في عهده اقصى درجاتها من الحضارة والمجد في العلم والصناعة والتجارة والفنون . اما في العلم فقد بعث عبد الرحمن الى القسطنطينية وكان امبراطورها القيصر رومانوس والى بلاد العرب ومصر وفارس وافريقية وغيرها باناس لشراء الكتب ونسخها وترجمتها كما صنع الافرنج بالكتب العربية بعد زوال دولة الاندلس. ويقال انه كان في الاندلس ٧٠ مكتبة للمطالعة . اما مدارسها فكانت اشهر من ان تذكر وقد قيل انه كان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة كبرى يُعلم فيها جميع العلوم الدينية واللغوية التى تُعلم الآن في الجامع الازهر الشريف وفوق ذلك الرياضيات بانواعها والتاريخ والجوغرافيا وعلم الفلك والطب والصناعة وما شا كلها . وكانت المدارس العربية الاسلامية كما قال العالم جفراي منتشرة من اقاصي بخارى الى افريقية فالاندلس تنشر في العالم نور المدنية والعرفان فتصلح ما يكون السيف قد افسده . ولم يعرف الافرنج فلسفة أريسطو في القرون الوسطى الا من الكتب التي الفها العرب وترجموها . وكان كل واحد من خاصة الناس وعامتهم في الاندلس يتباهى باقتناء مكتبة ويزينها بالكتب . وقد اقبل الناس من اوربا افواجًا على الاندلس للدراسة في مدارسها منهم الراهب جوبرت الذي ارتقى بعد ذلك الى العرش البابوي باسم البابا سيلفسترس الثاني فانه تلقى العلم في مدارس قرطبة واشبيلية ولما عاد الى بلاده ادهش الناس بالمعارف الجديدةالتي نقلها اليهم

واما صنائعهم فاشهرها الفنون الجميلة التي لا يزال آثارها في الاندلس شاهدًا للمدنيـة الاسلامية التي قامت فيها . وقد اشتهرت مالقه بصنع الخزف المذهب اشتهار مدينة سفر الفرنسوية اليوم . وامتازت المرية بصنع الديباج الجميل وآلات الحديد والنحاس والزجاج وكان فيها الف حمام وفندق وكانوا يغرسون التوت في جوارها ويربون دود الحرير . واشتهرت اشبيلية بسعة تجارتها وباغراس الزيتون والتين فيها حتى لقد قيل ان الماشي كان يمشي في ظل هذه الاشجار اربعين ميلاً . واشتهرت اشبونه بالعنبر والمسك وباجه بمعدن

الفضة والدباغة وصناعة الكتان وشنتره بخصب ارضها حتى انه روي ان كل تفاحة من تفاحها كانت استدارتها ثلاثة اشبار والله اعلم . وامتازت شاطبه بصنع الورق وامتاز غيرها بغيره مما يطول ذكره . وكان في جاين ٦٠٠ معمل لصنع الحرير وفي المرية ٦ الاف آلة لنسج الانسجة القطنية والصوفية والكتانية وفي بايزه معامل للسجاد وفي قرطبة ومورسيس وطليطلة وسرقسطه معامل للجلد والاسلحة والحلي الثمينة . وكل هذه البضائع كانت تصدر الى اوربا وافريقية وغيرها كما تصدر اليوم المصنوعات من اوربا الى جميع اقطار العالم . فسبحان مغير الاحوال

وكان الاندلسيون عارفين بصناعة استخراج المعادن من الارض فاستخرجوا من بلادهم الذهب والفضة والنحاس والحديد والبلور والياقوت والقصدير وغيرها

ويروي مؤرخو الافرنج انه كان بقرطبة وحدها مائتا الف منزل و٨٠ الف قصر و٩٠٠ حمام ومدارس وجوامع لا عدد لها وقد بلغ سكانها مليون نسمة فيما يقال

وقد كان عدد العملة في معامل اشبيلية وحدها مائة الف عامل وقد سماها اهل الشام « حمص » لحنينهم الى هذه المدينة وسائر اوطانهم الشامية وفيها يقول الشاعر

خليليَ بادر بي الى النهر بكرة وقف بيَ حيث المد يثني عنانه
ولا تجز « الارحا » لان وراءها بيابًا وعيني لا تريد عيانه

واما غرناطه فقد كانوا يسمونها « دمشق الغرب » او « قطعة من الجنة هبطت من السماء » ولا يزال الاسبانيون يقولون في امثالهم عنها « من لم يرَ غرناطه فانه لم يرَ شيئًا » وقد سماها الافرنج « غرينادا » اي « رمانة » لانها مبنية على ثلاثة آكام متراكزة كاجزاء الرمانة اذا فُلقت . وقد حرفها العرب فجعلوها « غرناطة » في جملة ما حرفوه مما لا فائدة من متابعتهم فيه اللهم الا ان يكون الاسم نفسه من موضاعاتهم فيجب الرجوع اليه كقول الافرنج « كالاتيود » وصوابه قلعة ايوب التي مرَّ ذكرها و « ترافلكار » وصوابه طرف الغار وهلم جرًّا

اما العلماء والفلاسفة والكتاب والشعراء الذين نبغوا في ذلك الزمن فحدث عنهم ولا حرج . وربما افردنا لهم مقالة على حدة لاستيفاء الكلام على تراجمهم . واشهرهم كلهم الفيلسوف العربي ابو الوليد محمد بن احمد بن رُشد المالكي القرطبي الذي ترجم مؤلفات ارسطو وكان يقول عنه انه اشهر فلاسفة الارض . وقد كفَّره معاصروه واتهموه بانه يجحد القرآن فنفي من اشبيلية فاستدعاه سلطان المغرب للوقوف على حكمته وفلسفته . ومن

مشاهير الاندلس ايضاً ابو العباس وابن جابر الرياضي الذي ينسب العرب علم الجبر اليه وابن الخطيب وابن جبير وغيرهم كثيرون يستغرب الافرنج كثرتهم ولا يصدقون عددهم · وقد قال مؤرخوهم ان السبب الذي يصح ان يُعدّ من اقوى اسباب سقوط دولة العرب في اسبانيا هو تغلب الفقهاء على العلماء وتكفيرهم كل من خالف اقوالهم كما حدث لابن رشد· وقد حاول فقهاء المسيحيين اي علماء اللاهوت عندهم ان يصنعوا بعلمائهم في اول النهضة العلمية الاوربية ما صنعه فقهاء العرب بعلمائهم فتغلب العلماء عليهم وبذلك انتصر العلم الانتصار الباهر الذي نرى ثماره في هذه الايام

٩

﴿ تدلي التمدن في الاندلس ﴾ وبعد وفاة عبد الرحمن الثالث الذي نلقبه عبد الرحمن الكبير لان التمدن العربي بلغ اشده في الانداس في ايامه خلفه ابنه الحكم الثاني في عام ٩٦١ وتلقب بالمستنصر فحارب الافرنج وقهرهم على طلب الصلح ثم ارسل عاملاً له الى افريقية ليفتحها وينشر نفوذ الامويين فيها وكان بلاطه غاصاً بالعلماء والشعراء والكتاب· قيل وقد احصيت الانداس في ايامه فكان عدد مدنها ٨٠ مدينة كبرى و٣٠٠ مدينة صغرى وبلغ عدد قراها ومزارعها ١٢ الفًا اما جبايتها فقد بلغت ٦ ملايين دينار · وقال بعضهم بل كان في وادي « قضا الكبير » وحده ١٤ الف قرية ولا يخفى ما في ذلك من الغلو · ثم توفي في عز وجاه وذلك في عام ٩٧٦ فخلفه ابنه هشام الثاني الذي تلقب المؤيد وهو فتى صغير فاستوزر محمدًا بن ابي عامر وكان رجلا شديد البأس فقبض على ازمة الملك دون ان يعبأ بالخليفة فبقي هشام تحت سلطته · وقد حارب ابو عامر الافرنج فقهرهم اولاً ثم قهروه في معركة كبرى فجرح فيها ومن شدة حزنه ابى مداواة جرحه فمات بسببه · فخلفه اخوه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر فابقى الحجر على المؤيد ثم توفي فخلفه اخوه عبد الرحمن فاخذ عهدًا من المؤيد بالتنازل له عن الخلافة فثار لذلك الامويون وخلعوا المؤيد وبايعوا محمدًا بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر فحدثت بين الفريقين بسبب الخلافة والتنازع عليها حروب جعلت قرطبة فوضى بلا وازع ولا رادع· ومنذ هذا الحين ابتدأ التمدن الاندلسي يتدلى ويهبط بعد بلوغه اوج المجد والعظمة

فلما رأى الافرنج انقسام العرب وتفرق كلمتهم اجتمعوا مع تفرقهم لمقاتلتهم واخراجهم من اسبانيا · وكان قد تالف في شمال اسبانيا وغيرها من الجهات التي تلي املاك العرب فيها ممالك صغيرة اهمها مملكة استوريا ومملكة نافاريا وكونتيه برشلونه ومملكة غاليسيا وكاستيل

واستعدت لمقاومة العرب · فلما راى العرب هذا الخطر اتفقوا بعد تفرقهم واستنجدوا على خصومهم بيوسف بن تشفين صاحب بلاد المغرب الذي لقب نفسه « امير المسلمين » · وكان الافرنج قد قدموا عليهم الملك الفونس السادس ملك غاليسيا وكستيل فقدم يوسف بن تشفين بجنوده المغاربة وكسره شر كسرة · ثم اضطر يوسف الى العودة الى افريقيا فعاد الامل الى الافرنج فلما سمع يوسف بذلك عاد اليهم ولكنّ امراء الاندلس كانوا قد تغيروا عليه وعلى رجاله لان الذوق العربي لم يكن يألف ذوق البربر فقاتلهم يوسف وتغلب عليهم وولى ابنه الامارة تحت سيادة العباسيين

وكانت الحروب في افريقيا قائمة قاعدة في ذلك الزمان فلم يتمكن خلفاء يوسف وابنه من حفظ اسبانيا فقويت امارات الافرنج على العرب فتفرق امر العرب واستقلّ كل والٍ بالاقليم الذي كان يدير شؤونه · فتهافت الافرنج على الاقاليم الاندلسية واخرجوها من ايدي العرب في القرن الثالث عشر واحداً بعد واحد وكان آخرها اقليم غرناطه · وقد زالت سلطة العرب من الاندلس في اوائل القرن الخامس عشر (سنة ١٤٩٢) وكان ملك كاستيل هو عدوها اللدود الذي لم تقوَ عليه · وهكذا زال ذلك الملك الضخم والمجد العظيم · وسبحان محيي الدول ومميت الدول انه الحيّ الباقي وحده

١٠

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ومسالة جبل طارق ﴾

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ﴾ ولما قامت الدولة الاموية في الاندلس قامت دولة اخرى في افريقية وتُعرف بدولة الفاطميين · وهي خلافة شيعية لاهل ابي طالب نشأت في بلاد المغرب وكانت شاملة مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب · واما السبب في نشأتها فهو ان العباسيين لما اخذوا يقاومون بني امية لاخراج الخلافة من ايديهم كان العلويون يحسبون انهم يصنعون ذلك انتقاماً لعلي (رضه) وانهم سيعيدونها اي الخلافة الى آله · وكان كثيرون من المسلمين يرون انه متى سقط الامويون وجب مبايعة العلويين لان الخلافة لهم · فلما اسقط العباسيون الامويين واستأثروا بالخلافة غضب لذلك آل ابي طالب فصار الخلفاء العباسيون يضطهدونهم اضعافاً لامرهم · فلما كانت خلافة المعتضد بالله العباسي كتب الى عامل له في بلاد المغرب ان يقبض على رجل يُدعى عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب فقبض العامل عليه وسجنه · ولكنه تمكن من الفرار من سجنه فتكنى بابي محمد وادعى انه المهدي فصدقه المسلمون في الغرب وتبعوه فانشأ دولة في افريقية وخلافة

تعرف بالخلافة الفاطمية و بنى مدينة رقادة بالقرب من القيروان · وفيه قال ابن هاني الشاعر الاندلسي الذي كانوا يلقبونه متنبي الغرب تشبيهاً له بابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور الذي كان من معاصريه

حلَّ برقـادة المسيحُ حل بها آدمُ ونوح
حلَّ بها الله ذو البرايا وماسوى ذاك فهو ريح

ولا عجب ان يغلو ابن هاني هذا الغلو فانه كان مشهوراً بالمبالغات ومنها قوله في مدح المعز لدين الله حفيد المهدي المذكور

هو علة الدنيا ومن خُلقت له ولعـلةٍ ما كانت الاشيـاء
ليست سماء الله ما ترأونهـا لكن ارضاً تحتويه سماء

وقال فيه ايضاً

ارى مدحه كالمدح لله انه قنوت وتسبيح يُحطُّ به الوزر

وقال

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القـهار
وكانمـا انت النبي محمد وكانمـا انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار
انت الذي تجدي شفاعته غداً حقاً وتُخمد ان تراه النار

وقد يكون للاديب ابن هاني الشاعر المطبوع عذر في مدحه المهدي بالالوهيـة لانه كان يزعمها ولكن ما عذره في مدح حفيده المعز هذا المدح البارد

ولكن فلنترك الآن الشعر ولنعد الى الدولة الفاطمية التي قدمنا هذه المقدمة لها · فان هذه الدولة قد عظمت في افريقية وعجز العباسيون عن مناوأتها وقد ساعدها بنو امية من الاندلس نكاية بالعباسيين ففتحت القطر المصري على يد القائد جوهر في عهد المعز لدين الله الذي تقدم ذكره بعد موت كافور الاخشيدي وفي ذلك يقول ابن هاني

يقول بنو العباس هل فُتحت مصر فقل لبني العباس قد قُضي الامرُ
وقد جاوز الاسكندرية جوهرٌ تطالعه البشرى ويقدمه النصرُ

ولما فتح جوهر مصراً شرع ببناء القاهرة وجامع الازهر ثم نقل اليها المعز كرسي الخلافة · وما زالت دولة الفاطميين حتى انقرضت فاستقل كل عامل بعمله في مصر وتونس والجزائر و بلاد المغرب وفي القرن السادس عشر تولى بلاد المغرب احد اشرافها وهو جد الاسرة المالكة اليوم

ومراكش سلطنة واسعة لا تزال مجهولة . وعدد سكانها اليوم ٨ ملايين نفس وهم مؤلفون من عرب وبربر ومغاربة وزنج ويهود وعاصمتها مدينة مراكش وعدد سكانها خمسون الف نفس . وقد سميت مراكش من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان مراكش في الاصل اسم مدينة بناها يوسف بن تشفين امير المسلمين الذي تقدم ذكره في تاريخ الاندلس وذلك في عام ٤٥٤ للهجرة . وقد بنى هذه المدينة في غابة كثيفة كانت ملجأ للصوص فكان السكان اذا مروا بها قالوا (مرّاكش) اي مرّ مسرعاً فسميت تلك المدينة بهذا الاسم



﴿ مولاي عبد العزيز ﴾

سلطان مراكش الحالي مع دراجته المولع بركوبها

وسلطانها الحالي مولاي عبد العزيز وهو شاب نشيط محب للتمدن الحديث ومولع بمصنوعاته كالدراجات والفونوغراف والتصوير الشمسي . ويقال ان سفراء الدول يتزاحمون في بلاطه بواسطة هذه الاشياء فمن اهداه منها هدية اثمن وافضل من هدية الثاني علا نفوذه على نفوذه في البلاط وسهلت اعمال دولته . وقد رُسم السلطان في هذا الرسم مع دراجته

اما المزاحمة في بلاطه بين سفراء الدول فهي شديدة لان للدول الاوربية مطامع في مملكته . وهذه المطامع تنحصر بين فرنسا وانكلترا واسبانيا والمانيا . اما فرنسا فانها تحدثها نفسها بضمّ سلطنة مراكش الى الجزائر كما تُضم برتقالة الى برتقالة اكمالاً لسلطنتها الافريقية . واما انكلترا فانها تطمح على الاقلّ الى ثغر طنجه تأييداً لمركزها في جبل طارق والبحر المتوسط

١١

﴿ جبل طارق القديم والحديث ﴾ ذلك لان جبل طارق مفتاح البحرين : البحر المتوسط والبحر الاتلانتيكي . وهو قائم في الشاطىء الاوربي فوق مدينة صغيرة سميت باسمه وعدد سكانها لا يتجاوز ٣٠ الف نسمة . اما مرفأ هذه المدينة وهذا الجبل فهو اعظم مرفأ حربي

في العالم فان اهميته في التجارة توازي اهمية مرسيليا والبضائع تدخل اليه من غير رسوم لانه مرفأ انكليزي ولكنها توزع منه في اسبانيا وغيرها على سبيل التهريب فتضر باسبانيا ضررًا ماليًا كثيرًا ما شكت منه . وقد كان هذا الجبل وهذه المدينة لاسبانيا قبل عام ١٧٠٤ ولكن الاميرال روك الانكليزي هجم على جبل طارق في هذا العام واحتله احتلالاً وقتيًا بينما كانت اسبانيا في مشاغل وحروب والى اليوم لم تخرج انكلترا منه . ويسمى راس هذا الجبل الداخل في البحر « راس اوروبا » وقد وضع الانكليز في جوفه مدافع كبرى تقطع الطريق على السفن دون ان تراها السفن وانشئوا فيه انفاقًا وحفائر للمؤن والنوم والاقامة فكأنما داخل الجبل المذكور مدينة جديدة غير المدينة التي في سفحه . ويقيم في جوف هذا الجبل ٦ الاف جندي كحامية دائمة لا تفارق مركزها . ويقول بعض الانكليز انه ليس في العالم كله قوة قادرة على الاستيلاء على هذا المركز ولا على المرور من امامه اذا شاء ان لا تمر . ويقول البعض الآخر ان ذلك وهم فان الاسطول اذا كان قويًا وعلى الخصوص سريعًا استطاع النجاة بنفسه دون ان يعبأ بمدافع جبل طارق

وبجانب جبل طارق ثغر « الجزيرة » وثغر « طريف » وهما لاسبانيا كما ترى في الرسم وفي وجهه اي في مقابلته ثغر (سبته) على الشاطئ الافريقي وهو لاسبانيا ايضًا ولذلك يخشى الانكليز اذا اشتبكوا بالحرب مع احدى الدول ان تنحاز اسبانيا الى خصمهم فتدمر من « الجزيرة » ومن « سبته » المعاقل والحصون التي انشأوها في جبل طارق والسفن التي تكون لاجئة في مينائه . ولذلك قاموا في الشهر الماضي يشددون النكير على حكومتهم ويطلبون زيادة تحصين الجبل والميناء وانشاء احواض مستترة تلجأ اليها السفن ولا تصل اليها مدافع الاسبان ومحالفيهم(١) اما عرض المضيق بين الشاطئ الاوربي والشاطئ الافريقي فانه يبلغ ١٣ كيلومترًا واذا وقف رجل على احدها استطاع رؤية الواقف على الشاطئ الثاني . واما عمق البحر في هذا المضيق فانه ٩٠٠ متر على الاكثر و٣٠٠ متر على الاقل . ويزعم الاقدمون ان البطل هرقل اليوناني هو الذي حفر هذا المضيق لوصل البحر المتوسط بالاوقيانوس واما العلماء فانهم يزعمون ان ذلك المضيق كان ارضًا يابسة تصل اوروبا بافريقيا بين البحر المتوسط والاوقيانوس الاتلانتيكي فجعل هذان البحران يصدمانه ويفتتانه ويجتاحان فتاته حتى تلاقيا واتصلا فانشئا هذا الخليج . على ان هذا الزعم يثبت ان فردينان دي لسبس قد عمل عملاً قبل اوانه . لانه لو لم يحفر ترعة السويس منذ سنوات مضت لحفرها الزمان بعد مئات من السنين

---

(١) وسينفقون لانشاء هذه التحصينات الجديدة اربعة ملايين و٨٢٠ الف جنيه

وكان جبل طارق يسمى قبل نزول طارق فيه جبل « كالبه »

١٢

هذه هي اليوم بوجه الاجمال حالة سلطنة المغرب التي كان لها الحول والطول في ايام دولة الاندلس يوم كان واليها والياً عليها وعلى الاندلس معاً . ولم نذكر شيئاً من احوالها الخصوصية وشؤونها الداخلية لان هذا المقال قد طال وضاق بنا المجال فضلاً عن استيفاء الجرائد اليومية البحث في هذه الاحوال . غير اننا نقول في الختام ان مراكش اذا سقطت في حبائل الدول الاوربية انتهى بذلك استقلال آخر دولة من الدول العربية واصبحت الحبشة في جميع اقطار افريقيا منفردة بنعمة الاستقلال والحرية

واذا نظرتَ الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتنعمُ

والارض لله يورثها لمن يشاء وهو الفعال لما يريد

مدام بوثا ومدام كروجر

ذكرنا في صدر هذا الباب اننا سننشر في كل جزء ترجمة رجل وامرأة من مشاهير الرجال والنساء . وقد اخترنا لهذا الجزء المراة الفاضلة التي توجهت اليها في الايام الاخيرة انظار العالم المتمدن كله وصار اسمها في كل شفة ولسان لانها كانت الوسيط بين اللورد كتشنر قائد الجنود الانكليزية وزوجها الجنرال بوثا قائد جنود البوير في مسالة عقد الصلح . ثم سافرت من الترنسفال الى انكلترا فزادها هذا الامر اهمية لان الناس اعتقدوا انها مسافرة في مهمة خصوصية من قبل اللورد كتشنر وهي مقابلة كروجر واقناعه بوجوب اصدار الامر الى جنود البوير بالتسليم والكف عن القتال لانهم اصبحوا من الضيق في اسواء حال



﴿ مدام بوثا ﴾

واما الذين يعرفون اخلاق اللورد كتشنر فانهم اكدوا انه لا يمكن ان يعهد بمهمة رسمية الى النساء

لانه لا يلتفت اليهن كثيرًا ولا يثق بهن كل الثقة

ومدام بوثا سيدة في منتصف العمر وهي سمراء اللون بملامح جميلة وتحسن الانكليزية والهولاندية · ويروى عنها انها تكره الحرب ولو كان الامر اليهـا لوقفت رحى الحرب منذ زمان· ولما وصلت مدام بوثا الى سوتنتون في انكلترا كان مراسلو الجرائد من كل الاقطار ينتظرونها لمحادثتها فلم تقابل احدًا منهم مع اصرارهم على مقابلتها · ولم يُعلم الى الآن على التمام الغرض من سفرها

اما مدام كروجر التي نشرنا رسمها في هذا الفصل ايضاً فقد كانت احسن حظـاً من صديقتها مدام بوثا لانها قد انتقلت من هذه الحياة الى حياة افضل منها · وكانت وفاتها بذات الرئة ولم يطل مرضها سوى ثلاثة ايام · وهذه مصيبة جديدة فوق مصائب الشيخ كروجر زوجها

واما البوير فانهم لا يزالون في مناوشات مع الجنود الانكليزية · وتقول الجرائد البريطانية ان السبب في عدم تسليم البوير الى الآن الخرافات التي يذيعها قوادهم بينهم · كقولهم « ان حكومة الترانسفال متحققة انه ستحدث مشاكل سياسية بين الدول بعد ثلاثة اشهر » او « ان شعب فرنسا قد ثار يطلب محاربة انكلترا وسترسل الحكومة الفرنسوية مائتي الف جندي لنجدة البوير » او « ان الانكليز يطلبون الصلح والرئيس كروجر يرفض مصالحتهم » · واما الجرائد التي تستقي اخبارها من مصادر البوير فتقول انهم واثقون بان اللورد كتشنر سيضطر الى طلب الصلح منهم على الشروط التي يريدونهـا ولذلك يقاتلونه مستبسلين فاما الموت واما الاستقلال



﴿ الرئيس كروجر وزوجته التي توفيت حديثاً ﴾

المقالات

هندية وانكليزي

فصل ملخص عن الكاتب الانكليزي المشهور روديرد كيبلنغ وقد كتبه عند ابتداء الطاعون والمجاعة والهواء الاصفر في الهند باسلوبه البديع الذي جعل له المقام الاول بين كتاب الانكليز في هذا الزمان · وقد قبض ثمن هذا الفصل الفي فرنك

١

فقال لها : واذا كان المولود ابنة

فقالت كلا ياسيدي فانني متحققة انه سيكون غلاماً · لاني صرفت كثيراً من الليالي في الصلاة واهديتُ كثيراً من الهدايا الى مزار شيخ « بدل » · وقد سألتُ شيخ جامع « باتان » ان يرصد الفلك ساعة ولادته · فليقدّر الله له ان يولد تحت نجم حسن الطالع · وحينئذٍ تسرُّ من عبدتك

فقال : متى صرتِ عبدتي ياملكتي

قالت · صرت عبدتك منذ نظرتك · ولكنني لم اكن متحققة حبك لانك ابتعتني بمالك

فقال · كلا لم ابتعك وانما دفعت المال لامك كمهر لك

فقالت الفتاة ضاحكة · نعم وقد خبأتْ امي المال في الارض وهي تقعد فوقه طول النهار كما تقعد الدجاجة فوق البيض · ولكن لا تقل انك دفعته مهراً فانك ابتعتني ابتياعاً

فقال لها · وهل تاسفين لذلك

فقالت · لقد حزنت منه في بدء الامر · اما الآن فانني مسرورة جداً ولكن قل لي اتحبني دائماً

فقال لها · نعم دائماً

فقالت له · واذا احبك « المماليك » اولئك النساء البيض هل تعدل عن حبي ·

لقد نظرتهن امس في مركباتهن فوجدتهن جميلات

فاجاب الشاب . كنتُ سائرًا في الليل فنظرتُ مئات من الاجرام المنيرة . ولكن بعد برهة طلع القمر فلم اعد ارى غيره

فلطمت « اميرة » يدًا بيد من سرورها بهذا الجواب وصاحت ضاحكة ملء فمها : احسنت احسنت . ثم قالت بهيئة جدية . حسبي هذا الكلام فقد صرتُ اسمح لك بالسفر اذا اردته

اما الرجل فانه بقي صامتاً مفكرًا في مكانه . وكان جالساً على فراش منخفض في غرفة بسيطة مفروشة ببعض البسط الهندية وعلى المقاعد بعض مساند (مخدات) هندية ايضاً . وكانت جالسة تحت قدميه فتاة في السابعة عشرة من العمر وهو ينظر اليها فكانها الدنيا كلها عنده

وكان عيشه معها مخالفاً لكل قاعدة ونظام . فان الرجل كان انكليزياً والفتاة هندية . ولكن « جون هولدن » كان يحبها حباً شديدًا . وقد استاجر بيتاً في اكمة مشرفة على المدينة ليعيش فيه معها ومع امها آمناً خليّ البال . فكان اذا دخل هذا البيت نسي كل عناء وتعب وحسبه مملكته

ولكن شخصاً ثالثاً كان قادماً عليهما في ساعة قريبة . وهذا الشخص الثالث سيكدر صفو المنزل ويعترض هناءه . ولذلك كان هولدن غير مسرور به . اما اميرة فانها كانت تكاد تطير فرحاً كلما افتكرت به . لانها كانت ترى مع امها ان الرجل الابيض قلما يكون ثابت الحب ولكن يدي طفل صغير محبوب قد تجعلانه ثابتاً . وكانت اميرة تقول في نفسها دائماً « ومتى جاءت هاتان اليدان لا يعود يعبأ بالمماليك اولئك النساء البيض اللواتي ابغضهن بغضاً شديدًا »

بمثل هذا كانت تفتكر اميرة وهي جالسة امامه . واما هولدن فانه كان يفتكر بامرٍ اصدرته الحكومة الهندية اليه وهو السفر الى مركز قريب ليقوم فيه مقام موظف غائب لمرض امراته

ولما وقفت اميرة على خبر سفره قالت بهدوء متألمة اف من هذا السفر . ولكن لا باس فانها مصيبة صغيرة لا كبيرة . سافر ولا تحمل همي فان امي عندي تعتني بي . ومتى رجعتَ فاني اؤمل لا بل اؤكد انني « ساضعه » بين يديك . ولكن لا تقف على الطريق لمحادثة المماليك اولئك النساء البيض الجسورات . وعد باسرع ما يمكن

فودعها هولدن وخرج فاوصى الحارس المقيم امام حاجز البيت لحراسته بان يبعث اليه اشارة تلغرافية حين خلاص اميرة ثم ركب القطار وسافر وهو حزين حزن من يحضر جنازة نفسه

فوصل هولدن الى مركزه وشرع في عمله وهو شارد الافكار . وكان في النهار يخشى ان يرده تلغراف حامل خبرًا سيئًا وفي الليل يرى في الحلم « اميرة » ميتة فينتبه مذعورًا . وما زال صابرًا حتى انقضت الخمسة عشر يومًا نخالها خمسة عشر عامًا لاسيما وانه لم ترده اشارة تلغرافية من حارس منزله فركب جواده وسار هائمًا على وجهه قاصدًا منزله

فلما وصل الى حاجز المنزل صاح بالحارس ماذا جرى . فاجاب الحارس كمن يبشر بخبر سار : لا يخرج الخبر من فمي يا ابا الفقراء . فاسرع هولدن ودخل الى حديقة المنزل فسمع عند دخوله صوتًا دقيقًا غريبًا لم يكن قد سمعه من قبل فصعد الدم الى راسه (١) وصاح : مَنْ هناك . فاجابه من الداخل صوت اميره الضعيف : نحن هنا ثلاثة : امراتان ورجل هو ابنك

فدخل هولدن باب المنزل مسرعًا . وكان في عتبة الباب سيف مجرد وضعته الام هنالك لطرد النحس وسوء البخت عن المولود الجديد فداس هولدن السيف دون ان يراه فانكسر من عند قبضته . فصاحت اميره الله اكبر . لقد كسرتَ نحسه وحملت متاعبه

فاسرع اليها هولدن بشوق عظيم وقال . كيف انتِ يا حياة حياتي . وانت ايتها العجوز كيف انتِ

فاجابت العجوز كل شيء حسنٌ

وقالت اميره وهي تنظر اليه بحنو وحب . نعم كل شيء حسن . ولكن قد اطلت غيابك . اين الهدية التي جئتني بها . لا لا ان الهدية في هذه المرة مني . واليك هي . انظر اليه هل رايت في زمانك طفلاً مثله . آه انني لضعفي لا استطيع سحب ذراعي من تحت جسمه

فقال هولدن استريحي ولا تتكلمي فتتعبي يا « بكشيري » (٢)

فقالت اميره ضاحكة صدقتَ بهذه الكلمة فقد صار بيننا رباط جديد . وهو نقي من غير عيب ولا وصمة . فاسال الله ان يحرسه ويجعله جنديًا للملكة . ولكن قل لي الا تزال تحبني مع ضعفي ونحولي وتغير جسمي . تكلم بحرية

---

(١) وفي الاصل « الى حلقومه » (٢) بكشيري معناها باللغة الهندية امراة صغيرة او حبل لربط الخيل

فقال هولدن نعم احبك كما احببتك من قبل ولكن استريحي ولا تتكلمي

فقالت اجلس اذاً . اجلس هنا قريباً مني . ياامُّ احضري مسنداً (مخدة) الى سيد المنزل

ولما قالت هذا حدث اضطراب خفيف تحت اللحاف فصاحت اميره ضاحكة بحنو . آه ما اقواه فانه يرفسني منذ الآن بقدمه في جانبي رفسات شديدة . ياناس هل راى احد ولداً مثله . ضع يدك على راسه وجسمه . ولكن تانَّ كثيراً لانه صغير جداً وانتم معاشر الرجال لا تحسنون المعاملة في هذه الامور

فمد هولدن يده وجس بلطف راس الطفل . فاردفت اميرة بقولها : ولقد صليتُ كثيراً في هذا الليل وتركته نائماً وقرأتُ له الفاتحة في اذنه . تامل وقل لي اليس غريباً ان يولد في يوم جمعة كما ولدتُ انا . انظر انظر اليه ياحياتي فانه صار قادراً تقريباً على القبض بيده

فمد هولدن يده الى يد الطفل فالواها الطفل كمن يحاول القبض بيده . فلما شعر هولدن بقبضة الطفل احسَّ بقشعريرة في كل جسمه وبنبض شديد في قلبه . وصار يرى منذ هذا الحين ان في العالم شيئاً غير اميره جديراً باهتمامه ومسرته فاخذ يفتكر في ذلك بينما كانت اميره نائمة

وحينئذٍ دنت ام الفتاة وقالت بصوت منخفض انهض من هنا يا « صاحب » ولا تجعلها تراك حين انتباهها لاحتياجها الى الهدوء والراحة

فنهض هولدن وقال . هاءنذا ذاهب فاعتني بها وبه ثم وضع في يدها بضعة ريالات

فانتبهت اميره على صوت الريالات فقالت بصوت ضعيف : انا امه لا خادمته فالمال لا يجعلني اكثر اعتناءً به ردي يا امُّ ما اخذتِ

ثم نامت اميره نوماً عميقاً لانها كانت شديدة الضعف فخرج هولدن الى الدار فوجد الحارس الشيخ « بيرخان » ينتظره ضاحكاً مسروراً فلما رآه بيرخان قال مازحاً : صار الآن البيت كاملاً . ثم انه وضع في يد هولدن قبضة سيف مجرد . وسُمع في هذا الحين مُعاء شاة كانت مربوطة قرب البئر . فقال بيرخان . لقد احضرت شاتين من افضل الانواع وبما انك لا تدعو احداً الى مادبة فان لحمها سيكون لي . ولكن امسك السيف جيداً ياصاحب واضرب ضربة قاطعة متى رفعت الشاة راسها

فقال هولدن وما الغرض من ذلك

فقال الشيخ الغرض من ذلك تضحيتها فدى عن المولود والا خيف من موته لا سمح الله ولا تنسَ الكلام الذي يجب ان تقوله حين ضربها

وكان هولدن قد حفظ هذا الكلام على سبيل الفكاهة اذ لم يكن قد خطر له انه سيحتاج اليه وكان قابضاً على مقبض السيف بيده فاذكرته هذه القبضة قبضة الطفل التي تقدم ذكرها فثارت نفسه حنواً وخوفاً على الطفل لدى ذكر الشيخ احتمال موته . فعزم على تضحية الشاتين . فقال له الشيخ بيرخان اضرب فان الحياة لم تبرح فدى الحياة في كل مكان . فرفع هولدن سيفه وضرب به الشاتين ضربتين وهو يهمس بهذه الصلاة

« اسالك ايها القادر ان تحرس ابني واقدم لك حياةً عوض حياته ودماً بدل دمه وراساً بدل راسه وعظاماً بدل عظامه وجلداً بدل جلده »

فلما سقطت الشاتان صاح بيرخان لقد ضربتَ ضربة صائبة يا ابا الفقراء فليعش ابنك الف سنة . اما لحم الشاتين فهو لي

فاعطاه هولدن لحم الشاتين وفوقه راتب شهر مكافأة له . ثم ركب جواده وسار هائماً على وجهه لشدة تاثره وانفعاله وكان يشعر بسرور بالغ مبلغ الجنون من شدة هذا التاثر . فخطر له ان يذهب الى النادي الانكليزي تسكيناً لنفسه . فوجد بعضاً من اصدقائه يلعبون بالبلياردو فتناول احدى العصي وتقدم للعب وهو ينشد ملء فمه

« بينما كنت اتنزه في بلتيمور

« واذا بي قد لقيت سيدة

فالتفت اليه سكرتير النادي من احدى زوايا المكان وقال له : اصحيح انك لقيت سيدة . وماذا قالت لك عن جزمتك المبللة بشيء شبيه بالدم

فالتفت هولدن فراى على جزمته آثار دم الشاتين فاجاب ضاحكاً هذا من تاثير الندى في الليل . ثم عاد الى نشيده

« فاذا كانت ابنة فسيوضع في اصبعها خاتم الزواج

« واذا كان غلاماً فانه سيقاتل في سبيل ملكه

ثم فرغ اللاعبون من اللعب وجلسوا الى الحديث فدار الكلام على الموضوع الذي لا موضوع سواه وهو اعمال المستخدمين فسكن اللعب والحديث جاش هولدن فعاد الى منزله وقد اقام ساهراً قسماً من الليل ولكنه لما نام حلم احلاماً جميلة

٢

— اما الآن فكم عمره

فاجابت اميره : يا الله . في الحقيقة ان هذا السؤال سؤال رجل . الا تعلم انه بلغ الآن الاسبوع السادس . وساصعد معك في هذه الليلة الى سطح البيت لعد النجوم ومشاهدتها فان ذلك يجعله حسن الطالع . وقد كانت ولادته يوم جمعة تحت برج الشمس وفي ذلك دليل كبير على حسن حظه . وقد قيل لي انه سيعيش بعدنا وقتاً طويلاً ويصبح غنياً كبيراً . فماذا تريد احسن من هذا ياحبيبي

فاجاب هولدن لا اريد شيئاً فاصعدي الى السطح لعد النجوم ولكنك لا تعدين الا بعضاً منها لان الغيوم متلبدة في السماء

فقالت اميره ان المطر متاخر في هذا العام ولعله لا ينزل الا بعد مرور فصل الشتاء فلنصعد قبل ان تغطي الغيوم السماء فانني لبست كل حلاي وجواهري

فقال هولدن باسماً ولكنك نسيت اثمنها كلها

فاجابت : تعني الطفل نعم انه سيصعد معنا لانه لم يشهد السماء بعد

ثم ان اميره اخذت طفلها بين ذراعيها وصعدت به مع هولدن الى سطح البيت والحلى تسطع في صدرها وجبهتها وترن في معصميها وقدميها . فجلست بجانب هولدن على مكان في السطح مشرف على المدينة وكانت الانوار تسطع فيها من بعيد وفوقها نجوم السماء كمصابيح معلقة في الفضاء . فقالت اميره متنهدة . وهل تظن ان سكان هذه المدينة سعداء مثلنا . اما انا فانني لا اظن المااليك اولئك النساء الجسورات سعيدات

فقال هولدن وانا اؤكد انهن غير سعيدات

فقالت اميره ومن اين عرفت ذلك

فقال هولدن من انهن يسلمن اطفالهن الى المراضع

فصاحت اميره . لم ار هذا الامر في حياتي ولا احب ان اراه . ثم انها الوت راسها الجميل واسندته الى كتف هولدن قائلة : لقد عددت اربعين نجمة فتعبت انظر الى الطفل ياحياتي فانه يعد النجوم ايضاً

وكان الطفل ينظر الى السماء بعينين كبيرتين مستديرتين وهو مسرور بهذا المنظر العلوي . فرفعته امه ووضعته بين ذراعي ابيه . فاقام الولد فيهما ساكتاً وبقي يجيل نظره في الفضاء الذي امامه

فقالت اميره . انظر اليه ياحبيب فان عينيه كعينيك

فاجاب هولدن . نعم ولكن فمه كفمك

فقالت اميرة . ان فمه صغير كانه خاتم وقلبي معلق بين شفتي هذا الخاتم . رده بعيشك الي فانني لا استطيع فراقه

فقال لها دعيه فمتى بكى رددته اليك

فقالت ضاحكة : هذا شانكم ايها الرجال . ترده اليَّ حينما يبكي . اما انا فانه حين بكائه يصبح اعزَّ عليَّ منه قبله . ولكن بعيشك قل لي ياحياتي ماذا نسميه

وكانت تحتهما امام المنزل ببغاء خضراء اللون واقفة في مكانها واكثر الهنود يقتنونها لانهم يعتبرونها حارسة المنزل وجالبة للسعادة . فاتفق ان الببغاء حركت جنحيها حركة شديدة لما سألت اميره هذا السؤال فاجاب هولدن : انظرتِ الببغاء ياحياتي فكأنها تجيبك سميه باسمي . فسميه « ميان ماتو » وهو اسمها في لغتكِ لعله يكون فصيحًا مثلها في حياته

فحملقت اميره وقالت . لماذا تجعلني بعيدة عنك هكذا . كلا انا اريد ان تسميه اسماً يكون فيه شيء من الانكليزية وشيء من الهندية ليكون قريباً منك ومني معاً

فضحك هولدن وقال : فلنسمه اذًا « توتا » فان هذا الاسم قريب من الاسماء الانكليزية

فقالت اميره . نعم فلنسمه « توتا » فانه اسم آخر للببغاء . ولكن عفوًا عما قلته لك الساعة . فانني رايت اسم « ميان ماتو » ثقيلاً كبيرًا لا يحمله ولد صغير كولدنا . اما توتا فانه صغير خفيف مثله . توتا حلو عذب . فلنسمه توتا . اليس كذلك ياتوتا

ثم لمست وجهه بكفها فانتبه الولد من نومه لانه كان قد نام فاخذ يبكي فتناولته امه وصارت تهمم له (١) بهذا النشيد الهندي الذي تنشده المراضع الهنديات للاطفال

« غنِّ غنِّ .. فان الطفل ينام نوماً عميقًا

« والخوخ البري ينبت في الاحراش

« الليبره بيارتين يابابا (٢) الليبره بيارتين

فلما اطمأنَّ « توتا » عن ثمن الخوخ انقلب بين ذراعي امه ونام . اما امه فبقيت هنيهة

---

(١) همهمت المراة في راس الصبي تهميماً نومته بصوت ترققه له كما تفعل الحواضن والمراضع في مصر والشام . وترادفها باللغة العامية كلمة « هد هد » فيقولون هد هد للطفل

(٢) « بابا » معناها الطفل

ساكتة مبهوتة . ثم قالت . لقد صليتُ الآن وطلبت امرين . الاول ان اموت فدى عنك اذا كان الموت مكتوبًا لك قبلي . والثاني ان اموت فدى الطفل اذا كان الموت مكتوبًا له قبلي . وقد طلبت ذلك من النبي والست مريم . فهل تظن انهما يستجيبان صلاتي

فقال هولدن . ومن لا يجيبك الى طلب يخرج من شفتيك

فقالت اميره . اجبني من غير مزاح هل اجاب الى طلبي

فقال هولدن . لا اعرف ذلك وانما اعرف ان الله كريم

فقالت اميره .... ثم اردفت بقولها . اصغ اليّ الآن . اذا متُّ غدًا فماذا تصنع . العلك تعود الى المماليك اولئك النساء الجسورات فانني اعهد الجنس يجتذب الجنس

فاجاب هولدن . الجنس لا يجتذب الجنس دائمًا

فقالت اميره . نعم ان الجنس لا يجتذب الجنس في النساء ولكنه يجتذبه في الرجال ثم انك لا بدّ ان تعود الى وطنك ولكن هذا امر لا يزال بعيدًا ولا يتم قبل موتي . وبعد ذلك تموت انت وتذهب الى مكان غير المكان الذي اذهب انا اليه بعد الموت فلا تستطيع القدوم الي ولا استطيع القدوم اليك . وولدنا هذا يكون معي . فكيف نصنع

فقال هولدن . دعي شؤُون الغد الى الغد ولنهتم الآن بالحاضر فكفانا الآن اننا سعداء

فقالت اميره . نعم نحن سعداء ولكن يجب ان نضمن لانفسنا هذه السعادة . ولذلك اسال ستك مريم ان تجيبني الى طلبي لا سيما وانها امراة من جنسي . ولكن الحق اقول لك انني اخشى ان تحسدني . ولا ارى حسنًا ان يعبد الرجال النساء

فضحك هولدن ونهض قائلاً . انك طفلة وتتكلمين كما يتكلم الاطفال . فهلي بنا ننزل عن السطح واحذري فانني ساحملك وانزل بك

قال هذا ثم حمل اميره بين ذراعيه وكان توتا بين ذراعيها فصاحت اميره وهي تضحك ضحكاً شديدًا : احذر احذر ياسيدي لئلا يسقط توتا . آه لا ريب انك انت الطفل

وكانت اميره تضحك وتوتا الذي استيقظ يبتسم لهذه الحركة الغريبة . ذلك انه كان طفلاً هادئًا كثير السكوت . ولم تمضِ عليه بضعة اشهر حتى صار معبود المنزل والساكنين فيه . وكان ذا لون نحاسي شبيه بلون امه ولكنه كان له ذكاء ابيه . واصبح ابوه شديد الولع به فاذا كان في عمله في اثناء النهار انتظر قدوم الليل بصبر فارغ ليعود الى المنزل ويشاهد توتا . وصار هولدن شديد الحب للاولاد فاذا لقي بعضهم من ابناء النزالة

الانكليزية لاطفهم ملاطفة كانت تعجب امهاتهم منها . وكان كلما عاد الى البيت وجد اميره مدهوشة من اعمال توتا . فتارة ترى ان توتا صار قادرًا على لطم يد يدوطورًا صار قادرًا على قبض شيء صغير وحمله . وفي ذات يوم انسحب توتا من سريره وخطا خطوتين وحده وهو يتعثر في سيره فكادت اميره تطير فرحًا

وكان يألف الحيوانات التي في المنزل كالبقرة والجواد وخصوصًا ميان ميتو (الببغاء). ففي ذات يوم مدَّ يده وجذب هذه المسكينة من ذنبها جذبًا شديدًا فصارت تصيح صياحًا قويًا فاسرع هولدن واميره على صوتها . وقالت اميره لما شاهدته . امثل هذا تعامل اخاك ميان ميتو ياشرس . رويدك لاجعلك حكيمًا عاقلًا كسليمان وافاطون (تعني افلاطون) ثم مدت يدها الى جيبها وتناولت سبع لوزات وذكرت اسم الله سبع مرات وبعد ذلك اخذت احدى اللوزات وقطعتها باسنانها قطعتين وقدمت قطعة منها الى الببغاء بعد ان وضعتها مكانها وهي منبوشة الريش من الاضطراب والخوف . فتناولت الببغاء القطعة بمنقارها فمدت الام القطعة الاخرى ووضعتها في فم توتا مع قبلة وضعتها على خده فصار توتا ياكل والببغاء تاكل . فقالت اميره لهولدن : ساصنع هكذا سبعة ايام فمتى شب غلامنا صار حكيمًا وخطيبًا كبيرًا

اما توتا فانه كان يكره اضاعة الوقت بالكلام وانما كان يطلب ذنب الببغاء دون سواه. فبذل ابوه وامه جهدهما حتى استطاعا صرف فكره عنه

وبعد اشهر شبَّ توتا وصار اهلًا للبس المنطقة الفضية والحلى الثمينة . فغافل امه ذات يوم ونزل الى الحديقة حيث كان الشيخ بيرخان الحارس واقترح عليه ان ياخذ منطقته الفضية وحلاه ويُركبه في مقابلة ذلك على الجواد . وقد تعلم توتا هذه المقايضة مما كانت تاتيه امه من هذا القبيل مع تجار الناحية . اما الشيخ بيرخان فانه بكى من فرحه ثم وضع الولد على راسه دلالة على خضوعه وعاد به الى البيت وهو يقول : ان توتا سيكون رجلًا كبيرًا قادرًا على قيادة الرجال

وفي ذات يوم كان على السطح مع امه وابيه فنظر فوق راسه « الطيارات » التي يطيرها صبيان المدينة فطلب من امه طيارة يطيرها. فضحك هولدن وقال ما هذا الولد الذي يطلب كل شيء . فلما سمع توتا كلام ابيه انتصب بقوة وقال بلغة الاطفال . انا لا ولد . انا رجل .

فصاحت اميره وهولدن ضاحكين ضحكًا شديدًا . ومنذ هذه الكلمة اخذ هولدن

يهتم بمستقبل ابنه اهتماماً حقيقياً

ولكن كل ذلك عبث في عبث . فان ولداً كاملاً كهذا الولد لا يمكن ان يعيش طويلاً على هذه الارض . ولذلك ما شعرت اميره في ذات ليلة الا وتوتا يقول لها انه متالم مع ان الالم لم يعرفه قط . فسهرت امه عليه في تلك الليلة الى الصباح . وفي الصباح اخذته حمى شديدة فاسلم روحه في ساعة واحدة

فظن هولدن واميره نفسهما لاول وهلة انهما في حلم لانهما لم يكونا يصدقان ان توتا يمكن ان يموت ولكن لما شاهداه امامهما جثة بلا روح علما انهما لم يكونا في المنام . فكادت اميره تجن من الحزن فاخذت تضرب راسها بالجدار ولو لم يمسكها هولدن لالقت بنفسها في البئر طلباً للموت مع ولدها

٣

وبعد يومين كان هولدن جالساً على السطح تحت نجوم السماء واميره ممددة وراسها على ركبته وهي تفتكر بالصغير الغائب . واذا بها تسمع الببغاء تنادي رفيقها الصغير في صفاء الليل وتصيح « توتا توتا » فارتعدت اميره واخذت تبكي . ثم جعلت تقول وهي تنتحب . هل تظن اننا لم نحسن مداواته . ومن اين اتته الحمى امن الشمس ام من العين

فقال هولدن . ذلك مكتوب ياحبيبتي فاننا قد صنعنا كل ما وفي وسعنا صنعه لانقاذه فما قدرنا . فما مضى قد مضى

فقالت اميره . ولكنني كلما رايتُ يديَّ فارغتين منه ذكرته بالرغم عني فكيف انسى ما مضى

فقال هولدن . انسي ما مضى ياعزيزتي ان لم يكن من اجلك فمن اجلي

فقالت اميره . اما انت فاني لا اراك كثير الاهتمام بما اصابني . فلا ريب انكم ايها الرجال البيض قساة القلوب والنفوس . آه ليتني تزوجت برجل من جنسي فان ذلك خير لي وان ضربني واهانني من ان آكل خبز رجل اجنبي

فقال لها هولدن أ انا اجنبي يا ام ولدي

فقالت اميره بنزق . ومَنْ تكون اذاً يا صاحب

وكانها عادت الى رشدها بعد هذا القول فصاحت . آه عفواً عفواً . لا تؤاخذني بما قلت فانني اقول الآن من شدة حزني ما اعلم وما لا اعلم . انت نور عيني ونسمة حياتي لا اجنبي عني



﴿ اميرة حزينة بعد الفرح ﴾

فقال هولدن انني اعذرك لانني اعرف من حزني مبلغ حزنك وسنعيش سعيدين ونحن اثنان كما عشنا ونحن ثلاثة · فاخمدي ثورة حزنك يا عزيزتي

وكانت تلك الليلة اولى ليالي الربيع وكان الجو حاراً والبروق ترقص في غيوم السماء من بعيد على نغم الرعود البعيدة · فعانقت اميره هولدن كأن صوت الرعد اخافها وقالت : ان الارض عطشانة الى الماء انظر اليها فتحسبها بقرة ظمأى تطلب من السماء مطراً · لقد تغيرت حالتها عما كانت عليه يوم جلسنا هنا نعدُّ النجوم · ولكنك انت لم تتغير بل لا تزال تحبني كما كنت تحبني قبلاً · اليس كذلك · اجب

فقال هولدن نعم نعم انا كما كنت

فقالت اميرة انني اريد ان اكون امرأة لا طفلة فيما بعد لاساعدك في كل شيء

فقال هولدن انت امرأتي وزوجتي امام الله والناس

فقالت اميرة اعطني الآن اذاً قيثاراً لانشد لك نشيداً عظيماً

قالت ذلك ثم تناولت قيثاراً واخذت تنشد بصوتها اللطيف نشيداً هندياً معروفاً بنشيد البطل الهندي الكبير « الرجاه رازالو » . ولكنها لم تتوسط النشيد حتى وقفت اناملها وانقلب نشيدها الى نشيد المراضع الذي ذكرناه آنفاً فصارت تنشد بصوت خافت

« الخوخ البري ينبت في الاحراش

« الليبرة بيارتين يا بابا الليبره بيارتين

فبكى هولدن عند ذلك وكانت اميرة تبكي ايضاً . فدنا منها هولدن ومسح دموعها وطيب خاطرها ومنذ هذا الحين اخذا يقولان كل ما ذكرا توتا : ما مضى قد مضى فلنهتم بالمستقبل . وكانا يقولان ذلك وهما يؤملان ان السماء تجيبهما الى طلبهما

ولكنَّ السماء كانت مشغولة عنهما في ذلك الزمان بشيء آخر . فانها كانت قد منحت ملايين من الناس خصباً وسعة مدة اربع سنوات فاقبلت الحنطة وصحت الاجسام وكثرت المواليد حتى بلغ عدد سكان الميل المربع الواحد من الارض ٩٠٠ نفس الى الفي نفس . ولذلك صارت تريد توسيع المكان واخذ بعض من السكان

وكان نائب (توتنغ السفلى) قد خرج من بلاده سائحاً في اقطار الهند واخذ يثني على الادارة الانكليزية لما نشرته في تلك البلاد من الخيرات . وكان يرى ان كل شيء قد تمَّ في الهند ولم يبقَ بها حاجة سوى الى ادخال طريقة الانتخاب العام لتعيين الحكام واقامة برلمان . وبينما كان يحدث رفاقه بذلك واذا به قد وصل الى شجرة من شجر الدك فوقف امامها يعجب بازهارها الحمراء التي ظهرت قبل اوانها من كثرة الخصب والاقبال . ولم يدرِ ان احمرار زهرها دليل على جفاف قادم . اما رفاقه فانهم كانوا يدرون بذلك فصاروا يبتسمون لما رأوه يستشهد بازهار الشجرة على حسن الادارة الانكليزية

وكان رجلان واقفين بالقرب منهم فقال الواحد للثاني . ان هذا النائب ثقيل وكانه نسيَ ان الرجل الذي كان ياكل بجانبه في السفينة التي قدم فيها قد مات بالكوليرا

فاجاب الثاني لا اعلم وانما اعلم ان الجراد قد غطى زروعنا والكوليرا تعبث في شمال البلاد وحاصلات الربيع ستكون ضعيفة والمطر مبطئ لا ينزل وشهر مارس قادم بخيله ورجله . تالله انني احسُّ بان للطبيعة ثاراً في الارض وانها ستناقشها الحساب بقلم احمر عريض

وكان هولدن سامعاً فقال في نفسه : رجعنا الى العادة القديمة ۰ عادة المجاعة والكوليرا والحميات

وبعد شهرين اخذت الطبيعة كما قال ذلك الرجل تناقش الناس الحساب ۰ فبعد حصاد الربيع ارتفعت اصوات الهنود يطلبون خبزاً ۰ فركض الهواء الاصفر على صراخهم من اقطار الهند الاربعة ۰ فضرب خمسمائة الف رجل كانوا يصلون في هيكلهم فمات كثيرون من هؤلاء المصلين تحت اقدام اصنامهم وفرّ الباقون الى بلادهم والهواء الاصفر يطاردهم ۰ وكانوا اذا ركبوا القطارات جوفها او ظهرها او دخلوا المدن او صعدوا الى شاهق تبعتهم الكوليرا في ظهورهم يحصدهم حصداً ۰ وقد دخل احدى المدن فقتل مائتي نفس من سكانها في كل يوم ۰ وكانت جثث القتلى مبعثرة في كل مكان حتى ان خيول الانكليز كانت تجفل منها وهي سائرة في الطرق او بين الادغال ۰ فاخذ الانكليز يرسلون نساءهم واولادهم الى آكام جبال حملايا وقاية لهم

فلما رأى هولدن هذه الحالة طار صوابه فذهب ركضاً الى اميره وطلب منها ان تسرع في السفر الى حملايا

فقالت اميره ضاحكة ۰ ولماذا هذا السفر ۰

فقال لان في المدينة وباء فتاكاً وقد ارسل جميع الانكليز نساءهم الى اعالي الجبال

فقالت اميره هل سافر جميع المماليك اولئك النساء البيض الجسورات

فقال هولدن لقد سافرن جميعهن الا بعضاً من العجائز اللواتي اصررن على الاقامة هنا نكاية بازواجهن

فقالت اميره بعذوبة ۰ لا تهن العجائز فانهن سيصرن اخواتي لانني ساكون عجوزاً انا ايضاً ۰ على انني مسرورة جداً من ان المماليك قد سافرن

فصاح هولدن ۰ هل انا اخاطب طفلاً اوامرأة ۰ قلت لك انني اخاف عليك فاذهبي الى الآكام ۰ واسمعي ياحبيبتي فانني ساجعلك تسافرين في مركبة جميلة تجرها البقر وتغطيها الستائر الحمر كما تسافر بنات الملوك

فصاحت به اميره ۰ اسكت ۰ اسكت ۰ فاني لا افارقك ۰ فلو كان « هو » حياً لكنت سافرت من اجله ۰ اما الآن فلا افارقك لانني اخشى ان يصيبك شرٌ فتأتي احدى النساء البيض وتعتني بك بدلاً مني واذا متُّ كان لها آخر نظر حبي من عينيك

فقال هولدن ولكن الحب لا يولد على فراش الموت فلا تخشي ذلك

قالت . وما الذي تعلمه انت من الحب ياذا القلب الحجري . على انها اذا لم تنل حبك فهي تنال شكرك . واقسم لك بالله والنبي والست مريم ام نبيك انني لا احتمل ذلك . فياسيدي وحبيبي دعنا من اضاعة الوقت في كلام السفر واعلم انني لا اكون الا حيثما تكون

ثم انها طوقت عنقه بذراعها ووضعت كفها على فمه منعاً له من الكلام

فاقام هولدن واميره في منزلها مسرورين سعيدين كما كانا من قبل . الا ان المدينة تحتهما كانت في اشد عذاب وضيق . فان رائحة الكبريت كانت تملأ شوارعها وصراخ الحزن والبكاء تدوي في كل منزل من منازلها . وكان الهنود على اختلاف مذاهبهم في المعابد والمساجد يصلون و يطلبون عون السماء والمؤذنون يؤذنون في المنائر ليلاً ونهاراً ولكن السماء كانت لا تجيب احداً

وكان هولدن ينزل في كل يوم من منزله الى المدينة للقيام بخدمته ومتى فرغ منها عاد مسرعاً الى مقر سعادته . ففي ذات يوم وهو يطالع تلغرافات في غاية الاهمية ويغني بين شفتيه سمع حركة امامه فرفع رأسه فوجد الشيخ بيرخان حارس منزله . فسأله هولدن ما وراءك يابيرخان

فاجاب الشيخ : لما يصرخ صارخ في الظلام وتحشرج الروح في الصدر هل في الارض قوة قادرة على ايقافها . اركض يا أبا الفقراء فقد وفد الهواء الاصفر

فطار صواب هولدن واسرع الى منزله فنظر فيه منظراً فتت كبده

نظر اميرة ممددة في الغرفة التي ولد فيها توتا في نفس المكان الذي ولد فيه ولا حراك بها كأن ملاك الموت نزل بنفسه وضربها بيده ضربة قاضية

ان النفس البشرية محبة للعزلة والانفراد . ومتى كانت على اهبة الرحيل تختبئ في مكان مظلم في الجسم فلا يستطيع احد الوصول اليها

ولذلك لم يقدر هولدن على مخاطبة اميره كما انه كان عاجزاً عن معالجتها ولكنه كان محنياً على وجهها الاصفر الجميل يوسعه تقبيلاً

وكانت قطرات المطر الاولى قد بدأت حينئذ بالنزول فكان هولدن يسمع وقعها على سطح المنزل ويسمع صراخ سكان المدينة ابتهاجاً بها .

وكأن قبلات هولدن اعادت نفس اميره الى جسمها ففتحت عينيها قليلاً وحركت شفتيها فانحنى هولدن عليها وقلبه يضطرب اضطراباً شديداً فسمعها تقول له بصوت ضعيف جداً .

— لا تحفظ مني شيئاً حتى ولا شعرة من شعري « فانها » ستضطرك الى حرقها . ومتى احرقتها شعرتُ بالنار وانا في قبري . ادنُ ادنُ مني . تقدم ايضاً . . اذكرانني كنت لك دائماً وانني اعطيتك ولداً . . . وهب انك تزوجت غداً بامراة بيضاء غيري فانك لا تسر معها كما سررت معي . . ولكنني ارجوك حينما ياتيك ولدمنها ان تذكرني . . ومنذ الآن ارجو ان تقع مصائب هذا الولد على راسي لاحملها عنه . . ثم ضعف صوت اميره كثيراً حتى صارعبارة عن نفخ ضعيف في اذن هولدن فقالت . . تاكدتُ الآن . تاكدتُ ان لا آلهة غيرك ياحبيبي

ثم اسلمت الروح فخرج آخر نفس من انفاسها في وجه هولدن المسكين

ولم يكد هولدن يتحقق موت زوجته ورفيقته حتى دخل داخل الى المنزل وفي يده تلغراف من الحكومه هذا نصه

« توفي بالكوليرا ريكت وميدوني فارسلوا هولدن ليقوم مقامهما »

فوضع هولدن هذا التلغراف في جيبه والتفت فابصر اربع نساء مستترات بازار ابيض وهنَّ واقفات كالاصنام امامه . فتقدمت ام اميرة وقالت . هل ماتت ياصاحب فان هؤلاء النساء هن المغسلات ويجب دفنها بعد اربع ساعات . فاجاب هولدن نعم انياعرف النظام . ثم خرج ويده على قلبه او قلبه على يده

واشتد في هذا الوقت صراخ سكان المدينة وعلت اصوات فرحهم لان المطر اخذ يهطل بعد طول جفاف الارض وانحباس السماء . ولكنه كان مطراً هائلاً . فانه استمر ثلاثة ايام متوالية بلا انقطاع فهدم الاكواخ وكسر الاشجار وملأ الشوارع والطرقات واجتاح مدافن المسلمين وقد بلغ ما هطل منه على الارض ٨ اصابع فلم يستطع هولدن السفر الى مكان خدمته الجديد . فلما صحت السماء صعد من المدينة وقصد ذلك المنزل الذي صرف فيه اوقاتاً سعيدة فراى الارض تدخن في حرارة الشمس وقد استعادت حياتها القديمة ورونقها القديم . وحين وصوله الى منزله وجد صاحب المنزل على الطريق . وكان المطر قد ملأ الحديقة والسلم وحلاً وخرب قسماً من البيت . اما ام اميرة فان هولدن كان قد وهبها الاثاث وامرها بالسفر وصرف حارسه بيرخان فلم يبقَ في المنزل غير الحيوانات التي كانت فيه وكانت رابضة في الغرف فكأنَّ ذلك المنزل كان مهجوراً منذ سنوات . فلما ابصر هولدن ذلك قال لصاحب المنزل ماذا تصنع غداً بمنزلك ياصاحب . فاجاب صاحب المنزل ساؤجره لمن يريد . فاجاب هولدن وقد كان يغار على المنزل الذي صرف فيه اسعد

اوقاته ان يسكنه احد غيره . فانا اذاً استاجره منك وابقيه مقفلاً

فضحك صاحب المنزل وقال له . لقد فهمت كلامك ياصاحب . وقد كنت مثلك في شبابي . اما الآن فانني عضو في المجلس البلدي . فسكن بالك فانني ساهدم هذا المنزل من اساسه وانشئ فيه طريقاً موصلة الى المدينة كما طلب المجلس . فلا يعود احد يعرف مكانه » انتهى

غرائب عيون الذباب

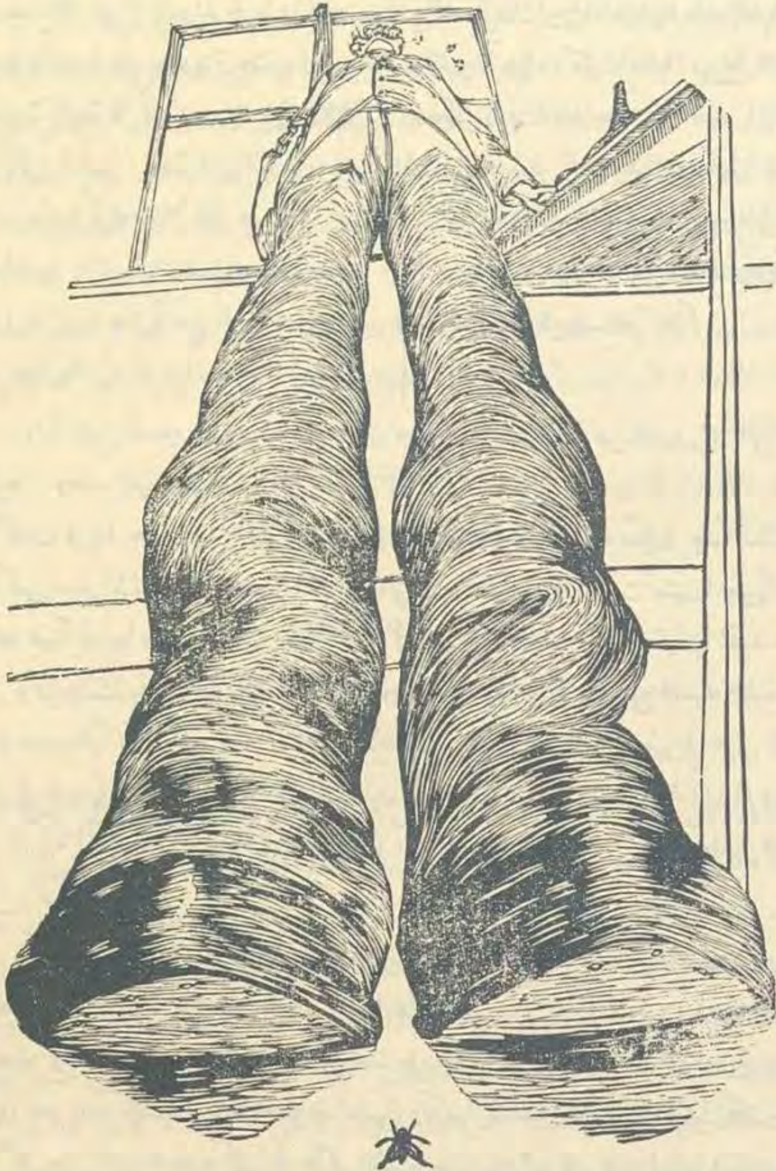
﴿وغرائب عيون الناس﴾

قال الفيلسوف ارنست رنان في رده على غلاة الماديين : لو كانت الميكروبات التي يربيها العلماء في زجاجات خصوصية تعقل وتتفاهم وجاء بعض منها يقول لبعض ان في الغرفة التي هي تقيم على احد رفوفها اناساً حجم الواحد منهم مضاعف حجمها مئات ملايين من المرات وخارج الغرفة ممالك وقارات واسعة تسير بينها السفن في البر والبحر . اكانت تصدقه ؟ كلا لا تصدقه لانها لم تنظر ذلك بعينيها بل تحسب العالم كله زجاجتها التي تعيش فيها . وكذلك الانسان

ونحن تأييداً لهذا القول لا نسهب في الكلام على كل ما يجهله الانسان من عجائب الكون الذي يراه والذي لا يراه بل نكتفي بنشر شيء عن « عيون الذباب » هذه الحيوانات الكريهة التي نراها الف مرة في النهار . فان القارئ متى راى ما في هذه الحيوانات من الغرائب لبث مبهوتاً وقال مع رنان : ان الانسان صغير جداً بالقياس الى الكون فليس من العقل ان ينكر ما لا يفهمه عقله القاصر

وللذباب نوعان من العيون احدهما النوع الكبير وهو مركب في جانبي راسها واحدهما النوع الصغير وهو مركب بشكل مثلث في قمة راسها

اما العيون الكبيرة فلكل ذبابة منها عينان . وكل واحدة من هاتين العينين مؤلفة من عيون صغيرة جداً يساوي حجم الواحدة منها جزءاً من الف جزء من الاصبع في القسم الاعلى وجزءاً من الفي جزء من الاصبع في القسم السفلي . واما عدد هذه العيون الصغيرة التي تتالف منها العينان الكبيرتان فانه يبلغ ٤ الاف عين . وكل واحدة من العيون الصغيرة عين مستقلة بنفسها وهي مؤلفة مع صغرها من ثلاثة اقسام . القسم الاول القرنية



(كيف تنظر الذبابة الانسان)

اذا وضعتَ ذبابة وراء رجل معتدل القامة فان الرجل يظهر في عيني الذبابة ماردًا طويلاً عريضاً كانَّ طوله ٧٠٠ متر ويتوارى راسه عنها في الفضاء

والقسم الثاني اجزاء بلورية تحيطبها اوعدسيات والقسم الثالث اجزاء اخرى محيطة بالقسم الثاني ومتصلة بالقرنية من جانب وبعصب البصر من جانب آخر . وكل واحدة من العيون الصغيرة ثابتة لا تتحرك وبناء على ذلك فلا ينعكس اليهـا غير جزء من صور المرئيات التي تكون امامها . وقد قال العالم جونس مولران المنظر الذي يكون في عيون الذباب حين رؤيتها غرفة مثلاً انما هو عبارة عن متحف مجتمعة فيـه اجزاء من صور المرئيات التي امامها . اي انها تبصر بعيونها العديدة جزءًا من الكرسي وجزءًا من المقعد وطرفًا من حلة ربة البيت وطرفًا من البساط وجزءًا من حذاء صاحب البيت وهلمّ جرًا

هذا ما تراه الذبابة بالنوع الكبير من عيونها

واما النوع الصغير فهو عبارة عن عيون صغيرة اخرى مختلفة عن العيون التي تقدم ذكرها . وهذه العيون قصيرة النظر بالنسبة الى تلك ولذلك فلا ترى بها الذبابة الاشياء الا اذا كانت قريبة جدًا منها . وهي بهذه العيون وبتلك ترى الاشياء مكبرة جدًا لكثرة ما تتعاكس صور المرئيات الى العيون العديدة التي في راسها . فاذا ادنيتَ منهـا جنيهًا مثلاً خالته طبقًا امامها واذا وضعتَ حبة حمص في طريقها حسبتها جبلاً يعترضها فتحيد عنها

واذا جئتَ بذبابة علوها ٤ مليمترات ووضعتها وراء رجل قائم على قدميه وطوله متر و٧٠ سنتيمترًا وهو طول قامة الانسان الاعتيادية فان ذلك الرجل يظهر في عيني الذبابة (بل في عيونها) ماردًا عريضًا طويلاً طوله ٧٠٠ متر يتوارى راسه في الفضاء ويغيب عن الذبابة المسكينة (انظر ذلك في الرسم) . وهي تراه عريضًا من تحت وقليل العرض من فوق

ولكنّ في هذا المارد الطويل العريض مرعى خصيبًا لذيذًا للذبابة فتقصده لترعى في يديه وفي رقبته . ولما تطير اليه تحسب انهـا تطير الى جبل . واذا واجهتْ وجهه ظهر لها حاجباه وشارباه كاحراش كثيفة . ثم تحط على يده فترى في بشرته اودية وجبالاً وترى شعر يده كاشجار ضخمة طويلة امامها . ولكنها قلما تعبأ بذلك كله لانها تكون مشتغلة بالاكل من المادة الدهنية التي تجدها في البشرة ومسامها وهي تقيم على الرعاية فيها حتى تشبع منها فتنزل عن جبلها

فمن من القراء كان يظن ان هذه الحالة هي حالة هذه الهوام التي نراها في كل يوم . لا ريب في ان الكون لا يزال خزانة غرائب وعجائب وما علمه الانسان منها ليس في الحقيقة سوى جزء مما لم يصل اليه علمه بعد

وغير بعيد ان يتساءل القراء هل تفردت الذباب بهذه المزية مزية تكبير الاشياء الصغيرة فنجيب انها لم تنفرد بذلك فان الانسان يشبهها في كل مكان تقريباً . فانه في الغرب والشرق في بلاد المتمدنين واشباه المتمدنين او احباحهم كم قد يكبر الانسان صغيراً و يصغر كبيراً . كم من الجهلاء والاردياء في جميع اقطار العالم تُحنى امامهم الهام وتكاد تُرفع اليهم الصلاة والصيام مع ان كثيرين من افاضل الناس وعقلائهم مهملون في زوايا النسيان .

وقد تُغضب هذه الحالة بعض الذين لم يتعودوا مظالم المعيشة في هذا العالم فينادون بالظلم والفساد وسقوط الفضيلة وانتصار الرذيلة على انهم لو انصفوا لعذروا الهيئة الحاضرة « لان في رؤوسها عيوناً كعيون الذباب » وذلك امر يستلزم الضحك منها لا السخط عليها

آلة تقتل النساء

﴿ وهنَّ يحببنها ﴾

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية في الابراهيمية — رمل الاسكندرية

اول عمل يعمله الانسان عند دخوله الى هذا العالم هو التنفس وآخر عمل يعمله عند خروجه من العالم التنفس ايضاً . اي ان الانسان يأخذ النَفَس عند دخوله و يعطيه عند خروجه . و بين النفس الاول والنفس الثاني عمل مستديم يجب اتمامه بكل دقة اذ عليه تتوقف الحياة . وهذا العمل هو التنفس او حسن التنفس الذي كثيراً ما يهمله الناس وخصوصاً السيدات . ولم اخصص السيدات بهذا الاهمال الا بعد مشاهدته بالعيان وكانا نعرف ذلك . وخوفاً من ان يكون هذا الاهمال ناشئاً عن جهلنا اهمية التنفس جئتُ بهذه الكلمات لاشير بها الى اهمية هذا العمل لعلنا نجتهد بمنع كل ما يعيقه . لانه اذا كان التنفس تاماً و بحالته الطبيعية فان الدم يكون نقياً صالحاً وتأخذ الرئتان منه ما يكفيهما . وبالعكس اذا اعيق التنفس فانه يحدث خللٌ في الدورة الدموية واضطراب في جسم الانسان واخلاقه معاً

ولقد يستغرب بعض البسطاء علاقة الاخلاق بالتنفس ولكن بما ان هذا عمل حسي فامتحنه بنفسك فان ذلك يغنيني عن البرهان

مثلاً عند ما تشتغلين وقتاً طويلاً بعمل ما كالخياطة او التطريز فانك قد تشعرين بضجر وقلق وهو ما يسميه العامة « ضيق الروح او الزهق » وربما تعثرت الآلة التي بيدك فتزدادين ضجراً حتى لقد يفضي بك الامر الى البكاء اذا كنتِ من سريعات الانفعال دون ان تعرفي سبباً لبكائك . لكن اتركي العمل برهة واذهبي الى حيث يمكنك استنشاق الهواء النقي ملء رئتيك ثم ارجعي الى عملك تجدي ان الآلة قد اصطلحت وصار الشغل في يدكِ سهلاً مع انه لم يتغير شيء لا في الشغل ولا في الآلة . وانما انتظم عمل التنفس عندك فرجع صبرك ونشاطك

هذا من جهة تاثير حسن التنفس على الاخلاق اما من جهة تاثيره على الصحة فمعلوم عند الجميع فانه يمكننا ان نعيش اياماً بغير طعام ولكننا لا نستطيع ان نعيش دقيقة واحدة بغير تنفس . وذلك لان بنية الانسان بمثابة الآلة البخارية والغذاء والهواء بمثابة الفحم والهواء . فكما ان الفحم من غير هواء لا يعمل عمله فكذلك الغذاء بغير هواء . فكيف يتمكن الجسم من اخذ هواء كافٍ لاجل الغذاء الذي اتخذه مع وجود ذلك الحارس الجائر ضاغطاً على اعضاء التنفس ومانعاً لها من تناول كفاءتها من الهواء

وهذا الحارس الجائر هو (وبئس من هو) المشد او الكورسه الذي عليه مدار كلامي في هذا الفصل

ولا اقول الكورسه فقط بل كل ما يضغط على الاعضاء (كالزنانير) (والياقات) (والجوانتي) (والمراكيب) (وورباطات الجرابات) كل هذه موانع تعيق الدورة الدموية ولكني اترك الكل واتكلم عن شيخها الكبير (الكورسه) لانه قابض على الاعضاء الرئيسة في الجسم . ولم ارَ في حياتي شيخاً محبوباً كهذا الشيخ ولاسيما من السيدات

والذي . دعاني الى هذا الموضوع ما قراته في بعض الاخبار الاخيرة من ان كثيرات من نساء بلجيكا رفعن عريضة الى وزير المعارف يسألنه فيها منع بنات المدارس من لبس الكورسه . وقد وافقت على هذه العريضة قرينة ولي عهد بلجيكا ووقعت عليها مع النساء الموقعات . وفضلاً عن ذلك فان حوادث الكورسه صارت كثيرة بيننا واضراره اكثر من ان تُحصى ولكن السيدات من شدة حبهن له لا ينظرن الى عيوبه بل ينكرن مضايقته لهن فيقلن انني استطيع ادخال يدي بين المشد وجسمي . نعم انك تقدرين على ادخال يدك انما ذلك يكون بواسطة افراغ اعضاء التنفس من الهواء . والاخرى تقول ما انا اشده ولا يضايقني ولكن لحضرتها اقول ان العادة طبيعة . ولو علمتِ كم ضايقها للمرة الاولى التي شدته

بها لما قالت هذا القول

واذكرك ايضاً ايتها العزيزة ان الكورسه لا يعيق التنفس فقط بل يعيق عمل القلب ايضاً ويسرع نبضه فيتعبه في يوم واحد اكثر من تعبه عشرة ايام بدونه · مثال ذلك ما جربه الاستاذ سرجن اذ طلب من بعض الفتيات ان يجرين مسافة بلباسهن الطبيعي اي من غير كورسه وفي اليوم الثاني البسهن الكورسه وجعلهن يجرين ذات المسافة فوجد قلبهن ينبض ١٢ نبضة زيادة عن المرة الاولى وهذا من اسباب تقصير الحياة

والضرر الآخر واقع في الكليتين فان كثيرين يتوهمون ان الكليتين متحررتان من هذه العبودية لوجودهما في اسفل الظهر ولكن هذا خطأ فان الكليتين واقعتان تحت الاضلع القصيرة حيث يصلها ضغط المشد فيحدث مرض الكلى من جراء ذلك

وكذلك الكبد اذ تنحرف عن محلها انحرافاً مهماً وتنشطر بسبب الضغط شطرين يصل بعضهما ببعض نسيج رفيع يمنعهما من الانقطاع · األام بعد هذا اذا سميت المشد آلة للقتل (١)

وماذا اقول في المعدة التي يمنع الكورسه من اعطائها كفاءتهـا من الغذاء والتي اذا كان فيها غذاؤها ولبس الكورسه فوقه احدث اضطراباً في الجسم كله واخرج الغذاء من سوء الحظ من حيث نزل··

وليس للكورسه تاثير صحي فقط بل له تاثير ادبي اولاً من حيث اخلاق الابنة وثانياً من حيث ما يسمونه الجمال · اما من حيث الاخلاق فان الكورسه يسبب خللاً في الدورة الدموية كما ذكرت فينشىء ذلك انحلالاً في الجسم يصحبه برد في الاطراف والم في الراس ومتى استمرّ هذا الامر انتهى الى ضعف عام في الجسم وهذا الضعف ينتج حدة وضيقـة صدر قد تنتهيان الى ما يسمونه المالانخوليه فضلاً عن شدة تهيج اعصاب السيدات وذلك مما يكون سيء التاثير على اخلاقهن · واما من حيث الضرر الذي يصيب جمال السيدات فانه من المعلوم ان الجمال عنوان صحة الجسم ولا جمال حقيقي من غير صحة حقيقية · فاذا كان الكورسه يهدم صحة المرأة فهو بحكم الطبع يهدم جمالها ايضاً · فلتفتكـر بذلك السيدات اللواتي يؤثرن الجمال على الصحـة ويحسبن ان الكورسه ينفع الاولـ وان كان يضر بالثانيـة

(١) ﴿ الجامعة ﴾ انظر الاعضاء الرئيسة في الجسم الانساني في باب «مبادئ علمية عامية» وتصور مبلغ الضرر الذي يصيبها من الضغط عليها

ومع ذلك فاذا كان من راي البعض ان الكورسه « يجمّل » لابسته فليس ذلك من راي الجميع

نظر احد مشاهير النقاشين الى فتاة لابسة مشدًا وكان خصرها اجمل ما يمكن تصوره عند بنات هذا الزمان · ولو اتت الاسكندرية لانهال الثناء عليها من كل الجهات · فبينما هو يتامل فيها قال له احد اصدقائه ارايت ياصديقي اجمل من هذه الصورة ؟ فشرف ازميلك بنقش تمثالها · فاجاب النقاش « اما تراني انظر اليها بدقة · فانني اتامل وافتش عن المحل الذي وضعت فيه كبدها ورئتيها ومعدتها لا اجده · كلا انا لا اريد ان اخلد بازميلي تمثال فتاة هذا العصر لئلا اجعل الناس في العصور المستقبلة يغلطون و يتوهمون ان الله خلق الفتاة في زماننا هذا بشكل غير الشكل الذي سيكون لها في القرون المستقبلة » · وقد قصد هذا النقاش بقوله هذا ان العالم سيتقدم وسيفتكرون في المستقبل بالمشد كما نفتكر نحن الآن بشد قدم فتاة الصين

و بمناسبة ذكر فتاة الصين فانني ابدي رايًا بهذا الشان · فانني افضل ان تشد الابنة قدمها على الطريقة الصينية على شد خصرها على الطريقة الاوربية لان القدم عضو غير عامل في الحياة بل قد يُستغنى عنها احيانًا اذا المّ بهـا مرض · اما الخصر والصدر ففيهما الاعضاء الرئيسة فمن الضرر العظيم شدهما · ولا اعلم لماذا نستقبح شد الصينيين اقدام بناتهم ونسائهم لتصغيرها ونستحسن شد خصور النساء والبنات عندنا

وقد ذكرت الى الآن مضار الكورسه فيجب ان اذكر منافعـه ايضًا · فانهم يقولون ان لهذه الآلة القاتلة (التي تقتل بالتدريج لا دفعة واحدة) منافع كما لها مضار · ومن منافعها عندهم او عندهنّ انها تعطي « كسماً » لصدر المرأة واذا كانت الابنـة او السيدة مائلة القوام الى الامام او بعبارة فصيحة محنية الظهر قليلاً فان الكورسه يصلح هذا الخلل ويجعل قامة المراة « كالالف » كما تقول الجامعة · ولذلك لم يقدر العلماء والفلاسفـة على ابطال الكورسه مع كثرة ما نادوا بوجوب ابطاله من ايام بلتنر ومونتاني و وينسلو وروسو وكروفلير وسومرنغ · اما انا فاني لا ارى هذه المنفعة الصغيرة مساوية لمضرة الضغط على الاعضاء الرئيسة التي منها الحياة · ولكني اعرف منفعة للكورسه جديدة لم يذكرها انصاره وهي الاقتصاد في الغذاء فانه يمنع الفتاة من اخذ كفايتها منه وهكذا تخفف النفقات

تلك هي منافع الكورسه ومضاره فلتحكم العاقلات في ذلك فان على حكمهن الاعتماد

———

العمران والفحم الحجري

كل من اشرف على رصيف بور سعيد من السفن القادمة اليها لاحت له من بعيد على الرصيف اشخاص عديدة سود الوجوه والثياب وهي تتحرك حركات عنيفة رواحاً ومجيئاً وتعمل بشيء بين يديها · فيخيل له لاول وهلة ان هذه الاشخاص من نوع جديد من البشر لم يذكره علماء الانسان في ما ذكروه · ولكنه متى نزل الى البر وشاهدهم عن قرب علم انهم بشر من جنسه ونوعه واذا كان قد قرأ الحكيم لابروبير فانه يذكر ولا شك ما قاله عن فلاحي بلاده في ذلك الزمان وهو : ان المشرف على الحقول يجد فيها حيوانات سوداً محنية الى الارض وهي تمشي وتعمل على الاربع ولا يعرف الناظر انها بشر الا متى خطر لها ان تستريح قليلاً فتنهض قائمة على القدمين

وقد يكون بين اولئك الفلاحين التعساء الذين وصفهم لابروبير ذلك الوصف الذي صار مثلاً في اوروبا كلها حتى صار يكفي ان يقال « فلاحو لابروبير » فيعلم السامع ان المقصود بذلك فلاحون من اقصى درجات التعاسة والشقاء — وبين اشخاص بورسعيد الذين نحن في صددهم الآن شبه كبير · فان الاولين يعملون في الارض ام الثروة والخيرات والآخرين يعملون في ما يصح ان يسمى مادة التمدن والعمران وهو الفحم الحجري

وغير غريب ان يعمل هذان الفريقان في اثمن شيء في العالم ويكونا افقر الناس لانهم انما هم اجراء يعملون وغيرهم يجنون

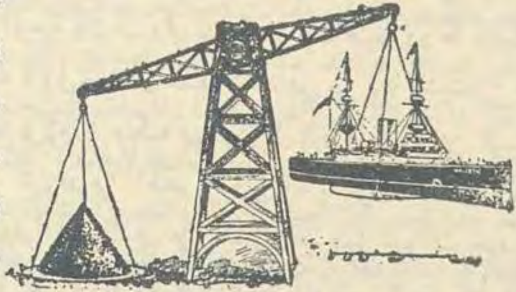
وغير غريب ان تحسن احوال فلاحي لابروبير في اوروبا تحسناً كسر قيود استعبادهم وصيرهم سلاطين على حكامهم لانهم ينصبونهم ويخلعونهم باقتراعهم مع ان التعساء في بلادنا لا يزالون في تعاستهم · فان الشقاء مكتوب لنا ولا مفرَّ مما هو مكتوب

ولكن الغريب ان يثبت تمدن كهذا التمدن الذي عشر معشار اهله يتنعمون والباقون يشقون ·

ولقد خشي عليه الناس منذ مدة من السقوط في مستقبل الزمان لاسباب عديدة اهمها نفاد الفحم الحجري من الارض · وكان اكثر الخوف في انكلترا لانه اذا نفد الفحم من بلاد الانكليز وقفت مصانعها ومزارعها ومتاجرها وخربت البلاد في سنة واحدة · ولذلك ألَّف البرلمان الانكليزي منذ نحو ثلاثين عاماً لجنة لفحص مناجم الفحم في انكلترا فوضعت هذه اللجنة تقريراً ملخصه ان في مناجم الفحم ٩٠ الف مليون طن ناضجة و٥٦ الف مليون طن

تحتها غير ناضجة ولكن يمكن استخراجها حين الحاجة

ومعلوم ان عدد عملة الفحم في انكلترا ٧٣٣ الفاً وكل واحد منهم يعمل ثماني ساعات في اليوم فقط (كما قرر البرلمان الانكليزي حديثاً) فاذا كان كل عامل يستخرج في كل يوم طناً واحداً فيكون مجموع المستخرج في اليوم ٧٣٣ الف طن وفي كل عشر دقائق اكثر من ١٥ الف طن فضع هذا المقدار (١٥ الف طن) في كفة ميزان وضع دارعة «ماجستيك» الانكليزية في كفة اخرى يرجح الفحم الحجري المستخرج من المناجم الانكليزية في عشر دقائق فقط على وزن دارعة ماجستيك لانها لا تزن اكثر من ١٤٩٠٠ طن ·



المستخرج من الفحم الحجري في عشر دقائق في انكلترا
اثقل وزناً من دارعة ماجستك

واذا شئت ان تعرف بالنظر مقدار الفحم الحجري الموجود في مناجم انكلترا ومقدار ما يستخرج منه فانظر الى الرسم الثاني · فان القطعة كلها تمثل الموجود من الفحم في جميع المناجم والتجويف الكائن في يسار الرسم من فوق يمثل المقدار الذي يؤخذ من هذا الفحم في كل ثلاثين سنة · فبناء عليه لا ينقضي قرنان او ثلاثة حتى ينفد الفحم من المناجم الانكليزية

ولكن اذا نفد الفحم من المناجم الانكليزية فان المناجم الاميركية تكفي الناس طويلاً واذا نفد الفحم من هذه المناجم ففي الصين والهند وغيرها من البلاد اراض كثيرة تكتشف مناجم الفحم فيها وهب ان الفحم نفد من الارض كلها فان العلم يؤلف مادة تقوم مقامه · وقد اخذ الآن كثيرون من الباحثين يبحثون في صنع الفحم من فضول المنازل (الزبالة) فيكون رخيص الثمن ومولداً للحرارة كالفحم الحجري· فاذا نجحوا فازوا والا فان الانسان يلتفت حينئذ الى ما تصوره



كمية الفحم الموجودة في مناجم
انكلترا · والتجويف الذي فيها عبارة
عن المستخرج منها في كل ٣٠ عاماً

اميل زولا في احدى رواياته وهو خزن حرارة الشمس واتخاذها بديلاً من الفحم · قال زولا · ان الشمس التي كانت امنا في البداية ستكون امنا ومغذيتنا في النهاية · فان الانسان

سيتوصل بعلمه الى خزن حرارتها الذاهبة طول النهار ضياعاً ثم يفرق منها على المنازل والمصانع والمعامل فتغنيها عن كل وقود · وقد شرعوا منذ الآن يجربون خزن حرارة الشمس وعندهم آلات خاصة بذلك

فلا خوف اذاً على التمدن الحالي من السقوط بسبب الفحم الحجري لان للعالم ملاكاً يحفظه ويرشده · فعسى ان يتمّ نعمته عليه ويرشده في الحياة الادبية كما يرشده في الحياة المادية

اما المستخرج في جميع اقطار العالم من الفحم الحجري في كل عام فانه يبلغ ٦٤٤ مليون طن وهذا بيانه

	مليون طن		مليون طن
من اميركا	٢١٨	من كندا	٤
« انكلترا	٢١٢	« الهند	٤
« المانيا	١١٠	« اوستراليا	٦
باقي اوروبا	٨٢	الترنسفال واورانج	١ ونصف

وكل هذه الامم تستهلك كل فحمها في داخليتها الا اميركا وانكلترا والمانيا فانها تصدر منه الى الخارج · ويبلغ ما تصدره انكلترا منه في العام ٤٤ مليون طن منها ٤٢ مليوناً ونصف الى روسيا وفرنسا والمانيا واسوج ونروج والدانمرك وهولانده وبلجيكا والبرتغال والشرق والباقي لمستعمراتها · واما اميركا فانها تصدر اكثر من ذلك · وكثيرون يفضلون الفحم الاميركي على الفحم الانكليزي بحجة انه اصلب مادة واشد حرارة

ومما هو جدير بالذكر في ختام المقال ان الرسوم الجديدة التي وضعتها الحكومة الانكليزية في هذا العام على صادرات الفحم من بلادها لم تقلل كمية الصادرات لشدة الحاجة الى الفحم في كل مكان ولا سيما بسبب حرب الصين والترنسفال · وقد غلت اسعار الفحم في العامين الماضيين غلوّاً غلت معه اسعار كل ماديات المعيشة حتى هذا الورق الذي نكتب عليه هذه المقالة لانه لا يُصنع بدونه · وهذا معنى قولنا ان الفحم الحجري صار مادة العمران وقوامه

هدية لمشتركي الجامعة

كتاب الكوخ الهندي تاليف الكاتب الخالد الاسم (برناردين دي سان بيير)
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد جداً وفي صدره رسم المؤلف وترجمته
مطولة وتتخلله رسوم كثيرة تشرح مبادئه الفلسفية والفكاهية
شرحاً يزيد الموضوع طلاوة وفائدة

ما كدنا نفرغ من طبع هذا الكتاب على ما وعدنا به في الجزء الماضي حتى بعث الينا بعض القراء الذين لا يُردّ لهم طلب يقترحون علينا ان نهدي هذا الكتاب الى مشتركي الجامعة ومساعديها · فترددنا في بدء الامر لاننا لم نطبع منه بقدر عدد المشتركين ولكننا عدنا واجبناهم الى طلبهم ارضاء لقرائنا الكرام فانّ كل شيء يهون علينا في سبيل رضائهم

ولكن لما كان عدد النسخ المطبوعة من هذا الكتاب ينقص عن عدد مشتركي الجامعة فاننا عزمنا على ان نهبه للذين يسبقون في طلبه ومتى نفد من الادارة تعذَّر علينا ان نهب غيره للطالبين الا اذا كانوا يقبلون احدى الروايات الاعتيادية التي في مكتبة الجامعة · و بناء عليه فكل من يرغب في اقتناء « الكوخ الهندي » مجاناً يجب عليه ان يُسرع في طلبه من الادارة راساً او من وكلائها في الجهات فيرسل اليه في الحال · وغنيّ عن البيان ان كل من يطلبه يجب ان يكون مسدداً ما عليه من بدل الاشتراك حتى نهاية السنة الثالثة والمشتركون من جديد يحصلون عليه بدفعهم بدل الاشتراك · والذين دفعوا بدل السنتين الماضيتين يدفعون بدل السنة الثالثة للحصول عليه

وقد صدرنا الكتاب برسم مؤلفه برناردين وترجمته مطولة وفي ختامها الكلمة التالية ·

« ولقد عرّفنا الى الآن قراء اللغة العربية بمبادىء رجلين من اقطاب الادب والفلسفة في العالم وهما الفيلسوف جول سيمون والكونت لاون تولستوي · فيسرنا الآن ان نعرفهم بمبادىء كاتب ثالث هي ارقّ واعذب من مبادىء الفيلسوفين اللذين تقدم ذكرهما وان لم تكن اعظم منها · وقد اخترنا نشر هذه المبادىء الادبية الفلسفية الجميلة على غيرها من المبادىء العلمية او التاريخية لاننا نرى الحركة الادبية والحالة الاجتماعية محتاجة اليها والقراء في جميع الاقطار اكثر ميلاً اليها منهم الى سواها · فعسى ان ينتفع بها طلابها »

ويلي الترجمة تمنٍّ تمنيناه في صفحة خاصة وهذا نصه

« نتمنى ان لا تخلو مكتبة من هذا الكتاب



﴿ الدكتور الانكليزي سائر الى هيكل راس البراهمة في محمل على اكتاف الرجال . وهي الطريقة التي كان يسافر بها في الهند اكابر الهنود والاجانب قبل استيلاء الانكليز عليها وانشاء السكك الحديدية فيها ﴾



﴿ الدكتور يناظر راس البراهمة وهو جالس في الوسط بين الدراويش والبراهمة عاري الراس والقدمين ولا لباس عليه غير الغطاء القطني لان من يروم مقابلة البراهمة يجب ان يتجرد من كل اثر للحيوان و يغتسل ثلاث مرات في نهر الكنج ليطهر من دنسه ﴾

« وان يضع كل معلم وكل معلمة في يد كل تلميذ وكل تلميذة نسخة منه بعد قراءته في ساعة الدرس وشرح مبادئه

« وان تضعه كل امرء في خزانة ابنتها بين مواد زينتها

« وان يقع في ايدي جميع العقلاء الذين يطلبون الفائدة و يطربهم صوت الفضيلة

ولا ريب عندنا ان كل من يطالعه بامعان وتروٍ يشعر بعد مطالعته بانه صار افضل وارقى منه قبل مطالعته ويرى على الورق شيئاً من مبادىء الحقيقة والفضيلة والاخاء والعظمة الحقيقية التي قلما يرى منها شيئاً في هذا العالم »

اما الرسوم العديدة التي نشرناها في « الكوخ الهندي » فقد نشرنا في هذا الفصل مثالاً منها

﴿ كتاب عمر الى اهل بيت المقدس ﴾

ذكرنا في مقالة « سوريا وفلسطين » في الجزء الماضي ما ذكرناه عن العهد الذي اعطاه عمر بن الخطاب (رضه) الى اهل بيت المقدس وقد بعث الينا بعض الاصدقاء بصورة كتاب يقول انه كتاب الامام عمر وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبدالله بن عمر امير المؤمنين اهل ايليا (يعني بيت المقدس) من الامان امانًا لانفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها و برها وسائر ملتها ان لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منها ولا من صلبانهم ولا شيء من اموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما اعطوا اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مامنهم ومن كان فيها من اهل الارض فمن شاء قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء رجع الى ارضه وان لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية

شهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد . وعمرو بن العاص . وعبد الرحمن بن العفو . ومعاوية ابن ابي سفيان

مبادئ علمية عامية

نتشر في هذا الباب مبادىء علمية عامية مما يجب نشره بين الناس ولا سيما عامة الشعب وهي في غاية البساطة والسهولة

كيف يتغذى الانسان

اول ما اخذنا ننظر في فتح بابين جديدين في سنة الجامعة الجديدة خطر لنا في الحال وجوب فتح باب « لآثار الشرق القديمة » وباب « لنشر مبادىء علمية عامية » ففتحنا هذين البابين وجعلناهما من ابواب المجلة المهمة اي من الابواب التي لا يخلو منها جزء من الجامعة .

اما باب « آثار الشرق القديمة » فننشر فيه بالتتابع ما يفيد وتلذ مطالعته من الآثار المصرية والسورية واللبنانية والهندية والفارسية وغيرها من الامم القديمة مشفوعاً بالرسوم التي تزيد في فائدتها كما يرى القراء في هذا الجزء . هذا فضلاً عن الآثار الشرقية التي تكتشف في مصر وما بين النهرين وبعلبك والاناضول وغيرها مما يتيح معه للابناء ان يقفوا على مخلفات الآباء وآثار مجدهم .

واما باب « مبادىء علمية عامية » فننشر فيه باسلوب في غاية البساطة والوضوح كل ما يهم عامة الناس نشره ويفيدهم الاطلاع عليه . فانك اذا سألت كثيرين من عامة الناس حتى خاصتهم وتلامذة المدارس ايضاً كيف تأكل ويغذيك الطعام . وما سبب نزول ماء المطر . ولماذا تعوم السفينة في البحر ولا تغرق كما يغرق الحجر . وماذا يوجد تحت الارض او فوق رؤوسنا في السماء . ولماذا تقذف الحجر بكل قوتك في الجو فيعود الى الارض بدل استمراره في الصعود في الفضاء طوعاً للقوة التي انفذتها فيه . وما هي حقوقك التي لا يجوز لاحد ان يدوسها كبيراً كان او صغيراً حاكماً او غير حاكم . وما هي واجباتك التي لا يجوز ان تهمل شيئاً منها . وما يوجد في داخل جسمك من الاعضاء الرئيسة . وكيف تجب مداراة هذه الاعضاء . وما هي المبادىء الصحية الاولى التي يجب ان لا يخلو منها منزل — كل هذه الاسئلة اذا القيتها على بعض من العامة تعذر عليهم فهمها والجواب عليها . ومعلوم ان من يذكر عامة الناس في الشرق فانما يذكر تسعة اعشار الامة او اكثر من ذلك . فهل يحسن

ان تبقى تسعة اعشار الامة في جهل مدلهم كهذا الجهل

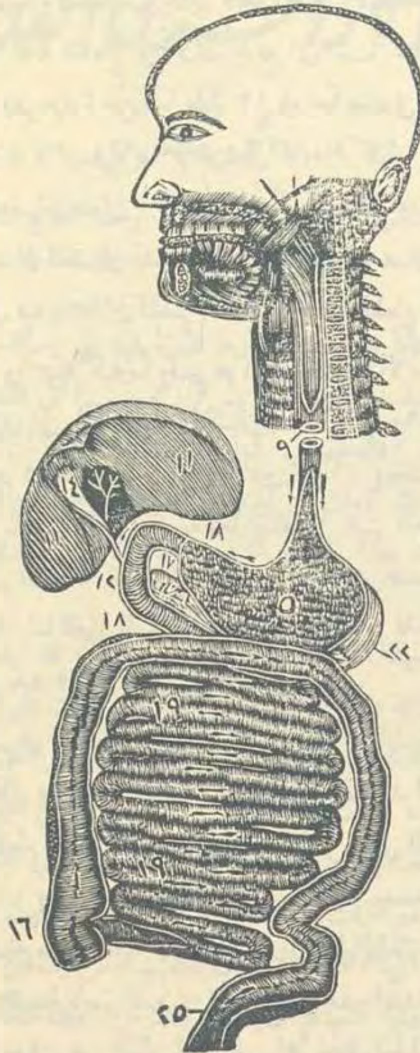
ان الجهل ريح صرصر تطفئ كل ذكاء ونشاط في نفوس الناس · والجاهل بمثابة ولد صغير قاصر وضعيف · اما قصوره فلانه يحسب كل الناس ارقى منه ويخاف ان يخطو خطوة في غير مكانها او يقول كلمة في غير محلها فينفضح امره · واما ضعفه فلانه لا يستطيع مجاراة الاقوياء في هذه الحياة وينخلع قلبه خوفاً من اقل الطوارىء · فانه اذا رأى خيالاً في الليل حسب الجنّ تتعرض له · واذا قال له الناس ان الحمير تطير والطيور تتحول في شهر اغسطس الى حمير فانه قد يصدقهم لغباوته · وهكذا يمتلئ دماغه خرافات واوهاماً لعدم معرفته بشيء من نواميس الطبيعة ونظام هذه الحياة فيجبن ويضعف ويصير كما نراه الآن في الشوارع والاسواق · اما اذا كان واقفاً على شيء من ذلك ومدركاً نواميس الحياة فانه يكون قوياً مقداماً ليس للوهم سلطان على نفسه ولا يخشى حينئذٍ في هذه الحياة شيئاً غير سقوط قبة السماء على رأسه كما كان يقول الفرنك سكان فرنسا القدماء

ولا نجهل ان تبديد هذا الجهل انما هو من شؤون المدارس والتعليم الالزامي ولكننا نعتقد ان المجلات والجرائد تستطيع ان تؤثر من هذا الوجه تاثيراً مفيداً ولذلك فتحنا باب « المبادىء العلمية العامية » الذي نرجو ان يكون لعامة القراء مورد حقائق في غاية البساطة والسهولة كما ان باقي ابواب المجلة مورد لخاصتهم · وسنبدأ في هذا الجزء بوصف الصق شيء بالانسان وهو « كيف يأكل ويتغذى »

ولا نبحث في هذا الفصل في شروط التغذية ولا في المواد اللازمة للغذاء ولكن في طريقة التغذية · فانك تتناول لقمة الطعام من المائدة وتضعها في فيك فتطحنها قليلاً او كثيراً باضراسك واسنانك ثم تبتلعها وتقذفها الى داخلك · فماذا يحدث لها في الداخل · وكيف تتحول من خبز ولحم وطماطم وبطاطس وارز وسمك وحلوى وغيرها الى دم يدور في جسمك ·

يستلزم هذا الامر عدة تغيرات وتتعاون عليه عدة اعضاء وهي الاسنان والغدد اللعابية والمعدة والامعاء والاوعية اللبنية والقناة الصدرية (انظر الرسم)

فان الاسنان تمضغ الطعام ومن الواجب ان تطحنه جيداً ليسهل هضمه على المعدة · وبينما تكون الاسنان مشتغلة بهضم الطعام تتهيج الغدد اللعابية (اي يشط ريق الانسان كما يقول العامة) فيمتزج اللعاب الذي تفرزه (الريق) بالطعام ويبلله فيساعد الاسنان عليه ولما يتم مضغ الطعام ينزل من المرىء (انظر عدد ٩) الى المعدة (انظر عدد ٥) ولما



﴿ اعضاء الهضم ﴾ — (٩) المرئ الذي ينزل منه الطعام الى المعدة (٥) المعدة (١٨ و١٨) الاثنى عشري (١٧) البنكرياس (١٤) كيس المرارة (١٢) القناة التي تصب منها الصفراء من كيس المرارة الى الاثنى عشري (١١و١١) الكبد (٢٢) الطحال (١٩و١٩) الامعاء الدقيقة (١٦) فتحة المعا الدقيق في المعا الغليظ (٢٥) طرف المعا الغليظ ومنه يخرج براز الانسان

يستقر الطعام في المعدة تنقبض جدرانها وتفرز سيالاً يسمونه « السيال المعدي » او « العصارة المعدية » فيمتزج الطعام بهذه العصارة ويصير كتلة رخوة يسمونها « كيموساً » ونسميها هنا كتلة الطعام · وبعد استحالة الطعام الى كتلة يدفع الى ما يسمونه « الاثنى عشري » (انظر عدد ١٨ و١٨) وهو عبارة عن معا طوله ١٢ قيراطاً ومتصل بالمعدة من فتحتها السفلى ويسمونه « المعدة الثانية » لاهميته لانه اهم جزء في الامعاء كلها · وحول الاثنى عشري (انظر عدد ١٧ و١٤) عضوان مهمان · الاول « البنكرياس » (عدد ١٧) والثاني كيس المرارة (عدد ١٤) فهذان العضوان يصبان في الاثنى عشري عصارين يزيدان في تغيير كتلة الطعام التي تكون فيه ويعجلان الهضم · فتنقسم كتلة الطعام حينئذٍ الى قسمين · قسم يكون شبيهاً باللبن ويسمونه كيلوساً وقسم هو البراز او فرث الانسان · ثم يمر الكيلوس والفرث من الاثنى عشري الى باقي امعاء الانسان (عدد ١٩ و١٩) وذلك بحركة دودية اي شبيهة بالتواء الدود في سيرها · وهناك يتغير ايضاً · وبعد ذلك تمتص الاوعية اللبنية المتصلة بالامعاء تلك المادة اللبنية وتغيرها ثم تصبها تحت الترقوة في جانب الانسان الايسر ومن هناك تنزل تلك المادة الى القلب مارة بالرئتين فتصير دماً اي يحمر لونها بتاثير الهواء الذي فيهما · اما البراز الذي كان معها في الامعاء فانه يندفع الى المعا الغليظ ويخرج منه من المخرج (عدد ٢٥) وبذلك يتم الهضم

هذا هو نظام الهضم في الانسان والحيوان تقريباً الا الحيوانات التي تاكل الاعشاب وتجترّ كالبقر والغنم والجمال وغيرها · فان لهذه الحيوانات اربع معد لا معدة واحدة · فالمعدة الاولى خزانة تقتبل الطعام وهي « الكرش » · وهذا الكرش يبلل الطعام ويدفعه الى معدة ثانية يسمونها « الشهر » · ومتى استقر الطعام في هذه المعدة يصعد منها الى الفم فيجتر الحيوان حينئذٍ اي يمضغه مضغة ثانية · وبعد الاجترار ينزل الطعام من الفم الى المعدة الثالثة وهي التي يسميها العامة « قبوعة ناصر الدين » · ثم يندفع من هذه المعدة الى المعدة الرابعة وهي القباوة وهناك يتم الهضم · وغني عن البيان ان الهضم اهمّ اعمال الحياة لان صحة جسم الانسان وصحة عقله متوقفتان عليه · وكثيراً ما اضطرب الهضم فاضطربت معه صحة الانسان واخلاقه كلها فصار ضيق الصدر كثير الهواجس ضعيف الرأي · وقبل ختام الكلام في هذا الفصل لا يسعنا الا الاشارة الى ما يصنعه بعض الاولاد احياناً فانهم يتنافسون بابتلاع بزر الخوخ والكمثري وغيره لينبت في بطونهم ويصير منه فيها الحدائق والبساتين ·· ولا ريب انه امر مضحك ولكنه كثيراً ما ينقلب فيصبح مبكياً اسوء مصيره

آثار الشرق القديمة

أثر مصري

حالة الفلاح المصري والاديب المصري قديماً · وصف الفلاح المصري الحالي والقديم ·
رسم اديب من ادباء المصريين القدماء

كنا نتصفح كتاباً عن مصر وآثارها فعثرنا فيه على رسالة في غاية الاهمية كتبها اميمان وكيل مكتبة الملك سروستريس (رعمسيس) الى الشاعر بنتاتور المصري احد شعراء الملك المذكور · والسبب في كتابة هذا الكتاب(١) ان الشاعر بنتاتور كره صناعة الادب والشعر في ذلك الزمان فتركها وعدل عنها الى الحراثة والزراعة فانكر صديقه اميمان وكيل مكتبة الملك هذا الصنع كتب اليه الكتاب الذي نحن في صدده · وهذه ترجمته

« يأتون اليك بهذا الكتاب لابلاغك امرًا · فانه قد بلغني انك هجرت الآداب
« وابتعدت عن البلاغة والتفتّ الى اشغال الحقول وادرت ظهرك الى الكتابة السماوية ·
« فتأمل وافتكر بحالة الفلاح · فانه قبل ان يحصد تحمل الحشرات قسماً من القمح
« وتاكل الحيوانات ما بقي · وفي الحقول اسراب كثيرة من الجرد · والجراد يهجم بكثرة
« والماشية تاكل والعصافير تنهب · واذا ترك الفلاح شيئاً في الحقل فان اللصوص تسرقه
« وآلته تنثلم وتتحطم مع الوقت لانها من حديد · وجواده يموت وهو يجر المحراث · ثم ان
« الجباة يفدون من الميناء لجباية الضرائب ومعهم اناس يحملون عصياً وزنوج في ايديهم
« سعف النخل يتخذونها كسياط · فيقولون للفلاح (اعطنا قمحاً) وليس في استطاعته ان
« يردهم · فانهم يوثقون يديه ويرسلونه الى الترعة وهم يدفعونه امامهم بقوة · وكذلك يوثقون
« امراته على مرأى منه ويسلبون اولاده · اما جيرانه فانهم يكونون مشتغلين عنه باشغال
« الحصاد · هذه هي حالة الفلاح · اما عمل الكاتب الاديب فانه اسمى الاعمال ولا
« ضريبة عليه · فاعلم ذلك »

---

(١) وهذا الكتاب محفوظ الآن في متحف لندن



﴿ كاتب وناسخ مصري قديم ﴾

اكتشف تمثاله المسيو ماسبرو

فيظهر من هذا الكتاب ان حالة الفلاح المصري لم تكن في عهد الفراعنة افضل مما كانت قبل قيام المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة . وان بين حالة الفلاح المصري في هذا الزمان وبين حالته في الازمنة الماضية ما بين الارض والسماء وكذلك يقال في مسألة الادب . فان الكتابة والآداب كانت معتبرة عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم المتقدمة صناعة الهية وكان الاشوريون يعتقدون ان الآلهة هي التي علمت الناس الكتابة والقراءة . ولم يكن هذا الاعتقاد عن وهم ولكن عن شعور بشرف الكتابة واهميتها

واذا رام القراء ان يعرفوا بالنظر الاديب والفلاح المصريين القديمين فلينظروا الى الفلاح المصري الحالي والى الاديب المصري في الرسم الذي في هذا الفصل . فان الفلاح المصري لم يتغير منذ القدم . قال بعض المؤرخين . ان الزوابع السياسية والاجتماعية التي عصفت في مصر قلبت فيها كل شيء ظهراً الى بطن وراساً على عقب الا الفلاح المصري صاحب مصر الحقيقي وعماد ثروتها . فان هذا الفلاح بقي ثابتاً في مكانه ولم يتغير عما كان فيه من

عهد الفراعنة · اي انه لا يزال لطيفاً هادئاً ينحني لكل الزوابع التي تمرُّ فوق راسه ويخضع لكل الايدي التي تقبض على زمامه · وهو يحب ارضه كما يحب الولد امه ولذلك فهو يحرص عليها و يفتخر بامتلاكها كما انه يعير من لا يملك شيئاً منها · وهو مستجمع فضائل الامة المصرية وعليه يتوقف مستقبلها·

اما الاديب المصري القديم فقد كان متعدد الانواع فمنه الشعراء ومنه الكتاب ومنه النساخ · وكان للنساخ اهمية كبرى في ذلك الزمان لعدم وجود المطابع · وكثيراً ما عثروا في المدافن القديمة على آلات الكتابة المصرية ومعها محبرتا النساخ واحدة للحبر الاسود وواحدة للحبر الاحمر · وكانت الكتابة يومئذٍ على نوع من الورق كانوا يصنعونه من البابيروس واحياناً كانوا يضنون بالبابيروس لغلاء ثمنه ويكتبون على قطع خزفية او خشبية ما كان بلا اهمية كورقة دعوة او كتاب ودي وما اشبه

وقد نشرنا في هذا الفصل رسم تمثال اديب وناسخ مصري قديم اكتشفه المسيو ماسبرو منذ سنوات ليعرف ادباؤنا وجه رصفائهم من المتقدمين

اثر سوري

الزي السوري القديم · الزي الاناضولي · البنات الاناضوليات اقوى من الرجال
هل يجب ان نتحسر على الزمن القديم

كما اننا نشرنا للادباء في الفصل السابق رسم رصيف مصري قديم ننشر للسيدات في هذا الفصل رسم « جدة » لابسة الزي السوري القديم الذي لا تزال آثاره باقية الى هذه الايام ولا نعني بذلك انَّ نساء سوريا ما زلن يلبسن هذا الزي الغريب الذي هو اشبه بازياء الروايات ولكننا نقول انه لا يزال في نساء سوريا بقية من ذلك الزمن القديم وهن يلبسن ذات الملابس التي يراها القراء في الرسم

اما ازياء النساء السوريات اليوم فهي كازياء النساء الاوربيات والاميركيات لانها مقتبسة منها كما اقتبس ازواجهن ازياء ازواجهن

ولكنه لا يزال في جهات الاناضول كثيرات من النساء يلبسن ازياء اغرب من زي « الجدة السورية » التي نشرنا رسمها · فقد زرنا مدينة اضاليا في الاناضول منذ بضع سنوات فرأينا نساء المسيحيين فيها متزوجات وغير متزوجات جميلات وغير جميلات يلبسن قفطاناً كقفاطين

الرجال وهو ذو اربعة اقسام قسمين يتدليان على جسم المرأة من وراء وقسمين يتدليان على جسمها من امام . ويلبسن فوق « القفطان » سترة صغيرة لا تتجاوز اثديتهن على مثال « الدامر » الذي يلبسه لابسو اللباس العربي في الشام . ويتمنطقن بزنار في وسطهن ويلبسن طربوشاً في رؤوسهن ويصففن عليه قطعاً من النقود الفضية او الذهبية ويجدلن ضفائر عديدة من شعرهن ويرخينها على ظهورهن كاذناب الحيات وفي اطرافها قطع من النقود ترن وتطن كلما خطت المراة خطوة . ولا ريب ان الذين اعتادت عيونهم ان ترتع في مناظر اللطف النسائي في مصر والشام والفت ابصارهم مشاهدة ملابس النساء الظريفة وثمار اذواقهن اللطيفة يستهجنون تلك الملابس الاناضولية كما يستهجن القارىء لباس الجدة السورية

ولكن اذا كان في ملابس بعض النساء الاناضوليات ما يدعو الى الاستهجان ففي اعمال بعض فتياتهن ما يدعو الى الاعجاب والاستحسان . فان بعض البنات الاناضوليات مسلمات ومسيحيات يعملن اعمال الرجال واشق منها . فانهن ينقلن قطع الخشب الضخمة على اكتافهن من مسافات بعيدة كانهن حيوانات للنقل . وهن يشتغلن بهذا العمل الشاق القبيح افواجاً افواجاً . وتجد الفتاة منهن حاملة على كتفها القوي قطعة الخشب الضخمة التي يتجاوز طولها اربعة امتار وهي ماشية تحت حملها بخطى ثابتة قوية والدم يكاد يفور من وجناتها فيخيل لك انك في منام اذا كنت غريباً عن البلاد . واذا كنت قد قرأت ما يقوله فلاسفة الافرنج من تحريم العمل على النساء الاوروبيات ولا سيما اذا كان شاقاً ولا يستلزم موهبة نسائية قلت في نفسك اين اولئك الفلاسفة ليقضوا العجب من هذا المنظر . ومع ذلك فان الفتيات الاناضوليات يكنّ مبتسمات فرحات تحت احمالهن الثقيلة . وكثيراً ما يتراكضن ويتسابقن تحت تلك الاحمال الكريهة وهنّ منشدات مقهقهات . ذلك لانهن يشتغلن ليحصلن « دوطة » لهن ومتى جمعن هذه الدوطة تركن العمل وتزوجن وعشن مستريحات . فبارك الله في هذه الهمة التي تدل على مبلغ ما في نفوس النساء الاناضوليات من العزيمة والنشاط

ولا ريب عندنا ان كثيرين من قرائنا في سوريا اذا وقعت انظارهم على رسم « الجدة السورية » يتنهدون من اعماق صدورهم . اما القارئات فانهن يتنهدن لانهنّ يشكرن الله تعالى على انقاذهن من ذلك الزي المخيف : تلك العمامة التي هي كالغمامة . والمقص المعلق بها كعصفور على شجرة . والجزمة التي تثقل القدمين كقيد من حديد . ونول



﴿ امرأة سورية بالزي السوري القديم ﴾

الحياكة وملف الحرير الذي كان شغل المرأة الشاغل في ذلك الزمان . والنرجيلة الهائلة التي لا تأنف — واأسفاه — كثيرات من السوريات وغير السوريات من التدخين بها حتى اليوم . والقفطان الذي هو كثير الشبه بقفطان النساء الاناضوليات . هذا فضلاً عن عبوديتهن القديمة للرجال

واما القراء الذين يتنهدون لهذا الزي فانهم يتنهدون لانهم يذكرون زمناً قد مضى وهم ياسفون عليه . وسبب اسفهم عليه عدم رضائهم عن الزمن الحاضر . فان من كان يملك منهم في ذلك الزمن مائة جنيه كان كمن يملك ثلاثة الاف جنيه في هذه الايام . لان اردب القمح كان يُباع بعشرة غروش وكل حاجيات المعيشة كانت رخيصة الثمن على هذا

المنوال · وفضلاً عن ذلك فقد كانت النفس راضية بالقليل ،مكتفية بالموجود الحاضر · وكان الرجل سيداً مطلقاً في البيت واقرب شيء الى يده العصا لتاديب امراته · وكانت هـذه المراة عبدة حقيقية لا تخرج الا محجبة ولا تجالس رجلاً ولا تخاطب احداً غير زوجها الا من وراء حجاب كاخواتهن المسلمات اليوم · غير ان العادات والاخلاق كانت الطف وابسط منها اليوم كما يزعم الشيوخ الذين شهدوا تلك الايام · وهم يزعمون ايضاً ان الامراض كانت اقل واخف وطأة · ولكن هذا الزعم والذي تقدمه يحتاجان الى اثبات · ويردُّ الاطباء على الزعم الثاني بقولهم ان الامراض كانت مجهولة لا معدومة وكان الناس يسمون كل مرض حمى فلما انتشر الاطباء وسموا الامراض باسمائها الحقيقية ظن البسطاء انها تعددت · وقس على ذلك باقي شؤون الحياة ·

اما نحن فلا نجهل ان المعيشة في ذلك الزمان كانت اسهل وابسط مما هي اليوم والناس كانوا اقرب الى الاخاء البشري والبساطة الطبيعية ولكننا نعتقد ان الذين ياسفون على الايام الماضية انما ياسفون اسف الشيخ الذي يتحسر في شيخوخته على شبابه وان كان في شيخوخته اهنأ بالاً مما كان في شبابه واحسن حالاً · فمن يتحسر اليوم على زمن الجدة السورية فليتحسر عليه ولكن دون ان يتمنى الرجوع اليه ·

صفحة الشعر

﴿ قوة نساء العرب وسرعة جوابهن ﴾

يعزُّ على الكاتب اليوم اذا رام تفكهة قرائه بشيء من الشعر ان يرى نفسه مضطراً للرجوع الى ما جاء في الكتب القديمة · وليس يعزُّ عليه ذلك لان ماجاء في هذه الكتب مهمل لا يستحق النشر ولكن لانه لا ينطبق على شؤون العصر وحاجاته ولذلك فهو قلما يكون ذا تاثير في نفس القارىء · غير ان الرواية الشعرية التي نرويها الآن نقلاً عن المسعودي جديرة بان تلذَّ القراء فضلاً عن دلالتها على ما كان للنساء في ذلك الزمان من المكانة من البلاغة وسرعة الجواب · وهذه خلاصتها · قال يزيد الرقاشي

سمرتُ ذات ليلة عند السفاح (وهو ابو العباس عبدالله بن محمد اول الخلفاء العباسيين) فقال يا يزيد اخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت : يا امير المؤمنين · نزل

رجل من تنوخ بجيّ من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيئاً من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامرٍ   من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته جارية من الحي فاغاظها هذا الهجاء لقومها فخرجت الى الرجل وحادثته وآنسته وسألته حتى انس بها فقالت له . من اي قوم انت مُتعت بك . فأجاب الرجل من "تميم" فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

تميم يطرق اللؤم اهدى من القطا   ولو سلكت سبل المكارم ضلَّتِ

ولو ان برغوثاً على ظهر قملةٍ   يكرُّ على جمعي تميمٍ لولتِ

ذبحنا فسمينا فتمَّ ذبيحنا   وما ذبحت يوماً تميم فسمت

فقال الرجل لا والله ما انا من تميم قالت فممن انت جُعلتُ فداك قال : رجل من عجل . فقالت اتعرف الذي يقول

اذا مات عجليٌّ بارضٍ فانما   يُشقُّ له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما انا من عجل . قالت فممن انتَ قل الحق . قال : رجل من بني يشكر . فقالت اتعرف الذي يقول

اذا يشكريٌّ مسَّ ثوبك ثوبه   فلا تذكرنَّ الله حتى تطهرا

فقال لا والله ما انا من يشكر قالت فممن انت اذاً قال من عبس . فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلاماً   فبشرها بلؤمٍ مستفادِ

فقال لا والله ما انا من عبس قالت فممن انت قال من بني ضبة . فقالت اتعرف القائل

لقد زرقتْ عيناك يا ابن معكبرٍ   كما كل ضبيّ من اللوم ازرق

فقال الرجل اعوذ بالله . لا والله ما انا من بني ضبة . فقالت فممن انت ويحك اما تستحي قل الحق . فقال انا من خزاعة فقالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم   وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهراً   بزقٍ بئس مفتخر الفخور

فقال لا والله لست من خزاعة . فقالت فممن انت قال من لقيط . فقالت اتعرف الذي يقول

لقيط شرٌّ من ركب المطايا   وانذل من يدبّ على البسيط

فقال لا والله لست من لقيط ولكن من خثعم . فقالت اتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرتَ بها صفيرًا　　لطارت في البلاد مع الجرادِ

فقال الرجل لا لا بل انا من طي · فقالت اتعرف الذي يقول

ولوان حرقوصاً يمدُّ جناحه　　على جبلي طيٍ اذا لا ستظلتِ

فقال لا والله ما انا من طي · فقالت فممن انت ويلك اما تستحي اكثرت من الكذب فقال انا رجل من تنوخ وهو الحق · قالت اتعرف الذي يقول

اذا تنوخ قطعت منهلاً　　في طلب الغارات والثار

آبت بخزي من اله العلى　　وشهرة في الاهل والجار

فقال لا والله لست منهم · قالت فممن انت · قال من بني حمير فقالت اتعرف الذي يقول

نبئت حمير تهجوني فقلت لهم　　ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وان طالت حياتهمُ　　ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

فقال لا والله لست منهم · قالت فممن انت قال من بني امية · فقالت اتعرف الذي يقول

وهى من امية بنيانها　　فهان على الله فقدانها

وكانت امية فيما مضى　　جرئ على الله سلطانها

فلا آل حرب اطاعوا الرسو　　ل ولم يتق الله مروانها

فقال الرجل لا والله ما انا منهم ولكن من ولد الشيطان الرجيم · قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك افتعرف الذي يقول

الا ياعباد الله هذا عدوكم　　وهذا عدوّ الله ابليس فاقتلوا

فصاح الرجل : هذا مقام العائذ بك · قالت قم يارجل خاسئًا مذمومًا واذا نزلتَ بقوم فلا تنشد فيهم شعرًا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوئ الناس فلكل قوم اساءة واحسان · وانت كما قال جرير للفرزدق

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم　　رحلتَ بخزية وتركت عارا

فقال لها الرجل والله لا انشدُ بيت شعر ابدًا · — فقال السفاح لئن كنتَ قلتَ هذا الخبر ونظمتَ فيمن ذكرتَ هذه الاشعار فلقد احسنتَ وانت سيد الكاذبين · وان كان الخبر صدقًا وكنت فيما ذكرته محقًا فان هذه الجارية العامرية لمن احضر الناس جوابًا وابصرهم بمثالب الناس

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

المدارس وانواعها

(لا ريب ان في العالم مدارس غير المدارس والادبية)

اذا قيل عندنا « انشئوا المدارس لان بها حياة الامة » علم السامعون ان الداعي الى هذا الامر يقصد بقوله هذا استئجار او انشاء بناء كبير واستدعاء بضعة من المعلمين العارفين بالصرف والنحو والقراءة والحساب واحياناً الشعر ليجتمع اليهم و يلتف عليهم عشرات او مئات من التلامذة و يقيموا تحت ادارتهم اعواماً طوالاً قد تمرُّ بلا فائدة . ولكن اذا صاح صائح في اوربا انشئوا المدارس وقف سامعوه يسخرون منه و يسالونه : اي نوع من المدارس تريد . المدارس الابتدائية ام الثانوية ام النهائية . وهل تريدها علمية . ام ادبية . ام صناعية . ام زراعية . ام تجارية . ام حربية . ام بحرية : والصناعية ماذا تريدها هل لتعدين المعادن . ام لانشاء المعامل . ام للصنائع التي تُصنع باليد . ام غيرها

ذلك لان كل فرع من فروع الحياة الاجتماعية تقريباً صار في بلاد المتمدنين خاصاً بمدرسة تلقن الطلبة اصوله . والسباق الآن في اتقان هذه المدارس قائم بين جميع الامم على ساق وقدم لان تحسين شؤون المدارس فيها بمثابة تحسين امورها الرئيسة وشؤونها الحيوية وقد تحققت كل امة من تلك الامم ان المستقبل للامة التي تكون لها ارقى المدارس وافضلها . فالتي تكون لها ارقى المدارس التجارية تتغلب على مزاحماتها في التجارة والتي يكون لها ارقى المدارس الصناعية تفوز على مناظراتها في الصناعة . وهكذا قل في الزراعة والحرب والبحرية وسائر شؤون الحياة الاجتماعية

ولقد قدمنا هذه المقدمة في هذا الفصل لنبسط امام القراء انواع المدارس التي تعنى بها الامم المتمدنة واخترنا فرنسا من بين تلك الامم وسنلتزم الايجاز بقدر الامكان

***

في فرنسا سبع وزارات تتبعها المدارس الخاصة بها فالاولى وزارة المعارف وتتبعها المدارس الابتدائية والادبية والعلمية والفنية . والثانية وزارة التجارة وتتبعها المدارس التجارية والصناعية . والثالثة وزارة الزراعة وتتبعها المدارس الزراعية . والرابعة وزارة الداخلية وتتبعها مدارس العميان والصم . والخامسة وزارة الحربية وتتبعها المدارس الحربية . والسادسة وزارة البحرية وتتبعها المدارس البحرية . والسابعة وزارة الاشغال العمومية وتتبعها مدارس المعادن وانشاء الطرق والجسور (الكباري) . بقي قسم ثامن يسمونه القسم الحر .

وزارة المعارف — اما المدارس التابعة لوزارة المعارف فهي اقسام . القسم الاول المدارس التي تقوم مقام الامهات والغرض من انشائها حفظ الاطفال الذين لا تقل اعمارهم عن سنتين ولا تزيد عن سبع وترويض افكارهم الصغيرة برسوم والعاب وشيء من القراءة والكتابة ليكون تمهيداً للتعليم الابتدائي . واكثر الامهات اللواتي تشتغلن خارج منازلهن يضعن اولادهن في هذه المدارس . وكانت هذه المدارس تُدعى قبلاً ملاجيء الاولاد . ومما يؤلم ذكره ان الحكومة في مصر والشام لم تفتكر بعدُ بهذا النوع من المدارس لتحضن به الاولاد المتشردين الذين يملأون الاسواق والشوارع والذين يرقدون بعضهم على بعض غلماناً وفتيات حتى في ليالي الشتاء في منعطفات المنشية وزواياها مع كلاب الازقة . كأنهم وا اسفاه طبقة خارجة عن طبقات البشر لا يجوز لها ان تتنعم بشيء من الدفاء في الليالي الباردة

والقسم الثاني المدارس الابتدائية المنشأة في كل مدينة وكل قرية في فرنسا وفيها التعليم مجاني الزامي ومن لا يرسل ولده لتعليمه فالحكومة تغرمه عقاباً له

والقسم الثالث مدارس ابتدائية يضاف اليها تعليم شيء من مبادىء الزراعة والصناعة والتجارة ويكون التعليم فيها عملياً

والقسم الرابع مدارس ابتدائية لاعداد معلمين ومعلمات للتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية .

والقسم الخامس المدارس العلمية والادبية . والقسم السادس المدارس الطبية والمدارس الاعدادية الطبية . والقسم السابع المدارس لتعليم الصيدلية . والقسم الثامن المدارس لتعليم الحقوق وعددها يربي على ١٣ مدرسة . والقسم التاسع مدرسة لقراءة

الآثار القديمة ·

والقسم العاشر مدرسة للغات الشرقية الحية وقد انشأت هذه المدرسة في عام ١٧٩٥ ووظيفتها اعداد قناصل وتراجمة للسفارات والقنصليات في الشرق البعيد والقريب

والقسم الحادي عشر مدرسة قرب السوربون للتمرن والمذاكرة في الدروس العليا والقسم الثاني عشر مدرسة اللوفر وهي للآثار القديمة والتمدن القديم والقسم الثالث عشر مدارس للفنون الجميلة مثل النقش والتصوير والرسم وغيرها للفتيان والفتيات · والقسم الرابع عشر مدرسة فرنسوية في اثينا لدرس الآثار اليونانية · والقسم الخامس عشر مدرسة فرنسوية في رومه لدرس الآثار الرومانية ومدرسة اخرى في رومه ايضاً

وزارة التجارة — هذه هي المدارس التابعة لوزارة المعارف · اما وزارة التجارة فتتبعها مدرسة للصنائع والنسج في باريز ومدارس اخري للصنائع والحرف في اكس وانجر وشالون ومدرستان كبيرتان للدروس التجارية العليا في باريز وثلاث مدارس لصنع الساعات في بزانسون وكلوز وباريز ومدرسة في كلوني لاعداد عملة ورؤساء عملة ومدرسة للتلغراف

وزارة الزراعة — اما وزارة الزراعة فتتبعها مدرسة عليا للزراعة في باريز ومدارس صغرى للزراعة في كرينيون وغران جوان ومونبليه ومدارس للزراعة العملية اي ان الطلبة يدرسون فيها الزراعة علماً وعملاً في البساتين والحقول ومدرسة في ننسي لتربية الاحراش والعناية بها ومدارس للبيطرية في الفورت وليون وتولوز

وزارة الداخلية — اما وزارة الداخلية فتتبعها مدارس الصم البكم التي تعتني بتلامذتها اعتناء علمياً وصحياً وتعلمهم صنائع يقدرون بها على كسب الرزق · ومدارس للعميان تعلمهم ايضاً الصنائع والحرف باصطلاحات مصطلح عليها فيعمل الاعمى بيديه كأنه من المبصرين وهذا منتهى الحنان والعناية من الهيئة الحاكمة

وزارة الحربية — وتتبع وزارة الحربية مدرسة البوليتكنيك في باريز ومنها يخرج مهندسون لمعامل الحكومة ومعادنها واشغالها العمومية والبحرية والجندية · ومدرستان للمدفعية والهندسة ومدرسة للبارود ومدرسة سان سير الخصوصية التي يخرج منها التلامذة برتبة ملازم ومدرسة ضباط المشاة ومدرسة الصحة العمومية العسكرية ومدرسة الطب والصيدلية العسكرية ومدرسة تعلم الادارة العسكرية ومدرسة اعدادية عسكرية

وزارة البحرية — وتتبعها مدرسة اطفال البحرية وقد انشأت في بريستْ لايتام

الجند ومدرسة المبتدئين وهي قائمة على ظهر السفينة اوسترايتز في ميناء برست وتلامذتها من تلامذة المدرسة السابقة . ومدارس بحرية للطب والصيدلية ومدرسة للهندسة البحرية ومدرسة استعمارية ومدارس لمهندسي آلات السفن البخارية

وزارة الاشغال العمومية — تتبعها مدرسة لانشاء الجسور والطرق واخرى للمعادن ومنها يخرج مهندسو المناجم ومدرستان للعملة المعدنين ورؤساء العملة

هذه هي انواع المدارس عند الامم المتمدنة اما نحن فليس لدينا منها غير المدارس الادبية . ولا ننكر ان الحكومة السنية قد انشات في الاستانة بعض مدارس الفنون والصناعة ولكن خلو الولايات من مدارس حقيقية للصناعة والزراعة والتجارة يجيز لنا ان نقول بانه ليس لدينا شيء منها .

باب تدبير الصحة

﴿ مؤتمر السل في لندن ﴾

اعظم الاعمال الطبية في هذا العام انعقاد مؤتمر للسل في لندن تحت رعاية جلالة الملك ادوار السابع الذي بعث بتلغراف الى رئيس المؤتمر يسأله فيه ابلاغ شكره للعلماء الاعلام الذين اجتمعوا في بلاده لمحاربة آفة الانسانية . وقد خطب كثيرون من الخطباء بشأن هذا الداء اشهرهم الدكتور كوخ الالماني والدكتور برواردل الفرنسوي . فارتأى كوخ ان داء السل لا ينتقل الا بواسطة بصاق المصابين وانه لا صحة لانتقاله بواسطة لبن الحيوانات المصابة به . فانكر رصفاؤه الاطباء هذا القول لانهم تحققوا انتقاله من الحيوان للانسان . وقال الدكتور برواردل ان خمس بني الانسان بل ربعهم يموتون بالسل وان وفياته قد نقصت في انكلترا ٤٠ في المائة لتحسين المنازل فيها من حيث ازالة الرطوبة منها وادخال النور والهواء اليها . ثم قال يجب مراقبة اللحم واللبن جيداً كما صنعت حكومة بلجيكا ومنع البصق في الشوارع كما صنعت حكومة اميركا . ثم روى ان غنياً من اصحاب الملايين في اميركا بصق في احد الشوارع فغرم فاعاد البصق فزج بالسجن عقاباً له . وقد سأل الدول ان تُجمع على تطهير المركبات البرية والبحرية بالمواد التي تقتل الميكروب وان

لا تذخر الحكومات وسعاً في محاربة هذه الآفة التي تتهدد الانسانية

وقد خطب في المؤتمر كثيرون من الخطباء ايضاً . ولما تمت اعمال المؤتمر التي سنعود اليها في بعض الاجزاء القادمة قرر وجوب ان تمنع الحكومات الناس من البصق في الاماكن العمومية كالمركبات والسفن والقهاوي وغيرها وانشاء لجنة خصوصية تكون وظيفتها مقصورة على تنبيه الناس ونشر كل ما يهم الاطلاع عليه بشان هذا الداء . ثم ختم المؤتمر جلساته .

﴿ صحة البوكسر في الصين ﴾

عاد الدكتور ماتينيون من الصين وكان طبيب السفارة الفرنسوية فيها فقال ان الصينيين قوم شديدو الانفعال وان التأثر يبلغ منهم احياناً مبلغ الجنون فيحملهم على الانتحار . وان البوكسر يشبهون الناس المصابين بالهستيريا من شدة تاثرهم . فكان يجب على اوروبا ان ترسل اليهم جيشاً من الاطباء لمداواتهم لا جيوشاً من الجنود لقتلهم

﴿ سبب طنين الاذنين ﴾

اذا كنتَ جالساً واخذتْ اذنك (تطنُّ) بغتة فان العامة تفسر ذلك بان رجلاً يتكلم عنك في غيابك . ولكن قد يزداد هذا الطنين فتشعر بغتة بان اذنك قد سُدَّت ولم تعد قادراً على السمع بها فتذهب خائفاً الى طبيبك فيحقن الطبيب اذنك بماء فاتر فيعود السمع الى اذنك . فما سبب ذلك . سببه ان اقذار الاذن الصفراء تتجمع وتسقط في تجويف الاذن والماء الفاتر يطردها . فعليك اذاً بازالة هذه الاقذار في كل صباح ومساء قبل سقوطها الى الداخل

﴿ انبذوا المناديل انبذوا المناديل ﴾

يصلي اليوم بعض الاطباء في اوربا مناديل الجيوب حرباً عواناً . فانهم يقولون ان هذه المناديل من اشد العوامل في نشر الامراض . وهم ينصحون الناس باستبدالها بمناديل من ورق على الطريقة اليابانية حتى اذا صار المنديل قذراً احرق واعدم فتموت الجراثيم التي تكون قد علقت به . قال بعض هولاء الاطباء . ولا اعرف رجلاً ابرد من ذلك الرجل الذي يتناول منديله من جيبه ثم يضعه على انفك ليجعلك تشم رائحته الطيبة وهو يفخر بذلك . فانه قد ينقل اليك من المنديل اقبح الجراثيم وانت لا تدري . ولكن قد

يوجد رجل ابرد من هذا الرجل وهو الذي يتناول منديله من جيبه امام الحاضرين ثم يضعه على انفه و ياخذ بنشيد موسيقي انفي تشمئز منه نفوس الحاضرين ثم يمد اصبعه بالمنديل الى انفه و ينظفه مما فيه من الميكروبات التي تكون قد علقت به من غبار الطرق و بعد ذلك يمسح انفه و ينفض المنديل في الهواء امام وجوه الحاضرين فكانه نفض الجراثيم في وجوههم

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المرأة المسلمة ﴾ هو كتاب لمؤلفه حضرة محمد افندي فريد وجدي ردّ فيه على كتابي عزتلو قاسم بك امين . وقد قال في مقدمته « ان الحجاب ضروري للمراة ليس لعدم الثقة بها ولكن لكونه الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها بشهادة التاريخ وان المدنية الاسلامية هي الشكل الوحيد من كمال الاجتماع البشري الذي يتقرب منه البشر يوماً بعد يوم وانه لا توجد امة في هذا العصر يجوز اتخاذ نظامها في تربية البنات منوالاً ننسج عليه » .

والكتاب غاص باقوال الحكماء والفلاسفة والكتاب الذين يحرمون على المرأة ان تعمل اعمال الرجال مما يدلّ على براعة مؤلفه وسعة اطلاعه فنشكر له هديته .

﴿ علم الفراسة الحديث والهلال والجامعة ﴾ اهدت الينا ادارة مجلة الهلال كتاب « علم الفراسة الحديث » الذي نشره حضرة الفاضل صاحب الهلال ملحقاً بالسنة التاسعة من مجلته عوضاً عن الاعداد الاربعة الباقية من سنة الهلال . وقد سرتنا هذه الهدية لانها دلت على اعادة الهلال صلاته مع الجامعة بعد قطعه اياها منذ شهور وتحرشه بالجامعة في اكثر اجزائه تحرشاً مستتراً ما كنا ننتظر مثله من فاضل وصديق كصاحب الهلال يعرف قيمة العلم والادب ولا يجهل من نفسه ومن مجلته مبلغ العناء الذي يقاسيه الكتاب واصحاب المجلات . ولو كان هذا التحرش على سبيل المناظرة لدخلنا مع الهلال فيها فان في ذلك فائدة لقراء المجلتين ولكنه اعتداء وتلميح وتلويح نخاف ان نشير اليه فيضحك منه القراء . وهذا الذي جعلنا نترك ما جاء عن الهلال في صدر الرسالة التي نشرتها الجامعة في الجزء الماضي بعنوان « ربع قرن في الصحافة » دون حذفه . فقد قصدنا به ان نُري رصيفنا الهلال ان

للجامعة اظفاراً تحسن الدفاع بها عن نفسها · ويسرنا ان ذلك قد اقنع صديقنا فعسى ان يدوم هذا الاقتناع لنتعاون على خدمة الجمهور والقراء بصرف النظر عما وراء ذلك من الهنات

هذا بيان صريح بسطناه لاننا نكره التلميح والتلويح · اما كتاب علم الفراسة الذى نحن في صدده فاننا لا نبدي راينا فيه لئلا يسوء صديقنا الهلال غير اننا نثني كل الثناء على فضله وصبره لان آثار التعب والتنقيب ظاهرة في هذا الكتاب

﴿ المرأة ﴾ المراة مجلة نسائية علمية فكاهية لمنشئتها حضرة السيدة انيسه عطا الله وقد قالت في مقدمتها « لما كان التقدم من موجبات العمران وكانت المراة احد اركان التقدم لانها المربية الغيورة والرفيقة الامينة وكانت الجرائد ترجمان الافكار فقد وجب ان يكون للمراة صحف خاصة بها » فنحن نرجو للمراة الثبات والانتشار انما نؤاخذها بانها اخذت عن الجامعة فلسفة تولستوي واخلاقه دون ان تشير الى المصدر الذي اخذت عنه

﴿ جمعية القديس جاورجيوس بيافا ﴾ وردتنا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية بيافا لسنتها الخامسة وقد بلغ ايراد الجمعية في تلك السنة ٧٣ الف غرش ونفقاتها ٢٣ الفاً فالباقي في صندوقها ٥٠ الفاً · جزى الله رئيسها الفاضل واعضاءها الكرام خير جزاء على هذه النتيجة الناطقة بفضلهم وهمتهم · ومما تسر الاشارة اليه ان كثيرات من السيدات الكريمات في يافا قد اشتركن في مساعدة هذه الجمعية بشغل الاشغال اليدوية لها وقد عددنا منهن ٩٥ سيدة في جملتهن خمس من كرائم الاسكندرية وهن حضرات المصونات مدام جورج كرم ومدام امين كرم ومدام ديمتري خلاط ومدام ديمتري طاسو ومدام الياس دباس · فكأن جمعية القديس جاورجيوس في يافا ارشدت باقي الجمعيات الى امر جديد وهو عدم الاقتصار على الرجال في طلب المساعدة فان السيدات ابيض يداً وارق قلباً واكثر تلبية

﴿ الزواج السري ﴾ اهدانا حضرة الاديب انطون افندي انسطاس زريق في نيويورك رواية ادبية فكاهية عربها تحت عنوان « الزواج السري » وهي باكورة قلمه وقد طبعت في مطبعة رصيفتنا الايام في نيويورك طبعاً حسناً على ورق جيد

﴿ الصاعقة ﴾ هي جريدة انتقادية سياسية ادبية تصدر في بونس ايرس مرة في الاسبوع لصاحبها جناب الخوري يوحنا سعيد المارونى اللبناني فنرجو لها الانتشار وتخفيف اللهجة

باب الاخبار العلميّة

﴿ شجرة بوذه اقدم شجرة في العالم ﴾ عاد المسيو جول لكارك من الهند وقد شاهد فيها الشجرة التي وجد بوذه الروح تحتها وهي الآن اقدم شجرة في العالم . وقد غُرست في عام ٢٨٨ قبل الميلاد المسيحي . ولما زارها اهدى اليه احد الكهنة البوذيين ورقة منها في مقابل ريال هندي دفعه اليه . وقد كتب المسيو لكارك الى اكادمية بلجيكا يصف هذه الشجرة والورقة التي اخذها منها .

﴿ النوم يكفي الناس شر المجاعة في روسيا ﴾ نشر المسيو نزاركي احد اساتذه كليه براغ مقالات في جريدة « نايزي دوبه » قال فيها ان الفلاحين الروس في بعض الولايات الروسية يكتفون شر المجاعات بالنوم . وذلك ان الفلاح منهم اذا افتقد حاصلاته ووجد انها لا تكفيه طول السنة جمع عيلته ووزع فيهم شيئاً من الطعام ثم امرهم بفرش الفرش والنوم فيفرشون وينامون جميعاً . وقد يصنع صنعهم جميع سكان القرية لتوفير القوت فينامون جميعاً حتى يسود في القرية سكوت عميق كانها في ليل دائم . ولما ترى الحيوانات اسيادها قد عكفوا على النوم تصنع صنعهم ايضاً . ولا ينتبه هؤلاء الفلاحون ولا ينهضون الا لاكل قطعة من الخبز تكون قريبة منهم وهكذا يقطعون ايام الشتاء ولياليه فلا يكون للمجاعة تاثير شديد فيهم .

﴿ النجم المذنب والبوير ﴾ شكت جريده التيمس من ان الجنرال دي ويت كذب على رجاله وغشهم حين ظهور النجم المذنب في افريقيا . فانه لما ظهر هذا النجم استغرب البوير ظهوره فقال لهم دي ويت « تذكرون ان نجماً كهذا النجم ظهر في عام ١٨٨١ ولكنه كان ذا لون احمر دلالة على قرب حدوث حرب عظيمة وقد حدثت هذه الحرب كما ترون . اما النجم الذي ظهر اليوم فانه ابيض اللون دلالة على قرب حصولكم على صلح شريف فاثبتوا ولا تياسوا »

﴿ قرنفلة ثمنها خمسة آلاف ريال ﴾ قالت مجلة « البستان » ان زارعاً اميركياً في سنسيناتي في الولايات المتحدة مشهوراً بتربية الازهار باع من احد اصحاب الملايين فسيلة

قرنفل بخمسة الاف دولار وقد سأل المشتري كثيرون ان يبيعهم فسيلة منها حين نموها فاجابهم انه سيربيها لتبقى عنده لا ليبيع منها · على ان هذه القرنفلة لو كانت تخرج قرنفلاً او راقه من الذهب لما كانت تسوى هذه القيمة

﴿ كارنيجي وانكلترا ﴾ كتب الغني كارنيجي المشهور فصلاً في مجلة نئنش سانتري قال فيه ان انكلترا ستفقد مركزها في العالم اذا لم تتدارك امرها · فان المانيا ستسبقها في حلبة التجارة والصناعة لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ٧ ملايين طن بعد ان كانت مليون طن ونصفاً اما مصنوعات انكلترا فانها بقيت ٩ ملايين طن كما كانت · واما اميركا فقد سبقتها لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ١٠ ملايين طن و٦٣٨ الفاً · وقد صارت بورصة نيويورك اهم من بورصة لندن · ثم قال كارنيجي انه لا يُرجى خلاص انكلترا الا متى عدلت عما يجول في نفسها من احتكار اسواق العالم وانصرفت الى اسواق معدودة تتجر فيها وخففت نفقاتها العمومية فان الشخص الواحد في انكلترا يصيبه من تلك النفقات ٧٥ فرنكاً في حين ان الشخص الواحد لا يصيبه في اميركا سوى ٢٥ فرنكاً وفي المانيا سوى ٣٥ فرنكاً

﴿ ببغاء مفردة بين الببغاء ﴾ كان اهم معروضات لندن في الشهر الماضي ببغاء كانها فونوغراف حي · فانها تعيد بسهولة وسرعة كل ما تلقيه عليها من الكلام من غير ان تحتاج الى تكراره وهي تتكلم ١٤ لغة وتعرف في كل واحدة منها الوفاً من الكلمات واذا خاطبتها بلغة منها تجيبك بهذه اللغة نفسها دون سواها · على انها تتأنى كثيراً في كلامها

سنة الجامعة الثالثة

﴿ وزيادة بدل الاشتراك ﴾

هذا هو العدد الاول من سنة الجامعة الثالثة · وفيه يرى القراء ان الجامعة دخلت في دور الشباب فانها قد زادت ابوابها وحسنت طبعها وورقها تحسيناً مهماً وزادت صورها حتى صار عددها في هذا الجزء ١٤ رسماً كبيراً واهدت الى مشتركيها في السنة الحاضرة كتاباً مفيداً · فلا ريب عندنا ان القراء يطلبون من تلقاء انفسهم بعد هذا التحسين زيادة بدل الاشتراك لانهم يستغربون ان يكون بدل اشتراك مجلة كهذه المجلة ٤٠ غرشاً

في داخل القطر و١٣ فرنكاً في الخارج لما في ذلك من الشذوذ عن باقي رصيفاتها من المجلات . ولذلك جعلنا بدل الاشتراك في هذه السنة ٥٠ غرشاً مصرياً في داخل القطر و١٥ فرنكاً في الخارج اي اننا زدنا عشرة غروش فقط على بدل الاشتراك وهي قيمة لا تساوي ثمن الكتاب الذي اهديناه الى حضرات القراء . ومع ذلك فان الجامعة تبقى ارخص المجلات العربية

اما الدفع فقد قررنا نهائياً ان يكون « سلفاً » لجميع القراء . وبناء عليه فان المجلة لا تُرسل الى من يطلبها الا اذا كان طلبه مصحوباً ببدل الاشتراك فقد كفى ادارة المجله ما عانته مع بعضهم

كتب الينا حضرات العالمين الفاضلين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر منشيء مجلة المقتطف وصاحبا المقطم يشكران الجامعة على ما نشرته في الجزء الماضي بشأن المقتطف وانقضاء ربع قرن عليه في عالم الصحافة مع ان الجامعة قامت بواجب عليها لا تستحق عليه شكراً . ولكن حضراتهم قالوا في الكتاب بعد المقدمة « وقد جاء في المقالة اننا كتبنا الى بعض اصحابنا اننا بالمقطم اخرسنا المؤيد واغرقنا النيل وهدمنا الاهرام . فاننا لا نتذكر اننا كتبنا بمثل ذلك الى احد ولا خطر لنا في وقت من الاوقات ان نباهي بمثله ولم ننشيء المقطم لغرض مثل هذا ولا كان المؤيد ولا النيل في حيز الوجود لما انشأناه . وغرضنا السياسي من المقطم معلوم ظاهر في كل صفحة من صفحاته وهو ان نؤيد السياسة التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع من كان مثلكم ومثلنا ان يعيش فيه ويجاهر بآرائه واقواله . فان كانت خدمة العلم واجبة لتنوير الاذهان والارشاد الى استدرار خيرات الارض فخدمة الحرية التي بدونها لا يكون الانسان انساناً اوجب والزم وهذه الخدمة نتوخاها في المقطم كما نتوخى خدمة العلم في المقتطف ونحن ادرى الناس بقصورنا في الخدمتين ولو كنا نسعى اليهما جهدنا وحبذا لو ارشدتمونا الى اسم صاحب المقالة حتى نسديه شكرنا ونثبت له ان ملاحظاته لا تسوءنا ولا زلتم في المقام الاعلى بين ناشري المعارف »

نقول وقد نشرنا هذا الكلام كتكذيب قاطع للخبر الذي رواه مراسل الجامعة في تلك المقالة

﴿ ادارة الجامعة ﴾ انتقلت ادارة الجامعة الى ملك دائرة طوسن باشا امام الزاراني مقابل الالمبرا

الجامعة

﴿ الجزء الثاني ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — جماد اول ١٣١٩ ﴾



الفيلسوف ارنست رنان

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الفيلسوف ارنست رنان

﴿ المؤرخ المستشرق الشهير ﴾

مؤلف كتاب تاريخ المسيح

﴿ خلاصة هذا الكتاب ﴾

طريقان متخالفان . الاضطهاد الديني في اوروبا وروسيا . ترجمة زعيم من زعماء الافكار المقاومة لرجال الدين . تلخيص كتاب تاريخ المسيح الذي نال مؤلفه من الاضطهاد بسببه اكثر مما نال الفيلسوف تولستوي . ردود المؤلف على معارضيه ومضطهديه
نبوءته الدينية

في العالم الآن حركتان شديدتان الاولى اسلامية والثانية مسيحية

اما الحركة الاسلامية فهي قيام المسلمين في جميع اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى اصلاح شؤونهم بواسطة الدين . واما الحركة المسيحية فهي قيام فئات من المسيحيين في اكثر اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى تقييد سلطة رجال الدين وحصر وظيفتهم في اماكن العبادة . فكأنَّ كل واحدٍ من الفريقين يطلب صلاح الحال من الطريق التي يُنكرها صاحبه

واذا كانت الطريقة الاسلامية لم تُصبْ اصحابها بضرر عاجل فان الطريقة المسيحية قد اصابت اصحابها بضرر عظيم . فان العامة في البرتغال واسبانيا وبلجيكا وفرنسا وروسيا قد اكثروا من اضطهاد رجال الدين والسطو عليهم واهانتهم في هذين العامين وهو مما لا يليق بالامم المتمدنة التي تحترم الحرية الشخصية . ولقد كانت فرنسا في جملة من امتازوا في هذه الحلبة لانها وطن الكتاب والفلاسفة الذين ناصبوا رجال الدين واوقفوهم عند حدودهم كفولتير ورسو وديدرو ورنان . وكان اشدهم وطأة الاول والاخير . فاذا

فصلنا ترجمة احدهما رنان وذكرنا لمعاً من فلسفته وآرائه كنا كمن يبحث في موضوع من مواضيع الحوادث المحلية في الكرة الارضية

***

﴿ تاريخ حياته ﴾ ولد « ارنست رنان » في « ترجيه » من اعمال فرنسا في ٢٧ فبراير من عام ١٨٢٦ · وكان ابوه ربانًا لاحدى السفن التجارية وهو من مقاطعة بريتونيا · واما امه فانها كانت غاسكونية ولذلك كثيرًا ما قال رنان عن نفسه ان هذا المزج بين البريتونية والغاسكونية انشأ فيه من جهة الاول قوة التصور والتامل ومن جهة الثاني قوة الصبر على الحياة والارتياح الى المعيشة كيفما كانت

وقد توفي ابو رنان وعمره خمس سنوات فربته امه بمساعدة بعض الكهنة وهي تنوي ادخاله في سلك الاكليروس · فتلقى رنان دروسه الابتدائية في دير اكليريكي في بلده وقد مال في صغره الى الدخول في هذا السلك رغبة في الانقطاع الى العلم والفضيلة · وبقي على هذه الرغبة حتى بلغ السنة الخامسة عشرة من العمر فانتقل الى دير سان نيقولا في شاردونه لاتمام دروسه فتغيرت افكاره هناك لما كان يجده حوله احيانًا من قلة الاحترام للمسائل الدينية كما قال المسيو برتلو الذي نعتمد عليه في هذه الفذلكة · ومنذ هذا الحين تزعزع ايمانه · ثم انتقل في سنة ١٨٤٢ الى دير ايسي ليتلقن الفلسفة فطالع هناك مؤلفات الفيلسوفين الالمانيين هجل وهردر فاجهزت هذه المطالعة على ايمانه وصار يرى حياة العالم عبارة عن نمو باطني للكون كما ان نمو الشجرة وحياتها انما هو عبارة عن نموها الباطني · وفي سنة ١٨٤٤ اخذ يدرس اللغات الشرقية فتعمق فيها حتى صار يعتقد انه لا يمكن ان تكون التوراة كتابًا منزلاً وذلك لما رآه فيها من الاغلاط التاريخية · فعدل منذ هذا الحين عن الانخراط في السلك الاكليريكي واقام حينئذ في نفسه نزاع شديد بين النذر الذي نذره من الانخراط في هذا السلك وبين ما حسبه حقيقةً · وكانت له اخت تُدعى هنريت رنان وكانت سامية المدارك قوية العقل وهي اكبر سنًا منه باثنتي عشرة سنة فاخذت تخمد ثورة فكر اخيها وتهوّن عليه قطع ما كان بينه وبين رجال الاكليروس من الصلات · وزار رنان في ذات يوم صديقه الفيلسوف جول سيمون وهو لابس اللباس الاكليريكي واطلعه على ما قام في نفسه من ترك الاعتقاد القديم والعدول عن الانخراط في سلك رجال الدين · قال جول سيمون في بعض كتبه · وقد بذلتُ جهدي في اثناء رنان عن عزمه فكان يجيبني انه لا يستطيع ذلك لان الطائر الذي كان في نفسه

قد طار منها . وهكذا نبذ رنان نذره وخلع الثوب الاكليريكي

ولكن رنان لم يخلع الثوب الاكليريكي حتى لبس ثوب الضجر من الحياة واليأس من الوجود لانه لم يكن يجد لهما غرضاً . ولا غرابة في ذلك فان الحالة التي بلغتها نفسه قد البسته هذا الثوب المملوء حسكاً وشوكاً . فمن حسن حظه تعرف في المدرسة التي كان يدرّس فيها بشاب يدعى برتلو وهو المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور الذي جُعل في هذا العام عضوًا للاكاذيمية الفرنسوية وكان من قبلُ وزيرًا للشؤون الخارجية الفرنسوية . فعقد رنان مع هذا الشاب صداقة قوية العرى . وكان برتلو منصرفاً الى العلم المادي او الوضعي فاثرت معاشرته وافكاره في رنان تأثيرًا شديدًا فصار رنان يعتقد اعتقاده في نفع العلم ومقدرته على اصلاح الهيئة الاجتماعية وتحسين احوال البشر . فصرف افكاره مثله الى العلم قياماً بهذه الخدمة فكانت برتلو بثّ فيه روح دين جديد . فاخذ رنان منذ ذلك الحين بالاشتغال بالعلم وصار حينئذٍ يجد للحياة غرضاً ومقصدًا

ففي سنة ١٨٤٨ قدم لجمعية الفنون كتابه المعنون « تاريخ اللغات السامية » فطارت به شهرة رنان وعُدّ مستشرقاً عظيماً . ثم كتب في سنة ١٨٤٩ كتابه « مستقبل العلم » غير ان هذا الكتاب لم يُنشر الا في سنة ١٨٩٠ . وكان من اقواله في هذين الكتابين ان العالم ينمو بنفسه من نفسه وهو سائر الى الكمال سيرًا تدريجياً . وما هو ذلك الكمال ؟ هو قوة الفكر والفضيلة وطلب الحقيقة والخير لذاتهما . فعلى العلماء والفلاسفة الذين هم نخبة الانسانية ان يبذلوا قصارى جهدهم في تعليم الحقيقة للناس ورفع باقي الانسانية اليهم فان هذا الامر مطلوب منهم كما هو مطلوب من رجال الدين . ومن يقوم به منهم فان عمله يكون عبارة عن صلاة او افضل منها

وفي سنة ١٨٤٩ عُهد الى رنان بمهمة علمية في ايطاليا فسار اليها وشاهد عظائم فنونها الجميلة فتشربت نفسه حب الجمال . وفي عام ١٨٥٢ نشر كتابه « ابن رشد ومبادئه » وموضوعه اثبات ان الاضطهاد الديني هو الذي اوقف في الاندلس والعالم الاسلامي سير التمدن ومنع الارتقاء العلمي والفلسفي الذي كان قريب الحدوث فيها . وكان غرضه من هذا ان يُظهر للحكومات الاوربية والسلطات الدينية ما ينشأ عن اضطهاد الدين للعلم ليكون عبرة لها فلا تضطهد العلم في اوربا فيحلّ بها ما حلّ بمن تقدموها

واقترن رنان في عام ١٨٥٦ بمدموازل شيفر حفيدة المصور آري شيفر فانتبهت فيه عواطف الحب وانعكست الى نفسه صورة الجمال الانثوي الذي اتخذه رفيقاً له فاحياها

وملأها تصورات وتاملات عذبة · فصار قلم رنان بعد هذا الزواج كأنه قد غُطَّ في كاس عسل · وقد حدث مثل ذلك لجان جاك روسو بل اشد منه · فانه في بعض ادوار عمره وهو الدور الذي تشتدُّ فيه زقزقة الطيور ولمع جنح الفراش في الحقول — اي دور الربيع الانساني — صار يحسّ بنار في داخله وبرق في عينيه وجريان في قلمه فاذا كتب خط سحرًا وابرز تبرًا · وقد كتب في تلك المدة القريبة كتابه « هيلوييز الجديدة » وكله رسائل حبية فلسفية فكان ابلغ كتبه · وبعد ذلك خمدت تلك الثورة وانطفأت تلك النار فذهبت بذهابها تلك البلاغة التي كانت تتصعد عنها

اما رنان فلم تخمد ناره قبل ابرازه الكتاب الذي طير صيته في جميع اقطار الارض وجعله اعظم علماء عصره شهرةً

وهذا الكتاب هو « تاريخ اصل الديانة المسيحية » وهو خمسة اقسام (١) تاريخ حياة المسيح (٢) تاريخ اعمال الرسل (٣) تاريخ حياة القديس بولس (٤) المسيح الدجال وكتاب آخر · وكل واحد من هذه الاقسام كتاب ضخم وامامنا الآن القسم الاول منه وهو تاريخ حياة المسيح وعدد صفحاته ٥٤٩ صفحة كبيرة ما عدا مقدماته الطويلة

ولا ريب في ان هذا القسم اهم اقسام الكتاب كله · وقد كتبه رنان في سياحة له في فلسطين وسوريا ولبنان بين سنة ١٨٦٠ و١٨٦١ وكان مرسلاً اليها للتنقيب عن آثار الفينيقيين وله فيها كتاب عنوانه سياحة في فينيقية · وبعد عودته من فينيقية جُعل استاذًا للغات العبرانية والكلدانية والسريانية في مدرسة كوليج دي فرانس · غير انه بينما كان يلقي فيها اول دروسه لقب السيد المسيح في كلامه عنه « بالانسان الذي لا مثيل له » فقامت في الجلسة قيامة انصار الاكليروس وخصومهم بعض معه وبعض عليه فقررت الحكومة الامبراطورية الغاء هذا الدرس فترك رنان تلك المدرسة · وقد تلا هذا الحادث ظهور كتاب تاريخ المسيح في عالم الادب (سنة ١٨٦٢) فانفجرت على مؤلفه ينابيع حارة وينابيع باردة

اما الينابيع الحارة فانها انفجرت من نفوس جميع رجال الدين ولا سيما الغلاة منهم وجميع الذين يقتدون بهم او يعيشون من ورائهم · فسلقه الناس بالسنة حداد وانهالوا عليه في الجرائد والمجلات بالشتم والسب وحرمه رجال الدين من الكنيسة ولعنوا كل من يقرأ كتبه · وقد اتهمه بعض الغلاة بانه ما كتب ذلك الكتاب الا في مقابلة مليوني فرنك قبضها من بيت روتشيلد الاسرائيلي · ولكن اصدقاء رنان الذين يعرفون محبه المجرد

لتقرير ما يحسبه حقيقة ينفون عنه هذه التهمة السوداء · وسنشير في ما يلي الى الردود التي كان رنان يردّ بها على الطاعنين عليه

واما الينابيع الباردة فانها انفجرت من نفوس الاسرائيليين في جميع اقطار الارض لان ذلك الكتاب يعزو تمدن العالم اليهم ويقول بخروج المسيحية منهم وان كان يُثبت ان آدابها العليا لم تشتق من آدابهم · وقد جاراهم في الارتياح الى موضوع هذا الكتاب كل العلماء الماديين في اوربا وكل الكتاب الذين لا يدينون بدين · بل ان بعضاً منهم لام المؤلف وعنفه لانه تساهل في بعض الامور

ثم حدثت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ فكان رنان من كارهيها وقد كتب يومئذٍ في « مجلة العالمين الفرنسوية » مقالة لقب فيها فرنسا والمانيا اختين في المدنية وقال ان من الجناية على التمدن ان تتحاربا · وبعد ما شاهده رنان في هذه الحرب من آثار الهمجية البشرية في ساحة القتال ومن تمرد رجال « الكومون » في باريز وافضاء هذا التمرد الى حرب اهلية بين الفرنسويين جرت فيها الدماء انهاراً تزعزعت ثقتـه بسير العالم الى محجة الكمال وكره الديموقراطية وشؤونها لانها ادّت بوطنها الى ذلك الوبال · وصار يرى من الواجب على كل امة ان يكون فيها نخبة من رجال الفضل والعقل لادارة شؤونها بقسط واعتدال فلا يكون للفساد والرشوة من سبيل الى نفوسهم · واخذ يتساءل كثيراً هل ان العقل والعدل يسودان في هذه الارض في مستقبل الزمان ؟ ام يتوصل العلم فقط الى حالة يصبح فيها سواد الناس عاجزين عن الاضرار بكبارهم لما يضعه لهم هؤلاء الكبار من الشكيمة بواسطة معارفهم العلمية · وقد نشر رنان كتاباً في هذا الموضوع عنوانه « مباحثات فلسفيـة »

ولكن لما قامت الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين اعادته الى كرسي التعليم في كوليج دي فرانس وجعلته مديراً لهذه المدرسة · وفي سنة ١٨٧٩ عُين عضواً للاكاذيمية الفرنسوية · فعاد رنان ورضي عن الديموقراطية بعض الرضى · وفي سنة ١٨٩٢ اتمّ نشر كتابه « تاريخ شعب اسرائيل » وهو خمسة اجزاء وصل بها تاريخ المسيح بتاريخ نشأة بني اسرائيل فكان هذان الكتابان تاريخاً شاملاً للحوادث الاسرائيلية من اولها الى ما بعد انتشار الديانة المسيحية

وقد عمّر رنان نحو سبعين عاماً · وكان في آخر ايامه رزيناً هادئاً مع شيء من التهكم وعدم المبالاة باراء الناس · وبقي على هذا الهدوء والرزانة مع ما انتابه من المرض

والالم في آخر حياته . وقد قال وهو على فراش الموت « انني اموت سعيداً لانني اتممت عملي . وما الموت الا ناموس طبيعي فلنخضع لناموس الطبيعة » وكانت وفاته في ٢ اكتوبر من عام ١٨٩٢

وبعد وفاته ابنته جرائد الارض تأبيناً متبايناً . فبعضها شيعه بالسب والشتم القبيح وبعضها رأى ان يُترك الحكم على اعماله الى الاجيال القادمة . ولا يزال اسم رنان "يرنّ" في فرنسا الى هذه الايام وقد سماه اصدقاؤه وانصاره « رنان العظيم » . وكذلك سماه المسيو والدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية غير مرة في بعض خطبه . اما خصومه فلا يزالون يلعنونه

ومما يُروى عن رنان وقد رواه نفسه في بعض مؤلفاته ان احد الرهبان كان يرسل اليه في ليلة احدى الاعياد المسيحية الكبرى من كل عام ورقة صغيرة عليها هذه الكلمات " جهنم موجودة " وقد قال رنان بعد ايراده هذا الخبر لقد ظن صديقي الراهب انه يؤلمني بهذا القول وما عرف انني افضل جهنم على " العدم "

ولما زار رنان ايطاليا خرج الناس لاستقباله في زوارقهم فاحاطوا بزورقه واخذوا يصيحون " ليحيَ العلم ليحيَ العلم " يريدون بذلك نكاية رجال الدين في الفاتيكان . وكان رنان ساعتئذٍ يكتب في مذكرته . فكتب فيها هذه العبارة " لا ريب ان الكثلكة تقوضت اركانها في ايطاليا " قالت جريدة الطان بعد نشرها هذا الخبر في الشهر الماضي « لقد اخطأ رنان في هذه النبوءة كما اخطأ في غيرها » ولكنها عادت فعقبت على ذلك بقولها « ولكن قولنا هذا لا يحط من شان رنان . فان رنان يبقى رنان مهما قيل فيه »

ومن اقوال رنان في العسكرية " انني لو اضطررت الى الانتظام في سلك الجندية ولم اقدر على التخلص من ذلك لقتلت نفسي " وقد صدر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب عنوانه " سنة في الثكنة العسكرية " وموضوعه الطعن على المعيشة الجندية وعلى الجندية نفسها وقد صدره مؤلفه بالعبارة التي تقدم ذكرها تعزيزاً لكتابه

ولرنان مؤلفات كثيرة غير ما تقدم منها كتاب اصل اللغة . وسفر ايوب . ورسائل رنان وبرتلو . وفصول مختلفة وغيرها

﴿ خلاصة كتاب تاريخ المسيح ﴾

(المؤلف اهدى كتابه الى اخت والجامعة تهدي الى اخ)

اما كتاب هذا الفيلسوف " تاريخ حياة المسيح " فاننا لم نقدم على تلخيصه في هذه المقالة (او بالاحرى الاشارة الى بعض اغراض من اهم اغراضه العلمية) الا وفي نيتنا تحاشي ذكر كل ما لا يجب ذكره منه احتراماً لاراء الناس ومعتقداتهم ولا سيما بسطائهم . وللذي حبب

الينا هذا التلخيص ما عثرنا عليه في هذا الكتاب من الشؤون التاريخية الجليلة التي قطع رنان عمره وهو يبحث عنها · فانه وصف فيه حالة اليهود الاجتماعيـة والسياسية يوم ظهور السيد المسيح وما تقدم هذا الظهور وتلاه من الحوادث التاريخية المتعلقـة بتاريخهم وتاريخ الرومانيين اصحاب السلطان عليهم في ذلك الزمان ووصف الامكنة التي عاش فيها السيد وعلّم فيها بعد ان زارها المؤلف بنفسه وكتب هذا الكتاب تحت سمائها · وبعبارة واحدة نقول ان غرضنا تاريخ الوسط الذي عاش فيه السيد · فغرضنا اذاً علمي تاريخي محض واما المسالة الدينية الكبرى فلا دخل لها في هذه المقالة

الهدية الى اخته

وقد اهدى المؤلف هذا الكتاب الى اخته « المدموازل هنرييت » التي رافقته في سياحته في سوريا وفلسطين وتوفيت بالحمى في جبيل من اعمال لبنان · وقد صدّر هديته بالخطاب المؤثر التالي

« الى روح اختي هنرييت الطاهرة »

« التي توفيت في جبيل في ٢٤ سبتمبر من عام ١٨٦١ »

« اتذكرين وانت الآن مستريحة في احضان الله تلك الايام الطويلة ايام « غزير » التي كنتُ فيها واياك منفردين نكتب صفحات هذا الكتاب الذي كانت توحيه الينا الاماكن التي زرناها معاً · لقد كنتِ يومئذ جالسة بجانبي ساكتة تنتظرين الصفحات التي كنت اكتبها وكلما اتممت صفحة تناولتِها وقرأتِها ثم نسختِها بعد قراءتها · هكذا كنا نقضي النهار وتحت اقدامنا البحر والقرى والجبال المجاورة · اما في الليل فانكِ كنتِ تلقين عليَّ سؤالات دقيقة لطيفة كان يظهر فيها شيءٌ من ارتيابك فكانت هذه الاسئلة تعيدنا الى الموضوع السامي الذي كان شغلنا الشاغل · وقد قلتِ لي يوماً انك تحبين هذا الكتاب لامرين الاول لانه كُتب في صحبتك والثاني لانه كُتب على ذوقكِ · وكنتِ معتقدة بانه اذا خيف عليه من حكم الرجل الجاهل السريع الحكم الضيق القلب فان كل رجل ذي نفس متمسكة بالدين تمسكاً حقيقياً لا بدّ ان تُفضي به قراءته الى الرضى عنه والسرور به · وبينما كنا منصرفين الى هذه التأملات الحلوة جاء الموت ولطمنا كلينا بجنحه فرقدنا رقاد الحمى في وقت واحد · ثم انتبهتُ فوجدت نفسي وحدي · فانتِ الآن ترقدين بسلام في ارض ادونيس قرب بيبلوس المقدسة (جبيل) في جوار المياه المباركة التي كانت تفد

اليها نساء الاديان السرية الماضية ليمزجن دموعهن بمائها . فيا ايتها الروح الصالحة . اوحي اليّ انا الذي كنتُ حبيباً اليك في حياتك تلك الحقائق التي هي اقوى من الموت والتي تُعلّم الانسان ان لا يخشاه بل التي تعلمه ان يتمناه »

هذا نص هدية المؤلف الى اخته . واذا كان كل كاتب يحق له ان يستنجد بالاحباء الذين له في راحة الابدية فما احرى الجامعة ان تستنجد ذلك الاستنجاد ايضاً

وقد نسب رنان غير مرة نجاحه الى اخته فكأنه لا ينبغ رجل عظيم حتى يكون بازائه امرأة تدربه وترشده . وقد ذكرنا آنفاً ان اخت رنان هي التي شددت عزائمه حين عزم على التخلص من السيادة الاكليريكية وذكر المؤلف في كتاب الهدية الذي تقدم ان اخته كانت مرتاحة الى كتاب تاريخ المسيح الذي كان يكتبه فهذا يدلُّ على ان الميل عن التقاليد الدينية امر وراثي في اسرة رنان لانه قلما يُسمع مثل ذلك عن النساء لشدة تمسكهنَّ بهذه التقاليد

وقد كتب رنان بعد وفاة اخته كراساً عنوانه « الى اختي هنريت » لم يُطبع منه في بدء الامر سوى مائة نسخة خصوصية . وهذا الكراس هو ابلغ ما كتبه رنان على الاطلاق لان الحب الاخوي اجرى من اعماق نفسه اشد ما كان فيها من البلاغة والعذوبة . وقد قال مؤرخو حياته أن اخته هذه هي التي اصلحت قلمه وعلمته ان ينحو منحى البسيط الطبيعي في كتاباته . ولم يكن كذلك قبل ذلك

المقدمة الاولى

وتلي هذه الهدية المقدمة الاولى للكتاب وقد وضعها المؤلف للطبعة الثالثة عشرة من كتابه . واما النسخة التي امامنا الآن فانها من الطبعة الخامسة والعشرين . فيكون كتابه قد اعيد طبعه ٢٥ مرة حتى هذا العام . وقد ردَّ رنان في هذه المقدمة رداً مختصراً على معارضيه . وهم فئتان . الفئة الاولى منكرو الوحي الذين انكروا عليه الاعتماد على الكتب المقدسة في كتابة تاريخ المسيح لانهم لا يعتقدون صحتها . والفئة الثانية المعتقدون بهذه الكتب بلا بحث ولا جدال وهم رجال الدين ورعيتهم من المؤمنين . وقد قال في ختام هذه المقدمة ما ملخصه

« اني مسيحي ولكنني لست كباقي المسيحيين . فانني اعترف بوجوب ان لا اتكلم عن كنيستي الا برفق ولكن هل ذلك يقضي عليَّ بان اغمض عيني عن الحقيقة . وهل اهين

حكومة من الحكومات اذا قلت انها لم تحسن تدبير الاميال المختلفة التي في نفوس الناس او اهين ديناً من الاديان اذا قلت انه لم يسلم من الاعتراضات الهائلة التي يقيمها العلم في كل يوم في وجه التعاليم التي من فوق الطبيعة . ان الديانات تسقط الواحدة بعد الاخرى لانها تخضع للقلب لا للعقل ولانه ليس في العالم قوة قادرة على خنق ذلك العقل

ومع ذلك فاذا تمكن العقل من خنق الديانة فالويل له في ذلك اليوم . صدقوني ان كرتنا الارضية تعمل في عمل عظيم سيؤدي الى نتيجة عظمى . فلا تقولوا ان هذا نافع وهذا غير نافع بل دعوها تعمل فان الطبيعة التي خصت الحيوان بغريزة لا تخطئ لم تضع في الانسان شيئاً يخدع . ولا تقولوا ان الاديان تخطئ كلما ارادت اقامة البرهان على وجود « اللا نهاية » وتحديدها والزعم بانها تمثلها فانها اذا كانت تخطئ في ذلك فانها تصيب جداً كلما اكدت وجودها . واذا مزجت بذلك كثيراً من الاغلاط فليس ذلك بالشيء المذكور بازاء الحقائق التي تنادي بها . وان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من ذلك المادي الذي يفسر كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

وغني عن البيان ان المؤلف لم يوجه القول الاخير الا الى الماديين الذين ينكرون الاديان

المقدمة الثانية

اما المقدمة الثانية فقد تكلم فيها عن المصادر التي استقى منها تاريخ المسيح . وهي خمسة (١) الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل (٢) الكتب المسماة « ابو كريف » من العهد القديم وهي الكتب التي لا تعتقد الكنيسة صحتها (٣) مؤلفات فيلون الفيلسوف الاسكندري الذي عاصر المسيح (٤) مؤلفات المؤرخ يوسيفوس المشهور الذي عاصر المسيح ايضاً (٥) التلمود وهو كتاب اليهود

قال المؤلف . اما مؤلفات الفيلسوف فيلون فانها خير مرشد الى الافكار الدينية التي كانت تختلج في نفس الامة اليهودية في ذلك الزمان . ولكن من سوء الحظ ان فيلون كان يعيش في اقليم غير الاقليم الذي ظهر فيه المسيح وكان عمر فيلون اثنتين وستين سنة لما بلغ السيد اشده واظهر روحه . وكان فيلون شديد الكراهة ايضاً لتعاليم الكتبة والفريسيين وقد عاش بعد السيد عشر سنوات على الاقل . فيا لها من خسارة ان لا يكون قد ذهب الى الجليل ونظر السيد فانه لو فعل لكتب عنه ما يكفي ويشفي

واما المؤرخ يوسيفوس فانه كان يكتب لليونانيين والرومانيين الذين كانوا اصحاب

السلطة على فلسطين ولذلك لم يكتب باخلاص كما كان يكتب فيلون لئلا يلقي التهمة على اليهود ابناء وطنه . وقد كتب ما كتبه عن المسيح ويوحنا المعمدان ويهوذا الغولونيتي باختصار وغموض فلم يفهم اليونانيون والرومانيون حقيقة الحوادث التي كان يشير اليها . قال المؤلف . اما الفقرة التي جاءت في كتابه عن المسيح فانها حقيقية واذا كان يوسيفوس قد كتب عن المسيح فانه لا يكتب الا ما كتب لان ذلك الاسلوب اسلوبه . ولكن القارىء يشتم ان يداً مسيحية قد اصلحت تلك الفقرة وحذفت منها وزادت عليها شيئاً ولا سيما هذه الكلمة التي جاءت فيها وهي « اذا كان يجوز ان يُسمى انساناً » والتي لولاها لكان كلام يوسيفوس شهادة على رجال الدين لا لهم . ومما يرجح هذا الظن ان المسيحيين في القرون الاولى اتخذوا كتب يوسيفوس تاريخاً رسمياً لحوادث بلادهم فغير غريب ان يكونوا قد نشروا في القرن الثاني للميلاد طبعة منقحة من جميع كتبه . ومهما يكن من الامر فان اهمية هذه الكتب في كتابة هذا التاريخ لاتخفى على احد لان هذا المؤرخ اليهودي يرينا فيها بكثرة تفاصيله هيرودس وهيروديا وانتيباس وفيليبوس وحنانيا وقيافا وبيلاطس كأنهم اشخاص احياء بيننا

ثم تكلم المؤلف عن اسفار الابوكريف وعن الاناجيل والتلمود كما تكلم عن المورخين اليهوديين . فقال ان المؤرخ بابياس لم يسمع بوجود انجيل يوحنا ولكنه يقول ان الرسول بطرس كتب انجيلاً فلعله هو . اما متى فلا يجاريه احد في نقل خطب السيد ودقة حفظها كما ان مرقص لا يجاريه احد في دقة نقل الحوادث وتفصيلها بتاكيد واثبات . ثم ردَّ المؤلف على الذين لا يعتمدون على الكتب المقدسة فقال ان المسيو سبرنجر كتب تاريخ حياة صاحب الشريعة الاسلامية واعتمد فيها على الحديث النبوي فلماذا لم يعارضه المعارضون فان هذا كذاك . واذا قام غداً رجل لكتابة تاريخ الفلسفة اليهودية في القرون التي تقدمت ظهور السيد وتلته ببضعة قرون فهل يعترضون على الكاتب اذا نسب الى الفلاسفة اليهود هلل وشاماي وغاماليل الاقوال التي ينسبها اليهم كتاب المشنا والجماره مع ان هذين الكتابين لم يُكتبا الا بعد موت اولئك الفلاسفة ببضعة قرون

ثم ردَّ على الذين يقولون بالعجائب فانكرها وقال ان الذي يعتقد بها ويروم جعل هذا الاعتقاد قاعدة لمباحثتي ومناظرتي فلا يباحثني ولا يقرأ كتبي لاننا لا نتفق ابداً . ثم وصل الى المصدر السادس الذي اعتمد عليه في كتابة كتابه فقال هذا القول الذي يُعدُّ تاريخاً لذلك الكتاب

تاريخ الكتاب

تلك هي القواعد التي بنيتُ عليها كتابي . ولكني اضفتُ الى المصادر التي تقدم ذكرها مصدرًا جديدًا وهو زيارة الاماكن التي حدثت تلك الحوادث فيها فكانت لي نورًا مرشدًا . فان البعثة العلمية التي عُهدت اليَّ ادارتها بين عام ١٨٦٠ و١٨٦١ للتفتيش عن آثار فينيقية وارتياد بلادها اوجبت اقامتي مدة على حدود بلاد الجليل والسياحة فيها مرارًا . فطفت في هذا الاقليم الانجيلي من كل الجهات وزرت اورشليم وحبرون والسامرة وكل مكان له علاقة بتاريخ المسيح . وقد يخيل للبعيد عن تلك الاماكن ان الحوادث المسيحية الاولى حدثت في فضاء خياليّ لا حقيقة له ولكن لما زرتُ تلك الاماكن تجسمت فيها تلك الحوادث امامي تجسمًا ادهشني . فقد كان الائتلاف تامًا بين النصوص الانجيلية والاماكن المذكورة . واذ نظرتُ تلك المناظر الطبيعية الجميلة وقابلتُ بينها وبين روح الكمال الموصوفة في الانجيل شعرت بانطباق هذه على تلك وحينئذٍ احسست كأنَّ وحيًا اوحي اليَّ . فتاملتُ فوجدت امامي انجيلاً خامسًا مفتوحًا وهو انجيل الطبيعة . فصرت اقرأ فيه ولما كنت انتقل منه الى انجيلي متى ومرقص كنت ارى بين السطور صورة شخص عظيم حي . فلما جاء الصيف صعدتُ الى غزير في لبنان لاستريح قليلاً وهناك كتبت بسرعة وصف تلك الصورة العظيمة التي ظهرتْ لي فكان منها هذا التاريخ . ثم نزلت بي مصيبة اليمة اضطرتني الى تعجيل سفري (وفاة اخته) فسافرت ولم يكن باقيًا عليَّ من هذا الكتاب غير بضع صفحات . فانا اذًا قد كتبتُ هذا التاريخ في مكان قريب من الامكنة التي عاش يسوع فيها . ولما عدتُ الى بلادي اخذتُ اصلح واكمل تلك الصفحات التي سطرتها بسرعة في كوخ مارونيّ دون ان يكون حولي سوى خمسة من الكتب او ستة »

وفي ختام المقدمة الثانية ما خلاصته « واذا كان يجب على الكاتب ان يكون ميالاً للموضوع الذي يكتب فيه ليجيد فيه ويحسن في شرحه فان ذلك لا ينقصني . ولا اجهل انه يجب على الذي يتصدى لتاريخ دين من الاديان امران . الاول ان يكون قد آمن به اولاً والا فانه لا يفهم شيئًا من محاسنه ولا يُدرك ما فيه من مطمئنات النفوس ومُرضيات الضمير البشري . وثانيًا ان يكون قد صار ممن لا يؤمنون به ايمانًا مطلقًا من غير شرط ولا قيد لان الايمان المطلق لا ينطبق على العلم والتاريخ لما انه يوجب التسليم والعلم والتاريخ لا يعرفان تسليمًا . ولكن الحب قد ينشأ في القلب من غير ايمان . واذا كان الانسان لا يعتقد باشكال الامور التي تستوجب عند الناس العبادة والايمان فان ذلك لا يمنعه من

الاعجاب بما في تلك الامور من الخير والجمال . اما الالوهية فانها لا تنفد مهما تكرر ظهورها لان الله قد ظهر قبل يسوع المسيح وسيظهر بعده . وظهوره سواء كان كبيرًا او صغيرًا فانه من طريق واحد وهو ارادته المودعة في الضمير البشري . فليس يسوع اذًا خاصًا بالذين يسمون انفسهم تلامذته ولكنه شرف عام للجميع اي لكل من له قلب انسان . وما عظمته ونجده ان يوضع خارج دائرة التاريخ ولكن ان يوضع في داخلها . وانَّ اصح عبادة نقدم له هي اظهار ان التاريخ البشري غير مفهوم بدونه »

المقدمة الثالثة

وقد جعل المؤلف هذه المقدمة الثالثة تمهيدًا لموضوع الكتاب فبحث فيها عن الحركة الدينية في العالم منذ انشائه . فقال ان التمدن القديم الذي نشأ في الصين وبابل ومصر قد رقى الاديان بعض الشيء فان الاديان في مصر وسوريا واشور والهند كانت تحتوي كثيرًا من المبادىء الادبية ولكن الاوهام والخرافات كانت كثيرة فيها ولذلك لم يكن ممكنًا ان يصدر عنها فكر عظيم . وكيف تصدر الآداب والحرية عن نسل ما فتىء ذليلاً مستعبدًا منذ وجوده

واما النسل الذي صدر عنه الايمان والحرية والنزاهة والاخلاص وتدورات النفس الغزلية فهو نسل هنود اوروبا والساميين . ويريد بالساميين جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية (العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية) . فمن هذين النسلين (هنود اوروبا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية . اما هنود اوروبا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رفيقة وحنانًا وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين . ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية

فالذين اعدوا اذًا سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته . وكان من اخص مزاياهم انكارهم على سوريا اديانها المادية المبنية على اللذة ثم بساطة العبادة لانهم لم يتخذوا هياكل ولا اصنامًا . وكان في جملة قبائلهم قبيلة بني اسرائيل ولا يخفى ان هذه القبيلة كانت ذات صلات قديمة بمصر وقد اقتبست من المصريين اشياء يعسر على التاريخ حصرها وذلك مما زاد في كراهتها للوثنية . فهذه القبيلة تمَّ لها في ذلك الزمان الحصول على " توراة " اي شريعة مكتوبة على الواح حجرية وفيها مبادىء ادبية حقيقية وجراثيم المساواة الاجتماعية .

وكان لهذه القبيلة شيوخ ممتازون بالمعرفة والشعب يستشيرهم في المسائل المعضلة وكانوا يُدعون انبياء . اما كهنتهم فانهم كانوا يُشبهون الكهنة الذين تقدموهم ولا يمتازون عنهم الا بان الشؤون الكهنوتية عند كل واحد منهم كان مرجعها الى رايه . وكان الانبياء الذين تقدم ذكرهم من حُفاظ المبادىء الديموقراطية القديمة التي كانت خاصة بالقبيلة ولذلك كانوا يكرهون كل تنظيم سياسي يُرام ادخاله الى بني اسرائيل لجعلهم كباقي الامم التي تليهم هذا فضلاً عن عدائهم للاغنياء . فهؤلاء الشيوخ كانوا السبب الاصلي في تقدم الشعب اليهودي في الدين على سائر الشعوب . ولكن لما هجمت السلطة الاشورية على ذلك الشعب وسحقته لاصغائه الى نصائح اولئك الشيوخ قام الشيوخ اصلاحاً لخطاءهم ينادون بان مملكة يهوذا ستدوم الى الابد وان اورشليم ستكون عاصمة الدنيا كلها . ثم طرأت انقلابات كثيرة على الشعب اليهودي اخصها قيام الدول الكبرى في آسيا بعضها يتلو بعضاً فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فصرفوا نظرهم عن الارض الى السماء وازدادوا تمسكاً بالشؤون الدينية . وقد صاروا حينئذٍ يرضخون لكل نير يوضع على اعناقهم على شرط ان يحترم وليّ امرهم عاداتهم ودينهم . ومنذ ذلك الحين لم يعد عدوّاً لهم الا كل من كان عدوّاً للاله الواحد ولم يعد لهم من وطن ولا شريعة غير الشريعة الدينية

ثم ظهر كتاب دانيال الذي هاج اشجانهم وزاد املهم في قرب قدوم المسيح المنتظر لانقاذهم من ضيقهم . فازدادوا تمسكاً بالشريعة الموسوية وصاروا يقتلون كل من يخالفها . وكلما كانت تثقل عليهم يد الوثنيين الذين كانوا اولياء امرهم كانوا يزدادون انقطاعاً عن الارض ويوجهون انظارهم الى العالم الثاني . وكان العالم مشغولاً عنهم في ذلك الزمان بحوادثه الكثيرة فلم يلتفت الى ما كان يحدث عندهم . ولكن الامبراطورية الرومانية كانت حديثة النشأة اذ ذاك وقد قامت بعد حروب واسوال فكان الناس يتوقعون للعالم دوراً سلمياً في عهدها . واما اليهود فانهم كانوا يتوقعون حينئذٍ بصبر فارغ قدوم « مسيا » المنتظر وكان كثيرون من صُلاحهم يقضون الليالي والايام حول الهيكل صائمين مصلين وهم يسالون الله ان لا يتوفاهم قبل تحقيق آمال شعب اسرائيل . وكان الانتظار شديداً حتى ان كل واحد من الناس كان يشعر بقرب حدوث شيءٍ عظيم »

ثم جاء المنتظر ورقى الدين الى درجة من الكمال والسمو لم يبلغها قبل ذلك

وسندخل في موضوع الكتاب في الجزء التالي

المقالات

الجيش العثماني

﴿ فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية ﴾

لما نقلت الشركات البرقية خبر انقطاع العلائق السياسية بين الدولة العلية والدولة الفرنسوية كان هذا السؤال اول سؤال وجهه القارئ الى نفسه وهو : ما هي حالة الجيش العثماني الآن هل في استطاعته ان يرد عن البلاد غارة عدو قوي على افتراض شبوب نار الحرب وان كان هذا الافتراض امرًا مستحيلاً كما يعلمه الواقفون على العلائق الدولية . ولماذا غيرت فرنسا سياستها مع الدولة العلية فجافتها هذه المجافاة مع انها صديقتها الكبرى من ايام الملك فرنسيس الاول الذي حالفها حتى على الاوروبيين انفسهم . وجوابًا عن هذا السؤال ننقل عن العالم البلجيكي المسيو اوفر برش مدير التعليم العلمي العالي في وزارة المعارف في بلجيكا ما كتبه عن الجيش العثماني وعلائق فرنسا والمانيا بالدولة العلية في كتاب نشره في العام الماضي وعنوانه « سياحة في الشرق . تركيا واليونان » فنقول

قال الكاتب المذكور في الصفحة ٣٣٧ يصف الجيش العثماني الذي شاهده منذ سنتين في حفلة السلاملك في الاستانة ما خلاصته

« ولقد قال لي وكيل بلجيكا في الاستانة في يوم جمعة . اليوم تعقد حفلة السلاملك فاذهب لمشاهدتها ولا تفوّتها . فقصدت الجامع الحميدي مع بعض الرفاق في الساعة العاشرة لان الحفلة تبتدئ عند الظهر فوصلت الى الكشك الخاص بالسفراء والاجانب وهو قائم تجاه الجامع فوجدنا فيه ضابطًا تركيًا من الطف الضباط واظرفهم فاستقبلنا وادخلنا حالما اريناه اوراقنا . وكان دخولنا الى قاعة الزائرين ولم يكن فيها سوى اربع نوافذ غاصة بالانكليز والانكليزيات ففتشنا عن مكان امام النوافذ نجلس فيه ونرى منه فلم نجد مكانًا والانكليز جريًا على عادتهم لم يتنازل احد منهم عن مكانه لواحدة من السيدات اللواتي كن معنا . ولكن وكيل بلجيكا كان قد قال لنا انكم اذا لم تجدوا مكانًا موافقًا في النوافذ

فاقصدوا السطح المحاذي للقاعة واتخذوا لكم مجالس فيه . فذهبنا الى السطح وجلسنا في الصف الاول فلم يلبث ان تبعنا بعض البلجيكيين وكثيرون من الالمانيين الذين كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويصفقون الى بعيد

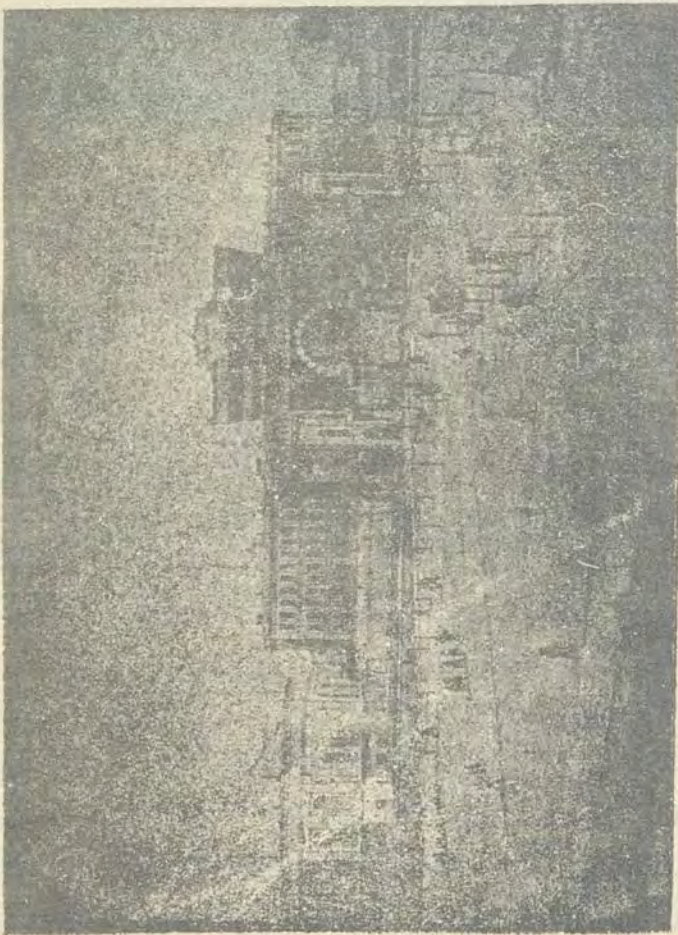
فقضينا هناك ساعتين في الانتظار واذا بالسفراء وعيالهم قد بدت طلائعهم وكانوا يلبسون ملابس متناهية في الفخفخة والزينة لان الحكومات توصي سفراءها في جميع بلاد الشرق ان يحسنوا اتقان الزينة الخارجية . وبعد ذلك وصلت الجنود

وكان اول من وصل منهم الاي المشاة تتقدمه الموسيقى العسكرية . فمرّ امامنا بنظام بديع وقوة اعجبنا بها . وكانت جنوده تلبس الطربوش فكان لها به منظر جميل لان الطربوش يكبر قامة الانسان ويجعل له مرأى حربياً مدهشاً . وكانت الموسيقى التي تتقدمهم تصدح بالنشيد الالماني ببراعة واحكام يستلبان الالباب . وقد كان بجانبي الماني كان من ضباط الجيش الالماني فجعل يشير الى ضباط الجيش العثماني وهو يقول . هذا فلان من كولينجدبرج وذاك فلان من فرانكفور وهذا فلان من كوبلانس . ثم ان هذه الجنود اصطفت صفين على جانبي الطريق . ولم تفرغ من ذلك حتى طلعت طلائع الاي الفرسان تقدمة الصنوج المفرحة التي تقرع انغاماً مرقصة والذي يملأ منظره العين بهجة والقلب سروراً . فقصد هذا الآلاي السهل المخصص بالمركبات واصطف فيه

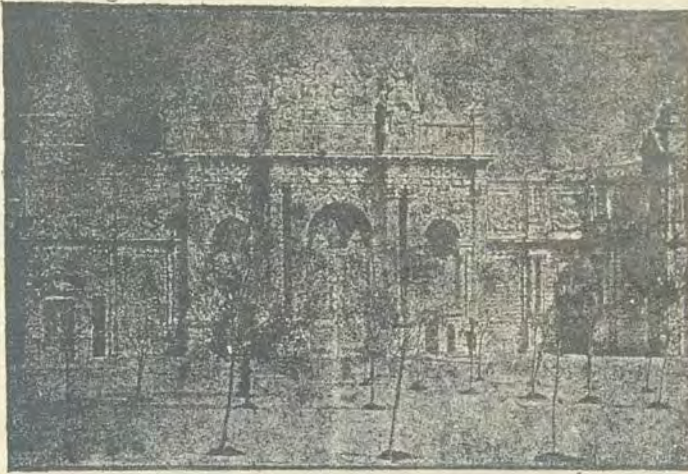
واذا بالرجل الالماني الذي تقدم ذكره قد اخذ يقول « انظروا انظروا لقد جاء الحرس السلطاني . جاء ابطال اناطوليا اشجع جنود الارض كلها . انظروا انظروا فانهم جميعاً تحت قيادة ضباطنا ولذلك لا يغلبهم احد . فالتفتنا فوجدنا الجنود الزواف قد بدت وعلى رؤوسها العمائم الخضراء وكلهم من نخبة رجال الجيش العثماني . وفي هذه الجنود قال الجنرال سكوبلف يوم حصار بلفنا « اذاً قد عزم اصحاب العمائم الخضراء على منعي من اختراق هذا المربع ما لم يقتلوا عن آخرهم » وكانت هذه الجنود سائرة نحو قصر يلدز القائم على مسافة ثلاثمائة متر من الجامع الحميدي

ثم تلتهم جنود البحرية وجاء بعدهم الزواف لابسو الطرابيش وهم رجال حسنو المنظر من فرقهم الى قدمهم . وكان منظرهم ومشيتهم يدلان على انهم من ذلك النسل القادر القوي . وقد قابلتهم في ذهني بالجنود اليونانية التي رايتها في آثينا فعجبت كيف خطر لليونان ان يتوقعوا النصر لجنودهم في حربهم مع الدولة التي لديها جنود كهؤلاء الجنود . ولا انكر ان في الجيش اليوناني رجالاً اقوياء ولكني ارى ان الجنود اليونانية على الاجمال لا تقاس

بالجند العثماني · اليس الاميرال جوليين دي لا كرافيير هو الذي قال « ان للجندي العثماني صفات حربية جليلة · فاذا ولي قيادته ضباط خبيرون ادهش العالم باعماله كما ادهشه فيما مضى · وليس ينقص الجيش العثماني جنود او قوّاد كبار ولكنه ينقصه ضباط صغار » وقد ادركتْ المانيا هذا النقص فتقربت من الدولة العثمانية لاصلاح جيشها رغبة في الاعتماد عليه في اوقات الشدة وتزلفاً الى الحكومة لتمنحها في الاناضول الامتيازات التي تمني نفسها بها فضلاً عن اتخاذها جيش الدولة سوراً دون روسيا



﴿ نظارة الحربية في الاستانة ﴾



﴿ باب السرعسكرية في الاستانة ﴾

وهو مقام قائد الجيش العام

ولما شاهدتُ ما شاهدتُ من نظام الجيش العثماني وترتيبه اخذت اقول في نفسي ان عدم مداخلة اوربا ايام الحوادث الارمنية ناشئ عن اسباب قوية ربما كان منها الخوف من حراب الجنود العثمانية

ولكن ما لنا ولهذه الامور فلنعد الى حفلة السلاملك . فان الجنود ما انتهت من الاصطفاف في ثلاثة صفوف من الجامع الى سراي يلدز حتى قدمت فرقة واخذت تكنس الطريق وتذر فيها الرمل النظيف . ثم جاءت فرقة اخرى وصارت تنفض ملابس الجنود التي كانت مصطفة . وبعد برهة انتصف النهار وخرج الموكب السلطاني من قصر يلدز. فصدحت حينئذ الموسيقى وسرى في الجمع ارتعاش فتطاولت الاعناق الى الموكب . فمر فيه رجال الدولة مع ابنائهم ومركبات الحرم السلطاني والموظفون بملابسهم الرسمية . ثم مرت المركبة السلطانية تجرها جياد كريمة وجلالة السلطان جالس فيها بهيئة تدل على عدم الاكتراث بشيء مما حوله . ولما دنت المركبة من كشك السلاملك هتف الالمانيون الذين كانوا معنا هتافاً شديداً اكراماً لجلالته فرفع جلالته راسه اليهم وحينئذ استنار وجهه بابتسام ثم سلم عليهم باحناء الراس وظلت المركبة سائرة حتى انتهت الى الجامع

وفي اثناء الصلاة جاءنا احد رجال التشريفات ودعانا باسم جلالة السلطان الى تناول المرطبات في حديقة من اجمل الحدائق فاجبنا وتحققنا حسن الضيافة في قصر يلدز

و بعد الصلاة انتظم سلك الجنود كما كان وخرج جلالة السلطان عائداً في « فايتون» يجرها فرسان ابيضان كريمان وكان جلالته قابضاً على عنانها بيده ووراء المركبة رجال الدولة واكابر موظفيها مشاة يتبعونها

هذا ما قاله السائح عن الجيش العثماني . اما ما قاله عن علائق فرنسا والمانيا بالدولة فهذه خلاصته . قال

كنت احادث بعضاً من راهبات المحبة الفرنسويات في طريقنا الى « بروصه » فسالتهن أليس الافضل لكنّ ان تحتمين بالمانيا في البلاد العثمانية . فصحن جميعاً من فم واحد « احمنا يارب من حماية المانيا » ثم قالت احداهن ان المانيا امبراطورية بروتستانتية فكيف تحمي الكاثوليك حماية حقيقية . ومع ذلك فاننا لا نطلب حماية دولة اجنبية ونترك وطننا . وقد قلن ذلك والدموع في عيونهن

و بعد برهة اخذ احد المرسلين الحاضرين يشرح لي اسباب الزحام الشديد القائم بين فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية . فقال ان فرنسا كانت في عام ١٨٩٢ تبيع من بضائعها في الاسواق العثمانية ما قيمته ٦٠ مليون فرنك فنقصت هذه القيمة في عام ١٨٩٣ الى ٥٦ مليوناً وفي عام ١٨٩٤ الى ٥٣ مليوناً وفي ١٨٩٥ الى ٥١ مليوناً وفي ١٨٩٦ الى ٤١ مليوناً وفي ١٨٩٧ الى ٣٩ مليوناً اي ان قيمة ما تبيعه فرنسا في البلاد العثمانية لم تعد تساوي اليوم ١١ في المائة من مجموع المبيعات الاوروبية . اما المانيا فلم تكن لها تجارة مع تركيا في سنة ١٨٧٠ ولكن لم تاتِ هذه السنة حتى بلغت تجارتها معها ٤٠ مليون فرنك فكأنها في مدة ثلاثين سنة قد ساوت فرنسا التي مضت عليها قرون وتجارتها موصولة الاسباب مع البلاد العثمانية

وان سألت عن اسباب تقدم المانيا ونكوص فرنسا اجبتك ان المعامل الفرنسوية تعتمد بالاكثر في ترويج بضائعها على « عملاء » من اليونان والالمان والايطاليان فيخدعونها ويربحون على ظهرها . اما المعامل الالمانية فانها ترسل عمالاً المانيين مخصوصين من قبلها وتتخذ لها عملاء دائمين في الاسواق المهمة فيلح هولاء العمال والعملاء في سبيل عرض بضائعهم وتصريفها الحاحاً يفضي الى ترويجها . وفضلاً عن ذلك فان لهم شركة كبيرة تدعى شركة التصدير وهي ذات فروع في مصر واليونان والاستانة وسالونيك وازمير ومرسين و بيروت وحلب ودمشق و يافا وحيفا و بروصه . وهذه الفروع تعرض على المشترين جميع اصناف

البضائع التي يطلبونها ويكون لديها مثال منها لان المشترين في الشرق يلذ لهم شراء الاشياء التي يشاهدونها ويكرهون الشراء بلا مشاهدة ولا فحص . وما عدا هذا فان المعامل الالمانية تصنع بضائعها حسنة الظواهر رخيصة الثمن طبقاً للذوق الشرقي . واما المعامل الفرنسوية فانها تحسب انه يجب على ابن الشرق ان يخضع لذوق ابن باريز ولذلك لا تصنع بضائعها الا على ذوقها . وقد آلت المانيا على نفسها ان تحتكر جميع السكك الحديدية في الاناضول فاذا تم لها ذلك صارت صاحبة الكلمة التجارية العليا فيها ولم يبقَ لفرنسا سوى الخطوط الحديدية الصغيرة في سوريا . فمسكينة انت يافرنسا ما هذا النكوص امام المانيا . اذكرْ انه لم يكن احد في القرن السادس عشر قادراً على الاتجار في البلاد العثمانية الا بواسطتنا وتحت رايتنا بناء على الامتيازات التي كانت لنا . اما الآن فقد سبقنا مناظرونا . ولا ريب ان ذلك عقاب لنا من الله على خطيئة الملك فرنسيس الاول . فان هذا الملك خان اوربا في ذلك الزمان وحالف الدولة العثمانية عليها . فكافأته الدولة على ذلك بمنحها اياه الامتيازات التي تقدم ذكرها والتي كانت كأنها الثلاثون درهماً التي قبضها يهوذا . والغريب العجيب ان يكون فرنسيس الاول قد حالف تركيا على امبراطرة الالمان الذين كانوا اعداءه وان تركيا تحالف اليوم عليه امبراطرة الالمان الذين هم اعداء فرنسا »

سوريا القديمة والحديثة

بقلم حضرة العالم الفاضل جبر افندي ضومط استاذ البيان في الكلية الاميركية في بيروت وهي الخطبة التي القاها في الحفلة السنوية التي عقدتها هذه الكلية في ١٠ يوليو الماضي ومنحت جنابه فيها رتبة معلم في العلوم اعترافاً بفضله

ايها السادة والسيدات الكرام

بعد الحمد والدعاء اعتذر اليكم عن نفسي اني لست خطيباً ثم استأذنكم ان ابدأ بموضوعي رأساً فاقول

سوريا على ما قاله كثيرون من ثقاة الغربيين اسم مقتطع من اشوريا يعني بلاد اشور وقد ورد في كتب متقدمي المؤرخين وثقاتهم كهيرودوتوس وامثاله وارادوا به كل البلاد التي يحدها الفرات والدجلة الى خليج فارس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وآسيا الصغرى شمالاً والعربية جنوباً . الا ان المتاخرين عن اولئك اطلقوا هذا الاسم على ما هو الشائع الآن

اعني على جزء من هذه البلاد يحده خطٌ يمرّ بخليج اسكندرونه على موازاة خطوط العرض شمالاً وبعض الفرات وبادية الشام شرقاً والعربية جنوباً والبحر المتوسط غرباً

﴿ تقسيم سوريا الطبيعي ﴾

وتقسم سوريا الى ثلاثة اقسام طبيعية (الاول) سوريا الشمالية وتبتدئ من جبال طورس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن مدنها حلب وانطاكية وحماه · (الثاني) سوريا المتوسطة وتبتدئ من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً · ومن مدنها المشهورة في الداخلية حمص وتدمر ودمشق وبعلبك وعلى الساحل طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور · (الثالث) سوريا الجنوبية وهي ما بقي من سوريا وتشتمل على ما يُعرف قديماً ببلاد فلسطين او ارض كنعان من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً · ومن مدنها الساحلية عكا وحيفا ويافا وغزه والعريش ومن الداخلية طبريه والناصره ونابلس واورشليم والخليل

﴿ تقسيم سوريا السياسي ﴾

اما تقسيم سوريا السياسي فلما كان ولا يزال يختلف باختلاف الازمنة رايت ان ادع التفصيل فيه واكتفي بذكر الامم التي سكنت البلاد من اول عهد التاريخ الى الآن واشير الى مواطنهم فيها مع الالماع الى ما طرأ على مواطن تلك الامم من التقلبات وما تعاقب عليهم من الدول الى ان صارت جميع هذه الشعوب والممالك شعباً واحداً ومملكة واحدة عثمانية في ايام فخر سلاطيننا العظام جلالة مولانا عبد الحميد خان · والغاية من كل ذلك ان اتوصل الى بيان اسباب عظمة سوريا قديماً وما تُبنى عليه عظمتها في المستقبل · والذي اساله من كرم اخلاقكم ان تعيروني جانباً من التفاتكم ولكم عليَّ ان اختصر بقدر ما في الامكان

ايها السادة · في ايام الآباء اي من نحو اربعة الآف سنة تقريباً كان العمالقة والحوريون يسكنون البلاد جنوبي بحيرة لوط الى راس خليج العقبة والرفائيون شرقي الاردن من ارض باشان شمالاً الى وادي ارنون جنوباً · والحثيون والاموريون والعمونيون الفلسطينيون غربي بحيرة لوط الى شواطئ المتوسط · واما بقية البلاد غربي الاردن فكان اليبوسيون في اورشليم والحويّون في نابلس والكنعانيون في البلاد من جنوبي صور الى يافا واشقلون كل الساحل البحري ومعظم السهول الخصيبة فيما يليه من منابع الاردن الى مصبه في بحيرة لوط · وكان ايضاً الحثيون في سوريا الشمالية والاراميون والفينيقيون في سوريا المتوسطة

هولاء على السواحل واولئك في الداخلية

ثمَّ بعد دخول الاسرائيليين ارض كنعان صارت شعوب سوريا ومواطنهم فيها على ما ياتي· العمالقة والفلسطينيون والادوميون والموابيون والعمونيون والاسرائيليون وبقايا الكنعانيين في سوريا الجنوبية· والاراميون والفينيقيون في مساكنهم الاولى في سوريا المتوسطة· والحثيون اسيادًا في سوريا الشمالية· وما زال الحال كذلك نحوًا من ثلاث مئة سنة تارةً يتقوى الموابيون والعمونيون وتارةً العمالقة والمديانيون وتاراتٍ الفلسطينيون الى ايام صموئيل النبي وكان الفلسطينيون حينئذٍ في منتهى قوتهم والاسرائيليون في منتهى ضعفهم ذلك لانهم كانوا قد تفرقت عصبيتهم وانحلت جامعة اسباطهم التي كانت لهم ايام يشوع· فسعى صموئيل النبي في ضم شملهم وتوحيد كلمتهم واقام عليهم ملكًا شاول ابن قيس من سبط بنيامين فملك اربعين سنة وقام عليهم بعده داود النبي فحارب حروبهم المشهورة وانتصر على اعدائهم والامم حواليه شمالاً وشرقًا وجنوبًا وغربًا· وفي ايامه بلغ اليهود منتهى عزهم وامتدت سلطتهم على كل سوريا الجنوبية وعلى سوريا المتوسطة ما عدا الساحل كل بلاد الاراميين حتى تجيء الى مدينة تفسح على الفرات شمالي تدمر· فصارت امم سوريا ومواطنهم فيها ايام داود وايام سليمان ابنه على ما ياتي

اليهود اسياد في سوريا الجنوبية واخوانهم وابناء عمهم الموابيون والعمونيون ومن لف لفهم عبيد مستتبعون لهم فيها ايضًا· والاراميون يؤدون الجزية للاسرائيليين في سوريا المتوسطة ما عدا السواحل البحرية على البحر من عكا جنوبًا الى ارواد شمالاً· والحثيون في سوريا الشمالية من حماه الى كركميش· الا ان الاراميين كانوا قبيل ذلك قد تداخلوا على الحثيين في كثير من مساكنهم الجنوبية وازاحوهم عنها الى الجهات الشمالية

لكن لم يلبث ان طرأ بعض التغيير على الحالة المارة· فان الاسرائيليين رجعوا بعد موت سليمان الى سالف تنافسهم وتخاذلهم فانقسمت مملكتهم الى مملكتين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب فقضي بذلك على عزّ اليهود وخرج عن طاعتهم اكثر الامم الخاضعة لهم واستمر الحال على ذلك نحوًا من مئتي سنة وسوريا على ما نذكره : صور في الساحل سيدة البحار في المعمور وابناؤها منتشرون في العالم وبيدهم زمام التجارة كانما هم ابناء البريطانيين في الزمن الحاضر وربما كانوا اشد نشاطًا في الاعمال واكثر اقدامًا على الاسفار رغبة في المكاسب والارباح· ومملكتا يهوذا واسرائيل مما يلي الساحل تتسالمان تارة وتختصمان تارات· والاراميون في سوريا المتوسطة يتوثبون تارة على الاسرائيليين وتارةً على

الحثيين . واما في سوريا الشمالية فكان الحثيون قد تراجعت احوالهم وتقلص ظلهم بما كان من مناواة الاشوريين اهل نينوى لهم فتركوا قادس عاصمتهم ايام رعمسيس الى كركميش على الفرات

وفي هذه الاثناء عظم شان الدولة الاشورية فاخذت تغزو الى سوريا كلما آنست من نفسها قوة او بالحري كلما اقام على سريرها ملك يرغب في المجد العسكري من جهة وفي انتهاب الاموال من جهة اخرى وتكررت غزوات الاشوريين حتى كانت ايام سرجون احد عظماء ملوكهم فجهز هذا جيوشه وعبر الفرات الى كركميش فحاصرها وما زال عليها حتى استفتحها عنوةً ونقل اهلها الى بلاد اشور وهكذا كان فعل في دمشق والسامرة فصارت من ثم كل البلاد اعني سوريا الشمالية والمتوسطة وبعض الجنوبيـة ولايات اشورية ما عدا الساحل البحري واليهودية فانهما بقيا على الجزية . واستمر الحال على ذلك الى ايام نبوخذنصر فوجه غاراته الى سوريا واجلت غزواته فيها عن انقراض استقلالية جميع شعوبها وصيرورتها ولاية بابلية يحكمها ولاة من قبل البابليين . ثم جاء بعد البابليين الفرس ومن بعد الفرس اليونان ومن بعد اليونان الرومان وحكم الرومان سوريا نحوًا من سبعمئة سنة من سنة ستين قبل المسيح الى ان استخلصها العرب من ايديهم سنة ٦٣٨ بعد المسيح

ثم ما زالت سوريا في ايدي المسلمين تتداولها منهم دولة بعد اخرى الى ان كانت الحروب الصليبية فاستولى حينئذٍ الصليبيون على الشواطىء البحرية من انطاكية الى يافا وغزة . لكن لم تأتِ سنة ١٢٠٠ للمسيح وفي البلاد واحد منهم وذهبت آثارهم جملة

وفي بداءة الجيل الخامس عشر كانت غزوة تيمورلنك فخرب البلاد تخريبًا وقد اكثر تيمور هذا من القتل والنهب والسبي بما لا تزال البلاد تذكره الى اليوم لشدة ما كان من وقعه في نفوسهم . واشد ما كان ضرره في البلاد انه اخذ من دمشق وسائر البلاد ارباب الفضل والصنائع وكل ماهر في فن من الفنون اي فنٍ كان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤوس جنده وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند وهكذا فعلوا . والظاهر ان جنوده قتلوا اغلب هؤلاء وهم راجعون الى بلادهم فخسرت بذلك سوريا خسارة لم تعوض بعد

وفي سنة ١٥١٦ دخلت سوريا في حوزة العثمانيين وفي سنة ١٨٧٥ قدر الله لهـا ان اقام على سرير السلطنة العظمى جلالة الغازي مولانا السلطان عبد الحميدخان الثاني فدخلت على عهده الممالك العثمانيـة في طور جديد وستبلغ فيه بعونه تعالى ولا سيما سوريا مبلغًا من العزّ والعظمة لم يكن لها من قبل ان شاء الله

ايها السادة الكرام . لم يخطر في بالي اصلاً ان اتغلغل في تاريخ سوريا لا قديماً ولا حديثاً انما اردت بما ذكرته من الفذلكة التاريخية ان احضر امامكم صورة اجمالية لسوريا منذ اول امرها الى اليوم توطئة للسؤالات الاربعة الآتية وهي :

« اولاً » ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟

« ثانياً » ماذا كان سبب عظمة سوريا قديماً ؟

« ثالثاً » ماذا كان سبب انحطاطها الى الآن ؟

« رابعاً » بماذا نقوم عظمتها المستقبلة . وبعبارة اخرى بماذا ترجع الى مقامها الذي فقدته جملةً من مدة لا تزيد عن الخمسمائة سنة وانزاحت عن آخر موقف منه منذ تمَّ فتح خليج السويس ؟

﴿ السؤال الاول ﴾

ونبدأ بالسؤال الاول اي ابناء من هم سكان سوريا الحاليين؟ والجواب عن هذا السؤال يستدعي معرفة الشعوب الذين كانوا في سوريا قديماً والشعوب الذين في البلاد المحيطة بها ايضاً اما الشعوب الذين كانوا فيها في ايام ملوك اسرائيل فهم كما رأينا الادوميون والعمونيون والموابيون والاسرائيليون في سوريا الجنوبية والاراميون في سوريا المتوسطة والشمالية والفينيقيون في ساحل البحر . فان قيل واين تذهب بالكنعانيين والحثيين؟ قلتُ اما الحثيون فكانوا على الراجح المسلطين على البلاد كالرومانيين بعدهم مثلاً لاسكانها الاصليين ولذلك فلما انقرضت دولتهم انقرضوا من سوريا وبقي اهلها الاصليون اعني الاراميين . واما الكنعانيون فاولى ان يلحقوا بالعبرانيين لان هؤلاء خالطوهم فزوجوهم وتزوجوا منهم من اول عهد اتصالهم بهم الى ايام السبي ولما كانوا اقل عدداً من العبرانيين غابت جنسيتهم في جنسية العبرانيين . وروَّج هذه المخالطة والامتزاج ما كان بين الامتين من المقاربة في اللغة والاخلاق والعادات . وزاد في تعجيل الالتحام أنَّ اليهود كانوا يرون الكنعانيين المغلوبين ارقى واعرق منهم في المدنية فلم يستنكفوا من مصاهرتهم والاختلاط بهم . وكذلك الكنعانيون المغلوبون لم يروا حطة باصهارهم الى اليهود وامتزاجهم بهم شان الامة المغلوبة مع الامة الغالبة . وعليه نقول ان شعوب سوريا كانوا مؤلفين من قبيلتين كبيرتين العبرانيين والاراميين . العبرانيون في الجنوب والاراميون في الشمال وهما شعبتان من الارومة السامية وينضم الى هولاء قبيلة صغيرة اعني الفينيقيين سكان السواحل وهم من الارومة الحامية

واما البلدان المحيطة بسوريا فاذا نظرتم ايها السادة الى الخارطة رأيتم العربية وشواطىء

الفرات تحيط بها جنوباً وشرقاً واسيا الصغرى والبحر المتوسط شمالاً وغرباً ولكن لما كانت جبال طورس تفصل سوريا عن اسيا الصغري وتجعل المهاجرة من احدى البلادين الى الاخرى امرًا صعباً ولما كان اهل اسيا الصغرى يخالفون السوريين في اللغة والاخلاق والعادات ويرون في بلادهم من الخصب وجودة الهواء فوق ما يرونه في سوريا كانت رحلاتهم اليها قليلة. ولم ينقل الينا التاريخ ان امة منهم هاجرت اليها وبخلاف ذلك ما هو مشهور عن العربية وشواطىء الفرات. فان اهل هاتين البلادين ما زالوا منذ ايام ابرهيم الخليل الى هذه الساعة يرحلون افرادًا وجماعات الى سوريا وعليه فيهمنا تحقيقاً للجواب عن سؤالنا ان نعرف من هم شعوب العربية وشعوب ما بين النهرين وابناء من هم. ومعرفة ذلك ليست من الامور المشكلة لانه تحقق ان سكان هاتين البلادين اعني العربية وما بين النهرين هم من العبرانيين والاراميين وابناء عمهم القحطانيين وكلهم من الارومة السامية ومن قبيلة اخرى صغيرة كشوية وهي من الارومة الحامية

والمأخوذ من كل ذلك وهو ما اردتُ الوصول اليه ان سكان سوريا وسكان العربية وسكان ما بين النهرين جميعهم من ارومة واحدة سامية اختلط بهم من قبل زمن التاريخ شعبة من الحاميين امتزجت بهم وغابت جنسيتها في جنسيتهم حتى لم تعد تُتميز بوجه من الوجوه . وجميع هؤلاء الشعوب والقبائل كانوا وما زالوا يتشابهون في اللغة والاخلاق والعوائد منذ الاف من السنين الى وقتنا الحاضر . وجميعهم ايضاً على ما عُلم من احوالهم سريعو الاجابة الى ما يوافق اميالهم ومشاربهم الفطرية متعاصون عما يخالفها ويصعب بل يستحيل ان يُنقلوا الى جنسية غير جنسيتهم ولغة غير لغتهم واخلاق غير اخلاقهم . ويكفيني ثبتاً لهذه الحقيقة ان اشير الى ما كان من امرهم مع دول الفرس واليونان والرومان اولاً ومع دولة العرب اخيرًا فانهم تعاصوا على الدول الثلاث الاولى فلم يمتزجوا بهم ولا تجنسوا بجنسيتهم ولا تعلموا لغاتهم الا مكرهين . ومع ان الدولة الرومانية العظيمة المسماة بالدولة الحديدية حكمت في البلاد وجعلتها جزءا من ممالكها نحوًا من ٧٠٠ سنة فمع ذلك لما كان الفتح الاسلامي وانسحبت جنودهم وموظفوهم من البلاد كانوا كأن لم يكونوا فيها ولا حكموا اهلها بعصاً من حديد فامحت آثارهم من اللغة والعوائد والازياء والجنسية . لم يبقَ شيء من كل ذلك بخلاف امرهم مع دولة الاسلام فانه لم يمض على هولاء قرن واحد بعد ان افتتحوا سوريا حتى صارت البلاد عربية في لغتها واخلاقها وعوائدها ولا تزال كذلك الى هذه الساعة مع ان الدولة العربية انقرضت من البلاد منذ عدة مئات من السنين وما ذلك

الا لبعد الرومان وُبعد العرب من السور يين في اللغة والاخلاق والعوائد كما ذكرنا

﴿ السؤال الثاني ﴾

ولنتقدم الآن الى السؤال الثاني وهو ما سبب عظمة سوريا قديماً ؟

لعظمة بلادٍ ما اسباب منها ان يكون في البلاد دولة قاهرة تمد فتوحاتها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كالدولة الرومانية مثلاً وهذا لم يكن لسوريا قط واعظم دولة قامت فيها دولة اليهود ايام دواد وسليمان . ولكن هذه الدولة لم تتجاوز سوريا بل لم تتبع الا الجزء الجنوبي منها مع بعض النفوذ في الجزء المتوسط واقل منه في الجزء الشمالي

ومنها ان تكون البلاد متسعة المساحة كثيرة عدد السكان كثيرة المياه والانهار وان تكون عشائرها متحدة معاً تضمهم دولة واحدة يجتمعون تحت لوائها لا يتخاذلون عن نصرتها ولا يتربصون بها الدوائر انما هم جميعهم على الاجنبي قلب واحد ويد واحدة . وهذا ايضاً لم يكن لسوريا قديماً فان مساحتها لا تزيد عن الخمسين الف ميل مربع وانهارها قليلة ليس منها ما يصلح للملاحة وامطارها قليلة ولا سيما في الجزء الجنوبي منها . واما اهلها فما زالوا عشائر متخاذلة لم تجتمع لهم كلمة ولا انضموا تحت لواء واحد وطالما كانوا يتربص بعضهم الدوائر بالبعض الآخر

ومنها ان تكون البلاد غنية بمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وهذا لم يكن لسوريا ايضاً فانه لم يُعرف عنها الى اليوم ان كان فيها معادن ذهب في جبالها او مغاوص لؤلؤ في بحارها

ومنها اتساع التجارة واتقان الصناعة والزراعة . وليس شيء من اسباب العظمة محقق في عظمة سوريا الا هذا السبب . فان اهلها سكان البدو وسكان المدن كلهم كانوا اما تجاراً او متلبسون باسباب التجارة وقد اجمع المؤرخون على ان تجارة الفينيقيين ايام عظمة سوريا بلغت من الاتساع والانتشار مبلغاً قصرت عنه الامم القديمة عن آخرها ولم يكن له مثيل على ما يقولون الا اتساع تجارة الانجليز في الوقت الحاضر . وكذلك اجمع هولاء ان الصناعة والزراعة كانتا في سوريا على ارقاها ايام كانت التجارة ايضاً على ارقاها وانحطتا بانحطاطها . ولما انحطت التجارة وانحط هاتان معها انحط عزّ البلاد وعظمتها وهذا ما اريد ان اقيم البرهان عليه وهو موضوع بحث السؤال الثالث اي ماذا كان سبب انحطاط سوريا الى الآن

﴿ السؤال الثالث ﴾

كانت صيدون في ايام يشوع المدينة العظيمة والمتقدمة على جميع مدن فينيقيـة . ذلك

لانها كانت اوسعهن تجارة واكثرهن غنى وارسخ في الصناعة قدماً . لكن ما بين القرن الخامس عشر والثالث قامت المعاهدة البلاسجية واخذت تتعقب الصيدونيين وتزيلهم عن مواقفهم التجارية في البحر المتوسط فتاخر من ثم غنى الصيدونيين وانحطت عظمتهم على نسبة ما ابتزت منهم هذه المعاهدة القوية من المراكز التجارية

ثم ما زالت تتأثرهم هذه المعاهدة الى ان جاءت شعبة منهم الى نفس فلسطين واستولت على السواحل من يافا الى غزة واخذت تسابق الصيدونيين في التجارة في نفس بلادهم ثم ادت هذه المنافسة في التجارة الى المنافسة في السياسة ايضاً فان الفلسطينيين لما اثروا وامتدت تجارتهم وكثرت صناعتهم طمعوا في الصيدونيين وتوثبوا على بلادهم المجاورة ينتزعون منها مكاناً بعد آخر ويلحقونه باملاكهم الى ان كانت سنة ١٢٠٠ ق م فحملوا على حين غفلة بمراكبهم على صيدا فاستفتحوها عنوة وخربوها وشتتوا اهلها في الافاق . الا ان صيدا عاد لها بعد ذلك شيء من عزها على نسبة ما عاد لها امتداد التجارة لكن سبقتها صور منذ نكبتها هذه وما زالت سابقة لها الى ان قُضي على المدينتين معاً

ولا يمكنني ان آتي على تفاصيل ما طرأ على عظمة صور وكل بلاد فلسطين تبعاً لها ولكن اقول اجمالاً ان صور ما زالت في اوج عظمتها منذ ١٢٠٠ سنة قبل المسيح الى ايام سرجون الاشوري سنة ٧٢٥ وذلك لانها كانت كل تلك المدة لا يسابقها مسابق في التجارة والاقدام على الغربة وقطع البحار . وكانت صناعتها حينئذ بالغة اعظم مبلغ من الاحكام والاتقان فلما جاء سرجون حاصرها سنيناً ومع كل قوته لم يقوَ عليها . فصالحها على الجزية لكن ما زالت التجارة في يدها يرد اليها بها من فائض الغنى اضعاف ما كان ينز منها جزيةً للاشوريين فامكنها ذلك من ان تصانع دولتهم العظيمة وتحفظ استقلالها منهم ان يذهبوا به على حين سقطت اغلب ممالك سوريا وصارت ولايات اشورية . ثم جاء نبوخذ نصر الكلداني فحاصرها ثلاث عشرة سنة وافتتحها اخيراً عنوة فقتل ونهب واسر ما شاء . لكن لما كانت التجارة لا تزال بيدها عاد اليها الغنى فعاد اليها ما كان لها من العظمة الى ان جاء الاسكندر المكدوني ولاسباب حاصرها هذا الرجل واستفتحها بعد ثمانية اشهر فنكل في اهلها تنكيلاً لم يُرَ منه مثله . ولو اكتفى الاسكندر بما فعله بها من القتل والنهب والاستعباد لهان عليها الامر مع فظاعته لكنه بنى مدينة الاسكندرية قصداً لتزاحم صور في التجارة فكان ذلك اشد عليها بمرات مما نكبها به هذا المكدوني الظافر لان الاسكندرية قاسمتها بعد ذلك التجارة وذهبت بقسم عظيم منها . فمن ثم لم ترجع صور الى عزها بعد فتح الاسكندر

كما رجعت اليه بعد فتح نبوخذ نصر . لكن لما لم يكن في استطاعة الاسكندرية ان تحول كل موارد التجارة عن سواحل سوريا بقيت صور وغيرها من مدن الساحل بمكان من العظمة والاهمية كل ايام خلفاء الاسكندر وايام الرومانيين وايام الخلفاء من بعدهم في دمشق وبغداد الى ايام غزوات الصليبيين . كل ذلك لان مقتضى احوال العمران لتلك الازمنة وعلاقات الممالك والشعوب بعضها ببعض كانت تقضي ببقاء المدن السورية صور وغيرها محطاً لقسم كبير من تجارة المعمور حينئذٍ . لكن الغزوات الصليبية غيرت من علائق الامم فنشأ في اثنائها على شواطىء ايطاليا مدن تجارية قضت الاحوال الواقعة ان تتقوى تلك المدن شيئاً فشيئاً وتعظم تجارتها فلم تنقضِ تلك الغزوات الا وهذه المدن من اهم مراكز التجارة بين غربي اوروبا وغربي اسيا وابتزت من المدن السورية معظم ما ابقته لها الايام بعد بناء الاسكندرية من موارد التجارة . فخربت مدينة صور العظيمة وقارب غيرها الخراب وانحطت سوريا اجمالاً الى حالة لم تعرفها من قبل . ولو وقفت الحال عند الحد الذي اشرنا اليه من قيام المدن الايطالية التجارية لهان الامر على سوريا كما هان عليها قيام الاسكندرية من قبل لكنَّ البرتغاليين اهتدوا الى طريق راس الرجاء الصالح فجعلوه طريقاً جديداً للتجارة بين اوروبا والشرق ثم لم يلبث ان اكتشفت اميركا ايضاً فتحولت وجهة التجارة راساً بين اوروبا وآسيا اليها وقامت المدن التجارية في اسبانيا وفرنسا وهولانده وانكلترا فكان ذلك الضربة القاضية على جميع مدن سوريا . لكن مع ذلك بقيت بعض القوافل تتردد في التارات بين سوريا والعراق فبقي بسبب ذلك في البلاد دماء من الحياة التجارية . فلما انفتحت ترعة السويس ذهبت بقية تلك الحياة

وليس اللوم على السوريين في شيء مما صاروا اليه من التراجع لانهم لا يستطيعون ان يعارضوا مجرى الايام ولا ان يغيروا من طبائع العمران والامر لله يفعل ما يشاء . فهذا كان ايها السادة سبب عظمة سوريا وهذا كان ايضاً سبب انحطاطها لا ما قد يقال من الاسباب فانها جميعها ثانوية ما عدا الاسباب التي ذكرناها فان المتأمل لا يرى بدًّا من التسليم بها

﴿ السؤال الرابع ﴾

بقي عليَّ السؤال الاخير وساختصر في جوابه ما استطعت وهو بماذا ترجع سوريا الى عزها القديم . ايها السادة . يُنتظر ممن كان في صناعة مثل صناعتي وفي موقف كموقفي ان يسند اسباب عظمة سوريا في المستقبل الى العلم وانا لا انكر دخل العلم ولا اهميته في تقدم البلاد

على العموم لكن ما هذا قصدت' لانه سبب عام تشترك فيه كل بلدان المسكونة على السواء. وهو اوضح من ان يحتاج الى تخصيصه بالذكر انما قصدت سببين عظيمين (اولهما) البيت العثماني الكريم (والثاني) الزراعة وما يلحق بها من تربية الحيوان والنبات وتسهيل جميع وسائط النقل والمواصلات . ولما كان هذان السببان من الاهمية بمكان رايت ان استعطفكم ببضع دقائق بعد' ولو شق ذلك على حلمكم والكريم من صبر . ايها السادة. ان البيت العثماني وجد سوريا بل كل البلاد من البحر المتوسط غرباً الى اطراف ما بين النهرين شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الهندي جنوباً في حالة ما بعدها حالة من التفرق وانقسام الكلمة. ووجدها ايضاً تكاد تكون خلواً من الصناعة ومن اهل الصناعة ايضاً فضلاً عن انحطاطها في الزراعة الى آخر ما يمكن لبلاد كبلاد ما بين النهرين ان تنحط اليه. وفوق كل ذلك وجدها وقد تحول عنها طريق التجارة فبلغت من جراء ذلك الى اقصى درجات الفقر والخمول بما جعل الهمم تتراجع والنفوس تتصاغر والايدي تنكمش حتى عن الجد في تحصيل اسباب المعاش . فجعل هذا البيت الكريم من همه اولاً ان يجمع شتاتها . ويضمها جميعاً تحت راية واحدة ولسلاطينه العظام من السعي المشكور في هذا السبيل ما يخلد لهم الذكر مدى الدهر . لكن قضى الله ان يكون اكبر الفخر لواسطة عقد هذا البيت الكريم جلالة مولانا عبد الحميد خان فانه اخرج الى حيز الوجود ما كانت اباؤه العظام تحوم حوله ولا تقع عليه اعني توحيد الكلمة وجعل هذه البلاد الواسعة الخصيبة الطيبة الماء والهواء مملكة واحدة عثمانية وشعباً واحداً عثمانياً . فلسنا بعد' كما كنا في ايام الرومانيين مثلاً شعوباً وممالك متفرقة تحت راية واحدة قاهرة بل نحن اليوم شعب واحد ومملكة واحدة عثمانية شملها السلام من اقصاها الى اقصاها . هذا هو الركن الاول وهذا هو الركن الاساسي لذي وضعه جلالة عبد الحميد لتبنى عليه عظمة بلادنا في المستقبل . ولا يسعني لوقت ان ابين ما لجلالة مولانا السلطان من الفضل الباهر في وضع هذا الاساس العظيم المتين على ان التفاتة واحدة الى الخارطة تغني عن الكثير من الشرح والايضاح فلنتقدم الان الى السبب الثاني وهو الزراعة وتوابعها فاقول

﴿ الزراعة دون سواها ﴾

انتم تعلمون ايها السادة ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه انما هي التجارة والصناعة والزراعة وقد رأينا ان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي ولا شك ان عليها ايضاً تقوم عظمتها المستقبلة . لا طريق ولا

واسطة غير ما ذُكر. اما العلم ففائدته واهميته انما هي في ترقية هذه الاركان الثلاثة. وعليه فيهمنا ان نعرف باي هذه الاركان نبتدئ اليوم والى ايها ينبغي ان توجه رجالُ البلاد ومن يتوقف عليهم تقدم البلاد الهمة والاعتناء خاصة. أالى التجارة؟ وتعلمون ماذا يراد بالتجارة كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر. افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر. اتستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط؟ اتستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجاء الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة ووجهوا اليها عنايتكم الخاصة. بماذا تبدأون اذن؟ لعلكم تقولون نبدأ بالصناعة لكن اي صناعة تعنون اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم؟ لا شك انكم تعنون الصناعة الاوروبية لكن فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة. وقد راينا قبيل الان ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة. تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الان. ولا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام تعلمون بطلانها ولو بعد حين. اذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة. واعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها. اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها. اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان. اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات. لكن قبل كل ذلك تعلموا كلما يتعلق بما تعقدون لاجله الشركات فلا تقدموا عليه من غير علم ولا سابق اختبار فان ذلك يقضي بالخيبة والفشل. فياشبان البلاد المتعلمين والمتهذبين ويا اصحاب الهمة والعزيمة الراغبين في ان يبنوا لهم ولبلادهم مستقبلاً مجيداً وجهوا خواطركم الى استعمار اراضي بلادكم الواسعة الخصيبة فانكم لستم افضل من ابناء الانكليز ولا تجارتكم كتجارتهم ولا صناعتكم كصناعتهم ومع ذلك فان مئات من نخبة شبانهم وابناء الاغنياء والمتوسطين منهم يدرسون سنوياً في المدارس الزراعية فيتعلمون كيف يفلحون ويزرعون وكيف يربون الحيوان ويغرسون الاشجار المثمرة والمغروسات النافعة ويتعلمون كيف يصلحون الالات الزراعية وكيف يخططون الطرق العادية والحديدية ثم يرحلون في طلب الاستعمار الى اراض تاكل اهلها الى افريقيا واستراليا وجزائر المحيط. فتعلموا مثلهم وانتم في غنى عن شبه مهاجرتهم الشاقة لان بلادكم

جنة الله في ارضه ومن الجهل ان تتركوا استغلالها الى التعلل بالامال الفارغة والصناعات الخاسرة والاستخدامات الكاسدة فضلاً عن ان هذه الصناعات وتلك الاستخدامات سيسد بابها عما قليل فتعنون انفسكم باطلاً وتقتلون اوقاتكم بالتشبهات والتشكيات · انا اعلم ان كلامي لا يصادف الان اذاناً سامعة لكن غاية ما في وسعي ان انبه الى الخير ولا تكلف نفس الا وسعها

خريسطوفوروس جباره

لبعض الناس القصيري النظر والقاصري الحكم خصلةٌ مستهجنة وهي انهم ينظرون في كل شؤونهم الى من يقول القول لا الى القول نفسه · فاذا راموا الحكم على رأي من الآراء لزمهم ان يسالوا عمن رآه ومن قاله فاذا كان القائل يظهر كبيراً في مخيلتهم « الذبابية » اعظموا القول وقائله واذا كان يظهر غير كبير صغروا القول وقائله · فشانهم في ذلك شان من لا باصرة له تحكم وتعقل وانما يبني حكمه على حكم سواه

وهذا الداء كثير الانتشار في الصحف العربية الشرقية وذلك من سوء حظ الادب العربي والنهضة الادبية الشرقية لانه بمثابة عثرة في طريقها · ولكن لهذا الداء دواء وهو رجوع كل كاتب الى نفسه والى عقله في الحكم على الاشياء والاشخاص التي تمرُّ تحت نظره ووضعها في الموضع الذي تجعلها فيه باصرته دون محاباة ولا مراعاة عملاً بناموس الانصاف وان كان في ذلك ما ينافي هواه او مصلحته ·

ومن اجل هذا نرى واجباً ان نقطع في هذا الفصل حبل السكوت عن رجل توفي في الشهر الماضي واكثر القراء يعرفونه او سمعوا باسمه · وهذا الرجل هو المرحوم خريسطوفورس جباره الذي اخذ على نفسه في حياته مسألة توحيد الاديان اليهودية والمسيحية والاسلاميه او اظهار « الوفاق بين التوراة والانجيل والقرآن » كما كان يقول · فانه لا يحسن ان ينتقل من هذا العالم رجل اقدم على عمل هائل كذلك العمل دون ان يودَّع بفصل يُظهر للقراء حقيقة ذلك الرجل الذي كان يحسب انه يعمل عملاً عظيماً لم يسبقه اليه احد من المتقدمين والمتأخرين

وكان بدء معرفتنا به ارساله الينا في عام ١٨٩٩ مؤلفاته مشفوعة بكتاب طويل قال فيه « بما انكم تحبون وتخدمون الامة باحسن ما تستطيعون وضمَّ قلوب الامة المتفرقة في الله

واتحاد ارواح عقائدها هو على اعتقادي من اقوى وانفع واثبت واعم الخدم للشعوب العثمانية وللدولة فاقدم اليكم آخر مؤلفاتي في هذا الباب راجياً مطالعتها» وقد تصفحنا هذه المؤلفات وهي تزيد على الخمسة والستة فرأينا انه قد صرف جهده فيها الى اقامة البرهان على خطاء المسيحيين والمسلمين واليهود في ما يعتقدونه في هذا الزمان . خطأ المسيحيين لانهم يعتقدون بلاهوت المسيح والمسلمين لانهم لا يعتقدون بصحة الانجيل واليهود لانهم ينكرون مجيء المسيح . وحاول ان يثبت من كتب هذه الطوائف الثلاث ان اديانهم وكتبهم متفقة لا خلاف فيها البتة فلا موجب لهذا العدوان بين بعضهم البعض

وقد قدم من العاصمة الى الثغر بعد ارساله مؤلفاته الينا ببضعة اسابيع فزارنا للمرة الاولى فوجدناه ربعة الجسم عريض العضلات قصير القامة بلحية طويلة يخالطها الشيب وجده موي فوقه طربوش وتحته قفطان اسود بسيط . فتاملنا في وجه هذا الرجل الذي كان يضع نفسه فوق الامم المعاصرة ليعلمها ما كان يسميه الدين الحقيقي فلم نجد في عينيه تلك القوة التي تكون في عيون قادة الامم ولا في نفسه تلك الحماسة التي تسري من الانبياء الى شعوبهم كما تسري الكهربائية من جسم الى جسم فتكهربه . بل راينا امامنا نظراً جامداً لا يدل على نباهة ولا خمول وجسماً فيه المادة اقوى من الروح . غير اننا وجدنا في مقابلة ذلك لساناً طلقاً لا يكلّ ولا يملّ كانه مركب فوق لولب

فاخذ خريسطوفوروس يحكي لنا تاريخه . فقال انه كان من قبل ارشمندريتاً في «انطوش» ارثوذكسي في روسيا فسعى سعياً حثيثاً لتعمير هذا الانطوش وبناء كنيسة هناك فتمكن من ذلك وصار محترماً محبوباً . فخطر له في ذات يوم ان يكتب الى بعض اخوانه من رجال الدين في سوريا ان يسعوا لجعل البطريرك اليوناني في دمشق من ابناء العرب السوريين . فوقع هذا الكتاب في يد البطريرك اليوناني فعزله من رئاسة الانطوش واستقدمه الى دمشق . وكان خريسطوفوروس قد انفق على الانطوش نفقات طائلة بعضها من ماله وبعضها مما جمعه من المحسنين فلما قدم الى دمشق الشام طالب غبطة البطريرك بالدين الذي له على الانطوش فلم يعرفه له بل ابقاه في دار البطريركية ذليلا مهملاً . قال فانقطعتُ اذ ذاك الى التامل في الاديان الحاضرة ومطالعة القرآن والانجيل والتوراة . وكنت في اثناء حياتي الماضية اشعر بقلق واضطراب في ضميري . وما زلتُ على هذه المطالعة حتى وقفت على الحقيقة وظهر لي السرّ العظيم . . . فشعرت حينئذٍ بان ناراً تضطرم في نفسي وبان صدري مخبأ للحقيقة العظمى التي اكتشفتها والتي كنت اخشى ان

اموت ولا ادعو الناس اليها . فسافرت الى اميركا وعرضت مبداءي في مؤتمر الاديان فاجمع الاعضاء على استحسانه ... ثم جئت الى مصر وانشأت جريدة واخذت ادعو فيها الى الحق والفت كتباً ايضاً .

فقلنا له وماذا كان رأي الناس فيك . فضحك وقال كان رايهم فيَّ كما كان رايهم في كل من يقوم ويدعوهم الى امر جديد . ولكن مساكين هؤلاء الناس فانهم كلهم في ضلال مبين ...

فشرحنا لخريسطوفوروس حينئذٍ خشونة المركب الذي ركبه ونحن نظن ان المنطق يجد سبيلاً الى عقله . فقلنا له ان الاديان كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقضي بحب القريب واتباع الفضائل ونبذ الانانية فهل رايتَ كثيرين من أتباعها يعملون بذلك ويتبعونه . فالداء اذاً ليس في الكتب ولا الاديان وانما الداء في نفوس الناس . ولا سبيل الى تغيير هذه النفوس لتعامل بعضها بعضاً كبشر لا كحيوانات الا متى انقشعت غيوم الجهل عنها وارتقت واستنارت . وهذا الامر لا يتم باقامة البرهان على خطاء اصحاب الاديان ولكن باطلاع الناس على نواميس الطبيعة واسرار الكون ومبادىء الحياة واصول الاداب والفضائل فان هذه المبادىء متى دخلت نفس الانسان جعلتها قوية على الاوهام هادئة لدى كل معارك الحياة ونبذت منها كل ما يحول دون الالفة بين البشر . فانشاء مملكة الله في الارض عمل علمي ادبي اكثر مما هو لاهوتي . وذلك العمل بطيء الحصول ولا يتمُّ الا بالتدريج الذي هو قاعدة من قواعد العلم والطبيعة . ثم انك هل رايت المسيحيين متفقين فيما بينهم لتجوز لك الدعوة الى اتفاق الامم الاسلامية والمسيحية واليهودية معاً .

فاجاب ان البشر من ام واحدة وجبلة واحدة فحرام عليهم ان يبقوا مبغضين بعضهم بعضاً . فقلنا له انك اجبتَ عن الاعتراض الاخير ولم تجب عن الاعتراض الاول . فقال ان الاعتراض الاول بحث علمي ونحن لا نبحث الآن في العلم

فعلمنا حينئذ ان العقل الذي كان امامنا عقل منصرف الى المجادلات الدينية العقيمة لا يفهم القاعدة العلمية ولا يعرف تاثيرها ولا يُدرك انه لا يمكن حدوث شيء في هذا العالم بدونها . وتحققنا حينئذ ان المرحوم خريسطوفوروس يسير على غير هدى ولا نظام في جميع اقواله واعماله كانَّ الموازنة غير مستوية في نفسه رحمه الله

ثم غاب عنا خريسطوفوروس بضعة اسابيع وعاد الينا فسالناه اين كنت في هذه المدة قال سافرتُ الى دمشق الشام لتهنئة غبطة البطريرك الانطاكي العربي بجلوسه في كرسي

البطريركية لانني كنت في مقدمة الداعين الى اخراج هذا الكرسي من ايدي اليونان الى ايدي العرب . فعجبنا لهذه السفرة بعد ما كنا قد سمعناه من ثمه من التحامل الخفيف على بعض رجال الاكليروس وسالناه ماذا حدث لك في دمشق وكيف استقبلت فيها . فقص علينا قصة طويلة خلاصتها ان بعضهم زين له الرجوع الى كنيسته فاظهر لهم الطاعة والرضوخ لان السلطة التي كان يقاومها قد زالت وله حقوق قديمة في انطوش روسيا يروم المطالبة بها . ولكن وقع الاختلاف بينه وبينهم على امر التوبة . فانهم كانوا يطلبون منه بناء على القانون كتاباً يُظهر فيه توبته ونبذه لكل الاقوال التي قالها والكتابات التي كتبها ورجوعه الى الحظيرة برضائه واختياره وبعد ذلك يسمحون له بالاقامة في احد الاديرة ويحسنون معاملته ويعوضون خسارته . وهو كان يقول لهم انه لا يستطيع مخالفة اعتقاده ونبذ المذهب الذي دعا اليه وانما يرضى بالاقامة في دير والخلوة فيه الى نفسه وضميره ليرى اذا كان الله يغير ما بنفسه او يبقيه على اعتقاده

فلما قال هذا القول حدقنا جيداً في عينيه لنقرأ فيهما جواباً لسؤال قام حينئذٍ في نفسنا . وهو هذا : امخلص هذا الرجل في كلامه ؟ احقيقيٌ انه يوجد الآن تحت سماء الشرق رجل يعرضون عليه رئاسة ومكافأة ليغير فكره ولا يغيره ؟ وقد قام في نفسنا هذا السؤال (وليس في قيامه شرف للمبادىء الادبية في الشرق) لما هو مشهود من « رخص » الافكار عندنا واأسفاه وسرعة تغيرها في نفس كل ذي فكر طبقاً لمصلحته وهواه

على ان الامر الذي استنتجناه من هذه المحادثة الثانية مع المرحوم خريسطوفورس هو الاسف من ان الرجل لم يرجع من مقام البطريركية راضياً راضخاً . وقد قلنا غير مرة في نفسنا انه لو تمّ ذلك لكان لغبطة البطريرك العربي فضل عظيم في اصلاح ما افسده البطريرك اليوناني لاننا نعتقد ان التبعة في شذوذ خريسطوفورس واقع نصفها ان لم يكن كلها على السلطة الدينية التي احرجته في بدء امره فاخرجته عن دائرة العقل والتعقل . ولا عبرة بانه كان ذا استعداد لذلك فان مسبب الشر كفاعله . وقد قيل الويل لمن تأتي العثرات على يده

ولكن يظهر ان هذا الشرّ الذي جاء على يد بطريرك يوناني لم يُكتب اصلاحه الا لبطريرك يوناني . ونعني به غبطة الحبر الجليل السيد فوتيوس بطريرك كرسي الاسكندرية فانّ غبطته حين وفاة المرحوم خريسطوفوروس في العاصمة في الشهر الماضي لم يتردد في قبوله في دائرة سلطته واعتباره كرجل من ابناء رعيته وهذا مما دل على حكمة غبطته

آثار من قبل الطوفان

هل كان الطوفان عاماً على وجه الارض . مسألة اختلف فيها العلماء وان اتفق عليها اللاهوتيون. ولهم في انكار ذلك التعميم ادلة علمية وتاريخية وانثربولوجية لا محل لذكرها في هذا المقام . بل ان بعضاً منهم يذهبون الى انكار الطوفان نفسه ويعتبرونه من جملة الاقاصيص والاساطير الخرافية القديمة . قال احد هؤلاء المنكرين . ان الارض اقدم مما يظنه القائلون بالطوفان والعمران فيها قديم العهد جداً ايضاً وهو ادوار يتلو بعضها بعضاً على وجه غير متصل . وقد كانت اسطورة الطوفان بعد واحد من تلك الادوار . فانه كان في العالم قبل تمدن الاشوريين والكلدانيين والمصريين والصينيين والرومان واليونان تمدن عظيم لا يعرف التاريخ شيئاً عنه وعن اهله . وقد بلغ الناس في عهده فوق ما بلغوه في هذا الزمان من الحضارة والخلاعة والزحام على الحياة والتانق وحب صلاح الحال . وكانوا كلما ازدادوا انبعاثاً في هذه الشؤون ازدادت اخلاقهم بعداً عن الصلاح وقرباً من الفساد. ثم دالت دولة ذلك التمدن فانقرض وزال فقال مؤرخوه ان الله اهلك اولئك البشر بطوفان عظيم عقاباً لهم على فسادهم وشرورهم

ومن اجل هذا تجد كثيرين من العلماء الماديين الذين لا يثقون بتقدم العالم واستمرار الارتقاء البشري يتساءلون هل قضي على البشر بما قضي على طائفة النمل . فان هذه الحيوانات الصغيرة تصل في حياتها الى درجة من (التمدن) محدودة فمتى بلغتها وقفت عندها ولم تتجاوزها . فهل ان الخالق سبحانه وتعالى وضع حداً لتمدن الانسان كما وضع حداً (لتمدن) الحيوان

على اننا اذا كنا لا نعرف شيئاً عن تمدن البشر واخلاقهم قبل العصر الطوفاني فاننا نعرف شيئاً كثيراً عن الحيوانات التي كانت رفيقة للانسان في ذلك الزمان . وانما نعرف ذلك من بقاياها في جوف الارض وهذه البقايا لا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وآخر ما عثروا عليه منها وجدوه في ارض واسعة في « بيكرمي » على مسافة عشرين كيلومتراً من آثينا . وقد حملت احدى السفن الانكليزية من ثغر بيره اليوناني في اواخر الشهر الماضي اربعين صندوقاً مملوءة ببقايا الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان لوضعها في المتحف الانكليزي في لندن

وقبل الكلام على ارض بيكرمي التي تُستخرج تلك البقايا الحيوانية القديمة منها نشير الى كيفية ترتيب البقايا في الارض . فنقول ان في جوف الارض خمس طبقات مختلفة وكل طبقة منها تدل على ان حادثاً طبيعياً عظيماً قد حدث على سطح الارض فغطاها بشيء لم يكن لها ودفن تحت هذا الشيء الحيوانات التي كانت على وجهها . ومن الغريب ان النابشين لا يجدون تحت القشرة الاولى او الطبقة الاولى الا حيوانات صغيرة غير تامة الخلقة فكأنّ الارض كانت يومئذ في بدء نشأتها . ولكن قد يكون في هذه القشرة اشجار محجرة هائلة الحجم . واما الطبقة الثانية ففيها كثير من انواع الاسماك والزحافات الكبيرة ولكن لا اثر فيها لذوات الثدي . واما الطبقة الثالثة ففيها ذوات الثدي كالفيل العظيم ووحيد القرن وغيرهما من الحيوانات المجترة و القارضة والطيور . واما الطبقة الرابعة ففيها الحيوانات العائشة في هذا العصر . وقد تمكن العالم كوفيه من ترتيب هذه الحيوانات بحسب نشأتها وقدميتها

اما ارض بيكرمي التي تقدم ذكرها فقد كانت من قبل لدير يوناني على سفح جبل بانتليكوس في طريق ماراتون . وأصل اكتشاف تلك الآثار الحيوانية فيها ان جندياً بافاريا كان يصطاد في تلك الارض في عام ١٨٣٨ فوجد فيها حفرة فيها كثير من بقايا الحيوان فحملها الى اثينا وعرضها على علمائها فتحققوا انها من الحيوانات القديمة . فجاء بعده الاستاذ روس من اساتذة كلية مونيخ وحفر في تلك الارض فوجد فيها كثيراً من الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان فعاد بهذه الغنيمة الى متحف مونيخ . فثار حينئذ ثائر علماء اوروبا واقبلوا على الحفر في تلك الارض . فوجد فيها المسيو كودري الفرنسوي في عام ١٨٦١ كثيراً من البقايا الحيوانية منها حيوان سماه « فارة بيكرمي » وفرس من الافراس التي كانت تعيش قبل الطوفان وهو يختلف عن افراس اليوم من حيث شكل حافره . وفي عام ١٨٨٢ حفر فيها الاستاذ درنر الالماني وفي عام ١٨٨٥ حفر فيها الاستاذ نوماير النمساوي . وفي الاعوام الاخيرة حفر فيها المستر ارتور و ود ناظر المتحف الانكليزي في لندن فوجد من البقايا الحيوانية ما ملأ به الاربعين صندوقاً التي تقدم ذكرها وفي جملتها كثير من رؤوس الخنازير الوحشية التي كانت تعيش قبل الطوفان واسنانها لا تزال مركبة في افكاكها واسنان الفيلة العظيمة التي كانت تعيش في ذلك العصر البعيد وفي جملتها سنٌ طولها متر واحد وهو اطول سن عُرف للفيل الى هذه الايام . وقد كان اكتشاف النابش الانكليزي اهم من جميع الاكتشافات التي تقدمته

على ان الحفر في هذه الارض لم ينقطع الى اليوم. فان عالماً ايطالياً يطلب الآن من صاحبها المسيو سكوتس الذي كان وزيراً للشؤون الخارجية اليونانية في وزارة المسيو دلياني ان يسمح له بالحفر والحكومة الايطالية تعضده . ولا ريب ان المسيو سكوتس يجيبه الى ذلك كما اجاب الذين تقدموه

وقد استدل الباحثون من هذه الآثار على امر ذي بال . فانهم تحققوا ان البقايا الحيوانية المذكورة لا تشبه البقايا الحيوانية التي وجدت في ارض اوربا ولكنها تشبه كل الشبه البقايا التي وجدت في جزائر اليونان وفي ارض آسيا . ولذلك قالوا ان ارض اليونان كانت في الزمان القديم متصلة بآسيا ومنفصلة بالبحر عن اوربا خلافاً لما هي فيه في هذه الايام من انفصالها بالبحر عن آسيا واتصالها باوروبا

طريقة صيد الثعلب

للصيد شأن عظيم عند الناس فبعضهم يتخذه للارتزاق والتجارة وبعضهم للهو والتسلية. وهو انواع بعضه بالرصاص وبعضه بالكلاب . والحيوانات المصيدة انواع ايضاً اهمها شاة الجبل والخنزير والارنب والثعلب والذئب والاسد والفيل والطيور بعضها للانتفاع بلحمها وبعضها للانتفاع بريشها وجلودها. ومن النوع الثاني صيد الثعلب الذي كان له في انكلترا والقطر المصري في الشهر الماضي طنين ورنين بناء على ما قام من الخلاف بين بعض من ضباط الجيش الانكليزي في العاصمة وخفراء منزل المستر بلنت الايرلندي في المطرية . فان بضعة من الضباط خرجوا في ذات يوم لصيد الثعلب ومعهم كلاب استقدموها من انكلترا لهذا الغرض فلما وصلت الكلاب الى حديقة المستر بلنت في المطرية دخلت الحديقة لتطارد ثعلباً شاهدته فيها فلحقها الضباط . فخرج اليهم حينئذٍ خفراء الحديقة وحدث بين الفريقين نزاع شديد ادى الى ضرب واهانة . فحوكم الخفراء وحُكم عليهم بالسجن فاكبر المستر بلنت صرامة الحكم وكتب الى الجرائد الانكليزية بذلك وسأل اصدقاؤه في مجلس العموم الانكليزي الوزارة عما صنعه الضباط من دخولهم الى حديقته للصيد فيها . ولم تكن كل تلك الجلبة والضوضاء الا من اجل ثعلب

ولصيد الثعلب شأن عظيم في انكلترا وهو من اشهر ضروب الصيد هناك ويقصدون

بصيده امرين الاول ترويض الكلاب على الجرأة والعدو السريع والثاني الانتفاع بجلد هذا الحيوان . واما طريقة صيده فهذا بيانها .

يعدون لهذا الصيد كلاباً سريعة قادرة على اللحاق بالثعالب وخير الكلاب لذلك الكلاب الانكليزية . ومن مزايا هذه الكلاب انها تشم رائحة الثعلب من بعيد جداً فتحوم حوله قبل ان تراه حتى تكتشف مكانه . وذلك لان للثعلب رائحة مخصوصة به تعرفها تلك الكلاب . اما الثعلب فمتى رأى الكلاب اطلق ساقيه للريح فتجدُّ الكلاب في طلبه كأنها نبال خرجت من القوس لشدة سرعتها وارتياحها الى الركض في الطريق التي يركض الثعلب فيها . ولكنَّ الثعلب لا يلبث بعد مدة ان يرى الكلاب قد صارت قريبة منه فيقال انه يتخلص منها حينئذ باسلوب بسيط جداً وهو ان يقف ويقضي حاجته فما يخرج البراز من جوفه وتنتشر رائحته حتى تعود الكلاب عنه لخبث رائحته وكراهة الكلاب اياها اشد كراهة . ولكن الويل له اذا وقف ولم يستطع قضاء حاجته فانه يؤخذ حينئذ غنيمة باردة . واحياناً يستطيع الفرار بعد هذا الوقوف والالتجاء الى وكره فيدخل فيه ويُبرز راسه مدافعاً به اشد دفاع فلا يكون للكلاب سبيل اليه . واحياناً يرمي بنفسه في الماء ويُخرج راسه على شاطىء النهر مدافعاً به فتعجز الكلاب عن اخذه حتى يدركه التعب والعياء . ولكن اذا ادركته الكلاب قبل ذلك فانها تحيط به من كل جانب وتهجم عليه فتخنقه . فياخذه الصياد حينئذ ويعلقه في غصن احدى الاشجار فتجوم تحته الكلاب التي صادته نابحة واثبة اليه حتى تصل اليها الكلاب التي تاخرت عنها فان رؤية الطريدة جثة جامدة امامها مما يجعلها جريئة قوية في صيد ثانٍ . على ان الصياد لا يدع الثعلب معلقاً امام الكلاب وقتاً طويلاً لئلا تالف رائحته كثيراً فلا تعود شديدة الشعور بها عند الصيد . وللصياد كلمة متى صاح بها في اثناء الصيد وثبت الكلاب وثباً شديداً الى المكان الذي يشير اليه الصياد باصبعه لانها علامة على وجود الثعلب . وهذه الكلمة هي « تايوت . تايوت » فكأنَّ « تايوت » في قاموس الكلاب كلمة مرادفة للثعلب

عرابي باشا ومنفاه

آراء الناس في عرابي · خلاصة ترجمته · تاريخ جزيرة سيلان منفاه

﴿ آراء الناس في عرابي ﴾ لعرابي باشا المنفي في جزيرة سيلان والذي سيعود في هذا الشهر الى القطر المصري صورتان ادبيتان متباينتان واحدة يرسمها اصدقاؤه وواحدة يرسمها اعداؤه

اما الصورة الاولى التي يرسمها اصدقاؤه فهذه خطوطها الكبرى — كان الفلاح المصري قبل قيام عرابي باشا في اسوأ حال والوظائف الكبرى كلها في ايدي الغرباء والرشوة القاعدة الاولى في الاحكام وكان جميع المصريين يحنون رؤوسهم تحت نير ذلك الحكم الجائر والاستبداد الذي لا مثيل له ولم يجسر احد منهم على رفع رأسه ومطالبة الهيئة الحاكمة بحقوق الهيئة المحكومة غير عرابي · فعرابي اذاً بطل من الابطال ككرومويل صاحب الاصلاح الانكليزي ولافاييت صاحب الاصلاح الفرنسوي وكوشوت صاحب الاصلاح النمساوي وواشنطون صاحب الاصلاح الاميركي · وقد كان قيامه حدّاً فاصلاً بين عالم الاستبداد الماضي وعالم العدل التالي

وهؤلاء الاصدقاء الذين يرسمون لعرابي هذه الصورة اكثرهم من رجال الانكليز وفي مقدمتهم محاميه الذي دافع عنه يوم محاكمته · واما الصورة الثانية التي يرسمها خصوم عرابي فهذه خطوطها الكبرى

يقولون · ان عرابي رجل جاهل حسود طماع · اما جهله فلانه حسب انه يكفي ان يثور الشعب المصري فينال الاصلاح المطلوب · فكانه نسي مصالح اوروبا في مصر وعلائقها بالباب العالي · واما حسده فلانه راى الجراكسة في الوظائف الكبرى فرام التعالي عليهم · واما طمعه فلانه كان يتطاول الى العرش الخديوي ليعيد في مصر حادثة محمد علي · وقد ادت سياسته هذه الى ثلاث مضار كبرى · الاولى قتل استقلال بلاده · والثانية الباس الجيش المصري لباس العار في وقعة التل الكبير التي فرّ فيها عرابي فرار الجبان بعد ما كان لهذا الجيش من الامجاد العسكرية في بلاد السودان وغيرها · والثالثة اخراج منافع البلاد ومرافقها من ايدي ابنائها الى ايدي الاجانب بازدياد العنصر الاجنبي فيها بعد الاحتلال · فعرابي



﴿ عرابي باشا ﴾

كان اذًا آفة لوطنه وخائنًا لمليكه · وكأنَّ ناظم الابيات التالية قد ترجم عن عواطف هذا الفريق لما قال هذه القصيدة الرشيقة التي تنمُّ على ناظمها كما ينم العطر على العطار ومطلعها

صغارٌ في الذهاب وفي الاياب ... أهذا كل شانك يا عرابي
عفا عنك الاباعد والاداني ... فمن يعفو عن الوطن المصاب
فعش في مصر موفور المعالي ... رفيع الذكر مقتبل الشباب
افرق بين سيلان ومصر ... وفي كلتيهما حُمر الثياب

ولكننا نرى انَّ بين هذين الطرفين وَسطًا للعاقل البصير · والتاريخ العادل المنزه عن الهوى اذا رام ترجمة عرابي لم يحسب له سيئةً قيامه الى صلب الاصلاح في زمن كانت فيه الحقوق مهضومة والظلم فاشيًا فان ذلك نظام طبيعيٌّ اذا لم يظهر على يد عرابي ظهر على يد سواه وهو من نتائج الاختلال وسوء الحال · ولكن السيئة الكبرى التي يدونها له تاريخ مصر ويعتبرها خروجًا عن جادة السياسة الصحيحة والنظام الطبيعي الذي لا يتمُّ شيءٌ بدونه هي قيامه على السلطة الخديوية واعتبار الخديوي امير البلاد وصاحبها عدوًّا له ولما فضلاً عن اثارته الضغائن الجنسية في النفوس اثارة افضت الى مذبحة الاسكندرية المشهورة · فلو كان عرابي اوفر علمًا باسرار السياسة الدولية واكثر اطلاعًا على حوادث عصره ومجرى

زمانه ولو كانت نفسه مستعدة استعدادًا حقيقيًا لتكون زعيمة حزب عظيم وفيها ما يجب ان يكون فيها من السلطة لكبح جماح العامة حين جموحها كما كان فيها من المقدرة على اثارتها لرأى ما كان امامه من الصخور الهائلة ٠ وهنا موضع الخلاف بين عرابي وخصومه فانه ما فتىء ينادي من جزيرة سيلان في كتب خصوصية وغير خصوصية انني لم اصنع ما صنعت الا خدمة لوطني واعلاء لشأنه ٠ فيردُّ عليه اولئك بقولهم ان قيامك على سيد البلاد قيامًا اضطر دولة اجنبية للدفاع عن سلطته قد اضاع البلاد ومن فيها فاذا كانت نيتك حسنة فان سياستك كانت من اقبح السياسات

﴿ خلاصة ترجمته ﴾ ولا بدَّ في هذا الفصل من الالمام بشيء من ترجمة عرابي لتتمة الفائدة ٠ فنقول انه احمد عرابي الحسيني ولد في عام ١٨٣٩ ولما بلغ السنة الرابعة عشرة دخل المدرسة العسكرية وخرج منها في ايام المرحوم سعيد باشا فانتظم في سلك الجيش ولكنه لم يلبث ان طُرد منه على ما يقال لسوء سلوكه بعد جلده عقابًا له ولعل ذلك لشدة عناده في شبابه ٠ وبعد ذلك دخل الى الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج بجارية لاحد الباشوات ثم عاد الى الانتظام في سلك الجيش في ايام المرحوم اسماعيل باشا وشهد القتال بين مصر والحبشة برتبة قائمقام دون ان يمتاز بشيء في تلك المعركة ٠ ولما عاد من السودان اخذ يسعى في تاليف جمعيات سرية لمقاومة الجراكسة الذين كانوا اصحاب الكلمة في الجيش فالقي عليه القبض في عام ١٨٨١ ولكن انصاره هجموا على السجن فكسروا ابوابه واطلقوه ٠ فكبر الامر على وكيل انكلترا ورام خنق هذا المبداء قبل استفحاله فامتنع وكيل فرنسا من الاشتراك معه في ذلك في بدء الامر ظنًا منه ان عرابي ورفاقه مخلصون في دعوتهم ومطالبهم (نقلاً عن المسيو بوردو) وبعد ذلك عظم الامر فوردت على حكومة مصر مذكرة من الدول تقضي بمنعها من انشاء مجلس نيابي فيها كما كان يطلب عرابي فلم يمتثل عرابي وكان قد مُنح رتبة باشا فانتخبه المجلس النيابي المذكور ناظرًا للحربية بالرغم عن طلب انكلترا وفرنسا نفيه من القطر المصري ٠ فعظم نفوذ عرابي يومئذٍ واخذ يقاوم السلطة الخديوية لانها كانت لا تجاريه على مراده فارسلت الدولة العلية في ٨ يونيو من عام ١٨٨٢ درويش باشا للتحقيق في المشكلة المصرية ثم اشتد الخلاف بين المرحوم توفيق باشا وعرابي فاعلن عرابي انزال الخديوي عن كرسيه فهال اوربا الامر ثم كانت مذبحة الاسكندرية في ١١ يونيو فضرب الاميرال السر بوشان سيمور قائد الاسطول الانكليزي الاسكندرية واحتلها تأييدًا للسلطة الخديوية فلجأ عرابي بجنوده الى التل الكبير فسارت اليه الجنود الانكليزيه ففرَّ من

وجهها عرابي وجنوده من غير حرب ولا قتال وهذا مما اسخط الناشئة المصرية اسخاطاً شديداً عليه وجعل احدها وهو الشاعر الذي تقدم ذكره يقول في تلك القصيدة

واذ ضربوا وسيفك لم يجرد ... واذ دخلوا ونعلك في الركاب
واذ مُلئت لك الدنيا نفاقاً ... وضاقت بالغباوة والتغابي
واذ تُقنى المعالي بالتمني ... واذ يُغزى الاعادي بالسباب
واذ تُعطى الاريكة في النوادي ... وتُعطى التاج في هزل الخطاب

و بعد ذلك دخلت الجنود الانكليزية الى القاهرة وعادت السلطة الى الخديوي توفيق وحوكم عرابي و رفاقه فحكم عليهم بالاعدام فاستبدل الخديوي هذا العقاب بالنفي الى جزيرة سيلان . فشيعه الناس يومئذ في مصر والشام باناشيد عامية كما يستقبلونه الآن بقصائد ومن تلك الاناشيد قولهم

يادبني وانتَ ديني ... يازهر البساتين
املي الكاسات واسقني ... بالسنه ... مرة

يادبني كتاكوت ... يادبني ... كتاكوت
عرابي باشا عما يموت ... كشحوه ... برا

وما زال عرابي باشا و رفاقه في جزيرة سيلان حتى صدر العفو عنهم في هذا العام من الجناب الخديوي المعظم مولانا عباس باشا الثاني فاخذوا يعودون الى وطنهم الذي غادروه في حال ويجدونه في حال

﴿ منفاه ﴾ اما «سيلان» التي كانت منفى عرابي و رفاقه فهي جزيرة انكليزية في جنوبي الهند عدد سكانها ثلاثة ملايين نفس وربع مليون وعاصمتها مدينة « كولومبو ». ولهذه الجزيرة تمدن قديم تدل عليه الآثار القديمة التي لا تزال فيها . وقد روى العالم الطبيعي الروماني بلين الكبير ان جزيرة « تابروبانه » (كما كانوا يسمون سيلان في تلك الايام) اوفدت اربعة سفراء الى الرومانيين للتقرب من حكومتهم . وقد ساح في سيلان السائح الصيني (فاهيين) في القرن الرابع للميلاد المسيحي وكتب تفاصيل رحلته وفيها من الاعجاب بفخامة بنيان مدينة (انورادار وبا) التي كانت عاصمتها واتساع عمرانها ما يدل على مبلغ حضارتها في ذلك الزمان . ويقال ان هذه المدينة كانت محاطة بسور عظيم يضم بين جدرانه مساحة ٢٥٠ الف ميل وقدتم بناؤه في القرن الاول للميلاد . وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم

اما سكان هذه الجزيرة فهم خليط من الفداهيين والسنجاليين . والاولون قبائل متوحشة تعيش في الجبال والاحراش والآخرون متمدنون بعض الشيء . وكان قرصان العرب يشنون الغارة على سيلان قبل عام ١٥٠٥ ويعودون منها بالاسلاب والغنائم فبعد هذا التاريخ نزل البرتغاليون في الجزيرة وحالفوا ملوكها فكانوا اول مستعمريها . ثم قلب البرتغاليون ظهر المجن للسكان واستولوا على شواطىء الجزيرة كلها وفي عام ١٦٠٢ جاء الهولانديون واتحدوا مع السكان عليهم فغصبوهم الشواطىء وحلوا محلهم . وفي القرن الثامن عشر جاء الانكليز في نوبتهم وحلوا محل الهولانديين فطردوهم عن آخرهم في عام ١٧٩٥ وفي عام ١٨١٥ استقلوا بالجزيرة وخلعوا ملكها الذي كان وطنياً وكان يُدعى ملك فنديا نسبة الى احدى مدن الجزيرة

ولسيلان اليوم اهمية تجارية عظمى لانها طريق جميع السفن التي تسير الى الهند والشرق الاقصى ولذلك يُنتظر ان يكون ثغر كولومبو عاصمتها من اعظم ثغور العالم في المستقبل . ويقدرون عدد سكان هذه المدينة بمائة وستين الف نفس . وفي الجزيرة غير سكانها الاصليين والنزلاء الاوروبيين كثيرون من المغاربة والجافاويين والصينيين والهنود . وفيها مغاوص للحجارة الثمينة

الامُّ وابنتها

﴿ اخلاق الامبراطورة فردريكة ﴾

لم تكد تخمد جمرة الحزن على كبيرة ملكات العالم وملوكه الملكة والامبراطورة فيكتوريا حتى اتقدت جمرة حزن اخرى على ابنتها الامبراطورة فردريكة والدة الامبراطور غليوم الثاني . وبما اننا اقفلنا باب « مشاهير المتقدمين والمتاخرين » في هذا الجزء دون ان نذكر فيه ترجمة سيدة مشهورة كما وعدنا في الجزء الماضي فاننا نعود في هذا الفصل الى ما فاتنا هناك لاطلاع القراء على لمع من اخلاق الامبراطورة فردريكة وما قاسته في حياتها من العناء ولا سيما مع البرنس بسمارك الذي كان خصماً شديداً لها ليعلم الناس ان المصائب والمتاعب لا تقتصر على اكواخ الفقراء بل انها تشمل قصور العظماء

ولقد تزوج البرنس فريدرك غليوم ولي عهد المانيا بالبرنسس فردريكة وهي في زهرة الشباب فكان المستقبل بساماً في وجهها . ولكنها ما نزلت في البلاط الالماني حتى علمت بما

ستقاسيه فيه من العناء . فان اهل البلاط كانوا ينظرون اليها نظرهم الى شخص غريب عنهم اذ لم يكن من الفة يومئذٍ بين الالمان والانكليز . وكان اشدهم وطأة عليها البرنس بسمارك فانه كان يراقبها اشد مراقبة لانها كانت زوجة ولي العهد ويخشى ان يكون لها تاثير سيء على زوجها . وكان يسميها « تلميذة غلادستون » او « الانكليزية » او « الاجنبية » ويجعل جرائده تحمل عليها حملات شديدة . ولذلك قالت فردريكة في ذات يوم قولاً يدل على مبلغ سخطها عليه . فانها كانت يوماً في قصر بوستدام فطلبت ماء فنهض البرنس بسمارك بنفسه وجاءها بكاس ماء على طبق . فالتفتت فردريكة الى احدى نسائها وقالت لها : ان هذا الرجل جعلني اذرف دموعاً بقدر ما في هذه الكاس من الماء . وكان ذلك في عام ١٨٦٧

ثم كانت حرب السبعين فبلغ بسمارك بعدها اوج العز والعظمة فازداد مراقبة للاميرة فردريكة لا سيما وان زوجها البرنس فردريك غليوم اصيب بداء السرطان في حنجرته . وقد كتب بوش صديق بسمارك في مذكرته عنه انه قال ما نصه « نحن سيئو البخت في مسالة الزواج . فانه اذا تزوجت اميراتنا بامراء اوربا وملوكها انحزن الى وطنهن الجديد كل الانحياز كالاميرة الالمانية التي اقترنت بملك بافاريا واعتنقت المذهب الكاثوليكي والاميرة الثانية التي اقترنت بالقيصر واعتنقت بالمذهب الارثوذكسي . اما الاميرات الاجنبيات اللواتي يتزوجن بامرائنا فانهن يبقين على الانحياز الى وطنهن القديم ويفضلن مصلحته على مصلحة المانيا نفسها . مثال ذلك هذه الانكليزية » يعني البرنسس فردريكة

وفي اثناء ذلك كانت البرنسس منصرفة الى العناية بزوجها المصاب . فكانت تسهر على فراشه ليلاً ونهاراً بنشاط يدل على حبها له ومعرفتها واجباتها . وكان الامبراطور غليوم الاول قد شاخ والالمانيون يتوقعون وفاته من عام الى عام ولذلك كان الاهتمام بمرض ولي العهد البرنس فردريك غليوم عظيماً جداً . وكان على فراشه فريقان من الاطباء فريق انكليزي وفريق الماني فكان الدكتور الانكليزي يتهم الالماني بالجهل والالماني يتهم الانكليزي بالمضاربة بالبورصة على حياة وارث الملك . ولما اتفقوا على اجراء عملية جراحية لولي العهد اختلفوا على الانبوبة التي تُتخذ للعملية فالالمان طلبوا ان تكون المانية والانكليز طلبوا ان تكون انكليزية ورغبة في التوفيق بين الفريقين تقرر جعل الانبوبة اميركية بناء على طلب الدكتور توماس ايفان الاميركي

اما البرنس بسمارك فانه كان يقول في ذلك الوقت لبوش صديقه « ان مرضه السرطان



ولا نجاة من هذا المرض » فكانه كان مسروراً بذلك ليخلو له الجو في الامبراطورية . واما البرنس فردريك غليوم فانه ما كان يطمع في النجاة ولكنه كان يطمع في الوصول الى العرش ولو يوماً واحداً لمكافاة الاميرة فردريكة زوجته . ففي ٨ مارس من عام ١٨٨٨ ورد الخبر بوفاة الامبراطور غليوم . وكان الامير قد تعافى قليلاً بعد العملية الجراحية . فاجتمعت حاشيته كلها في قاعة القصر وفي جملتها الاميرة فردريكة والامير فردريك زوجها الذي صار امبراطورًا خلفاً لابيه . فاخذت الاميرة فردريكة تبكي . وكان بكاؤها لسببين الاول حزنها على وفاة الامبراطور غليوم الاول والثاني ذكرها الاهانات التي لحقت بها من البرنس بسمارك قبل وصولها الى العرش الامبراطوري . وكان الجميع مطرقين في تلك الساعة ينتظرون كلام « الامبراطور الجديد » واذا به قد نهض الى المائدة ووقع بيده على المنشور الامبراطوري المؤذن بارتقائه الى العرش . ثم دنا من فردريكة وفي يده حمائل وسام النسر الاسود فطوق عنقها به بهيئة جديدة . فانطرحت فردريكة بين ذراعيه وصارت تبكي . فالتفت حينئذ « فردريك الثالث » الى اطبائه وقال لهم . اشكركم لانكم جعلتموني احيا الى وقت استطيع فيه مكافأتها على اخلاصها وحبها

غير ان الامبراطور فردريك كان لا يزال مريضاً بدائه . وكان نجله وولي عهده البرنس غليوم (الامبراطور غليوم الحالي) من مريدي بسمارك والمعجبين به في ذلك الزمان ففي يوم عيد البرنس بسمارك شرب الامير غليوم نخبه بهذه العبارة « ان الامبراطورية الالمانية تشبه اليوم سفينة ربانها جريح ملقى امام الدفة . ففي وسط حزننا الحاضر يجب ان نوجه انظارنا الى حامل رايتنا وعمدة سياستنا اعني مستشار الامبراطورية العظيم . امدّ الله في عمره »

فكان البرنس غليوم كان مع البرنس بسمارك على والدته . وليس ذلك بغريب فقد روي عنه انه قال منذ سنوات « من لي بمن ينتزع هذا الدم الانكليزي من عروقي » ولعل ذلك لا يخلو من مبالغة

ومن اقوال البرنس بسمارك في الامبراطورة فردريكة « ان هذه المراة تقلق افكار زوجها بكثرة كلامها . فانها لا تفتأ تنصحه وتعظه وهو ضعيف عن مقاومتها . ولو لم اكن انا ساهرًا على راحته ومستعدًا كل حين للدفاع عنه لكان خطبه كبيرًا » وقد روى هذا الكلام بوش المذكور آنفاً . ومما رواه ايضاً عن لسان البرنس بسمارك قوله « انني اخشى من سلطة هذه المراة على رجلها وشدة طاعته لها » قال شارح هذا القول فكان بسمارك كان



﴿ الامبراطورة فردريكة ﴾
ام امبراطور المانيا واخت ملك انكلترا

يكره كل شيء للامبراطورة حتى اتفاقها مع زوجها

ولكن لم يتسنَّ لهذه الامبراطورة المسكينة ان تنال المنزلة التي كانت تطمح لها في امبراطوريتها والتي كان يخشى بسمارك من وصولها اليها لانَّ زوجها الامبراطور فردريك الثالث توفي بالسرطان بعد انقضاء اربعة عشر اسبوعاً على ملكه فدخلت زوجته الامبراطورة

في زاوية النسيان . ولم تستطع الانتقام من بسمارك الا مرة في حياتها . ذلك انه لما قام النزاع الشديد بين الامبراطور غليوم الحالي والبرنس بسمارك واعيت البرنس الحيل في اقناع الامبراطور بالعدول عن سياسته راى ان يتخذ لذلك آخر حيلة في يده . فقصد الامبراطورة فردريكة وسالها التوسط بينه وبين ابنها . فرفعت راسها بعظمة واجابته — انك قاومتني في حياتي ووضعت من الحواجز بيني وبين ابني ما يجعلني الآن بلا سلطة عليه فاذا كنت عاجزة عن افادتك الآن فالذنب لك لا لي . فانحنى بسمارك وخرج صامتاً . وفي اليوم التالي اعلن استقالته

والظاهر ان داء السرطان الذي قتل زوجها قد سرى اليها ايضاً فماتت به في اوائل الشهر الماضي بعد مرض طويل اختتم حياتها بالعذاب كما مرّت بالعذاب . ولذلك تمنى اخوها جلالة الملك والامبراطور ادوار السابع امام اعضاء مؤتمر السل حين مقابلتهم اياه ان يكتشف احد العلماء دواء للسرطان فيخلد اسمه بهذا الاكتشاف

نشر صفحات مطوية

بلاد مصر

﴿ وكيف كان يصفها كتاب العرب ﴾

« ذكرت مصر في القرآن العزيز في اكثر من ثلاثين موضعاً كما قاله السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية وقد ورد في مصر عدة اخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة

واما حديث ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فانه يساق اليها اقل

الناس اعماراً فهو حديث منكر جداً وقد اورده ابن الجوزي في الموضوعات

ومن الآثار الموثوقة في فضل مصر ما اخرجه ابن عبد الحكم عن عبدالله بن عمرو قال قبطُ مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يداً وافضلهم عنصراً واقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد ان ينظر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها او تنمو اثمارها. واخرج ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي الصحابي رضي الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسوراً بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافنيتها فيمسكونه كيف شاؤُا ويرسلونه كيف شاؤُا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون. ولم يكن في الارض يومئذٍ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى آخره من الجانبين جميعاً ما بين اصوان الى رشيد سبعة خلج . خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اصوان بلا زاد في ظل واشجار وفواكه الى ان يصل الى مدينة اصوان

وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبالها وانهارها وبحارها و بناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى ارضاً سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة وراى جبلاً من جبالها مكسوّاً انواراً لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه اشجار مثمرة فروعها في الجنة تُسقى بالرحمة فدعا آدم في النيل بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى و بارك في سهلها وجبلها سبع مرات

وعن عبدالله بن سلام قال مصر ام البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من اهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحي اليه ان الله يامرك ان تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانياً ان الله يامرك ان تغيض حميداً فيغيض . وان بلد مصر بلد معافاة واهلها اهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء. ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعاماً وشراباً .

وعن كعب قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من ارادها بسوء قصمه الله . وعن عقبةُ بن مسلم ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم النعم اما

اسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خيرها وتروون من مائهـا · وقال ابو الربيع السائح نعم البلد مصر يُحج منها بدينارين ويُغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر

وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر واقام بها قال اللهم اني غريب فحببها الى كل غريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا احب المقام بها ·

وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة منهم افلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان في الازمنة الاول يذهب الى مصر ارباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى واخوه هرون ويوشع بن نون

ودخل اليها عيسى وتوجه الى الصعيد ثم اقام بقرية هناك تسمى اهناس ودخلها ايضاً ابرهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وارميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام· ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من اهلها مؤمن آل فرعون الذي اثنى عليه الله في كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا في ساعة واحدة مع كثرتهم ·

وقال المسعودي ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على انفرادها· وقال القضاعي لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر فانها لو زُرعت جميعاً لوفت بخراج الدنيا باسرها ويوجد في مصر في كل شهر نوع من الماكول او المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورميس اي خروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل ابيب وعنب مسرى · والسبع زهرات التي تجتمع في اواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي النرجس والبنفسج والورد النصيبي والمجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين

وان اهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي اخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل ان تقع · ويقال مصر باقوالها · ذُكر ذلك في جواهر البحور »

(لعبد الله بن حجازي الشرقاوي)

باب تدبير الصحة

صدقت النساء المقربَطات

واخطأت الضاحكات

تُطلق في اللغة العامية كلمة « المقربَطات » في مصر والشام على فريق من النساء مصابات بسرساب النظافة والغسل . فاذا قيل « امرأة مقربطة » حضرت في الذهن صورة امراة لا همّ لها غير النظافة في البيت . فهي تحف بلاط الدار وارض المنازل بالرمل وتغسلها بالصابون اكثر من مرة في الاسبوع . ولا تسمح لاحد ان يدوس فيها بحذائه واذا اتفق وداس فيها زائر عزيز تستحي من تعنيفه وردعه انتظرته حتى يخرج من بيتها فتحمل الصابون وتاخذ بغسل آثار اقدامه في البلاط والبيت . وقد تبالغ احيانًا في هذا التنظيف فاذا زارتها احدى رفيقاتها وسلمت عليها غسلت بعد ذلك فمها ويديها بالصابون وغسلت المكان الذي جلست فيه زائرتها . واذا مس ثوبها في السوق ثوب شحاذ او غيره هرعت الى البيت وغسلت الجانب الممسوس بالصابون . وفضلاً عن ذلك فان لها في المنزل غرفة خاصة بها وهي تكاد تكون حرمًا على الجميع حتى على اولاد المنزل وخدمه ولا يدخلها احد قبل ان يغير ملابسه ويُغسل بالماء والصابون . وذلك على طريقة براهمة الهنود غير ان هؤلاء يغسلون الذي يرومون تطهيره ببول البقر وبئس هذا التطهير

اما رفيقات هذه المراة فانهن يضحكن منها ويستهزئن بها في خلواتهن . ورغبة في اظهار « خرفها » تقول احداهن انّ زوجي يدخل لابسًا حذاءه حتى سرير النوم . وتلك تقول ان اخي لا ينزع حذاءه من قدميه طول النهار بل يروح به ويغدو على فرش البيت واثاثه . وبعضهن لا يكتفين بهذا الانتقاد بل يعمدن الى المازحة والمداعبة . فقد سُمع ان احداهنّ بعثت من يرمي في السر في بلاط دار احدى اولئك المقربَطات جرذًا ميتًا فلما ابصرت صاحبة الدار الجرذ على البلاط اغمي عليها في الحال

فمن المصيب من هذين الفريقين . المقربطات ام الضاحكات

لا ريب في انّ كثيرين من الضاحكات يستغربن جدًا ما سنقوله في هذه النبذة .

فان العلم قد اثبت ان الحق في ذلك في جانب المقربطات وان النساء مهما بالغن في اجتناب الاقذار ودفع ما ياتي من السوق والشوارع فانهن يبقين مقصرات

ان كل مريض من المرضى بالمدينة . كل مصاب بالسل والجذام والتتانوس والسرطان والطاعون (في اوقات الطاعون) والجدري (في اوقات الجدري) وغير ذلك من الامراض — كل مصاب بها يمشي في السوق والشوارع ويعاشر الاصحاء ويبصق في الطرق . وهذا البصاق يجف مع تراب السوق ثم يتطاير معه عند اقل نسمة ريح فيقع على المارين ويلصق باحذيتهم واطراف بنطلونات الرجال وذيول فساطين الرجال . فمتى عاد هؤلاء الى المنازل عادوا وهم يحملون اقبح الهدايا معهم . فاذا « صوبنت » المراة « المقربطة » آثار اقدام زائرها او زائرتها فربما تكون قد ازالت بذلك من موقع القدم جراثيم عدة امراض . وفضلاً عن ذلك ان الاطباء فحصوا المركبات العمومية في اكثر الممالك ومركبات الترامواي والاومنيبوس ومراقد السفن البخارية والقطارات فوجدوا فيها كلها جراثيم الحمى والسل والسرطان وغيرها . وقد بحث اطباء الجزائر من عهد قريب في النظافة في الكنائس والجوامع فيها فوجدوا في ارضها كثيراً من جراثيم الادواء ولا سيما في الكنائس لان النظافة في الجوامع الجزائرية كانت اشد من النظافة في كنائسها . وفحصت بعض الايقونات فوجد عليها كثير من الميكروبات التي تنتقل الى الانسان عند تقبيله اياها . وقد يكون الانسان ماراً في طريقه فلا يشعر الا والبسط والفرش تُنفض من النوافذ فوق راسه والله اعلم بما فيها من ميكروبات الامراض التي تمتزج بالهواء ثم ترسب على الارض وما فوقها من الحوانيت والمخازن . فلا شيء اقبح من هذه العادة عادة نفض الاشياء من نوافذ المنازل كما انه لا شيء اقبح من عادة اصحاب الحوانيت والمخازن الذين يبسطون بضائعهم وفاكهتهم امام حوانيتهم تحت تلك المنازل التي ترسل عليهم كل حين صواعق الميكروبات . وما كان اعظم فضل المجالس البلدية لو كانت تقضي بان لا تُبسط تلك الاشياء الا ضمن بيوت زجاجية . والانكى من ذلك كله انك تكون سائراً في شارع شريف باشا مثلاً مطمئن البال فلا تشعر الا واحد الساقة (العربجية) قد تناول من مركبته البساط الذي يُوضع في المركبة تحت اقدام الركاب واخذ ينفضه في عرض الشارع فينعقد منه غبار كثيف حامل اكثر انواع الميكروبات القاتلة كما يحمل الغيم الكثيف الصواعق المهلكة . فهل يجوز لك بعد ذلك ان تلوم النساء المقربطات على محاربتهن تلك الآفات بالماء والصابون

ولكن يا للاسف ان منازل « المقربطات » نفسها قد تكون اعشاشاً لميكروبات الامراض

التي ترتع في الرطوبة و يلذ لها التكاثر فيها · فالماء والصابون لا يُجديان اذًا نفعاً عظيماً ولا كل انواع المطهرات لان الجراثيم فاشية في كل مكان في السوق والشوارع والقهاوي والحانات والفنادق والتياترات والكنائس والجوامع والمركبات وفي كل الاماكن العمومية اذ لا سبيل الى منع المرضى بالامراض المختلفة من الذهاب الى الاماكن التي تقدم ذكرها لانها عمومية · ولا يبعد ان ياتي يوم تنشئ فيه الهيئة الاجتماعية مستشفيات مجانية الزامية لعزل المرضى فيها ومعالجتهم باحسن مما يعالجون به انفسهم استئصالاً لجراثيم الادواء التي يشتد فتكها في الناس و يعمهم بلاؤها · ولكن قبل ان تُنشأ هذه المستشفيات لا سبيل لحفظ الاجسام من تلك الجراثيم العامة الطامة الا بطرق دفاعية · ورأس هذه الطرق الدفاعية (١) حسن التغذية وهو امر في غاية الاهمية (٢) اطلاق الشمس والهواء في المنازل والخروج لاستنشاق الهواء النقي في الخلاء ساعة او ساعتين في النهار مع الرياضة الجسدية (٣) عدم التعرض لمنهكات الاجسام ومضعفاتها كالسهر الطويل وعلى الخصوص اذا كان يخالطه اللعب بالورق والمسكر (٤) النظافة التامة وتخصيص غرفة لنفض الثياب فيها والامتناع من الدخول الى غرف المنزل بالحذاء الذي تدوس به في كل مكان خارجاً

فاذا حفظتَ هذه الوصايا حفظاً تاماً كنتَ اكثر مقدرة من « المقرَبطات » على مقاومة جراثيم الادواء بل كنت قادراً على اقتحام تلك الجراثيم ومخالطة المرضى دون ان تخشى شرًّا لان جسمك يقوى بتلك المعيشة قوة تجعل الجراثيم عاجزة عن التاثير فيه · وهذا خير دواء عند الاطباء

الدكتور كوخ والسل

وشجاعة طبيب فرنسوي

لخصنا في الجزء الماضي شيئاً من اعمال مؤتمر السل الذي عقد في لندن و وعدنا بالعودة اليه خصوصاً الى ما ذكره الدكتور كوخ الالماني المشهور بان السل الذي يصيب البقر لا يعدي الانسان · وكان الاطباء ولا يزالون يعتقدون بان السل البقري معدٍ ولذلك يراقبون البقر المصابة مراقبة شديدة و يوصون باغلاء كل لبن قبل شربه · اما الادلة التي استند اليها الدكتور كوخ فهي تجارب اجراها في بعض العجول في المانيا · فانه جاء بميكروب السل البشري وحقن به العجول فلم يظهر السل فيها بل بقيت في صحة تامة فجاء بميكروب سل

البقر وحقن العجول به فلم تمضِ عليها ايام حتى ظهر بها السل البقري وتوفي بعضها · فاستنتج من ذلك ان سل البقر غير سل البشر وان الاول لا يؤثر في الثاني كما ان الثاني لا يؤثر في الاول · ومما دعم به هذا الراي ان السل البقري اذا كان ينتقل الى الانسان وجب ان يكون ظهوره في الامعاء · وقد فحص هو وغيره من العلماء كثيرين من المصابين بالسل فكانت نسبة المصابين في امعائهم الى المصابين في صدورهم قليلة جداً مع ان ميكروبات السل البقري كثيرة الوجود في اللبن والزبدة

وقد ذكرنا فيما مرَّ ان الاطباء في كل البلاد دهشوا واي دهشة من كلام الدكتور كوخ · وقد ردَّ عليه بعضهم ضمناً في الخطب التي القيت في المؤتمر فاثبتوا ان وفيات السل في انكلترا قد نقصت في الاعوام الاخيرة ٤٠ في المائة لاهتمام حكومتها بجعل المساكن نظيفة كثيرة الهواء ولكن وفيات الاطفال زادت ٢٠ في المائة وسبب هذه الزيادة عدم اهتمام الحكومة الانكليزية بمراقبة البقر المسلولة فكثرت وفياة الاطفال الانكليز بدائها الذي كان يصيبها بالامعاء عند شربها لبنها

ولا يخفى ان هذه الحجة حجة مقنعة اذا ثبت ان زيادة المسلولين من الاطفال في انكلترا ناشئة عن تدرن امعائهم من تاثير لبن البقر المسلولة · ولكن الدكتور كوخ لم تقنعه هذه الحجة فبقي ثابتاً على رايه فتصدى له حينئذ الدكتور كارنول احد الاطباء الباريزيين المعروفين وكتب اليه الكتاب التالي

« ايها المعلم المحترم

« اتيتُ طائعاً مختاراً اقدم لك نفسي لتجرب فيَّ تجربة بان تحقنني بميكروب السل البقري لترى اذا كان هذا السل ينتقل من الحيوان الى الانسان ام لا · وانا اعتقد انك مخطئ في الراي الذي رايته ومتحقق انني ساصاب بالسل من تجربتك · ولكنني قلما اتاسف لذلك اذ ليس لي ولد وانا الآن في الواحدة والاربعين من عمري وثقلي مائة كيلو وطولي متر و٨١ سنتيمتراً وصحتي جيدة جداً وان كنتَ في ريب من ذلك فامتحني بمادة التوبركولين (وهي مادةُ يعرف بها اذا كان الرجل مسلولاً او لا)

« وان الناس في المعارك الحربية يقدمون انفسهم الوفاً الوفاً لموت محقق · فانا وان كنتُ معتقداً بانني ساصاب بالسل من تجربتك ارى ان الانسان في ساحة العراك في الحياة الاجتماعية يستطيع ان يصنع صنع اولئك · فانا الآن تحت طلبك سواء في باريز او برلين ولك الخيار في الشروط التي ترومها)

ولما نشر كتاب هذا الدكتور فرصه زملاؤه بلواذع التهكم وقال الدكتور بروادل المشهور في حديث له ان لا فائدة من هذه التجربة لان الدكتور كارنول قد يكون ذا بنية قادرة على مقاومة ميكروب السل فلا يصاب به وان كان السل البقري يعدي الانسان وفضلاً عن ذلك فان التجربة في الانسان امر غير جائز شرعاً

وقد مضت على الدكتور كارنول خمسة ايام بعد ارساله هذا الكتاب الى الدكتور كوخ دون ان يرده جواب منه فاستنتج من ذلك ان الدكتور كوخ لا يريد ان يجرب ذلك فيه فقال انه يجربها هو نفسه بنفسه فقال له الدكتور نيكار صاحب الشان فيما يختص بمزدرعات ميكروبات المواشي انني لا اعطيك شيئاً من الميكروبات البقرية للتجربة . فقال الدكتور كارنول انه يسافر اذاً الى لندن واذا لم يقبلوه في لندن ايضاً سافر الى اميركا حيث يحترمون الحرية الشخصية اشد احترام فيتركونه يصنع بنفسه ما يشاء . ثم قال لمحدثيه انني لا اعدل عن هذه التجربة مطلقاً الا متى اعترف الدكتور كوخ بخطاءه فقيل له وهل انت تحدث الآن مشكلة المانية فرنسوية بين اطباء برلين و باريز فقال كلا وانما اريد ان ابرهن على خطاء كوخ وان اصبتُ بالسل فانني قادر على الشفاء منه بعد ذلك بما لدى العلم والطب من الوسائل . ومن العجب ان يمنعوني عن تقديم نفسي للموت افادة للعلم حالة كونهم يجندون في كل عام مئات الوف من الناس ويسوقونهم للموت من غير رضاهم واختيارهم .

ولما ابطأ الدكتور كوخ في الجواب ركب الدكتور كارنول القطار وسافر الى برلين لمقابلة كوخ قال الدكتور كارنول فلما تقابلنا اضطربنا كلانا لان الدكتور كوخ يريد ان نتكلم بالالمانية وانا اريد ان نتكلم بالفرنسوية فعدنا واتفقنا على الكلام بالانكليزية . فقال لي انه لا يستطيع ان يجرب فيَّ التجربة التي ارومها وفضلاً عن ذلك فانه لم يقل بان الحقن بميكروبات سلّ البقر لا ينقل السلَّ البقري الى الانسان ولكنه قال ان شرب لبن البقر الموبوءة بالسل لا ينقل ميكروبها اليه لان ميكروبات السل تكون ضعيفة في اللبن . فعاد الدكتور كارنول من برلين وفي نيته هذا الامر : ان يقيم في مكان يأخذ اليه بقراً مصابة بالسل ويشرب من لبنها سنة كاملة بلا انقطاع ويجتهد في تكثير ميكروبات السل في اللبن الذي يشربه . فاذا مرَّ العام ولم يُصب بالسل كان كوخ صادقاً واذا اصيب به كان كوخ مخطئاً

وسنواصل القراء بما يجدُّ في هذه التجربة الغريبة التي تدل على ان للعلم ابطالاً كما ان للحروب ابطالاً . والفرق بين الفريقين ان ابطال العلم يضحون حياتهم في سبيله وابطال

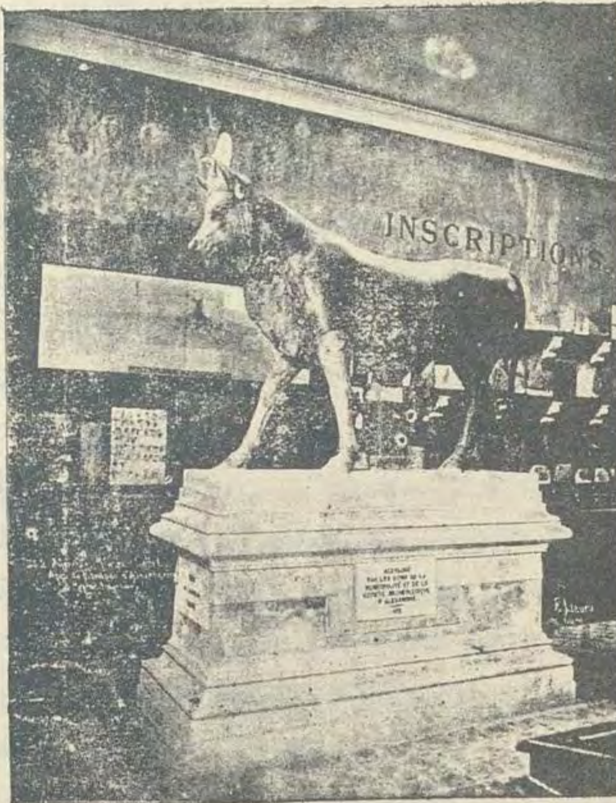
الحروب يضحون حياة غيرهم وشتان بين الاثنين

وبعد كتابة ما تقدم نقلت الشركات البرقية ان الحكومة الانكليزية عينت لجنة للبحث في مسالة انتقال السل البقري من الحيوان الى الانسان والقطع فيها

آثار الشرق القديمة

العجل ابيس

﴿ الذي كان يعبده المصريون ﴾



ذُكر العجل الذي كان يعبده المصريون في كتب اليهود والمسلمين والمسيحيين · فقد

جاء في القرآن « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » وجاء ايضاً «ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » وورد في التوراة بشان عبادة العجل ما خلاصته

« صعد موسى الى جبل سيناء ليتلقى اوامر الرب في شعبه فاستبطأه الشعب وكانه قطع الامل من عودته فاجتمع على هرون وقال له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فامرهم هرون فنزعوا كل اقراط الذهب التي في آذان نسائهم وبنيهم وبناتهم وصنع منها عجلاً مسبوكاً وبنى مذبحاً امامه ونادى غداً عيد للرب . فاجتمع الشعب وقال هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر . وفي الغد قدموا ذبائح سلامة للاله الجديد وجلسوا ياكلون ويشربون ثم قاموا يلعبون

وبعد مدة نزل موسى من الجبل ومعه يشوع فقال يشوع حين سمع صوت الشعب انني اسمع صوت قتال في المحلة فقال موسى بل ذلك صوت غناء . ثم اقتربا من المحلة فابصر موسى العجل فاستشاط غضباً فاخذ العجل واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل . ثم وقف في باب المحلة وقال : من للرب فاليَّ فاجتمع اليه جميع بني لاوي . فقال لهم « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى فوقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلثة الاف رجل . وقال موسى املأوا ايديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وباخيه فيعطيكم اليوم بركة »

فمن ذلك تتضح شدة استنكار بني اسرائيل يومئذ عبادة الاوثان على ما ورد عنهم في كلام رنان في صدر هذا الجزء كما يتضح منه ايضاً تهافت العامة في كل مكان على المعبودات المحسوسة لعدم صبرها على المعبودات التي لا تراها الا بالفكر والتأمل . ولو لم يخلص بنو اسرائيل من تلك العبادة الشائنة لا تخنق تمدنهم في مهده ولم يكونوا شيئاً مما كانوه بعدئذ . والظاهر انه حدث شقاق عظيم بين الشعب بشان هذه العبادة فبعض كان يطلبها وبعض

كان يكرهها فافضى ذلك الى تلك المذبحة الدموية الهائلة . ومما لا ريب فيه على ما جاء في كلام رنان ان شيوخهم كانوا في جانب المقاومين للديانة الجديدة

وغني عن البيان ان بني اسرائيل اقتبسوا عبادة العجل من المصريين يوم كانوا في اسرهم . وكانت عبادة العجل شائعة في مصر اشدّ شيوع . وكانت نوعين نوعاً في منفيس وكان عجلها يدعى (ابيس) ونوعاً في هليوبوليس وكان عجلها يدعى منيفيس . وكان المصريون يرمزون بالعجل الى الشمس فكانوا يعبدونها بعبادته ويكرمونها لما لها من المقدرة على الخلق من نفسها وتوزيع القوة والحياة في العالم . وكانوا يتخذون العجل تارةً عجلاً كاملاً وطوراً عجلاً براس انسان ويسمون كل عجل يعبدونه (ابيس او هابي) فليس اذاً اسم ابيس خاصاً بعجل واحد ولا يجب ان يقال العجل ابيس لان كلمة ابيس تُطلق كما تقدم على العجل ذي الراس الحيواني والعجل ذي الراس الانساني معاً .

وقد كان المصريون في اثناء عبادتهم للعجل يكرمون العجول اشد اكرام فكانوا يحافظون عليها ويصونونها ومتى ماتت دفنوها باحتفال عظيم . وقد كانوا في بدء هذه العبادة يعرضون العجل في الهيكل على جميع الانظار ولكن لما رسخت قدمهم في المدنية واراد ملوكهم اظهار ابهتهم وعظمتهم اخذوا في توسيع الهيا كل وزيادتها فخصصوا منها مكاناً داخلياً لاقامة العجل مبالغة في احترامه وجعلوا فيه طرقاً سرية لاخراجه منها لقضاء حوائجه ... لئلا يرى الشعب اقذاره فيضعف احترامه في نفوسهم . وقد اكتشف ماريت باشا في عام ١٨٥١ قبراً فخيماً قرب منفيس كان مدفناً للعجول المقدسة وجيء باحد تلك العجول الى المتحف الاسكندري في الثغر ولا يزال فيه الى اليوم . وقد وضعنا رسمه في هذا الفصل زيادة في الفائدة

البناء عند العرب

جامع عمرو في العاصمة الذي بنيت باقي الجوامع على منواله . جامع قائد بك
افخر الابنية العربية . مدافن السلاطين في العاصمة

كان للعرب في البناء شان عظيم ولا يزال الافرنج يفتقدون ابنيتهم الى اليوم ليقتبسوا منها ما رسمته المخيلات العربية . واول ابنيتهم الفخيمة الجامع الاقصى في بيت المقدس ثم جامع عمرو في القاهرة بناه عمرو بن العاص في سنة ٢٠ للهجرة بعد فتح مصر فكان آية في فخامة البنيان واحكام الصناعة وحسن الهندام

وقد بناه عمرو فوق اعمدة قديمة رومانية وبيزانتية وجعل مساحة ارضه ١٢٠ متراً



﴿ جامع عمرو في القاهرة ﴾

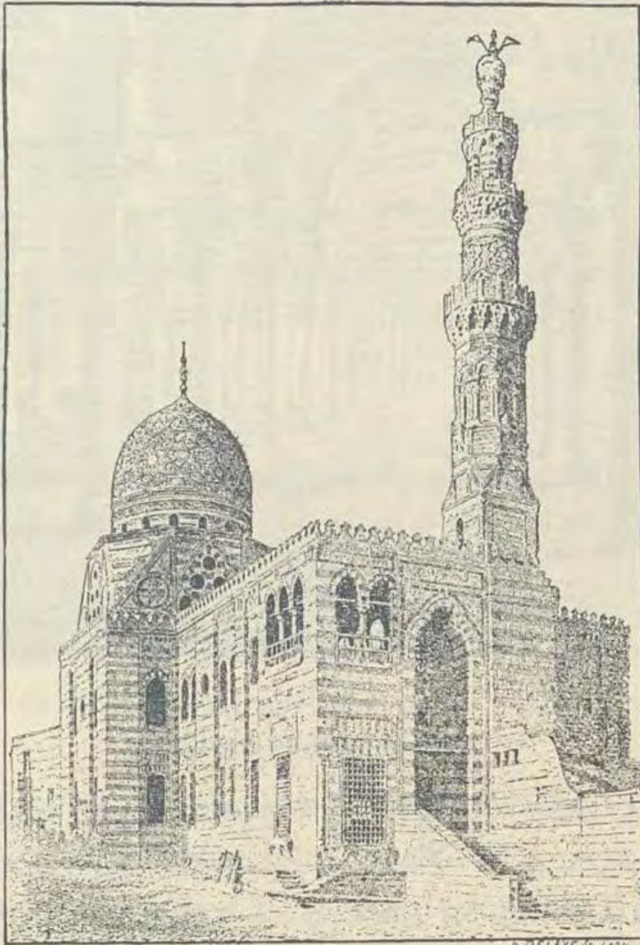
مربعاً . وعلى منواله بنى البناؤون جوامع المدينة ومكة وجامع ابن طولون والازهر وجامع زيتونه في تونس وجوامع القيروان والجزائر ومراكش والاندلس .

ويروى ان عمرو بن العاص لما اراد بناء جامعه رأى ان البناء يمر في ارض ارملة يهودية فساومها ارضها فلم تبعها فاخذها بالرغم عنها فاتصل الامر بالامام عمر فكتب اليه ان يعدل ولا يسير الا في الطريق المستقيم فاذعن عمرو وبعث في طلب الارملة اليهودية

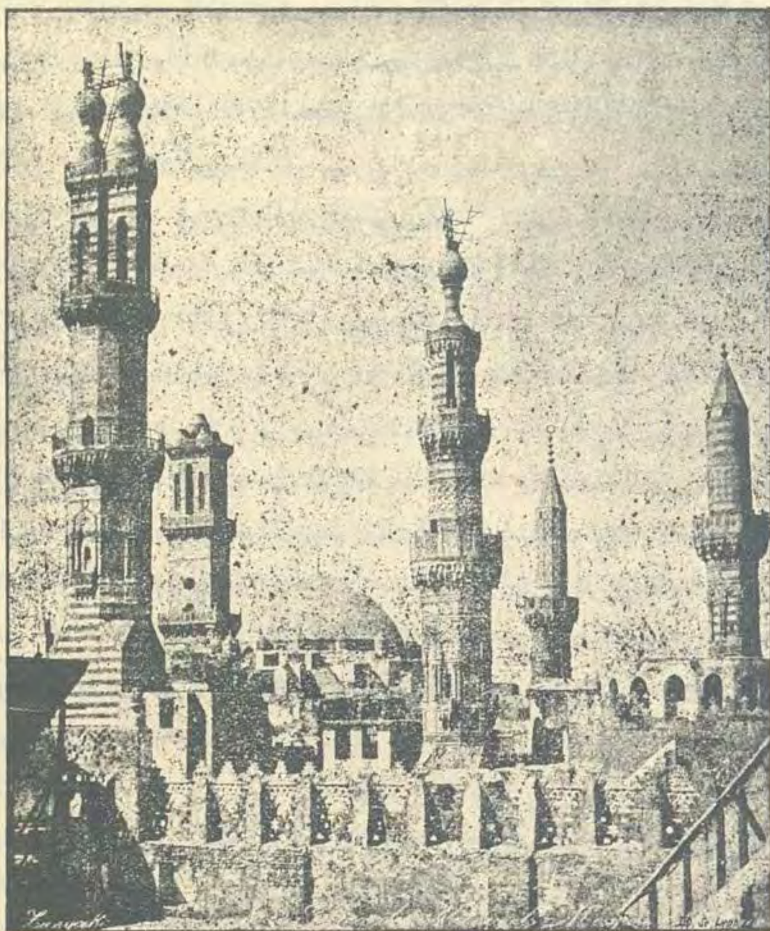
واسترضاها

ومن انفس تلك الابنية منائرها · واول من بنى المنائر هو الوليد مرمم جامع بيت المقدس ولا نصف هذه المنائر للقراء لانهم يعرفون شكلها اما الافرنج فانهم يعتنون بفحصها اعتناء خاصاً وكلما وقفوا بازاء واحدة من المنائر القديمة الفخيمة اظهروا دهشتهم من ذلك البنيان البديع

واقد زار الكاتب جبرييل شارم سوريا ومصر منذ سنوات فاول ما وصل الى القاهرة كان سؤاله عن مدافن السلاطين حيث البناء العربي متناهٍ في الفخامة والظرف فدلوه عليها



﴿ جامع قائد بك في القاهرة ﴾



﴿ منائر الجامع الازهر في القاهرة ﴾

فزارها مدفناً مدفناً وجامعاً جامعاً ووصفها وصفاً رائعاً · فانه رسم بقلمه انعكاس اشعة الشمس على زجاج منائرها الشاهقة التي تنطح السحاب وقابل بينها وبين الاهرام التي هي مدافن سلاطين المصريين القدماء ايضاً (الفراعنة) فقال ان الفريقين اختارا الخلاء للنوم فيه نوماً ابدياً بعيدين عن ضوضاء المدينة · وقد لاحظ ان اولاد حراس المدافن كثيرون في تلك الجهات كأنَّ الحراس لا همَّ لهم ولا شغل غير «صنع» الاولاد · ثم وصف جامع برقوق في المدافن فقال انه آية في الفخامة والجمال ولكنه فضل عليه جامع قائدبك (انظر الرسم) الذي هو جوهرة مصوغة من جواهر وكل حجر منه مصنوع ومنمق باسلوب بسحر

لب ارباب الصناعة · ولكنه اسف جدًّا لان تلك الآثار العربية الفخيمة لا تُصان كما يجب بل ان الحمارة والجمالة والسياح والمارة وفوق ذلك يد الزمان — كلهم يعبثون بها عبثاً سيفضي الى اتلافها اذا لم تتلافها الحكومة · واذا تلفتْ تلك الآثار العظيمة فخسارة علم الآثار في العالم تكون كبيرة جدًّا ·

ولا شيء يشبه مدافن السلاطين او مدافن الخلفاء كما يسمونها الا آثار القصر (الالكازار) في الاندلس وآثار الحمراء (الهلمبرا) فيها ايضاً · ولكتّاب الافرنج في هذه الآثار وصف يستلب الالباب · وكلها بنيت على اصول الفن الافريقي لان فنون البناء كانت عربية وافريقية وفارسية وتُزاد عليها الافغانية والتركية حديثاً · غير انه لا بدَّ ان يكون قد داخل النظام الافريقي شيء من النظام العربي والفارسي لان كثيرين من بنائي العرب والفرس في بغداد هجروا هذه العاصمة بعد استيلاء هلاكو سلطان التتر عليها مع العباسيين الذين قدموا الى مصر لاجئين اليها وعملوا في صنائعهم فيها · وقد نشرنا في هذا الفصل رسم جامع عمرو في العاصمة الذي نُسجت باقي الجوامع في افريقيا واسبانيا على منواله وجامع قائد بك الذي هو افخر الجوامع العربية اليوم وجامع الازهر الذي هو اعظم مدرسة عربية اسلامية في هذا العصر · ومنها يرى القارئ فخامة تلك الآثار وبراعة العرب في الفنون الجميلة

﴿ المحرمات عند قدماء المصريين ﴾

ودينونة موتاهم

(الكلام الذي كان يلقيه الميت في اثناء الدينونة)

تُعرف الاشياء التي كانت محرَّمة عند قدماء المصريين من فقرة وردت في كتب الاموات الخاص بهم · فانَّ الانسان بعد وفاته يطير الى المكان الرفيع الجالس فيه الاله اوزريس وحوله اعوانه الاربعون فيمر في طريقه في جو هائل مملوء بالارواح التي تحرس الكواكب · وحين وصوله الى مكان اوزيريس تبدأ دينونته فياخذ الاله هور والاله انوبيس قلب ذلك الانسان ويزنانه ليعلما أخفيف هو ام ثقيل وفي اثناء ذلك يتلو الانسان الواقف في الدينونة الكلام التالي لتبرءة نفسه

« لم اسرق الناس قط · لم اعذب الارملة · لم اكذب في المحكمة · لم اكن ذا قصد مسيء · لم ارتكب محرماً · لم اجبر العملة على ان يعملوا اكثر مما كان يجب عليهم ان يعملوا ·

لم اكن مهملاً ولا بطالاً ولا ضعيفاً خائراً . لم اصنع ما يُسخط الآلهة . لم اعلم العبد ان يفرّ من سيده . لم اجوّع احداً . لم أُبكِ احداً . لم اقتل ولم آمر احداً بالقتل . لم اختلس قربان الهياكل ولا حلويات النقدمة التي تقرب للآلهة . لم انزع عن الموتى لفائفهم ولا غصبتهم مؤنهم . لم اربح ربحاً حراماً . لم اغش كيل الحبوب . لم اخدع احداً ببيعه حلياً مغشوشه . لم اسرق شيئاً من الحقول . لم اتلاعب بالميزان . لم انزع اللبن من افواه الاطفال . لم اقنص البقر المقدسة في المروج . لم انصب الحبائل للعصافير المقدسة . لم اصد الاسماك المقدسة في بركها . لم ارفض الماء حين نزوله في حينه . لم اقطع مسيل ماء في جريانه . لم اطفئ النار المقدسة في اوقاتها . لم اهن احداً من الآلهة في ابان احتفالاته . انا نقي . انا نقي . انا نقي »

فاذا وجد قلبه خفيفاً وكان نقياً كما يقول اذن له بالدخول الى اماكن الساعة السابعة حيث فردوس يالو فيقيم هناك على الفلاحة والزراعة رمزياً ويكون له عبيد يخدمونه فكان المعيشة في تلك الحياة مشبهة للمعيشة في هذه . واذا كان غير نقي طُرد بقساوة فتنتابه المصائب حتى ياتي وقت خراب العالم والفناء النهائي .

فمن ذلك يتضح ان المصريين ما كانوا يعتقدون بخلود النفس ولكنهم كانوا يعتقدون بحياة ثانية وشتان بين الامرين . وقد انكر عليهم الذين جاءوا بعدهم تعدد الآلهة عندهم حتى انهم الهوا كثيراً من حيواناتهم كالقطط والكلاب و يروى ان كل قبيلة بل كل عيلة كان لها اله خاص بها . ولكن مما يمحو ذلك انهم كانوا اسبق الناس الى التوحيد اي الاعتراف باله واحد . يشهد بذلك ماوجد مكتوباً في آثار ثيبة الباقية من العصر الثيبي فان الاله عمون لُقب فيها « الاحد الواحد وسيد الابدية » ولكن هذه التعاليم كانت محصورة بين الكهنة اما الشعب فانه كان يجهلها لانشغافه بتعدد الآلهة

﴿ الاباء اليسوعيين في تونس ﴾ عزم الاباء اليسوعيين بعد ما عقدوا النية عليه من الخروج من فرنسا على انشاء مدرسة زراعية كبرى في تونس وقد قدروا نفقاتها بمليون فرنك

صفحة تاريخية مجهولة

﴿ بسمارك وتزويره تلغراف ايمس ﴾

« ونظرًا لاهمية هذه الحادثة التاريخية استميح القراء عذرًا في تلخيصها فكاهة وافادة

« قال بسمارك بعد ان ذكر كدره من تساهل ملكه نحو سفير فرنسا « عزمت على الاستقالة من منصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٣ تموز) وبينما نحن على الطعام اذ جاءني ساعٍ واخطرني بوصول رسالة برقية بالارقام ممضاة من مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بحلها سريعًا . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع ضيفيَّ علت على وجهيهما ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد في قحته وانقطعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستعدت قراءة تلك الرسالة مرارًا وكان الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فأخذت للحال قلماً وحذفت منها جملاً وابقيت اخرى فانقلب تأثيرها انقلاباً تاماً ثم التفتُّ الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة تتعلق بثقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل استعدادنا . فاجابني للحال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل مماطلة تجرّ علينا اخطارًا . فقرأت حينئذ عليهما الرسالة منقحة فابرقت اسرتهما وقالا (قد تغيرت نغمتها الآن) فقلت (ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تاثيرها على الثور الفرنسوي كتاثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيرًا بوقع اشهار الحرب علينا اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن لاوروبا باننا لسنا الا مدافعين ...) فسرَّ مولتك بذلك سرورًا عظيماً ثم ارسل نظره الى السماء باسماً وصاح (اذا قدر لي البقاء لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هذه العظام) وقرع صدره بكلتا يديه »».
فيظهر جليـًا ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل فرنسا على اشهارها . ولو لم يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب في ذلك الى فرنسا »

(من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

مدرسة محمد علي الصناعية

﴿ في الاسكندرية ﴾

اذا لم تنشر المجلات والجرائد اخبار المشروعات الكبيرة النافعة التي تقوم في البلاد لم تقم بكل ما عليها من الواجبات ولذلك نخصص هذا الباب في هذا الفصل للكلام على المدرسة الصناعية التي عزمت « جمعية عروة الوثقى » في الثغر على انشائها تذكاراً لمرور مائة عام على دخول المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة الى مصر . ولقد رأس لجنة الاكتتاب لهذا المشروع المفيد بناء على امر الجناب الخديوي العالي حضرة الوزير الخطير دولتلو رياض باشا فارسل الى مائة وتسعين رجلاً من افاضل القطر والثغر رسائل يدعوهم فيها دولته الى الاجتماع في منزله للشروع في الاكتتاب . وهذا ما جاء في تلك الرسالة من الاشارة الى المغفور له محمد علي « ما اجدر محمد علي العظيم بتذكار يقيمه له المصريون تخليداً لذكره . فانه اسس حكومة منتظمة بعد الفوضى ووطد الامن في انحاء البلاد واعز مصر بمنعة الحصون والقلاع وقوة الجيش والاساطيل وسعي في اعلاء مكانتها بنور المعارف والعلوم وانماء ثروتها بتحسين الزراعة وحماية التجاره واحياء الصناعة فكان ذلك اول عهدنا بالمدنية والعمران واصبحت مصر بفضله من ثغورها الى ابواب سنار دار امن ونعيم ورخاء »

ولقد اجاب دعوة دولته نحو مائة رجل من الكرام فتلي عليهم (بروغرام) المدرسة المنوي انشاؤها ويؤخذ منه انها ستنشأ في بناء الترسانة الذي كان سجناً في الثغر . وسيكون عدد تلامذتها ٣٠٠ تلميذ فاكثر سن الواحد من ١٢ الى ١٨ سنة ومدة الدرس ثلاث سنوات ونفقات المدرسة السنوية ١٥٠٠ جنيه تؤخذ من تبرعات المتبرعين وثمن المصنوعات التي تصنعها ورش المدرسة .

اما نفقات التاسيس فهي كما يلي

خمسة آلاف جنيه لاصلاح المكان الذي كان سجناً في راس التين لجعله مكاناً للمدرسة اي هدم الغرف الحالية وبناء خمسة عشر ورشة بسقائف واربع قاعات للدروس والرسم ومخزن كل ذلك على مساحة من الارض قدرها ٢٥٠٠ متر مربع بسعر ٢ جنيه في المتر وثلاثة الاف جنيه ثمن آلة بخارية وجميع العدد اللازمة لاداره الورش وتركيبها وخمسمائة جنيه لشراء مواد اولية لادارة الاعمال ويضاف الى هذا المبلغ قيمة رواتب العمال الواجب استخدامهم في الورش والدروس عن السنة الاولى ونفقات الصيانة والادارة وقدرها كلها الف وخمسمائة جنيه فالجملة عشرة الاف جنيه

وستنشأ في المدرسة خمس عشرة ورشة او معمل . (١) الحدادة الكبرى (٢) الحدادة الصغرى (٣) البراده (٤) سبك المعادن (٥) الخراطة (٦) النجارة الكبرى (٧) النجارة الصغرى (٨) نجارة العربات (٩) النحاسة (١٠) الحفر (١١) السنكرية (١٢) نقش المباني (١٣) الكندرجية (١٤) الترزية (١٥) التجليد

فنحن نسأل الله ان يأخذ بيد دولة الوزير رياض باشا وجمعية عروة الوثقى لاتمام هذا المشروع المفيد . ونتمنى ان يقتدي السوريون باخوانهم المصريين فيقدموا على ما اقدموا عليه وبالله التوفيق .

باب الاخبار العلمية

﴿ كيف تتزاوج النحل ﴾ صدر في فرنسا في هذه الاثناء كتاب موضوعه طبائع النحل لمؤلفه المسيو مترلينك . وقد جاء فيه وصف جميل لطريقة تزوج النحل وهذه خلاصته باختصار مجرد عن الغزل . ان ملكة النحل العذراء قبل خروجها اول مرة من النقير تمرن نفسها على الطيران حوله . ثم تندفع في الطيران صاعدة في الفضاء . فلما يراها ذكور النحل ويتنسمون ريح جمالها يطيرون اليها من كل جانب فتجدُّ الملكة حينئذ في الصعود في الفضاء جاعلة نفسها جائزة للذي يسبق رفاقه اليها فكانها بذلك تمنح نفسها لاكثرهم قوة طبقاً لناموس الانتخاب الطبيعي . وكلما صعدت في الفضاء تناقص تحتها عدد الذين يطاردونها ويطلبونها . ولا تزال واياهم على هذه الحال حتى يدركها اقواهم في اعالي الجو فبعد اللقاح

يسقط الذكر ميتاً على الارض من ذلك العلو الشاهق لاتمامه النظام الطبيعي وتعود الملكة حاملاً الى قفيرها

﴿ علو الغيم وسرعته ﴾ قاسوا في كندا ارتفاع الغيم عن الارض في عام ١٨٩٧ وسرعته في الفضاء ونشروا نتيجة القياس في هذا العام فاتضح منها انه يبلغ في الشتاء متوسط علوه عن الارض ٩٩٧٨ متراً ومتوسط سرعته مسوقاً بالريح ٤٢ كيلومتراً في الساعة وفي الصيف يبلغ متوسط علوه ١٠٩٠٠ متر ومتوسط سرعته ٦٤ كيلو متراً في الساعة . وبلغ اعلى ارتفاعه ١١ الف متر واشد سرعته ١٦٠ الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة وذلك في شهر يونيو

﴿ حفظ اللحم من الفساد ﴾ يحفظون اللحم من الفساد في فرنسا بغطه باللبن وتركه فيه مدة اسبوع فيبقى سالماً من كل فساد ويؤكل بعد ذلك كأنه ابن ساعته . اما اللبن الذي يُنقع فيه فيغذون به الحيوانات التي يربونها كالخنازير وغيرها

﴿ عادة عماد خط الاستواء ﴾ كان البحارة في الزمن القديم يرهبون اجتياز خط الاستواء لانهم كانوا يظنون ان البحار التي تليه ماهولة بالابالسة والشياطين . وبعضهم كان يتوهم هذا الخط سوراً قائماً في البحر يمنع السفن من المرور فيه . ولكن لما اجتازه الاوربيون في القرن السادس عشر بطل خوفهم منه واستبدلوه بعادة لا تزال شائعة الى اليوم وهي ما يسمونه عادة العماد عند الوصول الى خط الاستواء . فان السفينة عند دنوها من « موقع » هذا الخط يجتمع بحارتها ويفتشون فيها فاذا وجدوا بينهم مسافراً او بحاراً لم يسبق له انه اجتاز خط الاستواء ياخذونه فيقصون شعره ويحتفلون بتعميده بالماء احتفالاً في غاية البهجة صرفاً لغضب نبتون اله البحر عنه . فيلاقي ذلك الدخيل المسكين عناء في ذلك الاحتفال والعماد . اما المسافرون فانهم يشترون انفسهم بالمال فيتركهم البحارة وشانهم . ولقد مرَّ المرشال والدرسي بخط الاستواء في عودته من الصين على الباخرة « جيره » فاكتفوا باعطائه لقب « اوجير » وقد احتفلوا بمروره دون تعميده

﴿ حفظ العنب اشهراً ﴾ اذا شئت حفظ العنب اشهراً عديدة فخذ عناقيده ونق منها الحبوب الفاسدة والتي دبَّ الفساد فيها ثم خذ كل حبة صحيحة على حدة دون فرطها من العنقود وغلف عنقها بقشور من شمع منعاً لعصير العنب فيها ان يتبخر منها ثم ضع العنقود

مقلوباً في زجاجة وافتقده في كل يومين او ثلاثة لتنزع منه الحبوب التي يدب فيها الفساد. فيبقى اكثره صحيحاً مدة طويلة

﴿ تبريد مياه الشرب في الصيف ﴾ ذكروا لتبريد مياه الشرب في الصيف طريقة غريبة . وهي ان تاخذ زجاجة مملوءة ماء وتضعها في صحفة عميقة مملوءة ماء ايضاً ثم استر الزجاجة بقطعة من النسيج المبلل ودع اطراف النسيج تسقط في الصحفة . وبعد ذلك ضع الصحفة وفيها الزجاجة في الشمس فيبرد الماء الذي في الزجاجة . وحبذا لو جرب احد القراء هذه الفكاهة

﴿ غرائب الصاعقة ﴾ تقدم لنا الكلام على غرائب الصاعقة وقد نزلت في الشهر الماضي صاعقة في منزل في بانيير دي بيجور فصارت تتعرج في فضاء الغرفة كطير يطلب منفذاً فخف صاحب المنزل وفتح لها نافذة فاندفعت وخرجت منها دون ان تقتل احداً ولكنها اطلقت بندقية كانت محشوة وقلبت اثاث المنزل راساً على عقب

﴿ التجارة بين انكلترا وفرنسا ﴾ بلغت صادرات البضائع من انكلترا الى فرنسا في الاشهر الستة الاولى من هذا العام ٣٤٠٢٥٥٠٠٠ فرنك مقابل ٣٥٠٩٢٩٠٠٠ في مثل هذه المدة من العام الماضي . وبلغت الصادرات من فرنسا الى انكلترا في تلك المدة ٦٦٨٠٩١٠٠٠ فرنك مقابل ٥٨٩٥٠٥٠٠٠ فرنك في مثل تلك المدة من العام الماضي فتكون تجارة انكلترا مع فرنسا في نقصان بينما تجارة فرنسا مع انكلترا في ازدياد . ويتخذ بعض الساسة هذه الارقام كفيلاً بضمانة السلم بين البلادين لان فرنسا اذا حاربت انكلترا خسرت معاملها اكثر من مليار فرنك في العام وفي ذلك خراب قسم كبير من صناعتها

﴿ اكابر الاغنياء في العالم ﴾ هم عشرة اولهم رجل انكليزي يدعى المستر بت صاحب محل وارنربت وشركائه في لندن فان ثروته بلغت ملياري فرنك ونصف وهو يملك نصف المعادن في افريقيا الجنوبية . وثانيهم لي هنغ شنغ السياسي الصيني المشهور فانه يملك ايضاً ملياري فرنك ونصفاً ولكنه لا يظهر الغنى كثيراً خوفاً من سطو الحكومة الصينية . فاكبر اغنياء العالم اذاً انكليزي وصيني . ثم ياتي بعدهم المستر روبنسن الانكليزي وثروته تبلغ ملياري فرنك ثم المستر ركفلر الاميركي وثروته مليار ونصف ثم المستر استور الانكليزي ايضاً والبرنس ريميدوف الروسي وكل واحد منهما يملك مليار فرنك . ثم صاحبنا اندريا

كارنجي الذي يوزع الآن على المدارس والمكاتب ثروته التي كانت بالغة مليار فرنك ولم يبق له منها سوى ٨٠٠ مليون فرنك . ثم مورغان وفندر بليت وركفيلر (غير الذي تقدم ذكره) وهم يملكون نحواً من ثمانمائة مليون فرنك . ومما يروى ان جميع هؤلاء الاغنياء ضعاف المعدة قليلو القابلية للطعام

﴿ ما اكلته باريز في مدة المعرض ﴾ احصي ما استهلكته باريز في شهور المعرض فبلغ عشرين مليون كيلوغراماً من الزبدة والمقانق و٦١٤ مليون بيضة و٤٠ مليون كيلو من السمك و٢١٤ مليون كيلو من اللحم و٨ ملايين كيلو من الجبن . وقد اغرقت هذه المقادير الهائلة بخمسة ملايين هيكتوليتر من الخمر

باب التقريظ والانتقاد

﴿ حقوق الملل ومعاهدات الدول ﴾

تاليف جناب الامير (امين ارسلان) قنصل الدولة العلية الجنرال في بروكسل

عزم حضرة الكاتب المشهور الامير امين ارسلان قنصل الدولة العلية العثمانية الجنرال في بروكسل على سد فراغ في اللغة العربية . فانه اعلن عزمه على تاليف كتاب موضوعه « حقوق الملل ومعاهدات الدول » وقسمه الى اربعة اقسام " الاول في المبادىء الاساسية في انشاء الدول وما هية حقوقها وواجباتها والثاني في الاستيلاء والاستدراك والابحار والانهار والثالث في العلاقات السياسية بين الدول وواجبات الملوك والسفراء والوزراء والقناصل والرابع في الاختلافات وطرق صلحها والحرب براً وبحراً »

وقد بدأ بالقسم الاخير لمناسبة حرب الترانسفال فنشر بعضه في مجلة الهلال ثم جمعه على حدة فجاء كتاباً شاملاً كل ما تهم معرفته من شروط الحرب وشرعيتها وحقوق المتحاربين وواجباتهم وكلما يتعلق بالحرب وفروعها . وهو مطبوع في مطبعة الهلال ويطلب من مكتبها فنثني على حضرة مؤلفه الفاضل ونرجو ان يعود الى عالم الاقلام بعد انقطاعه عنه لانه من الكتاب الذين يشعر الجمهور بغيابهم ويأسف له

﴿ رسائل اخوان الصفاء ﴾

بين الحيوان والانسان

نشرت مطبعة دار الترقي في العاصمة رسائل اخوان الصفاء وهي محاورات ومناظرات بين الحيوان والانسان منها شكاية الحيوان وجور الانسان وكيفية استخراج العامة اسرار الملوك وعجائب النحل وما خص بها من الكرامات وحسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم. وقد جاء في مقدمتها انها « وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب طلي الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفي » فنثني على حضرة ناشرها ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيرها من الآثار المفيدة . وهي تطلب من المطبعة المذكورة في العاصمة

﴿ مفتاح المحادثة ﴾

في اللغتين العربية والبرازيلية

وضع حضرة يوسف افندي لطفي كتاباً صغيرًا في اصول اللغة العربية والبرازيلية تسهيلاً للمهاجرين الى البرازيل وقد جمع فيه الكلمات الغالب استعمالها هناك فاذا تعلمها المهاجرون سهل عليهم الاخذ والعطاء ولم يقعوا في المصاعب التي يقعون فيها احيانًا لجهلهم لغة البلاد كل الجهل . وهي خدمة نافعة فنثني على حضرة واضع الكتاب وهو يطلب من ادارة رصيفتنا جريدة الاحوال في بيروت وثمنه فرنكان

﴿ جريدة اتحاد العمال ﴾

اعلنت ادارة جريدة الثريا الغراء عزمها على اصدار جريدة عنوانها اتحاد العمال في القطر المصري وغايتها « ان تفسح لهم مجالاً لنشر ما يلاقونه من ارباب المعامل من الظلم والاجحاف والاستبداد » فنحن نتمنى لادارة الثريا النجاح في هذا المشروع لان فيه خدمة نافعة للعمال لا سيما اذا ثبتت الجريدة في دفاعها عن حقوقهم . ولقد آن ان ترتفع في بلاد الشرق اصوات بالدفاع عن الطبقات الضعيفة

﴿ مبادىء جوغرافية ﴾ اصدر جناب رشدي افندي كمال من مستخدمي السكة الحديدية في العاصمة الجزء الثاني من كتابه تنوير الاذهان وهو شامل لمبادىء الجوغرافيا طبقاً لبروجرام نظارة المعارف وفيه رسوم الاشياء التي يتكلم عنها كالجبل والبركان والراس والمضيق وغيرها فنثني على اجتهاده ونشاطه

﴿ الحكيم الطيار ﴾ وهو رواية ادبية تمثيلية لمعربها جناب ايلي افندي عداه اهداها الى جناب مخائيل افندي منصور وتطلب من حضرة المعرب في العاصمة وثمنها ٥ غروش صاغ

الفيلسوف تولستوي

﴿ رسمه الجديد ﴾ نشرنا في احد الاعداد الماضية رسمًا للفيلسوف الكونت لاون تولستوي وبما ان ذلك الرسم ماخوذ عنه منذ عدة سنين فقد رأينا ان ننشر للقراء آخر رسم لهذا الفيلسوف وهو مرسوم فيه بملابس الفلاحين الروس التي لا يلبس اليوم سواها



﴿ الفيلسوف تولستوي ﴾

ولقد قرأنا في رصيفتنا جريدة المناظر الغراء التي تطبع في البرازيل فصولاً شائقة عن هذا الفيلسوف منها فصل نشرته في العدد ١٨٨ بعنوان « المسيحي الوحيد » تريد تولستوي فقالت ما نصه

« وفلسفة تولستوي في المسيحية ليست بنت هذه الشهور الاخيرة التي اذاعت فيها اسمه حوادث الطلبة الاخيرة في روسيه ولكنها اساس ما كتبه تولوستوي منذ قيل انه الكاتب المجيد لا منذ قيل انه الفيلسوف الممتاز . ولقد ادرك اكثر المطالعين في كل البلدان المرتقية تعاليم الرجل على حقيقتها وما راينا الى الآن كاتباً له شيء من حرية الفكر تعرض لها تعرضاً حاول ان ينفي به صحتها . وقد شعرت « مجلة الجامعة » بان من واجباتها كمجلة اجتماعية ان تنشر على قدر الامكان اشياء من فلسفة تولستوي فكانت هي وسيلة المطالعين العرب الوحيدة الى تفهم افكاره وبقيت المجلات والجرائد الاخرى متغافلة حتى انتبه الهلال ولكنه حاول شيئاً لم يحاوله احد قبله . فقد اورد الهلال مبادىء تولستوي ولما انتهى الى وجوب اطلاق الارض قال انه لا يدوم لانه مخالف للعدل العام واذا ابطلنا حق التملك فلا يمضي زمن حتى يتغلب القوي على الضعيف فنعود الى ما كنا فيه » هكذا يقول الهلال ويسوؤنا انه وهو مجلة معتبرة في الصحافة العربية لم يفهم فلسفة تولستوي من جهة وغالط نفسه من الجهة الاخرى » الخ

فنحن نقول للرصيفة ان الهلال لم يقصد بما قاله الرد على تولستوي لانه اعلم الناس بان ذلك عبث ولغو ولكنه قصد مقاومة الجامعة انتصاراً لبعض الكتاب والبسطاء الذين لم ترقهم اقوالها عن تولستوي اول ظهورها . وهذا موقف لا نرضاه لصاحبنا لا سيما وانه لخص فلسفة تولستوي عن الجامعة حرفاً ومعنى كما نبهنا كثيرون من القراء فكيف يستحل ان يشرب من بئر ثم يرشقه بحجر . ومع ذلك فنحن نسامحه لا على هذه فقط فانها الصغيرة ولكننا نسامحه على غيرها ايضاً

ولقد شفي تولستوي من المرض الذي انتابه حديثاً كل الشفاء وقال لبعض زائريه انه كان يرجو ان يموت لان الموت راحة وان المرض قد جعله يشعر بوجود حياة ثانية احسن من هذه الحياة . ثم قال ان الذين لا يمرضون في حياتهم يكونون شرسي الاخلاق جفاة الطباع والمراة التي لا تمرض بل تكون دائماً في صحة تامة انما هي وحش ضار . وكانت امراته الكونتسة تولستوي سامعة فابتسمت وحولت وجهها

وقد فرغ تولستوي من كتابة كتاب جديد عنوانه « الطريقة الوحيدة » ذكر فيه الطريق التي يجب ان يمر فيه التمدن المسيحي والا سقط كما سقط تمدن الامم المتقدمة . ويقال انه ابلغ كتبه وسنلخص هذا الكتاب للقراء حال صدوره وربما صدر في اول الشتاء القادم

الجامعة

﴿ الجزء الثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠١ — جماد الثاني ١٣١٩ ﴾

الجامعة ونشأتها ونموها

﴿ في عامين ﴾

مصر بلادٌ خصها الله بمزايا لم يخص بها بلاداً سواها . فنباتها ينمو نمواً سريعاً تحت حرارة شمسها القوية . وحيوانها لا تراه صغيراً حتى تراه كبيراً لخصب الارض التي يولد عليها . وفتيانها وفتياتها يُدركون سن البلوغ في عمر يكون فيه الفتيان والفتيات في البلاد الاخرى اولاداً يلعبون في الازقة . وشركاتها وتجارها ولاسيما الاجانب المدبّرون المدرّبون منهم كجورج افيروف ومن اشبهه بينما تراهم فيها فقراء لا يملكون شروى نقير واذا بهم قد اصبحوا اغنياء وقد طفحت صناديقهم بالملايين . فلا تستغرب بعد هذا الخصب والاقبال العظيمين في كل فروع الحياة في مصر ما تسمعه عن حوادث النمو السريع فيها

واذا كانت « الجامعة » قد بلغت في هذين العامين تحت هذه السماء المصرية الصافية التي تحسدها السماء في كل مكان ما لم تكن تتوقعه فليس الفضل في ذلك راجعاً اليها ولكن الى الوسط الكريم الذي عاشت فيه وانصار العلم والادب الذين شدوا ازرها . ونخص منهم بالذكر وكلاء المجلة واصدقاءها ومساعديها الذين لم نشأ ذكر اسمائهم للمرة الاولى في المجلة غير مقرون بالتنويه بفضلهم عليها والاعتراف بجميل خدمتهم لها وهذا الذي دعانا الى كتابة هذا الفصل في صدر المجلة

ومن ذلك يعلم قراء الجامعة ان الوكلاء الذين يخدمونهم ليسوا بوكلاء اعتياديين ولكنهم من اصدقاء المجلة وانصار العلم والادب رأوا في خدمة هذه المجلة خدمة خصوصية لها وخدمة عمومية للجمهور فهبوا من كل جانب الى تنشيطها ونشر مبادئها علماً باحتياج الحالة الحاضرة الى المبادئ التي تنشرها . فكان مثلنا واياهم مثل شركة ادبية عمومية غرضها نشر المعارف الضرورية بين الناس واعضاؤها منتشرون في اقطار الشرق والغرب ومركزها في الاسكندرية

ولا يخفى ان هذا الاهتمام العامّ الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يوجب عليها اموراً كثيرة لان المجلة لقرائها وواجباتها لهم تزيد بازدياد اقبالهم عليها . ولذلك ادخلنا في المجلة في هذا العام التحسين الذي عرفوه . ورأس هذا التحسين جعل موادّ « الجامعة » لاهم الحركات العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية التي حدثت في العالم منذ انشائه . وكل حركة من تلك الحركات تكلفنا ما لا يتصوره القارئ من الدرس والبحث والمطالعة والتنقيب . فاننا صرفنا خمسة عشر يوماً في مطالعة ما كتبه العرب والافرنج عن تاريخ الاندلس حتى لخصنا منه المقالة التي نشرناها في الجزء الاول من السنة الثالثة ونظنه اول تاريخ للاندلس من اوله الى آخره . وفي هذا الجزء نشرنا ترجمة الفيلسوف رنان للسيد المسيح وقد صرفنا اسبوعين كاملين في مطالعتها واعدادها لانها مكتوبة في اكثر من ٥٠٠ صفحة بحجم كبير . وفيه ايضاً تاريخ بني امية وقد قرأنا ما يزيد على ٦٠٠ صفحة من كتب مختلفة عربية وافرنجية حتى جمعناه منها باختصار جامع اللذة والفائدة

هذا سبيلنا في تحرير الجامعة قياماً بما يوجبه اقبال القراء عليها والماماً بجميع الشؤون العليا والمبادئ الكبرى لتكون الجامعة خزانة حقيقية جامعة لكل ما تجب معرفته على طلاب الحقيقة والمعرفة . ولو شئنا لاتممنا تحرير الجامعة في اسبوع واحد بان نجمع فيها بعض الفصول التافهة والمتفرقات والفكاهات والترجمات التي لا تكلف كاتبها تعباً وعناء . ولكننا نرى ان الذين يكون لهم شرف مخاطبة الجمهور ونقل المعارف الحقيقية اليه عليهم واجبات اسمى من ذلك بكثير . ونعتقد ان حضرات القراء بازاء ما يعلمونه من صرف الجامعة اوقاتها في خدمتهم الليل والنهار اعداداً للمواضيع التي يقرأونها بما يعرفونه من اللذة والفائدة يفضلون ان تصلهم الجامعة متأخرة اسبوعاً وهي ممتلئة فوائد تصبو النفوس اليها على ان تاتيهم قبل اسبوع ولا شيء فيها مما يجب ان يكون فيها . فان مجلة كالجامعة يُصرف في تحريرها ما يُصرف من الوقت والقوى لا يكفي شهر لاعداد موادها فقط لولا الليل الذي يُعطي

النهار وان كان يأخذ من الاعمار كما يعطي المصباح النور الى البيت وهو ياخذ من الزيت٠٠

اما المصادر التي نستقي منها مواد الجامعة فهي كثيرة اهمها مؤلفات علماء الافرنج والعرب والكتب الافرنجية التي تصدر حديثاً والمجلات فاننا نطالع منها مجلة المجلات ومجلة باريز ومجلة العلم التصويري ومجلة الصحة واحياناً المجلة الانسيكلوبيذية ومجلة المطالعات العامة٠ واما الجرائد فنقرأ منها الطان والديبا والفيغارو والماتين وكلها جرائد يومية لا يفوتنا عدد منها ٠ وفوق ذلك مكتبتنا الخصوصية والانسيكلوبيذية (دائرة المعارف) التي لا تخفى فائدتها ٠ وعلى ذكر الانسيكلوبيذية نذكر كلمة لصديق فاضل كان لنا استاذاً في زمن الصبا وما اعقل الاستاذ الذي يكون تلامذته اصدقاء له بعد المدرسة ٠ فان هذا الصديق كتب الينا منذ ثماني سنوات يقول « لقد حسبني اهلي مصاباً بالجنون المطبق لانني ابتعت « انسيكلوبيذية » علمية بخمسين ليرة فرنسوية اما انا فافضل امتلاك هذه الكتب المفيدة على امتلاك احسن دار في بيروت » ولقد صدق صديقنا واستاذنا فان فوائد الانسيكلوبيذيات العلمية التي يمكن بها تعميم مبادىء العلم بين الناس ولا سيما في بلاد الشرق لا تخفى فوائدها على الذين يحتاجون اليها

واذا اضفنا الى كل هذه المصادر مطالعة عشر سنوات متتالية لاطايب الكتب التي نُشرت في العلم والادب والفلسفة ٠ واعداد مواضيعها المهمة بالاشارة اليها بقلم من رصاص جرياً على عادتنا في المطالعة زيادة في الاستفادة ٠ وملاحظة نظام الاجتماع وشؤون هذه الحياة التي هي تارة حلوة وتارة مرة سنوات طوالاً ٠ اذا اضفنا هذا الى ذاك علم القراء المصدر الذي تستقي منه الجامعة الماء الصافي الزلال لقرائها

اما كون « الجامعة » قد اثار نجاحها حسد احدى رصيفاتها النصف شهرية لان ذلك النجاح قد كسف هلالها فهذا امر عرضي يزول متى علمت تلك الرصيفة ان كتمان الحسد يؤذي صاحبه فكيف باظهاره ٠ والجامعة في كل حال تسامحها لان تنشيط سائر الجرائد والمجلات لها وثناؤهن على خطتها ومبادئها ثناء لا تستحق جزءاً منه لما يمحو سوء صنع واحدة حاسدة ويحملنا على اهمال ما ارادته بالجامعة من الوقيعة وسوء القصد اللذين يشينان في نظر العقلاء ما اكتسبته في جهادها بضع سنوات من سمعة الفضل والعلم ٠وكان بودنا ان تُبقي على هذه السمعة لانها اكتسبتها بحق واستحقاق ولانه يجب على المصادر الادبية والعلمية التي يرجع اليها الجمهور ان تكون مثالاً للفضل والنزاهة عن كل شائبة

ولكننا ما كتبنا هذا الفصل للوم والعتاب ولكن لشكر مساعدي الجامعة ولذلك نقفل

هذا الباب · ونقول قبل ختام الكلام ان الجامعة تقبل مساعدة كل نصير للعلم والادب ومحب لنشر مبادئها اذا رام الانضمام الى مساعديها واصدقائها الافاضل · وفي كل شهر تقريباً تردنا ولا سيما من جهات اميركا كتابات من افاضل لا نعرفهم يقترحون بها مساعدة الجامعة بنشرها بين القراء لان في ذلك خدمة عمومية · ومما يدل على نزاهة اولئك الوطنيين الكرام ورغبتهم المجردة في اشراك بني وطنهم في الفوائد التي يستفيدونها من الجامعة انهم يشفعون كتاباتهم باسماء اصدقائهم وبدلات اشتراكهم مقدماً وكل ذلك عفواً من غير طلب من الادارة · وقد كتب الينا احدهم من كولومبيا يقول منذ مدة « انني ابذل في سبيل مبادىء الجامعة كل مرتخص وغال وبناء عليه نقد ارسلتُ اليكم ٢٥ اسماً من اسماء معارفي واصدقائي لترسلوا المجلة اليهم وطيه وضعت لكم حوالة بثلاثمائة فرنك قيمة بدل اشتراكهم التي اخذتُ على نفسي جمعها منهم » وغيره يكتب من البرازيل « ان من واجبات كل سوري وكل مصري وكل عربي ذي نسمة حياة ان يشترك في الجامعة وينشر مبادئها ولذلك اشركت سبعة من اصدقائي وجمعت تحت مسئوليتي قيم الاشتراك منهم وقدمتها للادارة طي هذا الكتاب » وغيره يقول من المكسيك « ان روح الجامعة نسمة حياة تدخل الى النفوس فتنهض الساقط وتحيي المائت فاذا كانت تقبلني مساعداً ليكون لي فضل الاشتراك في خدمة قرائها اولتني جميلاً وانا كفيل لكل من يشترك فيها عن يدي » وغيره يكتب « لم تقهرني جريدة غير الجامعة · فانني استعير اكثر الجرائد والمجلات لاقرأها دون الاشتراك فيها وبذلك اقرأ كثيراً واستفيد دون ان ادفع شيئاً لاصحابها اما الجامعة فمذ قرأتُ جزءها الاول من السنة الثالثة علمتُ انني بالاستعارة اخسر لا اربح فعزمت على اقتنائها فانَّ مجلداتها خير ارث اتركه لاولادي »

وكل هذه الشذرات نقلناها حرفياً من الرسائل التي تردنا على ان هنالك شذرات نخجل من نقلها لانها تقريظ اشد من التقريظ الذي تقدم · ولم نتساهل بنشر هذه الشذرات التي نشرناها مع ما نعرفه في انفسنا من العجز الا لاظهار فضل مساعدي المجلة وتبيان حالة افكار السوريين المهاجرين الى الاقطار الاميركية وميلهم الجديد لكل ما من شانه زيادة الارتقاء الادبي والاجتماعي · فالى هؤلاء الافاضل الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم لضيق المجال نسدي خالص الشكر ونهنئهم بما اكتسبوه في تلك البلاد من الميل للعلم والادب وحب الارتقاء والجد في سبيله دون يأس ولا كلل

ولو رمنا الكلام عن قراء مصر والشام والهند وايران وروسيا وغيرها من الاقطار

الاميركية وسواها كما تكلمنا عن قراء بعض الاقطار الاميركية لضاق المجال . ولذلك قلنا في مقدمة الكلام ان الاهتمام العامّ الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يقضي عليها بواجبات جديدة لقرائها . وهذه الواجبات لا تقصر الجامعة فيها كما رأى ذلك قراؤها من التحسين الذي ادخلناه فيها فلم يبقِ زيادة لمستزيد وان كنا ننوي تحسيناً جديداً كبيراً ننفذه في اول فرصة فتبلغ الجامعة حينئذ اكبر مبلغ نريده لها . ولا ريب ان مساعديها واصدقاءها وقراءها يسرهم ان يعلموا انهم قد انشئوا في الشرق صوتاً صارخاً في ربوعه يدعو الى الحقيقة والعلم والفضيلة والاخاء والمحبة واقاموا فيه بناء ادبياً لا يتزعزع . وهذا من فضل مساعدتهم وما نحن الا رفقاء في العمل مثلهم . واذا كنا نحب الحياة على هذه الارض التي ليس فيها شيء يملأ نفس الانسان فانما ذلك لاتمام هذا العمل . ففي يد الله اذاً ان يمنّ بتمام العافية ليطيل هذا الجهاد المستحب وفي يده ان يقصره

﴿ الواحد الاحد ﴾ ان اول ما ينبغي ان يبتدىء به المرء هو ان يعلم ان لهذا العالم واجزائه صانعاً بان يتامل الموجودات كلها هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلة ام لا . فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنه وجد . ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب ايضاً ام ليست لها اسباب . فانه يجد لها ايضاً اسباباً . ثم يتامل وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ام هي واقفة عند نهاية ام بعض الموجودات اسباب للبعض على سبيل الدور . فانه يجد القول بانها ذاهبة الى غير نهاية محالاً ومضطرباً لانه لا يحيط العلم بما لا نهاية له . ويجد القول بان بعضها سبب للبعض على التعاقب محالاً ايضاً لانه يلزم من ذلك ان يكون الشيء سبباً لنفسه كما انه لو كان الالف سبباً للباء والباء سبباً للجيم والجيم سبباً للدال لكان الالف سبباً لنفسه وهذا محال . فبقي ان تكون الاسباب متناهية . واقل ما يتناهى به الكثير هو الواحد فسبب الاسباب موجود وهو واحد . ولا يجوز ان يكون ذات السبب وذات المسبب واحداً فسبب اسباب العالم منفرد بذاته عما دونه

(لابي نصر الفارابي من رسالته في السياسة)

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المسيو فليكس فور

﴿ من معمل الدباغة الى رئاسة الجمهورية ﴾

(احاديث جريدة الفيغارو الجديدة)

ترجمة دباغ صار رئيساً لامة عظيمة · اعماله وسبب ارتقائه · ايام نفوذه · كيف انتخب للرئاسة · الماسونية وسلطتها على الجمهورية · زيارته لروسيا وكيف حمل القيصر على اعلان التحالف · رغبته في استخدام الصحافة · رايه في وزرائه وفي الملكيين · برادة صديق معه · هل تسقط الجمهورية · واسفا لمواهب وقوى ذاهبة سدى

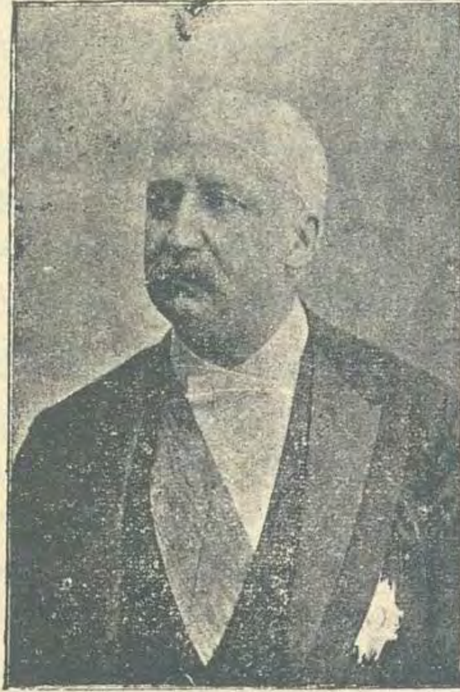
اذا كان الغرض من نشر تراجم مشاهير الرجال ان يتعظ القارىء بها ويعتبر فالمرحوم فليكس فور رئيس الجمهورية الفرنسوية قبل المسيو لوبه اولى الناس بالترجمة · والذي يجعل لترجمته في هذا الاوان اهمية خصوصية ما تنشره جريدة الفيغارو من احاديثه مع بعض اخصائه

وبيان الخبر ان جريدة الفيغارو طرأ بين مديريها ومساهميها منذ بضعة اشهر خلاف افضى الى استبداد مديرها المسيو بريفيه بادارتها دون سواه · فرغبةً منه في توجيه الانظار اليها والدلالة على مقدرته الادارية سعى فحصل على احاديث كان يسرُّها المسيو فليكس فور مدة رئاسته الى بعض اخصائه وصار ينشرها في مقالات متتالية في جريدته · ومنهم من قال ان المسيو فليكس فور نفسه قد كتب هذه الاحاديث على هذا الوجه لتنشر بعد مماته · ومهما يكن من هذا الامر فانه لا شبهة في ان تلك الاحاديث في غاية الاهمية وليس الآن في العالم رجل سياسي او قارىء يتبع سير سياسة العالم الا ويقرأها بلهفة وشوق · وهذا ما حملنا على تلخيصها للقراء

ولكننا نأتي قبل ذلك على فذلكة من ترجمة المسيو فليكس فور زيادة في الفائدة

***

ولد فليكس فور في باريز من ابوين فقيرين في عام ١٨٤١ وكان فتى نبيهاً مطبوعاً على



﴿ المسيو فليكس فور ﴾

حب الفائدة والسعي اليها بتأنٍ ونشاط. اي انه كان من ذلك النسل الذي يسمونه " النسل المادي " لانصراف افكاره عن التصورات والاحلام الى الامور المادية الحاصلة . ولما دخل فليكس فور الى مدرسة بومبيوس التجارية في ايفري زادته دروس هذه المدرسة تمكناً في آرائه

وبعد خروجه من هذه المدرسة سافر الى انكلترا فاقام بضعة شهور مستخدماً في احد محلاتها التجارية ثم عاد الى فرنسا ودخل عاملاً في معمل للدباغة للمسيو دومه في امبواز . وقد وصفه المسيو دومه صاحب المعمل في صغره فقال " ان فليكس كان طويل القامة نحيفاً كعود الكبريت شديد صفرة الوجه بلا لحية ولا شارب وجسمه محدوب قليلاً . ولكن نفسه كانت مستقيمة كالسيف وصداقته قوية كعصا معقدة "

ولا يزال في معمل المسيو دومه كثيرون من العملة الشيوخ يذكرون الفتى فليكس العامل وهم يشيرون حتى اليوم الى مكان في شاطئ نهر بجانب المعمل كان فليكس يغسل

فيه جلود المعمل . ولما انتخب لرئاسة الجمهورية بعث اليه رفاقه العاملون في معمل دوءه المذكور بالتلغراف التالي

« يا حضرة الرئيس

« نحن الموقعون على هذه الرسالة نتشرف بان نهنئكم بانتخابكم لرئاسة الجمهورية ونرجو ياحضرة الرئيس ان تثقوا باننا ندعو دوامًا بحفظكم للمنصب السامي الذي وضعتكم فيه دار الندوة»

على ان الذي يقرأ هذه الرسالة تحدثه نفسه بان اولئك العاملين كانوا يخشون ان يعود فليكس الى الدباغة في معمله حتى قالوا له « نرجوك ان تثق باننا ندعو لك بحفظك لمنصبك »

وقد صرف الفتى فليكس سنتين في هذا المعمل ثم خرج منه وشارك بعض التجار وفتح محلاً خصوصيًا له فنجح وارتقى واكتسب ثقة رفاقه التجار فعين في جملة قضاة المحكمة التجارية فانصرف الى خدمة الغرفة التجارية في الهافر . ولم تكن تكفيه الفوائد التجارية التي كان يكتسبها بالدرس والملاحظة فراح يسوح في الشرق ليفحص فيه مجرى التجارة وحاجاتها فوصل حتى الى بلاد ايران في زمن قلما كان الفرنسويون يخرجون فيه من وطنهم . وقد باغتته حرب السبعين وهو في مشاغله التجارية فتجند يومئذ وقاد الاورطة السادسة لحرس الهافر ثم سار ببعضها الى باريز لكبح جماح انصار الكومون فكافأته الحكومة بوسام جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٨١ عُين عضوًا في مجلس النواب. فكان عقله منصرفًا الى الامور التجارية والاقتصادية والبحرية . فجعل سكرتيرًا لوزارة المستعمرات والبحرية ثم انتخب نائبًا لرئيس مجلس النواب ثم جعل وزيرًا للبحرية حتى ارتقى الى رئاسة الجمهورية

ولم يرتقِ الى هذه الرئاسة لانه اقدر رجال عصره او اعلمهم او اشدهم دهاء . كلا ولكن هذا الرجل كان حسن الحظ منذ شبابه . فانه لم يقدم على امر الا ونجح فيه . ولعل ذلك لانه كان معتدلاً كل الاعتدال لا يطمح في السياسة وفلسفة الاجتماع الى ما وراء الموجود الحاصل ويسالم كل الاحزاب حتى الاحزاب الملكية حتى انه لم يشترك في القرار الذي قرره البرلمان من نفي المطالبين بعرش فرنسا بل اقام على الحيادة بين الفريقين . وكان فوق ذلك بشوشًا لطيفًا يعتقد ان الاعداء لا يُغلبون الا بالاحسان اليهم ولذلك كان كثير المجاملة والمداراة لاعدائه فيقلعون عن عداوته . والحاصل ان كل رجل كان يقابل هذا الرجل كان يخيل له انه صديقه الخاص وسواء دُعي هذا الامر رياء او تلاعبًا بالناس فانه قوة وهذه القوة نافعة جدًا لمن تكون له نفس لا تستنكر استخدامها

اما اعمال فليكس فور مدة حياته فهي انشاؤه مجلسًا عاليًا لوزارة المستعمرات ووضعه

اساس المدرسة الاستعمارية وتنظيمه مراكز فرنسا العسكرية والتجارية في مستعمراتها في افريقيا وجهره بالسياسة الاستعمارية في زمن كان الجهر فيه بذلك يقتضي شجاعة ادبية وهو الزمن الذي كان فيه الاشتراكيون قائمين قاعدين بسبب فشل فرنسا في حملة التونكين . وقد وضع قانوناً مقتضاه جعل اصحاب المعامل مسئولين عن الطوارئ التي تطرا على العملة في معاملهم وجعل الحكومة تنشئ وساماً خصوصياً يدعى وسام العملة وذلك لمكافئة العملة متى احسنوا صنعاً . واقترح على مجلس النواب تقرير مادة مقتضاها ان كل من يبذل حياته لانقاذ احد من الناس تعطى ورثته راتباً قدره ثلاثمائة فرنك في كل عام . وزد على ذلك انه كان واسطة التقرب العظيم الذي حدث بين فرنسا وروسيا يوم زيارته القيصر في بطرسبرج . وقد كتب فليكس فور كتاباً هذا عنوانه « ميزانية فرنسا وباقي الامم الكبرى »

﴿ احاديث الفيغارو ﴾

ايام فشوده — اما الاحاديث التي حدث بها فليكس فور صديقه الذي لا يزال مجهولاً ولا تزال جريدة الفيغارو تنشرها في مقالات متوالية فاننا نلخصها هنا تلخيصاً قال فليكس فور في مسالة فشوده

« لقد كانت الحرب يومئذ على قاب قوسين او ادنى . وقد بذلنا جهدنا لنكون في غاية الاستعداد لها . ولكن الصعوبة كانت في ماذا تكون وظيفة رئيس الجمهورية في اثناء الحرب فان الدستور الفرنسوي لا يشير الى شيء من ذلك بل يكتفي بقوله « ان باريز تكون مركز الحركات الحربية في اثناء الحرب » ولكن اذا حصر العدو باريز فماذا يصنع رئيس الجمهورية . وماذا تكون وظيفة البرلمان حينئذٍ . اما انا فقد كنت عازماً على ان اطلب من البرلمان ان يعين عشرين عضواً من مجلس النواب ومن مجلس الشيوخ ويجعلهم لجنة وقتية لمساعدة السلطة الاجرائية اي الحكومة واذا وقع بين هذه اللجنة والحكومة اختلاف كان الفصل في ذلك لرئاسة الجمهورية والحكومة على شرط ان تكونا مسئولتين عن ذلك لدى البرلمان . فقال له صديقه وهل كنتم لا تخشون جانب المانيا في حربكم مع انكلترا . فاجاب الرئيس انني كنت على ثقة من ان المانيا لا تحرك ساكناً لان من مصلحتها ترك فرنسا وانكلترا تضعفان معاً . ومع ذلك فاذا حركت ساكناً فان روسيا حاضرة لارجاعها .

ثم قال الرئيس انه من الواجب ان يكون رئيس الجمهورية محبوباً الى الشعب والعامة ليكون ذا سلطة حقيقية وتاثير فعلي في سياسة الامة في الازمات الشديدة . ولا اكتمك انني محبوب جداً الى الشعب خلافاً لمن تقدمني من الرؤساء . فان المسيو كارنو كان مصاباً

بمرض في معدته فلم يكن بشوشاً لطيفاً لان البشاشة والمرض امران لا يجتمعان . واما انا فمعدتي قوية جداً ولذلك تراني مسروراً دائماً . وسروري هذا يسري الى الشعب وهذا سبب ارتياحه اليَّ

. . . .

طريقة انتخابه للرئاسة — وتكلم عن انتخابه لرئاسة الجمهورية فقال . انني لا اعرف لذلك من سبب غير حسن الحظ . فانني لما سقطت الوزارة السابقة زرتُ شارل ديبوي لاساله ان يرضى برئاسة الوزراء التي كان يقدمها اليه اصدقاؤه . والعادة ان الذي يقول هذا القول لرجل اهل للرئاسة يكون كانه يقول له « اذكرني متى توليت رئاسة الوزراء » فلما صار ديبوي رئيساً للوزارة استدعاني وقلدني وزارة . وهذا سبب صيرورتي وزيراً

اما انتخابي لرئاسة الجمهورية فقد كان شبيهاً بهذا الامر تقريباً . فان الجرائد الاشتراكية كانت تطعن على المسيو كازيمير بريه رئيس الجمهورية بعد المسيو كارنو طعناً شديداً . ففي ذات يوم كنت سائراً لحضور مجلس الوزراء في قصر رئاسة الجمهورية فتناولت احدى تلك الجرائد فرايت فيها طعناً في الرئيس لا اقبح منه فاخذت الجريدة والقيتها في مجلس الوزراء وسالتهم اذا كان لا يجب محاكمة الطاعن . فتناول كازيمير بريه الجريدة وقراها ثم القاها دون ان ينطق بكلمة . فتناولها رئيس الوزارة ولم يظهر رغبة في محاكمة الكاتب مخافة ان تكون الجريدة نفسها راغبة في هذه المحاكمة زيادة في شهرتها . ولكنهم عادوا فقرروا محاكمة الكاتب فدافع عنه المسيو جوريس دفاعاً كان له دوي في اوربا كلها فبرات المحكمة ساحة الطاعن وحينئذ استعفى المسيو كازمير بريه من رئاسة الجمهورية . ولما شرعوا في انتخاب خلف له وقعت اكثرية اصوات دار الندوة عليَّ لانني كنت معتدلاً ولم اكن قد اسات الى احد . فكانني كنت االسبب في استعفاء المسيو كازمير بريه وانتخاب نفسي . اليس هذا من الاتفاق وحسن الحظ

. . . .

الماسونية وسلطتها على الجمهورية — قال فليكس فور « ويزعم بعضهم ان مقاليد الجمهورية في ايدي الماسون فلا يحدث شيء فيها الا وهم راضون عنه . ويزعم بعض آخر ان مقاليد الجمهورية في ايدي الجزويت فلا يحدث شيء فيها الا برضاهم واغراضهم . وكلا القولين عبث وثرثرة فارغة فانني انا ماسوني ولكني لا اذكر ان الالواج الماسونية سألتني

امراً يوماً ما ولقد « صوتُّ » احياناً ضد الامور التي كانوا يرغبون فيها فلم يكلمني في ذلك احد منهم . وانت تعلم ان المسيو « بريسون » هو رجل الماسون وصاحب النفوذ العالي عندهم ومع ذلك فان اصوات الجمهور بين لم تتفق على انتخابه رئيساً للجمهورية . فلو كان للماسون الكلمة العليا في شؤون فرنسا وكان الجمهوريون خاضعين للالواج الماسونية لكان انتخب للرئاسة . ولا اذكر انني استفدتُ من عضويتي في الماسونية الا مرة واحدة في حياتي . فانني كنت يوماً مع احد الاصدقاء في محطة اثينا الحديدية والزحام شديد فلما ابصرتُ رئيس المحطة اشرتُ اليه اشارة ماسونية نخف الينا لانه كان من الاخوة واعدّ لنا مكاناً مناسباً . هذا كل ما استفدته من الماسونية

. . . .

زيارته لروسيا وهو رئيس الجمهورية — « وكان همي في زيارتي لروسيا ان اؤثر تاثيراً حسناً في الدوائر الرسمية ولدى الشعب . فان رؤساء الجمهوريات ليسوا بابناء ملوك ليغتفر لهم ما يأتونه من الخطاء والخلل في اقوالهم واعمالهم مدة زياراتهم الرسميـة . وكنت عالماً ان اكثر السفراء لا يكرهون ان يسردوا لوزرائهم ما آتيه من الخطاء لدى مقابلتهم او ما اقع فيه من الارتباك والاضطراب ليضحكوا مني وقد كان رجال حكومة روسيا حتى سفير فرنسا في بطرسبرج نفسه غير مستريحين من هذا القبيل . اما انا فقد بذلتُ جهدي لاحسن مقابلة الجميع علماً بان فشلي يضرُّ بفرنسا وسمعة الجمهورية نفسها اذ يقول الناس حينئذٍ ان هؤلاء الجمهور بين قوم جهلة لا يحسنون معاشرة الناس ومحادثتهم . و يسرني ان اقول لك انني قد قمت بهذا الواجب خير قيام . فانني كنت اعطي في المقابلات كل ذي حق حقه واحادث كل واحد بما يروقه و يطيب له . فسرَّ رجال الحكومة الروسيـة بذلك سروراً لا مزيد عليه ورأيت سفيري مشرق الوجه من سروره . ولقد سمعني القيصر مرة اخاطب جندياً روسياً واساله عن حاله فقال لي لله كم تحسن التكلم بلغة الجنود . ومما ساعدني على النجاح في ذلك قامتي الطويلة وبشاشتي الدائمـة . ولو كنت شيخاً ضئيلاً قصير القامة لوقعت في الفشل »

اما المسيو غاستون ليروفانه يقول ان المسيو فليكس فور قد اخطأ في اثناء سياحته في روسيا مرتين . الاولى انه حضر استعراض الجنود بجانب القيصر وهو لابس رداءه الخارجي (باردوسو) وهذا امر محرم في المقابلات الروسيـة الرسمية . والثانيـة انه زار مع القيصر والقيصرة الكنيسة التي دُفن بها بطرس الاكبر دون ان يجثو امام القبر جرياً على العادة

الروسية · وقد اخذ الروس ذلك عليه

. . . .

تلغرافا البوتو والتحالف الفرنسوي الروسي — وقد قال فليكس فور في هذا الموضوع قولاً كان مجهولاً قبله · وهو ان روسيا وفرنسا لم تكونا قد صرحتا رسمياً قبل زيارتي بوجود تحالف بينهما · فلما دعوتُ القيصر نيقولا الى مائدة الوداع في دارعة البوتو قبل السفر كتبت نصّ « النخب » الذي عزمتُ على « شربه » ودفعته الى القيصر جرياً على العادة في مثل هذا الامر · وقد دسستُ فيه هاتين الكلمتين « روسيا وفرنسا المتحابتين المتحالفتين » فلما قرأه القيصر اعاده اليَّ وقد كتب في نخبه هذه الكلمة التي كتبتها في نخبي · فكان اقدامي وحده باعثاً على اعلان تحالف الدولتين امام اوربا كلها · وقد كتبتُ ما كتبتُ وانا على ثقة من ان القيصر لا يعارضني لانني اعرف قلبه · ولو عارضني لعارضته حينئذٍ وقلتُ له ما الفائدة من كتمان تحالف معلوم امره لدى كل الناس · وهذا يدلُّ على ان رئيس الجمهورية قادر باقدامه على نفع بلاده · اذ انني لو تركت الى رجال حكومتي ان يكتبوا لي نص النخب لكتبوا عبارات مبهمة غامضة جرياً على العادة ولم يكن قد حدث في اوربا كلها شيء من ذلك التاثير العظيم الذي حدث فيها يوم اعلاننا التحالف بتلك الصورة الرسمية

. . . .

فليكس فور وتاثير الصحافة — وقال صديق فليكس فور : قال لي الرئيس اليوم حين التقائي به انني اتيتُ مؤامرة صغيرة · فسالته ما هي · فاجاب انني لقيت المسيو جان ديبوي مدير جريدة " البتي باريزيين " وسالته لماذا تجتنب جريدته الكلام عني اجتناباً يكاد يكون مقصوداً ولماذا لا تصنع صنع جريدة " البتي جورنال " التي تغتنم كل فرصة للكلام عن رئيس الجمهورية · فاجابني ان جريدته لا تجتنب ذلك وانها ستقوم بما يجب عليها لرئيس الجمهورية كما قامت به من قبل · اما انا ففهمتُ من ذلك ان جان ديبوي لا يريد مجاراتي وما العمل به فانه رجل قوي وهو ينال كل ما يريده من الوزراء فلا يحتاج اليَّ (١) واني اتمنى ان تكون الجرائد الكثيرة الانتشار نصيرة لرئيس الجمهورية حتى اذا طراءت بعض الطوارئ استطاع التاثير بها على الشعب وتحريكه الى حيث يريد ·

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان المسيو جان ديبوي المشار اليه هو اليوم وزير الزراعة في فرنسا

ولا اعني بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد الكبيرة او جرائد الاحزاب فانه سيان لديّ مدح هذه الجرائد وذمها لان لكل واحدة منها رايًا معلومًا وغرضًا سياسيًا مشهورًا وكلما عملت عملاً عرفت قبل عمله الجرائد التي ستمدحه والجرائد الذي ستذمه · ولكنني اقصد بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد التي قراؤها يعدون بالملايين وهي ملتزمة الحياد فلا تتداخل الا في الازمات الشديدة · ومتى تداخلت وحثت على امر تبعها قراؤها لانهم اولاً لا راي لهم غير ما تكتبه وثانيًا لانهم يعرفون حيادتها · واما الجرائد الاخرى فلا يتبعها قراؤها لان لكل واحد منهم رايًا خاصًا به وهم يعرفون سياستها ·

نقول والمقصود بذلك ان قراء البتي جورنال والبتي بار يزيين من العامة وقراء الجرائد الاخرى من الخاصة

. . . .

هو ووزراؤه — وقال عن وزرائه · ان المسيو ملين هو افضلهم لانه معتدل في سياسته · وقد كان اعتداله سببًا في استتباب السلام في داخل فرنسا وثقة الدول بحكومتها في الخارج · واما المسيو ريبو فهو رجل كثير النباهة ولكنه كثير التقلب لرغبته في ارضاء جميع الاحزاب معًا · واما المسيو بورجوى فهو صديقي الحميم شخصيًا ولكني لا احب سياسته · ولست اخطئ اذا قلت ان المسيو بورجوى انبه رجال السياسة ولكنه من سوء الحظ راديكالي متطرف · واني استغرب ميله الى الاشتراكية لان الاشتراكيين ليسوا من ابناء العصر وانصار التقدم وانما هم من ابناء الماضي وانصار التاخر · وقد كنت مستاء من وزارة بورجوى ولما كنت اجول في فرنسا في احدى سياحاتي واسمع باذني اهانة مجلس السنات لمعارضته في مشروع الضريبة على الايراد الذي هو اهم مشروعات الراديكاليين كنت استاء من ذلك اشد استياء مخافة ان يظن الناس فيّ الرضى عن سياسة المسيو بورجوى واهانة مجلس السنات · ولما استقال المسيو بورجوى سررت بانني صرت قادرًا على مقابلته كصديق حميم لا كوزير

. . . .

فليكس فور والملكيون — وكان من سياستي التقرب من النبلاء والملكيين لاستمالتهم الى الجمهورية لانه يجب هدم السور الذي بيننا وبينهم ولذلك كنت اجامل والاطف كثيرين منهم وقد اهديت كتابًا مخصوصًا الى الدوقة دوزيس النحاتة الشهيرة التي سخط الجمهوريون عليها لانها وهبت الحزب الملكي شيئًا كثيرًا من مالها ليستخدمه في اسقاط الجمهورية · واني

اعجب من ان ابناء النبلاء والملكيين يصرفون حياتهم في البطالة ولا يدخلون في وظائف الحكومة وينحازون الى الجمهورية خدمة « افرنسا » ولاسيما في وظائف الشؤون الخارجية . ولماذا لا يكون بين سفرائنا مثلاً احد من ابنائهم غير المركيز دي روفرسو والكونت دي مونبلو (سفيري فرنسا في النمسا وروسيا)

. . . .

برادة صديق معه — وقال سمير المسيو فليكس فور : ان المسيو فور عهد الي اليوم امرًا ثقيلاً . فانه كلفني ان اذهب الى فلان وارجو منه ان يترك البرادة مع الرئيس ولاسيما في المقابلات الرسمية . قال المسيو فور فان هذا الرجل من اصدقائي ولكنه يسيء الي بصداقته فانه في اثناء المقابلات الرسمية امام الناس كلهم يخاطبني بلهجة الصديق « الرافع الكلفة بينه وبين صديقه » فانه لا يكلمني الا بضمير المفرد المخاطب انتَ وانتَ اظهارًا لما بيني وبينه من الصلات . فانا لا انكر صداقته ولطفه ولكني لست في المقابلات الرسمية « صديقه فليكس فور » بل اني حينئذ « رئيس الجمهورية » . وقل له افترض ان جنديين كانا متصادقين ثم ارتقيا والتقيا في آخر عمرهما الواحد كولونل والثاني جنرال فان الاول يكون مرؤوساً للثاني في اثناء الوظيفة وصديقه خارج الوظيفة

. . . .

هل تسقط الجمهورية — اما الجمهورية الفرنسوية فان المسيو فور لا يرى انها تسقط مهما هاجمها اعداؤها . وذلك لان الجمهورية ليست ملكية يكفي لاسقاطها ان يُخلع الملك او يقتل بل انها ذات مائة راس وراس فمتى سقط راس منها قام راس . واذا فرضنا ان الانتخابات العامة افضت في ذات يوم الى انتخاب جميع اعضاء مجلس النواب من الملكيين فماذا يصنع مجلس النواب بالجمهورية . لا ريب انه لا يقدر على ان يوصل الاذى اليها لان مجلس السنات جمهوري والحكومة القابضة على ازمة الاحكام جمهورية ورئيس الجمهورية في الشانزەليزه جمهوري وفضلاً عن ذلك فان الشعب جمهوري ولا يدع احدًا يمس الجمهورية بسوء . نعم انه اذا حدثت ازمة شديدة ووقعت فيها الجمهورية في فشل عظيم او طرأ عليها مصاب اليم يزعزع ثقة الفرنسويين بها قد يستسلم الشعب الى كل من يمد يده اليه حينئذ لانقاذه ولكني لا اظن احدًا من اعداء الحكومة الحاضرة يتمنى ان ينزل بفرنسا مثل ذلك المصاب لبلوغ امانيه وآماله

***

والحاصل ان قصة هذا « الدباغ » الذي صار رئيس دولة من اعظم دول الارض

والذي صار يجالس القياصرة وسلاطين الامم والذي قام لذكره احتراماً اعضاء مجلس الرشستاغ الالماني لما بلغهم خبر وفاته بداء السكتة — قصة تشرف الوطن الذي عاش فيه وتوقع الحسره في نفوس كثير من الامم الشرقية . وهي تشرف الوطن الذي عاش فيه لانها تدلُّ على ما في ذلك الوطن من حرية ومساواة و وسائل للنهوض من معمل الدباغة الى زعامة الامة . وتلقي الحسرة في نفوس الشرقيين لما يرونه من الابواب المقفلة دون مواهبهم واستعدادهم والاسوار القائمة بينهم و بين ما تناجيهم به نفوسهم

ارايتم فرنكلين اذا وقف على قمة الجبل الابيض في ليلة ليلاء تكاثفت غيومها ولمعت بروقها كيف يأسف على تلك القوى الكهربائية العظيمة الذاهبة في اعالي الجو سدى

ارايتم زولا اذا وقف في نافذة قصره في باريز في اشد ايام القيظ وشاهد اشعة الشمس المحرقة تتفرق في الفضاء كيف يأسف لان الانسان لم يتعلم بعدُ طرق استخدامها

ارايتم نيوتن اذا وقف على شاطىء بحر المانش في يوم من اشد ايام الشتاء وشاهد هياج الامواج الهائلة وحركتها المستمرة الدائمة كيف يأسف على ذهاب هذه الحركة القوية سدى لان الانسان لم يقوَ بعدُ على استعمالها

ارايتم اذا عصفت العواصف وهبت الاعاصير تخرب المدن وتحمل الناس والسقوف والحيوانات الى اعالي الجو كيف يأسف الانسان على قوى هذه العناصر التي لا يستطيع اخضاعها واستخدامها

هكذا يأسف الشرقيون على قوى ومواهب رجالهم الذاهبة سدى

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يصاب المرءُ من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تُذهب راسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

انستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي فطاب الانس لي وصفا السرور
وادبني الزمان فلا ابالي باني لا ازار ولا ازور
ولست بسائل ما عشت يوماً اسار الجند ام ركب الامير

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمُّ مطالعنه من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

﴿ تابع للمقالة السابقة في الجزء الثاني ﴾

بحث فيه وصف الامكنة التي ربي فيها السيد والوسط الذي عاش فيه والمبادئ التي كانت تختلج يومئذ في نفوس اليهود والحركة الاجتماعية العظيمة التي حدثت يومئذ وغيرها من الفوائد التاريخية والاجتماعية

الفصل الاول · وطن يسوع

وُلد السيد في الناصرة · وكانت قبله بلداً خاملاً لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر لا في التوراة ولا في التلمود ولا في مؤلفات يوسيفوس · ولذلك كان معاصروه يسمونه " الناصري " وقد كانت ولادته في عهد اغسطس قيصر وربما كان ذلك في سنة ٧٥٠ من بناء رومه اي انه ولد قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي الذي اصطلحت عليه اليوم الامم المسيحية ببضع سنوات

ومن الراجح ان الناصرة لم تكن في زمن ولادته تفرق كثيراً عنها اليوم · فان الهواء والجو لم يتغيرا في جميع بلاد سوريا عما كانا عليه يومئذ ولذلك لم يتغير شيء على الارجح من طرق بناء منازلها واتجاه دورها وشق شوارعها · ففي تلك الشوارع المفروشة بالحجارة وتلك الساحات الصغيرة التي هي ملتقى شوارع كثيرة تفصل الاكواخ والمنازل بعضها عن بعض كان يلعب الصبي يسوع · ولا ريب ان منزل يوسف كان شبيهاً بتلك الغرف الصغيرة التي لا يدخلها النور الا من بابها والتي تُتخذ لكل شيء حتى الطبخ والنوم · ولا فراش فيها غير « حصيرة » على اطرافها بعض مساند (مخدات) موضوعة على الارض ووعاء او وعائين من الفخار وخزانة مدهونة

وكانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال . اما سكانها فانهم يبلغون اليوم (في زمن رنان) اربعة الآف نسمة فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة الآف نسمة وهو قول لا يخلو من مبالغة (١) والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً . وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية . وربما لم تكن منازل الناصرة تفرق عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائق . اما المكان الذي بُنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتامل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقاماً جميلاً . اما سكانها فهم قوم الفوا اللطف والبشاشة . وحدائقها باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خصيبة ينطبق عليها وصفه . اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هُدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كدر . واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء — ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر بانه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق على وجوههن . فهناك الشكل السوري الجميل في اتم خلقته . ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتستقي منها . وقد قال انتونين مارتير ان نساء اليهود يُكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره وذلك لان هواء وطن السيد لطف اخلاقهن . واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان رنان يصف الناصرة هنا كما شاهدها منذ ثلاثين عاماً اما اليوم فقد قام فيها وفي جميع نواحي فلسطين مبانٍ جديدة وزاد عدد السكان ونشأت محلات زراعية اسرائيلية والمانية جعلت كثيراً من اراضيها القفراء حدائق غناء . ونوجه انظار حضرات القراء في الناصرة الى ما يرد عن وطنهم في هذه المقالة ونتمنى بعد ما ذكره رنان عنها ان يتحفنا احدهم بوصف الاماكن التي يمرُّ ذكرها فانه يحسن وصف تلك الاماكن الكريمة من قلم « ناصري »

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدتَ الى الآكام المشرفة على المدينة انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب . فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتدًا الى البحر وداخلاً فيه و يليه غيره من الجبال بينها وادي الاردن وسهول بيريا المرتفعة . اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتُظهر لك خليج حيفا

فهذا كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فاذا بقي العالم مسيحيًا في مستقبل الزمان وصار اكثر احترامًا لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها و يشاهد العالم منها . هناك يجب ان تُقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحجّ اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف و يتامل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه وليتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصائب والعثرات

الفصل الثاني . تربية يسوع

تلك هي المناظر الطبيعية الجميلة التي ربي يسوع بينها . ولقد نشأ يسوع في قريته وتعلم الكتابة والقراءة (انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ٦) وكان معلم المدرسة في القرى اليهودية يُدعى « الخزان » او القارىء في المعبد . ولا يحتمل ان يكون السيد قد تعلم اللغة اليونانية في صباه وانما كانت لغته اللغة السريانية ممزوجة بالعبرانية وهي اللغة التي كان يتكلمها اهل فلسطين في ذلك الزمان . اما اللغة اليونانية فقد كانت محرمة على اليهود وقد حرم بعض روسائهم من يتعلمها فقال « ان من يعلم ابنه علوم اللغة اليونانية ومن يربي الخنازير سواء في النجاسة » وسُئل احد رؤسائهم في اي وقت يجوز تعليم العلوم اليونانية للاولاد فاجاب « يجوز ذلك في كل وقت غير الليل والنهار لانه مكتوب انه يجب درس الشريعة في الليل والنهار » فكأنه اجابه لايجوز درسها . ومع ذلك فقد كان بعض اليهود يدرسون العلوم اليونانية ويحاولون ادخالها الى الاداب اليهودية . واشهرهم نقولا داماس او الدمشقي الذي كان اشهر علماء عصره و يوسيفوس الذي قال عن نفسه انه مستثنى بذلك

عن باقي اليهود · ولقد نشأت في مصر طائفة من علماء اليهود كانت تقتبس العلوم اليونانية وتنشرها ونشأ فيها الفيلسوف العظيم فيلون الاسكندري ولكن يهود فلسطين كانوا يعدون هذه الطائفة مفصولة عنهم ولقد كان انفصالها تاماً حتى انه لم يرد لها ذكر في التلمود · وقد كان لزعيمها فيلون الذي اشرنا اليه تعاليم شبيهة بتعاليم السيد من حيث الدعوة الى اله المحبة ومحبة الله والاحسان والراحة في حضن الله مما يدل على استعداد الافكار في ذلك الزمان لهذه المبادىء السامية

واذا كان السيد لم يقف في صباه على الفلسفة اليونانية وعلومها فلا ريب انه وقف على فلسفة هلل الفيلسوف اليهودي الذي عاش قبل ظهوره بخمسين عاماً معيشة الفقر والضعة ودماثة الاخلاق وكان يعارض الكتبة والفريسيين

الفصل الثالث · الوسط الذي ربي فيه

اما الوسط المضطرب الذي ربي فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم غير الوسط الذي نشأت فيه الثورة الفرنسوية · فان الشعب اليهودي صار منذ سبي بابل مهضوماً مضطهداً فانتبهت قوى نفسه كلها واتجهت الى غرض واحد وهو الانتقام من اعدائه وبسط جناح سلطته على جميع اقطار العالم طبقاً لما كان يجيء في نبوءات انبيائه · ولو كان الشعب الاسرائيلي يعرف التعاليم اليونانية التي كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين احدهما الروح والآخر الجسد وانه اذا تعذبت الروح في هذه الحياة فانها تستريح في الحياة الثانية لسرى عنه شيء كثير مما كان يجده من عذاب النفس واضطراب الفكر بسبب ذله وخضوعه مع ما كان يراه في نفسه من الامتياز الادبي والديني عن الشعوب التي كانت تذله · ولكن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في هذا العالم نفسه · فانه يؤخذ من اقوال انبيائهم وشيوخهم ان الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس الى الابد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله · اما الاشرار فلا · هذا كل جزاء اولئك وعقاب هؤلاء · ويزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين يُنشرون في هذه الارض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ويصبحون ملوك العالم وقضاته وهكذا يتنعمون بانتصارهم وانخذال الاشرار اعدائهم

فلما انتصر قورش الفارسي وفتح بابل خُيل لليهود انه قد انفتح في وجههم باب جديد وعاد اليهم ملكهم فتآخى كهنة الفرس وكهنة اليهود · ولكن السلطة اليونانية والرومانية لم

تلبث ان دخلت الى آسيا بقوة وشدة فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فعادوا الى احلامهم الماضية من دعوة مسيا لانقاذهم واعادة ملكهم وتحقيق نبوآت انبيائهم · وقد اشتد ذلك، عليهم بعد خروج البلاد من يد اسرة الملك هيرودس الى يد الرومانيين · فان هذا الملك العظيم الذي يشبهه بعضهم بسليمان كان قد ولى ابناءه الثلاثة جميع بلاد فلسطين تحت سيادة الرومانيين فكان شانهم معهم شان امراء الهند المستقلين اليوم · فكان ابنه (انتيباس) والياً لبلاد الجليل وبيريا وكانت الناصرة تابعة لولايته · وابنه فيليبوس والياً لغولونيتيا وباتانيا · وابنه ارخيلاوس والياً لاورشليم · وقد توفي هيرودس الكبير في نفس السنة التي ولد المسيح فيها · وبعد انقضاء عشر سنوات على وفاته عزل اوغوسطس قيصر ارخيلاوس ابن هيرودس والي اورشليم لانه كان ضعيف الرأي السيء الادارة ثم ضم كل ولاية يهوذا الى السامرة وادوم وجعلها تابعة لسوريا حيث كان يقيم بوبليوس سولبيسيوس كيرينيوس احد اعضاء مجلس الشيوخ الروماني نائباً امبراطورياً من قبل القيصر وحاكماً على تلك القطعة كلها · ومن هذا الحين قُضي على استقلال مملكة اورشليم · فزاد ذلك في يأس اليهود واثار ثائرهم لانهم كانو يعتقدون الرجس والنجاسة في التمدن الروماني الذي تسلط عليهم · وقد ولي اورشليم اولاً كوبونيوس ثم جاء بعده ماركوس امبيفوس فأنيوس فروفوس ففالاريوس كراتوس · ووليها بعدهم في عام ٢٦ للميلاد بنطس بيلاطس صاحب الشان في الحوادث المسيحية الاولى · وكان هؤلاء الولاة تابعين لوالي سوريا ولا شغل لهم غير اخماد نار الفتنة التي كان يضرمها اليهود تحت اقدامهم

ذلك ان غلاة الدين من انصار شريعة موسى قاموا في ذلك الزمان يعارضون السلطة الرومانية فكانوا يكسرون النسور التي هي اعلام رومه ويحطمون التماثيل التي اقامتها اسرة هيرودس لانها في نظرهم آثار وثنية لا سيما وان الذين نصبوها لم يراعوا في صنعها الشريعة الموسوية · وكان الموت عقاب كل من يُقدم على اثارة الفتنة ومقاومة السلطة ولكن اولئك المتحمسين في دينهم كانوا يستعذبون الموت في الدفاع عن شريعتهم · فنشأ عن ذلك ظمأ الى الموت والاضطهاد سببه الرغبة في الدفاع عن الشريعة · فالف اثنان من علماء الشريعة يُدعيان يهوذا بن ساريفيا ومتياس بن مرغلوثه حزباً لمقاومة « اصحاب البدع » الرومانية والحملة على تلك الهيئة فامسكهما الرومانيون وعذبوهما وقتلوهما ولكن حزبهما بقي بعدهما · وكانت النفوس كانت قد بلغت بهذه الاضطهادات اقصى درجات الهياج والاضطراب فظهرت يومئذ شيعة (الكانامبين) او « القتلة الدينيين » الذين كانوا

قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل رجل يحط من شان الشريعة الموسوية امامهم . وظهر ايضاً اناس يدعون صنع العجائب وشفاء الامراض فكان الشعب يُقبل عليهم لان الافكار كانت مستعدة بالتحمس الديني لتصديق كل ما يجيء من فوق الطبيعة

ومن الحركات التي كان لها تاثير عظيم على سير الحوادث في ذلك الزمان حركة يهوذا الغولونيتي او الجليلي . فان كيرينيوس امر في السنة السادسة من الميلاد باحصاء عدد نفوس اليهود . وكان اليهود لا يجهلون ان الاحصاء مقدمة لوضع الضرائب على السكان ولقد اشتد هياجهم على الملك والنبي داوود يوم امر باحصاء سكان مملكته وتهدده الشيوخ بغضب الله . وذلك لانهم يعتبرون دفع الضرائب ضرباً من ضروب الكفر بالله لان الله هو سيد الامم وحده واليه وحده تُدفع الضرائب لا الى ملوك الوثنيين . ولذلك كانوا يعتبرون اموال الخزانة العمومية اموالاً مسروقة كما جاء في تلمود بابل

فلما درى اليهود بامر كيرينيوس بالاحصاء بلغ الهياج اشده فقام منهم رجلان احدهما يدعى يهوذا وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبرية وثانيهما فريسي يدعى صادوق ينكران دفع الضرائب ويحرضان الناس على الامتناع من دفعها . وكان من مبادئهما ان حرية الانسان افضل من حياته فاذا كان احد الحكام يزعم انه «سيدي» وولي امري ويوجب عليّ دفع ضريبة له فالاولى بي ان اموت من ان اعترف بسيادة عليَّ غير سيادة الله . وقد فشا أمر هذا الحزب في اليهودية ولكن يوسيفوس لم يذكر عنه شيئاً كثيراً مخافة ان يلقي التهمة على ابناء وطنه انما وضع يهوذا الغولونيتي عند كلامه عنه في جملة فلاسفة اليهود واعتبره مؤسساً لمبداء رابع غير مبادىء الصدوقيين والفريسيين والايسنيين مع ان فكرته بسيطة لا تستوجب كل هذا الاهتمام . وذلك مما يدل على انه كان ليهوذا هذا مطامع ومطامع سياسية غير التي تقدمت . ولا يبعد ان يكون قد جعل نفسه رئيس حزب غرضه الاشتغال بما يختص بمجيء المسيح المنتظر . وقد لقي يهوذا الغولونيتي الموت جزاء هذه الثورة ولكن حزبه بقي حياً بعده . ويحتمل ان يكون السيد قد رآه وشهد نهضته ولكن المحقق انه قد وقف على مبادئه . ولذلك يقول بعضهم انه لما جاء قوم الى السيد ليجربوه وسألوه عن الجزية فاجابهم « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » كان يريد بذلك ان مملكتي غير مملكة يهوذا الغولونيتي واصلاحي غير اصلاحه

وهكذا كانت بلاد الجليل في ذلك الزمان عبارة عن تنور حام تضطرب فيه العناصر المختلفة . وكانت السلطة الرومانية لا تطأ على مثيري الخواطر الا متى استفحل امرهم لان

الرومانيين كانوا يمنحون محكوميهم من الحرية اكثر مما يمنح الاوروبيون محكوميهم في هذا الزمان . وحسبنا دليلاً على ذلك ان البوليس الروماني لم يعترض السيد المسيح في اثناء تعاليمه الا حين رُفعت عليه الشكوى من اليهود . فكانت هذه الحرية باعثاً على زيادة الافكار اليهودية انتشارًا . اما فيما يختص بالافكار المسيحية فيمكن قسمة اليهودية الى قسمين . قسم الشمال الذي فيه الجليل ومن ضمنه الناصرة والقسم الثاني اورشليم . على ان كل الاعمال الحسنة والمبادىء السامية صدرت من القسم الاول وهو الشمال . اما اورشليم فكانت متمسكة بالتقاليد القديمة كل التمسك . من الشمال خرجت الكنعانية المتواضعة ومريم المجدلية ويوسف الحنون والعذراء مريم . ولولا الشمال لم تتسلط اورشليم على العالم

وكانت الطبيعة في تلك الجهات الشمالية في غاية الجمال ومنتهى الرونق فكانها خُلقت لتملي على الناس وتعكس اليهم نور المبادىء الادبية السامية . فانه بينما ترى نواحي اورشليم صلعاء جرداء تقريباً ترى الجليل ونواحيها في غاية الخصب والاقبال . فارضها تكتسي في شهري مارس وافريل (اذار ونيسان) بساطاً جميلاً منتظماً من الازهار الملونة بالوان لا مثيل لها . وحيواناتها صغيرة ولكنها في غاية اللطف والدعة . وربما وقعت بعض طيورها على ساق عشبة صغيرة فلم تُملها من خفتها . بل ربما دنت منك حتى صارت بين قدميك تقريباً وذلك لالفتها وعدم نفورها . وقد ترى في السواقي سلاحف ذوات اعين قوية النظر لطيفة وبطأ ترى عليه لوائح الحياء والرصانة معاً يترك كل خوف ويدنو منك كثيرًا . ولست تجد في جميع بلاد العالم بلداً جباله اجمل من جبال تلك الجهات . ولا ريب ان يسوع كان يحب الجبال من حبه لجبال وطنه . فانه كان كثير الصعود الى الجبال وقد القى عليها اسمى خطبه وعمل فيها اعظم اعماله وكان اذا صعد اليها تغيرت هيئته وازدادت نفسه الكريمة بلاغة وحكمة

ففي وسط هذه الطبيعة الضاحكة بدأ يسوع يعلم فكان تعاليمه عبارة عن نزهة دائمة وسرور دائم . ويقال انه كان يسير احياناً الى القفار المحرقة التي تلي بلاد الجليل ويقيم فيها للتأمل والافتكار . ولكنه هنالك كان لا يجد الا اله ايوب اله القوة والصرامة والعقاب . اما حين رجوعه الى الجليل فانه كان يجد تحت سمائها وسط اكامها الخضراء ومروجها النجلاء اله المحبة والسلامة اباه وابانا الذي في السموات . وكان في كل عام يحج مرة الى اورشليم مع حجاج الناصرة وهناك يختلط بشعبه ويقف على ما كان يجول في نفسه . فكان الحج كان عبارة عن التقاء ابناء الشعب الاسرائيلي في اورشليم مرة في كل عام

الفصل الرابع . بدء تعليمه

ولما مات يوسف انتقلت مريم العذراء بولدها الى قانا الجليل . وربما كان اصل العذراء نفسها من قانا هذه . اما هذه القرية فقد كانت قائمة على مسيرة ساعتين ونصف من الناصرة . وفيها صرف المعلم العظيم قسماً من شبابه وظهرت اول اعماله

وكان السيد نجاراً كيوسف ولم يكن ذلك مما يحط شان الانسان في ذلك الزمان لانه قد جرت عادة اليهود يومئذ بوجوب تعليم كل منقطع الى الشؤون العقلية صناعة ما . ولذلك كان كثيرون من اكابر علماء اليهود يحسنون الصنائع اليديوية مثل «ربي يوهانان» الذي كان اسكافاً و «ربي اسحق» الذي كان حداداً والرسول بولس الذي كان صانع بسط وسجادات . ولا يعلم احد كيف ابتدأ يسوع تعليمه ولكن الثابت انه اتخذ فيه طريقاً جديداً . وقد راينا ان يهوذا الغولونيتي كان يفضل الموت على ان يلقب احداً (سيد الامة) غير الله وحده ولكن يسوع ترك لقب " السيد " لمن شاء ان يتلقب به ولقب الله بلقب احلى منه اعني : ابانا . وعلى هذا الاساس بنى تعليمه السامي الذي يجعل البشر اخوة على الارض والخالق في السماء ابا لهم رؤوفاً بهم شفوقاً عليهم تواباً رحيماً يطلع شمسه على الخطاة وعلى الصالحين

ولم يكن يسوع يعلم ضد الشريعة الموسوية ولكنه كان يظهر من كلامه عنها انه كان يراها غير كافية ومما ساءه منها وضع الانسان وسيطاً بينه وبين الله واشتغاله باعراض الامور عن جواهرها ولذلك كان عدواً لدوداً للتفاصيل الدينية التي كانت تخنق الاصل وكان ضد الكهنة الذين لم يكن لهم شغل غيرها

الفصل الخامس . يوحنا المعمدان

وفي هذا الوقت انتشرت في جميع انحاء فلسطين شهرة رجل عظيم كان يعيش في البرية مرتدياً بجلود الحيوانات ومغتذياً من العسل والجراد البري . وهذا الرجل هو يوحنان او يوحنا الملقب بالمعمدان . وكانت اقامته على شاطىء نهر الاردن في القفار التي تليه . وقد بلغت شهرته اعظمها في سنة ٢٨ من الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء ١٥ عاماً على ملك طيباريوس . وكان يوحنا مهيباً كبير النفس جريء القلب فكان يذم الكهنة الاغنياء الذين يحبون المال والفريسيين والكتبة ويدعو الفقراء والضعفاء الى التوبة للنجاة من الضيق والذل

ولان ملكوت الله قد صار قريباً . فتهافت الشعب عليه ليعمده في الاردن بحسب طريقته الجديدة وكان في جملة الذين قصدوه الشاب يسوع وتلامذته الاولون (وقد تمنى المؤلف لو لم يكن السيد قد اجتمع بذلك المعلم الكبير لاسباب نضرب صفحاً عن ذكرها كما صنعنا بكثير غيرها) . قال وقد اقام يسوع حيناً بازاء يوحنا المعمدان ثم دخل الى البرية القريبة من هناك ليفتكر بما كان في نفسه وما كان يقوله يوحنا . وكان مشهوراً لدى اليهود حينئذان تلك البرية مسكن الابالسة والشياطين فقالوا ان ابليس جاء يجربه . وبعد اقامته في البرية اياماً قضاها في التامل والافتكار خرج منها فسمع ان الحكومة قبضت على يوحنا المعمدان وزجته في السجن فعاد بتلامذته الى الجليل لئلا يُتهم بالاشتراك في حركة يوحنا . اما سبب القاء القبض على يوحنا فقد ذكره المؤرخ يوسيفوس بالتفصيل وهذه خلاصته

لما كان يوحنا في الجهات التابعة لبيلاطس لم يمسه بيلاطس بسوء على ما يظهر ولم يضايقه . ولكنه لما اقام في جهات الاردن واخذ يعمد ويعلم وتحمس الشعب لكلامه البليغ وسلطته على النفوس حتى لقد حسبوه ايليا عاد ونُشر — خشي انتيباس حاكم تلك الجهات عاقبة هذا الامر لان الحركة السياسية كانت ظاهرة في اقوال يوحنا من ان اكثرها كان موجهاً الى ذم ملوك العالم وحكامه . فبقي انتيباس يراقبه حتى حدث له معه حادث شخصي حمله على سجنه .

وذلك انه كان لهيرودس الكبير حفيدة تدعى « هيروديا » وكانت طماعة قاسية محبة للخلاعة والسلطة فازوجها جدها هيرودس الكبير من عمها هيرودس بن مريان وربما كان ذلك بغير رضاها لان زوجها كان محروماً من حق الملك والولاية . فاصبحت هيروديا بذلك احط من نساء اقربائها شاناً لان زوجها ساقط الحق لا يملك ابداً وهي لطمعها كانت تريد الوصول الى الملك مهما بذلت في سبيله . وكانت هيروديا جميلة فعزمت على اتخاذ انتيباس الذي تقدم ذكره وسيلة الى غرضها . وكان انتيباس هذا مقترناً باميرة عربية وهي ابنة الحارث ملك بتره وامير القبائل الضاربة ما وراء بيريا مملكة انتيباس . فسعت هيروديا لدى انتيباس في ان يطلق امراته العربية وهي تتزوج به فرضي انتيباس بذلك من حبه لها . فدرت بهذا الامر زوجته العربية فعزمت على الفرار فجاءت زوجها واخبرته انها تريد السفر الى ماكور وهي قلعة حصينة على حدود مملكة ابيها وذلك للسياحة قليلاً في اراضيه فاجابها زوجها الى ذلك وبعث معها جنداً لحراستها . اما ابوها فقد كان اعدّ لها وسائل الفرار من قلعة ماكور على يد القبائل التي كانت ضاربة هناك على الحدود

فاخذت تنتقل من يد قبيلة الى يد قبيلة تليها حتى اوصلوها الى قاعدة مملكة ابيها · فاقترن حينئذ انتيباس بهيروديا وكان الزواج بالاقارب الى هذا الحد محرماً عند قدماء اليهود وقد سبق لاسرة هيرودس مثل ذلك لان اليهود كانوا لا يزوجونها ولا يتزجون منها لكراهتهم لها وذلك مما كان يحملها على التزاوج فيما بينها

فلما انتشر خبر زواج انتيباس بهيروديا سخط قدماء اليهود حفاظ التقاليد القديمة ونادى يوحنا المعمدان ان هذا الزواج غير جائز · فامر عند ذلك انتيباس بالقبض عليه وسجنه · فسجنوه في قلعة ماكوالتي تقدم ذكرها وكان انتيباس قد استولى عليها بعد فرار زوجته العربية منها

الفصل السادس · التعاليم المسيحية

وكان سجن يوحنا في السنة التاسعة والعشرين من ولادة يسوع

ولما عاد يسوع من جهات الاردن اشتدت سلطته على الشعب وعلى تلامذته فاخذ يعلمهم ويعظهم · وقد وضع في تعاليمه اساس فلسفة جديدة · فانه قضى باحترام السلطة والملوك اذ اوجب دفع الجزية الى قيصر ولكن هذا الاحترام كان « سطحياً » ومقروناً بشيء من التهكم · وذلك ان الملوك واصحاب السلطة لا سلطان لهم على نفوس الناس · وليس الحرية والحق من شؤون هذا العالم المملوء بالشرور بل من شؤون العالم الثاني فليس ثمت ما يوجب كل هذا الاهتمام بشؤون هذا العالم بل يجب احتقار الدنيا وملاذها وتوجيه قوى النفس كلها الى الحياة الثانية · وبهذا التعليم وضع للنفوس في هذا العالم اساس حرية جديدة مستقلة عن كل سلطة وجعلها مستريحة هادئة مهما عصفت بها عواصف المصائب والاحزان · ولا ننكر ان بعضاً من فلاسفة اليونان كالزينونيين مثلاً استطاعوا انشاء هذه الحرية في نفوسهم وعاشوا بها احراراً في وسط الظلم والاضطهاد اذ لم يكونوا يعبئون بمصاب او يبالون بالم ولكن لم ينقطع احد منهم عن هذا العالم ويحسب الدنيا وطناً وقتياً له والآخرة الوطن الحقيقي كما كان يحسب ذلك المسيحيون

ومع ذلك فربما لم يسلم هذا التعليم من اعتراض قوي · وهو ان وجوب اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله قد يكون اقوى وسيلة لمساعدة الظالم واحتمال نير المظالم وفي ذلك ما فيه من انتشار فساد الاحكام والرضوخ للحكام الظلام لانه يقضي باحترام كل سلطة تقوم ولو كانت جائرة فاسدة · ولذلك لا اخطىء اذا قلت ان الديانة المسيحية قد اضعفت من هذا

الوجه واجبات الوطني لوطنه وساعدت في اسلام العالم الى السلطات الجائرة · ولكنّ ما انشأته من حرية النفوس في العالم وجعلها المسيحيين الاولين في القرون الثلاثة الاولى جمعيات حرة في وسط الاضطهاد لا حاجة بها الى السياسة ولا دخل لها فيها قد محا ما صنعته بالفضائل السياسية والمدنية·

فالذي امتازت به تعاليم المسيح انما هو سموها عن العالم وشؤونه وغلوها في جو الفضيلة والكمال البعيد · وما الحكومات بموجبها سوى قوات مادية ارضية لا تدر لها ولا قيمة · وهي شديدة على العظمة والعظماء والغنى والاغنياء · ولكن اذا كان يسوع قد حارب اولئك وهؤلاء فما حاربهم ليصرف غناهم وعظمتهم الى غيرهم ولكن للاشاة تلك العظمة وهذا الغنى لانهما اصل كثير من الجرائم والشرور · وكان اذا اخبر تلامذته بانه سيكون له شان مع الشرطة تكلم عن ذلك بلهجة تدل على انه لم يكن يحسب نقيصة ولا عارًا الوقوف لدى الشرطة والذهاب للمحاكمة · ولم يوص تلامذته قط بمقاومة الشرطة ومقابلة القوة بالقوة لانه كان يعلم ان الشر لا يُقاوم بالشر وان الانسان لا يتغلب الا بالاتضاع والمسالمة وانكار الذات والعذاب · وهذا الفكر فكر تعذيب الانسان واحتمال عذابه ليقوى به على القوة المادية التي تعذبه فكر سام خاص بيسوع وحده

ولكن اذا كان العظماء والكبراء والاغنياء والكتبة والفريسيون والكهنة لا يدخلون ملكوت الله لانهم مشتغلون عنه بما في ايديهم فمن يدخله؟ يدخله ابناء الشعب والمتواضعون والضعفاء والفقراء والنساء والاولاد · وبمن يُنشأ ملكوت الله اذا كان اولئك الكبراء والاغنياء يحيدون عنه ولا يستمعون لمن يدعوهم اليه ؟ يُنشأ بهؤلاء الضعفاء والفقراء والنساء والاولاد · بهم يتغير وجه الكرة الارضية · بهم تحدث ثورة عظمى في العالم · وهذه الثورة تضع الكبار وترفع الصغار وتطأطئ الجباه العالية

الفصل السابع · في كفر ناحوم

وبعد مدة انتقل يسوع الى كفر ناحوم واقام فيها وكان عمره ٣٠ عامًا ·

ولم يكن قبل هذا الحين قد علم تعليمًا عموميًا ولكن خصوصيًا اما الآن فانه اخذ في التعليم العمومي جاعلاً كفر ناحوم مركزًا لتعليمه ووطنًا ثانيًا له

· وكفر ناحوم هذه مشتقة من كلمتين (كفر) (وناحوم) ومعناها قرية ناحوم وكانت قبله قرية خاملة كالناصرة لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر في كتب يوسيفوس الا مرة واحدة

ولكنها لم تكن المقصودة بهذه الاشارة بل كانت المقصودة بركة ماء بقربها وهذا يدلُّ على شدة خمولها قبل يسوع لان بركة الماء كانت اشهر منها . وكانت كفر ناحوم مبنية على الطريقة اليهودية اي انه لم يكن فيها شيءٌ من آثار المدنية الرومانية الشائقة التي اقامتها اسرة هيرودس في نواحي فلسطين كالتماثيل الرائقة والابنية الفخيمة التي لا يزال رجال الآثار يعجبون بها الى هذه الايام . وقد سماها اليهود بعد المسيح « مدينة المينيم اي الهراطقة » يعنون المسيحيين

وكان سكان تلك البلاد الجميلة يجتمعون مرة في كل اسبوع وذلك في يوم السبت للصلاة ومطالعة كتبهم الدينية . وكان اجتماعهم في كل قرية في مكان يسمونه (مكان الاجتماع) او معبد . وكان هذا المكان عبارة عن قاعة مربعة الزوايا قائمتها وهي مزينة على الطريقة اليونانية اذ لم يكن لليهود طريقة خاصة . ولا يزال في نواحي الجليل الى هذه الايام كثير من بقايا المعابد اليهودية القديمة . وقد كان يُوضع في داخلها مقاعد للجلوس ومنبر للقراءة وخزانة لوضع الكتب المقدسة . وكانت هذه المعابد نقطة عمومية يجتمع فيها اليهود مرة في الاسبوع كما تقدم لقراءة الشريعة واقوال الانبياء . وبما انه لم يكن لليهود في خارج اورشليم كهنة فقد كان لكل واحد الحق في ان يصعد الى المنبر ويقرأ للناس ويفسر القراءة لهم كما يريد . (ومن هنا يظهر ان (الانجيليين) لما ارادوا ادخال البساطة الى الصلاة المسيحية عادوا الى عادة اليهود القديمة) وكان لكل واحد من الحاضرين ان يعترض على القارئ وتفسيره وذلك مما كان يجعل هذا الاجتماع عبارة عن مجمع حر يتبادل اعضاؤه اراءهم وافكارهم . وكان لهذا الاجتماع رئيس وشيوخ وخزان وهو القارئ وقد تقدم انه المعلم ورسل وهم مراسلون او سعاة يستخدمهم رجال المعبد وشماس او حافظ الاشياء المقدسة والمعتني بها . وبذلك كانت المعابد اليهودية في فلسطين شبيهة بجمهوريات صغيرة مستقلة . وكان لها نظام شامل لكثير من شؤون حياة اليهود حتى انها كانت تُصدر قرارات بشان بعض الافراد وتنفذها فيهم على يد الخزان . وكثيرًا ما كان في جملة هذه القرارات العقاب بالضرب . على ان هذه المعابد المنظمة التي كانت منتشرة في جميع انحاء فلسطين هي التي حفظت التقاليد اليهودية منذ الوف من السنين واوصلتها الى هذه الايام دون ان يؤثر فيها ما حلَّ باليهود من الاضطهاد في اثناء القرون الطوال الماضية . وكان الجلوس في كرسي في مقدمة الجالسين دليلاً على امتياز الجالس بالغنى او بالتقوى . وكان المنبر حرًّا يصعد اليه كل طالب فكان ذلك باعثًا عظيمًا على تسهيل نشر الآراء

الجديدة . وهذا مما سهل ليسوع اظهار تعاليمه

فانه لما اراد القراءة والتعليم اول مرة في المعبد صعد الى المنبر فقدم له الخزان الكتاب المقدس فقلبه يسوع وهو واقف امام الحاضرين رابط الجاش تارة ينظر اليهم بعينيه المهيبتين الحلوتين وتارة ينظر الى الكتاب . ثم اخذ يقرأ ويفسر . ولكن تفسيره كان مختلفاً عن تفسير باقي القراء ونَفَسه جديد على جمهور السامعين . وبما ان الفريسيين كانوا قليلي العدد في جهات الجليل فكان ما لقيه منهم من المعارضة في المرة الاولى خفيفاً جداً ولكنه لو ابتدأ تعليمه في اورشليم لما استطاع ان يعلم وقتاً طويلاً بل كان الفريسيون وغلاة الدين اوقفوه عند الخطبة الاولى وحالوا بينه وبين الشعب قبل ان تؤثر فيه كلماته السحرية

ذلك ان كلام يسوع كان عذباً رقيقاً . وكان صوته مؤثراً في النفوس وبلاغته تتدفق تدفقاً . وكان اسلوبه في الكلام والخطابة واضحاً بسيطاً سهلاً ينم على ما في نفسه من الهدوء والرزانة وحب نصرة الضعفاء . فكان صوته يفعل في نفس الشعب فعلاً غريباً وكلامه ينطبق انطباقاً عظيماً على ما في نفوسهم وتصوراتهم البسيطة اللطيفة . وذلك بخلاف ما كان عليه وعاظ اليهود يومئذ من الكلام الجاف الناشف الذي لا يؤثر في النفس ولا يحركها . وهكذا لم يمضِ وقت طويل حتى صار للمعلم الشاب سلطة كبيرة على الشعب . وكان قد حصر تعليمه في بحيرة طبريا وشواطئها وكانت تلك الجهات يومئذ في احسن حالات الخصب والاقبال خلافاً لما هي عليه اليوم من الخراب والجفاف . ويجدر بنا هنا ان نصفها وصف من زارها ورآها

كان على شواطئ بحيرة طبريا في ذلك الزمان خمس مدن صغيرة خلد التاريخ اسماءها كما خلد اسمي رومه واثينا . وهذه المدن هي مجدله ودلمانوثه وكفرناحوم وبيت صيدا وكورزين . اما الآن فلم يعد معروفاً من تلك المدن الصغيرة غير مدينة مجدلة التي منها مريم المجدلية رفيقة يسوع وهي اليوم قرية حقيرة . واما باقي المدن المذكورة فقد طمس الزمان آثارها . فان دلمانوثه مجهولة المكان وغير بعيد ان تكون كورزين مدفونة تحت التراب في الجانب الشمالي . بقيت كفرناحوم وبيت صيدا وقد ظن بعضهم انهما كانتا حيث اليوم تل موم وعين التين وخان منيه والعين المدورة ولكن ذلك افتراض لا دليل عليه . فكأنَّ كل شيء في تاريخ الحوادث المسيحية ساعد على اخفاء آثار صاحب الشريعة الاولى ومن المحتمل ان لا يكشف البشر في مستقبل الزمان تلك الآثار التي تودُّ الانسانية كلها ان تفد وتقبل مواطئ قدمَي السيد فيها

ولم يبقَ في تلك الجهات من تلك المدن المذكورة غير البحيرة والشجيرات الصغيرة وازهار البرية وجو السماء . اما الاشجار فقد انقرضت كلها مع انّ تلك الجهات كانت مشهورة بالخصب حتى ان يوسيفوس عدّ خصبها في تاريخه من العجائب لانه كان يجتمع في ارضها الشجر التي تنمو في الاقاليم الباردة والشجر التي تنمو في الاقاليم الحارة والشجر التي تنمو في الاقاليم المعتدلة ولذلك كان الزهر دائماً فيها . واما الآن فيكفي للدلالة على ما فيها من الخراب والجفاف ان يُقال ان السكان يبحثون قبل سفرهم فيها بيوم واحد عن المكان الذي يستطيعون ان يجدوا فيه شجرة واحدة تظللهم من الشمس في اثناء سفرهم . وقد اصبحت شواطىء البحيره قفراء ولم ارَ عليها حين زيارتي لها سوى زورق واحد صغير يروح ويجيء فوق امواجه التي كانت من قبل مجتمع السفن والناس فيها يلعبون ويضحكون ويتنزهون ويتصيدون . ولكن مياه البحيرة لا تزال كما كانت صافية خفيفة . وعلى البحيرة اسراب كثيرة من الطيور السابحة تتداعب فيها . اما حرارة الجو على شواطىء البحيرة فانها ثقيلة محرقة . وانخفاض هذه البحيرة عن سطح البحر مائة و٨٩ متراً كما قدره المستر فيني . وان الذي يزورها ويحس بما في جوها من الحرارة المحرقة يستغرب انها كانت في الزمن الماضي مركزاً لحركات عظيمة لان حرارة الجو في مكان تخمد همة سكانه . ولكن يوسيفوس روى ان هواءها كان معتدلاً في ذلك الزمان . ولا غرابة في ذلك فان الخصب الذي كان فيها من حيث نمو الاشجار والنبات جدير بان يلطف الهواء ويخفف وطأة « المناخ » . ولعله قد حدث في جوها من التغيير ما حدث في جو برية رومة من هذا القبيل . واما اسباب الجفاف الحالي والخراب الحاضر فهي الحروب الصليبية . فانه بعد انغلاب الصليبيين عملت عوامل الخراب في تلك الجهات فاكلت الاخضر والهشيم . فهل درت ارض جنيساره حين كان يمشي عليها السيد وتلامذته ان هذه الاقدام الخفيفة ستكون سبباً في خرابها الآتي . هل علمتْ الاماكن التي كانت وطناً ليسوع انها ستبتاع مجدها وشهرتها الخالدة بخرابها وفنائها من الوجود

فعمل المسيح اذاً كان مقصوراً في بدء الامر على هذه المدن الخمس الصغيرة . ولا يحتمل ان يكون المسيح قد دخل الى مدينة طبرية لان اكثر سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين وفيهم الفينيقيون والسوريون والعرب واليونانيون . وكانت هذه المدينة مقام الحاكم انتيباس والي بيريا والجليل وساجن يوحنا المعمدان . ولكن يسوع كان كثيراً ما يرحل عن تلك الجهات المحبوبة اليه فيركب زورقاً الى شاطىء البحيرة الشرقي فيزور

جرجسه مثلاً او يسير في الجانب الشمالي الى قيصرية فيلبس في سفح جبل حرمون . ولقد سار مرة الى صور وصيدا المدينتين الفينيقيتين وكانتا يومئذ في ابان مجدهما ونموهما . وغير بعيد ان يكون قد زار في قيصرية مغارة بانيوم التي كانوا يزعمون بان نهر الاردن ينبع منها والهيكل الرخامي البديع الذي بناه هيرودس الكبير قريباً من هناك اكراماً لاغسطس قيصر . ولكنه لم يكن يرتاح الى هذه البلاد البعيدة مهما كان عزها ولذلك كان يُسرع الى شاطئ جنيساره المحبوب اليه في وسط تلك الطبيعة الضاحكة التي ربي فيها

الفصل الثامن . تلامذة يسوع

ففي هذا المكان الذي يجوز ان يلقب قطعة من الجنة لان كل شيء فيه كان هادئاً جميلاً لعدم وصول الثورات التي قلبت وجه العالم اليه — في هذا المكان كان يعيش شعب هادئ نشيط مستقيم طروب للحياة ولذتها واخلاقه منطبقة على الطبيعة التي حوله . وكانت بحيرة طبرية مشهورة بكثرة سمكها فكان السكان يصطادون منه كثيراً وقد انشأوا في كفر ناحوم و بيت صيدا مصائد عظيمة عادت عليهم بسعة الرزق وكثرة الخيرات . وكانت معيشة هؤلاء الصيادين الطف معيشة وابسطها وكانوا مرتبطين بعضهم ببعض برباط القربى لانهم كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . ولم يكن قد دخل الى بلادهم شيء من آثار المدنية اليونانية والعالمية ولكن عاداتهم كانت حسنة واخلاقهم هادئة وربما كانوا يشبهون سكان جبل لبنان في هذا الزمان . ففي هذا الوسط اقام يسوع وترك وطنه الناصرة لانه لم يجد فيها الاكرام الذي كان من حقه . وفي ذلك يقول « ليس لنبي كرامة في وطنه »

وكان في كفر ناحوم بيت امتاز باكرام السيد وهو لصيادين يدعيان اندراوس وسمعان بطرس فاقام يسوع فيه رخيّ البال مكرماً محترماً . وكان فيها بيت آخر لزبدة وكان له ولدان يعقوب و يوحنا وامرأة تُدعى صالومه كانت اشد الناس اتباعاً للسيد . وذلك ان النساء كن كثيرات الاكرام ليسوع لان جماله المهيب ولطفه وحسن معاملته لهن وتحذره في الكلام معهن كانت تجتذب القلوب اليه . ولم يكن الانفصال تاماً بين الرجال والنساء في القرى اليهودية كما كان في المدن ولذلك انضم الى تلامذة المسيح ثلاث من النساء فازداد بهن نادي يسوع جمالاً ورواء . وكان فيهن واحدة من مجدل وهي مريم المجدلية

وكانت من عصبيات المزاج الشديدات التأثر والانفعال فسكن يسوع بنظره الهادىء اللطيف وجماله الطاهر نفس هذه المرأة المضطربة . ثم انضم الى تلامذته متى وفيليبوس ونثنائيل وتوما وغيرهم وفي جملتهم يهوذا الخربوطي نسبة الى خريوط وهي قرية في اقصى جنوبي بلاد اليهودية على مسيرة يوم من حبرون . وكان جميع تلامذته من اهالي بلاد الجليل الا يهوذا هذا

اما نسبة التلامذة بعضهم الى بعض فقد كانت واحدة . فان السواء كان عاماً في هذه الهيئة الناشئة . وكل واحد يجب عليه ان يلقب الآخر « اخاه » امـا لقب « ربي » الذي معناه معلم ولقب « ابي » فقد كانا محرمين بينهم لانه ما من معلم غير يسوع وما من أب غير الله . والكبير فيهم يجب ان يكون خادمهم . ومع ذلك فقد امتاز منهم بطرس باهميته من حيث علاقته بيسوع . فان السيد كان يقيم في منزله وكـان يعظ في سفينته فكان منزله وسفينته مركزًا للوعظ والتعليم . وكـان بطرس رجلاً مستقيماً مخلصاً بسيطاً يندفع لاول اشارة من السيد فكانت هذه الاخلاق تعجبه كثيرًا . فالظاهر ان صالومه امراة زبدة حسدت بطرس على مقامه فانفردت في ذات يوم بالسيد وسالته ان يجعل ولديها في المنزلة الاولى بعده . فاجابها يسوع ان الذي يروم الاستعلاء يسقط وان ملكوت الله للمتواضعين . وبذلك صرفها عن طلبهـا . ولما درى باقي التلامذة بما سالته صالومه استاؤوا جدًا منها

فما مر يتضح ان اكثر تلامذة المسيح كـانوا صيادي سمك . ولكن لم يكن لصيد السمك في الجليل في ذلك الزمان الشان الحقير الذي له في هذا الزمان . ولم يكن من بين العشارين في تلامذة يسوع غير لاوي وربما الرسول متى ايضاً . وكانت وظيفة العشارين اي جباة الضرائب مكروهة الى اليهود في ذلك الزمان اشد كراهة لما تقدم من مقتهم الضرائب والاعشار لانها دليل على عبودية الانسان للانسان . وكـان احدهم اذا رضي وصار عشارًا قطع اهله ورفاقه كل علاقة لهم معه ومنعوا الناس من معاملته والذهاب الى صندوقه لاستبدال نقودهم منه كما ورد في المشنا . وكـانوا يعدون العشارين ومستخدمي الجمرك وما اشبههم في جملة اللصوص والادنياء وقطاع الطرق واذا توفي واحد منهم واوصى كانت وصيته فاسدة . وكانت الطريق الرومانية الكبرى الموصلة بين عكا ودمشق الشام والتي هي من اقدم الطرق في العالم تمتد في الجليل بجانب بحيرة طبرية كما روى الانجيلي متى (الاصحاح الرابع عدد ١٣ — ١٥) وكانوا يسمونها في زمن الحروب الصليبية « طريق

ماريس » . فكان يمرُّ في هذه الطريق كثيرون من مستخدمي الجمرك والعشارين . وكان في جملتهم عشار يُدعى لاوي فاتى يسوع ودعاه الى مائدته فاجابه يسوع وذهب الى مائدته مع تلامذته . فكان لذلك تاثير عظيم في نفوس كهان اليهود كما جاء في التلمود . اما يسوع فلم يبال لانه اراد بذلك ان يدلهم على ان الله لا يطلب من البشر سوى طهارة القلب ونقاء الباطن

الفصل التاسع . التعليم على البحيرة

تلك كانت الحلقة التي كانت تحيط بيسوع على شواطئ بحيرة طبرية . وكانت جودة الهواء في تلك الجهات تجعل حياة هؤلاء البسطاء الودعاء عيدًا دائمًا . فانهم كانوا في النهار يركبون بحيرة تهزهم امواجها كما تهز الام سرير اولادها وفي المساء يجلسون او يستلقون على شاطئها يتحدثون ويتباحثون . فكانت معيشتهم كلها في الخلاء والهواء . وكان التلامذة يقطفون في ذلك الاوان زهرة تعاليم السيد اول نبتها ويتمتعون بارجها . وكان اذا بدا في نفس احدهم شك او ريب ازال المعلم العظيم ذلك الشك بنظرة واحدة لطيفة او بسمة واحدة . وكل غمامة كانت تمر في جو السماء وكل حبة كانت تنبت امامهم في البرية وكل سنبلة كانت تنضج وتصفر في الحقول كانت دليلاً على تقدم العالم ودنو ملكوت الله . وكانوا في هذه النزهات الجميلة يسمعون من فم المعلم العظيم هذه التعزية الكبرى التي يزول العالم ولا تزول

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماوات

« طوبى للحزانى لانهم يتعزون

« طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون

« طوبى للرحماء لانهم يُرحمون

« طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله

« طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يُدعون

« طوبى للمطرودين من اجل البرّ لان لهم ملكوت السماوات

وكان تعليمه حلوًا ياخذ بمجامع القلوب وشبيهًا في ريحه بريح الازهار في الحقول . وكان يسوع يحب هذه الازهار حبًا شديدًا ويتمثل بها . وهو اول من ابتدع الوعظ بالامثال اللطيفة الجميلة . نعم ان في الكتب البوذية كثيرًا من الامثال تشبه الامثال المسيحية

ولكن لم يقم دليل قط على انه كان للديانة البوذية تاثير على الديانة المسيحية او كان لها علاقة بهـا

وكانت الطبيعة في الجليل بسيطة والهواء معتدلاً والعمل في زراعة الارض لا يأتي باجرة تساوي التعب فيها فلم تكن تمس الحاجة كثيرًا الى الطعام الكثير واللباس الدافىء والعمل بل كانت القناعة والاكتفاء شعار السكان كلهم . فكان ذلك يوحي الى المعلم العظيم آيات لم يخط مثلها قلم على قرطاس فكان يقول

« لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضاً . لا يقدر احد ان يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لاتقدرون ان تخدموا الله وممون(١) . لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تاكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحيوة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس . انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوي يقوتها الستم انتم بالحري افضل منها . ومن منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعاً واحدة . ولماذا تهتمون باللباس تاملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل . ولكن اقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور يُلبسه الله هكذا افليس بالحري جدًا يُلبسكم انتم يا قليلي الايمان . فلا تهتموا قائلين ماذا ناكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس . فان هذه كلها تطلبها الامم لان اباكم السماوي يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرهُ وهذه كلها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شرهُ » .

فهذا التعليم وهذه المبادىء كان لها تاثير عظيم على الجمعية المسيحية الاولى . فان التلامذة صاروا يعتبرون الاهتمام بالحياة والمعيشة شرًا يخنق في نفس الانسان كل خير وحسبهم ان يسالوا الله في كل يوم خبز الغد . اما كنز الكنوز وتوفير الاموال فكان امرًا قريباً من

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ممنون اله المال والكنوز المدفونة عند الفينيقيين والسور بين القدماء

العبث . ومما كان يقوي هذه المبادىء انتشار اللصوصية في تلك البلاد وكثرة السلبة وقطاع الطرق كما رواه يوسيفوس . فان الغني لم يكن على ثقة من غناه ولذلك كان في خوف دائم من فقده واما الفقير فانه كان مستريح البال لانه لا يخشى من اللصوص على شيء يملكه اذ لم يكن يملك شيئاً . وبناء عليه كان الفقير كأنه اغنى من الغني . واما في هيئتنا الاجتماعية الحاضرة فان حالة الفقير لا تحتمل . فان الغني عندنا على ثقة من ماله والخيرات والازهار والافياء لاصحاب الاملاك دون سواهم . واما في الشرق فالازهار والافياء والخيرات شائعة للكل ولا يملك صاحب الملك من الارض الا شيئاً محدوداً واما الطبيعة فانها ملك للجميع .

على ان المسيحية لم تكن في ذلك الامر الا مقلدة لطائفة الايسينيين اليهودية وهذه الطائفة كانت مقلدة لطائفة الفيثاغوريين اليونانية . وكان البخل هو الرذيلة الكبرى في اعتبار الهيئة المسيحية الاولى . والمراد بالبخل هنا اقتناء الملك والمال . ولذلك كان اول ما يجب على الذين يرغبون في اتباع السيد والانضمام الى تلامذته لينالوا ملكوت الله ان يتخلوا عن املاكهم واموالهم اما هبة للفقراء والمساكين او الى الجمعية المسيحية . واذا لم يصنعوا ذلك لم يكن لهم ان يسموا انفسهم تلامذة المسيح . فكان ذلك بمثابة « اشتراك في الملك والمال » وهو ما يدعو اليه الاشتراكيون في هذا الزمان . ولكن لم يلبث ان ظهر ضرر هذه الطريقة فان اجتماع الاموال لدى الجمعية المسيحية اوجب تعيين امين لحفظها فاختاروا لذلك يهوذا الخريوطي ولكنه لم يلبث ان اتهم بسرقة المال المشترك .

واشد ما يكون ظهور رغبة يسوع في محق الغنى في مَثل الغني ولعازر الفقير الذي كان يأكل من فتات مائدته . فان الغني حُمل الى النار ولعازر الى السماء . ولماذا ذلك؟ لان الاول غني تمتع بخيرات الارض ولم يهبها الى الفقراء . اما قولهم ان المقصود بهذا المثل هو الغني الشرير فقط فتأويل لا مسوّغ له وهو من الموضوعات بعد يسوع . لا سيما وانه قد قال ايضاً : أيسر للجمل ان يدخل في ثقب ابرة من ان يدخل الغني ملكوت السماوات

على انه اذا كانت هذه التعاليم ملائمة لحالة تلك البلاد يومئذ والهيئة الاجتماعية اذ ذاك فانها لم تكن ملائمة للحالة الاجتماعية في كل مكان . وقد جاء وقت رأت فيه المسيحية نفسها مضطرة الى قبول الاغنياء في حضنها . ولكن حسبها فخراً انها كانت في اول امرها مملكة الفقراء . وقد كان لقب فقير شرفاً لتلامذتها وكانوا يتلقبون به دون سواه . وقد اصبحت الشحاذة بذلك فضيلة وصناعة مقدسة . ولا يزال شيء من هذه الحالة في الديانة المسيحية الى هذه الايام . وقد كان تاثير هذا الامر عظيماً جداً ولا سيما في نفوس الطبقات السفلى

الرازحة تحت احمال الحياة · فان الانجيل كان لهذه الطبقات بمثابة ثلمـة في سقف سجنها تشمّ منه ريح النسيم وتنظر وجه السماء · فكان لها اجمل تعزية واعظم تسلية · ولا شبهة في ان هذا الامر لا ينطبق على حالة الاجتماع ولا يوافق قواعد الاقتصاد السياسي ولكن رفع ثوب الفقير الى هذه الدرجة من السمو وجعل الفقر رمزًا الى المحبة والاخلاص امر جدير بكل اعتبار · فان الانسانية ترغب في ان تعلم انها لم تستوف حقها بقبضها اجرتها بل لها هنالك حق آخر وذلك مما يساعدها على حمل اعبائها · واعظم ما تُخدم به تعليمها انهـا لا تحيى بالخبز فقط بل هنالك شيء آخر »

﴿ الجامعة ﴾ وهنا نمسك القلم فقد بلغنا نصف الكتاب وقد لخصنا فصوله بما امكن من الاختصار فكل صفحة من صفحات المقالة التي تقدمت مقتطفة من عدة صفحات من الكتاب الذي نحن في صدده اي ان هذه التسع عشرة صفحة ملخصة من اكثر من مائتي صفحة كبيرة منه · وسناتي على بقية هذا الكتاب الخطير في مقالة تالية ثم نردفهـا بردود المؤلف على مناظريه الذين حملوا عليه حملات منكرة حين صدور كتابه وبراي الجامعة في هذا الموضوع · وكل آتٍ قريب

الاستاذ ضومط وسوريا الحديثة

لما قرأتُ في العدد الاخير من الجامعة خطبة جناب الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط عن « سوريا القديمة والحديثة » ذكرت قول الجامعة عند تقريظها كتابه (فلسفة البلاغة) في سنة ١٨٩٩ (الجزء ١٥ السنة الاولى القسم الثاني) وهذا نصه « وانه يطيب للذين يغارون على العلم في الشرق في وسط هذه الفوضى العظيمة فوضى الطبع والنشر في مصر والشام ان يروا في المطابع حينًا بعد حين كتابًا كهذا الكتاب · فانهم يستدلون به على وجود طبقة مستترة من العلماء والكتاب تطلب العلم الصحيح لذاته وهي فيه راسخة القدم منصرفة الى درس فروعه واتحاف الشرق بمباحث جديدة مفيدة كل بحسب استعـداده وفطرته · وعندنا ان هذه الكتب المفيدة التي ينشرها بعض علمائنا الحين بعد الحين تعزي بعض التعزية عما في عالم المطبوعات الآن من المضحكات والمبكيات »

ولكني بعد اعادة هذا الثناء على فضل الاستاذ ارى من الواجب ان ابحث في مسألة

في غاية الاهمية وردت في ختام خطابه . ولو لم يكن حضرة الخطيب ممن تدوي اصواتهم في الاقطار ويرجع الناس الى آرائهم وعلمهم لالتزمت الصمت فكم بين اراء الجرائد والكتاب والخطباء من آراء جديرة بالقرض لا بالرد ومع ذلك فلا يهتم احد لها . وبعد هذه المقدمة اقول .

ان جناب الخطيب قال في ختام كلامه « ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه (العلم) انما هي التجارة والصناعة والزراعة » « وان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي» فاذا ارادت سوريا النهوض من عثرتها فعلى اي ركن من هذه الاركان يجب ان تعتمد . اعلى التجارة ؟ « كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر . افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر ؟ اتستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط ؟ اتستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجا الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة » فعلى ماذا تعتمد سوريا اذاً . اعلى الصناعة « ولكن اي صناعة تعنون . اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم» هل « فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة » « وقد راينا قبيل الآن ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة » تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الآن

فيؤخذ من هذا القول البليغ ان ابواب التجارة مسدودة دوننا لثلاثة اسباب (١) ان الغرب قد وجد لتجارته طرقاً اخصر من طرق سوريا فانصرفت تجارته عنها بعد ان كانت هذه البلاد في الزمن القديم صلة بين الشرق والغرب (٢) ان الغرب صار يصنع في بلاده البضائع التي يحتاج اليها ولا يطلب من الشرق الا المواد الاولية التي لا توجد في الغرب اي ان الصادرات اليه من الشرق انما هي جزء صغير بالنسبة الى الصادرات منه الى الشرق . وبذلك صار الشرق مغبوناً في هذه المبادلة وانصرف الربح التجاري الى الجيوب الغربية (٣) ان كل دولة من الدول تحمي تجارة رعاياها بكل قواها ولو افضى ذلك الى الحرب ولذلك قالوا ان الحروب في هذا الزمان صارت حروباً اقتصادية . اما الدولة العلية العثمانية فلا سبيل لها الى حماية تجارة رعاياها لما بينها وبين الدول من المعاهدات المجحفة بحقوقها وحقوقهم . ولقد

ارادت منذ سنتين حماية تجارتها (الداخلية لا الخارجية) بزيادة رسوم البضائع الاوربية ٤ في المائة على ما اذكر فقامت قيامة الدول عليها

ثم انه كما انه ابواب التجارة مقفلة دوننا فكذلك ابواب الصناعة لانه كما قال الخطيب واجاد « ان الصناعة تحتاج الى مثل التجارة الاوربية لتقوم بها والا فتسقط » اي انها تحتاج الى الوسائل السياسية والتجارية والعسكرية الموجودة لدى الامم الاوربية . فماذا نصنع بصناعتنا اذا كنا لا نقدر على نشرها بالقوة في مستعمرات العالم كما تصنع الدول الاوربية . بل هل لنا ان تكون لنا صناعة ونحن لا نقدر في بلادنا على حماية بضائعنا من البضائع الاوربية التي تُصنع ارخص ثمناً منها واكثر اتقاناً . اذن فلا نهوض لسوريا بالصناعة

ولكن اذا كانت سوريا لا تنهض بالتجارة والصناعة للاسباب التي تقدمت فهل تنهض بالزراعة ؟ وهنا الاعتراض الذي لي على حضرة الخطيب

قال جنابه « لا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام » « واذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة . اعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها . اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها . اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان . اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات »

اقول . اني لا انكر فوائد هذه الامور الهامة ولا اجهل نفع الزراعة للبلاد بل لكل بلد ولكني ارى ان الزراعة نفسها لا تسلم من الاعتراضات التي وُجهت الى التجارة والصناعة

فلنفترض ان الامة السورية هبت الى الزراعة في زمن من الازمان وصرفت قواها اليها فعقدت الشركات وانشأت الطرق وغرست الغرس وربت الحيوان ولم تفشل في ذلك بما في روحها من جرثومة الانقسام والتدافع . فماذا تكون النتيجة . تكون النتيجة ان البلاد السورية تغرق تحت سيل الحبوب المستخرجة من سهول سوريا وبالات القطن المستخرجة من سهول ما بين النهرين وآطنه . والخمر المستخرجة من سهول فلسطين والمواشي الناشئة في جبال لبنان والكومل وسهول حلب وبغداد . وغير ذلك من المواد الزراعية . وترى البلاد حينئذ انه اذا لم تجد منافذ لصرف تلك المقادير الهائلة اليها وبيعها باثمان حسنة فيها فان ذلك يعود عليها بالخسران والخراب ويكون كل عملها واجتهادها كصيحة في قفر يباب . فالامر

المهم اذاً في الزراعة انما هو وجود « المنافذ » التي تنصرف الحاصلات اليها باثمان فيها ربح لاصحابها • فشانها في ذلك شان الصناعة تماماً • وكما ان الصناعة تسقط اذا لم تؤيدها القوة العسكرية والسياسية وتنشرها بمياذيب التجارة في جميع اقطار العالم هكذا الزراعة تسقط اذا لم تتيسر لها تلك الوسائل العسكرية والسياسية لتدبر لها منافذ لحاصلاتها

ان حاكم الجزائر الجديد المسيو ريفوال يعزو استياء اهل الجزائر من حكومتهم وسخطهم عليها الى سببٍ واحد وهو انهم افرطوا في زراعة الكرمة افراطاً شديداً فاجتمع لديهم من حاصلات الخمر شيء لم يقدروا على بيعه في الاسواق الاوروبية لكثرتـه فنقموا على الحكومة لانها لم تدبر لهم « منافذ » لبضاعتهم • والحكومة الالمانية عزمت على وضع رسوم جديدة على الحاصلات الزراعية الواردة الى بلادها ارضاء لحزب الزراع فساء ذلك روسيا وعزمت على مقابلتها بالمثل اذا انفذت هذا المشروع لانه يوقع بزراعها ضرراً عظيماً لسده الاسواق الالمانية في وجه الحبوب الروسية • وقد خيف من وقوع الجفاء بين روسيا والمانيا بسبب هذه الرسوم الجديدة • وايطاليا تنادي بلسان وزير شؤونها الخارجية انني لا اجدد عهود المحالفة الثلاثية مع المانيا والنمسا الا اذا عقدتا معي معاهدات تجارية جديدة يكون فيها ربح للزراع الايطاليين • ووزير خارجية هنغاريا يخطب معترضاً على الرسوم الالمانية الجديدة وان كان له من ذلك غرض سياسي غير الغرض الزراعي • والزراع الفرنسويون يقولون عن روسيا ما هذه الصديقة التي تضع على خمورنا رسوماً باهظة منعاً لها من الدخول الى بلادها • فانت ترى مما تقدم ان المسالة المهمة في السياسة الدولية صارت عبارة عن انشاء منافذ للبضائع والحاصلات الوطنية فهل يتيسر للدولة العلية العثمانية ان تجاري الدول الكبرى في هذه الطريق الكؤود

وان قيل ان مصر تصدر الى البلاد الاوروبية من القطن ما قيمته عدة ملايين جنيه وما من احد يضع العثرات في سبيل هذه الزراعة العظيمة • قلتُ ان القطن المصري اكثر ما يكون صدوره الى انكلترا وهي بلاد تمتاز عن سائر البلاد بحرية التجارة والمبادلة واما القطن الصادر الى غيرها من البلاد فان جماركها تاخذ عنه رسوماً فضلاً عن ان روسيا قد وضعت منذ عامين على جميع القطن الوارد اليها رسوماً جديدة تشجيعاً لقطنها الذي يُزرع في تركستان واواسط آسيا • بل ما لنا ولمصر واوروبا فلننظر الى سوريا نفسها نجد ان روسيا وضعت منذ سنتين رسوماً جديدة باهظة على البرتقال الصادر اليها من طرابلس ويافا مما اوقع تجار هذا الصنف في ضرر شديد • فماذا تفيد كثرة الحاصلات اذا كانت

الاسواق الخارجية تُسد دونها والدولة العلية العثمانية لا تقدر بناء على المعاهدة المجحفة ان تُقابل المثل بالمثل بان تزيد الرسوم على بضائع كل دولة تزيد حكومتها الرسوم على البضائع العثمانية ·

ثم هل نذكر المواشي الشامية الواردة الى مصر وما يوضع في سبيل ادخالها الى هذا القطر من العثرات لانها تزاحم المواشي القبرصية والاسترالية

فبناء على ذلك يكون نصيب الزراعة في بلادنا الموت العاجل اذا قُدر لها النشوو كما اقترح الاستاذ ولم تتغير هذه الحالة · اما اذا كان الغرض من اقتراح الاستاذ وجوب ان تكتفي البلاد نفسها فيما يختص بالحاصلات الزراعية فهذا امر حاصل الآن · فان سوريا يخرج فيها قمحها وفولها وحمصها وعدسها وشعيرها وفاكهتها اللذيذة من تفاح جميل كخد العذراء وبرتقال كالشهد او احلى طعماً وغيره من الفواكه والاثمار والخضر وكل حاجات معيشتها خلافاً للقطر المصري الذي يرده من الخارج شيء كثير مما تقدم وبعضه من سوريا نفسها· فليست اذاً سوريا بحاجة الى زراعة لتغذيها · ولكن الى زراعة لتغنيها · ولا غنى من طريق الزراعة الا اذا كانت وراءها يد قوية تنشطها وتحميها · وهذا امر متعسر الآن ان لم نقل متعذراً لاسباب عديدة اهمها ما بين الدولة والدول من المعاهدات وهن لا يتنازلن على ما يظهر عن حرف واحد منها · فكيف والحالة هذه تكون الزراعة الركن الوحيد لنهضة سوريا

على انني اعترف ان كلامي هذا ثقيل جداً على الاسماع · فان جناب الاستاذ الخطيب قطع لسوريا الامل من النهضة بالتجارة والصناعة ولكنه ابقى لها الامل في الزراعة واما كلامي انا فانه وياللاسف يقطع الامل حتى من النهضة بالزراعة · ولكنني اعتقد ان توزيع قوى السوريين على الصناعة والتجارة والزراعة معاً اكثر فائدة لهم مما لو حصروها في فرع واحد منها · هذا رأيي واذا كنتُ قد اخطأت فالعصمة لله وحده

﴿ مستفيد ﴾

﴿ تاريخ بني امية من اوله الى آخره ﴾ اشرنا في صدر هذا الجزء الى نشرنا مقالة فيه حاوية خلاصة هذا التاريخ ولكن كثرة المواد في هذا الجزء اضطرتنا الى ارجاء تلك المقالة الى الجزء القادم

قيصران وقيصرتان

امبراطور روسيا وامبراطورتها · امبراطور المانيا وامبراطورتها
(اخلاقهم)

لا نروم في هذا الفصل ترجمة جلالة قيصر روسيا وجلالة قيصر المانيا وانما نودُّ الاشارة الى اخلاق هذين الرجلين اللذين كثر الكلام عنهما في الشهر الاخير وتوجهت اليهما جميع الانظار

ولقد كان المؤرخ فلوطرخوس اليوناني المشهور اذا رام وصف اخلاق احد من مشاهير رجال اليونان والرومان اكتفى بسرد بعض النوادر والحكايات عنه فيدل ذلك على اخلاق موصوفة اكثر مما يدل عليه قول الواصف انه كبير صغير شجاع لطيف محب لشعبه وغير ذلك من الصفات التي تدخل من اذن وتخرج من اخرى · فلا باس ان نقتدي هنا بفلوطرخوس ونقصر الكلام على بعض النوادر التي تدل على اخلاق كل من الاشخاص الاربعة العظام الذين نتكلم الان عنهم فان ذلك لا يخلو من فكاهة وفائدة

واول ما يظهر للقارىء من مقابلة قيصر روسيا بقيصر المانيا تباين غريب في اخلاقهما فان منظر الاول هادئ لطيف يدل على بساطة وتواضع وفي عينيه جمود وتأمل يثبتان انه من رجال التصور · ومنظر الثاني جريء مقدام تبدو فيه ملامح الانفة فتدلُّ على انه من رجال الشدة والعمل · فاحرِ بهما ان يكون قيصر روسيا قيصرًا لالمانيا الحكومة الدستورية المقيدة التي تستلزم امبراطورًا هادئًا محترمًا لحقوق البرلمان · وقيصر المانيا قيصرًا لروسيا الحكومة المطلقة التي تستلزم امبراطورًا شديد الشكيمة قوي القبضة

وتباينهما في الاخلاق هذا التباين يجعل بينهما فرقًا عظيمًا في كثير من الشؤون · فانه من المشهور عن الامبراطور غيليوم انه لا يمر اسبوع الا ويلقي فيه خطبة وذلك من فرط حبه للكلام واما الامبراطور نقولا فانه يمرُّ العام والعامان ولا نسمع له صوتًا · واذا خطب على جنوده العائدين من الصين فلا يقول لهم كما قال الامبراطور غيليوم « انكم رفعتم شان الاسم الالماني انكم نشرتم التمدن » او « لا تاخذوا من الصينيين اسرى بل اقتلوهم وضايقوهم حتى لا يجسر احد منهم في المستقبل ان ينظر الى جندي الماني » ولكنه يقول لهم هذه العبارة البسيطة « ايها الاخوة انني اشكركم على الخدمة التي قمتم بها في الصين واتمنى لكم الراحة بعد تعبكم »

وقد تهكمت احدى جرائد برلين على الامبراطور غليوم لكثرة خطبه فصورته واقفاً امام طيور السنونو المهاجرة من المانيا يقول لها وهو رافع يديه « عودي ايتها الطيور سريعاً بسلام ليرتفع الاسم الالماني » وغني عن البيان ان هذه الجريدة من جرائد الاشتراكيين

والغريب ان هذا التباين الموجود في اخلاق القيصرين موجود ايضاً في اخلاق القيصرتين ولكنه معكوس . اي ان قيصرة المانيا اقرب في اخلاقها الى قيصر روسيا منها الى زوجها الامبراطور غليوم وقيصرة روسيا اقرب في اخلاقها الى قيصر المانيا منها الى الامبراطور نقولا . يُروى عن امبراطورة المانيا انها كانت جالسة في ذات يوم مع زوجها الامبراطور وهي تفحص قطع نسيج بين يديها فالتفتت اليه وقالت انني لا ارى هذه الالوان تلائمني لانني صرت عجوزاً واخجل من لبسها فقال لها الامبراطور فدعيها اذاً وغداً ارسل اليك الواناً قاتمة تلائمك . وفي اليوم التالي ورد على الامبراطورة صندوق مملوء انسجة بالوان ازهى وابهى من تلك الالوان ومعها ورقة من الامبراطور يقول فيها انه يحب ان لا تلبس الامبراطورة الا الالوان الزاهية

فكأنَّ جلالة الامبراطور غليوم يُنفذ سلطته حتى في ملابس زوجته

واما علاقة قيصرة روسيا بقيصرها فهي عكس ما تقدم كما يقول الاخباريون . فان الامبراطورة الكسندره ذات سلطة عظيمة على الامبراطور نقولا فلا يخالف لها امراً حتى في الشؤون السياسية . ويقال ان اكبر الناس نفوذاً في البلاط الروسي ثلاثة الامبراطورة والمسيو دي ويت وزير المالية والنائب العمومي في المجمع المقدس (السينودوس) . فكل رأفة وحلم ورغبة في التقدم والارتقاء تظهر من الحكومة الروسية تكون من تاثير القيصرة او المسيو دي ويت . وكل ضغط وتضييق وشدة تظهر من الحكومة تكون من تاثير النائب في السينودوس . ولعل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغة

ومن مزايا الامبراطورة الكسندره انها لا تترك الامبراطور زوجها يخرج من القصر وحده لانها تخاف على حياته الثمينة . واحلى اوقات الامبراطور هي الاوقات التي يكون فيها مع الامبراطورة والغراندوقات بناتها الاربع . واذا كان الامبراطور جالساً ودخل عليه احد وزرائه لشغل خاص تهمّ الامبراطورة بالانصراف فيمسكها الامبراطور ويقول لها اجلسي فان المكان يسع ثلاثة . ولما ولدت الامبراطورة البنت الاخيرة اخذت تبكي لانها لم تلد ذكراً ليكون ولياً للعهد فبذل الامبراطور جهده في اسكاتها واظهار رضائه عنها

وللامبراطور نقولا حلم غريب قلما يُرى في ملك سواه وهذا اعظم شرف له . روى



﴿ جلالة القيصر نقولا ﴾

المسيو بريسون في جريدة الطان ان القيصر قبل وصوله الى فرنسا في الشهر الماضي دعا بحارة الدارعة ستندارد الى مائدته الخصوصية جرياً على عادته · فجاءوا وجلسوا يؤاكلون امبراطورهم · وكان بعضهم مصاباً بالدوار من شدة اضطراب البحر ولا يستطيعون الاكل فدرى بذلك الامبراطور من اصفرار وجوههم فقال لهم اذا كان احد منكم يشكو المًا او اعتلالاً فليصعد الى ظهر السفينة لاستنشاق الهواء · فاجاب البحارة انهم لا يشكون شيئاً وذلك لانهم رأوا نهوضهم عن مائدة الامبراطور امراً لا يليق بهم · ولكن نقولا اللطيف شعر بذلك فقال بعد هنيهة انني اشعر باعتلال فاسمحوا لي بالدخول الى غرفتي ثم قام ودخل الى غرفته لكي لا يضايقهم حضوره · فانصرف البحارة مسرورين معجبين

غير أن هذا الحلم غير مقرون بضعف كما يظن القارئ · والدليل على ذلك



﴿ جلالة القيصرة الكسندره ﴾

الحكاية التالية ·

قبل ارتقاء القيصر الى العرش الامبراطوري اعلن انه سيرتقي اليه برتبة كولونل (مير الاي) فجاء عمه الغراندوق الكسيس على ما نذكر واظهر له وجوب ان يرتقي الى رتبة جنرال طبقاً للاصول · فقال له القيصر الشاب لا باس · فالحّ الغراندوق في ذلك · فاجابه القيصر حينئذ « ارجوك يا عماه ان لا تتعب نفسك من اجلي فاني قادر على ترقية نفسي متى شئت » وبذلك ايد سلطته على كل سلطة ·

وعلى ذكر رتبة الكولونل التي ارتقى بها القيصر الى العرش نروي عنه نادرة ثانية · وهي



﴿ جلالة امبراطور المانيا ﴾

انه كان يتنزه في ذات يوم في حديقة قصره وهو لابس ملابسه العسكرية التي هي ملابس كولونل · فمرَّ من هنالك جنرال روسي من موظفي القصر · ولما رأى الجنرال ان الكولونل الواقف امامه لا يحييه التحية العسكرية التفت اليه بهيئة رسمية وقال : لماذا لا تسلم السلام العسكري الرسمي على جنرالك ايها الكولونل · فاجاب القيصر : لانني لم ارتقِ الى العرش ايها الجنرال الا منذ بضعة شهور فما عرفت انك جنرال · فتصوَّر حالة الجنرال حينئذ

وله نوادر كثيرة مع جنوده وضباطه · منها انه بلغه في ذات يوم ان بعض الضباط آلوا على انفسهم انهم لا يجالسون ولا يحادثون كل ضابط يركب الترمواي لاعتبارهم ركوبه عارًا على الضباط ورغبتهم عنه في المركبات الفاخرة · فركب القيصر ذات يوم على غفلة من رجاله احدى مركبات الترمواي وسار الى ثكنة اولئك الضباط فقال لهم · هل تحادثون امبراطوركم ايها السادة ام لا فانني جئت بالترمواي لا في المركبة · فكادت مرائرهم تنشق من الخجل ·

وليس غريبًا ان ينفرد قيصر روسيا هذا الانفراد ويسير في شوارع بطرسبرج وحده



﴿ جلالة امبراطورة المانيا ﴾

فانه قد اشتهر بالغائه الاحتياطات السرية الغريبة التي كان يتخذهـا القياصرة قبله لحفظ نفوسهم وصار الدخول علي الامبراطور والاقتراب منه امرًا بسيطًا جدًا بالقياس الى الحالة الماضية · ولقد زار القيصر مرة موسكو فكان اذا مرَّ بشوارعها لا يرى غير حراب الجنود وقبعاتها وملابسها · فالتفت الى حاكم موسكو وقال له « ولكن اين الشعب اين الشعب فانني ما جئت لاشاهد الجنود ولكن لاشاهد شعبي » ثم صار يروح ويجيء بمركبته بين جماهير الشعب سالكاً اليهم طرقاً غير الطرق الرسمية التي كانت تحف بها الجنود من كل جانب·

والقيصر نقولا يحمل على عاتقه الضعيف اعباء كل سلطنته الواسعة · فانه ينظر في جزئيات حكومته وكلياتها ولا يوقع على ورقة ما لم يفحصها فحصاً دقيقاً · وهو يسهر الى ما بعد منتصف الليل في اعماله واحياناً تتكاثر اشغاله فتطلع الشمس عليه وهو جالس · وقد تدخل الامبراطورة عليه في الصباح فتراه متكئاً على التقارير والاوراق التي بين يديه وهو يختلس الكرى اختلاساً من تعبه · ولذلك قال في ذات يوم لبعض اخصائه انني لا اريد لعدوي تعباً كالتعب الذي اعانيه في منصبي

ولكن واأسفاه ان كثيرًا من شؤون الامبراطورية واصوات الضعفاء وظلامات المتظلمين لا تصل الى جلالة القيصر مع رغبته في النظر في كل شيء والاصغاء الى كل شكوى. وهذا شان ملازم للسلطة المطلقة التي تكون محاطة بحاشية لا توصل اليها الاما تريد ان يصل

واخر ما روي عن جلالة القيصر ما تحدثت به الجرائد يوم زيارته لفرنسا في الشهر الماضي. فان الحكومة الفرنسوية انفقت على استقباله الباهر ثلاثة ملايين فرنك وجمعت لحراسة الطريق التي مرّ فيها جلالته ٤٥ الف جندي مع ان نابوليون الاول قد انتصر في اعظم معاركه بجيش اقل عددًا من هذا الجيش. ولقد انزلته الحكومة في قصر كومبيين الامبراطوري فنام القيصر في سرير نابوليون الاول والقيصرة في سرير الملكة ماري انطوانت زوجة الملك لويس السادس عشر. ومن النوادر التي حدثت له في اثناء هذه الزيارة ان القيصر لما زار مدينة ريمس استقبله محافظ المدينة حسب العادة. ولكن هذا المحافظ كان اشتراكيًا فلم يخاطب القيصر بالجلالة حسب العادة ولكنه كان يجعل لكلامه اسلوبًا يغنيه عن استعمال كلمة الجلالة فكان يقول مثلاً «هل يتفضل الامبراطور و يقبل شيئًا من ثفاحنا وخمرنا» فاضطرب رجال الحكومة لذلك ولكن القيصر شعر بالامر فابتسم للاشتراكي وزاد في ملاطفته فذاق من خمره (وخله) وكان يدعوه ياحضرة المحافظ والمحافظ لا يقول ياذا الجلالة بل هل يريد الامبراطور ان يرى هذا. وهلمّ جرًا. ثم شرب القيصر نخب مدينة ريمس وهو يبتسم ولم يكن ينقصه الا ان يشرب نخب جناب المحافظ..

ولما التقى القيصر بالامبراطور غيليوم في دنزيج والمسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية في دنكرك اجتمعت من هؤلاء الرجال الثلاثة صور الحكومات الثلاث التي تحكم العالم في هذا الزمان. الاولى الصورة المطلقة يمثلها القيصر الروسي. والثانية الصورة الملكية المقيدة بالدستور يمثلها القيصر الالماني. والثالثة الصورة الجمهورية التي هي حكومة الشعب بواسطة الشعب يمثلها الرئيس الفرنسوي. وجدير بمحبي التفكر ان يتأملوا في هذه الصور الثلاث ويتساءلوا عن احسنها. ولكن ماذا يفيد التساؤل فان هذه القضية القديمة مختلف فيها من عهد ارسطو وافلاطون الى مونتسكيو و باكون. وذلك لان لكل واحدة من تلك الصور منافع كما لها مضار. فكانّ البشر لم يهتدوا بعدُ الى افضل هيئة لحكومة انفسهم او انّ الانسان لا تصطلح احكامه الا متى صفت نفسه عن كدورات المادة والوحشية. وهذا امر لا ياتي الا بالتدريج. فالنصبر فان الله مع الصابرين

ابن الغني وابن الفقير

للشاعرة المشهورة الا ويلككس ويلر نشرت في جريدة الجورنال في نيويورك
وعربت الى العربية بقلم الشاعر المجيد اسعد افندي رستم

وربَّ نعامةٍ جاءت تطير / كأنَّ الله باعثها القديرُ
تصفق بالجناحين ابتهاجاً / بكلٍّ منهما طفلٌ صغيرُ
فاعطت منهما طفلاً لشخصٍ / غنيٍّ عنده مالٌ كثيرُ
وآخر اودعته بيت شخصٍ / فقير كلما فيه حقيرُ

***

فعاش ابن الغني على رفاهٍ / وكان لديه من ذهبٍ سريرُ
وباهى فيه والده سواه / وقال ستسمعون بما يصيرُ
فاني سوف اجعله مليكاً / ترافقه السعادة والسرورُ
ويصبح آمراً براً وبحراً / تدين له كما شاء الامورُ
فما لبث ابنه ان شبَّ يوماً / وقد كادت تضيق به القصورُ
فدار الارض في شرق وغرب / ودولاب الغنى معه يدورُ
وسار له مع الركبان ذكرٌ / تردده الاناثى والذكورُ
الى ان بالنقود ابتاع يوماً / عروساً ما لصورتها نظيرُ
وكان يقيم في عزٍ وامنٍ / ويحرس راسه جمع غفيرُ
ولكن كان يشكو الدهر دوماً / كأنَّ العيش فيه عليه نيرُ
ولم يك قانعاً لو صرنَ ملكاً / تضيء له الكواكب والبدورُ
وللشهوات اطلق كل يوم / عناناً قد يضلُّ لمن يديرُ
فاصبح منكراً لله فضلاً / واضنته الرذائل الشرورُ
ولم يطلِ الاله له حياة / فكان جزاءه العمر القصيرُ
ومات فكان في عيش وموت / تعيساً مثله تحوى القبورُ

***

واما ابن الفقير فشبَّ يسعى / وراء القوت وهو به جديرُ

وكان مهذبًا فطنًا رزينًا — على خطوات والده يسيرُ
بطيل حياته عيشٌ رغيدٌ — يكاد عليه يحسده الاميرُ
قنوعٌ بالقليل من العطايا — لخالقه ووالده شكورُ
ولا مالٌ يزيد عليه همًا — فلم يكُ يستعير ولا يعيرُ
وكنت تراه ذا جسم صحيح — وذاك لحسن سيرته يشيرُ
فلا مالٌ يسير به الى حيـ — ـث بالامراض تعتلُّ الصدورُ
احبَّ وقد احبته فتاة — يحاكي وجهها القمر المنيرُ
فما لبثا ان اقترنا وكانت — تمر على سعادته الشهورُ
ولما ان دنى الاجل المسمى — وحان له الى الاخرى المسيرُ
تصرَّف حين جاءته المنايا — كما يتصرَّف الرجل الجسورُ
واسلم امره لله طوعًا — لان رجاءه فيه كبيرُ
ومات وفي محياه ابتسامٌ — : اذن فمن الغني ومن الفقيرُ ؟

(نقلاً عن مرآة الغرب الغراء)

حجارة مُنقضَّة من السماءِ

﴿ الرجم ﴾

لا عجب اذا استغرب القارىء هذا العنوان فقد استغربته قبله اكاذمية العلوم في فرنسا وانكرت انقضاض الرجم على الارض . وما زالت على هذا الانكار حتى ٢٦ افريل عام ١٨٠٣ فان الرجم انقضت يومئذ على مدينة الكل في مقاطعة اورن الفرنسوية في رابعة النهار والناس ناظرون فنزلت الوفًا الوفًا على تلك المدينة . ومنذ ذلك الحين اخذ العلماء يهتمون بهذه المسألة اهتمامًا شديدًا .

﴿ ماهيتها ﴾ وهذه الحجارة ثلاثة انواع . النوع الاول مؤلف من الحديد والنيكل يخالطهما شيء قليل من مواد اخرى . والنوع الثاني مؤلف من مادة معدنية ومادة صخرية متساويتين في الحجم والتركيب تقريبًا . والنوع الثالث مؤلف من مواد صخرية يخالطها شيء قليل من مادة الحديد والنيكل

ولقد اهتم علماء الكيمياء والجيولوجيا بهذه الحجارة اهتماماً خاصاً لانهم وجدوا انهم يستطيعون بواسطتها الوقوف على حل لبعض المسائل العلمية الكبيرة التي اعياهم حلها. فالكيماويون يفحصونها لتحليل مادة الاجرام السماوية ومقابلتها بمادة الارض . والجيولوجيون يفحصونها ليقفوا على السر العظيم نعني كيف تألفت مادة ارضنا وباقي الاجرام التي تسبح في الفضاء معها . ولذلك تجد العلماء يبذلون في جمع هذه الحجارة كل عزيز ويبتاعونها باثمان طائلة ليؤلفوا منها مجموعة ترشدهم بكثرة موادها واختلافها في السبيل الذي يسلكونه

﴿ الرجم القديمة ﴾ وقد انتبه القدماء الى هذه الحجارة ايضاً . واول حجر اشاروا اليه في مصنفاتهم حجر سقط في جزيزة كريت في سنة ١٤٧٨ قبل الميلاد المسيحي. وقد هبط في القرن الخامس من الميلاد على شواطئ نهر اوغوس بوتاموس في نواحي بلغاريا حجر كبير « بحجم المركبة » كما قال احد مؤلفي اليونان . وكان هذا الحجر ثابتاً في مكانه



حجر نزل في بوتوسوره (الهند)

(وهو هنا ثلاث قطع مركبة بعضها فوق بعض)

في عهد الامبراطور جوستينيوس . وفي القرون التالية سقط كثير من الرجم في اوربا وآسيا فبقي ذكرها في ذاكرة الشعوب ومؤلفات عدة من مؤلفي ذلك العصر

﴿ الرجم الحديثة ﴾ اما الرجم الحديثة فإن في المتاحف كثيراً منها . وهي

متفاوتة الحجم . فبعضها صغير جداً كالبيضة او اصغر منها و بعضها كبير جداً لا يستطيع الانسان تحريكه بيده . منها حجر بالاس الذي نُقل منذ قرن من سيبيريا الى بطرسبرج وثقله ٨٠٠ كيلوغرام فاقبل الروس على مشاهدته من كل حدب وصوب و بعضهم زعم البركة فيه فصار يتبرك به . ومنها الحجر الاوسترالي المحفوظ الآن في المتحف الانكليزي وثقله ١٦٠٠ كيلوغرام . والحجر البرازيلي المشهور في بمديكو وثقله من ٨ الى ١٢ الف كيلوغرام . وقد حاول الناس نقله فلم يقدروا على ذلك من ثقله

وقد سقطت في ٢٦ مايو عام ١٧٥١ في مدينة اغرام قاعدة ولاية كرواتيا في هنغاريا قطعة من الحديد والنيكل زنتها ٤٠ كيلوغراماً . وفي ١٤ يوليو من عام ١٨٤٧ سقطت قطعة على سقف منزل في برانان من اعمال بوهيميا فاخترقت سقف البيت وغاصت في الارض . فتصوَّر صراخ اهل المنزل وخوفهم . والرجم مستمرة الانقضاض في كل يوم تقريباً ولكن بعضها نراه وبعضها لا نراه

﴿ من اين تأتي تلك الحجارة ﴾ والان لا بد ان يسال القارىء من اين تاتي هذه الحجارة فنجيبه ان اهل العلم مختلفون في مصدرها . ولكن اكثرهم على انها بقايا اجرام سماوية قديمة كانت سابحة في الفضاء طوعاً لجاذبية الاجرام التي تجتذبها اليها فتارة تكون هنا وتارة هناك حتى تتغلب عليها جاذبية بعض الاجرام فتجذبها اليها فتحمى لسرعة انقضاضها في الفضاء وتتطاير شذر مذر فتصل بقاياها الى الجرم الذي جذبها . وهذا الرأي راي ستانيسلاس مونيه

ومما يدعمون به هذا الراي ان بعثة علمية اسوجية اكتشفت في عام ١٨٧٠ في اوفيفاك على شاطىء جزيرة ديسكو في سفح صخرة بركانية شاهقة على شاطىء البحر ثلاث قطع ضخمة من الحديد وكثيراً غيرها اصغر حجماً منها . فاهتمت الحكومة الاسوجية بالامر و بعثت سفنها الحربية فنقلت هذه القطع الى اوربا وفي جملتها قطعة ثقلها ٢٤ الف كيلوغرام وهي اعظم قطعة وُجدت الى الآن . وقد حسب العلماء في بدء الامر ان هذه القطع الحديدية رجم سقطت من السماء ولكن العالم نوردنسكيولد الذي ذهب هذا المذهب اولاً عاد فاقتنع كل الاقتناع بان تلك القطع الحديدية كانت مقذوفة من جوف الارض الى سطحها بثورة بركانية . فثبت بذلك ان الاجرام السموية التي تختل جاذبيتها في الفضاء وتنجذب الى جرم اقوى منها تتطاير شظايا ترابها وصخورها في سقوطها ويحترق بعضها و يصل الى الارض او الى الجرم الجاذب ما في جوفها من المواد المعدنية التي تتحد بشيء من ترابها بقوة النار . فالحجارة الساقطة اذاً تكون من جوف الاجرام الفانية لا من سطحها والله اعلم

ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره في الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ واكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء . ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر . وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة . واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارقى من بشر الارض او ادنى اخلاقاً . وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والاودية بلا زرع ولا ضرع . ورجال تُسدُّ ابواب الحياة في وجوههم فيجعلون انفسهم فوضويين . ونساء لا تعتني الهيئة الاجتماعية بهنَّ وباولادهن فيبعن شرفهن لما كان به خبزاً . ورؤساء شرهون لا همَّ لهم غير انفسهم . ومرؤوسون ضعفاء يُساقون بالسياط كالانعام السائمة . وكل شيء فيها صغير وضيع في نظر اهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيء من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

﴿ حافظ افندي ابرهيم ﴾

اذا كان احمد بك شوقي متنبي مصر فان حافظ افندي ابرهيم ابو تمامها . واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي ننشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره في شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قمم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه باسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمتَ صحة التشبيه الذي تقدم . فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سبَّاق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابرهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائقة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً . ومما قاله فيها أن « خير الشعر ما سبق دبيبه في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال فاراها جميلاً وهو يرنو الى بثينة و يقول

وكم قلتُ في شعري لكم وصبابتي	احاديث شوقٍ شرحهنَّ يطول
فان لم يكن قولي رضاكِ فعلّمي	نسيم الصبا يا بثن كيف اقول

والمجنون وهو يضرع الى ليلاه وينشد

عليَّ اليَّةٌ ان كنت ادري اينقص حبُّ ليلى ام يزيدُ

واراها عبد بني عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الارواح وينادي

ليَ النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

والشريفَ الرضي متربعاً في ناديه يُطالع في صحيفة انسابه جريدة احسابه وهو يشتمُّ من لحيته ريح الخلافة ويخاطب صاحبها بقوله

مهلاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرَّق

وشيخ المعرة وابا الطيب بجانبه يستصبح كلاهما بنور صاحبه واسمها الاول وهو يقول

وبدّلني ان الممات فضيلة كونُ الطريق اليه غير ميسر

والثاني وهو ينشد

الف هذا الهواء اوقع في الانـ ـفس ان الحمام مرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ والاسى لا يكون بعد الفراق

وهذا الديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة التمدن في العاصمة على ورق جيد وقد شرحه جناب محمد افندي هلال ابرهيم شرحاً مفيداً لا يخلو من بعض النكات . منها ان صاحب الديوان قال في باب الخمريات

اطلق الشمس من غياهب هذا الدّ نّ واملأ من ذلك النور كأسي

وأذنِ الصبح ان يلوح لعيني من سناها فذاك وقت التحسي

واسقنا ياغلام حتى ترانا لا نطيق الكلام الا بهمسِ

فقال الشارح في شرحه « سئل بعضهم اي بيتٍ اذا سمعته علمتَ ان قائله ملك قال قولهُ

اسقني من سلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديم كأساً عقاراً

ولعمري لو سمع هذا البعض تلك الاوامر المتتالية لما شك في انها صادرة عن خليفة الخلفاء او سلطان السلاطين فلا كسرى في ايوانه ولا الرشيد في جلال ملكه وسعة سلطانه ولا الفاتح وقد سقط ملك الروم في قبضته ولا نابوليون وقد طأطأت ملوك الغرب الهام لسلطته وارتجت اركان الدنيا من رهبته باشد في الامر اشتطاطاً ولا اكثر في الحكم افراطاً من شاعرنا هذا »

وقال صاحب الديوان في الخمر ايضاً

مشمولة لولا التقى لعجبت من تحريمها والذنب للقدماء
قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما نزل الكتاب بحكمةٍ وجلاء

قال الشارح « قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فلما عاد اليها بعضهم سكرانًا نزل قوله تعالى » انما يريد الشيطان ان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » فكان بذلك تحريمها »

وقال صاحب الديوان

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تُدعى برجس
هي نفس زكية وابوها غرسه في الجنان اكرم غرسِ

فقال الشارح « ناسف ويحق لنا الاسف ان يكون بين اقوال صديقنا هذا الباب الذي كثيرًا ما حدا به الى محاكاة ابي نواس في نكاته وخلاعاته الى حدٍ ربما ظنه من لم يعرفه من زيغ العقيدة والازدراء باحكام الدين في شيء لا يُغتفر »

وقال صاحب الديوان

اذكروني عند كاسات الطلا انني كنتُ امام المدمنين
ربَّ ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا فاعلين
فقضيناه ولم نحفل بما سطَّرت ايدي الكرام الكاتبين

فقال الشارح في ذيله « لقد سئمت النفس وملَّ اليراع من الاشارة الى مثل هذا الهزل الذي نامل ان ينتهي بانتهاء هذا الباب »

اما مختارات هذا الديوان فمنها في مدح الجناب الخديوي المعظم

لم يبقِ احمدُ من قولٍ احاوله في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعبِ
فلستُ ممن سمتْ بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتى العربي
لكن عيدك ياعباس انطقني كالبدر اطلق صوت البلبل الطرب
يا من توهم ان الشعر اعذبه في الذوق اكذبه ازريتَ بالادب
عذب القريض فريضٌ بات يعصمه ذكرُ ابن توفيقَ عن لغوٍ وعن كذب

وجعلت لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي المعظم جائزة للسابق من الشعراء فجاءتها قصائد كثيرة منها قصيدة لصاحب الديوان جاء في ختامها

قلْ للاوُلى جعلوا للشعر جائزة فيمَ الخلاف ألم يرشدكمُ اللهُ

انى فتحتُ لها صدرًا تليق به ... ان لم تحلَّه فالرحمن حلاه

لم اخشَ من احد في الشعر يسبقني ... الا فتى ما له في السبق الاَّه

ذاك الذي حكمت فينا براعته ... واكرمَ الله والعباس مثواه

وفي مدح الجناب الخديوي ايضاً

وانشدُ اشعاري وان قال حاسدي ... نعم شاعر لكنه غير مكثار

فحسبي من الاشعار بيتٌ ازينه ... بذكركَ ياعباس في رفع مقداري

وقال من قصيدة في وصف نادي صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

حللتُ دارًا بها تُتلى مناقبه ... ببابها ازدحمت للناس آمالُ

رايتُ فيها بساطاً جلَّ ناسجه ... عليه فاروق هذا الوقت يختالُ

وقال في الغزل من قصيدة يمدح بها محمود باشا سامي البارودي

تعمدتُ قتلي في الهوى وتعمدا ... فما اثمت عيني ولا لحظه اعتدى

كلانا له عذرٌ فعذري شبيبتي ... وعذرك اني هجتُ سيفاً مجرَّدًا

هوينا فما هنَّا كما هان غيرنا ... ولكننا زدنا مع الحب سؤددا

ومنها في المدح

اعرني لمدحيك اليراع الذي به ... تخط واقرضني القريض المسدَّدا

ومن كل معنى فارسي بطاعتي ... وكل نفور منه ان يتودَّدا

فاربو على ذاك الفخور بقوله ... (اذا قلت شعرًا اصبح الدهرُ منشدا)

وقال في مدح المرحوم سليمان باشا اباظه

سليمان ذكَّرتَ الزمان واهله ... بعز سليمان واقبال دنياه

اذا مررتَ يوماً حذَّر النمل بعضه ... مخافة جيش من مواليك يغشاه

وان كنتَ في روض تغنت طيوره ... وصاحت على الافنان يحرسك الله

وكان ابن داود له الريح خادم ... وتخدمك الايام والسعد والجاه

وقال في شكوى الزمان

فان تكن نسبتي للشرق مانعتي ... حظاً فواهاً لمجد الترك والعربِ

متى ارى النيل لا تحلو موارده ... لغير مرتهب لله مرتقبِ

اذا نطقت فقاع السجن متكأي ... وان سكتُّ فان النفس لم تطبِ

ايشتكي الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارضٍ من الذهبِ
يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله اخوان وفي الكتبِ
تركتمونا لاقوام تخالفنا .... الخ

ومن هذا يظهر ان الشاعر جندي كل ما بقلبه على طرف لسانه . ومن ذلك قوله في مكان آخر

ارى مصر والسودان والهند واحدًا بها اللورد والفيكونت يستبقانِ
واكبر ظني ان يومَ جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنانِ

وقوله ايضاً مشبهاً طول الليل بالاحتلال في مصر

ياساهد النجم هل للصبح من خبرٍ اني اراكَ على شيءٍ من الضجرِ
اظن ليلك مذ طال المقام به كالقوم في مصر لا ينوي على سفرِ

اما شوقي بك فانه يجتنب في شعره التصريح الى هذا الحد وانما يقول مثلاً في مثل هذا المقام

عباس انك للبلاد ولم يعدْ في مصر غيرك من يقولُ بلادي

وذلك لان مقامه من سمو الامير يوجب عليه هذا الحذر

وقال في وصف الشعر

ضعتَ بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
حملوك العناء من حب ليلى وسليمى ووقفة الاطلالِ
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهن الليالي
واذا ما سموا بقدرك يوماً اسكنوك الرحال فوق الجمال
آنَ يا شعرُ ان نفكَّ قيودًا قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشمُّ ريح الشمال

ومن قوله في بعض الجرائد اليومية ولا نظنه قاله فيها كلها

جرائدٌ ما خُطَّ حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لاربابها كانها اول ابريل

والغريب بعد هذا ان جميع الجرائد اليومية قرظت ديوان الحافظ احسن تقريظ . فكان لسان حالها عند التقريظ كان يقول : كل شيء من الشاعر الظريف مقبول .

وقال يخاطب ثوبه ويذكر اكرام الناس لاصحاب الطيالس وفيه سهام حادة

يا ردائي جعلتني عند قومي　　فوق ما اشتهي وفوق الرجاء
ان قومي تروقهم جدة الثو　　ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب　　باهر لونه وبين حذاء
فعد الفضلُ بي وقمتَ بعزي　　بين صحبي جزيتَ كل الجزاء

وقال في وصف الشمس

نظر ابراهام فيها نظرة　　فارى الشك وما ضلَّ اليقين
قال ذا ربي فلما افلتْ　　قال اني لا احب الآفلين
ودعا القوم الى خالقها　　واتى القوم بسلطان مبين

ومنها يريد الشمس

صدقوا لكنهم ما علموا　　انها خلقٌ سيبلى بالسنين
االهٌ لم ينزه ذاته　　عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما في آيها　　من معانٍ لمعت للعارفين
حكمةٌ بالغة قد مثلت　　قدرة الله لقوم عاقلين

وله في مخاطبة الثرى على طريقة ابي العلاء ابيات في غاية الجودة ومنها

ايهذا الثرى الى مَ التمادي　　بعد هذا أانت غرثان صادي
انتَ تروى من مدمعٍ كل يوم　　وتغذّى من هذه الاجساد
قد جعلتَ الانام زادك في الده　　رِ وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة وردًا　　وتزود من النجوم بزاد
لستُ ادعوكَ بالتراب ولكن　　بقدود الملاح والاجياد
بخدود الحسان. بالاعين النجـ　　ـل بتلك القلوب والاكباد
لم تلدنا حواء الا لنشقى　　ليتها عاطل من الاولاد
سلمتنا الى صروف زمان　　ثم لم توصها بحفظ الوداد

هذا ما اكتفينا بنقله من هذا الديوان الذي نشر فضل صاحبه بين الفضلاء والادباء كما نشر حسامه فضله بين الاقران . ولذلك فاننا نرى احسن ثناء يوجه الى حافظ افندي ابرهيم تلقيبه بصاحب السيف والقلم .

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

نقطة مهمة في تربية البنات
او
﴿ اصلاح الرجال باكلة ضفدع ﴾

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

المرأة محور العمران ولذلك لا يدور حديث الا ويدخله موضوع النساء وما لهن من الحسنات والسيئات . وقد قال بعض الكتاب لا شيء اعظم فائدة في العالم من النساء ولا شيء اكثر ضررًا منهن . وقد قصدوا بذلك انهن اذا رمن النفع يستطعن النفع كثيرًا واذا رمن الضرر يستطعن الضرر كثيرًا . وسلطتهن هذه فطرية لا يحتجن الى من يعلمهن اياها وكفى دليلاً على ذلك مقدرة حواء منذ البداية على اغراء جدنا آدم

واذا راجعنا صحف التاريخ من قديم وحديث في العالم الوحشي والمتمدن في البلاد العربية والشرقية بين المسيحيين وغير المسيحيين حتى عبدة الاوثان نجد ان حالة المرأة هي الفاعل الاول في حالات تلك الشعوب فاذا كانت مرتقية كانت الشعوب مرتقية وبالعكس فهذه القوة التي تؤثر بها المرأة على الناس هي ما نسميه «سلطة النساء»

وبيانًا لحقيقة هذه السلطة لا ارى احسن من حكاية حال شرحها القائد صموئيل هوستن الاميركي . فان هذا القائد دُعي في ذات ليلة الى حضور التياترو فكتب الى صاحب الدعوة يقول — « لا تلوموني اذا رفضتُ اجابة دعوتكم لاني متاكد ان امرأتي لو كانت موجودة معي الان لما سمحتْ لي بالذهاب الى التياترو وليس ذلك منها عن حكم بل عن لطف تستولي به على جميع اميالي وتديرها الى حيث تشاء ولا تشاء الا الخير»

وقد ذكر هذا القائد عن نفسه انهُ كان في بدء زواجه شرس الاخلاق فظاً شريرًا متمردًا مهما بذلت زوجته في سبيل ارضائه لا يمكنها ارضاءه . والذي كان يغيظها بنوع خاص عدم رضاه عن جميع ما تطبخه له من الغذاء فكان يقول بتهكم « ضفدع مشوي اطيب من طبيخك » فاتفق يوماً انه ارسل لها سمكاً فقالت اليوم يجب ان اجرب لعلي اتمكن منه . فبادرت الى طبخ السمك في جميع صنوفه مقلياً ومشوياً ومسلوقاً وبالفرن . واستحضرت على ضفدع مشوي ايضاً . فعند المساء جاء الزوج للعشاء فوضعت على المائدة سمكاً مشوياً . فاستقبحه وقال لو كان مسلوقاً لكان اصلح . فاحضرت المسلوق فذاقه وقال هذا سمك صغير لا يصلح للشيء ولو كان مقلياً لكان احسن . فاحضرت المقلي . وهكذا الى آخر الاصناف حتى ضجر الرجل . فقال كل شغلك هذا لا ينفع ولو كان ضفدع مشوي لكان احسن من كل طبخك . فبكل هدوء ورزانة اسرعت تلك الزوجة الكريمة واحضرت الضفدع المشوي . حينئذ انسكبت دموع القائد العظيم وقال . عفوًا ياعزيزتي عن كل ظلمي وجوري واصفحي عن الماضي فاني ابدأ الان حياة جديدة . وهكذا عاشا بعد ذلك احسن معيشة . فهذه هي سلطة المراة التي يُصلح بها الرجال بل العالم كله لا غير ذلك من العناد والكبرياء والخصام

وقال جان كوتسي آدم " كل ما بلغتُ من التقدم والارتقاء وكل ما حصلت عليه ناشيءٌ عن تاثير مثال امي الحسن فيَّ ووصاياها "وهكذا قال باكس ودويت ونيوتن . واذا نظرنا في التاريخ وجدنا ان كولمبس اكتشف اميركا ولكن لولا مساعدة ايزابل ملكة اسبانيا لما استطاع النجاح . ووشنطون حرر اميركا ولكن امه هي التي بثت في نفسه روح الحرية . واول مدرسة ابتدائية فُتحت للصغار في اميركا اعني المدارس العامية الكثيرة كان انشاؤها بمساعي السيدات الاميركيات

وهذا التاثير غير محصور في البلاد المتمدنة فان قبيلة موهوك المتوحشة لما شاهدت نساؤها طول زمن الحرب والشرور الكثيرة في قبيلتهنَّ عقدن مجتمعاً نسائياً غايته ابطال تلك الحرب وملاشاة شرورها . فقمن على رجالهن قومة واحدة حتى اضطررنهم الى عقد السلم وترك القتال

وكتب احد المشاهير عن سلطة ابنته على ولد وحيد له كان مجنوناً قال " لم يكن احد يستطيع اخماد ثورته سوى لويزه ابنتي » وبعد زواج هذه الابنة اشتد الجنون بالولد لان التي كانت تسكنه وتهديه قد فارقته . وقد قال هذا الكاتب ان ابنتي هذه هي التي جعلتني

اكتب في موضوع سلطة النساء · وعنه اخذت موضوع هذا الفصل الصغير

والسبب الذي جعلني اكتب هذا الموضوع رغبتي في امرين · الاول اظهار عدالة الخالق الذي لم يجعل المراة ضعيفة الا واعطاها تلك السلطة لموازنة ضعفها · فعلى النساء ان لا يحسدن الرجال على اشغالهم وسلطتهم وقوتهم لانهن اقوى منهم

والامر الثاني الاشارة الى هذا الكنز الثمين الموجود في ايدي النساء وهن لا يبالين به بل يفتشن عن كنز خياليّ موهوم · وهذا الكنز الخيالي الموهوم هو الافراط في اللبس الفاخر والمناظرة في ذلك وفي المعيشة التي يسميها الكتاب دنيوية ولا اشير اليها هنا الا اشارة · واني لست من اللواتي او بالحري من الذين يذمون (الموضة) لاني اعرف انه لا بد منها الا اذا اردنا تغيير اذواق النساء وهذا من شؤون الخالق عزّ وجل · واذا اردت ان تطاع فسل ما يُستطاع · ولكني ارى وجوب الاعتدال في هذا الامر الذي اصبح ضربةً من الضربات لان المراة لم تُخلق له ولكن لتلك السلطة التي ذكرتها · نعم المراة لم تخلق لتكون صنماً يتفرج عليه الناس وهذا امر اقوله بلا خجل واحب ان ينتبه اليه السيدات فانهن كثيراً ما ينسينه · وبودي لو ان معلمات مدارس البنات تحذو حذو معلمة اميركية مشهورة تدعى ماري لويز جعلت كل عنايتها مصروفة في مدارسها الى تربية البنات باسلوب يعلم الابنة ان تكون ذا تاثير في الدنيا بواسطة اخلاقها وآدابها لا بواسطة جمالها وثيابها · وربما كانت هذه الكلمة « التاثير بواسطة الاداب لا بالثياب » مصدرًا لاصلاح عظيم يغير وجه الشرق كما يريد الشرقيون وينشيء في كل امة الرجال الذين تطلبهم · فعسى ان يكون في قولي هذ فائدة للمعلمات والامهات ·

﴿ نمو العظام في الجسم ﴾

قد تُعمل عملية جراحية في جسم الانسان ومتى شفي عاد اللحم فنبت ونما كما كان قبل العملية · وهذا امر معروف عند الجراحين · ولكن الامر الجديد هو نمو العظام كنمو اللحم · فانه من المعلوم ان النقرس والسل قد يحفران عظام الانسان في الجهات المصابة فراى الاستاذ فون موستيج موروف النمساوي وجوب سد هذا الحفر · فاخذ مادة ركبها من مسحوق عظام الحوت والزيت واليودوفورم واذابها ثم جعلها بحرارة الجسم وبسطها على العظم المحفور في بدن المريض وربطها · فلم تمض على ذلك مدة طويلة حتى التحمت هذه المادة بالعظام وصارت منها ·

باب تدبير الصحة

العنب العنب العنب

اذا كنتَ ضعيف الجسم نحيلاً هزيلاً قليل الدم مستعداً لامراض الصدر والمعدة والفالج وغيرها فان الاطباء يصفون لك السفر الى حمامات فيشي لتغيير الهواء والاستحمام بمياهها المعدنية او الاقامة في جبال لبنان او جبال سويسرة . فاذا كنت قادراً على السفر والنفقات الطائلة سافرت غير آسف على شيء لان الصحة قبل كل شيء . ولكن اذا كنت غير قادر على السفر اما لانك لا تقدر على ترك اشغالك واما لان جيبك لا قبل له بنفقاته فلديك طريقة بسيطة يصفها الآن بعض الاطباء في اوروبا لتجديد الدم واعادة القوى وهو دواء يغنيك عن الاستحمام بمياه فيشي . ويسمونه « الاستحمام بعصير العنب »

ومعنى ذلك ان تاكل من العنب بقدر ما تستطيع في كل يوم على شرط ان لا يكون ماكولك منه اقل من كيلوغرام واحد في اليوم ولا اكثر من اربعة كيلوغرامات . ويجب ان تاكل هذه الكمية على اربع اوخمس مرات وان تتنزه في اثناء ذلك في الخلاء وتروض جسمك في مكان ذي هواء نقي . وان تبدأ بالاكل بالتدريج اي تأكل كيلوغراماً وكيلوغرامين في الايام الاول حتى تصل الى الاربعة

واذا رمت ان يكون العنب مسهلاً فكل من العنب الابيض قبل نضجه تماماً لان من خواص الحموضة التي فيه انها تُجري الباطن . واذا رمت زيادة دمك فكلْ من العنب الاسود الذي في اجزائه كثير من املاح الحديد والمواد التي تقوي الجسم وتبث فيه الحرارة

وهذا الدواء ليس جديداً فان سكان لبنان يعرفونه . وقد كان ابو قراط ابو الطب وغالبين يصفانه في الزمن القديم للمصابين بفقر الدم وعسر الهضم وامراض المعدة وقلة الشهوة للاكل .

وربما اصيب بعضهم بألم في معدته اعيى الاطباء دون ان يزول ثم اقتصر المريض على اكل العنب دون سواه اياماً كثيرة فشفي وعادت القوى الى معدته . وهذا امر اثبتته التجربة

وكما ان للاستحمام بالمياه المعدنية اماكن خصوصية في اوروبا يفد اليها الناس مستشفين كذلك انشأوا عندهم اماكن « لأكل العنب » . فان في مدينة مونتره في سويسره وفي ميرانه في النمسا وفي سان كوار وكروتنتش على شواطئ نهر الرين وفي دركهم في بافاريا وغيرها من المدن كثيرًا من الاماكن المخصوصة المنشاة لأكل العنب ولا تفتح الا حين نضج هذا الثمر المغروس في جوارها بكثرة غريبة . ويفد الى هذه الاماكن محبو العنب من كل اقطار العالم ليجددوا دماءهم من عصير بنت الكرمة . فما اخطأ اذًا من قال .

ولو وضعوا في فيءِ حائط كرمها عليلاً وقد اشفى لفارقه السقمُ

فحبذا لو انشاوا في لبنان اماكن كتلك الاماكن في الجهات التي تكثر زراعة العنب فيها . وياليت الفلاح المصري يهتم اهتمام رفيقه الفلاح اللبناني بزراعة هذه الشجرة اللذيذة المفيدة وبذلك يغني بلاده عن العنب الذي يردها من البلاد الغريبة

﴿ اذا لم تستطع ترك التدخين ﴾

(فلا اقل من تخفيف مضاره)

من اسباب فشل الجمعيات التي قامت لمقاومة التدخين انها توجب على الناس ترك التدخين تركاً باتًا فقلما اثرت دعوتها هذه في احد الا قليلاً . ولذلك رات الاكاذمية الملكية في بلجيكا ان تعدل عن النداء بوجوب ترك التدخين الى نداء آخر بوجوب اجتناب مضار التدخين ما امكن اجتنابها . وقد نشرت لذلك عدة وصايا جاء فيها

« لا تدخن تبغًا رطبًا لان الرطوبة تحلّ النيكوتين الذي هو سم التبغ فينتشر مع دخانه ويدخل الى جوفك

« لا تدخن وانت صائم ولا قبل الطعام

« دخن التبغ دائمًا في ماسورة طويلة لا بفمك فتلتقط الماسورة قذر التبغ وسمه

« ان النيكوتين الذي هو سم التبغ لا يتبخر الا اذا بلغت الحرارة ٢٥٠ درجة وبناء عليه فان هذا السم يجتمع في عقب السيغاره فيجب عليك ان لا تدخن من السيغاره الا ثلاثة ارباعها وترمي الربع الباقي الذي اجتمعت فيه المادة السمية

« ان السيغارة الاعتيادية اخف ضررًا من السيغار ومن سائر اصناف التدخين فلا تدخن غيرها »

﴿ ازالة السكر من راس السكران ﴾

(طرق بسيطة)

لذلك طريقتان . الاولى ان تصبّ اذا كان السكر خفيفاً ١٢ نقطة من الامونياك (روح النشادر) في كاس ماء مسكر وتسقيه اياها . واذا كان السكر شديداً الى درجة العربدة فاسقِ السكران الكاس التي تقدمت وكاساً اخرى مثلها ولكن لا تزد على ذلك

والطريقة الثانية ان تكتفي بتنشيقه بضع دقائق روح النشادر في زجاجة . وقد جرب ذلك الاستاذ بوشاردات في السكيرين الذين تجدهم شرطة باريز في الشوارع وتاتي بهم الى مستشفياتها فنجحت التجربة

﴿ السلّ الكاذب ﴾

كتب المسيو مارتين مانيي من بوردو الى اكاذمية العلوم في باريز يقول انه ثبت له ان في انواع السل سلاً كاذباً فان الانسان يظهر له انه مصاب بالسل ولا يكون داؤه غير اعتلال في الشعب التنفسية العليا وهو داء بسيط فيجب التمييز بين السل الصحيح والسل الكاذب .

نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والمقالات التى كتبها اكابر كتاب العرب مما ولا توجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية ادبية

منتخبة من مروج الذهب للامام المسعودي

كلما رأينا الجرائد والمجلات طافحة باخبار نوادر ملوك هذا الزمان وامرائه وحكامه وتفاصيل مدنيته عجبنا من هذا الاقبال على شؤون الحاضر مع ان في شؤون الماضي ما يغني عن ذلك كل الغنى اولاً لانها مكتوبة بلغة عربية مبينة يستفيد منها القارئ والكاتب وثانياً لانها اخبار مدنية شرقية عظيمة قامت في بلادنا فيجب على كل الشرقيين الاطلاع على اخبارها والوقوف على آثارها فضلاً عما فيها من الفكاهة حيناً والعظة احياناً .

وبناء على ذلك ننشر منذ الآن فصاعداً في كل جزء من الجامعة شيئاً من تلك الاخبار الجامعة بين الفكاهة والفائدة تحت عنوان « جواهر عربية » وفي الحقيقة انها جواهر كما ترى في الشذرات التالية .

***

﴿ وعظ غلام عربي ﴾ لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو افضل خلفاء بني امية وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاماً منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سناً قال عمر مهلاً ياغلام ليتكلم من هو اسن منك . فقال مهلاً يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استجاد له الحلية يا امير المنومنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو اسن منك . قال تكلم ياغلام . قال نعم يا امير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي منّ بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة . اما الرغبة فقد اتانا منك الى بلدنا واما الرهبة فقد امننا الله بعدلك من جورك . فقال عمر عظنا ياغلام واوجز . قال نعم يا امير المؤمنين ان اناساً من الناس غرّهم حلم الله عنهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك . فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد اتت عليه بضع عشرة سنة فانشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس اخو علم كمن هو جاهلُ
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافلُ

***

﴿ تاثير الموسيقى عند العرب ﴾ كان رجل من اهل العراق اتى المدينة في طلب جارية وُصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة فاتاه وساله ان يعرضها عليه فقال ياعبد الله لقد ابعدتَ الشقة في طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها . قال انها تغني فتجيد . فقال القاضي ما علمت بهذا فالح عليه في عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضي . فقال لها الفتى هات . فغنت

الى خالد حتى انخن بخالدِ ... فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امر عظيم وقال هات شيئاً بابي انت فغنت

اروح الى القصاص كل عشية ارجي ثواب الله في عداد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ولم يدرِ ما يصنع فاخذ نعله فعلقها في اذنه والنعل معلقة فيها ويقول اهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى ادمي اذنه . فلما امسكت اقبل على الفتى فقال ياحبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل ان نعلم انها تغني فنحن الآن فيها ارغب . فانصرف الفتى . و بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال — قاتله الله فقد استرقه الطرب وامر بصرفه عن عمله . فلما صُرف القاضي قال: نساؤُه طوالق لو سمعها عمر لقال — اركبوني فاني مطية . فبلغ ذلك عمر فاستدعاه واستدعى الجارية . فلما دخلا على عمر قال له اعد ما قلت قال القاضي نعم واعاد ما قال . فقال عمر للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلهـا فابادنا صروفُ الليـالي والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً واقبل يستعيدها ثلاثاً وقد بلت دموعه لحيته ثم اقبل على القاضي فقال له قد قاربتَ في يمينك ارجع الى عملك راشداً

ومع ذلك فقد كان عمر من ازهد الامراء واعقلهم

***

﴿ اصنعوا بالناس ما تريدون ان يُصنع بكم ﴾ ذكر بعض الاخبار يين ان عمر بن عبد العزيز في عنفوان حداثته جنى عليه عبد له اسود جناية فبطحه وهمّ ليضربه فقال له العبد يامولاي لمَ تضربني قال — لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت انت جناية قط غضب بها عليك مولاك . قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل عليّ ولم يعجل عليك فقال له عمر قم فانت حرٌ لوجه الله وكان ذلك سبب توبته . وكان عمر يُكثر هذا الكلام في دعائه فيقول ياحليماً لا يعجل على من عصاه

***

﴿ بناء قصر وبناء كلام ﴾ لما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصميد شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائي قال بنيت اجمل بناء باطيب فناء واوسع فضاء وارق هواء على احسن ماء بين صراري وحسان وظباء . فقال محمد بناء كلامك احسن من بنائنا . وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدّث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة . وفي هذا القصر يقول ابن ابي عتبه

زر واديَ القصر نعم القصر والوادي   لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه   من منزل حاضر ان شئت او باد
تلقى قراقيره والعيس واقفة   والضب والنون والملاح والحادي

***

﴿ ما ترك لربه شيئاً ﴾ دخل معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وانَّ فيك على ذلك لبقية قال هي لك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المؤمنين فرضي عنه وولاه . قال وعُرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئاً

باب التقريظ والانتقاد

﴿ رسالة في السياسة ﴾

(لابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي)

اهدتنا ادارة مجلة المشرق الغراء نسخة من رسالة للفارابي في السياسة عني بطبعها وضبطها جناب الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي صاحب امتياز مجلة المشرق ومديرها . وهي منقولة عن نسختين قديمتين محفوظتين في مكتبة الفاتيكان ومكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت . ولا بدع ان ينشر الآباء اليسوعيون الكتب المفيدة في الشرق فقد عودونا ذلك منذ زمن بعيد .

﴿ خلاصة الجمعية الارثوذكسية السورية ﴾

اصدرت الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في الاسكندرية خلاصة اعمالها في سنة ١٩٠٠ ناطقة بفضل رئيسها جناب السري المفضال الخواجا وهبة الله كرم وباجتهاد وسعي اعضائها الافاضل . ويؤخذ من هذه الخلاصة ان ايراد الجمعية في هذا العام قد بلغ نحو خمسين الف غرش ونفقاتها نحو ٣٧ الفاً . جزى الله حضرة رئيسها واعضائها خير جزاء

﴿ جريدة النصير ﴾

لصاحبها جناب عبود افندي ابي راشد

فاتنا ان نذكر في الجزء الماضي صدور جريدة اسبوعية اخبارية ادبية في الحدث من اعمال لبنان لصاحب امتيازها جناب الفاضل عبود افندي ابي راشد . فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح الذي تستحقه

﴿ الحب والزواج ﴾

تاليف جناب نقولا افندي حداد

وضع حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد كتاباً عنوانه « الحب والزواج » واودعه ابحاثاً مختلفة في شرائع الحب والزواج ومبادئهما الطبيعية والادبية . وقد صدره بهذه العبارة « يبسط النفس ويدمث الخلق » وهو قول ينطبق على الكتاب لانه حاوٍ لكثير من الفوائد بعبارة سهلة طلية تدلّ على ان الكاتب يكتب في موضوع يحب الكتابة فيه . وكل ما في هذا الكتاب الطلي حسن لطيف ولا عيب فيه سوى ذكر المؤلف بعض امور ببعض عبارات كان الاجدر به ان يشير اليها اشارة خفيفة بعبارات غير صريحة لان كتابه لا بد ان يقع بين ايدي الجنسين . والذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضاً يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجعل كتابه ادعى « لانبساط النفس » كما قال في صدره . وما عدا هذا فاننا نثني على براعته في تصرفه بهذا الموضوع تصرفاً دلّ على سلامة ذوقه وطول باعه

﴿ رواية عذراء العرب ﴾

معربة بقلم جناب ايليا افندي الحاج

هي رواية فكاهية ادبية حدثت حوادثها في دار السلام في ايام الخليفة هارون الرشيد وقد طبعها جناب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة على نفقته وهي تطلب من جنابه وثمنها خمسة غروش صاغ . وهذه المكتبة مستعدة لارسال كل ما يطلب منها من الروايات وغيرها باثمان قليلة

﴿ الكنيسة الارثوذكسية ﴾

هي مجلة شهرية دينية ادبية اصلاحية تصدر في العاصمة وتديرها ادارة جريدة الشهباء فيها . فنرجو لها الثبات والاعتدال

﴿ اخوية العائلات الدمشقية في بيروت ﴾

في بيروت اخوية خيرية للعائلات الدمشقية الارثوذكسية الكريمة فيها نشأت في ٢ ابريل من عام ١٩٠٠ وقد اصدرت الان خلاصة اعمالها في السنة الماضية . ويؤخذ منها ان ايراد هذه الاخوية قد بلغ اكثر من ١٦ الف غرش ونفقاتها على تسفير غربائها ومعالجة مرضاها اكثر من ٥ الاف غرش . وهي همة تذكر بالثناء واذا لم يكن فيها غير ابتكار هذه الطريقة التي تزيد الجمعيات الخيرية المفيدة جمعية عاملة فكفى ذلك

﴿ الفكاهة ﴾

هي مجلة شهرية فكاهية تصدرها رصيفتنا جريدة كوكب اميركا الغراء وتهديها الى قرائها في كل شهر . وهي تشتمل على كثير من الملح والنوادر

شؤون نسائية

البطاطس وغذاؤها

اذا قشرت البطاطس لطبخها فقدت بهذا التقشير ١٤ في المائة من غذائها واذا سلقتها من غير تقشيرها لم تخسر سوى ٣ في المائة من مادتها . ولا تبقى لها كل مادتها الا اذا شويتها بالفرن او بالرماد . وبناء عليه تكون البطاطس المشوية اكثر غذاء من سائر انواعها

دخول الملابس

يعلم السيدات ان الملابس الصوفية ولا سيما الفلانلا « تدخل» بعد الفسل اي تتقلص اليافها وتصغر وقد ذكرت احدى السيدات الاوروبيات طريقة لمنع هذا الدخول وهي انها لا تعصر الملابس الصوفية ابداً بل تنزعها من الماء البارد وتبسطها على الارض فيحول ثقل الماء الذي فيها دون تقلصها ومتى جفت عادت كما كانت بلا زيادة ولا نقصان

شراب الاجاص والتفاح

تصنع السيدات في بلجيكا شراباً خصوصياً من الاجاص والتفاح وذلك بان يقطعن كثيراً من التفاح وشيئاً من الاجاص الناضج قطعاً صغيرة ويضعونها في ماء على النار حتى اذا حميت ولانت كثيراً يعصرونها بآلة او بنسيج ثم يضعون الشراب الماخوذ منها في وعاء على

الثار لنزع الرغاء منه ويضيفون اليه قليلاً من السكر لاصلاح طعمه على نسبة ٢٥ غراماً لكل كيلوغرام من التمر . ثم انهم يصبون هذا الشراب اللذيذ في وعاء ويحفظونه فيه فيبقى وقتاً طويلاً .

سهولة هضم اللبن

من غريب ما يجهله الناس ان اللبن اذا حركته بملعقة حركة شديدة تمزج اجزاءه بعضها ببعض اصبح اخف على المعدة مما اذا لم تحركه .

فائدة لعصير الطماطم

جرب بعضهم عصير الطماطم لازالة بقع الحبر والخمر والاثمار فافادت التجربة

عادات واخلاق

﴿ بعض عادات وآثار مصرية ﴾

اخذنا منذ ابتداء السنة الثالثة للجامعة في نشر ما يهم الاطلاع عليه من الآثار الشرقية وخصوصاً الاثار المصرية التي لها في التاريخ شان عظيم . ورغبة في اتمام الفائدة راينا ان لا نقصر الكلام في الجامعة على اثار مصر القديمة ولذلك ننشر هنا وفي ما يلي من الاجزاء شيئاً عن آثار وعادات مصر الحديثة مقرونة برسوم تشرح حالها باوضح مما يشرحه الكلام

غير ان الذي يروم وصف اثار مصر الحديثة وعاداتها يجب عليه ان يبدأ بالآثار العظيمة التي تدل على مبلغ ارتقاء هذه البلاد . كالكلام على قفار مريوط التي جعلها الجناب الخديوي المعظم عظيم زراع هذه البلاد بلاداً عامرة ورياضاً غناء . ووصف خزاني اسيوط واصوان اللذين سيكون لهما التاثير الاكبر على زراعة هذا القطر وعلى ثروته . وغير ذلك من الاثار الزراعية والفنية الكبرى كمناظر الاسكندرية والعاصمة وسواها . ولكن المجال قد ضاق بنا في هذا الجزء لكثرة المواد فنكتفي برسم ثلاث عادات على سبيل الفكاهة

اما العادة الاولى فهي عادة (الارجوحة) ويسميها العامة في بر الشام (مرجوحة) وهم يستعملونها في يوم العنصرة فقط . اما في مصر فان العامة تستعملها في كل الحفلات الكبرى تقريباً وذلك على وجه اتم واقوى واجمل كما ترى في الرسم الاول . وهذه العادة قديمة جداً



﴿ الارجوحة في مصر ﴾

وربما لم يُعرف لها اصل حقيقي من قدميتها ·

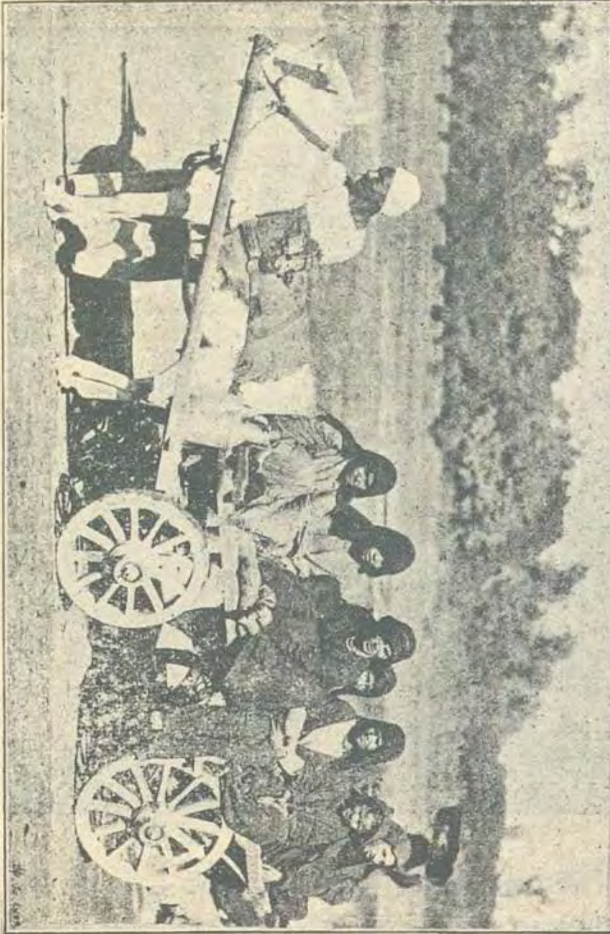
والرسم الثاني رسم ملاعب الافاعي وهي ملتفة على عنقه وراس احداها بيده كما ترى ·
واذا مررت بمجالس السياح الاجانب امام الفنادق في العاصمة وغيرها من مدن القطر



﴿ ملاعب الافاعي ﴾

وجدت بعض اوائك الرجال يلاعبون افاعيهم امام السياح وهؤلاء لدهشتهم من هذا اللعب يلقون اليهم قطع النقود · غير ان رجال الشرطة لا يتركونهم يهنأون باللعب فيطاردونهم · فيأخذ ملاعبو الافاعي بالسخط والدعاء على البوليس لانه يقطع رزقهم ··· والسر في سكون الافاعي هذا السكون انهم يسقونها مخدرات تفني قوتها وتزيل حدتها ويقلعون انيابها كلها ·

والرسم الثالث رسم مركبة تحمل نسوة من جانب في المدينة الى جانب آخر كمركبات الترامواي والاومنيبوس (انظر الصفحة التالية)



﴿ الترمواي القديم ﴾

اشهر حوادث الشهر

نعت اخبار افغانستان الماسوف عليه الامير عبد الرحمن اميرها . وقد نشرنا في الجزء الثاني من السنة الماضية رسمه وترجمته وكلاماً عن تاريخ افغانستان وسكانها ولغتها وهوائها وحاصلاتها ومعادنها وحيواناتها وهيئة حكومتها واثارها فليراجع هناك . انما ننقل هنا شهادة السيد جمال الدين الافغاني بالمرحوم عبد الرحمن وهي « ان الامير عبد الرحمن اذا لم يُعدّ عالماً فهو على الاقل واسع الاطلاع متضلع من تاريخ المشرق اصيل الراي في حكومة بلاده وهو يكره الاستبداد في الراي والقسوة خلافاً لحكام الشرق وقد ضُرب المثل ببساطته وبشاشته كما ضرب بصلابة عزمه وبسالته » وكانت وفاته في ٣ اكتوبر الماضي ولا يبعد



﴿ المرحوم المستر ما كنلي ﴾

ان تنشأ عن وفاته قلاقل كثيرة لان جده خلف اكثر من ثلاثين ولداً ينزعون الى الامارة وام الامير حبيب الله الذي خلف اباه لم تكن من اشراف الامة كما قيل

وقد نشرنا في هذا الباب رسم المأسوف عليه المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة الذي قتله الفوضوي كزولكوز في معرض بوفالو فكان لمقتله دوي عظيم في الشرق والغرب . وقد توالت على ارملته الحزينة رسائل الملوك والعظماء وابلغها كلها رسالة من الملكة مرغريته زوجة همبرت الاول ملك ايطاليا الذي قتله الفوضويون ايضاً وهذا نصها « نحن اختان في الحزن » وقد ارسل السوريون في اميركا الى حفلة الجنازة علماً جميلاً رُسم فيه هلال ونجمة وقد جمعوا من بعض افاضلهم نفقته التي بلغت ١٦٠ ريالاً كما روى الكوكب الاغر

اما عرابي باشا فقد عاد الى وطنه بعد طول غيابه عنه ولم تبق جريدة حتى حادثته ونقلت احاديثه . وغني عن البيان انه يتنصل من كل الحوادث الماضية . وهذا امر منتظر منه

الجامعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الجزء الرابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

﴿ الاسكندرية — نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠١ — رجب ١٣١٩ ﴾

الجناب الخديوي في السودان

ابتسامة العباس وتعبيسه . حالة السودان الحاضرة وحاجاته . لمحة من تاريخ حوادثه الماضية . بشير خير وسعادة لملك البلاد

واذا رحلتَ فشيعتك سلامة كيف اتجهت وديمة مدرارُ

اول مرة تشرفنا بها بمشاهدة الجناب الخديوي المعظم كانت في معرض الازهار في حديقة الازبكية في العاصمة منذ اربع سنوات تقريباً . وقد خرج سموه يومئذٍ من ذلك المعرض منشرح الصدر والسرور بادٍ في وجهه الصبوح والكلام يتدفق من فمه لجليس معه في مركبته . وكان سموه يتكلم ويبتسم ويسلم على الجمع المزدحم حول الطريق في آن واحد

هذه صورة الامير في اوقات انشراحه حينما يكون عائداً من معارض الزراعة والفنون الجميلة حيث يشاهد آثار الثروة والعمل في بلاده . واما اذا كان سموه سائراً في مركبته الى سراي عابدين لرئاسة مجلس النظار وكان من مواضيع المجلس في تلك الجلسة النظر في بعض المسائل الخصوصية التي تشغل الراي العام في مصر وتقلقه فان وجه الامير يكون حينئذٍ مجللاً بالمهابة والسكون ومنظره شبيه بمنظر اسد يفكر في امر عظيم

فاية صورة من هاتين الصورتين يتخذ سمو الامير غداً في سياحته في اقطار السودان لا ريب عندنا انه سيتخذ الصورة الاولى . فان سكان السودان الذين اكل منهم

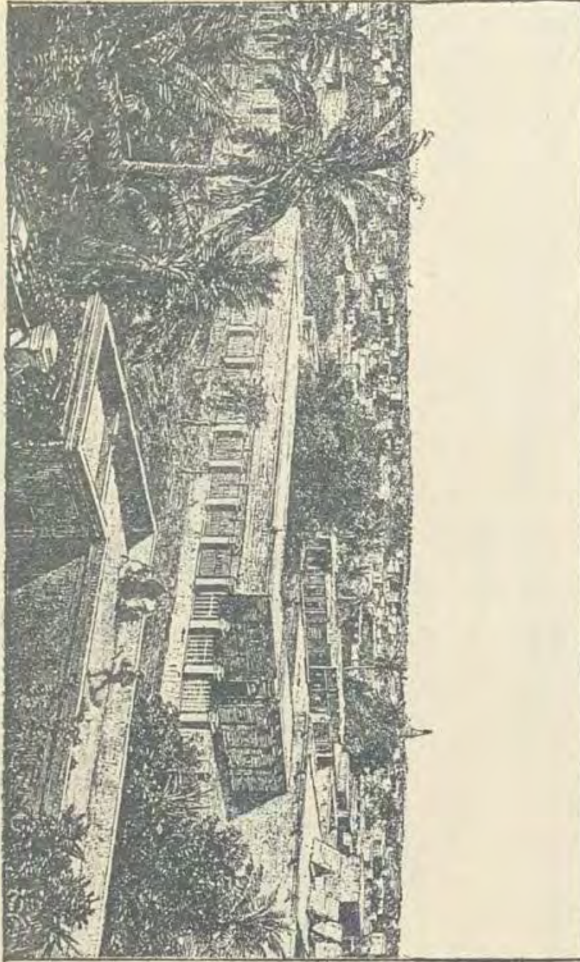
السيف والنار في دولة التعايشي دولة الخراب والدمار جديرون بان يروا في بلادهم بعد تلك الاهوال والمصائب الطوال نور وجه الامير مشرقاً بابتسامة الرجاء . كالشمس بعد اسوداد الجو تبرز من وراء الغيوم السوداء . وتنشر على الناس ما بها من بهاء وسناء

وقد جاءت هذه الزيارة التي كان ينتظرها السودانيون منذ زمن بعيد في حينها . فان بلاد السودان اخذت تنفض عنها غبار الحالة الماضية . فالامن ضارب فيها اطنابه من اقصائها الى اقصائها وحكومتها ترعى السكان بعين لا تنام . وما زلنا نذكر مقالة بهذا الشأن نشرتها رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء منذ نحو سنة لمراسل لها في السودان يلقب نفسه « الرحالة بن حام » فان هذا المراسل وصف من ضروب العدل في السودان ما هو جدير بالذكر . فاذا قام مثلاً خلاف بين احد السكان واحد الاجانب ولو كان من جنس المحتلين نال الوطني كل حقه وهو عزيز كريم لان السودان موضوع خارج دائرة الامتيازات الاجنبية لكونه تحت الاحكام العسكرية . واذا جاء الجراد واتلف الزراعة كما حدث في العام الماضي في خمسة الاف فدان في مركز طوكر في السودان رفعت الحكومة الضرائب عن السكان . وقد نقص موسم الشعير وموسم القمح في مديرية دنقله في عام ١٨٩٩ لانخفاض النيل هناك انخفاضاً لم يسبق له مثيل فلم تاخذ الحكومة الضرائب الا عن الاطيان التي زُرعت واما الارض التي لم تُزرع فلم تُؤخذ عنها ضريبة ما . وبالجملة فان الحكومة في السودان بمثابة ام تربي طفلاً وترعاه في كل حركاته وسكناته

***

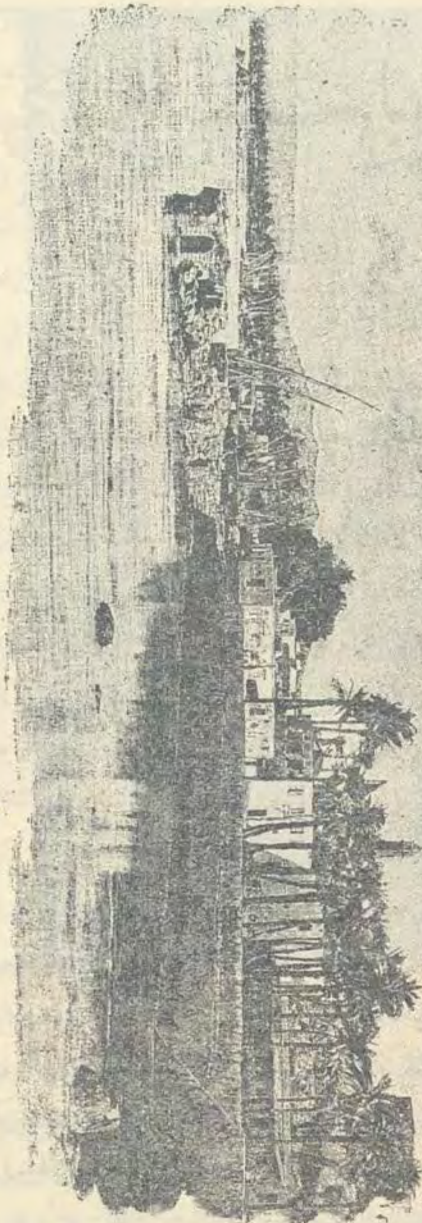
﴿ حالة السودان اليوم وحاجاته ﴾ ولكن لا خلاف في ان الطفل لا يصير رجلاً في يوم واحد ولا في عام واحد . اذ لا بدَّ لذلك من الصبر والتدريج في النمو . وهذا بيان حالة السودان الآن

قُسمت بلاد السودان في هذين العامين الى ست مديريات ومقاطعات ادارية يرئس ادارة كل واحدة منها ضابط انكليزي وعاصمتها مدينة الخرطوم مقام الحاكم العام . وقد قال جناب السر ونجت باشا الحاكم العام في تقريره عن السودان بهذا الشان في العام الماضي انه لا يصحّ الاعتماد على الضباط الانكليز في ادارة اقاليم السودان لان وزارة الحربية تستدعيهم بعد خدمتهم مدة من الزمن فيذهب الاختبار الذي اكتسبوه سدى . ولذلك يجب ان يُختار للادارة الشبان الملكيون الذين يقصدون السودان للاقامة فيه وربما جُعلوا بمرور الوقت اي بعد اندمال جرح السودان من الوطنيين انفسهم



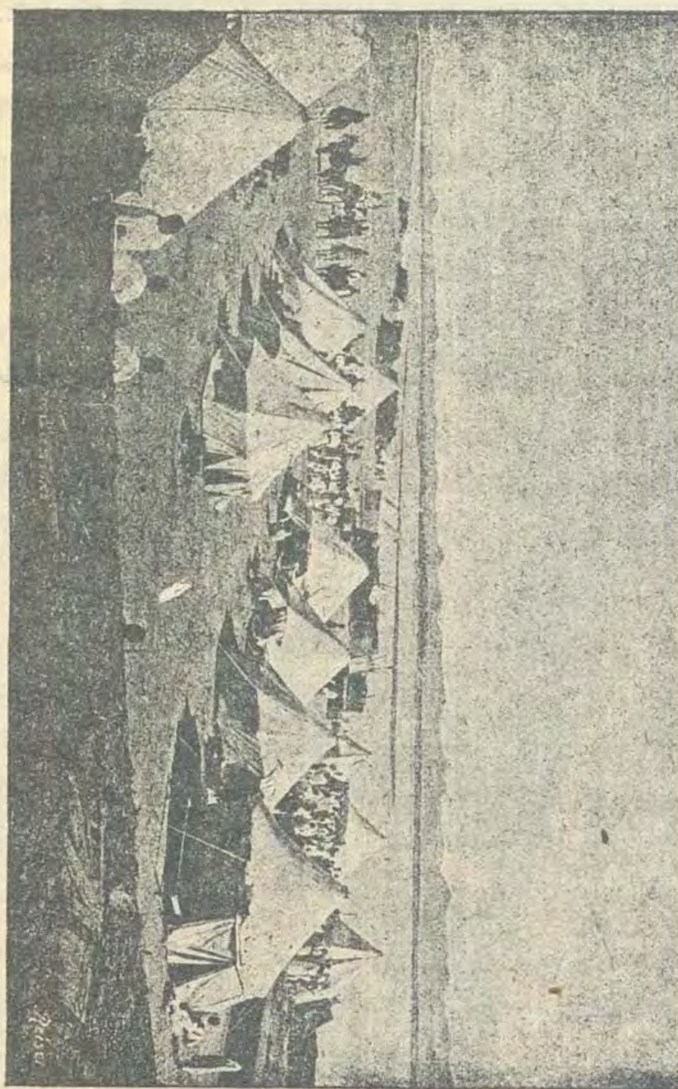
﴿ مدينة الخرطوم ﴾
قبل سقوطها في ايدي الدراويش وكان عدد سكانها ٥٠ الف نفس

ومساحة بلاد السودان وحدها ٧٠٠ الف ميل مربع . وقد خطب سعادة السردار والحاكم العام في غلاسكو منذ مدة فقال ان الثورة التي حدثت فيها اكلت ٤٥ في المائة من سكانها وغيره يرى ان هذه الثورة اكلت اربعة اخماس السكان . والى الآن لم تُعرف حقيقة عددهم لتعذر الاحصاء في تلك البلاد البدوية . وقد اخذت الحكومة بفتح تلك البلاد للتجارة بالتدريج وفُتحت الطريق بينها وبين اوغندا بما ازيل من السدود في اعالي النيل وانشأت في الاقاليم محاكم اهلية وشرعية وجوامع وبعض مدارس ابتدائية . ولا يخفى ان جمهورًا من اكابر الامة الانكليزية قد تبرعوا بمبلغ طائل من المال يقارب المائة الف جنيه لانشاء كلية جامعة في الخرطوم تذكارًا لمقتل غوردون باشا فيها . وسيتم



﴿ اصوان ﴾
محطة الجيش الاول حين زحفه الى السودان

بناء هذه الكلية في العام القادم كما قال السردار في خطبته في غلاسكو . وقد اخذت الحكومة تجدُّ في بناء الاماكن العمومية كمباني المديريات ومكاتب البوليس ومساكن للموظفين والمستخدمين وانفقت على ذلك في العام الماضي ٧٠ الف جنيه . وقد جددت بناء



﴿ معسكر مصري ﴾
في جهات السودان ابان الحملة

التاريخية المشهورة فبرزت من انقاض الخراب الماضي بشكل هندمي جديد
ها وساحاتها كأنها في تلك القفار عروس خرجت من الارض بعد طول
اب

فمن ذلك يظهر أن احوال السودان آخذة في التحسن وانها كما قال سعادة الحاكم العام في خطبته التي اشرنا اليها « كمريض ينقه من مرضه شيئاً فشيئاً » وقد القى سعادته هذه الخطبة ليحرك همم الناس في اوربا الى قصد بلاد السودان للاتجار فيها وزيادة نهضتها الاقتصادية . على ان في سبيل التجارة الآن في اقطار السودان عقبات كثيرة لا دخل للحكومة فيها . فمن ذلك صعوبة النقل في تلك البلاد المترامية الاطراف ولذلك تبحث حكومة السودان دائماً في وجوب مد السكك الحديدية فيها . وهي تتمنى اولاً مد خط بين الابيض والدويم على النيل الابيض لنقل الصمغ وتسهيل المعاملات . ومد خط آخر في جهات الجزيرة تجاه الدويم الى ود مدني على النيل الازرق . ومد خط آخر لوصل هذا النيل بالقضارف . هذا فيما يختص بداخلية البلاد . على انها تنظر ايضاً في مد خط من داخلية السودان الى كسلا وسواكن ليكون للسودان ثغر مستقل على البحر الاحمر يغنيه عن ميناء الاسكندرية لقرب المسافة . ولكن الاسكندرية لا بد ان تستاء اشد استياء اذا بُنيت تلك الميناء

وللتجارة عقبات اخرى منها فقر الاهالي لان الزراعة السودانية لم تنتعش بعد . وسبب ذلك تعذر الري وقلة الايدي العامله . وهذا ما جعل الحكومة المصرية والسودانية تفكران في انشاء خزان عظيم من الماء في البحيرات العليا فوق اعالي النيل . فانه متى انشىء هذا الخزان سهل ري اراضي السودان واراضي مصر معاً لان ذلك الخزان العظيم قادر على ضبط ما يكفيها كلها من الماء . ولكنَّ هذا المشروع لا يزال في حيز القوة ولا ريب انه اذا برز الى حيز الفعل كان فيه غنى مصر والسودان معاً . لانه من الثابت الذي لا يحتاج الى بيان انه متى اثرى السودان ونما كان في ثروته ونموه ثروة مصر ونموها لكونه مستعمرة لها ولابنائها . ومع ذلك فما لا ريب فيه انه متى تم بناء خزاني اسيوط واصوان صار السودان قادراً على اخذ كل ما يريده من ماء النيل لاطيانه دون ان يوقع ذلك ضرراً بزراع مصر على الاطلاق

والفلاحون في السودان يستعملون الآن السواقي لري اطيانهم وكثيرون منهم في مديريتي بربر ودنقله يتخذون السواقي من حديد وثمن كل ساقية من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً . وقد زُرع القطن في السودان فنما وكذلك قصب السكر . والحكومة ترغب في ان يهاجر الفلاحون والزراع الى اقطار السودان وهي تعطيهم الارض وتعفيهم من الرسوم وتمهد كل سبيل في وجوههم . فلو كان زراع مصر وابناء الاغنياء فيها ممن تعودوا المهاجرة والاغتراب



﴿ الدراويش ﴾
يدافعون عن انفسهم وعن خيامهم

لساروا افواجا افواجاً الى تلك البلاد المطلقة الهواء الرحبة الارجاء لاستدرار خيرات الارض والمعيشة بجد ونشاط وشرف تحت قبة السماء

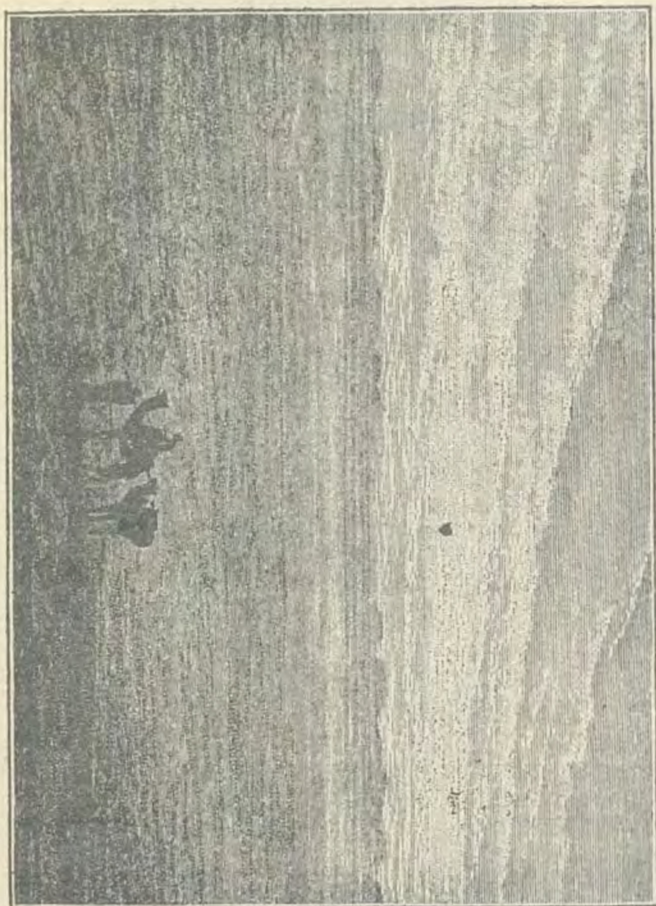
اما حاصلات السودان الآن فهي من الصمغ الكثير في حراج كردفان والريش والعاج وسن الفيل والحبوب . وطريقة التجارة هناك ان يسير التجار في تلك الاقطار ومعهم اشياء

من الانسجة والزجاج الملون والحرير والالاعيب والبضائع المختلفة لمقايضة القبائل بها على ما يكون عندها من الريش والعاج والصمغ وما اشبه . وقد تولت الحكومة بنفسها التجارة على هذا الوجه في بعض الجهات قياماً بحاجات الاهالي لان التجار لا يخاطرون بانفسهم واموالهم في بلاد مجهولة عندهم . ومما يضع العقبات في طريق التجارة ايضاً قلة الفحم والحطب هناك لان الدراويش افنوا الاشجار حتى الدويم على النيل الابيض والكاملين على النيل الازرق . وهذا مما حمل الحكومة على سن نظام جديد لقطع الحطب والعناية بالغابات . وقد استقدمت لهذا الغرض المستر مور يال من الهند فزار غابات كردفان ومديريات النيل الازرق والنيل الابيض . وقد احسنت حكومة السودان جدًّا باهتمامها بهذه المسألة لان هواء البلاد تابع لاشجارها ونباتاتها كما لا يخفى . وغير بعيد اذا انتشرت الاشجار والمغروسات في جميع اقطار السودان ان يتلطف هواؤها وتخف حرارتها فيه كما حدث ذلك غير مرة في بلاد اخرى

***

﴿ لمحة من تاريخ حوادث السودان ﴾ واذا كان الجناب الخديوي المعظم يذكر وهو صاعد الى السودان هذه الحالة الحسنة التي صارت اليها تلك البلاد فلا ريب في انه يذكر ايضاً تاريخ حوادثها الماضية التي ساد فيها الاضطراب وعمت الفتن . فان الفكر يعود الى تاريخها القديم فيرى الفراعنة الاقدمين قد وصلوا في فتوحاتهم الى اعماق السودان واخذوا منها جنودًا باسلة ارتعدت منها فرائص مملكة فارس ومملكة اشور . ولذلك يصح ان يقال بان غوردون باشا اخطأ خطاء عظيماً لما قال انه اكتشف في السودان اكتشافاً سيكون له قدر عظيم وهو يعني بهذا القول الجنود السودانية . فان الفراعنة كشفوا بسالة هؤلاء الجنود منذ تاريخ مصر القديم اي قبل غوردون بالوف من السنين . ولما جاء انجال محمد علي باشا الابطال فتحوا تلك البلاد حتى حدود الحبشة والبحيرات الكبرى وبلاد الصومال وقد بلغت مساحة الارض التي كانت تابعة لمصر في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا مليوناً و٩٧٠ الف كيلو متر يسكنها عشرة ملايين نفس و٨٠٠ الف نفس . وقد تم هذا الفتح الكبير على يد صموئيل باكر وغوردون بين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٦

ولكن لما حدثت الحركة العرابية في مصر كان لها رجع صدى في السودان وعلى الخصوص بعد مذبحة الاسكندرية . فقام محمد احمد الذي تلقب المهدي يدعو السوداويين الى اصلاح الاسلام وانقاذ البلاد . وكان هذا الرجل مشهورًا بالتقوى والدهاء والعدل وقد



﴿ الصحراء في السودان ﴾

ولد في دنقله في عام ١٨٤٣ فتبعه السودانيون وصدقوه · فنادى محمد احمد في عام ١٨٨١ بالجهاد في سبيل الله فبعثت اليه وزارة رؤوف باشا بسبعة الاف جندي لاخضاعه فراجمها ٥٠ الفًا من دراويشه وافنوها عن آخرها · فاصبحت مصر يومئذٍ بين نارين نار الحركة السودانية ونار الحركة العرابية فجهز الانكليز عشرة الآف جندي بقيادة هيكس باشا وعهدوا اليها اعادة الامن الى السودان · فسافرت الحملة بحرًا الى سواكن ومنها دخلت في السودان · ولكن لم تمضِ على سفرها ستة اشهر حتى ورد نبأ عظيم بان الدراويش قتلوا هيكس باشا وافنوا حملته عن آخرها في احد مضائق كردفان · فكانت هذه الحادثة ضربة شديدة



﴿ شلالات النيل ﴾

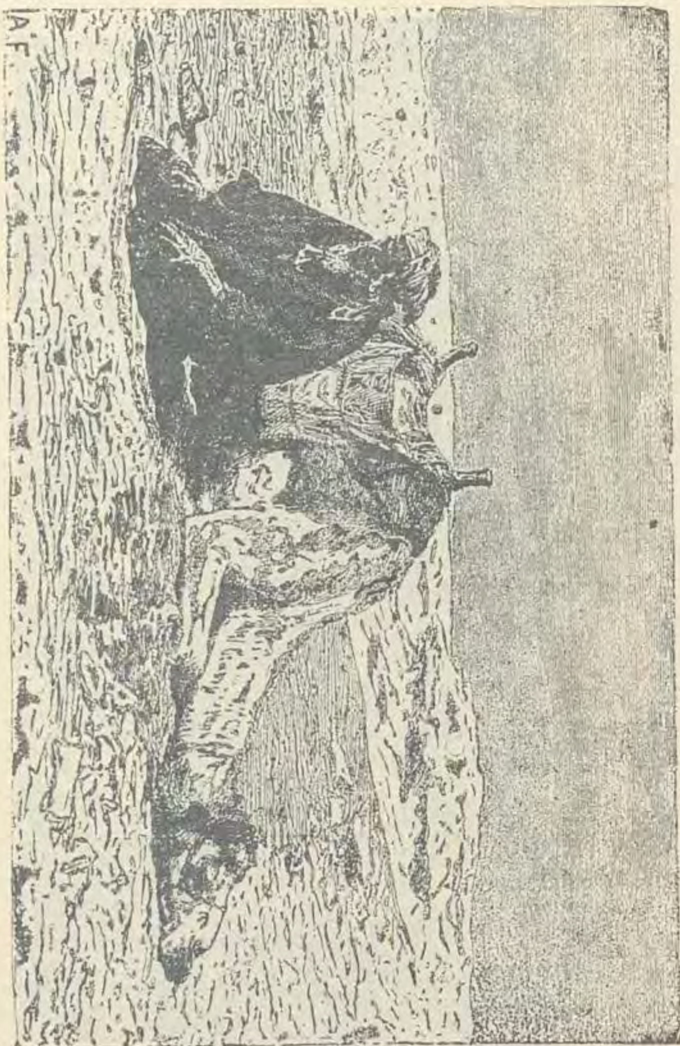
لنفوذ مصر وانكلترا معاً . فبادرت انكلترا الى ارسال الجنود الانكليزية من الهند ومن مصر لاخماد تلك الثورة

ولكن الدراويش كانوا قد انتشروا في السودان واستفحل امرهم فيه حتى وصلوا الى الخرطوم عاصمة البلاد السودانية وحصروها فبعثت اليهم مصر غوردون باشا لانقاذ حامية الخرطوم وسكانها واقناعهم بترك العدوان . فدخل غوردون باشا الخرطوم وحده واوربا



﴿ سلاطين باشا ﴾
في لباس الدراويش وعليه سلاحهم

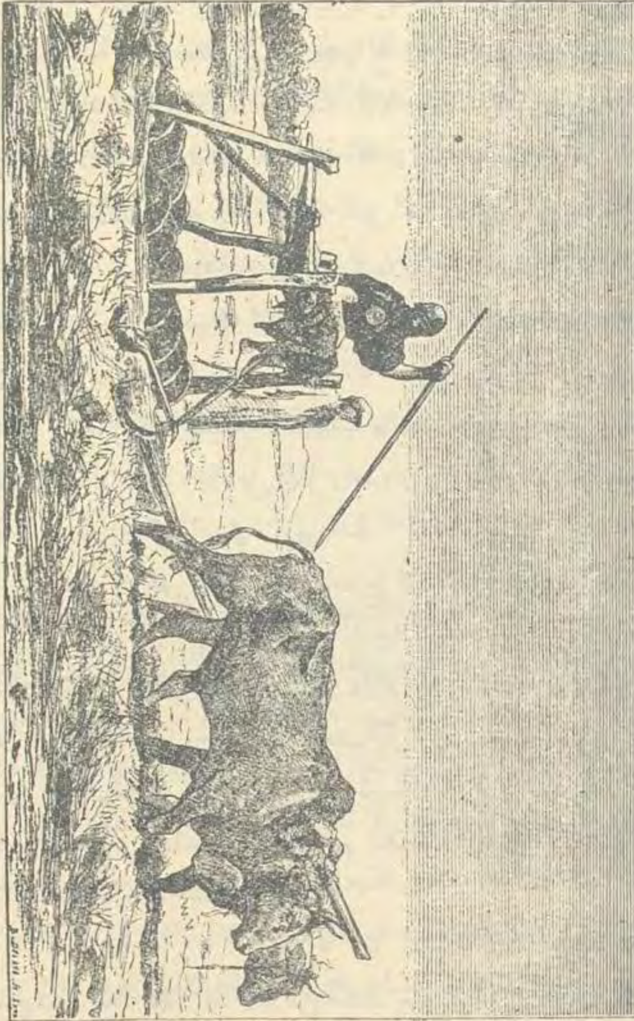
مدهوشة من صنعه . ذلك انه حسب الدراويش كعصابات الثائرين الصينيين الذين تسلط على عقولهم في خدمته في الجيش الصيني واستطاع اخضاعهم . وبعد مدة فتح الدراويش الخرطوم وقتلوا غوردون باشا وهو واقف على سلم منزله وحملوا رأسه الى المهدي لخزن عليه



﴿ سوداني يصلي في الصحراء ﴾

وتمنى لو انه لم يُقتل لانه كان يُجله لدماثة اخلاقه وحسن صفاته . وكان غوردون باشا قد ابى الخروج من الخرطوم وحده للنجاة بنفسه دون السكان والجنود الذين كانوا محصورين فيها . وهي شهامة كافية لتخليد اسمه

وكانت الحكومة المصرية قد انفذت حملة قوية بقيادة الجنرال ويلسلي لانقاذ غوردون من الخرطوم بعد استفحال الامر فيها . ولكن الحملة لم تدنُ من تلك المدينة الا بعد استيلاء



﴿ الفلاحة في السودان ﴾

الدراويش عليها · فعادت الحملة ادراجها لما لاقته في طريقها من المصاعب الهائلة في محاربة الدراويش الاقوياء ومقاومة العناصر الطبيعية نفسها · ومنذ هذا الحين اخذت مصر تخلي السودان للدراويش على امل ان تعود اليه متى استتب الامن في بلادها · فاخلت جميع البلاد السودانية الا سواكن حيث اقامت حامية موءلفة من ثلاثمائة رجل بقيادة الكولونل كتشنر (كتشنر باشا) وقد جعلت مصر الحدود بينها و بين السودان وادي حلفا

فانفتح بذلك يومئذ لبلاد السودان باب جديد . فانه لو قام فيها حينئذٍ زعيم قادر لدامت الدولة السودانية اما مستقلةً عن مصر او تابعة لها كما يتبع امراء الهند الحكومة الانكليزية . ومما زاد الحالة اختلالاً واعتلالاً في السودان وفاة المهدي وخلافة عبد الله التعايشي الذي ملأ البلاد السودانية ظلماً واعتسافاً . كانه جهل بيتي ابي تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى … حتى غدا الدهرُ يمشي مشية الهرمِ
بناه بأس وعدلٌ صادق ومتى … تُبنَ العلى من سوى هذين تنهدمِ

فما أصدق البيت الاول في المهدي محمد احمد وما اصدق البيت الثاني بخليفته عبد الله التعايشي

وبناء عليه لم تنطلق يد الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية من المشاكل حتى اخذتا تفكران بهدم ذلك المجد القائم على الظلم والعدوان واسترداد بلاد السودان . فعهدتا الى كتشنر باشا سردار الجيش المصري ان يقود حملة الفتح فاقام السردار يجهز الحملة و يدرس خطتها واخذ على نفسه ان يقهر الدراويش بالهندسة لا بالبسالة فكان لا يخطو خطوة الا وهو على ثقة من الارض التي يمشي فيها وكلما تقدم ميلاً تبعته السكة الحديدية حفظاً لخط الاتصال هذا فضلاً عن ملازمته مجرى النيل . واقام على هذا الصبر والتدقيق والاستعداد شهوراً طوالاً وفصولاً عديدة وهو يزحف زحف النمل اي بتأنٍ وثبات حتى بلغ ام درمان وكسر التعايشي ودراويشه في الواقعة التي دوى خبرها في جميع اقطار العالم كما دوى قبل ذلك خبر فناء حملة هيكس ومقتل غوردون يوم سقوط الخرطوم . وبذلك سقطت دولة الدراويش وحلت محلها دولة التمدن والارتقاء

***

﴿ رسوم هذه المقالة ﴾ ولا يخلو من فائدة بعد البيان الذي تقدم عن حالة السودان الحاضرة وتاريخها الماضي ان نري القارئ بالعين شيئاً من المناظر السودانية التي رآها بالفكر ولذلك وضعنا في هذه المقالة الرسوم التي تقدمت . واولها رسم مدينة (الخرطوم) قبل قيام دولة الدراويش واستيلائهم عليها لا في حالتها الحاضرة . ومن مجرد النظر اليها يُعلم ما كانت عليه من الحضارة والتمدن في ذلك الزمان . وثانيها مدينة (اصوان) التي كانت النقطة الاولى التي زحف منها الجيش المصري الانكليزي لاسقاط دولة الدراويش . وثالثها معسكر مصري في بلاد السودان في اثناء الحملة . ورابعها منظر دراويش يدافعون عن خيامهم وعيالهم . وخامسها صحراء السودان المحرقة التي كانت اشد على الجنود الانكليزية

في ايام هيكس باشا واللورد ولسلي من حراب الدراويش ورماحهم . وقد كانت الجرائد الفرنسوية والانكليزية المعارضة في فتح السودان ترسم هذه الصحراء وتكتب تحتها « انظروا البلاد التي سارت الجيوش المصرية والانكليزية للاستيلاء عليها » تعني بذلك انها كلها قفار محرقة لا تُشرى بدم جندي واحد . وسادسها منظر الشلالات في النيل وهو منظر سمع به القراء ولم يروه . وسابعها منظر سلاطين باشا في لباس الدراويش . وقصة سلاطين باشا مشهورة . فان الدراويش امروه فاضطر الى مجاراتهم فلبس لباسهم واظهر الاسلام والطاعة لهم وتزوج منهم . ثم غافلهم وفرَّ من اسرهم وهو اليوم مفتش عام لحكومة السودان . وثامنها رسم سوداني يصلي في الصحراء بجانب جمله . وتاسعها طريقة الفلاحة في السودان وهي لا تختلف كثيرًا عن الفلاحة في مصر والشام كما ترى في الرسم . وعاشرها الشكل السوداني باشد قوته

***

هذا ولا ريب انَّ ظهور الجناب الخديوي العالي في تلك البلاد بعد تلك الفتن والاضطرابات سيكون بشيرًا للسكان بزيادة تحسين الحال في الاستقبال . سيكون ظهوره فيهم رمزًا الى استمرار الامن والسلام في ربوعهم . وضمانة لاقامة العدل والسواء بينهم . وحفظ حريتهم العمومية والدينية . وحرية التجارة والمعاملة . وتعميم التعليم الابتدائي والتنشيط الزراعي ليكون السودان للسودانيين لا لسواهم

ولا بدع بعد هذا ان يستقبل السودانيون سموه بما سيستقبلونه به من التعظيم والاجلال . فان شيوخهم سيرون في العباس « فتى الشرق» كما قال شاعره في هذا الشهر صورةَ شبابهم الماضي . فيحنون الى شبابهم . والشبان يفتخرون بشبابه الغض الذي يملك ملكاً عزيزًا . فكأنهم يعتبرون شبابهم مالكاً معه . والنساء يرين فيه صورة الاخ والابن والزوج وكل عزيز كريم فيطرن شوقًا اليه . والاولاد يقفون برهبة وخشوع وهم يفكرون في صيرورتهم غدًا من جنوده ورعيته . واكابر الامة وموظفوها وضباطها وجنودها يرون فيه صورة السلطة العليا متجسمة فيخضعون لسيفه ولارادته

وكل هذه الصور المختلفة . كل حنين الشيوخ وافتخار الشبان وشوق النساء وخشوع الاولاد واحترام الاكابر والموظفين والقواد — كلها ستترجم غدًا الى لغة البشر بهتاف يطبق اقطار السودان ودوي المدافع من وادي حلفا الى ام درمان وتقاطر السودانيين من اقصى البلاد



الشكل السوداني في اشد قوته

الوفا الوفا لمشاهدة امير البلاد والهتاف مع عساكره — فليحيَ عباس
والجامعة تشاركهم منذ الآن في هذا الهتاف

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

الملك والحكيم مينوس

﴿ اكتشاف عظيم في كريت ﴾

ترجمة مينوس · قصة الثور الانساني والبطل ثيسيوس · ثلاثة اكتشافات · القصر والتيه · تمدن جديد · لغة جديدة · للخرافات اصل تاريخي

في التاريخ اليوناني قسم يسمونه « الميثولوجيا » وهو ما يعبرون عنه بالتقاليد اليونانية الخرافية · وهذه التقاليد قسمان ديني وغير ديني · اما التقاليد الدينية فاكثر ابناء المدارس اطلعوا عليها في كتاب (تليماك) الذي جرت العادة بتدريسه في المدارس الفرنسوية في الغرب والشرق منذ القرن الثامن عشر · وخلاصتها ان جوبتير هو ابو الآلهة وان الآلهة متعددة فللبحر اله وللحرب اله وللحكمة اله وهلم جرًا · واما التقاليد غير الدينية فهي عبارة عن تاريخ ابطال اليونان الاقدمين وحروبهم وغزواتهم · وابلغ ما كُتب في هذا الموضوع الالياذه والاوديسه للشاعر هوميروس المشهور

ومن اعظم صور اولئك الابطال صورة الملك والحكيم (مينوس) الذي حكم في كريت وسن الشرائع الكريتية التي فاقت في حكمتها وعدالتها كل ما تقدمها من الشرائع البشرية · وحسبنا في الدلالة على عظمة تلك السنن ان نقول ان الفيلسوف ليكورغوس الاسبرطي بنى عليها الشريعة التي سنها لاسبرطه العظيمة · وقد اخذ اليونان عند بلوغهم اقصى تمدنهم شيئًا كثيرًا من الشرائع الكريتية وكانوا يقولون ان الآلهة علّمت مينوس اياها ليعلمها للناس · فكأنَّ شرائع كريت التي وُضعت قبل تمدن اليونان كانت اساسًا للتمدن اليوناني وبالتالي دعامة للتمدن الحاضر

على ان هذا الامر مع اهميته ليس بالسبب الذي حملنا على كتابة هذا الفصل بل هنالك سبب جديد وهو اكتشاف عظيم حدث في كريت في هذا العام · فان المستر ارثر

ايفانس الانكليزي اعلن انه كشف في كريت قصر مينوس وضمنه (التيه) المشهور في التاريخ الخرافي . فاستغرب علماء التاريخ هذا الاكتشاف اشد استغراب لاعتقادهم بفساد ما قيل عن التيه وانكارهم اياه وان كانوا لا ينكرون ان مينوس حكم كريت وسن لها شرائعها القديمة . وبيانًا لهذه المسالة المهمة نورد لمحة من تاريخ مينوس وتيهه توصلاً الى النتيجة العظمى التي استخرجوها من هذا الاكتشاف الجديد

***

﴿ ترجمة مينوس ﴾ جاء في التقاليد اليونانية الخرافية ان مينوس ولد من الاله (زفس) اله الشمس ومن (اوروبا) الاهة الموسيقى والنشيد وقد حكم في كريت وجزائر بحر ايجيوس (الارخبيل اليوم) قبل حرب تروادة بثلاثة اجيال . وقد تعلم الحكمة والشريعة من الاله زفس ابيه . وكانت له صلات بالاله بوزايدون فارسل له هذا الاله من اعماق البحر ثورًا جميلاً لا عيب فيه ليقربه على مذبح الالهة فاعجب هذا الثور مينوس وابقاه عنده وكان لمينوس زوجة تُدعى بازيافاي فلما رأت الثور احبته حبًا شديدًا

﴿ قصة مينوتور ﴾ وقد وصف كتاب اليونان هذا الثور فقالوا انه كان مشتركاً بين الانسان والحيوان فنصفه الاعلى نصف ثور ونصفه السفلي نصف انسان وهم يسمونه مينوتور

وكانت مملكة كريت اقوى ممالك اليونان في ذلك الزمان . وكان لها اسطول حربي يمخر عباب البحر ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الكريتيين يزعمون يومئذ ان للملك مينوس صلات بآلهة البحار . ففي ذات يوم سافر اندوجيوس ابن مينوس الى بلاد اليونان فقتله بعض اليونانيين اعداء في المقاطعة التابعة لاثينا فثار مينوس ملك كريت وشن الغارة عليهم انتقامًا لابنه فامعن فيهم قتلاً وسلبًا وقد ساعدته السماء يومئذٍ فابتلت تلك البلاد بالطاعون والجدب وانحباس المطر . فسأل اليونانيون كهانهم ما الطريقة الى كشف هذا البلاء فاجابهم كهانهم عن لسان الاله ابولون ان هذا البلاء لا يُكشف عنهم الا متى استرضوا الملك مينوس فجاءوه واقترحوا عليه عقد الصلح فاشترط عليهم مينوس ان يُرسلوا اليه في كل عام سبعة من خيار فتيانهم وسبعًا من اجمل فتياتهم بدلاً من ابنه . فاجابوه الى هذا الطلب وصاروا يدفعون اليه في كل عام هذه الجزية البشرية

ولكن ماذا كان يصنع مينوس بالفتيان والفتيات الذين كانت اثينا ترسلهم اليه في كل عام . فبعض الكتاب يقولون ان مينوس كان يقدمهم للثور مينوتور ليفترسهم و بعضهم

ن يجعلهم في جملة خدامه وجواريه في القصر
ام الثالث من وضع هذه الجزية على الاثينيين اخذوا يتضجرون و يتذمرون .
يدعى (ايجيوس) وكان له ولد وحيد يدعى البطل ثيسيوس وله قصص
لما رأى هذا الشاب الشجاع تذمر الاثينيين رام ان يجعل نفسه قدوة حسنة
سيسافر مع الشبان الستة الذين يرسلون الى كريت ويقتل الثور انقاذاً لاثينا
ابوه على سفره ودفع الى ربان السفينة شراعاً ابيض ليضعه للسفينة حين عودتها
ذا كان الاثينيون يعودون فيها سالمين بدلاً من الشراع الاسود الذي كانت
للحزن
ل البطل ثيسيوس ورفاقه الى كريت رأته اريادنه ابنة الملك مينوس فاحبته
خيوط وسيفاً . ثم ادخل على المينوتور الهائل فقاتله ثيسيوس حتى قتله بسيفه
التيه الذي كان الثور يقيم فيه وهو يستدل على طريقه بالخيوط التي مدها من
ي حين دخوله . ولما قتل ثيسيوس الثور سقطت الجزية عن الاثينيين . فعاد
اثينا مع رفاقه . ولكن ربان السفينة نسي ان يضع الشراع الابيض مكان
لما اقبلت السفينة كان الملك ايجيوس ينتظر عودتها وهو واقف على صخرة عالية
بحر الارخبيل . فلما ابصر شراعها الاسود تحقق ان ابنه قد قتل فالقى نفسه
ة فمات لساعته ولذلك سمي هذا البحر بحر ايجيوس الى اليوم . اما ثيسيوس
لاثينيون احتفالاً عظيماً لانه خلع نير الجزية عن رقابهم
لاصة رواية المؤرخ فلوطرخوس في تاريخ حياة ثيسيوس عن المينوتور ومقتله
البطل اليوناني . فما هو الصحيح وما هو الفاسد من هذه الرواية

كتشاف الجديد ﴾ لقد كان كثيرون من المؤرخين المتاخرين يرون ان
حديث خرافة اما اليوم فقد اثبت الاكتشاف الجديد الذي نحن في صدده
لقصة شيئاً من التاريخ . فان المستر ارثر ايفانس الذي تقدم ذكره اكتشف
ر الملك مينوس وضمنه التيه الذي كان المينوتور فيه . وقد كتب يصف
فقال ما خلاصته
ر الذي اكتشفته مبني منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي . ولا تزال مواده
مرّ عليه من القرون . وهو مبني من الحجارة والطين وفيه كثير من الاعمدة
خارجه مدهون بلون ابيض وازرق واحمر واسود . اما داخله فهندسته غير

منتظمة ففيه بضع قاعات واسعة وكثير من الغرف الضيقة تُفتح ابوابها على دهاليز لا تُحصى حتى ان من يدخلها يتيه فيها . ولا ريب في ان احدى القاعات الكبرى كانت قاعة عرش مينوس لان في وسطها عرشاً فخماً . وعلى جدران هذه القاعات والغرف والدهاليز كثير من رسوم المينوتور ورسم الفأس المزدوجة التي هي رمز الى زفس اله كريت وملكها الاول وصور مناظر طبيعية واشخاص كثيرين وفي جملة صور هذه الاشخاص صورة فتى اهيف يشد وسطه بزنار من معدن وفي جيده عقد من فضة وفي اذنيه قرطان . فهذه الصورة هي اول صورة وصلت الينا من التمدن الميسيني القديم . وهي مرسومة بمهارة واتقان يستوقفان الانظار . ومن تلك الصور ايضاً صور كثيرين من الفتيان والفتيات يتلاعبون تحت الاشجار او يتحادثون . فغير بعيد ان يكونوا من جواري القصر وخدامه الذين كان الاثينيون يرسلونهم الى كريت فدى عن ابن مينوس المقتول

ولكن كل هذه الاكتشافات البديعة لا تُذكر بازاء اكتشاف علمي آخر اكتشفه المستر ايفانس في هذا القصر . وهو انه عثر فيه على كثير من الخزائن وآنية من فخار مملوءة بقطع من اللبن عليها كتابات بلغة جديدة . وهذه اللغة لا تشتق من الاشورية ولا المصرية بل صبغتها اوربية وهي مستقلة عن اللغة اليونانية . وذلك يدلُّ على ان سكان كريت كانوا يتكلمون منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي لغة مستقلة عن باقي اللغات الميتة والحية . وان حروف الهجاء الفينيقية التي هي اصل لغات الامم المتمدنة في هذا الزمان لا دخل لها في تلك اللغة الكريتية قطعياً لان هذه قد وُجدت قبلها على ما يظهر

هذا هو الاكتشاف اللغوي . اما الاكتشاف التاريخي فهو مبني على الرسوم التي تقدمت الاشارة اليها . فان التمدن اليوناني لم يقدر على بلوغ هذه الدرجة من الاتقان والمهارة في الفنون الجميلة الا بعد انقضاء تسعة قرون عليه من تاريخ رسم هذه الرسوم على قصر مينوس . وذلك يدل انه كان في كريت قبل ظهور التمدن اليوناني بتسعة قرون تمدن عظيم بلغت فيه الفنون الجميلة مبلغاً عظيماً ولا يزال التاريخ الحديث يجهل تفاصيل هذا التمدن

ثم انه يؤخذ ايضاً من هذا الاكتشاف ان التقاليد اليونانية القديمة ليست كلها خرافية بل ان لخرافاتها اصلاً من الحقيقة في بعض الاحيان

والنتيجة الرابعة التي تؤخذ من هذا الاكتشاف ان بعض المناظر الطبيعية التي وجدت مرسومة على جدران قصر مينوس تشبه مناظر مصر الطبيعية كل الشبه فكأنَّ راسمها قد زار

القرون البعيدة
ه فلا يبعد ان يكون قد قام في الاقطار اليونانية قبل تمدن اليونان تمدن
كزه في كريت
مينوس وقبره ﴾ ومما جاء في تلك التقاليد ان مينوس لم يمدن شعبه وبلاده
الة فقط بل مدنهم بالفنون الجميلة ايضاً . فقد كان عنده نقاش مشهور في
باسم « ديداليوس » وهو الذي بنى لمينوس القصر والتيه واقام في بلاده
لابنية الفخيمة . وقد تقدم الكلام ان زوجة مينوس احبت المينوتور فدخل
بنها وبين هذا الثور فكان وسيط حب بينهما . فلما درى بذلك مينوس
ر النقاش الى جزيرة صقلية فلحق به مينوس بسفنه وطارده الى مدينة
ولما وصل الى هذه المدينة دخل الى حمام فيها فهجمت عليه بنات الملك كوكالوس
اء مغلياً فمات لساعته ودفن في تلك المدينة . ولما بنيت مدينة اكريجنته على
كاميكوس المذكورة آنفاً نبشت عظام مينوس واعيدت الى الكريتيين فوضعوها
وكتبوا عليه « مدفن مينوس ابن زفس » واكثرهم كان يعتقد ان هذا القبر
ه
: ان ننشر في هذا الفصل صورة مينوس كما وجدت على النقود الكريتية
نا لم نعثر عليها فنكتفي بوصفها . فان مينوس مرسوم فيها بهيئة رجل ذي لحية
كثيف مسترسل وعلى راسه تاج الملك وفي عينيه لوائح القوة والكبرياء
للغاية كانه منظر زفس نفسه . وقد وجدت رسوم اخرى على الآثار رسم فيها
لجحيم وهو يقضي بين الناس لاشتهاره بالعدل والحكمة طبقاً لما كان عليه
ن الآلهة جعلته قاضياً للجحيم بعد موته

الشاعرة سافو اليونانية

﴿ شاعرة متلين ﴾

(واول امراة في العالم المتمدن دعت النساء الى اعمال الرجال)

اسم جزيرة متلين في هذا الشهر حتى صاح الكتاب في كل مكان « سافو
جزيرة متلين اشتهرت بشاعرتها سافو اكثر من اشتهارها بمن نبغ فيها في

الزمن القديم من العلماء والفلاسفة والشعراء · وبما اننا ننشر في كل جزء سيرة شهير وشهيرة من مشاهير المتقدمين والمتاخرين تنشيطاً للهمم الى الاقتداء بهم والماماً بحوادث التاريخ المرتبطة بتاريخهم فاننا نشير ههنا الى ترجمة هذه الشاعرة المشهورة ووصف وطنها متلين بما يجب من الاختصار فنقول

﴿ ترجمة سافو ﴾ ولدت سافو في جزيرة متلين في المدينة المسماة بهذا الاسم وكانت من قبل تسمى ايرسوس · وعاشت بين عام ٦٣٠ وعام ٥٧٠ قبل الميلاد المسيحي · وقد حدثت في متلين فتن واضطرابات فهجرتها سافو الى صقلية ثم عادت اليها · ومنذ هذا الحين ابتدأت حياتها الحقيقية

وكانت سافو شديدة المزاج وقد اجتمعت فيها كل قوة النفس اليونانية · وكانت جزيرة متلين آية في الخصب والسعة في ذلك الزمان واهلها في احسن حال · ومما كان يزيد حالهم صلاحاً لطف الطبيعة وجودة الهواء في الجزيرة · وكان شعراء الجزيرة وادباؤها مولعين بالمعيشة الطبيعية وعنهم يؤثر القول بوجوب الحب حتى الموت والتمتع بكل حسناته · وكانت سافو من اشدهم حباً للطبيعة واكثرهم ولعاً بالشعر والموسيقى فجمعت اليها بعض حسان متلين واخذت تعلمهن الشعر · ومن تلميذاتها اللواتي حفظ التاريخ اسماءهن ارنيه دي طيلوس ودوفيله دي بنفيليا · فاقبل الناس على استماع تعليمها وتهافتوا على نظمها تهافتاً شديداً وحفظوه وتناقلوه كانفس ما يقنى · فكانت سافو في نظرهم كمثال للجمال والطرب والبلاغة والحب · على ان اختلاط سافو بالشبان والرجال وملاطفتها اياهم اطلق السنة الناس في اساءة الظن بها كما اساءوا الظن بسقراط يوم اخذ يلاطف النساء ويجاملهن · ولكن من الثابت ان اداب هذه الشاعرة كانت خالية من كل شائبة · وبناء علية لا صحة البتة لما اشاعه كتاب اليونان عن حبها لفاون وانتحارها في سبيل حبه

ويؤخذ من كتب سافو انه كان لها اخ وقد ابتاع هذا الاخ الحسناء (رودوبا) من مصر وتزوج بها · وقد تزوجت سافو نفسها بسركولاس دندروس وولدت له ابنة دعتها (كليس) · اما منظوماتها فقد ضاعت كلها تقريباً وكانت مجموعة في تسعة كتب جمعها علماء الاسكندرية اكراماً لعرائس الشعر التسع · ولم يبقَ الآن منها سوى قصيدة الى افروديته وقصيدة الى فتاة حسناء وبعض شذرات مجموعة في كتاب · وقد ابتكرت سافو في الشعر اليوناني نوعاً للنظم معروفاً بنوع سافو

﴿ الشعر يقلب نظام الطبيعة · الانثى ترث دون الذكر ﴾ وقد بلغت من شهرة سافو في متلين ان ضُربت نقود تلك الجزيرة باسمها ورسمها ووصلنا كثير من هذه النقود وقد نُقشت لها التماثيل ايضاً مبالغة في اكرامها · ولكن اهم اكرام نالته سافو في وطنها هو قلب نظام الطبيعة من حيث الارث في جزيرة متلين · فان الاناث يرثن في متلين دون الذكور · وترى السلطة الاولى للنساء والفتيات اي ان المرأة هنالك ملكة حقيقية بالاسم والفعل · وما سبب هذا الانقلاب الا امتياز نساء متلين باللطف والجمال وقوة النفس ونبوغ امرأة كسافو جعلت النساء فيها مفضلات على الرجال · وهي المرأة الاولى التي دعت النساء في العالم المتمدن الى اعمال الرجال

﴿ وطن سافو ﴾ يُسمي الاتراك جزيرة متلين « مدللي » وقد جاراهم في ذلك كتاب الصحف العربية · والصواب ان هذا الاسم في اصله اليوناني لسبوس او « ميتيليني » وهي جزيرة واقعة في الشمال الشرقي من الارخبيل في بحر ايجيوس الذي تقدم ذكره في مقالة مينوس وهي اكبر جزيرة فيه · ومساحة ارضها ١٧٤٩ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٠٠ الف نسمة · وهذه الجزيرة مقسومة الآن الى ثلاثة اقضية وهي اقليم متلين او كاسترو واقليم كالونيا واقليم موليفو · وعدد مدنها اربعة وهي : متلين وقد سميت الجزيرة باسمها وموليفو وسيكري وكالونيا · ويتولى ادارة هذه الجزيرة قائمقام عثماني تابع لولاية الارخبيل

وجزيرة متلين كثيرة الجبال قليلة الانهار ولكنها كثيرة الينابيع وفيها كثير من الموانى الواسعة كميناء « موليفو » وهواؤها جيد جداً · واشهر حاصلاتها الزيتون (ومنه يُصنع صابون مدللي المشهور) والتوت والكرمة التي يُصنع من عنبها خمر مشهورة منذ الزمن القديم · وتجارة متلين مصروفة الى مرسيليا ولندن والاستانة وتريسته وازمير وهي تجارة واسعة لان الجزيرة بمثابة مستودع للاناضول · اما صادراتها فهي من زيت الزيتون والصابون والجلود المدبوغة والحرير والاثمار والخمور · واما وارداتها فهي من السكر والبن والارز والحديد والمنسوجات وما اشبهها

﴿ تاريخها ﴾ يقسم المؤرخون القبائل التي تألفت منها العناصر اليونانية الى اربع وهي : قبيلة الايوليين · وقبيلة البيوثيين · وقبيلة الايونيين · وقبيلة التساليين · وقد كان لكل فريق تمدن مخصوص وكانت جزيرة متلين عاصمة تمدن الايوليين لان هذا التمدن بلغ فيها اشد مبلغه · وقد دخل الايوليون الى هذه الجزيرة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد

فطردوا التروادبين والاسيو بين الذين كانوا فيها واستولوا عليها · وفي القرن الرابع والخامس قبل الميلاد المسيحي بلغ تمدنهم اشده فنبغ منهم في الشعر سافو والسيوس · وفي الموسيقى تر باندر وار يون · وفي الفلسفة ثيوفراستوس و بيثاكوس · وفي التاريخ هيلانيكوس وغيره

وفي القرن الرابع قبل الميلاد فتحها الفرس وفي عام ٤٧٦ انضمت الى التحالف اليوناني على الفرس وفي عام ٤٢٨ ثارت على اثينا فاخضعتها اثينا بقوة وقسوة · ثم جاء الرومان واستولوا على هذه الجزيرة · ثم انتقلت من الامبراطورية الشرقية الى البنادقة فبقيت في يدهم حتى عام ١٤٦٢ بعد الميلاد فتحها يومئذ محمد الفاتح واستولى عليها · ولما ثار اليونان في حرب الاستقلال ثارت هذه الجزيرة ايضاً ولكن العنصر التركي كان اكثر من العنصر اليوناني فيها فلم يقدر اليونان عليها واتخذتها الدولة العثمانية يومئذ محطة لسفنها ومستودعاً لمؤنها · وقد احتل اليونان بعد ٢١ يونيو من عام ١٨٢١ ثغرين من ثغورها وهما سيكري وكالونيا ولكنهم عجزوا عن الثبات فيهما امام الجند العثماني

***

ولا بدَّ في ختام الكلام عن جزيرة كريت وجزيرة متلين من وقفة للنظر في الزمن الماضي · فان هاتين الجزيرتين كانتا فيما مرَّ مركزين لتمدنين عظيمين كانت ضوضاؤهما تملأ الدنيا كلها · فمن جهة نسمع سافو في وطنها متلين ذات الامم الموسيقي لان صوته مطرب مثلها تنادي قائلة — الحب والجمال والشعر والموسيقى : هذه هي لذة الحياة في هذا العالم · ومن جهة اخرى نسمع صوت مينوس الحكيم ينادي من كريت — الحكمة والعدل والشرائع : هذه هي فضيلة الحياة في هذا العالم · وحولها او بالاحرى تحتهما شعب متمدن نخور بمدنيته على كل مدنية · فاساطيله تمخر البحر · ومعامله تملأ البر · وفنونه وفلسفته وعلومه تُعتق كالخمر في اقبية الزمان حتى يجيء ابناء العصور التالية ويستخرجوها · وقد وصل الينا شيء كثير من تلك الخمور المعتقة ولكن بعد جفاف الكرمة التي عُصرت منها ان لم نقل يبسها · فلم تعد كريت ومتلين اليوم بعد ذلك المجد المعهود والظل الممدود الا كبركان خامد نفدت حرارته كلها · وتلك الايام نداولها بين الناس والارض لله يورثها من يشاء

المقالات

نشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

الفصل العاشر . النساء والاولاد

وكان يسوع محباً للشعب لانه علم ان ملكوته لا يسود الاَّ به فكان يؤثر معاشرة الضعفاء والفقراء والعشارين والمنبوذين على معاشرة السراة والاكابر . وكان يطوف انحاء الجليل راكباً على بغلة جرياً على عادة الشرقيين الذين يتخذون للسفر بغالاً ذات عيون سوداء حولها اهداب طويلة تجعل لها منظرًا لطيفاً جدًا . وكان تلامذته يفرشون ثيابهم تارة في طريقه وتارة على ظهر البغلة . ومتى وصلوا الى احدى القرى ونزلوا في بيت صار ذلك البيت مباركاً واجتمع فيه كل اهل القرية لان بيوت الضيوف في الشرق تجتمع لجميع الناس . وكان اكثر الناس اجتماعاً عليه النساء والاولاد . وكان يسوع يحب الاولاد حباً شديدًا . واتفق ان تلامذته ارادوا في ذات يوم ان يبعدوهم عنه فرارًا من ضوضائهم فقال لهم يسوع كلمته المشهورة « دعوا الاولاد يأتون اليَّ لان لمثل هؤلاء ملكوت السماوات» وقد حدث في ذات يوم خلاف بين التلامذة بشأن التقدم والرتبة فاخذ يسوع ولدًا واقامه في وسطهم ثم قال لهم ان لم ترجعوا وتصيروا امثال هذا الولد (في البساطة والطهارة والتواضع والحب) فلن تدخلوا ملكوت السماوات . وكان الاولاد يزدحمون من كل جانب ويهتفون له « اوصنّا لابن داود » فكان يروقه هتافهم . وبذلك كان بدء ظهوره عبارة عن حركة يقوم بها النساء والاولاد . ولا يخفى ان كل قوى النفس الانسانية وكل ما في القلب البشري من طهارة وحب وبساطة مجموع في هذين الفريقين

فكانت ملك السيد يومئذ كان ملك الاولاد وكأنه رام الاستيلاء بهم على العالم اجمع. فما كان اجمل ذلك الزمن العظيم · ما اجمل ان تندى الانسانية ولو لحظة واحدة تلك القيود المادية التي تقيدها بهذه الارض وتنزع الى ملك العلى · وما اسعد اولئك الذين شهدوا باعينهم هذا المشهد الالهي واشتركوا في تلك الآمال العظيمة · ولكن لا ريب ان هنالك رجلاً اسعد منهم · وهو ذلك الذي ينفض عنه غبار كل وهم وشر ورذيلة كما قال يسوع ويعيد في نفسه بواسطة نقاء باطنه وصفاء ضميره وقوة ارادته تلك الصورة الالهية التي هي ملكوت الله · هذا هو الرجل العاقل السعيد ومن عداه فعبد او غشاش يستحق الشفقة والرحمة · · ·

الفصل الحادي عشر · مقتل يوحنا المعمدان

ولما انتشرت شهرة المعلم العظيم هذا الانتشار بلغت الى يوحنا المعمدان في سجنه فبعث اليه اثنين من تلامذته يسألانه « هل انت الآتي ام ننتظر آخر » فلما قدم التلميذان عليه وجدا حوله ضوضاء الاحتفال والافراح والمآدب فعجبا من ذلك كما نقل الانجيلي متى (الاصحاح التاسع) لان معلمها يوحنا كان لا يأكل ولا يشرب الا ما كان ضروريًا لقيام الجسم · ولما ابلغاه رسالة يوحنا اجابهم « طوبى لمن لا يشك فيَّ » فعادا الى سيدهما ولكننا لا نعلم اذا كانا قد وجداه في قيد الحياة او ان انتيباس كان قد امر بقتله · وقصة مقتل يوحنا مشهورة فان هذا الرجل الصارم كان في محادثاته مع انتيباس يقول له دائمًا انه قد اساء الى الشريعة اليهودية بزواجه من هيروديا · فزاد ذلك في سخط هيروديا عليه وكان لهيروديا ابنة من زوجها الاول تُدعى صالومه · ففي يوم تذكار مولد انتيباس اقام هذا الملك احتفالاً في قلعة ماشرو في القصر الجميل الذي بناه هيرودوس الكبير فيها كما روى يوسيفوس فقامت صالومه بايعاز من امها ورقصت في الحفلة رقصة من الرقصات المشهورة في الشرق بكونها غير ادبية · فطرب انتيباس اشد طرب من هذه الرقصة وقال لها اطلبي فانني اعطيك ما تشائين · فطلبت رأس يوحنا المعمدان · فاستاء انتيباس من هذا الطلب ولكنه كره ان يردها فامر احد حراسه فذهب وجاءه برأس يوحنا على طبق

فكان هذا الشيخ الجليل اول شهيد من شهداء الديانة المسيحية · وكانت جثته اول جثة وُضعت في الطريق الدموية التي سلكها تلامذة السيد فكأنها فتحتها لهم · وذلك مما جعل يوحنا همزة وصل بين العالم القديم والعالم الجديد

وقد سخط الشعب اليهودي من صنع انتيباس وغزا الحارث امير العرب الذي كانت ابنته زوجة انتيباس قبل اقترانه بهيرود يا مملكة هذا الملك للانتقام لابنته واسترداد قلعة ماشر ومنه فانكسر انتيباس في هذه الحرب وقد عدَّ الشعب اليهودي هذا الانكسار عقاباً له على ما صنعه بيوحنا المعمدان

واما تلامذة يوحنا فانهم اخذوا جثته ودفنوها وقد عاش مذهبه بعده فلم يمت بموته ولكنه لم يعش وقتاً طويلاً بل انطفأ شيئاً فشيئاً بعد انتشار الديانة المسيحية لان المسيحيين اصبحوا يعتبرون انصاره خارجين عن المسيحية . وكان اليهود ينكرون مجيء «مسيا» استناداً الى ان ايليا لم يأتِ كما تنبأ دانيال فكان المسيحيون يجيبون بان يوحنا هو ايليا

الفصل الثاني عشر . يسوع في اورشليم

وكان يسوع يذهب الى اورشليم مع حجاج اليهود في كل عام تقريباً . واول مرة اطال الاقامة فيها كانت على ما يظهر في عام ٣١ بعد ميلاده اي بعد مقتل يوحنا المعمدان . وكان يسوع يحجّ مع حجاج اليهود لانه كره جرح عواطفهم والازدراء بالحج فضلاً عن معرفته ان الواجب للقيام بعمل عظيم الخروج من بلاد الجليل والاقامة في اورشليم مركز اليهود لمهاجمة التقاليد اليهودية فيها

وكانت اورشليم في ذلك الزمان كما هي اليوم اي مدينة الجدال والدعوى والخصام والبغض والامور الصبيانية . وكان الفريسيون متسلطين على عقول اهلها . وكان اهتمامهم مصروفاً الى درس الشريعة اليهودية والمجادلة فيها باسلوب جاف خشن لا يغذي النفس ولا يهذب العقل . وكان الواحد منهم يقضي السنوات الطوال في درس القواعد والاصول القديمة حتى اذا وعى منها شيئاً انتفخ كبرياء وعظمةً بدعوى العلم . فكان الجليليون الذين يحجون من الجليل اليها لا يجدون فيها شيئاً مما كان في بلادهم من الهدوء الطبيعي والجمال ونقاء العيش . ومما كان يزيد ألمهم ان يهود اورشليم كانوا يعتبرون يهود الجليل دونهم . وكان قولهم « الجليلي الاحمق» مضرباً للمثل عندهم لاعتقادهم الحمق والبلاهة في الجليليين . وكان من امثالهم ايضاً « هل يقوم من الناصرة رجل صالح » . وبالجملة فقد كانت الجليل محتقرة في نظرهم ولم يكن لها من شهادة في كتبهم غير قول اشعيا الذي اختلف مفسروهم في تفسيره وهو « ارض زبولون وارض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم »

ومما زاد الم يسوع وتلامذته الجليليين في اورشليم جفاف الطبيعة حول هذه المدينة .

فان ارضها كثيرة الحجارة جافة واوديتها لا ماء فيها . ومن يسرح طرفه فيها في جهات البحر الميت واراضيه القفراء يشعر شعوراً غريباً . فان هذا المنظر لو كان في مكان آخر لكان كريهاً منبوذاً ولكنه حوالى اورشليم جدير بالاعتبار والتامل لما يوحي الى النفس من الانكار العديدة . وكان منظر اورشليم في زمن يسوع كمنظرها اليوم تقريباً . فانه لم يكن فيها من اثر قديم لان اليهود اقاموا حتى المكابيين (الاشمونيين) ولا شيء عندهم من الفنون الجميلة . ولكن لما قام ملكهم وكبير كهانهم هركان في عام ٧٩ قبل الميلاد اخذ يزين المدينة ويجملها . ثم جاء هيرودس الكبير فجعلها مدينة شائقة . وقد روى يوسيفوس ان الابنية الجميلة التي اقامها هيرودس الكبير فيها كانت شبيهة بالابنية العظيمة التي تخلفت عن العصور القديمة . وقد كان في ضواحي اورشليم في ذلك الزمن كثير من المدافن الجميلة مبنية على القواعد اليونانية . اما يسوع فلم يكن يعبأ بهذه الاثار الجميلة لان عقله كان مشغولاً بالامور الروحية دون سواها ولم يكن له ميل الا الى ما له علاقة بالقلب

اما الهيكل العظيم فانه كان جديداً في ايام يسوع . فان هيرودس الكبير بدأ باعادة بنائه في عام ٢٠ — ٢١ قبل الميلاد . وقد اتم بناء صحن الهيكل نفسه في ١٨ شهراً كما روى يوسيفوس واقتضى بناء ابوابه واروقته ثماني سنوات . اما ملحقاته فلم يتم بناؤها الا قبل سقوط اورشليم في ايدي الرومانيين بمدة يسيرة . وربما كان البناؤون حين زيارة يسوع لها يبنون فيها . واذا كان قد شاهدهم يبنونها فلا ريب ان ذلك اثار في نفسه الكريمة عاطفة الاستياء لاعتباره تجديد بناء الهيكل دليلاً على ثقة اليهود بدوام تقاليدهم وفي ذلك اهانة لتعاليمه وعدم اكتراث بقدومه

اما منظر الهيكل فقد كان في غاية الفخامة . واذا دخلت الى الحرم وجامع عمر في اورشليم وتاملت في فخامة هذين المكانين تجلى لك جمال الهيكل اليهودي القديم لانهما قدم منه . اما المسيو دي فوكيه الذي ساح في فلسطين وكتب كتابه « هيكل اورشليم » في سنة ١٨٦٤ فانه يشك في ان الحرم والجامع كانا من اجزاء الهيكل

وكانت اروقة الهيكل وساحاته مجتمعاً لجمهور غفير من اليهود وكانت بمثابة محكمة لهم ومدرسة وساحة عمومية . فانهم كانوا يتباحثون فيها ويتجادلون ويتناظرون . وكان الرومانيون في ذلك الزمن يحترمون عادات اليهود فلم يكونوا يدخلون الهيكل . وقد نقشت في اماكن مخصوصة في الهيكل كتابات باللغة اليونانية واللاتينية لمنع الذين ليسوا يهوداً من اجتياز حدود معلومة في ساحات الهيكل . وكان ضبط شؤون الهيكل

الداخلية منوطاً برجال من اليهود دون الشرطة وكانت مفاتيح الابواب في يد ضابط منهم وعليه فتحها واقفالها ومنع الناس من الدخول الى الساحة الداخلية اذا كان في ايديهم عصي او كانت احذيتهم مغبرة او لاختصار الطريق في مرورهم من جانب الى جانب كما ورد في المشنا . ومما كانوا يهتمون به اشد اهتمام ايضاً منع الناس ولا سيما النساء من الدخول اذا لم يكونوا في حالة الطهارة التامة

ففي هذا المكان الواسع العظيم كان يصرف يسوع اوقاته مدة اقامته في اورشليم في ايام الحج . وكان اليهود يتهافتون في المواسم على هذا الهيكل تهافت الجراد ويقيمون في غرف متفرقة تسع كل واحدة منها عشرة اشخاص منهم او عشرين كما روى يوسيفوس . فكان يسوع يدخل بينهم مع رفاقه التلامذة . وكانت اصول العبادة في الهيكل تستوجب بيعاً وشراء فهناك حيوانات تعرض للبيع لتقرب ذبيحة وهنالك موائد صيارفة لاستبدال النقود وذلك مما كان يجعل للهيكل منظر سوق عمومية . فهذه الشؤون المادية كانت توءثر في نفس يسوع تاثيراً موءلماً لانها عارية عن ديانة القلب والضمير التي جاء للنداء بها . وقد غضب يوماً غضباً شديداً مما كان يجري في الهيكل من البيع والشراء كما جاء في الانجيل فتناول سوطاً وطرد به باعة الحيوانات وقلب موائد الصيارفة وهو يصيح ان بيت الصلاة لا يكون بيتاً للصوص . وبالجملة فانه كان قليل الميل للهيكل وقد ورث تلامذته هذا الميل . ولم يعبأ احد من المسيحيين بالهيكل غير المسيحيين الذين كانوا مع اعتناقهم الدين المسيحي متمسكين بالشريعة اليهودية . ولما قام الامبراطور قسطنطين والامبراطرة المسيحيون الاولون تركوا في الهيكل ما بناه فيه ادريانوس من المباني الوثنية . ولم يهتم بالهيكل بعد سقوط اورشليم غير الامبراطرة الذين كانوا اعداء للديانة المسيحية كالامبراطور جوليانوس . ولما فتحت اورشليم للعرب كان المسيحيون قد دنسوا الهيكل من بغضهم لليهود فامر الامام عمر باصلاحه واعادة شرفه اليه . كانه كتب لهذا المكان ان يبقى ضد الديانة المسيحية

اما اكليروس اليهود فقد كان يومئذ آخذاً في السقوط بقدر ارتفاع افكار الشعب الاسرائيلي . اي كلما كان الشعب يتهذب وتنضج افكاره كان الاكليروس ينحط في نظره وفي الحقيقة . ومما زاد انحطاطه اعتداء هيرودس الكبير عليه . فان هذا الملك العظيم احب فتاة تدعى مريم ابنة سمعان بن بويطوس من سكان الاسكندرية ورام الاقتران بها في عام ٢٨ قبل الميلاد . فرغبة في رفع شان عائلتها جاء بابيها وجعله رئيساً

لكهنة اليهود . وبذلك صارت رئاسة الكهنة بمثابة وظيفة تابعة للحكومة . وكانت رئاسة الكهنة قبل ذلك للصدوقيين فلما وليها بويطوس امتزج البويطوسيون بالصدوقيين وتألف من الفريقين اكليروس شرههم لا يهتم بالامور الدينية الا في الظاهر وكل قوة نفسه مصروفة الى المطامع الشخصية والمطامح الذاتية . وقد بلغ من عدم احترام الشؤون الدينية عندهم ان صاروا يضحكون من الشعب في سرهم لتهافته على ما كانوا يدعونه اليه ويهزأون بالحجاج الذين كانوا يفدون من اقاصي البلاد لزيارة الاماكن التي كان زمامها في ايديهم . وكانوا يعيشون من الهيكل وهم يرون بطلان الشؤون التي كانت تدر الرزق عليهم . وكان احب الامور اليهم ان يتركهم الناس وشانهم يغشون من يغشون ويبتزون ما يبتزون . ولذلك كانوا يكرهون سماع كلمة الاصلاح والقداسة ولم يكن من عدو لهم غير الذي يقوم لتنبيه الشعب فان ذلك يكدر صفوهم ويحول بينهم وبين رزقهم ومطامعهم

فكانت هذه الامور تثير نفس يسوع الكريمة حتى الغضب ولكنه كان في بدء الامر يكتم ما يقوم في نفسه ولا يطلع عليه احدًا غير اخصائه

على انه مع ذلك اخذ يتكلم ويعلم في جملة المتكلمين والمعلمين في الهيكل فلم يكتسب في بدء الامر غير صداقة عائلة في بيت عنيا ولم يتعرف بغير مريم ام مرقص التي صار بيتها بعد بضع سنوات مجتمعًا للتلامذة ورجل يدعى نيقوديموس وهو من الفريسيين الاغنياء . وكان هذا الرجل كريمًا شريف الاخلاق فمال ليسوع ولكنه لم الكن يزوره الا في الظلام فرارًا من تعنيف الفريسيين . ولم يدخل هذا الرجل يومئذ في الديانة المسيحية لانه كره الدخول في حركة ثورية جديدة لم يكن قد دخل فيها احد من اكابر اليهود

اما اكابر علماء اليهود في ذلك الزمان فلم يلقَ يسوع احدًا منهم لان الفيلسوفين هلل وشماي كانا قد فارقا الحياة ولم يكن من رجل كبير في الهيئة اليهودية يومئذ غير العالم «غمالائيل» حفيد هلل . وكان هذا الرجل ذا عقل مستقل حر محب للتساهل وذا علم بشؤون الحياة اليهودية وغير اليهودية . وكان من علامات تساهله انه كان يمشي في الشوارع منفتح العينين وهو ينظر الى النساء حتى النساء الوثنيات خلافًا للفريسيين الذين كانوا يمشون في الشوارع مغمضي العيون او ايديهم على عيونهم لئلا يبصروا النساء . وقد سامحه ابناء جنسه على هذا التساهل كما سامحوه على معرفته اللغة اليونانية لانه كان يخالط رجال البلاط . وبعد صلب يسوع وشروع تلامذته في التعليم في اورشليم رام الفريسيون سجنهم فقال فيهم غمالائيل قولاً جميلاً . وقد جاء في اعمال الرسل بهذا

الشان ما يلي

«فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلم للناموس مكرم عند جميع الشعب وامر ان يخرج الرسل قليلاً ثم قال لهم . ايها الرجال الاسرائيليون احترزوا لانفسكم من هؤلاء الناس في ما انتم مزمعون ان تفعلوا لانه قبل هذه الايام قام ثوداس قائلاً عن نفسه انه شيء . الذي التصق به عدد من الرجال نحو اربع مئة . الذي قتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء . بعد هذا قام يهوذا الجليلي في ايام الاكتتاب وازاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك ايضاً هلك وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا والآن اقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لانه ان كان هذا الراي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوه . لئلا توجدوا محاربين لله ايضاً »

فما اجدر الاكليروس المسيحي ان يقول اليوم في الذين لا يرون رايه ما كان يقوله اعداء الديانة المسيحية فيها

ومنذ ذلك الحين صار يسوع يرى وجوب افناء التقاليد اليهودية لا الاتفاق مع رجالها . فانه كان في هذه التقاليد ان الهيكل لا يدخله غير اليهود اما يسوع فاستغنى عنه . كان فيها ان الشريعة اليهودية لم تسن الا لابناء ابرهيم اما يسوع فكان يقول ان كل رجل يقبلني ويحبني يصير ابناً لابرهيم . وقد قال يوماً ان الله قادر ان يجعل من هذه الحجارة ابناء لابرهيم . فهو بهذا الكلام كان يقاوم كبرياء الانسان ونخاره بحسبه ونسبه ويدعو كل البشر الى دين مبني على مكارم الاخلاق لا على الحسب والنسب . لقد كان بهذا الكلام ينادي بحقوق الانسان ويعلن للبشر ديانة البشر لا ديانة اليهود خلاص البشر لا خلاص اليهود . فما ابعد هذا عما تقدمه . لقد وُضعت به اسس ديانة القلب والاخاء . لقد صار موسى نسياً منسياً . وقُضي على الهيكل بخراب لا مردّ له

الفصل الثالث عشر . يسوع والوثنيون والسامريون

فبناءً على ذلك كان يسوع يحتقر كل شيء لم يكن له علاقة بايمان القلب . وقد كان عدواً لدوداً للتظاهرات المادية التي يقوم بها بعض المتعبدين . وكان يفضل الصفح عن اهانة على الذبيحة . وكل شريعته محصورة في هذه الكلمات : محبة الله والاحسان والغفران او الصفح . وكان لا يعتبر الصلاة الا اذ كانت خارجة من القلب . وقد كان بعض من صغار العقول يظنون انهم يكرمونه بندائه « ربي ربي » اي يا معلم يا معلم فكان

السيد يقول « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه ولكن قلبه بعيد عني » او « لماذا تدعونني يا رب يارب وانتم لا تفعلون ما اقوله »

وكان حفظ يوم السبت (اي ترك كل عمل في هذا اليوم) القاعدة الكبرى التي بُنيت عليها تقاليد الفريسيين واوهامهم . وكان الشعب يعتقد يومئذ ان الطبيعة نفسها (تسبت) اي تقف عن كل عمل في يوم السبت . ومن يعلم اذا كان «السبات» الذي معناه « النوم » في العربية غير ماخوذ من هذا الاصل . ومن اوهامهم في هذا الصدد ايضاً ان بعض الينابيع تقف عن الجري في يوم السبت . وقد نقل المؤرخ يوسيفوس هذه الرواية وسبب هذا الزعم ان تلك الينابيع كانت تجري وتقف في مواعيد جرياً مع العوامل الطبيعية وهي تُعرف اليوم « بالينابيع المنقطعة » اي التي تجري حيناً وتنقطع حيناً

اما يسوع فانه لنكاية الفريسيين واظهار اوهامهم كان لا يعبأ بيوم السبت . وكان يهزأ بما ياتونه من غسل واغتسال . فيقول لهم مثلاً « هل تقدرون ان تغسلوا انفسكم ايضاً ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ان الذي يخرج من الفم هو الذي ينجس الانسان . او « ايها العميان الذين يقودون عميان احذروا السقوط في الحفرة » او « يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم اشرار . فانه من فضلة القلب يتكلم الفم »

وكما ان السيد كان لا يعبأ بحفظ السبت اظهاراً لاوهام الفريسيين فقد كان يجالس الوثنيين ويقبلهم ويثق بهم اكثر من ثقته باليهود انفسهم مع ان الفريسيين كانوا يبتعدون عنهم . وكانوا اذا لاموه لانه يعاشر الوثنيين اجابهم « اذا كان صاحب كرم مستاء من الذين استأجروا كرمه فماذا يصنع . لا ريب انه ياتي ويعطي الكرم الى آخرين » . وكان ايضاً يضرب الامثال بالسيد الذي دعا الناس الى العرس فلم يجيبوه فارسل عبيده يدعون الى عرسه الناس من قارعة الطريق . ومن اقواله ايضاً في هذا الشان « اقول لكم ان كثيرين سياتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات . واما بنو الملكوت (يعني ابناء اسرائيل) فيطرحون الى الظلمة الخارجية »

ومما لا شبهة فيه انه كان بين تلامذته كثيرون من الذين كان اليهود يسمونهم « هيلانيين » . وقد روى ذلك يوسيفوس . وكان اليهود يريدون بكلمة « هيلانيين » الوثنيين او اليهود الذين تعلموا اللغة اليونانية واقاموا بين اليونانيين او اليونانيين الذين

مة الاسرائيلية كما روى الانجيلي يوحنا (الاصحاح ١٢ العدد ٢٠) وربما ن من تلامذة المسيح من العنصر الاخير

وع يعامل السامريين كما كان يعامل اليونانيين . وقد كان اليهود يحتقرون ن هؤلاء كانوا لا يزالون يعتقدون بمذهب (غاريزيم) الذي كان مخالفاً ليم . وكان اليهود يعتبرون السامريين كالوثنيين ويبغضونهم فوق بغضهم ت السامرة محصورة بين ولايتي اليهودية والجليل كانها نشأت لتكون مضغوطة سوع فاحياناً كان يوصي تلامذته ان لا يذهبوا الى السامرة لان السامريين ن مقابلته لظنهم انه مثل باقي اليهود الذين كانوا يسيئون اليهم واحياناً كان في بلادهم ويحادث بعضهم وقد نشأ له عدة تلامذة منهم (يوحنا ص ٤ ع ٣٩) ثال التي ضربها مثل في السامريين عن الرجل الذي عرّته اللصوص وجرحته يحا . فقد مرّ به كاهن فرآه وذهب في سبيله ثم مرّ لاوي فرآه وذهب في سامري فبادر اليه وضمد جرحه واركبه على دابته الى الفندق . وبذلك كان ر المستهزأ به افضل من الكاهن واللاوي . وعلى هذا القياس يكون الاحسان بين البشر لا المذهب الديني

هذه المبادىء كانت مالئة نفس يسوع حين عودته من اورشليم الى الجليل بعد التي صرفها فيها مع تلامذته . وكانت الطريق بين اورشليم والجليل تمتد ساعة من شيكم (نابلس اليوم) وكان حجاج اليهود يجتنبونها في عودتهم الى كانوا يكرهون مخالطة السامريين ومؤاكلتهم . ومن امثالهم في هذا الصدد لخبز التي تاكلها من سامري هي قطعة من لحم خنزير » . ولذلك كان اليهود د قبل سفرهم من اورشليم للمرور في السامرة كما روى يوسيفوس . اما يسوع عبأ بهذه الاوهام فلما عاد من اورشليم الى الجليل ووصل قريباً من (نابلس) تريح على بئر هناك تدعى بئر يعقوب وسار تلامذته الى المدينة لابتياع الزاد قت منتصف النهار والطبيعة ساكنة هادئة في تلك الاماكن الجميلة . واذ لمدينة امراة سامرية لتستقي من البئر . فخاطبها السيد وقال لها اعطيني ماء هشت السامرية لعلمها ان اليهود لا يطلبون شيئاً من السامريين ودخلت في فاعجبها حديثه ورأت انه نبي . واذ خشيت ان يبدأ بتعنيفها لانها تدين بين لا اليهود سبقت وقالت له « ياسيد . اباؤنا عبدوا في هذا الجبل وانتم

تقولون ان العبادة في اورشليم » فاجابها يسوع « ايتها المراة · صدقيني انه قد حانت الساعة التي لا يُعبد فيها في هذا الجبل ولا في اورشليم بل ان العبادة الحقيقية تكون للآب في كل مكان بالحق والروح »

فهذه اول مرة لفظ بها السيد الكلمة الباهرة التي وضع بها الديانة الابدية· هذه اول مرة سمع بها العالم ان عبادة الله غير مقيدة بكاهن او وطن او زمان او مكان · هذه هي الديانة التي تدوم الى نهاية القرون والاجيال الآتية · واذا كان في الاجرام السماوية اجرام ماهولة واهلها على علم وادب فديانتهم لا تكون ارقى من هذه الديانة مهما بلغوا من الارتقاء الانساني · ذلك ان هذه الديانة هي ديانة الانسانية كلها · وقد كانت كلمة يسوع « عبادة الله بالحق والروح » كبرق عظيم خفق في ظلمة داجية · واذا كانت الانسانية قد تحولت عن هذه الكلمة وصارت تشتغل عنها بالاوهام والخطاء والضلال فانها مضطر الى العودة اليها لانها اساس كل ايمان ورجاء في هذا العالم »

(ستاتي البقية)

حقوق الانسان

﴿ لا يجوز ان يدوسها انسان ﴾

(ووجوب ان يبث المعلمون والاساتذة روحها في نفوس تلامذتهم)

للانسان ثلاثة ادوار · الدور الاول دور الفطرة وكان فيه الانسان على فطرته كما كان آدم وحواء في بدء حياتهما على ما جاء في الكتب الدينية · اي ان الانسان كان في هذا الدور لا يعرف خيراً ولا شراً بل كل همه مصروف الى المعيشة براحة وهناء في احضان الطبيعة امه ومصدر لحمه ودمه · والدور الثاني دور الوحشية وكان الانسان فيه كقبائل الاسكيمو او متوحشي افريقيا · اي ان قلة رزقه في الارض وما افضت اليه هذه القلة من التزاحم عليه وتداخل افراده بعضها بين بعض نقلته من حالة الفطرة الطيبة الى حالة الوحشية التي هي عبارة عن الاجتماع بلا ضابط ولا رابط غير القوة البدنية · والدور الثالث ائتلاف البشر عيالاً فقبائل فممالك « وتمدنهم » اي اتخاذهم المدن سكناً · ولا ريب ان الدور الاول احلى ادوار البشر واهنأها اذا كان ما وصفه به الواصفون صحيحاً · ومن اكبر هؤلاء الواصفين جان جاك روسو المشهور · ومما قاله في هذا الشان

تَ الى الطبيعة وجدتَ النظام مستتباً في كل عنصر من عناصرها ورايتَ كل
ه منها . فالماء يجري سلسبيلاً والنسيم يهب بليلاً والارض تُخرج اثماراً
ان يرعى فيها ناعم البال طرب الروح مهللاً تهليلاً . اما القلق والاضطراب
ب والظلم والوهم والدناءة والفوضى فلستَ تجدها الا في الجمعية البشرية
تَ في الطبيعة مخلوقاً يقعد وثلاثون او اربعون مليوناً من جنسه تسعى لخدمته
تَ فيها مخلوقاً دنيئاً جباناً طاعاً يولوه رئاسة لخدمة ابنائها فيتخذ رئاسته
ع بطنه وارضاء طمعه واحتلاب رعيته دون ان يقوم بحق خدمته
دتَ فيها مخلوقاً يُطعم كلابه اللحم المسمن مع ان رفاقه يموتون جوعاً . او مخلوقاً
في صدر الهيئة مع ان العقلاء والفضلاء في عتبتها
دتَ فيها ان الذين يسرقون و يمون و يتسافهون ويخدعون يغتنون و ينجحون
فاً للذين يصدقون
كل هذه الامور الشائنة لا تراها في الطبيعة لان الله سبحانه وتعالى وضع لها
ليه ولا تقدر ان تخرج عنه . ولكنك تراها في الجمعية البشرية التي خرجت
ذي سنه الباري لها
ل يقوم به الشارعون وانفع ما يخدمون به الهيئة البشرية الحاضرة اعادتها الى
الذي وُضع للعالم منذ انشائه
ظام معدوم الآن في العالم من سوء حظ العالم وانما اصلح الممالك وافضلها هي
د قرباً منه من باقي اخواتها . على ان العالم سائر اليه من حسن الحظ سيراً
منى قولهم ان العالم يتدرج في مراقي الكمال شيئاً فشيئاً
« المراقي » التي رقت بالعالم درجة في سلم الكمال ما يسمونه « حقوق الانسان »
ناها في الصفحة الاخيرة من ملزمة الرواية في هذا الجزء . وبيان حقيقتها
ان الحكومة الفرنسوية قبل سنة ١٧٨٩ كانت حكومة مطلقة لا رابط لها
ك واستبداده . وكان الشعب محسوباً كبقرة حلوب يغذي دره نبلاء الامة
والبلاط ومقربيه . وكانوا يسجنون الناس لعلة ولغير علة . وكانت الرشوة
في الاحكام . والحكام يمتصون دم الرعية كما يمتص العلق الدماء من
كان ابناء الشعب لا يجوز لهم ان يتعلموا في مدارس الحكومة بل لم يكن يجوز لهم
هم انعام سائمة . وانما كانت وظيفتهم ان يدفعوا الضرائب لملء الخزانة

والذهاب الى الحروب كلما ساقهم الملك اليها . وكانت هذه الحالة عامة الدنيا كلها لا فرنسا وحدها . فلما شبت نار الثورة الفرنسوية واجتمع نواب الشعب لسياسة المملكة وضعوا سبع عشرة مادة واودعوها حقوق الانسان التي لا يجوز نقضها و بنوا عليها الدستور الفرنسوي منذ ذلك الحين . وقد راينا ان ننشر هنا هذه المواد السامية لتكون ذيلاً لما جاء في الصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء فان الفائدة لا تكمل الا بها . وهذا نصها

المادة الاولى

يولد الناس و يعيشون احرارًا متساوين في الحقوق . ولا يمتاز بعضهم عن بعض الا فيما يختص بالمصلحة العمومية (اي ان نفع الجمهور هو قاعدة الامتياز)

المادة الثانية

غرض كل اجتماع سياسي حفظ الحقوق الطبيعية التي للانسان والتي لا يجوز مسها . وهذه الحقوق هي : حق الملك وحق الامن وحق مقاومة الظلم والاستبداد

المادة الثالثة

الامة هي مصدر كل سلطة . وكل سلطة للافراد او لجمهور من الناس لا تكون صادرة عنها تكون سلطة فاسدة

المادة الرابعة

كل الناس احرار والحرية هي اباحة كل عمل لا يضر احدًا . و بناء عليه لا حدّ لحقوق الانسان الواحد غير حقوق الانسان الثاني . و وضع هذه الحدود منوط بالقانون دون سواه

المادة الخامسة

ليس للقانون حق في ان يحرّم شيئًا الا متى كان فيه ضرر للهيئة الاجتماعية . وكل ما لا يحرمه القانون يكون مباحًا فلا يجوز ان يُرغم الانسان به

المادة السادسة

ان القانون هو عبارة عن ارادة الجمهور . فلكل واحد من الجمهور ان يشترك في وضعه سواء كان ذلك الاشتراك بنفسه او بواسطة نائب عنه . ويجب ان يكون هذا القانون واحدًا للجميع . اي ان الجميع متساوون لديه . ولكل واحد منهم الحق في الوظائف والرتب بحسب استعداده ومقدرته ولا يجوز ان يُفضل رجل على رجل في هذا الصدد الا بفضيلته ومعارفه

المادة السابعة

لا يجوز القاء الشبهة على رجل ايًا كان ولا القبض عليه ولا سجنه الا في المسائل التي ينص عليها القانون وبموجب الطرق التي يذكرها · وكل من يغري اولي الامر بعمل جائر او كل موظف يعمل عملاً جائرًا لا ينص عليه القانون يعاقب لا محالة · ولكن كل رجل يُدعى او يُقبض عليه باسم القانون يجب عليه ان يخضع في الحال · واذا تمرد استحق العقاب

المادة الثامنة

لا يجوز ان يعاقب القانون الا العقاب اللازم الضروري · ولا يجوز ان يُعاقب احد الا بموجب نظام مسنون قبل الجرم ومعمول به قانونيًا قبله

المادة التاسعة

كل رجل يُحسب بريئًا الى ان يثبت ذنبه · واذا مست الحاجة الى القبض عليه فيجب ان يقبض عليه بلا شدة الا متى دعت الحاجة الى ذلك · وكل شدة غير ضرورية يعاقب صاحبها

المادة العاشرة

لا يجوز التعرض لاحد لما يبديه من الافكار حتى في المسائل الدينية على شرط ان تكون هذه الافكار غير مخلة بالامن العام

المادة الحادية عشرة

ان حرية نشر الافكار والآراء حق من حقوق كل انسان · فلكل انسان ان يتكلم ويكتب وينشر اراءه بحرية · ولكن عليه عهدة ما يكتبه في المسائل التي ينص القانون عليها

المادة الثانية عشرة

ان السهر على حقوق الناس يستوجب انشاء قوة عمومية اي هيئة حاكمة · فهذه الهيئة تنشأ اذًا لمنفعة الجميع

المادة الثالثة عشرة

بما ان الهيئة الحاكمة تحتاج الى نفقات لادارة الشؤون فيجب وضع ضريبة عمومية على جميع الوطنيين · اما مقدار هذه الضريبة فيجب ان يكون مناسبًا لحالة الذين يدفعونها

المادة الرابعة عشرة

لكل الوطنيين الحق في ان يراقبوا اموال الضريبة سواء كانت المراقبة بانفسهم او

بواسطة نوابهم · ولهم ايضاً البحث عن الوجوه التي تنفق فيها وتعيين مدة جبايتها

المادة الخامسة عشرة

للهيئة الحاكمة والمحكومة الحق في ان تسأل كل موظف عمومي عن ادارته واعماله وان تناقشه الحساب فيها

المادة السادسة عشرة

كل هيئة لا تكون فيها حقوق الافراد مضمونة ضمانة فعلية بواسطة السلطة العمومية ولا تكون فيها السلطة التشريعية (اي البرلمان) والسلطة التنفيذية (اي الحكومة) منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً تاماً تكون هيئة غير دستورية

المادة السابعة عشرة

بما ان حق الامتلاك من الحقوق المقدسة التي لا تُنقض فلا يجوز نزع الملكية من احد الا اذا اقتضت المصلحة العمومية ذلك اقتضاء صريحاً وفي هذه الحالة يُعطى الذي تُنزع منه ملكيته تعويضاً كافياً » (١)

هذه ترجمة حقوق الانسان · وقد اقام المجمع الوطني وقتاً طويلاً يبحث في كل كلمة من كلماتها ويقلبها بطناً لظهر قبل الموافقة عليها · ولما وافق المجمع على هذه الحقوق قرر اذاعتها في جميع اقطار فرنسا فاقيمت حفلات عظيمة لقراءتها على الشعب فكان لها تاثير عظيم تقصر الاقلام عن وصفه · فان الشعب صار يبكي حين تلاوتها عليه وصار ابناؤه يتعانقون ويتصافحون ابتهاجاً بخلاصهم من ذلك الاسر القديم · وبعد حفلات القراءة اقيمت حفلات المآدب فحمل الشعب طعامه وشرابه وجلس في ابواب المنازل وعلى قارعة الطريق وفي الحدائق يأكل ويشرب في مادبة الطبيعة احتفالاً بذلك اليوم العظيم الذي اعلنت فيه الهيئة الاجتماعية ان ابناءها احرار واخوة متساوون · ومنذ ذلك الحين صارت هذه الحقوق اساساً للهيئة الاجتماعية في كل البلاد المتمدنة

ولما حدث الجدال الشديد في مجلس النواب الفرنسوي منذ عدة شهور بشان النظام الجديد الذي سنته الحكومة للرهبنات الفرنسوية طلب مقاومو هذا النظام من المجلس ان يقرر نشر « حقوق الانسان » على جدران المدارس لاعتبارهم انه مخالف لبعض بنودها · فيحسن بحضرات المعلمين والاساتذة ان يسطروا هذه البنود في صدور تلامذتهم ويفسروا

---

(١) هذه المواد تابعة للصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء

لهم كل عبارة وكل كلمة منها ليكونوا رجالاً عارفين بما لهم وما عليهم في الهيئة الاجتماعية بدلاً من ان يشبوا و يبلغوا الرجولية وهم باجسام الرجال وعقول الاولاد

محالفة الدولة العلية وفرنسا

﴿ منذ ٣٦٥ عاماً ﴾

الحروب الصليبية حروب سياسية لا دينية · عداء شارلكان وفرنسوى الاول · الجنود التركية سبب التساهل الديني مع البروتستانت في المانيا · محالفة فرنسا وتركيا على عدوهما المشترك · تركيا تحصر فينا · الاميرال خيرالدين باشا المشهور وغاراته · انشاء امارة الجزائر وطلبها حماية الدولة · نكوص اسطول البنادقة امام الاسطول العثماني · افتتاح الاسطول العثماني شواطئ ايطاليا لنصرة فرنسا

يجدر بنا بعد ما تم بين الباب العالي والحكومة الفرنسوية ان نأتي على طرف من الصداقة القديمة التي كانت بينهما في ايام الملك فرنسيس الاول والسلطان سليمان الثاني · ونحن نلخص تلك الحوادث بما امكن من الاختصار فنقول

كانت الدولة العلية العثمانية في ذلك الزمان في اوج العز والعظمة لان اوربا كانت في بدء ارتقائها · وكانت الحرب سجالاً بينها و بين الاوربيين · فهم كانوا يشنون الغارة عليها باسم الحروب الصليبية لاستخراج الاماكن المسيحية من يدها · وهي كانت تمعن في حدود روسيا وحدود النمسا فتحاً وتكتسح البلاد اكتساحاً

ومن الكتاب الاوربيين من يلوم اوربا على حروبها الصليبيـة لانها فتحت بها وادياً عميقاً بين المسيحية والاسلام ومنهم من يستحسنها · اما الذين يستحسنونها فانهم يعزون اليها الفضل في زيادة الاوربيين تمدناً وارتقاء لانهم بمخالطتهم العرب والاتراك في اثناء الحروب الصليبية اخذوا عنهم كثيراً من عوامل الارتقاء التي لم تكن لهم · ولقد ذهب الكاتب شاتوبريان المشهور في هذا الصدد مذهباً آخر · فقد كنا نتصفح في هذا الاسبوع كتابه « من باريز الى اورشليم » فوجدناه يقول ان الحروب الصليبية كانت ضرورة لا بدّ منها · ولم يكن المقصود منها اثارت حرب دينية ولكن اثارة حرب سياسية · لانه بما ان العرب دخلوا الاندلس وفتحوا اسبانيا حتى مدينة ليون ومدينة بواتيه فقد كان يجب ان يذهب الافرنج و يردوا لهم الزيارة في بلادهم على سبيل مقابلة المثل بالمثل · والا سقط نفوذ

اوربا في العالم واجترأ العرب والاتراك على اكثر مما صنعوه

والذي يهمنا من هذا الراي ان اوربا كانت من قبل متحدة فيما بينها على الشرق حتى جاءها امبراطور عظيم كان يطمح الى اخضاعها ووضعها تحت نيره فخالفه بعضها وحالف عليه دولة الشرق العظمى . وهذا الامبراطور هو « شارلكان »

﴿ الامبراطور شارلكان ﴾ وكان هذا الامبراطور ابناً للملك فيليب الجميل ارشيدوق النمسا وقد ورث عرش اسبانيا من امه فكان ملكاً لاسبانيا وامبراطوراً لالمانيا والنمسا وايطاليا والبندقية وبلجيكا وسويسره وغيرها . اي انه كان ذا سلطة على اوربا كلها ما عدا فرنسا التي كانت يومئذ في ولاية الملك فرنسوى الاول وانكلترا التي كانت في ولاية الملك هنري الثامن . ولم يكن لهذا الامبراطور العظيم غير ثلاثة اعداء . اولهم الملك فرنسوى الاول الذي كان يأبى نيره ويطمع في امتلاك اجزاء من ايطاليا ولاسيما مقاطعة ميلان . والثاني سليمان الثاني سلطان الاتراك وكان يناوش النمسا ظافراً منصوراً . والثالث اصحاب المذهب الانجيلي الذين قاموا في المانيا على صوت لوثيروس للانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية

﴿ الملك فرنسوى ﴾ اما حروب فرنسوى الاول مع شارلكان فقد كانت شديدة وكانت الدائرة على الملك فرنسوى في اكثرها . وفي عام ١٨٢٥ وقع الملك فرنسوى اسيراً في بافيا فاستقدمه الامبراطور الى مدريد وبعد اخذ ورد كثير رضي باطلاق سراحه على شرط ان يتنازل له عن مقاطعة بورغونيا الفرنسوية ويترك ولديه رهناً لديه الى حين تسليمه المقاطعة . فاظهر الملك فرنسوى الرضى بذلك فاطلق الامبراطور سراحه . ولكن الملك لم ينجز وعده خدمةً لوطنه وافتدى ولديه بمليوني ذهب دفعهما الى الامبراطور

وكان هنري الثامن ملك انكلترا والبابا ادريانوس الثاني ملك رومه حليفين للامبراطور شارلكان على خصمه فرنسوى الاول . فاخذ فرنسوى الاول يسعى في محالفة الامراء والملوك لمقابلة هذه المحالفة بمثلها . ولكنه كان لا يثق بالامراء التابعين او المسالمين للامبراطور لانهم كانوا كلهم في جانب القوي ولذلك اخذ يكاتب خصومه

﴿ محالفة تركيا وفرنسا ﴾ فكاتب فرنسوى الاول امراء المانيا الذين اعتنقوا المذهب الانجيلي . وكان الامبراطور شارلكان في حيرة من امره معهم . فانه اذا اجبرهم بالقوة على ترك المذهب الانجيلي والرجوع الى الكاثوليكية قاوموه فلم يستطع ان يحشد الجند من

بلادهم لانه كان في حاجة الى الجند . واذا تركهم وشانهم انفرط عقد الوحدة الدينية التي كان حريصاً عليها لاعتقاده ان القوة بها دون سواها . والرغبة في صيانة هذه الوحدة هي التي جعلت ملوك فرنسا بعد ذلك يمثلون بالبروتستنت في بلادهم ذلك التمثيل الشنيع افناء للمذهب الجديد

اما امراء المانيا البروتستانت فقد اجابوا الملك فرنسوى الاول الى محالفته وكاتبوا ملك انكلترا ايضاً لانه كان بروتستنتياً . وقد ألفوا فيما بينهم تحالفاً دعوه «تحالف سماكلد» ولكن محالفة هؤلاء الامراء للملك فرنسوى لم تكن تقيه شر خصمه العنيد فعزم هذا الملك على محالفة تركيا

وكانت تركيا في حرب دائمة مع الامبراطور شارلكان وجنودها تكتسح هنغاريا شيئاً فشيئاً وكان على رومانيا ملك يُدعى فرديناند نصبه الامبراطور شارلكان ملكاً عليها . فكتب هذا الملك الى شارلكان يقول له ان البلاد النمساوية لا تستطيع الثبات في وجه الجنود التركية اذا لم يستتب الامن في الداخل ويكون البروتستانت معها لا عليها . فلما رأى شارلكان حاجته الى البروتستنت تساهل معهم وعدل عن اضطهادهم وبذلك تمكن من حشد جيش كثيف من المانيا لمقاومة السيل التركي الجارف . وفي عام ١٥٣٢ للميلاد بلغ شارلكان ان السلطان سليمان قد وصل بجنوده الى مدينة فينا وحصرها بثلاثمائة الف جندي . فطار صواب شارلكان لهذا الخبر الهائل لان فتح فينا ضربة عظيمة لسلطته فجمع تسعين الفاً من المشاة و٣٠ الفاً من الفرسان فضلاً عن الجنود غير النظامية وزحف بها الى فينا لمقاتلة السلطان سليمان . ولكن السلطان سليمان اضطر الى الجلاء عن فينا بعد حصرها مدة لشواغل ومشاكل جدت في سلطنته . ولما عاد السلطان الى الاستانة بقيت في نفسه حسرة شديدة من خيبته تحت اسوار فينا ولبث يتربص الفرص للانتقام من شارلكان . وفيما هو يفكر في ذلك ورده اقتراح الملك فرنسوى الاول بمحالفته على عدوهما المشترك فراى السلطان سليمان اغتنام تلك الفرصة

ومنذ هذا الحين عُقدت صلات الصداقة والوداد بين تركيا وفرنسا . فكان ملك فرنسوى يُرسل الوفود والهدايا الى السلطان سليمان والسلطان سليمان يرسل الوفود والهدايا اليه . ولا يزال الكتاب يتناقلون الى اليوم صورة كتاب يقولون ان السلطان سليمان كتبه الى فرنسوى الاول وهو يدل على ان السلطان سليمان كان يعتبر الملك فرنسوى الاول احط منه شاناً لانه يخاطبه به كما يخاطب وزراءه . اما صك المحالفة الرسمي فقد وُقع عليه

في شهر فبراير من عام ١٥٣٦ على يد سفير فرنسا في الاستانة المسيو لافورست ولم يبقَ من هذه المحالفة اثر خطي · وقد مُنحت فرنسا في مقابلة هذه المحالفة حقوقاً ممتازة في بلاد تركيا كحرية التجارة والسفر وارسال المرسلين حتى ان السفن غير الفرنسوية كانت تتجر في موانىء الشرق تحت الراية الفرنسوية

ولكن هذه المحالفة اثارت سخطاً عظيماً في اوربا من الوجه الديني ومن الوجه السياسي. ولعل الوجه الاول كان ستاراً للثاني · فنادى حزب شارلكان ان فرنسا خانت اوربا بمحالفة الاتراك والبروتستانت · اما حزب فرنسوى الاول فانه اخذ يبرئ الملك من هذه الوصمة ويلقي تبعة ذلك الشقاق في اوربا على عاتق الامبراطور شارلكان · وقد القى اسقف البندقية خطبة بذلك الموضوع في مجلس حكومتها في عام ١٥٤٣

ولما استوثق الملك فرنسوى من محالفاته الجديدة ازداد جرأة وحمية · ففي ٦ يوليو من عام ١٥٣٣ امر دوق ميلان باعدام الوكيل الفرنسوي الذي لديه فثار الملك فرنسوى لهذا الخبر واعلن الحرب ولكن البابا بولس الثالث توسط بين الفريقين وعقد بينهما هدنة الى عشر سنوات فتصالح فرنسوى الاول وشارلكان. فساء ذلك السلطان سليمان لاسيما وانه سمع ان شارلكان يحدث نفسه بتجريد حملة صليبية على المشرق · غير ان شارلكان كان قد وعد فرنسوى الاول بمنحه اقليم ميلان ثم اخلف وعده فساء ذلك الملك فرنسوى · وفي عام ١٥٤٠ كان وفد مؤلف من رجلين فرنسويين يُدعيان رينكون وفريغوس عائدين من لدن السلطان سليمان الى الملك فرنسوى فقتلهما الناس في ميلان فاغتنم فرنسوى هذه الفرصة واعلن شارلكان بالحرب · وفي هذه الحرب امدّت الدولة التركية حليفها الملك فرنسوى الاول باسطول عظيم وقائد كبير وهو خير الدين باشا الاميرال العظيم الذي يلقبه الافرنج بَرب روس اي ذا اللحية الشقرا · ولا باس ان ناتي هنا على طرف من ترجمته اتماماً للفائدة لان شهرة هذا الرجل طبقت الشرق والغرب وكان له ولاخيه اليد الطولى في انشاء امارة الجزائر

﴿ الاميرال خير الدين باشا ﴾ كان لخير الدين اخوان واحد يُدعي ارود والثاني ايشاك وقد اختلف في هذين الاسمين · وفي رواية ان اباهم فخار مسيحي وفي رواية اخرى انه مسلم · وقد ولد ارود في عام ١٤٧٣ ولما بلغ العشرين ركب سفينة تركية كانت تتجسس البحار لسلب السفن الاوربية وهو ما يسمونه القرصنة · وكانت القرصنة صناعة في تلك الايام وتجارة تغني اصحابها فان السفن التركية والبندقية والاوربية كانت تمخر عباب البحر

للسلب والاسر . وكان ارود جريئاً شديد النباهة والذكاء فامتاز عن رفاقه وقُدم عليهم . وفي ذات يوم التقت سفينته بسفينة اوربية فاسرتها السفينة الاوربية وساقتها الى جزيرة رودس . ولكن ارود استطاع الفرار من هذه الجزيرة فولي قيادة سفينتين مكافأةً له على ما بدا منه من الجرأة والمهارة فاخذ اخويه خير الدين وايشاك في سفينتيه وسار الى شواطىء تونس لان السفن المسيحية كانت كثيرة هناك . وكان قدومه الى تونس في عام ١٥٠٥

ولما وصل ال تونس اكرمه اميرها مولاي حسن وأذن له باتخاذ « جربه » مخزناً للبضائع والاسلاب التي كان يغنمها من السفن الاوربية . فاخذ ارود واخواه يشنان الغارة على صقلية وشواطىء البحر المتوسط حتى جمعا من النفائس والبضائع شيئاً كثيرًا وشد ازرهم كثيرون من جُوال الآفاق وملتمسي الرزق فقويت عصبيتهم واشتدت سلطتهم . فلما راى ذلك اهل الجزائر طلبوا منهم ان يساعدوهم على طرد الاسبانيين من بلادهم . وكان الاسبانيون استولوا على اكثر شواطىء الجزائر وقد اعترف اميرتونس بسيادتهم على بلاده ليكتفي شرهم . فاجابهم ارود واخواه الى ذلك وهاجموا الاسبانيين في بوجيا فجرح ارود في هذه الواقعة فعاد الى تونس لمعالجة جرحه وعهد بقيادة سفنه الى اخيه خير الدين ففاجأ الاسطول الاسباني خير الدين وحطم سفنه كلها . فساء هذا الانكسار ارود وشرع في الحال في بناء اسطول جديد في جربه فاتمه في مدة قريبة وعاد الى غاراته وهو يفكر في طلب الثار من الاسبانيين . وفي هذا الزمن بلغت سلطته اشدها فتقاطر اليه ملتمسو الرزق في افريقيا من كل جانب حتى تالف منهم جيش كثيف وكلهم اقوياء اشداء . فقام في نفس الاخوة الثلاثة ان ينشئوا لانفسهم مملكة مستقلة فاظهروا في ذات يوم انهم يحاربون الاسبانيين وهاجموا امير الجزائر سليم بن تومي فقتلوه في حمامهِ ونادى ارود بنفسه اميرًا للجزائر . فغضب اهل الجزائر لهذا الغدر والعدوان واستجاروا بالاسبانيين فامدهم الاسبانيون باسطول ولكن الزوابع حالت من حسن حظ الغاصب دون وصوله الى الشاطىء . وبعد ذلك فتح ارود تنس وطرد منها اميرها مولاي ابا عبدالله وفتح تلمسان بناء على طلب اهلها . فكبرت سطوة « الامير » ارود حينئذٍ ولكن الاسبانيين لم يمهلوه فارسلوا اليه جيشاً لطرده واعادة امارة تلمسان الى اميرها السابق فحصره الجيش الاسباني في تلمسان فحاول ارود الفرار منها الى بلد اخرى كان سلطان مراكش قد وعده بارسال مدد اليه فيها . فحال الاسبانيون بينه و بين الفرار فما زال يقاتلهم حتى قتل وسلاحه في

يده · وكان ذلك في عام ١٥١٨

فبعد مقتله ولي الجزائر اخوه خير الدين · والظاهر انه كان ادهى من اخيه وارشد سياسة فانه ما استقر في الامارة حتى كاتب السلطان سليم يعترف بسيادته ويساله حمايته في مقابلة جزية يقدمها له · فسر السلطان سليم بهذه المملكة الجديدة التي جاءته عفوًا وامده بالفي جندي تركي فاطمان بال خير الدين حينئذٍ من جهة الاسبانيين وعكف على شن الغارة بسفنه فاسر في عام ١٥٢٩ اسطولاً اسبانياً برمته وفتح بعض الثغور القريبة منه ورد الاميرال اندريا دوريا العظيم عن بلاده فانتشرت شهرته انتشارًا واسعًا · فلما راى ذلك اهل الجزائر وكانوا ساخطين على اميرهم مولاي حسن لخضوعه للاسبانيين على الارجح طلبوا الانضمام الى لواء خير الدين فاجابهم خير الدين الى ذلك وكتب الى السلطان فامده السلطان بثمانية آلاف جندي لفتح تونس ففتحها خير الدين في عام ١٥٣٤ بلا حرب ولا قتال وتوافد عليه وفود التونسيين من كل المدن والقرى يهنئونه بهذا الفتح · اما امير تونس مولاي حسن فانه استنجد بشارلكان ملك الاسبان فجاء شارلكان بخيله ورجله لطرد خير الدين من تونس فاخلاها خير الدين بلا حرب كما اخذها بلا حرب وهاجم بسفنه الثغور الاسبانية فغنم منها غنيمة عظيمة ثم عاد الى الجزائر · وبعد ذلك سافر الى الاستانة لاقناع تركيا بوجوب ان تجرد حملة عظيمة لاسترداد تونس وكسر شوكة الاسبانيين

وكان السلطان سليمان قد بلغته شهرة خير الدين في البحر فاعجب به وبيسالته ورام ابقاءه في خدمته فعينه (عام ١٥٣٦) قائدًا عامًا للاساطيل العثمانية ·

وكانت هذه الاساطيل اقوى اساطيل الدول في ذلك الزمان فرضي خير الدين بهذا المنصب العظيم لشغفه بحرب البحر فاقام ينظم الاساطيل العثمانية احسن تنظيم · ولما شبت نار الحرب بين الدولة العلية والبنادقة في عام ١٥٣٧ اشترك الامير خير الدين باشا فيها فابلى بلاء حسناً وكان مرجع الفضل في اجبار البنادقة على عقد الصلح اليه لاستيلائه على كاستلنوفو في دلماثيا وعلى كتارا في ملنوازيا · وقد لقيه اسطول البنادقة على شواطئ بريفيزا وهو بقيادة الاميرال اندريا دوريا الجنوي الكبير خصمه في الجزائر فنكص راجعًا ولم يقدم على لقاء خير الدين باشا فكان نكوص هذا الاسطول مع شهرة اميراله وقوة سفنه فخرًا عظيماً لخير الدين باشا والاساطيل العثمانية ·

وبعد هذه الحرب استراح خير الدين باشا مدة · وقد ابتاع هذه الراحة واستحقها بمجد عظيم كما تقدم · وما زال في راحته حتى شبت نار الحرب بين الملك فرنسوى الاول

والامبراطور شارلكان فامدّ السلطان سليمان حليفه فرنسوى الاول باسطوله واميراله العظيمين

﴿ الاسطول العثماني يفتح الاقطار الاوربية ﴾ فخرج الاسطول العثماني من الدردنيل بقيادة قائده خير الدين باشا وسار لاسعاف فرنسوى الاول . فكان للبحرية هنا شان عظيم وربما كانت هذه الحادثة سببا في تغيير وجه العالم . فان الامبراطور شارلكان كان عدوا للدولة التركية وللدولة الفرنسوية معا فاذا انفرد بالدولة الاولى قدر عليها وكذلك اذا انفرد بالثانية فكان من الواجب اذا ان لا تنفرد احدى هاتين الدولتين بخصمها العنيد بل ان تتحدا معا لمحاربته في واقعة واحدة . وهذا امر كان متعذرا في البر اذ بين فرنسا والدولة العلية سهول وجبال وممالك ضخام فلم يكن في الامكان اتحادهما الا في البحر . فكان البحر انقذ فرنسا والدولة العثمانية معا . وكانت الدولة العثمانية اكثر اهتماما بمصير هذه الحرب من فرنسا حليفتها واكثر رغبة في محالفتها . لانه اذا انكسرت فرنسا لم يستطع شارلكان ايقاع الاذى الشديد بها لان البابا ملك رومه كان لا ياذن بذلك ولم يحالف شارلكان الا في الظاهر . اما انكسار الدولة العثمانية فكان خطرا شديدا لها لان البابا ملك رومه كان يرغب في اغتنام اول فرصة لجمع كلمة الدول الاوربية عليها وابعاد فرنسا عن محالفتها ونصرتها . وقد طرح هذا الامر مرارا على فرنسوى الاول فرفضه اولا لمعرفته ان الخطر على بلاده كان في طمع شارلكان دون سواه

فقصد الاسطول العثماني ايطاليا اولا فحصر شواطىء الكالابره ثم هاجم مملكة نابولي وفتح مدينة كايته فيها وبعد ذلك قصد فيللفرانش (في فرنسا اليوم) ففتحها وصار يخرب شواطيء ايطاليا . وفي هذا الحين كان السلطان سليمان قد دخل بجنوده الجرارة الى اراضي الامبراطورية الالمانية فكان يحارب شارلكان من البر بينما كان اسطوله يحاربه من البحر . فطار صواب شارلكان وسار لنجدة ايطاليا . وكان اسطول خير الدين باشا قد سار الى مرسيليا وهناك اتحد بالاسطول الفرنسوي الذي كان بقيادة الاميرال دانجيين وسارا معا يقصدان مدينة نيس . وكان بحارة الاسطولين في اتم وفاق ووئام . فلما وصلا الى نيس حصراها وفتحاها عنوة بعد حصر شديد . ثم دخلت الجنود التركية مقاطعة بروفانسيا وصنعوا فيها ما يصنعه الفاتحون في البلاد التي يفتحونها . وقد اقاموا فيها مدة فصل الشتاء بلا حرب لان الشتاء كان باردا جدا في ذلك العام

اما شارلكان فانه اغار على فرنسا لما عجز عن انقاذ ايطاليا وقد كانت غارته من جهة

شمبانيا بينما كان حليفه ملك انكلترا يغير عليها من جهة بيكارديا . ولكن برد ذلك الشتاء ومرضه وضعف جنوده مع قوة خصمه جعلته يؤثر الصلح على الحرب فصالح عدوه فرنسوى الاول في ١٧ سبتمبر من عام ١٥٤٤ على ان يعيد كل واحد منهما ما استولى عليه من املاك الآخر ويصافيه مصافاة حقيقية . وهكذا حفظ فرنسوى الاول استقلال مملكته وخرج من هذه الحروب الطويلة مع خصمه القوي خروجاً شريفاً . وكانت وفاته في عام ١٥٤٦ بعلة اختلفت اقوال الاطباء فيها

اما الاميرال خير الدين باشا فانه عاد الى الاستانة وهو اعظم شهرة مما كان يوم سفره منها . وفي عودته اليها عرج على جزيرة البا و بلاد سيينه في ايطاليا وجزائر ايشيا و بروسيدا وليباريا نخربها . وكانت وقائعها آخر وقائعه البحرية

ولما عاد الى الاستانة تنحى عن الاعمال وعاش براحة وطمانينة عيشة البذخ والترف وقد توفي وعمره ٦٦ عاماً فدفن في جوار جامع في الاستانة كان قد بناه على نفقته



هل في الدنيا سعادة

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

السعادة رغيبة كل حي واليها يسعى كل بني البشر . وكم يعاني الناس من انواع المشاق في طلب النجاح متوهمين ان بلوغ السعادة بذلك ولكن السعادة لا ترافق النجاح في كل الاحيان وقلما نرى من بلغ السعادة بنجاحه وكثيرون نراهم تعساء مع ان لديهم كل الوسائل التي من شانها ان تجعلهم سعداء لو ارادوا

ان الطبيعة تمنح المجتهد القوي كل الاشياء انما لا تستطيع ان تمنحهُ السعادة فان لم يكن الانسان حاصلاً على السعادة الداخلية الناشئة عن القلب والقناعة فعبثاً يحاول بلوغها بالوسائط المادية

والدنيا رجلان . رجل يرى الدنيا جميلةً مملوءَة سروراً وكلها معنًى لهُ والثاني يراها مظلمة قاحلة وهمية . فالاول يكون سعيداً في كل الاحوال — اما الثاني فسواء عندهُ كل الاحوال وهو لا يرضى اذا وُجد على الارض او في السماء

ويرجعون ان السرور حاسة خاصة بالانسان ويقال انَّ دارمي الحيوان لم يثبتوا الى الآن عدم وجود العقل في الحيوانات لكنهم قد اثبتوا عدم وجود حاسة السرور فيها لانها قد تنظر اجمل منظر ولا تتاثر لهُ . واما الانسان فحاصل على هذه الحاسة . وبما ان الله جعل فيه هذه الحاسة فقد جعل العالم مشحوناً بكل ما هو جميل وسارّ وجعل الطبيعة باسرها تعمل لسروره . فهي جميلة وهنيئة لطالبي الجمال والهناء . فعلى الانسان ان يقابلها بالرضى والبشاشة لتزيده منها . ولا يخفى ان الرضى والبشاشة بمثابة الشمس للنبات تحييه وتساعده لاعطاء الثمر الصالح . ولنا مثال ذلك الممرضة الشهيرة « فلورنس نيتنكال » التي كانت تخفف آلام المرضى ببشاشتها واظهارها السرور بخدمتهم اكثر مما كانت تخففهُ الادوية والعقاقير . فهي برضاها وبشاشتها كانت تخدم نفسها وغيرها معاً

ولكن قد يذهب البعض ان البشاشة في الانسان تدل على خفته وطياشته ولكن الواقع ينفي هذا الظن لاننا نرى ارقى العقول واسمى الافكار عند الرجل البشوش . ومهما كانت المصائب شديدة في هذه الحياة فان الانسان قادر على احتمالها اذا كان راضياً وباشاً . ولا يرجو الانسان السعادة باحراز المال والمناصب الرفيعة ما لم يُقرن ذلك بسلام الضمير وراحة القلب الداخلية وحب نفع الناس اي خدمة القريب وهذه العناصر اذا وجدت في اكواخ الفلاحين تجعلها جنائن سرور

يُروى عن احد ملوك الفرس انهُ سأل منجميه عن وسيلة يبلغ بها السعادة . فاجابوهُ ان الوسيلة الوحيدة لذلك هي لبس قميص رجل سعيد . فذهبوا يلتمسون ذلك الرجل بين الاغنياء والعظماء فلم يجدوه فطلبوهُ بين الفعلة والمساكين فوجدوا رجلاً فقيراً عائشاً في زاوية من الارض ولكنه سعيد (كالرجل الخارجي في الكوخ المندي) . ولكنه لسوء حظ الملك لم يكن لذلك المسكين قميص من شدة فاقته . فربما يرى من يتوهمون الملوك سعداء ان فخامة الملك وعظمته تستران عن الناس هموم الملوك . فاتعابهم كانها اشواك تشتبك بتيجانهم فالناظرون اليها يبهر ابصارهم ما فيها من الحجارة الكريمة ولكن لابسي تلك التيجان يتألمون باشواكها الداخلية المستترة

وقد قال كنزلي « اذا اردنا ان نكون سعداء حقيقةً فنحن نحتاج للسلام الداخلي الناتج عن استقامة السريرة . والاعتدال في كل شؤون حياتنا في العواطف والاعمال والافكار »

وقال رسكن « جميعنا نسعى للنجاح واحراز الاموال ونصل الليل بالنهار لبلوغ الآمال ولكن من منا يسعى في طلب السلام الداخلي و يشعر بحاجته اليه . ذلك السلام الذي لا

يستطيع العالم ان ينزعهُ منا . اما طريقة الحصول على هذا السلام فهي تعويدنا انفسنا على الافكار الجميلة النقية ونظرنا الى العالم من جهته المنيرة وقرائتنا تواريخ اشخاص هذه الصورة فتكون عدةً لنا عند النوازل »

وكتب الى صديق له في اثناء سياحته في سافوى . « لم القَ بين جميع اصدقائي رجلاً سعيدًا راضياً بحياته اكثر من رجل كان يرافقني في سافوى ليدلني على الطريق ومع انه لم يكن على شيء من العلم فقد كان من اسعد البشر حالاً واحسن من عرفت منهم خلقاً . وفي ذات يوم كنت اتمشى واياه في بعض الوديان المنخفضة فاخذت اشكو لهُ هموم الحياة واظهر لهُ العالم من جهته المظلمة فلم يكن منهُ الاَّ انهُ تراجع قليلاً عني وقال لغلامي وهو يهزّ اكتافه . مسكين رسكن مسكين فانه لا يعرف كيف ينبغي ان يعيش » وفي الحقيقة ان الذين يعلمون كيف ينبغي ان يعيشوا قليلون ولا يجد السعادة الا هوءلاء القليلون . فان الحياة من الفنون الدقيقة لا نتعلمها الا بالممارسة الطويلة والدليل على ذلك ان رسكن ادرك سر الحياة مع انهُ كان لا يكاد يحسن القراءة والكتابة

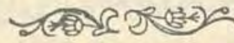
ويُروى عن فيلسوف انهُ نزل مرة في زورق واخذ يحادث الملاح والزورق سائر في السكون . فلم يمضِ الاَّ وقت قليل حتى هبت الرياح وعلت الامواج فلم يبالِ الفيلسوف بل استمر في حديثه واخذ يسأل الملاح اذا كان له معرفة بعلم الكون فاجابهُ الملاح كلاَّ . فقال لهُ اذًا قد خسرت نصف حياتك ايها الرجل . ثم ازدادت الريح عصفاً ورفعت الامواج الزورق وقرب منهم الخطر . فقال الملاح اسمح لي ان اسألك ياسيدي الفيلسوف اذا كنت تحسن السباحة . فقال لا . فقال الملاح لا توءاخذني اذا قلت لك انك قد خسرت كل حياتك لان الزورق سيغرق بنا

فالسعادة اذًا هي معرفة الانسان كيف يجب ان يعيش في هذه الحياة . فاذا جاءته السراء سرَّ بها سرورًا معتدلاً واذا جاءته الضراء لم يتالم منها الا تالماً معتدلاً . فان السراء تذهب كالضراء وكلتاهما كغيمة تمرُّ فوق راس الانسان . وليس المهم في هذه الحياة ان يتمتع الانسان بالسراء ويدفع الضراء ولكن المهم ان يقوم بواجباته بالرغم عن كل سراء وضراء . لانه لمثل هذا وُجد . وواجبات الانسان النفع وصنع الخير في هذه الحياة سواء كان كبيرًا اوصغيرًا غنياً او فقيرًا . وبناء عليه فكل انسان قادر على ان يكون سعيدًا مستريح البال لان كل انسان قادر على القيام بواجباته اذا اراد . واذا كان للسعادة مفتاح فمفتاحها « الصحة والضمير » الضمير الذي يجعل الانسان مستريحاً هنيئاً حتى في وسط

الاحزان والصحة التي تمكن الانسان من احتمال اعباء الحياة . واذا كانت صحتك جيدة وضميرك مستريحاً لانك قمت بكل ما يجب عليك لنفسك ولغيرك فانت سعيد من غير شك . واذا اضيفت الثروة الى ذلك تمت سعادتك لا محالة . فالثروة اذاً جزء من السعادة وليست كل السعادة

وخير ما يختم به الكلام في هذا الموضوع كلمتان من كلمات الحكمة الاولى لمونتسكيو وهي :

« لو كان الانسان لا يطلب الا السعادة لكان ذلك امراً سهلاً لان كل انسان قادر على ان يكون سعيداً . ولكن الانسان يطلب ان يكون اكثر سعادة من سواه وهنا الصعوبة» والثانية لهلفت وهي : « كن متحققاً ان الرجل الذي يخدم غيره ويجعله سعيداً لا يمكن ان يكون تعيساً »



الناصرة وطن يسوع

﴿ بقلم ناصري ﴾

تمنينا في الجزء الماضي ان يتحفنا احد القراء « الناصريين » بوصف الناصرة تتمة لكلام رنان عنها فوردنا من جناب الكاتب الاديب سليم افندي قبعين وكيل جريدة المؤيد العام في الولايات العثمانية من قبلُ الفصل التالي فنشرناه مع الشكر لحضرته

قبل ان نخط حرفاً من موضوعنا نقدم مزيد الشكر لحضرة الفيلسوف الطائر الصيت رنان الذي وصف اهل الناصرة وصفاً نعده له من قبيل المجاملة وكرم الاخلاق وكذلك نقدم عاطر الثناء ووافر الامتنان لحضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الذي اخرج تلك الاقوال الى اللغة العربية شأنه في كتابة المقالات المفيدة التي تبثُ روحاً جديداً في ابناء الشرق فتثقف ألباب النبت الجديد وتدمث اخلاقهم وتنشر فيهم حياة جديدة ترقى بهم الى اسمى قمم الكمال الادبي فتطمح نفوسهم اذ ذاك الى الجنوح لحياة جديدة غير العيشة الحاضرة التي لا نخوض عباب وصفها . ونحن لا نقصد في هذه العجالة تقريظ مجلة الجامعة فقد كفاها تقريظاً وفخراً رضاء الناطقين بالضاد عنها في سائر اقطار الارض واقبالهم عليها وامتثالاً لاشارة منشىء الجامعة ننشر هذه المقالة عن مدينتنا الناصرة فنقول

الناصرة مدينة مبنية في وادٍ من اجمل اودية سوريا نضارةً وخصباً وتحيطها الجبال من جميع جهاتها . وهواؤُها في الجبال جيد جدًا لولا ان فيه بعض الرطوبة التي تحدث من سقوط الندى الغزير في فصل الصيف وهي واقعة على مسافة خمس ساعات من مدينة حيفا وتتصل بها بطريق شوسه جميل جدًا لولا تهدمه في بعض المواقع وتسير العربات كل يوم بينهما بكثرة . والربيع عندنا في غاية الجمال اذ به تكتسي الجبال نضارة يعجز يراعي عن وصفها وهي ليست ببعيدة المسافة لان المدينة قائمة في سفحها فهي لها كالسور فضلاً عما تكسبها من الرونق الذي يسر الناظر ويروق الخاطر

واما ابنيتها اليوم فهي في غاية الاتساق والمتانة وكلها حجرية وحجرها ناصع البياض كالثلج واكثر سقوفها قرميدية والقادم اليها عند ما يدنو من مدخلها يشاهد منظرًا بديعاً فانه يكون على راس جبل ويشاهد تلك الابنية البيضاء يكللها القرميد الاحمر فيخال له انه يرى ديوكاً بيضاء تتماوج على رؤُوسها اعرافها الحمراء المخملية

وفي فصل الربيع يتقاطر السياح الى الناصرة من سائر اقطار الارض لزيارة اماكنها المقدسة وتعهد آثارها القديمة فيضربون خيامهم في ظاهر البلدة على رؤُوس تلك الآكام الغناء ليتمتعوا بتلك المناظر الجميلة التي خصَّ الله بها هذه المدينة فتزدحم حولهم اقدام صغار الاولاد يقدمون لهم باقات الازهار البرية العطرة التي تنمو بكثرة في تلك الربوع الفيحاء . واي شيء احب للسائح من ان يضع مقعده مع زوجته ورفاقه امام الخيمة على بساط حلته الطبيعية بانواع الزينة وكلما هبَّ نسيم الربيع يهزُّ سوق الازهار فتنبعث منها رائحة تشرح الصدر وتنعش الفؤَاد . والسياح يلاقون من لطف الاهالي وكرم اخلاقهم ما يحبب اليهم الاقامة زيادة عما قرروه في بروجرام سفرهم . ولا نزيد هنا في الكلام وكفانا رنان شاهدًا على ذلك . واما فصل الصيف فلا يقل جمالاً عن فصل الربيع ففيه الهواء لطيف منعش والجنائن تكون في غاية النضارة والكروم والبساتين تقدم للاهالي انواع العنب اللذيذ وسائر الفواكه المختلفة . والماء بارد لا يحتاج الى ثلج او جليد والندى يسقط في هذا الفصل بغزارة فيلطف الهواء

اما شوارع المدينة فهي في غاية النظافة وكلها مبلطة تبليطاً متقناً ولكنها ضيقة وغير متسقة وكثيرة المنحنيات . وقد انقلبت المدينة عن زمان رنان انقلاباً عظيماً ولو زارها الآن لاستغرب تقدمها ففيها كما قدمنا الدور الفخيمة المفروشة بالرياش الفاخرة وعدة من وجوهها اقتنوا المركبات الخاصة وغير ذلك مما يطول شرحه

اما منزل يوسف ومريم فلا يزال موجوداً فيها للآن وهو مؤلف من مغارة كبيرة منقورة في الصخر وداخلها مغارة اخرى للطبخ وفي احدى زواياها مدخنة لخروج الدخان منحوتة نحتاً محكماً . وقد اقام رهبان الفرنسيسكان على البيت كنيسة عظيمة لم ارَ مثلها في سوريا ومصر وبجوارها دير عظيم يقيم فيه اكثر من ٤٠ راهباً . وكذلك لا يزال في الناصرة المكان الذي كان يتعاطى فيه يوسف النجارة مع الفتى يسوع وقد اقام عليه الرهبان المذكورون كنيسة صغيرة . واما العين التي قال عنها رنان انها كانت مركز الحركة فهذه كانت في القديم تجري من داخل مغارة حيث كانت مريم العذراء تذهب مع العذارى لاستقاء الماء وقد اقامت الطائفة الارثوذكسية العربية عليها كنيسة وجرّت المياه الى خارجها بقناة تحت الارض وتعرف هذه الكنيسة بالبشارة لانهم يعتقدون بان الملاك بشر مريم العذراء فيها . والسياح يقبلون على زيارة هذه العين فيشربون من مائها وياخذون رسمها بالفوتوغراف والبنات يستقين الماء . وسنجتهد بالحصول على رسم لها وارساله لادارة الجامعة . ولا يزال في الناصرة مجمع اليهود الذي دخله يسوع يوم السبت وصعد الى المنبر فدفع اليه سفر اشعيا النبي وقرأ فيه نبوءة ذلك النبي عنه وبعدان اتمّ تلاوة الفصل قال اسامعيه ان هذه النبوءة قد تمت الآن فيَّ . فاغتاظ رجال اليهود واخذوه الى راس جبل كانت المدينة مبنية في اسفله ليطرحوه عنه . وقد اقامت طائفة الروم الكاثوليك كنيسة على المجمع . واما الجبل الذي اراد اليهود ان يطرحوا السيد يسوع عنه فقد اقامت عليه محسنة روسية تقية معبداً سلمته الى اخوية القبر المقدس

اما مناظر المدينة عن قمم تلك الجبال المحيطة بها فقد كفانا رنان ذكرها لانه وصفها احسن وصف وانما قد تم متمنى رنان فقد اقامت رهبنة ابي اليتامى كنيسة جميلة على راس احدى الآكام المشرفة على البر الفسيح والبحر المتوسط وانشأت بجوارها مدرسة داخلية للصبيان مجانية . وفي الناصرة عدة مدارس داخلية واشهرها المدرسة التي انشأتها الجمعية الامبراطورية الفلسطينية للصبيان عام ١٨٨٦ ومدرسة داخلية للاناث انشأها المرسلون الانكليز واخرى مثلها انشأها الفرنسويون واما المدارس اليومية فانها كثيرة العدد جداً وقد زادت عن احتياج الاهالي . ورأيي الخاص ان تلك المدارس لا تنفع المدينة والاهالي نفعاً حقيقياً ولو اردت ذكر الاضرار التي تنجم عنها لرشقني الناس بالسنة حداد

والناصرة خالية من اليهود ويبلغ عدد سكانها الآن نحو عشرة آلاف نفس . ومن

اشهر الابنية فيها دار الضيوف التي انشأها منذ اعوام رهبان اللاتين وعمارة الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية التي بناؤها قائم الآن على ساق وقدم وقيل ان الجمعية ستنفق عليها ثلاثين الف جنيه • وقد زار الناصرة عدة ملوك وامراء اذكر منهم نابوليون بونا بارت الذي نزل ضيفاً في دير اللاتين ونام فيه ليلتين ويُقال انه اقفل باب الغرفة التي نام فيها ولم يُفتح الى يومنا هذا • وقد زارها ايضاً المرحوم ابراهيم باشا نجل المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية وليوبلد الثاني امبراطور البرازيل والبرنس هنري دورليان وخطيبته وملك ايطاليا الحالي لما كان وليّاً للعهد والغراندوقان سرجيوس وبولص عما جلالة القيصر نقولا والغراندوق نقولا الروسي وميلان ملك السرب ومدحت باشا الشهير وغيرهم • هذا ما رايت كتابته الآن في وصف الناصرة وربما عدت الى الكلام عنها والسلام

الناصرة في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠١

﴿ سليم قبعين ﴾

آثار الشرق القديمة

الهيئة الاجتماعية في مصر

﴿ في عهد الرومانيين ﴾

(وبعض رسائل مصرية)

لا يزال علماء اوروبا يبحثون في آثار مصر ويطلبون اوراق البابيرس المصري في كل مكان ليقرأُوا فيها اخبار التمدن المصري القديم • وقد تلا في الشهر الماضي المسيو رنه كانيات احد علماء فرنسا خطبة في المجمع العلمي الفرنسوي موضوعها الهيئة الاجتماعية في مصر في عهد الرومانيين اي في القرن الثالث للميلاد وقد ذكر فيها ترجمة كثير من اوراق البابيرس التي وجدت في مصر واكثرها رسائل بين الاهل والاقارب يستدلُّ بها على نظام المعيشة في ذلك الزمن • وقد قال المسيو كانيات عن اوراق البابيرس انه اذا عثر الباحثون في آثار مصر على منزل اديب او كاهن مصري عثروا فيه على بقايا مكتبة فيها شذرات لا تُحصى من

مؤلفات هوميروس واشيل وارسطو وبكشيليد والشاعرة سافو التي ذكرنا ترجمتها في هذا الجزء . واذا عثروا على منزل موظف من موظفي مصر القدماء وجدوا فيه كثيراً من الاوراق الرسمية كاوامر الامبراطرة الرومانيين ونظامات الحكومة المحلية وعرائض الاهالي وشكاويهم وشرح قضاياهم وكلها باللغة اليونانية الا ما ندر لان اللغة اليونانية كانت اللغة الشائعة في مصر في ذلك الزمن . واذا عثروا على منزل احد من السكان وجدوا فيه ما لا يحصى من الاوراق المملوءة بالارقام ورسائل خصوصية تدل على حالة الحكومة يومئذ وعلائقها بالسكان ونظام الجيش وجباية الضرائب وما اشبه ذلك . وقد قرأ المسيو كانيات في خطبته بعض هذه الاوراق التي عثر عليها . منها كتاب كتبته « سيره » ابنة « ثيون » الى هيراكليدس قاضي القضاة والكاهن الكبير في مصر تقص عليه قصة زواجها واساءة زوجها اليها . وقد قالت في هذا الكتاب « لقد تزوجت بسرابيون واعطيته ٢٠٠ دراخمة دوطة وقبلته في بيت ابي لانه كان لا يملك شيئاً وان كنتُ قد اخطأتُ في ذلك . ولكن سرابيون بعد ان اخذ من دوطتي ما اخذ وبعد ان اهانني وضربني ومنع عني القوت الضروري هجرني وتركني في اسوأ حال . فارجو منك ان تستقدمهُ وتضطرهُ ان يعيد دوطتي اليَّ بزيادة مثل نصفها عليها . هذا بقطع النظر عن باقي الشكاوي التي يمكنني ان ارفعها عليه متى اردتُ »

ومنها كتاب من شيخ في الفيوم كان جندياً واحيل على المعاش الى ابنه وابناء اخيه يطلب منهم ان يبتاعوا عشرة ديوك وفواكه وارداً من الدقيق الجيد للاحتفال بتذكار مولد ابنته جماله .

ومنها كتاب آخر من غلام الى ابيه يلومه فيه لانه سافر الى الاسكندرية ولم ياخذه معه . فقال « من ثيون الى ابيه ثيون سلام . هل تظن انك صنعتَ حسناً بعدم اخذك اياي معك الى المدينة . فاذا كنت لا تريد اخذي الى الاسكندرية فانا لا اكتب اليك بعد الآن ولا امد يدي لمصافحتك ولا اسلم عليك . هذا ما يصير اذا كنتَ لا تاخذني معك . لقد احسنتَ صنعاً بارسالك اليَّ هدية في اليوم الثاني عشر من سفرك . فانا ارجوك ان ترسل لي عوداً (للموسيقى) واذا لم ترسله فانني لا آكل ولا اشرب . دم بصحة جيدة »

وقد قرأ المسيو كانيات كثيراً من هذه الرسائل ثم استنتج منها ان الامبراطورية الرومانية كانت تصبغ مستعمراتها بصبغتها دون ان تؤثر هذه الصبغة في حالة تلك المستعمرات

ولذلك كانت كل واحدة منها مستقلة عنها في احكامها وعاداتها واخلاقها ولغتها . فلما سقطت الامبراطورية الرومانية كانت كل واحدة من مستعمراتها قادرة على الاستقلال بنفسها
على ان هذا الراي ليس بجديد فقد رأى رنان مثله في كتابه « الرسل » منذ اعوام كثيرة

هل وصل التمدن المصري

﴿ الى باقي شواطىء افريقيا ﴾

(اكتشاف جديد)

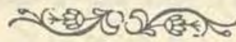
ان الجواب عن هذا السؤال من اصعب الامور . فانه من الثابت ان قدماء المصريين وصلوا الى شواطىء افريقيا القريبة ولكن هل وصلوا الى شواطئها البعيدة كشواطىء الكاب وشاطىء العاج في جانب افريقيا الغربي على شواطىء الاوقيانوس الاتلانتيكي

يظهر ان بعض الباحثين قد اهتدوا الى حل لهذه المسالة . فان حكومة « شاطىء العاج » احدى المستعمرات الفرنسوية عرضت في قسمها في معرض باريز في العام الماضي اثارًا كثيرة من آثارها وهي شبيهة بالآثار المصرية . وفي جملة هذه الآثار وجه تمثال شبيه بالوجوه المصرية التي كان صناع مصر ينقشونها حتى في شكلها ولباسها وتمثال شبيه بتمثال الاله « بتا » اله منفيس . ومعلوم ان سكان شاطىء العاج من اصل زنجي فمن المحال ان يكونوا والمصريون من اصل واحد . بقي اذًا ان التمدن المصري انتقل اليهم . ولكن كيف كان انتقاله

لا يخفى ان كهان ثيبة انشأوا في الحبشة بعد فتح ملوكهم اياها اي بعد رعمسيس الثالث مملكة كادت تكون عاصمة مصر كلها ودعوها « مملكة نبطه » فكان ذلك سببًا في اقتباس الاحباش عادات المصريين وفنونهم . وبعد ذلك حدثت مهاجرة من نواحي الحبشة واعالي النيل الى شواطىء الاتلانتيكي . والبعض يقولون ان المهاجرين كانوا قبائل من الهيكسوس (رعاة مصر) والاحباش والبعض يقولون بل كانوا من قبائل التوارج والبهليين فيرد بعضهم على هؤلاء بقوله ان قبائل وحشية كالتوارج والبهليين لا تستطيع اقتباس فنون مصر الجميلة . وهناك فئة ثالثة ترى ان قبائل اخرى كانت ذات صلات بالحبشة وقبائل اعالي النيل من جهة وبقبائل الموهاس من جهة اخرى . فنقلت تمدن المصريين من الاحباش الى الموهاس

وهئولاء نقلوه الى اجداد قبائل الاشانتي والداهومه وبذلك وصل التمدن المصري من شاطيء البحر المتوسط في مصر الى شاطيء الاتلانتيكي في شاطيء العاج.

وقد اكد السائح فليكس ديبوى انه شاهد في تمبوكتو وشواطىء بحيرة تشاد كثيرًا من الآثار الشبيهة بالآثار المصرية شبهًا ما وراءه ارتياب



باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

واجبات المعلم ولذة التعليم

قال السر ولتر سكوت لا بد لكثيرين ان يكونوا قد شاهدوا بسرور انصراف التلامذة من المدرسة في مساء ايام الصيف الجميلة. فان نفس الولد الصغير التى لا تستطيع السكون تبقى كل النهار راضخة تحت عبء النظام المدرسي وحين الانصراف تتفلت منه فيظهر سرورها باللعب والصراخ والضجة. ولكنَّ مخلوقًا غير التلامذة يتنسم الصعداء في تلك الساعة ايضًا ويكون ارغب من التلامذة في الانصراف واعني به ذلك المسكين الذي يكون قد قضى النهار بطوله يحارب جيشًا عظيمًا من الاولاد فيدوخه صراخهم ويضنك جسمه حفظ النظام ومعاقبة المذنبين وتنوير اذهان البلداء واستماع دروسهم التي لا لذة فيها ولا سرور. واذا كانت لذيذة فان اعادتها على سمعه المرة بعد الاخرى بدون تغيير ولا ابدال تكفي لان تجلب له السآمة والضجر»

هذا ظن ذلك الكاتب المشهور في عيشة المعلم. فمن من القراء يرى هذه الصوره ولا يكره التعليم ويهزأ قائلاً: ان كانت هذه حالة المعلمين فمن العبث ان تتكلم لنا عن لذة التعليم. ولكن ما لنا ووصف السر ولتر سكوت فان في التعليم لذة عظمى للذين يعرفونها وفي المدرسة اسباب للهناء والسرور كما في غيرها من اماكن العمل والشغل هذا اذا كان

التعليم طبقاً لبعض الشروط وهاك بعض هذه الشروط

اولاً مقدرة المعلم على الحكم بين تلامذته بالسلطة الادبية لا بالعصا والقوة الجبرية • نعم ان للمدارس قوانين لا بد من العمل بموجبها ولكن لا يسهى عن بال المعلمين ان الاحداث يعقلون ويميزون وتؤثر فيهم العواطف والاحساسات كما تؤثر في البالغين • وعليه فاصرار المعلم على الحكم بالقوة الجبرية الوحشية لا يُنتج له غير كره التلامذة الدائم واتخاذهم اياه عدوًا يُتحذر منه • ولا نقدر ان ننكر ان كل مخلوق يحب اظهار السلطة والقوة ولكن ما احسن ان تكون تلك القوة القوة الادبية او قوة « التاثير والقدوه » التي يتضاعف بواسطتها لذة العامل بها كلما ازداد عدد المنقادين لسلطته والمقتدين به • وقد قال احد مشاهير الانكليز « ان القوة الادبية هي التي تدير الآن حكومات العالم المتمدن باجمعها اما القوة الجبرية فقلما تفيدهم في تنفيذ احكامهم • وكفى القوة الادبية انها تقود الجمهور طوعاً لمساعدة الحاكم في نشر الفضيلة والتمدن » • وقال اللورد منسفيلد في خطاب القاه في مجلس الاشراف « ان القساوة ياسادتي لا نقدر ان نحكم بها لا كبار امتنا ولا صغارهم » والمعلم البارع يجد لذة تفوق الوصف في استرضاء جميع تلامذته وسوقهم طوعاً للعمل باوامره متحاشياً اغاظتهم والوقوف سدًا في وجه سرورهم الطبيعي الذي تنبسط له كل نفس بشرية • هذا ما نعني بالسلطة الادبية — اي تاثير المرء على غيره بافعاله الحسنة او نصحه الجميل

اما ثاني الشروط فهي مجازاة التلامذة بالجوائز وغيرها مما يفرح قلوبهم ويجعلهم اكثر اجتهادًا وغيرة وما احلى ما قيل « ان الذي يفرح قلب الحدث ولو برهة من الوقت يشتغل مع الله » • والمعلم ملك يحكم في تلك المملكة الصغيره فيجازي المجتهد وتكون تلك المجازاة محركاً للاخرين فتدب فيهم روح الاجتهاد وتصبح المدرسة بعد امد قصير محلاً يُسرُّ فيه المعلم والمتعلم • ذاك بنجاح مساعيه واثمار غرسه وهذا لما يحصله جزاء لاجتهاده

ومن اسباب سرور المعلم امله في مستقبل الوطن الذي يدرس اولاده لان نجاح ذلك الوطن الادبي والمادي متوقف على همة شبانه وقد صدق من قال « ارني شبان اي امة اوكَ مقامها في المجمع الانساني » والوزير الانكليزي حيث قال « ان شبان الامة هم المتكفلون بنجاحها وليس تاريخ الامة الا تاريخ شبانها » ومما يحكى عن شارلمان انه عاد مرة من احدى غزواته وذهب لزياره مدرسة كان قد اسسها بنفسه فبعد ما امتحن الاحداث في حضرته اوقف الناجحين منهم عن يمينه (وكان اكثرهم من اولاد الفقراء) وخاطبهم قائلاً « عليكم ايها الاولاد سابني مستقبل مملكتي ونجاحها فانتم ستكونون وزرائي واعواني

ومشيريّ » ثم نظر الى الكسالى وكانوا من اولاد النبلاء وتنبأ لهم بسوء المستقبل . فمن يقدر ان يتصور سرور المعلم الذي يرى التقدم والنجاح في امته ويعلم انه من اهم عوامل ذلك التقدم والنجاح . وهب ان ذلك التقدم كان آجلاً فان فيه لذة الامل في النجاح وهذه تقارب لذة النجاح الفعلية

ومن شروط اللذة في التعليم ان يكون المعلم عارفاً بما يلقيه من الدروس ومستعداً له فيجب عليه اذاً قبل ان يلقي الدروس على تلاميذه ان يدرسها درساً مدققاً ويزيدها اسهاباً وبياناً ولا يقتصر على الكتاب الذي يدرسه بل يلزمه ان يطالع غيره من الكتب التي تحيط بالموضوع . وهنا لذة عظمى — لذة الاطلاع على اشياء جديدة لم يكن يعرفها قبلاً . اما كون المعلم مكلفاً بالاجابة عن كل سوءال يُطرح عليه فذلك خطاء بيّن لان معرفة كل انسان محدودة . وقد اخبر احد اساتذة غلاسكو عن الدكتور ريد الذي كان يوماً استاذ الفلسفة الادبية في تلك الجامعة وهو من اشهر فلاسفة الانكليز انه بينما كان يوماً يمتحن تلامذته في كتاب « شيشرون دي فينيبوس » وقف احدهم عند جملة لم يتمكن من فهمها فعرضها على الاستاذ ليفسرها لهُ فتوقف الدكتور ريد برهة ثم قال « كنتُ اظن نفسي عارفاً معنى هذه الجملة ولكن خالف الواقع ظني وعليه اكون مسروراً ممن يفسرها لي » فقام احد تلامذته وفسرها فشكره الاستاذ واثنى على معرفته وصار هذا الحادث واسطة لزيادة تبحر التلامذة في ذلك الفرع لكي يتكرر الحادث ويشكرهم الاستاذ

اما صفات المعلم فمنها انه يجب ان يكون حكيماً عاقلاً عارفاً حق المعرفة بالقوانين الصحية لان علمه وحده لا يكفي لانشاء رجال المستقبل . وعليه ايضاً ان يوقف كل قواه لاتمام واجباته اي يجب عليه ان يكون هماماً لا يغفل ومثابراً لا يتعب . ومن لم يكن متحلياً بهذة الصفات ودخل في سلك التعليم فانذره بان حالته ستكون كما وصفها السر والتر سكوت او كما قال فيهم فنيلون « ينظرون الى صعوبات التعليم فيبالغون في تعدادها ووصفها ولا ينظرون الى فوائدها الجمة وسلطتها العظيمة فيشكرون هذه النعمة التي حصلوا عليها »

﴿ الياس خليل عبساوي ﴾



نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والشذرات التي كتبها اكابر كتاب العرب مما لا يوجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية ادبية

﴿ الولاة والامام عمر بن الخطاب ﴾ كان من عمال الامام عمر سعد بن عامر بن خريم فشكاه اهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تقل فراستي فيهم ماذا تشكون منه . قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب احدًا بليلٍ وله يوم في الشهر لا يخرج الينا . فقال عمر عليَّ بهِ . فلما جمع بينهم وبينه قال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول ياسعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلي خادم فاعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم اتوضأ واخرج اليهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا لا يجيب بليلٍ . قال قد كنت اكره ان اذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تنقمون منه قالوا له يومٌ في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لي خادم فاغسل ثوبي ثم اجففهُ فامسي . فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيكم يا اهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرًا . ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها . فقالت له امرأته قد اغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من ياتينا واحوج ما كنا اليهِ قالت بلى فصرّها صررًا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امراته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته » (للمسعودي)

﴿ فساد العالم ﴾ الشيخ الامام يقول فسد الزمان افلا يقول متى كان صالحًا . أفي الدولة العباسية فقد راينا آخرها وسمعنا اولها . ام المدة المروانية وفي اخبارها . لا تكسع الشول باغبارها . ام السنين الحربية

والرمح يركزُ في الكلى   والسيفُ يغمدُ في الطلا
ومبيتُ حجرٍ في الفلا   والحرّتانِ وكربلا

ام البيعة الهاشمية وتليٌ يقول ليتَ العشرة منكم براس · من بني فراس · ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز · والعيون الى الاعجاز · ام الامارات العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول · الا النزول · ام الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات في نأناة الاسلام · ام على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يافلانه · فقد ذهبت الامانة · ام في الجاهليه ولبيدٌ يقول

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الاجربِ

ام قبل ذلك واخو عادٍ يقول

بلادٌ بها كنا وكنا نحبها اذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

ام قبل ذلك وروي عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها ووجهُ الارض مغبرٌ قبيحُ

ام قبل ذلك وقد قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفك الدماء · وما فسد الناسُ · وانما اطرد القياسُ · ولا اظلمت الايام · وانما امتدَّ الظلامُ · وهل يفسد الشيء الا عن صلاح · ويمسي المرء الا عن صباحٍ » (للهمذاني)

باب التقريظ والانتقاد

الحب والزواج

ذكرنا كتاب الحب والزواج في باب التقريظ والانتقاد في الجزء الماضي فوردنا من جناب مؤلفه الكتاب التالي

حضرة منشيء الجامعة الغراء

امتنّ لجنابكم كل الامتنان لاجل تقريظكم كتابي « الحب والزواج » في الجزء الثالث من الجامعة الغراء · واشكر لكم انتقادكم الوجيز وانكاركم عليَّ صراحة بعض عبارات في الكتاب كنتم تؤثرون ان يشار اليها اشارة خفيفة اذ لا « بد ان يقع الكتاب بين ايدي الجنسين » كما تقولون · وياليتكم اسهبتم في بيان ماهية العبارات المنتقدة لئلا يتوهم قراء الجامعة ان في تلك العبارات ما ينافي الحشمة او يثير عاطفة بحيث لا يليق بالجنس

اللطيف ان يطلع عليه الامر الذي تحاشيته كثيرًا · ولعل تلك الفقرة المنتقدة في وجه ١٠٧ لا تحتمل الا الانتقاد الوجيز كانتقادكم · على اني التمس من حضرتكم ان اشير الى صيغة تلك العبارات دفعاً لما يوهمه قولكم : ان« الذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضاً يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجعل كتابه ادعى (لانبساط النفس) كما قال في صدره » اه

في تلك الصفحة المشار اليها بيان وجيز عن سن المراة الموافق للزواج بحسب القواعد الطبيعية · وهو بحث لا غنى فيه عن ايراد الالفاظ العلمية التي اصطلح عليها الكتبة في المواضيع الطبية و وردت في كل كتابة في ذلك الموضوع · والاشارة الخفيفة الى ذلك الموضوع لا تفي ببيان الحقيقة العلمية المقصودة والا فما لجأت الى ايراد تلك الالفاظ التي درج عليها الكتاب في كتبهم · ولو كنت احسب ان تلك العبارات محظورة او تكفي الاشارة اليها لما سهوت عن الاشارة ما دام في نيتي ان انزه الكتاب عن كل معنى ينافي الحشمة كما ذكرت في مقدمته · ولا اظن احدًا من قراء تلك الصفحة يحسب اني « تعمدتُ تصريحًا» بشيء تغني الاشارة عنهُ بغية « انبساط النفس » او يجد فيها ما يبسط النفس مما ينكره ادبها فلا ادري كيف تحسبون حضرتكم هذا الحساب

اما ما ورد في صدر الكتاب من قولي « يبسط النفس ويدهش الخلق » فلم اعنِ بهِ ان في الكتاب من العبارات العشقية والاقوال الغرامية ما يلذ للجهال المتطوحين في العشق والغرام بل اعني ان التعليل عن عواطف الحب ومتعلقاته يلذ لكل انسان لانهُ قلَّ من لا يناجي نفسه بعلل هذه العاطفة التي يشعر بها في كل ادوار حياته واطواره · وما من احد الاَّ يرتاح الى معرفة اسبابها ومسبباتها وكل احوالها

ولولا مبالغتي في ان اتحاشى ذكر ما يسوق ذكره الى سوء المظنة لما اضطررت ان اغفل كثيرًا من مستلزمات هذا البحث مما يقع بين الناس كل حين و يدعو موضوع الكتاب الى البحث فيهِ · على اني اكرر ثنائي على حضرتكم في كل حال

بيروت ﴿ نقولا حداد ﴾

نقول · لما قرأنا هذا الكتاب تحققنا ان حضرة مؤلف « الحب والزواج » — ولا حاجة الى التاليف بينهما لانهما متآلفان كما يظهر من كل كلمة وكل حرف في كتابه — لم يكتف بالاعلان الذي نشرته الجامعة عن هذا الكتاب بل رام زيادة الاعلان عنه فكتب الينا في هذا الموضوع · وانما تحققنا ذلك لاننا راينا في كتابه المواضع والكلمات

والاشارات المقصودة التي كان يجب حذفها ظاهرة لا تحتاج الى برهان · ولولا خوفنا من الوقوع في ما وقع فيه جناب الكاتب لذكرنا تلك المواضع التي لا محل لها في كتاب ادبي قد يقرأه الجنسان ولا سيما العذراء في خدرها · فنكتفي اذًا برده اليها في كتابه · فليراجع مثلاً في الصفحة ٧ السطر ٢ و٣ و٨ وفي الصفحة ٩ في كلامه عن الجمال السطر ٧ وفي الصفحة ١١ السطر ١٥ وفي الصفحة ٥٠ تعريفه الغاية في السطر ١٧ تعريفاً كان يجب ان يتحاشاه ولا سيما قوله « باقصى معناه » لان الناس في غنى عن درس هذه الامور في الكتب ومن الواجب ان تكون هذه الكتب حمىً للفضيلة لفظاً ومعنى · وكذلك في الصفحة ٥٩ من السطر ١٢ الى السطر ١٨ · اما ما جاء في الصفحة ٦٧ السطر ١٧ فهو سم زعاف · وكذلك ما جاء في الصفحة ٧٩ السطر ٩ · ومما تحمر له الوجنات الطاهرة ما جاء في الصفحة ١٠٥ من السطر ١٢ الى السطر ٢٠ الذي هو نهاية في الغرابة · فان المؤلف وجه به نصيحة الى الشبان كالنصيحة التي يوجهها رجل لرفيقه وهما سائران في بستان لغيرهما · فانه يقول له لا تاكل كثيرًا من ثمار هذا البستان لانها تضر معدتك فيدل بذلك على ان سبب الامتناع ضرر الممتنع لا تحريم الثمر عليه لانه ليس ملكاً له · واذا كنا نبني بناء الفضيلة في العالم على نفع الانسان وعلى ضرره بصرف النظر عن الحق البشري والنظام الاجتماعي والادب العام والمبادئ فان هذا البناء واهٍ واهن يسقط عند اول ريح تهب في نفس الانسان ومتى سقط هذا البناء ظهرت الرذيلة بشناعتها المعروفة وشردت الانسانية من الانسان فلا تبقى له غير الحيوانية

اما الصفحة ١٠٧ التي حاول جناب المؤلف تبرءتها ففيها السطور ٣ و٤ و٥ تعلم كثيرين ما لا يعلمونه · ومن الغريب ان المؤلف لم ينظرها واذا اعترض بقوله انه نظرها ولكنه لا يرى فيها شيئاً يستحق اللوم عليه تغير هنا وجه البحث ولم يبقَ للذين يغارون على الادب العام غير السكوت

﴿ المنارة ﴾

انشأت الجمعية الخيرية المارونية في سان باولو في البرازيل جريدة اسبوعية ادبية اخبارية عنوانها « المنارة » وجعلت قيمة اشتراكها ٢٠٠ غرش تُنفق في سبيل الخير · فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو ان تخدم طائفتها الكريمة خدمة نافعة

﴿ انيبال ﴾

بجناب خليل افندي خياط

هي رواية تاريخية ادبية وضعها جناب خليل افندي خياط واهداها الى صاحب السعادة خليل باشا خياط . ومدار الرواية على حروب قرطجنة والرومانيين ومقاومة القائد حنيبعل لهم وهو « ابن هملقار الملقب بالقائد الذي لا يُغلب وكانت ولادته سنة ٢٤٩ قبل المسيح في مدينة قرطجنة » والرواية مطبوعة في مطبعة جريدة مرآة الغرب الغراء في نيو يورك طبعاً متقناً على ورق جيد وهيَ تطلب من ادارتها . وفيها كثير من الفوائد التاريخية والنصائح الادبية لا سيما ما كان منها مختصاً بالسوريين . وحبذا لو كان جناب المؤلف عدل عن تسميته « الرومانيين » بالروم لان مؤرخي العرب يطلقون هذا الاسم بالاكثر على اليونانيين

﴿ سحر البيان ﴾

ديوان من نظم جناب رشيد افندي مصوبع

نشر جناب رشيد افندي حنا مصوبع اللبناني باكورة نظمه في ديوان دعاه (سحر البيان) واودعه كثيرًا من الغزل والوصف والادبيات والرثاء . ومن الرثاء قوله في فقيد الصحافة المصرية المرحوم تقلا باشا

قف ودع الاهرام منك بنظرة ... فهي الاحق بان تكون ثكولا
ان كان وادي النيل شق جيوبه ... حزنًا عليك فقد خدمت النيلا
او كان لبنان عليك تصوحت ... ازهاره فلقد نماك اصولا
ابكيت فيه شؤونه وعيونه ... وغصونه وحزونه وسهولا
وهواءه الشافي وهذا لو درى ... لسرى ليشفيَ من صباك عليلا
فلطالما ذكروك تحت مهبه ... فاطبته ذكرًا فطاب حمولا
ولطالما اكسبت بر شآمنا ... شرفًا رفيعًا باسقًا واثيلا
اعميد سوريا ومصر اقول ذا ... وانا جريءٌ لا اخاف عذولا
انا نشيع ظاعنين قلوبنا ... وعيوننا وبشارة المثكولا

وقد قلنا ان هذا الديوان باكورة نظم الناظم وذلك مما يجعل للشعر املاً فيه فنثني على اجتهاده ونرجو له زياده الارتقاء في فنه

ز المرحوم ثقلا باشا نقول ان ادارة جريدة الاهرام الغراء قد شرعت في جمع مراثيه
قريبًا فمن قال في المرحوم ثقلا باشا شيئًا نظمًا او نثرًا فله ان يبعث به اليها

باب تدبير الصحة

انام والنوافذ مقفلة
﴿ ام مفتوحة ﴾

ـ الاطباء في هذه المسالة . فبعضهم يوصي بفتح نوافذ غرفة النوم في اثناء النوم
الغرفة و بعضهم يوصي باقفالها . فكتب احد محرري جريدة الاندبنداس بلج
لماء الطب والهيجيين يسالهم رايهم في ذلك

الاستاذ هالوبو « ان بعض الناس يحتملون فتح النافذة في اثناء النوم لان بنيتهم
عتادوا ذلك فلا باس ان يفتحوها . و بعضهم يصاب في صحته اذا فتح نافذته
فالها »

الاستاذ لنسرو « يجب النظر في ذلك الى سن النائم . فالشيخ مثلاً عليه ان
. واما الشاب فعليه ان يفتحها لانه بحاجة الى الهواء النقي ولا سيما اذا كانت
ة »

الاستاذ شوفل « ان فتح النافذة امر حسن ولكن ضوضاء الشوارع في المدن
، النوم الذي يحول دون ابعاد السرير عن النافذة يقضيان احيانًا باقفالها »
لاستاذ ارمان كوتيه « على النائمين ان يناموا و يتركوا النافذة مفتوحة بعض
، يجب ان يسدلوا الستائر عليها . ومما يجب عليهم ثلاثة امور (١) ان يغطوا
يدًا في اثناء النوم لئلا ياخذهم البرد (٢) ان لا تنخفض حرارة هواء الغرفة
ات (٣) ان لا يفتحوا النافذة الا بعد اطفاء المصباح لانهم اذا فتحوها والنور
رفة تهافت على النافذة كل ما في الخارج من البعوض والحشرات »

الاستاذ هنريوت « في الناس من لا يستطيع النوم اذا كانت النافذة مفتوحة

لان الزكام ينبههم في الحال وانا في جملة هولاء الناس . وفيهم من ينامون براحة وهدوء فالمسالة اذاً امسالة عادة واحتمال . ولكن مما يجب الانتباه انه ينبغي اما اقفال النافذة كلها او فتحها كلها ومن الضرر فتحها بعض الشيء . كما انه من الضرر احداث مجرى هواء في الغرفة »

وقال الدكتور كوست دي لاكراف في كتاب له « يجب فتح النافذة لان الرئتين في حاجة لغسلها وتطهيرها في كل يوم وكل ساعة ولا يغسلها غير الهواء النقي . ولكن اذا كانت النافذة بجانب طريق مطروقة يثور فيها غبار الشارع او في جوار مستنقع او مزبلة فان فتحها يُدخل جراثيم الفساد الى الغرفة »

وهذا الدكتور كان مصاباً بداء السل وشفي منه فكتب كتاباً عنوانه « الشفاء من السل » فجدير بكل من يهتم بهذا الداء ان يقف عليه وربما لخصنا شيئاً منه

﴿ لا تأكل خبزاً ليناً ﴾

ولا تشرب لبناً كثيراً دفعة واحدة

يستحب الناس اكل الخبز اللين (الطري) وبعضهم يبسط عليه السكر مع السمن او الزبدة ويأكله متلذذاً . ولكن الخبز المأكول على هذا الوجه يكون عسر الهضم جداً لانه يتكتل في المعدة كتلاً كتلاً ويعيق الهضم ويحدث ثقلاً فيها وصداعاً في الراس . فعليك اذاً بأكل الخبز بعد جفافه وحسناً تصنع اذا كنت تعتاد شيَّ الخبز على النار قبل اكله وهو ما يسمونه « تحميصه »

وما قيل في الخبز يقال في اللبن (الحليب) فان كثيرين يشربون نصف اقة من اللبن مثلاً او اقة فلا تهضمها معدتهم بسهولة . وسبب ذلك ان اللبن حين امتزاجه بعصارة المعدة يختر اي « يفرط » كما يفرط اذا اضفت اليه شيئاً من الحامض . فاذا كانت كميته في المعدة كثيرة صعب عليها هضمه بسهولة . فالواجب اذاً ان لا تتناول الحليب الا مرات متوالية وينبغي ان تقيم خمس دقائق في شرب كل فنجان منه

﴿ تجفيف الاحذية في الشتاء ﴾

اذا نهضت في ايام الشتاء وجدت حذاءك الذي كان مبللاً متقلصاً من الماء وغير جاف فاذا لبسته شعرت ببرد شديد في قدميك . فطريقة تجفيفه ومنع تقلصه ان تملأه

النوم تبناً وتضغط التبن فيه · ففي الصباح تجد ان التبن امتص ما فيه من
ومنعه من التقاص

شؤون نسائية

السيدات والمرآة ومرض جديد

دات كثيرًا ان ينظرن في مرآتهن كلما مررن بجانبها · ولذلك يكون اشد
ن تضع بجانبها مرآة وتمنعها من النظر اليها · فما قول السيدات اذا دعا الرجال
م المرض الذي اكتشفه المسيو سوليير في هذا الشهر · فقد قدم هذا العالم الى
البسيكولوجية في باريز رسالة يقول فيها انه يعالج الآن فتى هستيريًا ينظر
انه اذا نظر الى المرآة لم يستطع ان يشاهد صورته فيها بل هو يرى زجاج
، نحن الزجاج اي شفافًا من جانبيه · فما اشده عقابًا للنساء اذا صار
ن على جعلهن كذلك ولو مرة في الاسبوع ·

ثمار المائدة

ي غسل الثمار غسلاً بسيطًا قبل وضعها على المائدة فانه يكون في بعضها كالتفاح
اص بقع سود صغيرة لا يلتفت اليها الغاسل وهذه البقع قد تكون شديدة
ت من الفحص البكتريولوجي انها تنشأ عن جراثيم فطرية تضر المعدة ضررًا
على ربة البيت ان تهتم بتقشير كل الاثمار

معرفة الزيت المغشوش

يت المغشوش طريقة بسيطة وهي ان تصب قليلاً منه في صحن وتتركه في
٢ ساعة فاذا وجدت فيه فقاقيع صغيرة او ذرات يمكن اخراجها براس الدبوس
واذا وجدته صافيًا فهو صحيح

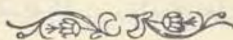
ربات البيوت والصحة في الصين

ن طريقة لتطبيب العائلة حديرة بالالتفات · فان لكل عائلة طبيبًا وكل طبيب

يقبض من عائلته راتباً شهرياً ما دامت في صحة وسلامة لكن متى مرض احد منها انقطع عن الطبيب هذا الراتب ووجب عليه ان يطبب المريض مجاناً ولذلك يبذل الطبيب كل جهده لشفاء المريض سريعاً ليعود راتبه اليه . فما قول سيدات الشرق بهذه الطريقة . الا يرين حسناً ان يعرضنها على حضرات الاطباء

رائحة الارز في الغرفة

اذا شئت نشر رائحة طيبة في الغرف كرائحة شجر الارز فاغلي ليتراً من الماء وصبي فيه ملعقة صغيرة من روح التربنتينه نقطةً نقطة فتنتشر في الغرفة رائحة طيبة كرائحة الارز وهي تنفع المصابين بالمعدة وتوقف نمو الميكروبات



اشهر حوادث الشهر

يسافر الجناب الخديوي الى السودان في ٢٨ الجاري وقد نشرت نظارة الحربية بروغرام سفره . ويسافر في معية سموه مندوب من قبل الجرائد المصرية العربية اتفقت الجرائد عليه بعد اختلافها اختلافاً شديداً كان له صدى في جميع القطر . ومما هو حري بالذكر ان لجنة الصحافة اخرجت المجلات العلمية حين شروعها بانتخاب هذا المندوب لغرض غير معلوم فجاء ذلك باشرف للمجلات واصون لكرامتها لانها بقيت في " قصرها العاجي " كما يقول الافرنج تشاهد تلك المناظر بسرور وهدوء في جملة المشاهدين . وقد عزمت الحكومة على الغاء رسوم الدخوليات في بنادر القطر الا الاسكندرية والعاصمة فلا ريب ان هذه حسنة كبرى يشكرها عليها الاهالي .

اما في الخارج فقد احتلَّ الاسطول الفرنسوي جزيرة متلين التي ورد ذكرها في ترجمة سافو في هذا الجزء لخلاف بين الباب العالي وفرنسا بشأن ديون ومشاكل ثم رحل الاسطول عن الجزيرة بعد نيل فرنسا مطلوبها . وقد هاج الالمانيون لخطبة القاها المستر تشمبرلن في ادنبورج وقال فيها ان الالمانيين ارتكبوا المنكرات في حربهم مع فرنسا فانقص المستر تشمبرلن في كتاب كتبه اهمية هذا الكلام فبقي الالمانيون في سخطهم . واما الخطبة التي القاها اللورد سالسبوري بشان حرب الترنسفال فيؤخذ منها ان تقدم الجيش الانكليزي بطيء ولكنه يتقدم وانهُ لا بدَّ من اخضاع الجمهوريتين لازالة الخطر من احدى زوايا



﴿ كرسي الكهربائية ﴾
الذي اعدم عليه قاتل ماكنلي

الامبراطورية البريطانية

واما اعدام كزولكوز قاتل المستر ماكنلي فقد نشرنا صورته في هذا الفصل فان الكرسي الكهربائي الذي جلس عليه متصل من اعلاه ومن سفليه بسلكين كهربائيين يدفعان الكهربائية الى جسمه بقوة هائلة وهو مربوط بالكرسي من راسه ويديه كما ترى في الرسم فيندفع الجسم بتلك القوه حتى يكاد يتمزق او يقطع رباطاته . وبعد ثماني ثوان يقطع المجرى الكهربائي عنه ثم يعاد اليه مره ثانية وربما اعيد اليه مره ثالثة فيصبح جسم الجاني مكربناً كانه محرق بالنار

الصدر الاعظم

خليل رفعت باشا

توفي المرحوم خليل رفعت باشا الصدر الاعظم في ٢٧ اكتوبر الماضي فكان لمنعاه دوي اسف لا دوي اهتمام لمعرفة الناس ان سفينة الدولة تجري به وبدونه . وقد كان رحمه الله مذكوراً بدماثة الاخلاق ولين العريكة وشدة الوطاة على قطاع الطرق فانه طهر ولاية مناستير منهم لما كان والياً عليها

وقد ولد في قرية ليفه من ولاية سيروز في عام ١٢٤٤ (هجرية) من اب يدعى ابرهيم اغا . ثم هاجرت عائلته الى سيروز فاستخدم في عام ١٢٦٠ في قلم التحريرات براتب قدره ٥٠ غرشاً في الشهر . ثم اخذ يرتقي في دوائر الحكومة وينتقل من ولاية الى ولاية فاستخدم في سلانيك ودين ويانيه وادرنه ومعمورة العزيز وارضروم وسلستره . وقد كان في سلستره كاتب ديوان براتب قدره الف غرش وذلك في عام ١٢٧٧ (ه) وفي عام ١٢٨٤ عين متصرفاً لوارنه براتب قدره ١٢ الف غرش في الشهر ثم نقل الى متصرفية ترخاله ثم الى دين وفي عام ١٢٩٢ عين والياً للطونه ونقل بعد ذلك الى ولاية قوصوه فسلانيك



﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

فسيواس . وفي عام ١٢٩٩ عين واليًا لكريت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس . ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير . وفي عام ١٣٠٧ عين وزيرًا للداخلية وفي ٢٦ نوفمبر من عام ١٣١١ عين صدرًا اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امرًا . ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم « انك ستموت في الصدارة » . ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حبًا شديدًا . ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيرًا ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال . تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء .

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يجعل دولته منصبه العظيم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال .

الجامعة

﴿ الجزء الخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ — رمضان ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المجد للعلماء فانهم خالدون

﴿ المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم ﴾

(واحتفال الجمهورية الفرنسوية في هذا الشهر بيوبيله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واساتذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات « خير لي ان اكون عالمًا فقيرًا من ان اكون جاهلاً غنيًا » فكان التلامذة الذين خُلقوا من فطرتهم « ماديين » ونريد بهم الذين يفضلون المادة الذهبية والفضية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

و بينما كنا نفكر في جعل هذا التذكار تمهيدًا للمقالة التالية لنستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا « الماديين » واذ زارنا بعض من حضرات القراء والاصدقاء في الثغر واخذوا يتكلمون عن لذة العلم وتفضيلها عند من يعرف قيمتها على كل لذة . فقال احدهم ما معناه : سأل احد الملوك عالمًا مكبًا على مطالعة كتاب في يده ما لذتك في هذه القراءة التي تحصر

بها نفسك وتضيق صدرك . فاجاب العالم : هذه لذة لو عرفتموها ايها الملوك لحاربتمونا بسيوفكم لتاخذوها منا

فقلنا حين سماعنا هذا القول الجميل حقاً ان هذا المثل جدير بان يكون تتمة لذلك التذكار في صدر هذه المقالة

ولكن ما هو العلم الذي لو عرف لذته الملوك لهاجموا العلماء بسيوفهم لياخذوا منهم عقولهم توصلاً الى لذته . هل هو ان يدرس الشاب سنتين او ثلاثاً في مدارسنا الشرقية ثم يخرج منها ودماغه محشو بقواعد الصرف والنحو والشعر والسجع البارد الذي " نبت في المعد . وصار في كل يد " كما قال الهمذاني . ام ان يصرف عشرين عاماً في الكتابة ثم يضطر الى القاء القلم من يده لانه عجز عن ان يُنشئ به لنفسه مركزاً خاصاً يخدم به ابناء جنسه بشرف واجتهاد من غير ان يخفض من دعواه الفارغة وكبريائه المضحكة . ام ان يترجم القصص والروايات او ياخذ في الكتابة في الجرائد مع جهله مبادىء العلوم الاولية واصول المواضيع التي يعبث بها قلمه . ام ان يلجأ الى التزويق والتنميق والتمليق استمالةً لبسطاء القراء متوقعاً رضاهم عنه من نظافة طبع كلامه وجمال صوره من غير ان يهتم بنصرة المبادىء وتقرير الحقائق . كلا ان هذه كلها تجارة وصناعة لا علم وادب . واصحابها لا يقصدون بها طلب العلم لذاته ولكن ربح المال . ولذلك لا يجوز لك ان تعتب على العلم اذا رايته منحطاً في الشرق ولا ان تعجب اذا قيل لك انه قدمرَّ عليه في بلادنا نصف قرن وهو لا يزال في دور الطفولية

خمسون سنة مضت على العلم في بلادنا وهو لا يزال في دور الطفولية مع ان عالماً واحداً في اوربا قلب علم الكيمياء في ٥٠ سنة وفتح للعالم ابواباً جديدة . وهذا العالم هو المسيو مارسلين برتلو اشهر علماء الكيمياء في هذا الزمان الذي احتفلت الجمهورية الفرنسوية في ٢٤ نوفمبر الماضي بيوبيله الذهبي تذكاراً لانقضاء ٥٠ سنة عليه وهو يخدم وطنه وبني جنسه انفع خدمة . فلم نرَ في هذا الشهر موضوعاً لتصدير الجامعة به احق من ترجمة هذا الرجل العظيم وذكر الاحتفال الكبير الذي اقيم له في يوم يوبيله لنري الشرقيين ولاسيما المشتغلين بالعلم منهم صورة العالم الحقيقي فضلا عما في ترجمته من الوقوف على اكتشافاته الكيماوية العظيمة التي غيرت علم الكيمياء وما في افكاره وآرائه الفلسفية من الفائدة . فنقول

***

﴿ ترجمته ﴾ ولد المسيو برتلو في باريز في ١٣ فبراير من عام ١٨١٤ . فعمره اليوم

٧٧ عاماً . وقد كان ابوه طبيباً في باريز فتلقى برتلو الصغير دروسه في مدرسة هنري الرابع فيها وظهرت نباهته منذ صغره . وفي عام ١٨٤٦ نال جائزة الشرف في الفلسفة ثم ترك المدرسة واخذ يدرس لنفسه . وفي عام ١٨٥٤ نال رتبة دكتور في العلوم بعد الامتحان . وكان يومئذ مساعداً للاستاذ بالارد في تعليم الكيمياء في مدرسة كوليج دي فرانس . فيظهر من ذلك ان ارتقاءه كان باعتماده على نفسه لا على المدرسة

وظهر اول تأليف لبرتلو في الكيمياء في عام ١٨٥٠ . وقد حدث عن نفسه بالامس فقال . انه كان في ذلك الزمان يتناول كل ما يُنشر في العام من الاسفار الكيماوية ويطالعها بامعان ويحللها لنفسه تحليلاً كيماوياً مع انّ عددها كان يتجاوز احياناً ٣٠٠ سفر . فهذا الدرس المستمر والبحث الدائم مكناه من الوقوف على جميع اصول هذا العلم وفروعه واكسباه شهرة بعيدة بين زملائه فلم تأتِ سنة ١٨٦٣ حتى سأل اساتذة كوليج دي فرانس المسيو ديروي وزير المعارف يومئذٍ ان ينشئ في هذه المدرسة كرسياً للكيمياء الآلية ليبسط منها الاستاذ برتلو آراءه وافكاره . فاجابهم الوزير الى ذلك . ومنذ هذا الحين عُين برتلو استاذاً للكيمياء الآلية في هذه المدرسة ولا يزال في هذه الوظيفة الى اليوم . ومن هذا الكرسي العلمي اطلع الناس في السنوات التالية على الاكتشافات العظيمة التي اكتشفها وسيرد تفصلها

ولما اشتهر برتلو هذا الاشتهار تسابقت اليه الجمعيات العلمية في اوربا وفرنسا فجعله اكثرها عضواً منه او مراسلاً له . ومنحته الحكومة الفرنسوية وسام جوقة الشرف من رتبة كران اوفيسيه فضلاً عن الاوسمة التي جاءته من ملوك اوربا . ولما شبت نار الحرب بين فرنسا وبروسيا وحصر الالمانيون باريز عُين برتلو رئيساً للجنة علمية انشأت للدفاع عن تلك العاصمة فانصرف برتلو يومئذ الى البحث في المتفجرات والمتفرقعات كالبارود والديناميت والنيتروغليسرين وصنع المدافع واتخاذ الارض او ماء النهر موصلاً كهربائياً يغني عن السلك التلغرافي في ارسال الرسائل البرقية من باريز المحصورة الى ما جاورها . ثم عُقد الصلح فعينه الشعب عضواً في مجلس الشيوخ مدة حياته مكافأة له على خدمته النافعة في اثناء الحصار . فالقى في مجلس الشيوخ خطباً بليغة دافع بها عن وجوب جعل مدارس الحكومة مجردة عن الصبغة الدينية وجعل المعلمين فيها من غير رجال الدين لاختلاف عناصر الامة الفرنسوية بين كاثوليك وبروتستنت واسرائيليين وجاحدين وقد قرر مجلس الشيوخ يومئذٍ هذا الامر ولا يزال معمولاً به الى اليوم . ثم عُين وزيراً للمعارف في عام ١٨٨٦ في وزارة المسيو غوبله

الراديكالي . وقد ساح في اوربا كلها وحضر الاحتفال بفتح ترعة السويس واغتنم هذه الفرصة فزار اكثر مدن القطر المصري . ومنذ بضع سنوات عين وزيرًا للشؤون الخارجية في فرنسا فضحك الساسة يومئذٍ لهذا الكيماوي الذي جعلوه في يوم واحد سياسيًا . ولكنهم لو كانوا ممن عرفوا برتلو وعلموا باطلاعه على جميع شؤون الحياة حتى الحياة السياسية مع انصرافه الى الكيمياء والعلم الوضعي لتحققوا ان السياسة لا تخسر شيئًا بدخول رجل مثله اليها بل انها تكتسب رزانة العلم وصدقه وعدالة الفلسفة وحكمتها . وهي الامور التي تحتاج السياسة اليها ولا سيما في هذا الزمان

وفي العام الماضي جعلته الاكاذمية الفرنسوية عضوًا من اعضائها خلفًا للعالم المسيو برنارد فالقى المسيو برتلو فيها خطبة شائقة واجابه عنها المسيو جول ليمتر . وربما لخصنا الخطبتين في جزء قادم

وما زال برتلو عاملاً نافعًا تارة في الجمعيات العلمية الذي هو منها وتارة في كرسي التعليم في كوليج دي فرانس وطورًا في مجلس الشيوخ الذي هو عضو منه واحيانًا في رئاسة الجمعيات واللجان الاقتصادية والعلمية حتى حال عليه هذا الحول وبه انقضى نصف قرن على دخوله في الكيمياء فقررت الحكومة الفرنسوية الاحتفال بهذا اليوبيل احتفالاً رسميًا كما تقدم . ولكن قبل ان نأتي على تفصيل هذا الاحتفال لا بدَّ من الاشارة الى اكتشافات برتلو المفيدة

***

﴿ اكتشافاته المفيدة ومؤلفاته ﴾ اعظم اكتشافات برتلو اكتشافان الاول « التركيب الكيماوي » والثاني « النمو الكيماوي بواسطة الحرارة » وكل واحد من هذين الاكتشافين قد اغنى الصناع والتجار وادر عليهم اخلاف الثروة . ولبيان ذلك نقول

كان للكيمياء قبل برتلو دوران . الدور الاول دور التخرصات والاوهام وهو الدور الذي كان فيه كيماويو المتقدمين يريدون بها تحويل المعادن كالنحاس والرصاص الى ذهب وفضة . وقد اشتغل بذلك كثيرون من باحثي اليونان والرومان والعرب . وللعرب في ذلك قصص كثيرة وسيرد راي برتلو في هذا الامر . ولكن الباحثين في هذا الموضوع اذا كانوا لم يصلوا اليه فانهم افادوا العلم افادة خالدة بسببه وهو وضعهم فن الكيمياء وتمهيد الطريق لجعل هذا الفن علمًا باصول . فانه بعد ان انقضت الاجيال على علم الكيمياء وهو خرافة وصل الى دوره الثاني وهو التحليل فصارت الكيمياء كما قال فيها لافوازيه ابوها « عبارة عن علم التحليل » وقد اراد بذلك تحليل المواد المركبة الى موادها البسيطة . فاذا

اخذ الكيماوي الهواء مثلاً استطاع حله الى اكسيجين ونيتروجين واذا اخذ الماء حلله الى العنصرين اللذين تركب منهما وهما الاوكسجين والهيدروجين وقس على ذلك باقي المواد الطبيعية . هكذا كانت الكيمياء قبل برتلو . وقد حاول كثيرون ان يتخطوا هذا الحدّ الى التركيب بدلاً من التحليل فما استطاعوا ذلك . وقد قال العالم برزيليوس في عام ۱۸٤۸ بهذا الشان ما نصه « ان النواميس التي تجري عليها المواد غير الآلية (۱) مخالفة للنواميس التي تجري عليها المواد الآلية فاذا تمكنا من تركيب الاولى فاننا عاجزون عن الثانية . ولذلك لا سبيل لنا الى معرفة طريقة تركيب المواد الآلية » وقال جرهرت في عام ۱۸٥۰ وهو العام الذي ظهر برتلو فيه « ان علماء الكيمياء يصنعون عكس ما تصنعه الطبيعة ولا يقدرون على غير ذلك . فانهم يحللون واما الطبيعة فانها تركب »

فلما جاء برتلو وجد ان التركيب في الكيمياء اعظم مجهولاتها واكبر حاجاتها فصرف فكره اليه . وفي عام ۱۸٦۰ اصدر كتاب « التركيب في الكيمياء الآلية » فكان لهذا الكتاب دوي في اوربا واميركا ومنذ هذا الحين انفتح لعلم الكيمياء باب جديد وهو التركيب . فكان به تمامه

وقد تمكن برتلو بالقواعد الكيماوية التي اكتشفها من صنع مواد كثيرة كان بها غنى الصناع والتجار . فانه صنع من مجرد المواد الكيماوية الكحول التي تستخرج من الاثمار والحبوب والبنزين والنفتالين والكربون وغيرها فكانت قوة علمه عبارة عن قوة الطبيعة الحية تركب المواد الطبيعية كما ركبتها الطبيعة على نسبة واحدة وبخواص كخواصها . والامر العظيم في هذا الاكتشاف ان برتلو لم يحتكر صنع المواد التي اكتشف تركيبها ولم يبع حق صنعها من احدى الشركات بل اطلقها للجميع فرنسويين وغير فرنسويين مع انه لو احتكرها لجاءته بجبال من الذهب . فاكرم بالعلم الذي يكون غرضه النفع العام لا ابتزاز الاموال

واما اكتشافه الثاني وهو « النمو الكيماوي بواسطة تولد الحرارة » فقد ساعده على اتقان التركيب في الكيمياء اذ وسع دائرة هذا التركيب فضلاً عما افاد به وزارة الحربية الفرنسوية من تحسين المنفرقعات والبارود الفرنسوي . وهذا ما دعا الحكومة الى جعله في ذات يوم رئيساً للجنة البارود والمنفرقعات

وللمسيو برتلو ٦۰۰ سفر في الكيمياء تقريباً . وله في التركيب الكيماوي والمواضيع الكيماوية

(۱) يعنون بالمواد الآلية المواد التي في تركيبها آلة كالحيوان والنبات ويريدون بالمواد غير الآلية الجماد

الخطيرة كتب يرجع اكابر العلماء اليها

***

﴿ اخلاقه وصفاته ﴾ اما اخلاق برتلو فهي كاخلاق كثيرين من الرجال العظام تنشأ شديدة عنيفة في الصغر ثم تفضي الى الهدوء والبساطة التامة في الكبر . وقد قاسى برتلو عناء شديداً في صغره من حدة طبعه واستقلال فكره وغرابة آرائه . اما اليوم فقد صار شيخاً مهيباً بسيطاً في جميع حركاته وسكناته . وهم يسمونه اليوم « انبه رجال فرنسا واكثرهم بساطة » انظر اليه حين مسيره الى معمله تره في الشارع ماشياً ببساطة كباقي الناس وهو سريع الخطى مع شيخوخته وملابسه من ابسط الملابس . ولكنه يمشي وكتفه اليمنى اعلى من كتفه اليسرى لتعوّد يمناه رفع قوابل الكيمياء الى موازاة عينيه لفحصها ومراقبتها . واذا كان سائراً على هذا الوجه ولمح صديقاً له من بعيد ساءه هذا الاتفاق لان محادثة الصديق تقطع مجرى افكاره . ذلك ان دماغ برتلو لا يستريح ابداً بل هو كالقدر المنصوبة فوق النار يغلي دائماً في الليل والنهار في سيره وفي وقوفه في معمله وفي خارج معمله ولولا ذلك لما تسنى له ولغيره من اصحاب الاعمال الكبيرة ان يقوموا بشؤون اعمالهم العديدة . وكثيراً ما ينام برتلو نوماً متقطعاً لاشتغال دماغه بمسألة هامة فينتبه من النوم بالرغم عنه ويقوم الى مائدته لحل هذه المسالة

ولبرتلو عدة اولاد واحفاد . وهو يحب احفاده (اولاد اولاده) حباً شديداً وقلما تخلو جيوبه من الحلويات المصنوعة للاولاد ليقدمها لهم . ولكن هذا الرجل الممتلىء الدماغ بالافكار والمسائل العلمية لا يترجم حبه للاولاد بهتاف او بتقبيل او ملاعبة لان معيشة الانفراد والاشتغال العلمي المستمر لا يعدان الانسان لذلك

و برتلو مشهور بثبات الجاش وقد عرض حياته للخطر في كثير من الامتحانات العلمية . يروى انه كان في ذات يوم يجرب في احد المدافع مادة من المتفرقعات وهو واقف وراء المدفع مع ضابط فرنسوي وكل واحد منهما ينظر الى تلك المادة من ثقب في ظهر المدفع . فبعد حين انفجرت المادة وجرى منها لسان الى الثقب الذي كان الضابط ينظر منه فمات الضابط في الحال . وفي ذات يوم قدم برتلو الى كوليج دي فرانس ليلقي فيها الدرس الاعتيادي فوجد ان ضابطاً روسياً قد عبث بكمية من البارود فتركها تحمى الى درجة توجب انفجارها فبادر برتلو في الحال الى تبريدها ولولا ذلك لنسفت المدرسة نسفاً . وفي مرة اخرى اشتعلت زجاجة من الايثر السولفيريكي بجانب وعاء كبير مملوء من الايثر ففرّ جميع الحاضرين

خوفاً من الانفجار اما برتلو فدنا من الوعاء الكبير بجاش رابط وحمله بين يديه وخرج به الى غرفة اخرى

***

﴿ آراؤه الفلسفية وقوله في الدين والفلسفة ﴾ وقد اشتغل برتلو بالفلسفة فوق اشتغاله بالكيمياء وله كتابات في ذلك الموضوع . منها « كتاب الى المسيو رنان » يجدر ان يكون مثالاً لجميع الفلاسفة الالهيين والماديين . وقد بسط برتلو في هذا الكتاب خلاصة فلسفته . ويؤخذ منها انه يعتقد بان اصل المادة في الارض واحدة فان اكتشفاته اثبتت ان المادة غير الآلية مشبهة في تركيبها وحقيقتها ونواميسها للمادة الآلية وانه ما من فرق بين المادة الحية والمادة الجامدة في الكيمياء قطعياً . واذا كان ذلك امراً ثابتاً فاصل المادة واحد وهو المادة . اما كيف دبت الحرارة والحياة في هذه المادة فهو امر مجهول ولا سبيل الآن الى الوصول اليه

وليس هذا بالامر الذي ذكرنا استحسانه آنفاً فان هذا الراي راي الماديين من قديم ولا جديد فيه سوى اثبات برتلو باكتشفاته الكياوية اشتراك المادة الآلية وغير الآلية ورجوعهما الى اصل واحد ولم يكن هذا الامر ثابتاً قبله . الا ان اصحاب الكتب لا ينكرون هذا الامر لان كتبهم تدلّ على ان الانسان لم يُخلق الا من تراب الارض . ولكن الراي الخطير الذي رآه برتلو هو هذا : ان العلم الوضعي يبني قصوره تارة على اساس المشاهدة والتجربة والحس وطوراً على اساس القياس والافتراض . ومتى بنى علماؤه على الاساس الاول كان لهم ان يجزموا بصحة علمهم ولكنهم متى بنوا على الاثاث الثاني وجب ان لا يقطعوا فيه

اما علماء ما وراء الطبيعة فانهم يبنون تعاليمهم على اراء اوقيسة ومبادىء عقلية ويقطعون بصحتها دون ان يقبلوا رداً عليها فهم في ذلك مخطئون . ولكن هل خطأهم دليل على ان القواعد العديدة التي يضعونها والمذاهب الفلسفية الكثيرة التي ينشئونها فاسدة لا يجب الالتفات اليها . كلا . لان العقل البشري اذا لم يشتغل بهذه المواضيع السامية فباي شيء يشتغل . فلا باس ان يتوسع اصحاب هذه المذاهب الفلسفية بمذاهبهم ويؤكدوا صحتها ويثبتوا حقيقتها ولكن على شرط ان لا يتخذوها ذريعة الى نفي العلم ومقاومته ولا يدّعوا تعيين سبيله بها وبقواعدها

ومعنى ذلك بالايضاح ان العلم والدين حاجتان من حاجات البشر فيجب ان يعيشا جنباً

الى جنب باتفاق وتساهل . ولكل فريق من علمائها ان يبني المذاهب التي يراها و يعتقدها صحيحة دون تعرض لمذهب صاحبه . وهذا القول خاص ببرتلو دون سواه من فلاسفة العلم الوضعي لان هؤلاء لا يقبلون قولاً عما وراء الطبيعة قطعياً ولا يسلمون الا بما هو ضمن الطبيعة من القضايا التي تُدرك بالحس وتُرى بالمشاهدة . فبرتلو اذًا اكثر تساهلاً منهم جميعاً . ولذلك قال له جول ليمتر ما قال حين استقباله في الاكاذيمية الفرنسوية في العام الماضي كما سيجيء في مقالة ثانية

***

﴿ رأيه في مستقبل العلم والعالم والبشر ﴾ وفي ليلة الاحتفال بيوبيل برتلو ذهب مخبرو الجرائد الباريزية لمحادثته فدار بينه و بين احدهم حديث في غاية الاهمية عن مستقبل العلم والعالم ومصير البشر . وقد ساله محادثه اولاً : هل تروم ايها المعلم ان تعود الآن شاباً وتعيد حياتك مرة ثانية . فابتسم المسيو برتلو واجاب كلا لا اريد ذلك لان للحياة آلاماً جسدية وادبية كثيرة فضلاً عن ان جميع الاصدقاء الذين كانوا يعرفون اخلاقي « ويفهمون » نفسي قد ماتوا جميعاً . قال الكاتب : ثم اخذ برتلو يتكلم عن الحياة ومستقبل العلم والعالم متدفقاً تدفق السيل . وكنت انظر الى دماغه وهو يتكلم فيخيل لي انني ارى معملاً كيماوياً تُعد فيه الافكار السامية والآراء الصائبة . فصرت آسف حينئذ لانه متى وقف دولاب هذا المعمل وتفرق قفير النحل الذي فيه لم نجد لدينا احدًا يرث عظمته وعلمه

اما ما كان يقوله حينئذ برتلو فهذه خلاصته

لما نشرتُ اول سفر كيماوي في عام ١٨٥٠ كان عدد الاسفار الكيماوية التي تُنشر في كل عام ٣٠٠ سفر . فكنت اطالعها كلها واحللها تحليلاً . اما اليوم فيبلغ عدد هذه الاسفار الف سفر في العام فضلاً عن الجرائد والمجلات الكيماوية التي يبلغ عددها ١٠٣ . وما عدا هذا فقد كان التاليف في الكيمياء في الزمن الماضي مقصورًا على اللغة الفرنسوية والانكليزية والالمانية والايطالية . فكان العالم يكتفي بدرس هذه اللغات الاربع للوقوف على جميع اعمال العلماء . اما اليوم فان علماء الروس يكتبون بالروسية وعلماء هولانده بالهولاندية وعلماء نروج بالنروجية وهلم جرًا . فصار من المستحيل على العالم الكيماوي ان يقف على مجرى هذا العلم وعلى جميع اعمال رصفائه . وربما كنتُ انا آخر ذلك النسل الكيماوي القديم الذي استطاع في حياته الوقوف على جميع الاعمال الكيماوية في زمانه

وما قلته عن الكيمياء اقوله في باقي فروع العلم كالطبيعيات والطب والتاريخ وما اشبه .

وحسبي ان اقول لك انه يردني من مجلات الطب فقط ثلاث مجلات في كل يوم · ولا ريب ان عدد العاملين في العلم سيزيد في المستقبل باقبال ابناء الاجيال الآتية · وبناء عليه يصير كل عالم عاجزاً عن الوقوف على اعمال جميع رصفائه في فنه فيصبح والحالة هذه عاجزاً عن تقديم علمه وترقيته لان الترقية والاكتشاف والاختراع تستلزم وقوف العالم على جميع ما يجري في الفن الذي يشتغل به · فغير بعيد ان يُصاب العلم في المستقبل بالوقوف عند حد محدود للسبب الذي تقدم ·

وما قلته في التقدم العلمي اقوله في التقدم المادي

فانه لما كان داب الشعوب الصيد والقنص كانت معيشتها تستوجب وجود اراضي واسعة · ولما صار دابها الزراعة صارت تكتفي باراضي اقل اتساعاً · اما اليوم فقد صار كل شعب قادراً على المعيشة في اية ارض كانت وان كانت ضيقة لان اصول الزراعة الحديثة ولا سيما اصول الاستنبات الصناعي تمكنه من استخراج غذائه منها كيف كانت الحال · ولكن الانسان متى قدر في المستقبل على استخدام قوات الشلالات ومجاري المياه واكتشف طرق استخدام المد والجزر وحرارة الشمس والارض واستبدل الحيوانات والنباتات التي يتخذها غذاء بغذاء صناعي كيماوي فانه يصل حينئذٍ الى قمة الارتقاء فيتكاثر وينمو في الارض حتى تصير الارض ضيقة دونه · فيقف تقدمه بالرغم عنه

فساله الكاتب · وهل يجب ان نعتقد بامكان الغذاء الصناعي في المستقبل · فاجاب برتلو لا ريب في ذلك ابداً · فانني ارى منذ الآن ان البشر في المستقبل يستبدلون غذاءهم من الحيوان والنبات بغذاء كيماوي يؤلف من المواد المغذية · وهذه المواد حاضرة لدينا الآن وفي امكاننا تاليف غذاء الانسان منها فيتغذى بها كما يتغذى بالحيوان والنبات الآن الا انها لا تزال غالية الثمن · وانما ترخص اثمانها متى تمكن الانسان من استخدام حرارة الشمس في استخراجها وتاليفها كما تمكن من استخدام مجاري المياه لتوليد الكهربائية · وحينئذ يستغني الانسان عن الارض لانه يصنع بالكيمياء بثمن قليل جداً ما يقوم مقام اللحم والخبز وغيرهما

فساله الكاتب · وهل تعتقد بقدرة الانسان على اطالة الحياة في المستقبل · فاجاب برتلو · لا اعتقد بذلك مطلقاً وان كان متشنيكوف يقول بامكانه (راجع مقالة اطالة الحياة في الجزء ٢١ السنة الثانية) ولا اجهل انه اذا قدر العلم على تغيير خلايا الدماغ وكريات الدم وتقويتها وتحسينها استطاع ان يصنع من البشر نسلاً يختلف شانه عن البشر

ويستغرقهم جميعاً . ولكن هذا القول حلم وخيال . فقال الكاتب : تريد ان تقول انه افتراض . فاجابه برتلو : بل حلم وخيال . حلم وخيال

***

﴿ رايه في مستقبل العمال وارباب الاعمال ﴾ وقد القى المسيو برتلو منذ سنتين خطبة في احتفال اقامته جمعية «تعميم الفنون» التي لها ٥٤٩ فرعاً للتعليم في باريز ونشر مبادئها الفنية فقال في هذه الخطبة في مستقبل العمال وارباب الاعمال قولاً صفقت له جميع الجرائد الجمهورية . وهذه خلاصته . قال

« انني اتكلم الآن عن العلم . ولكنني لا اريد به العلم المنتفخ كبرياء وقسوة الذي يجلس في القصر العاجي بعيداً عن اهواء الانسانية ومتاعبها وغير عابئ بها . فان هذا العلم لم يكن علم اجدادنا الذين رفعوا اصواتهم في القرن الثامن عشر واعدوا الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث بعدهم (اي بعد الثورة التي نحكي قصتها في نهضة الاسد) وقد كان من نتيجة ذلك الانقلاب تاسيس العلم على دعائم جديدة وحدوث الاكتشافات العظيمة التي اصبحت تحول دون قيام طبقة من النبلاء تحتكر لنفسها كل شيء وتبني احتكارها على نظام اجتماعي تظنه ثابتاً . واهم تلك الاكتشافات دخول الآلات الميكانيكية الى المصانع ولكن لما دخلت هذه الآلات الى المصانع خيل لبعضهم ان دخولها هذا سيكون داعياً الى عبودية البشر بتقييد العملة بخدمتها كانهم من بعض دواليبها . فاذكرنا هذا القول قول ارسطو الذي كان يعتقد بوجوب الاسترقاق لحاجة المطاحن وآلات النسج الى ارقاء يديرونها .

ولكن من حسن حظ الانسانية انه لم يقضَ على البشر بهذه الحالة الهائلة . فان انقلاباً جديداً بدأ يحدث تحت نظرنا في هذه الايام . وذلك ان الآلة الميكانيكية تقتضي ادارتها ذكاء ومعرفة فصار العامل منها بمثابة مدير ومحرك لا بمثابة جزء او دولاب . وبما انه صار من الواجب ان يكون العامل وراء الآلة عارفاً بنواميسها لادارتها فقد صار من الواجب بحكم الطبع ارتقاء حاله عن حالة الجهل والشقاء الماضيين . لان معرفته بادارة الآلة تجعله رجلاً وتملأ الحفرة العميقة التي كانت بينه وبين العلماء وتصيره عالماً او نصف عالم . وفي ذلك ما فيه من تحسن حالته الادبية . وحاجة الآلة اليه تستلزم ان يكون شريكها في الفائدة الحاصلة من عملهما معاً وفي ذلك ما فيه من وجوب زيادة اجرته واشتراكه مع صاحب المال في الربح الناتج عن عمله . وهكذا تكون الآلة البخارية سبيلاً لزيادة هناء

العملة واستقلالهم بدلاً من اشقائهم واذلالهم · ولا يخفى ما في هذا القول من الراي الاصيل والحكم العادل

***

﴿ رأيه في تحويل المعادن ذهباً ﴾ ولا بدَّ عند الكلام عن الكيمياء من الكلام عن الموضوع الذي كان سبباً في نشأة الكيمياء وهو تحويل المعادن ذهباً · اما المسيو برتلو الذي على رايه المعول في هذه المسالة لانه اكثر الكيماويين اطلاعاً في هذا الزمان فانه يقص بهذا الشان قصة غريبة · وخلاصة هذه القصة ان في مدينة دوّيه في فرنسا بعضاً من المشتغلين بالكيمياء القديمة التي مدارها على تحويل المعادن ذهباً وقد دعوا المسيو برتلو في ذات يوم الى زيارة معملهم الذهبي فذهب برتلو الى دوّيه · قال : ولما وصلت الى منزل المسيو جوليفه كاستلو رئيس هولاء الكيماويين دخلت فوجدت عنده اثنين آخرين وهم يشتغلون باتون كيماوي بين ايديهم · وقد نظرت لديهم كثيرًا من كتب برتلو (اي كتبه) وكتب لافوازيه وغيره · فسالتهم اين ذهبهم المعدني فاروني اولاً الاتون الذي يطبخون الذهب فيه وقال لي رئيس المعمل ان درجة الحرارة في هذا الاتون لا تتجاوز ٣٠٠ درجة ابدًا ولكنها تستمر على هذه الدرجة شهورًا عديدة · ذلك ان الذهب في رايه لا يُطبخ الا بحرارة مستمرة شهورًا · ثم ان رئيس المعمل جاء بحجر غريب الشكل لم اعرف من مادته سوى انها ذات لون بنفسجي قاتم وفيها نقط حمراء · وقال لي : انظر هذا الحجر فهو حجر الفلاسفة الذي يجعل المعادن ذهباً ولكنني لا اذكر لك تركيبه قطعياً · فقلت له ارني ذلك · فاخذ حينئذ شيئاً من الزئبق والرصاص والقصدير ووضعها في اناء على النار ثم كسر قطعة من الحجر الذي سماه حجر الفلاسفة والقى القطعة في ذلك المزيج · فشهدتُ عند ذلك مشهدًا غريباً · فان المزيج اخذ يتحرك ويتماسك حتى صار كتلة واحدة · ثم اخذ لونه بالتغير وظهرت على سطحه قشرة ذهبية لا شك فيها · فاستغربت الامر وازددتُ انتباهاً الى هذا التركيب العجيب وانا لا اصدق ما ارى بعيني · ولكن تلك القشرة الذهبية ما لبثت ان غابت بعد حين وعاد المزيج الى لونه · فالتفت الى رئيس المعمل وقلت له لماذا غاب ذلك اللون · فاجابني الى هنا وصل علمنا واكتشافنا حتى الآن · فاننا نؤلف بهذا ما نسميه « ذهباً وقتياً » وهو عبارة عن مادة تحضر حيناً ثم تغيب · ولم يبقَ علينا سوى ان نمنعها من الغياب بعد حضورها · ولو لم ينفجر الاتون في الايام الاخيرة لنلنا امنيتنا

ومما لا يحتاج الى بيان ان المسيو برتلو يقص هذه القصة وهو يضحك ولكنه يعتقد

ان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في المستقبل وان الكيمياء لا بد ان تصل الى ذلك يوماً من الايام

***

﴿ احتفال الجمهورية بيو بيله ﴾ اما الاحتفال الذي اقيم في قاعة كلية السوربون في باريز اكراماً للمسيو برتلو وتعييداً لمرور خمسين سنة على نشره اول سفر كيماوي فقد كان شبيهاً بالاحتفال الذي اقيم للعالم باستور منذ بضع سنوات · ولما حانت ساعة الاحتفال غصت القاعة بالوف من خاصة الناس فضلاً عن الوف الشعب التي كان يزحم بعضها بعضاً حول الكلية لرغبتها في مشاهدة العالم المشهور والاشتراك في الاحتفال بعيده العلمي مكافأة له على خدمته الشعب باكتشافاته ولسانه وقلمه اكثر من نصف قرن · ولما دقت الساعة العاشرة قبل الظهر دخل جناب المسيو لوبه رئيس الجمهورية يتلوه المسيو برتلو والوزراء والعلماء فجلس المسيو برتلو في كرسي في الوسط وجلس المسيو لوبه عن يمينه والمسيو (لايك) مدير الجلسة لانه وزير المعارف عن يساره · وتلاهما عن اليمين رئيسا مجلس الشيوخ ومجلس النواب ورئيس الوزارة وباقي الوزراء وعن اليسار اشهر علماء فرنسا ودكاترتها · وقد حضر الاحتفال وفود خصوصية قدمت من البلاد الاجنبية للاشتراك بهذا العيد العلمي العام وفي جملتها وفد انكليزي من قبل المجمع العلمي البريطاني يتقدمه المستر غلادستون والمستر رمساي ووفد الماني من قبل اكاذيمية بروسيا الملكية يتقدمه المسيو فيشر ووفد نمساوي وغيرها من جميع اكاذميات اوربا · وكلها تحمل رسائل تهنئة خصوصية من اكاذمياتها الى المسيو برتلو · وفي جملة هذه الرسائل واحدة من ملك بلجيكا ووسام شارل الثالث من درجة كران كوردون من ملكة اسبانيا

﴿ خطبة وزير المعارف ﴾

ولما انتظم عقد الاحتفال انتصب المسيو لايك وزير المعارف ومدير الجلسة والقى خطبة ناتي على اهم ما فيها · قال مخاطباً رئيس الجمهورية

« يا حضرة الرئيس

« ان حضورك الآن بيننا يُكسب هذا الاحتفال صبغته الحقيقية ويدلنا الآن على ان فرنسا كلها تشترك في اكرام احد ابنائها

ثم التفت الى المسيو برتلو واتم خطبته · فقال

« ايها المعلم العظيم

« لو كان لا يجوز لاحد غير رؤسائك ان يثني عليك وعلى اعمالك لما وجدتَ بينهم من يقدر على ذكر اعمالك ومجدك بشرح وايضاح . لذلك اترك بيان ذلك للعلماء . ولكن في اعمالك شيئاً نفهمه نحن وان لم نكن علماء وهو جمال العلم وعظمته وشرف مقاصده ومنافعه التي لا تشبهها منافع . فاننا ننظر الى معملك الكيماوي كنظرنا الى هيكل لانك في هذا المعمل سالتَ الطبيعة فاجابتك بما اجابتك . على اننا ننظر اليه ايضاً برهبة وخشوع لان في الاكتشافات التي صدرت منه شيئاً يكاد يشبه السحر لغرابته وعجائبه

ولقد جاء لافوازيه قبلك فنقض القول بالعناصر الاربعة ووضع للكيمياء دعائم ثابتة بدلاً من الافتراضات والتخمينات التي كانت قديماً . اما انت فقبضتَ على هذا العلم بيدك القوية ووسعتَ دائرته بما زدت فيه وادخلتَ اليه من الحقائق الثابتة حتى اصبحتَ انت نفسك لا تستطيع الوقوف على جميع اجزاء مملكتك

ولقد كان لافوازيه يقول : ان علم الكيمياء يسير متقدماً نحو غرضه وهو الكمال بقسمته الاشياء ثم قسمتها ثم قسمتها . وهو عبارة عن فن التحليل » اما انت فاجبتَ على هذا القول بقولك « ان الكيمياء توجد مادتها . وهي تركب المادة التي حلتها . وبهذا التركيب توسع دائرة سلطتها على المواد اياً كانت ومهما كان اختلاف عناصرها دون ان يقوى شيء على الوقوف في وجهها » وبناء عليه اكتشفت قواعد التركيب

فاصبحتَ منذ ذلك الحين تامر المادة فتطيعك . وتزيد على الموجود فيزداد . وتاخذ الاحلام فتجعل منها عوالم حقيقية جديدة

فاذا كان صحيحاً ان للعلم كما تقول غرضين ساميين الاول البحث عن الحقيقة الطاهرة المجردة عن كل شيء والثاني خدمة البشر ونفعهم وزيادة هنائهم ومدنيتهم فانت افضل الذين ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بها . فان اكتشافاتك قد حققت احلام الفلاسفة الذين يعلمون الناس الثقة بتقدم العالم ويبنون تعليمهم على ثقتهم بالعقل والادراك البشري . ولكنك لم تشأ ان تنتفع باكتشافاتك فتركتَ الناس يلتقطون امواج الذهب التي كانت تفور من بين يديك .

فيا ايها المعلم العظيم ان الوطن يمجدك في هذا اليوم . والعالم المتمدن يحييك بافواه رسله ووفوده . ولقد قبضتْ اعمالك على المستقبل واستولت عليه وصار حولك هدوء الاحترام سائداً . حتى انك وانت الآن بيننا ممتلئ الجسم قوة وحياة صرتَ تظهر لنا كأنك بعيد عنا ومقيم في هدوء التاريخ وعالم الخلود الابدي

﴿ خطبة المسيو برتلو ﴾

ثم جلس الوزير والناس يصفقون استحساناً وتلاه الخطباء من علماء فرنسا والوفود الاوربية فاثنوا على المسيو برتلو اطيب ثناء ولقبوه ابا الكيمياء وكان التصفيق لهم مستمراً · ولما فرغوا من الخطابة وقف المسيو برتلو ليجيبهم ويشكرلهم فهتف الحاضرون هتافاً ارتج له المكان وظلوا يهتفون ويصفقون والمسيو برتلو واقف يخفي تاثره واولاده حوله يبكون لتاثرهم ؛ وبعد ذلك سكنت الضوضاء فالقى برتلو خطبة هذه خلاصتها :

يا حضرة الرئيس · ويا حضرة الوزير · ويا رصفائي واصدقائي الاعزاء · وانتم ايها الشبان تلامذتي واصدقائي

لقد تاثرت جداً من هذا الاكرام الذي وجهتموه اليَّ الان · وانا اعلم انكم لاتوجهونه اليَّ الحبكم لي فقط بل انكم توجهونه ايضاً الى شيخوختي واعمالي الطويلة والخدم القليلة التي قمت بها لوطني ولبني جنسي · فودادكم هذا يزيد شيئاً من الزيت على سراج حياتي الذي صار قريباً من الانطفاء في الليل الابدي · وان الانعطاف الذي يجده الشيوخ لدى الهيئة الاجتماعية لهو بمثابة رباط يربط الاجيال الحاضرة بالاجيال الماضية والمستقبلة

ثم قال ان الفضل في تقدم العلم ولا سيما علم الكيمياء للعلماء الذين تقدموه وهو يُشرك معهم في هذا الفضل العلماء المعاصرين الذين ساعدوه · فلا يجوز اذاً ان يُنسب الفضل في ذلك لرجل واحد لان العلم صناعة اشتراكية يعمل فيها الخاصة من بني الانسان في كل مكان · ثم استطرد من هذا القول الى ذكر منافع العلم فقال ان القدماء كانوا يعتبرون العلماء قوماً لا شأن لهم غير تسلية الاغنياء بما ينشرونه ويؤلفونه لهم · اما اليوم فقد صار العلم قائد الانسانية ومنارها الاعلى فلا تتقدم الا به · ويكفي في بيان ذلك مقابلة حالة الشعوب في الزمن الماضي بحالتها في هذا الزمان من حيث صلاح الحال وقلة الاوهام والجهل · ولذلك صارت الحكومات تساعد العلم ولا سيما المعامل الكيماوية لما يترتب عليها من النفع الاقتصادي والفائدة الصحية العمومية · وبعد ذلك قال : فبناء على ذلك تغير وجه العالم وصار للشعوب ميل الى الاتفاق والتقرب بعضها من بعض فضلاً عن رغبتها في صلاح حالها وبلوغ آمالها بالطرق العلمية التي يختطها لها علماؤها

الى ان قال في الختام :

ولذلك عظمت وظيفة العالم في هذا الزمان وهي تعظم كل يوم · ولكن اذا كانت وظيفة العلماء قد عظمت فواجباتهم قد عظمت ايضاً ولا يجب ان ننسى ذلك مطلقاً ·

فلنجهر ايها السادة بهذه الحقيقة على رؤوس الاشهاد في هذا المكان الذي هو قصر من قصور العلم الفرنسوي ولنقل ان العالم لا يكرم العلماء اليوم ارضاء لانانيتنا ومحبتنا للذات ولكن لانه يعلم ان العالم الذي يستحق هذا الاسم يوقف حياته للخدمة العامة بقطع النظر عن مصلحته الخصوصية اي لتحسين احوال الناس بوجه الاجمال من الاغنياء والسعداء حتى المساكين والفقراء والضعفاء . هذا هو الامر الذي احتفل اولو الشان باكرامه في هذا المكان منذ خمس سنوات حين احتفالهم بباستور وهذا هو الامر الذي حاول صديقي (شابلين) الاعراب عنه بالرسم الذي رسمه على المدالية الجميلة التي سيقدمها لي الآن رئيس الجمهورية . ولا اعلم اذا كنتُ قد قمت كل القيام بالغرض المرسوم في هذه المدالية ولكني لم آلُ جهداً في جعل ذلك غاية حياتي من اولها الى آخرها »

وبعد هذا الخطاب جلس برتلو . اما الجمهور فكان يقطع كلامه في اثناء الخطاب عند كل عبارة ويصفق تصفيق الاستحسان ويهتف له هتاف الاكرام . وكان في جملة هذا الجمهور كل ذي شهرة في باريز في العلم والادب والسياسة والرئاسة . ولما جلس برتلو قام المسيو لوبه رئيس الجمهورية ودنا منه فنهض برتلو اكراماً له فقبله المسيو لوبه في وجنتيه وقدم له المدالية الفضية التي وضعنا رسمها في صدر هذا الباب

فنهض حينئذٍ جميع الحاضرين وهتفوا للعالم هتافاً بلغ العنان

وهذه المدالية من صنع الرسام شابلين المشهور وهي تمثل المسيو برتلو جالساً امام مائدة عليها الآلات الكيمية وهو يفتكر في الموضوع الذي في ذهنه وفوقه فتاتان واحدة تمثل « الوطن » وهي تحمل الراية الفرنسوية في يمناها واكليلاً من الغار في يسراها تكلل به آلة الكيماوي وواحدة تمثل « الحقيقة » وفي يدها مصباح ساطع يضيء طريق العلم والعلماء وعلى جسمها ستار اخذت تزحزحه عنها كناية عن ظهور الحقائق للناس شيئاً فشيئاً . وتحت هذا الرسم هذه الكتابة

سنة ١٨٥١ — من اجل الوطن والحقيقة — سنة ١٩٠١

وعلى الصفحة الثانية رسم برتلو وتحته ما ياتي « التركيب الكيماوي . العلم ينير طريق الانسانية »

***

فيا منيرة طريق الانسانية انيري طريق محبيك وانصارك . يا حاملة المصباح تضيء به الغرب ألا لفتة للشرق منك ومن مصباحك . الى مَ النفور منه والاعراض عنه اما هو

الذي كان المبزغ الاول لنورك وسنائك · واذا كنتِ تنكرين هذا فقولي لنا من اين جئتِ بمصباحك

أمن بلاد اوربا لما كانت قفارًا تملأها أكواخ الصيادين · ام من اقطار اميركا لما كانت مرمحًا للبرابرة والمتوحشين · هل جئتِ به من لندن ام باريز · من رومه ام واشنطون · من فينا ام برلين

كلا انك جئتِ به من منفيس وصور وصيدا وبابل واورشليم واثينا وكريت · انك جئتِ به من هذا الشرق التعيس الذي تخفين مصباحك عنه الآن وتتركينه في ليل بهيم · فردي لنا ياحاملة المصباح مصباحنا واعيدي بضاعتنا الينا

ولكن ماذا نسمع ؟ اننا نسمعك تقولين : « لا اوجه نور مصبــاحي اليكم لانني اشفق عليكم · اذ ماذا يحلُّ بكم يوم تقع امواج نوره على بلادكم وتُظهر ما في نفوسكم وما في هيئة اجتماعكم · انظروا الى الجهل السائد في بلادكم في رؤوسكم واذنابكم · انظروا الى الآفات التي تأكل احشاءكم وتشرب دماءكم : استبداد وظلم في الطبقات العاليـة ودناءة وعبودية في الطبقات الواطئة · انقسام ديني اليم يجعلكم اعداء بعضكم لبعض مع انكم في الاصل اخوة وطن واحد وابناء ارض واحدة · فضلاً عن فقر شامل وشقاء عام واوهام مجبولة باللحم والدم ونافذة الى العظام · فهل تريدون ان يكشف مصباحي كل هذه الشرور الكامنة في هيئتكم »

كلا ياحبيبتنا حاملة المصباح انك لا تشفقين علينا كما تقولين ولكنك تضحكين منا · اما كان قومك منذ مدة كما نحن الآن · فهل منعتهم حالتهم الماضية من ان يصيروا الى الحالة الحاضرة · فلماذا تبثين روح اليأس في نفوسنا ؟ ارفعي مصباحك في وجوهنـا ولو بهرنا نوره ونبش عيوبنا وكشف كل شرورنا · فان الصلاح لا يأتي الا بعد ظهور الفساد · واذا لم يكن لمصباحك من فضل على الشرق سوى اعداد بضعـة لمناهضة الشر ايًّا كان مصدره وطلب صلاح الحال بالعلم طلبًا مجردًا عن كل نفع خصوصي ومصلحة ذاتية اقتداءً بعلماء قومك خصوصاً صديقك برتلو الذي تنيرين هنا طريقه — فكفى ذلك لحدوث خطوة كبيرة في سبيل التقدم المطلوب



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

بعد عودة السيد من اورشليم

ولما عاد السيد من اورشليم كان قد قطع في نفسه كل علاقة بمذهب اليهود واخذ يستعد للعمل العظيم الآتي وهو انشاء ملكوت الله. وكان قد عزم عليه وان ذهب فدى الناس وفداه. ذلك ان ملكوت الله لا يُنشأ من غير مقاومة ومناهضة ولذلك كان لا بدَّ من المقاومة والمناهضة. وكان روح الله فيه يملأه قوة ونشاطاً. وكان الله في نظره اباً لكل الناس وكل واحد عليه ان يدعو الله « اباه » في صلاته. فبهذا التعليم وثب السيد وثبة واحدة عن الحفرة القائمة بين المخلوق والخالق ووصل اليه

وكانت نبوَّات الانبياء عن قدوم السيد شائعة بين اليهود ولكن المجامع لم تكن قد احصتها في صفحة واحدة ولذلك كان اليهود يطبقون اقوال الانبياء على الحالة في تلك الايام. اما العجائب فكان في السامرة رجل ساحر يُدعى سمعان وهو يصنع شيئاً كثيراً منها. وقد كان صنع العجائب امراً شائعاً في القديم. فان الفلاسفة الاسكندريين ومنهم بلوتين كانوا يزعمون انهم يصنعون العجائب وقد روى ذلك اونابوس وبورفيروس. وكان صنع العجائب محسوباً امراً اعتيادياً لان كل رجل فيه روح الله كان في اعتقادهم قادراً على ان يصنع شيئاً منها

وكانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم (كذا) فان اليهود في

فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ. وكان من الشائع في كل العالم لا في عالم اليهود فقط ان الشياطين تدخل في بعض الناس وتجعلهم يعملون بالرغم عنهم اشياء يكرهونها . ومن ذلك شيطان ورد ذكره في تقاليد الفرس وهو الذي يدخل في النساء ذوات الاميال غير المعتدلة . وقد اخذ اليهود ذلك عنهم وورد ذكر هذا الشيطان في سفر طوبيا . فهذا الشيطان صار سبباً في اثارة نفوس النساء اليهوديات وانشاء الهستيريا وغيرها من الامراض العصبية فيها . وكان قد ظهر قبل ذلك باربعة قرون ونصف كتاب لابوقراط ابي الطب موضوعه « العلة المقدسة » يعني الهستيريا وفيه وصف اسباب هذه العلة وذكر دوائها . الا ان اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب . وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئاً عن شدة الحماس الديني الذي اشعل النفوس . وكان هؤلاء المجانين يأوون الى المغاور والخاريب في الجبال والاودية وكان قليل من الرفق واللين كافياً لشفائهم . ولا يزال الناس في سوريا حتى عصرنا هذا يسمون « مجنوناً » كل من كان في افكاره شيء من الغرابة (كذا) . وفي اصطلاحاتهم في الحديث قولهم لمن لا يعجبهم رايه : انت مجنون

ملكوت الله

اما مدة بقاء السيد في العمل فان الانجيلي يوحنا يجعلها سنتين او ثلاثاً . ومهما يكن من الامر فانها لا تتجاوز سبع سنوات لان بيلاطس قد عُزل قبل عيد الفصح من عام ٣٦ للميلاد . وكان السيد يكرز باقتراب ملكوت الله . والمراد بذلك على ما في الانجيل قدوم السيد لدينونة الناس في نهاية العالم . وطريقة ذلك ان يُقسم البشر قسمين قسم الصالحين وقسم الاشرار . اما الصالحون فيدخلون الى الاماكن الهنيئة المعدة لهم منذ ابتداء العالم وهناك يلبسون النور ويجلسون على مائدة ابرهيم . اما الاشرار فانهم يذهبون الى « جهنم » وجهنم هذه هي وادٍ في غربي اورشليم . وكان اليهود يوقدون النار اولاً في هذا الوادي ويحتفلون بذلك على سبيل العبادة . ثم صار الوادي مكاناً للاقذار والنجاسة

ومهما يكن من هذا الامر فان السيد بنى ملكوت الله وهو يكرز تلك الكرازة . وهذا الملكوت الحقيقي هو ملكوت العقل الذي يجعل كل انسان ملكاً وكاهناً معاً والذي كان كحبة الخردل زُرعت في الارض فانبتت شجرة عظيمة . هذا الملكوت هو : روح الله

يرفرف على الارض بعد مجيئه · وخطبة السيد على الجبل · وتقوية الضعفاء بذكر الغبطة والسعادة الابدية · ومحبة الشعب· والميل الى الفقير· واعلاء شان كل ما هو حقير ومتواضع وبسيط وصحيح · وقد تمَّ هذا العلو وسيدوم بعده الى الابد · وكل واحد من البشر مديون له بافضل ما في نفسه من المبادىء الشريفة

اما مسالة انتهاء العالم واقتراب هذه النهاية فمسالة صفقت لها الانسانية طرباً في ذلك الزمان · فانه اول ما قيل لها ان قد حان اجل كرتك الارضية اقتبلت هذا الخبر بابتسام كالابتسام الذي يقتبل به الاولاد الموت وصارت مسرورة بهذه النهاية سروراً ما بعده سرور · اما العالم فانه كان يزداد تمسكاً بالحياة كلما ازداد ايغالاً فيها ولذلك كان يوم الخلاص الذي كانت تنتظره نفوس الجليليين الطاهرة بشوق وسرور معتبراً من تلك الاجيال الحديدية التي كانت تخشن كلما طالت عليها الحياة كيوم غضب وحرمان

ولكن مع اعتقاد المسيحيين الاولين بقرب انتهاء العالم يومئذ كان فيهم كثيرون يحاربون شرور العالم باسم الانجيل ويطلبون اصلاح الحالة استناداً الى مبادئه · وسيبقى مبدأ « ملكوت الله » اعظم المبادىء المحركة على طاب الاصلاح في كل مكان الى ما شاء الله · اما الاشتراكيون الذين يطلبون اصلاح الارض اليوم فانهم يبقون عاجزين عن انفاذ اصلاحهم ما لم يلجئوا الى افكار المسيح نفسها ويعملوا بها · فانهم يطلبون بناء على مبداء مادي غليظ امراً مستحيلاً وهو جعل جميع الناس سعداء ولذلك لا ينجحون · وانما ينجحون متى عملوا بقواعد المسيح وهي ابتغاء اعلى صورة للكمال في الارض لا خيرات الارض · وهذا المبدأ يوجب على طالبي اصلاح الارض التخلي عنها وعن خيراتها لا الاستيلاء عليها

ومن جهة اخرى فانه ربما كانت كلمة « ملكوت الله » تعزية واي تعزية للذين يرون فساد العالم الآن ويعتقدون بحدوث تغيير فيه في مستقبل الزمان· فان الذين لا يقدرون على الاعتقاد بوجود عنصرين مستقلين في جسم الانسان لان هذا الاعتقاد مناقض لعلم الفيسيولوجيا يطيب لهم ان يؤملوا بحدوث تغيير عظيم في نهاية العالم وينتظروا في القرون الآتية عالماً صالحاً يكون صلاحه جائزة للبشر على ما احتملوه من الشقاء والفساد في حياتهم الماضية · ومن يعلم اذا كان ذلك لا يتم في بضعة ملايين من القرون فتنتبه حينئذ في الارض كل المبادىء الصالحة ويصير البشر كالملائكة · ان مليون سنة تمرُّ كساعة تمر · وقد قال القديس بولس « هوذا سرٌّ اقوله لكم · لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الاخير فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير » (كورنثوس

الاصحاح ١٥ العدد ٥١ و٥٢)
فيومئذ يُنتقم للصالح من الشرير · يومئذ تسود في الارض انسانية فاضلة كريمة يكون فيها المقام الاول للفضل والفضيلة لا للقوة والمال ويكون فيها ابن الفقير الفاضل حاكماً وصدراً · يومئذ تظهر صورة السيد اكثر جلاء ويخجل كل الذين نظروا تلك الصورة المؤلفة من الفقر والتواضع والفضيلة ولم يؤمنوا بها وكل المتكبرين الذين آمنوا بها ولكنَّ انانيتهم وكبرياءهم وطياشتهم منعتهم من العمل باوامرها

روح الانجيل

وكان التلامذة يومئذ لا يكتبون شيئاً من اقوال السيد لان « ملكوت الله » صار قريباً فلا حاجة الى الكتابة · وكان من اجمل اوقاتهم وقت الجلوس الى مائدة الطعام · فان السيد كان يحادث كل واحد منهم على المائدة · وكان من عادات اليهود ان ياخذ كبير البيت الخبز ويباركه بصلاة وجيزة ثم يكسره ويقدمه الى كل واحد من الجالسين · وكذلك الخمر · ولا تزال هذه العادة عند الاسرائيليين الى هذه الايام · وقد غالى الايسينيون في ذلك فجعلوا للمائدة احتفالاً وطقوساً خصوصية · وكان اذا اكل بضعة من الرجال الخبز معاً عُدَّ ذلك بمثابة رباط يربطهم بعضهم ببعض بسبب هذا الاشتراك (١) وكان السيد يكسر الخبز على هذا الوجه ويناوله الى تلامذته · وكان يقول لهم انا غذاؤكم الروحي لانه سيدهم ومعلمهم · ولما كان يناولهم الخبز والخمر كان يقول لهم هذا جسدي وهذا دمي

وكانت هذه المعيشة المبنية على انتظار « ملكوت الله » مما يزيد التلامذة انقطاعاً عن الارض وكراهة للعالم · فكان الميل لاقتناء الملك في الارض يُعتبر نقصاً في النفس وكل ما يُبعد الانسان عن السماء يجب ان يُنبذ نبذاً · وكان بعض التلامذة متزوجين الا ان التلميذ العازب بعد اتباعه السيد لم يكن يتزوج على الارجح لان العزوبة كانت مفضلة على الزواج · وكان يجب على الذين يدخلون في سلك التلامذة ان يتركوا كل شيء في العالم حتى النفس والاب والام والاخوة والمال ويتبعوا السيد · ومن المبادىء المسيحية : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر · واذا اعثرتك عينك فاقلعها · ودع الموتى

(١) وفي الشرق يقولون اليوم « من اكل خبزاً وملحاً مع انسان وجب عليه ان لا يخونه » وذلك لان هذا الاشتراك يوجب الصداقة والامانة · ومن اقوالهم « تفضل وما الحنا » يدعون به الى مائدة الطعام والصداقة

يدفنون موتاهم وغير ذلك من المبادىء السامية التي هي عبارةٌ عن اعلى صورة للكمال البشري · ولكن سمو هذه المبادىء الكريمة وعلوها كانا لا يخلوان من خطر على المستقبل · فانها تجعل الانجيل كتاباً كريماً بالغاً من الكمال درجة قلما يهتم كثيرون من الناس بالوصول اليها و بناء عليه تبقى تلك المبادىء غير معمول بها حتى من الاكليروس نفسه · وفضلاً عن ذلك فانه اذا رام احد من الناس الرجوع الى الانجيل والعمل بمبادئه و بروحه عدّ الاكليروس عمله ذا خطر على الناس · واذا قام ملك وكان اكثر الناس تكبراً وتجبراً واشدهم حباً للمصلحة واكثرهم قسوة مثل لويس الرابع عشر مثلاً فانه يجد من الكهنة من يقنعه بالرغم عن الانجيل انه مسيحي لا شك فيه · ولكن كما يقوم اناس كهؤلاء يقوم ايضاً اناس للعمل بمبادىء الانجيل حرفاً بحرف فيضطرون الى المعيشة خارج الهيئة الاجتماعية في الصوامع والديور كما يصنع الرهبان ·

بدء مقاومة السيد

ولما بلغت اعمال السيد الى انتيباس والي الجليل رام مشاهدته فرفض السيد ذلك لكراهته الدخول في المسائل السياسية وانصرافه الى تعليم الشعب واستمالته دون سواه · ولكن انتيباس لم يلبث ان سمع من الناس ان السيد هو يوحنا المعمدان وقد بعثه الله فاضطرب انتيباس لذلك ورغبة في ان يخرج السيد من ولايته بعث اليه بعض الفريسيين يقولون له ان انتيباس عزم على القاء القبض عليه وقتله كما قتل يوحنا المعمدان فلم يعبأ السيد بهم ولا بحيلتهم · اما انتيباس فانه لما رأى بساطته وكراهته لاثارة خواطر الشعب اطمأن باله وعدل عن اضطهاده

اما الفريسيون فانهم كانوا يقاومون السيد و يعارضونه معارضة شديدة فكان يجب مقاومتهم مقاومة شديدة ايضاً · ومن المشهور عن اليهود ان من صفاتهم شدة الوخز في الجدال والمناظرة حتى انه لم يقم يوماً بين الناس مناظرات شديدة كالمناظرات التي كانت تقوم بينهم · وكانت الشدة ضرورية في هذه الحالة لمقاومة القوة بالقوة · ومما لا يحتاج الى بيان ان لوثيروس ورجال الثورة الفرنسوية لو لم يُظهروا شدة وعنفاً في اعمالهم لما كانوا قد عملوا شيئاً

وكان هؤلاء الفريسيون قوماً يراعون الظواهر الدينية دون البواطن · وكانوا اقساماً · فمنهم فريق يُدعى « نيكفي » وهم الذين يسيرون في الشوارع و يجرون اقدامهم جراً و يصدمون بها الحصى والحجارة · ومنهم فريق يدعى « كيزاي » اي ذوي الجباه الدامية

وهم الذين كانوا يسيرون في الشوارع مغمضي العيون. لئلا يقع نظرهم على النساء ولذلك كانوا يصدمون الجدران في مشيهم فتدمى جباههم · ومنهم فريق يدعى « ميدوكيا » وهم الذين كان كل واحد منهم يعيش مطوياً قسمين · ومنهم فريق يدعى « شيكمي » اي ذوي المناكب القوية وهم الذين يسيرون وظهورهم محنية كانهم يحملون عليها اثقال الناموس كلها · ومنهم فريق يدعى « اي عمل يجب عمله لاعمله » وهم الذين كانوا يطلبون قواعد الناموس في كل مكان للعمل بها

ولكن الفريسيين لم يكونوا في الحقيقة يعملون بالقواعد التي تقدمت ولا بقواعد الناموس بل كانوا يظهرون انهم يعملون بها · اما الشعب فكان ينخدع بهم ويصدق اقوالهم · ذلك ان الشعب سهل الانخداع خصوصاً متى كان لرؤسائه مصلحة في خداعه فانه يرى فيهم اموراً جديرة بالحب فيحبها ولكنه لا يرى ما تحت هذه الامور من الحقيقة الهائلة

فبناء على ذلك كان لا بدّ من قيام النفور بين نفس السيد الكريمة البسيطة ونفوس الفريسيين الجافة اليابسة · فان السيد كان يدعو الى ديانة مبنية على نقاء الباطن وصفاء القلب اما الفريسيون فكانت ديانتهم عاداتهم وطقوسهم الاعتيادية · وكان الفريسي في اعتقادهم رجلاً معصوماً عن الخطاء فاذا جادل كان الحق في جانبه دائماً واذا دخل الى المجالس طلب المجلس الاول واذا مشى في الشوارع راقب الناس اذا كانوا يحيّيونه ام لا واذا تصدق بشيء بوق بصدقته تبويقاً· ولقدقام كثيرون من كرام اليهود لمقاومة هولاء الفريسيين منهم يشوع بن سيراخ وغمالائيل وانتيكون دي سوكو والرجل الكريم اللطيف الفيلسوف هلل وكلهم علموا تعليماً سامياً يكاد يكون انجيلياً · ولكن الفريسيين استطاعوا خنق تعاليمهم وحرموا من يقرأها· وكانت قاعدة مبادىء الفليسوف هلل" ان الناموس الحقيقي هو العدالة والحق · وقاعدة مبادىء يشوع بن سيراخ ان الديانة الحقيقية هي عمل الخير في العالم

الا ان مبادىء شماي تغلبت على هذه المبادىء العالية وقوي الفريسيون وانصارهم فكان من نتيجة هذه القوة نشأة كثير من التقاليد والعادات التي غطت الناموس الاصلي فلم يعد ظاهراً معها · ولا ينكر ان ذلك قد كان مفيداً من جهة حفظ التقاليد اليهودية قروناً عديدة لتكون خميرة للديانة المسيحية ولكن المجامع التي كانت امّ تلك التقاليد لم تعد بعد استفحالها الا امّ الخطاء والضلال · ولذلك كان قد قضي عليها بالسقوط ان لم يكن

بالاضمحلال · ومع ذلك فقد كان من الظلم ان يُطلب منها حينئذ ان تُنكر ذاتها وتتنازل عن سلطتها من تلقاء نفسها لان ذلك امر لا يصدر عن البشر في هذه الحياة

وبناء على ذلك كانت المقاومة مستمرة بين السيد وبين الرياء الفريسي الرسمي · ومما كان يُضعف حجج الفريسيين ابتعادهم يومئذ عن التوراة ابتعاد المسيحيين عن الانجيل في هذا الزمان · فنشأ عن ذلك في نفوس الفريسيين بغض للسيد لا ينتهي حتى الموت · فانهم تركوا الشعب يسمي يوحنا المعمدان نبيًّا اذ كان امره صغيرًا اما السيد فان روحه كانت تنقض اساس هيئهتم نقضًا ولذلك كان الخلاف بينهم للموت · ومما كان يفقدهم الرشد سهام التهكم الحادة التي كان السيد يرشقهم بها · فان هذه السهام كانت تصيب قلوبهم · واذا قيل من الف هذه الامثال البديعة المملوءة تهكمًا قاتلاً وتلك العبارات الغاصة بسهام حادة تنفذ في لحم المرائين كانها صُنعت من نار ومَن علقها في ذيول الفريسيين وجعلهم يجرونها وراءهم منذ ١٨ قرنًا الى اليوم · فنجيب ان السيد هو الذي صنعها وعلقها · فيالك من تهكمات هائلة هدمت عالمًا وقتلت امة · ان سقراط وموليير قد رشقا بسهام ولكن سهامهم كانت تخدش الجلد خدشًا · اما هذه السهام فكانت تغوص الى القلوب وتضع النار واليأس فيها · فلا ريب ان هذه الضربات ضربات اله

سفره الاخير الى اورشليم

وقد كان السيد يرى الخطر الذي على حياته من الفريسيين ولذلك اقام ١٨ شهرًا في الجليل دون ان يسافر الى اورشليم · وكان الفريسيون قد حاولوا جره الى الامور السياسية في الجليل ليتخذوها حجة لدى انتيباس والحكام الرومانيين الا ان السيد تغلب على مكرهم هناك · ولكنه كان يرى انه اذا بقي في الجليل لم يستطع ان يتمّ عمله لان اورشليم مركز كل عمل فراي بالرغم عن الخطر وجوب السفر الى اورشليم فعاد اليها مع تلامذته للتعليم في الهيكل ومناظرة الفريسيين

وقد اختار السيد في اورشليم ثلاثة مواضع للاستراحة فيها من عناء مباحثة الفريسيين · الاول وادي « الجثمانية » التي ربما كان معناها معمل الزيت وكان سكان اورشليم يتخذون هذا المكان للتنزه فيه في كل مساء · والموضع الثاني جبل الزيتون وكان السيد يصعد اليه بعد التنزه في الجثمانية ويصرف الليل فيه · اما هذا الجبل فهو قائم في شرقي المدينة وهو المكان الوحيد الذي يظهر فيه الخصب والنبات في اورشليم · فقد كان فيه وفي ما جاوره من القرى

كبيت فاجي والجثمانية و بيت عنيا اشجار كثيرة من الزيتون والتين والنخيل · وكان في الجبل ارزتان كبيرتان كانت تعشش فيهما طيور الحمام و يبسط الباعة تحت اغصانهما بضائعهم للبيع والشراء · وقد حفظ اليهود بعد تشتت شملهم تذكار هاتين الارزتين

ففي هذه الاماكن كان يقيم السيد وتلامذته · اما الموضع الثالث الذي كان يتخذه لراحته فهو قرية بيت عنيا · وهذه القرية قائمة على احدى الآكام المشرفة على الاردن والبحر الميت وهي على مسافة ساعة ونصف من اورشليم · وكان السيد يفضل الاقامة في هذه القرية الجميلة على ماسواها وفيها تعرف بمرتا ومريم ولعازر · وكان السيد اذا اقام في الاماكن التي تقدم وصفها نسي شيئاً من عناء المجادلات الشاقة مع الفريسيين المرائين · وكان اذا اشرق الفجر وطلعت الشمس على جبل الزيتون تنثر تبرها الجميل عليه وقف السيد متاملاً في تلك المناظر البديعة التي حوله فيسر بهاسرورًا يخالطه شيء من تذكار مؤلم · فيلتفت حينئذ الى اورشليم ويخاطبها قائلاً :

« يا اورشليم يا اورشليم · يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اضم اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدي »

وليس المقصود بذلك ان الشعب اليهودي في اورشليم لم يكن يقبل تعاليم السيد لانه اغلظ نفساً من رجال الجليل كلا ولكن التعاليم الفريسية الرسمية كانت تضغط على النفوس الى حد انه لم يكن احد من الناس يجترئ على التصريح بذلك · وفضلاً عن هذا فان اليهود كانوا يخشون اذا تبعوا السيد ان يُقال انهم خضعوا لرجال من الجليل ولا يخفى ان بلاد الجليل كانت بلادًا مكروهة في اورشليم كما تقدم · ومن جهة اخرى فان اتباع السيد كان يفضي الى الطرد من المجامع (المعابد) والحرمان من الحقوق الدينية · وهذا الحرمان يستوجب في الشريعة اليهودية حجز الاملاك وفي ذلك ما فيه من الاهانة والخسارة · وزد على ذلك ان الذي كان يخرج من اليهود لم يكن له ان يصير رومانيًا بل يبقى بلا حامٍ ولا نصير تحت ضربات سلطة جائرة · وفي ذات يوم جاء اصاغر حراس الهيكل الى كهنتهم بعد ان سمعوا احدى عظات السيد واطلعوهم على ما قام في نفوسهم من الشكوك وعن رضى الشعب عن تلك التعاليم فاجابهم كهنتهم « هل رايتم احدًا من الرؤساء او من الفريسيين آمن به · ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »

اما السيد فانه كان يجدّ في الوعظ وتعليم الشعب في الهيكل · وكانت سلطته آخذة في التعاظم والازدياد والشعب يقبل تعاليمه السامية البسيطة دون ان يُظهر التسليم بها

خوفاً من رؤسائه · ففي ذات يوم جاءه الفريسيون بزانية وسالوه بماذا يجب ان تُعامل وقد ظنوا انهم بذلك يُظهرون ضعف تعاليمه امام الشعب · فاجابهم السيد بذلك الجواب الهائل الذي كان كسهم اخترق الرياء وغاص في قلوبهم · فقد قال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ومنذ هذه الكلمة اضمروا له الشر ونووا قتله ليستريحوا من مقاومته · ولا غرو فان الحمقى يكرهون العظمة اشد كراهة ولا سيما اذا اقترنت بفصاحة اللسان وبلاغة الجنان

وكانت همة الفريسيين مصروفة الى جعل السيد يتداخل في الامور السياسية ليتخذوها حجة عليه لدى اسيادهم الرومانيين كما تقدم · فجاءه بعضهم في ذات يوم مظهراً الحب له وقالوا « يا معلم · نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحدٍ لانك لا تنظر الى وجوه الناس · فقل لنا ماذا تظن · ايجوز ان تُعطى جزيةٌ لقيصر ام لا » وكانوا يتوقعون عند هذا السؤال ان يجيب السيد عنه جواباً يوجب تسليمه الى بيلاطس لقتله كما قُتل يهوذا الغولونيتي الذي كان يحرّم دفع الجزية للرومانيين كما تقدم · اما السيد فانه اجاب جواباً بديعاً · فانه قال لهم اروني اولاً النقود فاروه ديناراً فسالهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتين على الدينار فاجابوه انها لقيصر · فقال السيد · اذاً اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فما اسمى هذه الكلمة في هذا المقام · فان السيد وضع بها اساس الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية وبنى بكلماتها دعائم مستقبل الديانة المسيحية

وكانت بلاغته الالهية تحضره كلما رام محاربة الرياء والمرائين كما تدل على ذلك الاقوال الآتية التي فاه بها في الهيكل · وجدير بالناس في كل مكان ان يتأملوا هذه الحكم الرائعة · وهي

« على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فاعملوا حسب اقوالهم ولكن لا تعملوا حسب اعمالهم لانهم يقولون ولا يفعلون · فانهم يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يُريدون ان يحركوها باصبعهم ·

» وهم يعملون كل اعمالهم لكي تنظرهم الناس فيعرّضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الاول في الولائم والمجالس الاولى في المجامع والتحيات في الاسواق وان يدعوهم الناس سيدي سيدي · فالويل لهم

» ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم اخذتم مفتاح المعرفة ولم تستعملوه الا لاغلاق ملكوت السماوات فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون · ويل لكم يامن تاكلون بيوت الارامل باطالة صلواتكم ولذلك تكون دينونتكم على قدر ذلك · ويل لكم

يا من تطوفون البحر والبر لتضموا اليكم رجلاً واحداً ومتى حصلتم عليه تصنعونه ابناً لجهنم · ويل لكم لانكم مثل القبور المستورة والذين يمشون عليها لا يعلمون

« ويل لكم ايها المراؤون والعميان لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون افضل ما في الناموس اي الحق والرحمة والايمان · فقد كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك · ويل لكم ايها القادة والعميان الذين يصفون الكاس عن البعوضة حالة كونهم يبلعون الجمل

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوآن سرقة وشراهة · ايها الفريسي الاعمى (١) نقِ اولاً داخل الصحفة لكي يكون خارجهما ايضاً نقياً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة · انتم من خارج تظهرون للناس ابراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثماً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آبائنا لما شاركناهم في دم الانبيـاء · فانتم اذاً تشهدون على انفسكم بانكم ابناء قتلة الانبياء · فاتموا اذاً عمل آبائكم فقد جاء في حكمة الله « ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وعلماء فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يقع عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم ذكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح · الحق اقوله لكم ان هذا كله يقع على هذا الجيل »

واشد ما كان يغيظ الفريسيين في هذه التعاليم امران · الاول ان ملكوت الله آخذ في الانتقال من اليهود الى باقي الامم لان اليهود يضطهدون ويقتلون الانبياء والرسل الذين جاءوا ليرشدوهم اليه · والامر الثاني دعوة السيد الفقراء والصغار الى احتلال محل الكبراء لتاييد ملكوت الله · وقد كان يقول انه جاء الى هذا العالم ليفتح عيون الذين لا يبصرون ويعمي الذين يبصرون (يوحنا الاصحاح ٩ العدد ٣٩) ولكنه في ذات يوم بدرت من فمه هذه العبارة عن الهيكل « انني اهدم هذا الهيكل الذي بنته يد الانسان وابني في ثلاثة ايام هيكلاً آخر غير مصنوع بالايادي » فتمسك الفريسيون بهذه الكلمة لانهم اعتبروها

---

(١) ربما كان في كلمة « الاعمى » اشارة الى فريق الفريسيين ذوي الجباه الدامية الذين ورد ذكرهم في الصفحة ٣٠٦ السطر ١

تجديفاً على الهيكل واتخذوها حجة لشكواه الى الحكومة · وكانت حكومة الرومانيين توجب احترام الديانة اليهودية وتنفذ القرارات التي يصدرها رؤساؤها

مساعي اعداء السيد

وقد صرف السيد فصل الخريف وقسماً من الشتاء في ذلك العام في اورشليم وكان البرد شديداً فيها · وكانت اقامته في رواق سليمان في الهيكل · وبعد شهر دسمبر من ذلك العام ساح سياحة في بلاد بيريا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد · فوجد سروراً وراحة في هذه السياحة ولا سيما في مدينة اريحا · وكانت هذه المدينة قائمة في طرف طريق عمومية كبرى وفيها كثير من الحدائق والحقول الخصيبة ولذلك اقام الرومانيون فيها جمركاً كبيراً · وكان رئيس هذا الجمرك رجلاً غنياً وهو العشار زكا فاحب مشاهدة السيد · وبما انه كان قصير القامة صعد الى جميزة ليراه منها في مروره· ولما درى السيد به رام النزول في بيته دون ان يعبأ بكراهة اليهود للعشارين كما تقدم · اما واحة اريحا فقد كانت بقعة من اجمل بقاع سوريا يومئذ وقد وصفها يوسيفوس معجباً بخصبها كما اعجب ببلاد الجليل ولقبها « البلاد السماوية »

وبعد ان زار السيد البلاد التي عمد فيها يوحنا المعمدان والتي كان فيها مبدأ تعليمه عاد الى بيت عنيا حيث كانت تطيب له الاقامة وبعد اعجوبة لعازر عاد الى اورشليم

اما الفريسيون فانهم كانوا في اثناء ذلك يتباحثون في شانه · وقد جمع رؤساء الكهنة في شهر فبراير او في اوائل مارس من ذلك العام مجمعاً وطرحوا فيه هذه المسالة «هل في الامكان بقاء الديانة اليهودية اذا بقي يسوع حياً » واحياناً قد يكون في السؤال جواب ولذلك لم يلبث رئيس الكهنة ان قال « لا باس ان يموت واحد لتحيي الامة كلها »

وكان رئيس الكهنة يومئذ يوسف قيافا وقد رقاه الى هذا المنصب الحاكم الروماني فالاريوس كراتوس ولذلك كان مخلصاً للرومانيين · وقد ثبت هذا الرجل في رئاسة الكهنة من عام ٢٥ للميلاد الى عام ٣٦ · اما سلطة هذا الرئيس فقد كانت اسمية على الارجح· لانه كان فوقه رجل يُدعى حنانيا او اناس وهو شيخ كان رئيساً للكهنة ثم فُصل وتزوج قيافا بابنة له · ولكنه مع انفصاله عن رئاسة الكهنة بقيت له سلطة كبرى عليها وبقي الشعب يناديه « رئيس الكهنة » وكانوا يستشيرونه في كل المسائل الهامة · ومما زاد سلطته ان رئاسة الكهنة بقيت في اسرته مدة ٥٠ سنة وكان قيافا الرئيس الحقيقي صهراً له ·

ولذلك كان يرد اسماهما معاً في هذه الحوادث وكثيرًا ما كان يرد اسم العم مقدماً على اسم الصهر · وقد ذكر يوسيفوس ان هذه الاسرة كانت مشهورة بالقسوة في الاحكام ومما يجدر ذكره ان الذي حكم برجم يعقوب اخي السيد هو من ابنائها · وبناءً على ذلك تكون تبعة الحوادث القادمة على حنانيا لا على قيافا · وهو الذي يجب ان يحمل على عاتقه لعنة الانسانية اكثر من بيلاطس وقيافا

وكان جمهور الاكليروس اليهودي راغباً في وضع حد لهياج الشعب وثورة الافكار · ذلك انهم توقعوا من وراء هذا الهياج استفحال سلطة الرومانيين في بلادهم ومتى استفحلت تلك السلطة هدمت الهيكل وقطعت رزقهم · ولا ريب ان الاسباب التي دعت الى خراب الهيكل بعد مرور ٣٧ سنة على هذا التاريخ لا علاقة لها بالامر الذي تقدم ولكن خوف الفريسيين من انقلاب الاحوال كان عظيماً · ولو قبل اليهود يومئذٍ تعاليم السيد لسقط الهيكل وسقطت امتهم معه · ولذلك قال حنان وقيافا « خير ان يموت واحد من ان تموت الامة كلها » ولكن هذا الحكم فظيع وهائل · ويسوءنا ان نقول ان جميع الاحزاب المحافظة التي تسمي نفسها " حزب النظام والامن العام " تحكم احكاماً كهذا الحكم · فانها تعتبر ان اكبر واجبات الحكومة منع تاثر الشعب وهياجه بكل الطرق ولذلك لا يقوم احد قادر على الحركة الا وتقف في وجهه ولو افضى الامر الى سفك دمه · وهي بذلك تشهر حرباً على كل ذي اقدام وكل ذي فكر وتجهل ان هذا الفكر لا بدَّ ان ينتصر · ومما لا يحتاج الى بيان ان الحركة السامية التي كان يديرها السيد كانت حركة روحية لا علاقة لها بالسلطة الزمنية ومع ذلك فقد كانت هذه الحركة كافية لاثارة اوهام الرجال الذين يسمون انفسهم رجال النظام والهدوء لانها حركة · ولذلك صنعوا ما صنعوه

وكان هؤلاء الرؤساء قد قضوا على السيد بالموت منذ شهر فبراير ومارس ولكن السيد كان قد سافر مع تلامذته الى مدينة تُدعى افراين او افرون وهي بلدة على حدود البرية في جهة بيتل على مسافة يوم من اورشليم · وقد صرف السيد في هذه القرية بضعة اسابيع مع تلامذته لعل الزوبعة في اورشليم تسكن قليلاً · ولكن الزوبعة لم تسكن لان الرؤساء اصدروا الامر بالقاء القبض على السيد حينما يُشاهد في الهيكل · ذلك ان عيد الفصح اليهودي كان قريباً وكانوا يعلمون ان السيد سيصرفه في اورشليم

(سناتي البقية وفيها الخاتمة)

عبرة لاغنياء الشرق والغرب

﴿ الفريد نوبل مخترع الديناميت وجوائزه ﴾

(غني يوصي بجميع ماله للعلماء)

سيبقى النزاع قائماً بين الاغنياء وغير الاغنياء الى ما شاء الله . فغير الاغنياء يقولون « ان الاغنياء يجمعون الاموال بوسائط شريفة وغير شريفة واحياناً يسلكون اليها كل سبيل ثم لما يجتمع منها لديهم ما يكفيهم ويكفي اولادهم واولاد اولادهم بعدهم الى آخر العمر ينقلبون على الهيئة التي جمعوا تلك الاموال منها ويعاملون بني جنسهم بالكبرياء والغلاظة والدناءة بدلاً من ان يشكروهم على جهلهم ويحمدوا الهيئة الاجتماعية على تراخيها لانها تركت اناساً مثلهم يجمعون ما جمعوا » وبعض الاشتراكيين في اوربا قد تطرفوا فقالوا بوجوب فحص دفاتر كل الاغنياء لمعرفة مصادر ثروتهم واسترداد كل ما كسبوه منها بطرق غير مشروعة . غير ان بعضاً من الساسة طرقوا في هذا الشان باباً آخر معقولاً . فان البرلمان الفرنسوي قرر منذ بضعة اشهر نظاماً جديداً فحواه ان الاب الغني متى مات ورث منه ابنه مليون فرنك وما زاد على هذا المليون من التركة تستولي الحكومة على نصفه او ثلثيه وتعطي الباقي للوارث . فاذا كانت ثروة الاب مائة الف جنيه مثلاً اخذ ابنه قبل كل شيء مليون فرنك منها اي ٤٠ الف جنيه والستون الف جنيه الباقية تقسم مناصفة بينه وبين خزانة الحكومة . اما اذا كانت ثروة الاب لا تزيد على مليون فرنك فان الحكومة لا تمد يدها اليها . — ولقد وافق اعضاء مجلس النواب على هذا النظام بعضهم لنكاية اغنياء الاسرائيليين في فرنسا وبعضهم لمقاومة الحكومة لانها كانت تنكره . والراجح ان مجلس الشيوخ سيعترض عليه ويرفضه

واما الاغنياء فانهم يردون على غير الاغنياء بقولهم « هل جئنا بالاموال من بيوت آبائكم حتى تحسدونا عليها . ام وجدناها على الطريق غنيمة باردة . الا تعلمون اننا نقاسي في جمعها عرق القربة ونصرف العمر ونحن نطلبها ونركض وراءها . فما الذي يمنعكم من ان تقتدوا بنا وتصنعوا صنعنا »

ولا يخفى ان في كل قول من هذين القولين شيئاً مقبولاً معقولاً . ولا نظن احداً من الناس ينكر على الاغنياء حق التصرف المطلق في اموالهم سواء كانوا جمعوها بطرق شريفة

او غير شريفة . فلهم ان يبذلوا منها ولهم ان يمنعوها . ولكننا ايضاً لا نظن احداً ينكر على الناس اظهار استياءهم من الاغنياء اذا كانوا لا يخصصون جزءاً من النعمة التي اخذوها من الهيئة لمساعدة تلك الهيئة وهو ما يسميه رجال الدين الواجب الديني ويسميه الفلاسفة الواجب الادبي . وسيبقى هذا النزاع بين الاغنياء وغير الاغنياء حتى يدرك اولئك هذا الواجب .

والظاهر ان اغنياء الغرب اكثر استعداداً لادراك هذا الواجب من اغنياء الشرق ولا غرو فان الغرب اسبق من الشرق في كل الامور . فان اغنياء اميركا قد بنوا في تلك الاقطار اهم الكليات والمكاتب والحدائق العمومية . وهباتهم تمطر على الحكومة والجمهور والعلماء والكتاب الذين هم خدمة الجمهور احياناً كوابل واحياناً كطل . واما اغنياء اوربا فانهم مقصرون عنهم ولكنهم اخذوا ينتبهون لذلك . وآخر ما روي عنهم بهذا الشان وصية الفرد نوبل الذي اوصى لعلماء الارض بثروته البالغة مليوني جنيه ودخلها السنوي ٥٠ الف جنيه توزع في كل عام على النابغين من العلماء مقسومة الى خمس جوائز . وبما انه سيدور في كل عام ذكر هذه الجوائز راينا من الفائدة نشر ترجمة الرجل وتفصيل جوائزه وذكر العلماء الذين نالوها في هذا العام . وبينما كنا نفكر في ذلك وردتنا الترجمة الاتية فاكتفينا بها

الفريد نوبل وجوائزه السنوية

بقلم جناب الاديب الياس افندي خليل عبساوي

كثر تحدث الناس بامر جوائز نوبل وتشوق كثيرون لمعرفة هذا الرجل الذي وهب كل ما ملكت يداه لمساعدة العلم . فرأيت ان اوافي قراء « الجامعة » بتاريخ حياته معتمداً على مجلة المجلات الانكليزية

ترجمته

ولد الفرد نوبل في مدينة استوكهلم قاعدة البلاد الاسوجية في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٣٣ . وورث الجد والاقدام عن ابيه عمانوئيل نوبل الذي كان من اشهر رجال عصره . وكان سبب شهرة ابيه انشاءه في روسيا معملاً لبناء سفن التوربيد ربح منه ارباحاً طائلة ثم قدومه بعد حرب القريم الى استوكهلم مسقط راسه حيث وجه كل اهتمامه الى اختراع المواد المنفجرة . وكان البارود الاعتيادي هو المادة المنفجرة الوحيدة المستعملة بين الناس . ومع ان النيتروغلسرين (مركب من ملح الغلسرين والحامض

النيتريك) كان قد اخترع في فرنسا قبل عدة سنوات لكن الناس كانوا يتخوفون منه لتعدد حوادث انفجاره . فجعل نوبل يسعى في تحسين تلك المادة ومنع انفجارها فنجح بعض النجاح بين سنة ٦١ و٦٢ . ثم عهد بالعمل الى ابنه الاكبر صاحب الترجمة فابتدأ اذ ذاك الفرد نوبل دوره المهم في تاريخ المنفجرات . الا انه كان يرى ان مادة النيترو غليسرين كانت لا تزال سريعة الانفجار والفتك بالارواح في معمله وذلك مما هيج الراي العام على هذه المادة فعمد الى تحسينها بحيث تقل اخطارها فتم له ذلك في عام ١٨٦٧ واعلن للناس انه توفق الى اختراع « الديناميت » بمزج مركبه الاول مع مادة رملية مركبة من قشور حيويات صغيرة تدعى الانفيوزوريا . فجرب كثيرون هذه المادة الجديدة فتحققوا قلة خطرها ورأوا ان الحرارة والرطوبة لا فعل لها فيها . فربح منها مخترعها مالاً وافراً . ولم يكتف نوبل باختراع الديناميت وصنعه في معامله بل كان يتقن البارود بلا دخان و يصنع المدافع و يشتغل بالاشتراك مع احد اخوته في تصفية زيت البترول في ماكو بالقوقاس . وقد بلغ عدد العمال عنده في العشر سنين الاخيرة من حياته ١٢٠٠٠ عامل ولم يحدث في كل مدة شغله ادنى اعتصاب او شكوى منهم وهذا يدل على حسن معاملته لهم

وصرف نوبل عدة اعوام في باريز ثم انتقل منها الى سان ريمو فبنى لنفسه « عشاً » جميلاً فيها . وبقي عازباً طول حياته جارياً على قول القائلين بان ارتباط المرء بالعائلة يثبط همته و يضعف عزيمته و يقلل نفعه للمجتمع الانساني . وقد توفي في سنة ١٨٩٦ وهو في الثالثة والستين من العمر وآخر ما عمله في حياته مساعدة للعلم هو دفعه نصف نفقات الرحالة الاسوجي اندريا الذي قصد القطب الشمالي راكباً منطاداً فلقي حتفه في تلك الاصقاع المتجمدة

الثروة والارث

وكان شغل نوبل الوحيد في اواخر سني حياته كما هو شغل من كان غنياً بدون عقب مثل سسل رودس وكارنيجي — تدبير طرق يصرف بها الاموال التي جمعها في حياته — وتقدر بمليوني جنيه — بحيث تعود بفوائد عظمى للجنس البشري . وكان يكره انتقال المال بالارث لاقربائه وكثيراً ما كان يقول لهم « لا تتكلوا على اموالي فانها سوف تذهب لغيركم بعد وفاتي » وقال يوماً لاثنين من اخص اصدقائه : « علمتني التجارب ان الثروة التي ينالها الانسان بالارث لا تجلب له السعادة الحقيقية وتكون واسطة لاماتة كل قواه العقلية . واني انصح لكل غني بان لا يترك لاقربائه سوى النزر اليسير من ماله بحيث

يكفيهم في بدء حياتهم لتدبير اشغال يتعيشون منها والا فتكون ثروته قد اماتت استقلالهم الذاتي الذي يحصلونه بجدهم »

وقال ايضاً لاحد محدثيه « انني لا اريد ان اترك شيئاً من مالي لمن يقدر على الشغل فاعوده على البطالة والكسل ولكني اهب منه بكل سرور كل من يسعى في ترقية البشر ولا يكون ينقصه غير المال »

تقسيم الجوائز وتوزيعها

وعلى هذه القاعدة الشريفة كتب الفرد نوبل وصيته الآتيه

تقسم فائدة اموالي الى خمسة اسهم متساوية توزع سنوياً فيعطى سهم منها في كل عام لاعظم مكتشف او مخترع في الطبيعيات . وسهم لمن يخترع اعظم اختراع في الكيمياء او يفوق على اقرانه فيها في ذلك العام . وسهم للمجيد او المكتشف في الطب والفيسيولوجيا . وسهم لمؤلف افضل كتاب ادبي فلسفي . وسهم لمن يكون اكثر سعياً في تاييد السلم العام وابطال الحروب او تخفيف شرورها

اما توزيع هذه الجوائز فيكون كما ياتي

تعطي اكاذمية العلوم الاسوجية الجائزة الاولى والثانية . وتعطي كلية كارولين في استوكهلم الجائزة الثالثة واكاذمية ستوكهلم الرابعة واما الجائزة الخامسة فتمنحها لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء ينتخبهم البارلمان النروجي . ولا اخصص جوائزي بامة من الامم او بدين من الاديان لكي يعلم الجميع ان العلم الصحيح لا تغيره الظواهر ورغبة في ان لا ينالها الا المستحق

والذي حدا بنوبل لان يكتب هذه الوصية هو ما شاهده في مدة حياته من ان مجازاة العلم قليلة للغاية وان اكثر العلماء والمخترعين يعيشون ويموتون فقراء فلا يستفيدون من اختراعاتهم شيئاً وتذهب كل الارباح الى جيوب اصحاب المعامل . وقد خصص الجائزة الاولى والثانية بالطبيعة والكيمياء لشغفه بهذين النوعين ولانهما مورد ثروته وخصص الثالثة بالطب لانه كان يحب باستور محبة شديدة وجعل الجائزة الرابعة للادب والفلسفة لانه اولع في آخر حياته بمطالعة الشعر وكتب الفلسفة والادب اما الجائزة الخامسة فقد جعلها للسلم . ومن الغريب ان مخترع الديناميت وصاحب معمل المدافع والمتفجرات يطلب السلم . وقد ظن البعض ان ضميره وبخه على اختراعاته الجهنمية فجعل الجائزة الخامسة لكي يتخلص من وخز الضمير ولكن هذا الظن في غير محله لان نوبل كان يعتقد انه كلما زادت معدات

الحرب خطرًا قل عدد الحروب



﴿ الفريد نوبل واضع الجوائز ﴾

وربما كانت تغيرت الوصية لو قام اقرباؤه يطالبون بالمال ولكن ابن اخيه لم يشأ مخالفة وصية عمه · اما التركة فمنها نقود محفوظة في بنوك انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج ومنها اراضٍ واسعة في فرنسا وايطاليا ونروج · ويقدر الدخل السنوي بخمسين الف جنيه يُصرف منها ١٠ الآف جنيه نفقات فيبقى اربعون الف جنيه فيخص كل جائزة ٨ الاف جنيه · ويجب في توزيع الجوائز ان تهدى لاكثر اولئك العلماء اجادة في خلال السنة ويُعطى مستحقو الجائزة علاوة عن المال شهادة ومدالية ذهبية عليها رسم الفرد نوبل صاحب هذه الجوائز وكان موعد تفريق الجوائز للمرة الاولى في ١٠ دسمبر الجاري» اه

﴿ العلماء الذين نالوا هذه الجوائز في هذا العام ﴾ نقول وفي ١٠ دسمبر الجاري اجتمعت الاكاذميات التي تقدم ذكرها والبرلمان الاسوجي باحتفال عظيم حضره جلالة الملك والملكة وولي العهد ووزعوا هذه الجوائز بالاقتراع · فنال العالم فان توف الالماني جائزة الكيمياء والعالم برهن جائزة الطب والعالم رنتجن جائزة الطبيعيات والمسيو سولي بريدوم الشاعر الفرنسوي جائزة الادب والفلسفة · واما جائزة السلم فقد قُسمت بين المسيو فردريك باسي الفرنسوي والمسيو دريان السويسري · وكل جائزة من هذه الجوائز تبلغ قيمتها ثمانية الاف جنيه كما تقدم

فردريك باسي — اما المسيو فردريك باسي الذي نال نصف جائزة السلم فان الناس يلقبونه في فرنسا رسول السلام وهو شيخ قطع مراحل العمر في دعوة الناس الى الزامية التحكيم لفصل المشاكل التي تقوم بينهم · فانه لا يسمع بخلاف بين الدول حتى يمدّ يده

و يرفع صوته · وقد تداخل بين وزارتي الحرب في فرنسا والمانيا قبل اعلان الحرب في سنة ١٨٧٠ لمنع حدوثها فلم ينجح · ورام مقابلة بسمارك فتعذر عليه ذلك · و بعد هذه الحرب وقعت مشاكل جديدة بين فرنسا والمانيا وكادت تحدث حرب ثانية لهياج افكار الشعب الفرنسوي فزار المسيو باسي ادارات الجرائد الفرنسوية ليحملها على تسكين هياج الشعب فاجابه يومئذ مدير جريدة الطان اننا قد فقدنا كل سلطة على الافكار فقال له جربوا ذلك فجربوا ونجحوا في اخماد الهياج · وهكذا زال سبب الحرب

ولما شبت حرب الترانسفال كتب المسيو فردريك باسي كتاباً الى المرحومة فيكتوريا ملكة الانكليز يقول لها فيه انه على ثقة بان الملكة تكره هذه الحرب وان وزراءها اجبروها عليها ولذلك فهو ينصح لها ان تتنازل عن الملك ولا تلطخ ملكها بالدماء لعله يكون في ذلك تنبيه للشعب الانكليزي من سباته · فلم يرده جواب هذا الكتاب

و بالجملة فان المسيو باسي رسول التحكيم في العالم الآن يدعو اليه كل المتخالفين · وهو رئيس لجنة الزامية التحكيم في باريز · ولهذه اللجنة فروع في بلاد اخرى

المسيو دريان — اما المسيو دريان الذي نال النصف الثاني من جائزة السلم فهو الرجل الكريم الذي انشأ جمعية الصليب الاحمر لمساعدة المرضى والجرحى في ساحة الحرب · وسبب ذلك ان المسيو دريان حضر واقعة سولفرينو بين الفرنسويين والنمساويين في حرب تحرير ايطاليا فهالته حالة الجرحى والقتلى في ساحة الحرب · وكان عدد هؤلاء في هذه الواقعة ٤٠ الف جندي · فعاد الى اوربا وكتب سفراً عنوانه «تذكار سولفرينو» وصف فيه تلك الحالة الهائلة وصفاً مؤثراً · ثم طاف اوربا كلها يدعو الانسان الى الرفق بالانسان في ساحة القتال · فقابل الملوك والعظماء وكتاب الجرائد واخذ يحرك الهمم حتى تحركت فعقدت الدول في سنة ١٨٦٣ مؤتمراً في جنيف قررت فيه شروطاً كثيرة في غاية الرفق والانسانية · وهو مؤتمر جنيف المشهور · ومن جملة هذه الشروط اعتبار الجرحى والممرضين واطباء جمعية الصليب الاحمر في ساحة القتال مسالمين لا محاربين اي على الحياد مع اي فريق كانوا · وكان دريان قد انفق كل ثروته في تاسيس جمعيات الصليب الاحمر حتى افتقر · ولو لم يُمنح جائزة نو بل الآن لمات شيخاً فقيراً منسياً من هذه الانسانية التي وهبها كل ماله وخدمها انفع خدمة

فانْ توف — وفان توف حائز جائزة الكيمياء رجل الماني اصله من هولانده وهو عالم

كيماوي مشهور ولكنه ليس بشهرة برتلو . وقد اشتهر هذا العالم باكتشاف كان له دوي شديد في عالم العلماء وهو اثبات ان الفحم والمتبلورات مؤلفة من دقائق كل واحدة منها جسم مستقل بنفسه و بتركيبه وهندسته . ولقد بنت مدينة امستردام في عام ١٨٩١ لفان توف معملاً ومنزلاً وتعهدت له بكل ما يحتاج اليه لتصرفه عن الذهاب الى مدينة لبزيج التي كانت تستدعيه ولكن مدينة برلين فويت عليها و بنت له معملاً عظيماً يشتغل فيه حينما يريد وجعلته استاذاً في احدى مدارسها العليا يلقي فيها الدروس على ارادته غير مقيد بزمان . وهو الآن مقيم فيها هنئ البال

سولي بريدوم — اما المسيو سولي بريدوم حائز جائزة الادب الكتابي والفلسفة فهو شاعر مشهور بسمو الافكار وعضو من اعضاء الاكاذمية الفرنسوية . ولما ورد الخبر بنيله جائزة الادب تواردت عليه الرسائل من كل جهات فرنسا . قال المسيو بريدوم لاحد محدثيه « واصحاب هذه الرسائل هم من رصفائي الشعراء ولا سيما المبتدئين منهم وكلهم يطلبون فيها مساعدات تمكنهم من اتمام دروسهم . وقد بلغ الى الآن قيمة المطلوب مني اضعاف اضعاف الجائزة . منهم واحد يقول انه يكتفي مني بمائة فرنك في كل عام اعينها له ليطالع بها اشهر المؤلفات الفرنسوية » فسأله محدثه فماذا عزمت ان تصنع بالجائزة . فاجاب انني سابذل جهدي في مساعدة المبتدئين من الكتاب ولا سيما رصفائي الشعراء لاظهار مواهبهم وتمهيد الطريق امامهم

رنتجن — اما رنتجن حائز جائزة الطبيعيات فهو عالم طبيعي الماني مشهور باكتشافه المعروف باشعة رنتجن . وقد اكتشف هذا الاكتشاف في عام ١٨٩٥ فكان له طنين في كل البلاد . وبواسطة هذه الاشعة يستطيع الجراح ان ينظر في داخل جسم الانسان كما ينظر في صندوق يفتحه . بل ان هذه الاشعة صارت تغني عن فتح الصناديق في الجمارك لان الناظر بواسطتها ينظر ما في الصندوق دون فتحه . وسن رنتجن اليوم ٥٦ عاماً وقد ولد في لينب من اعمال بروسيا

هذا وسنسمع دائماً في شهر دسمبر من كل عام بجوائز نوبل واسماء الذين ينالونها من العلماء . ولكن كثيرين يرون ان التوزيع الاول دل على ان الموزعين لا يوزعونها على مستحقيها . فان الكونت تولستوي والمسيو برتلو واللورد سبنسر واللورد كلفن والدكتور كوخ والدكتور رو لم ينالوا شيئاً منها مع انهم اشهر من الذين نالوها . اما تولستوي فانه نال ثلاثة اصوات

على جائزة الادب الكتابي والفلسفة التي نالها المسيو سولي بريدوم فكتب اليه جمهور من كتاب الاسوجيين وعلمائهم كتابًا يقولون فيه « انهم يعتبرونه شيخ الفلسفة والادب الكتابي في هذا الزمان وان لم ينل الجائزة »

هذه جوائز العلماء في الغرب وهذا قدرهم في تلك البلاد . اما في الشرق عندنا فانه يظهر ان جوائز ارباب العلم لا تكون الا من انفسهم . لانه لما قيل انه قد عُين مائتا جنيه لمن يؤلف احسن كتاب في تاريخ مصر سألنا فوجدنا ان هذا التعيين من ادارة رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء

الحرارة في جوف الارض

﴿ قياس فعلي جديد ﴾

يقول العلماء ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المواد التي فيها ولكنهم لم يختبروا هذا القول قبل الآن اختبارًا ينفي كل ريب ويعين درجات الحرارة المذكورة . وقد نقلت المجلات العلمية الواردة في هذا الاسبوع ان حكومة بروسيا قد قامت بهذا الامر خير قيام لفصل الخلاف بين العلماء . وتفصيل ذلك انها بدأت منذ عام ١٨٩٣ في حفر ثقب في مدينة باوشوويتز قرب راتيبور في بروسيا وقد ظل الحافرون يحفرون بتأنٍ وصناعة حتى هذا العام فبلغوا الى عمق ٢٠٠٤ امتار في جوف الارض وهو اعمق ثقب حفره الحافرون الى اليوم . اما الامر الذي اكتشفوه في هذا الحفر فهو ان الحرارة في جوف الارض تزداد كلما ازداد الحفر . وقد قاسوا معدل هذه الزيادة فبلغت درجة واحدة من مقياس سنتيغراد في كل ٣٣ مترًا و١٠ سنتيمترات . وقد بلغت الحرارة عند فوهة الثقب على سطح الارض ٦ درجات وبلغت في قعر الثقب في جوف الارض ٦٠ درجة فتكون الحرارة قد زادت ٥٤ درجة . اما استدارة هذا الثقب فهي ٨٠ ميليمترًا

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب هذه الحرارة لاختلافهم في سبب نشأة الارض . فمنهم من يقول ان الحرارة في جوف الارض باقية من حين تكون هذه الكرة بانفصالها عن الكتلة الشمسية . ومنهم من يقول غير ذلك . والله اعلم

بولونيا والترانسفال

﴿ حديث حديث يذكر بالحديث القديم ﴾

بولونيا اخت الترانسفال في الحزن · نشاة بولونيا وتاريخها · اسباب هلاكها · ثوراتها وبسالة ابنائها · دائرة الترانسفال والدوران فيها · الامل في الحرية عند الشعوب المستعبدة

بولونيا والترانسفال · او الترانسفال و بولونيا : مَن جمع هاتين الكلمتين في سطر واحد وهاج شجناً قديماً في نفس الانسانية · من اعاد ذكرى تلك الدولة البولونية التعيسة التي قتلتها بروسيا والنمسا و روسيا منذ مائة عام كما يقتل الجيش الانكليزي جمهورية الترانسفال في هذه الاعوام — لقد هاج هذا الشجن واعاد تلك الذكرى المؤلمة اطفال صغار من نسل تلك الامة سئموا من احناء الاعناق تحت نير الاستعباد السياسي فرفعوا رؤوسهم اللطيفة الصغيرة يحتجون برفعها على حقهم المسلوب وحريتهم المقتولة · وقبل تفصيل ذلك يجدر بنا ان ناتي على شيء من تاريخ بولونيا وتفصيل اقتسامها

﴿ بولونيا وقتلها ﴾

بولونيا دولة قديمة كانت واقعة بين روسيا والنمسا وبروسيا · واسمها مشتق من كلمة « بولاك » وهي في السلافية « السهل » لكثرة السهول فيها · اما اصل سكانها فهم من السلاف ايضاً وكانوا في بدء امرهم متفرقين قبائل قبائل كالعرب قبل الاسلام وهم يعيشون في شمالي اوربا حتى جبل الالب · واما اسماء قبائلهم فمنها المازوفيون والكروباتيون والبورموريون والسيلزيون والبولونيون · وهذه القبيلة الاخيرة هي التي اول ما خطر لها انشأ مملكة بتوحيد القبائل السلافية كلها · ففكر الجامعة السلافية اذاً فكر بولوني لا روسي

وكان عدد سكان بولونيا في عام ١٧٧٩ اي قبل الاقتسام الاخير ١١ مليون نسمة · اما اليوم فان عددهم في الاحصاء الاخير يبلغ اربعين مليوناً موزعة في الممالك الثلاث التي اقتسمتها · والبولونيون في بروسيا والنمسا اكثر عدداً واقوى ساعداً منهم في روسيا

اما بدء اجتماع البولونيين فهو بدء تنصرهم · فان اول زعيم لهم يعرفه التاريخ هو الزعيم بياست الذي يلقبونه الدوق ميسكو وقد اقترن هذا الدوق في عام ٩٦٥ بالاميرة ديبراوفكا

ابنة دوق بوهيميا فجعلته زوجته هذه يترك الوثنية ويعتنق الديانة الكاثوليكية . وربما كان في هذا الامر قضاء على بولونيا من اول نشاتها لان اعتناق البولونيين الكاثوليكية جعل بعد ذلك بينهم وبين جيرانهم الروس الذين اعتنقوا الارثوذكسية حرباً للموت . ولو ان هذه الصدفة التي جعلتهم يعتنقون الكاثوليكية جعلتهم يعتنقون الارثوذكسية بدلاً منها فربما كانوا حفظوا حياتهم الى الآن والفوا مع جيرانهم الروس دولة عظيمة لم يرَ التاريخ مثلها بدلاً من ان تقتسمهم الدول التي تجاورهم

ومنذ هذا الزواج عظم شان البولونيين . وفي عام ١٠٠٠ للميلاد زار الامبراطور اوتون العظيم امبراطور المانيا بولسلاد نجل الزعيم ميسكو الذي تقدم ذكره ورفع عن راسه تاجه الامبراطوري ووضعه على راس بولسلاد علامة على انه صار من اصدقاء الامبراطورية . ثم اشتد ساعد بولسلاد فحارب الالمانيين والبوهيميين وكان اول زعيم بولوني هاجم الروس فوصل في غاراته عليهم الى مدينة كييف واستولى على اقليم تشرفنسك وعين اسقفيات في بلاده ثم نادى بنفسه في عام ١٠٢٤ ملكاً على بولونيا . وكانت روسيا لم تعتنق الديانة المسيحية بعد فرغب هذا الملك في دعوتها اليها بالقوة . وكان شديد الشكيمة قوي السلطة والشعب يطيعه ويحبه لقوته وصرامته . ولكنه من سوء حظه امر بقتل احد الاساقفة ويدعى ستانيلاس فغضب الشعب عليه فاضطر الى الفرار من بولونيا وترك مشروعه الروسي وربما كانت هذه الحادثة قد غيرت تاريخ بولونيا كله كما تقدمت الاشارة

اما خلفه فقد كان ضعيف السلطة ولذلك بداء في ايامه الداء الذي اودى ببولونيا وهو الفوضى في الاحكام وضعف السلطة الحاكمة . فقد تالف في بولونيا في ذلك العهد احزاب كثيرة من النبلاء والاكليروس والجند وقويت سلطة هذه الاحزاب حتى صارت دولة في الدولة . ولم ينحصر ذلك في هذا الامر بل ان بولونيا انقسمت قسمين فقسم سمي بولونيا الكبيرة وهو في الشمال الغربي يحكمه امير من نسل بياست الزعيم الاول وقسم سمي بولونيا الصغيرة وهو في الجنوب الغربي يحكمه امير آخر من نسل بياست المذكور ايضاً . وما زالت هاتان الامارتان في منازعات وحروب حتى كانت غارة التتر والمغول على بلادهما في عام ١٢٤١ فاتحدت الامارتان وثبتتا في وجه القبائل التترية ثباتاً عجيباً ادهش الناس وانقذ اوربا كلها من الهلاك . اذ لو قهر التتر والمغول البولونيين فربما كان السيل التتري جرف اوروبا كلها

وبعد ذلك رات الامارتان ضرورة اتحادهما لا سيا وان المانيا بدات تقوى وتتحرك

نحوها والروس كذلك ٠ فعادتا الى الاتحاد وقررتا ان كل واحدة منهما لا تعين اميرها الا بموافقة الامارة الاخرى ثم عين مجلس نيابي لمراقبة اعمال الملك في وقت كان يجب فيه تقوية السلطة الملكية لا اضعافها ٠ وكان في اكثر المدن مجالس نيابية صغيرة لا تقدر الحكومة على صنع شيء فيها او ادخال امر جديد اليها من غير موافقتها ٠وقد بقيت بولونيا في هذه الفوضى الى ما شاء الله

اما الدول التي حولها فانها كانت تكبر شيئاً فشيئاً فان الروس اخذوا يؤلفون دولة ٠ و بروسيا كذلك ٠ وتركيا كانت تتهدد بولونيا فاصبحت هذه المملكة فريدة في وسط جيرانها يخطر لها ان تحالف هنغاريا و بوهيميا لمقاومة تركيا و روسيا والمانيا ولكن نظامها السياسي كان يحول دون اي عمل تريد عمله لتشعب الآراء والسلطات فيها ٠ وكان شانها يومئذ شان النمسا والمجر اليوم من حيث الاختلاف والنزاع على المصالح السياسية ولذلك يتنبأ الساسة اليوم بمصير النمسا الى ما صارت اليه بولونيا

ولقد احس بهذا المصير كثيرون من عقلاء البولونيين في ذلك الزمان منهم اور زيشوسكي وكريتيوس في اواخر القرن السادس عشر ولكن اصواتهم ذهبت في الهواء وفي عام ١٦١٢ شبت نار الحرب بين بولونيا واسوج فضعفتا كلتاهما واستفادت روسيا من ضعفها ٠ الا ان سيجيسمون ملك بولونيا تداخل على اثر ذلك في شؤون روسيا الداخلية ورام تعيين ابنه ولاديسلاي قيصراً لروسيا فرفض الروسيون مداخلة الاجانب في شؤونهم وعينوا قيصراً منهم ٠ وفي اثناء ذلك اخذ البولونيون يضطهدون الارثوذكس في بلادهم فتداخلت روسيا لحمايتهم وثار قسم من بولونيا عليها باغراء القوزاق الذين فيها ٠ وحينئذ بلغ الاضطراب في بولونيا اشده واستفحل امر الاحزاب الى حد لم يسبق له نظير ٠ فان مجلس النواب قرر انه لا يجوز للحكومة ان تعمل اي عمل كان اذا عارض فيه بضعة من الاعضاء فصار الملك اسماً بلا مسمى ٠ ولكنه كان يحل مجالس النواب كلما عارضته ٠ فنشاء عن ذلك اختلال عام واخذ الشعراء البولونيون يتنبأون بسقوط دولتهم ولا غرو فان الشعراء كالطيور تعلم بالزوبعة قبل حدوثها ٠ وقد قال الشاعر تواردوسكي « نخشى اننا لكثرة ما نحل المجالس ننتهي الى حل دولتنا » وقال كوشوسكي « ان الله صنع العالم بكلمة واحدة وهي « كن » اما نحن فاننا سنفقد بولونيا بكلمة واحدة وهي « اعتراض مجلس النواب » وقال مورزتين « ماذا تحتاج بلادنا ٠ امجداً عسكرياً ام سلاحاً ام خبزاً ٠ كلا فلديها شيء كثير من هذا ٠ ولكنها تحتاج الى حكومة »

وفي هذا الحين صار لروسيا في فارسوفيا قاعدة بولونيا سلطة عظيمة حتى انه صار السفير الروسي يدير مجلسها النيابي كيفما يشاء وعظم اختلاف العناصر البولونية وغير البولونية في داخل البلاد فاتفقت عليها روسيا وبروسيا وكان الملك فردريك ملك بروسيا اول من اقترح اقتسامها للاستراحة من اضطراباتها الداخلية والخارجية فرضيت روسيا به واقنع فردريك النمسا بوجوب ذلك فجرى اول اقتسام في ٢٥ يوليو من عام ١٧٧٢ · اما البولونيون فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولكنهم لم يكونوا قد بنوا حصوناً في بلادهم ولا انشئوا جيشاً منظماً ولا اعدوا اسطولاً وكانوا متفرقي الكلمة والقوى فدارت الدائرة عليهم · وفي عام ١٧٩١ عادت بروسيا الى بولونيا فجرى اقتسام ثانٍ وفي عام ١٧٩٥ جرى اقتسام ثالث كان به القضاء على حريتها واستقلالها

اما الاهوال التي لاقاها البولونيون فانها صارت مضرب المثل فانهم لما تحققوا زوال استقلالهم قاموا يطلبون الموت من كل صوب وحدب فذبحت نساؤهم وصبيانهم وشيوخهم في الثورات التي ثاروها على اسيادهم ولكن دماءهم ذهبت هدرًا ولم تغنِ شيئاً · ولما جاء نابوليون الاول انخرط كثيرون منهم في جيشه وحاربوا روسيا والمانيا والنمسا مستميتين فثاروا لانفسهم اشد ثأر ونبغ منهم كثيرون من اكابر القواد · وكان نابوليون يعدهم بانقاذ بولونيا واعادة استقلالها اليها ولكنه لم ينجز وعده

اما الدول التي اقتسمتها فقد صرفت همها الى افناء لغتها وتقاليدها القديمة لتنسيها ماضيها ولذلك تحرم التعليم باللغة البولونية · وقد حدث في هذا العام انه صدر امر الامبراطور غليوم بتدريس التعليم المسيحي في المدارس الابتدائية البولونية باللغة الالمانية بدلاً من البولونية فتمنع صغار البولونيين في مدينة وارشين من درس التعليم المسيحي بالالمانية فاخذهم المعلمون فجلدوهم حتى ادموهم ثم سجنوهم في المدرسة · فلما رات ذلك امهاتهم هاجمن المدرسة وانقذن اولادهن منها بعد رجمها بالحجارة · فقبض البوليس على بعض النساء والرجال وحكم عليهم بالسجن عقاباً لهم فهاج لذلك البولونيون في روسيا والنمسا انتصارًا لاخوانهم في بروسيا وتظاهروا مظاهرات اهانوا فيها المانيا وسحبوا في الوحل شعار القنصلية الالمانية في فارسوفيا

هذه لمحة من تاريخ بولونيا المسكينة ولا يزال كثيرون من ابنائها متفرقين في اقطار اوربا يدعون الى حريتها واستقلالها وفيهم نخبة من العلماء ورجال العقول والاقلام وقد كتب كثيرون من نابغي كتابهم كتباً عديدة في الفظائع التي صُنعت في بولونيا مما

ابكى الجماد وجعل اسم البولوني مقروناً بالقوة الشهامة وحب الموت في الدفاع عن ذويه ·

﴿الترانسفال وحربها﴾

واما الترانسفال فانها تشبه بولونيا ولا تشبهها · تشبهها من حيث انها ستصير بعد حين الى ما صارت اليه بولونيا ولا تشبهها من حيث انها كانت مستعدة للحرب استعداداً كافياً وكانت سلطتها مؤيدة في داخل بلادها ولم يكن فيها شيء من الاضطرابات والقلاقل التي تضعف الممالك والدول ·

ولقد مضى اكثر من سنتين والحرب دائرة في جنوبي افريقيا دون ان يخضع البوير او يضعف لهم ساعد مع ان عدد المحاربين منهم الآن في الترانسفال والكاب واورانج والناتال لا يتجاوز ١٥ الف مقاتل وعدد الجيش الانكليزي اكثر من مائتي الف مقاتل · وهذا ما حدا الناس في الشرق الى تشبيه هذه الحرب « بالموال الافرنجي » الذي لا ينتهي وجعل الناس في الغرب يشبهونها بدائرة يدور فيها الانكليزي والبويري دون ان يدركا نهاية · وهذا التشبيه مرسوم في الرسم الاول فانك تجد فيه دائرة مرسومة وفيها جندي من البوير يدخن غليونه وهو سائر يتبختر ووراءه جندي انكليزي يطارده ويدور وراءه في هذه الدائرة على غير فائدة · وهكذا تدوم الحرب الى ما شاء الله



حرب الترانسفال عبارة عن دائرة يدور بها الانكليز والبوير دون ان تنتهي

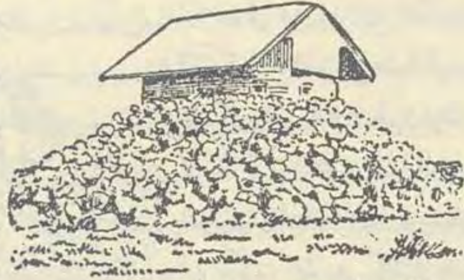
لكن من يعلم ان الحكومة الانكليزية تنفق على هذه الحرب في كل شهر ١٢٥ مليون فرنك لا بدّ ان يعجب لهذا الصبر الغريب والعناد العجيب وينتظر ان يكون اللورد كتشنر قد جرب شيئاً لانهائها · وفي الحقيقة ان اللورد كتشنر قد صنع شيئاً من هذا القبيل · وهذا الشيء صغير بحد ذاته كالحركة الصغيرة التي قهر بها اللورد روبرتس البوير في وقائعهم معه

وبيان ذلك بالاختصار ان قواد حرب الترانسفال قبل اللورد روبرتس كانوا يهاجمون البوير مواجهةً فيقف البوير في وجوههم ويطلقون عليهم ناراً حامية حتى يرجعوهم · ويذكر القراء ان الجنرال بولر هاجمهم ثلاث مرات عند نهر التوجيلا لانجاد لاديسمث المحصورة

وفي المرات الثلاث كانوا يردونه برصاصهم · فلما جاء اللورد روبرتس وهاجمهم في المرة الاولى من جهات كمبرلي المحصورة ثبتوا في وجهه وحاولوا صدَّه ولكن اللورد روبرتس قائد نبيه فانه ما تحقق ثباتهم في وجهه حتى مد خطوط جيشه ورام ان يدور من ورائهم ليوهمهم انه يبغي الاحاطة بهم · فلما ابصر البوير هذه الحركة عادوا القهقرى خوفًا من الانحصار ·

وهكذا اكتشف اللورد روبرتس سر النجاح معهم فصار كل ما لقيهم لا يهاجمهم ولكنه يمد خطوط الجيش و يُظهر انه يروم الاحاطة بهم فيفروا من بين يديه كالعصافير من مخالب الباشق · وقد اسر الجنرال كرونجه وجيشه امام كمبرلي لانه لم يستطع الفرار سريعاً قبل احاطة فرسان الجنرال فرنش بجنوده

هذا هو السر الذي اكتشفه اللورد روبرتس في هذه الحرب وكان مفتاح نجاحه ولكن بعد ان عاد اللورد روبرتس الى انكلترا وتفرق البوير شراذم شراذم لحرب المناوشات لم يعد ذلك السر نافعاً · فلجأ اللورد كتشنر الى امر آخر وهو بناء الحصون والمراكز العسكرية في السهول والقفار لتلجأ الجنود الانكليزية اليها وتحارب شراذم البوير منها · وهذه المراكز مبنية فوق آكام من حجارة على مسافة ميلين او ثلاثة بعضها عن بعض واليها ينسب اللورد كتشنر ما ناله من النجاح في المدة الاخيرة · و يقول العارفون ان البوير لا يخضعون و يسكنون حتى تمتلىء اراضي بلادهم سهولها وجبالها بحصون كهذه الحصون · وقد رسمنا في الشكل الثاني احدها


المراكز العسكرية الجديدة التي يُرجى اخضاع البوير بها

ومع ذلك فاذا خضع البوير الآن فان مثال بولونيا التي تنتفض وتنتقض من حين الى حين يدل على صدق قول المتنبي

وان الجرح ينفر بعد حين   اذا كان الشفاء على فساد

وهذا يذكرنا قول من قال « لا يجب ان تقطع الامم المستعبدة املها من الحرية مهما طرأ عليها لان المستقبل مثقل بالفواجىء والمباغتات · ولكن عليها ان تحفظ نفسها اي ان تصون لغتها وعاداتها ولا تفنى في سيدها · فالامر المهم هو ان تبقى ثابتة كامةٍ واما حريتها فتاتي نوبتها في المستقبل الابدي »



كلام للقراء عن موضوع رنان

﴿ بضع رسائل ﴾

لما نشرنا ترجمة بوذه في السنة الماضية قلنا اننا سننشر تراجم اصحاب الشرائع اليهودية والمسيحية والاسلامية كما يكتبها العلماء وكما يكتبها المتكلمون اي علماء الدين. ولم يكن الغرض من ذلك ذكر التراجم ذكرًا دينيًا وانما كان الغرض ذكر تلك الحوادث العظيمة الماضية باسهاب يُطلع القراء على حالة الوَسط التاريخي الذي كان في ايام اصحاب هذه الشرائع لان تلك الحوادث هي اعظم الحوادث البشرية التي غيرت وجه العالم ومن الواجب الاطلاع عليها . وقد خصصنا في الاجزاء الاخيرة وفي هذا الجزء كلامًا للفيلسوف رنان عن تاريخ السيد المسيح وكنا نؤمل ان يكون له من الجهة التاريخية وقع عظيم لدى القراء لما فيه من الوصف التاريخي الذي جردناه عن كل ما يخدش الاذهان. فيظهر من الرسائل التي تراكمت علينا ان املنا كان في محله بل انه تجاوز محله وقد ارتاح جميع القراء الى المباحث التاريخية اللطيفة التي وردت في هذا السياق

على ان الرسائل قد تكاثرت علينا الى حد يوجب علينا الاشارة اليها ونشر شيء منها. فنبدأُ بالرسالة التالية

كتب الينا صديق من سوريا يقول:

« لما رأيتُ عنوان كتاب رنان في الجزء الثاني من الجامعة قلت سقيًا لكِ يامصرام الحرية التي صارت اقوال رنان تُترجَم فيكِ . ثم سررتُ بان الجامعة عملتْ عملاً يدلُّ على استقلالها وعدم خوفها في ما تنشره لومة لائم. ولكن بقدر سروري حين وقوع نظري على عنوان الكتاب كان استيائي حين قراءتي مقالات رنان في الجزء الاول والثاني والثالث. فانني كنتُ كلما اقرأُ لا اشتم شيئًا كثيرًا من رائحة رنان بل كنت ارى ان الجامعة تصرفت بالكتاب الذي « قطع رنان عمره في كتابته » تصرفًا اخرجه عن موضوعه الاصلي . ولو عاد رنان الآن من قبره الازلي لانكر هذا التلخيص الذي شوَّه فكره ولما عرف كتابه . فكيف تستجيز مجلة كالجامعة هذا التصرف. وهل تطيق ان ياخذ احد احدى مقالاتها ويقلبها الى غير الغرض المقصود بها بحذفه كل ما لا يريده منها

« ومما اضحكني ان احد المعارف بعد مطالعته جميع مقالات رنان في الجامعة جاءني

وقال : حقاً ان الاكليروس في اوربا على غاية من التعصب . فسألته ولماذا . فاجاب انني قرأت تاريخ رنان في الجامعة فلم اجد فيه شيئاً يستحق الاضطهاد الذي لقيه منهم مؤلفه . فضحكتُ حينئذ واجبته : ليس الذي قرأته في الجامعة تاريخ رنان ولكنه تلخيص رنان فاذا شئتَ رنان الحقيقي فاقرأه في كتابه المطول تعلم مقدار التصرف الذي تصرفت به الجامعة لتهوّن على الناس قراءته . وحينئذ مثلتُ له الجامعة واقفة بازاء رنان « تشمط » اذنه من هنا وتدفعه من هناك وتقطع من ثوبه من هنالك ثم لم اتمالك ان قلتُ ضاحكاً ان رنان اذا التقى بحضرة منشىء الجامعة في اليوم الاخير فانه يناقشه الحساب على ذلك

« والخلاصة انني آسف لان الجامعة لم تنقل هذا الكتاب كما كتبه مؤلفه لاننا نعتبر انها تحرص على مبادىء الحرية وصدق النقل في ما تنشره حرصاً ما وراءه حرص . وعندي انه خير للجامعة ان لا تنقل هذا الكتاب من ان تنقله وتحذف منه ما تظن حذفه واجباً الخ ... »

وكتب الينا احد القراء الافاضل من اميركا يقول :

« ان القراء ينتظرون وصول الجامعة كما ينتظر الظمآن الماء لمتابعة مقالات رنان وغيرها من مباحث الجامعة الجامعة . ويسرني ان اخبر جنابكم ان تلك المقالات قد حازت رضى العموم مهما كانت اعتقاداتهم لانهم يقرأونها كما يقرأون تاريخاً لا كما يقرأون بحثاً دينياً فاذا وجدوا فيها شيئاً غير منطبق على اعتقادهم اغضوا عنه وتركوه والتفتوا الى المسائل التاريخية التي صرف رنان عمره كما قلتم في البحث فيها . ومما يساعدهم على هذا الاعتدال في الاميال والافكار هواء الحرية هنا الذي ينعش الصدور ويجلو الجهل عن العقول ويعلم ان البشر انهم اخوان ومن طبيعتهم الاختلاف في الاراء والمذاهب فيجب ان يحملوا بعضهم بعضاً كما يقول المثل والا كان العالم كله عبارة عن ساحة حرب ونزال فنرجوكم ان تكثروا من هذه المباحث وحبذا لو ملأت كل مقالة من تلك المقالات في كل جزء نصف صفحات المجلة »

اما كاتب الرسالة التالية فهو من اصدقاء الجامعة ولكنه يصرخ كانه ينفخ في بوق

« سلام في سلام .. اما بعد فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فكل شجرة لا تُعطي ثمراً تُقطع وتُلقى في النار . فنرجو منكم ان تكملوا هذه المباحث ولا تتصرفوا بها كما ذكرتم في ترجمة مؤلفها . وانما نطلب ذلك بنوع خصوصي لنقرأ ما قاله فيها رنان عن

الكهنة اليهود فانه قد بلغني ان رنان وصفهم وصفاً ينطبق عليهم وعلى اكثر كهنتنا لتشابه الحالتين • فلا تلطفوا اللهجة هناك اذ ليس فيها ما يمس المذاهب قطعياً بل انها نافعة للشعب لانها تنبهه الى مصالحه الحقيقية وهي مراقبة اعمال رؤسائه وطلبه الاشتراك معهم في ادارة شؤون الطوائف والعمل لمنفعتها لا لمصلحته • فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فدعوا رنان يضرب ولا تخففوا ضرباته »

وكتب صديق قريب من الجامعة جدًّا يقول « قد يستاء بعض البسطاء والجهلاء من مقالات رنان لانهم لا يفهمونها فهم معذورون واذا فهموها اوَّلوها الى غير المقصود منها • اما انا فلو سُئلتُ عن رايي الشخصي في هذا الموضوع لاجبتُ اني قرات الصيف الماضي كتاب « تاريخ المسيح » لرنان وارى ان هذا الفيلسوف مع ما يتهمونه به من انكاره المسيحية لهو في الحقيقة كما يقول عن نفسه « الماشي على خطوات المسيح » وليس غريباً ان يُضطهد الرجل لتصريحه بحقائق يثقل سمعها لاول مرة فالمسيح قبله صلبوه لانه قال ما يقوله الآن رنان من وجوب عبادة الله بالروح والحق لا بغير ذلك من الامور التي لا يُفقه لها معنى »

هذا ما اكتفينا به من الرسائل العديدة التي وردتنا بهذا الشان • وعليها نردّ بقولنا — ان صاحب الرسالة الاولى اخطاء بقوله اننا تصرفنا بكتاب رنان تصرفاً غير وضعه فاننا لم نتصرف بكتاب رنان ولكننا « حذفنا منه كل ما لا يجب ذكره احتراماً للمعتقدات» كما قلنا في ترجمة رنان في الجزء الثاني(الصفحة ٧٩ السطر الاخير) وذلك لان « غرضنا علمي تاريخي محض واما المساله الدينية الكبرى فلا دخل لها هنا » وهكذا قلنا في الصفحة ٨٠ ايضاً • وانما حذفنا ذلك لسببين الاول ان رنان تطرف في بعض الاقوال تطرفاً لم يبنه الا على الظن والتخمين وقد اشار الى ذلك في مقدمة كتابه • فما الفائدة من التعب في نقل الظن والتخمين • والسبب الثاني ان عدد صفحات الكتاب ٥٥٢ صفحة فلو نقلناها كلها لملأت اجزاء كثيرة من الجامعة • اما قول المراسل انه يجوز لرنان ان يناقش الجامعة الحساب على هذا التصرف فنرده بكلمة واحدة وهي ان رنان نفسه قد راى في حياته وجوب تلخيص كتابه وحذف كل ما يخدش اذهان المؤمنين منه فلخصه في كتيب صغير يقراه المسيحي وغير المسيحي بسرور وهو يباع للشعب الفرنسوي بفرنك مع ان ثمن كتابه الكبير سبعة فرنكات ونصف • فهل تُلام الجامعة اذا صنعت ما صنعه رنان نفسه

وآخر ما نقوله بهذا الشان اعادة ما ذكرناه قبلاً وهو اننا لا نقصد بنشر هذا الكتاب

الا المواضيع التاريخية والاجتماعية منه · ونحترم ما بقي احترامًا يوجب علينا عدم الدخول فيه كما قال ديكارت لاننا ابعد الناس من البحث في القضايا الدينية ولاسيما في زمن كهذا الزمن · وقد قال لنا كثيرون من القراء انهم بحثوا كثيرًا منذ سنوات ليقفوا على وصف الاماكن المقدسة يوم ظهور السيد المسيح وكيف كانت حالة بني اسرائيل يومئذٍ وعلاقتهم بالرومانيين وذكر المبادىء التي كانت تختلج في نفوسهم ووصف مجامعهم ورؤسائهم وعلمائهم فلم يجدوا ذلك الا في هذه المقالات · نقول وهذا غرضنا من نشرها

اما صاحب الرسالة الثالثة الذي هو صاحب الفاس فاننا لا نقبل رايه وفاسه الا من جهة واحدة · ذلك لانه اذا كان في طبقة رؤساء الاديان في كل ملة ودين قوم يصح فيهم ما قالة رنان عن الفريسيين ففيهم ايضًا قوم افاضل بسطاء الاخلاق قد نبذوا الكبرياء والطمع في المال ونذروا الفقر والتواضع ووقفوا انفسهم لخدمة شعبهم وبني جنسهم · فالعدل يقتضي الثناء على هؤلاء حين ذم اولئك لئلا يؤخذ الصالحون بجريرة الاردياء وان كان الاردياء يتسلطون في اكثر الاحيان على الصالحين ويكون القول قولهم والفعل فعلهم · ولا ريب عندنا ان الفئة الصالحة من رؤساء الدين يفيدها ان تطلع على ما يقوله العلماء عن الامور الدينية لتاخذ من اقوالهم فوق ما تاخذه من مصادرها اليومية قوة تعصمها عن الوقوع في ما وقعت به الفئة الرديئة وتذكرها الحادث العظيم الذي ضُحيت فيه منذ ١٩ قرنًا اثمن فدية في هيكل التعصب والجهل والطمع والاستبداد ونسيان الدين الحقيقي

تاريخ السكر وصناعته

﴿ تاريخ استعمال السكر ﴾ السكر كلمة هندية معناها المحبب اي الجسم ذا الحب واصله من الهند والصين · اما ناقله من الهند الى اوربا وآسيا فهو احد قواد اسكندر المكدوني وقد عاد به من تلك البلاد في عام ٣٢٥ قبل الميلاد المسيحي ولم يكن معروفًا قبله · وكان اليونان يسمونه « عسل القصب » او « الملح الهندي » وكان نادرًا في بدء امره وغالي الثمن جدًّا فلم يكن يبتاعه احد غير الاغنياء · وبعد موت الاسكندر زُرع قصب السكر في بلاد العرب فاخذه الرومانيون منها ولكنهم كانوا يفضلون السكر الهندي على السكر العربي كما روى مؤرخهم بلينيوس

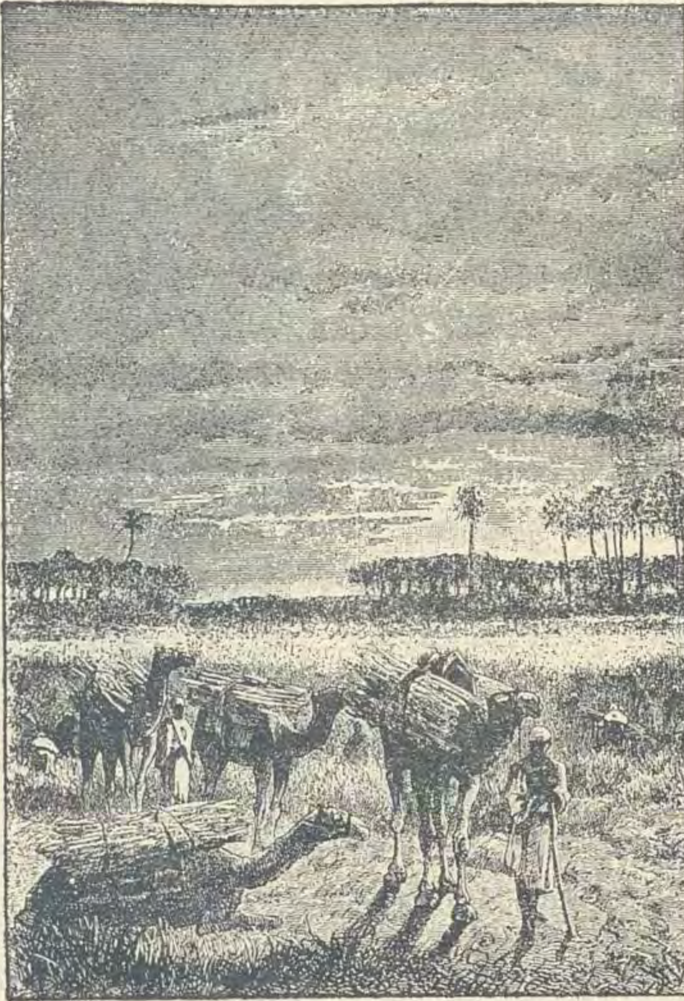


﴿ صبي مصري يمص قصب السكر ﴾

ولما حدثت الحروب الصليبية عاد الاوربيون من الشرق بشيء كثير من السكر ولم يكونوا قبل ذلك يستعملون للتحلية محلياً غير العسل. ومنذ هذا الحين احتكرت البندقية تجارته فكانت سفنها تفد على الاسكندرية لملاقاة السفن القادمة بالسكر من الهند . وكانوا لا يستعملون السكر حينئذ الا بمثابة دواء في الصيدليات لغلو ثمنه ولكن لما تكاثر وروده انخفض ثمنه وعم استعماله . وفي عام ١٤٩٧ اكتشف البرتغاليون راس الرجاء الصالح وكانوا اقوياء فاستولوا على تجارة السكر ثم تغلب الهولانديون واخرجوا هذه التجارة من ايديهم . وبعد ذلك تغلب الانكليز واخرجوها من ايدي الهولانديين . ولكن لم يات القرن السادس عشر والسابع عشر حتى انتشرت زراعة القصب في جزائر كناريا والراس الاخضر واميركا وجزائر الانتيل فاغنى سكرها عن السكر الهندي

﴿ اختراع عظيم ﴾ وكان السكر لا يُستخرج من قبل الا من قصب السكر ففي اول القرن الماضي حتم نابوليون الاول بحصر شواطىء اوربا وانكلترا لمنع المؤن عن انكلترا اذلالاً لها فامتنع بذلك ورود السكر الى اوربا . فاستدعى نابوليون بعض علماء الكيمياء وعهد اليهم ان يصنعوا سكرًا يقوم مقام السكر الطبيعي وكان بعض علماء الالمان يقول بوجود مادة سكرية في جذور البنجر (الشمندور) فتوفق المسيو ديليسر والمسيو تيبري الكيماويان الى استخراج السكر من البنجر فاكرمهما نابوليون اجمل اكرام لهذا الاختراع ومنذ هذا الحين خطت تجارة السكر خطوة واسعة

﴿ محصول السكر في العالم ﴾ ولما اعلن هذا الاختراع قاومه كل زراع القصب ولكن البنجر لم يلبث ان تغلب عليهم . ويبلغ الآن محصول السكر في العالم ٧ ملايين طن



﴿ قطف قصب السكر وحمله الى معاصر الدائرة السنية ﴾

ونصفاً منها خمسة ملايين طن تستخرج من البنجر والباقي من قصب السكر • ومن غرائب تجارة السكر ان فرنسا تصدر منه الى انكلترا شيئاً كثيراً فيباع الكيلوغرام الواحد في لندن بار بعين سنتيماً حالة كونه يباع في باريز نفسها بفرنك و٢٠ سنتيماً • وسبب هذه الغرابة ان الحكومة الفرنسوية تدفع جوائز للتصدير مساعدة للزراعة فيسهل على التجار الفرنسويين بيع سكرهم في لندن بثلث ثمنه في باريز

اما القطر المصري فقد اخذت زراعة القصب والبنجر تنتشر فيه منذ سنة ١٨٨٩ وهي مطردة الزيادة وقد وضعنا في هذا الفصل رسم قطف قصب السكر في مصر وحمله على الجمال الى معاصر الدائرة السنية ورسم صبي مصري يمص القصب بشراهة كانه يعلم انه يمص شيئاً كان يعز على اولاد الملوك مصه لندرته وغلاء ثمنه

نشر صفحات مطوية

﴿ من تاريخ آداب اللغة الانكليزية ﴾

(او شكسبير الحقيقي في مصر)

حضرة منشيء الجامعة الغراء

يزعم كثيرون من ادباء الانكليز ان الروايات المنسوبة لشكسبير اشعر شعرائهم ليست من تاليفه بل هي تاليف اللورد فرنسيس باكون الفيلسوف المشهور الذي يُعد هو وديكارت اول واضعي الفلسفة الحديثة . وقد افتتح في الاسبوع الماضي حضرة نجيب افندي شاهين بحثاً في جريدة « الاجبشن غازت » مثبتاً روايات شكسبير لباكون فرد عليه قوم وعضده اخرون . وبينما انا اطالع عدد الجريدة المذكورة الصادرة في هذا النهار وجدت فيها كتاباً بامضاء «بيكسبير» لا يخلو ذكره من فائدة . قال ذاك المراسل : —

« استعرت يوماً من المكتبة الخديوية كتاب خط قديم باللغة العربية وبينما كنت اقلب صفحاته عثرت فيه على اوراق مكتوبة باللغة الانكليزية وموقع عليها بامضا المستر جون بنت في حلوان بتاريخ ٢ يناير سنة ١٦٢٤ وكان المذكور قد قدم مصر كاتماً لاسرار اللورد باكون . وهو يذكر في كتابه عن سفر اللورد باكون الى القطر المصري وكيف ان الاطباء اشاروا عليه بالسفر الى جنوبي فرنسا لتبديل الهواء فقدم الى مرسيليا ووجد هنالك عدداً من ادباء البندقيين قاصدين الاسكندرية فاتى برفقتهم اليها ثم سار منها الى رشيد ثم الى بولاق حيث قُدم الى رئيس المماليك بصفة ابن الملكة اليصابات المتوفاة ونسيب الملك جيمس ومفتي انكلترا الاكبر . وكيف انه قوبل بالاجلال والاكرام . ويذكر ما يدل على ان باكون هو مؤلف الروايات ولكنه كان يصدرها وتمثل باسم شكسبير . الى ان يقول "كانت رواية " انطونيوس وكليوباترا " التي الفها سيدي في سنة ١٦٠٨ احب مؤلفاته اليه وبما

انه كان يحب النيل كتب في المشهد الثاني منها عن ارتفاع النيل وهبوطه وذلك قبل زيارته للبلاد . وعندما قدم القطر المصري وجال في كل انحائه اشار على حكامه بان يجعلوا سداً في مدينة اصوان ودرس الشريعة الاسلامية بواسطة مترجميه وباحث علماءها وشيوخها وعرض عليهم اقامة محاكم اهلية وتنصيب بعض الانكليز فيها . وكثيراً ما كان يقول لو درى ابناء وطني ما هي بلاد مصر لكانوا تواردوا عليها زرافات في طلب الرزق والصحة. وكان يحب اللغة العربية الفصحى ويسر بسماعها وقد تلقنها من العلماء واعجب برواية الف ليلة وليلة وكان في نيته ان يوءلف رواية يبنيها على قصة السلطان حسن الخ ..»

ويقول المراسل ان ذلك الكتاب محفوظ لحد الآن في المكتبة الخديوية ويطلب في حرف الجيم ١٠٥٦ و٣٥٦ الف فاذا صح ما قيل ولم يكن ذلك مزاحاً كانت تلك الرسالة فصل الخطاب ورُفع اسم شكسبير من عداد مشاهير الشعراء والروائيين

﴿ الياس عيساوي ﴾

﴿ الجامعة ﴾ كنا منذ اسبوعين نعدّ بعض المواد لترجمة باكون وديكارت موءسسي الفلسفة الحديثة فلما وردتنا هذه الرسالة راينا من الفائدة ترجمة باكون وشكسبير معاً . وسننشر ترجمتهما في العدد القادم . وحبذا لو اهتم احد من القراء في العاصمة بالبحث عن الكتاب الذي اشار اليه حضرة صاحب الرسالة

عادات واخلاق

﴿ بعض عادات مصرية عامية ﴾

يسمع القراء في خارج مصر بشهرة « حمّارة » مصر ولكن لم يروهم ولذلك وضعنا لهم في الشكل الاول رسم احدهم في اعظم مواقفه . وهو موقف يدل على ان « الحمّار » اكثر نباهة مما يظنه بعضهم وانه ذو قلب حساس كباقي البشر

وعلى ذكر الحمارة نروي طرفة لاحد السياح . فان هذا الرجل الشفوق كتب الى جرائد لندن يذم الحمارة لانهم يشدون لجم حميرهم ليعودوها رفع اعناقها وقال بعد هذا الذم انه يرجو من جميع السياح ان لا يركبوا الحمير التي تكون كذلك معاقبة لاصحابها وحماية لها لان هذا الشدّ يعذبها في بدء الامر عذاباً شديداً

﴿ حمّار نبيه ﴾

اما الشكل الثاني ففيه رسم بائع اللبن (الحليب) وعنزاته يطوف بها على المنازل والدور لبيع الناس لبنها سخناً جديداً . وهذه الطريقة افضل من طريقة حلب اللبن في وعاء والدوران لبيعه لان الشاري يكون على ثقة من ان اللبن الذي يشتريه غير ممزوج بماء قذر ولا شيء فيه من جراثيم الامراض المنتشرة في الطرق والاسواق . ولكن يُشترط

فيه ان تكون ثدي العنزة نظيفة من غبار الطرق ويد صاحبها الذي يحلب لبنها اشد نظافة منها . ولولا خوفنا من اشمئزاز نفوس القراء لذكرنا لهم ما وجده المجلس البلدي في لبن الثغر لما حلله تحليلاً كيماويًا . فننصح كل انسان ان لا يشرب لبنًا الا بعد غليانه على النار غليانًا شديدًا . ويحق لجميع السكان ان يعتبوا اشد عتب على المجلس البلدي الذي لا يراقب لبن المدينة ويوجب بيعه في آنية مقفلة مخصوصة كما في برلين واميركا على الخصوص



﴿ بائع لبن وعنزاته ﴾

اما الشكل الثالث فانه رسم اثنتين من الفتيات جامعات اعقاب السكائر . وهما واقفتان في المنشية تشاهدان المركبات الفخيمة الصادرة والواردة وتقولان اما في اولئك الاقوام رحمة فينشئوا لنا مدرسة تنتشلنا من هذه الوهدة وتغنينا عن هذه المعيشة . اما جمع اعقاب السكائر فالمقصود منه ان ينتشر الصبيان والفتيات في نواحي المدينة وقهاويها يجمعون فضلات السكائر التي يلقيها الناس بعد ان يدخنوها . ومتى ملأُوا الاوعية التي معهم عادوا وباعوا اعقاب السكائر الى باعة التبغ فيجمعها هؤُلاء ويصنعوا منها سكائر جديدة للبيع . . وقد اصدرت جزيزة جرسي الانكليزية منذ شهرين قرارًا قاضيًا بمنع جمع اعقاب السكائر لانه ثبت ان في تلك الاعقاب كثيرًا من ميكروبات السل وغيره من الامراض . فتأْمل



﴿ جامعات اعقاب السكائر ﴾

اما آداب هذه الفئة المسكينة فانها مما يفطر الفؤاد • وكثيرًا ما كنا مارين في المنشية فوقفنا بازائهم نتلاهى بامر ونصغي الى حديثهم على غير علم منهم فكنا نسمع عجائب ونرى غرائب • ولا لوم على هولاء المساكين الذين يعيشون من انفسهم كما يعيش النبت في البرية وينامون في ليالي الصيف والشتاء متراكمين بعضهم على بعض في زوايا الطرق ومنعطفات الشوارع وانما اللوم على الهيئة التي لا تلتفت اليهم ولا تفتح ابواب الرزق في وجوههم • فلو جمعتهم الحكومة من الاسكندرية والعاصمة وباقي مدن القطر مع كل المتشردين والتعساء الذين لا عمل لهم وانشأت منهم مستعمرة زراعية في السودان او في بعض الاطيان في مصر تستعملهم لزراعتها والعناية بها لقامت بالواجب عليها واستفادت وافادت في وقت واحد



﴿ الشكل الرابع ﴾

اما الشكل الرابع فهو رسم واحد من الشعب المصري جاء احد الكتبة العموميين وساله ان يكتب باسمه رسالة الى حضرة الوزير الخطير صاحب العطوفة مصطفى باشافهمي رئيس النظار ليقول فيها له : « يا صاحب العطوفة لقد سئمنا ونحن ننتظر من الحكومة التعليم الالزامي » وقد كتب الكاتب العمومي هذا الكتاب واذا كان لم يصل الى عطوفة المرسل اليه فالجامعة توصل هذا الامل الى عطوفته

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

ربين اولادكن بانفسكن

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — بالرمل

كما ان الله اعطى المرأة عملاً تعمله في هذا العالم اعطاها ايضاً مواهب تؤهلها له. قال رسكن « قد اعطى الله المرأة خمس مواهب . ان تسرَّ . ان تغذّي . ان تلبس . ان تحفظ الترتيب . ان تعلم » وعلى الامر الاخير مدار الكلام

ولا يُقصد بالتعليم ان تذهب المراة لتعلم في المدارس بل المقصود ان تستخدم قواها ومواهبها لتدريب وتعليم كل من حولها . وقد خصها الله بالصفات الداعية للنجاح في هذا التدريب والتعليم مثل الصبر والمهارة والشفقة وهي صفات قلما توجد في الرجل . وقد قالت احدى الكاتبات تخاطب معلمات المدارس: كم تصنعن من الخير بتخصيصكن وقتاً لتهذيب الفتيان لانكنَّ تستطعنَ ان تكملن فيهم ما لا يستطيع المعلمون الرجال ان يكملوه . ولذلك يضعون للصبيان في المدارس الاوربية الابتدائية معلمات بدلاً من المعلمين

والولد هو اكبر واصرح كتاب اوجدته الطبيعة فكم معلم تراه يغضب وينتهر تلامذته لعدم فهمهم ما يلقيه عليهم ويدعي ان غضبه ناتج عن غيرة ورغبة مع انه لو علم السبب لخجل . فان ذلك ناتج عن جهله بطبيعة الاولاد . ولو جرب وكتب بيده اليسرى لتعلم ان يصبر على الاولاد اذ يعلم ان كل ولد هو ايسر اي قواه غير ممرنة ولاجل ذلك وضعوه في المدرسة . فالمعلم الحاذق والمعلمة او الام الحاذقة يكونان هادئين باشين دائماً ويقبلان غلطات الاولاد وبلادتهم بصبر وابتسام وبالاخص اذا كانا يذكران سني صغرهم

واحسن تربية تكون للصغار هي ما قالته ام فاضلة انكليزية عن اولادها . قالت « اني اترك اولادي لنموهم الطبيعي وادعهم يختارون ويرفضون الخير والشر لانفسهم

بعد ان اظهر لهم ماهية الاثنين . واعودهم الاعتماد على النفس وقضاء حاجاتهم وان يكن عندي خدم كثيرون لان بذلك نفع عظيم لمستقبلهم . ولا اسمح لهم باللعب مساء ولا بعمل ما من شانه تنبيه اعصابهم لكي لا يزعج نومهم الهادىء اللطيف اللازم لنموهم الطبيعي . ثم انني اغرس فيهم حب الطبيعة . واول درس القيه عليهم هو عن الازهار والطيور والحيوانات ولا سيما الحشرات التي يستطيعون امساكها . واقنعهم بان لا شيء ادنى واقبح من الكذب . ولا شيء يجلب تعاستهم مثل عصيانهم سواء كان ذلك العصيان لمن يحكم عليهم او لنواميس الطبيعية . واريهم كيف يجلبون الامراض ويدفعونها عنهم وكل تربيتي لهم احصرها بثلاثة امور . وهي : ان الصحة الجيدة والاسنان القوية والطبع اللطيف تاتي من الطعام البسيط المغذي ومن كفاية النوم وصلاح الانسان . فاذا ارادت الام جعل الاولاد سعداء فلتجعلهم يلعبون كثيرًا وينامون اكثر ويا كلون اقل . لاني رايت هذه اصلح طريقة لاصلاح اجسامهم واخلاقهم . وكنت ايضًا اربي فيهم حب خدمة الغير على اختلاف اجناسهم لان بذلك سرورًا عظيمًا . وكنت اقابل دائمًا ذنوبهم بالاساءة وصلاحهم بالاحسان لان هذه افضل واسطة لتربية الاولاد . واذكر دائمًا انه يجب القصاص ولكن ليس بقضيب من حديد لان راس الولد يجب ان ينحني ولكن لا ان ينكسر . ويجب ان تخضع روحه ولكن لا ان تنسحق

«واول ما يجب ان يتعلم الولد ايضًا هو ان يحترمك . وربما تضحك كل ام عند سماعها هذا ولكن لتذكر ان حب الولد لامه غير احترامه لها . فان كل الاولاد يحبون امهاتهم ولكن لا يحترمونهن كلهم . وكثيرات من الامهات تخسرن احترامهن من شدة شفقتهن على اولادهن»

وقال رسكن ان تربية الولد تبتدىء في الشهر السادس من عمره لانه في تلك الوقت يبتدئ يتاثر من الحالة التي هو فيها فاهم اساس اخلاقه يوضع في هذا الحين . وقال آخر ان تربية الطفل تبتدىء ٢٠ سنة قبل ولادته اي بتربية امه

واذا كان في كل ما تقدم فائدة فما هي الا تمهيد للفائدة الكبرى التي قصدتها في هذا الفصل وهي : « ربين اولادكن بانفسكن » . فان تسليم الامهات اولادهن الى الخادمات والمراضع امر لا يعلم اضراره الا الله . وكلنا نعلم ان كل ام تغار على جسم ولدها ولا تسمح ان يخدشه اقل شيء فكيف والحالة هذه تسمح بان تنخدش نفسه بسوء معاملة المراضع والخدم وقدوتهم السيئة . فهل النفس عندنا ارخص من الجسد . كلا . فلا تسلمي اذًا

ايتها الام فلذة كبدك الى مرضعة او خادمة بل اخدميه بنفسك دائماً ولا تدعيه يفارقك ابداً . غذيه من نفسك لا من نفس الخادمة لانك تعلمين ما في هذه النفس المسكينة . واذا كنت لا تحسنين تربية الاولاد وتعليمهم فاطلبي الكتب التي تبحث في ذلك واسالي معلماتك في المدرسة ان يسلمنك صفًا لتعلميه لمعرفة اخلاق الاولاد والتعود على سياستهم . واعلمي ان الغرض الذي من اجله وُجدتِ في هذه الارض هو تربية الاولاد تربية صالحة فاذا لم تعبئي بهذا الامر المقدس وتركتيه لغيرك — لزوجك او مرضعتك او خادمتك — فانك تنزعين بذلك تاج السلطة والسيادة عن راسك . فاحذري ايتها الملكة من ضياع مملكتك



آثار الشرق القديمة

اكتشاف مصري جديد في الوجه القبلي

﴿ جثة الحسناء تايس المشهورة ﴾

﴿ المكتشف ﴾ بين علماء اوربا الذين يطلبون الآثار المصرية في ارض مصر عالم يُدعى المسيو كايت وهو من مستشرقيهم وقد نشر الى الآن كتابين الاول موضوعه « فن البناء العربي » والثاني « الفن الفارسي » وشرع في تاليف كتاب ثالث موضوعه « الفن القبطي » . وقد بدأ هذا العالم يحفر في الوجه القبلي منذ عام ١٨٩٦ على نفقة متحف (كيمه) في باريز فاكتشف هيكلاً من عهد رعمسيس الثاني وهيكلين من عهد الرومانيين . وفي العام الماضي اكتشف في سهل رملي واسع ١٠ الاف مدفن من مدافن قدماء المصريين ولكنها مدافن للعامة اما مدافن الخاصة التي فيها النفائس والحلى فانها لا تكون في الرمل بل تكون في سفح الآكام او منقورة في الصخور . ولذلك يقتضي كشفها نفقات طائلة

﴿ اكتشافه الكبير ﴾ على ان اهم الاكتشافات التي اكتشفها في العام الماضي هو جثة الحسناء تايس وجثة الزاهد سرابيون . ولما سمع العلماء بهذا الاكتشاف صفقوا طرباً له لان تايس مشهورة في التاريخ المصري القديم . وخلاصة ترجمتها ان هذه المراة عاشت في مصر في القرن الثالث او الخامس للميلاد وكانت حسناء زمانها فكان الناس والامراء

يتزاحمون على خطبة ودادها وبعضهم كانوا يقتتلون ويموتون في سبيل حبها . فبناء على ذلك جمعت تايس اموالاً ونفائس لا تُحصى وصارت ملكة النفوس في زمانها . فسمع بها رجل مسيحي يُدعى بافنوس فقام في نفسه ان يدعوها الى المسيحية فقصدها واقام يُظهر لها اباطيل الحياة وفناء ملاذها ويزهدها في معيشتها حتى اجابته الى ذلك فاضرمت النار في كل اموالها ونفائسها وتبعت مرشدها الى القفار حيث عاشت ثلاث سنوات بسلام وهدوء ثم عادت وبعد ذلك ماتت موتاً هادئاً

اما سرابيون صاحب الجثة الثانية فهو مسيحي قديم لجأ الى القفار تشبهاً بالاب انطونيوس وعاش فيها معلقاً بعنقه قيداً من حديد ثقله سبع ليبرات وبقدميه اطواقاً حديدية ثقيلة وشاداً وسطه بطوقين حديديين ايضاً قهراً للنفس الامارة بالسوء

ولقد عرض المكتشف هاتين الجثتين في متحف كيمه في باريز مع ما تبعهما من الاشياء التي وجدها في قبريهما . منها (بابوج) منسوج من خيوط ذهب كان في قدمي تايس وباقات من ورد اريحا وعقود من ماس ثمين وثياب مطرزة ثمينة جداً وجرة كانت فوق نعشها وقد نضب منها الخمر الذي كان فيها

وقد اقبل الناس من كل صوب لمشاهدة الجثتين . وزار المتحف رئيس اساقفة باريز وفحصهما فاثبت فيما يختص بتايس ان الجثة جثتها ولكنه قال ان جثة الرجل ليست للزاهد سرابيون . ومما يجدر ذكره ان هذه هي المرة المائتان والثانية والسبعون التي ادعى فيها المكتشفون انهم اكتشفوا جثة الراهب سرابيون . ومما دعم به رئيس الاساقفة رايه ان سرابيون لم تطأ قدماه قط الوجه القبلي حيث وجدت هذه الجثة

باب تدبير الصحة

معالجة السل بغاز الحامض الكربونيك

بقلم جناب ايليا افندي بارودي الصيدلي

لقد ثبت بالاختبار المكرر والبحث المدقق ان غاز الحامض الكربونيك من الد اعداء ميكروب التدرن الرئوي . وقد تحققت صحة هذا الامر في مؤتمر اجاشيو بفضل الاستاذ جيرود والدكتور بوطون . فهذان العالمان اكدا انه اذا اتيح للرئتين المصابتين بالسل ان

تحاطا بالحامض الكربونيك دب الفنـاء الى باشلوس كوخ وشفيت الرئتان من ذلك الداء الرهيب

ولقائل يقول انى لنا السبيل الى بلوغ امانينا من هذا الامر والحامض الكربونيك سم من السموم الزعافة فالجو الذي يكون فيه عشر من هذا الحامض لا يصلح للاقامة فيـه بل يخنق الانسان وبناء عليه فمن يبتغي الايقاع بالميكروب يؤدي بالانسان في وقت واحد . فجوابًا على ذلك نقول ان اكثر الادوية كالافيون والبلادونا والاكونيت والدجيتال وجوز القيء الخ تعد في مرتبة السموم ومع ذلك نرى الاطباء في كل يوم يلجأون الى استعمال هذه الادوية لشفاء الامراض . ولا يخفى ان الحامض الكربونيك لا يكون سماً الا حينما يُستنشق واذا تناوله المرء بطريق القنـاة الهضمية فقد تاثيره السمي بالجسم . وقد كتب الاستاذ برليوز انه ليس من داعٍ الى الخوف من حوادث التسمم بالحامض الكربونيك بالامعاء لان الرئتين تدفع الغاز بسرعة الى الخارج

اجل ان الامتحانات العديدة قد اظهرت ان استنشاق غاز الحامض الكربونيك وبيل جدًا ولكن بقي علينا استعمال الغاز المنوه به في القناة الهضمية . فكم ليترًا من الماء الغازي يجب ادخاله الى المعدة للحصول على فائدة من تاثير ذلك الغاز بالجهاز التنفسي

ولعمري ان الحصول على مقدار الغاز الكربونيك بالطريقة المذكورة يعد من الامور المستحيلة الا ان جيرود استند الى الطريقة المشار اليها التي هي عمليـة نظرية محضة وكرر اختبارات رئيسه وبرجون مبينًا انه اذا ادخل الى الامعاء مقدار من الحامض الكربونيك تفلّت ذلك الحامض خارجًا على طريق الرئتين بعد مروره بالنسيج الرئوي الاسفنجي الذي يقوم مقام المصفاة . واذا ادخل بطريق المستقيم خمسة ليترات من الغاز لا يلبث ذلك الغاز ان يدفع الى الخارج بالطريقة التي مرّ ذكرها فانه يصل الى الرئتين بطريقين وهما الاقنية اللمفاوية والاوردة ولا يصعد الى المعدة كما يتبادر الى الذهن في بادىء الامر لكنه يمتص بالاوعية الشعرية في المعدة ويُساق الى المجرى الدوري حتى ينتهي الى الشريان الرئوي فيتوغل من هناك في الخلايا الرئوية ويُدفع الى الخارج مع الهواء المتنفس . فبهذه الذريعة لا يكون الغاز الكربونيك قد اقتصر على تنظيف الرئتين بتنويعه النسيج الرئوي الاسفنجي وقتله باشلوس التدرن ولكنه يكون قبل ذلك قد مازج الدم وساق امامه كل السموم التي عاشت في الجسم مفسدة . وبناء عليه لا يكون فعله مقصورًا على اهلاك معظم الميكروبات ولكنه يساعد على تطهير الجسم من مفرزات تلك الميكروبات التي هي اشد ضررًا منها

ويتحصل من ذلك انه اذا حقن المستقيم بمقدار ما من الحامض الكربونيك تلاه الشفاء من جميع الامراض النازلة في الاعضاء التي يمرُّ بها الغاز في طريقه

ولا يتوهم البعض ان هذا الاكتشاف المهم مبني على افتراضات وهمية فان المسيو جيرود والمسيو بوطون قد اعلنا انهما قد عالجا بهذه الطريقة اناساً كانوا مصابين بالاسهال المزمن فنالوا الشفاء وقد نجحا ايضاً بمعالجتهما بعض الناس الذين كانوا مصابين بالتهاب الامعاء ودوسنطارية البلاد الحارة والتهاب الامعاء الناجم عن التدرن الرئوي . واذا ما اقتفينا اثر الغاز في مسيره وجدناه يكيف الرئتين وينوعهما ويؤثر كل التاثير بالجهاز التنفسي . وبهذه الوسيلة قد تمكن جيرود من شفاء التهاب الشعب الرئوية المزمن والربو الشديد الوطأة والتهاب الحنجرة التدرني والذبحة والزكام البسيط ذاته . ولا بد من شروط جوهرية في المعالجة بالحامض الكربونيك اهمها كون الغاز صرفاً فاذا خالطه شيء حصل للمعالج مغص

وانه لامر ضروري ان يكون استعمال الحامض الكربونيك بطيئاً وتدريجياً ومحدوداً ومنظماً وان يستمر من ١٥ الى ٢٠ دقيقة وان لا يتجاوز مقدار الغاز الحاصل القدر المطلوب وقد اخترع المسيو سريس احد الصيدليين في بزانسون آلة خاصة بذلك سماها غازوجين سريس المضاد الباشلوس

﴿ الجامعة ﴾ فوائد الحامض الكربونيك — وقد نقلت الشركات البرقية والجرائد في هذا الشهر ان الفرنسويين جربوا الحامض الكربونيك المحول الى سيال في قتل الجرذ في باخرة « الجمنا » في مرسيليا فنجح نجاحاً تاماً . ومن فوائد الحامض الكربونيك ايضاً استعماله في نقل البيرة (الجعة) من اوعيتها الى اوعية اخرى لان قليلاً منه يمنع نمو جراثيم الاختمار فيها . ومنها ايضاً صنع المشروبات الغازية بان بعض نقط منه كافية لتحويل اي شراب كان الى شراب غازي . ومنها خاصة التبريد والتجليد وذلك بسرعة تبخره . ومنها استعماله لاخماد الحرائق فانه متى دُفع على النار وتبخر جعل حول المواد الملتهبة نطاقاً من الغاز يحول دون امتداد اللهيب . واول معمل لتحويل الحامض الكربونيك الى سيال انشىء في برلين في عام ١٨٨٣ بجانب ينابيع الحامض الكربونيك الطبيعية . وفي امكان المعمل الذي قوته ٧٠ حصاناً ان يحول من الغاز ١٢٠٠ كيلو غرام كل يوم . وقد رخص ثمنه اليوم فصار الليتر الواحد منه يُباع بخمسين سنتيماً . والحامض الكربونيك سم قتال وهو يولد باحراق الفحم في الهواء ولذلك يموت به الذين ينامون في غرف مقفلة ويدعون الفحم متقداً فيها

شؤون نسائية

﴿ ارضاع الاطفال وتنبيه للامهات ﴾ لقد خدم الدكتور كرامر من اساتذة كلية بون جميع الامهات والمراضع خدمة جليلة . فانه بحث بحثاً دقيقاً في غذاء الاطفال في كثير من البلاد فثبت له ان اكثر الوفيات من الاطفال واكثر الامراض التي تصيبهم ناشئة عن مصدر واحد وهو كثرة الرضاعة وزيادة الغذاء عن حاجة معدهم . فان الطفل كلما بكى ارضعته امه لاسكاته ظناً منها انه يطلب الغذاء مع ان البكاء طبيعي في الولد كالتنفس وبناء عليه فان هذا الدكتور لا ياذن للامهات ان يرضعن اولادهن الا كما ياتي— في اليوم الاول من ولادة الطفل لا شيء اي يجب ان لا يرضعنه شيئاً . وفي اليوم الثاني يُرضع الطفل ٢٠ غراماً من اللبن (الحليب) وفي اليوم الثالث ٧٠ غراماً وفي اليوم الرابع ١٢٠ وفي اليوم الخامس ١٩٠ وفي اليوم السادس ٢٦٠ وفي اليوم السابع ٢٧٠ وفي اليوم الثامن ٢٩٠ وفي اليوم التاسع ٣٠٠ . اما اذا اعطي الولد اكثر من هذه النسبة في الايام الاولى فانه ينشأ ضعيف البنية من ضعف معدته هذا اذا لم يقضِ نحبه . فلتهتم بذلك الامهات اشد اهتمام

اما علامات المرض في الاولاد فهي اربع . الاولى حرارة الحمى والثانية السعال والثالثة الاسهال والرابعة القيء المتكرر . فمتى تحققتِ ظهور احدى هذه العلامات فاستدعي الطبيب في الحال

﴿ تنظيف الدنتله وتجديدها ﴾ اذا عتقت الدنتله وتوسخت فخذيها واغمسيها بتانٍ في كاس مملوءة بيرة (جعة) حارة ثم اغسليها وافركيها بعضها ببعض في كاس اخرى فيها بيره باردة وبعد ذلك اضغطي عليها بقطعة نسيج لتجفيفها وضعيها تحت المكواة واكويها من قفاها فتصبح نظيفة وتعود جديدة

﴿ فورشات الراس والثياب ﴾ اذا اردتِ اطالة عمر فورشات الراس والثياب وزيادة نظافتها فضعيها على مائدة زينتك واجعلي وضعها عليها معكوسا اي ظهرها الى سقف الغرفة وخيوطها الى سطح المائدة وذلك لكي لا يقع بين خيوطها ما في جو الغرفة من الغبار والهباء

باب التقريظ والانتقاد

الرذيلة باثواب جميلة

قال لنا بعضهم بعد صدور الجزء الماضي ان انتقادكم كتاب « الحب والزواج » كان داعياً الى ترويجه فان كثيرين راحوا يطوفون على مكاتب الثغر في هذا الصباح يسالون عنه . وقد اراد هذا القائل اقامة الدليل بقوله على ان الانتقاد على كتاب فيه شيء مما يمس الآداب العمومية يفضي الى غير الغرض المقصود منه

اما نحن فلا ننكر انه قد يكون في انتقادنا لهذه الكتب خدمة لاصحابها اي ملتزمي طبعها ولكننا نعتقد اننا نخدم ايضاً آباء العيال الكريمة وامهاتها خدمة غير صغيرة فضلاً عن خدمتنا لرصيفاتنا التي تقرظ تلك الكتب من غير ان تقرأ حرفاً منها فتكون بذلك مسئولة لدى الآداب العمومية عنها

ومعلوم اننا لا نقول هذا القول عن كتاب « الحب والزواج » لانه — لولا بضعة اسطر فيه — من الكتب المفيدة اللذيذة . ونحن نبخس مؤلفه الفاضل حقه اذا وضعناه في جملة الكتب التي نريد الكلام عنها في هذا الفصل . ومن هذه الكتب رواية وردتنا في هذا الشهر بعنوان « باغندور » وقد قرظتها الجرائد تقريظاً جميلاً

فهذه الرواية حسبنا ان نقول فيها ان معربها خجل من وضع اسمه عليها فاكتفى بهذه الاحرف (ا . ي . خ) وهي معربة عن الكاتب الفرنسوي دي موباسان ومطبوعة على نفقة المكتبة الشرقية في العاصمة . اما موضوعها فلا يفيه حق وصفه الا القول عنه بانه « الرذيلة باثواب جميلة » لاننا نشك في ان الروايات المعربة عن الافرنجية قد وصلت عندنا قبل هذه الرواية الى هذا الحد من التهتك والتصريح الغني عن كل تلميح . ومداره على فتى « غندور » ماهر في اصطياد فضيلة النساء فلا يدع امراة الا ويوقعها في اشراكه . ولا ريب عندنا ان الفتيان والفتيات الذين يقرأون هذه الرواية يدسون السم القاتل في آدابهم وهم لا يشعرون . فنصيحتنا الى الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات ان يراقبوا اشد مراقبة الكتب والروايات التي تقع في ايدي اولادهم . وحبذا لو انهم يتشبهون بالعيال الافرنجية الكريمة التي لا تاذن لاولادها ان يقرأوا كتاباً ما لم تستشر فيه الاصدقاء العارفين . فان ذلك صار ضرورياً في زمن تصدر فيه روايات كرواية « الغندور »

وقد اهدتنا المكتبة الشرقية ايضاً رواية « العبر لمن اعتبر » معربة عن الفرد دي موسه بقلم « احد الادباء » ايضاً

ونحن نومل المعذرة من ملتزمهاتين الروايتين لهذه الكلمات ولا شبهة عندنا في انه يعتقد معنا بان علاقته الودية بالجامعة لا تمنع من الجهر بالحقائق في سبيل الاداب العمومية

﴿ تفسير الفاتحة ﴾

لحكيم المسلمين الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

كل ناطق بالضاد يعرف ما لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية من المكانة السامية في العلوم الاسلامية والعصرية . واشد ما تظهر هذه المكانة في الدروس التي يلقيها فضيلته في الجامع الازهر لتفسير القرآن وتطبيق العلم على الدين . ولقد عني حضرة صديقنا الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء باقتطاف بعض تلك الدروس من تفسير الفاتحة وتفسير مسالة الغرانيق ومسالة زيد وزينب وجمعها في كتاب مفرد بعد نشرها في مناره الاغر . وهذا الكتاب يطلب من جناب ملتزم طبعه احمد افندي عمر المحمصاني الازهري البيروتي في العاصمة

﴿ ورده ﴾

تعريب جناب محمد افندي مسعود

صدر الجزء الثاني من رواية ورده التي ذكرناها في احد الاجزاء السابقة وهي رواية تمثل اخلاق وعادات المصريين في عهد رعمسيس الثاني وترسم للقارىء نظام حكومتهم وما وصلوا اليه من التقدم في العلوم والمعارف . وكفى لبيان فوائد هذه الرواية ان يقال انها من تاليف الدكتور جورج ايبرس الالماني وتعريب حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد . وهي تطلب من ادارة جريدة المؤيد . وقد عهدنا الى احد الكتاب البارعين مطالعة جزئيها لتلخيص فوائدهما التاريخية والادبية لقراء الجامعة فعسى ان يردنا التلخيص قريباً لننشره في الجزء القادم

﴿ اشهر مشاهير الاسلام ﴾

لجناب عزتلو رفيق بك العظم

عزم حضرة الفاضل عزتلو رفيق بك العظم على تاليف كتاب مطول في ترجمة اشهر

مشاهير الاسلام · وقد اصدر الجزء الاول منه في ١٨٤ صفحة كبيرة مطبوعاً طبعاً حسناً على ورق جيد · وهذا الجزء يتضمن ترجمة اول الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق وفصولاً في نسبه واخلاقه ومبايعته وتفاصيل الردة التي حدثت في عهده وفتوحاته وسياسته وادبه وخطبه وكذلك ترجمة خالد بن الوليد القائد المشهور · وهذا الكتاب احق بان يسمي كتاب تاريخ لا كتاب تراجم لاستيفائه الحوادث التي يتكلم عنها فنحث كل قارئ يحب الاطلاع على تاريخ الاسلام على اقتنائه وهو يطلب من مكاتب العاصمة · اما مؤلفه الفاضل فانه يستحق كل شكر وثناء على هذه التحفة التاريخية

﴿ الفقه والتصوف ﴾

لحضرة السيد عبد المجيد افندي الزهراوى

وضع حضرة السيد عبد المجيد افندي الزهراوي ثلاث رسائل في الفقه والتصوف وبحث فيها بحثاً يدل على علو منزلته في هذين الفنين · ولكنه قال في التصوف اقوالاً يُشتمُّ منها انه يحارب اشخاصاً لا مبادىء · وهذا مما يُضعف حجة الباحث في بحثه مهما كان قوياً

﴿ ثلاثة كتب ﴾

بقلم جناب مينا افندي راغب

اهدانا جناب مينا افندي راغب ثلاثة كتب من وضعه · الاول كتاب عوامل النجاح ووسائل الاصلاح وهو رواية تهذيبية موضوعها اصلاح شؤون الطائفة القبطية ولكن فيها كلاماً لا يخلو من التطرف فان الاصلاح لا يكون بالشدة وما على طالبه الا ان يبسط الحقائق ويدع القارىء يستنتج ما يريد ان يستنتجه · وهذه الرواية قد صدرت اخيراً وهي تطلب من جناب مؤلفها في بنها · والثاني « هيام الملوك » وهو رواية صغيرة معربة عن المجلة الجديدة الفرنسوية · والثالث كتاب غذاء النفوس في تاريخ حياة الانبا باسيليوس · فنشكر له هديته ونرجو له زيادة التقدم في صناعة القلم

﴿ المصباح ﴾

لمديره يوسف افندي ابرهيم صادر

عادت جريدة المصباح الغراء الى عالم الصحافة بادارة جناب يوسف افندي ابرهيم صادر صاحب المطبعة العلمية في بيروت فنحن نرحب بها ونرجو لها النجاح

الغرض من الحياة

القى جناب ابادير افندي حكيم احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية في جمعية الاتحاد الادبية في اسيوط خطبة موضوعها « الغرض من الحياة » وقد طبع هذه الخطبة واهدانا نسخة منها عليها هذه الكلمات « لما كان الانتقاد من اعظم الوسائل لترقية الاداب وارشاد الكتاب وخصوصاً اذا كان المنتقد كالجامعة فارجو التكرم بانتقاد هذه الرسالة الصغيرة ولكم الفضل »

فنحن نشكر لجناب صاحب الرسالة حسن ظنه بنا وقد طالعنا رسالته فوجدنا فيها كثيرًا من الفوائد كما وجدنا فيها كثيرًا من الاقوال التي لا دليل عليها . وقد احسن الخطيب في اثباته أن الغنى وحب الشهرة وملاذ الحياة لا يمكن ان تكون الغرض من الحياة لانها لا تؤدي الى السعادة ولكن الذي يؤدي اليها هو الدين دون سواه . غير انه من سوء الحظ لم يعرّف الدين المؤدي الى السعادة . فان كان المقصود به الظواهر الدينية التي ليست في شيء من الدين الحقيقي فانه في خطاء مبين واذا كان قصده الدين الصحيح المنزه عن كل شائبة فقد قال الحق . ولكن هذا الدين الصحيح يوآخي الادب والفلسفة فلماذا حمل عليهما تلك الحملة المنكرة في خطابه . اما سمع ان العلم الصحيح لا ينفي الدين الصحيح . اما العلماء الذين طعن عليهم لانهم فلاسفة فالظاهر انه لم يقرأ كتبهم ولكنه سمع بها . لان كل مطلع على مؤلفات روسو مثلاً لا تطاوعه ذمته ان يعزو الكفر اليه لكونه الفيلسوف الالهي الوحيد الذي وقف في وجوه الماديين في اواخر القرن الثامن عشر ودك ببراهينه حصونهم دكاً . واذا كان من عادة البسطاء والجهلاء ان يكفروا كل من خرج عن العادات البسيطة المالوفة فالنبهاء والادباء يجب ان يحكموا عقولهم وقلوبهم في هذه المواضيع والا لم يبقَ بينهم وبين اولئك فرق كبير

وقد استشهد حضرة الخطيب بفقرة من كتاب المسيو ادمون ديمولين صاحب كتاب "سر تقدم الانكلوسكسون" لتايبد ارائه . فنحن نؤكد له ان الذين طعن عليهم لا ينكرون سطرًا واحدًا ولا كلمة واحدة من الفقرة المذكورة وهي

« لا يغيبن عن القراء ان بعض المتصفين بالتقوى يخطئون خطاء فاحشاً في العمل »
« بمقتضى قاعدة التسليم فيتذرعون الى الكسل والخمول ويقولون في انفسهم ان الحياة »
« لا تساوي تلك المتاعب كلها ثم يرمون تكلانهم كله على الله (الذي لا ينسى من آمن »

" به ولجا اليه) وينسون قوله تعالى (اعن نفسك يعنك ربك) والادعى للراحة عندهم "
" ان يرموا احمالهم كلها عليه · ومن كان هذا فكره اصبح ضعيفاً لقاء اتعاب الحياة مادياً "
" وادبياً · وعليه فالدين اذا فسد العمل به (ولا يكون اذ ذاك ديناً) يصير آلة ضعف "
" وانحطاط مع انه قوام الحياة وفيه اكبر معين على تحصيل السعادة ولكن الناس يعزون "
" انفسهم متى فسدوا بقولهم (ان الله يبتلي عبيده المخلصين) او بقولهم (ابنا الجحيم اكبر "
" حذقاً واوفر حظاً في الدنيا من ابناء النعيم) وما اسهلها طريقة في ارجاع الانسان خطاياه "
" الى الله وحده "

﴿ الشرق المصور ﴾

لمديره جناب احمد افندي كامي الكريدي

انشأ جناب رصيفنا احمد افندي كامي الكريدي منذ مدة مجلة تركية عنوانها «الشرق المصور» وقد اصدرها في عاشر رمضان باللغة العربيــة ايضاً · وفي هذا العدد عدة رسوم متقنة ومقالات علمية وادبية فنرجو النجاح للشرق التركي والعربي

﴿ العدل ﴾

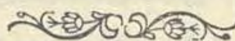
لصاحبه جناب شكري افندي جرجس انطون

ذكرنا في الجزء الماضي صدور « المنارة » الغراء في البرازيل ونحن نذكر الآن صدور جريدة اخرى فيها وهي « العدل » لمديرها جناب شكري افندي جرجس انطون وقيمة اشتراكها مائتا غرش عملة البرازيل وهي تصدر في ريو دي جنيرو في كل اسبوع فنرحب بالرصيفة ونرجو لها التوفيق في الخدمة النافعة

﴿ الامل ﴾

لصاحبه جناب بشير افندي انطاكي

الامل جريدة سياسية اخبارية لصاحبها ومحررها جناب بشير افندي انطــاكي وهي تصدر في كل اسبوع وقيمة اشتراكها ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج فنرجو لهــا النجاح



الجامعة

الجزء العاشر السنة الثانية

الاسكندرية (يناير ونصف فبراير) سنة ١٩٠١ — شعبان سنة ١٣١٨



جون روسكين الشهير

يتأمل في جمال الطبيعة وشؤون الحياة

انسان لا يجب ان يجهله انسان

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

جون روسكين الشهير

داعي الناس الى حب الطبيعة والجمال

اقتراح على رئيسات مدارس الاناث في الشرق

الخروج من جو المدينة المسموم · وصف ابي تمام الطائي للربيع · عادة الاحتفال بعودة الربيع · شم النسيم واستقبال الراهب · روسو ومدام دي ـ نابل و بكاؤهما من منظر الطبيعة · ترجمة اشد الناس ولعاً بالطبيعة · اصلاح الفنون باصلاح الهيئة الاجتماعية · اصلاح الهيئة الاجتماعية بالغاء استعمال الآلات البخارية · ملكات مايو وفوائد هذه العادة · تلميذات يبشرن بانجيل جديد · وظيفة المرأة في مذهب روسكين · موته بين الازهار · اقتراح على مدارس البنات بجدر الاهتمام به · ملائكة السماء تطلّ على ملائكة الارض

نشيد استقبال للربيع

مالك لا تخرج من جو مدينتك الذي افسده الدخان والغبار وروائح الاقذار · اما رأيت الحلة الجميلة التي اكتستها الضواحي بحقولها وحدائقها · اما سمعت عصافيرها تناديك وشمسها تنثر في طريقك تبرها الذهبي · فما هذا الكسل والخمول · اخرج وشاهد عظمة الطبيعة امك وانفض عنك ولو مرة في اليوم غبار الحضر واقذار المدن · ولا تكن ممن يغمضون عيونهم عن جمال الطبيعة لانهم لا يفهمون شيئاً من اسرار الحياة · انظر اليها فقد اكتست ارضها بساطاً سندسياً · والحقول والجنائن حلة زهرية · والعصافير اشتدت زقزقتها وخفت حركتها · والاشجار الصلعاء الجرداء دبت فيها الحياة فاخرجت براعيمها · والشمس زاد نورها · والسماء صفا اديمها · وروح حرارة وحياة جديدة انبث في جميع مخلوقاتها من نبات وحيوان وانسان

ولكن ما الذي غير وجه الطبيعة هذا التغيير بعد ما كانت فيه من اكفهرار الشتاء وهياج العناصر · هل ان يداً سرية مدّت اليها عصاً سحرية فبدلت حالها وغيرتها · ام ان

الارض تاخذ من حياة الاعزاء الذين تطويهم ما تنقله الى اعزائهم زهرًا ونباتًا ونشرًا . كرسالة ممن في باطنها الى من على ظهرها

كلا لا هذا ولا ذاك وانما الطبيعة قد وجدت حبيبها الربيع بعد طول بكائها في زمن الشتاء عليه فلبست له اجمل حللها وحلاها . فاخرجوا يا محبي جمال الطبيعة ومستكشفي اسرارها لمشاركتها في سرورها . اخرجوا ولا تحملوا اليها هدية غير الثناء عليها فانها حسناء ولا يرضي الحسان شيء مثل الثناء . ومتى بلغتموها فانشدوها القول البديع الذي قاله ابو تمام فيها

نزلت مقدمة المصيف حميدة ... ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولا الذي غرس الشتاء بكفه ... قاسى المصيف هشائمًا لا تثمر
مطر يذوب الصحو منه وبعده ... مطر يكاد من الغضارة يقطر
غيثان فالانواء غيث ظاهر ... لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى ... خلت السحاب اتاه وهو معذر
ما كانت الايام تسلب بهجة ... لو ان حسن الروض كان يعمر
اولا ترى الاشياء ان هي غيرت ... سمجت وحسن الارض حين تغير
يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربى فكانما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا ... حل الربيع فانما هي منظر
اضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نورًا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق للندى ... فكانها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كانها ... عذراء تبدو تارة وتخفر
مصفرة محمرة فكانها ... عصب تيمن في الوغى وتمضر
من فاقع غض النبات كانه ... درر تشقق قبل ثم تزعفر
او ساطع في حمرة فكانما ... يدنو اليه من الهواء معصفر
صنع الذي لولا بدائع لطفه ... ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر

عادة الاحتفال بالربيع

وبعد فان خروج الناس في كل سنة مرة الى البرية لمشاهدة الطبيعة ومحاسنها والاحتفال بعودة الربيع اليها امر كان معروفًا لدى الاقدمين . وقد اختاروا اول شهر مايو (ايار) لاقامة هذا الاحتفال فيه سواء كان الربيع متقدمًا او متأخرًا . فكان

الرومانيون في كل عام يخرجون من رومه في منتصف ليل هذا اليوم قاصدين الحقول والاحراش وامامهم الموسيقى تصدح والابواق تنفخ فيقطعون بعض اغصان الاشجار ويجمعون الازهار ويصنعون منها اكاليل وطاقات ثم يعودون بها ويعلقونها على ابواب منازلهم كانهم بذلك يمهدون للربيع طريق الدخول اليها · ثم يصرفون باقي نهارهم بالرقص والغناء حول اشجار زاهرة يغرسونها في الارض ويسمونها « شجرة مايو »

ثم انتقلت هذه العادة الى انكلترا فان ملكها هنري الثامن والملكة كاترين زوجته وجميع رجال البلاط الانكليزي في جملتهم الكردينال الرجل الجدي الاخلاق كانوا كلما عاد اول مايو يخرجون من المدينة الى الحقول للتفتيش عن الازهار الاولى التي هي اول ما ينبتها الربيع · وكان الشعب الانكليزي يحتفل بعودة الربيع في عدة اماكن بطرق مختلفة اهمها انهم كانوا ياتون بشجرة يسمونها « شجرة مايو » ويغرسونها في اول مايو امام منزل اجمل فتاة من بنات القرية ثم يقيمون على الرقص والغناء حولها مدة النهار ويسمون الجميلة التي غرسوا الشجرة امام منزلها « ملكة مايو » · وكثيرًا ما كانوا لا يكتفون بانتخاب ملكة للربيع بل ينتخبون له ملكاً ايضاً ويسمونه « لورد مايو »

وقد كان المصريون في الزمن القديم يحتفلون بعودة الربيع ولا يزال هذا الاحتفال معروفاً عندنا الى هذه الايام باسم « يوم شم النسيم » اي شم نسيم الربيع وهو يوم تصفر فيه مدن القطر المصري لخروج الناس من كل الطبقات والملل الى الخلاء لمشاهدة الطبيعة الجميلة والاكل والشرب تحت سقف السماء فوق البساط السندسي الذي فرشته اليد الازلية

وهذا الاحتفال معروف ايضاً في الشام ولكنهم يسمونه هناك « استقبال الراهب »·

قذارة المدن وطهارة الطبيعة

وليس غرضنا الآن ذكر تاريخ هذه العادة في كل البلاد فان هذا امر ثانوي وانما غرضنا الاشارة الى امر اكثر اهمية وخطارة · فانه من المعلوم ان التمدن الحديث يجعل هذه المدن الكبرى التي تتالف وتضخم تحت لوائه بمثابة مغناطيس يجتذب اليه جميع الناس الذين يعيشون في القرى والخلاء والضواحي ولذلك صار سكان القرى يتناقصون وسكان المدن يزيدون · وظاهر ايضاً ان كل ما في المدن من آثار المدنية والعمران يُنسي الانسان الطبيعة ومناظرها الجميلة · فهذه الاسوار والجدران قائمة سدًّا دونه · وهذه المنازل تحصره في بقعة ضيقة وتجعله كسجين في سجنه مانعة عنه نسيم الصبح ونور السماء · وهذا

الدخان المنبعث من معاملها والغبار المتصاعد على اثر مرور المركبات في شوارعهـا يحجبان عنه وجه السماء ويخفي ما وراء المدينة · وزد على ذلك ان زيادة الزحام في المدن يزيد المزاحمة على اسباب الرزق فيها فتشتد المناظرة بين الناس تنازعاً لهـا حتى قد تنسي هذه المناظرة الانسان كل شيء خارج مدينته بل قد تُنسيه انه انسان لا حيوان · من اجل ذلك كله وجب ان يقوم من بني الانسان الحين بعد الحين اناس يرفعون اصواتهم القوية لتذكير البشر بالطبيعة امهم الاولى وحثهم على الرجوع اليها ولو مرة في كل عام

وقد قام في آخر القر الثامن عشر رجل في فرنسا يُدعى جان جاك روسو دعا الناس الى المعيشة في الطبيعة وترك اقذار المدن ورذائلها وجرائمها فكان فولتير يقول عنه متهكماً « ان هذا الرجل يحبب اليَّ المعيشة على القوائم الاربع » يعني كما تعيش الحيوانات ذات القوائم الاربع في البرية · وكان روسو اذا نظر الى الحقول والرياض وهو خارج المدينة يبكي سروراً بها وانقباضاً لما كانت تجده نفسه من الضغط المبهم عليها امام منظر عظيم سري كهذا المنظر · وكذلك كانت مدام دي ستايل فانها كم وقفت امام الحقول تنظر اليها وتبكي من غير علة ولا سبب غير اختباط مبهم سري يحدث في داخلها · ولكن الذي فاقها وفاق روسو في حب الطبيعة وشدة الولوع بها هو الكاتب برناردين دي سان بيير الذي اخذنا ننقل عنه سفره الجليل « الكوخ الهندي » وحسبنا دليلاً على مبلغ حب برناردين الفاضل للطبيعة ان نرد القارئ الى هذا السفر الذي تجب قراءته بامعان كثير

ولكن كل هؤلاء لم يؤثروا في تحبيب الطبيعة الى الناس وتذكيرهم بمحاسنها القدسية ازاء محاسن الحضارة الصناعية بقدر ما اثر في ذلك رجل انكليزي توفي في العام الماضي · وغرضنا من هذه المقالة ان نعرّف قراء اللغة العربية بهذا الرجل الذي لا يجب ان يجهله انسان

ترجمة جون روسكين

يُدعى هذا الرجل « جون روسكين » وقد ولد في ٦ فبراير من عام ١٨١٩ وكان ابوه تاجراً مولعاً بفن الرسم وخصوصاً رسم المناظر الطبيعية اما امه فكانت بروتستانتية شديدة التمسك بالدين فكانت تاخذه في كل يوم وتقرأ عليه فصلاً من التوراة وكان منزل روسكين في ضاحية لندرا بعيداً عن ضوضاء المدينة وهو محاط بحديقة فكان يقضي روسكين الصغير كل اوقاته في مشاهدة الازهار والنباتات فيها · وكان ابوه يقرأ عليه في صباه كثيراً من اقوال شعراء الانكليز ويصطحبه احياناً اذا سار للتنزه ورسم المناظر الطبيعية فشب جون

روسكين على حب الطبيعة والشغف بها

ثم ساح روسكين في فرنسا وسويسرا وايطاليا فشاهد مناظرها الطبيعية وما فيها من تحف الرسم والبناء وسائر الفنون الجميلة . ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نشر كتاباً سماه « الرسامون الحديثون » وصف فيه الطبيعة اجمل وصف وانتقد الرسامين الذين يشوهون الامور الطبيعية في ما يرسمونه . ومنذ هذا الحين بدأت شهرته فكتب عدة كتب في الموضوع نفسه فاقام الرسامين واقعدهم بشدة انتقاده وطول باعه وبث في نفوس الناس ميلاً جديداً الى الفنون بعد ان كان هذا الميل قريباً من الخمود

وفي سنة ١٨٦٠ حدث تغيير في افكار روسكين فاعتقد بان اصلاح شان الفنون متوقف على اصلاح الهيئة الاجتماعية فانصرف الى هذا الشان الاجتماعي بهمة عالية واخذ يكتب فيه الكتب الضافية التي كان لكل واحد منها تاثير شديد

وقد عين في سنة ١٨٦٩ استاذاً لكلية اوكسفورد فاقام يدرس فيها حتى سنة ١٨٨٢ ثم راى ان التدريس في اوكسفورد غير كاف لنشر آرائه والقيام بالاصلاح الذي كان يطلبه فانشأ في سنة ١٨٧٢ متحفاً للطلبة في هذه الكلية رغبة في تحسين اذواقهم وانشأ في سنة ١٨٧٦ متحفاً آخر في شيفيلد لترقية شان عملة الحديد هناك ورفع نفوسهم . وكان يملك ثروة طائلة قيمتها ٥ ملايين فرنك فانفقها كلها في اعمال خيرية رفع بها شان الذين كان يساعدهم . فانه كان يختار النابغين في الفنون ويساعدهم على الدرس والارتقاء فيجعلهم بذلك رجالاً من اشد الناس نفعاً لوطنهم وينشىء للعملة والضعفاء المتاحف والملاجئ والمنازل الصحية الصالحة للسكنى . ولما نفدت ثروته في هذا السبيل لم يبقَ له مورد غير دخل مؤلفاته الذي كان يبلغ مائة الف فرنك في كل عام فصار روسكين ينفقه في سبيل الخير ايضاً . فاعجب بهذا السخاء وهذه الشهامة

ثم انه من فرط اهتمامه بالاصلاح الاجتماعي لم يكتفِ بالمتاحف والتدريس والتاليف والكتابة بل اراد ان ينفرد بعمل عظيم ينفذ فيه الاصلاح الذي كان يدعو اليه . وهذا البحث يسوقنا الى الكلام على مبادئه وآرائه

مبادئه وارائه

يتضح مما تقدم ان روسكين اهتم بامرين عظيمين (الاول) اصلاح الفنون الجميلة وتحبيبها الى الناس ومنع العاملين بها من افساد صور الطبيعة حين تقليدهم اياها (والثاني) اصلاح الهيئة الاجتماعية

اما الامر الاول فمن مبادىء روسكين فيه قوله « كل فن عظيم ضرب من ضروب العبادة لان الانسان لا يبلغ هذا الفن الا بعد ان يفهم الطبيعة ويحبها . والطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله » ومن اقواله ايضاً « ان كل جمال مصدره حب الطبيعة العذراء كما صنعها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتاتها وازهارها لا الطبيعة التي شوهها الانسان بصنائعه واختراعاته » وقد انتقد روسكين رسوم ميشل انج الشهير ورمبوان و بليني و برنين لانهم كلهم مع شهرتهم التي طبقت الخافقين خرجوا عن الطبيعة في رسومهم . ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع خوفاً من ملل القارىء

اما الامر الثاني وهو الاصلاح الاجتماعي فقد بحث روسكين فيه فوجد ان لفساد الاخلاق في العالم والشقاء السائد في كل مكان منشأ واحداً وهو : استبداد ارباب الاموال بالشعب وتمكنهم بواسطة المعامل والآلات الميكانيكية من حفظ هذا الاستبداد . ولذلك نهض لمقاومة هذا الاستبداد نهضة الاسد من عرينه . وقد قال في وصف الهيئة الاجتماعية هذه الكلمة التي تغني عن كتاب « ان هيئتنا الآن عبارة عن سلطة موضوعة في يد الذين يربحون الاموال ليزدادوا بها ربحاً من الذين لا يملكون شيئاً » قال . وهذا سبب فقر العملة وشقائهم وغنى الاغنياء وثروتهم . وفضلاً عن ذلك فان الثروة الطائلة لا تنشىء الشقاء في نفوس الفقراء فقط بل انها تنشئه في نفوس الاغنياء انفسهم لانها تطفىء فيهم مصباح حب الجمال الطبيعي وتجعل نفوسهم قاسية جاهلة مظلمة معذبة لا تهتم الا بالشهوات والملاذ

ورغبة في اطلاق العملة من اسر ارباب الاموال عزم روسكين على ان يؤلف من ابناء الشعب شركات تعمل بلا آلات بخارية لكي لاتحتاج الى الاغنياء فانشأ لهذا الغرض « شركة سنت جورج كيلد » وجعل العملة في وستمورلند ولنغدل وكسويك يعودون الى عادة الغزل والنسج بالايدي دون آله بخارية . ولكن روسكين لم يلبث ان راى تعذر النجاح اذا لم تساعد الحكومة الشركات التي انشأها فطلب من الحكومة ان تساعدها وقد قال في طلبه ان حرية الصناعة والتجارة لا تصح ان تكون دواء للفساد الحاضر وانما الدواء الوحيد هو خضوع الجميع للحكومة : الاغنياء والفقراء . ومن واجبات الحكومة ان تدبر اعمالاً لجميع الذين يطلبون العمل وذلك يتم بمنعها " حرية صنع الشر " اي منعها احتكار الاغنياء ثروات طائلة لاستعباد العملة بها وتوليها تشغيل العملة بنفسها

غير ان الحكومة سدت اذنيها ولم تسمع لروسكين واتفق حزبا الاحرار والمحافظين

عليه لان كلا الحزبين يؤيدان حرية الملك والمال · فاثار هذا الاهمال خاطر روسكين فازداد حدة وانتقاداً لارباب الاموال ولاعمالهم حتى عراه من شدة هياجه مرض دماغي في سنة ١٨٨٩ فقضى عليه طبيبه بترك كل اهتمام وكل عمل عقلي فامتثل روسكين وسار فقضى باقي حياته في منزل له على شاطىء بحيرة كونيستون تجاه جبال ايكوسه في وسط الطبيعة العذراء التي احبها في شبابه وجعلها ملجأه الاخير في شيخوخته

ومما يؤثر عنه انه من فرط كراهته لارباب الاموال خشي ان يضغط هؤلاء على ناشري كتبه قبل مماته او بعده فانشأ مكتبة خصوصية في بلدة سونيسيد لنشر كتبه لتكون خارجة عن دائرة نفوذهم · وقد بعثنا نطلب بعض هذه الكتب وربما لخصنا بعضها للقراء كما لخصنا كتاب الفيلسوف تولستوي في الجزء السابق

﴿ ملكات مايو ﴾

والتبشير بانجيل جديد

ولكن روسكين لم يكتف بالمتاحف والخطب والكتب والشركات الصناعية اليدوية المستقلة لاصلاح الهيئة الاجتماعية وبث حب الفنون والجمال في النفوس بل ارتقى في آخر ايامه الى مصدر كل اصلاح نعني المراة واخذ يعمل على بث روح جديدة فيها · فانشأ الحفلات المعروفة بالحفلات الروسكينية وهي عبارة عن اعادة الاحتفال في اول شهر مايو من كل عام بعودة الربيع

وقد علّم في سنة ١٨٨٠ تلميذات مدرسة ويتلندس القائمة في مدينة شيلزه طريقة لهذا الاحتفال اعاد بها العادة الرومانية القديمة فاقبل التلميذات عليها اقبالاً شديداً لشدة تاثيرها في نفوسهن واليك بيان هذه الطريقة

تضم مدرس ويتلندس المذكورة آنفاً ١٦٠ تلميذة وجميعهن يتلقين الدروس فيها ليصرن معلمات في المستقبل · فاذا مررت في اول مايو من كل عام امام باب هذه المدرسة وجدت فناءها ودهاليزها وارض غرفها مفروشة كلها بالازهار والاغصان لان التلميذات يعيدن في هذا اليوم عيد عودة الربيع · ولذلك ترسل تلميذات المدرسة اللواتي انهين دروسهن فيها من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية اكاليل زهر في ذلك اليوم اشتراكاً مع رفيقاتهن المعيدات · واذا دنوت من قاعات المدرسة سمعت ترنيم البنات فيها من كل جانب بنشيد هذا مطلعه « كل شيء حولنا لامع وبهيج » وفي الحقيقة ان كل شيء في ذلك اليوم يدل على العيد في هذه المدرسة



✻ ملكة مايو ✻

وحولها حاشيتها من الفتيات المنتخبات بنات شرف لها

وفي صباح اول مايو تجتمع التلميذات بهدوء وسرور لانتخاب ملكتهن السنوية . ذلك ان طريقة ر وكسين تقضي عليهن بانتخاب ملكة من الطالبات تسمى ملكة مايو وهي تنتخب من البنات الا كثر جمالاً والاوفر عقلاً وادباً . ويكون الانتخاب سرياً . فمتى تم تذهب جميع التلميذات الى الكنيسة وفي مقدمتهن الابنة التي انتخبت « ملكة لمايو » في العام الماضي وهي تحمل بيدها صولجان السلطة وهو من الزهر وتكون محاطة في سيرها ببنات انتخبن ليكن بنات شرف لها كما ان للملكات نساء شرف . وحين وصولهن الى الكنيسة تقام صلاة مخصوصة بهذا العيد ولا ياتي القس على آخر الصلاة وتسكت اصوات الترنيم حتى تخفق قلوب جميع الطالبات تشوقاً لمعرفة الابنة التي اصابها الانتخاب . فتقف الابنة التي كانت ملكة في العام الماضي وتتلو خطاباً صغيراً تشكر فيه (رعيتها) على خضوعهن وحسن سلوكهن فتتقدم حينئذ احدى بنات الشرف وترفع عن راسها اكليل الملك الذي يكون زهره زاويا ذابلاً لانه صُنع لها في العام الماضي. ثم تضع فتاة اخرى في يدها ازهاراً من الزهرة التي تسمى (لا تنسني) رمزاً الى وجوب ذكرها سنتها الماضية . وبعد ذلك تعلن نتيجة الانتخاب السري وينادى باسم الملكة الجديدة للسنة القادمة . فحدث ولا حرج حينئذ عن تاثر تلك الفتاة التي يصيبها الانتخاب وعلى ابتهاج رفيقاتها بها

ومتى نودي بالملكة الجديدة يُدفع اليها صولجان السلطة وهو قضيب من الزهر فتقف على دكة عالية وتمرُّ حينئذ امامها جميع رفيقاتها اللواتي اصبحن (رعية) لها لتوزع عليهن جوائز سنية . وهذه الجوائز يهديها روسكين الى المدرسة في كل عام وهي نسخ كثيرة من كتبه الادبية تفرقها الملكة على رعاياها . وهي توزعها بلا قيد ولا شرط لانها ملكة تعطي منها ما تشاء لمن تشاء . فتعطي ماري جائزة لانها مخلصة في صداقتها وليا اخرى لانها تضحك كثيرًا ولا تضجر واولغا لانها تحب الموسيقى وكارولين لان الملكة تحبها كثيرًا . فتصور جمال هذا المنظر وبهجته

والحكمة في ذلك لا تخفى على القارئ . فان في هذه العادة الحميدة فائدتين عظيمتين الاولى التزام كل طالبة من الطالبات جادة الاجتهاد والادب وحسن السلوك ورضى المعلمات لتشتهر بهذه الفضائل وترشح نفسها بها لوظيفة الملكة . ولا ريب ان هذا الامل يفعل في النفوس ما لا يفعله وعظ ولا زجر . وبناء عليه تكون هذه العادة من خير وسائل التهذيب والتثقيف . هذا بصرف النظر عما تبثه في نفوس الطالبات من حب الجمال والاشيا الطبيعية

اما الفائدة الثانية فهي موجودة في الكتب التي تعطيها الملكة الى رعيتها . فان روسكين قد كتب هذه الكتب للطالبات دون سواهن وهذه بعض اسمائها : (السمسم والزنبقة) (اكليل الزيتون البري) وما اشبه . واليك المبادىء الادبية السامية التي فيها

« اذا اردتِ صنع حلة لكِ (فسطان) على يد خياطة ماهرة فاصنعيه على يد خياطة فقيرة فان ذلك خير من صنعه في احسن معامل لندرا »

« عودي نفسك على ان تشتغلي كل يوم بالابرة في وقت معين واصنعي في هذا الوقت بعض ملابس للفقراء المساكين الذين ليس لهم لباس او لا يحسنون صنع لباس على شكل جميل »

« لا تتعمدي المسرات واسباب التسلية وانما اذا عرضت لك فلا تعرضي عنها . واياك ان تجعلي التسلي غرضك في هذه الحياة فانك اذا فعلت ذلك صار من الصعب عليك ان تجدي في العالم شيئًا يسرك سرورًا طاهرًا »

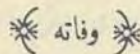
« البسي الثياب التي يريد اهلك الباسك اياها . ولا تقيمي بلا عمل البتة فاذا لم يكن لديك عمل فاغسلي آنيتك ونظفي الاشياء التي تستخدمينها في المنزل »

« ساعدي رفيقاتك واخدمي الفقراء ولكن اياك ان تعظيهم فانه ربما كان فيهم من هو اكثر فضلاً وتديناً منك . وصادقي بعضاً منهم وشاركيهم في عواطفهم واذا كان بعضهم يخجل من رؤيتك فلا تمري في طريقه . واما الاحسان اليهم فهو من شان الذين هم اكبر سناً منك واكثر معرفة »

هذا فيما يختص بالفتيات واما النساء فان روسكين يطلب منهن في هذه الكتب ان « لا يخرجن من منازلهن كما ان الملكات لا تخرج من ممالكهن . بل ان يصرفن عمرهن في المنزل في العمل والعناية . فيكنَّ في الصباح نشيطات عاملات وفي المساء متعبات مستريحات . وتكون حياتهن محصورة في هذه الكلمات الثلاث : العمل المحبة التحسين

وهو يطلب منهن ان يكن في منازلهن خادمات في الظاهر ولكن ملكات في الباطن وان لا ينتظرن حكم الناس على ما يصنعنه ولكن حكم الذين يعيشون معهن في المنزل . ويجب ان يكنَّ قادرات في المنزل كارد لا يصعب عليه شيء . صامتات كالمصباح الذي يتقد وهو ساكت . وان يصلحن الطعام ويتعلمن الخياطة والتمريض ومسك الحسابات . ويعتنين بزينتهن ولكن قليلاً . ولا يدخلن في المناقشات التي تحدث على مسمع منهن

هذه بعض المبادىء التي تطالعها قارئات كتب روسكين المنشورة في اميركا وانكلترا الوفاً ومئات الوف . ويكفي للدلالة على شدة تاثيرها ان نقول ان الناس في البلاد الانكليزية والاميركية قد الفوا جمعيات لمطالعة هذه الكتب وقد انشأ الاميركيون مدينة جديدة سموها (روسكين) اعجاباً بمؤلفها واكراماً له . اما طالبات مدرسة ويتلندس التي يحتفل فيها كل عام بعيد ملكة مايو فانهن يخرجن من هذه المدرسة بعد انهاء دروسهن فيها ويذهبن للتعليم في المستعمرات الانكليزية فينشرن فيها عادة روسكين وكتبه وبذلك ينشرن بين الناس حب الطبيعة والخير والجمال . فكانهن رسل تبشر في اقطار العالم بانجيل جديد



وفاته

وادخال عادته الى الشرق

وقد توفي روسكين في ٢٠ يناير من عام ١٩٠٠ في منزله في برنتوود وهو في السنة الثانية والثمانين من العمر . فما ذاع خبر وفاته حتى غص منزله بالازهار المرسلة اليه

من جميع اقطار الامبراطورية الانكليزية من السوقة والامراء والكاثوليك والبروتستانت والفلاسفة والعلماء حتى من الملكة فكتوريا نفسها . ذلك لانهم كلهم ارادوا اكرام هذا الرجل الذي كان يسعى لاصلاح العالم بواسطة ما سماه الكتاب « ديانة الجمال » وقد اجمعوا هذا الاجماع على اكرامه مع اختلاف مبادئهم لاخلاصه في دعوته وشرف العيش الذي عاشه في حياته . فمات روسكين بين الازهار كما عاش بينها وخلف له في هذا العالم صيتاً طيباً مثلها

وقد عمل في حياته اعمالاً جليلة كما تقدم ومن اهم هذه الاعمال احياء عادة « ملكة مايو » والاحتفال بالربيع . فماذا يضرُّ مدارس البنات الشرقية ان تقتبس هذه العادة الحميدة التي تقدم تفصيلها وذكر فوائدها . فانه ليس كثيراً على الشرقيين ان يقتبسوا بعض عادات الغربيين الحميدة بازاء العادات القبيحة الكثيرة التي يأخذونها عنهم . فنوجه من كل قوانا انظار رئيسات مدارس الاناث الى هذا الامر المفيد

راح الشتاء وجاء الربيع . فتح الورد الاحمر . وامتد العشب الاخضر : صنع الخالق البديع

راح الشتاء وغداً يجيء شهر مايو . فلتلبس بنات المدارس في اوله حللهن البيضاء ولتجتمعن كاسراب الحمام فوق بساط الطبيعة الخضراء لينتخبن لمرة الاولى تحت سماء الشرق افضلهن واجملهن و ينادين بها (ملكة مايو) على اصوات النشيد البهيج الذي مطلعه (كل شيء حولنا جميل بهيج) فحينئذٍ تطلُّ الملائكه من السماء لتشاهد هذا الاحتفال وتزداد الطبيعة ابتساماً لهؤلاء العذارى اللواتي يحتفلن برجوع الربيع خطيبها . ولا تكتفي بالابتسام لهن بل تدعو لهن ايضاً بخطَّاب (على خواطرهن) ليكمل سرورهن كما كمل سرورها . . .

باب المقالات

فشودة وروايتها

نظماً ونثراً

نُشر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب بشان فشوده والبعثة الفرنسوية العسكرية التي سارت من الحبشة لملاقاة مرشان فيها . وقد قال موءلف هذا الكتاب الذي هو احد رجال البعثة المشار اليها ان سبب فشل فرنسا يومئذٍ هو عجز هذه البعثة عن الوصول الى فشوده . وسبب عجز البعثة هو وكيل فرنسا السياسي في الحبشة . فاعاد هذا الكلام ذكر رواية فشوده

وجميع القراء يعرفون تفاصيل هذه الرواية فلا حاجة للعودة اليها . وانما نورد بايجازٍ رأي موءلف هذا الكتاب . فقد قال انه قبل خروجه بالبعثة من الحبشة قاصداً فشوده لملاقاة مرشان اشار عليهم امبراطور الحبشة ان يجتنبوا مستنقعاً في اعالي صوبات يستحيل عبوره من غير زوارق . ولكنهم ما اوشكوا ان يخرجوا من اديس ابابا حتى وردهم امر من وكيل فرنسا في الحبشة بالمسير في ذات الجهة التي نصحهم الامبراطور بان لا يسيروا فيها فاضطروا الى الامتثال وساروا حتى بلغوا النيل وصاروا على مسافة ٤٠ ميلاً من فشوده من جهة بلاد الحبشة . ولكنهم وقفوا هناك لمستنقع الواسع الذي اعترضهم . فارادوا التحول عنه فوجدوا في اطرافه ادغالاً هائلة يغيب فيها جيش اذا نزل اليها فتناولوا ما لديهم من السلاح والمعاول واخذوا يقطعون تلك الادغال ليفتحوا لهم طريقاً فيها فكانوا يتقدمون بهذه الطريقة بضعة اذرع في اليوم على الكثير . ثم ما لبثت ان انتشرت الحميات بينهم لضعف اجسامهم من شدة التعب وحر النهار نتوفي بعضهم فاضطر الباقون للعودة خائبين . وكان ذلك قبل فتح ام درمان بستة شهور ولم يكن باقياً بينهم وبين فشوده سوى اقل من اربعين ميلاً

قال موءلف هذا الكتاب . فلو تمكنا من اجتياز تلك الصعاب لوصلنا الى فشوده قبل وصول السردار الى ام درمان بستة اشهر وذلك كافٍ في رايه لتغيير وجه المسالة . فان

قواد الجنود المصرية والانكليزية الزاحفة الى السودان لم يكونوا حينئذ على ثقة من مستقبل الحملة بدليل الفرح العظيم الذي احدثه في لندرا انتصارهم على الدراويش فلو احتلت فرنسا فشوده قبل هذا الانتصار ببضعة شهور لما قابلتها انكلترا بالحدة التي قابلتها بها بل لما جاز لها ان تقابلها بها لان فشوده كانت تابعة للدراويش لا لمصر

هذه خلاصة الكتاب · ولكن هذا القول مردود من جملة وجوه · اهمها ان انكلترا كانت تعتبر كل الاراضي التي في اعالي النيل تابعة لمصر وان كانت في قبضة الدراويش وذلك لاعتبارها ان الدراويش انفسهم تابعون لمصر وانما تخلت عنهم مصر الى اجل مسمى · واما الاسباب الحقيقية التي اضطرت فرنسا الى الخروج من فشوده نحنية الراس مع كبريائها وعزتها فهذه اهمها

(١) ضعف الراي العام في مصر وعدم مداخلته لابلاغ الفريقين ان مصر ليست ملكاً لهؤلاء ولا فشوده ملكاً لاولئك بل هما ملك للامة

(٢) عدم اغتنام الدولة العلية العثمانية صاحبة السيادة تلك الفرصة لفتح المسألة المصرية

(٣) عدم استعداد العمارة الفرنسوية لان اكثر سفنها كانت يومئذ مجردة من اسلحتها في الموانئ والعملة يعملون في تنظيفها واصلاحها

(٤) ضعف فرنسا في البحر وقوة انكلترا فيه فالحرب بينهما لا تخلو من خطر عظيم على فرنسا وليس من الحكمة ان تتعرض فرنسا لهذا الخطر من اجل غيرها وطلباً لامر صغير كامر فشوده

(٥) اذخار قوتها لاسترداد الالزاس واللورين

هذه اهم الاسباب التي دعت الى فشل فرنسا في الرواية الفشودية لاما ذكره صاحب الكتاب · وقد نظم «شاعر النيل» هذه الرواية ملتزماً فيها جانب الهزل والجد فرأينا نشرها على سبيل الفكاهة · ولم نسمِّ الناظم لان لقب (شاعر النيل) ينمُّ عليه · وهذه هي الرواية الشعرية

تمهيد

فشودة روايه للبصريين آيه	بل شهد التمثيلا ثم انثنى بخيلا
قد مُثلت في العصر ليهتدي في مصر	مولي الاكتاف في ساعة الاسعاف
فما اهتدى ولا عقل ولا درى كنه الحيل	فلا تلم فرنسا وفضلها لا تنسا
	وقل لمن رام السبب شقاء مصر قد غلب

الفصل الاول

مرشان في فشوده

بالنيل النقي   من بعد ما عز اللقا
في سلم   على الصفا الاتم
باه تجري   نهرًا بجنب نهر
بكر لم تزل   كادحاها في الازل
صناف الثمر   تنبت اجناس الزهر
بالماكول   من عدس وفول
التبر السني   وكم بها من معدن
ابن يومه   " لمرشن " وقومه
كا الجنات   ما غير خذ وهات
فيها قد ثبت   كانه عود نبت
للعواصف   فما له من قاصف
دلكامي   العوبة للناس
وتنقضي   قدخاب فيهامن رضي
كان العاقبه   فان مصر الخائبه
كن لبطرس   من طاقة بدلكسي
ن بوري   يسمع سالسبوري
من امه   تنجده في الغمة
ن دوله   تمده بالصوله

الفصل الثاني

مرشان والنيل

كان نائما   رأى « المجور » قائما
في راسه   يحسبه في رمسه
يانيل   يا ايها القتيل
البلاد   لأفسد الاولاد
الميراث   والصبية الاحداث
ذُبحتَ بالسكين   من ظالم مهين
وكان اهلك المدى   والحبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه   بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت في زير   او وقعت في البير
فلا تلمني بعد ذا   اذا تعمدت الاذى
اني انا المحامي   عنك لدى الانام
لا بد لي من حصه   قبل ضياع الفرصه
اذ قد غدا في النيه   ان تحفظ القضيه
فهب داعي النيل   من نومه الطويل
يقول يا مرشان   يا ايها الشيطان
يا اسد القفار   يا حية البراري
يا سمكًا عوامًا   يا طائرًا حوامًا
يا ابكة العجين   يا بلة في طين
يا ضجة الطبول   على طريق الغول
يا خارجًا من علبه   يا حادثًا من لعبه
يا مشكلا لما نزل   ومشكلين ان رحل
وان اردت جدي   فانت خير عندي
من كل ذي قلب بطل   لجنة الارض وصل
ما كانت الشهور   يكفي لها طابور
ولا الحمام الازرق   يعصم منه زورق
ولا الاسود السود   يصدها بارود
ولا مجاهل الثرى   تطوى كما تطوي القرى
سلكتها باغازي   اية المجاز
حتى ملكت مجرى   بحر الغزال طرا
تبيعه وتشتري   براية وعسكري
لكن تعال قل لي   ولا تكن مضلي
من ذا اباحك الحمي   من ذا حباك المغنما

من ذا لهذ جرّا من ذا عليه جرّا
بحر الغزال مني كيف يزول عني
وهذه فشوده ربيبتي المعهوده
كيف اساء فيها وكيف نقتنيها
فاندفع الماجور بسحره يدور
وقال قولاً مقنعا اثبت فيه ما ادعى
ياسيد الانهار وملك الديار
ماذا يهمك السقط من بعد ما الراس سقط

الفصل الثالث

سالسبوري ومصر

وجاء سالسبوري لمصر في سرور
يقول وهي تستمع يقنعها فتقتنع
يامصر يافتاتي يازينة البنات
يامشتهى انكلترا يابنت اخت لندره
يامنية التاميز والوطن العزيز
بل يا اتان الملكة يا الف الف سكه
ياناقة السردار وجيشه الجرار
ياأصل ماقد اكتسب من ثروة ومن تعب
يابلداً ما فيه ذو ناظر يبكيه
يا امة ولا وطن يامنزلاً لمن سكن
ياموطيء الاقدام يافتنة الاقوام

اني ارى النشالا يختلس الخلخالا
هيا نصيح السارقا ونشهد الخلائقا
وبطرس والوزارا يحررون القمطرا
ويثبتون فيه تهمة سارقيه
وبعد عرض الشكوى نقيم نحن الدعوى
ونظهر اللصوصا ونطرد اللصوصا
اولا فقد خاب الامل ولا سبيل للعمل
فما اتمّ قوله ان ضحكت مصر له
واقبلت تقول يا ايها المامول
الوزرا عبيدكا والكل من جنودكا
فاقض بما تشاء لا ينقض القضاء

رقصة الختام

اليكم عن بطرس (١) نادرة في المجلس
اذ قالت النظار يا من له الفخار
نرى المجال صعبا ذئب يعض ذئباً
فهات حدث عنه كيف خرجت منه
فقام فيهم ناصحاً يقول قولاً راجحاً
فشودة تعيشوا مثل اسمها فشوش
ما الخلف والتجافي الا على اللحاف
دفعته للورد وبتُّ تحت جلدي

---

(١) ان حضرات النظار الكرام لا يستحقون هذا التهكم والمزاح لانهم في حادثة فشودة عملوا ما تعمله كل وزارة مصرية مسئولة . ولو كان في امكانهم ان يعملوا احسن منه لما قعدوا عنه ولكن عذر الشاعر انه يجوز له ما لا يجوز لسواه

اين نجد الحقيقة وكيف نجدها

الكوخ الهندي

سفر من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير وقد كان نابوليون الاول شديد الاعجاب به حتى انه كان كلما لقي برناردين مولفه يقول له « متى تكتب لنا كوخاً هندياً ثانياً » اما موضوع هذا السفر فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها فان كل طائفة من البشر تدعي انها اكثر معرفه بها من سواها وتصورها كما يزينها لها هواها . ويتخلل ذلك كلام فلسفي عن البراهمة الذين هم اكليروس الهنود وعن رئيسهم واخلاق الهنود ووصف شؤونهم واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة

(تابع لما قبله)

٤

ولما دخل الدكتور الانكليزي الى قاعة البراهمة مكشوف الراس عاري القدمين والجسم لا يستره الا غطاء قطني اخذ يتامل في المكان فوجد انه قاعة متسعة سماؤها قائمة على اعمدة ضخمة من خشب الصندل وارضها مفروشة ببسط دقيقة طول الواحد منها سبعة اقدام في سبعة عرضاً . وكان في صدر القاعة دكة عالية محاطة بدرابزون من خشب الابنوس وفوق الدكة راس البراهمة الجليل بلحية بيضاء وثلاثة خيوط قطنية حسب عادة البراهمة . وكان جالساً على بساط اصفر اللون وهو جامد كالصنم لا يتحرك منه عضو حتى عينيه وحوله تلامذته بعضهم يطرد الذباب عنه بمذبات مصنوعة من اذناب الطاووس وبعضهم يحرق عود الند في مجامر من الفضة والياقوت والبعض يضربون على السنطير انغاماً شجية . وكان حول دكة الرئيس صفوف من الزهاد والعلماء والدراويش في جملتهم بعض تلامذته وكلهم باذرع مطوية على صدورهم مطرقون الى الارض هيبةً واجلالاً

فهمَّ الدكتور بان يتقدم الى دكة راس البراهمة قياماً بواجب التحيـة والسلام فمنعه البرهمي من ذلك واوقفه عند البساط التاسع اذ لا يجوز لاكابر الهنود ان يتجاوزوا هذا الحد . اما الحكام فانهم يصلون الى البساط السادس والامراء ابناء الملك الى البساط الثالث . وليس لاحد شرف الوصول الى راس البراهمة لتقبيل قدميه تبركاً بذلك غير ملك الهند وحده

فما احمق الانسان واجهله · من يصدق ان البشر الذين خُلقوا على صورة الله ومثاله يصل بعضهم الى هذا الترفع والتجبر و بعضهم الى هذا الخوف والدناءة

وكان الدكتور قد امر رجاله بان يضعوا عند مدخل القاعة الهدايا التي جاء بها الى رئيس البراهمة فاخذها البراهمة الى رئيسهم فالقى عليها الرئيس نظرة لا تدل على استحسان ولا استهجان ثم نقلوها الى داخل القصر

اما الدكتور فانه لما وقف عند البساط التاسع اراد ان يستهل كلامه بخطبة انيقة باللغة الهندية لانه كان يعرفها فاشار اليه البرهمي بالصمت حتى يخاطبه راس البراهمة فصمت وجلس متضجرًا من كل هذه الترتيبات المتعبة · ولكنه قال في نفسه « يهون عليَّ كل تعب في سبيل الحقيقة والبحث عنها »

ولما جلس الدكتور سكتت اصوات الموسيقى وساد في القاعة سكوت تام فسأل حينئذٍ راس البراهمة الدكتور هذا السؤال « ما جاء بك الى الهند » · غير ان الرئيس لم يخاطب الدكتور مباشرة بل القى هذا السؤال الى درويش وهذا الدرويش القاه الى درويش ثانٍ فالقاه هذا الثاني الى درويش ثالث اوصله الى الدكتور

فاجاب الدكتور باللغة الهندية الفصحى « انما جئت هيكل جاكرينا لمقابلة كاهنه الاعظم الذي اشتهر بعلمه وحكمته وذلك لاساله حل بعض المسائل العلمية والفلسفية التي اعيانا حلها »

وكانت جميع الابصار حينئذٍ شاخصة الى الدكتور فلما اتمَّ كلامه انتقلت الى راس البراهمة

و بعد برهة سال راس البراهمة الدكتور بالطريقة الاولى « قل ما هي المسائل التي ترغب في حلها »

فاجاب الدكتور على الفور · المسالة الاولى هي: « ما الطريقة التي يتوصل بها الانسان الى معرفة الحقيقة »

فتامل الكاهن الاعظم برهة ثم اجاب « ان الحقيقة لا تُعرف الا بواسطة البراهمة »

فانحنى كل من في المجلس اعجابًا بحكمة رئيسهم العظيم · اما الدكتور فساءه هذا الجواب لانه كان يتوقع جوابًا احسن منه ولكنه كظم ما في نفسه وسال السؤال الثاني وهو: « اين نجد الحقيقة في هذا العالم »

فشخصت جميع الابصار الى فم الرئيس تنتظر جوابه الحكيم

فلم يلبث راس البراهمة ان اجاب « ان الخالق وضع الحقائق كلها في الكتب الاربعة الهندية المقدسة وقد كتبت هذه الكتب باللغة السنسكريتية منذ ١٢٠ الف سنة . ولا يقف احد على هذه الكتب ولا يفهم امرارها الا البراهمة »

فدوت هنا القاعة من تصفيق الجالسين واخذتهم هزة الطرب اعجاباً بهذا الجواب السديد

اما الدكتور فلا تسل عن حنقه وغيظه . ولكنه تجلد ليرى النهاية ثم اجاب بشيء من النزق والحدة « ان كان الخالق قد وضع الحقائق في كتب خصوصية لا يقف عليها الا البراهمة ولا يفهمها احد غيرهم فذلك يدل على ان الخالق يخفي الحقيقة عن الذين ليسوا ببراهمة ولم يسمعوا بهم قط فهو بالتالي يمنعهم من معرفتها وهذا ظلم محض »

فاجاب الرئيس « هكذا اراد برهما وليس للبشر الاعتراض على ارادته »

فازداد الحاضرون تحمساً وتصفيقاً

فساله الدكتور عند ذلك سؤاله الثالث وهو : « هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً »

فاجاب الرئيس « من الصواب احياناً ان نخفي الحقيقة عن جميع الناس . ولكن لا يجوز البتة اخفاؤها عن البراهمة »

فلم يتمالك الدكتور ان استشاط عند ذلك غضباً فصاح : « لماذا نكره الناس على ان يقولوا الحقيقة للبراهمة اذا كان البراهمة لا يقولونها لاحد ولا ينفعون بها احداً . الا يكون ذلك ظلماً من البراهمة »

ولكن ما لفظ الدكتور هذا الكلام حتى علت ضوضاء الحاضرين . فانهم سمعوا الدكتور يعزو الظلم الى الله سبحانه وتعالى فسكتوا عنه ولكنهم لم يسكتوا عند نسبته الظلم اليهم . فقام الزهاد والعلماء والدراويش والبراهمة والتلامذة قومة واحدة لمناظرة الدكتور ومقاومته . فنهض حينئذ الرئيس وصفق بيديه قائلاً بصوت سمعه الجميع « ان البراهمة لا يناظرون علماء الافرنج » ثم نزل من مكانه وخرج من القاعة

فازداد القوم صراخاً وهياجاً بعد خروجه وكادوا يؤذون الدكتور لولا معرفتهم بقوة الانكليز ونفوذهم في الهند . فخرج الدكتور من القاعة غاضباً متضجراً فقال له البرهمي الذي ادخله الى القاعة لو لم تغضب الكاهن الاعظم لقدم لك الشراب والطيب حسب العادة فلماذا اغضبته . فاجاب الدكتور بماذا اغضبته . فقال البرهمي اغضبته باعتراضك على كلامه

الا تعلم بانه حكيم الهند وعظيمها وان كل كلمة من كلماته حكمة باهرة لا تفهمها العقول البشرية ·
فهز الدكتور راسه وخرج الى ثيابه وهو يقول : قد عرفت ذلك الآن فياضيعة التعب الذي عانيته في الوصول الى هنا

ثم اسرع الى ملابسه فنزع الغطاء القطني ولبسها وخرج يطلب رجاله

وكانت الغيوم حينئذٍ متلبدة في السماء والجو ينذر بالمطر والليل يرخي سدائله · فاستأذن الدكتور في المبيت في احدى غرف الهيكل فلم يؤذن له لانه كان « افرنجياً » اي نجساً فطلب ماء ليروي به ظمأ ناله من التحمس والهياج فجاؤه بابريق فيه ماء فشرب الدكتور منه ثم ناوله للبرهمي فالقاه البرهمي على الارض وكسره لانه صار نجساً من فم « الافرنجي » فاستشاط الدكتور حينئذٍ غضباً فامر رجاله بالمسير في الحال فعادوا به من حيث اتوا قرب هبوط الظلام

فجلس الدكتور في هودجه فوق اكتافهم وجعل يتامل في المشاق التي عاناها الوصول الى هذا المكان وما كان من خيبة امله · واخذ يقول في نفسه : لقد صدق المثل الهندي القائل « ان كل اوروبي يقصد الهند يتعلم الصبر ان كان غير صبور ويفقد صبره ان كان صبوراً » فقد عيل صبري · لقد تعبت في التفتيش عن الحقيقة سدى وها انذا اعود خائباً · فما هذا الشقاء البشري · أُقضي على الحقيقة ان تظل مجهولة من الناس وعلى الناس ان يبقوا تائهين في وهاد الجهل والغباوة

وبينما هو سائر على اكتاف الرجال يتامل في هذا الموضوع والليل قد ارخى سدائله هبَّ بغتة اعصار شديد يسميه الهنود « طوفاناً » فكانت الريح تهب من صوب البحر على مياه نهر الكانج فتقذفها على الجزائر التي عند مصبه ثم تثير من شواطئها الرمل والتراب وترفع من غاباتها اوراق الاشجار الى عنان السماء · وكانت الزوبعة تصدم الاشجار الضخمة المغروسة في جانبي الطريق فتعبث بها كما تعبث الريح الخفيفة الاعتيادية بالاعشاب وتحطم اغصانها وتلقيها في وسط الطريق · وفضلاً عن ذلك فان نهر الكانج اخذ بالفيضان بعد هبوب الزوبعة وصار المطر يهطل غزيراً · فخاف الدكتور ان تؤذيهم تلك الاشجار بالتوائها وانقصاف اغصانها وان يغرقهم الكانج بفيضانه فامر رجاله بالخروج من الطريق والسير في الحقول نحو الربى والآكام المجاورة احتياطاً لفيضان الكانج · فسار رجال الدكتور به في الجهة التي اشار اليها ثلاث ساعات على غير هدى تحت جنح الظلام · واذا بوميض برق شقَّ كبد السماء وانار الافق فراوا الى يمينهم على نوره هيكل جاكرينا

وجزائر الكانج يتلوها بحر عجاج متلاطم بالامواج وامامهم واديًا صغيرًا بين اكمتين وفيه حرش صغير قريب منهم · فاسرعوا الى هذا الحرش ليدخلوه فوجدوا نباتات وشجيرات تسد الطريق لالتفافها على اشجار الحرش فتناول الفرسان سيوفهم ونحوا بها طريقًا فدخل الجميع تحت الاشجار الضخمة وهم يحسبون انهم اصبحوا في مامن من الفيضان والمطر والزوبعة · ولكنهم لم يتنفسوا الصعداء برهة حتى دهمتهم السيول من كل جانب تنصب في ذلك الوادي لان المطر كان غزيرًا · فعاودهم القلق والخوف

وفيما هم في هذه الحالة يضربون اخماسًا لاسداس حانت من احدهم التفاتة فابصر من خلال الاشجار بصيص نور بعيد فاسرع حامل المصباح الى مكان النور ليشعل مصباحه غير انه لم يغب بضع دقائق حتى عاد ركضًا وهو يلهث ويصيح بكل فواه « ابعدوا ابعدوا ففي هذا المكان خارجي »

فاسرع الدكتور وتناول مسدسه وهو يظن ان هنالك وحشًا ضاريًا ثم سال الرجل : « ما هذا الخارجي »

فاجاب الرجل وهو يلهث تعبًا وخوفًا · « هو رجل بلا ذمة ولا دين » فقال رئيس الفرسان للدكتور « الخارجي هو هندي من ادنى الطوائف وشريعتنا تحلل لنا قتله اذا لمسنا · واذا جالسناه حرمنا نعمة الدخول الى هيكل من هياكل الاقمار القدسة ووجب علينا ان نطهر انفسنا بالاستحمام تسع مرات في نهر الكانج وان يدهننا البراهمة ببول البقر تسع مرات من الفرق الى القدم »

فصرخ جميع رجال الدكتور وكلهم من الهنود كما تقدم « لا نجالس خارجيًا ولا ندخل مكان خارجي »

فسال الدكتور حامل النور « ومن اين علمت ان الرجل خارجي بلا ذمة ولا دين كما زعمت » فاجاب الرجل « علمت ذلك من انني لما فتحت باب كوخه رايته جالسًا بجانب كلبه وهو يقدم الماء لامراته في قرن البقر · ولا يخفى عليك ان الكلب دنس والبقر من معبوداتنا »

فصاح الجميع مرة ثانية « سحقًا له فنحن نكره رؤيته »

فنظر اليهم الدكتور باسمًا ثم قال « اقيموا انتم هنا ان اردتم · اما انا فلا يمنعني شيء من اتقاء خطر الزوابع والسيول فعندي جميع طوائف الهند سواء »

قال ذلك ثم تأبط كتابه وكيسًا وضع فيه امتعته ومسدسه وغليونه ثم تركهم وسار

نحو مكان الخارجي مستهديًا ببصيص النور المنبعث منه

٥

وما زال الدكتور سائرًا في الظلام نحو النور حتى انتهى الى كوخ قائم تحت شجرة عظيمة فدنا من الباب وقرعه قرعًا لطيفًا . ففتح له الباب رجل لطيف الهيئة ولما نظر هذا الرجل الدكتور تنحى عن الباب وقال بادب « عفوًا ياسيدي فانا خارجي لا استحق ان تشرف بيتي . اما اذا كنت تطالب الاحتماء من الزوبعة فاهلاً بك وسهلاً »

فدهش الدكتور من هذه اللهجة واجابه باللغة الهندية التي كان يعرفها كما تقدم « شكرًا لك يا اخي وانا اقبل دعوتك بابتهاج وسرور »

ثم دخل الدكتور الى الكوخ مستأنسًا بالنور بعد الظلام وبالاجتماع بعد الوحدة فرأى كل ما في داخل الكوخ بسيطًا نظيفًا مرتبًا وابصر في احدى زواياه امراة خاشعة الطرف تهز بلطف سرير ولدها

اما الخارجي فانه ما دخل الدكتور الى بيته حتى خرج فاحتمل حطبًا كثيرًا وتناول سلة مملوءة من ثمار الموز والنارجيل ثم خرج يفتش عن رجال الدكتور . ولما اهتدى اليهم وضع الحطب والسلة بعيدًا منهم وخاطبهم بلطف عن بعد قائلاً « بما انكم لا تتنازلون لدخول كوخي فاذنوا لي بان اقدم لكم ما تسدون به حاجتكم فلا بد انكم في جوع ولا بد ان يكون المطر قد بلل ثيابكم فخذوا هذه ثمار مغلقة لم تمسها يدي فاخرجوها وكلوا منها وهذا حطب اضرموه تجفيفًا لملابسكم وابعادًا للنمورة عنكم . وليكن الله حارسًا لكم »

ثم عاد الخارجي الى الكوخ مسرعًا فمد بساطًا ووضع عليه شيئًا من العنباء والبطاطس المشوية والموز المشوي وقدرًا من الارز المطبوخ بالسكر وحليب النارجيل . ثم دعا الدكتور الى هذا الطعام الطبيعي البسيط بقوله : « لا بد انك علمت ياسيدي انني خارجي لا استحق ان ادنو من احد او ان يدنو مني احد غير اني ارى في ملابسك ما يدلني على انك لست هنديًا فان رايت ان تتنازل الى تناول ما اعده لك خادمك الحقير اوليتني نعمة وجميلاً »

فاثرت هذه اللهجة في نفس الدكتور احسن تاثير فنهض الى بساط الطعام مسرورًا . اما الخارجي فتنحى مع امراته وولده في احدى زوايا الكوخ فساء ذلك الدكتور والتفت اليه قائلاً : « لماذا لم تجلس معي على الطعام . انت افضل مني ايها الرجل لاني رايتك تحسن الى من يسيء اليك (يعني بذلك تقديمه الطعام والحطب لرجاله) فاذا لم تجالسني على هذا

الطعام حسبت انك تظنني شريرًا مثل اولئك الرجال وحينئذ اترك الكوخ عائدًا من حيث اتيت ولو اغرقني السيل واكلتني الوحوش »

فنهض الخارجي وجلس بجانب الدكتور واخذ ياكل معه · فاكل الدكتور مسرورًا لانه وجد ملجأ من الزوبعة والمطر · وكان الكوخ مبنيًا في اضيق مكان في الوادي تحت دوحة من التين الهندي وهي شجرة ضخمة ذات ورق كثيف عريض لا ينفذه ماء المطر مهما هطل · وكانت الزوبعة في الخارج تزئر زئيرًا شديدًا تمازجه صعقات رعد هائلة والريح تهب هبوبًا شديدًا يكاد يقتلع الاشجار من اصولها ومع ذلك فقد كان كل ما في داخل الكوخ هادئًا ساكنًا حتى نور السراج ودخانه · فراق الدكتور هذا السكون السائد حول الهندي وامرأته وسط هياج الطبيعة وعناصرها · وكانت المرأة جالسة قريبًا من سرير ولدها تهز سريره بقدمها وتصنع له بيديها طوقًا من الزهر لتزينه به · وكان الرجل ينظر اليها والى ولده الحين بعد الحين بعين طافحة حبًا وحنوًا وعلى وجهه لوائح الدعة والبساطة وفراغ البال وراحة الضمير · فكأن كل ما في ذلك الكوخ المنفرد في البرية وسط الطبيعة الثائرة الهائجة كان مستريحًا هادئًا حتى كلب الكوخ وهرته اللذين كانا نائمين بجانب موقد النار الواحد بقرب الآخر · وكان الكلب يفتح من حين الى حين عينيه و يتنهد كلما وقع نظره على سيده

ولما فرغ الدكتور من تناول الطعام اتاه الهندي بنار لاشعال غليونه ثم اشعل هو غليونه واشار الى امرأته فجاءت بسلتين من النارجيل واناء مملوء شرابًا مصنوعًا من الماء والعرق وعصير الليمون الحامض وماء قصب السكر فتناول الدكتور شيئًا من ذلك ثم جلسا للحديث فقال الدكتور

لقد اعجبني ايها الاخ عيشك البسيط في هذه الارض القفراء وسط هذه الغابة الكثيفة وكأني اقرأ على جبينك ما انت فيه من خلو البال وراحة الضمير غير اني اسالك الا تخاف الزوابع والصواعق في هذا المكان المنفرد فان كوخك لا يقيه منها غير هذه الشجرة والاشجار تجتذب الصواعق كما تعلم

فاجاب الهندي : ان الصاعقة لا تقع البتة على شجرة التين الهندي

فقال الدكتور مستغربًا : هذا امر كنت اجهله واني اشكرك على هذا الاكتشاف ولكن ما السبب في ذلك هل ان لشجرة التين الهندي كهربائية سلبية كشجرة الغار

فقال الهندي لا افهم معنى كلامك ياسيدي · وانما امرأتي تقول ان سبب ذلك ان

برهما تفيأ ظلها يوماً من الايام فخصها بهذه المزية . واما انا فاني ارى ان الخالق الذي خصها بورق كبير غليظ لا ينفذه المطر وقاية للبشر الذين يلجئون تحتها في هذه الاقطار الشديدة الامطار رأى ان يتمّ نعمته عليهم فخصها بمزية الوقاية من الصواعق كما خصها بمزية الوقاية من المطر

فقال الدكتور معجباً بقول الهندي : ما اسمى كلامك واعظم ثقتك بالعناية الالهية . وكاني علمت من جوابك امرًا كنت اجهله وهو ان ثقتك بالله هي التي جعلتك مستريح الخاطر ناعم البال في هذه الوحدة . فقل لي ما هو مذهبك فقد راجعت في كتاب معي اسماء جميع طوائف الهنود فلم اجد فيه ذكرًا لطائفة « الخارجيين » فمن اية طائفة انت . واين وطنك . وفي اي اقاليم معبدك

فاجاب الهندي بشيء من الرزانة :

« وطني هذا العالم الفسيح . ومعبدي هذه الطبيعة الواسعة . فاني كما اشرقت الشمس وقفتُ امامها في وسط الطبيعة اسبح خالقها . وكلما غربت شيعتها بنظري وحمدت الله عداد النعم التي يُحبني اياها . ولا همّ لي في معيشتي هذه غير خدمة امرأتي وولدي والعناية بكل ما هو لي حتى كلبي وهري . وانا كما تراني مسرور بمعيشتي في وسط الطبيعة سرور الولد في حضن امه او العصفور في عشه . ومتى حان اجلي غدًا استقبلت الموت باسماً لاني لا احسبه شرًا ولا ألمًا وانما انتظره الآن كما انتظر نوماً لطيفاً في آخر النهار

فاخذ العجب من الدكتور كل ماخذ لهذا الجواب البديع . فسال الهندي : واي كتاب ارشدك الى هذه المبادىء الجميلة . فاجاب الهندي كتاب الطبيعة ياسيدي . فقال الدكتور لا ريب انه كتاب عظيم ولكن من علمك القراءة في هذا الكتاب . فاجاب الهندي

« المصائب ياسيدي . فاني ولدت في طائفة يسميها الهنود « خارجية » لانهم يعتبرونها خارجة عن طوائفهم المعروفة ولذلك يقولون انها نجسة رجسة فلا يقربونها . فلما شببت وجدت نفسي عاجزًا عن ان اكون هندياً ديناً ووطناً فعزمت على ان اكون انساناً . فلجأت الى الطبيعة لاعيش فيها حرًا مستقلاً بعيدًا عن ظلم اخواني بني الانسان

فقال الدكتور وما هي الكتب التي تستعين بها على صرف وقتك في هذه الوحدة . فاجاب الهندي باسماً اني لا اعرف القراءة ولا الكتابة ياسيدي . فهزّ حينئذ الدكتور راسه وقال له انك كفيت نفسك شكوكاً كثيرة . اما انا فاني مرسل من انكلترا لجمع

الكتب والاوراق بحثاً عن الحقائق وسعياً وراء ما يرفع شان البشر ويزيد راحتهم · وقد عانيت في هذا السبيل كثيراً من المشاق والاتعاب وفي اعتقادي ان تعبي قد ذهب سدًى لانني صرت ارى السعي وراء الحقيقة عبثاً ولهواً بل حماقة وجنوناً اذ هبْ اننا وجدنا الحقيقة التي ننتش عنها فمن يقبلها ويسمعها دون ان ينقلب بالسخط علينا

فاجاب الهندي · اني وان كنتُ على ما تعلم من الجهل يا سيدي الا انني استأذنك في ابداء رايي · اني اعتقد ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر اذ على الحقيقة يتوقف هناء الانسان وسعادته وبدونها لا يكون الانسان الا وحشاً طماعاً جاهلاً فاسد الاخلاق متعلقاً بالاوهام والترهات تبعاً لاغراض الذين يتولون تربيته · فالبحث عن الحقيقة من واجبات الانسان ومعرفتها حق له

٦

وكان الدكتور لا يزال يفتكر في المسائل الثلاث التي القاها على رئيس البراهمة فلما راى اجوبة الهندي السديدة واقواله الصائبة خطر له ان يلقيها عليه ايضاً ليرى رايه فيها فقال له : قلتَ ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر وانه يكون بدونها وحشاً لا انساناً فهل لك ان تدلني على الطريق الموصلة الى الحقيقة · ولا تقل الحواس فان الحواس تكذب وتخدع · ولا تقل العقل فاني لا ارى العقل الا صورة للمصالح الشخصية ولذلك ترى هذا الخلاف العظيم بين البشر · انظر الى العالم هل ترى فيه امتين بل قبيلتين بل طائفتين بل عيلتين بل رجلين بافكار واحدة · فان لم يكن العقل هو الطريق الى الحقيقة فما هي الطريق اذاً

فاجاب الهندي ان العقل يخدعنا دائماً كما ذكرتَ ولذلك لا يصح ان يكون الطريق الى الحقيقة وانما الطريق الى الحقيقة والمرشد الامين اليها هو القلب الساذج السليم

فاجاب الدكتور · قد تكون مصيباً في قولك ايها الاخ وكانني فهمت الآن سبب اختلاف افكار الناس وتباين آرائهم · فهم يتفقون شعوراً ولكنهم يختلفون حكماً · فان مبادىء الحقيقة تدخل الى نفوسهم فيشعرون بها جميعاً ولكن كل واحد منهم يستنتج ويحكم طبقاً لمصلحته وهواه · فالمضلُّ هنا هو العقل لا القلب · فاذا كان القلب نقياً سليماً كما ذكرتَ شعر بالحقيقة وحكم بما تمليه عليه دون ان يؤثر فيه مؤثر سواها

فقال الهندي · لقد شرحتَ فكري شرحاً لا اقدر عليه · ولكني اشبه تشبيهاً يعرب عما في ضميري · ان الحقيقة كندى السماء · ولا يبقى الندى نقياً الا اذا وضع

في اناء نقي

فصاح الدكتور مدهوشاً : احسنت احسنت . ان الحقيقة كندى السماء وهي لا تبقى نقية الا اذا حُفظت في قلب نقيّ . ولكن قل لي اين نجد الحقيقة . افي مكاتب العلم ام في صدور الناس . لقد طفت في سياحتي بلاداً كثيرة ونقبت في كثير من المكاتب وناظرت كثيرين من العلماء فلم اجد ايان سرت وحيثما حللت سوى آراء متناقضة ومذاهب مختلفة وشكوك واوهام . فاذا كانت الحقيقة لا توجد في مكاتب العلم وصدور الناس فاين نجدها اذاً

فاجاب الهندي . لو كنا لا نتوصل الى الحقيقة الا بواسطة البشر لارتبنا فيها واسأْنا الظن بها . فدع الناس وشانهم اذا اردت البحث عن الحقيقة ولا تفتش عنها في اقوالهم واعمالهم فان اقوالهم واعمالهم تزيدك تيهاً وضلالاً . وانما فتش عن الحقيقة في الطبيعة وكل من يبحث عنها خارج الطبيعة يضلُّ سبيلاً . فان الطبيعة مصدر كل ما في الكون كما ان الله مصدر كل ما في الطبيعة . ولغة الطبيعة لطيفة بسيطة تفهمها ابسط العقول فضلاً عن كونها ثابتة ابدية لا يطرأ عليها تغيير او تبديل . واما لغة البشر فانت ادرى بما فيها من الابهام والغموض وما يطرأ عليها من الانقلاب

فقال الدكتور يؤْخذ من قولك ان الطبيعة مصدر الحقائق كلها . وهو قول يصح في الحقائق الطبيعية ولكنه لا يصحُّ في الحقائق التاريخية . كيف الوصول الى معرفة ما جرى منذ الف او الفي سنة دون الاستعانة بالكتب . فان قلت بالنقل والتواتر اجبتك ان الانسان انسان في كل زمان ومكان فمن يركن الى قوله وينزله منزلة الحقيقة الثابتة التي لا تُنقض فقد ركن الى الجهل والضعف والتشيع والتحريف والنسيان . فلا غنى لنا اذاً عن الكتب اثباتاً للحقائق التاريخية

فضحك الهندي وقال . ولكن من كتب هذه الكتب . أليس الانسان . ومع ذلك فاية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه . واي تاثير للتاريخ في سعادتنا على هذه الارض . بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت . ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون

فاجاب الدكتور متعجباً . لقد سلمت بهذا الراي . يجب ان نبحث عن الحقيقة في الطبيعة وان لا نعبأ بما هو خارج عنها اذ لا علاقة له بسعادتنا . ولكن ما الواسطة التي ندرك بها هذه الحقيقة اعني دليلنا الذي نتوصل به اليها . انا نرى الحيوانات في الطبيعة

في حرب مستمرة فهي تقتتل وتاكل بعضها بعضا · فهل يجب ان يصنع الانسان بالانسان ما يصنعه الحيوان بالحيوان

فاجاب الهندي · كلا ثم كلا · لان في قلب الانسان اساساً طبيعياً لحقوقه وواجباته وقد وضع الخالق هذا الاساس في داخل النوع البشري كما توضع المنائر على شواطئ البحار لهداية السفن · وهذا الاساس هو هذه القاعدة البسيطة « اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك » هذا هو دليل الانسان وقاعدة واجباته

فازداد الدكتور دهشة لاصالة راي الهندي ثم ذكر اجوبة رئيس البراهمة وقابلها باجوبة الهندي فعرف من هذه المقابلة كيف تحط الاوهام العقول وكيف يرفعها الانطلاق من اسر الاوهام · و بعد ذلك قال الدكتور

انني اسلم بصحة ارائك فيما يختص بالحقائق الادبية ولكن ما قولك في الحقائق الدينيه والطريق اليها · ان العالم مملوء بالاديان المختلفة والمذاهب المتباينة التي تفرق الشعوب وتقسم الامم فكيف الوصول الى الحقيقة في وسط تلك المذاهب والاديان المختلفة

فاجاب الهندي · قلت لك ان تفتش عن الحقيقة في الطبيعة دون سواها فاذا رمت الحقيقة الدينية فلا تخرج عن هذه القاعدة · انظر الى الطبيعة بقلب بسيط نقي تجد روح الله مرفرفاً على وجهها وتقرأ آيات قدرته وحكمته في صفحاتها · اما الخلاف في المذاهب والاديان فاضرب عنه صفحاً فان لدى البشر من المصائب والجهل والشقاء ما يجب ان يشغلهم بحب الله تعالى وعبادته عن البحث فيه والمناظرة في شؤونه

فلم يتمالك الدكتور ان صاح ملء فمه : احسنت احسنت ولا سد فوك · وليت المشتغلين بتقسيم البشر وتفريقهم يسمعون هذا الكلام · بقي لي الآن سؤال واحد وهو هل اذا وجد الانسان الحقيقة يجب عليه ان يُطلع الناس عليها فاننا كثيرًا ما رأينا البشر يضطهدون من يقول لهم الحق · فما رايك في هذا

فاجاب الهندي · لا ارى من الواجب ان نقول الحقيقة للاشرار والاردياء الذين يكرهونها ولكنه واجب محتوم ان نقولها للصالحين والعقلاء الذين يحبونها · ومثل الشرير والحقيقة مثل تمساح ولؤلؤة · فانك اذا القيت لؤلؤة الى التمساح انقض عليها ليسحقها باسنانه لا ليزين بها اذنه اذ لا اذن له · ولما يعجز عن كسرها يلقيها وينقضُّ عليك ملتهباً حقداً وغضباً

فراق الدكتور هذا التشبيه فقال معجباً· ولكن لي عليك اعتراض · وهو انه يؤخذ من كلامك ان الناس الاشرار يضطهدون كل من يحب الحق و يقوله لهم · فمن يجترئ والحالة هذه على التصريح بالحقيقة وتعليمهم اياها اذا كان نصيبه الاضطهاد والعدوان

فاجاب الهندي · للبشر مدرسة عليا تعلّمهم الحقيقة وتسمعهم صوتها اذا سكتت اصوات الناس عن النداء بها · وهذه المدرسة هي : مصائب الحياة

فقال الدكتور معترضاً : اما في هذا فلست من رأيك ايها الرجل الفاضل لاني اعتقد ان المصائب تحط قوى النفس و تزيد شقاء الانسان · وكلما ازداد الانسان شقاء ازداد تلوثاً بحمأة الضعة والدناءة · فما تقول في هذا .

فاجاب الهندي : ان قولك هذا يصدق على الانسان اذا لم يبلغ اقصى درجات المصائب في هذه الحياة · اما الذين يصلون الى قمة المصائب فان غشاء كثيفاً يسقط عن عيونهم فيرون الحقيقة مجردة من كل شيء · ومثل المصائب مثل الجبل الشامخ الوعر · فانك تتعب في صعوده ولا تجد في وجهك الا حجارة وشوكاً ولكنك متى بلغت قمة هذا الجبل ابصرت منظراً طبيعياً جميلاً : السماء فوق راسك والارض بمناظرها الطبيعية الرائقة منبسطة تحت قدميك

فصاح الدكتور مدهوشاً

ما اجمل هذا التشبيه واصح هذا الكلام · اجل ان المصائب كالجبل الذي ذكرته وكل واحد منا امامه جبل يجب عليه ان يصعده · اما جبلك انت ايها الرجل الفاضل فيلوح لي انه كان شاهقاً جداً لاني اراك ارقى من جميع البشر الذين عرفتهم ولعل ذلك لانك كنت اتعسهم · فقص عليّ تاريخ حياتك واخبرني لماذا صارت طائفتكم مضطهدة ممقوتة الى هذا الحد

(ستاتي البقية في المقالة التالية وفيها الخاتمة)

الواحات المصرية

واحتياجها الى عناية الحكومة

في داخل القطر المصري بلاد واسعة مجهولة تدعى « الواحات » قلما يعرف عنها الناس شيئًا . وقد هبت فيها في ٢٤ يناير زوابع شديدة هدمت كثيرًا من المنازل واماتت كثيرين من السكان وهطلت فيها امطار متواصلة استمرت ٤٠ ساعة متوالية فافنت بعض الحاصلات والمواشي فاصدرت الحكومة المصرية امرًا الى سعادة مدير اسيوط بالسفر في الحال الى مكان الحادثة لمساعدة المنكوبين واغاثتهم

وقد نشرت جريدة (مصر) الغراء كلامًا مسهبًا عن هذه الواحات وموقعها وزراعتها واهلها واخلاقهم فراينا من الفائدة وحسن الخدمة اعادة نشره توجيهًا للانظار الى قوم ضعاف يحتاجون الى عناية الحكومة وارشادها اشد احتياج و بيانًا للبون الشاسع الذي بين حالة الانحطاط الشديد في الواحات وحالة التقدم الزاهر في امهات مدن القطر مع ان الفريقين جزء من بلاد واحدة وتابعان لحكومة واحدة

موقع الوحات — الواحات التابعة للحكومة المصرية جميعها واقعة في الصحراء الغربية المعروفة بصحراء ليبيه الفاصلة بين مصر وطرابلس الغرب وهي على اربعة اقسام اولها من الجهة القبلية الواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط واقعة غربي الاقليم الممتد من اسنا الى اسيوط وهي عبارة عن اربعة بلدان كبرى تتبعها بعض كفور صغيرة وسكانها كلهم لا يزيدون عن سبعة الآف نسمة وعاصمتها بلدة الخارجة واسمها القديم (مدينة انيموت) وفيها اثار نفيسة للمصريين الاقدمين تشهد بما كان لها من الارتقاء العظيم في غابر السنين وهي الان عبارة عن قرية بسيطة بها مقر معاون الادارة المتولي الحكم عليها من قبل مديرية اسيوط وشرذمة من البوليس بقيادة احد الضباط

والى شمال الخارجة على مسير ثلاثة ايام تجد الواحات الداخلة وهي ايضًا تابعة لمديرية اسيوط وواقعة الى الشمال الغربي منها وسكانها نحو ١٧ الف نسمة يقطنون ١٢ بلدة عاصمتها بلدة موط وبها يقيم مامور الادارة وشرذمة من البوليس وقاضي الواحات الشرعي وطبيب تنتدبه مصلحة الصحة مرة في كل سنة وفي هذا القسم حدثت نكبة السيل المتقدم الكلام عليها

والقسم الثالث من الواحات يعرف بالواحات البحرية وهو واقع غربي اقليم المنيا وتابع

لمديريتها وممتد الى جنوب اقاليم الفيوم وعدد سكانه نحو سبعة الاف نفس يقطنون في اربعة بلدان و بعض الكفور وعاصمته بلدة البواطي و بها يقيم مندوب الحكومة وكان هذا القسم قبلاً تابعاً لمديرية الفيوم فاحيل من عهد قريب على مديرية المنيا لقربه اليها

اما القسم الرابع فهو واحة سيوى التابعة لمديرية البحيرة وهذه الواحة واقعة شمالي غربي القطر المصري بين مربوط وطرابلس الغرب وهي اصغر الواحات وسكانها لا يزيدون عن ٥ الاف نفس واغلبهم من عرب القرب الكثيري التردد عليها

وكل هذه الواحات كائنة في وادٍ منخفض مستطيل يشبه وادي الصعيد في عرضه وتعريجه ممتد من فوق اصوان جنوباً الى شطوط البحر المتوسط شمالاً يعرف بوادي دمو وهو واقع خلف سلسلة جبال الوجه القبلي الى الجهة الغربية بمسافة يختلف عرضها بين ٦٠ و١٠٠ كيلو متر واكثر اراضي هذا الوادي صالحة للزراعة والجانب الاكبر منها مركب من الطين الاسود المعروف بالابليز الذي يخلفه طمي النيل بعينه وهذا مما يؤيد راي القائلين بان النيل كان يجري قديماً في هذا الوادي الفسيح كما يجري الآن في مصر ونحن من اصحاب هذا الراي بدليل ما رايناه فيه من الاثار الكثيرة واطلال المدن الكبيرة الباقية الى الآن في وسط قناره الموحشة وهي ما وجدت في هذا الاقليم العظيم الا حينما كان آهلاً بالسكان ونحفوفاً بالخصب والعمران . ومن البديهي ان العمران لا يوجده في مثل ذلك المكان غير النيل وفيضانه العميم وكل الاراضي المشغولة الآن بالزراعة في الواحات لا تُعد شيئاً مذكوراً في جانب باقي اراضي وادي دمو المقفرة لحرمانها من الماء بل هي عبارة عن قطرة من بحر ولا بد ان تاتي ايام فيها تقوى يد الانسان على ايصال العمران اليها مرة ثانية قياساً على حركة التقدم السائر عليها الكون في هذا الزمان

اما الآن فلا سبيل الى ايجاد الماء في ارض الواحات لري الزراعة واستقاء الناس الا بواسطة الابار الارتوازية . وحفر هذه الابار هناك معروف من قدم وهو محصور بعمال الحكومة الى الآن ولكن لا يعلم بالضبط من الذي اوجده بها وقد تحققنا ان المغفور له محمد علي باشا استدعى اليه في سنة ١٨٣٦ احد العلماء الجيولوجيين من فرنسا وهو المرحوم ايمو بك وكلفه تحسين حالة الآبار التي وجدها من قبل ايامه وكلفه كذلك حفر ابار اخرى من نوعها فصدع بامره واستحضر من اوربا الالات الكافية لذلك وكلها باقية الى الآن في عهدة عمال خصوصيين من قبل الحكومة مختصين بهذا العمل نظير اجرة يتقاضونها من الاهالي

ومياه الابار الارتوازيه في الواحات تفيض من نفسها على سطح الاراضي على ارتفاع يختلف بين ٢٠ و٥٠ سنتيمترًا على الاكثر والبئر الواحدة تكفي لزراعة نحو مائتي فدان في في السنة ومياهها لا تصلح للشرب الا بعد الترشيح لاختلاطها بكثير من المواد الكبريتية والمعدنية

الاراضي والزراعة — كل اراضي الواحات حرة مباحة لمن يريد الزراعة فيها وهي بلا ثمن ولكن الماء اللازم لريها وانمائها ذو قيمة ثمينة لا ياتي الا من الابار الارتوازية التي اشرنا اليها وهي تكلف الذين يقومون بحفرها انفاق نفقات طائلة حتى ان البئر الواحدة لا يقوى على حفرها هناك غير جماعة كبيرة من الناس وثروة الافراد في الواحات تقدر بحسب الحصص التي يمثلها كل واحد منهم في تلك الآبار

واكثر الاراضي هناك طفلية تكثر فيها الاملاح والزراعة تجود فيها كثيرًا ولكن ضعف الاهالي وتقاعدهم عن ايجاد المصارف اللازمة لها يؤديان الى التلف حتى انك لتجد المزارعين يسرعون بتحويل الماء من موضع الى موضع في كل سنة او اكثر من الزمان بلا تأمل لما تقتضيه حالة الزراعة من خدمة الارض ولاعتناء بها فنتج عن ذلك تلف اكثر الاراضي وتحولت الى مستنقعات ولا سيما بما ينساب اليها من المياه المختلفة من زراعة الارز الذي هو اكثر انواع الزراعة عندهم وهذا هو سبب تفشي الحميات بين سكان الواحات وصيرورتها من امراضها الموضعية المستديمة . ولسكان الواحات اعتناء كلي بزراعة النخيل واكثر الاراضي مشغولة به وهو مصدر ثروتهم وقوام معيشتهم ومحصوله تنقله القوافل كل سنة الى داخل القطر وبعضه يصدر الى تركيا وبلاد اليونان ولا سيما النوع المعروف بالعجوة وتزرع هناك انواع الحبوب والفاكهة وشجر الزيتون واكثر محصوله يعصره الاهالي زيتًا وينقلونه الى الارياف ويبيعونه . اما الارز وهو اكثر مزروعات الواحات كما مر فيطحنه الاهالي شعيرًا ويعملونه خبزًا بدل القمح والقليل منه يعتنون بتبييضه

ويوجد بالواحات كل انواع المواشي ويكثر فيها البقر بنوع اخص ولكنه صغير الحجم ضعيف القوة . والجمال لا تعيش بها طويلاً مع انها الواسطة الوحيدة في نقل الناس والامتعة منها واليها . وتاكل المواشي هناك نوعًا من نبات الجلبان ينمو كثيرًا في اراضيها ويدوم اكثر ايام السنة

الاهالي واحوالهم — ولاهالي الواحات شهرة خاصة بالخمول والكسل يضرب بهما المثل حتى انه لم يشتهر بينهم فرد واحد بمأثرة واحدة يستحق الذكر عليها ومن اكبر الادلة على

ان الكسل سبب الضعف والسقم هو انك تجد غالب سكان الواحات من رجال ونساء شبان وكهول في حال من ضعف البنية وفقر الدم قل ان توجد بصفة عامة في غيرهم وهم لا يشتغلون الا بقدر ما تضطرهم حالة معيشتهم الى العمل واكثرهم اختار الزبالة حرفة له حتى انك لا تجد زبالاً في اية مدينة كانت من مدن القطر الا وهو من اهل الواحات وتراهم يصرفون اكثر ايام السنة في هذه الديار وحينما ياتي موسم البلح عندهم يعودون الى بلادهم بما جمعوه من المال فيدفعونه في ضرائب النخيل ويبيعون ثمره وينفقونه على انفسهم ثم يعودون الى مزاولة عملهم الاول وهم لا يفكرون في الاشتغال بامور اخرى تساعدهم على تحسين معيشتهم وترقية حالتهم

ولو كان هؤلاء القوم على شيء من النشاط الذي كان عليه اسلافهم لاهتموا بحرث اراضيهم الواسعة وحولوا مستنقعاتها المضرة بصحتهم وابدانهم والمسببة لهم هذا الخمول الفاضح الى جنات يانعة تزيد ثروتهم وتنتشلهم من الخمول والسقام · ومرجونا ان يترتب على زيارة سعاده حشمت باشا لبلادهم الان ارشادهم الى ما فيه نفعهم وخصوصاً لانه لم يزرهم حاكم كبير من زمن طويل

رأي فيلسوف الجامعة في المرأة

وراي قاسم بك امين

بعد مطالعتنا كتاب «تحرير المرأة» لمؤلفه حضرة المصلح الفاضل عزتلو قاسم بك امين المستشار في المحكمة الاستئنافية الاهلية في العاصمة بالامعان الذي هو جدير به وتلخيصه في باب «التربية والتعليم» في هذا الجزء رأينا من الفائدة ان ننقل الى قراء الجامعة والى الذين اهتموا بهذا الموضوع اهتماماً عظيماً في مصر والشام راي فيلسوف الجامعة الذي لا يختلف اثنان في صحة حكمه ودقة نظره ونريد به الفيلسوف جول سيمون · وقد اذكرتنا شهادة هذا الفيلسوف كلمةٌ قالها عزتلو قاسم بك امين في كتابه وهي ان اسباب ضعف الامم الاسلامية تنحصر اما في الاقليم واما في الدين واما في العائلة ثم نقض سببي الاقليم والدين ونسب السبب الكلي الى العائلة · وهنا نورد شهادة جول سيمون التي تنطبق على هذه الشهادة انطباقاً غريباً كانها كتبت لها · قال الفيلسوف في ختام احد فصول كتابه «المراة في القرن العشرين» ما خلاصته

الحجاب والعائلة والمرسلون

« ان النساء الشرقيات يعشن منفردات في دائرة لا يدخلها الرجال (١ وما هن بمسجونات ولكنهن لا يخرجن من منازلهن الا متحجبات ولا يختلطن بالرجال في سفر ولا في نزهة ولا يزرن الا النساء . اما الزوج فانه لا يرى الا نساءه ولا يطلب منهن سوى المسرة وليس بينه وبينهن امتزاج في العواطف والافكار . ولا ريب في ان هذه الحالة مخالفة لنواميس الطبيعة وسنن العدالة وليس في استطاعتي الاعتقاد بان الطبيعة البشرية تبقى صابرة على ذلك بل في رأيي انها ستنهض للنجاة من هذا الاسر المخيف

ثم انتقل الى ارسال المرسلين من الغرب الى الشرق فقال ما محصله « نعم ان ارباب الدين يبعثون بالمرسلين الى الشرق ولكن هؤلاء المرسلين لا يدخلون بين الرجال الا بصعوبة فضلاً عن كونهم لا يستطيعون مخالطة النساء والنفوذ اليهن . اما الراهبات فانهن ينفذن الى النساء ولكنهن لا يخالطن الا النساء المهجورات او المتألمات . على ان كلاً من الفريقين يحمل الى الشرقيين عقائد وتعاليم لا تفهمها عقولهم ولم نسلم نحن بها الا لاننا نرضعها مع اللبن وناخذها قبل حصولنا على قوة الفكر . فنحن انما نُظهر للشرق جانب ما وراء العقل والطبيعة من ديانتنا . فلو ان العائلة كانت لا تزال موجودة عندنا واستخدمناها في تمدين الشرق لكنا اسرع سيرًا واكثر تاثيرًا

« ولكنها من سوء الحظ قد ماتت عندنا وموتها يُحسب اكبر مصاب في عصرنا . واذا نظرنا الى النساء الشرقيات وجدنا ان رغبتهن في اقتباس التمدن الاوروبي تبدأ بمطالعتهن رواياتنا . فهن يرين فيها نشوز المرأة من جهة وشرود الزوج من جهة اخرى . ولكن الاجدر بنا ان نريهن العائلة . فاصلاح العائلة اذًا بمثابة اصلاح الشعب بل اصلاح كل الشعوب» (٢

ولكن لماذا قال الفيلسوف ان العائلة في فرنسا قد ماتت او كادت تموت . السبب ان الشارع ادخل مبدأ الطلاق الى الزواج . فالطلاق والعائلة الحقيقية نقيضان لا يجتمعان . وهذا ما قاله الفيلسوف بهذا الشان

---

١) ورد في السطر الاول من هذه المقالة « بعد مطالعتنا كتاب تحرير المرأة » وصوابه « بعد مطالعتنا كتاب المراة الجديدة »

٢) تمدين العالم بواسطة العائلة

الزواج والطلاق

« اصبح تعريف الزواج بعد ادخال الطلاق فيه كما ياتي : « الزواج رباط قابل للانحلال بواسطة الطلاق » واني آسف لذلك كل الاسف لان الدوام وعدم قابلية الانحلال في ما يختص بالزواج صفتان دينيتان . وليست الصفة الثانية (عدم قابلية الانحلال) امرًا شاقًا ثقيلاً بل هي قوة تملأ الصدور قوة وتتخذ الوقت لها معينًا . هي تبث السلام والتسامح في نفوس لو لجأت الى المحاكم لتنازعها الشقاء والعناء . هي لا تقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفف احمال الابناء وتلقي تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم . افترون ان الهيئة الاجتماعية قوية الى هذا الحد حتى تجترئوا على ادخال هذا الضعف الى اساس النظام الاجتماعي . ان الطلاق اللاصق بالزواج كمبداء الموت لاصق بمبداء الحياة . وقد اصبح نص الزواج نفسه كاذبًا . فان الرجل يصرح للمراة بقوله « سابقى ثابتًا على ولائك » والشريعة تسمح له ان يُضمر هذا القول « ما دمتُ راضيًا عنك » ولذلك صار الزواج بدون سلاح تجاه ثورة العواطف وفقد الفجور طبيعته لان بعض اتفاقات وعادات اصبحت كافية لان تجعله شرعيًا وتصيره زواجًا شريفًا (٣

٣) لا عائلة حيث يكون طلاق ولذلك تنبه عقلاء المسلمين وفي مقدمتهم فضيلة مفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ محمد عبده وحضرة قاسم بك امين الى وجوب تخويل المراة المسلمة حق طلاق الرجل تخفيفًا لسلطته عليها ولكن اعطاء المراة حق الطلاق يجلب ضررًا عظيماً اذا بقي تعدد الزوجات امرًا مباحًا وهذا الضرر هو زيادة الزواج ضعفًا والعائلة انحلالاً . اما النساء المسيحيات الشرقيات فانهن مستريحات من آفة الطلاق واما النساء الغربيات فهن فئتان فئة تتزوج زواجًا كنائسيًا بعد الزواج المدني وهؤلاء لا طلاق عندهن الا في الحالة التي نص عليها الانجيل . وفئة تتزوج زواجًا مدنيًا من غير الزواج الكنائسي وهولاء يطلقن بحكم من المحاكم المدنية وما اجمل ما قاله جول سيمون في تحريم الطلاق وهو : « ان تحريم الطلاق » اي عدم قابلية الانحلال في الزواج » لا يقضي على الاباء باحناء اعناقهم تحت نير ثقيل في بعض الاحيان الا لتخفيف احمال الابناء والقاء تبعات الذنوب على الذين ارتكبوها دون سواهم » اي على الاباء الذين اذنبوا ذنوبًا توجب الطلاق لا على الاولاد الابرياء من تلك الذنوب هذه الحكمة في تحريم الطلاق والسر في وحدة العائلة

« واني احسب الطلاق اكبر ضربة تتهدد رباط العائلة بل ربما جاز لنا ان نقول انه الضربة الوحيدة التي يخشى منها »

فيؤخذ من هذا القول ان لاعائلة حيث يكون طلاق لان اقلّ اشارة من الرجل كافية في ثورة الغضب لنثر عقد العائلة

مساواة النساء بالرجال

ولكن ما راي الفيلسوف في وظيفة النساء ومساواتهن بالرجال . وكيف يريد ان تكون النساء . اسمعوا رايه ملخصاً بما يمكن من الايجاز (٤

« ان بعض النساء يحمسهن بعض من طالبي الشهرة من الرجال فمن ينادين بالمساواة بين الجنسين . ولكن ما المراد بكلمة « مساواة » فاذا اريد بها استواء الجنسين قيمةً وقدرًا فذلك بحث خارج عن موضوعنا . واما اذا اريد بها استواء الجنسين مشربًا وقوة فانه يجوز لنا ان نسمي هذا القول كفرًا لان الجنسين مختلفان عقلاً وجسدًا . والطبيعة وحدها سبب هذا الخلاف وليس للتربية والعادة من دخل فيه الا قليلاً . وحسبنا برهانًا على ذلك ان نربي فتاة تربية الفتيان ونربي فتى تربية الفتيات فلا يكون لنا منهما في ختام الامر الا مخلوقان قاصران لا يحسنان عملاً في هذا العالم

من مثل هذا فليحذر الذين يحسبون انهم يحتجون على العادات والشرائع بطلبهم للنساء حقوق الرجال مع انهم يجدفون على الطبيعة نفسها . وقد يذكر لنا المعترضون اسماء بعض النساء اللواتي ادرن البيوت التجارية وسسن الممالك احسن سياسة . ولكن هؤلاء النساء فضلاً عن قلة عددهن لم يُقمن البرهان على انهن حكمن بانفسهن دون الاستناد الى ذراع الرجل واقتفاء اثره . وهن يعتقدن ان الرجال لا يفهمون شيئًا كثيرًا من امور السياسة

---

٤) ان رأي الفيلسوف في هذا مناقض لرأي قاسم بك امين ولكن لعلّ قاسم بك قد تطرف في رايه عمدًا كما قال « المنار » المصري وذلك « لان الداعي الى شيء ينبغي له لاجل ارجاع من يدعوهم الى الاعتدال الذي هو الحق ان يقف على الطرف المقابل لما هم فيه لينتهي التجاذب بينهم وبينه الى الوسط ولو وقف في الوسط وجذبهم وجذبوه يخرج كل منهما عنه او يبقى في محله ولا فائدة في ذلك ومن هنا يقول الناس لا بدّ من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق » نقول وهكذا قالوا في الذين دعوا الى الاصلاح الديني في اوربا منذ قرنين وامامنا الآن تاريخ ادبي لاعالم بقلم العالم المسيو « ديموجو » قال فيه « اننا لولا تطرفهم لما وصلنا الى هذا الاعتدال »

الا انهن من حسن الحظ يعتقدن انهن هن لا يفهمن منها شيئاً · واني لا اعرف في العالم شريعة تمنعهن من البحث في اصول السياسة والكتابة فيها ومع ذلك لم نرَ في العالم اجمع امراة غير مدام دي ستايل يصح ان تُعد بين كتبة السياسة · هذا مع ان كتابتها اقرب الى الفلسفة منها الى السياسة

اما الفلسفة فلي فيها راي قد يستغرب به معاصريّ وهو ان النساء يحببن الفلسفة وينجحن فيها اي ينجحن بحفظها اكثر من استيعابها · ولكن جميع اللواتي نبغن فيها كن مقلدات محتذيات · وما قلته في الفلسفة اقوله في الموسيقى فان المبتكرات المؤلفات في هذا الفن قليلات جداً فضلاً عن كونهن لا يُحسبن الا من الطبقة الثانية والثالثة · وكذلك فن التمثيل · فانه ينبغ فيه الممثلات ويندر قيام المؤلفات · اما في الكتابة والانشاء (٥ فانهن الجياد التي لا تُبارى · واثباتاً لذلك لا اذكر مدام دي سيفينيه وغيرها من الكاتبات البارعات انما ارد المعترض الى رسائل السيدات · ولا بدع فان تلك البنان العنابية التي تسيل حلاوة وذلك الراس الجميل الذي يقطر شهداً وعسلاً جديران بان يجري منهما ما تهتز له القلوب · والخلاصة انني اقول كلمة اجمالية تفصل المسالة فصلاً باتاً وتدل على استعداد كل واحد من الجنسين · وهي « لم ينبغ منهن مؤرخة قط ونبغ منهن راويات جارين الرجال وكدن يسبقنهم »

نقول والذي يؤخذ من هذا الحكم ان المراة اقوى في قلبها منها في عقلها خلافاً للرجل وهذا سبب مزدوج لضعفها وعذوبتها معاً

وظيفة المراة في الداخل

فاذا كانت هذه حالة المراة بالنظر الى الرجل فماذا تكون وظيفتها

وظيفة المراة ان تكون اماً قبل كل شيء فان ذلك مقدم في راي الفيلسوف على كل امر · يجب ان تحسن تربية اولادها اكثر من المراضع وتكون عالمة بشؤون المطبخ والمنزل اكثر من الطباخات والخادمات · وان يكون لها قاعة لاستقبال الزائرين

ولكن ما هي هذه القاعة · هذا مجال واسع اطلق الفيلسوف لقلمه العنان فيه فبسط في ثلاثة فصول متتابعة مراده بطلبه ان يكون للمراة قاعة لاستقبال الزائرين

قال « القاعة واسطة عمل للنساء · فهن فيها ومنها يحكمن قلوب البشر · اما الازواج

٥) الصناعة الوحيده التي يفوق فيها النساء الرجال

فما هم فيها الا بمثابة مساعدين ومستشارين » (٦

وفي مكان آخر « نقول ان القاعة ليست بمجتمع تُدار فيه كؤوس الشاي . ولا بمنتدى موسيقي للغناء . ولا بمكان يلعب الناس فيه و يتسلون . اذاً ما هي القاعة ؟ تسالنني ما هي القاعة ؟ القاعة هي : « المحادثة »

« واني اعتقد انها مفقودة عندنا كلياً . ففي كل مكان تقريباً نرى النساء جالسات في جانب والرجال قياماً في جانب آخر اذا لم يكونوا في غرفة التدخين . هناك الكلام على اشياء باطلة كالذم والنميمة وهنا الكلام على الخيل او مجلس النواب . واذا حدث بين الفريقين مبادلة في الحديث كان ذلك لابداء راي في (الاقمشة) الجديدة التي على الطراز الجديد

ان قاعة المراة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال و بالمراة من السيدات فيقطعون اوقاتهم بالمسائل المفيدة والمفكهة معاً من ادبية وسياسية وفكاهية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية وحكماً عظيماً في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذٍ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقاص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكات جالسات على عرش الادب يرئسن الحديث بلطف وظرف واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها وضخامته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

« على ان هذا الوجل وجل القوة تجاه الضعف احدى مفاخر التمدن ومآثره . لان المراة الضعيفة التى انتصرت على ذلك الرجل الضخم القوي هذا الانتصار انما كان انتصارها على الرذيلة نفسها . وهو انتصار لا نرى بدّاً من استعارة كلمة لملبرانش لاظهار فضله . وربما كنتم لا تعرفون من هو ملبرانش . ان ملبرانش هذا هو لاهوتي شهير اعتاد خصومنا ان يقولوا عنه انه الفيلسوف الوحيد الذي نبغ عندنا غير ذاكرين انهم يخاطبون مواطني « ديكارت » العظيم . وقد اراد هذا اللاهوتي شرح تاثير العقل على الجسد فتخيل اسلوباً

٦) قاعة المراة مصدر للمدنية راجع فوق ما يقوله الفيلسوف عنها

ينفي ذلك التاثير . فقال ان الجسم متسلط وحده على الجسم وان النفس اذا ارادت امراً فلا تؤثر ارادتها في الجسم قطعياً . فاذا تحركت رجلاي للمشي لم يحركهما عقلي ولكن الله هو الذي امرهما بالحركة لان الله مصدر كل قوة وحركة . وما نحن الا آلات تديرها قوته الوحيدة . ثم استطرد ملبرانش الى قوله « وبما اننا نستخدم قوة الخالق العظيم فلنحذر اذاً من اضاعة تلك القوة الشريفة او استخدامها لامور لا تستحق ان ينظر الخالق اليها »

« وهكذا اقول انا للنساء « بما انكن تستطعن ان تكنّ ملكات الذوق والمتسلطات على الاخلاق التي يمكن بها تلطيف خشونة الرجال فالحذر الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكن او استخدامها لما ليس فيه نفع لكن وللهيئة الاجتماعية . استخدمن هذه القوة العظيمة لحماية الضعفاء وتاييد العدالة ونصرة الاستقامة . أسمعن صوت الشرف على الاقل الى اولئك الذين لا يسمعون صوت الفضيلة . حاربن الرذيلة بكل قوى الطهارة والفضيلة . ولا تجعلن الفضيلة نافرة شديدة الوطأة فانها زهرة لطيفة محبوبة . وانصحكن ان تكنّ صارمات غير متساهلات في شيء مما يختص بالادب لان كل تساهل يقع منكن يفضي الى خفض منزلتكن »

ولكن ما معنى قول الفيلسوف « الحذر من اضاعة هذه القوة التي في ايديكنّ » . معناه ان النساء يجب ان يبقين نساء ولا يطمحن الى اعمال الرجال . فانهن اذا اردن مجاراة الرجال في اعمالهم ولا سيما الاعمال السياسية صار الرجال يعاملونهن معاملة الاقران والاكفاء لا معاملة السيدات فيزول احترامهم وخضوعهم لهن . وبذلك تفقد النساء قوة لا تعوض (٧ وهيهات ان يبلغن شأو الرجال في ما اقدمن عليه من الاعمال

وهنا استشهد الفيلسوف على صحة كلامه بقصة بسطها في فصل عنوانه « المراة المحامية » وخلاصته ان اميل احب اميلي حباً شديداً فاقترن بها (٨ وكان اميل محامياً بارعاً واميلي فتاة بسيطة عاقلة . فعاش العروسان عيشاً هنيئاً ورزقهما الله غلاماً وابنة . فلما شب الولدان اراد الاب ان يدرسهما المبادىء الاولية ولكن وقته كان ضيقاً فعهد ذلك الى امراته فاخذت تدرسهما وتدرس معهما حتى ارتقى ذوقها وكثرت معارفها واصبحت ذا ميل شديد للمطالعة فتوسعت في القراءة والدرس حتى ارتقى فكرها واصبحت محامية كزوجها ومن هذا

٧) العجب من النساء كيف يطلبن المساواه بالرجال مع ان لهنّ السياده عليهم

٨) دليل على تعاسة المراة والعائلة اذا اعطي النساء الحقوق السياسية

الخين بدأ النفار بينهما · فانها كانت من قبل بسيطة تسلم بكل راي يراه زوجها ولا يهمها شيء غير منزلها · واما الان فانها اصبحت عالمة تجادل زوجها في كل الامور ولا تسلم الا بما يقتنع به عقلها · ومما زاد الطين بلة انها ارادت تعليم ابنتها فن المحاماة فعارضها اميل في ذلك فاتسع الخرق بينهما · وكان من رايه ان المراة لا يجب ان تتداخل في الامور السياسية اما اميلي فكانت ترى عكس هذا الراي ولذلك انحازت عن اميل الى خصومه السياسيين فعيره بعضهم بذلك فغضب اميل وطلب مبارزته فبارزه وجُرح اميل في هذا البراز جرحًا جعل حياته في خطر

فلزمت اميلي فراشه وقد انتبهت في نفسها محبتها الاولى له · ولكن عنايتها به لم تجدِ نفعًا فتوفي اميل بين ذراعيها مخلفًا لها حسرة عظيمة لانه مات في سبيل الدفاع عن شرفها · وقد ندمت اميلي على ما صنعته فلزمت السكينة بعد موت زوجها وعاشت مع ولديها عيشًا بيتيًا هادئًا · وكانت تقول كلما سمعت النساء يتباحثن في حقوق المراة « ما احمقهن يجب ان نبقى نساء » ولما توفيت اوصت ابنتها هذه الوصية « يا ابنتي المحبوبة اذا رمتِ ان تكوني سعيدة فاحبي كل الذين حولك واجعليهم سعداء »

والمراد بهذا المثل اظهار ان المعيشة العائلية ونيل النساء الحقوق السياسية نقيضان لا يجتمعان فيجب على النساء ان يبقين نساء اي امهات وزوجات

وظيفة المراة في الخارج

ولكن هل هذه هي كل وظيفة المراة في راي الفيلسوف

اذا كانت المراة تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها وارضاء زوجها واستقبال زائريها هل تكون بذلك قد قامت بكل الواجبات التي عليها

كلا فان هذه واجباتها الداخلية فقط بقيت عليها الواجبات الخارجية · وهي اولاً ان تتعلم عملاً تكسب به رزقها ورزق صغارها اذا مات زوجها او هجرها او اصيب بمرض · يجب عليها ان تتعلم عملاً وان كانت غنية عنه بثروتها فان زوابع الزمان اذا هبت جعلت الاغنياء فقراء والفقراء اغنياء · فماذا يكون مصير المراة التي يموت زوجها ويترك لها اولادًا صغارًا على يديها اذا كانت فقيرة او اذا نفدت ثروتها ؟ اتلجأ الى الشحاذة

وتاييدًا لهذا القول كتب الفيلسوف في كتابه فصلاً عنوانه « الوحشة في باريز » قص فيه قصة امراة عرفها فراينا من الفائدة ان نختصرها هنا · قال

« كان لي في باريز صديق مصور نال في بضع سنوات شهرة عظيمة حتى اصبح ذكره

في كل لسانٍ وصار يربح من صناعته ارباحاً طائلة (٩ فلما رسخت شهرته اقترن بفتاة جميلة مثله فرزق منها ثلاثة اولاد وكان يعيش معها عيشاً فاخراً ينفقان فيه كل ما كان يكسبه من صناعته · ففي ذات يوم توفي الزوج فجأة من غير مرض ولا علة ظاهرة فقامت قيامة العالم الباريزي لان هذا المصور كان محبوباً فيه ومشهوراً فتقاطر المعزون على منزله من كل صوب لمشاركة زوجته في مصابها العظيم · وفي الحقيقة ان مصابها كان عظيماً لان زوجها كان لا يملك شيئاً · فباعت اثاث منزلها وحملت اولادها وذهبت بهم الى منزل صغير في احد الاحياء المجهولة لتسكن فيه بعيدة عن انظار رفيقاتها القديمات · ولكن المال الذي كان لديها ما لبث ان نفد فباعت حللها وملابسها حتى آخر حلة لها وانفقت ثمنها على اطعام اولادها · ثم خلت يدها فسالت نفسها ماذا تعمل · وكانت لا تحسن عملاً نخطر لها ان تجعل نفسها معلمة للبيانو ولكنها لم تجد تلميذات لها · خطر لها ان تكتب الى رفيقاتها تطلب مساعدتهن ولكن لم يجاوبها احد منهن على كتابها لانهن نسينها · فذهبت خائفة مضطربة وعرضت نفسها للعمل في المعامل والاستخدام في البيوت التجارية فكانوا يردونها بخشونة لاساءتهم الظن بها بسبب خوفها ولعدم وجود شهادات معها · فاصبح اولادها في اثناء هذه المدة يتضورون جوعاً · فقهرت هذه المسكينة نفسها وذهبت في احد الايام الى بيت الاحسان تطلب صدقة لاولادها فلم يعبئوا بها في هذا البيت وانما تصدقوا عليها بعشرة فرنكات · فاخذتها وذهبت لتشتري بها خبزاً لاولادها فدرت بها صاحبة المنزل فاخذت العشرة الفرنكات منها بالرغم عنها لانها كانت مديونة لها باجرة الغرفة · وكان اولادها في اثناء ذلك ينادونها في خروجها ودخولها « اماه نريد خبزاً » فتضمهم اليها وتعللهم حتى يتعبوا من النداء وينا موا · وفي اليوم التالي عادت الى بيت الاحسان فردوها فضاقت الدنيا بها فسقطت على حاجز في الطريق فاقدة القوى واخذت تبكي · ثم اتفق مرور راهب من هناك فركضت اليه صارخة وهي تمد يدها « خبزاً خبزاً لاولادي » فوضع الراهب في يدها نصف فرنك فعادت وابتاعت به خبزاً لاولادها فنام الاولاد في هذه الليلة دون ان يبكوا · ثم انها وجدت منزلاً يحتاج الى خادمة باجرة قدرها ٣٠ فرنكاً في الشهر فدخلت فيه · قال جول سيمون · وفي ذات يوم وانا خارج من هذا المنزل نظرتني فعرفتني اما انا فلم اعرفها الا من فرارها من وجهي · فبادرتُ في الحال الى اخراجها من هذا المنزل لانقاذها

٩) برهان على وجوب تعلم المراة عملاً تعمله في آن الضيق والا عرضت نفسها واولادها للموت جوعاً

من عار الخدمة ثم وضعت اولادها في المدرسة »

فهذه المراة قد عاينت مع اولادها الموت عن كثب اولاً لاختلال نظام الاحسان وثانياً لانها لم تتعود الجرأة ولم تتعلم عملاً تعمله · وانظروا البون الذي بين هذه المراة و بين امراة اخرى ذكر الفيلسوف قصتها في فصل عنوانه « العاملة » قال ما خلاصته(١٠

كان رجل نشيط حداد يعمل في معمله و يكسب بعرقه خبز عائلته وكان له امراة نشيطة نبيهة واولاد صغار · ففي ذات يوم توفي الرجل فجأة فصارت المراة ارملة والاولاد ايتاماً

الا ان المراة كانت ارملة تعرف ما عليها من الواجبات وتحسن القيام بها فلم تضع دقيقة واحدة سدى بل جعلت نفسها في الحال خياطة لانها كانت قد تعلمت الخياطة احتياطاً لمصائب الدهر واخذت مع ابنتها تخيط الملابس التي يؤتى بها اليها فنجحت في ذلك لبراعتها وطيب صيتها · و بناء عليه استطاعت تربية اولادها والقيام بنفقاتهم حتى كبروا وصاروا رجالاً يشتغلون مثلها ونمت عائلتهم نموًا مباركاً كان سببه تلك الام النشيطه المباركة

فينتج من كل ما تقدم انه يجب على المراة ان تستعد للعمل · وهذه حجة من اقوى الحجج التي ذكرها قاسم بك على وجوب تربيه المراة تربية تمكنها من العمل عند الحاجة

هذا هو الواجب الاول من واجبات المراة في الخارج · بقي عليها واجبان آخران في راي الفيلسوف (١١ الاول« الاعمال الخيرية» فانه يجب على كل سيدة ان تصرف كل يوم ساعة او ساعتين من وقتها في عيادة المرضى وتعزية المصابين وافتقاد الفقراء والاحسان اليهم · والواجب الثاني وجوب السهر على آداب الملاعب والحكم على الروايات · وهذا الامر يفهمه اهل الغرب اكثر من اهل الشرق · ومراد الفيلسوف به ان الروايات التمثيلية كثيرة في الغرب فعلى النساء ان لا يجعلن رواية تنجح وتنال شهرة بعيدة الا اذا كانت من الروايات الادبية المهذبة التي تستحق هذه الشهرة · ذلك ان شهرة الروايات لاتتوقف في الحقيقة على حكم الكتّاب فيها ولا على انتقاد منتقديها ولا على استحسان الجمهور اياها ولكن على شهادة النساء لها · فمتى انتصرت النساء لرواية وشهدن لها نالت هذه الرواية فوزًا مبينًا وشهرة بعيدة · ومتى اردن اسقاط رواية اسقطنها لا محالة · فمن واجباتهن اذًا مقاومة

---

١٠) برهان آخر ايجابي مثبت لذلك

١١) واجبان خارجيان آخران على النساء واحد يفهمه الشرقيون و واحد لايفهمونه

الروايات المضرة ومساعدة الروايات الادبية لما يترتب على ذلك من حفظ الآداب العمومية

الخاتمة

هذا ما راينا تلخيصه من كتاب « المرأة في القرن العشرين » بيانًا لوظيفة المرأة في العالم كما قررها الفيلسوف جول سيمون وقد لخصنا في ما تقدم مقالات عديدة من هذا الكتاب وربما عدنا اليه في فرصة اخرى واذا قيل ان ما قاله فيلسوف الجامعة ينطبق على نساء الغرب لا على نساء الشرق لان الفرق بين حالة الفئتين عظيم قلنا ان الفرق بين حالتهما عظيم في الجزئيات لا في الكليات فان النساء نساء في الشرق والغرب اي مربيات وممدنات ومعزيات

الصواعق ونوادرها

نقلاً عن الفلكي الفرنسوي الشهير كاميل فلامريون

في الطبيعة اسرار كثيرة استجلى الانسان شيئًا منها وفاتته منها اشياء · ومن جملة المسائل الطبيعية التي لم يقف الانسان على كنهها بعدُ مسالة الصواعق ووقوعها بل مسالة تكون الصاعقة نفسها · فانك اذا سالت العلماء ما هي الصاعقة اجابوك ان الصاعقة تنشأ عن التقاء مجرى كهربائي سلبي بمجرى كهربائي ايجابي · ولكن سلهم ما هي الكهربائية نفسها وما هو تركيبها · تجد العقلاء منهم يسكتون ويقولون ما قاله ابن الاثير في مقدمة تاريخه الكامل » ولا اقول ان الخطأ سهو جرى به القلم بل اقول ان ما اجهل اكثر مما اعلم «

وهكذا قال العالم كاميل فلامريون الفلكي الفرنسوي الشهير في صدر مقالة عن الصواعق ونوادرها · ولو كان الفصل الآن فصل الشتاء لضربنا صفحًا عن هذه المقالة مخافة ان تؤثر في نفوس البسطاء والجبناء الذين كلما سمعوا لعلعة الرعد فوق منازلهم في بعض الليالي حُرموا لذة النوم خوفًا وفرقًا · اما الآن وقد ذهب فصل الشتاء وزالت البروق والرعود فلا نرى مانعًا من ذكر النوادر التي ذكرها فلامريون عن وقوع الصواعق فانها بمكان عظيم من الفكاهة والاهمية وهي تدل على ان العلماء لم يقفوا على ماهية الصاعقة وطبيعتها الى الآن

قال فلامريون · مضى علي ثلث قرن والحكومة الفرنسوية تاتي اليَّ في كل عام احصاء الحوادث التي تحدثها الصواعق في فرنسا · وفي كل عام اجد في هذه الحوادث امورًا

مدهشة غريبة

واول شيء اقوله ان وقوع الصواعق غير منتظم في كل الاقاليم على نسبة واحدة . فان الصاعقة اشد ما يكون وقوعها في اقاليم بوي دي دوم وهوت لوار وسون ولوار والاقليم الشمالي . واقل ما يكون وقوعها في اقاليم المانش واورن وكالف دوس وموربيهان واردين اما باريز فقلما تقع الصواعق فيها ولو كان الاقدمون يعاصروننا الآن لاستنتجوا من ذلك ان جوبيتير راضٍ عن باريز ولذلك لا يرشقها بناره

(ذلك ان اليونان والرومان المتقدمين كانوا يحسبون الصواعق من نار جوبيتير يرمي بها المكان الذي يسخط عليه في الارض . وكانوا يعتقدون ان الاله فولكان هو الذي يصنع الصواعق لابيه جوبيتير . وكان فولكان في تقاليدهم حداداً)

ومن جملة النوادر الكثيرة التي للصاعقة ان جندياً في اقليم اود كان يسير في طريقه في ١٧ اغسطس الماضي فوقعت الصاعقة عليه فحملته والقته مسافة ٥٠ متراً فلما بلغني هذا الخبر كتبت اليه اساله التفصيل فاجابني انه كان سائراً في مدينة بروس بعد هبوب زوبعة شديدة فما شعر الا وقد حُمل عن الارض والقي مسافة بعيدة دون ان يرى برقاً او يسمع رعداً او يشعر بريح . وبعد سقوطه نهض فوجد نفسه سليماً معافىً فسار في طريقه

فيؤخذ من هذه الحادثة ان الصاعقة لا تقتل دائماً . ولدينا امثلة كثيرة على ذلك . منها ان رجلاً كان سائراً على طريق فالروى في ١١ اغسطس من عام ١٨٥٥ فنزلت عليه الصاعقة فعرّته من ملابسه وغادرته بلا حس ولا حركة . غير انه عاد الى صوابه بعد مدة فوجد نفسه عارياً والبرد يقرصه دون ان يذكر شيئاً مما جرى

ومنها ان زارعين كانا ياكلان في ٢٦ اغسطس الماضي في كوخ في سوليس بونت لجئا اليه فراراً من المطر والزوبعة . وكان امامهما بساط الطعام ممدوداً فجاءت الصاعقة فاختطفت ما عليه من الخبز والجبن والاثمار وزجاجة الخمر وقذفت الفلاحين بقش كثير فبادر الفلاحان الى الفرار دون ان يصيبهما سوء

ولكن ما كل مرة تسلم الجرة . فانه من المعلوم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الذين يلجئون الى الاشجار ويقفون او يجلسون تحتها اتقاء المطر او الريح . ولذلك يجب اجتناب الاشجار في الزوابع حين اشتداد البرق والرعد . ومن الامثلة التي تؤيد ذلك ان حصاداً كان جالساً هو وكلبه تحت شجرة فمد قطعة خبز الى كلبه فبقيا جالسين كما كانا يد الحصاد ممدودة بقطعة الخبز وعنق الكلب ممدودة لاكلها ولا حياة في الاثنين

ومرّ بضعة رجال في ذات يوم مكفهر برجل جالس تحت شجرة وهو ملتهب الجسم فصاحوا به . مالك واقف اخمد النار من جسمك الا تراها . فلم يجبهم الرجل فدنوا منه وهزوه فوجدوه رماداً

وفي ٥ يوليو من عام ١٨٨٣ كانت امراة تتنزه في مرج في بوفون بازاء بقرتين . فجاءت الصاعقة فصهرت القرط الذي كان في اذنها وقتلت البقرتين . اما المراة فلم يصبها اذى. ومن المعلوم ان الذهب لا يُصهر الا بحرارة درجتها ١٠٣٠ والفضة ٥٩٤ والنحاس ٩٤٠

ونزلت الصاعقة في ذات يوم في مدرسة للبنات في بوردو فقطعت عقداً ذهبياً كان في عنق احدى المعلمات فاغمي على المعلمة ولكنها انتبهت بعد ٦ ساعات دون ضرر ولا اذى

وفي يونيو من عام ١٨٦٧ نزلت الصاعقة على كنيسة في دنسه فدخلت المذبح واختطفت الجسد المقدس من الكاس المقدسة . وعلى ذكر الامور المقدسة نقول ان نوادر الصاعقة بهذا الشان غير قليلة . وقد بحث الدكتور جودين في حوادث الصاعقة فقال فيها قولاً يُستفاد منه انه يعتقد بان للصاعقة روحاً تدبر سيرها ووقوعها كالروح التي قال بعضهم بوجودها في النبات بناء على ما رآه من ميل بعض انواع النبات الى امور مخصوصة كميل نبات شاهده فلامريون بعينه لطلب التربة الجيدة دون سواها وارسال جذوره الى مكان فيه ماء بئر . ولم يقل فلامريون بان للصاعقة روحاً ولكنه قال ان بعض نوادرها وخصوصاً فيما يختص بالامور المقدسة تجعل امرها مستغرباً جداً . من ذلك ان مدام شوفين من سكان مرسيليا سالت زوجها في فبراير من عام ١٨٩٧ ان يوقد الشمعة امام الايقونة لان الزوابع كانت شديدة في الخارج فنهض الزوج لانفاذ امر امراته ولكنه ما كاد يشعل الشمعة حتى جاءت الصاعقة وصعقت مدام شوفين فاماتتها وتركتها تحترق

وكان فلاح وامراته في اقليم اورولوار يشتغلان بجمع المزروعات في الحقل وبجانبهما ابنتهما الوحيدة وعمرها ٩ سنوات واذ هبت بغتة زوبعة شديدة فخافت الابنة وطلبت من ابويها ان يعودا بها الى البيت فانظراها قليلاً حتى يتما عملهما فاجابت الابنة : اسرعا اذاً وانا اصلي الى الله ان يبعد الصاعقة عنا . ثم جثت على الارض وضمت يديها واخذت تصلي وبعد برهة شعر الاب بان هشيم الزرع يتحرك حركة شديدة تحت قدميه فالتفت فابصر الابنة ملقاة بلا حراك فهزها فاذا بها ميتة وقميصها الداخلية محترقة كأن الصاعقة

دخلت منهـا

وفي ٢٢ يوليو من عام ١٨٦٨ كانت امرأة في جيين حاملة بيدها زجاجة من الماء المقدس وهي تقصد رش المنزل به لابعاد الصاعقة عنه واذا بالصاعقة قد نزلت على حين فجأة فكسرت الزجاجة وتركت المرأة سالمة

ومن نوادرها ايضاً ان ابنة في دمبيير كانت تخيط حلة لها بازاء آلة الخياطة وبيدها مقص فنزلت الصاعقة واختطفت المقص من يدها دون ان تؤذيها

وفي ذات يوم عصفت في بونيون زوبعة شديدة فظهرت في قمة شجرة من الصفصاف كرة نارية بقدر التفاحة ثم اخذت تهبط من غصن الى غصن حتى بلغت الارض فسارت حينئذ متدحرجة فبلغت مزرعة قريبة من هناك · وكان امام باب المزرعة ولدان يلعبان فدنا منها احدها ورفسها بقدمه فانفجرت حينئذ انفجاراً هائلاً القى الولدين على الارض دون ان يؤذيهما ولكن قُتل ١١ راس من الماشية كانت في زريبة قريبة

فليفسر العلماء هذا الامر الغريب · فان الولد مس الصاعقة دون ان تؤذيه والماشية ماتت بها دون ان تمسها

وقد ذكر الدكتور سستيه في كتابه « الصاعقة » ان امراة تنكرت في ملابس رجل فباغتتها الصاعقة على الطريق فعرّتها من جميع ملابسها حتى اضطر الناس الى احضار غطاء ولفها به لستر جسمها واخذها الى بيتها

وللصاعقة نوادر كثيرة من هذا القبيل كأنه يطيب لها ان تعري الناس من ملابسهم لتهزأ بهم · من ذلك ان فلاحاً كان يشعل سيكارته قرب شالون سيرسون في شهر يوليو من عام ١٨٩٦ فجاءت الصاعقة وقتلته في الحال وعرته من ملابسه كلها

وكان اربعة من الجنود في اعلى سواري السفينة دودناي فجاءت الصاعقة وقتلت منهم اثنين وعرتهما من ملابسهما

وقد روى اراغو ان عاملاً كان يعمل في منزله فقتلته الصاعقه والصقت قطع قبعته في سقف المنزل · وروى بيوت ان رجلاً طارت قبعته عن راسه دون ان يشعر باقل نسمة هواء · وروى شبسال ان راعياً كان يخرج بمنديله الفضول من انفه فانخطف المنديل من يده ولم يقف له على اثر وكان الهواء ساكناً

وروى كثيرون عن الحصادين انهم بينما هم يحصدون الزروع تُختطف المناجل بقوة من ايديهم وتُلقى بعيداً

وروى غيرهم ان امراتين كانتا تخيطان واذا بالصاعقه قد جاءت فاختطفت الابرتين اللتين في يديهما

ونزلت الصاعقة في ذات يوم على سفينة فقتلت رجلاً و بينما هم يفتشون ملابسه وجدوا ان ساعته وسلسلتها قد اصبحتا كتلة واحدة

وروي ايضاً ان الصاعقة اصابت بعض البنادق المحشوة رصاصاً فاذابت الرصاص الذي فيها ولم تلهب البارود . وفي ذلك منتهى العجب

وقد تنزل الصاعقه على قاعة منارة بشموع كثيرة فتطفئها دفعة واحدة كما انها تنزل على قاعة مطفأة الشموع فتوقدها كلها دفعة واحدة

وقد ذكرنا فيما تقدم ان اكثر ما يكون وقوع الصاعقة على الاشجار لان الاشجار تجتذبها . الا ان كثيرين من العلماء يزعمون ان بعض الاشجار تدفع الصاعقة عنها لوجود كهربائية سلبية فيها كشجرة الغار مثلاً على ما ورد في الكوخ الهندي الصفحة ٥٨٣ من هذا الجزء

ولكن الصاعقة مع قوتها وجهل الانسان لطبيعتها قد صارت بقوة العلم تحت سيادة الانسان وسلطته . وذلك ان العلم اخترع لها قضيباً يقي المدن والمنازل من شرها وهو القضيب المعروف « بقضيب الصاعقة » لانه يصرف شرها عما حوله . فما اعظم الانسان مع جهله

القطن الاميركي والمصري

مصدر زراعة واسعة وصناعة عظيمة

شجرة اخرى تمدن الشعوب . القطن الاميركي وطريقة زراعته وجنيه وكميته . وطن القطن تاريخه القطن المصري واهميته زراعة القطن في العالم . في السردان المصري . وفي الاملاك العثمانية

قال علماء الاجتماع : انك متى رايت الفلاح في القرى قد اخذ يهتم بغرس الازهار ووضعها في نافذة بيته او كوخه فاعلم ان انقلاباً عظيماً حدث في نفسه . ذلك لان نفسه تكون قد اخذت تتجه نحو حب الجمال . وحب الجمال من اول اسباب التمدن والعمران

وما قيل في الزهرة يقال في الشجرة ايضاً . فانك متى رأيت الفلاح يهتم باشجار ارضه او بنباتها اهتمامه باولاده الذين يربيهم و يغذوهم فاعلم انه قد عقد بينه وبين الارض

ميثاق شديد ليس في الوجود شيء قادر على فكه · وهذه هي الخطوة الاولى التي تخطوها الشعوب في سبيل المدنية · فانها تدلّ على انتباه نفس الفلاح الى حاجاتها وعلى شروعه في فهم اللغة الطبيعية البسيطة التي تخاطبه الارض بها · لغة تدعوه بها الى سقيها لتسقيه والى اطعامها لتطعمه والى تزيينها لتزين نفسه ومنزله ووطنه وتدر اخلاف الثروة عليه

وقد ذكرنا في احد الاجزاء السابقة شجرة من هذه الاشجار التي لها ذلك التاثير العظيم في العالم وهي شجرة التوت وسميناها هناك « ممدنة الشعوب » والآن جئنا نتكلم عن شجرة اخرى تساويها في عظمتها الزراعية والصناعية والعمرانية ونريد بها « شجرة القطن »

فان هذه الشجرة عنصر من اشد عناصر التمدن الحاضر وسبب من اكبر اسباب السعة والرزق في العالم · فان ملايين من الزراع يعيشون من زراعتها وملايين من التجار يعيشون من التجارة بقطنها وملايين عديدة من الصناع يعيشون من غزل هذا القطن ونسجه وملايين من المتجرين يعيشون من بيع انسجته في جميع اقطار العالم · والبلاد المصرية بعد اميركا في مقدمة البلاد التي تزرع القطن · بل هي مقدمة على اميركا نفسها من حيث ان القطن هو زراعتها الوحيدة وموردها الاكبر خلافاً لاميركا التي تزرع كثيراً من الانواع الاخرى

☼ القطن الاميركي ☼ والقطن انواع اهمها المصري والاميركي والهندي · والاميركي انواع ايضاً ولكن اهمها واعمها النوع الذي يسمونه في الصين « القطن الذي يسد مسد الكتان والحرير » وهو شجيرة حولية اي تنمو وتموت في الحول الواحد علوها ٦٠ سنتيمتراً وساقها قوية مائلة الى الاصفرار او الاحمرار وفيها نقط سود كثيرة واغصانها قصيرة · اما اوراقها فهي ذات خمسة اقسام قصيرة واسعة مستديرة وفيها راس صغير وزهرها مائل الى الاصفرار · ومتى انقضى دور الزهر تتحول الازهار الى جوزات خضراء ضمن الواحدة منها من ٣ الى ٧ بذور وهي بذرة القطن · ولما تنضج هذه الجوزات تتمدد الياف ناعمة بيضاء في داخلها فتنفجر الجوزة وتظهر الالياف وهي القطن · فيكون نظار الحقل حاضرين لالتقاط هذا القطن حين انفجار الجوزة وهم يقيمون على مراقبة الحقول اشد مراقبة قياماً بهذا العمل في حينه لانه اذا فات الوقت تنفصل البذور التي في الجوزة عن اصول الالياف القطنية فتسقط البذرة على الارض وتحمل الريح الالياف ذاهبة بتعب الزارع

ومتى جني القطن ببذرته ارسل الى آلة الحلاجة لفصل البذرة عن الالياف وبعد ذلك يجمعونه في بالات ويحكمون ضغط هذه البالات (كبسها) ثم يرسلونها الى اسواق الغرب لتباع فيها الى الغزالين والنساجين

وطريقة زراعة القطن عندهم ان تقسم الارض اقساماً مساحة كل قسم منها نحو ١٠ فدادين ثم يغرسونه فيها صفوفاً ويجعلونه بعيداً بعضه عن بعض مسافة عشرة امتار وينقون الاعشاب من تحت الشجيرات مرتين قبل الازهار . وبعد جني القطن منها ينقون العشب عنها للمرة الاخيرة ثم يقطعون الشجرة على طول قدم واحد عن الارض فربما عاشت بهذه الطريقة من ٥ الى ٦ سنوات

ويقدرون حاصل الولايات المتحدة من القطن في كل عام من ٨ الى ١١ ملايين بالة واليك بيان حاصل احدى السنوات الماضية في جميع الولايات الاميركية :

ولايه تكساس	٢١٠٠٠٠٠	بالة
ولاية لويزيانا	٦٠٠٠٠٠	بالة
ولاية مسيسيبي	١٢٥٠٠٠٠	بالة
ولاية الاباما	١٠٧٥٠٠٠	بالة
ولاية جيورجيا	١٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية فلوريده	٧٧٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الجنوبية	٦٧٥٠٠٠	بالة
ولاية كارولينه الشمالية	٤٧٥٠٠٠	بالة
ولاية اركانساس	٨٢٥٠٠٠	بالة
ولاية تنيسه	٤٥٠٠٠٠	بالة
المجموع	٨٦٥٢٠٠٠	

اما في هذا العام فانهم يقدرون المحصول الاميركي من ٩ ملايين الى عشره ملايين بالة والاختباط شديد جداً بين المضاربين في هذا الشان مما لا محل للكلام عنه في هذا المقام

☼ وطن القطن وتاريخه ☼ اما البلاد التي كان القطن اول ما نبت فيها في الهند واواسط افريقيا واميركا . فان الاسبانيين حين دخولهم الى كوبا ايام اكتشاف اميركا وجدوا الاهالي فيها وفي المكسيك وبيرو يلبسون ثياباً مصنوعة من القطن وقد فهموا منهم ان شجرة القطن تنمو في بلادهم من قرون عديدة لا يعرفون اولها

اما في افريقيا وآسيا فان المصريين والاشوريين وغيرهم من الشعوب التي تليهم لم يكونوا يعرفون زراعة القطن في ايام المؤرخ هيرودوتس اي في القرن الخامس قبل التاريخ

المسيحي . ولم تدخل تجارة البضائع القطنية الى غربي آسيا ومصر الا في القرن الثاني قبل الميلاد . وقد ادخلها اليها تجار العرب الذين كانت هذه التجارة في ايديهم وكانوا يستوردونها من باريكانزا في شمالي بومباي (الهند) وياتون بها الى ميناء ادوله على البحر الاحمر . ومن هذه الميناء كانت تتوزع في بلاد اليونان وايطاليا . ولكن هذه التجارة كانت ضعيفة لعدم ذكر المؤرخين لها

ولم يأت القرن الثامن بعد الميلاد حتى شرع العرب في انشاء المعامل لنسج القطن في شمالي افريقيا والولايات الاسبانية الجنوبية . فكانوا اول من ادخل هذه الصناعة اليها . وقد انشأوا المعامل الاسبانية الاولى في سيفيل وكوردو وغرناطه وقد نمت معامل غرناطه نموًا عظيمًا حتى وصلت منسوجاتها في القرن الرابع عشر الى اقاصي آسيا فكان الاسيويون يفضلونها على المنسوجات الواردة من المعامل الشرقية كالهند وغيرها

وفي هذا القرن (الرابع عشر) انتشرت تجارة القطن في الصين ومكدونيا والبانيا وايطاليا وكان مستودعهما الاكبر في البندقية وميلان ومنهما دخلت الى انكلترا على يد البندقيين والجنويين الذين كانوا من ملوك البحار في ذلك الزمان

ولما دخل القطن الى انكلترا حار الانكليز في استعماله فاقتصروا في بدء الامر على اتخاذه للفتائل فقط . ولكن النساجين في شستر ولنكستر خطر لهم في عام ١٤٣٠ ان يستعملوه للنسيج فافلحوا بذلك وانشأوا منه صناعة عظيمة ولم يات القرن السابع عشر حتى انتشرت صناعة نسجه في كل مدينة وكل قرية من المدن والقرى الانكليزية تشغيلاً للفقراء والذين لا عمل لهم

وكانت المعامل الانكليزية مقتصرة في ذلك العهد على النسج من القطن الشرقي لانه لم يكن قد وردها بعد شيء من القطن الاميركي . ففي عام ١٧٧٤ وردت من جزائر الانتيل البالات الاولى الاميركية وكانت تعد بالعشرات فقط فكاد الجمرك الانكليزي يضبطها لاعتبارها بضائع مهربة . ذلك ان انكلترا كانت تخاف على القطن الهندي من مزاحمة القطن الاميركي وكان خوفها في محله كما اثبتته الحوادث التالية

ثم امتدت زراعة القطن في اميركا امتدادًا سريعًا فتكاثرت هذه المادة عن حاجة المعامل لان النسج كان يومئذٍ باليد . ولكن من النواميس الطبيعية انه متى مست الحاجة الى اختراع ظهر هذا الاختراع عاجلاً او آجلاً على يد عمرو او على يد بكر لان الارتقاء لا يوقفه شيء . فيومئذٍ اخترعت آلات النسج الميكانيكية فطفرت زراعة القطن في

العالم طفرة عظيمة واصبحت صناعة نسج القطن اعظم صناعات النسيج على الاطلاق

ومع ذلك لم تكن آلات النسج الميكانيكية كافية وحدها لابلاغ هذه الزراعة والصناعة المبلغ الذي بلغته في هذا الزمان لان حلج القطن اي فصل بزرته عن اليافه كان يتم باليد في بدء الامر فكان العامل الهندي لا يستطيع في نهاره ان يحلج بيده اكثر من ليبرة واحدة من القطن فمست الحاجة الى اختراع آلة ميكانيكية للحلج فاخترعت هذه الآلة وبها بلغت صناعة القطن وزراعته هذا المبلغ العظيم من الارتقاء

﴿ القطن المصري ﴾ قلنا ان القطن لم يكن معروفاً في ايام هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد ولكن المصريين جاؤا به بعد ذلك من اواسط افريقيا وزرعوه ولكن ما كان احد يصنع ثياباً منه غير ملوكهم وابنائهم ولذلك سموه « النبات الملوكي » ولما هبت عواصف الحروب على مصر جفت موارد الثروة فيها فانقرضت زراعة القطن حتى كان عام ١٨٢٠ فاعاد هذه الزراعة الى القطر رجل فرنسوي يُدعى المسيو جومل فكان محصولها منه في عام ١٨٢١ — ٤٧ طناً فقط

وكان سيرها بطيئاً في بدء الامر لان الفلاح المصري لم يكن قد ذاق بعدُ لذة الثروة من الزراعة فلما حدثت الحرب الاهلية في اميركا تعطلت زراعة القطن فيها فانهارت المعامل على القطن المصري من كل صوب فطفرت هذه الزراعة في مصر طفرة عظمى وقد بلغ ثمن القنطار الواحد من القطن المصري في ابان الحرب الاميركية الاهلية ستمائة فرنك مع ان ثمن القنطار اليوم من ١١ الى ١٣ ريالاً مصرياً ففاض يومئذٍ الذهب على فلاح مصر فيضاناً ومنذ ذلك الحين نشطت زراعة القطن في مصر وهذا بيان محصولها من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٩٥ بحساب الطن :

في سنة ١٨٢١ — ٤٧ طناً وفي سنة ١٨٢٥ — ١٠٦١٦ طناً وفي سنة ١٨٥٠ — ١٨٢٤٠ طناً وفي سنة ١٨٦٠ — ٢٥٠٧٠ طناً وفي سنة ١٨٦٥ — ١٠٠٥٨٤ طناً وفي سنة ١٨٧٠ — ٦٧٥٩٠ طناً وفي سنة ١٨٨٠ — ١٥٦١٧٠ طناً وفي ١٨٩٠ — ١٧٠ الف طن وفي سنة ١٨٩٥ — ٢٦٠ الف طن . وقد بلغ محصول عام ١٨٩٨ — ٦ ملايين و٥٤٣ الف قنطار تساوي ٢٩١ مليون و١٦٩ الف كيلوغرام . وبلغ في عام ١٨٩٩ — ٥ ملايين و٥٨٩ الف قنطار

اما محصول العام الماضي فيقدرونه بخمسة ملايين قنطار لان فيضان النيل كان ناقصاً فلم يروَ القطن حتى الشبع حسب العادة

والقطن المصري افضل انواع القطن في العالم لان اليافه اطول الياف القطن وفيه مادة حريرية تجعله مطلوباً جداً خصوصاً لقلة محصوله بازاء المحصول الاميركي . وقد انتبه الاميركيون الى ذلك فاخذوا يبحثون في زراعة بزرته في اراضيهم لتاتي بقطن طويل الالياف وحريري مثله . وقد حضهم على ذلك حضرة وكيل الحكومة الاميركية في القاهرة بقوله في احد تقاريره عن الزراعة المصرية « ان القطن الطويل الالياف لهو القطن الذي سيسود في المستقبل على جميع انواع القطن فاذا كثرت زراعة القطن المصري في مصر والسودان وشمالي افريقيا كان ذلك ضربة شديدة على القطن الاميركي لان معامل الغزل والنسج تفضل الاول على الثاني فعلى الزراع الاميركيين ان ياخذوا من تقاوى القطن المصري ويزرعوها في اطيانهم » نقول ولكنهم اذا اخذوا التقاوى المصرية فانهم لا يستطيعون اخذ التربة المصرية لان جودة القطن المصري سببها تربته المباركة وبزرته لا بزرته فقط

والقطن المصري ستة انواع كما يقسمه المصريون ولكنه ستون نوعاً كما تقسمه المعامل الانكليزية وهو اجود انواع القطن الا القطن الاميركي المسمى « سي اسلاند » وهو قطن نادر . اما البلاد التي تستهلكه فهي اوربا كلها وفي مقدمتها انكلترا التي تستورد منه في كل عام اربعمائة الف بالة زنة البالة سبعة قناطير مصرية اي انها تستورد وحدها نصف القطن المصري تقريباً . وصادراته اليها والى اميركا آخذة بالازدياد خلافاً لاوربا

﴿ زراعة القطن في العالم ﴾ وقد شعر العالم في السنتين الاخيرتين بحاجته القصوى الى القطن وبقلة هذا المحصول بالنظر الى شدة هذه الحاجة فقامت الامم تتسابق الى زراعته في املاكها ومستعمراتها . فاخذ الروس ينشطون زراعته في تركستان وقد وضعوا على القطن الوارد الى بلادهم رسوماً جديدة حماية للقطن الوطني . وارسلت مدارس المانيا الزراعية بعض الزراع الى المستعمرات الالمانية في افريقيا ليعلموا اهلها زراعته . واهتمت حكومة السودان الفرنسوي في افريقيا بزراعته في اراضيها ايضاً . وقام تجار القطن الانكليز يحرضون زراعهم على زراعته في اوستراليا وكندا استغناءً عن الاميركيين . وقد اخذ كثيرون من الزراع الاجانب والوطنيين يبحثون في زراعته في السودان المصري . ومن المعلوم ان هذه الزراعة ميسورة في السودان اذا امكن ري الاراضي السودانية من مياه النيل . ولعل هذا الامر هو احد الاسباب التي دعت جناب السير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية الى السفر الى بحيرة فكتوريا نيانزه فوق اعالي النيل للبحث في انشاء

خزان عظيم هناك يخزن المياه للزراعة المصرية والسودانية معاً فيمكن حينئذٍ استعمال مياه النيل لزراعة السودان دون ان يضر ذلك بالزراعة المصرية · ويومئذ يستطيع الزراع في مصر ان يزيدوا مساحة الاطيان التي يزرعونها قطناً ما شاؤوا الزيادة (١)

﴿ زراعته في اراضي الدولة العثمانية ﴾ على ان الالمانيين لم يقتصروا على رغبتهم في زراعة القطن في مستعمراتهم بل اخذوا يبحثون منذ الآن في انشاء المزارع الكبرى في ما بين النهرين لزراعة القطن هناك · ومن الراجح ان حكومتهم ستبذل قصارى جهدها لتنشيطهم في ذلك استغناءً عن اميركا التي لا تامن مجافاتها في الازمنة القادمة ورغبة في استعمار الاناضول والاراضي البكر العذراء المنبسطة ما بين النهرين لان هذا الاستعمار يدر اخلاف الثروة عليها وعلى ابنائها · وقد انتشر بعض الالمانيين في قطعة الاناضول وجربوا زراعة القطن فيه فبشرتهم زراعته بخير مستقبل · منهم بضعة اقاموا منذ سنوات حوالى مرسين وآطنه يزرعون القطن وينشئون مزارع في غاية الترتيب ما عدا المزارع الجميلة التي اقاموها في فلسطين وحيفا · فاعجب لهؤلاء النشيطين الذين يهاجرون اوطانهم للزراعة عندنا ونحن نائمون غافلون لا يلذ لابنائنا الا الاستخدام الممقوت الذي يسخر قوة لقوة قد تكون احط منها والذي يقتل في النفس البشرية كل اقدام واستقلال ونشاط

فالزراعة الزراعة ياسكان البلاد التي ارضها بلا زراعة قبل ان ياتي الغريب ويقبض على خيرات ارضكم فتصبحوا لا تاكلون الا ما تُخرجه يده من الارض كما انكم لا تلبسون الآن ولا تستعملون الا ما تصنعه معامله

(١) خطب جناب المستر ويلكوكس المهندس المشهور في جمعية المهندسين الملوكية في لندن فقال بهذا الشان ما نصه

« قلت ان مصر تحتاج لاصلاح اراضيها ٦٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء وقد ظهر لكم ان خزان اصوان لا يحتمل الا ١٠٠٠ مليون متر · فمن اين ياتي الباقي وهو شيء كثير؟ ياتي من البحيرات الكبرى التي ينبع النيل منها فانه يمكن ان تحول بحيرة فيكتوريا نيانزا وبحيرة البرت نيانزا عند منبع النيل الابيض الى خزانات تقدم لنا سنوياً ١٨٠٠٠ مليون متر مكعب من الماء يمكن ايصال ١٢٠٠٠ مليون متر مكعب منها الى القطر المصري وهو اكثر مما نحتاج اليه ويمكن انجاز هذا العمل بمبلغ لا يزيد عن مليون جنيه وانني اعتقد انه لا بد من انجاز هذه الفكرة بعد اتمام سكة حديد اوغنده فانظروا مقدار الفائدة العظيمة التي تعود على القطر المصري من هذه الاعمال »

مقاومة الموت واطالة الحياة

بحث جديد مفيد

اول شيء يجب النظر فيه عند البحث في "مقاومة الموت واطالة الحياة" هو هذا : هل ان في هذه المقاومة والاطالة هناء حقيقياً وراحة حقيقية للبشر . فمن الناس من يقول مع ابي العلاء فيلسوف الشعراء

تعب كلها الحياة وما اعجب   الا من راغب في ازدياد

فكيف يطلب الانسان اطالة مسافة تعبه وعنائه في هذه الحياة . اليس الافضل له ان تُختصر هذه المسافة ليدخل في عالم الهدوء والراحة . وفضلاً عن ذلك فان اطالة حياة الانسان على الارض تُفضي الى اقبح الامور . فان الزحام الآن على اسباب الرزق في منتهى الشدة مع ان البشر لا يعيشون كثيراً واطول مدة يحفظ فيها الانسان مركزه في العالم ٥٠ عاماً . فكيف تكون حالة المزاحمة على رزق الدنيا ومراكزها اذا تضاعفت هذه المدة . وماذا يحل بالعالم اذا اكتشفوا اكسير الحياة الذي ينشده الناس منذ القرون القديمة وهو الدواء الواقي من الموت . الا تصير الارض حينئذٍ ساحة حرب عمومية بين الافراد وتصبح الحياة فيها حينئذ اشد على الانسان من الموت الآن

ومن قائل ان الحياة وان كانت تعباً فهي واجب من الواجبات . والانسان لم يأتِ هذا العالم كما قال تولستوي باختياره ومن تلقاء نفسه بل هنالك قوة خفية ارسلته اليه ليقوم بعمل فيه . فاختصار مسافة هذا العمل تقصير في الواجب واطالة الوقت اللازم لانهاء هذا العمل بمثابة زيادةٍ في القيام بالواجب . وفضلاً عن ذلك فان معدل السن الذي يموت البشر فيه الآن هو ٣٠ الى ٤٠ سنة واقصى ما يبلغه شيوخهم الاقوياء ٧٠ سنة ولا يبلغ حدود المائة الا نفر قليل ممن خصتهم الطبيعة بمزايا عظيمة . ولكن كل شيء في الانسان يدلُّ على ان السبعين سنة ليست حداً لعمره . ومن احسن الادلة على ذلك قول الفيلسوف تيوفراستوس اليوناني الذي عاش بين عام ٣٧٤ و٢٨٧ قبل الميلاد . فان هذا الرجل عمّر ٨٧ عاماً وقد قال قبل وفاته انني آسف لموتي لانني بدأت الآن افهم الحياة واستلذ اسرارها فهلا امهلتني الطبيعة لاصل الى الغاية

فاذا كان تيوفراستوس لم ينتح له كتاب الحكمة ولا فهم اسرار الحياة الا بعد قطعه الثمانين فكيف يصح ان يقال ان الخالق العادل قد جعل السبعين حدًّا للحياة

فينتج من هذا ان من واجبات الانسان ان يعتبر الحياة واجباً عليه لا لذة له وان يطيل اجلها لا ليتمكن من التمتع بها فان هذا شان العجماوات لا الانسان الذي خُلق على صورة الله ومثاله ولكن ليبلغ الحد الذي تنضج فيه نفسه وتخمد اهواؤه فيصبح انساناً حقيقياً مجرداً عن كل حيوانية · وقد اختلف العلماء في الطرق التي ذكروها لاطالة الحياة ولكنهم اتفقوا على امر واحد وهو ان العيش الطبيعي خير الطرق كلها · ويريدون بالعيش الطبيعي ان يترك الانسان عقله وجسمه ينموان نموهما الطبيعي اي دون وضع الحوائل والموانع في وجههما وتعذيبهما بشؤون المدنية · على ان ذلك يقتضي بحثاً خاصاً وليس هذا محله الآن

وانما غرضنا في هذا الفصل ان نذكر الطرق الحديثة التي يسعى العلماء الآن لاطالة الحياة بواسطتها ونعتمد في الكلام عنها على احدث ما نُشر بشانها

❊ طريقة تجديد الشباب حقناً بالملح ❊ وفي مقدمة هذه الطرق طريقة كان لها في الشهرين الماضيين دوي عظيم في اوربا واميركا · فان عالمين من علماء شيكاغو في اميركا يُدعى احدهما الدكتور لب والثاني الدكتور لينكل ابلغا زملاءهما العلماء في كل الارض انهما اكتشفا اكسير الحياة الذي قطع الاقدمون اعمارهم وهم يبحثون عنه · وهذا الدواء مركب من الغليسرين والملح فقط ويسمونه الغليسروفوصفات دي صوديوم

وقد جرب هذان الدكتوران دواءهما في رجلين · فانهما اخذا شيخين ضعيفين يدعى الاول برمان وعمره ٨٣ سنة والثاني راناي وعمره ٦٨ سنة وحقناهما بالمصل المذكور تحت الجلد · فطار نبأ هذه التجربة الى العالم اجمع · ثم بعد يوم او يومين انتشر الخبر ان شيخي شيكاغو يستعيدان قوتهما شيئاً فشيئاً ويتجدد شبابهما رويداً رويداً فاتجهت انظار البشر يومئذٍ الى شيكاغو ولبثوا ينتظرون الخبر النهائي لان مسالة اطالة الحياة تهمُّ كل انسان

ولكن مرَّ الآن الشهر والشهران دون ان يرد نبأ جديد فعلم الناس ان الدكتورين الاميركيين قد تسرعا في النداء بانتصارهما على الموت كما تسرع الدكتور كوخ حينما نادى منذ بضع سنوات بانتصاره على باشلس السل

غير ان العامة وكثيرين من الخاصة استنتجوا من هذا الاكتشاف امراً جديداً وهو فائدة الملح فاقبلوا على اكل الملح من كل جانب حتى حمد الله اصحاب الفنادق في انكلترا

واميركا على ان ثمن الملح بخس قليل ولولا ذلك لاصبح يومئذٍ نادرًا .. وفي الحقيقة ان الملح مفيد وهو من المواد التي يتخذها الاطباء في المعالجة . فانهم بعد عملهم عملية جراحية ينزف بها شيء كثير من دم المريض يحقنونه بمحلول الملح بعد تصفيته اذا ارادوا انتظام دورته الدموية كما كانت قبل العملية وذلك على نسبة ٧ غرامات في كل ٥ التار من الماء . وقد لاحظوا ان الدورة الدموية تنشط بعد هذا الحقن وتكثر في الدم الكريات الحمراء التي تقويه . وفضلاً عن ذلك فان جسم الانسان يحتوي شيئًا من الملح فان كل جسم ثقله ٧٥ كيلو غرامًا يكون فيه ٥٠٠ غرام ملحًا ويجب ان ياكل سبعة كيلو غرامات من الملح في كل عام . وكلما ضعف جسم الانسان قل الملح الذي فيه . واذا اكل الانسان طعامه من غير ملح مدة طويلة صار هضمه صعبًا على المعدة . وقد ثبت ان البحارة الذين يعيشون فوق المياه الملحة والسكان الذين يعيشون على شواطئ البحر اطول عمرًا من الذين يعيشون في المدينة

فالملح اذًا كثير الفوائد . ولعل الذين تقدمونا قد عرفوا ذلك فقالوا عنه في امثالهم «كل من يطرح ملحًا على الارض يجب عليه في يوم القيامة ان يلتقطه بجفنيه »

اذًا لم يكتشف العالمان الاميركيان امرًا جديدًا

﴿ طريقة قتل الكريات القارضة في الجسم ﴾ ولكن الدكتور متشنيكوف سعى الى اكتشاف طريقة لاطالة الحياة وتخليد البشر اهم من الطريقة البسيطة التي تقدمت . وتمهيدًا لبيان اكتشافه نقول

من المعلوم ان مدار الحياة في الجسم الانساني وفي كل ذي حياة جراثيم دمه وهي كريات صغيرة سابحة في الدم : فبموت هذه الكريات يموت الجسم وبحياتها يحيى . وهذه الكريات تتولد وتنمو نموًا عظيمًا وطريقة نموها ان ينفصل من كل جرثومة منها جرثومتان وهلم جرًا . وهذه الجراثيم قسمان قسمٌ ياكل الجراثيم والميكروبات المضرة التي تدخل الى الدم انقاذًا للجسم منها ونسميها الجراثيم النافعة وقسم ياكل من انسجة الجسم نفسه ونسميه الجراثيم المضرة . وهذان القسمان متعاديان ياكلان بعضهما بعضًا فاذا قويت الجراثيم النافعة على المضرة كان الجسم قويًا ناميًا واذا قويت المضرة على النافعة ضعف الجسم واخذ بالانحطاط . ففي دور الشباب تكون الجراثيم النافعة اقوى من المضرة وفي دور الشيخوخة تضعف الجراثيم النافعة وتقوى المضرة فتاخذ تقرض انسجة الجسم فيزداد الجسم ضعفًا

فعمل دواء الدكتور متشنيكوف مقصور على ما يلي : يدخل هذا الدواء الى الدم

بطريق الحقن ليقتل فيه الجراثيم المضرة التي تتغذى من انسجة الجسم وبهذه الطريقة تنمو الجراثيم الاخرى النافعة ويبطل ضعف الجسم لقتل الجراثيم التي تضعفه

ولما جرب الدكتور متشنيكوف اكتشافه وجد انه قد قتل الجراثيم المضرة ولكنه قتل معها الجراثيم النافعة فاخذ يهتم باصلاحه · ولا ريب في ان هذا العالم اذا وفق الى قتل الجراثيم المضرة دون النافعة فاز فوزاً عظيماً

﴿ طريقة تقوية الاعضاء الرئيسة ﴾ وبينما يجرب بعض العلماء اطالة العمر عن طريق الدم اخذ غيرهم يجربون اطالته بواسطة تقوية الاعضاء الرئيسة التي عليها المعول في الحياة كالقلب والدماغ والرئتين والمعدة والكبد · فقاموا يهتمون بصنع مصل خاص لتقوية كل عضو من هذه الاعضاء · ولعلهم ينجحون

﴿ طريقة تجديد الحياة بقطع الجوانب المصابة في الاعضاء ﴾ ولكن الاغرب من ذلك طريقة للدكتور بول كارنوت جربها في الحيوان فنجحت ولكنه لم يجربها بعد في الانسان · وبيانها انه اخذ حيواناً مصاباً بالكبد او الكلية فقطع من كبده او كليته النصف او اكثر منه ثم اخذ يعالجها معالجة يقصد بها انماء العضو الذي بتره فكان العضو ينمو الا اذا كان قد قُطع كله · وبعد نموه يتجدد نشاط الحيوان وتقوى صحته · قال الدكتور كارنوت فما الذي يمنعنا ان نصنع بالانسان ما صنعناه بالحيوان

﴿ طريقة الوهم ﴾ والطريقة الرابعة للعالم الميو فينو ونسميها طريقة الوهم · فقد نشر هذا العالم في اواخر العام الماضي كتاباً عنوانه « فلسفة طول العمر » قال فيه ما خلاصته « ان الخوف من الموت يتسلط على الانسان منذ شبابه فاذا قام ذكر الموت واذا قعد ذكره فيتاثر مجموعه العصبي من ذلك تاثراً مضراً فعلى كل انسان ان يقتنع بان السبعين عاماً ليست حداً للعمر بل ان في استطاعة كل انسان ان يعيش مائة وخمسين عاماً وحينئذٍ يزول ذلك الوهم الذي يتسلط علينا ويقرب اجالنا · ولا انكر اننا عاجزون عن ابعاد الموت عنا اذ ليس في استطاعة احد ان يؤخر حلاً نهائياً لا بدَّ منه ولكنَّ في استطاعتنا ابعاد حدود العمر وطرد الضعف الذي يصيبنا قبل اوانه فيحط من كرامتنا وعظمتنا »

اخلاق الملكة فيكتوريا

اذا كانت الملكة فيكتوريا قد ابلغت مملكتها الى اوج المجد والعلى . اذا كانت قد ضاعفت سكانها ومساحة املاكها وثروتها وعززت صناعتها وتجارتها تعززاً لم يسبق له نظير في العالم . اذا كانت قد انقذت عرش الملكية الذي ضعضعته اعمال بعض من الذين سبقوها عليه كما شهد بذلك رجال السياسة الذين ابنوها في البرلمان . اذا كانت قد صنعت كل ذلك بقوة مراقبتها وبواسطة الوزراء العظام الذين نبغوا في ايام ملكها فانها لم ترفع بذلك شان مملكتها فقط بل رفعت شان جميع النساء ايضاً

ذلك لانها ارت العالم في ايام ملكها مبلغ ما تستطيعه امرأة فاضلة تقبض على ازمة مملكة . فانها اسكتت اصوات الفتنة والاستياء في الداخل وجعلت الايرلنديين انفسهم يحترمونها ويخضعون لها واوقفت طبقة النبلاء عند حدها وجعلت دول العالم لا تتقدم من دولتها الا باحترام واكرام وصيرت ملوكه خاضعين لها كما يخضع الابناء للامهات او الرجال للنساء — وكل ذلك لانها امرأة . وقد كان اللورد ملبورن معلمها يقول « اهون عليّ ان تكون معاملتي مع عشرة ملوك من ان تكون مع ملكة » وانما قال ذلك لان فيكتوريا كانت شديدة التمسك بحقوقها وامتيازاتها فلا تتنازل لاحد عن شيء منها . وكان الناس يتقبلون منها ذلك لانها امرأة ولو كانت رجلاً لسخطوا عليها كما سخطوا على اسلافها

وهذا الكلام يسوقنا الى ذكر شيء من اخلاق الملكة فيكتوريا تفكهة للقراء وبياناً لاخلاق هذه الملكة العظيمة التي هي اعظم ملكات القرن التاسع عشر وكادت تكون اعظم ملوكه لولا نابوليون الاول . واما تاريخ حياتها الذي هو تاريخ مملكتها في اكثر من نصف قرن فقد افاضت فيه الجرائد اليومية والمجلات مما لا حاجة للعودة اليه بل نكتفي بالكلام على صفاتها واخلاقها

ولدت الملكة فيكتوريا في عام ١٨١٩ وقد جلست على عرش الملك خلفاً لعمها الملك غليوم الرابع وهي في الثامنة عشرة من عمرها . واول عمل عملته بعد ملكها فدل على سلطتها وقوة ارادتها هو تعيين اسمها . فانهم سموها في الاوراق الرسمية التي اعلنوا فيها ارتقاءها الى عرش المملكة « الكسندرينه فيكتوريا » وكان هذا هو اسمها الحقيقي لان عرابها الامبراطور اسكندر الروسي سماها الكسندرينه وامها سمتها فيكتوريا . اما الملكة فانها حذفت من

جميع الاوراق التي قُدمت لها امم « الكسندرينه » وابقت « فيكتوريا » وكانت توقع بهذا الاسم فقط

وكانت نفس الملكة مركبة من عنصرين . عنصر العظمة والسيادة الذي ورثته عن امها وعنصر الحكمة والتروي والصبر الذي اقتبسته من خالها ليوبولد ملك بلجيكا . ولذلك قالوا انه كان للملك ليوبولد تاثير عظيم على مستقبل انكلترا . ولا عجب فان هذا الملك الدستوري البسيط معروف بانه « حكيم ملوك العالم »

واول وزير استوزرته الصغيرة فيكتوريا كان اللورد ملبورن معلمها وهو من حزب الاحرار فجاءها في ذات يوم وفي يده اوراق يقول انها مهمة لا بد منها فيجب التوقيع عليها فاجابته الملكة في الحال « لقد علموني منذ صغري انه يوجد امور حسنة يجب صنعها وامور رديئة يجب اجتنابها ولكنهم لم يعلموني انه يوجد امور مهمة لا بدّ منها » تعني انها تنظر الى الامور من حيث حسنها او رداءتها لا من حيث ضرورتها فاذا مست الحاجة الى امر رديء نبذته وان كان ضرورياً

ولما استقال اللورد ملبورن خلفه السير روبرت بيل من حزب المحافظين فاراد هذا الوزير أن يحمل الملكة على ابعاد بعض نسائها عنها مخافة تاثيرهن عليها فقاومته بكل عظمة وقد كتبت بهذا الشان الى اللورد ملبورن مربيها ما نصه « لا تظن انني خرجت في كلامي معهم عن دائرة الهدوء وثبات الجأش . فانهم كانوا يريدون معاملتي كما تعامل البنات الصغيرات فاريتهم انني ملكة انكلترا لا ابنة صغيرة . وما ادراني انهم اذا اخذوا الآن نسائي لا يطلبون غداً خادماتي ايضاً »

واعظم من هذا المشكل الذي قام بينها وبين وزرائها مشكلة قامت بينها وبين اللورد بالمرستون في عام ١٨٥٠ فان هذا الوزير عرض على الملكة في ذات يوم رسائل مهمة ثم خطر له بعد ذلك ادخال بعض التغيير فيها . فلما درت الملكة بذلك استدعته ولامته بلهجة الآمر على انه غير الرسائل ثم خيرته بين ان يستقيل من الوزارة او يبقي الرسائل كما تراها الملكة . فاختار البقاء وزيراً . وهذا اهم خلاف قام بينها وبين وزرائها

واحبت الملكة بعد جلوسها على العرش ابن عمها البرنس البرت دي ساكس كوبورغ فعزمت على الاقتران به . فبعثت في عام ١٨٣٩ تستدعيه اليها . وقد كتب البرنس البرت الى جدته الدوقة دي كوتا بهذا الشان ما نصه « واستدعتني الملكة في ذلك اليوم اليها وكانت جالسة وحدها فذكرت لي ميلها اليَّ ثم قالت لي انها ستكون سعيدة جداً اذا كنتُ

ارضى بمشاركتها في حيلتها » وكان البرنس يحبها كما تحبه فاقترن بها . ولكن الملكة لم تطلع وزراءها على عزمها على الزواج الا بعد ان اتمت عزيمتها

وجاءها رئيس اساقفة كنتربري قبل الزواج يسألها اذا كانت تريد تغيير صيغة اليمين التي تقسمها المراة للرجل عند عقد الاكليل فاجابته « انني ساقسم هذه اليمين كامراة لا كملكة »

ولما عُرض على مجلس العموم طلب راتب سنوي لزوجها قدره ٥٠ الف جنيه قام احد الاعضاء واسمه المستر جوزيف هوم وقال قولاً اضحك جميع الاعضاء وهو « من الخطر على الشاب ان يضع في كل عام مبلغاً كهذا المبلغ في جيبه ويمشي في اسواق لندن » فجعلوا الخمسين الفا ثلاثين الفاً . فاغاظ هذا الامر الملكة

وبعد الزواج قامت مشكلة جديدة وهي : كيف يكون مقام البرنس من الملكة اذا ولد ولي عهد هل يتقدم ولي العهد على البرنس او البرنس على ولي العهد . وقد اهاج هذا الامر الخواطر في البلاط . فاصدرت الملكة امراً قاطعاً قاضياً بجعل مقام البرنس ثاني مقام الملكة .

وقد ذاقت الملكة فيكتوريا بعد زواجها بالبرنس البرت لذة المعيشة العائلية فعاشت معه عيشاً رغيداً مملوءاً بالمسرة والحبور . واول ولد ولدته كان ابنة وهي الامبراطورة فردريكه والدة امبراطور المانيا . فسالت الملكة البرنس ساعة الولادة « هل انت مسرور يا البرت » فاجاب البرنس اذا كنت مسروراً بنجاتك فان الشعب الانكليزي غير مسرور . يريد بذلك ان الامة الانكليزية كانت تنتظر ان تلد الملكة غلاماً يكون ولي عهد لها . فاجابته الملكة « ثق ان المولود الثاني سيكون غلاماً »

وفي الحقيقة انه لم ينقض احد عشر شهراً على هذه الحادثة حتى علت اصوات المدافع في سنت جمس تعلن مولد البرنس دي غال (الملك ادوار السابع الحالي)

وكما ذاقت الملكة اعظم الملاذ العيلية في زواجها ذاقت اعظم الاحزان العيلية بعد وفاة البرنس زوجها . فانها ابطلت حفلات البلاط وعاشت خمس سنوات لا تظهر لاحد من رعيتها ولا تقابل احداً حداداً على زوجها وحبيبها . فشكا يومئذ صناع لندن وتجارها من هذه الحالة لان حداد البلاط افضى الى كساد البضائع والسلع التي تروج في الحفلات فاقترح بعض اعضاء مجلس العموم حينئذٍ انقاص راتب الملكة لان حدادها لا يقتضي نفقات كثيرة . ولكن الملكة بعد مرض شديد اصاب البرنس دي غال عادت الى الظهور

وخففت شيئاً من حدتها . وكانت تبكي بعد وفاة البرنس وتقول « آه لم يعد الآن يوجد من يناديني " يافيكتوريا "

وكانت الملكة كثيرة المطالعة للكتب والجرائد الانكليزية والفرنسوية والالمانية لتقف فيها على حركة السياسة في العالم . وانما كانت لا تقرأ من الجرائد الانكليزية الا المقالات والفصول التي تضع لها نساؤها علامات عليها . وقد جرت العادة ان لا يضع هؤلاء النساء علامة على فصل لا يروق الملكة . ولذلك فان الملكة كانت تجهل اشياء كثيرة من عواطف شعبها . فانها جهلت استياءهم يومئذٍ من ميلها الى المانيا وازواج ابنتها الى امير الماني وجهلت استياءهم من تركها حفلات البلاط وعدم اذنها لولي عهدها بان يقوم مقامها في الاستقبالات الرسمية التي كانت لا تحضرها . ولا يخفى ان جهل الملك عواطف شعبه قد يضر اشد ضرر بالملك نفسه اذا كان غير محبوب وغير محترم احتراماً كلياً . اما فيكتوريا فانها نجت من ذلك لانها كانت محبوبة ومحترمة

وكانت محبوبة ومحترمة الى حدٍ كان عنده جميع الذين هم حولها يرتعدون خوفاً منها حتى البرنس دي غال نفسه . يروى انه بلغها في ذات يوم ان البرنس دي غال حضر في باريز سباق الخيل في ساحة لونشان في يوم احد فغضبت عليه ووبخته على ذلك حين عودته الى لندن توبيخاً شديداً . ذلك ان الملكة كانت شديدة الحفظ لاصول الدين وفروعه وقد قالت مرة مشيرة الى التوراة « هذا هو سر عظمة انكلترا »

وكانت الملكة ترعى حرمة وزرائها وتكرمهم ولكنها كانت لا تطيق مجالسة غلادستون الوزير العظيم . يروى انه كان يوماً في حضرتها يطلعها على بعض الشؤون ثم خرج من لدنها فتنفست الملكة الصعداء قائلة " اف من هذا الرجل " ولكنها كانت تحترمه ولما كان حزب الاحرار يُسقط حزب المحافظين كانت الملكة تنظر الى مصلحة المملكة دون سواها فتعيد الى غلادستون زعيم الاحرار ان يؤلف الوزارة الجديدة . اي انها كانت تقول في نفسها " لا دخل لمسائلي الشخصية في المسائل العمومية »

وكان السبب في نفورها عن المستر غلادستون انه كان مع معاملته لها بكل احترام واكرام غير صبور على شرح كل ما يجب شرحه لها وكثيراً ما كانت تبدو في وجهه الدهشة من جهل الملكة بعض امور صغيرة كان يعرضها عليها . اما باقي الوزراء وخصوصاً دزرائيلي فانهم كانوا يصبرون على الملكة ما شاءت ويكرمونها ويلاطفونها كملكة وامراة معاً . ولذلك كانت تحب دزرائيلي حباً شديداً

ولعل غلادستون كان يقول في نفسه وهو واقف بازاء فيكتوريا « ما الذي يضطرنا يا ربّاه الى وضع السلطة العليا في قبضة شخص واحد قد يفهم كل شؤونها احياناً واحياناً لا يفهمها كلها بدلاً من وضعها في قبضة اكابر الامة الذين يفهمونها كلها »

وكانت وفاة الملكة فيكتوريا في منتصف الساعة السابعة من يوم الثلثاء الموافق ٢٢ يناير الماضي في قصرها في اوسبورن بين اولادها واحفادها فدوى نعيها في اقطار العالم دوياً شديداً . ويقال انها رحمها الله قد لفظت روحها وهي تقول «متى تنتهي هذه الحرب متى تنتهي » وتريد بها حرب الترانسفال لانها كانت شديدة الكراهة لها

فعسى ان جلالة الملك ادوارد السابع الذي وعد في خطبة جلوسه ان يقتفي آثار امه الجليلة يحقق آمالها وآمال العالم المتمدن كله بوضع حد للحرب الافريقية . وبذلك يفتتح ملكه افتتاحاً مجيداً

حماية الحيوانات في افريقيا

مؤتمر دولي

يتبادر الى ذهن القارىء اول قراءته هذا العنوان " حماية الحيوانات في افريقيا " ان الانسان في هذا الزمان احق بالحماية من الحيوان . وكثيراً ما تناقلت الالسنة والاقلام هذا القول كلما دار الحديث على جمعية حماية الحيوان او الرفق بالحيوان . ولكن لو علم هؤلاء المعترضون ان الانسان لا يقصد بحماية الحيوانات التي نتكلم عنها ههنا الرفق بها رفقاً مجرداً بل انه يقصد حفظها للانتفاع بها مباشرةً او مآلاً لتحققوا ان الانسان لم يخرج عن الدائرة القبيحة الضيقة التي رسمها لنفسه في هذه الحياة وهي « ان لا يعمل عملاً الا وهو يؤمل منفعة منه او جزاء عليه »

وكيف تريد ان يخرج من هذه الدائرة اذا كان يتعلم الاقامة ضمنها منذ اول حياته الى آخرها . في البيت وفي المدرسة وفي السوق حتى في اماكن العبادة

وقد اخذ هذا الميل المادي يزداد في نفوس الناس حتى انه لا يبعد ان يجيء يوم يحسبون من اعظم الفضائل ان يبتسم الانسان لصاحب او رفيق لا يرجو منه نفعاً . وانّ من اراد سؤال رجل " اين الطريق " وجب عليه ان يضع له في جيبه غرشاً قبل السؤال والا بقي سؤاله بلا جواب

ويومئذ يسمون هذا الامر تقدماً في حفظ المصالح وهو في الحقيقة تقدم ولكن في الطمع والقسوة والخشونة وحب الذات وسائر الشهوات الحيوانية التي تشتد سلطتها على الانسان كلما اتسع نطاق الحضارة وكثر التزاحم في هذه الحياة

فالحضارة على الطريقة الحاضرة اذن تُبعد الانسان عن الانسانية وتفضي به الى درجة الحيوان

وليس المقام مقام بحث في هذا الموضوع ولكننا لم نتمالك النفس عن الاشارة الى ذلك في خلال كلامنا على المؤتمر الدولي الذي اجتمع في لندن في شهر مايو الماضي للبحث في طريقة حماية الحيوانات في افريقيا خوف انقراضها لكثرة صيدها من غير نظام ولا قانون مع ما يترتب على بقائها من الفوائد التجارية (لا تجار الناس بريشها وجلودها وعظامها) ولسهولة النقل بواسطتها هذا فضلاً عن الفائدة العلمية التي تقتضي بقاءها

ولقد اشتركت في هذا المؤتمر كل الدول اللواتي لهن مستعمرات في افريقيا وهن انكلترا والمانيا واسبانيا والبرتغال وحكومة الكونغو الحرة وفرنسا وايطاليا . اما مصر فلعل اشتراكها فيه كان عن طريق انكلترا لاننا لم نسمع بانها بعثت مندوباً من قبلها او من قبل حكومة السودان على الاقل لحضور هذا المؤتمر وانما سمعنا في ذلك الوقت ان حكومة السودان وضعت نظاماً جديداً للصيد

اما الداعي الى عقد هذا المؤتمر فهو تقييد الصيد في افريقيا كما هو مقيد في كل الاقطار المتمدنة التي تحرص حكوماتها على انواع حيواناتها فتحرم الصيد في اوقات معلومة في السنة وهي الاوقات التي تفرخ فيها الطيور وتلد الحيوانات صغارها . وكان الانكليز اول من سعوا الى ذلك . فانه تالف منهم في عام ١٨٩٤ لجنة غرضها حماية الزرافة وحمار الوحش وغيرها من حيوان جنوبي افريقيا . وتوصلاً لهذا الغرض قررت هذه اللجنة طرد عدد عظيم من الحيوانات الافريقية الى نواحي « قلعة سالسبوري » في جنوبي افريقيا وحصرها في بقعة واسعة هناك لتنمو فيها وتتكاثر آمنة مطمئنة . ولهذه المناسبة نذكر ان حكومة فلوريده في اميركا وضعت في ذلك العام (١٨٩٤) نظاماً جديداً مقتضاه العقاب الصارم لكل من يصطاد حيواناً من نوع الاليكاتور لان هذا الحيوان يتغذى من الفأر والجرذ وكانت الفئران والجرذ قد اتلفت بكثرتها الزروع في تلك الجهات . ولو ان حكومة الولايات المتحدة قد وضعت نظاماً كهذا النظام لما انقرضت منها البقر الوحشية حتى لم يبقَ اليوم منها اثر .

وفي سنة ١٨٩٣ عاد من افريقيا سائح فرنسوي يُدعى المسيو بول بورداري . وكان قد شاهد فيها قيام الصيادين من كل حدب وصوب الى افناء الحيوانات الافريقية ولاسيما الفيل فقدم الى وزارة المستعمرات طلباً مقتضاه انشاء اماكن صغيرة في الكونغو الفرنسوي لتربية الفيل فيها لغرضين . الاول منع انقراضه من المستعمرات الفرنسوية وثانياً لتدجينه وتربيته على الالفة والخدمة لانه من المشهور ان الفيل في الهند وسيام يخدم خدمة الانسان تقريباً فانه يحمل الاثقال وينقل الاحمال وياخذ على كاهله الاولاد الى المتنزهات او الى المدرسة كالخادمات . فلم تسمع له وزارة المستعمرات ولكن الالمانيين اخذوا فكرته وانفذوها فانشأوا في برلين في عام ١٨٩٤ لجنة خاصة لتربية الفيلة في كامرون وتعويدها الالفة وترويضها على الخدمة . وانشأوا مناطق في مستعمراتهم في افريقيا لحماية بعض اصناف الحيوان . وقد حذا الانكليز حذوهم في بلاد الصومال

ثم جعل المسيو بورداري يخطب في فرنسا منبهاً الجمعيات العلمية فيها الى حفظ الحيوانات الافريقية ولا سيما الفيل فانتبه الناس الى ذلك وبقيت حركة الافكار مستمرة حتى افضت الى عقد المؤتمر الدولي الذي اشرنا اليه . فتقرر في هذا المؤتمر قسمة الحيوانات الافريقية الى الاقسام الآتية

(١) الحيوانات التي يجب حفظها ولا يجوز صيدها لانها مفيدة فائدة عمومية كالعقبان والحيوان المعروف بآكل الافاعي لانه يتغذى منها على الاخص والبوم لانه يأكل الفئران فينقذ الزروع من شرها وطير البوفاكا الذي يأكل الحشرات والدود من اجسام الفيلة والجمال والبقر . ثم الحيوانات النادرة مخافة انقراضها وهي الزرافة والغوريلا والشمبنزي وحمار الوحش الجبلي والحمر البرية وفرس الماء الصغير وغيرها

(٢) الحيوانات التي لا يجوز صيدها في صغرها ولا يجوز قتل الانثى منها اذا كان وراءها صغارها كالفيلة ووحيد القرن وحمار الوحش والجاموس البري والنزلان والماعز البري وغيرها

(٣) الحيوانات التي لا يجوز ان يُصاد منها الا عدد قليل معلوم وهي الحيوانات التي تقدم ذكرها في الشذرة الثانية وفوقها : الخنزير البري والقرود التي لها جلود جميلة والحيوانات الليلية التي تحفر لنفسها مكاناً في الاراضي الرملية قرب اعشاش الارضة لافتراسها وحفظ الخشب والاشجار منها . وبنات آوى والسنور الافريقي البري والقرود الصغيرة والنعامة وبعض الطيور التي يصطادونها للاكل وغيرها من الحيوانات المختلفة

(٤) الحيوانات المضرة التي يجب انقاص عددها وهي الاسد والضبع والنمر والحيوان المعروف « بالكلب الصياد » الذي يفترس الانسان احياناً والقرود المضرة والطيور الكاسرة والتمساح والافاعي وغيرها

هكذا قسم المؤتمر الحيوانات الافريقية على كثرتها . وقد قرر ما عدا ذلك وجوب تعيين اراض خصوصية يُحظر الصيد فيها لينمو ويتكاثر حيوانها وتعيين اوقات معلومة للصيد فاذا انقضت حُرم الصيد اطلاقاً ليتسنى للحيوانات والطيور ان تضع وتربي صغارها ووضع رخصة خصوصية يُعطاها الصياد واذا خالف شروط الصيد اخذت الرخصة منه ومُنع من الصيد . وتقليل الصيد بالحبائل والفخاخ التي ينصبها الصيادون ومنع استعمال الديناميت في صيد الاسماك في الانهار والبحيرات . ووضع رسوم على صادرات جلود الزرافه والبراز ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات المهمة

فانت ترى ان المقصود من هذه الحماية نفع الانسان لا الحيوان . على ان الحيوانات الافريقية المسكينة ترضى بهذه الحماية كيفما كان الغرض منها لانها تقلل مذابحها . ولو كان لها السنة تنطق لقالت للاوربيين هذا القول الحق : ان اختراق التمدن الاوربي ظلمات افريقيا ادخل الينا الوفاً من رجالكم لقتلنا وصيدنا فبازاء هذه المضار العظيمة التي ادخلتموها الينا يجب عليكم ان تدخلوا الينا منفعة تقابلها : وهي حمايتنا

رواية الحب والخداع

فصل الخطاب

حضرات صاحبي الجامعة الفاضلين

اطلعت في العدد الماضي من الجامعة على ما كتبه حضرة نجيب افندي نسيم طراد ردّاً على انتقادي رواية الحب والخداع . ومجمل ما جاء في ذلك الرد انه عرب هذه الرواية مع حضرة الدكتور نقولا افندي فياض عن رنييه وليس عن ديماس . وما خلا مشهد العقد الذي حذفاه اضطراراً لا اختياراً وابدال مقدمة الفصل الرابع بخاتمته لم يتصرفا في التعريب الا بما دعت اليه الحال

واني والحق يقال قد اطلعت في هذه الاثناء على رواية رنييه نفسها فوجدتها كثيرة المشابهة بابنتها العربية كما انني راجعت الاصل الالماني لشيللر فالفيت رنييه اشد حرصاً

في النقل من ديماس ولئن كان ديماس في تصرفه قد زاد في حسن الرواية ورونقها. بقي اني لا ازال الوم معربي رواية الحب والخداع على اغفالها ذكر الكاتب رنييه في مقدمتها دلالة على فضله ودفعاً للالتباس

وفصل الخطاب في هذه المناظرة ان رواية شيلار الالمانية قد نقلت الى الفرنسوية اولاً بقلم اسكندر ديماس وثانياً بقلم رنييه الذي ترجم اكثر مؤلفات شيللر ومن حسن الاتفاق ان هذه الرواية الفرنسوية عربها حضرات الدكتور نقولا افندي فياض ونجيب افندي طراد وطبعت في بيروت والرواية التي سبقت عربها حضرة صديقنا طانيوس افندي عبده وقد طبعت حديثاً في مصر واذا قوبلت الروايتان العربيتان ظهر الفرق الذي بين ترجمة رنييه وترجمة ديماس ذاكي مابرو

﴿ النمل ﴾ النمل حيوان حريص على جمع الغذاء وهو عظيم الحيلة في طلب الرزق فاذا وجد شيئاً انذر الباقين ليأتوا اليه · ويقال انما يفعل ذلك منها رؤوساؤها ومن طبعه انه يحتكر قوته من زمن الصيف الى زمن الشتاء · وله في الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين ما خلا الكبيرة فانه يقسمها ارباعاً لما الهم من ان كل نصف منها ينبت واذا خاف العفن على الحب اخرجه الى ظاهر الارض ونشره واذا احست بالغيم ردته الى مكانها خوفاً من المطر · فان ابتل شيء منها تبسطه يوم الصحو في الشمس · ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الارض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات منعطفات يملأها حبوباً وذخائر للشتاء · وتجعل بعض بيوتها منخفضاً لينصب اليه الماء وبعضها مرتفعاً للحب ومنها ايضاً انه مع لطافة شخصه وخفة وزنه له شم ليس لشيء من الحيوان مثل ذلك · فاذا وقع شيء من يد الانسان في موضع لا ترى فيه شيئاً من النمل فلا يلبث ان يقبل كالخيط الاسود الممدود الى ذلك الشيء · ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعته على انفك ما وجدت له رائحة (القزويني)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزامياً

اصلاح عظيم في الشرق

(المرأة الجديدة)

كتاب في مقالة مكتوبة لعقلاء الشرقيين

في اوائل القرن السابع عشر كان اكبر برهان يقيمه اللاهوتي او الفيلسوف استشهاده برأي المعلم الاكبر الذي وضع ذلك الدين او تلك الفلسفة · فكان يكفي لاثبات قضية لاهوتية ان يقال « هكذا ورد في كتاب كذا » ويكفي لتقرير قضية فلسفية ان يقال « هذا راي اريسطو » فكان اللاهوتيون والفلاسفة في راحة وصفو في ذلك الزمان لضعف معارضيهم ومقاوميهم ولكن الاوهام والاغلاط كانت تتراكم في اقوالهم وكتبهم والفلسفة واللاهوت يضعفان تحت نير التسليم الاعمى

وبينما كان العالم في ذلك الخمول الفلسفي ظهر حوالى عام ١٦١٩ كراس صغير ذو مائة صفحة كتبه ضابط فرنسوي في الثالثة والعشرين من عمره وعنوانه « الطريق » اي الطريق الى الحقيقة · فهذا الكراس كان وحده كافياً لتغيير وجه العالم وانشاء مستقبل جديد لشعوب الارض وملوكها

اما اسم هذا الضابط فهو « ديكارت » (١) واضع اساس الفلسفة الحديثة وموضوع

(١) هو رنه ديكارت الرياضي والطبيعي والفيلسوف الشهير واضع أساس الفلسفة الحديثة · ولد في لاهاي من اعمال فرنسا في عام ١٥٩٦ وتوفي في اسوج في عام ١٦٥٠ ومن مؤلفاته كتاب « الطريق » وكتاب « تاملات فيما وراء الطبيعة » وغيرهما

كراسه هو هذا : « لا تعتقد بشيء ما لم تقتنع بصحته » وقوله « اذا رمت معرفة الحقيقة فيجب ان تخلو بنفسك مرة في حياتك وتتجرد من كل الاراء والمذاهب التي تلقنتها منذ صباك ثم تبني لك بواسطة آرائك ومعارفك مذهباً خصوصياً » فقامت يومئذٍ قيامة عالم اللاهوت وعالم الفلسفة على ديكارت لانه اسقط بهاتين القاعدتين اقوى سلاح كان للاهوت والفلسفة . فاضطهدوه وكفروه وسبوه ولكن ذلك لم يمنعه ان يفوز عليهم فوزاً مبيناً ويغير وجه العالم بكتابه حتى سماه الفلاسفة « ابا الفلسفة الحديثة » كما يسمون اريسطو « ابا الفلسفة القديمة »

وامامنا الآن كراس باللغة العربية ذو ٢٢٩ صفحة عنوانه « المرأة الجديدة » ومؤلفه حضرة الفاضل قاسم بك امين وموضوعه ابحاث مختلفة في حقوق المرأة المسلمة وواجباتها ووجوب تربيتها وهدم السور الذي يحول بين العالم الخارجي وبينها وفي المدنية الاسلامية . وكل هذه المباحث مبنية على هذه القاعدة « من اهم ما يجب علينا هو ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليه ولكن لا لننسخ منه صورة ونحتذي مثال ما كان فيه سواء بسواء بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناء ننتفع به اليوم وفي ما يستقبل من الزمان »

هذا ما قاله حضرة قاسم بك في الصفحة ١٧١ من كتابه . افلا يخيل لك حين قراءة هذه السطور انك تسمع « ديكارت » ناطقاً بلسانه . لذلك نعتقد اعتقاداً « لا يزعزعه ادنى شك » بان هذا « الكراس الصغير » سيكون من اكبر الحوادث في تاريخ مصر واذا قام بعد مائة سنة مؤرخ لكتابة تاريخ حركة الافكار في مصر فانه سيخصص لكتابي « المرأة الجديدة » و « تحرير المراة » اللذين كتبهما قاسم بك صفحات كثيرة من تاريخه مع انه لا يذكر كثيراً مما يُنشر اليوم من الكتب والجرائد والمجلات الا في بضعة اسطر او بضع كلمات

على ان تاثير هذا الكتاب غير مقصور على تخليد اسم كاتبه في تاريخ مصر وتاريخ الشرق قاطبة لسبقه الى معرفة الداء ووصف الدواء بشجاعة ادبية نادرة المثال في هذا الزمان . بل نعتقد ايضاً ان كتاب « المراة الجديدة » ورفيقه « تحرير المراة » سيحدثان انقلاباً عظيماً في الشرق . بل هما بدء الانقلاب العظيم الذي ينتظره عقلاء الشرق منذ عهد بعيد . وبناء عليه يكون كتاب قاسم بك نتيجة لا مقدمة . اي انه مبدأ نضج في الشرق فظهر

على قلم قاسم بك ولو لم يظهر على قلمه لظهر على قلم شرقي عاقل غيره لان ناموس الارتقاء لا يوقفه شيء وسواء قاومه المقاومون او لم يقاوموه فانه سينتصر ويخرج من مضمار المقاومة اشد ابراقاً واشراقاً

وانما ولد هذا المبدأ في مصر قبل سواها من الممالك الشرقية الاسلامية لان مصر ارقاها والتمدن اشد عضداً فيها منه في سواها. ونذكر اننا قرأنا منذ نحو ٣ سنوات تلغرافاً في جريدة الطان الباريزية وارداً عليها من القاهرة وهذه خلاصته «لقد اقامت مساء امس الاميرة فلانة (وقد غاب عنا اسمها) حفلة حافلة في منزلها دعت اليها بعض وجوه الوطنيين والاجانب رجالاً ونساء واستقبلتهم كلهم بنفسها» فذيلت جريدة الطان هذا الخبر بقولها لقد قُضي الامر وظهر ان مصر ستكون اول بلد ينشق الحجاب فيه. وذلك لان التمدن يخطو فيها خطوات واسعة

ولكن لماذا يُتخذ شق الحجاب دليلاً على التقدم والارتقاء. السبب بسيط جداً ولكننا نترك الى قاسم بك شرحه بقوة بيانه لذلك نشرع في تلخيص كتاب «المراة الجديدة» بما يمكن من الايجاز

﴿ المقدمة ﴾

قال المؤلف في المقدمة ما خلاصته

« المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات »
« وكان الاوربيون يرون راينا اليوم في النساء فيقولون ان « ذات الشعر الطويل والفكر القصير» لم تخلق الا لخدمة الرجل فلما انكشفت عنهم غشاوة الجهل اكتشفوا انهم هم انفسهم منشأ انحطاطها وسبب فسادها » فدخلت المراة الغربية منذ ذلك الحين في طور جديد. « فاختفت حينئذ من عالم الوجود تلك الانثى — تلك الذات البهيمية التي كانت مغمورة بالزينة متسربلة بالازياء منغمسة في اللهو وظهر مكانها امراة جديدة هي المراة شقيقة الرجل وشريكة الزوج ومربية الاولاد ومهذبة النوع »
« وهذا التحويل كل ما نقصد

(واذا تم ذلك فنحن على يقين لا يزعزعه ادنى شك من ان هذه الحركة الصغيرة تكون اكبر حادثة في تاريخ مصر)

(ونحن لا نكتب طمعاً في ان ننال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين اذا سمعوا

كلام الله وهو الفصيح لفظه الجلي معناه لا يفهمونه الا اذا جاء محرفاً عن وضعه وانما نكتب لاهل العلم وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التي هي مستودع امانينا في المستقبل)

ثم اختتم المقدمة باستشهاده بقول لحضرة صديقنا منشىء مجلة المنار المصرية عن مسالة الحجاب من الوجه الديني و باثباته ان الشريعة الاسلامية خولت المراة المسلمة حقوق (تدبير ثروتها والتصرف فيها وحثت على تعليمها وتهذيبها ولم تحجر عليها الاحتراف باية صناعة و بالغت في المساواة بينها و بين الرجل الى حد ان اباحت لها ان تكون وصية على الرجل وان تتولى وظيفة الافتاء والقضاء اي وظيفة الحكم بين الناس بالعدل · وقد ولى عمر رضي الله عنه على اسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة وغيرهم مع ان القوانين الفرنسوية لم تمنح النساء حق الاحتراف بصناعة المحاماة الا في العام الماضي · فاذا كانت شريعتنا تمنح المراة هذه الدرجة من الحرية فهل يجدر بنا في هذا العصر ان نهمل الوسائل التي تؤهل المراة الى استعمال هذه الحقوق)

(لا اظن ان ذلك يليق بنا وارجو ان كثيرين من القراء يرون راينا)

هذه خلاصة المقدمة

الفصل الاول

﴿ المرأة في حكم التاريخ ﴾

« يلزم ان نعرف من اي نقطة ابتدأنا حتى نعلم الى اي نقطة نصل »

« فقد ذكر المؤرخ هيرودوتس ان علاقات الرجل مع المراة كانت في العصور الاولى متروكة الى الصدفة وكان مشاعاً اذا ولدت المراة ولداً ان يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ وينسبوه الى اشبه الناس به » وكذلك كان عند القبائل الجرمانية وعند العرب في الجاهلية فكانت المراة يومئذٍ تعيش مستقلة بنفسها وربما كانت تشارك الرجل في الدفاع عن قبيلتها ويدل على ذلك ذكر وقائع الفارسات (الامازون) في التواريخ القديمة " ومن هذا القبيل ان ملك سيام له عدد من النساء عهد اليهن حراسته وكان لملك الداهومي بهانزين الذي استولى الفرنسويون على بلاده من بضع سنين خمسمائة جندي من الرجال وخمسمائة من النساء »

ولكن (لما ودع الانسان بداوته) تالفت العائلة فترتب على دخول المراة فيها حرمانها من استقلالها وخضوعها لرجلها الذي اصبح مالكاً لها (كما يملك الرق) (وهذا امر يعلمه كل مطلع على القانون الروماني) ثم لما انتظمت احوال الهيئة الاجتماعية (خنت صولة

الرجل على المراة نوعًا بتاثير الحكومة التي ردت اليها حق الملك كله او بعضه وحق الارث تمامًا او ناقصًا (ولكن بقيت المراة في نظر الناس احط من الرجل قدرًا ٠ فانها كانت (مجردة عن شخصيتها في الهند) وكانت المراة اليونانية (مكلفة بان تعيش في الحجاب التام) اما المراة الرومانية فانها كانت (في حكم القاصر) وفي مبداء تاريخ اوربا بحث مجمع ماكون الذي انعقد في سنة ٥٨٦ بعد الميلاد في هل ان المراة انسان فقرر (بعد بحث طويل ومناقشة شديدة انها انسان ولكنها خُلقت لخدمة الرجل) ٠ وقد دام هذا الاستبداد العائلي مدة دوام الاستبداد السياسى في اوربا فلما اضمحل الاستبداد السياسي في اوربا سقط نير الاستعباد عن عنق المراة الاوربية ٠ اما الشرق فبقي الاستبداد العائلي (سائدًا فيه عامةً حيث نرى سكان الصين والهند وبلاد العرب والترك والعجم خاضعين الى سلطة حكومة لم تتغير عما كانت عليه منذ الاف من السنين)

(وفي كل مكان حط الرجل فيه من منزلة المراة وعاملها معاملة الرقّ حط بنفسه وافقدها وجدان الحرية وبالعكس) وهكذا تجد في البلاد الشرقية (ان المراة في رق الرجل والرجل في رق الحاكم فهو (اي الرجل) ظالم في بيته مظلوم اذا خرج منه)

وهذا مقياس لكل حكومة في العالم فحيثما تكون المراة اكثر تمتعًا بحريتها تكون الشرائع اكثر رفقًا وحرية ٠ فالمراة في اوربا محترمة حرة لان شرائعها حرة ولكنها في اميركا اكثر حريةً لان شرائعها اكثر حرية ايضًا ٠ وقد بلغ من حرية النساء في اميركا انهن اعطين حق الانتخابات السياسية في ولاية يومنج في عام ١٨٦٩ وقد حذت ولايات آوته وكولورادو وايداهو حذو تلك الولاية

« فمجمل تاريخ المراة انها عاشت حرة في العصور الاولى ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما بلغت الانسانية مبلغها نالت المراة حريتها »

فلماذا لا نعطي المراة المصرية حريتها « ان الاستبداد السياسي في مصر اصبح الآن في حالة النزع واشرف على الفوات بحيث لا تُرجى له عودة ٠ ومع ذلك فالرجال عندنا لا يزالون يستبدون في نسائهم ٠ فما سبب ذلك »

« سببه ان قوانيننا قد ارتقت قبل ان نرتقي فهي قد وُضعت لامة حرة واخلاقنا لا تزال اخلاق امة مسترقة وانما نحن نتصور الحرية ولا نشعر في الحقيقة بحبها ونعرف حق الغير ولا نجد من انفسنا احترامًا له ٠ اما الغربيون فانهم فهموا طبيعة الانسان واحترموا شخصيته فمنحوا المراة ما منحوا انفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة » قال

قاسم بك فيجب ان نحذو حذوهم . وندرك هذه الحقيقة الظاهرة وهي ان المراة انسان مثل الرجل »

الفصل الثاني

﴿ حرية المراة ﴾

« ان المقصود من الحرية هنا هو استقلال الانسان في فكره وارادته وعمله متى كان واقفاً عند حدود الشرائع محافظاً على الاداب »

« ولا نقول ان المراة اليوم تُباع وتُشرى في الاسواق ولكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يُباح الاتجار به فقط بل الوجدان السليم يقضي بان كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً تاماً فهو رقيق »

« ولا اظن احداً ينكر عليَّ قولي ان المراة في نظر المسلمين على الجملة ليست انساناً تاماً فليس من الادب في كثير من العائلات ان لا تقبل المراة يد الرجل عند السلام عليه ولا من الادب ان يجلس النساء مع الرجال ولا من الادب ان يا كان معهم وقد رايت مراراً بعيني ان الرجل يجلس على مائدة الطعام وامراته قائمة تطرد الذباب عنه وابنته تحمل ابريق الماء

« ومن مفاخرهم ان لا تخرج المراة من خدرها الا محمولة الى قبرها

« انظر الى صبي لا يزيد عمره عن ١٥ سنة وقارن بينه و بين والدته تجد انها احط منه في العقل والمعلومات والتجارب وانه اكبر منها شاناً حتى في شؤون منزلها . كيف لا وهو الذي يامر و ينهى فيه

« انظر الى امراة تمشي في الطريق ومعها خادم تجد ان الخادم يشعر من نفسه انه هو صاحب الارادة والراي والقوة يمشي امامها وهي وراءه وكأن لسان حاله يقول اني اؤتمنت على هذه الذات الجاهلة الضعيفة وعلى ملاحظتها وحراستها وحمايتها »

واذا سارت المراة وحدها في الطريق تحرش بها اهل الخلاعة اذا كانت محجبة مبرقعة . اما المراة السافرة فلا يتعرضون لها وذلك لما « وقر في نفوس الرجال عندنا من ان البرقع والخبرة هما عنوان الجهل والضعف وآية الانخداع »

« فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم واثر من آثار تلك الاخلاق التي عاشت بها الانسانية اجيالاً قبل ان تهتدي الى ادراك ان الذات البشرية لا يجوز ان تكون محلاً للملك لمجرد كونها انثى كما اهتدت الى ان تفهم ان سواد البشرة ليس سبباً لان يكون الرجل

الاسود عبداً للابيض .

« فاول عمل يُعد خطوة في سبيل حرية المراة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره »

وما الداعي الى الحجاب . الداعي اليه تهمة المراة بنقصان العقل و بفساد الاخلاق

اما الامر الاول فقد استشهد عليه المؤلف باقوال العلماء الذين يذهبون الى ان المراة تدرك ما يدركه الرجل وان عقلها كعقله . واما الامر الثاني فقد قال فيه هذه الكلمة الجميلة

« لو جاز لدفع ضرر محتمل الوقوع تجريد الانسان عن حريته لوجب وضع تسعين في المایة من الرجال تحت قانون الحجاب منعاً لهم من الفساد »

تسعون في المایة . لا حول ولا قوة الا بالله . الظاهر ان قاسم بك شديد الوطأة على الرجال كما انه شديد الرافة بالنساء

على ان القول بان حرية النساء « تعرضهن للخروج عن حدود العفة كله كلام لا اصل له تبطله التجارب و ينبذه العقل . بل ان التجارب تدل على ان حرية النساء تزيد ملكاتهن الادبية وتبعث فيهن احساس الاحترام لانفسهن وتحمل الرجال على احترامهن

« ها هم اخواننا وابناء وطننا المسيحيون واليهود الذين تركوا عادة الحجاب من عهد قريب وربوا نساءهم على كشف وجوههم ومعاملة الرجال فاين هم من الانحلال

« ان النساء المسجونات يُحسبن قبل كل شيء نساء مريضات ولهذا فهن اشد تعرضاً لمطاوعة شهواتهن من النساء اللواتي يتمتعن بحريتهن

« واذا اقترن الحجاب بالبطالة ولا يمكن انفكاك الحجاب عنها تبعهما قتل كل فضيلة في نفس المراة »

وفضلاً عن ذلك فان من اقوى واجبات المراة تربية الاطفال ولكن كيف تحسن المراة تربية اولادها اذا كانت جاهلة

« يمكنني ان اجاهر هنا بلا تردد ان صبياً من اولادنا ذكراً كان او انثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد يحشد الى ذهنه من الفاظ وصور الفساد ما لا يبلغه شاب او شابة في سن الخامسة عشرة او الثامنة عشرة من ابناء البلاد الاوربية »

« يجب جعل العائلة وسطاً صالحاً لنمو الفضائل . والطريق الى ذلك تعليم المراة واطلاق الحرية لها « وليس من الممكن ان تصل المراة الى هذه المنزلة الادبية ما دامت في الحجاب ولكن من السهل جداً ان تصل اليها بالحرية

وقد ختم قاسم بك هذا الفصل بهذا القول البديع

« واول جيل تظهر فيه حرية المراة تكثر الشكوى منها و يظن الناس ان بلاء عظيماً قد حلَّ بهم لان المراة تكون في دور التمرن على الحرية ثم مع مرور الزمن تتعود المراة على استعمال حريتها وتشعر بواجباتها شيئاً فشيئاً وترتقي ملكاتها العقلية والادبية . وكلما ظهر عيب في اخلاقها يداوى بالتربية حتى تصير انساناً شاعراً بنفسه

« تلك سنة الفطرة فلا يجوز لنا ان نتخيل ان في امكاننا الخلاص منها . فان اردنا ان نصل الى الغاية التي وجهنا اليها آمالنا فما علينا الا ان نستسلم الى حكم السنة الالهية . والا كان مثالنا كمثل اب مجنون خاف على ولده اذا مشى ان يسقط على الارض فمنعه المشي حتى كبر فعاش مقعداً مشلول الرجلين

الفصل الثالث

الواجب على المراة لنفسها

« قال الشاعر العربي

كُتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

« ولكن هذه الصورة التي شخص بها الشاعر صورة المراة ليست صورة المراة الحقيقية لانها ليست صورة انسان بل ولا حيوان اذ ليس في الوجود حيّ الا وله وظيفة يؤديها وعمل يشتغل به

« نحن نفهم ان رجلاً يعيش في عالم الخيال يكتب في مكتبته على ورقة ان ليس على النساء الا ان يقعدن في بيوتهن خاليات البال تحت كفالة وحماية الرجال . نفهم ذلك لان الورق يحتمل كل شيء

« ولكن هذا الكاتب ان كتب او تكلم لا يكتب ولا يتكلم عن امراة حية ذات لحم ودم واحساس ووجدان وانما يكتب و يتكلم عن المراة التي في ذهنه

« ولا نرى في تمثيل المراة في اذهاننا بهذا المثال (الذي وصفه) الا توارثنا آراء العرب فيها

« ذلك ان حياة العرب كانت حياة حرب وقتال وارزاقهم كانت من الغنائم . والامة التي معاشها متوقف على القتال لا يمكن ان يكون فيها للمراة شان كبير ولذلك نزلت درجتها عندهم ولم يكن لها عمل في العائلة لان التربية عندهم كانت قاصرة على تغذية جسم الطفل بالرضاعة والاكل حتى ينشأ رجلاً مقاتلاً لا عالماً فاضلاً . هذا منشأ صورة انحطاط المراة في عقول المسلمين . وهي صورة حقيقية اذا نُظر الى الماضي ولكنها مزورة اذا نُظر الى الحال

والمستقبل لأن المراة المصرية اليوم لا تشابه المراة العربية التي كانت تعيش من الوف سنين لا في الظاهر ولا في الباطن . وقد اصبحنا في عصر أمن الناس بعضهم بعضاً واستقر النظام فيهم فلم تبقَ الحرب شغلاً شاغلاً لهم واصبح الناس غير محتاجين الى الغزو في كسب ارزاقهم ولم يبقَ للقتال حاجة الا في احوال مخصوصة يتولاه فيها اناس معروفون . وقد تغيرت المعيشة الاجتماعية والاقتصادية في العالم فتغيرت معها وظيفة المراة واصبحت في بعض الاحوال ، مضطرة رغماً عنها ان تدخل في ما دخل الرجال فيه وان تعمل لتكتسب وتعيش . حين الحاجة . ومتى تمسّ هذه الحاجة ؟ انها تمس حين تطليق المراة التي لا رزق لها او موت رجلها او سجنه سجناً طويلاً او فقره او مرضه او فراره وهلم جرّا . وفضلاً عن ذلك » فانه يؤخذ من احصاء الاهالي الذي حصل في سنة ١٨٩٨ وهو آخر احصاء جرى في القطر المصري ان جملة النساء المصريات المشتغلات بصناعة او حرفة ٦٣٧٣١ امراة اي انه يوجد الآن في مجموع المصريات اثنتان في كل مائة امراة تشتغلان بصناعة . ولم يدخل في هذا الاحصاء نساء الارياف اللواتي يشتغلن بالزراعة ولا النساء الاجنبيات

وذلك يدل على احتياج اولئك النساء للعمل » افلا يجب والحالة هذه ان يتهيأن للنجاح قبل الدخول في الحياة بالوسائل التي يستعدُّ بها الرجال انفسهم وكيف يتم ذلك من غير منحهن الحرية »

وان قيل ان عدد النساء المشتغلات في بلادنا قليل فضلاً عن انهن من غير الغنيات فالجواب » اننا مساقون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع احد مقاومتها . ويظهر لي ان الزواج عندنا قد بدأ في التناقص فاني اعرف كثيرين من الذكور والاناث تجاوزوا السن الذي يحصل فيه الزواج عادةً فنظام الوجود يقضي بان كثيرات من النساء يعشن في الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن فينبغي ان نعدّ المراة للغلبة على ما تلاقيه امامها من الصعاب ومرارة الحياة »

ثم اقترح المؤلف تعليم النساء احدى الصناعتين اما صناعة تربية الاطفال وتعليمهم واما صناعة الطب . واما جول سيمون الذي نقلنا رايه في المرأة في فصل تقدم فانه يزيد على هاتين الصناعتين صناعة الصيدلية « الاجزاجي » لانها قريبة من صناعة الطبخ الخاصة بالنساء فضلاً عما فيها من الهدوء الذي يمكن المرأة من القيام بواجباتها البيتية والوالدية اذا كانت متزوجة

وقد اختتم المؤلف هذا الفصل بقوله » يجب ان تربى المرأة على ان تكون لنفسها اولاً .

لا لان تكون متاعاً لرجل ربما لا يتفق لها ان تقترن به مدة حياتها

وليس معنى ذلك الزام كل امرأه بالاشتغال باعمال الرجال وانما معناه انه يجب ان تهيأ كل امراة للعمل لتكون مستعدة له عند مساس الحاجة اليه .

الفصل الرابع

الواجب على المراة لعائلتها

« اذا اردت ان تعرف مقدار جهل الامهات عندنا بابسط مبادىء التربية فابل وفيات اطفال القاهرة بوفيات اطفال لندن . فقد بلغت وفيات اطفال القاهرة بحسب الاحصاء الذي نشرته مصلحة الصحة في هذا العام ١٤٥ طفلاً في الالف يقابل ذلك في لندن ٦٨ في الالف » فيجب علينا ان نعلم المراة كيف تربي جسد طفلها وعقله

ثم اثبت المؤلف ان على المراة في الهيئة الاجتماعية هو تكوين اخلاق الامة واستشهد على تاثيرها في ذلك بالعبارة التي صدرت الجامعة بها احد ابوابها نقلاً عن روسو وهي

« يكون الرجال كما تريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء »
« فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

وباقوال اخرى تشبهها

وبعد كلام طويل عن فضل النساء اللواتي نبغن في العالم بحث في اسباب انحطاط الامم الاسلامية فقال ان اسباب الانحطاط تنحصر عادة في الاقليم او في الدين او في العائلة . ثم نقض سببي الاقليم والدين وعزا السبب الكلي الى العائلة واستشهد على ذلك بمقال لحضرة عزتلو ابرهيم بك الهلباوي كتبه الى جريدة المؤيد الغراء في سفره الى الاستانة في العام الماضي لما مرّ على جزيرة كريت فقال « ذكرت ما نال مسلمي هذه الجزيرة من الذل والظلم فلم تجد نفسي في جسمي دماً يتاثر ولا بقلبي محلاً للاسف او الرحمة . فلماذا ذلك . هل لان المصائب قد تكاثرت علينا فصرنا لشدتها لا نشعر بها . قال هلباوي بك وقد بدا لنفسي جواب آخر على عدم الاكتراث بما اصاب مسلمي كريت . ذلك اني قبل المجيء الى الاسماعيلية كان آخر سفري على خط السويس من جهة القاهرة محطة الزقازيق ثم اتجه القطار بنا نحو الاسماعيلية وهي المرة الاولى في حياتي التي مررت بها على التل الكبير والقصاصين المحسمة ونفيشة هذه المواقع التي اتخذت خطوطاً للدفاع ضد الجيش الانكليزي في سنة ١٨٨٢ . والشان ان المرور على مثل هذه البقاع للمرة الاولى يحرك لوعة الاسف

وذكرى ضياع مجد البلاد واستقلالها . ومع ذلك لم اجد ألمًا او اضطرابًا »

قال قاسم بك « واذا اردنا ان نصدق في القول مثله يجب علينا ان نعترف اننا اذا مررنا نحن ايضًا على هذه البقاع وشاهدناها فلا تتحرك نفوسنا اكثر مما تحركت نفسه »

« والسبب الحقيقي لفقد الشعور عندنا الى هذا الحد هو انحطاط شان العائلة واهمال تربية العواطف في زمن الطفولية »

فيجب تربية المراة وتعليمها لتحسن هذه التربية

الفصل الخامس

التربية والحجاب

وهنا اهم بحث بحثه المؤلف وهو : هل يمكن تربية المراة مع الحجاب وهل يجب في هذه التربية ان يُعمل على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة

فافاض اولاً في وجوب تربية المراة تربية ادبية « ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضينه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الامة المصرية » ثم اشار بتعليمهن الاصول العصرية مثل الموسيقى والرسم واستطرد الى قول معارضيه انه يريد جعل المراة المصرية تقلد المراة الاوربية مع ان المدنية الاسلامية هي المجد الصحيح الذي يجب ان تُشد له رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يومًا ما انه هو نفس الكمال الذي ينشده الانسان ويلتمسه الوجدان »

قال المؤلف « ان هذا القول يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق باثار الاباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للفظ تاثيرًا فينا الى حدٍ يذهلنا عن الحق وعلينا ان ناخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا فيجب اذن ان نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونستخلص منه قاعدة نقيم عليها بناءً جديدًا

ثم قال ما خلاصته « ظهر الدين الاسلامي في جزيره العرب بين قوم يعيشون في حال البداوة فوحد كلمتهم واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعًا نسخ ما كان عندهم من العادات ثم امرهم بالجهاد فاستولوا على من يليهم من الامم لا بامتيازهم عليهم في العلوم والصنائع ولكن بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال . فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم

كثيراً من العلوم والصنائع فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان ياتوا بترقيتها ما شاؤا فظهرت عند ذلك تلك النهضة العلمية العربية

« فالمدنية الاسلامية قد شيدت على هذين الاساسين : الاساس الديني الذي وحد قبائل العرب والاساس العلمي الذي رقى عقول الامة وادابها .

ولكن كان العلم ضعيف الساعد في ذلك الزمان . فتغلب الفقهاء على رجاله ورموهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه معتقدين ان العلوم جميعها باطلة الا العلوم الدينية ثم غلوا في ذلك فقرروا ان ما وضعه بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفه وكانهم راوا من قواعد الدين ان تُسد ابواب فضل الله على اهله اجمعين »

ثم اثبت المؤلف ان هذا النزاع بين اهل الدين واهل العلم « ولا اقول بين الدين والعلم » قام ايضاً بين الامم الاوربية في القرون الماضية ولكن اهل العلم تغلبوا على اهل الدين بقوة ما اكتشفوه من النواميس والاكتشافات والاختراعات فصار للعلم سلطة عظمى . وهنا عدَّ بعض هذه النواميس والاكتشافات والاختراعات واردفها بقوله :

« فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناه فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان « نموذج الكمال البشري » . يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شانهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية »

« نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تالم القراء من سماعها »

« ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ اليونان والرومان اي انهم لم يؤلفوا مجالس نيابية تشترك في ادارة المملكة . وقد قيل ان سلطة الخليفة كانت مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الا بعض دقائق هي سلطة لفظية . واغرب من هذا انهم لم يضعوا قانوناً للعقوبات بل تركوا حق التعذير للحاكم . اما العائلة فلم يرد كلمة واحدة عنها في مقدمة ابن خلدون مع انها وُضعت للبحث في المسائل الاجتماعية . وكان الرجل يطلق زوجته بلا سبب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب « فاذا كانت حالتهم السياسية والعائلية هي كما ترى فما الذي يُطلب منا ان نستعيره منها »

. اما من جهة اصول الادب فالمعلوم ان المسلمين لم ياتوا العالم باصول جديدة فقد سبق

المسلمين امم كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي .

« فمتى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المراة من اصولها او لم يكن . ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطات في فهم طبيعة المراة وتقدير شانها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطائها في كثير من الامور الاخرى »

« والذي اراه ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانه ميل يجرنا الى التدني والتقهقر ويدل على ضعفنا وعجزنا عن انشاء حالة خاصة بنا . بل هو صورة من صور الاتكال على الغير كان كلاً منا يناجي نفسه قائلاً لها : اتركي الكد والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تاتي بابدع مما كان

ثم قال المؤلف ان الشرقيين يعترفون للغربيين بانهم ارقى منهم في العلوم والفنون والصنائع لان هذه مسائل محسوسة ولكن « كاننا نريد محو العار الذي يلحقنا من هذا الاعتراف وناخذ بثارنا فلا نجد وسيلة لذلك الا ان ندعي اننا ارقى منهم في الآداب »

« ولهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال »

ثم شرح ذلك شرحاً ضافياً واختتم هذا الفصل بهذا الفكر البديع

اذا كان الحجاب يصون فضيلة المراة ويجعلها كاملة فاضلة فلماذا لا يقتبس الاوربيون هذه العادة و يحجبون نساءهم . هل هم اقل غيرة منا على الاعراض . كلا . اذن فما هو السبب . « السبب هو ان مسالة حقوق المراة وحريتها ليست في الحقيقة مجرد عادة . بل هي مسالة اجتماعية فهي بذلك مسالة علمية »

وهذا من ابلغ ما قيل في هذا الموضوع

الخاتمة

❊ حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء ❊

« يجب على المصريين ان يعتقدوا بان لا رجاء في ان يكونوا امة حية ذات شان

بين الامم الراقية ومقام في عالم التمدن الانساني قبل ان تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطاً صالحاً لاعداد الرجال »ولا تصير البيوت ذلك الوسط الصالح الا اذا رُبيت النساء وشاركن الرجال في افكارهم وآمالهم وآلامهم »

« وهذه الحقيقة مع بساطتها و بداهتها اعتبرها الناس يوم جاهرنا بها في العام الماضي (في كتابه تحرير المراة) ضرباً من الهذيان وحكم بعض الفقهاء بانها خرق في الاسلام وقال غيرهم ان الاوربيين يرغبون في تحرير المراة الشرقية للاضرار بنا . فنحن لا نرد عليهم الا بكلمة واحدة « وهي ان الاوربيين اذا كانوا يقصدون الاضرار بنا فما عليهم الا ان يتركونا لانفسنا فانهم لا يجدون وسيلة اوفى بغرضهم فينا من حالتنا الحاضرة »

ثم اثبت المؤلف ان افكار الناس في مصر قد اتجهت الى تربية البنات وتخفيف الحجاب واعطاء المراة حق تطليق الرجل « اذا كان يصلها منه ضرر . والضرر هو ما لا يجوز شرعاً كالهجر بغير سبب شرعي وعدم الانفاق عليها والضرب والسب بدون سبب شرعي» وهذه الكلمات ماخوذة من مشروع ذي ١١ مادة بهذا الشان عرضه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على نظارة الحقانية ووافق عليه فضيلة الاستاذ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر في ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٨ . قال قاسم بك « وهاتان المسالتان مسالة تعدد الزوجات ومسالة تخويل المراة حق الطلاق هما من اهم المسائل التي استلفتنا اليها الانظار في كتاب تحرير المراة و يسرنا ان عالماً عظيماً وفقيهاً حكيماً مثل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رأى انهما جديرتان بهمته فايد بصوته المسموع ما اقترحنا فيهما »

ثم اختتم قاسم بك كتابه بقوله ملخصاً

لقد اظلنا الوقت الذي يجب فيه ان نعرف ما ذا نريد

« فان كان مقصدنا من الحياة ان يعيش كلٌّ منا بضع سنين يقضيها في اي حال كانت واستوى لدينا العز والذل والغنى والفقر والحرية والرق والعلم والجهل والفضيلة والرذيلة فاني ارى ان ما مُنح الى الآن للمراة المصرية من الحرية والتربية لا داعي له . ولا اجد مانعاً من ان يتمتع الرجل بعدة نساء و يتزوج كل يوم امراة ثم يطلقها في اليوم التالي و يسجن زوجاته و بناته واخواته وامه وجدته اذا شاء

« اما اذا كان المقصد هو ما نقرأه ونسمعه كل يوم من ان المصريين يريدون ان

يكونوا امة حية راقية متمدنة فلنا ان نقول لهم : يوجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشكون منها وتصعد بكم الى اعلى مراتب التمدن كما تشتهون وفوق ما تشتهون الا وهي تحرير نسائكم من قيود الجهل والحجاب ٠

هذه خلاصة كتاب قاسم بك ٠ وقد نشرت مجلة المنار المصري ابياتاً لحضرة الشاعر البليغ محمد افندي حافظ الضابط في الجيش المصري يخاطب بها المؤلف منها قوله

اقاسمُ ان القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السفر ماَ انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب نسائهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت في مصر حواء امنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمد وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع الحجاب محلل لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

ولم يعضد قاسم بك كثيرون من الفضلاء والشعراء والكتاب فقط بل جاءه عضد من اكبر وزراء مصر عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس مجلس النظار ٠ فان عطوفته كتب الى قاسم بك كتاباً بعد مطالعته كتابه « المراة الجديدة » سبقتنا مجلة المقتطف الى نشره وفحواه الثناء على المؤلف لمجاهدته في سبيل مبادئه وثباته في نشرها وتاييدها ٠ فكان لعطوفة الوزير فضل الاشتراك في العمل الادبي الاجتماعي العظيم الذي اقدم عليه قاسم بك ٠ بل كان له فضل اتخاذ هذه المبادىء تحت حمايته واعطائها صبغة شبيهة بالرسمية تسكت كثيرين عنها

وكفى بذلك دليلاً على الاصلاح الاجتماعي العظيم الذي بدأ في الشرق والذي نرجو استمراره ليثمر الثمر الصالح الذي يسر كل محبي ارتقاء الشرق وذاكري مجده القديم ٠ وما على الله امر عسير

☼ ربع قرن في الصحافة ٠ المقتطف والاهرام ☼ وردتنا رسالة من احد الكتاب بهذا العنوان فاخرناها الى الجزء القادم لضيق المقام ٠ وقد اضطرنا ضيق المجال الى تاخير مقالة اخرى لحضرة الدكتور الفاضل عارف افندي نحاس عنوانها « الطب في مائة عام » فموعدنا بها العدد القادم ايضاً ٠ اما المقالات التي تردنا فالمرجو من اصحابها ان يعذرونا اذا لم ننشرها بعد شهر من ورودها وذلك لعدم استيفائها شروط المجلة

باب تدبير الصحة

الملاريا والدكتور كوخ

نشر الدكتور كوخ المشهور مقالة في احدى المجلات الالمانية ضمنها بعض النتائج التي بدت له من ابحاثه في ايطاليا بشان الملاريا . فقال انه وجد ميكروب الملاريا في دماء المصابين بهذه الحمى ولكنه لم يجده قط في دماء الحيوان ما عدا البعوض (الناموس او البرغش) . ثم قال ان البعوض تنقل هذه العلة الى الجسم الصحيح بلذعها اياه ومتى شفي منها فقد ينتكس بدخول الميكروب مرة ثانية الى دمه بواسطة لذع البعوض فيجب الحذر منها . ولكنه وجد في كثير من المنازل بعوضاً في دمائها ميكروب الملاريا دون ان يكون في المنازل مريض بها ووجد مرضى بالملاريا دون ان يجد في دماء بعوض المنازل ميكروب هذا الداء

منافع الغليسرين البيتية

يُستعمل الغليسرين في الطب لشفاء القشف والشقوق التي تحدث في اليد ويعطى شيء قليل منه لمداواة رطوبة الاجسام . على ان له منافع اخرى جديرة بالذكر منها استعماله لغسل الامتعة والملابس البيضاء وذلك باضافة ملعقة صغيرة منه الى سطل ماء . ودهن الاحذية والجزمات به في المساء اذا كانت قد ابتلت بماء او جفت في الوحل وفي الصباح يُزال عنها فتعود الى اصلها . ويستعمل في العجين او الحلواء اذا اريد ان لا تكون لينة كثيراً ولا ان تجف سريعاً . واذا اضيف الغليسرين الى المربيات حفظها من سرعة الجفاف والتبلور وهو الامر الذي تستاء منه ربات المنازل كل الاستياء

ادوية العرب والافرنج

كان ابن سيناء يصف السكر للمصابين بامراض الصدر واليوم يصف الاطباء في المانيا السكر للمصابين بالامراض الرئوية . وكان من ادوية العرب تجفيف رئة الثعلب واطعامها للمريض بالرئة واليوم يصف كثيرون من اطباء الافرنج لمرضاهم ان يتناولوا لمداواة الاعضاء المصابة فيهم اعضاء مثلها من اعضاء الحيوان . فلا جديد تحت الشمس كما قال المتقدمون

اجادة طبخ الارز

يجود طعم الارز اذا غُسل بالماء الحار بدلاً من الماء البارد قبل طبخه . ويراد بالغسل هنا ما تسميه الطباخات في لغتهن العامية (التصويل)

صباغ للشعر لا يضر جلد الراس

امزج ٥ غرامات من اسيتات الرصاص و٢٠ غراماً من هيبوسولفيت الصوده وغرامين من الغليسرين و٢٠٠ غرام من ماء الورد يكن لك الصباغ المطلوب

الانة جلد الاحذية وغيره

لالانة جلد الاحذية ومنعها من التصويت حين السير طريقة وهي مسح الجلد بزيت البترول مراراً فيصير في منتهى اللين

جعل الجوز اليابس اخضر

اذب ملحاً في الماء وانقع ثمار الجوز اليابس فيه فلا يفسد الماء لان الملح يحفظه بل يدخل من القشرة الى اللب ويلينه وينفشه فيكون له لين الجوز الاخضر وطعمه

زكام الدماغ

وصف بعض الاطباء لزكام الدماغ ان يستنشق الانسان قليلاً من مسحوق الملح الناعم فيزول الزكام باسرع ما يمكن . وقال ان تجربة ذلك خير من الجلوس في الكرسي وقضاء الوقت في عصر الانف بالمنديل

دواء الدجاج

قد تصاب الدجاج بمرض فاحسن دواء لشفائها منه ان يمزج طعامها بدقيق ناعم من الكلس الجاف فتشفى ويكثر بيضها ايضاً

الاستحمام بماء عذب خواصه كماء البحر

اذا كنت بعيداً عن شاطيء البحر واردت الاستحمام بماء له خواص مائه فاذب ثمانيـة كيلو غرامات من ملح البحر و٥٠٠ غرام من سولفات الصوده و٧٠٠ غرام من ملح الكاسيوم وكيلوغرامين و٩٥٠ غراماً من ملح المنازيا و٣٠٠ ليتر من الماء فيكون لك ماء ذو خواص كخواص ماء البحر

باب الاخبار العلمية

الطرق الرومانية في فلسطين
واكتشاف روماني فيها

كان الرومانيون مشهورين بانشاء السكك الحربية والزراعيه وقد وضع بوتنجر خريطة رسم فيها الطرق التي انشئوها في سلطنتهم الواسعة ولكن خريطته لا تزال ناقصة · ويقدرون طول الطرق التي انشاها الرومانيون في غاليا (فرنسا اليوم) بثلاثين الف كيلومتر ولا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وقد كانت فلسطين جزءًا من السلطنة الرومانية فانشأ فيها الرومانيون سكة طويلة من اورشليم « القدس » الى دمشق الشام وهي اقوى سكة انشئوها لانها لا تزال موجودة الى هذه الايام وقد تثبت في وجه الدهر قرونًا طوالاً ايضًا

الا انه من الاسف انهم اخذوا يعبثون بهذه الطريق التاريخية الجميلة فانه لما زار جلالة الامبراطور غيليوم القدس انشاوا له طريقًا الى جبل زيتون · فهذه الطريق انشئ قسم منها على آثار الطريق الرومانية القديمة التي كان يجب حفظها اثرًا خالدًا لاهتمام السياح بها اهتمامهم بباقي الاثار التاريخية · فحبذا لو اهتمت الحكومة بهذا الامر ومنعت منشئي الطرق الجديدة من تخريب تلك الطريق القديمة

وقد اتصل بنا ان احد منشئي هذه الطرق عثر في الطريق الجديدة التي ينشئونها الآن بين القدس ونابلس المعروفة في التاريخ القديم باسم سيشم من اعمال السامرة — حجرًا كان مدفونًا في الارض وهو عبارة عن علامة او منار كان ينصبه الرومانيون على الطريق لتقسيم المسافة ويضعون حجرًا مسافة كل ميل روماني « والميل الروماني قريب من الميل الانكليزي في هذا الزمان » وينقشون عليه النقوش التي تدل على عدده · اما الحجر الذي نحن في صدده فانه وجد على مسافة ثلاثة كيلومترات ونصف من القدس وعلى احد وجهيه هذه الكتابة

IMPNERV ...
AVGPONTI..M ...
TRIBVN...

وما سوى ذلك من الحروف التي كانت تلي الحروف التي تقدمت فان الزمان قد طمسها

اما صفحة الحجر الثانية فكان عليها ما يلي

..PCÆSAR
.... NVSAVG

ثم يلي هذين السطرين سطر ثالث حروفه اكثر من حروف كل واحد منهما ويرجحون انهم قرأوا فيها اسم فسباسيين الامبراطور الروماني الذي اكتسح فلسطين قبل ارتقائه الى العرش في عام ٦٩ بعد المسيح . وان هذا الحجر نُصب تذكارًا لجلوسه

واما الكتابة الاولى فالمظنون انها منقوشة في ايام الامبراطور نرفا الذي حكم في عام ٩٦ بعد المسيح لان اسمه ورد في السطر الاول وهو « الامبراطور نرف ... » من غير الف تلي الفاء لامحاها بكرور الايام

ومما هو جدير بالذكر انه يوجد الآن في الكابيتول في رومه حجر يشبه الحجر الذي نحن في صدده من كل الوجوه حتى في الكتابة التي عليه . وقد كان هذا الحجر علامة موضوعة في بداية سكة عسكرية كبرى ممتدة من رومه الى ما حولها من المدن . ولذلك حار العلماء في تشابه هذين الحجرين مع بُعد مكانيهما

صدور الجامعة

وسبب تاخيره في السنة الثانية

(السنة الثالثة)

اصدرنا هذا الجزء في مائة واربع وعشرين صفحة اي جزءًا ونصفًا من الاجزاء الاعتيادية فيبقى من الجامعة لتمام سنتها الثانية جزء ونصف ايضًا

اما سبب هذا التأخير في صدور الجامعة فاذا كنا قد سكتنا عنه في الماضي فقد صار لا يحسن السكوت عنه الآن ولا سيما لما وردنا من الاسئلة بهذا الشان ولذلك نرى من واجباتنا الآن ان نقول الحقيقة ونبسط لحضرات القراء السبب الحقيقي الذي جرَّ هذا التاخير ليكون عذرنا مقبولاً لديهم فالعذر عند كرام الناس مقبول

فكل واحد من حضرات القراء يعلم ان الجامعة كانت تصدر في كل شهر مرتين في سنتها الاولى . وقد بقيت على هذا الترتيب حتى اصبنا بفقد العزيز الذي اثرت فينا

وفاته التاثير الذي عرفه القراء والاصدقاء فطراء علينا بعد ذلك ضعف استشرنا الاطباء فيه فحكموا علينا بالانقطاع عن العمل او بتخفيفه على الاقل اذا اردنا ان لا تسوء العاقبة . ففي ذلك الحين كانت الجامعة في خطر حقيقي لم يدرِ به احد من قرائها واصدقائها حتى اخص اخصائها . ولكن لم نجهل ان الجامعة ليست لنا ولكنها لقرائها ومبادئها وللجمهور الذي نصبت نفسها لخدمته ولذلك لم نتردد في مخالفة قول الاطباء ومداومة العمل متكلين على الله ومستمدين معونته

وكانَّ العناية الالهية تريد بالجامعة خيرًا فردت الينا شيئًا من القوة بعد ذلك الضعف الشديد . فلما اخذنا نسترد القوة والامل اقترح علينا سعادة المفضال نقلا باشا مدير جريدة الاهرام ان نتولى رئاسة تحرير جريدة « صدى الاهرام » اليومية التي كانت تطبع في الاسكندرية فرضينا بذلك مع ضعفنا وذلك للسبب التالي

لقد علمنا يومئذٍ ان سعادته لاشتغاله في العاصمة بادارة جريدتيه الاهرام العربية والفرنسوية ومطبعته الكبرى لا يكره التخلص من ادارة صدى الاهرام . ولما كنا نرى ان الخدمة الصحافية اليومية اشد تاثيرًا على نفوس القراء من الصحافة الشهرية او النصف شهرية لان تاثير الصحافة اليومية يومي متتالٍ لا يدع الوقت سبيلاً للذهاب به وكانت الجامعة قد اصبحت بما وصلت اليه من النمو والانتشار السريع محتاجة الى ادارة كبرى تنجز طبعها ونشرها واتقانها بالسرعة اللازمة عزمنا حين رضانا باستلام رئاسة تحرير « صدى الاهرام » على ان نسهل لسعادة صاحبها سبيل بيعها مع ادارتها للجامعة بالشروط التي يريدها والثمن الذي يطلبه . ولما اقترحنا على سعادته هذا الاقتراح رضي به قبل سفره الى اوربا في الصيف الماضي وانما كان الخلاف في تغيير اسم « صدى الاهرام » باسم آخر . فعلمنا اننا اصبحنا قريبين من غرضنا وهذا سبب بقائنا في تحرير صدى الاهرام مع ان ذلك زاد تاثيرًا على صحتنا وجعلنا نصدر الجامعة في كل شهر مرة بدلاً من المرتين واخر مواعيد صدورها لاستنزاف الصدى اليومي قوانا وافنائه احسن اوقاتنا ومع ذلك فاننا كنا محتملين ذلك لاننا كنا نحسب انفسنا اننا انما نشتغل عن الجامعة بها اي بتدبير مطبعة وادارة كبرى تسعها

ولكن لما عاد سعادة مدير الاهرام من اوربا في اوائل الشتاء وجد ان بيع (صدى الاهرام) لا يوافق مصلحة الاهرام التي في العاصمة وهذا امر حقٌ لا خلاف فيه ولا يجوز ان يُشكى منه فاختار اقفال (صدى الاهرام) على بيعها فاسفنا على قطع تلك الزهرة التي

سقيناها سنة كاملة من عرق القربة ولكن لم ناسف على خيبة امالنا وما اضعناه في الصدى من القوة والوقت اللذين كانت الجامعة احق بهما لاننا ربحنا في مقابلة هذه الخسارة صداقة وصحبة رجل فاضل كسعادة مدير الاهرام وقد قال شعراء اليونان الاقدمون (ان صداقة الكرام نعمة من الآلهة)

هذه هي الاسباب التي دعت الى تاخير صدور الجامعة عن مواعيدها في الاشهر الماضية . ونحن على يقين من ان حضرات القراء يعذروننا فيها لاننا كنا نشتغل عنهم بهم كما قدمنا

ولنا رجاء آخر نوجهه الى جمهور من الاصدقاء والقراء في مسالة نسميها مسالة الرسائل فان كثيرين من الاصدقاء والمعارف كتبوا الينا مرارًا من جميع الجهات القريبة والبعيدة التي تصل الجامعة اليها حتى اقاصي الهند وايران والقوقاز واميركا يثنون على الجامعة ثناء يدل على لطفهم ورغبتهم في مساعدة العلم والادب والمشتغلين بهما فكانت كل الرسائل الخاصة بغير الامور الادارية للجامعة تبقى بلا جواب للانحراف الصحي الذي طراء علينا ووصفناه في مقدمة الكلام . وقد علمنا ان كثيرين من الاصدقاء والقراء قد عتبوا علينا لاننا لم نجاوبهم وبعضهم اوصل الينا هذا العتب بطريقة مؤلمة فنحن نؤمل ان يعذروناعن الماضي بعد اطلاعهم على هذه الاسباب لا سيما اذا علموا ان الرسائل التي نشير اليها تبلغ المئات . اما فيما يختص بالمستقبل فاننا نعدهم باننا نقوم بما يجب علينا لهم لانه ليس شيء اكثر مسرة من مخاطبة كرام القراء والادباء الذين مع كونك لا تعرفهم وكونهم بعيدين عنك تجمعك واياهم رابطة الافكار الصحيحة والمبادىء القويمة

اما فيما يختص بمستقبل الجامعة فاننا سنعلن بعد صدور العدد القادم عن التحسين الجديد والترتيب الجديد الذي سنشرع فيه منذ بداية السنة الثالثة والذي لا ريب لدينا في انه سيقع لديهم احسن وقع وينسيهم كل ما راوه في الجامعة من حسن الى الآن . وبعد صدور العدد القادم ودخول السنة الثالثة سينتظم سير الجامعة كما يجب فلا يبقى فيه ادنى تاخير البتة لاننا نكون اعددنا لها ايضاً جميع المواد والآلات اللازمة لسرعة انجازها . وربما عدنا الى اصدارها مرتين في الشهر كما كانت في السنة الاولى اذا كان يطلب ذلك اكثر من نصف القراء

فالرجاء من قراء الجامعة ومشتركيها سبل ذيل المعذرة على هذا التاخير الذي اوجبته الاسباب الصحية والصحافية التي تقدمت وابقاء ثقتهم وعنايتهم لمجلة لا غرض لها الاخدمتهم

ولا ربح نرجوه الان من هذه الخدمة غير القيام بالواجب من سد فراغ في الصحافة الشرقية العربية وآخر رجاء لنا ان يعذرونا لاضاعة وقتهم بهذه الشؤون الخصوصية التي لم نذكرها لا لاطلاعهم على حقيقة الحال لنستحق معذرتهم والله المستعان وهو حسبنا وعليه الاتكال

باب التقريظ والانتقاد

✲ تاريخ دولة آل سلجوق ✲ ضاق الجزء السابق وهذا الجزء عن ذكر جميع ما اهدي الينا من الكتب والمطبوعات الجديدة . ومن هذه الكتب كتاب تاريخ دولة آل سلجوق تأليف الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية على نفقتها « لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها للان مؤلف خاص بها » وهو يطلب من الشركة في مصر او من ادارة جريدة المؤيد فنكرر لشركة طبع الكتب ثناءنا على سعيها الحثيث في خدمة الادب

✲ المرأة الجديدة ✲ هذه هي المرة الثالثة التي نكتب فيها عن كتاب قاسم بك امين في هذا الجزء . وليس الغرض من الكلام الآن تقريظ هذا الكتاب او انتقاده فقد كفانا مؤونة التقريظ والانتقاد تلخيصه في باب التربية والتعليم وانما نقول هنا آخر كلمة عن كتاب قاسم بك وهي ان الاوروبيين يعيرون ابناء الشرق الذين يدرسون في مدارسهم في اوروبا بالانقلاب عليهم حين عودتهم الى اوطانهم كمن يشرب من بئر ثم يلقي فيها حجراً . فقاسم بك بتغليبه العقل على الهوى في ما قاله عن التمدن الاوروبي كفّر عن اعمال جميع الشرقيين الذين يصح فيهم ذلك التعبير وارى عقلاء الغربيين ان في الشرق من يفهم التمدن الصحيح ويعترف بالحق ولو كان في جانب الخصوم

ومن جهة اخرى فان النساء كن وما زلن في الشرق مهضومات الجانب مستعبدات رقيقات كما قال قاسم بك . ولكن كتاب المرأة الجديدة ينتقم لهن من مستعبديهن انتقاماً شديداً . فهنيئاً لمن يكون قاسم بك محامياً له

ولا نجهل ان ابحاث هذا الكتاب لا تعنينا وان لا شأن لنا في الدخول فيها ولكننا

نعتبر اهداء الكتاب الينا بمثابة طلب راينا فيه ولذلك لم نبدِ رايًا في كتاب تحرير المراة حين صدوره لان المؤلف بخل به يومئذٍ علينا

﴿ تاريخ الانشقاق ﴾ تمَّ تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية لحضرة مؤلفه العالم العامل الارشيمندريتي جراسيموس مسرة رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسيه في الثغر فصدر الجزء الثالث منه وهو الاخير . ويبتدىء هذا الجزء من استرجاع القسطنطينية الى قبضة الروم في عهد القيصر ميخائيل بابولوغوس بعد استيلاء اللاتين عليها حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح . وقد اهدانا حضرة المؤلف نسخة منه نتشكر له هديته

تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف تولستوي

الفتنة في روسيا . اسباب استياء الطلبة . صورة الحرمان الجديد . كتاب زوجة تولستوي الى المجمع . ردافترائهم عليه بنسبة الحض على الفتنة اليه . ترجمة كتابها الى اللغة العربية

(اسباب الفتنة)

ثار تلامذة بطرسبرج وكييف وموسكو في الاسبوع الثالث من مارس على حكومة روسيا فصدر امر جلالة القيصر باقفال جميع الكليات فيها . اما اسباب استياء التلامذة فهي (اولاً) شكواهم من شدة مراقبة عمال الحكومة للتلامذة الذين تنزع نفوسهم الى الدروس العالية الحرة التي لا يُقصد بها اقتباس صناعة (ثانيًا) تداخل البوليس بالقوة في الخلاف الذي يقوم بين التلامذة ومعلميهم (ثالثًا) طلبهم ان يقام قداس عن نفس اسكندر الثاني محرر الفلاحين ورفض الاكليروس ذلك لعدم صدور امر من الحكومة به . (رابعًا) اصدار المجمع المقدس الرومي العالي قرارًا بحرمان الفيلسوف لاون تولستوي من الكنيسة حرمانًا قطعيًا بعد القرار الذي اصدره في ٣١ مارس من



الفيلسوف تولستوي (١)

العام الماضي بتحريم الصلاة على جثة تولستوي بعد وفاته . وهذه صورة صك الحرمان الجديد نقلاً عن جريدة المؤيد الغراء

(صورة الحرمان الجديد)

« ان الكونت تولستوي بكتاباته وخطاباته قد حاد عن نهج الصواب وزاغ عن محجة الكنيسة الارثوذكسية وفي هذا ما يلقي الاسف الشديد والحزن العظيم في قلوب الامة الارثوذكسية وياليته جمع في غواياته سرًّا وبدون ان يطلع احدًا على نفسه بل هو جاهر بالضلال بعمد وسبق اصرار

بحيث ان كل المساعي التي بذلت لارشاده الى طريق الحق قد ذهبت ادراج الرياح فقد اعتبرته الكنيسة محروماً منها وغير تابع لها ما دام على ضلاله وسوء فعاله . ومع اعترافنا بانه انكر الكنيسة وعدل عنها نطلب له من الاله الانابة الى الصواب والحق ونبتهل اليك ايها الاله الرحيم الذي لا تريد ان يموت الخاطئون في خطيئتهم ان ترشده الى طريق كنيستك المقدسة آمين » ثم تلي اسماء اعضاء المجمع

(هياج الطلبة)

فلما صدر هذا الامر بلغ الهياج من التلامذة كل مبلغ لحبهم تولستوي وافتخارهم به على فلاسفة اوربا فقدم مئات منهم عرائض الى المجمع يطلبون ان يُحرموا هم ايضاً وذهب بضع مئات منهم الى الكنيسة الكاتدرائية فصنعوا فيها اعمالاً خشنة مثل الصراخ والضحك والتدخين ورشق الايقونات بالحجارة فهاجمهم البوليس والقوزاق فحدث قتال شديد بينهم انجلى عن كثيرين من الجرحى وبعض القتلى في رواية جريدة التمس . ثم اطلق موظف روسي من موظفي الاقاليم اربع رصاصات على نائب المجمع المقدس فاخطأه من حسن الحظ . وقد بلغ عدد الذين القي القبض عليهم من التلامذة اكثر من سبعمائة نصفهم من الطالبات

(١) انظر ترجمة ووصف اخلاقه وفلسفته ومبادئه في العدد السابع والثامن من هذه السنة

(احتجاج زوجة تولستوي)

ولما نشرت الجرائد الروسية صورة حرمان تولستوي كتبت حضرة الكونتس صوفيا تولستوي زوجته الى المجمع المقدس ونائبه الكتاب التالي

موسكو في ٢٦ فبراير الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠١

« قرأت في جميع الجرائد صورة الحكم الصادر بحرمان زوجي الكونت لاون نيكولايفيتش تولستوي من الكنيسة فاثر فيَّ ذلك تاثيرًا عظيماً

« وليس ذلك لاني اعتقد ان نفس زوجي تهلك لهذا الحرمان لان مسالة خلاص الانفس مسالة مختصة بالله وحده . ولا تزال حياة النفس سرًّا من الاسرار العميقة ومن حسن الحظ انه لا سلطة للبشر عليها

« ولكني لما ارى الكنيسة التي انا تابعة لها والتي لا ازال اتبعها تحرم وتضطهد . تلك الكنيسة التي انشأها المسيح باسم الله لتبارك حوادث الانسان الكبرى من الولادة والزواج والموت . والتي وظيفتها النداء بناموس الرحمة والصفح والدعوة الى محبة اعدائنا والذين يبغضوننا . والتي يجب عليها ان تصلي من اجل الجميع — لما ارى ذلك لا اعود افهم شيئًا مما جرى

« اما اذا كان القصد من حرمان لاون نيكولايفيتش تنفير الناس منه واستمالتهم عنه فهو خطأ لان جميع الناس زادوا تعلقًا به وميلاً اليه وسخطوا من هذا الحرمان ولا تزال تردنا الشواهد على ذلك من جميع اقطار العالم

« ثم اني اقول لكم ايضاً كلمة بشان ما قررتموه قبلاً من عدم الصلاة على جثة زوجي بعد مماته والامتناع من دفنه بموجب طقوس الكنيسة . فمن قصدتم بهذا القرار ؟ هل تقصدون به الموت او جثة الانسان الجامدة . او اقرباءه الذين يؤمنون ؟ واذا كان هذا القرار تهديدًا فالى من يوجهون هذا التهديد ؟ وماذا يقصدون ؟

« وهل يظنون حقيقةً انني لا اجد للصلاة على جثة زوجي كاهنًا صالحًا مستقلاً عن الناس لاهتمامه برضى الله الحقيقي اله المحبة والغفران لا برضى الناس . او كاهنًا فاسدًا انال منه مرادي بواسطة المال

ولكني لا احتاج الى هذا الامر مطلقًا لانني اعتبر الكنيسة بناءً روحيًا لا ماديًا ولا اعرف لها رؤساء الا الذين يفهمون حقيقتها ويعملون طبق وصاياها . ولو كنت اعتبر ان الكنيسة هي عبارة عن مجمع بشري لا يتردد احيانًا لرداءة البشر عن مخالفة اعظم وصايا

المسيح التي هي وصية المحبة لكننا خرجنا منها منذ زمان طويل نحن ابناءها الذين نحفظ وصاياها

« فليس المراطقة والجاحدون اذاً هم اولئك الذين يضلون وهم ينفتشون عن الحقيقة ولكنهم هم اولئك الذين لما جعلتهم كبرياؤهم رؤساء للكنيسة نزلوا انفسهم منزلة القتلة الروحيين وخالفوا شريعة الكنيسة التي هي شريعة المحبة والتواضع والصفح والرحمة . وان الله ليغفر للذين عاشوا عيشة المحبة والتواضع وانكار الذات وترك ملاذ العالم ولو ماتوا خارج الكنيسة . اما الذين يعيشون في داخلها معيشة الفخفخة ويملأون صدورهم بالنياشين ويطردون — كالرعاة الاردياء — الناس من الحظيرة التي هم رعاتها فلا ريب انه يجب ان يكونوا اقل املاً منهم في الغفران

« واذا حاول الرياء تاويل كلامي هذا نعبثاً يحاول لان العقل السليم لا ينخدع بل يفهم مقصودي منه »

« الكونتس صوفيا تولستوي »

انتهى كتاب زوجة تولستوي . اما تولستوي فانه لم يبالِ بامرٍ بل بقي مستمرًا في طريقه يشتغل بالكتاب الذي هو الآن بين يديه وموضوعه معيشة الرهبان والاكايروس في روسيا . وقد نسبوا اليه انه راضٍ عن هذه الفتنة محرض عليها وهذا خطأ يكفي لرده الاستشهاد بما قالته جريدة الرقيب وهذا نصه

(هل يحرض تولستوي على الفتنة)

« لقد قالت شركة روتر ان الفيلسوف تولستوي كان من اكبر المحرضين على هذه الثورة وهذا القول خطاء محض لان الذين طالعوا مؤلفات هذا الرجل الكبير لا يرتابون في انه من اعداء كل فتنة واضطراب لاعتقاده انهما لا تجديان نفعاً وان من اخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ . وما عدا ذلك فقد قال في بعض كتبه ان الذين يحاولون قلب هيئة الحكومة في هذه الايام بواسطة الثورات يخيبون سعياً . ذلك ان لكل حكومة جيشاً عظيماً تكبح به جماح الثائرين ولديها السكك الحديدية والتلغراف والتلفون وكلها عمال شديدة التاثير في كبح الثورات . فلا يحاول الناس امرًا مستحيلاً في هذه الايام فان الثورة تنقلب على مثيريها لقوة الهيئة الحاكمة

« فهذا الكلام صريح يدل على بغض تولستوي للثوره خلافاً لما يتهمه به خصومه

نقول وقد قرانا هذا القول في كراس لتولستوي عنوانه « اين المخرج » ربما لخصناه في

احد الاجزاء القادمة . اما الان فاننا نوجه الانظار الى اعلان على ظهر المجلة عن كتاب تولستوي الذي عزمنا على نقله الى اللغة العربية بناءً على الحاح كثيرين من الاصدقاء والقراء

وقد قلنا في العدد السابع ان المجمع المقدس الرومي الكريم قد اخطأ بحرمانه تولستوي « لان الضغط يسبب الضغط دائماً » فيحكم العقلاء بعد الفتنة الروسية اذا كان ما قلناه يومئذٍ خطاءً او صواباً

✻ ميشل حكيم ✻ نعينا الى قراء الجامعة في الجزء السابق شاباً من مريديها الادباء وهو المرحوم ميشل جرجس حكيم من اسكلة طرابلس الشام . توفاه الله بالحمى التيفوئيدية وهو ممتلي الجسم صحة والصدر ادباً وكان رحمه الله من الشبان الذين يرجى الخير منهم لاهلهم ولوطنهم فقصفته المنية في زهرة شبابه وتركت آله يندبونه بعد ان كانوا بنيطون به الآمال . وقد عرفنا الفقيد رحمه الله مدة ثلاث سنوات فنحن نبكي فيه تلميذاً عرفنا فيه الذكاء والنشاط مدة ثلاث سنوات قبل دخوله الكلية الاميركية في بيروت ولا تزال رسائله لدينا تدل على رغبته في الادب واخلاصه وحسن اخلاقه . واحسن رثاء نوفيه به حقه هو اقتطاف بعض أبيات من قصيدة نظمها شقيقه حضرة الاديب نعمان افندي حكيم اظهاراً لعظم الخطب فيه . قال في المطلع

اسمعت ام لم تسمع بتـأملي وتوجعي	وتصعد الزفرات من قلب بنـار مولع
يااخي لقد حكم المنو ن وحكمـه لم يُدفع	واغتاله الدهر الخؤو ن وسعينا لم ينفع
لم يقتبل عنه فدى وبغيره لم يقنع	نسج التراب لوجهه الـ باهي سواد البرقع
ياليت يومك يا اخي قد كان فيه مصرعي	عجباً انادي يا اخي لم لا تجيب ولا تعي
اصرمت حبل اخائنا وقطعت ما لم تقطع	ياشمس مات اخي حبيبي بعده لا تطلعي
يابدر غب قد غاب بدري في خراب بلقع	ابكي الشباب وعوده الغض الاهاب الاينع
ابكي وكل الناس حتى الصخر يبكيه معي	فلأبكينك يا اخي ما دام دمعي طيعي

فنشارك آل الفقيد في مصابهم ونسال الله ان يلهمهم الصبر الجميل ويتغمد العزيز ميشل بالرحمة والرضوان

نعزي حضرة الوجيه الفاضل انطون افندي الخوري من كبار تجار يافا عن وفاة المرحومة المبرورة قرينته عنيفه الخوري ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه ويلهمه مع سائر آلها جميل العزاء والسلوان

ولكني اطلب منك اذا كان لاخيك الفقيد امراة واولاد ان تاتيني بهم على عجل فان الملكة تتولى شان المراة وانا اتولى شان الاولاد

ولم يأتِ الكونت دي شارني على هذا الكلام الذي قاله له الملك حتى رات زوجته الكونتس اندري الدموع تجول في عينيه من ذكرى اخيه فابتلت عيناها بالدموع ايضاً وقالت له . لا ريب ان الملكة قد سبقت فقالت لك ايضاً مثل هذا القول

ولما لفظت اندري اسم الملكة حدقت في وجه زوجها . فقال شارني

الملكة لم تذكر لي كلمة بهذا الشان . الملكه لم تحدثني عنه كانها تجهل ان اخي جورج قد قُتل في سبيل الدفاع عنها . ولذلك اجد في نفسي ارتياحاً كلما ذكرت كلام الملك وعلى الخصوص قوله الاخير الذي اختتم به كلامه

فانه لما رآني قد اغرقت في البكاء حين طلبه راجع نفسه وقال قد اخطأت في انني خاطبتك بهذه اللهجة فانني اعرف مبلغ حزنك ومصابك . فاذهب الآن يا كونت . اذهب الى عزيزتك اندري لتعزيك عن مصابك فان المصائب في الاحياء لا يعزي عنها غير الاحياء وقد جئت ايتها السيدة بناء على امر الملك فارجو منك المعذرة

وكانت اندري قد تاثرت اشد تاثر من كلام الكونت فنهضت ومدت يديها الى الكونت قائلة هل ترتاب في سروري بلقياك ياسيدي

ولكن اندري لم تمد الى الكونت يديها حتى قبض الكونت عليهما وطبع عليهما قبلتين بفمه الملتهب فصاحت اندري صياحاً ضعيفاً وسحبت يديها من يديه كأن النار احرقتها ثم انطرحت على المقعد ثانية

غير ان يديها في انسحابها سحبتا معها يدي الكونت زوجها فلم تشعر الكونتس الا والكونت جالس على المقعد بجانبها من غير ارادتها ولا ارادته

وفي هذه الدقيقة سمعت اندري حركة في الغرفة التي خبأت فيها سيباستيين فاجفلت عند ذكرها ابنها ونهضت مذعورة من جانب الكونت . فحسب شارني هذا الاجفال فراراً منه فضغب ونهض قائماً بنزق فصار بازائها وجهاً لوجه

الفصل العاشر

﴿ غرفة نوم اندري ﴾

وكانت اندري حينئذٍ بين امرين . حب ابنها وحب زوجها

ذلك ان هذه الامراة التي تزوجت الكونت دي شارني بناء على ان تكون زوجته بالاسم فقط عملاً بارادة الملكة التي كانت تحب الكونت قد اصبحت الآن بعد انقضاء سنوات على هذا الزواج الاسمي تحب زوجها حباً شديداً . وقد سعت فتخلصت من قصر الملكة لتتمكن من مقابلة زوجها على انفراد فتم لها ذلك ولكنها ما كادت تدرك غرضها من حب زوجها حتى وجدت ولدها الذي كان قد سرق منها . فكان ذلك مصاباً جديداً لها لان حب ابنها كان يقضي عليها بابعاد زوجها وحب زوجها يقضي عليها بابعاد ابنها

ولما نهض الكونت شارني وصار بازائها وجه اليها الحديث بلهجة جدية فقال . والآن ماذا اقول للملك ايتها السيدة الا تعودين الى القصر كما طلب

فقالت اندري متنهدة كلا ياسيدي وارجوك ان تبلغ شكري الى الملك

فتنهد الكونت وقال ولكنك ستكونين وحيدة فريدة في هذا المنزل ياسيدتي

فابتسمت اندري ابتساماً ذا معنى خاص وقالت لقد تعودت معيشة الوحدة ياسيدي . اني عشت هكذا طفلة وفتاة و . . .

ثم توقفت عن الكلام فقال الكونت اتمي العبارة ياسيدتي

فقالت . نعم كان في خاطري ان اقول انني عشت هكذا طفلة وفتاة وزوجة

فقال الكونت هل تقصدين ياسيدتي توبيخي بهذا القول . فقالت اندري كلا ياسيدي وكيف يسوغ لي ان الومك على امر لم نتعاهد عليه . فان الازواج يتعاهدون حين عقد الزواج على الحب والطاعة والعناية . اما نحن فلم نتعاهد حين الزواج الا على الانفصال وعدم الاكتراث . فكيف يسوغ لي ان الومك

وكانت اندري تقول هذا القول وعيناها تبرقان برقاً غريباً يدل على النار التي يقدحها زناد الحب في احشائها . وكذلك كان الكونت زوجها . ولكن كل واحد من هذين الزوجين كان يجهل ما في نفس الآخر

وبعد برهة استانف شارني الكلام فقال . وعلى افتراض انك تعودت الوحدة ياسيدتي فانني لا ارى هذا المنزل لائقاً بمقامك . فقالت اندري انت تذكر ايها الكونت انني ولدت

فيه وهو تذكار من ابي فضلاً عن انني لا احب البذخ كثيراً . فقال الكونت اعرف ذلك ولكني لا اظنك تستريحين فيه لحقارة شانه . فقد شاهدت في دخولي بعض غرفه وهاءنذا اشاهد ما بقي منها لابرهن لك على انها غير لائقة بك

قال الكونت دي شارني هذا القول ثم اتجه صوب الغرفة التي كانت امامه ليفتحها وكانت هذه الغرفة هي الغرفة المخبوء بها سيباستيين

فلما رأت اندري الكونت يخطو نحوها اقشعر جلدها وارتعدت فرائصها فاسرعت كالبرق الخاطف الى الكونت ووقفت في وجهه بينه وبين الباب وصاحت باضطراب وذعر . ارجو منك ياسيدي ان لا تدخلها

فلما راى الكونت ذلك اخذ الحزن والغضب كل ماخذ منه لانه حسب ان اندري تمنعه من دخول الغرفة لانها غرفة نومها . فقال بنزق والدموع في عينيه . كنت اعلم ايتها السيدة انك لا تحبينني ولكنني ما علمت قط انك تبغضينني الى هذا الحد

قال ذلك ثم استجمع قواه وانخطف من امام اندري بغضب وخرج من المنزل ليركب مركبته

اما اندري فانها بقيت تنظر اليه في خروجه حتى توارى عن عينيها ثم اصغت لتسمع حركة مركبته و بقيت مصغية اليها حتى تلاشى صوتها فتنهدت تنهداً خفيفاً ثم فتحت باب غرفة نومها ودخلت مسرعة وهي تنادي : سيباستيين سيباستيين

ولكن لم يجاوبها احد في الغرفة . فنظرت في جهاتها الاربع بنظر حائر وقلب مضطرب فلم تجد احداً . فنادت ثانية سيباستيين سيباستيين فلم يجاوبها احد ايضاً . فعظم اضطرابها واشتد قلقها على ولدها . وحينئذٍ احست بنسيم داخل فالتفتت الى الجهة التي هب النسيم منها فرأت نافذة مفتوحة فعلمت في الحال ان سيباستيين قد فرَّ منها

فاغرقت اندري حينئذٍ في الندب والبكاء لانها فقدت كل شيء حين حسبت انها وجدت كل شيء . فقدت زوجها الذي راح ساخطاً منها وفقدت ابنها الذي فرّ من تلك النافذة . فانطرحت حينئذ على سرير هناك واطلقت العنان لحزنها و ياسها فبقيت عليه تبكي وتلتهب مدة ساعة وقد بلغت نفسها حد الياس والتعاسة الذي يتمنى التعساء عنده ان يفنى هذا الكون و يتلاشى ليفنوا معه و يستريحوا من شقائهم

و بينما هي على هذه الحالة واذا بها تشعر شعوراً غريباً . فان جسمها اصبح مضغوطاً واعضاءها مضطربة ونفسها مثقلة كما تثقل في العادة قبل ان تصاب بالنوبات العصبية . ثم

احست ايضاً بان قوة غير منظورة تنهضها بالرغم عنها . فجلست طوعاً لها ولكنها مدت بصرها الى جهات الغرفة وهي مذعورة من هذا التاثير الغريب فرات من خلال الدموع التي في عينيها منظراً جرى له الدم بارداً في عروقها . رات جسماً بشرياً آخذاً بالدخول من النافذة التي فرّ منها ابنها . ولكنها ما وقع بصرها على هذا الجسم حتى جفت الدموع في ما قيها واستنارت عيناها فابصرت رجلاً واقفاً امامها . فاشتد خوفها . فارادت الصراخ فلم تقدر عليه . ارادت مد يدها الى سلك الجرس تنبيهاً للبواب فلم تقدر ايضاً . ومما زاد ذعرها وخوفها انها عرفت أن الرجل الذي كان واقفاً امامها هو الدكتور جيلبار ابو سيباستيين

ولكن كيف وصل الدكتور جيلبار الى منزل اندري . هذا امر نذكره في الفصل التالي

الفصل الحادي عشر

﴿ طريق مالوفة ﴾

لما خرج الدكتور جيلبار من بين يدي الملك صادف اتفاقاً في دهايز هناك المسيو ايزيدر دي شارني الذي اردف سيباستيين على جواده وجاء به الى باريز فابلغه ايزيدور ان ابنه قد قدم من فيلله كوتر به وانه ينتظره في القاعة الخضراء فطار صواب الدكتور لهذا القدوم الفجائي فاسرع الى القاعة الخضراء ليلقى ولده ولكنه لم يلق فيها احداً

فزاد قلقه وسأل احد حراس المكان عن ولد كان هناك فابلغه احدهم ان هذا الولد رأى امرأة خارجة من غرفة هناك فركض وراءها الى اسفل السلم

فامتقع وجه الدكتور واضطرب مع انه اعتاد خوض المنايا . ثم طلب من الحارس ان يذكر له صفة المراة فوصفها الحارس له . فعلم الدكتور انها الكونتس دي شارني . فعض شفتيه حينئذ من الغيظ وقال في نفسه متاملاً : اتراه عرفها ؟

ثم نزل من القاعة الخضراء وسأل البوابة التي كانت واقفة بازاء السلم امام الباب عن ولد وامراة فقالت البوابة انها ابصرت الولد يركض الى المراة وهي تهرب منه ولكنه لما بلغ الى مركبتها ادخلته معها اليها وسارت بهما المركبة تنهب الارض نهباً

فسأل الدكتور وهل لم تسمعي اسم المكان الذي سارت المركبة اليه . فقالت البوابة .

نعم سمعت المرأة تقول للسائق — الى منزلي في شارع كوك هيرون نمرو ٩

فارتعدت فرائص جيلبار لهذا العنوان لانه عنوان المنزل الذي سرق ولده منه منذ ١٥ سنة فقال — يا له من اتفاق مشوم

ولم يقل « باللعناية الالهية » التي ردت المسروق الى المكان الذي سُرق منه لانه كان من غلاة الفلسفة

فلما عرف الدكتور جيلبار المكان الذي اخذ ولده اليه ترك كل شيء وسار يطلب ولده . وقد عزم على الدخول الى ذلك المنزل من غير الباب لانه كان يريد مقابلة اندري على انفراد

وبينما هو سائر الى المنزل ابصر في طريقه بركة ماء فثارت في نفسه تذكارات قديمة . فانه منذ ١٦ سنة كان ياتي هذه البركة ليبل بها الخبز الذي كان يتفضل به عليه جان جاك روسو وخليلته تريزه ليسد به رمقه . فتنهد جيلبار لهذه الذكري واغرق في التامل والتفكير

فقال في نفسه . لقد مات روسو . وماتت تريزه خليلته . ولكنني انا لا ازال حياً . وقد صرت رجلاً مشهوراً بعد ان كنت خاملاً فقيراً . ولكن هل انا اليوم اكثر راحة مني بالامس . وهل انا اكثر ثقة بمستقبلي مني بالامس ثم استانف السير وهو يتامل في ماضيه

وكان الدكتور جيلبار يعرف طريقاً للدخول الى منزل اندري من غير الباب وهي الطريق التي دخل منها يوم سرقته الولد في الليلة التي ولدته اندري . ومما ساعده انه لما صار تحت بيت اندري ابصر النافذة التي هي الطريق المشار اليها مفتوحة . وكان الوقت ظلاماً فصعد الجدار على سلم استحضرها لهذا الغرض من مكان قريب كان يعرفه ثم اطل من تلك النافذة

فراى اندري المسكينة مستلقاة على سريرها تبكي بكاء مراً . فعرفها ولكنه عجب من بكائها . ثم انه صعد الى النافذة ودخل منها كما تقدم في الفصل السابق . فاصبح هذان العدوان وجهاً لوجه مرة ثانية

الفصل الثاني عشر

ماذا حدث لسيباستين

ولما وقعت عين اندري على الدكتور جيلبار قام في نفسها امران الاول خوف شديد منه والثاني بغض شديد له . اما الدكتور جيلبار فقد قام في نفسه امر واحد وهو رغبته في تخفيف مصائب هذه المراة التي كان سبباً في شقائها . وكان يود ان يخدمها خدمة او ينفعها بامر ولو اقتضى ذلك المخاطرة بحياته تكفيرًا عن الشر الذي صنعه بها . ولذلك لم يباغتها اول دخوله بالقوة المغنطيسية مباغتة بل ارسل اليها قليلاً منها في بدء الامر ولما صار قريباً منها صرفها عنها فاستراحت اندري حينئذ وصارت قادرة على الكلام فصاحت بالدكتور . ماذا تريد مني ؟ ومن اين اتيت ؟ ولماذا اتيت ؟ فانحنى الدكتور جيلبار واجاب بهدوء اتيت ياسيدتي من طريق لا يعرفها احد سواي فلا تخشي ان يكون قد رآني احد في دخولي. اما سبب مجيئي فهو طلب ولدي الذي جئتِ به في مركبتك الى هنا اين سيباستيين

فصاحت اندري بغضب ويأس . لا اعلم لا اعلم . فقد فرَّ مني لانك ما فتئت تعلمه بغض امه

فقال الدكتور أانت متحققة ياسيدتي انك امه

فبلغ الغضب من اندري مبلغه فصاحت: يرى حزني ويأسي . ويسمع بكاءي . ثم يسالني اذا كنت امه

فقال جيلبار فاين هو . قالت اندري لا اعلم لا اعلم . فانني ادخلته الى هذه الغرفة وبعد مدة طلبته منها فلم اجده ولكن وجدت النافذة مفتوحة

فهال جيلبار هذا الكلام فقال باضطراب . اين ذهب فان الوقت ليل وهو لا يعرف طرق باريز . فاشتد خوف اندري نخطت خطوة نحو جيلبار وقالت متالمة هل تظن انه يصاب بشر

فاجاب جيلبار ستقولين ذلك من فمك ايتها السيدة . ثم مدَّ يده اليها لينومها تنويمًا مغنطيسياً

فتراجعت اندري الى الوراء وهي تصيح لا لا بعيشك دعني منه . فقال جيلبار لا تخشي شرًا ياسيدتي فان شخصك مقدس لديَّ وانما اريد ان اسألك في نومك عن ولدك

فتنهدت اندري والقت بنفسها على كرسي هناك وهي تردد اسم سيباستيين بين شفتيها فدنا منها جيلبار ومدّ يده فوق راسها ثم قال . نامي ايتهـا السيدة وانظري بقلبك وانت نائمة . فاجابت اندري وهي تضطرب نمت نمت فقال جيلبار هل استعمل كل قوتي لتجيبي على اسئلتي ام اخففها فتجيبين من تلقاء نفسك . فقالت وهي نائمة اجاوبك ولكن هل تعدني بان تقول لولدي بعد الآن انني امه . قال سارى في ذلك . ولكن هل تحبينه . فقالت (وهي نائمـة) آه يسألني اذا كنت احب ولدي . نعم احبه احبه بكل قوتي . فاجاب جيلبار متنهدًا فانت اذن امه ايتها السيدة كما انني ابوه لانك تحبينه كما احبه

فتنفست اندري الصعداء كأن نفسها ارتاحت لهذ االقول

فقال جيلبار فجاوبي اذًا طوعًا واختيارًا من غيرا كراه . فقالت اندري نعم اجاوب طوعًا واختيارًا ولكن هل تعدني بان اراه بعد الآن . فقال جيلبار اما قلت لك انك امه والام يجب ان ترى ولدها . فقالت اندري بفرح عظيم شكرًا لك سلني الآن فاني مستعدة للمجاوبة . . ولكن . فقال جيلبار لكن ماذا . قالت يجب ان اتبعه من اول مجيئه من القصر لاكون على ثقة من ان لا يفوتني اثره . فقال جيلبار لا باس بذلك فاستعدي للجواب . ثم اخذ جيلبار يسالها وهي نائمة عما حدث لسيباستيين وهي تجيبه كانها حاضرة معه . فسالها اولاً . اين نظرته لاول مرة قالت في القاعة الخضراء قال الى اين لحق بك قالت الى المركبة قال الى ايّ مكان اخذته في المركبة قالت الى هذا المنزل قال ولماذا ادخلته الى هذه الغرفة قالت لانني سمعت صوت مركبة وقفت امام الباب قال فمن كان في هذه المركبة قالت الكونت دي شارني قال وماذا قال لك الولد حين دخوله الى هذه الغرفة قال لي انني لست بامه . فسالها جيابار في الحال ولماذا قال لك ذلك فسكتت اندري ولم تجاوب فقال جيلبار سالتك فاجيبي ايتها السيدة هكذا اريد فتململت اندري واضطربت لان جيلبار قوّى المجرى المغنطيسي عند لفظه هذه الكلمة « هكذا اريد » واجابت . قال لي ذلك لانني قلت له . ثم سكتت . فقال جيلبار ماذا قلتِ له تكلمي . فاستجمعت اندري قواها وصاحت لانني قلت له انك شقي لئيم

فقال جيلبار انظري الآن ايتها السيدة الى اعماق نفس ابنك لتعلمي مبلغ العذاب الذي عاناه حين قولك هذا القول عن ابيه . فبهتت اندري هنيهة كانها تنظر في نفس ابنهـا ثم صاحت بغتة ويلاه كم تعذب الولد لكلامي عفوًا يا بني وصفحًا

فسالها جيلبار هل علم الكونت دي شارني بوجود الولد هنا قالت كلا قال فلماذا لم

يبت هنا هذه الليلة قالت لان المسيو دي شارني لا يبيت عندي قال فلماذا جاء اذاً فسكتت اندري هنيهة كانها تنظر عن بعد في ضمير المسيو دي شارني لتعلم السبب الذي جاء به اليها في هذه الليلة ثم صاحت بغتة ويلاه ما اشد تعاستي فقال جيلبار ماذا . قالت كان الكونت دي شارني قادماً الي .. كان يطلب الاقامة عندي فلم افهم ذلك . بل تركته يذهب ساخطاً . هو يحبني هو يحبني

فابتدأ جيلبار يقف منذ الآن على غوامض مسالة لم يكن احد قد وقف على شيء منها قبله . فسالها وانت هل تحبينه . فسكتت اندري فاعاد جيلبار سؤاله قولي هل تحبينه فسالته اندري لماذا تسالني هذا السؤال . قال انظري في ضميري لتعلمي سبب ذلك فبهتت اندري كانها تقرأ في ضميره ثم قالت علمت علمت . ان قصدك حسن . فانك تود خدمتي وصنع الخير معي تكفيراً عن الشر الذي صنعته ولكنني انا ارفض كل خير وسعادة تاتيني على يدك لاني اكرهك واود البقاء على كراهتك

فقال جيلبار حينئذٍ في نفسه : مسكينة انت ايتها الانسانية . هل لديك كثير من طرق الراحة والسعادة حتى يجوز لك ان تختاري ما تريدينه منها . ثم سالها . اذاً انت تحبينه قالت نعم احبه . قال متى ابتدأ حبك له قالت منذ رايته للمرة الاولى . منذ سار من باريز الى فرساليا في مركبة الملكة . فقال جيلبار متنهداً . اذاً عرفت الحب يا اندري قالت نعم عرفت الحب وهو لم يعطَ للانسان لكي يتمتع به ويسر ولكن ليعلم من مقداره مقدار ما يقابله من الحزن والالم في هذه الحياة . فاحتدم عند ذلك جيلبار وقال لقد عرفتِ الحب يا ذات القلب الصخري عرفت عذابه وشقاءه فانا مسرور بذلك . فلنعد الآن الى الولد فقالت نعم لنعد الى الولد ولكن لا تذكر لي المسيو دي شارني ولا تدعني اذكره فان ذلك يقلقني وربما تركت حينئذ ولدي واقتفيت اثار الكونت . فقال جيلبار اذكرى ولدك ايتها الام ولا تذكرى زوجك . فانبسطت حينئذٍ اسرة اندرى وتلاشت لوائح العناء التي كانت على وجهها من ذكر حب الكونت زوجها . فسالها جيلبار اين كان الولد حين محادثتك مع الكونت فاجابت اندري كان هنا . هنا على الباب ينصت الى كلامنا قال ماذا سمع منه قالت قد سمع كل القسم الاول قال فمتى عزم على الفرار من الغرفة . قالت عزم على ذلك حينما ... وسكتت

فسالها الدكتور بشدة ومن غير شفقة حينما ماذا . فاجابت حينما اخذ المسيو دي شارني يدي وقبلها فصحت صيحة خفيفة فقال جيلبار وماذا حدث لسيباستيين عند ذلك قالت هوذا

اراه مقطب الحاجبين مشمر الشفتين غضباً وحنقاً واحدى قبضتيه مطبقة بتشنج على صدره كأنه يتهدد بها

فقال جيلبار اتبعيه الآن واجعلي كل همك مقصوراً على اقتفاء اثره واياك ان تتركيه. هل ترينه قالت اراه اراه . قال ماذا صنع بعد ما ذكرت قالت اخذ يفتش عن باب مشرف على الحديقة للخروج منه ولما لم يجد باباً ذهب الى النافذة بنزق ففتحها ثم نظر النظرة الاخيرة الى القاعة حيث كنت مقيمة وخرج من النافذة . فقال جيلبار اتبعيه في الظلام فقالت لا اقدر فدنا منها جيلبار وامرّ يده على عينيها وقال انظري حتى في الظلام ايتها السيدة . فتنفست اندري الصعداء وقالت هوذا قد وجدته .. لقد سار نحو شارع بلاتر ببير .. ها هوذا يخاطب امراة

فقال جيلبار اصغي جيداً ماذا قال لها قالت لقد سالها عن شارع سان اونوره . فتنهد جيلبار وقال هناك منزلي فلابدّ ان يكون قد وصل اليه لينتظرني فيه . فسكتت اندري هنيهة ثم قالت بهيئة تدل على القلق . لا لم يصل اليه .. كلا هو لا ينتظر الآن فسالها فاين هو اذاً قالت دعني اقتفي آثاره والا تهت عنه

وقد قالت اندري هذا القول بلهجة الخوف كمن يتوقع حدوث مصاب . فخاف جيلبار لخوفها وقال اتبعيه اتبعيه واياك ان تضلي عنه . فتنهدت اندري وقالت آه . هاءنذا اراه فقال جيلبار ماذا يعمل قالت انه سائر في طريقه . لقد وصل الى شارع باله رويال .. هوذا يسال ثانية عن شارع سان اونوره .. لقد اسرع في طريقه .. وصل الى شارع ريشليه .. الى شارع فروندور .. الى شارع نوفسان روش . آه قف ايها الولد التعيس قف واجتنب هذه الحادثة .. اما ترى المركبة القادمة من طريق سوردبير .. انا اراها واخشى عليك منها . آه . آه

ثم صرخت اندري صراخاً هائلاً . صراخ ام ترى ولدها يتمزق تحت عجلات المركبة فتحلب الدمع من عينيها من شدة الخوف وتحلب العرق من جبينها من شدة المغنطيسية فامتزج ماؤهما

فجزع جيلبار وخاف اشد خوف ثم قال لها بغضب — اذكري ايتها السيدة ان الولد اذا اصابه شر فالشر يقع على رأسك لانك كنت السبب

اما اندري فانها عادت وتنفست الصعداء بانبساط وارتياح دون ان تسمع ما قاله جيلبار ثم قالت مبارك اسم الله . قد نجا . قد نجا . فان صدر الجواد صدمه وازاحه قبل

ان يسقط من طريق المركبة . ولكنه سقط على الارض مغمى عليه .. آه بدون حراك ولكنه غير ميت . نادوا من يغيثه . المعونة المعونة . اغيثوا ولدي اغيثوا ولدي

ثم صاحت اندري صيحة هائلة وسقطت مغمى عليها

فخاف جيلبار ان ينقطع شريان في دماغ المراة او في قلبها من شدة ضغط المغنطيسية عليها ولذلك لم ينبهها بالرغم عنها . ولكنها لم تلبث ان انتبهت من تلقاء نفسها تطلب ولدها فسالها جيلبار انظري ماذا جرى له . فقالت اصبر عليَّ قليلاً فانني اكاد اهلك من التعب والجزع . هاءنذا ارى ازدحاماً شديداً حوله . ابعدوا ابعدوا . افسحوا لي طريقاً ياناس . انا امه . انا ام سيباستيين المطروح على الطريق . قولوا لي اليس فيكم رجل جراح

فما سمع الدكتور جيلبار هذا الكلام حتى صاح بها هاءنذا ذاهب اليه . فقالت اندري وقد امسكت به من ذراعه لا لاتذهب . بل اسمع الآن . هوذا الجمع قد تفرق عنه . فلا بد ان يكون قد حضر رجل استدعوه لمعالجته . تعالَ تعالَ ايها الرجل . هو لم يمت ولكن قل لي ايمكن انقاذه

ثم صاحت صيحة عظيمة واخرجت تنهداً هائلاً من اعماق صدرها

فاجفل الدكتور جيلبار واضطرب ثم سالها ماذا حدث ماذا حدث فصاحت اندري بغضب . حدث انني لا اريد ان يمدّ هذا الرجل يده الى ولدي . لا اريد ان يعالجه . قزم شنيع كالافعى يالله كم امقته

فقال لها جيلبار دعيه دعيه ايتها السيدة ولا تتركي سيباستيين بعيشك . فقالت اندري لا تخف لا تخف وكيف اترك ولدي . فقال جيلبار ماذا صنع به هذا الرجل قالت لقد حمله بين ذراعيه ثم سار في شارع سوردبير . دخل الى اليسار في طريق سان ياسنت ودنا من باب واطئ كان مفتوحاً قليلاً . دفع الباب . انحنى . نزل في السلم . وضع الولد فوق مائدة عليها اقلام واوراق بعضها خطية وبعضها مطبوعة . لقد اخذ يجرد ذراع سيباستيين . شدّها بلفائف جاءته بها امراة قذرة شنيعة مثله . لقد فتح علبة اخذ منها آلة جراحية آه . لقد عزم على فصد الولد . آه انني لا اطيق رؤية دماء ولدي

فقال لها جيلبار اخرجي الآن من ذلك المكان وعدي درج السلم التي نزلها الرجل فسكتت اندري هنيهة كانها صنعت ما قاله لها الدكتور ثم قالت عددتها فاذا هي ١١ درجة فقال صفي لي الآن خارج المكان لاعرفه قالت ان الباب يؤدي الى قبو تحت الارض وفوق الباب نافذة صغيرة فيها قطعتان من الحديد بشكل صليب قال جيلبار مستعداً

للسير كفى كفى فانني صرت قادراً على معرفة المكان فاستعدي لانبهك ولكن قولي لي اولاً هل تريدين ان تنتبهي غداً صباحاً دون ان تذكري شيئاً مما جرى ام تريدين الانتباه الآن مع ذكر كل شيء. قالت بل افضل الانتباه الآن وذكر كل شيء

فدنا منها جيلبار حينئذ واخذ ابهاميه فامرّهما على حاجبي اندري بحسب تقوسهما ثم نفخ في جبهتها ولفظ هذه الكلمات فقط

— انتبهي ايتها السيدة

فدبّت الحياة حينئذ في عيني اندري وعاد لهما نظرهما الاعتيادي فنظرت الى جيلبار من غير خوف ثم ذكرت ولدها وما اصابه فصاحت بالدكتور قائلة: اسرع اسرع اليه وانقذه من يدي ذلك الرجل الذى يخيفني

فخرج جيلبار مسرعاً يطلب ولده من المكان الذي دلته عليه اندري في نومها المغنطيسي

الفصل الثالث عشر

﴿ الرجل القذر الشنيع ﴾

وفي خروج جيلبار من منزل اندري اخذ يعيد في فكره الشوارع التي ذكرتها اندري في نومها فذكرها كلها وسار في وجهتها

وما زال سائراً مسرعاً حتى وصل الى الشارع الذي ذكرت ان فيه قبو الرجل القذر الشنيع فنظر جيلبار الى الغرف السفلية التي هناك فابصر باب غرفة على الشارع وفوقها العلامة التي ذكرتها اندري فلم يبقَ عنده ريب في ان هذا المنزل هو المنزل الذي يقصده فدنا منه وقرع الباب فلم يجاوبه احد فقرعه مرة ثانية فسمع حينئذ صوت اقدام تُختلس في المكان فقرع مرة ثالثة فسمع امراة تقول من الداخل من يقرع الباب فقال جيلبار انا لا تخافي وافتحي لي فانني ابو الولد الذي عندكم

فقال حينئذ رجل من الداخل افتحي افتحي يا البرتين فهذا الدكتور جيلبار. فنادى حينئذ صوت ثالث بقوله يا ابي يا ابي. وكان هذا الصوت صوت سيباستيين

فتنفس جيلبار الصعداء حينما سمع صوت ابنه

وحينئذ انفتح الباب فاسرع الدكتور في نزول السلم فوجد في فناء المكان مائدة عليها ولده وهو يمد ذراعيه اليه فبادر اليه جيلبار وقبله ولاطفه

فقال الرجل الذي كان في المكان الى المراة اشكري يا البرتين الصدفة التي جعلتني

انفع احد "اخوتي"

وقد عنى بقوله اخوتي اعضاء الجمعيات الماسونية التي كان لها في فرنسا في ذلك الزمان شأن عظيم حتى ان كثيرين يعزون اليها اقامة الجمهورية كما سيرد ذلك مع تفصيل حفلاتها وعاداتها وذكر خطبها

ولما قال الرجل هذا القول التفت جيلبار ليرى الرجل الذي انقذ ابنه . فوقع نظره على رجل قزم ذي وجه اصفر اللون اخضره بعينين رماديتين كانهما تخرجان من راسه كما يقول العامة . وقد كان كريه المنظر شنيع الصورة كانه انسان اخذت الطبيعة تمسخه قرداً فلا هو انسان تام ولا قرد تام

فاقشعر جلد جيلبار لهذا المنظر بالرغم عنه لا سيما وانه ذكر انه يعرف هذا الرجل لانه نظره في يوم دموي من ايام الفتنة ولكنه لم يذكر ذلك اليوم

غير انه بالرغم عن كراهته لمنظر ذلك الرجل قهر نفسه ودنا منه ليقوم بواجب شكره على انقاذه ابنه . ولما صار قريباً منه قال له اشكرك ياسيدي على انقاذك ولدي وهذا الشكر يقدمه لك اب من اعماق قلبه

فاجاب الرجل انني لم اصنع سوى ما يجب عليّ ياسيدي فانني انسان والانسان كما قال ترانس يجب عليه ان يساعد الانسان في كل شؤونه وفضلاً عن ذلك فانني رقيق القلب لا استطيع رؤية حشرة تتالم فكيف الانسان. فقال جيلبار هل تتفضل عليّ ياسيدي بمعرفة اسمك فقال الرجل ضاحكاً ضحكاً مخيفاً كيف لا تعرفني ايها الوصيف فانني انا اعرفك . انت الدكتور جيلبار صديق واشنطون ولافاييت ولما ذكر الرجل اسم لافاييت شدّ عليه قصداً ثم قال نعم انت صديق لافاييت رجل فرنسا واميركا صاحب الاحلام والاوهام انت الذي كتبت للملك تقريراً عن الحالة السياسية في فرنسا فجزاك الملك بسجنك في الباستيل مكافأة على جميلك

ثم ضحك الرجل ضحكاً شنيعاً ترتعد له الفرائص اما جيلبار فقال اذا كنت تعرفني ياسيدي فقد زدتني رغبة في معرفة اسمك

فقال الرجل عرفتني وعرفتك منذ زمن بعيد ياسيدي فانك جئتني منذ عشرين سنة في ليلة هائلة هي ليلة ٣٠ مايو من سنة ١٧٧٠ جريحاً كما جاءني ابنك وكنت يومئذ بعمر مساوٍ لعمره اما الذي جاء بك الي فهو معلمي ومعلمك جان جاك روسو فقصدتك على مائدة محاطة بجثث الموتى والاعضاء المبتورة وقد عالجت كثيرين غيرك في تلك الليلة

فقال جيلبار حينئذ . اذن عرفتك فانت جان بول مارات (١)

قال جيلبار ذلك ثم رجع الى الوراء مجفلاً

اما الرجل الذي سماه جيلبار مارات وقد تقدم ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول — فقد اخذ يضحك ضحكاً شنيعاً ثم قال للمراة . ارأيتِ يا البرتين كيف يؤثر اسمي في نفوس الناس ثم ازداد ضحكاً فقال له جيلبار كنت اعهدك طبيباً للكونت دارتوى فقال مارات بيطرياً لخيله لا طبيباً وقد هجر الامير فرنسا في جملة الذين هجروها فتركت خدمته . وهبه موجوداً فانني لا اخدمه لانني اكره الظالمين

ولما قال مارات هذا القول انتصبت قامته القصيرة بعظمة وكبرياء اظهاراً لانفته

فقال له جيلبار ولماذا تقيم في هذا القبو فاجاب مارات تسالني لماذا اقيم في هذا القبو ايها الفيلسوف ذلك لانني رجل محب لوطنه لانني اكشف الغطاء عن طمع الطامعين لان بالي يخافني وناكار يغيظني ولافاييت يقتفي اثري آه من لافاييت الطامع المستبد الراغب في اغتصاب السلطة لقد خصص جائزة بمن ياتيه برامي ولكنني لا اخشاه بل اشكوه اشكوه في كل يوم من اعماق هذا القبو. قال وكيف تشكوه قال اشكوه في جريدتي في الجريدة التي انشأتها وسميتها « صديق الشعب » وقد اصدرت منها الى الآن ٢٠ عدداً وقد بعت كل اثاث منزلي للقيام بنفقات الاعداد الاولى منها انظر الفراش التي حولك

فنظر جيلبار فوجد ان الفراش بلا اغطية لان مارات باعها وكان سيباستيين ينام على فرشة بلا غطاء ايضاً

فالتفت جيلبار الى مارات وساله واين مساعدوك في جريدتك

فضحك مارات واجابه تسالني عن مساعديّ في عملي ولكن اتجهل ان الزراز يرهي التي تطلب الاجتماع والرفقة وانه لا يطير وحده غير النسر. تسالني عن مساعديّ فاليك مساعديّ

قال ذلك ثم اشار الى راسه ويديه

وبعد هنيهة قال

هذه المائدة التي تراها امامك هي معمل الاله فولكان المعمل الذي تصنع فيه الصواعق



(١) جان بول مارات — اشد رجال الثورة تاثيراً على العامة وقد ورد ذكره في نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة وفي هذا الفصل احسن وصف لاخلاقه

فانني في كل ليلة اكتب عليها ثماني صفحات كبرى لتباع في الصباح · وقد تكون الثماني الصفحات غير كافية فاضيف اليها ثماني اخرى وكثيرًا ما اتم باحرف صغيرة المقالات التي ابدأها باحرف كبيرة· كل الصحافيين يساعدون بعضهم بعضًا و يشتركون بعضهم مع بعض اما انا فلا اريد ان يساعدني احدولذلك اعتبر ان جريدتي ليست بجريدة ولكنها انسان· هي انا لانها ثمرتي وحدي

فساله جيلبار مدهوشًا وكيف تستطيع ان تقوم وحدك بكل هذا العمل

فاجاب مارات هذا سرٌ من اسراري هذا اتفاق معقود بيني و بين الموت فاننا تعاهدنا على ان اعطيه عشر سنوات من عمري ليجعلني قادرًا على القيام بالعمل الذي اعمله الآن ولذلك اعطاني نهارًا لا استريح فيه وليالي لا انام فيها فاصبحت معيشتي محصورة في هذه الكلمة : الكتابة الكتابة الكتابة ليلاً ونهارًا ومما ساعدني على ذلك ان بوليس لافاييت يفتش عني فصرت مضطرًا الى الاختباء منه وعدم الخروج من مخباءي وقد وجدت هذه المعيشة في بدء الامر ثقيلة ولكنني ما لبثت ان تعودتها فانه صار يلذ لي ان الح من ثقب الباب في ظلمات هذا القبو الهيئة الاجتماعية التعيسة الشقية التي هي في الخارج ومن اعماق هذه الظلمات التي انا اعيش فيها احكم على عالم الاحياء في تلك الهيئة· وحكمي يشمل عالمين عالم العلم وعالم السياسة ومتى حكمت كان لا مرد لحكمي اي لا استئناف ولا نقض او ابرام · بيدِ اهدم اعمال نيوتن وفرنكلين ولبلاس ومونج ولفوازيه وبالاخرى ازعزع باليي ونا كار ولافاييت وساهدم هذا كله ساهدمه كما هدم شمشون الجبار الهيكل واذا دُفنت تحت جدرانه الساقطة دفنت الملكية معي

فارتعدت فرائص جيلبار بالرغم عنه لان هذا الرجل كان يكلمه في قبوه الحقير كما كلمه كاليوسترو في قصره الكبير · فراعه ان تكون هذه الافكار مشتركة بين الكبار والصغار وساله لماذا لا تدخل المجمع الوطني لتقول فيه ما تريد ان تقوله فقال مارات لانه لا يوجد لدي بضعة الوف من الرجال يشدون ازري و ينتخبونني للدخول اليه · هذا مع كل شهرتي وحب الشعب لي· ولكني غير عابئ بالمجمع بل انني اشتغل كما ذكرت لك كالنسر وحدي واكون في هذه الحالة اشد تاثيرًا على الشعب الذي يتبعني وانا الآن ذو تاثير عظيم عليه وقد قلت في العدد الاول من جريدتي " صديق الشعب " انه يوجد في فرنسا ٦٠٠ رجل يجب شنقهم لنخلص من جرائمهم وخيانتهم فتحسن الحال و يزول كل خلل ولكنني ما لبثت ان عرفت خطاءي بعد ايلتي ٥ و٦ اكتوبر فانه يجب شنق عشرة الاف رجل من

الاشراف بل عشرين الف رجل لا ستمائة رجل ليعم السكون و يعود النظام

فاجاب جيلبار ضاحكاً ولكن احذر يامارات فانك اذا اردت شنق كل هؤلاء الناس لم تجد في فرنسا حبالاً كافية لذلك

فضحك مارات ضحكاً هائلاً وقال ما احسن هذه الكلمة التي قلتها فانها تنقلنا من حديث الى حديث كنت على عزم الانتقال اليه . اعلمتَ ايها الدكتور ماذا نصنع الآن لنقدر على اعدام المجرمين مهما كثر عددهم بسهولة وفي وقت قصير فاجاب الدكتور كلا قال ان صديقي الدكتور كليوتين يصنع آلة ما اسهل الموت فيها وقد جئتَ في حينك فانه لا يلبث ان يحضر الى ههنا لتجربة هذه الآلة وقد وصفها لي الدكتور كليوتين فقال ان الانسان يموت بها بكل راحة وسهولة فان سكينها تقطع العنق كلمح البصر فلا يشعر الانسان الا بقليل من البرودة في عنقه الا تريد مشاهدة هذه الآلة معي

فاقشعر جلد جيلبار هنا ايضاً لانه ذكر ما قاله له كاليوسترو عن آلة الدكتور كليوتين (التي هي الكليوتين آلة الاعدام في الثورة) ولكن لم يذهب اضطراب جيلبار حتى قرع باب القبو فقال مارات ضاحكاً ها قد جاء صديقي الدكتور كليوتين صاحب الاختراع العظيم افتحي له يا البرتين

فذهبت المراة وفتحت له فدخل كليوتين فاذا هو رجل في الخامسة والاربعين من العمر هادىء الهيئة لطيف المنظر خلافاً لمارات وكان يحمل في يده علبة كالعلب التي تتضمن لعب الاولاد

فسلم الدكتور على مارات وعلى جيلبار الذي كان متشاغلاً بابنه فساله مارات ما بيدك يادكتور فقال كليوتين هذا مثال الآلة جئت لاريك اياه

وكان يُسمع من داخل العلبة حركة فساله مارات ما هذه الحركة التي تُسمع من داخل العلبة فضحك كليوتين وقال هؤلاء هم المجرمون الذين سنعدمهم امامك فان الآلة الكبيرة تعدم البشر والآلة الصغيرة تعدم الفئران

فاشار جيلبار حينئذٍ الى ابنه بالنهوض ليحمله و يذهب به فساله مارات مالك يادكتور الا تحضر التجربة فقال جيلبار لا اقدر ياسيدي بل يجب ان اذهب لاعتني بولدي فقال مارات ولكن هل تعدنا بانك تحضر تجربتها الكبرى حين الاحتفال بها فقال جيلبار اعدك بذلك فقال مارات ولي اليك وصية اخرى قال ماذا قال ان تكتم اسم منزلي فانك تعلم ان بوليس لافاييت يقفو اثري فقال جيلبار كن مستريح البال من هذا الوجه

ثم حمل جيلبار ابنه وخرج من منزل مارات بعد ان ودعه وودع الدكتور كليوتين زائره

ولما خرج جيلبار الى الشارع اخذ يتامل ويقول في نفسه «ما ادراني انه لا يوجد الآن في باريز خمسمائة قبو كهذا القبو يشتغل فيها اصحابها بمثل ما يشتغل به هذا الرجل؟ وماذا يحدث في المدينة يوم تبرز اعمال هؤلاء الناس المستترين الى حيز الوجود»

الفصل الرابع عشر

عود الى بيتو وكاترين

ولما وصل جيلبار الى منزله وهو يحمل ابنه بين ذراعيه طرق الباب فنادى صوت من الداخل من الطارق قدهش جيلبار لهذا الصوت لانه علم انه صوت صاحبنا انج بيتو فاجابه الدكتور انا افتح ففتح بيتو البلب ولما ابصر سيباستيين بين ذراعي ابيه تنفس بيتو الصعداء وقال وجده والحمد لله

اما السبب في عودة بيتو الى باريز فاليك بيانه

تركنا بيتو في ختام الجزء الثاني من نهضة الاسد واقفاً بازاء جثة كاترين التي وجدها بلا حراك في قارعة الطريق وفي اليوم التالي لهذه الحادثة رأى بيتو ان آماله ذاهبة ضياعاً فازداد حزناً ولكنه عزم على اطلاع بيلو والد كاترين على هذا الامر وقد ساعده على ذلك اختفاء سيباستيين

فان بيتو حضر في ذات ليلة الى غرفته وبعد ان اوقد شمعة راى على نورها الضعيف كتاباً موضوعاً على المائدة وعنوانه باسمه ففتحه فراى انه هو الكتاب الذي كتبه اليه سيباستيين يطلعه فيه على امر سفره الى باريز للسؤال عن ابيه

فقال بيتو هذا الامر لانه خاف من ان يضل الولد السبيل وعجب من اقدام هذا الولد على السير في الليل ولكنه لم يتردد دقيقة واحدة في العزم الذي عزم عليه بعد مطالعة هذا الكتاب فانه نهض في الحال واقفل باب الغرفة ثم اطلق ساقيه للريح على طريق باريز لعله يلتقي بسيباستيين

وكان يسير وهو يفتش عنه في نظره في كل جانب ولكن سيباستيين كان قد ركب على جواد المسيو ايزيدور دي شارني كما تقدم ولذلك لم يستطع بيتو ان يلحق به

وما زال بيتو سائرًا حتى وصل الى باريز فقصد منزل الدكتور جيلبار على عجل وسال عن سيباستيين فقيل له انه لم يات اليه فاشتد خوف بيتو على اخيه في الرضاع ولبث يتقلب في البيت على مثل الجمر وهو ينتظر عودة الدكتور جيلبار

ومن حسن الحظ ان الدكتور عاد وبين يديه سيباستيين فتنفس بيتو الصعداء حين مشاهدته واستراح باله . اما الدكتور جيلبار فلما علم بقصة بيتو تحركت له احشاؤه حنوًا عليه وارتياحًا من عمله فمد يده اليه وصافحه شكرًا على غيرته وامانته

ولما هدأت خواطر الجميع اشار جيلبار لبيتو ان يذهب و يستريح في فراشه فان الركض كان قد اتعبه فقام بيتو شاكرًا ولكنه في قيامه طلب من بيلو ان يلحق به ليقول له كلمة في غاية الاهمية

فقام بيلو وتبع بيتو الى غرفة هناك واختليا فيها

وكان بيتو لشدة قلقه على سيباستيين قبل وجوده قد نسي امر كاترين والمزرعة فلم يقل عنها لبيلو شيئًا ولكنه سكن خاطره بكلام مبهم ووعده بان يزيده بيانًا متى هدأت الخواطر

فلما انفرد بيتو به ساله بيلو عن المزرعة والعيلة فحدثه بيتو ربع ساعة ثم افترقا

اما الدكتور جيلبار فلما استقر به المكان كتب لاندري هذه الكلمات « لقد وجدت الولد سالمًا معافى » ثم بعث بها الى صندوق البريد مع خادمه لتصل اليها في الصباح

وفي اليوم التالي نهض جيلبار ليذهب الى قصر الملك اذ جاءت نوبته فوجد بيلو ينتظره ولوائح الانقباض على وجهه . فسأله الدكتور ما بك يا بيلو . فاجاب بيلو انني اقيم في باريز على حين ان الحالة سيئة جدًا في مزرعتي

ولا يحسبنَّ القارىء ان بيتو اطلع بيلو على كل ما يعلمه عن كاترين لانه لو فعل ذلك لاضاع صواب ذلك الزارع الشريف الاخلاق . ولكنه اكتفى بان يقول له ان المواشي مهملة والحقول خربة والحاصلات تناقصت وانه وجد في مساء يوم كاترين مغمى عليها في قارعة الطريق

وكان بيلو نبيهًا فعلم ان ابنة قوية رابطة الجأش مثل كاترين لا يغمى عليها في قارعة الطريق الا لاسباب خصوصية

وحينئذٍ عزم على السفر في الحال الى مزرعته ليصلح الخلل الذي حدث فيها مدة غيابه

وكان جيلبارقد ذاق في ليل امس طعم العذاب الذي يعانيه الآباء بشان اولادهم فاصبح اكثر رأفة بقلب بيلو ولذلك اذن له بالسفر على شرط ان يحضر اليه اول ما يدعوه اذا اضطر الى استدعائه . فاجاب بيلو متى اردتني فقل كلمة واحدة اكن عندك في يوم واحد

ثم ان بيلو قبل سيباستيين وودع الدكتور فودعه الدكتور وشكره على اخلاصه ووداده ثم ودع جيلبار بيتو ووضع في يده ٢٥ ذهباً هدية له لينفقها في شراء ملابس واسلحة لحرس هرامونت الذي كان هو قائده . ثم سار بيلو وبيتو عائدين الى المزرعة اما سيباستيين فانه بقي عند ابيه

الفصل الخامس عشر

﴿ هدنة وقتية ﴾

ولنعد الآن بالقارىء الى قصر التويلري حيث اقام الملك والملكة بعد عودتهما من فرساليا

فيا ما اشدك هولاً يا ايها التويلري . يا قصراً سكنته الملكة التي امرت بمذابح سنت برتلماي . ياقصراً يجتذب الملوك اليه ليفترسهم او لينبذهم منه نبذ النواة . فبعضهم يخرجون منه بلا رؤوس والبعض يخرجون بلا صولجان ليشردوا في بلاد الله

ياقصراً هائلاً من يجترىء ان يدخل اليك بعد ارسالك لويس السادس عشر ونابوليون وشارل العاشر ولويس فيليب بعضهم الى النفي وبعضهم الى الاعدام

كل هؤلاء قد دخلوا اليك والشعب يهتف لهم ويفرح بدخولهم . كل هولاء لما دخلوا اليك كانوا في اقصى درجات المجد والسعادة . فلماذا لم تجعلهم يحتفظون مراكزهم . ذلك لانهم اخذوا يعملون لانفسهم لا للشعب فقام الشعب وطردهم منك كما يطرد من مزرعة زارع ولي شانها ليصلحها فافسدها

وفي اليوم التالي لوصول الملك الى التويلري اشرقت الشمس على باريز ساطعة لامعة فتزاحم الشعب حول التويلري فرحين مسرورين بان ملكهم عاد اليهم واخذوا يرقبون الملك ويفتشون عنه فكان كلما لاح لبعضهم يشيرون اليه بالاصابع مبتهجين مسرورين

ولما انتصف النهار طلب الشعب الملك نظهر له الملك من احدى شرف القصر فصفقت

له الالوف التي كانت هناك تصفيقاً عاماً بياناً لاستحسانها وسرورها

وفي المساء اضطر الى النزول للحديقة اكراماً للشعب فلم يكتفِ الشعب حينئذٍ بالاستحسان والهتاف بل بكى من فرحه وسروره

فقالت مدام اليزابت التي كانت بازاء الملك . يظهر لي انه ليس من الصعب الحكم على هذا الشعب اللين المراس

وهكذا ظهر لكثيرين ان النار التي كانت متقدة قد خمدت وان الثورة آخذة بالهمود وما علموا انها هدنة وقتية ليتعارف في اثنائها الحزبان ثم يعودان الى النزاع والاهوال باشد مما كان

ومع ذلك فان خواطر العقلاء واصحاب النفوس الابية كانت قد بدأت تستنكر عمل الشعب بعد هجومه على فرساليا . وقد خاف المجمع الوطني من ذلك اشد خوف لانه كان يرى ان وجوده متوقف على وجود الملك وسلطته متوقفة على سلطته فاذا سقط الملك سقط المجمع . ولذلك اراد ميرابو خطيب المجمع الاكبر وضع حد للهياج واللجاج

اما لا فاييت فانه ازداد بعد الهجوم على فرساليا تمسكاً بالملك والملكية . ولكنه كان لا يثق بميرابو . فلما جاءه ميرابو يقول له « فلنتحد ولننقذ الملك » لم يفهم لافاييت هذا الكلام ولم يعبأ به . بل ذهب لساعته الى الدوق دورليان الذي كانوا يقولون انه عدو الملكة وتعرض الشعب عليها وقد قصد بزيارته هذه ان يبعده من باريز لعل ذلك يسكن الخواطر ويبطل التحريض

فقابل لافاييت الدوق وطلب اليه ان يرحل من فرنسا فاجابه لا استطيع ذلك لانني املّ الحياة خارجاً . فقال لافاييت ولكننا يامولاي محتاجون الى سفرك . فقال الدوق ولكن الى كم من الزمن . قال الى اجل غير مسمى اي الى ان استدعيك يامولاي فقال وان عدت ياجنرال دون ان تستدعيني . فاجاب لافاييت ان عدت دون ان استدعيك يامولاي فانني اسألك حينئذٍ ان تتناول سيفك وتبارزني

فسافر الدوق دورليان ولم يعد حتى استدعاه لافاييت

الا ان الملكة كانت وسط فرح الشعب وسروره ممتلئة النفس حزناً والماً . اولاً لانها فقدت حب حبيبها شارني وثانياً لانها رأت ان يد الشعب اصبحت فوق يدها . ولذلك لم تفرح لفرح الشعب ولم تقدر ان تحبه . ولو كان شارني بجانبها يعزيها ويخرج عقرب الحب التي كانت تعذبها في نفسها فربما كانت قدرت على ان تحب الشعب وتفرح لفرحه

وفي ذات يوم اجتمع فاتحو الباستيل وسألوا الملكة ان تقابلهم فرفضت ذلك . فكان لرفضها اسوأ تأثير

ثم اجتمعت كثيرات من النساء وطلبن مقابلتها فاذنت لهن بذلك ولكنها لم تقرب منهن عند المقابلة بل ابقت بينها وبينهن سلالاً كثيرة موضوعة في القاعة . فتجاوز النساء السلال وان لم يكن ذلك من حقهن واقتربن من الملكة

وكانت العادة ان تخطب واحدة من النساء فانبرت احداهن وقالت انني ارجو من جلالة الملكة ان تسمع لي نصيحة . فقالت الملكة وما هي . فقالت المرأة ان تبعد جلالتك من حولك جماعة المتزلفين الذين يكرهون الشعب اليك وان تحبي الباريزيين ياسيدتي فانهم لم يروك منذ عشرين سنة قضيتها في فرنسا سوى اربع مرات

فاجابت ماري انطوانت بهيئة خطيرة . تقولين هذا القول ايتها السيدة لانك لا تعرفين قلبي . فانا احببت الباريزيين في فرساليا كما احبهم الآن

فاجابت امرأة ثانية على الفور . هل من الحب ان تأمري الجنود بمحاصرة الباريزيين في ١٤ يوليو وباطلاق المدافع عليها . هل من الحب ان تهتمي في ١٦ اكتوبر بالهرب الى الحدود بحجة انك ذاهبة الى تريانون

فقالت الملكة هل صدقتم هذه الاشاعات الكاذبة التي يذيعونها

وفي المساء جلس الملك والملكة ومدام اليزابت يتحادثان ويذكران حوادث النهار وكان ولي العهد واقفاً بازائهم فاخذت الملكة تذكر للملك كلمة قالها ولي العهد حين دخول النساء عليها . فانه قال "ما هذا يا اماه هل يحدث اليوم ما حدث امس" يعني هجوم الشعب على قصر الملك في فرساليا

فلما سمع ولي العهد انهم يتكلمون عنه صار يعجب بنفسه ككل ولد يجد أن اهله او الناس يهتمون به فتقدم من الملك ابيه واخذ يتأمل في وجهه ويفتكر فقال له الملك . ما لك يالويس . فقال الولد اود يا ابتِ ان اسالك سؤالاً جدياً . فاخذ الملك الولد اليه وقال له سل ماذا تريد . فقال الولد اريد ان اعرف لماذا غضب شعبك منك مع انه يحبك وماذا عملت حتى اغضبته

فالتفتت الملكة الى الولد وقالت له بلهجة التوبيخ لويس ما هذا

فقال لها الملك دعيه فانني ساجاوبه جواباً يستطيع فهمه ثم قال للولد

" انني اردت يا بني ان انفع الشعب واجعله اكثر سعادة وهناء فاحتجت لذلك الى

المال لان مال الخزانة نفد بسبب نفقات الحروب فطلبت من شعبي ان يعطيني المال اللازم مقتديًا في ذلك باسلافي فعارض اعضاء البرلمان في ذلك وقالوا ان للشعب وحده الحق في تقرير دفع المال الذي اطلبه . فجمعت في فرساليا من كل مدينة رؤوسها في الشرف والمال والعقل . فلما اجتمعوا طلبوا مني مطاليب لا استطيع اجابتهم اليها لا من اجلي ولا من اجلك انت الذي ستكون خلفًا لي . فقام يومئذٍ اناس اشقياء اثاروا الشعب عليّ وهيجوه كما رايت في الحوادث الاخيرة ومع ذلك يابني فيجب الصفح للشعب ونسيان كل ما يعمله

وكانت الملكة هادئة ساكتة ولكنها لما سمعت الملك يوصي ابنه بالصفح عن الشعب ونسيان اعماله ثار الغضب في نفسها لانها كانت تود ان تعلمه ان لا يصفح ولا ينسى بل ان ينتقم حينما يجلس على كرسي المملكة

كأن هذه المسكينة كانت ضامنة ان ابنها سيجلس على كرسي المملكة

وفي اليوم التالي بعث المجلس البلدي والحرس الوطني يسالون الملكة والملك ان يظهروا في حفلة عمومية ليعلم الشعب انهما مسروران باقامتهما في باريز وانهما يقيمان فيها طوعًا لا كرهًا

فاجابت الملكة انها لم تنسَ بعد حوادث فرساليا وان نسيانها يقتضي وقتًا طويلاً ولذلك فانها لا تستطيع ان تجيبهم الى دعوتهم

فعجب الناس من هذا الجواب لانهم كانوا قد نسوا كل شيء واستغربوا ان تكون الملكة حاقدة عليهم ولم تنسَ نسيانهم

الفصل السادس عشر

رسم شارل الاول

ولم يستقر الملك في التويلري حتى ذكر الدكتور جيلبار وصدق خدمته فامر الحراس بادخاله عليه عند وصوله الى القصر حين تجيء نوبته

فلما جاءت نوبة الدكتور جيلبار في الاقامة في قصر الملك طبيبًا له ادخلوه الى غرفة الملك في ذات يوم فرأى جيلبار الملك يخطر في الغرفة منكرًا وهو يقف الحين بعد الحين

امام رسم كان معلقاً بالحائط . وكان الملك مشتغل الفكر بهذا الرسم الى حد انه لم يعلم بقدوم الدكتور مع دخوله الى الغرفة

ولكن جيلبار لم يلبث ان تعمد الحركة في الغرفة لينبه الملك اليه لانه لا يجوز له ان يخاطبه اولاً فالتفت الملك للحركة ولما ابصر الدكتور قال له . هذا انت ايها الدكتور تعالَ فقد جئت في حينك . ثم اخذه من يده واوقفه امام الرسم وسأله هل تعرف هذا الرسم يا دكتور فقال الدكتور نعم انه رسم شارل الاول ملك انكلترا الذي مات قتلاً ولكن من وضعه هنا (١)

فقال الملك هذا امرٌ حيرني فانني اعرف ان هذا الرسم موجود في فرساليا فمن جاء به الى هنا . لا اعلم

اما الرسم المذكور فهو نفسه الآن في متحف اللوفر في باريز وهو يمثل الملك شارل الاول في فراره الى ايكوسا واقفاً امام جواده وخادمه قابض على عنان الجواد ووراءهما البحر . اما راسم هذا الرسم فهو المصور فنديك المشهور الذي صوره باتقان لا مزيد عليه حتى ان واحداً من رجال الانكليز اقترح على الفرنسويين ان يبيعوه اياه فيعطيهم ثمنه مقداراً من الذهب كافياً لتغطية الرسم كله مع كبره واتساعه

فقال الملك لجيلبار بعد سكوت هنيهة . انني اعهدك يا دكتور ممن يقولون الحقيقة ولا يخشون فيها لومة لائم فقل لي ماذا تفتكر وانت تنظر الى هذا الرسم

فانحنى جيلبار وقال اتطلب جلالتكم مني ان اقول كل الحقيقة . فقال الملك نعم اطلب ذلك . فقال الدكتور اذن اسأل جلالتكم انا ايضاً ماذا شعرتم حينما نظرتم الى هذا الرسم قبل دخولي فاني رايت جلالتكم حين دخولي كثيرة الاهتمام به . فقال الملك انني حين مشاهدة الرسم قلت في نفسي : ان الملك شارل الاول لم يُقتل الا لانه حارب شعبه . والملك جاك الثاني لم يفقد عرشه الا لانه اتعب شعبه

فقال جيلبار ان هذا الكلام كلام بليغ يامولاي . فقال الملك وبعدُ . قال جيلبار ولكنه يقتضي جواباً فماذا اجبتم عنه في نفسكم . اسددتم اذنكم عن هذا الصوت الذي

---

(١) شارل الاول — هو ملك من ملوك اسرة ستوارت ولد سنة ١٦٠٠ وجلس على تخت انكلترا في سنة ١٦٢٥ وقد ثار الشعب عليه لشدة ظلمه فلجأ الى ايكوسه فراراً منه فسلمه الايكوسيون الى حزب كروموبل فاعدموه في هويت هل في سنة ١٦٤٩

نطق الرسم به ام سمعتموه . فقال الملك كن مطمئناً يا جيلبار فانني لم اعزم على امر بعد

فقال جيلبار ولكن الشعب يامولاي يخاف من ان تعزموا على محاربته ومقاومته

فهز الملك راسه وقال . كلا كلا . فليكن الشعب مطمئناً لانني لا احاربه ابداً . ومع ذلك فكيف احارب الشعب بغير مساعدة الاجانب واسمع حكمي في الاجانب لانك قد اصبحت منا فلا اخفي عنك شيئاً . ان ملك بروسيا اقترح عليّ ان ينجدني بمائة الف جندي لكبح جماح الشعب واعادة النظام ولكنني احذر كل الحذر طمع هذه المملكة البروسية الصغيرة التي تتطاول لان تكون كبيرة ولذلك فانها تثير عوامل الشدة في كل الجهات لتصطاد في المياه العكرة . وقد اقترحت عليّ النمسا ان تنجدني بمائة الف جندي ايضاً ولكني لا احب ملكها ليوبولد لانه ذو وجهين ولسانين . اما شقيقي الكونت دارتوى فانه اقترح ان تساعدني اسبانيا وسردينيا وانا احذر الجيش الذي يقوده الكونت دارتوى ولا اثق به . بقيت كاترين العظيمة امبراطورة روسيا ولكن هذه اكتفت بالنصائح لانها الآن مشغولة بقتل بولونيا وافتراسها . واما نصيحتها فهي هذه " يجب ان لا يعبأ الملوك بصراخ الشعب وهياجه بل يجب ان يسيروا في طريقهم دون التفات اليه كما ان القمر يسير في طريقه دون ان يلتفت الى عواء الكلاب » ولكنه يظهر ان الكلاب في روسيا تكتفي بالعواء فقط اما كلابنا نحن فانها كلبة تعض . سلوا عن ذلك ديشوت وفاريكور

فقال جيلبار واذا كان الشعب يامولاي لا يخشى من ان تحاربوه فهو يخشى من ان تفروا من وجهه وتبرحوا فرنسا الى الحدود الاجنبية

فتردد الملك في الجواب . فقال جيلبار اذا كنت قد قلت ما لا يجب ان يقال فانني استغفر جلالتكم والتمس المعذرة منها فقد جرأني اذنكم لي في ان اقول الحقيقة بتمامها

فقال الملك نعم نعم اريد ان تقول الحقيقة بتمامها لان جميع الذين يحومون حولي ويقيمون معي يخفونها احياناً كثيرة عني حتى الملكة نفسها . لا اكتمك يا جيلبار انه خطر لنا فكر الهرب من فرنسا ولكنا عدنا فغيرنا عزمنا من وجه ما . فان الملكة في ليلة ٦ اكتوبر وهي الليلة التي جرى لنا فيها في فرساليا ما جرى الحت عليّ بان اقسم امامها انني اذا فررت لا افرّ وحدي بل آخذها والولدين معي فاقسمت لها بذلك . وهذا الاجمال اصبح مانعاً لفرارنا

فقال جيلبار انني اعجب يامولاي بدقة نظركم واتمنى ان يسمع الشعب كلامكم كما

سمعته الآن فان ذلك يقلل بغض كثيرين و يدفع اخطارًا جمة

فنظر الملك في وجه جيلبار وقال · وهل تُظنهم يبغضونني الى هذا الحد · اما الاخطار التي ذكرتها فانني اعتقد انها قد مرَّت كما تمرُّ سحابة الصيف واعتقادي هذا مبني على شهادات رجال بوليسي

فهزَّ جيلبار راسه وسكت · فقال الملك ما لك لا تتكلم · فقال جيلبار · انا ليس لي بوليس ياذا الجلال لاعلم ما يعلمون ومع ذلك فانني اعلم ان الاخطار التي حدثت انما هي مقدمة صغيرة وان الاخطار الكبرى · الاخطار الهائلة · الاخطار التي تتزعزع لها اسس الارض · قادمة على الابواب

فاصفر وجه الملك لهذا القول · اما جيلبار فقد اراد زيادة التاثير على الملك اقناعًا له فقال · وانني اضرب لحالتنا مثلاً ينطبق على الحقيقة كل الانطباق · نحن الآن كجماعة قائمين على بركان مضطرم · وقد زلزلت بنا الارض لاول مرة من حركة البركان فسلمنا من هذا الزلزال ولكن بقي امامنا انفجار البركان علينا وخروج حممه وناره ودخانه الينا · فيجب ان تستعد لمحاربة هذه المواد المهلكة

فقال الملك مفكرًا تقول انه يجب محاربتها ولكن لو قلت ان نفرَّ منها لكنت أشد قربًا من الصواب

فقال جيلبار كيف الفرار يامولاي

فقال الملك لقد اسمعتك الآن رايي في مسالة المحاربة والفرار · فانني لا احارب شعبي قط على يد اجنبي · اما الفرار فانني لا اعتمد عليه الا اذا رايت حياة الملكة وولدي في خطر اما حياتي انا فلا اسأل عنها ولا اعبأ بها

فابرقت هنا عينا الدكتور جيلبار وقال · دعني يامولاي اجثو على قدميك واشكر لك عن جميع الوطنيين هذه الافكار السامية · ولكن ما الذي يحوجنا الى الاجانب لمحاربة اعدائنا في الداخل اذا كنا نستطيع ذلك بانفسنا · اجبني يامولاي انك تخشى من الثورة ورجالها اليس كذلك · فقال الملك نعم اخشى ذلك · فقال جيلبار ولكن لديَّ طريقتين لانقاذ الملك وفرنسا معًا من هذا الامر · فقال الملك اذكر لي هاتين الطريقتين ايها الدكتور تستحق شكري وشكرها معًا · فقال جيلبار اما الطريقة الاولى فهي ان تضع نفسك يامولاي في مقدمة رجال الثورة وتمشي امامهم في طريق الاصلاح · فقال الملك ولكنهم يدفعونني امامهم الى حيث لا يمكنني الوصول و يجعلونني اصنع ما اكره صنعه

فقال جيلبار كلا كلا يامولاي لانك تستعين عليهم حينئذٍ بالطريقة الثانية التي هي وضع الشكيمة لهم · فقال الملك مستغرباً وما هذه الشكيمة

فقال جيلبار هي شكيمة الشهرة والعقل

فقال الملك وما هي

فقال جيلبار هي : ميرابو

فلما لفظ جيلبار هذه الكلمة نظر اليه الملك نظرة من لم يصدق بانه قال ما قال

الفصل السابع عشر

ميرابو

خطيب الثورة الفرنسوية واشدّ عواملها

فعلم جيلبار من نظرة الملك انه يجب ان يستجمع قواه كلها لمباحثة الملك بحثاً شديداً فقال وهو ينظر الى الملك · نعم ميرابو يا ذا الجلال · يجب استمالة ميرابو

فالتفت الملك باسماً الى رسم شارل الاول الذي كان هناك وقال — ما كنت تقول يا شارل الاول لو انهم اشاروا عليك والارض تزلزل تحت قدميك ان تعتمد على كروموبل

فاجاب جيلبار لا ريب ان شارل كان يرفض ذلك كل الرفض ويكون مصيباً في رفضه ولكن شتان بين كروموبل وميرابو

فقال الملك ان كنت تعتقد بذلك فانا لا اعتقد به اذ ليس للخيانة درجات لدي بل هي درجة واحدة فالخائن يكون خائناً في اعتقادي سواء كانت خيانته صغيرة او كبيرة

فاجاب جيلبار باحترام نعم ولكن كروموبل وميرابو يامولاي ليسا بخائنين فرفع الملك راسه وقال كيف ذلك · فقال جيلبار وانما احدهما رجل متمرد والثاني نبيل ساخط · فسال الملك ولماذا سخط ميرابو · فاجاب جيلبار · انه ساخط من كل شيء · من ابيه الذي سجنه في قصر ايف و فنسان · من المحاكم التي حكمت عليه مرة بالاعدام · من الملك الذي لا يعبأ بعقله ومواهبه

فقال الملك بحدة ولكن مواهب الانسان انما هي استقامته

فقال جيلبار ما احسن هذا الجواب · ولكن الخبرة من سوء الحظ لا تؤيده · افكان مستقيماً اغسطس يوم اقتسم العالم مع ليبيد وانطوان ثم فتك بالاثنين لينفرد بالسلطة على

العالم . اكان مستقيماً شارلمان الذي سجن اخاه كارلومان في احد الديور ثم رغبةً في التخلص من خصمه و بتيكند الذي كان رجلاً عظيماً مثله امر بقتل جميع اولاد السكسونيين الذين يتجاوز طولهم طول سيفه . اكان مستقيماً لويس الحادي عشر الذي تمرّد على ابيه لخلعه والذي وان كان قد خاب مسعاه جعل شارل السابع يموت من الجوع اذ كان يخشى ان يأكل طعاماً مسماً . فكان كمن فرّ من الموت الى الموت . اكان مستقيماً ريشليو الذي كان يحدث في السر مؤامرات ليكشف امرها في العلانية برهاناً على مقدرته ورغبة في الزلفى . وهلم جرّاً . فهل كل هؤلاء الرجال العظام كانوا مستقيمين يامولاي

فقال الملك متنهداً . ولكنك تعلم يامسيو جيلبار ان ميرابو من رجال الدوق دورليان فكيف اقدر على استمالته . فقال جيلبار ولكن الدوق دورليان قد سافر من باريز فاصبح ميرابو حرّاً . فقال الملك ولكن كيف تطلب مني ان اثق برجل يبيع نفسه . فقال جيلبار . لذلك طريقة وهي ان تشتريه فانك يامولاي قادر على دفع اعلى ثمن يطلبه فقال الملك ولكنه طماع لا يشبع من المال وربما طلب مليون فرنك . فقال جيلبار اذا كان يرضى بمليون فهو امر هين جداً وثق يامولاي انه يكون اشد نفعاً من اسرة بولينياك التي تاخذ ملايين

فقال الملك بلهجة العتاب : جيلبار فقال جيلبار مراجعاً نفسه عفواً يامولاي اذا كنت قد اخطأت واذا كان الملك يامرني بالسكوت فانني اسكت . فقال الملك بل تكلم فقال جيلبار قد تكلمت يامولاي . فقال الملك فلنبحث في كلامك قال جيلبار وهذا احبُّ الامور اليَّ لاني اعرف من شؤون ميرابو بقدر ما اعرف من شؤوني . فسأله الملك هل هو صديقك . فقال ليس لي هذا الشرف يامولاي ومع ذلك فليس لميرابو الا صديق واحد وهو الكونت دي لا مارك من اصدقاء جلالة الملكة . فقال الملك اعرف ذلك وقد عيرناه بصادقته غير مرة . فقال جيلبار بل يجب يامولاي ان تحكموا عليه بالاعدام اذا كان يترك هذه الصداقة الثمينة . فقال الملك ولكن ما الفائدة لنا من رجل وضيع النسب كالمسيو ريكيتي ميرابو

فقال جيلبار ان ميرابو ليس بوضيع النسب يامولاي لان اسرته تنتهي الى القرن الحادي عشر ومن قواعد الشرف لدى الملوك اسلاف جلالتكم ان يعتبروا الشريف شريفاً اذا كانت عائلته لا تنتهي الا الى القرن الرابع عشر فقط

اما فائدتنا منه فهي انه قادر على ايقاف تيار الشعب بسحر كلامه وقوة بيانه .

فقال الملك ولكنهم ابلغوني انه ليس بذي نفوذ الى هذا الحد فقال جيلبار ومن ابلغك ذلك يامولاي · فقال الملك رجالي الذين حولي فهز جيلبار راسه وقال ان لهؤلاء غرضاً يامولاي · فقال الملك مدهوشاً وما غرضهم من الوشاية بميرابو الي؟ فقال جيلبار

غرضهم غرض اصحاب العقول الصغيرة الذين يكرهون اصحاب العقول الكبيرة فان رجلاً كميرابو اذا اصبح قريباً من عرش الملك لم يبقَ احدٌ من اولئك الرجال يجترئ على ان يقرب العرش · ذلك لان ميرابو من اعاظم البشر الذين اذا دخلوا الهيا كل طردوا الباعة منها · اذا اصبح ميرابو من رجالك يا مولاي فقل قد قُضي على رجالك · قُضي على المتملقين المتزلفين الذين يعيشون بالكذب من فتات خبزك · واشرق يومئذٍ للملكية فجر جديد · فماذا يهمك يا مولاي ما يقال عن ميرابو واسرافه وشهواته · خذه اليك · ادفع ما عليه من الديون التي قدرها نصف مليون فرنك · امنحه فوقها مليوناً بل اثنين بل ثلاثة بل عشرة اذ اراد · واجعله بعد ذلك مستشارك بل وزيرك واسمع ما يقوله لك صوته القوي ثم انقل قوله الى فرنسا واوربا والعالم اجمع · ولا تؤخر ذلك يامولاي · لا تؤجله الى وقت آخر فانه ربما ملّ ميرابو الانتظار وغضب من اهمالك اياه فينصرف عنك الى اعدائك

فقال الملك ولكن الم ينصرف عني اليهم الى الآن · فقال جيلبار كلا يامولاي فانه منصرف عنك في الظاهر ولكنه يعتقد في الباطن بانك ستطلبه وتقربه منك · واعتقاده حق لان ملوك العقول يجب ان يكونوا اعواناً لملوك الامم · اتعلم يامولاي ماذا سمعوه يقول في ذلك اليوم في اثناء كلامه على الحالة السياسية الحاضرة · ان هذا الرجل يقرأ في صفحات المستقبل بدقة عجيبة

فاجاب الملك كلا لم اسمع شيئاً · فقال جيلبار لقد سمعوا ميرابو يقول في جلسة ٢١ يونيو وهو يفرك يديه اسفاً « ان هذه الطريق تؤدي الى اعدام الملك » وقال بعد ذلك بثلاثة ايام « ان هؤلاء الاعضاء لا يعلمون انهم يحفرون لغماً هائلاً تحت اقدام الملكية فانهم اذا استمروا في هذه الطريق فان الملك والملكة يقتلان والشعب يصفق طرباً فوق جثتيهما »

فاصفر وجه الملك وارتعدت فرائصه لهذة النبوءة ثم انصرف وجهه بالرغم عنه الى رسم شارل الاول · وبعد ان تردد هنيهة التفت الى جيلبار وقال · ساحادث الملكة في هذا الشان يامسيو جيلبار لعلها ترضى باستدعاء ميرابو ومحادثته اما انا فانني لا احادثه ولا اضع

يدي في يده ولو فقدت عرشي وحياتي

وحينئذٍ دخل حارس وقال للملك ان الشخص الذي ينتظره جلالة الملك قد حضر . فعلم جيلبار انه يجب عليه الخروج من حضرته فانحنى باحترام وقال وهو يتأهب للخروج . أأعتبر نفسي مغلوباً يامولاي ام يبقى لي شيء من الامل . فقال الملك قد قلت لك يامسيو جيلبار انني سافتكر بذلك واحادث الملكة بهذا الشان . فقال جيلبار الامر لجلالتكم ولكنني اسالكم ان لا تخرجوا رسم شارل الاول من هذه الغرفة فانه خطيب بليغ . ثم خرج من لدن جلالته

وفي خروجه ابصر رجلاً داخلاً فتامله فاذا هو المركيز دي ففراس الذي تنبأ كاليوسترو عنه انه سيشنق في ساحة الاعتصاب في باريز

الفصل الثامن عشر

مشروع الفرار

وكان المركيز دي ففراس من نبلاء ذلك الزمان . من اولئك النبلاء الذين يرعون قواعد النسل والشرف مع الملوك ومع رؤسائهم ويدفعون عنهم دفاعهم عن انفسهم

فلما مثل المركيز في حضرة الملك لاطفه جلالته وحادثه فابلغه المركيز انه مرسل الى جلالته من قبل سمو شقيقه الكونت دي بروفنس ليكون في خدمته . فشكره الملك ولما طال الحديث بينهما قال له الملك ساذكرك ايها المركيز حين سنوح الفرصة . وكان هذا القول بمثابة امر له بالخروج

فدهش المركيز لانه كان يتوقع ان يحادثه الملك في امر هام فقال للملك . اهذا كل ما تطلبه مني جلالتكم

فاجاب الملك نعم هذا كل ما اطلبه

ولكن الملك لم ينه بهذه الكلمة حتى تحرك الستار الموضوع على باب داخلي حركة عنيفة وقال منه قائل بصوت قوي . بل بقي لجلالتكم شيء آخر . فالتفت الملك فابصر الملكة

وحينئذٍ دار بين الملك والملكة حديث طويل بشان الهرب من باريز الى الحدود الاجنبية فراراً من الموت او الاسر . فعارض جلالته في هذا المشروع فغضبت الملكة وصاحت به . الا تذكر يامولاي ان الباريزيين قادرون في كل ساعة على الهجوم علينا

وقتلنا واسرنا

فنظر اليها الملك نظرة شديدة دلت على انها خرجت عن حدود الواجب في كلامها فراجعت الملكة نفسها امام المركيز دي ففراس وقالت ومع ذلك فلماذا الح عليك ياذا الجلال فانك الآمر المطاع فينا فلك الامر في هذا المشروع

فاجابها الملك اننا نفتكر في هذا الامر ايتها السيدة اما الآن فلم يات وقته بعد

وبناء عليه خرج الماركيز دي ففراس من لدن الملك وكانت الملكة قد بعثت تطلبه ليضع خطة لفرار الملك الى مونمادي او الى بروكسل فاخفق سعيه كما تقدم

ولكن لم يخرج المركيز دي ففراس حتى عاد الغيظ والحنق الى الملكة فالتفتت الى لويس السادس عشر وقالت بنزق . آه ياسيدي انني لما علقت رسم شارل الاول في غرفتك حسبت ان منظره كاف لان يعظك ويجعلك تعتبر

ثم انها القت نظرها الى ما حولها فرات آثار زائر فقالت للملك . اظن ان جلالتكم قد قابلت في هذا الصباح رجلاً آخر غير المركيز ففراس

فاجاب الملك نعم قابلت الدكتور جيلبار فهزت الملكة راسها وقالت وما رايه في مشروع الهرب . فقال رايه كرايي . فقالت الملكة غضبى . ولكن اذا كان هذا الرجل يشير عليكم بالعدول عن مشروع الهرب فلا بد انه يكون قد نصح لكم بامر يقوم مقامه

فقال الملك نعم قد نصحني بان نشتري ميرابو . فسالته الملكة ولكن ما الثمن . فاجاب الثمن ٦ او ١٠ ملايين .. وبسمة منك

فظهرت حينئذٍ على وجه الملكة لوائح الافتكار والتامل الشديد . ثم قالت . ربما كانت هذه الطريقة طريقة نافعة . فقال وهل ترضين بها . فقالت لا اجيبك لا سلباً ولا ايجاباً حتى افتكر . فدعني افتكر فيها

ثم خرجت وهي تفتكر فيها

الفصل التاسع عشر

الملك والكونت دي شارني

مشروع الفرار

وما خرجت الملكة من لدن الملك حتى نادى الملك احد الحراس وامره باستدعاء

الكونت دي شارني · فذهب الحارس الى الكونت فلما رآه دي شارني ساله أأنت قادم من قبل الملكة فاجاب الحارس كلا ولكن من قبل الملك فقام الكونت مسرعاً لمقابلة مولاه

وكان الملك قد جلس الى مائدة يأكل فلما حضر الكونت امره ان يجلس حتى ينزع من الطعام لانه معاهد نفسه على ان لا يهتم بشان من الشؤون المهمة وهو يأكل فجلس الكونت على مقعد بازاء الملك فصار الملك يحادثه بشؤون عائلية

فساله عن الكونتس اندري فاجابه انها تعتذر الى جلالتكم عن عدم مقدرتها على الرجوع الى القصر · فحملق لويس السادس عشر في وجه الكونت وقال له هل آلت على ان تعيش خارج القصر فقال الكونت نعم · قال كيف ذلك وهل تفارقنا انت واياها

فاجاب الكونت كلا يامولاي · فانها هي تقيم في قصرها في شارع كوك هيرون وانا اقيم ههنا في خدمة جلالتكم

فزادت حيرة الملك ودهشته فقال له وكيف تعيشان منفصلين هذا الانفصال

فشعر الكونت دي شارني بدمعة تجول في عينيه عند سؤال الملك هذا السؤال ثم انه تنهد وقال هذه ارادة الكونتس يامولاي

ثم فرغ لويس السادس عشر من طعامه فنهض عن المائدة نهوض من اعطى نفسه المادية كل حاجاتها ثم قال لشارني اتبعني الى غرفة اخرى لاحادثك بالشؤون الهامة التي استدعيتك من اجلها

ثم ذهبا الى غرفة شغل الملك ولما دخلا اليها جلس الملك والكونت ثم ان الملك مد يده الى درج سري في مائدة الكتابة واخرج منه كتابا صغيراً مطوياً فوضعه على المائدة ووضع يده عليه ثم التفت الى الكونت وهو يتامل تامل من عزم على اطلاع جليسه على امر خطير جداً وقال له · اني اسالك ايها الكونت سؤالاً وهو · ماذا تحكم على حالتي الآن

فدهش شارني لهذا السؤال الذي لم يكن يتوقع ان يلقيه جلالته عليه وبقي مبهوتاً ساكتاً فاعاد عليه السؤال قائلاً ماذا تحكم على حالتي ايها الكونت وما كنت تصنع لو كنت مكاني · اجبني بلا تردد وصرح لي بالحقيقة بتمامها دون ان تخفي شيئاً عني

فاجاب الكونت حينئذ باحترام انني لا اجسر على الجواب يامولاي لانني خادم من خدمة جلالتكم اجيل كل المسائل التي يتوقف عليها الحكم

فقال الملك . اسمع يا كونت . انني رايت في ليلتي ٥ و ٦ اكتوبر انك تركت الملكة في اثناء حادثة فرساليا وجئت الي تخفر بابي وجعلت اخاك امام باب الملكة

فقال الكونت نعم يامولاي لانني راس عائلتي وراس العائلة يجب عليه ان يحمي راس المملكة

فقال الملك فمنذ تلك الليلة عرفت مبلغ اخلاصك وغيرتك ولذلك اردت الآن ان اخصك بمهمة سرية في غاية الاهمية . ومن اجل هذا سالتك هذا السؤال وهو : ما حكمك على الحالة الحاضرة يا كونت هل انا الآن مولى باريز او اسيرها . ولو كنت مكاني فماذا كنت تصنع

فقال الكونت مع احترامي لجلالتكم يامولاي اقول اني لو كنت مكانكم وكنت قد سمعت ما سمعتموه من هتاف الشعب للافاييت وميرابو حين قدومكم من فرساليا الى باريز لمددت يميني الى لافاييت ويساري الى ميرابو استميلهما الي

فبهت الملك وعجب من انطباق هذا الجواب على ما اشار عليه به جيلبار فيما تقدم ثم قال للكونت كيف تقول يا كونت هذا القول مع كراهتك للاثنين

فاجاب شارني ان الكراهة شيء يامولاي والسياسة شيء آخر . ومن مصلحة جلالتكم الآن ان تفعلوا ذلك حفظاً لعرش المملكة

فقال الملك وهل ان الشعب الآن غاضب مني ومن عرشي . فقال الكونت كلا يامولاي ان الشعب الحقيقي راض عنكم محب لكم . اما رايتموه امس واليوم يهتف لكم وللملكة اشد هتاف . اما الجماهير التي دخلت الى قصر فرساليا فما هي بالشعب الحقيقي وانما هي عصابات يثيرها دعاة الفتنة والاضطراب . فاذا رغبتم في تسكينها وكبح جماحها فاستسلموا الى الشعب الحقيقي الذي يحبكم واتخذوا لافاييت وميرابو عوناً لكم

فقال الملك هذا ما اشار علي به الدكتور جيلبار في هذا الصباح ايضاً . فقال شارني يسرني جداً ان تكون نصيحتي لمولاي منطبقة على نصيحة رجل عظيم الشان واسع العلم كالدكتور جيلبار

فقال لويس السادس عشر فلنفترض الآن امراً آخر وهو . اننا اردنا ان نؤلف وزارة ندخل فيها لافاييت وميرابو فاخفق سعينا فماذا يبقى علي

فبهت الكونت قليلاً ثم قال يبقى على جلالتكم بعد ان تكونوا قد صنعتم كل ما يجب صنعه ان تسعوا في انقاذ جلالة الملكة وولديكم

فقال لويس السادس عشر تعني ان نفرّ من باريز

فقال الكونت اعني ان تلجئوا الى قلعة حصينة على الحدود مثل متزاو ننسي او ستراسبورج لتكونوا في مامن من ثورة الثائرين

فاشرق وجه الملك عند هذا الكلام . ثم سأل شارني . وهب انني رضيت بذلك فاي قائد من قوادي تراه احق بان يدبر هذا الامر ويتولى حراستي . فأجاب شارني لا استطيع الجواب يامولاي لان جميع قوادنا ابطال امناء . قال ولكن لاتخف ان يؤثر قولك على عزمي . انظر هذا الكتاب فانني قد كتبته باسم القائد الذي ساعهد ذلك اليه . ومن ذلك تعلم انني قد عينته فلماذا تخاف من ذكر اسم القائد الذي تراه جديرًا بهذه المهمة

فقال شارني اني ارى الجنرال دي بوليه حاكم متس رجلاً امينًا وقائدًا عظيمًا يامولاي . فضحك لويس السادس عشر ثم تناول الكتاب الذي كان تحت يده وقال لشارني لقد حذرت ايها الكونت الشخص الذي وضعت ثقتي فيه . ثم اراه عنوان الكتاب

فابتلت عينا شارني بالدمع اعتزازًا وابتهاجًا

ثم قال لويس السادس عشر لشارني . اسمع يا كونت انني لا اخفي عنك شيئًا لانني عرفت مبلغ اخلاصك . لقد عرضوا عليَّ جملة مشروعات للفرار من باريز . منها مشروع الفرار ليلة ٦ اكتوبر . فقال شارني قد علمت بهذا المشروع فقال لويس السادس عشر ومنها مشروع المسيو برتوبل . فسكت دي شارني . فقال لويس السادس عشر ما لك لا تتكلم . فقال شارني ان المسيو برتوبل رجل النمسا وساعدها فاخشى يامولاي ان اسوءكم بالكلام عنه

فانحنى لويس السادس عشر صوب شارني وقال . لا تخف شيئًا يا كونت فانني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت

فارتعدت فرائص دي شارني لهذا الكلام . واما لويس السادس عشر فقال . كونت كونت انني لا احب النمسا اكثر مما تحبها انت بل انني اقول بصراحة انني اكره ماري تريزه التي دست السم لابي والتي ارادت التسلط على فرنسا بواسطة الارشيدوقة ماري انطوانت

ولا يخفى ان الارشيدوقة ماري انطوانت هي الملكة

الجامعة

الجزء ٢٢ و٢٣ و٢٤ السنة الثانية

الاسكندرية في (افريل) سنة ١٩٠١ — محرم سنة ١٣١٩

﴿ عجيبة الموسيقى في هذا الزمان ﴾



(بيبينو رودريكيز اربولا)

﴿ صبي صغير اشهر الموسيقيين اليوم ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

نابغة في فنّ الموسيقى

(بيبيتو رودريكيز اريولا)

سبقه موزارت . تاريخه وكيف ظهرت مواهبه . صفاته واخلاقه . قوته في الموسيقى . بيبتو والسلام الحميدي . عرضه في معرض باريز وراي البوذيين فيه . اشراق شمسه حين افلت شمس فردي . نتيجة ادبية

ان الامر الذي نقصه على القارىء في هذا الفصل امر مفرد لا شبيه له في تاريخ فن الموسيقى منذ انشاء العالم . فانه لم يُسمع حتى الآن ان ولداً في العام الثاني من عمره يوقع على آلات الموسيقى انغاماً قديمة ويبتكر انغاماً جديدة من غير ان يتعلم فن الموسيقى . نعم ان (موزارت) استاذ الموسيقيين بدأ بالتوقيع وهو في العام الرابع ونصف من عمره وغيره من مشاهير الموسيقيين بدأُوا يوقعون الانغام في الخامسة والسادسة ولكنهم كلهم كانوا قد تعلموا التوقيع او حضروا تعليم اخوتهم . اما الولد الذي نحن الآن في صدده فانه لم يتعلم قط على يد استاذ فضلاً عن انه بدأ يوقع الالحان وعمره عامان ونصف . ولذلك تنبأ العارفون بانه اذا استمرَّ نمو هذا الولد بحسب الطبيعة والفطرة فانه لا يبلغ سن الرجال حتى يصبح اكبر موسيقيٍّ في العالم

***

❋ ترجمته وكيف ظهرت مواهبه ❋ واسم هذا الصبي (بيبيتو رودريكز اريولا) وقد ولد في ١٤ دسمبر من عام ١٨٩٦ في بلدة (كورونا) في اسبانيا وهو وحيد لامه . وقد توفي ابوه في عام ولادته وكان رجلاً مشهوراً بقوة الذاكرة ولكنه لم يكن ذا ميل للموسيقى . اما امه فانها كانت تضرب على البيانو وهي في سن الخامسة . وجدته لامه كانت مشهورة بالبراعة في التوقيع على القيثار . هذه حالته من حيث الوراثة

واما الطريقة التي ظهرت بها مواهب هذا الصبي العجيب فقد ذكرتها امه حين عرضته على علماء البسيكولوجيا في معرض باريز في العام الماضي واليك كلامها بنصه . قالت

« اتاني في ذات يوم من احد اصحابي الموسيقيين رقعة موسيقية جديدة (نوطة) فجعلت اوقعها على البيانو واكرر توقيعها . ومن المحتمل ان يكون الصبي قد انتبه الى اللحن ابان توقيعه واصغى اليه اما انا فلم ادرِ بانتباهه واصغائه . وكان له يومئذٍ من العمر عامان ونصف

« ففي صباح احد الايام كنت في غرفة مجاورة للقاعة التي فيها البيانو فسمعت في هذه الغرفة يداً توقع اللحن المذكور وكان التوقيع في غاية المهارة فهرعت لارى الشخص الذي دخل بيتي واخذ يوقع على البيانو من غير استئذاني . فلما اطللت من باب القاعة وجدت ابني في القاعة وحده وهو جالس على مقعد البيانو ويداه عليه (كما ترى في الرسم) فلما رآني صار يضحك ضحكاً شديداً ثم قال « كوكو . ماما » اما انا فاعتقدت لاول وهلة بحدوث عجيبة سماوية حقيقية »

ومنذ هذا الوقت صار الولد يصغي الى الالحان التي توقعها امه ويوقعها بعدها بنفسه . والامر الغريب انه لم يكن يكتفي باعادة توقيع ما يسمعه بل كان يبتكر من عنده انغاماً جديدة في غاية الصحة كأن نفسه مع صغرها ينبوع موسيقي يستخرج منه ما شاء استخراجه منها . وقد اشتهر امر هذا الولد في وطنه فقصده في ٤ دسمبر من عام ١٨٩٩ فريق كبير من الموسيقيين ورجال النقد فوقع الصبي امامهم على البيانو توقيعاً اعجبوا به ودهشوا له بالنظر الى سن صاحبه . وكان عمره اذ ذاك ثلاث سنوات فقط . وفي ٢٦ منه طلبت ملكة اسبانيا والملك ابنها ان يجيء بيبيتو الى القصر ليسمعوه فجاءت به امه الى مدريد فوقع امام الملك والملكة والبلاط توقيعاً مدهشاً . فعانقته الملكة ونباته مراراً وبالغت في توصية امه به . وكان عمره يومئذ ٣ سنوات و١٢ يوماً

***

﴿ صفاته واخلاقه ﴾ اما اخلاق حبيبنا بيبيتو فهي في غاية اللين والسهولة . فانه كما تراه في الرسم صبي لطيف جميل في غاية النباهة كثير الضحك والبشاشة . وهو ذو عينين سوداوين نافذتين تقدحان شرر الذكاء وتدلان على ما وراءهما من كنوز المواهب السامية . وكل حركاته سريعة خفيفة وهو يتأنق فيها تأنقاً ظريفاً

ومن صفاته انه شديد الميل للمزاح والمحادثة والعاب الاولاد . وهو مطيع لامه قلما يعصي لها امراً ولعل ذلك لانها لا تصنع شيئاً يكرهه . وانما يعصيها في حالتين الاولى اذا كان يوقع على البيانو وطلبت امه ان يترك التوقيع وكان لا يروم تركه والثانية اذا كان لا

يروم التوقيع وطلبت امه ان يجلس الى البيانو اكرامًا لبعض الزائرين او السائلين . ففي هذه الحالتين تتخذ الام معه كل الحيل وكل وسائل الاقناع لتحمله على ما تريد . وذلك يصح ان يكون برهانًا على انه لم يتعلم ما يعمله بطريقة التدريس المنتظمة

اما بنيته فانها قوية لم يُصب بها قط وثقله متوسط ولا اثر لتشويه اوضعف في كل بدنه . واما ذاكرته فانها حسنة ولكنها ليست خارقة للعادة

ولم يتعلم بيبيتو القراءة بعدُ وليس له ميل للرسم ولكنه يلذ له كتابة الانغام الموسيقية التي يوقعها . وله فيها طريقة مضحكة لا يفهمها احد غيره وذلك في منتهى الغرابة . فانه يتناول ورقة وقلمًا ثم يرسم بالقلم في صدر الورقة بعض خطوط يقول انها اسم اللحن الجديد الذي اخذ يبتكره . ثم يرسم تحت هذا الاسم خطوطًا اخرى كثيرة ويقول انها اجزاء اللحن المذكور . وحين الفراغ من الرسم يجيل فيه نظره اللطيف مسرورًا بعمله ثم يضعه امامه على البيانو ويقول « اسمعوا لاوقعه لكم » يقول هذا ثم يمد انامله الصغيرة الى البيانو فيوقع عليه لحنًا مبتكرًا جديدًا يدهش السامعين . على انه اذا انطفأ المصباح وهو يوقع وغاب عنه الرسم الذي رسمه فانه يستمر في ايقاعه . وذلك مما يدل على انه يعتمد في الايقاع على الصور التي في نفسه لا على الخطوط التي رسمها على الورقة امامه

***

﴿ قوته في مسائل الموسيقى الثلاث ﴾ ومعلوم ان امهات المسائل في الموسيقى ثلاث : الإيقاع او التوقيع . والحفظ . والابتكار . فالايقاع انما هو تلحين الالحان الموجودة بحسب العلامات الموضوعه لها (النوطات) . والحفظ بقاء صور الالحان حاضرة في الذهن حين الايقاع والا وقفت الانامل او شردت فانتقلت الى لحن آخر . والابتكار بمثابة التصنيف والتاليف في الكتابة وهما عبارة عن ايجاد مادة جديدة

الايقاع — اما قوته في الايقاع فانها محصورة في بيانو امه . اي انه لايستطيع التوقيع على آلة اخرى غيره . واذا وقع على آلة اخرى غلط غلطات كثيرة وذلك لانه أَلف تلك الآلة . وهو يوقع على آلته انغامًا في غاية الصعوبة كنشيد « هابانيره » الغاليسي وقد اتقن « السلام الحميدي » الذي وضعه موزارت الشهير اشد اتقان وبرع في بعض اجزائه براعة عجيبة . ومتى وقعه وقع بيديه معًا واحيانًا تتقاطع يداه على مقاطع البيانو فيكون لها منظر جميل جدًا . ولكن الاجمل منهما منظره حينما يرفع انامله عن البيانو بخفة غريبة في ابان التوقيع ثم يعيدهما اليه بهيئة جدية من غير خلل في التوقيع كما يصنع كبار الموسيقيين .

ولكن من اين تعلم هذه الحركة وكيف اهتدى اليها فان امه لم تصنعها قط ولا تقدر عليها.

وربما شرد عن اللحن في ابان توقيعه فيتوقف هنيهة يجس بها المقاطع ثم يستأنف الايقاع الصحيح كما كان

غير ان ايقاعه لا يزال ناقصاً بالنسبة الى حقيقة الفن وان كان كثيراً عليه بالنسبة الى صغر سنه . وقد سمعه الموسيقيون وسمعوا امه لانها موسيقية كما تقدم فظهر انها ابرع منه فيما يختص بدقة الايقاع وضبط اللحن ضبطاً محكماً ولكنه ظهر منه ان ايقاعه اشجى واوقع في النفس . فانه اذا وقع لحناً محزناً او مفرحاً او عسكرياً او حماسياً وضع في توقيعه نكهة غريبة ولهجة عجيبة لا توجدان في توقيع امه . وكل من نظر اندفاعه وتحمسه ابان التوقيع علم ان يديه الصغيرتين اضعف من ان تطاوعاه على اخراج كل ما في نفسه من الصور الموسيقية العظيمة

الحفظ — اما ذاكرته في الموسيقى فهي قوية مع صغر سنه . فان هذا الصبي الذي لا يتجاوز السنة الثالثة ونصفاً من عمره يحفظ ٢٠ لحناً في ذهنه . وقد حفظها بالسمع فقط من غير تدريب معلم . وطريقة ذلك ان تجلس امه الى البيانو وتوقع امامه لحناً يجهله اربع او خمس مرات ثم تنهض عن البيانو فيجلس الصغير حينئذ مكانها ويوقع ذلك اللحن مثلها او احسن منها . فتامل

ومتى وقع الصغير اللحن مرة رسخ في ذهنه فلم ينسه طول عمره . وهو لا يطيق ان تُصلح امه توقيعه ولا ان تعلمه شيئاً على الطريقة التي تعلمها بل يحب ان يبقى حراً في التوقيع كما يشاء . ولا ريب ان الحق في جانبه فان امه تريد تعليمه بحسب الطرق الصناعية التي تعلمتها اما هو فانه يعتمد في فنه على الطبيعة امه الثانية . بل امه الاولى

الابتكار — اما قوته في الابتكار فقد أشرنا اليها فيما تقدم . فانه اذا جلس الى البيانو واخذ يوقع الالحان عليه تعذر التمييز بين القسم المبتكر الذي هو ابن ساعته في هذه الالحان وبين القسم غير المبتكر منها . ومتى شرع في الابتكار لا يغلق عليه ابداً بل يجد دائماً لحناً جديداً . والالحان التي يبتكرها ذات ثلاثة اقسام : التمهيد والوسط والخاتمة كأنه درس طريقة الابتكار على ابرع المعلمين . ويتخلل هذه الاقسام الثلاثة صور شجية واصوات مطربة يشعر السامعون انها جديدة على آذانهم . غير انه لا يُستفاد من هذا القول ان الالحان التي يبتكرها بيبيتو كاملة لا نقص فيها ولكننا ننظر الآن الى ما يحسنه لا الى ما لا يحسنه لاننا نتكلم عن صبي صغير لم يتقن النطق بعد . ومع ذلك فاننا رغبة في

الدلالة على حقيقة قوة بيبيتو في فنه نقول : لو اخذنا ١٨٠٠ فتى عمر كل واحد منهم ١٨ سنة وجعلناهم يصرفون ستة اشهر في تعلم التوقيع على البيانو دون ان يشتغلوا بامر غير هذا الامر لما قدر واحد منهم بعد الاشهر الستة على بلوغ شأو بيبيتو في الايقاع والابتكار مع ان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات ونصفاً

***

﴿ بيبيتو في معرض باريز ورأي البوذيين فيه ﴾ وكان عمر بيبيتو ٣ سنوات و٧ اشهر و٧ ايام لما عرضته امه في معرض باريز . وقد عرضته على علماء البسيكولوجيا (علم النفس والاخلاق) في المؤتمر الذي عقده في المعرض في ٢١ اغسطس من عام ١٩٠٠ . وكان هذا المؤتمر مؤلفاً من علماء جميع الامم وكلهم من رجال الجد والرزانة والرصانة . فلما دخل عليهم بيبيتو وراء امه اشرقت وجوههم سروراً بالصبي الموسيقي وابتسموا لذلك الجسم الصغير الضئيل الذي كان امامهم يضم نفساً كبيرة في اول ظهورها

وكان في جملة هؤلاء العلماء عالم بوذي من الهند . ومن المعلوم ان البوذيين يعتقدون بالتناسخ او التقمص وهو ان الانسان يتكرر وجوده في المخلوقات من قرن الى قرن . فلما سمع هذا العالم البوذي الحان بيبيتو دهش مع جميع الحاضرين وقال ان هذا الصبي دليل على صحة مذهب البوذيين في التناسخ فان نفس احد اكابر الموسيقيين متقمصة فيه ولذلك يجيد التوقيع هذه الاجادة

هذا ما قاله عالم الشرق . اما علماء الغرب فانهم عجزوا عن تعليل مسالة بيبيتو لان علم البسيكولوجيا لا يزال علماً حديثاً واصحابه يجهلون اكثر مما يعلمون . غير انهم نصحوا للام ان لا تضغط على عقل صبيها بل تتركه ينمو نمواً طبيعياً ليبلغ اشده واشاروا عليها بان لا تعلمه التوقيع بحسب الطرق المالوفة بل ان تطلق الحرية لمواهبه لتتحرك في دائرة خالقتها

***

﴿ نتيجة ادبية ﴾ وخلاصة الكلام ان بيبيتو من جملة العجائب في هذا الزمان . ومن حسن الحظ ان مواهبه آخذة بالنمو وذلك مما جعل الموسيقيين يؤملون ان يروه زعيماً لهم في القرن العشرين . وكانوا قد خافوا ان تقف مواهبه عند حد فلا يتم نموها كما يحدث احياناً لكثيرين من الاولاد الذين يكونون في صغرهم آية النباهة والذكاء فاذا شبوا وقويت الواحهم كانوا اناساً من عامة الناس . وكل واحد منا عرف كثيرين من هؤلاء الاولاد

ولا نريد بذلك اننا رأينا تحت سماء الشرق اولاداً نوابغ كالولد العجيب الذي نحن في صدده وانما نريد به انَّ اولادنا لا ينقصهم الذكاء الطبيعي والاستعداد النظري فيجب علينا الاهتمام الشديد بمساعدة مواهبهم في نموها وان لا نتركهم يشبون همَلاً كالانعام السائمة متخلقين باخلاق الوسط الخشن الذي يعيشون فيه فيقتل ما فيه من اشواك الجهل والفقر ما في نفوسهم من ازهار النباهة والذكاء اذا لم يقتلهم انفسهم بالاهمال وجهل طرق التربية . وما اجدر بنا كلما دخلنا المقابر التي تبتلع في الشرق من الاولاد اضعاف ما تبتلعه في الغرب منهم مع حفظ النسبة بين سكان القسمين ان نقف فوق قبور اولئك الصغار المساكين وقفة ذلك الشاعر اللاتيني القديم الذي كان كلما دخل مقبرة في بلاده قصد قبور الاولاد ووقف عليها ينشد نشيداً بليغاً هذه خلاصته

« في هذه الاجداث الصغيرة اجسام صغيرة لولا الاهمال والفقر لكانت الآن كمصابيح ساطعة في العلم

« تحت هذا التراب اولاد فقراء لو وجدوا وسائل للارتقاء لبلغوا اقصى درجات العلياء

« في هذه الحفرة ايدٍ كانت جديرة بحمل الصولجان . وفي تلك رأسٌ كان خليقاً بحمل اكليل الرئاسة . وفي هاتيك فتى ضاق العالم عن نفسه ولم تسعه غير هذه الحفرة الباردة »

فعسى ان لا يقف على تربة الصبي « بيبيتو » شاعر اسباني ليقول هذا القول الاليم . بل ان يعمر بيبيتو عمراً طويلاً يخدم فيه العالم بمواهبه ثم يموت كما مات «فردي» الايطالي في هذا العام مشهوراً مكرماً . وقد مات (فردي) الشهير في نفس العام الذي ذاعت فيه مواهب بيبيتو فكأنه مات ولسان حاله يقول عنه « انا ذاهبٌ لانه آتٍ » — وهي الكلمة التي قالها لامارتين لما جاء فيكتور هيغو

باب المقالات

سوريا وفلسطين

(بين فرنسا وروسيا والدولة العلية)

السلطان محمد الفاتح و بطريرك اليونان في الاستانة . تخويله السلطة العليا . استقلال روسيا و بلغاريا عنه . الانتخاب الانطاكي . المزاحمة والملاكمة بين اليونان واللاتين في اورشليم . مساعي الجمعية الفلسطينية . فرنسا لا تريد الانصراف من وجه روسيا

عثرنا في احدى المجلات البار يزية الكبرى على فصل لاحد اكابر الكتاب الفرنسو يين موضوعه تنازع فرنسا و روسيا النفوذ في سوريا وفلسطين فراينا من الفائدة تلخيصه للقراء لاطلاعهم على ما يقال عن الدولة العلية العثمانية في البلاد الاوربية . ونحن نلخص هذا الفصل على عهدة كاتبه ونترك للقراء الحكم في صحة الكلام او فساده و يسوؤنا اننا لا نقدر لضيق المجال ان ننقله بحروفه

قال الكاتب تحت عنوان « مسالة بين فرنسا و روسيا في الشرق » ما خلاصته

***

ان الشرق خزانة للامور الماضية . فكل حادثة تحدث فيه يجب الرجوع الى اصلها في الماضي لنتمكن من فهمها او حلها . اذًا فلا يستغربنَّ القارىء ان نعود به الى زمن استيلاء الاتراك على الاستانة او الى ازمنة المسيحية الاولى في كلامنا عن المسائل الهامة التي سيرد الكلام عليها فنقول

السلطان محمد الفاتح و بطريرك اليونان

بعد استيلاء محمد الثاني على الاستانة في عام ١٤٥٣ احسَّ بضعف فرسانه عن حماية السلطنة العظمى التي اقدم على تاسيسها من كل الجهات فراى موادعة الروم (اليونان) ليأمن جانبهم و ينصرف الى الاحتفاظ بملكه الجديد من البلغار بين الذين كانوا يتهددونه في جهة الشمال ومن الفرس الذين كانوا يترصدونه في جهة الجنوب . وكان بطريرك الروم

قد قُتل في كنيسة آجيا صوفيا فأمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب خلف له في الحال فانتخب الروم راهباً يدعى جورج سخولاريوس وسموه البطريرك جناديوس الثاني فاحتفل به السلطان محمد الفاتح احتفالاً لم يسبق له مثيل (١) ومنحه امتيازات تجعله حاكماً مطلقاً في شؤون رعيته اليونان دينياً ومدنياً الا في مسالة الحكم بالاعدام. فسرَّ البطريرك بهذا المقام العظيم وكان يزداد سروره كلما اوغل السلطان الفاتح في فتوحه لان الفتح كان يزيد سلطة البطريرك على البلاد المفتوحة اذ يضم رعيتها اليونان الى رعيته . فاصبح بطريرك الروم في الاستانة في ذلك العهد رئيساً لامة وكانوا يسمونه « روم باشي » اي رأس الروم وصار حيّ الفنار في الاستانة مركزًا سياسياً يلتفُّ حوله اليونان في الروملِّي وآسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وجزائر الارخبيل ومولدافيا (رومانيا اليوم) والفلاخ وبلغاريا وسربيا والبانيا ومصر وسوريا وفلسطين . وما زالت سلطة البطريرك عظيمة بهذا المقدار حتى ثورة اليونان واستقلالهم عن الدولة العثمانية فانشأُوا يومئذ لانفسهم في اثينا كنيسة خاصة بهم

ومنذ هذا الحين بدأ الضعف في سلطة البطريرك المسكوني وزاد الضعف ضعفاً ظهور مناظر عظيم له وهو « العصبية السلافية » اي روسيا

---

(١) ❋ الجامعة ❋ وقد رأينا تفصيل ذلك في الجزء الثالث من « تاريخ الانشقاق » الذي نشره اخيرًا سيادة العالم الفاضل الارشيمندريت جراسيموس مسره رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية فآثرنا نقله لفائدته في هذا المقام وهذا نصه

« من بعد ان اتم السلطان محمد الثاني فتح القسطنطينية سمح للمسيحيين بحرية اقامة شعائرهم الدينية تحت حمايته ممتعين بالامان التام واذ علم ان الكرسي القسطنطيني بلا بطريرك سألهم عن الشخص الذي يريدونه بطريركاً وسر سرورًا عظيماً حين اجابوه انهم يريدون الراهب جناديوس سخولاريوس فاصدر امره بحضوره . ومن بعد البحث والتنقيب وجد اسيرًا عند احد الاتراك في جهات ادرنه . فلما حضر دعاه الى حضرته وخاطبه في جملة مواضيع واثنى على علمه وواسع اطلاعه ومن ثم امر بانتخابه على الاصول المرعية في ايام ملوك الروم . وقد كان ذلك في اواخر سنة ١٤٥٣ او اوائل سنة ١٤٥٤ . فجرى الانتخاب في كنيسة الرسل القديسين وهناك شرطن ودعي جناديوس الثاني . وبعد الشرطونية دعاه السلطان الى غداء على مائدته . فلما مثل بين يديه استقبله بكل ترحاب ومنحه امتيازات كثيرة وسلمه عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم . ثم رافقه الى دار البلاط رغماً عن استرحام البطريرك ان يختصر السلطان هذا التنازل

استقلال روسيا

وكانت كنيسة روسيا قد بقيت الى القرن الحادي عشر خاضعة لبطريركية الاستانة. ففي هذا القرن قام جاروسلاو الاول امير موسكوفيا (الروس) وخول نفسه حق تعيين اسقف لكييف . فقام النزاع الشديد بينه وبين البطريرك وقد طال زمنًا طويلاً . ثم حين فتح الاتراك الاستانة كان ايفانوس الثالث اميرًا على موسكوفيا وكان مقترنًا بحفيدة من الاسرة الامبراطورية اليونانية فلما سقطت هذه الاسرة في الاستانة اعلن ايفانوس الثالث انه وارث عهدها فنادى بنفسه امبراطورًا وزين قصره بالنسر ذي الراسين الذي كان شعارًا لامبراطرة الروم وجمع مجامع مقدسة للبحث في المسائل الكنائسية كما كان يصنع الامبراطرة . وفي القرن التالي لهذه الحوادث اي في عام ١٥٨٨ انشأ الروس بطريركية في موسكو مستقلة عن بطريركية الاستانة كل الاستقلال . ولكنه لما جاء القيصر بطرس الاكبر الغى البطريركية وابلغ هذا الالغاء الى بطريرك الاستانة بعبارات في غاية المجاملة والاحترام . وقد لقب بطرس الاكبر هذا البطريرك في رسالة « ابانا الروحي الكلي القداسة واكبر رعاة الكنيسة » فكان ذلك اعترافًا منه بسلطته ورئاسته . ولكن بطرس الاكبر انشاء مكان البطريركية الموسكوفية التي الغاها مجمعًا مقدسًا (السينودوس الحالي) وجعل نفسه رئيسًا له وللكنيسة الروسية . وهو عمل يناقض بعضه بعضًا . فانه اذا كان خاضعًا لبطريركية الاستانة فكيف يخول نفسه حق رئاسة الكنيسة الروسية والاستقلال بها .

العظيم . وفي الدار كان راس من الجياد السلطانية المطهمة عليه عدة ملوكية مزينة بافخر زينة فاركبه اياه وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوه بكل نظام بعض امامه وبعض وراءه الى كنيسة الرسل واعطاه حرسًا خاصًا من انكشارية جنوده وبالاختصار لم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الا اجراها بل زاد عليها . ولكي يؤيد الامتيازات التي منحه اياها اعطاه البراءة السلطانية ومن مقتضاها ان البطريرك له السلطة العليا على ادارة كل الكنائس والاديرة . وانه له الحق ان يعزل المطارنة والاساقفة . وان الباب العالي بناء على تقريراته يصدر الفرامانات المقتضية . وانه هو الحاكم الاعلى في قضايا الاكليروس وحكمه عليهم نافذ وانها اذا صدرت دعوى على اسقف امام الباب العالي لا يحق له ان يضبطه ويحاكمه بلا رضى البطريرك . وان الكنيسة المسيحية مسموح لها بكل الاملاك والمعابد المعينة منذ القديم لاقامة الشعائر الدينية ولكن لا يسمح ببناء غيرها . وانه لا يغصب احد من المسيحيين على التدين بدين الاسلام الا اذا اراد الشخص بحريته . ثم انه منحه

والصحيح ان بطرس الاكبر كان يريد بذلك القبض على زمام كنيسته وحفظ مكان له في مسائل المسيحية في الشرق ليتداخل فيها كلما اراد المداخلة (١)

انفصال بلغاريا

وكانت المداخلة الاولى بشان بطريركية الاستانة في عام ١٨٦٠ يوم طلبت بلغاريا انشاء كنيسة بلغارية مستقلة. وقد ساعدت روسيا بلغاريا في هذا الطلب لان الاكليروس اليوناني كان كثير الصلف والاستبداد بالشؤون البلغارية . ناذن السلطان عبد العزيز للبلغار في عام ١٨٧٠ بان ينشئوا لهم اسقفية مستقلة فجمع البطريرك في عام ١٨٧٢ مجمعاً عاماً وعرض عليه هذه المسالة فقرر المجمع حرمان الكنيسة البلغارية وقطعها من الكنيسة. فلم يعبإ البلغار بذلك لانهم علموا ان الحرمان لا يستنزل صواعق السماء وهكذا انشأوا

ايضاً حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية المختصة بالاروام بكل انواعها اذا عرضت عليه منهم . ومنحه حقاً مطلقاً ان يحكم في الزيجات وما يتعلق فيها وان يضرب ضرائب على الاكليروس والعوام من ابناء امته للقيام باحتياجات الكنيسة وان يكون عنده قواسة ومحضرون . ومنح الكنيسة الحق ان تتصرف باملاكها واوقافها تصرفاً حراً . وان يكون البطريرك وائمة الدين معفيين من الاموال الاميرية عن هذه الاملاك . وان يكون كل مسيحي مكلفاً ان يوقف في وصيته ثلث ثروته للكنيسة لتستولي عليها بعد مماته . وكل هذه المواد امر بتنفيذها بالقوة عند الحاجة . وبالاجمال جعل البطريرك رئيس ملة الروم لا دينياً فقط بل مدنياً ايضاً . ومثل هذه الحقوق تقريباً منح المطارنة والاساقفة في كل جهات المملكة وامر بانه لا يجوز تقديم شكوى على احد منهم الا امام الديوان في العاصمة برضى البطريرك كما ذكرنا (تاريخ الانشقاق الجزء ٣ صفحة ٣٤٥)

(١) ✱ الجامعة ✱ يقول المؤرخون انه اذا كان السلطان محمد الفاتح قد اصاب في موادعة الروم بعد فتح الاستانة ليأمن جانبهم وينصرف الى ترصد البلغاريين والفرس الذين كانوا يتهددون ملكه الجديد كما تقدم فانه قد اخطاء في منحه الروم في الاستانة نظاماً مدنياً شبيهاً بالاستقلال التام كما ترى في الفقرة المنقولة عن كتاب الانشقاق في هامش هذا الفصل لان هذا النظام الشبيه بالاستقلال جعل اليونان يلتفون حول رئيس واحد دون ان تتفرق لهم كلمة وبالتالي نبه فيهم روح الاستقلال التام ومكنهم من النهوض اليه والحصول عليه

لهم كنيسة مستقلة لا تدعو للبطريرك اليوناني

البلغار والسرب واليونان في البلقان

ولا يزال هذا البطريرك عاملاً على مقاومة الكنيسة البلغارية لان اليونان يخافون البلغار خوفًا شديدًا لقوة هؤلاء وثبات جاشهم وقناعتهم فضلاً عن مساعدة روسيا لهم . وهم يسمونهم «النسل المتهدد» لان البلغاريين يقولون انهم سيكونون العنصر السائد في شبه جزيرة البلقان كلها . واعظم سعي يسعاه الآن البطريرك اليوناني هو عدم زيادة الاساقفة البلغاريين في ابرشياته لانه يخشى ان يزداد عددهم فيتمكنوا من التغلب على العنصر اليوناني وانتخاب واحد منهم للبطريركية المسكونية وهناك المصيبة الكبرى على اليونان لاسيما وانهم يعلمون ان روسيا تطلب ذلك . ومن اجل هذا يكرهونها تلك الكراهة الشديدة . على ان الاساقفة البلغاريين آخذون في الزيادة فان لهم ٨ ابرشيات في البلاد العثمانية وهم يطلبون اربع عشرة ابرشية في مكدونيا وولاية ادرنه . واما سربيا فانها تسعى ايضاً سعياً حثيثاً في الحصول على ابرشيات سربية جديدة في مكدونيا وسربيا القديمة . وهي تطلب من الباب العالي تارة اعادة انشاء بطريركية سربية في ايبك وهي البطريركية السربية القديمة التي انشاها السرب في العصور الوسطى لما كان لهم الحول والطول والتي حرمها بطريرك الاستانة يومئذ وقطعها من الكنيسة . وتارة تطلب منه ان يعترف بجنسيتها في بلاده كما يعترف بسائر الامم . اما روسيا فانها تساعدها في هذين المطلبين كما تساعد بلغاريا في مطالبها . والدولة العثمانية تعطي هذه ما تاخذه من تلك ولذلك لا تنفك احداهما راضية والثانية غاضبة . واما بطريرك الاستانة فانه يقاوم السرب مقاومته للبلغار وقد اضطر البطريرك انثيموس السابع ان يستقيل في عام ١٨٩٧ امام غضب السينودوس في الاستانة لانه تساهل مع السرب في مساله اسقفية

كرسي انطاكية

وكما حدثت مقاومة من جانب الروس والبلغار والسرب كذلك حدثت مقاومة شديدة من جانب بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية . فان هؤلاء البطاركة كانوا لا يالون جهدًا في دفع مطامع البطريرك المسكوني . وقد ساعدتهم على ذلك الخطوط السلطانية التي نالوها والتي تنقض الامتيازات التي نالها البطريرك اليوناني من السلطان محمد الفاتح كما تقدم . ولذلك صارت الدولة تعتبرهم مستقلين في شؤونهم . واما البطريرك المسكوني فهو يعتبرهم مستقلين في داخليتهم ولكنه لا يعتبرهم منفصلين عن سلطته . وبناء على ذلك كان يتداخل في انتخاب البطريرك حين خلو الكرسي البطريركي ويرشح اسماء من قبله

ولكن حدث اخيرًا في كنيسة انطاكية حادث قضى على ما بقي فيها من سلطة البطريرك المسكونية

ثم قص الكاتب هنا قصة الانتخاب البطريركي الذي حدث في انطاكية في المدة الاخيرة . وغني عن البيان انه يعزو الى روسيا هذه الحركة الوطنية كما عزى اليها الحركة البلغارية . وبعد ان اتى على تفاصيل ذلك الانتخاب بدقة قال

الزحام والنزاع في اورشليم

ولكن سعي روسيا لا يقف عند سوريا بل هو آخذ بالامتداد نحو اورشليم (بيت المقدس) وما هذه الحركة التي ظهرت في سوريا الا تمهيد للحركة الكبرى التي ستحدث في اورشليم . ولا يخفى ان لفرنسا في تلك الجهات وغيرها مصالح كبرى عليها صيانتها . فان النزاع مستمر بين الاكليروس اللاتيني والاكليروس اليوناني في البلاد المقدسة . فقد كان القبر المقدس في عام ١٦٠٤ في ايدي اللاتين وقد استطاعت فرنسا في ذلك العهد ان تعيد الى الكثلكة اكثر الابنية المقدسة التي يرجع اصلها الى عصر المسيحيين الاولين . ولكنه ما مر على ذلك ١٥ عامًا حتى اعاد اليونان الكرة على اللاتين فاستصدروا فرامانات موافقة لهم . ثم صارت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كانت سنة ١٨٠٨ فاحترقت يومئذ كنيسة القبر المقدس ونُهبت مدافن امراء اللاتين فاذن الباب العالي يومئذ لليونان ان يعيدوا بناء الكنيسة فبنوها وابقوها في ايديهم واخذوا فوقها خمسة مذابح كانت للاتين . ولا يزال الفريقان الى الآن يتنازعان الاماكن المقدسة مع انه قد ورد في المادة ٦٢ من معاهدة برلين وجوب ابقاء الحالة الحاضرة كما هي وصدرت في سنة ١٨٥٣ فرمانات بوجوب ان يحفظ كل واحد ما في يده دون ان يطمح الى ما في يد غيره

اما اليونان فانهم اكثر من اللاتين اعتداء لانهم يقولون ان في يدهم صكاً من الخليفة عمر بن ابن الخطاب (رضه) يخولهم الامتيازات دون سواهم مع ان (١) هذا الصك مزور (كذا) ويقولون انهم هم وحدهم ورثاء القديسة هيلانة التي بنت كنيستي القبر وبيت لحم لانها يونانية

(١) ﴿ الجامعة ﴾ لم يختلف مؤرخو العرب في مسالة هذا الصك ولكن بعضهم سكت عنها فلم يذكرها وبعضهم ذكرها . ومن الذين سكتوا عنها المؤرخ ابو الفداء حيث قال في تاريخه عند الكلام على فتح بيت المقدس « واما بيت المقدس فطال حصاره وطلب

وكل واحد من الفريقين يتخذ للاستيلاء على ما في يد الآخر طرقاً لا تليق بالمجاورين للاماكن المقدسة . فتارة القوة وطوراً الخديعة وآونة المباغتة . فان بعضهم قد يكنس دهليزاً بجانب كنيسته ويقيم على كناسته سنة فسنة ثم اذا جاء خصمه لكناسته نازعه ودافعه عنه وبعد سنتين يدعي ملكية الدهليز ويضمه الى املاكه . ومنهم من ياتي في جنح الليل ويسد بالحجر والطين باباً لكنيسة خصمه استئثاراً بها . نعني ان كل ما يقع في قبضة واحد منهما يصير ملكه وتسفك الدماء في سبيله . ومن هذا القبيل مسالة المرور في كنيسة بيت لحم وهي المسالة التي يكون لها في كل عام شأن عظيم . وتفصيلها باختصار ان لمغارة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح طريقين الاولى من جهة الجنوب وهي لليونان والثانية من جهة الشمال وهي للاتين . ففي ليلة عيد الميلاد عند اليونان من عام ١٨٩٥ اراد الرهبان اليونان في ابان الاحتفال ان يمروا في الطريق الشمالية التي هي للاتين . فوقف الرهبان الفرنسيسكان في وجوههم ومنعوهم من المرور لئلا يدعوا بعد ذلك ان لهم حق المرور من هناك وهو تمهيد للامتلاك . فتضارب الفريقان وتلاحما ولم يفترقا حتى تداخل البوليس العثماني بينهما . وفي عام ١٨٩٧ تكررت هذه الحادثة وهي تتكرر في كل عام فينقل التلغراف خبرها الى اوروبا لاهميتها وخوف الناس حتى السفراء انفسهم من ان تنضي الى اسوإ العواقب كما حدث في مسالة سرقة النجمة الفضية في بيت لحم في عام ١٨٤٧ فان هذه المسالة لم تنحل الا تحت اسوار سيباستوبول . وكم من الرهبان اليونان والفرنسيسكان قد قتلوا في وسط الكنائس اثناء تنازعهم على ملكية الاماكن المقدسة ولو لم يكن للاتين خصم غير اليونان لقدروا عليهم ولم يعبئوا بهم ولكن روسيا واقفة

اهله من ابي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل الشام بشرط ان يكون عمر بن الخطاب متولي امر الصلح فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر رضي الله عنه الى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه» هذا كل ما قاله ابو الفداء عن فتح بيت المقدس وصلحه . واما الواقدي فقد كتب صفحات جميلة بهذا الشان جاء فيها « فلما سمعت الروم (في بيت المقدس) كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسالونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخرَّ ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم » وقال الواقدي في موضع آخر هذا الكلام الصريح « وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتاباً اي عيداً واقرهم في بلدهم على الجزية »

بالمرصاد وراءهم تشد ازرهم وتساعدهم استناداً الى المادة السابعة من المعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة في عام ١٧٧٤ وفحواها « اعطاء سفراء روسيا حق مباحثة الباب العالي في شؤون المسيحيين في الشرق » . وفضلاً عن ذلك فان الروس مدفوعون بحكم طبعهم الى اورشليم لانهم قوم صادقون في تدينهم خلافاً لليونان الذين ليسوا في شيء من التدين الصادق . ولذلك اخذوا يسعون اليها سعياً حثيثاً

جمعية فلسطين

فبعد حرب القريم عينت وزارة الخارجية لجنة سمتها لجنة فلسطين وعهدت اليها تدبير امور الحجاج الروس . فانشأت هذه اللجنة الابنية الروسية الاولى في اورشليم وجعلت لروسيا قنصلاً فيها . ولكن هذه اللجنة كانت تسير سيراً بطيئاً لا يوافق رغائب الامة فقام بعض من اكابر الروس في عام ١٨٨٢ وانشئوا تحت رعاية الغرندوق سرجيوس « جمعية فلسطين »

وقد ورد في نظام هذه الجمعية انها جمعية دينية لا دخل للسياسة فيها . اما اعضاؤها فهم من اكابر الروس والاكليروس ويغلب فيها العنصر الروسي القديم ولكن كثيرين من الرجال العصريين يهتمون بها ويخدمونها . ومن الصعب ان يعرف الانسان هل ان الجمعية متسلطة على الحكومة الروسية فتجعلها تصنع ما تريد او ان الحكومة متسلطة على الجمعية ورسمة لها خطة تجري عليها . اما غنى الجمعية فلا حد له . لان الروس يتبرعون لها خاصتهم وعامتهم . وقد انفقت لغاية سنة ١٨٩٠ من ١٥٠ الى ٢٠٠ الف روبل في العام الواحد . اما بعد عام ١٨٩٠ فقد زادت نفقاتها لان اعمالها قد تضاعفت ولو شاءت وطلبت المال من الامة الروسية بالحاح لجاءتها الريالات ملايين ملايين

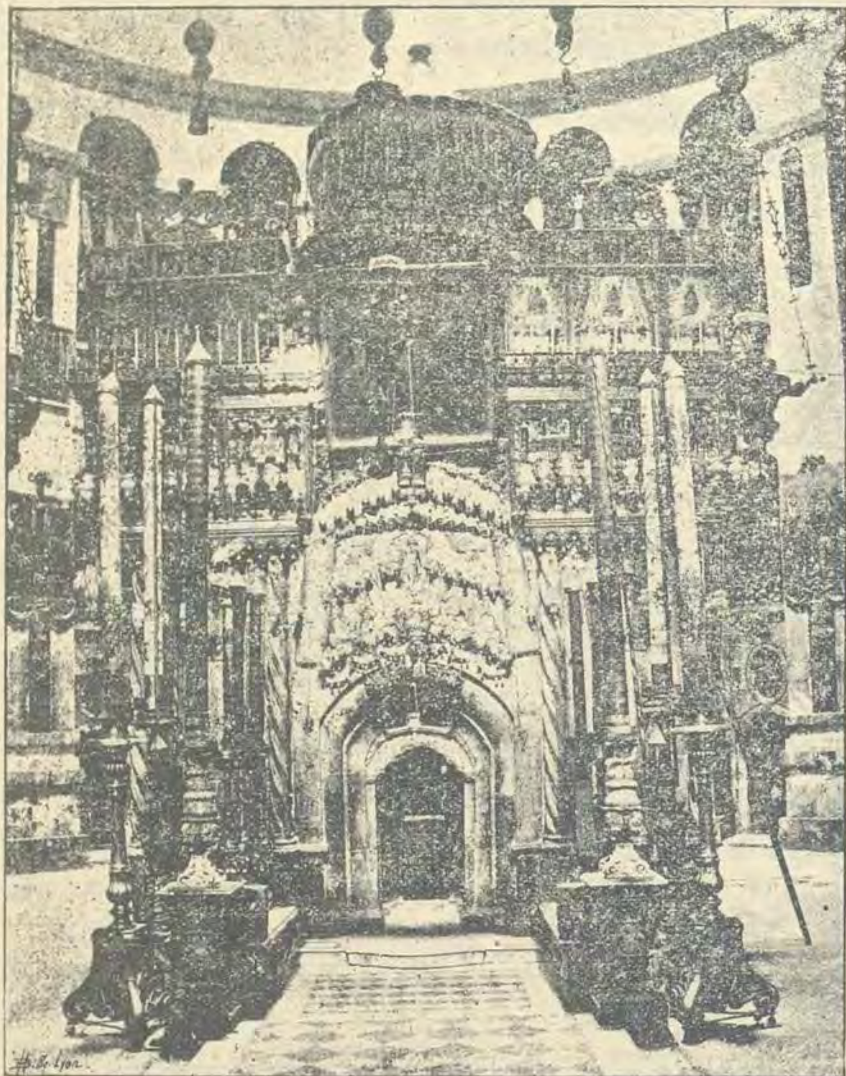
اما غرض هذه الجمعية فهو حماية الحجاج الروس في اوروشليم وحض الروس في روسيا على الحج الى اوروشليم . وقد اخذت تهتم بتعليم اولاد الارثوذكس في فلسطين وسوريا وهي تعلمهم تعليماً روسياً باللغة الروسية وتبعث بعثات علمية الى جميع الاماكن التي فيها آثار مسيحية لاكتشافها وتؤلف الكتب والكراريس في مواضيع مختلفة وتنشرها بلا عد ولا حساب . وقد اكرهت شركات السكك الحديدية والبواخر على انقاص اجورها فصار الحاج الروسي قادراً على الحج من أقصى بلاد الروس الى اوروشليم بمبلغ لا يتجاوز المائة فرنك ذهاباً واياباً . ويفد الى اوروشليم من هؤلاء الحجاج في كل عام عشرة الاف روسي مع انه لا يفد من اللاتين اكثر من ٨٠٠ حاج

اصعد الى سفينة من السفن الروسية التي تقل الحجاج من بلادهم تجدهم جالسين افواجاً افواجاً او وقوفاً يصلون امام ايقونة معلقة في سارية السفينة . وهم يصلون منذ الصباح الى المساء . تقدم منهم وسلهم من اي ولاية جئتم واية قرية قريتكم تَرَهم يترددون في الجواب لانهم يودون نسيان كل شيء وهم على طريق الحج . وقد سألهم مرة احد المسافرين هل نظرتم في طريقكم المناظر الجميلة في البحر الاسود والبوسفور وشواطىء اليونان ومصر فاجابوه « لم ننظر شيئاً لاننا مشتغلون بالصلاة طول النهار »

فهذا يدل على ان روسيا هي الآن في دور ديني يشبه الدور الديني الذي كان فيه الاوربيون ايام الحروب الصليبية . فلا بدع ان تكون مندفعة نحو اورشليم هذا الاندفاع . واول ما يطل المسافر على المدينة المقدسة يعرف قوة روسيا فيها من مجرد النظر اليها . فان قباب الكنائس الروسية في المدينة وفي جبل الزيتون تناغي السماء في علوها . والدار الروسية الكبرى المبنية قرب المدينة تسع اكثر من الفي شخص . وهي اذا بنت شيئاً كبيراً قوياً وعلى الخصوص عظيماً ليستلفت الانظار ويدل على مبلغ قوتها . وقد اخذت في بناء الديور والملاجىء في كل مكان هناك فانشأت كثيراً منها في الجثمانية والناصرة وكل نواحي الجليل . ومع ذلك فانه ليس للروس كنيسة ضمن كنيسة القبر المقدس الكبرى التي تسمى كنيسة القيامة ولم يصلِ كهنتهم في هذه الكنيسة الا منذ سنتين وذلك في كنيسة الجلجلة . انما يقال ان الاحباش سيبيعونهم الكنيسة التي لهم في داخل كنيسة القبر فاذا تم هذا البيع سرّ الروس به ولكن سروراً خفيفاً لانهم يطلبون اكثر من ذلك بكثير

هذا ما يسعون اليه في جهات فلسطين . واما في جهات سوريا فانه لا يوجد كنائس مقدسة للاستيلاء عليها وانما يوجد شعب يجب استمالته اليها . ولذلك تتساهل الجمعية الفلسطينية مع اساقفته وتجعلهم يربحون ارباحاً تقضي عليهم بالتعلق بها . واعظم اعمال الجمعية في سوريا انشاء المدارس فانها تحت فيها وفي فلسطين اكثر من مائتي مدرسة الى الآن اما المدارس التي تدفع لها اعانة فيتعذر احصاؤها

واما التعليم في هذه المدارس فهو باللغة الروسية . وهذا هو الامر الذي ادهش الاهالي وجعلهم يفرون منه . فانهم اعتادوا ان يعلموا اولادهم اللغة الفرنسوية او الانكليزية لما يؤملونه لهم من وراء هاتين اللغتين من المنافع في التجارة او الاستخدام ولكن اللغة الروسية ماذا يصنعون بها واية فائدة منها . فرغبةً في استمالة الاهالي وازالة نفورهم جعلوا يقولون لهم



﴿ مدخل قبر المسيح في بيت المقدس ﴾

وهو داخل كنيسة القيامة الكبرى وعليه الخلاف

بين الامم المسيحية

« لماذا هذا العناد الا تعلمون ان البلاد ستنتقل من يد الى يد بعد عشرين سنة فيصير الناس لا يحكون فيها الا اللغة الروسية »

وللجمعية الفلسطينية مدرستان لاعداد المعلمين والمعلمات واحدة في بيت جعل قرب اورشليم وهي لتعليم البنات وواحدة في الناصرة وهي لتعليم الفتيان ومتى اتم التلامذة دروسهم فيها ارسلوا انبههم الى اودسا ليدخلوا المدارس الكبرى واتخذوا الباقين معلمين ومعلمات في المدارس الصغيرة

وقد يكون مفتشو هذه الجمعية من اكابر رجال الروس علماً ومقاماً وربما كان وكلاء الوزارات انفسهم مفتشين لها يطوفون البلاد لانتقاد مدارسها. ويقولون ان جناب قنصل روسيا الجنرال في دمشق الشام كان من مفتشيها

ولو كانت الجمهورية الفرنسوية قد تخلت عن حماية الكاثوليك في الشرق وعدلت عنها لما جاز لها ان تشكو من وقوف روسيا في وجهها في سوريا وفلسطين ولكن فرنسا لم تعدل عن هذه الحماية ولذلك كثيراً ما حدث ان قناصل روسيا وفرنسا — وهما الدولتان المتصادقتان المتحالفتان يقاومون بعضهم بعضاً في هذه المسائل بشدة وحدة

ومن الغريب ان يعتقد الروس في بطرسبرج اننا قد رضخنا لحكم التقادير وعزمنا على الانصراف من وجههم في سوريا وفلسطين حرصاً على محالفتهم وصداقتهم فاننا لا نرضخ لهذا الحكم واذا كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تنوي الرضوخ له فلتصرح بذلك ليرى كل واحد شأنه اما اذا كانت لا تنوي الرضوخ فيجب عليها السعي في نصرة حزبها والاهتمام به. وليس عظيماً ان ينشأ بين دولتين متحالفتين مسالة كهذه المسالة فان في الامكان عقد اتفاق بشانها وهذا الاتفاق يرضي الفريقين » انتهى

❋ الجامعة ❋ لخصنا هذه المقالة باختصار كثير بسبب ضيق المقام ومراعاة للمكان والزمان ولسنا بحاجة الى القول اننا لا نرى راي الكاتب في كثير من الاقوال التي قالها وانما نقلناها على امل ان تكون نافعة ومنبهة للذين نقلناها لهم وبالله التوفيق

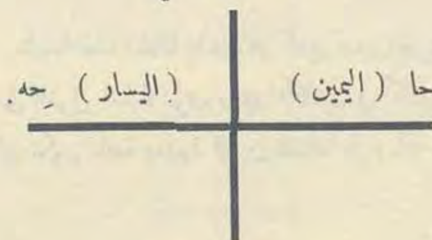
لغة مشتركة بين الانسان والحيوان

يهتم العلماء منذ القديم بوضع لغة عامة يفهمها جميع الناس في اي بلاد كانوا وقد امتاز منهم في هذا الأمر باكون و باسكال وديكارت وليبنيز ولوك وكونديلاك وديديرو وفولتاي وامبير. والظاهر ان التجار ورجال العلم والصناعة في هذا العصر قد عادوا الى هذه المسألة لما رأوه من الحاجة اليها رغبة في سهولة المعاملة بين جميع الامم في العلم والتجارة والفنون فعزموا على تاليف لجنة دولية كبرى للبحث في شؤون اللغة العامة التي يطلبونها وقدم كثيرون من علماء الرياضيات والطبيعة والفسيولوجيا والتاريخ عريضة الى المجمع العلمي في باريز يسالونه فيها الاهتمام بهذه المسالة. وذلك مما يدل على ان اصحاب العريضة معتقدون بامكان الامر الذي يطلبونه

ولكن اذا كان البشر لم يصطلحوا بعد على لغة يتفاهمون بها عامة فقد وُضعت لغة عامة للحيوانات. وضعها الدكتور "ديكروى" الفرنسوي الذي توفي في الشهر الماضي

وقد كان هذا الدكتور رئيساً «لجمعية مقاومة التدخين» في فرنسا فاستطاع تكريه التبغ والتدخين الى اكثر الطبقات الارستوقراتية العليا فيها. ثم جُعل رئيساً للقسم الاول من جمعية تربية الحيوانات فبدت منه في هذه الجمعية على الحيوانات شفقة جعلت الناس يلقبونه "صديقها ورفيقها". ومن آثار هذه الشفقة وضعه لغة واصطلاحات اذا تعلمها سائقو المركبات والخيل والحمير والبغال وما اشبهها وعلموا حيواناتهم اياها استراحوا واراحوها من القسوة والضرب والتعذيب التي كثيراً ما يصيبونها بها لعدم فهمها او لسوء فهمها

اما هذه اللغة فهي مؤلفة من اربع كلمات فقط وهي — حي . رحه . حا . حو(١)



(١) في الاصل : هي ده ها هو فابدلنا الهاء حاء متابعة للساقة في مصر الشام

فاذا شاء السائق ان يقول للحيوان تقدم صرخ به (حي) وان رام ان يقف صرخ (حو) وان رام ان يسير الى اليمين صرخ (حا) وان رام اليسار صرخ (حه) . و بذلك يكفى السائق والحيوان عناء وعذاباً

ذلك ان كل نزاع يقوم بيننا و بين رفاقنا الحيوانات ينحصر في وقوفها وعنادها حين رغبتنا في ان تسير او سيرها حين رغبتنا في ان تقف فلغتنا معها اذاً مقصورة على الامور التي تقدمت : السير . الوقوف . السير نحو اليمين . السير نحو الشمال

وقد ذكرنا في الرسم الاول اصل هذه اللغة فنرسم الان فرعها

حي حي . سر ركضاً
حي . سر خطوة خطوة

حا : سر في جهة اليمين
رحه : سر في جهة الشمال
حاحا : انحرف لليمين من غير سير
رحه رحه : انحرف للشمال من غير سير

حو . قف
حو حو . ارجع الى وراء

فاذا رام السائق او الراكب اركاض الحيوان صاح به (حي حي) مكرراً هذه الكلمة وان رام ان يسير الهوينا اكتفى (بحي) واحدة . واذا كان يطلب انتقال الحيوان الى الشمال والسير في هذه الجهة صاح (رحه) او الى اليمين مع السير صاح (حا) واذا رام الانتقال الى الشمال دون سير كرر (حه حه) او اليمين دون سير ايضاً كرر (حا حا) واذا اراد ايقافه صاح (حو) — خلافاً للصياح المالوف بين الساقة في مصر والشام وهو « هوس هوس » — واذا رام منه ان يعود الى وراء صاح به « حوحو »

ولكن الصعوبة ليست في وضع هذه الاصطلاحات او في تعليم البشر اياها ولكن في جعل الحيوانات تفهمها . فكيف يعلمون الحيوانات اياها

لذلك طريقة ليست صعبة بقدر ما يظن القارىء وهي

خذ اولاً الكلمة " حي " وهي كلمة الامر من فعل السير وجيء بفرس من افراس عربات النقل وقف وراءه . ثم مره بلهجة لطيفة " حي " فيبقى واقفاً حيث هو دون ان يفهم للكلمة معنى . فارفع صوتك حينئذ قليلاً وناد " حي " فيبقى الفرس ايضاً جامداً في مكانه . فاصرخ بـه حينئذ باعلى صوتك " حي " واردف الصوت بضربة قضيب او سوط على كفله فيثب الفرس بالطبع متقدماً . فدعه يسير مسافة قريبة ثم ناده بفعل الامر " حو " وهـو الامر بالوقوف فيستمر سائراً فارفع صوتك واصرخ به " حو " بلهجة اشد فيبقى سائراً ايضاً فاصرخ للمرة الثالثة باعلى صوتك " حو " واردف ذلك بشد العنان فيقف

فاغتنم حينئذ فرصة وقوفه وامر يدك على جبهته ورقبته اشارة الى رضاك عنه لطاعته امرك ثم كرر هذا التعليم مراراً على الطريقة التي تقدمت حتى يتعلم الفرس ويدرك ان كلمة " حي " القوية يتلوها السوط وكلمة " حو " يتلوها اللجام فيتعلم ان يسير بعد سماعه الاولى ويقف بعد سماعه الثانية . ومتى تعلم هاتين الكلمتين جيداً فاشرع في تعليمه كلمتين اخريين ولكن حذار ان تعلمه اكثر من كلمتين في كل " درس " فانك تضيع عناءك سدى

وقد كتب الدكتور ديكروى عدة مقالات ورسائل بهذا الموضوع يستفز بها الناس الى الرفق بالحيوان ومعاملته باللين لانه رفيقنا وخادمنا الامين في هذه الحياة . وقد اعلن انه يمنح مكافاة لكل سائق ياتيه بفرس مدرب على الطريقة التي تقدمت فجاءه كثيرون من الساقة الذين علموا خيولهم طريقته فنالوا جوائزه . ومن جملة هذه الجوائز مدالية خصوصية جميلة انشاها الدكتور ديكروى لهذا الغرض خاصة وتعرف بمدالية لغة الحيوانات . وقد قال هذا الدكتور ان غرضي من هذا المشروع اسمى مما يظنه بعضهم . فانهم يقولون انني اريد به الرفق بالحيوان فقط مع انني اريد به الرفق بالحيوان والانسان معاً . فان الانسان متى تعلم ان يكون متادباً حتى مع حيواناته فذلك دليل على حدوث ارتقاء حسي في نفسه . واللغة التي اقترح تعميمها بين الساقة في جميع اقطار العالم تكفيهم خشونة القسوة على حيواناتهم وتعلمهم ان يكونوا اكثر تادباً معها

سياحةٌ في غربي اوربا

كتاب في مقالة

بقلم حضرة الوجيه الفاضل عزتلو نسيم افندي خلاط الطرابلسي

اعتادت الجامعة ان تزف الى قرائها في كل جزء منها مقالة متضمنة زبدة كتاب من اطايب الكتب فيقرأ فيها القارىء في لحظة ما تعب هي في مطالعته وترتيبه وتلخيصه اياماً طوالاً . فيكون مثلها والقارىء في ذلك مثل من ياخذ خروفاً ويعالجه فيستخرج جميع مواده المغذية ويحصرها في كأس واحدة فيصبح من يتناول هذه الكأس كانه يتناول الخروف كله ...

ولقد راينا القراء راضين كل الرضى عن هذا الاسلوب فعقدنا النية على مواصلة ذلك في كل جزء من اجزاء الجامعة . ووجدنا من الفائدة ان لا نجعل التلخيص مقصوراً على اطايب الكتب الافرنجية او الكتب القديمة بل ان نجعله شاملاً لكل الكتب التي يجب توجيه الانظار اليها وتُرجى الفائدة منها

اما موضوعنا في هذه المقالة فهو كتاب صدر حديثاً ولا يزال تحت التجليد وهو بقلم جناب عزتلو نسيم افندي خلاط احد اعيان طرابلس الشام وعنوانه « سياحة في غربي اوربا » . ومما يسر في هذا الكتاب بنوع خاص انه مكتوب بقلم تاجر غني مشهور بالميل الى العلم والادب لا بقلم كاتب صناعته الكتابة . ولذلك يجب على الكتاب ان ينظروا اليه « بالعين الكليلة » فضلاً عن الاحترام الواجب للمال متى اهتمّ بالعلم واشتغل به

وانّنا كلما راينا المال في الشرق مهتماً بالعلم استبشرنا واتخذنا ذلك دليلاً محسوساً على التقدم . ثم تساءلنا : ايهما يشرف صاحبه . المال الذي يطلب العلم ام العلم الذي يجتذب المال اليه بنفحاته القدسية

ولقد ابتدأت هذه السياحة في الثامن من شهر ابريل (نيسان) من عام ١٩٠٠ فسار المؤلف من طرابلس الى بيروت فبورسعيد فالاسكندرية ومنها سار الى باريز عن طريق مرسيليا فوصلها في ١٢ مايو فزار المعرض وكثيراً مما في باريز وفرساليا من الآثار الفخيمة . ثم سار الى لندن فوصلها في التاسع والعشرين منه فزار كثيراً من متاحفها واماكنها العمومية . ثم قصد ليفربول ومنشستر وعاد منها الى فرنسا فسافر الى سويسره وايطاليا ووقف في اطلال رومه وزار مبانيها . ومن هناك كر راجعاً في ١٢ يوليو الى وطنه سوريا عن

طريق الاستانة بعد الوقوف على آثارها

وانما اشرنا الى هذه الاماكن في الاسطر التي تقدمت تمهيداً للكلام الذي سيجيء عنها . لانه لو لم يكن في هذا الكتاب من شيء سوى ذكر الذهاب والاياب ووصف المدن والجدران والابنية والمعروضات والسلع التي شاهدها السائح لما كلفنا القارىء عناء النظر فيها ولكننا رأينا الكتاب يتخلله آراء ادبية وملاحظات جديرة بالاعتبار وامور يلذ للقارىء الاطلاع عليها وافكار وتصورات واقعة احسن موقع في مكانها فرأينا من الفائدة ان نورد اهمها

استقبال جبال ايطاليا

قال حين استقباله جبال ايطاليا

« في صباح السابع من ايار اي بعد مضي ثلاثة ايام ونصف من مبارحتنا الاسكندرية اطلت علينا جبال ايطاليا وكان الهواء ساكناً والبحر هادئاً فذكرني منظرها جبال لبنان حتى خلتهن لعظم المشابهة اخواناً اشقاء شققهن البحر حسداً واوقفهن على جانبيه يتغامزن عليه الى يوم تغيض البحار وتندك الجبال . ثم قابلنا جزيرة سيسيليا فرأينا على قمم جبالها مآزر من الثلج وعلى سهولها وشاحاً مطرزاً بياقوت ترابها وزبرجد نباتها واغراسها الى ان وصلنا الى مضيق ينفرج احياناً ويضيق اخرى رأينا على احدى عطفاته موقع مدينة مسينا فاشرفت عليها عن كثيب فاذا هي بلدة صغيرة كان لها شان في منتصف القرن الحالي غصبته منها اسكلة برنديزي واضاعته عليها ثم نخرت الباخرة في جون رأينا على يمينه الفلكان اتنا رابضاً فوق الماء بشكل هرمي تام المخروطية لكننا لم نر على راسه اثراً لنار او لدخان كأن القدم والهرم ابلياه بالخمود او اناماه ليستريح من شواغل اضرار الجوار بثورته فتذكرت ما قيل

تبارك من توفاكم بليل ويعلم ما جرحتم في النهار »

المقامرة واسطة التعارف

وقال في المقامرة كلمة لطيفة

« وكان البحر بين درجة ٣٦ و٣٩ عرضاً هادئاً والجو صافياً ازالا عني وعن سائر الركاب وعكة الدوار فاستطعت اذ ذاك ان الاحظ اننا كلما اقتربنا من مدينة مرسيليا تزداد السفينة نظافة ويحسن طعامها كان الربان يخشى الملام او عقبى الشكوى اذا اتصلت بمقام ادارة الشركة . وقد كانت الايام التي مرت بين السادس والتاسع من الشهر ايام سرور وحبور

صرفنا معظمها مسامرة واقلها لعباً وقد ثبت وليته لم يثبت لديَّ ان اللعب لمن اشد دواعي التعارف والائتلاف لاني شاهدت اللاعبين المختلفين جنساً ولغة كأنهم اخدان واخوان منذ الولادة حال كونهم لم يروا بعضهم يوماً قبل ذلك الحين وما ذلك الاَّ لان الميسر اصبح كجواز سفر يُدخل كل غريب الى الجمعيات على اختلاف اقوامها ومشاربها ولغاتها باسرع من لمح البصر لا يحتاج الى اكثر من وضع يده على جيبهِ . حقاً ان ابليس اللعين لم يفتح عليه بخدعة مضلةٍ لبني الناس اشد مكرًا وضررًا منها »

حمالو مرسيليا وساقتها

وقال في حمالي مرسيليا وساقتها

« رايت حماليهم عند نزولنا من الباخرة الى الرصيف حيث كان الزحام شديدًا وامتعة الركاب ركاماً يتمهلون او يقفون عند نقلها على المساحب المجرورة اذا صادفوا في طريقهم شخصاً واقفاً او يقولون له بلغتهم تفضل مولاي وحدْ قليلاً ان شئت . ورايت لسائقي المركبات خلة لم اعرفها في بلادي وذلك اني ما اشرت مرةً بطلب سائق وجاء ني آخر ولا وقفت امامهم وانا في هيئة مريد الركوب وتسابقوا اليَّ كما يفعلون في طرابلس و بيروت حيث يحيطون بالراكب و يتخاطفونه كحبة قوت القيت في حوض سمك »

مقتل هابيل

ونظر في متحف في مدينة ليون رسماً لمقتل هابيل فقال فيه

« وقد استوقفتني صورة لمقتل هابيل رايته فيها طريحاً معفرًا على الثرى تغشى وجهه الضاحي كمدة الموت وصفرته وحوَّاء حوله تتراوح بين ملامح الياس والرجاء والدهشة والحزن وآدم واقفاً مكفهر السحنة غضوباً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال وقايين يعدو مدبرًا يرمق المشهد بلحظٍ خفي — صورة جمعت اقصى ما يستطاع للمخيلة تصوره لذاك الحادث الاثيم غير المسبوق وقوعه في اول عائلة انسانية »

كنيسة المادلين في باريز

« ولما كان دخولي اليها ابان القداس حضرته مرتاحاً لوقوفي على حالة لم اعهدها في الشرق وذلك من حيث السكينة والهدوء الشاملين الكنيسة والمصلين فيها على اتساعها ومن سماعي صلاة الكاهن والبعد بيني و بينه لا يقل عن خمسين مترًا . حالة ولا بد تأتت عن السكينة وعن احكام هندسة البناء حتى ليكاد يسمع فيها همس المصلي ولو كنت في

اقصاها. ثم انصرفت منها مفكرًا بهندسة كنيسة طرابلس الجديدة التي لا تُسمع فيها الصلاة الا لغطًا لسوء الهندسة »

متحف كرافين

« ورحت الى متحف كرافين حيث التماثيل الشمعية فادهشني ما رايت من دقة التشبيه واتقان التمثيل حتى كدت لا اميز بينها و بين الاحياء الوقوف والمتفرجين في ذلك الايوان ولقد اضحكتني سيدة كانت جالسة على مقعدٍ بقرب احدى التماثيل لما حدقت نظري فيها لاتبينها ان كانت تمثالاً او بشرًا حيًا بحملقتها بوجهي وتبسمها لان الكلام بحسب الاداب الاوربية ممنوع مع من لا يعرفونه ولو في هذا الظرف المفضل فيه ادبًا الكلام على الحملقة كما لا يخفى »

وقد رأى في هذا المتحف « كتشنر باشا في سفينةٍ راسيةٍ امام فشوده جالسًا والى جانبه القائد مرشان ونجت باشا ينظرون في خريطة منشورة على طبلةوهو ينص على مرشان و رفقائه شروط خروجهم من الخطة المجاورة النيل التي افتتحوها بماضي عزائمهم »

المولين روج

« وقد حضرت غير مرة في ملعب « مولين روج » حيث يتناهى فيه الممثلون باشارات التهتك وعبارات اقبح المجون والرقص المائل المرتج فسالت سيدة انكليزية كانت وزوجها فيه على قرب مني عما تراه في هذه المشاهد فاجابت انها رات في سياحتها مع زوجها في مصر رقصًا اكثر عيبًا واشد بلاءً على الشبيبة ونظرت في اواسط افريقيا وفي جهاتٍ من جنوبي اميركا من مشاهد الخلاعة والقصف حتى بين الامم المتحفزة الى التمدن ما يحسب هذا بالنسبة اليه ادبيًا محتشمًا ثم اردفت كلامها بقولها ان الحشمة في الناس نسبية لن يتم لها الكمال اصلاً وان اطالة البحث فيها تاريخيًا ربما يفضي الى الظن بانها قهرية لا اختيارية. انتهى. وقد رايت في هذه المراقص وفي غيرها من غرائب حركات الراقصات ما يستوقف النظر ويحير الفكر ويوجب الاندهاش واشدها غرابة ان الراقصة تنهض باحدى رجليها الى ام راسها ثم تلفت القدم على قذالها حتى تمسي اخمصها على الخد الايمن اذا كانت المرفوعة يسرى وتظل راقصةً على رجلٍ واحدة على وفاق توقيع انغام الموسيقى »

المعرض المصري

« ورايت المعرض المصري غير حاوٍ الا ما يصنعه الاجانب من حلي ومصاغ وما كل

وحلوى لا ما يصنع و يطبخ في قطرها السعيد غير اني رايت على باب معرضها جوقاً من الضاربين على الدربكة والنافخين على المزمار والعازفين على العود وشممت عند الدخول اليه رائحة الند وشربت فيه القهوة على توركا لكن بثمن غالٍ ورايتُ على جدرانه في الخارج رسوم تماثيل واصنام مصر بقلم الاجانب عنها ولعل المعرض العثماني لا يختلف عن هذه الهيئة كثيرًا او انه يرجع على ما مرَّ لاستحضار ملتزم مرسحه زمرةً من القيان الحسان من اطراف الشام واواسط لبنان لابسات ملابس مهجورة استلفاتاً للنظر واستجلاباً للمتفرجين · يُسقى في احدى زواياه الضيقة القهوة على توركا والاركيلة بالفحم الحجري فاظنه واظن سابقيه غير فالحين »

ابرع ممثلي باريز

«وبعد تناول العشاء ذهبتُ الى تياترمارتن المختص بالمشخص الشهير المسيو كوكلين فدخلته في الساعة الثامنة بعد الظهر فوجدته غاصاً بالحضور ولولا مساعدة صديق لامتنع عليَّ الحصول على تذكرة الدخول وفي الساعة الثامنة ونصف ارتفع ستار المرسح وبعد هنيهة برز كوكلين فدوى المكان وارتج تصفيقاً له وهكذا كان كلما اضحك بتشخيصه او ابكى يقوم له الحضور تكريماً وتهليلاً حتى اذا انتهت فصول الرواية رجعت الى فراشي متفكرًا كيف يكافأ من يبرع في حرفته في هذه البلاد وكيف يُعرض عمن نجب في بلادنا في امرٍ من الامور »

التقدم والدماء

وقد وصف قبر نابوليون الاول في سراي الانفليد وصفاً جميلاً اردفه بقوله « ان الفرنسويين قوم يعشقون بل يعبدون العظمة الوطنية مهما اختلفت آراؤهم وصبغاتهم ويجلون من يوصلهم اليها باي الطرق سواءٌ كان بالانتصار الملوث بالدم او بالاكتشافات النافعة او بالمشروعات التجارية الجسيمة · ويحبون الكسب و يطلبونه بكل الوسائل لكنهم يناقشون عظماءهم الحساب عن اقل غلط ولا يخجلون فيما لو ذموهم بعد المدح » ثم قال عند كلامه على « البانثيون » الذي هو مدافن الرجال العظام ان الحكومة اخذت تقرب القبور بعضها من بعض لتفسح مجالاً لرجالها القادمين اليه لانها انتبهت الى كثرة عددهم · واردف ذلك بهذا الفكر البديع « انقص الله عدد من يصل اليه على ظهور الناس واعناقهم ملوثاً بدمائهم و زاد في عدد من يبلغه حاملاً علم الفضل والرفق والانسانية » ولعل هذه العبارة ابلغ ما في الكتاب

اما حكم المؤلف على الفرنسويين واخلاقهم وتاريخهم الحديث منذ الثورة فقد دلَّ على انه ممن لا يحبونهم وكثيرًا ما كان في كلامه تحامل عليهم · وقد ظلم معرضهم باستصغاره ونسبة الفشل والخسارة اليه

نكتة

« والاعجب من كل ذلك ان من النساء من يتخذن مراحيض في معاطف الطرق وفي بهوات نفس المعرض العام ويدعون اصحاب الحاجة اليها ببدلٍ معلوم قدره عشرون سنتاً فاذا نهض الطالب دون قضاء الحاجة لامساكٍ عارضٍ وهمَّ بالخروج من باب الكنيف ثم احس وجلس ثانيةً على المقعد تقاضته اجرة مرتين فان ابان العذر علت وجهها صفرة السماجة لا حمرة الخجل وزودته باشنع الالفاظ — حكاية كنت لا اثبتها لولا النكتة فيها » اما نحن فقد اثبتناها لنقول بانه كان الاولى بحضرة المؤلف ان لا يثبتها

كتاب عربي

ولما زار مكتبة باريز الكبرى عثر على كتاب عربي مفتوح على المحفظة بين الكتب المجموعة في القرن الرابع عشر فقرأ في صفحته اليمنى هذه العبارة « انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله لم يبقَ صافٍ ولا مصافٍ ولا معين ولا مُعين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا يمين » وفي الصفحة اليسرى « مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعدّيها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت رقعة من الرقاع فقال تعساً لك يا لكاع » وفي هذا الكتاب رسوم ملونة تمثل رجالاً وفرساناً من الاسلام · ومن الاسف ان المؤلف لم يخبر عن اسم الكتاب

المعرض الروسي

« وظننت قبل الدخول اليه انني لا اجد فيه شيئاً يستحسن لما نقرأه في صحف القوم وعلى الخصوص صحف الانكليز من تاخرها في الصنائع وفي كل شيء حسن فاذا به من مصنوعات البلور والاجواخ والفرو واطقمة الخيل ما تفضل بها على الاكثر مصنوعات الممالك الا فرنسا وفيه رايت الخريطة التي اهداها قيصرها الى بلدية باريس وهي بقدر الزراع مربعاً حوت رسم مملكة فرنسا وكل اقليم بجوهرٍ كريم غير ما ترصع به الاقليم الآخر من يافوت والماس وزبرجد وعقيق الخ وتلبس ما حولها وما فيها من البحور باللازورد الازرق مكتوباً عليها اسم كل اقليم بحروف من ذهب· هدية سنية كلفت خزانة القيصر مليوناً ونصف مليون من الفرنكات »

مصر في فرساليا

« ورايت على جدران احدى المخادع في قصور فرساليا صور ستة رجال من علماء مصر وكبرائها منها واحدة لعالم من عائلة السادات الوفائية واخرى للمعلم جرجس الجوهري واخرى للشيخ الشرقاوي

راي الفرنسويين في حكومتهم

« واعجب من هذا اني وجدت في من حادثته من ساقة المركبات الماماً بسياسة البلاد فمنهم من اجابني على سؤالي عما يراه في حالة الحكومة بقوله « اني لا احب هذه الحكومة لانه يتولاها رجال لاهمَّ لهم غير الشهرة » وسالت آخر فقال « ان رئيس الجمهورية محالف لليهود » وثالثاً قال « ان الراي لاصلاح الحكومة انما قاله مسيو درولد المنفي الآن في اسبانيا » فقلت له وما رايه قال « اذا لم يكن الرئيس منتخباً بالصوت العام فلا شرع في الامة » ورابعاً قال « انا كنا قبل سنة ١٨٧٠ تحت حكم يلوح عليه صبغة الاستبداد فاصبحنا منذ ذلك التاريخ تحت حكم اللصوص » وخامساً قال « لقد بعد عنا عهد الحكم الملكي المطلق حتى امسينا لا نعرف شيئاً كثيراً عنه غير ما نقراه في المؤلفات المتضاربة بحسب اهواء كتبتها . لكن الحكومة الامبراطورية لقرب عهدها منا ما برحنا نذكرها بالخير ونظنها احسن حكومة تناسب بلادنا »

نقول ولكن الاعجب منه ان لا يكون بين هؤلاء الخمسة واحد راضياً عن الحكومة الحاضرة

خيول باريز

« اني لم ارَ فرساً مركوباً او جاراً مركبة الا وقد بُتر ذنبه كانه عضوٌ اخطات الطبيعة في وضعه في اقفية الخيل او ان راكبه يقوم مقام الذنب في دفع اذى الذباب عنه حتى خشيت مع الاستمرار على البتر ان تاتي مواليده بحسب ناموس الوراثة المكتسبة مبتورة الذنب ويصبح الذنب للفرس كما اصبح على رأي داروين للانسان عضواً اثرياً . غير اني مدحت من اصحاب الخيول اعتناءهم بها لاني لم ارَ حيواناً مركوباً او يجر مركبة الا وهو قوي ممتلئ الجسم لا كالحيوانات الخاوية البطون المزيلة المشدودة من الصباح الى المساء بين طرابلس واسكلتها »

عملية خياط

« ولما اصبح السادس والعشرون من الشهر ذهبت الى حانوت خياط كنت بالامس فصلت

عنده ثياباً فلما البسنيها للتجربة تباعد عني قليلاً ثم دار حولي ثم تقرب مني ببطء واخذ يرفع يداً وينزل اخرى وينهض راسي ثم يطاطئه ويشكل دبوساً وينزع آخر حتى كدت ازهق كما ازهق روحي عند التفصيل فانه وضع زاوية تحت ابطي وجيباً هندسياً فوق صلبي ثم اخذ بالقياس وصار يمر القياس والادوات المذكورة على العضو الواحد طولاً وعرضاً فقد قاس بين الرسغ والكعب وبين الركبة والفخذ وبين الكتف والذراع لا اقل من عشر مرات وانا واقف صابر حتى اذا انتهى من عملية التشريح على الوجه المشروح سالته وما الداعي الى كل هذا العمل الشاق فاجابني فوراً ان لم يكن كذلك فباي شيء تفضل باريس غيرها»

المسلة المصرية

«ومررت بساحة الكونكورد وكنت قبل اليوم طرقتها مراراً دون ان تناجيني المسلة المصرية الواقفة في منتصفها وهي المنقولة من مصر اليها سنة ١٨٣٦ كما ناجتني الان بلسان حالها تسالني وكانها علمت بمجيئي من ارض ابآئها عن حال اخواتها الباقيات في تلك الديار وتقول هل علمنَ اني احضرتُ ذليلة الى هذا الموقف واني ما برحت باكية على اغترابي شاكية من ظلم التمدن الحالي كيف اباح اختطافي واستئساري وقد تظاهر بمنع الاختطاف والاسر. او ليس في استعباد الاثر والمتاع ما في استعباد النفس من المغبة والظلم لها. فاطرقت ولسان حالي يقول. ما دام لك عمرٌ يطاول الاجيال لا بد من يوم تاتيك صروفه بما يفرج عنك وينسيك الغربة. اما انا فلست بالباقي الى حين الصيحة الكبرى وتبدل الاحوال»

سواد لندن

«وقد شاهدت اثناء جولاني في شوارع لندن ان كل ظواهر بناياتها وجدرانها مدهونة بلون اسود قاتم فسأَلت وما السبب لاختيارهم هذا اللون على غيره من الالوان الزاهية اجبت انه لم يكن عن قصدٍ بل جاءهم عفواً وكرماً من الدخان المتصاعد ليلاً ونهاراً من مداخن المعامل ومطابخ بلدٍ حوت من السكان ما ناهز الستة ملايين نفساً ثم انتبهت الى يديَّ وعنقي واكمام قميصي فوجدتها قد صبغت بالدهان الفاحم كما صبغ بصاقي وما حواه المعطس»

احترام النساء في اوربا

«ان الشيء الوحيد الذي تُعاب به هذه البلاد انما هو تغالي اهلها في تسويد النساء على الرجال ليس من جهة وجوب احترامهن وتقديم السجدة لهن في البيوت والمحافل والشوارع والممرَّات وسكك الحديد والسفن والسلالم (كنت اكشف راسي من اول السلم خيفة

ان تفاجئني سيدة فيها واكون غافلاً عن كشفه لعدم اعتيادي كشف الراس) وتقديمهن على الرجال في كل محفل وطرد واهانة من يتجاسر على التدخين بحضرتهنَّ بل فيما اعطينه من السيادة العلياء والسطوة الشماء على الحكام والحكومة وقد سمعت باذني من اولي الوقوف والادراك ان المراة في باريز اذا وقفت او وقف ظلها في طريق حق ضاع ذلك الحق على صاحبه واذا لطمت رجلاً على قارعة الطريق او داست عنقه وابدى ادنى شكوى او تأفف من فعلها رجمه القوم برجومٍ من السباب والتعيير كأن المراة معبود لا يُسأل عما يفعل ولهذا تراهنَّ آمنات في عروشهنَّ حاميات ذمار بعولهنَّ واقاربهنَّ متكئات على وسائدهن كانهن عند انفاذ اغراضهن لم يحركن خنصرًا او ماشياتٍ في الشوارع مشية الطاؤوس بخترة وريشًا وبرقشةً فويل لمن لا يوسع لهنَّ طريقًا عند الاصطكاك او يدوس لاذيالهن ذَنَبًا في المجامع المزدحمة والمراقص الحافلة . هذا وهنَّ عزلٌ من سلاح حق اعطاء الراي في الانتخابات العمومية فكيف بهنَّ اذا اعطينه »

نيل مصر في الفاتيكان

« ورايت في غير حجرة في متحف الفاتيكان تمثالاً لنهر النيل جسيمًا ماتحيًا عليه من علامات الشيخوخة الغضون ومن الشبيبة غضاضة العضل ضجيعًا مسنود الراس على وسادةٍ وعلى جسمه ستة عشر طفلاً عراةً مثله منهم من هو واقف على مساواة سطح فراشه ومنهم من يتسلق فخذه ومنهم من صعد الى صدره ومنهم الى عنقه وآخرون الى لحيته وآخرهم الى قمة راسه مادًّا يده اشارة الى معنى كفى . فهذا التمثال واطفاله الستة عشر كناية عن النيل وعن زيادته تدريجًا والواقف على هامه رمزٌ عن وصول زيادته لحد الطغيان »

زيارة البطريرك المسكوني . والانتخاب الانطاكي

وفي اليوم الرابع من يوليو وصل الى الاستانة فزار فيها عمود قيصر واضرحة السلاطين والمسلة المصرية والحية النحاسية ومعرض التماثيل الشمعية الذي تمثل فيه ازياء الجنود العثمانية واسلحتهم وجامع السلطان احمد وجامع آجيا صوفيا الكبير وقد اسهب في وصفها . وفي صباح اليوم السادس منه قصد حي الفنار لزيارة البطريرك المسكوني صاحب الغبطة قسطنطين الرابع الذي استقال حديثًا « فرايته ربع القوام صبيح الوجه وضاحه حنطي اللون خالطه الشيب كانه في آخر درجات الكهولة . وهو انيس المحاضرة يحسن التكلم بالافرنسية » وقد دار بينهما حديث طويل عن الانتخاب الانطاكي فاعترض غبطته على صحة الانتخاب وقال له ان ارثوذكس سوريا الذين يطلبون لانفسهم بطريركاً عربيًا « ليسوا باعراب من

البلاد العربية بل هم من ارومة يونانية تعلموا العربية عقيب الفتح الاسلامي لا كما يدعي الآن بعض محازبيهم » فقال الزائر كما ورد في كتابه « ان الاولى بنزاهتكم وغيرتكم على الملة في اي يد كانت ازمتها ان تتفضلوا بمعاودة الصلة الروحية مع بطريركنا الجديد كيما لا يقال ان البعض لبولس والآخر لأبلوس » فاجاب « ان من احب الاشياء عندي ان اسمع عن تمتع جميع الكنائس بالراحة والهناء وارتباط اعضائها برباط الحب الصادق والوئام لكن قد يسوءني ما يبلغني من حين الى حين من اخبار الهرج والتقاطع والتباغض والتخاصم الواقع بين اعضاء ابرشيتكم الطرابلسية دون اكثر ابرشيات الكرسي الانطاكي نفسه فلو صرف مطرانكم الموصوف بالفضل والتقوى جهداً في ملافاة هذا الخلل المعيب يساوي نصف ما صرفه في المسالة البطريركية كما بلغني لكان قام بخدمة لرب الكنيسة ولرعيته يُثاب عليها يوم يُسأل كل راعٍ عن رعيته ولكان قدّم بخوراً ذكي الرائحة امام العرش الالهي . وليته علم او يعلم ان التاريخ والناس اجمع لا يثبتون الفضل والحكمة لمن يتصدى للقيام بمشروع كبير او يتجشم ادارة مملكة ويكون مهملاً ومتراخياً عن ادارة بيته . فالتمستُ اذ ذاك عن نيافة راعينا اعذاراً بكثرة مهامه واشغاله وافتتان رعيته وتعاقب غيابه عن كرسيه . قال اجلْ ما لمحتُ فيك من الاخلاص والتنكب عن المداهنة ان تلتمس عذراً لقصوره في اهم ما يجب عليه بمثل كثرة اشغاله وافتتان رعيته وتعاقب اسفاره لان الرئيس الفاضل يقدّم الاهم على المهم ولا يُعد فاضلاً ما لم يمهد جبالاً من العثرات ويغلب اليأس في قومه . ثم انصرفنا نثني على لطفه ودعته وبلاغة عبارته »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب . على انه يحتوي هنا وهناك كثيراً من الملاحظات والافكار التي يجدر الالتفات اليها . منها قوله عن وضع تمثال للوزير ديزرئيلي بازاء كنيسة وستمنستر « فاجللت امةً تضع تمثالاً في كنائسها وبين آثار ملوكها وتماثيل عظمائها لرجل نبغ فيها من ارومة يهودية وقد مات مشكوكاً بنصرانيته » وقوله في لندن « لم ارَ في الامكنة التي زرتها اثراً للبعوض والبق والبراغيث والذباب حتى كدت احكم ان هذه الاحياء ليست من قاطني تلك الاصقاع وطوبتُ بلاداً بلغت فيها النظافة ان تفني احياء خُلقت منذ الازل لتكون عقاباً للانسان على الاقذار والوساخة » وقوله عن الايطاليين « فوجدت اهل مراتب الدنيا منهم اقل احتلاباً لجيوب الاغراب واكثر حياءً في استدرار الايدي من جيرانهم الفرنسويين » وفي الصفحة ١٣١ كلام عن التنازع بين

العمل والمال والمذاهب السياسية والاشتراكية يدل على ان كاتبه من حزب اصحاب الاموال الراضين عن الحالة الحاضرة كل الرضى . وقوله عن اخلاق الاتراك « هم قوم يلينون لكل كلام لطيف ولو كانوا في اشد حالات الغيظ و يكرمون النزيل والجار ولا يانفون من تحية الغريب و يغضون الطرف عن هفوات لا يغض عنها غيرهم من الامم الا اذا كان لها مسيس في الشان الوطني » وقوله عن توقيت مواعيد الطعام في انكلترا « وخرجت باكرًا من حجرتي كي اتناول طعام الصباح كأن المعدة في انكلترا غيرها فيما سواها تراقب مواقيت الطعام مراقبة المشوق المستهام » وغير ذلك كثير

هذا ولا يؤخذ على المؤلف بعض هفوات او اصطلاحات في كتابه مثل كتابته (نوترضام) مكان (نوتردام) و (مضام) مكان (مدام) و (غائر) بدل مغير و (الملي) بدل (الوطني) — لان الملة شيء والوطن شيء آخر وهذا امر نعرفه جيدًا في الشرق — وكقوله التغالي بدلاً من المغالاة . وغير ذلك . فان الكتّاب انفسهم كثيرًا ما يسقطون في مثل هذه الهنات . ولم يكن يُطلب من سائح دقيق النظر ليست صناعته الكتابة الالتفات اليها ولكن الى ما وراءها من الفوائد والافكار الحسنة وعوائد القوم . وقد جاءنا بكثير من هذه الافكار والعوائد والفوائد وان كان بعضها لا يسلم من التحيز والاعتلال . فنثني على همته وفضله خير ثناء ونرجو ان يكثر الله امثاله بيننا من الاغنياء

وقد نظم حضرة العلامة المفضال صاحب الفضيلة الشيخ حسين الجسر من اكابر علماء طرابلس الشام بيتين شائقين قرظ بهما رحلة صديقه النسيم وهذا نصهما

قالوا نسيم اللطف حرر رحلةً اهدى بها للشرق عرف المغربِ
لا تعجبوا ان النسيم اذا سرى اهدى سراه كل عرفٍ طيبِ

المسلمون في بلاد الصين

وارسال وفد ديني اليهم

الاسلام في الصين· ثورة اسلامية كادت تثل عرش الصين منذ ٣٠ سنة · ترجمة زعيمها وهو امام مسلم في الصين عالي الهمة يجهله المسلمون · لولا اختلاف المسلمين لكانت الصين الآن سلطنة اسلامية ·قصة للمسعودي عن الصين

للمسلمين في الصين تاريخ كبير راينا ان نقصه على القراء بمناسبة ارسال الخلافة الاسلامية وفدًا دينياً اليهم· وقد وصفناه « بكبير» لان حوادثه بلغت من الكبر والاهمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما كاد يقضي على الصين ويملك المسلمين ناصيتها · ولو تم هذا الامر لتجدد شباب تلك الدولة القديمة الضخمة ولما كانت حيث هي من اوروبا اليوم · ولبيان ذلك نقول

الاسلام في الصين ان الاسلام دخل الى الصين مع تجار العرب والفرس الذين كانوا يترددون على الثغور الصينية منذ صدر الاسلام · وما برحت التجارة قبل ذلك العهد وبعده سبيلاً لنشر تمدن البشر واديانهم وعاداتهم· وكان العرب يسمون ملك الصين « فغفور » وهي كلمة مشتقة من كلمة « بغفور » الفارسية ومعناها « ابن الله » اي ابن السماء كما يسمون امبراطور الصين اليوم· وقال المسعودي في تاريخه مروج الذهب ان العامة كانت تسميه « يعبور » وتفسير ذلك ابن ماء السماء · والاول هو الاصح · وقد كتب عن الصين المسعودي وابو الفداء وابن بطوطة الرحالة الشهير الذي يقول انه ساح فيها في ذلك العهد وغيرهم من كتاب العرب اموراً بعضها صحيح وبعضها غير صحيح وربما اشرنا الى شيء منها في ختام هذا الفصل

الا ان سير الاسلام في الصين كان بطيئاً لاول عهده واستمر كذلك حتى وفاة «جنكيزخان» الفاتح التتري فحل الاسلام محل البوذية في جهات دجاجاتي ثم قامت على تخت فارس دولة اسلامية في اواسط القرن السابع عشر فبدأ النزاع يومئذ بين الاسلام والوثنية فحارب ملك الفرس واحفاده ملوك الصين من عام ١٧٥٥ الى عام ١٨٢٨ فانتشر الاسلام في اثناء هذه المدة في اطراف الصين انتشاراً عظيماً

الثورة الكبرى ولما انتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون منتشرين في جميع الاقطار الصينية غير انه كان لهم اقليمان خاصان بهم لكثرة عددهم فيهما وهما اقليم يونان

، عام ١٨٥٥ كان مسلمو يونان والصينيون مواطنوهم مكبين على استخراج
من معادن في اراض واقعة على مسافة خمسة ايام من « تاليفو » وكانوا
ـ من السعة والغنى . غير انه لما كان الصينيون اقل نشاطاً وتدبيراً من
لامر الى غنى هؤلاء واضاعة اولئك كل مكاسبهم فاصبح المسلمون في نعمة
م واقتصادهم وكادت تتم لهم ملكية جميع تلك المعادن فحسدهم الصينيون
د والطمع فجاءوهم افواجاً افواجاً وطلبوا منهم ان يشغلوهم في معادنهم
، فهجم عليهم الصينيون فتضارب الفريقان تضارباً افضى الى قتل بعض
لسلمين تمكنوا من ردّ الصينيين عنهم وهزيمتهم . وكان هنالك حاكم
ه من هذه الفتنة ففر الى مدينة يونانفو عاصمة يونان وكتب تقريراً
على المسلمين دون سواهم فاخذ المسلمون يتحصنون في معادنهم واماكنهم
، لان الصينيين لم يلبثوا ان اعادوا الكرة عليهم بعدد عظيم من رجالهم
اهم ومزارعهم وذبحوا كل من وصلت اليه ايديهم من النساء والرجال
فتداخل حكام الجهات بعد هذه المذبحة واخمدوا ثائر الفتنة وسكنوا
.رى المسلمون ان هذا التسكين خديعة ارادوا بها ذر الرماد في عيونهم
يعدونه لهم

، كان في وزارة الحربية رجل يدعى هنغ تشنغ وهو وكيل الوزير وكان
لبغض للمسلمين فسعى في السر ودبر مؤامرة عليهم اي احداث مذبحة
يهم واضعافاً لعصبيتهم . وكان موعد المذبحة السري يوم ١٩ مايو من
ان هذا الميعاد هاجم الصينيون المسلمين في مدن (يونان) وقراها ولكن
وا بالمؤامرة من حسن الحظ فلم يُقتل منهم غير نفر قليل . فقاموا بعد هذه
تحصين مراكزهم بزعامة امام لهم يُدعى (ما تحسين) وكان شيخاً في الخامسة

بم ما تحسين ❊ واذا ذكرنا امامهم (ما تحسين) فنحن نذكر رجلاً
فاً في الاستانة ومصر لانه زارها منذ سنين . وقد ولد هذا الرجل
لي في الصين وكان ابوه تاجراً فادخله الى مدرسة صينية لتعليمه
من آدابها ثم نقله منها الى احد جوامع البلاد لتعليمه اللغة العربية
لامي . فلما اخذ شيئاً من ذلك سار في قافلة من القوافل العديدة

التي تتراوح بين برمانيا و يونان فوصل الى رنجون وهو ثغر من ثغور برمانيا قرب مصب نهر (ايرودي) فنزل في احدى السفن التي تقل الحجاج الى الحجاز قاصداً الحج الى مكة المكرمة . وكان ذلك في عام ١٨٣٩

فلما وصل الى مكة اقام فيها طويلاً فاتم درس اللغة العربية ثم قدم الى مصر فاقام في الاسكندرية والعاصمة مدة وطاف كثيراً من بلدان القطر ثم سافر الى الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فاقام فيها سنتين . وقد احسنوا استقباله في الاستانة واكرموا وفادته . ولكن المال الذي كان معه لم يلبث ان نفد منه في هذه السياحة الطويلة فرأى نفسه مضطراً للعودة الى بلاده فسافر من الاستانة الى الاسكندرية فاقام فيها مدة ثم سافر منها الى سنغابور ومكث هنالك سنة تامة ليتحقق امراً ذكره له « احد الفلكيين » في الاستانة وهو ان الايام في سنغابور متساوية على مدى السنة

وبعد هذه الغيبة الطويلة عاد الى وطنه عن طريق نهر كنتون وذلك في عام ١٨٤٦ فكانت مدة سياحته سبع سنوات

وكان ما تحسين نبيهاً محبوباً منذ صغره فلما اتمّ دروسه في مدارس الصين صار المسلمون فيها يجلونه ويكرمونه . ولكنه لما برح الصين قاصداً بلاد الحجاز ثم عاد اليهم واسع الصدر بما وعاه في اثناء سياحته ممتلىء اليدين بما عاد به من آثار المدنية الحديثة ومصنوعاتها فضلاً عن بركة الحج التي تكون للحجاج العائدين الى بلادهم لا سيما اذا كانت هذه البلاد بعيدة وقلما يحج سكانها — بالغوا في اكرامه واجلاله وجعلوه اكبر ائمتهم . فاقام ما تحسين يحسن اليهم ويدبر شؤونهم حتى فاجأته تلك الفتنة

فبعد المكيدة التي تقدم ان الصينيين كادوها له ولقومه جمع رجاله وكان عددهم عشرين الفاً فقدم عليهم رجلين شديدي البأس عالمين بفنون القتال . الاول يدعى (توونسيو) وهو اديب من ادباء المسلمين الصينيين الحائزين للشهادة العلمية وذو مكانة لديهم . والثاني يدعى (ما حسين) وهو رجل كبير الهمة وقد قتل اخوه في الفتنة الاولى التي حدثت في المعادن . ثم ان المسلمين قسموا جيشهم واغاروا على الصينيين فما جاءت سنة ١٨٦٠ الا وكانوا متغلبين عليهم في كل الجهات التي هاجموهم فيها . وقد استولوا على يونانفو عاصمة اقليم يونان منذ الهجمة الاولى

فلما رأى حكام الصين ذلك ذعروا وسالوهم الصلح بناء على ان يعين (ما تحسين) حاكماً عاماً لاقليم يونان ويُمنح القائد (ما حسين) لقب جنرال ويولى قيادة فيلق صيني . فانقسم

هنا جيش المسلمين انقساماً اليماً · فان الامام والقائد ما حسين رضيا بالصلح ولكن القائد (توونسيو) رفض المصالحة واصرَّ على القتال فتركه القائدان الاولان وشانه وصالحوا الصينيين واستمر (توونسيو) يقاتلهم وحده

وقد اجمع مؤرخو هذه الحركة على انه لو اقام الامام ما تحسين والقائدان ما حسين وتوونسيو على مقاتلة الصينيين واستمروا على مطاردتهم لقلبوا العرش الصيني واقاموا مكانه عرشاً اسلامياً · ويقول بعضهم ان الامام ماتحسين والقائد ماحسين طمعا يومئذ في الرئاسة فاختارا الصلح ولو اضرَّ الصلح في اخوانهم الذين لم يصالحوا بتجزئة قوتهم واضعاف عضدهم · ولكن يلوح لنا ان الامام ما تحسين لم يرضَ بالصلح لهذا السبب فقط · فانه كان رجلاً عاقلاً عليماً بما وراء الصين الضخمة من القوة الهائلة اذ لم تكن اليابان قد فضحت الصين بعدُ وأرت العالم بحربها الاخيرة مبلغ ضعفها مع ضخامة جثتها ولذلك أعظم الامام ماتحسين الاقدام على فتح الصين كلها بعشرين الف من الرجال و رضي بصلح شريف نافع

اما القائد (توونسيو) فانه أستمر مع جيشه على مقاتلة الصينيين فسمى نفسه « سلطاناً » واتخذ مدينة تاي عاصمة لملكه · وكان القائد ماحسين قد غير اسمه ودُعي (ماجولونغ) وولي قيادة فيلق صيني لحاربه (توونسيو) وهزمه · ومن الاسف ان يحارب الاخ اخاه · ثم كرَّ توونسيو على جيوش الصين فهزم بعضها وحده وحصر يونان فو عاصمة اقليم يونان

وكان في هذه العاصمة الامام ما تحسين والقائد ما حسين وقد جُرح هذا في اثناء المعركة التي انهزم فيها فبذل توونسيو قصارى جهده ليستميلهما اليه فذهب سعيه عبثاً · فسالهما بما بينهما من صلة الدين ان يساعداه على الاقل على فتح المدينة وذلك بتسليمها اليه لانها كانت في ايديهما فرفضا ذلك من امانتهما للسلطة الصينية · فاقام توونسيو على حصرها وقتاً طويلاً ومما اطال مدة الحصار اشتغال الجنود الصينية بخوارج من قبائل المياوتسو والميانتسو كانت قد خرجت على الصين

ولما طال الحصار كثيراً تعب الجيش الحاصر و بدا اضطرابه واستياؤه فاضطر قائده توونسيو ان يعود به الى تالي عاصمته فطارده الصينيون اليها وحصروها ففتحوها في ١٥ يناير من عام ١٨٧٣ وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً · اما القائد توونسيو فانه تجرع السم قبل دخولهم اليها · و بذلك انتهت الفتنة وعادت البلاد الى الصينيين

﴿ الثورة الصغرى ﴾ هذه هي تفاصيل الثورة الكبرى باختصار · واما الثورة الصغرى فهذا تفصيلها

كان في تشكند على حدود الروس في آسيا الصغرى رجل يُدعى « يعقوب بك » وقد ولد هذا الرجل في تلك الجهات وتعلم فنون القتال في وقائعه مع الروس لانه كان ذا يدٍ في كل الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في اواسط آسيا . ولما اتصل هذا الرجل بالامير بورزوق خان زين له ان يستولي على ولاية كشغار في جدود الصين مما يلي افغانستان لانها كانت في فوضى واضطراب فهاجمها الامير في عام ١٨٦٣ واستولى عليها . ولكن بورزوق خان كان رجلاً ضعيف العزم والراي خلافاً ليعقوب بك الذي كان كبير الاماني والآمال فقام عليه يعقوب بك ونفاه وقبض على ازمة الامارة مكانه . وكانت امارته واسعة الاطراف فحسده الصينيون وادعوا ملكية اراضي كشغار البعيدة عنهم مع انهم لا يدعون بسوى السيادة على اراضي كوريا وانام القريبة منهم والتي هي جزء من بلادهم . ومما زاد حقدهم عليه انهم رأوه قد اغتنم فرصة الفتنة الاسلامية وانشأ لنفسه تلك الامارة الواسعة فانتظروا حتى فرغوا من ثورة يونان على ما تقدم وساقوا عليه جيشاً ضخماً

وكان يعقوب بك الذي تلقب بعد الامارة « يعقوب خان » مهدداً من جانبين : من جانب الصين ومن جانب الروس . فاخذ يطلب حلفاء تشد ازره . فكتب الى الاستانة يبايع الخليفة ويستعينه وكانت الدولة يومئذ في مشاكل وقلاقل فلم تسمع له . ومن المؤرخين من زعم ان الاستانة وعدته خيراً واذنت له بان يسمي نفسه « امير المؤمنين » وهو خطأ يعرفه كل مسلم اذا جهله بعض مؤرخي الافرنج . ولما لم يجد له عوناً في الاستانة اتجه الى انكلترا واستمدها على الصين وعلى روسيا . وكان من مصلحة انكلترا ان تحالفه ليكون لها ردءاً وعوناً على روسيا اذا هاجمت الهند ولكنه كان بين كشغار والهند جبال كثيرة تحول دون وصول جيش كشغار اليها ولذلك لم تعبأ انكلترا كثيراً بمصادقته . فاصبح يعقوب خان ولا معين له غير جيشه القوي الذي نظمه على الطريقة الاوربية . ولكن هذا الجيش مع قوته لم يثبت طويلاً امام جيش الصين فاستولى الصينيون على كشغار في عام ١٨٧٧ وتوفي يعقوب خان قبيل ذلك من همه وحزنه

هذه هي خلاصة الحركة الاسلامية في الصين . ويقدر كتّاب الافرنج المسلمين في بلاد الصين بعشرين مليوناً وغيرهم يجعلهم ٣٠ او ٥٠ مليوناً . فاذا ارتبطوا بالخلافة الاسلامية ارتباطاً وثيقاً صار لحكومة الاستانة شان كبير في الصين وكان لها تاثير في حل المسالة الصينية يوم حلها

قصة للمسعودي عن الصين وقد وعدنا في مقدمة هذا الفصل ان نذكر شيئاً

مما كتبه كتاب العرب عن الصين وانجازًا للوعد ننشر قصة للمسعودي عن سائح عربي وصل الى تلك الاقطار · ولا ننشرها لاننا نعتقد صحتها بل لتكون مثالاً لكتاباتهم في الجوغرافيا والتاريخ · قال المسعودي

«من ظرائف اخبار ملوك الصين ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من اهل بيت نبوّة العرب فكتب ملك الصين الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه وعما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له في الوصول اليه فلما وصل اليه قال له الملك فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالي بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعدّ الملوك خمسة فاوسعهم ملكاً الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكاً وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك اسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا اطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس · ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس · ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة ايضاً لان اصلها منهم · ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض اتمّ خلقاً من رجاله ولا احسن وجوهاً منهم· فهولاء اعيان الملوك والباقون دونهم· ثم قال للترجمان قل له اتعرف صاحبك ان رايته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم ارد هذا وانما اردت صورته فقلت اجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجاً وقال للترجمان اره صاحبه فرايت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسالني فقلت اصلي على الانبيـاء فقال ومن اين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم · هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه· فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما اخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى ارضنا ان كان خبركم صحيحاً فنحن هذه القطعة· ونحن معاشر اهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم · وما ذكرت من

ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له . قال القرشي فبهت الرد عليه واقامة الحجة لعلي بدفعه ذلك. ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهراً شيئاً يسيراً. قال ثم رايت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به في ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت. فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجلّ الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيئاً انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه. ثم سالني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها. ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول اكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكاً كثيراً ووزيره ايضاً وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذللت وقلت بلى هو قال ذلك فرايت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل . ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو اقرب اليك داراً ومنسباً قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك ايها الملك فسره ذلك وامر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وامر بحملي على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين » انتهت قصة المسعودي باختصار

مصر القديمة وآثارها

(المسلات المصرية)

مهاجرة ابناء مصر ومهاجرة آثارها · كيف كان المصريون يصنعون المسلات · طريقة نقل مسلة سيزوستريس من الاقصر الى باريز · نقل مسلة كليوبتره من الاسكندرية الى لندن · المسلات والتمدن القديم والحديث

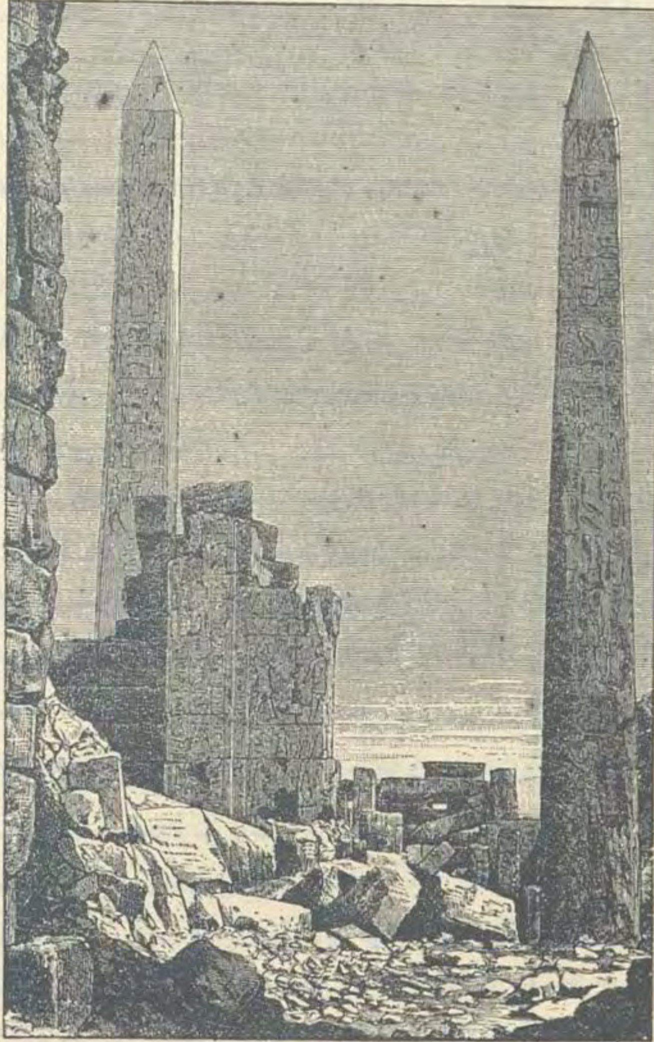
لو كانت مصر يهاجرها ابناؤها كما تهاجرها آثارها لاستفاد المصريون فوائد كثيرة · فانك لا تدخل متحفاً في بلد من بلاد العالم المتمدن الا وتجد فيه شيئاً من آثار التمدن المصري القديم · وكل متحف خلا منها كان متحفاً ناقصاً · اما المصريون فقلما تجد منهم احداً في الاقطار البعيدة · فهم في ذلك مع آثارهم على طرفي نقيض · فليتهم يعكسون هذا الامر وذلك ان يبقوا آثارهم في بلادهم حرصاً عليها ويهاجروا هم الى اقطار العالم بدلاً منها فان ذلك يعود عليهم نفعاً مزدوجاً

ومن الآثار المصرية ما يهاجر مصر بسهولة فيحمله الاوروبيون في الصناديق والحقائب والجيوب ويعودون به فرحين مسرورين بالغنيمة · ومنها ما يعانون في نقله من المتاعب والمشاق والاهوال ما يدلنا على مبلغ اهميته لديهم · ومن هذا القبيل المشاق العظيمة التي عاناها الفرنسويون والانكليز في نقل المسلة المصرية ومسلة كليوبتره الى باريز ولندن كما سنقصه فيما يلي

﴿ كيف كان المصريون يصنعون المسلات ﴾ وقبل ذلك فلننظر كيف كان المصريون يصنعون المسلات قطعة واحدة من راسها الى قدمها وما هو الغرض من صنعها · فنقول

نقل مؤرخو اليونان والمصريين ان فراعنة مصر كانوا اذا ارادوا انشاء مسلة يرسلون عمالهم الى مقالع حجر الغرانيت في سيان (اصوان اليوم) فيخط هؤلاء العمال على قطعة واحدة من الصخر رسم المسلة ويأخذون بقطعها مربعة اي ذات اربعة سطوح · ولما تنكشف سطوحها الثلاثة ولا تعود متصلة بالصخرة امها الا بواسطة السطح الرابع ينقبون تحت هذا السطح ويأتون بقطع من الخشب والحطب ويزجونها في الثقوب التي يفتحونها تحته ثم يصبون ماء على الحطب والخشب فيتمدد الخشب والحطب عند تشربهما الماء فينفلق الصخر تحت المسلة بالتدريج من غير عنف ولا قوة فان العنف والقوة يضران بالمسلة · وهكذا حتى

ينفصل السطح الرابع عن الصخرة · فيجيء العمال حينئذ باغصان كثيرة و يبسطونها على الارض ثم يدحرجون المسلة عليها و يشدونها الى سرب من البقر وجماهير من البشر — لان البشر كانوا بمنزلة البقر في ذلك الزمان — ثم يسوقونها الى حيث يأمرهم الملك بنصبها ·



﴿ مسلتا سيزوستريس في خرائب الاقصر ﴾

(المسلة المنقولة الى باريز) (المسلة الباقية في الاقصر)

ولكنهم قبل نصبها ينحتونها و يصلحونها و ينقشون عليها بالقلم الهيروغليفي (اللغة المصرية القديمة) الكتابات التي يريد الملك تخليدها . وهذه الكتابات ظاهرة على المسلتين في الرسم الموضوع في هذا الفصل

﴿ المسلة المصرية في باريز ﴾ اما المسلة المصرية المنصوبة الآن في ساحة « الكونكورد » في باريز فانها كانت منصوبة في الاقصر وقد نصبها هنالك سيزوستريس العظيم امام باب قصره تزييناً له (١) وهي متناهية في الضخامة . فان طولها يبلغ ٢٢ متراً ومحيط دائرة قاعدتها ٩ امتار و٧٠ سنتيمتراً وثقلها ٢٢٠ الفاً و٥٢٨ كيلوغراماً ومساحة حجمها ٨٠ متراً مكعباً من حجر الغرانيت

وقد ابتدأ امر نقلها في ايام الملك شارل العاشر . فان العالم الشهير المسيو شامبوليون الذي حلّ اسرار اللغة الهيروغليفية سأل هذا الملك ان يزين باريز بمسلة من المسلات المصرية فبعث الملك شارل في الحال يستوهب محمد علي باشا امير مصر مسلة من مسلاته فوهبه الامير مسلة الاقصر التي تقدم ذكرها

﴿ الاقصر ﴾ ان الاقصر كلمة عربية وهي جمع قصر " اقصر " وقد سميت كذلك لكثرة الهياكل والآثار والقصور القديمة القائمة هناك . وهذه الآثار بقية من مدينة " ثيبة " الشهيرة التي كان يسميها القدماء " ثيبة ذات المائة باب " لكثرة غناها واتساعها وهي غير ثيبة اليونانية . واشهر ما في الاقصر هيكلها العظيم الذي يقصده السياح من كل اقطار العالم (انظر الرسم) وقد بناه الملك امنوفيس الثالث منذ اكثر من ٣٠ قرناً اكراماً للاله عمون . وجدرانه مغطاة كما ترى بالصور والكتابات الهيروغليفية المصرية في جملتها اسم الاسكندر المكدوني الذي زار هذا الهيكل عند افتتاحه مصر وقدم فيه ذبيحة للاله عمون « راجع ذلك في العدد التاسع الصفحة ٤٩٨ »

﴿ كيف نُقلت المسلة الى باريز ﴾ ولما صدر امر محمد علي باشا باعطاء فرنسا مسلة سيزوستريس عهدت الحكومة الفرنسوية الى المهندس ليباس امر نقلها الى باريز فبنى هذا المهندس سفينة خصوصية سماها « الاقصر » وجعلها طويلة ضيقة ثم قدم بها الى مصر

---

(١) انظر رسم سيزوستريس في الصفحة ٥٠٢ السنة الاولى وقد نصب هذا الملك مسلتين امام باب قصره منذ اكثر من ٣٠ قرناً واحدة نقلت الى باريز والثانية باقية في مكانها في الاقصر



﴿ هيكل الاقصر المشهور ﴾

فالاقصر ومعه مامور من قبل محمد علي · وكانت الآثار المصرية مهملة في ذلك الزمان فكان الاهالي يبنون « عششهم » واكواخهم بينها او قريباً منها · فاضطر المهندس ليباس ان يهدم بعض العشش التي كانت قائمة بازاء المسلة ويُرضي اصحابها بشيءٍ قليل من المال · ثم

بدأ العمل فاستاجر اربعمائة نفس من الرجال والنساء والاولاد لبناء السطح المائل الذي يجب انزال المسلة عليه الى النهر · وفيما هم يعملون في هذا البناء فشت الكوليرا بينهم واماتت منهم ١٥ رجلاً في يوم واحد · فاستمر المهندس مع ذلك في العمل حتى اتمه في ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٣٢

وعند بزوغ صباح هذا اليوم انامو المسلة بحبال شدوها اليها فاجتمع لهذا العمل خلق كثير ثم حذفوها على السطح المائل الى شاطئ النيل ووضعوها على طوف من الخشب فحملها الطوف الى السفينة والسفينة اصعدتها اليها بقوة آلاتها الرافعة فوضعت فيها على طولها في المكان المخصص بها · ولكن مياه النيل كانت يومئذٍ منخفضة فانتظروا مياه النيل حتى ارتفعت في شهر يونيو فسافرت السفينة من الاقصر في ٢٨ منه متوسطة مجرى النيل والاهالي على جوانبه يغنون و يرقصون فدخلت البحر المتوسط في اول يناير من عام ١٨٣٣ ووصلت الى طولون في ١٠ مايو والى باريز في ٢٣ دسمبر فالقت مرساتها في نهر السين بازاء مجلس النواب · فتقرر نصب المسلة في ساحة « الكونكورد » في ٢٥ اكتوبر من عام ١٨٣٦

وكان الفرنسويون قد ثاروا في عام ١٨٣٠ على الملك شارل العاشر فخلعوه و بايعوا الملك لويس فيليب مكانه · فلما ازف ميعاد نصب المسلة قدم الملك والملكة الى ساحة الكونكورد وكان عدد المجتمعين فيها يومئذ اكثر من مائتي الف نفس · وكان المهندسون قد بنوا قاعدة للمسلة ونصبوا لها سواري وحبالاً واتوا بعشر آلات رافعة يعمل فيها اربعمائة جندي من جنود المدافع · وكانت الحبال المشدودة الى المسلة والآلات الرافعة تبلغ استدارتها ٩ سنتيمترات · فلما تم الاجتماع اشار المهندس ليباس اشارة فدوت اصوات الآلات الرافعة كالرعد ورفعت المسلة رأسها رويدًا رويدًا · ثم ارتفعت قاعدتها ووضعت على قاعدة البناء واستمر الرأس يرتفع حتى استوى منتصباً على القاعدة كالالف او كقامة الهيفاء

فخرج حينئذ من افواه الالوف المجتمعة هناك هتاف عظيم طبق السماء · وتقدم الملك من المهندس ليباس فاثنى على مهارته ومنحه وسام اللوجيون دونور من درجة الشفاليه وعينه مديرًا لمتحف الشؤون البحرية بعد ان وزع ثلاثة آلاف فرنك على مساعديه · وقد بلغت نفقات نقل المسلة الى باريز مليوني فرنك ونصف واستغرق نقلها من يوم الشروع فيه الى ساعة اتمامه نحو ست سنوات

﴿ نقل مسلة كليوبتره الى لندن ﴾ وقد نقل الانكليز الى لندن مسلة كليوبتره

التي كانت منصوبة في الاسكندرية ويسميها الافرنج « ابرة كليوبتره » ولكن الاقدار عاكستهم في نقلها · فلان مهندسهم صنع لها من الحديد والخشب صندوقاً كبيرًا على شكل سفينة سماه « كليوبتره » وجاء به الى الاسكندرية فوضع المسلة في داخله وجره الى البحر وكان ذلك في عام ١٨٧٧ · وعند نزول مسلة كليوبتره في البحر ضمن هذه السفينة الغريبة التي لم يسبق لها مثيل انشأوا فيها غرفة للبحارة وركبوا فيها سارية ثم نزل فيها ٥ من البحارة المالطيين وضابط انكليزي للسفر عليها · وفي ٢١ سبتمبر من عام ١٨٧٧ خرج هذا الصندوق من ثغر الاسكندرية تقطره باخرة انكليزية كبرى تدعى « اولغا » فسارت به عشرين يوماً سيرًا بطيئًا منتظماً دون ان تحدث حادثة له او لها· ولكنهما ما وصلتا الى خليج بيسكاي (اسبانيا) حتى هبت زوبعة هائلة فقلبت سفينة كليوبتره وتعاظمت الامواج حتى اضطر ربان الباخرة اولغا ان يقطع السلك الذي كان يربط المسلة بسفينته فانفصلت المسلة وذهبت على متن الامواج هي والبحارة التي فيها

ثم سكنت الزوبعة قليلاً فانزل ربان الباخرة الثاني زورقاً وركبه مع ٥ من البحارة لاغاثة رفاقهم الذين في سفينة المسلة · فما كادوا ينزلون الى الزورق حتى داهمتهم موجة كالجبل الشامخ فابتلعهم البحر ولم يبن لهم اثر بعد ذلك فذهبوا ضحية شجاعتهم وشهامتهم

ولما ركدت الريح طلبت الباخرة اولغا سفينة المسلة لانقاذ رجالها فصعد هؤلاء اليها فسافرت الباخرة اولغا بهم وقد تركت المسلة وشأنها في عرض البحار راضية من الغنيمة بالاياب · الا انه لم ينقض بضعة ايام على وصولها الى انكلترا حتى نشرت الجرائد تلغرافاً من فيكو في اسبانيا وفحواه ان الباخرة « فيتزموريس » اسرت سفينة كليوباتره في شمالي فرول وهي ترجو من الحكومة الانكليزية ان تسرع في تسلم هذا الصندوق الذي لا محل له بين بضائع الشركة ··· فارسلت الحكومة الانكليزية سفينة انكليزية لجر صندوق المسلة الى لندن فعادت به السفينة في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨ وفي ذلك الشهر نصب الانكليز هذه المسلة على احد جسور نهر التيمس

✻ المسلات المصرية والتمدن القديم والحديث ✻ وقد يظن القارىء لاول وهلة ان المتاخرين قد تفردوا بغصب مصر آثارها والحقيقة ان المتقدمين قد سبقوهم الى ذلك · فقد روى العالم سميث ان اشور بانيبال ملك اشور نقل مسلتين كبيرتين من مسلات الاقصر الى نينوى لما فتح مصر· ويقدرون عدد المسلات التي نقلها امبراطرة الرومان الى رومه ١٢ مسلة ولا يزال بعضها قائماً في رومة الى الآن · وقد كان في الاستانة ثلاث مسلات نقلت

احداها الى البندقية في عام ١٥٤٦ ووجدت مسلة في ارل من اعمال فرنسا وهي بلدة مشهورة بالآثار القديمة و وجدت مسلة اخرى في فلورنسا وغيرها

ولا يسعنا في ختام هذا الفصل الا ان ننظر نظرة في تقلبات هذا الزمان . فان المصريين القدماء لما بنوا هذه الهياكل والمسلات العظيمة التي تدل على قدرتهم ومبلغ تمدنهم كانوا ينظرون الى اهالي البلاد التي يسمونها اليوم « اوروبا » بعين الاحتقار والازدراء وكانوا يسمونها « تمحو » وهي عندهم من كلمات الاستصغار والاستضعاف ولم يكونوا يعتبرونهم ارقى من الزنوج بكثير . اما اليوم فقد تبدلت الاحوال فصار السيد مسوداً والكبير صغيراً . وتلك الايام نداولها بين الناس

ربع قرن في الصحافة

(المقتطف)

بقلم احد الادباء

اتمت مجلة المقتطف وجريدة الاهرام منذ اشهر سنتهما الخامسة والعشرين ودخلتا في السادسة والعشرين اي انه قد انقضى ربع قرن عليهما وهما في ميدان الصحافة . ولعل المقتطف قد سبق جريدة الاهرام في الوجود لانه قد ورد في الصفحة ١٢٠ من الجزء الخامس لسنة المقتطف الاولى الفقرة الآتية

« جريدة الاهرام . ان ما ظهر من همة منشئها سليم افندي تقلا في نشرها واتقانها يستحقُّ مزيد الثناء و يستدعي اقبال ابناء اللغة العربية عليها فلا جرم ان مشروعه هذا يأول لنشر المعارف وترقية الوطن فنسأله تعالى ان يوفق احواله و يبلغه آماله في ما ظهر وما سيظهر من اعماله المفيدة »

ولو كان الشرقيون قد تعودوا ان يوفوا كل عامل حقه لما سكتت جرائدهم عن تقريظ هاتين الجريدتين عند اتمامها السنة الخامسة والعشرين ولما قعد ادباؤهم عن الاحتفال بما يسمونه العيد الفضي لكل واحدة منهما بقطع النظر عن المبادىء والاراء . بل الانكى من ذلك ان بعضهم رأى من حسن الذوق ان يضع الذم في هذه المناسبة موضع التقريظ فيما يختص بالمقتطف صاحب الايادي البيضاء على المعارف في الشرق فبعث رسالة الى وكيله وقريبه في الاسكندرية لينشرها باسمه في احدى جرائد اميركا العربية وكلها مدح لمجلته وذم للمقتطف

بحجة انه جافّ ناشف يسأم منه قارئه وسامعه فضلاً عن ذم باقي المجلات العربية . كأن صناعة الادب و يا للاسف تجارة توجب على الضعيف فيها ان يذم بضاعة صاحبه ترويجاً لبضاعته

فلما قرأت ذلك الفصل وشممت منه الرائحة الهلالية قلت في نفسي "لا تعدم الحسناء ذاماً" ثم اخذت القلم لاكتب فصلاً للجامعة اعيّد فيه لرصيفها المقتطف عيداً فضياً اعترافاً بفضله على المعارف ومكافأة له بالثناء لا بالذم على خدمته العلم في الشرق ربع قرن وزيادة

وقد رأيتُ خيرَ الامور في هذا الشان ان اسوح سياحة في المجلد الاول من المقتطف اظهاراً لما كان المقتطف عليه منذ ٢٥ عاماً وما صار اليوم اليه وتذكاراً لصدوره فاقول مبتدئاً بالجزء الاول

قال المقتطف منذ ٢٥ عاماً في السطر الاول من مقدمته وكانت النهضة العلمية في اولها يومئذٍ « لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسره المشروع الذي باشرناه خدمة للوطن واجابة لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد » « ولما راينا مناسبة الاحوال لنا و وجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرته على ما بنا من القصور مستعينين به تعالى ونلنا الرخصة السامية فيه من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري » « ولنا الامل الوطيد ان هذه « الجريدة » تقع عند الجمهور موقع القبول» « وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليه لضيق المقام» « واذا تيسر نفوذ هذه الجريدة اقمنا لها مكاتبين مخصوصين وكبرنا حجمها وقصرنا مدة صدورها » وفي ختام المقدمة « وانا مقرون بعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المعذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرد بالكمال »

وكان المقتطف يصدر يومئذ في ٢٤ صفحة في كل شهر وقيمة اشتراكه عشرة فرنكات في العام

وقد صدّر الجزء الاول بفصل في عمل الزجاج واردفه بفصول في وصف القمر والميكرسكوب وعلماء الهيئة عند العرب واللغة الحميرية والقلم المسند والصباغ الاحمر والمطر و بعض اخبار . وفي ذيل العدد هذان السطران « انا مديونون لجناب الدكتور فانديك بالشكلين المدرجين في القمر وللمطبعة الاميركانية باشكال الميكرسكوب ومن الآن فصاعداً نكتب تحت الشكل المستعار اسم المستعار منه »

هذه خلاصة الجزء الاول . وهو مطبوع على ورق وسط طبعاً وسطاً . اما الجزء الثاني فانه مصدر بهذين السطرين " نرجو من حضرة وكلائنا ان يستلموا قيمة الاشتراك من المشتركين حالما يسلمونهم هذا الجزء ويرسلوها الينا في الفرصة الاولى » وفي هذا الجزء مقدمة ثانية جاء فيها « ليس في المقتطف من المباحث السياسية التي أشغلت افكار الناس في هذه الايام ما يجعل له اهمية عند كثيرين فلذلك انذرنا البعض بعدم رواجه ولكن جاء الامر بخلاف ما كانوا ينذرونه وما ذلك الا لعظم اهميته لبلاد قد ذاقت يسيراً من العلم فاصبحت تطلب منه الزيادة . والصناعة والزراعة فيها كالعدم وهي تلتمس من يأتيها بهما . فنهنئ انفسنا بعد ان نهنئ وطننا العزيز بما صادفه مقتطفنا من الحظوة . وقد طلب الينا كثيرون ان نصدره غير مقصوص لان القص يعيق التجليد اذا شاؤوا ان يضموه الى كتاب ففعلنا » ثم تلي المقدمة مقالة في اطباء اليونان والشرق للمأسوف عليه العلامة الدكتور فان ديك الذي كان اول منشط ومساعد لهذه المجلة ثم فصول في شجر التوت والنظام الشمسي والحرارة وصقل الحرير والهواء وزجاج الصفائح والاعتناء بصحة الاطفال وبيان من المرصد السوري الفلكي . ثم بعض مسائل واخبار

وفي الصفحة الاخيرة من الجزء الثالث هذا الاعلان « انتهى طبع كتاب الظواهر الجوية ترجمة المعلم فارس نمر ب.ع من اللغة الانكليزية وهو كتاب صغير جداً للدكتور الياس لومس استاذ في مدرسة بيل »

اما الجزء الرابع ففي الصفحة ٩٤ منه هذان السطران " سألنا كثيرون عن معنى الحرفين ب.ع فنجيب انهما مقتطفان من بكلوريوس علوم رتبة من رتب المدرسة الكلية ومعنى بكلوريوس اصلاً حب الغار » وفي صفحته الاخيرة بيان لخسوف كان مقبلاً وتقريظ للجزء الاول من دائرة المعارف الذي اصدره يومئذ « جناب الفاضل المعلم بطرس البستاني»

وفي الجزء الخامس هذه الشذرة « عدد الذين يموتون على الارض سنوياً ٣٣٣٣٣٣٣٣» ورسالة من مرج عيون عن الخسوف الجزئي الذي حدث في ٣ سبتمبر من ذلك العام قبل نصف الليل بقليل ومما جاء فيها ان المراسل استناداً الى ما قرأه في المقتطف اخبر رفاقه في احدى السهرات عن خسوف القمر في ٣ سبتمبر فلم يصدقوا وافضى الامر بينهم الى المراهنة . قال المراسل « وفي الليلة المعينة بينما نحن نتعاطى الكلام رأينا نور القمر يزيد اكمداداً فالتفتنا فاذا « الحوت قد ابتلع بعضه » فضجت القرية باجمعها واستيقظ من كان نائماً واطلق البعض بنادقهم . وما كنا نسمع بينهم الا من يقول « صحيح صدقوا . كيف ما نصدقهم بعد»

اما الجزء السادس ففيه رسالة من الاستانة بقلم جناب الياس افندي مطر احد طلبة المكتب السلطاني ومما جاء فيها « ان المقتطف استدعى سرور صاحب الدولة وزير المعارف العمومية الذي لا يفتر عن المكافأة عند انفكاك الغوائل الحاضرة » ثم اسهب المراسل في بيان اختراع كان حديثاً في ذلك الزمان وهو « التلغراف بلا شريط » كما كانوا يقولون يومئذٍ « وبلا سلك » كما يقولون اليوم . اما اسم المخترع الاول فهو الاستاذ بوربوز الفرنسوي على ما جاء في هذه الرسالة

وفي هذا الجزء ابتدأت المناظرة بين المقتطف وبعض رجال الدين بشان « دوران الارض » وقد جاء فيه في الصفحة ١٤١ « واما الذين طلبوا منا الرد على الامالي الفلكية التي صدرت في الجزء العشرين من الجنان لهذه السنة فنرجوهم ان يعفونا من ذلك وهل يُردُّ في علم على من يجهله كل الجهل »

وفي الجزء الثامن رسالة في ان الارض ثابتة مؤسسة لا تدور وهي ردٌّ على المقتطف استند فيه كاتبه الى آيات من الكتاب المقدس مثل قول ارميا النبي « انه تعالى مؤسس المسكونة بحكمته » وايقاف يشوع بن نون الشمس وقول اشعيا النبي « الله باسط السموات ومؤسس الارض» وقول ايوب انه تعالى « يمد الشمال على الخلا و يعلق الارض على لاشيء »

فامسكه المقتطف عند هذه العبارة في جزء تالٍ وقال « الا يظهر من قول ايوب عليه السلام ان الارض غير مؤسسة ولا اعمدة تحتها » فاذا لم تكن تحتها اعمدة فهي سابحة في الفضاء وهو راي علماء الهيئة

وفي الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ان « الدكتور شبلي افندي شميل والدكتور داود افندي مشاقه نالا الرخصة التي تؤذن لهما بممارسة الطب في الممالك المحروسة »

واما الجزء العاشر ففي صدره مقاله « في العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » هذه مقدمتها « لما اطلع صاحب السعادة والاقبال حضرة رياض باشا الافخم وزير المعارف في بلاد مصر على الرسالة المدرجة في الجزء الثامن في ثبوت الارض قال لوكيلنا كليانتس افندي فيليبيذس ان هذا الرأي مغلوط وفاسد ديناً وعلماً ثم تكرم برسالة من قلم وكيل سعادته في نظارة المعارف العالم الشهير والامير الخطير سعادة عبد الله فكري بك في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية ولما اجلنا الطرف في رياضها الحسان راينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها »

وفي الصفحة ٢٣١ من هذا الجزء رسالة في الانتروبولوجيا مترجمة عن العالم هدج الاميركي

ومفتتحة بهذا السطر « الى جناب الاديبين منشئي جريدة المقتطف المحترمين » وفي آخر هـذا الجزء الكلام التالي « لقد سررنا بنجاح الخواجه يعقوب حلاج في عمل الشحيط فان شحيطه جيد الصفة رخيص الثمن فضلاً عن كونه عمل واحد من ابناء الوطن »

وجاء في مقدمة الجزء الحادي عشر « لما كان كل ابتداء عسرًا وكان التمام لا يبلغ في الامور الا تدريجًا فسنجتهد في اقتطاف كل ما يفيد الوطن وتعيين من يزيد ادارة المقتطف ضبطًا » وورد في الصفحة ٢٦٣ منه « يقال انه ظهر في هذه الاثناء نجم صغير ذو ذنب ولم يبدُ للعيان فالحمد لله انه لم يظهر ولو ظهر لكان له بين السذج هرج ومرج ولنسبوا اليه كل مصيبة تصيب البشر كما نسبوا الى الخسوف الماضي اخبارًا اختلقوها »

واما الجزء الثاني عشر وهو الاخير من السنة الاولى فانه مصدر بالاعلان التالي « قد سلمنا ادارة المقتطف لجناب الاديب شاهين افندي مكاريوس فنرجو من حضرات الوكلاء والمشتركين ان يسلموه قيمة الاشتراك ويبعثوا جميع الرسالات المختصة بالمقتطف باسمه الى المطبعة الاميركية في بيروت ولا يخفى انه بذلك تضبط الادارة غاية الضبط فننفرغ لجمع المواد واجابة المسائل » وورد في باب الاخبار والاكتشافات والاختراعات عن تاريخ سوريا ما يلي « قد طالعنا غير مرة اعلان تاريخ سوريا لجناب الاديب جرجي افندي يني وقد بلغنا الان ان جنابه عزم على طبع التاريخ المذكور ونشره فعسى ان لا تحول موانع الاوقات دون ذلك المشروع المفيد » ثم يلي ذلك في الصفحة الاخيرة خاتمة السنة وفهرستها

هكذا كان المقتطف في دوره الاول . ثم انتقل الى مصر وارتقى مع كرور السنين الارتقاء الذي يعرفه قراؤه . وقد بقي محافظًا على مقامه العلمي فلم يلجأ الى التزويق والتنميق استمالة لبسطاء القراء شان الذين يعرفون مقام العلم والادب وينزهونهما عن ان يكونا سلعة للاتجار . فنحن نهنئه بهذه الخطة وباجتيازه ربع قرن وهو في خدمة الشرق ولانقول ما يبدو لنا من الملاحظات بشانه اولاً لان ذلك خارج عن موضوعنا اذ نحن الآن في مقام تقريظ لا في مقام انتقاد وثانيًا لاني اخشى ان تسوءه ملاحظاتي . انما اكتفي بواحدة وهي هذه : ان حضرات اصحاب المقطم كتبوا منذ سنوات الى بعض اصدقائهم في اثناء مناظراتهم لبعض رصفائهم من اصحاب الجرائد فقالوا يثنون على المقطم : اننا بالمقطم قد اخرسنا « المؤيد » واغرقنا « النيل » وهدمنا « الاهرام » الخ ومادروا انهم بالمقطم لم يضروا الا المقتطف . فليت المقطم لم يكن او كان بغير الاسلوب الذي كان به ليكون المقتطف في مقامه الحقيقي

العودة من القطب الجنوبي

﴿ اكتشاف قارة جديدة ﴾

نشرنا في الجزء السابع مقالة عنوانها « العودة من القطب الشمالي » ذكرنا فيها تفاصيل سفر الدوق ابروزي ابن عم ملك ايطاليا الى هذا القطب وعودته منه فائزًا بعض الفوز . وقد راينا ان نردف هذه الرحلة الشمالية بذكر طرف من الرحلة الجنوبية التي اتمها في العام الماضي الرحالة بورشكريفنك النروجي في القطب الجنوبي اتمامًا للفائدة فنقول باختصار

اتفقت المجلة الانكليزية « سترند مغازين » التي تُطبع في لندن مع هذا الرحالة على رحلة يرحلها على نفقتها لاكتشاف القطب الجنوبي فابتاع سفينة سماها « سوثرن كروس » واخذ معه عالمين لمراقبة حالة الجو في القطب الجنوبي وعالمين من علماء الحيوان للبحث في الحيوانات التي يصادفونها وطبيبًا وطباخًا وثلاثة عمال فالمجموع تسعة رجال ما عدا زعيمهم وسرب من الكلاب لجر المزالق على الثلوج . وفي اواخر عام ١٨٩٨ خرجت بهم السفينة من (هوبارتون) عاصمة تسمانيا في جنوبي اوستراليا قاصدة جزءًا من الجهات القطبية الجنوبية يُدعى « ارض فيكتوريا »

وكانت طريقهم الى هذه الارض محفوفة برؤُوس نائئة من الجبال عليها الثلوج وارتفاع كل راس منها اكثر من مائة متر وهو قائم فوق مضائق البحر يتهدد السفن بالسقوط عليها اما المسافة بين تسمانيا وارض فيكتوريا فكانت ٤٦٢٥ كيلو مترًا

فبعد انقضاء ١٢ يومًا على سفر السفينة نقلْ رجال البعثة لقيتها الثلوج الاولى فاقامت السفينة تعاركها وتعالجها ستة اسابيع حتى كاد ركابها يقطعون الامل من النجاة . ولكنهم في ذات يوم وهم في اشد حالات الضيق رأوا الثلوج تتفرق من تلقاء نفسها وتذهب مع التيار فاغتنموا هذه الفرصة وساروا بالسفينة مخترقين قطع الثلج فبلغوا ارض فيكتوريا في ١٧ فبراير من عام ١٨٩٩

فنزل بورشكريفنك الى هذا البر الذي هو جزء من الاقطار القطبية الجنوبية وانشأ فيه له ولرجاله منزلاً يقضون فيه مدة سنة كاملة للوقوف في اثنائها على حالات الجو في اقطار القطب ودرس نباته وحيوانه والسعي للوصول اليه

واول عمل عمله قبل انشاء المنزل نصبه سارية في ارض فيكتوريا بين الثلوج التي



سوترن كروس بين الثلوج

وهي السفينة التي حملت بعثة مجلة « السترند مغازين » الى القطب الجنوبي

تغطي الارض واحتفاله برفع الراية الانكليزية للمرة الاولى فيها · وعند اتمامه بناء المنزل عادت السفينة الى تسمانيا تاركة الرحالة ورجاله في اقطار القطب لتعود وتاخذهم منها بعد انقضاء سنة

فمنذ هذا الحين اخذ هؤلاء الشجعان يقاسون الاهوال القطبية · وكانوا يومئذٍ في شهر مارس وهو يقابل في برده هناك شهر اكتوبر في اوربا · ثم اخذ البرد يشتد يوماً فيوماً والرياح تعصف بقوة هائلة فتزعزع منزلهم وتلعب بقطع الثلج الكبيرة لعبها بهشيم الارض فتتطاير شظاياها الى الوجوه والعيون فتدميها وتعميها · وقد بلغ من قوة الزوابع هناك ان زوبعة حملت قارباً من البحر وقذفته بعيداً من الشاطئ، كما يقذف الولد ليمونة · واصبح

رجال الحملة لا يستطيعون السير الا متمسكين بحبال ممدودة على الطريق · وكان احد العلماء الذين يرافقون الحملة سائرًا في ذات يوم نحو المكان الذي جعلوه مرصدًا لهم وهو ممسك بالحبل فما شعر الا وقد حملته الريح كريشة والقته في هوة بعيدة فبقي فيها داميًا مغشيًا عليه حتى وجده رفاقه بعد تفتيش كثير

على ان ذلك لم يكن شيئًا مذكورًا بازاء الاهوال التي كانت قادمة عليهم وهي اهوال ليل القطب الطويل · فانه من المعلوم ان الشمس تغرب في جهات القطب عدة شهور وتظلم الدنيا في شهر مايو كله فتكون كانها في ظلام دائم · فقاست الحملة في اثناء هذا الليل الطويل الذي لا يذكر بازائه ليل المسوع اهوالاً لا تُحتمل · فان الحرارة هبطت فيه الى ٤٣ درجة تحت الصفر وكانوا يضلون سبيلهم اذا خرجوا من المنزل قيد شبرين · وضلَّ يومًا كلب من كلابهم فبقي شهرين تائهًا على الثلوج وهو يتغذى من طيور بحرية كان يصطادها في طريقه

ثم ان بورشكريفنك اخذ يهتم بالسياحة في ارض فيكتوريا مستكشفًا ارجاءها فسار فيها اشواطًا كثيرة بعضها طويل وبعضها قصير فما كان يجد سوى ثلوج كالجبال تملأُ البر والبحر · وكان في المسير على هذه الثلوج خطر شديد · وقد سقط احد رجاله في اثناء السير في هاوية انفتحت بين الثلج تحت قدميه دون ان يدري به رفاقه فلم ينجُ من الهاوية الثلجية الا بسكين صغيرة كانت في جيبه حفر بها درجات في جدران الهاوية وتسلقها ولولا السكين لمات مكانه · ولم يكتشف الرحالة في اثناء جولانه هذا سوى جزيرة صغيرة سماها « جزيرة الدوق دي يورك » وقد ثبت لديه ان ارض فيكتوريا ليست سوى سهول وحزون تغطيها الثلوج على مسافة ٤ الاف متر

ثم هون الله الامر وانقشعت ظلمات ذلك الشتاء الطويل وبدت طلائع الربيع · وانما يُعرف زمن الربيع هناك من وفود اسراب من الطيور البحرية المالوفة على ارض فيكتوريا · فاستأنس رجال الحملة بالنور وبلحم هذه الطيور فصادوا منها واكلوا متلذذين باللحم الطريء وان كان لحمها لا يؤكل · ومن الغريب ان هذه الطيور لا تفر من الانسان حين دنوه منها فهو يستطيع القبض عليها بيده وذلك لانها لم تذق من ظلم الانسان قبل هذه المرة ما ينفرها منه ويحملها على الابتعاد عنه

ولما اقبل عيد الميلاد احتفل به رجال البعثة احتفالاً عظيمًا وذلك لانهم كانوا مستريحين من البرد الشديد لان عيد الميلاد يقع في قلب الصيف هناك مع انه يقع في قلب

الشتاء عندنا

وفي ٢٨ يناير من ذلك العام عادت اليهم سفينتهم " سوترن كروس " فركبوها فرحين وساروا بها متقدمين من القطب في الجهات المجهولة اتماماً لهذه الرحلة . فمروا بجبل ملبورن وجبل تيرور وشاهدوا في طريقهم بركاناً يقذف دخاناً اسود وسط تلك الثلوج البيضاء . فوقفت السفينة هناك ونزل منهـا رجال الحملة لفحص الارض فوجدوها كارض فيكتوريا قاحلة جدباء بيضاء من تراكم الثلج عليها . غير انهم وجدوا في بقعة صغيرة بقعة من الرمل فيها بعض النباتات فبادر العلماء الى قطفها لفحصها . وبينما هم مشتغلون بذلك واذا بصوت كصوت الرعد القاصف قد صم آذانهم فنظروا فابصروا الثلوج تتفرقع وتتدحرج من حولهم وتسقط في البحر كصخور حطها السيل من علٍ فطما البحر عليهم كطوفان عظيم وكاد يغرقهم كلهم لو لم يتعلقوا بالصخور . ولعل ذلك قد نشأ عن زلزال خفيف او عن انهيار الثلج انهياراً شديداً

ثم عاد بروشكريفنك الى السفينة واستمر في طريقه . ولكنه ما سار مسافة حتى اعترض سفينته جدار عظيم من الثلج ليس له اول ولا آخر . فنزل على الثلج واخذ يبحث عن شق او مدخل ليدخل منه الى ذلك البر ولما وجد شقاً اخذ معه رفيقاً واحداً وسار في ارض مجهولة لم يطأها احد قبله . وما زال حتى بلغ الدرجة ٧٨ والدقيقة ٥٠ اي انه صار قريباً من نقطة القطب الجنوبي مسافة ١٢٣٩ كيلومتراً وهي درجة لم يبلغها احد قبله من السياح في هذا القطب

وقد قلنا ان رحلة الدوق ابروزي قد دلت على ان نقطة القطب الشمالي واقعة في بحر واسع مغطى بالثلج الدائم . اما رحلة بورشكريفنك فقد دلت على ان نقطة القطب الجنوبي واقعة في اراضٍ واسعة لا حد لها . فهنالك اذاً قارة جديدة مجهولة لا يعرف الانسان حيوانها ونباتها واحوالها الجوية . ولكن الزمان وابناءه سيكشفونها كلها

وقد عاد هذا الرحالة سالماً الى بلاده ولم يفقد من رجاله في هذه الرحلة سوى العالم هنسن احد العالمين في الحيوان اللذين صحباه . وكانت وفاته من التعب والضعف عن احتمال هواء تلك الجهات

المرحوم عبده الحمولي

﴿ اكبر موسيقي عربي في الشرق ﴾

صدقت جريدة المؤيد الغراء في قولها انه « اذا كان المرحوم عبده افندي الحمولي اشهر مغنٍ عربي في هذا العصر واعلم الموسيقيين في الشرق بفنه فمن حق التاريخ على كتاب زمانه ان يدونوا سيرة حياته »

ولقد توفي في هذا العام الموسيقي (فردي) اشهر موسيقي ايطاليا فقامت له جرائد اوربا وقعدت ولبست عليه الجرائد الاجنبية التي تطبع في القطر المصري حلة السواد وخاضت جرائدنا ومجلاتنا في ترجمة الرجل وذكر مواهبه ونوادر اعماله . ولكن لما مات عبده الحمولي لم يكن شيء من ذلك فكأنه لم يمت اكبر موسيقي العرب في هذا الزمان او كأننا لا نعتبر المواهب مواهب الا اذا كانت « افرنجية »

واجتنابًا للوقوع في هذا الخطاء نقتطف ممن كتبوا ترجمة الفقيد شيئًا منها سائلين الله له عظيم الغفران ولاهله جميل العزاء

ولد الفقيد حوالى سنة ١٨٤٤ في مدينة طنطا وكان ابوه من تجار البن وكان له اخ اكبر منه فوقع الشقاق بين ابيه والاخ الكبير فاخذه اخوه وسار هائمًا في تلك الانحاء فالتقيا وهما على آخر رمق من التعب والجوع برجل من طنطا يُدعى المعلم شعبان وهو من ضاربي « القانون » وكان يعرف رخامة صوت الفقيد فعاد به وباخيه الى طنطا ثم جاء به الى مصر فاخذ الفقيد يشتغل معه بالغناء في قهوة كانت قائمة في غابة مكان حديقة الازبكية اليوم . فاقبل الناس على سماع صوت الفتى عبده فاتسع به رزق المعلم شعبان فازوجه ابنته ليربطه به . ولما ارتبط به عبده انقلب شعبان عليه فصار يسيء معاملته

وكان في مصر في ذلك الزمان مُغنٍ طائر الصيت يدعى « المقدم » فلما سمع الحان الفقيد اعجب بها فجعله يطلق امراته وجذبه اليه فصار عبده يشتغل معه

وكان الغناء العربي في مصر في ذلك العصر مقصورًا على بعض التواشيح والقدود التي نقلها الى مصر منذ اكثر من قرنين رجل حلبي يدعى شاكر افندي وقد ورث اهالي حلب هذه التواشيح والقدود عن اهل الدولة العربية في بغداد فكان المغنون في مصر قبل الفقيد يقتصرون على ان يلوكوا هذه التواشيح والقدود بافواههم دون تصرف فيها . فلما جاء عبده

عافت نفسه ذلك التقليد الاعمى لمواهبه الموسيقية الفطرية فاخذ يتصرف فيهما تصرف الموسيقي المبتكر

وما زال حتى اشتهر في مصر فالحقه المرحوم اسماعيل باشا بمعيته واصطحبه مرارًا الى الاستانة فسمع فيها الفقيد الالحان التركية ووعاها . ثم جلب اسماعيل باشا كثيرين من موسيقيي الافرنج فسمع عبده الموسيقى الافرنجية مرارًا ووعاها ايضًا . ثم نظر الى مصطلحات الانشاد في ذلك الزمان كانشاد الفقهاء « والعوالم » والضاربين بالدفوف ووعى ما كان فيها حسنًا ايضًا . وبعد ذلك هضم عبده جميع تلك الالحان المختلفة في دماغه المستعد استعدادًا فطريًا للابتكار الموسيقي واستخرج منها طريقة جديدة وهي طريقة الغناء كما هو اليوم . وقد اقتبس شيئًا كثيرًا من الالحان التركية اخصها الحان النهاوند والحجازكار والعجم التي كانت يومئذ مجهولة في الغناء العربي وهي الآن اطرب الالحان العربية

ولا حاجة الى ذكر ما لقيته طريقة عبده من مقاومة المغنين في بدء الامر فان المقاومة والتعنيف نصيب كل امر جديد يحدث في جميع الفنون

ولما ارتقى شان عبده بطريقته الجديدة واثرى من غنائه وملازمته اسماعيل باشا ترك الغناء وعمد الى التجارة ففتح محلاً لبيع الانسجة بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضت سنتان الا وذهب هذا المال دينًا عند الناس فعاد الى صناعة الغناء مكرهًا لانه كان يكره الغناء بالاجرة ويتمنى دائمًا ان يغنيه الله عن ذلك . فاجاب الله سؤله واغناه بسعيه وبقوة مواهبه فانقطع عن الغناء بين الناس وعاش بينهم كريمًا محبوبًا

وكأن السهر الطويل الذي كان يسهره الفقيد في حياته وما وراء ذلك من الطرب ولوازمه قد نقض بناء صحته وافضى به الى داء الصدر فذهب الى الصعيد مستشفيًا فعاد منه بشيء من الصحة ولكن بلغه في عودته وفاة احد اصدقائه فحزن عليه وسار الى المنيا لحضور جنازته فقصر هذا السفر في اجله

وللفقيد نوادر كثيرة لا تحصى وكلها تدل على سخاء يده وكرم اخلاقه . وقد جاء وقت — وهو وقت اسماعيل — كانت فيه مصر كلها واقفة على شفتي عبده لما جدده فيها من الميل للموسيقى والولع بها

ومن نوادره ان اسماعيل باشا امر في ذات يوم ان يؤتى بالمغنية « الماز » المشهورة لتغني في حضرته . وكان عبده قد اقترن بها ومنعها من الغناء فجاء رسول اسماعيل يطلبها فرده عبده خائبًا فغضب اسماعيل وامر ان يؤتى بها بالقوة . وكان اسماعيل يومئذ في ابان

صولته وسطوته فثبت النقيد في موقفه امامه مع انه لم يكن احد يجسر على الوقوف في ذلك الموقف . ثم ذهب وسال صديقه المرحوم الشيخ علي الليثي ان يتوسط له لدى اسماعيل بالعدول عن طلب « المز » لان عبده يستنكر ان تغني زوجته بين الناس فتوسط له صديقه فعدل اسماعيل عن عزمه

وقد زار النقيد الاستانة في سنة ٩٦ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان وغنى على مسمع من جلالته فاعجب جلالة السلطان بغنائه ووصله وابلغه حسن رضائه ثم امره ان يلقي ما غناه في حضرته الى ضباط الموسيقى ليقيدوه بالعلامات الموسيقية (النوطة) فاطاع النقيد ولكنه لم يتمكن من اتمام ذلك فلما عاد الى مصر اتمه وارسل العلامات المطلوبة الى الاستانة

وله في السخاء والمروءة والشهامة نوادر تضرب بها الامثال . منها ان رجلاً قصده لحاجة فمنحه في الحال ٥٠٠ جنيه . وجاءه رجل يقول انه فقير ولا مال له ليحتفل بزفاف ابنته فسار معه النقيد مع تخته ولبث يغني حتى الصباح والجموع مزدحمة حوله . واتفق معه صاحب محل على الغناء ليلة في محله بمبلغ ٥٠ او ٦٠ جنيهاً على ما نظن ولما انقضت الليلة وانصرف السامعون جاءه صاحب المحل يشكو انه خسر في هذه الليلة فضحك النقيد وتنازل له عن نصف المبلغ الذي تم عليه الاتفاق . وغير ذلك كثير

ولعل كل ما تقدم لا يدل دلالة تامة على حقيقة مقام الفقيد في فن الموسيقى في مصر ولذلك نردفه بالقصيدة التالية التي قالها في رثائه حضرة احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ففيها احسن مدح وابلغ وصف للفقيد

ساجع الشرق طار عن اوكاره ... وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض ... لا تفر النسور من اظفاره
يطرق الفرخ في الغصون ويغشى ... (لبداً) في الطويل من اعماره
سلب الفن ألحن الطير فيه ... والمتين المكين من اوتاره
كان مزماره فاصبح داو ... د كئيباً يبكي على مزماره
(عبده) بيد ان كل مغن ... عبده في افتنانه وابتكاره
معبد الدولتين في مصر اسحا ... ق (السميين) رب مصر وجاره
في بساط الرشيد يوماً ويوماً ... في حمى جعفر وضافي ستاره
صفو ملكيهما به في ازدياد ... ومن الصفو ان يلوذ بداره
يخرج المالكين من حشمة الملك ... وينسى الوقور ذكر وقاره

رب ليل اغار فيه القارى واثار الحسان من اقماره
بصباً يذكر الرياض صباه وحجاز ارق من اسحاره
وغناء يدار لحناً فلحناً كحديث النديم او كعقاره
وانين لو انه من مشوق عرف السامعون موضع ناره
يتمنى اخو الهوى منه آهاً حين يلحى تكون من اعذاره
زفرات كانها بث قيس في معاني الهوى وفي اخباره
لا يجاريه في تفننه العو د ولا يشتكي اذا لم يجاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليـل فيصغي مستمهلاً في فراره
فجع الناس يوم مات الحمولي بدواء الهموم في عطاره
بابي الفن وابنه واخيه والقوي المكين في اسراره
والابيّ العفيف في حالتيه والجواد الكريم في ايثاره
يحبس اللحن عن غنيّ مدلّ ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثاً بصوته في الرزايا ومعيناً بماله في المكاره
ومحل الفقير بين ذويه ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر وشفاء المحزون من اقداره
لست بالراحل القليل فتنسى واحد الفن امة في دياره
غاية الدهر ان اتى او تولى ما لقيت الغداة من ادباره
نزل الجدفي الثرى وتساوى ما مضى من قيامه وعثاره
وانقضى الداء باليقين من الحا لين فالموت منتهى اقصاره
لهف قومي على مخايل عز زال عنا بروضه وهزاره
وعلى ذاهب من العيش وليت فولى الاخير من اوطاره
وزمان انت الرضى من بقايا ه وانت العزاء من آثاره
كان للناس ليله حين تشدو لحق اليوم ليله بنهاره

وقد وردتنا قصيدة ثانية في رثاء الفقيد من نظم حضرة الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف اليونانية في الثغر فاقتطفنا منها ابياتاً شائقة وهي :

ان تغنى خلت الملائك صاحت من اعالي القباب تتلو زبوراً

ظالما ظن سامعوه اتفاقاً أنهم ثمّ يسمعون صفيرا
من شحارير في الرياض تغنت او من الاسد في القفار زئيرا
او من البان في الجنان حفيفاً او من الماء في السواقي خريرا
كم برفعٍ من بعدخفضٍ وهمسٍ بعد جهرٍ تلا علينا سحورا
فأنسنا بسلم من رقاه بات قبلاً يعقوب منها قريرا
وصلت بالارض السما اذ افلت من جنود العلاء رهطا وفورا
فارتقينا تلك المراقيَ معهم بنفوس حامت عليها طيورا
خافقات باجنح سابحات في بحار الخيال تفري غمورا
واصبنا بعد الجهاد قراراً اذ راينا من عالم الكشف نورا
وطربنا لما رأينا عذارى ضاربات حول المرنم سورا
ساطعات كأنهن شموس مشرقات تخالهن بدورا
من رياض النعيم جئن بداراً في هوى صوته هجرن الخدورا
وبحسن الايقاع همن انشغافاً وارتشفن من اللحون خمورا
ورقصن على اناشيد عبدٍ بين ارباب الفن اضحى شهيرا
ان في مصر «للمقاول» فضلاً اذ وعت من غناه جزءا يسيرا (١)
غيران الآذان اسعد منها حفظت من ذاك السماع الكثيرا
ولئن بان ذلك الصوت عنها فصداه اقام معها سميرا
مثل قرطاس ناله الحرق لكن ما برحنا نرى عليه السطورا
مات حقاً «عبده الحمولي» ولكن ذكره للاعقاب يبقى الدهورا

ومن ظريف الرثاء الذي قيل فيه الموال الآتي لناظمه محمد افندي احمد المصري

فن الطرب انطرب لجلك عراق وحجاز ومصر ناحت وابكاك اليمن وحجاز
والترك والهند لو حزنم وناحوا جاز عليك يا مطرب الاصحاب في صباهم
لكن الهي دعا عبده ونحوه جاز

هذا ونختتم هذا الفصل بكلمة للمجلة المصرية الغراء وهي« لقد كان في مصر قبل انقضاء

---

(١) اشارة الى ان الفقيد شرع قبيل وفاته في تقييد الحانه في اسطوانات الفونوغراف طلباً للعيش لان هذا الذي كان يربح الجنيهات بالمئات ويهبها بالمئات قد توفي ولا مال له

هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما عبده وعثمان · فاليوم نحن ولا مهنيء في الفرح ولا معزٍ في الشجن الا ما كان من قبيل حكاية الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف » نقول ولقد كان هذا القول صحيحاً لو لم يبقَ بلبل المراسح الشيخ سلامه حجازي

آفات التمدن الحالي

الغنى والمضاربة في اميركا

دوس القانون ضمن دائرة القانون · طريقة ذلك · الجنون في بورصة نيو يورك ولندن والبراز بين كبار الاغنياء · خراب الوف من البيوت لهذا السبب · سياسة المسترماكنلي ومصوروه · حكم الفلسفة في المضاربة ينطبق على حكم المحكمة الاستئنافية المختلطة بالاسكندرية

للتمدن الحالي آفات كما له حسنات · ومن هذه الآفات تمكن بعض البشر من دوس القانون استناداً الى القانون وقتل حقوق الانسان استناداً الى مبداء حقوق الانسان

ومن هذا القبيل حالات الغنى الطائل في اميركا · فان انصار حرية الغنى يقولون ان مداخلة الحكومة في شؤون ارباب الاموال لتحديد غناهم ومراقبة اعمالهم امر يخالف مبدأ الملكية المقدس ويفضي الى الفوضى فضلاً عن خنقه بذور النشاط والجد في العالم وهو قول لا يخلو من صواب ولكن النتائج التي تبدو الآن في اميركا فيما يختص بالغنى الطائل توشك ان تكون للهيئة الاجتماعية خطراً اشد من خطر القيام على مبداء الملكية

وهذا الخطر هو خطر الاحتكار · فانه قد نشأت في تلك البلاد صناعة جديدة مدارها على تأليف شركات لاحتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة · فشركة تحتكر الفولاذ وواحدة تحتكر السكر واخرى تحتكر البن ورابعة الملح وخامسة الثلج وهلم جرّا · وهذا الاحتكار لا يستوجب اذناً من الحكومة ولا رضى من ارباب الصناعة ولا موافقة من الاهالي بل يتم بالرغم عنهم جميعاً على الطريقة الآتية

يخطر لاحد الاغنياء الاميركيين ان يحتكر البيره (الجعه) مثلاً فيخصص لذلك من ماله ثلاثمائة مليون فرنك او خمسمائة مليون وينشيء معامل للبيره واسعة ويمد منها خطوطاً حديدية الى البلاد التي سيصدر بضاعته اليها ثم يحمل البيره اليها ويأخذ ببيعها باثمان بخسة جداً · فلا ينقضي على ذلك بضعة شهور حتى تفلس المعامل التي تناظره وتقفل ابوابها



شركات الاحتكار في اميركا

المستر ماكنلي ورجال حكومته جالسون في مركبة الجمهورية يقودها الرئيس وبجانبه تمثال الاحتكار ببطن واسع لكثرة ما يأكل · وقد عنت جريدة «الجورنال» الاميركية بهذا الرسم ان الرئيس ماكنلي يحمي شركات الاحتكار

فحينئذ يرفع اسعار البيره لانه يصبح مالك السوق وحده وربما ضاعف الثمن فعوض في سنة ما خسره في سنوات· فمن خسر في هذه المسالة ومن ربح ؟ خسر اصحاب معامل البيره الذين خربت بيوتهم وعملتهم الذين جاعت نساؤُهم واولادهم والاهالي الذين كانوا يبتاعون البيره بثمن بخس فصاروا يبتاعونها بثمن غالٍ · ولم يربح سوى شخص مفرد كان في غنى عن ربحه· هذه هي الان نتيجة حرية التجارة والغنى في البلاد الاميركية اي ان الغني صاحب الملايين صار قادرًا على دوس القانون ضمن دائرة القانون فيحتكر بماله الطائل مع ان الاحتكار محرم في قانون بلاده ويقتل مزاحميه في تجارته كما يقتل اللصوص أُبناءَ الطريق

وقد تألفت الآن شركات عظيمة للاحتكار في اميركا على هذا الوجه واكبرها كلها شركة احتكار الفولاذ التي انشأَها الغني الشهير المستر اندريو كارنيجي الذي بلغت ثروته مليار فرنك ونصفًا وهو يوزع الآن ذراتٍ منها على المكاتب العمومية في اميركا والمدارس الكبرى في اسكوتلنده مسقط راسه · وهذه الشركة رأْس مالها سبعة مليارات فرنك وهي منقسمة الى ٣٣ شركه تحتكر الفولاذ في الولايات المتحدة كلها وعدد عملتها مليونا عامل يرئسهم المستر شارلس شويب الذي يقبض راتبًا قدره ٥ ملايين فرنك في العام· واما ربح هذه الشركة في السنة فهو ٥٠٠ مليون فرنك

﴿ الجنون في بورصة نيويورك ولندن ﴾ ورغبة في اطلاع القارئ على حقيقة الضرر الذي يصيب الناس الان بسبب هذه الشركات نكتفي بذكر الحادث الكبير الذي احدثته في ٩ مايو في بورصتي نيويورك ولندن لا سيما وانه لم يذكره احد بالتفصيل بعد' وهذا بيانه ·

لكبار اغنياء الاميركان عادة وهي احتكار اسهم السكك الحديدية للتمكن من الضغط على اداراتها والتأثير عليها بما ينطبق على مصلحتهم في نقل بضائع شركات الاحتكار التي تكون لهم · ففي ذات يوم كانت اكثر اسهم شركة « او نيون باسيفيك » في قبضة المستر كولد الغني الشهير فجاءه المستر فندربلت صنوه في الثروة والغنى وتمكن من اخراج تلك الاسهم من قبضته · فغضب لذلك كولد ونوى ان يثأر لنفسه

وكانت اكثر اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » في قبضة المستر فندربلت ورفيقه المستر مورغان الشهير مثله · فجاء المستر كولد الى بورصة نيوريوك في ٩ مايو مع رفيقه الغني ركفلر وفي نيتهما الاخذ بالثار واحتكار اسهم شركة سكة " باسيفيك نور " مهما كلفهما هذا الاحتكار

فعلم المستر فندربلت والمستر مورغان بعزمهما هذا فعقدا النية ايضاً على احتكار كل تلك الاسهم مهما كلفهما هذا الاحتكار اغاظة لهما

فلما درى بذلك رجال البورصة بادروا من كل صوب الى شراء اسهم « باسيفيك نور » وهم يعللون النفس بالسعادة لانهم اعتادوا هذا البراز بين الاغنياء · فابتاعوا السهم الواحد منها عند افتتاح البورصة بمائة وسبعين ريالاً · ولما كثر المشترون صعدت قيمته وما زالت تصعد بسرعة البرق الخاطف حتى بيع من الاسهم اكثر مما هو موجود · فطلب المشترون التسليم فبلغ حينئذ ثمن السهم الواحد الف ومائة دولار اي انه صعد ٩٣٠ دولاراً في ساعة واحدة ·

فحدث حينئذ امر هائل لم يسبق له مثيل في بورصات العالم · فقدعم الاضطراب والصراخ وانقطع البيع والشراء الا نقداً اذ اعلنت ادارة لجنة البورصة انها لا تراقب العقود لكثرتها وسرعتها · وصار من يملك ثلاثة اسهم من هذه الاسهم يبيعها فيصبح غنياً في لحظة واحدة · وطيروا القطارات البخارية خصوصاً الى المدن القريبة من نيويورك والى شيكاغو لتأتي بما تعثر به فيها من هذه الاسهم · وبحت اصوات السماسرة من كثرة الصراخ فعجزوا عن النطق وصاروا يشيرون الى الثمن اشارة بالاصابع

وماذا اجرى بعد ذلك

جرى ان فريق كولد وفريق فندربلت بدا لهما ان يعدلا عن هذا الاحتكار لانهما وجداه صعباً فابطلا الشراء من هذه الاسهم . فحدث حينئذ ما لا تتصوره العقول ولا تقوى الاقلام على وصفه . فان السهم الواحد هبط كصخر حُطَّ من علٍ من ١١٠٠ ريال الى ٨٠٠ ريال ثم الى ٣٢٥ ريالاً . فساد الجنون في البورصة فهجمت النساء يبكين و ينثرن شعورهن لانهن خسرن اموالهن وراح الرجال يدوس بعضهم بعضاً وكثيرون منهم يصرخون انهم عزموا على الانتحار . وسقطت في الحال ثلاثة بيوت مالية كبرى . وحدث ضرب ودوس وخصام بين الجماهير المجتمعة فاستدعي البوليس لتفريقهم . ولم تغرب شمس ذلك اليوم الاوقد بات الوف من رجال نيو يورك فقراء لا يكون شروى نقير مع انهم كانوا بالامس ممن لهم الخيل والمركبات . وقد سرى شيء من هذا الاضطراب الى بورصة لندن فان بعض رجالها عاموا على جراب رجال البورصة في نيو يورك فغرقوا معهم واصبحوا فقراء بعد الغنى . منهم شاب في الرابعة والعشرين جنَّ في اثناء البورصة فاخذ يقذف من نافذتها ما معه من الاسهم والاوراقُ الماليـة . وراح شاب ثانٍ يعدو بين الجماهير وهو يزأر زئير الاسود و يعرض للبيع بقيمة عشرين فرنكاً الورقة التي قيمتها ١٠٠ فرنك . فلا ريب انه قـد جنَّ ايضاً

وفي اثناء ذلك كله اين ذهب اصحابنا الذين كانوا اصل هذا البلاء : كولد وفندر بلت ومورغان وركفلر ? وما كانوا يصنعون ? — كانوا جالسين على مقعد في بورصة نيو يورك يضحكون من ذلك الاضطراب والجنون و يدخنون و يتحدثون بانه اذا عُرض عليهم سهم « الباسيفيك نور » بقيمة ١٥٠ ريالاً فانهم يبتاعونه ....

واين ذهبت تلك الملايين الطائلة التي خربت خسارتها بيوت الوف من الرجال والنساء ? — ذهب اكثرها الى جيب فندر بلت ومورغان الاذين ربحا اكثر من مائتي مليون فرنك في ساعة واحدة

وكثيرون من السماسرة ربح الواحد منهم في ذلك اليوم خمسين الف فرنك اجرة له عن البيع والشراء

اما عدد ما بيع من اسهم "الباسفيك نور" في ذلك اليوم المشهود فقد بلغ ٣ ملايين و٢٦٢ الف سهم . وقد كان جناب المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ في كاليفورنيا فبعث يسال اذا كانت هذه الحوادث لا تؤثر على صناعة البلاد وحالتها

الاقتصادية فاجاب المستر مورغان وغيره ان صناعة الولايات المتحدة قائمة على اسس لا تتزعزع
ولكن هب ان هذه الحوادث تخرب البلاد كلها فان المستر ماكنلي عاجز عن مقاومة اصحاب الملايين لانه لم يُنتخب الا بسعيهم ونفوذهم ولانهم صاروا دولة في الدولة . ولذلك تصوره جرائد اميركا جالساً مع رجال حكومته في مركبة الجمهورية يقودها بنفسه وهو حامل عليها تمثال الاحتكار الذي صار ملازماً له ولسياسته لانها مبنية على قاعدة وضع الرسوم الجمركية والاستعمار (انظر الرسم في هذا الفصل)

هذه احدى آفات التمدن الحالي في هذا الزمان . ونحن لا نذمها لان صوتنا ضعيف لا يؤثر فيها ولكننا ننقل هنا صدى صوت قوي وهو صوت الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه « الواجبات » قولاً ينطبق عليها وعلى الحكم الذي اصدرته محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بشان المضاربة وهو

« ان ما يربحه الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبنيّ اكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الرسائط الشريفة المحللة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الاَّ ان يكون هناك راسمال عظيم يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . ومن الغريب انه ما من احد يجهل ما انطوت عليه هذه العلق الهائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم . هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون . ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من يطاوعه قلبه على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيه الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما كان ومن اينما خرج . فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن فلتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تخفختهم وتركها معاقبتهم اهانة للفضيلة والعمل والاجتهاد »

فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة للشرقيين الذين يُقبلون على المضاربة وهم مغمضو العيون فان المضاربة قد تفاقم خطبها عندنا في هذه السنين

روايات الجامعة

﴿ نهضة الاسد ووثبة الاسد ﴾

لما ذكرنا منذ شهور على ظهر الجامعة في احدى الاجزاء الماضية انه قد خطر لنا اختصار روايات نهضة الاسد ووثبة الاسد وردتنا رسائل عديدة من القراء يلحون علينا ان لا نختصر منها شيئاً لانهم يقرأونها قبل مواد المجلة نفسها. وقد تمنى كثيرون منهم ان ننشر منها في كل جزء ملزمتين لا ملزمة واحدة . وبعض القراء في الاسكندرية يسألنا باستغراب كيف لم تستخرج قبل الآن هذه الروايات الى اللغة العربية فانه لم يرَ كتاباً جامعاً مثلها للتاريخ والادب والسياسة والحب والفكاهة والحوادث الغريبة في سياق واحد. وكان بعض المشتركين في الثغر ولا يزال ياتي الادارة ويطلب ملزمة الروايات عند طبعها لعدم صبره عليها



﴿ الكردينال دي روهان ﴾
محب الملكة

فكل هذه الامور اقنعتنا بان لا نختصر هذه الرواية الجميلة مع طولها . وقد سرنا ذلك لاننا نجد من اللذة في كتابتها بقدر ما يجده



﴿ عقد الملكة ﴾

ثمنه مليون و٦٠٠ الف فرنك وقد اراد الكردينال ابتياعه للملكة استرضاء لها
راجع تفصيل ذلك في الصفحة ٩١ في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء

القراء من اللذة في مطالعتها · وما من فرق بيننا سوى ان لذتنا مشوبة بتعب ولذتهم خالصة من كل شائبة

وبناء عليه فاننا قد عدلنا عن اختصار هذه الرواية · وهي ثلاثة اقسام القسم الاول سميناه " نهضة الاسد " وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم · والقسم الثاني " وثبة الاسد " وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يجدِ اللين والمسالمة نفعاً · والقسم الثالث « فريسة الاسد » وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت قرينته وجميع النبلاء والرجال الذين حضروها



الملكة ماري انتوانت

فهذه الرواية اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها · ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوءات كاليوسترو الخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذٍ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولا سيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية · وهذا كله



مدموازل ديسيليني
التي كانت تشبه الملكة والتي حسبها الكردينال اياها

ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارىء تاريخ الثورة الفرنسوية كلها وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

وبما ان هذا التاريخ لم يوضع باللغة العربية بعد فقد اقبل القراء على مطالعة نهضة الاسد ووثبة الاسد من كل صوب · وقد قال لنا بعضهم انه قرأ هذه الرواية مرتين وقدشرع في قراءتها للمرة الثالثة فلم نعجب من ذلك لاننا نحن حينما عثرنا على اجزائها الفرنسوية منذ بضعة اعوام تركنا كل مطالعة حتى اتممناها كلها وكثيرًا ما سهرنا فيها الى ما بعد الساعة الثالثة من منتصف الليل مع كراهتنا لمطالعة روايات غيرها

وقد أصدرنا منها الى الآن الجزء الاول والثاني من « نهضة الاسد » والجزء الاول من « وثبة الاسد » بقي الجزء الثاني من وثبة الاسد وجزء « فريسة الاسد » وهو الاخير وسيظهر هذان الجزءان في مجلد السنة القادمة · اما الاجزاء الثلاثة الصادرة الى الآن فانها تُطلب من الجامعة او من وكلائها في الجهات

﴿ قضية اكبر من قضية دريفوس نشأت الثورة الفرنسوية منها ﴾ ومن الصور والرسوم العديدة التي زينا بها هذه الرواية الرسوم التي وضعناها في هذا الفصل · وهي رسوم اصحاب القضية المعروفة « بقضية عقد الملكة » التي كانت من اعظم اسباب الثورة الفرنسوية · اطلب بيانها بالتفصيل في هذا الجزء الصفحة ٩١ من الرواية والصفحة ١١١ فان هذه الحادثه التاريخية من اعظم حوادث فرنسا وقد اشتغل بها العالم في ذلك الزمان اكثر مما اشتغل بحادثة دريفوس في الاعوام الاخيرة

و يحسن بهذه المناسبة ان نوجه انظار القراء ايضًا الى ما ورد عن الخطيب ميرابو في الصفحة ٨٣ و٩٢ من الرواية في هذا الجزء وما ورد عن روبسبير و بونابرت من الصفحة ٩٦ فصاعدًا فان ذلك يدل احسن دلالة على نسق هذه الرواية

السيد فضل باشا — ولد سنة ١٢٤٠ هـ في مالابار بالهند واشتهر بالعلم في الهند و بلاد العرب وهاجر الى مكة مسقط راس جده وفي سنة ١٢٦٩ جاء الى دار السعادة ثم عاد الى مكة وفي سنة ١٢٨٧ زار دار الخلافة مرة ثانية في عهد السلطان عبد العزيز ثم عاد الى مكة ومنها الى ظفار التي صار اميرًا عليها ثم جاء دار السعادة مرة ثالثة في عهد جلالة السلطان الحالي ولبث الى ان توفي في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٨ وله مؤلفات كثيرة نافعة

(تقويم المؤيد)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا ادرتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

خوف الغرب من الشرق

﴿ المدارس حاجتنا الكبرى ﴾

(تنبيه يجعل الصمّ يسمعون والعمي يُبصرون)

كان الشرق يخاف الغرب فاصبح اليوم الغرب يخاف الشرق ايضاً

كان الشرق يخاف الغرب كما يخاف الاخ الضعيف اخاً مستبداً قوياً . واصبح الغرب يخاف الشرق كما يخاف الاخ المستبد القوي اخاً مقعداً كان قوياً ويخشى ان يسترد قوته

وخوف الغرب من الشرق انواع . فتارة يخشى الغرب الخطر العسكري وهو ان يقوم من اواسط آسيا تيمورلنك ثانٍ او جنكيزخان ثانٍ فيكتسح اوربا بملايين جرارة من الجنود الاسيويه . وهذا ما يسمونه « الخطر الاسيوي » وطوراً يخشى ان يقوم من قلب سلطنة الروس قيصر فاتح فيجند ملايينه ويصرع بها اوربا كما صرعها نابوليون الاول في بدء القرن التاسع عشر . وهذا ما يسمونه « الخطر الروسي » وآونة يخشى ان تهبّ ملايين الصينيين الى الاخذ بالثأر من الاوربيين فيهاجمون اوربا ويقتلونها كما فتل برابرة الشمال رومه وقضوا على سلطنتها . وهذا ما يسمونه « الخطر الاصفر او الخطر الصيني » . وتارة يخشى ما يسميه « العصبية الاسلامية » وهي ان يتحد مسلمو العالم باسره على مقاومة اوربا ويستميلوا اليهم ملايين البشر الذين يعبدون برهما وبوذه في الهند والصين . وهو ما يسمونه « الخطر الثلاثي »

هذه هي الاخطار التي كان يخشاها الغرب الى هذا الاوان . وقد زيد عليها في هذين العامين خطر جديد يقول عنه بعض ساسة الغرب انه اقرب واعظم من الاخطار الخيالية

التي تقدمت الاشارة اليها

فقد صدر في الشهر الماضي كتاب جديد عنوانه « الخطر الاصفر » لمؤلفه المسيو « ادمون تاري » مدير مجلة « الاوربي الاقتصادي » وفي صدره مقدمة بقلم السياسي البارون دستورنل الذي كان من مندوبي فرنسا في مؤتمر السلم الذي اجتمع في لاهاي · وموضوع هذا الكتاب ينحصر في الاسطر التالية

« ان اوربا بحملتها على الصين تبحث عن حتفها بظلفها · فان الصين بعد هذه الحرب ستنفتح عيناها وتنهض لاقتباس التمدن الاوربي متخذة شعارها « الصين للصينيين » · ومتى بلغت من هذا التمدن مبلغه قلبت ظهر المجن للاوربيين اساتذتها وطردتهم من بلادها اي استغنت عنهم في كل شؤونها وقبضت بنفسها على زمامها · ثم توجه انظارها الى اليابان وتحالفها اتقاء لشر اوربا · فيرضى اليابانيون بمحالفتها و يرسلون اليها اساتذة يابانيين لتعليمها الصناعة وانشاء المعامل فيها · فيكون اليابانيون هم المعلمين والصينيون التلامذة · ومتى حدث ذلك صارت الصين قوة هائلة لا تقف في وجهها قوة · لانها تنشئ حينئذٍ معامل للسلاح وللصناعة · فبالسلاح تجند ملايين من رجالها و بالصناعة تخرب صناعات العالم كلها · ذلك ان الايدي العاملة في الصين تُعدُّ بالملايين · واجرة العامل الصيني في اليوم لا تبلغ ربع او خمس اجرة العامل الاوربي · فبهذه الوسيلة يستطيع الصينيون واليابانيون ان يجعلوا بضائعهم اقل ثمناً من البضائع الاوربية بعشر مرات و يرسلوها الى اوربا فيفسدوا صناعتها وتجارتها · ومتى فسدت صناعة اوربا وتجارتها اضطر اصحاب المعامل الى انقاص اجرة العمل فيأبى العملة ذلك ويعتصبوا اعتصابات متتابعة تفضي الى ثورات وفتن واهوال · فكأن الاوربيين الذين يبذلون جهدهم الآن لفتح الصين يسعون لخراب اوربا اقتصادياً وسياسياً · فليتركوا الصين مقفلة واذا قدروا على ابقائها في دائرة الجهل والخشونة فلا يمتنعوا عن ذلك حفظاً لمستقبل اوربا »

هذه خلاصة هذا الكتاب · وقد كان لهذا الكتاب دوي شديد في اكثر الاندية الاقتصادية في اوربا لانه نذير للاوربيين بالخراب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً · فصدقه بعضهم وكذبه آخرون · اما الذين صدقوه فانهم قاموا يطلبون مع المؤلف ترك الصين وشأنها تمدنت او لم تتمدن وسحب الاموال والجنود والتجار والمهندسين منها · واما الذين كذبوه فقد بنوا كلامهم على حجج يجدر بنا ايرادها لان فيها عظة وعبرة لجميع الامم الشرقية

فقد قالوا ان الحرب الاوربية في الصين دلت اوربا على انه لا يكفي ان توضع اسلحة متقنة في ايدي الوف من الناس ليحوزوا اكليل النصر فان النصر في الحرب لا ينال فقط بالسلاح ولكن بالايدي التي تدير السلاح يعنون قوة قلوب الجنود وحسن القيادة . نعم ان الصين اذا لجأت الى الخدمة العسكرية الاجبارية تستطيع ان تجرد من شعبها ٣٠ مليون رجل ولكن اين المال الكافي لحشد هؤلاء الرجال ومن اين للصينيين البراعة في القيادة التي هي اهم شروط الانتصار فان هذا امر لا يناله الصينيون الا اذا اقتبسوا تمدننا بتمامه ولا شيء يدل على انهم يقدرون على ذلك بل انهم برهنوا بما صنعوه في العام الماضي على عكسه اي برهنوا على قلة ذكائهم وانحطاط عقولهم بظنهم انهم اذا اثاروا الوفاً من الصينيين على الاوربيين وذبحوا سفراءهم قدروا على التخلص منهم . فالخطر الصيني العسكري اذاً قد زال وحلَّ محله الخطر الاقتصادي

ولكن اذا نظرنا الى هذا الخطر بامعان وتامل لم نجد له اثراً ايضاً . ويكفي لاثبات ذلك ان نشبه الصين بالهند . فقد اثبت الاحصاء الاخير ان عدد سكان الهند ٣٠٠ مليون نسمة ومعلوم ان اجرة العمل فيها اقل منها في الصين وقد مات من سكانها في العامين الماضيين عدة ملايين جوعاً وهذا يثبت انهم كانوا يعملون باية اجرة كانت لو دُعوا الى العمل للحصول على قبضة الارز التي تبقي لهم الحياة . ولا يخفى ان الهند في يد انكلترا وانكلترا هي اعظم قوة صناعية الآن . فلماذا لم يتخذ الانكليز قلة الاجرة في الهند وكثرة الايدي العاملة فيها ذريعة لافساد صنائع العالم بمزاحمة عظيمة كالمزاحمة التي يخشاها من الصين القائلون بالخطر الاصفر

السبب في ذلك ان المسالة الكبرى في صنع المصنوعات وانشاء المعامل ليست قلة الاجرة وكثرة العملة ولكن « المقدرة على العمل » « والرغبة فيه »

فانك اذا اخذت ثمانية عملة لا مقدرة لهم على العمل اي لا براعة ولا مهارة في يدهم لصنع ما تطلبه منهم وكانت اجرة كل واحد نصف فرنك ثم اخذت عاملاً واحداً قادراً على العمل الذي تريده واجرته ٥ فرنكات هل تظن ان الثمانية يقدرون ان يعملوا عمل الواحد . كلا . وكذلك الصينيون والهنود بازاء اوربا . وان قيل انهم يتعلمون العمل اجبنا ان مهارة الاوربي في عمله انما هي ثمرة تمدنه قروناً طوالاً . وهذه اليابان قد تمدنت ومع ذلك فانها لم تقدر الى الآن على مناظرة اوربا الا في المصنوعات التي لا تستلزم مهارة يدوية في العمل بل يكون اكثر العمل فيها ميكانيكياً اي بواسطة الآلات البخارية

فالصينيون اذاً لا يقدرون ان يعملوا عمل الاوربيين ليناظروهم · بقي الامر الثاني وهو هل يرغبون في هذا العمل

اما الرغبة في العمل فانها تقتضي دافعاً اي سبباً · وما السبب الذي يدفع الصينيين الى صنع المصنوعات الكثيرة وتغريق اوربا بطوفانها · لا نرى الآن سبباً لذلك على افتراض مقدرتهم عليه · وانما يوجد السبب اذا تمدنت الصين وكثرت حاجاتها فترسل حينئذ بضائعها الى الخارج لتقايض عليها ببضائع اوربية · وحينئذٍ تعيد ما عملته اليابان · فان هذه الدولة كانت اجرة العمل فيها قليلة فلما انشأت اسطولها ونظمت جيشها واقامت المنافع العمومية في بلادها كثرت حاجات شعبها فارتفعت الاجور بحكم الطبع · وكلما ازدادت رسوخاً في التمدن ازدادت اجور عملتها ارتفاعاً · وقد تضاعفت اجور النساء في معامل الغزل اليابانية في عشر سنوات فقط · ومع ذلك فلم تبلغ قيمة صادرات اليابان الى اوربا سوى ٢٢ مليون فرنك في العام وهي تستورد منها ما قيمته ٣٨ مليوناً · فاذا نسجت الصين على هذا المنوال او ضاعفت هذا المقدار مائة مرة على هذه النسبة فاي خطر فيه لاوربا · بل قد يكون لطوفان البضائع الصينية فضل عظيم على اوربا وهو انقاص اثمان حاجيات الحياة وجعل المعيشة في العالم قليلة النفقات · فيومئذٍ لا يشكو العملة في اوربا من انقاص اجورهم لان المعيشة تصير هينة سهلة عليهم

ولكننا في الحقيقة نرى ان الصين عاجزة عن صنع العجيبة التي صنعتها اليابان · فان لغتها ستكون عثرة في سبيل ارتقائها لما فيها من الاضطراب واليبوسة وتعدد الحروف · وجنس الصينيين يختلف عن جنس اليابانيين ودينهم يختلف عن دينهم ايضاً فلا سبيل لتشبيه اولئك بهولاء · فكل ما يرجى ان يُصنع في الصين بعد الحركة الحاضرة هو مد السكك الحديدية في جميع اقطارها الشاسعة لتمهيد سبل التجارة للاوربيين واستخراج معادنها الواسعة وهذا العمل سيكون اوربياً ولا ينتفع احد به اكثر من الاوربيين · وهكذا تبقى الصين كما هي اليوم خزانة ثروة وغنى للاوربيين يغترفون منها ما شاؤوا دون ان يكون لهم منها خوف او اذى

هذا ما يقوله السياسيون والكتاب الافرنج في هذا الموضوع · وهو قول غامض هل من يفسره

نعم وكأننا نرى تفسير ذلك في هذا الكلام الواضح الجلي : — « ان الصين سلطنة يسكنها اكثر من ٤٠٠ مليون شخص وفي ارضها معادن كثيرة فالاوربيون يسوقون

الصينيين الى المعادن التي في بلادهم ليستخرجوها لهم بالاجرة . وتلك الملايين العديدة تعمل ليلاً ونهاراً في المعادن والزراعة والوظائف والخدمة ليكسب الشخص الواحد منها ٢٠٠ او ٥٠٠ فرنك في عامه ومتى كسبها اتى بها الى التجار الاوربيين وابتاع بها منهم انسجة ليلبسها هو واولاده واثاثاً لمنزله وآلات ليشتغل بها وكماليات اخرى لا عدد لها . فكأن ملايين النفوس في الصين تشق نفسها في العمل من اجل تجار الاوربيين وصناعهم وتسخر تسخيراً لاستهلاك بضائعهم وردها اليهم ذهباً وهاجاً . فمثلهم في ذلك مثل الخادم الاجير حتى في نفس بلادهم . وكل حياتهم تنحصر في هذه الكلمة الثقيله : انهم يتعبون و يشتغلون و يعيشون لغيرهم . واذا اظهروا شيئاً من علامات الرجولية واهتموا بانفسهم نادوا عليهم في اوربا « بالخطر الاصفر » يوهمون انهم يريدون به « خطر الجنس الاصفر » والحقيقة انهم يخشون « خطر فرار الذهب الاصفر » من ايدي تجارهم وصناعهم ...

. . . .

هذا ما اردنا الاشارة اليه في هذا الموضوع وقد اطلنا الكلام لنوصل القراء الى هذه النتيجة وهذا السؤال : هل تحسبون ان هذه الحالة هي حالة الصين فقط ام هي حالة جميع الامم الشرقية

انظروا الى المصريين والعثمانيين الذين هم بعد اليابان ارقى الشرقيين الا ترونهم يشبهون الصينيين كل الشبه من هذا القبيل

لقد زرنا الغربيين في بلادهم فاقتبسنا اخلاقهم ولا نندم على ذلك لان الحسن منها اكثر من القبيح لمن يحسنون الاقتباس . وقرأنا رواياتهم فبثت في هيئتنا الاجتماعية الميل الى الخلاعة والاسراف . ووضعنا اولادنا في مدارسهم فعودوهم عاداتهم وعلوهم يوم لم يكن عندنا مدارس وان كان تعليماً ناقصاً وغير منطبق على حاجاتهم . واتوا بلادنا بخيلهم وخولهم وحريرهم وديباجهم فراقنا ذلك وتشبهنا بهم

ولكن كل ذلك يستلزم مادة للاستهلاك اي بضاعة تسد الحاجة التي انشأتها تلك العادات . فجاؤنا ببضائعهم كما جاؤونا بعاداتهم . من الطربوش وزره الى الحذاء ومسماره . فابتعناها ولبسناها وليس لنا منها غير الجسم الذي وضعناها عليه . وبقينا نشتغل ونعيش لنحصل مالاً ندفعه ثمناً لبضائعهم

وفي اثناء ذلك ماذا تصنع مدارسنا . — انها تخرج طلبة بارعين في استهلاك تلك البضائع قليلي المعرفة بطرق تحصيل اثمانها . وما هي علومها — هي الصرف والنحو والشعر واللغة

والادب وما جرى مجراها . فاذا كان يلذ لنا ان نبقى هكذا اجراء الى الابد نشتغل لغيرنا ونتعب لنغني الناس في اوربا فلنبق كما نحن ولا نهتم بالمدارس الصناعية والزراعية . هذا تنبيه جدير بان يجعل الصم يسمعون والعمي يبصرون

باب تدبير الصحة

ما يعلق بذيول السيدات في ساعة واحدة

(تنبيه للسيدات)

اجتمع في الشهر الماضي مؤتمر علمي في لندن وبحث بحثاً جدياً في مسالة طول ذيول السيدات . فاستدعى الدكتور كزا كراندي بضع سيدات في اثناء الجلسة والبسهن (فساطين) جديدة ذات ذيول طويلة ثم طلب منهن ان يسرن بها ساعة واحدة في شوارع لندن ويعدن اليه فتنزهت السيدات ساعة في شوارع لندن ثم عدن الى المؤتمر حيث كان ينتظرهن العلماء فتناول هؤلاء تلك (الفساطين) وفحصوا ذيولها بالميكرسكوب فوجدوها ممتلئة بالوف وملايين من ميكروبات الانفلونزا والسل والحمى التيفوئيدية وغيرها . فقرر المؤتمر في الحال وجوب ان تمتنع النساء عن جعل ذيولهن طويلة . وقد قال الدكتور كازا كراندي ان المرأة التي تكنس ميكروبات الشوارع بذيلها الطويل ثم تعود الى بيتها وتنظف (فسطانها) وتنفضه في غرفة نومها او بازاء سرير طفلها فانها تكون كمن ينقل السل والحمى وما اشبهها الى بيتها واولادها . فلتحذر السيدات فان هذه المسالة باعظم مكان من الاهمية

ضرر لحم الحيوانات الخائفة والمتعبة

كثيراً ما يأكل الانسان من لحم ثم يحس بمغص او اعراض كاعراض التسمم فعلى الغالب يكون ذلك ناشئاً عن اللحم نفسه وذلك ان الحيوان اذا خاف قبل الذبح او اذا كان تعباً جداً من مطاردة الصياد له فان جسمه يفرز مادة كيماوية يكون لها خواص السم احياناً وقد استشهد لبيك على ذلك بشاة وحشية وقعت في الاشراك وبقيت هنيهة تختبط فيها وعليها

لوائح الذعر الشديد فلما اكل صيادوها من لحمها ظهرت اعراض التسمم فيهم جميعاً . فالواجب اذن ان تكون الحيوانات مستريحة قبل ذبحها وان لا يجعلها الجزار تخاف ساعة الذبح اي انه يجب الرفق بها عند ذبحها ما دام لا يمكن ابطال هذا الذبح الفظيع

طرد الفأر والجرذ

اكتشف احد الزراع الانكليز ان الفئران والجرذ تفرُّ من رائحة النعنع فقد نثر حول خزائنه بعض اوراق من هذا النبات فما انقضت بضع اسابيع حتى لم يبقَ فأر في منزله وقد يُستغنى عن النعنع الاخضر بروح النعنع وهو يطلب من الصيدليات

فائدة للصغار قبل النوم

قبل ان ينام الاولاد الصغار يحسن ان تناولي منديلاً وتجعليهم ينفضون به كل ما في انوفهم من الفضول فان ذلك يُخرج من انوفهم ما يتصل بها من الميكروبات مع الغبار والهباء فلا تنزل الى رئاتهم في اثناء النوم . وفضلاً عن ذلك فان تنظيف الانف يسهل التنفس للولد اثناء نومه ومتى كان التنفس سهلاً لم يفتح الولد فاه اثناء النوم ليتنفس منه فاذا بقي في انفه شيء من الجراثيم تعذر عليها حينئذ النزول الى صدره لان الباب يكون مقفلاً

ضرر جديد للتدخين وفائدة للسعوط

قال الدكتور غومرول ان للتدخين ضرراً غير ضرر النيكوتين (المادة المخدرة السامة التي في التبغ) . وهذا الضرر الجديد هو استنشاق المدخن ما في دخان التبغ من اوكسيد الكربون و بلوغ هذا الاوكسيد حين استنشاقه الدخان جميع اعماق صدر الانسان . ولا يخفى ان هذا الاوكسيد هو من اشد اسباب مرض الانيميا (فقر الدم) وامراض الدماغ العصبية

و يقول هذا الطبيب ايضاً ان المتقدمين كانوا يستنشقون مسحوق التبغ اكثر مما يدخنونه فكان لهم في ذلك فائدة كبرى وهي ان مسحوق التبغ يقتل الميكروبات الكثيرة التي تعشش في تجاويف الانف فتمنعها من الوصول الى الصدر واحداث الضرر فيه . ولذلك فهو يحلل السعوط و يحرم التدخين

لاجل جعل الاظفار وردية اللون

اذا كانت اظافرك غير جميلة فامزجي ١٠ غرامات من الاسيد سولفرينك و٥ غرامات من صبغة المير و١٢٥ غراماً من الماء المقطر . ثم ادهني اظافرك في كل صباح ومساء بشيء من هذا المزيج وادلكيها عند الظهر دلكاً بقطعة نسيج ناعم فلا يمر اسبوعان حتى تنعم ويصير لونها وردياً

باب الاخبار العلمية

﴿ مضار التلفون ومنافعه ﴾ اذا كان للتلفون منافع فله مضار ايضاً ولا سيما في القهاوي والاماكن العمومية حيث يكثر المتكلمون به فتنتقل منهم الى الاسطوانة التي تقبل الصوت والآلة التي يقبضها المتكلم ليضعها على اذنه جراثيم امراض مختلفة . ولذلك يضعون في اوربا بازاء التلفون قطعة من النسيج مبلولة بمواد تقتل الجراثيم لمسح الآلتين المذكورتين بهما بعد كلام كل متكلم . على انه متى عم استعمال التلفون الناطق جهراً اي المتكلم كلاماً يُسمع من غير وضع الاذن عليه فان هذا الضرر يزول لا محالة

وقد ساعد التلفون اعظم مساعدة في تقريب المسافات وتسهيل الاشغال ولكنه مع ذلك لايزال غالي الثمن والمرجح ان هذا التسهيل لا يبلغ حد التمام والكمال الا على يد التلغراف بلا سلك . وقد تفنن المخترعون بالتلفون فجعلوا منه آلة تجهر بصوت كصراخ الصارخ مع ان المتكلم على مسافة بعيدة . واخترع الكابتن شارولوى تلفوناً عسكرياً ينتقل في الجبال والاودية ولا مركز له الا ظهر جندي . وقد تصرف مربو المواشي في اوستراليا بالاسلاك الحديدية الممتدة حول الحقول والاراضي لصيانتها فاقاموا بجانبها آلات صغيرة لتوليد الكهربائية واتخذوا تلك الخطوط موصلاً بينها فاصبحوا يستطيعون مخاطبة الرعاة بهذه الطريقة على ابعاد مختلفة . وقد اخترع بعضهم الاهانة او السرقة بالتلفون وبعضهم ابتكر الزواج بواسطته . ولكن احسن من ذلك اتخاذ التلفون منبهاً . وذلك بان يتفق صاحب البيت مع ادارة الشركة ان تنبهه في الساعة السادسة او السابعة من صباح كل يوم فلا يجيء ميعاد التنبيه حتى يأخذ جرس التلفون بالقرع ولا يقف الا متى اجاب صاحب البيت انه قد انتبه

﴿ بلاد مريم المجدلية ﴾ سافرت مدام متيلد سيراو الكاتبة الايطالية الى فلسطين لزيارة مجدلة بلاد مريم المجدلية وهي الخاطئة التي ورد ذكرها في الانجيل فوجدت ان ذكرها ما زال منتشراً في بلادها وقد دلها بعض السكان على بقايا قصر يقولون انها كانت تقيم فيه . اما مجدلة نفسها فلم تعد سوى قرية صغيرة يسكنها صيادو السمك وليس فيها من دليل على ما كان فيها من الخصب الماضي سوى ارض صغيرة مغروسة نخيلاً . وبجانب مجدلة بحيرة طبرية وقد كان حول هذه البحيرة في الزمن القديم خمس مدن كبيرة وهي كفر ناحوم وبيت صيدا ودالمانوثا وكور زين ومجدله . وكلها الآن خراب يباب لا تكاد آثارها تدل عليها . وقد ورد عنها في الانجيل منذ القديم ما نصه :

" حينئذٍ ابتدأ (يسوع) يوبخ المدن التي صنعت فيها اكثر قواته لانها لم تتب . ويل لك يا كورزين ويل لكِ يابيت صيدا . لانه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيداء تكون لهما حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما . وانتِ يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية . لانه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت الى اليوم ولكن اقول لكم ان ارض سدوم تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لك "

﴿ فتاة يخرج من جسمها ابر ﴾ من غرائب الامور وجود فتاة في سان جرمان انلاي في فرنسا تخرج الابر من جسمها . وذلك انها تشعر بحكة في مكان في جسمها فتنظر اليه فتجد ابرة خارجة منه فتذهب الى الصيدلي فيخرجها منها . وهي لا تشعر بالم لا حين الحك ولا حين اخراج الابرة . وقد اخرج لها الصيدلي الى الآن نحو ٨٠ ابرة ٢٠ من ظاهر كفها و١٢ من عنقها و٤٠ من ذراعها اليسرى و٦ من عينها وواحدة من ظهرها و٢ من بطنها و٢ اخريين من صدرها في الجانب الايسر . وكلها تظهر من الجانب المخروم الا التي ظهرت في اليد فانها ظهرت افقية . وتدعى هذه الفتاة جولِين لاندر بو وهي في السادسة عشرة من عمرها . واما سبب خروج هذه الابر من جسمها فهو انها راهنت منذ خمس سنوات احدى رفيقاتها على انها تبتلع ورقة ابر ثم ابتلعتها فدخلت هذه الابر الى دمها وانتشرت مع الدم في جسمها . ولا خطر عليها في ذلك الا اذا اعترضت احدى الابر الشرايين افقياً او ان تتجه واحدة منها الى عضو رئيس كالقلب او الرئة او ان تخترق المعى فهناك المصيبة الكبرى

﴿ كبار العقول والتأثر ﴾ ما اكتشف باستور داء الكَلَب وهو اكتشافه العظيم حتى

وصل الى حالة من التأثر اشد من حالات النزق · وهذه الحالة تصيب كثيرين من الرجال العظام الذين يكتشفون الامور العظام ويصرفون عقولهم اليها دون سواها · ولذلك قال الاستاذ لومبروزو الايطالي الشهير ان في كبار العقول شيئاً من الجنون · وقد خالفه بعضهم ونفى هذه التهمة عن اصحاب العقول

﴿مجموع المستخرج من الفحم الحجري في العالم﴾ بلغ المستخرج في سنة ١٨٩٩ من الفحم الحجري في العالم ٢١٢ مليون طن في انكلترا و١١٠ ملايين طن في المانيا و٨٢ مليون طن في باقي اوربا و١٢٨ مليون طن في الولايات المتحدة و٤ ملايين في كندا و٤ ملايين وربعاً في الهند و٦ ملايين وربعاً في اوستراليا و٦ ملايين في اليابان ومليوناً ونصفاً في الترانسفال واورانج فالمجموع نحو ٦٤٤ مليون طن · وستسود الولايات المتحدة سائر البلاد في تصدير الفحم الحجري لان البلاد الانكليزية قد اصبحت مناجمها بعيدة الغور لكثرة ما استخرج منها ولذلك تزداد الاجرة فيها · ويقال ان الفحم الاميركي اصلب مادة واكثر توليداً للحرارة من الفحم الانكليزي

﴿ابتلاع الارض قرية﴾ روت جريدة الطبيعة الفرنسوية ان الارض تزحزحت في ٢١ مارس الماضي في جبال الابنين الايطالية قرب قرية تُدعى « فيكليو » فما شعر سكانها الا وقريتهم اخذت تسير من سفح الجبل نحو الوادي فبادروا الى نسائهم واولادهم واموالهم فنقلوها منها وبعد يومين غابت القرية عن النظر في جوف الارض ولم يبقَ مكانها سوى مياهٍ اجتمعت هناك من فيضان نهر قريب

﴿الغذاء في المستقبل﴾ يقول المسيو ليلنفلد ان غذاء الانسان في المستقبل سيكون علبة صغيرة كيماوية فيها شيءٌ قليل من مركب كيماوي مؤلف من خواص مواد الغذاء ويكون ثمن هذه العلبة مساوياً لثمن علبة الشيكولاته (غرشين) ويكفي غذاؤها الرجل الواحد يوماً كاملاً (٢٤ ساعة) ...

وقد قال المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير ان المسالة الاجتماعية الحاضرة اي مسالة الاشتراكيين والعملة انما هي مسالة كيماوية فمتى حلت الكيمياء مسالة الغذاء على هذا الوجه صارت المعيشة رخيصة جداً وبالتالي صار الانسان سعيداً اذ يخف او يزول زحام البشر ونزاعهم وتبطل اكثر المظالم والشرور والجرائم الموجودة الآن · حقق الله احلامهم

باب التقريظ والانتقاد

*** قاسم بك امين في اميركا *** اهتمت الجرائد العربية التي تطبع في اميركا « بكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة » كما اهتمت بهما جرائد مصر والهند والشام . وقد قالت رصيفتنا جريدة المناظر الغراء في احد اعدادها الاخيرة بعد نقلها راي المقتطف الذي شبه جناب قاسم بك امين بلوثيرس وراي الجامعة التي شبهته بديكارت ما نصه

« ذان هما الرجلان العظيمان اللذان صار قاسم بك امين في مصفهما لانه لفظ كلمة لم يلفظها قبله احد . والجرأة في الجهر بالحقائق من نتائج العلم الصحيح . فليسلم محرر المرأة وليسلم العلم الصحيح الذي كبر قلبه وساعد الارتقاء في الشرق على هذه الخطوة الكبيرة »

وقالت في مكان آخر بعد اشارتها الى كتاب صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار وابيات حضرة محمد بك حافظ التي نشرناها في الجزء الماضي هذه الكلمات التي تقوم مقام مقالة

« حقيق ان اكثر اخواننا المسلمين اكثروا ويكثرون من معارضة قاسم بك امين ولكن اذا كان في الجهة الناصرة مثل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي ومثل صاحب المنار ومثل صاحب الابيات فلا يطول ان تصير الاكثرية في هذه الجهة حقق الله آمال المصلحين »

وقد بلغنا ايضاً ان بعض الجرائد الاميركية قد نقلت راي صاحب الكتابين واستحسنته جداً

*** تقويم المؤيد *** من الكتب التي لا يجب ان تخلو منها مكتبة كتاب تقويم المؤيد الذي يصدره في كل عام حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد وقد قلنا « يصدره » وكان يجب ان نقول « يؤلفه » لان هذا الكتاب من اجزل الكتب التي تؤلف الآن نفعاً ففيه فصول في علم الفلك وتاريخ مصر قديمه وحديثه واقسام الممالك وجوغرافيتها وتراجم ملوك اوربا ورسومهم ونوادرهم وتراجم الوفيات من الملوك والعلماء ورجال السياسة في اثناء العام وجداول مواعيد السكة الحديدية المصرية وتعريفتها واخبار عن البوسطة والتلغراف وتعريفة المركبات والمكاييل والموازين في جميع الامم والاكتشافات والاختراعات والطبيعيات والفكاهات واداب المعاشرة والسلوك عند الشرقيين والغربيين

وفوائد في تدبير المنزل واختيار الخدم وفوائد طبية وتاريخ حرب الصين وحرب الترانسفال وبيان عن احوال مصر في العام الماضي وغيرها من الفوائد والمعارف التي يجب تعميمها بين افراد الشعب بطريقة بسيطة قريبة المناولة كهذه الطريقة والتي صار بها هذا التقويم بمثابة انسيكلوبيذية صغيرة توضع في الجيب · فنثني على همة مؤلفه ونحث جميع القراء على اقتنائه وهو يُطلب من ادارة جريدة المؤيد في القاهرة

﴿ رجال السيف ﴾ اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغراء نسخة من رواية عنوانها « رجال السيف » معربة بقلم جناب الذكي البارع زاكي افندي مابرو وهي من تاليف الكاتب الفرنسوي بونسون دي ترايل · وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات في غاية الطلاوة والفكاهة وهي معربة باسلوب رقيق فنحث محبي الروايات على مطالعتها · وهي تطلب من المكتبة الخديوية في الثغر وثمنها ستة غروش صاغ

﴿ ثمرة الغواية ﴾ هي رواية تمثيلية ذات خمسة فصول لمؤلفها جناب احمد افندي صادق وهي تطلب من حضرة المؤلف في الثغر وثمنها ١٠ غروش صاغ

﴿ مجلة المجلات العربية ﴾ انشأ حضرة الفاضل محمود افندي حسيب مجلة علمية ادبية سياسية عنوانها « مجلة المجلات العربية » وهي تصدر مرة في الشهر وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ غرشاً في القطر و٢٥ فرنكاً في الخارج فنرحب برصيفتنا الجديدة وندعو لها بما هي اهل له من النجاح

﴿ المنتحل ﴾ اعلن حضرة الفاضل الشيخ احمد ابو علي امين المكتبة البلدية في الاسكندرية انه شرع في طبع كتاب « المنتحل » تاليف الامام ابي منصور الثعالبي الذي عاش بين سنة ٣٥٠ و٤٢٩ هجرية وموضوع هذا الكتاب ابحاث في الكتابة والبلاغة ومكارم الاخلاق والمديح والاستعطاف والهجاء وشكوى الزمان والامثال والاداب والسلطانيات وما يليق بها والعيادة وما جرى مجراها · وقد جعل قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة ١٥ غرشاً صاغاً وهي قيمة زهيدة جداً بازاء حجم الكتاب الذي سيكون ٥٠٠ صفحة على الاقل · وفي شهرة مؤلف الكتاب ما يغني عن الحث على انشائه فنشكر حضرة ناشره لهذه الخدمة الادبية

﴿بشائر السلام﴾ هي مجلة دينية تبشيرية لصاحبها جناب نقولا افندي روفائيل وقيمة الاشتراك فيها ١٥ غرشاً في مصر و٢٠ في الخارج

﴿الثريا﴾ عادت مجلة الثريا الغراء الى الظهور بعد احتجابها الوقتي وهي تصدر مرتين في الشهر باداره حضرة موسى افندي روديتي فنثني على همة منشئها البارع ادوار افندي جدي ونرجو له النجاح

﴿شجرة الدر﴾ مجلة نسائية ادبية فكاهية لمنشئتها حضرة الفاضلة السيدة سعدية سعد الدين وهي تصدر مرة في الشهر باللغتين التركية والعربية وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ غرشاً في القطر و٢٠ فرنكاً في الخارج فندعو لرصيفتنا الجديدة بالنجاح والانتشار

﴿المراة في الاسلام﴾ اصدر حضرة الاديب الفاضل ابرهيم بك رمزي مجلة علمية تهذيبية عنوانها « المراة في الاسلام » وغرضها ظاهر من عنوانها وهو البحث في كل ما من شانه ترقية المراة المسلمة فنتمنى له التوفيق في خدمته لانها من انفع الخدم في الشرق وندعو لمجلته بالانتشار

﴿مجلة التاريخ﴾ اتمت مجلة التاريخ سنتها الرابعة ودخلت في الخامسة وقد صدر العدد الاول من سنتها هذه وفيه ابواب لحوادث العالم اليومية والاخبار المحلية . ومطبعة مجلة التاريخ مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من الاوراق التجارية والمطبوعات باسعار زهيدة وهي واقعة وراء صيدلية حضرات الخواجات خليل خوري واخوانه في الثغر . وقد صدر فيها في هذه الاثناء كتيب لطيف عنوانه« الرفيق المضحك» وهو يحتوي فكاهات ادبية وثمنه غرش صاغ واحد

﴿الروايات الشهرية﴾ صدرت الرواية الثالثة من الروايات الشهرية لصاحبها جناب الاديب يعقوب افندي جمال وعنوانها « فولكلاند » وقيمة كل رواية من الروايات الشهرية نصف فرنك اي ان المشترك فيها يدفع ستة فرنكات في العام فتصله ١٢ رواية منها وهو تسهيل حسن لمحبي الروايات فلا بدع اذا اقبلوا عليها

وقد كان يحرر هذه الروايات قبل الاخيرة منها حضرة الكاتب المجيد خليل افندي جاويش ولكن اعتلال صحته اضطره الى مبارحة مصر تبديلاً للهواء فنحن ندعو للخليل بالسلامة شفاه الله وعافاه

﴿ الجمعيات الخيرية ﴾ يسرنا ان يقع نظرنا على كراس حاوٍ اعمال جمعية من الجمعيات الخيرية اكثر مما يسرنا وقوعه على كتاب صدر حديثاً لان كثرة الجمعيات الخيرية دليل من احسن الادلة على شعور الشرقيين بوجوب التعاون والاتحاد . وامامنا الآن خمسة كراريس من هذا القبيل

جمعية دفن الموتى باسكلةطرابلس — احدها كراس من جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس شام وهو يتضمن ميزانيتها للسنة الماضية وقد بلغ مجموع دخل الجمعية في هذه الميزانية ٢٠٧٩٥ غرشاً ومجموع النفقات على دفن الموتى الفقراء ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء ١٢٣٧٤ غرشاً . وهي نتيجة حسنة جداً يستحق عليها حضرات اعضاء هذه الجمعية كل شكر وثناء

الاخوية الارثوذكسية في طرابلس — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية هذه الجمعية المتالفة من نخبة من ادباء الفيحاء وافاضلها وكلها شهادة ناطقة بفضل الذين سعوا وفضل الذين احسنوا . وقد بلغ دخلها في سنتيها الاوليين ٥٣٧١٦ غرشاً ونفقاتها على الكنيسة ٢٥٠٧٧ غرشاً والباقي محفوظ في صندوقها . وقد كتبت الينا ادارة الاخوية ان حضرات الوجهاء الاماثل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر قد تبرعوا لها بمبلغ ثلاثة آلاف غرش جرياً على عادتهم الحميدة في السخاء والايادي البيضاء

الجمعية الارثوذكسية في يافا — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية الجمعيـة الخيرية الارثوذكسية في يافا مصدرة بهذه الكلمات البليغة « بهذا قد عرفنا المحبـة واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً واغلق احشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه » وقد بلغ دخل هذه الجمعية ٦٠٣٤٤ غرشاً ونفقاتها ٢٢٥٤٦ غرشاً

جمعية مار منصور بالمنيا — ووردتنا ميزانية هذه الجمعية المتالفة في المنيا (مصر) برئاسة سيادة الانبا مكسيموس صدفاوي اسقف كرسي المنيا المحترم وقد بلغ دخلها في العام الماضي ٩٠٢٧ غرشاً ونفقاتها ٦٧٥٥ غرشاً

جمعية الاتحاد الادبية باسيوط — واهدتنا جمعية الاتحاد الادبية نسخة من قانونها ولائحة النادي الجديد الذي انشأته في اسيوط خدمة للادباء .

فمما مر بك يتضح ان المحسنين في الشرق كثيرون وانه لا ينقصهم غير الايدي العاملة التي تستدر فضلهم على الضعفاء وتنفق المال في وجهه النافع

التساهل الديني

﴿ خطبة في اميركا ﴾ اهدانا حضرة الفاضل امين افندي ريحاني نسخة من الخطبة التي تلاها في جمعية الشبان المارونيين في نيويورك في ليل ٩ فبراير الماضي وعليها هذه الكلمات « هدية الى مجلة الجامعة من اجل الانتقاد » . وعنوان هذه الخطبة « التساهل الديني » وقد علم قراء العربية موضوعها من كثرة تقريظ الجرائد لها وانتقادهم اياها

اما نحن فلا نكون في جانب المقرظين ولا في جانب المنتقدين بل نكون في الجانبين في وقت واحد . فاننا نستحسن كل الاستحسان ما ورد في الخطبة من الكلام البليغ والبيان الفصيح عن فضيلة التساهل وكونها المبدأ الوحيد الذي يمكن الاقوام المختلفي المذاهب من المعيشة بسلام وحب فوق ارض واحدة . ولكن الاختلاف العظيم انما هو في تعريف هذا التساهل . فاذا كان المقصود به ان يحترم الناس جميع الاديان التي ليس فيها مسّ لكرامة الانسان ولا نقض للنواميس الطبيعية كاليهودية والاسلامية والمسيحية والبوذية كما شرعها شارعوها لا كما هي الآن فان هذا المبدأ صحيحٌ غضب الناس عليه او رضوا عنه . واما اذا كان المقصود به ما يسمونه عدم الاكتراث بالدين لا التساهل — اذ بين الامرين ما بين الارض والسماء وقد قال الفلاسفة ان الكفر اخف ضررًا من عدم الاكتراث — فاننا نردُّ هذا المبداء ولا نستحسنه لانه يقطع الانسان عن مصدره الاعلى والذات الاعظم الذي اخذ منه ويهدم اساس الفضيلة في هذه الحياة

وليس من التساهل ان يقول حضرة الخطيب ما قاله في الاسطر الاولى من الصفحة ٢٩ فان مبدا التساهل اعظم من ذلك بكثير . وليس من التساهل ايضاً ان يقول في السطر الثاني من الصفحة ٣١ كلاماً كنا نودُّ ان لا يصدر عن قلم او فم عاقل مثله لاسيما وانه يعلم ان الذين عناهم قد احسنوا الى الانسانية بالشرائع التي وضعوها واخرجوها من ظلمات الهمجية وانهم ابرياء من كل ما حدث باسمهم من الضرر والشر اذ التبعة في ذلك على الذين اتوا بعدهم وغيروا تعاليمهم . وهذا يدلنا على ان تساهل جناب امين افندي ريحاني لا يزال فيه شيء من التعصب . فنحن نرجو ان يخرج في خطبة ثانية هذه الفضول من نفسه ويرقى بها الى التساهل الحقيقي

وان قيل ما هو التساهل الحقيقي اجبنا : هو ان تعمل بهذه القاعدة القديمة : اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك لانك لست افضل من سواك . فمتى عمل الانسان

بها وادرك معناها الحقيقي احترم اديان الناس واعتقادهم ليحترموا دينه واعتقاده وبلغ من معرفة الحقيقة مبلغاً صار يعتقد عنده ان كل طعن في دين الغير طعن في نفس دينه لان الاديان واحدة في الوجهة وهي عبادة الله وان كانت مختلفة الطرق والفروع . ومتى صار الانسان يعتقد هذا الاعتقاد وينظر الى آراء الناس ومعتقداتهم حتى اغلاطهم واوهامهم وخزعبلاتهم نظرة الرفق والشفقة والاعتدال ولو كانت مضرة به ومخالفة لمبدإه — جاز له حينئذٍ ان يسمي نفسه حكيماً متساهلاً

اما قولهم انه لا بد للشرقيين من هذا الانقسام الديني لخلو ايديهم من شيء يجتمعون حوله كالوطن والامة فهو خطأ محض . اولاً لان كل فريق من الشرقيين امة مستقلة بنفسها وان امتزجت بسواها ولكل واحدة منها امانٍ وآمال . وما الحكم عليها بوجوب بقائها منقسمة انقساماً دينياً واشتغالها بهذا الشيء عن كل شيء الا بمثابة الحكم عليها بالتزام الجهل والتاخر والموت الادبي الى الابد . وثانياً لان الفرنسويين منقسمون في الدين بين كاثوليك وانجيليين واحرار واسرائيليين انقساماً يشبه انقسام الشرقيين تماماً والنزاع بين هذه الاقسام هو على اشده لا سيما في هذه الايام ومع ذلك فلهم وطن معروف وهم امة معروفة . ولاخواننا المسلمين في الشرق وطن ايضاً وذلك لم يمنعهم من الانقسام وتقديم الدين على الوطن . فللتحمس الديني في الشرق اذاً اسباب غير فراغ ايدي الشرقيين من شيء يجتمعون عليه . وهذه الاسباب لا نبحث فيها الآن

تاريخ الاسبوعين

﴿ مآثر الجناب الخديوي ﴾ فتحت جمعية « العروة الوثقى » في الثغر اكتتاباً لانشاء « مدرسة للصناعة » في الترسانة تذكاراً للمغفور له محمد علي باشا محيي مصر ومنشئ الاسرة الخديوية الكريمة فيها فافتتح الجناب الخديوي المعظم هذا الاكتتاب باربعمائة جنيه تبرع بها سموه حفظه الله اعانة لهذا العمل المفيد الذي تحتاج البلاد اليه . وقد تبرعت ايضاً صاحبة العصمة والدولة الحرم المصون بمائة جنيه وتبرع سمو الانجال الفخام بمائة اخرى ايضاً فلو اقتدى اغنياء البلاد بسموه وهم مشهورون بالسخاء والفضل منذ القديم فانهم لا يلبثون ان يعمروا عشر مدارس صناعية كبرى في كل مركز كبير من مراكز القطر واحدة

وقد افتتح في مريوط الجامع الجديد الذي انشأه فيها سموه على نفقته الخاصة فحضر صلاة الافتتاح فضيلة شيخ الجامع الازهر وغيره من العلماء · وقد تلا حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد الابيات التالية بين يدي سموه على المائدة بعد الصلاة وهي

صفا الزمان وحسن الحظ اسعده ... وانجز الدهر بالاقبال موعده
لله مريوط ما احلى مشاربها ... واعذب اليوم صافيها وموردة
سقى رباها خديوي مصر غيث ندى ... فاصبحت روضةً واستمطرت يده
بنى بها مسجدًا لله اخلصه ... فحق مريوط ان تثني وتحمده
وحق مصر بان تزهو مؤرخةً ... أُنشى الخديو بعون الله مسجده

فسر سموه بها وامر بنقشها على بلاطة في صدر الجامع

والمأثرة الثالثة ان محافظ المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وجها انظار سموه الى جر المياه من العين الزرقاء الى التكية التابعة لديوان الاوقاف في المدينة المنورة وجرها ايضاً من سيدنا زكي الى سيدنا حمزه على طريق امكة المكرمة فاصدر سموه الامر الى ديوان الاوقاف بفحص هذا المشروع الجديد وتقدر نفقاته بستة عشر الف جنيه · ولا يخفى ان فوائده غير محصورة في الحجاج المصريين بل تشمل جميع الحجاج · اطال الله بقاء سموه وحفظه ملجأ للرعيـة

﴿ الفيلسوف تولستوي ﴾ لو اردنا ان نلخص كل ما نشرته جرائد اوروبا عن الفيلسوف تولستوي منذ قطعه عن الكنيسة الروسية لاستغرق ذلك صفحات هذا الجزء بتمامها · وامامنا الآن ثلاثة فصول هامة في هذا الموضوع · الاول الكتاب الذي كتبه تولستوي الى جلالة القيصر ورجال دولته يحضهم فيه على الاصلاح بكلام كالسهام ·والثاني الكتاب الطويل العريض الذي كتبه الفيلسوف الى المجمع المقدس يردُّ فيه على الحكم بحرمانه · ولم تجسر واحدة من الجرائد العربيه بعدُ على ترجمة هذا الكتاب بتمامه لانه يحتوي طعناً شديداً على تعاليم الكنيسة الروسية وانما نشر بعضها خاتمته وفيها يقول انه مسيحي حقيقي · والثالث جواب المجمع المقدس عن كتاب الكونتس تولستوي الذي نشرناه في الجزء الماضي · وقد نشرت هذا الجواب رصيفتنا المنار البيروتيـة · والظاهر ان وزير المعارف الروسية الجديد قد سكن افكار الطلبة الروس بسياسته الحكيمة المعتدلة فهمدوا وقد اصدر جلالة القيصر المشهور بالرأفة والحلم امرًا بوجوب اصلاح التعليم في الكليات فكان ذلك فوزًا للطلبة

خاتمة السنة الثانية

نختتم في هذا الجزء السنة الثانية للجامعة بحمد الله تعالى على ما اسبغ من نعمه و بالشكر لحضرات الوكلاء والمشتركين والقراء الكرام الذين بلغت الجامعة بهمتهم ومساعدتهم في عامين ما لم يبلغه غيرها في اعوام . والحق يقال اننا لما اقدمنا على انشائها لم نتوقع لها ما تم لها لعلمنا بعجزنا وقلة بضاعتنا ولكن فضل الاصدقاء والمعارف والادباء وافاضل الشرقيين الذين عرفوا ان الجامعة تسد فراغاً في الصحافة الشرقية العربية اكمل ذلك النقص . وقد مرَّ الآن دور الطفولية على الجامعة وستظهر في سنتها الثالثة بمظهر الشباب ان شاء الله فتكون في عامها الآتي اكثر اتقاناً وضبطاً كما يدل على ذلك هذا الجزء

غير انه بالنظر الى تاخر صدور الاجزاء في آخر هذا العام للاسباب التي ذكرناها في حينه ولانتقال الجامعة من ادارتها في الميناء جعلنا اول سنة الجامعة اول شهر اغسطس القادم (آب) استرداداً لما فات من الوقت . و بناءً عليه فالجامعة تصدر منذ الآن فصاعداً في اول كل شهر بالضبط التام ابتداءً من شهر اغسطس الآتي وسندخل فيها في السنة القادمة تحسينات مهمة جداً

. . . .

هذا . و يسوءنا الآن ان نطلع القراء على امر خصوصي . وهو اننا لما اقدمنا على انشاء هذه المجلة رغب الينا جناب ابن شقيقتنا الشاب الاديب مخائيل افندي كرم في ان يساعدنا فيها كرماً منه ومن حضرة والده فتولى ادارتها في هذين العامين . ولكن حضرته اضطر الآن من سوء الحظ الى ترك ادارة الجامعة والانسحاب منها للاهتمام باشغاله التجارية والسفر مع حضرة والدته الى لبنان تبديلاً للهواء فودعناه شاكرين له سعيه وهمته وان آلمنا فراقه كما آلمه فراقنا. ولا ريب عندنا ان الجامعة وقراءها لا ينسون ما له من الفضل عليها

و بناءً على ذلك فاننا نرجو من جميع المراسلين والوكلاء ان يبعثوا منذ الآن فصاعداً جميع رسائلهم رأساً باسم « منشىء الجامعة » ولهم الفضل

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

فقيد الشرق العظيم

﴿ بشاره باشا تقلا ﴾

صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

مات تقلا باشا . مات الرجل الذي علَّم الناس كيف يجب ان تكون الرجال . مات المقدام الذي وُلد صغيرًا في قرية صغيرة ثم بلغ به اقدامه وذكاؤُه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشهرة طائرة طبقت الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول ووساماتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الامم في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتابه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبوح باش كما تراه في رسمه يجتذب القلوب اليه ولو كانت متألمة منه . وامرأة فاضلة قلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فماذا كان ينقص رجلاً تمت له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيدًا ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه . حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينقصه ان يكون البشر اقل رداءة وخبثاً مما هم عليه وان يكون هو اقل تاثرًا لاعتدائهم وحسدهم . ولكن قُدّر ذلك الامر فكان . ومات تقلا باشا في اطراف الكهولة قبل استيفاء ايامه كلها فمات بموته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيد العظيم على الجامعة وعلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملةً من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التفصيل الى حين تجتمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

﴿ ترجمته ﴾ ولد الفقيد رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كفرشيما من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك تقلا فانشئا فيها جريدة الاهرام . وكان عمر الفقيد يومئذٍ ٢٤ عاماً . ولا نسهب في ذكر المصاعب التي قامت في سبيلها لاول مرة والهمة التي قاوماها بها انما نكتفي بذكر كلمة للفقيد قالها قبل وفاته بخمسة اشهر في ادارة جريدته صدى الاهرام في الثغر . فان بعض اخصائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطلب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكذا ! ولو كنت بحدتك وسرعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يتخذ كتاريخ لكل حياة الفقيد من اولها الى آخرها . فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحدة او الاهمال او حوادث الزمان سبيلاً للتاثير فيها . اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلى ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجدٍ وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصاعب والعواطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

﴿ اخلاقه وصفاته ﴾ وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفصل ترجمة الفقيد في هذا الفصل وانما نلم بها الماماً فقط ولذلك ننتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات الفقيد واخلاقه لما لها من العلاقة بها . ويسوءنا ان نقول ان خصوم الفقيد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجبلة الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته . وسبب ذلك مختلف فيه . فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم تثير المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريبين منها او بعيدين عنها . وبعضهم يقول بل لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية . وبعضهم يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حدٍ سواء

غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك . فقد ذكرنا ان الفقيد تسلّق بجده وكده قمة المركز الذي بلغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً اعانه يوم نكبة الاهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ الفقيد هذا الجميل الى آخر حياته . وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد عاشر الناس واختبر اخلاقهم وراى معاكساتهم ومشاكساتهم



المرحوم بشاره باشا تقلا

وما هم فيه من الدناءة حيناً والعدوان وحب الشر احياناً · فترك هذا الاختبار في نفسه اثراً شديداً حتى اذا ارتقى عن الناس واستغنى عنهم جاس يضحك منهم ويلاطفهم متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للمجاملة · فهذه الحالة انشأت في نفسه ثلاثة مبادىء (اولها) استغناؤه عن الناس واعتبارهم آلات في يده (وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القلب في مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتعب العامل و يشقى كما تعب وشقي هو ليستحق اجرته وليس من العدل ان يعطى فوق تعبه ولا نقول ان هذه المبادي مبادىء يحبها الناس ولكننا نقول انها مبادىء عملية مادية

وبها تُبنى المراكز العليا في هذه الحياة . وهي مبنية على قاعدة الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبذ الضعف والمحاباة من طريق المصلحة ودوس كل صعوبة من اجلها . وكأَنَّ الفقيد قد شعر رحمه الله ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم بدليل « سياسة المصلحة » التي افتتحتها المانيا وانكلترا في السنوات الخمس الاخيرة — فجعلها محورًا لادارته . و بناءً عليه فانه يجوز ان يُعدَّ الفقيد متقدماً في هذا الامر ابناء العصر الآتي

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح لميل بعض الناس عن الفقيد واذا سموا هذا الامر اثرةً واستقلالاً مضرًا فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي خرج منها والناس الذين خبروهم قبل ارتقائه فجعلوه يتاثر تاثرًا سيئًا منهم بمعاكسته ومقاومته بدلاً من مساعدته . وفضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملنر والمستر سسل رودس حتى اللورد سالسبوري نفسه كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » و يسوغنا ان نقول ان هذه السياسة ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعاً هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد روزبري

﴿ منزلته ﴾ اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب بحيث يعلم القراء . فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني غير مرة فاجمل جلالته ملاطفته . وقد اجترأ الفقيد في احدى مقابلاته لجلالته فقال له وكانت المسالة المصرية يومئذٍ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا ستصبح ميدانًا واسعًا للاستعمار ولجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين المطيعين لجلالة خليفتهم فهلا صرفتم شيئًا من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل اقتسام اوربا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا اوربا » وقد اخذنا هذا الحديث من فم سعادته . وذكره سعادته يومًا ما في احدى مقالاته وزاد عليه انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة السيد ابو الهدى افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجناب الخديوي العالي وقلما يمر عام ولا يتشرف بتناول الطعام على مائدة سموه بضع مرات بدعوة خصوصية

وكانت جريدة الدايلي ميل والتمس تستغربان بعد وفاة المرحوم الخديوي توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءلان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكلترا ام وزير مصر . ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيد عليها تنديده في الاهرام بالخديوي اسماعيل باشا يوم مدَّ يده الى الخزانة المصرية . فكان

ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة . فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادته رفعة في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم . ومنذ ذلك الحين لجأ الفقيد الى الحماية الفرنسوية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمركز من الدائرة . وله صلات ومعرفة في اكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثيرون من رجال حكومتها واعاظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات . وقد ذكر لنا مرة انه ورده من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكانة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نُشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » ... وذكر لنا الملاحظة . فسألنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق . وبعد شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان نقلا باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه

﴿ وساماته ﴾ اما وسامات الفقيد ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكلربكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء . ومن وساماتها وسام المجيدي الاول وهو اسمى الوسامات دون المرصعات . ونال ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسوي) ووسام الافتخار التونسي من عظمة باي تونس ووسام سان ستنسلاس من روسيا . ونال ايضاً وسامات غيرها من دول كثيرة

﴿ جرائده ومحرروها ﴾ وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم يسبق له مثيل في الشرق . الاولى جريدة الاهرام وهي يومية . والثانية جريدة صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت يومية ايضاً . والثالثة جريدة البيراميد الفرنسوية وهي يومية ايضاً وقد فاقت جرائد القطر الافرنجية كلها في عام واحد . والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية ادبية فرنسوية اسمها « العائلة المصرية » توزع مجاناً على المشتركين في البيراميد . هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها العديدة عن العمل ليلاً ونهاراً . واكبر آلاتها تُدار بالبخار

اما المحررون الذين اشتركوا في تحرير الاهرام في المدة الماضية فهذه اسماؤهم واذا كنا

قد نسينا احداً منهم فنرجو المعذرة وهم

عزتلو رشيد بك شميل صاحب البصير اليوم وكان مديراً لادارة الاهرام · واخوه المرحوم سبع شميل وخليل افندي مطران صاحب المجلة المصرية اليوم وخليل افندي زينيه وخليل افندي الجاويش واخوه نجيب افندي الجاويش وخليل افندي زيدان ونجيب افندي طراد والمرحوم نجيب افندي الحداد صاحب جريدة لسان العرب واخوه امين افندي الحداد وداود افندي بركات و يوسف افندي بستاني وطانيوس افندي عبده والمرحوم قيصر افندي زينيه ومحمد افندي توفيق فرغلي ونقولا افندي رزق الله

هؤلاء هم المحررون الذين بنيت الاهرام على اكتافهم واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعمال فانهم جيش كثيف يستغرق عدهم صفحات عديدة · وانما يجب علينا ان نخص منهم الذين امتازوا بخدمة هذه الجريدة وهم امين افندي بدران مدير طبعها ومطبعتها وسليم افندي الحداد وكيلها في العاصمة وقسطاكي افندي توتونجي وكيلها في الاسكندرية وفيليب افندي زينيه وكيل ادارتها و رئيس حساباتها سابقاً وابرهيم بك زكا وكيلها في الولايات العثمانية ورشيد افندي سعاده وكيلها في الغربية · وفضلاً عن ذلك فان رسائل حضرة الفاضل ابرهيم افندي مظهر مراسلها الدمنهوري المتبرع بمراسلتها لما بينه وبين الفقيد من الصداقة كانت خدمة جليلة لها

✲ وفاته وجنازته ✲ ولكن كل هؤلاء الاصدقاء · كل تلك المنزلة السامية · كل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور · ولم ترد المقدور · ولم تمحُ ما هو مسطور · فقد اصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اختلف الاطباء فيه فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه احتقان في الدماغ · وقد رجح بعضهم هذا الاخير وزادوا عليه الشلل · وفي يوم الجمعة ١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب عن حالته فقال له الطبيب قولاً مسكناً ولكن الفقيد كان كأنه شعر بدنو اجله فاستدعى اهله و ولده الوحيد فودعهم واوصى ابنه بطلب العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد · وما فرغ من ذلك حتى اصيب بنوبة شديدة افقدته النطق فجعل ينظر الى من كان حوله ويودعهم بعينيه الى ان انتصف الليل فدخل في الاحتضار · وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه

ولما انتشر نعيه قامت له مصر وقعدت وبعث الجناب الخديوي المعظم رسالة يعزي بها اسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي ان يسير في جنازة الفقيد من قبل

مموه وتقاطرت رسائل المعزين ومركباتهم من كل فج وصوب على المنزل الجميل الذي شاده الفقيد منذ عامين في العاصمة . وفي مساء ١٥ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرروها وقدمت اكاليل الزهر الى نعش الفقيد عشرات عشرات . وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك على جثته الهامدة — تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك الجبال نُقلت الى مدافن مصر العتيقة فابن الفقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو بول منس رئيس تحرير جريدة البيراميد وعزتلو نقولا بك توما المحامي المشهور فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس . ثم غُيب النعش في ظلمة القبر فغابت معه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج

﴿ مصير البيراميد والاهرام ﴾ والآن قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية . فهل يدوم هذا الفراغ او يمن الله بسده رفقاً باسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة ؟

انه لما توفي المرحوم سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام استعظم الناس المصاب ولكنهم عادوا فاستصغروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم بشاره باشا كما كانت قبله . والآن سيكون ذلك كذلك ان شاء الله . فانه كما ان تيرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدها . وان عمر وحيدها « جبرييل بك » الذي لا يدور ذكره في الفم حتى يجول الدمع في العين يبلغ الآن ١٢ عاماً فليمدها الله بمعونته لتحفظ له هذا المركز الكبير وتجعل الناس يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حينئذ « ان هذا الشبل من ذاك الاسد »

وليس يعلم احدٌ كم كان ذلك الاسد يحب هذا الشبل غير الذين شهدوه يقرأ كتاباً منه . ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها ناراً تتقد في عيني الاب الحنون على ولده . وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز حيث بقي « جبرييل » هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا الى ادارته في الاسكندرية . وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقرأه فتعرف منه نباهة « جبرييل » وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح

ظاهراً . فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرانا اسلوبه الرقيق الصحيح الفصيح لان عمر جبرئيل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورأينا ان قلم الاصلاح لم يجرِ فيه الا في اربعة او ٥ مواضع

هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده ويحتل ان شاء الله محله . وقد كان كتّاب الادارة حين زيارته لهم ينادونه « نوتر ديركتور نوتر ديركتور » اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك ممازحته . اما الآن فقد صار هذا الامر وا اسفاه جداً لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الآن وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد القلوب وواهب السلوان ان يعزي حضرة والدة الفقيد وقرينته الكريمتين وشقيقيه الفاضلين عزتلو حبيب بك وابرهيم بك وجميع اقربائه واصدقائه ورصفائنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرزء العظيم ونرجو ان يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره حزناً عمومياً . وان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر ما احسن في حياته انه السميع المجيب

المرحوم سبع شميل

كل يوم يختطف داء الصدر اديباً من الادباء . وقد فجعنا هذه المرة بالشاب المتوقد ذكاء الكاتب الفاضل المرحوم سبع شميل مدير جريدة البصير قبلاً وشقيق صاحبها جناب عزتلو رشيد بك شميل وابن اخي الدكتور شبلي افندي شميل . وقد توفاه الله في قرية كفرشيما حيث ذهب في طلب الشفاء من داء متى استعصى فلا ينجع به دواء . فانطفأ هنالك بعيداً عن مركز عمله بالتدريج انطفاء سراج نفد زيته وحان اجله

وقد كان الفقيد رحمه الله من خيرة شبان الشرق همة وذكاء . فانه رحل قبل قدومه الى مصر نحو بلاد الانكليز وتعاطى التجارة فيها فاثرى ثراء دلّ على عظيم همته وشدة براعته في عمله . ولكن دولاب الدهر لم يلبث ان دار فاضاع هناك في البورصة الوف الجنيهات التي كان قد ربحها منها . فعاد الى مصر يطلب الرزق من شق هذه القصبة . وكان ابرع محرري زمانه في تحرير الشؤون التجارية فاستدعته جريدة الاهرام لانشاء هذا القسم فيها . ثم انشأ جناب شقيقه جريدة البصير فعهد اليه ادارتها وتحريرها فاكب الفقيد على ذلك حتى جاءه الداء متدرجاً فاخمد همته وكسر قلمه . فقصد العاصمة مستشفياً ثم قدم منها وسافر الى كفرشيما طالباً للعافية فكانت القاضية . فنحن في هذا المقام نبعث بالتحية الى صديقنا سبع حيثما كان ونسال الله الرحمة لنفسه والعزاء لآله الكرام

فازداد شارني دهشة وقال للملك انك يامولاي تقول لي الآن اموراً خطيرة واخشى ان تندم جلالتك على انك قلتها . فاجاب الملك كلا لا اندم على ذلك وبرهاني عليه اني ازيدك منه . انت تعلم ما لمدموازل برتين خياطة الملكة والمسيو ليونار رئيس مزينيها من التاثير عليها . وهذان الشخصان يبذلان قصارى الجهد بناء على تحريض رجال النمسا لجعل الملكة تسعى في عقد محالفة بين النمسا وفرنسا . ولكن النمسا كانت مشؤومة لفرنسا دائماً . وسياتي يوم تصبح فيه مشؤومة لنفسها ايضاً . فان هذه المملكة التي كانت كاثوليكية محضة قد اخذت تتمسك باهداب الفلسفة في حكم جوزيف الثاني . وقد نبذت التروي والحكمة فصارت تتخذ المجر سيفاً لها وهذا السيف سينقلب عليها (١) وقد صرفت وجهها الى محاربة الاتراك حلفائنا تاركة اوربا وشانها وجاعلة الغنيمة من تلك الحروب لروسيا وحدها . وفضلاً عن هذا وهذا فانها تركت الرهبان البلجيكيين يغصبونها احسن قسم من بلادها وهو بلجيكا . نعم نعم يامسيو دي شارني اني اكره النمسا ولا اطيقها

ثم سكت الملك قليلاً وبعد هنيهة اردف بقوله . لقد علمت الآن انني اكره الاستسلام الى النمساويين او الفرار على يدهم فاسمع الآن امراً آخر . اتعرف المركيز دي ففراس ايها الكونت . فاجاب شارني نعم يامولاي . فقال الملك ان المركيز دي ففراس جاءني من قبل اخي " مونسيو " (٢) يقترح عليّ الفرار . فما رأيك في هذا الرجل

فاجاب شارني رأيي ان الرجل شريف قد يبذل نفسه في سبيل الملك ولكني لا اظنه قادراً على ان يكون رئيساً لمشروع خطير كهذا المشروع

فقال الملك نعم وقد عرفت ذلك انا ايضاً لاني عرفت ان رئيس هذا المشروع هو اخي مونسيو لا ففراس وما ففراس الا اليد المنفذة

ففتح شارني عينيه فقال الملك وهل تستغرب ان يكون اخي ساعياً في اخراجي من باريز . لا تستغرب ذلك فانه يتمنى سفري من العاصمة حتى اذا ملّ الشعب طول غياب

(١) لقد صحت نبوءة ديماس في هذا الشان كما يعرفه القراء فان النمسا والمجر منقسمتان اليوم اشد انقسام والسياسيون يخشون من انفصالهما بعد وفاة الامبراطور فرنسوى جوزيف الحالي

(٢) مونسيو او مسيو لقب كان يلقب به منذ بداية القرن السادس عشر اكبر اخوة الملك

الملك واحتاجوا الى من يقوم مقامه كان هو قريباً

فقال شارني مولاي انك تقول لي اموراً هائلة · فقال الملك كلا انني لا اقول لك الا ما كتبه لي اخوك من تورين فانه كتب اليّ يقول ان الامراء اجتمعوا في تورين اخيراً وبحثوا في خلعي وتنصيب من يقوم مقامي · وفي هذه الجلسة نفسها اقترح ابن عمي المسيو دي كونده ان يزحف الجيش النمساوي على مدينة ليون مهما اصاب الملك · ومن اجل ذلك كله لا ارضى النجاة على يد النمسويين ولا على يد فقراس بل اختار ما ذكرته لك من النجاة على يد المسيو بوليه · نخذ الآن هذا الكتاب اليه وسافر على عجل واياك ان تطلع احداً على سبب سفرك حتى الملكة نفسها

ثم ان الملك اطلع شارني على الطريقة التي يخابر بها المسيو بوليه فخرج شارني من لديه مسروراً بان الملك اعتمد عليه · ولو ان الملك انعم عليه اسمى انعام لما استطاع استمالته اليه بقدر ما استماله بوضع ثقته فيه

الفصل العشرون

✻ غضب الملكة وحبها ✻

وخرج شارني من لدن الملك مخفوراً معجباً بنفسه لان الملك كان كمن وضع يده على كتفه واستند اليه · واول ما صنعه انه ذهب الى غرفته ليكتب الى الملكة كتاباً يبلغها فيه انه مسافر من باريز · وذلك لانه كره مقابلتها بعد تلك المقابلة التي اظهر له الملك فيها كل ثقة ووداد

ولكنه لما وصل الى غرفته وجد ويبر خادم الملكة ينتظره ليذهب به الى الملكة على عجل بناء على امر منها فذهب الكونت معه مضطراً لا مختاراً

وكانت الملكة قد عرفت انها اخطأت الى شارني بكثرة ما عذبته بسوء ظنها به وسوء معاملتها اياه مع حبها له فارادت في هذه المرة ان تغسل ما مضى ولذلك استعدت لتقابله احسن مقابلة · واما شارني فقد كان قادماً لهذه المقابلة وهو منقبض الصدر لرغبته عنها كما تقدم ولذلك لم يدنُ من الملكة حين دخوله عليها بل بقي واقفاً في عتبة الباب وقفة الاحترام والاحتشام

فالتفتت اليه الملكة وقالت بلطف · تقدم تقدم يامسيو شارني فنحن وحدنا

فدنا منها شارني باحترام ثم قال بلهجة رسمية هادئة يامولاتي طوع امرك

فالتفتت اليه الملكة مرة ثانية وقالت له . اما سمعت ايها الكونت انني اقول لك اننا هنا وحدنا

فاجاب الكونت نعم سمعت ذلك يامولاتي ولكني اعلم ان الانسان يخاطب ملكته بلهجة واحدة سواء كانت منفردة وحدها او على مرأى ومسمع من الناس

فاحست الملكة بما في هذا الكلام من المعنى المقصود فقالت ولكني لما استدعيتك يا كونت كنت اؤمل ان تخاطبني مخاطبة الصديق لصديقته لا مخاطبة رجل لملكته

فظهر هنا على شفتي الكونت شارني ابتسام لطيف

وكأن الملكة فهمت معنى هذا الابتسام فاردفت بقولها . انك تبتسم يا كونت ولعلي اعرف سبب ابتسامك واقرأ الآن ما تقوله في نفسك . انك تقول انني ظلمتك فيما مضى وعذبتك ولكن فلننس الماضي يا كونت واعلم انني كملكة لا استغني عن نصائحك وكامرأة لا استغني عن صداقتك

ثم مدت اليه يدها الجميلة فتناولها شارني وقبلها . ولما اراد تركها امسكت الملكة يده ثم اردفت بقولها

نعم قد ظلمتك يا كونت فانني رايت اخاك الذي تحبه يموت موت الابطال في سبيلي ولم اقل لك كلمة تعزية فيه . ولكن لا تلم المراة فانها ضعيفة وقد اوقف الدمع في عيني في تلك الايام ما كنا فيه من الخوف والغضب والهول . اما اليوم وقد اصبحت وحدي في هذا القصر فقد وفيتك دينك بالبكاء . ذلك اني بكيت في هذه الايام العشرة التي مرت علي دون ان اراك وان كنت لا تصدقني فانظر الآن الى عيني

قالت ذلك ثم رفعت راسها لتريه عينيها . فنظر شارني فيهما دمعتين منحدرتين على خدها انحدار لؤلؤتين على قطعة من الرخام . وقد كان انحدارهما في مسيل مفتوح انشأته كثرة الدموع التي انحدرت منهما

فلما نظر شارني دموعها كاد ينطرح على قدميها ولكنه ذكر في الحال وداد الملك وثقته فتمالك نفسه وقال مضطربًا . اشكرك ياسيدتي شكرًا جزيلاً على ذكرك اياي وحزنك على اخي . ويحزنني جدًا ان ليس لي وقت كافٍ لاشكر جلالتك

فرفعت الملكة راسها وقالت متعجبة . كيف تقول انه ليس لك وقت كافٍ . فقال شارني ذلك لاني مسافر ياسيدتي . فقالت الملكة باستغراب زائد . انت مسافر؟ ولماذا ؟ فقال اني مسافر ياسيدتي في مهمة لمولاي الملك . فسالته وكم يومًا تغيب عن باريز فاجاب

لا اعلم ياسيدتي · قالت والى اين تسافر

فتردد شارني في الجواب ثم قال هذا سر مولاي الملك فاذا سالته ياسيدتي اطلعك عليه

فبهتت الملكة ثم قالت باستياء ولكنه اذا كان سر الملك فهو سر الملكة ايضاً افلا تطلعني عليه · فقال شارني اذا سمعته يامولاتي من فم الملك نفسه كان ذلك اكثر دلالة على امانتي لجلالتك ولجلالة الملك

ثم ان شارني انحنى انحناء من يستاذن الملكة بالذهاب · فبلغ الحنق من الملكة عند هذه الحركة مبلغه فاومأت اليه بيدها بنزق وقالت · فاذهب اذاً

الا انها كادت تختنق بالدمع عند ذكرها ان شارني مسافر الى مكان لا تعرفه ولا تعرف الاخطار التي تتهدده فيه

فخطا شارني نحو الباب بعد التسليم باحترام ثم فتحه ورام الخروج منه

واذا بصوت الملكة يناديه بحدة : شارني شارني

فالتفت الكونت الى الملكة · فقالت له ماري انطوانت تقدم تقدم · فتقدم منها · فقالت له تقدم ايضاً · فدنا حتى اصبح بينها وبينه مسافة ذراع فقط · فنظرت الملكة حينئذ في وجهه والدموع تجول في عينيها ثم سالته بلهجة ممزوجة باللين واللطف والكبرياء — الم تعد تحبني ياشارني

فلما سمع شارني هذا الكلام طار صوابه وكاد يُغمى عليه ويسقط جاثياً تحت اقدام الملكة · وكانت هذه هي المرة الاولى التي لانت فيها الملكة وخفضت راس كبريائها امام الرجل الذي تحبه

ولكن الكونت لم يلبث ان ثاب اليه رشده فانحنى امام الملكة باحترام لا مزيد عليه وقال : اكون دنيئاً ياسيدتي اذا كنت اظهر لك الآن شيئاً غير اخلاصي واحترامي بعدما اظهره لي الملك منذ ساعة من الثقة والوداد

فصرفت حينئذ الملكة وجهها عنه بكبرياء وقالت : انت حر ايها الكونت فاذهب واصنع ما تريد

فخرج شارني باضطراب شديد وبقيت الملكة في القاعة وهي في اشد حالات الهياج

وبعد خروجه بمدة قصيرة سمعت الملكة صوت مركبة فاندفعت الى النافذة فعرفت انها مركبة الكونت تسير نحو شارع كاروسل · فنادت خادمها ويبر في الحال وسالته ايـ

طريق توصل الى شارع كوك هيرون لمن يريد الذهاب اليه . فاجاب الخادم طريق كاروسل . فعضت الملكة شفتها وقالت في نفسها : انه سائر ليودع اندري زوجته . ثم جالت في الغرفة ذهاباً واياباً وقالت بحنق : يجب ان اعرف لهذه الامور نهاية . ثم نادت خادمها ثانية وقالت له . اذهب الآن الى منزل الكونتس شارني في شارع كوك هيرون وابلغها ان تاتي غداً لمقابلتي . فاجاب الخادم قد عينت جلالتك يوم غد موعداً لمقابلة الدكتور جيلبار . فاجابت الملكة دع مقابلة الدكتور جيلبار الى بعد غد. فانصرف ويبر الى منزل الكونتس دي شارني

ولما وصل ويبر الى منزل اندري كانت اندري تقرأ كتاباً وردها من شارني فلما دخل عليها ويبر خادم الملكة ضمت الكتاب الى صدرها كأن ويبر جاء لاخذه منها ولما ابلغها ويبر امر الملكة اجابت انها ستقابل جلالتها غداً . فعاد ويبر من حيث اتى اما اندري فانها فتحت الكتاب بعد ذهاب ويبر واتمت قراءته ثم رفعته الى شفتيها وقبلته وقالت : فليحرسك الله ياحبيبي . نعم انني اجهل المكان الذي انت مسافر اليه ولكن الله يعرفه وصلاتي تعرف اين الله

وفي المساء جاء مونسيو شقيق الملك وقابل الملكة ليباحثها في مسالة فرار الملك على يد المركيز دي ففراس فصرفت الملكة خاطرها الى هذا الامر . اما الملك فان فكره كان مصروفاً الى الجنرال بوليه الذي بعث اليه الكونت دي شارني . وهكذا مضت تلك الليلة: الملكة تفكر في مسالة ففراس والملك يفكر في مسالة بوليه. الا ان الملكة كانت تفكر ايضاً في امر غير مسالة ففراس وهو حبها للكونت دي شارني

وفي مساء هذا اليوم ابلغوا الملك ان المجمع الوطني قرر تغيير لقب الملك . فانه كان يلقب« ملك فرنسا ونافاريا » فجعل المجمع لقبه هكذا « ملك الفرنسويين »

الفصل الواحد والعشرون

﴿ امراة بلا زوج — وعشيقة بلا عشيق ﴾

وفي صباح اليوم التالي بكرت اندري الى قصر الملكة

وكانت الملكة مستعدة لمقابلتها ومع ذلك فانها لم تتمالك ان ترتعد فرائصها حين نداء ويبر معلناً : الكونتس دي شارني .

اما اندري فانها دخلت على الملكة ثابتة الجاش هادئة ناصعة البياض كالماس ولكنها مثله قاطعة قوية

فبادرتها الملكة بقولها : اهلاً وسهلاً بالكونتس اندري · وقد قالت الملكة ذلك بلهجة في غاية اللطف والمجاملة

فاجابتها اندري غير متقاتلة لهذا اللطف الذي كانت لا تتوقعه · لو كانت جلالتك تخاطبني دائماً بهذا اللطف لما بعثت تطلبني من خارج قصرها · وقد عنت اندري بذلك ان الملكة لو كانت لطيفة معها دائماً لما تركت هي قصرها · فكأنَّ اندري دخلت بكلمة واحدة في اساس الموضوع الذي ارادت الملكة مباحثتها فيه · فاجابت الملكة بشيءٍ من الاسف

ان في كلامك يا اندري شيئاً من العتب والملام وربما كنت استحق ذلك في الزمن الماضي لان حوادثه الهائلة قد شغلتني عن اقرب الناس اليَّ · وهذا القول كافٍ ليدلك على ان ما حسبته اهمالاً وانكاراً للجميل انما هو في الحقيقة ضعف وعجز

فقالت اندري ان هذا القول يصح ياسيدتي اذا كنت قد سالتك شيئاً يوماً من الايام ولم تجيبيني اليه

فصاحت الملكة : وهذا هو الامر الذي يدهشني ايتها العزيزة ويجوز لي ان اشكو منه · فانني لا اراك تسالين شيئاً كانه لا يهمك امر من امور هذه الحياة بل كانك بشر فوق الطبيعة نفسها او مخلوق غريب حملته الزوابع من احد عوالم الفضاء وقذفته بيننا فسقط عندنا كما تسقط تلك الاجسام التي تاتينا من مكان مجهول والتي تطهرها النار في سقوطها · وحقاً يا اندري ان كل انسان يشعر بضعف لدى وقوفه امامك انت التي لم يعرفك الضعف قط · يشعر بضعف ولو كان ذا راس متوَّج · ولكنه بعد شعوره بالضعف يشعر بالاطمئنان ايضاً لان من كان مثلك بالغاً اقصى درجات الكمال البشري فانه يكون بالغاً درجات الحلم والصفح لانهما من جملة صفات الكمال · ولذلك فهو استناداً الى هذا الحلم والصفح يبعث في طلبك ليسالك تعزية لنفسه

وكانت الملكة تتكلم واندري جامدة كانها صنم · فلما اتت الملكة على كلامها قالت اندري بثبات جاشها المعروف : انني اخشى ياسيدتي ان لا تجد جلالتك في الامر الذي بعثت تطلبني من اجله · فان التي لا تطلب تعزية من احد لا يمكنها ان تكون قادرة على تعزية احد وخصوصاً اذا كانت مثلي لا تطلب تعزية حتى من الله نفسه لانها تعلم ان في بعض

الآلام ما لا تظن احداً قادراً على شفائه

فنظرت الملكة الى اندري واطالت النظر في وجهها ثم قالت بهيئة جدية : ما هذه الآلام التي لا يشفيها شيء . هل بقيت بك آلام لم تطلعيني عليها

فسكتت اندريه

واما الملكة فاردفت قائلة بشيء من النزق . فلنتكلم الآن بحرية لانني بعثت اطلبك لهذا الغرض . قولي لي هل تحبين المسيو دي شارني

فاصفرت اندري حتى حاكت صفرتها صفرة الاموات ولكنها بقيت مثلهم جامدة هامدة

فاعادت الملكة سؤالها بنزق اشد : قولي مالك لا تتكلمين . هل تحبين المسيو دي شارني

فاجابت اندوي بهذه الكلمة المفردة : نعم

كلمة هائلة ما سمعتها الملكة حتى صرخت صرخة اللبوة الغضبى

ثم كظمت غضبها وقالت لها : اما انا فما كنت اتوقع ذلك . ولكن متى ابتدأ حبك فاجابت اندري : منذ رايته . فقالت الملكة وقد كتمت امرك كل هذا الوقت فقالت اندري انتِ ادرى بذلك ياسيدتي . فقالت الملكة ولماذا هذا الكتمان . فقالت اندري لانني عرفت انك تحبينه . فقالت الملكة وهل تعنين بذلك انك كنتِ تحبينه اكثر مما احبه لانكِ رايت ما لم ارَ فاجابت اندري بشيء من الالم . كلا ولكنك انتِ لم تري ما رايت لانه كان يحبك . فقالت الملكة تقولين « كان » فهل تعنين بذلك انه لم يعد يحبني

فسكتت اندريه

فاستشاطت الملكة غيظاً من هذا السكوت وصاحت بها . مالك تسكتين . اقتليني بقولك انه لم يعد يحبني فذلك خير من هذا السكوت . قولي الم يعد يحبني

فقالت اندري ان حب المسيو دي شارني وعدم حبه امران تختصان به وهما من اسراره

فازدادت الملكة حنقاً فقالت ولكنهما من اسرارك ايضاً لانه لابد ان يكون قد اطلعك على اسراره . فقالت اندري أن المسيو دي شارني لم يطلعني قط على حبه او عدم حبه لك . فسالتها الملكة ولم يطلعك على ذلك ايضاً في هذا الصباح . فاجابت اندري انني لم

اشاهد المسيو دي شارني في هذا الصباح

فنظرت الملكة الى الكونتس نظرة دلت على ارتيابها في هذا الكلام ثم قالت هل تريدين بذلك انك تجهلين سفر الكونت . فقالت اندري كلا لا اجهل انه سافر . فصاحت الملكة فمن اين عرفت انه سافر اذا كنت لم تريه . فاجابت اندري عرفت ذلك من كتاب كتبه اليّ

وكما ان ريشار الثالث صاح في ساعة من ساعات يأسه « اعطي تاجي لمن يعطيني فرساً » كذلك صاحت ماري انطوانت في نفسها « اعطي تاجي لمن يعطيني هذا الكتاب » . وقد فهمت اندري ما كان يختلج في صدر الملكة فرامت ان تترك ضرتها هنيهة في ذلك العذاب .

وبعد هنيهة التفتت الملكة وقالت لاندري اظنك تركتِ هذا الكتاب في منزلك . فمدت اندري يدها الى جيبها وقالت بل هو معي ياسيدتي . ثم اخرجت يدها وفيها كتاب تفوح منه رائحة طيبة . فمدت الملكة يدها وتناولته وهي ترتعش ثم اخذت تقرأه

وكان هذا الكتاب يحتوي على خبر سفر الكونت دي شارني وقد ذكر فيه الكونت انه رفض المهمة الاولى لرغبته في البقاء في باريز قريباً من الكونتس ظناً منه انها توده وتعطف عليه اما وقد تحقق انها لا تعبأ به فقد طلب السفر ترويحاً لنفسه من حزنها

فعلمت الملكة من هذا الكتاب ان الكونت لا يزال يجهل حب اندري له ولكنها علمت منه انه قد بدأ يميل اليها

اما اندري فانها قالت للملكة بعد ان اتمت قراءة الكتاب : هل تحققتِ انني ما خنتك قط . فاجابت الملكة وقد سكن جاشها بعض السكون . عفواً يا اندري ولا تلوميني فانني قد تعذبت كثيراً ...

فصاحت اندري حينئذ وقد ظهر عليها الغضب لاول مرة . تقولين انك تعذبت ايتها السيدة ... فاذا كنتِ تقولين ذلك فماذا اقول انا ... انا لا اقول انني قد تعذبتُ لانني لا اريد استعمال كلمة قالتها امراة اخرى لتعبر بها عن شيء كالذي في خاطري . وانما اريد كلمة جديدة . كلمة هائلة تدلُّ على حقيقة العذابات والاهوال التي قاسيتها . تقولين انك تعذبت فهل احببتِ رجلاً كان لا يعبأ بحبك . هل رايت اخاك يبارز هذا الرجل ويجرحه جرحاً ظُنَّ مميتاً . هل سمعت هذا الرجل الذي تحبينه وهو في بحران الحمى وذهولها لا ينطق الا باسم ضرتك التي لا يحب غيرها . هل يئستِ في صباك من ذلك الحب

الشديد الذي يكوي و يشوي فدخلت ديرًا لتبردي في الوحدة والانفراد حرارته . ثم وانتِ في هذه الوحدة هل رايت ضرتك قد جاءت اليك تطلب منك باسم وداد قديم ان تكوني زوجة لذلك الرجل . زوجة بالاسم فقط وقطعاً لالسنة الناس لانها تحبه كما انه يحبها . هل رايت نفسك انك اصبحت زوجة لذلك الرجل وهو لا يعبأ بك ولا يلتفت اليك وانما كل التفاته الى ضرتك التي كانت تعيش قريبة منك . هل حدث لك شيء من كل ذلك ايتها السيدة ليجوز لك القول بانك تعذبتِ . اما انا فقد حدث لي كل ذلك كما تعلمين والسنوات الثلاث الماضية كانت سنوات عذاب طويل عندي

وكانت الملكة تسمع هذا الكلام وهي خائرة القوى ولما اتت اندري على كلامها وسكتت لتتنفس الصعداء مدت الملكة يدها لتاخذ يد اندري فجذبت اندري يدها واردفت بقولها : ومع ذلك فانني لم اعدك بشيء ايتها السيدة وفعلت ما فعلت . اما انت فانك وعدتني امرين

وكانت اندري قد دخلت بهذا الكلام في دور الشكوى من الملكة . وكان كلامها بلهجة شديدة تدل على النار التي كانت تتقد في احشائها . فنظرت اليها الملكة نظرة عتاب قائلة — اندري . فاردفت اندري بقولها من غير ان تبالي بعتاب الملكة . — انك وعدتني امرين ايتها السيدة دون ان اطلب منك هذا الوعد . الاول انك ما عدتِ ترين دي شارني

فعاتبتها الملكة مرة ثانية بقولها اندري . ولكن ذلك ما كان ليمنع اندري من اتمام الحديث الذي وطنت نفسها على الدخول فيه فقالت بجاش ثابت . واما الوعد الثاني فهو وعد بالكتابة فانك وعدتني بان تعامليني معاملة اخت لك

فقالت الملكة مرة ثالثة بصورة عتاب أيضاً اندري اندري . فاجابت اندري دون ان تصغي الى شيء

وهل تريدين ان اذكر لك العبارات التي وعدتني بها هذا الوعد . انك بعد عقد الزواج الذي كنت تطلبينه عرفتِ قدر العمل الذي عملته اخلاصاً لك فكتبتِ الي ورقة هذا نصها

« لقد انقذتني يا اندري واعدتِ الي شرفي وحياتي فباسم هذا الشرف وهذه الحياة اقسم لك انك اذا دعوتني اختاً لك فانني اسرُّ بذلك ولا اخجل منه . وقد كتبت لك هذا الكتاب ووضعته في يدك كدوطة لك . واني اعرف انك كريمة بين الكرائم ولذلك

لا اشك في كونك تقدرين قدر هذه الهدية »

فما اتت اندري على آخر هذه الكلمات حتى تنهدت الملكة تنهداً دل على انسحاق نفسها تجاه هذه المراة القوية . اما اندري فانها اردفت بقولها . ولا اجهل انك كنت تحسبين انني نسيت هذه الورقة لانني مزقتها ولكن فاعلمي انني لم انسَ منها حرفاً واحداً بل هي منقوشة على صفحات صدري

فصاحت الملكة عفواً يا اندري فانني اذا كنت اسأت معاملتك فذلك لانني كنت ظننت انه يحبك

فصاحت اندري . وهل تحسبين ايتها السيدة ان من نواميس القلب انه اذا اصبح القلب اقل حباً لشخص فذلك دليل على انه صار يحب شخصاً آخر

فلم تتمالك الملكة ان صاحت هنا ملء فمها . وانت ايضاً لمحتِ انه صار اقل حباً لي مما كان قبلاً

فسكتت اندري ولكنها لما رات الملكة بذلك العذاب لم تتمالك ان ابتسمت ابتساماً خفيفاً لرؤيتها ان التي عذبتها وقتاً طويلاً قد صارت تتعذب ايضاً . اما الملكة فصاحت مرة ثانية

ما العمل يا رباه . كيف السبيل لحفظ ذلك الحب فانه اذا ذهب ذهبت حياتي معه اتعلمين لذلك طريقة يا اندري . يا اختي . ياعزيزتي

ثم ان ماري انطوانت مدت ذراعيها الى اندري لتضمها اليها فخطت اندري خطوة الى الوراء واجابت . كيف اعرف ذلك مع ان الكونت لم يحبني قط . فاجابت الملكة ولكن سياتي يوم يحبك الكونت فيه و يسألك العفو عما مضى . فانقبضت اندري وقالت ان ذلك اليوم يوم شؤم عندي . فدهشت الملكة واما اندري فاردفت بقولها . نعم هو يوم شؤم لانك لا تجهلين ايتها السيدة ان السر الذي لديَّ يقتل حب المسيو دي شارني متى اطلعته عليه

فسالتها الملكة بدهشة . وهل تقولين للمسيو دي شارني ان جيلبار اعتدى عليك في صباك ؟ وان لك منه ولداً ؟

فصاحت اندري ومن تحسبينني ايتها السيدة حتى ترتابي في ذلك

فتنفست الملكة الصعداء كمن استراح بعض الاستراحة . اما اندري فقد ظهرت عليها لوائح الانقباض الشديد لان هذا الكلام وضع نصب عينيها استحالة بلوغها

الهناء في هذه الحياة · فشعرت ماري انطوانت بذلك فزادت في ملاطفتها ومجاملتها لاسيما وانها عرفت ما كانت تريد معرفته من امرها واما اندرى فانها كانت تستثقل تلك المجاملة فسلمت بفتور وخرجت وفي نفسها مرارة اليأس

وبعد خروجها قالت الملكة في نفسها كمن يتهدد ويتوعد : يا ذات القلب القاسي والنفس النارية لا اكره احداً في العالم كما اكرهك · آه ·· ولكنه لا بد ان يحبك يوماً من الايام

ثم انها نادت خادمها ويبر واستفهمت منه متى ياتي الدكتور جيلبار ودخلت الى غرفة النوم بعد ان اوصت نساءها ان لا ينبهنها اذا استغرقت في النوم · لانها كانت قد توقعت لنفسها في تلك الليلة ارقاً شديداً

الفصل الثاني والعشرون

الخباز فرنسوى

حادث هائل

وفي الحقيقة ان الملكة ارقت في تلك الليلة ارقاً شديداً وقد صرفت قسماً طويلاً من الوقت في البكاء · ولذلك لم تنتبه من النوم الا في الساعة التاسعة

غير انها عند انتباهها من النوم سمعت في القصر حركة اقدام كثيرة فنادت احدى نسائها وسالتها الخبر فاخبرتها ان الشعب في فتنة وهياج في باريز فلبست ملابسها وحدها ثم استدعت خادمها ويبر وسالته عن سبب الفتنة فاجابها ان التقارير متناقضة ولذلك لم يعرف احد سببها بعدُ فامرته الملكة ان يذهب بنفسه ويطلع على اسباب الفتنة وان يوصي نساء القصر بادخال الدكتور جيلبار اليها حال حضوره لانه لا بدَّ ان يكون مطلعاً على هذه الحادثة

فخرج ويبر من القصر يقصد مكان الفتنة فكان في طريقه يجد الشعب راكضاً الى ذلك المكان افواجاً افواجاً وهم يصرخون ويصخبون

وما زال ويبر سائراً حتى بلغ ساحة كنيسة نوتردام فابصر هناك شعباً هائلاً متجمهراً وهو يصرخ صراخاً طبق العنان فكان يُسمع من الوف من الافواه هذا النداء : هذا مجوّع الشعب ·· اقتلوه اقتلوه ·· شنقاً بالمصباح

فمد و يبر بصره فابصر الوفاً من الناس مجتمعة وهي تتقاذف رجلاً وتتلاعب به تلاعب الاولاد بالاكر · ولا معين لهذا الرجل التعيس الا رجل آخر ممسك به يتبعه حيثما سار وهو يخاطب الناس ويحضهم على السكون · وكان الرجل الثاني هو الدكتور جيلبار

فاندس و يبر بين الناس حتى وصل الى الدكتور والرجل الذي تجمهر الشعب حوله هذا التجمهر الهائل فسمع و يبر الدكتور جيلبار يصيح بمن حوله : ايها الاخوة · ان هذا الرجل فرنسوي مثلكم فمن الواجب ان تحاكموه قبل الفتك به فخذوه الى مركز البوليس وحاكموه هناك ثم افعلوا فعلكم فيه

فلما سمع و يبر ذلك تقدم من الدكتور جيلبار فعرفه الدكتور فسلم عليه باختصار فقال له و يبر دافع دفاعاً حسناً ايها الدكتور فانا ذاهب لاخبار رجال البوليس في المركز القريب قال ذلك ثم اندس ثانية بين الجمهور قاصداً مركز البوليس

وكأن شهامة الدكتور جيلبار ووقوفه وحده وقفة المدافع عن ذلك الرجل المسكين قد استفزا بعضاً من اصحاب النفوس الابية فانضموا اليه يطلبون ما طلبه ولكن الشعب ما كان يسمع لهم · وبعد بردة يسيرة علت ضوضاء جديدة وسمع بعضهم يقولون جاء الضباط جاء الضباط · ثم بعد هنيهة ظهر الضباط فتفرقت الجماهير عن الرجل لا خوفاً ولكن لان دعاة الفتنة لم يكونوا بعدُ قد اصدروا الامر بارتكاب الجناية

فساق الضباط ذلك الرجل الى المجلس البلدي ووراءه الوف مؤلفة من جماهير الشعب فدخلت تلك الجماهير كلها الى ساحة المجلس وانضم اليها من جميع الاحياء الوف اخرى من المتشردين والجياع والذين لا عمل لهم فازدادت الضوضاء والغوغاء واشتد صراخ المتجمهرين طالبين قتل ذلك الرجل الذي يجوّع الشعب

واما قصة هذا الرجل فهي من الغرابة بمكان ولا باس ان نوردها هنا ببعض التفصيل لانها حادثة تاريخية من اشهر حوادث الثورة · فنقول

يُدعى هذا الرجل " دنيس فرنسوى " وكان خبازاً ينشئ مخبزاً في مكان على مسافة مائتي متر من دار رئاسة الاساقفة في باريز · وكان المجمع الوطني يعقد جلساته في هذه الدار بعد عودة الملك الى باريز فكان اعضاؤه اذا جاعوا في اثناء الجلسات الطويلة التي يعقدونها يبعثون الى الخباز فرنسوى فيجدون عنده ارغفة صغيرة يصنعها لهم خاصة من الخبز الابيض الجيد فياكلون مسرورين بسد جوعهم مع ان الوفاً من اهالي باريز كانوا جياعاً في تلك الايام لندرة الخبز وقلة الدقيق

وبسبب قلة الخبز كانت الحكومة قد عينت اربعة رجال من رجال البوليس لكل فرن من افران باريز خوفاً من هجوم الشعب على الافران كما حدث غير مرة . وكانت الافران لا تُتم خبز الخبز حتى تتخاطفة الايدي

ففي هذا اليوم وهو يوم ٢١ اكتوبر قصدت امرأة طاعنة في السن مخبز فرنسوى وطلبت منه خبزا . وكان فرنسوى قد اتم بيع الخبزة السادسة وهو يعمل في خبز الخبزة السابعة فاجابها انتظري قليلاً لتنضج الخبزة السابعة فتاخذي خبزًا طريئاً . فصاحت العجوز كلا بل اريد خبزًا الآن وهذا ثمنه . فاقسم لها الخباز انه قد باع جميع الخبز الذي لديه فقالت له دعني اذًا ادخل وافتش حانوتك فادخلها فرنسوى فجعلت تفتش جميع الخزائن فعثرت في تفتيشها على ثلاثه ارغفة كان عمال المخبز قد خبئوها ليقتاتوا بها اذا لم يفضل من الخبز شيء فلما ابصرت العجوز هذه الارغفة تناولت احدها وخرجت من دون ان تدفع ثمنه . واذ طلب الخباز ثمنه منها اخذت تصيح في السوق — يا مجوع الشعب . يامخفي الخبز . فركض الناس على صراخها فقصت عليهم ان ذلك الرجل يخفي الخبز في مخبزه ولا يبيعه للشعب الذي يموت جوعاً ثم اعادت ذلك الصياح . فخرج على صراخها من حانة قريبة من هناك ضابط من قدماء الضباط واخذ يصيح صياحها : امسكوا مجوع الشعب فهرول الناس من كل جانب وتجمهروا عشرات ومئات

وكانوا في ذلك الوقت وقت الضيق والمجاعة اذا لقبوا احدًا مجوع الشعب ونادوا عليه ذلك النداء فذلك بمثابة طلبهم الفتك به لانهم كانوا قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل خباز يخفي الخبز ويجوع الشعب

فلما اجتمع الناس امام مخبز الخباز فرنسوى طلبوا ان يدخلوا ويفتشوا حانوته ليعرفوا صحة تلك الدعوى او كذبها فادخلهم الرجل الى حانوته ففتشوه فوجدوا في خزائنه الرغيفين اللذين اخذت العجوز ثالثهما وعشرات من الارغفة الصغيرة التي كان يصنعها لاعضاء المجلس الوطني

فلما عثروا على هذه الارغفة هاجوا وماجوا واخذ كثيرون يصيحون — اقتلوا المجوع اقتلوا المجوع

وفي الحال هجم بعضهم عليه وزحموه من كل جانب وصاروا يلطمونه ويخاطفونه وينقاذفونه صارخين « اشنقوه اشنقوه» وفي هذه الساعة اتفق مرور الدكتور جيلبار قاصدًا قصر الملك فهجم على الشعب واستخبر الخبر ثم شق الجمهور حتى وصل الى الخباز وصار يدافع

عنه كما تقدم الى ان ساقوه الى دار المجلس البلدي

وكان الوقت صباحاً فلم يكن باليي ولافاييت قد قدما بعد الى المجلس · وكان ذلك في علم مثيري هذه الفتنة وذلك مما كان يزيدهم جرأة ووقاحة · فبعثوا دعاتهم من جديد بين الجماهير ليضرموا نار الغضب والحقد في نفوسها · فكانوا يقولون لهم من كل جانب « ان هذا المجوع صنع ما صنع بامر البلاط ولذلك يسعون لانقاذه » فكان الشعب يزداد صراخاً « اشنقوه اشنقوه »

فالفوا في الحال محكمة وقتية في دار المجلس البلدي لمحاكمة الرجل لان الشعب فرغ صبره فظهر من شهادات جيران هذا الخباز انه من اشد الخبازين نشاطاً واحسنهم اخلاقاً فانه كان من بداية الثورة يخبز عشر خبزات في النهار بسرعة غريبة و يبيعها لكل من يطلب منه ذلك · ولما كان بعض زملائه الخبازين ينفد منهم الدقيق (الطحين) كان يعطيهم من دقيقه و رغبة في الاسراع في العمل قياماً بحاجات الشعب لم يكتفِ بفرنه بل استاجر فرناً آخر ليجفف فيه الحطب تسهيلاً للعمل

فلما سمعت المحكمة كل هذه الشهادات تحققت ان هذا الرجل بريء وانه يستحق مكافاة على حسن عمله لا عقاباً

اما الجماهير التي كانت مجموعة هناك فانها لم ترد ان تفهم شيئاً من ذلك ولما طال عليها الانتظار ولم يسلموها فريستها هجمت مئات والوفاً كالبحر الزاخر الى قاعة المحكمة فدفعت الحراس والحاضرين واخذت الخباز المسكين وخرجت به تجره جرّاً على درج السلم وارض المجلس فتهشم وجهه تهشماً مخيفاً وصار في حال يرثي لها من الالم والخوف فبعد ان كان يصرخ طالباً الحياة صار الآن يصرخ طالباً الموت للاستراحة من هذا العذاب

وكان ملاك الموت قريباً في ذلك الزمان فما كان يناديه احد الا ويسمع نداءه ويُسرع اليه · ولذلك لم يصرخ فرنسوى بقوله « اقتلوني ولا تعذبوني » حتى مُدّت الايدي اليه من كل جانب فما هي الا لحظة حتى فُصل راسه عن جسده ووُضع على راس رمح حمله احد الحاضرين

فلما ابصر الدكتور جيلبار ذلك خرج من المجلس صارخاً : بيلو بيلو ما اسعدك لانك سافرت من باريز

ثم سار في طريقه منقبض النفس وهو يتامل في الحادث الفظيع الذي حدث · ولكنه لم يصل الى جسر بالاتيه حتى شعر بان شخصاً يمس ذراعه · فالتفت ليرى هذا الشخص

فما وقع بصره عليه حتى اجفل جيلبار واراد الوقوف والكلام معه لانه عرفه . اما الرجل المجهول فانه وضع اصبعه على فمه يساله بهذه الاشارة ان يسكت ثم تناول ورقة ووضعها في يد الدكتور وسار في طريقه قاصداً دار رئاسة الاساقفة

وكانت امراة واقفة هناك فلما وقع نظرها عليه صاحت برفيقاتها : هوذا « ميرابو » نصير الشعب

فصاحت رفيقاتها حينئذ « ليحيى ميرابو » فانتبه حينئذٍ الشعب الحاضر للرجل المجهول واخذوا يصيحون عشرات ومئات « ليحيى نصير الشعب . ليحيى الوطني العظيم »

ولما سمعت مؤخرة الجماهير التي كانت تحمل راس الخباز فرنسوى هذا الصراخ ركضت الى حيث كان ميرابو فاحاطت به احاطت السوار بالمعصم واخذت تصيح « ليحيى ميرابو » وما زالت به حتى اوصلته الى دار رئاسة الاساقفة حيث كان يقصد حضور جلسة المجمع الوطني

الفصل الثالث والعشرون

الفوائد التي تحصل من راس مقطوع

ولما غاب ميرابو عن نظر الدكتور جيلبار فتح الدكتور الورقة التي كان قد دفعها اليه ميرابو وقرأها مسرعاً ثم اعاد قراءتها بامعان . وبعد ذلك سار نحو التويلري بخطى واسعة فوجد ان لافاييت قد زاد عدد حراس القصر حين حدوث الفتنة زيادة في حراسة الملك فابلغ الحراس اسمه فاذنوا له في الدخول . ولما صار داخل القصر سار تواً الى غرفة الملكة بناءً على امرها

ولكنه ما دخل عليها ووقع نظرها عليه حتى صاحت صيحة من صميم قلبها

ذلك انها ابصرت نقطاً من الدماء على قميص الدكتور جيلبار ورات سترته ممزقة من احد جوانبها

اما الدكتور فانه انحنى امامها باحترام وقال . عفواً يامولاتي اذا كنت اقابلك بهذه الهيئة فانني كرهت الذهاب لتغيير ملابسي خوفاً من اطالة انتظارك لي

فقالت الملكة وماذا حدث لذلك الرجل التعيس يامسيو جيلبار فقال انهم قتلوه ياسيدتي وقطعوه ارباً اربا . فقالت باضطراب وهل كان مجرماً قال بل كان بريئاً فصاحت

الملكة : هذه هي ثمرة ثورتكم يامسيو جيلبار . انهم كانوا في البداية يقتلون الاشراف والموظفين والحراس اما الآن فانهم صاروا يقتتلون فيما بينهم . اما من سبيل لمعاقبة اولئك الجناة والاشقياء

فقال جيلبار سنبذل الجهد في ذلك ياسيدتي ولكنني انا افضل تدارك الامور قبل وقوعها على المعاقبة عليها بعد وقوعها . قالت وما السبيل الى ذلك فانه لا شيء احب من ذلك الي والى الملك . قال السبيل الى ذلك ياسيدتي ان نولي زمام الاحكام الى رجال يثق الشعب بهم فان هذا الهياج لا منشأ له غير سخط الشعب على القابضين على ازمة الاحكام وعدم ثقته بهم

فقالت اظنك عدت الى مسالة تولية لافاييت وميرابو . فقال كنت اظن ياسيدتي انك دعوتني لتبلغيني انك استطعت اقناع الملك بان يرضى بتاليف الوزارة التي عرضتها على جلالته . قالت انك بقولك هذا يامسيو جيلبار تقع في خطاء وقع فيه جميع الناس وهو ظنهم انني ذات سلطان على الملك احمله على ما اشاء . والحقيقة ان التي لها عليه سلطان انما هي مدام اليزابت . فقال جيلبار ومع ذلك فانني مقتنع بان الملكة لو قاومت انفتها لاستطاعت اقناع الملك بهذا الامر . قالت وهل لا تحسب انفتي في محلها ايها الدكتور فاجاب جيلبار

في السياسة لا انفة ولا كراهة ياسيدتي وانما فيها مصالح او مبادىء فمتى جمعت المصلحة قوماً من الساسة انشات بينهم تضامناً ولو كانوا لا يحبون بعضهم بعضاً . وكذلك المبادىء . غير انني اصرح بشيء فيه عار لرجال السياسة في اكثر الاحيان والازمان وهو ان رباط المصالح قد يكون اشد واقوى من رباط المبادىء

فقالت الملكة وقد نظرت الى الدكتور بهيئة جديدة . كيف تشير علي ايها الدكتور بان اثق بالرجل الذي اثار الشعب علي في ٥ و٦ اكتوبر وان احالف الخطيب الذي اهانني من منبر الخطابة

فاجاب جيلبار : صدقيني ياسيدتي ان ميرابو لم يثر الشعب في ٥ و٦ اكتوبر وانما الذي اثار الشعب في ذينك اليومين قوة هائلة . يد سرية صنعت ما صنعت تحت جنح الظلام . وقد آلت هذه اليد السرية على نفسها ان تهدم كل عرش في العالم لاعرش فرنسا فقط . وربما استطعت بعد حين مقاومتها وجهاً لوجه متى قبضت عليها . اما ميرابو فانه لم يعرف باخبار ٥ و٦ اكتوبر الا من المجمع الوطني نفسه

قالت وهل تنكر ايضاً انه اهانني وهو يخطب في منبر المجمع

فقال جيلبار اسمحي لي ياسيدتي ان اعرفك بميرابو لانك لا تعرفين اخلاقه . فان هذا الرجل هو من الرجال الذين يقدرون نفوسهم قدرها و يعرفون مبلغ قوتهم وكثرة الفوائد التي يجنيها الملوك من استخدامهم . ولذلك فهم يسخطون كل السخط كلما رأوا الملوك لا يعبئون بهم مع عظم الفوائد التي تنتج عنهم . وهذا سبب سخط ميرابو . فلا تعجبي ياسيدتي ان يكون ميرابو قد اتخذ كل طريقة حتى طريقة الاهانة لاستلفات نظرك اليه . لانه يعتبر أنك اذا التفتِ اليه وانت غضبي من تلك الاهانة فذلك خير له وادعى الى كبريائه من ان لا تلتفتي اليه ابداً

اما الملكة فاعجبها هذا القول فلبثت مبهوتة ثم قالت . اذاً انت معتقد ان هذا الرجل يرضى بالانحياز الينا. فاجاب جيلبار لا ريب في ذلك عندي يامولاتي فمثل ميرابو والملكية مثل جواد سائر في طريقه واذا حاد الجواد عن الطريق فبجذبة واحدة بعنانه يعود اليها. فقالت الملكة ولكن اذا رضيت انا موافقة هذا الرجل فانني لا اضمن موافقة الملك لان الملك يحسبه عدواً . فقال جيلبار كلا يامولاتي ان ميرابو ليس بعدو للملك . فاني نظرته على طريق فرساليا لما كان الملك عائداً منها الى باريز . فقطعت الملكة كلامه قائلة . اظنك نظرته مسروراً بظفره معتزاً بقوته . فقال بل رايته مرتاعاً للاخطار التي كانت تتهددكما من كل جانب . وهذا ما قاله لي يومئذ بهذا الشان . قال « اذا كنتَ قادراً على اقناع الملك والملكة بالخروج من باريز فالك تخدمهما وتخدم فرنسا خدمة نافعة . ومتى عزما على ذلك فاخبرني الخبر لانقذهما بطريقة لديّ »

فبهتت الملكة وقالت هل ان المسيو دي ميرابو يعتقد بوجوب سفرنا من باريز ايضاً . فقال جيلبار كان يعتقد بوجوب ذلك من قبل اما الآن فقد غير رايه . قالت ومن اين علمت ذلك قال من ورقة دفعها اليّ في هذا الصباح بعد حادثة الخباز فرنسوى . فدهشت الملكة وسالت جيلبار : ورقة من ميرابو نفسه . قال نعم ياسيدتي واليك هذه الورقة . انما ارجو المعذرة لانها غير مرتبة ولا لائقة بجلالتك لانها كتبت على مائدة بائع خمر فاجابت لا بأس باس فان كل شيء على غير ترتيب ولانظام في هذا الزمان ثم تناولت الورقة وقرأت فيها ما يلي

« ان الحادثة التي حدثت اليوم غيرت مجرى الامور

« يمكن الحصول على فوائد كثيرة من هذا الراس المقطوع

« فان الخوف سيستحوذ على المجمع الوطني فيطلب اعضاؤه اقامة الاحكام العسكرية
« والمسيو دي ميرابو قادر على جعل المجمع يقرر اقامة الاحكام العسكرية
« وهو قادر ايضاً ان يحمل على ناكار الوزير الاول ويسقط وزارته
« ومتى سقطت هذه الوزارة فليعهدوا الى ميرابو ولافاييت ان يؤلفا وزارة جديدة والمسيو دي ميرابو يضمن حينئذٍ تحسن الاحوال من كل وجه »

ولما اتت الملكة على هذه الورقة التفتت الى جيلبار وسالته ما رايك في هذا يامسيو جيلبار . فاجاب رأيي ياسيدتي ان ميرابو مصيب وانه لا ينقذ فرنسا الا الوزارة الجديدة التي يقترحها

فسكتت الملكة هنيهة ثم قالت فليبعث الي اذاً ببيان اسماء الرجال الذين يريد ان تتالف منهم الوزارة الجديدة وليكتب لي تقريراً عن الحالة السياسية الحاضرة

فقال جيلبار وهل اطلب منه الآن مقدمةً لهذا الاتفاق ان يسعى في اقامة الاحكام العسكرية واعادة السلطة للقوة التنفيذية . قالت فليسعَ ولكني اعيد عليك قولي باني لا اضمن موافقة الملك اما انا فموافقةٌ كما ترى . فسكت جيلبار عن هذا القول لانه كان يعتقد بانها ذات سلطان على الملك فمتى شاءت حملته على ما تريد . ثم سالها وهل تاذنين لي جلالتك بان ابلغ ميرابو بانك تطلبين منه بياناً باسماء الوزراء وتقريراً عن الحالة الحاضرة فقالت الملكة قل ما له شئت ان تقوله ولكن اذكر انك تباحث رجلاً حديث العهد في صداقتنا وربما عاد فانقلب وصار عدواً لنا

فقال جيلبار اما هذا الامر فكوني خلية البال منه ياسيدتي لاني اعرف الناس باخلاق ميرابو . فاذني لي الآن ان اسرع الى المجمع الوطني لاطلب من ميرابو ان يعمل بما تم عليه الاتفاق

ثم ان جيلبار سلم وخرج مسرعاً . فلما وصل الى قاعة المجمع الوطني راى الاعضاء في هياج شديد لان الخباز فرنسوى الذي قتلته العامة في ذلك النهار هو رجل المجمع وخادمه لانه كان يعدُّ الخبز لاعضائه فضلاً عن حدوث هذه الجناية على مقربة من مكان المجمع . وكان الاعضاء يجولون في القاعة ذهاباً واياباً الا ميرابو فانه كان جاثماً في كرسيه جثمة الاسد في عرينه وهو ثابت الجاش هادىء البال

ولما دخل جيلبار الى قاعة المجمع استنار وجه الاسد فاشار اليه جيلبار براسه اشارة عمودية من فوق الى اسفل دلالة على نجاح مهمته ثم انه مزق ورقة من دفتر بجيبه وكتب

عليها بقلم رصاصي ما ياتي

« ان احد الفريقين الذي تحسبه واحسبه اشد سلطانًا ونفوذًا قد وافق على اقتراحك
«وقد طلب بيانًا بمشروع الوزارة الجديد وتقريرًا عن الحالة السياسية الحاضرة . فابعث الآن بالاول واكتب الثاني غدًا

« اسعَ في اعادة السلطة للقوة التنفيذية والقوة التنفيذية تعتمد عليك »

ثم ان جيلبار طوى هذه الورقة وكتب عليها هذه الكلمات « الى المسيو دي ميرابو » ونادى احد حراس المكان فدفعها اليه ليوصلها الى صاحبها

فتناولها الحارس وسار توًا الى ميرابو فدفعها اليه

فتناولها ميرابو بعدم اكتراث كانه يتناول شيئًا لا يهمه ثم اخذ يقراها بعدم اكتراث ايضًا كانه غير عابئ بموضوعها

ولم يظهر على وجهه في اثناء قراءتها لا دليل على رضاه ولا دليل على سخطه . فمن نظره يقرأها لم يعلم اذا كان ساخطًا منها او راضيًا عنها

وبعد ان اتم قراءتها مزق ورقة من دفتر بجيبه وكتب عليها بقلمه سطورًا كثيرة بهيئة لا شيء من الاكتراث والمبالاة فيها . ثم طوى الورقة ودفعها الى الحارس وقال له: اوصلها الى الذي اعطاك الورقة التي جئتني بها . فاخذها الحارس الى الدكتور جيلبار ففتحها الدكتور باهتمام شديد فوجد فيها هذه الاسطر التي لو عُمل بها لغيرت مستقبل فرنسا كلها . وهذا نصها

« ساسعى

« غدًا ابعث بالتقرير اليك

« اما اسماء الوزراء فهذا بيانها

« المسيو ناكار . وزير اول (يجب ابقاؤه في الوزارة انتفاعًا بشهرته لدى الشعب وافناء لقوته)

« رئيس اساقفة بوردو . لوزارة العدلية (ونطلب منه ان يحسن اختيار عماله)

« الدوق دي ليانكور . لوزارة الحرب (وهو رجل ذو شرف وعزم وحزم فضلاً عن حبه للملك وهذا مما يضمن لنا سلامة الملك)

« الدوق دي لاروشفوكول . لقصر الملك ولمدينة باريز (ويكون " توريت "معه)

« الكونت دي لا مارك . لوزارة البحرية (لا يمكن تعيينه لوزارة الحرب لان هذه الوزارة للدوق دي ليانكور . والمسيو دي لامارك مشهور بالامانة والحزم والجد في العمل)

« اسقف دوتين . لوزارة المالية

« الكونت ميرابو. من مستشاري الملك . من غير وزارة . (لم يبق محل في هذا الزمان للاوهام وبناء عليه يجب على الحكومة ان تصرح علانية بانها لا تستند منذ الآن فصاعداً الا الى المبادىء الصحيحة ولا تتخذ اعواناً لها الا من اصحاب المواهب والاخلاق)

« تارجه . يعين محافظاً لباريز

« لافاييت. من مستشاري الملك . يرقى الى رتبة مارشال ويعين قائداً عاماً للجيش رغبة في تنظيمه . وقيادته الى اجل

« المسيو دي مونمورين . وال . ودوق . (وتوفى ديونه)

« المسيو دي سكور . لوزارة الخارجية

« المسيو مونيه . لادارة مكتبة الملك (١)

ولما اتى جيلبار على قراءة هذه الورقة تامل في سطورها فظهر له ان احرفها مضطربة بعض الاضطراب مما يدل على ان ميرابو كتبها ويده ترتجف قليلاً من تاثره وان كان لم يبدُ في وجهه شيء من هذا التاثر . ثم ان جيلبار كتب ثانية الى ميرابو الورقة التالية

« اني عائد الى صاحبة المنزل الذي اعتمدنا على استئجاره لابلغها الشروط التي اقترحتها بشان الاستئجار

« ابعث اليَّ حين انتهاء الجلسة بورقة تحتوي على نتيجتها

ثم عاد جيلبار الى التويلري وكان ويبر يقص في هذه الساعة على الملكة بشان الخباز فرنسوى قصة اثرت فيها اشد تاثير وبيانها ان الجماهير التي كانت حاملة راس ذلك الخباز المسكين كانت سائرة به في احد الشوارع واذا بها تسمع امراة تصيح صيحة عظيمة فالتفتوا اليها نراوها تسقط على الارض مغشياً عليها

---

(١) بعد وفاة ميرابو وجدوا ورقة كهذه الورقة في جملة اوراقه وفيها الاسماء والشروح المتقدمة وذلك مما جعل المؤرخين يرجحون ميل ميرابو الى الملكية في آخر ايامه بعد اذ كان من اشد مقاوميها

وكانت هذه المراة زوجة ذلك الخباز وقد وقع نظرها على راس زوجها المقطوع قبل وقوفها على الحادثة . ومن سوء حظها انها كانت حاملاً

فلما سمعت الملكة ذلك بكت وصاحت بو يبر : اذهب واستخبر خبر هذه المراة . فاذا كانت لم تمت بعد فقل لها ان تأتي لمقابلتي . واذا كانت حاملاً كما تقول فابلغها انني ساكون عرابة ولدها

ولكن الملكة لم تتم كلامها حتى دخل جيلبار وكان قد سمعه وفهم معناه فصاح من صميم قلبه : ليت جميع الفرنسويين يسمعونك الآن ياسيدتي ليعلموا رقة قلبك وشرف اخلاقك

اما الملكة فبقيت مبهوتة لهذا الكلام لانها ذكرت الكونت دي شارني الذي كان كثيرًا ما يقول لها مثله

ثم ان جيلبار دفع ورقة ميرابو الى الملكة فتناولتها وسالته ان يبقيها لها لتنظر فيها . ثم مدت اليه يدها مودعة ليقبلها . فدهش لذلك جيلبار وقبلها

وقد دهش لانها كانت المرة الاولى التي اذنت له الملكة فيها بتقبيل يدها

ولما عاد جيلبار الى منزله وجد فيه الكتاب التالي وهو من خط ميرابو

« كانت المناقشة شديدة في الجلسة

« ولكنه تقرر مع ذلك اقامة الاحكام العسكرية

« وقد طلب روبسبير وبوزوت تاليف محكمة عليا لمحاكمة الذين يجنون على الامة جناية كجناية هذا الصباح فجعلت المجمع يعين محكمة الشاتله الملكية للنظر في جميع القضايا المختصة بالجناية على الوطن والامة

« وقد قلت من غير تمهيد ولا محاولة ان سلامة فرنسا متوقفة على قوة الملكية . فصفق لهذا القول ثلاثة ارباع الاعضاء

« نحن اليوم في ٢١ اكتوبر فاذا قابلت يوم ٦ اكتوبر بهذا اليوم ظهر لك ان الملكية تقدمت تقدماً محسوساً »

الفصل الرابع والعشرون

﴿ مظالم الاحكام في تلك الايام ﴾

الشاتله

قال ميرابو في كتابه السابق انه جعل المجمع الوطني يعين محكمة « الشاتله » لمحاكمة الذين يجنون على الوطن والامة . وقد اتخذ هذا التعيين دليلاً على تقدم الملكية . فما السبب في ذلك

يُعرف السبب متى عُرفت ماهية الشاتله واهميته . ولبيان ذلك نقول

ان الشاتله كان في القرن الثالث عشر سجناً ومحكمة وقد بناه الملك فيليب اغسطس وفي سنة ١١٨٩ اصيب هذا الملك بالجنون الذي كان فاشياً في تلك الايام (١) وهو الحروب الصليبية لاسترجاع اورشليم فحالف هذا الملك الملك ريكاردوس قلب الاسد وسافر واياه الى الاماكن المقدسة

ولكنه قبل سفره خاف ان ينقسم شعبه بعضه على بعض في مدة غيابه كما انقسم الشعب الانكليزي في غياب الملك هنري الثاني فاراد ان يشغله بشيء يصرف فكره عن الانقسام فامر المهندسين ان يشرعوا بعد سفره ببناء سور كبير حول باريز . وقد ترك لهم رسم هذا السور

الا ان المهندسين لم يعتدوا بهذا الرسم لانه كان ضيقاً وقد خافوا ان يضيق عن باريز بعد بنائه لان هذه العاصمة كانت آخذة بالنمو بسرعة غريبة ولذلك توسعوا في بناء هذا السور وادخلوا فيه جميع القرى والبلدان الصغيرة التي كانت في ضواحي باريز

وكان لكل ناحية من هذه النواحي محكمة خاصة بها وامير خاص يحكمها وهو مستقل عن باقي الامراء زملائه . فكانت هذه المحاكم المختلفة تحكم احكاماً متناقضة متباينة . فلما استفحل هذا الامر وكان ذلك في عهد لويس التاسع اصدر هذا الملك امراً بتعيين محكمة « الشاتله » لاستئناف جميع القضايا التي تصدرها تلك المحاكم اذا شاء اصحابها استئنافها . وهكذا صارت محكمة الشاتله منذ ذلك اليوم محكمة عليا

وبديهي ان لويس التاسع لو لم يكن واثقاً بمحكمة الشاتله لما خولها هذه السلطة . وبناء عليه كانت هذه المحكمة معتبرة على مدى الاجيال محكمة ملكية

(١) الحروب الصليبية

ولذلك عدَّ ميرابو تعيينهـا للفصل في الدعاوى الوطنية فوزًا للملكية · لان المجمع الوطني لو كان كارهًا للملكية وغير مريد لها لما رضي الشاتله محكمة وطنية

وكانت القضية الاولى التي عُهد الى هذه المحكمة النظر فيها قضية مقتل الخباز فرنسوى · فاحيل اليها الضابط الذي خرج من الحانة على صوت العجوز وصار يحرض الشعب · فحكمت المحكمة بتجريده من رتبه واعدامه فجرد منها واعدم

وكانوا قد اعدموا قبله ايضاً رجلين من القتلة وذلك من غير محاكمة مكتفين باشتهارهم بالاشتراك في تلك الجناية

ثم احيلت اليها قضيتان · الاولى قضية اوجار المتهم بانه دفع مالاً كثيرًا الى حاشية الملكة لتتمكن به من جمع الجند في ساحة مارس وقضية بيير فيكتور بزنفال الذي كان يقود الجند الالماني في باريز والمتهم بانه امر باطلاق الرصاص على الشعب

اما الشعب فانه كان لا يعبأ بالمتهم الاول ولكنه كان شديد الاهتمام بالمتهم الثاني لما ذاقه منه ومن جنوده من مر العذاب · واما الملك والملكة فانهما كانا يلحان على المحكمة بوجوب تبرءة ساحة هذين الرجلين لانهما من المخلصين للبلاط

فنظرت المحكمة في قضية الاول وبرأت ساحته · فلم يهتم به الناس كثيرًا الا انها لما شرعت في محاكمة الثاني غصت قاعة الشاتله بسكان باريز خاصتها وعامتها وكانوا كلهم ينتظرون بصبر فارغ نتيجة المحاكمة · ولكن ذلك لم يمنع المحكمة من تبرءة بزنفال ايضاً

فاستاء الشعب من هذا الظلم الظاهر

وقبل انصراف الناس من قاعة المحاكمة اخذ احد الحاضرين ورقة وكتب عليها بضعة اسطر ثم ادارها كما تدار الاسطوانة وقذف بها الى كرسي رئاسة المحكمة · فوقع نظر الرئيس عليها فمد يده وتناولها · ولما فتحها قرأ فيها الابيات الاربعة التالية

Magistrats qui lavez augeard
Qui lavez Besenval, qui laveriez la peste,
vous êtes du papier brouillard :
Vous enlevez la tache, et la tache vous reste

وهذا معناها تقريباً

« ايها القضاة الذين برأتم ساحة اوجار وبزنفال

» والذين تبرئون الطاعون ايضاً
» انتم كورق النشاش
« ترفعون البقعة القذرة ولكنها تبقى فيكم

وكان في ذيل هذه الابيات اسم ناظمها
فلما قرأها الرئيس التفت ليجد صاحبها . فرآه واقفاً على مقعد في وسط القاعة وهو يشير اليه باصبعه اشارة معناها : انا هو
فلم يجسر الرئيس ان يامر بالقاء القبض عليه . وذلك لسببين . الاول ان هذا الرجل كان » كاميل ديمولين » الصحافي الشهير واحد زعماء الثورة في تلك الايام والثاني ان الحق كان في جانبه
وهذه احدى نتائج الظلم في كل زمان ومكان
ثم انصرف الناس افواجاً افواجاً وهم يتحادثون بنتيجة الحكم . وكان الدكتور جيلبار في جملة الحاضرين فخرج معهم . الا انه ما كاد يدرك الباب حتى شعر بيد توضع على كتفه وسمع قائلاً يقول : ما رايك في هذين الحكمين ايها الدكتور
وكان الرجل الذي خاطب الدكتور يلبس ملابس تدل على انه من اوساط الناس
اما الدكتور فقد ارتعدت فرائصه عند سماعه ذلك الصوت فالتفت الى صاحبه واذ تحققه أجاب : الحكم في ذلك موكول لك يا معلم لانك تعرف الحاضر والماضي والمستقبل
فقال الرجل المجهول اما انا فاني اقول » الويل للبريء الذي يساق الى هذه المحكمة بعد هذين الحكمين »
فقال جيلبار ولماذا تحسب المتهم الذي يأتي بعدهما بريئاً
فضحك الرجل المجهول وقال « لان من نواميس هذا العالم ان الاشرار يأكلون الحصرم والاخيار يضرسون .
ولا ريب ان القارىء قد عرف ان هذا الرجل الذي وصفناه بالمجهول انما هو كاليوسترو الرجل الهائل الذي تقدم ذكره في غير هذا الموضع .
فلما سمع جيلبار الكلمة التي قالها صاحبه واظهر فيها كل ما في نفسه من الارتياب والشك في عدالة هذه الحياة رام التخلص من البحث في هذه الشؤون فمد يده الى كاليوسترو وقال استودعك الله يا معلم
فقال كاليوسترو لقد اسرعت في المسير . فاجاب جيلبار ضاحكاً لدي اشغال يجب

عليَّ الاسراع اليها · قال اظنك ذاهبًا الى موعد · فقال جيلبار نعم · فقال كاليوسترو وهل تقابل ميرابو او لافاييت او الملكة في هذا الموعد

فدهش جيلبار ووقف وقفة القلق الحائر لانه وجد كاليوسترو عالمًا بوجود شؤون هامة بينه وبين من تقدم ذكرهم ثم قال · انك تخيفني باقوالك في بعض الاحيان · فقال كاليوسترو لا اخيفك ولا تخيفني هل لك ان تسير معي لاطلعك على امور سرية تتعلق بالامور السرية التي تخابر بها اصحابك · فازداد جيلبار دهشة فقال انني سائر معك حيثما اردت فقد اقلقت بالي بكلامك

واتفق حينئذ مرور مركبة في الطريق فنادى كاليوسترو السائق ثم ركب المركبة مع الدكتور · فالتفت السائق الى كاليوسترو كأنه عرف ان هذا الرجل هو الذي يدير حركة الاثنين فسأله · اي مكان تقصدان · فاجاب كاليوسترو خذنا الى حيث تعلم · ثم اشار الى السائق اشارة ماسونية مخصوصة

فدهش السائق لما رأى الاشارة فاجاب باشارة مثلها ثم قال · عفوًا عفوًا يا مولاي فانني ما عرفتك لاول مرة

فقال كاليوسترو بهيئة العظمة · اما انا فانني عرفتك لاول نظرة لانني مع كثرة رعيتي أعرف كل واحد منها

ثم ان السائق غمز خيله فسارت بالمركبة خببًا وما زالت سائرة حتى وصلت الى قصر لكاليوسترو وهو قصر دخله جيلبار قبل الآن · فنزل كاليوسترو وضيفه من المركبة ثم سال كاليوسترو السائق هل لديك شيء تقوله · فقال السائق نعم ولو لم القَ مولاي لرفعت اليه تقريرًا في هذا المساء · فقال كاليوسترو تكلم · قال لا استطيع ذلك امام الغريب ·

فابتعد الدكتور جيلبار لما سمع هذا القول · فدنا حينئذ السائق من كاليوسترو واسرَّ اليه امورًا لم يسمع منها الدكتور عن بعد سوى هاتين الكلمتين : ففراس : ومونسيو ولما انتهى الحديث مدَّ كاليوسترو يده الى جيبه واخرج منها ذهبين ليعطيه اياهما · فامتنع السائق وقال لا يجهل مولاي انه لا يجوز لنا اخذ المال جزاء على تقاريرنا · فقال كاليوسترو ولكني اعطيك ما اعطيكه اجرة لمركبتك لا جزاء لتقريرك فقال السائق · اما اجرة المركبة فانني اقبلها · ثم مد يده وتناول الذهبين وذهب مسرورًا

اما جيلبار وكاليوسترو فانهما دخلا الى ذلك القصر ليغير كاليوسترو ملابسه

الفصل الخامس والعشرون

﴿ في قصر كاليوسترو ﴾

وكان هذا القصر قائماً في شارع سان كاود وقد تقدم ان جيلبار يعرفه لانه دخل اليه منذ ١٧ عاماً

غير انه دخله في ذلك الزمان وهو شاب فقير لا يملك شروى نقير اما الآن فهو رجل كبير . ومع ذلك فانه لم يتمالك ان يضطرب حين دخوله اليه لذكره ايامه الماضية وما كان قد شاهده فيه من غرائب الامور .

ولما صار جيلبار وكاليوسترو في القاعة التفت كاليوسترو اليه وقال ضاحكاً . اتذكر هذه القاعة ياجيلبار . فقال جيلبار كيف لا اذكرها فانها تذكرني جميلاً صنعته معي . فقال كاليوسترو دعنا من ذكر ذلك فانني لم اصنع معك شيئاً من الجميل كما تقول لانك رددت اليّ ما كنتَ اخذته . فقال جيلبار وهل تحسب قليلاً ان ياتيك فتى فقير فتعطيه مائة الف ريال دفعة واحدة . فقال كاليوسترو وهل تحسب انت قليلاً ان يردّ ذلك الفتى المائة الف ريال بعد اخذها دون ان يستعمل منها سوى ذهبين فقط

فاجاب جيلبار ان ذلك الفتى لم يصنع سوى صنع الرجل المستقيم . اما انت فانك كنت رجلاً كريماً

فقال كاليوسترو ضاحكاً ولكن اعلم ياجيلبار انه اهون على الانسان في هذا الزمان ان يكون كريماً من ان يكون مستقيماً . فانه من السهل عليه ان يهب من ماله مائة الف ريال اذا كان يملك ملايين ولكنه ليس من السهل عليه ان يردّ مائة الف ريال اذا كان لا يملك شيئاً

فقال جيلبار دعنا من هذا ولنعد الى موضوعنا . فقال كاليوسترو ضاحكاً . نعم فلنعد الى مشروع الوزارة . فقال جيلبار مدهوشاً اي وزارة تعني . فقال كاليوسترو وزارة يتولاها ميرابو ولافاييت . اتنكر هذه الوزارة يا دكتور . انك اذا انكرتها اضطررتني ان اعيد على مسامعك ذكر جميع الامور التي اتيتها توصلاً اليها هل تريد ذلك . فقال جيلبار وقد ازدادت دهشته نعم اريد ذلك فتكلم

فقال كاليوسترو اسمع ايها الرجل الذي لا تصدق احداً . منذ ١٥ يوماً قابلتَ الملك ورمتَ اقناعه باستمالة ميرابو اليه . ثم خرجت من لدنه ساعة دخول المسيو

دي ففراس عليه

فقال جيلبار نعم وذلك يدل على انه لم يقتل بعد كما تنبأت له

فقال كاليوسترو ولماذا لا تمهل المسكين مدة اخرى فاني لا اعهدك قاسيًا الى هذا الحد . امهل نفسه قبل الخروج من جسده بقدر ما يمهل المستاجر للخروج من المنزل الذي يقيم فيه اي ثلاثة اشهر فقط . وبعد ثلاثة اشهر نرى اذا كان ما قلته صدقًا او كذبًا . اما الآن فدعنا من ذلك ولنعد الى موضوعنا . فبعد مقابلتك الملك قابل الملك الملكة واستشارها فلم تعارض في ذلك الامر بقدر ما عارض الملك . هل اخطأت بشيء الى الآن يامسيو جيلبار . فقال جيلبار كلا . قال وبعد ذلك قابلت الملكة ايها الدكتور واسهبت في قولك ان خلاص المملكة متوقف على ميرابو

فقال جيلبار نعم هذا رايي . قال كاليوسترو وهو رابي انا ايضًا ولذلك سيسقط مشروعك . فصاح جيلبار كيف يسقط . فقال كاليوسترو نعم انه سيسقط لانني لا اريد خلاص الملكية ولكن دعني الآن اكمل . فلما الححت على الملكة وجدت انها اقتنعت من كلامك فسرك ذلك وحسبت الفضل فيه راجعًا الى قوة براهينك وقد جهلت الاسباب التي حملتها برهة على التسليم

فقال جيلبار وما هي هذه الاسباب في رايك . فقال كاليوسترو ان الملكة كانت قبل محادثتها اياك بهذا الامر مجروحة جرحًا حبيًا فلما جئتها بهذه المؤامرة السياسية وجدت فيها تسلية وتعزية عما بقلبها من الشجن والحزن فرات ان تهتم بها . وفضلاً عن ذلك فانها كثيرًا ما سمعت ان ميرابو كاره لها وانه يهينها في منبر الخطابة وان له جرأة الاسود ومنظرها فاحبت ان ترى هذا الرجل الغريب وتتلذذ برؤيته خاضعًا لها جاثيًا تحت قدميها بعد ان كان من مهينيها حاسبة انها تنتقم لنفسها بذلك . افهمت الاسباب التي حملتها على الرضى بمشروعك . وقد قلت لك ان هذا المشروع سيسقط لان ميرابو مديون والبلاط لا يفي ديونه

فقال جيلبار ولماذا لا تفيها انت يا معلم فانك وفيت قبلها ديون الكردينال دي روهان

فقال كاليوسترو انني وفيت ديون الكردينال دي روهان لان ذلك عاد عليّ بفائدة كبرى . فقال جيلبار وما هي هذه الفائدة قال مسالة عقد الملكة . فليحدث ميرابو حادثة كحادثة عقد الملكة وانا افي ديونه (١) ومع ذلك فهو الآن لا يعتمد عليّ وانما يعتمد على لافاييت

(١) مسالة « عقد الملكة » مسالة مشهورة في الدنيا كلها وقد اهتم بها جميع المؤرخين

الذي وعده بتسليفه ٥٠ الف فرنك وهو ينوي ان لا يسلفه اياها بل يتركه يركض وراءها كما تركض الكلاب في طلب الخبز

فقال جيلبار منزعجاً لهذا التشبيه . ما هذا ايها الكونت . اما كاليوسترو فانه اردف بقوله كانه يخاطب ميرابو امامه

— مسكين انت يا ميرابو . فان جميع هؤلاء الحمق والبله الذين لك صلات بهم يحملون عقلك الكبير تبعة التبذير والجنون اللذين اصبتَ بهما في شبابك . وغير بعيد ان يكون للعناية دخل في ذلك تكفيراً عن ذلك الجنون . فان مونسيو يقول « ميرابو رجل لا يعرف الادب » والكونت دارتوى يقول « ميرابو رجل مبذر » وقد وفى اخوه اي اخو دارتوى ديونه ثلاث مرات . ويقول ريفارول « ان ميرابو ثرثار كبير » ويقول كيلرمي « ميرابو لص » ويقول الراهب موري « ميرابو قاتل » ويقول تارجه « ميرابو رجل ضائع » ويقول بللتيه « ميرابو خطيب يصفر له سامعوه اكثر مما يصفقون له » ويقول شمبز نتز « ميرابو مصاب بالجدري في نفسه » ويقول لمبزك « يجب سجن ميرابو سجناً ابدياً » ويقول مارات « يجب شنق ميرابو » — مع انك ياميرابو اذا متّ غداً احتفل بك الشعب احتفالاً ما وراءه احتفال ورأيت هولاء الاقزام الذين تُشرف عليهم من سماء عظمتك والذين يضغط عليهم مجرد وجودك يمشون في جنازتك صارخين « ويل لك يا فرنسا لانك فقدتِ خطيبك . وويل للملكية لانها فقدت سندها »

فقال جيلبار وهل يخطر في بالك ان تتنبأ ايضاً بموت ميرابو

اهتماماً شديداً للوقوف على صحيحها وفاسدها . ويقول بعضهم انها من اشد الاسباب التي حملت الفرنسويين على كراهة ملوكهم والقيام للثورة عليهم . ولذلك قال كاليوسترو آنفاً ما قاله عنها

وبيان هذه المسالة الغريبة التي شغلت اوروبا كلها في ذلك الزمان ان بومر وباسانج وهما صائغا البلاط الفرنسوي شرعا في عهد الملك الخامس عشر في ابتياع انفس الجواهر التي في فرنسا واوروبا ليصيغا منها عقداً نفيساً لم يُصنع مثله في الدنيا ويبيعاه الى مدام دي باري محظية الملك لانها كانت مولعة بالجواهر ولعاً شديداً . ولكن الملك لويس الخامس عشر توفي من سوء حظ الصائغين قبل شرائه العقد لعشيقته وخلفه الملك لويس السادس عشر الذي تزوج بالملكة ماري انطوانت فعرض الصائغين عقدهما على الملكة . وكانت قيمته مليون وستمائة الف فرنك ...

فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال · وهل تعتقد حقيقة ان ميرابو يحيي بعد اليوم حياة طويلة · انظر الى دمائه التي تغلي غلياناً في عروقه · انظر الى قلبه العظيم الذي تخنقه رغائبه · انظر الى نفسه المتقدة التي تاكل بعضها اذ لا تجد ما تاكله· انظر الى كل ذلك واحكم بعد هذا اذا كان صاحبها يبقى في الحياة وقتاً طويلاً · الا تعلم ان قوى الانسان مهما كانت عظيمة فانها تنحل شيئاً فشيئاً وتضعف قليلاً قليلاً اذا استمر اصطدامها بالمصاعب التي لا يمكن اجتيازها · اتحسب ان الرجل الكبير يستطيع مقاومة الناس الصغار الى ما لا نهاية له دون ان تخور عزائمه · وهذا ميرابو يقاوم عبثاً صغار الناس منذ سنتين فانهم يسحقونه كل حين بهذه الكلمة « رجل رديء السمعة » وكأن هذه الكلمة صخرة هائلة كلما وثب ميرابو ودفعها عن كتفيه الكبيرتين عادت فسقطت عليه وسحقته · اتعلم ماذا قالوا للملك حين رضي برفع ميرابو الى منصب الوزارة · لقد قالوا له « انكم اذا استوزرتم ميرابو ياذا الجلال صاحت باريز انه سيء السمعة فتردد فرنسا كلها انه سيء السمعة وحينئذ تنادي اوروبا كلها ايضاً ان ميرابو الوزير الفرنسوي رجل سيء السمعة ولا يخفى ما في ذلك من الضرر بسمعة فرنسا نفسها » وقد قالوا ذلك كانهم يعتقدون ان الله يصنع الرجال العظام في ذات القوالب التي يصنع بها باقي الناس او كأن الدائرة العظيمة التي يصنعها و يوسعها لتسع الفضائل الكبرى لا تحتوي ايضاً بحكم الطبع على الرذائل الكبرى · فاقصر يا جيلبار انك تسعى عبثاً في جعل ميرابو وزيراً · ميرابو لا يكون وزيراً ابداً · وانما يكون وزيراً رجل بليد مثل تيرغو ورجل كبير الدعوى مثل ناكار ورجل احمق مثل دي كالون ورجل جاحد مثل دي بر يين · اما ميرابو فانه استدان مائة الف فرنك وخطف امراة رجل بليد فذهبت هذه المراة واحبت ضابطاً جميلاً ثم تسممت لان هذا الضابط هجرها · ومن اجل ذلك كان ميرابو سيء السمعة وحرم من الوصول الى الوزارة : حقاً ان الحياة رواية محزنة · ولو لم اكن قد وطنت النفس على الضحك منها والاستهزاء بها لكنت ابكي كثيراً عليها

فلما رأته الملكة اولعت به ولكن خزانة الدولة كانت فارغة من المال فكرهت شراءه فاخذه الصائغ بومر احد صاحبيه وذهب به سائحاً في عواصم العالم ليعرضه على ملوكه وملكاته لانه كان قد جاذف بكل ثروته لجمعه وصنعه فلم يبتعه منه احد بسبب ثمنه الهائل فعاد الى باريز واليأس ملء صدره فخطر له ان يعود الى عرضه على الملكة فدخل عليها في عام ١٧٨١ وانطرح على قدميها قائلاً انه عازم على الانتحار اذا كانت لا تبتاع عقده

فقال جيلبار وقد اعجبته بلاغة صديقه ولكن ماذا تستنتج من كل ذلك . فقال كاليوسترو الم تعلم بعد ما استنتجته منه . قلت واقول لك ان ميرابو الرجل العظيم . السياسي الكبير . الخطيب الذي لا مثيل له . سيصرف عمره ولا يكون وزيراً . فان ذكاء المرء محسوب عليه

فقال جيلبار وهل ذلك لان الملك يعارض في هذا الامر . فقال كاليوسترو اذهب غداً الى المجمع الوطني واسمع ما يقال هنالك . فقال جيلبار ولماذا لا توقفني على ذلك الان اذا كنت واقفاً عليه فقال كاليوسترو لكي لا احرمك لذة سماع الامر الجديد غداً . فقال جيلبار ولكن غداً لناظره بعيد . قال فاذا كنت تستبعد غداً فاذهب معي في هذا المساء الى نادي اليعقوبيين وهنالك اوقفك على امور ذات شان

فاتفقا على الذهاب الى نادي اليعقوبيين

الفصل السادس والعشرون

❊ نادي اليعقوبيين ❊

وهو النادي الثوري الشهير

وكان هذا النادي يومئذ في بدء عهده اذ لم يكن قد انقضى بعد ثلاثة اشهر على انشائه ومع ذلك فقد بلغ عدد المشتركين فيه اكثر من ٦٠ الف عضو وبعد انقضاء سنة على انشائه بلغ عدد اعضائه اربعمائة الف رجل

فاستاءت الملكة منه وقالت له جزىء العقد وبعه اجزاء فان الناس يشترونه منك ثم امرته بان لا يزعجها مرة ثانية بمثل هذا السؤال . ولكن الملكة مع ذلك كانت شديدة الميل الى العقد وكان الصائغ عالماً بميلها هذا . وذلك سبب الحاحه

وهنا بدأت الحادثة الغريبة التي حدثت في مسالة شراء هذا العقد . فقد كان السفير الفرنسوي في فيينا رجلاً يدعى الكردينال دي روهان من اسرة روهان الشهيرة فسخط عليه الملك والملكة فعزلاه من السفارة فعاد الى فرساليا وفي نيته استرضاء الملك . فعرف في سنة ١٧٨١ في سافرن امراة تدعى الكونتس دي لاموت فاحبها وصار يهبها الاموال الطائلة من صندوق الفقراء . فاتخذت الكونتس دي لاموت هذه الاموال سبيلاً

وكان اعضاؤه من خاصة الناس وفيهم كثيرون من ضباط البر والبحر . وكان هذا النادي بمثابة نقطة مركزية لجميع الجمعيات السرية التي كانت تعمل في فرنسا في ذلك الزمان من الجمعية الماسونية فنازلاً . وقد لقبوه بالنادي اليعقوبي لانه كان قائمًا في دير قديم يدعى دير اليعقوبيين في شارع سان اونوره

ولما وصل الدكتور جيلبار وصديقه كاليوسترو الى النادي سال كاليوسترو صديقه اتدخل الى قاعة النادي ام تصعد الى مقاعد الزائرين . فاجاب جيلبار لست عضوًا في النادي لا دخل الى قاعته فقال كاليوسترو ولكنك تعلم انني من اعضائه كما اني من اعضاء جميع الجمعيات السرية وبما انك صديقي فانك تدخل معي . فقال جيلبار بل افضل الصعود الى مقاعد الزائرين فاننا ننظر منها جميع الحاضرين . فصعد كاليوسترو وجيلبار الى المقاعد

وكانت هذه المقاعد غاصة في كل مكان بجماهير الزائرين فلم يكن فيها مكان واحد خاليًا . ولكن كاليوسترو لم يبالِ بذلك بل دنا من الصفوف المتقدمة وقال كلمة امام اثنين كانا جالسين في الصف الاول فنهضا في الحال بكل احترام واكرام وتنازلا عن مقعديهما لكاليوسترو ورفيقه . فجلس جيلبار وكاليوسترو واطلاّ من ذلك العلو على تلك القاعة الواسعة

الى الظهور والدخول الى البلاط فدخلت اليه وصارت من نساء الملكة

فحينئذ اخذ الكردينال روهان يلح على صديقته بان تسترضي الملكة عنه وتستأذنها بمقابلته . وكان الكردينال يومئذ عضوًا في الاكادمي الفرنسوية ومديرًا لكلية السوربون واسقفًا لستراسبورج وكان في نحو الخمسين من العمر . الا انه كان مع ذلك يعتقد الظرف واللطف في نفسه ويرجو ان تحبه الملكة . وكأن الكونتس دي لاموت رات هذا الامر موردًا غزيرًا للمال فاخذت تُطمع روهان وتبلغه عن الملكة وميلها اليه امورًا لا اصل لها حتى اجترأ الكردينال وسالها ان تطلب من الملكة مقابلته على انفراد

فدبرت الكونتس دي لاموت لذلك طريقة شيطانية . فانها كانت تعرف فتاة تدعى مدموازل ديسينيين وهي شديدة الشبه بالملكة فاستدعتها ودبرت الحيلة معها على ان تدفع لها ١٥ الف فرنك ثم ذهبت الى الكردينال وقالت له ان الملكة تقابلك في هذه الليلة في احدى جوانب الحديقة المظلمة . فطار الكردينال فرحًا . وفي الساعة المعينة ادخلوه

وكانت القاعة منارة بنور ضئيل فكان الاعضاء لا يظهرون فيها الا كاشباح بعيدة وكانوا كلهم يخطرون في صحن القاعة ذهاباً واياباً وكل ملابسهم تدل على انهم من الطبقة الخاصة

وكان في جملتهم جمهور غفير من ضباط البر والبحر بملابسهم العسكرية وكثيرون من رجال الادب والفنون . فمنهم لاهارب وشنيه واندريه وسيدين وشمفور ولاكلو . ومنهم « تالما » الممثل المشهور ودافيد الرسام الطائر الصيت الذي لا يبعد ان يكون الان قد ابتاع ذلك القلم الذي رسم به رسمين واحداً من اجمل ما خطه قلم الانسان والثاني من اقبح ما رسمه الرسامون . الاول رسم " اليمين في ملعب المدينة " — انظر الجزء الاول من نهضة الاسد الصفحة ٤٦ — والثاني رسم " مارات مقتول في حمامه " . ومنهم " فرنه " الذي عُين عضواً في الاكادمي مكافاة له على رسمه رسم " فوزُ بول واميل " والذي يجهل وجود ضابط كورسيكي كان في هذه الساعة مستنداً الى ذراع تالما مع ان هذا الضابط سيجعله في المستقبل يرسم خمسة رسوم من اجمل ما خطه قلم الانسان وهي « اجتياز جبل سان برنارد » « معارك ريفولي » « واقعة مارانجو » « واقعة دوستريتز » " واقعة واكرام " ذلك ان هذا الضابط يدعى الضابط بونابرت

تحت جنح الظلام الى المكان المعين في الحديقة وهو مكان مظلم محفوف بالازهار فانتظر الكردينال فيه قدوم الملكة . وبعد هنيهة راى خيالاً ناصع البياض له قامة الملكة وهيئتها متقدماً منه فطار صوابه وخف لاستقباله فتناول الخيال وردة وقدمها اليه قائلاً « فلننس الماضي » ولكن الخيال لم يفه بهذه الكلمة حتى ركضت الكونتس دي لاموت قائلة « لقد جاءوا لقد جاءوا » تعني بذلك اناساً مفاجئين . ثم قبضت على ذراع الكردينال وذهبت به وهو في اشد حالات التاثر والانفعال

اما الشخص الذي دفع الوردة الى الكردينال فلم يكن سوى المدموازل ديسينين التي تقدم ذكرها . واما الملكة فالمؤرخون العارفون يرجحون انها كانت واقفة في مكان بعيد تفرج همومها بمشاهدة ذلك المنظر المضحك . ولكن اعداءها يزعمون ان الشخص الذي قابل الكردينال كان نفس الملكة وهو امر مستحيل كما ان اصدقاءها يزعمون ان الملكة كانت جاهلة كل هذه الحادثة وهو امر بعيد ايضاً لاسباب لا محل لذكرها

وبعد هذه الحادثة صار الكردينال يكتب للملكة رسائل حب وداد فكانت الكونتس دي لاموت تاخذ منه هذه الرسائل وتاتيه باجوبتها زاعمة انها من خط الملكة

ومنهم « لاريف » الممثل الذي كان مناظرًا تمثالا والذي كان يفضل فولتير على كورنيل وبلوى على راسين · ومنهم لايس المنشد الشهير ولافاييت ولامث وديبور وسياياس وتوريت وشابليه ولانجينه ومونلوزيه وكلهم من مشاهير الرجال · وفي وسطهم كلهم رجل شامخ الانف عالي الجبهة وهو الخطيب « بارناف » نائب كرنوبل الذي كان بعضهم يعتبرونه مناظرًا لميرابو في الخطابة مع ان ميرابو كان يسحقه سحقًا كلما خطر له ان يضع قدمه عليه

فاجال جيلبار نظره في اولئك الرجال مرتاحًا لما كان يشاهده عليهم من دلائل الارستوقراطية ثم قال لكاليوسترو · اي رجل بين هؤلاء الرجال يبغض الملكية بغضًا حقيقيًا

فقال كاليوسترو هل انظر الى ذلك بعيني ام بعيون الناس ام بعيني المسيو ناكار او الراهب موري · قال بل انظر بعينيك فقال كاليوسترو هنا رجلان كما ذكرت · فقال جيلبار ليس كثيرًا ان يكون بين اربعمائة رجل رجلان يكرهان الملكية

فقال كاليوسترو بل ذلك كثير اذا كان احدهما يقتل لويس السادس عشر والثاني يخلفه

فارتعدت فرائص جيلبار عند هذا الكلام ثم قال اذًا انت تزعم وجود بريتوس وقيصر هنا · فقال نعم وقد صدقت فقال جيلبار ارني اذًا هذين الرجلين · فقال كاليوسترو بايهما نبتدئ · فقال جيلبار لنتبع الترتيب ولنبدأ بالذي يهدم اولاً · فمد كاليوسترو اصبعه مشيرًا وقال انظر الى ذلك الرجل

والحقيقة انها كانت من خط عشيق للكونتس كان يدعى ريتو دي فيليت وفي ذات يوم ورد على الكردينال كتاب من الملكة كما كانت تقول الكونتس وهي تساله فيه ان يبعث اليها بمائة وخمسين الف فرنك لانها محتاجة الى المال · فدفع الكردينال هذا المبلغ الى الكونتس دي لاموت في الحال · ومنذ هذا الحين صارت الكونتس وزوجها يسرفان ويبذران · واذا سالها احد من اين لكما كل هذا المال اجابا انه من فضل الملكة

فظهر من ذلك للناس علو مكانة الكونتس وزوجها في البلاط فجاءها في ذات يوم احد اقرباء الصائغ باسانج احد صاحبي العقد وسال الكونتس ان تتوسط لدى الملكة في شرائه فلم تعده الكونتس بشيء ولكنها عادت فراجعت فكرها فوجدت لنفسها في هذا الامر ربحًا عظيمًا فقصدت صاحب العقد بعد انقضاء بضعة اسابيع وابلغته ان الملكة تريد شراء العقد

فنظر جيلبار الى المكان الذي اشار اليه كاليوسترو فوقع نظره على رجل مستند الى المنبر وجسمه محجوب بالظلام وليس فيه شيء ظاهراً سوى وجهه الذي كانت تنيره بعض الاشعة الضئيلة . فتأمل جيلبار هذا الوجه فوجده نحيفاً اصفر وفيه لوائح الجمود والسكون . فقال ليس هذا الوجه وجه بريتوس او كرومويل . فضحك كاليوسترو وقال نعم ان هذا الرجل لا يشبه بريتوس ولا كرومويل ولكن اذكر قول قيصر " انني لا اخشى اولئك الرجال السمان الذين يصرفون نهارهم على المائدة وليلهم في الملاهي وانما اخاف اولئك الرجال النحاف الاجسام الصفر الوجوه الذين يكثرون من التامل والافتكار " فانظر . الا ينطبق هذا القول على هذا الرجل . فقال جيلبار بلى فقال كاليوسترو وهل عرفته قال اظنني عرفته اما هو نائب داراس في المجمع الوطني فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اما هو ذلك الرجل الذي لا يصغي اليه احد كلما وقف في منبر الخطابة فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اليس اسمه مكسيميليان دي روبسبيير فقال نعم . قال جيلبار فاي شان يكون في المستقبل لرجل ضعيف خامل كهذا الرجل

فقال كاليوسترو وهل تظنه انت ايضاً خاملاً قاصراً كما يظنه باقي الناس . نعم انه ليس لروبسبيير منظر ميرابو الاسدي ولا جرأة بارناف ولا منطق سياياس ولكنه رجل قانوني مستقيم بل انه الاستقامة المتجسدة . فلا تستغرب ان يصل الى الدرجة التي ذكرتها

فقال جيلبار ولكن من اين اتى هذا الرجل وما هو اصل عائلته .

فاجاب كاليوسترو على الخبير بها سقطت فانني اعرف الناس بعائلة روبسبيير . ان

ولكنها تكره شراءه بنفسها ولذلك عهدت هذا الامر الى رجل كبير الشان فعلى صاحب العقد ان يتفق معه ويكون على حذر فيما يختص بثمنه . وكان ذلك في ٢١ يناير من عام ١٧٨٥

وفي ٢٤ منه قصد الكردينال دي روهان محل الصائغين لشراء العقد كأن الكونتس دي لاموت ابلغته ان الملكة لا يكمل ميلها اليه الا متى ابتاع ذلك العقد لها

فابلغه الصائغان ان ثمن العقد مليون وستمائة الف فرنك فرضي الكردينال بشرائه بهذا الثمن واقترح عليهما أن يدفع لهما عند استلام العقد ٤٠٠ الف فرنك وما بقي من الثمن يدفعه اقساطاً متتابعة في كل اربعة اشهر قسطاً واحداً الى حين استيفاء الثمن . فرضي بذلك الصائغان ووقعا مع الكردينال على شروط الاتفاق في ٢٩ يناير . وبعد انقضاء يومين اخذا اليه العقد فاراهما صك الاتفاق موقعاً عليه من الملكة نفسها وكتاباً من الملكة تقول

اصل هذه العائلة ايرلندي وربما كانت من جملة العيال التي هجرت ايرلنده في القرن السادس عشر وجاءت الى شواطىء فرنسا الشمالية فاقامت في ديورها ومناسكها . وكان جد روبسبيير مسجلاً فجاء فرع من هذه العائلة واقام في مدينة اراس التي هي مركز من مراكز الاشراف والاكليروس فولد لهذه العائلة اخوان واختان وكانت ولادة الرجل الذي امامنا في سنة ١٧٥٨ ولما بلغ الحادية عشرة توفي ابواه فاصبح في هذا السن كبير العائلة ففهم مقامه منها على صغر سنه وصار يعنى باخوته . وقد درس في مدرسة اراس ثم ارسل الى مدرسة لويس الكبير في باريز فاتمّ دروسه فيها . وكان يقضي اوقاته حزيناً منفرداً لانه بلا عائلة تسلي حزنه وتؤنس وحشته ولما خرج من المدرسة عُين قاضياً في محكمة جنائية فرفعت اليه في ذات يوم قضية قتل فحكم على القاتل بالاعدام . ولكنه بعد الحكم بكته ضميره على انه حكم باعدام نفس بشرية وراى ان وظيفته تقضي عليه بذلك فاستعفى منها وجعل نفسه محامياً . فجاءه في ذات يوم بعض الفلاحين وسألوه ان يدافع عنهم في قضية اقاموها على اسقف اراس فنظر روبسبيير في اوراق القضية فوجد الحق في جانبهم فدافع عنهم وربح القضية . وكان سكان اراس ينظرون يومئذ في تعيين نائب عنهم لارساله الى باريز فانتخبوه وبعثوه فاصبح عضواً في المجمع الوطني

فقال جيلبار وماذا عمل منذ ذلك الحين فاجاب كاليوسترو . انه لم يعمل بعد عملاً كبيراً ولكن كفاه انه اشد الاعضاء نصرة للشعب . فانه لما قصد مليار جنرال النساء قاعة المجمع في فرساليا وعرض على اعضائه مسالة المجاعة وما يقاسيه الشعب منها سكت جميع الاعضاء حتى اشدهم جرأة الا روبسبيير فانه نهض وايد طلب النساء

فيه انها ابتاعت العقد . فاطمان الصائغان ومرا بانقضاء هذه المشكلة

وفي ذلك اليوم نفسه (اول فبراير) ذهب الكردينال الى التويلري منشرح الصدر ومعه العقد فقابلته الكونتس دي لاموت ومعها رجل زعمت انه من حراس قصر الملكة قادم لاستلام العقد منه فدفع الكردينال العقد اليها فدفعته الى حارس امامه وعاد الكردينال من حيث اتى

وفي ٢ فبراير ذهب الصائغان الى القصر لمشاهدة العقد في جيد الملكة فوجدا انها لم تتقلده فاستاءا وابلغا ذلك الى الكردينال فقال لهما الكردينال ان الملكة تروم مخاطبة الملك بشان هذا العقد قبل ان تتقلده لئلا يسالها من اين اتى . ثم اوصاهما بان يُبلغا شكرهما الى الملكة على ابتياعها العقد منهما

فقال جيلبار ومن يضمن لنا ان هذا الرجل لا يغير افكاره في المستقبل فقال كاليوسترو ان هذا الرجل سيسمى في المستقبل "الرجل الذي لا يرتشي ولا يتغير" وهو الآن اضحوكة لدى المجمع فانه اذا خطب لا يسمعونه واذا تكلم ضحكوا منه واستهزءوا به . وكل رصفائه الاعضاء يعتقدون انه بليد قاصر لا شان له الا ميرابو فانه يقدره قدره وقد قال لي اول امس" ان هذا الرجل يعتقد ما يقوله ولذلك فهو سيسير شوطاً بعيداً "

فقال جيلبار ولكن قد قرأت خطب هذا الرجل فلم ارَ فيها شيئاً يستحق الذكر . فقال كاليوسترو : كما ان الاعضاء لا يصغون اليه فان الطباعين لا يعبأون بخطبه بل يتصرفون فيها كما يشاؤن . وقد يسميه كتاب الجرائد المسيو (ب) اوالمسيو (م) لانهم يجهلون اسمه وليس يعلم غير الله ما ينشئ ذلك في نفسه من الحقد والبغض . فان رفاقه الاعضاء يستخفون به والصحافيين يهملونه والا كليروس يبغضه لانه دافع في القضية التي اقيمت ضد اسقف اراس والاشراف يعيرونه بانه تعلم في المدرسة على نفقة المحسنين اليه . وزد على ذلك انه بلا عائلة تسلي نفسه وهو يكره الاجتماعات والملاهي فلا ينفك فكره مشتغلاً بموضوعه . ولذلك تتكاثف في نفسه غيوم الحقد الى ان يجيء ذلك اليوم الهائل الذي تنشأ فيه الصاعقة . وليس يعلم غير الله مقدار الدماء التي سيهرقها هذا الرجل في ذلك اليوم

فقال جيلبار لقد احزنني بربتوس فان لم يسرّني قيصر فانني ربما نسيت الموضوع الذي جئت من اجله الى هذا المكان . فاين قيصر ؟

فمد كاليوسترو اصبعه مشيراً وقال . انظر الى ذلك الشاب الذي يحادث رجلاً لا يعرفه فانه كورسيكي يُدعى بونابرت والرجل يُدعى باراس وسيكون له تاثير عظيم

واصبح الكردينال بعد شراء العقد يعلل نفسه بالوصول الى دست الوزارة . وكان يومئذ مصادقاً لكاليوسترو الذي كان يقيم في منزله فكان كاليوسترو يغريه اشد اغراء فيما يختص بمسالة العقد لعلمه بمصير هذه المسالة

ولما دنا ميعاد الدفعة الاولى جاءت الكونتس دي لاموت الكردينال بكتاب فحواه ان الملكة مغبونة بالثمن فطلب الكردينال من الصائغين انقاص ٢٠٠ الف فرنك من ثمن العقد على ان يدفع لها في القسط القادم اي في اول اغسطس ٧٠٠ الف فرنك بدلاً من ٤٠٠ الف فرنك فرضي الصائغان . ثم كرت الايام واستحق القسط الاول فرهنت الكونتس دي لاموت جواهرها بقيمة ٣ الف فرنك ودفعتها الى الكردينال فدفعها الكردينال الى الصائغين كفائدة لمالهما الذي تاخر دفعه . فداخل الصائغين ريب من هذه الامور

على مستقبله

فنظر جيلبار الى الرجلين وقال لقد احسنت اختيار قيصر يامعلم فان جبهة هذا الشاب الواسعة جديرة بان يوضع التاج عليها · اما عيناه فانني لم اتحققها بعد · فقال كاليوسترو ذلك لانه ينظر الى داخل المكان · على ان هذا الشاب ينظر بهما في وجه المستقبل نظرًا بعيدًا

فقال جيلبار وماذا يقول لرفيقه باراس قال انه يقول له انه لو كان هو مدافعًا عن الباستيل يوم هجوم الشعب عليه لما تمكن الشعب من فتحه · فقال جيلبار فليس هذا الرجل اذًا وطنيًا مخلصًا · فقال كاليوسترو ان من كان مثله يكون كل شيء · فقال جيلبار بشيء من الجد وهل تعتقد حقيقة ان هذا الضابط الصغير سيكون رجلاً كبيرًا ام انت تمزح · فاجاب كاليوستر بحدة · جيلبار جيلبار كلا لا امزح فانه كما ان ذلك الرجل سينصب في فرنسا آلة القتل التي سيعدم بها الملك ويهدم العرش كذلك سيعيد هذا الشاب ذلك العرش و يبني مملكة اوسع من مملكة شارلمان

فصاح جيلبار مضطربًا فلماذا نسعى اذًا في نصرة الحرية اذا كنا لا نحييها اليوم الا لتموت غدًا · فاجاب كاليوسترو بعظمة ومن قال لك ان كل واحد من هذين الرجلين لا يخدم الحرية خدمة عظيمة احدهما بآلته والثاني بعرشه

فقال جيلبار وكيف يكون ذلك هل ان هذا الرجل اله قادم للعالم لانشاء مملكة السلام فيه

فقال كاليوسترو ان هذا الرجل رجل تجسمت فيه نفس اسكندر وانيبال · اسے

كلها فبعثوا في الحال وابلغوا الامر الى الوزير برتويل

وكان الوزير برتويل معاديًا للكردينال روهان فبعث وابلغ الملكة خبر العقد وذكر لها ما كان في باريز وفرساليا للاشاعات عن مقابلتها الكردينال في الحديقة تحت جنح الظلام من التاثير والتأويل · فصعقت الملكة عند بلوغها هـذا الخبر بواسطة الوزير واعلنت انها تجهل كل تلك الامور · ثم طلبت من الصائغين ان يقدما لها تقريرًا مطولاً عن تلك الحادثة فكتبا لها تقريرًا في ٩ اغسطس فلما امعنت الملكة النظر في التقرير ذهبت مسرعة الى الملك واوقفته على ذلك أمر · فبلغ الغيظ من الملك مبلغه فارسل يطلب الكردينال وكان ذلك في يوم عيد الصعود والكردينال متشح بملابسه الكهنوتية استعدادًا للقيام بالقداس في القصر · فاحضره الملك قبل القداس بملابسه الكهنوتية فجاء

انه مهاجم ومدافع معاً . لقد ولد في وسط الحرب وسيعظم بالحرب ويسقط بالحرب . قلت لك انك لا تستطيع تقدير الدماء التي يهرقها روبسبيير في حياته . نخذ الآن هذه الدماء . ضاعفها عشر مرات بل مائة مرة بل الف مرة ومع ذلك فانها لا تبلغ نصف البحر العظيم الذي سيجريه هذا الشاب منها . فانه سيجمع جيوشاً لا يقل احدها عن خمسمائة الف رجل ويحارب في معارك تدوم الواحدة منها ثلاثة ايام ويطلق فيها ١٥٠ الف مدفع

فقال جيلبار وماذا ينتج عن ذلك كله . فقال كاليوسترو ينتج عن ذلك تغيير وجه العالم . فاننا نحن الان ندفن العالم القديم وسيستقبل اولادنا عما قريب عالماً جديداً . وهذا الرجل هو بواب العالم الجديد وسينسب اليه القرن القادم الذي يعيش فيه

فقال جيلبار وماذا يكون اسم هذا الرجل . فقال كاليوسترو انه يسمى الان بونابرت ولكنه سيسمى نابوليون

فاخذ جيلبار يتامل وجه الكورسيكي ويفتكر في الماضي والحاضر والمستقبل . ولم يكن مصدقاً لما قصه عليه كاليوسترو ولكنه كان يفكر فيه رغماً عنه

وبقي ساعة يفكر وهو يجيل نظره في القاعة وعقله شارد ولذلك لم يفطن الى افتتاح الجلسة وصعود خطيب الى منبر الخطابة . وبعد برهة شعر بيد شديدة تضغط على ذراعه فالتفت فلم يجد كاليوسترو ولكنه وجد ميرابو مكانه

وكانت لوائح الغضب بادية في وجه ميرابو . فنظر اليه جيلبار نظرة استفهام عن هذا الغضب . فقال ميرابو اما علمت ما جرى . فقال كلا قال لقد هزئوا بك وبي وضحكوا منك ومني فان البلاط لا يريدني . فقال جيلبار لم افهم كلامك بعد يا كونت . فقال ميرابو

وهو يرتعد ويرتعش . فقابلته الملكة بالعنفوان والكبرياء ونظرت اليه نظر بريئة من الذنب . اما الملك فانه لطف لهجته حين رأى شدة منظر الملكة وقال له اجلس الى المائدة واكتب دفاعاً عنك . فجلس الكردينال يكتب بيد مرتجفة وقد استهل دفاعه بقوله « كنت احسب ان المرأة التي كنت اراها هي الملكة » ولما قرأ الملك كتابة الكردينال قال له « لا اقدر يا موسيو الا ان ابقي شخصك في قبضتي لان اسم الملكة عزيز عليَّ فيجب ان اتحقق كل تفاصيل هذه المسالة » يعني انه يريد سجنه . فاخذ الكردينال يتذلل ويلتمس منه ان لا يصعقه بهذه الضربة الفجائية امام جميع الناس الذين كانوا ينتظرونه في الكنيسة فرام الملك اطلاق سبيله فغضبت الملكة لذلك وسالت الملك باكية ان يصون شرفها فطاوعها الملك وكان الكردينال قد سار يريد العودة الى الكنيسة فصاح الوزير

أما سمعت القرار الذي قرروه الان · فقال كلا قال كيف لم تسمعه فهل كنت نائماً ·
فقال لا وانما كنت اتفكر واتأمل · فقال ميرابو

لقد اقترحت اليوم اقتراحاً مآله انه يجوز للوزراء حضور جلسات المجمع فلم يرضَ الاعضاء المعروفون بالميل الى البلاط عن هذا الاقتراح بل قاوموه وسيقترحون غداً على المجمع اقتراحاً آخر مآله انه لا يجوز لكل عضو من اعضاء المجمع الوطني ان يكون وزيراً · وهكذا يهدمون بامر جلالته ما بنيناه وينقضون ما ابرمناه · ثم رفع ميرابو صوته ومدَّ قبضته القوية متهدداً كجبار يناطح جباراً وقال : ولكني اقسم باسم ميرابو انني ارُدّ لهم هذه الضربة · فان ايديهم اذا كانت تنقض وزارة فان يدي تهدم عرش مملكة

فقال جيلبار وهل عدلتَ عن الدفاع عن مشروعنا في المجلس فاجاب ميرابو كلا بل سادافع واناضل لانني ممن لا يُدفنون الا تحت الردم والانقاض

قال ذلك ثم نهض وعلى جبهته غضب ينير وجهه كما تنير الصاعقة الغيوم في كبد الظلام· وكان منظره حينئذ هائلاً ومهيباً معاً

وفي اليوم التالي اجتمع المجمع الوطني فاقترح العضو لانجينه « انه لا يجوز لاعضاء المجمع ان يكونوا وزراء » فقام ميرابو وقعد وحمل على هذا الاقتراح حملات شديدة ولكنه سعى عبثاً فان المجمع وافق على الاقتراح باكثرية عظيمة

فلما وافق المجمع على هذا الاقتراح انتصب ميرابو وقال بغضب : انني اقترح ان يزاد على هذا الاقتراح عبارة لا تغير شيئاً منه وهي : « يجوز لكل اعضاء المجلس ان يكونوا وزراء ما عدا الكونت دي ميرابو »

برتويل بالحرس « ايها الحراس اقبضوا على الكردينال » فاسرع الحراس وقبضوا عليه وارسلوه الى الباستيل

وكانت الكونتس دي لاموت قد سافرت من فرساليا قاصدة المانيا بامر من الكردينال ولكنها لما وصلت الى بار في فرنسا اقامت فيها غير متنكرة ولا خائفة ولما علمت بسجن الكردينال لم تفرَّ كانها كانت واثقة بالنجاة بناءً على ما تعرفه من البلاط · فالقي القبض عليها في ١٨ اغسطس وزُجت في الباستيل ايضاً · ثم القي القبض على كاليوسترو صديق الكردينال وعلى ريتودي فيلييت عشيق الكونتس دي لاموت الذي كان يكتب لها رسائل الملكة وعلى مدموازل ديسيني او مدموازل اوليفا كما كانوا يسمونها وهي التي كانت تشبه الملكة

فصعق الاعضاء من هذه الجسارة واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض · اما ميرابو فانه نزل من منبر الخطابة بخطى الظافر وجميع الاعضاء سكوت كالاصنام ثم خرج بعظمة وكبرياء من قاعة الجلسة

فكان فشله شبيهاً بالانتصار

وقد صدق ميرابو في ظنه فانه ما من احد اسقط مشروعه ومشروع الدكتور جيلبار غير الملك والملكة

الفصل السابع والعشرون

﴿ الملك ومشروع الفرار ﴾

قدوم بوليه

وانما اسقط الملك والملكة مشروع ميرابو لان كل واحد منهما كان يطلب النجاة في الفرار من باريز وكان الملك ينتظر نتيجة رحلة شارني والملكة تنتظر نتيجة مشروع ففراس تمهيداً لهذا الفرار

غير ان الملك لم يطل انتظاره فان شارني لما وصل الى متز وابلغ الجنرال دي بوليه ارادة الملك بعث هذا الجنرال في الحال ابنه الى باريز لمخابرة الملك وتدبير طريقة لفراره من عاصمته

وكان الجنرال دي بوليه من اقرباء لافاييت فلما علم لافاييت بوصول نجل الجنرال الى باريز بعث يدعوه اليه وهو يجهل بالطبع السبب في مجيئه فقابله الشاب بوليه وجعله يفهم

وفي ٥ سبتمبر من عام ١٧٨٥ احيلت هذه القضية على البرلمان لينظر فيها · وكان خبرها قد ملأ الدنيا باسرها · اما الشعب الفرنسوي فانه كان منتصراً للكردينال على الملكة وقد شاعت يومئذٍ اشاعات كثيرة عنها

وكان تارجه مدافعاً عن الكردينال فاظهر براءته لدى البرلمان واثبت ان الكونتس دي لاموت خدعته بما ابلغته عن الملكة وانها اي مدام دي لاموت هي المجرمة الحقيقية اما الكونتس دي لاموت فانها انكرت مقابلة الحديقة وقالت ان الكردينال وكاليوسترو سرقا العقد وباعاه وانها وزوجها بريئان · وكان الشعب المجتمع حول البرلمان لانتظار الحكم يزيد على ١٠ الاف نفس · وكان ذلك في ٣١ مايو من عام ١٧٨٦

ان السبب في مجيئه الى باريز رغبته في الالتقاء بباريزية يحبها

فانطلى محال هذا الكلام على الجنرال لافاييت

ثم ساله لافاييت اذا كان يرغب في مواجهة الملك فقال الشاب بوليه في نفسه ان التقادير قد ساعدتني ثم أجاب انه مشتاق لمواجهة الملك فعزما في ذلك النهار على مواجهته.

ولما جاءت الساعة المعينة لذلك ذهب به لافاييت الى التويلري فلما دخلا حيتهما الجنود تحية عسكرية وهي لا تعلم انها كانت تحيي في ذلك الوقت نصير الثورة وعدوها لافاييت نصيرها و بوليه عدوها

وقد جعل لافاييت و بوليه زيارتهما الاولى للملكة فلما ابصرت الملكة الشاب بوليه نهضت اليه كلبوة وجدت اشبالها بعد ان فقدتها ثم مدت اليه يدها صارخة . هذا انت يا مسيو دي بوليه

وكانت الملكة تجهل ان الملك راسل المركيز دي بوليه فيما يختص بمشروع الفرار فلم يكن ذلك اذًا بالسبب الذي دفعها هذا الاندفاع وانما السبب رؤيتها نبيلاً من نبلاء مملكتها قادماً لزيارتها وعرض اخلاصه عليها في زمن كان الناس يفرون من الملكية و يبتعدون عنها

وقد قالت الملكة ذلك القول دون ان تعبأ بلافاييت او تنظر اليه فلم يرق هذا الامر الشاب بوليه غير انه تقدم بالرغم عنه وجثا على الارض ثم اخذ اليد الممدودة اليه وقبلها باحترام شديد

فانقبض لافاييت هنيهة ثم ابتسم وقال : حقًا يا ابن عمي انه كان يجب عليك ان

و بعد فحص البرلمان جميع تفاصيل القضية حكم ببراءة الكردينال روهان وكاليوسترو و بنفي ريتو دي فيليت الذي كان يكتب الرسائل نفيًا مؤبدًا وبسجن الكونت دي لاموت سجنًا مؤبدًا و بجلد الكونتس دي لاموت وكيها في كتفيها بحديد محمي دلالة على العار وسجنها في مستشفى السالبتر يير

فغضب الملك والملكة لهذا الحكم غضبًا شديدًا لانه يحصر الذنب كله في نساء الملكة فنفي الكردينال روهان الى دير له في اوفرنيا . وقد هاجر من فرنسا في ايام الثورة الى انتهيم وتوفي فيها في عام ١٨٠١ . اما الكونتس دي لاموت فقد نفذ الحكم فيها ولكنها استطاعت الفرار من السالبتر يير في عام ١٧٨٧ فوصلت الى لندرا في ٤ اغسطس منه وهناك كتبت

تقدمني انت للملكة لا ان اقدمك انا اليها

فاحست الملكة بما في قول لافاييت فالتفتت اليه لتزيل تأثير ذلك الاندفاع وقالت عفوًا يا جنرال فانني لم ارَ الكونت منذ سنوات طوال ولذلك سررت الان برؤيته

فاجاب لافاييت : ان للملكة يامولاتي ان تظهر عواطفها كما تشاء . فقالت الملكة بل قد اخطأت يا جنرال فاصفح عن خطاءي ولنتصافح الآن على الطريقة الانكليزية او الاميركية

ثم مدت اليه يدها لتهز يده فمد لافاييت يده ببطء وقال انني آسف ياسيدتي لانك تذكرينني دائمًا بالطريقة الانكليزية والاميركية مع علمك انني فرنسوي

وقد ارادت الملكة بقولها « على الطريقة الاميركية » الاشارة الى ما عمله لافاييت في اميركا ايام الثورة الاميركية

ثم جلست الملكة متعبة كأنَّ هذه المحادثة انهكت قواها . وسالت لافاييت هل عندك خبر جديد ايها الجنرال

فاغتنم لافاييت هذه الفرصة للانتقام وقال كم قد اسفت يامولاتي لانك لم تحضري امس جلسة المجمع الوطني . فانك لو حضرتها لشهدتِ مشهدًا مؤثرًا . فلقد حضر الى قاعة المجمع شيخ طاعن في السن ليشكر المجمع والملك فقالت الملكة ومن يكون هذا الشيخ فقال لافاييت . هو كبير الانسانية في هذا الزمان . هو شيخ له من العمر ١٢٠ سنة وقد قدم الى المجمع ووراءه خمسة اعقاب من ابنائه واحفاده ليشكر المجمع على التقرير الذي اصدره في ٤ اغسطس وفحواه المساواة بين جميع بني الانسان . فان هذا الرجل عاش عبدًا رقًا في حكم لويس الرابع عشر ومضى عليه منذ ذلك الحين ٨٠ سنة وهو كذلك فلما تقررت

تاريخ حياتها واودعته من الطعن في الملكة وعزت اليها من الامور ما يكره كل كاتب نقله . وقد توفيت الكونتس دي لاموت في عام ١٧٩١ وذلك ان لصوصًا دخلوا منزلها لقتلها في الليل فالقت بنفسها من النافذة فرارًا منهم فلقيت منيتها

اما العقد فلم يظهر له بعد ذلك اثر . واما ثمنه فقد راح الصائغان وورثتهما يطالبونه من ورثة الكردينال دي روهان على غير جدوى . وقد حطت هذه الحادثة من شان الملكية في فرنسا حطًا شديدًا فكره الفرنسويون ملوكهم بسببها . ولذلك قال كاليوسترو بلسان دیماس انه يفي ديون ميرابو كما وفى ديون روهان اذا كان ميرابو يُحدث له حادثه كحادثة العقد تحط من شان الملكية وتعود بالنفع على مشروعه الجمهوري

المساواة والغي الرق جاء المجمع ليشكره على هذا العمل باسم الاعقاب الماضية والمقبلة

فقالت الملكة وماذا صنع المجمع به . فقال لافاييت . لما دخل هذا الرجل على الاعضاء نهض جميع الاعضاء احتراماً له وجعلوه يجلس و يلبس قبعته وهم وقوف مبالغة في اكرامه

فتنهدت الملكة لانها فهمت مراد لافاييت واجابته لتنتقم منه ايضاً . اما انا فانني قابلت شخصاً آخر بينما كان المجمع يقابل ذلك الشيخ . فقال لافاييت ومن هو هذا الشخص يا سيدتي . قالت هو زوجة الخباز فرنسوي المسكين الذي قتلوه ظلماً . وقد وعدتها بان اكون عرابة لولدها بعد ولادتها هذا اذا لم يكن الولد قد مات في بطنها من الخوف والحزن . فاسالك ايها الجنرال هل من مانع يمنع من اقامة حفلة العماد في كنيسة نوتردام .

فاجاب لافاييت . ان هذا الكلام يا سيدتي يجعل سامعيه يظنون انك اسيرة في قصرك وقد انتشرت هذه الاشاعة كل الانتشار فرجائي يا سيدتي ان لا تظني ذلك وان تقنعي الملك بالعودة الى التنزه والصيد ليعلم الناس في فرنسا وفي اوروبا ايضاً فساد تلك الاشاعة .

فابتسمت الملكة هنا ابتساماً دل على عدم تصديقها الكلام الذي سمعته واما لافاييت فانه اردف بقوله . واما مسالة العماد فالامر فيها وفي كل الشؤون لجلالتك . فمتى شئتِ اختاري الكنيسة والوقت واصدري اوامرك تنفذ في الحال

فابتسمت الملكة للجنرال وللشاب بوليه ابتسام الوداع فخرجا من لدنها وقصدا منزل الملك

وكان لويس السادس عشر حينئذ في معمل الحدادة فلما بلغه قدوم لافاييت بعث يرجوه ان يوافيه الى هذا المعمل . ذلك ان الملك خصص قاعة من قاعات التويلري وجعل فيها كل آلات الحدادة من السندان والمنفخ فنازلاً لانه كان شديد الولع بهذه الصناعة كما تقدم

وكانت هذه القاعة قائمة فوق القاعة المخصصة بنومه

فلما وصل لافاييت وبوليه الى باب المعمل سال الحارس بوليه عن اسمه ليبلغه الى الملك مع اسم لافاييت فاجابه لافاييت ابلغ الملك حضوري وانا اقدم رفيقي الى جلالته

وكان الشاب بوليه حينئذ كثير الافتكار في الحادثة التي دارت بين لافاييت والملكة لانه لم يلحظ من كلام الملكة انها عارفة بالسبب الذي جاء من اجله ولم تظهر له منها حركة ولا اشارة في هذا الموضوع . فدخل الشاب مع لافاييت على الملك وهو يتاهب لملاحظة كل

حركات الملك وسكناته

ولما وقعت عين الملك على لافاييت قال له ضاحكاً : اعذرني ايها الجنرال لاني استقبلتك هنا . ولكن الحداد يؤكد لك انه مسرور بزيارتك معمله . وقد كان احد الفحامين يقول لجدي هنري الرابع « ان الفحام سيد في محله » اما انا فاقول لك انك سيد في محل الملك ومحل الحداد ايضاً »

وكان في هذا القول اشارة الى سلطة لافاييت العظيمة في ذلك الزمان فانهم كانوا يسمونه « ملك الملك » رمزاً الى ان الملك لم يكن يستطيع ان يعمل عملاً لا يريده لافاييت

وكان الملك حينئذٍ وراء مائدة العمل وامامه المبارد وآلات الحدادة وهو بلباس العمل ويداه ملطختان بآثار الحديد الذي كان يعالجه في يده

فاجابه لافاييت : انني حيثما تشرفت بمقابلة الملك سواء كان ذلك في معمل الحدادة او في قاعات القصر فانه يبقى دائماً ملكي وابقى دائماً خادماً لجلالته

فقال الملك نعم وانا لا اشك في ذلك ايها المركيز

وقد كان الملك يلقب لافاييت مركيزاً مع ان لافاييت كان قد تنازل عن هذا اللقب كما تنازل يومئذ جميع انصار الشعب والحرية عن القابهم ومراتبهم

ثم سال الملك لافاييت هل غيرت ياورانك ايها الجنرال فاني ارى معك ضابطاً جديداً

فاجاب لافاييت ان هذا الشاب يامولاي هو الكونت لويس بوليه نجل المركيز دي بوليه وقد جئت لاقدمه لجلالتكم

فاجفل الملك اجفالاً خفيفاً شعر به الشاب ولكن لم يشعر به لافاييت ثم قال . آه . هذا انت يامسيو دي بوليه . اعذرني لانني لم اعرفك ايها الكونت وقل لي هل فارقت متز منذ زمن طويل

فاجاب الشاب منذ خمسة ايام يامولاي

وقد علم الشاب من سؤال الملك « هل فارقت متز منذ زمن طويل » انه يقصد بذلك سؤاله هل التقيت بشارني وعرفت منه سبب رسالته . فاجابه جواباً فهم منه الملك كل شيء وهو « فارقتها منذ خمسة ايام » اي انني حضرت وصول الكونت شارني اليها وعلمت سبب سفارته

فاصبح الملك والشاب منذ هذا الحين يتخاطبان بلغة سرية يفهمانها ولا يفهم لافاييت منها شيئاً ·

ثم ان لافاييت سال الملك عن الشيء الذي يصنعه في يديه فاجاب الملك انني اصنع قفلاً من اصعب الاقفال · وقد اتعبني جداً حتى انني لا شك في انني استطيع اتمامه وحدي · وذلك لان هذا النوع من الاقفال أصعب الانواع كلها · فكم كنت اتمنى ان يكون الآن المعلم « كامين » عندي ليريحني منه · فقال لافاييت ولماذا لا يجيء المعلم كامين يا مولاي · فضحك الملك وقال لانه يخشى ان يساء الظن به اما علمت ايها الجنرال ان الدنو من الملك في هذا الزمان صار مدعاة الى اساءة الظن والتهمة · وفضلاً عن ذلك فان حراسك يفتشون الواردين الى القصر والصادرين عنه فهو يخشى حين دخوله او خروجه ان يفتشوه فيحسبوا المبارد التي تكون في جيوبه خناجر وهناك المصيبة الكبرى · ثم ضحك الملك ضحكاً لطيفاً

فقال لافاييت انني اذا شددت كل هذا التشديد في حراسة الملك يا مولاي فانما اقصد بذلك القيام بواجب عليّ لانني مسئول عن حياة الملك لدى فرنسا بل لدى اوروبا كلها · اما فيما يختص بالرجل الذي يعنيه الملك فمتى صدر امره بادخاله الى القصر ينفذ امره في الحال

فاجاب الملك اشكرك يا مسيو دي لافاييت فلا حاجة للاسراع في ذلك وانما احتاج الى هذا الرجل بعد بضعة ايام فقط · وهو يقيم في فرساليا في شارع الرزرفوار فمتى احتجت اليه بعثت في طلبه

ثم ان الملك نظر الى الشاب بوليه نظرة خصوصية كأن معناها « فتش عن هذا الرجل وجئني به » ففهم بوليه من نظرة الملك معنى كلامه فاغمض عينيه مشيراً الى انه قد فهم الكلام

و بعد ذلك سأل الملك الشاب بوليه هل انت عازم على الاقامة وقتاً طويلاً في باريز ام انت عائد الى ابيك · فاجاب الشاب انني ساقيم في باريز بضعة ايام يا مولاي ثم اقصد فرساليا لزيارة جدة لي تقيم في شارع الرزرفوار فيها و بعد ذلك اعود الى باريز لمقابلة شخص انتظر اوامره ثم اسافر الى متز

فلما قال الشاب ان عمته تقيم في شارع الرزرفوار في فرساليا حيث كان يقيم المعلم « كامين » تحقق الملك ان الشاب فهم كلامه حق الفهم

فابتسم له الملك وودعه مع لافاييت فخرج الرجلان من لدنه · وبعد خروجهما قال الملك في نفسه « لقد فهم الشاب مرادي فبعد بضعة ايام سياتيني المعلم كامين ليساعدني على وضع هذا القفل السري في الخزانة السرية »

الفصل الثامن والعشرون

﴿ مشروع الفرار الثاني ﴾

والايدي السرية

ظهر من الفصل المتقدم ان المشروع الذي اعده الملك للفرار من باريز قد دخل في دور العمل بعد اذ كان في موضع البحث والنظر · بقي المشروع الثاني الذي هو مشروع الملكة وهذا اوان البحث فيه

في مساء ذلك اليوم الذي قابل فيه الملك لافاييت وبوليه حدث حادث مهم في منزل حقير قذر في الطبقة الاخيرة من دار قائمة في حي الجويفري في باريز · وبيانه ان رجلاً كان جالساً في ذلك المنزل يكتب وراء مائدة وامامه امراة في الخامسة والثلاثين من العمر تفكر في امور الدنيا وغلام صغير ياكل قطعة من الخبز · وبعد هنيهة رمى الولد الخبز من يده وقال لامه · اماه لا اريد خبزاً وانما اريد قضيب سكر · فالتفتت الام بغضب الى الرجل الذي كان جالساً الى المائدة يكتب وقالت له · اما سمعت طلب ابنك فانه يريد قضيب سكر

فمد الرجل يده الى جيبه كانه يروم ان يتناول منها شيئاً ثم انه اعاد يده عن جيبه قبل ان تصل اليها لعلمه ان جيبه فارغة · وبقي مكباً على الكتابة

فصاحت به المراة بغضب اشد ما لك لا تسمع · فالتفت الرجل الى الغلام وقال له انتظر الى الغد فاعطيك ما طلبت · فاستشاط الغلام غيظاً واخذ يبكي ويصيح قائلاً بل اريد قضيب سكر اليوم اليوم

فانتهره الاب وقال له اصمت والا قمت وضربتك · فنهضت المراة كاللبوة وقالت جرب واضربه اذا استطعت ايها الرجل السكير لاريك كيف يكون الضرب

فقال الرجل ولكن ما العمل يا مدام اوليفا فانني لا املك الآن فلساً واحداً فلينتظر الى الغد فانني قد قلت لك انني ساصبح غد او بعد غداً صاحب ملايين · فازداد الولد

بكاء وطلبًا لقضيب السكر فمدت امه يدها الى جيبها واخرجت منها قطعة صغيرة من النقود وهي تتمتم وتدمدم ودفعتها اليه فاخذها الولد وهرع ليبتاع بها قضيب السكر

ولما خرج الولد التفتت المراة الى الرجل وقالت له ما اقل عقلك واكثر وهمك هل تعتقد حقيقة انك ستربح غدًا ملايين . فقال الرجل اذا كنت لا تصدقين ذلك فغدًا ترين . قالت وما هذا العمل الذي سيرفعك في يوم واحد من الفقر الى الغنى فقال غدًا ترين فتنفست المراة الصعداء وقالت آه لو كان ريشيلو لم يمت بعد . فقال ماذا تقولين قالت ولو كان الكردينال روهان لم يخسر جميع ماله . قال ما هذا الكلام . قالت ولو كانت مدام دي لاموت لم تفرّ الى انكلترا . قال ماذا تقولين . قالت اقول انه لو كان هؤلاء الذين ذكرتهم لا يزالون كما كانوا لما احتجت ان اقاسم واحدًا تعيسًا مثلك شظف العيش بل كنت قادرة على كسب المال بقدر ما اشاء

وكانت هذه المراة هي المدموازل ديسينيي التي كانت تدعى مدام اوليفا وهي الفتاة التي كانت تشبه الملكة والتي قابلت الكردينال دي روهان في الحديقة وهو يظن انها الملكة . راجع ما ورد عنها في « عقد الملكة » في هامش الرواية في هذا الجزء

اما الرجل فهو زوجها المسيو دي بوزير الذي كان غنيًا و بذر ماله

فلما سمعها تتمنى ذلك التمني ضاق صدره فصاح بها . ولكن قلت لك انتظري الى الغد فاجيئك بملايين

فضحكت اوليفا وقالت ارني معك عشر قطع من الذهب اولاً لاصدق بوجود الملايين فقال بوزير ولكنني اقول لك ان العناية ستعطينا . فازداد ضحك اوليفا وقالت انت تتكل على العناية فابقَ متكلاً عليها . قال وهل تنكرين العناية ايضًا . هل انت جاحدة

فرفعت اوليفا كتفيها دلالة على عدم اهتمامها بهذا السؤال

فقال بوزير اذًا انت من راي المسيو فولتير الذي ينكر العناية . فقالت اوليفا حقًا انك ابله يا بوزير

فهز بوزير راسه وقال اما انا فانني لا انكر العناية ابدًا . بل اعتقد انها اذا ارادت سعادة انسان اعطته من غير حساب بواسطةٍ ومن غير واسطة . وهكذا اعتقد ان ابني الذي نزل الان ليبتاع قضيب سكر قد يعود الينا وفي يده كيس طافح بالذهب اذا كان الله يريد ذلك

وما اتى بوزير على كلامه حتى دُفع الباب وظهر الغلام صارخًا . اماه اماه معي ذهب

فاسرعت المرأة والرجل فابصرا في يمينه قطعة ذهب وفي يساره قضيب سكر فسالته امه من اين جئت بالذهب فقال رآني رجل عند بائع السكر واعطاني اياه

ولم يتم الولد عبارته حتى ظهر في الباب رجل حسن اللباس مهيب المنظر فسلم ببشاشة قائلاً . مساء الخير يا مدموازل نيكول . مساء الخير يا موسيو دي بوزير

فصاح الولد هذا هو الرجل الذي اعطاني الذهب

اما الرجل وزوجته فانهما صاحا من فم واحد . الكونت كاليوسترو . ما جاء به

وكان هذا الرجل هو كاليوسترو نفسه . واما سبب قدومه الى هذا المكان فهو سر من الاسرار التي سيرد الكلام عنها والتي كان لها تاثير عظيم على مشروع الملك والملكة

تم الجزء الاول من « وثبة الاسد »

الجامعة

﴿ الجزء السادس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٢ — شوال ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف باكون والشاعر شكسبير

﴿ اشهر فلاسفة الانكليز . واشعر شعرائهم ﴾

(وهل كان الاول مؤلف روايات الثاني)

مشاهير الناس آلهة للناس في هذه الحياة . ولكنهم آلهة لا تُعبد في اكثر الاحيان الا بعد ان تلقى الممات . فمثلهم مَثَل تلك الجبال الشامخة كالمقطم وجبل لبنان . فانك اذا كنتَ قريباً منها او مقيماً فوقها ظهرتْ لك صغيرة منخفضة ولا تظهر لك شامخة كبيرة الا اذا بعدتَ عنها

ومن اشهر هؤلاء المشاهير الذين رفعتهم الانسانية بعد موتهم الى اعلى عليين الفيلسوف باكون اشهر فلاسفة الانكليز والمؤلف شكسبير اشعر شعرائهم . وقد جمع هذين الاسمين في صدر باب المشاهير فصل نشرناه في الجزء السابق عنوانه « شكسبير الحقيقي في مصر » ومناظرات طويلة عريضة دارت عنها في الجرائد الانكليزية في الشهر الماضي حتى لم تخلُ منها جريدة من جرائدهم . ويسرنا ان نغتنم هذه الفرصة لترجمة هذين الرجلين

لما في ترجمتهما من الفوائد الفلسفية والادبية لا سيما اذا صيغت بقالب بسيط سهل يحل اعقد عقد الفلسفة و يجلو غوامضها فيجعلها سهلة المنال لعقول الشيوخ والاطفال كما قال صاحب الزبور عن اصول الحكمة

ونبدأ اولاً بترجمة باكون لان للفلسفة حق التقدم

فرنسيس باكون

﴿ ترجمة باكون ﴾ هو الفيلسوف الشهير فرنسيس باكون بارون دي فاردلام وفيكونت دي سان البانس واحد وزراء المملكة الانكليزية ٠ولد في لندن من نقولا باكون المحامي المشهور في ٢٢ يناير من عام ١٥٦١ ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره دخل كلية كمبريدج حيث تلقى العلم ثلاث سنوات ثم الحق بالسفارة الانكليزية لدى البلاط الفرنسوي فزار باريز و باقي المدن الفرنسوية الكبرى واخذ يجمع شذرات عن حالة اوربا في ذلك الزمان ٠ وفي عام ١٥٧٩ توفي ابوه فعاد الى لندن وكان المال الذي ورثه منه لا يقوم بحاجاته للنفقات الكثيرة التي كان ينفقها تاييداً لمركزه فعمد الى درس الحقوق فنجح فيها نجاحاً سريعاً فعين في عام ١٥٨٧ مستشاراً خاصاً للملكة اليصابات ٠ وكان عصر هذه الملكة في انكلترا شبيهاً بعصر لويس الرابع عشر في فرنسا من حيث النهضة العلمية والادبية ٠وكفى عصر اليصابات فخراً ان يكون قد نبغ فيه رجلان كباكون وشكسبير

ولكن باكون راى انه لا يكسب من وظيفته لدى الملكة كسباً يسد نفقاته الطائلة فرام احتراف المحاماة وطلب وظيفة تمكنه من الكسب فلم يُجب الى طلبه ولكن جاءه الكونت ديسه ووهبه املاكاً ذات دخل كاف فرضي باكون وسكت ٠ ولكن لماذا وهبه الكونت هذه الاملاك وهل ان الملكة هي التي اوعزت اليه بان يهبه اياها ٠ الله اعلم

وفي عام ١٥٩٢ اختارته مقاطعة ميدلسه نائباً عنها في البرلمان فكان هذا الزمن اشد الازمان عليه لان باكون كان فيه اشده اضطراباً ٠ فانه تارة كان يتملق الشعب وطوراً يتملق الوزارة وآونه يبعث بقصائد المدح الى الملكة اليصابات تزلفاً وتمليقاً ٠ وفضلاً عن ذلك فانه اضطرّ ان يكتب يومئذ عريضة ببيان التهم التي وُجهت الى الكونت ديسه الذي احسن اليه ٠ و بعد ذلك اشتدت الحاجة به حتى صدر الامر بالقبض عليه وسجنه مرتين من اجل ديون عليه ٠ ولم يسترح من هذه المصائب حتى ارتقى جاك الاول الى العرش ٠ وبعضهم يزعم ان الملكة اليصابات كانت تقصد اضطهاده لتتخلص منه بناء على اسباب

سنذكرها في ما يلي

ولما ملك جاك الاول قرب باكون اليه ووهبه ما كان قد طلبه فاحترف باكون المحاماة وكسب منها اموالاً طائلة ثم تزوج بفتاة ذات غنى واسع وتراكمت الرتب على راسه فجعل في عام ١٦١٧ وزيرًا للعدلية ثم جعل في رتبة بارون وفيكونت · وسبب هذه النعم كلها نشره في اثناء ذلك كتبًا في الادب والفلسفة وجهت اليه انظار الناس في جميع اقطار العالم وجعلته في اعلى ذرى المجد العلمي

ولكن هذا الفيلسوف الذي هدم اساس الفلسفة القديمة بقوة عقله ووضع به اساسًا حديثًا للادب والفلسفة كان عاجزًا عن تدبير نفسه وحفظ قواعد الادب والفلسفة · فانه لما عين وزيرًا للعدلية جعل يبيع بعض الوظائف بيعًا بالثمن لحاجته الى المال الكثير بناء على اسرافه · وكان يقبض كثيرًا من الاموال من اصحاب الدعاوي والقضايا ليسرع في انجاز قضاياهم · وجاءه يومًا صديقه وحاميه بكنكهام يساله وظائف لصنائعه والمقربين اليه فاضطر الى اجابته مكرهًا ولم يقدر على رفض طلبه · فبناء على ذلك اخذ المظلومون يصرخون ويشكون ورفعوا شكواهم الى مجلس العموم فامر المجلس باجراء تحقيق في هذه التهم فثبت بعضها على باكون فصدر الامر بمحاكمته لدى مجلس اللوردات · اما بكنكهام والملك فانهما خشيا عاقبة الامر لتداخلهما فيه فاوعزا الى باكون ان يتوارى فرارًا من المحاكمة · ولكن باكون رفض الفرار وقال انه يستسلم الى عدالة المجلس فحاكمه مجلس اللوردات في ٣ مايو من عام ١٦٢١ وحكم عليه بغرامة قدرها ٤٠ الف جنيه وبتجريده من كل وظائفه وقضى عليه بانه غير اهل لان ينوب في البرلمان بعد تلك الحادثة ولا ان يولى منصبًا عموميًا وبان لا يقيم في مدينة يقيم البلاط الملكي فيها وبسجنه في سجن لندن · فسجن باكون ولكن الملك لم يطل مدة سجنه بل عفا عنه واعاده الى لندن ولما ارتقى الملك شارل الاول الى العرش اعاد الى باكون شرفه وارجعه في عام ١٦٢٥ الى البرلمان · غير ان باكون لم يضع هذه السنوات التي صرفها بلا عمل لانه انصرف في اثنائها الى مراجعة كتبه الفلسفية واتمامها · وهذه الكتب اساس مجده ودعامة فخره ولولاها لما كان شيئًا مذكورًا · وقد توفي باكون بعد مرور سنة على عودته الى البرلمان اي في ٩ ابريل من عام ١٦٢٦

ولا يسعنا بعد ما تقدم من فساد تدبير باكون وسوء تصرفه الا ان نلقي هذا السؤال على القارىء : ايّ اوجب للاستغراب ؟ انزال فيلسوف عظيم كباكون نفسه في هذه المنزلة من اخذ الرشوة وافساد الاحكام ام قيام طبقة عالية من نفس الامة الانكليزية سورًا كثيفًا دون

البلاط ومقربيه حتى ان الملك نفسه يخافها و يداريها لمعرفته بانها تحمي شرف الدولة وتمنع حدوث الشر فيها · لا ريب ان هذه الطبقة طبقة النبلاء هي التي حفظت انكلترا الى اليوم ورفعت شانها في اقطار الارض · واذا اسقطت الديموقراطية في انكلترا هذه الطبقة العالية في هذا القرن او الذي يليه ولم تضع مكانها ديموقراطية حقيقية لا « سطحية » كالديموقراطيات التي في اوربا اليوم فان انكلترا تسقط يومئذ عن قمة مجدها سقوطاً حقيقياً

***

﴿ آراؤه الفلسفية التي احيت الفلسفة ﴾ اما فلسفة باكون فقد تضاربت الاقوال فيها · ففريق الفلاسفة الماديين يعتبرونه هو وديكارت (١) زعيمين للفلسفة الحديثة وواضعين لاصولها و ينزلون باكون في اسمى منزلة بين فلاسفة العالم · وفريق الفلاسفة الالهيين ولا سيما الكاثوليك لا يرونه شيئاً مذكوراً ولا يجدون في فلسفته كما يقولون الا غموضاً · وقد طعن عليه زعيمهم جوزيف دي ماستر الفرنسوي طعناً شديداً · اما الفلاسفة الانكليز وعلماؤهم فلا يعرفون لهم زعيماً و رئيساً غير باكون مهما قيل فيه

والسبب الذي جعل اخصام باكون يجترئون عليه ان هذا الفيلسوف لم يضع فلسفة جديدة ولم يكتشف امراً جديداً ولكنه اقتصر على وضع قواعد فلسفية جديدة تنقض القواعد القديمة · فكانه اقتصر على الهدم دون البناء ولبيان ذلك نقول

ميزان اريسطو — كانت الفلسفة قبل باكون وديكارت مبنية على الفلسفة اليونانية التي وضعها اريسطو وهي المعروفة بالفلسفة المدرسية (سكولاستيك) (٢) · وكان يكفي ان

---

(١) ﴿ ترجمة ديكارت شريك باكون في الفضل على الفلسفة ﴾ راجع ما كتبناه عن ديكارت في باب التربية والتعليم في الجزء ٢١ من السنة الثانية · وسناتي على ترجمته بالتفصيل في جزء قادم لانه شريك باكون في الفضل على الفلسفة ومحاربة المذهب المدرسي · وقد عاصر باكون وحمل مثله حملات شديدة على هذا المذهب دون ان يكون بينهما صلة اومعرفة · ولا ريب ان تاريخ هذين الرجلين انما هو تاريخ اساس الفلسفة وشرف للدولتين « فرنسا وانكلترا » اللتين نبغا فيهما

(٢) ﴿ السكولاستيك ﴾ السكولاستيك ماخوذة من « السكولا » وهي المدرسة والمراد بها الفلسفة التي كان يدرّسها اليونان واللاهوتيون في المدارس وواضعها الفيلسوف اريسطو اليوناني

يقال« قال اريسطو » لينحسم كل جدال . فكانت العقول خاملة لا تتصرف بشيء ولا تجترىء ان تُحدث شيئاً حذراً من الخروج عن القواعد المقررة . وكان راس هذه القواعد «القياس» وهو المعروف « بآلة اريسطو » او ميزانه لان الحقائق لا تُدرك بدونه . مثال ذلك اذا اخذتَ النار ووضعت فيها ماء فان الماء يتبخر . فكرر هذه التجربة عدة مرات فاذا تبخر الماء في كل مرة وجب ان تجزم بان التبخر ناموس من نواميس الطبيعة . ثم انك تقيس اللبن على الماء فتقول : بما ان اللبن سائل كالماء فهو يتبخر ايضاً مثله . وبناء عليه تكون قد عرفتَ طبيعة اللبن من قياسه على الماء . هذا هو القياس

فلما جاء باكون وجد ان هذه القواعد متضعضعة فاخذ على نفسه اصلاحها . فكتب في ذلك عدة كتب منها كتابه « الاصلاح العظيم» وهو اهم كتبه ولم يصدر منه سوى جزئين وذلك في عام ١٥٩٧ وكتابه « كتاب في الادب » وغيره من المؤلفات الفلسفية . واليك خلاصة الآراء التي نشرها في كتبه

رايه في التمدن اليوناني وفلسفته — يحمل باكون في كتبه على الفلسفة السكولاستيك اليونانية حملات شديدة . ومن اعتراضاته ان كل ما يدرّسونه اليوم (اي في ايام باكون) يدرّسونه بناء على اقوال اليونان ولا سيما اريسطو مع ان اليونان لم يعرفوا شيئاً من نواميس الطبيعة ولم يقرأوا شيئاً في كتابها السامي . فكيف يريد الفلاسفة تقييد العقل البشري بمعارف اليونان اذا كان هولاء لم يدرسوا الطبيعة نفسها . وفضلاً عن ذلك فان اليونان امة قديمة وقد كان البشر في عصرهم في دور الطفولية ونحن الآن في دور الشيخوخة . فلمن نسمع ؟ وممن نتعلم ؟ من الاطفال ام من الشيوخ . فالواجب علينا اذاً ان نُطلق العقول من قيود فلسفة اليونان ونترك كل واحد منا يمتحن الامور بنفسه ويشاهد نواميس الطبيعة بعينيه ويزن احكامها بعقله . ومع ذلك فان الفلسفة اليونانيه لم تُثمر شيئاً الى الآن ولم نحصل بواسطتها على فوائد ومنافع عملية . وكل ما استفدناه منها انها تعلمنا طرقاً سفسطائية في الجدل تجعلنا لا نطلب الحقيقة في مباحثنا ولكن حب الفوز والغلبة . فيجب تغيير هذه القاعدة التي جعلها العلم دعامته ووضع دعامة عملية جديدة له ليثمر ثماراً عملية . وقد جرب اليسوعيون واستبدلوا دعامة اريسطو بدعامة جديدة فنجحوا في تعليمهم . فليجرب العلم ذلك ايضاً . فانه لا بد ان ينجح

ولكن قبل هدم القاعدة القديمة يجب انشاء « ترتيب» جديد للعلم اصولاً وفروعاً لوضع

اصول كل فرع منه على الترتيب . وبناء على ذلك وضع باكون « الترتيب » المنسوب اليه وعليه يعتمد العلماء

الترتيب المشهور بترتيب باكون — قسم باكون قوى نفس الانسان في هذا الترتيب الى ثلاثة اقسام « الذاكرة . والتصور . والعقل » وجعل اصول العلم وفروعه تتفرع من هذه الكلمات الثلاث . فمن « الذاكرة » يشتق التاريخ ومن « التصور » يشتق الشعر . ومن « العقل » تشتق الفلسفة

ثم ان باكون ياخذ « التاريخ . والشعر . والعقل » كلاً بمفرده ويفرع منه فروعه . فالتاريخ طبيعي وبشري . والطبيعي يشمل درس الطبيعة ما فوق وما تحت من علم الهيئة (علم الفلك) والجيولوجيا والجوغرافيا الخ . والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي (غير الديني) وتاريخ الادب والفنون — واما الشعر فانه يكتفي بقسمته الى ثلاثة اقسام وهي : الشعر للوصف . والشعر للروايات . والشعر للامثال — واما الفلسفة فهي ثلاثة فنون . فن معرفة الله . وفن معرفة الطبيعة . وفن معرفة نواميس الانسان . ثم يفرع باكون من كل واحد من هذه الفروع فروعاً عديدة يضيق المقام دونها . ولو اتينا عليها كلها لوجد القارىء انه لا يبقى اصل للعلم ولا فرع خارج هذه الدائرة

ميزان باكون ضد ميزان اريسطو — فبعد وضع باكون هذا الترتيب للعلم وشرحه كل اصوله وفروعه شرحاً كافياً وافياً وجه همته الى وضع قاعدة لبنائه . فقال بوجوب ترك قواعد اليونان واريسطو والاعتماد على العقل في ذلك البناء . وكانت قاعدة اريسطو تقضي كما تقدم الكلام بان كل امر يُجرب عدة مرات ويفضي الى نتيجة واحدة يجب ان يُعدّ ناموساً طبيعياً . وقد ذكرنا مثال ذلك في تجربة تبخير الماء وقياس اللبن عليه . اما باكون فانه قال ان التجربة عدة مرات لا تكفي بل يجب معها امران . اولاً اعادة التجربة والامتحان الى ما شاء الله حتى لا تبقى زيادة لمستزيد واستئناف التجربة في كل جزء من اجزاء المادة ومطاردة الاسرار الطبيعية الى ابعد مكامنها . وثانياً عدم الاكتفاء بالامتحان الايجابي بل اجراء امتحان سلبي معه . مثال ذلك بخر الماء بالنار يتبخر فاعد التجربة عدة مرات تجده يتبخر دائماً . هذا هو الامتحان الايجابي . اما الامتحان السلبي فهو ان تاخذ بخار ذلك الماء وتبرده فاذا عاد ماء كان العمل صحيحاً وجاز لك ان تعدّ التبخر ناموساً طبيعياً . — واليك مثلاً آخر وهو اضرب ٢ في ٢ في ٢ فان

الحاصل ٨ ولكن اياك ان تعتقد ان الحاصل هو ٨ قبل اجراء الامتحان السلبي اي قسمة هذا العدد على ٢ ثم قسمة الخارج على ٢ ايضاً . وهلم جراً . ولا يخفى ان ذلك يهدم قياس ارسطو من اساسه لانه يوجب عليك في المثل الذي تقدم عن الماء واللبن ان تاخذ اللبن وتفحصه بنفسك فحصاً ايجابياً وسلبياً عدة مرات بدلاً من قياسه على الماء وان لا تعتمد الا على مشاهدتك وامتحانك . ويُعرف هذا الامتحان بامتحان باكون وقد اطلق به واضعه عقول العلماء والفلاسفة من قيود الماضي واعدَّ للعلم ميداناً فسيحاً قرن فيه المعرفة بالعمل فنشأت عنه الاكتشافات والاختراعات التي عرفتها في عالم العلم والصناعة والزراعة . فكانه روح الحرية بُث في العقل والعلم فاحياهما معاً

باكون وحجر الفلاسفة — ويعتقد باكون اعتقاداً غريباً . فانه يرى كما تشهد بذلك عدة سطور من كتبه ان غرض العلم والفلسفة البحث عن حجر الفلاسفة اي المادة التي تحول المعادن الى ذهب . وهو لا يذهب هذا المذهب طلباً للذهب ولكن استناداً الى درسه المادة . فانه راى من درسه المادة الطبيعية ان اصلها واحد وان المادة التي صُنعت منها الحصى شبيهة بالمادة التي رُكب منها الذهب . ولذلك يقول انما متى حصلنا على المادة المشتركة بين جميع المواد (وهي ما يسمونه حجر الفلاسفة) فاننا نتحقق حينئذ ان اصل المادة واحد ونقدر بسهولة على تحويل اي معدن كان الى ذهب

وقد ذكرنا في ترجمة (برتلو) في الجزء الماضي ان ذلك العالم قد اثبت وحدة المادة في الارض محققاً راي باكون وغيره وانه يعتقد بان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في مستقبل الكيمياء

***

﴿ اعتقاد باكون بالله وبالنفس ﴾ هذا ما راينا اثباته عن اكبر فلاسفة الانكليز فرنسيس باكون . ومنه يرى القارىء انه لم يكتشف امراً جديداً عظيماً ولكنه هدم عالماً قديماً . وسبب شهرته الواسعة انه قام في زمن كانت فلاسفته مستعدة لخلع نير ارسطو وكان اعلاهم صوتاً واقدرهم على ترجمة ما في نفوسهم فنجح النجاح الذي مرَّ ذكره

بقي علينا ان نذكر معتقد هذا الفيلسوف . فنقول انه كان يؤمن بالخالق سبحانه وله في ذلك كلمته المشهورة

« القليل من العلم يُبعد الانسان عن الله والكثير منه يقربه اليه »

يعني بذلك ان من درس نواميس الطبيعة ونظام الكائنات درساً صحيحاً لا يسعه الا ان يعجب بذلك الترتيب البديع الكائن في كل شيء حتى في ذرات الرمل ونقط الماء واوراق النبات وحينئذ يسلّم بالطبع من غير بحث ولا سؤال بوجود صانع حكيم ويقول مع فنلون وفولتير عن تشبيه الارض ونظام كائناتها بساعة وجدت دائرة في رمل الصحراء : « هل يمكن وجود هذه الساعة من غير ساعاتي »

وكان باكون يعتقد بوجود النفس ايضاً و يقول ان من قواها علم الغيب اي معرفة الحوادث قبل حدوثها والتاثير على نفس اخرى اذا تسلطت عليها كما يحدث في التنويم المغنطيسي

هذا ما نقوله عن باكون فلننتقل الآن الى شكسبير

وليم شكسبير

﴿ تمهيد في فن الروايات ﴾ اشتقت الروايات من اصل ديني اي انها وضعت حين نشأتها لغرض ديني • فان الفرس والاشوريين واليونان كانوا يمثلون بها قصص آلهتهم • ولكن لما قامت النهضة اليونانية في الادب والفلسفة والشعر خرجت الروايات من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي فنبغ في هذا الفن كثيرون من اليونان (١) اخصهم • اشيل الذي يلقبونه ابا التراجيدية اليونانية وقد اخذ عنه موليير و راسين و كورنيل وغيرهم من الروائيين • وقد ارتقى هذا الفن عند الرومانيين ايضاً ومن مؤلفيهم بلوت وترانس الشاعران الهزليان الشهيران (٢)

---

(١) كفى لبيان تاثير التمثيل عند الاقدمين ان نقول ان اسكندر المكدوني لما سمع ان بيكسودوروس ملك كاريا سيزوج ابنته من « اريده » ابن فيليبوس ابيه خاف ان تقوى سلطة اريده بهذا الزواج فيزاحمه على الملك فبعث الى بيكسودوروس بالممثل المشهور ثسالوس ليمثل لديه رواية يظهر فيها فضل اسكندر على « اريده » وقد مثل الممثل هذه الرواية واستمال بها بيكسودوروس الى اسكندر

(٢) لما اراد لافونتين الشاعر الفرنسوي المشهور تابين صديقه موليير اشهر مؤلفي الروايات الفرنسوية الهزلية نظم ستة ابيات ونقشها على قبره وخلاصتها « هذا القبر يضم بلوت وترانس ومع ذلك فليس فيه سوى رجل واحد »

اما النهضة الاوربية في هذا الفن فهي حديثة العهد · وقد كان شانها في ذلك شان النهضة الروائية اليونانية والرومانية اي انهـا كانت في بدء امرها عبارة عن تمثيل ديني · وذلك ان رجال الدين المسيحي كانوا يمثلون الاعياد المسيحية التي يعيّدونها اليوم تمثيلاً · وكان هذا التمثيل على نوعين · نوع محزن ونوع مضحك · ومن النوع المحزن تمثيل رواية صلب السيد المسيح في جمعة الآلام بما فيه من المحاكمة امام بيلاطس وصعود السيد الى الجلجلة ووقوف النساء يبكين لصلبه · ومن النوع المضحك تمثيل العادات والتقاليد الدينية كحادثة اليهودي التائه وحادثة برباس ونطق اتان بلعام · ومما يُستغرب ذكره انهم كانوا اذا راموا تمثيل حادثة الاتان جاؤوا بحمارة حقيقية الى مكان الاحتفال اي الى المعبد وجعلوا يعالجونها لتصرخ · وكانوا ينشدونها قصيدة منها

غني ياجلالة الحمـارة يا ايها الفم الجميل غني فنقدم لكِ كفاية من التبن وقدر ما تطلبين من الشعير

وكان بعضهم ينشد هذا النشيد والشعب يجاوب عليه بفرح وابتهاج بلازمةٍ ملازمة

ولما اعتاد الشعب هذا التمثيل الفه فتالفت منه جمعيـات للقيام به في ايام الآحاد والاعياد في خارج المعابد · فكان الشعب يقبل على حضور هذا التمثيل و يشترك فيـه · وكانت الروايات مكتوبة بشعر عامي · وقد روي ان احدهم كان يمثل الصلب فصلب نفسه بالفعل لاتمام الشبه وكاد يلقى حتفه لو لم يتداركه رفاقه · ولما تمادى الشعب الفرنسوي في هذا التمثيل اصدر البرلمان في ١٧ نوفمبر من عام ١٥٤٨ قرارًا بمنع تلك الجمعيات من التمثيل الديني واباحة ما سواه · ومنذ هذا الحين دخل التمثيل في دور جديد وانتقل من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي · ونشأ من الكتاب والشعراء شكسبير وكوث وشيلر وراسين وكورنيل وموليير وفولتير وفيكتور هيغو ودوماس الكبير والصغير وهين وغيرهم فابلغوا بمؤلفاتهم هذا الفن الى المقام السامي الذي صار اليه في اوربا في هذه الايام

وقد قابل الامبراطور غليوم في هذا الشهر الممثل الفرنسوي الشهير كوكلين الكبير فقال له انه من انصار الروايات وكتابها لانه يعرف ما لهم من الفضل والتاثير على آداب الامة وعلى اخلاقها· وكفى ذلك شهادة بفائدة فن التمثيل اذا اجاد مؤلفوه وممثلوه وكان غرضهم نشر الآداب والسرور معًا في المراسح لا اثارة عواطف العامة والحاضرين بمناظر واقوال تشبه فقاقيع الصابون بسرعة زوال تاثيرها

ولا ريب ان في ترجمة شكسبير من هذا الوجه عبرة وفائدة لجميع محبي هذا الفن الجميل



﴿ ترجمة شكسبير ﴾ ولد وليم شكسبير من اب تاجر في قرية سترتفورد (القائمة على ايفون) في ٢٢ افريل من عام ١٥٦٤ . وكان له اخوة ثلاثة فدخل معهم في احدى المدارس المجانية وتلقى فيها شيئاً من اللغة اللاتينية . ولكن لم تأت عليه السنة الثالثة عشرة حتى اخرجه ابوه من المدرسة لاختلال اشغاله التجارية واستخدمه في احد البيوت التجارية . ومن ذلك يظهر ان شكسبير لم يتلقن في المدارس شيئاً من الدروس العليا التي ظهرت ثمارها في رواياته بعد ذلك

ولما بلغ شكسبير السنة الثامنة عشرة اقترن بفتاة عمرها ٢٦ عاماً وتدعى مس حنه هاتاواي وقيل انها كانت عشيقته وبعد انقضاء ستة اشهر على زواجها ولدت له هذه الزوجة ابنة وبعد ثلاث سنوات ولدت له توأمين فدعاهما همنت وجوديت . ولكن الاولاد جاؤه بالضيق الى البيت لانه لم يكن يكسب من خدمته شيئاً يذكر ففر من سترتفورد في عام ١٥٨٣ وعمره ٢١ عاماً . ولما صار بعيداً عن اهله رام الصيد والقنص في الاحراش التي حرم الصيد فيها فطلبه الخفراء للقبض عليه ففر من وجههم وسار ماشياً الى لندن حيث انخرط في سلك الممثلين فيها

وبعد ان صرف شكسبير مدة في التمثيل جمع جوقاً وتولى ادارته . اما الروايات التي كان يمثلها فكان بعضها من الروايات القديمة يتصرف بها جرياً مع ذوق العصر وبعضها من تاليفه . ويقال ان اول رواية ظهرت من قلمه كان ظهورها في عام ١٥٩١ اي بعد انقضاء ٨ سنوات على فراره من وطنه . وقد قال شراح هذه الرواية ان شكسبير اظهر فيها من المعرفة بعادات الطبقات الاجتماعية يومئذ والتلميح الى بعض الحوادث العصرية اللندنية ما وجه الانظار اليه ودل على عظيم استعداده . نقول فهل كانت تلك السنوات الثماني التي صرفها في لندن كافية لجعل ذلك الفتى الطائش الذي لم يتلقن علماً في مدرسة — في ذلك المقام من المعرفة والاستعداد

ومنذ هذا الحين بدأت شمس شهرة شكسبير تطلع في سماء الادب فصار له اصدقاء في البلاط ورغبت الملكة اليصابات في حضور احدى رواياته فمثل في البلاط احداها في ليلة عيد الميلاد من عام ١٥٩٧ فاعجب الملكة هذا الجوق ووعدته بحمايتها فازدادت بذلك شهرته انتشاراً

وكان المال يرد عليه مع الشهرة لكثرة مكاسبه من رواياته . فعاد شكسبير

الى وطنه سترتفورد فوجد احوال عائلته في اختلال تام فتلافى تلك الحالة وزاد على ذلك ان ابتاع احسن قصر في المدينة (سنة ١٥٩٧) . ثم اخذ يبتاع كثيرًا من الاراضي ويؤجرها للفلاحين من ابناء وطنه فضلاً عما كان يقرضهم اياه من الاموال تحسينًا لاحوالهم . ولكنه مع مساعدتهم على هذا الوجه كان شديد الوطأة عليهم فيما يختص باستيفاء امواله وكثير التفنن في طرق كسب المال . ولذلك يتخذ فلاسفة العمران شكسبير مثلاً حينما يرومون بيان المزايا التي خُصت بها الامة الانكليزية من حيث المعرفة بطرق الكسب والتزام هذه الطرق : فانهم يقولون ان اسمى رجالهم فكرًا لا يُهملون الامور المادية ويطلبون الكسب من كل وجوهه المشروعة . اما الفرنسويون فانهم يغارون من هذا القول لانهم مشهورون بعدم اعتدادهم بالمال وتفضيلهم الشرف والمجد عليه ولذلك يذكرون شاعرهم فيكتور هيغو كلما ذكر الانكليز شكسبير لان فيكتور هيغو كان شبيهاً بشكسبير من حيث الجمع بين سمو الفكر والمعرفة بطرق الكسب

وفي عام ١٦٠٣ توفيت الملكة اليصابات التي كانت حامية لصاحب الترجمة فلم يخسر صاحب الترجمة شيئاً بوفاتها لان الملك شارل الاول شمله بعنايته وحمايته . فابرز يومئذ شكسبير افضل رواياته وهي « كما تريد » و« هملت » و « اوتلو » و « مكبث » « والملك لير » فبلغ بها شكسبير ما لم يبلغه في انكلترا شاعر ولا مؤلف لا قبله ولا بعده . ولكن بعد هذه الروايات الجميلة خمد فكر المؤلف او فرغت جعبته فصار يكتب فصولاً منقطعة . وفي عام ١٦١١ احس بحاجته الى الراحة فعاد الى وطنه سترتفورد فازوج ابنتيه سوسان وجوديت وانصرف الى ادانة الاموال وشراء الاراضي حتى ادركته الوفاة في ٢٣ افريل او ٣ مايو من عام ١٦١٦ وعمره ٥٢ عاماً فقط فدفن في كنيسة سترتفورد . ويقال ان وفاته كانت بسبب السكر وهو حديث خرافة على الاصح

اما عائلة شكسبير فقد انقرضت بعده اذ مات كل اولاده واحفاده دون ان يتركوا عقباً . ولكن من ترك مؤلفات كمؤلفاته فان اسمه لا ينقرض ما دام الانسان انسانًا

***

﴿ مؤلفات شكسبير ومواضيعها ﴾ وهذه المؤلفات كثيرة يضيق المقام دون ذكرها بالتفصيل فنكتفي بالاختصار . فنقول انها ظهرت بين عام ١٥٩١ وعام ١٦١١ اي بين السابعة والعشرين من عمره والسابعة والاربعين . فيكون شكسبير قد اشتغل بعد سن الاربعين سبع سنوات فقط . ولا يخفى ان سن الاربعين هي السن التي تنضج بها مواهب الانسان

ونبلغ فيها قوى نفسه اشدها فيظهرحينئذ بما خلقه الله من القوة

وكانت اول رواياته رواية « شتاء ضائع في الحب » مثلها في عام ١٥٩١ وهي التي اشرنا اليها آنفاً وموضوعها غرامي هزلي انتقادي . وتلتها رواية « كريم فيلونه » في سنة ١٥٩١ ايضاً وقد اخذ موضوعها من رواية هزلية قديمة . وكذلك رواية « الخطاء » . اما رواياته المحزنة (التراجيدية) فقد كانت اولاها رواية « روميو وجوليت » وقد مثلها في عام ١٥٩٢ بعد رواية « الخطاء » فكان لها تاثير عظيم ولا سيما على السيدات لما حوته من العواطف الرقيقة التي يتبادلهان الحبيبـان روميو وجولييت . وفي عام ١٥٩٢ ايضاً وضع روايته التاريخية « هنري السادس » ثم تلتها في عام ١٥٩٣ رواية « ريشار الثالث » التي وردت فيها العبارة المشهورة المذكورة بالتفصيل في روايات « نهضة الاسد » وهي : « عليَّ بجواد عليَّ بجواد فانني اهب ممالكي لمن يعطيني جواداً » وفي عام ١٥٩٤ ابرز روايته « طيطس اندرونيكوس » و بعضهم يرى ان هذه الرواية لم تكن من قلمه . وفي عام ١٥٩٤ كتب رواية « تاجر البندقية » ومدارها على رجل اسرائيلي يقرض الاموال . ثم كتب رواية « الملك حنا » في عام ١٥٩٤ ورواية « لوكريس » وكلتا الروايتين نتيجة دخول المبادىء اليونانية الى انكلترا في تلك الايام . وفي عام ١٥٩١ و١٥٩٤ مثل « الشذرات او المقاطيع » وهي رواية ودادية اظهر فيها فضل الصداقة على الحب . ومما قاله فيها عن لسان صديق يوبخ صديقه لانه خطف عشيقته قوله

« خذ كل حب لي ايها الصديق . نعم خذه كله . وقل لي الآن ماذا زاد على ما كان عندك . اعلم ان كل حب لي وكل خير لي ليس لي فيه شيء لانه لك من قبل ان تاخذه . وانا اصفح لك عن سرقتك ايها اللص اللطيف وان كنتَ قد سلبتني كل ما ملكتْ يداي »

ومما يجب ذكره هنا ان شكسبير كان يشير بهذا الكلام على ما يظهر الى اللورد سوتنتون او اللورد بمبروك لانهما فعلا تلك الفعلة اما المرأة ذات العينين الدعجاوين التي ورد ذكرها في هذه الرواية فلم يُعرف لها خبر

وفي عام ١٥٩٥ ابرز روايته الجميلة « حلم في احدى ليالي الصيف » فكانت خير ذيل « لمقاطيعه » التي تقدم ذكرها . واليك ما قاله في هذه الرواية البديعة في وصف الحب

« ولما راى كو بيدون (١) الملكة العذراء تناول سهماً و رشقها به . اما انا فتبعت السهم بنظري فوجدته قد طاش وانطفأ في نور القمر الطاهر الذي كان يحف بها . ولذلك نجت العذراء المكللة من الحب واتمت سيرها وهي تفتكر افكاراً طاهرة . غير انني بحثت عن المكان الذي وقع السهم فيه فوجدت انه وقع على زهرة صغيرة من ازهار الغرب كانت بيضاء اللون كاللبن فجعلها السهم حمراء من شدة الطعنة . وتسمي العذارى هذه الزهرة — زهرة لا تنسني »

وفي عام ١٥٩٥ برزت روايته « كل ما حسنت خاتمته فهو حسن » وفيها قصة امراة باسلة تكره الاستسلام الى حوادث الحياة وتنشيء لنفسها مركزاً باجتهادها ونشاطها . وفي العام التالي (١٥٩٦) مثّل رواية من احسن رواياته وفيها اظهر انه يكره اعطاء المراة حقوق الرجال ومن قوله عن لسان النساء « لماذا نرى اجسامنا ضعيفة واعضاءنا واهنة لا تحتمل متاعب الحياة واضطرابات العالم . الجواب لان اجسامنا واعضاءنا يجب ان تكون على اتفاق تام مع عاداتنا وحالة نفوسنا الداخلية »

وفي عام ١٥٩٧ ابرز شكسبير رواية « هنري الرابع » وفي عام ١٥٩٧ رواية « هاذيات وندسور » وفيها طبيب فرنسوي يتكلم باللغة الانكليزية كلاماً مشوهاً مضحكاً وكاهن فرنسوي يقول اقوالاً مضحكة . وفي عام ١٥٩٩ وضع « هنري الخامس » ومنذ هذا الحين بدأت احاسن رواياته

فوضع اولاً رواية « عناء كبير بشيء صغير » ومدارها على رجل آلى على نفسه ان يكره النساء وامراة لا تطيق رؤية الرجال ولكن الرواية تجعلها بطرق مضحكة يحبان بعضهما بعضاً في النهاية حباً شديداً . وبعد هذه الرواية ظهرت روايته « الليلة الحادية عشرة » وذلك في عام ١٦٠٠ ومدارها على امراة تتزيا بزي رجل وتخدم حبيبها وتحميه وتسهر عليه على غير علم منه . وهي بذلك تمثل الحب الخفي السكوت الذي يكمن في النفس كمون النار في حجارة الزناد

وفي عام ١٦٠١ برزت رواية « يوليوس قيصر » واهم ما فيها وصف اخلاق بروتوس قاتله وصفاً بديعاً . وفي عام ١٦٠٢ مثل « هملت » اشهر رواياته وهي رواية فلسفية تسمو عن مدارك

---

(١) كو بيدون في الميثولوجيا اليونانية اله الحب وهو فتى يحمل نبالاً مشتعلة فاذا رشق الحسناء باحدها اصابها الهوى في الحال

الشعب ومع ذلك فقد طرب الشعب الانكليزي لها اشد طرب واختارها على ما يُقال على جميع رواياته · ومدار هذه الرواية على فتى يكره الحياة لمصابه بامه التي قتلت اباه لتستبد بالملك بعده · ومن ينسى صراخه في وسط احزانه ويأسه وهو يستعدّ الانتقام « لله ياملاذ الحياة كم تظهرين لي فارغة باردة » وهذه الحالة هي نتيجة استغراق الفكر والهم كل عواطف النفس وايياسها ايياساً

وبعد هملت كتب شكسبير « ترواليوس وكريسيده » وذلك في عام ١٦٠٣ · وقد وصف في هذه الرواية حرب تروادة وجعل مدارها على حب فتى صادق في حبه · وفيها تقول احدى نسائها

« ليست السعادة واللذة الا في الطلب ومتى بلغ الطالب غرضه منا فكل شيء قد ذهب · فلتعلم ذلك الحبيبات فان التي لا تعلم ذلك لا تعلم شيئاً · ان الرجال يخضعون ويذلون لنا قبل استيلائهم علينا ولكنهم يصيرون اسياداً لنا بعد الاستيلاء » (١)

وفي عام ١٦٠٤ كتب شكسبير (قياس للقياس) ثم كتب في هذا العام ايضاً روايته (اوتلو) فابرز فيها كل قوى نفسه ولذلك قالوا انها ابلغ رواياته وان كانت «هملت» اشهرها · ومدار (اوتلو) على حب شديد يغار من نسمات الريح من جهة وعلى الخيانة من جهة اخرى · ولكن الحب لا يجيز لنفسه اقل شكوى ولا ضجر مع معرفته خيانة الحبيب له · وتلك غاية في الحب ما بعدها غاية

وبعد اوتلو برزت (مكبث) وذلك في عام ١٦٠٥ ومدارها على درس بسيكولوجي في تاثير الرذيلة والجناية في نفس مجبولة على الفضيلة · وفي عام ١٦٠٦ برزت روايته (الملك لير) وموضوعها مصائب وفظائع تصيب شعباً باسره وهي من افضل رواياته ايضاً · وبعدها ظهرت في عام ١٦٠٧ (تيمون الاثينوي) و (بريكليس) ولكنهما احط من الروايات الكبيرة التي تقدم ذكرها لا سيما وان شكسبير ارتكب فيهما كثيراً من الاغلاط فيما يختص بتاريخ اليونان لاقتباسه تفاصيله من الكتب الخرافية التي كانت تطبع يومئذ · وفي عام ١٦٠٨ مثل رواية (انطونيوس وكليوباتره) و (كوريولن) وفي عام ١٦١٠ (سمبيلين) وفي عام ١٦١١ (حكاية الشتاء) والرواية البديعة التي ختم بها مؤلفاته وهي

---

(١) سلطة النساء في راي شكسبير

(الزوبعة) . كانه قصد جعلها مسك الختام

***

﴿ شهرة شكسبير في العالم ومناظروه ﴾ واذا كان في العالم كاتب يصدق فيه قول شاعرنا العربي

لا يعرف القوم الفتى الا اذا   قضى فيعطى حقه تحت الثرى

فانما ذلك الكاتب هو وليم شكسبير صاحب الترجمة . فان مناظريه من الكتاب لم يعرفوا له فضلاً كبيرًا في حياته لانهم اخذوا عليه الابتداع في التاليف وترك الاتباع . ومما كانوا ياخذونه عليه عدم مراعاته وحدة السياق في رواياته وما دروا ان ذلك الاختلاف كان سرًا من اسرار نجاحها . وهكذا الناس في التاليف وسواه متى كانوا لا يحسنون الابتداع لضعف قواهم او لالفة اذواقهم للقديم البالي انقلبوا على المبتدع ونادوا بفضيلة الاتباع

ولكن شمس شكسبير لم يطل انحجابها بهذه السحب في انكلترا اكثر من قرنين . فانه ما اتى آخر القرن الثامن عشر حتى سكتت جميع اصوات المنتقدين ولم يبق غير المعجبين والمستحسنين وبذلك انتصر اسم شكسبير انتصارًا تامًا

اما اوربا فانها كانت اسرع من انكلترا في اعطاء شكسبير حقه . ففي عام ١٦١٤ اي قبل وفاته بسنتين انتشرت شهرته في المانيا وفي عام ١٧٦٧ وضعه لسنغ فوق كورنيل وراسين اللذين كانت اوربا تعجب بهما في ذلك الزمان وفي عام ١٧٦٢ ترجم ويلند كل رواياته واقتبس منها (كوث) المشهور في سنة ١٨٠١ رواية روميو وجولييت واخذ شيلر رواية مكبث وكتب هنري هين كتبه عن (ابطال روايات شكسبير) . اما فرنسا فقد كان فولتير اول مترجميه فيها (سنة ١٧٣١) وقد قال في الكلام الذي بسطه للجمهور الفرنسوي عنه (انه كورنيل لندن ولكنه مجنون كبير ومع ذلك فله اقوال بديعة في غاية السمو) . اما شاتو بريان فانه كان يقول انه لا (يذوقه) اي لا يستحسنه . ولكن لما جاءت مدام دي ستايل وقالت ما قالته عنه انتصر اسم شكسبير واقبل الجمهور الفرنسوي عليه . وقد اجمع الناس اليوم على ان شكسبير اعظم مؤلفي الروايات في العالم . والصفة التي يميزونه بها عن باقي المؤلفين ما ظهر منه من سعة الاطلاع في كل شؤون الحياة . فاذا مثل ملكاً مثلاً عرف ما يختلج في نفس الملك واذا مثل صعلوكاً عرف ما يناجي الصعلوك به نفسه . وقس على ذلك باقي حالات البشر من الحب والبغض والرذيلة والفضيلة والحلال والحرام والغنى والفقر

وكل ذلك مكتوب باسلوب يسحر الالباب · وبذلك كان لشكسبير تاثير عظيم على فن الروايات وعلى الحركة الادبية في جميع اقطار العالم لا في انكلترا فقط · وقد نُقلت بعض رواياته الى اللغة العربية

هل كان باكون كاتب روايات شكسبير

ولكن كأنه قُدر لشكسبير ان لا يكمل مجده ابدًا · فانه قام منذ مدة عدة من انصار باكون يزعمون ان الروايات التي تقدم ذكرها ليست من تاليف شكسبير وانما كان هذا ممثلاً لها فقط · واذا سالتهم فمن الف اذًا تلك الروايات البديعة فانهم يجيبون ان مؤلفها هو الفيلسوف باكون

وبناء على ذلك تالف في انكلترا حزبان عظيمان اكبر من حزبي المحافظين والاحرار الواحد منهما ينتصر لباكون والواحد ينتصر لشكسبير · ولكن انصار شكسبير اشد غضباً وانكى سهاماً وافرغ صبرًا من رفاقهم الباكونيين لان هولاء هم المهاجمون

اما الادلة التي يتخذها الباكونيون لاثبات ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير فهي كثيرة منها اولاً ان شكسبير لم يتلقن في المدرسة دروساً تجعله قادرًا على كتابة روايات فلسفية سامية كتلك الروايات بل كان من اصله رجلاً جاهلاً ولم يذكر التاريخ عنه شيئاً · ثانياً ان في اكثر تلك الروايات تلميحاً واشارات الى حوادث الطبقات العالية في لندن ولا سيما حوادث حياة باكون التي مرَّ تفصيلها · وقد سالت الملكة اليصابات شكسبير غير مرة اذا كان احد يساعده في تلك الروايات · ثالثاً ان باكون كتب الى احد اصدقائه كتباً خصوصية يقول له فيها انه يؤلف تلك الروايات ويدفعها الى شكسبير ليمثلها باسمه · — هذه بعض ادلة الباكونيين · واما الشكسبيريون فانهم يقولون لهم ان اقوالكم هذه مزاعم لا ادلة فهاتوا شهودكم ان كنتم صادقين

وبينما كان الفريقان في هذا الجدال واذا بصوت رنَّان من اميركا يقول « قد وجدت الدليل الذي لا يُردُّ على ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير »

فالتفت الجميع فابصروا مسز غالوب الاميركية قادمة من نيويورك الى لندن وبيدها مفتاح ذلك السر · وهذه السيدة تقول انها وجدته في كتب باكون واليك التفصيل

من المعلوم ان باكون هو الذي وضع اصول المخابرات الخفية بالارقام التي تستخدمها الدول في مخابراتها الرسمية · وكل من وقف على نسخ من الطبعة الاولى التي نُشرت من كتبه

في حياته وجد في بعض صفحاتها ارقاماً عديدة مختلطة اختلاطاً لم يظهر الغرض منه . فلما وقفت مسز غالوب على تلك الارقام قام في نفسها ان تستعمل الارقام السرية التي وضعها باكون في قراءة هذه الارقام المختلطة في كتبه الاولى . فجربت ذلك وعند اول تجربة صاحت كما صاح ارخميدس " وجدتها وجدتها "

ذلك ان مسز غالوب تقول انها استخرجت بواسطة مفتاح الارقام السرية من تلك الارقام المختلطة العبارة التالية

« ان امي الحقيقية هي الملكة اليصابات وانا وارث العرش الحقيقي . تعقب تاريخي »
« السري المنشور بالارقام في كتبي تجد فيه اسراراً عظيمة لو بحث باحدها لباتت »
« حياتي في خطر . التوقيع فرنسيس باكون »

فلما ظفرت مسز غالوب بهذا التفسير الغريب استانفت القراءة بالمفتاح السري الذي وجدته فاستخرجت من ارقام اخرى في مكان آخر العبارة التالية

« ان فرنسيس دي فرولام هو الذي الف كل الروايات التي نُشرت الى الآن باسماء »
« مارلو وغرين و بيل وشكسبير »

ولما نشرت مسز غالوب هذا الاكتشاف قامت له الجرائد الانكليزية وقعدت وانبرى الشكسبيريون يوسعون الباكونيين طعناً وتقريعاً حتى غصت الجرائد في هذا الشهر بمناظرات الفريقين . ولكن الطعن والتقريع لا يقومان مقام الدليل والبرهان ولذلك راى احد مراسلي جريدة التمس امتحان اقوال مسز غالوب فاخذ الصفحات التي زعمت هذه السيدة انها اكتشفت فيها تلك الاقوال وصار يبحث في ارقامها بواسطة المفتاح السري الذي ذكرته و يضيق المقام عن بيانه . ولا يخفى ان ذلك عمل شاق لما فيه من جمع الارقام المختلفة الشكل فضلاً عما يستغرقه من الوقت . ولما فرغ هذا المراسل من عمله ظهر له انه ينقص الفقرة الاولى التي ذُكر فيها باكون ابناً لاليصابات مائة حرف ايطالي لتكون كلماتها منطبقة كل الانطباق على الكلمات التي ذكرتها مسز غالوب و ينقص الفقرة التالية التي ذُكر فيها ان باكون مؤلف روايات شكسبير ١١٩ حرفاً ايطالياً ليكون المعنى تاماً كما ذكرته هذه السيدة

فاستنتج كل واحد من الفريقين من هذا الامتحان نتيجة تؤيد رايه . فالشكسبيريون قالوا ان هذا الاكتشاف باطل لنقص الحروف والباكونيون قالوا ان هذا الاكتشاف صحيح لان باكون لم يكن يُطلب منه ان يذكر سره كاملاً فاذا ترك بعض حروف ناقصة فانما ذلك من خوفه ان يكتشف احدٌ هذا السر في حياته

وتاييداً لهذا الزعم يقول الباكونيون ان باكون كان ابناً للملكة اليصابات من اللورد لسستر . فان هذا اللورد سُجن في برج لندن وكان يحب الملكة اليصابات فزارته زيارة سرية في سجنه وبعد تسعة شهور وضعت غلاماً والقته الى المحامي نقولا باكون الذي تقدمت الاشارة اليه بعد ان شملته بالنعم فتبناه نقولا باكون وسماه باسمه . ولما شبّ هذا الغلام ظهر انه نابغة عصره فدارته الملكة في بدء الامر وسهرت عليه ولكنه لما درى بانه ابنها انقلبت عليه وصارت تروم التخلص منه لان وراء امره اموراً سرية اخرى نضرب صفحاً عن ذكرها . فكبر هذا الامر على فرنسيس باكون واخذ يكتب روايات يلمح فيها بحوادث حياته وحوادث البلاط ويدفعها الى ممثلي عصره كشكسبير وغيره . وكان قد ورث عظمة النفس من امه وابيه فطلب العلى من طريق العلم والفلسفة فنبغ فيهما وكتب كل الكتب المنسوبة اليه والى رجال النهضة الادبية الانكليزية في ذلك العصر كشكسبير وماربو وبيل وغرين . فبناءً عليه يكون فرنسيس باكون ملكاً وابن ملك من حيث النسب ومن حيث العقل والوارث الحقيقي للعرش الانكليزي . فليحذر جلالة الملك ادوار على عرشه من ورثة باكون وليطأطئ الفلاسفة والعلماء والادباء رؤوسهم امام ملك العلم والادب والشعر والفلسفة الذي اجتمع فيه هوميروس وافلاطون واليصابات وغرين وشكسبير

هذا ما يزعمه الباكونيون . ولا ريب ان باكون جدير بهذا الشرف العظيم ولكنهم لم يثبتوه له بحجة قاطعة لا تقبل الرد . بقي لتمام هذا البحث ان نقول ان كثيرين من اعاظم الانكليز وفي جملتهم بيرون وبالمرستن وبيكنسفيلد وبريت وكلريدج وايمرسن يعتقدون بان الروايات المنسوبة لشكسبير ليست من قلمه استناداً الى ان شكسبير كان اجهل من ان يوءلف مثلها . ولا تزال الحقيقة ضائعة بين الفريقين



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

السيد المسيح في الاسبوع الاخير · مبارك الآتي باسم الرب

وفي الواقع ان السيد المسيح رام العودة الى اورشليم قبل عيد الفصح · ولكنه عاد اليها مع تلامذته بنفس مضطربة لما كان يتوقع حدوثه فيها · وكان يُحدث تلامذته في الطريق عن نفسه بحزن ويقول لهم انه قد بلغ النهاية فساء التلامذة هذا الامر لانهم كانوا يتوقعون تحقق الملكوت الذي كانوا في انتظاره · اما السيد فانه كان يرى انه مستقبل الموت ولكنه كان يعتقد بان موته يخلص العالم ويحقق ذلك الملكوت · فكانه كان شيء من سوء الفهم بين السيد وبين تلامذته

وكانت العادة ان الذين يرومون الحجّ الى اورشليم يفدون عليها قبل عيد الفصح ببضعة ايام ليستعدوا للعيد · فلما اقترب الفصح ولم يأتِ السيد خشي الكهنة من ان يكون قد عدل عن القدوم فيفوتهم القبض عليه · ولكن لم يلبث ان سكن خاطرهم اذ دروا انه قد قرب من اورشليم او كان قد وصل الى بيت عنيا في ٢٨ مارس اي قبل عيد الفصح عند اليهود بستة ايام · وكان نزوله في بيت عنيا في بيت مرتا ومريم او بيت سمعان الابرص وقد احتفل بعودته احتفالاً عظيماً · وفي هذه الزيارة اقيمت للسيد مادبة في بيت سمعان الابرص ورغبة في زيادة اكرامه دخلت مريم في اثناء المادبة وفي يدها قارورة طيب ثمين فسكبت الطيب على قدمي السيد ثم كسرت القارورة جرياً على عادة شرقية قديمة توجب كسر الاناء الذي يستعمله ضيف كريم · ثم انها مبالغة في اظهار حبها واحترامها

للسيد اتت امرًا لم يسبق له مثيل قبل ذلك وهو انها جثت على الارض امامه ومسحت بشعرها الطيب الذي كان على قدميه . فانتشرت عند ذلك في المكان رائحة الطيب الذكية فانشرحت لها صدور الحاضرين الا صدر يهوذا الخر يوطي . وذلك ان هذا التلميذ كان امينًا لصندوق الطائفة المسيحية الاولى وكان مشهورًا بالبخل والاقتصاد . فلما راى ذلك الطيب الثمين ضائعًا لم يتمالك ان يعنف مريم على هذا الاسراف بقوله انه كان يجب ان يُباع ويُعطى للفقراء اي ان يدخل في صندوق الجمعية . فلما سمع السيد هذه الملاحظة قال « ان الفقراء معكم في كل حين واما انا فلست معكم في كل حين » ثم وعد تلك المراة بخلود الاسم الى الابد

وفي اليوم التالي نزل السيد من بيت عنيا الى اورشليم . ولما صار في منعطف الطريق على قمة جبل الزيتون وراى اورشليم منبسطة تحت عينيه بكى عليها وخاطبها . ثم وصل الى حي بيت فاجي القائم تحت سفح الجبل قرب اورشليم . وكان هذا الحي من احياء المدينة المقدسه وفيه يقيم اكثر الكهنة . فاستقبله عند هذا الحي كل الجليليين الذين اتوا يحجون الى اورشليم وجاءوه باتان يتبعها جحش واركبوه عليها . ثم انهم فرشوا الطريق بملابسهم وباغصان الاشجار وحملوا سعوف النخل ودخلوا بالسيد الى المدينة يهتفون « اوصنا لابن داود . مبارك الآتي باسم الله » ولم يكتفِ بعضهم بذلك بل سماه ملك اليهود . فلما سمع الفريسيون ذلك قالوا له « يا ربي اي يا معلم مرهم ان يسكتوا » فاجابهم السيد اذا سكتوا فان الحجارة تهتف بدلاً منهم

وحين دخول السيد سال بعض الجموع من هذا فاجابوهم « انه يسوع نبي الناصرة في الجليل » . وكان عدد سكان اورشليم في ذلك الزمان ٥٠ الف نفس . والعادة ان حادثة كهذه الحادثة لا تترك بعدها اثرًا وقتًا طويلاً ولكن اورشليم لم تكن لسكانها في ايام الاعياد بل كانت للغرباء القادمين اليها . ولذلك ازدحم هولاء الغرباء وتحمسوا يرومون مشاهدة يسوع . وبعض من المتكلمين باللغة اليونانية لم يكتفوا بالمشاهدة بل خاطبوا التلامذة وطلبوا مقابلته . ولا يدري احد بما تم بعد هذا الطلب

اما السيد فانه عاد في ذلك المساء الى قريته العزيزة « بيت عنيا » فبات ليله فيها . وفي الايام الثلاثة التالية اي الاثنين والثلثاء والاربعاء كان ينزل الى اورشليم في النهار وفي الليل يبيت في بيت عنيا او في احدى المزارع القائمة في غربي جبل الزيتون حيث كان له اعزاء كثيرون

وكان الفريسيون والكهنة قد ابتهجوا بعودته الى المدينة . اما يسوع فانه كان سكوتًا

مضطرباً · وقد اجمعت على ذلك الاناجيل الاربعة · وكان يقول احياناً « نفسي حزينة حتى الموت · خلصني يا ابتاه من هذه الساعة » واحياناً يصعد الى الجبل مع بعض تلامذته و يصلي فيه ووجهه لاصق بالثرى · فكل ما نقوله في هذا الامر هو ان العمل العظيم الذي اقدم السيد عليه ظهر له حينئذٍ بمظهر جديد وانتبهت فيه الطبيعة البشرية · فان من اوقف نفسه لفكر عظيم و بذل في سبيل هذا الفكر كل رخيص وغال حتى راحته وفواه وكل ما تملكه يداه لجدير بان يعود الى نفسه عند ظهور خيبة ذلك الفكر له ويتامل في مصيره · ولكن قوة السيد الالهية لم تلبث ان تغلبت على الطبيعة البشرية ودفعته الى الامام دون مبالاة بموت · ومنذ هذا الحين دخل السيد في دور جديد وصارت صورته عبارة عن صورة كاملة فيها تعزية وقوة لجميع النفوس الحزينة المعذبة في هذه الحياة · اما التلامذة فانهم كانوا لا يعلمون شيئاً مما قام في نفس سيدهم

واذا كانت عودة السيد الى اورشليم قد سرت الفريسيين واكابر اليهود فقد ساءهم ذلك الاحتفال العظيم الذي اقيم له حين دخوله الى المدينة · ولذلك انعقد مجلس رؤساء الكهنة في يوم الاربعاء عند يوسف قيافا وتقرر فيه القبض على السيد في الحال · و بما ان عيد الفصح كان واقعاً في يوم الجمعة والناس يزدحمون فيه ازدحاماً شديداً فقد قرروا القبض عليه قبل العيد لئلا يحدث شغب في الشعب لان السيد كان محبوباً اليه · فعينوا يوم الخميس لذلك · وفضلاً عن ذلك فانهم قرروا ايضاً القبض عليه وهو في احدى خلواته لا في داخل الهيكل فراراً من الشغب ايضاً · ولذلك ذهب بعض من الكهنة ليجسوا تلامذته و يستعلموا منهم ما يريدون علمه فوجدوا ضالتهم لدى يهوذا الخريوطي · فان هذا التلميذ التعيس خان سيده لاسباب لا تزال مجهولة · وكان هذا الرجل محسوباً تلميذاً حتى ذلك الوقت وله الحق بلقب « رسول » وكان يصنع عجائب و يطرد شياطين · وكان اميناً لصندوق الطائفة المسيحية الاولى · فاذا سلَّم سيده وسيدها انفرط عقدها وخسر وظيفته ومكانته · فما الفائدة التي كانت له من هذا التسليم · امبلغ تافه من المال كثلاثين فضة · ذلك امر غير معقول والراجح انه كان بينه و بين التلامذة منافسات بسبب حبه للاقتصاد وتوفير المال للطائفة · و ربما كان في الملاحظة التي لاحظها السيد في بيت عنيا على يهوذا عن الطيب الذي سُكب على قدميه ما اسخط هذا الرجل وابعد قلبه عن سيده · ولكن هذا الرجل لا يستحق كل اللعنات الهائلة التي صُبت على راسه من جراء هذا التسليم لان قلبه لم يبتعد عن سيده الا ابتعاداً وقتياً بدليل انه بعد ارتكابه الجرم ذهب وشنق نفسه · فرجل فاسد

السيرة والسريرة فساداً حقيقياً لا يندم هذا الندم على جرمه . وانما كان جرمه نتيجة فساد ساعة طرأ على نفسه ثم عاد ضميرها اليها

والآن قد وصلنا الى الساعة الهائلة التي كل دقيقة منها تُحسب بمثابة قرن في تاريخ الانسانية . وصلنا الى يوم الخميس ٢ ابريل وهو موعد القبض على السيد . وكان بدء عيد الفصح واقعاً في اليوم التالي وفيه يأكل اليهود حَمل الفصح . ثم يستمر العيد ستة ايام يؤكل فيها الخبز المقدس . فتكون مدة العيد عندهم سبعة ايام واعظمها الاول والاخير اذ يقام فيهما احتفالات كبيرة ولذلك اخذ التلامذة يستعدون لليوم الاول من الفصح

اما يسوع فانه علم بخيانة يهوذا ووعده الفريسيين ان يسلمه اليهم . وفي ذلك المساء جلس السيد والتلامذة الى الطعام الاعتيادي لان الفصح لا يؤكل الا في اليوم التالي . وكان السيد في هذه الجلسة هادئاً لطيفاً ولاسيما مع يوحنا و بطرس انما كان في نفسه شيء من خيانة يهوذا . وكان يوحنا ممدداً على « الديوان » وراسه مسنود الى ركبة السيد . وفي نهاية الطعام ثقلت خيانة يهوذا في نفس السيد فقال « الحق اقول لكم ان احدكم سيخونني » فدهش التلامذة وبهتوا واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . وربما كان قصد السيد من ذلك ان يرى ماذا يكون لذلك الكلام من التاثير على وجه يهوذا . اما بطرس فان نفسه المستقيمة الكريمة اصبحت عند ذلك في عذاب شديد فاشار الى يوحنا الذي كان قريباً من السيد ان يساله عن معنى هذا الكلام . فساله يوحنا همساً فلم يصرح له السيد باسم احد من التلامذة لان خيانة يهوذا لم تكن قد ثبتت بعد وانما قال له ان الخائن هو الذي سيقدم له لقمة مغموسة بالمرق . وكانت العادة في الشرق ان رئيس المائدة اذا رام اكرام احد من الجالسين معه تناول شيئاً من الطعام وجعله لقمة ثم قدمه اليه . ففعل السيد ذلك وقدم اللقمة الى يهوذا فلم يدرِ بهذا السر غير بطرس و يوحنا . وبعد ذلك وبخ السيد يهوذا توبيخاً لم يفهم التلامذة معناه وخرج (١)

وفي هذه الجلسة غسل السيد ارجل تلامذته وقال لهم « انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لاني انا كذلك . ولكن ان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم

(١) « فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي . ثم قال له يسوع « ما انت تعمله فاعمله باكثر سرعة» فظن السامعون ان يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء » يوحنا ص ١٣ ع ٢٦

يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لانني اعطيتكم مثالاً » وفيها ايضاً قال لهم «وصية جديدة انا اعطيكم وهي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا . بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي » وهما وصيتان ساميتان لو عمل بهما البشر لزال كل شقاء وشر في العالم

و بناءً على ذلك ترك هذا المساء في نفوس التلامذة اثراً شديداً للمبادىء السامية التي نشرها السيد فيها عليهم . ولما حدثهم عن قرب تسليمه الى القضاة والكتبة والفريسيين قال تلامذته انهم سيتبعونه فقال لهم بل انكم تتفرقون . فقال له بطرس بل اتبعك واضع نفسي مكانك فاجابه السيد انك تنكرني قبل صياح الديك . فحلف انه يتبعه ولا ينكره وحلف جميع التلامذة معه

القبض على السيد ومحاكمته

ولما خرج يسوع والتلامذة من مكان العشاء كان الليل قد ارخى ستائره فعبر يسوع وادي سدرون حسب العادة وذهب مع تلامذته الى بستان الجثمانية في سفح جبل الزيتون . ولما وصلوا الى البستان جلس يسوع يصلي ونام تلامذته بجانبه . و بينما هم في هذه الحال واذا بشرذمة من الجند قادمة على نور المشاعل . وكان هذا الجند من الجند اليهودي الذي يحرس الهيكل وسلاحه العصي وقد ترك الرومانيون لليهود امر استخدامه في اماكن العبادة . ولكن كان معهم ايضاً شرذمة اخرى من الجند الروماني المسلح بالسيوف . وكان في يدهم امر من رئيس الكهنة والمجمع بالقبض على يسوع . وكان يهوذا في صحبتهم وقد جاء يدلهم على المكان الذي يقيم فيه السيد في الليل . وقد بلغت منه الفظاعة والجنون انه جعل تقبيله يد السيد علامة بينه و بينهم ليعرفوه . ومما لا ريب فيه انه لما وصل الجنود حدث شيء من المقاومة بينهم و بين التلامذة و روى الانجيلي يوحنا ان بطرس استل سيفاً وضرب به احد خدام رئيس الكهنة فقطع اذنه . اما يسوع فانه ابطل هذه المقاومة في الحال وسلم نفسه الى الجند . فعاد الجند به واما التلامذة فانهم تفرقوا خوفاً من سلطة اليهود ولم يتبعه منهم احد سوى بطرس و يوحنا فانهما تبعاه من بعيد . وتبعه تلميذ آخر قال عنه مرقس هذه العبارة « وتبعه شاب لابساً ازاراً على عريه فامسكه الشبان فترك الازار وهرب منهم عريان » ولعل هذا التلميذ هو مرقس نفسه

اما التهمة التي وُجهت الى السيد وصدر الامر بمحاكمته من اجلها فهي تهمة « تضليل الشعب » وافساد عقيدته ومخالفة الديانة اليهودية . وكان الرؤساء اذا راموا محاكمة المتهم بتضليل

الشعب ومقاومة الشريعة اليهودية صنعوا في التحقيق صنعاً غريباً . فانهم يانون بشاهدين ويخفونهما في مكان ثم يجيئون بالمتهم ويوقدون امامه شمعتين ليراه الشاهدان من مكمنهما فلا يبقى لديهما شبهة فيه . ثم يسالونه عما اتهم به فيجيب ويجهر بما في نفسه والشاهدان يسمعان . فيطلب منه الروساء حينئذ تغيير معتقده واذا اصرّ عليه اخذه الشاهدان الى المحكمة فتحكم برجمه بالحجارة . وقد جاء في التلمود ان روسَاء اليهود فعلوا هذه الفعلة ايضاً بالسيد المسيح وان الحكم الذي حُكم عليه لم يصدر الا بناء على شهادة شاهدين خفيين . غير ان الشريعة اليهودية لا تُجيز هذا الكمين الشنيع للمتهم الا في تهمة التضليل ومقاومة الشريعة دون سواها

ولما القي القبض على يسوع ذهب به الجند اولاً الى حنان الذي كان صاحب الكلمة العليا بين روسَاء اليهود كما تقدم لان قيافا الرئيس الحقيقي كان صهراً له . فسال حنان السيد عن تعاليمه وتعاليم تلامذته فقضت حينئذ عظمة النفس على السيد بترك الدفاع عن نفسه وانما ردّ حنان الى الذين سمعوا وعظه في الاجتماعات العمومية . فلما سمع احد الحاضرين هذا الجواب اعتبره اهانة لحنان فلطم السيد بيده على خده

وقد ذكرنا آنفاً ان بطرس و يوحنا كانا يتبعان السيد من بعيد . اما يوحنا فقد كان معروفاً في بيت حنان ولذلك استطاع الدخول اليه . واما بطرس فان حارسة الباب رامت منعه من الدخول فجاء يوحنا وسالها ان تاذن له بالدخول فاذنت . وكان البرد شديداً في ذلك الليل فذهب بطرس الى نار موقدة واخذ يصطلي على حرارتها في جملة المصطلين . ولما اخذ يتكلم عرف السامعون من لهجته انه جليلي اي من بلاد الجليل ومن تلامذة السيد فسالوه وانت ايضاً من تلامذته . فانكر بطرس ذلك ثلاث مرات وقال انه لا يعرف السيد ولا علاقة له به . ومما سهل له هذا الانكار ان يسوع لم يكن يسمعه . ولكن طبيعته الكريمة جعلته بعد حين يحس بالغلطة الكبيرة التي ارتكبها . فان الديك صاح في ذلك الحين فاذكر صياحه بطرس كلام يسوع . فثارت لذلك نفس بطرس واضطربت فخرج من المنزل وبكى بكاءً مراً

وبعد دخول السيد منزل حنان ارسله حنان الى صهره قيافا رئيس الكهنة . وقد تقدم ان قيافا كان آلة صماء في يد حنان . وكان المجمع معقوداً في دار قيافا . فلما جيء بالسيد تقدم عدة شهود من شهود الخفية الذين تقدم ذكرهم وشهدوا بان يسوع قال « انه يهدم الهيكل و يبنيه في ثلاثة ايام » وكان التجديف على الهيكل في الشريعة اليهودية بمثابة التجديف على الله . فساله قيافا رئيس الكهنة اذا كان قد قال ذلك القول . فلزم السيد

السكوت بعظمة وانفة . ذلك انه كان عالماً بان الروساء قد قرروا الحكم عليه كيفما كانت الحال فلا يجدي الدفاع نفعاً . وكثيرًا ما يكون السكوت في مثل هذا المقام ابلغ واسمى من الكلام

فلما سمع المجمع الشهود حكم باجماع الاصوات بثبوت ما اتهم به السيد من رغبته في ابطال الدين اليهودي والشريعة اليهودية . ومتى ثبتت هذه التهمة فجزاء صاحبها الاعدام لامحالة . وكان في رؤساء المجمع بضعة يميلون الى السيد فبعضهم غاب ولم يحضر الجلسة وبعضهم لم يعطِ صوتاً . وقد اصدر ذلك المجمع حكمه بطياشة وخفة لان الدماء كانت رخيصة في ذلك الزمان . ولم يكن المجمع عالمًا بانه سيقدم حساباً عن ذلك الحكم الهائل للاجيال المستقبلة

ومتى اصدر المجمع حكماً كان تنفيذه منوطاً بالسطة الرومانية . ومع ذلك فقد حسب الناس السيد منذ تلك الساعة محكوماً عليه لاختلاط السلطات في اورشليم في ذلك العهد . ولذلك بقي تلك الليلة هدفاً لاعتداء جماعة من الاوباش اللئام الذين كانوا يبصقون في وجهه ويضربونه

وفي الصباح اجتمع روءساء الكهنة ثانية وتشاوروا في رفع قرار المجمع الى بنطس بيلاطس حاكم اورشليم من قبل الرومانيين لانفاذه في السيد . وكان شان اليهود مع الرومانيين في ذلك الزمن شان عرب الجزائر مع فرنسا اليوم او شان المدن الهندية المقدسة مع الاحتلال الانكليزي اوشان دمشق الشام اذا احتلت سوريا احدى الدول الاوربيـة . ومقتضى ذلك ان الرومانيين كانوا يحترمون ديانة اليهود ويجارونهم في جميع احكامهم اتقاء للفتن الدينية . وقد زعم يوسيفوس انه اذا تخطى احد من الرومانيين في الهيكل المكان المحرم على الوثنيين ان يتخطوه اخذه الرومانيون انفسهم واسلموه الى اليهود لقتله . ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة

فبناءً على ما تقدم امر الكهنة بشد وثاق السيد وساقوه الى دار الحكومة التي هي قصر هيرودوس الكبير . وكان اليوم يوم جمعة (٣ ابريل) وفي مسائه ياكل اليهود طعام الفصح . فاذا دخل اليهود في هذا اليوم الى دار الحكومة تنجسوا من مخالطة الوثنيين (اي الرومانيين) وحُرم عليهم اكل طعام الفصح في ذلك المساء . ولذلك لم يدخل اليهود حينئذ الى دار الحكومة بل اقاموا خارجاً . فلما سمع بيلاطس الحاكم الروماني بقدومهم صعد الى « البيما » وهي كلمة يونانية دخلت الى السريانية الكلدانية ومعناها « محكمة في الخلاء » . وكانت

قائمة في المكان المدعو «جباثا» اي البلاط لان الارض كانت مبلطة فيه . ولما استخبر بيلاطس الخبر وعلم بالتهمة والحكم استاء من ادخالهم اياه في مسالة كهذه المسالة . ثم دعا يسوع وخلا به في دار الحكومة . وهناك جرى بينهما حديث لم تُعرف بعد ذلك حقيقته لان يسوع لم يُحدث قبل صلبه تلامذته منذ هذه الساعة

ولم يكن بنطس بيلاطس (١) قد شاهد قبل ذلك احدًا من الطائفة المسيحية . ذلك لان هذا الوالي كان مبغضاً لليهود ولم يكن يهتم باضطراباتهم ومنازعاتهم الداخلية . وكان اليهود يبغضونه كما يبغضهم لانهم كانوا يرونه قاسياً شرساً محتقرًا لهم ولذلك اتهموه تهماً شنعاء كما روى فيلون . وكانوا يعتقدون ان ذلك الحاكم اليوناني ينوي ابطال الشريعة اليهودية وانه يعمل لذلك سرًا . اما بيلاطس فانه كان يستاء اشد استياء من التعصب والبغض والاضطهاد وغيرها من النقائص التي كان يلجأ اليهود اليها لان نفسه الرومانية التي الفت الحكومة المدنية كانت مشربة حب العدل كنفوس اصغر الرومانيين واكبرهم . واول قدومه الى اورشليم كان كلما رام ادخال اصلاح في ولايته من انشاء الطرق واقامة المباني كان يلقى الشريعة اليهودية في وجهه تقاومه وتمنعه كسد لا يجتازه احد مهما كانت تلك الاعمال نافعة ضرورية . ذلك ان هذه الشريعة كانت تضغط على حياة الامة ضغطاً يحول دون اقل تحسين او تغيير . وكان احداث الامور النافعة معتبرًا فيها بمثابة ادخال بدع جديدة

وكان لبيلاطس منزل في جوار الهيكل ففي ذات يوم خطر له ان يضع فوق باب منزله شعارًا يدل على ان المنزل منزل والي المدينة . فلما وضع هذا الشعار (وكان شبيهاً بالالواح المكتوبة التي توضع اليوم على منازل القناصل والادارات الكبرى) هاج اليهود وماجوا كما روى فيلون . فاصرَّ بيلاطس على وضع الشعار فثار اليهود عليه لاجباره بانزاله ثم نشأت عن ذلك فتن جرت فيها الدماء . فهذه الحادثة وامثالها جعلت بيلاطس كثير التأني في معاملة ذلك الشعب الغريب . وكان يسوءه ان يكون آلة لانفاذ تلك القسوة الشنيعة من اجل شريعة يكرهها كما روى يوسيفوس . ذلك لعلمه ان التعصب الديني اذا

---

(١) بيلاطس كلمة لاتينية ماخوذة من « بيلوم » ومعناها « قوس الشرف » وهي وسام رفيع عند الرومانيين . وقد سمي بنطس « بيلاطس » نسبة الى هذه القوس التي نالها من الرومانيين هو او احد اجداده

جعل الحكومات الدينية تعمل اعمالاً جائرة فانه يعود و يلقي تبعة تلك الاعمال عليها وحدها. وهو ظلم فاضح لان الجاني الحقيقي انما هو الذي اغرى بها وحرض عليها

و بناءً على ذلك فان بيلاطس رغب في انقاذ يسوع . ولا ريب ان هدوء السيد وثبات جاشه ولطف منظره قد اثرت في نفس الحاكم الروماني . وفضلاً عن ذلك فان زوجة بيلاطس كانت على ما يظهر قد اطلت في ذات يوم من شباك قصرها المشرف على ساحة الهيكل ولمحت منه السيد فراقها هدوءه ولطفه وطهارته ولما سمعت بان اليهود سيقتلونه ثقل على نفسها هذا الامر الفظيع فجاءها في الحلم ان تكلم زوجها في شانه . ومهما يكن من هذا الامر فان الشيء الذي لا ريب فيه هو ان بيلاطس كان ذا ميل الى السيد حين دخوله عليه

وكان كهنة اليهود قد حكموا على السيد بالاعدام لانه قاوم تقاليدهم فلما دفعوه الى السلطة الرومانية لم يكتفوا بذكرهم مقاومته للدين اليهودي بل زادوا على ذلك انه سمى نفسه ملك اليهود . ومعلوم ان السيد لم يتلقب بذلك قط وانه كان يعترف بالسلطة الرومانية كما تقدم ويوجب دفع الجزية اليها . ولكن الاحزاب الاكليريكية التي تروم حفظ كيانها لا تُحجم عن الكذب والافتراء والنميمة لانفاذ اغراضها . ولذلك دفع كهنة اليهود السيد الى بيلاطس وهم يفترون عليه انه يزعم انه ملك اليهود ويحرم دفع الجزية الى قيصر . وقد روى الانجيلي يوحنا ان بيلاطس سال السيد : اصحيح ما يقوله الكهنة . اما السيد فانه وجد جواباً جامعاً . فانه اجاب انه ملك ولكن مملكته ليست من هذا العالم وان مقتضى ملكه الحصول على الحق والنداء به . اما بيلاطس فانه لم يفهم شيئاً كثيراً من هذا الكلام لان الرومانيين في ذلك العصر كانوا لا يهتمون بالمسائل الفلسفية والدينية وكانوا يرون الانتصار للحقيقة وتكريس النفس لها امراً خيالياً لا شان له . فكان البحث في مثل هذه الامور يلقي الضجر والملل في نفوسهم . وكانوا يومئذٍ لا يرون ما هو مخبوء في الخميرة المسيحية من الخطر للامبراطورية الرومانية ولذلك لم يرَ بيلاطس ضرراً في انقاذ السيد . وقد بقي الرومانيون حتى خراب اورشليم يعاملون اليهود هذه المعاملة اي عدم المداخلة في اضطراباتهم الداخلية

فخطر لبيلاطس خاطر ظن به حلاً لهذه المشكلة . فقد جرت عادة الرومانيين في اورشليم ان يطلقوا للشعب في كل فصح سجيناً اكراماً للعيد . وبما ان بيلاطس كان عالماً بان يسوع لم يُقبض عليه الا لحسد الكهنة له حسب انه يُرضي الشعب باطلاقه لهم في ذلك

العيد . فخرج بيلاطس من دار الحكومة الى البيما اي المحكمة في الخلاء واقترح على الشعب ان يطلق لهم في ذلك العيد « ملك اليهود » . وقد دعاه بيلاطس ملك اليهود ليظهر للشعب انه غير مهتم له . اما الكهنة فلما سمعوا ذلك خافوا عاقبة هذا الاقتراح فاندفعوا يغرون الشعب ويحرضونه على طلب برابا بدلاً من «ملك اليهود». وكان برابا رجلاً مشهوراً عند الشعب وقد قبض عليه الرومانيون وسجنوه لاشتراكه في فتنة حدثت في المدينة مقرونة بسفك دماء . فلما سمع الشعب اقتراح بيلاطس وكان قد اثر فيه اغراء الكهنة صاح « لا نريد هذا ولكننا نريد برابا » فاضطر بيلاطس في ذلك اليوم ان يطلق برابا

ولكن المشكلة ازدادت بذلك تعقداً في عينيه . وخشي اذا بالغ في الرفق بالسيد ان يُتهم بمجاملة رجل يزعم نفسه ملك اليهود وهذا مما يلقي عليه في رومة شبهة سياسية عظيمة. ولا عجب ان يجول هذا الامر في فكر بيلاطس فان كل سلطة في العالم مضطرة الى مسالمة التعصب والمتعصبين . ولذلك ظن هذا الوالي انه يلزمه ان يصنع شيئاً . وبما انه كان يكره سفك الدماء ارضاء لاناس يكرهم فقد خطر له ان يجعل للمسالة شكلاً مضحكاً لعل ذلك يصرف حقد الحاقدين وغضبهم . فجاء بالسيد وامر بجلده . وكان الجلد في العادة مقدمة للصلب . وربما كان قد خطر لبيلاطس ان يوهم الكهنة بانه عزم على صلب السيد ارضاء لهم ثم يكتفي بالجلد دون الصلب حين رضائهم

وحينئذٍ حدث حادث فظيع تتفطر له المرائر وتدمي القلوب . فان بعضاً من الجنود جاءوا بثوب قرمزي فجعلوه على هامة السيد ثم وضعوا على راسه اكليلاً من شوك وجعلوا في يده قصبة واخذوه بعد ذلك الى منبر عالٍ منصوب امام الشعب . ثم صار الجنود يمرون امامه فيجثون لدى المنبر على سبيل التهكم ويلطمون السيد على خديه ويبصقون في وجهه ويضربونه بالقصبة وهم يقولون متهكمين « السلام يا ملك اليهود » وانه من الصعب ان يصدق الانسان ان الجنود الرومانية المشهورة بالرزانة وسكون الجاش تاتي عملاً سافلاً فظيعاً كهذا . ولكنه ثبت ان الجنود التي كانت لدى بيلاطس لم تكن الا من الجنود الاضافيه المساعدة التي يستعملها الرومانيون لحاجاتهم . ولو كانت تلك الجنود من افراد الرومانيين الحقيقيين لما نزلوا الى هذه الدرجة من الدناءة والسفالة

وقد ذكرنا ان بيلاطس امر بان يُفعل هذا الفعل في السيد اخماداً لحقد اليهود ورغبة في حل تلك المشكلة حلاً هزلياً بدلاً من حلها حلاً دموياً . ولكنه يظهر ان هذا لم يُرضهم قطعياً. فان دعاة الفتنة ازدادوا زئيراً ونعيراً وصاروا يصرخون « فليصلب

فليصلب » . وازداد الكهنة ايضاً شدة في طلب ذبح الحمَل الوديع فوجد بيلاطس انه لا يستطيع انقاذ السيد الا اذا جرد جنده وقمع به فتنة تلك الغوغاء . ومع ذلك فانه حاول تاجيل الامر لعل في الاطالة افادة . فدخل ثانية الى دار الولاية وسأل عن السيد من اي بلد هو ليحتج بذلك و يرسله الى والي بلده . وقد روي انه لما علم انه من الجليل ارسله الى انتيباس والي تلك البلاد وكان يومئذ في اورشليم وقد جاء للحج . اما السيد فانه لم يساعد بيلاطس في سعيه في انقاذه بل كان ملتزماً الرصانة والسكوت التزاماً ادهش بيلاطس . وفي اثناء ذلك اشتد صخب الشعب في الخارج وكثر صراخ الصارخين ضد اهمال بيلاطس . واخذ دعاة الفتنة يتهمون هذا الوالي الروماني بحماية عدو قيصر . و بذلك جعل اولئك اليهود انفسهم من اكثر الناس دعوة الى طاعة القيصر طباريوس مع انهم كانوا من الد اعداء حكمه . وكانوا يقولون « ليس لنا ملك الا قيصر وكل من يزعم انه ملك فهو ضد قيصر . فاذا كان الوالي يطلق هذا الرجل فهو لا يحب قيصر » فلم يستطع حينئذ بيلاطس الضعيف الراي ان يثبت على رايه بعد هذا الكلام . لانه علم منذ تلك الساعة ان اعداءه يغتنمون هذه الفرصة و يرسلون الى رومة تقارير سياسية ضده مآلها انه يدافع عن اعداء الامبراطور . وقد اختبر بيلاطس اليهود في مسالة الشعار التي تقدم ذكرها فوجد انهم خاطبوا رومه في شانها وتغلبوا عليه فيها . وكان هذا الوالي حريصاً على منصبه فلم يرَ بدًّا من الاذعان لليهود . ولكنه يقال انه القى عليهم تبعة ذلك الحادث حين تسليمه فاجابوه « فليقع دمه علينا وعلى اولادنا »

ومما لا ريب فيه ان ذلك الوالي الروماني لم يكن قادرًا على ان يصنع شيئًا غير ما صنعه لان الرومانيين كانوا قد اتخذوا مسالمة اليهود خطة لهم اتقاء للفتن والثورات وما دروا ان هذه المسالمة ستكون باعثاً في تجريئهم عليهم وقيامهم الى الفتن والثورات . ولاعجب فان السلطات الدينية متى كانت لها سيادة او قوة على الحكومات المدنية فانها تدفعها الى سفك الدماء . وليس يصعب القول بان ملك اسبانيا الذي كان يُسلم الى النار مئات من رعيته بناء على اغراء الاكليروس لهو اعظم ذنبًا من بيلاطس . لان سلطة هذا الوالي كانت في اورشليم ناقصة فكان عاجزًا عن انفاذها واما ملك اسبانيا فان البلاد بلاده وكانت سلطته كاملة فيها . ولكن قد يطرأ على الحكومات ضعف يجعلها تضطهد الناس من اجل الاكليروس . واذا كان في هذه الحكومات واحدة عارية عن هذه الوصمة فلترمِ بيلاطس بحجر . وليس الجاني في حال كهذه الحال اليد التي تضرب ولكن الارادة الاكليريكية التي تختبئ

وراءها . وليس لاحد ان يدعي انه يكره سفك الدماء اذا كان يحرض على اهراقها فليس الذي قضى بقتل السيد اذًا هو طباريوس او بيلاطس وانما هو الحزب اليهودي القديم اي الشريعة اليهودية نفسها . غير ان الافكار العصرية توجب عدم انتقال الذنوب من الابناء الى الآباء لان كل انسان لا يُسأل لدى عدالة الله والناس الا عن الاعمال التي يكون قد عملها بنفسه . فبناء عليه لا يجب ان يحمل اليوم كل الاسرائيليين تبعة ذلك العمل الفظيع . وهب ان اليهود يجب ان يحملوا اليوم هذه التبعة فمن ادرانا ان الذي نكلمه منهم لو عاش في ذلك الزمان لما دخل بين الذين كانوا يصيحون حول دار الحكومة « اصلبه اصلبه » . بل من ادرانا انه لا يكون سمعان القيرواني الذي حمل عن السيد صليبه . ولكن مع اعتبارنا هذا الامر لا يسعنا الا ان نقول ان مسئولية الشعوب تختلف عن مسئولية الافراد . واذا كان في العالم جناية تسمى « جناية امة » فهي هذه الجناية . لان السيد لم يُصلب الا بقضاء من الشريعة اليهودية نفسها . وقد قال الكهنة ذلك لوالي الرومان قولاً صريحاً . فانهم قالوا « لنا شريعة وهذه الشريعة توجب موته لانه جعل نفسه ابن الله » (يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٧) ذلك ان هذه الشريعة كانت توجب قتل كل من يحاول تغيير الدين او مقاومته وهي شريعة كريهة واثر من آثار الوحشية الماضية . ولقد قُدر على السيد الذي جاء لالغائها ان يموت بها

ولكن وا اسفاه كم من قرن ينبغي ان يمرّ قبل ان تثمر تلك الدماء الزكية الثمار التي سُفكت من اجلها . ينبغي ان يمرّ ١٨ قرناً للوصول الى شيء من النتيجة . وفي اثناء هذه القرون الطوال كم قد قُبض على الفلاسفة والعلماء باسم يسوع وعُذبوا ايضاً . حتى في هذا العصر لا يزال في بعض البلاد التي تسمي نفسها بلاداً متمدنة عقوبات للذين يخالفون التقاليد الدينية ويرتئون آراء مخالفة لآراء غيرهم . وليتهم يعلمون ان السيد ما جاء الى الارض ليعلّم الناس ان يجعلوه « مولوخاً » (١) يحبّ رائحة الدماء واللحم البشري ولكن ليعلمهم المحبة والعدل والاخاء والسلام والصفح والاعتدال . ولقد وقعت الديانة المسيحية في التعصب في بعض الازمان ولكن وقوعها فيه كان امراً طارئاً ثم زال لان التعصب والديانة المسيحية الحقيقية نقيضان لا يجتمعان . وانما التعصب ثمرة يهودية بدليل ان الشريعة اليهودية كانت اول شريعة في العالم وضعت اساس العصمة والحقيقة المطلقة

---

(١) اله الكنعانيين والفينيقيين او هو الاله بعل نفسه

وقضت بلا بحث ولا محاكمة برجم كل من يخالفها ولو ايد قوله بصنع العجائب . ولا ريب ان الشعوب الوثنية كانت على شيء كثير من التعصب ولكن تعصبها لم يبلغ حد تعصب اليهود بدليل انها لو كانت متعصبة الى ذلك الحد لما كانت اعتنقت الديانة المسيحية . فالديانة اليهودية كانت عبارة عن قواعد راسخة كالجبال لا يجب ان يزعزعها شيء او يعترض عليها بشيء وفوقها سيف لحمايتها . فلو ان الديانة المسيحية بدلاً من مطاردة اليهود و بغضها اياهم بغضاً اعمى الغت تلك القواعد والمبادىء التي ضُحي بها صاحب شريعتها لكان عملها هذا اكثر انطباقاً على اصل نشأتها وكانت اعظم فضلاً على الانسانية

صلب السيد المسيح

وقد تقدم الكلام ان كهنة اليهود لم يسلموا السيد الى بيلاطس الا بتهمة سياسية مقتضاها انه يقاوم قيصر والامبراطورية الرومانية . ولو كانوا سلموه اليه بحجة دينية لما كان ذلك الوالي الذي كان لا يؤمن بشيء يجاريهم على هواهم . ولذلك جعل الكهنة يحرضون الشعب على طلب صلب السيد لان الصلب جزاء الجرائم السياسية . اما الجرائم الدينية فقد كان جزاؤها عند اليهود الرجم بالحجارة ثم الشنق بعد الرجم في اكثر الاحيان . ولعل ذلك سبب ما جاء في التلمود من ان اليهود رجموا السيد اولاً ثم شنقوه . وهو خطأ لان السيد لم يُرجم ولكن صُلب صلباً

وقد روى تاسيت ان الجنود الرومانية كانت تقوم في ذلك الزمن مقام الجلادين في اعدام المتهمين السياسيين . فدُفع السيد اذاً الى شرذمة من الجند يقودها قائد مائة . وحينئذ بدأوا بالعمل الهائل الفظيع الذي عزموا عليه . ارتجفي ايتها الارض وارتعدي ايتها السماء فان الصالح الذي لا عيب فيه قد دُفع للصلب كاحد المجرمين

وكان الوقت منتصف النهار . وكان في السجن لصان حُكم عليهما بالصلب . فالبس السيد ثيابه التي كانت قد نُزعت عنه من قبل حين عرضه على المنبر امام الشعب ثم سيق الى مكان الاعدام مع الاثنين اللذين تقدم ذكرهما

وهكذا يُعلق الابن الصالح الذي ارسلته العناية الالهية ليخلص البشر و ينقذ الارض من الغباوة وفظاعة الوثنية — في وسط اللصوص الذين يعبثون في الارض ويُفسدون

وكان مكان الاعدام يُدعى « الجلجثة » وهو كائن في الجانب الشمالي او الشمال الغربي خارج المدينة قريباً من سورها . ومعنى « الجلجثة » « الجمجمة » وربما سمي ذلك

المكان كذلك لكونه اكمة شبيهة بجمجمة الانسان

وكان يجب على المحكوم عليه بالصلب ان يحمل بنفسه صليبه . ولكن جسد السيد كان ضعيفاً لا يقدر على ثقل الصليب . وكان محرماً على الجنود الرومانية ان تحمل صليب المحكوم عليه لان ذلك يحط من شانها . فاتفق انه مرّ حينئذ رجل يُدعى سمعان القيرواني فجعله الجنود يحمل صليب السيد . ولم يكن بجانب السيد في هذه الساعة احد من التلامذة

ولما وصلوا الى مكان الاعدام قدموا اولاً الى الثلاثة خمرًا شديدة الفعل . ذلك انهم كانوا يقدمون هذه الخمر الى جميع المحكوم عليهم قبل انفاذ الحكم وذلك كما روى التلمود لتخدير حواسهم على سبيل الرفق بهم لئلا يشعروا بعذاب شديد . وقد روى التلمود ايضاً ان سيدات اورشليم كن يبتعن هذه الخمر من مالهن ويقدمنها لهذا الغرض . واذا رام الرومانيون صلب احد ولم تقدم له واحدة من النساء خمرًا فان الخمر تُشرى حينئذ من مال الحكومة . فلما قدم الجنود الخمر الى يسوع ذاقها ثم اعاد الكاس دون ان يشربها . ولا عجب فان هذا المخدر قد جُعل للنفوس الصغيرة التي لا تقوى على احتمال العذاب . اما النفوس الكبيرة فانها تود استقبال الموت وهي ممتلكة جميع حواسها وقواها

ثم ان الجنود دنت من السيد ونزعت عنه ملابسه . وكان الصليب مؤلفاً من جذعين على شكل الحرف T . ولم يكن مرتفعاً كثيرًا لان قدمي المصلوب كانتا تمسان الارض . فاخذه الجنود ونصبوه في الارض . وكانت العادة ان يسمروا يدي المصلوب في الصليب بمسامير واما قدماه فاحياناً يسمرونهما بمسامير واحياناً يربطونهما بحبل . وكانوا ياخذون ايضاً قطعة من خشب ويسمرونها في وسط الصليب بين ساقي المصلوب لتحول دون تمزق يديه وسقوط جسمه عن الصليب . واحياناً يضعون تحت قدميه افقياً لوحاً يسند رجليه لمنع سقوطه

ولما فرغ الجنود من اعداد الصليب ادنوا السيد منه وصلبوه عليه كما تقدم . فذاق السيد كل هذه الآلام الهائلة . وكان صليبه بين صليبي اللصين . وبعد الصلب جلس الحراس بجانب الصلبان ينظرون الى المصلوبين بعد ان اقتسموا ثيابهم . ففتح السيد حينئذ فاه الكريم وهو على الصليب بعد سكوته الطويل وقال « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يصنعون »

وكانت جرت العادة عند الرومانيين ان يعلقوا كتابة على كل صليب . فعلقوا هذه

المرة على صليب السيد كتابة باللغة العبرانية واليونانية واللاتينية هذه ترجمتها« ملك اليهود» وربما حمل الجنود هذه الكتابة امام السيد في طريقهم الى الجلجثة · اما اليهود فلما درووا بهذه الكتابة رأوا فيها اهانة لهم لانهم كانوا يؤملون عودة الملك اليهم فجاء كهنتهم الى بيلاطس وقالوا له « لا تكتب ملك اليهود ولكن هو قال انه ملك اليهود » (يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٢١) وكان بيلاطس قد ضجر منهم ومن كثرة طلباتهم فلم يسمع لهم

اما التلامذة فانهم تركوا السيد ولجئوا الى الفرار كما ذكر جوستينوس · ولكن يوحنا يقول انه بقي هو نفسه مقيماً بجانب الصليب · ومما لا ريب فيه ان النساء الجليليات اللواتي تبعن السيد الى اورشليم قد تبعنه الى الجلجثة ايضاً ولم يتركنه (١) وهولاء النسوة هن العذراء امه ومريم اختها ومريم المجدلية وصالومه وغيرهن · ويقول الانجيلي يوحنا انهن كن واقفات بجانب الصليب واما الانجيليون الآخرون فيقولون انهن كن ينظرن اليه من بعيد

ولكن ما عدا هولاء النسوة الكريمات لم يكن امام السيد وهو على الصليب سوى مناظر الدناءة والهمجية البشرية · فانه كان يسمع حوله التهكم والشماتة من كل صوب · فمن قائل « ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام خلص نفسك » ومن قائل « خلص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصها · ان كنت ملك اسرائيل فانزل عن الصليب لنؤمن بك » وغيره كان يقول « قد قال انه ابن الله واتكل على الله فلينقذه الله لنرى » (متى ص ٢٧ ع ٤٠ ومرقص ص ١٥ ع ٢٩)

وكانت السماء حينئذ سوداء من الغيوم الملبدة في وجهها والارض في تلك الجهات قاحلة مجدبة · فكأن انحجاب السماء عن وجه ابن السماء اثار في الطبيعة البشرية شكاً وارتياباً فحسب انه يتعذب ويسفك دمه الذكي من اجل جنس دنيء لا يثمر ذلك الدم فيه · فالتفت حينئذ الى ابيه وقال « الهي الهي لماذا تركتني » ولكن هذا اليأس الوقتي لم يلبث ان انقشع عن نفسه وعادت اليه عواطف الواجب الذي جاء من اجله · فرأى من الخشبة

---

(١) وفي ذلك قال لويس مينار قولاً اراد به اظهار اخلاص النساء ورقة عواطفهن وشدة تاثيرهن في المجتمع البشري وهو « ان يسوع أُسلم الى الموت من احد تلامذته وأُنكر من تلميذ آخر وتُرك وهُجر من الجميع الا النساء فانه وجدهن يبكين على طريقه وهو صاعد الى الجلجثة »

التي كان عليها ان موته سيخلص العالم ويحييه وينشر الكرازة والبشارة باسمه في جميع اقطار الارض · ومنذ تلك الساعة بدأت حياته الالهية مع ابيه تلك الحياة التي مرت عليها القرون الطوال وهي في صميم قلب الانسانية

وكان من اشد عذابات الصلب ان المصلوب يعيش على الصليب ثلاثة او اربعة ايام وهو في تلك الحالة · ذلك ان الصلب غير مميت بحد ذاته لان الجروح التي تحدث في القدمين واليدين بسبب المسامير سهلة الشفاء · وانما الصلب يحدث في المصلوب خللاً شديداً في الدورة الدموية لقيام الجسم قياماً غير طبيعي وقتاً طويلاً فينشأ عن ذلك صداع شديد لا يحتمل ويعقبه الموت · وكان غرض الرومانيين من صلب المجرمين تشهيرهم وترك اجسادهم تبلى على الخشبة عبرة للناس لا قتلهم · ولذلك كان كثيرون من المصلوبين الاقوياء الاشداء ينامون وينتبهون على الصليب عدة ايام ولا يموتون الا من الجوع

ومن نواميس الصلب انه يثير في النفس ظمأ شديداً · فعطش السيد وطلب ماء · وكان هنالك اناء مملوء من شراب الجنود المألوف وهو مركب من ماء وخل ويسمي الرومانيون هذا الشراب « بوسكا » · وكان يجب على الجنود الرومانية ان تحمل من هذا الشراب في كل البعثات والحملات وفي جملة ذلك بعثة الاعدام · فقام احد هولاء الجنود وتناول قصبة فوضع على طرفها اسفنجة ثم غطسها في وعاء الخل والماء وادناها من شفتي السيد · فامتصها السيد · وبعد ذلك احنى راسه الكريم على صدره وقال « يا ابتاه · في يديك استودع روحي » واسلم الروح

فالآن قد تمّ كل شيء · قد تمّ العمل العظيم الذي ستبني عليه الانسانية · قد وضعت الديانة الابدية بعذاب لم يتجاوز بضع ساعات · وواضعها العظيم ينظر الآن من علو مجده الالهي الى هذه الكرمة التي غرسها · كرمة مبنية على الدفاع عن الحق والاستماتة في سبيله وعبادة الله عبادة حقيقية وصنع الخير والمحبة والفضيلة والايمان وحب الفقر والرحمة · وستمر القرون والاجيال والعالم تابع له ولها · اما اسمه فانه يكون الراية الكبرى التي تدور حولها رحى اعظم حرب قامت بها الانسانية · وسيكون هذا الاسم الكريم محبوباً بعد هذه الحادثة الف مرة اكثر مما كان يوم مرور صاحبه في هذه الدنيا · بل انه يكون حجر الزاوية في بناء الانسانية حتى ان من يحاول نزعه منه يزعزع الانسانية من اساسها

﴿ سبب نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ﴾

﴿ الجامعة ﴾ هذا ماراْينا تلخيصه في هذا الجزء عن الفيلسوف رنان . وسنأتي في فرصة اخرى على ما يلي ذلك من انزال السيد عن الصليب ودفنه وتفاصيل القيامة . اما الآن فاننا نفارق هذا المؤرخ حيناً من الزمن لنلقي سؤالا لابد منه وربما كان تعبنا في تلخيص هذا الكتاب من اجله . وهو راي الجامعة الذي ينتظره حضرات القراء منذ عدة شهور

وهذا السؤال هو : هل حفظت الديانة المسيحية بعدصاحب شريعتها كل المبادىء التي جاء لغرسها في الارض . وهل لم يدخل اليها بعده شيء من المبادىء التي حاربها وضحى نفسه في سبيل تحريمها

ونحن نرجو هنا ان ياذن لنا القارىء ايًّا كان مذهبه بابراز كل ما يكنه الضمير بهذا الشأن . وهذا الرجاء لانوجهه الا الى البسطاء الذين لا يعرفون مصلحتهم الحقيقيـة . اما النبهاء والافاضل والادباء الذين تتوقف عليهم حياة كل امة ويرجى منهم كل اصلاح وصلاح فاننا لا نوجه اليهم مثل هذا الرجاء لمعرفتنا بانهم هم انفسهم يوجبون على الجامعة ان تجهر بكل شيء ولا يعتبرونها اهلاً لان تمسك قلماً وتتكلم عن قواعد الفلسفة والعلم اذا كانت تخشى في الحق لومة لائم ولا تفضل ارضاء الضمير الحي على ارضاء البسطاء وذوي المصالح . ومن عساه يقوم الى النداء بكلمة الاصلاح اذا سكت الذين لا غرض لهم من بقاء الفساد ولم ينطق الا الذين لهم مصلحة في بقائه

ونحن نقول هذا القول ولا نجهل الانقلاب الاجتماعي الذي حدث في العالم منذ ايام السيد المسيح واوجب التغيير الذي حدث . فاننا نعلم انه بما ان الدين في كل امة من قواعد مدنيتها وحضارتها « ما بقي الانسان انساناً » فقد وجب بحكم الطبع ان يتغير شيء من هذا الدين تبعاً للزمان والمكان (دون خروج عن قواعده الاصليه التي بُني عليها) والا اصبح عبارة عن آلة انحطاط وتاخر بوقوفه في وجه تيار التقدم

نعلم ذلك ونسلم به اذ لا بدَّ من اجتماع البشر كما هم مجتمعون اليوم في الممالك والمدن وتزاحمهم وا اسفاه على شؤون الحياة من كل وجه . ولكنَّ الامر الذي لا يمكن للعاقل ان يسلم به هو خروج هولاء البشر عن القواعد الدينية الاصلية الابدية التي بُنيت عليها كل ديانة صحيحة وكل هيئة اجتماعية

ابحث في الدين المسيحي وقل لنا ما هي دعائمه . وما هي خلاصة كتابه . هل دعائمه بناء الهياكل الشامخة وتزيينها بالصور والتماثيل واقامة العبادات المادية فيها ؟ كلا لانه لو كان الدين قائماً بالهياكل لما جاء ابن الانسان سيد البشر لهدم الهيكل . واي مكان اولى بالبقاء اذا صحّ ذلك الافتراض من هيكل سليمان

وهل دعائمه ان يقوم بين رؤساء الدين فئة « كالفئة الرديئة التي ذكرناها في العدد السابق » لا همّ لها الا الاستعلاء في الرئاسة وطلب الاموال من طرق شريفة وغير شريفة والهاء الشعب بظواهر الدين عن فضائله الحقيقية التي تفتح العيون والتجبر على الفقير ولحس اقدام الغني واتخاذ الرئاسة الدينية الكريمة آلة شنعاء « لاشباع الحزانة وملء الخزانة » كما قال الزمخشري . كلا فان الدين لو كان قائماً بذلك لما جاء ابن الانسان سيد البشر لمقاومة الفريسيين والكهنة الطامعين والمرائين

وانما دعائم الدين المسيحي وكل دين صحيح مبنية على النواميس الطبيعية الالهيــة التي بدونها لا تقوم قاعدة ولا يثبت بناء . ومن هذه الدعائم : خطبة السيد على الجبل . وعبادة الله بالحق والروح . وحب الشعب لانه الانسانية الحقيقية وخدمته وغسل اقدامه كما غسل السيد اقدام تلامذته . والاحسان الى كل انسان ومساعدته وحبه وخدمته ولو كان سامرياً اي منبوذاً . ومقابلة الشر بالخير لا بمثله . واعتبار الانسانية عائلة واحدة بالفعل لا بالقول كل واحد منها ملك وكاهن بحد ذاته ولا سيادة لاحد عليه . واذلال القوة اذا رامت دوس الفضيلة . ونبذ المال ودوسه بالاقدام اذا كان يضغط على الحق والضمير . والصفح عن كل اهانة تصدر من كبير او صغير . والمعيشة في الفقر والمسالمة والتواضع واعطاء ثوبك وردائك لمن يطلب منك رداءك فقط . وغير ذلك من الاحوال التي تقدم وصفها في الكتاب الذي تقدم

فالغرض المقصود من نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية غير ما تقدم من اخبار الوَسط التاريخي هو نشر عبير هذه الفضائل التي نسيها الناس وفي جملتهم المسيحيون واعادة ذكر المبادىء التي ضحى ابن الانسان نفسه من اجلها . وهل يُستنكر ان يقال ان ابن الانسان لو عاد مرة ثانية الى الارض لاضطر ان يضحي نفسه مرة ثانية من اجلها ايضاً

كلا ليس ذلك بمستنكر لان الوسَط الذي نعيش فيه في هذا القرن شبيه من عدة وجوه بالوسَط الذي عاش فيه ابن الانسان . ولقد قام بين المسيحيين كثيرون من الذين طلبوا كسر نير ثقيل كالنير اليهودي القديم . ولكن ما لنا وللغرب فلنقصر الكلام على الشرق

فاننا نجد فيه حادثاً عاماً في كل طائفة وكل ملة وهو جدير بكل اهتمام · نجد ان مستنيري الامة وادباءها والمطلعين منها في جانب والرئيس مع حزب محافظ قديم في جانب آخر · وورءها او تحتها حزب آخر يضحك منهما كليهما اما لعدم اكتراثه او لانه نبذ كل ايمان من القدوة السيئة التي امامه · فقبل الاصلاح السياسي الذي يطلبه الشرقيون يجب ادخال اصلاح اجتماعي بهذا الشان · اذ اية عدالة تجيز لنا طلب اصلاح بيت لغيرنا اذا كان بيتنا خراباً · ومما يسهل سبيل هذا الاصلاح انه في قبضة الروساء كلهم مسيحيين وغير مسيحيين وفي امكانهم · فلوان هولاء الروساء المحترمين يقربون منهم الافاضل والمستنيرين الذين يُحسنون خدمة الامة و يُبعدون عنهم المتملقين والعاجزين والمرتزقين الذين يكونون كالعلق على جسمها · و يراقبون الرئيس الشرس الذي يتخذ رئاسته ذريعة الى ابتزاز الاموال ولا يرقون الى منصب الرئاسة الا اهلها · ويخدمون الرعية بالهمة والامانة والمبادىء التي خدم بها السيد تلامذته غير قاصدين الا وجه الله والقيام بالواجب المقدس — لما كتب رنان تاريخه ولما ترجمناه عنه ولسهل التوفيق بين الاحزاب الثلاثة التي تقدمت الاشارة اليها وحلَّ محل الخلاف الظاهر في كل مكان تقريباً نهضة عامة الى التقدم الحقيقي

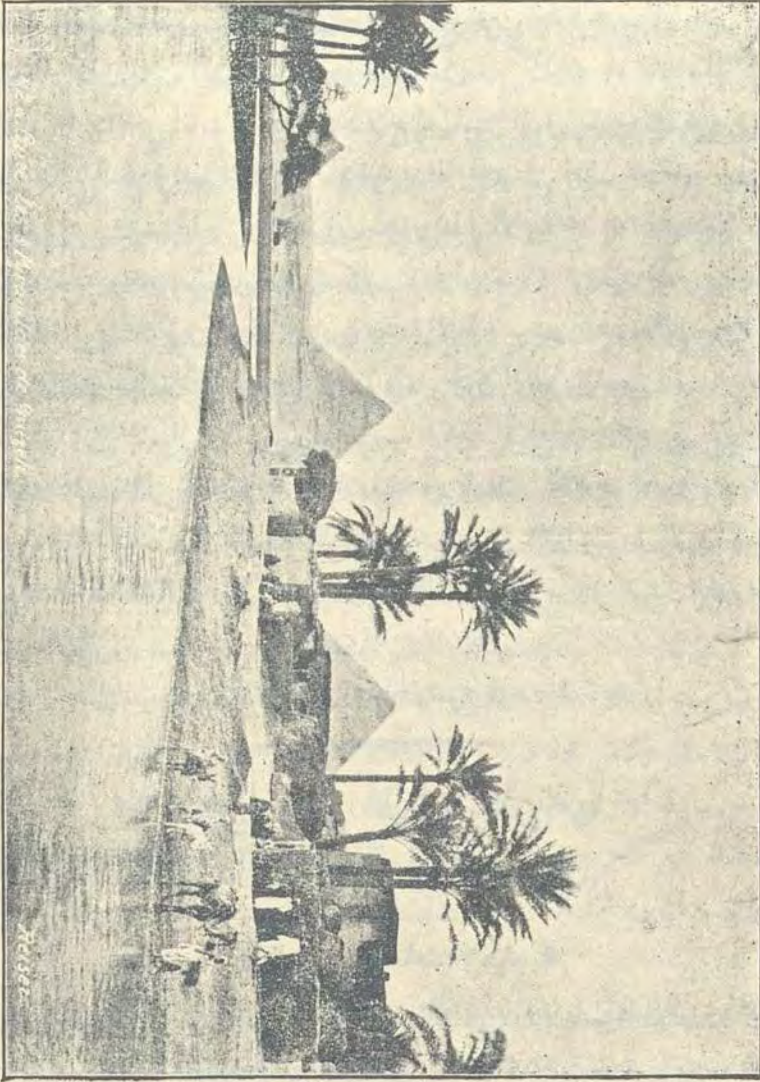
هذا اجمال موجز وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة ثانية

الاهرام وابو الهول وتاريخها

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

﴿ تمهيد لمن لم يشاهد الاهرام ﴾

مصر مشهورة باهرامها ولذلك يفد الناس من اقاصي اوربا واميركا لمشاهدتها هي وباقي الاثار المصرية القديمة · ولكن كم من المصريين وغير المصريين يعيشون على مسافة بضع ساعات من تلك الاثار ولا يزورونها وربما صرفوا العمر ولم يعرفوها · وكثيرًا ما يتفق ان يلقوا بعضاً من الافرنج فيسالهم هؤلاء عن الاهرام وعن طريقها وتاريخها فيفضل اولئك ان يكذبوا و يقولوا بانهم زاروها على الاعتراف بالحقيقة المخجلة · فرغبة في مساعدة هولاء المهملين وتخفيف تلك الكذبة التي يدافعون بها عن اهمالهم رايتُ ان اكتب لهم ولقراء الجامعة في خارج القطر المصري وصفاً جامعاً لابي الهول وللاهرام كبيرها وصغيرها فاذا



﴿ قرية على النيل في سفح الاهرام ﴾

حفظه القارىء عرف بالفكر تلك الآثار العظيمة ان لم يعرفها بالنظر ووقف على وصفها وعلى تاريخها وتاريخ بنائها مما لم اجده مجموعاً في موضع واحد في المجلات والجرائد العربيـة · وساوجز الكلام بقدر الامكان واعتمد فيه على سائح انكليزي كريم قضى في هذا العام

اشهرًا وهو يفتقد الاهرام واماكنها . فاقول

﴿ الغرض من بناء الاهرام ﴾ كان المصريون القدماء يعتقدون بان نفس الانسان تعود الى جسده بعد الموت ولذلك كانوا يحنطون اجساد موتاهم حفظاً لها من البلى حتى اذا عادت النفس الى جسدها وجدته صالحاً لسكنها . اما ملوكهم فالظاهر ان التحنيط لم يكن كافياً لارضاء كبريائهم ولذلك رأوا ان يبنوا ابنية عظيمة لحفظ اجسادهم المحنطة فيها فبنوا الاهرام المعروفة الآن . ولعلهم اول البشر الذين اعتقدوا بالبعث ونصبوا تحت قبة السماء المباني الفخيمة التي تذكّر الانسان بفناء هذه الحياة والامل في الحياة الثانية



﴿ ترجمان مصري لمرافقة السياح ﴾

﴿ اهرام الجيزة ﴾ اما هذه الاهرام جميعها فعددها ٦٧ هرماً وهي واقعة على طرف صحراء ليبيه وتمتد على بعد ستين ميلاً من مدينة القاهرة . وهي عدة مجموعات اعظمها اهرام الجيزة . واول هرم (١) من هذا المجموع هو الاقدم عهدًا والاكبر حجماً والاحسن بناء . وقد اقامه احد ملوك المصريين القدماء المدعو خوفو وذلك في سنة ٣٩٥٠ قبل الميلاد المسيحي . وكان علوه في بدء امره ٤٨٠ قدماً اما الآن فقد تسطح من اعلاه . ومساحة قاعدته ١٣ فداناً من الارض وقد اشتغل في بنائه مائة الف عامل في مدة ٢٠ سنة بلا انقطاع . والناظر من قمة هذا الهرم الى السهل الذي في جواره يرى الى مسافة بعيدة مجموعات الاهرام الواحدة وراء الاخرى ويرى في الجهة الشرقية جبل المقطم الذي كانوا يقطعون منه الحجارة لبناء الاهرام . وكانوا يقطعونها ثم ينتظرون ارتفاع النيل لكي يضعوها على اطواف وياخذوها في النهر الى مكان البناء . وتظهر مدينة القاهرة من قمة هذا الهرم جميلة المشاهد . اما داخله

(١) نشرنا رسم هذا الهرم وابي الهول في احد الاجزاء السابقة فلا حاجة الى اعادته

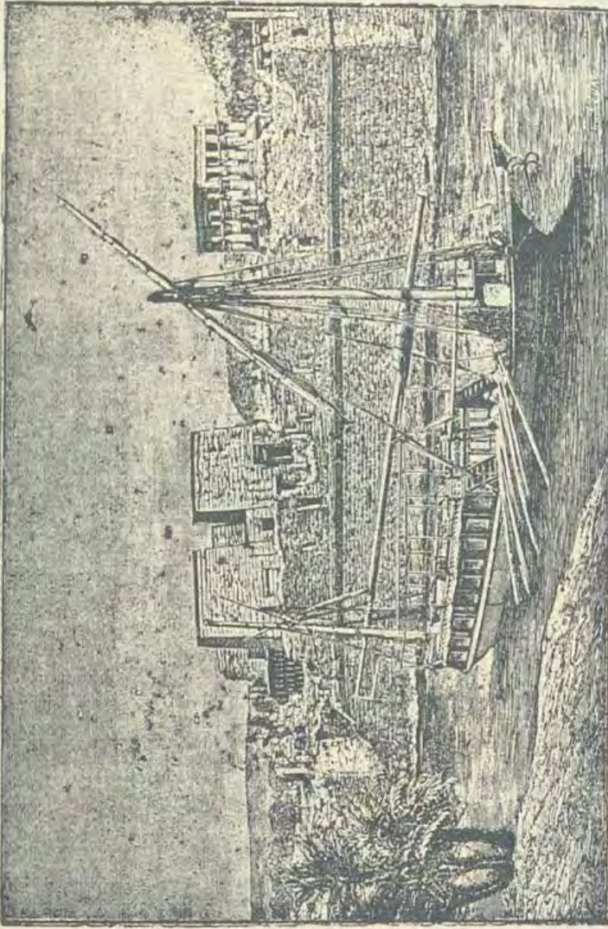
فعبارة عن عدة معابر وغرف في احداها تابوت حجري للملك خوفو وهذا التابوت ضخم جداً ويظهر انه نُحت قبلما شُرع في بناء الهرم لانه اكبر من الباب المؤدي اليه . وحول هذا الهرم ثلاثة اهرام صغيرة بناها الملك خوفو لبناته الثلاث . وكانت هذه الاهرام الاربعة حتى ايام اليونان والرومان مطلية بمادة بيضاء ثمينة تنعكس عنها اشعة القمر في الليالي المقمرة فتتجلى بابهى الحلل . ولكن الزمان جردها من تلك الحلة فلم تعد جميلة كما كانت اولاً



﴿ شيخ بدو يدل السياح في الاهرام ﴾

﴿ ابو الهول ﴾ وقريباً من هذا الهرم شخص ابي الهول العظيم وهو اقدم عهداً من الاهرام ويُظن انه بني على عهد مينيس اول الفراعنة او على عهد الدولة الرابعة وقد كتب عنه مؤرخو اليونانيين والرومانيين فقالوا ان وجهه كان غاية في الجمال ولكن الآن وقد نزع انه لم يبق له غير جمال الشيخوخة والكبر . اما عينا ابي الهول وفمه فباقية على اصلها ويُظن ان وجهه بقي كاملاً حتى سنة ١٢٠٠ بعد المسيح حين استولى المماليك على ازمة البلاد المصرية فظنوه روحاً شريرة تعبث في البلاد فجعلوه هدفاً يصوبون اليه السهام والمقذوفات . ويتضح لك جمال ابي الهول من صورة له صغيرة وجدت منذ مدة في تلك الانحاء

وقد كُشف مؤخراً هيكل قديم بالقرب من ابي الهول بناه الملك خفرا او خفرع صاحب الهرم الثاني وهو مبني من حجارة صوانية يبلغ طول بعضها ١٨ قدماً ومما يدل على اتقان الاقدمين للصناعة دقة بناء هذا الهيكل وتلاحم حجارته بعضها ببعض تلاحماً يجعلك تخالها كلها حجراً واحداً . والهيكل مصقول من الداخل وهو الآن مطمور تحت الانقاض ولم يُكتشف منه غير جزء صغير . وقد وُجدت فيه بئر عميقة مطروحة فيه قطع ستة عشر تمثالاً لخفرع المذكور ويُظن ان الفرس لما غزوا هذه البلاد وجدوا هذه التماثيل



﴿ ذهبية في النيل بين الاثار المصرية في جزيرة انس الوجود ﴾

فكسروها وطرحوها في تلك البئر لئلا ينظرها الاهالي فتذكرهم بمجدهم القديم · وهي منحوتة من رخام غاية في الصلابة واحسنها موجود في متحف القاهرة

اما الهرم الثاني فبانيه خفرع كما ذكرنا وذلك في سنة ٣٨٦٠ ق · م · وهو يظهر للناظر اكثر ارتفاعاً من الهرم الاول ولكنه ليس بالحقيقة كذلك بل سببه ان الارض المبني عليها مرتفعة وقمته باقية على علوها الاصلي خلافاً للاول · والى الجهة الشرقية من هذا الهرم بقايا هيكل كان عظيماً في يومه ولكنه ليس الان سوى انقاض و بعض حجارة



﴿ عودة السياح من الاهرام على الخيل من طريق الجيزة ﴾

منتشرة في ذلك السهل · ووراء الهرم الثاني دكة واسعة يقول عنها العالم المستشرق بتري ان المائة الف عامل الذين كانوا يبنون الهرم الاول كانوا يأوون اليها و يستريحون عليها عند ارتفاع النيل في ايام الصيف · والهرم الثالث قريب من هذه الدكة وهو اصغر من الاولين حجماً ولكنه اكثر زخرفة و بانيه هو الملك منقاوره · والى الشرق هيكل صغير والى

جنوبيه ثلاثة اهرام صغيرة بنيت لعائلته · وقد وُجدت فيه منذ ٤٠ سنة فقط مومياء الملك منقاوره موضوعة في تابوت حجري وداخله ابسط جدًّا من الهرم الاول والصعود اليه من الخارج اسهل من الصعود الى الاهرام الاخرى

﴿ اهرام ابي روش ﴾ وقريبًا من اهرام الجيزة قبور عديدة منحوتة في الصخر ومغطاة جدرانها بصور ونقوش تدل على انها جُعلت لوزراء الملوك وسكان بلاطهم كما ان الاهرام جُعلت منازل ابدية للملوك انفسهم · وعلى بعد اربعة او خمسة اميال مجموع اهرام ابي روش وقد امَّحت الآن آثارها ولم يبق فيها علاوة على الانقاض سوى غرفة واسعة منحوتة في الصخر ويقال انه كان هنالك عدة من الاهرام ولكن لا يُعرف الآن شيء عنها

﴿ هرم ابي صير ﴾ وبعد هذه الاهرام تاتي اهرام ابي صير وهي اقل اتقانًا وحجارتها اقل صلابة وادنى جنسًا من اهرام الجيزة وهي عبارة عن ١٤ هرمًا جُعل كل واحد منها على ما يرجحون لملك من ملوك الدولة الخامسة التي ملكت حوالى سنة ٣٥٠٠ ق · م · وحتى الآن لم يتم التنقيب فيها ويُظن ان موميات اصحابها لا تزال باقية فيها

﴿ مدينة منف ومقبرتها ﴾ وكل المسافة الواقعة بين الهرم الاول والاخير كانت مقبرة لمدينة منف اول عاصمة الفراعنة · وقد غير « مينيس » مجرى النيل وبنى منف ثم بنى حولها سدودًا تقيها من الفيضان وبقيت كذلك الى سنة ٤٥٠ ق · م حيث خربت السدود ففاض النيل عليها وغمرها غير تارك لها من اثر سوى تمثالين عظيمين لرعمسيس الثاني · وقد بنى بعض الافرنج مؤخرًا نزلاً كبيرًا قرب الاهرام دعوه « نزل مينا » تخليدًا لاسم باني منف الشهير · وترى في سهل الاهرام عظامًا بشرية غاية في الخفة لقدميـة عهدها · وسبب تبعثرها في ذلك السهل ان بعض الاهالي ينبشون القبور في ايام الصيف طلبًا للاواني الزجاجية والمسكوكات القديمة ثم يتركون تلك القبور مفتوحة فتتبعثر العظام · ولا يظنن القارىء ان الذين يرتكبون هذا الذنب هم الاهالي فقط فان كثيرين من الباحثين الافرنج يسابقونهم اليه

﴿ هرم سقاره ﴾ وعلى خمسة اميال من مجموعة ابي صير هرم سقاره وهو مبني بشكل درجات الواحدة اعلى من الاخرى ولذلك سمي « المدرَّج » وشكله حسن يسرّ الناظر ويختلف عن غيره بانه مبني من حجارة صغيرة بدون كلس يلصق بعضها ببعض وهو اقدم

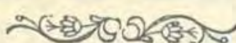
الاهرام على الارجح . ومن الغريب ان هذا الهرم ثبت ٧٠٠٠ سنة او اكثر بدون ان يسقط او يتداعى للسقوط مع ان هندسته لا تذكر بالنسبة لهندسة الهرم الاول . وحوله حفر ومهاوي تجعل السائر في خطر اذا لم ينتبه اليها . واصل هذه الحفر اما قبور بسيطة نبشها الاهالي كما ذكرنا او قبور ومغاور واسعة مزخرفة حجارتها بالصور والنقوش وكثير منها جعلت له الآن ابواب خصوصية ووضع لحراستها اشخاص من لدن الحكومة ولا يؤذن بدخولها الا لمن يشتري اوراقاً خصوصية لذلك . وادق هذه القبور صنعاً قبر ميري وهو منحوت في الصخر و يؤدي الى قبرين شبه جناحين جعل الواحد لابنته والاخر لزوجته . وقريب منه قبر « تي » المقاول لعدة اهرام وهو الذي اخذ على نفسه بناء هذه المعاهد العظيمة ولا عجب فان من تعب مثله جدير بتخليد اسمه . وعليه فقد كتب هذا الرجل على قبره بالخط الهيروغليفي القديم عن تاريخ حياته و بيان عظيم افعاله وغناه ومكانته من قومه الى غير ذلك مما يكشف شيئاً من النقاب عن الهيئة الاجتماعية في زمنه

ومكتشف اكثر هذه القبور هو العالم المستشرق ماريت وقد بنى لنفسه بالقرب من هرم سقاره بيتاً خشبياً وداوم البحث عدة سنوات ومن جملة ما اكتشفه في سنة ١٨٥٦ مغارة عظيمة وجد فيها ٣٠ تابوتاً حجرياً طول الواحد منها ١٥ قدماً وعرضه وعلوه ٨ اقدام وفي جميعها موميات العجول المقدسة (ابيس) التي كان يعبدها المصريون والتي اختفت منذ ٢٠٠٠ سنة فلم تظهر حتى ذلك الحين

﴿ هرم يوناس ﴾ وقد فتح السير جون كوك الشهير هرماً فوجد فيه تابوت الملك يوناس الذي ملك في سنة ٣٥٦٠ ق . م وقد نقلت عظامه الى متحف بولاق اذ لم يكن محنطاً و يمتاز هذا المدفن عن غيره بالكتابات الهيروغليفية . وقد قرأها العلماء فوجدوها صلوات « لراحة نفس الملك الابدية حتى القيامة »

﴿ اهرام دهشور ﴾ وسوى ما تقدم لم يبق من الاهرام سوى مجموع اهرام دهشور وهي اربعة اثنان منها مبنيان من حجر واثنان من اجر . فالحجريان لم يبدأ بفتحها بعد ولذلك لانعرف عنها شيئاً . اما المبنيان من الاجر فانهما غاية في الاتقان وحسن الهندسة وقد كشف في داخلها من العاديات والآثار القديمة ما تساوي قيمته ٧٠ الف جنيه وجميعها من اثمن ما وجد في مصر . وقد تحقق العالم دي مورغان انها قبران لاميرتين من اميرات المصريين القدماء . ومن المستغرب ان كل هذه النفائس

بقيت في هذين الهرمين مع ان رعمسيس الثاني قدسلب كل الجوهرات النفيسة التي في الاهرام. ذلك لانه اضطر يوماً الى المال واذ لم يجد منه ما يكفي عند الاحياء لجأ الى الاموات . فكانَّ الانسان لم يكن يخلص من طلب حكامه في ذلك الزمان حتى ولو فارق الحياة .



النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ اقتراح على الكتاب والقراء ﴾

(هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا)

الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة

اذا تناول القارىء البصير الجرائد والمجلات العربية التي تُطبع في مصر وسوريا واميركا سمع فيها في اكثر الاحيان انيناً بعيداً تختلط فيه اصوات اصحاب تلك الجرائد والمجلات واصوات قرائها ومحرريها

فرصفاؤنا اصحاب الجرائد والمجلات يشكون تلميحاً وتصريحاً من قلة القراء وعدم اهتمام الجمهور بالجرائد الاهتمام الواجب لها . ورصفاؤنا المحررون يشكون — ولكن سرًّا لا علانية — من ان اصحاب الجرائد لا يوفونهم حقهم من الجزاء في مقابلة التعب الذي يعانونه في تحرير جرائدهم ولا يدعون لهم من سبيل ولا وقت للظهور . والقراء الذين هم الجمهور ومن مالهم تعيش الصحافة العربية وتثري يشكون من ان الصحافة لا تبذل كل جهدها في مراقبة الهيئة الحاكمة وجلب النفع للهيئة المحكومة

وفي ذات يوم زارنا احد القراء الافاضل الذين نجلّ آراءهم واسهب في الكلام عن هذا الموضوع . فقال « انني مولع بالمطالعة ولا اضنُّ في سبيلها بمال ولا بوقت ولكن على شرط ان ارى شيئاً يستحق المطالعة . وانني مشترك بجريدة يومية فرنسوية فكلما حملها البريد اليَّ صرفت ساعتين او ثلاثاً في مطالعة كل عدد من اعدادها لكثرة موادها ولطف اسلوبها وتنوع ابحاثها مع انني لا اصرف في قراءة الجريدة اليومية العربية الا عشر دقائق على الكثير . فهل يصحُّ ان تبقى هذه الحالة حالة الصحافة العربية عندنا الى ما شاء الله . لا ريب انه لو قامت مجلة عالية الصوت غير منحازة الى فريق دون فريق وفتحت باب المناقشة في هذا الموضوع لتوجيه الانظار الى هذه الحالة انحاز اليها كل افاضل الكتاب

الذين يودون شحذ عقولهم واظهار مواهبهم في جرائد تمكنهم من ذلك وكل القراء الذين يطلبون صحافة قوية كالصحافة الاوربية وكل اصحاب الجرائد والمجلات المنصفين الذين يعرفون في نفوسهم سوء هذه الحالة »

وقد طرق هذا القول مسامعنا في ساعة كنا نفكر فيها بكتابة تاريخ موجز للنهضة الادبية العربية الحديثة ونقرنه بذكر رصيفاتنا من المجلات والجرائد العربية التي تُطبع في مصر والشام واميركا ذكرًا يدل على حيّز كل واحدة منهن ويكون كتاريخ صغير لهنّ او كدليل عليهنّ وعلى ما يعانينه من التعب في خدمة الجمهور . وبما ان هذا البحث مرتبط بالبحث الاول اشد ارتباط راينا ان نضمّ الواحد الى الآخر ونستمد في هذا الموضوع آراء افاضل الشرقيين وعلمائهم وكتابهم وقرائهم على سبيل الاسترشاد بعلمهم والاهتداء بهديهم

ولم نصنع كذلك لتسليمنا بالراي الذي تقدم لاننا من اعرف الناس بعقبات الصحافة في الشرق وما يقتضيه تقدمها من التدريج وما يعانيه رصفاؤنا الكرام من التعب في سبيل هذه الخدمة . لاسيما واننا تولينا في مدة سنة رئاسة تحرير احدى الجرائد اليومية وذقنا من خل التحرير اليومي وخمره وعرفنا ما بطن وما ظهر من امره . ولكنا راينا من الفائدة ان يتبادل الكتاب والقراء آراءهم في موضوع خطير كهذا الموضوع فان الحقيقة بنت البحث كما قيل وربما كان في هذا البحث فائدة عامة لارباب الصحافة ومحرريها وقرائها معًا . ولذلك انشأنا الاسئلة التالية والقيناها على بضعة من اهل الفضل والرصفاء والادباء . وقد انتظرنا صدور هذا الجزء لنلقيها على حضرات القراء . وهذه الاسئلة هي

١ ما رايكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها

٢ ما الواجب صنعه في رايكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجًا

٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصًا المصريين والعثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم

٥ ما رايكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها (١)

---

(١) وهنا نعيد ما ذكرناه في ذيل الاسئلة : لمن يتكرم بالاجابة الخيار في ان يجيب عن كل الاسئلة او عن بعضها . وله الحق بطلب كتمان اسمه على شرط ان يكون معلومًا لدى المجلة . وتُنشر الاجوبة على الترتيب بحسب ورودها

هذا ونرجو من القراء وغير القراء الذين يتفضلون بالمجاوبة على هذه الاسئلة او على بعضها ان يلتزموا الاختصار بقدر الامكان لنتمكن من نشر جميع الاجوبة التي تردنا والا اضطررنا الى تاجيل بعضها كما فعلنا في هذا الجزء بسبب ضيق المقام · وقد كتب الينا بعض ممن القيت عليهم هذه الاسئلة يستمهلوننا الى الجزء القادم ليروا كيف يكون مجرى هذا البحث لانهم وجدوه جديداً وهم يخشون الدخول في كل امر جديد · فنحن نمهلهم ما شاءوا · ومتى فرغنا من نشر الاجوبة نستخرج منها كلها ١٠ او ١٢ مادة تكون دستوراً للصحافة الصحيحة التي يُرجى منها دون سواها النفع والفائدة · ويكون الفضل في ذلك لمراسلي الجامعة الذين امدوها بآرائهم الصائبة وافكارهم الثاقبة

اما البند الخامس الموضوع في آخر الاسئلة فقد اثبتناه في هذه المناسبة لنقف على آراء قراء الجامعة في مجلتهم وما يرونه زائداً او ناقصاً فيها لنصلحه في التحسين الجديد الذي ننوي ادخاله قريباً كما اشرنا الى ذلك في غير هذا الموضع

﴿ البصير ﴾ وقد كان اول جواب وصلنا جواب رصيفنا المفضال عزتلو رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير الغراء وهي الجريدة اليومية الوحيدة في الثغر الاسكندري وهذا نصه

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعنا على سؤالاتكم وعنها نجيبكم بما ياتي

(١) الجرائد العربية في الشرق حسنة مفيدة بالتعميم وسيئة مضرة بالتخصيص وذلك بالمقابلة بينها وبين حالة البلاد الشرقية سواء كانت بحكومتها او بشعبها واني اقرأ العدد الاكبر منها حينما يسمح لي وقتي المخصص لمثل ذلك

(٢) لا تتحسن حالة الجرائد الا اذا كانت حاصلة على الحرية التامة وقد لا تملك الجرائد في القطر المصري حريتها الا باتساع دخلها ولا تملك سائر الجرائد حريتها الا بذلك وبان تقدرها الحكومة حق قدرها فاذا تم للجرائد الشرقية ذلك وكان لها نقابة منها فقد لا تقل فائدة عن اعظم الجرائد الاوربية

(٣) لا نعتقد بوجود نهضة ادبية بالشرق ولكن التقدم الادبي القليل الذي يراه العقلاء انما هو سنة الارتقاء العرضي او الاضطراري اما ما يسميه الغير المتطلعين الى العواقب نهضة ادبية في الشرق فما هو الا اندفاع غير مرتب ناجم عن ظل الحرية الفجائية المخيم على بعض

العقول وهذه النهضة اذا صحت تسميتها انما هي كثيرة العثرات سيئة العواقب وقد تنقلب يوماً ما اذا لم يقوّم العلم الصحيح معوجها الى عكس المراد بالنهضة الادبية الصحيحة

(٤) النصيحة التي نراها مفيدة لبلوغ الشرقيين النهضة الحقيقية هي العلم والاخاء

(٥) في اعتقادنا ان المجلات افيد للعامة من الجرائد السياسية اليومية ونصيحتي الى الجامعة ان تكون اجمع للارشاد الى سبل النهضة الادبية والى ما يفيد البلاد التي تصدر فيها وتجني ثمرات اتعابها منها

هذا ما عنّ لنا ان نجيبكم عليه بكل اختصار لان الجواب على سؤالاتكم بالتطويل والشرح الوافي تضيق دونه صفحات الجامعة واقبلوا احترام رصيفكم

رشيد شميل صاحب البصير

﴿ امام تسجد له الاقلام ﴾ اما الكتاب التالي فهو من امام في القاهرة تسجد لذكره الاقلام في المحابر وتتشرف الجامعة بصداقته ورسالته وهذا نصها

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة

لا اجد الآن من الوقت ما يسع الجواب عن مطالبك جميعها . ولكنني احب ان اجيبك عن كل واحد منها متى امكنني الوقت من ذلك . وانما يسهل عليّ ان اجيبك الآن عن آخر سؤال . رأيي في مجلة الجامعة انها من ابعد المجلات عن سوء الظن الذي يكثر نشوبه بغيرها وليس يعلق بذهن الناظر فيها الا حسن القصد . والنصيحة التي اقدمها لمجلة الجامعة ان تستمر على خطتها وان تثابر السعي وراء طلبتها وارجو ان تقبل تحية الاحترام من الفقير الى الله وحده محمد

وقد سجلنا هذا الوعد وعد الحر الكريم دين انما اضطررنا الى اختصار الكتاب والاكتفاء بسطر من الثناء الذي وجهه كاتبه الكريم الى الجامعة تنشيطاً لها . ولا غرو ان يصدر التنشيط من مثله

﴿ مصر ﴾ اما رصيفتنا جريدة مصر الغراء فانها كانت اول من فتح باب البحث في النهضة الادبية ووجوب اصلاح حالها . وقد كان رايها من الاراء التي استندنا اليها في فتح هذا الباب لانها لسان حال طائفة عظمى في مصر فضلاً عن ان جناب رئيس تحريرها المشهور بطول الباع وسعة الاطلاع من الذين على رايهم المعول في هذا الموضوع وهذا ما

كتبته عن الاقتراح

« اهتمت مجلة الجامعة الغراء لموضوع النهضة الادبية التي كتبنا في شانها مرارًا وعزمت على نشر مقالات متتابعة في هذا الصدد وقد ارسلت كتبًا الى بعض من ارباب الاقلام تسألهم رايهم في هذه النهضة وهل هي حقيقية . وما راي الكتاب في الصحافة الحقيقية وكم جريدة او مجلة مصرية هم يقرأون وكيف يمكن التحسين الى غير ذلك من المباحث المفيدة التي وردت في موضعها حين شرعت مجلة الجامعة الغراء في البحث عنها لانه اذا كان في القطر مجلة شهية مفيدة طلية فان تلك المجلة هي الجامعة الغراء . ومن راينا ان تُطرح هذه المسائل على جمهور القراء ولا تقصر على قليل من الكتاب والمحررين »

فعسى ان لا تضن رصيفتنا برايها في هذا الاقتراح الذي استحسنته

﴿ صديق ﴾ ووصلنا من صديق الكتاب التالي

حضرة منشىء الجامعة الغراء

في رايي انكم فتحتم بابًا كان الاولى بالجامعة سده اذا كانت تخاف ثورة الخواطر عليها لان هذا البحث يشمل كثيرًا من القصور والتقصير . ذلك ان المسئول عن حالة الصحافة الآن ليس اربابها فقط بل محرروها والحكومة والجمهور والاغنياء والحكام ايضًا . فان الحكومة مسئولة لانها لا تتفق مع القناصل لتضع للصحافه لجامًا اي قانونًا يجري عليها كلها اجنبية ووطنية وتُحاكم كل واحدة تخرج عن حد وظيفتها بالطعن والسباب ولا تبيح الصحافة الا لاربابها . والجمهور مسئول لانه يرضى بكل ما يُقدم له غثًا كان او سمينًا وقلما يميز بين النافع وغير النافع وجعله الاشتراك « مسالة امتنان ومحسوبية » واغضاء الاغنياء عن مساعدة الكتاب وجعل جوائز مالية لهم . والحكام مسئولون ايضًا لان الجريدة التي تجترىء على انتقاد عمل من اعمالهم في الارياف تُحسب عدوة لهم فينتقموا منها بان يقربوا اليهم الجريدة التي تناظرها لتمدحهم وتثني عليهم ولو ضد الحق وهكذا يبقى الفساد سائدًا . والمحررون مسئولون ايضًا لانهم لا يتعبون في ما يكتبون وانما يسطرون ما يسطرون « لتملية الورق » مقابل الثمانية او العشرة جنيهات التي يقبضونها في كل شهر والتي هي اجرة مقالة واحدة للكتاب في جرائد اوربا . اما ارباب الصحافة فانهم يقولون ان القراء معدودون فاذا اتقنوا جرائدهم او لم يتقنوها لم يزد عددهم ولم ينقصوا . وبناء عليه يكون اقتراح الجامعة داعيًا لاستياء كل الطبقات ولا يُسر به الا قراؤها الذين يقرئون موضوعًا جديدًا . واقبلوا جزيل السلام « صديق »

﴿ احد القراء ﴾ اما الرسالة التالية فهي من « احد القراء » الذين يحبون الاختصار ونصها

« لو علمت المجلات والجرائد الشرقية انها اذا نهضت نهضة واحدة لحث الحكومات على التعليم الالزامي تكون كمن يسعى لمصلحته لما قعدت عن ذلك طرفة عين . فاصلاح شان الصحافة العربية متوقف على التعليم الالزامي لان به يصير القراء يُعدون بمئات الالوف »

« احد القراء »

﴿ كاتب ﴾ واما الرسالة التالية فهي من كاتب يحب مزج الهزل بالجد وهي

(١) رايي في المجلات والجرائد انها تثقف الالباب ولا غنى للعقلاء عنها اذا كانت صالحة

(٢) يجب ان تكون ذات راس مال في العلم والمال لتقول الحق ولا تخشى لومة لائم . ونصيحتي الخصوصية اليها ان تبطل من صفحاتها ذلك المدح البارد وتلك الالقاب الثقيلة

(٣) النهضة الادبية لا تُنكر وهي سائرة سيرًا تدريجيًا . والجامعة من الادلة على وجود هذه النهضة كما ان الكون من الادلة على وجود الله

(٤) نصيحتي الخصوصية للشرقيين لا افوها لانهم لا يعبئون بها وانا اكره وعظ الذي لا يسمع الوعظ

(٥) نصيحتي للجامعة ان تبقى في دور الشباب ولا تدخل في دور الشيخوخة ابدًا

« احد الكتاب »

﴿ كاتب شديد الوطأة ﴾ واليك الآن راي كاتب شديد الوطأة

«صحافة الشرق ولا حياء في القول صحافة تقليد ومتابعة على غير قياس وتطريس على آثار السابقين ولكنه تطريس مهين للغة العرب فباتت الصحافة مضروبة على قالب واحد وطبعة واحدة لا تجديد فيها ولا ابداع ولا يهم رجالها توليد مادة جديدة للكلام لانها قائمة بلا احزاب ومرماها تجاري بحت لا تدفع مقضيًا ولا تستجاب اتيًا لعلم العاقلة منها (وقليلة ما هي) ان الشرق مأكول وان الامة مستغرقة بسيل الاجنبي محصودة بمنجل القوة فلا نجاة لها ولا امان . فما ضرّ هذه الصحافة لو اصطفت للقيام عليها رجالاً يعرفون كيف

يسيرون بها الى ما هو اوضح سبيلاً واعلى منارًا . والذي يضحك المجتهد الباحث اقتصار اكثر اهل الصحافة العربية في هذا الوقت على مطالعة انفاس بعضهم بعضاً واقتباس الالفاظ والتراكيب على اسلوب واحد خلا ما هنالك من سقم وجوه التعريب ونقل الاخبار التافهة التي لا تفيد الشرقي ولا تجديه نفعاً

ولا اكتم قارىء هذه السطور انني لا ارى في هذه النهضة العربية ما يحق ان يسمى نهضة حقيقية لان حاملي لواء هذه النهضة ليسوا كلهم رجال الامة المشرقية. وليست عندي من كلمة اقولها في هذا المبحث غير الاتحاد على جمع شتات رجال الاقلام وتاليف مجمع علمي لغوي يضم الافراد الى حظيرته

وغير منكر ان النهضة في الشرق كائنة ولكنها لنحس حظ الشرق غير جارية على قاعدة طبيعية من شانها الارتقاء تدريجياً وذلك لفقدان العلم والتربية وانحصارهما في نفر قليل من خاصة الشرقيين . ومعلوم ان التربية اسس تقدم الامم ودعامة العمران فما زالت هذه التربية التي هي ام الفضائل والكمالات الانسانية معدومة من بين اهل هذه الامصار على اختلاف طوائفهم فلا امل للشرقيين بالحياة السياسية وما دامت الحياة السياسية غير موجودة فلا سبيل الى صعود سلم العلم والفضيلة. والحالة اظهر من ان ينبه عليه لان الفوضى شاملة كل شيء والاختلاط في احوال هذه الشعوب والاقوام ساد الى درجة ادمج الفاضل في سلك المفضول وادخل العاقل في سمط المخبول وارتفع سعر الجهل بارتفاع قيمة حامل الدينار فحق على العالم والفاضل التستر والتظاهر بما يرضي اولى العمي والجهالة ولسان الحال ينشد قول شيخ المعرَّة

اقررتُ بالجهل وادعى فَهمي قوم فامري وامرهم عجبُ
والحق اني وانهم هَدَرٌ لست نجيباً ولا هم نُجبُ

وليس عندي انا الفقير غير نصيحة واحدة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً العثمانيين وهي عقد مؤتمر اصلاحي في مصر . وما تنفع الخطط والمناصب ولا تجدي الاموال والمراتب اذا قالوا لم يظهر في سوريا او في مصر رجل فرد يبز الرجال ويستظهر بعمله على الملوك والاقيال فانما الامة تموت برجل وتحيي برجل فارينا يا مصر او فاظهري ياسوريا هذا الرجل لنعبده ونقيم له هيكلاً اعلى من اهرام تشيوس وارفع من برج ايفل . نعم ان الامة تموت برجل وتحيي برجل فاننا اليوم يا ابناء مصر وسوريا في حاجة قصوى الى ذلك الرجل. فليكن كلكم ذلك الرجل المطلوب ويد الله مع الجماعة

ويتعين على هذا الضعيف العاجز ان يقول في الختام كلمته للجامعة الزهراء التي فتحت باب هذا المبحث المفيد وسالت الكتاب تشريع عوامل اقلامهم في انفع مطلب وافضل بحث. ان الجامعة مجلة لو كان في بلادنا عدة مجلات على طرازها لهبطت اسعار الجهالة وسقطت قيمة الدينار الذي الهه الغني في هذه الايام وراجت بضاعة العلم وبارت اسواق الزخارف والاباطيل فبارك الله فيها وبامثالها لان فوائد المجلات لا تقوم بثمن ورحم الله عبداً علم فعمل » « نجيب الجاويش »

« مع ان الجرائد العربية ارتقت لهجتها عن ذي قبل وما برحت آخذة في الارتقاء كل سنة لم يزل ينقصها شيء من الاصلاح لتضاهي جرائد الامم الراقية . يلزمها اولاً ان تسلم عبارتها من اللحن الذي لاتكاد تخلص منه جريدة ولا مجلة وثانياً ان يكون في الجرائد خصوصاً اليومية شيء من العلم مثل سائر الجرائد الاوروبية وكل ذلك لا يتاتى الا بكثرة ايدي العاملين في هذه الجرائد من علماء وادباء ومصححين ومحررين ومراسلين

نعم ان ارباب الجرائد والمجلات وطابعي الكتب يشكون من قلة القراء وعدم اقبال القوم على بضائعهم حتي ان بعضها ما كانت تصدر لو لم ينفق عليها بعض الكبراء وتنتسب الى حزب من الاحزاب ولكن هذا الاصلاح الذي تتطلبه جرائدهم يتاتى بقليل من النفقات وشيء من العناية . وهذه الجرائد الكبرى والمجلات العلمية قد يستقل بها الواحد والاثنان مع انه ليس في اوربا واميركا مجلة او جريدة كبيرة الا ويعمل في تحريرها عشرات . واكبر الجرائد اليومية عندنا ليس فيها اكثر من ثلاثة محررين او اربعة

تتحسن حال المجلات والجرائد الكبرى في مصر بالاستكثار من الرسائل المفيدة التي تكتب بروية وتنتج عن عقول نيرة فاذا فرض اربابها مثلاً لكل كاتب مقالة ادارية وسياسية جنيهاً واحداً او جنيهين ولكل كاتب مقالة علمية ثلاثة جنيهات او اربعة ترتقي احوال الصحافة ويزيد ولا شك عدد القراء على نسبة هذا التحسين . والشعوب مهما انحطت لايزال فيها بقية تميز الحسنات من السيئات .

اذا عمل ارباب الصحف بذلك يتمحض كثير من رجال العلم والادب للكتابة والتاليف وعندها يتوفر على محرري تلك الصحف اوقات طويلة يصرفونها في التدبر فيما يكتبون واذا كتب احدهم مقالة او مقالتين في الاسبوع فيكون قد وفى الغرض وقام بالواجب المفروض. ويختص كل محرر بالكتابة في فرع من فروع العلم او السياسة فيستفيد ويفيد

كما هو شان الكاتب الاوربي والاميركي ويخلص من الكتابة في كل موضوع والخبط والخلط في اكثر ما يكتب

ربما قيل ان هذا الاصلاح في الجرائد تحتاج كل جريدة ان تنفق عليه في السنة ضعف ما تنفقه الآن والصحيح ان بذل مئة او مئتي جنيه تكفي وتزيد مهما كانت حالة الجريدة وحجمها . وليت شعري لِمَ لم تحذُ جرائد مصر حذو جرائد الاستانة على الاقل فان صحف الاستانة على ماهو معلوم من شدة الضغط عليها رائجة اكثر من صحف العاصمة . نعم يدل ذلك على ان القراء هناك كثروا لحاجةٍ الى الجرائد الوطنية اشد ولكن هذا لا ينافي ما تقدم في الجرائد التركية من المقالات الادبية والعلمية والصناعية والمقاطيع الشعرية والقصائد البديعة من اقلام الكتاب والعلماء ما لا تجد مثله في جرائدنا واكلاف الجريدة اليومية التركية تبلغ ثلاثة اضعاف الجريدة اليومية العربية في الغالب وهي تربح على هذه النسبة .

تصدر جريدة « اقدام » في عاصمة السلطنة كل يوم ويطبع منها عشرون الف نسخة وقلما تجد منها عدداً بعد صدورها بساعتين او ثلاث على الاكثر وكل هذه الاعداد تباع في العاصمة وهكذا قل عن سائر الجرائد التركية كصباح وترجمان حقيقت ومعلومات وغيرها . على حين ان جرائد مصر ترجع منها الاعداد الكثيرة لتحفظ في اداراتها في سلة سقط المتاع . ومادة العدد الواحد من الجريدة التركية تبلغ مواد ثلاثة اعداد من جرائدنا اليومية وتُباع النسخة منها بمتاليك واحد او بمليمين جيدة الطبع والورق . فما بال جرائدنا لا تقلد تلك الجرائد لتروج رواجها على ما يساعد عليه محيط البلاد

وانا لنرجو من ارباب الجرائد والمجلات الكبرى في القطر ان يضعوا هذا الاقتراح على بساط البحث ليخدموا بذلك اللغة والعلم ولا يقوا صحفهم مقصورة على الترجمات والاماديح والدفاع والمطاعن حتى لا يقول لنا الافرنج اننا محتاجون ولغتنا الى الاصلاح فان جرائد اليونان من هذه الجهة انفع والحق يقال من الجرائد العربية على ان عددهم لا يبلغ خمس سكان عدد مصر . وهذا مما يسوءنا التصريح به ولكنها كلمة حق لا ينبغي السكوت عليها »

« الرائد المصري »

هذا ما اكتفينا بنشره في هذا الجزء بسبب ضيق المقام الا اننا سنوسع المجال في الجزء التالي لننشر كل ما يردنا من حضرات الكتاب والقراء . اما حضرات الشعراء فخير اجو بتم ما كان شعراً

بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الكاتب الاديب سليم افندي قبعين في الناصرة

شاهدتُ بنفسي في اثناء تجولي في جميع انحاء سوريا كوكيل عام لجريدة المؤيد الغراء بان جميع محبي المطالعة متفقون على امر وهو سلامة ذوق الجامعة في نقل المقالات والكتب المفيدة البادية عليها آثار التعب والمشقة وانهم يقدرون خدمتها للعلم والادب حق قدرها. ومما اراه لها من المزايا التي خُصت بها انها تورد الصعب المستعصي الذي يشق فهمه مع بلاغته وسموه باسلوب بسيط سهل هو السهل الممتنع ومقالاتها تجعل في نفوس مطالعيها تاثيراً شديداً يرسخ في النفس ولا يزول ابداً

ومن هذه المقالات مقالات «رنان» التي يقرأها القراء من كل الطبقات بارتياح ولهفة يقصر القلم عن وصفها . وانني اشكُ في ان قراء اللغة العربية اقبلوا قبل اليوم على مطالعة اية كتابة كانت كاقبالهم على مطالعة هذه المقالات

غير انني ارى اتماماً للفائدة ان اقرن كلام رنان بوصف الاماكن والبلاد التي يرد ذكرها في ابحاثه ولاسيما وصف حالتها الحاضرة وعليه اقول

﴿ بلاد الجليل ﴾ ان رنان لدى كلامه عن الجهات التي عاش فيها السيد المسيح ذكر عدة مرات بلاد الجليل وسماها بلاد الشمال ووصفها بجمال الطبيعة . وقد ذكر جهات اورشليم فوصفها بالجدب والقحط . والحق يقال ان من يعرف هذه البلاد يشهد بصحة هذا الكلام ولا يزال اهالي الجليل على ما وصفهم رنان من رقة الجانب ودماثة الاخلاق ومحبة الغريب واكرام الضيوف والانصباب في ابان الراحة على اللهو والمسرات . حدثني بعض شيوخهم انه منذ ثلاثين عاماً كان اهالي الجليل يقسمون السنة الى ثلاثة اقسام : اربعة اشهر للعيد . واربعة اشهر يقضونها في اللهو والمسرات والسفر الى حمامات طبريا وزيارة جبل ثابور وجبل الكرمل وغير ذلك حيث يقيمون الملاهي على ساق وقدم كما يحتفل المصريون بالموالد . واربعة اشهر للعمل . ذلك ان هذه البلاد جيدة التربة كثيرة المحصولات تدرّ على اهلها الخيرات الوافرة والنعم الجزيلة ولا يخفى ان سعة العيش تتطلب اللهو وعدم السعي الزائد لتحصيل الرزق . اما اورشليم فان جهاتها واراضيها جبلية عقيمة جرداء لاتنتج شيئاً ولذلك يجب على اهلها السعي الشديد لتحصيل الرزق واتخاذ الوسائل لتحصيله . ولم تزل

تلك البلاد تقتات بخيرات الجليل ومحصولاته وفي ايام الحصاد يتقاطر كثيرون من الرجال والنساء من جهات اورشليم ونابلس الى الجليل لتحصيل الرزق

﴿ قانا الجليل ﴾ اما قانا الجليل التي ذُكرت في كلام رنان فانها تُعرف اليوم بكفر قنا وهي واقعة على مسافة ساعة من شمال الناصرة ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نفس وفيها عدة كنائس اشهرها كنيسة الطائفة الارثوذكسية وقد انشأتها الحكومة الروسية وارسلت ايقونوسطاسها واوانيها الفاخرة من روسيا واهدتها الى الطائفة . وقد احتفل بتدشينها احتفالاً شائقاً حضره صاحب السعادة المسيو فاسيلي ختروفو سكرتير الجمعية الفلسطينية ويعتقدون بانها قائمة على آثار البيت الذي صنع به السيد عجيبته الاولى وهي تحويل الماء الى خمر حسب نص الانجيل . ولا يزال في الكنيسة جرنان حجريان كبيران يؤكدون انهما من ايام المسيح . وفيها كنيسة اخرى لطائفة اللاتين يعتقدون انها قائمة على بيت سمعان القانوني احد تلاميذ المسيح وفي البلدة مدارس اجنبية ابتدائية

﴿ طبريا ﴾ ولقد اطال رنان بالكلام عن طبريا وجهاتها ووصفها وصفاً مطولاً فاكتفي بذكر حالتها الحاضرة . فهي بلدة قائمة على طرف بحيرة طبريا الى الجنوب الغربي تحيطها اسوار اخنى عليها الزمان فجعلها اطلالاً دارسة . ولم يزل قائماً فيها بعض الابراج المتهدمة . وشوارع هذه البلدة في غاية القذارة هذا اذا كان يجوز ان نسميها شوارع . وليس فيها ما يهم الالتفات اليه سوى خراباتها وذكرى حالتها القديمة وما كانت عليه من التقدم والحضارة وفخامة الابنية التي زينها بها مؤسسها هيرودس انتيبا قاتل يوحنا المعمدان الذي بناها باسم طيباريوس قيصر وجعلها عاصمة لملكه . وقد كانت طبريا في القديم مركز الحكمة اليهودية والسندريون اليهودي ووطن اشهر علمائهم وفي جملتهم الفيلسوف الاسرائيلي الشهير يهوذا واضع التلمود الذي عاش في اواسط القرن الثاني . اما اليوم فلم يبقَ فيها شيء من عظمتها الماضية واكثر سكانها هم من اليهود الذين يتقاطرون اليها من جميع اطراف المعمورة لاستيطانها ولهم فيها زيارة مشهورة يحتفلون بها في كل عام باحراق الامتعة ويسمونها « الشعلة » . وبالاجمال فان طبريا بلدة اسرائيلية ولذلك ترى جميع اسواقها مقفلة في يوم السبت . وقد ذكر رنان بان جهات طبريا كانت في ايام المسيح بلاداً غناء في غاية الخصب والنضارة وانه لم يبقَ منها شيء بعد ذلك حيث اصبحت قفراء صلعاء ذات هواء حار . اقول وهي لم تزل على هذه الحالة الى يومنا هذا غير ان جمعية الاستعمار الاسرائيلية ابتاعت

في جهات طبريا نحو ستين الف دونم ارض وشرعت تغرس الكروم وتنشىء الحدائق والاشجار المختلفة والابنية العديدة . ولا ريب انه لا تمر بضعة اعوام حتى تصبح جهات طبريا كما كانت عليه في ايام المسيح من النضارة والخصب وجودة المناخ ولطافة الهواء . وفي طبريا حمامات معدنية تفضل كثيرًا حمامات حلوان وقد انشاء المرحوم ابرهيم باشا المصري في هذه الحمامات عدة غرف وبلط ارضها واحواضها بالمرمر . اما اهلها غير الاسرائيليين فانهم يتعاطون صيد السمك لوجوده بكثرة في بحيرة طبريا كما ذكر رنان . فكانهم ورثوا هذه الصناعة من الاسرائيليين الذين تقدموهم في هذه البلاد . وكان بودنا ان يتشبهوا بمواطنيهم الاسرائيليين الذين يستدرون اليوم خيرات الارض من طرق الزراعة لا بالاسرائيليين الاولين

هذا ما رايت كتابته في هذا الفصل وساتعقب الفيلسوف رنان لاصف لحضرات قراء الجامعة حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في تاريخه رغبة في مزج الماضي بالحاضر مزجًا فيه تمام الفائدة والسلام

﴿ الجامعة ﴾ نشكر لحضرة الكاتب حسن ظنه بالجامعة وتفضله عليها بوصف حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في كلام رنان . ويسرنا ان ننشر كل ما يكتبه بهذا الشان لاسيما واننا ننوي ضم هذه الفصول الى الكتاب الذي يطلبه القراء من كل الجهات

﴿ جمع كتاب رنان على حدة ﴾

كتاب فريد

ذلك ان كثيرين من القراء بعثوا يقترحون علينا جمع ما نشرته الجامعة من اقوال رنان على حدة فترددنا في بدء الامر لان الكتاب منشور في الجامعة ولدينا كتب لم ننشرها بعد ولكن لم يلبث ان زال ترددنا لعزمنا على اضافة اشياء كثيرة اليه تجعله كتابًا فريدًا في اللغة العربية

٤٠ او ٥٠ رسمًا — واول تلك الاضافات ٤٠ او ٥٠ رسمًا كالرسم المنشور في صدر باب المقالات في هذا الجزء . فانه من المعلوم ان اشهر مشاهير المصورين في العالم كرفاييل ودافيد ورمبران وميشل انج وغيرهم قد صرفوا نصف مواهبهم تقريبًا في تصوير حوادث المسيح من ولادته حتى صلبه وقيامته ولهم في ذلك صور تباع اليوم الواحدة من نسخها الاصلية بعشرة

الاف جنيه او عشرين الفا · فرغبة في اتمام الفائدة سعينا في استنساخ بعض تلك الصور التي تمثل المسيح في جميع ادوار حياته وسننشرها في هذا الكتاب على ورق جيد جداً كما صنعنا باحداها في هذا الجزء

تتمة صلب المسيح والقيامة — وسنضم الى هذا الكتاب تتمة كلام رنان عن نزول السيد عن الصليب وتفاصيل القيامة وهي ٥ او ٨ فصول · اما الجامعة فانها تبتدىء في الجزء التالي بتلخيص الكتاب الثاني من كتب رنان وهو انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد والاضطهادات التي اصابتها وسفر تلامذته الى اقطار الارض للبشارة بالكلمة فان في ذلك تاريخاً مسهباً لنشأة الديانة المسيحية وحوادث العالم في ذلك الزمان ولا سيما سوريا وفلسطين وما تلا ذلك من خراب اورشليم وسقوط الدولة الرومانية

سياحتان — ولقد زرنا اورشليم وما حولها مرتين المرة الاولى منذ ١٤ عاماً والمرة الثانية منذ ٨ اعوام وكتبنا اخيراً تفصيل هاتين الزيارتين وما شاهدناه فيهما من جمال الطبيعة هناك ولطف اخلاق السكان وتعدد الاماكن المقدسة وسنضيف هذا الى ذاك ايضاً

اضافات اخرى — ثم نضيف اليه اضافات اخرى كثيرة كترجمة المؤلف الفيلسوف رنان ورسمه · واقوال مؤرخي العرب عن حوادث السيد المسيح · ورسوم اشهر الاماكن التي يزورها اليوم المسيحيون في اورشليم والناصرة وغيرها · وكل مايتعلق بالحرم الشريف ورسومه

ولا شبهة عندنا في انه لا يبقى احد من محبي المطالعة واقتناء نفائس الكتب الا ويطلب هذا الكتاب سواء كان من المسيحيين وغير المسيحيين لان جميع مواضيعه تاريخية محضة · وسنطبعه بقطع الجامعة على ورق جيد جداً اجود من ورقها ولا سيما الرسوم ويكون طبعه اتقن من طبعها وربما كان حجمه بقدر اربعة اجزاء منها · اما ثمن النسخة الواحدة منه فهو عشرة غروش صاغ فقط تُدفع بعد صدور الكتاب

فبناءً عليه نرجو من حضرات القراء الذين يرومون الحصول على هذا الكتاب ان يبلغونا اسماءهم فقط لنعلم عدد النسخ التي يجب طبعها منه · ويكفي في الطلب كارت صغيرة عليها هذه العبارة « قيدوا اسمي بين اسماء طالبي كتاب رنان الذي سيصدر بعد ٣ اشهر » وعلى الله الاتكال

مراسلات بين بنات شرقيات

(لا يجوز ان تقرأها الا القارئات)

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي تبريزه

« اكتب اليكِ بسرعة زائدة لاسألك عن امر شغل بالي . وهو انني سمعت ان (مجلة الجامعة) باذلة جهدها لاخذ نسخ المكاتبات الكثيرة التي دارت بيني وبين صديقتنا العزيزة (المدموازل سليمة) في مصر القاهرة لتنشرها في بعض اجزائها . فهل هذا صحيح ؟ ارجوكِ ثم ارجوك ان تستخبري عن ذلك ليطمئن بالي . ولم اسأل عزيزتنا سليمة هذا السؤال لانني اخاف ان يكون الخبر الذي بلغني كاذباً فتنسب اليَّ صديقتي سوء الظن بها. فاستحلفك بصداقتنا ان لا تهملي ذلك . وانا انتظر جوابك بصبر فارغ لانني اخشى ان يكون الخبر صحيحاً . واذا كان صحيحاً لا سمح الله فارجوك غاية الرجاء ان تتوسطي لدى صديقتنا وتقولي لها ان عملها مخل بالصداقة .... و بالادب ايضاً . ولكن لماذا الومها يارباه قبل معرفة الحقيقة . لا تؤاخذيني فانني اقول هذا الكلام لشدة استيائي من هذا الامر . فانني لما كتبت لسليمة كتبتُ لها كصديقة تقول لصديقتها كل ما يخطر في بالها لا ككاتبة تزن كلماتها علماً بانها ستنشر في المجلات والجرائد . فانني تكلمت معها عن واجبات الابنة قبل الزواج وواجباتها بعده وعن رفيقاتنا البنات اللواتي لا يعشن الا للموضة واحوالها وعن شبان هذا الزمان وما لاحظته من بعضهم في المجتمعات الاعتيادية والعمومية وعن خطيب فريدة وزوج سلمى واخي ليا ... وغير ذلك مما اضرب الآن صفحاً عن ذكره من احوال حالتنا الحاضرة التي تعرفين افكاري بشانها . فهل يليق ان تُنشر اقوال كهذه الاقوال عن لسان ابنة . وحياتك انني منذ الآن اذوب خجلاً لدى ذكري ذلك. فعجلي وطمني بالي فانني منتظرة جوابك

« صديقتك كليمه »

« من الاسكندرية الى الحدث في لبنان

« صديقتي كليمه

« قرات كتابك وقد كنت اتوقع حدوث هذا الامر · لانني منذ مدة سمعتُ بان الجامعة علمتْ بوجود مراسلات عديدة تدور بين بعض من فتيات مصر وسوريا فسعت في السر للحصول على كتاب منها ولما حصلتْ عليه واطلعت على موضوعه رامت الحصول على جميع تلك المراسلات · فعهدت في السر الى اخي اديب ان يدبر لها هذه المسالة فجاء اخي وسالني عنها ولم اكن اعرف قصده فاعترفتُ له باننا نحن عدة من البنات درسنا في مدرسة واحدة وقد الفنا من بعضنا جمعية في داخل مصر وخارجها لنكتب الى بعضنا البعض ما نستحسنه وما نستهجنه من الاشياء التي نشاهدها والاشخاص التي نعرفها فضلاً عن وصف الاماكن التي نعيش فيها · وغرضنا من ذلك ممارسة الكتابة وقطع الوقت في شيء فيه فائدة · فقال اخي وهل يرضي رفيقاتك بنشر ما تعبن في كتابته · فاجفلتُ عند هذا السؤال وقلت له لا لا · فقال سنرى · ثم اتفق انه سافر الى القاهرة و بعد عودته منها اخبرني انه اقنع صديقتنا المدموازل سليمه بتسليمه كل الرسائل التي لديها منكِ ومني ومن رفيقاتنا وقد دفعتْها اليه بحجة انه يطلبها من قبلي · فلا تستائي ياعزيزتي فان ما جرى قد جرى وقد صرنا في عصر لا نستطيع فيه ان نردّ للصحافيين طلباً · ومع ذلك فان الجامعة ابتاعت تلك الرسائل بمبلغ غير قليل ووُهب هذا المبلغ الى احدى الجمعيات الخيرية وهذا يسلينا قليلاً

غير انني لم افهم السبب الذي من اجله اظهرتِ ذلك الاستياء العظيم · فان كان ذلك خوفاً من ظهور اسمك فقد تعهدت المجلة بان تكتم اسماءنا كلنا وتدل عليها باسماء تستعيرها · وان كان ذلك خوفاً من نشر افكارك فاللوم عليك لانه يجب ان لا تكتبي شيئاً تخجلين من نشره · ومع ذلك فقد ابلغتني المجلة ايضاً انها تضمن لنا انه لا يطلع احد من الرجال على رسائلنا لانها ستكتب فوقها « لا يجوز ان يقراها الا القارئات » ولا يخفى عليك ان حضرات الرجال حريصون على مراعاة كل نظام ··· وفضلاً عن هذا وهذا فانني اعلم ان قلمك اللطيف لا يخط شيئاً يُخجل منه

وقد كتبتُ اخيرًا الى صديقتنا سليمه فاجابتني انها كتبت اليك ايضا · واختم جوابي هذا بتقبيل وجناتك « صديقتك تبريزه »

حاشية · اخبركِ ان الجامعة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع

« من مصر القاهرة الى الحدث

« عزيزتي كليمه

« اظنك تبكين متى علمتِ ان رسائلنا ستنشر بين الناس وتتناولها الايدي في كل مكان في مصر والشام واميركا واقاصي الكرة الارضية واما انا فان ذلك يضحكني ويسرني لانني ابخل بتلك الرسائل الجميلة التي تعبنا فيها ان تبقى مطوية في خزائننا. وانما اخبرك انني ابقيتُ لديَّ كتابين منك لانني لا اريد اخراجهما من يدي الا بعد استئذانك . (هنا تضحكين وتقولين لماذا لم استاذنك في الباقي ولكن ما عليش على راي اخواننا المصريين) وانتِ تعرفين هذين الكتابين فهل امزقهما ام اضمهما الى الكتب الاخرى . واما الرسائل التي خرجت من يدي فهذا عددها — ١٠ كتب منكِ و٥ من صديقتنا تبريزه في الاسكندرية و١٠ مني كنتُ ارسلتها الى صديقاتنا و١٠ من صديقتنا خديجه في القاهرة ايضاً و٥ من ليا في يافا و١٠ من ايفا في بيروت و٥ من دلال في اللاذقية و٥ من عليا في دمشق الشام و٥ من اميرة في مرسين و٨ من نبيهة في طرابلس و٣ من صديقتنا التركية عصمت في اضاليا و٥ من ادال في القدس و٣ من الاستانة و٥ من البرازيل و٤ من الولايات المتحدة . ولكني لا اكتم عنك ان هذه المجموعة تكون ناقصة اذا لم تُضم اليها رسائل صديقاتنا في البلاد الاخرى وقد عُهد اليَّ استحضارها فكتبت الى رفيقاتنا اسالهن نسخها

هذا واذا كنتِ مستاءة الآن فان صدرك سينشرح حين نشر هذه الرسائل التي هي عبارة عن نفوس لطيفة ذائبة فيها كما يذوب السكر في الماء . وفي الختام اقبل وجناتك

« صديقتك سليمه »

حاشية . الراجح ان المجلة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع . وستكون متلسلسة في اجزاء كثيرة فهيئي نفسك لقراءتها

تلغراف من الحدث عن طريق طرابلس الشام الى مصر القاهرة

المدموازل سليمه

احرقي الكتابين حالاً . سامحك الله على عملك

« كليمه »

الماسونية وغرضها

(ملزمة الرواية في هذا الجزء الصفحة ٧١ و٧٦)

كان الناس يستغربون سكوت الجمعيات الماسونية عن حرب الترنسفال اشد استغراب لان شعار هذه الجمعيات « الاخاء والحرية والمساواة » فلم يلبث محفل الشرق الكبير في باريز ان نشر منشورًا ينكر فيه هذه الحرب ويظهر ميله الى البوير . ومما قاله في منشوره ان مصارعة انكلترا والترنسفال تذكر الناس بمصارعة جليات وداوود . ثم سال المسيحيين في العالم الجديد والقديم على سبيل التعجيز : ما رايهم في الحرب ولماذا لا يتوسطون لايقافها

وقد حذا محفل سويسره الكبير حذو محفل الشرق الباريزي فاذاع منشورًا على الماسونيين في كل اقطار الارض ما آله الاحتجاج على هذه الحرب وعلى الفظائع التي حدثت فيها من احراق المزارع وحصر النساء والاولاد في ملاجئ موبؤة . فرد محفل لندن على محفل سويسره بناء على امر جلالة الملك ادوار نفسه فقال ان قواد الانكليز لا يالون جهدًا في الرفق بالبوير اما ملاجئ النساء والاولاد فقد اقيمت للعناية بهم وقد سال الانكليز القائدين دي ويت وبوثا اذا كانا يرومان اعانة نساء البوير واولادهم ليطلقوا سراحهم فرفضا الاهتمام بهذا الامر . وغني عن البيان ان جلالة الملك ادوار لم يهتم بشكوى الماسونيين ولم يسعَ باقناعهم ببراءة جيشه الا لاحترامه آرائهم لانه كان رئيس المحافل الماسونية الانكليزية قبل ارتقائه الى العرش الانكليزي

ويرى القراء في ملزمة الرواية في هذا الجزء (الصفحة ٧١ و٧٦) كلامًا مسهبًا عن الماسونية واجتماعاتها وطريقة دخول الاعضاء فيها وتفسير الكلمات الثلاث التي اتخذتها شعارًا لها وهي « الحرية والاخاء والمساواة » . وقد نقلنا ذلك عن اسكندر ديماس كما كتبه دون تصرف فيه ولذلك نترك عهدته اليه . ولا يعرف القارئ حين تلاوته تلك الاقوال اذا كان مؤلفها يكتب ما يكتبه مستحسنًا او مستهجنًا

اما الكونت كاليوسترو الذي يرئس الجلسة في ذلك الاحتفال ويلقي تلك الخطب الثلاث ليفسر كلمات الماسونية فهو رجل غريب الاطوار كما تقدم وصفه . وقد كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه

كان يزعم انه ولد في مالطة او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل وآسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها · وكان يزعم معرفة الغيب ويدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسوح فيها · وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء وخصوصاً النساء فانهنّ كنّ يحسبنه الهًا لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن · وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها · وقد كان صديقاً حميماً للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسالة « عقد الملكة » كما فصلنا ذلك في ما تقدم وحُكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا · وكانت الملكة ماري انطوانت تخشي شره وتريد بُعده · واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم · اما ديماس فانه يجعله رجلاً قويًا كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه واحيانًا يسميه نابغة من نوابغ الزمان · وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه · ولما كان يقول عن الملوك « اننا نسقطهم » فقد كان يعني بقوله هذا نفسه والماسونيين رفاقه · وقد انشاء في باريز في حوالى سنة ١٧٨٤ لوجًا ماسونيًا سماه « اللوج المصري » وجعل فيه لقب « القبطي العظيم » مكان لقب « المحترم » ثم انشأ لوجًا آخر سماه لوج « ايزيس » كان خاصًا بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة برببن ومدام شرلوث دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن · وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج · ولميرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتبًا في هذا الموضوع ايضًا

الاحباش والاقباط

سبب اتباع الحبشة الاقباط · يد للحبشة عند المسلمين الاولين · كتاب منليك الى بطريرك الاقباط · تمدن الاقباط القديم والحديث · اورطة نابوليون القبطية في مصر

نشرنا في الجزء السادس عشر من السنة الاولى تاريخ نشأة الحبشة وترجمة النجاشي منليك واخبار حروبه وتغلبه على نجل الملك يوحنا (الراس منغاشيا) الذي كان عرش الحبشة من حقه واخلاق الاحباش وعاداتهم ودياناتهم وغير ذلك مما تحسن مراجعته قبل



﴿ النجاشي منليك سلطان الحبشة ﴾

مطالعة الفصل التالي . وقد راينا كتابة هذا الفصل بمناسبة قدوم سيادة الانبا متاؤوس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر لزيارة وطنه الذي فارقه منذ اكثر من ٢٠ عاماً فنقول

﴿ المسيحية في الحبشة وسبب اتباعها للاقباط ﴾ دخلت المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع بعد المسيح . وذلك ان شابين سور يين من شواطىء فينيقيه كانا مسافرين في البحر الاحمر في عام ٣٣٠ بعد الميلاد فغرقت بهما السفينة فنزلا في افريقيا في شاطىء الحبشة . وكان احدهما يُدعى « فرومنس » والثاني « اديسيوس » وكانا مسيحيين . فلما مثلا لدى ملك الحبشة في بلاطه في اكسوم اطلعاه على الديانة المسيحية فمال اليها الملك واعتنقها هو وشعبه . وكان هذان الشابان عالمين بوجود كرسي بطريركي في الاسكندرية وكان البطريرك يومئذ يُدعى اثناسيوس فنزل فرومنس الى الاسكندرية وطلب من البطريرك اثناسيوس ان يجعله مطراناً للحبشة فرضي البطريرك بذلك وهذا سبب اتباع الاحباش الكرسي القبطي الاسكندري . ثم نبغ في الحبشة عدة وعاظ وزهاد يسميهم الاحباش « قديسين » وفي جملتهم اراغاوي وغريه وسهاما وليكانوس وكوبها وتكلاها يمانوت وهو اشهرهم جميعاً . وقد اصلح هذا الرجل الاديار الحبشية وخالط كل رهبانها وكهنتها فثبت له ان الحبشي غير اهل لادارة شؤونه الدينية ولذلك قضى بوجوب جعل رئيس الكهنة في الحبشة من الاقباط لا من الاحباش . ولا يزالون على هذه العادة الى هذه الايام . وهم يسمون هذا الرئيس « ابونا » وهو اليوم سيادة الانبا متاؤوس الذي سبق ذكره وهو قبطي كما تقدم . فشان اخواننا الاقباط في الحبشة شان اليونان في كرسي انطاكية الارثوذكسي قبل خروجهم منه

وللحبشة مأثرة جليلة في التاريخ الاسلامي وهي حمايتها المسلمين الاولين الذين هاجروا



﴿ دير في الحبشة ﴾

من مكة اليها فرارًا من الاضطهاد قبل غلبة الاسلام ·وقد حفظ المسلمون لهم هذا الجميل فلم يغزوا بلادهم ولم يتحرشوا بهم قبل امتداد سلطتهم الى افريقيا· ولكنهم لما تاخموهم في افريقيا احتكت مصالح الفريقين فقام المسلمون عليهم فلجات الحبشة في القرن السادس عشر الى البورتغال وكانت دولة كبيرة فانفذ اليها البورتغاليون عدة من الاباء اليسوعيين لربط الكنيسة الحبشية بكنيسة رومه فلم يفلح سعيهم ثم دخل اليها الانجيليون فالقى الامبراطور ثيودورس القبض عليهم وسجنهم مع السفير الانكليزي· فثار خاطر انكلترا عليه وحاربته في سنة ١٨٦٨ · ومن ذلك يظهر ان الاحباش قوم شديدو التمسك بتقاليدهم

﴿ الاسلام في الحبشة ﴾ اما ما تقدم ذكره من صنع الحبشة مع المسلمين في بدء ظهور الاسلام فاليك تفصيله نقلاً عن مؤرخي العرب

لما ذاق المسلمون الاولون من قريش عذاب الاضطهاد في مكة هاجروا منها الى الحبشة وبقي صاحب الشريعة الاسلامية في مكة يدعو الى الاسلام سرًّا وجهرًا . فكانت اول هجرة في الاسلام . وكان عدد المهاجرين « تمام عشرة رجال — وقيل احد عشر رجلاً واربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من اظهار الدعوة » فاقاموا في الحبشة شعبان ورمضان ولما كان شهر شوال بلغهم ان قريشاً قد آمنت ودخلت في الاسلام فعادوا الى مكة ولكنهم لما قربوا منها سمعوا ان اسلام قريش باطل فعاد بعضهم الى الحبشة ودخل بعضهم مستخفين او بجوار . ثم تتابع المسلمون الى الحبشة حتى بلغ عددهم فيها ٨٢ رجلاً . فالظاهر ان قريشاً خافت استفحال امرهم واطمئنانهم هناك فبعثت الى النجاشي عمرو بن العاص (فاتح مصر) وعبد الله ابن ابي امية ومعهما هدية اليه والى اعيان قومه .



﴿ قرية حبشية على نهر ﴾

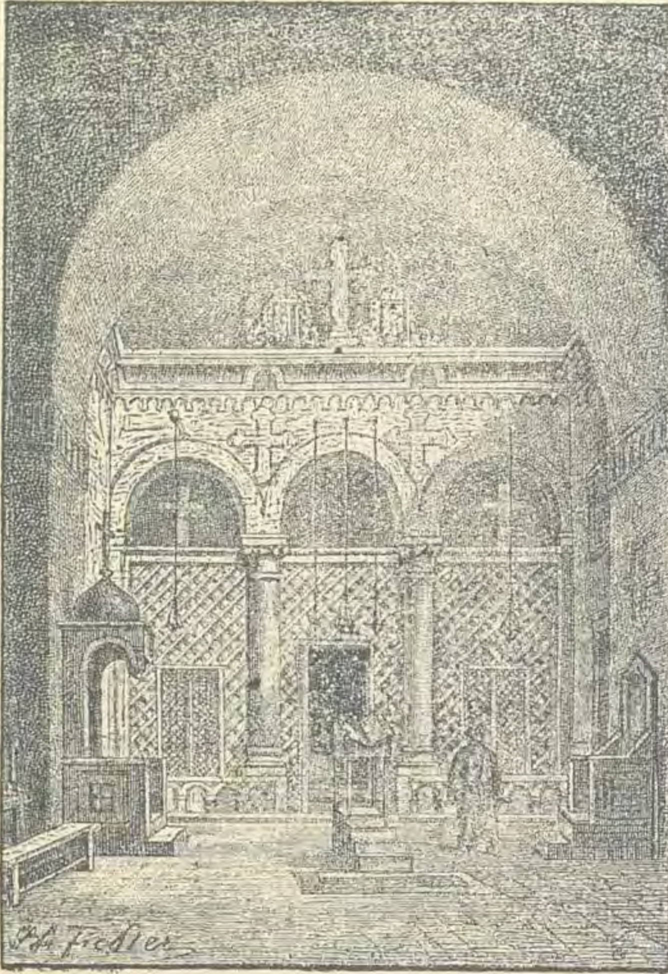
ولما وصل الرسولان الى الحبشة اختليا ببعض من الاعيان وقالا لهم « ان ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك (اي النجاشي) وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد ارسلنا اشراف قومنا الى الملك ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يرسلهم معنا » فوعدهما الاحباش خيرًا . ثم انهما حضرا عند النجاشي وطلبا منه ذلك الطلب فاشارت عليه حاشيته برد المسلمين الى قومهم . فدعا النجاشي المسلمين اللاجئين وسالهم عن دينهم فاجابه عنهم جعفر بن ابي طالب بهذا الكلام الجميل « ايها الملك كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام



﴿ غبطة البطريرك كيرلس بطريرك الاقباط المحترم ﴾

ونسيء الجوار و ياكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وان لا نشرك به شيئًا ونخلع ما كنـا نعبد من الاصنام وامر بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وا كل مال اليتيم وامرنا بالصلاة والصيام فآمنا به وصدقناه فتعدى علينا قومنا وعذبونا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك » فقال النجاشي « هل معكم مما جاء به عن الله شيء » فقال « نعم ثم قرأ عليه اسطرًا من كهيعص فقال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة . أنطلقا والله لا اسلمهم اليكما ابدًا »

وغير بعيد ان يكون في هذا الحديث زيادة او نقصان من حيث التاريخ ولكن لا شبهة في ان روحه تدل على صحة اصله



﴿ داخل كنيسة الاقباط في القاهرة ﴾

وقد كنا نتمنى ان تلك المبادىء الشريفة المبنية على حماية حرية الفكر والتساهل تبق محفوظة في الحبشة لان الكتاب يروون عن سوء معاملة الاحباش في بلادهم لمن لم يكن على مذهبهم ولا سيما المسلمين روايات غريبة يصعب تصديقها

﴿ مقدم سيادة الانبا متاؤوس وكتاب من منليك ﴾ اما مقدم سيادة الانبا متاؤوس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر فقد احتفلت به الامة القبطية الكريمة احتفالاً

عظيماً نادر المثال · وقد جاء سيادته يحمل عدة اوسمة من جلالة النجاشي الى سمو الجناب الخديوي وغبطة بطريرك الاقباط وعطوفة رئيس النظار وصاحبي السعادة ناظر الخارجية وقليني باشا فهمي وغيرهم من اكابر المصريين · وكتاباً من خط النجاشي باللغة الحبشية الى غبطة البطريرك المحترم هذه ترجمته

غلب الاسد الخارج من سبط يهوذا

« من منليك الثاني الذي صار بنعمة الله ملك ملوك الحبشة الى السيد الطوباني الكلي القداسة والاحترام الذي دعي لتعليم الانجيل المقدس · عامود الدين الثابت الذي لا يتزعزع · الكنز المختار الذي لا يسلبه لص · النور الذي يضيء في الظلام · الجالس على كرسي مارى مرقص الانجيلي باستحقاق · الكامل في رهبنته · الثابت في ايمانه · عبد ورسول يسوع المسيح · الاب الاقدس انبا كيرلس رئيس اساقفة الاسكندرية والحبشة وكل جهاتها دامت رئاسته علينا امين

« ايها السيد الجليل والحبر العظيم — انا منليك الثاني الذي جعلني الله ملك ملوك الحبشة اسجد تحت موطىء قدميك واطلب بركتك الشاملة جميع الخليقة واني بحمد الله في خير وعافية بنعمة الرب يسوع المسيح وطهارة السيدة مريم العذراء · ثم اعرض لمقامك السامي ان قداسة ابينا السيد الطوباني الانبا متاؤس راعي نفوس شعب الحبشة المبارك طلب مني اكثر من مرة الترخيص لجنابه بالنزول الى مصر لزيارة غبطتكم وحضرات الاباء المطارنة والاساقفة ورؤساء الاديرة القبطية وباقي الشعب القبطي الارثوذكسي المحبوب · وغير خاف على شريف علمك المنيف ان تقاليدنا القديمة وعوائدنا الخصوصية لا تساعد على التسليم لرئيس احبار الحبشة بمبارحتها ولكن بالنظر لما لقداسة الانبا متاؤس عندنا من المكانة السامية وحباً في حصوله على نعمة مشاهدة ذاتكم الكريمة قد التزمت ان اجيب سيادته الى ما طلب وكلفته بان ينوب عني في الاعراب لقداستكم عما يكنه ضميري من الميل الزائد لمشاهدة طلعتكم المنيرة ومحبتي الخالصة لابويتكم الفخيمة وباقي حضرات الرؤساء المكرمين وسائر اولادكم الاعزاء المباركين · واملي ان يعود الينا جنابه قريباً حاملاً البركات الرسولية الينا من قبل قداستكم · وفي الختام التمس من غبطتكم ان تمدونا دائماً بصلواتكم الطاهرة لكي يمتعنا الرب القدوس نحن واهل بيتنا الملوكي وقوادنا وجيوشنا وسائر افراد رعايانا الامناء برعايته العلوية وبركاته السماوية امين

« كتب في مدينة الزهرة الجديدة (اديس ابابا) في ٢٥ هدار (هاتور) سنة ١٨٩٤ ميلادية حبشية الموافقة سنة ١٩٠١ غربية »

هذه رسالة منليك . ومنها يظهر سمو مقام غبطة البطريرك لدى دولة الاحباش التي هي الدولة الافريقية الوحيدة التي تحفظ استقلالها في افريقيا لاعتبار التاريخ ان مراكش ماكولة لا محالة . واذا تمّ خروج الحبشة من حالة البداوة الى الحضارة التامة وصارت دولة عظيمة في افريقيا فان مقام البطريركية القبطية يصير مزدحماً للدول ذات المصالح فيها . ولا غرو ان يتمّ هذا الامر فان الامة القبطية القديمة انتبهت من سباتها منذ زمن ونهضت نهضة يحق لها ان تفتخر بها . واذا استمرت في سبيل التقدم فانها ستعيد قديم مجدها



﴿ جندي قبطي ﴾

هذا و بعد كتابة ما تقدم عثرنا على رسم صغير فوجدنا من الفائدة والفكاهة ان نجعله تتمة لهذا الفصل . وذلك ان نابوليون الاول لما قدم بجيشه الى مصر احتاج الى جندوطني فانشاء القائد كليبر احد قواده اورطة من الاقباط . وكان عدد هذه الاورطة ٦٠٠ رجل من خيار الرجال الاشداء . وقد جعل كليبر لباسهم كلباس الجنود الفرنسوية وذكرهم بالثناء غير مرة . واليك رسم احدهم في هذا الفصل . وربما أتينا في فصل آخر على ما يهم الاطلاع عليه من تاريخ الامة القبطية والحوادث التاريخية الدينية الكبرى التي حدثت بينها و بين كرسي القسطنطينية وكرسي رومه مما له اشد علاقة بتاريخ مصر الحديث

الميكروب سبب شيب الشعر

نشر العالم متشنيكوف المشهور مقالة بشان شيب الشعر كان لها وقع شديد في نوادي العلم . فقد قال انه تحقق من تجارب عديدة ان سبب شيب شعر الانسان هو صعود ميكروب خصوصي من جلد الراس الى الشعرة وأكله كل ما فيها من الداخل حتى يجوفها فمتى جوفها صارت بيضاء . واحياناً يُصاب الانسان بخوف عظيم او حزن عظيم فيشيب راسه في ليلة واحدة وسبب ذلك هياج دمه الى حد تثور عنده كل ميكروبات الشعر من مكامنها فتخرج الى الشعر وتجوفه في ليلة واحدة . ثم قال انه اذا تمكن من قتل هذا الميكروب استطاع منع الشيب على الاطلاق ولو بلغ الانسان مائة سنة . وهي بشرى للذين يصبغون شعورهم وخبر سيء للذين يحبون جلال الشيب في الشيوخ

باب تدبير الصحة

راديكا ودوديكا

توأمان هنديان وعملية فصلهما في هذا الشهر



في باريز ملهى مشهور يسمونه ملهي « بارنوم » يعرضون فيه على الناس كثيراً من غرائب المخلوقات · ففيه امرأة بلحية طويلة كلحى الرجال ورجل هندي من متخلفات المجاعة في الهند ليس فيه لحم ودم تقريباً بل هو عبارة عن هيكل من عظام · وفي جملة هذه الغرائب فتاتان صغيرتان بالغتان من العمر ثمانية اعوام واصلهما من الهند واسم الواحدة « راديكا » والثانية « دوديكا » وهما ملتصقتان من جهة الصدر اتصالاً خلقياً كما ترى في الرسم

ولتمام نحس هاتين الفتاتين المسكينتين اصيبتا بداء السل لسوء معيشتهما واشتد هذا

الداء على « دوديكا » حتى خيف من وفاتها و وفاة اختها معها . ولذلك راى الدكتور « دوين » في باريز ان يفصلهما الواحده عن الاخرى بعملية جراحية

وقد قص الدكتور دوين في الجرائد تفصيل هذه العملية الغريبة فقال: انه عمل هذه العملية في ٢٠ دقيقة وكان يساعده واحد من الجراحين . اما الدم الذي جرى من الجرح في اثناء العمل فانه لا يتجاوز ٢٠ او ٣٠ غراماً . ولم يربط ربطاً صناعياً لكل واحدة من الاختين سوى شريانين عند العملية . ذلك لان الاتصال بين الاختين كائن على طريق الجلد والانسجة التي تحته دون الاعضاء الداخلية . ولما تم الانفصال وحملت كل واحدة الى مائدة انتبهت الاختان معاً وقالتا « اشعر بالم في صدري » ثم اردفتا بدهشة « آه لقد فصلونا » . وكان نبض راديكا في تلك الساعة ٤٨ نبضة في الدقيقة ونبض دوديكا ١١٦ نبضة . اما نبضهما قبل العملية فقد كان ٩٠ لروديكا و١٣٠ لدوديكا . وكانت حرارتهما قبل العملية ٣٧ و٥ لراديكا و٣٩ لدوديكا . واما حرارتهما بعد العملية فقد كانت ٣٧ و٢ للاثنتين . ولما استراحتا في المساء طابتا لعبتهما . وجاءهما القزم الذي كان رفيقهما في ملهى بارنوم فاضحكهما بنكاته . و بالجملة فان كل شيء يدل على نجاح هذه العملية الغريبة وقد وردت الجرائد الاخيرة تخبر عن سلامة الاختين . فاذا تحققت نجاتهما من خطر الفصل وجب ان يصرف الدكتور دوين اهتمامه الى انقاذهما من خطر السل ايضاً

ولقد طيرت هذه العملية اسم الدكتور « دوين » في جميع اقطار العالم وانصبت عليه الاقلام والالسنة الباريزية تداعبه مداعبة لطيفة . ومن ذلك ما كتبه بعضهم اذ قال : « كانت فلانة في قاعة فلانة فقالت ان المسيو الفريد ومدام الفريد زوجان متحابان متفقان كانهما جسد واحد . فاجابتها فلانة : ابعثوهما اذاً الى الدكتور دوين لفصلهما في الحال »

﴿ جمال وجوه السيدات ﴾

ازالة الغضون اي التجعيد

وصف احد الاطباء الانكليز لازالة الغضون من وجه الحسناء التي دخل جمالها في الكهولة الوصفة الآتية : ثلاثة غرامات ونصف من زيت اللوز الحلو و٧ غرامات من دهن الكوكاو و٥٦ غراماً من اللانولين و٣ غرامات ونصف من الغليسرين و٣ نقط من روح الورد تمزج معاً ويدهن الوجه من هذا المزيج في كل ليلة قبل النوم فيكسبه جمالاً ويمحو الغضون منه

باب الاخبار العلميّة

المرجان وصيده



﴿ زورق يصطاد المرجان في البحر الاحمر ﴾

ذكرت الجرائد المحلية ان الجناب الخديوي انفذ الى بعض الجزر في البحر الاحمر احد العارفين بالحجارة الثمينة كالزبرجد واللؤلوء والمرجان ليستعلم عن وجود هذه الحجارة في تلك الجزر . وبهذه المناسبة نذكر شيئاً عن المرجان ووظيفته وصيده فنقول

للمرجان — هذه الحبوب الثمينة التي يتخذ منها اكابر المسلمين مسابح والتي يتخذها بعض النساء عقوداً وتدخل في كثير من شوون الزينة النسائية — شان عظيم في العلم . وربما دهش النساء والرجال اذا قيل لهم انها من اصل بحري وانها بيوت حيوان صغير يبنيها ليعيش فيها في قعر البحر وعلى سطحه . واحياناً تتالف منها شجيرات طول الواحدة شبر او قدم فتكون في قعر البحر عبارة عن حرش صغير

اما سبب اشتهار المرجان في عالم العلم فهو راجع الى تكون كثير من الجزائر في الاوقيانوس بسبب هذا الحيوان المرجاني . ولذلك يسمونه جزائر المرجان . وطريقة ذلك ان هذا

الحيوان يتراكم بعضه على بعض و يبني بيوته المرجانية على تتابع السنوات والقرون و يستمر في هذا البناء بعضه على انقاض بعض حتى يبلغ سطح البحر فتتراكم عليه مقذوفات البحر من المواد التي يحملها ماؤه فيزداد البناء علوّاً حتى يعلو الماء فيموت المرجان الذي في الوسط ولا يبقى حيّاً الا المرجان الذي في الاطراف . ثم يقذف البحر اليه ما يكون قد حمله من الجذور والحجارة البركانية الخفيفة وذرات التراب فتتكون فوق البناء جزيرة صالحة التربة . فتاتي الطيور وتقع عليها وتلقي برازها فيها . والغالب انه يكون في هذا البراز حبوب من حبوب النبات والاثمار او ان بعض هذه الحبوب تصل الى تلك التربة محمولة على ماء البحر فتنبت فيها . وهكذا تصير هذه الجهة التي لم يكن فيها من قبل غير الماء الهائج المتلاطم ارضاً غناء فيها النبات والاشجار وعليها صنوف الاطيار تزقزق على نغم الامواج مسبحة الخالق الحكيم الذي هيأ لها ذلك الناموس العظيم

وهذا الحيوان المرجاني يعيش على الشواطيء ايضاً و ينشيء حلقات من الصخور خارجية وداخلية مما يطول شرحه . وهو انواع منها الاسود والاحمر والابيض وغير ذلك

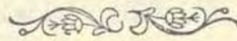
اما صيده فله طريقتان . الاولى ان يغوص الصياد عليه الى قعر البحر و يقتلع اشجاره منه . او ان يطرح في البحر شبكة خصوصية اذا كان القعر قريباً و يجرها فوقه فيخرجه بها . وقد وضعنا في هذا الفصل رسم زورق يصطاد المرجان في احدى الجزر في البحر الاحمر بالطريقة الثانية

اللورد كتشنر عالم ارشيولوجي

كثيرون يجهلون ان اللورد كتشنر كان في بدء حياته عالماً ارشيولوجياً . وقد روى ذلك العالم الفرنسوي المسيو كليرمون كانو فقال : لم اعرف اللورد كتشنر في اثناء حرب السبعين كما ظن بعضهم لانه كان في سنة ١٨٧٠ في مدرسة وولويش العسكرية . وفي اثناء هذه الحرب لم نشعر الا وقد قدم كتشنر بغتة من هذه المدرسة وتطوع بين جنودنا في جيش شانزي لمحاربة الالمان وشهد معركة اللوار . وانما عرفتُ اللورد كتشنر في فلسطين في عام ١٨٧٤ وكان قد سافر اليها ليرسم خريطة لتلك البلاد بناء على طلب جمعية فلسطين . وقد تصادقنا هناك واعجبتني منه بشاشته ومنظر جسمه القوي . وبعد ان رسم كتشنر خريطته صرف همه الى فحص آثار المجامع والمعابد الاسرائيلية في فلسطين وكان مولعاً بهذا الدرس . ولما عاد الى لندن كتب اليَّ ليطلعني على كتابات قديمة وجدها في بعض المدافن

في صور و بعث الي نسختها واليك كتابه فانني ما زلتُ احفظه

قال راوي هذا الخبر : لقد كان يلذ للورد كتشنر في بدء حياته ان يعيش بين خرابات اورشليم والناصرة و بيت لحم . وها هو الآن يعيش ايضاً بين خرابات مدن في الترنسفال تُدعى اورشليم والناصرة و بيت لحم . ولكن الفرق بين الخرابين ان الاول لا يد للورد كتشنر فيه واما الثاني فهو الذي احدثه



باب التقريظ والانتقاد

﴿ ملاحظة اخرى لاحد القراء على الهلال ﴾

هل تولى العرب دمشق الشام ام لا

كتب الينا من العاصمة القارىء الذي تكلم على غلاف الجزء الماضي عن رصيفنا الهلال الاديب النزيه المحترم يقول مرة ثانية

« قال حضرة عزتلو رفيق بك العظم عن علاقة العرب بدمشق الشام في الصفحة ٦٥ من كتابه « اشهر مشاهير الاسلام » الذي قرظته الجرائد العربية مانصه « والظاهر ان دمشق نفسها كانت عربية يومئذ بدليل انها كانت تخت « الحرث » الغساني احد ملوك بني غسان » فانتقد الهلال هذا الكتاب في ثلاث صفحات في الجزء السابع من اجزاء هذه السنة ولم يجد في كل بحثه مجالاً للانتقاد سوى هذه العبارة « لم نقرأ ان احداً من ملوك غسان اقام في دمشق او تولى حكومتها وانما كان حكامها من قواد الرومان » الجزء ٧ السنة ١٠ الصفحة ٢٢٥ السطر الاخير

« فيؤخذ من ذلك ان العرب لم يتولوا قط دمشق الشام

ولكن الهلال بحث في الجزء التاسع في نقود العرب قبل الاسلام فقال في الصفحة ٢٧٨ السطر ٥ (كانوا يريدون « بالحارث » اي ملك من ملوك عرب الشام على عهد الدولة الرومانية . وفي رواية يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الشهير ان ملكاً عربياً اسمه « الحارث » عبيدة كان معاصراً للملك اسكندريانوس في القرن الاول قبل الميلاد وانه تغلب على انطيوخوس ديونسيوس ملك سوريا « وتولى دمشق »)

« وهذا كلام صريح يثبت ان العرب تولوا دمشق . فايهما نصدق : القول الاول ام القول الثاني ? ? ام اننا لا نصدق هذا ولا ذاك بل نعتبر الهلال كالمترجمين الذين ينقلون اليوم ما يكون مخالفاً لما نقلوه امس ثم انهم يزيدون ذنبهم لدى العقلاء بكتابتهم للبسطاء انهم يؤلفون لا يترجمون ... » انتهى بحروفه

نقول اما مسالة الخلاف على دمشق فربما عدنا اليها في فرصة اخرى للالمام بشيء من تاريخ تلك المدينة العظمى

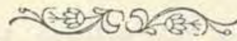
﴿ الاخبار ﴾ الاخبار جريدة يومية لصاحبها جناب صديقنا الكاتب الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وكل من اطلع على عدد من اعدادها عرف تنن جناب صاحبها ومساعديه في تحريرها ومقدرتهم على استمالة القراء . فان فصولها ومقالاتها واخبارها مختصرة شاملة لكل موضوع ومكتوبة باسلوب رشيق يلذ للمطالعين فضلاً عن الفكاهات التي يتفكه بها قارئها . فلا ريب ان صاحب الاخبار قد سدَّ بجريدته هذه فراغاً في الصحافة اليومية بالنظر الى عامة القراء في هذه البلاد ولذلك رايناهم راي العيان يُقبلون على قراءتها . فعسى ان تحلَّ الاخبار في الصحافة العربية محلَّ جريدة البتي جورنال في الصحافة الفرنسوية . اما قيمة اشتراك هذه الجريدة اليومية فهي ٦٠ غرشاً صاغاً فقط في القاهرة وتضاف اليها في الخارج اجرة البريد

﴿ الطب الحديث ﴾ الطب الحديث مجلة طبية لجناب منشئها الفاضل الدكتور عيد صاحب مجلة طبيب العائلة وهي مختصة بالشؤون الطبية ولذلك تهم جميع الاطباء . ومن مزاياها انه يشترك في انشائها ومراسلتها نخبة من اطباء مصر فنتمنى لرصيفتنا الانتشار فانه ليس بكثير على مصر وسوريا ان يكون فيهما مجلتان طبيتان يعول عليهما الاطباء وهما مجلة الطبيب في بيروت والطب الحديث في القاهرة

﴿ الاستقلال ﴾ وكما ان الاطباء حصلوا على مجلة جديدة فان المحامين حصلوا على واحدة ايضاً . وهي « مجلة الاستقلال » لجناب منشئها الفاضل نجيب افندي شقرا المحامي . وهذه المجلة شهرية تصدر في اربعين صفحة وقيمة اشتراكها ريال واحد ويشترك في مراسلتها نخبة من افاضل المحامين . وقد تضمن الجزء الاول منها كلام في الصحافة وخطة المجلة ومقالة في تسخير المحامين وبيان لمذاهب الاشتراكيين واخلاق الانسان وكتاب المسؤلية والغرض منه ارشاد الخاصة والعامة الى اجتناب امور شرعية تجلب لهم الضرر

﴿ جمعية الشبيبة المصرية ﴾ تالفت في العاصمة جمعية ادبية عنوانها « جمعية الشبيبة المصرية » وهي بادارة جناب رصيفنا توفيق افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح الغراء · وقد انشأت ناديًا لمطالعة الكتب والجرائد ايضا · اكثر الله الجمعيات الادبية في هذا القطر لانها مدرسة يتعلم بها الناس التعاون والاتفاق ومبدأ الادارة

﴿ اعتذار ﴾ لدينا عدة تقاريظ اخرى ضاق عنهـا هذا الجزء مع اننا زدناه ٢٠ صفحة عن حجمه الاعتيادي · وقد اخرنا تقريظها لنسهب الكلام عنها لانها من الكتب التي لا يجب ان يُشار اليها اشارة فقط · وقد تاخر ايضاً تلخيص رواية ورده الفريدة في بابها فنعتذر الى القراء لاننا حرمناهم في هذا الجزء فوائد هذه الرواية



باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اية لغة نتخذ للعلم والتعليم

﴿ الفصحى ام العامية ﴾

لم تبقَ مجلة ولا جريدة من المجلات والجرائد العربية الا وبحثت في هذا الموضوع الذي فتحت بابه رصيفتانا جريدة المؤيد وجريدة الاجبشن غازيت · ونحن نذكر باختصار لقرائنا تاريخ هذه المسالة ورائنا فيها

وضع جناب المستر ويلمور القاضي الانكليزي في محكمة الاستئناف المختلطة كتاباً انكليزياً في غاية الاهمية اقترح فيه على ابناء اللغة العربية امرين · الاول ان يتخذوا الحروف الافرنجية لكتابة الكلام العربي بدلاً من الحروف العربية وذلك لضبط اللفظ في الكلمات المتشابهة الكتابة المختلفة اللفظ · والثاني استعمال اللغة العامية في الكتابة بدلاً من اللغة

الفصحى . وحجته في هذا الطلب ان الرجل الافرنجي يصرف سنوات في درس اللغة العربية ثم هو لا يفهم اللغة التي يكتب بها كتَّابها اليوم ولا اللغة التي يتكلم بها قومها . وفضلاً عن ذلك فان الذين يفهمون لغة الكتابة اليوم من المصريين لا يتجاوزون ١٢ في المئة من السكان واما باقي السكان وهو ٨٨ في المائة فانهم لم يتعلموا لغة الكتابة واذا وجب ان يتعلموها ليدرسوا بها اضطروا الى صرف عدة سنوات في ممارستها . فهل من الواجب وضع هذه العقبات في طريق تعليمهم او تسهيل هذا التعليم لهم لتلقينهم الدروس بلغتهم ؟ و يقول المستر ويلمور ان هذه اللغة (العامية) لغة مستقلة عن اللغة العربية وقد جاء عليها وقت كانت فيه لغة باصول وقواعد فاذا جُمعت اصولها وقواعدها صارت لغة سهلة عمومية لجميع افراد الامة خاصتها وعامتها

ولكن الكتاب قاموا على المستر ويلمور قومة واحدة فنقضوا الراي الذي رآه واظهروا له ان اللغة العامية ليست لغة مستقلة وانما هي تشويه محلي يعتري كل لغة في العالم . وهو ما يسمونه لهجة . واللهجات متفاوتة في كل امة وكل بلد تقريباً فاية لهجة يستعملون . وهل جُنَّ ابناء اللغة العربية ليقطعوا باللغة العامية الجديدة الصلة الجميلة التي بينهم وبين اسلافهم من فلاسفة العرب ومؤلفيهم وحكمائهم وعظمائهم

على ان بعضهم يظن ان اقتراح المستر ويلمور فريد في بابه والحقيقة ان هذا الاقتراح موضوع اليوم في مجال البحث في كل بلد تقريباً . ففي كل ممالك العالم المتمدن اليوم فريقان يتنازعان في مسائل التعليم تنازعاً شديداً . وهما يُسميان الفريق القديم والفريق الجديد . فالفريق الجديد يطلب اختصار التعليم اشد اختصار وتسهيله اشد تسهيل وان يُقرن بكلما يحتاجه المتعلم من الدروس العملية ليحصل رزقه في زحام هذه الحياة ويُنبذ منه كل ما يُثقل دماغ الطالب وذاكرته دون ان يفيده فائدة عاجلة كالاسهاب في الصرف والنحو وآداب اللغة والشعر والهندسة والجبر وغيرها . والفريق القديم يقول ان التعليم مسالة تهذيب وتثقيف لا مسالة تجارة او صناعة . والابتكار والاختراع في العلم لا ينشئان الا عن التضلع من اصول العلوم والفنون والغوص في اعماقها . ولذلك يوجب هذا الفريق درس اعصى العلوم واصعبها ويجعل درس اللغة اللاتينية الزامياً لان هذه اللغة كانت منذ قرنين لغة العلم في اوربا وبها كُتب كثير من اشهر كتب العلم والفلسفة فضلاً عن الكتب التي كتبها مؤلفو الرومان

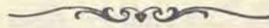
وان قيل اي الفريقين هو المصيب قلنا ان الفريق الثاني مصيب بالنظر الى خاصة

الامة الذين يرومون الانقطاع الى العلم والفريق الاول مصيب بالنظر الى العامة وطالبي الرزق . والظاهر ان المستر ويلمور هو من هذا الفريق الذي يبغي التسهيل

ولكن المستر ويلمور لا يعلم على ما يظهر ان للتسهيل حدًّا لا يتعداه وان ما حصل في اللغة اللاتينية لا يمكن حدوثه في اللغة العربية لاختلاف النسبة بين اللغتين . فانه لما قام ديكارت وخالف العادة التي جرى عليها علماء عصره من التاليف باللغة اللاتينية وجد لغته الفرنسوية لغة صحيحة فصيحة فيها كثير من كتب الادب . وهذا ما زاد كتبه رواجاً واقبالاً وانساه سخط العلماء عليه من اجل تلك البدعة . ولكن ماذا يجد كاتب اللغة العامية اليوم اذا رام التاليف فيها . اتكفيه لغة الحمارة والبحارة للتعبير عن اشرف عواطف القلب واسمى خطرات الفكر مع انه يشكو من ضيق لغة ابن رشد نفسها

والحاصل ان المستر ويلمور قد حاول امرًا مستحيلاً . ولا خوف على لغتنا منه ومن امثاله لانهم لا يحاربون فقط اللغة العربية بهذا الاقتراح وانما يحاربون النواميس الطبيعية ايضاً . ذلك ان النواميس الطبيعية ضدهم في هذه المسالة . وان اللغة التي قتلت اللغة الارامية واليونانية في سوريا وفلسطين . واكتسحت لغة المصريين قبل الاسلام . وانتشرت أوسع انتشار في افريقيا . ودخلت في اثر السيف الى اواسط آسيا واوربا . والتي لا تزال تتغلب حتى اليوم على لغات الهند في عهد الاحتلال الانكليزي نفسه — لهي لغة نافذة كالسيف فلا تؤثر سطور كتاب انكليزي فيها

ولكن هل يؤخذ من هذا القول انه لا يجب علينا ان ننظر في كتاب المستر ويلمور نظرة اعتبار لنستفيد منه ما يمكن استفادته ؟ لا ريب عندنا ان هنالك فائدة في غاية الاهمية . وقد ضاق المجال في هذا الجزء وسناتي على ذكرها في الجزء التالي فنوجه اليها الانظار مقدماً



﴿ المطران قسطنديوس طرزي ﴾ نعي الينا من المقام البطريركي الانطاكي للروم الارثوذكس في دمشق الشام الماسوف عليه المطران قسطنديوس طرزي . توفاه الله فجأة في ٢٦ يناير بعد سيامته مطراناً لابرشية ارزروم ببضعة ايام . وقد كان رحمه الله يقول قبل ارتقائه الى درجة الاسقفية كما سمعنا ذلك من بعض اخصائه « يارب ارفع تاج الاسقفية على راسي ثم توفني اليك » يريد بذلك انه قانع بان يصير مطراناً بضعة ايام ويموت . وقد تمّ له ذلك باتفاق غريب . فنحن نرفع واجبات التعزية الى مقام غبطة الحبر الجليل البطريرك الانطاكي السيد ملاتيوس المحترم ولآل الفقيد سائلين له الرحمة عداد حسناته ومبراته

الجامعة

﴿ الجزء السابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — ذو الحجة ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

تاريخ فيكتور هيغو

﴿ مقالة تهديها الجامعة الى روحه الكريمة ونفسه العظيمة ﴾

وهي عبارة عن تاريخ فرنسافي قرن كامل يجد فيه القارىء مزيجًا من التاريخ والادب والشعر والفكاهة كانه كتاب مستقل مختصر · وقد عانينا مشقة كتابته بهذا الاسهاب لمناسبة احتفال الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادة هذا الرجل العظيم · وهذه الترجمة اول ترجمة كاملة صحيحة تُنشر في اللغة العربية عن هذا الانسان الذي يجب ان لا يجهله انسان

خطب المسيو براندیس المؤلف الدانمركي في هذا الشهر في باريز فقال : ان ظهور اعاظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء · فان هؤلاء الرجال يرقون شأن البشر ويزينون الحياة بما يبتدعونه فيها · واي رجل عاقل لا ينسى برهةً مصائب الحياة ومصاعبها اذا اخذ كتابًا من كتب شكسبير او كوث وصار يطالعه بامعان تحت ظل صفصافة على شاطىء نهر او تحت ظل سنديانة في اعالي الجبال · واذا كان هولاء المؤلفون المبتدعون هم بهجة الارض وزينتها فمن مصلحة الحكومات والامم ان يسهلوا لهم سبيل الظهور ويمهدوا امامهم

طريق الحياة لئلا نقتل مصاعبها ما خصتهم به الطبيعة من القوات والقوى· ثم قال ان الحكومات الملكية افضل من الحكومات الجمهورية من هذا القبيل لانها اصلح لنشأة اعاظم الرجال فيها

وليس غرضنا من نشر هذا القول الاشارة الى خطاءه او صوابه وانما غرضنا ان نأخذ منه هذه العبارة : ان اعاظم المؤلفين الذين يستحقون ان يُدعوا كذلك هم بهجة الارض وزينتها في هذه الحياة ولولاهم لما كانت الحياة على هذه القبضة الترابية التي يسمونها كرة ارضية جميلة كما هي الآن · ولذلك ننشر في كل جزء عرف فضائلهم في صدر المجلة

وحسبك لتأييد هذا القول ان تنظر الى رجل واحد احتفلت الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادته · ونريد به فيكتور هيغو الشاعر الفرنسوي المشهور· فان هذا الرجل ملاء الارض شرقاً وغرباً من تاثيره فكانه شمس انارت العالم كله او كانه عالم مفرد انارته شمس المواهب السماوية · ولذلك راينا ان ناتي على ترجمة هذا الشاعر بالاسهاب الواجب لرجل مثله ونهديها الى نفسه الكريمة التي هي الآن حيث كان يلذ لها الارتفاع في اعالي السماء فوق الكواكب والنجوم

***

﴿ تاريخ صباه ﴾ هو فيكتور ماري هيغو ولد في ٢٦ فبراير من عام ١٨٠٢ وتوفي في ٢٢ مايو من عام ١٨٨٥ · وقد قال عن نفسه في احدى قصائده عن القرن التاسع عشر « لما ولدتُ كان عمر هذا القرن سنتين » اما ابوه فهو الجنرال هيغو واما امه فهي صوفيا تربيوشه كريمة احد اصحاب البواخر في نَنت · ومنهم من يزعم ان اباه كان من اسرة قديمة من اللورين نالت رتبة الشرف في عام ١٥٣١ ولذلك كانوا يلقبون اباه « الكونت هيغو » ويلقبونه هو « الفيكونت فيكتور هيغو » · وقد اثبت فيكتور هيغو هذا النسب لنفسه في كتاب عنوانه « ترجمة فيكتور هيغو بقلم احد رفاقه » ولم يكن هذا الرفيق سوى مدام هيغو نفسها التي كتبت هذا الكتاب وزوجها املاه عليها · على ان قوماً آخرين ينكرون هذا الزعم ويقولون ان جدّ فيكتور هيغو كان نجاراً في ننسي وكان يُدعى « يوسف هيغو »

وقد ولد فيكتور هيغو في مدينة بيزانسون · وكان له اخوان اكبر سناً منه وهما آبل واوجين · ومن غريب امره انه كان شبيهاً بنيوتن من حيث ضعف البنية في صغره · فقد كان هزيل الجسم نحيفاً اصفر اللون ولكنه كان فوق جسمه راس كبير كانّ كل قوته

قد صُرفت اليه وخُزنت فيه . ولذلك كان بعضهم يضحك من ذلك الجسم الصغير والرأس الكبير

عائلة هيغو

وكان هيغو ابو صاحب الترجمة عزيزًا على جوزيف بونابرت شقيق نابوليون وقد ترقى في جيشه وتحت امرته وكان مضطرًا الى الانتقال من بلد الى بلد طوعًا لنظام خدمته . فلم يقم في بيزانسون سوى بضعة اشهر ثم انتقل الى مرسيليا فكورسيكا فجزيرة الب فجنوه . وكان ارساله الى جنوه في عام ١٨٠٥ فكرهت زوجته ان تصحبه الى تلك الجهات الغريبة فعادت باولادها الى باريز وارسلتهم الى مدرسة في شارع مون بلان . ولكن زوجها لم يلبث ان جُعل حاكمًا لمقاطعة افيلينو في ايطاليا فاستدعى زوجته واولاده لظنه انه القى عصى التسيار في تلك الجهات . فسارت مدام هيغو باولادها الى ايطاليا . غير انه لم يستقر بها المقام حتى جُعل جوزيف بونابرت ملكًا لاسبانيا وكان ذا ميل الى هيغو ابي صاحب الترجمة كما تقدم فاستدعاه اليه . فسار هيغو الاب الى اسبانيا وعادت زوجته باولادها الى باريز فادخلتهم الى مدرسة في شارع سنت جاك انشأها رجل يُدعى المسيو دي لاريفيير وكان قبل الثورة راهبًا فلما شبت نار الثورة تزوج وعمد الى التدريس . وقد زعم بعض مترجمي هيغو ان هذا المعلم هو الذي بث في نفسه من صغر حب الجمهورية حبًا شديدًا ظهر بعدئذ في كتاباته ظهورًا عظيمًا . وكان يومئذٍ عمر هيغو الابن سبع او ثماني سنوات . فاذا صح ذلك الزعم كان اكبر دليل على اهمية التعليم الابتدائي وصدقِ من قال : ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي عام ١٨١١ رُقي ابو هيغو من رتبة كولونيل الى رتبة جنرال وجُعل من ياوران ملك اسبانيا وعُين مديرًا لمائدة الملك وواليًا لمقاطعات افيله وسكوفيه وصوريه . فارسل هيغو واستقدم زوجته واولاده الى اسبانيا . ولما قدمت امرته ادخل اولاده الى مدرسة النبلاء الاسبانية فكان التلامذة الاسبانيون يسيئون معاملتهم حسدًا لهم لانهم كانوا غرباء بينهم . ولكن لما كانت سنة ١٨١٢ اضطربت حال الفرنسويين في اسبانيا وخشي هيغو من خروجها من ايدي دولته فابقى لديه ابنه آبل واعاد زوجته وولديها الآخرين الى باريز خوفًا عليهم من فتنة او اضطراب . وكان عمر هيغو الابن حينئذٍ عشر سنوات وقد زار في اثنائها مع اسرته رومه ونابولي واسبانيا فافادته هذه الزيارات كثيرًا خصوصًا زيارة اسبانيا التي ابقت في قريحته وعقله آثارًا اسبانية لم تُمحَ منها . وقد وجد شارحو

كتبه في كتاباته ما لا يحصى من التعابير والمواضيع والصفات الخاصة باللغة الاسبانية

ولما عادت مدام هيغو بولديها الى باريز اعادتها الى مدرسة الراهب الذي تقدم ذكره . وكانت مدام هيغو من النساء اللواتي يستحسنَّ اراء فولتير ورسو فتركت ولديها يُطالعان كل الكتب التي كانت تقع في ايديهما من مكتبة جارٍ لها حتى ما كان منها غير ادبي . فاقتبس الولدان من هذه المطالعة المستمرة المتنوعة كثيرًا من المبادىء الابتدائية المختلفة . وربما كانت بذور الحرية القيت في نفس فيكتور من هذه المطالعة لا من مبادىء الراهب الذي تقدم ذكره

وفي عام ١٨١٥ عاد الجنرال هيغو الى باريز . وكانت اخلاقه لا تنطبق على اخلاق زوجته فاشتد الاختلاف بينهما في هذا العام حتى انفصل عنها واخذ ولديه منها بناءً على حقوق الاب في فرنسا . ثم ادخل هذين الولدين في مدرسة كورديه فاقاما فيها الى عام ١٨١٥ ثم اخذا يتلقيان الفلسفة والرياضيات والطبيعيات في مدرسة لويس الكبير فظهر منهما استعداد تام لاقتباس العلوم والفنون . ولما بلغ فيكتور هيغو صاحب الترجمة السنة الرابعة عشرة بدأ بالنظم وكان ذا ميل فطري اليه

***

﴿ بدء حياته الادبية ﴾ واول منظوماته رواية دعاها « ايرتامين » واخرى دعاها « اتيليا » ثم كتب رواية عنوانها « اينس دي كاسترو » وكلها صنع طفل في عالم الكتابة ولعلها لم تُنشر . وكان الشاعر فرجيل اللاتيني احب الشعراء اليه فترجم بعض ابيات من ابياته .

الفتى هيغو والاكاذمية

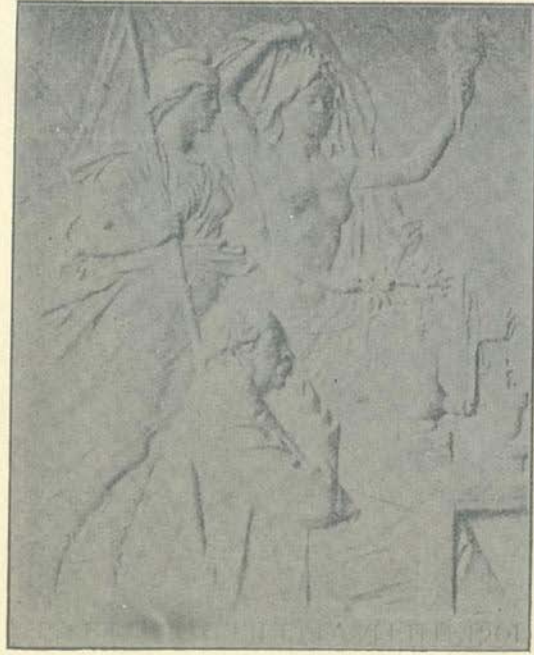
ولكن كل ذلك لم يدل عليه الدلالة الواجبة . ففي ذات يوم فتحت الاكاذمية الفرنسوية بابًا للشعراء والكتاب للمباراة في موضوع « منافع الدرس والمطالعة » . وكان عمر فيكتور هيغو يومئذ ١٥ عامًا . فخطر له الدخول في هذا السباق لان نفسه الكبيرة في جسمه الصغير كانت تحدثه بكل امر كبير . وكان يقرأ منظومات عصره فيجدها جافة ناشفة بازاء كنز الشعر والموسيقى الذي كان في باطنه ينمو شيئًا فشيئًا . فنظم قصيدة طويلة في هذا الموضوع ووقعها بهذا التوقيع « فيكتور هيغو وعمره ١٥ عامًا » ثم انه اخفى هذا الامر عن كل انسان الا عن معلمه لانه رام مفاجأة رفاقه واهله بفوزه اذا فاز وكتمان فشله اذا فشل . فجعل معلمه التلامذة في ذات يوم يمرون عن باب الاكاذمية وبينما كان التلامذة

المدالية الفضية التي احتفلت الجمهورية الفرنسوية باهدائها اليه



﴿ رسم المسيو برتلو ﴾

وتحته : التركيب الكيماوي · العلم يرشد الانسانية



﴿ برتلو امام معمله يفتكر ﴾

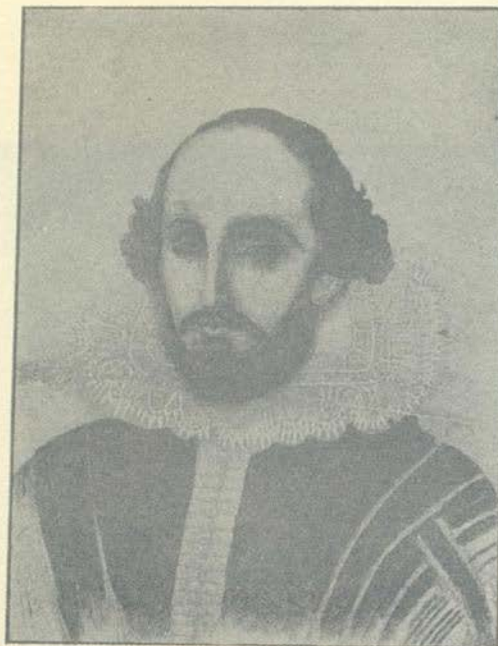
وفوقه الوطن يكلل العمل والحقيقة تنير طريقه

راجع صفحة ٢٨٤



﴿ الفريد نوبل واضع الجوائز ﴾

راجع صفحة ٣١٧



﴿ وليم شكسبير ﴾



﴿ فرنسيس باكون ﴾

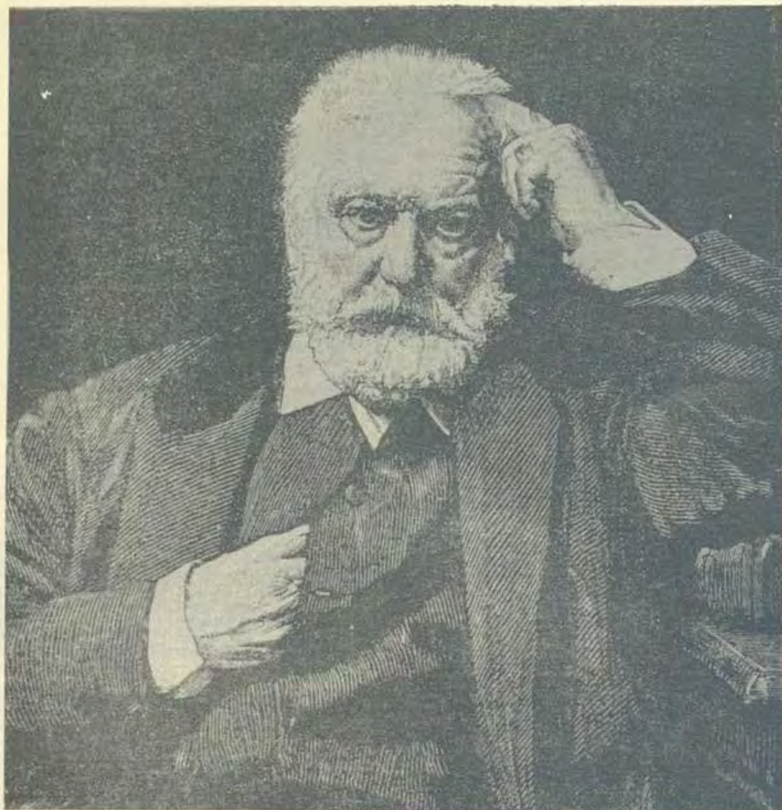
راجع صفحة ٣٥٠



❊ عودة المسيح الى اورشليم ❊

احتفال الشعب بعودته ودخوله به الى المدينة المقدسة في وسط الاحتفال · وهو عيد الشعانين عند النصارى

راجع صفحة ٣٦٨

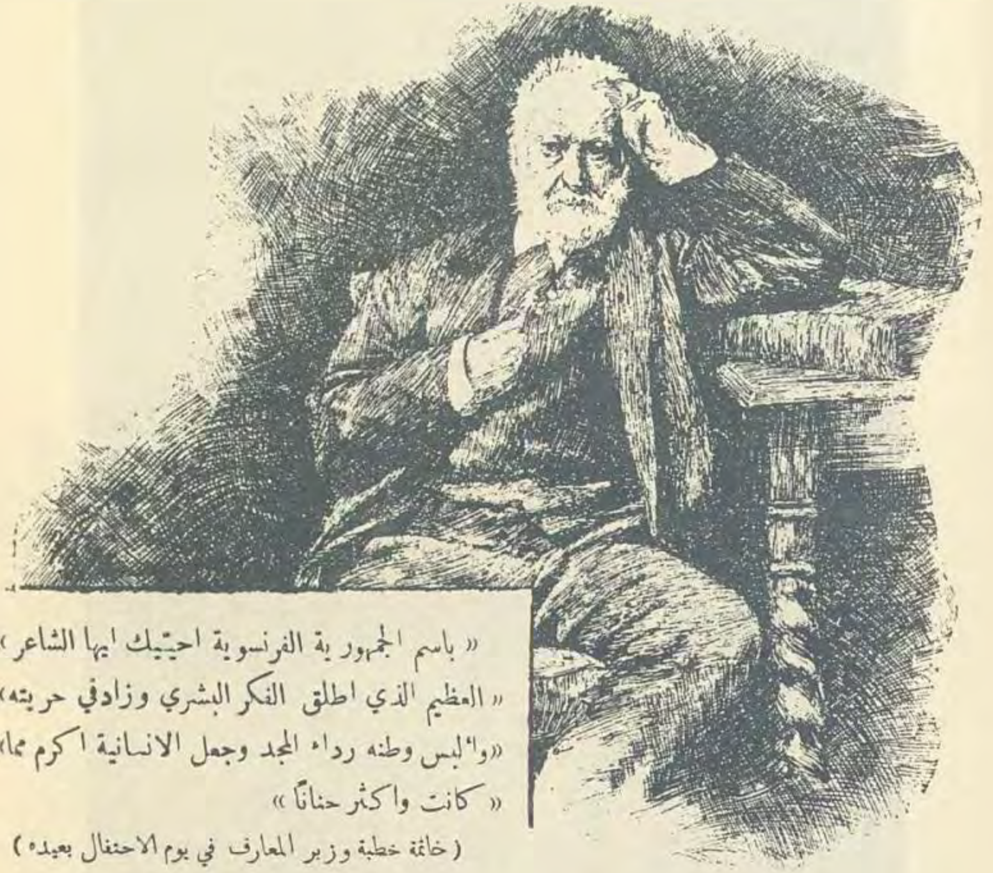


﴿ فيكتور هيكو في اواخر عمره ﴾

Victor Hugo

(اسمه بخط يده كما كان يوقع به على رسائله)

راجع صفحة ٤٢٨



﴿ رسم آخر لفيكتور هيكو وهو رابض ربضة الاسد ﴾

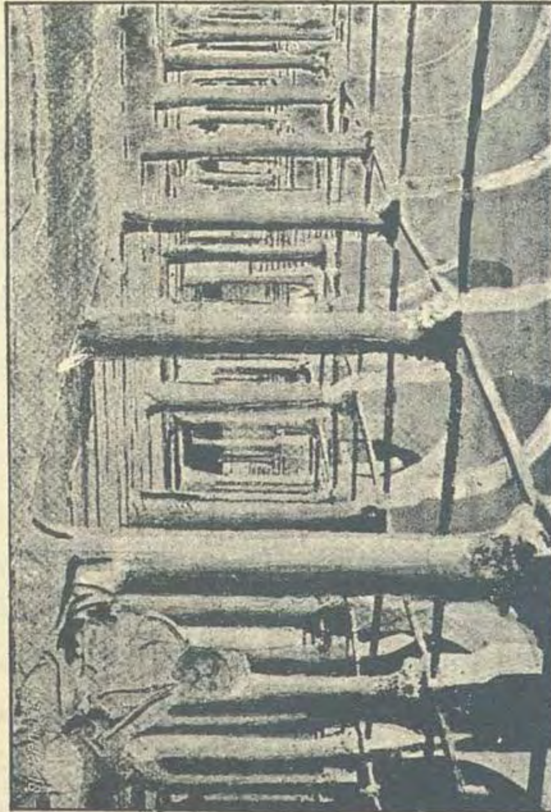
راجع صفحة ٤٤٤



﴿ التلامذة والنسوة يُنزلون السيد المسيح عن الصليب ﴾

راجع صفحة ٤٦٠





تمثال ابن رشد في احد جوامع قرطبة منصوباً للداخلين والخارجين



راجع صفحة ٥١٦

مشغولين بالحديث اسرع الفتى فيكتور ومعلمه فدخلا الى الاكاذمية كالبرق ووضعا تلك القصيدة في موضع المراسلات ثم عادا وهما يضحكان وقلب الفتى فيكتور يرقص طرباً واملاً .

وبعد ايام كان فيكتور هيغو يلعب في دار المدرسة واذا باخيه الكبير آبل قد دخل يطلبه . فلما رآه صاح به آبل : تعالَ ايها الابله . من طلب منك ان تذكر سنك في القصيدة التي قدمتها الى الاكاذمية . يا لك من حمار . فان الاكاذمية حسبت ان ناظم القصيدة يهزاء بها بقوله ان سنه ١٥ سنة ولذلك حرمته من الجائزة واكتفت بذكر اسمه بين الفائزين . ولولا ذلك لكانت الجائزة لك

وكان آبل يتكلم وهو يضحك وقلبه ممتلىء سروراً . اما فيكتور هيغو فلو نظر ناظر الى قلبه في ذلك الحين لرآه يخفق خفوق فراشة امسكت من احد جنحيها . وهذا اول فوز ناله فيكتور هيغو في عالم الادب . ومنذ هذا الحين صار معروفاً لان مجرد ذكر الاكاذمية كاتباً بين الفائزين كان سبباً في اشتهاره . وكان هذا الامر شرفاً يصبو اليه كثيرون من الكتاب والشعراء . فكأنَّ الاكاذمية مجلس ادبي عالٍ يوزع الشهرة على مستحقيها من رجال الشعر والادب

هيغو والملكية

ومنذ هذا الحين انصبَّ فيكتور هيغو على النظم والكتابة فنظم في عام ١٨١٩ قصيدة موضوعها « فوائد التعليم العملي » وقدمها الى الاكاذمية فذكرت الاكاذمية ناظمها بين الفائزين ايضاً . ثم نظم بعد ذلك قصائد موضوعها : عذارى فردون . واعادة تمثال هنري الرابع . وموسى في النيل . والتلغراف . فارتاح الجمهور الى منظوماته واعترف له بالشاعرية . اما انصار الملكية فانهم كانوا يصفقون طرباً لكل قصيدة من قصائد هذا الفتى لانهم وجدوا في كلامه المنمق وعباراته الانيقة وعواطفه التي تلذُّ لها الوقفات بين الشؤون الملكية لوصف احوالها السامية ما جعلهم يؤملون ان ذلك الشاعر النابغ بينهم سيكون في المستقبل شاعرهم وحامل لواء مجدهم . ذلك ان فيكتور هيغو كان يومئذ ملكياً بحتاً . وكان لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا في ذلك الزمان وقد دخلها بعد معركة واترلو واسر نابوليون الاول . وكان شاتوبريان الكاتب المشهور يدير يومئذ جريدة « الكونسرفاتور » اي المحافظ وهي جريدة كاثوليكية ملكية غرضها الانتصار للملكية . فانشأ فيكتور هيغو مع اخويه جريدة سماها « المحافظ الادبي » وجعلها بمثابة ملحق لجريدة شاتوبريان . وكان شاتوبريان

يسميه « الفتى العظيم » . وقد دلّ فيكتور هيغو على هذه العظمة منذ صغره فانه كان يحرر جريدته « المحافظ الادبي » وحده متسترًا تحت اسماء مختلفة فكان يكتب فيها في التاريخ والادب والشعر والروايات في آن واحد . وفي ذات يوم نشر في جريدته قصيدة في موت الدوق دي بري فراقت هذه القصيدة للملك ومنحه خمسمائة فرنك جائزة له . وفي عام ١٨٢١ انضمت جريدة « المحافظ الادبي » الى جريدة « اساطير الادب والفنون » ولكن فيكتور هيغو خرج منها

زواجه بسبعمائة فرنك

وفي هذا العام توفيت امه وكان يحبها حبًا شديدًا . فجعلت وفاتها فراغًا حوله فاخذ يفكر بالزواج . وكان فيكتور قد عرف في صباه فتاة تُدعى مدموازل ادال فوشه وكان يحبها اشد حب . وقد كانت الفتاة تحبه ايضًا الا ان اباها لم يرضَ عن هذا الحب لان فيكتور كان فقيرًا لا يملك شيئًا . اما ابوه فانه اقترن بعد وفاة زوجته بالكونتس دي سالكانو ولذلك غضب فيكتو هيغو من عمله وابتعد عنه . على ان ذلك لم يكن يوقعه في الياس بل انه لجاء الى صناعة الادب يفرج بها همه ويطلب منها خبزه . واكرم بها من صناعة تسلي الانسان العاقل عن جميع هموم العالم ومصائب الحياة وتبني له في صميم قلب الانسانية ما يريد بناءه من الآثار الخالدة

فنشر الفتى هيغو في عام ١٨٢٢ كتابًا منضمنًا قصائد مختلفة . فلما اطلع الملك على هذا الكتاب اعجب به ومنح مؤلفه الف فرنك من جيبه الخاص . وكانت المكاتبات في اثناء ذلك دائرة بين فيكتور وحبيبته ادال . وقد نُشرت رسائلهما منذ مدة في كتاب عنوانه «رسائل الى الخطيبة » وكله كلام ارق من النسيم واحلى من الشهد . وكفى ان يقال انه من فيكتور هيغو وتلك النفس اللطيفة التي ملاءها من روحه . فلما راى ابو ادال عند صدور الكتاب الذي تقدم ان الملك يعطف على فيكتور هيغو و يساعده سقطت معارضته في هذا الزواج وعلم ان اصهره مستقبلاً عظيمًا . فكانت خطبة فيكتور هيغو لادال غاية غاياته واقصى امانيه . وقد كتب ابو ادال الى ابي فيكتور هيغو يجيبه الى ما طلبه من تزويج ابنه بابنته وقال له في هذا الكتاب انه من سوء حظه لا يستطيع ان يمنح ابنته من الدوطة الا ما قيمته ثلاثة الاف فرنك من الاثاث . وانه سيخلي للعروسين قسماً في منزله يعيشان فيه بجانبه الى ان يصير فيكتور قادرًا على الاستقلال في منزل وحده . وكان ابو فيكتور هيغو يومئذ في حاجة ايضًا وهو يطلب من لجنة التعويضات العسكرية النظر في ما يستحق من

التعويض عن الخسائر التي اصابته بعد حروب نابوليون · ولما اقترن فيكتور هيغو بحبيبته ادال جاءه ناشر كتابه ودفع اليه سبعمائة فرنك وهي ربحه من الكتاب الذي تقدم ذكره فابتاع العريس بهذا المبلغ لعروسه شالاً كشميرياً · وهذه كانت هدية زواجه وكل ثروته وبعد الزواج اكبَّ هيغو على الكتابة لعلمه انها مورده الوحيد وسلم ارتقائه في المستقبل · ولم يعقه زواجه عن التفرغ الى عمله · فنشر اولاً رواية « هانديسلاند » دون ان يضع عليها اسمه · وموضوع هذه الرواية تمثيل الهول الانساني وحب الانتقام الفظيع اعظم تمثيل · وقد تحدى فيها الكاتب الانكليزي ولتر سكوت لانه كان كثير المطالعة لكتبه · وفي العام الذي صدرت فيه هذه الرواية صدر امر الملك بتعيين راتب سنوي له قدره الفا فرنك · فمنذ هذا الحين تنفس فيكتور هيغو الصعداء وزاد انصباباً على عمله

***

﴿ الحرب الادبية ﴾ وفي هذه الاثناء تالف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح ان يُسميا حزب القديم وحزب الجديد · اما الفرنسويون فانهم يسمونهما حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك · ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدموهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة · ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعية على كل القواعد القديمة والحديثة · فاذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الاشياء التي يكتب عنها بصرف النظر عن قواعد المتقدمين · وربما جاز ان يُسمي الحزبان حزب " الاتباع " وحزب " الابتداع " او حزب التقليد وحزب الاستقلال

رئاسته حزب الابتداع ·

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداع · ولا عجب في ذلك فان طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله و بعده لجديرة بان لا تجد في من تقدمها شيئاً تقلده وان ترى ببصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسوية

وكان حزب " الاتباع " يباهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر · اما حزب " الابتداع " فيردُّ عليه بقوله ان المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الادبية والسياسية والاجتماعية · اما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته · فاصطلت نيران النزاع بين الفريقين وكان الخلاف شديداً حتى

انه لم يبقَ كاتب ولا شاعر الا انضمَّ اليهما . وكثيرون من كتاب الفرنسويين ذكروا في الايام الاخيرة تلك الحرب الادبية فقالوا : سقياً لعصر يصرف اهله همهم الى تعزيز آرائهم الادبية ويقفون حياتهم لنشرها لا ان يجعلوا همهم مصروفاً الى جمع المال للتمتع بملاذ الحياة كما يصنعون في هذا العصر . ولا ريب ان العصر الاول يُثمر ثماراً عظيمة ادبية واجتماعية يكون من ورائها ارتقاء البشر وتحسين الحياة في الارض . واما العصر الثاني فلا يُثمر الا شهوات ومطامع وازدحاماً وحشياً على الرزق وانانية شرسة تقوي الحيوانية في البشر وتُضعف الانسانية

فرغبة في الانتصار لحزب الابتداع انشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض اصدقائه من الشبان جريدة « القريحة الفرنسوية » فدوت حينئذ في قاعات السيدات والسهرات والاندية العمومية والخصوصية صدى الخلاف بين الحزب القديم والحزب الجديد واشتد النزاع بين الفريقين ولكنه لم يكن قد بلغ اشده . وفي هذا العام صالح فيكتور هيغو اباه ونشر في جريدته قصيدة عنوانها « قصيدة الى ابي » . الا انه اقفل هذه الجريدة في العام التالي لينقطع الى التاليف والنظم . وفي هذا العام مُنح هو والشاعر لامارتين المشهور وسام جوقة الشرف من درجة شفاليه وحضر معه حفلة تتويج الملك شارل العاشر وقد نظم قصيدة في ذلك . وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين وقد زاره في سان بوانت ونزل ضيفاً عنده . الا انهما بعد ذلك تقاطعا « للعداوة الحانوتية » كما جاء في المثل الافرنجي « او لعداوة الصناعة » كما جاء في المثل العربي . وبئست هذه العداوة

ولما انقطع فيكتور هيغو الى التاليف نشر رواية عنوانها « بوك جاركال » ثم نشر منظومات عنوانها بالفرنسوية « اود وبالاد » فكان لهذه المنظومات تاثير عظيم . ثم نشر كتاب « كروميل » وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم . ومما قاله فيها ان حوادث الروايات يجب ان تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان لان ذلك يخنق حوادثها خنقاً . ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي يتقيدون بها

الشرقيات وليلة هرناني المشهورة

فكان لهذه المقدمة تاثير عظيم على الحزب القديم لانه اعتبرها بمثابة اعلان للحرب فعزموا على مقاومة هيغو واي مقاومة . وفي عام ١٨٢٨ مثل هيغو رواية « أمي روبسار » فحضر

حزب القديم التمثيل ولبث يصفر ويضحك كل الوقت فاضطرت ادارة التمثيل في اليوم التالي ان تبطل تمثيل هذه الرواية · وفي العام التالي نشر هيغو « الشرقيات » وكلها قصائد يصف بها الشرق واحواله وسنعود الى هذا الديوان في فرصة اخرى · فلما نُشرت « الشرقيات » (وقد كاد القلم يكتب « الشوقيات ») ارتاح اليها الجمهور الفرنسوي اشد ارتياح لان ناظمها صوَّر الشرق فيها تصويرًا راه الغربيون جديدًا جميلاً · وبعد ذلك نشر كتابه « اليوم الاخير لرجل حُكم عليه بالاعدام » وفيه احتج على عقاب الاعدام لانه كان من اشد المعارضين فيه · وفي عام ١٨٢٩ رام تمثيل رواية عنوانها « ماريون ديلورم » فمنعه قلم المراقبة من ذلك لما ورد فيها عن لويس الثالث عشر · ومن حسن حظه انه كان قد الف رواية « هرناني » ايضاً فدفعها الى التمثيل تعويضاً عما فاته · فسعى انصار الحزب القديم لدى الملك شارل العاشر لمنع تمثيلها فاجابهم الملك « انني في مسالة الروايات رجل مثلكم ما عليَّ الا مشاهدتها » · وفي الليلة التي مُثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب · فقد حضر الى هذه القاعة اربعمائة شاب من الحزب الجديد وكثيرون من الحزب القديم · الاولون للتصفيق والاستحسان والآخرون للتصفير والضحك والاستهجان · وكان كل فريق عازماً على انفاذ غرضه وان افضى الامر الى الضرب · فحدث حينئذ في القاعة حادث في غاية الغرابة · فانه لما كان بطل الرواية يقول اقواله البديعة كان الحزب الجديد يصفق تصفيقاً يرتج له المكان ويصيح برافو برافو بينما كان الحزب القديم يصفر ويضحك ويصرخ صراخ الاستهجان · وقد قص الكاتب المشهور سنت بوف هذه القصة فقال ان الاستحسان كان اشد من الاستهجان فان رواية هرناني ضعضعت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة الى الامام · وقد مُثلت هذه الرواية ٤٥ مرة في سنة ١٨٣٠ وحدها وبها فازت الطريقة الرومانتيك فوزًا مبيناً

عدة مؤلفات

ومنذ هذا التاريخ صار الجمهور ينتظر مؤلفات هيغو ويعتبر صدور كل واحد من كتبه حادثًا عظيماً · فكتب الكاتب بعد ذلك رواية « كنيسة نوتردام دي باري » ونشرها في عام ١٨٣٠ فقراها الناس بارتياح شديد · وفي هذا العام ثار شعب باريز على الملك شارل العاشر فاستقال هذا الملك والتجاء الى انكلترا فاغتنم صاحب الترجمة هذه الفرصة وسعي في تمثيل روايته « ماريون ديلورم » التي منع قلم المراقبة تمثيلها في عهده · ثم نشر ديوانًا عنوانه « اوراق الخريف » وموضوعه وصف شؤون وعواطف بيتية وصفاً في

غاية الرقة والانسجام · وفي عام ١٨٣٢ عاد الى فن التمثيل فوضع رواية « الملك يتسلى » ولكن قام في اثناء تمثيلها بين الحزب القديم والحزب الجديد نزاع شديد اضطر ادارة التياترو الفرنسوي الى ابطال تمثيلها · فرفع صاحب الترجمة الى محكمة التجارة قضية على هذه الادارة لابطالها روايته فخسر القضية · فوضع المؤلف بعدها رواية « لوكريس بورجيا » فاصابت نجاحاً عظيماً عوضه ما فاته في الرواية السابقة وزاد اسمه ارتفاعاً بين المؤلفين · وقد مثلت الممثلة مدام ردوه اهم ادوار هذه الرواية فاحبها هيغو حباً درى به الجميع حتى زوجته ادال المسكينة · فآلمها ذلك وسحق قلبها سحقاً

ثم نشر هيغو في عام ١٨٣٣ « ماري تودور » وتلتها « كلود كو وبحث في ميرابو وانجيلو ظالم دي بادو » ثم تلاها في سنة ١٨٣٥ ديوان « نشيد الشفق » وفي ١٨٣٧ « الاصوات الباطنية » وفي ١٨٣٨ رواية « البورجراف » وفي ١٨٤٠ ديوان « الاشعة والاظلال » فبلغ بها هيغو ارفع منزلة بين شعراء عصره وصار المشار اليه بالبنان · وكان عمره يومئذ ٣٨ سنة · وكان شعب باريز يحوم في كل مساء حول منزله ليشاهده مع انصاره فكان هيغو يخرج الى شرفة منزله لمقابلته · غير ان كثيرين من خصومه كانوا يفضلون عليه شاعراً نسي الفرنسويون اسمه اليوم وهو الشاعر بونسارد وكان بعضهم يقول : تباً لزمن يجوز فيه لاناس كهيغو نظم الاشعار

تاثيره وحكم المسيو هانوتو عليه

وفي عام ١٨٤٢ وضع صاحب الترجمة كتاباً اسمه « الرين » اقترح فيه رغبةً في استواء ميزان السياسة في اوربا ان تُقسم ممالكها بين فرنسا وبروسيا · وبعد ذلك بقليل دخل الى ميدان السياسة · وبما اننا وصلنا الآن الى اهم الادوار في ترجمة صاحب الترجمة فقد وجب ان نضع لذلك تمهيداً سياسياً وجيزاً · غير اننا قبل ذلك نختم الكلام عن الحرب الادبية التي اثار غبارها على كتّاب زمانه بقولنا ان فيكتور هيغو قد احيى في فرنسا فن تاليف الروايات وتمثيلها لانه منح الملاعب الفرنسوية حريتها المطلقة وفكها من قيد وحدة السياق ووحدة الزمان والمكان الذي كانت تتقيد به قبله · وقد بثّ في لغتها روحاً طبيعياً جديداً احيى به فنّ الشعر وغير طريقة الكتابة والتاليف · ولذلك قال المسيو هانوتو في الخطاب الذي تلاه في يوم الاحتفال العظيم الذي اقيم له في البانثيون في الشهر الماضي من قبل الاكاذمية الفرنسوية الذي كان مديرها في هذا العام « اذا حلّت بمؤلفات فيكتور هيغو مصيبة افنتها وذهبت بها فان اثره لا يذهب بذهابها لان التاثير الذي كان له على اللغة

الفرنسوية يبقى فيها ما بقيت هذه اللغة في حيّز الوجود » وكفى بذلك ثناء على عمل هيغو الادبي · فلننظر الآن في عمله السياسي

***

﴿ الحرب السياسية ﴾ وتمهيداً لذلك نذكر لمحةً من تاريخ فرنسا منذ الثورة اتماماً للفائدة وايضاحاً للحوادث التي سيرد ذكرها

تاريخ ٤٠ عاماً

بعد اعدام الملك لويس السادس عشر وقيام الجمهورية كما نقصّ ذلك في روايات (نهضة الاسد وفريسة الاسد) بات الفرنسويون حزبين · حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة · ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتدّ الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة · ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة · ولما سيق نابوليون اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا الملك لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) · اما ابن الملك لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر · غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى الملك لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حل البرلمان ارضاء للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه · وذلك مما يدل على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمراً ولم يقف ابداً · وقد عاصر فيكتور هيغو هذا الملك كما تقدم · وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكلترا · وكان لهذا الملك اخ ثانٍ يُدعى فيليب وكان مشهوراً بميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » وفي ايامه دخل هيغو الى ميدان السياسة كما تقدم

وكان لويس فيليب يميل الى هيغو ويعجب بمواهبه وقد اهداه رسماً جميلاً يمثل تتويج اينس دي كاسترو · وكان هيغو من المعجبين بحوادث نابوليون الاول وقد نشر في عام ١٨٤٠ ديوانًا عنوانه « قصائد عن نابوليون » فيه ابلغ وصف لعظائم نابوليون وعجائبه الحربية · فلم يسخط لويس فيليب من ذلك الثناء على خصم اسرته بل رقى ناظمه الى مجلس النبلاء وجعله عضوًا له باسم الفيكونت فيكتور هيغو · وقد القى فيكتور هيغو في هذا المجلس عدة خطب في الانتصار لبولونيا والاذن لاسرة بونابرت في العودة الى فرنسا وغير ذلك · وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة الملك لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو كان واقفًا في وجه كل اصلاح وقد منع بعضًا من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة · فتنازل حينئذ الملك لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية · وهي الجمهورية الثانية

وكان فيكتور هيغو في اثناء ذلك من حزب اليمين اي الملكيين الا ان كتاباته يومئذ كانت تدلُّ على دخول روح حر جديد الى نفسه · وقد انشأ في هذا العام مع ولديه شارل وفرنسوى هيغو جريدة سماها « الافنمان » اي الحادثة وانتصر فيها اشد انتصار للويس بونابرت الذي كان مرشحًا نفسه لرئاسة الجمهورية مع ان لا مارتين كان يعارض في هذا الامر مع كل الحزب الجمهوري معارضة شديدة · ومن هو لويس بونابرت هذا ؟ هو الرجل الذي اصبح بعد ذلك « الامبراطور نابوليون الثالث » فيالغرابة الحوادث البشرية التي جعلت هيغو يحث الحكومة على ارجاع اسرة بونابرت الى فرنسا و ينتصر لزعيمها الذي طلب النيابة عن الشعب في مجلس النواب فرئاسة الجمهورية نفسها رغبة في ان يصنع بها ما صنعه عمه نابوليون الاول — ثم ينقلب عليه ليهدم العرش الذي ساعده على بنائه

نفيه والصراع بينه و بين نابوليون الثالث

وفي ٢ دسمبر من عام ١٨٥٢ اغتصب لويس بونابرت الحكم وهو رئيس الجمهورية ليجعل نفسه امبراطورًا فثار شعب باريز لهذا السبب · ووقف الفيلسوف جول سيمون في قاعة مدرسة السوربون يصيح من منبر الخطابة : قد داس الدستور ذلك الذي عُهد اليه ان يصونه · فعزل الفيلسوف في اليوم الثاني من وظيفته فتركها غير آسف عليها لانتصاره للحق ودستور الدولة · اما فيكتور هيغو فان روحًا جديدًا دبَّ يومئذ في نفسه · فقد تمثلت له الجمهورية فتاة ضعيفة جاءها رجل قوي وقتلها فقام في نفسه في الحال ان ينتصر للضعيف ضد القوي · ومنذ هذا الحين صار جمهوريًا بحتًا واصبح اشد الجمهوريين انتصارًا للحرية

وقد ذكر جول سيمون في كتاب له صدر في هذا العام وموضوعه تاريخ حياته ان فيكتور هيغو التقى به في اثناء هذه الثورة وقال له هل تظن اذا جعلتُ الجنود يقتلونني ان الطلبة يثورون ثورة واحدة انتصارًا لي . فاجابه جول سيمون لا ريب في ذلك عندي . فقال فيكتور هيغو سترى . ثم سار الى حي الطلبة . فسال احد الواقفين جول سيمون هل تظنه يقتل نفسه فاجاب هذا الاستاذ الكبير الذي خبر كل شؤُون الحياة : ربما ولكن حي الطلبة بعيد من هنا . . .

وقد حاول فيكتور هيغو اثارة الشعب في ذلك اليوم ثورة تُسقط المغتصب عن عرشه فلم يستطع ذلك مع ما نشره من المنشورات والمخاطبات للامة . فلما تحقق ارتخاء عزائم الشعب وخيبة مساعيه رام السفر الى بلجيكا فارسل اليه نابوليون الثالث سيدة تقول له : ما رايك في مصالحة الامبراطور . فاجاب صاحب الترجمة انه لا يُصالح . فقالت له وان فتحتُ الآن هذا الباب ودخل منه الامبراطور الى بيتك فماذا تقول له . فاجاب اقول له انك في بيتك ثم انني اخرج واذهب في سبيلي

وفي ١١ دسمبر من ذلك العام اي بعد مرور تسعة ايام على يوم الاغتصاب سافر فيكتور هيغو الى بلجيكا منفيًا من وطنه مع كثيرين من الحزب الجمهوري . فاقام في بروكسل واخذ يشتغل فيها للانتقام من نابوليون . فساعدته الاحوال في ذلك مساعدة ما قبلها ولا بعدها مساعدة . فقد كان الحزب الجمهوري متفرق الكلمة وهو بحاجة الى نفير يدوي صوته في كل الضمائر الحية فينبه الغافلين ويحمس الساهرين وراية عالية تبقى منصوبة بكبرياء وعظمة امام عدو الجمهورية : فكان هيغو ذلك النفير وتلك الراية . وكانت اوربا كلها تنظر الى فرنسا بعين الحيرة والخوف لعودة الامبراطورية البونابرتية اليها . فلما اصدر هيغو من بلجيكا ديوانه « نابوليون الصغير » يعني نابوليون الثالث تزعزع له العرش الامبراطوري وتخاطفه الناس في اوربا كلها . فضغطت حكومة نابوليون على بلجيكا لتطرد صاحب الترجمة فسنت بلجيكا نظامًا جديدًا يقضي بخروجه من بلادها . فنفض صاحب الترجمة عن حذائه غبار الاضطهاد وسار الى جزيرة جرسي الانكليزية مصطحبًا ابنته ادال وزوجته ونجليه فرنسوى وشارل فوجد في هذه الجزيرة كثيرين من رفاقه الجمهوريين وهم ينشئون فيها جريدة تُدعى « الانسان » يطعنون فيها على الامبراطورية طعنًا شديدًا . فاستقبله هؤلاء الرفاق اكرم استقبال وصار زعيمًا لهم . ولما استقر به المقام في هذا الملجإ اعاد الكرة على نابوليون فنشر ديوانًا عنوانه « العقاب » فكان ابلغ ما خطته يد انسان في الطعن على خصم او عدو . وصار

الناس في جميع البلاد المتمدنة لا يهناء لهم عيش الا اذا قراءوا ما يكتبه شاعر الجمهورية عن قاتلها ومغتصب حقها . فادرّت هذه الكتب على مؤلفها اخلاف الثروة وهو في منفاه وشفت غليل نفسه الشديدة البغض والحب بالانتقام من نابوليون. ولكن نابوليون انتقم منه ايضاً بان جعل حكومة انكلترا تطرده من جرسي فسار الى جزيرة كيرنيزه وابتاع فيها منزلاً جميلاً كان مهملاً لان السكان كانوا يزعمون ان الارواح اتخذته مسكناً لها . واسم هذا المنزل « هوتفيل هوس » واليه يحج اليوم كل المعجبين بهذا الشاعر. ومن هذا المنزل صدرت كثير من كتب المؤلف اهمها « التاملات » و« خرافات القرون الخوالي » «وشكسبير» و« عملة البحر » و« الادب ممزوج بالفلسفة » و« اغاني الشوارع والغابات » و« الرجل الضاحك » .

الميزرابل

ولكن اهمّ هذه المؤلفات كتابه « الاشقياء» او التعساء او البوءساء (الميزرابل) وقد اظهر فيه المؤلف فلسفته وكل قوى نفسه الشعرية والاجتماعية . وموضوع هذه الرواية لص يرفعه الموءلف فيجعله رجلاً كريماً شريف الاخلاق وامراة ساقطة يُنهضها الموءلف ويرفع نفسها. ويتخلل ذلك حوادث تاريخية وادبية واجتماعية لم يخط مثلها قلم على قرطاس . وقد كتب الموءلف في مقدمته يقول انه ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فان كتاباً ككتابه يبقى نافعاً

ولما انتشر هذا الكتاب كان انتشاره حادثاً عظيماً . وقد ارادت حكومة باريز حذف شيء منه لانه طُبع في باريز فبعث الموءلف الى ناشره يتوعدها بقوله ابلغهم انهم اذا اصروا على الحذف فانني اعود الى « نابوليون الصغير » و« العقاب » فتركته حينئذ حكومة نابوليون وشانه خوفاً من قلمه الذي كان مداده الكهرباء وكلماته الصواعق . وقد صار منزل موءلف هذا الكتاب بعد صدوره مقصداً لاهل العلم والادب والشعر فكانوا يحجون اليه من كل اقطار العالم ليشاهدوا نصير الانسانية ومحامي الضعفاء

انتصاره على نابوليون

وكانوا اذا قالوا له لماذا تصرُّ على ابتعادك عن وطنك فان الامبراطورية صارت في جاه وعز وارتفعت كلمة فرنسا في العالم . فانه كان يجيبهم بقوله انتظروا : فعند صفو الليالي يحدث الكدر . واذا قالوا له ان اصدقاءك يُسالمون الامبراطورية واحداً واحداً فانه كان يقول في شعره : ولو لم يبقَ الا واحد اميناً للحرية فانني ساكون ذلك الواحد. ولما اصدرت

الحكومة الفرنسوية قرارًا بالعفو العام وعودة كل المنفيين الى وطنهم رفض صاحب الترجمة قبول هذا العفو والعودة الى وطنه قبل ان تعود الحرية اليه . وكان يصرف اكثر اوقاته على شواطىء جزيرة كيرنيزه بين الرمال والصخور متاملاً في الطبيعة ودارساً عناصرها ومناجياً نفسه بالمواضيع التي يروم التاليف فيها . وقد اقام في منفاه نحو ٢٠ عاماً

ولو ان نابوليون الثالث فاز في سياسته ولم يدفع فرنسا الى محاربة المانيا لما انتصر هيكو عليه ذلك الانتصار الهائل ولما كان لصوته الصدى الذي له الآن . ولكن نابوليون كان قد سكر بخمر الفوز وراى اوربا كلها تحت يده فرام ان يحذوا حذو عمه . فحاربه الالمانيون في سنة ١٨٧٠ واسروه في واقعة سيدان ونادى الشعب في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية . فلما سمع صاحب الترجمة بذلك اسرع الى باريز قبل ان يحصرها العدو فدخل اليها باحتفال عظيم . وقد كان دخوله اليها دخول نبي تنبأ « بعقاب » المغتصب وسقوط عمله فصدقت نبوءته . ومما زاده رفعة انه كان من اكبر المساعدين على هذا السقوط لان قصائده المملوءة تهكماً هائلاً وطعناً قاتلاً كانت تصغّر نابوليون في عيون اوربا وفرنسا معاً وتُضحك الناس منه ضحكاً متتابعاً تتضعضع له اقوى العروش واسماها . وهكذا انتصر هذا الشاعر في حربه السياسية كما انتصر في حربه الادبية

هيغو في الحرب وبعدها

ولما عاد صاحب الترجمة الى باريز وحصرها العدو صار نقطة دائرة الادب واصبح صوته نفيرًا رنانًا يبث الحياة والحرارة في نفوس المحصورين ويحثهم على الحرب والمقاومة . وكان ينشر القصيدة بعد القصيدة في هذا الموضوع . وبعد الحرب جمع هذه القصائد فتالف منها ديوانه « السنة الهائلة » . وفي اثناء الحصار اعاد طبع كتابه « العقـاب » وخصص ايراده بصنع المدافع للاستمرار في الحرب ومساعدة المستشفيات . فكانه كان يومئذ حياة باريز وروحها يحث على الدفاع عنها الى آخر نسمة من حياته . وبعد سقوط باريز في يد العدو ثار الشعب على الحكومة الجمهورية الوقتية التي تالفت يومئذ لانه كان في ريبة من اخلاصها للحرية بسبب ما كان يراه من مؤامرات الحزب الامبراطوري والملكي . وهذه الثورة تُعرف في تاريخهم بثورة « الكومون » وقد استولى الشعب فيها على باريز وحارب الحكومة وكانت قد فرت منه برئاسة المسيو تييرس الى فرساليا فجرت الدماء انهارًا من الفريقين . اما فيكتور هيكو فانه رمى بنفسه بين الحزبين فعارض حزب الكومون في ما قرره من هدم عمود فندوم الذي كان قائماً عليه تمثال نابوليون الاول وحثه على ترك الفظائع

وعارض حزب الحكومة لما راى جنودها تفتك برجال الكومون كانهم اعداء في ساحة حرب لا ابناء وطن واحد . ثم انتخب الشعب في باريز صاحب الترجمة عضواً في مجلس النواب الذي كان مجتمعاً في بوردو فعارض هيكو في عقد الصلح واصرَّ مع غميتا على وجوب الاستمرار في محاربة الالمانيين . وبينما كان في ذات يوم يخطب في المجلس ويمدح غاريبالدي الايطالي قطع كلامه الحزب الامبراطوري والملكي غير مرة وكادوا يمنعونه من الكلام بضوضائهم فاستقال يومئذ من المجلس

وفي عام ١٨٧٢ انشاء مع ابنه فرنسوي جريدة ديموقراطية سماها « الشعب الملك » . وفي عام ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ فالقى فيه خطبة دافع بها عن رجال الكومون . ثم انصرف الى النظم والتاليف . فنشر الكتب التالية « الاقوال والاعمال » وقد قصد به ذكر المبادىء التي تقلب بينها في اثناء حياته الادبية والسياسية ليبرىء نفسه بسبب انحيازه الى الجمهورية . و« سنة ٩٣ » وموضوعه وصف في غاية السمو لاهم ادوار الثورة الفرنسوية . و« كيف تكون جداً » وهو يتضمن قصائد عيلية ورد فيها وصف حفيده جورج وحفيدته جانّ اللذين كان يلاعبهما وقد خلد اسمهما بهذا الوصف وهذه الملاعبة . ولا يزال الآن جورج في قيد الحياة وقد كتب قبل الاحتفال الذي اقيم لجده في الشهر الماضي مقالة في احدى الجرائد الفرنسوية ذكر فيها كيف كان جده يلاعبه هو وشقيقته جانّ وكيف كانوا ينادونه « بابابا » . وقد حضرت اخته جانّ الاحتفال بعيد جدها فكان الناس يقولون عند رؤيتهما هذا جورج وهذه جانّ اللذين وصفهما شاعرنا . فلا ريب انهما كانا في ذلك اليوم حبيبين الى كل القلوب

وفي عام ١٨٧٧ نشر صاحب الترجمة « تاريخ جناية » يريد جناية اغتصاب نابوليون الثالث للملك . وقد نشر هذا الكتاب قبيل الانتخاب العمومي ليوءثر على الراي العام ويذكره بالاغتصاب فينتخب للنيابة الجمهوريين دون سواهم . فكان لهذا الكتاب دوي عظيم في فرنسا واوربا . ثم نشر من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٣ « خطب فولتير » و« ملك الجمهور » و« البابا » و« الشفقة العليا » و« الحمار » و« الديانة والديانات » و« اربع جوانب العقل » و« توركاده » و« ارخبيل المانش »

احتفال الشعب بحياته ومماته

وفي عام ١٨٨٢ بلغ صاحب الترجمة الثمانين من عمره . فقامت باريز وقعدت في ذلك اليوم احتفالاً بهذا العيد . فان خمسمائة الف نفس من الشعب توافدوا من جوانب باريز

الاربعة على نغم الآلات الموسيقية الى منزل هذا الشيخ الجليل . وكانوا ينادون بعضهم بعضاً في الطرق هلموا هلموا الى معايدة « الاب هيكو » . فلما اطلّ جمعهم على منزله صعد الشيخ الجليل الى شرفة المنزل مع حفيديه جاك وجان وحينئذ حدث حادث لم ترَ مثله عينان ولم تسمع به اذنان . فان الوفاً من الشعب رفعت في الفضاء ايديها كغابات مشتبكة هاتفة « فليحيي الاب هيكو » وهيكو يبكي وهو واقف على الشرفة بين حفيديه ويشير مسلماً ومرسلاً اليهم القبلات العديدة . وقد استمر واقفاً هنالك نحو ساعة والالوف تسير امامه على نغم الموسيقى وتجدد الهتاف له . ولم يكن هذا العيد عيد هيكو ولكنه كان عيد امتزاج روح الشعب بالعقل العظيم والقلب الكريم الذي وقف نفسه لخدمة بني جنسه

ولم تحتفل به باريز يومئذ ذلك الاحتفال الذي لا يزال له تاثير الى اليوم في نفوس اهلها الا لان الشيخ هيغو اصبح في ذلك الزمن روح عصره وشيخ الحرية وملاك الانسانية . وكانت الحيوانية التي املت عليه ذلك البغض الشديد لنابوليون الثالث وحكومته قد أفلتت من جسمه بعد الانتصار وبلوغه اقصى حدود الشيخوخة كما يُفلت الماء متبخراً من القدر المنصوبة على النار . ولم يبقَ في ذلك الهيكل الضخم الذي كان يكلله تاج من الشيب الجليل المهيب كانه قمة شامخة من قمم حملايا او الالب سوى الانسانية الرقيقة الشفوقة التي تذوب حناناً وشفقة على مصائب البشر وتعاستهم . ففي هذا الزمن كان هيغو يقول في شعره « بارك الله في من يحبني وفي من يبغضني » وايضاً « لو وقع في يدي من يروم اضطهادي ونفيي لاحسنتُ اليه وعطفت عليه . ولو كنتُ يسوع المسيح لانقذت يهوذا الاسخريوطي » وبناء عليه كان هيغو بمثابة جد واب لابناء عصره بل كان بمثابة اثر جليل من عصر تاريخي قديم . وكانوا يسمونه « الاب » من فرط احترامهم له وكان منزله في باريز كعبة يحجُّ اليها اهل العلم والسياسة والادب من كل اقطار العالم .

وفي عام ١٨٨٥ بلغ الشيخ هيغو اقصى حدود الشيخوخة فلما دنا اجله اقام اثنين من اصدقائه لتنفيذ وصيته ونشر ما بقي غير منشور من مؤلفاته . وكان من جملة ما اوصى به ان يُدفن في نعش الفقراء ليجعل نفسه قريباً من الشعب في وفاته كما كان قريباً منه وخادماً له في حياته . وقد اقام هيغو ثمانية ايام في النزع . ولما اتمّ انفاسه ونودي في العالم ان فيكتور هيغو فرجيل المتأخرين وهومير الفرنسويين قد مات قامت فرنسا قومة واحدة الى منزله . وبكى الشعب وفاة « ابيه » والشعراء وفاة زعيمهم . واوفدت الحكومات الاوربية والمجامع العلمية والادبية وفوداً لحضور جنازته . فشيعت جثة الفقيد العظيم على نعش الفقراء

الى البانثيون وسط زحام هائل لم يسبق له مثيل . وكان لسان حال كل واحد من مشيعيه ينشد ما قاله جناب شوقي بك فيه

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت ... للعالمين مدارك وشعور
ولئن حجبت فانت في نظر الورى ... كالنجم لم يرَ منه الا النور
لولا التقى لفتحت فبرك للملا ... وسألت اين السيد المقبور
ولقلت ياقوم انظروا انجيلكم ... هل فيه من قلم الفقيد سطور
مَنْ بعده ملك البيان فعندكم ... تاج فقدتم ربه وسرير
مات القريض بموت هيغو وانقضى ... ملك البيان فانتم جمهور
فقدت وجوه الكائنات مصوراً ... نزل الكلام عليه والتصوير
كشف الغطاء له فكل عبارة ... في طيها للقارئين ضمير
مسلي الحزين يفكه من حزنه ... ويرده لله وهو قرير
ثأر الملوك وظل عند ابائه ... يرجو ويأمل عفوه المثؤور
واعار واترلو جلال يراعه ... فجلال ذلك السيف عنه قصير
انت الحقيقة ان تحجب شخصها ... فلها على مر الزمان ظهور
ارفع حداد العالمين وعد لهم ... كيما يعيّد بائس وفقير
وانظر الى البؤساء نظرة راحم ... قد كان يسعد جمعهم ويجير
الحال باقية كما صورتها ... من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنعمى على حاليهما ... والحظ يعدل تارة ويجور
ومن القوي على الضعيف مسيطر ... ومن الغني على الفقير امير
والنفس عاكفة على شهواتها ... تاوى الى احقادها وتثور
والعيش آمال تجدّ وتنقضي ... والموت اصدق والحياة غرور

فكان هذا الاحتفال بمأتم الفقيد اعظم احتفال جرى في باريز كما قيل

***

﴿ احتفال الجمهورية بتذكاره ﴾ ولكن بعد انقضاء ١٧ عاماً على ذلك الاحتفال اقيم لفيكتور هيغو احتفال آخر يشبهه . فان الجمهورية الفرنسوية قررت في هذا العام الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على هذا الشاعر (لانه ولد في عام ١٨٠٢ كما تقدم) وقد اقامت في ٢٦ فبراير هذا الاحتفال امام قبر الفقيد في البانثيون فحضره كل ذي شهرة في

باريز في العلم والسياسة والرئاسة وفي مقدمتهم وكلاء الدول ووفود من النمسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها . وقد خطب وزير المعارف في هذه الحفلة امام رئيس الجمهورية فكلل الفقيد بازهار البلاغة والثناء وختم خطبته بقوله : انني باسم الجمهورية الفرنسوية احيّيك ايها الشاعر العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما كانت واكثر حنانًا » — ثم تلاه المسيو هانوتو بالنيابة عن الاكاذمية الفرنسوية وقد ذكرنا في اثناء الكلام عن الحرب الادبية في هذه المقالة خلاصة ما قاله في هذه الخطبة عن تاثير هذا الشاعر . انما نقول في هذا المقام ان فيكتور هيغو طلب الدخول في الاكاذمية مرتين قبل نفيه من فرنسا فكانت الاكاذمية يومئذ تفضل عليه اناسًا نسي الفرنسويون اسماءهم اليوم . ولم تقبله الا في المرة الثالثة

وفي هذا اليوم الذي حضر فيه رئيس الجمهورية والوزراء والكبراء هذه الحفلة في البانثيون حضروا ايضًا حفلة اقيمت في « ساحة فيكتور هيغو » في باريز امام المنزل الذي كان يسكنه الفقيد في حياته . وفي هذه الحفلة كُشف الستار عن التمثال الذي انشىء لفيكتور هيغو في هذه الساحة المسماة باسمه . وقد زُين المنزل والتمثال اجمل زينة ونصب فوق البيت جسم بلوري يمثل فتاة تحمل بيدها مصباحًا وقد رمزوا بها الى « ملاك الشهرة » وهو يهبط عليه في بيته . وقد انير هذا الجسم في الليل فكان له منظر يسحر الالباب

وقد اقيمت في ذلك اليوم احتفالات عظيمة في ايطاليا والنمسا وبلجيكا ومصر وكل المستعمرات والمدن الفرنسوية اكرامًا لهذا التذكار ايضًا . واشترك في هذه الاحتفالات جميع العالم المتمدن في كل الاقطار . ولم تخلُ جريدة من جرائد الدنيا في ذلك الاسبوع من الكلام عن صاحب الترجمة

اما المسيون ادمون روستان شاعر فرنسا اليوم فانه صرف ذلك اليوم في قرية « هرناني » الاسبانية التي سمى هيغو احسن رواياته باسمها وقد تقدم ذكرها في هذه المقالة . وقد نظم في هذه القرية قصيدة طويلة اهداها الى جناب المسيو « بول موريس » صديق فيكتور هيغو ومنفذ وصيته والساعي في انشاء تمثاله . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الغولوى اولاً ثم جُمعت في كراس على حدة . وفي ختامها يقول هذا الشاعر ما خلاصته « كنا اليوم تلامذة الاستاذ هيغو . فابتسم لنا ايها الاستاذ وامنحنا الثقة بانفسنا لنستطيع ان نجترىء ونمسك القلم بعدك » وقد ذكرنا هذا الخبر لان هذا الثناء اعظم ثناء يُقال في فيكتور هيغو

وهذه القصيدة مطبوعة في ٣٠ صفحة على ورق صقيل جميل · ولدينا منها نسخة واحدة نقدمها هدية لمن يسبق الى طلبها من حضرات القراء

***

﴿ ترجمة احدى قصائده ﴾ ولقد ذكرنا موءلفات هيغو في ما تقدم وبقيت له موءلفات اخرى كثيرة نُشرت بعد وفاته وهي « اطلاق فن التمثيل » و « عاقبة الشيطان » و « الله » و « اشياء منظورة » و « كل القيثارة » و « الاوقيانوس » و « في السفر » و « فرنسا وبلجيكا » و « الالب والبيرينه » وغيرها من الموءلفات العديدة التي لم يتم نشرها الا في هذا العام اذ نُشرت فيه خاتمتها وهي ديوان عنوانه « النبتة الاخيرة » · وسنلخص للقراء في الجزء القادم شيئاً من اهم الكتابات التي كتبها هيغو لاطلاعهم على آرائه وفلسفته المبنية على المبادىء الانجيلية الاشتراكية · اما الآن فنكتفي بنشر ترجمة احدى قصائده في نابوليون الاول الذي كان هيغو يجله بقدر ما كان يحتقر نابوليون الثالث كما تقدم · وقد اتحفنا بهذه القصيدة احد اصدقاء المجلة

نابوليون الاول

ملخصة من قصيدة لفيكتور هيغو صاحب الترجمة بقلم جناب الشاعر الناثر طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء

يُمثّل لي حتى يُجَسّم في فكرى	ويعظم بي حتى يضيق به صدرى
واطلق افكاري ارتياداً لوصفه	فالقاه مني فوق مرتبة الفكرِ
وانظم فيه الشعر رفعاً لقدره	فيغلو به شعري ويعلو به قدري
ويخفق مني القلب حين احتلاله	لقلبي فيمسي في احرّ من الجمرِ
اراه وقد خاض الصفوف مظفراً	بطعنته النجلاء والفتكةِ البكر
يشاغل عن بيض وسمر فوءاده	ويبني اساس العرش بالبيض والسمر
اراه وقد قاد الالوف فما مشى	الى الحرب الا تحت الوية النصر
يسيّر للاعداء ابطال جيشه	فيسبق هذا الجيش جيش من الذعر
اراه بوادي النيل والجند حوله	ظماء الى مجد عطاش الى فخر
يقول انظروا الادهار ترنو اليكمُ	مشيراً بيمناه الى هَرَميْ مصر
اراه وقد اضحى بباريس قنصلاً	ولم يتمادى بعد في حلبة العمر

يؤيد جمهورية القوم ظاهرًا ويهدمها كي يبلغ الملك بالسر
اراه مليكاً لم يخف جور دهره وقد كان يُخشى ان يجور على الدهر
يقلد تيجانًا وينشي ممالكًا وينظر بسَّامًا لكوكبه الدري
اراه ولا كفران تبسط نفسه له فتح ابواب السماوات بالقسر
فلم يبقَ ما بين السماء وتاجه باعين اصحاب المجاز سوى فتر
اراه اسيرًا في بقاع جزيرة تسامت به حتى غدت ربة البحر
مقيماً على صخر يرى عرشه وقد تصدع لما لم يؤسس على صخر
فلما دعا داعي المنون ومثّلت لعينيه اشباح الردى هوَّة القبر
واطفأ ريب الدهر انوار نجمه وقصت يداه جانحي ذلك النسر
وفكَّر في ماضيه دون ندامة ولم يخشَ في الآتي عقاباً على وزر
وحدَّق بالاكفان لم ير فوقها سلاحًا ينيل الفتح في موقف الحشر
جرت دمعة من عينه وهو مطرق فكانت لاقلام التواريخ كالحبر
ولم يك هذا الدمع الا لانه تمنى الردى ما بين عسكره المجر
ولم يكن الاطراق الا تعاميًا عن الناس حتى لا يرى اثر الغدر
فلم يعجب التاريخ في صفحاته باخلق من هذا المخلد بالذكر
ولم اره فيما مضى من جلاله باعظم منه حين قُيد بالاسر

الخاتمة

قول يُهدى الى شعراء الشرق وكتابه واهماته .

ولقد طالت هذه المقالة فوق ما كنا نريد فترتب علينا الآن ان نختتم الكلام بقول فيه تمام الفائدة فنقول

بماذا امتاز فيكتور هيغو عن اقرانه حتى استحق ذلك المجد العظيم الذي لبس تاجه ؟ الجواب انه امتاز بعدة امور. منها . اولاً انه وُهب مواهب خصوصية كانت تجعله اذا مسَّ احقر المواضيع صيره سامياً رفيعاً فكأنه ساحر يتناول التراب فيجعله تبرًا . ثانيًا انه عاش في وَسط ادبي كان محتاجاً الى مثله فاحيى اللغة الفرنسوية بما ادخله اليها من التعابير والاساليب الجديدة وفك التمثيل من قيده كما تقدم بيانه . ثالثًا ان آمال الجمهوريين كلها قد تجسمت فيه ولما انتصرت الجمهورية بعد ذلك عُدَّ انتصارها انتصارًا له وكان

نفيرها الاعلى · رابعاً ان الالمانيين اسقطوا فرنسا في زمنه واستولوا على باريز بعد سقوط الامبراطورية فصارت فرنسا في ضعة وصغار بعد عزها ومجدها ولم يبق لها شيء كبير تفاخر به العالم غير « الشاعر هيغو » الذي كانت جميع الانظار في جميع الاقطار شاخصة اليه تنتظر كلامه السحري ونظمه الدري · فكأن كل عظمة فرنسا الماضية اجتمعت يومئذ في نفسه · خامساً ان فلسفة هيغو مبنية على حب الانسانية ومساعدة الضعفاء والرفق بالشعب واعتباره انه الانسانية الحقيقية · وحسبنا شاهداً على ذلك كتابه « الميزرابل » الذي هو اهم كتبه فانه عبارة عن وصف الشعب واطراء صفاته الطبيعية · ولذلك كانت مبادىء هيغو عامة لكل شعب من الشعوب وشديدة التاثير في كل امة من الامم لان كل واحدة منها تظن عند الاطلاع عليها ان هيغو انما كتبها من اجلها · فكانه كان يخاطب الانسانية كلها لا فرنسا وحدها

هذه اخص مزايا هذا الرجل العظيم ولكن كل هذه المزايا صغيرة في راينا بالقياس الى مزية لم نُشر بعدُ اليها · وهذه المزية هي « صبره على العمل وانصبابه على التاليف والنظم ستين عاماً بلا انقطاع ولا تعب ولا ملل »

ولقد عددنا في هذه المقالة كل مؤلفات فيكتور هيغو في حينها فتعقبها الآن واحصها وقل لنا ماذا يظهر لك منها ؟ يظهر لك ان هذا الكاتب كتب مدة ستين عاماً وكان ينشر كتاباً من تاليفه في كل سنة تقريباً · اي انه كان يصرف كل اوقاته في المطالعة والكتابة والنظم ولم يكن له لذة في غيرها · فتارة ياخذ كتابه ويطوف شوارع باريز واطرافها متاملاً متفكراً في الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه · ذلك لانه كان كثير الطلب للهواء النقي والخلاء ولولا ذلك لقتله عمله العقلي الطويل مع ما تقدم من نحافة جسمه في بدء عمره · وطوراً يجلس الى مائدته خمس ساعات او سبع ساعات متتابعة وهو يسود صفحات الورق الابيض امامه بقلم يخط سحراً ويبرز تبراً ثم يلقيها وراء ظهره على الارض واحدة وراء اخرى · وكان لا يترك حادثة من حوادث زمنه الا وينشب اظفاره الاسدية فيها حتى صارت مجموعة مؤلفاته عبارة عن تاريخ القرن الذي عاش فيه · وكان فوق ذلك اذا هبط الليل شرع في المطالعة · وقد يكون مستغرقاً في نومه بعد منتصف الليل فينتبه ويقوم الى قصيدة يكون قد بدأ بها او خاطر جديد مرّ في باله فينهض لتقييده · ومن ذلك يظهر ان المواهب لا تكفي الانسان ان لم تكن مقرونة بالصبر على العمل والجد فيه وقوة الارادة عليه وهو ما يسميه بعضهم « بالثبات »

فهذا الجد الغريب والجهد العجيب يذكرنا بالرغم عنا حالة كتاب الشرق وشعرائه ومن اجل ذلك وضعنا هذه الخاتمة . وانما نذكرهم لا لنظهر الفرق بينهم و بين نوابغ الغرب وانما لنذكرهم بالداء الذي اضعف جميع المواهب التي ظهرت في بلادهم وغادرها كانها لم تكن شيئاً مذكوراً . وهذا الداء هو ما تقدم ذكره من عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل الى الكسل بعد اكتسابه شيئاً من الشهرة وتركه العمل الشاق لانه يقتضي جهداً وعناء مع معرفته « بان الوصول لا يكون الا بهذه الاصول » كما يقول كتاب العرب . وكفانا ان نستشهد الآن على هذا القول بحضرات الشاعرين احمد بك شوقي وحافظ افندي ابرهيم . وانما نخصهما بهذا الاستشهاد لانهما احب الشعراء الى الجمهور . فنسالهما بلسان هذا الجمهور الذي يحبهما و يهتزّ طرباً لاقوالهما باي شيء يقطعان اوقاتهما الآن واين الكتاب المفروض على كل واحد منهما في كل عام

وان قيل ان سوق الادب كاسدة ولذلك لا يؤلفان ولا يترجمان فنحن نردّ على ذلك بان فيكتور هيغو لم يكن يربح من ديوانه في بدء امره اكثر من ٧٠٠ فرنك كما تقدم . ونحن الضامنون ان اية مطبعة من المطابع التي تنشر الكتب تبتاع الآن من حافظ افندي او شوقي بك الديوان الجديد بسبعمائة فرنك على شرط ان يكون منظوماً كما يريد الجمهور وفي المواضيع التي يحبها . وان قالا ان احوالنا لا تساعد رجالنا نقول ان احوالنا على قدر رجالنا وها هي الحوادث العظمى تحدث وتمر دون ان نسمع فيها لاحدهم صوتاً . وان كانا يقولان ان الناس لا يعنيهم امرنا فاننا ننظم حينما نريد ونسكت حينما نريد فنقول ان كل امة يهمها امر نوابغها كما قال المسيو براند يس في صدر هذه المقالة لانها وصية عليهم وهم لها لا لانفسهم . ولذلك يحق لكل واحد من الجمهور ان يخاطب شاعريْ مصر بما خاطبهما به جناب داوود بك عمون ولكن لمعنى آخر غير المعنى الذي اراده

اشوقي أحافظ طال السكوتُ　وترك الامور لاقدارها
فصوغا القوافي مصقولةً　وشقا الجلود بيتارها
عساها تحرك اوطاننا　وتنشر ميّت افكارها

ولكن اذا كان حضرة شوقي بك يلتزم السكوت طول العام ولا يرفع صوته فيه الا ثلاث او اربع مرات لتهنئة الجناب الخديوي ببضع قصائد فان حافظ افندي يسعى و يعمل . وقد كتب الينا جنابه منذ مدة يخبرنا انه عرب رواية التعساء (الميزرابل) عن فيكتور هيغو وتفضل بان وعد الجامعة بنشر بعض فصوله فيها . فنحن نرحب بكل

ما يكتبه جناب حافظ افندي ولكننا نستغرب ان يكون في يده قيثارة عليها اوتار من اوتار هيغو (اي قلم الشعر) ثم يعدل عنها الى ربابة (اي قلم النثر) فليته يعدل عن النثر الى ما خُلق له · بل ليته يلخص « التعساء » شعرًا فتكون احسن منها نثرًا

وختام الكلام ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء · بل هو ينشئ نفسه بنفسه · وذلك بالصبر على العمل وسهر الليالي فيه وتفضيل لذته على كل لذة وطلبه لذاته لا للمال الذي ياتي عنه ومعرفته ان الشاعر او الكاتب اذا نام على أكاليله كما يقول الافرنج فقد مات وأمات في نفسه عالمًا معه · فالعمل والسهر والتعب : هذه هي عصا السحر التي تضع صبيًا ضعيفًا فقيرًا كهيغو فوق الامبراطرة والملوك · وما خُلق البشر في هذه الارض ولا سيما نوابغهم الا للعمل والتعب وخلق مواد جديدة من العدم لا لصرف الاوقات في ما لا يفيد شيئًا· فعسى ان يعتبر نوابغ الشرق بذلك فلا يقتلوا مواهبهم في الكسل والاهمال والملاذ الشبيهة بفقاقيع الصابون من حيث سرعة زوالها · وهنا نذكر ما قاله وزير التجارة الفرنسوية في ختام الخطبة التي القاها يوم افتتاح معرض باريز الماضي « سقيًا لك ايها العمل المقدس · يامحرر الانسان ومشرفه ومعزيه · بك يتلاشى الجهل · بك يزول كل شر · بك تتحرر الانسانية من نير العبودية والظلام · وترتقي في الآفاق العلوية المنيرة الهادئة التي لا بدَّ ان تبلغها يومًا من الايام »

هذا ما نقوله للمشتغلين بالعلم والادب والشعر في الشرق · بقيت لنا كلمة نقولها للامهات وهي ماخوذة عن قصيدة روستان التي مرَّ ذكرها وهي : ايتها الامهات ابذلن كل ما في ايديكن وفي نفوسكن لتربية نفوس اولادكن · ولا تهملن ولدًا اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهًا ؟ ومتى اخذتن راس ولدكن بين ايديكن لتقبيله فلا ضغطن عليه كثيرًا فانه ربما كان هذا الراس وحده يضمّ عالمًا عظيمًا



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

رد رنان على حارميه ومناظريه

الروحيين والماديين

من كتاب تاريخ الرسل التابع لتاريخ المسيح

اتينا في الاجزاء السابقة على خلاصة كتاب تاريخ المسيح كما كتبه الفيلسوف رنان ولم نبقِ منه سوى بضعة فصول موضوعها الحوادث التي تلت انزال السيد عن الصليب وسننشرها في الكتاب الذي شرعنا في جمعه على حدة كما اعلنا في الجزء السابق · وقد ذكرنا في ختام هذا الموضوع في الجزء المذكور الغرض الذي لخصنا من اجله هذا الكتاب وهو: (١) اطلاع قراء اللغة العربية على تاريخ اهم حركة اجتماعية غيرت وجه العالم وبسط حالة الشعوب في زمن حدوث تلك الحركة وهو ما عبرنا عنه بتاريخ الوَسط الذي نشاءت الديانة المسيحية فيه · ولا يخفى ان هذا التاريخ لا يُكتب الا من وجه تاريخي اي غير ديني · (٢) تذكير البشر بالفضائل الانجيلية المنطبقة على النواميس الطبيعية التي تُبنى عليها كل ديانة صحيحة · والنداء بان كل ما خرج عن هذه الفضائل يُعد شيئاً عرضياً وجوده وعدمه سيان

ومما يسرنا ايراده انه كان لهذا التاريخ فوائد اخرى لم نكن نتوقعها · ولما ذكرها لنا اصحابها كانوا كمن يطلعوننا على امر جديد لم يخطر لنا في بال · فبعضهم اتانا وقال ضاحكاً: « انني كنتُ مسيحياً بالاسم قبل مطالعة مقالات رنان فاصبحت مسيحياً بالاسم والجسم بعد مطالعتها فلا ريب عندي ان الجامعة خدمت المرتابين والمشككين في قوة الحقيقة المسيحية انفع خدمة » · وبعضهم (وهو من الوعاظ الانجيليين) قال لنا ما نصه « انني مسرور بنوع خاص من مقالات رنان لانني رايت اخواننا المسلمين مقبلين على مطالعتها اقبال المسيحيين عليها فلا ريب عندي ان عقلاءهم يقفون منها على حقيقة الديانة المسيحية ويغيرون رايهم

فيها » . نقول وقد قال حضرة الواعظ هذا القول وهو يجهل ان جناب شوقي بك شاعر الحضرة الخديوية قال الابيات التالية في وصف الشريعة المسيحية وصاحبها

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الارض والعوالم نورًا فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ لا صولة لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما مل ناب عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ خشعٌ خضعٌ له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

ولكن هنالك فائدة اخرى وغرض اخر من نشر هذا الكتاب لم نُشر اليه بعد مع انه من اهم الاغراض التي تقدمت الاشارة اليها . وهذا الغرض هو تقريب طوائف البشر بعضها من بعض وتعليمها التساهل ليحتمل بعضها بعضاً ويعرف جميعها ان الحقائق والفضائل ليست خاصة بامة دون امة ولا بفريق دون فريق لان الخالق تقدست اسماؤه اله للجميع لا اله شعب خاص ولا امة خاصة . واذا كان ابناؤه البشر متفقين على الحقائق الاصلية التي مقتضاها عبادته وطاعة نواميسه الطبيعية وشرائعه الادبية واحترامه بجعل القوة والحياة التي اعطاهم اياها مصروفة الى الخير الحقيقي والفضيلة الحقيقية لا الى الشر والجهل والبغض والوهم فما الذي يوجب عليهم بعد ذلك ان يتقاطعوا ويتدابروا ويعتبر بعضهم بعضاً اعداء لا يهنأ لهم عيش الا بادخالهم تحت سلطتهم او افنائهم من الوجود . فما كان اسعد البشر وما كان اكملهم لو كانوا يتبعون هذه الحقيقة الازلية الابدية التي يحومون حولها وقلما يدنون منها . وليس المراد باتباعها ان يترك كل واحد منهم ما في يده ويتبعها . كلا فان هذا القول لا يقوله الا من يجهل ماهية النواميس الطبيعية التي مقتضاها تشعب الاراء واختلاف المذاهب لان الوحدة امر مستحيل في العالم . واي شيء في الكون تجد فيه وحدة عامة ليجوز طلب الوحدة في الآراء والمذاهب . ان ناموس الطبيعة ونظامها قائم على « التنوع في الوحدة » لا على الوحدة . ولو كانت الوحدة عامة في العالم لكانت المعيشة فيه مملوءة مللاً وضجرًا . فلا ريب اذًا ان الآية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » ليست حقيقة دينية فقط بل هي حقيقة طبيعية ايضاً تنطبق كل الانطباق على لباب النواميس الطبيعية . ولكن

المراد بذلك الاتباع ان لا يفضل البشر العرض على الجوهر والقشر على اللب والتراب على التبر ولا يدعوا انفسهم يخدعون بسلطان الوهم والمصلحة الذاتية التي من مصلحتها تفريقهم وابقاؤهم في ظلام الجهل والوهم ليكون لها سلطان عليهم تستعمله في اكثر الاحيان لمنفعتها لا لمنفعتهم ولا سيما في زمن مادي كهذا الزمن الذي شوهت شراهته المادية كل النفوس حتى بلغت نفوس الرؤساء

واذا كان ما نشرناه الى الآن وما ننشره فيما يلي مفيداً في تاييد تلك « الحقيقة الازلية الابدية » التي اشرنا اليها وتوجيه عقول الوف من قراء الشرق وافاضله الى جهتها فاننا نعتبر انفسنا اننا قمنا بما كان يجب علينا . واذا كان صوتنا الضعيف اول صوت ارتفع في فضاء الشرق بهذا الموضوع فما الفضل في ذلك الا للاحوال التي كانت ملائمة له واستعداد نبهاء الشرق وافاضله من كل حزب لطلب الحقيقة المجردة عن الاباطيل والفضيلة الخالصة من كل شائبة .

ولكن هل ان هذا الحزب الجديد الذي يجتمع فيه اناس من كل الاحزاب ينمو ام ينقص في مستقبل الزمان ؟ ذلك امر يتوقف على مجرى الافكار المستقبلة وعلى حسن سياسة الرؤساء او فسادها . فاذا كان الرؤساء يضيقون حلقة الاخاء على البشر و يبقون على اهتمامهم باعراض الامور دون جواهرها واتخاذ الرئاسة آلة لتحصيل الغنى والجاه وقوة السلطان دون اهتمام بالفضائل التي بُني عليها الدين والاجتماع فلا بدّ من تكاثر هذا الحزب. ويومئذ يصبح الرؤساء الذين هم عماد كل مجتمع في حالة لا يحبها احد لهم . واما اذا كانوا يعدلون عن المبداء القديم الى مبداء جديد مبني على الاخلاص للشعب وترك الاطماع والثروة لابناء العالم وتقديم الفضيلة الدينية على التقاليد فانهم يكتسبون كل القلوب و يزدادون رفعةً في عيون الناس اجمعين

كتاب تاريخ الرسل

بقي الآن ان نعود الى تاريخ رنان . فنقول انا نشرنا منه الآن « تاريخ السيد المسيح » ونحن نشرع الآن في كتابة « تاريخ الرسل » الذي هو تابع له . وموضوع هذا الكتاب اعمال الرسل بعد المسيح . وسيرد فيه وفي ما يليه تفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وما لقوه من الاضطهاد فيها وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد

وتزاحم تلامذته على العمل . ويتخلل ذلك كلام بديع عن حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتيت اليهود ثم سقوط الدولة الرومانية . ومما لا يحتاج الى بيان اننا نكتب هذا التاريخ من الوجه التاريخي ايضاً ونترك للمؤلف عهدته مع حذفنا منه كل ما يجب حذفه حباً بالاختصار ومراعاة للزمان والمكان . اما المسائل الدينية فلا نبحث فيها قطعياً

وقبل الشروع في تلخيص هذا الكتاب نود تلخيص المقدمة التي قدمها المؤلف له رداً على حارميه ومناظريه . وبيان ذلك انه لما انتشر تاريخ السيد المسيح صدر امر من الكنيسة الكاثوليكية بحرمان رنان منها كما حرم المجمع الروسي المقدس الفيلسوف تولستوي في العام الماضي . وانهالت الردود على صاحب الكتاب . وكان الرادون عليه فريقين . فريق الاكليريكيين ولا حاجة الى ذكر براهينهم لانها معروفة . وفريق الماديين وهؤلاء عنفوا المؤلف لانه اعتمد على الانجيل في كتابة تاريخه واثنى على المسيحية وعلى العواطف الدينية ثناء لا يصدر عن اعظم انصار الاديان . وسنلخص في ما يلي ردود رنان على الفريقين كما وعدنا في صدر ترجمته لانه قال فيها اقوالاً يجب اطلاع الناس عليها لانها مما يساعد على تربية التساهل والاعتدال في النفوس ولاسيما ما كان منها متعلقاً « بنبوءته الدينية »

مقدمة المقدمة

قال رنان في صدر مقدمة الكتاب ان مؤسس الديانة المسيحية هو السيد المسيح لا الرسول بولس كما يزعم بعضهم وان كان هذا الرسول قد نشر هذه الديانة في اقطار الارض . ولقد جاء في بعض الاقوال ان بعض خصوم بولس راموا بعد موته وضعه خارج الكنيسة واعتباره كسمعان الساحر ولذلك لم يظهر اسمه و يشغل المكان الذي له في التاريخ المسيحي الا بعد وضع الكتابة في الكنيسة موضع التقاليد الشفاهية وتدوين تاريخها

ثم قال المؤلف انه اعتمد في كتابة تاريخ الرسل على رسائل بولس بالاكثر لانها آية في التدقيق والوصف الصحيح . اما باقي الرسل فرسائلهم لا تشبه هذه الرسائل . وطلب الى منكري الكتب والمعارضين في صحتها ان يطالعوا الصفحتين الاوليين من رسالة الرسول بولس الى غلاطية ليعرفوا ان بولس متى حدث عن نفسه تكلم بدقة وتفصيل لا يقبلان الاعتراض . ثم قال المؤلف . ان الافتراض والاستنتاج لا بد منهما في كتابة كل تاريخ قليل التفاصيل وان ضمير الكاتب يكون مستريحاً اذا كان يكتب كما يفتكر و يعتقد

فيقول عن الصحيح انه صحيح وعن الممكن انه ممكن

اما « اعمال الرسل » فقد اعتمد عليها المؤلف اقلّ من اعتماده على رسائل بولس ٠ وهو يعتقد ان كاتب هذه الاعمال هو كاتب الانجيل الثالث اي الانجيلي لوقا لشدة الشبه بينهما من حيث اساليب الكتابة ومخاطبة الكاتب فيهما رجلاً يدعى ثاوفيلوس ٠ ومما يراه ان كاتب الاعمال كان تلميذاً لبولس وقد رافقه في اسفاره٠ وحيث انه كان بين تلامذة بولس رجل يُدعى لوقا وقد ورد ذكره في رسائل بولس الى كولوسي ص ٤ ع ١٤ والى فليمون ص ٢٤ والى تيموثاوس ص ٥٤ ع ١١ فهو يعتقد ان كاتب الانجيل الثالث واعمال الرسل هو لوقا الذي تقدم ذكره ٠ ويقول رنان ان « الاعمال » لم تُكتب الا في عام ٨٠ بعد الميلاد

العجائب

ثم تكلم رنان عن العجائب في هذه المقدمة بعد ما ذكره عن اعمال الرسل فقال: ان العقل لا يصدق العجائب ٠ واذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون ٠ ولكنهم يقولون ان العجائب لا تحدث الا امام من يصدقها اي ان من شروط حدوثها الخفاء وبساطة الناظر واستعداده لتصديقها ٠ ولقد قال شيشرون عن عجائب قومه الرومان قولاً يصدق في هذا الزمان وهو : « متى تلاشت تلك القوة السرية ؟ لقد تلاشت منذ صار الناس اقلّ تصديقاً لها »

وربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها ٠ فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه ٠ ولو جاء قوم الى بيفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فماذا يجيبهم ٠ انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا لا اعتقد بها ٠ وان قالوا له اقم دليلاً على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليّ

واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً ٠ فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغيّر وجه المسالة ٠ فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب ٠ ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة ٠ وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً

لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرًا من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطه ارادة خصوصية » . واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المالوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المالوف لانه لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي

وقد يعدل المعارضون عن العجائب المادية ويلجئون الى العجائب الادبية . اما نحن فنقول ان البوذيين والبابيين راح منهم كثيرون من الشهداء ولم يكونوا اقل من غيرهم حماسةً واستماتة واستسلاماً . ولا انكر ان عجائب الديانة الاسلامية الراجعة الى هذا الشان تختلف عن هذه العجائب وهي قلما تهمني الا ان علماءها يعتبرون ايضاً ان انتشار الاسلام بسرعة البرق وانتصاره على ممالك الارض دليل على اتحاد الله معهم وصنعه ما صنع من اجلهم . بل فلنترك هذا الامر ولننظر الى اليونان فاننا نجد تمدنهم وفنونهم عجيبة من العجائب التي لا شبيه لها في العالم . فانه اذا كانت الديانة المسيحية عجيبة في العالم من حيث الادب والقداسة فان اكروبول اثينا الذي اجتمعت فيه نفائس البناء التي لا يُذكر بازائها بناء المتقدمين والمتاخرين لهو عجيبة ايضاً من حيث الجمال واتقان الفنون . فليس كل شيء مفرد عجيبة . لان الله تعالى كائن في كل ما هو جميل وحسن وصحيح في الارض بدرجات مختلفة . ولا يجوز اعتباره خاصاً بشيء دون شيء او بمدنية دون مدنية

لماذا أُلف كتابه

وانى اؤمل ان بعض القراء الذين تحمسوا منذ سنتين ونصف سنة لمطالعتهم « تاريخ يسوع » يطالعون هذا الكتاب بهدوء ورزانة . فان المجادلات الدينية انما تُبنى دائماً على سوء القصد من طالب المجادلة على غير علم منه ولا قصد . ذلك لانه لا يطلب الحقيقة بهدوء ورزانة حيثما كانت ولكنه يؤكد ان الحقيقة في قبضته ولذلك لا يكون له همٌّ غير نسبة الجهل والافتراء الى مناظره . فالطعن والسب وتزوير الافكار والاقوال والافتراء والاحتماء بعواطف البسطاء والجهلاء — كل ذلك يراه طالب المناظرة الدينية امرًا جائزًا

له لانه يزعم انه يدافع عن الحقيقة التي يراها في قبضته · ولقد كنت اتوقع ذلك لانني لا اجهل حوادث التاريخ وارى في نفسي من الهدوء وثبات الجاش ما يحول بيني و بين التأثر منه · فانا استقبله بهذا الهدوء كما استقبل بسرور وتلذذ العواطف البسيطة المؤثرة التي حملت مناظريّ على هذه المناظرة · وكلما بدا لي ذلك الغضب الصادر بصراحة من نفوس كريمة نقية فانني لا اتمالك ان اصيح « يا للبساطة المقدسة » كما صاح جان هوس (اللاهوتي الذي اعدم حرقاً) لما راى امراة تاتي الى محرقته بحزمة حطب والعرق يتصبب منها من التعب · ولكني اسفتُ كل الاسف لان كل ذلك الصياح والغضب لا يفيد الحقيقة شيئاً · ولا غرابة في ذلك فان الحقيقة لا تنجلي للذين يطلبونها بحماسة وغضب ولكن للذين يطلبونها بهدوء وتامل دون غرض ولا بغض · وليس في ذكر الانسان مبداء من المبادئ اهانة لاحد فان الذين يرون فيه اهانة لمبادئهم يستطيعون التخلص منه بعدم وقوفهم عليه · فحسناً يصنع الجبناء وضعفاء العقول اذا لم يقرأوه

ولقد كتب اليّ بعض الناس من كل صوب يقولون « ما غرضك من هذا · وماذا تريد » فانا اجيبهم بان غرضي هو كغرض كل مؤلف يكتب في التاريخ · ولو كان لي عدة اعمار لا عمر واحد لوقفت احدها لكتابة تاريخ الاسكندر المكدوني والثاني لكتابة تاريخ اثينا والثالث لكتابة تاريخ الثورة الفرنسوية (التي ننشر تاريخها الآن في روايات فريسة الاسد) والرابع لكتابة تاريخ جمعية سان فرنسوى · واي غرض يكون لي اذا كتبت هذه الكتب ؟ لا يكون لي من غرض سوى وجود الحقيقة واحيائها واعادة ذكر الحوادث الكبرى التي حدثت في الزمن الماضي بقدر ما يمكن من الصدق والتدقيق · اما ضعضعة عقائد الناس فهذا امر بعيد عن فكري · ولو كنت اقصده لطرقت هذا الموضوع من باب آخر بان اتناول الاقوال والافعال واظهر ضعيفها دون قويها وابسط التناقض الذي بينها ولا اعطي احداً من كلامي حجة عليّ · ولكنني لا اكتب لذلك وانما اكتب لتقرير الحقيقة · ومتى كتب الانسان لهذا القصد وجب ان لا يعباء بشيء وان لا يتساهل في شيء بل ان يكتب كانه يكتب لكرة قفراء لا ناس فيها · والا فان كل تساهل وكتمان يُعدُّ اهانة للحقيقة ولصناعة الكتابة السامية

فنحن اذاً نكتب ما نكتب دون ان نطلب اسكات المبادىء التي تناقض مبادئنا او ان نقتحمها ونحمل عليها · بل نكتب دون التفات اليها كانها غير موجودة عندنا · واذا قبل احد مبادئنا فذلك دليل على ان عقله مستعد لها اما من كان عقله غير مستعد لها فانه لا

يقبلها . وليس يسوءني شيء في العالم مثل ان يقنعني احد بان اجتذب الى هذه المبادىء رجلاً لا ياتي اليها من تلقاء نفسه . وذلك مما يجعلني استنتج انني اما اصبحت مضطرب الفكر بعد الهدوء واما ان شيئاً خصوصياً قد ثقل في حتى صرت لا تروقني بهجة الدنيا ولا اكتفي بمشاهدة جمال العالم

فعملي اذا مقصور في كتبي على البحث عن الشرائع العامة التي تحكم الانسانية وتتدرج الانسانية فيها . ولست اتنازل عن هذا العمل الى فن المجادلة وان كان هذا الفن اكثر ثمرة لصاحبه . واذا لزمت المجادلة فان فولتير يكفي . فانه اذا نُشرت كتبه من جديد كان فيها جواب لكل طالبي الجدال . ولا انكر انه جواب سيء في ذاته ولكنه منطبق على ما يروم نقضه . فهو جواب متاخر لفن متاخر . اما نحن معشر عشاق الحق وطالبي الحقيقة فعلينا ان نصنع افضل من ذلك . علينا ان نترك تلك المجادلات لمن يطلبونها ونشتغل للفئة القليلة التي تسير في جادة الانسانية والصراط المستقيم

نبوءته الدينيه . الجديرة بانتباه كل عاقل

هذا هو سبيلي في كتابة التاريخ . ولستُ اجهل ان بعض الناس يستبطئون سير الفكر ولا يُمهلونه ولذلك يطلبون منه السرعة في عمله . اما نحن فلا نكوننَّ من جملة هولاء الناس بل فلنجتنب العجلة ولا نؤسسن شيئاً جديداً . وليبقَ كل واحدنا في قلب كنيسته منصرفاً الى فضائلها القديمة واعمالها الخيرية ومتمتعاً بجمال الماضي . ولا ننبذنَّ تعصب هذه الكنائس بل فلنصفح عنه لان هذا التعصب حاجة من حاجات القلب البشري مثل حب الذات الفطري . ومن المحتمل ان العلائق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود تتغير بعد مائة سنة ولكنها لا تتغير كثيراً (ولم يذكر الارثوذكس اذ ليس في فرنسا احد منهم) . الا انه سيحدث انقلاب عظيم من وجه آخر . فان كل واحد من هذه المذاهب ينقسم اهله قسمين . فقسم يعتقد بقواعد مذهبه حرفياً كما كان يعتقد الناس بها في القرون الوسطى وقسم يعتقد بآدابها فقط لا بكل ما فيها حرفياً . وهذا القسم الثاني يزداد وينمو في كل مذهب . وبما انَّ الذي يفرّق الناس الآن هو حرفية القواعد لا مبادئها الاجمالية فان انصار هذا القسم من كل المذاهب يتقربون بعضهم من بعض الى درجة يرون انفسهم عندها في غنى عن قطع صلاتهم بالقسم الاول للاتحاد بعضهم مع بعض . ويومئذ يغرق التعصب في سيل من التساهل العمومي . وتصبح الطقوس فلكاً سرياً يتفق الجميع على عدم فتحه . واذا كان هذا الفلك فارغاً فاي

ضرر في فراغه . على انني اخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا الارتخاء العام في العقائد . ولكنني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة و بلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة . الا انني اخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء . فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن امران : الاول ان التمدن الحديث لا يريد اماتة الاديان القديمة موتاً نهائياً لانه يتخذها آلة له . والثاني انه لا يطيق ان تكون هذه الاديان عثرة في سبيله . فعلى هذه الاديان اما ان تسالم وتلين او ان تموت

حرمه من الكنيسة

فما الفائدة اذاً من وضع مبادىء الدين الاصلية النقية من كل شائبة في موضع يؤذيها بدلاً من بقائها خارج دائرة الاحزاب والمذاهب ؟ ما الفائدة من اقامة مذهب ضد مذهب وراية ضد راية اذا كان الخلاص ممكناً للجميع وغير متوقف الا على نقاء باطن الانسان وشرف اخلاقه ؟ ومن المعلوم ان الانقسام بين البشر والغلو في المعتقدات يؤديان الى رد الفعل في كل امر وكل مذهب . فانه لولا لوثيروس وكالفين لما قام كارافا وشيسليبيري ولويولا وفيليب الثاني . وبناء عليه فاذا نبذتنا كنيستنا وجب ان لا نغضب ولا نشكو . وانما يجب ان نذكر بسرور تلطف العادات العصرية وانقلاب الزمان الذي صيَّر هذا البغض بلا تاثير كانه لم يعد شيئاً مذكوراً . ولنعز انفسنا عن ذلك بالتأمل في تلك الكنيسة الغير المنظورة التي تشتمل على رجال الصلاح المحرومين اولئك الرجال الذين هم في كل مذهب نخبة الكنيسة التي تحرمهم . وهؤلاء الرجال هم متقدمون عصرهم وقواد الجيل الآتي لانهم سيكونون في المستقبل بالنظر الى تطرف الاجيال الآتية اكثر الناس انتصاراً للمبادىء الدينية . ومع ذلك فاي معنى للحرمان وما الفائدة منه . ان الاب السماوي لا يحرم الا العقول الجافة والنفوس الشرهة والقلوب الضيقة . واذا كان معنى الحرم ان الكاهن لا يقبل جثتنا في مدفنه فعلينا ان نمنع عيلتنا من تقديمها له . والله بيننا خير الحاكمين . اما الارض فانها ام حنون لا تفرق بين جثة وجثة . وجثة الرجل الصالح متى دُفنت في حفرة فيها فانها تجلب البركة معها من عند نفسها

الشكوك

واست اجهل ان اتباع هذه المبادىء صعب على بعض الناس خصوصاً المرتبطين بالنذور كرجال الاكليروس. مثال ذلك ان كاهناً شريف الاخلاق تحقق فراغ الفلك الذي اشرنا اليه واستحالة العمل بحرفية القواعد . فما عليه ان يعمل . هل يجب ان يسيء الى الذين كان يعزيهم ويسليهم بان يطلعهم على اكتشاف لا يفهمونه ? معاذ الله ان يكون ذلك واجباً عليه فانه ليس في العالم كله رجلان واجباتهما متساوية . فان مطران كولانسو مثلاً قد صنع صنعاً دلّ على استقامة سيرته وسريرته لما دوّن بين اوراقه الشكوك التي قامت في نفسه بشان معتقداته . وهذا العمل فريد في بابه منذ قيام الديانه المسيحية . ولكن الكاهن الفرنسوي الذي تقوم في نفسه شكوك كتلك الشكوك عليه السكوت في بلاد ضيقة العقول كبلادنا . ولذلك سكت كثيرون من الكهنة . واذا فتشت حول كنائس القرى وجدت كثيرًا من القبور تضم اسرارًا لم يقف عليها احد غير الله. فهؤلاء الذين سكتوا مساوون في الفضل لاولئك الذين نطقوا

العدو الحقيقي للعلم والدين

فالعلم اذًا شيء والعمل شيء آخر . والكمال يجب ان يبقى كمالاً في جوه الرفيع والا فانه يتلوث اذا اريد العمل به . وكم من الافكار والمبادىء تكون مفيدة لاهل الفهم واصحاب العقول النيرة ومضرة بالطبقة الواطئة . ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يعمل اعمالاً عظيمة الا اذا كانت له خطة مقررة وطريق مخطوطة . وهذا ناشيء عن ان لقواه حدودًا معينة . واذا كان الانسان مجردًا عن كل وهم وعادة واصطلاح فانه يكون مخلوقاً ضعيفاً . فلنتمتع اذًا بنعمة الحرية المعطاة لنا نحن ابناء الله ولكن لا نجلعنّ انفسنا شركاء في ما يصيب الهيئة الاجتماعية من تناقص الفضائل اذا ضعفت الديانة المسيحية . اذ ماذا نكون بدون هذه الديانة اذا امّحت . ومن يقوم مقام تلك الجمعيات (يعني بعض الرهبنات الصالحة) التي هي عبارة عن مدرسة للنظام والجد والاحترام والاخلاص . وكيف لا يخيفنا حينئذ الجفاف والقسوة اللذان يسطوان على كل القلوب والصغائر التي تستولي على العالم . نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين . وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني. فقلو بنا اذًا معهم وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين

يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية

الكلمة الاخيرة

فنستحلفكم اذاً باسم الله ان تتركوا كل خصام ونزاع . دعوا الاحزاب والمذاهب التي وضعها البشر تعيش بتساهل واحتمال بعضها مع بعض . ولا تطلبوا من بعضها ان يتنازل عن شيء من مبادئه اكراماً للآخر فان ذلك يحط من قدرها . وانما اطلبوا ان يحمل بعضها بعضاً ويتسامح بعضها لبعض فانه ليس في العالم قوة تستطيع ملاشاة باقي القوات ولا في امكان مبداء ان يعيش دون نقيضه . بل ان الشيء ونقيضه في هذا العالم لا بدَّ ان يعيشا معاً وانما ينشأ نظام الانسانية من اتحاد اصواتها الكثيرة مهما كانت مختلفة . ولكن هب ان ما يسمونه « استقامة الايمان » قد تمكن من قتل العلم فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا القتل معروفة لا تخفى على احد . فان العالم الاسلامي واسبانيا قد قاربا الموت لانهما خنقا العلم وسدا سبيله . وكذلك هب ان العلم المادي رام حكومة العالم من غير التفات الى حاجات النفس الدينية فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا الامر معروفة ايضاً وقد ظهرت في اثناء الثورة الفرنسوية . وهذا مصير كل افراط وكل تفريط في العالم . انظر الى ايطاليا في ايام نهضتها تجد ان ارتقاء الفنون فيها الى اسمى درجات الكمال جعلها مكاناً قذراً لان ذلك الكمال في الفنون لم يكن مقروناً بالفضيلة والحشمة . وانظر الى بعض البلاد البروتستانتية تجد ان الضجر والصغائر والتاخر في الفنون امور تتولد فيها عقاباً لها على الغائها الفنون والزينة وتشديدها على العلم بحجة البساطة وحفظ اصول الدين الحقيقية . فلو كريس وسنت تريزه . وار يستوفان وسوقراط . وفولتير وفرنسوى داسيز . ورفائيل وفنسان دي بول — كل واحد من هولاء الرجال لا غنى للعالم عنه وان اختلفت وجهاتهم ومقاصدهم . واذا فقدت الانسانية شيئاً من هذه العناصر المختلفة التي تتالف منها صغرت ونقصت نقصاً يظهر فيها » اه

انتهت مقدمة رنان . وهي في الكتاب ٦٤ صفحة بحجم كبير . وسندخل في الجزء القادم في موضوع الكتاب تتمة لهذا الموضوع الخطير



الذهب المصري والكيماوي برتلو

اكتشاف جديد

ساعد الكيماوي برتلو الباحثين في الآثار المصرية مساعدة تُذكر فتشكر . فانهم يُرسلون اليه شذورًا او لفائف من الذهب الذي يجدونه في المدافن المصرية فيحلل هذا الذهب ويعلم منه على التقريب العصر الذي استخدمه فيه دافنوه . على ان هنالك فائدة اخرى وهي تعيين العصر الذي استخدم فيه قدماء المصريين الذهب الخالص . ولبيان ذلك نقول

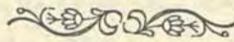
من المشهور ان الامم المتقدمة كانت تستخرج الذهب من الشواطىء البحرية والنهرية حين انحسار المياه عنها . ولا تزال هذه العادة شائعة عند بعض طلاب الذهب الى هذه الايام . واذا نزلتَ الى شاطىء الميناء الشرقية في الاسكندرية بعد يوم كان بحره هائجًا وزوابعه شديدة فانك ترى على شاطئه احيانًا بضعة رجال في ايديهم قصع يغرفون بها الرمل من الشاطىء الذي قلبته الامواج ثم يصفونه بالماء كمن يغربله بغربال وهم يبحثون عن شذور الذهب بين حبات الرمل . بل اذا كنتَ ذا بخت نظرتَ منظرًا اجمل من هذا : وهو منظر ثلاث فتيات من حسان الايطاليات تجلس اثنتان منهن على الشاطىء بين الجمع المجتمع وتذهب الثالثة وهي اجملهن بحذائها النظيف الجميل وحلتها الانيقة فتخوض البحر حتى يعلو قدَمها شبرًا او شبرين ثم تمد يدها الى الماء وتقبض قبضة من الرمل الذي تحته وتعود به الى رفيقتيها ليبحثن فيه معًا عن حبات المرجان

وقد كان المصريون الاولون يستخرجون شذرات الذهب من الشواطىء بطريقة كهذه الطريقة الا ان الذهب الذي كان يُستخرج بهذه الطريقة كان ممزوجًا بالفضة . ولذلك كان لونه ضاربًا الى البياض . وقد كانوا يسمونه « الكتروم » او « آزم » . ولم يكونوا يومئذ يعرفون الذهب الخالص قطعيًا . غيران هذا الجهل لم يكن خاصًا بهم فان جميع الامم المتقدمة كانت تستخدم الذهب ممزوجًا بالفضة لجهلها طريقة فك الواحد من الآخر

ولكن هل طالت مدة هذا الجهل . وهل بقي المصريون على استعمال الذهب ممزوجًا بالفضة ازمانًا طويلة . — هذا هو السؤَال الذي وجد برتلو جوابه . فانه حلل اللفائف الذهبية التي بعث بها المسيو ماسبروا اليه فوجد في اللفافة الذهبية التي من عهد « الاسرة السادسة » ٩٢ جزءًا من الذهب و٥ اجزاء من الفضة وفي اللفافة التي من عهد « الاسرة

الثانية عشرة » ٩٠ جزءا من الذهب و٤ من الفضة . ووجد في اللفافة التي من عهد الفتح الفارسي ٩٩ جزءا من الذهب . فثبت له ان الذهب الخالص لم يُعرف في مصر قبل الفتح الفارسي . ولا ريب انه اذا بحث في جميع لفائف الذهب التي توجد في المدافن حول الرمم المحنطة تمكن مع طول البحث من معرفة عصر اي مدفن من المدافن التي يكتشفها الكاشفون من مجرد تحليل الذهب الذي يكون فيها

هذا وقد قدم المسيو برتلو ملاحظاته هذه الى مجمع العلوم في باريز فنقلناها نحن عن وقائع هذا المجمع . وقد قدم اليه هذا العالم ملاحظة اخرى تختص بمصر . فان احد الباحثين بعث اليه بقطعة من اناء يظهر انه من فضة وقد وجد في مدفن من مدافن الاسرة الرابعة اي من نحو ٦ الاف سنة . فلما حلل برتلو هذه القطعة وجد انها من الرصاص لا من الفضة وانما صار لها منظر الفضة ولونها لاتحاد مادتها بكلوريد الصوديوم



الانكليكان

﴿ او تاريخ انكلترا الديني ﴾

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

سالني بعض الاصدقاء ان اشرح في الجامعة تاريخ الطائفة الانكليكانية لكثرة الكلام عنها في الايام الاخيرة في مصر والشام وخصوصاً في بيروت فرايت ان اذكر ما وصلت اليه يدي من امورها بعد البحث والتنقيب ولا غرض لي من ذلك غير اطلاع القارىء على تاريخ انكلترا الديني اذا كان يجهله . فاقول

الكنيسة الانكليكانية وتدعى ايضاً كنيسة انكلترا هي جزء عظيم من الطائفة الانجيلية في العالم . وتختلف عن باقي الكنائس الانجيلية بان لها اساقفة وشمامسة كما في الكنيسة الارثوذكسية ولها رئيسا اساقفة يقيم احدهما في كنتربري والاخر في يورك . وهذان الاسقفان هما بمثابة البطاركة في الكنيسة الشرقية . وهي الكنيسة الرسمية عند الحكومة البريطانية وتعترف بسيادة ملك انكلترا على املاكها . وهي كنيسة رسوليه تحفظ شرائع الرسل وتعاليمهم

تاريخها

وتاريخ هذه الكنيسة تاريخ النصرانية في انكلترا . والنصرانية دخلت الى انكلترا بعد ظهور الديانة المسيحية بقليل . ومن الرواة من يقول ان الرسول بولس ذهب الى تلك الجزائر وكان حينئذ سكانها من المتوحشين فنشر التعاليم المسيحية فيها مبتدءًا من مقاطعة غلاستنبرج لان طقوس هذه المقاطعة الى الآن تقارب الطقوس الشرقية . ثم جعلت النصرانية تمتد حتى القرن الثالث بعد الميلاد حين اصبحت البلاد تابعة لسلطة المملكة الرومانيـة فابتداء قياصرة الرومان اذ ذاك باضرام نار الاضطهاد وهدم كنائس النصارى فيها ولكن ذلك لم يثن من عزم الاكثرين على التدين بها حتى ان مجمع نيقية المشهور الذي عقد في عام ٣٢١ ب . م كان فيه من ينوب عن كنيسة انكلترا . وظلت النصرنية تمتد حتى الفتح النورمندي وكانت قد صارت اكثر المقاطعات البريطانية تعترف بالنصرانية وصار فيها ٤٥٠٠ كنيسة ما عدا كثير من الاديرة والصوامع وكاتدرائيات الاساقفة الخصوصية . وصار للاساقفة السلطة العظمى فكانوا يحاكمون الناس كالقضاة

وكانت كنيسة انكلترا يومئذ غير تابعة تماماً للسلطة البابوية . وبنـاء عليه رأت الحضرة البابوية ان تساعد الملك وليم الفاتح النورمندي على التغلب على انكلترا ليجعل هذا الملك سلطتها تامة فيها . وتمهيداً لذلك قَبل وليم الفاتح في انكلترا علاوة عن رئيس اساقفة يورك كاردينالين رومانيين اوفدهما البابا من قبله . وعليه فالفتح النورمندي كان ذا صبغة دينية . واتماماً لنفوذ الحضرة البابوية في انكلترا ارسل الفاتيكان كاردينالاً لومبارديًا اسمه لافرانك وجعله رئيساً لاساقفة كانتربري مخالفاً بذلك العادة القاضية بوجوب ان يكون رئيسا الاساقفة من الانكليز دون سواهم . ثم كثر الكهنة والرهبان النورمنديون فانشئوا عدة كنائس وكاتدرائيات جميلة الهندسة على الشكل النورمندي . وصارت بعد الفتح كل شؤون الكنيسة في ايدي الغرباء . اما وليم فلما راى ان السلطة البابوية ستكون فوق سلطته ابى الاعتراف بها تمام الاعتراف وارسل يبلغ الحضرة البابوية انه لا يستطيع مخالفة العوائد القديمة التي توجب على السلطة البابوية ان لا تتخطى الحدود المرسومة لها . فنشأ عن ذلك نزاع طويل بين الملك والبابا ولكن لما توفي وليم اشتدت سلطة البابا والكنيسة حتى قام ادوارد الاول فسنّ عدة قوانين لتحديد هذه السلطـة . وفي هذه الاثناء تألف البارلمان الانكليزي وصارت له اهمية تذكر في انكلترا فساعد البارلمان الملك من جهة ومن جهة اخرى كثر اعتداء الاكليروس واتهمهم الانكليز بفظائع القتل ايضاً فنفرت قلوب

الناس منهم · وفي هذا الحين قام كاتبان انكليزيان انصرفا الى اظهار مساوىء الكهنة والرؤساء فرماهما الاكليروس بالزندقة والكفر واضطهدهما ولكن احدهما وهو (ويكليف) كان تعليمه تمهيداً « للاصلاح » · وفي عام ١٥٠٩ قام شاب على كرسي انكلترا فنشط الهمم لترجمة التوراة الى اللغة الانكليزية وترجم ايضاً كتاب الصلوات فوافق عليه البارلمان في عام ١٥٤٩ والزم جميع الكهنة باستعماله · ثم دخلت تعاليم « الاصلاح » في زمن هنري الثامن وكان من نتائجه الغاء الصور والتماثيل من الكنيسة وابدال مذابح القربان بمائدة اعتيادية وقد حدث كل هذا التغيير بتدبير احد دهاة الاساقفة المدعو كرنمر · وقام كثيرون يطلبون كتابة عقائد ايمانهم فاجابهم كرنمر وغيره الى طلبهم والفوا ٤٢ عقيدة فوافق عليها الملك والزم الاكليروس بالاعتراف بها · ثم ادخلوا في عام ١٥٥٢ التغيير والابدال في كتاب الصلوات وجعلوا له صبغة بروتستانتية · وبعد موت هذا الملك بقليل قامت ماري ستوارت الكاثوليكية فارجعت التعاليم القديمة · الا ان ١٥٠٠ — ٣٠٠٠ كاهن ابوا الموافقة عليها فاضطر بعضهم الى الفرار واضطهد بعضهم · ثم امرت ماري فاجتمع مجمع اساقفة في عام ١٥٥٥ لمحاكمة المراطقة (اي البروتستانت) فاحرق منهم عدة اشخاص في جملتهم كرنمر المذكور الذي صرف ٢٣ سنة في رئاسة كنيسة انكلترا · وكان ذلك في ٢٢ مارس من عام ١٥٥٦

وفي عام ١٦٤٢ قامت طائفة البيورتيين · واصحاب هذه الطائفة بروتستانت لا طقوس عندهم ولا كتب صلوات ولا يعتقدون بشيء غير الكتاب المقدس · فقويت هذه الطائفة وكان من اتباعها كرمويل الشهير الذي اضرم نار الفتنة الاهلية في انكلترا وقتل كارلوس الاول والف جمهورية دامت مدة سنوات تحت رئاسته ولكن عفت اثارها بعد موته · وقد صارت هذه الطائفة ذات اهمية عظمى في مدة الجمهورية لان كرمويل قضى على الجميع باتباعها ومنع التعييد يوم عيد الميلاد وجعله يوم صيام ومنع اساقفة كنيسة الانكليكان من التعليم والوعظ مهدداً اياهم بالنفي اذا خالفوا امره · ثم لما رجعت الملكية رجع النفوذ الديني للكنيسة الانكليكانية وفرّ كثيرون من البيورتيين الى اميركا حيث وضعوا اساس الجمهورية الاميركية · وبقيت الانكليكانية في تقدم ونمو الى عهد جمس الاول وهو الملك الثاني بعد انقلاب الجمهورية · وكان هذا الملك كاثوليكياً فرام ارجاع الكثلكة فاضطره الشعب الى الاستقالة والفرار · ولم يحدث تغيير في الكنيسة الانكليكانية الا في القرن التاسع عشر فانه كان من المفروض قبل هذا القرن ان يكون النواب في البارلمان الانكليزي من

الانكليكان دون سواهم · الا ان الحكومة اتباعاً لمبداء الحرية الغت هذا النظام واذنت بالنيابة في المجلس اولاً للبروتستانت غير الانكليكان ثم للكاثوليك فالاسرائيليين · وكان قبلاً كل انكليزي اياً كان مذهبه مرغماً بدفع ضريبة للحكومة تسمى ضريبة الكنيسة وكانت هذه الضريبة تختص بالكنيسة الانكليكانية بالطبع ولكنهم ابطلوا هذا ايضاً في القرن الماضي لانهم رأوا انه ليس من العدل ان يدفع الاسرائيلي مثلاً ضريبة لكنيسة لا شان له فيها · وقد امتدت الكنيسة الانكليكانية في القرن التاسع عشر في كل اقطار الدنيا بواسطة جمعية دينية أُلفت في نهاية القرن الثامن عشر · ولها الآن ٦٠ اسقفاً (مطراناً) في بريطانيا والمستعمرات ومثل هذا العدد في اميركا · ويبلغ عدد خدمة هذا الدين في انكلترا وحدها ٢٠٠٠٠ شخص

طقوسها وتعاليمها

وطقوس هذه الكنيسة وتعاليمها ماخوذة من الطائفة اللاتينية والطائفة الارثوذكسية وهي منقولة من كتاب لاحد رؤساء اساقفتهم المدعو هرمن وقد الفه في عام ١٥٤٣ وجعل اكثره مبنياً على تعاليم لوثيروس · والكاهن عندهم يلبس في اثناء القداس ثوباً ابيض ويلقي على كتفه حمالة سوداء وللكهنة ثياب خصوصية خارج الكنيسة تميزهم عن عامة الناس والزواج مباح لهم خلافاً لغيرهم من كهنة الطوائف المسيحية · ولهم في كتاب الصلاة خدم مخصوصة بالصلوات المختلفة كصلاة الصبح وصلاة المساء وصلاة عيادة المرضى ودفن الموتى خلافاً لطائفة البرسبيتيريين وهي الطائفة الانجيلية الاكثر اهمية في اميركا ومنها اميركان بيروت وسوريا · فان هذه الطائفة ليس لها طقوس ولا كتب صلوات مطبوعة

وتعليم الكنيسة الانكليكانية موجودة في كتاب الصلاة وفي كتاب التسع والثلاثين عقيدة وكلاهما مترجم الى اللغة العربية · وقد وضع هذه العقائد الـ ٣٩ كرنمر وردلي · وكان عددها في الاصل ٤٢ عقيدة كما تقدم ولكن في عهد اليصابات قرّ رأي الرؤساء على حذف ثلاثة منها · وخلاصة هذه العقائد ان الكتاب المقدس هو وحده مصدر التعليم المسيحي وان الخلاص يكون بالايمان · وهي تردّ رئاسة البابا وسر الاستحالة وخدمة القداس اللاتينية والمطهر والسجود للقديسيين او لايقوناتهم وتحافظ على سر المعمودية والافخاريستا (الشركة) · واما تقليدات الكنيسة القديمة فتقبل منها ما وافق الكتاب المقدس موافقة صريحة لا تقبل التاويل · ويعتبر الكهنوت في هذه المواد كما يُعتبر لدى الكنيستين الشرقية والغربية اي موهبة تُعطى بواسطة وضع الايدي (الشرطونية) بحسب درجاتها الثلاث اي

الشماسية والكهنوت و رئاسة الكهنوت ۰ وعلى هذا فان الكنيسة الانكليكانية قريبة من الكنيستين الشرقية والغربية بحيث تكون واقعة في نقطة الوسط بينهما من جهة وبين سائر المذاهب البروتستانتية من جهة اخرى ۰ وهي تقسم الى ثلاثة اقسام اولاً الكنيسة العليا وهي الاشد تمسكا بكتاب الصلوات ومنها ظهر الانكليز المتكثلكون او محبو الطقوس وهم من اعلى طبقات الانكليز۰ ثانياً الكنيسة الدنيا وهي قلما تلتفت الى الطقوس وانما تصرف اهتمامها الى المبادىء والفضائل الدينية وتسعى في نشرها في الداخل۰ ثالثاً الكنيسة المتوسطة وهي موسومة بحرية الافكار والاهتمام بالمعارف والعلوم

اهميتها

وللكنيسة املاك كثيرة في انكلترا ولها يد طولى في سن القوانين لان الكنيسة معتبرة عند الحكومة كالهيئة المالكة للابنية والعقارات المختصة بها ۰ وعليه فبسبب كونها من اصحاب الاملاك يلزم ان تشارك اصحاب الاملاك في سن القوانين للبلاد ولذلك تعتبرها الحكومة جداً ۰ ولكل اسقف من الاساقفة المقيمين في بريطانيا كرسي في مجلس الاشراف ۰ وسبب ذلك انه لما توحدت ممالك انكلترا صار الملك يطالب الكهنة بالضرائب وبحسب الشريعة الانكليزية ان كل من يدفع الضرائب على العقارات والاملاك يجب ان يكون له مَن ينوب عنه في البرلمان ۰ وعليه الّف الاكليروس اولاً جمعية مختصة بهم تعمل عمل البرلمان وتنعقد وتنحل معه ۰ وكانت وظيفة هذه الجمعية الى سنة ١٦٦٤ البحث في مسائل الضرائب وبعد هذه السنة حلوا هذه الجمعية وجعلوا للمطارنة كراسي في البارلمان

وللكنيسة ايراد وافر من املاكها الواسعة ومن تاجير المقاعد في كنائسها وكاتدرائياتها ومن تقديمات عيد الفصح ورسوم التعميد والمآتم والاعراس ۰ وتبلغ ميزانيتها خمسة ملايين جنيه انكليزي وهي تدفع رواتب باهظة لخدمة الدين اقلها ۸۰ جنيهاً في السنة ۰ وجلالة ملك انكلترا محسوب رئيساً لها ولذلك يُسمى في لقبه « حامي الايمان » وهو يحكم في مسائلها الكبرى التي تُرفع اليه بدرجة استئنافية

والكنيسة الانكليكانية تميل الى الكنيسة الارثوذكسية وتود الاتفاق معها وقد سعت لهذه الغاية لدى بطريرك القسطنطينية غريغوريس السادس بواسطة رئيس اساقفة كنتربري في عام ١٨٦٩ فاصدر البطريرك المذكور على اثر ذلك منشوراً ياذن فيه بدفن الانكليكان بواسطة كهنة ارثوذكس اذا مست الحاجة ۰ وفي عام ١٨٧٢ بعث الانكليكان على اثر اجتماعهم العام في اميركا برسالة الى متروبوليت اثينا السيد ثيوفيلوس والى بطاركة المشرق يعربون بها عن ميلهم الى الكنيسة الارثوذكسية

بين مرسين وطرابلس الشام

بقلم جناب الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف

(اذا عاش الانسان في هذه الحياة معيشة الفضل والعقل والتواضع وخفض الجناح واحتمل كل اذى وكل ضر بصبر جميل وصدر رحب ثم مات اشنع ميتة دون ان يذوق في حياته الراحة التي يستحقها اهل الخير فماذا تستنتج من ذلك ؟ الا تستنتج وجوب وجود عالم آخر افضل من هذا العالم تستريح فيه تلك النفس الفاضلة التي لم تجد غير العذاب في هذا العالم . وهكذا استنتج صاحب هذه القصيدة في وصفه حادثة حقيقية حدثت في العام الماضي على نهر في جهات طرابلس الشام . ونحن في هذا المقام نشكر جناب الناظم لتفضله بالاجابة الى ما اقترحناه عليه من نظم هذه القصيدة التي جعلناها جائزة لنفس فتاة فاضلة)

(الجامعة)

يامصاباً يضيق عنه احتمالي ... عمرك الله لا تمرَّ ببالي

ليت شعري أأنتَ حادث جدٍ ... ام خيالٌ من ساريات الليالِ

صدق النعيُ والحقيقة نادت ... يا لهولٍ من اشأم الاهوال

***

غادةٌ تزري بالنجوم بهاءً ... صاغها الله آيةً في الجمال

ولدت في ثغر به الماء كالبلو ... رصافٍ ينساب في الادغال

بين روضاتٍ ظللتها خيامٌ ... من غمامٍ بوارفِ الاظلال

خيمتْ فوقها سما لازوردٍ ... رصعتها كواكب كاللآل

سابحات في موجها كعذارى ... مستحمات تحت جنح الليال

وسط تلك الجنات حسناؤنا قد ... نشاءت بين اهلها في دلال

زهرة للحياة قد بسمت كالـ ... صبح للشمس والدجى للهلال

ثمَّ اذ شبت بعد حين اتاها ... زائر الحب طاهر الاذيال

سمعت صوته اللطيف يناجي ... قلبها في براعة استهلال

فاطاعت ذاك النداء وزفت ... لحليل قد راقها في الرجال

ثم ان الزوجين عما قليل ... ودَّعا رهط الاصدقا والآل

والى صقع آخر هاجرا قصـ ـدَ ارتزاقٍ وبسطةٍ في الحال
وباحدى البلدان بادىء بدء صادفا لليسار خير مجال
بيد ان الزمان اذ خان يوماً خسر البعل ماله من مال
وعلى اثر ذلك اعتلَّ في دا ء عقام قد اعتراه عضال
ثم ان السقام اضناه حتى لم يكن يُرجى معه من ابلال
فبتلك الاثناء صارت له الزو جة اماً فضلاً عن الانجال
ورفيقاً معزياً وملاكاً حارساً حتى حان وقت الزوال
فقضى نحبه وخلف الار ملة الهمَّ مع صغار العيال
ولقد كان نجم قطب بعينيـ ـها ومصباح دفة الامال
في رضاه ترى العسير يسيراً والبعيد البلوغ سهل المنال
تحسب القرب منه جنة عدن ولديه الحياة اهناء حال
ان اشار انقادت اليه بلين او نهاها تطيع دون جدال
واذا اغتاظ لا تحير جواباً او اجابت بالطف الاقوال
لا تكاد الاحزان تبدو على جبـ ـهتها حتى تبتلى بالزوال
كظلال الرياض فوق حياض حركتها الرياح في الآصال
ولئن كانت تزرف الدمع حيناً فوق خديها ساقطاً كاللآل
انما كانت فيه تزداد حسناً كالرياحين رصعت بالطلال

***

ثم ان الفتاة من بعد ذاك الر زء عادت الى ربوع الآل
وعلى اثر الخطب اسقمها الهـ ـمُ فرامت تخفيف بعض الوبال
فانتحت ديراً مع فتاها المرجى تبتغي وجه ربها ذي الجلال
فكانَّ النفوس ترتاح ان تسـ ـتقبل الله في اعالي الجبال
ثم بعد المقام في الدير حيناً صممت ان تعود نحو الآل
فاستخارت وسافرت مع فتاها والمكاري تبغي محط الرحال
فالتقوا نهراً فاصلاً فتحرى صاحب البغل قطعه باحتيال
اذ بدون القطع المسافة كانت حائلاً دون سرعة الايصال
ما درى انه بتلك المجاري سوف يلقي ركابه في الوبال

من عساه يدري اذا كانت الا … م به صاحت وهو غير مبالــ
و يك فاعدل عن العبور فبادا … ها المكاري بافظع الاقوال
وامتطى النهر طاغياً ماوه يض … رب فوق الركاب حتى الشكال
ولقد حان للركوب عثارٌ … فهوى النجل ساقطاً في الحال
فارادت تخليصه امه فاذ … قابت مثله لشر المآلــ
بيد ان المكاريَ السوء ظناً … منه ان الانام دون البغالــ
اخرج البغل في سلام وام … مع فتاها ماتا باسواء حال
ليت شعري من ظن ان بغالاً … تفتدى صاح بالنفوس الغوال
سلم البغل ناجياً وفتاةٌ … مع فتاها غاصا مع الاوحال
يمما «ميناءً» اميناً فماتا … قبل ان يبلغا محط الرحالــ
يا قسيَّ الصواعق الدهم هيا … واصعقي راس ذلك البغال
ليته لا تذوق اجفانه طعـ … ـم رقاد من مرعبات الخيال
وليعذب فوءاده وخز تقريـ … ـع اليم يفوق وخز النصال
ولتطارده من ابالسة الوهم … جيوش بافظع الاهوال
ليت شعري هل ناله من لدن عد … ل القوانين صاح شر النكالــ
ام ترى اعتلت القوانين بالاسـ … ـكان خلي والقلب والابدال
فمضى دون ان يُمس بقبض … او نجا مطلقاً بحل عقال
كسواه من الجناة الاولى قد … افعموا الارض من فظيع الفعال
واقل الجزاء كان لذيا … ك الشقي اللئيم ضرب النعال

***

ربما قال قائل بعد هذا … اين عدل المهيمن المتعال
مع فتاة كانت ملاك سلام … ولمعنى العفاف خير مثال
شقيت في حياتها مع زوج … قرنتها به ظروف الحالــ
معه ذاقت من العذاب صنوفاً … دون ادنى سآمة وملال
ولقد زاد طينها بلة ما … داهم الزوج من ضياع المال
فاعتلال بشر داء فموت … قد رماها في اسواء الاحوال
ثم لم يكفها الذي كابدته … من صنوف الويلات والاهوال

فاتتها المنون من حيث لا تد ري وسدت موارد الآمال
غرقاً ماتت مع فتاها المرجى فدية عن بغل وعن بغال
ليت شعري هل الفضيلة تجزى بوخيم العقبى وسوء المآل
ايها المشتكي السؤوم رويداً في تجنيك واتئد في المقال
ان في ذا اقوى دليل على ان بعد هذي الحياة دهر تال
فيه يجزى خير بخير سواء وبحسن العقبى حميد الفعال
حيث يزهو وجه الفضيلة كالشم س سناء بل فاقها في الجمال

***

ولذا خاطب الفتى امه في نعشها ناطقاً بذي الاقوال
راعني يا اماه قرع النواقي س بطيئاً مقطعاً اوصالي
واحتشاد الجموع من حولنا ايـ ضاً اراه يزيد في بلبالي
اين كنا واين نحن ايا ام اه قولي وافصحي في المقال
حرتُ في ما اليه صرتُ ولكن يا ترى هل عرفتِ ماذا جرى لي
شمتُ في الماء صورتي في ثيابٍ كالثلوج البيضا باعلى الجبال
وعلى هامتي اكاليل زهر فائح العرف رائع الاشكال
احدقت بي آلاف آلاف غلما نٍ حسان الوجوه ولد دلال
بسطوا لي منهم اكفاً كان قد حضروا يا اماه لاستقبالي
وكأنّ الزعيم اذ ذاك مني جذب الجسم نحوه في الحال
ثم طاروا بالروح مني جميعاً في طباق الفضاء نحو الاعالي
وبتلك الاثناء جسمي عانى داخل الماء افظع الاهوال
اترى يا امي جرى لك مثلي او رات عيناك الذي قد بدا لي
وكأنّ الفتاة اذ ذاك قالت لابنها كن يا ابني براحة بال
خطفتنا ملائك النور من ار ض الشقا نحو ربها المتعال
والذي شمت انما بان في الما ء انعكاساً عن الفضاء العال



نخيل مصر وزراعتها وتمرها

اهدانا بعضهم رسماً لاحدى جزائر النخيل في اثناء فيضان النيل · وقد وقع نظرنا ونحن نقلب هذا الرسم على كلام عن النخيل وزارعته ورد في تقويم المؤيد الذي صدر



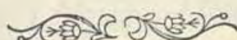
﴿ جزيرة نخيل في النيل في اثناء الفيضان ﴾

حديثًا فاجبنا نشره في هذا الفصل للذين تهمهم المسائل الزراعية

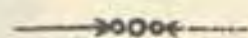
﴿ زراعة النخل ﴾ توافق زراعة النخل الاراضي الرملية الرقيقة المحتوية على نسبة صغيرة من الطين ويكون ثمره افضل اذا نما يبطء في ارض ضعيفة · وهو يتكاثر اما بغرس النوى او بالنخل الصغير الذي ينبت من الساق الارضية للاناث وهذه الطريقة هي المعول عليها بخلاف الاولى التي لا تاتي بنفس الثمر ولا تحفظ نسبته الاصلية · وقبل نقل النخل الصغير تقلع بعض اوراقه الخارجية وتربط الباقية بحصيرة لوقاية الزر الانتهائي من حرارة الشمس وتفك الحصيرة قليلاً كلما اشتدت الاوراق ونمت وترفع الحصيرة تماماً بعد ٨ اشهر والابعاد التي تراعى في زرع التخيل ينبغي ان تكون من ٣،٥٥ الى اربعة امتار من كل جانب ويكون الزرع في حفر تحفر طويلاً وتستعمل كمساقٍ ولا توضع اسمدة مطلقاً واذا وضعت فتكون من اسبخة المواشي او من روث الاغنام والماعز · ويجب ان تكون ارض النخل رطبة عند جذوره لا سيما في ابتداء امره وحينما يزرع صغيرًا لا بد من سقيه مرة في كل اسبوع اثناء الثلاثة شهور الاولى ومرة في الاسبوعين مدة الثلاثة شهور الثانية ثم يروى في فترات معلومة من السنة بانتظـام وكثرة الارواء يجب ان تكون قبل التزهير · والتخيل اذا اجيد زرعه اثمر بعد ٤ او ٥ سنوات ولكن ثمره لا يكون وافرًا الا اذا بلغ ٨ سنوات وهو اذا اعتني به دام ثمره نحو جيل ولكنه ينحط في جودته بعد مائة سنة · والنخلة القوية تعطي ٨ سباطات (اقراط) في كل منها من ١٥ الى ٢٥ رطلاً · ويبدا البلح في تغيير لونه في اواخر فصل الصيف

﴿ بلحه ﴾ نخيل البلح منتشرة من بلاد النوبة الى البحر الابيض المتوسط وبلح الواحات والوجه القبلي الذ مذاقًا · وبلغ متوسط ما صدر منه من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ـ ٦٤٥ طنًا سنويًا بسعر ١٨ جنيهاً الطن · وصدر منه عام ١٨٩٩ — ٨٩٢ طنًا بمبلغ ١٤٢٢١ ج · وعدد التخيل في الوجه القبلي اكثر منه في البحري وفي قنا اكثر منه في مديريات الصعيد وفي بني سويف اقل منه فيها وفي الشرقية اكثر منه في مديريات الوجه البحري وفي المنوفية اقل منه فيها · وضرائب النخيل بمقتضى قرار ٢٨ مايو سنة ١٨٨١ غرشان ونصف صاغًا عن كل نخلة تحمل ثمارًا وتعفى النخيل غير المثمرة او النامية في جنائن منزلية او في جبانات او في غيرها فانه لا يدفع عنها اموال · وظهر من تعداد سنة ١٩٠١ ان عدد النخيل التي تدفع الضرائب عنهـا ٥٢١٩١٩٣ نخلة والتي لا يدفع الضرائب عنها

٤٧٨٣٠٧٤ نخلة — وانواع البلح الذي يؤخذ من نخيل مصر هي : الرشيدي او السماني وهو مدبب الطرف غليظ الحجم صغير النواة و يزرع بقرب رشيد وعلى ساحل البرلس و يطلب بكثرة في اوربا والطريقة لحفظه قطع طرفيه وازالة النواة و رفع القشر وغليه في الماء ثم وضعه في الشراب الحلو · والزغلول لا يزرع منه الا القليل و يعمل مربى وينضج بدريا و يكون طويلاً كبيرًا ونواته صغيرة · والعمري ومنه اغاب الصادر و يزرع في الشرقية وينضج موخرًا وقبل ان يجف تماماً يرتب في صناديق للتصدير · والسيوي وهو قصير ثخين اصفر ويكبس في بعضه لتكوين ما يسمى بالعجوة والنوع الجيد يوضع في اكياس من جلد بدون نوى · والحياني او البركاوي يصير اسود حين تمام النضج الذي يحصل قبل انواع البلح وقد ادخل من المرج الى القليوبية · والامهات وهو صغير اصفر تزول قشرته بسولة وينمو فيما عدا النواحي القريبة من البحر ويتخمر بسرعة لكثرة سكره واهم موارده البدرشين في الجيزة · والرملي و يتاخر في نضجه و يصير لونه الاحمر اسود حين النضج و ينمو بسرعة قرب البحر لا سيما في ضواحي الاسكندرية · وبنت عيشه وهو كبير ثخين مستدير احمر يصير اسود حين الارطاب ونواه صغيرة بالنسبة لغيره · والابريمي ويجلب جافًا من النوبة حيث ينمو بكثرة وهو طويل رفيع قمته سمراء فاتحة و يؤكل جافًا ونواته كبيرة وهو غير مطلوب بكثرة



﴿ اصلاح خطاء ﴾ وقع خطأ في عجز البيت الحادي عشر من قصيدة نابوليون (الصفحة ٤٤٨) فقد جاء فيه « لم يتمادى بعدُ » وصوابه « ولم يتوغل بعدُ » فلزم التنبيه



رأي عالم مصري وعالم سوري

﴿ في النهضة الادبية في الشرق ﴾

اما باقي الاجوبة فانها ستنشر في الجزء التالي بسبب ضيق المقام

لو اردنا نشر جميع الرسائل التي وردت علينا جواباً عن اسئلة الجامعة المنشورة في الجزء السابق بشان النهضة الادبية في مصر والشام لاستغرق نشرها صفحات هذا الجزء كله. فلا ريب ان تراكم الاجوبة الى هذا الحد يدلُّ على استعداد الافكار لهذا البحث وان الجامعة قد اصابت به الموضع المؤلم الذي يشكو منه جمهور القراء والكتاب في الشرق . ومن الاتفاق الغريب انه لم ينتشر الجزء السابق حتى وقعت حادثتان محليتان جعلت الجرائد كلها تخوض في موضوع الصحافة وواجباتها وحريتها مما يدخل في البحث الذي نحن في صدده اذا اردنا ضمه اليه . ولكن المجال محدود في هذه المقالة لتكاثر المواد فنكتفي في هذا الجزء بنشر رأيين لعالمين فاضلين كل منهما عَلم في قومه ومنار يستضاء به في عاصمتي الشقيقتين سوريا ومصر . ولو ارادت مصر ان تُنيب عنها رجلاً من ابنائها في عكاظ العلم والادب لما وجدت خيرًا من جناب الامام صاحب الراي المصري . ولو رامت سوريا ان تنيب عنها رجلاً من ابنائها في هذا المؤتمر لما وجدت ايضاً خيرًا من جناب الاستاذ صاحب الراي السوري . فالكاتبان اللذان يمثلان مصر وسوريا في هذا البحث ممن تفتخر مصر وسوريا بهما وتعدانهما في مقدمة ابنائهما علماً وادباً وكمالاً . وحسبنا ذلك للدلالة على قيمة رأييهما

(راي العالم المصري)

حضرة صاحب مجلة الجامعة اللامعة

«لعل الجامعة تعني بالصحافة الحاضرة والمجلات والجرائد ما هو منها في مصر وهكذا ينبغي ان يكون السؤال عنها خاصة ولذلك سيكون كلامي قاصرًا عليها ولا اذكر ما ينشر منها في غير البلاد المصرية الا اذا دعت الحال الى القياس والمقارنة

من البديهي وان غفل عنه كثيرون ان قيمة ما يُكتب تعلو وتنحط على حسب ما يكون من قصد الكاتب واثر المكتوب في نفس القارىء فان كانت الجريدة او المجلة

انشئت لمقصد نبيل وكان لما يدرج فيها اثر جميل في نفوس قارئيها قدرها قدرها العقلاء وُعدت من حاجيات البلاد او كمالاتها . فان افادت صاحبها مع ذلك غنى في مال او سموًا في مقام او بسطة في جاه كانت كالخلق الجميل ينفع صاحبه و يسر معاشريه والا كانت كالهمة العالية تُتعب من تكون له . وان رفعت به قومه واهله

وقد كان لمصر جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية ينشر فيها ما كانت تحب الحكومة ان تنشره من اوامرها وقليل من الاخبار الخارجية التي يروق للحكومة درجها فيها و بقية صفحاتها كانت وقفًا على مدح امير البلاد و بعض رجاله الفخام . واذا نكب الامير احد اولئك الرجال وجد محرر الجريدة اوسع المجال لذكر مثالبه والنيل منه فكانت قيمة الجريدة بمقدار ما تحتوي عليه ولهذا لم يكن الناس يشتركون فيها الا جبرًا

وانشئت بعض الجرائد والمجلات بعد ذلك ولكنها كانت اشبه بالرسمية . انشئت مجلة روضة المدارس يكتب فصولها اساتذة المدارس و بعض موظفيها وقليل من سواهم ولم يكن الغرض من انشائها الا اظهار كل كاتب ما عنده من العلم على زعمه افهم ام لم يُفهم اخذ القارىء حظًا منه ام لم ياخذ ولذلك ماتت بموت اصحاب تلك الرغبة ولم يرثها احد من الناس . وانشئت جريدة وادي النيل ولها ميل الى الغرض الذي انشئت له روضة المدارس فيما ينشر فيها من الآداب والى الجريدة الرسمية في المدح والهجاء . ولم يكن في عبارتها ما يسر غير ممدوحها ولا يسيء غير من صدر الامر بذمه فيها . ولكن كان في اسلوبها ما لا يسيغه الا ذوق كاتبها رحمه الله لهذا ماتت بموته غير ماسوف عليها من احد

ثم جاء زمن بحوادث غيرت الحال التي كانت عليها مصر من قبل وظهرت في الناس حاجة الى الاطلاع على ما يحدث بينهم فاحس بعض المهرة وطلاب العيش بهذه الحاجة فاسرعوا الى موافاة الناس بما يسدها ولكنهم وا آسفا لم يكتنهوا كنه الحاجة ولم يحيطوا بحقيقتها وغلبتهم حاجتهم الى الكسب العاجل فانشأوا جرائد مستقلة عن الحكومة لكنها اشتقت من جرائدها فجاءت من نوعها وعلى طريقتها من حيث اضطرارها الى ارضاء الحكام والامراء ومقالاتها في المدح والهجاء . وزادت على ذلك انها كانت في حاجة الى اجابة ما يطلب مشتركوها من ذلك وهم قوام معيشتها فكانت تنال اجرًا من الحكومة على بعض ما يكتب فيها ومن المشتركين على ما يوافق اهواءهم منها وصاحب الجريدة لا غرض له يرمي اليه من تعبه في تحريرها الا ان ينال مالاً او يكسب جاهًا يستثمره في جلب المال . ثم جاء من ينافسه فاتخذه قدوة وحذا في عمله حذوه . فما قيمة تلك الجرائد . هي قيمة الغرض الذي

انشئت له وذاك الغرض ان يعيش محرروها بحق او باطل. هي قيمة اثرها في الناس : وهو صرفهم عن كسب الفضيلة والتحلي بها الى الاكتفاء بذكرها ودفع اجرة نشرها

وانشئت جريدة من الجرائد لغرض سياسي حقيقي اثناء الحرب بين الدولة الروسية والدولة العثمانية . وكان يكتب فيها افاضل معروفون وكانوا يستشيرون العقل والحق والعدل فيما يكتبون . ولكن غلب على الجريدة مع ذلك حب الظهور ولم تجد اليه سبيلاً الا بسب من يعارضها فيما تكتب او يخالفها فيما تقرر خصوصاً ان كان المعتدي عدوها وكان عليها ان تمر به مر الكرام ولكن كان ذلك في طبيعة الوقت فجرت عليه فكنت ترى الجرائد في ذلك الزمن معارض سباب يضحك لمناظرها السفهاء ويبكي من عواقب ما تتقاذف به الحكماء

ثم ظهرت جرائد كثيرة في هذه البلاد لم يدع اربابها الى نشرها الا الحاجة الى الكسب سواء كان بتحميلها العامة فمن لم يحملها انتظر ما لا سبيل الى اتقائه من شتم وقذف ام كان بحملها على الحكومة فان لم تمدها بما تريد اتخذت الحرية سلاحاً ظالماً تشق به عن العورات وآلة لقلب الحقائق وتغييرها الى ضلالات وكثيراً ما جرعت العامة ما خدر عقولها وخيل لها انها سعيدة في شقائها . غير ان ذلك لم يمنع بعض تلك الجرائد ان تتخذ لها سبيلاً الى مشرب من المشارب تثبت على وروده سواء كان ما يوافق العامة او يوافق الحكومة. لهذا قويت وصار لها كون مستقل بحيث لو ذهب شخص القائم بها صح لها ان تبقى وان يستمر وجودها اذا خلف الذاهب من يسلك مسلكه . ولكني لا انكر انها مع ذلك قليلة الفائدة لقلة ما يودع فيها مما ينفع الناس ولارضائها العامة بوهم لا حقيقة له

كان هذا شان جرائد الزمن الماضي الى ما يقرب من الحاضر ببضع سنين وبعضها استمر في ذلك الى الآن اما اليوم فامر الجرائد اصبح من اضر الامور بالعامة فانه اذا سدت السبل في وجه العاجز وكان يقدر على صف الكلمات بعضها بجانب بعض بادر الى انشاء جريدة تحت اسم ضخم ونادى في مقدمتها بانه لا يريد الا تقويم العقول وتغذية الارواح ثم شرع في تهديد بعض الاغنياء او الامراء او الحكام بكشف اسراره وابداء عواره لا يريد بذلك الا ان يشتري الناس سكوته

ويعظم هذا الخطر ضعف طبيعة اغلب العامة من هذه البلاد وميلهم الى الهزل وغلبة البطالة عليهم ولا شيء يدعو الى الاشتغال باعراض الناس كالفراغ من العمل ولا يسلي الناقص عن نقصه مثل عيب الكامل بما يعاب هو به ولا لذة للناقصين تساوي لذتهم

بالحط من الكاملين

هذه العاقبة السيئة التي صارت اليها الجرائد في هذه البلاد لم تذهب على بصيرة بعض الناس قبل الحوادث العرابية وفي اثنائها حتى عملوا على السعي في اعدام الجرائد التي يسمونها جرائد اخبار ليستبدل بها مجلات ادبية لتربية العامة وافادة الخاصة تحت مراقبة من هو اهل لان يراقبها و يكون لها ذيول تجارية فقط تصدر كل يوم ولا عجب كان من ترقب تلك الحالة فانها من الترقي الطبيعي للنشأة الاولى

هذا الذي ذكرته فيما يختص بمعاني ما تنشره تلك الجرائد اما ما هو من ناحية الفاظها واساليبها فذلك مما يُحمد في قليل منها ولكنه يسوء اهل الذوق ويخيف اهل الغيرة على اللغة في الكثير الاغلب فانك ترى اولئك العجزة الضعفاء يخترعون الفاظًا من عند انفسهم يستعملونها فيما يشاؤن من المعاني ويهشمون بناء اللغة تهشيماً فلا يبالون بما يقدمون او يؤخرون لا يرجعون في ذلك الى معجم ولا يجرون على قاعدة فيزيدون اللغة ضعفاً على ضعفها و يصكون وجه الفصاحة و يصفعون قفا البلاغة وما ظنك بامة تهان فيها ملكة العلوم وهي البلاغة

اما المجلات فاغلب ما صدر منها انشيء على ذوق منشئيها اما لكسب المال من قوم مخصوصين تروج عندهم بضاعتها واما لنشر شيء من المعارف بين طبقة خاصة من الناس وهذا القسم انبلها ولكن الفائدة منه ليست عامة وقد يسوء اثره في الناس متى دخل فيه الغلو في مشرب او التفاني في نصرة مذهب والطعن في مذهب آخر بدون تحكيم الانصاف. غير ان المجلات اكثر خيرًا واقل شرًا من الجرائد على كل حال لانها لم تشتق من الشعر القديم القائم على عمودي المدح والهجاء كما اشتقت منه جرائد الاخبار

اما النصيحة للجرائد وللمجلات فهي اولاً ان يمتاز اهل الفضل من اربابها بوحدة تجمعهم وتلصق بعضهم ببعض حتى لا تدع فرجة لدخيل فيما بينهم فيكونوا طبقة خاصة تفرق عند الناس ولا يمنعهم من ذلك الاختلاف في المشرب ولا الضغائن التي تسربت في قلوبهم من المنافسة فلهم ان يستمروا على اختلافهم وان يقيموا على ضغنهم وانما الذي عليهم ان يتلاحموا في الادب ليكونوا عصبة ينصرونه اذا هوجم و يقوونه اذا ضعف ثم يعودون فيما بينهم الى ما يحب كل منهم ان يكون عليه وهذا امر يسوء العقلاء بل هو ما يمتازون به عن الحمق والسفهاء

ثانياً ان ينظروا في جميع تلك الجرائد الاخرى فاذا وجدوا فيها ما يخالف حقيقة او يذل فضيلة او يروج رذيلة او يخالف شريعة او لغة حملوا عليه حملة واحدة ونفروا من

قراءته بكل ما تبلغه الاستطاعة وفي هذا وحده ما يقوي وحدتهم ويحمل النازل عنهم على الالتحاق بهم ومن لم يستطع ذلك كفت الايدي عن تناول ما يكتب خوف العار اللاحق من قراءته فتنضب مادته ويدركه الموت الفاضل قبل الحياة الخبيثة. وان يجتهدوا في تنقية عباراتهم مما يخالف اوضاع اللغة او يخرج عن اساليبها الصحيحة الفصيحة وذلك لا يجشمهم الا مراجعة المعجمات وبعض الكتب من فنون الادب

ثالثاً أن يبعدوا من مجادلة بعضهم بعضاً عن كل ما فيه تعريض بعيب او رمز الى مذمة. وان تتجه مقاصدهم الى تربية فكر يصح ان يكون عاماً في الاهالي ويحملوا الناس عليه كالعمل والاهتمام بما هو من العدل والتعاون على الخير والحق وان يجعل ذلك غرضاً يرمي اليه الكاتب في جميع ما يكتب مع تسهيل العبارة ما استطاع

رابعاً ان ينشئ كل منهم لجريدته شيعة تنصر غرض صاحبها وينصر هو ما نماه في نفوس اعضائها على ان يكون سبيل الجريدة وشيعتها ان يصل الى منفعة ثابتة في البلاد ولا يكون سبيلها كذلك حتى تراعي في العمل حالة الاهالي ودرجات استعدادهم وتدقيق النظر في كيفية قيادتهم الى منافعهم. اما ما عليه ارباب الجرائد المعتبرة الآن من اتباع اهواء العامة فمتى مدحت شيئاً مدحوه ومتى نفرت من شيء نفروا منه او تطلعهم لما يبدو على وجوه بعض الحكام من رضى وسخط فيرضون اذا رضوا ويسخطون اذا سخطوا فذلك مما يجعل الجرائد مزعزعة الاركان ضعيفة البناء تسقط لاول عاصفة تهب عليها من حيث كانت تنتظر السكون

ثم اخص المجلات بامر يجوز ان تشركها الجرائد فيه وهو البحث في عوائد البلاد واخلاقها والتنقيب عن مناشئها حتى اذا عرف ما عراها من الامراض واجيد تشخيصه وعرفت علله واسبابه بُحث في تدبير العلاج النافع له وقُدم الى الانفس بالمقدار الذي تحتمله

هذا ما خطر ببالي الآن ان اقوله والله يوفقكم الى صالح العمل والسلام

(رأي العالم السوري)

حضرة منشئ الجامعة الغراء

«الصحافة على الاطلاق ليس من ينكر عظم شانها وفائدتها في المجتمع الانساني. واما الصحافة الحاضرة فكيفما كان حالها هي نوع من الصحافة العامة ويصدق عليها ما صدق على تلك من الفائدة والاهمية ولا يناقض هذا الحكم العام الاجمالي ان يقال هذه الجريدة

مثلاً هي دون تلك او ان هذه المجلة التي يكتبها زيد اكثر مادة واسمى موضوعاً من التي يكتبها عمرو

اما الواجب صنعه لتحسين حالها فان كان المراد بتحسين الحال ان تبلغ مبلغ الصحافة الغربية (وهذا ما يتبادر الى الذهن) فما ارى الا الايام كفيلة به لانه موقوف على اصحابها ومحرريها من جهة وعلى الامة من جهة اخرى

واصحاب الجرائد كاكثر اصحاب الاعمال العظيمة من شرائطهم ان يكونوا ممن يحسنون ادارة الامور العظيمة بحيث ينفعون وينتفعون بها واما المحررون فان يكون كل منهم ثقة فيما يكتب يُقتدى به في البلاغة ويُرجع الى قوله ويعول على رأيه في العلم

ولو فرضنا هنا ان اصحاب صحافتنا الحاضرة ومحرريها كلهم ممن تمت فيهم الشروط التي المعنا اليها لم يكفِ ذلك في ان تبلغ صحافتنا الحاضرة مبلغ الصحافة الغربية من اهمية الشان وعلو المكانة الا ان تكون الامة عندنا مستعدة لهذا التحسين استعداد الامم الغربيـة له . والمعلوم ان امتنا غير مستعدة لتحمّل حال تلك الصحافة الراقية وعليه فلو حاول بعض من اصحاب جرائدنا ممن هم مستعدون بالفطرة لادارة الاعمال الكبيرة ان يبلغ بجريدته من التحسين مبلغ مثلها في المنزلة من الجرائد الغربية فارصد لها راسمالاً كبيرًا واقام لهـا من الكتاب رجالاً يُقتدى بهم في البلاغة كما ذكرنا ويُرجع الى ارائهم عند التحقيق فمثل هذا الرجل لا يلبث ان يضيع راس ماله واذا تسامحنا فقلنا انه لا يُضيعه فلا اقل من ان تكون ارباحه تافهة لا يُعتدُّ بها . ورجال الاعمال على ما يُعلم (وعلى ما ينبغي ان يكونوا ايضاً) لا يقدمون على عمل ارباحه تافهة على حين يكون في امكانهم ان يديروا عملاً آخر غيره ارباحه كثيرة

والذي يؤخذ مما ذكرناه اننا لا ينبغي ان نطمع في ان تجاري صحافتنا الصحافة الغربية لكن ذلك لا يمنعنا من النظر في الوسائل الممكنة لترقيتها الى احسن ما يوءذن به استعداد الامة عندنا . وافضل هذه الوسائل على ما ارى ان يكون اصحابها من العارفين حاجة البلاد والامة ومن المخلصين في الخدمة وفوق ذلك ينبغي ان يكونوا من التهذيب والحنكة بحيث يستطيعون ان ينتقوا من المحررين من بهم الكفاءة وان يكتبوا هم ايضاً ويحرروا اذا مست الحاجة

اما النهضة الادبية في الشرق فان قلتُ انها حقيقـة استحييت من كثيرين من الافاضل الذين كتبوا الى الجامعه وان قلتُ انها غير حقيقية استحييت من الافاضل الذين

يقولون انها حقيقية . والذي يتراءى لي انها غير اصيلة في الشرق بمعنى ان ابناءه لم يشعروا من انفسهم بالحاجة ابتداء ولا نهضتهم كنهضة مسافر يقصد وجهة معلومة انما ادركه الكلال فنام على الطريق وطالت نومته الى ان ايقظه لذع اشعة الشمس فانتبه مذعوراً من تقصيره فقام يجري لعله يدرك من تقدمه انما هي نهضة دعانا اليها الاجنبي ممن علموا بعض شباننا في سوريا ومصر فاجبناه وما رايناه ايضاً من عز الاجنبي الذي تهجم علينا في بلادنا فاننا لما رايناه امامنا بمراحل كثيرة في التجارة والصناعة ورأينا ما له فينا من نفوذ الكلمة وعلو المكانة قلده السواد الاعظم منا في ظواهر ترفه من لباس ومأوى وما الى هذين وقلده بعض خاصتنا وهم قليلون في طلب الادب والاشتغال ببعض مسائل العلم والسياسة . ولكن لا يزال خاصتنا هؤلاء مع احترامي لمقدار ما حصلوه مقلدين لعلماء الغرب يقولون بقولهم حتى في المباحث المتعلقة بعوائد الشرقيين واخلاقهم ولغتهم ولعلي مخطئ فاني انما اتكلم عن الطبقة التي انا منها طبقة المعلمين والكتاب الذين يعيشون بطريقة من طرق الاستخدام او ما يقرب منها كتاليف كتاب او ترجمة رواية

على انا نؤمل ان هذه النهضة كيفما كان اصلها تتقوى شيئاً فشيئاً وتقويها انما هو بكثرة عدد الناهضين فيها من سائر اصناف الطبقات ولا سيما الطبقة المدبرة على اختلاف مظاهرها فانها اذا تقوت كما اشرنا فلا يبعد ان تنقلب نهضة حقيقية تجري على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

اما نصيحتي الخصوصية للشرقيين واعني بهم اهل سوريا ومصر والعراق العربي فانصح للمشتغلين بالتعليم ان يصرفوا وكدهم الى علم تهذيب الاخلاق وتربية القوى العاقلة والادبية وانصح للمشتغلين بالعلم من المعلمين والاساتذة وغيرهم ان يدرسوا العلوم الطبيعية ويتعمقوا فيها تعمق الثقاة الذين يُرجع الى اقوالهم فيها لا يقتصرون على علوم البلاغة والادب . واما الطلبة فان كانوا من ابناء الاغنياء والتجار فانصح لهم بعد أن يحصلوا كل ما في استطاعتهم تحصيله من مبادىء العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والادبية ان يصرفوا وجهتهم الى درس علوم الاقتصاد والتعمق فيها

واما من سوى هولاء من اعياننا ووجهائنا واغنيائنا فلا انصح لهم انما اطلب اليهم ان يكونوا قدوة لنا في الاستقامة وفي الجد والنشاط والبعد ما امكن عن السفاسف وتقليد الغربيين في هاته الظواهر التي لا تزيدنا جاهاً ولا عقلاً انما غايتها ان تؤدي بنا الى الافلاس والمذلة يوماً ما . واكثر من ذلك فاني اطلب بل اضرع اليهم ان يستخدموا

جاههم في كل ما يعود على الامة بالنفع والخير العام ولا سيما في ان يجمعوا اهواءنا المتفرقة ويوجهوا التفاتنا الى جامعة كبرى سياسية ننسى عندها اختلافنا في المذاهب والاديان واختلافنا في الغني والفقر وما سوى ذلك من اختلاف الجنسية والعوائد والاخلاق فاننا ما دمنا على حالنا هذه لا جامعة كبرى لنا يرتبط بها كبيرنا وصغيرنا . اميرنا وصعلوكنا . عالمنا وجاهلنا . تقينا وفاجرنا ولا لواء اذا نُصب نتسارع اليه من تلقاء انفسنا كتسارع افراد الامة الانكليزية الذي شاهدناه مؤخرًا في الحرب الترنسفالية . اذا لم يكن لنا هذه الجامعة الكبرى ندافع بها عن كياننا وامتنا فنحن بعيدون عن كل فلاح لا ينفعنا تحسين حال الصحافة ولا يعززنا وجود نهضة ادبية بيننا . بل مقياس منفعة الصحافة عندنا الآن واهمية النهضة الادبية انما هو بالنسبة الى ما ترمي اليه وتسعي فيه من ايجاد هذه الجامعة الكبرى التي نصير بها ابناء وطن واحد واعضاء جسم واحد هو الامة والمملكة

(ثم يلي ذلك ثناء على الجامعة يوجب الشكر لحضرة الاستاذ الكريم لتنشيطه اياها)

﴿ الجامعة ﴾ هذا ما وسعه المجال في هذا الجزء . ولا ريب في ان كل شرقي يتدبر المقال الذي تقدم بامعان واهتمام . وسنأتي في الجزء القادم على بقية الاجوبة والرسائل خصوصاً الاجوبة الشعرية اللطيفة التي وردت من الشعراء ونرجو من اصحابها المعذرة لتاخير نشرها . والجامعة مستعدة لنشر كل ما يردها في هذا الموضوع

ولكن مع ضيق المجال في هذا الجزء ننشر جواب رصيفنا « المقتطف » عن المسائل التي نشرناها في الجزء السابق في هذا الموضوع . ومعلوم ان رأي « المقتطف » في هذا الشان رأي من يتتبع سير المشرق خطوة خطوة منذ ٢٦ عاماً . قال

«لا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسالة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأناً كبيرًا في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقوله الجرائد فيمتنع صغارهم عن الحيف ويهتمّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراه كل يوم تقريباً . وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يوماً فيوماً فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس " بقاء الانسب " ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلّ لها وغيّر بعضها لهجته حتى تناسب احوال العصر .

اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

«ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الا وهم واثقون تمام الثقة انه صحيح وان من نشره فائدة ما . فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً . ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حاله الآن بحاله منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولا سيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصد نساءها على الاقل . ومن المقرر ان الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلُّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشئ المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتاليف او اكتشاف او استنباط . وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين»

افريقيا والمسيو هانوتو

﴿ وكلامه الجديد عن الدين الاسلامي ﴾

كأنَّ المسيو هانوتو قد غار من المستر ويلكوكس . فانه كما ان المستر ويلكوكس القى خطبة منذ عدة اسابيع في مصر موضوعها « مصر بعد ٥٠ عاماً » ذكر فيها ما ذكر من المسائل الهامة التي ستتم في نصف قرن في مستقبل مصر كذلك راى المسيو هانوتو ان يتكلم عن المستقبل على سبيل قياس الآتي على الحاضر فالقى في المؤتمر الجيوغرافي الذي انعقد في هذا الشهر في وهران من اعمال الجزائر خطبة تكلم فيها عن افريقيا ومستقبلها وقال في اثناء هذه الخطبة عن الدين الاسلامي ووجوب اتفاق الاوربيين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلاماً يجب على كل عاقل ان يمعن فيه النظر . ولذلك نلخص هذه الخطبة بما امكن من الايجاز حرصاً على فوائدها لا سيما ان الخطيب يتكلم عن القارة التي نحن فيها

ولكننا قبل تدوين نبوءة المسيو هانوتو بشان افريقيا لا باس من تدوين شيء من نبوءة المستر ويلكوكس بشان مصر . فقد قال المستر ويلكوكس في هذه النبوءة ان مصر

ستصبح بعد ٥٠ عاماً في عز عظيم · فان سكانها البالغ عددهم اليوم ١٠ ملايين نفس سيبلغ عددهم في هذه المدة ٢٠ مليون نفس · ويُزرع فيها الآن ٦ ملايين فدان من الاطيان اما بعد ٥٠ عاماً فسيزرع فيها ١٥مليون فدان · وستنتشر السكك الحديدية في افريقيا انتشار الاعصاب في الجسم فيسافر السائح من راس الرجاء الى الاسكندرية على خط واحد· و يتخاطب ابناء اوغنده وابناء مصر بالتلغراف اللاسلكي كانهم في غرفة واحدة· و يقام للمستر سسل رودس تمثال على خط الكاب والقاهرة عند خط الاستواء كما اقيم تمثال لفردينان دي لسبس على ترعة السويس· وقِس على ذلك ما اشبه من الاقوال التي من هذا القبيل

اما المسيو هانوتو فانه لم يقتصر في خطبته على مستعمرات فرنسا كما اقتصر المستر ويلكوكس على مستعمرات انكلترا بل انه ارتفع الى ما فوق المصالح الخصوصية ووسع موضوعه فجعل الكلام عاماً افريقيا كلها · وقد ابتدأ اولاً بذكر الاسباب التي حالت دون تمدين افريقيا وجعلتها آخر الاصقاع في التمدن فقال ان الاسباب محصورة في شواطئها الخالية من الثغور المناسبة لحماية السفن وانهرها التي تعترضها شلالات وصخور تمنع السفن من مخر عبابها « والذبابة القاتلة » التي يسمونها تسه تسه لانها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات· ومسالة الاتجار بالرقيق وما يتبعها من الشقاء وفساد الحال

ثم بحث المسيو هانوتو في هذه المصاعب واحدة واحدة · فقال ان الانسان اقتحم افريقيا اليوم ليمدنها وفي قبضته آلات جديدة ومبادىء جديدة

الآلات الجديدة

اما مسالة الثغور فان فتح ترعة السويس انقص اهميتها وغير وجهها · وسيتمكن العالم من توسيع الثغور الموجودة وفتح ثغور جديدة · واما مسالة الانهر وصعوبة السفر فيها فقد تسلط العلم عليها ايضاً وصار يتصرف بمجاري الانهار كما يشاء · وفضلاً عن ذلك فقد اقامت الصناعة لافريقيا فاتحاً عظيماً وهو « السكك الحديدية » · فان هذه السكك ستنتشر في كل حدب وصوب فتنفتح بها داخلية افريقيا الى البحيرات الكبرى التي كانت مقفلة في وجه التمدن · وتقيم على شواطىء هذه البحيرات تمدناً عظيماً

واما مسالة الذبابة القاتلة فقد خلق لها العلم عدواً لا تقوى عليه ايضاً وهو : الحديد· فان المركبات الحديدية تنقل البضائع من اقصى افريقيا الى اقصاها دون ان تؤثر تلك

الذبابة فيها . وفضلاً عن ذلك فان العلماء صاروا يجربون مداواة جروح هذه الذبابة بالمصل المستخرج منها وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تم لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة

وقد صار العلم يصرف جهده ايضاً الى شق الغابات الكثيفة المظلمة وادخال نور السماء اليها وتجفيف مستنقعاتها المضرة وصرف المياه من الاماكن التي تكثر فيها الى الاماكن التي تكون فيها قليلة او خزنها الى حين الحاجة واستخراج المياه التي في جوف الارض لارواء سطحها . وربما فكر ايضاً في اصلاح الصحراء نفسها فغرس فيها نوعاً من الاشجار يكون فيه شيء من صلاح حالها

اما الخيرات الكامنة في تربة افريقيا فان اللسان يقصر عن ذكرها كلها . ولو قال قديماً قائل للمرشال (بيكو) الذي فتح الجزائر ان في تربة هذه البلاد (اي الجزائر) مناجم فوسفات كافية لسد النفقات التي انفقت على فتحها لادهشه هذا القول لا محالة . وفضلاً عن ذلك فان في ظلمات الغابات الاستوائية الكبرى مادة هي من اثمن المواد في الزمن الحاضر واريد بها « الكاوتشوك » رفيق الحديد وساعده . ومن جهة اخرى تجد المعادن الماسية والذهبية منتشرة حوالى شواطىء افريقيا في امكنة مختلفة كانها نطاق معدني تتمنطق هذه القارة به

ثم ذكر الخطيب ايضاً وجود الزنك والفحم والبترول في التربة الافريقية وقال ان الانسان متى تمكن من استخدام الشلالات فيها اقام حوالى الشلالات في كل اقطار افريقيا كثيراً من المعامل العظيمة التي تكون مصدراً للثروة والغنى . وذكر السكك الحديدية التي تُمد الآن من الشواطىء الافريقية في جميع جوانبها الى داخلها فقال ان فرنسا انفقت في مستعمراتها الافريقية ثلاثة مليارات فرنك لتحسين حالها وانشاء الطرق فيها وان الطرق الحديدية تُوجه خطوطها الآن الى نقطتين عظيمتين . الواحدة بحيرة تشاد والثانية شلالات ستنلي . وغير بعيد ان يُعقد بين الدول اتفاق عام على وضع نظام عمومي لسير هذه السكك في المستقبل وادارتها كما تقتضي مصلحة افريقيا العامة فيصبح بذلك داخل افريقيا عبارة عن خلية عظيمة تشبه خلايا النحل بشدة ضوضاء الحركة والعمل فيها واتجاه قطاراتها من كل الجوانب الى مدن عظمى واسواق عمومية في قلب القارة . وهكذا يتحقق ما جاء في التوراة « فليسكن الله خيمة سام وليوسع بلاد يافث »

وانما يكون الفضل في اقامة هذا التمدن الجديد لابن العصر الذي يتغلب على افريقيا « بالآلات الجديدة العظيمة » لينشئ فيها « اعمالاً عظيمة » طلباً « للارباح العظيمة »

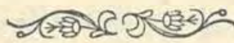
المبادىء الجديدة

اما المبادىء الجديدة الواجب اتخاذها في تمدين افريقيا فهي مخالفة للمبادىء القديمة التي كانت قاعدة للسياسة الاستعمارية في الزمن الماضي . فانه من المعلوم ان الاجنبي في افريقيا لا يستغني عن الوطني قطعياً لحرارة الاقليم فيها . ومن اجل ذلك يجب على الاجنبي ان يتخذ الوطني صديقاً ورفيقاً ويعامله بالقسط والعدل . وانه من العار على التمدن الاوروبي ان لا يتخذ في فتوحاته سواء كانت ناشئة عن مطامعه او عن حاجاته مبدءاً سامياً يرجع اليه في معاملة الشعوب التي تقع تحت حكمه . واول نعمة يجب عليه ادخالها الى افريقيا هي السلم والامن . ولقد ضايق هذا التمدن تجارة الرقيق ويكاد يستاصلها . ومتى تم ذلك وزالت عن تلك الشعوب والقبائل المصائب والنكبات التي كانت تحني ظهورها فانها تنصرف حينئذ الى الزراعة التي تحبها حباً ما وراءه حب كما قال الرحالة ليفنستون . وهكذا يكون « السلام الاوربي » لهذا العالم الجديد كما كان « السلام الروماني » للعالم القديم . هذا اذا لم تُصب الامم المتمدنة الاوربية بجنون هائل يستفزها الى اعادة بذور العدوان والنزاع الى هذه الارض التي لم يمر علها زمن طويل وهي خالصة من شرور الحروب

وكما اننا مديونون لهم « بالعدل والسلم » فاننا مديونون لهم « بالتساهل الديني » ايضاً . ولست اشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة . فاقول ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في افريقيا ولا سيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذى هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال افريقيا) اكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى اله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود قادراً على التفلت منه . فعلينا واجب التساهل في هذا الشان . بل لا يكفي التساهل في ذلك ولكن يجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا لفهمه . ومن واجباتنا ان نتخذ الحديث الاسلامي « لا اكراه في الدين » شعاراً لنا لا نخرج عن حدوده وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارىء . وحسناً نصنع اذا كنا نذكر في هذا المقام كلمة للامير عبد القادر وهي تشبيه اصحاب الشرائع الثلاث بثلاثة اخوة من ثلاث امهات .

ثم قال المسيو هانوتو ان العامل الثالث في تمدين افريقيا (غير المبادئ الجديدة والآلات الجديدة) هو العمل . ولكنه لا يريد بذلك العمل المضجر الشاق الذي يكرهه العامل بل العمل المحبوب الذي ياتيه العامل منبسط النفس قرير العين . فقال ان افريقيا بلاد زراعية وهي ستكون للامة التى تكون اقدر من غيرها على زراعتها واستمالة سكانها . وبناء على ذلك فهو يكره سياسة الفتح فيها ويطلب سياسة الحماية (كتونس خلافاً للجزائر) — ثم اثنى على مستعمرة الجزائر وقال انها اعظم مستعمرة اقامها التمدن الاوربي في القرن التاسع عشر . ولقد سرى سناؤها الى تونس فانجذبت اليها والى مراكش فاستمالت قسماً من سكانها . ثم حث عناصرها المختلفة بين مسلمين وكاثوليك وبروتستانت واسرائيليين على الاتفاق لترقية البلاد ونبذ الضغائن التي هي من آثار العصور الماضية والا وقعوا في العقاب الذي وقع فيه ابناء العصور الماضية اي الجهل والفقر والشقاء . وختم خطبته بما خلاصته :

«ويحق لنا ايها السادة ان نتامل في عبر التاريخ العظيمة . فان التمدن الذي رحل الى اقطار العالم عن هذه البلاد (افريقيا) قد اخذ الآن يعود اليها . ولكنه يجدها اكثر شقاء وخشونة مما كانت قبل رحيله عنها . على انه قد جمع في سياحته هذه آلات جديدة وسلطة قوية يقدر بها على محو الخشونة والشقاء الماضيين . فعسى ان الامم المتمدنة في اقدامها على اجراء هذه التجربة الكبرى في ارض حام تحفظ من كل الوجوه قواعد النظام الذي وضعته وناموس العدل والاخاء والانسانية »



مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يجوز ان يقرأها احد غير القارئات ﴾

« من مصر القاهرة

" عزيزتي كليمة .

« يسافر من عندنا في هذا الاسبوع ابن عمي « كريم » للتصييف في اعالي لبنان . ولذلك اغتنمتُ هذه الفرصة لاكتب اليكِ واسالكِ لماذا مضتْ عليَّ عدة شهور دون ان تكتبي لي . هل هذا نسيان ام كسل ام دلال . فان كان كسلاً او دلالاً فلكل شيء حد ياعزيزتي . وان كان نسياناً فلا ريب عندي ان اقامة ابن عمي كريم في وطنك

تجعلك تذكرينني دائماً بعد الآن .... فلا باس . انما أؤمل منك ان لا تجافي كريم كما تجافين غيره جرياً مع اخلاقك ... فهو اولاً ابن عمي وقد جاء في المثل « ان صديق صديقي صديقي » وثانياً انه شاب لطيف ظريف لا عيب فيه سوى انه قادر على ارضاء كل سيدة وكل مدموازل تراه فهو اذاً يستحق التفاتك يا كليمتي . ثم اسالك هل تحبين ياعزيزتي الاقامة في مصر لنعيش هنا معاً . اذا كنتِ تحبين ذلك فدعي كريم يعجبك ... واللبيب من الاشارة يفهم . والسلام لك من صديقتك

« سليمه »

حاشية — مزقي هذا الكتاب بعد قراءته

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي سليمه — في مصر القاهرة

اخطأتِ ياعزيزتي فما هو بكسل ولا دلال ولا نسيان ولكني بعد انتهاء دروسي في المدرسة تراكمت عليّ افكار سوداء فتركتُ قريتي وصعدتُ الى هذه القرية لعلّ النفس تصفو من كدرها في اعالي الجبال القريبة من ابواب السماء . ولقد ساءني كتابك جداً لانه دلني على انك لا تزالين كما كنتِ من حيث المزاح والهزل . وعلى افتراض انني افكر بالامر الذي ورد في كتابك فهل تظنين انه يجوز لبنات مثلنا ان يتكاتبن فيه . كلا ياعزيزتي فان هذا الشغل ليس بشغلنا. سامحك الله على كتابك كما انني ارجو ان يسامحني على الافكار التي تجول في نفسي

«وان قلتِ ما هذه الافكار لم اكتمها عنكِ . فانني لما خرجتُ من المدرسة كنتُ كسمكة خرجتْ من الماء الى عالم غريب عنها . نعم ان ابي غنيٌّ واسع الثروة ولكن اي تاثير للغنى في تهدئة خاطر الانسان وتسكين نفسه . فبناءً عليه بقيتُ قلقة مضطربة حتى في وسط الابتهاج والفخفخة . ذلك لانني افتش عن الراحة والسعادة فلا اجدها . فاين توجدان ياترى ؟ افي السوق . انني حيثما التفتُ فيه اجد ابتساماً ولطفاً ولكنه ابتسام مسموم ولطف يلدغ كالافعى . افي الجمعيات والسهرات ؟ ولكني قد صرت اشمئز منها لما اراه فيها . فانني افرُّ من كل صاحبة تلقاني هناك فراري من العقرب لانني اخشى ان تلدغني بلسانها متى ادير لها ظهري . واهرب من كل شاب القاه هناك كما اهرب من ذئب مفترس . استغفر الله بل من حيوان اشد قسوة من الذئاب لان الذئاب الاعتيادية

لا تفترس غير اللحم واما الذئاب الناطقة فانها تفترس الصيت والشرف والادب

«ومما يزيد شجني انني لا اجد احداً « يفهمني » بل ان الجميع يستغربون انكماشي الدائم وانقباضي · وهم يسالون بعضهم بعضاً احياناً لماذا تجلس المدموازل كليمة في الزاوية مبهوتة وحدها · ولماذا اذا خاطبوها لاتجيب الا بابسمة صفراوية معناها « خلوني وحدي » · ولماذا اذا ابتسم لها شاب تصرف وجهها عنه من غير ان تجاوب عن ابتسامه بابتسام مثله؟ السبب في ذلك ان كليمة لا تطيق هذه الهيئة التي يعيش الناس فيها الآن · فدعوها منكم ومن قبوركم المكلسة · اف اف من السيدات المسترجلات اللواتي يرمن الظهور بمظاهر الرجال والرجال المتأنثين الذين يرومون الظهور بمظهر السيدات

« ولو كانت امي وا اسفاه لا تزال في قيد الحياة لكنت اجد في المسرات العائلية الطاهرة ما ينسيني تلك الاحزان والاشجان · ولكنها ماتت من سوء حظي منذ سنتين · ماتت وهي تقول « ستبقى كليمة وحدها » ولقد صدقت فانني الآن وحدي لا رفيق لي غير ابي · ولكن الاب مهما كان حنوناً فانه لا يقوم مقام الوالدة

« هوذا قد سقطت هنا على الورقة دمعة من عيني · فماذا اصنع بها فانها ما نزلت الا تذكاراً لامي · أامسحها بيدي · كلا فانها تتوسخ بالحبر و بتوسخها يتوسخ تذكار «ماَ متي» · اأطيرها بخاراً بوضع الورقة فوق حرارة النار · كلا واي يد تجسر على احراق تذكار حبيبتي · فانا اذاً اتركها حتى تجف على الورق ثم اقبّل موضعها اكراماً للغائبة التي سقطت من اجلها · واذا رمتِ تقبيل الموضع الذي قبلته انا لتمس شفتاك شفتيّ فضعي فمك على كلمة « الوالدة » في ختام الفقرة الماضية · ولكن فاعلمي انك بذلك لا تقبّلين دمعتي فقط بل تقبلين ايضاً والدتي

« لماذا وُجدنا في العالم ياترى ؟ ولماذا جاءت امي الى هذه الارض ثم رحلت عنها ؟ هل كان مجيئها لتترك بعدها فتاة ضعيفة مثلي تبكيها وتبكي نفسها ؟ ما هذه الحياة ؟ وما الغرض من المعيشة ؟ ولماذا ارى الدنيا هكذا سوداء في عينيّ ؟ وهل كل الناس ياترى في قلوبهم مثل هذا الجفاف وفي رؤوسهم مثل هذا القلق وفي عيونهم مثل هذه الدموع ؟

« ان نفسي تحدثني احياناً بدخول الدير ولكني اعود فاقول ان الدير وُجد لتبريد النفوس الحامية وتسكين القلوب المتقدة لا لفتاة مثلي تظنينها وهي في وسط الهيئة الاجتماعية كانها في دير منفرد على قمة جبل

« فمن كل ذلك تعلمين ايتها العزيزة سبب انقطاعي عن مكاتبتك وحالة نفسي في الزمن

الحاضر مما يجعلك تعتقدين بانني بعيدة عن الامر الذي تذكرينه في كتابك بعد الارض عن السماء . وبما انني ذكرت السماء في ختام كتابي كما ذكرتها في مقدمته فاسالي معي الهنا الذي منه اتينا واليه نعود ان يحسن خاتمتي . ودمتِ لصديقتك

« كليمة »

« من مصر القاهرة الى الحدث

« عزيزتي كليمة

« الحق اقول لكِ ياعزيزتي انني لم افهم شيئاً من كتابك . ماذا تقولين ؟ هل من كانت مثلك تهرب من الناس لانه لا يسرها فيهم شيء . ولم تفهم لماذا وجدت . وتطلب ان تدخل الدير . لقد صدق فيك ياعزيزتي المثل القائل « الله يبعث اللحم لمن ليس له اسنان » . وهكذا انت مع غناكِ . كيف تجدين الحياة سوداء وفي يديك من الاصفر والابيض ما يجعلها كلها بيضاء وصفراء وحمراء . هذا امر لم يُسمع به قبل الآن . فاطردي هذه الافكار من راسك ياعزيزتي وعيشي مثل باقي الناس

« بحياتك قولي لي ما الذي ينغص عيشك هذا التنغيص مع وجود كل الاسباب الداعية الى سعادتك . هل ان الخياطات عندكم لا يعرفن كيف يُلبسن جمالك المحبوب ام ان الاقمشة الجميلة النفيسة نادرة الوجود في اسواقكم . قولي فارسل اليك في اول وابور انفس الاقمشة واذا شئتِ « شحنت » لك خياطة ماهرة ايضاً . ولاعجب ان تسوءك حالة اللبس في بلادك فان الفتاة جمالها في لبسها . وهنا مسالة اللبس ياعزيزتي فوق كل مسالة . ولا تستغربي قولي هذا لان على هذه المسالة الصغيرة في حد ذاتها تتوقف مسائل كبيرة جداً . فان الشبان لا يميلون الى المدموازيلات الا بواسطة التنميق والتزويق . فالتي تروم ان تصطاد بسرعة على خاطرها تصرف كل نشاطها واجتهادها الى لبسها . هكذا يعتقد بعض البنات هنا . ولعل هذا الاعتقاد شائع في كل مكان ايضاً

وان لم يكن هذا هو السبب فما السبب اذاً . هل ان اباك يضيق عليك ويمنعك من المخالطة والمعاشرة كما تشائين . هذا امر سهل اصلاحه . ويكفي لذلك ان يجالس ابوك ابن عمي (كريم) مرة واحدة فيعلّمه (كريم) ان ذلك العصر قد مات من زمان وان العصر اليوم عصر الحرية والامان

«وماذا بقي ايتها العزيزة . اليس عندكم بالآلات ومتنزهات لتظهري فيها جمالك الساحر وقوامك الفتان وتقتلي السآمة والضجر . اف من القعود في البيت و ياما احلى الخروج منه لتزيين الشوارع والاسواق مع باقي السيدات . فلعلك ياحبيبتي تزينين في كل صباح ومساء ربى لبنان اذ تتنزهين بين اشجاره وازهاره لطرد الانقباض من صدرك فاري من ههنا تغامز الطيور عليكِ وهي واقفة على اشجار الارز حين مرورك من تحتها . واسمع الازهار تنكس رؤوسها خجلاً منكِ حين مرورك بينها

«فهل ياعزيزتي يجوز لفتاة سعيدة مثلك محبوبة الى الناس والى الطبيعة مثل هذا الحب ان تترك الحزن والقلق يدخلان الى نفسها . ام هنالك سبب آخر تكتمينه عن صديقتك ومحبتك . افتحي لي خبايا قلبك ياعزيزتي واعلمي انك تخاطبين مَنْ هي اصدق لكِ من شقيقتك « سليمه »

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اللغة العربية الجديدة

﴿ واللغة القديمة ﴾

(ما في اقتراح المستر و يلمور من الصواب)

اتينا في الجزء السابق على تفصيل المناظرة التي جرت في القطر بشان ما اقترحه المستر ويلمور من وضع اللغة العامية في مصر موضع اللغة الفصحى في تعليم الشعب المصري والكتابة له . وذكرنا ردود مناظريه عليه ونقضهم اقواله . ثم قلنا في ختام ذلك الفصل ان في اقتراح المستر ويلمور عبرة وفائدة ووعدنا بذكر هذه العبرة والفائدة وانجازاً للوعد نقول

يزعم بعض فلاسفة العمران ان في كل قولٍ حتى ما كان منه خطاء شيئاً من الصواب . واقتراح المستر ويلمور هو من هذا القبيل . فانه خطاء محض اذا نظرتَ اليه من جهة

لفظه ولكنَّ فيه شيئاً كثيراً من الصواب اذا نظرتَ اليه من جهة معناه . وغرضنا الآن الاشارة الى هذا الصواب

وبعبارة اخرى نقول ان المستر ويلمور مصيب كل الاصابة اذا كان غرضه في اقتراحه هذا انشاء اسلوب جديد للكتابة يفهمه جميع ابناء اللغة . فان اللغات لا يمكن استبدالها لان ذلك فوق طاقة الانسان وانما يمكن تغيير اسلوبها كأنْ يُهجر القديم البالي الذي كان حسناً في عصره الى الجديد الذي هو حسن ومفيد في هذا العصر . فاذا نظرنا الى اقتراح المستر ويلمور من هذا الوجه تغيّرت مسألته وصار المقصود بها « تسهيل اللغة الفصحى على المعلمين والمتعلمين » لا استبدال اللغة العامية الساقطة بها . وحينئذ يكون صوته الجهوريُّ الذي دوى في فضاء مصر صوتاً يدعو الى امر في غاية الاهميـة ويشير الى احدى مصائب العلم والتعليم في اللغة العربية

نقول ذلك لاننا لا نجهل المصاعب العديدة التي تعترض طلبة العلم وناشريه في اللغة العربية . فاننا نعرف كثيرين من المعلمين يحسبون العلم محصوراً في اللغة ولذلك يصرفون اليها عقول تلامذتهم دون سواها من الفروع التي توسع دائرة العقل وتنمي الادراك . فيشب الولد بين ايديهم ويخرج من مدرستهم وهو لا يعرف غير « ضرب اضرب ضرّب ضارب تضرّب » وهذا بلاء شديد على الشرق . وانما كلامنا هنا عن المعلمين في المدارس الابتدائية التي هي بمثابة القوالب الحقيقية الاولى التي تتكون فيها عقول الطلبـة ونفوسهم فاذا كان غذاؤها فويأمن لباب العلم وثمار المعارف الحقيقية شبت قوية وكان في امكانها بلوغ حد البلوغ والرجولية . واذا كان غذاؤها ضعيفاً من قشور اللغة وما يتبعها من صرف ونحو وشعر دون سواها من المبادىء التي تقدم ذكرها فانها تبقى طفلة وان بلغت في العمر مبلغ الرجال

وكما ان هذا البلاء شديد على بعض المعلمين والمتعلمين في الشرق فهو شديد على بعض الكتاب ايضاً . فان هؤلاء الكتّاب يصرفون اعمارهم في تصفح كتب اللغة القديمة وانتحاء مناحي بلغاء المتقدمين فينطبع في نفوسهم ان صناعة الكتابة لا تقوم الا بتنميق العبارة وذكر المترادفات من الالفاظ وانتقاء الضخم منها حتى انك حين قراءتها لتخالها كالبندق الذي قال فيه الشاعر « خلي من المعنى ولكن له فقش » . وعلى ذلك تصير الكتابة عندهم عبارة عن الفاظ واسعة الاكمام ضخمة الاجسام يضيع فيها المعنى الذي تدلُّ عليه كما تضيع كأس من السكر في بركة من الماء البارد . او تكون اسلوباً جافاً ناشفاً تنتظم فيه

معان قليلة بسلك معوج لا يفهمه القارئ الا اذا راجعه عدة مرات وربما راجعه طول النهار اذا كان ضعيف الفهم ولم يفهم منه شيئاً

فالفضل العظيم الذي يرجع الى المستر ويلمور في هذه المسالة هو في راينا حذفه مسالة اللغة بكلمة واحدة وذلك بقوله « استبدلوا العامية بالفصحى » فكانه قال للذين يقدمون اللغة على كل شيء : انكم تشتغلون بالقشر وتتركون اللب فدعوا القشر واذا كانت لغتكم تحول دون تركه فاتركوها هي نفسها ايضاً واتخذوا اللغة العامية بدلاً منها طلباً للب الذي هو العلم الحقيقي والفائدة الحقيقية

اما نحن فاننا نقول للمستر ويلمور اننا نعد هذا القول جناية على اللغة العربية . لان هذه اللغة الجميلة الحلوة لا اسهل منها على من يحسن تسهيلها ولا اطوع منها لمن يحسن التصرف باساليبها . فالعجز اذاً انما هو في نفوس اهل اللغة لا في اساليب اللغة نفسها

وهنا نصل الى النقطة الهامة في هذا البحث . فنسال المستر ويلمور الا يعدل عن اقتراحه اذا ثبت له ان اللغة الفصحى قد تقوم بوظيفة اللغة العامية من ابلاغ المعاني الى افهام العامة . وهذا امر ممكن . وايضاحاً لذلك نقول

تقتضي " المخاطبة " ثلاثة امور . الاول المعنى الذي في ذهن المتكلم . والثاني الكلام الذي يراد ايصاله الى فهم المخاطب . والثالث فهم المخاطب نفسه . فاذا كان معنى الكلام والكلام نفسه صريحين واضحين مسبوكين باسلوب على قدر فهم السامع وصل ذلك المعنى الى ذهن المخاطب بلا عناء ولا مشقة . فالعمدة في ذلك اذاً " المعنى " " والكلام " " والاسلوب "

وبناء عليه اذا كان المتكلم مالكاً زمام المعني ووضعه في الفاظ بسيطة حسنة مفهومة لدى العامة وسبكه باسلوب بسيط ايضاً تحتم وصول ذلك المعنى من ذهن المتكلم او الكاتب الى ذهن المخاطب لا محالة

مثال ذلك العبارة التالية

« ان المقصود بالسنن الموضوعة في السياسات كلها هو المدينة والكل لا الشخص »

فهل يعرف القارئ من اين اخذنا هذه العبارة ؟ لقد اخذناها من كلام للفيلسوف بن رشد في تعريبه كلاماً لارسطو . واصلها هكذا « هذه السياسات كلها المقصود بالسنن الموضوعة فيها انما هو المدينة والكل لا الشخص » فانظر ايهما اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان

وليس المراد بذلك ان العبارة التي بسطناها اولاً هي ابلغ من العبارة الثانية التي خطها قلم بن رشد كبير فلاسفة العرب وامير البلغاء · ولكن المراد انها اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان · وقد قال الجاحظ « كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي ان يكون وحشياً الا ان يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقي » ومن ذلك يثبت ان الفهم هو شرط الجواز في استعمال المعاني والالفاظ

ولكن قد يصيح هنا كثيرون من محبي اللغة ويقولون ان ذلك يقتل ملكة البلاغة والفصاحة لانه يضيق دائرة اللغة ويقضي على اساليبها الجميلة وتعابيرها الانيقة · اذ ماذا يحل بنا وبلغتنا اذا وجب علينا ان لا نخاطب الناس الا بما يفهمونه ؟ · فالجواب عن ذلك سهل جدًّا على المستر ويلمور وهو قادر على ان يحجهم من كلام ائمة البلاغة انفسهم · قال الامام فخر الدين الرازي « اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد · واصلها من قولهم افصح اللبن اذا ذهبت عنه الرغوة · وهي بالاصطلاح عبارة عن الالفاظ المبينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمانوسة الاستعمال لمكان حسنها »

وقال ابو هلال العسكري « سميت البلاغة بلاغة لانها تُنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه » والبلاغة ماخوذة من قولهم « بلغتُ الغاية اذا انتهيتُ اليها وبلغتها غيري » وقال في الفصاحة « اما الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا اظهره · والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب افصح الصبح اذا اضاء » وقال في موضع آخر « يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ وجيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف »

وقال صاحب المثل السائر « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن واعني بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لا يُحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة · وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مالوفة الاستعمال »

هذا ما يعتقده في الفصاحة والبلاغة ائمة اللغة وكتابها · واذا كان فهم السامع كلامَ المتكلم والقارىء كلامَ الكاتب هو الشرط في الفصاحة والبلاغة فقد جاز ان يُقال ان البلاغة والفصاحة عند الامم تكونان بحسب اخلاقها وعاداتها وحاجاتها واساليبها · فما يكون بلاغة وفصاحة في البدو لا يكون بلاغة وفصاحة في الحضر · وما يكون بليغاً لدى العرب

لا يكون بليغاً لدى الافرنج و بالعكس · فبناءً على ذلك يجب على المعلمين والكتاب ان لا ينقيدوا بالماضي تقيد الاعمى فان « الماضي » انما هو الطفولية كما قال باكون والانسانية تتقدم صاعدة شيئاً فشيئاً في مراقي الزمن الازلية · وهي جسم حيٌّ كل ما فيه نامٍ : جسمه ونفسه ولغته فاذا تقدمت النفس وارتقت و بقيت اللغة متاخرة جامدة صارت النفس خرساء لا تحسن التعبير عن حاجاتها

فيؤخذ من ذلك كله ان المستر و يلمور مصيب في طلبه « لغة جديدة » غير « لغة الطفولية » ولكن هذه اللغة الجديدة المطلوبة التي تقتضيها حالة العصر و يوجب سير التمدن قيامها ليست اللغة العامية لان هذه لغة ساقطة ولكنها لغة بين اللغة الفصحى القديمة التي لا يفهمها العامة والخاصة ايضاً و بين العامية · وهذه اللغة الجديدة موجودة الآن وهي لغة المجلات والجرائد التي تُحسن اختيار الفاظها واساليبها وتتقي الخطاء فيها · فما طلب اذاً المستر و يلمور الا شيئاً موجوداً

نتج اذاً ان اللغة الجديدة التي ستكون اللغة العربية في المستقبل هي تلك اللغة البسيطة السهلة التي لا يكون فيها لفظ غير مالوف الاستعمال ولا تعبير من التعابير البدوية القديمة التي لا مسوغ لاستعمالها في زمن كهذا الزمان · هي تلك اللغة التي تغيب الفاظها وراء عرائس المعاني كانها زجاج شفاف يظهر باطنه مع ظاهره او نبع صافي الماء تُعدُّ في قعره درر الحصى واحدة واحدة · هي تلك اللغة التي يقرأ ابناؤها مقامات الزمخشري والحريري واليازجي ورسائل الخوارزمي والهمذاني فياسفون على الوقت والقوى التي انفقوها في صف الالفاظ بعضها وراء بعضٍ ويضحكون من تلك الكلمات الغريبة والاساليب العجيبة كما ضحك اعرابي من بيت لابي تمام تُلي عليه فلم يفهمه وقال انه ليس بعربي · هي تلك اللغة التي اذا مات رجل عظيم من ابنائها قال كاتبها في تأبينه « مات رجل عظيم » لا « كسفت الشمس وخسف البدر ومادت الجبال وغارت البحار » · بل هي تلك اللغة التي كل كاتب وكل معلم من ابنائها يكتب في دفتره الخصوصي مقال الجاحظ « ليست الفصاحة بالتفصّح لانه لا يزيد متزيّد في كلامه الا لنقصٍ يجده في نفسه »

وربما اتينا في عدد قادم على امثلة من اللغة القديمة والحديثة ماخوذة من الكتابات القديمة والحديثة ليعلم القارىء منها ان في القديم شيئاً كثيراً حديثاً وفي الحديث شيئاً كثيراً قديماً

آثار الشرق القديمة

آثار من زمن ابرهيم الخليل

﴿ اكتشاف جديد ﴾

صرف المسيو مورغان الباحث الارشيولوجي زمناً طويلاً في البحث عن الآثار القديمة في بلاد فارس وقد عاد منها الى باريز بكثير من الآثار التي وجدها فيها . ولقد جعلت له الحكومة الفرنسوية مكاناً مخصوصاً في قصر الفنون الكبير لعرض هذه الآثار فيه وسيفتح هذا المعرض في اول مايو القادم

وقد حدّث المسيو مورغان عن هذه الآثار فقال انها في غاية الاهمية من حيث الدلالة على تمدن مملكة علام القديمة . ومملكة علام هذه مملكة مجاورة لبلاد الكلدانيين وكانت قاعدتها مدينة سوس . وهذه المدينة مشهورة بانها كانت عاصمة السلطنة الفارسية في زمن داريوس . وفيها وجد المسيو مورغان الآثار العلامية التي نحن الآن في صددها

ومن هذه الآثار كثير من الالواح الحجرية الموجودة في المدافن والبرونز والزجاج والطين الجاف . وعلى اكثرها كتابة باللغة العلامية اكثر حروفها ظاهر كانها مطبوعة عليها من زمن قريب

وكانت المادة التي يتخذونها لطبع الكتابة عليها الطين الجاف على الغالب . وكان لهم في ذلك طريقة خصوصية . وهي انهم يطبعون عليه اولاً الكلام الذي يرومون تخليده ثم يعمدون الى طبقة اخرى من الطين الجاف فيطلون بها سطح الكتابة ويطبعون عليه نسخة اخرى من ذلك الكلام . فاذا وقع اختلاف يوماً ما في اصل هذه الكتابة كُسرت الطبقة الثانية وهي الظاهرة وعورضت كتابتها بالكتابة الاصلية المطبوعة على الطبقة الاولى . وبذلك يزول كل خلاف

واهم هذه الآثار كلها عمود نُقشت عليه شريعة العلاميين المدنية والتجارية والزراعية وهي تدل احسن دلالة على مبلغ تمدن الامة العلامية في ذلك الزمن . وطول هذا العمود

متران ونصف متر وهو مصنوع من الحجر الصلد وعليه كثير من العلامات والوسوم تمثل الملك خامورابي احد ملوك بابل واقفاً والناس يعبدونه

وقد قدّر المسيو مورغان ان هذا الملك كان من معاصري ابرهيم الخليل ابي اسحق واسماعيل لانه حكم بابل قبل الميلاد المسيحي بالفي سنة · ولذلك يسمي آثاره « آثاراً من زمن الخليل ابرهيم » فيزداد الناس اهتماماً بها والتفاتاً اليها

اما الشريعة العلامية المنقوشة على هذا العمود فانها تبتدىء بدعاء الى الآلهة عليه مسحة التصور والشعر · وتتلوه بنود كثيرة تريك حالة الانسان في العصور الاولى · واليك بعض هذه البنود :

« اذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة

« اذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه

« اذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضة

« اذا استاجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردّ الى صاحبها بقرة مثلها · واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها

« اذا وهب رجل امراته شيئاً من ماله او من حقوله و بساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته · ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره

« اذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشان فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم

هذه فقرات من الشريعة العلامية والفارسية القديمة التي اكتشفت حديثاً · واذا كانت جميع الشرائع الحاضرة ماخوذة في الاصل عن الشريعة الفارسية كما زعم بعضهم فان هذه الشريعة تكون اصل شرائعنا الحاضرة كلها · وقد قرأ هذه الفقرات باللغة العلامية المسيو شيل العالم بهذه اللغة · ومن تصفح كل الاثار التي نحن في صددها وقف منها على تاريخ مملكتي العلاميين والكلدانيين وعلى وصف احوالها الاجتماعية وصفاً كاملاً

وهكذا كلما قدم عالمنا وشاخ ابرز العلم من بطن الارض العوالم العديدة التي تقدمته فيصير القديم حديثاً والحديث قديماً

باب التقريظ والانتقاد

هملت

تعريب جناب طانيوس افندي عبده

نشرنا في الجزء السابق ترجمة شكسبير اشعر شعراء الانكليز واعظم مؤلفي الروايات في العالم · ولم يكد يصدر الجزء الذي فيه الترجمة حتى وردتنا رواية « هملت » التي هي احسن رواياته معربة بقلم جناب الفاضل طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء في الثغر · وقد ذكرنا موضوع هذه الرواية الجميلة في ترجمة شكسبير · وخلاصتها ان ملك الدانمرك قتلته زوجته بالاتفاق مع اخيه ثم اقترنت بشريكها القاتل وخلفاه على العرش · وكان للملك المقتول ولد يدعى « هملت » وهو بطل الرواية فبعد وفاة ابيه تجلت له روحه متجسمة واطلعته على انه لم يمت موتاً طبيعياً ولكن قتلاً بيد اخيه وزوجته · ثم حثته الروح على الانتقام من القاتل · وكان هملت يحب « اوفيليا » ابنة بولونيوس حاجب الملك وكانت الفتاة تحبه ايضاً حباً شديداً · ولكن لما درى هملت بالجناية التي وقعت في ابيه انصرف فكره اليها فاشار على حبيبته ان تدخل الدير فراراً من مفاسد العالم · وكان ذلك « نتيجة استغراق الفكر والهم كل عواطف النفس وايباسها ايباساً » كما قلنا في الجزء السابق · وبعد ذلك تفرغ هملت للانتقام من عمه فاظهر الجنون · وبينما كان في ذات يوم خالياً بامه يعنفها على جنايتها تعنيفاً هائلاً واذ دخل عليه ابو حبيبته فقتله هملت خطاء لانه ظنه عمه داخلاً عليه · فجنت حبيبته لمقتل ابيها والقت بنفسها في النهر · فلما درى بذلك شقيقها طلب مبارزة هملت لانه كان السبب في شقائه · وقبل المبارزة دسَّ الملك مَن وضع في قبضة خصم هملت سيفاً مسموماً وجعل له سماً في كاس الشراب حتى اذا نجا من السيف لم ينجُ من الكاس · ثم تنتهي الرواية بان السيف المسموم يصير الى قبضة هملت فيصيب به خصمه فيقتله · واذ ينتصر على مبارزه تشرب امه الكاس المسمومة وهي تحسب انها تشرب نخب ولدها لانتصاره وبذلك تموت · اما هملت فانه لما يعلم ان السيف الذي في يده مسموم ويرى ما جرى امامه يطعن به عمه · وحينئذٍ تظهر روح ابيه امام الجثث

الممددة على الارض ونقول له : اصعد امامي الى مقام عمك فما خُلق هذا العرش الا لاجلك

هذا موضوع هملت . ولكن في هذا الموضوع شيئاً كثيراً من الافكار السامية والعواطف الرقيقة التي اجاد جناب المعرب في نقلها . من ذلك قول هملت وهو يندب اباه

ابني اين انتَ تنظر ما تمّ صار عرساً ذاك الذي كان مأتم
قبض الموت روح زوجك يا ام وقد كان قبل فيك متيمْ
اتخونين روحه ثم لا يثنيك ان ابنه بها قد تجسَّم
اي فرق بين الكواسر والانسان ان كان قلبه ليس يرحم
ان تكوني احببته وهو عم فلكِ ابن اولى بحبك من عم
انما انت مع حليلك هذا حية قد تحالفت مع ارقم

ولما رام هملت مقابلة روح ابيه قال له صديقه هوراتيو « ماذا تفعل الا تخاف » فاجاب هملت بهذا الجواب البديع الذي يدل على عظمة نفسه ويأسه من الحياة " على مَ الخوف ايها الصديق اعلى حياتي وهي من بنات الموت ام على نفسي وهي من بنات الخلود " فلا خلاف في ان هذا من روح شكسبير

ثم يشتد اليأس بهملت فيصيح من اعماق قلبه

فبحتَ يازمناً تغيّر عهده حتى كأنَّ ضياءه ظلماتهُ
زمن يعلمنا الفجور ملوكه فيه وآثام الخنا ملكاته

ومن الغريب ان يمرّ قول كهذا القول على جمهور الناس في مرسح الملعب العباسي حين تمثيل هذه الرواية ولا يثير في نفوسهم اشد الاستحسان والحماسة في زمن كهذا الزمن

ولما اظهر هملت الجنون والنقى بحبيبته اوفيليا قال لها " ايتها الفتاة اسرعي الى الدير" فقالت ولماذا قال « لانك عظيمة في نفسك وجمالك وكل عظيم يكون هدفاً لسهام الزمان .... ايتها الفتاة انك تجدين في الدير على الاقل حجاباً كثيفاً بين هذا العالم الفاسد وبين قلبك النقي . هنالك حيث تناجين الله في صلواتك الطاهرة وحيث يفوح العفاف من نسمات انفاسك النقية فلا يصدأ بانفاس البشر ولا ينشقها غير ملائكة الله »

فقالت اوفيليا « هناك حيث اصلي واحب واموت . نعم فقد طالما حدثني قلبي الكسير بهذا المصير »

فقال هملت " ادخلي الى الدير ايتها الفتاة فان ذلك خير لك وابقى . ولئن تلقي

الله عذراء نقية نخيرٌ لك من ان تلقيه زوجة تكذب في كل يوم على زوجها وعلى نفسها وعلى الله . تلك المراة التي تقسم اعظم الايمان المقدسة على ان حبها دائم الى الابد ولكنها لا تلبث ان تشرب اول كاس من كؤوس هذا الغرام حتى تدنس تلك الايمان وحتى يصبح ذلك الابد الطويل يوماً واحداً فان غرام المراة لا يزيد عن اليوم . ادخلي الدير ايتها العذراء فان اسوار جهنم ما بُنيت الا بذنوب اولئك النساء » فقالت اوفيليا « ان كلامك يا هملت هائل ومخيف » فقال هملت « كلا ولكن هي الحقيقة تقرع الاسماع . خذيني مثلاً ايتها الفتاة يهن عليك الامر . الم يكن الاجدر بامي ان تخنقني بالمهد بدلاً من ان تلدني على فراش الالم ... اصغي اليَّ ايتها الفتاة اذا اردتِ ان تتزوجي بعد جميع ما قلتُ فتزوجي الموت فهو ستار العيوب ... او اقترني اذا كان لا بدَّ من الزواج برجل لا عقلَ له فان العاقل يعلم في الحال انه آلة بيد امراته .. اسرعي الى الدير »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بحاجب الملك ويقول له مظهراً الجنون ومشيراً الى السماء : « انظر الى هذه الغمامة اليست هي التمساح » فيقول الحاجب « ما هذا الاتفاق الغريب اني اراه جلياً حتى اني ارى انيابه بارزة من الفك » فيقول هملت لصديق له « لم يكن شيءٌ في السماء ولكنهم تعودوا التمليق حتى مع المجانين »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بنفسه ويصيح وهو يستعد للانتقام من عمه

وقبيح قتل النفوس ولكني تعلمتــه من الاعمام

ولما ماتت اوفيليـا جاء هملت الى حفرتها وجلس هناك يندب الدنيا وفناءها ومما قاله بلسان المعرب

وانك ان مثلتَ يوماً لغادة وكانت لدى مرآتها تتخضبُ
والفيتَها سكرى من الدلّ والصبا تُهاب وتُرجى حين ترضى وتغضبُ
فقل هامساً في اذنها عابثاً بهـا كفى الحسن تيهاً انه سوف ينضبُ
فان جمال النفس في النفس خالد وان جمال الوجه بالوجه يذهبُ

وبعد ذلك يتبارز هملت واخو حبيبته على ما تقدم وتنتهي الرواية بصرع عمه وامه اي بانكسار الرذيلة وانتصار الفضيلة

هذه بعض محاسن هذه الرواية . ومنها يعلم القارىء التعب الذي عاناه معربها الفاضل لسبكها في قالب يليق بمؤلفها شكسبير . بقيتْ هنالك هفوات صغيرة لا نرى بداً من الاشارة اليها بعد ذكرنا محاسن الرواية . منها حذفه جواب الشرط في عدة مواضع .

مثال ذلك قوله في الصفحة ١٨ « اذا استمر على غواية اختى لا يلبث سيفي مقيماً في غمده» وصوابه « فلا يلبث » اي بادخال الفاء على لا جواباً للشرط · وقوله في الصفحة ٩ « عليه ملامح الجلال » والصواب « لوائح » لان الملامح تُطلق على الشبه فيقال « عليه ملامح من ابيه » اي هو شبيه بابيه · وقوله في هذه الصفحة « عرفته انه شبح ابيك » والاحسن « عرفت انه شبح ابيك » وفي الصفحة ٢٠ يقول هملت لروح ابيه « ايتها الروح سواء هبطتِ من دار النعيم او قذفتك نار الجحيم » فهل من حسن الذوق ان يقول ذلك ابن عن ابيه · وفي الصفحة ٢٣ تسال الروح هملت « هملت هملت اتحب اباك » فيجيب هملت « لا احب سواه » وهذا التعبير خطأ لان هملت يحب اوفيليا حباً شديداً · وفي الصفحة ٢٥ « دع الآن كل مطمع الى المجد » والصواب « مطمح الى » او « مطمع في » وفي الصفحة ٣٢ « والذي اراه ان موت ابيه الذي احدث فيه هذا الانقلاب » وصوابه « هو الذي احدث فيه » اي بادخال ضمير الفصل حذراً من الالتباس · وفي الصفحة ٦٤ « يدخل ليكانيوس اخ ملك التمثيل » وصوابه « اخو » وفي الصفحة ٦٩ « انها صناعة يقتضي درسها وانا لم ادرس منها شيئاً » وصوابه « يجب درسها » والا يجب ان يقال « يقتضي درُسها عناء » وفي الصفحة ١٠٤ « فقد يمكن ان يصنع من جسم القيصر وانيبال احقر الآنية » والصواب ان شكسبير يريد في الاصل « يوليوس قيصر الروماني وانيبال » لا كل قيصر على الاطلاق · وفي الصفحة ١٠٦ في البيت السادس « لا يرتُ دعه لا تجيب الا ترى » وصوابه لا تجبْ و بذلك يختل وزن البيت · وفي الصفحة ١١٣ (يرتاح المتبارزان) وصوابه يستريح · وفي الصفحة ١١٧ « خمراً مسموماً » والصواب « مسمومة »

وربما كان بعض ما تقدم ذكره ناشئاً عن خطاء في الطبع · على ان ذلك لا ينقص من فضل الكاتب خصوصاً لانه من الكتاب العصريين الذين يجتنبون التقعر في الكتابة وينحون منحى الطبيعة بصرف النظر عما وراء ذلك من الامور الصغيرة التي لا تؤثر في الغرض الحقيقي المقصود من الكتابة · فنحن نثني على اجتهاده وفضله ونتمنى ان يتحف قراء اللغة العربية في كل عام برواية جميلة كهذه الرواية

﴿ يوبيل قداسة البابا ﴾

احتفل العالم الكاثوليكي في هذا العام باليوبيل الفضي لقداسة البابا لاون الثالث عشر فيلسوف الكنيسة الكاثوليكية والربان الحاذق الذي انقذها في القرن الماضي من

الاخطار العديدة التي كانت امامها كما جهر بذلك خصومه واصدقاؤه · وقد اقيمت في ذلك اليوم للحضرة البابوية احتفالات عامة في جميع الاقطار الكاثوليكية وامامنا الآن كراس عنوانه " صدى الوطنية " مرفوع من المدرسة الوطنية الكاثوليكية في بعبدات الى العرش البابوى حاوية التهنئة بهذا اليوبيل · فنحن نشارك اخواننا في تهانئهم ونرجوان يتعود عقلاء الشرق مشاركة بعضهم بعضاً في السراء والضراء في كل حوادث حياتهم بصرف النظر عن الامور الصغيرة الثانوية التي تقسمهم

﴿ تقويم المؤيد ﴾

لمؤلفه جناب الكاتب المشهور محمد افندي مسعود

في كل عام يصدر من ادارة جريدة المؤيد الغراء كتاب صغير الحجم جليل النفع لمؤلفه حضرة محمد افندي مسعود احد محرريها · ولو اردنا تقريظ هذا الكتاب لوضعنا كلمات الثناء تحت كل صفحة من صفحاته وفي كل باب من ابوابه الاربعة والعشرين الا باب التنجيم والطوالع الموضوع فيه لغرض فكاهي عامي لا لغرض علمي كما نظن · وهذه الابواب الاربعة والعشرون هي عبارة عن انسيكلوبيذية صغيرة تدخل فيها فوائد عديدة في علم الفلك وتاريخ العالم والجوغرافيا وتراجم الرجال واحوال مصر والاكتشافات والقضاء والطب والزراعة واسماء ارباب الرتب · ولما اردنا نشر شيء من هذا التقويم في الجامعة تنازعتنا ابوابه كلها لان كل باب اكثر فائدة من اخيه · ويقيننا على ما نعرفه في همة المؤلف وطول باعه ان هذا التقويم سيصير باستمرار الارتقاء في كل عام مضاهياً للتقاويم الاوربية التي تصدرها المكاتب الكبرى في اوربا · وهو يفضلها لدى ابناء الشرق من حيث ان كثيرًا من مباحثه مبني على المواضيع الشرقية · ولذلك نحث كل قارىء على اقتنائه لاجتناء الفوائد التي يتعب مؤلفه الفاضل في جمعها فيه طول السنة

﴿ المصور ﴾

لمنشئه جناب الفاضل خليل افندي زينيه

يعرف القراء في مصر جناب الكاتب الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام سابقاً وصاحب كتاب العلم والتربية الذي نقلنا احد فصوله في السنة الاولى · وقد ساء الكتاب والقراء خروج جنابه من عالم الاقلام بعد مفارقته تحرير الاهرام

بقدر ما سرّهم عوده اليه الآن بجريدة المصور التي انشأها لنشر الفوائد وطبع الصور بالالوان لتمثيل الحوادث الكبرى التي تقع في العالم · وقد صدرت من جريدته الحسناء الى الآن عدة اعداد مملوءة بالمقالات والفصول المفيدة والرسوم الملونة الجميلة الماخوذة من ادارة جريدة البتي جورنال في باريز بموجب اتفاق خصوصي بينهما وبين ادارة المصور · ومن هذه الرسوم رسم دوديكا وراديكا ورسم فيكتور هيغو وابطال رواياته ورحلة الجناب العالي في السودان وسقوط منطاد سنتوس ديمون في البحر وغير ذلك من الرسوم التي هي اتقن واجمل رسوم نُشرت الى الآن في الجرائد العربية · فنرجو للمصور مستقبلاً عظيماً يليق به ونحث القراء على اقتنائه لاجتناء فوائده· وهو يطلب من ادارته في العاصمة وقيمة اشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج

﴿ الغزالة ﴾

لحضرات صاحبها يعقوب افندي جمال ومحررها ن · ب

الغزالة مجلة فكاهية ادبية لصاحبها جناب يعقوب افندي جمال صاحب الروايات الشهرية ومحررها ن · ب · وهي تُكتب باللغة العامية · وقد صدر العدد الاول من سنتها الثانية حاوياً كثيرًا من الانتقادات الادبية المفرغة في قالب هزلي منها قولها في الصفحة ٣٠

« ما يُكتب في البيت : على باب السلاملك او اودة الاستقبال : ممنوع رمي اعقاب السجاير والتف والنف في الارض * على باب اودة النوم : ممنوع شرب الدخان * على البلكون : ممنوع الكلام بصوت عال ورمي او كب شيء في الشارع * على المرايات :

كلٌّ يظنّ نفسه (ما فيش كدا) فمن هوَ الشنيع منا يا ترى

فنحن نرجو النجاح للغزالة انما نرجو منها ان لا تكثر الملح في اساليبها فان خير الهزل ما طالعه القراء والقارئات من غير اشمئزاز ولا استحياء

﴿ الساحر العليم ﴾

لجناب محمود افندي سلامه

وضع حضرة الفاضل محمود افندي سلامه كراساً عنوانه « الساحر العليم » وقد قال في مقدمته ما نصه ·

" عاب بعض صيارفة الكلام . قول ابي تمام :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت   جلودهم قبل نضج التين والعنب

« فقالوا وقد جهلو السبب : اين ذهب بصفوة العرب . وخلاصة اهل الادب . حتى اغفل البيت من البيض واليلب . والقواضب والحرب . والغنائم والسلب . وحشاه بحشف التين وسقط العنب؟ ... ولما ذاقوا ما فيها من حلاوة التمليح . وملاحة التلميح سال اللعاب . وجف سيل العاب

«وكتابي هذا كذاك التين وذاك العنب. وضع لسبب . من جهله استهجنه . وحقره . ومن عرفه ربما استحسنه . واكبره »

اما هذا السبب فهو ظاهر في الاسطر التالية

« اذ كنت اعلم ما للنفس من شوق غريزي . يسوقها لمعرفة كل خفي . سوق الولي للصبي العصيّ بالعصيّ . ويحبب الجد في طلبه اليها . كلما تعاصى اكتشافه عليها . رايت ان استر اسرار الاعداد في سرائر الالعاب . واذكي لاستطلاعها شوق ذلك الشاب . لعلي ابلغ الاسباب . اسباب تحبيبه في علم الحساب . ولقد احبه حب قيس لليلى . وشغف به شغف الخليل بالقريض . وساوره الشوق اليه نهارًا وليلاً . وكان الكريه البغيض »

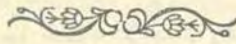
ومحصل ذلك كله ان هذا الكتيب قد جُعل لترويض افكار الطلبة بالغاز حسابية تصرف عقولهم الى المسائل الرياضية العقلية وهم لا يشعرون . فنثني على اجتهاد مؤلفه الفاضل ولكننا نتمنى ان يكون جنابه من زمرة الكتاب الذين هجروا ذلك الاسلوب الكتابي القديم الى الاسلوب الطبيعي

﴿ سلم الارتقاء ﴾

لجناب محمد افندي امين

نشر جناب محمد افندي امين في نظارة الاشغال العمومية كتابًا سماه « سلم الارتقاء في دروس الاشياء » وموضوعه كلام عن المملكة الحيوانية . وكل من تصفح هذا الكتاب علم التعب الذي كابده كاتبه لجمعه من الكتب العلمية وذلك مما يوجب الثناء على اجتهاده . ولقد اعلن في حاشيةٍ في الكتاب عزمه على « تاليف رواية تجمع بين الفكاهة والعلم وتحتوي على خلاصة ما وصلت اليه المباحث الفلسفية والعلمية في العصر الحديث » فنحن نحثه على اتباع هذه الطريقة في ما يكتبه وترك طريقة التقرير العلمي التي اتبعها في كتابه سلم الارتقاء

لان التاليف في المباحث الطبيعية ولا سيما الفسيولوجيا لا يسمى تاليفاً حقيقياً الا اذا كان مبنياً على الدرس العملي الذي اساسه التجربة والامتحان والمشاهدة بالنظر كأن يكون المؤلف منقطعاً الى ذلك العلم علماً وعملاً . ولو اتبع جناب الكاتب في هذا الكتاب طريقة الرواية التي عزم على اتباعها في كتاب آخر لما ترك للنقد مجالاً من هذا القبيل



باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴿ سكر المصريين القدماء ﴾

(اكتشاف جديد)

دلَّ نوح بسكره على ان السكر قديم من ايامه . وقد روت احدى المجلات الانكليزية في هذا الشهر انه قديم من زمن المصريين القدماء . قالت :

كان السكر شائعاً لدى قدماء المصريين . وكان شرابهم كثير الانواع واهمه ثلاثة . الاول يسمونه « ارب » وهو الخمر المعصورة من عنب كان يرد من سوريا بواسطة الفينيقيين . والثاني يسمونه « هك » وهو البيرة (الجعة) وكانت تستخرج من الشعير ايضاً وكان في بور سعيد اهم معاملها . والثالث يسمونه « سكودو » وهو خمر مستخرج من التمر . وكان في بلاط الفراعنة رجل وظيفته « رئيس معامل البيرة الملكية » . وقد اقبل الشعب المصري في زمن سيزوستريس على السكر بالبيره اقبالاً شديداً فتالفت لجان صحية لمقاومة السكر . ووجدت في الآثار المصرية صور عديدة لهذه اللجان . ومما وجدوه ايضاً على جدران الهياكل والمدافن رسوم عديدة للسكارى بعضهم محمول على ايدي رفاقهم و بعضهم تسوقهم الشرطة الى دار الحكومة . ولكن اهم تلك الصور كلها صورة عدة سيدات لابسات اجمل الحلل بعضهن جالسات امام مائدة يتناولن عليها كؤوس الخمر وهن مبتهجات مسرورات و بعضهن اديبات ينظرن اليهن من بعيد نظرة الاشمئزاز والاحتقار

وقد قال صاحب هذا الاكتشاف ان سكان مصر في زمن موسى كانوا في درجة منحطة جدًّا لاقبالهم على المسكرات وان قدماء المصريين هم اول الشعوب التي افرطت في استعمالها

معرفة رطوبة الفراش

الرطوبة مضرة جدًّا خصوصاً بضعفاء الاجسام والشيوخ فعليهم ان لا يناموا بفراش رطب . والطريقة لمعرفة الفراش الرطب من الجاف ان ياخذ احدهم ساعته ويضعها في الفراش ثم بعد حين يفتحها . فاذا ظهر على زجاجتها شيء من البخار المائي كان الفراش رطباً فانزع غطاءه او لا تنم فيه . والا فلا .

احياء الازهار الميتة

قد تذبل الازهار وتقارب اليبس بعد قطفها فالطريقة لاحيائها هي ان يُقطع قليل من اصولها ثم تغمس هذه الاصول في ماء يغلي فالحرارة الشديدة تنبه الزهرة وتعيد اليها الحياة التي اوشكت ان تفقدها حتى تجعلها كانها مقطوفة منذ ساعة

اصلاح طعم القهوة

لاصلاح طعم القهوة واجادتها طريقة بسيطة وهي ان تلقي ربة البيت بين حبوب البن حين تحميصها عدة حبوب من القرنفل او قليلاً من البن اليمني المشهور

منع انكسار زجاج المصابيح

تضع ربة البيت زجاجات المصابيح (القناديل) في اناء فيه ماء وتغليه على النار ثم تدعه يبرد بالتدريج فتصبح الزجاجات منيعة لا تنكسر حين اشتعال المصباح . او انها تثقب الزجاجة بمثقب من ماس فلا تعود الحرارة تؤثر فيها لتفلتها من هذا الثقب

معرفه فاسد البيض وصحيحه

اذب ١٢٥ غراماً من الملح في ليتر من الماء ثم ضع البيض فيه فاذا غرق الى قعر الاناء فهو طريء من يومه واذا بقي في بطن الماء ولم يغص الى القعر فهو من يومين واذا عام على سطح الماء فهو من ايام ويكون فاسدًا اذا لم يغص منه في الماء غير قشرته التي تمس سطحه

الضيق يبعث اللجاج والشجاج حتى عند الدجاج

حدث المسيو لموان قال : عندي دجاجات تحب الخصام فلا يمر عليها نهار حتى تشتبك بالنزاع و ينتف بعضها ريش بعض . فخطر لي يوماً ان اشغلها عن نزاعها واعلمها المسالمة فلم اجد لذلك طريقة خيرًا من تعليق كثير من اوراق الكرنب في الارض التي ترعى فيها فصارت بدلاً من ان تنقر بعضها بعضاً تذهب وتنقر تلك الاوراق معاً . وهكذا السعة تطرد اللجاج والشجاج حتى عند الدجاج

الخيل وسقوطها واكلها الخشب

قد يكون الجواد سائرًا على بلاط الاسفلت يقود المركبة واذ تزلق قوائمه فيسقط . فيجتمع عليه الناس حينئذ يحاولون انهاضه ولا سبيل لهم الى ذلك الا بجهد وعناء . اما الطريقة البسيطة لانهاضه فهي ان يُسدّ منخراه بشيء من النبات اليابس او التبن او الورق فانه حينئذ يستجمع قواه كلها وينهض من تلقاء نفسه طلباً للهواء . وكثيرًا ما يكون للخيل خصلة شنيعة وهي قضمها باسنانها ما يكون بجانبها من خشب الابواب والنوافذ فالطريقة لمنعها من ذلك ان يُفرك ذلك الخشب بالصابون الاسود فلا تعود الخيل تقربه

الحبر على السجادات

اذا وقع الحبر على السجاد والبسط فلا تحاول ربة البيت ازالته مسحاً بل يجب ان يُذر على الحبر شيء من الملح الناعم ومتى اسود الملح ترفعه وتضع غيره مكانه وهي ابسط طريقة لازالة الحبر



الارشمندريت جراسيموس مسره

﴿ رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية ﴾

المنتخب مطرانًا لبيروت

حلّ غبطة البطريرك المحترم السيد ملاتيوس دوماني بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس بحكمته وعنايته المشكلة التي وقعت فيها الطائفة الارثوذكسية في بيروت ووافق مع المجمع المقدس على انتخاب سيادة المفضال الارشمندريت جراسيموس مسره



﴿ مطران بيروت الجديد للطائفة الارثوذكسية ﴾

مطراناً للطائفة فيها خلفاً للمرحوم السيد غفرئيل . فحقّ لابرشية بيروت ان تشكر غبطته لانه انالها الآمال وان تفرح بسيادة راعيها الجديد المشهور بين الاكليروس الارثوذكسي السوري بالفضل والعلم . ونحن نهنئ سيادته بارتقائه الى اسمى وظيفة بعد وظيفة البطريركية بالنسبة الى مركز بيروت ونرجو ان تنال طائفته في بيروت كل خير على يده ان شاء الله

باب الاخبار العلميّة

تاريخ الاخبار العلمية

﴿ في العام الماضي ﴾

لو رام احد جمع اخبار الاكتشافات والاختراعات والآراء العلمية التي تصدر من كل اقطار العالم المتمدن في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وايطاليا وغيرها لجمع منها في كل شهر مجلداً ضخماً يساوي حجمه حجم ١٢ جزءاً من اجزاء الجامعة. وهذا هو السبب الذي يجعلنا نقتصر على تدوين القليل منها. على اننا عثرنا في تقويم المؤيد الذي صدر حديثاً على خلاصة من تاريخ الاخبار العلمية والاكتشافات التي حدثت في العام الماضي في فرنسا وغيرها. فراينا من الفائدة نقلها للقراء

﴿في الزراعة﴾ ١٥ يناير. عالج الدكتور (جار) الحمى القلاعية بحمض الكروميك — ٢٧ منه بلغ عدد المشتغلين بزراعة الكراز في فرنسا ١٢٨١١٤ وبحث الزارعون عن الطرق للاستفادة بالكحول الفاسدة — ١ فبراير. استنبط المسيو اشمن دواء لآفات شجر البطاطس وهي وضع كيلوغرامين ونصف من سلفات الحديد في ٩٠ ليتراً من الماء مخلوطة بكيلوغرام ونصف من سيليكات الصودا في ١٠ لترات من الماء يذاب فيها ٨٠٠ جرام من كربونات الصوده المكلسة — ٦ مارس. عالج المسيو كروكفيل الحمى القلاعية بمحلول سلفات الحديد في درجة ٢٠ — ٩ افريل. بلغ ما استنفدته اراضي فرنسا لسمادها ٨٤٠٠٠٠ طن من فوصفات الجير. في المانيا يوجد لدى ٩٠٩٠٠٠ مزارع آلات زراعية ميكانيكية — يوليو. دلت التجارب على ان محلول سلفات النحاس بنسبة ٣ الى ٦ في المئة هو انجع دواء لابادة حشرات النباتات. لاحظ المسيو فيلموران انه لترقية الزراعة وتاصيلها ينبغي ان لا يعتبر في انتقاء البذور كبر حجمها فقط بل حصولها من شجرة جيدة البذرة اذ كثيراً ما يكون الوسط سبباً في كبر البذور مع دناءة اصلها — اكتوبر. قال المسيو كركلاند ان الضفدع تقتل في عام واحد حشرات تتلف من الزراعة ما قيمته مئة فرنك. في سنة ١٨٩٩ اعطت حكومة الولايات المتحدة ١٢٦٠٠ براءة بانواع جديدة للمحاريث. يبلغ قيمة الازهار

التي تصدر سنوياً من ايطاليا ٣٠ مليون فرنك — دسمبر . قال المسيو بينـار بزيادة محصول القمح اذا زرع في ارض كان البنجر مزروعاً فيها من قبل

﴿ في العلم ﴾ ٢٩ يناير . استنبط المسيو ارمان طريقة جديدة لاستخراج الكاوتشو بسحق اشجـاره — مارس . اقترح المسيو ابيري عمل جهاز جديد لاعدام الفيران بحمض الكربونيك — ٢ افريل . اخترع المسيو تورس آلة لاجراء العمليات الحسابية ١٥ مايو . اخترع المسيو تمازي آلة تصان بها اسرار المراسلة بالتلغراف العديم السلك . اخترع المسيو كورنو جهازاً سماه بجهاز سمت الراس والنظير والغرض منه قياس المسافات السمتة بين السمت والنجوم — ٢٨ منه . كان كسوف الشمس كلياً في اسبانيا — يونيو . وجد المسيو بارفيل ان الصواعق قتلت ٦١٩٨ نفساً في ٦٠ عاماً . فيه اخترع بولسن التلغرافون وهو عبارة عن تلفون يقيد بالكتابة في جهة ما يقال باللفظ في جهة اخرى . انشأ المسيو ستنل ترمومتراً زئبقياً مقسماً الى ٥٠٠ درجة سنتجراد — ٩ يوليو . يؤخذ من تجارب المسيو ا . جوتييه ان الهواء في عرض البحر هو انقى الهواء وانه يحتوي على ٢٠ من ١٠٠٠٠٠ جزء من حجمه ايدروجيناً نقياً — ١٠ اغسطس . اخترع فينون جهازاً لتنظيم سير البندول . انشأ دوفور ترمومتراً من الكوارتز لبيان درجة الحرارة البالغة في الشدة . اخترع فرانكو تقويماً ابدياً يعرف منه الوقت بدورانه بآلة كآلة الساعة . استعمل ديجريه الكيماوي بي اوكسيد الصوديوم لجعل الهواء المحصور في مكان ما قابلاً للتنفس — نوفمبر . وضع شارل فرايسينه مذكرة عن ٤٢٨ كوكباً من الكواكب التلسكوبية — ١٠ دسمبر . اخترع توماز يني آلة للبحث في العواصف البعيدة . تمكن ج كلسي من تبادل المحادثة بالتلفون العديم السلك على مسافة ٣٠٠ متر

﴿ في الصناعة ﴾ يناير . استخرج كنيس الكحول من نبات الالفا والاسفوديل بنسبة ١٤ لتراً من ١٠٠ كيلو من الالفا — فبراير . بلغ محصول الحديد عام ١٨٩٨ ٣٦٥٦٨ مليون طن والصلب ٢٤٠٣١ طناً وربعها من الولايات المتحدة . اما التصدير فبلغ المستخرج منه ٧٧٣٣٠ طناً — مارس . بلغ المستخرج من الفحم عام ١٨٩٩ في العالم ٦٦٢٨٢٠٠٠٠ طن . صنع الدكتور بوم اسفنجاً صناعياً من سلولوز عجينة الورق — ١٤ افريل . افتتاح معرض باريز . بلغ قيمة ما صدر من الجوالات (الاتوموبيل) الفرنسوية الى الخارج ٤٢٦٠٠٠٠ فرنك . تمكن المسيو دولابورت من تنقية الزيت باضافة ١٠ بالمئة عليه من كرور الكلسيوم — يوليو . اخترع المسيو فويلدر طريقة للتفضيض على البارد

بواسطة دلك الاشياء · صدرت سويسره في ١٨٩٩—٣١٦٦٦٨٤ ساعة قيمتها ١١٢ مليونًا فرنك — اغسطس · ازال ج · هنتر طلاء الصفيح بوضعه في محلول سلفات النحاس · استخرج كروس ورمنجتون النشاء من قسطل الهند (ابو فروه) · اخترع المسيو بري صواني متحركة لمنع وقوف القطرات في محطات السكك الحديدية — اكتوبر · بلغ عدد العجلات القدمية سنة ١٨٩٩ في فرنسا ٨٣٨٨٥٦ منها ١٨٥٧٨١ في باريز وحدها · رفع المسيو فيفر بقع الرخام بواسطة بلها بمخلوط من عصارة الليمون وحمض الكبريتيك · اخترع رانجلاريه غماء لايقاف الخيول الجامحة — ١٢ نوفمبر · اغلق المعرض الباريزي · محصول قطن الولايات المتحدة سنة ١٨٩٩—٥٥٥١١٢ طنًا · صنع المسيو بتيزي مادة جديدة غير قابلة للاحتراق

﴿ في الطب ﴾ يناير · استنبط الدكتور بونيبه طريقة لتشخيص الصمم · استعمل وايت الهواء السائل بصفة مخدر محلي · اخترع الاساتذة بروكا وسابلييه وتيبيو مصلاً جديدًا ضد الكحول — فبراير · اقرت الجمعية الطبية على اعتبار الحصباء من الامراض المعدية التي يجب على الطبيب اظهار امرها للحكومة — مارس · قال المسيو كرتزمن ان سبب داء النقطة مرض في مسالك البول · منع الدكتوران دو ترامبلي وبرديولا دوار البحر باستنشاق الاوكسيجين المضغوط عليه — مايو اثبت المسيو منسن ان البعوض يمكنه بلذعاته ان يدخل جراثيم الامراض الى الجسم · عالج متشنيكوف وبسروكا داء البرص بحقن المصل · عالج المسيو مااللري داء الجريب باستنشاق الديهيد فورميك — اغسطس · لاحظ الاستاذ جرانشر في مستشفى تروسو انه بعزل الاطفال المصابين بالامراض المعدية وبمراعاة وسائل التطهير قد قل عدد المصابين بالحصباء بمقدار الثلثين — اكتوبر وفق الدكتور بوت الى معالجة اللوبس الدرني بپرمنجنات البوتاسا

عادات واخلاق

اعتدنا ان نطبع في هذا الباب بعض الرسوم التي تدلُّ على بعض العادات والاخلاق في مصر وسواها · اما الرسوم التي طبعناها في هذا الجزء فاولها رسم مختص بعيد « شم النسيم » فانه من المعلوم ان سكان مصر وطنيين واجانب قد اتفقوا على يوم يخرجون فيه من المدن الى الخلاء « لشم النسيم » والاحتفال بقدوم الربيع وهذا العيد يقع في اليوم التالي لعيد



﴿ عيلة مصرية في شم النسيم ﴾

الفصح عند الارثوذكس وتخلو المدن فيه من سكانها لامتلاء البرية بهم · وهذا الرسم يمثل عيلة مصرية خرجت الى شم النسيم وهي تتناول الطعام على بساط الطبيعة

اما الرسم الثاني فهو رسم المؤذن في المنائر يدعو الى الله في ظلمة الدجى والناس نيام



﴿ المؤذن يدعو الى الله ﴾

فيكون لدعائه وقع شديد في النفوس ولاسيما اذا كان صوته رخيماً
والرسم الثالث رسم شجرة ي المطرية يزورها بعض السكان · وسبب زيارتهم لها
قولهم ان يوسف والعذراء مريم لما جاءا بالسيد المسيح الى مصر وهو طفل جلسوا تحت هذه

الشجرة للاستراحة قليلاً والمسيحيون يزورون هذه الشجرة تبركاً بها والسياح يزورونها لمشاهدتها



﴿ شجرة المطرية المشهورة بان يوسف والعذراء مريم والسيد المسيح جلسوا تحتها
حين مجيئهم الى مصر ﴾

الجامعة

﴿ الجزء الثامن ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — ربيع اول سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

تاريخ ابن رشد وفلسفته

﴿ وهو اعظم فلاسفة الاسلام ﴾

واشهر شراح فلسفة ارسطو في القرون المتوسطة . ومن اجل ذلك كفَّره معاصروه وعزلوه من منصب قاضي قضاة الاندلس واهانوه ومنعوا كتبه ونفوه من وطنه . وهذه اول ترجمة كاملة لهذا الفيلسوف العظيم في اللغة العربية مقرونة بشرح فلسفته وآرائه بابسط عبارة . وسنردفها بغيرها من تراجم مشاهير فلاسفة العرب الذين شغلوا في تاريخ الحضارة والعلم حيزًا عظيمًا . وحسبنا رضى القراء واستحسانهم جزاء على ما نعانيه في كتابة ترجمة كهذه الترجمة

بين الفلاسفة مسألة يسمونها مسألة « انكار العدالة في العالم او اثباتها » . فمنهم فريق يرى ان العالم انما هو عبارة عن بطون تدفع وارض تبلع فلا نظام ولا ناموس وانما الحياة عراك شديد بين البشر يتغلب فيه القوي و يسقط الضعيف . وليست الفضيلة والخير والصلاح شرطًا للانتصار في هذا العراك وانما القوة هي الشرط الوحيد . وبناء على ذلك كثيرًا ما تسلَّحت الرذيلة بالقوة فانتصرت اعظم انتصار وانكسرت امامها الفضيلة اقبح انكسار .

وكفى دليلاً على ذلك سقراط وار يستيذس وابن الانسان سيد البشر . أفما سق الاثينيون سقراط سماً لانه جهر بحقيقة من ابسط الحقائق وهي وحدانية الخالق . اما اهانوا ار يستيذس مثال الصدق والاستقامة ونفوه من وطنه من اجل صدقه . فهل كانت الفضيلة تسقط هذا السقوط وتُداس بهذه الوقاحة لو كان في الكون عدالة ساهرة

فيردّ على ذلك انصار العدالة بقولهم وهم يبتسمون : اتحسبون ان سقراط كان مغلوباً مع الاثينيين . كلا بل انه انتصر عليهم وان كان قد شرب السمّ من ايديهم . ذلك ان الانتصار الحقيقي لا يتوقف على ظلم ساعة ولا على عذاب يوم . قال الفيلسوف بلوتين « ممَ تشكو ايها الانسان ؟ امن ظلامة ؟ ولكن ما تاثير الظلامة في النفس الخالدة » . فظلامة الاثينيين لم تضر سقراط بل عاد شرها عليهم . ذلك ان كل فرد من افراد الانسانية منذ تلك الحادثة الفظيعة الى هذه الايام لا يُذكر على مسمع منه اسم سقراط واسم الاثينيين الا ويعظّم الحكيم سقراط ويحقّر اولئك الذين سمموه . اذاً فمن الغالب ومن المغلوب من الفريقين . أليس الغالب ذلك الذي يعيش ذكره مبجلاً معظماً في نفوس بني البشر الى آخر القرون والاجيال . وهل تريدون دليلاً افضل من هذا على انه « ليس بالامكان ابدع مما كان » كما قال الامام الغزالي وعلى وجود عقل عام يدبر الكون بمبادىء ونواميس ثابتة ويجعل النصر فيه للفضيلة دائماً ولو بعد حين

اذا رمتم دليلاً آخر فاليكم ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فان معاصريه كفروه ومنعوا كتبه واهانوه ونفوه . ولكن اي شأن لهذا كله في نظر العاقل الحكيم الذي ينظر الى جواهر الامور لا الى اعراضها . الا ينسى ابن رُشد كلّ تلك الهنات الصغيرة اذا تسنى له ان يشاهد من مكانه الابدي ما يقوله البشر عنه اليوم في اللغة العربية وغيرها

واليك ترجمة هذا الفيلسوف العربي الذي يعتقد الافرنج انه الفيلسوف الحقيقي الوحيد الذي نبغ في الاسلام

***

﴿ ترجمته ﴾ هو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد وكانت اسرته من اكبر الاسر في الاندلس (اسبانيا) وقد ولي ابوه وجده منصب قاضي القضاة فيها . وكانت ولادة صاحب الترجمة في قرطبة في سنة ٥٢٠ هجرية (١١٢٦ مسيحية) وتوفي في بلاد المغرب (مراكش) في ٩ صفر من سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة

وقد تلقى ابن رشد في صغره علم الكلام وهو في الدين الاسلامي بمنزلة اللاهوت في

الدين المسيحي · غير ان عقله المطبوع على طلب الحقيقة وحب التوسع في العلم لم يكتفِ بذلك فاقبل برغبة شديدة ونشاط عظيم على درس الطب والرياضيات والفلسفة · وكانت مدارس قرطبة والاندلس في ذلك الزمان مصابيح علم وهدى لجميع الامم· وقد فصلنا ذلك في مقالة « الاندلس وعز الاسلام القديم » في الجزء الاول من هذه السنة

ولما شبَّ ابن رشد جُعل قاضياً في قرطبة · وكانت دولة الموحدين قد اسقطت دولة المرابطين في مدة شبابه وحلت محلها وكان بن طفيل صديق بن رشد من اعظم اخصاء الدولة الغالبة فقرب صديقه من الخليفة يوسف الذي خلف الخليفة عبد المؤمن · وفي سنة ٥٤٨ هجرية عبر ابن رشد البحر بين الاندلس و بلاد المغرب (مراكش)واقام فيها مساعداً على انشاء مدارسها وانارة مصباح العلم فيها · وفي عام ٥٦٥ ه جعل قاضياً لاشبيليه في الاندلس وفي عام ٥٦٧ ه عاد الى قرطبة · ثم سافر الى بلاد المغرب في عام ١١٨٢ وقد استدعاه اليها الخليفة يوسف وجعله طبيبه الخاص مكان بن طفيل · ثم رقاه الى منصب قاضي القضاة في قرطبة عاصمة الاندلس · فتربع بن رشد في كرسي ابيه وجده

تكفيره

وفي عام ١١٨٤ للميلاد ولي يعقوب المنصور بالله الخلافة في الاندلس خلفاً ليوسف ابيه فبلغ صاحب الترجمة لديه اسمي منزلة في بدء حكمه · واصبح في ذلك الزمان سلطان العقول والافكار لا راي الا رايه ولا قول الا قوله · ولكنه مكتوب لكل اصحاب العقول الذين يمتازون عن البله والبلداء واصحاب الدعوى في هذا العالم ان يتكاثر حسادهم لسبب ولغير سبب ·ولذلك حسد بنَ رشد جماعةٌ من الذين قصروا عن شق غباره و بلوغ منزلته فوشوا به لدى الخليفة يعقوب المنصور بانه يجحد القرآن و يعرض بالخلافة و ينشط الفلسفة وعلوم المتقدمين بدلاً من الدين الاسلامي · ولا غرابة في هذه التهمة بعد انصراف بن رشد الى الفلسفة وطلبه الحقيقة من طريق العقل في زمن كذلك الزمن وانما الغرابة ان لا تحدث يومئذ تهم كهذه التهمة · ولذلك فكل فيلسوف اهل لان يلقب بهذا اللقب يحتمل هذا العدوان من المعاصرة احتماله امرًا طبيعياً لا مفر منه ولا مهرب · و بناءً على ذلك يكون اولئك الكبراء العظماء الذين عُذبوا في بدء نشأة العلم في كل امة لاعتقادهم اعتقادات تناقض اعتقاد بسطائها بمثابة شهداء يحق لهم علينا اليوم كل اكرام واحترام لانهم كانوا طليعة جيش العلم الذي لم ينتصر الا بجهادهم و بدمائهم · حتى كانهم ما خُلقوا الا لتلقى على ظهورهم احمال العلم والانسانية كلها

نصبه امام الجامع للبصق عليه

اما الخليفة يعقوب المنصور فانه لما رُفعت اليه الشكوى على ابن رشد امر فاجتمع لديه اعظم فقهاء قرطبة وقضاتها · ثم طرح عليهم الخليفة قضية ابن رشد وقد حضر ابن رشد نفسه هذا الاجتماع · فقرر الفقهاء ان تعاليمه كفر محض ولعنوا من يقرأها وقضوا على صاحبها بالنفي من قرطبة · ومن الاسف العظيم ان لا يكون لدينا تفصيل هذه الجلسة التي جرت محاكمة الفيلسوف فيها · فنفي ابن رشد الى لوسنه وهي بلدة قريبة من قرطبة وقضي عليه بالتزامها وعدم الخروج منها · وهنا اختلفت الروايات · فمن قائل ان ابن رشد اقام فيها حتى رحل الخليفة يعقوب المنصور الى بلاد المغرب ومن قائل انه سار منها يروم الخلاص من الامر فقبض عليه في فاس واوقف على باب الجامع ليبصق عليه الناس في دخولهم وخروجهم · فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فقد اهينت الفلسفة والحكمة والعقل في شخص ابن رشد اقبح اهانة · وذلك مما يجعل له حقاً جديداً في الكرامة والاحترام فوق حقه الفلسفي الكبير

ولسنا نزعم انه يجوز لكل واحد من العلماء ان يضع مذهباً جديداً ويدعو الناس اليه وان كان مناقضاً لمعتقدات الناس وهادماً لاساسها · كلا فان ذلك امر لا يخلو من مضرة من بعض الوجوه وان كان نافعاً من وجوه اخرى · ولكن كما انه لا يجوز للعالم الجالس في غرفته وراء مائدته وهو يبحث باخلاص وامعان عن الحقيقة او ما يظنه حقيقة — ان يدعو الناس الى ترك ما في ايديهم للتمسك بالامر الجديد الذي يظن انه قد وجده ويحقّر كل من لا يعتقد معتقده كذلك لا يجوز للناس ان يمنعوا العقل البشري من الانطلاق في جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقلية التي منحه الله اياها دون تضييق على هذه الآلات او ايقافها في مجراها · ولا ريب ان الامر الاول ضرب من الغرور والطياشة اذ ليس في العالم احد قادراً على اثبات ان الحقيقة في يده ومعتقده · ولذلك يجب على كل واحد من البشر ان يحتمل راي غيره وان كان مخالفاً لرايه · وهذا وا اسفاه لقصور العقل البشري وضيق ذراعه عن الاحاطة بفضاء الاسرار الالهية التي امامه · ولكن اذا كان الامر الاول غروراً وطياشة فالامر الثاني ضرب من ضروب الكفر بنعم الله تعالى لانه يقتضي اطفاء نور العقل الذي خلقه الله ووضعه في الانسان لمثل ما توضع المنائر على شواطىء البحار · افتطفئون المنارة في الانسان ثم تقولون له سر واعتقد انك سائر في الطريق القويم

عوده الى مقامه

وليس يسوء الحق شيء مثل اتخاذ الهوى مركبا في امور مقدسة كهذه الامور . فانه اذا كان كل معارض ومعترض يعارض و يعترض دفاعا عن مبادىء مقررة في نفسه وهو يقوم بهذا الدفاع ولا غرض له غير طلب الحقيقـة المجردة فهذه المعارضة وهذا الاعتراض امر مقدس يجب على كل عاقل ان يحترمه . ولكن من سوء حظ البشر انهم يقدمون الهوى دائماً على الحق . وقلما تجد شهيداً من شهداء العلم الذين بذلوا في سبيله كل مرتخص وغال الا وترى انه كان للحسد اليد الطولى في معارضتهم واضطهادهم . والذي يدل احسن دلالة على ان تكفير الفيلسوف بن رشد كان من هذا القبيل ان المنصور لما عاد من قرطبة الى بلاد المغرب (مراكش) ووجد نفسه بعيداً عن اعداء ابن رشد الذين اثروا عليه فجعلوه يكفره و ينفيه ذكر فضل هذا الفيلسوف الكبير وعلمه وسعة صدره وحسن اخلاقه فامر من المغرب بالغاء الحكم الذي حكم به عليه و باباحة الفلسفـة والاذن للناس في الاشتغال بها . فعادت الى فيلسوف الاندلس كرامته ومنزلته ولكنه لم يتمتع بهما بعد ذلك مدة طويلة اذ ادركته المنية في بلاد المغرب فدفن فيها . و بعد ذلك نقلت جثته الى قرطبة التي تفتخر به لانها مسقط راسه

***

﴿ مؤلفاته ﴾ كان ابن رشد مولعاً بالتاليف والمطالعة ولم يكن له لذة في غيرهما . ولقد تمنى ان ينقطع عن منصبه اليهما لو ان ذلك كان في امكانه . وكان يقول في كتبه انه يشبه رجلاً اتصلت النار بمنزله فاخذ يخرج منه اهم اثاثه شيئاً فشيئاً

اما مؤلفاته فهي كثيرة يضيق المقام دون تعدادها كلها . فنكتفي اذاً بذكر كتبه الجليلة التي جعلت له في عالم الفلسفة والعلم هذه الشهرة الطائرة . وهذه الكتب قسمان . قسم في الطب وقسم في الفلسفة . فشهرته في العالم مبنية اذاً على هاتين الصناعتين : الطب والفلسفة . على انه قد الف ايضاً في علم الكلام والصرف والفقه وعلم الفلك عدة مؤلفات . منها في علم الفلك مختصر المجسطي وفي الفقه كتاب دروس كاملة وفي الطب الكليات وهو ستة اجزاء تتضمن دروساً كاملة في صناعة الطب ولقد بقي لهذا الكتاب اهمية كبرى مدة طويلة . على ان اهم كتبه كلها شروح اريسطو التي بلغ بها مؤلفها اسمى منزلة

شرحه اريسطو

ولقد قلنا مؤلفها ولم نقل مترجمها لان بن رشد لم يترجم فلسفة اريسطو ولكنه شرحها

شرحاً . ولقد اخطأ من قال انه ترجمها لان ابن رشد لم يكن يحسن اللغة اليونانية فضلاً عن انه كان في دار الخلافة في الاندلس اطباء من النساطرة الذين كانوا قد ترجموا كتب اريسطو الى اللغة العربية . وكان كثيرون من علماء السريان والكلدان قد ترجموا هذه الكتب الى العربية قبل عصر ابن رشد بثلاثة قرون . فلا ريب ان فيلسوف الاندلس قد اعتمد في شرح اريسطو استاذه واستاذ فلاسفة العالم الى عهد باكون على هؤلاء المترجمين

وقد شرح ابن رشد فلسفة اريطسو بطرق ثلاث . الاولى الشرح الوجيز . والثانية الشرح المتوسط او الواسطة . والثالثة الشرح الكامل او المطول

اما الشرح الصغير فان ابن رشد يتناول فيه مواضيع اريسطو ويؤلف فيها من عند نفسه مقالات في غاية الاهمية . فهو في هذا الكتاب مؤلف لا شارح . واما الشرح المتوسط فانه يذكر في صدر كل فصل منه بضع كلمات من كتاب اريسطو ثم ينطلق في الشرح والتاليف فيختلط قوله بقول اريسطو حتى يصعب فصلهما . واما الشرح المطوَّل فان ابن رشد يذكر فيه فقرات اريسطو فقرة فقرة ثم يشرح اجزاءها شرحاً كافياً . ومما لا ريب فيه ان ابن رشد لم يكن يضع الشرح الكبير الا بعد فراغه من الشرح الصغير . وقد قال فلاسفة الافرنج ان ابن رشد اعظم فلاسفة القرون الوسطى الذين تبعوا اريسطو وشرحوا اقواله

ومن الكتب التي نقلها عن اريسطو ما يلي « الكون والفساد . وما وراء الطبيعة . والبرهان . والنفس . والاخلاق . والسماء . والكون . وغيرها » وله ايضاً كتاب « التهافت » وهو رد على كتاب للامام الغزالي (١) عنوانه « تهافت الفلاسفة »

طبع كتبه وترجمتها

ومما يحق لابناء اللغة العربيه ان يخجلوا منه انهم اذا طلبوا كتب هذا الفيلسوف بين ما طُبع ونُشر من الكتب بلغتنا في النهضة الحديثة لم يجدوا شيئاً منها . ولما قامت شركة

---

(١) هو ابو حامد محمد بن احمد الغزالي زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي وقد اشتهر بين علماء الاسلام بالرد على الفلسفة اليونانية التي صار ابن رشد بعد ذلك زعيمها وامامها . وقد توفي في سنة ٥٠٥ للهجرة اي قبل ولادة خصمه ابن رشد بخمسة عشر عاماً . وسناتي على ترجمته باسهاب .

طبع الكتب العربية في القاهرة لاحياء المؤلفات القديمة الجليلة الشان اعرضت عن مؤلفات هذا الفيلسوف كل الاعراض مع انه كان يجب جعل كتبه في مقدمة الكتب التي طبعتها . وذلك لعدة اسباب . اولها ان القراء اكثر اقبالاً عليها منهم على سواها كما ظهر بعد الاختبار . وثانياً لانها اهم الكتب العربية على الاطلاق وحسبك انها كتب الفيلسوف الحقيقي الذي نبغ في الاسلام . وثالثاً لانه كان يجب في هذا العصر الذي جاز العلم فيه كل ما قام في سبيله من العثرات وظهر مصباحه ساطعاً من وراء الظلمات ان يكون صوت بن رشد الجهوري — ذلك الصوت الذي حاول الناس خنقه ولم يفلحوا — اول صوت يطرق مسامع الابناء ليذكرهم بمجد الاجداد القديم لعلهم يذكرون عنده الاسباب التي محت ذلك المجد فيجتنبوها والامور التي نقلته منهم الى تلامذتهم الاوربيين فيقتبسوها . فانه لا اعرف من ابن رشد بتلك الاسباب وهذه الامور ولا ارشد من كتبه اليها وادل منها عليها

اما الافرنج فانهم عنوا بترجمة كتب ابن رشد اشد عناية فترجمت مؤلفاته كلها الى اللغة اللاتينية لغة العلم والعلماء في ذلك الزمان . وكذلك الاسرائيليون فانهم ترجموا كتبه الى العبرانية لانهم كانوا من حملة العلم في اسبانيا واوربا . وكان منهم اكثر تلامذة ابن رشد . ويكفي لبيان الاهمية التي كانت لهذا الفيلسوف لدى الافرنج في صدر تمدنهم ان نقول ان في مدينة البندقية وحدها اليوم اكثر من ٥٠ طبعة من مؤلفاته

***

﴿ فلسفة «المتكلمين» وآراؤهم في الوجود ﴾ وقبل ايضاح فلسفة بن رشد نأتي على آراء المتكلمين الذين عارضوها اذ في هذه المقابلة تمام الفائدة فنقول

ان المتكلمين اي علماء الكلام في الدين الاسلامي قد وضعوا فلسفة خاصة بهم . وربما لم يكن من الصواب ان تُدعى تعاليمهم فلسفة لانها عبارة عن مباحث دينية محضة ولكن كل ما جرى فيه كلام عن الخالق عز وجل وعالم الغيب وما وراء الطبيعة فهو فلسفة . ومن المعلوم ان كلمة فلسفة يونانية الاصل وهي مشتقة من كلمتين فيلوس ومعناها (محبة) وسوفيا ومعناها (الحكمة) فالفلسفة معناها اذًا (محبة الحكمة) . وهل في عالم الفكر الذي هو اشرف العوالم شيء يستحق ان يُسمى حكمة غير البحث في اصل الحكمة ومصدرها الاعلى

ففلسفة المتكلمين هذه مبنية على امرين . الاول حدوث المادة في الكون اي وجودها بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له . وبما ان الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل اذًا عن السبب اذا حدث في الكون شيء

لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه · اذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً ان يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بامر الخالق وحده · وفي الامكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق

روح جديد عصري

هذا لباب تعاليم المتكلمين ولسنا الآن في مقام البحث فيها بل اننا نبسطها لمقابلتها بتعليم ابن رشد · وانما نقول في معرض الكلام انه يلوح لنا ان كثيرين من علماء الكلام المعاصرين ومن اخواننا الكتاب المسلمين قد ادخلوا شيئاً من النظام في تلك الفوضى · فاننا نطالع بامعان لا مزيد عليه كل ما تنشره رصيفتنا مجلة المنار الغراء من الدروس التي يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الجامع الازهر تفسيراً للقرآن فنجد في كل صفحة من صفحاتها روحاً جديداً اذا تمّ انتشاره كان بمنزلة اصلاح عظيم في العالم الاسلامي · ومقتضى هذا الروح الجديد تقييد الكون بنواميس طبيعية وضعها الخالق له فلا يحدث شيء في العالم الا بها · غير ان الاستاذ لا يذهب في ذلك مذهب الماديين الالهيين الذين يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى قد خلق نواميس الكون واجراها في مجراها الطبيعي وقضى بان لا تخرج عنه ابداً · كلا لانه يعتقد بان الخالق الابدي الذي وضع تلك النواميس قد ينقضها حيناً من الزمن كلما شاء وذلك من اجل المرسلين الذين يختارهم لاصلاح حال البشر وهدايتهم الى منافعهم · ومهما يكن من هذا الامر فكفى هذا الراي اهمية وجلالاً انه يجعل للكون نظاماً طبيعياً ثابتاً يجري عليه · فالبشر الذين يدرسون هذا النظام ويعملون به ينعمون ويسعدون في هذه الحياة والذين يجهلونه ويخالفونه استناداً الى ان الخالق ينقذهم وهم جالسون في بيوتهم سواء سعوا ام لم يسعوا فانهم يشقون وينحطون · ولقد كان علماء الاديان في العصور المتقدمة ينكرون هذا الراي ويكفرون صاحبه لاعتقادهم انه غير لائق بالخالق عز وجل اما اليوم فلم يبقَ مجال لهذا الانكار بعد الاكتشافات العلمية التي كشفت النقاب عن وجه النواميس الطبيعية التي تحكم الكائنات كلها من جماد وحيوان ونبات · ولكن ليس الفضل للبشر اليوم في التسامح وقبول هذا المبدأ الصحيح الجديد وانما الفضل لاولئك الذين خاطروا في العصور المتقدمة في كل ملة وامة بمناصبهم وحياتهم وكرامتهم ولمن يحذو حذوهم في هذا العصر لايصال عالمنا المطبوع على الجهل والقسوة والتعصب الى هذه الدرجة من

الاعتدال والتسامح ومعرفة الحقائق الازلية الابدية

***

﴿ فلسفته ورايه في المادة وخلق العالم ﴾ اما فلسفة ابن رشد فانها تناقض الفلسفة التي تقدمت . واليك خلاصة منها

المادة وخلق العالم

انَّ اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسالة اصل الكائنات . وهو يرى في ذلك راي ارسطو . فيقول ان كل فعل يُفضي الى خلق شيءٍ انما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئًا لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق . وهذا الشيء هو في رايه المادة الاصلية التي صُنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حدَّ له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بدَّ منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم ابديًا بسبب مادته اي انه لا يتلاشى ابدًا لان مادته لا تتلاشى ابدًا . وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بدَّ له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون . وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحوُّلات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (اي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدَثًا والخالق تنزه عن ان يكون حديثًا

اتصال الكون بالخالق

هذا فيما يختص بخلق العالم . وهو مذهب قريب جدًّا من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره

لابن رشد في ذلك تمثيل يدلّ على حقيقة مذهبه في هذه المسالة الخطيرة . فانه يشبّه حكومة الكون اي تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدرًا لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وانما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده . وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر

عنه القوة للكواكب · وعلى ذلك فالسماء في راي فيلسوف قرطبة كون حي بل اشرف الاحياء والكائنات · وهي مؤلفة في رايه من عدة دوائر يعتبرها اعضاء اصلية للحياة · والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر · اما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر · ولكل دائرة منها عقل اي قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلاً يعرف به طريقه · وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تُحدث الحركة من الطبقة الاولى في السماء الى ارضنا هذه · وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها · وبناء على ذلك يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم

طريق الاتصال

وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق · فالجواب عن ذلك ياخذه ابن رشد ايضاً عن اريسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » · وخلاصة ذلك ان في الكون عقلاً فاعلاً وعقلاً منفعلاً · فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة · واما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس(١) وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين · ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلاً توضع به · واول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تُدعى العقل المكتسب · ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً اشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الازلي · ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذي تقدم

(١) ومما يجانس هذا البحث دعاء لافلاطون رواه بهاء الدين العاملي وهذا نصه « يا روحانيتي المتصلة بالروح الاعلى تضرعي الى العلة التي انتِ معلولة من جهتها لتتضرع الى العقل الفعال ليحفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم التركيب ودار التكليف » وايضاً في موضع آخر « ياعلة العلل · يا قديماً لم يزل · يا منشيء مبادىء الحركات الاول · يا من اذا شاء فعل · احفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم الطبيعة » ومما كان يقوله فيثاغورس (في رواية العاملي ايضاً) يا واهب الحياة انقذني من درن الطبيعة الى جوارك على خط مستقيم فان المعوج لا نهاية له »

ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابي ايصاله الى حَرم الخالق الازلي دون ان يدغمه به . واما ادغامه واتصاله به فذلك امر لا يتم الا بطريق « العلم » . فالعلم اذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يفته شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب ويخرق بنظره حجب الاسرار التي تكتنف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه وجهاً لوجه امام الحقيقة الابدية

اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتمّ بواسطة الصلاة والتامل والتجرد وليس العلم ضروريًا له

وبناءً على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم . والكون في رأيه كما مرّ بك انما صُنع بقوة مبادىء قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا . ومن هذه المبادىء شيء يستولي على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً ايضاً هو عقل ثابت لا يتغير اي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على ان من كان منهم اكثر استمداداً منه كان اقرب الى الكمال والسعادة (١)

---

(١) وبما ان روح هذه الفلسفة ماخوذ عن ارسطو وعن استاذه افلاطون فيحسن بنا ان نذكر في هذا المقام حديثاً لافلاطون مع تلامذته رواه بهاء الدين العاملي ولا نضمن صحة حرفه بل صحة روحه . قال افلاطون « ربما خلوتُ بنفسي كثيراً عند الرياضيات وتاملت احوال الموجودات المجردة عن الماديات وخلعت بدني جانباً وصرت كاني مجرد بلا بدن عارٍ عن الملابس الطبيعية فاكون داخلاً في ذاتي لا اعقل غيرها ولا انظر فيما عداها وخارجاً عن الاشياء فحينئذ ارى في نفسي من الحسن والبهاء والسناء والضياء والمحاسن الغريبة العجيبة الانيقة ما ابقى عنده متعجباً حيران باهتاً فاعلم اني جزء من اجزاء العالم الاعلى الروحاني الكريم الشريف واني ذو حياة فعالة . ثم ترقيت بذهني من ذلك العالم الى العوالم الالهية والحضرة الربوبية فصرت كاني موضوع فيها معلق بها فوق العوالم العقلية النورية فارى كاني واقف في ذلك الموقف الشريف وارى هناك من البهاء

الخلود

ولكن هل ان نفس الانسان خالدة ام لا في هذا المذهب ؟ وهل كان ابن رشد يعتقد بحياة ثانية

ربما كان لابن رشد جوابان على هذه المسالة الخطيرة التي هي الآن دعامة عظيمة من دعائم الانسانية . فاننا في اثناء مطالعاتنا لبعض كتبه قبل الاقدام على ترجمته رأينا له في عدة مواضع كلاماً يدل أصرح دلالة على اعتقاده بالحياة الثانية حتى بالعقاب والثواب ايضاً . فعجبنا كل العجب من تكفير الناس رجلاً يرى هذا الراي . ولكننا لما وصلنا الى مذهبه الفلسفي ورأينا متابعته لارسطو فيما يختص باعتقاده بالنفس وخلق الكون تغير وجه المسالة . ذلك ان ابن رشد كان يكتب هنالك كرجل مؤمن خاضع لتقاليد آبائه واجداده فهو يكتب بقلبه لا بعقله . اما عند بحثه بالعقل عن مصدر العقل وعلة العلل فقد كان يكتب كفيلسوف يدخل بجرأة الاسد الى كهف الحقيقة المحجبة ولا يبالي . ولذلك قلنا انه ربما كان له في ذلك جوابان

اما الجواب الاول فيما يختص بالعقاب والثواب فهو قول مشهور وانما يزيد عليه ابن رشد وجوب التاويل . واما جوابه الثاني اي الجواب الفلسفي الذي طلبه بالعقل دون سواه فاليك خلاصته

قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة . والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان . وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً . ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في راي ابن رشد؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية . فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها . وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية

والنور ما لا تقدر الالسن على وصفه ولا الاسماع على قبول نقشه . فاذ استغرقني ذلك الشان وغلبني ذلك النور والبهاء ولم اقوَ على احتماله هبطتُ من هناك الى عالم الفكرة فحينئذ حجبتْ الفكرة عني ذلك النور فابقى متعجباً اني كيف انحدرت من ذلك العالم وعجبت كيف رايتُ نفسي ممتلئة نوراً وهي مع البدن كهيئتها . فعندها تذكرت قول مطريوس حيث امرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف والارتقاء الى العالم العقلي »

فلسفته الادبية

اما الفلسفة الادبية فلم تشغل سوى حيز صغير في مذهب هذا الفيلسوف بإزاء فلسفته المادية ٠ وقد صرف همه في تلك الفلسفة الى نقض مذاهب « المتكلمين » الذين يقولون ان الخير في يد الله وانه يصنعه بالبشر حينما يشاء وكيفما يشاء وبقدر ما يشاء من غير علة ولا سبب بل لان ارادته تقتضي ذلك ٠ فمن راي ابن رشد في ذلك ان هذا المبداء ينقض كل مبادىء العدل والحق لان ذلك يجعل حكومة العالم فوضى ربما شقي فيها الحكيم الفاضل وسعد الشرير اللئيم

اما حرية الانسان فهو يذهب فيها مذهباً معتدلاً ٠ فانه يقول ان الانسان غير مطلق الحرية تماماً ولا مقيدها تماماً ٠ وذلك انه اذا نُظر اليه من جهة نفسه وباطنه فهو حرٌّ مطلق لان نفسه مطلقة الحرية في جسمه ولكن اذا نُظر اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيداً بها لما لها من التاثير على اعماله

تلخيص احد كتبه

(الاتفاق بين الفلسفة والشريعة الاسلامية)

واتماماً للفائدة نلخص في هذه المقالة كتاباً لابن رشد عنوانه « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ليقف القارىء على مذهب هذا الفيلسوف لفظاً ومعنىً خصوصاً لان هذا الكتاب متعلق بالموضوع الذي بحثنا هنا عنه ٠ وغرض المؤلف في هذا الكتاب ثلاثة امور ٠ الاول اثبات ان الشرع الاسلامي يجيز « اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به » اي النظر فيها نظراً فلسفياً ٠ والثاني وجوب تاويل آيات القرآن التي ظاهرها يخالف البرهان والعقل ٠ والثالث وجوب عدم ذكر هذه التاويلات في الكتب التي تُكتب لعامة الناس لان ذلك يجر العامة الى الكفر ٠ ولا ريب انه بهذا القيد الاخير قد دلَّ على اعتداله ورزانته واضعف به حجج اعدائه اللهمَّ الا ان يكون غرضه فيه الحط من مقام الامام الغزالي الذي كان مقاوماً للفلسفة اليونانية كما تقدم ٠ وذلك لان هذا الامام قد بسط تلك التاويلات في كتبه

وقد ابتدأ المؤلف الكتاب الذي نحن في صدده بقوله « اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة والسلام على محمد عبده المطهر المصطفى ورسوله » ، وبذلك اعترف اعترافاً صريحاً بالاصلين العظيمين من اصول الدين الاسلامي الذي كان يتهمه حساده بالمروق

منه والزيغ عنه . ثم انه بعد ذلك يقول (١)

وجوب النظر بالقياس العقلي والاخذ عن غير المشاركين — « ان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها . وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتمّ كانت المعرفة بالصانع اتمّ » وقد جاء في القرآن « اعتبروا يا اولى الابصار . وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معاً » وقوله « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . وهذا نص بالحث على النظر في الموجودات » وقوله « وكذلك نُري ابرهيم ملكوت السماوات والارض الآية» وايضاً « افلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت والى السماء كيف رُفعت » وايضاً « ويتفكرون في خلق السماوات والارض »

قال « واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها . وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه — وهذا هو القياس او بالقياس — فواجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي » « وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول » (من الاسلام) « فان اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلي الا طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص » « وان كان لم يتقدم احد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه فيجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتاخر حتى تكمل المعرفة به » « وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبيّنٌ انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصحّ بها التذكية ليس يُعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام » ولما كان القدماء قد فحصوا عن امر المقاييس العقلية اتم فحص « فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صواباً » « قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان منه غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم »

نقول اما كلمة « عذرناهم » هنا فانها في الحقيقة كلمة فيلسوف وهي اجمل ذلك

---

(١) ان العبارات والفقرات الموضوعة بين قوسين او ضمتين هي لابن رشد والتي بلا قوسين او ضمتين هي للجامعة ويُقصد بها التحام المعنى واتصاله

القول الجميل

ثم قال « لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة (علم الفلك)ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك » « ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحي اوشيء يشبه الوحي » « وهذا امر بيّن بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه . فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة »

« فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء (يعني الكتب اليونانية) واجب بالشرع اذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه . وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلاً للنظر فيها — وهو الذي جمع امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية — فقد صدّ الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى »

وجوب التاويل -- ثم انتقل من هذه القضية بعد اثباتها الى قضية التاويل فقال « واذا كانت هذه الشرائع (الاسلامية) حقاً وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فانّا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » اي ان العلم موافق للدين كما ان الدين موافق للعلم . وبناء على ذلك قال الفيلسوف : « ونحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » « واذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتاويل » « والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التاويل الجامع بينهما »ولهذا المعنى ورد في القرآن « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (الى قوله) والراسخون في العلم »

« وكثير من الصدر الاول قد نُقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهراً وباطناً وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى

البخارى عن علي رضى الله عنه انه قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله » « ونحن نعلم قطعاً انه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس »

رده علي الامام الغزالي — ولكن هل اجماع الآراء في التاويل ممكن . قال الفيلسوف كلا . اذاً « فما تقول في الفلاسفة من اهل الاسلام كابي نصر وابن سينا فان ابا حامد (الغزالي) قد قطع بتكفيرهما في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل : (١) في القول بقدم العالم (٢) بانه تعالى لا يعلم الجزئيات تعالى عن ذلك (٣) في تاويل ما جاء في حشر الاجساد واحوال المعاد » قال الفيلسوف في ذلك « ليس تكفيره في ذلك قطعاً اذ قد صرح في كتابه (التفرقة) ان التكفير بخرق الاجماع فيه احتمال » ثم تناول ابن رشد مسالة علم الله بالجزئيات وهي المسالة الثانية فقال

علم الخالق بجزئيات الامور

وقد نرى ان ابا حامد (الغزالي) قد غلط على الحكماء المشائين (١) فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلاً . بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها . وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره . وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذي هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل »

العالم قديم ام حديث

ونظر بعد ذلك في المسالة الاولى اي قدم العالم فقال ان فيها ثلاثة اقوال « طرفان وواسطة بين الطرفين . وقد اتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة . فاما الطرف

---

(١) قال بهاء الدين العاملي « كان تلامذة افلاطون ثلاث فرق وهم » الاشراقيون والرواقيون والمشاءون » فالاشراقيون هم الذين جردوا الواح عقولهم عن النقوش الكونية فاشرقت عليهم لمعات انوار الحكمة من لوح النفس الافلاطونية وحدها من غير توسط العبارات وتخلل الاشارات . والرواقيون هم الذين كانوا يجلسون في رواق بيت افلاطون ويقتبسون الحكمة من عباراته واشاراته . والمشاءون هم الذين كانوا يمشون في ركابه ويتلقون منه فرائد الحكمة في تلك الحالة . وكان ارسطو من هولاء وربما يقال ان المشائين هم الذين كانوا يمشون في ركاب ارسطو لا في ركاب افلاطون »

الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره وعن شيء اعني عن سبب فاعل ومن مادة. والزمان متقدم عليه اعني على وجوده » و يدخل في ذلك النبات والحيوان والارض والهواء والماء « وقد اتفق الجميع على تسميتها محدثة » « واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شيء ولا عن شيء ولا تقدمه زمان . وهذا ايضاً اتفق الجميع من الفرقتين (القدماء والاشعريين) على تسميته قديماً وهو الله تبارك وتعالى فاعل الكل وموجده والحافظ له » بقيت الواسطة وهي« موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان ولكنه موجود عن شيء اعني عن فاعل وهذا هو العالم باسره» « والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم » « والمتكلمون (علماء الكلام) متفقون ايضاً مع القدماء (اليونان) على ان الزمان المستقبل غير متناهٍ وكذلك الموجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي فالمتكلمون يرون انه متناهٍ »

واصحاب هذه المذاهب « من غلب عليه ما في الزمان من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثاً. وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً فان المحدث الحقيقي فاسد ضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة. ومنهم من سماه محدثاً ازلياً وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناهياً عندهم في الماضي . فالمذاهب في العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر»

« وهذا كله مع ان هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تُصفح ظهر من الايات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين اعني غير منقطع وذلك ان قوله تعالى (وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقتضي بظاهره وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء و زماناً قبل هذا الزمان اعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك. وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) يقتضي ايضاً بظاهره وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهره ان السماوات خلقت من شيء »(١)

(١) ومما لا يخلو ذكره هنا من فائدة وفكاهة قول لحضرة الرحالة ك في كتابه طبائع الاستبداد الذي صدر في العام الماضي عن تاويل بعض آيات القرآن تاويلاً ينطبق على اقوال العلماء في خلق الكون والاكتشافات العلمية الحديثة وهذا نصه : « قد كشفوا ان مادة الكون هي الاثير وقد وصف القرآن بدأ التكوين فقال " واستوى الى السماء وهي دخان " — وكشفوا ان الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول " وآية

ولكن اذا كان التاويل واجباً فهو لا يكون في الاصول « مثل الاقرار بالله تبارك وتعالى وبالنبوات وبالسعادة الاخروية والشقاء الاخروي» بل يكون في الفروع «وان كان في الاصول فالمتاول له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة اخروية ههنا ولا شقاء وانه انما قصد بهذا القول ان يسلم الناس بعضهم من بعض في ابدانهم وحواسهم وانها حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط »

« واذا تقرر هذا فقد ظهر لك من قولنا ان ههنا ظاهراً من الشرع لايجوز تاويله

لهم الارض الميتة احييناها » الى ان يقول « وكل في فلك يسبحون » — وحققوا ان الارض منفتقة من النظام الشمسى والقرآن يقول « ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » — وحققوا ان القمر منشق من الارض والقرآن يقول « افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها » ويقون اقتربت الساعة وانشق القمر — وحققوا ان طبقات الارض سبعة والقرآن يقول « خلق السبع سماوات طباقاً ومن الارض مثلهن » — وحققوا انه لولا الجبال لاقتضى الثقل النوعي ان تميد الارض اي ترتج في دورتها والقرآن يقول « القى في الارض رواسي ان تميد بكم » — وكشفوا ان التغيير في التركيب الكيماوي بل والمعنوي ناشىء عن تخالف نسبة المقادير والقرآن يقول « كل شيء عنده بمقدار » — وكشفوا ان للجمادات حياة قائمة بماء التبلور والقران يقول « جعلنا من الماء كل شيء حياً » — وحققوا ان العالم العضوي ومنه الانسان ترقى من الجماد والقران يقول « خلقنا الانسان من سلالة من طين » — وكشفوا ناموس اللقاح العام في النبات والقرآن يقول « خلق الازواج كلها مما تنبت الارض » ويقول « فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى » ويقول « واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » ويقول « من كل الثمرات جعل فيها زوجين » — وكشفوا طريقة امساك الظل اي التصوير الشمسي والقرآن يقول « الم ترَ الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » — وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخار والكهرباء والقرآن يقول بعد ذكره الدواب والجواري بالريح « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » — وكشفوا وجود المكروب وتاثيره الجدري وغيره من المرض والقرآن يقول « ارسل عليهم طيراً ابابيل » اي متتابعة مجتمعة « ترميهم بحجارة من سجيل » اي من طين المستنقعات اليابس . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية »

فان كان تاويله في المبادىء فهو كفر . وان كان فيما بعد المبادىء فهو بدعة . وهنا ايضاً ظاهر يجب على اهل البرهان تاويله وحملهم اياه على ظاهره كفر وتاويل غير اهل البرهان له واخراجه عن ظاهره كفر في حقهم او بدعة » « وفي هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء اذا اخبرته ان الله في السماء اعتقها فانها مؤمنة اذ كانت ليست من اهل البرهان . والسبب في ذلك ان الصنف من الناس الذين لا يقع لهم التصديق الا من قِبل التخيل اعني انهم لا يصدقون بالشيء الا من جهة ما يتخيلونه يعسر وقوع التصديق لهم بموجود ليس منسوباً الى شيء متخيل »

المعاد وحملته على الغزالي

ثم انه بعد هذا التمهيد تناول المسالة الثالثة من مسائل الغزالي اي مسالة المعاد (١) فقال « يشبه ان يكون المخطىء في هذه المسالة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً او ماجوراً » ثم قال ان التاويل في هذه المسالة الخطيرة يجب ان يكون « في صفة المعاد لا في وجوده » على شرط ان يكون التاويل « لا يؤدي الى نفي الوجود » لان « جحد الوجود في هذه كفر لانه في اصل من اصول الشريعة » « واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتاويلها في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر »

وهنا حمل حملة شديدة على الامام الغزالي فقال ما نصه

---

(١) واليك ما ذكره الامام الغزالي عن « المعاد » في كتابه تهافت الفلاسفة « الاقوال الممكنة في امر المعاد لا تزيد على خمسة وقد ذهب الى كل منها جماعة "الاول" ثبوت المعاد الجسماني فقط وان المعاد ليس الا لهذا البدن وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة وهم اكثر اهل الاسلام "الثاني" ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين اللذين ذهبوا الى ان الانسان هو النفس الناطقة فقط وان البدن آلة تستعمل وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها "الثالث" ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معاً وهو قول من يثبت النفس المجردة الناطقة من الاسلاميين كالامام الغزالي والحكيم الراغب وغيرهما وكثير من المتصوفة "الرابع" عدم ثبوت شيء منها وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يعتد بهم ولا بمذهبهم لا في الملة ولا في الفلسفة "الخامس" في التوقف وهو المنقول عن جالينوس فقد نُقل عنه انه قال في مرضه الذي مات فيه « لا اعلم اذا كانت النفس هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل عادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد »

«ولذلك ما نرى ان من كان من الناس فرضه الايمان بالظاهر فالتاويل في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر فمن افشاه له من اهل التاويل فقد دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر ولهذا يجب ان لا تثبت التاويلات الا في كتب البراهين لانها اذا كانت في كتب البراهين لم يصل اليها الا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعه ابو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد خيرًا وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما . ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه . والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهبًا من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كما قيل

يومًا يمانٍ اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معدّيا فعدناني»

نقول وكأنّ الفيلسوف قد خشي ان يؤآخذ بما آخذ به الامام الغزالي لبسطه هو نفسه مبادىء الفلسفة والتاويل في كتب تقع بين ايدي العامة كما في هذا الكتاب فقال تبرءةً لنفسه « ولولا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استخرنا ان نكتب في ذلك حرفًا لان شان هذه المسائل ان تُذكر في كتب البرهان» ولكن لو عاش الفيلسوف في هذا الزمن ورأى السكك الحديدية التي قربت الابعاد واختصرت المسافات . والصحافة التي هي السكك الحديدية المعنوية للافكار لسرعة نشرها اياها ومزجها بعضها ببعض من جنوبي الكرة الى شمالها ومن شرقها الى غربها لتحقق ان الطريقة التي اشار بها من ستر وجه الفلسفة عن الفئة الكبرى من البشر طريقة لم تكن الكرة الارضية قادرة على التزامها وقتًا طويلاً

رغبته في وضع كتاب مهم

ثم عاد الى مسالة التاويل التي هي دعامة هذا الكتاب فقال انه اذا وقع اشكال في ظاهر القول الديني ولم يكن ظاهرًا بنفسه للجميع وجب « ان يُصرح ويُقال انه متشابه لا يعلمه الا الله . وان الوقف يجب هنا في قوله عز وجل : وما يعلم تاويله الا الله . وبمثل هذا ياتي الجواب بالسؤال عن الامور الغامضة التي لا سبيل للجمهور الى فهمها . مثل قوله تعالى : ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً »

ولذلك « ليس يجب ان تثبت التاويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية فضلاً عن

الفاسدة . والتاويل الصحيح هي الامانة التي حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات . اعني المذكورة في قوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال (الآية)

وهذه التاويلات في الشرع هي التي كانت سبباً في « نشأة فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبدع بعضهم بعضاً وبخاصة الفاسد منها » « ومن اتى بعدهم لما استعملوا التاويل قلّ تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم » « فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كُلفنا اعتقاده ويجتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتاول من ذلك شيئاً الا اذا كان التاويل ظاهراً بنفسه اعني ظهوراً مشتركاً للجميع »

ويعني الفيلسوف بذلك ان يُستخرج من القرآن في كتاب خصوصي كل العقائد الواجب الاعتقاد بها من دون تاويل او بتاويل ظاهر اجلى ظهور للخاصة والعامة لتكون اساساً مشتركاً لجميع المسلمين يبنون عليه معتقدهم بلا نزاع ولا جدال فلا تؤثر فيه مجادلاتهم في التاويلات الاخرى المفهومة والغير المفهومة . قال « و بودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه . وان انسأ الله في العمر فسنثبت فيه قدر ما يتيسر لنا منه . فعسى ان يكون ذلك مبداء لمن ياتي بعد . فان النفس في غاية الحزن والتالم مما تخلل هذه الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة . وبخاصةٍ ما عرض لها من ذلك من قِبل من ينسب نفسه الى الحكمة فان الاذية من الصديق هي «اشد» من الاذية من العدو . اعني ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة فالاذية ممن يُنسب اليها اشدّ الاذية »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب للدلالة على مبادىء ابن رشد وعلى منحاه في التاليف واسلوبه في المناظرة وقد جمعنا في هذه الخلاصة كل اغراض المؤلف

⁂

﴿ الاضطهاد في النصرانية والاسلام ﴾ وهنا تحضرنا مقابلة لا بد منها . وهذه المقابلة هي بين الدين المسيحي والدين الاسلامي من حيث اضطهاد العلماء وتكفيرهم واهانتهم وقتلهم دفاعاً عن تقاليد الدين . وهذه المقابلة تقتضي سؤالاً وهو : ايٌّ كان اكثر تسامحاً واقل تعصباً فيما يختص بالعلم والعلماء : الدين المسيحي ام الدين الاسلامي

فمنهم من يرى ان الدين المسيحي كان اكثر تسامحاً من الدين الاسلامي . لانّ بعض علماء النصرانية وكتابها قالوا فيها اقوالاً في منتهى التطرف والغلو والتحامل ومع

ذلك لم يضرهم شيء . اما ابن رشد الذي اهين كل تلك الاهانة فانه لم ينكر شيئاً من اصول الدين كما تقدم ولكنه نظر بعقله في الكائنات وشرح فلسفة اسواه فقامت قيامتهم عليه . فكيف به لو قال في المذهب الاسلامي عشر معشار ما قاله فولتير وديدرو وروسو ورنان في المذهب المسيحي

فيردُّ عليهم آخرون بقولهم بل ان الدين الاسلامي كان اكثر تسامحاً من الدين المسيحي . فانكم هل رايتم في تاريخ الدين الاسلامي علماء يحرَقون وهم في قيد الحياة لانهم انكروا ما انكروه كما جرى في ديوان التفتيش في اسبانيا . كلا . وذلك لعدة اسباب . منها اولاً احترامنا العلم وانطباع حبه في نفوسنا ناخذه مع مبادئنا الدينية . وثانياً ان كل من يدخل في مذهبنا يكون اخاً لنا . ونحن نحترم هذا الاخاء فيه اشد احترام ولذلك فاننا اذا اسأنا اليه لانكاره بعض عقائدنا فاننا نجعل للاساءة حداً لا نتعداه . فنكفره وننفيه ونمنع كتبه . ولكننا لانسفك دماءه لاننا نحترم اخاءه

فيردُّ عليهم الاولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط ام مع القريب والغريب معاً . ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فاضعفت امتهم وفرقت كلمتهم . فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد واعدامه « محاربة للانسانية » ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وامة لامة .

اما نحن فلا نفصل بين هذين القولين ولكننا ننظر الى هذه المسالة من وجه آخر . وذلك اننا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لان الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً . وبناء على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة اصعب منه في الطريقة المسيحية . فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً للضغط على حرية الافراد من اجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية . وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح اكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص اخف من نقص شقيقتها . لانه لا نقص اعظم من نقص القادر على التمام

وهنالك اعتبار آخر . وهو انّ العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسهما في تربة اوربا واينع واثمر التمدن الحديث . ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت اكثر تسامحاً مع الفلسفة

***

﴿ الفلسفة بعد ابن رشد واخلاقه ﴾ وهذا الراي يسوقنا الى الكلام عن الفلسفة عند العرب بعد ابن رشد . فنقول باختصار انه كان من المنتظر بعد ظهور ابن رشد في الاندلس ان يقوم بعده نوابغ من بني قومه يتوسعون في الدروس الفلسفية وينتفعون بالشروح التي وضعها ابن رشد على ارسطو وبذلك يكملون الحركة الاجتماعية والفلسفية ويقومون مقام فلاسفة الافرنج الذين جاءوا بعدهم فاخذوا عنهم وكملوها . وانما كان ذلك منتظرًا لانه من الصعب على العقل البشري ان يصدق ان تلك البزور الفلسفية التي بزرها هذا الفيلسوف تجف ذلك الجفاف في التربة الاندلسية وتختنق هذا الاختناق

ومع ذلك فقد جفت واختنقت . جفت واختنقت لان شبهة الكفر كانت تقع بعد ابن رشد على كل مشتغل بالفلسفة . وبناءً على ذلك انصرفت العقول عن صناعة الحكمة ولم يقم بعد ابن رشد فيلسوف كبير مثله ليكمل عمله

على ان تلامذة ابن رشد الذين نشروا مبادئه بعده وترجموا كتبه الى العبرانية واللاتينية كانوا اكثرهم من اليهود والنصارى . ولقد انتشر في اوربا مذهب ابن رشد في ذلك الزمان انتشارًا عظيمًا حتى اضطر احد البابوات ان يحرم من الكنيسة كل من يعتقد بمذهب ابن رشد في الفلسفة

بقي ان نذكر شيئًا عن اخلاق هذا الفيلسوف . فنقول انه كان لطيفًا عفيفًا ميالاً للعزلة منقطعًا الى الدرس والمطالعة . واليك منه عبارة تدل على مبلغ شغفه بالدرس والتاليف . قال « ان الدين الخاص بالفلاسفة هو درس الوجود والكائنات (١) ذلك ان اشرف عبادة تُقدم لله تعالى هي معرفة مخلوقاته ومصنوعاته لان ذلك بمثابة معرفته . هذا اشرف الاعمال التي يرضى الله عنها في حين انّ اقبح الاعمال عملُ من يكفّر ويخطّئ الذين يقدمون لله هذه العبادة التي هي خير العبادات ويتقربون منه بهذه الديانة التي هي خير الديانات »

(١) وفي الحديث نقلاً عن العاملي « لا يكمل ايمان المرء حتى يكون ان لا يعرف احبّ اليه من ان يعرف »

وكان بسيط المعيشة متقشفاً في حياته كارهاً للظلم · ولقد تولى القضاء سنوات عديدة دون ان يحكم قط بالاعدام على احد من الذين حوكموا لديه · بل انه كان حين وجوب الحكم بالاعدام يتنازل عن ذلك حينئذ لسواه فكانه يفرُّ من الدماء لكي لا تقع في عنقه

***

﴿ هل مذهب ابن رشد صحيح ﴾ هذا ما رأينا ذكره عن ابن رشد ولقد آن ان نختتم هذه المقالة لانها قد طالت ومع ذلك فقد رأيناها قصيرة ونحن نكتبها لان القلم لو ملأ كل صفحات هذا الجزء عن هذا الفيلسوف لما اروى غليله

ولكن قبل الختام لا بدّ ان يحضر القارىء سؤال وهو : هل مذهب هذا الفيلسوف صحيح ؟ فالجواب عن ذلك ان القارىء يخطىء اذا كان يسال عن صحة كل مذهب من مذاهب الفلاسفة او عن فساده · فان لكل واحد من الفلاسفة الذين يقفون حياتهم للبحث في ما وراء الطبيعة مذهباً خاصاً وفلسفة خاصة يناقضان مذهب الآخر وفلسفته · فمثلهم في ذلك مثَل قوم يجلسون على شاطىء البحر وياخذون في بناء بيوت من الرمل والصخر والحجارة التي على الشاطىء · ولذلك تجد في بناء كل واحد منهم رملاً وصخراً : اي ضعفاً وقوة · وذلك اما لانّ الحقيقة المحجبة قد آلت على نفسها ان تبقى محجوبة عن ارض فيها ما في ارضنا من الصغائر والدنايا او ان العقل البشري خُلق محدوداً وما كان محدوداً لا يحدّ ما لا حدّ له · ولذلك نقول مع الشاعر دون ان نشاركه بما في قوله من الاحتقار للفلسفة لان العجز لا يوجب الاحتقار :

تاه الانام بسكرهم فلذاك صاحي القوم عربدْ
تالله لا موسى الكليم ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير انك اوحديّ الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن حرم له الاملاك تسجد
مَن انت يا رسطو ومن افلاطُ قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين هذّ ب ما اتيت به وشيد
ما انتمُ الا الفرا ش راى السراج وقد توقد
فدنا فاحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأ بعد

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد السيد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

وفيه تاريخ اعمال الرسل بعد السيد المسيح وتفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وتفرقهم بعد ذلك في المسكونة لنشر ديانتهم الجديدة . ويتخلل ذلك وصف حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتت الاسرائيليين وسقوط الدولة الرومانية . ولا خلاف في أن تاريخ هذه الحركة انما هو تاريخ اعظم حركة اجتماعية وسياسية حدثت في العالم

عودة الرسل الى الجليل بعد صلب السيد

اول ما يقصده كل من فقد عزيزاً كريماً زيارة الاماكن التي عاش فيها معه . ولذلك اتجه التلامذة نحو الجليل بعد عيد الفصح ببضعة ايام (١) فكأنَّ الديانة المسيحية عادت في هذا الوقت مع التلامذة الى الارض التي نبتت فيها لتودعها هنيهة ثم تعود فتنتشر في الكرة الارضية

وهكذا التقى مرة ثانيـة اخص تلامذة السيد وهم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبده على شاطىء بحيرة طبرية وعاشوا معاً وعادوا الى صناعة صيد السمك في بيت صيدا وكفر ناحوم كما كانوا من قبل . وقد عادت النسوة الجليليات الى الجليل معهم . بل هنَّ اللواتي حملنهم على هذه العودة لميلهن الى الوطن الاول الذي شاهدن فيه ما شاهدن من الحوادث الجميلة . وهذا آخر عمل عملنه في تاسيس الديانة المسيحية . ومنذ هذا الحين لم يعد يظهر

---

(١) وهناك سبب آخر وهو ما جاء في الاناجيل من ان السيد سبق التلامذة الى الجليل

لهنّ اثر في تاريخ المسيحية لانهنّ كرهن مفارقة تلك البلاد التي ذقن فيها اعظم المسرات· وهكذا وُضع ذكرهن منذ ذلك الحين في زاوية النسيان · وبما ان المسيحية في بلاد الجليل لم تقم لها بعد ذلك قائمة فقد نقصت اهميـة هؤلاء النسوة اللواتي كان لهنّ الفضل العظيم في تاسيس الديانة المسيحية وفني ذكرهن في بعض التقاليد · وبناء عليه لم تبقَ مريم المجدلية ومريم كليوفاس وحنه وسوسان — هؤلاء الجليليات اللواتي يجب ان يُعتبرن المؤسسات الحقيقيات للدين المسيحي — الا كقديسات صغيرات لا شان لهن · فان القديس بولس لا يعرفهن (١) وقد بقين هكذا حتى القرون المتوسطة · فيومئذ استرددن المنزلة التي لهن وصار لمريم المجدلية في سماء المسيحية ذلك المقام الرفيع الذي كان من حقها

وكان التلامذة يعيشون يومئذ في الجليل كاخوة وقد اجتمع حولهم نحو خمس مئة نفس من الجليليين الذين كانوا عرفوا السيد وانجذبوا الى تعليمه ·فاقاموا في تلك البلاد نحو سنة وهم يعيشون اجمل عيشة لان روح السيد كانت ترفرف عليهم وتظهر لهم · فكانت حياتهم هذه عبارة عن تصورات جميلة دائمة لا تحول ولا تزول

عودتهم الى اورشليم لانشاء الكنيسة الاولى

وبعد اقامة الرسل سنة في بلاد الجليل كما تقدم راموا العودة الى اورشليم لان السيد امرهم بان ينتشروا في الارض للبشارة بالكلمة في جميع الاقطار · وكانت اورشليم اول هذه الاقطار بالطبع · فساروا اليها وهجروا وطنهم الجليل هجرة لا رجوع بعدها اليه · ولا خلاف في انه قد بقي بعد ذلك في الجليل كثيرون من اتباع الرسل ولكن لم يرد لهم ذكر فيما بعد · فغير بعيد ان يكونوا قد فنيت آثارهم في تلك البلاد كما فني فيها كل شيء في الحرب التي اثارها فيها اسباسيانوس الروماني · ومن المعلوم ان الطوائف التي كانت تعيش في تلك البلاد قد لجأت بعد هذه الحرب الى ما وراء نهر الاردن · فلما سكنت رحى هذه الحرب امتنع المسيحيون من العودة اليها وعاد اليها اليهود فقط · وهكذا صارت

---

(١) قال الرسول بولس عن السيد المسيح في الاصحاح ١٥ العدد ٥ من رسالته الى كورنثوس « انه ظهر لصفا ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمس مئة اخ » وبذلك اغفل الرسول ذكر مريم المجدلية وباقي النسوة اللواتي جاء في الانجيل انهن كن اول من شاهدنه · وهو اجحاف بحقوق النساء

الجليل في القرن الثاني والثالث والرابع عبارة عن مركز اليهودية ووطن التلمود . وبناء على ذلك لم تدخل الجليل في تاريخ الديانة المسيحية الا زمناً محدوداً . ولكن هذا الزمن كان اقدس الازمان واعظمها . ذلك لان جمال الدين المسيحي وقوته وسناءه اعني « الانجيل » لم تبرز الى الوجود الا في هذا الزمن . فالانجيل اذاً من اصل جليلي . وسيرد الكلام على ان الانجيل كان السبب الاول في نجاح الديانة المسيحية في الماضي وسيكون الضمانة الوثيقة لها في الزمن الآتي

الصعود

وبعد اجتماع التلامذة في اورشليم شهدوا صعود السيد . وقد قال لوقا الانجيلي في ذلك « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم »

اما نحن فاننا نفارق السيد بحزن عظيم . نفارقه هنا ونودعه لنذكر تاريخ تلامذته . ولقد كان في حياته الثانية هذه جمال وسناء يعزي النفس ويجعلها تشعر بقربها من ذلك الذي كان مثالاً للجمال والسناء وان كانت هذه الحياة انما هي في الحقيقة صورة للاولى . وحزننا الآن عظيم لاننا حُرمنا ذلك العرف الطيب الذي كان ينتشر من شخصه ونفسه . لقد صعد على الغمامة الى يمين ابيه وتركنا مع جماعة من البشر لهم كل صفات البشر . فما اصعب هذا السقوط . وما اشد البعد بين امس واليوم . يا ايتها السماء لقد ذهب مُلك الجمال والسناء فاندبي هذا المُلك المفقود . انظري لقد انزوت مريم المجدلية في قريتها لتدفن فيها تذكاراتها الجميلة . لقد بطلت الخطب على الجبل وبطل شفاء المجانين ومداواة المرضى . لقد ذهب مؤسس ديانة الحق والروح . وسيكون تاريخ هذه الديانة بعده تاريخاً لابتعاد اهلها عن المبادىء الابدية الازلية التي وضعها مؤسسها فيها . ومع ذلك فان هذا التاريخ مهما طرا عليه فانه يبقى تسبيحاً عظيماً لمجد ذلك المؤسس العظيم . ذلك لان صورة هذا الابن الصالح وكلامه الحي سيبقيان في وسط صغائر الامور وهناتها بمنزلة صورة للكمال الرفيع الذي لا يبلغ طرف الانسان حده

التلامذة والعمل

وكان يومئذ عدد التلامذة واتباعهم في اورشليم نحو مئة و٢٠ شخصاً . وكانوا كثيري

التقوى وانما كانت تقواهم شبيهة بتقوى اليهود · وكانوا يصلون و يقدمون العبادة في كل يوم في هيكل اليهود نفسه · وكانوا يشتغلون بشغل صناعي ليعيشوا من ثمار شغلهم · وكان في يد كل واحد منهم صناعة خصوصية ولكن هذه الصناعة لم تكن تحول بينهم و بين فراغ الوقت والاستنارة فيه · ذلك لان الشغل القليل كان كافياً لسد حاجات كل واحد منهم كما هي الحالة في الشرق ولذلك كان يبقى لهم كثير من الفراغ في اوقاتهم خلافاً للعملة الاوربيين الذين يعملون ١٢ او ١٥ ساعة في كل يوم

و بناء عليه كان التلامذة واتباعها يشتغلون في قسم من الوقت ويجعلون قسماً منه للتامل والبحث والصلاة واثارة الهوى الروحاني في نفوسهم · وكان هذا الهوى قد بلغ فيهم يومئذ اشده · وكل من قرأ « حروب اليهود » التي كتبها يوسيفوس يجد فيها ان كل واحد من الشعب الاسرائيلي كان يومئذ يطيع كالاعمى كل ما يقوم في نفسه و يستولي عليه من العواطف والافكار · فتخاله حين الحدة مجنوناً حقيقاً

اللغات والانجيل وتعميم الصلاح

اما مسالة تعدد اللغات ومعرفة الرسل بها كلها في يوم الروح القدس فربما كان فيها فكر يحتاج الى نظر · ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعتبرون لغتهم « لغة مقدسة » وكانوا يحفظونها اشد حفظ · واذا تُرجمت التوراة منها الى لغة غريبة لم يعبئوا بالترجمة حتى ولو تصرف بها صاحبها كما كان يقع ذلك احياناً وانما كانوا يصونون اصلها العبراني اشد صيانة · ولكن هذا الامر كان مقصوراً على يهود فلسطين وسوريا فقط · اما يهود مصر واليونانيون الذين اعتنقوا اليهودية في فلسطين فانهم كانوا يصلّون باللغة اليونانية ويطالعون التوراة بها ايضاً · ومع ذلك فانهم لم يصلوا في التسامح والتساهل الى الحد الذي وصل اليه المسيحيون يومئذ · فانه كان مشهوراً بين اليهود ان المسيح اذا جاء فانه يجمع كل لغات العالم كناية عن جمع كلمتهم والتوفيق بينهم · وهذا سبب انفصال المسيحيين الاولين عن اخوانهم اليهود في هذه المسالة وعدم اقتصارهم على اللغة العبرانيـة · بل هنالك سبب آخر · وهو معرفتهم ان الانجيل لم يُرسل الى شعب واحد بل الى جميع الشعوب والامم · ولذلك كانوا يقولون انه اذا تُرجم من اي لغة الى اي لغة اخرى كانت الترجمة طبقاً للاصل لسهولة مبادئه وقواعده · وهذه هي الخطوة الاولى التي خطاها العالم لتعميم الفضائل ومبادي الهدوء والسلام والامن بين امه المختلفة

التحمس والتقشف وقوله في الشرقيين ٠

ولقد ذكرنا فيما تقدم ان التلامذة كانوا يعيشون معاً باخاء تام ٠ ونزيد الآن على الاخاء مسالة التجرد والتقشف والصلاة والبكاء ٠ اما التجرد فنريد به ما يقصده المتصوفة وهو هنا تحمس النفس الى درجة تتجاوز حدود الطبيعة حتى انها قد تخال نفسها انها طرحت الجسم جانباً وتجردت منه لتطلب المصدر الاعلى الذي صدرت عنه ٠ وفي هذه الحالة التي يبلغ فيها التحمس اشده ينطق الانسان باقوال مختلفة بعضها ذو معنى و بعضها لا معنى له في الظاهر ٠ واما التقشف فالمراد به الصوم والاقتصار على القليل الضروري من الطعام لان الغرض قيام الجسم فقط ٠ والغرض المقصود من التقشف مساعدة النفس على البقاء على حالة التحمس والتجرد التي تقدم ذكرها لان ذلك من خواص قلة الاكل ٠ وقلة الاكل عادة شائعة عند اكثر الشرقيين (كذا) ٠ واذا كانت قناعة السوري فيما يختص بالماكل سبباً من اسباب ضعفه الطبيعي (كذا) فهي ايضاً سبب في جعله في هياج وانفعال عصبي دائم ٠ ولا ريب اننا نحن معاشر الاوربيين لا نستطيع ان نعمل اعمالنا العقلية الدائمة اذا كانت مقرونة بهذه القناعة فيما يختص بالماكل لان العمل الكثير يقتضي الغذاء الكثير ٠ على ان هذا الضعف الظاهر في دماغ الشرقي وعضلاته من شانه ان يثير في نفسه دائماً عواطف الحزن والفرح على التتابع ٠ وهذه العواطف تجعله متجهاً دائماً الى الله ومتصلاً به ٠ وهذا ما كانوا يسمونه « الحزن السماوي » و يعتبرونه موهبة من السماء

البكاء صلاة

و بناء على ذلك فان المواهب السامية التي كانت للاولين انما هي عبارة عن اكرم عواطف النفس واجمل حركاتها كالمحبة والتقوى والخوف باحترام والتنهد والحزن الفجائي من غير سبب والحنو وكل ما يقوم في نفس الانسان من خير وصلاح وجمال ٠ وكانت الدموع ايضاً موهبة ونعمة سامية ٠ وهي في الحقيقة موهبة لانها خاصة بالنفوس الممتازة المطبوعة على الطهارة والصلاح ٠ وكانت هذه العادة عادة البكاء كثيرة الوقوع بينهم في ذلك الزمن ٠ وكان اصحابها وخصوصاً النساء يجدون فيها تعزية وفرجاً ٠ بل ان هذه العادة كانت للنساء بمنزلة الصلاة للرجال اي انها كانت صلاة النساء ٠ فيومئذ تحقق ما قيل من انهم كانوا يزرعون بكاء ويحصدون فرحاً ٠ وعلى ذلك صار البكاء عبارة عن عمل من اعمال التقوى ٠ واذا كان احد منهم لا يقدر على الوعظ ولا النطق باللغات المختلفة ولا صنع العجائب فانه كان

يجعل البكاء شانه . و بناءً عليه فانهم كانوا يبكون في الصلاة والوعظ والتعليم . وكان السلطان يومئذ سلطان الدموع . فكأنَّ النفوس امتزجت يومئذ امتزاجاً شديداً ولما لم تجد لغة تعبّر بها عما في نفسها من العواطف الغريبة ذابت وسالت من المحاجر فكانت دموعها لغة عامة جديدة

الاشتراكية في المسيحية

وكان التلامذة واتباعهم يسكنون حياً واحداً في اورشليم . ولم يكن احد منهم يملك شيئاً بل كانوا كلهم يبيعون ما يملكونه و يدفعون ثمنه الى صندوق الطائفة . وكان رؤساء هذه الطائفة اي التلامذه الرسل يوزعون عليها من المال المشترك كل على قدر حاجته . وكانوا يتناولون الطعام جماعة واحدة اي في مكان واحد و يعملون على المائدة الحركة الرمزية التي عملها السيد في العشاء السري . وكانوا يصرفون ساعات عديدة في الصلاة وكانوا احياناً يرتجلون الصلاة ارتجالاً بصوت جهوري واحياناً كانوا يستعدون لها . وكان الوفاق تاماً بينهم وكلهم يعيشون بقلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن للجدال الديني ولا للتفاضل قط مجال للدخول اليهم . ذلك لان تذكار السيد كان لا يزال جديداً في نفوسهم فكانت صورته تطرد منها كل خلاف ونزاع . وهكذا صرفت الطائفة المسيحية على هذا النمط سنتين او ثلاثاً كانت معيشتها فيها عبارة عن فردوس ارضي تطلبه المسيحية منذ قرون كثيرة فلا تجده وليس لها رجوع اليه . وهذه المعيشة المشتركة لم تتجدد بعد الطائفة الاولى الا في الديور على ايدي النساك والرهبان

ومنهم من يعترض على هذا الاشتراك بقوله انه لم يحدث في زمن الطائفة الاولى بل ان كاتب « اعمال الرسل » قد بالغ فيه لانه من انصار الابيونيين اي حزب الفقر والفقراء في الدين المسيحي . ولكن هذا القول مردود بانَّ الوثنيين كانوا يعتبرون الطوائف المسيحية حتى بعد نشأتها بقرنين طوائف اشتراكية كما روى لوسيانوس . واذا كان في ذلك شيء من المبالغة فمما لا ريب فيه انه كان في اورشليم في الازمنة الاولى طائفة عديدة من الفقراء المسيحيين يدبر الرسل شؤونهم وتاتيهم الاعانات من جميع الاقطار التي انتشرت فيها الديانة المسيحية . وقد اقتضت ادارة هذه الطائفة شيئاً من الصرامة ولذلك كان يُقال ان كل واحد يخفي من ماله شيئاً عن الطائفة فجزاؤه عقاب الموت من الله

التلامذة في الهيكل

وكان التلامذة يجتمعون في النهار في اروقة الهيكل وخصوصاً في رواق سليمان . فكانوا يجدون هنالك تذكار الايام التي صرفها السيد معهم في ذلك المكان . وكانت اروقة الهيكل محطاً لرحال كثير من النحل واصحاب المذاهب اليهودية المختلفة . فكان التلامذة يفدون على الهيكل معهم ويقيمون بجانبهم . وكان الشعب يحبهم لبساطتهم وتقواهم ووداعتهم . ولكن اكابر رجال الهيكل كانوا يكرهونهم . وكان التلامذة يصلون يومئذ مع اليهود في الاوقات المعينة ويحفظون كل قواعد الناموس . فكان شانهم شان اليهود ولم يكونوا يختلفون عنهم الا باعتقادهم ان المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه قد جاء الى العالم . ولم يكن الانضمام اليهم خرقاً للشريعة اليهودية في نظر اليهود بل كان المنضم اليهم يومئذ يجوز ان يحسب نفسه يهودياً . وبالجملة فان الطائفة لم تكن قد ظهرت بعد ولم يكن لها شيء من الاهمية

الديموقراطية والارستوقراطية في الكنيسة

وكان للتلامذة الذين اختارهم السيد سلطة عظيمة على الطائفة . فلما اطمأنّ بالهم في اورشليم خطر لهم اكمال عددهم وذلك بانتخاب تلميذ مكان يهوذا الاسخريوطي الذي كان قد ترك الطائفة . وقد جعلوا الانتخاب سرياً بالقرعة . وكان المرشح له رجلين واحد يُدعى يوسف برسابا والثاني متيا . فاصابت القرعة متيا فانضم الى الاحد عشر تلميذاً . وكان هذا الانتخاب آخر انتخاب جرى للتلامذة لانهم اعتبروا ان اختيار الناس وارسالهم للبشر مزية خص بها يسوع الرسل الاولين دون سواهم . وبذلك ابعد التلامذة عن الطائفة خطراً وقعت فيه بعد ذلك وهو قيام طبقة دائمة السلطة شديدة الوطاة تحوّل مبادىء الطائفة الديموقراطية الى مبادىء ارستوقراطية

ولم يكن يومئذ قد نشاء في الطائفة ذلك الامتياز الاكليريكي الذي وُضع اساسه بعد ذلك . نعم ان الرسول بولس يسمي الرسل في بعض رسائله « اعمدة كنيسة اورشليم » ولكن هذه التسمية كانت في القول لا في الفعل . ولقد تقدم الكلام في تاريخ المسيح انّ مبداء العزوبة قد وُضع في حياة السيد ومع ذلك فقد كان بطرس وفيليبوس متزوجين وكان لهما بنون وبنات . وكان اجتماعهم يُدعى في اللغة العبرانية « كاهال » وقد ترجموها

باللغـة اليونانية « اكليزيا » ومعنى اكليزيا دعوة الشعب الى الاجتماع كما كان ذلك يقع في المدن اليونانية القديمة . ومن ذلك يظهر ان الكلمات الديموقراطية التي وضعتها اثينا في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد المسيحي قد دخلت في ذلك الزمن في اللغة اليونانية وصارت مشتركة بين جميع الامم التي تتكلم هذه اللغة . ولما قامت المسيحية اخذت منها كثيرًا من ذلك . وفي الحقيقة ان المسيحية انما هي عبارة عن حركة شعبية فيها السلطة للشعب كما كانت الحال في اثينا . ومن جملة ما اخذته المسيحية عن الديموقراطية اليونانية القديمة مسالة الانتخاب بالاقتراع السري وهي الطريقة التي كانت متبعة في جمهورية اثينا. ولكن المسيحية كانت اكثر تسامحًا من الهيئات الاجتماعية القديمة من حيث بذل سلطتها لرجال منها يدبرون شؤونها من غير حسد ولا سوء ظن . ذلك ان الكنيسة كانت تعتبر رؤساءها بالطبع حكامًا من قبل الله ولذلك لا عجب اذا استسلمت اليهم والقت سلطتها بين ايديهم . وبناءً عليه كان سهلاً على الناقد البصير ان يرى منذ ذلك الزمن مجيء الوقت الذي تتحول فيه الديموقراطية المسيحية الى هيئة فيها السلطة محصورة بين جماعات وايدٍ قليلة

التلامذة والنسوة

وكان لبطرس بين التلامذة شيء من الامتياز والتقدم سببه غيرته ونشاطه . وكان في هذه السنوات الاولى مرافقًا على الدوام يوحنا بن زبده فكانا يسيران معًا دائمًا . وكان اتفاقهما هذا الاتفاق بمثابة اساس الايمان الجديد والطائفة الجديدة. اما يعقوب اخو السيد فقد كانت سلطته مساوية لسلطتهما وخصوصًا في احد اجزاء الكنيسة . واما بعض انصار السيد الآخرين كالنساء الجليليات وعائلة بيت عنيا فلم يرد لهم ذكر في هذا الزمن . اما هؤلاء النسوة فقد كنّ منزويات في اما كنهن ينتظرن مع المنتظرين قدوم ملكوت الله ويذكرن الزمن الماضي . ولذلك لم يكن لهن همّ في التاسيس والانشاء . ولما توفاهن الله اليه نزل معهن الى اللحد اجمل شيء في تاريخ الديانة المسيحية الجديدة . ولكن لم يدرِ بهنّ احد ولا كان لهن شيء من الاهمية بالنسبة الى التلامذة في اورشليم . ذلك لان الشهرة لاتكون الاللعاملين . اما الذين يكتفون بالجلوس في زاوية والحب فيها بسكوت وهدوء فانهم يبقون خاملين مجهولين . ولكن لا ريب في ان لهم افضل نصيب

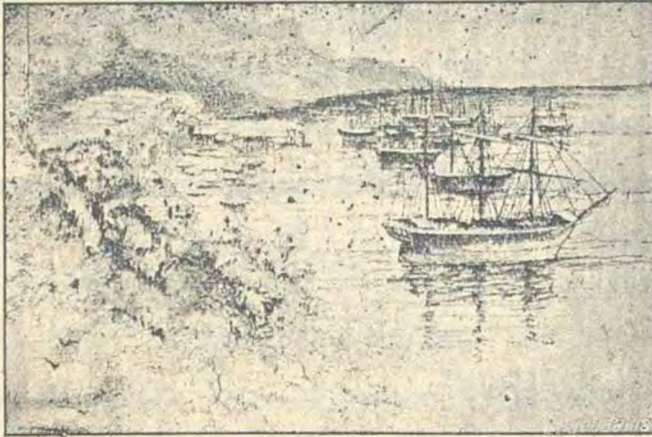
البقية تاتي

بركان يخرب مدينة ويقتل سكانها

﴿ في دقيقة واحدة ﴾

(والاقوال العلمية المتعددة في اسباب هيجان البراكين)

بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية جزائر متعددة يسمونها « ارخبيل الانتيل » . وهذه الجزائر منها كبيرة ومنها صغيرة . فالكبيرة هي كوبا التي يعتبرونها درة بحر الانتيل وهايتي والجامايك وبورتوريكو . والصغيرة اهمها كوادلوب والمرتينيك وبارباد وتاباكو وسان مرتين وغرناطه ودزيراد وماري غالانت وسنت فنسنت وغيرها . ولقد كانت هذه الجزائر تابعة قديماً للسلطنة الاسبانية الواسعة ثم صار اكثرها الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة

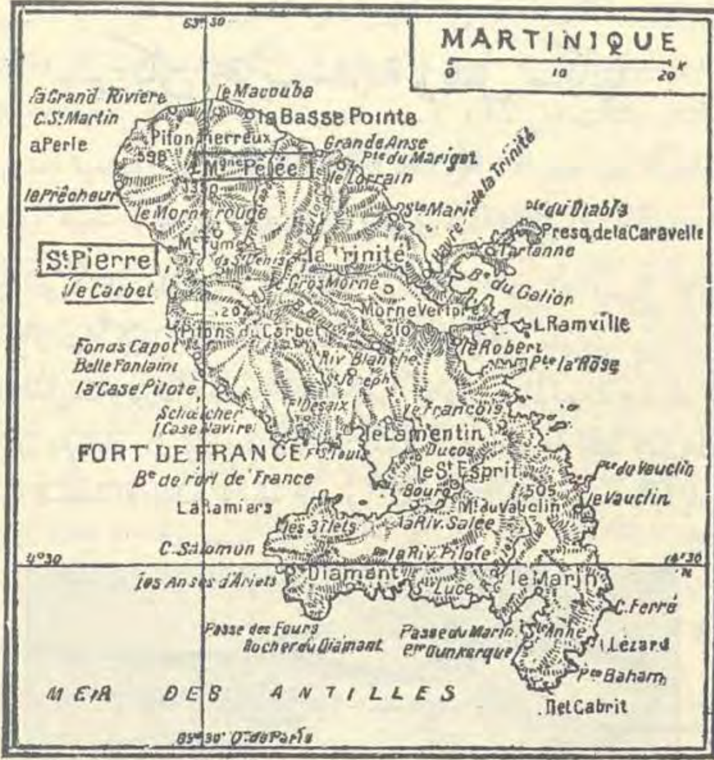


﴿ مدينة كانت بالامس . واليوم كانها لم تكن ﴾

منظر مدينة (سان بيير) بعد ان خربها البركان . والسفن التي اغرقها في مينائها

بحكم الفتح والقوة . والذي يهمنا في هذا الفصل من هذه الجزائر الكبيرة والصغيرة جزيرة المرتينيك الفرنسوية وجزيرة سنت فنسنت الانكليزية لانه حدث في الشهر الماضي فيهما ولا سيما في الاولى منهما حادث مفرد في تاريخ الانسانية

﴿ حادثة مفردة في تاريخ الانسانية ﴾ وان قيل ان البركان يزوف قد ثار في



﴿ خريطة جزيرة المرتينيك الفرنسوية ﴾

موقع مدينة (سان بيير) بجانب المربع المستطيل في غربيها
وموقع البركان في مربع في طرفها الشمالي

ايطاليا في سنة ٧٩ قبل الميلاد وخرب مدينتي بومباي وهركولانيوم وطمرهما تحت رماده وحممه كما فصلت الجامعة ذلك في سنتها الثانية وان حادثة بركان بيله في المرتينيك ليست مفردة في التاريخ قلنا ان بركان يزوف لم يقتل من سكان بومباي حين ثورانه سوى الف نفس وكان تخريبه هذه المدينة وطمره اياها بالرماد في مدة طويلة تسنى للسكان في اثنائها الفرار من الخطر . واما بركان بيله في جزيرة المرتينيك فانه قذف من فوهته على مدينة سان بيير التي هي ثانية مدنها موجة هائلة من الحجارة والوحل والغازات السامة فخرب هذه المدينة كلمح البصر وقتل نحو ٤٠ الفاً من سكانها في اقل من دقيقة واحدة . ولم يسلم من جميع السكان الا نفر قليل . ثم ثار عليها مرة اخرى بعد قتل السكان فدرس خرائبها درساً بالحجارة التي قذفها عليها



﴿ منظر بركان بيله من قريب ﴾

﴿ الاسباب العلمية لهيجان البراكين ﴾ ولا حاجة الآن الى تفصيل هذه الحادثة التي ارتعدت لها فرائص الانسانية فقد روت جرائد الاخبار هذا التفصيل · وانما اردنا في هذا الفصل ان نطبع صورة البركان الذي احدث هذا الحدث الهائل مع رسم المدينة التي كانت بالامس عامرة فاصبحت الآن اخربة تحت انقاضها اجسام الوف من السكان الاوربيين والزنوج · ونضم الى ذلك تفصيل الاقوال في اسباب هيجان البراكين

وقبل كل قول نقول ان العلماء لم يتفقوا الى اليوم على هذه الاسباب · ولهم في ذلك ستة آراء او سبعة واليك بيانها

الراي الاول — من المعلوم ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المعادن والحجارة · فيقول بعض علماء الجيولوجيا ان البركان انما هو شبيه بزجاجة من الغازوزه (المياه الغازية) فاذا انفتحت في داخله ثغرة على المواد المصهورة ثارت هذه المواد بقوة هائلة تطلب سطح الارض كما تثور المياه الغازية في الزجاجة حين فتحها

الراي الثاني — واما غيرهم فيقولون ان المواد المصهورة في باطن الارض غير منتشرة في جميع الاماكن حول قشرة الارض بل هي محصورة في جهات قليلة · وقد يتفق ان تكثر عند هذه المواد الابخرة والغازات المتصاعدة عنها فتفتق سطح الارض وتندفق منه

الراي الثالث — وهنالك راي ثالث وهو ان باطن الارض مصهور اي ذائب وحوله



﴿ احد شوارع المدينة قبل خرابها بحجارة البركان ﴾

قشرة تحيط به من كل جانب وهي القشرة التي نعيش فوقها الآن · وبما ان الارض آخذة في البرود شيئاً فشيئاً فكلما برد شيء من جوفها الحامي ومس القشرة الباردة حدث ضغط على ذلك الجوف شبيه بالضغط الذي يحصل من قبض اليد على قطعة من الليمون · وحينئذ ينعصر ذلك الجوف ويخرج منه بقوة العصر ما يخرج من البراكين

الراي الرابع — واما الراي الرابع فهو قولهم ان بعض المواد المصهورة في باطن الارض اذا امتزج بعضها ببعض ثارت بتركيبها الكيماوي ثورة شديدة تفتق الارض وتخرج منها

الراي الخامس — ان المياه التي تجري تحت سطح الارض قريباً منه تدخل احياناً الى جوف الارض فتتبخر هنالك بالحرارة تبخراً شديداً يفجر قشرة الارض كما يفجر البخار المائي الآلة البخارية

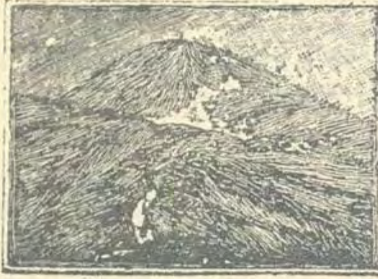
الراي السادس — ان باطن الارض مصهور ومواده الذائبة مشتركة بين جميع البراكين · فاذا حدث في الصخور على سطح الارض تغيير يقلب موازنتها حدث ضغط جديد على تلك المواد الباطنية الذائبة فتندفع وتفتق قشرة الارض

الراي السابع — واما الراي السابع فهو ان القمر والشمس يجذبان كرتنا الارضية وينجذبان منها كما هو معلوم · وبما ان باطن الارض ذائب فالمواد الذائبة تطاوع قوة جذب القمر والشمس اي تميل للانجذاب الى جهتهما · وبناء على ذلك يكثر في هذه المواد انتقالها من شكل الى

شكل وذلك مما يوءثر في قشرة الارض التي تحيط بتلك المواد ويجعلها معرضة للانفتاق اذا ظهر اقل ضعف فيها

﴿ معرفة الانفجار قبل حدوثه ﴾

هذه هي اقوال علماء الجيولوجيا في اسباب هيجان البراكين . ومما يحسن ذكره هنا ان الارض قد انذرت ابناءها قبل حدوث هذا الحادث فلم ينتبهوا . وقد قيل : من انذر فقد اعذر. وبيان ذلك ان الارض زلزلت في شماخه في القوقاس قبل ثوران بركان بيله باشهر فخربت الزلزلة كثيراً من المنازل . ثم زلزلت منذ مدة



﴿ بركان يزوف ﴾
الذي عاد الى التدخين في هذا الشهر ايضاً

في جهات اسبانيا وعلى شواطئ البحر المتوسط . ومن المشهور لدى العلماء انه متى زلزلت ارض اسبانيا تحركت براكين الانتيل لما بينهما من الصلات في جوف الارض . ولا دليل على قرب ثوران البراكين غير هذه الدلائل القياسية

اما بركان جزيرة سنت فنسنت الانكليزية فقد ثار ايضاً ثوران رفيقه في المرتينيك ولكنه لم يقتل سوى الفي نفس . وكان بركان يزوف في ايطاليا قد غار في هذا الشهر من رفيقيه فاخذ يدخن ايضاً . وهنا نختم هذا الفصل بما ذكرناه في السنة الاولى في ختام مقالة عن هذا البركان ودفنه في سنة ٧٩ للميلاد ثلاث مدن رومانيات تحت رماده وحممه . وهذا نصه :

« ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الارواح البشرية التي هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحرارة الحامية . نتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . ويتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الروءوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين . بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواميس احياناً . وما اعدلها احياناً »



الدين والعلم

﴿ ورأي الفيلسوف سبنسر فيهما ﴾

لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

١

تمهيد للمجلة — قبل القاء زمام هذا الموضوع في هذه المقالة الى حضرة صديقنا الباحث الفاضل اسعد افندي باسيلي الذي مرت عليه بضع سنوات في درس الادب والفلسفة ومطالعة كتب العلماء فيهما نود ان نضع تمهيداً وجيزاً لمقالته الاولى في هذا الموضوع ايضاحاً للغرض المقصود منها فنقول — ان رنان في كلامه عن « العدو الحقيقي للعلم والدين » قال كما ورد في العدد السابق (الصفحة ٤٦٢) ما نصه : « نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين. وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم . وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية » . فيؤخذ من هذا القول انه لا عدو للدين والعلم الد من هذين العدوين . وهما : اولاً الذين لا يعتقدون بشيء خارجاً عن دائرة المحسوسات وينكرون الافكار الدينية ويتحاملون على الاديان ويجحدون مبادئها الاساسية التي مدنت الامم ورقت الشعوب . وثانياً بعض رؤساء الاديان الذين يؤذون الاديان بشراهتهم او بجهلهم او بسوء قصدهم او بانفاذ اغراضهم اكثر مما يؤذيها اولئك الماديون الجاحدون

فهنا اذاً على محبي الخير للشعوب واجبان عظيمان . الاول مقاومة هؤلاء الرؤساء الذين لا يقصدون بالرئاسة الا قضاء اغراضهم الدنيوية والهاء الخاصة والعامة بالظواهر الدينية عن المبادىء الدينية الحقيقية . والثاني مقاومة اولئك الماديين الذين يرومون انزال الانسان في منزلة البهائم من حيث انكار كل شيء فيه خرج عن دائرة المادة الدنيئة . ولقد كان غرضنا من نشر كتاب تاريخ السيد المسيح القيام بالواجب الاول . وها نحن ننشر المقالات المتسلسلة التالية قياماً بالواجب الثاني . فهذه المقالات اذاً انما هي موجهة الى الجاحدين لا الى المصدقين . ونحن نشير عليهم بان يطالعوها بامعان ليتحققوا صدق

ما قاله رنان ونشرناه في الجزء الثاني من الجامعة الصفحة ٨٢ وهذا نصه : « ان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من اولئك الماديين الذين يفسرون كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

ونحن نشكر حضرة صديقنا الكاتب لاتحافه الجامعة بهذا البحث الذي ليس اقدر منه عليه — والآن نلقي زمام الكلام اليه »

بين رجال الدين و بعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف العقل البشري ابسط النواميس الطبيعيـة فوضع بذلك حدًّا لعبادة الاشياء المحسوسة . والذي يسوء كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين الاولى في الاثبات والثانية في الانكار . فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات اشيائهم و ينزلون جميع عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة . فيقابلهم رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتمادون في انكارهم فيجحدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان

وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والاوهام لانه اذا لم يكن من شان النور ان يضع حدًّا للظلمة فما يكون شانه يا ترى ؟ الا انه يخطىء كل الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار و يحسبها عارية عن كل اساس

قال الفيلسوف هربرت سبنسر في كتابه المبادىء الاولى ان القول بان جميع الافكار الدينية عارية عن الاساس يحط كثيرًا من قدر العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق

ومن ذا يا ترى يرى رجالاً من نوابغ بني الانسان كافلاطون واريسطو وسان توما وديكارت ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسمًا كبيرًا من مؤلفاتهم في البحث في ما وراء الطبيعة واثبات الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحيكون اوهامًا باوهام ويشيدون على غير اساس . او لا يبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته

ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون

على ذلك ادلة اخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر اشهر فلاسفة الانكليز في هذا الزمان

﴿ وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ﴾ اذا امعنت النظر في تواريخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى انه ما من أمة من الامم قديمة او حديثة خلت عن بعض العقائد الدينية ولئن اختلفت تلك العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء . فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة والاتفاق ؟ او ليس من شانه ان يحملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان حيوان ديّن اعني انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخليقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبدُ لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجةً ما من الترقي العقلي . فنجيب ولو صح هذا فلا يفيد شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى نسلم ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية لزم عن هذا ان هذه الافكار تنشاء بالضرورة عن ترقي العقل

وما نراه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على ان عقائد كل امة نشات مستقلة عن عقائد الاخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف واحوال متماثلة مع اختلاف الازمنة والامكنة ادى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة

وزعم آخرون ان جميع ما يذكره لنا تاريخ الاديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتمويه عليهم . وهذا زعم لا يستطاع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتمدنة وغير المتمدنة افراد من الهيئة يتواطئون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي ينالون بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الاولي للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجراثيم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفندون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمن لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطاع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو امكن وجود ادلة تثبت كون الاديان مخترعات عرضيـة فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لانه اذا كانت الاديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا نرى تحت الفروع الدينية المتنوعة اصولاً ومبادىء متماثلة . واذا كانت جميعها اباطيل واوهاماً فلماذا نرى النقد العلمي الذي استطاع اسقاط العقائد الخصوصية لم يتمكن من ضعضعة الفكرة الاساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا نرى العقائد الدينية بعد اذ تسقط سقوطاً عظيماً عند امة كما حدث في اواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث ان تنهض ثانية ان لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل فجوهرها القديم يبقى هو نفسه

﴿ الشعور الديني ﴾ ثم ان هنالك من يزعم ان الافكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يجعل العقل يحيك صوراً وهميـة لا يلبث ان يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهؤلاء يسلمون ضمناً بوجود الشعور الديني اذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الاعظم من بني الانسان وقد كان له اعظم اثر على التمدن في الاعصر التاريخية . وما برح لعهدنا هذا اساس كثير من النظامات الاجتماعية والباعث على كثير من الاعمال العظيمة المفيدة

الا ان زعمهم هذا لا يحل المسئلة وانما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لانه سواء كان الشعور الديني منشاء الفكر الديني او كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بدّ لنا ان نسال من اين جاءنا هذا الشعور ؟

وجواباً على هذا نجد امامنا احد افتراضين . اما ان يكون هذا الشعور خُلق دفعة واحدة بفعل خلق خصوصي واما انه نشاء تدرجاً تبعاً لناموس الارتقاء . فاذا اتبعنا الاول الذي اتبعه الاقدمون وعليه اكثر البشر لعهدنا هذا فالمسالة تكون قد حلّت اذ يكون الانسان قد مُنح الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق اذاً على مقاصد هذا المبدع . وان اتبعنا الافتراض الثاني وسلمنا بما يوجبه مذهب الارتقاء من ان القوى هي نتيجة التحولات العديدة التي طرات على الانسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين ان نسلم بوجود احوال خصوصية اوجبت نشاءة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية . واذا صح ايضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من ان الغاية التي تتوجه اليها التحولات الارتقائية هي اعداد الحي لاستكمال ما هو من لوازم وجوده امكننا ان نستنتج من هذا ان الشعور الديني من البواعث المؤدية لسعادة البشر

اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشاء تبعاً لناموس الارتقاء فالنتيجة من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني

﴿ اتجاه العقل الى ما وراء حدود العلم ﴾ وهنالك ملاحظة اخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظماء العقل البشري الى المعرفة . فمهما امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من ياتي بعدنا مسالة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومهما تقدمنا في التعليل عن اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شانه الا ان يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتهجهما الفكر البشري وهما العلم والدين

اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط في البحث عن الحوادث الوضعية وعلائقها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطاع اثباته بالادلة الواقعة تحت الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علائقها بعضها ببعض . وينتج عن هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابداً الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار

والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ونشاتها مستقلة بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور الديني ايا كان منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم كل هذا من شانه ان يثبت ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض ويدل على ان هنالك حقيقة اساسية قام عليها بنيان الاديان



حيوان غريب واكتشاف علمي

﴿ الذبابة القاتلة احدى غرائب افريقيا ﴾

(دليل جديد على فساد مذهب داروين)

لا نعني بالذبابة القاتلة الذبابة المألوفة التي تقع على بصاق المسلول ثم تقع على الطعام او على فم الانسان فتنقل اليه جراثيم داء السل او غيره من الامراض المعدية · ولكننا نعني بها ذبابة مختصة بشمالي افريقيا يسمونها تسه تسه كما ورد ذلك في خطبة المسيو هانوتو التي لخصناها في الجزء السابق · ولقد قال المسيو هانوتو عن هذه الذبابة في تلك الخطبة « انها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات »

ولقد عدّ المسيو هانوتو في تلك المقالة هذا الامر في جملة الاسباب التي اخرت تمدين افريقيا الى هذا الزمن· ثم قال « ان العلماء صاروا يجربون مداواة داء هذه الذبابة بالمصل وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً · فاذا تمّ لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردّون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة »

وبينما كنا نتصفح في هذا الشهر وقائع مجمع العلوم في باريز عثرنا على بلاغ بهذا الشان قدمه اليه جناب الدكتور لافران الذي صرف همه الى درس احوال هذه الذبابة لانقاذ افريقيا من شرها · وهذا البلاغ يشير الى اكتشاف علمي خطير من وجهين · ولبيان ذلك نقول ·

وصف الدكتور لافران هذه الذبابة في بدء مقاله فقال انها تُدعى باللغة العلمية « كلوسينا مورسيتان » وهي كباقي الذباب التي تعيش في كل مكان · ولذلك لا يعرفها من لا يعرفها · اما جسمها فهو مرقط في بطنها باسمرار وبياض ولكن باقيه اسود او رمادي ضارب الى السواد

ومن طبيعة هذه الذبابة انها اذا رأت انساناً او حيواناً انقضت عليه بسرعة غريبة ولذعته في الموضع الذي يكون مكشوفاً في جسمه · فينشاء عن ذلك في ذلك الموضع جرح صغير او خمش · وهذا الجرح لا تاثير له في الانسان والبغال والحمير والماعز والحيوانات الوحشية التي تعيش في الاماكن التي تعيش فيها هذه الذبابة كحمار الوحش والفيلة وبقر

الوحش وما اشبهها ولكنه ذا تاثير مميت في بعض الحيوانات الاهلية الداجنة كالفرس والكلب والبقر والغنم . فان هذه الحيوانات تموت احياناً موتاً فجائياً بعد انقضاء ٢٤ ساعة على لذع الذبابة لها واحياناً تظهر فيها اعراض الداء ثم تموت بعد ذلك ببضعة ايام . وهنا ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . الاولى حكمة الناموس الطبيعي الذي قضى بان لا يؤثر سم هذه الذبابة في الحيوانات الوحشية التي تعيش معها في واسع البرّ والتي هي معرضة في كل دقيقة وكل ثانية للذعها المميت تعرضاً كان كافياً لفنائها في اسبوع واحد . والثانية ان المسيو هانوتو قد اخطأ في قوله انّ هذه الذبابة تمنع من نقل البضائع على الدواب لانه قد ثبت بالاختبار انها بلا تاثير على البغل والحمار كما تقدم

اما داء هذه الذبابة فانه ينشأ عن مادة سامة تدخلها الذبابة الى جسم الحيوان الملذوع حين لذعها اياه . وهي عبارة عن جراثيم او ميكروبات تحدث تسمماً في الجسم . واهم اعراض هذا الداء رشح سائل من عيون الحيوانات بعد لذع الذبابة اياهـا وانتصاب شعرها وانتفاخ بطونها وفكوكها وضمورها وضعفها ضعفاً عاماً ينتهي بالموت .

بقي دواء هذا الداء الذي يتمنى المسيو هانوتو اكتشافه انقاذاً لنصف افريقيا من شر عظيم كما قال . فنقول ان الدكتور لافران قد ابلغ مجمع العلوم في البلاغ الذي تقدمت الاشارة اليه انه اكتشف دواء هذا الداء . ولكن دواءه داء آخر يصيب الانسان . فكأنّ هذا الاكتشاف عبارة عن نفع الحيوان بضرر الانسان . ولا غرابة في ذلك فانه قد مرّت قرون واجيال عديدة والحيوان يخدم فيها الانسان بتعبه ولحمه ودمه . فهل كثير بعد هذا ان يخدم الانسان مرة من المرات رفيقه الحيوان

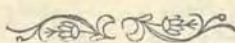
وبيان ذلك ان الدكتور لافران وجد انه اذا حُقن الحيوان الذي لذعتـه تلك الذبابة بمصل مستخرج من « دم الانسان » فان الداء يضعف بضعف جراثيمه في دم الحيوان المصاب لان هذه الجراثيم تموت في دم الانسان . وقد جرّب الدكتور هذا الامر في عدة حيوانات ملذوعة فتحسنت حالتها سريعاً وشفيت . ولكنه كان اذا احمى دم الانسان الى درجة ٥٢ وحقن به الحيوان المصاب فقدَ هذا الدم مزية قتل جراثيم الداء في جسم الملذوع . واذا ابلغ حرارته الى ٦٢ درجة قلّ تاثيره ايضاً

وبناء على ذلك يكون دم الانسان الدواء الشافي من هذا الداء

ولكن كيف يحلُّ استخراج دم الانسان لمداواة هذا الداء به . وهب انه امكننا استخراج شيء منه لحقن الحيوانات الصغيرة فمن اين لنا بمقادير كافية لحقن الحيوات الكبيرة .

هنا نقطـة الخلاف وموضع النظر

ومن اجل ذلك رام الدكتور استبدال دم الانسان بدم آخر فجرب دم الحمار والبغل والماعز وغيرها من الحيوانات التي لا يؤثر لدغ الذبابة فيها فلم تنفع التجربة ·فخطر له حينئذ خاطر ملاءه املاً · وهو انه ذكر ان انصار داروين يقولون ان الانسان قد ارتقى عن القرود اي انه كان من قبل بهيئة القرود وبشكلها او بهيئة قرود ارقى من القرود الموجودة اليوم ثم ارتقى على ممر القرون والاجيال وصار الى ما هو عليه الآن· فقال هذا الدكتور في نفسه : اذا كان هذا الامر صحيحاً فلا بدَّ ان يكون لدم القرد خواص دم الانسان لانهما من اصل واحد · ولذلك جاء بدم القرد وجربه في مداواة الحيوانات الملذوعة فلم تنفع التجربة · فقال الدكتور حينئذ : انني رميت بحجر فاصبت غرضين · فانه لا ريب ان هذا دليل من اقوى الادلة على ان الانسان لم يشتق من الحيوان



النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا ﴾

(الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة)

قلنا في الجزء السابق انه قد انهالت علينا رسائل القراء من كل صوب جواباً عن الاسئلة التي القيناها عليهم في الجزء السادس · ولقد كان في النية ان ننشر هذه الرسائل كلها كما ذكرنا ذلك في حينه للدلالة على ما يرتئيه الشرقيون في الصحافة الشرقية خصوصاً لان في هذه الآراء عجائب وغرائب · غير اننا عدلنا عن ذلك اضطراراً لكثرة هذه الرسائل كثرة يضيق عنها حجم جزئين من الجامعة او اكثر · ولذلك راينا ان ننشر منها ما قلَّ ودلَّ ملتمسين العذر من حضرات المراسلين الافاضل وشاكرين لهم اشتراكهم مع المجلة في هذا البحث المهم · وفي يقيننا ان رصفاءنا الكرام ارباب الصحافة العربية لا ينظرون الى هذا البحث بنظر الاهتمام فقط بل هم ينظرون اليه نظر الفكاهة ايضاً ولذلك لا نشك في انهم يغتفرون لبعض المراسلين اذا رأوا في بعض اقوالهم ما لا يسرُّ · ومما يوجب هذا الاغتفار ايضاً ان حضرات المراسلين هم نخبة من افاضل الجمهور وادبائه · ومن المعلوم ان الصحافة للجمهور وهو سيدها وصاحب الراي المحترم فيها كما يعترف بذلك الصحافيون انفسهم

حاجات الصحافة

ونبدأ اولاً بالاجوبة الشعرية لان للشعر حق التقدم · فمن ذلك قصيدة يذكر صاحبها حاجات الصحافة وهو من الشعراء المجيدين الذين ينثرون شعرهم في كل مجلة وجريدة كما يُنثر الزهر في الرياض وينظمون الشعر لِذاته وللذّاته لا لامر آخر · قال

سألتَ وربما سال العليمُ — وشاور غيره الرجل الحكيمُ
سالتَ عن الصحافة كيف امست — فقلت اصابها خطر عظيمُ
وما ادري وليس سواي يدري — اتسقط بعد ذلك ام تقومُ
هي الفوضى فقل ما شئت فيها — يصدق قولك الذوق السليمُ

لقد غدت الصحافة وهي حيرى — يضلّ سراتها ليلٌ بهيمُ
واعوز اهلها علم ومالٌ — وراي يستضاء به قويمُ
وشعب لا ينام عن المعالي — ولا يُرضيه ذو الكسل النؤومُ
وحكام يرون العلم فخرًا — فما تشقى بجهلهم العلوم

الدلنجات (احمد محرم)

الصحافة ورثاء الشرق

واما القصيدة التالية في « الصحافة ورثاء الشرق » فهي جواب شاعر في زهرة الشباب· وفي يقيننا انه اذا انقطع الى الدرس المفيد وفكّ نفسه من التقليد فانه لا يبلغ الثلاثين او الار بعين الا وهو في مقدمة شعراء المتاخرين · ولا غرو فانه من نبعة رافعية · قال

ما احتاج هذا الشرق للقائلِ — بمثل ما يحتاج للفاعلِ
وما الذي نسمع من اهله — يبلغ منه مبلغ العامل
كم ملأُوا الافق بصيحاتهم — وطاولوا النجم بلاطائل
وسيّروها صحفاً بعضها — عن بعضها في شغلٍ شاغل
تحتشد الاقلام فيها كما — يختلط الحابل بالنابل
ويجتمع الحق الى خصمه — وليتها تقضي على الباطل
وهي وان لم تك من لوءلوء — حلية ذاك الاجيد العاطل
انشدها الله وميثاقه — ان تنصف الجد من الهازل
وترفع العلم وابناءه — وترفع الجهل عن الجاهل

وتوقظ الخامل من نومه فكم بهذا الشرق من خامل
وتذكر الغرب وآياته وتضرب الامثال للغافل
اتى همى القطر على ارضنا مبشرًا بالعارض الهاطل
ورنحت اعطافنا هزة كما يدب الخصب في الماحل
تصقل عضب الشرق من بعدما قد كان لا يحتاج للصاقل
ما الذنب للعضب اذا ما نبا وانما الذنب على الحامل
ياعصبة الشرق اما انتمُ ابناء ذاك السلف الباسل
ان يزل الظل فلا تيئسوا تفيئوا ظلاً سوى الزائل
لا يبرئ المذنب ان يعتذر عن ذنبه بالقدر النازل
فانصفوا ناصحكم واسمعوا وانصتوا للقول والقائل

شبين الكوم (مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي)

وبقيت بعض قصائد طويلة ضاق عنها المجال فالمرجو المعذرة من حضرات اصحابها الافاضل

تلخيص بعض الرسائل

وهنا ننتقل الى النثر فنلخص بعض الرسائل التي اخترناها للنشر ونرجو المعذرة من اصحاب الرسائل التي ضربنا صفحًا عنها لان المجال ضيق دونها

ونبدأُ اولاً برسالة لحضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصوره ولا ريب ان حضرات القراء في مصر وخارج مصر قد سمعوا بشهرة الدكتور خوري في عالم الادب . قال جناب الدكتور: « ان الصحافة معذورة واسباب عذرها كثيرة يطول شرحها ولا يفيد التنبيه اليها لان الداء دفين ومضعفات العلة اشدّ خطرًا من العلة نفسها . وما الحيلة باستبداد الحكومة وذل الشعب وفقر العامل وجهله حالتي الحاكم والمحكوم وواجباتهما . واما النهضة فهي ولا شك كائنة وبا كثر من المامول وهي في كل يوم بازدياد واسبابها « المهاجرة » لا المجاهرة »

ومنها رسالة توقيعها « محفوظ » والصحيح انه « حافظ » لا محفوظ . وهي عبارة عن كتاب مفتوح لجناب نجيب افندي الجاويش صاحب الراي الشديد على الكتّاب وعلى الصحافة الذي نُشر في الجزء السادس . وقد استهلّ الكاتب « محفوظ » كتابه بقوله يخاطب رصيفه جناب نجيب افندي « اكتب اليك ولا علمَ لي بك والذي حركني لذلك معانٍ

لاحت لي من خلال سطورك رغماً عن لسان مسكته وقلم قيدته مخافة ان يكون كحزقيال يخاطب عظاماً يابسة » ثم يسهب الكاتب في بيان واجبات الكتاب والصحافة فيقول « ومما يقال في الجرائد عموماً وفي السورية منها خصوصاً انها تنطق بلسان الحاكم ويحررها قلم المامور مشحونة بالمدح الفارغ مما تقتضيه اغراض منشئيها » وبعد ذلك يهدي الى الشرقيين اربع نصائح رابعتها « العمل بما جاء في الجامعة في الجزء الخامس من هذه السنة الصفحة ٦٤ من رواية فريسة الاسد السطر ٢ و٣ و٤ » ثم يختم الكاتب رسالته الطويلة الى رفيقه بقوله « هذا ما ارتأيته كتبته اليك على سبيل الاختصار فاهبط عليَّ بافكارك والا اسودعك الله الى وقت آخر يجمعنا به ذلك الرجل » فلا عجب اذا لم يفهم القارىء شيئاً من هذا الختام

وهنالك رسالة من اسيوط لكاتبها جناب عزيز افندي السايح وقد جاء فيها ما ياتي « لو جُمعت مادة وزبدة الجرائد العربية جميعها لامكن ادراجها في جريدة او جريدتين بالاكثر لان اكثر ما تاتيه الصحف هو مدح في زيد وهجو في عبيد واحتفل بقران فلان وبجناز فلان ولولا الجرائد الافرنجية التي يترجم عنها اكثر مواد الجرائد العربية لانعدمت وصارت فارغة » ثم قال « وعندي ان الجرائد لا تقوم بواجباتها حق قيام الا اذا غضت الطرف عن وجاهة الواحد وحقارة الآخر وجعلت الصدق في اقوالها والحق في اعمالها من اعظم مبادئها وعدم المحاباة من اهم اركانها . اما الاعتقاد بوجود نهضة ادبية فلا اظنه انه خطر بالبال »

واليك رسالة من القرشية لصاحبها جناب اسماعيل افندي يسري قال فيها : « ان الذي يمعن النظر في احوال الجرائد والمجلات العربية وخصوصاً في مصر لا يؤمل ان يجني من ثمرها اصلاحاً بل يتاكد ان بعضها طاعون الافكار والقليل الحسن منها لا يكفي لترقية شؤون امة عددها ١٢ مليون نفس تقريباً »

واما الرسالة التالية فهي من رام الله قرب القدس لكاتبها جناب فرج افندي فرج الله وقد جاء فيها « ان الصحافة عندنا قد تجاوزت دور الطفولية الى الشباب . واني لا انكر ان في الشرق حركة جديدة ولكنها لم تصر بعد نهضة على الاقدام ولعلها لا تصير كذلك اذا بقي الحال كما هو . ذلك لان الشرقيين كرضيع احس بالجوع وبوجود الاكل قريباً منه ففغر فاه ليلتقم بجهله كل ما تصيبه شفتاه من نافع ومضر . والنصيحة لهم لينهضوا ويحسنوا القيام ان يربوا ويعلّموا منذ الصغر ان يحسنوا التمييز بين النافع والمضر »

والرسالة التالية من بسيون لكاتبها حضرة ي . س احد القراء وفيها « الجرائد همها مصروف في احوال البلاد السياسية من رفع وخفض ومدح وذم . ويحملها على ذلك سعة الورق مع قلة المادة وضيق الوقت وقد لا يكتفي البعض بذلك فيضيف الى جريدته ذيلاً يستحق القطع » ثم شدد الكاتب النكير على المقلدين والمقلدات « لان الشرقي يقلد بغير علم ولا حساب ولو علم ان الثوب المستعار لا يدفىء لطرح التقليد جانباً »

اما صاحب الرسالة التالية وهو جناب محمد شمس الدين افندي الصحن في الثغر فقد احصى المال الذي يدخل على الصحافة من الجمهور في مصر فبلغ في احصائه ٤٠ الف جنيه . فقال : « تتحسن حالة الجرائد اذا تركت مدح زيد وذم عمرو لاغراضها وان لا تكتب الا فيما يعود على البلاد بالنفع والفائدة . وحينئذ تستحق الـ ٤٠ الف جنيه التي تاخذها من الامة »

وقال جناب احمد افندي حافظ بالبوسطة في الثغر في ضمن رسالته « الجرائد العربية الموجودة في الشرق مفيدة ولكنها تكثر الاطالة في مواضيع احياناً لا تفيد الشعب بشيء ولا تعود عليه بالنفع المطلوب لارتقائه »

واما الرسالة التالية فهي من جناب خليل افندي ديراني في دمشق الشام وفيها « الاعتقاد بالنهضة الادبية هو بين بين لانها كالبيت المبني على الرمال تتهدد الاخطار وما ذلك الا من عدم مجراها في مجاريها واتباعها قوانينها . وما دامت على هذه الحال فان الزوابع تذريها ما لم تؤسس على صخر العلم بالعمل والتربية على الفضيلة والآداب »

وقال جناب جرجي افندي نقولا باز في بيروت « يوجد في بعض ممالك الشرق نهضة ادبية حقيقية اكثر مما هي وهمية . ويحتاج الشرق والشرقيون الى العلم الحقيقي العملي »

ومن رسالة لجناب ابرهيم افندي ابرهيم « نصيحتي للشرق والشرقيين ان يتحدوا بالوطنية ويتعلموا الاستقلال ويعاملوا بعضهم بعضاً معاملة الاخاء والمساواة وان ينبذوا التعصب الديني والعادات والاراء الضارة التي ورثوها عن الآباء والاجداد »

قول بليغ في النهضة

بقي ان ننشر رسالتين الاولى « لاحد الكتاب » المطلعين . وهذا نصها من غير اختصار

« انني من الذين يعتقدون بوجود نهضة ادبية في الشرق ومن الذين لا يعتقدون بوجود هذه النهضة . وايضاحاً لهذا القول اقول

« اذا كان معنى « النهضة » نهوض الكتاب الى الكتابة فهذه النهضة موجودة لان

المجلات والجرائد والكتب تتناثر على القراء تناثر ورق الخريف · واذا كان معنى النهضة حدوث تقدم في الشرق ادبياً ومادياً فهذا امر ثابت لا ينكره احد وانما الخلاف في هل ان هذا التقدم متبع سيراً تدريجياً ينتهي الى كماله ام لا · واما اذا كان معنى النهضة ان المؤلفات التي تنشر الآن هي دليل على ارتقاء العلم والادب في الشرق ارتقاء حقيقياً مبنياً على اساس وطيد لا يخشى عليه في المستقبل فهذا قول فيه نظر

« وبيان ذلك ان في ازمان النهضات العلمية والادبية في العالم ينبغ رجال من اهل العلم والادب يكونون كاساس للنهضة في بلادهم وتكون كتبهم ومؤلفاتهم بالغة من الكمال العلمي والادبي درجة لا يتجاوزها الذين ياتون بعدهم مهما ابتكروا وابتدعوا · ففي النهضة الانكليزية قام باكون وشكسبير وغرين و بيل وغيرهم كما ذكرته الجامعة في ترجمة شكسبير وفي النهضة الفرنسوية قام كورنيل وراسين وموليير و بوالو ولافوازيه وديكارت وفولتير وروسو · وكتب هؤلاء المؤلفين لا تزال في دور الشباب الى الآن كانها كتبت منذ عامين · فهل عندنا من الكتب والجرائد والمجلات ما يستحق ان يحيى الى ما بعد نصف قرن و يكون مرجعاً لاحفادنا بعدنا · هذا امر اشك فيه كل الشك

« ومما لا يحتاج الى بيان انني قلت " نهضة ادبية " كما قالت الجامعة ولم اقل " نهضة علمية " اذ لا خلاف قطعياً في انه لا اثر للنهضة العلمية في بلادنا لان العلم الصحيح يجب ان يكون مبنياً على الدرس العملي كالمشاهدة والتجربة والاختبار لا على الاخذ عن علماء الافرنج · مثال ذلك ان من رام كتابة تاريخ الفرس يجب ان يزور مملكتهم و يستقصي آثارهم و يدرس عاداتهم واخلاقهم في نفس بلادهم لا في غرفة التحرير · ومن رام الكتابة في طبائع النحل يجب ان يكون قد ربى نحلاً وراقب معيشتها مراقبة دقيقة سنوات عديدة · وهلم جرّا

« ولست اعني بذلك ان اللوم واقع على المشتغلين بالعلم والادب وحدهم فان « الطفرة محال » كما قال كاتب يحسبه بعض الكتاب من زعماء النهضة الادبية · وذلك لان هذا التقليد لا بدّ منه في بدء الامر ولا ياتي الابتكار والابتداع الا في دورٍ ثانٍ · ولكن اللوم اكثره واقع على الاغنياء والجمهور والحكام الذين لا يساعدون الكتاب والعلماء عندنا مساعدة تمكنهم من التفرغ للدرس العملي والانقطاع لفروع العلوم التي يشتغلون بها وهو ما يسميه العرب " الاخصاء " على ما اظن · ومعنى ذلك ان المستعد بفطرته للبحث في الفلسفة ينقطع اليها دون سواها · والمستعد بطبيعته للجيولوجيا يتفرغ اليها وحدها · والمهيأ

للتاريخ لا يشتغل بسواه · والذي خُلق لدرس المسائل السياسية لا يتعداها · فمتى توزّعت فروع العلوم هكذا على الكتاب والمشتغلين بالعلم امكنهم ان يصلوا في فنهم الى درجة الابتكار وارتقت النهضة في الشرق ارتقاء عظيماً · واما اذا اقاموا كما هم الآن اي ان كل واحد منهم يكتب في كل فروع المنقول والمعقول ارضاء للقراء فالنهضة تبقى سطحية اذ ليس لاصحابها من وقت ولا وسيلة للوصول الى الاعماق »

اولى حاجات الشرق

والرسالة الثانية « لاديب » فاضل ينظر الى هذه المسالة من جهة اخرى وهذا نصها

« اولى حاجات الشرق وصحافته وحكامه واهله كبارهم وصغارهم كلمة واحدة وهي "الاخلاق" وهذا نقص ظاهر في كل شيء فيه تقريباً · فاذا كانت الاخلاق شريفة في كل عمل ادبي او مادي كان ذلك بمثابة هواء نقي يستنشقه الانسان ويعيش منه واذا كانت فاسدة فسد كل شيء بفسادها · فالحاكم اذا كان شريف الاخلاق وقف قواه لخدمة الجمهور فكان في ذلك غنى عن كل نظام ودستور · والناس اذا كانوا كرام الاخلاق جعلوا الارض مسكناً للملائكة كالسماء وكانت معيشتهم كلها هناء في هناء · والصحافة اذا كان جميع اصحابها اصحاب اخلاق لم يعد ينقصها شيء من الاشياء · فانها حينئذ تترك التمليق والرياء · والمدح والثناء · وتقدم مصلحة الجمهور حقيقةً على كل مصلحة · فلا تعود ترى فيها ما تراه فيها من تكبير الصغير وتصغير الكبير في مقابلة بضعة من الدراهم والدنانير · ولا تعود ترى اثرًا لعداوة الصناعة التي تجعلها تدوس المبادىء وتغض من كرامة رصيفاتها لتجر بذلك مغنماً لذاتها · فالاخلاق الاخلاق : هذه هي حاجتنا الكبرى

«ومتى ترأست الاخلاق الصحافة في الشرق اطلقت فيها الحرية للنقد الصحيح اذ يكون الغرض منها اعلاء شأن الشيء الحسن المفيد واسقاط شأن الشيء الرديء · وحينئذ يوضع كل شيء في موضعه فيقبل القراء على الحسن ويتركون الرديء الضعيف طبقاً لناموس الارتقاء · وليس يُخشى على هذا الناموس ان يبطل فيما يختص بالصحافة الشرقية لان النواميس الطبيعية لا يقف شيء في طريقها · وانما يُخشى ان تعيقه حالة الصحافة الحاضرة مدة من الزمان · اما اذا نزهت الاخلاق هذه الصحافة واعطت كل شيء حقه بقسط وعدل فان هذا الناموس يجري في مجراه ويصل الى غرضه في وقت قريب»

هذا ما اضطرنا الى الاكتفاء بنشره لضيق المقام · ونحن ناسف لاننا لم ننشر اقوال رصيفاتنا التي شاركتنا على صفحاتها في هذا البحث · وبما اننا قد اقفلنا هذا الباب في هذا الجزء فسننشر في الجزء التالي المواد التي يجب استخراجها من اقوال حضرات المراسلين كما ذكرنا في ما تقدم

والذي سرنا في هذا الموضوع ايضاً وقوفنا على آراء حضرات القراء في مجلتهم . وقد استفدنا شيئاً كثيرًا من نصائحهم بشانها كما انه قد سرنا رضاهم عن خطتها وقدرهم التعب الذي نبذله فيها حق قدره · وفقنا الله واياهم الى ما فيه النفع العام وهو حسبنا ونعم الوكيل



عود الى ابن رشد

لما هممنا بكتابة ترجمة فيلسوف الاسلام ابي الوليد ابن رشد المنشورة في صدر هذا الجزء اخذنا في مطالعة بعض كتبه وما كتبه العرب والافرنج عنه · وبما ان الفيلسوف رنان قد الف كتاباً ضخماً (١) عن ابن رشد وتاريخه ومبادئه فقد بعثنا نطلب هذا الكتاب لنستعين به ايضاً · فلما وردنا هذا الكتاب ظهر لنا من مطالعته انه جدير بالنقل والتلخيص لاشتماله على تاريخ الفلسفة في ذلك الزمن وتاريخ انتقال صولجان المجد والعلم والمدنية من عرب الاندلس الى الاوربيين وهو الحادث العظيم في التاريخ الانساني· ولذلك عزمنا على تلخيصه في الجامعة ايضاً · ولا ريب عندنا ان القراء يجدون في هذه الخلاصة من الاقوال الفلسفية الرنانية والاستنتاجات المفيدة والتصورات الغزليـة الجميلة ما تعودوه في اقوال رنان

ولقد نشر رنان في ذيل كتابه هذا صفحات باللغة العربية لعدة من مؤلفي الاندلس الذين ذكروا ترجمة ابن رشد كابن العبـار والانصاري وابن ابي اصيبعة والذهبي · وقد راينا ان نلخص شيئاً من هذه الاقوال لانها لم ترد في الترجمة التي نشرناها في صدر هذا الجزء فضلاً عن انها منقولة عن كتب محفوظة في مكاتب اوربا الكبرى التي اخذها رنان منها

(١) عدد صفحاته ٤٨٦ صفحة بحجم الجامعة

شهادة ابن العبار

قال ابن العبار كانت الدراية في ابن رشد اغلب عليه من الرواية ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً . وقد عُني بالعلم من صغره الى كبره حتى حكي عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه وليلة عرسه . وقد سوّد في ما صنف وقيّد والف وهذب واختصر نحواً من عشرة الاف ورقة . وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه . وقد حكى عنه ابو القاسم بن الطيلسان انه كان يحفظ شعريْ حبيب والمتنبي ويكثر التمثل بهما في مجلسه

شهادة الانصاري . والمنشور الذي نشره الخليفة بتحريم فلسفة ابن رشد

اما ما نقله رنان عن الانصاري ففيه منشور في غاية الاهمية وقد وجه اليه رنان في مقدمة الكتاب نظر المستشرقين . وهذا المنشور هو نسخة الرسالة التي نشرها المنصور في الاندلس ومراكش يحذر الناس فيها من مبادىء ابن رشد وتلامذته . وقد كتب هذا المنشور كاتب المنصور ابو عبدالله بن عياش . ومما جاء فيه قوله « لما اراد الله فضيحة عمايتهم . وكشف غوايتهم . وُقف لبعضهم على كتبٍ مسطورة في الضلال . موجبة اخذ كتاب صاحبها بالشمال . ظاهرها موشح بكتاب الله . وباطنها مصرح بالاعراض عن الله . لُبس منها الايمان بالظلم . وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم . مزلة للاقدام . وهمٌ يدب في باطن الاسلام » وايضاً « فانهم يوافقون الامة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم . ويخالفونها بباطنهم وغيهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين . ونكتة سوداء في صفحة النور المبين . نبذناهم في الله نبذ النواة . واقصيناهم كما يُقصى السفهاء من الغواة » وايضاً « فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان . حذركم من السموم السارية في الابدان . ومن عُثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يُعذب اربابه . واليها يكون مآل موءلفه وقارئه ومآبه . والله تعالى يُطهر من دنس الملحدين اجتماعكم . ويكتب في صحائف الابرار تضافركم على الحق واجتماعكم انه منعم كريم » اه

وقد اشار الانصاري الى محاكمة ابن رشد لدى علماء قرطبة في جامعها الكبير فقال « وقد قُرئت (فلسفة ابن رشد) بالمجلس وتدولت (١) اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها

---

(١) ان رنان يصحح هذه الكلمة في حاشية الكتاب فيجعلها « تداولت » والصحيح « تُدولت » بناء على المجهول لانها معطوفة على « قُرئت » على انه صحح في الاصل العربي في مواضع اخرى عدة اغلاط ناشئة عن خطاء في النسخ فكان مصيباً في تصحيحه كل الاصابة

فخرجت بما دلت عليه اسواء مخرج وربما ذيلها « مكر الطالبين » فلم يمكن عند اجتماع الملاء الا المدافعة عن شريعة الاسلام » وعند الاجتماع تكلم القاضي ابو عبد الله بن مروان فكانه رام تخفيف التهمة فقال ما معناه « ان الاشياء لا بدّ في كثير منها ان تكون له جهة نافعة وجهة ضارة كالنار وغيرها فمتى غلب النافع على الضار عُمل بحسبه ومتى كان الامر بالضد فالبضد . فابتدر الكلام الخطيب ابو علي بن حجاج وعرّف الناس بما « أُمر به » من انهم مرقوا من الدين » ثم امر ابو الوليد بسكنى اليسانه (ليسنه) وكان اكثر اهلها من اليهود . وقد قال الانصاري انه أمر بسكناها « لقول من قال انه يُنسب في بني اسرائيل . وانه لا يعرف له نسبة في قبائل الاندلس »

وروى الانصاري ان من اسباب نكبة ابن رشد « اختصاصه بابي يحيي اخي المنصور والي قرطبة » ومنها ايضاً انه كتب في كتاب الحيوان « ورايت الزرافة عند ملك البربر » يعني الخليفة المنصور ملك العرب لان اليونان كانوا يلقبون العرب كذلك . فلما بلغ المنصور هذا القول من حساد ابن رشد ساله عنه فاجابه انني كتبت « ملك البرين » فقرأوا ملك البربر . فاسرها المنصور في نفسه

ومن ذلك ما حدث به الشيخ ابو الحسن الرعيني عن شيخه ابي محمد عبد الكبير . قال عن اتهام الناس ابن رشد بالالحاد « ان هذا الذي يُنسب اليه ما كان يظهر عليه . ولقد كنت اراه يخرج الى الصلوة واثر ماء الوضوء على قدميه وما كدت آخذ عليه فلتة الا واحدة وهي عظمى الفلتات » وبيان هذه الفلتة انه شاع في المشرق والاندلس ان ريحاً عاتية تهب في يوم كذا وكذا فتهلك الناس . وقد طبق هذا الحديث البلاد فجمع والي قرطبة طلبتها وعلماءها وفيهم ابن رشد وهو القاضي بقرطبة يومئذ ليسالهم عن ذلك . ولما انصرف الطلبة تكلم ابن رشد وابن بندود في شان هذه الريح من جهة الطبيعة قال الانصاري . « فقال ابو محمد الكبير : ان صحّ امر هذه الريح فهي ثانية الريح التي اهلك الله تعالى بها قوم عاد اذ لم تُعلم ريح بعدُ يعم هلاكها . فانبرى (١) ابن رشد ولم يتمالك ان قال : والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم . فسقط في ايدي الحاضرين واكبروا هذه الزلة التي لا تصدر الا عن صريح الكفر والتكذيب لما جاءت به آيات القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »

---

(١) في الاصل « فانبدى » ولعل رنان لم ينتبه اليها او انها خطاء مطبعي

وقد نقل الانصاري ابياتاً كثيرة في ذم ابن رشد منها قول الحاج ابي الحسين بن جبير

الآن قد ايقن ابن رشد ان تواليفه توالف
ياظالماً نفسه تامل هل تجد اليوم من توالف

وله ايضاً

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك

شهادة ابن ابي اصيبعة

اما ابن ابي اصيبعه فانه يقول عنه انه اوحد في علم الفقه والخلاف . وانه كان ذكياً رث البزة قوي النفس . وانه « متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه او بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي ؟ » وكان الخليفة المنصور يستاء من ذلك في سره . وقد قال ابن ابي اصيبعة ايضاً « وخلف (ابن رشد) ولداً طبيباً عالماً بالصناعة يقال له ابو محمد عبدالله وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور . ومن كلام ابي الوليد بن رشد : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله تعالى » ثم احصى مؤلفاته في صفحتين ونصف وقد اشرنا اليها

هذا ما راينا ضمه في هذا الفصل الى ترجمته في صدر الجزء لتتم الفائدة . وقد نشرناه هنا لان هذا الكتاب وردنا بعد طبع باب المشاهير



﴿ تقرير المتحف والمكتبة البلدية ﴾ وضع جناب الدكتور بوتي مدير المتحف في الثغر تقريراً عن المتحف والمكتبة البلدية في السنة الماضية ورفعه الى جناب رئيس لجنة المتحف والمكتبة . وقد اهدتنا اللجنة نسخة منه فاذا به يشتمل على ما جدّ في تلك السنة من نبش الآثار القديمة في كوم الشقافة وغيرها . ويؤخذ منه ان معدل الداخلين الى المكتبة البلدية ٢٨ شخصاً في كل يوم على اننا نرجح انه لو كانت المكتبة في مكان قرب المنشية لما نقص هذا المعدل عن مائة شخص في كل يوم . فعسى ان لا يبطئ المجلس البلدي في انشاء بنائه الجديد على الرصيف الشرقي لينقل المكتبة اليه وبذلك يحقق اماني محبي المطالعة في الثغر

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تأثير مدرسة سورية واحدة

لحضرة المدموازل روزا انطون

اطلب العذر من قارئات الجامعة في هذا الفصل فانني اريد ان اقوم بشيء من الواجبات التي عليَّ للمدرسة التي نشأت فيها وربيتُ بين تلميذاتها العزيزات وذلك بان اظهر للملاء فضلها وفضل حضرة الرئيسة الكريمة التي تتولاها منذ ٢٥ عاماً دون انقطاع وذلك بمناسبة الاحتفال السنوي الذي جرى فيها في الشهر الماضي

واكثر القارئات العزيزات يعرفن انني اعني بهذه المدرسة مدرسة البنات الاميركية الكبيرة في طرابلس الشام وهي التي تديرها حضرة الرئيسة الفاضلة مس لاكرانج التي شهد فيها الاميركيون والسوريون انها من اللواتي صدق فيهنَّ شاعرنا العربي الذي قال

ولو كان النساء نظير هذي لفضلتِ النساء على الرجالِ

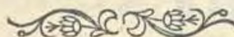
وانني اعتبر ان من كمال حظ العيال الطرابلسية في طرابلس ان يكون لديها مدرسة كهذه المدرسة تتولاها رئيسة كهذه الرئيسة . ذلك ان الامر المهم في المدارس ليس بناء جدرانها وحشد التلامذة والاساتذة فيها ولكن اقامة عقل سامٍ فيها سنوات متوالية يتولى في اثنائها ادارة كلياتها وجزئياتها بحكمة ومهارة تؤديان الى الغرض المقصود من انشاء المدرسة وهو حسن التربية اي بث الاخلاق الحسنة وحسن التعليم اي انارة العقل وتوسيع المدارك . وحسب الباحثين عن فوائد المدارس وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية ان ينظروا الى هذه المدرسة فقط . فانها اصبحت في طرابلس عبارة عن نقطة تدور حولها دائرة اكثر العيال الطرابلسية ولذلك ترى رئيستها الفاضلة اماً للصغيرات وصديقة للكبيرات

وترى محفلها ناديًا يتردد فيه احيانًا صدى الوعظ والارشاد واحيانًا صدى الخطب الادبية المفيدة التي يقوم بها نخبة من افاضل الفيحاء مرة بعد مرة · فلو كانت جميع الطوائف في سوريا وطننا المحبوب تبذل هذا الجهد في التربية والتعليم والارشاد والنهوض الى العمل المفيد لاصبحت سوريا في احسن حال في وقت قريب

ولقد عرف الاميركان فضل هذه المدرسة ورئيستها الكريمة ولذلك يحترمونها احترامهم لعاملة وقفت حياتها للخدمة العمومية · ولما سافرت منذ ثلاث سنوات الى اميركا احتفلوا باستقبالها هنالك احتفالاً عظيمًا · وليس الطرابلسيون والطرابلسيات باقل عرفانًا للجميل فانهم احتفلوا في الشتاء الماضي احتفالاً موَّثرًا بيوبيلها الفضي اي بانقضاء ٢٥ عامًا عليها وهي تتولى رئاسة المدرسة

وفي اوائل الشهر الماضي احتفلت حضرة الرئيسة بتوزيع الشهادات على التلميذات المنتهيات في هذا العام · فكان احتفالاً بهيجًا وقد القت فيه المنتهيات خطبًا مفيدة · فخطبت حضرة المدموازل اسما زرعوني خطبة الترحيب ثم اردفتها بخطبة في « الفن المهمل » اي التربية · ثم تلتها حضرة المدموازل لورتا لاذقاني فالقت خطبة في « الآداب » وحضرة المدموازل فيكتوريا كاتسفليس فخطبت في « اليد الفاضلة » وحضرة المدموازل زكيه غراب في « التمدن الحقيقي » وحضرة المدموازل مرتا عطيه في « كتاب عجيب » وحضرة المدموازل اسما صيبعه في « ساحة الحرب » واردفت خطابها بالوداع · وبعد ذلك تلا جناب القس وليم ادي الخطاب العمومي في « اقتدار الشخص الواحد » ووزعت حضرة الرئيسة بيدها الكريمة الشهادات على المنتهيات صاحبات الخطب وخُتمت الحفلة بخطبة من جناب المعلم جرجس الخوري استاذ اللغة العربية في هذه المدرسة موضوعها « ارشاد المنتهيات »

فانا في هذا المقام اهنىء رفيقاتي المنتهيات العزيزات بقطعهن مراحل العلم والعمل وفوزهن بهذا الاكليل الادبي الذي ضُمَّ الى اكليلهن الطبيعي اعني اكليل الفضيلة والجمال والطهارة · واسال الله ان يكثر في سوريا وطني الاول ومصر وطني الثاني مدارس البنات النافعة القادرة ان تربي للمصريين والسوريين امهات وربات منازل لهن رائحة الورد ونشاط النحلة ووداعة الحمامة واخلاق رئيستي الفاضلة



باب التقريظ والانتقاد

الانصاف

﴿ في اسباب الاختلاف بين المسلمين ﴾

تاليف الامام ابي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

اختلف المسلمون والمسيحيون في تفسير الانجيل والقرآن اختلافاً جعلهم فرقاً فرقاً لان كل قارىء منهم يفسر الآيات كما يفهمها ويحضره تفسيرها. ولذلك مست الحاجة في بعض اجزاء المسيحية الى سلطة عليا تفسر تلك الآيات ويخضع الجميع لتفسيرها وذلك ما جرّ الى اثبات العصمة البابوية . وبناء عليه فمتى صدر من الفاتيكان تفسير فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ولم يعد يجوز لاحد الاعتراض على هذا التفسير . ولذلك قال المسيو ولدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية السابقة لاحد قسس البروتستنت في خطبة له في احدى سياحاته ان الجمهورية والمذهب البروتستنتي على اتفاق تام لانهما لا يرهبان تحكيم العقل ويطلقان الحرية للنقد في اهم الشؤون

اما المسلمون فانهم رغبة في الخلاص من تلك الاختلافات العديدة التي نشأت عن اختلافهم في التفسير والنقل طرقوا سبيلاً آخر غير اثبات العصمة لرئيسهم الاعلى وذلك لان مبدأ العصمة لا ينطبق على روح شريعتهم الشعبية التي من امثالها عندهم قولهم « العصمة لله وحده » . وهذا السبيل الذي طرقوه هو اقفال باب « الاجتهاد » وتحريمه . فكان المسيحيين فضلوا حل هذه المسالة حلاً ايجابياً والمسلمين فضلوا حلها حلاً سلبياً

وامامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير النفع عنوانه « الانصاف » وموضوعه البحث في ما نحن الآن في صدده اي « التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » وقد الف هذا الكتاب الامام ابو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيْد (١) البطليوسي النحوي الذي نشاء في بلنسية بالاندلس وتولى نشره حضرة احمد افندي عمر المحمصاني البيروتي الازهري

---

(١) سمى كورنيل المؤلف الفرنسوي المشهور ابلغ رواياته « السيد » لان بطلها

وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية ابواب بسط فيها المؤلف اسباب الاختلاف . واتماماً للفائدة نذكر هذه الابواب ونقتطف مثلاً من كل واحد منها

الباب الاول في الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التاويلات الكثيرة . مثال ذلك الحديث « قصوا الشارب واعفوا اللحى . قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون قصروا وانقصوا . وكلا القولين له شاهد في اللغة »

والباب الثاني في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز . مثال ذلك ما جاء في القرآن « يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم . ومعلوم ان الله تعالى لم ينزل من السماء ملابس تلبس وانما تاويله والله اعلم انه انزل المطر فنبت عنه النبات ثم رعته البهائم فصار صوفاً وشعرًا ووبرًا على ابدانها ونبت عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك اصناف الملابس فسمي المطر لباساً »

الباب الثالث في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب . مثال ذلك ما جاء في الحديث « السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه . فبنوا من هذا النوع من الآيات والاحاديث مقالة اصلوها على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة وصرحوا بان من اعتقد غير هذا فقد كفر » ولكن غيرهم تصفحوا القرآن فوجدوا فيه « لا يرضى لعباده الكفر » « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وفي ذلك من الدلائل على الاختيار ما فيه . وجاء في الحديث « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وفي ذلك اوضح دليل على اختيار الانسان وتاويل للقول الاول

الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص . مثال ذلك ما جاء في القرآن « ان تُبدوا ما في انفسكم او تُخفوه يحاسبكم به الله . قال قوم ان هذه الآية نزلت عموماً ثم خصصت بقوله صلى الله عليه وسلم : صُفح لامتي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به او تعمل »

الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل . قال الامام ابو محمد في

حارب العرب في الاندلس فهابوه ولقبوه بهذا اللقب . غير ان بعضهم ظن ان كلمة « السيد » مشتقة من السيادة والحقيقة ان المراد بها « الذئب » لان السِّيْد بكسر السين وسكون الياء من اسماء الذئب وكان عرب الاندلس يطلقون هذا الاسم على كل شجاع . وبه سمي جد مؤلف هذا الكتاب كما ترى

الصفحة ١١١ من هذا الكتاب « ومن ظريف الغلط الواقع ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمى السحاب فاجتاز علي رضى الله عنه متعمماً بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان معه : اما رأيتم علياً في السحاب · او نحو هذا من اللفظ · فسمعه بعض المتشيعين لعلي رضي الله عنه فظن انه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة ان علياً في السحاب الى يومنا هذا »

الباب السابع في الخلاف العارض من قبل النسخ كاختلافهم في هل يجوز ان تنسخ السنة القرآن ام لا وغير ذلك

الباب الثامن في الخلاف العارض من قبل الاباحة كاختلاف الناس في الآذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق ووجوه القرآآت السبع ونحو ذلك

هذه خلاصة هذا الكتاب المفيد فنثني على حضرة ناشره ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيره من الآثار الاندلسية القديمة

﴿ ريحانة النفوس ﴾

(في انتخاب العروس)

تاليف حضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة

لو اتبع كل كتاب الروايات الطريقة التي اتبعها حضرة الفاضل الدكتور امين افندي الخوري في روايته « ريحانة النفوس في انتخاب العروس » لما خلا كثير من الكتب من الفوائد الحقيقية التي لا ياسف الانسان على وقته اذا طالعها · ويسوءنا ان يكون المجال ضيقاً عن تلخيص هذه الرواية الادبية الطبية لاطلاع القراء على فوائدها · على اننا نكتفي الآن بان نقول انها رواية جديدة الاسلوب والموضوع تتضمن من الفوائد العيلية والعلمية والادبية ما لا يجده القارىء في رواية غيرها · منها في ختام الرواية مخاطباً الزوجة الشديدة الغيرة على زوجها لانها تراه في شغل عنها بسواها

« البسي ما كان محبوباً لديه وامنعي ما النفسُ منه تشمئز
اجمعي اولادهُ بين يديه واشغليه فيهم عمن يعز
لا تلحي بالسوءالات عليه واريه فيكِ نفس المستعز
وابعدي الغيرة مهما فتكت بالحشى فهي نذير الابؤس
وانفري منها اذا ما هجعت كالظبا من اسدٍ مفترسِ

انتِ بالحسني وباللين فقط قد تفوزين لدى ارجاعه
احذري ان تركبي متن الشطط ان دعت حالٌ الى اقناعه
وتأنيْ واعلمي ان الغلط يعتري الانسان في اسراعه
انما المرأة من قد ادركت قصدها تحت لواء الانس
لا مَن الغيرة فيها اشتعلت فاضاعت رشدها بالهوسِ

واما الزوج فانه يخاطبه بابيات منها

تَهْنا ويشقى عازب في زعمه بحلاوة هي لو يذوق مرائرُ
عاتب عروسك لا بحضرة تربها ان النساء على النساء ضرائر
هنَّ الاوانس ان نصحت بخفية واذا جهرت فانهن نوافر
وامنع بمنزلك الشراب واهله فاذا ابتليت به فانت الخاسر

والرواية كلها على هذا الاسلوب ٠ وقد يكون فيها اشياء نسائية خصوصية لا يُستحسن وجودها في كتاب يقع بين ايدي الجنسين ولكن يجوز للطبيب ما لا يجوز لسواه لان ذلك من شؤون وظيفته في المجتمع البشري

﴿ اسرار البلاغة ﴾

تاليف الامام عبد القاهر الجرجاني

اسرار البلاغة كتاب في علم البيان للامام عبد القاهر الجرجاني « اول من اسس من هذا الفن قواعده واوضح براهينه » كما قال السيد يحيي بن حمزه الحسيني صاحب كتاب الطراز في علوم حقائق الاعجاز ٠ وقد القى جناب العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية هذا الكتاب دروساً في الجامع الازهر ثم عني بتصحيحه ونشره مع حضرة رصيفنا وصديقنا الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامي ٠ وقد قدم حضرة الرصيف لهذا الكتاب مقدمة طويلة قال فيها ما نصه

« لما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي الفيت امام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (اسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار

فاخبرته بان في احد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الاديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فلبي الطلب . وعلمنا ان نسخة اخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعد طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رايناه يستحق التفسير واشرنا الى الخلاف بين النسختين فيما يحتمل صحة الاثنتين »

ومما لا يحتاج الى بيان ان طلبة البيان واساتذته لا يستغنون عن هذا الكتاب الثمين وهو يُطلب من جميع المكاتب ومن ادارة مجلة المنار في العاصمة

وقد نشر حضرة الرصيف الفاضل منشيء المنار في ذيل هذا الكتاب شهادات للعلماء والمجلات والجرائد اثباتاً لفضل المنار وفوائده منها قول لدولتلو مختار باشا الغازي وهذا نصه « ان المنار جريدة عارية عن الاعراض الشخصية و بريئة من الموضوعات الفاسدة وان العالم الاسلامي يفتخر بوجودها » فنحن ندعو لرصيفتنا المفيدة بكل توفيق ونهنئها بما نالته من الاقبال والنجاح

﴿ الدنيا في باريز . وقاموس الجغرافية القديمة ﴾

لمؤلفها جناب عزتلو احمد بك زكي

لما زار حضرة الكاتب العامل عزتلو احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار معرض باريز منذ عامين وضع كتاباً وصف فيه جزئيات هذا المعرض وكلياته وصفاً دقيقاً مقروناً برسوم عديدة وسماه « الدنيا في باريز » . وقد تم الآن جمع هذا الكتاب واهدانا حضرة مؤلفه الفاضل نسخة منه فنشكر له هديته وربما نقلنا عنه في فرصة اخرى ما فيه فائدة وفكاهة للقراء . وفي هذا المقام نثني على رصيفتنا طبيب العائلة اجمل ثناء لانه تولى نشر هذا الكتاب المفيد

وقد وصلتنا مع « الدنيا في باريز » نسخة اخرى من كتيب عنوانه قاموس الجغرافية القديمة وهو من تاليف جنابه ايضاً وقد طُبع منذ ثلاث سنوات . وقد قال المؤلف في مقدمته « اذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ما هو خليق به تشددت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع المفيد » اما موضوع هذا الكتيب

فهو ايراد « الاعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الاقدمين » مثال ذلك قوله في باب الهمزة « الاسكندرية . اكبر ثغور مصر وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتي وعند اليونان راكوتيس وعنهما رافودة في كتب العرب مثل المقريزي وغيره » وقوله في حرف الدال « دجلة . نهر مشهور باسيا ويسمى عند الاشور بين ايديجلات ومن الغريب انه لا يصح وضع ادات التعريف على اسمه العربي ولكنها واجبة حتماً في اسمه عند الافرنج (له تيكر) ويجوز في العربية تانيثه على اللفظ وتذكيره على نية المعنى »

ومن ذلك يظهر ان هذا الكتاب مفيد جداً ولكن لجماعة الكتاب والمترجمين دون سواهم فاذا نشر جناب زكي بك قاموسه الكامل الشامل الذي اشار اليه افادهم افادة يحتاجون اليها واراح نفسه مما يعانيه احياناً من اصلاح بعض اغلاط من هذا القبيل في منشورات يوزعها على الجرائد اليومية

﴿ كتاب حريق ميت غمر ﴾ زار حضرة رصيفنا عزتلو محمود بك حسيب صاحب « مجلة المجلات العربية » ميت غمر ووضع كتاباً في الحريق الهائل الذي حدث فيها وتبرع بثمن هذا الكتاب اعانة للمنكوبين فنحن نشكره على هذه الهمة والغيرة في جملة الشاكرين ونحث الادباء على ابتياع هذا الكتاب

﴿ التحفة العامية ﴾ هي كتاب حسن الطبع والتجليد لمؤلفه حضرة شكري افندي الخوري . وموضوعه رواية فكاهية مكتوبة باللغة العامية اللبنانية . ولكن من مزية هذا الكتاب انه ارانا للمرة الاولى وجوه رصفائنا الافاضل في البرازيل لانه تضمن شذرات عن جرائد البرازيل ورسوم اصحابها الذين لهم الفضل في نشر اللغة العربية في تلك الاقطار البعيدة فنشكر لصاحب الكتاب هديته

﴿ انتقام النساء ﴾ هي رواية ادبية لمؤلفها جناب رصيفنا عبده افندي بدران صاحب جريدة الصباح الغراء . وموضوع هذه الرواية بحث فلسفي في حالة التمدن الحالي وسيردفها مؤلفها برواية اخرى في حالة التمدن بعد الفي سنة . فنثني على اجتهاده وبراعته

﴿ مجلة الاحكام الشرعية ﴾ مجلة الاحكام الشرعية مجلة قضائية شرعية ادبية يحتاج اليها القضاة والمحامون في القطر وهي لمنشئها جناب الفاضل عزتلو حسن بك حماده المحامي في العاصمة وقيمة اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً في مصر و٢٠ فرنكاً في الخارج . فنحن نرحب بها وندعو لها بالنجاح

﴿ قانون جمعية الشبان السوريين ﴾ الف بعض الشبان السوريين في ريو دي جنيرو جمعية دعوها « جمعية الشبان السوريين » وغرضها « توحيد كلمة مشتركيها بما يأول لاعلاء شانهم ادبياً ومادياً » فنحن نرحب بهذه الجمعية ونثني على مؤلفيها واعضائها الافاضل ونتمنى ان يزول من اميركا دور النفور والانشقاق بين ابناء الوطن الواحد

﴿ جراب الكردي ﴾ جراب الكردي جريدة هزلية اسبوعية صدرت في نيويورك لصاحبها جناب انطون افندي انسطاسي زربق وقيمة اشتراكها ريالان ونصف فندعو لها بالنجاح

﴿ التيمس المصري ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية تصدر في العاصمة باللغة الانكليزية والعربية لمديرها ومحرر القسم العربي فيها حضرة سالم افندي سيدهم تادرس . فنرجو لها الثبات

﴿ كتاب للحساب ﴾ اهدى الينا حضرة عوض افندي خليل ناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق نسخة من الجزء الاول من كتابه في الحساب وهو يحتوي على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فنشكر له هديته

﴿ الدروس الابتدائية ﴾ وضع حضرة سيد افندي محمد مدير المدرسة التحضيرية في العاصمة كتيباً عنوانه « الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية » وهو يشتمل على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فنرجو ان ينتفع الطلبة بهذا الكتاب



آثار الشرق القديمة

مدرسة موسى عليه السلام

﴿ هيكل سيني ﴾

وصف التعليم في المدارس المصرية القديمة وعلاقتها بالهياكل وظهور الوحدانية بعد تعدد الآلهة

مما اشتهرت به مصر في الزمن القديم مدارسها التي كانت المدارس المنظمة الاولى التي نشرت في العالم نور المدنية والعلم . ولقد ورد ذكر هذه المدارس في رواية وردة التي وضعها الدكتور جورج ايبرس المستشرق الالماني الشهير ووعدنا القراء بتلخيصها في بعض الاجزاء السابقة . فانجازًا للوعد نذكر ما ورد في هذه القصة المفيدة عن مدرسة بيت سيتي التي يقول المؤلف ان موسى الكليم نبي بني اسرائيل قد ربي وتثقف فيها . وقد استخرج المؤلف هذه الفوائد من الآثار القديمة واوراق البردي

وكانت المدارس في ذلك الزمن مقرونة بالهياكل كما يقرنها المعاصرون اليوم بالكنائس والجوامع . وقد بدأ المؤلف قصته بوصف بيت سيتي (هيكل القرنة) لان اهم حوادث الرواية مبنية على رئيس الكهنة الذي يقيم في هذا الهيكل . وكان هذا الهيكل اعظم هياكل طيبة في زمن هذه القصة اي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقد شرع في بنائه رعمسيس الاول واتمه سيتي الاول فسمي باسمه

« وقد خصص الملك مرتبات وافرة من المال لهذا الهيكل والمدرسة الكبرى والمدارس العديدة الصغرى التابعة له وانصرفت العناية الى انشاء هذه المدارس على مثال مدارس هيلوبوليس (١) ومنفيس لمنافستها في ميادين العلوم والمعارف حتى تفوق طيبة التي جُعلت وقتئذ عاصمة مصر العليا (الصعيد) شأواً ومدائن مصر السفلى (الوجه البحري) التي كانت في ذلك العهد مركز دائرة العلوم ومنبعث انوار العرفان »

وكانت المدارس التابعة لبيت سيتي تمتاز « بوجود مدرسة عالية فيها يتلقى فيها نجباء

(١) عين شمس وهي قرب القاهرة

الطلاب علوم الدين والطب والحقوق والرياضة والفلك والنحو الخ على علماء تضلعوا في هذه الفنون » وكان عدد التلامذة في كل مدرسة مائة تلميذ « ولا يُقبل فيها غير ابناء الوطن الاحرار بلا فارق بين غني وفقير او عزيز وحقير على شرط ان يدفع اهلهم او اولياء امرهم مبلغاً محدوداً في مقابل ما يتناولونه من الغذاء . وكان التلامذة الداخلية من ابناء الاكابر والاعيان يقيمون في مكان مخصوص حيث يكونون تحت مراقبة الكهنة . وكان التلامذة يعاقبون بالضرب بالعصي حيث كانت هذه العقوبة شائعة في المدارس كما يدل عليه المثل السائر في ذلك العهد « ان آذان التلامذة في ظهورهم فهم لا يسمعون الا اذا ضُربوا »

« وكان يوجد عدا هذه المدارس مدارس الفنون والصنائع التي كان الطلاب يتلقون فيها ما يلزم من العلوم لتخريج مهندسي العمارات والنقاشين والمصورين . ونظام التعليم فيها هو بذاته في الاولى اي ان التلميذ يختار المعلم الذي يامل بالتلقي عنه الوصول الى ذروة التقدم والنجاح . وكان يبلغ عدد الاساتذة كلها ٨٠٠ استاذ تخرجوا باجمعهم من بيت سيتي وينقسمون الى خمس درجات ويرجعون في امورهم الى ثلاثة رؤساء يسمون (الانبياء) وكان اول هؤلاء الانبياء مرتبة وارقاهم درجة في العلوم والفنون رئيس كهنة بيت سيتي وكبير قسوسها »

اما بيت سيتي نفسه فقد كان بناء «وطيد الجدران يصل الانسان اليه من طريق قويم آخذ من ضفة النيل الى باب السور المحيط به . فاذا دخل من هذا الباب وجد نفسه في فناء واسع يحيط به من الجهات الاربع صفان متوازيان من الاعمدة الضخمة . وشاهد امامه حيال الباب الذي دخل منه باباً آخر صرف المهندسون حذقهم في تنسيقه وتنميقه . والى جانبه هرمان ناقصان قد زادا في جمال الهندام وبهجة المنظر . وهذا الباب يوصل الى فناء ثانٍ يشبه الاول في اتساعه وشكله لكنه لا يوجد به سوى صف واحد من الاعمدة في الجهة المقابلة للمدخل الذي اتينا على وصفه »

« وكان يوجد خلف بيت سيتي منازل كبيرة اشبه في شكلها بالمكعب مبنية بالطوب النيء المتخذ من طمي النيل ومطلية من الخارج بطبقة من الجير قد رسمت عليها الصور والنقوش الهيروغليفية . وتلك المنازل كانت معدة لاقامة الكهنة والعلماء المدرسين . وكان نظامها الهندسي من الداخل واحداً لاحتوائها على فناء تحيط به ممشاة طويلة من الخشب توصله الى حجرات الاساتذة وفي وسط الفناء نافورة ينبط منها الماء على الدوام في حوض تحيط به شجيرات الازهار وتنصرف منه المياه في مسارب متعددة حتى لا تبقي فيها آسنة .

اما الطلاب فكانوا يقيمون في الطبقة العليا من هذه المساكن ويتلقون الدروس في فناء غير هذا الذي وصفناه جالسين فوق حصيرة مبسوطة على الارض »

« وكان مسكن كبير الانبياء الثلاثة ورئيس كهنة بيت سيتي قائماً على مسافة مائة خطوة خلف هذا البيت تكتنفه من الجانبين اشجار ذات ظلال وكان يعرفه القصاد من بعيد بالاعلام الكثيرة التي تخفق فوق سطوحه وكان الانبياء لا يقصدونه الا لاداء الواجبات المفروضة عليهم نحو النبي الاكبر ثم ينصرفون الى طيبة الاحياء حيث يسكنون في منازل خاصة بهم مع عائلاتهم »

اما حجرة رئيس الكهنة في هذا الهيكل فاليك وصفها « كانت هذه الحجرة من اوسع حجرات الهيكل واحسنها شكلاً حيث كان نصفها الاسفل الى ما يوازي ارتفاع القامة مكسواً بمربعات من الخزف والباقي مزيناً بالصور والنقوش العجيبة وكان لا يوجد بها من المتاع سوى مائدة كبيرة وسرير للاضطجاع عليه متكأ من سن الفيل مصنوع على شكل الهلال وفروة فهد ومقعد صغير وكراسي عديدة وخزانة فيها اوان من معدن وقدور من صلصال واخرى تحتوي على قنينات وقوارير من زجاج وغير ذلك من العلب المختلفة الاشكال والاقدار وكثير من محار البحر . يضيء هذا كله ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الخروع تشبه الطيور في صورتها »

واما لباس رئيس الكهنة فاليك صفته « كان لباس الرئيس ثوباً من التيل ناصع البياض كثير الثنيات سابلاً الى كاحل القدم عليه وشاح ذو اهداب مسترسلة يحيط بخاصرته معقود من الامام في نقطة ينسدل منها طرفاه الى ما يوازي الركبتين وتتماسك اجزاء هذا الثوب الكهنوتي بحمائل من المقصب . وكان بعنقه عقد من اللؤلؤ والاحجار الكريمة على شكل قضيبين من سعف النخل متقاطعين من اسفل وبمعصميه دملجان عريضان من الذهب الابريز »

اما المعبد في هيكل سيتي فقد ورد وصفه في الاسطر التالية « وكان المدخل الاكبر للهيكل مفتح الابواب بحيث يرى الواقف امامه ما يليه من فناء المذبح المبلط بالمرمر الصقيل وحوله ثلاثة صفوف متوازية من الاعمدة الضخمة الراسخة على قواعدها المتينة فينبهر من تناسق النقوش التي غطيت بها الجدران والافاريز والاعمدة وتيجانها وما جمعت من جمال الهندام وحسن النظام ويرى في وسط ذلك الفناء مذبح القرابين وحوله المباخر المعدة لاحراق كرات الريفي (نوع من البخور) تسطع منها الروائح العطرة فتملأ رحب المكان



﴿ تماثيل بعض الفراعنة منقوشة على جدار في هيكل سيتي ﴾

وتستميل من يستنشقها الى سنة من النوم »

« وكان الاهالي يجهلون ما يقع بداخل الهيا كل من الرسوم الدينية لانها كانت محاطة باسوار عالية فيها ابواب لا تفتح الا للكهان ساعة خروجهم الى الخلوات جماعات متتابعات في وقت شروق الشمس وغروبها للتغني بالاناشيد الدينية تعظيماً وتبجيلاً للالهين هوروس وطوم (١) »

« وكان كثيرون من كهان بيت سيتي يزاولون حرفة الطب لانهم بعد اتمام الدراسة في هذا البيت واحرازهم رتبة الكاهن او درجة العالم كان من يريدون منهم النبوغ في علوم الطب يذهبون الى مدينة هليوبوليس (عين الشمس) حيث كانت توجد اقدم وا كبر مدرسة طبية في الديار المصرية » وبعد اتمامهم دروسهم في هذه المدرسة الكبرى يعودون الى طيبة ويقيمون فيها « تابعين لنظام الكهنوت بمعنى انه اذا مست الحاجة الى طبيب فلا يطلبه الراغبون من منزله بل من هيكل سيتي حيث يقابلون رئيس الاطباء ويخبرونه باسم المريض ويصفون له اعراض مرضه فيرشدهم الى الطبيب المنقطع لعلاجه »

ذلك ان كل واحد من الاطباء المصريين القدماء كان ينقطع الى فن واحد من فنون الطب كالجراحة مثلاً او امراض العيون او غير ذلك ليبرع فيه براعة تامة . « وكان الاطباء كالكهنة يعيشون من ايرادات الاملاك الموقوفة للهياكل والضرائب المفروضة برسمهم على الاهالي والنذور التي يقدمونها الى الآلهة ولذا كانوا لا يقبلون من احد جزاء (اي اجرة) مقابل علاجهم لمرضه لان المريض كان اذا شفي من الاسقام التي اصابته بعث بالنذور والهدايا الكثيرة الى الهيكل الذي ينتمي اليه الطبيب الذي نجح في معالجته . وكان من العقائد الراسخة في اذهان العامة وقتئذ ان الشفاء من المرض يتوقف على النذور والقرابين اكثر منه على مهارة الطبيب . ومن الحقائق المقررة في التاريخ ان قدماء المصريين بلغوا في المعارف الطبية شأواً بعيداً »

اما التلامذة في بيت سيتي فانهم بعد نيلهم « مرتبة عالم فقيه او كاتب نبيه لهم ان يتفرغوا للكسب بمعلوماتهم وكانت لهم في المدرسة دار للكتب عظيمة الاتساع بها الوف من

---

(١) يشبه قدماء المصريين حياة الانسان بالشمس في مسيرها فشروقها رمز الطفولية وتسمى فيه (هوروس) وبلوغها الاوج رمز الفتوة والشباب وتسمى عنده (را) وافولها رمز الشيخوخة والهرم وتسمى فيه طوم) (حاشية للمعرب)



﴿ احد جدران الهيكل الداخلية ﴾

المؤلفات النفيسة المكتوبة بخط اليد يرتبط بها معمل لصناعة ورق البردي (الذي كان يكتب عليه المصريون يومئذ) وكان البعض منهم تُناط به ادارة المدارس الملحقة بتلك المدرسة العليا »

وكل هذه القصة التاريخية الجميلة مبنية على المسالة الدينية · فان رئيس كهنة بيت سيتي الذي كان في قبضته السلطان الديني الاعلى كان شديد الحفظ للتقاليد الدينية حتى

انه اجترأ على طرد ابنة رعمسيس من هيكل سيتي لانها رامت الدخول اليه وهي نجسة . وما الذي كان سبباً في نجاستها ؟ السبب هو انها بينما كانت قرب طيبة تسوق خيلاً جاءتها من الشام واذ داست الخيل ابنة احد دافني الموتى . فذهبت ابنة فرعون الى كوخ هذه الفتاة لتفتقدها وتعزيها . فمنذ ذلك الحين اصبحت نجسة لمخالطتها دافني الموتى . ولما جاءت هيكل سيتي طردها رئيس الكهنة بقوله على لسان المؤلف « اعلمي يا بنت انات ان القصور الباذخة التي شادها والدك ونضد ابنيتها على اجمل هندام انما هي قائمة على اعناق افراد الامة المصرية فاذا فككتِ عقال التقاليد القديمة التي تربطُ هولاء الافراد فلا مناص من التخاذل والتدابر المفضيين بلا ريب الى تداعي تلك الجدران »

اما الشاعر بنطاءور تلميذ رئيس الكهنة فانه قال له « ان الاله (را) الذي يجوب السموات العلى في زورقه الذهبي يبعث اشعته الشمسية الى اكواخ الفقراء كما يبعثها الى قصور الفراعنة ودور الاغنياء بلا فارق ولا مميز فلماذا تكون بيوت هؤلاء مطهرة واكواخ اولئك مدنسة »

فاجاب رئيس الكهنة « الا تدري ان العلم يشبه النار . اذا وجدت بيد من يحسن تدبيرها والتصرف فيها نفعته واذا وجدت بيد طفل — والشعب يبقى دائماً في دور الطفولية — احدثت حريقاً يلتهم كل ما شُيد في الازمان الغابرة من جميل الآثار وحميد الفعال . وقد كانت جذوة النار التي اوردتُ لك ذكرها على سبيل المجاز موجودة بين جدران من النحاس يمرّ الشعب من جانبها بدون علم بها . أما اليوم فقد رايتُ ثلمة في هذه الجدران . ونحن نستنزل اللعنات على الكهان الذين يزيدون تلك الثلمة اتساعاً »

ولكن هذه الثلمة لم تلبث ان زادت اتساعاً لان العقل البشري كالبخار اذا ضغطته وزدتَ الضغط فجر الآلة وكسرها تكسيراً ولذلك لم يلبث ان قام من قدماء المصريين نشأة جديدة نبذت عبادة الآلهة المتعددة كالشمس والكلاب والسمك والقطط والعجول وعرفت الاله الواحد . وكان الشاعر بنطاءور الذي تقدم ذكره من تلك النشأة الجديدة . وفي ذلك يقول المؤلف قبل ختام القصة في فصل عنوانه « اين يجد المرء ربه » ما ملخصه

وقف بنطاءور بعد خلاصه من الاسر على هضبة ضيقة امام جبل سيناء قبل شروق الفجر فرای « بريق الكواكب الساطع يبهت شيئاً فشيئاً تلاشياً وتفانياً امام ضوء الفجر المنبلج »« وما زال الليل يولي الادبار حتى سطع النهار وارتسمت في العيون قمات تلك الجبال تتسحب فوقها السحب كدخان يتصاعد من بورة النار » « ولم يكن بها من دلائل الحياة

غير نسر كان يحلق بجانحيه العريضين حول بنطاءور وهو يتامل في عجائب الخليقة واسرار الكائنات من تلك القمة العالية » ثم « هب نسيم لطيف انقشع بسببه الضباب الذي كان كحجاب يحجب النظر عن رؤية الوادي وانبعثت اشعة الشمس من وراء الافق فكللت هام جبل سيناء بتاج من الذهب » فصاح حينئذ بنطاؤر : انت الواحد الاحد انت الواحد الاحد

ثم التفت فابصر وراءه شيخًا طويل اللحية جليل المنظر فقال له « لقد عرفتك فانت ميسو (١) وسبب معرفتي لك انني كنتُ طفلاً في (بيت سيتي) اتلقى المبادىء حينما تخرجت انت منه نابغًا في العلوم والمعارف . وقد اطلعني اميني (رئيس الكهنة في بيت سيتي) كما اطلعك على سر الاعتقاد بوجود اله واحد . فقال ميسو وقد نظر بعين التامل والاعجاب الى الافق الذي كان يزداد سطوعًا من جهة الشرق : اما اميني فلا يعرف من الاحدية شيئًا » وعند ذلك برزت الشمس من وراء حجاب الافق « فاول حركة بدرت من بنطاءور (بطل الرواية) (٢) ان استقبلها بوجهه وبدأ في الصلاة . فلما انتهى منها شاهد ميسو يصلي ايضًا غير انه كان مستقبلاً الغرب ومستدبرًا الشرق . فلما اتى على آخر صلاته ساله لمَ استدبرت وجه الشمس ونحن انما قد تعلمنا كلانا في المدرسة وجوب استقباله بمجرد اشراقه . فقال ميسو : اني اعبد الهًا غير ما تعبد . الشمس والكواكب مسخرات لامره . فقالِ بنطاءور ارشدني الى طريق هذا الاله القادر . فقال ميسو : ابحث عنه تجده لانك كابدتَ الآلام وقاسيتَ مشاق المتربة . واعلم انه تجلى لي في مكان مثل هذا وفي صبيحة يوم كهذه — قال هذا وذهب في سبيله »



---

(١) ميسو هو موسى باللغة المصرية القديمة . وحوادث هذه القصة حدثت في عهد رعمسيس الثاني الملقب بالكبير (سيزوستريس) وكان موسى معاصرًا له فيما يقال وفي عهد خلفه خرج الاسرائيليون من مصر على ما هو مشهور

(٢) كان الشاعر بنطاءور من شعراء الملك رعمسيس حقيقةً وقد نشرنا كتابًا بشانه في الجزء الاول من السنة الثالثة الصفحة ٥٥

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴿ شراب لذيذ مقوٍ لضعفاء الاجسام ﴾

ضع في اناء ٣٠٠ غرام من مح البيض (صفاره) و٦٠ غراماً من الماء ثم امزجها معاً مزجاً شديداً وبعد ذلك اضف اليها ٣٠٠ غرام من الغليسرين و١٠ غرامات من ماء لوريه سريز و١٨٠ غراماً من السكر و١٢ غراماً من كلورير الصوديوم وامزج هذه المواد كلها مزجاً جيداً بغير نار فيكون لك منها شراب لذيذ مقوٍ للناقهين وللمصابين بفقر الدم والضعف العصبي والسل وتكون كل ملعقة منه بقدر ملاعق الطعام الاعتيادية مشتملة على ٥٥ في المائة من الليسيتين الذي لا تخفى فائدته في مداواة الامراض التي تقدم ذكرها

﴿ القهوة وطعمها ﴾

اذا صنعت ربة البيت القهوة من ماء غير مقطر وصنعتها من ماء مقطر كانت القهوة المصنوعة من ماء مقطر الذّ طعماً واذكى نكهة لان الكربونات الترابية التي تكون في الماء قبل التقطير تضعف نكهة القهوة . وكذلك الحال في البيرة (الجعة) ولذلك يقطرون الماء الذي يستعملونه لها

﴿ طريقة بسيطة لمداواة الصداع ﴾

كثيراً ما يتسلط الصداع على الانسان ولا يكون له من سبب غير رطوبة القدمين . فالطريقه لازالة الصداع في هذه الحالة وضع عدة ملاعق من مسحوق الخردل في الحذاء او في الجرابات « الكلسات » قبل لبسها في القدمين

﴿ حفظ الزبدة ﴾

ضعي الزبدة في اوعية ضيقة الفم لكي لا تكون كثيرة التعرض للهواء . وفي الصيف

ضعي وعاء الزبدة في ماء بئر بارد لكي لا تسيل . ولا تضعي الزبدة بجانب مواد رائحتها غير طيبة لان الزبدة سريعة الامتصاص للروائح التي تعرض لها

﴿ طريقة بسيطة لتسكين غيظ ابنة صغيرة ﴾

اذا اغتاظت فتاة صغيرة ولم تعد تترك البكاء فلاسكاتها طريقة بسيطة وهي ان تلبسها امها اجمل حلة عندها فتنبسط نفسها من تاثير حلتها (فسطانها) وتترك البكاء . وربما كانت هذه الطريقة غير مختصة بالصغيرات فقط ...

﴿ تعطير ورق المراسلات ﴾

لذلك عدة طرق . منها وضع الورق في خزائن السيدات بازاء علبهن الجميلة فيتعطر من رائحتها . ومنها رش ورق "النشاش" بشيء من الطيوب ومتى وُضع على الورق اعاره شيئاً من ريحه الطيب

﴿ البيض وفساد طعمه ﴾

ثبت ان الدجاج التي لا تتغذى الا من اللحم يكون بيضها كبيراً ولكنه ذو طعم رديء . واما حفظ البيض فطريقته غمسه في محلول الكلس "الجير" الا ان الجير قد ينفذ الى داخل البيضة ويفسد طعمها فحذراً من ذلك امزجه بملح الطعام على نسبة ٦ اجزاء منه في مائة جزء من الجير

﴿ طريقة فعالة لشفاء الحرق ﴾

اذا احترقت يدك فضع على موضع الحرق خرقة مبلولة بالمزيج التالي : عشرة غرامات من حامض البيكريك في الف غرام من الماء . فيخف الالم في الحال وبعد ذلك يشفى الجرح دون ان ينتفخ . وقد تنجح في ذلك كلورات البوتاسا ايضاً ولكن حامض البيكريك اشد فعلاً . واذا اصفر موضع الحرق من هذا الحامض فازل اصفراره بكربونات الليتين . وهذا الدواء فعال ولا مثيل لتاثيره كما قال الطبيب الذي جربه

عقد الصلح

الانسانية تكلل البوير في شخص الجنرال دلاري



احسن رسم مثلت به جرائد العالم عقد الصلح بين الانكليز والبوير الرسم الذي طبعنا في هذا الفصل . ففيه الترنسفال ممثلة في شخص الجنرال ديلاري الذي اظهر في آخر الحرب دهاء غريباً . والانسانية ممثلة في شخص عذراء وهي تمدّ يدها لتكلل تلك الامة الصغيرة الباسلة جزاء لما على ما ظهر منها من البسالة في الدفاع عن وطنها وعن حريتها حتى انها تكاد تكون الغالبة في نظر الناس مع انها مغلوبة

اما شروط عقد الصلح فخلاصتها ان الحكومة الانكليزية تدفع للبوير ثلاثة ملايين جنيه لاعادة بناء مزارعهم وتعدهم بانشاء حكومة نيابية لهم يحكمون بها انفسهم تحت سلطة جلالة الملك ادوارد السابع ملكهم . والعفو عن جميع الذين اشتركوا في هذه الحرب من الاورانجيين والترانسفاليين اذا رضوا بشروط الصلح والاذن لهم بالعودة الى بلادهم . واما الهولانديون من رعايا الكاب والناتال الذين شاركوا البوير في الحرب وحملوا السلاح ضد حكومتهم (الحكومة الانكليزية) فانهم يُحاكمون متى سلّموا ولكن لا يُحكم عليهم

بالاعدام بل بالتجريد من حقوقهم المدنية فقط واذا لم يسلموا يحاكمون كخائنين للمملكة

ولقد عمَّ الفرح انكلترا والعالم اجمع لهذا الصلح الشريف للفريقين . وبلغ عدد المسلّمين من البوير ١٨ الفاً . وبدأت روابط الوداد بينهم وبين الانكليز كما اشارت الى ذلك التلغرافات العمومية

فنحن نحمد الله تعالى لحقن الدماء في جنوبي افريقيا . ويحق لكل عاقل الثناء على جلالة الملك ادوارد السابع لان عقد الصلح يُنسب اليه وذلك لرغبته في ان لا يُسفك دم في يوم تتويجه الذي أُجل الى فرصة اخرى لما المَّ به من المرض . شفاه الله تعالى

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يقرأها احد غير القارئات ﴾

صورة كليمة وصورة سليمة . الجمال لا ينفع كثيرًا ولا يدوم طويلاً . اقمار الارض وقمر السماء في ليلة فوق حديقة . مثال للكمال والجمال غير كامل . تحت جوزة في حصرون . النشاط اللبناني والحكمة في فم طفلة لبنانية . العمدة في الحياة الاستعداد لواجبات الحياة

عزيزتي وتلميذتي كليمة

كتب اليَّ حضرة والدكِ العزيز يستشيرني في امر مختص بكِ وبمستقبلك وبعث اليَّ في ضمن كتابه بصورة الكتابين اللذين دارا بينك وبين صديقتك سليمه في مصر . وقد سالني ان لا اخبركِ شيئًا عن هذين الكتابين لانه اخذهما من خزانتك على غير علم منكِ . اما انا فقد رايتُ من واجباتي كمعلمتك ورئيستك ان اكتب اليك بهذا الشان

ما هذه الافكار السوداء يا كليمه ولماذا هذا الضجر من الحيـاة . اعلمي ان ضجرك هذا شبيه بجبانة الجندي في ساحة القتال . ذلك ايتها العزيزة ان كل انسان في هذه الحياة كجندي مرسل للقيام بواجباته فيها . فالضعفاء والجبناء يتافقون ويشكون من مصاعب الحياة ومن سآمتها والاقوياء الشجعان يشكرون الله عليها كيفما كانت ويبذلون جهدهم لاتمام الواجبات التي عليهم فيها سواء كانت صغيرة او كبيرة صعبة او سهلة . وكل الناس متساوون في ذلك : الكبير والصغير

ولقد رايت في كتابك وكتاب المدموازل سليمه صورتين متباينتين للبنات . الواحدة

موجودة في كل مكان · وهي صورتها · والثانية غير موجودة على ما اظن الا في نفسك ياعزيزتي · وهي صورتك · ولا أكتمك انني افضل صورتك على صورة سليمه لانها اقرب الى الواجبات وحقيقة الحياة

فالمدموازل رفيقتكِ مصابة بالداء الذي قلما تسلم منه فتاة في هذا الزمان وهو داء التزويق والتمييق · ولذلك لا ترى في الحياة موجباً للشكوى ما دام فيها انسجة جميلة وخياطات ماهرات وقبعات فاخرة ومنتزهات وشوارع تزينها السيدات بحضورهن الكريم · فانا اشفق على الفتاة التي تكون كهذه الفتاة · اشفق عليها لا لانها رديئة بالطبع معاذ الله فانني اعتقد انه لا يمكن ان يكون بيننا نحن الجنس اللطيف واحدة رديئة بالطبع غير ميالة الا للفخفخة والشنشنة · وانما اشفق عليها لانها تائهة عن الطريق القويمة · نعم ان الجمال نعمة في النساء وهو هو الذي ينشر السناء والبهاء في الارض حوله كما تنشر الشمس ضياءها وحرارتها المنعشة · ولكن الجمال ليس كل شيء في هذه الحياة ياعزيزتي بل هنالك معيشة مملوءة بالمصاعب يجب الاستعداد لها · الجمال كزهرة موضوعة على المائدة يشمها الانسان حيناً بعد حين ويعجب برواءها وشكلها · ولكن هل رايتِ احداً يشم الازهار دائماً · فلتدع رفيقتكِ هذه الاوهام الصبيانية ولتعلم ان جمالها لا يفيدها كثيراً في هذه الدنيا · بل ان الجمال كثيراً ما كان مضراً · وقد قصدت هنا بالجمال الجمال الذي يعنيه الناس في هذا الزمان اي جمال الوجه والقامة والملابس والتزويق والتمييق · ولم اقصد به الجمال الحقيقي الذي يدوم في السيدات ولا يزيده مرور الوقت عليه الا حسناً ورواءً واعني به جمال النفس فانني اذا تكلمت عن هذا الجمال لم اجد احداً يفهم كلامي

آه يا عزيزتي · كنتُ بالامس في سهرة جمعتْ عدةً من السيدات · وكنا في قاعة جميلة مطلة على حديقة تتلاعب فيها الاغصان على خرير الماء بين ايدي النسيم البليل والقمر يطلع تماماً من وراء الجبال في خلال الاشجار على وجوه الحسان الواقفات في النوافذ وهنَّ يضحكن له او منه كأنهن ذكرن بيت الشاعر العربي « وجه المليح يطلُّ من شباك » ولعل سبب ضحكهن افتكارهن بان ذلك الشاعر لو وقف متاملاً في ذلك القمر السماوي والاقمار الارضية التي كانت امامه لاحتار على اي منها يطلق بيته وفي ايها يقول شعره · وكنتُ في هذا الاسبوع قد فارقت شقيقة بعد شقيقة فكانت نفسي منجذبة بالاكثر الى اقمار الارض فاخذتُ أتامل فيها في هدوء ذلك الليل على نور شقيقها السماوي · وكانت اشعة هذا الشقيق البعيد تقع على حللهن الجميلة اللامعة وحلاهنَّ الثمينة فتتكسرُ عليها تكسراً يبهر النظر · ولكن اجمل

ما كان في ذلك التكسر تكسر تلك الامواج النورية على مباسمهن الوردية · فكان يخيل لي حين رؤية تلك الافواه العنابية الصغيرة تنفتح قليلاً لاستنشاق نسيم الليل البليل او للابتسام لتلك الطبيعة الهادئة الصافية في تلك الساعة ان السماء والارض كلها تنظر في ذلك الحين لتلك البسمات السماوية وان القمر اكمد لونه خجلاً منها وتستر بسحابة رقيقة ليخفي خجله · على انني لا اعلم اذا كانت السحابة هي التي سترته او هو الذي استتر بها ولكن اذا كانت هي التي سترته فان ذلك منها بمثابة تهكم جارح كانها تقول له بذلك : « استتر ففي ارضنا اقمار اجمل منك » وما ذلك الا لان هذه السحابة المتهكمة رامت الانتقام من نوره لانه كان كلما داعبها في اعالي الجو يعيرها دائماً بقوله انه سماوي وانها ارضية · ذلك لانها ماخوذة من ماء الارض · فلما خطر لي هذا التصور قلت ان الحق في جانب السحابة · والتفتُّ لتاكيد رايي فابصرت واحدة من الحسان تشير بفتور وتكاسل الى نجم ساطع في السماء كانها تشير الى ماسة في شعرها · وواحدة تقول وهي باسمة : لقد حرد القمر منا · واخرى تشير الى الحديقة وتقول : ما اطيب النوم على بساط في وسطها في هذه الساعة · واخرى تفرك عينيها الدعجاوين الفاترتين وتقول انظروا ان كل هذا العالم يضيء لنا · فتمثل لي حينئذ ان اولئك الحسان الواقفات بازاء الطبيعة تلك الوقفة هنَّ ملكات الطبيعة وسيداتها · وان كل ما في الطبيعة من جمال وحسن وجلال لم يُخلق الا لهنَّ ولم يشتق الا منهن · وحينئذ ظهر لي انهنَّ مثال الجمال والكمال في هذا العالم

وفي الحقيقة انهن كن كذلك · ولكن وا اسفاه في الظاهر فقط · ذلك ان هولاء الملكات اهملن المملكة الحقيقية التي هي النفس وصرفن اهتمامهن الى المملكة الوهمية التي هي الجسد · فكل زينة للجسد وكل حلة للجسد وكل جوهرة للجسد · واما النفس فلا زينة ولا جوهرة ولا حلة لها · ولذلك كان جمالهن وا اسفاه ناقصاً · ومن سوء الحظ انه ناقص افضل قسميه واحسن جزئيه · فليت السيدات يهتممن بتزيين النفس نصف اهتمامهن بتزيين الجسد

ومثلكِ ياعزيزتي لا يُشرح لها ما هي النفس وما معنى زينتها · فانك تعلمين ذلك بل تشعرين به « في نفسك » ولكن لا باس بان اذكر لك قصة صغيرة في هذا الموضوع لانني احب اطلاعك عليها · فانني في العام الماضي كنتُ في الحدث فرمت السفر الى الارز للاقامة بضعة ايام في ذلك المكان البديع فلما وصلت في سفري الى حصرون استوقفت المكاري ورفيقاتي وجلسنا نستريح هنيهة تحت ظل جوزة مشرفة على الاماكن التي كانت

حولنا . وكانت امامنا اهدن يغطيها ضبابها الاعتيادي وعن شمالنا الحدث على رابية عالية وعن يميننا سور الجبال الشامخة الذي يكتنف الارز على شكل نصف دائرة تقريباً وتحت اقدامنا نهر ابي علي يجري في وادٍ عميق بهدير يحكي هدير بحر عظيم . وبينما نحن نمتع النظر بهذه المشاهد التي يحسدنا عليها سكان سويسرة انفسهم واذا بابنتين صغيرتين وفتى صغير مروا بنا وفي ايديهم كتب صغيرة . وكان الفتى يسير بين الابنتين وقامته اكثر قصراً منهما فذكرت قصة « لنا » المشهورة . ثم احببت ممازحة هذه المخلوقات الطاهرة الجميلة التي لم تعرف بعد شيئاً من متاعب الحياة وشرورها فاستوقفتهم وسالتهم الى اين انتم ذاهبون . فاجاب الفتى وهو اجرأهم بالطبع « الى المدرسة » فنظرت في وجهه وفي وجه رفيقتيه وكان عمر اكبرهم لا يتجاوز عشر سنوات فرأيتُ في جباههم العالية وخدودهم المورّدة واعضائهم المفتولة دلائل الانفة والنشاط والصحة اللبنانية . وكان بينهم ابنة شقراء اللون حمراء الخد الى درجة لو طلت بناتنا ونساؤُنا وجناتهن بالدم لما جاءت حمرتهن الصناعية مشبهة لحمرتها الطبيعية . فقلت في نفسي تبارك الخالق العظيم وانشدت مع الشاعر : « وفي البداوة حسن غير مجلوب » وخطر لي حينئذ ما قيل من ان الهواء الذي يربي اجساماً كتلك الاجسام لا يبعد ان ينشيء امة كبيرة اذا اهتم بها حكامها ورؤساؤها الاهتمام الواجب وساعدتها الاحوال

ثم انني التفت الى الفتى وسالته : ما في يدك . فاجاب كتاب ديني . قلت هل تتعلم التعليم المسيحي . قال نعم . فسالته وانا اضحك من سؤالي كم شيئاً في الانسان . فبدت حينئذ الدهشة في وجهه والتفت الى رفيقتيه . اما رفيقاتي فاخذن يضحكن من هيئته « المسخنة » فالتفتُ الى الابنة التي كانت تظهر لي اكثر نباهة وسالتها اتعرفين انتِ كم شيئاً في الانسان . فاجابت نعم : فيه شيئان نفس وجسد . فبلغت مني حينئذ الدهشة مبلغها . فسالتها واين النفس واين الجسد . فاجابت اما الجسد فهذا واشارت الى ذراعها وصدرها واما النفس ففي داخله . فقلت لها ودهشتي زائدة : هل لديكِ علامة تعرفين بها الاشياء التي تخص النفس والاشياء التي تخص الجسد . فاجابت ضاحكة : نعم . فانني اذا عملتُ شيئاً وسررتُ به لذاتي فانه يكون تابعاً لجسدي واذا عملتُ شيئاً يسرُّ سواي وينفعه فانه يكون تابعاً لنفسي

فالتفت حينئذ الى ما حولي لارى اين انا ؟ اعلى جبل سيناء حيث نزلت الحكمة الاولى ام على جبل الزيتون حيث نزلت الحكمة الثانية . ذلك لان كلمة هذه الفتاة البسيطة

مشتقة من اسمى اصول الحكمة والفلسفة . غير انني لم اجد نفسي وا اسفاه الا تحت جوزة في اعالي لبنان . فاخذت الفتاة بين ذراعي واوسعتها تقبيلاً ولكني كنت متحققة انها حفظت تلك الالفاظ حفظاً كما تحفظها الببغاء من غير ان تعرف حقيقة معناها

وحقيقة معناها ان اعظم فضيلة من فضائل النفس وادل عاطفة عليها هي « الايثار » اي تفضيل الانسان غيره على نفسه من بعض الوجوه والرغبة في خدمته ونفعه . وهذه الفضيلة هي مقياس مدنية الشعوب والافراد على حد سواء . فالشعب المرتقي ارتقاء حقيقياً يكون الايثار عنده في اسمى مظاهره والفرد الكامل التهذيب والمدنية يُعرف من رغبته في خدمة غيره وحبه نفع بني جنسه . فاعظم صفة للانسان على هذه الارض ذكراً وانبى هي ان يخدم غيره ويعمل لنفعه واحط صفة له هو ان يقصر همه واهتمامه على نفسه . تاملي هل لولا انكار الام والاب ذاتهما لايثار ولدهما عليهما تقوم للعائلة قائمة . وهل لولا انكار الامة ذاتها وخضوعها لمبداء السلطة والهيئة الحاكمة التي تمثل هذا المبدأ يقوم للحكومة نظام او تنتظم فيها هيئة ممدنة . فالايثار الايثار هذا هو النظام الكامل الخاص بالانسان سيد المخلوقات

فانظري الآن ياحبيبتي الى هذه الفضيلة العليا وقابلي بينها وبين كتابك وكتاب رفيقتك . انكما كلتاكما لا تطلبان المعيشة بموجب هذين الكتابين الا لذاتكما . فانتِ تقولين في كتابكِ انكِ قد سئمت من الحياة لانك لا تجدين فيها شيئاً يسرك . كانك ما خُلقتِ الا للسرور فقط . وهي تقول ما احلى الحياة مع الانسجة الجميلة والحلى والحلل والقبعات والسهرات والمتنزهات . كأن المراة لم تخلق الا لتبقى العوبة بين ايدي الخياطات او فرجة لابناء السبيل . كلا ياعزيزتي كلا . المراة ليست فرجة ولا لعبة . المراة هي ذلك المخلوق المقدس الذي براه الله من الطف عنصر والقى على ظهره اثقل الاحمال ليكون فضله كاملاً . وهذه الاحمال هي تربية النسل في الفضيلة والشهامة والاقدام وتخفيف متاعب الزوج وتدبير المنزل بنشاط واقتصاد وجعله فردوساً ارضياً . وهذه الواجبات كلها لاتقوم بها المراة لولا انطباعها على فضيلة الايثار التي تقدم ذكرها . فقبل الزواج عليها الاستعداد لهذه الوظيفة السامية التي هي اسمى من وظائف الملوك لان الملوك يخرجون من تحت يدها وبعد الزواج عليها العمل بما تعلمته في زمان الاستعداد . والفتاة التي تهمل هذا الاستعداد وتقول : « اف لا ارى شيئاً يسرني في هذه الحياة » او التي تقول « الغرض من الحياة حسن الملابس وكثرة المسرات » انما هي فتاة جاهلة او مريضة . اذ كيفما التفت الانسان في

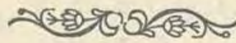
هذه الحياة المملوءة بالشرور والاحزان والمصاعب يجد ان المحتاجين والمحتاجات الى المساعدة والاعانة والتعزية والتسلية والارشاد والهداية اكثر من رمل البحر ونجوم السماء . واذا كانت سيدة الكون وحاملة لواء الفضيلة والخير فيه تهجر فضيلة الايثار فممن ننتظر العمل بها في هذا العالم . امن انانية الرجل وخشونته وحبه لذاته ؟

فتعلمي ياعزيزتي ان تكوني نافعة لغيرك : لاهلك اليوم ولقريبك وكل طالبي مساعدتك . وغداً لخطيبك وزوجك واولادك ومنزلك . ثم علمي ذلك رفيقتك وكل رفيقة لك . هذا هو سبيل السعادة والهناء في هذه الدنيا الفانية وراس الواجبات البشرية . وفي كل حديث وكل فكر وكل كتابة لك لا تنسي ان تضعي هذا المبدأ نصب عينيك : ان الانسان الذي لا يفتكر الا بنفسه ولا يبذل جهده لنفع بني جنسه انما هو اقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية

فاستحلفك بحياتك ياعزيزتي ان تُصدقيني : اما صرتِ بعد مطالعتكِ هذه الافكار تجدين للحياة غرضاً ولذة

اما استشارة حضرة ابيك اياي بشان جناب الشاب (كريم) فسا كلمك عنها في فرصة اخرى لاطلعك على ما ذكرته له عنه وعن رأيي بشان الزواج . ودمت لمعلمتك ورئيستك

« ألما »



المرحوم تقلا باشا

قال المسيو دي هريديا الشاعر الفرنسوي المشهور في ختام خطبته في الاكاذمية الفرنسوية في هذا الشهر جواباً عن خطبة المركيز دي فوكوه الارشيولوجي المستشرق الذي خلف الدوق دي بروِلي في كرسي الاكاذمية ما خلاصته : ان الانسان لا يرهب الموت اذا كان قد ملأ ايامه في حياته بالاعمال النافعة وقام بكل ما كان يجب عليه . وقد اخطر هذا القول في بالنا صدور كتاب عدد صفحاته ٤٦٣ صفحة مطبوع على ورق مشرق صقيل طبعاً في غاية النظافة والانقان وعنوانه « بشاره باشا تقلا » وفيه اقوال الجرائد التي ابنت هذا الفقيد الكريم ومراثي الشعراء ومختارات من كتابات الفقيد في جريدته الاهرام منذ خط اول حرف فيها الى ان اوقف الموت بنانه . وقد اهدى هذا الكتاب حضرة نجل الفقيد الى قراء الاهرام كتذكار لوالد تفتخر بمثله الابناء

ولقد تصفحنا هذا التذكار الثمين باسف لم تبرد حرقته بعدُ فراينا فيه صدق مقال المسيو دي هريديا . ذلك ان هذا الكتاب جامع لامرين . الاول اجماع الناس كبارهم وصغارهم على الحزن لوفاة الفقيد العزيز . والثاني مختارات من كتاباته تدل كل الدلالة على ما كان من اعماله في حياته . وان قصارى الانسان في هذه الحياة ان يعيش و يبني ما بناه المرحوم تقلا باشا

اما مختارات كتابات الفقيد فجدير بكل قارىء ان يطالعها بامعان . وهي تبدأ من عام ١٨٧٩ « واول مقالة نشرت للفقيد بتوقيعه مقالة عنوانها « وذكّر ان نفعت الذكرى » وقد جاء فيها « وليس بخفي ان نقطة الدائرة في كل امر هي ان يعرف الانسان ما يريد . وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعاً بين يدي الاتفاق » نقول وهذه العبارة وحدها هي خطة برأسها تدل على حكمة صاحبها وتدبيره وتفسّر سبب ارتقائه

وفي هذه المختارات شيء كثير عن حوادث السودان ومصر والدولة العثمانية قبل حوادث عرابي والاحتلال و بعدها . منها حديث للفقيد مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسوية في عام ١٨٨٤ . وقد سال جول فري في هذا الحديث اين هم رجال مصر القادرون على حكم مصر اذا خرج الانكليز منها . فاجابه الفقيد « ليس من عقلاء المصريين من يقبل وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكليز متداخلين في ادارات الاشغال »

ومنها حديث مع جناب اللورد سالسبوري في ١٩ يونيو من ذلك العام . وكان جناب اللورد يرئس يومئذ حزب المحافظين المعارضين لسياسة المستر غلادستون رئيس الوزراء . فساله اللورد في بدء الحديث اللنزهة حضرت الى انكلترا قال « لا بل للمحاماة عن حقوق وطني مصر » ثم يلي ذلك حديث طويل استمر ساعة ونصف ساعة . ولولا ضيق المقام لوصول الكتاب الى يدنا متاخرًا للخصنا منه شيئاً كثيرا لا يخلو ذكره من فائدة . فنحن نكرر طلب الرحمة للفقيد العزيز والعزاء لاسرته الكريمة ونردد فيه قول جناب رئيس تحرير الاهرام

وقضت مذ قضى بشارة آما ... لٌ كبارٌ حثت اليها الرغائب
كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً ... فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
فسلام على بشارة منا ... كلما خط في الصحيفة كاتب
ورعى الله نجله وحماه ... وحمىً فيه فضله والمراتب

الجامعة

﴿ الجزء التاسع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ — جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشروع جديد في اللغة العربية

﴿ يسرُّ قراءها ﴾

(اوَّله برناردين وكتابه الخالد)

سمع بعضهم في مجلس حضره الجنس اللطيف والجنس النشيط الحديث التالي

قال احد الحاضرين : هاتوا مائدة اللعب . يريد لعب الورق . فقال جليس آخر : لقد كرهتْ نفوسنا هذا اللعب الممقوت فهلا ارحتمونا منه . فبادرته احدى السيدات بقولها : ماذا نصنع اذا لم نلعب . هل نصرف وقتنا بالتثاؤب والنوم ام بالاغتياب والنميمة بالناس . فاجابها ذلك الجليس : اقرأي ايتها السيدة وطالعي . فقالت السيدة ضاحكة . ماذا تريد ان اطالع فانني لا اجد شيئاً يلذ لي

﴿ رأي ام ﴾ فقالت حينئذ ام فاضلة كانت تصغي بانتباه ودلائل الفضل والعقل على وجهها" لقد مسَّت حضرة المدام في قولها هذا مكاناً مؤلماً تجب مداواته . فانني قبل حضوري

من البيت الى هنا اردتُ اعطاء ابنتي كتاباً جديداً تطالعه في مدة غيابي لئلا تضجر من الانفراد فاقمت ساعة افتش في مكتبتي عن كتاب يسلّي العذراء ولا تضرها قراءته فلم اجد . فعدت واعطيتها كتاباً انكليزياً . ولا يجب الاستدلال بذلك على فراغ مكتبتي لانها تتضمن كثيرًا من الروايات والكتب القديمة والحديثة . ولكنني اخشى على آداب ابنتي وعلى اخلاقها من مطالعة الروايات التي يحشوها مترجموها بما يفسد الاخلاق والآداب . والكتب التي بين الايدي لا تلذ لها لانها قديمة . فمتى تبطل شكوى الامهات والعائلات من هذه المسالة »

﴿ رأي معلم ﴾ فاجاب معلّم كان في جملة الجالسين « اننا نشكو هذه الشكوى جميعاً ايتها السيدة . وكلنا في حاجة الى الكتب التي تشيرين اليها . فان تلامذتنا كثيرًا ما يسالوننا كتابةً وشفاهياً « ما هي الكتب التي تجب علينا مطالعتها ورسم مواضيعها في اذهاننا في اوقات الفراغ فاننا نسأم الكتب المدرسية « فنجيبهم « طالعوا ذاك الكتاب الانكليزي . وهذا الكتاب الفرنسوي . الخ » وقلما نذكر لهم كتاباً عربياً . وهو غبن لهذه اللغة العربية الكريمة التي نعشقها ونحب المطالعة بها . اما الروايات التي ذكرتِها فانها مفسدة للاخلاق والآداب بلا مراء ولذلك احسنتِ بمنعكِ ابنتكِ من مطالعتها . ولكن هذا المنع لا يكون فعالاً الا متى صدرت روايات تهذيبية تقوم مقامها ولا يكون الغرض منها غير نشر الآراء الادبية والاجتماعية والفلسفية في ثنايا الفكاهة . فهل تُنشر في اللغة العربية روايات كهذه الروايات لتغذي نفوس الفتيات في البيت والفتيان في المدرسة . لا ريب في اننا نحن المعلمين نوجب على كل تلميذٍ لنا اقتناء هذه الكتب حين صدورها . بل اننا نقرأها مع تلامذتنا في اثناء الدرس ونشرح لهم ما خفي وظهر من معانيها فيكون ذلك لهم بمثابة درس اختباري جديد يرون فيه عالَم الكمال والصلاح فتتقوى به نفوسهم وتتشدد قبل نزولها الى ميدان العالم الفاسد »

﴿ رأي كاتب ﴾ وكان هنالك كاتب يصغي اليهم وهو يبتسم . فلما سكتَ المعلم قال . « كنت اظن ان الاستاذ يتناول هذه المسالة من جهة اعلى من هذه الجهة . فانني اسلّم معه بافتقار اللغة العربية الى الكتب العالية ولكنني لا ارى نشر هذه الكتب واجباً لتغذية عقول الفتيان والفتيات بل اراه واجباً لانه يجب للغتنا نفسها وحرصاً على سمعتها . ومعنى ذلك اننا لا نطلب امهات الكتب العالية لما نرجو من فائدتها بل نطلبها لذاتها لانه عار علينا ان لا نكون قد ظفرنا بعدُ بشيء منها فضلاً عن استدلالنا بمجرد ظهورها على ارتقاء

الافكار عندنا . ولو عاش الخليفة المامون في هذا الزمن لضحك ولا شك من تهاوننا وقعودنا عن استخراج كنوز المعارف الاوربية كما استخرج في عهده وبامره كنوز المعارف اليونانية تاييداً للنهضة البغدادية . فهل لدينا الكتاب الادبي الجميل الذي الفه الغزالي وعنوانه « ايها الولد » . هل نشرنا كتاب « الطريق » لديكارت . هل ترجمنا شيئاً لكوت . هل طبعنا « الميزرابل » . هل نقلنا كتاب «نقد العقل المجرد » لكنْت . هل نشرنا « بولس وفرجيني » . هل عربنا « اميل . والميثاق الاجتماعي » . هل لخصنا سبنسر . هل ترجمنا كتب افلاطون الالهي . هل عربنا تراجم فلوطرخس التي نفضلها على الالياذه والاوديسه . هل ورد اسم باكون باللغة العربية في غير المقتطف والجامعة . هل نُشر تاريخ المسيح والديانة المسيحية لرنان قبل هذا العام . هل لدينا تاريخ لتمدن العرب يفصل بجراءة وشجاعة الاسباب الحقيقية التي بها عظمتْ دولة العرب وبها ضعفتْ وانحطَّت والتي لم يجسر صاحب كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي صدر في هذا الشهر على الاشارة اليها فجاء كتابه ناقصاً اهمّ مواضيعه »

﴿ راي مريض ﴾ وكان في زاوية في القاعة شاب مستلق على مقعد وعليه غطاء يدل على اعتلال صحته . فلما راى هذا المريض الضجر الذي بدا في وجوه الجالسين من هذا الكلام الذي كانوا لا يفهمون شيئاً منه التفت الى الكاتب وقال . رويدك ياصديقي فاننا لا نطلب كل هذا . وذلك لسببين . الاول انّ معدنا الادبية ضعيفة لا تهضم الا الغذاء الخفيف . والثاني ان نفوسنا لا تطلب الا ما كان متعلقاً بها من المواضيع كالفلسفة الادبية والدينية التي هي غذاء النفس البشرية . ولذلك ترى اكثر القراء لا يهتمون بشيء من العلوم الطبيعية كالجيولوجيا والطب والهندسة والفسيولوجيا وما اشبه . وذلك لان هذه العلوم لا تخاطب النفس فلا تحتاج النفس اليها الا في حين الحاجة اليها . فما الفائدة اذاً من ضياع الوقت في الكلام عنها . وبما انكم انتم الاصحاء قد ذكرتم حاجاتكم فاسمحوا لمريض ان يذكر حاجاته ايضاً

« اننا نرى الاصحاء يؤلفون ويكتبون دائماً للاصحاء . افلا نجد مريضاً يكتب ويؤلف مرةً للمرضى . فان ذلك صار امراً ضرورياً في زمن كهذا الزمن الذي يموت فيه في بلاد كفرنسا وحدها ١٥٠ الف نفس في كل عام بعلة واحدة . وما ذلك الا من نقمات هذه المدنية الهائلة التي تزيد الضعفاء شقاء في هذه الحياة . ولكن اليس من واجبات الكتّاب ان يزيلوا بنعمة المطالعة شيئاً من هذه النقمة . لقد مضت عليّ ستة اشهر وانا

طريح الفراش بداء عياء · فصغرت نفسي وكرهت الحياة وتمنيت الموت · ولما كنت اطلب كتاباً للمطالعة كنت لا اجد شيئاً ترضاه نفسي لان كل ما كان يقع في يدي من الكتب والروايات كان يثير في نفسي جرثومة الحياة ويحبب اليَّ دار البقاء التي كرهتها والتي انا عالم بانني ساخرج منها · فشعرت حينئذ بالحاجة الى كتاب يسمونه « كتاب المرضى أو كتاب الحزانى » · كتاب توصف فيه الدنيا بصفاتها الحقيقية من الفناء والغرور والباطل ويوصف به الموت بصفاته الحقيقية من الراحة الابدية والسكون الدائم والخلاص من هذا القفص الارضي · ويُضمّ الى هذا الكتاب كثير من حوادث الحزن والنكبات في العالم حتى اذا وقف عليه المريض وجد املاً في الشفاء من جهة وتعزية عن مصابه من جهة اخرى واذا طالعه الحزانى والثاكلات والذين فقدوا الاحباء والاعزاء وجدوا فيه ما يفرّج كربهم من التاسي بمصائب غيرهم بدلاً من ان يظنوا ما يظنه كل حزين في اشد اوقات حزنه من ان الدنيا كلها لاهية بافراحها ومسراتها وليس فيها احد حزيناً غيره. فمن يا ترى يكتب هذا الكتاب فيعزي به القلوب القريحة والنفوس الجريحة · انني اهبكم كل الكتب التي ذكرتموها بهذا الكتاب وحده »

﴿ مشروع الجامعة ﴾ نقول · فلما جالت في خاطرنا هذه الآراء المختلفة ذكرنا مشروعاً قديماً حفظناه في فكرنا منذ انشاء الجامعة الى يوم توسيع ادارتها وزيادة آلاتها وعددها · ومؤدى هذا المشروع نقل كتب ضرورية يجب نقلها الى اللغة العربية فبعد وقوفنا على الآراء التي تقدمت عزمنا على انفاذ هذا المشروع ابتداء من هذا الجزء

وبناء على ذلك فان كل جزء من اجزاء الجامعة سيحتوي بعد الآن رواية من الروايات الفلسفية والادبية او كتاباً من الكتب السامية التي يضعها مؤلفو الافرنج في اسمى الدرجات · وقد تكون هذه الرواية او هذا الكتاب في ٣٠٠ او ٤٠٠ صفحة فنلخصها كلها في ٣٠ او ٤٠ صفحة تلخيصاً يُبقي فيها كل فوائدها وجميع اغراض المؤلف ومواضيعه كما اعتاد القراء ان يروا ذلك في اسلوب الجامعة · وبذلك نستطيع ان ننقل الى اللغة العربية في كل عام ١٢ كتاباً كان يجب ان تُنقل اليها منذ ازمان · ولا يخفى ما في ذلك من التعب والعناء لان مطالعة كتاب وتلخيص صفحاته الكثيرة بعدة صفحات عمل شاق لا يعرف قدره الا كل من عاناه · ولكن كل عناء يهون علينا في سبيل خدمة قراء هذه اللغة الكريمة والفائدة التي نرجو حصولها من هذا المشروع

ومما يسرّنا خاصةً ان الكتب التي سننشرها على هذا المنوال ستحقق اماني السيدة

والام والمعلم والمريض الذين تقدمت الاشارة الى آرائهم في صدر هذا الفصل . فالسيدة تجد بعد الآن كتاباً جديداً يلهيها عن اللعب . والام تستطيع ان تضع بين يدي ابنتها العزيزة كتاباً جديداً مفيداً دون ان يعروها الخوف منه على آدابها واخلاقها لانه يكون مصدراً للآداب والاخلاق . والمعلمون والمعلمات سيقولون لتلامذتهم احفظوا هذه الكتب في اثمن مكان عندكم اي في اذهانكم . والمريض يقرأه فتسكن آلام نفسه ويهدأ اضطرابها ويبتسم للموت بعد خوفه منه

﴿ ابتداء المشروع ﴾ واذا كان القارئ والقارئة في ريب من ذلك فليطالعا الرواية الادبية الفلسفية الطبيعية التي نشرناها في ذيل هذا الجزء وجعلناها ابتداء هذا المشروع وهي رواية « بولس وفرجيني » . ولا ريب ان القراء يذكرون اننا وعدناهم في مقدمة « الكوخ الهندي » منذ سنة بنقل هذه الرواية الى اللغة العربية لانها اشهر واجمل رواية ادبية يجب ان تُلقى بين ايدي الناس . وهي افضل كتاب كتبه مؤلفها « برناردين دي سان بيير » بل هي افضل كتاب ادبي كُتب في عصره . وقد قال شارحو كتبه ان هذه الرواية وضعت برناردين في درجة هوميروس وفرجيل وتاسيت فصار بها خالداً مثلهم . ولما نُشرت هذه الرواية في باريز (عام ١٧٨٩) قام لها عالم الادب وقعد وما قرأها احد من الجنسين الا اذرف لها دموعاً سخينة ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس » ولا ابنة الا وسميت « فرجيني » . اما ناشرو الكتب فانهم زوروا طبعتها ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوها ٣٠٠ مرة من غير اذن المؤلف ليستطيعوا اجابة الجمهور الذي كان يطلبها من كل صوب . فعسى ان يكون لها في اللغة العربية شيء من الاقبال الذي كان لها في لغتها لاننا بذلنا الجهد لجعلها — كتابةً وطبعاً وورقاً وصوراً — مساوية للنسخة الاصلية

﴿ فائدته ﴾ وقد اقدمنا على هذا المشروع ولاغرض لنا سوى نشر مبادئ (الجمال . والخير . والحق .) في النفوس وهي الالفاظ الثلاثة التي جعلتها الفلسفة عمادها واكبر اغراضها . بل ليست هذه الكلمات الفاظاً انما هي ينابيع تفيض خيراً وصلاحاً للبشر . فهنالك ينبوع للجمال يشعر الواقف عليه بجمال وسناء في باطنه تهتز لهما النفس من التاثر والانفعال (كوصف بولس وفرجيني وحديثهما في الصفحة ١٧ و١٨) وهنالك ينبوع للخير يشعر الواقف عليه بعظمة الخير والصلاح ولذتها اذا كان من اهل الخير والصلاح ويشعر بصغر نفسه وحقارتها اذا لم يكن من اهلها (كتيه فرجيني في الحرش لصنع الخير ورفضها خلع ملابسها في الختام) وهنالك نبع للحق تجري منه الفلسفة العذبة التي تعزّي الانسان في

هذه الحياة وتريه اباطيلها وزخارفها اباطيل وزخارف كما هي في الحقيقة لا عظائم وكبائر كما يصورها الاجتماع للذهن وانه لا عظمة غير العظمة الادبية (كفلسفة المؤلف في الانفراد في الصفحة ٣٠ وحديث بين شيخ وفتى في الصفحة ٣٢) -- هذه هي ينابيع الفائدة الحقيقية في المطالعة الحقيقية . وكل كتاب لا يشعر مطالعه بجمال وسناء داخلي في نفسه . ولا يرى انه صار بعد مطالعته افضل واميل الى الخير والصلاح منه قبل مطالعته . ولا يحسّ بانه عرف به شيئاً من الحقائق الازلية الكبرى التي تحكم العالم فان ذلك الكتاب لا تساوي قيمته قيمة الحبر والورق اللذين طُبع بهما . ولقد كتب الفيلسوف فيكتور كوزين استاذ الفيلسوف جول سيمون كتاباً بناه على فلسفة افلاطون وعنوانه هذه الكلمات الثلاث (١) وربما لخصنا هذا الكتاب في بعض الاجزاء القادمة

ورغبةً في الاحاطة بوصف هذه الينابيع الثلاثة التي تفيض الخير لمحبي المطالعة يكفي ان ننقل هنا ما قاله مؤلف « بولس وفرجيني » في الصفحة ٣٨ عن كتب الادب والفلسفة والحكمة . واليك نصه

« ان الآداب يا بني عون الهي وهي اشعة من الحكمة الرائعة التي تحكم العالم (يعني بالآداب كتب الادب والفلسفة والحكمة) والانسان لم يتعلّم استنزالها الى الارض الا بوحي او شبه وحي سماوي . وهي شبيهة باشعة الشمس من حيث انها تنير وتسرّ وتبث الحرارة في النفس . وحرارتها حرارة الهية . ومن خواصها انها تسكّن الشهوات وتكبح جماح الرذائل وتهيء النفس لقبول الفضيلة بما تبسطه امامها من سِيَر افاضل الناس الذين تذكر حوادثهم . فكانها طائفة من بنات السماء ينزلن الى الارض ليطردن هموم الجنس البشري ويسلينه في متاعبه . واذا نظرتَ الى اعاظم الكتاب الذين نبغوا في العالم وجدتَ انهم لم ينبغوا الا حين الحاجة اليهم والى مبادئهم وان الزمن الذي نبغوا فيه كان اشد الازمان على مواطنيهم . فكانهم يُرسلون خاصة لانارة بني جنسهم وتبديد همومهم . فاقرأ يابني . اقرأ وطالع فان الحكماء الذين كتبوا الكتب قبلنا انما هم مسافرون تقدمونا في طريق المصائب وهم يمدون بكتبهم ايديهم الينا لمساعدتنا في طريقنا حين يكون جميع الناس قد تركونا وتخلوا عنا »

﴿ الخاتمة ﴾ هذا ما راينا ذكره الآن عن هذا المشروع . وربما وسعنا دائرته

---

(١) الجمال والخير والحق

في المستقبل توسيعاً يتجاوز كل حد اذا راينا اننا اصبنا به الغرض المقصود . والله نسأل ان يلهمنا الصواب ويأخذ بيدنا لاتمامه اي لاخراج ما في نيتنا اخراجه الى اللغة العربية من الكتب التي هي ينابيع « الجمال والخير والحق » لجمهور القراء في الشرق . اما ما نرجوه من الجزاء على هذه الخدمة فقد نلناه بحمد الله ومساعدة القراء وهو الاقبال على كل ما تصدره الجامعة اقبالاً ينسينا كل تعب وعناء . هذا كل ما يرجى في الشرق اليوم ومن يطلب الآن اكثر من ذلك فانه يدل على انه جاهل مجرى النواميس الطبيعية

هذا ولنا في الختام رجاء واحد الى حضرات القراء . وهو اننا نذكر اننا منذ سنوات لما ادخلنا رواية « بولس وفرجيني » التي جعلناها ابتداء هذا المشروع الى احدى المدن السورية لم تسم فيها باسم فرجيني غير طفلة واحدة . وقد جاءت هذه الطفلة نبيهة وان كانت اكتسبت النباهة من اهلها لا من اسمها . فالجامعة يسرها الآن بعد نشرها هذه الرواية ان تعلم من قرائها عدد الاطفال الذين يسمون بعد الآن في انحائهم « بولس وفرجيني » اقتداء باهل باريز حين ظهور هذه الرواية ..

﴿ ترجمة برناردين مؤلف الحلقة الاولى من المشروع ﴾



برناردين دي سان بيير



جان جاك روسو استاذه

ولقد نشرنا تفصيل هذا المشروع في باب « المشاهير » لندمج فيه ترجمة الحكيم الاول الذي جعلنا مبادئه مفتتح هذا المشروع وهو برناردين دي سان بيير الفيلسوف الذي مبادئه عظيمة كالطبيعة التي يصفها والذي امتاز عن كتاب فرنسا بفلسفة عذبة تسلي الانسان وتعزيه ومبادىء سلمية تجعله يكره كل شقاق ونزاع وآداب نقية من كل شائبة وآراء في الطبيعة تحببها الى جميع الناس . واليك خلاصة ترجمته فانه يجب ان لا تخلو الجامعة منها وخصوصاً في الجزء الذي نشرت فيه اهم كتبه

ولد برناردين في الهافر (فرنسا) في عام ١٧٣٧ وتوفي في اراني في عام ١٨١٤ . وكان ابوه مديراً لشركات مركبات في الهافر فنشاء برناردين في الفقر وتلقى دروسه الابتدائية

في مدرسة للآباء اليسوعيين في كاين وفي مدرسة اخرى في روين · وقد اكثر في صغره من مطالعة كتاب روبنصن كروزي وكتاب سير القديسين وسافر الى المرتنيك وكان كثير الجلوس على شاطئ البحر والتامل فيه وساح سياحات كثيرة مع راهب يدعى « الاخ بولس » فكل هذه الشؤون غرست فيه ميلاً الى الطبيعة ونفوراً عن الناس وحباً شديداً للرحلات البعيدة · فقام في نفسه ان يزين لحكومة روسيا انشاء مستعمرات في شواطئ بحيرة « ارال » فسافر الى بطرسبرج فعرف فيها المارشال دي مونيخ والجنرال بوسكه والمسيو دي فيلبوى · فمال اليه المرشال واصطنعه · اما الجنرال بوسكه فانه « قدم له يد ابنة اخته » اي اقترح عليه الاقتران بها فاعتذر برناردين لانه كان فقيراً · واما المسيو فيلبوى فانه سعى فجعله ضابطاً في الجيش الروسي وقربه من الامبراطورة كاترين الثانية فكان اقرب المقربين اليها فيما قالوا لانه كان صبوح الوجه لطيف المنظر كما تدل عليه رقة كتاباته وبعضهم زعم انه صار عشيقها · ثم ارسلوه بمهمة الى فينلنده ولما عاد منها ارسلوه الى بولونيا ولكنه لم يلبث ان سئم الشؤون السياسية السرية التي كان يمارسها فقفل راجعاً الى وطنه · فعرض عليه فردريك الكبير ملك بروسيا رتبة ضابط في الجيش البروسي في عودته فابى برناردين ذلك وعاد الى باريز فاصطنعه المسيو دي برتويل وارسله الى « جزيرة دي فرنس » وهي احدى المستعمرات الفرنسوية وفيها جعل المؤلف حوادث « بولس وفرجيني » · فبقي في المستعمرة ضابطاً ومهندساً وهو يبعث من حين الى حين رسائل الشكوى الى المسيو دي برتويل حتى سئم منه فتخلى عنه · وبعد مدة عاد الى باريز فقيراً كما ذهب منها وقد سئم الاستخدام في الحكومة وعزم على « ان يعيش من ثمار بستانه » كما قال اي من شق قلمه · فعكف على الكتابة والتاليف ومنذ هذا الحين دخل في الطريق المستقيمة التي خُلق لسلوكها دون سواها · فالف برناردين كتباً كثيرة منها سياحة الى (جزيرة دي فرنس) · وسياحة الى راس الرجاء (الكاب) · واركاديا · ودروس طبيعية وهي اقسام · والطبيعة والادب · وسياحة في سيليزيا · وموت سقراط · وكلام عن الجرائد · وكلام عن جان جاك روسو · وقصص السفر · والكوخ الهندي · وغيرها من الكتب والاسفار المفيدة · واهمها كلها « بولس وفرجيني التي نحن الآن في صددها

ولما انتشر بين الناس اول هذه الكتب (وهو سياحة في جزيرة دي فرنس) اقبل القراء من كل جانب عليه وشعر الخاصة والعامة ان هذا الكاتب قادم عليهم باسلوب جديد ولهجة جديدة · فقد كانت عبارته رقيقة تكاد تذوب طلاوة وحلاوة وكان له في وصف

المناظر الطبيعية والعواطف الادبية والدينية اسلوب لم يظهر على قلم غير قلمه · فانهالت على الكاتب كلمات التنشيط والثناء وسعى له رئيس اساقفة اكس فمنحته الحكومة راتباً قدره الف فرنك · وعينت له احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك وعين له احد اقلام الحكومة الف فرنك ايضاً وربح من كتبه لاول مرة ٦ الاف فرنك فاكتفى برناردين الحاجة بهذا المال واستطاع التفرغ للتاليف والكتابة فانار بقلمه سماء فرنسا وقتاً طويلاً

ولما بلغ برناردين هذا الشاو كان قد وصل الى قمة جبله وكان اكتب كتاب زمانه بعد جان جاك روسو الذي كان استاذه · اما في الفلسفة الادبية فقد كان برناردين مقدماً عليه عند كثيرين · وقد تزوج برناردين مرتين واخذ في كل مرة دوطة طائلة مكنته من ابتياع منزل بعيد عن الناس والمعيشة فيه بين الازهار والاشجار والدفاتر والمحابر براحة وسلام كما عاش صاحب الكوخ الهندي وبولس وفرجيني · وقد توفيت زوجته الاولى وهي مستاءة من هذه المعيشة اما زوجته الثانية فان الانفراد كان منطبقاً على ذوقها فعاشا معاً سعيدين مستترين · ولما توفي برناردين اقترنت زوجته بالكاتب ايمه مارتين المشهور فتولى هذا الكاتب طبع كتب برناردين · وقد طالعنا من كتب « ايمه مارتين » كتاب « تربية امهات العائلة » فرايناه فيه يكثر من الاستشهاد ببرناردين ويلقبه بالفاضل مراراً وما كنا ندري يومئذ انه زوج ارملته

وقد وضعنا في هذا الفصل رسم برناردين بجانب رسم استاذه جان جاك روسو · ويحسن بنا هنا ان نختتم الكلام بقصة صغيرة عنهما · وتفصيل ذلك ان برناردين وروسو كانا في ذات يوم يتنزهان تحت الاشجار التي كانا يحبانها فالتفت برناردين الى استاذه وساله : هل انت « سان برو » يامسيو روسو · وقد اراد برناردين بذلك ان يعلم هل ان روسو قد وصف نفسه في « رسائل هيلو بيز الجديدة » التي بطلها رجل يُدعى « سان برو » فاجابه روسو « لستُ « سان برو » تماماً ولكنني كنت اود ان اكونه » — وكل من طالع كلام برناردين في الصفحة ٣٠ من « بولس وفرجيني » جاز له ان يقول عنه كما قال روسو عن نفسه : ليس برناردين بالشيخ الذي حكى قصته هناك ولكنه كان يود ان يكونه · وانما وصف في ذلك الكلام المعيشة التي كانت تصبو جوارحه اليها والتي ذاق لذتها في آخر عمره كما رايتَ في ترجمة حياته · وبذلك وجدت فضيلته ما كانت تستحقه من جزاء الراحة والهدوء والسلام في هذا العالم

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

تابع ماقبله

التعاليم في النشأة الاولى . (سنة ٣٥ للميلاد المسيحي)

اما تعليم الرسل في النشأة الاولى فقد كان محصوراً في دائرة صغيرة لان السيد اجتنب في تعاليمه كل بحث في ما وراء الطبيعة . وكان في تعليمه عقيدة واحدة وهي بنوته لله ومهمة الهية جاء الى الارض من اجلها . وبعد صلبه كان جميع تباعه وتلامذته يعتقدون بقرب عودته اليهم في مجد عظيم وينتظرون هذه العودة . وكان شعارهم يومئذ اي العلامة التي يعرفون بها بعضهم بعضاً قولهم « ماران اثا » ومعناها ان السيد آتٍ (١) ذلك انهم كانوا يذكرون قولاً له بقي في اذهانهم وهو « ان البشارة لا تصل الى جميع مدن اسرائيل الا ويأتي ابن الانسان » وكان اعتقادهم في السيد انه « انسان نبي مقتدر في الفعل والقول (٢) وقد ارسله الله بمهمة خاصة للانسانية (٣) ونفخ فيه روحه وبث فيه قوته . وقد صرف حياته في الارض في صنع الخير وشفاء الذين كانوا مسكناً للشياطين . وقد كان قادراً على ذلك لان الله كان معه (٤) . فهو اذاً ابن الله اي انساناً مرسلاً

---

١) كورنثوس ص ١٦ غ ٢٢

٢) انجيل لوقا ص ٢٤ ع ١٩

٣) اعمال الرسل ص ٢ ع ٢٢

٤) اعمال الرسل ص ١٠ ع ٣٨

من قِبل الله ونائبه في الارض

وبما ان السيد قد اجتنب في حياته تعليمهم شيئًا من الطقوس او الطرق المادية التي اتخذها اصحاب الاديان المتقدمة للعبادة فلذلك كانت الديانة الجديدة يومئذ خالية من الحفلات والطقوس . ولم يكن عندهم كاهن بل كان اقدمهم عهدًا في المذهب يتقدم في الصلاة . ذلك انه لا كاهن غير يسوع . وبعبارة اخرى ان كل واحد منهم كان كاهن نفسه ويسوع راس الجميع . وكان الصوم عندهم من الاعمال الحسنة والعماد علامة دخول الانسان في مذهبهم . غير ان العماد لم يكن كافيًا بل كان يجب ايضًا مسح الداخل الجديد بالروح القدس . وطريقة ذلك ان يصلي الرسل على راس الطالب ويضعوا ايديهم عليه للبركة

وكانت هذه العادة عادة وضع اليد من العادات التي الفها يسوع وكان يحبها ولذلك صارت بعده عملاً مقدسًا بل اقدس الاعمال . وكان من خواصها في اعتقاد الرسل انها تعطي الذي توضع اليد عليه نعمة الروح القدس فيصير قادرًا على صنع العجائب والنبوءة والنطق باللغات المختلفة فضلاً عن انارة نفسه واحيائها . وهو ما كانوا يسمونه العماد الروحي

وعلى ذلك فقد كان المذهب المسيحي يومئذ في بساطة تامة . واما عادة العماد فليست بفلسطينية الاصل بل انها كلدانية ولا يزال الصابئة يمارسونها في قسم من بلاد الكلدان الى هذا اليوم . وكان ايضًا في ديانة الفرس القديمة شيء من ذلك

نقطة فلسفية مهمة في النشاة الاولى

وكانت الطائفة في ذلك الحين قليلة العدد وحديثة النشأة ولذلك لم تهتم في بدء الامر بمسالة الدفن والموت . ولكن حينما حدثت فيها الوفاة الاولى حدث فيها شيء من الاضطراب . ذلك لان الجميع اخذوا يتساءلون هل ان الذين يتوفاهم الله اليه قبل عودة ابن الانسان يكونون اقل حظًا من الذين يبقون في قيد الحياة لمشاهدة مجده حين عودته . ثم عادوا فقرروا ان الوقت الذي يمرّ بين موت الانسان وبعثه في اليوم الاخير يكون عبارة عن فراغ في نفس الانسان وضميره . ومن ذلك يظهر ان ما جاء في الفلسفة اليونانية خصوصًا في « فيدون » عن نفس الانسان بعد الموت لم يكن قد دخل يومئذ الى المذهب المسيحي . فان هذه الفلسفة مقتضاها ان النفس موجودة قبل الموت وبعده وان الموت خير للانسان بل هو الحالة الطبيعية الفلسفية الحقيقية لان النفس تتجرد فيه من كل مادة تعيقها . هذه هي خلاصة بعض المذاهب اليونانية . ويظهر ان المسيحيين في صدر نشأتهم كانوا

يعتقدون اعتقاداً يخالفها لانه يظهر انهم كانوا لا يفهمون امكان وجود الانسان من غير جسده . وقد دام هذا الاعتقاد وقتاً طويلاً حتى دخلت الفلسفة اليونانية الى الكنيسة وامتزجت بمذهبها في البعث (القيامة) اما الآن « اي في السنة الخامسة والثلاثين للميلاد المسيحي » فقد كانت هذه الفلسفة مجهولة

واما طريقة الدفن فقد كانت يومئذ على الارجح كطريقة اليهود . ولم يكونوا يهتمون بهذه الحادثة كثيراً ولا كانوا ينقشون اسم الميت على الضريح لان الميت لا يقيم في حفرته الصخرية غير مدة وجيزة لقرب يوم القيامة (البعث) . واما كون القيامة تشمل الصالحين والاشرار معاً او الصالحين وحدهم فذلك امر لم يهتموا بالاتفاق عليه

زهرة النحلة المسيحية وطريقة الصلاة الاولى

وقد كان من اخص صفات المذهب الجديد امران : الاول ظهور النبوءة فيه بعد ان كانت قد بطلت في اسرائيل ولذلك قام في هذا الزمن عدة انبياء ونبيات كما كان في العهد القديم (زمن التوراة) والثاني ظهور مرنمي الزبور (المزامير) . وكانت هذه النبوءات وهذه المطالعة في الزبور اموراً مالوفة ولكنها امتازت بما كان يتخللها من روح التقوي والحب والمسالمة . فكانها صدى نغمات عود اسرائيل القديم . وعلى ذلك فقد كان كتاب الزبور بمثابة الزهرة الجميلة التي جنت من كاسها النحلة المسيحية اوّل ما جنته من العسل . واما اسفار التوراة الخمسة الاولى فقلما كان ابناء المذهب الجديد يطالعونها في ذلك الزمان

واما طريقة الترنيم في هذا النشيد الجديد فربما كانت الطريقة التي لا يزال يجري عليها اليوم اليونان والمارونيون خصوصاً ومسيحيو الشرق عموماً . وهي عبارة عن اصوات ممدودة مقرونة بزفرات وليس فيها قاعدة ظاهرة . فهي اشبه باصوات متتالية تخرج سريعة مقرونة بضرب من التصويت يخرج من الانف منها بتوقيع موسيقي . وكانوا ينشدون هذا النشيد وهم وقوف باحترام بعيون شاخصة وجباه متجعدة تدل على الاهتمام والجهد . وكانوا يلفظون في ختام الصلاة بصوت مطرب اي مرتجف كلمة « آمين » ويريدون بها اشتراك الجماعة في صلاة المصلي كما كانت العادة يومئذ عند اليهود . وربما كان اليهود يعتقدون بان لهذه الكلمة تاثيراً سرياً مفيداً ولذلك كانوا يلفظونها بتانق وتفخيم في الصوت . ولسنا نعلم شيئاً مما اذا كان هذا النشيد يومئذ مقروناً بالتوقيع على آلات موسيقية ام لا ولكن كيفما كانت الحالة فانه دليل على ما كان في النفوس من السرور والفرح . ولذلك جاء

في افوالهم : اذا كنتَ حزيناً فصلِّ واذا كنتَ مسروراً فانشد

هذا ومما لا يحتاج الى بيان ان الطائفة لم تدوّن يومئذ حوادثها لاستغنائها عن الكتابة · انما قال السيد انه يعود قبل فناء ذلك الجيل · اما كتاب « اعمال الرسل » فانه لم يُكتب الا في سنة ٨٠ بعد الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء نحو نصف قرن على صلب المسيح

انتشار المذهب الجديد

وكانت يومئذ الطائفة المسيحية الاولى عبارة عن جماعة من اهل الجليل · اما الذين مالوا اليها في حياة السيد من سكان اورشليم كلعازر ومرثا ومريم من بيت عنيا و يوسف الذي من الرامه فانهم تفرقوا ولم يعد يظهر لهم اثر · ولم يبقَ احد ملتفاً حول التلامذة الاثنى عشر غير الجليليين · فاخذ التلامذة في الوعظ والتعليم · وكانوا يعظون في رواق سليمان وكان وعظهم مقصوراً على اقامة الدليل من نصوص التوراة على ان يسوع الناصري هو المسيح · وكانت حججهم ضعيفة ولكن كل اقوال اليهود في ذلك العصر كانت كذلك ·ولا نستثني من هذا الضعف اقوال علماء اليهود انفسهم التي نُشرت في المشنا · اما ما ذُكر من ان التلامذة كانوا في ذلك الحين يجمعون الشعب في الساحات العمومية و يخطبون فيهم فهو مردود بانّ الذين صلبوا السيد لا ياذنون لتلامذته بعقد حفلات كتلك الحفلات

و بناء على ذلك نقول ان التلامذة لم يستميلوا الناس اليهم بما كانوا يلقونه من الخطب الضعيفة ولا ما كانوا يصنعونه من العجائب البسيطة وانما كانت واسطة الاستمالة الحقيقية حديث هوءلاء الرجال الصالحين الاتقياء واقتناعهم الشديد بما كانوا يدعون الناس اليه فضلاً عن تقواهم وحبهم للخير والمسالمة ·فكأنّ كلام السيد ابقى في حديثهم صدى موءثراً · ولا ريب ان اشتراكهم جميعاً في المعيشة قد زاد هذا التاثير ايضاً لان دارهم كانت عبارة عن ملجاء يلجاء اليه الفقراء والمساكين

ستاتي البقية



بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الفاضل نجيب افندي نصار في طبرية

بينما كنت اتتبع في الجامعة تاريخ المسيح للفيلسوف رنان عثرتُ على اسماء قديمة لبعض البلدان في فلسطين ولئلا تفوت معرفتها الذين ليس لهم المام بتواريخها رغبت في ذكر اسمائها المتعارفة وبيان مواقعها وشذرات من تواريخها مع بيان مواقع المدن الخمس التي صرف فيها السيد معظم عمره ومارس فيها اعماله وتعاليمه ايضاحاً لما ذكره رنان . فاقول

﴿ مقاطعة غولونيتيس ﴾ وردفي الجزء الثالث للسنة الثالثة (صفحة ١٦٥) « اسم يهوذا الغولونيتي او الجليلي » . وهو الذي اقدم على عمل ديني حماسي واعدمه الرومانيون. فالغولونيتي نسبة الى غولونيتس احدى مقاطعات حوران الخمس في ايام الرومانيين وهي هذه : « ايتوريا » و « غولونيتيس » وهي واقعة شرقي بحيرة طبرية ونهر الاردن وتدعى اليوم « الجولان » والى الشرق منها « باتانيا » واسمها اليوم جبل عجلون والى الشمال الشرقي من هذه « تراخونيتيس » و « اورانيتيس » وتدعى الآن حوران . ومن هذا يظهر ان غولونيتيس التي اتخذت اسمها من مدينة جولان القديمة التي كانت من نصيب سبط منسى (يشوع ص ٢٠ ع ٨) هي غير الجليل الواقعة الى الغرب من نهر الاردن وبحيرة طبريا

﴿ مقاطعة بيريا ﴾ وورد في الصفحة ١٦٤ ان هيرودس انتيباس كان والياً على الجليل وبيريا . فبيريا هي البلاد الواقعة شرقي الاردن وبحر لوط بين الجولان شمالاً ووادي ارنون المدعو اليوم وادي الموجب جنوباً . وكان هذا الوادي العميق حدّاً طبيعياً يفصل بين مملكتي مواب من الجنوب وعمون من الشمال . ومن مدن مقاطعة بيريا الشهيرة جرش الممتازة بابنيتها القديمة العظيمة وبينها الملاعب الفسيحة والهياكل العظيمة والقصور الشائقة والسوق الطويلة الممتدة بين صفوف الاعمدة الضخمة المنحوتة والمنقوشة كراسيها واغطيتها نقوشاً منقنة جميلة للغاية على الطراز الكورنثي والايوني . ومن مدنها ايضاً مدينة عمان التي كانت تُدعى ربة عمون وهي عاصمة مملكة العمونيين اعاد ابناءها بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس ودعاها فيلادلفيا نسبةً اليه . ويسكنها الآن نحو الف وخمسمائة عائلة من مهاجري الجراكسة . وفي طرف مقاطعة بيريا الجنوبي الى الشرق من بحيرة

لوط قلعة « ماكيروس » التي ذكرها رنان واسمها الحالي (مُكاور) بناها هيرودس الكبير وحصنها انتيباس على الحدود بينه وبين حميه ملك العرب وفيها سُجن يوحنا المعمدان وقُطع راسه · واليها بعث انتيباس امراته لتذهب من هناك الى ابيها

﴿ الولاية العربية في عهد الرومانيين ﴾ اما بتره التي جاء ذكرها في الصفحة ١٦٨ من الجزء الثالث فقد كانت يوماً عاصمة بلاد العربية ومركز تجارتها وتعرف الآن باسم (وادي موسى) ولقد ذكرها ياقوت المؤرخ بهذا الاسم وسميت كذلك لانهم يعتقدون ان موسى ضرب صخرها بعصاه فانفجرت منها ينابيع المياه فشرب الاسرائيليون · وهي واقعة على مسافة نحو خمسين ميلاً الى جنوبي البحر الميت في وادٍ صخري طوله ثلاثة ارباع الميل وعرضه خمسمائة يارد من جهة الشمال ونصف ذلك من الجنوب · والمدينة تشغل كل هذه المساحة · ولم يزل يُرى من خراباتها بقايا قبة نصر وآثار قصور وكنيسة وهيكل وعدة مدافن جميلة منقورة في الصخور بعضها يشابه المدافن اليهودية · واغرب ما يوجد بين هذه الاثار الملعب الكبير البالغ قطره تسعة وثلاثين ياردا والحاوي ثلاثة وثلاثين صنفاً من المقاعد كافية لجلوس اربعة الاف من المتفرجين · وفي اعلى هذه الصفوف غرف مفتوحة بشكل قناطر وجميع ذلك منقور في صخر واحد صلب ومنحوت نحتاً دقيقاً مما يدل على ما كان لوادي موسى من الاهمية والحضارة · واما الآن فلم يبقَ فيه شيء سوى قبائل البدو الضاربة اطنابها حوله

﴿ المدن الخمس التي عاش السيد فيها ﴾ اما المدن الخمس التي قال رنان انها كانت مجهولة في ايامه ما عدا المجدل الواقعة على شاطىء البحيرة الغربي على مسافة ٣ اميال الى الشمال من طبريا فقد صارت معلومة اليوم · اما دلمانوثه فهي واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل بقرب ينابيع مياه حارة قليلاً وقد اكتشفوا هناك بعض آثار ابنية · و يؤيد كون دلمانوثه قريبة من المجدل قول الانجيلي (مرقص) ص ٨ ع ١٠) ان السيد جاء الى نواحي دلمانوثه ومتى (ص ١٥ ع ٣٩) انه جاء الى تخوم مجدل

واما كفرناحوم فيظن المؤرخون انها كانت في مكان تلحوم الحاليـة ولذلك اشترى الاباء الفرنسيسكانيون اراضيها وبنوا عليها ديرًا صغيرًا · و يؤسس الكتبة براهينهم بشان موضعها هذا على المشابهة بين الاسمين (كفرناحوم وتلحوم) مع كون هذه المشابهة غير كافية لان يُسند اليها الكتبة الثقات اقوالهم ما لم يكن اسم تلحوم مستخرجاً من تل ناحوم · وعلى فرض ذلك فمن الضرورة ان نكون قادرين على تعقب تاريخ هذا الاشتقاق

حتى العصور الاولى بعد المسيح حالة كوننا لا نستطيع في ذلك ان نتعدى زمن الصليبيين. فان هوءلاء رأوا بعض الخرابات في ذلك المكان و بينها آثار ابنية رومانية فظنوا انها بقايا المجمع الروماني الذي بناه قائد المائة الروماني لليهود وهكذا دعوها بدون تروٍ متبركين كفر ناحوم . وعنهم اخذ العرب اسم تلحوم وتداولوه حتى يومنا هذا . غير اننا نعتقد ان وجود الآثار الرومانية في تلحوم يوءيد رواية يوسيفوس بان انتيباس رفع قرية بيت صيدا الحقيرة وجعلها مدينة بما شيده فيها من الابنية الجميلة وزيادة عدد سكانها ودعاها بعد ذلك بيت صيدا جولياس . ولا ريب في كون ذلك الملك او الوالي لم يقم ابنيته الشائقة بين الاكواخ اليهودية الحقيرة بل بناها على حدة وجعلها مستعمرة رومانية جديدة شرقي القرية القديمة لجهة مصب نهر الاردن ليتمكن السكان من الانتفاع بمياه النهر وانشاء الجنائن والبساتين على ضفافه . وامتدت المستعمرة مع طول المدى الى عبر مصب النهر ولذلك صار مشاهير بعض الكتبة يعتقدون على رغم قول يوسيفوس هذا او على غفل منه بوجود قريتين باسم بيت صيدا الاولى اليهودية والثانية الرومانية اي جولياس حالة كونها واحدة كما ظهر مما تقدم

اما كفر ناحوم الحقيقية فقد اقتادتنا الادلة الى حد الجزم بكونها تل الطابغة المدعو تل العريمه الواقع غربي تلحوم على شاطىء البحيرة الشمالي وعلى راس سهل المجدل اي سهل جنيسارة القديم. وقد ظن الدكتور طمسن صاحب الكتاب الشهير « البلاد والتوراة » ان اسمها اي الطابغة مشتق من الاصل العربي (دباغة) ولذلك قال انها مدبغة كفر ناحوم و يوافقه على قوله كثيرون الى يومنا هذا. حالة كون الطابغة محرفة من « هبتاغون » الينابيع السبعة وهي الينابيع الغزيرة التي اشار اليها يوسيفوس في كفر ناحوم بكونها كانت تسقي القسم العلوي من سهل جنيسارة وتجعله غاية في الخصب . ولم يزل قسم كبير من آثار قناتها منقورًا في صخر صلب يشهد بصحة رواية يوسيفوس الى مئات من الاجيال بعدنا قبل ان تقوى عوامل الطبيعة على درسه . وربما ان رنان لم يشاهد هذه الينابيع ولا قناتها حتى راح يحوم بين عين المدورة وعين التينه اللتين لا يمكن تطبيقهما على رواية يوسيفوس. ولا عجب فان كثيرين من السياح لا يرونها لجهل تراجمتهم اهمية ما يتعلق بها من الحقائق التاريخية

واما الطريق القديمة التي يذكرها رنان بالقرب من تلحوم فهي بعيدة عنها وقريبة من تل العريمه (كفر ناحوم) وهي الطريق القديمة التجارية بين الشام والمدن الشمالية والقدس

والكرك و بلاد العرب ومصر · ولذلك كان الجباة يقيمون في كفر ناحوم لاخذ رسوم البضائع من القوافل التي كانت تمر بتلك الطريق · ولا اظن قول يوسيفوس هذا المؤيد بالبراهين الحسية يقبل الرد· وقد باحثنا بهذا الخصوص عدة من علماء الآثار فوافقونا على راينا الا من كان منهم شديد الاستمساك بالتقاليد فانهم اظهروا اضطرابهم في ذلك ورغبتهم في زيادة الفحص عنه · وقد وعد بعضهم بالكتابة لنا عن نتيجة ابحاثهم ومر على تلك الوعود ازمان دون انجاز — ولقد اكتشفت قرية كورزين ولعل مكتشفها هو الدكتور رو بنصن العالم المدقق الذي اكتشف عدة اكتشافات مهمة كانت مجهولة تماماً قبل سياحته في البلاد· وهي تعرف باسم (خربة كرزا) واقعة على مسافة ميلين ونصف الى الشمال من تل العريه (كفر ناحوم) وفيها بئر ماء و بعض خرابات متهدمة حتى اساساتها

واما طبريا فاني ابقي الى فرصة اخرى الخوض في تاريخها القديم والحديث وسبب عدم دخول السيد اليها وعدم ذكرها في ثلاثة من الاناجيل واحوالها الحاضرة وما يمكن ان تصير اليه

﴿ الجامعة ﴾ نشكر جناب الكاتب لاتحافه الجامعة بهذه الرسالة · ولكن لنا عليه عدة اعتراضات · منها ان رنان لم يذكر ان ولاية الجليل هي غولونيتيس ولكنه سمي يهوذا الغولونيتي « بالجليلي » كما كان يسميه معاصروه وكما سماه مؤرخو اليهود انفسهم على سبيل المتابعة · والدليل على ان رنان لم يكن « يجهل » ما ذكره جناب صاحب المقالة من ان غولونيتيس" واقعة شرقي بحيرة طبريا » قوله في الصفحة المذكورة آنفاً السطر ١٢ (احدهما يدعى يهوذا " يريد الغولونيتي » وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبريا »

واما قوله ان دلمانوثه « واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل فهو رأي فيه نظر · فان مرقص يقول« وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء الى نواحي دلمانوثه »وذلك يرجح ان دلمانوثه كانت على شاطيء البحيرة · وقد نفى بعضهم بهذا الدليل ما زعمه طمثن من ان دلمانوثه واقعة في مكان يدعى اليوم « دالاميا » او دالاميا وهو على مسافة ساعة ونصف من مفترق الاردن عن البحيرة على شاطيء الاردن نفسه — واما كورزين فان رنان ذكرها في حاشية في كتابه وضربنا نحن صفحاً عنها رغبة في الاختصار · فانه قال في الحاشية ان العلماء بالآثار يضعونها في مكان يُدعى اليوم كورازي او بئر كرازي ولعله « خربة كرزا » التي اشار اليها جناب الكاتب — واما كفر ناحوم فراي المراسل فيها غير

بعيد . ولكننا نخبره بانه اخطأ في تعنيفه رنان لعدم مشاهدته « عين الطابغة » فانه شاهدها وكتب عنها في الصفحة ١٤٥ سبعة اسطر هذه ترجمتها " وعلى مسافة ربع ساعة من هناك عين ماؤُها مالح تدعى عين الطابغة وهي تنبع من الارض من عدة منابع واسعة على مقربة من البحيرة وتصب فيها . وعلى مسافة ٤٠ دقيقة منها بعض اكواخ وخرائب تدعى تل حوم » فمن ذلك يظهر ان عين الطابغة قريبة من تل حوم وحينئذ تكون تل حوم هي " كفر ناحوم " التاريخية وعين الطابغة هي الينابيع السبعة التي كانت تسقيها . وقد ذكر رنان هذا الراي في احدى حواشي الكتاب على سبيل الترجيح لا التقرير لانه لا يقرر شيئاً الا اذا كان على يقين منه



الهواء الاصفر في القطر المصري

لحضرة الفاضل الدكتور عارف افندي نحاس احد اطباء محاجر الطور في العام الماضي

في اواسط شهر يوليو ارتجت ارجاء مصر لظهور الهواء الاصفر بغتة في بلدة موشه (الوجه القبلي) وبلوغ اصاباته فيها ٩٥ اصابة في يوم واحد مع ان عدد سكانها لا يتجاوز ثمانية الاف نفس . وبعد وقت وجيز وصل هذا الوباء الى العاصمة فهلعت القلوب واضطربت النفوس واشتد الخوف بالناس حتى اخذوا يتعلقون باذيال الفرار افواجاً افواجاً وهم لا يلوون على شيء . فقام اطباء الصحة حماة الاجسام والارواح يصدون هجماته ويدفعون ضرباته . اما عدد منكوبيه منذ ظهوره لغاية ٢٥ الجاري (اغسطس) فهو في جميع مديريات القطر ٤٢٧٨ اصابة و٣٢٤٤ وفاة واما الذين شفوا منه فلا يتجاوز عددهم ٣٢٢ شخصاً

﴿ اكتشاف ميكروبه ﴾ ويحسن بنا هنا ان نقابل هذا الوباء بالهواء الذي حدث في مصر في عام ١٨٣١ . فقد بلغت الوفيات به في ذلك العام ٢٥٠٠ نفس في كل يوم . ولذلك حصد ٥٥ الف نسمة في مدة اربعة اشهر . فتامل . وسبب ذلك ظاهر كالشمس للعيان فقد كان العلم يجهل حقيقة الوباء وكيفية سيره وكانوا يحسبونه هواء يتطاير في الفضاء ولذلك كانوا يحرقون في الفضاء بعض الخرق ملوثة بمواد مضادة للفساد ليلاشوا ذلك الهواء . وهكذا كانوا يصنعون ايضاً في سنة ١٨٨٣ حين عودة الوباء الى القطر وفتكه فيه فتكاً

ذريعاً كالوباء الذي تقدمه . الا انه في هذا العام (١٨٨٣) تالفت لجنة المانية من الدكاترة كوخ وفيشر وغافقي لفحص الهواء الاصفر وقدمت هذه اللجنة الى القطر المصري فاكتشفت لهذا الوباء ميكروباً صغيراً . ثم سار الدكتور كوخ الى الهند وزاد بحثاً وتنقيباً في الوباء هناك فوجد ان الميكروب الذي وجده في ديار مصر هو نفس الميكروب المنتشر في اصقاع الهند . وهكذا اكتشف كوخ اكتشافاً عظيماً

﴿ منشأ الوباء في الهند ﴾ اما منشأ هذا الوباء الخبيث فهو وادي الكنج في بلاد الهند فان الهنود الوثنيين يعتبرون هذا النهر نهراً مقدساً يصب في الجنة كما يقولون ولذلك يلقون فيه جثث امواتهم ملفوفة باوراق النباتات والاشجار . فتطفو هذه الجثث على وجه الماء سابحة صاعدة الى « المكان الابدي » والحقيقة ان النهر حين فيضانه يقذفها على شواطئه مع جميع الاقذار والاوساخ التي تُلقى فيه فتتراكم في الوادي بعضها فوق بعض فيدب اليها الفساد والنتن فتنشاء فيها ميكروبات عديدة منها ميكروب الكوليرا . ولذلك يُعدُّ هذا الوباء « محلياً » في الهند . ومما يساعد الاوبئة على الانتشار هنالك حالة الهواء والاقذار . وقد احصى اوتسلي من سنة ١٨١٧ الى سنة ١٨٤٠ — ٤٤٣ وباء هاجمت تلك البلاد فحصدت منها ١٨ مليون نفس . ولعمري انه لو تالبت الدول جمعاء بمدافعها الجهنمية وعددها الهائلة وقاتلت بعضها بعضاً لما بلغت قتلاها هذا العدد

﴿ انتشاره من الهند الى الخارج ﴾ ويتصل تاريخ اكتشاف هذا الوباء في الهند بتاريخ دخول الاوربيين اليها سنة ١٨١٧ . ثم انتشر في الاقطار منذ عام ١٨٣٠ وكان انتشاره بطريق البر فوفد الى هندستان ومنها الى افغانستان وجنوبي ايران وروسيا ومن هناك دخل اوربا . وفي سنة ١٨٦٥ اخذ ينتشر عن طريق البحر في سفن الملاحة . على ان افتتاح ترعة السويس سهل له سبل الانتشار وهذا ما راع الدول واخاف العالم المتمدن خوفاً عظيماً فعقدت مؤتمراً في فينا سنة ١٨٨٧ للنظر في الوسائل الواجب اتخاذها اتقاء لهذا الوباء . فاشار بعضهم باقامة المحاجر في السويس لصد هجماته ورد غاراته فقام آخرون وفي مقدمتهم بتنكوفر الانكليزي وعارض هذا الراي مكتفياً بما تجريه البلاد من الامور الصحية . فتصدى لهم بروادل الطبيب الفرنسوي قائلاً : اذا كانت المحاجر لم تمنع انتقال الكوليرا واتخذتم ذلك دليلاً على وجوب الغائها فذلك بمثابة قولكم : بما ان الحصون والقلاع لا تصد هجمات العدو المهاجم فانه يجب هدمها

﴿ ميكروب الوباء ﴾ اما ميكروب الوباء فهو جسم حي صغير جداً لا يُرى بالعين



ميكروب الكوليرا

المجردة وهو بشكل الواو او الضمة ولذلك سموه « واوياً او ضمياً » وهو يتحرك حركات سريعة وهذا الميكروب موجود في براز الموبوء وقيئه وكلما مسّ هذا البراز والقيء . وهو يعيش زمناً طويلاً فقد اخذ الدكتور كوخ بعد مرور ٨١ يوماً على انقطاع الوباء في مرسيليا قليلاً من ماء البحر في مرفاءها وفحصه فحصاً بكتريولوجياً فوجد الميكروب عائشاً فيه . ومن خواص هذا الميكروب انه يعيش وينمو ويتكاثر في الامتعة والمحلات الرطبة والمياه الراكدة ومياه الشرب . ولكن حركته تقف عند الدرجة العاشرة من الحرارة . وهو يعيش في درجة ١٦ ويزداد فتكاً وتكاثراً في درجة ٣٠ الى ٣٧ وقلما يعيش في درجة ٥٠ ويموت موتاً سريعاً في درجة ٧٥ . وله عدو لدود وخصم عنيد وهو الحوامض فهي له كالسم القاتل . وقد حقق ذلك الدكتور كلين خصم الدكتور كوخ وذلك انه اخذ كاس ماء مملوءة من ميكروبات الكوليرا وعصر فيها حامضاً ثم شربها فلم يضره شيء . على ان حوامض المعدة تهضم الميكروب وتميته اذا كانت بحالة الصحة والانتظام اما اذا حصل عسر هضم او تلبك في في المعدة صعبت اماتته لقلة الحوامض فيها . وكثرة المياه في المعدة تسهل له الطرق للعبور الى الامعاء حيث ينمو ويتكاثر فيفرز سموماً قتالة

﴿ اعراضه وطرق العدوى ﴾ اما طرق العدى فمن البراز والقيء لاحتوائهما على الميكروب الذي تقدم ذكره . ومنها يتصل الميكروب بما يلامسه ويباشره كالماء والطعام والفاكهة والامتعة الخ .

واما الاعراض فهي تحدث غالباً على ثلاثة ادوار الدور الاول « الطور المنذر » وبيان ذلك ان الانسان يكون في حالة العافية والصحة واذ يفاجئه القيء والاسهال ويكون ذلك في الليل على الغالب فيشعر المصاب بمغص اليم ثم يتزايد الاسهال بدون اوجاع ويكون ذا مواد سائلة صفراء اللون كريهة الرائحة . وقد تمر بضعة ايام على هذه الحالة ثم تنتهي اما

بالشفاء بواسطة العلاج والاعتناء او بالانتقال الى الدور الثاني وهو « الدور الجليدي » ففي هذا الدور تتزايد دفعات الاسهال وتصير ذات مواد مصلية بيضاء كمغلي الارز بدون آلام ثم يبتدي القيء اصفر اللون او ابيضه فيه كثير من الماء ممزوجاً بمواد مخاطية وغشائية. وقد يزداد عطش المريض ويشعر باحتراق شديد في بطنه ومعدته وجميع جسمه مع ان حرارته تكون حينئذ تحت المعدل

وفي هذه الادوار كلها يمكن الشفاء متى حصل رد فعل . وذلك يتم بارتفاع الحرارة في الجسم واعادة وظائف الاعضاء الى مجراها الطبيعي شيئاً فشيئاً

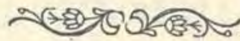
﴿ الوقاية ﴾ قيل الوقاية خير من العلاج فعليك اذاً الاعتناء بحفظ المعدة سالمة من التلبك وسوء الهضم . فلا تكثر من الطعام . امتنع عن المسكرات . لف معدتك بحزام من صوف . لا تاكل طعاماً الا اذا كان مطبوخاً وخفيفاً على المعدة . لا تتناول من المشروبات سوى قليل من الكونياك الجيد او النبيذ والقهوة والليموناده والكازوزه . امتنع عن اكل اللحوم المقددة والاسماك المملحة المكبوسة وسائر المكبوسات والاثمار الغير الناضجة. لا تاكل شيئاً من غير ان تغسل يديك بالصابون المصنوع مع الفنيك . لا تشرب ماء الا بعد غليه جيداً وتبريده بالهواء او ان تضع في كل لتر من الماء ٦٠ سنتيغراماً من الحامض السيتريك او ان تقتصر على المياه المعدنية . اجتنب التعب الشديد والسهر الطويل وما وراءه . وانت اعلم بما وراءه

اما منزلك فاول كل شيء يجب عليك فيه هو تنظيف (محلات الراحة) وصب الحامض الفينيك التجاري فيها . واجعل كل غرفة في اتم نظافة وافتح نوافذه طول النهار واغسل جسمك كل يوم مرة واجعل ثيابك في اتم نظافة

ومتى شعرتَ باقل اسهال او قيء او مغص فالزم فراشك في الحال واستدع الطبيب. ولتكن في جيبك زجاجة من اللودونوم واخرى من روح النعنع لتاخذ منهما عشر نقط اول شعورك باعراض الوباء

﴿ علاجه ﴾ كثرت علاجات هذا الوباء منذ انتشاره في العالم وكلها لم تاتِ بالنتيجة المقصودة . فقد عالجه بعضهم بالمسهلات وبعضهم باعادة الحرارة الى الجسم بالدلك او بالحمامات الحارة او الباردة وبعضهم عالجه بالزرنيخ والستركنتين وماء الفضة . اما الدكتور كلبر ر فانه اضعف ميكروب الوباء بواسطة الحرارة والهواء ثم لقح بعض الحيوانات به واستخرج منها مصلاً حقن به الانسان فلم تنجح التجربة . ثم قام الدكتور كنشاني

الايطالي وعالج المرض حقناً في المستقيم بحامض التينيك الذي هو اشد الادوية فعلاً في قتل ميكروب الكوليرا وطرد سمومه من الامعاء فنجح بعض النجاح . و بعد ذلك استعملوا السالول في معالجته فنجح كثيرًا وهو الآن كثير الاستعمال في الهند . وكثيرًا ما يسري سم الميكروب في كل الجسم فيفتقر الدم الى مادة تطهره وتعيد اليه ما خسره من المصل فيحقنون المريض حينئذ بمصل صنعه الدكتور حاييم الفرنسوي وهو مركب من ماء مقطر وملح وكبريتات الصودا . والله الواقي في كل حال وعليه الاتكال



رنان وانكاره العجائب

﴿ العقل والقلب ﴾ وردنا مع بريد سوريا منذ مدة مقالة طويلة عنوانها « رنان والعجائب والدين » وتوقيعها « خادم الانسانية » اما موضوع هذه المقالة فهو الرد على ما ذكره رنان من انكار العجائب ومحاولة اثباتها من طريق العقل . وقد ساءنا ما ذكره كاتبها في صدر كلامه من انه سمع من بعض مواطنيه ان الجامعة لا تقبل ردًّا على هذا الموضوع . وانما ساءنا هذا القول لان الجامعة لا تقفل باباً لها دون الردود النزيهة التي لا يقصد بها اصحابها الا اظهار الحق ومدافعة الدليل بالدليل . ولكن متى خرج الكلام عن دائرة الدليل والبرهان فانها تضطر الى اهماله او الى حذف ما كان فيه مخالفاً لذلك المبداء . كما صنعنا في الرسالة التي نحن الآن في صددها

ثم ان البرهان في هذه المسائل قسمان : قسم نسميه « برهان عقلي » وقسم نسميه « برهان قلبي » فالبرهان العقلي مبني على قاعدة الفيلسوف باكون وهي الاختبار والمشاهدة والامتحان . ومعنى ذلك ان لا نعتبر الشيء حقيقياً الا متى جربناه عدة مرات وادى الى نتيجة واحدة . واما « البرهان القلبي » فهو شعور الانسان بالامر مع عدم قيام الدليل العقلي عليه . كشعور كل نفس بوجودها الذاتي وشعور القلب بلذة الخير والفضيلة والصلاح وهي الامور التي كثيرًا ما تهكم عليها العقل وحسبها ناشئة عن التربية والعادة لا عن وجدان الانسان نفسه

ومن ذلك يتضح الفرق بين « البرهان العقلي » و « البرهان القلبي » . ولذلك نرجو مع جميع محبي خير الانسانية في الارض ان لا يسطو هذان البرهانان احدهما على الآخر بل ان

يبقى كل واحد منهما في دائرته : الفلسفة والعلم في دائرة العقل · والدين في دائرة القلب · وكل واحد من الاثنين نافع وضروري للانسانية متى كان منزهاً عن الشوائب · ولا سبيل لاثبات احدهما من طريق الآخر لان وظيفة الواحد منهما تختلف عن وظيفة الآخر · ولذلك اخطاء جناب كاتب الرسالة في ما حاوله من اثبات الامور الدينية من طريق العقل لان المقدمات التي بنى عليها نتائجه لا تسلم من الردّ « عقلياً » · وقد كان في غنى عن كل ردّ بان يقول مثلاً : قلبنا يؤمن بذلك وكفى

وبناء على ذلك نقول انه ليس شيء اوقح من العقل متى رام الضغط على القلب وانكاره كما انه لا اوقح من القلب متى رام الضغط على العقل لسدّ طريقه · وهذا الفصل بين « القلب » و « العقل » واجب في كل دين وكل مذهب لا في دين مخصوص ومذهب مخصوص · فعلى اصحاب العقل ان يسمعوا صوت القلب من غير ان يسخطوا عليه وعلى اصحاب القلب ان يسمعوا صوت العقل من غير ان يحملوا عليه · ذلك لانه لا ينشاء عن احتكاك هذه « الاصوات » الا كل خير للانسانية · فما كان من الارض يسقط ويفنى وما كان من السماء يقوم ويقوى · والجامعة لا تألو جهداً في ترديد هذين الصوتين والتوفيق بين هذين المبدأين ليختار القارىء المبدأ الذي يلائم طبيعته من غير اكراه ولا اجبار · والدليل على ذلك انها نشرت " بولس وفرجيني " (جهة القلب) في الجزء الذي نشرت فيه " تاريخ رنان " (جهة العقل) · وهي لا يهمها في هذا السبيل سخط او رضى من اي جانب كان لانها تعتقد انها بذلك تخدم الفكر البشري في الشرق خدمة صارت واجبة وانها في الطريق القويم

اما الرسالة التي ردّ بها « خادم الانسانية » على قول رنان في العجائب (المعجزات) فهذا اهم ما ورد فيها :

«ان مسالة العجائب مسالة تاريخية لا عقلية · فهي من الوقائع اليومية · والدليل الذي تحتاج اليه هو الدليل التاريخي · وقد اثبت التاريخ كثيراً من الوقائع التي ما كان العقل يصدقها لولا حدوثها · مثلاً اي عقل يصدق ان الاتان تلد ابنة ومع ذلك فقد شوهد هذا الامر ··· اي عقل يصدق باشتعال النار تحت الماء ولكني شاهدته عياناً لما اتصل الحامض النيتريك بالفصفور · والعقل لا يصدق ايضاً ان اسفل السفينة يُثقَب ولا تدخلها المياه ومع ذلك فقد قرأتُ الحادثة منذ مدة في احدى المجلات العلمية العربية · فان كاتب

المقالة غاص في احدى الغواصات مع مخترعها في جوف البحر ولما تكاثف الهواء المضغوط في غرفة في الغواصة فتح فيها باباً على الماء وهي في قعر البحر فصار الماء واقفاً لدى الباب والباب مفتوح دون ان يدخل الماء فيه . فالعقل يحكم في الممكنات بحسب اختباراته اما في الوقائع فالحكم للشهادة لا للعقل وليس على العقل حينئذ الا ان يسكت او يؤمن . ولو اخبروا الزنجي في اواسط افريقيا ان المياه تتجمد وتتصلب بحيث تدوسها الخيول وتجري عليها المركبات ولا تغرق فيها لقال لك ان العقل لا يصدّق ذلك . ولكنك متى اخذته الى مدينة اركنجل او كويبك وشاهد ذلك بعينه لصدقه وحسبه امراً اعتيادياً . ويروى ان فولتير لما سمع بما ارتآه نيوتن من « ان العقل البشري سيبلغ مبلغاً يتمكن فيه من قطع ٥٠ ميلاً في الساعة » هزأ به وحسبه حديث خرافة . افيستطيع فولتير اذا فتح عينيه اليوم ان ينكر سير قطارات البخار ٥٠ ميلاً الى ١٠٠ ميل تقريباً في الساعة

وبما ان العجائب الواردة في الكتب المقدسة حوادث تاريخية فيجب ان يكون حكمها حكم الوقائع التاريخية . ومتى ثبتت فلا يهمنا امر مطابقتها للنواميس الطبيعية او عدم مطابقتها كما انها لو عدمت الاثبات التاريخي لما افادتنا شيئاً مطابقتها تلك النواميس وتصديق العقل اياها

وقد قال رنان « اذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون »

فنقول ليس هذا الاعتراض اعتراض فيلسوف ولكني لا اظن ان الفيلسوف يستطيع ان يعترض اعتراضاً امتن منه ضد العجائب وجواباً عليه اقول

لنفرض ان العجيبة التي يقترحها رنان قد حدثت في وسط باريز وقد شاهدها بنفسه . فعلى كل حال يكتب عنها رنان بقلمه الرنّان . فلنفرض انه كتب عنها وارسل هذا الكتاب الى سوريا فهل يريد منا ان نصدقه . ولكن لماذا لا نصدقه وهو رجل مخلص وقد كتب ما رآه عياناً . اذاً فلماذا لا يصدق رنان الذين كتبوا قبله

ولنفرض ان كتاب رنان الشاهد بحدوث المعجزة في باريز انتشر في العالم انتشار الانجيل فهل تُحسب شهادة رنان المكتوبة اضعف من شهادته الشفاهية . كلا . وغاية ما يُطلب لاعطائها قوتها امران : الاول ان تكون بالحقيقة كتابة رنان والثاني ان يكون رنان كتب عما رآه بنفسه وهذا هو الواقع في البشائر بالتمام

ولنفرض ان الناس عموماً قبلوا كتاب رنان هذا . ومات رنان واهل عصره وبقي كتابه

بين ايدي الجمهور مدة الفي سنة · وبعد هذه المدة الطويلة نبغ فيلسوف آخر اسمه رنان — وقد بلغ الناس يومئذ في العلوم والمعارف اسمى الدرجات وارتقى العقل البشري حتى صار علماؤنا يُعدون اميّين بالنسبة الى علماء ذلك الزمن — فقام رنان الجديد المفروض وانكر شهادة رناننا هذا ليس لارتياب فيه ولا لقيام البينات التاريخية ضده ولا لسبب آخر بل لان العقل لا يصدقها · فماذا نعمل · انرجع عن الشهادة العيانية الثابتة مدة الفي سنة اكراماً لرنان الجديد

ثم لو نشر رنان هذا شهادته في الصحف الاخبارية وصدقها جميعهم الا ينشرون مئات من المقالات لتعليل الحادثة تعليلاً ينطبق على النواميس الطبيعية · وبعد ذلك الا يبقى محل للاعتراض على شهادة رنان · الا يقول قائل : اذا كانت العجيبة صحيحة فلماذا لا يحدث اليوم مثلها في برلين وروما وفينا

ثم انني انظر الى المسالة من وجه آخر فالقي الاسئلة التالية

اولاً هل ما نسميه نواميس طبيعية هي عوامل او كيفيات تجري المادة بحسبها

ثانياً اذا كانت كيفيات (كما لا بد ان تكون) فما هو الفاعل فيها

ثالثاً اذ كان الفاعل فيها هو الخالق افلا يلزم عن ذلك انه متسلط عليها

رابعاً اذا كان ذلك كذلك افلا ينتج منه ان العجائب ممكنة عقلاً

خامساً اذا كان كل ما تقدم معقولاً فما المانع من حدوثه فعلاً · افلا يكون حدوثه مطابقاً لما يليق باوصافه الجليلة

سادساً هل يجوز ان نتخذ اختباراتنا الجزئية اساساً لنفي الوقائع

﴿ خادم الانسانية ﴾

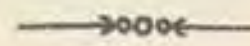
نقول · ربما كانت هذه الادلة اقوى الادلة العقلية على صحة العجائب · ولكن رنان يردُّ عليها بقوله

« ربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها · فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه · ولو جاء قوم الى بيفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فبماذا يجيبهم · انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا فانني لا اعتقد بها · وان قالوا له اقم دليلاً

على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة: « بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليَّ »

« واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً . فالجواب عن ذلك ان هذا القول بغير وجه المسالة فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب . ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة . وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كلما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرّاً من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح " خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطة ارادة خصوصية » واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المالوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المالوف اذ لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي » راجع الجامعة السنة الثالثة الجزء السابع الصفحة ٤٥٧

ومن ذلك تظهر صحة ما ذكرناه في صدر الكلام من ان اصحاب القلب لا يظهر ضعفهم اشد ظهور الا متى راموا اقامة الدليل من العقل على القلب ولا يكونون في اشد قوتهم الا متى اجتنبوا الخروج عن دائرة القلب الى دائرة العقل



شرقي يرثي الشرق

بعد مطالعته تاريخ العرب في الاندلس في الجزء الاول من الجامعة وترجمة ابن رشد في الجزء الثامن

تمايل ذا الدهر حتى اضطربْ وقد ينثني العطف لا من طربْ

ومرّ زمانٌ وجاء زمانٌ وبين الزمانين كل العجب

فقوم تدلوا لتحت الثرى وقوم تعلوا لفوق الشهب

لقد وعظتنا خطوب الزمانْ وبعض الخطوب كبعض الخطب

ولو عرف الناس لم تهدهم سبيلَ المنافع الا النوب
فيا ربَّ داء يكون دواء اذا عجز الطب والمستطب
ومن نكد الدهر ان الذي ازال الكروب غدا في كرب
وان امرءا كان في السالبين فاصبح بينهم يُستلب
الستَ ترى العرب الماجدين وكيف تهدم مجد العرب
فاين بناؤهم المشمخرّ واين العماد واين الطنب
واين الذي رفعته الرماح واين الذي شيدته القضب
واين شواهق عز لنا تكاد تمس ذراها السحب
لقد اشرق العلم من شرقنا وما زال يَضؤل (حتى غرب)
وكنا صعدنا مراقي المعالي فاصبح صاعدنا في صبب
وكم كان فينا ذوو همة سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزبر تهز البرايا بوادره ان ونى او وثب
واقسم لولا اغترار العقول لما كف اربابها عن ارب
ولولا الذي دبّ ما بينهم لما استصعبوا في العلا ما صعب
ومن يُطعم النفس ما تشتهيه كمن يطعم النار جزل الحطب
الا رحم الله دهرًا مضى وما كاد يبسم حتى انتحب
وحيّى ليالِيَ كنا بها رعاةً على من نأى واقترب
فملكاً نقيل اذا ما كبا وعرشاً نُقيم اذا ما انقلب
سلوا ذلك الشرق ماذا دهاه فارسله في طريق العطب
لو ان بنيه اجلّوا بنيه لاصبح خائبهم لم يخب
فقد كان فيهم مقر العلوم وقد كان فيهم مقر الادب
وهل تنبت الزهرَ اغصانه اذا ماء كل غدير نضب
وهل (كابن رشد) على فضله يُسام الهوان وسوء النصب
كأنْ لم يكن صدره منبعاً لما كان من صدره ينسكب
ومن يستبق للعلا غاية فاولى به من سواه التعب
وليس بضائر ذي مطلب اذا كفه الناس عما طلب
فكم من مصابيح كانت تضيء بين الرياح اذا لم تهب

وما عيب من صدف لؤلؤ ولا عاب قدر التراب الذهب

بني الشرق اين الذي بيننا وبين رجال العلا من نسب
لقد غابت الشمس عن شرقكم الى حيث لو شئتمُ لم تغب
الى الغرب حيث اولاء الرجال وتيك العلوم وتلك الكتب
فان كان هذا بحكم الزمان فتبت يدا ذا الزمان وتب
وان كان مما اردتم فلا تنال العلى من وراء الحجب
فدوروا مع الناس كيف استداروا فان لحكم الزمان الغلب
ومن عاند الدهر فيما يحب رأى من اذى الدهر ما لا يحب

مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي

رد امام جليل

﴿ على مقالة الجامعة في ابن رشد ﴾

(ورد الجامعة على الرد)

نشرنا في الجزء السابق ترجمة ابي الوليد بن رشد فيلسوف الاندلس واشهر فلاسفة الاسلام . وقد كان غرضنا من هذه الترجمة الدخول الى دار الفلسفة من باب كبير لتتوجه الانظار اليه احياء لهذه الصناعة المهملة . فيظهر مما كان لتلك المقالة من الاهمية اننا قد اصبنا الغرض المقصود

فاننا بينما كنا نشتغل بكتابة ترجمة حجة الاسلام ابي حامد الغزالي فيلسوف المتكلمين الاكبر الذي فاق « من جهة القلب » كل فلاسفة العرب كما فاقهم ابن رشد « من جهة العقل » (١) واذ وردنا من القاهرة من امام جليل طبقت شهرته العالم العربي رد على مقالة ابن رشد . فارتحنا الى تلاوة هذا الرد لامرين : الاول لاننا مولعون بمطالعة كل ما يُكتب عن هذا الفيلسوف والثاني لان فضيلة الاستاذ صاحب الرد هو الثقة الذي يُرجع اليه في هذه المسائل . ولقد دفع الاستاذ هذا الرد ايضاً الى مجلة المنار الاسلامية الغراء التي تُطبع في العاصمة وعنها اخذتها رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء . وبما ان جميع القراء

(١) اطلب تفسير « جهة العقل وجهة القلب » في هذا الجزء الصفحة ٦٢٠

في العالم العربي قد اطلعوا عليه بعد نشره في جريدة المؤيد المنتشرة في كل الاقطار فقد اكتفينا بذكره في الجامعة ذكرًا يطلع القراء على اهم اغراضه وبخاصة الامور التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها لتتمكن الجامعة من اظهار حقيقة معناها وايضاح الاشكال فيها . وا نما نقول الرد عليها لان علم الاستاذ الجليل اوسع من ان يواجه برد . فنقول

افتتح الاستاذ رده على الجامعة بقوله انه استاء من فصل ورد في المقالة عن « الاضطهاد في النصرانية والاسلام » ثم قال « لاقاني بعض قراء تلك الترجمة فرايت الاثر في نفسه اشد . ولسانه في العتب احد . وذكر اشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولفتني الى اعادة النظر فيها . رجعت الى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما . وبان احادث الجامعة فيهما . لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من المجلات التي لا يعنى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت انظارهم . او تحبير ما يعبر عن اهوائهم وافكارهم . من دون عناية بتقرير الحقيقة . ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها . لكنها من المجلات التي لو اهملت مباحثها من انعام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها . ونبوت بها عن موضعها

« لهذا رايت ان اذكر لها ما رايت في ذينك الموضعين وابين حقيقة الامر في الثالث . اما الموضعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم »

وبعد ذلك اندفع الاستاذ في الكلام على فلسفة المتكلمين وحدوث المادة واختيار الخالق واثبات الرابطة بين الاسباب ومسبباتها في مذاهب المتكلمين وراي ابن رشد في المادة وخلق العالم واتصال الانسان بالخالق سبحانه وتعالى . ثم ختم هذا الرد الذي يستغرق عشر صفحات في الجامعة بقوله « ولعل الجامعة لا تعتب على الكاتب فيما كتب وفيما اجاب به من طلب فقد وفى حقًا لها لو اغفله مع علمها بالقدرة عليه لحق لها ان توجه العتب اليه » وبعده هذه الخاتمة « هذا ما اردنا ايجاز القول فيه متعلقًا بفلسفة المتكلمين وراي الفيلسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة في الكلام على الاضطهاد في النصرانية والاسلام ان شاء الله تعالى »

فنحن بعد مطالعتنا هذا الرد بالامعان الواجب له وجدنا ان الاستاذ يخطئ الجامعة في الامور التالية . وقد اردنا حصرها ليسهل الكلام عنها . وهي في قسمين : قسم في الامور

الكلية وقسم في الامور الجزئية

﴿ الامور الكلية ﴾

اما الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها فهي

الاول — ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير

الثاني — ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد وآرائه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود لا ينطبق على حقيقة آراء الفيلسوف

الثالث — ان ما ذكرته الجامعة عن « العقل الاول » مخالف لمذهب الفلاسفة في « العقول »

هذه هي الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها واما الامور الجزئية فسنذكرها بعد الفراغ من تلك الامور . فنقول

﴿ الاعتراض الاول ﴾ قال الاستاذ ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير . اما نحن فنرى ان الخلاف كلي وان لباب الفلسفة يعارض لباب الكلام على خط مستقيم . واليك البيان

لا يخفى ان الفلسفة اليونانية هي اول فلسفة قررت للطبيعة نظاماً ونواميس . وقد بسط ذلك ايضاً لوكريس الشاعر اللاتيني في احد كتبه . ولذلك فان جميع الامم التي لم تعرف الفلسفة اليونانية والرومانية كانت تعتقد فيما يختص بحوادث الكون وتدبير العالم اعتقادات لا تنطبق على مبادىء الفلسفة . فلما شرع المنصور والمامون في نقل الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية بترجمة الكتب اليونانية والهندية والفارسية راى علماء الكلام ان هذه الفلسفة مناقضة لاصول الدين الاسلامي . فكان شانهم في ذلك شان علماء اللاهوت في الدين المسيحي عند وصول هذه الفلسفة اليهم بواسطة ابن رشد وتلامذته . فهبوا الى معارضتها ومقاومتها . ولذلك جاء في تعريف « علم الكلام » في « التعريفات » انه (كما بقي في الذهن) : علم البحث في الخالق وصفاته بحسب شريعة الاسلام لنقض اقوال الفلاسفة . وهذا التعريف وحده كافٍ للدلالة على ان علم الكلام جُعلَ بعد نشأته لنقض الفلسفة

وسبب ذلك ان لعلم الكلام في الدين الاسلامي (كما للاهوت في الدين المسيحي) اصلين عظيمين عليهما بُني الدين كله . وهما : ان المادة حديثة يعنون غير قديمة اي مخلوقة بخلق خالق . والثاني ان الخالق الذي خلقها منفصل عن الكون ومطلق التصرف فيه وعالم بجزئياته وكلياته . وبعبارة اخرى نقول ان المليين اي اليهود والمسلمين والنصارى يعتقدون ان هذا العالم مخلوق منذ مدة لا تتجاوز بضعة الاف من السنين كما جاء في كتبهم وان خالقه سبحانه وتعالى يعلم كل ما يحدث فيه من جزئي وكلي ويدبره بعنايته وارادته . ولذلك جاء في صلاة المسيحيين « فلتكن مشيئتك » وجاء في القران « والارض لله يورثها من يشاء » واجمل صلاة عند الفلاسفه المليين قولهم « اللهم اعطنا ما تشاء بقدر ما تشاء حينما تشاء » هذا هو اعتقاد المتكلمين واللاهوتيين في الخالق على وجه الاجمال . واما الفلسفة فانها تمحو بيدها الثقيلة الغليظة كل هذه الآمال الجميلة وان كان تعليمها لم يثبت بعدُ من حسن الحظ وفرقها مختلفة فيه . فانها تقول ان المادة قديمة ازلية وان للطبيعة نظاماً ونواميس ثابتة لا تتغير . وان الكون لم يوجد الا بحسب هذا النظام وتلك النواميس . وان هذه النواميس اذا اتبعها المجوسي مثلاً وخالفها الكتابي (الاسرائيلي او المسلم او المسيحي) فاز المجوسي وسقط الكتابي . وبالعكس . هذا سبب الخلاف الاعظم بين الفلاسفة والمتكلمين واللاهوتيين مذكور بعبارة بسيطة وهو ما قصدناه حين المقارنة بين الفيلسوف ابن رشد والمتكلمين

وعلى ذلك فمسالة الرابطة بين الاسباب والمسببات لم تعد بعد هذا البيان مسالة جديرة بالذكر والاهتمام . لان جاحد الاسباب يستطيع مثلاً ان يعتقد بها في الظاهر ويبقى على اعتقاده القديم من جحود حقيقتها في الباطن . مثال ذلك ان يقول « ان الخالق هو الذي جعل تلك الاسباب . فمتى حدثت الحوادث ونسبناها الى اسبابها كان ذلك بمثابة نسبتها اليه » وهو تخلص مألوف . ولكن هل يستجيز المليّون وفيهم المتكلمون القول « بان الخالق لا يمكن ان يناقض تلك الاسباب ولا ان يغيرها لانها ثابتة لا تتغير اوانه على الاقل لم يثبت انه غيرّها وناقضها » لا ريب ان المتكلمين يُنكرون ذلك كل الانكار لانه يؤدي الى انكار الوحي . ولذلك فاعترافهم بالاسباب انما هو اعتراف سطحي . وهذا ما جعل الامام الغزالي يقيم الدنيا ويقعدها على الفلاسفة ليبرهن لهم ان الاسباب الحقيقية ليست موجودة في الامور التي تقع تحت ابصارهم بل في الخالق نفسه . وان النواميس الطبيعية هي « اسباب عادية لانه ليس من الواجب على الخالق التزامها » وانه ليس في الكون شيء ثابت

وغير قابل للتغيير الا الله وحده · وكانه لم يكتفِ بتجريد النواميس الطبيعية من صفة الثبات فهاجم الفلسفة من جانبها الضعيف فكاد يصيب مقتلها · فانه بسط في كتابه « تهافت الفلاسفه » مذاهب جميع الفلاسفة ونقض كل واحد منها واظهر ما فيها كلها من الضعف والتناقض والاختلاف ثم صاح بعد ذلك : ان العقل لا يوصل الى الحقيقة لانه يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء · فصفق جميع معاصريه طرباً لهذا الحكم الذي ضعضع به الفلسفة ولقبوه « حجة الاسلام » اي برهانه القاطع وكوكبه الساطع · وفي الحقيقة انه كان كذلك · و يسوءنا جداً ان نكون قد اضطررنا في هذا الجزء الى الاشتغال بهذا الرد عن كتابة ترجمة هذا الحكيم العظيم الذي كان له على بني عصره تاثير ما بعده تاثير · ولكن يسرنا في مقابلة ذلك ان اشتغالنا عنه كان بمحادثة الاستاذ الذي ناب في قومه منابه في هذا الزمان

فمن ذلك كله تتضح ثلاثة امور (١) ان المتكلمين كانوا اعداء للفلسفة منذ نشاتها لانها كانت تستغني عنهم وعن علمهم وتطلب معرفة الخالق بعلمها الخاص · (٢) انهم كانوا يرومون الحط من منزلة العقل كما تقدم ليتمكنوا من ضعضعة الفلسفة واضعاف مذهب الفلاسفة في الاسباب والمسببات (٣) انهم كانوا ينكرون الاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » · والدليل التاريخي على ذلك قول ابن رشد نفسه في آخر كتابه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ما نصه بحرفه وهو · « كثير من الاصول التي بنت عليها الاشعرية (وهم من المتكلمين) معارفها هي سوفسطائية · فانها تجحد كثيراً من الضروريات مثل ثبوت الاعراض وتاثير الاشياء بعضها في بعض ووجود الاسباب الضرورية للمسببات والصور الجوهرية والوسائط · ولقد تعدى نظارهم في هذا المعنى على المسلمين ان فرقة من الاشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم وهم الكافرون والضالون بالحقيقة »

هذا راي ابن رشد بالحرف الواحد في مناظريه الذين عنيناهم في ترجمته · وهو قول صريح لا يقبل الرد ولا التاويل واصدق دليل على اننا لم ننسب الى مناظري الفيلسوف في ترجمته الا ما كان ينسبه اليهم هو نفسه

واما « المعتزلة » التي ذكر الاستاذ عنها انها من بين فرق المتكلمين الفرقة التي تعتقد بالاسباب اعتقاداً وطيداً فانها لا تدخل في موضوعنا · وذلك لعدة اسباب : منها ان المعتزلة كانت خصماً للمتكلمين الذين كان ابن رشد ينازلهم في مناظراته · وخصم خصمك

صديق لك وان كانت تفصلك عنه امور اخرى . ومنها ان المعتزلة لم تاخذ مبادئها العقلية في الاسباب وغيرها الا من الفلسفة اليونانية التي سعى المنصور ثاني خلفاء العباسيين في ترجمة بعض كتبها قبل المامون . ولذلك فان النبع الذي استقت منه هي وابن رشد واحد . ومنها ان المعتزلة رامت ان تعمل في الدين الاسلامي ما عمله الانجيليون (البروتستانت) بعدها في الدين المسيحي فانها قررت خلق القرآن وغير ذلك من الامور . فهي اذاً موضوعة خارج دائرة المتكلمين الذين وظيفتهم الدفاع عن السنة الاصلية الحقيقية .

وفضلاً عن ذلك فان المعتزلة لا تعتقد بالاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » بل مذهبها فيها وسط بين الفلاسفة والمتكلمين . ونحن نشك قطعياً ان في العالم فرقة دينية (اسلامية كانت او مسيحية) تعتقد بهذه الاسباب اعتقاداً ينطبق على مذهب الفلاسفة (١) اي الاعتقاد بان تلك الاسباب ثابتة لا تتغير ابداً « لان الخالق خلقها غير قابلة للتغيير » . وعلى ذلك يكون بين المذهب الفلسفي والمذهب الملّي ما بين الارض والسماء . ولا غرابة ولا عجب فان الواحد ارضي والآخر سماوي . و بعبارة اخرى : واحد عقلي و واحد قلبي . ولولا هذا البون العظيم بين المذهبين لما حدث في التاريخ ما حدث بين الدين والفلسفة في كل دين ومذهب . لان مجرد اعتراف الفيلسوف بان الخالق سبحانه وتعالى يخرق نواميسه في كل يوم لافتقاد عباده الصالحين واختصاصهم بنعمه — كافٍ لان يُرضي خصميه المتكلم واللاهوتي اذ في ذلك تغلبهما عليه ونقض لاساس الفلسفة « الحقيقية »

الاضطهاد في المذهبين — هذا ما نذكره عن المتكلمين والفلاسفة وفيه الكفاية . وقبل الانتقال من هذا الموضوع الى موضوع آخر نورد ما ذكره الاستاذ بعد بسطه فلسفة المتكلمين في الاسباب . قال ما نصه : « فان شئت ان تقول انه مذهب مع ذلك غامض يكد الذهن في فهمه فلك ان تقول وان تنعم النظر حتى تفهم مبانيه واصوله » ولا ريب ان الاستاذ لم يقل هذا القول الا لافتكاره بان « الاعتقاد بتغير النواميس الطبيعية » والاعتقاد « بوجودها » نقيضان لا يجتمعان ولذلك قال عن مذهب المتكلمين فيه انه مذهب غامض . وقال في الختام « نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب واساءوا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب في اقوالهم وان كانوا اشد الناس تمسكاً بها في اعمالهم . وتعلقوا

---

(١) الا بعض الانجيليين الذين يعتقدون بمذهب الفيلسوف سبنسر ويُحسبون مع ذلك انجيليين

من الخوارق بجبل واهن ميلاً الى اهواء من جاورهم » نقول فما العمل اذا كان الحول والطول والسلطة في كل الازمان وفي كل الاديان انما هي للفرقة التي عناها الاستاذ · فهي التي اضطهدت العلم والفلسفة في العالم لاطفاء نور العقل · هي التي كانت تهاجم الفلاسفة والعلماء فتحرق منازلهم في الاندلس قبل ان يدري بها رجال الشرطة · ومن غير انذار ولا محاكمة · هي التي كانت تكوي سمعة كل مشتغل بالفلسفة بكلمة نارية كانت تفعل فيه وفي مصالحه فعل السم في البدن في ذلك الزمن وهي كلمة « زنديق متمنطق » ولذلك جاء في امثالها « من تمنطق فقد تزندق » · واحياناً كانت تزج اصحاب العقول في السجون واحياناً كانت تقتلهم كما فعلت بابن حبيب الاشبيلي · هي التي كان اذا احس بعض الخلفاء بارتجاف عروشهم من تحتهم بادروا الى التزلف اليها باضطهاد العلم والفلسفة كما صنع الحاجب المنصور في الاندلس حين اغتصابه الخلافة من هشام واحراقه جميع كتب المنطق والفلسفة في احدى ساحات قرطبة تزلفاً لتلك الفرقة · وهي هي التي فعلت في المسيحية كما فعلت في الاسلام لان الانسان انسان سواء كان مسلماً او مسيحياً اي فيه كل رذائل الانسانية وفضائلها · ولذلك قتل المسيحيون فلاسفتهم وعلماءهم واهانوهم وملأوا تاريخهم بحوادث يحمر منها وجهه ووجوه ابنائهم خجلاً · — هذه هي حال تلك الفرقة عند المسيحيين والمسلمين معاً · ونحن نسلّم مع الاستاذ بان كل الضرر منها · ونزيد على ذلك انه يكون وراءها عادةً في كل ملة وكل دين رجال افاضل عقلاء لا يرضون عن اعمالها ولكنهم يسكتون بالرغم عنهم ورجال افاضل عقلاء لا يطيقون السكوت كابن رشد وغيره فتقوم القيامة عليهم · ولكن بما اننا سلمنا مع الاستاذ بهذا الامر البديهي فاننا نؤمل ان يسلم معنا بامر بديهي آخر وهو : وجوب الدفاع عن الفلاسفة والعلماء في هذا الزمن زمن الفلسفة والعلم لا عن الفرقة التي لم يكن لها من غرض في كل عصر وكل ملة غير خنق الفلسفة والعلم · لان الدفاع عنها واثبات ما ليس لها لها حيف وظلم لاولئك الشجعان الكرام الذين كانوا مناظريها وراحوا شهداء في سبيل مناظرتها · بل هو بمثابة تخطئة لهم ولمبادئهم ووضع الحق في جانب مناظريهم · مع انهم لم يقدموا على ما اقدموا عليه من الامور العظام الا وهم يعتمدون على انصاف ابنائهم في المستقبل لاعطائهم حقهم وقدرهم قدرهم

التاويل — وقد قال الاستاذ ايضاً « القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير باهل دين ورد في كتابه ان الايمان وحده كاف في ان يكون للمؤمن ان يقول للجبل تحول عن مكانك فيتحول الجبل · يليق باهل دين يعد الصلاة وحدها اذا اخلص المصلي فيها كافية في

اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري . وليس هذا الدين هو دين الاسلام . دين الاسلام هو الذي جاء في كتابة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » — نقول اننا لا نجيب عن ذلك شيئاً ولكننا ناسف لصدور هذا الكلام عن قلم الاستاذ . ولو كان فيلسوف الاسلام ابن رشد من معاصرينا اليوم لقال ولا شك لرفيقه الاستاذ بعد قراءة هذه النبذة ما قاله في كتابه تهافت التهافت من ان في كل دين وملة اموراً اذا لم يؤولها المؤمن تاويلاً شعرياً جميلاً تعذّر التسليم بها لمعارضتها العقل وادى ذلك الى ضعضعة اساس الاديان . والعجب من الاستاذ كيف نسي هذا الامر مع انه في الدروس الجميلة التي يلقيها في الازهر في تفسير القرآن والتي تنشرها مجلة المنار لا همّ لفضيلته غير هذا التاويل

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ بلغنا الآن الاعتراض الثاني وهو تخطئة الاستاذ الجامعة في ما لخصته من مذهب ابن رشد وردّه على ما نقلته من راي الفيلسوف في الخلود واتصال الانسان بالخالق وخلق العالم

ولكننا قبل الدخول في هذه المسائل نقدّم عدة مقدمات لنجعلها اساساً للبحث فنقول

(١) من المعلوم ان مبادىء الفلاسفة لا تُعرف من كتاب واحد من كتبهم بل من مجموع كتبهم . فالذي يُقدم على بسط فلسفة لاحد الفلاسفة يجب عليه مطالعة اهم كتبه ليستشهد بها

(٢) ان كتب الفيلسوف ابن رشد لم تُنشر كلها في اللغة العربية . وحسبك انها اليوم اندر الكتب حتى ان مكتبة المجلس البلدي لا تتضمن كتاباً منها . وهي في الاصل مخطوطة بخط مغربي . ولما كان النساخ العرب ينسخونها باللغة العربية كانوا يحذفون المواضع المهمة منها او يبدّلونها فراراً من الملام والاضطهاد . وانما نُشرت سالمة صحيحة في اللغة اللاتينية فقط لان يهود الاندلس من تلامذة ابن رشد " واكثر تلامذته كانوا من اليهود والنصارى " نقلوها الى لغتهم العبرانية لما طردهم العرب من الاندلس الى جبال البيرينه ثم اخرجوها من العبرانية الى اللاتينية ومنها اخذها علماء اوربا . وقد ترجمها اليهود ترجمة حرفية تقريباً حتى ان العالم بالعبرانية يستطيع ارجاع الكلمات العبرانية الى اصلها العربي الا في كتابين او ثلاثة . وعلى ذلك فعلماء الافرنج الذين وقفوا حياتهم في ذلك الزمان لدرس فلسفة ابن رشد او الردّ عليها ادرى بحقيقتها من علماء العرب انه هم لان هذه الفلسفة دخلت في حياتهم الادبية واما العرب فقد سمعوا بها سماعاً فقط او وقفوا

على بعض كتبها

(٣) فبناء على ذلك لا مناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم . ولا يُشترط في هذا الاخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة . فانها اعتمدت في تلخيص فلسفة ابن رشد في بضع صفحات على مقالة للعالم كاري في الانسيكلوبيذية الكبرى الفرنسوية وعلى كتاب للمستر مونك المستشرق المشهور الذي حفظ كتب ابن رشد عن ظهر قلبه كما يحفظ المؤلف كتب نفسه . وعنوان هذا الكتاب « مزيج من فلسفة العرب واليهود » وهو في الاصل مقالة نشرها المؤلف في « قاموس العلوم الفلسفي » ثم زاد فيها وجعلها كتاباً على حدة

صحة ما نشرته الجامعة عن ابن رشد

ولما وردنا ردّ الاستاذ ورأينا فيه ما فيه من المخالفة لمبادىء ابن رشد التي بسطناها اعتماداً على هذين العالمين التمسنا كتباً اخرى . فاخذنا كتاباً للمستر مولر عنوانه « فلسفة ابن رشد ومبادئه الدينية » وكتاباً آخر عنوانه « ابن رشد وفلسفته » وهو للفيلسوف رنان المشهور الذي يعرف الاستاذ انصافه ونزاهته وبراءته من وصمة التعصب فضلاً عن معرفته اللغة اليونانية لغة ارسطو واللغة اللاتينية التي تُرجمت اليها كتب ابن رشد ثاني مرة واللغة العبرانية التي تُرجمت اليها اول مرة واللغة العربية التي كُتبت بها في الاصل . ومعلوم ان عالماً عظيماً وفيلسوفاً كبيراً مثل رنان لا يُقدم على شرح فلسفة ابن رشد ويكتب فيها اكثر من اربعمائة صفحة بحجم كبير الا بعد درسها درساً دقيقاً في كتبها العديدة التي كانت قريبة منه في مكاتب اسبانيا وفرنسا وايطاليا

ولكن ما اشد ما كانت دهشتنا حينما كنا نتصفح تلك الصفحات الثمينة . ذلك اننا وجدنا في كل صفحة منها تصديقاً للخلاصة الفلسفية التي نشرناها في الجزء السابق . فهي هي بلا زيادة ولا نقصان مع حفظ نسبة الاختصار والاسهاب في المصدرين . فلم يبقَ عندنا اقل ريب في ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد هو الصحيح من اوله الى آخره وليس في وسعنا حذف كلمة واحدة منه . لانه متى اتفقت الروايات دلّ هذا الاتفاق على صحة النقل . والاستاذ اعزه الله يعرف اللغة الفرنسوية فاذا شاء بعثنا اليه بكتاب رنان وعليه العلامات التي جعلناها في مواضعه المهمة بقلم من رصاص

ومتى طالع الاستاذ هذا الكتاب تحقق اننا لم ننسب الى الفيلسوف شيئًا من عندنا . فان رنان يثبت في كتابه هذا التعريف الذي عرّفت به الجامعة المادة في راي ابن رشد. وما ذكرته عن طريقة الخلق واتصال الخالق بالكون وما وصفت به العقل الاول واتصال الانسان بالخالق بواسطة العلم لا بالصلاة ويذكر عن رايه في الخلود وعقل الانسانية ما ذكرته الجامعة بالتمام ويقول ان هذا المذهب قريب من مذهب الماديين لانه يقيد الخالق تقييدًا لا يقبله دين من الاديان . وعند كل عبارة يذكرها يدل في حواشي الكتاب على ما يثبتها فيقول مثلاً : راجع كتابه تهافت التهافت في الصفحة كذا او راجع كتابه في الطبيعيات الصفحة كذا او اطلب الصفحة كذا من كتابه في ما وراء الطبيعة الخ (١) واحيانًا يورد باللغـة اليونانية نص كلام ارسطو نفسه ليشرح غامضه . وهذا يدلّ على انه اقدر من ابن رشد في هذا الشان واحق منه بالثقة فيه لان ابن رشد كان يجهل اللغة اليونانية وانما قرأ فلسفة ارسطو في الكتب العربية التي ترجمها النساطرة والسريان قبله كما ذكرنا في ترجمته . ولذلك اخطأ في عدة مواضع فيها. وقد ذكر رنان في كتابه هذا الخطأ . ومنه نستنتج امرًا جديرًا بالاعتبار وهو انه اذا وجبت الثقة بفلسفة ارسطو التي نقلها ابن رشد وشرحها مع عدم معرفته باللغة اليونانية فانها واجبة ايضًا فيما يختص بفلسفة ابن رشد التي ينقلها الافرنج خصوصًا متى كانوا عالمين باللاتينية والعبرانية واليونانية والعربية

﴿ الاعتراض الثالث ﴾ وهذا القول يسوقنا الى الاعتراض الثالث وهو قول الاستاذ ان ما ذكرته الجامعة عن « العقول » لا ينطبق على مذاهب الفلاسفة فيها وذكره ان العقل الاول ليس كما ذكرت الجامعة بل هو الذي صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الاطلس وان العقل التاسع صدر عنه فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم العقل الفعال وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية الخ . ففيه نقول

خطاء العرب في مسالة العقول

ان ما ذكره الاستاذ عن « العقول » ليس في شيء من آراء الفلاسفة ولا فلسفة

---

(١) لم ننشر هنا هذه الشهادات العديدة لاننا ابقيناها الى الجزء القادم للاسهاب في هذا الموضوع زيادة في شرح فلسفة ارسطو وابن رشد التي توجهت اليها الآن انظار جميع القراء

ار يسطو كما قال وانما هو من آراء « فلاسفة العرب » دون سواهم . وسبب هذا الخطاء الغريب الذي وقع فيه فلاسفة العرب حتى انهم جعلوا للاجرام السماوية « نفوساً مفارقة لها ولها تعلق باجسادها كتعلق انفسنا بابداننا » امران : الاول ان العلم كان يومئذ يجهل ما اكتشفه نيوتن بعد ذلك من وحدة النظام في الفضاء اي ان كل الكائنات والاجرام السابحة فيه هي كون واحد محكوم بنواميس ثابتة وهذه النواميس متشابهة في هذا العالم وفي اقصى العوالم . وبناء على جهل العرب يومئذ هذه الحقيقة وضعوا للاجرام افلاكاً خصوصية مستقلة وجعلوا لها عقولاً فقالوا ان هذا الفلك صدر عن العقل التاسع وذاك عن العقل الاول وهلم جرّا . والامر الثاني انهم اخطئوا في فهم عبارة وردت في كلام ار يسطو وعليها بنوا مذهبهم في العقول . ولبيان ذلك نقول

لما تناول العرب فلسفة ار يسطو وجدوا انه يعتقد بخالق متصل بالكون يديره و يدبّره . فرغبةً في تنزيه الخالق عن الاتصال بالكون اتصالاً يجعله مقيداً و ينفي الاختيار عنه قالوا ان ما يسميه ار يسطو خالقاً هو « العقل الاول » الذي تصدر عنه الحركة والقوة للعوالم وهذا العقل الاول متصل بالكون من جهة ليفيض عليه القوة ومتصل بالخالق من جهة اخرى ليستمدّ منه . فكانه واسطة بينهما . وهذا معنى قولنا في الجزء السابق « اما العقل الاول الذي منه قوة الاجرام وحركتها فهو في قلب هذه الدوائر » وايضاً « وبناء على ذلك لا يكون للكون اتصال بالخالق مباشرة وانما هذا الاتصال للعقل الاول وحده »

وبعد تقرير العرب ذلك رأوا في كتاب لار يسطو في ما وراء الطبيعة هذه العبارة « لقد ورد في اقوال الاقدمين في سياق اسطورة من الاساطير ان الاجرام السماوية آلهة وان الالوهية تشمل الطبيعة كلها . فاذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافي ونظرنا الى ما تحته من المعنى الدقيق الذي مآله ان العقول الاولى التي خلقت الكون هي آلهة امكننا ان نقول ان ذلك القول في غاية الصواب »

فيظهر ان هذه العبارة اصابت هوىً في نفوس فلاسفة العرب لرغبتهم في تنزيه الخالق كما تقدم او انهم لم يفهموها فهماً شعرياً تصوريًا كما وردت في كلام ار يسطو ولذلك جعلوا للاجرام السماوية عقولاً ونفوساً متعلقة بها . فكانها وزراء تساعد العقل الاول . وقد روى الذهبي في سيرة الخليفة يعقوب المنصور انه وُجد بخط ابن رشد على بعض تلاخيصه هذه العبارة (وجدوا ان الزهرة « الجرم السماوي » احد الالهة) فكان ذلك سبباً من اسباب نكبته . ومنه يظهر ان ابن رشد قد طاوع فلاسفة العرب في مسالة

العقول كما ذكرنا ذلك في الجزء الماضي

اما فلاسفة العصر فانهم يستغربون وجود تلك العبارة في كتاب اريسطو لان مبادىء اريسطو بعيدة من معناها . ولذلك يقولون ان احد النساخ زورها ودسها فيه . فكانت سبباً في تأليه الاجرام ونسبة العقول اليها . وهذا لا يدخل في فلسفة اريسطو قطعياً

خوف الكنيسة -- اما قول الاستاذ «ان راي ابن رشد هو الذي زعزع طمأنينة الكنيسة في ذلك القرن وافزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على ابوابها ياذنون لما شاء وامن العقائد والافكار ان يدخل فيها و يطردون ما شاءوا » فنرد عليه بان الذي زعزع طمأنينة الكنيسة يومئذ هو ما كانوا يروونه عن ابن رشد لا رأيه نفسه . فقد قام قبل تلامذة ابن رشد كثيرون من الادباء في ايطاليا وفرنسا واخذوا في مقاومة الديانة المسيحية . منهم معلم في ايطاليا كان يقول لتلامذته ان كتب اليونان والرومان تتضمن من الحقائق اكثر مما تتضمنه الكتب المسيحية منها . وانما الذي اخاف المسيحيين في ذلك الزمن وجعلهم يعتبرون ابن رشد بمثابة غول هائل قول بعضهم عنه انه كتب كتاباً عنوانه « الغشاشون الثلاثة » يعني اصحاب الشرائع الثلاث اليهودية والاسلامية والمسيحية . و بعضهم يقول انه قرأ هذا الكتاب باللغة العربية ولذلك تحسر رنان لانه لم يجده . وهم ينسبون لابن رشد في الاسلام والنصرانية واليهودية والهندية اقوالاً ترتعد لها فرائص اصحاب هذه الاديان . هذا ما اخاف المسيحية يومئذ لا رايه الفلسفي . ولا ريب عندنا انه يخيف الاستاذ ايضاً وجميع الائمة في كل دين . ولكن من حسن الحظ ان تلك الروايات كانت مكذوبة على الفيلسوف الحكيم

﴿ الامور الجزئية ﴾

هذا راينا في ما ردّ به الاستاذ على الجامعة في الامور الكلية . بقيت هنالك امور جزئية تنحصر في خمسة . وهي (اولاً) ان الجامعة قالت « حدوث المادة اي وجودها بخلق خالق » والاستاذ يقول « ان الحدوث معناه الايجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي » نقول في قواميس اللغة حدث نقيض قدم والقديم في اصطلاح الفلاسفة هو الازلي الذي لا بداية له . فالحديث هو ما كان ذا بداية اي موجوداً بخلق خالق لا موجوداً بذاته منذ الازل (ثانياً) قال الاستاذ « ان الافتراض ما لا وجود له » وقد رجعنا الى قواميس اللغة ايضاً فوجدنا « فرض الشيء تصوره او عينه »

ومنه الفرض والافتراض والمفروض في باب الخطأين في علم الحساب . فالمقصود من قولنا « ان المادة الاولى ضرب من الافتراض لا بدّ منه » هو ان الفلاسفة يتصورون وجود المادة الاولى تصورًا لتعليل الخلق وان كانوا لا يستطيعون اقامة الدليل على وجودها (ثالثًا) استغرب الاستاذ وضع الجامعة عنوان « طريق الاتصال » فوق صفحة موضوعها اتصال الانسان بالخالق مع انه لا موضع لهذا الاستغراب اذ جاء في اول سطر تحت العنوان ما نصه « وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق الخ » ومن ذلك يُعرف موضوع الكلام والعنوان من اول سطر في تلك الصفحة (رابعًا) قوله « ان ما قاله ارسطو في ذلك الكتاب « الفصل الثالث من كتابه النفس » معروف مشهور) يريد الاستاذ بذلك نفي ما اسندته الجامعة الى هذا الكتاب مما اخذه ابن رشد عنه فيما يختص باتصال الانسان بالخالق والعقل الفاعل والمنفعل ؛ والحال ان رنان قد افرد فصلاً خاصًا في كتابه الذي تقدم ذكره لهذا البحث وشرحه شرحًا وافيًا مستعينًا بكلمات ارسطو اليونانية نفسها ونحن نعيد قولنا ان هذا الكتاب عندنا تحت امر الاستاذ (خامسًا)قال الاستاذ « قد عرفت من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه او الاندغام كما عرفته الجامعة » فنحن نقول ان الجامعة لم تقل ان « الاتصال » معناه الفناء في الله او الدخول فيه (سبحانه وتعالى) فان هذا القول يقوله المتصوفة لا الفلاسفة . وانما معنى الاتصال ما ذكرناه هناك اي معرفة الله تعالى حق معرفته والوصول اليه بالفكر عن طريق العلم لا عن طريق الصلاة كما يُفهم من سياق الكلام عند اول نظر

الخاتمة

والحاصل من كل ما تقدم ان المتكلمين الاصليين يُنكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة . وان ابن رشد يرى في خلق العالم واتصال الخالق به و بالانسان وخلود النفس آراء مناقضة لكل الاديان . والا فاذا كان المتكلمون لا يُنكرون الاسباب كما يفهمها ابن رشد وكان مذهبه الهيًا ملّيًا كما قال الاستاذ وهو يعتقد بالعقاب والثواب كما يفهمها العامة على ما ذكرناه في الجزء الماضي — فما سبب الخلاف بينهم ولماذا اضطهدوه وكفروه . لماذا سماه الخليفة المنصور « معطلاً وملحدًا » في المنشور الرسمي الذي كتبه كاتبه ابن عياش ونشره في الاندلس والمغرب للتحذير من فلسفة الفيلسوف . وما معنى كلمة « المعطل والملحد » هنا أليس معناها الكفر . ثم الم يطالع الاستاذ ما نقله الانصاري وابن ابي اصيبعة وغيرهما من القصائد التي نظمها يومئذ شعراء الاندلس في ذم ابن رشد ونسبة الكفر

والزندقة اليه . فهذا برهان رسمي تاريخي لا يُرد على ان مبادىء ابن رشد لا تنطبق على مبادىء الدين الاسلامي خلافاً لما ذكره الاستاذ . اللهم الا ان تُلطف هذه المبادىء وتخفف بان يُحذف منها كل مالا ينطبق على الدين كما كان يصنع تلامذته المسلمون في الاندلس بعد وفاته . غير اننا نرى ان الفيلسوف الجليل لا يرضى عن ذلك اذا درى به من مكانه الابدي . ذلك لانه صرف حياته وبذل النفس والنفيس في تاييد الفلسفة والبرهان فكيف يستحسن انكار ما صرف حياته في تاييده . وقد كان مبدأه في ذلك تطبيق الدين على العلم لا العلم على الدين . اي انه كان يجعل الدين تابعاً للعلم لا العلم تابعاً للدين . والدليل على ذلك وضعه في كتابه « فصل المقال » هذه القاعدة الكبرى « نحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » — فكيف يجوز حذف شيء من ذلك « البرهان » الذي نصبه الفيلسوف في ارض الاندلس كراية تلتف حولها العقول لمحاربة الاباطيل

بقيت لنا كلمة نسوقها الى رصيفنا الفاضل منشىء المنار المغرم « بالدفاع عن ائمة المسلمين واظهار الفرق بين الحق والباطل » وكلمتنا هذه هي الشكر له لانه تنازل عن الدفاع الى فضيلة الاستاذ المحترم كما قال في صدر مجلته . وبذلك احسن الى اللغة العربية وقرائها لانه مكّنهم من قراءة مقالة فلسفية بليغة لا يكتبها قلم غير قلم الاستاذ في هذا الزمان . واحسن الى نفسه بان كفاها مشقة الخوض في موضوع فلسفي صعب لم يتعود الخوض فيه وهو فوق طاقته . وان رام الرصيف تحقيق ما نذكره له هنا من ان هذا الامر فوق طاقته لانه يقتضي درساً لم يدرسه وبراءة من كل هوى غير هوى الحقيقة المجرّدة فليقابل قوله في مقدمته بقول الاستاذ في مقدمته فيظهر له حينئذ ان بين القولين ما بين العلم الذي لم ينضج بعد وبين العلم الناضج المقرون بالنزاهة والكمال . ولعلّ الرصيف لا يعتب لهذا المقال فان الحق اولى ان يُقال وتلك المقدمة لا يخرج منها الا هذه النتيجة



آثار الشرق القديمة

ننشر في هذا الباب ما انطوى ذكره من آثار الشرق ليقف الابناء على آثار الاباء وتاريخهم فان في ذلك عبرة وفائدة

سوريا حلقة التمدن

الساميوّن ممدنو العالم · راي جديد في الفينيقيين وشعر هوميروس · الاوديسه اعلان تجاري · انشقاق النساطرة (الكلدانيين اليوم) عن المسيحيين واحتماؤهم بالاسلام كان نعمة للتمدن

جمع صاحب كتاب « التمدن الاسلامي » الذي صدر في الشهر الماضي (١) اسباب عظمة العرب واتساع فتوحهم في احد عشر سبباً وهي · نشاطهم وخفة احمالهم · اعتقادهم بالقضاء والقدر وان الانسان لا يموت الا اذا جاء اجله · مهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال · نبوغ رجال عظام في صدر الاسلام · صبرهم ومطاولتهم في الحرب · انجادهم بعضهم بعضاً · حفظهم خط الرجعة · واقعة اليرموك التي شددت عزائمهم · انقسام الروم والفرس يومئذ وفساد اخلاقهم · انحياز اليهود اليهم · عدلهم ورفقهم وزهدهم

وبديهيٌّ ان هنالك اسباباً اعظم من هذه الاسباب لم ينتبه جناب المؤلف اليها · منها مسالة التوحيد التي كانت كبرق خلب تخطف الابصار · ومنها (وهو اهمها كلها) « النفس الساميّة العربية » التي صاغتها عوامل بلاد العرب الطبيعية والغير الطبيعية · ولو ان امة غير امة العرب اجتمعت فيها كل الاسباب التي ذكرها المؤلف لما استطاعت ان تقوم بما قامت امة العرب به اذا لم تكن (ساميّة) · ولذلك قال رنان وجميع المستشرقين « ان النسل الذي صدر عنه الدين والحرية والنزاهة والاخلاص وتصورات النفس الغزلية انما هو نسل هنود اوربا والساميين · اما الساميون فهم جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية « وهي العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية » فمن هذين النسلين (هنود اوربا والساميين) خرج تمدن العالم وادبانه الراقية · اما هنود اوربا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رقيقة وحناناً وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم

(١) سنعود الى هذا الكتاب في الجزء القادم لنوفيه حقه

كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية . فالذين اعدوا اذاً سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته » (يعني رنان بذلك القبائل الاسرائيلية التي خرجت منها الديانة اليهودية والديانة المسيحية والقبائل العربية التي خرجت منها الديانة الاسلامية)

نقول وكما ان الساميين (اي الشرقيين في عرفنا اليوم) كان لهم فضل عظيم على الانسانية من حيث خروج الاديان منهم كذلك كان لهم فضل عظيم عليها من حيث تعزيز الصناعة والتجارة وانتشار الفنون والمعارف . ولا ريب ان القارىء قد ادرك من هذا القول اننا لا نعني به احداً غير الفينيقيين

والذي اخطر هذا الموضوع في بالنا في هذا الشهر كتاب علمي كبير نشره العالم الفرنسوي فيكتور برار وعنوانه « الفينيقيون والاوديسه » وقد قصد به الكاتب امرين : الاول تايبد ما قاله سترابون من ان هوميروس الشاعر اليوناني المشهور اعتمد على الفينيقيين في وصف البلاد الخارجية التى وصفها في قصيدته (الاوديسه) . فهم اذاً اساتذته . والثاني ان حوادث (الاوديسه) المبنيّة على نكبات البطل اليوناني عولس ابي تليماك بعد خروجه من جزيرة كاليبسو ليست بحوادث خرافية . وقد ذكر المؤلف انه اكتشف البلاد التي حدثت فيها تلك النكبات ونشر رسومها

اما الامر الاول فيؤيده المؤلف باقامة عدة ادلة على ان الفينيقيين هم الذين مدَّنوا اليونان وعلى الخصوص جهات الارخبيل . وذلك ان فرصان اليونان كانوا يخطفون الفينيقيين اي سكان صور وصيداء وغيرهما من الثغور الفينيقية السورية ويأخذونهم الى بلادهم فينشرون فيها الميل الى الفنون والتجارة . واليهم اي الى هؤلاء الاسرى الذين نبغوا في اليونان وعاشوا فيها ينسب المؤلف نفائس الفنون اليونانية التي ظهرت في النهضة اليونانية . وعلى ذلك فان فينيقية او سوريا تكون الوصلة الكبرى بين التمدن القديم والتمدن اليوناني الذي تلاه . بل انها تكون استاذ اليونان واصل نهضتها

ولا يخفى ان هذا القول لا يُرضي انصار التمدن اليوناني لانه ينفي عن النفس اليونانية صفة الابداع ولذلك اكثروا من الصياح بالمؤلف واستهزءوا به . ولكن الصياح والاستهزاء لا ينقضان الدليل والبرهان

واما اثبات صحة الحوادث التي نسبها هوميروس الى عولس في الاوديسه فلسنا في صدده

الآن. ونكتفي بان نقول ان المؤلف ذكر في كتابه ان جزيرة الالاهة كاليبسو التي سافر منها عولس هي جزيرة واقعة في المدخل الشرقي لجبل طارق وتُدعى اليوم جزيرة (بريجيل) وان الشاطىء الذي قُذف عليه عولس بعد سفره منها هو شاطىء جزيرة كورفو في بلاد اليونان. وقد وصف المؤلف مواقع هذه الجزيرة التي زارها بنفسه وصفاً ينطبق على وصف هوميروس

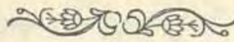
ولكن اذا ثبت ان هوميروس لم يكن قادراً من تلقاء نفسه على وصف البلاد البعيدة التي وصفها وانه اقتبس وصفها من الفينيقيين الذين كانوا يعيشون في بلاد اليونان بقي علينا ان نعلم السبب الذي اوجب على الفينيقيين تعليمه اياه وجعله يرضى بنظمه . فنقول ان هنالك واحداً من ثلاثة ? . فاما ان هوميروس اراد بذلك خدمة بني جنسه اليونان وافادتهم بمعلوماته الجديدة . واما انه اراد باغراء من الفنيقيين تحذير قومه اليونان من اخطار السفر التي اكثر من ذكرها ووصفها في قصيدته صرفاً لهم عن البحر ليبقى الفينيقيون منفردين فيه فلا يزاحمهم اليونان عليه . واما ان الفينيقيين راموا اتخاذ شعره البليغ بمثابة « اعلان » لبضائعهم وفضائلهم. وفي هذه الحالة تكون الاوديسه — تلك القصيدة البليغة السامية التي يقتبس منها شعراء الافرنج افكارهم واساليبهم : عبارة عن اعلان تجاري. ويكون الفينيقيون اوّل من اخترع هذه الاعلانات البليغة التي كثرت في هذا الزمان

واذ ذكرنا الحلقة الفينيقية التي ربطت التمدن القديم بالتمدن اليوناني وكانت اساساً له فاننا نذكر معها مدنية اخرى كانت سوريا حلقة لها ايضاً . واليك البيان

لما دبّ سوس الفناء في التمدن اليوناني والروماني على اثر الانقسامات والمشاحنات الدينية التي قامت بين اهله قامت في العالم دولة جديدة لتجديد شباب العالم وهي دولة العرب. فقيامها كان طبقاً للنظام الازلي الذي تديره اليد الازلية . وكان روم القسطنطينية وروم رومه في تلك الازمان في نزاع شديد بشان طبيعتي المسيح الالهية والبشرية . ففي اوائل القرن الخامس اظهر نسطوريوس بطريرك القسطنطينية رايه في ان طبيعة المسيح البشرية منفصلة عن طبيعته الالهية ولذلك لا يجوز تسمية العذراء مريم والدة الاله بل يجب ان تُدعى « والدة يسوع » فعارضه في ذلك البطريرك الاسكندري واسقف رومه لاغراض خصوصية غير الاغراض الدينية مما يطول شرحه . ثم اجتمع مجمع في افسس وقرر تكفير نسطوريوس وعزله من غير ان يحضر هذا المجمع اساقفة سوريا والشرق لانهم كانوا من حزب نسطوريوس وكان انصار البطريرك الاسكندري يخشون من ارتفاع كلمتهم . ولما

عُزل نسطوريوس ونُفي الى وطنه سوريا تفرق حزبه السوري في انحاء آسيا كلها وراح رجاله ينشرون معارفهم اليونانية وعقائدهم في جميع الاقطار فبلغوا الهند والصين وبلاد العرب . وقد عرف صاحب الشريعة الاسلامية وابو بكر الصديق بعضاً منهم

ولما قويت شوكة العرب كانوا يحمون هؤلاء النساطرة لان اعتقادهم بالسيد المسيح كان قريباً من اعتقاد المسلمين به من بعض الوجوه . وربما كان يومئذ بين الاعتقادين شيء من العلاقة . فكان النساطرة يستخرجون علوم اليونان ومعارفهم وهم آمنون في حمى الاسلام وراتعون في قصور خلفائه . وهم الذين كانوا اول من ترجم الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية . وهم الذين انشئوا في مدينة ادسيس الواقعة في ما بين النهرين المدرسة المشهورة التي خرج منها العلماء للنهضة البغدادية . وقد ذكر موءرخو العرب هؤلاء النساطرة فقالوا انهم قوم يحكمون في كل شيء بعقولهم ويفحصون كل الاراء بانفسهم . وقد ذكرنا في ترجمة ابن رشد ان هذا الفيلسوف لم يعرف فلسفة اريسطو الا من الكتب التي ترجموها . فكانه كُتب لسوريا ان تكون حلقة ثانية بين مدنية اليونان ومدنية العرب كما كانت حلقة بين المدنية القديمة والمدنية اليونانية



باب التقريظ والانتقاد

المقتطف وروايات الجامعة

حق علينا الشكر لحضرات الرصفاء الذين ذكروا بالثناء روايات الجامعة وان كانت لا تستحقه . الا اننا نرجو من رصيفنا المقتطف المفضال ان يسمح لنا بالردّ على اعتراض اعترضه على امر ورد في هذه الروايات . فقد قلنا في حاشية في اثناء الكلام عن التنويم المغنطيسي فيها وما ينسبه اليه اهله من المدهشات ما نصه « كم من الاشياء يجهلها الانسان . فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها » وعربنا حادثة خيالية ذكرها ديماس في الرواية وهي ان الدكتور جيلبار نوّم الكونتس اندري فرات وهي نائمة في قصر الملك صندوقة

كانت موضوعة في قصرها — فقال رصيفنا المقتطف ان العالم معذور اذا انكر ذلك لانه لا يسلّم الا بما يقع تحت حواسه وتكرر تجربته مرارًا امام شهود من العلماء

فنحن نري ان هذا القول في محله اذا كان الغرض منه دحض قول القائلين بان النائم نومًا مغنطيسيًا لا يرى الاشياء الغائبة عن بصره · واما اذا كان الغرض منه اظهار ان موءلفي الروايات لا يجوز لهم ان يتجاوزوا حدود العلم في ما يكتبونه فكثيرون من مشاهير موءلفي الروايات يردّونه · ذلك لانهم فريقان : فريق يحرّم ذلك وفريق يحلله · ومن المحللين شكسبير نفسه فانه جعل ابا هملت يظهر بعد مقتله لابنه « في ملعب التمثيل لا في المنام » ويرشده الى قاتله · فهل ان العلم يسلّم بهذا ويقبله ؟ وبناء على ذلك يكون موءلفو الروايات شبيهين بالشعراء الذين قيل فيهم انهم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون · وما ذلك الا لانهم يحاولون سبق الفكر البشرى بما يتصورونه ويصوّرونه من العوالم الخيالية التي يخلقونها · فاحيانًا يصيبون كما اصاب جول فرن في وصفه المناطيد والغواصات قبل اختراعها واحيانًا يخطئون · واحيانًا يتعمدون الخطأ تزويقًا للكلام والتماسًا للعجيب الغريب ارضاء لطلابه

واما اذا كان اعتراض الرصيف الكريم هو على قول الملخص العربي في الحاشية «كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها » لا على الموءلف ديماس نفسه فاننا نقول في ذلك :

الباحثون اليوم فريقان : فريق معطل لا يسلّم بشيء خارجًا عن دائرة المحسوسات مطلقًا ولا يعرف غير تاثير المادة في المادة · وفريق يُبقي في قصر العقل والعلم والمادة كوة مفتوحة على فضاء الابدية المظلم لعله يرد منها شيء جديد · وهذا الفريق يعتقد بوجود حقائق ادبية وقلبية اعتقاده بوجود حقائق عقلية · والجامعة من الفريق الثاني ولذلك تكره « انكار كل ما لا يقوم الدليل العقلي عليه » لان هذا الانكار قد يوصل "الآن" الشرق وسكانه الى ما لا نروم ذكره · ونحن نذكر ان رصيفنا المقتطف هو من اصحاب هذا الراي ايضًا · فقد اهتم منذ عدة سنوات اهتمامًا شديدًا بالمسائل الخيالية كالتنويم المغنطيسي وقراءة الافكار وانتقال الافكار وغير ذلك من المباحث التي يعدّها اليوم العلماء الذين اشار اليهم الرصيف الكريم من قبيل الاوهام والاحلام · فقد سُئل المقتطف في الجزء الرابع من السنة الثالثة عشرة الصفحة ٢٧٦ (هل تقرر امكان قراءة الافكار) فاجاب " ان اشهر قارئي الافكار كمبرلند والارجح انه صادق في اقواله وهو نفسه قد نسب قراءته للافكار

الى حركة عضلية خفيفة في من يقرأ له افكاره يشعر بها كمبرلند ولا يشعر بها صاحبها والمرجح عندنا ان قراءة الافكار صحيحة ولكن تعليلها غير معروف » وفي الصفحة ٣٤٩ من السنة السابعة عشرة على المقتطف قراءة كمبرلند افكار غيره بقوله (والهادي له في كل ذلك مطاوعة يد الشخص المضمر او مقاومتها والشخص نفسه غير شاعر بذلك . وهنا نقوم مزية المستر كمبرلند . فانه يشعر بهذه المطاوعة او المقاومة مع ان صاحبها لا يشعر بها . وقد علمنا ان في بيروت شاباً ظهرت فيه هذه القوة وهو يستدلّ بها على افكار غيره كما يستدل كمبرلند) نقول وكمبرلند هذا قد ثبت اليوم لدى علماء اوربا ان جميع ما صنعه من باب قراءة الافكار كان تدجيلاً وتضليلاً وشعوذة

وفي الصفحة ٧٩٨ من المجلد المذكور قال الرصيف الكريم في مقالة عن الماديين والروحيين (وعليه نحكم بوجود النفس او الروح لتعليل ما لا يعلل بغيرها كالاثير ولو لم نستطع ان نقيم البرهان العلمي على وجودها كما لا نستطيع ان نقيمه على وجوده)وفي الصفحة ٣٨٧ من مقالة عنوانها « تدين العجماوات » ما نصه (وهنا يقف العلم الطبيعي لانه لا يستطيع ان يثبت هذا الامر (اي تدين الحيوان) اثباتاً خالياً من كل ريب ولا ان ينقضه نقضاً تاماً) وفي الصفحة ٦٨٧ من السنة الثامنة عشرة فصل في غرائب الاتفاق هذه خاتمته « حبذا لو انتبه القراء الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحرّوا الدقة التامة فيه لعله يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن)

وفي الصفحة ١٥١ من السنة السابعة عشرة فصل عنوانه « انتقال الافكار » وموضوعه شبيه بموضوع حادثة اندري . وفيه ما نصه « ذكرنا غير مرة ان زوجة الاستاذ سدجوك العالم النفسي تبحث مثله في « المسائل النفسية » كاسباب الاحلام والهواجس والخيالات والتخيلات والنوم المغنطيسي » وفي هذه المقالة يقول (لو كانت معرفتها متوقفة على الصدفة لما عرفت اكثر من رقعة واحدة) وبعده بعدة اسطر (وذلك مما يعسر تعليله بالصدفة والاتفاق) نقول ولا ريب انه اذا كان التنويم المغنطيسي من « المسائل النفسية » فحادثة اندري ممكنة بلا جدال لان انصار التنويم واستحضار الارواح يقولون ان النفس هي التي تصنع ذلك الصنع

فكل هذه امور تدل على ان الرصيف الكريم من الفريق الثاني الذي يبقي في قصره العلمي كوة مفتوحة على الفضاء الابدي المظلم طبقاً لقول ابن الاثير : « ان ما اجهل اكثر مما اعلم » ولذلك استغربت الجامعة انكاره عليها تركها كوة مفتوحة على ذلك الفضاء .

اللهم الا ان يكون الرسوخ في العلم قد غير راي الاستاذ · وحينئذ نخشى ان تقوى بذلك حجة انصار الاوهام والاباطيل

﴿ كتاب حاضر المصريين ﴾

تاليف جناب محمد افندي عمر في مصلحة البوسطة المصرية

« حاضر المصريين او سر تاخرهم » كتاب ضخم لمؤلفه جناب محمد افندي عمر من مستخدمي البوسطة المصرية في العاصمة · وقد اهداه الى عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس النظار ونشر في صدره مقدمة بليغة من قلم حضرة المفضال عزتلو احمد بك فتحي زغلول · اما موضوع الكتاب فمعروف من عنوانه وهو ذكر حاضر مصر واسباب تاخرها · ولقد انصف الكاتب احيانًا فاجاد في وصف هذه الاسباب واحيانًا بالغ فيها واحيانًا خرج عن حد الانصاف · اما حملته على الاغنياء وتعنيفه ابناءهم على الاسراف في المقامرات والمضاربات وغيرها فحملة لا يُنكرها احد اذا كان لا يقصد بها اشخاصاً يعرفهم · وقد قلنا ذلك لانه شدَّد الوطأة كثيرًا على الاغنياء وابنائهم وخصوصاً على من خربت بيوتهم منهم ونسب اليهم انهم هم الذين خربوا بيوتهم بايديهم كانه يجهل ان في العالم كثيرين من الابالسة والاشرار الاردياء لا داب لهم الا التعلق على الاغنياء والوقوف في ابوابهم للغدر بهم وامتصاص دمائهم متى آنسوا غرة منهم

وهذا الكتاب لا تخلو مطالعته من فائدة للمصريين وغيرهم · وهو يدل على ما عاناه كاتبه في سبيل جمعه وطبعه مما يوجب له الشكر الجزيل · فعسى ان يهذبه في طبعة ثانية ويذكر الحسنات بازاء السيئات فان لكل امة في اوربا سيئات كالسيئات التي عددها في كتابه بل افظع منها ومع ذلك فتلك الامم عظيمة راقية لما فيها من الحسنات في طبقاتها العالية والدانية

﴿ تاثير النساء في الارتقاء ﴾

بقلم جناب جرجي افندي نقولا باز

القى جناب جرجي افندي نقولا باز خطبة في احدى جلسات جمعية شمس البر في بيروت عنوانها « تاثير النساء في الارتقاء » ثم طبعها على حدة بعد نشرها في رصيفتنا جريدة المحبة الغراء · ونحن نتمنى ان يطالع الآباء والامهات هذه الخطبة مرارًا لما فيها من الحث على تربية البنات وبيان منزلة المراة في المجتمع البشري ولذلك نثني على كاتبها اجمل ثناء

ثمن النسخة الواحدة خمسة غروش صاغ وفيها ١٣ رسماً

بولس وفرجيني

وهي الحلقة الاولى من (مشروع) مجلة الجامعة

ومداره على نقل

اشهر مؤلفات الافرنج

الى اللغة العربية تلخيصاً

بقلم

فرح انطون

منشئ مجلة « الجامعة »

حوادث هذه الرواية حقيقية لا خيالية كما تجد في الجزء العاشر من الجامعة



برناردين مؤلف (بولس وفرجيني)



بولس وفرجيني

الاسكندرية في ١٠ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢

مشروع الجامعة الجديد

في اللغات الاوربية مؤلفات وضعها حكماؤهم وفلاسفتهم وعلماؤهم لانارة الاذهان وتثقيف العقول واصلاح الاخلاق وهي اشهر مؤلفاتهم . ولقد كان لهذه المؤلفات النفيسة التاثير العظيم في تلك الامم لانها هي التي كوّنت اخلاقها وصاغت نفوسها . فنقلها الى اللغة العربية امر واجب لنشر ما فيها من (الجمال والخير والحق) لا سيما وان موضوعها غير مخصوص بامم الافرنج بل هو فلسفي علمي ادبي يصح اطلاقه على جميع بني الانسان

وقد شرعت (الجامعة) منذ هذا الشهر في نقل بعض هذه المؤلفات النفيسة التي تحتاج لغتنا اليها . فهي تُصدر في كل شهر كتاباً منها وبذلك تستطيع ان تنقل الى اللغة العربية في كل عام ١٠ كتب نفيسة او ١٢ كتاباً كان يجب ان تكون قد نقلت اليها منذ ازمان . وقد جعلت ابتداء هذا المشروع رواية فلسفية ادبية طبيعية عنوانها « بولس وفرجيني » وهي من تاليف الفيلسوف الادبي الشهير برناردين دي سان بيير . وهي افضل كتاب ادبي كُتب في عصر المؤلف . وقد قال شارحو كتبه ان هذه الرواية وضعت برناردين في درجة هوميروس وفرجيل وتاسيت فصار بها خالداً مثلهم . ولما نُشرت هذه الرواية في باريز (عام ١٧٨٩ قام لها عالم الادب وقعد وما قرأها احد من الجنسين الا اذرف لها دموعاً سخينة ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس » ولا ابنة الا وسميت « فرجيني » وكان نابوليون الاول كلما لقي مؤلفها يساله : متى تكتب لنا يامسيو برناردين كتاباً كبولس وفرجيني او كالكوخ الهندي . اما ناشروا الكتب فانهم زوروا طبعها ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوها ٣٠٠ مرة من غير اذن المولف ليستطيعوا اجابة الجمهور الذي كان يطلبها من كل صوب . فعسى ان يكون لها في اللغة العربية شيء من الاقبال الذي كان لها في لغتها لاننا بذلنا الجهد لجعلها — كتابةً وطبعاً وورقاً وتصويراً — مساوية للنسخة الاصلية

هذه هي الحلقة الاولى من مشروع الجامعة وقد جعلناها هدية للامهات والعذارى في الشرق فنرجو ان يقبلنها ويستفدن منها . وفي الشهر الآتي تصدر الحلقة الثانيـة لمؤلف آخر طبقت شهرته الخافقين . وهكذا على التتابع . ولا ريب عندنا في ان قراء اللغة العربية سيرتاحون الى هذا المشروع وينشطونه تنشيطاً يمكّن الجامعة من توسيعه في المستقبل توسيعاً يتجاوز كل حد كما ذكرت ذلك في مقدمة طويلة في صدر الجزء التاسع الذي صدر في هذا الشهر وينسيها ما تعانيه في سبيله . وعلى الله الاتكال في كل حال

بولس وفرجيني

وهي اشهر الروايات الادبية واشرفها

هدية من (الجامعة) الى كل ام وكل زوجة وكل عذراء في الشرق. ليرين فيها اسمى صورة للكمال والادب والمعيشة البرّية الطاهرة ويسمعن منها اشجى اصوات الفضيلة

١

قصة الشيخ

في الشاطىء الشرقي من «جزيرة دي فرنس» مدينة تُدعى «بور لويس» اي ثغر لويس وهي قائمة على سفح جبل يُدعى «المورن» ووراءه غابة واسعة تمتد الى اطراف الجزيرة وكان بين المدينة والجبل ارض فسيحة منبسطة بين الآكام والصخور يدل ظاهرها على انها كانت منذ مدة عامرة مزروعة. وكان يلذ لي الصعود من المدينة الى هذه الارض لاتمتع فيها بالهدوء السائد فيها واسمع منها تكسر امواج البحر على شاطىء الجزيرة وحفيف اشجار الغابة من وراء الجبل. وكان في وسط هذه الارض آثار كوخين بُني احدهما بجانب الآخر. ففي ذات يوم كنت جالساً بجانب هذين الكوخين امتع الطرف بمناظر الافق



الشيخ

البعيد واتامل في ما حولي واذا بشيخ قد مرَّ بي وهو لابس ملابس الوطنيين وهي مؤلفة من رداء قصير و(كلسون) وفي يده عصا يتوكأ عليها. وكان شعره ابيض وهو مسترسل على كتفيه وفي وجهه دلائل المروءة والبساطة والصلاح. فلما دنا مني حييته باحترام فرد

لي التحية وتامل فيَّ قليلاً ثم دنا وجلس بجانبي. فلما رأيته قد آنس بي خاطبته بقولي «هل تعرف ياعمّ لمن كان هذان الكوخان» فنظر الشيخ اليَّ وقال «كان هذان الكوخان يا بنيّ لعائلتين فقيرتين عاشتا فيهما بهناء منذ عشرين عاماً. ولهما قصة مؤثرة ولكن مَنْ من الناس يهتم الآن باخبار افاضل البشر الذين يعيشون بهدوء وسلام في بعض زوايا البلاد. ان الناس لا يهتمون الا لتاريخ الملوك والعظماء الذي قلما يجدي نفعاً» فقلت حينئذ للشيخ: «بل قصّ عليَّ ياعماه قصة هاتين العائلتين اذا كنتَ في سعة من الوقت. فانني مصغٍ اليك بكل جوانحي. واعلم ان الانسان مهما بلغ منه الفساد وسوء الحال فانه يبقى ميالاً لاستماع الكلام عن السعادة التي تنشأ عن الفضيلة والمعيشة في الطبيعة»

فامرَّ الشيخ حينئذ يده على جبينه كانه يجمع تذكاراته ثم اخذ يقصّ عليَّ القصة التالية

٢

التجاء امراتين الى الطبيعة فرارًا من ظلم الناس

في سنة ١٧٢٦ قدم الى هذه الجزيرة شاب من نورمنديا يُدعى المسيو دي لاتور. وسبب قدومه انه طلب الرزق في فرنسا فلم يجد اليه سبيلاً فيها فانصرف عنها الى مستعمراتها. وكانت معه فتاة يحبها حباً شديدًا وقد اقترن بها في السرّ ومن غير دوطة لان اهلها كانوا من النبلاء وقد عارضوا في اقترانها برجل لم يكن من طبقتها. ولما جاء دي لاتور بزوجته الى هذه الجزيرة تركها في هذه المدينة (بور لويس) ثم قصد مدغسكر ليبتاع منها بضعة من الزنوج ويعود بهم الى هنا لفلاحة الارض وزراعتها. وكان سفره الى مدغسكر في الشتاء فاصيب فيها بالحمى التي يسمونها الحمى الطاعونية وهي تدوم هنالك نصف سنة وتوفي بها. فاصبحت زوجته منذ ذلك الحين ارملة وكانت فوق ذلك حاملاً ولم تكن تملك غير زنجية تتخذها لحوائجها

ولكن مدام دي لا تور لم يضعف عزمها لهذه المصيبة التي نزلت بها. فعزمت ان تنفرد مع زنجيتها في قطعة ارض لتفلحاها وتزرعاها وتعيشا فيها من نتاجها. ولما عزمت هذا العزم تركت الاراضي الخصيبة في السهول وقصدت هذا الجبل. ذلك لان النفوس الحساسة المتالمة تطلب الانفراد دائمًا لتخفي فيه احساسها والمها. ولكن العناية الالهية التي لا تتخلى عن مساعدتنا اذا لم نطلب غير الامور الضرورية لنا لم تلبث ان منحت مدام دي لا تور نعمة لا ينالها الانسان بالغنى والجاه: واريد بذلك صديقة فاضلة

فقد كان في هذا المكان حين قدوم مدام دي لاتور اليه سيدة كريمة حساسة تُدعى مرغريت . وكانت هذه السيدة من عائلة من مقاطعة بريتانيا وقد خدعها احد شبان النبلاء فوعدها بان يقترن بها ثم اخلف وعده وهجرها دون ان يهتم لها ولا للطفل الذي اصبحت حاملاً به . فلما وقعت هذه الفتاة التعيسة في هذه المصيبة الهائلة هجرت قريتها حفظاً لكرامة اهلها وسارت تقصد احدى المستعمرات لتخفي عارها فيها بعيدة عن القرية التي اضاعت بها انفس « دوطة » للفتاة الفقيرة اعني طيب الصيت وحسن الاحدوثة . ولما وصلت مرغريت الى هذه الجزيرة ابتاعت منها زنجياً كبير السن ببعض دراهم كانت معها ثم انفردت في هذا الجبل واقامت على فلاحة الارض وزراعتها

ولما قدمت مدام دي لاتور الى هذه الناحية وجدت فيها مرغريت وهي ترضع طفلاً لها . فسرَّت مدام دي لاتور بمصادفتها في هذه الجهات الموحشة رفيقة تؤنسها خصوصاً لان قصة الفتاتين كانت تكاد تكون واحدة . ولما قصت مدام دي لاتور على مرغريت قصتها تاثرت هذه وبكت . ثم قالت لها : « اما انا فقد كنت مستحقة تعاستي ايتها السيدة لانني اخطات . واما انتِ فانكِ كنتِ حكيمة عاقلة ومع ذلك فقد صرتِ تعيسة » ثم قدمت لها مرغريت كوخها وهي تبكي اي اقترحت عليها مساكنتها فيه . فقبلت مدام دى لا تور وسكنت معها

وكنتُ قد عرفت مرغريت قبل قدوم مدام دي لا تور لاني جارها وان كنت اسكن في الغابة وراء هذا الجبل . ذلك لان البشر في الخلاء يكونون جيران وان كانت الاحراش والجبال تفصلهم بعضهم عن بعض . والضيافة تُعتبر عندهم واجباً مفروضاً . اما في المدن فربما عاش رجلان في شارع واحد او في منزل واحد دون ان يعرف احدهما الآخر

فلما دريت بقدوم مدام دي لاتور قصدتُ مرغريت لاسالها اذا كانت تحتاج اليَّ . فشاهدت عندها الرفيقة الجديدة وكانت على وشك الوضع . فقلت لهاتين السيدتين انه من الواجب لحفظ صحة الطفلين بناء كوخ آخر وكان غرضي من ذلك ايضاً اقتسام الارض لئلا ياتي احد و يشاركهما فيها . فعهدتا اليَّ هذا الامر . فقسمتُ هذه الارض قسمين . قسم جعلتُ اوله من تلك الصخور العالية التي يكسوها الضباب ومنها يجري نبع صافٍ غزير ونهايته هذا الكوخ وقسم جعلت اوله هذا الكوخ ونهايته السهل المنبسط تحته . وكان القسم الاول علوياً والقسم الثاني سفلياً . ثم انني اقترعت على هذين القسمين بين السيدتين فكان القسم العلوي من نصيب مدام دي لاتور والقسم السفلي من نصيب مرغريت .

فسرت كل واحدة منهما بنصيبها . وبعد ذلك شرعتُ في بناء الكوخ الجديد . وكان كوخ مرغريت مبنياً في آخر القسم السفلي فجعلت كوخ مدام دي لا تور في آخر القسم العلوي ليكون الواحد بجانب الثاني . وقد ذهبت بنفسي الى الحرش والى شاطىء البحر لاجلب منهما مواد البناء للكوخين . وها قد مرّ على ذلك اليوم عشرون عاماً ومع ذلك فان آثار الكوخين لا تزال ظاهرة للعيان . فكأنّ طوارق الزمان التي تمحو آثار الممالك العظمى تحترم الآثار التي تقيمها الصداقة والصلاح في احضان الطبيعة

ولم اكد افرغ من بناء الكوخ الثاني حتى وضعتْ مدام دي لا تور طفلة . وبما انني كنت عراباً لابن مرغريت الذي كان يُدعى « بولس » فقد سالتني مدام دي لا تور ان اكون عراباً لابنتها ايضاً . وعهدتْ الى صديقتها مرغريت ان تسمي الطفلة . فسمتها مرغريت « فرجيني » تفاؤلاً بانها ستكون في المستقبل سيدة فاضلة ينطبق فيها الاسم على المسمى . وقد قالت حين تسميتها اياها « انها ستكون فاضلة وسعيدة معاً . لانني لم اعرف التعاسة الا منذ خرجت عن طريق الفضيلة »

وقد تقدم في ما مرّ انه كان لمرغريت زنجي ولرفيقتها زنجية . فعند ولادة « فرجيني » اقترن هذان الزنجيان . وكانا شديدي الحب والاخلاص لسيدتيهما . وكان الرجل يدعى « دومينيك » وقد اخذ على نفسه زراعة الحقلين حقل مرغريت وحقل رفيقتها وغرس الاشجار فيها . اما زوجته الزنجية فانها كانت تهتم بداخل الكوخين كاعداد الطعام وترتيب الشؤون وتربية بعض الدجاج وحمل ما فضل عن المنزلين من الاثمار والحبوب والبيض الى المدينة لبيعها فيها . وكان في المنزلين فوق ذلك عنزتان لتربيتهما مع الطفلين رغبة في لبنهما وكلب كبير الجثة ينام في الخارج ليحرس المكان تحت جنح الظلام

اما مرغريت وصديقتها مدام دي لاتور فقد كانتا تصرفان نهارهما في غزل القطن . وكانت حاجاتهما قليلة حتى انهما كانتا تمشيان حافيتين ولا تلبسان حذاء الا حين ذهابهما في يوم الاحد الى تلك الكنيسة القائمة هنالك . اما المدينة فلم تكونا تنزلان اليها الا قليلاً لان اهلها كانوا يتهكمون عليهما للبسهما ملابس مصنوعة من نسيج ثخين وارد من بنغال وهو ما يلبسه العبيد في هذه الجزيرة . ولذلك كانتا تعودان بسرعة من المدينة كلما ذهبتا اليها وتنسيان في هذا المكان المنفرد الذي كانتا تجدان فيه الحرية والنظافة والخيرات التي اخرجتاها من الارض بجدهما وتعبهما ما كانتا تلاقيانه في المدينة من خشونة الناس وتهكمهم وكانت حاجاتهما متشابهة وحالتهما متماثلة ولذلك كان كل شيء لديهما مشتركاً بينهما .



العائلتان مجتمعتان

وكان لهما ارادة واحدة ومصلحة واحدة ومائدة واحدة . وكانت احداهما لا تنادي الاخرى الا بهذا النداء الحلو : « يا اختي » او « يا صديقتي » . وكانت معيشتهما عيداً دائماً في هذا الاخاء وهذه الصداقة . واذا اتقدت يوماً في نفسيهما نار اقوى من نار الصداقة فقد كانت مبادئهما الدينية النقية واخلاقهما الطاهرة الشريفة تصرف تلك النار الى العالم الثاني . كلهيب يتطاير الى السماء منفصلاً عن الارض لنفاد المادة التي كان يتولد منها

وكانت صداقتهما تزداد من نظرها الى طفليهما . وكانتا تتسليان بوضع الطفلين في الماء معاً حين غسل جسديهما فكانا يلعبان فيه ويضحكان . وكثيراً ما كانتا تنيمانهما في سرير واحد فيتعانقان و يتضامان . وكانت الواحدة ترضع طفل الاخرى وهي تقول « سيكون لكل واحدة منا ولدان ولكل ولد منهما امّان » واحياناً بينما كانتا مكبتين على سريريهما ترضعانهما كانتا تمزحان وتتحادثان بعقد الزواج بينهما حين بلوغهما سن الشباب . غير انهما كانتا كلما افتكرتا في ذلك انقلب هزلهما جداً وملأ الحزن نفسيهما . ذلك لان الواحدة كانت ترى انها لم تقع في المصائب الا لاهمالها عقد الزواج والاخرى لانها خضعت لناموسه . الاولى رامت الصعود الى طبقة فوق طبقتها والثانية نزلت من طبقتها الى طبقة ادنى منها . ولكنهما كانتا تتعزيان عن ذلك بافتكارهما ان ولديهما سيكونان اهنأ بالاً منهما فيذوقان لذة السعادة والمساواة في هذه الارض البعيدة عن اوهام اوربا واخلاقها الفاسدة

٣

بولس وفرجيني في الصغر

وفي الحقيقة ان ما كان بين بولس وفرجيني من الالفة حتى في صغرهما امر يوجب الدهشة . فانه اذا بكى بولس او شكا من امر فقد كان كافياً لاسكاته ان تريه امه فرجيني وتدنيه منها . فحينئذ يبتسم بولس و يسكت كانه لم يبكِ ولم يشكُ من شيء . واذا تألمت فرجيني من طارئ، صرخ بولس في الحال منذرًا بالمها . اما هي فقد كانت تكتم ألمها عند صراخه لئلا تزعجه . وكنت كلما اتيتُ الى هنا وجدتهما واقفين عاريي الجسم كعادة الاولاد في هذه البلاد وهما يمشيان باقدام مرتجفة لعدم مقدرتهما على المشي في اول عمرهما. وكانا يمشيان وهما آخذان بعضهما بايدي بعض كانهما شقيقان لا ينفصلان . واذا جنّ الليل لم يقدر احد على الفصل بينهما ايضاً فينامان في فراش واحد متعانقين الوجه في الوجه والخد على الخد

وحين مقدرتهما على النطق والكلام كانت اول كلمة نطقا بها « اختي » و « اخي » . فان سن الصبا يعرف عواطف ارقّ من هذه الكلمة ولكنه لا يعرف كلاماً احلى منها . ولما نشئا قليلاً زادت الفتهما واشتد تعلقهما بعضهما ببعض لان تربيتهما المختلفة كانت تسوق صداقتهما الى حاجاتهما الغريزية المتبادلة . اما فرجيني فانها كانت تساعد الزنجية في كل ما له علاقة بتدبير المنزل واعداد الطعام . واما بولس فانه كان يساعد الزنجي في



تحت مظلة واحدة

زراعة الارض ويصحبه الى الحرش لقطع الحطب وفي يده فاس صغيرة . وكان اذا وجد في طريقه في الحرش زهرة جميلة او ثمرة جيدة او عش عصفور فقد كان يصعد اليه ولو كان في اعلى شجرة و يعود به الى رفيقته المحبوبة

وكل من عثر على احدهما في مكان فانه كان متيقناً انه يجد الآخر غير بعيد عنه . وفي ذات يوم كنت نازلاً من احدى هذه القمم التي امامنا فشاهدتُ فرجيني في الحديقة تركض الى المنزل تحت المطر وقد رفعت « فسطانها » على راسها خوفاً من البلل. فقصدتها لمساعدتها على الوصول الى البيت ولكني لما دنوت منها رايت انها لم تكن وحدها بل كان بولس معها تحت الفسطان وهما يسيران ضاحكين مسرورين من هذا الاختراع الذي كان يقيهما المطر ويضمهما تحت مظلة واحدة

وعلى ذلك فكل عنايتهما كانت مصروفة الى امرين . الاول مساعدة بعضهما بعضاً والثاني ارضاء بعضهما بعضاً . وكانا جاهلين اي انهما لم يكونا يعرفان القراءة والكتابة ولا يهتمان بما حدث قبلهما في الازمنة الماضية . ذلك ان اهتمامهما كان مقصوراً على الارض التي كانا يعيشان عليها وكانا يحسبان انها الدنيا كلها . وكانا لا يعرفان السرقة لان كل شيء كان مشتركاً بينهما ومباحاً لهما . ولا الشراهة لان طعامهما كان بسيطاً وهما ياخذان منه ما ارادا . ولا الكذب اذ لم يكن عليهما ضغط يضطرهما الى ستر امور تخالف ما يُطلب منهما القيام به . ولم تُخفهما امّاهما بتعليمهما ان الله يعاقب الاولاد الذين يعقون اهلهم عقاباً هائلاً . ولا علّمتاهما من الدين الا كل ما يحببه الى النفوس ويجعلها تُسرّ به وترتاح اليه بدلاً من ان تخاف منه . ولذلك فان بولس وفرجيني اذا لم يذهبا الى الكنيسة ويصليان فيها صلوات طويلة فانهما في كل مكان يقيمان فيه : في البيت او في الحقل او في الحرش كانا يرفعان عيونهما وايديهما الى السماء بقلوب ملئها الحب والشكر للامين الفاضلتين اللتين تربيهما

٤

وصفها في سن الفتوة

وهكذا صرف بولس وفرجيني زمن صباهما فكان هذا الزمن منهما بمثابة شفق يبشرهما بطلوع شمس السعادة عليهما في مستقبل العمر

وكانت بنية الولدين تنمو وتشتدّ بغذاء سليم غزير ونفسهما تزداد اشراقاً بتربية لطيفة كانت تطبع على سحنتهما دلائل الطهارة والارتياح الباطني . ولما بلغت فرجيني السنة الثانية عشرة كانت قامتها قد امتشقت وشعرها الاشقر الطويل قد كلل وجهها الجميل وعيناها الزرقاوان وشفتاها المرجانيتان صارت تسطع في وجهها سطعاناً يسحر الالباب . وكانت اذا

تكلمت ابرقت عيناها وابتسمتا ابتساماً مسكرًا واذا سكتت ارتفعتا الى السماء ارتفاعاً طبيعياً لا صناعة فيه فيكون لها حينئذ منظر شديد التاثير يمازجه شيء من التامل والحزن . واما بولس فقد اخذت تبدو عليه علامات الرجولية من خلال سن الصبا . فان قامته صارت اطول من قامة فرجيني ولونه صار اسمر من لونها وانفه معقوفاً اكثر من انفها . وكانت عيناه سوداوين كبيرتين ولهما منظر يدلُّ على الكبرياء لو لم يكن حولهما اهداب كالاشفار تلطف قوتها . وكان بولس في حركة دائمة في النهار ولكنه كان اذا رأى فرجيني قادمة نحوه ترك كل عمل وحركة وجلس بجانبها . وكثيرًا ما جلسا ياكلان معاً وهما ساكتان لا ينطقان ببنت شفة . الا ان اعينهما كانت تلتقي كثيرًا فكانت شفاههما تبتسم لالتقائها . و بذلك كانا يشبهان اولادًا من اولاد السماء الذين يتخاطبون بالروح لان السنتهم لا تعرف كلاماً يعبر عما في نفوسهم من عواطف الحب والصداقة

٥

قساوة عمة

وكانت فرجيني كلما تقدمت من الشباب و زادت محاسنها اشراقاً ازداد بال امها اشتغالاً بشانها . ولذلك كانت تقول لي : « ماذا يحلُّ بفرجيني اذا متُّ وهي لا تملك شيئاً » وفي ذات يوم عزمت على ان تكتب بهذا الشان لعمتها الغنية في اوربا . وقد قهرت نفسها على ذلك لا من اجلها بل من اجل ابنتها لانها كانت تستهون كل صعب في سبيلها. فتناولت قلماً وكتبت اليها تشكو حالها وتخبرها بموت زوجها و بولادة ابنة لها . فلم يردها جواب منها . فعادت مدام دي لاتور مع انفتها وابائها وكررت الكتابة الى تلك العمة القاسية رغبة في تدارك مستقبل ابنتها . فمرت عليها بضع سنوات دون ان تاخذ جواباً على كتابها . ولكنها في عام ١٧٣٨ اي بعد انقضاء ثلاث سنوات على قدوم المسيو دي لابوردوناي حاكماً لهذه الجزيرة بلغها ان هذا الحاكم يسال عنها ليدفع اليها كتاباً من عمتها . فطارت مدام دي لاتور اليه واخذت ذلك الكتاب منه . ولما قرأته وجدت ان عمتها تقول لها فيه انها تستحق التعاسة التي وقعت فيها لانها رضيت بالاقتران برجل دنيء الاصل . وان في الشهوات نفسها عقاباً لاصحابها . وان موت زوجها قبل الاوان قصاص عادل من الله. وانها احسنت في التجائها الى المستعمرات فرارًا من الصاق وصمة العار باسرتها في فرنسا . ثم هي تقول لها انها في بلاد غنية لا يفتقر فيها الا الكسالى . وبعد كتابة هذا

الكتاب علقت عليه حاشية خلاصتها انها عادت فاوصت بها المسيو دي لابوردوناي خيرًا

اما مدام دي لا تور فانها بعد وقوفها على هذا الكتاب وقعت في اليأس خصوصًا حينما قال لها الحاكم انه يجب عليها ان لا تزعج بكتبها عمتها الكريمة . فعادت هذه الام الى منزلها في الجبل والقت الكتاب على المائدة امام رفيقتها قائلة « هذه هي نتيجة اصطباري احدى عشرة سنة »

ولما درت بذلك مرغريت وفرجيني و بولس حزنوا لحزن مدام دي لا تور وصارت فرجيني تقبّل امها تخفيفًا لحزنها واخذت صديقتها مرغريت تقول لها « لسنا في حاجة الى اهلك فان الله لا يتركنا وهو وحده ابونا فتشجعي ياعزيزتي ولا تحزني » . اما بولس فانه كان يرفس الارض بقدميه و يتهدد بقبضتيه دون ان يعرف على ايّ بشر يجب ان يصب غضبه . فاخذت حينئذ مدام دي لا تور بولس وابنتها فرجيني بين ذراعيها وقبلتهما وهي تقول « انتما سبب حزني وفيكما اجد كل هنائي » فلم يفهم بولس وفرجيني هذا الكلام ولكنهما ابتهجا اشد ابتهاج حينما شاهدا مدام دي لاتور تمسح دموعها . وعلى ذلك كان هذا الاضطراب الوقتي عبارة عن زوبعة خفيفة في احد ايام الصيف الهادئة

٦

ما جزاء الاحسان الا الاحسان

وكان ميل بولس وفرجيني للخير ينمو في وسط تلك الطبيعة الهادئة نموًا مستمرًا . ففي يوم احد ذهبت مدام دي لاتور ومرغريت الى الكنيسة و بقيت فرجيني في البيت لاعداد الطعام . فبينما كانت مشتغلة بذلك واذا بزنجية في حالة يرثى لها من الفقر وسوء الحال قد وقفت امام الكوخ وهي تبكي من الجوع وصارت تقول « رفقًا بي ايتها الفتاة اللطيفة » ثم اخبرتها بان سيدها قد اساء اليها وعذبها فاضطرت الى الفرار من بيته ولذلك بعث يطاردها في الجبال لاصطيادها . اما هي فانها عزمت على طلب الموت ولكنها قالت في نفسها قبل ذلك يجب ان ازور هولاء البيض اولاً لعلهم يساعدونني و يدفعون الموت عني . فرقت لها فرجيني خصوصًا حينما شاهدت ما كان في جسمها من الجروح الناشئة على اثر السياط وقدمت لها كل ما اعدته للمنزل من الطعام في ذلك الصباح . فاكبت الزنجية على الطعام فلم تترك منه شيئًا . اما فرجيني فانها قالت لها : « هل ترومين ان اذهب معك لاطلب لك العفو من سيدك ياعمتي » فاجابت الزنجية : انني اتبعك حيثما ذهبت ياملاك السماء .

فنادت فرجيني حينئذ بولس وسالته ان يرافقها الى منزل سيد الزنجية ليطلبا لها العفو منه · فذهب بولس معها والزنجية تتبعهما · وكان منزل سيد الزنجية قائماً وراء الجبل فاجتازوا اليه الاكام والاحراش بعناء شديد · ولما وصلوا اليه رأوا الرجل يتنزه في حديقته وفي فمه غليونه · فدنت منه فرجيني باقدام مرتجفة وطلبت منه « ان يعفو عن خادمته اكراماً لله» اما الرجل فانه لم يعبأ في بدء الامر بتلك الفتاة وذلك الفتى اللابسين ملابس تدل على فقرهما · ولكنه حينما وقع نظره على عيني فرجيني الساحرتين ورأى قوامها الاهيف ووجهها المشرق بنور الجمال وسمع صوتها اللطيف الذي كان يرتجف من الانفعال كسائر جسمها رفع الغليون من فمه وقال «والله اني اعفو عنها ولكن لا اكراماً لله بل اكراماً لكِ » فاومأت حينئذ فرجيني الى الزنجية ان تتقدم ثم فرَّت تركض نحو العرش و بولس يتبعها

و بعد ذلك اخذا يتسلقان الجبل للعودة الى المنزل · وكان قد انتصف النهار وقد سارا من غير طعام مسافة ١٥ ميلاً · فقال بولس لها : نحن من غير طعام منذ الصباح فهلمي نعود الى منزل سيد الزنجية لنتغدى فيه · فاجابت فرجيني : لا لا فانني خفت من ذلك الرجل خوفاً شديداً · واذكر يابولس قول امي : ان خبز الرجل الشرير يملاء الفم حجارة وتراباً · فقال بولس : فماذا نصنع اذاً فانني لا اجد في هذا المكان شجرة مثمرة لتبردي بثمرها حرارتك وتبلي ريقك · فقالت فرجيني : ان الله لا يتخلى عنا وكما انه يسمع اصوات العصافير الصغيرة ويُنيلها مرادها فانه يسمع ايضاً صوتنا

ولم تاتِ فرجيني على هذا الكلام حتى سمعت خرير ماء فصاحت باخيها : لقد وصلنا الى نبع · ثم اسرعا الى صخرة كانت الماء تنبجس منها فشربا من مائها الصافي واكلا من النباتات التي كانت نامية في جوانبها

ثم اخذا يفتشان عن طعام افضل من هذا الطعام فوجدت فرجيني بين اشجار الحرش نخلة صغيرة · وكان بولس يعلم ان راس النخلة يتضمن دائماً كتلة من الالياف التي تصلح للاكل وهم يسمونها « ملفوفة او كرنباً » لشبهها به · فاخذ بولس يدبر طريقة لكسر تلك النخلة توصلاً « للملفوفة » وكان جذع النخلة صلباً لا تعمل فيه الفأس ولم يكن مع بولس شيء جارح حتى ولا سكين · فعمد الى كسر النخلة من طريق اخرى وذلك انه رام احراق الجذع ليتمكن من كسره · ولم يكن لديه نار لاحراقه فاخذ يوقد ناراً بالطريقة الطبيعية التي يجري عليها اهل هذه البلاد · وذلك انه جاء بغصن يابس ثم تناول حجراً محدداً وثقب الغصن به · وبعد ذلك جاء بغصن يابس آخر ولكن من غير نوع الغصن

الاول و برى طرفه بالحجر المحدد ايضاً · ثم ادخل طرف الغصن المبري في الثقب وصار يديره فيه بسرعة كما يُدار حجر الرحى · فلم تمر على ذلك فترة من الزمن حتى حمي الغصنان ثم تطاير منهما الشرر دلالة على اضطرام النار · فاخذ بولس هذه النار واضرم جزع النخلة بها · ولما احرقت النار الجذع هوت النخلة الى الارض · فاخذ بولس « الملفوفة » التي في راسها وصار ياكل منها مع رفيقته ثم شويا بعضها واكلاه مشوياً وهما في غبطة وسرور خصوصاً لتذكرهما ما صنعاه من الجميل مع الزنجية

ولكنهما بعد تناول الطعام اشتد قلقهما لغيابهما عن البيت وابطائهما في ذلك لعلمهما مبلغ اشتغال بال اهلهما لهذا الامر · ولذلك عزما على الاسراع الى الكوخ · غير انهما كانا قد ضلاَّ الطريق · فقالت فرجيني « ان منزلنا من جهة الشمس اذا كانت في وسط النهار فيجب علينا ان نجتاز الجبل الذي امامنا للوصول اليه » فاخذا يسيران لصعود الجبل · ولم يتقدما قليلاً حتى اعترضهما في طريقهما نبع يتالف من مائه جدول يقطع الطريق · فخافت فرجيني من خوض الماء للمرور · فاخذها عند ذلك بولس على ظهره ثم سار في الماء



بولس مع فرجيني في الحرش بقطعان الجدول

وهو يقول « لا تخافي فانني اشعر بانني في غاية القوة حينما اكون معك · ولو لم يجبك الرجل الى العفو عن الزنجية لكنت ضربته » فصاحت فرجيني « هل حدثتك نفسك بمخاصمة رجل ضخم وشرير كذلك الرجل · يا لله ما اصعب صنع الخير في هذه الحياة وحقاً انه ليس فيها من امر سهل غير صنع الشر »

ثم اقبل المساء والولدان يسيران على غير هدى بين تلك الجبال والاحراش · ولما

اوشكت الشمس ان تغرب خافت فرجيني وضاق بولس ذرعاً فصار يروح ويجيء على غير هدى واخذت فرجيني تبكي وتقول « لقد اخطاتُ لقد اخطاتُ فانه يجب على الابنة ان تستشير امها في كل شيء حتى في صنع الخير » اما بولس فانه صعد الى شجرة ليرى ما كان امامه ووراءه فلم يرَ الا رؤوس الاشجار البعيدة · فنزل عن الشجرة وصعد الى اكمة ثم اخذ يصيح : « الينا الينـا تعالوا وساعدوا فرجيني » فلم يجبه غير رجع الصدى بترديده اسم فرجيني · ولما سُدت دون الولدين كل الابواب التفتت فرجيني الى بولس وقالت له « فلنصلِّ يا اخي فان الله يرفق بنا » فجثـا الولدان على الارض بين الاعشاب والاشجار واخذا في الصلاة · وحينئذ سُمع صوت كلب بعيد فصاحت فرجيني « اظن هذا الصوت صوت كلبنا « فيدل » فانني اعرفه ولعلنا صرنا على مقربة من الكوخ » فاجاب بولس « كلا ولكـنه على الارجح صوت احد كلاب الصيادين الذين يكمنون الايل مساء في هذه الجهات »

وبعد حين قرب صوت الكلب فالتفت بولس وفرجيني فابصرا عبدهما دومنيك يركض نحوهما والكلب « فيدل » امامه · فطار الولدان من الفرح واخذا يبكيان · اما العبد فانه تنفس الصعداء حين رؤيتهما وقال « ياسيديَّ لقد ذابت نفس والدتيكما خوفاً عليكما » ثم قصَّ عليهما الطريقة التي عرف بها مكانهما ومرجع الفضل فيها للكلب « فيدل » الذي لما شممه ملابسهما القديمة سار في اثرهما يطلبهما مهتدياً بحاسة الشم وعارفاً بها الطريق التي سلكاها في الذهاب والاياب (١)

وكان قد هبط الظلام · فاراد بولس وفرجيني السير فوجدا انهما في غاية التعب لا يقدران على نقل قدم · ولكن من حسن الحظ ان بعضاً من الزنوج مروا في تلك الساعة من هنالك · فدنا زعيمهم وقال : لا تخافوا ايها البيض الصغار فاننا نروم مساعدتكم لاننا رأيناكم في الصباح سائرين للشفاعة بزنجية من ابناء جنسنا · فهلموا نحملكم ونردكم الى منزلكم مكافاة لكم »

وحينئذ دنا اربعة من العبيد الاشداء فصنعوا محملاً قوياً وحملوا عليه بولس وفرجيني · فصعدت فرجيني الى المحمل ضاحكة والوت عنقها على كتف اخيها من التعب وهي تقول « ان

---

(١) وقد روى المؤلف ان الكاتب دي كريفكور ذكر في كتابه « رسائل زارع اميركي » ان احد المتوحشين ويُدعى « تونيسا » كان له كلب اسمه « اونيات » اكتشف بحاسة الشم اموراً كهذا الامر

الله يجازي على الخير خيراً اداماً يا اخي ولا يذهب العرف بين الله والناس »
ولما وصل الولدان الى الكوخ و وقفت مدام دي لاتور ومرغريت على سبب غيابهما قبلتاهما وشكرتاهما على جميل صنعهما

٧

الزراعة والاسماء

وعلى ذلك فقد كانت معيشة هاتين العائلتين في الطبيعة على انفراد باعثاً على زيادة الانسانية فيهم واغاء الفضيلة في نفوسهم بدلاً من جعلها نفورة وحشية الاخلاق · وقد كانوا جميعاً يشكرون العناية الالهية ويعجبون بقوتها التي اخرجت على ايديهم من تلك الارض الصخرية الجدباء خيرات كثيرة وجعلتها حدائق غناء · فان بولس من جهة ودومنيك من جهة اخرى كان لا همَّ لهما الاَّ غرس الاشجار وزراعة الحبوب والنباتات فيها · وقد كانوا يزرعون هنا ليموناً حامضاً وبرتقالاً وهناك شجراً من التمر الهندي وهنالك نخيلاً وموزاً وفي تلك الجهة حبوباً كالارز والحنطة وغيرها · وكان كل غذائهم من هذه الاثمار والحبوب والنباتات · وقد زرع بولس ودومنيك هذه المزروعات بشكل جميل خصوصاً في هذه الحديقة التي امام الكوخين · فانهما كانا يغرسان فيها الشجيرات الصغيرة في الصف الاول ويغرسان وراءها شجيرات اكبر منها وهكذا الصغرى فالصغرى فكان الواقف امام الكوخين يصل نظره الى جميع الاشجار المغروسة لان نوعها الصغير كان متقدماً على نوعها الكبير. فكان لذلك منظر رائق تنبسط له النفس · وكانوا في كل مساء يخرجون الى تلك الصخرة التي امامنا ويجلسون عليها تحت الشجرة لمشاهدة البحر والمدينة · وكانوا يسمونها « اكتشاف الصداقة » لانهم كانوا ينظرونني منها حين قدومي من كوخي اليهم · وكان بولس وفرجيني قد نصبا في الشجرة عصا طويلة حتى اذا ظهرتُ لهم من اعلى الجبل رفعا عليها عَلَماً دلالة على قدومي · وقد صنعا في الجبل مثل ذلك ايضاً فقد نصبا في قمته عصا اخرى كانا يرفعان عليها عَلَماً آخر كلما شاهدا باخرة تمرُّ في عرض البحر · اما انا فقد كنت اتسلى احياناً بان احفر لهم ابياتاً من الاشعار اللاتينية في بعض الاماكن · فحفرت تحت العلم المنصوب فوق الشجرة بيت هوارس « ليدبرك اله الريح ولا يُرسل عليك غير النسيم » وحفرت على جذع شجرة كان بولس يستريح تحتها من تعب النهار ويشاهد البحر المزبد امامه بيت فرجيل « ما اسعدك يا بنيَّ لانك لا تعرف غير اله الحقول » وحفرت على باب

كوخ مدام دي لاتور بيتاً آخر لفرجيل « هنا ضمير حي ونفس لا تعرف الخداع » اما فرجيني فانها كانت لا تستحسن ابياتي اللاتينية . وانتقدت كتابتي تحت الراية المنصوبة في الشجرة فقالت : لو كتبت تحتها « تضطرب دائماً ولكنها ثابتة » لكان ذلك ابلغ . فنظرت اليها واجبتها « هذا القول اكثر انطباقاً على الفضيلة منه على الراية » فغضت طرفها عند هذا الكلام وصبغ الحياء وجنتيها

وكان لنا في تسمية الاماكن باسماء الامور التي تقع فيها بعض التسلية . فقد سمت مدام دي لاتور ومرغريت شجرة قديمة جلستا تحتها عند التقائهما اول مرة لتتحادثا بمصائبهما « مسح الدموع » وسمى بولس وفرجيني حلقة من شجر البرتقال كانا يرقصان في وسطها « ساحة الاتحاد » وقد خططت الامّان قطعتي ارض وسمتا الواحدة « بريتانيا » والاخرى « نورمنديا » تذكاراً لوطنيهما . وكانت هذه الاسماء كثيرة حتى انني اذا اجلت نظري الآن في هذا المكان خيل لي انني بين اطلال اليونان حيث لا يجد الانسان الا خرائب واسماء جميلة

٨

نبع فرجيني

ولكنّ اجمل الاماكن في هذه الحدائق كان المكان المسمى « استراحة فرجيني » . فانه كان تحت الصخرة المسماة « اكتشاف الصداقة » نقر واسع ينبجس منه ماء صاف كالبلور . وكانت فرجيني تذهب احياناً وتنام في ذلك النقر على شاطئ النبع ولذلك سمي المكان « استراحة فرجيني » وكان بجانب هذه العين شجيرتان صغيرتان من النارجيل اسم الواحدة « شجرة بولس » واسم الثانية « شجرة فرجيني » لان ام بولس غرست الاولى يوم ولادته وام فرجيني غرست الثانية يوم ولادتها . وكانت الشجيرتان تنموان بنمو الولدين وهما متجاورتان كانهما خارجتان من ساق واحدة . وكانت شجرة بولس اكبر من شجرة فرجيني قليلاً كما كان بولس بالنسبة الى فرجيني . ولما راى بولس ان رفيقته تحب الاقامة في هذا المكان ذهب الى الحرش وجاء منه بكثير من اعشاش الطيور ووضعها في الاشجار التي كانت حول النبع . فتبعت امات (١) الطيور صغارها الى النبع وجعلته موطناً لها .

---

(١) يُقال « امهات » للحيوان العاقل اي الانسان مثال ذلك « امهات الاولاد » « وامّات » للحيوان الغير العاقل مثال ذلك « امات الطيور »

وكانت طيور البحر ترى من الشاطئ ذلك المكان الاخضر الخصيب فتأوى اليه ايضاً وتبيت فيه . فازدادت فرجيني حباً لنبعها . وكانت اذا خرجت من الكوخ تقصد النبع



نبع فرجيني — هي والطيور — شجرة بولس وشجرة فرجيني

طارت لاستقبالها جميع الطيور التي كانت مجتمعة حوله لانها الفتها . ثم ان هذه الطيور كانت تقع قريباً منها او ترف حولها لان فرجيني اعتادت ان تنثر الحبوب لها . وكانت هذه الطيور الوحشية النافرة التي لا تدنو من الانسان مائة خطوة في عرض البر تصل الى قدميها كانها دجاج بيتية . فكان ذلك يسر بولس وفرجيني سروراً شديداً

٩

معيشتهم الطبيعية

اما مبادئ هاتين العائلتين الدينية فقد كانت مبنيـة على العواطف . فانهم كانوا يعجبون في كل حين بذلك العقل العام المدبر الذي يدير العالم وتلك العناية الالهية المسالمة للبشر والعاملة لفائدتهم . وكان اعتقادهم هذا الاعتقاد الثابت يبث فيهم روح التعزية عن الماضي ويشجعهم في الحاضر ويؤملهم في المستقبل . وعلى ذلك فان هاتين المراتين اللتين اضطرتهما مصائبهما الى الرجوع للطبيعة والمعيشة فيها قد وجدتا في الطبيعة قوة على غرس الفضائل التي تكفل دفع تلك المصائب في نفسيهما ونفسي ولديهما

وكانوا في فصل الصيف يذهبون في كل يوم احد الى الكنيسة فكان الاغنياء والفقراء يحيطون بهم لمشاهدتهم وذلك لما سمعوه عنهم من الفضل وما رأوه في وجوههم من دلائل البساطة

والصلاح والفضيلة · وكان الاغنياء يدعونهم الى منازلهم فيعتذرون لهم بلطف لانهم كانوا يعرفون ان الكبار لا يطلبون صداقة الصغار الا ليتزلف هؤلاء اليهم ويمدحوا كل اعمالهم قبيحها وحسنها · وكذلك كانوا يجتنبون مخالطة صغار السكان لانهم يكونون على الغالب كثيري الحسد والنميمة والغلاظة · ولذلك كان الاولون يحسبونهم ضعفاء مساكين والآخرون يحسبونهم متكبرين متغطرسين · غير ان لطفهم في الرفض والاجتناب واحسانهم الدائم الى الفقراء والمرضى كان يكسبهم الكرامة والاحترام لدى الكبار والصغار معاً

ذلك ان كل اهتمامهم في هذه الزيارة كان مصروفاً الى المرضى والفقراء · وكانت فرجيني تهيء في المنزل الادوية التي تامرها امها بتهيئتها ثم تجيء بها في يوم الاحد في طريقها · وكلما سمعوا بمريض او مريضة من الفقراء ذهبوا لعيادتها وتخفيف تعبها · وكانت مدام دي لا تور تحادث المريضة عن الله ورحمته وعنايته حديثاً يدخل النفوس فيخيل للسامعين ان العناية التي تتكلم عنها تلك السيدة موجودة بينهم · وكثيراً ما عادت فرجيني من هنالك وعيونها مبتلة بالدموع من شدة التاثر

وكانت هذه الحياة الجديدة ممزوجة بشيء من الهزل · فقد كان بولس وفرجيني يمثلان امام الجميع في اوقات الفراغ قصصاً ادبية كنا نصرف الوقت في التسلي بها · واحياناً كانت مدام دي لا تور تقص علينا في الليل قصصاً نصغي اليها بلذة وسرور

وكان الفقراء قد اهتدوا الى هذا المكان وعرفوا صلاح سكانه فلم يلبثوا ان صاروا يفدون عليه ويطلبون المساعدة · فكانت العائلتان لا تردان لهم طلباً · وكانت فرجيني تقول في كل مرة تساعد فيها فقيراً « سعادة الانسان في ان يهتم بسعادة غيره »

١٠

حنو بولس وحنو فرجيني

وانكم انتم ايها الاوربيون تجهلون مبلغ السعادة التي تكون لابن الطبيعة بمعيشته في النور والهواء والسرور الدائم · ذلك لان نفوسكم ينطبع فيها منذ الصغر مبادىء تخالف المبادىء المؤدية الى السعادة الحقيقية · وعقلكم الذي تحصرونه في بعض المعارف البشرية لا يلبث ان يصل في ملاذه الى حدها الاخير · اما ملاذ الطبيعة والقلب فلا حدّ لها

وهكذا كانت ملاذ بولس وفرجيني . نعم انه لم يكن لديهما ساعة لمعرفة الوقت ولا تقاويم ولا كتب في الفلسفة والتاريخ ولكنهما كانا في غنى عن ذلك كله . فقد كانا يعرفان ساعات النهار من نظرهما الى اظلال الاشجار . و يعرفان فصول السنة من اثمارها وازهارها . وعدد السنين التي تمرّ عليهما من عدد مواسم الحنطة والارز . وقد كان هذا التوقيت الجديد يجعل في حديثهما صوراً جميلة . فقد كانت فرجيني تقول للعائلة عند الظهر « جاء وقت الغداء ، لان ظل اشجار الموز صار على جذوعها » وفي المساء « لقد اقبل المساء لان التمر الهندي اخذ يطوي اوراقه » واحياناً تسألها بعض جاراتها « متى تزورينا يافرجيني » فتجيبهن « في ايام قصب السكر » فيجبنها « اهلاً بك وستكون زيارتك حلوة مثله » واذا سُئلت عن عمرها وعمر بولس فانها كانت تقول « اخي عمره كعمر شجرة النرجيل الكبيرة التي على النبع وانا عمري كعمر الشجرة الصغيرة . ومنذُ ولدتُ الى اليوم اثمرت شجرة الهند اثنتي عشرة مرة وازهرت اشجار البرتقال ٢٤ مرة » وهكذا كانت حياتهما مرتبطة بحياة الاشجار والازهار فلم يكن يعرفن شيئاً غيرها

وما الذي يوجب عليهما ان يعرفا غير ذلك . واي فائدة لهما في ان يكونا غنيين عالمين كما يطلب باقي الاولاد . البساطة حاجاتهما وجهلهما هما اللذان كانا سبب سعادتهما وهنائهما . فانهما في هذه المعيشة الطبيعية البسيطة لم يجعد الهمُّ لهما جبيناً . ولا افسدت الشراهة لهما دماً . ولا دخلت شهوة رديئة لهما قلباً لتفسده وتجعله رديئاً . بل انهما كانا يعيشان كل يوم في الحب والطهارة والتقوى . فكانت هذه الفضائل تنمي فيهما كل يوم جمال النفس وجمال الجسد معاً . فكانهما كانا في صبيحة عمرهما هذه كما كان في جنة عدن ابوانا الاولان حينما خرجا من يد الله . فان فرجيني كانت كحواء في لطفها واتضاعها وثقتها . و بولس كآدم اذ كان له جسم الرجال ونفس الاولاد

وكثيراً ما كان بولس ينفرد بفرجيني فيقول لها « اذا كنتُ تعباً فاول ما انظركِ يزول تعبي . ومتى رأيتك من قمة الجبل وانتِ في وسط هذا الوادي يخيل لي انك زرّ ورد بين هذه الاشجار . واذا سرتِ الى البيت كانت خطاكِ اخف من خطى الحجل على العشب . ومتى غبتِ عن نظري فانني لا احتاج للتفتيش عنك لمعرفة مكانك لان نفسي تجد دائماً اثراً منك في الهواء حين مرورك وعلى العشب حين جلوسك عليه . وحينما ادنو منك تضطرب حواسي كلها . فانني ارى زرقة السماء اقل جمالاً من زرقة عينيك واصوات الطيور اقل رخامة من صوتك . واذا مسستك مساً باصبعي يرتعد جسمي كله ارتعاد

الابتهاج والسرور . تذكري ذلك اليوم الذي قطعنا فيه الجبل للشفاعة بالزنجيـة وكيف حملتك على ظهري حين عودتنا لنقطع الجدول . فانني لما وصلت الى الجدول كنت في غاية التعب ولكني لما حملتك على ظهري خيل لي من القوة التي عادت الي انني صرت ذا جناح كالعصافير . فقولي لي باي شيء سحرتني هذا السحر . ابعقلك ؟ ولكن عقل امك وامي اكبر من عقلك . ابقبلاتك ؟ ولكن امي وامك تقبلانني اكثر منك . بماذا اذًا ؟ اظن انك سحرتني برقة قلبك وجمال نفسك . فانني لا انسى قط انك قطعت الحرش والجبل حافية القدمين على الحصى لطلب العفو عن زنجية مسكينة »

اما فرجيني فانها كانت تجيبه « لست اسرّ باشعة الصباح حين ظهورها على رؤوس هذه الصخور سروري برؤيتك . انني احب امي وامك ولكنني حينما اسمعهما تناديانك « يا بني » يزداد حبي لهما . ومتى قبلتك فان ذلك يؤثر فيّ اكثر من تاثير قبلاتهما لي . ولقد سألتني: لماذا تحبني . فانا اجيبك ان كل الذين يربون معًا يحبون بعضهم بعضًا . انظر الى طيورنا التي تنشأ في اعشاش واحدة الا تراها تحب بعضها بعضًا مثلنا . اسمع اسمع كيف ينادي بعضها بعضًا من اعلى الجبل الى هذا الوادي . انني اصلي الى الله في كل يوم من اجل امي



فرجيني تمسح العرق عن وجه بولس

وامك ومن اجلك ومن اجل الخادمين . ولكنني لما الفظ اسمك في صلاتي اشعر بزيادة تقواي . وانني اسال الله في كل حين ان يقيك كل مكروه . لماذا تبعد في الحرش كثيرًا

وتصعد الى اعالي الاشجار لتاتيني بازهارها واثمارها . انما لدينا في الحديقة ما يكفينا منها. انظر انظر كيف ان العرق يتصبب من جبينك » — ثم انها كانت تتناول منديلها وتمسح العرق عن جبينه ووجنتيه الموردتين وتقبله فيهما عدة قبلات »

١١

الم فرجيني الجديد

ولكن فرجيني لم تلبث بعد ذلك ان عراها الم كانت تجهله . فطُوقت عيناها الجميلتان بطوق ازرق واصفر لون وجهها واصاب جسمها ذبول عام اضعفه وزال ما كان على جبينها من دلائل الهدوء وما في شفتيها من الابتسام . واصبحت تجتنب العابها الاعتيادية ورياضتها اليومية وتقصد الجهات البعيدة طالبة الراحة في كل مكان دون ان تجدها في مكان . وكانت اذا وقع نظرها على بولس اتجهت اليه ركضاً ولكنها متى دنت منه كانت تسكن بغتة وتصطبغ وجنتاها الصفراوان بلون الورد دون ان يكون لعينيها جرأة على النظر الى عينيه . فكان بولس يقول لها : « ان العشب الاخضر يغطي كل الصخور التي حولنا والطيور تناديك كلما وقع نظرها عليكِ وكل شيء مبتهج مسرور حولكِ الا انتِ فانكِ منقبضة الصدر » — وحينئذ يدنو منها ليقبلها . فتنفر منه وتفرّ كالغزال الشارد قاصدة امها . ذلك ان هذه الفتاة المسكينة كانت تشعر ان قبلات بولس صارت تلقي الاضطراب في نفسها . اما بولس فانه لم يكن يفهم شيئاً من هذا الامر الجديد ولذلك كان في هم شديد وحيرة شديدة

وكان الحرّ في « جزيرة دي فرنس » يشتد في ثلاثة اسابيع في اثناء السنة الى درجة غريبة . فان الينابيع كانت تجف والريح تهمد والليل نفسه كان حارًا حتى ان المواشي التي كانت على الجبال في هذا الاوان كانت ترفع رؤوسها الى السماء كانها تستغيث من حر الارض . ففي ليلة من هذه الليالي الحارة اشتدّ الم فرجيني في فراشها . فاخذت تتقلب تقلب الملسوع . ثم صارت احياناً تقوم واحياناً تجلس واحياناً تنام دون ان يجد الكرى سبيلاً الى جفنيها والراحة سبيلاً الى نفسها . فنهضت من فراشها وسارت على اشعة القمر الى نبعها لتستحم في مائه تبريداً للحرارة الشديدة . ولما وصلت الى النبع القت نفسها في حوضه فارتاحت نفسها للبرودة التي اصابت جسمها وهدأ بالها قليلاً . ولكنها لم تلبث ان عادت اليها افكارها لما وقع نظرها على شجرة بولس وشجرتها في جانب النبع . فتنهدت تفريجاً

لكربها . ثم القت نظرها الى ما حولها فراعهـا ذلك السكون واخذ الماء يسخن لامتصاصه حرارة جسمها فخرجت منه بسرعة وراحت تركض الى امها تطلب عندها ملجأ مما كان في نفسها . اما امها فانها كانت قد درت بالمها ولكنها كانت لا تجسر على مخاطبتها فيه . وقد رامت فرجيني احيانًا ان تسال امها المعونة واوشكت مرارًا ان تبكي امامهـا وتلفظ اسم « بولس » لديها ولكن ضيقًا في نفسها كان يمنعها من ذلك كلما حاولته . ففي هذه الليلة حينما جاءت فرجيني والقت نفسها بين ذراعيها قالت لها هذه الام العاقلة : « وجهي نفسك الى



فرجيني تشكو المها الجديد الى امها

الله يا بنية وكلي اليه امرك . فمنه وحده الصحة والحياة . وهو يجربك الآن ليكافئك غدًا . ولا تنسي اننا لم نُخلق على هذه الارض الا لممارسة الفضيلة »

ولكن بعد ايام الحرّ هذه هبت على الجزيرة عاصفة هائلة وانفتحت ابواب السماء فنزل منها على الارض مطر غزير برّد حرارتها . فلزمت العائلتان الكوخين مدة الزوبعة والمطر وهما تصليان الى الله ان يدفع عنهما الخطر . اما بولس الشجاع الباسل فانه خرج مع دومنيك لتقوية الكوخين وافتقاد الحديقة . ولما زال خطر الزوبعة رامت فرجيني الخروج من الكوخ فدنا بولس منها بجبن وخوف وقدم لها ذراعه . فاخذتها فرجيني باسمة وخرجت معه . فلما صارا في الحديقة وجدا ان المطر والريح قد جرفا الارض وكسرا الاشجار وخربا الحديقة كلها . اما نبع فرجيني فقد غمره السيل واجتاح كل ما كان حوله . وكانت بعض الطيور

على الاغصان تئن انيناً ضعيفاً كانها تبكي اعشاشها وفراخها التي ذهبت الزوبعة بها . فالتفتت فرجيني حينئذ وقالت باسف « كل شيء في الارض يزول الا السماء فانها تبقى كما هي » فقال لها بولس « ليتني قادراً على ان اعطيك شيئاً من السماء ولكنني لا املك شيئاً في الارض فكيف فيها » فاجابته فرجيني « بل انك تملك صورة القديس بولس »

فلما سمع بولس هذا الكلام طار ركضاً الى الكوخ وعاد بهذا الرسم . وكانت امه قد جاءت به من اوربا وفي اثناء معيشتها منفردة عن الناس كانت تتعزى بالنظر اليه لان هذا الرجل عاش مثل هذه المعيشة . ولذلك سمت ابنها باسمه . فلما القى بولس هذه الصورة الى فرجيني اخذتها هذه قائلة « ساحفظها يا اخي الى آخر نسمة من حياتي ولا انسى انك اعطيتني الشيء الوحيد الذي تملكه في هذا العالم » فلما سمع بولس من فرجيني هذه اللهجة الودادية التي مرّ عليه زمن ولم يسمعها منها سُرّ وهمّ بتقبيلها . اما فرجيني فانها افلتت منه كالعصفور وركضت نحو الكوخ تاركة بولس المسكين في سخط وهياج شديد

١٢

الاستعداد للسفر

وفي ذات يوم قالت مرغريت لصديقتها مدام دي لاتور « لماذا لا نزوج بولس بفرجيني: فان الواحد منهما يحب الآخر حباً شديداً . نعم ان ابني لم ينتبه الى ذلك بعد لان الطبيعة لم تحدثه بلغتها الى الآن ولكنها متى حدثته صار من الصعب السهر عليهما ومراقبتهما» فاجابتها مدام دي لاتور « انهما صغيران وفقيران يا اختي فماذا يحلّ بنا متى رزقنا الاولاد وعجزنا عن خدمتهم لضعفنا جميعاً . فدعي هذا الامر حتى يقوى بولس ويصير قادراً على القيام بحاجاتنا . وما قولك في ارساله الى الهند للاتجار فيها فانه لا يقيم هنالك بضعة اسابيع حتى يجمع شيئاً من المال فيشتري به بعض الزنوج ويعود للزراعة في هذه البلاد . هل ترومين ان نستشير جارنا في ذلك »

وفي الواقع ان هاتين السيدتين استشارتاني في هذا الامر في اليوم الثاني . فوافقت على رأيهما وقلت لهما ان بولس اذا اخذ من هذه الجزيرة شيئاً من القطن الرخيص الثمن عندنا لعدم وجود معامل لحلجه ونسجه واغصان الابنوس الكثيرة في احراشنا حتى اننا نتخذها للوقد كالحطب فانه يربح بها في الهند ارباحاً كثيرة . ولكنني لما اطلعت بولس على هذا الامر اظهر الرفض البات وقال انه لا يترك العائلتين وحدهما خصوصاً فرجيني التي

كانت متألمة في ذلك الوقت

فاوقعني جوابه هذا في حيرة شديدة · ذلك ان مدام دي لاتور كانت قد ابلغتني سرًا رغبتها في ابعاد بولس عن فرجيني مدة من الزمن · وبينما كنت مفكرًا بذلك واذ ورد على مدام دي لاتور من عمتها الغنية في فرنسا كتاب مع سفينة قدمت الى الجزيرة· وكانت هذه العمة القاسية قد اصيبت بمرض افنى قواها فكتبت الى مدام دي لا تور من خوفها من الموت ان تعود اليها مع فرجيني واذا كانت لا تستطيع السفر فلترسل فرجيني وحدها · وقد قالت في كتابها انها عزمت على ترك اموالها واملاكها كلها لها اذا ارسلتها وتدبر لها زوجًا عظيم الشان في البلاط الملكي اما اذا لم ترسلها فانها تحرمها من كل ارث منها

فلما تُلي هذا الكتاب على العائلتين ساد القلق والجزع فيهما · واخذ العبد دومنيك وزوجته يبكيان لهذا الخبر · واما بولس فانه كان جامدًا كالصنم ولكن كل ناظر اليه كان يعلم ان زوبعة الغضب والغيظ كانت في صدره قريبة الظهور · واما فرجيني فانها كانت شاخصة بعينيها الى امها وهي ساكتة · فنظرت مرغريت الى صديقتها وقالت لها : « هل تتركيننا يا اختي » فاجابت مدام دي لا تور « لا لا · لا اتركم فانني عشت معكم واريد ان اموت معكم »

فساد الفرح عند ذلك في العائلتين · واخذ بولس يقبّل مدام دي لا تور ويشكرها· وظهر على وجه فرجيني شيء من دلائل السرور ايضًا ومنذ هذا الحين زال انقباضها فازداد بذلك سرور العائلتين

ولكن ما طلع صباح اليوم التالي حتى صعد حاكم الجزيرة نفسه الى الكوخين وقابل مدام دي لا تور · وكان غرضه من ذلك ابلاغها ان الادارة قد كتبت له بان ياخذ فرجيني بالقوة ويرسلها الى عمتها في فرنسا اذا كانت امها تعارض في ذلك · ثم القى امامها كيسًا مملوءًا بالنقود لتهيئة فرجيني للسفر وقال لها في السر « انني متحقق ان عمتك لا تعيش اكثر من سنتين فلا تضيعي ثروتها من يدك فان ذلك يجب عليك من اجل ابنتك »

وكانت مدام دي لا تور لا تكره في الباطن ابعاد فرجيني عن بولس مدة من الزمان فامتثلت امر الحاكم · ولكنها لما خاطبت في ذلك ابنتها فرجيني اجابتها هذه « ان الله فرض علينا العمل كما قلت لي مرارًا وعنايته لا تهمل الفقراء على الخصوص كما علمتني · فما

الواجب اذاً السفر . انني لا استطيع فراقك » فاجابتها امها « لا همّ لي يا بنية في هذا العالم غير جعلك سعيدة وتزويجك ببولس يوماً من الايام . فافتكري منذ الآن ان سعادة بولس بين يديك ولذلك دعوتك للسفر »

فلما سمعت فرجيني اسم بولس من امها طفحت كاس حبها فاطلعتها بخجل وحياء على ما في نفسها من الالم وكيف كانت تصارع ذلك الالم مصارعة لم يقف عليها احد غير الله. فاجابتها امها بهدوء « اكتمي يابنية حبك عن بولس فان الفتاة متى استولى حبيبها على قلبها لم يعد يجوز له ان يطلب شيئاً غيره »

ولكن لم يكد يهبط المساء حتى دخل عليهم رجل ضخم الجثة يلبس ثياب الرهبان . وكان هذا الراهب معلم اعتراف مدام دي لاتور وابنتها . فالتفت الى الام وقال : ليكن اسم الله مباركاً يابنية فانك قد صرت ذات ثروة طائلة . وقد اصبحتِ بعد الآن قادرة على مساعدة الفقراء والعمل بما يوحيه قلبك الكريم . ثم التفت الى فرجيني وقال : لقد علمتُ بما دار بينكم وبين الحاكم من الكلام . فاخضعي يابنية للعناية الالهية ولارادة اهلك الطاعنين في السن وان كانوا ظالمين . فان هذه هي ارادة الله . الا ترضين بالسفر يابنية»

فاطرقت فرجيني حياء ثم قالت وصوتها يرتجف « اذا كانت هذه هي ارادة الله فانني اسافر ولتكن ارادته » ثم بكت وانطرحت بين يدي امها

اما انا فانني كنت معارضاً في هذا السفر ولكن معارضتي لم تجدِ نفعاً بازاء بريق الثروة الطائلة وامر الراهب الذي كانت ارادته مقدسة عند مدام دي لاتور . واما بولس فانه كان يجهل هذه المخابرات كلها . وكان كلما رآنا في همس ومخابرات سرية هزّ راسه وقال بحزن « لا ريب في ان كل ذلك موجه ضدي لانهم يخفونه عني »

١٣

غضب وعهد

ولما ذاع في المدينة ان الثروة قد طرقت هذين الكوخين صعد اليهما كثيرون من باعة الانسجة والنفائس . فابتاعت فرجيني للعائلتين كثيراً من الاشياء حتى نفدت النقود من الكيس قبل ان تفتكر بنفسها . ولذلك عادت وشاركتهم في الاشياء التي ابتاعتها فاقتسمتها بينهم وبينها . ولما راى بولس ذلك تحقق انه من قبيل الاستعداد للسفر فقصدني وطلب اليّ ان اذهب واقنع فرجيني بالعدول عنه . فجئتُ الى هنا فشاهدتُ فرجيني في

ثوب جميل مشدودة الخصر بالكورسه والانفعال بادٍ في وجهها . وكان هذا الانفعال الذي كانت تغالبه ويغالبها يجعل في عينيها ذبولاً غريباً وفي وجهها لوناً رائقاً وفي صوتها نغمة موثرة . فلم يكن احد قادراً على رؤيتها او سماع كلامها دون تاثر واعجاب . ولذلك ازداد تاثر بولس وحزنه على سفرها . وفي مساء ذلك اليوم خرجت فرجيني بعد العشاء الى هذا المكان وجلست تحت الشجرة على صخرة « اكتشاف الصداقة » فتبعها بولس وجلس بجانبها . وكان الليل صافياً والقمر منيراً في الافق . فلبث الاثنان ساكتين مدة وكنا نحن جالسين على مقربة منهما . ثم افتتح بولس الكلام فقال : « اصحيح يامدموازل انك تسافرين بعد ثلاثة ايام كما سمعت . وكيف لا ترهبين اخطار البحر مع شدة خوفك منه » فاجابت فرجيني « ما العمل فانه يجب عليَّ ان اقوم بالواجب المفروض عليَّ » فقال بولس « وكيف تتركيننا من اجل اهلٍ بعيدين عنك ولم ترين لهم وجهاً » فقالت فرجيني « كنت احب البقاء هنا ولكن امي لا ترضى بذلك والكاهن قال ان الله يامرني بالسفر » فقال بولس « اهذه هي كل الاسباب التي حملتك على السفر ام هنالك اسباب اخرى . نعم هنالك الثروة وبريقها يامدموازل والعالم وملاذه والدنيا وابهتها . فاذهبي . انك ستجدين اخاً غيري بين اصحاب الثروة والجاه في تلك البلاد ولكنك لا تجدين ابداً هناء وسعادة كالسعادة التي وجدتها ههنا . ولكن اخبريني ماذا يحل بنا بعدك . كيف نعيش هنا ايتها القاسية بدونك . ماذا اقول لامك ولامي كلما رايتهما تبكيان لغيابك . كيف تكون حالتي كلما القيت نظري في النبع الى شجرتك . آه لماذا لا تدعينني اذهب معك . انني اهدئ روعك حين اشتداد العواصف لانك تخافين منها خوفاً شديداً . ومتى وصلنا الى فرنسا فانني اخدمك كعبدك وخادمك واموت في قصرك المذهب العظيم تحت قدميك وفي خدمتك »

ثم خنقت الزفرات صوته فسكت فاجابت فرجيني بصوت لطيف « انني لا اسافر يا اخي الا من اجلك . وذلك لانني اراك محنياً الى الارض في كل يوم لتسد حاجات عيلتين . فمتى صرت غنية استطعت ان ارد اليك الخير الذي صنعته معنا مائة ضعف . بولس بولس انت لدي اعز من اخ . والله يشهد على ما عانيته من الشدة في الابتعاد عنك . وقد كنت اؤمل انك تساعدني على هذا البعد مدة الى ان يجيء الوقت الذي يسمح الله فيه بمباركة قراننا . اما الآن فان حزنك يفني قوتي ويضعف عزمي . فسابقى . ساكون لك في الموت والحياة . فاصنع بي ما تشاء . لقد قدرت على مقاومة قبلاتك وحنوك ولكنني

عاجزة عن الثبات لدى دموعك »

فلما نطقت فرجيني بهذا الكلام هجم بولس فعانقها بين يديه ثم صرخ باعلى صوته « ساسافر معها ساسافر معها اذ لا يفصلني شيء عنها »

فحين سماعنا هذا الصوت اسرعنا اليهما . ودنت مدام دي لاتور من بولس وقالت له « ماذا يحل بنا اذا تركتنا وحدنا يا بني »

فالتفت اليها بولس حينئذ وقال بغضب هائل « لست ابناً لكِ . ولستِ بامي . كيف تكونين امي مع انك تفصلين الاخ عن اخته . لقد رضعنا كلانا لبنك ونشأنا على يديك وتلقينا منذ الصغر محبتك فكيف يجوز لك ان تفصلي الواحد عن الثاني . ربما تقولين : انها ليست باختي . فانا اجيبك انها كل شيء لي : هي ثروتي وعيلتي ونسبي وحياتي ولا تملك يدي شيئاً سواها . لقد ولدنا تحت سقف واحد وربينا في سرير واحد ويجب ان نموت في قبر واحد . فاذا سافرتْ فانني اتبعها الى اقاصي البلاد . واذا منعني حاكم الجزيرة القيت بنفسي في البحر وسبحت اليها . فان البحر لا يكون اشد ظلماً لي من البرّ . واذا متُّ فيه متُّ على مرأى منها . فيا ايتها الام البربرية . يا ايتها الام القاسية . ليقدر الله لهذا البحر الذي تدفعين ابنتك اليه ان لا يردها اليك . ليقدّرْ لامواجه ان تاتيك بجثتي وجثتها متدحرجتين بين الحجارة على الشاطئ لتجزني على صنيعك هذا حزناً ابدياً »

فلما اتى على هذا الكلام اخذته من ذراعه لان اليأس كان قد اضاع رشده وكانت عيناه تتقدان بجمر الغضب والعرق يتصبب على وجهه . فارتاعت فرجيني من منظره فقالت له : « اقسم بسعادتنا الماضية يا اخي انني اذا عشت فانني لا اعيش الا لك . ويشهد على ذلك هؤلاء الذين ربوني وهذه السماء التي تسمع كلامي وهذا البحر الذي سيحملني وهذا الهواء الذي لم ادنسه قط بقول كاذب »

فعند هذا الصوت صوت الحبيب ذاب غضب بولس كما يذوب الثلج لدى حر الشمس وجرت من عينيه دموع غزيرة . اما امه فكانت بجانبه تمزج دموعها بدموعه . واما مدام دي لاتور فانها اخذت تقول « لقد كادت نفسي تتمزق من الحزن . فلا كان هذا السفر فاننا عدلنا عنه » ثم التفتت اليّ وقالت « لا تسافر فرجيني بعد الآن فخذ بولس اليك ليستريح فاننا جميعاً لم ننم منذ ثمانية ايام »

١٤

الفراق

فقلت لبولس حينئذ ان يذهب معي ليصرف الليل عندي فلم يمانع في ذلك · ولكنه ما اشرق الفجر حتى عاد الى هنا

غير انه لم يصل الى هذه الصخرة حتى وجد الزنجية ماري واقفة عليها وهي تنظر الى البحر · فطار صواب بولس فصرخ بها من بعيد « اين فرجيني » فنظرت الزنجية الى سيدها بولس واخذت تبكي · فاسرع بولس كالبرق الخاطف الى الميناء وهو ضائع الرشد فعلم منه ان فرجيني ركبت قبل الفجر سفينة كانت تنتظرها واقلعت السفينة بها · فعاد بولس الى الكوخ صامتاً ثم قصد ذلك الجبل الشامخ فتسلقه حتى بلغ قمته ثم القى نظره منه الى البحر · فوجد في البحر سفينة بعيدة كانها نقطة سوداء · فالوى راسه هنالك على الصخور والحجارة واخذ يبكي بكل ما في عينيه من الدموع · ولقد وجدته في هذه الحالة على الجبل فعدت به الى البيت · فلما رأى ام فرجيني استشاط غيظاً وعنفها لانها خدعته · فاجابته ان الحاكم مع بعض من المرسلين جاءوا قبل الفجر عند هبوب الريح واخذوا فرجيني بالقوة لارسالها الى عمتها لان السفينة عزمت على السفر في تلك الساعة · وقد اخذوها من غير ارادتنا ولا ارادتها لانها كانت في حالة يُرثى لها من الحزن · فقال بولس « كان يجب على الاقل ان اودعها قبل سفرها لاقول لها « صفحاً يافرجيني اذا كنتُ قد اسأت اليك بامر · افلا تصفحين لي · وكنت اقول لها ايضاً : بما انني لا اراك بعد الآن فالوداع الوداع يافرجيني · وعيشي بعدي مسرورة سعيدة » فلما سمعت مدام دي لا تور ومرغريت هذا القول صارتا تبكيان · فقال لهما بولس حينئذ « فتشا عن واحد غيري ليمسح دموعكما » ثم تركهما وهام على وجهه بين الآكام والاشجار

وكانت الشاتان تتبعانه وتثغوان فقال لهما « ماذا تطلبان مني فقد ذهبت التي كانت تطعمكما بيدها » ولما وصل الى نبع فرجيني اخذت الطيور تحوم حوله · فقال لها « مسكينة انتِ ايتها الطيور فانك لا تجدين بعداليوم تلك التي كانت تغذيك » ونظر الكلب "فيدل" يركض من مكان الى مكان كمن يفتش على ضائع فقال له « انك لا تجدها ابداً » · وكنا نحن نتبعه من بعيد من خوفنا على حياته فلما وصلنا اليه اخذت ام فرجيني تكثر ملاطفته وتسميه ابنها وصهرها والرجل الذي اختارته لابنتها · فخمد حزنه قليلاً ورضي بان يتناول شيئاً من الطعام · ولكنه لما جلس في مكانه على المائدة تناول من الطعام الذي

كانت تحبه فرجيني ووضعه في المكان الذي كانت قد اعتادت الجلوس فيه غير انه لم يلبث ان انتبه الى غيابها فعاد الى البكاء . فبكى معه الجميع ايضاً . و بعد ذلك اخذ يفتش عن الاشياء التي كانت تستعملها فرجيني كباقاتها الاخيرة والكاس التي كانت تشرب بها فجمعها وحفظها كآثار ثمينة . وكان يقبلها احياناً و يضعها في ثيابه . الا انه لما وجد ان حزنه مما يزيد حزن العائلتين رأى وجوب العودة للعمل فاخذ يصلح في الحديقة ما اخربته الزوبعة فيها

١٥

كتاب من الحبيبة

وبعد قليل اخذ هذا الفتى يميل الى الكتابة والقراءة . اما الكتابة فلكي يكتب لفرجيني واما القراءة فلكي يقف على جغرافية البلاد التي سافرت فرجيني اليها وعلى تاريخها ليعرف عادات اهلها . فعلمته القراءة والكتابة فلم يرتح الى كتاب من الكتب التي طالعها ارتياحه الى كتاب تليماك لانه كان قريباً من تصوراته الطبيعية . وقد خاف بعد مطالعته الروايات الاوربية وما رآه فيها من تقلب قلوب النساء ان يدب ذلك الفساد الى قلب فرجيني ايضاً . وقد زاد خوفه هذا ما سمعه من ان تلك الروايات هي وصف صحيح للهيئة الاجتماعية الاوربية

وفي الواقع ان فرجينى مرّ عليها سنة ونصف في فرنسا دون ان يرد منها خبر لامها . ولكن مدام دي لاتور كانت قد علمت بوصولها سالمة الى منزل عمتها . غير انها بعد ذلك تناولت في ذات يوم من احدى السفن المسافرة الى الهند رزمة صغيرة وكتاباً بخط فرجيني . ولما فتحت هذا الكتاب قرأت فيه ما يلي :

« امي المحبوبة

« كتبتُ اليك قبل هذا الكتاب عدة كتب لم يردني جواب منك عنها . فخشيتُ ان لا تكون قد وصلتك لانني كنت ادفعها الى خادماتي هنا . ولذلك رايتُ ان ارسل اليك هذا الكتاب على يد احدى صديقاتي في المدرسة لعله يصلك . وطيه عنوان هذه الصديقة فارجوان ترسلي جوابك اليّ على يدها

ثم ان الفتاة تقص على امها في هذا الكتاب ما حدث لها منذ وصولها الى منزل عمتها . فقالت ان عمتها سألتها حين وصولها ماذا تعلمتِ فاجابتها انها لم تتعلم سوى تدبير

المنزل وانها تجهل القراءة والكتابة فاجابتها انها تعلمت علم الخادمات فقط . ثم ارسلتها في اليوم التالي الى مدرسة في دير كبير قرب باريز واخذت تتلقى فيها القراءة والكتابة والتاريخ والجوغرافيا والحساب والصرف وامتطاء الخيل . ولكنها لم تكن تميل الى هذه الامور كلها « لانني اشعر بانني فتاة مسكينة قاصرة كما يقولون عني » ولكن لطف عمتها يعزيها قليلاً فانها ابتاعت لها عدة اثواب وحلل فاخرة وجعلت في خدمتها سيدتين لابستين افخر الملابس . غير انها نزعت عنها اسم « دي لاتور » ابيها وسمتها باسم عيلة امها . ولقد ساءها ذلك لانها تحترم تذكار ابيها ولكنها مع ذلك تحب الاسم الذي كان لامها قبل زواجها . قالت « وانني الآن اعيش في بذخ وترف تام ولكنني لا املك شيئاً مما حولي . فانا في وسط الثروة افقر مما كنتُ في وسط الفقر لانني لا اقدر ان اعطي شيئاً لاحد ولا امسح دموع احد . ولذلك عدت الى صناعة يدي لعلي استطيع ان اصنع خيرًا بها . فصنعتُ عدة جوارب كما اعتدت صنعها وارسلتها اليك لتفرقيها على الجميع . وقد بعثت اليك ايضاً بعدة انواع من بزور الازهار فان ازهارا وربا اجمل من ازهارنا وفي البرية هنا كثير من الزهر الجميل ولكن لا يهتم به احد ولا يلتفت اليه احد . ولا ريب عندي ان الكيس الذي قدمته لك متضمناً هذه البزور لهو اثمن عندك من كيس النقود الذي كان سبب فراقنا ومنشأ دموعي . ولقد اوصيتني قبل سفري بان ابلغك ما يسوءني ويسرني فانا اقول لك الآن بانه لم يسرّني شيء منذ سفري . واما حزني فانني اخففه بافتكاري انني ما جئت الى ههنا الا بامرك بناء على ارادة الله . ولكن اشد عذاب لدي هو انني لا اجد من يحدثني عنك وعن الارض التي نشأت فيها . واذا رمتُ ان احادث في ذلك احدى السيدتين الموكلتين بخدمتي فانها تقول لي « اذكري ايتها المدموازل انك فرنسوية وانه يجب عليك نسيان تلك البلاد المتوحشة » ولكن هاتين السيدتين لا تعلمان انني انسى نفسي ولا انسى الارض التي ولدتُ فيها والتي لا تزال تسكنها امي . ثم انهم يقولون ان تلك الارض متوحشة وفي الحقيقة ان هذه البلاد هي البلاد المتوحشة لانني اعيش فيها وحدي »

وقد اخبرت فرجيني امها في هذا الكتاب ان خالتها تمنعها من الكتابة لانها تخاف ان تحول المراسلات بينها وبين ما عقدت عليه عزمها . ذلك انها كانت تفكر بتزويجها برجل غني من اكابر رجال البلاط . وكان هذا الرجل يزور فرجيني في المدرسة مع عمتها ويقول انها تعجبه كثيرًا . ثم انها في خاتمة هذا الكتاب توصي امها خيرًا بالزنجي دومنيك

وزوجته ماري وترجو منها ان تلاطف قليلاً من قبلها الكاب « فيدل » الذي وجدها في الحرش حينما تاهت فيه

فلما تلي هذا الكتاب في العائلة غضب بولس في بدء الامر غضباً شديداً لانه رأى ان رفيقته اهتمت بكل شيء في البيت حتى الكاب « فيدل » واهملته هو . ولكن بولس كان يجهل ان المراة مهما كانت رسالتها طويلة فانها لا تضع اعز فكر لها الا في آخرها . فقد كتبت فرجيني في الكتاب حاشية سالت فيها بولس ان يبزر من بزور البنفسج في نبعها وان يسمي الصخرة التي تحادثا عليها قبل سفرها « صخرة الوداع » اكراماً لها . ولما اخذ بولس هذه البزور وجد انها موضوعة في كيس صغير بسيط . ولكنه لما تامل في هذا الكيس وجد عليه الحرف (ب) والحرف (ف) وهما الحرفان الاولان من اسم بولس واسم فرجيني مرسومين على جانبه بشكل متقاطع وهما مصنوعان من خيوط شعر لا ريب في انه من شعر فرجيني لانه كان لامعاً جميلاً

فسرّ بولس بهذه الهدية الجميلة وازرفت العائلة دموع الفرح لدى قراءة هذا الكتاب. وقد ارسلت امها من قبل الجميع تخيّرها بين الاقامة حيث هي او الحضور الى وطنها الاول. اما بولس فانه كتب اليها كتاباً يشكرها على هدية البزور وقد قال لها انه سيضم بزور اوربا في ارضهم الى بزور افريقيا كما ضمت فرجيني اسمها الى اسمه رسماً في الكيس . ثم ارسل اليها بضع ثمار من نرجيلة النبع ولم يُرسل اليها غيرها ليحملها شوقها اليها على العودة قريباً . وقد الح عليها في الرجاء بان تعود بسرعة لان العائلتين لم تكونا تجدان هناءة وسروراً بعد سفرها

ولكن مرّ على هذا الكتاب ستة اشهر دون ان يرد من الفتاة جواب عنه . فقلق بولس لذلك . ومما زاد قلقه ان بعض السفن القادمة من اوربا كانت تشيع بين السكان ان فرجيني ستقترن قريباً بسيد من رجال البلاط . وبعضها قال بل انها اقترنت به وتم هذا الامر . وكان بولس قد قرأ الروايات الاوربية وراى فيها ما فيها من الاشياء التي من هذا القبيل . فوقع في الياس . وهكذا ما ابتداء يتعلم ويطالع حتى ابتداء عذابه وشقاؤه . وكان احياناً يزورني ليجلو الهمّ عن صدره فيقصدني في كوخي على شاطىء النهر الذي يجري على موازاة « الجبل الطويل » حيث اعيش بعيداً عن الناس بلا زوجة ولا اولاد ولا احد يخادمني

١٦

فلسفة المؤلف في الانفراد

ويقول عارفوه انه كان يتكلم هنا عن نفسه لانه عاش منفرداً عن الناس

ذلك لانني اعتبر ان الانسان اذا لم يجد في هذا العالم زوجة صالحة تشاركه في السراء والضراء لانطباق اخلاقها على اخلاقه فان اسهل عيش يعيشه بعد ذلك هو عيشه منفرداً وحده . وكل انسان تالم من الناس واصابه شرهم واذاهم يطلب الانفراد عنهم من طبعه . ولذلك، ترى ان الشعوب التي طرأت عليها المصائب الكثيرة كالمصريين واليونان والهنود والصينيين والايطاليين يكثر فيها ظهور افراد يجنحون الى الانفراد ومعيشة النسك والزهد . وسببه ان الانفراد في الخلاء يُعيد الانسان الى السعادة الطبيعية ويدفع عنه مصائب الاجتماع . ولا عجب في ذلك فان هيئتنا الاجتماعية التي تتنازعها عوامل الشقاء والشقاق والاوهام تجعل النفس في اضطراب دائم . فهي تتدحرج فيها من فكر الى فكر ومن عثرة الى عثرة ولا همّ لها الا الطمع وحب السيادة على الغير . واما في الوحدة فانها تنفض عن نفسها فيها هذا الاضطراب وتعود الى هدوء الطبيعة وخالقها . فكانها نهر جارٍ يحمل ما في طريقه من الحجارة والغبار والتراب فيكون دائماً عكراً كدراً ولكنه متى صبَّ ماءه في احواض واسعة ساكنة صفت مياهه من كل كدر لرسوب الاكدار في القعر وصارت نجوم السماء وخضرة الارض تنعكس فيها من صفائها . ومن مزايا الانفراد ايضاً انه يجلب الصحة للبدن كما يجلب الصحة للنفس لان اطول الناس عمراً من عاشوا خارج دائرة الناس كبراهمة الهنود ومن حذا حذوهم . ويخيل لي ان الانسان لا يستطيع ان يذوق سروراً حقيقياً في هذه الحياة ان لم تكن له اوقات يخلو بها الى نفسه ويجعل في باطنه مكاناً منفرداً لا يخرج منه رأيه الا فيما ندر ولا يدخل اليه راي غيره ابداً . ولست ازعم بذلك انه يجب على الانسان ان يعيش منفرداً كل الانفراد فانني لا اجهل انه مرتبط بباقي الجنس البشري وعليه واجبات لباقي اجزاء الطبيعة . وانما اعني بذلك انه كما ان الله خلق في الانسان للارض التي يعيش فيها اعضاء تلائمها وتلائم عناصرها فجعل القدمين للارض والرئتين للهواء والعينين للنور دون ان نستطيع تغيير وظائف هذه الاعضاء او العبث بها فكذلك خلق لنا عضواً خصَّ نفسه به لانه مصدر الحياة واريد بهذا العضو القلب الذي هو مصدر الحركة . ولذلك يميل القلب الى الانفراد للتامل في عظمة الله والطبيعة التي صنعها

فانا اذاً اعيش وحدي في البرّ بعيداً عن الناس الذين اردت خدمتهم فكان جزائي عندهم الاذى والاضطهاد . وقبل ان اقيم في هذه الجزيرة طفت اوربا واميركا وافريقيا لاختار لي مكاناً . فوقع اختياري على هذا المكان لما فيه من الهدوء السائد فضلاً عن لطف الهواء . فبنيت لي كوخاً على شاطىء نهر تحت شجرة كبيرة وانشات حقلاً ازرع فيه ما احتاج اليه وجئتُ ببعض كتب اطالعها لتجعلني مطالعتها افضل مما كنت قبلها . وهذه الكتب تساعدني على احتمال معيشة الانفراد لانني متى طالعتها ورايت ما فيها من الاختباط السائد في الهيئة الاجتماعية التى تصفها وقابلت بين هذا الاختباط وبين الهدوء السائد حولي عرفت منه خير معرفة حقيقة السعادة التى انا فيها . فكانني اذوق بها لذة سعادة سلبية . كرجل نجا من الغرق وجلس على صخرة بعيداً من الامواج المزبدة والزوابع المهلكة يُسر ويفرح بانه صار في مامن منها

ولما صرتُ بعيداً عن الناس ذهب بغضي لهم وانقلب الى رحمة فصرت اشفق عليهم. وجعلت امدّ يدي لمساعدة كل من يقع تحت يدي منهم . ولكن لم يكن احد منهم يقبل مساعدتي الا البسطاء . فانه حينما كان ياتيني بعض الناس ليطلب مساعدتي كان يظن انني اساعده للوصول الى الثروة والجاه . ولما كنت احاول اقناعه بالعودة الى الطبيعة للمعيشة فيها بهدوء وسلام كان يحول وجهه عني ويسخر مني . فكانّ كل واحد من هؤلاء البشر المساكين نشوان من خمرة شقائه ومصائبه . وهو يفتخر ويعتزّ بها . وكان بعد استماعه كلامي يحسبني اشد شقاء منه فيحاول اقناعي بتغيير معيشتي ودفعي الى تيار المعيشة الدنيوية. اما انا فاذا كنت احادث جميع الناس والاطفهم فانني لا افتح خفايا قلبي لاحد منهم . ولذلك كنت اتركهم وشانهم يحدثونني بما يحدثون . وكنت وانا جالس امام كوخي اراجع في نفسي ما شهدته في العالم من الزحام والالتحام والاصطدام على ملاذ الحياة ومناصبها ومفاخرها فاشبه الناس الذين اقدموا على ذلك بالامواج التي تتكسر على الصخور وهي مزبدة غيظاً وحنقاً ثم تذهب ولا تعود . اما انا فانني اشبه نفسي برجل مستسلم في الطبيعة الى مجرى النهر وهذا النهر يجري به بهدوء الى اوقيانوس المستقبل العظيم الذي لا حد له. ومن هذا النهر الجاري بي بهدوء وسلام ترتفع نفسي الى خالقها الابدي وتجنح الى عالم افضل من هذا العالم

١٧

بين شيخ وفتى

ففي ذات يوم جاءني بولس وانا جالس امام الكوخ في مكاني المنفرد في الحرش وبدأ يكشف لي ما في صدره من اسباب الياس والحزن . ولا باس بذكر هذه المحادثة على سبيل المخاطبة

قال بولس — نفسي حزينة حتى الموت . فان مدموازل دي لاتور سافرت منذ سنتين ونصف وقد مرّ عليها ثمانية اشهر ونصف دون ان يردني خبر منها . فلا ريب انها هجرتني وذهب ذكري من قلبها لانها غنية وانا فقير لا املك شيئاً . فماذا ترى . اسافر الى فرنسا واسعي فيها للوصول الى الجاه والثروة لعل مدام دي لا تور ترضى بتزويجي بابنتها

فاجاب الشيخ — كلا يا بني . لا تسافر فانك لا تستطيع ان تصنع في فرنسا شيئاً . ذلك ان الوظائف والمناصب فيها محصورة في بعض العيال الكبرى والدوائر العالية . وان كنتَ تعتمد على الملك فاعلم ان الملك شمس تحيط به غيوم الكبار والسراة من كل جانب ولذلك لا تطمع في ان يقع عليك شعاع من نوره . نعم لقد كان هذا الامر مالوفاً في الزمن القديم وكان سبباً في احياء المواهب وانماء قوى الافراد المهملين كما تحيا بالزراعة الارض الجديدة المجهولة . ولكن قد مضى اليوم ذلك الزمن . وصار الملوك العظام الذين يكتشفون اصحاب المواهب ويساعدونهم احياءً لمواهبهم اندر من كل شيء نادر . واما عامة الملوك فلا يصغون ولا يلتفتون الا للحواشي التي تحيط بهم

فقال بولس — ولكنني الجأ الى احد هؤلاء الكبار فيحميني لدى الملك ويقربني منه

فقال الشيخ — اذا رمتَ ان يحميك الكبار وجب عليك ان تخدم اطماعهم وتمدح اهواءهم . وانت عاجز عن ذلك لانك شاب ابي النفس مستقيم

فقال بولس — ولكني ابذل جهدي لانال ثقتهم . فانني اكون شجاعاً في الحرب جريئاً في السلم اميناً حافظاً لكلامي ثابتاً في صداقتي قائماً بواجباتي . فلا بدّ ان يلتفت اليّ بعد ذلك احد منهم ويحميني ويمهد لي سبيل الظهور في العالم كما كان يصنع المتقدمون على ما قراته في الكتب التي اخذتها منك

فقال الشيخ — يا صديقي . لقد كان اليونان والرومان يحترمون الفضيلة ويحمونها

حتى في دور انحطاطهم لانهم كانوا يحبونها . اما نحن فاننا لا نعبأ بها . وانني اعرف كثيرين من رجالنا العظام نبغوا في كل فن وعلم ولست ارى واحداً منهم قد تقدم وارتقى بمساعدة احدى العيال الكبيرة عندنا . فدع الكبار وشانهم لانهم لا يهتمون الا بانفسهم ولا قيمة لغير الذهب عندهم (١)

فقال بولس — اذاً انا اترك الكبار وانضم الى احدى الدوائر او الى رجال الاعمال والاموال

فقال الشيخ — حينئذ يجب عليك ان تصنع صنعهم فتدوس الضمير والواجب لجمع الثروة والمال

فقال بولس — كلا ثم كلا لانني لا اطلب الا الحق ولا اعمل الا بالواجب

فقال الشيخ — فحينئذ يبغضونك بدلاً من ان يساعدوك لان الناس قلما يهمهم الحق ولا يبغون الا قضاء اغراضهم

فقال بولس — ما اشد تعاستي اذاً . فان كل شيء ينبذني في هذا العالم . فرجيني تركتني والناس لا يساعدونني

فقال الشيخ — يابنيّ لا تتخذ لك مساعداً غير الله ولا تطمع في خدمة احد غير الانسانية . فان لكل فريق من الشعوب والملوك والعيال والدوائر اوهاماً وترهات . فاذا اردتَ خدمتهم وجب عليك احياناً ارتكاب الرذائل ارضاء لهم . اما الله والانسانية فلا يطلبان منك غير الفضائل (٢)

« ولكن ما الذي يوجب عليك طلب الامتياز عن باقي الناس يا بنيّ . ان هذا الطلب مناقض للاميال الطبيعية لانه لو عمّ لاصبحت الارض ميداناً للخصام والنزاع بين الناس . فانبذ هذه الاوهام وارضَ بحالتك لانك فتى ذو ضمير حر لا تجعل سعادتك متوقفة على آراء الصغار فيك كما يصنع الكبار ولا تزحف تحت اقدام الكبار طلباً للرزق . وانت الآن والحمد لله في بلاد لا تحوجك المعيشة فيها الى غش الناس والحط من كرامتك لديهم وارتكاب المحرم معهم رغبة في جمع المال . فانك في حالة تتيح لك ممارسة كل الفضائل

---

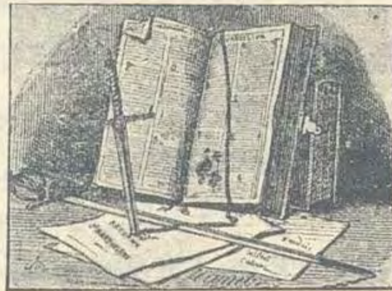
١) قيمة الفضيلة والعلم والادب في العالم . وقد عربنا هذا الفصل باسهاب حرصاً على ما فيه من الفوائد الفلسفية والادبية التي نوجه اليها خاصةً انظار القراء

٢) الاقتصار على خدمة الله والانسانية

فتقدر ان تكون كريمًا مخلصًا مهذبًا مقتصدًا معتدلاً عفيفًا تقيًا حليماً محبًا للحقيقة والحق دون ان تُرشق بسهام التهكم لالتزامك هذه الفضائل . وقد منحتك السماء صحة في الجسم والعقل وحرية وضميرًا حيًا واصدقاء . فماذا تريد اكثر من هذا . ان الملوك الذين تبغي التقرب منهم التماسًا لنعمهم ليسوا بسعداء الى هذا الحد

فقال بولس — آه ولكن تنقصني فرجيني . فانني معها املك كل شيء وبدونها اكون كمن لا يملك شيئًا . وبما انني لا استطيع الحصول على الثروة بوسائط شريفة للوصول الى فرجيني فانا اطلبها من طريق العلم والادب . فان الانسان لا يضطر في هذه الطريق الى دناءة وضعة . فماذا تقول اذا درستُ وألّفت وخدمت وطني بالعلم لابلغ به اسمى قمم المجد والفخر فاستحق حينئذ فرجيني

فقال الشيخ — ان المواهب العقلية يابني (١) اندر من الثروة والجاه في هذه الحياة . وهي افضل منها لانها لا تزول عن صاحبها . ولكنها لا تُكتسب الا بجهد شديد وقهر النفس ونبذ الملاذ . وفضلاً عن ذلك فانها تجلب معها احساسًا شديدًا يجعلنا تعساء في الباطن لتأثرنا من كل شيء ويجلب لنا في الخارج عداوة الناس واضطهادهم . ومع ذلك فماذا يرجو الناس من النفع بواسطة الكتب . هل رايتَ في الكتب كتابًا كالانجيل يدعو البشر الى المساواة والصداقة والاخاء والسلام والدعة . ومع ذلك فان هذا الكتاب بقي مدة قرون منشئًا للخلاف بين



الانجيل والسيف

البشر وسببًا للنزاع . فكم من ظلامة حدثت باسمه في العالم ولا تزال تحدث الى الآن . فقل لي بعد هذا مَنْ من الناس يرجو نفع الناس بكتاب . ثم الا تذكر ما اصاب جميع الفلاسفة

١) المواهب العقلية وحظ الحكمة والحكماء في العالم

الذين دعوا الناس الى الحكمة . فان هوميروس الذي كساها ابياتاً في غاية الجمال كان شحاذاً يطلب الصدقة في زمانه . وسقراط الذي القى على الاثينيين دروساً جميلة ببلاغته وبقدوته جُرع السم من ايديهم بحكم قانوني . وتلميذه العظيم افلاطون بِيع بَيع الرقيق بامر من الامير الذي كان يحميه . وفيثاغورس الذي كان قبلهم بطلق الانسانية حتى على الحيوانات احرقه الكرتونياتيون وهو في قيد الحياة . فمن ذلك يتضح لك ان بلوغ المجد العلمي والادبي يستوجب الفضيلة اولاً والاستعداد لتضحية النفس ثانياً . ولكن هل تظن ان الاغنياء والكبار يعبئون بالعلم والادب . كلا لا تنكر بذلك . فانهم لا يعبئون الا بالذهب . ولكن مع انهم لا يهتمون بذلك فان صناعة الادب صناعة مقدسة وهي جديرة بالمصدر السماوي الذي صدرت عنه . واعظم شرف للانسان على هذه الارض هو ان يكتب كتاباً لانه به ينير عقول الشعوب و يعزى الحزانى ويخفف احمال المتعبين . واي رجل لا يضرب صفحاً عن مصائب الحياة ولا يستخف متاعبها اذا كان يعلم ان كتابه سينتقل من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل كمصباح ينير الظلمات وحاجز يصدّ الضلال وانه من المكان الصغير الذي عاش فيه يخرج مجد باهرٌ يمحو مجد كثيرين من الملوك الذين تفنى آثارهم وتُنسى التماثيل التي اقامها لهم المتزلفون اليهم مع ان آثار ذلك الكاتب لا تزول

فقال بولس — آه . انني لا اطلب هذا المجد الاَّ لارجعه الى فرجيني واكسوها اياه . ولكن بما انك ترى انه لا سبيل الى الوظائف والشرف في العالم الا من طريق المال وان الناس لا يحترمون شيئاً غير الذهب فما قولك في ان اسافر الى بنغال للاتجار وجمع الثروة فيها . هاءنذا مسافر

فقال الشيخ — وهل تترك امك وام فرجيني وحدهما يا بني

فقال بولس — ولماذا شجعتني قبلاً على السفر الى هناك

فقال الشيخ — لما شجعتك على السفر كانت فرجيني هنا تقوم مقامك

فقال بولس — ان عمة فرجيني الغنية تساعد امها بمالها فيستغنون عني

فقال الشيخ — ان الاغنياء يا بني لا يساعدون احداً غير الذين يتزلفون اليهم وتكون مساعدتهم مما يكسبهم الشهرة بين الناس

فقال بولس — ما اشقى اوربا واتعسها . فما هذه الاخلاق والعادات ? ولماذا ذهبت فرجيني اليها . بالله اصدقني يا ابتاه هل انها تبقى ثابتة على حبي بعد اقامتها في بلاد كتلك البلاد

فقال الشيخ — لا ريب عندي يا بني انها تبقى ثابتة في حبك لانها فتاة فاضلة

فانطرح بولس حينئذ على عنقي وقبلني ثم قال

— هل تظن يا ابتِ (١) ان نساء اوربا محتالات كما ورد عنهن في الروايات

فقال الشيخ — يابني ان النساء يكنّ محتالات في كل مكان يكون فيه الرجال ظلمة عتاة لان الاحتيال والرياء ينشئان عن الضغط دائماً

فقال بولس -- وكيف يكون الرجال ظالمين للنساء

فقال الشيخ — يكون ذلك بتزويجهنّ من غير استشارتهن . فيزوجون الفتاة مثلاً بشيخ والمراة النبيهة الحساسة برجل خامل

فقال بولس — ولماذا لا يزوجون الفتى بالفتاة والكهل بمن تماثله من النساء

فقال الشيخ — ذلك لان الرجال لا يتزوجون الا متى جمعوا مالاً ولا يجمعون المال الا في سن الكهولة

فقال بولس — وما حاجة الناس في الزواج الى الثروة والمال

فقال الشيخ — ليقدروا على صرف ايامهم في السعة والبطالة

فقال بولس — ولماذا لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً . فانني انا اشتغل واعمل

فقال الشيخ — ذلك لانهم يحتقرون عمل اليد (٢) خصوصاً الفلاحة . ولذلك يحترمون الصانع اكثر من الزارع

فقال بولس — ماذا تقول ؟ وهل في الناس من يحتقر الفنّ الذي يغذي الناس ويطعمهم . لم افهم شيئاً من كلامك

فقال الشيخ — لا استغرب ان لا تفهم شيئاً من كلامي لان من ربي مثلك في الطبيعة لا يدرك مفاسد الاجتماع

فقال بولس — ومع ذلك فان الاغنياء (٣) يكونون سعداء لانهم يدركون كل ما يتمنونه ولا ينقصهم شيء

فقال الشيخ — اخطأت يا بني فان الانسان متى ألف الملاذ والمسرات لم تبقَ لها قيمة عنده . ولذلك ترى ان الاغنياء لا يجدون في ملاذهم من اللذة نصف ما يجده الفقير في

---

١) الرجال والنساء والزواج ٢) احتقار الزراعة ٣) الاغنياء والفقراء

ملاذه منها . وقد يشمون الف وردة ووردة دون ان يهتموا لها ولكن شوكة واحدة تبقي اثرًا بليغًا في نفوسهم . و بناءً عليه فان حزن الغني في وسط مسراته وملاذه انما هو عبارة عن شوكة بين الازهار . وسرور الفقير في وسط احزانه عبارة عن زهرة بين الاشواك . ولذلك تؤثر اللذة في الفقير مهما كانت ضعيفة اشدّ من تاثيرها في الغني . وفضلاً عن هذا فايهما اولى للانسان : ان يكون في خوف دائم مما يحدث دون ان يكون له امل في شيء مقبل . ام ان يكون لا يخاف شيئًا مما يحدث ولا يملك شيئًا غير الامل في المستقبل . فان الحالة الاولى حالة الغني والحالة الثانية حالة الفقير . ولكن كلتا الحالتين في رايي طرفان . وما السعادة الا وسط بينهما وهي السعة القليلة والفضيلة

فقال بولس — ماذا تريد بالفضيلة وما تعريفها عندك (١)

فقال الشيخ — لستَ في حاجة الى تعريف الفضيلة يابني لانك تمارسها في كل يوم وذلك بانك تساعد اهلك بعملك . ومع ذلك فانا اعرّفها لك : ان الفضيلة هي مغالبة الانسان نفسه لاجبارها على صنع الخير للغير من اجل الله وحده لا من اجل مكافأة من الناس

فصاح بولس — اذًا ما الطف فضيلة فرجيني . فانها لم تسافر من هذه الجزيرة الا من اجل الفضيلة فلا ريب ان الفضيلة ستعيدها اليها

وعلى ذلك فقد كان افتكاره في عودتها يثير تصوراته واحلامه دائمًا وكان شاغلاً لباله في الليل والنهار . وكان احيانًا يعاوده الامل فيقول ان السبب في انقطاع اخبارها عن اهلها هو انها ركبت احدى السفن عائدة الينا . وحينئذ كان يفرح فرحًا شديدًا و يمني نفسه بالاقتران بها قريبًا . واحيانًا كان اليأس يتغلب على نفسه فياتيني ذليلاً صاغرًا و يقول : ان فرجيني قد نستني لان عمتها ازوجتها باحد اكابر البلاط فاضاعها حبها للثروة والجاه ودلت بذلك على انها بلا فضيلة . اذ لو كانت ذات فضيلة لما تركت امها وتركتني . ومع ذلك فالفضيلة في هذه الحياة لا تصلح الا لانشاء الروايات . فماذا اصنع انا . انني سئمت كل شيء ولم يعد لي جلد على العمل ولا صبر على المعاشرة والكلام . آه ليت الحرب تدور رحاها في الهند لاذهب واموت فيها

فكنت اقول له : تأنَّ يابني . فان الشجاعة التي تسهل لنا اقتحام الموت انما هي شجاعة

---

(١) تعريف الفضيلة تعريفًا بسيطًا جميلاً

ساعة ثم تزول . وربما كان سببها التماس استحسان الناس واعجابهم (١) وانما الشجاعة الحقيقية هي تلك التي تجعلنا نحتمل متاعب الحياة اليومية من غير ان يكون هنالك احد يشهدها او مثن يثني عليها . فاحتمل متاعبك بجلد وصبر اذا كنت تحب ان تكون شجاعاً حقيقياً. فان الصبر والجلد هما شجاعة الفضيلة

فقال بولس — اذا كان هذا هكذا فلست اذاً بذي فضيلة. آه انني خسرت كل شيء في هذه الحياة

فقلت له : لا تياس سريعاً فان الفضيلة ليست من ملازمات الانسان لان اختلاف العواطف والاهواء في العالم واحتكاكها يلقي الانسان في اضطراب دائم و يسدل على عقله حجباً من الظلام . ولذلك يجب عليه ان يستنير دائماً من المنائر التي يبدد نورها هذا الظلام : واريدبها منائر الآداب اي كتب الادب (١)

« فالاداب يا بني عون الهي وهي اشعة من الحكمة الرائعة التي تحكم العالم. والانسان لم يتمكن من استنزالها الى الارض الا بوحي او شبه وحي سماوي . وهي شبيهة باشعة الشمس من حيث انها تنير وتسر وتبث الحرارة في النفس . وحرارتها حرارة الهية . ومن خواصها انها تسكّن الشهوات وتكبح جماح الرذائل وتهيىء النفس لقبول الفضيلة بما تبسطه امامها من امثلة افاضل الناس الذين تذكر حوادثهم . فكانها طائفة من بنات السماء ينزلن الى الارض ليطردن هموم الجنس البشري و يسلينه في متاعبه . واذا نظرتَ الى اعاظم الكتاب الذين نبغوا في العالم وجدت انهم لم ينبغوا الا حين الحاجة اليهم والى مبادئهم وان الزمن الذي نبغوا فيه كان اشد الازمان على مواطنيهم . فكانهم يُرسلون خاصةً لانارة بني جنسهم وتبديد همومهم . فاقراء يا بني . اقراء وطالع فان الحكماء الذين كتبوا الكتب قبلنا انما هم مسافرون تقدمونا في طريق المصائب وهم يمدون بكتبهم ايديهم الينا لمساعدتنا في طريقنا حين يكون جميع الناس قد تركونا وتخلوا عنا

فقال بولس — لست في حاجة الى المطالعة اذا كانت فرجيني بجانبي فان رؤيتها تطرد كل هم وكل غم عني

فاجبته : اصبتَ في هذا فان الانسان لا يرتاح الى احد ارتياحه الى حبيبة تحبه . لان في المراة روحاً خفيفاً يطرد همّ الانسان وغمه وفي وجهها معان لطيفة تزيل

١) الشجاعة الحقيقية ٢) منائر الادب وظهور نوابغ الكتاب

من جبينه كل تجعد وتامل وفي جبهتها من لوائح الثقة والاستسلام ما يدعو الى كل ثقة واستسلام(١)واية جبهة تبقى متجعدة لدى ابتسامها؟واي غضب يثبت لدى دموعها؟ ولكن فرجيني ستعود قريباً وهي ارقى مما كانت يوم سفرها · فماذا نقول لها اذا شاهدت الحديقة مهملة · فشمر عن ساعديك واصرف اوقاتك في اصلاحها

١٨

العودة

فبناء على هذا القول عاود الامل بولس فصار يصلح الحديقة استعداداً لعودة فرجيني · وفي ذات يوم (وذلك في ٢٤ دسمبر سنة ١٧٤٤) نهض بولس من فراشه صباحاً فابصر على جبل « الاكتشاف » علماً منصوباً وهي علامة قدوم احدى السفن · فاسرع كالبرق الخاطف الى الميناء ليسال عن كتاب من فرجيني · ولما وصل الى الميناء وجد ان دليل تلك السفينة قد نزل في زورق الى البر وابلغ اولي الشان انها قادمة من فرنسا واسمها



بولس عائد بالكتاب

« سان جيران » ومحمولها ٧٠٠ طن واسم ربانها المسيو او بين · وانها واقفة على خمسة فراسخ من الشاطىء ولا ترسو في الميناء الا في ظهر اليوم التالي اذا وافقها الريح · ثم ان الدليل دفع الى الحاكم رزمة المراسلات التي جاءت بها السفينة من فرنسا· وكان في جملة هذه الرسائل

---

١) قال سنت بوف ان برناردين شرّف المراة ونفى عنها كثيرًا من التهم بهذا التعريف البسيط الجميل لان غيره يعرفها بانها مخلوق طائش خفيف العقل

رسالة باسم « مدام دي لاتور » . فلما وقع عليها نظر بولس عرف خط فرجيني من عنوانها . فطار قلبه فرحاً . فتناول الرسالة بسرعة البرق وقبّلها وضمها الى صدره ثم انطلق كالريح عائداً الى المنزل . وكانت العائلة تنتظره حينئذ على صخرة « الوداع » فلما صار بولس على مقربة منهـا رفع الكتاب بيده ليريها اياه واشتد عدوه ليصل اليهـا . ولما وصل اخذتُ الكتاب بسرور شديد واجتمعت في كوخ مدام دي لاتور . ثم فضت ختامه وقرأته فوجدته مؤرخاً من سفينة سان جيران نفسها . ذلك ان فرجيني كانت قد حضرت في تلك السفينة . وقد قالت في هذا الكتاب ان عمتها اقترحت عليها الاقتران بسيد من اكابر البلاط فرفضت فقالت لها انها فتاة افسدت مطالعة الروايات عقلها ثم طردتها من قصرها ولم تمهلها ان ينقضي فصل الزوابع والعواصف بل اضطرتها الى السفر في الحال . الا ان ربان السفينة لم يتركها تنزل في زورق الدليل حين وصولهم الى الجزيرة خوفاً عليها من الامواج ولذلك بقيت في السفينة الى اليوم التالي

فلما قرأت العائلتان هذا الكتاب فرحوا فرحاً ما عليه من مزيد واخذوا يتعانقون ويهنئون بعضهم بعضاً . ولم يعد يُسمع في الكوخين الا صراخ الجميع « عادت فرجيني . عادت فرجيني » اما بولس فانه كان في هذيان شديد من الفرح . ثم انه اضرم مشعلاً واصطحب دومنيك وسار معه يقصد كوخي لاطلاعي على ذلك الخبر العظيم

وكانت الساعة نحو العاشرة مساء في ذلك الحين . وكنتُ قد دخلت الى كوخي ابغي الرقاد . فلما رايت النور من خلال اشجار الحرش وسمعت بولس يناديني من بعيد نهضت ولبست ملابسي . ولما وصل بولس الى الكوخ انطرح بين ذراعي قائلاً : لقد عادت فرجيني . فلنذهب الى الميناء لاستقبالها . لان السفينة ترسو فيها عند طلوع الفجر »

فسرتُ معه تحت جنح الظلام نقصد الميناء ونحن في غبطة وسرور . الا اننا لم نسر قليلاً حتى سمعنا وقع اقدام وراءنا فالتفتنا فابصرنا عبداً ضخم الجثة فسالناه الى اين يسير فقال « انني مرسل من جزيرة « تراب الذهب » لابلغ الحاكم ان وراء جزيرة العنبر سفينة راسية وهي تطلق المدافع التماساً للمدد والاعانة لان البحر في هياج شديد »

فقلت لبولس حينئذ هلمّ بنا الى جزيرة تراب الذهب فان تلك السفينة سفينة فرجيني . غير انني قلقت لهذا الخبر قلقاً شديداً . وكان القمر قد طلع من وراء الافق وحوله ثلاث دوائر سوداء . اما الريح فانها كانت هادئة ومع ذلك فان الغيوم كانت ترد من جهة البحر الى جهة البر بسرعة غريبة وتتكاثف فوق الجزيرة . وبينما كنا سائرين خيل لنا اننا نسمع

صوت الصاعقة ولكننا ما لبثنا ان تحققنا ان ذلك الصوت صوت مدافع السفينة التي كانت في البحر . فارتعدت فرائصي لهذا الصوت المنذر بالخطر بازاء ما كان في السماء من علائم الزوبعة . و بعد نصف ساعة لم نعد نسمع لتلك المدافع صوتاً بل ساد سكوت عميق . غير ان هذا السكوت كان اشد هولاً وادعى الى الخوف من اصوات المدافع التي كانت دليل الاستغاثة

ولما وصلنا الى البحر وجدناه في هياج شديد . وكان الناس مجتمعين على الشاطيء يتحدثون في امر السفينة . فمنهم من كان يقول ان التيار ساقها الى البر بالرغم عنها فصارت في خطر شديد . ومنهم من زعم انها دخلت في خليج بين البر وجزيرة العنبر الصغيرة لانها ظنته الخليج الذي تمرّ به السفن القادمة الى الجزيرة . ولذلك لم يبقَ امل في انقاذها . ومنهم من كان يضحك من هذه الاشاعات ويقول ان السفينة في امن وسلامة في عرض البحر وانه يراهن على جميع ماله مَنْ شاء مراهنته بهذا الشان و يبيت مستريح البال

اما انا و بولس فقد لزمنا الصمت واقتصرنا على الاصغاء . وكان البحر امامنا مغطى بضباب كثيف لا تنفذه الابصار ولذلك لم نرَ شيئاً سوى خيال بعيد علمنا انه جزيرة العنبر المشار اليها . وفي الساعة السابعة صباحاً سمعنا اصوات الطبول . وكان السبب في ذلك قدوم الحاكم مع شرذمة من الجند والسكان . ولما قدم الحاكم اقام الجند على الشاطيء وامرهم ان يطلقوا بنادقهم طلقة واحدة . فاطاعه الجنود . ولكن بنادقهم لم تنطلق حتى جاوبها صوت مدفع من البحر . فتاملنا حينئذ فراينا خلال الضباب سواري السفينة وكانت قريبة منا حتى اننا كنا نسمع صفير المامور الذي كان يدير حركاتها . ومنذ هذه الساعة صارت السفينة تطلق المدافع بلا انقطاع . فامر الحاكم باضرام نار قوية ليراها رجال السفينة . فاضرم السكان النار . غير ان احدهم دنا منه وقال له : مولاي لقد سمعنا في الجبال في هذه الليلة اصواتاً غريبة . وصارت الاوراق في الاحراش تتحرك مع ان الريح ساكنة . وطيور البحر صارت تفد على الجزيرة وتلجاء اليها . فلا ريب ان الزوبعة قريبة

وفي الحقيقة ان الزوبعة كانت قريبة . فانه لم تاتِ الساعة التاسعة صباحاً حتى سُمعت من جهة البحر اصوات هائلة كاصوات امواج نهر عظيم تنصبُّ من جبال شامخة . فصاح جميع الحاضرين « اليكم الزوبعة . اليكم الزوبعة » . وفي الوقت ذاته كنست ريح عاتية الضباب الذي كان بين الجزيرة وجزيرة العنبر . فانجلت حينئذ سفينة « سان جيران » للابصار وعليها المسافرون يغصّ بهم ظهرها . وكانت راسية بين البر وجزيرة العنبر في

خليج لم تدخل اليه سفينة قبلها وهي واقفة على خمس مراسٍ اربع في مقدمها وواحدة في مؤخرها . وكان مقدمها موجهاً الى الامواج في عرض البحر فكانت كلما صدمتها الامواج ارتفعت السفينة حتى يظهر اسفلها ثم تنحدر بعد مرور الموج فيجتني جسمها هنيهة في انحدارها. وهكذا كانت الريح والامواج تدفعها الى الشاطىء بالرغم عنها .وكان الجميع يخشون من امر واحد وهو انقطاع المراسي التي في المقدم . فلم يلبث هذا الخوف ان تحقق لشدة البحر وقوة الريح . ولما انقطعت تلك المراسي ولم تبقَ السفينة مرتبطة بغير المرساة التي في مؤخرها دفعها الموج دفعاً شديداً الى الصخور . فصرخ جميع الحاضرين حينئذ صرخة واحدة . اما بولس فانه همَّ بان يلقي نفسه في البحر . فامسكته وقلت له : صبراً يا بنيَّ والا لقيت الهلاك . فاجابني اريد ان اموت او ان اذهب لاعانتها . وكان قد عاوده الغضب واليأس . فربطته انا ودومنيك بحبل من وسطه وابقينا طرف الحبل بايدينا ثم اذنت له بالنزول الى البحر . فخاض بولس البحر وهو تارة يسبح وتارة يمشي على الصخور حتى كاد يقرب من السفينة . ذلك لان الامواج كانت تصدم السفينة على الشاطىء ثم تنجزر عنها فيظهر القعر من تحتها فتبقى السفينة كانها تقريباً على يابسة لا على ماء . غير ان الامواج كانت تعود اليها بنشاط اشد وقوة اعظم فتدفع المسكين بولس عن السفينة مسافة بعيدة . فاصيب بولس بجروح عديدة في فخذيه ويديه من جراء السقوط على الصخور والتدحرج بين الامواج . وكاد احياناً يغمى عليه من التعب والالم . الا انه لم يكن يسترد قواه حتى ينهض ويحاول الوصول ثانية الى السفينة

ولما قذفت الامواج السفينة على الشاطىء قطع البحارة والربان الامل في انقاذها . ولذلك صار المسافرون يلقون بانفسهم الى البحر ليخلصوا سباحةً الى البرّ . واخذ البحارة يلقون في البحر البراميل والموائد والواح الخشب واقفاص الدجاج ليسبح المسافرون عليها ويستعينوا بها . فلم تمضِ على ذلك برهة حتى فرغ ظهر السفينة وخلا من المسافرين . وحينئذ بدا فيه منظر يستدرّ الدموع . فانه ظهر في رواق السفينة فتاة كانها ملاك سماوي وهي تمدّ يديها الى البحر نحو الفتى بولس الذي كان يحاول الوصول اليها . وكانت هذه الفتاة فرجيني نفسها . فانقبضت صدور الجمع الواقف على الشاطىء لهذا المنظر وارتعدت فرائصهم من خوفهم على تلك الفتاة . اما فرجيني فانها كانت تسلّم علينا بيديها فكانها كانت تودعنا الوداع الابدي . وكان جميع البحارة قد القوا بانفسهم الى البحر ولم يبقَ في السفينة غير بحار واحد . وكان هذا البحار عارياً من لباسه وهو ضخم الجثة طويل القامة كانه هرقل .

فدنا من فرجيني باحترام وجثا على ركبتيه امامها وسالها ان تخلع ملابسها ليوصلها سباحة الى البرّ . اما فرجيني فانها حوّلت نظرها بعظمة و رقة عن جسمه العاري وابعدته عنها . فيالحياء العذارى وطهارة عواطفهن . لقد ابت خلع ملابسها امام رجل حفظاً للطهارة وان كان في ذلك حتفها . وحينئذ اخذ الجمع الواقف على الشاطئ يصيح من كل جانب « خلصها خلصها » . فرام البحار ان يعود اليها ولكنه نظر في تلك الساعة منظرًا هائلاً

ذلك ان موجة هائلة كانها طود شامخ دخلت في هذا الحين في الخليج بين البرّ وجزيرة العنبر واتجهت نحو السفينة بهياج شديد تتهددها بقلبها رأساً على عقب وتكسيرها تكسيرًا . فلما رأى البحار هذا الخطر الهائل التى نفسه وحده في البحر ونجا بنفسه . اما فرجيني فانها ايقنت حينئذ بدنو الاجل . فوضعت احدى يديها على ملابسها والاخرى على قلبها ثم رفعت عينيها الى السماء بهدوء وثبات جاش ولبثت تنتظر وصول الموجة . فاشبهت بذلك ملاكاً يطير من هذا العالم الى العالم الثاني



فاشبهت بذلك ملاكاً يطير من هذا العالم الى العالم الثاني

فيا لك من يوم هائل حدث فيه حادث هائل . والوعتاه . ان البحر ابتلع كل شيء بعد مرور الموجة . ولم يعد يظهر اثر لفرجيني ولا للسفينة . اما الواقفون على الشاطئ فانهم اندفعوا الى البحر بالرغم عنهم كانهم راموا انقاذ الفتاة المسكينة . فدفعتهم بقايا الموجة عن الشاطئ مسافة بعيدة . واما البحار فانه خرج وهو يقول « وددت لو بذلت حياتي في سبيل انقاذ تلك الفتاة التي ابت النجاة فرارًا من خلع ملابسها » اما انا ودومنيك فاننا انتشلنا بولس المسكين

من البحر وهو مغمى عليه والدم يجري من فمه واذنيه . فارسله الحاكم الى بعض الجراحين لمداواته . ثم رحنا نجول على الشاطىء لعل الامواج تدفع اليه جثة فرجيني . وكنا في حالة من الحزن يكل القلم عن وصفها. وصار اكثرنا يرتاب في وجود العناية الالهية بعد ما اصاب تلك الفتاة الصالحة . ذلك لان في مصائب الحياة مصائب تقع على غير مستحقيها فيزعزع وقوعها ثقة الحكيم مهما كانت ثقته عظيمة

ولما لم نجد جثة فرجيني على الشاطىء عدت مع دومنيك الى المنزل لاهيء ام فرجيني لاستماع هذا الخبر . اما بولس فانه اخذ ينتبه من اغمائه فوضعه الاطباء في غرفة قريبة من الشاطىء . وحين وصولنا الى وادٍ هناك اخبرنا بعض العبيد ان البحر يقذف الى الشاطىء شيئاً كثيراً من آثار السفينة في ميناء قريب . فهرعنا الى هذا الميناء فوجدنا فيه جثة فتاة مدفون نصفها في الرمل . فتاملنا الجثة فوجدناها جثة فرجيني نفسها . فيا لذلك المنظر اللطيف والمريع معاً . فان عينيها كانتا مطبقتين كانها نائمة وملامح وجهها لم تتغير قط .



نائمة نوماً ابدياً

ودلائل الهدوء والارتياح الباطني كانت مرسومة على جبينها . وانما كان على وجهها صفرة الموت تمازج حمرة الحياه . وكانت احدى يديها مضغوطة على ثيابها والاخرى على قلبها . فرفعتُ هذه اليد لانها كانت شديدة اليبس والضغط فوجدت تحتها صورة القديس بولس . فبكيت حينئذ بما في عينيَّ من الدموع لثبات حب هذه الفتاة لانني تذكرت انها وعدت بولس بانها تحفظ هذه الصورة الى آخر نسمة من حياتها . اما دومنيك فان عويله بلغ العنان . وكان يلطم نفسه ويبكي بكاءً مرّاً . ثم اننا نقلنا هذه الجثة الى احد اكواخ الصيادين وعهدنا بغسلها الى بعض النساء الوطنيات

وبينما كان النساء مشتغلات بذلك صعدتُ الى الكوخين لمقابلة ام بولس وام فرجيني .

فلما رأتني هذه وحدي صاحت بخوف « اين ابنتي اين ابنتي » فبكيت وسكت لانني لم اجد جواباً · فلما رأت دموعي تحققت وقوع المصيبة فصاحت صيحة اليمة وسقطت مغمي عليها · وكانت تلك الليلة في الكوخين ليلة هائلة

اما بولس فقد جاء به في صباح اليوم التالي بعض الرجال يحملونه على محمل · وكانت حواسه قد عادت اليه الا انه لم يكن يقدر على النطق · فلما قابل ام فرجيني وامه اغرق الجميع في البكاء · ولكن محنة هاتين الامين التعيستين استثارت برهة عند رؤية بولس كانهما تذكرتا انهما لم يفقدا الا نصف آمالها وقد بقي لهما النصف الآخر · وفي خلال هذا الوقت كان الحاكم يحتفل بجنازة فرجيني المسكينة · وقد كتم ذلك عن اهلها وعن بولس · اما هذا الاحتفال فلم يسبق له مثيل في الجزيرة · فان جميع السكان قاموا قومة واحدة لاكرام الفضيلة في جثة هذه الابنة التعيسة · فسار الجند امام نعشها منكسي السلاح ومشت امامها بنات الجزيرة بملابس بيضاء وسار الشعب وراءها وفي جملتهم فقراء الجزيرة وضعفاؤها يندبون ملاذ الضعف والفقر ويبكون بكاء شديداً

وبعد حفلة الجنازة صعد الحاكم الى الكوخين ليعزي الامين · ولما شاهد بولس في حالة الذهول والضعف قال له « انني راغب في خيرك وخير عائلتك · فسافر يا بني الى فرنسا وانا اوصي بك خيراً » ثم مدّ يده اليه · فجذب بولس يده من يده وصرف وجهه عنه دون ان ينطق بكلمة

١٩

بعد الزوبعة

وبعد ثلاثة اسابيع صار بولس قادراً على المشي · الا انه لم يكن يهتم لشيء مما حوله ولم يكن يعباء بحنو ام فرجيني وامه ولا يجاوب عن الاسئلة التي كانوا يلقونها عليه · وكان الحزن قد اضعف مدام دي لاتور حتى الموت · ففي ذات يوم قالت له « كلما نظرتك يابني خيل لي انني ارى فرجيني » فلما وقع اسم فرجيني في اذن بولس اجفل وفرّ بعيداً من مدام دي لاتور · ثم ذهب الى النبع وجلس تحت نرجيلة فرجيني شارد الفكر مبهوتاً · وقد اوصانا الطبيب بان لا نعارضه في شيء ولا نمنعه من شيء بل ان نجاريه في كل ما يرومه طرداً لهذا الذهول · فاطعنا الطبيب ولذلك لزمتُ بولس فكنت اتبع له من ظله · وفي ذات يوم رايته خرج من الحديقة فتبعته من بعيد · فظل سائراً حتى انتهى الى الكنيسة

ولما وصل اليها ذهب الى ظل شجرة كان التراب تحتها رطباً لانه كان محفوراً منذ بضعة ايام . ثم جثا هنالك يصلي . فاقشعر جلدي حينما رايته يصلي في ذلك المكان لان فرجيني دُفنت فيه تحت تلك الشجرة . و بعد حين غادر المكان واوغل في الجبل . فسالته « لماذا صليتَ يابولس تحت هذه الشجرة » فاجاب « كنت استظل بها معها كثيراً »

وما زال متوغلاً في الحرش حتى اشرف على الميناء . فحينئذ اسرع في السير ونزل الى الشاطىء . ولما وقع نظره على جزيرة العنبر و راى هدوء البحر حولها صرخ بغتة « فرجيني ياعزيزتي فرجيني » ثم انطرح على الارض يبكي بكاءً مراً

وقد اقام اياماً عديدة على هذه المعيشة وهو يتنقل من مكان الى مكان دون ان يستقر في مكان . فضعف جسمه واصفرَّ لونه وغارت عيناه حتى صار في حال يُرثى لها . فخطر لي ان ابعده عن تلك الاماكن التي كانت تذكره اخته التعيسة لعله يجد شيئاً من السلوى . فكنت اوغل معه في الاحراش والجبال ثم اساله الى اين نذهب الآن . فكان يجيبني : هذه جبالنا فلنعد اليها

فلما اعيتني الحيل من هذا الوجه رأيت محاربة حزنه من وجه آخر . فدفعت اليه في ذات يوم صورة القديس بولس التي وجدتها في قبضة فرجيني يوم غرقها . فلما رآها بدا في عينيه سرور غريب ثم تناول الصورة وضمها الى صدره وصار يقبلها ويبكي . فابتدأتُ حينئذ اعزّيه بالكلام التالي

« نعم يابني هذه هي الصورة التي وجدناها في قبضة فرجيني يوم غرقها . وذلك يدلك على انها حفظت حبك وافتكرت بك الى آخر نسمة من حياتها . ولكن قل لي يا بني ماذا تبكي الآن . وهل تبكي نفسك ام تبكيها

« فان كنت تبكي نفسك فانا لا اجهل ان مصيبتك عظيمة لانك خسرت الابنة التي هي اكثر البنات لطفاً وصلاحاً ولو بقيتْ في قيد الحياة لكانت اكثر الزوجات اخلاصاً . ولكن من ادراك ان هذه الفتاة التي كنتَ تنتظر سعادتك منها لا تكون سبباً في تعاستك وتعاستها معاً لو بقيتْ في قيد الحياة . فانك فتى فقير وهي فقيرة وامك وامها دخلتا في سن العجز فلو اقترنتَ بها و رزقتما البنين لعشتم جميعاً في الفقر والتعب والتعاسة . فاقبل يا بني ما يُرسله الله ولا تعارض في احكام الله

« وان كنتَ تبكيها لانها لا تستحق المصيبة التي وقعتْ فيها فاعلم يا بني انها خضعت للناموس الذي يشمل جميع الكائنات في هذا العالم حتى الممالك والدول . فان حياة الانسان انما

هي عبارة عن منزل يُبنى شيئاً فشيئاً والموت سقفه و به تمامه وكماله . وكل حي يولد للموت . وقد كانت فرجيني سعيدة لانها ماتت قبلك وقبل امها واهلها . اي انها ماتت دون ان تموت عدة مرات قبل المرة الاخيرة

« ثم فاعلم يا بني ان الموت خير وراحة لجميع الناس . ذلك لانه ليل هذا النهار المملوء بالمتاعب والاحزان والذي يسمونه حياة . فبالموت تستريح نفس الانسان وتسكن كل الآلام والامراض والاحزان والمخاوف التي تعذب هؤلاء الاحياء المساكين بلاانقطاع . سلْ عن الناس الذين تراهم في نجاح وسعادة في هذه الدنيا فانك تجدهم ابتاعوا سعادتهم المزعومة بثمن غالٍ جدًّا : فانهم لم يحصّلوا الوجاهة في الدولة الا ببذل شيء من الشرف العائلي ولم يحصّلوا المال الا بخسارة صحتهم او دوس ضميرهم واذية بني جنسهم ولم يكونوا محبوبين الى الناس الا بانكارهم ذواتهم وتضحية كثير من مصالحهم . وفي الغالب بعد حياةٍ صُرفت في خدمة الغير واسترضاء الناس وانكار الذات لا يجد الانسان حوله في آخر العمر الا اصدقاء كاذبين واهلاً ناكرين للجميل . واما فرجيني فانها لم تعرف هذه المفاسد الاجتماعية لانها كانت سعيدة من اول حياتها الى آخرها . وقد كملت سعادتها بالشجاعة التي اظهرتها في ساعة الموت وهي النعمة التي يهبها الله للفضلاء جائزة للفضيلة

« ومع ذلك فان فرجيني لا تزال حيّة يا بني . انظر الى العالم تجد ان كل شيء فيه يتغير ولا يفنى . وليس في الارض كلها قوة قادرة على ملاشاة ذرة من ذرات المادة بل هي تغيرها تغييرًا فقط من صورة الى صورة اخرى . فكيف ان المادة الحقيرة لا تتلاشى ابدًا . والروح التي كانت مصدرًا للحب والفضيلة والتقوى والحس اللطيف يكون نصيبها التلاشي والفناء ؟ فثق اذًا ان فرجيني حية في العالم الثاني وانها فيه اسعد مما كانت في هذا العالم . ذلك ان الله موجود يا بنيّ وكل شيء في الطبيعة يدلُّ عليه ويشير اليه . ولست في حاجة لان اقيم لك دليلاً على وجوده اذ لا ينكره احد غير الاردياء الذين يخافون عدله . فهل تظن ان هذا الاله القادر يترك فرجيني الفاضلة بلا جزاء حسن . كلا ولو كنتَ الآن قادرًا على سماع صوت فرجيني من مكانها الابدي لسمعتها تقول : « يا اخي بولس . ليست الحياة سوى تجربة . وقد جُربتُ فعملتُ بناموس الطبيعة والفضيلة والحب . ولذلك جزتُ البحار طاعةً لاهلي ثم عدلتُ عن طلب الثروة حفظاً لفضيلة نفسي . وقد فضلتُ الموت غرقاً على خرق حرمة الحياء بخلع ملابسي . فحينئذ راى الله ان حياتي صارت كافية كاملة فاخذني اليه . وبذلك صرتُ في مأمن من الفقر والنميمة والزوابع ومنظر شقاء الغير .

ولم يعد يصل اليّ شيءٌ من المصائب التي تعذب الناس : فكيف يجوز لك البكاء عليّ بعد هذا النعيم الذي صرتُ اليه . لقد اصبحتُ نقيةً صافية كذرةٍ من النور في الفضاء : فعلامَ تدعوني للهبوط الى ظلام الحياة . يا اخي بولس . ان ما ذقته معك من السعادة والهناء في الارض ليس الا جزءًا من السعادة والهناء اللذين يذوقهما القادمون الى هذا المكان . فانني هنا قريبة من مصدر تلك السعادة ونبعها الاعلى . وانا اذوقهـا بحواسٍ كاملة لا بحواس ناقصة كما كنتُ في الارض . فسكن حزنك يابولس . يازوجي الصغير . يا من ساذوق معه هنا السعادة كاملة . وارفعْ نفسك عن الارض لتحتمل متاعب الحياة الوقتية »

وكان الانفعال لهذا الكلام قد بلغ مني مبلغه فسكتُ حينئذ دامي القلب . اما بولس فانه حدّق فيّ وقال : « لقد ذهبتْ لقد ذهبتْ » ثم اصيبَ بضعف شديد . ولما عادت اليه قوته قال : « بما ان الموت راحة كما تقول وفرجيني سعيدة في العالم الثاني فانا اريد ان اموت لاتبعها وانضم اليها » وهكذا اثر كلامي فيه تاثيرًا مناقضًا للتاثير الذي تعمدته . ذلك لان مصائب الصبي تقوي الانسان في بدء عمره وتجعله قادرًا على احتمال مصائب الحياة و بولس لم يكن قد اصيب بمصيبة في صباه

٢٠

الخاتمة

فعدتُ حينئذ ببولس الى المنزل . ولما وصلتُ اليه وجدتُ مدام دي لا تور في ضعف مستمرّ . واما رفيقتها مرغريت فانها كانت اشدّ ضعفًا منها . ذلك لان النفوس الشديد المتحمسة يصيبها الوهن والخوار بازاء المصائب الكبيرة ولئن كانت المصائب الصغيرة لا توءثر فيها

وحين وصولي الى المنزلي اخبرتني مرغريت بانها رات في ليلها حلمًا غريبًا . قالت : انني رايت فرجيني مرتدية باثواب بيضاء وهي تتنزه في حدائق غناء . وبعد برهة دنت من بولس ضاحكة وجذبته اليها . فلما رايت ذلك هممت بان امسك بولس فشعرت بانني اسير معه ايضًا . فالتفتُ لاودع صديقتي مدام دي لا تور فرايتها تتبعنا مع الخادم دومنيك والخادمة ماري . فما قولك في هذا الحلم

ومما زاد استغرابي ان مدام دي لا تور قد رات في تلك الليلة نفسها حلمًا شبيهًا بهذا

الحلم ايضاً . فقلت لهاتين السيدتين : كثيراً ما صدقت الاحلام وكانت انذاراً للناس . ولا غرابة في ذلك فانه اذا كان الانسان الضعيف قد استطاع ايصال ارادته من اقصى الارض الى اقصاها بوسائط سرية لا يطلع احد عليها فهل يستغرب انّ العناية التي تحكم العالم توصل الى البشر ارادتها بوسائط سرية ايضاً (١) ولماذا لا يكون الحلم احدى هذه الوسائط . بل لماذا نشك في صحة الاحلام أليست الحياة وملاذها الزائلة ومشروعاتها الفانية من قبيل الاحلام ايضاً



النوم الابدي

ومهما يكن من الامر فقد صدق وا اسفاه حلم هاتين الصديقتين . فان بولس توفي من الهم والحزن بعد انقضاء شهرين على غرق عزيزته فرجيني . وامه ماتت بعده بثمانية ايام . ثم تبعتها مدام دي لا تور والخادمان . وهكذا انقرضت هذه العائلة الفاضلة التي عاشت في الفضيلة والصلاح وماتت في الحزن والهم . كأن الفضيلة والصلاح لا جزاء لهما في هذا العالم

اما عمة فرجيني الغنية في اوربا فانها لقيت عقابها . فانها اصيبت في آخر عمرها بالجنون فسجنت في مستشفى المجاذيب . وكانت تقول لكل صادر ووارد : ان مبادىء الرحمة والشفقة والانسانية والفضيلة والدين انما هي مبادىء وهمية يسنها الملوك ورؤساء

(١) يتكلم المؤلف هنا عن ارسال الرسائل من جانب في الارض الى جانب آخر فماذا كان يقول لو عاش في هذا الزمان ورأى التلفون والتلغراف بسلك وبلا سلك

الاديان للشعوب كبحاً لجماحهم واخضاعاً لهم

ولقد دُفن بولس في قبر عزيزته فرجيني جنباً الى جنب تحت الشجرة التي كانا يجلسان في ظلها . ودُفن حولها امّاهما المسكينتان وخادماهما الامينان . ولم يقيموا فوق قبورهم آثاراً رخامية ولا نقشوا فوقها كتابات تدلُّ على فضائلهم ومع ذلك فان ذكرهم بقي خالداً في نفوس الذين احسنوا اليهم . ذلك لان ارواحهم لا تحتاج الى الابهة والفخفخة التي كانوا يجتنبونها في حياتهم . ولكن اذا كانت ارواحهم لا تزال تهتم بما يحدث في هذا العالم فانها يلذ لها ولا شك ان تطوف الاكواخ التي تسكنها الفضيلة النشيطة لتعزي فيها الفقير الذي يشق عليه فقره وتبث في نفوس الفتيان والفتيات المتحابين حرارة الحب الطاهر والميل الى الخيرات الطبيعية وحب الجدّ والعمل والفرار من الغنى والثروة

فيا ايها الفتى والفتاة اللذان اتحدا في موتهما كما كانا متحدين في حياتهما . يا ايتها الامان التعيستان والعائلة العزيزة . تبكيكم هذه الاشجار التي غرستموها وكانت تظللكم . تبكيكم هذه الينابيع التي كانت تجري من اجلكم . تبكيكم هذه الآكام التي كانت مقيلاً لكم

اما هذه الارض التي كنتم تزرعونها فلم يجترىء احد على زراعتها بعدكم . وهذه الاكواخ التي كنتم تسكنونها لم يرممها احد بعد وفاتكم . اما شياتكم فقد صارت وحشية . وطيوركم تفرقت فراراً من هذه الوحشة . واشجاركم المثمرة يبست ودب الفناء اليها . ولم يعد يُسمع في هذه الاماكن الا اصوات العقبان التي تحوم حول الكوخين

اما انا صديقكم فانني اصبحت بعدكم كصديق لم يبقَ له صديق . وكابٍ فقدَ جميع ابنائه . وكمسافر يتيه من مكان الى مكان في هذه الارض التي بقيتُ فيها وحدي »

ولما اتى الشيخ على هذه الكلمات نهض وسار في سبيله يذرف الدموع من الم التذكار . ولقد جرت دموعي غير مرة مثله في اثناء هذه القصة المحزنة

تمت

الجامعة

﴿ الجزء ١٠ و١١ و١٢ ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٢ — رمضان سنة ١٣٢٠ ﴾

خاتمة السنة الثالثة

انتهت في هذا الجزء السنة الثالثة للجامعة

﴿ الاجزاء الاخيرة ﴾ فقد كان باقياً منها الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر اي (٢٤٠) صفحة فضممناها كلها في جزء واحد ولذلك صدر هذا الجزء في ٢٨٣ صفحة منها ٢٣٥ صفحة كتاب « ابن رشد وفلسفته » وهو الحلقة الثانية من مشروع الجامعة والباقي المجلة . فيكون في هذه الاجزاء الثلاثة زيادة ٤٣ صفحة . واذا اضيفت هذه الزيادة الى الزيادات التي كانت تصدر في الاجزاء السابقة وهي تبلغ ١٠٨ صفحات كان مبلغ زيادة صفحات الجامعة في هذا العام عن حجمها الاعتيادي ١٥١ صفحة اي انه يكون معدل كلّ جزء منها نحو مائة صفحة في كل شهر . وهذه الزيادات كلها كانت غرامة لها على تأخير صدورها .

﴿ سبب ضمّ الاجزاء الثلاثة ﴾ اما ضمُّ الاجزاء الثلاثة الى جزء واحد فله سببان (الاول) رغبة الجامعة في انهاء سنتها الثالثة قبل دخول العام الجديد وذلك للشروع في ادارتها الجديدة وادخال التحسينات الجديدة المهمة التي وعدنا بها القراء واولها كلها تنظيم صدور الجامعة بواسطة مطبعتها الجديدة وتوسيع ادارتها وزيادة آلاتها

(والثاني) رغبة الجامعة في استيفاء الجواب عن ردود فضيلة الاستاذ فيما يختص بابن رشد . وقد راينا ان جزئين كاملين لا يكفيان للرد استيفاء للموضوع من كل وجوهه ولذلك اغتنمنا هذه الفرصة وضممنا الاجزاء الثلاثة معاً . ونحن لا نشك في ان حضرات القراء يرضون عن ذلك لشدة اهتمامهم بهذا الموضوع الخطير .

﴿ مشروعات الجامعة الجديدة ﴾ وللجامعة في سنتها الجديدة فوق صدورهاشهرياً ومطبعتها المستعدة لطبع كل ما يُطلب منها من الكتب والجرائد والمطبوعات بالعربية والفرنسوية والانكليزية باتقان كاتقان الجامعة وحروف كحروفها او اكبر او اصغر منها . وفوق الكتب الشهرية التي تصدر في كل شهر من ادارتها — مشروعان او ثلاثة ستباغت بها قراءها قريباً . وهي قد شرعت فيها بناء على اشارة كثيرين منهم . وهذا كل ما نقوله الآن عنها

﴿ زيادة اشتراك الجامعة ﴾ وبناء على التحسينات الجديدة التي ندخلها في الجامعة عاماً فعاماً رفعنا قيمة الاشتراك في السنة الرابعة الى ٦٠ غرشاً صاغاً في مصر و٢٠ فرنكاً في الخارج اي اننا زدنا عشرة غروش فقط على قيمة الاشتراك في مصر و٢٠ غرشاً عليها في خارج مصر . لان قيمة الاشتراك الحاضرة لا تُذكر بازاء حجمها واتقان طبعها ورسومها والتعب الذي يُبذل فيها . ومعلوم ان المجلة كلما اتسع دخلها امكنها زيادة التحسين وتوسيع مشروعاتها التي تخدم بهاقراءها

﴿ مساعدة القراء لجامعتهم ﴾ ولا ريب عندنا في ان قراء الجامعة الكرام في جميع اقطار الارض يثابرون على مساعدة هذه المجلة التي وقفت قواها لخدمتهم والقيام بالوظيفة التي انتدبت نفسها لها . ولقد برهنوا لها في الماضي على ودادهم ومساعدتهم فضاعفت عدد النسخ المطبوعة منها حتى نفدت كلها في آخر هذا العام واضطررنا الى توقيف طلبات كثيرة . وسنزيد في السنة الرابعة الف نسخة على عدد النسخ المطبوعة لئلا نقع غداً في ما وقعنا به امس . ونحن على ثقة من ان اصدقاء الجامعة ووكلاءها وقراءها في كل الاقطار لا يألون جهداً في تنشيط مجلة باسلوب الجامعة وخطتها هي تحتاج الى الشرق بجميع اجزائه والشرق بجميع اجزائه وعناصره يحتاج اليها



مشاهير المتقدمين والمتأخرين

شرقي في بلاط روسيا

﴿ المرحوم سليم دي نوفل ﴾

بقلم شرقي فاضل يقضي حق شرقي عاقل

توفي في بطرسبرج في هذا الشهر العالم الشرقي المشهور الاستاذ سليم دي نوفل الطرابلسي فرايت ان ابعث الى الجامعة بترجمة حياته اظهاراً لفضل رجال الشرق وشحذاً لهمم ابنائه ليتشبهوا بفضلائهم

﴿ ترجمته ﴾ هو سليم بن عبدالله بك بن جرجس نوفل الطرابلسي اصلاً ومولداً . وكانت ولادته في سنة ١٨٢٨ مسيحية في طرابلس الشام وربي فيها تربية كريمة لان عائلته المشهورة في الفيحاء كان معظم رجالها من موظفي الحكومة العثمانية . وقد استدل الجميع منذ صغره على حسن مستقبله بما كان يلوح على وجهه من لوائح النباهة والذكاء ولكنه لم يدر في خلد احد منهم انه سيكون يوماً من الايام من الرجال الذين يفتخر بهم الشرق و يدل الغرب على استعداد الشرقي لكل تقدم وارتقاء . ولما كانت مدارس طرابلس مقصورة على تدريس المبادىء العربية ذهب الفقيد الى بيروت لداعٍ عائلي وتلقى في احدى مدارسها من اللغة الفرنسوية ما يمكنه من الفهم والتفهيم بها . ثم عاد الى وطنه طرابلس واكبَّ على الدرس والمطالعة بغير استاذ . وفي سنة ١٨٥٨ عُهدت اليه وكالة البواخر الروسية ولكنه لم يقم فيها سنة واحدة حتى طلبته حكومة روسيا الى بطرسبرج بواسطة البطريرك الانطاكي والبطريرك الاورشليمي للروم الارثوذكس وذلك ليكون استاذاً للغة العربية في كلية بطرسبرج . فسار الفقيد الى بطرسبرج على نفقة حكومة روسيا ولم تكن السكة الحديدية الروسية قد اتصلت يومئذٍ بتلك العاصمة فاضطر الى ان يبتاع مركبة بخيلها لتنقله اليها هو وعائلته . وكان ذلك في فصل الشتاء القارس وما ادراك ما هو الشتاء في روسيا . والذي زاد مشقة السفر

جهله اللغة الروسية ومحاولة الفلاحين الروس تعطيل مركبته ليضطروه الى ان يشتري منهم غيرها

ولما استقر في بطرسبرج دخل في الجنسية الروسية وانصب على درس اللغة الروسية والتاليف والخطابة باللغة الفرنسوية والتدريس باللغة العربية · ولما اطلع القيصر اسكندر الثاني على بعض خطبه ومقالاته اعجبته رشاقة اسلوبها · واتفق ان الشيخ شامل الشركسي المشهور الذي حارب روسيا مدة ٣٢ سنة خضع وسلم لها في ذلك الزمن وكان لا يُحسن اللغة الروسية بل العربية فجُعل الفقيد ترجماناً بينه وبين القيصر · ومنذ هذا الحين بدأ تقدمه الحقيقي · فان القيصر احبه لذكائه ونشاطه ودقة نظره فقربه منه ووهبه داراً ومنحه لقب شرف وهو (دي) فصار يُسمى « ايرنيه دي نوفل »

وفي سنة ١٨٧٦ عهد اليه القيصر رئاسة قلم في وزارة الداخلية وفي سنة ١٨٧٧ مُنح رتبة مستشار للبلاط الامبراطوري وفي سنة ١٨٧٩ مُنح رتبة مستشار للدولة · وارسلته الحكومة الروسية في ماموريات سرية الى بعض البلاد الاوربية منها سفارة الى رومه لمخابرة الحضرة البابوية في مسالة متعلقة باهالي فنلنده الكاثوليك التابعين لروسيا · وانتدبته عدة مرات للنيابة عن الروس في المؤتمرات الشرقية · وكان الفقيد يقوم بواجباته خير قيام فمنحته حكومته عدة وسامات منها وسام القديسة حنه من الدرجة الاولى · وقد جاء في براءة هذا الوسام ان القيصر منحه اياه «مكافأة له على خدماته السارة وتآليفه الممتازة» ومنها « الوسام الروسي » · وقد منحته فرنسا رتبة غران كوردون من جوقة الشرف

﴿ انجاله ﴾ تزوج الفقيد قبل سفره من طرابلس وكان له يوم سفره الى بطرسبرج غلامان وابنة · ورزق في بطرسبرج غلامين وابنة ايضاً · وقد ربى اولاده احسن تربية · منهم اليوم واحد نائب حاكم القوقاز والآخر قنصل لروسيا في بغداد والثالث محامٍ مشهور في بطرسبرج والرابع موظف في الحكومة الروسية · وقد توفيت احدى بنتيه وكانت على جانب عظيم من الذكاء وكانت موظفة في بلاط الامبراطورة · فحزن عليها الفقيد حزناً عظيماً · وكتب بعيد وفاتها كتاباً لبعض اخصائه ولما ذكر فيه الفقيدة اشار الى حزن اهل بطرسبرج والبلاط عليها فقال « ان الكهنة انفسهم كانوا يبكون في المدفن حزناً عليها · وهل راى احد كهنة يبكون على ميت » وقد امرت الامبراطورة بدفن فقيدته العزيزة في مدفن اسكندر فنسكي مدفن الاشراف اكراماً لها ولابيها

﴿ معارفه ومؤلفاته ﴾ كان الفقيد يعرف اللغة الفرنسوية والعربية لغته الاصلية والروسية والانكليزية والتركية وغيرها . وقد تلقى اللغة الحبشية ايضاً . وطريقة درسه هذه اللغة لا تخلو من فكاهة . ذلك انه ورد في ذات يوم على القيصر كتاب سري من النجاشي باللغة الحبشية فعهد القيصر الى الفقيد بان يترجمه له فاخذه الفقيد ثم التمس انجيلاً باللغة الحبشية واخذ على ما يقال يتصفحه و يقابل كماته بكلمات الكتاب واقام على ذلك حتى فهم معنى الكتاب . ولعله استعان على ذلك بعارف باللغة الحبشية وانما كان يعرض عليه كلمات الانجيل بلا اتساق و يطلب منه تفسيرها دون ان يوقفه على الكلمات الشبيهة بها في الكتاب

اما مؤلفاته فهي كلها باللغة الفرنسوية . وكان في هذه اللغة كاتباً نحريرًا . وكفى دليلاً على ذلك ان الخطبة التي القاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في باريز منذ بضع سنوات كتبها في اقل من ساعة قبل انعقاد الجلسة . ولكن الذي سهل له هذا الامر الصعب ان ذهنه كان مفعماً بموضوعها . وكان موضوعها « مطابقة الدين الاسلامي الحقيقي للمدنية » .

ذلك ان جميع مؤلفات الفقيد كانت في المواضيع الشرقية الاسلامية . منها كتاب في ترجمة صاحب الشريعة الاسلامية (صلعم) وقد حذا فيه الفقيد حذو الفيلسوف رنان في ترجمة السيد المسيح الذي نشرته الجامعة في هذا العام . ومنها كتاب عنوانه « الزواج في الاسلام » وآخر عنوانه « الملكية في الاسلام » وآخر عنوانه « النسل والطلاق »

ولما انتشر احد هذه الكتب رأى جلالة السلطان ان بعض فقراته قد يؤولونه تأويلاً لا يوافق المصلحة العامة فبعث الى بطرسبرج وطلب من القيصر ان يسأل المؤلف اذا كان يرضى بمنع نشر كتابه . فاستدعاه القيصر وقال له انا لا آمرك بذلك امرًا اذ ليس ذلك من سلطتي ولكني اسألك اذا كنت ترضى بهذا المنع . فرضي بذلك رحمه الله بطيبة خاطر اجابة لطلب جلالة السلطان الذي عاش الفقيد تحت اكنافه ورعايته نحو نصف حياته وكان في اثنائها من رعيته وابنائه

وامامنا الآن ونحن نكتب هذه السطور تقريظ من « جريدة بطرسبرج » لكتابه « النسل والطلاق » مؤرخاً في ٢٢ ابريل سنة ١٨٩٣ . وقد جاء في هذا التقريظ ثناء كثير على المؤلف . ومما قاله كاتب التقريظ ان قراء المسيو دي نوفل لا يقرأون في كتبه فقط كتابات مستشرق من الدرجة الاولى ‹عالم› متضلع باللاهوت والفلسفة ولكنهم يقرأون

ايضاً « كتابات رجل يجري في عروقه دم شبيه بدم العرب ونبيهم العظيم (صلعم) ثم قال ان المسيو دي نوفل قد اوضح مشكلات الفقه الاسلامي اللاور يبين وهو يثني في كتاباته على العرب وعلى روحهم العظيمة ولكنه يذكر السيئات مع الحسنات . وكلما تكلم عن النبي (صلعم) تكلم عنه باحترام ولقبه « النبي العظيم » : ثم انتقل الكاتب الى آراء المؤلف فقال عنها انها في منتهى الجرأة والغرابة . وقد امتاز بكونه يتكلم عن ادق المسائل واحرقها بنحافة توقفك على حقيقتها وانت تحسب انك لا تبحث فيها . و بذلك استطاع الخوض في مسائل فلسفية خطيرة لم يستطيعوا في اللغة اللاتينية الا الاشارة اليها

﴿اخلاقه وآراؤه﴾ كان رحمه الله ربعة الجسم كساه المشيب وقاراً وكان في لوائح وجهه انفة العالم واتضاع الفيلسوف . ومما يُروى عن فرط اتضاعه وكراهته للفخفخة الباطلة انه لما كان في باريز ايام اجتماع مؤتمر المستشرقين فيها اراد الذهاب مع اعضاء المؤتمر لزيارة رئيس الجمهورية بصفته نائباً عن روسيا فيه ولكنه لم يلبس لباسه الرسمي ولم يضع عليه وسام جوق الشرف من درجة غران كوردون . فالح عليه صديقه ورفيقه في المؤتمر حضرة الامير امين ارسلان في وضع ذلك الوسام لان رئيس الجمهورية يبالغ في اكرامه متى راه حائزاً عليه . فرضي الفقيد اخيراً بذلك اكراماً لنائب روسيا ان لم يكن اكراماً لنفسه . ولكنه لما كان على الطريق في مركبة مع حضرة الامير امين غطى الوسام بملابسه لكي لا يظهر الا في حين الحاجة اليه

اما آراؤه في الشرق والعرب والفلسفة فيقتضي بسطها مقالاً على حدة . وربما لخصت شيئاً منها و بعثت به الى الجامعة . انما اكتفي هنا بذكر رأي له في ارتقاء الاداب الكتابية في اللغة العربية . فان الفقيد يرى ان السجع والشعر على الطريقة القديمة من اشد العوامل الحائلة دون ارتقاء الكتابة في هذه اللغة لان الكاتب العربي لا يكون ذهنه منصرفاً الا الى الالفاظ وسجعها بدلاً من انصرافه الى درر المعاني واعتبار الالفاظ لباساً لها . اي ان اهتمامه يكون بالقشر لا باللباب . وهذا من اعظم مصائب بعض الكتاب . على اننا نظن ان الفقيد راى هذا الراي قبل هذا العصر بعشر سنين او عشرين سنة لان اسلوب الكتابة العربية قد تغير الآن تغيراً عظيماً . وذلك الاسلوب القديم لم يبقَ منه الا الاثر وهو آخذ في الزوال شيئاً فشيئاً فلا يبقى الا الاسلوب الطبيعي الذي مقتضاه كتابة الكاتب كما يتكلم لان المقصود ابلاغ المعاني لا صف الالفاظ

﴿ مقامه في روسيا ﴾ وقد ذكرنا فيما تقدم منزلة الفقيد في البلاط الروسي ونزيد على ذلك الآن انه كان الصلة بين روسيا وجميع العناصر الشرقية . فان امراء الشرق المسلمين الذين يفدون على بطرسبرج كانوا يتعرفون به . وكان مقصداً لكل شرقي مسلم او مسيحي يفد الى بطرسبرج لحاجة سواء كان من القوقاز و بخارى وغيرها من البلاد الروسية التي يتكلم اهلها اللغة العربية او من الولايات العثمانية . وكان له مراسلات مع المرحوم جمال الدين الافغاني . واكثر بطاركة الشرق الذين كانوا يحتاجون شيئاً في روسيا كانت علائقهم معها على يده .

هذه هي الجوهرة الثمينة التي فقدتها روسيا . واذا كانت هذه الدولة تتعزى عن فقده بمن لديها من رجالها العظام في كل علم وفن فان الشرق لا يتعزى عن وفاة فرد من افراده لقلتهم في ربوعه . ابدل الله هذه القلة كثرة ونفع الشرق بقوى ابنائه ومواهبهم . بدلاً من تركهم ينفقونها خارجاً عنه .



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات العلمية والادبية والتاريخية والعمرانية والفلسفيه مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

شعراءُ مصر وقراءُ الجامعة

﴿ بين بولس وفرجيني ﴾

(حقيقة فرجيني)

لم يذهب سدى تعب « الجامعة » في مشروعهــا الجديد وافتتاحه بتلخيص « بولس وفرجيني» اهمّ موءلفات برناردين دي سان بيير . فان رصفاءنا الكتاب واخواننا القراء قد قدروا هذا الكتاب الادبي قدره . ولو شئنا ان نذكر كل ما وردنا من حضرات القراء بشأن هذه الرواية الصغيرة لملأنا به عدة صفحات ولوجد القارىء فيه من الفكاهة ما يلذ له



فمن ذلك انه بعد صدور الجزء السابق بيوم وليلة دخل علينا ساعي التلغراف مسرعاً وفي يده رسالة برقية . ففتحناها باهتمام شديد ونحن نضرب اخماساً باسداس لاننا حسبناها واردة من خارج مصر في امر خصوصي عائلي . ولكننا قرأنا في هذه الرسالة ما يلي

« من ديروط — الجامعة بالاسكندرية

« فرغتُ الآن من مطالعة قصة « بولس وفرجيني » وكفى بها ان تكون اول واعظم مشهد في مجلاتنا العربية لمظاهر الفضيلة ونصرة دعاتها المحدة (هنا خطأٌ من التلغراف على ما نظن والارجح انها المحضة او المجيدة) والخير والحق · فنشكركم على اتحاف لغتنا العربية بها وتعظيم درجة كتابنا الشرقيين بوضع هذه القصة العميمة النفع وذلك بلسان الفقير المستفيد »

(عياد عبدالله)

فانقلب حينئذ اهتمامنا الشديد الى ارتياح وضحك وشكرنا حضرة المراسل الفاضل على حسن ظنه بالجامعة · والحق ان اهتمام قراء الجامعة الى هذا الحد بما يُنشر فيها لما ينسيها كل تعب وعناء يُبذل في سبيله

ومن ذلك قول قارئ كريم ابي عائلة خارج مصر « سامحكم الله على نشر هذه الرواية فان ابنتي لم تنشف لها دمعة في ليلة امس حين قراءتها · وقد طرحتها عند الصفحة الاخيرة وانطرحت على المقعد تبكي بكاء مرًّا كانها مصابة بمصيبة · اما كان الافضل تزويج بولس بفرجيني بدلاً من انهاء حياتهما بهذه الصورة »

وقال قارئ من الشبان العزاب « جاء في ختام المقالة عن فرجيني ان الجامعة تودُّ ان تعلم اسماء الاطفال الذين يُسمون بعد صدور هذه الرواية « بولس وفرجيني » فانا تمنيت بعد مطالعة هذه الرواية ان اكون متزوجاً وان تكون امرأتي على وشك الوضع لاسمي ابني او ابنتي باسم بولس او فرجيني »

ونحن لم نذكر هذه النوادر — من بين عشرين نادرة غيرها — على سبيل الفكاهة فقط بل لنصرح باننا نهتمّ بهذه الامور الصغيرة اهتماماً شديداً نعرف نتيجته · ذلك ان الكتابة لا يُرجى منها فائدة ان لم تؤثر في القارئ · ومن اول واجبات الكاتب ان يكون بينه وبين قرائه اشتراك في الافكار الى هذا الحد · ومتى كانت العقول مستعدة لتأثر كهذا التأثر والنفوس تذرف الدموع السخينة من اجل ولدين فاضلين كبولس وفرجيني فكن متحققاً ان العمل الادبي — اي الاصلاح الادبي الذي هو الاصلاح الحقيقي في الارض قد بداء يحدث في داخل النفس وان انصار الفضيلة والنزاهة والمبادئ كثيرون ·

ولذلك نرجو من هذه المطالعات المؤثرة الممزوجة بالدموع اللطيفة من الفائدة اضعاف ما نرجوه من قراءة اي كتاب تاريخي او علمي او طبي او فلسفي

ولكننا هنا نفارق آراء القراء لننشر آراء الشعراء · فان الترنم بذكر الفضيلة يكون

ناقصاً اذا لم يضع الشعراء اصحاب النفوس الحساسة بايديهم اللطيفة على هامتها العالية اكاليل بلاغتهم وثنائهم . فكانهم بلابل تغرد في كل بقعة يطيب لها فيها الماء والهواء وكل ارض تُشم فيها رائحة الطبيعة والفضيلة كما خلقها باري السماء

ونحن ننشر هذه القصائد بحسب ترتيب ورودها للادارة . فمنها قصيدة لحضرة شاعر القرشية احمد افندي الكاشف . وقد تفضل فيها بعد ذكر القصة بذكر مشروع الجامعة بالثناء الى حد مخجل ولكن الجامعة نشرته مع ذلك ضناً بابياته الرقيقة التي لا يحلُ حذفها . واعذب الشعر اكذبه على ما يُقال

﴿ القصة مختصرة ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل احمد افندي الكاشف بالقرشيه

لعمرك ما استبكى عيوني واعظ ... بابلغ من هذي الرواية موقعا
فقد صار معناها لقلبي آية ... يذوب لذكراها جوىً وتوجعا
واشفقتُ من بلوى حبيبين لم تطب ... حياتهما في الحب حتى تفجعا
انيسين احلى من جني الزهر منطقاً ... واطهر من ظبي الخميلة مرتعا
ولو عين بالاحسان طبعاً وفطرة ... اذا صنع الناس الجميل تطبعا
اذا وجدا ذا كربةٍ جزعا له ... فلم يهجعا حتى يقرَّ ويهجعا
الى غير جمع الرزق لم يتفرقا ... وفي غير حمد الله لم يتجمعا
فلم يعرفا الا الفضيلة مشرعاً ... ولم يألفا الا البساطة منزعا
قنوعين بالرغد الذي فيه اصبحا ... ولم يبغيا غير التزوج مطمعا
وانهما اولى به كي يمثلا ... شريكي صلاحٍ في النعيم تمتعا
فما لبثا ان حال بينهما النوى ... وما اتصل القلبان حتى تقطعا
فالف قضى غرقاً والف قضى اسى ... وحين درت اماها قضتا معا
فأحزنَ سكان الجزيرة ما دهى العشيرة واعتادوا البكاء المرجعا
ولم يُسلني الا يقيني انها ... أُنيبتْ من الباري باعلى واوسعا

***

هديةُ من تدري بحاجات قومها ... وتقدر ان تقضي له ما تطلّعا
واعلم اني سوف أُعجب بعدها ... باغرب منها كل شهر وابدعا

اجامعة الشرق انشري فيه ما انطوى ودومي بهذا النهج اهدى واسرعا
فقد قمت بالامر الذي كان ساعياً اليه فلم تبقِ لشكواه موضعا
قضى زمناً يرجو النجاة بناصرٍ فكنتِ له المرجوَّ والمتوقعا
فلو كان في وسعي جزاؤكِ مُرضياً ومبتكِ تاجَ المالكين المرصعا
رايتكِ اشفى ما استفدت وانجعا فصرتِ لما تروينَ احرص من وعى
وقد كان قلبي خالياً من محبة فاصبح معموراً بحبكِ مُترعا
لك الحمد من حرٍّ اديب وشاعرٍ تلقاكِ موفور الرضى متشيِّعا
لادعو اليكِ الناشئين جميعهم ومثلي يلبيّه العبادُ اذا دعا

﴿ القصة كلها ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم بالدلنجات

اما حضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم الذي ينشر شعره في مصر كانه زهر الربى فانه آلى على نفسه ايراد حوادث القصة كلها ضناً بمعانيها فاستحق جنابه من الجامعة مضاعفة الشكر على عنايته بكل امر مفيد • وهذه قصيدته المفيدة

كلُّ النفوس الى السعادة تنزع هذي تُنوِّلها وهذي تُمنعُ
وارى الحديث الذّه في مسمع ما كان منه عن السعادة يُسمعُ
ضلّت مسالكها عقول جمة ما زال يدعوها الشقاء فتتبع
ان السعادة ليس يسطع نورها الا بحيث ترى الفضائل تسطع
تأبى فما تأوي بقصر شاهق ويظلّ يأويها الفضاء البلقع
هل مثل فرجيني و بولس شاهد ام بعد هاتيك الوقائع مقنع
جفت المدائن والقرى امّاهما واقامتا حيث الخلاء الاوسع
تتطلبان من الطبيعة رحمة فكانما هي ملجأ او مفزع
جنتا على نفسيهما بيديهما لا بل جنى القدر الذي لا يُدفع
اولاهما الملك الجميل صنيعه طفلين كلٌّ للفضائل منبع
فتسلّتا بهما عن الحزن الذي كانت تضم عليه تلك الاضلع
وتساقتا ماء المودة صافياً عذباً يُبلّ به الغليل وينقع
ما منهما الا غدت لكليهما امًّا تطيل من الحنو وترضع

شبّا وحبهما يشبّ كما هما وترعرعا وهواهما يترعرع
لم يعرفا غير العفافة والتقى طبعاً لعمرك ليس فيه تطبع
كرمت خلالهما فلم يك منهما كذب ولا طمع ولا ما يفظع
ملكان عاشا في الخلاء كلاهما لهما بهاتيك العوالم مرتع
جاءتهما زنجية مكروبة تشكو اذى المولى الظلوم وتضرع
رثيا لها مما اصاب واسرعا معها وقد يُدعى الكريم فيسرع
حتى اذا اتياه بعد مشقة شفعا لمن جاءتهما تتشفع
ثم انثنى الفتيان يعبق منهما عرف الفضائل والتقى المتضوع
جُزيا بما صنعا من الخير الذي يبقى لفاعله فليس يُضيع
وكذاك ما برحا على خلقيهما تنمو الفضائل فيهما وتجمّع
ومن الطبيعة للنفوس مؤدب يزع الفتى عما يشين ويردع
اغنتهما حتى عن الكتب التي لم يخلُ منها في المدائن موضع
اما القرون الذاهبات فقلما تغنيهما اخبارها او تنفع
وكفاهما ما نجتلي اوقاتنا فيه ظلال سجد او ركع
ومن الثمار عن الفصول مخبّرٌ ما منهما الا اليها المرجع
لولا البساطة والقنوع كلاهما لم يصفُ من تلك الحياة المشرع
ولما ذكا غرس الفضائل فيهما وبدا له ثمر وزهر مونع
كانا اذا انفردا معاً ذكرا الذي وجدا من الحب الذي لا يُنزع
شكوى ونجوى يستريح اليهما ويطيل ذكرهما المحب المولع

***

ما بال فرجيني واين قرارها ولايّ نازلة اراها تصرع
مالي اراها تستجير بامها فتجيرها منها نصائح اربع (١
صدعتهما بعد التجمع فرقة وكذا لعمري كل جمع يُصدع
ظعنت ولم ينل الفتى ما رامه فحشاشة تدمى وعين تدمع
ما كان يؤثر ان يقيم اذا نأت وتباعدت منها ومنه الاربع

(١ «وجهي نفسك الى الله يابنية وكلي اليه امرك . فمنه وحده الصحة والحياة . وهو يجربك الآن ليكافئك غداً . ولا تنسي اننا لم نخلق على هذه الارض الا لممارسة الفضيلة »

واصابه ياس اطال عناءه حين الفراق فليس منه مطمع
عاني القراءة والكتابة بعدها من اجلها واخو النهى يتذرع

***

ياحبذا الشيخ المعلم بولساً ولحبذا الشرع الذي هو يشرع
طاف البلاد بعيدها وقريبها فمسلّم من اهلها ومودع
يرتاد فيها موطناً يحيى به فاذا بها سمّ الحياة المنقع
فاقام منفرداً بحيث خلا له جوٌّ يرى فيه السعادة تلمع
لاشيء يعجبه سوى الكتب التي يتلو او الحقل الذي هو يزرع
وافاه بولس اذ تضعضع صبره يشكو من الاحزان ما يتجرع
وغدا لديه بذيع من اسراره ما ضمه ذاك الفؤاد الموجع
يبغي الرحيل عسى يتاح له الغنى والجاه والشرف الاعز الارفع
ليكون كفوءاً للفتاة وخالها عنه اذا حُرم الغنى تتمنع
فنهاه عن تلك الوساوس شيخه ولواه عما كان فيه يطمع
ابنيَّ ان الجاه اصبح والغنى حيث النقائص اصبحت تتنوع
امسى الملوك بحيث يحجب نورهم غيم من الكبراء لا يتقشع
وارى اولئك لا ينالك خيرهم حتى تُرى دوماً لهم تتشيع
تأبى لك الشيم المواجد هذه وسواك للطمع المذمم يخضع
كم من جهابذة كبار لم يكن لهمُ معين منهم ومشجع
دعهم فغير النفس لا يعنيهم شيء سوى الذهب الذي يستجمع
واذا اردت المال سامك اهله شيأ يُلام لها الفتى ويُقرع
فاذا استقمت فقد اصابك سخطهم واذا جنفت ركبت ما هو اشنع
لا تستعن بسوى الاله ولا تكن لسواه ان جلت همومك تفزع
الله يرضى بالصلاح و بالتقى وكفى رضاه لمن غدا يتورع
ولقد ظفرت من السعادة بالذي لم يُلف ذو تاج به يتمتع
عقل كما تهوى وجسم سالم وشمائل غرٌّ وقلب اصمع (١
ولئن رايت العلم خير وسيلة تدنو بها تلك الاماني النزع

(١ ذكي حديد

فلقد اراه بحيث لا يسطيعه ... الا فتى ثبت الجنان مشيع
ولطالما شقي العليم بعلمه ... وغدا يُصلّم انفه ويجدّع
ولقلما يزع النفوس عن الاذى ... كتب يبين بها الطريق المهيع
ارايت كالانجيل بولس هاديًا ... يدعو الشعوب الى التي هي انصع
عصفت رياح الخلف من جرائه ... زمنًا عهدنا شرّه يتبزّع (١
جرّ المظالم قبل ذاك ولم يزل ... يدهي الضعيف به القوي الاضلع
واذا النفوس استحكمت ادواؤها ... لم يشفها منها الدواء الانجع
لو كان ينفع ذا الهداية حكمة ... لم يَعنِ هوميروس فقر مدقع
ولما غدا سقراط يزهق روحه ... في السجن سمٌّ ما يطاق مسلع (٢
او بيع افلاطون وهو كانه ... مما يسام الهون عبد اوكع (٣
واصيب فيثاغو بنار لم تزل ... تكوي قلوب الماجدين وتلذع
ابنيَّ ان العلم اما مركبٌ ... خشنٌ جوانبه واما مصرع
اتظن ان ذوي المناصب والغنى ... يعنيهم الرجل الذكي اللوذع (٤
حسب الفتى شرفًا وان لقي الردى ... سفرٌ به يسترشد المتسكع (٥
ويكون للرجل المفجع سلوة ... عما يصاب به وعما يفجع
تبلي القرون وما يزال جديده ... يتلى فينعم ناظر او مسمع
ابنيّ حسبك ان هممت بصالح ... برّ باهلك لست عنه تقلع
لا تيأسن فليس ينعم آيس ... واصبر فليس بحازم من يجزع
وتسلّ بالكتب التي هي سلوة ... لاخي النهي ان جل خطب ازمع (٦

***

فاطاع بولس شيخه وتراجعت ... آمال نفس اوشكت تتصدع
ونضا لاصلاح الحديقة عزمة ... كالسيف يُنضى في الهياج فيقطع
ويظن شمس الطهر تحمد صنعه ... ان حان من بعد المغيب المطلع
واتى الكتاب مبشرًا برجوعها ... لو كان دهر من عناد يرجع
لا درّ درّ البحر من متقلب ... لو انه يُنهى بذاك ويُوزع

(١ تبزع الشر اشتد وتفاقم (٢ شديد (٣ لئيم
(٤ لغة في اللوذعي (٥ مشى متعسفًا متحيرًا (٦ منحي

بينا يروقك منه خلق سجسج (١ اذراع سربك منه خلق زعزع
ارغى وازبد والسفينة فوقه حيرى واقبل موجه يتدفع
والموت يسفل بالنفوس ويعتلي ويجدّ في طلب الحياة ويهرع
غالَ الفتاة وقد تُرى بمفازةٍ لولا الحياء غدت به تنقنع
صدت عن الملاح اقبل عارياً ليقلها وكذاك من يترفع
ويسومها خلع الثياب ولم تكن لحيائها حذر المنية تخلع
فزعت الى رب السماء وابصرت شخص الحمام فروحها تستنقع (٢
اودى بها القدر المتاح وغالها بين التقى والموج موت هيمع (٣
اكذا يجازى الاتقياء وهكذا تردي الفضائل من بها يتدرع
اي العقول الراجحات لهذه مهما نهاه الرأي لا يتزعزع
لهفي على الباكي المعفر وجهه لهفي على النفس التي تتمزع
لهفي على تلك الاماني التي كانت لوامعها تغرّ وتخدع

***

يا شيخ بولس والحياة كما ترى تعبٌ وهمٌّ للنفوس ملوّع
والموت خير للجميع وراحة سيان فيهم كيّسٌ او ابصع (٤
وسعادة الراضين من دنياهم بالمال يجمع والمناصب تُفرع (٥
لم يدركوها بالصلاح وانما بالنفس تلؤم والسجية تطبع (٦
وارى الفتاة بحيث تنعم روحها في جنة الله التي هي اينع
عزِّ الفتى ان كان يملك بعدها الا حشاشته التي تتميع (٧
اودى به ريب المنون ولم يكن كسرى ليامن هوله او تبع
فسقت شآبيب الرضى قبريهما وجرت تساجلها الدموع الهمع

(١ سهل هادئ (٢ تجتمع في فيها لتخرج (٣ سريع (٤ احمق (٥ تُعلى
(٦ هو من الطبع اي الدنس ومنه قول الشاعر

لا خير في طمع يدني الى طَبَع وبلغة من قوام العيش تكفيني

و يقال طبّع السيف اذا صدئ قال الشاعر

يستمع الرايَ وعنه غنى قد يُصقل السيف ولم يطبع

(٧ تتسيّل

﴿ عبرة بولس وفرجيني ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي

اما الشاعر الثالث الذي تفضل على الجامعة مع رصيفيه بابيات بليغه في هذا الموضوع فهو شاعر مشهور في مصر . ولقد عرفه قراء الجامعة في خارج مصر من عينيته التي نشرتها الجامعة في سنتها الثانية . ولقد حدثنا احد القراء القادمين من الشام ان هذه القصيدة راقت اهل العلم والنظم فيها حتى ان استاذاً كبيراً في كلية كبيرة في بيروت كان يتلوها على تلامذته في وقت الدرس ويقول لهم « هذا هو الشعر العربي المبين . ان شوقي لا ينظم احسن من هذا » واليك الآن قصيدته الفرجينية

يا بني القفر سلاماً عاطراً ... من بني الدنيا عليكم وثناءْ
وسقى العارض من اكواخكم ... معهد الصدق ومهد الانقياءْ
كنتمُ خير بني الدنيا ومن ... سعدوا فيها وماتوا سعداءْ
عشتمُ من فقركم في غبطة ... ومن القلة في عيش رخاء
لا خصام لا مراء بينكم ... لا خداع لا نفاق لا رياء
خلق برٌّ وقلب طاهر ... مثل كاس الخمر معنى وصفاء
ووفاء ثبت الحب به ... وثبات الحب في الناس الوفاء
اصبحت قصتكم معتبراً ... في البرايا وعزاء البوءساء
يجتلي الناظر فيها حكمةً ... لم يسطرها يراع الحكماءْ
حكم لم تقرءوا في كتبها ... غير انْ طالعتموا صحف الفضاء
وكتاب الكون فيه صحف ... يقرأ الحكمة فيه العقلاءْ
انَّ عيش المرء في وحدته ... خير عيش كافل خير هناء
فالورى شرٌّ وهمٌّ دائم ... وشقاء ليس يحكيه شقاء
وفقير لغني حاسد ... وغنيٌّ يستذل الفقراء
وقوي لضعيف ظالم ... وضعيف من قوي في عناءْ
في فضاء الارض منأًى عنهم ... ونجاء منهم اي نجاء
ان عيش المرء فيهم ذلة ... وحياة الذل والموت سواء
ليت فرجيني اطاعت بولساً ... وانالته مناه في البقاءْ

ورثت للادمع اللاتي جرت من عيون ما درت كيف البكاء
لم يكن من رأيها فرقته ساعة لكنه راى القضاء
فارقته لم تكن عالمة ان يوم الملتقى يوم اللقاء
ما لفرجيني وباريس اما كان في القفر عن الدنيا غناء
ان هذا المال كاس مُزجت قطرة الخمرة فيه بدماء
لا ينال المرء منه جرعة لم يكن في طيها داء عياء
عرضوا المجد عليها باهرًا يدهش الالباب حسنًا ورواء
واروها زخرف الدنيا وما راق فيها من نعيم وثراء
فابته وابى الحب لها نقض ما ابرمه عهد الاخاء
ودعاها الشوق للقفر وما ضم من خير اليه وهناء
فغدت اهواؤها طائرة بجناح الشوق يزجيها الرجاء
يامل الانسان ما يامله وقضاء الله في الكون وراء
ما لهذا الجو امسى قاتمًا ينذر الناس بويل وبلاء
ما لهذا البحر اضحى مائجًا كبناء شامخ فوق بناء
وكأن الفلك في امواجه ريشة تحملها كف الهواء
ولفرجيني يد مبسوطة بدعاء حين لا يجدي دعاء
لهفي والماء يطفو فوقه هيكل الحسن وتمثال الضياء
زهرة في الروض كانت غضة تملأ الدنيا جمالاً وبهاء
من يراها لا يراها خُلقت مثل خلق الناس من طين وماء
ظنت البحر سماء فهوت لتباري فيه املاك السماء
هكذا الدنيا وهذا منتهى كل حي ما لحي من بقاء

﴿ حقيقة فرجيني ﴾ وبينما كان القراء في اللغة العربية يلهجون باسم فرجيني كان القراء في اللغة الفرنسوية يلهجون به ايضًا . ذلك ان المسيو ادولف بريسون احد الكتاب المجيدين في جريدة الطان بحث عن اصل هذه الرواية في فصل مخصوص فانهالت عليه الرسائل من كل صوب تجلو له حقيقته . منها رسالة من فكتور بين ساردو المؤلف المشهور ورئيس جمعية مؤلفي الروايات التمثيلية ورسالة من فرنسوي ساح في جزيرة دي

فرنس (جزيرة موريس) التي وقعت وقائع الرواية فيها . و يوءخذ من كل تلك الرسائل والمناقشات التي حدثت بشأن فرجيني بين الكاتب وبين مراسليه والتي استغرقت ثلاث مقالات في الطان كل مقالة منها نحو عمودين — ان اسم فرجيني الاصلي هو « مدموازل كايو » وكانت من اجمل فتيات الجزيرة واعقلهن فارسلتها امها الى قريبة لها في فرنسا فاقامت الفتاة مدة عند قريبتها ثم عادت الى وطنها على السفينة « سان جيران » المذكورة في الرواية . وكان الربان الثاني في السفينة شاباً كريماً يُدعى « لونشان دي مونتاندر » ومعنى « مونتاندر » قريب من معنى « عزيزي » او « فتاي اللطيف » كما ان معنى « فرجيني » مشتق من « الطهارة والعفاف » ولما وصلت السفينة الى الجزيرة جرى لها ما ذكره الموءلف بالتمام . وكان مونتاندر يميل الى فرجيني فلما اشتد الخطر على السفينة بقي فيها مع الفتاة وجاءها يلتمس منها ان تخلع ملابسها لينقذها سباحة فابت الفتاة ذلك



وفضلت الموت غرقاً مع حفظ الحياء على الحياة مع خلع الحياء . فغرقت هي والفتى مونتاندر . ولا يزال في شاطىء الجزيرة مكان يُدعى « خليج القبر » الى الآن لان جثتها وجدت فيه . والمكان الذي دفنت فيه قرب الكنيسه لا يزال يُدعى « قبر فرجيني » الى اليوم ايضاً . واسم بولس وفرجيني مشهور في تلك الجزيرة حتى بين زنوجها ولهم فيهما قصائد واناشيد عامية ينشدونها في سهراتهم . واول ما يصنعه زائر تلك الجزيرة حين وصوله اليها طلب زيارة الاماكن التي عاش بولس وفرجيني فيها

فمن كل ما تقدم يتضح ان هذه الضوضاء التي حدثت في اللغة الفرنسوية والتي اثرنا

شيئاً منها هنا باللغة العربية لم تكن من اجل رواية جميلة فقط بل هي ايضاً من اجل تذكار تلك الفتاة الفاضلة التي مثّلت الكمال على هذه الارض في ساعة من ساعات حياتها: وهي الساعة الاخيرة التي وضعت يدها فيها على ملابسها حفظاً لها (كما ترى في الصورة) مفضلةً الموت غرقاً على خلعها امام شاب. و بذلك لا تكون هذه القصة ترجمة تاريخية فقط بل هي اسمى مثال للطهارة في هذه الحياة. وهو مايجب ان يدل على ان في الارض شيئاً كثيراً اثمن من هذه الحياة بما فيها من ثروة ومال وخيرات

تاريخ العلم في لبنان

لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ شاهين الخازن اللبناني

المقالة الاولى

قلما ورد للعلم ذكرٌ مع لبنان في كتب المؤرخين والباحثين في العصور الخالية . وقد تقلبت الامم عليه وتسابق الفاتحون اليه ولم ينل منه داهية ولا بلغ ذو غرض ايام كان العالم فيه من يحسن تهجئة الكلام اذا قرأ او رقم اسمه اذا كتب ما بلغوه فيه من الاوطار في زمن العلم والتمدن من تشتيت اهليه وتفريق كلمتهم

وقد اشتهر اللبنانيون بالقوة والشدة والبسالة و بالغيرة على جبالهم التي كانوا يصفونها بالمقدسة بياناً لشعورهم بالسعادة في الاقامة بين صخورها وحراجها. وقد نُسب اليها المجد من ايام موسى بل ومن قبله ايضاً لانه تمنى الى الرب ان يريه لبنان « تثنية ص ٣ ع ٢٥ » وهذّ بهِ الانبياء غير مرة. قال اشعيا في احداها : « مجد لبنان اعطي له » وقد رددت محاسنه مزامير داوود وتغنّى به سليمان وتغزّل به شعراء اليونان ولذّ جماله لفلاسفتهم واكثر المؤرخون من تعديد مناقبه ووصف مواقعه واتحاد اهليه ومقدرتهم وسطوتهم. اما العلم فلم ينل نصيباً وافراً من كلامهم عن تلك المفاخر

ولا اذهب في القول الى القدم البعيد لانه يخرجني عن البحث في شان العلم الى النظر في الشؤون الاخرى وانما ابتدئ من عهد الرومانيين المتنصرين اذ لم يكن لبنان الحالي

في ايامهم غير مجاهل يلجأ اليها الفارون من المظالم الحريصون على الاستقلال فلم يكن في قوم ذلك شانهم انتظام . وكانت بيروت احد ثغور لبنان اذ ذاك وكان فيها شان العلم مرفوعاً بدليل المدرسة الشرعية المشهورة فيها . الا انها لم تتعدَّ فوائدها الى اللبنانيين لانهم ما كانوا ليبرحوا صخورهم وحراجهم ذلك المقام الممتنع العزيز خوفاً من المعتدين والفاتحين . فكان العلم عندهم ما تُمكن منه الفطرة شان قبائل العرب الاولى في اللغة والشعر . وقد استمرت هذه المدرسة في بيروت منذ القرن الثالث للمسيح حتى فتح العرب بلاد الشام سنة ٦٣٤

وبعد ان مرت السنون وتقلبت الدول واصبح لبنان اخلاطاً من مسلمين ودروز ومسيحيين صار الحكم فيه الى الدروز والمسلمين يتنازعونه بالثورات والحروب . وكان العنصر النصراني ضعيفاً فولي عليه اناس منه دُعوا « مقدمين » خاضعين للماليك والجراكسة في بادىء امرهم ثم لامراء البلاد حتى ظهرت أُسر المشايخ فكان بعضها من الامراء بالدرجة الثانية . فصار المقدَّمون الى تدبيرهم حتى ازيلت هذه الوظيفة ولم يبقَ في حكم لبنان الا امراء ومشايخ . وبقي الاضطراب ناشراً غمامه على تلك الربوع من ايام المردة حتى اوائل القرن الخامس عشر اذ عدل المقدَّمون باحكامهم واتسع نطاق ولايتهم فعزَّ مقام الامن والراحة فانصرف القوم الى الدرس والتعلم . وكانت لغتهم العربية وبقيت بقية من السريانية حتى القرن السابع عشر لا سيما في شمالي لبنان وكانوا يكتبون العربيـة بالحرف السرياني ودعوا هذا النوع من الكتابة كرشونياً ولم تزل الكرشونية شائعة بين الموارنه الى اليوم . وكان العلم كله يُكتسب بالنسخ وقد اتصل بالعلامة الدويهي الشهير ما يربو على مائة كتاب من تلك المؤلفات المخطوطة واكثرها لم يزل محفوظاً في مكاتب لبنانية قديمة . واذ كنت يوماً في احداها اقلّب بعض تلك الكتب رايت منها ما هو في علم الهيئة ومنها ما هو في علم الفراسة وغير ذلك وجله مكتوب بالكرشونية . ومن اولئك الكتبة عدد كبير يغفلون اسماءهم اما لانهم نُساخ غير واضعين واما لانهم جامعون وهم على غير ثقـة مما دونوه واما لغير هذا من الاسباب التي ليس من شان بحثنا هذا استقصاؤها . وامتد العلم بامتداد الامن حتى بلغ كسروان واما الجهة الجنوبية فكان معظم سكانها من الدروز وكان حكامها منهم ايضاً . ولم تخمد فيها الفتن والحروب الداخلية حتى زمن الامراء الشهابيين فنالت الراحة قسطاً هناك وسرت روح التعليم الذي ظل مقصوراً على درس مبادىء اللغة العربية واسرار الدين مدات طويلة

ولما قوي العنصر النصراني واشتد واصبح من في لبنان منه ذوي وطن هناك صار الحكم

اليه بالطريق الطبيعية واستفاق العلم اكثر حينئذ من سباته الطويل لانتهاء القوم قبل ذلك باثبات القدم واستخلاء الجو ومعلوم ان لا سبيل للعلم مع القلاقل والشرور

قلت استفاق العلم ولكني ادعوه كذلك ولو لم يكن منه في تلك الايام غير القراءة والكتابة البسيطتين لان شيوعهما في لبنان حدا ببعض افراده الى طلب العلم من مصادره في غير لبنان فنبغ السمعاني الشهير الذي طبق ذكره الغرب والشرق وتآليفه الكثيرة حجة للباحثين والعلماء الى هذه الايام . ويكتفي علماء الغرب اثباتاً لابحاثهم بان يستشهدوا كتب السمعاني . وان كانت جهيزة قطعت عند العرب قول كل خطيب فلا حجة لشرقي ولا لغربي بعد ان يقال « قال السمعاني » . ثم ظهر اليازجي فاحيي الاوائل وتفرد عنهم بما دعا الى القول انه العلامة الذي لن ترى العربية له نداً . ولكن هذين النابغتين لم يتلقيا العلم في لبنان بل طلبه الاول في بلاد الغرب والثاني ملك زمامه باجتهاده وقبض عنانه بكده . وكان لبنان اصغر من ان يحويهما فلازم السمعاني رومه واليازجي بيروت اذ لم يكن الزمان يسعف لهما على مدّ رواق العلم فيه

اما النساك القدماء في شمالي لبنان فلم يفيدوا شيئاً من جهة العلم وانما كانوا كمؤسسين للجماعات الرهبانية على مبداء اعتزال الدنيا والناس في المغاور والصوامع وسط البراري والحراج تعبداً وقنوتاً

وقد ظهر في كل وقت علماء لبنانيون دوى ذكرهم في الشرق والغرب ولكنهم افراد افراد تلقوا علومهم في غير لبنان كالعلامتين المشار اليهما اذ لم يكن فيه غير كتاتيب معدودة اخذت تعم القرى كلما ساد الامان واستتب المقام . وهي الى يومنا هذا مع انها تكاد لا تخلو قرية من واحدة منها على مبداءها الاول لا تعلّم غير مبادىء القراءة والخط العربيين . واضاف اليها الموارنة مبادىء السريانية والدروز اسرار الدين في الخلوات .

هكذا كان نمط التعلم والتعليم حتى انشئت المدارس كما سيأتي

وقبل الكلام عليها لا بد من التنويه بما على لبنان من التكريم الدائم وبما تتحرك به افئدة ابنائه من الاحترام والشكر لذكر المطران جرمانوس فرحات الحلبي الذي ادخل اليه علوم اللغة العربية وهذب خدام الكنائس بما وضعه من التاليف الجليلة وما صنعه من الاصلاح في الشؤون البيعية من جهة اللغة خصوصاً

وكانت قد انشئت مدرسة في لبنان سنة ١٦٢٥ باتفاق النصارى تابعي المذهب الروماني مع الكرسي الرسولي ولكن الحوادث طمستها ففنيت عيناً واثرا حتى ندر من ذكر

مكانها من المؤرخين فلم ينبئ عارف بتاريخ لبنان عن احدٍ من تلامذتها ولا من متولي شؤونها ادارة وتعليماً

واول مدرسة احدثت بعد ذلك هي مدرسة عينطورا سكنها الآباء اليسوعيون اولاً سنة ١٦٥٢ واتفق على ان تكون مدرسة سلمت اليهم ادارتها مع مدرسة مثلها في زغرتا سنة ١٧٣٥ الا ان الثانية لم تقم طويلاً و بقيت عينطورا في خطتها المقررة حتى الغيت الرهبانية اليسوعية فعهد بالمدرسة الى الجمعيــة اللعازرية بنفس الشروط التي كانت على اليسوعيين منها ان يقبلوا عدداً معيناً في سلك الطلبة من الملة التي صدر عنهــا هذا الخير العظيم فيتلقوا علومهم الى النهاية بلا مقابل. ولما ابى اللعازريون اولاً قبول بعضها نُزعت منهم المدرسة ثلاث مرات حتى تعهدوا اخيراً بان يقوموا بعموم الشروط ووقعوا بتعهدهم صكوكاً لم يزل احدها محفوظاً وقد نوه به صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية الفاضل

وقد خدمت هذه المدرسة لبنان وسوريا خدمات جلى وكفى بها فخراً انها جرثومة انتشار اللغة الفرنسوية فيها وامتد الاحتياج اليها حتى مصر. ولم يزل طلابها المصريون يُعدون بالعشرات كل سنة تقريباً. وانشأت في البلاد رجالاً خرجوا منها كأنهم خارجون من مدرسة في وسط باريس. يعدون مدن فرنسا و بلادها ومستعمراتها حتى آخر قرية منها و يصورون عادات الفرنسويين واخلاقهم ادق تصوير و يسردون تاريخ فرنسا من اول ظهورها في الوجود الى اليوم مع الاسر التي حكمتها ومَن تولاها من الامراء والملوك مع تاريخ كل ملك منهم وكل شهير افرنسي حتى انهم يروون اقوالهم و يعدون خطواتهم كانهم رافقوا كل واحد منهم. ولكن سل المصري الذي ربي في مدرسة عينطورا اين هي عينطورا فاما انه يجيبك هي في سوريا وحسبُ واما انه لا يعرف غير اسم عينطورا من تاريخ تلك البلاد الشرقية ومن جغرافيتها مع كل علمه الواسع. ولا يعرف شيئاً عن لبنان الذي هي فيه على الاقل. وسله عن تاريخ المدرسة التي نشأ فيها يسرده لك منذ استلمها اللعازريون المرة الاخيرة مع كلمة اخرى هي: «كانت قبلاً لليسوعيين» اما الباني والمؤسس المحسن فلا يعرفه لانه لم يُذكر له الا انه لو كان فرنسوياً لكان راى تمثاله منصوباً في اعز مكان في المدرسة وتمجيده وتسبيحه اساس كل تعليم فيها. وهذا مثال من الوطنية الحقة يعلموننا اياه ونحن لا نتعلمه بل تبقى الوطنية لفظة اجنبية عنا لا نألفها ولا نفقه لها معنى . وليس اللبناني الذي تعلم فيها باوسع اطلاعاً من المصري بشؤون بلاده ومسقط رأسه.

و بعد ذلك لما عادت الرهبانية اليسوعية الى الوجود انشأت مدرسة في غزير فاقت

مدرسة عينطورا شهرة واهمية الا ان اصحابها لما راوا ان الخير العظيم الذي ينوونه بها لسور يا لا يتم في قرية صغيرة نقلوا المدرسة الى مدينة بيروت حيث تمكنوا من توسيعها وتكبيرها حتى جعلوها كلية كبرى · ولا يزالون يجدون في جعلها جامعة شتات العلوم والفنون والصنائع كاملة الفوائد الحقيقية التي تحتاجها البلاد· وابقوا مدرسة غزيرا كليريكية ينشئون فيها المبتدئين في رهبانيتهم ولهم مدرسة في بكفيا تخرج الاحداث على آداب اللغتين العربية والافرنسية ومدرسة اخرى في الشياح تابعة للكلية

وسنة ١٧٨٩ جعل ديرعين ورقا في قرية غوسطا احدى قرى كسروان مدرسة بطريركية اكليريكية لانشاء رجال الدين واهم علومها تلقى باللغة العربية التي احيتها هناك برجال قصروا حياتهم على البحث فيها والاشتغال بها· فكان لبنان بهم و بالدارسين عليهم سوق عكاظ · وقد نبغ منها ايضاً من رجال الدنيا من شرفوا لبنان لدى العالم المتمدن في القرن الماضي بمؤلفاتهم الكثيرة وموضوعاتهم الجليلة كالشيخ احمد فارس الشدياق الشهير الذي لم يُشق له غبار في ميدان اللغة وقد اثرت بجاسوسه على القاموس وجوائبه وسائر مبتكراته المشهورة · وكالمعلم بطرس البستاني الذي ادخل فيها من الفنون ما يقل في جنبه الوصف والاطناب وان لم يكن من فضله عليها غير دائرة المعارف لكفى ذكره تخليداً· ولكنه لم يرض بهذه الخدمة وحدها بل الف سواها ايضاً كمحيط المحيط وقطر المحيط وغير ذلك وانشاء مدرسة في بيروت لم يزل متخرجوها الى اليوم من خيرة الادباء · وعاون الدكتور فان ديك الفيلسوف الشهير على تاسيس مدرسة عبيه الانجيلية في لبنان · ومن تلامذة عين ورقا المعدودين من النوابغ ايضاً الكونت رشيد الدحداح الذي نظر الى بعض من اهم كتب العرب المطموسة فنشرها وله على بعضها حواش وزيادات· وقد وضع كتباً جليلة هي من الابتكار في مكان رفيع ولا تنسى الصحافة العربية يداً له عليها ايضاً ولم يزل برجيس باريس يرن صداه في اذهان المؤلفين باللغة الى اليوم ·

وسنة ١٨١٢ انشئت مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي من اعمال البترون وكانت اولاً على نمط عين ورقا ثم توسع في قانونها فاضحت عمومية في محلها تقبل الطلاب بالاجرة كالمدارس الاخرى عدا الصفوف الاكليريكية التي احتفظت بدوام تنظيمها ايضاً

وسنة ١٨١٧ فتحت ابواب مدرسة الرومية في القليعات من اعمال كسروان لطلاب العلوم الدينية كعين ورقا معا يتبعها من سائر العلوم باللغة العربية

وسنة ١٨٣٠ انشئت مدرسة مار عبدا هرهريا في عرامون كسروان وهي بطريركية ايضاً بارت عين ورقا بنجاحها ومن تلامذتها علماء وكتبة وشعراء مبرّزون

وسنة ١٨٣٢ فتح دير مار سركيس في ريفون لقبول الطلبة الاكليريكيين بعد ان كان ديرًا رهبانيًا

والمدارس المذكورة كلها بطريركية كما تقدم ولغتهـا العربية وتعلم معها بالمقام الثاني اللاتينية واضيفت اليوم الى نظام بعضها الفرنسوية ايضاً نظرًا للحاجة اليهـا . وقد انشئت مدارس اكليريكية صغيرة غير المدارس الكبرى المسرودة جعلت في كراسي اكثر اساقفة الابرشيات ضمّها اثنان منهم الى مدارس كبرى عمومية كما سياتي في محله

ومن الانشاءات الجليلة في لبنان جمعية المرسلين اللبنانيين وكانت صائرة الى اللغو حتى قام سيد علامة جليل خلّف له مآثر تحيي ذكره مكرماً وهو المطران يوحنا حبيب فهبّ الى تجديدها على نمط الرسالات الاوربية واعدها لنشر العلم والفضيلة ونظم لها قانونًا افرغ فيه كنانة ذكائه وحكمته وقد شهد له الاوربيون انفسهم بتفرده وكان لهذا الحبر الجليل الابرّ تضلع نادر من اللغة العربية بجميع فروعها وفنونها وكان فقيهاً عظيماً تولى القضاء في لبنان مدة طويلة وجمعيته لم تزل سائرة في طريق النمو والفلاح ويؤمل انها اذا ظلت في تقدمها تغني البلاد في مقبل الايام عن الرسالات الاجنبية التي وضعت للعلم اساسه المكين بين ظهرانينا

ومن المدارس الاكليريكية مدرسة عين تراز التي يهتم بطاركة الروم الكاثوليك باعلاء شانها وتوسيع دائرة علومها حتى تباري المدارس الكبرى في لبنان وهي هناك مقرهم الصيفي المعتاد

وانشاءت منذ سنتين بطريركية الشام الارثوذكسية مدرسة جديدة في دير البلمند لتخريج المبتدئين في الكهنوت

اما المدارس الادبية فاقدمها فيما اظن مدرسة المحبة الاخوية في عرامون اسسها كاهن فاضل مجتهد هو الخوري جبرائيل شباط بعد اسفار طويلة تجشمها في سبيل انشائها والمدرسة الداوودية في عبيه عني باحداثها متصرف لبنان الاول داوود باشا صاحب الذكر المجيد لتهذيب الشبيبة الدرزية وهي المدرسة الوحيدة التي تراقبها الحكومة اللبنانيـة الا انها الى الآن لم تفلح لعدم اعتناء حكومة لبنان في الماضي بامر العلم . وقد علمت ان ذا الدولة مظفر باشا متصرف لبنان الجديد صارف الى ضبطها ونجاحهـا عناية مشكورة . ثم نشأت

مدرسة القديس لويس في غزير بمال رجل يستحق ان يجله اللبنانيون في مصاف متفرديه وقامت بهمته العالية . الا وهو الخوري لويس زوين الذي مات شهيد الجد والنشاط والوطنية . وكان عالماً فاضلاً له انشاءات طيبة اجلها الصرح العلمي المذكور الذي خلفه لافادة ابناء الوطن

ثم احدثت مدرسة القديس يوسف اللبنانية في قرنة شهوان كرسي اسقفية قبرس من قضاء المتن وجعلت معلقة بعناية مطران الابرشية وضمت اليها المدرسة الاكليريكية الصغرى كما جعل من قبلها سيادة المطران يوسف الدبس مدرسة عين سعادة ضمن مدرسة الحكمة الشهيرة في بيروت

ومن المدارس الاهلية الحية مدرسة مار مخائيل القرن وهي لم تزل صغيرة لقرب عهدها في الوجود

اما التي اقفلت ابوابها فمنها مدرسة القديس بطرس في مدينة جبيل انشأها رجل عرف بالجد والنشاط ولكن الحظ عاداه حتى الممات وهو المرحوم بطرس شحاده فلم تحيى المدرسة بعده

ومنها مدرسة القديس نيقولاوس في عريه عرامون جعلها مؤسسها المطران نيقولاوس مراد تابعة الكرسي الرسولي الروماني راساً فسيطر عليها قاصده الرسولي في سوريا الا انها فتحت للعلم بعد وافقها بازمان طويلة وما لبثت حتى اقفلت ولم يزل اصحابها يسعون لاعادتها الى انشاء الشبيبة اللبنانية على ما يقتضيه عصرنا من الرسوخ في الاداب والعلوم الصحيحة

ومنها مدرسة كفتين في قضاء الكورة عني بتاسيسها عدد من الافاضل اصحاب الهمة والغيرة الوطنية اخص منهم بالذكر المرحوم اسكندر كستفليس عرفته بشهرته علماً وفضلاً واقداماً وقد افادت هذه المدرسة لبنان فوائد جلى واخرجت للوطن رجال فضل وادب . الا انها اقفلت فعطلت جيد الوطن منها وقد كانت حلية فيه يفاخر غيره بامثالها . وكان قد اعادها سيادة مطران الابرشية الارثوذكسي الى ميدان التعليم والتهذيب ولكنها اوقفت بعد شوط قصير وهي لم تزل مقفلة على اسف من الشعب . ولا يقنط العقلاء من الرجاء بانها ستعود بهمة من يعنيهم شانها الى بهائها السابق

ومن المدارس الاجنبية مدرسة الاباء الكبوشيين في صليما ومدرسة الاباء الكرمليين في بشراي ومدرستا الاخوة المريميين الخارجيتان في جونيه ومدرستهم الداخلية في عشقوت اما هذه فقد استقدمهم سيادة المطران بولس مسعد رئيس اساقفة دمشق لانشائها في الدار

التي اعدتها عائلته لهذا الغرض الشريف وجعل هو قيماً عليها والهمة مبذولة بانجاحها لتخطو في سبيل التقدم والاتساع خطوًا سريعاً فتباري مدرسة عينطورا التي ضاقت على رحبها عن عدد مهم من الطلاب ·

ولم تفتني المدرسة الشرقية في مدينة زحلة الا انني احببت ان اجعل لها مقاماً مخصوصاً بالذكر توجيهاً للانتباه اليها وقياماً بما يجب لها من الاعتبار وما تقتضيه الوطنية من الاهتمام بامثالها فانها المدرسة الوحيدة الوطنية التي قامت بادارة جمعية كبيرة شرقية متينة البنيان ثابتة الاركان وقد عنيت بموافقة قانونها التعليمي لحاجات الوطن وقد جعلتها الرهبانية التي انشاتها غير مخصوصة بملة دون اخرى ولا تفريق لديها في المذاهب ودروسها منطبقة على المطالب الوطنية وقد جاهر مديروها بهذا المبداء الحميد· فاذا ظلت ناهجة هذا المنهج القويم نشأ فيها ابناء الوطن اخوانًا متحابين متعاضدين وهي الواسطة الوحيدة لنجاح البلاد · ولا خوف عليها من الحبوط في المسعى لانها ليست من اوضاع فردٍ يستقل بها فتحيى بحياته وتموت بموته وانما هي بادارة رهبانية كبيرة ثابتة تبقى ببقائها وتنجح باعتنائها· فلا يوءثر بها تغيير الرؤساء وتبديل الاساتذة

وعلى هذا النمط يقتضي الوطن مدارس عمومية لا تفعل بها شوءون فردٍ ولا تنال منها اغراض خصوصية

اما مدارس البنات الكبيرة فليست بكثيرة في لبنان والذي اعرفه منها : مدرسة راهبات الزيارة في عينطورا ومدرسة راهبات روح القدس في عبرين وكلتاهما ناجحة نجاحاً اكيدًا الاولى بهمة حضرة الاب الخوري يوسف صفير والثانية بعناية غبطة بطريرك الموارنة الحالي وهي من اوضاعه قبل ان يرتقي الى السدة البطريركية · والثالثة مدرسة راهبات المحبة في زوق ميكائيل وفي برمانا مدرسة لعازرية ايضاً· وقد انشات للبنات والصبية مدارس اخرى في دير القمر وشرتون ورشميا و بعبدات ودوما والشويروغيرها من وطنية واجنبية

وفي هذا الوقت كثرت مدارس الاميركان والروس في جنوبي لبنان وشماليه تعنى الاولى بنشر اللغة الانكليزية والثانية الروسية · اما سائر المدارس التي وصفتها فانها تدرس الفرنسوية بالمقام الاول ثم العربية الا الاهلية منها فاللغتان المذكورتان لديها في مقام واحد ولكنها سائرة على نظام المدارس الاجنبية فلا يعرف متخرجوها شيئاً من مقتضيات بلادهم ·

اما مدارس الاميركان فمنها مدرسة الشوير التابعة لكلية بيروت وقد تخرج فيها علماء افاضل وادباء مشهود لهم . ومدرستا شملان للذكور والاناث ومدرسة سوق الغرب ومدرسة الشويفات للفتيان والفتيات ومدرسة عبنعنوب للبنات ومدرسة برمانا للجنسين ايضاً

ومن مدارس الروس مدرسة سوق الغرب ومدرسة بسكنتا في الجنوب ومدرسة كسبا ومدرسة اميون في الشمال واكثرها قسمان لتعليم الفتيان والفتيات

وفي لبنان مدارس اخرى ايضاً ولكنها لا تفيد ابناءه شيئاً لانها جعلت خصيصة بافادة غيرهم : اولاها مدرسة دير بزمار فانها موقوفة على طائفة الارمن ليهذبوا فيها رجال الكهنوت عندهم . وثانيتها مدرسة الشرفة وهي بطريركية لطائفة السريان بنشاء فيها الاكليريكيون من ابنائها . والثالثة مدرسة ماراشعيا للرهبان الانطونيين والرابعة مدرسة فيطرون للرهبان الحلبيين والخامسة مدرسة نسبيه وهي ولئن كانت للرهبان اللبنانيين الا انها خصّصت بتعليم احداث الرهبانية دون سواها . ومعلوم ان الرهبان عندنا لم يكونوا لافادة الشعب والوطن وانما قانونهم التعبد لله منفردين منعزلين عن العالم وما فيه

هذه هي مدارس لبنان التي انتهت الى علمي ولعل هناك مدارس اخرى لم تحضرني اسماؤها . وكلها تعلم العلوم الادبية الكاملة مع الفلسفة الدينية في المدارس الاكليريكية ولكن لا اثر هناك للعلوم الرياضية والفنية والصناعية والزراعية الا مبادىء الرياضة في عينطورا وفي المدارس الاميركية فانها تعلم منها بقدر ما يوءهل الطالب لنيل الشهادة الثانوية . ولا اثر ايضاً في لبنان كله للغة العثمانية وهي لغة الدولة الرسمية اللهمَّ الا في لوائح المدارس فانها مذكورة مع العلوم واللغات التي لا تُعلم ما لم يكن لها طلاب اخصاء يقومون بنفقة استاذ يُستقدم لهذا العرض . مع ان لبنان ليس بغنيٍّ عن الدولة العلية . وانتفاء لغتها من لبنان من جملة ما يضيق على اللبنانيين مجال الترقي في مناصبها ما خلا افراداً معدودين .

الحروب البحرية المقبلة

﴿ الدارعة والغواصة ﴾

(داوود وجليات)

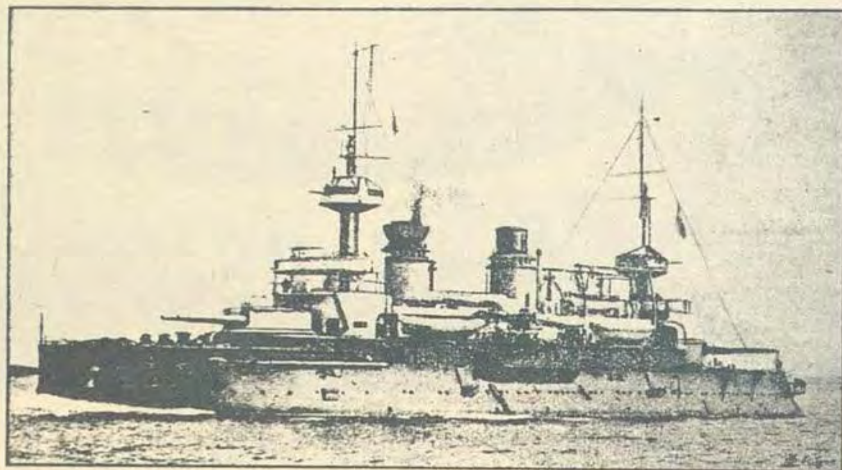
يُقال مثلاً (ان هذه المحاربة كمحاربة داوود وجليات) كناية عن صغير يقوى على كبير . والحرب بين الدارعة والغواصة من هذا القبيل . وليس المراد في هذا الفصل ذكر الغواصات ووظيفتها وتاريخها فقد ذكرنا ذلك في السنة الاولى . وانما المراد تمثيل واقعة حربية على الورق بين الغواصة والدارعة على سبيل الفكاهة ليطلع القارىء على شيء من شؤون هذه الحرب الجديدة التي ستكون اهم حرب في الحروب المستقبلة ابعدها الله

واول ما نرسمه له الدارعة الكبيرة (الرسم الاول) والدارعة التي نرسمها هنا هي الدارعة الفرنسوية « شارلمان » . اما الغواصة التي نرسمها (الرسم الثاني) فهي الغواصة الفرنسوية « الفرنسوي » . وقد انشأتها جريدة الماتين الفرنسوية على نفقتها اي انها جمعت نفقاتها من قرائها واهدتها الى وزارة البحرية لانشائها بها

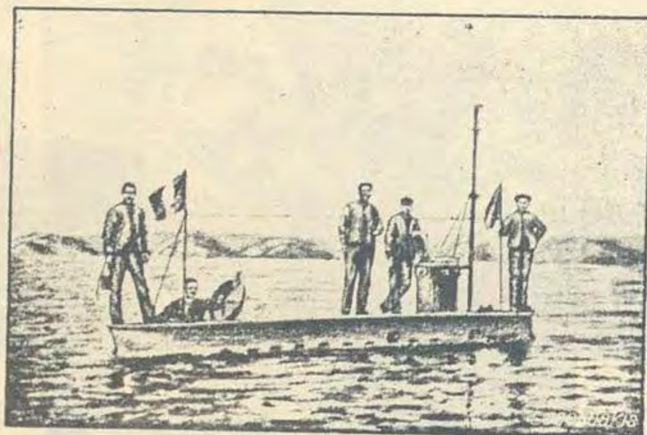
وفي (الرسم الثالث) صورة الغواصة في قعر البحر وهي تطلق النور منها لتنير طريقها . وفوقها الدوارع على سطح البحر تحسب لها حساباً وهي لا تدري بها . فلما تشاهدها الغواصة تخف اليها وتطلق عليها توربيداً . فاذا اخطأتها ولم تصبها حدث ما تراه في (الرسم الرابع) اي ارتفع جبل من الماء في البحر من فعل الطوربيد . وحينئذ اما ان تفر الدارعة من وجه الغواصة راضية من الغنيمة بالاياب واما ان تهاجمها . وهي تهاجمها باطلاقها الطوربيد عليها كما ترى في (الرسم الخامس) ولكن الدارعة قلما تعلم بمكان الغواصة لاستتار هذه في اعماق البحر ولذلك لا يصيبها طوربيدها فتنجو الغواصة من هذا الطوربيد وتعود الى مهاجمتها . ولكنها في هذه المرة تصيب الدارعة بطوربيدها فيحدث حينئذٍ ما تراه في (الرسم السادس) اي ان الدارعة تتحطم وتغرق من فعل عدوتها . وبذلك يتغلب العلم على الطبيعة والضعف على القوة

لذلك يقول العارفون انه اذا اتقنت الغواصات هذا الانقان غيرت موازنة الدول وبدلت نظام الحروب البحرية . وسيكون عند فرنسا بعد سنتين خمسون غواصة من هذه

الغواصات المتقنة المستعدة . والفرنسويون يسمون « الغواصة » « المنتقم » كما ترى في الرسم الثالث لانهم يرون انها تمكنهم من مقاتلة انكلترا في البحر دون ان يخافوا بطش اساطيلها الهائلة



« الرسم الاول » الدارعة شارلمان الفرنسوية



« الرسم الثاني » غواصة « الفرنسوي » التي انشاتها جريدة الماتين الفرنسوية

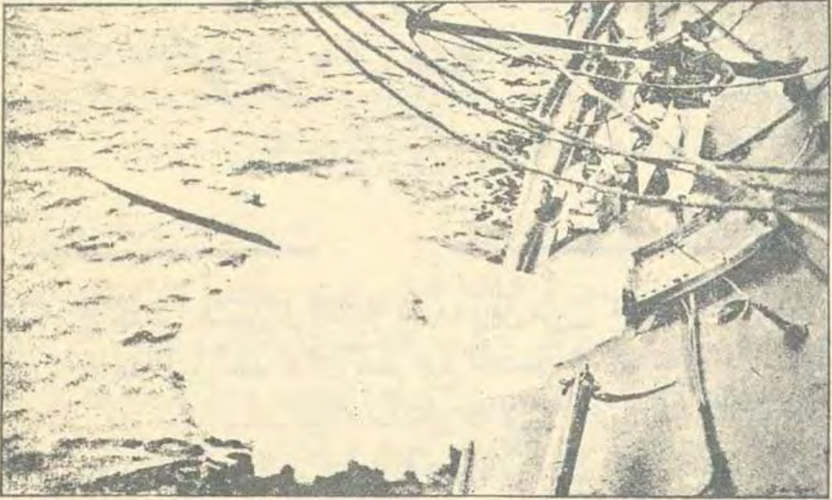
Le Sous-Marin Le Vengeur

« الرسم الثالث » غواصة في قلب البحر وفوقها الدوارع

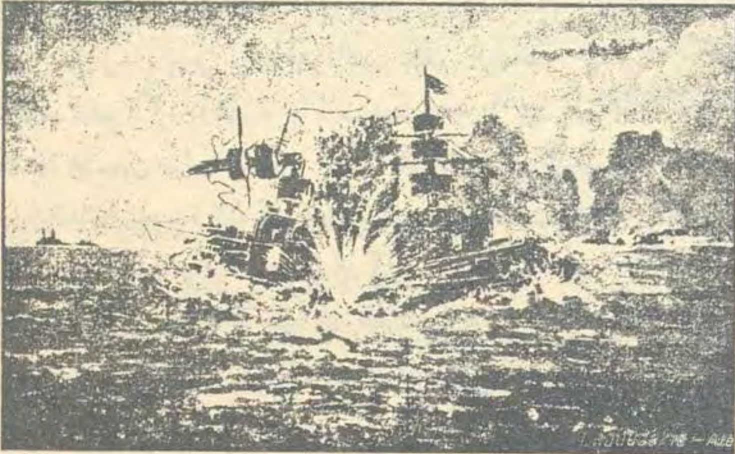


« الرسم الرابع »

ثورة البحر من تور بيد غواصة



« الرسم الخامس » الدارعة تطلق توربيدها على غواصة



« الرسم السادس » غواصة تصيب الدارعة وتقتلها

تاريخ الرسل بعد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

تابع لما قبله

« السنة ٣٥ للميلاد »

اول الداخلين في الطائفة الجديدة

وكان في مقدمة المنضمين الى الطائفة الجديدة رجل من قبرص يُدعى (يوسف اللاوي) فباع هذا الرجل حقله كما كان يصنع جميع المنضمين الى الطائفة ودفع ثمنه الى الرسل الاثنى عشر ٠ وكان يوسف نبيهاً مخلصاً طلق اللسان فقربه الرسل اليهم ودعوه " برنابا » اي « ابن النبوءة » لانهم عدوه في جملة الانبياء اي الوعاظ الممتلئين بالروح القدس ٠ وسيرد في ما يلي ما يكون لهذا الرجل من المنزلة العليا في الطائفة ٠ فانه سيكون بعد الرسول بولس هو المرسل الاكثر نشاطاً في الدعوة

وفي الوقت ذاته دخل معه في الطائفة رجلٌ آخر من ابناء وطنه القبرصيين يُدعى منازون لان اليهود كانوا كثيري الانتشار في قبرص في ذلك الزمان ٠ وقد انضم الى الطائفة ايضاً في ذلك الحين رجل يُدعى يوحنا وهو الملقب باللقب الروماني « مرقص » ٠ وكان ابنَ عم برنابا الذي تقدم ذكره ٠ وكان له امٌ ذات يسار وسعة فانضمت الى الطائفة اقتداءً بابنها وكان التلامذة يجتمعون مراراً في منزلها ٠ وربما كان بطرس هو السبب في ادخال هذه الام وابنها في الطائفة الجديدة لانه كان صديقاً لها ٠ وقد خُدمت الطائفة بذلك خدمة عظيمة لان مرقص هذا سواء كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه اولم يكن هو الذي كتبه فانه كان ذا منزلة عليا في الطائفة لانه صار بعد ذلك رفيق بولس و برنابا في سفرهما في اقطار الارض للدعوة ٠ وربما رافق بطرس ايضاً

وهكذا اكتسبت الطائفة بسرعة شديدة في سنتين او ثلاث سنوات اشهر رجال القرن الاول قرن الدعوة والبشارة ٠ فاجتمع حول الرسل جيل جديد يشبه الجيل الذي اجتمع حول المسيح قبل ذلك على شواطئ طبريا ٠ ولكن سلطة الجيل الاول اي جيل الرسل كانت اكبر من سلطتهم لان الجيل الجديد لم يشاهد المسيح ولا حادثه ٠ ولكن اذا كانت سلطة الجيل الاول اعظم من سلطة الجيل الثاني فان الجيل الثاني كان الفاعل

الاقوى والاعظم في نشر المبادىء المسيحية لانه كان ذا ميل الى الاسفار البعيدة لاعتياده عليها

ومن انضموا الى الطائفة في هذا الحين رجل يُدعى استفانوس وكان رجلاً شديد الحماس والنشاط · وكذلك فيليبوس واندرونيكوس وجونيا · وكان هذان الاخيران زوجين عائشين في وسط الطائفة لينقطعا الى الدعوة والبشارة

اليهود العبرانيون واليهود اليونانيون

وكل هؤلاء المنضمين الى الطائفة كانوا من اليهود · ولكنهم كانوا فريقين · ففريق من يهود فلسطين وهم الذين كانوا يتكلمون اللغة العبرانية والارامية ويقرأون التوراة باللغة العبرانية الاصلية · وفريق من اليهود « اليونانيين » اي الذين يتكلمون باللغة اليونانية ويقرأون التوراة بها · وكان هذا الفريق فريقين ايضاً · فمنه فريق من دم يهودي ومنه فريق من دم اجنبي ولكنه انضمّ الى اليهود · وكان اليهود اليونانيون يفدون بالاكثر من اسيا الصغرى او مصر او سوريا · وكانوا يسكنون اورشليم في احياء مخصوصة بهم ولهم معابد مخصوصة يصلّون بها ولا يختلطون بغيرهم من اليهود · فكانهم طائفة منفصلة عن الامة اليهودية · وكان في اورشليم عدد كثير من هذه المعابد الخاصة باليهود اليونانيين · وفيها وجد المسيح طريقاً ممهدة لوعظه وتعليمه · لان هؤلاء اليهود كانوا اقل تمسكاً بتقاليدهم من اليهود الاصليين

لغة المسيح والمسيحيين الاولين

فكل النواة الاصلية التي اجتمعت الطائفة المسيحية حولها بعد ذلك انما كانت مؤلفة من اليهود دون سواهم · وكانت لغتهم اللغة الارامية التي كانت لغة المسيح ايضاً · ولكن لم تمر سنتان او ثلاث على صلب المسيح حتى اخذت اللغة اليونانية تظهر في الطائفة كما رايت شيئاً فشيئاً الى ان يجيء ذلك اليوم الذي تصير فيه اللغة اليونانية اللغة الغالبة فيها · وكان لبطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا صلات يومية مع ابناء الطائفة اليونانيين ولذلك لزم ان يتعلموا منهم هذه اللغة بالتدريج ليتفاهموا بها · وقد حدث حادث سنشير اليه في ما يلي فادي الى شيء من الانقسام في الطائفة بشان اختلاف اللغة وهذا يدلّ على ان الصلات بين الفريقين لم تكن دائماً على غاية ما يُرام · وسنرى بعد خراب اورشليم ان « العبرانيين»

اي المسيحيين الذين يتكلمون العبرانية ينفصلون عن الكنيسة ويذهبون الى ما وراء نهر الاردن على اعالي بحيرة طبرية ويؤلفون هنالك طائفة منفردة · ولكن قبل هذين الحادثين لا دليل على انه حدث في الطائفة شقاق او انقسام بشان اللغة · فان الشرقيين مشهورون بسرعة تعلم اللغات · وربما تكلم الواحد منهم في المدن بلغتين او ثلاث · ولذلك نرى من المحتمل ان يكون الرسل الذين كان لهم تاثير ونشاط في الدعوة قد تلقوا اللغة اليونانية من علاقاتهم اليومية مع ابناء طائفتهم من اليونانيين · حتى اذا كثر عدد هؤلاء وصاروا الاكثرية في الطائفة عدل الرسل عن اللغة السريانية الكلدانية الى اللغة اليونانية · خصوصاً لانهم كانوا يفكرون في نشر دعوتهم في اقطار الارض · وذلك لا يتم الا باللغة اليونانية · لان هذه اللغة كانت يومئذ اللغة العامة في شواطىء البحر المتوسط الشرقية ولغة جميع اليهود المنتشرين في الامبراطورية الرومانية · وكان اليهود مشهورين يومئذ بسرعة تعلم اللغات التي يحتاجون اليها كما هم مشهورون به اليوم ايضاً · ولم يكونوا يعبأون بتنقية تلك اللغة او تصحيحها اذ المقصود التفاهم بها فقط ولذلك كانت اللغة اليونانية التي استعملتها المسيحية لغة ضعيفة

المنضمون اكثرهم من اليونانيين

ولما كثر المنضمون الى الطائفة الجديدة كان اكثرهم من اليهود اليونانيين · لان اليهود الاصليين وخصوصاً سكان اورشليم كانوا لا يميلون الى مذهب جديد وارد من الاقاليم (الناصرة) وكانت منزلة الطائفة الجديدة من التقاليد اليهودية في بدء الامر منزلة مبهمة كما كانت منزلة السيد المسيح منها · ولكن مع ذلك لم يكن لرجال الطائفة من العلاقة بتلك التقاليد الا من حيث ظاهر الامور وخارجها · فان التقاليد اليهودية مصدرها التلمود واما الطائفة المسيحية فمصدرها خارج عنه · ولذلك كان الاقبال عليها محصوراً على الاكثر في اليهود اليونانيين · فكأنّ هؤلاء اليونانيين الذين كانوا في اورشليم محسوبين احطّ شأناً من العبرانيين الاصليين رأوا في انضمامهم الى الطائفة الجديدة ضرباً من ضروب الاخذ بالثأر من العبرانيين الذين كانوا يترفعون عنهم · وما برحت الاحزاب الضعيفة التي هي في اول نشأتها اكثر الاحزاب تركاً للتقاليد وميلاً للشيء الجديد · لانها لا تخسر شيئاً فيه

وكان هؤلاء اليهود اليونانيون ممتازين بالبساطة والجهل مع الايمان · اما اليهود

العبرانيون فان الصدوقيين منهم كانوا من المشككين والمرتابين في مذهبهم والفريسيون كانوا شديدين فيه لا يتخلون عن شيء منه . ولذلك ايضاً قل المنضمون الى الطائفة من هؤلاء (العبرانيين) وكثر من اولئك (اليونانيين) هذا فضلاً عن ان اليونانيين كانوا لا يشاركون العبرانيين في الخيرات والاموال التي كانت تنهال على الهيكل وعلى رجاله . ومن اجل هذا كانت حالتهم الاقتصادية ضعيفة جداً . وهنا نصل الى موضوع خطير في المسيحية وهو « الاشتراكية » وسيظهر في ما يلي ان هذه هي الدعامة القوية التي بنت عليها الطائفة مستقبلها ووطدت اساسها

احتياج الشرق الى القوى الادبية

مثال من مجلة

لصديق من اصدقاء الجامعة الكرام

ارجح ان الجامعة لابد لها من ان ترد على مجلة المنار التي اخذت تفتري عليها باكاذيب ما انزل الله بها من سلطان . اما انا فلا ادخل في هذا الموضوع لئلا أُحسَب طفيلياً ولكني اريد ان استنتج منه نتيجة يجب ذكرها . وهذه النتيجة هي ان الشرق مهما صرخ المتصدرون فيه ومهما عرّضوا دعواهم وكبروا مزاعمهم فانه لا يزال يحتاج الى القوى الادبية الحقيقية وينتظر اهلها

وامثلة ذلك في هذه المناظرة كثيرة لا يجب ان تمرّ دون تقييدها . واليك بعض منها .

اولاً — ان مجلة كالجامعة تنفق حياة منشئها في الليل والنهار على استخراج المسائل ونشرها . وهي تنشر ما تنشره بقطع النظر عن رضى الاحزاب او سخطها لانها تطلب الحقيقة المجرّدة . فما دامت تنشر الحقائق عن الحزب الازرق مثلاً فان زيداً وبكراً من الحزب الاحمر يكونان راضيين مسرورين . ويكتب زيد في مجلة يقول عنها : هكذا تكون الكتابة والا فلا . ويكون زيد يعمل في قومه ما تعمله الجامعة في قومها . ولكن اول ما يخطر للجامعة نشر شيء من الحقائق التي يدعو اليها زيد في مجلته يغتنم زيد هذه الفرصة ليجعل نفسه في منزلة المدافع عن قومه ويرمي رفيقته ورصيفته باقبح التهم ترويجاً

لبضاعته . فبعد ذلك هل يكون لدى زيد شيء من القوى الادبية

ثانياً — المنار مثلاً لا تروقه اعمال محمد علي باشا والجناب الخديوي وسماحة ابي الهدى افندي والعلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي واكابر علماء المسلمين في مصر فلا ينفك عن التطاول عليهم (على قصره) في اكثر اجزائه باساليب مختلفة . وحرية الصحافة في مصر تبيح له ذلك . ولكن اول ما تقوم مجلة كالجامعة لتكيل له بكيله رداً لافترائه عليها يصيح قائلاً : قاتل الله حرية الصحافة التي تجيز للمجلات ان تنشر ما تنشر . فهل هذا من القوى الادبية

ثالثاً — المنار يرد على الجامعة في موضوع فلسفي فترد الجامعة عليه وتحجه ببراهين قطعية تدل على صحة نقلها . فماذا يفعل المنار بعد ذلك . هل يعترف بخطائه ؟ حاشا بل انه يندفع على رصيفته بالسباب والشتم كما يصنع اولاد الازقة . واذ يرى ان الشتم العلني والضمني لا يروي ان غليله يعمد الى الكذب والتزوير . فيدعي ان الجامعة كتبت الى بعضهم تقول كذا وكذا بشأن الغزالي وغيره . وهي دعوى مختلقة من اصلها . فهل هذا الكذب والافتراء لنكاية رصيف ينطبقان على القوى الادبية

رابعاً — صاحب المنار مثلاً اذا وردته مجلة الهلال كان يأخذها و يقلب بضع صفحات فيها ثم يقول : والله لا ارى شيئاً في هذه المجلة يستحق عناء المطالعة . ثم يظهر استياءه من كتابة حضرة صاحب الهلال التاريخ الاسلامي . وحضرة صاحب الهلال اذا اخذ المنار في سنته الاولى كان يقول : المنار فارغ ومـا هو الا الفاظ مصفوفة بعضها وراء بعض . فلما اتفق المنار والهلال على ظهر الجامعة صار الهلال ينادي : ان المنار من اركان النهضة الاسلامية (زه زه) والمنار ينادي عن الهلال لانه لا يخرج في كتابته عن المالوف ولان الجامعة لا تقول في المنار ما قاله الهلال : ان الهلال كاتب منصف الخ الخ . — فهل هذه هي القوى الادبية .

خامساً — المنار مثلاً يزعم زعماً عن شيء نقلته الجامعة . فتورد الجامعة المصدر الذي نقلت عنه وتقول له راجع الكتاب كذا تاليف الفيلسوف رنان الصفحة كذا السطر كذا . فما هو اوّل همّ للمنار بعد ذلك ؟ لا همّ له الا الصياح بان رنان رجل متعصب جاهل وقد جادله فلان فحجه وهو يطعن في الدين الاسلامي . ثم تستشهد على ذلك بعبارة تقول انه قالها — فرنان متعصب ؟ واضحكناه . ليتك يارنان تسمع هذ القول المضحك . ولمن يتعصب رنان الذي كتبه في المسيحية مشهورة . ربما يقال انه يتعصب للعلم والفلسفة .

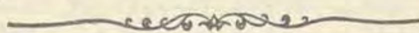
ولكن هذا خطأ ايضاً . لان هذا الرجل الذي لم تلد الامهات بعده ولا في عصره رجلاً يساويه كان رسول التساهل في كل شيء . والدليل على تساهله العظيم سخط مجلة كالمنار عليه وسخط المتعصبين من المسيحيين . فالطرفان يتشابهان دائماً . لذلك لا نستغرب ذلك الحكم من المنار . وانما استغربنا نسبة تلك العبارة اليه . وهذا يدل على ان المنار لا يأنف من استعمال سلاح الافتراء والتزوير . ففي اي كتاب قال رنان تلك العبارة . اذكر هذا الكتاب يا حضرة الشيخ رشيد ودلنا عليها فيه وانا ادفع عشرة جنيهات لصندوق الجمعية الخيرية الاسلامية غرامة . لعلك تقول ان هذه العبارة وردت في كتابه « ابن رشد » — ولكن سامحك الله الم ترَ انها منسوبة الى ابن رشد نفسه لا الى رنان . وما رنان في ذلك السطر الذي فيه اهانة للاسلام والمسيحية واليهودية معاً الا راوٍ ينقل اشاعة عن لسان هذا الفيلسوف . ثم كيف يمكن ان يعتقد رنان ذلك الاعتقاد وهو القائل في مقدمة كتابه تاريخ الرسل « انني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين باداب الدين الاسلامي « القديمة » وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جراثيم تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة » وقد نقل المنار هذا القول بعينه عن الجامعة في احد اجزائه السابقة . فهل يكون من الذمة ان يُنسب الى قائله ما نسبه المنار اليه . واين تكون القوى الادبية التي هي اساس كل اصلاح اذا كنا نفتري مثل هذا الافتراء على كل من لا يعجبنا رأيه في بعض المسائل . ثم الا يكون المفتري هو الذي يهين المبادىء الدينية الكريمة لقوله عن رنان انه قال عنها كذا وكذا مع ان هذا الامر لا اصل له البتة وقد اثنى عليها رنان في عدة مواضع

سادساً — شابٌ لعب دوراً في بيروت في زمن واليها نصوحي ثم جاء مصراً واستخدم فيها في محل زراعي وقبل ذلك في محل آخر . . وبما انه معتاد على الاخذ والعطا دائماً فانه عاد الى عادته . فصار اذا جاء ادارة الجامعة يقول : لما كنتُ في بيروت كان صاحب المنار الشيخ رشيد الطرابلسي يقف على بابي ساعتين قبل ان آذن له بالدخول . ثم يقول عن المفتي كذا وكذا وكذا . ولما يقصد ادارة المنار يقول فيها عن الجامعة كذا وكذا وكذا . فيصدق صاحب المنار ذلك كما صدَّق قوله ان الجامعة كتبت اليه برسالة الغزالي . وانا ادفع عشرة جنيهات ايضاً لمن يثبت ان الجامعة كتبت حرفاً بهذا الخصوص لايٍّ كان . ثم ان ذلك الشاب احياناً يُخرج تحارير من جيبه و يقول انها من عطوفتلو والي بيروت رشيد بك او دولتلو ناظم باشا وردت عليه منهما . وهو يقصد بذلك ايهام اصحاب الجرائد بان له صلات خصوصية مع اناس كرام ينال بها كل ما

يريده • فينخدع بذلك كثيرون حتى اكبر الجرائد في مصر وينشرون له ما يريدنشره• فيروح حينئذ مفتخراً بانه هو الذي نشر ذلك القول وهو الذي سحر بخلابته اكبر العقول واخضعها له• فهل يليق ان شخصاً كهذا الشخص يدخل بين المنار والجامعة و يلقي الفتنة بينهما دون ان تدريا بها والمنار يصدق كل اكاذيبه •هل يصح ان يكون هكذا تاثير شاب متقلب في الصحافة الجدية التي تخدم المصلحة العامة• وما هذه القوى الادبية التي يلعب فيها اصغر المتلاعبين

اجل ان القوى الادبية نادرة في الشرق من سوء حظه • وما دام المتصدرون فيه يفضلون المصالح على المبادىء ويكرهون سماع صوت الحقيقة اذا كانت مخالفة لمصالحهم وآرائهم ويحاربون صاحب ذلك الصوت حتى بالكذب والافتراء والتزوير فكل هذه الجلبة في الشرق تكون صيحة وضوضاء لا نهضة وارتقاء • لان كل ما يُبنى على غير اساس فهو مهدوم• ولا سبيل للعقلاء حينئذ مهما كانوا ميالين للمسالمة الا محاربة المعتدين بسلاحهم طبقاً لسنة الحرص على البقاء

﴿ الجامعة ﴾ لولا ما في هذه الرسالة من الفكاهة والتفنن لضربنا صفحاً عنها • وقد استغربنا اهتمام حضرات اصدقاء الجامعة ومراسليها الافاضل باقوال تحكي فقاقيع الماء ولذلك نعتذر عن نشر باقي الرسائل ونكتفي بشكر المراسلين الكرام خصوصاً حضرة المراسل الازهري• وليس الغرض في هذه المباحثة الا ايضاح المسائل الفلسفية المختصة بها وقد اوضحنا هذه المسائل في كتاب على حدة عنوانه« ابن رشد وفلسفته» واما باقي الصغائر التي تخللتها فنحن لما نعرفه من طيبة قلب رصيفنا صاحب المنار وسرعة تقلبه لانشك في انه قد ندم الآن على صدورها منه



المدنية الجديدة والمدنية القديمة

﴿ في الدولة العلية العثمانية ﴾

للدولة العلية العثمانية اربع بقع لا شبيه لها في العالم . البقعة الاولى الاستانة نفسها ببريها وبحريها . والبقعة الثانية الاناضول — تلك البلاد الواسعة الخصيبة التي لا يزال خصبها فيها والتي تاخذ الدولة منها اقوى جيش لها واصبره على متاعب الحرب وارضاه بالكفاف في مواقع القتال . والبقعة الثالثة سوريا بارضها الاورشليمية ولبنانها الشامخ وهوائها اللطيف . والرابعة ارض ما بين النهرين وهي اخصب ارض في الكرة الارضية

وكلامنا في هذا الفصل عن هذه الارض التي كانت وطناً لاقدم مدنية . قال المسيو ليفني : ان اراضي ما بين النهرين وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يُصدق . فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك . وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة . فتكون غلة تلك الاراضي في كل سنة ١٢٠ مليون جنيه وهي ثروة لا تعادلها ثروة . وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها مضاعف دخل الدولة اربع مرات . ولذلك كان من المقدَّم على كل شيء التفكير في احيائها

واذا كانت الفكرة العسكرية قد احلَّت مشروع سكة بغداد الحديدية في اسمى منزلة في ذهن جلالة السلطان فان هذه الفكرة المالية قد زادت ولا شك اهتمام جلالته به . ولذلك لا يُنتظر سقوط هذا المشروع في زوايا النسيان والاهمال مهما قام في سبيله من العثرات . ومتى تمَّ وظهرت آثاره العظيمة فان التاريخ يعدّه ولا شك انفع الاعمال والاصلاحات التي تمت في عهد جلالته . ولا يعود خزان اصوان ولا نيل مصر يُذكران بازائه

وليس المطلوب الآن من المدنية الجديدة الداخلة الى تلك البلاد البعيدة الا اعادة اعمال المدنية القديمة . فان آثار اقنية الماء والاحواض وطرق الري لا تزال ظاهرة في تلك البلاد . فاذا اعيدت كلها الى حالتها السابقه وامنت السبل وانهال الناس من جهات

الاناضول وسوريا لتعمير الارض هناك فان الدولة العثمانيه تصبح دولة من اقوى دول الارض واعظمها واغناها ولا يعود احد يخشى على مستقبلها · ولذلك يقول الالمانيون ان سكة بغداد الحديدية ستحل المسالة الشرقية حلاً فيه مصلحة الدولة العثمانية

﴿ سكة الاناضول ﴾ وهذه السكة البغدادية التي ستقوم بهذه العظائم كلها ستكون تتمة لسكة الاناضول الالمانيه الموجودة الآن · وهي تبتدىء من شاطىء البوسفور الشرقي في الاستانه ممتدة على موازاة بحر مرمرا الى اشميد (نيكوميديا القديمة المشهورة بكنوزها النفيسة) ومن هناك تتجه نحو (اده بزار) على مسافه ٤٥ كيلو متراً من البحر الاسود فبلجوك فاسكي شهر حتى انقره وهي انسيريا القديمة المشهورة بتربية الماعز · ثم تنتهي الى قونيه · ومن قونيه يمتد منها فرع الى مدينة اضاليا المشهورة في التاريخ باسم « ايكونيوم » وقد اسست منذ نحو ثلاثة الآف سنة · ولقد زرنا هذه المدينة منذ نحو عشر سنوات فسمعنا الناس فيها يشكون يومئذٍ من عدم وصول هذه السكة اليهم

وهذه السكة تمتد في وسط طبيعة من اجمل ما خلق الله · ومساحتها كلها ١٠٥٠ كيلومترًا · اما وارداتها فقد بلغت في عام ١٩٠٠ — ٣٣٤ مليون فرنك و٤٦٠ الفاً اي بزيادة ١٨٤ مليون فرنك عن العام السابق · ومن البوسفور الى انقره فقط نقلت في عام ١٩٠٠ مليون مسافر و١٢٥ الفاً و٩٥٢ · وبما ان الدولة قد اذنت بانشاء ميناء في حيدر باشا في الشاطىء الذي تبدأ منه هذه السكة قرب الاستانة فلا ريب ان احوالها ستتحسن ايضاً

﴿ وصل الخطوط ﴾ ولكن كل تحسين في هذا الخط لا يجدي النفع المطلوب اذا لم تمد هذه السكة الى خارج الاناضول لتاخذ وتعطي في بلاد واسعة · وهذه الحالة هي حالة سكة آطنه ايضاً · فقد سافرنا منذ نحو عشر سنوات في هذه السكة من مرسين الى ترسيس فسمعنا من كل جانب الشكوى من ضعف احوالها لانها مقصورة على خط واحد محصور بين آطنه واسكلتها مرسين · فالمقصود الان وصل خط الاناضول في جهات قونيه بخط اطنه ثم ارساله من هناك الى جهات ما بين النهرين فيعم اسيا الصغرى كلها ·

﴿ راسمال سكة بغداد وضمانتها ﴾ اما الراسمال اللازم لهذا المشروع فهو ٦٠٠ مليون فرنك منه للالمانيين ٦٠ في المائة وللفرنسويين والبلجيكيين ٤٠ في المائة · واذا رام بعض الدول الاخرى الاشتراك فيه خصص لها ١٠ في المائة من مجموعه · وتوءخذ هذه العشرة في

المائة على هذه النسبة : ٦ من راسمال الالمان و٤ من راسمال الفرنسو بين والبلجيكيين

وبموجب الاتفاق بين الشركة والباب العالي تدفع الدولة سنويًا لهذه الشركة ١٦٥٠٠ فرنك عن كل كيلو متر منها . وبما ان طول الخط الجديد ٢٥٠٠ كيلومتر فان الباب العالي يدفع ٤٠ مليون فرنك في كل عام ضمانة لفائدة راسمال الشركة . ولا ريب ان كل ذلك امر هين اذا كان يُرجى من السكة الفوائد العظيمة التي تقدمت . ولكن الدولة لا تدفع هذه الضمانة كلها بل هي تدفع منها فقط ٢٥ مليون فرنك كل عام لانهم يقدرون ان دخل الكيلو متر الواحد بعد مده وقبل اتمام الخط كله لا ينقص عن ٥ او ٦ الاف فرنك . فيُطرح هذا الدخل من الضمانة التي ضمنتها الدولة للشركة

﴿ طريق سكة بغداد ﴾ اما طريق سكة بغداد فهي تبتدئ من قونية التي تقدم ذكرها فتتصل بالخط الوارد من الاستانة وازمير ثم تتجه نحو قفار اسيا الصغرى فتخترقها وتجتاز جبال طورس قرب كولك بوغاز التي كانت في التاريخ القديم مرفاء من اشهر المرافىء . ومن هناك تمتد في شاطىء خصيب حتى مرسين وادنه . ثم تُساق في شمالي سوريا قاصدة عينتاب وحلب ومنها الى قرقميش القديمة (دشرابلس اليوم) على الفرات . فتجتاز هذا النهر المشهور على جسر كبير مسوقة نحو حران فالموصل . ومن الموصل تمتد على شاطىء الدجلة الايمن حتى تنتهي الى بغداد عاصمة السلطنة العباسية المشهورة . ومن هناك يمتد فرع منها الى حدود ايران ليكون انبيقًا يمتص تجارتها وحاصلاتها . وعند بغداد يُترك نهر الدجلة جانبًا ويُمدُّ الخط في اخصر طريق نحو خليج العجم كالكويت مثلاً التي ثار الخلاف المعلوم بشانها . ولو كان نهر شاة العرب المؤلف من اجتماع نهري الفرات والدجلة عند البصرة يحمل السفن الكبيرة اذا مخرت عبابه لاكتفي بمده الى البصرة ولم يوصل الى شاطىء البحر .

هذا ما راينا ذكرة عن هذه السكة العظيمة التى ستكون من عجائب الدنيا بعد اتمامها . فعسى ان لا يحول شيء دونه

آثار الشرق القديمة

مدير الآثار المصرية السابق

﴿ في بلاد الفرس ﴾

ذكرنا في فصل في هذا الجزء ما سيكون لسكة بغداد الحديدية من الفوائد الجزيلة . وفي هذا الباب نذكر لها فائدة كبرى وهي تسهيل استخراج الآثار الشرقية من مواطنها وخدمة علم الآثار بها خدمة جليلة . لان تلك البقعة الواسعة كانت مواطن مدنيات مختلفة لم ينجل تاريخها بعد انجلاء تاماً . منها الاشوريون والحثيون والكلدان والماديون وغيرهم . فاذا استتب الامن هناك وامكن الحافرون ان يحفروا كما يشاؤون اخرجوا من الآثار من بطن الارض للتاريخ كنوزاً ثمينة .

وحسبنا للدلالة على مبلغ العناء الذي يعانيه علماء الآثار في كشف الآثار الشرقية ان نذكر ما جرى للمسيو دي مورغان في بلاد فارس . وقبل ذلك نذكر شيئاً عن الرجل نفسه

كان المسيو دي مورغان مديراً للآثار المصرية بين سنة ١٨٩١ و١٨٩٧ وكان مشهوراً في مصر شهرة المسيو ماسبيرو اليوم فيها . وهو الذي اكتشف الكنوز الثمينة في دهشور . ففي ذات يوم بعث اليه وزير خارجية فرنسا يساله عن الطريقة التي يمكن بها الاستفادة من المعاهدة المعقودة في سنة ١٨٩٤ بين فرنسا وحكومة الفرس بشان استخراج الآثار من بلادها . فرضي المسيو دي مورغان ان يتولى هذا الاستخراج خصوصاً لانه كان قد زار بلاد الفرس بين سنة ٨٩ و٩١ . فاصطحب الاب شيل العالم باللغات القديمة المندثرة وبعض الاعوان وسافر الى السوس في بلاد الفرس ليحفر في آثارها العظيمة . والسوس هذه كانت عاصمة ملوك الاشمينيين وهم الملوك الفرس الذين حكموا فارس بين زمن قورش وداريوس . وقد روى سترابون ان بانيها هو تيثون بن ممنون . وفيها اقترن اسكندر المكدوني الكبير بستاتيره ابنة داريوس

وكان غرض المسيو دي موورغان من الحفر في السوس اكتشاف آثار ممالك فارس القديمة وآثار

المملكة العيلامية القديمة التي قامت فيها . فاستخدم لذلك من ٦٠٠ الى ١٢٠٠ عامل من اهالي الفرس وكان يدفع للواحد منهم نصف فرنك في كل يوم اجرة له (؟؟) . وقد بعث اليه جلالة الشاه ضابطاً ومعه ١٥ جندي لحماية البعثة من اعتداء المعتدين . فاقاموا متاريس وحصناً كبيراً على آكام السوس التي كانوا يحفرون فيها ليتمكنوا من دفع مهاجميهم اذا هاجمهم احد . وفي ذلك قال المسيو دي مورغان لاحد محدثيه ان السوس لم ترَ منذ ايام الاشمونيين حركة كالحركة التي احدثناها فيها . ولكن هذه الحركة والعمل كانا سبباً في شيوع الاشاعات الكثيرة بين بسطاء الناس . فمنهم من قال ان تلك الاعمال هي تمهيد لفتح البلاد الفارسية والاستيلاء عليها . ومنهم من قال بل ان الاجانب يسحرون الارض و يستخرجون الكنوز منها . ولذلك اجتمع كثير ممن لا عمل لهم ومن البدو وجاءوا يطلبون من المسيو دي مورغان مشاركتهم في الكنوز اذا كان نبش كنوزاً والرضى بمساعدته في فتح البلاد اذا رام فتحاً . فاستخدم مورغان بعضهم وردَّ كثيرين فاجتمع هؤلاء حول الحصن وحصروه واقامو على محاربته ومناوشته مدة شهرين ونصف . ولم يعودوا عن الحصن حتى بلغهم ان الشاه ارسل جيشاً لمحاربتهم وانقاذ البعثة

فمن ذلك يظهر ما يعانيه الحافرون اليوم في الآثار الشرقية من التعب في الحفر . اما الآثار التي استخرجها المسيو مورغان من السوس فقد ذكرنا في الجزء السابع انها آثار المملكة العلامية وشرائعها . منها آثار من زمن ابرهيم الخليل . والعيلاميون تسلسلوا من عيلام وهو الابن الخامس لسام



مشاهدة دوران الارض

كثيرون يقولون انهم لا يصدقون ان الارض تدور في الفضاء ونحن واقفون عليها الا اذا شاهدوا ذلك باعينهم . وهذه المشاهدة صارت ممكنة في باريز فان الحكومة الفرنسوية نصبت في البانثيون رقاص فوكو المشهور الذي يُريك دورة الارض على نفسها . وطريقة ذلك ان هذا الرقاص البالغ من الطول مبلغاً عظيماً يُدفع ليخطر كما يخطر رقاص الساعة . فيسير من النقطة التي كان فيها يميناً وشمالاً . فاحفظ هذه النقطة في ذهنك لانها اساس التجربة . و بعد بضع ساعات اوقف الرقاص عن المسير فتجد ان النقطة التي يقف فيها بعيدة عن النقطة الاولى مع ان الرقاص لم ينتقل ولم يغير مركزه . ولا ريب ان الرقاص لم يُغير مركزه لان الارض هي التي دارت على نفسها في اثناء ذلك وغيرت مركزه منها

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الحياة التناسلية ﴾

لحضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمره

نشر حضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمره في سان باولو (البرازيل) كتاباً بهذا العنوان وهو يتضمن ابحاثاً طبية من اختصاص الاطباء البحث فيها . ولكن اذا كان من اختصاص الاطباء البحث في ابحاث كتلك الابحاث فليس من اختصاصهم في راينا القول بان مواضيع ذلك الكتاب مما يجب على « محبي الحقائق » الاطلاع عليه في « عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » فان هذا القول يدل على ان جناب المؤلف يوجب على القراء مطالعة كتابه ليستفيدوا منه دون ان يخصص بذلك فريقاً دون فريق . وعندنا ان هذا الاطلاق لا يجوز . لان الذين يستفيدون من الابحاث التي بسطها حضرته في كتابه هم الذين في غنى عنه لانهم تعلموا بالفعل كل ما يعلمهم اياه الكتاب بالقول . اما الذين كان حظهم الجهل بتلك الامور — والجهل هنا نعمة وهناءة وفضيلة — فان قراءة كتاب كهذا الكتاب تفسد اخلاقهم بدلاً من ان تصلحها . وما الفائدة من اصلاح البدن وحفظ صحته اذا كان يجب ان نضحي في هذا السبيل صحة الادب والنفس . ونحن ممن يقولون ان صحة النفوس مفضلة الف مرة على صحة الابدان

فنحن اذاً نعتقد ان حضرة الدكتور الفاضل لم ينفع قراءه بهذا الكتاب بقدر ما اضرهم اذا كانوا من حسني التربية والاخلاق . واما اذا كانوا ممن ملكتهم الشهوات والرذائل فالنفع محتمل

ولو ان حضرة الدكترر الفاضل لم يناد في مقدمة كتابه بما نادى بـه وفرق بين قرائه هذه التفرقة لما كان لاحد ان يلومه . واذا كنا قد لمنا حضرته على خوضـه غمار بحث لم يخضه قبله احد عندنا من الكتاب الذين يستحقون هذا الاسم فذلك لا يمنع من الثناء على فضله واجتهاده لانه تعب في كتابه تعباً ظاهرة آثاره فيه . ونحن نرجو ان

يعتقد معنا بان حرية الفكر والكتابة مباحة من كل وجوهها الا في ما يختص بالفضيلة والعفاف في الارض . فان هذه هي العبودية الوحيدة التي نحبها ولا نحب مسها بشيء من الاشياء . وهي الراسمال الوحيد للنفوس اللطيفة الحساسة التي لا ترى في شهوات الارض وخيراتها ومزاحماتها شيئاً يروي ظمأها الى ما وراء هذه الاباطيل

﴿ اشهر مشاهير الاسلام ﴾

تاليف حضرة عزتلو رفيق بك عظم

صدر الجزء الثاني من كتاب اشهر مشاهير الاسلام لحضرة مؤلفه المؤرخ الفاضل عزتلو رفيق بك عظم الذي انقطع الى درس تاريخ العرب ونشره . وفي هذا الجزء سيرة رجل الاسلام ونابغة العرب الامام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واخلاقه وصفاته والفتوحات العظيمة التي تمت على يده في الشام وفارس وما يتبع ذلك من الكلام عن تاريخ البلاد المفتوحة واخبار فتحها . وهذه هي المرة الاولى التي يُكتب فيها هذا التاريخ الجليل باسلوب يجلو كل مسائله ويجعلها ماثلة للذهن . وقد طلب حضرة المؤلف في ذيل كتابه من المجلات والجرائد ان تنظر في كتابه نظر انتقاد دون ان تكتفي بالثناء الاعتيادي . ولقد احسن حضرته بذلك لانه دلّ به على فضله وحبه للحقائق . ولكن الصحافة معذورة في رأينا اذا اكتفت احياناً بالثناء لاسباب ليس هنا محلها

ولقد وضعنا هذا الكتاب جانباً على مائدتنا في غرفة النوم لنطالعه في ساعات الفراغ بالامعان واللذة اللذين يليقان به . وكفى بذلك ثناء على همة حضرة مؤلفه الفاضل

﴿ المحيط ﴾

لمنشئها حضرة عوض افندي واصف

نشر حضرة الكاتب الفاضل عوض افندي واصف مثالاً لمجلة علمية تاريخية صحية ادبية فكاهية سيصدرها في العام الجديد . وفيها عدة ابواب للمقالات والمدارس وطلاب العلم وصحة الابدان والعلم والدين والجنس اللطيف والزراعة والتجارة والصناعة ودوائر الاستخدام والاقتراحات والمخاطبات الشخصية والاسئلة العمومية واجوبتها والتقريظ والانتقاد والمتفرقات وعالم الصحافة والتاريخ اليومي والروايات وغيرها من الابواب المفيدة . وحضرته ممن مارسوا صناعة القلم عدة سنوات في جريدة مصر الغراء وله فيها مقالات رقيقة . فلا نشك في ان مجلته تلقى الاقبال الذي تستحقه لانه تفنن بها تفنناً جديداً يدل على سلامة ذوقه ولطف اسلوبه . فنرحب بالصحيفة الجديدة

﴿ نبذة في الثورة الفرنسوية ﴾ وضع هذه النبذة جناب الكاتب امين افندي فارس ريحاني واهداها الى صديقه جناب الرصيف نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى . وقد كتبها حضرته بعد مطالعته تاريخ كارليل في هذه الثورة وود لو يطالعها كل القراء . ولم نتمكن من مطالعة هذه النبذة لنرى اذا كان حضرة كاتبها قد التزم فيها الاعتدال والانصاف الواجبين على كاتب حركة كتلك الحركة التي قلبت وجه الارض . لاننا نعتقد انه اذا كان للثورة الفرنسوية حسنات فلها ايضاً سيئات يجب على المؤرخ المنصف ان لا يضرب صفحاً عنها

﴿ السلام ﴾ السلام جريدة سياسية ادبية تجارية لمنشئيها حضرات وديع افندي شمعون وبولس افندي نحاس وقد صدرت حديثاً في بونيس ايرس . فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو ان تشارك رصيفاتها في اميركا في الخدمة العمومية النافعة لابناء البلاد

﴿ الرموز ﴾ الرموز جريدة نصف شهرية تصويرية هزلية تصدر في سان باولو لمديرها جناب رشيد افندي خوري وفيها رسوم ظريفة منها رسم في العدد الثاني يمثل الاسباب التي تمنع السوريين من العودة الى بلادهم مع انهم لم يهاجروا الى اميركا الا موقتاً . فعسى ان يستمر تحسين الرموز لتضاهي الجرائد الافرنجية الهزلية

﴿ ديوان محمود الشاعر ﴾ نشر جناب محمود افندي الشاعر الجزء الاول من ديوانه وقد صدره بهذه الكلمة اللطيفة « الكتب قلوب الناس في ايدي الناس » وهو يُطلب من جناب ناظمه في الاسكندرية . وكل من يعرف اجتهاد حضرته وانصبابه على النظم يرجو ان يكون الجزء الثاني من ديوانه احسن من الجزء الاول

﴿ روايات مسامرات الشعب ﴾ اهدتنا ادارة مطبعة الشعب نسخاً من روايات صغيرة تصدرها مرتين في الشهر وتبيعها لمحبي مطالعة الروايات بثمن يسير وهو غرش صاغ للرواية الواحدة . فنشكر لها هديتها

﴿ الروايات اليعقوبية ﴾ نشر حضرة يعقوب افندي متى منصور الميناوي الرواية الاولى من رواياته اليعقوبية وعنوانها شرك الهوى فنرجو له التقدم في صناعة القلم

﴿ النخبة ﴾ النخبة ديوان لجناب الشاعر رشيد افندي مصوبع اللبناني وهو يحتوي على وصف ومدح وغزل وقد اهدانا نسخة منه فنشكر له هديته

﴿ التربية ﴾ هي خطاب صغير لجناب قسطندي افندي يعقوب موضوعه التربية العائلية والمدرسية والجسدية وغيرها فنشكر له اهتمامه بهذا الموضوع المفيد

﴿ التمرينات الحسابية العربية ﴾ اهدانا حضرات ابرهيم افندي زكي واحمد افندي برهومه المدرسين في مدرسة التوفيق بالفيوم الرسالة الاولى التي وضعاها في التمرينات الحسابية والعربية فنثني على اجتهادهما

باب الاخبار العلمية

﴿ الاسلاك الكهربائية في مصر ﴾ حدث في ليفربول منذ مدة ما يحدث في مصر من قتل الناس بسقوط الاسلاك الكهربائية عليهم فنشرت الحكومة منشوراً على موازاة خطوط الترمواي اوصت فيه الناس بان لا يقبضوا على سلك الترامواي حين سقوطه على الارض ولا يمسوه بل ان يزيلوه من طريقهم بقضيب . فكتب احد علماء الكهربائية يقول ان هذا الامر لا يكفي فان السلك قد يلتف على جواد او انسان فيجب اغاثته . وطريقة ذلك ان تاخذ منديلاً جافاً كل الجفاف وتلفه على يدك ثم تقبض به على السلك فلا يوءذيك لان النسيج الجاف لا يوصل الكهربائية . وحينئذ يمكنك تخليص الحيوان او الانسان من اطواق السلك . وبعد ذلك اذا رمت ابطال فعله فالوِ السلك حتى تضعه على خط الترمواي الحديدي الممدود في الارض فتبطل كهربائية السلك ما دام لاصقاً بهذا الخط وحينئذ يُمس بلا ضرر

﴿ استعداد الغربي واستعداد الشرقي ﴾ وجد امير موناكو في مغاور قرب منتون اربعة هياكل بشرية قديمة وقد قال عنها المسيو كودري في بلاغ للمجمع العلمي في باريز انّ فحص جماجمها دلَّ على ان هيئتها من جانب الذقن شبيهة بهيئة الزنوج . ويؤيد هذا الراي ان اذرعها كاذرع الزنوج اي انها اطول بكثير من اذرع البيض . ولذلك قالوا ان سكان اوربا الاصليين لا يمكنهم ان يفتخروا كثيراً على سكان افريقيا اليوم . ولعل الشرقيين يعدلون بعد هذا عن القول كلما نجح احدهم : ان نجاحه دليل على استعداد الشرقي . فان الشرقيين والغربيين ان لم يكونوا من اب واحد وام واحدة فهم جميعاً من طين واحد . وانما يتفاضلون بتربيتهم واحوالهم الاجتماعية والطبيعية

﴿ ايجاد الحياة بالكيمياء ﴾ في الشهر الماضي عُرضت على مجمع العلوم في باريز تجارب مهمة لاحد اعضائه بشان توليد الفراخ من البيض من غير لقاح ديك ولا حضانة دجاجة . وقد استطاع صاحب التجارب ان يولد من البيض المذكورة فراخاً تعيش اربعين يوماً ثم تموت لضعفها . فعجب العلماء من هذا التجارب وفسرها بعضهم بقوله ان السبب في تولد الفرخ من البيضة بغير لقاح ذكر ان البيضة نفسها يكون فيها احياناً جرثومة الانثى وجرثومة الذكر معاً فالعوامل الكيماوية انما تؤثر فيها وتحرك الحياة الكامنة في جرثومتيها فهي اذاً مساعدة لا موجدة . ولا يزالون يوالون التجارب في هذه المسالة المهمة

﴿ حيوانات اعداء الكتب ﴾ اجتمع منذ مدة مؤتمر من العلماء لمحاربة الميكروبات والحيوانات الصغيرة التي تعبث بالكتب في المكاتب وتفنيها مع مرور الايام . وبعد البحث الطويل وجدوا من هذه الميكروبات انواعاً كثيرة يتعذر مقاومتها فعادت عنها وفي نفسها منها غصة لان هذه الحيوانات الصغيرة تهدم في ٥٠ سنة مثلاً ما تبنيه تلك العقول الكبيرة

﴿ تكبير بيض الدجاج ﴾ ابلغ المسيو هوساي المجمع العلمي في باريز انه جرب تغذية الدجاج باللحم فجاء بيضها اثقل من البيض الاعتيادي ثلاثة غرامات للبيضة الواحدة

﴿ اشعة رنتجن تكهرب الماء ﴾ اثبت المسيو كوري بتجاربه ان اشعة رنتجن والراديوم من خاصياتها انها تجعل المواد السائلة موصلاً كهربائياً اي قابلة لنقل الكهرباء . وهي تفعل هذا الفعل في الهواء ايضاً

﴿ احد اسباب ضعف البقر ﴾ اكتشف المسيو كيلر ان سبب ضعف بقر الترانسفال نوع من الميكروب يكون في دمها ويسبب افتقارها الى الدم . وقد اكتشف ميكروباً كهذا الميكروب في دم الانسان ولكنه اكبر منه

﴿ قطعة اناء مصري ﴾ حلل المسيو برتلو قطعة من اناء مصري وُجد في احد المدافن المصرية من عهد الاسرة الرابعة اي منذ ستة الاف سنة فوجد انه مركب من الرمل واوكسيد الرصاص وكلوريد الصوديوم

فريسة الاسد

او

تاريخ الثورة الفرنسوية

تأليف

اسكندر ديماس الكبير

ملخصة بقلم

فرح انطون

منشئ مجلة « الجامعة » في الاسكندرية

تتضمن في الحاشية تراجم بعض مشاهير الرجال الذين يرد ذكرهم
في سياق الكلام مع رسومهم

ثمن النسخة الواحدة عشرة غروش صاغ وتطلب من
ادارة مجلة الجامعة

الاسكندرية في ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢

هذه الرواية ثلاثة اقسام · القسم الاول سميناه « نهضة الاسد » وهو جزءان وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم · والقسم الثاني « وثبة الاسد » وهو جزء واحد وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يُجدِ اللين والمسالمة نفعاً · والقسم الثالث « فريسة الاسد » وهو جزء واحد ايضاً وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانت قرينته وجميع النبلاء ومشاهير الرجال الذين حضروها

فهذه الاجزاء الاربعة اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها · ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوءات كاليوستر والخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولاسيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية · وهذا كله ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارئ تاريخ الثورة الفرنسوية — التي غيرت وجه العالم — وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

ومما لا يحتاج الى بيان ان هذا التاريخ هو اول تاريخ عن الثورة الفرنسوية يُنشر في اللغة العربية

الفصل الاول

﴿ كشف الستار عن احد المشروعين ﴾

تركنا الملك في الجزء الماضي يفتكر باعداد سبيل الفرار له ولعائلته على يد الجنرال دي بوليه · والملكة تعدُّ سبيل الفرار على يد « مونسيو » شقيق الملك والمركيز دي ففراس عامله · وتركنا كاليوسترو والرجل الهائل في دار قائمة في حي الجويفري عند المسيو بوزير ومدام اوليفا وقد صعد الى منزلها وراء غلام لهما بعد ان اعطاه قطعة من الذهب · ووعدنا بتفصيل السبب الذي حمل كاليوسترو على قصد هذه الدار وانجازاً للوعد نقول

بعد ان دخل كاليوسترو على بوزير ومدام اوليفا وسلم عليهما صار يجول في المكان ليعرف حالة سكانه ثم وقف امام بوزير وسأله ضاحكاً ماذا تعمل الآن يامسيو دي بوزير فقال دي بوزير · انني اكتب · فقال كاليوسترو هل فرغتَ من حسابك · فقال الرجل مبهوتاً ومن قال لك انني احسب · فضحك كاليوسترو وقال انك تحسب حساباً مؤدياً الى المشنقة

فوثبت امرأة بوزير وارتجف بوزير نفسه · فصاحت به امرأته ما هذا الحساب · ما هذا الحساب · فقال كاليوسترو وهو يضحك لا تسأليه يا مدام اوليفا فانه لا يوقف احداً على الحساب الذي يحسبه · ولكن انا اوقفك عليه · ان مونسيو شقيق الملك يدبر الآن مؤامرة لتهريب الملك من باريز

فاجفل بوزير عند هذا الكلام وصار لونه شاحباً · اما كاليوسترو فانه اردف بقوله ·

وزوجك المسيو دي بوزيرهو من المشتركين بهذه المؤامرة . ولكن اشتراكه فيها وا اسفاه سيجعلك ارملة و يجعل ابنتك يتيمة

فاشتد غضب مدام دي بوزير على زوجها فصاحت به اهذه هي التجارة التي قلت انك ستربح منها ملايين . فبقي بوزير صامتاً . ثم انطلق لسانه وقال . فما هو غرض الكونت من قصده اياي اذا كان يقول انه عارف كل شيء

فضحك كاليوسترو وقال قصدي انقاذك ايها الرجل المسكين رفقاً بامراتك و ولدك . واعلم انني مطلع على سرك وقادر ان ادفعك الى المشنقة بكلمة واحدة فهل تحب ذلك ام تحب مصافاتي واطلاعي في كل يوم على تفاصيل المؤامرة

فلم يجد بوزير بدّاً من ذلك طمعاً بمال الكونت الذي يعرف سخاءه وفراراً من التهمة والمشنقة فاتفق مع كاليوسترو وعلى ان يطلعه الحين بعد الحين على جميع تفاصيل هذه المسالة . اما الآن فقد قصّ عليه الخطة التي وضعها مونسيو خطف الملك . وهذا اجمالها . قال

لقد استدانوا مليوني فرنك من احد الماليين الكبار وعزموا على خطف الملك الى بيرونه فحصلوا بذلك على المال . بقي الرجال فحصلوا عليهم ايضاً لان الجنرال لافاييت اصدر امراً بحشد جيش جديد لارساله الى البرابان (بلجيكا) التي ثار اهلها على النمسا وبين وذلك رغبة في مساعدة الثائرين فمتى تمّ حشد هذه الجنود تمكن الملك من استعمالهم . وفضلاً عن ذلك فانهم سيجمعون في فرساليا الفاً ومائتي فارس مدرب و يسوقونهم بالسر على باريز في الساعة الحادية عشرة مساء فيصلون اليها في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وينقسمون ثلاثة اقسام . قسماً يدخل من باب رول و يهجم لذبح المسيو بالي . وقسماً يدخل من باب شاليو و يهجم لقتل المسيو ناكار . وقسماً يدخل من باب غرنيل ويهجم لذبح المسيو لافاييت . ومتى ذُبح هؤلاء الرجال الثلاثة الذين هم اقطاب الثورة وعمادها يهجم الجيش الجديد الذي حُشد لنصرة البرابان على قصر الملك و يستولي عليه في مدة قصيرة لما لنا من الجواسيس بين رجاله . ثم ان بعض اعوان الملك يدخلون عليه بسرعة و يقولون . مولاي مولاي ان الشعب ثائر ثورة عظيمة في حي سنت انطوان فيجب ان تفروا في الحال . فان رضي الملك بالفرار كان به والا اختطفته الجنود بالرغم عنه واخذته الى سن دنيس

فقال كاليوستر وهو يحك اذنه حسن حسن فامضِ في حديثك . فقال بوزير

فيلقى الملك في سان دنيس عشرين الف جندي تنتظره للانضمام الى جيش الفرسان

والى جنود البرابان فضلاً عن عشرين او ثلاثين الف جندي ملكي يمكن جمعهم على الطريق . ومن هناك ياخذون الملك باحتفال عظيم الى بيرونه

فقال كاليوسترو . وماذا يجدون في بيرونه . فقال بوزير يجدون عشرين الف جندي قادمين من فلاندرو بيكارديا وارتوى وشمبانيا و بورغونيا واللورين والالزاس والكمبريزي . وفضلاً عن ذلك فانهم يساومون الآن على جيش بالغ عشرة الآف جندي من السويسريين و١٢ الفًا من الساردييين فيبلغ بهم عدد الجيش الذي يكون مع الملك ١٥٠ الف جندي . فيهجمون حينئذ بهذا الجيش على باريز فيقطعون عنها ماء نهر السين من الجانبين فلا تلبث باريز ان تسلم اليهم من الظماء والجوع فيدخل الملك ظافرًا الى عاصمة ملكه ويحل المجمع الوطني و يجلس على عرش اجداده كملك حقيقي

فقال كاليوسترو متهكمًا : آمين . ثم نهض وقال اظنك يامسيو دي بوزير ككثيرين من كبار الخطباء الذين متى قالوا كل ما في نفوسهم عجزوا عن ان يزيدوا عليه كلمة واحدة . فهل بقي شيء في نفسك . فقال بوزير كلا فان هذا كل ما عندي الآن فمدّ كاليوسترو يده الى جيبه واخرج منها عشر قطع من الذهب والقاها اليه كسلفة لا كاجرة لان الاجرة لا تُستوفى الا بعد الفراغ من العمل . فتناول بوزير هذه السلفة وسال كاليوسترو اين اجدك متى احتجت اليك فقال كاليوسترو اطلب منزل البارون زانون فيدلوك عليَّ فبهت بوزير وقال ان هذا البارون هو الذي اقرض « مونسيو » المليوني فرنك بواسطة المركيز ففراس فهل انت هو فقال كاليوسترو ضاحكاً نعم انا هو ولكني لا اذكر هذا الدين لكثرة الديون التي اعقدها

فعجب بوزير من رجل يدين مليوني فرنك ولا يذكر امرها . ثم فكر في نفسه فراى انه اصاب بتركه المستدين وانحيازه الى الدائن

و بعد ذلك خرج كاليوسترو من منزل بوزير وقد عرف كلما اراد معرفته

الفصل الثاني

﴿ الملك ومعلمه الحداد ﴾

مشروع الفرار الثاني

وبعد بضعة ايام قدم الى قصر الملك « المعلم كامين » الحداد الذي تقدم ذكره في احد الفصول السابقة . وكان يصحبه في هذه المرة فتى حسن المنظر ولكنه يلبس لباس خادم حداد

اما هذا الفتى فانه كان الكونت لويس دي بوليه المرسل من قبل ابيه المركيز دي بوليه لمحادثة الملك بشان فراره على ما تقدم في ختام الجزء الماضي

ولما دخل المعلم كامين على الملك احسن الملك استقباله وعهد اليه ان يتمّ عمل قفل كان قد شرع في صنعه وعجز عن اتمامه لصعوبة عمله . فرضي المعلم كامين بذلك بعد ثرثرة كثيرة حسب عادته ولكنه اشترط ان لا يقف احد على يديه ليعطيه ملاحظات فضحك الملك من هذا الشرط لاسيما وانه كان منطبقاً على رغائبه فخرج من معمل الحدادة الملكي وخرج معه الصانع الحداد فاختليا معاً في غرفة الملك

ولما استقر بهما المكان اخذا يبحثان في الامر الذي كان موضوعهما المهم فسأل الملك الشاب بوليه . ماذا قال والدك ايها الكونت عن المشروع الذي حادثه الكونت دي شارني عنه . فاجاب الشاب ان والدي يرى ان الامر في الامكان ولكنه صعب جداً . فقال الملك وما هي الطرق التي يختارها لانفاذ هذا المشروع فقال الشاب ان والدي اختار اربع طرق ولجلالتكم ان تختاروا واحدة منها . ثم ان الشاب ذكر للملك الطرق الثلاث الاولى وهي (١) سفر الملك الى بيزانسون والشروع في حشد جيش هناك بمساعدة السويسريين (٢) السفر الى فالانسيين فيوافيه اليها المركيز دي بوليه مع جنوده (٣) الخروج من فرنسا في طريق ادرن او فلاندر النمساوية ثم العودة الى فرنسا بجيش عظيم

فقال الملك اني ارفض هذه الطرق الثلاث . فان بيزانسون بعيدة واخشى ان يوقفوني في الطريق واما فالانسيين فان بالقرب منها قائداً ميالاً الى الديموقراطية كل الميل وهو المسيو روشمبو . واما الخروج من فرنسا فلا ارضى به ابداً لان الملك متى خرج من مملكته فقد لا يعود اليها . فما هي الطريقة الرابعة

فقال الشاب هي ان تسافر جلالتكم الى سيدان او مونمدي وتقيمون في احدى قلاعها

فتكونوا هنالك في وَسَط امين لان والدي صاحب الكلمة والقيادة في تلك الجهات

فقال الملك نعم وهذا هو الامر الذي كنت قد عولت عليه

فقال الشاب وهل عينتم جلالتكم الطريق التي عزمتم على سلوكها

فنظر الملك الى خريطة كانت على المائدة امامهما وقال وهو يشير الى الخريطة نعم قد عزمت على السفر الى شالون عن طريق فارين من غيران اعرج على فردون · فقال الشاب الامر لجلالتكم

ولكن ما انتهى الملك والشاب الى هذا الموضع من الكلام حتى سمعا صوت اقدام على درج السلم فنهضا في الحال واتجها نحو الباب قبل دخول الداخل · ولما فتحا الباب وجدا المعلم كامين قادماً وهو يضحك فساله الملك هل اتممت عملك يامعلم كامين فقال كامين نعم قد اتممته وجئت لاخبر الملك بذلك فقال الملك هيا بنا اذاً نضع القفل في الخزانة التي صنعناه لها · اتبعني يامعلم كامين وانت يالويس ليكونت

وكان الملك ينادي الكونت لويس دي بوليه بهذا الاسم المقلوب « لويس ليكونت » لان كامين كان يحسب ذلك الفتى خادماً اعتيادياً

الفصل الثالث

﴿ رجل يتبع رجلاً كظله ﴾

وفي مساء هذا اليوم كان رجل لابساً لباس العملة يجول امام التويلري وينظر الى الداخلين والخارجين كأنه ينتظر احداً · ولما صارت الساعة الثالثة خرج من التويلري من طريق الجسر الدائر رجل بلباس العملة وسار الى الشمال في الطريق الواسعة التي توازي نهر السين والتي يسمونها اليوم كورلارين · فما وقع نظر الرجل الاول عليه حتى ظهر من منظر وجهه انه قد وجد ضالته فاخذ يتعقبه من بعيد دون ان يدنو منه

وكان الرجل الثاني يضع يده من حين الى حين على جيبه كمن يفتقد شيئاً ثميناً موضوعاً فيها

وبينما هو سائر في طريقه مرَّ بحانة فمال نحو الباب كأن نفسه حدثته بالدخول اليها ولكنه على ما يظهر تغلب على هواه فرجع عن الباب وسار في طريقه · ثم وصل الى حانة ثانية فعاد الى نفسه التنازع بين الرغبة في الخمرة والرغبة عنها فتغلب على نفسه هذه المرة ايضاً · ثم وصل الى الحانة الثالثة فتغلب على هواه امام بابها ايضاً وسار في طريقه

غير انَّ شدة المقاومة تضعف عزم الانسان ولذلك لم يعد ذلك الرجل قادرًا على التغلب على هواه بعد المرة الثالثة التي نفدت فيهـا كل قوته في المقاومة . ومن سوء حظه انه كان امامه بعد الحانة الثالثة حانات كثيرة يجب عليه المرور امام ابوابها . ومن اجل ذلك تغلبت رغبته في الخمرة على رغبته عنها فما وصل الى الحانة الرابعة حتى دخل اليها

ولما دخل الرجل الثاني الى الحانة تبعه الرجل الاول اليها وجلس بعيدًا عنه فيهـا . فطلب الرجل الاول زجاجة من الخمر فشربها ثم دفع ثمنها وراح في سبيله

فنهض حينئذٍ الرجل الاول وتبعه من بعيد

ولما وصل الرجل الثاني الى الحانة الخامسة دخل اليها ايضًا وشرب فيها كاسين ثم استانف السير . وهكذا في الحانة السادسة والسابعة والثامنة حتى وصل الى الحانة الاخيرة فشرب فيها كأسًا وابتاع زجاجة لتكون له رفيقة في الطريق ثم خرج منها والرجل الاول يتعقبه وهو اتبع له من ظله

وما زال الرجل الثاني سائرًا حتى وصل الى احد ابواب باريز عند حاجز باسي فخرج منه الى طريق فرساليا فتبعه الرجل الاول اليها

وما سار الرجل الاول بضع خطوات في هذه الطريق حتى مدَّ يده الى الزجاجة ووضعها على فمه فشرب منها ثم سار في طريقه . وبعد بضع خطوات كرر هذا العمل فلم يبقَ في الزجاجة الا نصفها من الخمر فاخذت حينئذٍ حاملها هزة الطرب لان ما شربه من الخمر خفف روحه واثقل خطاه فصار يغني وهو سائر على مهل سيرًا غير مستقيم

فلما سمع الرجل الاول نشيد الرجل الثاني ارتاح اليه لانه علامة الامر الذي كان ينتظره

ثم انَّ الرجل الثاني رفع الزجاجة الى فمه وافرغ فيه ما بقي فيهـا وسار في طريقه . ولكنه لم يسر بضع خطوات حتى تحول نشيده الى هذيان وتهديد فصار يقول وهو يتمايل مترنحًا . «تبًا له ولها . آه . آه يسقونني خمرًا مغشوشة مع انني صديقهم القديم . فليجربوا مرة ثانية ويطلبوني لاصلاح الاقفال لخزائنهم . فانني ساقول له . رح ايها الملك وفتش عن غيري . آه آه لا ريب انهم سمموني»

ولما قال الرجل الاول هذا الكلام سقط على الارض خائر العزم دون ان يستطيع النهوض ثم غاب عن الحس وبقي ممددًا بين الوحول

وكأن الرجل الاول كان ينتظر هذا الامر . فانه ما تحقق ان الرجل الثاني قد سكن

وفقد الحس حتى اسرع اليه فوجده فاقد الوعي . واتفق حينئذٍ مرور مركبة هناك فنادى الرجل الاول سائقها وكلفه نقل رفيقه الى حانة بون دي سفر القريبة فنقلها السائق اليها

الفصل الرابع

انما الصدفة نتيجة السعي

ولما دخل الرجل الاول الى هذه الحانة ومعه الرجل الفاقد الوعي بادر صاحب الحانة الى مساعدته وهو رافع قبعته في يده اكراماً وتعظيماً لزائره لانه عرفه . ثم انام الرجل الفاقد الوعي على مقعد فجلس الرجل الاول بازائه واخذ من جيبه زجاجة صغيرة فيها روح النشادر ووضعها على انف الرجل الثاني فتحرك بعد بضع ثوانٍ واخذ يهذي كما كان يهذي اولاً . فكان يقول «آه قتلوني . سمموني . تباً للذين يسممون صديقهم»

فقال الرجل الاول له كمن يحاول استجوابه في ذهوله : حقاً ان هذا امر فظيع

فقال الرجل الثاني ما اشد لؤمهم

فقال الرجل الاول : نعم ما اشد لؤمهم . غير اني من حسن الحظ كنت قريباً منك فانقذتك بان سقيتك دواء مقاوماً لفعل السم

فقال الرجل الثاني . نعم كان ذلك من حسن الحظ

فقال الرجل الاول ولكن بما ان جرعة واحدة غير كافية فتناول هذه الجرعة ايضاً

قال ذلك ثم صبّ خمس او ست نقط من زجاجة النشادر التي كانت معه في كاس وسقاه اياها

فشربها الرجل الثاني . ولكن الجرعة لم تستقر في جوفه حتى صرخ باعلى صوته . ياقاتل ماذا صنعت بي

فقال الرجل الاول . لا تخف ياصاحبي فقد سقيتك شراباً ينقذ حياتك

فقال الرجل الثاني اذا كان ما سقيتني ينقذ حياتي فقد احسنت ولكن لا تسمِّ ذلك شراباً

ثم ان الرجل الثاني نظر الى ما حوله ليعرف المكان فعرف من نظره اليه انه في حانة بون دي سفر فقال . اذن قد اجتزت نصف الطريق

فقال الرجل الاول ضاحكاً ولكن الفضل في ذلك عائد اليَّ

فقال الرجل الثاني . وكيف ذلك . فقال الرجل الاول . كنت مارًا في طريقي وراءك فما شعرت الا برجل ممدد على الطريق فانحنيت لاراك فعرفتك في الحال يامعلم كامين الشهير

فقال المعلم كامين . ومن اين عرفتني فقال الرجل الاول . انسيت صاحبك الذي عرفك في هذه الحانة نفسها يوم عودة الملك من فرساليا الى باريز

فتامل كامين في وجهه ثم قال عرفتك عرفتك . اما انت صانع الاسلحة . فقال الرجل الاول نعم . فقال كامين كمل حديثك . فقال الرجل الاول الذي نسميه بعد الآن صانع الاسلحة . فلما رايتك ممددًا على الثرى التفت لارى مركبة فوجدت عربة نقل قادمة وهي مشحونة بالمواد الثقيلة . وكنت انت نائمًا في طريقها فلو لم اكن هنالك لداستك عجلاتها وقتلتك لساعتك

فتنفس كامين الصعداء لهذا الكلام . اما صانع الاسلحة فقال . فخرجتُ بك عن الطريق وتركت عربة النقل تمرُّ ثم ناديت مركبة كانت سائرة وقلت للسائق خذنا الى حانة بون دي سفر فقال السائق ومن رفيقك قلت ان رفيقي رجل مشهور فدنا منك وجسَّ جيبك فوجد فيها قطعًا كثيرة من الذهب فقال لا استطيع نقله لان رائحة المشنقة تفوح من رجل يلبس هذه الملابس ويكون في جيبه قطع كثيرة من الذهب . فالظاهر ان هذا الكلام ساءك جدًا فصحت بالسائق هل انا سارق فاجابك السائق لا ريب في انك سارق والا فكيف حصلت على هذا الذهب الكثير فصحتَ به قائلاً : ان تلميذي الملك اعطاني اياها فدنوت حينئذٍ من السائق وافهمته كل شيءٍ فرضي بنقلك الى هنا

فقال المعلم كامين . والعجب انني لا اذكر ذلك . فضحك صانع الاسلحة وقال لا بدع ان تنسى كل ما قلته في غيبوبتك . ولكن لماذا وضعت في جيبك هذا القدر من الذهب الذي القى الشبهة عليك

فتنفس كامين الصعداء وقال هذا اجرة عملي . فقال صانع الاسلحة وماذا عملت حتى استحققت كل هذا المبلغ فانه يجب ان يكون العمل الذي عملته في غاية الصعوبة

فانطلق هنا لسان كامين الثرثار من طبعه فاخذ يقول

تسالني ماذا عملت . انني عملت عملاً لم يقدر الملك نفسه على عمله . فانه ابتدأ بصنع قفل في منتهى الصعوبة فما كاد يصل الى نصفه حتى وقف وتعذر عليه اتمامه فارسل

يطلبني لاتمامه · فذهبت اليه فوجدته في معمله والقفل بين يديه · فقال لي كيف حالك يا كامين وكيف انت فقلت له انني جئت لاصلح القفل لا ليسألني الملك عن حالي ومالي فدعوني وحدي لاتمم عملي · فضحك الملك وخرج مع خادمه الحداد الى غرفته · فداخلني ريب من امر هذا الخادم لاني كنت ارى في يديه البيضاوين ووجهه المشرق ما يدلّ على ان حاله ارقى من حال خدمة الحدادين · فاسرعت في عمل القفل حتى اتممته واصلحت خلله · ثم انسبت كالافعى قاصداً غرفة الملك لعلي اسمع في دخولي اليها شيئاً مما يحدث به ذلك الخادم

فازداد هنا انتباه الرجل الذي كان يسمع كامين فقال له وهل سمعتَ شيئاً

فقال كامين انني لم اسمع شيئاً من سوء الحظ لان خطاي كانت ثقيلة على السلم فسمعها الملك وقام في الحال مع الخادم الى الباب ففتحه وسألني ضاحكاً هل اتممت القفل يامعلم كامين · ولكنني لما دخلت الى الغرفة رأيت على مائدة في وسطها خريطة فرنسا مبسوطة

فقال الرجل الذي كان يُصغي اليه وهل لم تلاحظ شيئاً من امر هذه الخريطة

فقال كامين لم الاحظ فيها شيئاً سوى ثلاثة صفوف من الدبابيس كانت مصفوفة وممتدة من وسط الخريطة الى اطرافها كأنها صفوف جنود سائرة نحو الحدود في طرق مختلفة

فقال الرجل مملقاً كامين · حقاً انك ذو نظر ثاقب لا يفوته شيءٌ وهل تظن ان الملك وخادمه كانا يشتغلان بملاحظة هذه الخريطة

فاجاب كامين لا ريب في ذلك لان الملك لما فتح الباب وخرج اليَّ كان في يده دبوس منها وهو ينظف به اسنانه على غير انتباه

فقال الرجل مظهراً العجب حقاً يا صديقي انني لو اكتشفت في صناعتي امراً لما تركتك تدخل الى معملي لانك بلمحة واحدة تدرك اسراره ولكن ماذا صنعتَ بالقفل بعد اتمامه

فاجاب كامين وقد ارضاه اطناب رفيقه في الثناء عليه · بعد اتمام القفل قال لي الملك · قد اتممنا الآن يامعلم كامين جزءاً من عملنا بقي الجزء الثاني · فاتبعني لنتممه · قال هذا ثم سار امامي حتى وصلنا الى الدهليز المؤدي من منزل الملك الى غرفة ولي العهد فوقف امام خزانة كانت في الجدار هناك

فقال رفيق كامين وما الغرض من انشاء هذه الخزانة في الجدار ما دام الذي يمرّ بها يستطيع اكتشاف مكانها

فقال كامين بنزق ومن قال لك انه يستطيع اكتشاف مكانها · فانني لما وقفتُ

هنالك قال الملك ان في هذا الجدار خزانة يجب وضع القفل فيها فهل تستطيع يامعلم كامين ان تكتشف مكانها من غير ان ادلك عليه . فدنوت من الجدار واخذت افحصه وابحث فيه عبثاً لان الخزانة منقورة في الجدار نقراً غريباً فكانها قسم من الجدار لا يظهر لها فيه اثر . وبعد برهة دنا الملك من مكانها وحرك يده حركة فانفتح بابها وظهر مكانها

فقال الرجل مظهراً الاستغراب حقاً ان امر هذه الخزانة عجيب غريب . ولكن ما يضعون فيها

فقال كامين صبراً لا كمل الحديث . فلما انفتحت الخزانة قال الملك خذ الآن قفلك يا كامين وركبه فيها . فتناولت القفل وركبته في مكانه في دقيقتين . ولما فرغت منه امر الملك فجيء باكياس من الذهب فقال لي اجلس الآن يامعلم كامين وساعدني في عدّ هذه الليرات فجلست واخذت اعدّ معه فعددت مليون ليرة مزدوجة وعدّ الملك مليوناً مثلها ولما فرغنا من العدّ بقي خمس وعشرون ليرة زائدة فوضعها الملك وقال خذ هذا نصيبك يامعلم كامين . فبالله هل سمعت في حياتك بان رجلاً يعدّ مليون ليرة ويشتغل اربع ساعات ولا يقبض سوى ٢٥ ليرة منها

فقال رفيقه لا ريب في ان ذلك غبن ظاهر وشح عظيم ولكن ماذا صنعت بعد ذلك

فقال كامين . بعد ذلك اخذنا اكياس الذهب ووضعناها في الخزانة واقفلنا الباب فكانه لا ذهب في الخزانة ولا خزانة في الجدار . وما كدنا نفرغ من هذا العمل حتى فُتح باب على الدهليز الذي كنا فيه وظهرت في الباب الملكة وفي يدها طبق عليه كاس خمر وقطعة حلوى . فدنت مني وقالت . اظنك يامعلم كامين قد ظمأْتَ فهل تقبل هذه الكاس فاجبتها لماذا اتعبتِ نفسك ياجلالة الملكة فقالت بل اشرب وارو ظمأك . فتناولت الكاس وشربتها ثم اخذت قطعة الحلوى واكلتها . فبالله عليك هل يُقدم لمثلي اذا ظمئ وجاع كاس خمر وقطعة حلوى

فقال الرفيق . وبعد ذلك

فقال كامين . وبعد شربي الكاس خرجت من التويلري وما خطوت خطوتين حتى ندمت على شربي تلك الكاس اللعينة . فانه عراني بعدها ظمأ شديد لم يصبني مثله قبل ذلك . وقد كان امامي الحانات والنهر فكدت اختار النهر واذهب اليه فاضع فمي فيه ولا ارفعه حتى اروى . ولكنني عدت فاخترت الحانات فكنت ادخل اليها واشرب فيها ارواء لظمأي غير انني كنتُ كلما شربت اشتد عليَّ الظمأ . فعرفت حينئذٍ انهم سمموني . وان الكاس التي

سقتني الملكة اياها كانت ممزوجة بالسم . ولا غرابة في ذلك فانهم استخدموني لصنع قفل لخزانتهم السرية التي خبئوا بها كنوزهم ولما اتممت ذلك راموا قتلي لكي لا يبقى في الوجود احد عارفاً بمكان الخزانة . ولكني انا سانتقم منهم انتقاماً شديداً فان الناس اذا طلبوني للشهادة عليهم شهدت بانهم راموا تسميمي (١)

فقال رفيقه . وانا اشهد ايضاً بانني وجدتك مسمماً وانقذتك بانني سقيتك ترياقاً مقاوماً لفعل السم

وكان كامين قد عادت اليه قوته فنهض قائماً وشكر لرفيقه عنايته به فرد له رفيقه الشكر . ثم سار كامين في طريقه قاصداً منزله فتناول رفيقه دفتراً صغيراً في جيبه وكتب عليه الاسطر التالية

— خزانة حديدية سرية . في جدار الدهليز المؤدي من منزل الملك الى غرفة ولي العهد

— البحث عن حقيقة امر الفتى الذي اتخذه الملك خادماً للحدادة فانه غير بعيد ان يكون هو الكونت لويس ابن المركيز دي . بوليه الذي قدم من متز منذ احد عشر يوماً

ولا ريب في ان القراء قد عرفوا ان هذا الرجل الذي لحق كامين واستكشفه اسراره انما هو الكونت كاليوسترو العجيب

الفصل الخامس

﴿ جواب ذو معنيين ﴾

وفي مساء ٢٤ دسمبر من ذلك العام اي في ليلة عيد الميلاد اعد الملك والملكة حفلة استقبال في نادي التويلري . وكان البارون ازيدور دي شارني قد عاد في صبيحة ذلك اليوم من تورين حيث كان الامراء الفرنسويون مقيمين بعد مهاجرتهم فرنسا فراراً من الثورة . وقد عاد البارون من هناك يحمل الى الملك والملكة طلب جميع المهاجرين ان

---

(١) وفي الحقيقة ان هذا الرجل شهد على الملكة لدى مجلس الكونفانسيون يوم محاكمة الملك والملكة انها رامت تسميمه وقبل المجلس شهادته

يرحلا من فرنسا ليلاقياهم الى تورين

ولما انتظم عقد الاجتماع في النادي قبل قدوم الملك والملكة اخذ الحاضرون يسالون البارون دي شارني عن المهاجرين لان كل واحد من اكابر انصار الملكية في فرنسا كان له بين اولئك المهاجرين اهل او اصدقاء · ثم دار الحديث على رجال الثورة فاخذ سولو يحدث الحاضرين عنهم وجعل حديثه مقصورًا في تلك الساعة على الدكتور كليوتين الذي جرّب في ذلك اليوم آلته « الكليوتين » للمرة الاولى · ويعلم القراء ان الكليوتين انما هي آلة للاعدام يوضع تحتها عنق الجاني فتسقط عليها آلة قاطعة تفري عنقه بلمحة واحدة فلا يشعر الجاني بعذاب ولا الم وانما يشعر على قول الدكتور كليوتين ببرد خفيف في عنقه ثم لا يعود يشعر بشيء

وبعد تجربة الدكتور كليوتين هذه الآلة في ذلك اليوم ذهب الى قاعة المجمع الوطني وارتقى منبر الخطابة واخذ يُظهر فضل هذه الآلة الجديدة على آلات الاعدام السابقة كالشنق وضرب العنق بالسيف وتقطيع الاعضاء والاعدام بآلة كالدولاب يدور فيقطع الجسم تقطيعاً · وقد اطنب في وصف آلته اطناباً جعل اعضاء المجالس يميلون اليها فكادوا يقررون تعيينها للاعدام رسمياً عوضاً عن آلات الاعدام التي كانت في تلك الايام

وكان سولو يحدث الحضور عن هذه الآله وينشدهم قصيدة هزلية نظمها فيها فكان الحضور يقهقهون كثيرًا لابيات تلك القصيدة

وبينما هم يقهقهون وصل الملك والملكة الى مقربة من النادي · ولو كان الملك فارغ البال لسأل في الحال عن سبب القهقهة ليشارك الضاحكين في الضحك · ولكنه كان حزين الخاطر مشغول البال فترك هذا السؤال الى وقت يكون فيه مسرورًا راضياً

ولما اعلن الخادم قدوم الملك والملكة سكت المقهقهون والمتكلمون وظهر الاحترام الشديد عليهم جميعاً لان رجال الملكية كانوا في تلك السنة يحترمون الملك بقدر ما كان رجال الثورة يعرضون عنه · نعم ان الملكية قد تالمت في سنة ١٧٨٩ مما اظهره كثيرون من انصارها من نكران الجميل والتخلي عنها ولكنها كانت في سنة ١٧٩٣ راضية كل الرضى عن انصارها لان هولاء الانصار ازدادوا اخلاصاً لها حين نزول الخطر الحقيقي بها

ولذلك فان الملك والملكة ما دخلا الى نادي التويلري حيث كان كثيرون من انصار الملكية مجتمعين حتى خف الحاضرون الى ملاقاتهما باحترام عظيم فاحتاط السيدات الملكة والرجال الملك

وكان في جملة الرجال « مونسيو » شقيق الملك . وكان مونسيو قد حادث البارون دي شارني وفهم منه ما كان يروم فهمه . فلما دخل الملك الى القاعة انفرد مونسيو وخطا نحوه وقال له : الا تستطيع يا اخي ان نجلس انت والملكة وانا وبعض الاخصاء بحجة اللعب ونتحادث حديثاً سرياً

فاجاب الملك اصنع ما تريد يا اخي ودبر ذلك كما تشاء

فدنا حينئذ مونسيو من الملكة وكان البارون دي شارني يقول لها في هذا الحين العبارة التالية : ان المركيز ففراس عهد اليَّ ان ابلغ جلالتك امراً ذا شان . فلما دنا مونسيو من الملكة كان البارون دي شارني قد اتم كلامه فقال لها مونسيو . ان الملك يا اختي العزيزة يروم ان نلعب احدى الالعاب ونحن اربعة فمن ترومين ان يكون رابعنا

فاجابت الملكة حينئذ وقد فهمت المقصود من اللعبة . تعالَ يا مسيو دي شارني وكن رابعنا .

ثم جلس الاربعة على مائدة هنالك . وكانت مدام اليزابت حاضرة فجلست على مسند وراء الملك . واخذ الاربعة يلعبون في الظاهر ويتحادثون في الواقع

فافتتحت الملكة الحديث بسؤالها دي شارني . كيف من خلفتهم في تورين ايها البارون . فاجاب البارون تركتهم في خير وسلامة . فنظرت الملكة الى مونسيو ثم نظرت الى الملك وقالت . اما سمعت جلالتك ان البارون دي شارني عائد من تورين

فلم يجاوبها الملك ولكنه تحرك حركة ظهر منها فراغ صبره من كلام الملكة

فتداخلت حينئذ مدام اليزابت التي كانت جالسة وراءه وقالت للملك بلطفها المعهود ارجو منك يا اخي ان تصغي بانتباه الى هذا الموضوع

فنظر اليها الملك نظرة عتاب وقال لها : وانتِ ايضاً يا اختي . فقالت مدام اليزابت نعم انا ايضاً ارغب في ذلك . بل ارغب فيه اكثر من الجميع لانني اشد الناس حباً لك وانا خائفة عليك .

فاجترأ حينئذ البارون دي شارني وقال . وحين وصولي من تورين مررت في شارع رويال وصرفت ساعة في المنزل نمرو ٢١

فقال الملك ولمن هذا المنزل الذي ذكرته

فاجاب ايزيدور . ان في هذا المنزل يامولاي رجلاً نبيلاً مستعداً امثالنا للموت في سبيل جلالتكم ولكنه اشد نشاطاً منا لانه اعد مشروعاً نافعاً

فرفع هنا الملك راسه وقال وما هذا المشروع ايها البارون

فاجاب البارون دي شارني اذا كنت قد اغضبت الملك بهذا الكلام فاني اسكت في الحال. فقالت الملكة بنزق . بل تكلم تكلم . فانه من الواجب علينا ان نقف على مشروعات الاصدقاء الذين يرومون خدمتنا كما اننا نقف في كل يوم على مشروعات الاعداء الذين يعدونها ضدنا . وما هو اسم هذا النبيل ايها البارون

فاجاب ايزيدور . اسمه يا مولاتي المركيز دي ففراس فقالت الملكة وقد تجاهلت كل شيء . نعم نعم قد سمعت بهذا الاسم وعرفت صاحبه . ولكن ما هو الغرض من مشروعه والى اي حد انتهى فيه .

فاجاب ايزيدور لقد اتمه يامولاتي وهو الان في انتظار امر الملك . فاذا امره استطاع الوصول الى بيرونه في هذا المساء

فلم ينطق الملك بكلمة حين سماعه هذا الكلام . اما مونسيو اخوه فانه اظهر انه غير سامع كلمة من هذا الحديث

واما الملكة فانها التفتت الى زوجها الملك وقالت له . اما سمعت ماذا قال البارون . فعبس الملك واجاب بلى لقد سمعته

فقالت الملكة لمونسيو . وانت يااخي هل سمعت ما قاله البارون

فاجاب مونسيو . لست اشد صمماً من الملك

فقالت الملكة وما هو رايك الا ترى ان هذا الكلام بمثابة اقتراح يُقترح على الملك.

فاجاب مونسيو لا شك في ذلك

فالتفتت الملكة حينئذ الى البارون دي شارني وقالت له . اعد علينا مقالك اللطيف ايها البارون

فقال دي شارني . مولاتي اقول ان كل شيء مُعد حاضر وان الملك اذا لفظ كلمة واحدة استطاع بواسطة الطرق والتدابير التي اتخذها المركيز دي ففراس ان يصل الى بيرونه في يوم واحد ويكون في امن وسلامة فيها

فنظر مونسيو حينئذ الى الملك وقال . فماذا تقول يا اخي بهذا المشروع الا تراه موافقاً

فالتفت الملك بنزق نحو مونسيو ونظر في وجهه ملياً ثم قال له : واذا سافرتُ هل تسافر معي انت

فامتقع وجه مونسيو وظهر الاضطراب في وجهه فاجاب . انا ؟

فقال الملك نعم انت يا اخي . فانك تخشى على السفر من باريز فهل تسافر معي اذا سافرت

فقال مونسيو ولكني انا لم اتاهب للسفر ولم ادبر حوائجي لانهم لم يبلغوني

فقال الملك كيف لم يبلغوك مع انك انت الذي دبرت المال للمسيو ففراس . وكيف لم تتاهب للسفر مع انك واقف على جميع تفاصيل هذه المؤامرة

فاصفر وجه مونسيو واجاب . المؤامرة ؟

فقال الملك نعم انها مؤامرة حقيقية واذا اكتشف امرها غداً والقي القبض على ففراس فان محكمة الشاتليه تحكم عليه بالاعدام ولا نستطيع حينئذٍ انقاذه كما انقذنا المسيو دي بزنفال

فقال مونسيو واذا كان الملك قد انقذ المسيو دي بزنفال فلماذا لا ينقذ المسيو دي ففراس

فقال الملك لان ما قدرت ان اصنعه للاول لم اعد قادراً على صنعه للثاني . ومع ذلك فالمسيو دي بزنفال هو رجل الملك فالملك انقذه اما المسيو دي ففراس فهو رجلك فيجب عليك ان تنقذه انت

ولما قال الملك هذا القول نهض منصرفاً . فامسكت به الملكة من طرف ثوبه وقالت ولكن على جلالتكم ان تجاوبوا دي ففراس اما نعم واما لا

فاجاب الملك وهو يشد ثوبه ليستخلصه من يد الملكة . ان الملك لا ياذن لاحد بان يختطفه

ثم ذهب الملك في سبيله

فالتفت مونسيو شقيق الملك الى الملكة والبارون دي شارني وقال . ان كلام الملك يدل على ان المركيز دي ففراس يجوز له ان يختطف الملك من غير اذنه وذلك على شرط ان ينجح اما اذا فشل فليس امامه الا العقاب

فقالت الملكة للبارون دي شارني . عد ايها البارون الى المسيو دي ففراس وانقل له كلمات الملك نفسها . وهي « ان الملك لا ياذن لاحد بان يختطفه » وهو يفهم معناها . فاذهب مسرعاً

فنهض البارون وخرج من القصر فركب مركبة قاصداً منزل دي ففراس

الفصل السادس

﴿ طبيب الجسد وطبيب النفس ﴾

ولما نهض الملك عن المائدة سار نحو الشبان الذين كانوا يمزحون و يقهقهون قبل دخوله · فنهضوا جميعاً احتراماً للملك · فقال لهم الملك باسماً ما لكم سكتم بعد تلك القهقهة هل انني حزين الى هذا الحد حتى انني احمل الحزن معي الى كل مكان ادخله · لقد صدق القائل « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم »

فبهت الشبان لهذا الكلام واجاب البرنس لامبرت · ولكن واجب الاحترام يا ذا الجلال ....

فقطع الملك عليه الكلام قائلاً لا تقل الاحترام ايها البرنس فانك لما كنت تجيء الى القصر في شبابك في اثناء الفرصة المدرسية كنت لا تفتأ من الضحك والقهقهة امامي · وقد قلت الساعة « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم » والآن اقول « ما اسعد الملوك الذين تضحك رعيتهم امامهم »

فقال المسيو دي كاستري ولكن الموضوع الذي كنا نضحك منه لا يليق بان نتكلم عنه في حضور جلالتكم ولذلك سكتنا

فقال الملك وما هو هذا الموضوع الذي اضحككم الى هذا الحد

فقال سيلو كنا نتكلم عن المجمع الوطني

فقال الملك بجد · اذاً لقد احسنتم بسكوتكم وترك الضحك لاني لا آذن لاحد بان يضحك من المجمع الوطني امامي

فقال احد الحاضرين ما كنا نضحك من المجمع الوطني ولكن مما جرى فيه في هذا الصباح

فقال الملك واي امر تعنون

فقال سيلو اما سمع جلالة الملك بما قاله اليوم الدكتور كليوتين عن آلته في المجمع

فقال الملك اذن كنتم تضحكون من كليوتين وآلته اما انا فلا اضحك منه لان اختراعه مفيد للانسانية اذ يخفف عذاب المجرمين حين اعدامهم

ثم امسك الملك عن الكلام هنيهة وبعد ذلك سأل سيلو . وهل نجحت تجربة الكليوتين

فاجاب سيلو لقد نجحت في الاثنين الاولين واما الثالث فقد بقيت عنقه عالقة برمته من احد الجوانب فاضطروا الى قطعها بالسكين

فقال احد الحاضرين وهل اعدموا اليوم ثلاثة من الناس . فاجاب سيلو انهم ثلاثة مرضى ماتوا في المستشفى فجربوا اليوم الآلة فيهم

فسأل الملك وما السبب في ان الآلة لم تقطع العنق الثالثة هل فيكم رجل شاهد الآلة ويستطيع وصفها لي

فاجاب صوت من الحلقة التي كانت حول الملك نعم ياذا الجلال

فالتفت الملك فابصر الدكتور جيلبار . فقال له هذا انت ايها الدكتور وهل كنت منذ مدة طويلة ههنا . فابتسم الدكتور وقال منذ هنيهة يامولاي : قال وهل شهدت الآلة قال نعم قال فارسمها لي على هذه الورقة . واشار الى مائدة هناك

فقصد الدكتور جيلبار المائدة واخذ يرسم الآلة على ورقة كانت عليها فاحاط الجميع به وبالملك . ولما فرغ من الرسم قال الملك لقد فهمت الآن تركيب هذه الآلة ولا عيب فيها سوى ان الآلة القاتلة مصنوعة على شكل هلال فلو صنعوها على شكل مثلث لوفت بالغرض بسهولة غريبة

ولكن الملك ما اتم هذا الكلام حتى صرخت من ورائه امرأة صراخاً مخيفاً . فالتفت الجميع فابصروا الملكة وراء الملك يغمى عليها

فاسرع الجميع اليها

وكان السبب في ذلك ان الملكة لما شاهدت الحلقة حول الملك انضمت اليها لترى الامر الذي كانوا يهتمون به فيها . ولكنها ما دنت من الملك ووقع نظرها على رسم الآلة التي كانت في يده حتى صرخت ذلك الصراخ واغمي عليها . وذلك لان الملكة كانت قد رأت منذ صغرها في تريانون صورة هذه الآلة في زجاجة ماء صغيرة والذي اراها اياها هو كاليوسترو الرجل العجيب وقد تنبأ لها يومئذٍ بانها ستقتل بها

فبناء على ذلك تكدر صفو تلك الليلة وحُملت الملكة الى غرفة هناك فاقام الدكتور جيلبار بجانبها لمعالجتها

وبعد برهة عادت الملكة الى نفسها فامرت خادماً هناك ان يذهب ويبلغ الملك خبر

سلامتها . ثم التفتت فابصرت الدكتور جيلبار بجانبها فقالت له باسمة . هل تعتقد بالنبوءات ايها الدكتور

فانحنى الدكتور واجاب ان العلم ينكر كل شيء من فوق الطبيعة ياسيدتي ومع ذلك فقد تحدث حوادث عجيبة

فقالت الملكة مثل ماذا

فقال جيلبار ان بعض العقول الكبيرة تُعطى احياناً قوة معرفة المستقبل قياساً على الماضي وحينئذٍ ...

فقالت الملكة حينئذ ماذا

فقال حينئذٍ يتنبأون بامور غريبة . فاني اعرف رجلاً ....

فقطعت الملكة حديثه وقالت لعلك تتكلم عن معلمك كاليوسترو

فاجاب جيلبار . مولاتي ليس لي معلم غير واحد مفرد وهو الطبيعة . اما كاليوسترو فليس هو بمعلمي ولكنه المحسن الي . فانني جُرحتُ في شبابي جرحاً قطعت الامل من شفائه فجاءني بمرهم غريب شفاني به منه في مدة قريبة

فقالت الملكة وهل تنبأ هذا الرجل نبوءات وتمت نبوءاته

فقال جيلبار لقد تمت بدقة غريبة

فقالت فاذا تنبأ لك هذا الرجل انك ستموت موتاً شنيعاً هل تصدقه

فقال جيلبار لا اصدقه ولكني اعمل على اجتناب ذلك الموت

فالتفتت الملكة حينئذ الى جيلبار وقالت بحدة لا سبيل الى اجتناب ذلك الموت ايها الدكتور فانني مائتة لا محالة . ان هذه الثورة ستبتلعني وتبتلع العرش معي وهذا الاسد سيفترسني مع زوجي واولادي

فاجاب جيلبار اذا شئتِ يامولاتي صار هذا الاسد وديعاً كالحمل معك . فلاطفيه واحسني معاملته تملكي قياده و يصبح طوع امرك

فقالت الملكة كلا ايها الدكتور لقد انقطع كل شيء بيني و بين هذا الشعب . فانه يبغضني وانا احتقره

فقال جيلبار ذلك لانه لا يعرفك ولا تعرفينه . فانك تنظرين اليه من الشاطئ كما ينظر الى البحر من هو واقف على شاطئه فيرى امواجه تروح وتجيء بلا دافع ولا سبب وتتكسر تحت قدميه . ولكن اذا ذهب هذا الواقف الى عرض البحر حيث العمق العظيم .

اذا نظر اليه من فضاء الكون حيث ترفرف روح الله عليه ابصر على سطحه سريرًا صغيرًا كسرير موسى في النيل وهذا السرير هو « سرير فرنسا الجديدة » قادم الى الشاطىء . فليحرسك الله ايها السرير الصغير

ثم رفع جيلبار يديه الى السماء مع انه من الذين لم يعتادوا التحمس في كلامهم

فقالت الملكة وهي تنظر اليه والى اين مسير هذا السرير ياد كتور

فقال جيلبار ان هذا السرير سائر الى ارض مجهولة . وسيستقر في مكان جديد يسمونه « الوطن » فهناك يجد المربية القوية التي تجعل الشعوب اقوياء وهي « الحرية »

فضحكت الملكة وقالت كنت احسب ان فساد الاحكام قد قتل هذه الكلمات الفارغة فاذا بها لا تزال حية

فاجاب جيلبار . كلا ياسيدتي ليست هذه الكلمات فارغة ولكنها كلمات عظيمة . انظري الى فرنسا تجديها بين العثرات الكثيرة التي امامها والاخطار التي لا تحصى تمشي الى غرض منصوب امامها . وهو الوحدة . لقد كانت من قبل بلادًا متقطعة في كل مقاطعة منها تنافس وتفاضل وجمارك واوزان مختلفة ولهجات متباينة ومطامع مخصوصة ومطامح قديمة . ففي ذات يوم عصفت فيها ريح شديدة زعزعت العرش وجمعت تلك المقاطعات المتفرقة على كلمة واحدة . لقد كان سكانها من قبل تولوزيين ونورمانديين وبريتانيين وبورغونيين اما اليوم فقد ذهبت هذه الالقاب وصاروا كلهم « فرنسويين » . ولا شيء تحت قبة السماء قادر على منعهم من هذا الاتحاد

فصاحت الملكة وهل يروقك ان ترى ثلاثين مليون نفس متمردة ومتحدة على ملكها وملكتها هذا الاتحاد

فاجاب جيلبار ليس الشعب بالمتمرد على الملك والملكة ايتها السيدة ولكن الملك والملكة هما المتمردان عليه . فانه بينما ينادي بالاخاء والاخلاص والحرية والمساواة يسمعهما يذكران الحقوق القديمة والامتيازات الملكية وما اشبهها . لقد سقط سقط يامولاتي ذلك العالم القديم وقام الآن عالم جديد . لقد ولد طفل جديد وهو « فرنسا الحديثة » فسرت ولادته جميع الامم المهضومة . اسمعي ايطاليا واسبانيا وبولونيا وايرلنده — كلها تهتز طربًا لولادة هذا الطفل كما اهتزت شعوب الارض طربًا لولادة المسيح في مزوده بيت لحم . ذلك لان فرنسا هي مسيح الامم الحديثة . وكل واحدة من الامم المستعبدة المهضومة تناديها الآن : دومي يافرنسا لاننا نكون احرارًا فيك . اي انهن يؤملن الحرية منها . نخذي يامولاتي هذا

الطفل الجديد بين ذراعيك واجعلي نفسك امًا له

فصرفت الملكة نظرها عن جيلبار . وقالت . ولكنك نسيت ايها الدكتور اني ام اولاد لا استطيع نبذ ولدي لاحتضان ولد غريب

فقال جيلبار حينئذٍ بشيء من الحدة . فانا اشير عليك اذًا ايتها السيدة ان تضعي رداءك الملكي على ولديك وتخرجي بهما من فرنسا في الحال اذا كانت هذه الافكار افكارك

فقالت الملكة وهل تشير عليَّ اذًا بالرحيل من فرنسا

فقال الدكتور نعم نعم صرتُ اشير به عليك الآن بعد ما عرفته من بغضك للثورة فارحلي وانا اساعدك على الرحيل ياسيدتي

فقالت الملكة لا اخفي عنك اذًا اننا عزمنا على الرحيل على يد رجل اظنك سمعتَ باسمه

فقال جيلبار اظن جلالتك تريدين المركيز دي ففراس

فحملقت الملكة في وجه جيلبار وسألته . من اين عرفت ذلك

فاجاب جيلبار وهو يهز راسه .مولاتي ان الرجل الذي تعرفينه قد تنبأ لهذا الرجل بموت قريب

فقالت مستغربة وبماذا تنبأ له . قال تنبا له بانه سيموت شنقًا في ساحة الاعتصاب

فاجابت الملكة ولكن نبوءة هذا الرجل ستكذب هذه المرة لا محالة فان رسولي الآن عنده ولا تغرب علينا شمس الغد الا ونحن خارج فرنسا

على ان الملكة لم تتم كلامها حتى دخل خادم واعلن وصول البارون دي شارني

فصاحت الملكة ادخله ادخله فهو رسولي الى دي ففراس والدكتور صار عارفًا بمشروعنا

فدخل البارون دي شارني بعد برهة ولكنه كان اصفر اللون والقلق بادٍ في عينيه ووجهه

فبادرته الملكة بالسؤال ما وراءك ايها البارون وماذا قال لك المركيز دي ففراس

فاجاب البارون بعد ان انحنى باحترام ان المركيز دي ففراس قد القي القبض عليه منذ ساعة ياسيدتي

فاجفلت الملكة لهذا الخبر ايما اجفال ونظرت الى الدكتور جيلبار نظرًا قادحًا شرر الغيظ والدهشة

اما الدكتور فانه تاثر لهذه المصيبة الجديدة التي دهمت الملكة فدنا منها وحاول تخفيف حزنها بخضوعه واخلاصه واظهار استعداده لخدمتها

وكان هذا الخبر قد سرى في القصر الملكي بسرعة البرق . فلما درى به مونسيو شقيق الملك طلب مركبته بالحال . وفيما هو نازل في السلم صادف الملك اخاه في وجهه فساله الملك . لو كنت مكاني يا اخي ماذا كنتَ تعمل الآن . فاجاب مونسيو وكان مشهورًا بالمواربة لو كنت مكانك يا اخي لتخليت عن ففراس واقسمت للمجمع الوطني انني محافظ على الدستور الذي سنه للامة

فقال الملك ولكن هذا الدستور لم يتم بعد

فاجاب مونسيو وهو ينظر الى الملك نظرًا ذا معنى مقصود : هذا مما يسهل القَسم

فقال الملك وقد بهت قليلاً . لا باس ومع ذلك فانني ساكتب الى المسيو دي بوليه اننا لا نزال نفكر في مشروعه ولكن نؤجله الى وقت آخر

الفصل السابع

﴿ الملك واخوه ﴾

(يُظهران غير ما يُبطنان)

وفي صباح اليوم التالي نُشرت في باريز مائة الف نسخة من نشرة فحواها ان المركيز دي ففراس كان يعدُّ مؤامرة لقتل لافاييت و بالي وقطع الزاد والميرة عن باريز وفي مقدمة هذه المؤامرة « مونسيو » شقيق الملك

فقام اهل باريز وقعدوا لهذا الخبر . وفي مساء ذلك اليوم اجتمع اعضاء المجلس البلدي في قاعة المجلس برئاسة بالي . وبينما هم يتباحثون في تلك المسالة واذا بالحارس قد دخل وقال : ان مونسيو يطلب الدخول على المجلس

فالتفت اليه الرئيس بالي وقال . اي مونسيو اذ لم يخطر له ببال ان « مونسيو » يحضر بنفسه

فاجاب الحارس « مونسيو » شقيق الملك

فبهت جميع الاعضاء وامروا الحارس بادخاله . فدخل مونسيو وهو اصفر اللون فسلم ثم

القى على الاعضاء خطبة لتبرئة نفسه من التهمة التي اتهموه بها وقال انه من نصراء الحرية وانه لا يعرف المسيو دي ففراس · فاجابه الرئيس بخطبة لطيفة اظهر فيها سروره من حضور شقيق الملك الى المجلس واعتقاده ببراءته · وقد قال بالي ذلك واكثر الاعضاء والحاضرون يعتقدون بعكسه · ومع ذلك فقد كان نجاح مونسيو عظيماً فعاد وقد القى مؤامرة ففراس عن كاهله

فلما رأى الملك نجاح اخيه لدى المجلس البلدي رام ان يصنع صنعه لدى المجمع الوطني فذهب على حين فجأة لزيارة المجمع

فدهش اعضاء المجمع لما علموا بقدوم الملك وتنحى الرئيس لجلالته عن كرسي الرئاسة · ولما دخل الملك الى القاعة دوت جدرانها من تصفيق المصفقين وهتافهم · فوقف الملك فيهم والقى خطبة طويلة عريضة · وقد قال فيها انه قدم الى المجلس ليهنئه بالاعمال الدستورية التي عملها ويؤكد له مساعدته ووداده · ثم اثنى على دستور سنة ١٧٩٠ وقال انه يحبه وهو لم يكمل بعد فكيف اذا كمل

فلما قال الملك ذلك دوت القاعة مرة ثانية بالتصفيق العظيم وبكى اعضاء المجلس سروراً وابتهاجاً · وقد بكوا جميعاً حتى ميرابو وبرناف ولامث ودبيور وباريز فكان من دموعهم طوفان عظيم ··· غير ان بيتون وكاميل دي مولين ومارات لم يصفقوا ولم يبكوا

ثم خرج الملك من القاعة في وسط هياج عظيم فكره اعضاء المجلس ان يفارقوه فرافقوه الى التويلري وهم يتحمسون ويهتفون له · فلقيتهم الملكة في التويلري · ولكن الملكة لم تكن متحمسة لتحمسهم · فتناولت ولدها بين يديها وقدمته لهم فوقف الاعضاء هناك واقسموا كلهم يمين الامانة للامة والقانون والملك والدستور

وبعد هذا اليوم ركدت ريح الباريزيين كانهم اطمأنوا الى وعد الملك فكان سرور عام في كل المدينة وقد زينت بعض الاحياء وصار الناس يحلفون تلك اليمين في الشوارع حتى الاولاد الصغار صارت تحلفها · فامر المجمع الوطني ان تُقام في كنيسة نوتردام صلاة شكر لله لتجديد تلك اليمين فاقيمت صلاة حضرها جميع الاعضاء ولكن الملك لم يحضرها · فقالت الملكة للملك في ذلك اليوم على سبيل التهكم · لماذا لم تحضر الصلاة لتحلف اليمين كما حلف سواك · فاجاب الملك هذا الجواب · ذلك لانني ساكذب على الناس ولا اريد الكذب على الله

فدهشت الملكة من هذا الجواب لانها كانت تعتقد كباقي الناس ان الملك مخلص

في يمينه · على ان الملك لو كان مخلصاً فيها لانقذ عرشه وعائلته

الفصل الثامن

﴿ كيف يكون النبل الصحيح ﴾

وكانت زيارة الملك للمجمع الوطني في ٤ فبراير من عام ١٧٩٠ وفي ١٨ منه كان ميعاد محاكمة المركيز دي ففراس لدى محكمة الشاتله بتهمة المؤامرة على المملكة

ففي ليلة هذا اليوم اي في الليلة التي بين ١٧ و١٨ دخل الى سجن الشاتله رجل يحمل امرًا من ادارة البوليس بالاذن له ان يقابل المركيز دي ففراس · ولا نعلم اذا كان هذا الامر صحيحًا او مزورًا ولكن مدير السجن وجده على ما يظهر صحيحاً ولذلك اذن له بالدخول

وكانت هذه الغرفة في مغارة تحت الارض عمقها ٢٠ قدماً · فلما وصل اليها الرجل المجهول التفت فابصر هنالك فتى واقفاً فسأله هل تسمى انتَ الفتى لويس فقال نعم فقال وهل انت امين مفاتيح هذا السجن فقال نعم · فقال الرجل المجهول فانت اذًا اخ من ماسونيي اللوج الاميركي فانحنى الفتى وقال نعم ياسيدي · فقال وقد عينوك ههنا منذ ثمانية ايام لغرض مجهول عندك · قال نعم · قال هل انت مستعد للقيام بذلك الامر · فاجاب نعم · قال فممن تصدر لك الاوامر قال من « المسيح » قال وما علامته عندك · قال ثلاثة نجوم مذهبة على ثوبه الباطني

ففك حينئذ الرجل المجهول رداءه الخارجي وقال له انظر فنظر الفتى ثلاثة نجوم مذهبة على ثوبه الداخلي فانحنى باحترام شديد وقال مر بما تريد يامعلم · فقال الرجل المجهول افتح لي سجن دي ففراس وانتظر اوامري على بابه

فتقدم الفتى باحترام وخضوع وفتح باب سجن دى ففراس فدخل اليه الرجل المجهول على ان هذا الرجل وان لقبناه مجهولاً فانه ولا شك معروف عند القراء لكثرة ورود اسمه في هذه الرواية

ولما دخل الرجل الى سجن ففراس كان ففراس مستغرقاً في نوم هادىء ولكن وقع اشعة النور على عينيه نبهه من نومه ففتح عينيه وقال من هذا

فاجاب الرجل صديق من اصدقائك

فحملق ففراس ليرى هذا الصديق الذي جاء يطلبه وهو تحت سطح الارض بعشرين

قدماً . ثم قال وقد عرفه : جناب البارون زانون

فاجاب الرجل نعم ايها المركيز . فقال دي ففراس ضاحكاً لا اظنك طلبتني لتعقد معي قرضاً فقال كلا ولكنني قصدتك لانقذك من ضيقك . فضحك دي ففراس وقال له تفضل واجلس

فجلس الرجل المجهول ثم اردف بقوله . نعم جئت اقترح عليك شيئاً فيه نجاتك . فضحك دي ففراس مرة ثانية . فقال له الرجل لا تضحك ياسيدي فان اعتمادك على الملك او على اخيه مونسيو عبث في عبث

فحدق ففراس بالرجل وقال له وما معنى ذلك . فقال الرجل معناه انك اذا كنت تعتمد في نجاتك من هذا الضيق الذي وقعت فيه على الملك وعلى اخيه فانا اخبرك ان اخا الملك ذهب الى المجلس البلدي وتبرأ منك وقال انه لا يعرفك الا قليلاً والملك اقتدى به فذهب الى المجمع الوطني وحلف يمين الامانة للدستور فكأنه تبرأ منك ايضاً . وفي صباح الغد ستجتمع محكمة الشاتله لمحاكمتك وستحكم عليك بالاعدام لانك خنت المملكة وتآمرت على قتل رجالها . ومتى حكمت المحكمة عليك نفذ الحكم فيك بلا ابطاء ولا تاجيل . افهمت انه لم يبق امامك منفذ غير الذي جئت اقترحه عليك

قال وما غرضك من اقتراحك قال غرضي اني عرفت انك من اكارم النبلاء الذين يندر بيننا وجودهم فاردت حفظ حياتك لا للملكية فقط بل للانسانية . وفضلاً عن ذلك فاني على ما تذكر قد اقرضتك مليوني فرنك ولا ريب انك استخدمت هذا المال في مشروعك ولولاه لما اقدمت عليه فكأني كنت شريكاً لك في الذنب ولذلك ترتب علي مساعدتك

فقال ففراس وما هي خطتك الآن . فقال الرجل خطتي انك اذا رضيت بالفرار اصبحت في ساعة واحده خارج هذا السجن وبعد ٢٤ ساعة تكون خارج فرنسا كلها

فقال ففراس رافضاً شكراً لك ايها البارون

فقال الرجل كاني عرفت بسبب ترددك فانك تخاف ان تصبح عائلتك بعد سفرك في حالة سيئة ولكني قد تداركت هذا الامر واحضرت لك في جيبي مائة الف فرنك لها

فضحك ففراس ومد يده الى الرجل المجهول . وقال اشكرك من صميم قلبي على هذا الفضل والاخلاص ولكني ارد اقتراحك ياسيدي

فقال الرجل المجهول مستغرباً ولماذا . قال لانني اذا فررت اتهم الناس البلاط بانه مهد لي سبيل الفرار وبذلك تثبت على الملك تهمة الاشتراك معي في الجريمة المنسوبة الي

فقال الرجل المجهول وهل تموت انت اذاً من اجل ذلك

فقال دي ففراس بكبرياء وعظمة نعم اموت من اجل مبداءي وشرفي . فاني ملكي ومن واجباتي ان لا القي التهمة على الملكية

فقال الرجل ولكن هل عرفت الموت الذي ستموت به . فقال ففراس بعظمة . تعددت الاسباب والموت واحد

فقال الرجل نعم ولكنك نسيت ان المجمع الوطني قرر المساواة بين الاموات كما قرر المساواة بين الاحياء فانه جعل المشنقة عقاباً واحداً للجميع . افلا تستنكر الشنق ايها المركيز

فبهت المركيز لهذا الكلام لان النبيل الشجاع اذا كان لا يخاف الموت فهو يستنكر الموت شنقاً لما في ذلك من التشهير والعار

ولكن المركيز لم يلبث ان قال: لست افضل من المسيح الذي مات صلباً

فقال الرجل المجهول اذا كان تاثير موتك شنقاً على الملكية سيكون كتاثير موت المسيح صلباً على العالم فمت ولا بأس . ولكنك ستكون كالنافخ في رماد

فقال ففراس ان موتي سيكون مثالاً لجميع انصار الملكية الذين لا ينصرونها الا للانتفاع منها فلا تحاول ايها البارون امراً مستحيلاً فانني لا استطيع الفرار كما اقترحت

ولما يئس الرجل من ذلك قال لدى ففراس انني مفارقك الآن ولكن فاعلم انك متى رضيت بالفرار والنجاة من الموت فما عليك الا ان تبلغني ذلك مع الفتى لويس الواقف على بابك فانقذك في ساعة واحدة ولو كنت تحت المشنقة

ثم خرج كاليوسترو من لدن ففراس وهو يعجب بهذه الشهامة وتلك الامانة . وكان غرضه من انقاذه القاء التهمة على الملكية توسيعاً للخرق بينها وبين الشعب

وفي صباح اليوم الثاني انتظمت محكمة الشاتله لمحاكمة دي ففراس فغصت قاعتها بالناس حتى لم يبق فيها موضع قدم فارغاً . وكان عدد القضاة اربعين قاضياً . فجيء اليهم بففراس وهو لابس ملابسه بتانق كثير وصاقل شعره باحكام حتى ان الشعرة تكاد لا تخرج عن اختها . فصاح الحاضرون صياح الغضب والبغض حين دخوله فبقي ففراس كما كان هادئاً رصيناً كانه جبل شامخ لا تزعزعه الرياح . فاجلسه الحارس امام القضاة فساله رئيس المحكمة عن اسمه ولقبه وسنه طبقاً للنظام فأجاب بكل هدوء ولم يرتجف له صوت ولم يبدُ في وجهه تاثر . وبعد هذه الاسئلة دُعي شهود الاتهام فشهدوا كلهم . فاصغى ففراس الى شهاداتهم

بسكينة وهو معول في نفسه على شهود النفي الذين استدعاهم ليشهدوا له

ولذلك ما اشد ما كانت دهشته حينما اعلن الرئيس بعد استماع شهادات الاتهام ان المحكمة اوقفت الجلسة لتدخل الى قاعة المذاكرة · فقال للرئيس ولكن لا يزال لديك شهود النفي يا حضرة الرئيس

فاجاب الرئيس ان المحكمة قررت ان لا تسمع شهود النفي · فقال ففراس مستاء من هذا القول · كنت احسب انني احاكم في محكمة الشاتله وما كنت ادري انني احاكم في « ديوان التفتيش »

ثم عاد به الحراس الى سجنه وهو يقول · هذا مصير من يتآمر مع الامرء

وبعد مدة دخل عليه بعض الرجال والحراس من قبل المحكمة لتلاوة صورة الحكم عليه واذا به قد حُكم عليه بالشنق في « ساحة الاعتصاب »

ولما خرجوا دخل رجلان آخران وكان خادم السجن الذي اوصاه كاليوسترو بما اوصاه قد دنا من ففراس قبل دخولهما وقال له هل يامر حضرة المركيز بشيء · فقال لا · فنظر اليه الفتى وقال الا يريد النجاة بنفسه فاجاب المركيز لا لا اريد شيئاً

اما الرجلان اللذان دخلا فانهما هجما على المركيز واخذاه الى غرفة تدعى غرفة التعذيب فنزعا ثيابه عنه والبساه قفطاناً طويلاً من عنقه الى قدميه ثم قصا شعره واوثقا يديه وانا ماه على مكان هناك معدّ لتعذيب المجرمين وبعد ذلك انهضاه وقالا له ان المحكمة قررت ترك تعذيبه · ولكن يجب عليه ان يبقى ساعة في تلك الغرفة

فنهض المركيز وهو في حالة يرثى لها واخذ يجول في تلك الغرفة ليرى ما فيها من الاثار القديمة · فشاهد فيها كثيرًا من آلات التعذيب والقتل وفي جملتها الآلات التي عُذب بها اليهود في القرن الثالث عشر والآلات التي مُزق بها البروتستانت في القرن السابع عشر

وبينما كان يجول في الغرفة جاءه احد الرجلين وقال له ما غرضك من هذا الجولان وهذه المشاهدة · فاجاب دي ففراس مازحاً وهو على ابواب الموت · اجول فيها لافتقد آلاتها فلعلي اصادف ابليس في طريقي بعد الموت فاطلعه على هذه الوسائل التي لا يعرفها ليعذب الناس بها

وكان الرجل الثاني ينظر الى ففراس الحين بعد الحين نظرات معنوية · فلما تركه رفيقه دنا منه وقال له · الا تزال مصرًا على الموت او تروم النجاة

فتفرس فيه ففراس فعرف من منظره انه رسول الرجل الذي دخل عليـه يقترح انقاذه فاجابه كلا لا اريد شيئًا يا صاحبي

ولكـنه طلب كاهن كـنيسة القديس بواس ليراه قبل موته فدعي هذا الكاهن وخلا به . وليس يعلم احداذا كان ففراس قداعترف له وهو على ابواب الابدية بما تمّ من المؤامرة او ابقى نفسه مقفلة فلم يطلعه على شيء من امرها

وبعد مدة جيء بمركبة الجناة فركب ففراس فيها مع الجلاد والرجلين والكاهن .وكانت طرق باريز وشوارعها مزدحمة اشد ازحام من السجن حتى كنيسة نوتردام فساحة الاعتصاب

اما كنيسة نوتردام فقد كان يجب على دي ففراس ان يدخل اليها ليتوب ويستغفر فدخل اليها مع الكاهن وكانت غاصة بالحاضرين فجثا امام الهيكل ثم القى خطبة وجيزة قال فيها انه بريء وانه يموت دون شكوى ليكون مثالاً لانصار الملكية .وانه يشكر الله الذي اتاح له هذا الموت دون سواه اذ لو كان قضي بهذا الموت على رجل ضعيف يُظهر الجبن والخوار فربما كان موته مضرًا لا نافعًا

فاثر كلامه في جميع الذين كان في نفوسهم ميل للملكية

وبعد الصلاة سارت المركبة في وسط الجماهير المزدحمة الى ساحة الاعتصاب فطلب ففراس ان يؤذن له بالصعود الى المجلس البلدي ليكتب وصيته فسارت مركبته نحو المجلس البلدي

فلما رأى الشعب ذلك صار يزحم بعضه بعضًا وراء المركبة ويقول ان الجاني قد عزم على الاعتراف بجنايته

ذلك ان الجناة الذين يطلبون الدخول الى المجلس البلدي قبل الاعدام يكون غرضهم الاعتراف بامور كتموها . وفي المجلس غرفة خصوصية يسمونها غرفة الاعتراف

فلما دخل دي ففراس الى المجلس املى على احد الكتبة صورة الوصية ثم سالهم ان يحلوا وثاق يديه ليوقع عليها فحلوا وثاقه فتناول القلم واصلح ثلاث غلطات في الكتابة ثم وقع على الوصية

وقد استغرقت كتابة هذه الوصية ست صفحات ولذلك طال المطال على الشعب . وقد اشاع بعض العامة ان المجلس مهد سبيل الفرار للجاني من الباب الثاني فسخط الشعب واي سخط وصار الناس يتحدثون بالهجوم على المجلس لاحراقه وهدمه

ولكن دي ففراس لم يلبث ان عاد وخرج من باب المجلس في الساعة التاسعة مساء وامامه

المشاعل تنير طوبق المركبة · فهتف خمسون الف شخص كانوا في انتظاره هتافاً طبق السماء

وما زالوا به حتى اوصلوه الى ساحة الاعتصاب حيث كانت المشنقة منصوبة · وكان الزحام حولها شديداً

وحين وصول دي ففراس الى المشنقة التفت فابصر امامه البارون دي زانون (كاليوستر و) فاشار اليه مسلماً فتقدم منه احد الرجلين اللذين زاراه في سجنه لنزع ملابسه وهمس في اذنه اتريد الفرار الآن فان ذلك لا يزال في الامكان

فاشار دي ففراس برأسه اشارة سلبية

وحينئذٍ جاءه الجلاد واصعده الى المشنقة

فلما ارتقى الدرجة الاولى التفت الى الناس الذين كانوا حوله وقال · ايها السادة انني اموت بريئاً فصلوا من اجلي

ثم صعد درجة ثانية وقال مثل ذلك القول · وصعد درجة ثالثة وهي الاخيرة وقال مثله ايضاً · ولكن قبل ان يسحب الجلاد باب الفوهة الذي تحت قدميه تقدم منه الرجل الذي مرّ ذكره وهمس في اذنه قائلاً · اقبل نصيحتي وارضَ بالفرار · فاجاب ذلك الرجل النبيل · كلا كلا

وحينئذٍ سُحب الباب من تحت قدميه فسقط دي ففراس معلقاً من عنقه بين الارض والسماء وراح شهيد شهامته ونبله

وكان بازاء المشنقة فتى واقف ينتظر نهاية هذه الحادثة الاليمة بصبر فارغ فلما تدلى جسم ففراس وقضي الامر اسرع الى مركبة كانت هناك وسار بها كالبرق الخاطف الى قصر « مونسيو » شقيق الملك

وكان مونسيو ينتظره بصبر فارغ وقد آلى على نفسه ان لا يجلس الى مائدة الطعام قبل ان يسكن خاطره بشان ففراس لانه كان يخشي ان تبدر منه بادرة او ان يضعف او يخور عزمه فيقول عن مونسيو شريكه في المؤامرة ما لا يجب ان يقوله · فلما راى فتاه ورسوله عائداً ساله ماذا قال · فاجاب الفتى لم يقل شيئاً ياسيدي بل مات كالابطال هادئاً ساكتاً

فبدت حينئذ لوائح السرور على وجه مونسيو وقال فلننهض الى الطعام اذاً ولنشرب نخبه من خمر « الثبات »

ثم جلسوا يا كلون و يضحكون و يتحادثون كانه لم يكن شيء مما كان .... وهكذا الكبار يا كلون الحصرم والصغار يضرسون

الفصل التاسع

﴿ اسد ولبوة ﴾

(بهذه القبلة نجت الملكية)

و بعد انقضاء بضعة ايام على هذا الحادث الاليم كان و يبر خادم الملكة الخاص يدخل على الملكة رجلاً عظيم الهامة مهيب المنظر ولكن فيه لوناً يدل على ضعفه ومرضه . وكان هذا الرجل هو الخطيب ميرابو . وكانت هذه اول مرة يقابل فيها الملكة ماري انطوانت

فلما وصل و يبر الى باب غرفة الملكة فتح الباب وقال : المسيو دي ميرابو . ثم تنحى عن الباب ليمر الزائر

ولو لم يتنحَّ و يبر عن الباب لسمع ضربات قلب ميرابو في صدره الواسع لان قلبه مع جرأته المشهورة كان في تلك الساعة يختلج خفقاناً شديداً

ولما سمعت الملكة اعلان قدوم ميرابو نهضت مسرعة وخطت نحو الباب وقلبها يخفق ايضاً لشدة تاثرها من هذه المقابلة الاولى

وكانت هذه المقابلة سرية ولم يعرف بها احد حتى رجال البلاط و بطانته

فدخل ميرابو على الملكة وخطا بعض خطوات في الغرفة ثم وقف وانحنى باحترام مسلماً

فبادرته الملكة بالكلام قائلة بصوت يشف عن تاثرها وانفعالها . لقد قالوا لنا يا مسيو دي ميرابو انك تروم الانحياز الينا

فانحنى ميرابو دلالة على رضاه . فاردفت الملكة بقولها . وانك توصلاً لذلك تطلب تغيير الوزارة

فانحنى ميرابو مرة اخرى

فقالت الملكة ولكن من سوء الحظ لم يتم ذلك وليس الذنب علينا

فقال ميرابو حينئذ . انني اصدق هذا الكلام ياسيدتي ولا سيما لانه من جلالتك . واعلم ان الذنب في ذلك ذنب الذين يزعمون انهم مخلصون للملكية

فقالت الملكة . ماذا نعمل ايها الكونت فان الملوك لا يستطيعون اختيار اصدقائهم

واعوانهم على ما يشاؤن كما انهم لا يستطيعون اختيار اعدائهم . وكم من مرة اثار علينا اعواننا واصدقاؤنا احزاناً ومشاكل كثيرة . ومن سوء حظنا ان الذين يهاجموننا من اصحاب العقول الكبيرة والذين يدافعون عنا لا يعرفون كيف يدافعون

قالت ذلك وقد ظهرت في وجهها لوائح الحزن الشديد ورفعت منديلها الى عينيها اخفاء لدمعها

ولا نعلم اذا كان ذلك تاثيراً حقيقياً او تمثيلاً اظهرت فيه الملكة حزنها لاستمالة ميرابو ومهما يكن من الامر فان ميرابو تاثر لهذا الحزن لا سيما وانه اعتبره بمثابة اعتراف له ورأى فيه اشارة اليه فقال

هل تريدين اياي ياسيدتي بقولك عن المهاجمين . فانني انا ما فتئت ادافع عن حقوق الملكية منذ صباي . وقد جئت الآن اقترح عليكم انقاذ الملكية مع معرفتي ان ذلك قد يكون امراً فات وقته ومضى اوانه ولكن ذلك لا يهمني ولو دفنت تحت انقاضها . ومع ذلك فان سياسة البلاط مع المجمع الوطني سياسة خرقاء لا بد من تغييرها . فان المجمع قرر الكف عن دفع رواتب للامراء المهاجرين والملك لا يزال يدفع لهم مبالغ طائلة . وقد سأل المجمع جلالته غير مرة عن ٦٠ مليون فرنك فائدة فرفض الجواب . وذلك مما اضطر المجمع الى نشر « الدفتر الاحمر » الذي اخطأت الملكية في تسليمه اليه لانه يمس شرف اصدقائها وانصارها

فقالت الملكة ولو كنت ايها الكونت بجانب الملك اما كنت اشرت عليه بتلك الامور التي يشيرون بها عليه ويلطخون بها اسمه ويضعضعون سلطته

فاجاب ميرابو . لو كنت بجانب الملك يامولاتي لكنت لديه المدافع الشديد عن الحرية المقيدة بسلطة الملك وعن سلطة الملكية المقيدة بالدستور . وليس للحرية التي هي اساس حقوق الملك وحقوق الشعب من اعداء سوى « الاكليروس والنبلاء والبرلمان » اما الاكليروس فلم تبق له سلطة في هذا العصر . واما النبلاء فلا غنى عنهم ولذلك يجب الاهتمام بهم واستخدامهم كما يجب الضرب على ايديهم . وهذا امر لا يتم الا اذا اتحدت الملكية مع الشعب . والملكية لا تتحد بالشعب ما دام البرلمان بينهما . فالواجب اذاً هدم البرلمان وافناء قوى الاكليروس واضعاف سلطة النبلاء ليتم اتحاد الملكية بالشعب . هذه هي سياستي فاذا كان الملك يوافق عليها فانا اخدم جلالته والا فليرفضها

فقالت الملكة لا اعلم اذا كانت هذه السياسة سياسة الملك ولكني اقول لك منذ الآن

انها سياستي انا . ولو كان الامر اليَّ لما حدتُ عنها . ولذلك ارجو منك ايها الكونت ان تطلعني على الطرق التي توصلنا اليها

فنظر ميرابو في عيني ماري انطوانت ليرى اذا كانت صادقة فيما تقول او انها تُظهر غير ما تُبطن . فوجد انها اذا لم تكن مقتنعة بذلك فهي مستعدة للاقتناع به . فراقه هذا الفوز على تلك المراة العظيمة المتكبرة فقال وهو يكتم سروره

ان الطريقة يامولاتي واحدة فاننا قد خسرنا باريز تقريباً ولم يبقَ لنا امل في غير المقاطعات ويسرني ان اقول ان الاكثرية في المقاطعات لنا لان اهلها لا يزالون يحبون الملك والملكية . فليبرح الملك باريز ولكن لا الى خارج فرنسا بل الى روين مثلاً ويقيم في وسط الشعب والجيش هناك . ومن هناك يصدر اوامر اصلاحية متتالية فيستميل جميع الناس اليه انصار الثورة واعداءها فيصبح حبيباً الى الفريقين في آن واحد

فقالت الملكة ولكن الا تخيفك الثورة ورجالها ايها الكونت

فاجاب ميرابو لا اجهل ياسيدتي ان من الواجب ان نترك في هذا العراك كثيراً من الحقوق القديمة ولكنني ارى اننا اذا جارينا رجال الاصلاح قدرنا على غل ايدي رجال الثورة والخراب وشتان بين الفريقين . الا يرضيك ويرضي الملك مثلاً ان تكون ملكيتكم شبيهة بالملكية الانكليزية المقيدة

فقالت ماري انطوانت كيف لا يرضينا ذلك

فقال ميرابو فليساعدني الملك ولتشجعني الملكة وانا انشىء في فرنسا هذه الملكية الثابتة الوطيدة ولو كان في ذلك موتي

فقالت الملكة ثق ايها الكونت بودادي ومساعدتي واسعَ فنحن معك

ثم ابتسمت له ابتسام الوداع

ولكن ميرابو عند هذا الابتسام لم يسلم ولم يخرج بل بقي واقفاً بازائها وقفة الاسد الغضنفر كانه لم يكتفِ بهذا الوداع . ثم قال

— مولاتي ان امك العظيمة ماري تريزه كانت اذا قابلت احداً من رعيتها وارادت توديعه مدّت اليه يدها ليقبلها

قال ذلك ولبث ينتظر

فنظرت الملكة حينئذ الى ميرابو الى ذلك الاسد الذي لم يكفه انه صار مقيداً بل اصبح يروم التمرغ تحت قدميها . ثم مدت اليه يدها وهي تخفي ابتسام الفوز والانتصار الذي

ظهر بين شفتيها

فانحنى حينئذ ميرابو وتناول تلك اليد البيضاء الباردة كالجبسين والشفافة مثله وقبلها باحترام وقال

— بهذه القبلة يامولاتي قد نجت الملكية

ثم خرج هذا الرجل العظيم وهو يعتقد بانه سينقذ الملكية

الفصل العاشر

﴿ خيانة المسيو دي ميرابو ﴾

(للجدران اعين وآذان)

قال ميرابو للملكـة هذه الكلمة « بهذه القبلة يامولاتي قد نجت الملكية » وذلك دون ان يحسب حساب الايدي والاعين السرية

فانه في صباح اليوم التالي الذي جرت فيه هذه المقابلة هبّ اهل باريز من نومهم على صراخ باعة الجرائد وهم يصيحون على كراريس في ايديهم : خيانة المسيو دي ميرابو . خيانة المسيو دي ميرابو

وكان ميرابو قد صحا من نومه في ذلك النهار مرتاح النفس مستريح الجسم واخذ يعمل الفكرة في انجاز وعده للملكـة . فلما نزل من منزله سمع رجلاً يصرخ ذلك الصراخ « خيانة المسيو دي ميرابو . خيانة المسيو دي ميرابو » فاستوقفه ميرابو ومدّ يده الى جيبه ثم قال « بكم تبيع خيانة المسيو دي ميرابو ياصاحبي » فاجاب الرجل اعطيها مجاناً يا حضرة الكونت لانه يوجد مائة الف كراس منها

فتناول ميرابو في الحالـــ كراساً منها وفتحه ليرى ما فيه . ولكنه لم يقع نظره على الصفحة الاولى حتى اضطرب واصفر لونه

ذلك انه وجد في هذه الصفحة تفاصيل ديونه كلهـا والطرق التي وفاها بها البلاط وتاريخ وفائها

ويلي ذلك ذكر الراتب الذي صار يدفعه البلاط اليه في كل شهر وقدره — ستة الاف فرنك

ويليه تفاصيل مقابلته مع الملكة بالامس وما قالته له وما قاله لها

فارتاع ميرابو لتلك الاعين السرية الهائلة التي وراء حجب الخفاء تنظر حتى في اعماق القلوب والسرائر . و بينما كان يقرأ هذا الكراس و يقلب صفحاته واذا برجل قد وضع يده على يده فالتفت ميرابو فابصر الدكتور جيلبار ينظر اليه . فقال له الدكتور وقد وجد في وجهه لوائح الاضطراب والانزعاج . اتراك قد نقدت صبغتك الفلسفية حتى تضطرب لكلام كهذا الكلام

فقال ميرابو

انت لا تعرفني ايها الدكتور . فانا لم اضطرب لانهم قالوا انني بعت نفسي للملك ولكن لانني انظر الى المستقبل فارى ان هذا الكراس صخرة هائلة وضعوها في طريقي لتمنعني من انجاز وعدي . فخوفي اذاً انما هو من عدم مقدرتي على انجاز الوعد الذي وعدته لا من قولهم انني ارتشيت . ومع ذلك فانه كان يجب عليهم ان يقولوا ان المال الذى اخذته انما اخذته اجرة لي لا رشوة . والذي يخيفني ايضاً في هذا الكراس معرفتي بحصول خيانة غير منتظرة وهي اطلاع الحزب الذي سنقاومه على ما جرى بيني و بين الملكة . ولا اكتمك انني لما قابلت الملكة خطر لي ان اكون معها كما كان مازارين اي عشيق ملكة لا كما كان ريشيليو اي وزير ملك . ولو تمّ لي ذلك لكانت فوائده كبيرة لسياسة فرنسا واوربا معاً . ولكن هل تعلم ما صنعته الملكة بعد خروجي من لدنها . لقد كتبت كتاباً الى عاملها في المانيا تقول فيه ابلغ اخي الامبراطور ليو بولد انني استخدم المسيو دي ميرابو دون ان تكون بيني و بينه علائق جدية

فقال الدكتور جيلبار وهل انت متحقق هذا الامر

فقال ميرابو تحققته من انني وقفت على نفس الكتاب الذي ارسل . وفضلاً عن ذلك هل تعلم بماذا يبحثون اليوم في المجمع الوطني

فقال جيلبار اظنهم سيتباحثون في موضوع الحرب

فقال ميرابو

نعم سيتباحثون في موضوع الحرب . فان النمسا و روسيا وانكلترا و بروسيا اتحدن على فرنسا لخنق جرثومة الثورة فيها . وليس بالمستغرب ان تطلب النمسا وروسيا هذا الطلب فانهما من اعداء الحرية ولكنه مستغرب من انكلترا ذات المبادئ الحرة وبروسيا صاحبة المبادئ الفلسفية . وقد نسيت هذه الدول ان ثورتنا ليست ثورة فرنسوية ولكنها ثورة بشرية سيستفيد بها البشر اجمع . وكيف السبيل الى اطفاء نور تطلبه الدنيا باسرها . فلما

ثار البلجيكيون اتفقت انكلترا والمانيا على ان تكون بلجيكا للثانيـة ثم ذهبت انكلترا تحتك بحليفتنا اسبانيا في اقصى بلاد العالم . فمذ بلغ هذا الاحتكاك الى الملك امر بتسليح ١٤ سفينة حربية واخبر المجمع الوطني بهذا الامر . وهذه هي نقطة الخلاف . فان بعض اعضاء المجمع يقولون ان اعلان الحرب من حق المجمع والملك يقول ان هذا الحق من حقوقه دون سواه . ومعلوم لديك ان وزارة الداخلية ووزارة العدلية قد خرجتا من يد الملك فاذا خرجت الحرب من يده ايضاً فماذا يبقى له . ومن جهة اخرى ان المجمع لا يثق بالملك ولذلك يروم نزع السيف من يده لان الثورة لم تكمل بعد ويُخشى عليها من ذلك السيف الذي هو سلاح هائل ضدها

اما انا فمع هذا! وهذا ساسعى لانجاز وعدي . وساقتحم الاعضاء كلهم واطلب للملك حق اعلان الحرب ولو فقدت اسمي وخاطرت بحياتي . وقد قلتَ لي منذ حين انني مستاء من هذا الكراس . كلا ايها الدكتور انني راضٍ عنه لانه يمكنني من اظهار نفسي والمناضلة جهراً لا سراً لانني بعد ما شاهدته من ضروب التستر والمؤامرات والكتمان القبيح صرت اطلب الحرب والقتال والاخذ والعطاء على مرأى ومسمع من جميع الناس . وكما ان الصواعق محتاجة الى غيوم كثيفة وزوابع شديدة لتظهر منها وتنشأ عنها كذلك انا محتاج الى هياج واضطراب وخصام لاصرخ الصوت الاعلى واكشف الغطاء . فتعالَ اليوم ايها الدكتور واحضر جلستنا فانها ستكون جلسة هائلة

وفي الحقيقة ان جلسة المجمع الوطني في ذلك اليوم كانت جلسة هائلة . فان ميرابو ما وصل الى باب المجمع حتى وجد الشعب حول البناء يزحم بعضه بعضاً وكلهم يصرخون في وجهه « يا خائن ياخائن » فرفع ميرابو كتفيه دلالة على عدم مبالاته بكلامهم ثم دخل الى المجمع

ولكنه ما وضع قدمه في قاعة المجمع حتى صرخ نحو مائة رجل من الاعضاء « هذا هو . هذا هو الخائن . هذا هو المرتشي »

وكان الخطيب بارناف في منبر المجمع يخطب ضد ميرابو . فلما دخل ميرابو الى القاعة شخص اليه وحدق فيه . فصاح به بارناف

نعم عنك اتكلم ايها الخائن

فاجابه ميرابو : تتكلم عني . فامضِ اذا في كلامك . اما انا فاني ذاهب لاتنزه ساعة في التويلري ثم اعود بعد فراغك من الخطابة واجاوبك

قال ميرابو هذا الكلام ثم خرج من القاعة شامخ الجبين وفي عينيه برق القوة والعناد ولكن اصوات التهديد والشتائم تبعته الى بعيد

وهكذا صار بارناف يخطب وميرابو يتنزه

ولما وصل ميرابو الى حديقة التويلري وجد حلقة معقودة حول سيدة فاقترب منها واخذ كرسيًا وجلس

فلما ابصره الجالسون نهض بعضهم وفروا منه · اما المراة فمدت يدها اليه فهزها ميرابو وقال مازحًا الا تخشين انتِ ياحضرة البارونة من انتقال جراثيم الطاعون مني اليك

وكانت هذه المراة مدام دي ستايل الكاتبة المشهورة

فاجابته : يقال ايها الكونت انك صرتَ من حزبنا · ولذلك فاني اجذبك بيدي الينا

فابتسم ميرابو لهذا الكلام وبعد ثلاثة ارباع الساعة قال للبارونة · انني لما دخلت المجمع منذ حين كان بارناف يخطب منذ ساعة وقد مضت على خروجي من المجمع ثلاثة ارباع الساعة فلا ريب انه يكاد يفرغ من خطابه · ولذلك استاذنك في الذهاب لاردَّ عليه

فاجابته البارونة اذهب ايها الكونت وتشجع

وكانت البارونة تحمل بيدها غصنًا من الآس وهي تداعب اوراقه بشفتيها · فقال لها ميرابو · اعطني ايتها البارونة قضيب الآس فانه يكون طلسماً مشجعًا لي

فاجابته البارونة ولكن احذر الآس ايها الكونت فانه يُتخذ كعلامة للحزن

فاجاب ميرابو · لا بأس اعطني اياه فانه يجدر تكليل الشهداء حتى باكاليل الحزن قبل نزولهم الى ساحة النضال

ثم تناول قضيب الآس من يدها وسلم بلطف وانصرف عائدًا الى قاعة المجمع

ولما دخل الى القاعة كان بارناف قد اتم خطابه ونزل عن المنبر والاعضاء هائجون مائجون يصفقون له تصفيقًا عظيمًا · الا انهم لما ابصروا ميرابو داخلاً تحول استحسانهم الى تقبيح فاخذوا يصرخون ملء افواههم ويصخبون ويضجون · فقصد ميرابو المنبر ثابت القلب رابط الجاش ووقف فيه فازداد صراخهم واشتدت جلبتهم لانهم كانوا يرومون منعه من الكلام · ولكن ميرابو اغتنم فرصة شيء من الهدوء حصل في المجمع كالهدوء الذي يحصل عادة بين الزوبعة والزوبعة وقال بصوت جهوري

— ما كنت اجهل ان المسافة بين الكابيتول وبين صخرة تاربايينه قريبة جدًا (١)

---

(١) هذا الموقف اعظم مواقف ميرابو · والكابيتول اسم قلعة وهيكل روماني قائم

فنعلت هذه الكلمة في نفوس الاعضاء فعل السحر . فسكتوا واصغوا وكان ذلك مقدمة للانتصار

فما اعظم المواهب الكبيرة التي تتصرف في الناس تصرف الدفة بالسفينة

ولما سمع الاعضاء ميرابو تدفق الخطيب في كلامه تدفق السيل . فكان البحر مائجاً والليث هائجاً . ثم اقترح على المجمع ان يقرر وجوب تخويل الملك حق اعلان الحرب . فرفض المجمع هذا الاقتراح فاشتبك الجدال حينئذ بين الاعضاء وقد صعد ميرابو الى المنبر خمس مرات و بلغت المدة التي تكلم فيها ثلاث ساعات . وما زال يهاجم و يدافع و يبرم و ينقض حتى قرر المجمع قرارًا هذا فحواه :

« ان للملك « حق الاستعداد للحرب » و « حق ادارة » القوات الحربية كما يشاء . وعليه ان يعرض على المجمع وجوب اعلان الحرب والمجمع لا يقرر شيئاً من غير « موافقة » الملك »

افليس ذلك بمثابة تخويل الملك حق اعلان الحرب

وماذا كان صنع ميرابو بالمجمع لو لم يُنشر ذلك الكراس الذي فضح امره

ولما خرج ميرابو من الجلسة قابله الشعب بصراخ السخط وكادوا يقطعونه اربًا اربًا . اما بارناف فانهم حملوه على اكتافهم وطافوا به يهتفون له . فمسكين انت يابارناف لا تسكر بخمر الفوز فسياتيك يوم يصيحون فيه ايضاً « خيانة المسيو بارناف »

الفصل الحادي عشر

﴿ اكسير الحياة ﴾

وكان مثل الخطيب ميرابو في الجلسة التي تقدم ذكرها مَثل المرشال دي ساكس في واقعة فونتنوى . فانه اقام طول النهار فوق متن جواده وهو رابط الجاش والقوة ظاهرة في

على اكمة كابيتولين في رومه وهي احدى الآكام السبع التي بُنيت عليها رومة . وكان قدماء الرومانيين يكللون في هذا الهيكل الابطال الذين يخدمون الوطن خدمة جليلة . و بجانب الكابيتول صخرة يسمونها صخرة تاربايينه كانوا يقذفون منها الذين يخونون الوطن عقاباً لهم . وقد اراد ميرابو بهذه العبارة ان العظمة قد تكون قريبة من الضعة بدليل ان الشعب يضع اليوم الرجل الذي كان يعظمه امس

وجهه مع ما كان ينتابه من المرض والالم والتعب · ولكن لما هزم جيشه الجيش الانكليزي واطلق آخر مدفع دلالة على انتهاء القتال سقط خائر القوى ضعيف العزم في نفس ساحة القتال التي اخذها من الانكليز واجلاهم عنها

وكذلك حدث لميرابو · فانه كان في المجمع الوطني قويًا هائلاً كأنه في عنفوان الشباب · ولكنه لما انتصر على المجمع وجعله يقرر القرار الذي تقدم عاد الى منزله خائر العزم ضعيف القوى كان قوته كلها قد نفدت في ذلك العراك الذي حدث

ولما دخل منزله القى بنفسه على الارض فوق المساند في وسط الازهار

ذلك ان ميرابو كان مولعًا بامرين · بالازهار و بالنساء · ولقد كان اصيب في هذا العام باعتلال شديد لان ما لقيه من الاضطهاد والسجن بسبب حوادث شبابه اثر في بنيته تاثيرًا سيئًا · هذا فضلاً عن انه كان جبارًا لا يرفق بصحته ولا يعبأ بها · واذا كان الانسان شابًا وكل ما في جسمه من الاعضاء نشيطًا قويًا فانه يحتمل هذا الاهمال وكلما ضغط على نفسه واستزادها قوة زادته منها · ولكنه متى بلغ الكهولة صارت تلك الاعضاء غير قادرة على احتمال شدة ضغط الدماغ فتعجز عن مجاراته

وكان ميرابو قد بلغ هذا الدور من عمره

و بينما كان ينقلب على المساند تقلب الافعى من شدة الضعف والالم قرع جرس منزله ثم دخل الدكتور جيلبار

فلما رآه ميرابو مدّ يده وجذبه اليه من غير ان يتكلم لشدة ضعفه · فجلس الدكتور بجانبه وقال · اني اهنئك بفوزك ايها الكونت فانك انتصرت انتصارًا باهرًا

فاجاب ميرابو · نعم ولكني اذا انتصرت انتصارًا آخر كهذا الانتصار فقدت الحياة بسببه

فنظر جيلبار الى ميرابو وقال نعم اني اراك مريضًا

فقال ميرابو

ولو كان غيري مكاني لمات منذ زمن بعيد · آه ايها الدكتور لا تعطني دواء لشفائي بل اعطني دواء ليجعلني اقوى على المعيشة مدة ايضًا

فاخذ جيلبار يد ميرابو وجس نبضه ثم قال · ماذا اقول لك أأشير عليك بالراحة مع معرفتي ان نفسك مطبوعة على الحركة · ام اشير عليك بطرح هذه الازهار التي تسمم هواء غرفتك في الليل مع ما اعرفه من حبك لها وعدم استغنائك عنها · لا اقدر ان اشير عليك

بذلك لانك لا تعمل به · فعش ايها الكونت كما تحب وتشاء ولكن اجعل حولك ازهارًا بلا رائحة ونساء بلا حب

فقال ميرابو

دكتور دكتور احيني فانك تحيي بذلك عالمًا كبيرًا · اني لا اعرف عذابًا تحت قبة السماء اشد من عذاب الانسان اذا كان يحسُّ بان في نفسه قوة قادرة على رفع شان مملكة وهو عاجز عن انفاذ تلك القوة · احيني لا من اجلي فقط بل من اجل الملكية ايضًا

ثم ان ميرابو قبض بقبضته القوية على جلد معدته وضغط عليه من الالم

فقال له الدكتور وهل تتألم

فاجاب ميرابو اتألم المًا شديدًا لا يحتمل · وقد يخطر لي احيانًا انهم يسممونني بالفعل كما يسممون صيتي بالقول · فهل تعتقد بسم بورجيا ايها الدكتور

فقال جيلبار كلا ولكني اعتقد بذلك السيال المتقد الذي يفجر الاناء الذي يوضع فيه ·

وقد اشار جيلبار بهذا القول الى نفس ميرابو الدائمة الالتهاب والى زجاجة صغيرة تناولها من جيبه

ثم قال لميرابو · فلنجرب يا كونت تاثير هذا الدواء فيك

فقال ميرابو وما هذا الدواء

فقال جيلبار ان احد اصدقائي الذي اود ان يكون صديقًا لك ايضًا قد ارشدني الى شراب غريب الفعل فيما يختص بضعف الجسم · ولقد جربته مرة في نفسي فعجبت من تاثيره فهل ترضى بتجربته فيك

فقال ميرابو هات هات ايها الدكتور فكل شيء مقبول من يدك

فقال الدكتور ادعُ اذًا خادمك ليحضر لنا شيئًا من الكحول لتخفيفه به

فقال ميرابو وما هذا الدواء الذي يخفف بالكحول · لا ريب انه لهيب نار

ثم دعا خادمه فجاء بشيء من الكحول في ملعقة صغيرة فوضع فيها الدكتور شيئًا من الزجاجة التي في يده بقدر الكحول الذي فيها ثم حركها فامتزجت المادتان وصار لونهما كلون الابسنت · ثم ناولها الى ميرابو · فاخذها ميرابو وصبها في فمه دفعة واحدة

ولكن لم يلمس هذا الشراب مرىء ميرابو حتى اضطربت له كل اعضاء جسمه فصاح بالدكتور · لقد احسنت ايها الدكتور بتنبيهي الى قوته لانني اشعر كأنني ابتلعت

صاعقة بفمي

ثم احنى ميرابو راسه على صدره ولبث هنيهة مغمض العينين محني الراس على هذا الوجه

ولكنه بعد برهة رفع راسه بغتة وتنفس الصعداء بارتياح عظيم وقال . آه ياد كتور انك رددت الحياة الي

فقال جيلبار وهل شعرت بتحسن في صحتك

فقال ميرابو . لم اشعر بتحسن في صحتي فقط بل شعرت ان قواي كلها قد عادت الي. آه انني احس الآن بانني اصبحت ولا احد يقدر علي. واذا سقطت الملكية الآن على راسي فانني قادر على رفعها ومنع سقوطها . فكيف السبيل للحصول على هذا الدواء الذي اسميه اكسير الحياة

فقال الدكتور عدني انك لا تشرب من هذا الدواء الا مرتين في كل اسبوع وانا ادفع اليك هذه الزجاجة

فقال ميرابو اعدك بما تريد فهاتها

فالقى جيلبار الزجاجة اليه فاخذها ميرابو مسرورًا بها

فقال له الدكتور وماذا عزمت ان تفعل بعد اليوم

فقال ميرابو عزمت ان استاجر منزلاً كبيرًا في ضواحي باريز واعيش فيه واقتني الخيل والمركبات لان الراتب الذي اتناوله اليوم من البلاط يمكنني من ذلك

فقال جيلبار انك تحسن صنعاً بمعيشتك في الخلاء لان ذلك مفيد لصحتك ولكن يجب ان تحسن اختيار منزلك

فقال ميرابو اتذهب معي اليوم الى ضواحي باريز لتشاهد المنزل الذي عزم خادمي على استئجاره فانك كطبيبي مسؤول عن ذلك

فاجاب جيلبار ان صحة عزيزة كصحتك توجب علي كل شيء نافع لها ولذلك فانني اذهب معك

وفي ذلك المساء ذهب ميرابو وجيلبار الى ارجانتيل في ضواحي باريز لمشاهدة القصر الذي عزم ميرابو على استئجاره

الفصل الثاني عشر

﴿ عود الى اصحابنا القدماء ﴾

بما اننا تركنا في الفصل السابق ميرابو وجيلبار قاصدين الخلاء فلنعد نحن ايضاً بالقارىء الى الخلاء حيث مزرعة الاب بيلو على سبيل الاستراحة من عناء التفكير في الامور السياسية لنرى ماذا جرى لكاترين وحبيبها ايزيدور و بيتو و بيلو

وقد تقدم الكلام ان بيلو استاذن الدكتور جيلبار في العودة الى مزرعته فاذن له على شرط ان يحضر الى باريز متى مست الحاجة الى صوته الجهوري وقبضته القوية وان عودته هذه كانت بناء على ما بلغه من بيتو عن اختلال شؤون مزرعته

ولما وصل الاب بيلو الى هذه المزرعة ترجل عن جواده ورام الدخول اليها فلقي في وجهه رجلاً يمنعه من الدخول وهو الدكتور رينال طبيب تلك الناحيـة . فاستغرب بيلو هذا المنع فابلغه الدكتور ان ابنته كاترين مصابة بحمى دماغية افقدتهـا الرشد منذ بضعة ايام فلا يجب والحالة هذه الدخول عليها خوفاً من ازعاجها

فطار صواب بيلو لانه كان يحب ابنته حباً يقرب من العبادة وسال الدكتور بلهجة الاب الخائف على حياة ابنته . أفي مرضها خطر ايها الدكتور

فاجاب الدكتور كل مرض فيه خطر اذا لم يعالج المعالجة الواجبـة . فدعني اعالج ابنتك كما اريد وعلى الله شفاؤها

فقال بيلو كمن يسترحم استرحاماً ولكن الا تسمح لي برؤيتها دقيقة واحدة

فقال الدكتور اسمح لك برؤيتها وتقبيلهـا على شرط ان تعدني انك لا تعود تدخل عليها ثلاثة ايام متوالية

فرضي بيلو بهذا الامر ودخل على كاترين . فرآها ممددة على فراشها ولا حراك بهـا وعلى راسها عصابات مبلولة بماء الثلج . فدنا منها بيلو بحنو وقبلها في وجنتيهـا . وكانت كاترين شديدة الهذيان فاخذت تحكي في ذهولها وقد ذكرت اسم بيتو وايزيدور في كلامها

فلما سمع الاب بيلو اسم ازيدور دي شارني تحول حنوه الى جد ومرت فوق جبينه غيمة كثيفة فعاد من الغرفة متغيراً

وكان بيلو يتبعه وقد شاهد آثار الغيمة التي بدت في جبينه

اما الدكتور رينال فحين خروج بيلوامسك بيتو وطلب منه ان يكون على استعداد لياتيه حينما يدعوه

فاستغرب بيتو هذا الكلام واخذ يسأل نفسه ماذا يريد الدكتور مني

وكان سبب دعوة الدكتور لبيتو ان الدكتور كان يسمع كاترين تنادي في ذهولها بيتو وايزيدور . وكانت تلفظ الاسم الثاني بحنو اشد من الحنو الذي كانت تلفظ به اسم الاول . فاستنتج الدكتور من ذلك ان الثاني حبيب والاول صديق

وفضلاً عن ذلك فان الدكتور رينال كان من سكان تلك النواحي وقد سمع ليلة هجوم الشعب على فرساليا بمقتل جورج دي شارني في القصر وبسفر اخيه ايزيدور دي شارني في اليوم التالي من تلك النواحي الى باريز وبوجود المدموازل كاترين مغمى عليها على الطريق قريباً من مزرعة ابيها . ولما دُعي الدكتور لمعالجتها وسمع اسم ايزيدور من فمها لم يبقَ لديه شك في حبها لايزيدور دي شارني . وبما ان بيتو عائد من باريز فلا بد ان يكون واقفاً على اخبار ايزيدور . فاذا اطلع كاترين على شيء منها وسكن بالها من جهة حبيبها فان ذلك خير دواء لدائها

ولذلك سأل بيتو ان يستعد لمواجهته

وبعد برهة نادى الدكتور رينال بيتو فدخل بيتو الى غرفة المريضة فقال له الدكتور ان يمسك يد كاترين لفصدها لان الحمى كانت قد اشتدت عليها . ولما فصد الدكتور مريضته وبرز دمها وابصر بيتو ذلك الدم الذي لو طُلب منه ان يبذل حياته في سبيله لما قعد عن ذلك طار لبه وخار عزمه فترك يد كاترين في يد الممرضة والقى نفسه على مقعد هناك

وبعد الفصد تحسنت صحة كاترين وانتظم نبضها وتنازلت حرارتها فاخذ الدكتور بيتو وخرج من الغرفة وابلغ ابا كاترين وامها انه سائر ببيتو الى فيلله كوتريه ليبعث معه بدواء مسكن

وبعد ساعة عاد بيتو وهو يضرب اخماساً لاسداس لما دار بينه وبين الدكتور رينال من الحديث المختص بايزيدور . وقد علّم الدكتور بيتو كيف يعامل كاترين

ولما عاد بيتو الى غرفة المريضة كانت لاتزال مستغرقة في ذهولها الشديد ولكنها بعد هنيهة تململت وفتحت عينيها فوقع نظرها على بيتو فحسبت ان ما تراه رؤيا لاحقيقة فاغمضت عينيها ولكنها عادت وفتحتها بعد برهة . فلما ابصرها بيتو نهض اليها وقال وهو يمد ذراعيه . مدموازيل كاترين

فابتسمت له كاترين وقالت هذا انت يامسيو بيتو ؟ ثم التفتت الفتاة فابصرت الممرضة في الغرفة فالقت رأسها على وسادتها

فعلم بيتو ان كاترين تريد الكلام ولكنها لا تقدر عليه في حضور الممرضة فذهب الى المراة وسالها ان تستريح فيسهر هو على المريضة فسرت الممرضة بذلك وذهبت الى مقعد هناك ورقدت عليه رقاداً عميقاً

اما بيتو فمذ تحقق نوم الممرضة دنا من كاترين وقال : كنت اعلم انك تحبينه يامدموازيل كاترين ولكنني كنت اجهل انك تحبينه الى هذا الحد

فلما سمعت كاترين هذا الكلام اثرت فيها مكارم اخلاق بيتو ففتحت له خبايا قلبها وقالت آه يامسيو بيتو ليتك تعلم مقدار تعاستي

فقال بيتو انني وان كنت يامدموازل كاترين لا يروقني الكلام عن المسيو ايزيدور الا انني استطيع ابلاغك شيئاً عن اخباره اذا شئتِ

فقالت كاترين . انتَ ؟

فقال بيتو نعم يامدموازل كاترين

فقالت كاترين وهل رايته

فقال بيتو لم أره وانما رآه المسيو سيباستيين فور في طريقه الى باريز

ثم قصَّ عليها بيتو قصة ايزيدور وسيباستيين وابلغها خبر سفر ايزيدور في مهمة خاصة الى اسبانيا او ايطاليا

فاطرقت الفتاة هنيهة ثم تنهدت وقالت لا ريب انه سيصلني غداً كتاب منه

فاجفل بيتو وقال يصلك كتاب منه يامدموازل كاترين . ولكني اخشى ان يقع هذا الكتاب في يد ابيك

فقالت كاترين واين ابي ليقع الكتاب في يده

فقال بيتو ابوك في المزرعة وقد قدم اليوم اليها

فزاد اصفرار كاترين وقالت بحدة . بيتو بيتو اذا وقع الكتاب في يدي ابي فانه يقتلني لا محالة

فقال بيتو وقد زاد قلقه فما العمل اذاً

فقالت كاترين اذهب الى موزعة البوسطة في فيلله كوتريه وقل لها ان تضع لك الكتاب الذي يرد باسمي في احد حوانيت البلدة فتاخذه منها

فقال بيتو ساذهب حين شروق الصباح

فقالت كم الساعة الآن · فقال الساعة الخامسة · فقالت اسرع اسرع ولا تضع الوقت فقال بيتو ولكن يجب ان نسقيك الدواء يامدموازل كاترين · فقالت الفتاة اسرع وعد لي بالكتاب فانه يكون خير دواء لي

فخرج بيتو من الغرفة ليذهب في تلك الساعة الى فيلله كوتريه ·ولكنه وجد في خروجه الاب بيلو امامه · فساله بيلو بصوت جهوري الى اين يابيتو · فقال مضطرباً الى فيلله كوتريه· فقال بيلو وماذا تصنع فيها · فسكت بيتو ثم قال·· اني ذاهب لمقابلة الطبيب·· فقال ولماذا · قال لانه طلب مني ان اخبره عن صحة مدموازل كاترين في الصباح ·وها قد طلع الصباح · فقال بيلو اذهب وعد سريعاً

ولكن الغضب كان ظاهراً في هيئة الاب بيلو وصوته

فذهب بيتو واخبر الدكتور رينال عن صحة كاترين ثم قابل موزعة البريد واخذمنها كتاباً بعنوان « مدموازل كاترين بيلو » وعاد مسرعاً الى كاترين

وعند مروره بغرفتها تسلق الجدار واطلَّ من النافذة فابصر كاترين شاخصة فيها تنتظره فاخذ الكتاب وحذفه اليها فوقع في فراشها · فاشرق حينئذ وجه كاترين اما بيتو فانه عاد ودخل الى البيت من الباب · وبينما هو داخل وجد بيلو في وجهه فوقف بيتو وصار وجهه احمر كالدم من شدة اضطرابه

فقال له بيلو ما لك يابيتو فقال بيتو لاشيء يامسيو بيلو فقال له اني اراك مضطرباً فقال كلا يا مسيو بيلو فانني عدت بخير وسلامة · ثم انسلَّ ودخل الى غرفة كاترين

وكانت كاترين قد قرأت الكتاب واصابتها نوبة شديدة بعد تلاوته فصارت تهذي في نومها وتقول سردينيا ·· تورين ·· ايزيدور ·· بيتو ··

فلما دخل بيتو عليها قصت عليه الممرضة الخبر فدنا بيتو من كاترين ففتحت الفتاة بعد برهة عينيها · ولما صادفت عيناها عيني بيتو قالت له تقدم تقدم فدنا منها بيتو فسالته عن سردينيا وتورين واخبرته ان ايزيدور قال لها في كتابه انه سافر اليها · ثم طلبت من بيتو ان يهتم للرسائل التي ستصلها منه على التوالي · فقال بيتو فكيف العمل · قالت يجب عليك ان تنتقل من المزرعة وتعود الى هرامونت ومن هناك تقصد في كل اسبوع دار البريد في فيلله كوتريه وتسال عن كتاب المدموازل كاترين · فقال بيتو وبعد ذلك · قالت بعد ذلك تخبىء الكتاب في المكان الذي وجدتني فيه مغمى عليَّ فاتناوله من هناك

وعلى ذلك تم الاتفاق بين كاترين و بيتو فخرج بيتو من المزرعة عائدًا الى هرمونت مسقط راسه ارضاءً لكاترين وخدمة لها طبقًا للقاعدة التي قضت بها الديانة المسيحية على الناس وهي انكار الذات لخدمة الغيرلان بيتو كما هو معلوم عند القارىء كان يحب كاترين

الفصل الثالث عشر

﴿ احتفال قروي ﴾

وكان بيتو في اعلى منزلة في هرامونت مسقط راسه . ولما سافر منها على حين بغتة قال السكان انه سافر بناءً على امر من لافاييت و بعضهم قال انه سافر بناءً على امر من الملك نفسه

وكان الحرس الوطني في هرامونت لا يزال يذكر قائده بيتو و يتنسم اخباره و يترقب عودته

فلما عاد بيتو كانت عودته عيدًا عامًا في القرية . وقد ذكرنا ان الدكتور جيلبار كان قد منحه خمسة وعشرين ذهبًا ليسلح بها حرس هرامونت و يبتاع لهم ملابس عسكرية ففي يوم وصول بيتو الى هرامونت زاره ضابطا الفرقة فسالهما بيتو ان يبلغا الجنود بوجوب الاستعداد للتمرين والاستعراض بعد بضعة ايام

ولما حان يوم الاستعراض استعرضهم بيتو و بعد الاستعراض اخبرهم بوجوب الذهاب الى خياط القرية ليلبسوا عنده الملابس العسكرية الجديدة التي تبرع عليهم بها لافاييت بامر من الملك

فكان لهذا الامر دوي شديد في تلك القرية وما جاورها

وكان رجال الحكومة يستعدون في يوم الاحد التالي لاقامة احتفال عمومي في فيلله كوتريه فبنى رجال الحكومة مذبحًا جميلاً في فيلله كوتريه زينوه احسن زينة وسموه « مذبح الوطن » ودعوا الاب فورتيه الذي تقدم ذكره غيرة مرة الى اقامة القداس فيه

ذلك ان كل احتفال من احتفالات فرنسا القديمة كان لاغنى عن القداديس فيه

وفي يوم الاحد التالي المعين لذلك الاحتفال قُرعت الاجراس منذ الساعة الخامسة صباحًا ودقت الطبول فنهض اهل فيلله كوتريه وضواحيها استعدادًا لذلك الاحتفال العظيم . وكانت جنود النواحي قد دُعيت الى الاشتراك في هذا الاحتفال وقد خُصَّت جنود هرامونت بالمقام الاول امام المذبح لان شهرتها كانت قد طبقت الضواحي . ولما

اشرقت الشمس توافد الناس من كل جانب الى فيلله كوتريه لحضور الاحتفال وقدم حرس دراموت بملابسهم الجديدة الجميلة يتقدمهم بيتو على جواد ابيض كلافاييت وكأنه لافاييت فزحم السكان تلك الفرقة الباسلة من كل جانب واخذوا يهتفون لها حتى اوصلوها الى المذبح فوقفت هناك ووقف قائدها في مقدمتها

ولما استقر المكان بيتو مدّ بصره الى حوله فابصر قريباً منه امرأة تطيل النظر اليه فتاملها فوجد انها عمته انجليك التي كان له معها شأن في مقدمة الرواية . فرفع بيتو راسه وقال بهيئة العظمة « بونجور مدام انجليك » وقد قصد بيتو بهذا القول الانتقام منها لان عمته عازبة كما يعلم القراء . فمدت العمة حينئذٍ ذراعيها الى السماء وقالت « يا له من شقي فان المجد قد افقده صوابه » ثم اردفت ذلك بقولها بعد برهة « لا ريب انني اخطأت في اسائتي معاملته فان العمات ترثن اولاد الاخ .... »

وقد سمع بيتو قولها الاول والثاني ولكنه اظهر انه لم يسمع شيئاً

وفي هذه الاثناء لاحظ بيتو ان سيدة من بين الجمع تشير بمنديلها اليه . فامعن النظر فيها فوجد انها مدموازل كاترين

وكانت كاترين قد نهضت من فراشها لشفائها من دائها وهي صفراء اللون ولكن صفرتها زادتها جمالاً على جمال

فاسرع بيتو فاغمد حسامه الذي كان بيده ثم تناول قبعته عن راسه احتراماً وبادر اليها

ولو كان يسير لمقابلة لافاييت حينئذ لما رفع قبعته عن راسه بل كان اكتفى بان يمسكها من طرفها

ولما بلغ بيتو الى كاترين مدت اليه الفتاة يدها باسمة وقالت . ما احسن منظرك يامسيو بيتو تحت هذا الثوب العسكري ثم ضغطت على يده وقالت بصوت منخفض اشكرك اشكرك فانني اخذت الكتاب الذي وضعته في نقر الشجرة . وليتك تعلم مقدار حبي لك

اما بيتو فشعر عند هذا الكلام بان الارض تميد به فحاول الكلام ولكنه لم يقدر عليه . وبينما هو في هذه الحيرة الشديدة واذا به يرى جمهوراً غفيراً من الناس قادماً بضجة وغوغاء نحو المذبح فعاد الى نفسه وحينئذ جذب يده من يد كاترين واسرع الى جنوده ووقف في مقدمتهم استعداداً لما عساه ان يطرأ

اما سبب قدوم هذا الجمع الغفير بهذه الحركة والضوضاء فبيانه في ما يلي

الفصل الرابع عشر

﴿ الاكليروس والثورة ﴾

وكان السبب في تلك الحركة والغوغاء ان الاب فورتيه ابى الحضور لاقامة قداس على « مذبح الوطن وقد كادت تمر ساعة القداس ولم يحضر . فلما علم الشعب بذلك تجمهر حول منزل الاب فورتيه ثم حضر شيخ القرية بنفسه لرفع رجائه الى الراهب لعله يلين لالتماسه

اما الاب فورتيه فانه كان مصرًّا على الامتناع وقد امر باقفال ابواب الكنيسة ليمنع رجال الحكومة من اخذ الاواني المقدسة الى « مذبح الوطن » لاقامة القداس فيه اذا تسنى لهم وجود كاهن غيره

فلما درى الشعب بهذا الامر ازداد غيظاً وسخطاً

وحين وصول شيخ القرية الى باب منزل الاب فورتيه كان الاب يقفل بابه في وجوه الحاضرين ويصيح بهم

— اذهبوا يا كفار . اذهبوا يا اشقياء لا تدنسوا بابي وتقتربوا منه

فقال له شيخ القرية وقد كان يخاف غضبه . ولكن ما يمنعك ياحضرة الاب من الذهاب معنا للصلاة بيننا

فصاح الاب بغضب . انا اذهب واصلي لكم . معاذ الله ان اصنع ذلك . فان عملي يكون بمثابة موافقة على التمرد والعصيان . ومباركة للكفر . وتقديس لنكران الجميل

فقنط شيخ القرية من ذهاب الراهب معه فقال له . لك رايك يا جناب الاب وانت حرٌّ فيما تريد ان تصنع

فقال الاب فورتيه متهكماً . اصحيح انني حرٌّ . حقاً انك كريم يامسيو لونيره

ثم ان الراهب دفع الباب بشدة في وجه شيخ القرية والحاضرين

ولكن الباب لم يندفع ويكاد يغلق حتى هجم من الحاضرين رجل شديد القبضة ودفعه دفعاً شديداً الى الداخل فانفتح بعنف وشدة وكاد يُسقط الاب فورتيه على الارض

وكان هذا الرجل صاحبنا بيلو الذي نعرفه

اما الشعب فانه شعر في الحال بان امرًا عظيماً سيحدث بين هذين الرجلين . واما بيلو فانه وقف في الباب بين الاب فورتيه والجمهور وهو كانه الجبل الراسخ في مكانه . ثم

التفت الى شيخ القرية . وقال . ماذا قلت يا حضرة الشيخ . اعد ما قلته على مسمعي . هل تقول ان حضرة الراهب حرٌّ في ان يذهب معنا لاقامة الصلاة او لا يذهب هل تقول هذا

فقال الشيخ متلعثماً وماذا اقول اذاً اذا رفض الذهاب

فصاح حينئذ الاب فورتيه مخاطباً بيلو . ابعد يا كافر ابعد ياملعون . انصرف من وجهي . وهم باقفال الباب

فنظر اليه بيلو بعينيه الشديدتين ثم قال برزانة وجدّ . لا تهني بكلامك يا حضرة الراهب والا فانك لا تعلم الامر الذي تدفعني اهانتك اليه . ولكن باحثني لاباحثك . هل لك ان ترفض الصلاة التي يدعوك اليها الناس . انت تقول انك مطلق في رفضها وانا اقول انك مقيد بقبولها . فان الذي يعيش من الامة هو خادم لها . والخادم يجب عليه ان يقوم بخدمته لان كل صاحب اجرة يجب عليه ان يقوم بالعمل الذي يستوفي اجرته

فارغى الاب فورتيه وازبد حين سماعه هذا الكلام . اما الشعب الواقف فانه تحمس لكلام بيلو وصار يصيح بالراهب صياح السخط والغضب . فنظر الاب فورتيه الى بيلو بعين ملئها الغيظ وقال . ولكن الا تعلم ان الكنيسة مستقلة وليس للبشر سلطان عليها

فقال بيلو . لو كنت انكليزياً او المانياً او ايطالياً ايها الاب فورتيه لجاز لك هذا القول . ولكنك تقول انك فرنسوي ماجور من الامة لتصلي لها فيجب عليك والحالة هذه ان تقوم بمهمتك

قال ذلك ثم مدّ يديه القويتين الى الاب فورتيه واختطفه من مكانه كانه عصفور ودفعه الى الخارج . فانكسرت حدة الاب فورتيه عند ذلك . وقال . تريدون تعذيبي كما تعذب الشهداء فانا راض بهذا العذاب . فقال له بيلو لا عذاب ولا شهداء وانما ناخذك بالرغم عنك الى مذبح الوطن لتصلي لنا وتستنزل نعم السماء علينا

وحينئذ زحم الشعب الاب فورتيه من كل جانب واخذوا يدفعونه امامهم قاصدين المكان الذي اقيم فيه مذبح الوطن . وهذا هو الجمهور الذي شاهده بيتو بينما كان يخاطب المدموازل كاترين

ولما وصل هذا الجمع الى مذبح الوطن كان بيتو واقفاً في مقدمة جنوده وهو مستعد لحفظ الامن وقمع الفتنة اذا طرأ طارئ . كما كان يحدث في باريز . ولكن ما اشد ما كانت دهشته حينما ابصر الاب فورتيه معلمه القديم ماشياً بغضب امام بيلو وجماهير الشعب التي كانت

تدفعه من ورائه . فتحركت في الحال عوامل الحنو في قلب التلميذ على معلمه فخطا بيتو من مكانه خطوتين وهو يقول ما هذا ايها الاب بيلو . وكذلك صنعت مدموازل كاترين التي كانت واقفة امام المذبح . اما الاب بيلو فانه اوقف الاثنين بنظرة واحدة وتقدم بالاب فورتيه الى درج المذبح وقال . « هذا هو مذبح الوطن الذي دعوناك الى الصلاة عليه ورفضت . وبناء عليه فانني اعلن الآن عدم استحقاقك لصعود درجاته ... لان الذي يستحق صعود درجاته يجب ان تكون في نفسه ثلاث عواطف : حب الحرية . وحب الوطن . وحب الانسانية . فيا ايها الكاهن . اذا كنت تحب ان يكسر العالم قيوده . اذا كنت مخلصاً لوطنك . اذا كنت تحب البشر اكثر من نفسك ... فاصعد بجزاءة الى هذا المذبح واسأل الله لنا . ولكن اذا كنت لست افضل رجل بيننا فدع مقامك للافضل واذهب في سبيلك ...

فصاح الاب فورتيه حينئذ سحقاً لك ما اشقاك و ياليتك تعرف الذين تناصبهم العدوان الآن

فاجاب بيلو بحماسة . بل اعرف الذين شهرت عليهم الحرب الآن . اني شهرت الحرب على الذئاب والثعالب والافاعي وكل ذي ناب ... وهذا لحمي ودمي فلتنهشني فانني لا اعبأ بها لانها لا تقدر عليَّ

فصفق الجمهور لهذه الحماسة واما الاب فورتيه فانه عاد من حيث اتى ممتلئ الصدر حقداً وغضباً

ولكن لم تخمد ثورة الاضطراب حتى بدا القلق في وجوه الحاضرين فانهم كانوا مستعدين لحضور القداس قياماً بالاحتفال . وكيف يتم الاحتفال بلا قداس

فوقف بيلو بينهم وقال . لماذا تشكون من ذهاب الكاهن فاننا نضع احتفالاً مكان احتفال . وبدلاً من القداس الذي كنا عزمنا عليه اني اتلو عليكم الآن صورة « حقوق الانسان » التي قررها المجمع الوطني في هذا العام فانها قانون الحرية وانجيل المستقبل

فصفق الحاضرون وارتاحوا الى ذلك فصعد حينئذ بيلو الى اعلى درج المذبح ووقف شيخ القرية عن يمينه والقائد بيتو عن شماله . الاول يمثل القوة القانونية والثاني القوة العسكرية . ومن هناك اخذ بيلو يتلو على الشعب بصوته الجهوري صورة حقوق الانسان التي كان قد حفظها

وهذه الحقوق السامية التي يجب ان يطأطا امامها راس كل انسان هي اساس الثورة وحجر زاويتها وهذا نصها

الفصل الخامس عشر

﴿ اعلان حقوق الانسان ﴾

المادة الاولى

يولد الناس و يعيشون احرارًا متساوين في الحقوق . ولا يمتاز بعضهم عن بعض الا فيما يختص بالمصلحة العمومية (اي ان نفع الجمهور هو قاعدة الامتياز)

المادة الثانية

غرض كل اجتماع سياسي حفظ الحقوق الطبيعية التي للانسان والتي لا يجوز مسها . وهذه الحقوق هي : حق الملك وحق الامن وحق مقاومة الظلم والاستبداد

المادة الثالثة

الامة هي مصدر كل سلطة . وكل سلطة للافراد او لجمهور من الناس لاتكون صادرة عنها تكون سلطة فاسدة

المادة الرابعة

كل الناس احرار والحرية هي اباحة كل عمل لا يضر احدًا . وبناء عليه لا حدّ لحقوق الانسان الواحد غير حقوق الانسان الثاني . ووضع هذه الحدود منوط بالقانون دون سواه

المادة الخامسة

ليس للقانون حق في ان يحرّم شيئًا الا متى كان فيه ضرر للهيئة الاجتماعية . وكل ما لا يحرمه القانون يكون مباحًا فلا يجوز ان يُرغم الانسان به

المادة السادسة

ان القانون هو عبارة عن ارادة الجمهور . فلكل واحد من الجمهور ان يشترك في وضعه سواء كان ذلك الاشتراك بنفسه او بواسطة نائب عنه . ويجب ان يكون هذا القانون واحدًا للجميع . اي ان الجميع متساوون لديه . ولكل واحد منهم الحق في الوظائف والرتب بحسب استعداده ومقدرته ولا يجوز ان يُفضل رجل على رجل في هذا الصدد الا بفضيلته ومعارفه

المادة السابعة

لا يجوز القاء الشبهة على رجل ايًا كان ولا القبض عليه ولا سجنه الا في المسائل التي

ينص عليها القانون و بموجب الطرق التي يذكرها · وكل من يغري اولي الامر بعمل جائر او كل موظف يعمل عملاً جائرًا لا ينص عليه القانون يعاقب لا محالة · واذا تمرد استحق العقاب

المادة الثامنة

لا يجوز ان يعاقب القانون الا العقاب اللازم الضروري · ولا يجوز ان يُعاقب احد الا بموجب نظام مسنون قبل الجرم ومعمول به قانونيًا قبله

المادة التاسعة

كل رجل يُحسب بريئًا الى ان يثبت ذنبه · واذا مست الحاجة الى القبض عليه فيجب ان يقبض عليه بلا شدة الا متى دعت الحاجة الى ذلك · وكل شدة غير ضرورية يعاقب صاحبها

المادة العاشرة

لا يجوز التعرض لاحد لما يبديه من الافكار حتى في المسائل الدينية على شرط ان تكون هذه الافكار غير مخلة بالامن العام

المادة الحادية عشرة

ان حرية نشر الافكار والآراء حق من حقوق كل انسان · فلكل انسان ان يتكلم و يكتب و ينشر اراءه بحرية · ولكن عليه عهدة ما يكتبه في المسائل التي ينص القانون عليها

المادة الثانية عشرة

ان السهر على حقوق الناس يستوجب انشاء قوة عمومية اي هيئة حاكمة · فهذه الهيئة تنشأُ اذًا لمنفعة الجميع

المادة الثالثة عشرة

بما ان الهيئة الحاكمة تحتاج الى نفقات لادارة الشؤون فيجب وضع ضريبة عمومية على جميع الوطنيين · اما مقدار هذه الضريبة فيجب ان يكون مناسبًا لحالة الذين يدفعونها

المادة الرابعة عشرة

لكل الوطنيين الحق في ان يراقبوا اموال الضريبة سواء كانت المراقبة بانفسهم او بواسطة نوابهم · ولهم ايضًا البحث عن الوجوه التي تنفق فيها وتعيين مدة جبايتها

المادة الخامسة عشرة

للهيئة الحاكمة والمحكومة الحق في ان تسأل كل موظف عمومي عن ادارته واعماله وان تناقشه الحساب فيها

المادة السادسة عشرة

كل هيئة لا تكون فيها حقوق الافراد مضمونة ضمانة فعلية بواسطة السلطة العمومية ولا تكون فيها السلطة التشريعية (اي البرلمان) والسلطة التنفيذية (اي الحكومة) منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً تاماً تكون هيئة غير دستورية

المادة السابعة عشرة

بما ان حق الامتلاك من الحقوق المقدسة التي لا تُنقض فلا يجوز نزع الملكية من احد الا اذا اقتضت المصلحة العمومية ذلك اقتضاء صريحاً وفي هذه الحالة يُعطى الذي تُنزع منه ملكيته تعويضاً كافياً »

وكان بيلو يتلو عليهم هذه البنود والناس مصغون اليه كأنّ على رؤوسهم الطير . ولما اتى على آخر كلمة منها اردفها بقوله

« والآن اسمعوا ايها الاخوة ما قرره المجمع الوطني ذيلاً لهذه المواد . وهو « ان المجمع الوطني رغبة في انشاء دستور فرنسوي قد قرر الغاء جميع النظامات القديمة التي تخدش الحرية والمساواة والحقوق . وبناء عليه لم يبقَ في الهيئة الاجتماعية امتياز ولا رتب ولا وسامات بل كل الناس متساوون فيما بينهم » ثم ان بيلو رفع قبضته وصاح ملء فمه — فلتحيَ الامة

فلما سمع الشعب المجتمع هذا النداء خرجت منه اصوات تحكي قصف الرعد في الغمام . فصاحوا جميعاً فلتحيَ الامة فلتحيَ الامة . ذلك ان الانسان انتبه في جلود هولاء البشر بعد ان رقد فيها ستة قرون قضاها في العبودية والظلم والاستبداد . ذلك ان كل فرد من الافراد الحاضرين شعر بعد كلام بيلو انه صار حرّاً مستقلاً مساوياً في الحقوق والواجبات لكل واحد من بني الانسان . فتعانق الحاضرون وتصافحوا واخذوا ينشدون نشيداً كانت تعزف به الموسيقى حينئذ وهو النشيد الذي يتلى في ساعة الزواج والعماد ومطلعه « اي مكان اهنأ للانسان من وسط عائلته » وفي الحقيقة ان البشر صاروا يرون انفسهم يومئذ عائلة واحدة لا تفصلهم تخوم ولا تقوم بينهم جبال ولا تقسمهم مطامع واوهام

وقد سرى هذا الهياج من ساحة الاحتفال الى اطراف القرية وما جاورها فاشترك فيه

الاهالي بابتهاج وارتياح . وقد اخرجوا افضل خمورهم واحسن خبزهم وجبنهم و بسطوا الموائد في الابواب والشوارع يأكلون طربين مسرورين احتفالاً بعيد الحرية العظيم

اما بيلو و بيتو وكاترين فجلسوا الى احدى تلك الموائد ياكلون . وكان بيتو قد جعل مجلسه بازاء مجلس كاترين وكان مسروراً جداً . اما كاترين فان سرورها قد تبدل غماً بعد ما سمعته في خطبة ابيها . ذلك ان ايزيدور هو من النبلاء الذين الغيت امتيازاتهم فكانت ترى في ذلك الالغاء ظلماً له ولطبقته . ومما كان يزيد كراهتها لذلك افتكارها بان هذا الالغاء بدلاً من ان يساويها بازيدور يبعده عنها لاشتداد البغض بين طبقته وطبقتها

الفصل السادس عشر

﴿ تحت النافذة ﴾

اما بيتو فانه لم يلبث ان اصبح مشغول البال بامر آخر . فانه لما كان يتناول من البوسطه رسائل ايزيدور الى كاترين كان يجد عليها اولاً طابع تورين . وبعد اسبوع رأى عليها طابع ليون . و بعد يومين وجد عليها طابع باريز فتحقق ان ايزيدور خصمه العنيد قد عاد الى باريز . واذا كان ايزيدور قد عاد الى باريز فانه لا بدّ ان يأتي الى قصره في بورصون ليكون قريباً من كاترين

وكان بيتو قد رضي بان يكون وسيطاً بين كاترين وايزيدور انقاذاً للفتاة من مرضها لانه خشي عليها من الموت . ولكنه كان مع ذلك يؤمل ان يبقى ايزيدور بعيداً عنها . فانه قال في نفسه انني احب كاترين وكاترين تحب ايزيدور ولكنني انا قد فارقت كاترين دون ان امرض حتى الموت خلافاً لكاترين التي كادت تموت لفراق ايزيدور فهي اذاً تحبه اكثر من حبي لها بكثير . وبما انها تحبه الى هذا الحدّ وهو الآن بعيد عنها ولا يرجى ان يعود اليها فما ضرّني اذا برهنت لها على حبي بتخفيف شيء من عذابها ومساعدتها على الشفاء من مرضها

هكذا كان يقول بيتو في مرض كاترين . ولكن لما شفيت هذه الفتاة ورأى بيتو على غلاف رسالة ايزيدور طابع ادارة البوسطة في باريز وتحقق ان ايزيدور سيعود الى كاترين وتعود كاترين الى ايزيدور ثارت في نفسه عوامل الحب القديم والغيرة الشديدة .

وخشية من ان ياتي ايزيدور دون ان يدري به بيتو عزم على الذهاب الى غابات بورصون لصيد الارانب فيها ومراقبة حركات كاترين وسكناتها

وبينما كان متجهاً نحو هذه الغابة مرَّ بازاء مزرعة الاب بيلو فابصر في احدى النوافذ شخص كاترين وهي تمعن النظر في السهل امامها . فقال في نفسه لا ريب انها تنتظر قدومه . وقد لذعه هذا الفكر في نفسه لذعاً مؤلماً . غير انه دنا من المزرعة وسلم على كاترين فردت له التحية ببشاشة وسالته اين تذهب يامسيو بيتو . فاجاب اني ذاهب لاصطاد لك بعضاً من الارانب يامدموازل كاترين . فقالت كاترين اشكرك يامسيو بيتو على عنايتك انما ارجو منك ان تترك الذهاب مدة اسبوع الى البوسطة لافتقاد الرسائل فان ذلك لا يجدي نفعاً . فتحركت هنا اشجان بيتو فقال لها ولكني اخشى ياسيدتي من عاقبة هذا كله فانني ارى الاب بيلو متغيراً اما رأيتِ شيئاً من ذلك . فتنهدت كاترين وقالت بلى قد شاهدت شيئاً منه . فقال بيتو فانا اخشى على الذي كان السبب في هذا التغيير من ان يصيبه مكروه كما تعلمين . فاصفر وجه كاترين هنا وقالت لماذا تقول « الذي » ولا تقول « التي » . فصاح بيتو كيف ياسيدتي هل انت تخشين مكروهاً

ولكن ما كاد بيتو يتم سؤاله حتى قالت له كاترين اسكت فان ابي قادم . فالتفت بيتو فابصر بيلو قادماً الى المزرعة على جوادٍ ينهب الارض نهباً . ولما صار بيلو قريباً من النافذة تفرس في الشخص الواقف تحتها ليعرفه واذ عرفه صاح به ما جاء بك يابيتو . فقال بيتو جئت ايها الاب بيلو لامد حبائلي للارانب في الغابات القريبة . فقال له وهل تتغدى عندنا . فاجاب بيتو حباً وكرامة فدخل بيلو الى المزرعة ووراءه بيتو ليتغدى عنده



الفصل السابع عشر

﴿ البندقية لقتل الذئب ﴾

ولما جلسوا على مائدة الطعام التفت بيلو الى بيتو وقال ما عهدتك نهماً يا بيتو فلماذا تطلب الارانب في الغابات . فقال بيتو انما اطلبها لمدموازل كاترين ياسيدي لا لي . فقال بيلو وقد رفع راسه . لقد اصبت لانها صارت لاتأكل ولا تشرب انظر الى صحفتها

فالتفت بيتو فراى ان كاترين لم تتناول من صحفتها المملوءة باللحم سوى ملعقتين من المرق

اما كاترين فازدادت اصفراراً وقالت . لقد تناولت يا ابتِ كاساً من اللبن قبل قدومك وهذا هو السبب في عدم طلبي للطعام . فاجاب بيلو: انا لا اسأل عن السبب ولكنني اشير الى امر ثابت . ثم رفع راسه ونظر الى ساحة الدار وقال هذا صاحبنا كلويس. فقال بيتو واي شان له هنا . فقال بيلو اذا كنت تحب الصيد يا بيتو فانا احبه ايضاً

وحينئذ دخل الاب كلويس وفي يده بندقية بيلو المشهورة وقد اصلحها وصبَّ لها ثلاث عشرة رصاصة . وبينما كان قادماً بها الى المزرعة اطلق احدى رصاصاتها فقتل بها ارنباً وابقى الاثنتي عشرة رصاصة الى صاحبها ودفعها اليه . فتناولها بيلو وقال له كيف وجدت بندقيتي . فقال لم اجد بندقية مثلها ولكنك لم تقل لي لاي صيد تتخذها ألصيد الخنزير البري ام سواه فانني صببت الرصاصات صغيرة فهي لا تصلح لقتل الخنازير . فاجاب بيلو كلا انني لا اروم صيد الخنازير بها . فقال بيتو فماذا اذاً تروم ان تتصيد هل تطلب الارانب مثلي . فاجاب كلا . فقال اذاً تريد صيد الطيور . فاجاب بيلو وقد بدأ يعبس كلا . فقال بيتو فاذا كنت لا تروم صيد الخنازير ولا الارانب ولا الطيور فما عساك تروم ان تتصيد . فاجاب بيلو اروم صيد الذئاب

ولو نظر بيتو الى كاترين في هذه الساعة لرأى وجهها مصبوغاً بلون كلون الاموات . اما بيلو فانه استمر في حديثه فقال . في ضواحي المزرعة ذئب علمت بوجوده في العام الماضي ثم ذهب فحسبت انه لا يعود ولكن الرعاة ابلغوني في هذا الاسبوع انه عاد فاعددت هذه البندقية حتى اذا دنا من مزرعتي اصبته بها

وكان بيلو يتكلم وكاترين تزداد اضطراباً واصفراراً فلم يكد ابوها يتم كلامه حتى

نهضت بعنف تطلب الخروج من الغرفة مخافة ان يغمى عليها امام ابيها · فلما رآها بيلو وهي في تلك الحال ازداد تعبيساً · اما بيتو الذي لم يكن قد فهم شيئاً فانه قام وتبعها ليسالها ماذا اصابها · فلما خرجت كاترين من الغرفة وصارت في غرفة بازائها سقطت على الارض خائرة العزم وصارت تبكي وتقول — آه لقد عرف بقدومه وهو ينوي قتله

فلما سمع بيتو هذا الكلام استنار عقله بغتة وهمّ بالكلام واذا بصوت بيلو يناديه بغضب من باب الغرفة · بيتو بيتو · اي شغل لك هناك · اذا كنت حقيقةً قد جئت لصيد الارانب فعجل بالذهاب والاَّ مضى وقت الصيد · فاجاب بيتو المسكين· حقاً يا مسيو بيلو انني لم اجيء الا لصيد الارانب · فقال بيلو بصوته الجهوري · فماذا تنتظر اذاً · فعلم بيتو انه لا يجد جواباً لهذا السوَّال فقام وخرج من المزرعة قاصداً الحرش وهو تارة يسير وتارة يلتفت · اما كاترين فانها نهضت وسارت الى غرفتها واقفلت الباب وراءها · فلما سمع ابوها صوت اقفال الباب قال « اقفليه اقفليه ايتها التعيسة فانني لا انتظر الذئب من هذا المكان »

الفصل الثامن عشر

﴿ بيتو يكمن ﴾

اما بيتو فانه لما صار في الحرش كان يفتكر بكاترين وابيها لا بالارانب · فجلس تحت شجرة ومن هناك اخذ يراقب مزرعة الاب بيلو ويفتكر بالمصيبة القادمة

وكان المساء قد امسى والشمس اخذت تتوارى في الافق فازداد بيتو انتباهاً لنوافذ المزرعة وبابها

واول امر شاهده انفتاح باب المزرعة وخروج الاب كاويس منه · ثم بعد حين ظهر الاب بيلو في نافذة غرفته وفي يده بندقيته وهو يحشوها متانياً كما اوصاه الاب كاويس · وقد شاهد بيتو بيلو دون ان يكون لبيلو ان يشاهده لانه كان مختبئاً باشجار الغابة

وكانت نافذة الاب بيلو فوق نافذة كاترين وكانت كاترين قد فتحت نافذتها وجلست فيها تشرف على السهل والغابة ولكن بيلو لم يكن يستطيع ان يراها الا اذا مدت كاترين راسها من النافذة · وكانت نافذة كاترين في الطبقة السفلية وهي قريبة من الارض

وبعد حين غابت الشمس في كهف المغيب وهبَّ على الغابة نسيم المساء المنعش كانه

يودّع كوكب النهار . فازدادت كاترين تطلعاً الى السهل والتفاتاً الى جوانبه . فادرك بيتو في الحال انها تنتظر قادماً . فقال في نفسه من عسى ان يكون هذا القادم غير الفيكونت ايزيدور دي شارني . وفي الحال تمثل له ان الخطر صار قريباً . فان بيلو بعد ان حشا بندقيتـه بتأنٍ ردّ عارضتي النافذة الى الداخل وجلس وراءها يراقب الطريق حتى اذا جاء الخصم قتله برصاصة واحدة . فقال بيتو في نفسه ماذا يجب عليّ الآن ان اصنع . فحدثته نفسه ان ينهض ويسرع الى قصر ايزيدور دي شارني في بورصون ويوقفه على هذا الامر . ولكنه لم يلبث ان عدل عن هذا الفكر لان كاترين لم تعهد به اليه فضلاً عن انه لا يبعد اذا علم الفيكونت بالخطر ان يطلبه ويقتحمه دون ان يُبالي فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه

وبينما كان بيتو مفكرًا في هذه الامور وكله عينان شاخصتان بنافذة الاب بيلو وبنافذة كاترين كان الليل قد ارخى سدوله ودخلت الطبيعة في سبات الليل وراحة الظلام

ثم تكاثفت ستائر الليل وبعد حين راى بيتو من مكانه شبحاً يلوح في نافذة كاترين . وكان بيتو قد تعود النظر في الظلام لانه الف السير فيه لصيد الارانب في الاحراش فحدق جيداً في النافذة فابصر ان الشبح شبح شخص نازل منها لا شبح شخص صاعد اليها . فتحقق في الحال ان كاترين عزمت على الذهاب بنفسها الى بورصون لانذار ايزيدور بالخطر الذي يتهدد حياته اذا دنا من المزرعة . فخفق عند ذلك قلب بيتو خفقاناً شديداً . ومما زاد خفقانه انه علم ان كاترين اذا خطت خطوتين في الطريق فان بيلو الذي كان يراقب الطريق من وراء النافذة لا بدّ ان يراها

اما كاترين فانها لما صارت على الارض وقفت وترددت بين ان تسير في السهل في اقرب الطرق الى بورصون وبين ان تسير على موازاة جدران المزرعة وتعطف بعد ذلك على بورصون خوفاً من ان يراها احد منها . فسرّ بيتو لما شعر بانها افتكرت بالمسير على موازاة الجدران لان ذلك يخفيها عن عيني ابيها ولكنه لم يلبث ان رآها اخذت تسير محنية كمن يسترق الخطى في السهل امام المزرعة فهاله سيرها هذا لانه علم ما وراءه

ذلك ان كاترين لم تصر تجاه النافذة التي كان ابوها وراءها حتى انفتحت هذه النافذة بتأنٍ وبرز منها راس بيلو . فثار دم بيتو لانه علم ان بيلو قد راى شبحها . وبعد هنيهة انسحب الراس ولم تمضِ دقيقة على انسحابه حتى فُتح باب المزرعة وخرج منه بيلو وفي يده بندقيته . ولكنه بدلاً من ان يسير في اثر ابنته ثار في طريق اخرى اخصر من طريقها

وهي تؤدي الى منعطف الطريق المؤدية الى بورصون ليقطع الطريق على ابنته فيها

فعلم بيتو حينئذٍ انه يجب عليه ان لا يُضيع ثانية واحدة . فنهض كالبرق الخاطف واطلق ساقيه للريح ليلاقي كاترين قبل وصولها الى منعطف الطريق حيث يكمن لها ابوها و يوقفها على الخطر الذي امامها . فلم تمضِ عليه بضع دقائق راكضاً حتى قارب كاترين فكمن لها بين الاشجار لكي لا يذعرها

و بعد هنيهة وصلت كاترين الى مكمنه وهي تركض بقدم خفيفة وتلهث من التعب والخوف . فنهض بيتو من مكانه و برز لها قائلاً انا بيتو .وقد قصد بذلك، ان تعرفه حين بروزه لئلا يخيفها ظهوره على حين بغتة . ومع ذلك فان الفتاة خافت خوفاً شديداً حين رؤيتها شبحاً امامها وصرخت صوتاً خفيفاً . ثم انها لما عرفته قالت له

— هذا انت يامسيو بيتو

فاجاب بيتو ارجعي ارجعي يامدموازل كاترين فان اباك علم بخروجك فسار يطلبك

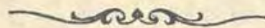
فقالت كاترين بصوت ملئه الياس والبكاء . ومن « يخبره » بما جرى فانني اخشى قدومه وهلاكه

فقال بيتو كوني مستريحة البال ياسيدتي فانني اكمن لايزيدور في هذه الجهات ومتى رايته قادماً الى المزرعة اطلعته على الامر . فعودي في الحال الى غرفتك

فمدت كاترين يدها الى بيتو وقالت له شكرًا شكرًا لك يا بيتو فانك تنقذ نفسين في آن واحد

فاجاب بيتو كل شيء هين في سبيلك يامدموازل كاترين لانني انا احبك ايضاً

ثم ان كاترين عادت ادراجها الى غرفتها فدخلت اليها من النافذة التي خرجت منها واغلقت النافذة وراءها . اما بيتو فانه قصد اشجارًا قديمة من الصفصاف كانت قائمة على مسافة عشرين خطوة من المزرعة وجلس في جوف احدها ينتظر في سكون ذلك الليل قدوم الفيكوت ايزيدور دي شارني ليحذره من الخطر الذي يتهدد حياته



الفصل التاسع عشر

﴿ انتظار الذئب ﴾

ولكن لم يستقر بيتو في جوف جذع الصفصافة القديمة حتى سمع وقع اقدام من جهة الحرش فاصغى جيداً فوجدها ثقيلة فعلم ان اقدام الشاب ايزيدور اخف منها . وبعد حين دنا القادم من جهة شجر الصفصاف فتبينه بيتو فاذا به الاب بيلو وبندقيته على كتفه وقد عاد من الحرش لانه لم يجد فيه احداً فحسب ان عينيه قد خدعتاه وان الشبح الذي رآه لم يكن شيئاً

غير ان بيتو لم يلبث ان تحقق ان بيلو يقصد شجر الصفصاف فخاف ان يكون قد قصد الاختباء بها ليكمن لايزيدور . وقد كان خوف بيتو في محله . ولذلك لم يدنُ بيلو من شجر الصفصاف حتى خرج بيتو متانياً من جوف الصفصافة وهبط الى حفرة كانت تحت جزع الشجرة وجلس فيها

وكانت الريح شديدة العصف فلم يسمع بيلو لبيتو حركة وكان بيلو يعرف تلك الاشجار فقصد اضخمها وهي التي كان بيتو جالساً في جذعها وجلس في نفس المكان الذي كان بيتو جالساً فيه وقد جعل بندقيته بين يديه

فبناء عليه اصبح بيلو في نقر جذع الشجرة فوق وبيتو في الحفرة التي تحت

غير ان بيتو كان يرى بيلو ولكن بيلو لم يكن يرى بيتو ولا درى بوجوده هناك

فاخذ بيتو يتامل في اسطوانة البندقية المفضضة التي كانت تسطع في جوف الليل ويدعو في نفسه ان لا يحضر ايزيدور لانه اذا حضر لم يقدر على انذاره بالخطر فيهلك لا محالة

وحينئذ تظن كاترين ان بيتو قد خانها وتعمد اهمال انذار ايزيدور وهذا الظنُ يدمي قلب بيتو الكريم ويقصف ظهره قصفاً

وبينما كان بيتو يفكر في مثل ذلك واذا به يسمع وقع حوافر خيل على الطريق الموصلة الى المزرعة فالتفت فوقه فوجد ان بيلو قد هيأ بندقيته وقد اخذ ينحني ويمد بصره الى الطريق ليتحقق القادم

وكان الجواد القادم ينهب الارض نهباً وقد اصاب حافره بلاطة في طريقه فثار منها الشرر لشدة الصدمة . وما زال به الفارس حتى وصل الى شجرة قريبة من المزرعة فترجل

عنه وربطه بها ثم اتجه نحو المزرعة

فاقعى حينئذ بيلو كما يقعي الليث قبل الوثوب ووجه فم بندقيته نحو الشخص ثم فتح القوس ليوري الزناد · فسمع بيتو صوت فتح القوس فوق راسه فاخذ يعض يده من اليأس ويشد شعره من الخوف على حياة ايزيدور · اما بيلو فانه لم يلبث ان اعاد البندقية عن كتفه لانه راى ان الشخص لا يزال بعيداً وخشي ان يخطئه فلا يصيبه

وكان ذلك الشخص وهو ايزيدور نفسه قد اخذ يدنو من نافذة كاترين · فلما توسط الطريق اليها سدد بيلو بندقيته اليه مرة ثانية وبيتو ناظر اليه من تحته وكانه على نار حامية · ولكن بيلو اعاد البندقية هذه المرة ايضاً لان المجال كان بعيداً ايضاً

وبعد حين وصل ايزيدور الى نافذة كاترين وصار المجال قريباً فسدد بيلو بندقيته اليه بغضب بالغ مبلغه · فقرع حينئذ ايزيدور على النافذة ثلاث مرات قرعاً معروفاً عند كاترين · فما اتم ايزيدور القرعة الثالثة حتى شد بيلو يده على القوس واطلق نار البندقية

فنظر بيتو من فوق راسه ان البندقية قد اطلقت · ولكنه لم يسمع من صوت الطلق سوى وقع الزناد يتلوه الشرر فتنفس الصعداء وعلم ان الطلق لم يخرج من البندقية

وكانت نافذة كاترين قد انفتحت وظهرت كاترين فيها تمد ذراعيها الى ايزيدور · فلما راى ايزيدور شرر النار في الصفصافة وسمع صوت قوس البندقية علم بما كان مخبوءاً فهم بالهجوم على الصفصافة لاقتحام نار صاحبها · ولكن كاترين تعلقت به وصاحت في اذنه · هذا ابي هذا ابي · فانجُ بنفسك · ثم انها اخذت تجذبه من النافذة الى الغرفة

وكان بيلو قد زاد البارود من ثقب البندقية من جهة القوس ليحدث الاتصال بينه وبين بارود الطلق · ثم انه سدد البندقية مرة ثانية ورام اطلاقها · ولكنه راى ان كاترين وايزيدور اصبحا في النافذة مختلطين تقريباً فخشي اذا اطلق على ايزيدور ان تُصاب كاترين · ولذلك اعاد بندقيته وهو يعض شفتيه من الحنق والغيظ

وكانت كاترين في اثناء ذلك قد جذبت ايزيدور الى داخل الغرفة · فلما راى بيلو ذلك نزل من مكانه وسار ركضاً الى الجانب الثاني من المزرعة

اما صاحبنا بيتو فلما راى ذلك علم ان بيلو يقصد الجانب الثاني ليكمن لايزيدور فيه لعلمه ان كاترين ستدعه يفر منه · فوثب في الحال من مكانه وثبة الظبي النافر واطلق ساقيه للريح · وما زال راكضاً حتى وصل الى نافذة كاترين · فوثب منها الى داخل الغرفة

فلم يجد فيها احداً فسار ركضاً الى الدار ومنها قصد جدار المزرعة الثاني فوجد ايزيدور يتسلق هذا الجدار وكاترين تودعه . فصاح به بيتو اسرع اسرع يامسيو ايزيدور ولا تضع الوقت . فوثب ايزيدور عن الجدار واختفى في الظلام

اما كاترين فانها كادت تسقط على الارض من شدة الخوف والتعب و بينما هي في هذه الحالة واذا بها تسمع صهيل جواد في الخارج فقالت هذا جواده . و بعد برهة سمعت صوت وقع حوافر الجواد على الطريق وهو يركض باشد قوته . فقالت لقد سار ونجا . ولكنها لم تفه بهذه الكلمة حتى دوى في الفضاء صوت طلق ناري وتلاه طلق آخر . فكادت كاترين تجن لعلمها ان اباها قد اطلق النار على ايزيدور

اما بيتو فهدأ روعها وقال لها اسمعي لنرى اذا كان الجواد قد وقف او ظل سائراً . واذ اصغيا سمعا وقع حوافر الجواد من بعيد فعلما ان فارسه قد نجا عليه . فتنفس كلاهما الصعداء . وقال بيتو . لا بدّ من نجاته فان اليد لا تصيب في الليل كما تصيب في النهار فضلاً عن انها لا بدّ ان ترتجف اذا كانت تطلق الموت على انسان

وكانت كاترين قد سقطت على الارض من الضعف فانحنى بيتو وهم بانهاضها وهو يقول هلمي ياسيدتي فان اباك لا بد ان ياتي

فرفعت الفتاة راسها وسالته . الى اين

فقال الى غرفتك

فقالت لا . لا اذهب الى غرفتي لانني اريد ان اقطع كل علاقة بيني و بين الرجل الذي رام قتل .... حبيبي

فقال بيتو ماذا تقولين

فقالت كاترين بغضب اقول انني اروم الآن الخروج من المزرعة فهل لديك مكان لاختبئ به يامسيو بيتو

فاجاب بيتو وهو يحك راسه نعم اخبئك اذا اردتِ ولكن ماذا يقول الاب بيلو . فقالت الفتاة بغضب ايضاً قلت لك اروم قطع كل علاقة لي بيني وبين الرجل الذي رام قتله ..

وكان الغضب يعمي رشدها و يثير في نفسها افكاراً غريبة تقرب من الجنون . وربما كان ذلك ناشئاً ايضاً عن خجلها من مشاهدة ابيها بعد ما جرى

ولما رات الفتاة ان بيتو متردد قالت له . ما لك لا تجيبني . انني الآن مغادرة هذا المكان فهل تتبعني ام لا . فقال بيتو كيف لا اتبعك يامدموازل كاترين . قالت فهلم

بنا اذاً ثم خرجت واياه . ولم يرهما احد في خروجهما ولم يعرف احد المكان الذي اختبأت به كاترين على يد بيتو الا الله وحده

الفصل العشرون

﴿ بعد الزوبعة ﴾

وفي صباح اليوم الثاني سكنت الزوبعة وهمدت الريح وبرزت الشمس من وراء الغيوم الكثيفة فقام عمال المزرعة الى اعمالهم كأن لم يكن شيء مما جرى . غير ان بعضهم قالوا وهم خارجون : ان الكلاب نبحت كثيرًا في هذا الليل وقد سُمع طلقان ناريان في منتصف الليل

هذا كل ما ظهر لعمال المزرعة من ذلك الاضطراب الشديد الذي حدث في المزرعة في تلك الليلة . واما بيلو فانه لم يرقد له جفن في ذلك الليل . ولما اشرق الفجر قام الى المكان الذي كان الجواد مربوطًا فيه فوجد خيطًا من الدماء ممدودًا من ذلك المكان الى مسافة بعيدة . فتنهد وثارت نفسه كلها لرؤيته دم ذلك الرجل الذي يعبث بشرفه . ثم عاد الى المزرعة ليرى ابنته ويناقشها الحساب على هذه الدنايا . فوقف امام غرفتها وصاح بغضب : كاترين . فلم يجبه احد . فصاح مرة اخرى : كاترين كاترين . فلم يجبه احد ايضًا . فارتاب بيلو حينئذ في ذهابها من المزرعة وللحال خمدت ثورة نفسه وتغير صوته من الخشونة الى الرقة . فنادى بصوت لطيف . كاترين كاترين . فلم يجبه احد ايضًا

فدخل حينئذ بقدم مرتجفة الى غرفة كاترين فوجدها خالية خاوية فاضطربت نفس هذا الرجل الذي لا تضطرب له نفس وكاد يبكي لو لم يكن مقدودًا من جلمد . فتجلد وخرج الى دار المزرعة وعلى وجهه علامات الغيظ واليأس . فوجد فيها زوجته مدام بيلو وكانت تجهل سبب غضبه فسالته متلطفة اين كاترين فانني لا اراها في هذا الصباح . فغص بيلو بريقه وكاد ينصدع صدره ولكنه تجلد ايضًا واجاب امراته بهدوء . ان كاترين سافرت لتبديل الهواء عند عمتها . فحزنت الام لفراق ابنتها ولا سيما لان فراقها كان فجائيًا وسالته . وهل تطول مدة اقامتها هناك . فاجاب بيلو بغضب لا اعلم . فسارت الام الى مطبخها وجلست تبكي على فراق ابنتها . اما بيلو فانه قصد المائدة لياكل فلم يقدر ان يبتلع لقمة واحدة فتناول زجاجة من نبيذ بورغونيا وافرغها في جوفه دفعة واحدة . ثم طلب

جواده فركبه وهام على وجهه في تلك السهول والاحراش لعله يتعزى عن فراق ابنتـه او يجد اثرًا لها

واما بيتو فان الصباح اصبح عليه وهو جالس في غرفته في قرية هرامونت ولكن بعضًا من سكان هذه القرية رابهم منه امر في تلك الليلة. فان بعضهم روى انه شاهده عائدًا الى القرية في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. وبعضهم روى انه كان في الساعة الثانية عند صخرة كاويس على مسافة ستة اميال من قرية هرامونت فشاهد هنالك بيتو سائرًا وهو يحمل امرأة بين يديه . ولذلك كان السكان في ذلك الصباح يتكلمون عن بيتو ويسالون عنه

وكان بيتو لم يذق الكرى في تلك الليلة ايضًا . وقد شاركه في هذا الامر الدكتور رينال الذي شهدناه يطبب كاترين . فانه ما انقضت ساعة بعد منتصف الليل حتى قُرع جرس منزله في فيلله كوتريه قرعًا شديدًا ففتح الباب فوجد خادم الفيكونت ايزيدور دي شارني يدعوه ان يسرع الى منزل الفيكونت وياخذ معه آلة الجراحة . وكان الخادم قد جاء بجواد للدكتور ليسرع عليه الى سيده . فركب الدكتور الجواد وسار عليه الى منزل شارني في بورصون فوجد الفيكونت مصابًا بجرحين واحد في جنبه وواحد في كتفه والاول اشد خطرًا من الثاني . فان رصاصة ابي كاترين كانت قد خرقت الجلد في الجنب وخرجت من مكان آخر دون ان تصيب عضوًا رئيسًا واما رصاصة الكتف فانها لحست الجلد لحسًا . فضمد الدكتور الجرحين وبشر المصاب بالسلامة . فمد يده ايزيدور وناوله ٢٥ ذهبًا وقال له خذ هذا المبلغ ايها الدكتور ولكن لا تتكلم عن جرحي لاحد . فاجابه هذا الدكتور الفاضل : ان اجرة زيارتي لا تتجاوز خمسة فرنكات فاذا رمت مني السكوت فلا تدفع لي اكثر منها

ثم مد الدكتور يده ولم ياخذ من تلك القيمة سوى خمسة فرنكات . ولكنه قال له انه سيعود الى زيارته مرتين افتقادًا لجرحيه

. . . .

واما بيلو فانه بعد ان جال قليلاً بين السهول والغابات نزل عن جواده وجلس تحت شجرة هناك واخذ يفتكر . وبماذا كان يفتكر ؟ كان يفتكر بالليلة البارحة وما حدث فيها من الاهوال

وكان هواء الغابة قد انعش نفسه فعاد اليه صوابه . فصار يقول في نفسه وهو جالس

يفتكر « ماتت كاترين ماتت كاترين . لقد اجترأتْ على الخروج من المزرعة ومفارقة البيت فانا اعتبر بعد الآن انها ماتت ولم يبقَ لها وجود . وكم كنتُ افضل ان تموت على ان تهين عيلتها ونفسها هذه الاهانة

لقد اخطأتُ في تركي المزرعة وانابتها منابي مدة غيابي في باريز فان ذلك اطلق لها عنان الحرية وجعلها في امن من كل مراقبة . ولكن كيف العمل فان امها غير قادرة على ادارة المزرعة مثلها . فياتعاسة منزل تكون فيه الام جاهلة بسيطة والابنة نبيهة طائشة

ولكن هل الذنب ذنب كاترين ام ذنب ذلك اللئيم ... لا لا .. الذنب ذنبهما كليهما .. لانهما كلاهما قد اشتركا في الشر . ولكن ذنبه افظع من ذنبها ولذلك رمت غسل ذنبه بدمائه ..

ثم اطرق بيلو هنيهة وجعل يفتكر ايضاً . فراى وهو يفتكر انه قد اخطأ في مطاردة ايزيدور لقتله .

هل ان ذلك الفتى منفرد بين الناس بالاعتداء على بنات الناس . كلا فان ابناء النبلاء لا همَّ لهم غير مطاردة بنات الشعب لاقتناصهن . واذا كان هؤلاء الابناء لايحبون بنات الشعب وآباؤهم لا يتزلفون الى الملك طلباً لماله اي مال الشعب ايضاً فماذا يصنعون واي عمل يعملون . فالشر الذي اصاب بيلو اذاً ناشئ عن طبقة باسرها لا عن رجل واحد . ثم ذكر بيلو الاحتفال باعلان حقوق الانسان ورفض الاب فورنيه الصلاة للشعب فاخذ يقول في نفسه وهو جالس تحت الشجرة في الحرش والريح تعبث بشعره وثيابه :

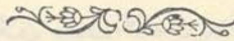
« هذا هو مفتاح الثورة التي قام الشعب اليها . وكانني قد ذقت الآن كل خلها . فان الملك يبتز الضرائب من الشعب لينفقها على حروبه وملاذه ومطامعه . والاكليروس يدجل على الشعب ليبقيه في الطاعة للملك . فكانه راعٍ يمسك البقرة جيداً ليتمكن حالبها من حلبها جيداً . وتحت الملك والاكليروس طبقة النبلاء وهولاء يشاركون الملك في الاموال التي يبتزها من الشعب وفي مقابلة ذلك يسكتون عنه ويساعدونه في اعماله . وابناء هولاء النبلاء ينصرفون الى اقتناص بنات الشعب غير حاسبين لله وللناس حساباً . وغير عابئين بشرف او نخوة او شهامة .

فالشعب اذاً هو الحجر الكبير القائم عليه بناء كل مملكة . الشعب هو البقرة الحلوب التي يتمتع بخيراتها الحكام والنبلاء والاكليروس دون ان يذكروا فضلها . فبدلاً من ان

نقتل فتيً غرّاً لانه تطاول على الاعراض يجب ان نهبّ هبة واحدة لتقييد الملك بالدستور وجعل نبلاءه وابناءهم خداماً للامة لا اسيادها . وايقاف الاكليروس عند حده حتى يترك التدجيل والخزعبلات ولا يعلم البشر الا الفضائل الدينيـة الحقيقية التي ترفع نفوس الشعب وترقي شؤونه

هكذا تكلم بيلو بعد ذلك الجرح الذي شطر قلبه . وقد راى ان هذه الافكار توجب عودته الى باريز للسعي والعمل فعزم على السفر اليهـا لينتقم لنفسه ولاخوانه ابنـاء الشعب عن ذلك الذل الذي تمكن نيره من عنق الشعب مدة قرون عديدة

فهل كـان بيلو مخطئاً ام مصيباً بهذه الافكار ؟ تلك مسالة جديرة بكل بحث واعتبار



الفصل الواحد والعشرون

﴿ يمين الامانة للدستور ﴾

(التحالف في ساحة مارس)

ذكرنا من قبل ما كان من اتحاد الولايات الفرنسوية بعد تحالفها ونزيد الآن ان شعوب اوربا رافها هذا الاتحاد والتحالف . وذلك ان اوربا نفسها كانت ولا تزال تشعر بانه سيجيء عليها يوم تكون فيه شعوبها كلها متحدة متحالفة كما كانت الامم اليونانية . ولكن متى يجيء هذا اليوم ؟ وفي اي قرن يكون ؟ الله اعلم

غير ان الولايات الفرنسوية لم تكن مكتفية بذلك التحالف النظري بل كانت تروم تحالفاً فعلياً ولذلك بعثت المدن الفرنسوية تطلب من باريز ان تكون على استعداد لقبول زيارة ابنائها احتفالاً بالاتحاد الفرنسوي . فلما درى بذلك الملك واعضاء المجمع الوطني اوجسوا خيفة منه . اما ميرابو فانه اقنع الملك بفائدته لان انصار الملكيـة في الولايات اكثر عدداً منهم في باريز

وبناء عليه تقرر ان يقام في ١٤ يوليو من عام ١٧٩٠ احتفال عظيم في ساحة مارس تأييداً لذلك التحالف

فلما بلغ هذا الامر الى الولايات قام سكانها على ساق وقدم وزحفوا الى باريز الوفاً الوفاً ومئات الوف . فكان منظرهم على الطريق في غاية البهجة . وقد ساروا من بلادهم الى باريز دون ان يحسبوا حساب اكلهم وشربهم اعتماداً على حسن ضيافة المدن التي ينزلون فيها . وفي الحقيقة ان سكان هذه المدن كانوا يهبونهم كل ما كانوا بحاجة اليه . ولما وصلوا الى باريز غصت العاصمة بهم فاهتمت الحكومة بتدبير اماكن يبيتون فيهـا واخذ الباريزيون يُنزلون اليهم من النوافذ والسطوح طعاماً وشراباً . فكأن فرنسا كلها زحفت يومئذ الى باريز لتحضر حفلة التحالف وتقسم يمين الامانة للدستور في حضرة السلطة الشرعية

وكانت تلك الجماهير في زحفها الى باريز تنشد نشيداً لطيفاً . وهذا النشيد لا علاقة له بالنشيد الدموي الذي صار الشعب ينشده في سنة ١٧٩٣ فانه في هذا العام كان ينشد

سنرى سنرى سنرى كل الاشراف على المصباح سنرى سنرى سنرى
شنق الاشراف بلا مرا

ولكنه اليوم كان ينشد

الشعب ينادي بهذا اليوم سنرى سنرى سنرى بحسب قواعد الانجيل
سنرى سنرى سنرى كل شيء يتم بقوة الشارعين فالذي يرفع نفسه يصبح وضيعاً
والذي يضع نفسه يصبح رفيعاً

وكان هذا النشيد اللطيف بمثابة صوت خارج يومئذ من جميع افواه الامة الفرنسوية ولما وصل هؤلاء السكان الى باريز كانت نفوسهم متقدة بنار الحب للدستور وللملك. فكانوا اذا قابلوا رئيس المجمع الوطني كشفوا رؤوسهم احتراماً وصاحوا «فلتحيَ الامة» واذا قابلوا الملك جثوا باحترام امامه وصاحوا «فليحيَ الملك والملكة»

ولكن الملك والملكة لم يفهما هذا الاحترام القلبي فاجابا عليه بفتور ولو احسنا استخدامه لاستفادا منه فوائد عظيمة. ومن اين لهما ان يفهماه ويحسنا استخدامه وهما لا فكر لهما غير الفرار من باريز

ولما اقترب يوم ١٤ يوليو ظهر ان العملة لايستطيعون اكمال المعدات في ساحة مارس قبل ذلك اليوم نخيف من تاخير ميعاد الحفلة. اما الشعب فلما بلغه امر التاخير انبرى منه مائة الف رجل وذهبوا لمساعدة الحفارين والممهدين في الساحة. فاضطرت ادارة العمل الى تسليمهم العمل في الليل وتركت لعملتها العمل في النهار فلم يأتِ يوم ١٤ يوليو حتى كانت الساحة تامة المعدات

وكانوا قد اقاموا فيها مذبحاً عظيماً يسمونه مذبح الوطن للاحتفال بقداس فيه ونصبوا فيه ثلاثة كرامي للملك والملكة ورئيس المجمع الوطني. ولما حان وقت الاحتفال تزاحم الناس حول الساحة فامتلأت بهم وكانوا يبلغون الوفاً كثيرة وهم يهتفون فلتحيَ الامة. فليحيَ الملك. فليحيَ الدستور

وبعد حين حضر الملك وانتظم عقد الاجتماع. وكان الزحام عظيماً. فتقدم مائتا كاهن من المذبح وهم لابسون ثياباً بيضاء كالثلج وفي وسطهم اسقف اوتين. وكانت السماء ملبدة بالغيوم والزوبعة تزأر زئيراً شديداً. فلما دنا ذلك الاسقف من المذبح اشتدّ زئيرها كأن السماء ارادت بذلك اظهار غضبها مقدماً على هذا الاسقف الذي سيخون ضميره ومبدأه مرات عديدة

وكان في جملة الكهنة الذين احتفلوا بالقداس على هذا المذبح المسيو تاليران الذي اشتهر بعدئذٍ في السياسة

وبعد القداس جاءت نوبة اليمين · فنهض لافاييت قائد الجيش العام وجرد حسامه ثم صعد درجات المذبح ووضع راس سيفه على الانجيل وقال بصوت جهوري والناس مصغون كانَّ على رؤُوسهم الطير

« نقسم اننا نكون امناء للامة والدستور والملك دائماً وان نحفظ بكل قوانا الدستور الذي وضعه المجمع الوطني ووافق الملك عليه · وان نحمي طبقاً للشرائع ارواح الناس واملاكهم ومبادلة الحبوب في داخل المملكة وجباية اموال الحكومة على انواعها · وان نبقى متحدين بباقي الفرنسويين برباط الاخاء الذي لا يُقطع »

ولما اتمَّ لافاييت هذا القسم اطلق مائة طلق ناري من مدافع الحصون المحيطة بباريز كانها انذار للعالم باتحاد فرنسا بازاء اوربا كلها ورغبتها في ان تكون حرة تحت قبة السماء

اما الشعب فانه هتف للامة هتافاً طبق السماء ولكنه لما صعد رئيس المجمع الوطني الى المذبح ليحلف اليمين سكت واصغى اليه

فحلف رئيس المجمع اليمين الآتية

« اقسم بانني ابقى اميناً للامة والدستور والملك وبان احفظ بكل قواي الدستور الذي سنه المجمع الوطني ووافق الملك عليه »

ثم لما فرغ من القسم دوت اصوات المدافع مرة ثانية كما دوت اصواتها بعد يمين لافاييت · وبعد ذلك اشرأَبت الاعناق لسماع يمين الملك

فنهض الملك ليحلف يمنه · وكأَنَّ السماء رامت مشاهدة ذلك المشهد ساعتئذ ولذلك تفرقت الغيوم وبرزت الشمس من وراءها

فياذا الجلال ان هذه الشمس التي برزت هي عين الله تراك واذنه تسمعك · فاحلف يمينك

ولكن ليتك ياذا الجلال لم تحلف هذه اليمين التي حلفتها وانتَ تنوي الحنث بها وهذه اليمين هي

« انا ملك فرنسا اقسم بانني استخدم كل القوة التي خصني بها دستور المملكة لحفظ هذا الدستور الذي سنه المجمع الوطني ووافقتُ عليه · وان انفذ الشرائع الموضوعة »

ولكن الملك لم يحلف هذه اليمين على المذبح كما حلفها لافاييت ورئيس المجمع ولكنه حلفها امام الناس وهو واقف · ولا عجب فانه حلفها وهو يضمر الحنث بها كما تقدم

ولما اتى الملك على يمينه دوت اصوات المدافع ايضاً تطبق السماء وتنتقل امواجها من جهة الى جهة كانها تنادي العالم وتنذر ملوك اوربا بقولها « احذروا فان فرنسا قامت على قدميها . احذروا فانها تريد ان تكون حرة . وهي كذلك التنصل الروماني الذي كان يحمل السلم والحرب بين برديه . فاذا شاء كانت الحرب واذا شاء كان السلام »

الفصل الثاني والعشرون

﴿ ماذا جرى لكاترين ﴾

لا بد ان يكون القارئ قد اشتاق الى معرفة ما جرى لكاترين بعد خروجها من المزرعة . ورغبة في مرضاته نعود الى كاترين فنقول ان بيتو نقلها الى حجرة قريبة من حجر الاب كلويس الذي تقدم ذكره غير مرة في سياق الكلام . ولما ابلغ بيتو الى الفيكونت ايزيدور خبر وجودها هنالك خفَّ اليها مع ان جرحيه لم يكونا قد اندملا بعد فكان لالتقائها مشهد مؤثر . وقد بكت كاترين وطرحت نفسها بين ذراعيه فجرحه بكاؤها فعانقها وقبلها وسالها لماذا تبكين . فاجابت كاترين ابكي لانني خرجت من بيت ابي فقال ايزيدور . ولكنك لم تخرجي منه الا الى بيت زوجك يا كاترين . فقبلته كاترين وقالت ما اشرف عواطفك فانك تذكرني الآن احب شيء اليَّ . فقال ايزيدور نعم اذكرك ذلك لئلا يشق عليك الوجود هنا . ومع ذلك فليس العهد بزواجنا الاول ببعيد . اتذكرين يا كاترين تلك الليلة المظلمة التي جئت بها الى قصر بورصون فوجدتني في انتظارك مع كاهن لعقد الزواج . اتذكرين ما قاله لك الكاهن بعد عقد الزواج وكيف اننا بكينا معاً لكلامه المؤثر

فقالت كاترين ليتني اطلعتُ ابي على امر هذا الزواج فانه ربما كان خفف غضبه

فقال ايزيدور لا باس بغضب ابيك فانه كالزوبعة تثور حيناً ثم تسكن فاتركي الافتكار فيه الآن وسادبر هذا الشان معه

وكان ايزيدور يزور كاترين حيناً بعد حين في هذه الحجرة لانها رفضت الذهاب معه الى بيتها في بورصون لعدم اطلاع اهله واهلها على امر الزواج . وبعد انقضاء مدة رام ايزيدور السفر الى باريز لاشغال خاصة فزين لها ان ترافقه الى باريز لتعيش فيها في مكان

مجهول عيشة راضية فرضخت كاترين لهذا الامر وركبت مع ايزيدور مركبة وسارت الى باريز . وبينما كانت مركبتها في الطريق كانت جماهير الشعب تزحف الى باريز لحضور الاحتفال في ساحة مارس كما تقدم فاطلت كاترين من مركبتها لمشاهدة تلك الجموع الكثيرة . فكان اول شخص وقع عليه نظرها اباها بيلو وصديقها بيتو قادمين في جملة القادمين لينو با عن قريتهما

فصرخت كاترين صوتاً خافتاً وادخلت راسها الى المركبة في الحال . ومن حسن حظها ان بيلو و بيتو لم ينظراها

وظلت المركبة سائرة تتقدمها الجموع وتتلوها حتى وصلت الى باريز . فاستاجر ايزيدور لزوجته الشرعيـة كاترين منزلاً منفرداً . اما بيلو و بيتو فانهما حضرا حفلة ساحة مارس ولكن بيلو كان مشغول الافكار عنها بما كان في نفسه من الهواجس الاليمة

الفصل الثالث والعشرون

﴿بيلو والرجل المجهول﴾

وفي ذات يوم كان بيلو جالساً في احدى القهاوي وسحب الهم والغم بادية في جبينه و بازائه بيتو يحادثه ليسليه فلا يرد عليه بيلو الا من رؤوس شفتيه واذا برجل قد دنا من الاثنين وقال سلام لكم . فانتبه بيلو اليه فلم يعرفه فقال الرجل المجهول . انكما لم تعرفاني ايها الاخوة . ثم اشار اشارة ماسونيـة فتحرك حينئذ بيلو و بيتو وجاوباه على هذه الاشارة بمثلها فجلس الرجل معهما . ثم قال . انا اعرفكما وان لم تعرفاني انت ايها الاخ صاحب مزرعة كبيرة وتدعى بيلو وانت ايها الفتى قائد في هرامونت وتدعى بيتو . فاظهر بيلو و بيتو الاستغراب . فقال الرجل المجهول . لا تستغربا فانني اعرف كل شيء في العالم . ولكن فلندع الآن هذا الامر وقل لي مالك يابيلو حزين النفس كئيباً هل ذلك لانك اول رجل فتح الباستيل ولم يكافئك الناس على عملك . فقال بيلو انا لا اعبأ بالمكافأة فقال الرجل فهل ذلك لان مزروعاتك قد اجدبت في هذا العام فقل دخلك . فقال بيلو انا غني ولا تهمني الخسارة . فقال الرجل فهل ذلك اذاً لان ابنتك كاترين ..

فحينئذ قطع بيلو كلامه وقال الزم الصمت ياسيدي اذا كنت تعلم

فقال الرجل نعم اعلم نعم اعلم . ولكن اين هي الآن

فقال بيلو لقد ماتت

فهمَّ بيتو بان يصيح بانها لم تمت وان يخبر بيلو بانه يراها في كل يوم في منزل لها في باريز ولكن بيلو اوقف الكلام بفمه باشارة واحدة وقال بل ماتت ماتت

وقد عنى بذلك ان كاترين اذا كانت موجودة في قيد الحياة للناس فهي في نظره قد ماتت ولم يبق لها وجود

فقال الرجل · فلماذا اذاً طاردت ببندقيتك ذلك الفتى لقتله

فاجفل بيلو لهذا الكلام وقال من اين لك هذا الخبر · فقال الرجل لا تسلني عن ذلك ولكن اجبني · هل ترى من الحكمة ان تعاقب فرداً واحداً على شر جناه او تستاصل الشر من اصله

فقال بيلو انك تقول لي الآن ما قاله الدكتور جيلبار · فانني لما اطلعته على هذه هذه القصة قال لي « ان مائة الف اب في فرنسا قد وقعوا في ما وقعتَ فيه واذا كان ابناء النبلاء لا يخطفون بنات الشعب وآباؤهم لا يا كلون امواله فماذا يصنعون واي شان يكون لهم غير هذا الشان »

فضحك الرجل المجهول وقال له · وهل جيلبار قال لك هذا

فقال بيلو نعم وهل تعرفه · فاجاب الرجل المجهول قلت لك لا تسالني شيئاً ولكن اجبني · هل تريد الانتقام من فردٍ او من الطبقة التي هي اصل الشر

فتامل بيلو قليلاً ثم قال بل من اصل الشر · فقال الرجل المجهول اتبعني اذاً لاحدثك قليلاً وبعد برهة تعود الى رفيقك

وبعد برهة عاد بيلو من حديث الرجل المجهول وعلى وجهه لوائح القوة والنشاط بعد لوائح الضعف والحزن وقال لبيتو عد انت الى المزرعة اما انا فانني باقٍ في باريز



الفصل الرابع والعشرون

﴿ المحافل الماسونية في الثورة ﴾

(طريقة ارتقاء الماسوني الى درجة مستنير)

وبعد انقضاء ثمانية ايام على هذا الحادث كان بيلو سائرًا بعد هبوط الظلام نحو شارع بلاتيير . ولما وصل الى باب معلوم عنده وقف ثم دخل فيه فوجد امامه حارسًا . فلما رآه الحارس قام ووضع احدى اصابعه على صدره فرفع بيلو اصبعه الى فمه ولواه على شكل علامة معلومة جوابًا على اشارة الحارس . فانحنى الحارس حينئذ ودفع بابًا بجانبه مشرفًا على سلم توصل درجاتها الى جوف الارض فدخل بيلو ونزل هذه الدرجات وهو يعدها حتى صارت ١٦ درجة فاطمأن ان هذا المكان هو المكان الذي قصده

ولما صار بيلو في صحن المكان التفت فوجد حوله ظلمات بعضها فوق بعض لانه لم يكن ينير تلك القاعة الفسيحة سوى مصباح ضئيل معلق في السقف كأن الظلمة مقصودة فيها . فخطا بيلو بضع خطوات الى امام فشاهد حينئذ على نور المصباح كراسي كثيرة وبجانبها منبر للخطابة ووراءه كرسي فعرف انه للرئاسة

وبعد حين اخذ الداخلون يدخلون كما دخل بيلو ويجلسون في المقاعد وهم يتحادثون . ولم يمض نصف ساعة حتى امتلأ المكان بالجالسين

وكان هؤلاء المجتمعون مؤلفين من طبقات مختلفة . فقد كان فيهم الكبير والصغير والغني والفقير والامير والحقير . وكل واحد منهم كان واضعًا تحت ثوبه علامة الماسونية وفوق ثوبه شعار لوج « المستنيرين » الا ثلاثة وهم بيلو وفتى يقرب عمره من الواحدة والعشرين وكهلاً مهيب المنظر يبلغ الثامنة والاربعين فان هؤلاء كانوا يحملون علامة الماسونية دون علامة « المستنيرين »

ولذلك علم كل واحد من الاعضاء ان هؤلاء الثلاثة راغبون في الانخراط في سلك لوج « المستنيرين » . ومعنى « المستنيرين » في لغتهم الذي طلب النور فناله اي الذي وقف على الاسرار العظمى

ولما تكامل اجتماع الاعضاء انفتح باب سري في الجدار ودخل منه كاليوسترو والرجل الهائل الذي لقيناه غير مرة في سياق الكلام . وكان على صدره شعار الشرق الكبير وشعار

القبطي الكبير الماسونيين . وبعد دخوله اتجه نحو كرسي الرئاسة وجلس فيه

اما بيلو فانه استغرب كل الاستغراب رئاسة هذا الرجل لتلك الحفلة لانه تحقق انه هو الرجل المجهول الذي لقيه في القهوة لما كان مع بيتو منذ ثمانية ايام ودعاه الى استئصال الشر من اصله

وبعد جلوس كاليوسترو في كرسي الرئاسة انصت المتكلمون فقال كاليوسترو . ايها الاخوة . علينا في هذه الجلسة ان ننظر في امرين الاول استقبال ثلاثة يرغبون في الانضمام الينا . والثاني ان اقدم لكم حساباً عما صنعته في هذه السنوات الاخيرة لنرى اذا كنت قد قمتُ بما عهدتم به اليَّ حقَّ قيام او لا . والآن فلنبدإ باستقبال الثلاثة . فعلى الاعضاء الخروج لانه لا يحضر هذه الحفلة غير الرؤساء

وحينئذ انفتحت ابواب سرية ظهرت من ورائها دهاليز واروقة واسعة وكلها في ظلمات لا ينيرها الا نور ضعيف فخرج الاعضاء افواجاً افواجاً وهم يتحادثون . وبعد خروجهم اقفلت تلك الابواب فصارت القاعة في سكون تام وصار الرئيس في كرسيه والثلاثة الذين تقدم ذكرهم وهم واقفون مستندين الى الجدران في تلك القاعة الكائنة في جوف الارض في وسط ظلام الليل شبيهين بخيالات تجردت من الحس وبقيت تنتظر امرًا رهيباً

وبعد حين سُمعت حركة وراء احد الابواب السرية ثم انفتح هذا الباب ودخل منه ستة اشخاص يسترون وجوههم بوجوه صناعية . وكان هؤلاء المتسترون فريق الرؤساء الذين يمتحنون الراغبين في الدخول

ولما جلسوا على المقاعد امام الرئيس قال الرئيس : فليخرج الثاني والثالث لامتحان الاول فخرج الفتى والكهل اللذان تقدمت الاشارة اليهما وبقي بيلو واقفاً في مكانه مستنداً الى الجدار

فاشار اليه حينئذ الرئيس وقال له : تقدم الى هنا

فدنا بيلو ووقف امام الرئيس . فقال له الرئيس . ما اسمك بين الناس . قال اسمي فرنسوى بيلو . قال وما اسمك بين المختارين . قال اسمي « قوة » قال واين وجدت النور . قال في لوج « اصدقاء الحقيقة » في سواسون . قال وكم عمرك . قال سبع سنوات

ثم ان بيلو اشار اشارة ماسونية علامة على انه نال درجة « معلم » في الترتيب الماسوني فساله الرئيس : لماذا تروم الانضمام الينا والارتقاء لدرجة اخرى . فاجاب بيلو : لان التقدم درجة تزيد الانسان قرباً من النور والحقيقة

فساله الرئيس وهل لك شاهدان . فاجاب بيلو ليس لي سوى الرجل الذي جاءني واقترح عليَّ الدخول في هذا السلك

وقد قال بيلو هذا القول وهو يحدق جيدًا في عيني الرئيس لانه عناه بقوله

فساله الرئيس : ما الذي جعلك ترغب في الدخول واذا دخلتَ فباي شيء تهتدي . فقال بيلو : بعاطفة بغض الكبار وحب المساواة : فقال الرئيس ومن يضمن لنا انك تصدق في نيتك . فقال بيلو . يضمن ذلك كلام رجل تعود حفظ كلامه . فقال وما الذي جعلك ترغب في المساواة . قال لانني ولدت في طبقة واطئة . فقال وما الذي حملك على بغض الكبار . قال : هذا سرٌّ من اسراري . ومع ذلك فقد اطلعتك عليه فلماذا تطلب مني ان اقول جهرًا ما لا اريد ان اسره الى نفسي

فقال حينئذ الرئيس . فاذًا انت تتعهد بطلب المساواة لك ولسواك وباسقاط كل ما يحول دون حرية فرنسا وخلاص العالم

فقال بيلو نعم اتعهد بذلك

فقال الرئيس . واذا كنتَ قد تعهدت قبل الآن بشيء يخالف هذا الامر فهل انت مستعد لنقض ذلك العهد وكل عهد مخالف لعهدنا

فقال بيلو نعم انا مستعد لذلك

فالتفت الرئيس حينئذ الى الروساء المتسترين وقال . سمعتم ايها الاخوة كلام هذا الرجل . وانا اعتقد انه يقول الحق فانني اعرفه واعرف قوته واجعل نفسي كفيلاً له عندكم

فاجاب الروساء بفم واحد . فليكن مقبولاً

فقال الرئيس لبيلو لقد قبلناك ولكن عليك ان تقسم اليمين . فقال بيلو اذكر لي اليمين لاقسمها بعدك

فرفع الرئيس يده حينئذ وقال :

« اقسمْ باسم الابن الذي صُلب بان تقطع كل الرباطات التي تربطك بابيك وامك واخيك واختك وامراتك واقربائك واصدقائك وعشيقتك وملكك والمحسنين اليك وكل الذين وعدتهم بودادك وخضوعك »

فاعاد بيلو هذا القسم عن نفسه

فقال له الرئيس حينئذ « احسنت . فاقسم الآن ايضًا بان تُطلع رئيسك الجديد على كل ما تعلمه وكل ما تصنعه وكل ما تراه وان تتجسس الاخبار التي لا تستطيع الوقوف

عليها بسهولة »

فاعاد بيلو هذا القسم عن نفسه ايضاً

فقال الرئيس « واقسم ايضاً بان تفرّ من نابولي و رومه واسبانيا وكل ارض ملعونة · اقسم بانك لا تُطلع احداً على شيء مما تراه في محافلنا · واعلم ان الصاعقة ليست باسرع من الخنجر الذي يخترق صدرك اذا خنتنا واطلعت احداً على شيء من اعمالنا · »

فاعاد بيلو هذا القسم عن نفسه ايضاً

وحينئذ قال له الرئيس : « فالآن عش بنعمة الآب والابن والروح القدس »

و بذلك انتهى استقباله فخرج من القاعة ليدخل الطالب الثاني · فدخل الفتى ووقف حيث كان بيلو امام الرئيس · فابتدأ الرئيس يساله كما سال بيلو قبله

فساله ما اسمك بين الناس · فاجاب اسمي انطوان سان جوست · فقال وما اسمك بين المختارين · فاجاب اسمي « التواضع » قال واين وجدت النور · قال في لوج « انصار الانسانية » في لاون · قال وكم عمرك قال خمس سنوات · ثم اشار الفتى اشارة تدل على انه بلغ درجة الرفيق في الماسونية · فقال له الرئيس ولماذا ترغب في الصعود درجة ايضاً · فقال الفتى لان من طبيعة الانسان حب القمم العالية ولان الهواء النقي لا يكون الا فوق هذه القمم · فقال الرئيس وهل اتخذت قدوة لك بين الناس · فقال قدوتي فيلسوف جنيف عاشق الطبيعة و رجلها الخالد الذكر : روسو · فقال وهل لديك شاهدان فقال نعم وهما روبسبيير الكبير وروبسبيير الصغير · فقال باي شيء تهتدي في طريقك بعد دخولك في سلكنا · قال اهتدي بايماني · قال وماذا يصنع هذا الايمان · قال انه يؤدي بفرنسا الى الحرية و بالعالم الى الخلاص · قال وماذا تبذل لوصول فرنسا والعالم الى هذا الغرض · قال ابذل حياتي لانني لا املك غيرها بعد بذلي اموالي · و بعد ذلك القى عليه الرئيس باقي الاسئلة التي وجهها الى بيلو واقترح عليه ان يقسم اليمين ذاتها فاقسم سان جوست وخرج وادخل الرجل الثالث

وكان هذا الرجل مهيب المنظر كما تقدم وهو يمشي في مسيره بتردد لم يظهر له سبب · فلما صار امام كرسي الرئاسة ساله الرئيس : ما اسمك بين الناس · فاجاب اسمي لويس فيليب جوزيف دوق دورليان · فقال وما اسمك بين المختارين · قال اسمي « مساواة » فقال واين وجدت النور · قال وجدته في لوج « احرار الناس » في باريز · فقال وكم عمرك · قال لم يعد لي عمر · ثم اشار الدوق اشارة علامة على انه نال رتبة « وردة الصليب » ·

فقال الرئيس وما الذي حملك على طلب الانخراط في سلكنا

فاجاب الدوق

« لانني عشت كثيرًا بين الاكابر فضجرتُ من ذلك ورمتُ المعيشة بين البشر الحقيقيين . وسئمت الحياة بين الاعداء فوددت المعيشة بين الاخوة والاصدقاء »

فقال له الرئيس . وهل لديك شاهدان . قال نعم وهما « الاحتقار والبغض » فقال وباي شيء تهتدي في سبيلك . قال بحب الانتقام . فقال ممن تحب الانتقام ؟ . قال : من الذي اهملني ولم يعبأ بي . ومن التي اهانتني ووضعتني (١) فقال ماذا تبذل للوصول الى هذا الغرض . قال ابذل مالي وحياتي وشرفي . قال هل تعد بانك تقطع كل رباط يربطك بغيرنا وتترك كل عهد اعطيته الى احد سوانا . قال نعم اعدكم بذلك

فالتفت كاليوسترو حينئذ الى الروساء وقال لهم . سمعتم مقال الطالب فهل ترون قبوله . فاجابوا نعم ولكن على شرط ان يقسم اليمين

فقال كاليوسترو للدوق هل تعرف اليمين . فاجاب كلا ولكني اقسمها مهما كانت شديدة . فقال لا اخفي عنك انها يمين شديدة ولاسيما لمن كان مثلك . فقال ليست هي باشد من الاهانات التي لقيتها . فقال الرئيس حينئذ

« اقسم بان تقطع كل الرباطات التي تربطك بالاب والام والاخ والاخت والامرأة والاقرباء والاصدقاء والعشيقة والملك والمحسنين اليك وكل الذين وعدتهم بودادك او خضوعك »

فبقي الدوق صامتًا متاملاً وقد ظهرت على وجهه علامات القلق وجرى العرق على جبينه . فقال له الرئيس اما قلت لك انها يمين شديدة على من كان مثلك . فقال الدوق بل اقسم . ثم اقسم تلك اليمين وهو يسكن جاشه فقال له كاليوسترو واقسم ايضًا بانك تحلل السيف والنار والسم وكل الوسائل الفعالة الواجبة لتطهير الكرة الارضية من الذين يعبثون بالحقيقة فيها و يرومون اختطافها من ايدينا . فاقسم الدوق هذه اليمين ايضًا . فالتفت كاليوسترو الى الروساء وسالهم . ما رايكم . فاجابوا . فليكن مقبولاً . فقال كاليوسترو حينئذ للدوق

حذار ان تُطلع احدًا على شيء مما تراه في محافلنا . واعلم ان الصاعقة ليست

---

(١) يعني بذلك الملك والملكة

باسرع من الخنجر الذي يخترق صدرك اذا خنتنا واطلعت احدًا على شيء من اعمالنا :
والآن عش بنعمة الآب والابن والروح القدس »

ثم انه اشار بيده الى الباب يدعوه الى الخروج فتنفس الدوق الصعداء واندفع نحو الباب وهو يقول — الآن صرتُ انتقم منهما

الفصل الخامس والعشرون

﴿ شعار الماسونية ﴾
(الحرية والمساواة والاخاء)

(خطبة تفسيرية)

و بعد خروج هذا الرجل صاح الرئيس بصوته الجهوري : فليدخل الجميع الآن لابسط لهم الحساب الذي وعدتهم به · وفي الحال انفتحت الابواب و بعد حين اندفع الاعضاء الى القاعة واخذوا مجالسهم · ولما اقفلت الابواب رفع كاليوسترو يده لانه كان حريصاً على الوقت واخذ يقول

ايها الاخوة · لا بدَّ ان يكون بعضكم قد حضر الحفلة التي عقدناها منذ عشرين سنة في مغارة في جبل « الصاعقة » القائم على مسافة ٥ اميال من نهر الرين وعلى مسافة ميلين من قرية دننفلس · فاذا كان احد منكم قد حضر ذلكَ الاجتماع فليرفع يده وليقل انني حضرت

فارتفعت حينئذ ست ايدي وسُمع ستة اعضاء يقولون انني حضرت

فاردف كاليوسترو بقوله

فمن ذلك يظهر ان الحاضرين بيننا من الذين حضروا ذلك الاجتماع ستة اعضاء فقط اما الباقون فبعضهم ماتوا و بعضهم تفرقوا في الكرة الارضية لاتمام العمل الذي شرعنا فيه· ولم يكن هذا العمل منذ ٢٠ سنة شيئاً مذكورًا · فان الظلام كان متكاثفاً في العالم ولم يكن النور ياتي الا شيئاً فشيئاً · وقد تتبعتُ مجري هذا النور منذ الازمنة القديمة لانني لا اعرف الموت ولا الموت يعرفني كما تعلمون · فرايت اولاً الشعوب محنية تحت نير العبودية ثم انتقلتْ من دور العبودية الى دور الذل والعمل بالاجرة لاشباع اسيادها · وهذا الدور هو بمثابة تمهيد للحرية العظيمة فكانه النجوم التي تشرق في كبد السماء قبل طلوع القمر المنير ·

ولقد نظرتُ بعيني رومه والبندقيـة وفلورنسه وسويسره وجنـوه وبيره واريزو هذه المدن الجنوبية التي ينبت فيها النبات سريعاً وينضج الثمر سريعاً فوجدت ان فسيلة الحرية كانت اول ما انبتّت فيها وان الجمهوريات جُربت تحت سمائها فعاشت منهن اثنتان او ثلاثة لا تزال باقية الى الآن . ولكن هذه الجمهوريات كانت صغيرة ومحكومة بطبقـات النبلاء او المستبدين ولذلك لم تنجح النجاح المطلوب فاحتجنا الى دولة عظمى تصطبغ بصبغة الحرية ونقوم فيها جمهورية كبرى تسري عدواها الى اوربا كلها . الى شعب حيّ قوي تتخذه الشعوب قدوة لها

يومئذ التفتنا نفتش عن هذا الشعب بين شعوب اوربا ونسال الله ان يهدينا اليه فمدّ القادر اصبعه واشار الى فرنسا . فتاملنا فوجدنا ضالتنا في هذه المملكة . فقررنا حينئذ تحرير فرنسا اولاً وبعد ذلك نردف باقي الدول بها . ولكن هذا العمل كان شاقاً وعظيماً . فان اوربا كانت مشطورة شطرين . شطر تحت رعاية النمسا وشطر تحت رعاية فرنسا . وكان في عرش النمسا الامبراطورة ماريا تريزه التي كانت اكثر الساسة دهاءً في اوربا . فرغبةً منها في وضع يدها على فرنسا ايضاً للاستبداد باوربا كلهـا ازوجت الملك لويس السادس عشر بابنتها . فصار الدخول في فرنسا للشروع في العمل الذي نويناه شاقاً جداً . وبات كثيرون يتساءلون من يدخل الى غابة الاسد . من يرمي نفسه بين مخالب الكواسر . فاجبتهم « انا » ادخل وارمي بنفسي . فسالوني كم سنة تطلب لاتمام العمل . فقلت اطلب عشرين سنة . فضحك بعضهم وقال كيف تستطيع ان تهدم في عشرين سنة ما تمّ بناؤه في عشرين قرن

وهنا وقف كاليوسترو فصار الاعضاء يهمسون فيما بينهم بكلام الاستحسان فاردف بقوله

ولكنني نلت ما طلبته وهو مهلة عشرين سنة ودخلت الى فرنسا في اثر الملكة حين دخولها اليها . فكان مروري في وسط اقواس النصر المنصوبة لها من ستراسبورج حتى باريز . وقد كان الله معي فاعانني على عملي . ولم اكن سوى آلة في يده . وكل عملي كان مقصوراً على رفعي الحجارة من طريق المركبة الجارية الى غرضها وردم الحفر التي كانت امامها . واليكم ايها الاخوة ما تمّ في مدة العشرين سنة الماضية

« حُلّ البرلمان . مات لويس الخامس عشر الذي كان ملقباً المحبوب مع انه كان مكروهاً من الجميع . وضعت الملكة اولاداً مشتبهاً بهم فالقى ذلك شبهة على فضيلتها

وكان به اهانة شرفها كامرأة مثلما اهينت في « مسالة العقد » كملكة . ظهور ضعف الملك في سياسة مملكته حتى استوزر اضعف الناس رايًا واضطر الى جمع مجلس الاعيان . تقرير مجلس الاعيان وجوب جمع مجالس الولايات . اجتماع مجالس الولايات من قبل الامة وجعلها نفسها « مجمعًا وطنيًا » . اختلاف اعضائها من نواب الشعب والاكليروس والنبلاء وغلبة نواب الشعب . الاستيلاء على الباستيل . طرد الجنود الاجنبية من باريز وفرساليا . اظهار الشعب للنبلاء في ٤ اغسطس ان نبلهم لا يغني شيئًا . اظهار الشعب للملك والملكة في ٥ و ٦ اكتوبر ضعف سلطتهما . اظهار الامة للعالم في ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ اتحاد فرنسا كلها . ثلم صيت الامراء بمهاجرتهم . اضعاف شهرة مونسيو شقيق الملك بسبب حادثة ففراس . اقسام يمين الامانة للدستور على مذبح الوطن . تاييد رئيس المجمع الوطني وتقوية منصبه باقامة عرش له شبيه بعرش الملك . جعل الدستور والامة فوقهما جميعًا . اصغاء اوربا كلها الى هذه الحوادث العظيمة . تصفيق الذين يستحسنونها وارتجاف فرائص الذين يكرهونها »

هذا ما تم ايها الاخوة في فرنسا على يدي في المدة الماضية . فهل قمت بما كان يجب عليَّ

فنادى الاعضاء جميعًا نعم نعم لا شلت يمينك . فاردف كاليوسترو بقوله

ولكن هل تظنون ان عملنا قد انتهى . كلا فان الدستور الذي وُضع لم يؤسس على اساس متين والاعمال التي عُملت لا تزال قلقة مضطربة لقرب العهد بها فلنعد لاتمام هذا العمل ولنقسم اننا لا نعود عنه قبل ان نبرز من حيز القوة الى حيز الفعل شعار المسيح الذي هو : الحرية والمساواة والاخاء

فصرخ حينئذ من بين الحاضرين صارخ : فسر لنا اولاً مرادك بالحرية والمساواة والاخاء لنرى اذا كان يجب المسير في الطريق التي تذكرها

فحدق كاليوسترو في وجه المعترض . وكان هو مكسيميليان روبسبيير المشهور . ثم قال له لبيك يامكسيميليان . اسمعوا ايها الاخوة لافسر لكم هذه الكلمات العظيمة

﴿ الحرية ﴾

لقد احسنتم في طلبكم مني تفسير الحرية والمساواة والاخاء فان كثيرين من الناس يسمعون هذه الكلمات ولا يفهمونها حق الفهم . اما الحرية التي هي اولها فكثيرون من الناس لا يفرقون بينها وبين « الاستقلال » ويحسبون ان للكلمتين معنى واحدًا . والحقيقة

ان بينهما فرقاً عظيماً . فان معنى الاستقلال الانفراد عن الغير ولا يكون هذا الاستقلال الا لسكان الجبال . خذوا الكورسيكي والاسكوتلندي مثلاً فانهما مستقلان ولكنهما لا يعرفان الحرية . فالاسكوتلندي يطعن بخنجره و يعتدي ببندقيته واذا طلبه احد لجأ الى الجبال كالثعالب والنسور والوحوش البرية فلا يقدر عليه احد . هذا هو الاستقلال .
اما الحرية فانها تقتضي الاجتماع والعمران . وتعريفها ان يكون لكل انسان الحق بان يصنع لمصلحته ولنفسه كل شيء لا يكون فيه ضرر لسواه . فحق الانسان الواحد يقف اذاً عند حق الانسان الثاني . وهذا الحق مقدس وعام لا يختص بفئة دون فئة . ولا بفريق دون فريق . فالحرية اذاً نعمة عامة لجميع البشر ومنّ سماوي منحه الله الى الناس ليتمتعوا به على السواء . وكل شعب يحصل على هذا المن عليه ان يقتسمه مع الشعوب الاخرى

وفي الحرية تنمو قوى الانسان كلها وتنطلق المواهب من اسرها . في الحرية يبيت الانسان آمناً على نفسه وعرضه وماله بلا خوف ان يستيقظ في اليوم الثاني وهو فاقد هذه النفائس الثلاث . فالحرية اذاً وسط صالح تنمو فيه كل الفضائل البشرية . والعبودية وسط موبوء تنمو فيه جراثيم الرذائل والفظائع والدنايا على انواعها

فدوى هنا تصفيق الاعضاء في القاعة دوياً شديداً فاردف الرئيس بقوله

﴿ المساواة ﴾

اما المساواة فلا اريد بها استواء الناس كلهم في العقول ورفعة المقام . كلا فاننا لا نقدر ان نغير الطبيعة . واي شارع يستطيع بمواد قانونية يضعها في دستوره ان يغير جبل حملايا مثلاً فيرفعه امتاراً او ينزله امتاراً . كلا ذلك امر لا يستطيعه احد من البشر كما انه ليس في امكان احد ان يجعل من رجل قزم رجلاً كجليات او من رجل خامل ذي عقل قاصر رجلاً كفولتير

وانما المساواة الحقيقية هي اطلاق الحرية لجميع الناس على السواء ليستخدم كل واحد منهم قواه ومواهبه كما يشاء . المساواة هي الغاء الامتيازات والمراتب الوراثية ورفع الحواجز من بين البشر ليكون كل واحد قادر على الوصول الى الرتب والوظائف العمومية بقوة نفسه وحسن عمله . ومكافأة الفضيلة والفضلاء والعلم والعلماء لا اختصاص كل مكافأة بابناء الطبقات العالية او ابناء جنس مخصوص . وحينئذ يصير اعلى مقام في الدولة مفتوحاً لافضل رجل في تلك الدولة . ومن هنا تشتق مسالة الانتخاب لوظائف الدولة لا توليتها بالصنيعة والمحسوبية — « فالانتخاب » من اول شروط المساواة . ثم ان الانتخاب يقتضي امراً آخر

وهو مقدرة المنتَخب (بفتح الخاء) وكفاءته للعمل الذي يُعهد اليه وبناء على ذلك يُستخرج من مسالة الانتخاب مسالة ثانية وهي مسالة « الكفاءة » . ومن « الانتخاب والكفاءة » يُستخرج امر ثالث وهو « وجوب الامتحان » . فالمساواة اذًا هي عبارة عن فتح طريق كل الوظائف والاعمال لاي انسان كان بواسطة الانتخاب المبني على الكفاءة والامتحان . هذه هي المساواة

فهتف الاعضاء حينئذ هتاف الاستحسان وصفقوا لرئيسهم تصفيقًا شديدًا . ولما سكنت ضوضاء تصفيقهم اردف كاليوستر و بقوله

﴿ الاخاء ﴾

اما الاخاء فيا له من لفظ عظيم حلو في الاذن والقلب . الاخاء كلمة سماوية تهتز لها اعصاب الانسانية كلها لانها بها تذكر انها عائلة واحدة وان البشر مهما اختلفت بلادهم ومذاهبهم والوانهم فانهم اخوان في الانسانية . صدقوني ايها الاخوة انه سياتي يوم تُمحى فيه كلمات « الوطن . والوطني . والوطنية » من اللغة البشرية كما تُمحى آثار النجوم في آخر الليل حين طلوع غرة الصباح . سياتي يوم يتقرب فيه الشعوب بعضها من بعض بواسطة المواصلات البرية والهوائية تقربًا يفتح عيونهم و يزيل الحدود والحواجز من بين بلادهم فيبصرون حينئذ ان الملوك والحكومات تسلحهم وتسوقهم بعضهم على بعض ليقتلوا بعضهم بعضًا وحينئذ يرفضون هذا الاثم الفظيع و يتعانقون بدلاً من ان يقتتلوا . انظروا هل جاء المسيح ليخلص اهل الناصرة فقط . كلا . هل جاء ليخلص اليهود فقط . كلا . بل جاء ليخلص بني البشر كلهم . فهل ترومون دليلاً على اخاء البشر احسن من هذا الدليل . فتشجعوا ايها الاخوة وتقدموا . وسيروا الى الامام لمحاربة الشر ولا تخافوا . ازحفوا لتمهيد الطريق لاولادكم كرسل للمساواة والاخاء والحرية . وليكن الله القوة والحرية معكم »

ولما اتى الرئيس على هذا الكلام سكت لفراغه من خطابه فعلت حينئذ في القاعة ضجة التصفيق والهتاف حتى ارتجت جدران الاقبية في جوف الارض وخيل للسامع ان الارض كادت تميد من شدة تلك الضجة . و بعد ذلك نهض الرؤساء الستة المتسترون فدنوا من الرئيس وقبلوا يديه ثم انحنوا باحترام وخرجوا لانصراف الجلسة . فقام الاعضاء عند ذلك واحدًا واحدًا واخذوا ينحنون امام الرئيس و يخرجون . و بعد حين خلت منهم القاعة واطفأت الانوار و بقي الرئيس كاليوسترو جامدًا في كرسيه في الظلمة في جوف الارض كانه ملك تلك الظلمات المتكاثفة

الفصل السادس والعشرون

﴿ وفاة (ميرابو) اخطب خطباء فرنسا ﴾

ولوعه بالازهار والنساء · عذابه على فراش الموت · احتفال الشعب به ودفنه في البانثيون · ثم اخراجه منة بامر من الكونفانسيون

بعد مرور بضعة اشهر على هذه الحوادث اي في اواخر مارس من عام ١٧٩١ كان الدكتور جيلبار سائرًا في مركبة مسرعة الى جهات ارجانتيل حيث استاجر ميرابو قصرًا كبيرًا له كما تقدم الكلام · ولما وصل الى القصر صعد اليه مسرعًا فاستقبله تش خادم ميرابو والدموع في عينيه ثم ادخله على مولاه

وكان ميرابو مستلقيًا على مقعد بين الازهار وهو في الم ووجع · فدنا منه الدكتور جيلبار وفحصه فوجد ان المرض يشتد عليه شيئًا فشيئًا

اما ميرابو فانه نظر اليه نظرة ملئها اليأس وعدم الاكتراث وابتسم له ثم قال دعني ايها الدكتور فانني لا اريد الحياة

فساله الدكتور وما السبب · فاجاب ميرابو وقد تنهد تنهدًا عميقًا كنتُ اروم الحياة لاتمام عملي اما الآن فقد ظهر لي انني لا استطيع اتمامه لانها تعاكسني

ففهم الدكتور من كلام ميرابو انه يعني المملكة

ثم قال ميرابو · انني انفقتُ بالامس قوتي كلها للدفاع عن مسالة المناجم التي تهم صديقي الكونت لا مارك · ولقد حملت على الاعداء خمس حملات وفي الحملة الاخيرة دحرتهم الى وراء ولكنني سقطت في ساحة القتال كما ترى

وكان ميرابو يتكلم وهو خائر العزم كمن نفدت قواه كلها

فقال له الدكتور لا بأس فانك تسترد قواك باذن الله · ثم انه اقام عنده مدة وفصده من قدميه واوصاه بالابتعاد عن الازهار والنساء وانصرف في سبيله

اما ميرابو فانه نادى خادمه بعد خروجه وقال له املأ المائدة زهرًا وادعُ مدام اولينا ان تتفضل بزيارتي

وهكذا صرف ميرابو ليله مسرورًا صاحيًا

ولكن لم تشرق شمس النهار التالي حتى قُرع جرس منزل الدكتور جيلبار بعنف فانتبه الدكتور من منامه واذ فتح الباب وجد امامه تش خادم ميرابو يدعوه الى زيارة

سيده في الحال . فاسرع الدكتور الى مريضه فوجده اضعف مما كان امس فسأل الخادم كيف صرف ميرابو ليله فاشار الخادم الى غرفة المائدة فدخل الدكتور اليهـا فوجد على المائدة فضلات طعام الليل وشرابه والازهار مبعثرة فيها . فهز راسه ثم سار لمراقبة مريضه

وكان ميرابو حينئذ مطروحاً على مقعد وهو يكاد يفقد صوابه من ضعف قواه . وكان من حين الى حين يردد هذا القول : آه من ناكري الجميل . فلما سمع الدكتور هذا الكلام لبث صامتاً . فنظر اليه ميرابو بعينين متقدتين بجمر الحمى وما وراءها من نار الضلوع ثم قال له. اما قلت لك ايها الدكتور انهم لا يعرفون لي جميلاً . فقال له الدكتور وهل صحيح ما تقوله من انه لم يفد احد من قبلهم. قال سل تش ايها الدكتور اذا كنتَ لا تصدقني . فقال الدكتور ولكنني قابلت الملكة امس بعد فراقك ووعدتني بانها ترسل من يستخبر عن صحتك . فهز ميرابو براسه وقال : وعدوك و ياطالما اخلفوا الوعود . آه ياد كتور لذلك اريد ان اموت

وحينئذ اخذت ميرابو نوبة هائلة فتشنجت اعضاؤه الضخمة واضطرب جسمه الممدد الذي كان وهو يتشنج شبيهاً بجبار يُصارع فراشه . فاخذ الدكتور يد ميرابو بحزن و بقي بازائه يراقب سير المرض و يقاوم ملاك الموت القادم . فساعدت بنية المريض القوية عناية الطبيب ففتح ميرابو عينيه بعد مدة وابتسم لطبيبه وصديقه . ثم عاد الهدوء الى المريض وجسمه فتنفس المريض الصعداء وطلب ان يراجع السجل الموضوع للزائرين ليرى اذا كان قد قدم احد من قبل البلاط يسال عن صحته . ولما لم يجدوا في السجل اسم احد من قبل البلاط تنهد ميرابو وقال : اما قلتُ لك انهم من ناكري الجميل

و بعد هنيهة صاح ميرابو وقد اتخذ وجهه شكلاً هائلاً : پيت . پيت . آه يا پيت . سيخلو لك الجو بعد مماتي . ليتني اعيش بضع سنوات ايضاً لاريك كيف تكون السياسة

وكان ميرابو يخاطب بهذا القول الوزير الانكليزي پيت . الشهير الذي كان صارفاً سياسته يومئذ الى معاكسة فرنسا لانها ساعدت الولايات المتحدة على نيل استقلالها . ومنهم من يتهم هذا الوزير بانه كان يرشي بالاموال الانكليزية بعض دعاة الفتنة في فرنسا لاثارة الفتن والاضطرابات الدموية فيها وذلك رغبة في حمل اوربا على الاتحاد عليها كما اتحدت بعد ذلك .

وفي هذا الحين دخل الخادم وقال لميرابو ان احد الفتيان يروم مشاهدته . فقال له ادخله لاراه . فدخل بعد حين فتى في زهرة العمر والدموع في عينيه . وكان هذا الفتى

قد عرف ميرابو في احدى نزهاته في ضواحي ارجنتيل . وقد جاء الآن يعود الرجل العظيم لما سمعه من خبر انتكاسه . ولما دخل سار الى فراش ميرابو فتناول يد المريض وقبلها ثم خرج من غير ان يقدر على الكلام . على ان الخادم تش لم يلبث بعد خروجه ان دخل وفي يده ورقة منه فقراها ميرابو فوجد فيها ما ياتي

« قرات امس في جريدة انكليزية ان اطباء لندن قد اخذوا رجلاً مريضاً بداء مريضنا العظيم وافرغوا في جسمه دماء صحيحة بعد استفراغ دمه منه فشفي المريض من دائه . فانا اقدم الآن نفسي حباً بانقاذ المسيو ميرابو وارجو ان يُستخرج دمي ويُفرغ في جسمه اذا كان ذلك يشفيه فانه دمٌ نقي ولا ضعف فيه »

فلما قرأ ميرابو هذا الكلام طلب الفتى ليشكره على هذا الكتاب الذي يدلُّ على قوة نفسه وشرف اخلاقه فوجد انه قد خرج من المنزل فرارًا من هذا الشكر ولكنه ترك في يد الخادم عنوان منزله ليطلبوه اذا اجابوه الى اقتراحه

اما الدكتور جيلبار فقد اعجب بهذا الشباب الذى لا يعباء بالموت بل يطلبه انقاذًا لرجل يُعظم قدره ويُعجب به . فقال في نفسه ان الامة التي ينشاء فيها شبان كهذا الشاب ستصنع امورًا عظيمة . وان عصرًا يظهر فيه مثل ذلك ستحدث فيه احداث جسيمة

وكان الشعب مجتمعاً حول منزل ميرابو الوفا الوفا وهو يهتف « ليحيَ ميرابو ليحيَ ميرابو » فامر ميرابو بفتح النافذة المشرفة على الطريق ليسمع هتاف الشعب له . ثم اخذ يقول : ما اكرمك ايها الشعب واعرفك لجميل الذين يخدمونك

وكانّ دخول الهواء الى غرفة المريض اذكره الطبيعة والسماء والارض فطلب زهرًا الى غرفته . فبلغ هذا الطلب الى الشعب فساروا من كل جانب يطلبون الزهر و يصيحون ان ميرابو يطلب زهرًا . فانفتحت حينئذ نوافذ المنازل وابوابها واخرج الناس منها احسن ما لديهم من الازهار فحمل الشعب شيئاً كثيرًا منها ونقله الى منزل ميرابو حتى امتلاء المنزل به . فسرَّ ميرابو بهذه الهدية التي جاءه بها شعب باريز وكرر قوله : ما اكرمك ايها الشعب واعرفك بجميل من يخدمونك

و بعد ساعتين عاد الى ميرابو شيء من قوته فسرَّ الدكتور بذلك وعزم حينئذ على مفارقة المنزل على ان يعود في اليوم التالي . ولما خرج من المنزل كان قد امسى المساء فنادى ميرابو خادمه تش وقال له املأ غرفة المائدة ازهارًا وادعُ مدام اوليفا

***

ولكن ميرابو — ذلك الجبار الذي كان مولعاً بالنساء والازهار — لم يستطع اتمام تلك

الليلة • فان خدم المنزل انتبهوا على صياح مدام اوليفا فاسرعوا فوجدوا ميرابو مطروحاً بين ذراعيها وهو في نوبة شديدة • فبعد ان نقلوه الى فراشه ساروا في طلب الدكتور جيلبار • ولما جاء الدكتور وجد مريضه في اسواء حال • ولكنه لما وقع نظره على مدام اوليفا استثار عقله بغتة ولبث مبهوتاً

ذلك ان مدام اوليفا هي المراة الجميلة التي كانت شبيهة بالملكة كما تقدم الكلام عنها في عقد الملكة • وكانت متزوجة بالمسيو بوزير كما سبق الكلام • وقد راى الدكتور في ذات يوم المسيو بوزير يوزع منشورات ضد ميرابو وراى الآن امراته في منزل ميرابو تسكن بيتاً بازائه فاستنتج من ذلك استنتاجاً هائلاً • استنتج ان كاليوسترو استعمل الزوج لتسميم صيت ميرابو وافناء ما له من السلطان على الشعب واستعمل الزوجة لافناء قواه لان وجوده حياً كان سنداً عظيماً للملكية وعثرة في سبيل مقاصده

تخيل له منذ هذا الحين انه ادرك سر المسالة

اما ميرابو فلما وقعت عيناه على عيني جيلبار ابتسم له ابتسامة معناها لم ترسل الملكة بعد من يستخبر خبري • فوقف جيلبار بازاء فراشه واخذ يتامل في وجهه • فاشار له ميرابو اشارة الى فمه • ثم فهم الدكتور منه انه يطلب منه شيئاً من اكسير الحياة الذي سقاه منه قبلاً فرد اليه قوته • فتناول جيلبار زجاجة كانت في جيبه ثم صب منها قدر ملعقة صغيرة وافرغه في فم ميرابو • فلم يلبث ذلك الجبار الملقى على فراشه كجزع ممدود بلا قوة ولا حراك ان دبت الحياة في جسمه وانطلق لسانه • فكانت اول كلمة قالها : اما قلتُ لك ايها الدكتور انهم لا يكرهون موتي • ثم قال له : صب صب كل هذه الزجاجة في فمي اذا شئتَ ان يؤثر عليَّ اكسيرك تاثيراً فعالاً • فقال الدكتور وكيف ذلك • فقال ميرابو اتظن انني اقتصرت على تناول ملعقة من الزجاجة التي كنت اعطيتنيها • كلا فانني رجل تعودت الافراط في كل امر وقد افرطت في هذا الامر ايضاً • فقد حللت هذا الاكسير تحليلاً كيماوياً وعرفت المواد التي رُكب منها • لقد عرفت انه يُستخرج من اصول القنب الهندي وانه الحشيش بعينه فاستحضرت منه شيئاً كثيراً وصرت اتناوله في ملاعق كبيرة

فصاح الدكتور ويل لك فانك كنت تتناول سماً

فقال ميرابو ولكن ما احسن هذا السم ايها الدكتور فانه يفرح الكروب ويضاعف قوى الانسان مئة مرة بل الف مرة فكأنه يضاعف حياته وملاذه • ولقد اعطاني الله حياة مملوءة بالفقر والشقاء والمتاعب فلا اعلم الآن هل يجب عليَّ ان اشكر الله الذي

اعطاني هذه الحياة ام ان اشكرك انت على هذا السم الذي قدرتني به على التمتع بها . فاملأ فاملأ ملعقتك ايها الدكتور واسقني صرفاً

فاطاع الدكتور وسقى ميرابو ملعقة من شرابه . ولما استقرّ هذا الشراب في جوفه ابرقت عيناه وزاد لسانه انطلاقاً فقال وكأنّ حجب المستقبل قد زالت من امام وجهه وهو مقترب من الابواب الابدية :

سقياً للذين يموتون في هذا العام ولا ينظرون اهوال الثورة القادمة . فان المستقبل سيلد آفات واهوالاً لان الثورة حدثت الى الآن في الافكار وستحدث غداً في الاسواق والشوارع . ومع ذلك فانني آسف لانني اموت من وجه واحد . ذلك لانني لم اكمل بعدُ العمل الذي اروم عمله فاذا جاء بعدي قوم ينظرون في عملي اتهموني عدة تهم لانه ناقص لا يدل عليّ دلالة كاملة . ولكن ماذا اعمل فانها رفضت مساعدتي . وهكذا يبقى اسمي مكروهاً من فرنسا واوربا والعالم اجمع

فقال الدكتور ولماذا اسرعتَ اذاً في الاجهاز على نفسك وطلبت الموتَ

فقال ميرابو : ذلك لانني قطعتُ الامل منها (يعني الملكة) فانني وددت خدمتها وخدمة عرشها اما هي فكانت تسخر مني وتتخذني آلة بين يديها ... ولكن دعني منها ايها الدكتور وعدني الآن وانا على ابواب الموت وعداً صادقاً وهو انك اذا رايتني اتعذب قبل فراق الروح تعطيني دواء يسهل لي الخروج من هذه الحياة

فاجفل جيلبار عند هذا السؤال وقال له لقد وعدتك بان لا افارقك ايها الصديق وانا مستعد لاسعافك ومساعدتك في حياتك وموتك

فقال ميرابو شكراً لك ثم اتكأ على وسادته

***

ذلك ان القوة التي اثارها الحشيش هنيهة في جسم هذا الجبار لم تلبث ان نفدت وعاد اليه الضعف والخوار . ثم اصابته نوبة غيبته عن الوجود وبرد جسمه فعلم الدكتور ان ذلك الرجل العظيم قد اخذ يدخل في الاحتضار . فقال في نفسه هذه هي ساعة الصراع بين الطبيب والموت . ثم اخذ يد ميرابو بين يديه . فالتفت اليه ميرابو وعيناه متقدتان بنار النزع وجسمه مضطرب اشد اضطراب واشار بيده اشارة خفيفة معناها انه يريد الشرب . وكان يطلب بذلك ان يشرب دواء يسهل له مفارقة الحياة . فتجاهل الدكتور هذا الطلب لانه لم يعده باعطاء دواء يقصر عمره وانما وعده بالمساعدة . فطلب ميرابو ان يكتب فجاءوه

بقلم وورق نخط هاتين الكلمتين بيد ثابته « النوم . والموت . » يريد انه يطلب ان يشرب دواء يجلب له النوم فالموت . فاظهر جيلبار انه لا يفهم ايضاً . فغضب ميرابو وهو ملجوم اللسان وكتب بيد مرتجفة « ان آلامي صارت لا تُحتمل فهل من الصداقة ان أُترك في هذا العذاب . اليس الاجدر ان أعطى بضع نقط من الاوبيوم لاستريح راحة ابدية »

ولكن الدكتور بقي متردداً . فنظر اليه ميرابو نظرة الحنق وهمّ بالكلام فلم يقدر لان لسانه كان محبوساً . فكاد يتمزق غيظاً والماً . ولكن كانّ هذا الياس والالم قد اطلقا لسانه فصاح . آه من الاطباء آه من الاطباء . اما انت صديقي ايها الدكتور جيلبار . اما وعدتني بانك تنقذني من عذاب الموت . فانا استحلفك بالصداقة والشرف ان تنجز وعدك

ثم ان ميرابو عض وسادته باسنانه من شدة الالم الذي كان يعانيه وتقلب في فراشه تقلب الملسوع

فقال له الدكتور حينئذ كن مستريحاً ياصديقي فانني اجبتك الى طلبك

وعند ذلك تناول الدكتور قلماً واخذ يكتب وصفة الدواء الذي يسهل لميرابو الخروج من عالم الحياة الى عالم الراحة على طريق النوم . على انه لم يتم كتابة الورقة التي كانت في يده حتى وثب ميرابو من فراشه وثبة الاسد وطلب قلماً . فناوله الدكتور في الحال القلم الذي كان في يده . فقبض عليه ميرابو بيد مشتعلة وعيناه تقدحان شرر الموت ثم كتب به ثلاث كلمات بخط لا يكاد يُقراء وهي : « الهرب الهرب الهرب » ثم همّ بتوقيعها بخطه فلم يستطع ان يكتب فيها سوى الاحرف الاربعة من اسمه . وبعد ذلك رفع الورقة ومدها نحو جيلبار وقال « هذه لها » ثم انطرح على وسادته كجزع شجرة القيت على الارض بلا حركة ولا حياة

فاسرع الدكتور حينئذ اليه واخذ نبضه فتحقق ان القضاء قد حلّ به فالتفت الى الحاضرين وقال : ايها السادة ان ميرابو استراح من عذابه

وهكذا مات ميرابو . مات شيشرون . مات ذيموستين .

اما الدكتور جيلبار فانه بعد ان تحقق موت ميرابو دنا من جبينه فقبله والحزن في نفسه ثم طوى باعتناء الورقة التي ناوله اياها ميرابو ووضعها في جيبه لايصالها الى السيدة التي كُتبتْ لها وهذه السيدة هي الملكة كما يعلم القارى

فكانّ ميرابو قال لها بهذه الورقة انكِ كرهتِ الاستسلام اليّ والعمل بنصائحي لانقاذك

وانقاذ العرش معك فكنتِ سبباً في موتي . وبما انني متُّ لم يبقَ لك من سبيل للنجاة غير الهرب من هذه البلاد

***

ولما انتشر خبر وفاة ميرابو بين جماهير الشعب المزدحمة حول منزله قامت قيامتهم وصاحوا صياح الاسف والحزن العظيم . ثم ذاع الخبر حتى وصل الى باريز . فقامت له المدينة وقعدت . وحينئذ امكن الناظر ان يرى ويقيس المكان الواسع الذي كان يشغله ميرابو في الامة الفرنسوية . اما الشعب فقد كان اكثر الناس حزناً على خطيبه العظيم . ولذلك بادر الى اعلان الحزن عليه . واول ما صنعه انه سار الوفاً الوفاً الى الملاعب (التياترات) فمزق اعلاناتها واقفل ابوابها بالقوة . وكان في ذلك اليوم في قصر بشارع شوسه دنتين مرقص كبير فهجم الشعب على القصر ففرق الراقصين والراقصات وكسر الآلات الموسيقية

وعند اجتماع المجمع الوطني في ذلك الصباح ابلغه رئيسه ذلك الخبر الفاجع . فنهض باريز الى منبر الخطابة وسال المجمع ان يقرر في وقائعه الرسمية الاسف على هذا الرجل العظيم وان يدعو اعضاءه الى حضور جنازته بصفة رسمية

وفي ٣ افريل وفد على المجمع وفد ينوب عن باريز وساله ان يقرر تخصيص كنيسة (سنت جنفياف) لدفن الرجال العظام فيها وجعل ميرابو اولهم . فقرر المجمع هذا القرار . ومنذ هذا الحين صار يُطلق على كنيسة جنفياف اسم « البانثيون » وهو مدفن اعاظم رجال فرنسا في هذا الزمان (١)

وبما ان هذا المكان لم يكن معدًّا لدفن الرجال العظام فقد قرر المجمع في قراره ان توضع جثة ميرابو وقتياً في مدفن تحت الكنيسة بجانب نعش الفيلسوف ديكارت

---

(١) في هذا العام جعلت الثورة الفرنسوية كنيسة جنفياف في باريز مدفناً لاعاظم الرجال وقد قرر المجمع الوطني ان يُنقش في صدر هذا المدفن الكبير هذه الكتابة « ان الوطن لا ينسى جميل رجاله العظام » ثم لما عادت الملكية اعادت حكومتها هذا المكان كنيسة كما كان . ولكن لما عادت الجمهورية الثالثة اعادته مرة ثانية مدفناً لاعاظم الرجال وكان اول من دفنت فيه فيكتور هيغو الشاعر المشهور . وقد احتفلت فيه في هذا الشهر بتذكار مرور مائة سنة على ولادة هذا الشاعر . اما باني كنيسة جنفياف فهو لويس الخامس عشر وقد سماها باسم جنفياف لان باريز موضوعة في التقاليد الكاثوليكية تحت حماية هذه القديسة

المدفون هناك

وفي اليوم التالي سار المجمع الوطني بتمامه الى قصر ميرابو في ارجنتيل للاحتفال بتشييع جثته الهامدة . فوجد هنالك الوزراء والكبراء ومائة الف نفس من الشعب وفدت للاشتراك في اكرام نابغة الوطن . ولكن لم يات احد من قبل الملكة ... ولما انتظمت الحفلة خرجوا بالجثة في جمع عظيم يتقدمه لافاييت القائد العام . وسارت باريز كلها وراء النعش تبكي الخطيب الذي جدد لفرنسا في ذلك الزمان عهد شيشرون وذيموستين ولما وصلوا به الى كنيسة سان اوستاش وانتهوا من اقامة الصلاة عليه وقف الراهب اليسوعي (سروتي) وابن الفقيد تابيناً بليغاً . وكان هذا الراهب من رجال الاكليروس الذين انضموا الى الثورة وقبلوا مبادئها الحرة وآراءها العصرية الجديدة ولذلك جعل عضواً في المجلس النيابي . ولما اتى على آخر كلمة من تابينه اطلق ١٠ الاف جندي كانوا في الكنيسة بنادقهم اكراماً لتذكار الفقيد . فصاح اعضاء المجمع الوطني صيحة هائلة لانهم لم يكونوا يتوقعون ذلك وخيل للحاضرين ان الارض قد مادت وان سقف الكنيسة سيسقط عليهم . وقد تكسرت كل نوافذ الكنيسة وزجاجها فلم يبقَ بها لوح زجاج سليماً

وبعد الصلاة ساروا بالجثة الى كنيسة جنفياف (البانثيون) وكان مسيرهم اليها على نور المشاعل لان الظلام كان قد ارخى ستائره

ولكن الظلام لم يهبط على العيون فقط بل هبط على النفوس ايضاً . ذلك لان وفاة ميرابو كانت خسارة ما بعدها خسارة . فقد ذهب بذهاب هذا الرجل العقل الذي كان يدير ازمة الحكم والسياسة . لقد ذهب اللجام الذي كان يكبح جماح الشعب والمهماز الذي كان يستحث انصار الملكية . وصارت بعده مركبة الدولة سائرة بلا دليل ولا مشير فلا تعلم اهي سائرة الى قمة النجاة او وهدة التهلكة

***

وكان وصول الحفلة الى البانثيون في منتصف الليل . وكان هذا الاحتفال جامعاً شعب باريز وكل ذي مقام فيها فكانت باريز قامت كلها تشيع رجلها العظيم وتخفره . ولم يكن ينقص هؤلاء المشيعين الا رجل واحد

ومن هو هذا الرجل . هو السياسي بسيون

ولماذا تخلف السياسي بسيون عن حضور جنازة ميرابو . ذلك لان هذا الرجل عثر في زعمه على مراسلات كتبها ميرابو قبل موته والغرض منها مقاومة الثورة وايقاف سيرها

و بعد انقضاء ثلاث سنوات على هذا اليوم لما اصبحت البلاد في ازمة الكونفانسيون صنع هذا المجلس صنعاً غريباً · فانه بعد ان قتل الملك والملكة · و بعد ان سفك دماء الجير ونديين والكوردوليين والمونتانيار · و بعد ان قتل نفسه وسفك دماء اعضائه ولم يبقَ لديه احد من الاحياء لقتله — عمد الى قتل الاموات · فقرر بسرور وحشي ان المجمع الوطني اخطاء بدفن ميرابو بين اعاظم الرجال لان عقل الانسان مهما كان كبيرًا فانه لا يمحو سيئات الرشوة والفساد · يعني بذلك ان ميرابو كان يرتشي من البلاط لمقاومة الثورة

و بناء على ذلك وضع مجلس الكونفانسيون قرارًا آخر مقتضاه اخراج جثة ميرابو من البانثيون

وطبقاً لهذا القرار جاء يومئذ الى قبر ميرابو في كنيسة سنت جنفياف رجل من قِبل المجلس وقراء على الميت صورة القرار الجديد الذي يقضي عليه بعدم الرقاد في مكان يرقد فيه فولتير و روسو وديكارت · ثم طلب من حارس الكنيسة ان يسلمه جثة ميرابو · فدفعها الحارس اليه فاخذها الرجل المبعوث من مجلس الكونفانسيون ودفنها في مكان يُدعى كلامار وهو مدفن المجرمين

و رغبةً في جعل هذا العقاب موازيًا للاكرام الذي لقيه ميرابو يوم موته ودفنه لم يُخرج هذا الرجل الجثة من الكنيسة الا في الليل لكي لا يحتفل بها احد ولم يضع على القبر الذي دُفنت فيه شيئًا يُستدل به

ولكن رجلاً فضولياً مولعاً بالسؤال زار كلامار ذات يوم وسال عن المكان الذي دُفن فيه ميرابو · فاخذه احد الحفارين الى مكان في وسط المدفن ورفس الارض بقدمه وقال: ههنا دفناه · ثم رغبة منه في تاكيد كلامه اردف بقوله : نعم ههنا دفناه · ولقد كدتُ اسقط في الحفرة وانا حامل تابوته لشدة ثقل ذلك التابوت الرصاصي اللعين »

وكان ذلك الرجل السائل الكاتب نوديه

ولقد اخذني نوديه في ذات يوم الى ذلك المكان ورفس الارض بقدميه في موضع القبر وقال لي · ههنا دفنوه

وها قد مضت على ميرابو خمسون سنة وهو مدفون في مكان مجهول يمرُّ الناس فوقه ولا يعرفونه · افلا يجب اخراج جثته من تلك الارض الرجسة ودفنه في قبر يليق به · وربما كان ميرابو غير اهل للرقاد في البانثيون ولكن اليس بين ارض البانثيون وتلك الارض

الرجسة وَسط يحق له ان يُدفن به · وكم من اناس غيره يرقدون الآن او سيرقدون في المستقبل في ارض شريفة مع انهم لا يستحقون الا الاراضي المخصصة بالمجرمين · فاليكِ يافرنسا اسوق الكلام · اقيمي قبراً لميرابو ولا تنقشي عليه غير اسمه ولا تضعي فوقه غير تمثاله ودعي للتاريخ الحكم عليه

الفصل السابع والعشرون

﴿ ما اشار به ميرابو ﴾

اما الملك والملكة فانهما كانا في اثناء هذه الحوادث يفكران في امور اخرى

وبيان ذلك انه قبل وفاة ميرابو بساعتين دخل الى قصر الملك رجل قادم من سفر بعيد وكان هذا الرجل الكونت دي شارني الذي ارسله الملك الى الجنرال بولييه ليدبر معه طريقة فراره

ولما علم الملك بوصول شارني سرّ به كل السرور واستدعاه اليه وساله عن مهمته فاجابه شارني ان الجنرال قد اتخذ كل المعدات اللازمة لحفظ سلامة جلالتكم ثم اطلعه على خطة السفر وعدد الجنود الذين عزم على تفريقهم في طريقه · فقال الملك وهل وجد حجة لارسال هولاء الجنود فانني اخشى ان يسيئوا الظنون بها · فاجاب نعم قد وجد الجنرال حجة لذلك وهي ان وزير الحرب سيرسل بعد حين مالاً جزيلاً الى جيش الجنرال بولييه فاذا سال الناس عن سبب قدوم الجنود اجابوهم انه لحماية المال المرسل من وزارة الحرب

فقال الملك وعلى ذكر المال اسالك ايها الكونت هل وصل الى المركيز دي بوليه المليون فرنك الذي ارسلته اليه · فاجاب شارني نعم يامولاي قد وصل المليون فرنك ولكن لا يخفى عن جلالتكم انه يفقد ٢٠ في المائة عند القطع · فقال الملك نعم اعرف ذلك ولكن هل استطاع المركيز قطعه بهذه القيمة على الاقل · فاجاب شارني بل انه قطعه باقل من ذلك لان خادماً اميناً لجلالتكم قد ابتاع من تلك الاوراق ما قيمته مائة الف فرنك من غير قطع · فقال الملك والباقي · قال اما الباقي فقد قُطع في بنك المسيو بركو وقد اعطى هذا البنك حوالة بالقيمة على بثمان وشركائه في فرنكفورت وهم يدفعون المال نقداً · فقال الملك حسن فاذكر لي الآن اسم ذلك الرجل الامين الذي خسر مائة الف فرنك لابتياع اوراقي · فقال شارني لا اقدر ان اذكر اسمه يامولاي لانه لم يهب تلك الهبة الا على

هذا الشرط . فقال الملك ولكن هل تعرفه انتَ . فاجاب نعم اعرفه يامولاي . فعلم الملك ان ذلك الرجل هو شارني نفسه فدنا الملك منه بعظمة ثم اخرج من اصبعه خاتماً من ذهب وقال له . لما دنا اجل ابي دنوتُ منه وقبلتُ يده التي كان قد بردها الموت ثم نزعتُ منها هذا الخاتم واخذته تذكاراً . و بناء عليه فانه عندي في مكان عظيم . ومع ذلك اسالك ان تاخذه وتهبه الى ذلك الرجل الكريم من قِبلي

فطفحت حينئذ عينا شارني بالدموع وضاق صدره من شدة تاثره فجثا على ركبته امام الملك ليتناول الخاتم منه

ولكن لم يكد شارني يجثو حتى فُتح الباب بغتة فالتفت الملك بغضب ليرى الداخل لان فتح الباب عليه بهذه الطريقة اهانة له اذا لم يكن هنالك امر ضروري يقتضي ذلك . ولما التفت الى الباب ابصر الملكة داخلة منه وهي صفراء الوجه وفي يدها ورقة صغيرة

اما الملكة فانها ما ابصرت شارني جاثياً امام الملك حتي تراجعت الى الوراء كانها مذعورة وقالت : مسيو دي شارني هنا

ذلك انها كانت تجهل قدوم الحبيب الذي كانت تقضي ايامها ولياليها بالتفكر في غيابه .

فنهض دي شارني حينئذ . ورغبة في تخفيف الم الملكة قال . نعم يامولاتي فقد قدمتُ الساعة وكنتُ على عزم الاستئذان من جلالته في التشرف بمقابلتك لارفع اليكِ واجبات التحية والاحترام

فذهب عند ذلك الاصفرار من وجه الملكة وحل محله شَفق لطيف . فمدت يديها الى شارني لتسلم عليه ولكنها لم تلبث ان اعادت احداهما الى قلبها لانه كان ينبض نبضاً شديداً

وكانت الورقة التي في يد الملكة قد سقطت منها ووقعت بعيداً فالتقطها شارني وجاء الملك بها فتناولها الملك وقرأها فوجد فيها هذه الكلمات « الهرب الهرب الهرب » وتحتها هذا التوقيع المبهم « ميرا ... » . فسال الملك الملكة ما معنى هذا فانني لم افهم شيئاً. فاجابت الملكة ان المسيو دي ميرابو قد توفي منذ عشر دقائق وقد كتب هذه الورقة قبل وفاته يشير بها علينا بالسفر

فقال الملك نعم نعم قد عزمت على السفر ايتها السيدة وقد اعددنا كل شيء فاذهب ايها الكونت واطلع الملكة على تفاصيل ذلك

فقالت الملكة للكونت بلهجة من فرغ صبره اتبعني ايها الكونت ولا تبطيء ثم خرجت تقصد غرفتها . فانحنى شارني باحترام امام الملك وخرج في اثرها

الفصل الثامن والعشرون

﴿ الحب بين المتاعب ﴾

ولما وصلت الملكة الى غرفتها رمت بنفسها على مقعد هناك واشارت الى شارني ان يغلق الباب وراءه . فاطاع شارني . ولكن الباب لم يُغلق حتى ارتفع صوت الملكة بالبكاء والزفرات

ذلك ان الملكـة تركت التاج الملكي في تلك الساعة وذكرت انها امراة

اما شارني فان بكاء الملكة من اجله اثار في نفسه بقية ما بقي فيها من الحب القديم

ولقد قلنا « بقية ما بقي فيها » لان حباً كالحب الذي كان يجده شارني في نفسه قبلاً لا تخمد ناره خموداً تاماً الا اذا انقلب بغضاً . وبناء عليه كان في نفسه حبان . حب قديم اثري للملكة وحب جديد لزوجته اندري . ولقد كان يحب اندري من كل قوى نفسه وكان يحب الملكـة على سبيل الشفقة واحياء للتذكار القديم

وكان شارني واقفاً امام الملكـة ينظر اليها وينتظر اوامرها وهي مستغرقة في البكاء وراسها بين يديها . ذلك انه مرت عليها ثمانية اشهر دون ان تسمع خبراً عنه او تعلم بمكان وجوده . وكانت تفتكر فيه في الليل والنهار ولا تجد مسرة في الحياة لغيابه . وبينما هي في هذا القلق الدائم واذا بها تراه في غرفة الملك بغتة دون ان تكون على موعد من لقائه . فثارت حينئذ كل قوى نفسها وتمثل لها ما عانته في حياتها من المتاعب فاستسلمت الى الضعف والبكاء وهو آخر واقوى ملجاء للنساء

وكانت تبكي لتفرج همها ولو لم تبك لخنقتها دموعها

وكانت تبكي بلا كلمة ولا اشارة . فهل كان بكاؤها من الحزن او من الفرح . ربما كان من الاثنين لان كل انفعال شديد يُترجم بالدموع ايّاً كان نوعه

ولما طال وقوف شارني امامها وهي تبكي دنا منها وفي نفسه من عواطف الحب اكثر مما فيها من عواطف الاحترام ثم اخذ احدى يديها فرفعها عن وجهها وقبلها وقال : مولاتي .

يسرني ان ابلغكِ انني منذ فارقتكِ لم افتأ عن الاشتغال بك ومن اجلك

فاجابت الملكة بلهفة . شارني شارني لقد مرَّ عليَّ زمن كنتَ فيه اقل اشتغالاً بي ولكنك كنتَ اكثر افتكاراً فيَّ . فليت هذا الزمن يعود

فقال شارني ان الملك ياسيدتي عهد اليَّ في الاشهر الاخيرة بمهمة في غاية الاهمية فكانت مهمتي توجب عليَّ السكوت التام الى ان افرغ منها ولذلك لم اقدر على الكتابة اليكِ . اما الآن فقد فرغت من هذه المهمة فاذني لي ياسيدتي ان اطلعك على نتيجتها

فنظرت الملكة حينئذٍ الى شارني نظراً يفهم كل انسان معناه وقالت له . شارني شارني اما لديك حديث اهم من هذا الحديث الآن . ثم انها ضغطت على يده بين يديها

اما شارني فانه بقي صامتاً . وقد اجالت الملكة نظرها فيه في اثناء سكوته فلم تجد في ثيابه النظيفة المرتبة ولا في شعره الصقيل ما يدل على انه كان في سفر بعيد . فقام في نفسها حينئذ شك هائل . فانها ظنت ان الكونت قد عرج في طريقه على منزل زوجته الكونتس اندري وغير ملابس السفر فيها . ولذلك لم تلبث ان القت عليه بلهفة هذا السؤال . وهل كانت طريقك طويلة . فاجاب انني قطعت ٩٠ فرسخاً . فقالت الملكة عجباً ومع ذلك فاني لا ارى على ملابسك غبار السفر . فقال الكونت نعم ياسيدتي فقد خشيت ان ينبه قدومي الى القصر بملابس السفر ظنون الناس ولذلك غيرتها قبل وصولي الى القصر . فقالت بشيء من التهكم وعقرب الغيرة تلذع قلبها . نعم نعم لقد نسيتُ ان لك منزلاً في باريز . فاجفل شارني عند هذا الكلام لانه عرف غرض الملكة منه وقال كيف تقول الملكة ان لي منزلاً في باريز . فاجابت اليس المنزل الذي تسكنه الكونتس منزلك ايها الكونت

فلما قالت الملكة هذا القول همَّ شارني بان يستشيط غضباً منها ولكنه ذكر ان غضبه وهي في تلك الحالة يؤلمها اشد الم فاشفق عليها وقال . لقد ذكرتُ لك ياسيدتي قبل سفري من باريز ان منزل مدام دي شارني ليس بمنزلي . اما المكان الذي غيرت فيه ملابسي فهو منزل اخي الفيكونت ايزيدور دي شارني

فلما سمعت الملكة هذا القول ابرقت عيناها فرحاً وسروراً ثم انها هبطت من عن المقعد على ركبتيها على الارض واخذت يد شارني ووضعتها على شفتيها . اما شارني فانه لم يكد يرى صنع الملكة حتى اسرع كالبرق الخاطف ومدَّ يده فانهضها واجلسها على المقعد وهو يقول . ما هذا الصنع يامولاتي

فاجابت الملكه بصوتها الناعم اللطيف · اريد ان اشكرك يا اوليفيه

فاغرورقت حينئذ عينا شارني بالدمع واجاب · وعلى اي شيء تشكرينني ياسيدتي

فقالت الملكة · تسالني على اي شيء اشكرك ؟ الا فاعلم انني منذ يوم سفرك لم القَ مسرة الا في هذه اللحظة التي قلتَ لي فيها ما قلتَ · ولا اجهل انني اقول الآن قولاً لا يجب ان يُقال ولكن ما الصنع بغيرة النساء فانها عاطفة هائلة · وهل تنسى تلك الايام التي كنتَ انت فيها غيورًا ايضاً · ولكن ما اعظم الفرق بين غيرة الرجال وغيرة النساء · واننا نحن النساء يحق لنا ان نحسدكم على غيرتكم ايها الرجال · فانتم اذا غرتم من رجل فانكم تبارزونه فيقتلكم او تقتلونه واما النساء فلاسلاح لهن غير البكاء · وكثيرًا ما يكون هذا البكاء مضرًا لا مفيدًا اذ يكون سبباً في ابعاد القلب الذي نروم تقريبه · فهل فهمتَ الآن سبب شكري لك · وانني اكرر لك شكري واعدك بانني ما عدت ابكي · فانظر اليَّ

وفي الحقيقة ان الملكة تناولت منديلها فمسحت به دموعها ونظرت الى شارني تُظهر له الابتسام · ولكنه كان في ابتسامها شيء غريب ارتعدت له فرائص الكونت فقال لها · وهل يمكن ان تكوني تعذبتِ الى هذا الحد · فنظرت الملكة الى السماء وقالت شكرًا لك يا الهي لانه شعر بشيء من عذابي ومتى شعر به كله فانه لا يعود قلبه يطاوعه على ترك حبي

فشعر شارني حينئذ انه نازل في احدور يستحيل عليه بعد ذلك الوقوف فيه فتمالك وطوى هذا الحديث قائلاً · والآن هل تسمح لي جلالتك بان اطلعها على تفاصيل المهمة التي سافرتُ من اجلها

فكانَّ الملكة انتبهت عند هذا السؤال الى نفسها وذكرت انها اذا كانت امراة فهي ايضاً ملكة · وبما ان المراة قد نالت ما كانت تريده فقد بقي ان تعلم الملكة ما تريد علمه · فالتفتت الى شارني وقالت له · ان الملكة مصغية اليك ايها الكونت

فاطلعها الكونت دي شارني حينئذ على سبب سفره لمقابلة المركيز دي بوليه وكيف انهما اعدا سبيل سفر الملك واسرته من باريز الى آخر تفاصيل هذه المسالة · ولما استوعبتها الملكة جيدًا قالت لشارني · وهل يسرك ان تكون نجاتي على يدك ايها الكونت · فقال شارني انني ابذل نفسي في هذا السبيل ياسيدتي لانني اعتبر ذلك من واجباتي · فقالت الملكة بل كنتُ احب ان يكون ذلك لحبك لي لا لقيامك بواجباتك · فسكت دي شارني · واما الملكة فانها لبثت مبهوتة مفكرة · وبعد هنيهة التفتت الى شارني وقالت له · ولكن

فاعلم يا اوليفيه انني لا ارضى بان انجو على يدك الا على شرط واحد · فقال شارني وما هو · قالت انني احياناً لا املك زمام نفسي فاذا رمتُ ان اعمل عملاً ورايتُ في اثنائه ما لا تشتهي نفسي فانني لا اضمن انني استمر فيه · وانا اقول لك ذلك لتعلم الخطر مقدماً فتجتنبه

فلما سمع شارني ذلك انحنى قليلاً لانه كان قد فهم كلام الملكة ثم قال : انني اعدك ياسيدتي بانني لا ارى الكونتس دي شارني الا باذن منك

قال ذلك بجد لا مزيد عليه ثم انحنى ثانية وخرج دون ان ينتظر جواب الملكة

ولما اغلق شارني الباب وراءه اخذت الملكة بيديها تشدهما من شدة تاثرها · ثم قالت في نفسها · وددت ان يكون قد اقسم ان لا يراني الا باذن منها ويكون يحبني بقدر ما يحبها

الفصل التاسع والعشرون

﴿ النظر المزدوج ﴾

شروع الملك في الفرار

اما الامر الذي اقنع الملك بوجوب الفرار مع اسرته بعد ان كان متردداً فيه فهو حدوث عدة حوادث دلته على انه يكاد يكون اسيراً للامة مع عائلته

ومن هذه الحوادث ان المجمع الوطني اوجب على الكهنة الذين يدخلون قصر الملك للقيام بطقوس الاعتراف والقربان المقدس وخدمة القداس ان يكونوا من الكهنة الذين اقسموا يمين الامانة والطاعة للدستور الذي وضعه المجمع · فلما اقترب عيد الفصح خافت عمتا الملك من ان يمرّ العيد ولا تتناولان الاسرار المقدسة على يد كاهن غير مقسم يمين الامانة للدستور لان الاكليروس كان يعتبر الذين اقسموا منهم هذه اليمين خارجين عن الكنيسة الحقيقية ولذلك عزمتا على الفرار من باريز · فتزيتا بزي خادمتين وسافرتا من باريز الى خارج المملكة · فلما علم الشعب بذلك هاج وماج وصاح مارات انهما اخذتا عدة ملايين من الفرنكات وقال ديمولين انهما خطفتا ولي عهد الملك وسارتا به الى الخارج · ولما وصلتا الى ارناي لو دوك القي القبض عليهما وحيل بينهما و بين السفر فاضطر الملك الى ان يكتب رسالة الى المجمع الوطني يطلب فيها منه الاذن لهما باتمام سيرهما · فاذن المجمع بذلك ولكنه اشترط ان يعين لجنة لوضع نظام للمهاجرين من المملكة · وقد وضعت اللجنة ذلك

النظام على ان ميرابو قبل وفاته قاومه بكل قواه حتى اسقطه والغاه

ولكن هذه الاهانة لم تكن شيئاً بالقياس الى الاهانة التالية التي وقع الملك فيها . فانه لما انتشر في باريز خبر فرار عمتي الملك وهاج الشعب اسرع الى قصر الملك نحو مائة من نبلاء الفرنسويين وابلغوه انهم مستعدون للموت في سبيله . فسر الملك بهذه المظاهرة . ولكن لما انتشر خبرها خارج القصر حسب الناس ان انصار الملكية يعقدون مؤامرة سرية فاسرع الجنرال لافاييت القائد العام الى التويلري ودخله عنوة بجنوده وهم مجردون اسلحتهم ثم قبض على جميع اولئك النبلاء وفتشهم فوجد في ثيابهم كثيرًا من المسدسات والخناجر ولذلك دعوهم « نبلاء الخناجر »

وفضلاً عن ذلك فقد جرت عادة الملك بان يذهب في كل عام الى سان كلود قرب باريز . ففي ذات يوم امر باعداد المركبات للذهاب اليها ثم نزل من قصره ليركب مركبته مع الملكة واذا به يرى نحو ١٥٠٠ شخص يحيطون بالمركبة ويمسكون برؤوس الخيل منعاً لها من السير . ثم انتشر الخبر وقرعت الاجراس ايذاناً بان الوطن في خطر لان الملك عازم على الفرار من باريز . ولذلك اضطر الملك الى العدول عن نزهته

ويظهر من ذلك كله امران . الاول ان الشعب كان يخشى خروج الملك من فرنسا لاستنجاد باوربا على امته وشعبه ورغبة المجمع الوطني وانصاره في ان لا يخرج الملك فيد فترعن الدستور الذي سنه المجمع ووضع فيه الامة فوق الملك . والثاني ان الملك صار يرى وجوده في باريز ثقيلاً عليه لاعتباره نفسه اسيرًا فيها فضلاً عن ضغط الدستور على ارادته . ولذلك عزم على الفرار بعد ان كان مترددًا فيه واظهر هذا العزم للملكة بجلاء تام حين مقابلتها لشارني عنده

وكان الجنرال بوليه والملك قد جعلا موعد الفرار في ٢٠ يونيو من ذلك العام

وفي صبيحة اليوم السابق لهذا اليوم كان الدكتور جيلبار في منزله وفي يده ورقة متعلقة بمشروع الفرار وهو يقرأها ويعيد قراءتها من حين الى حين . وكان يروح ويجيء في المنزل بهيئة رجل ينتظر رجلاً آخر ويطل من النافذة على الشارع من دقيقة الى اخرى . وبعد حين وقفت مركبة امام باب منزله فتنفس الدكتور الصعداء وقال لخادمه افتح للكونت دي شارني في الحال فانني انتظره . فذهب الخادم ثم عاد بعد برهة وبدلاً من ان يعلن قدوم الكونت دي شارني اعلن قدوم الكونت كاليوسترو

فلما سمع الدكتور هذا الاسم ارتعدت فرائصه مع ثبات جاشه لانه لم يكن ينتظره .

فطوى بسرعة الورقة التي كانت بيده ودسها في جيبه ثم لبث ينتظر ذلك الرجل العجيب . فدخل عليه كاليوسترو بعد حين وكانه قد لمح من السلم الورقة التي كانت في يد الدكتور جيلبار قبل ان يضعها في جيبه ولذلك قال له : لماذا اخفيت هذه الورقة ايها الدكتور

فاجاب الدكتور هذه ورقة لا يهمك امرها

فضحك كاليوستر وقال بل يهمني امرها كما يهمك . ولكن قبل ذلك اتريد ان اخبرك عن مضمونها . فنظر اليه الدكتور باستغراب وقال : هل عدنا ايها الاستاذ الى مسائل النبوءة وعلم الغيب . فضحك كاليوسترو وقال : ان هذه الورقة تذكرة للملك واسرته لنسافروا بها من فرنسا متنكرين

فلما سمع الدكتور جيلبار هذا الكلام شعر بتاثير غريب في داخله وخيل له انه في حلم لا في يقظة . وبعد ان سكت هنيهة يفكر بماذا عساه ان يجاوب قال لمخاطبه

اصغ الي يامعلمي . نعم ان هذه الورقة كما ذكرت وذلك يدلني على انك مطلع على هذا السر فلا يجدي الانكار نفعاً . وبناء عليه فان اطلاعك هذا يوجب علينا واحداً من امرين . فاما اننا نعدل عن مشروعنا واما انك تعدنا بالتزام السكوت وكتمان هذا السر

فقال كاليوسترو وان لم اعدكم بالسكوت والكتمان . فاجاب الدكتور اذاً لم تعدني الآن بذلك وعداً قطعياً فانني انذر اصحاب هذا المشروع بالعدول عنه في الحال

فالتفت كاليوسترو حينئذ الى الدكتور جيلبار وقال له : بل لا تنذرهم بذلك ايها الدكتور فانني ما جئتك الا لابلغك انني عارف بمشروعك وانني لا اتداخل فيه ابداً . وان رمت زيادة في الايضاح قلت لك ان من مصلحتنا ان يخرج الملك من فرنسا لنقيم الجمهورية بعد خروجه ولذلك يجب علينا تسهيل هذا الخروج له لا اقامة العثرات في سبيله . وبناء عليه اعدك ايها الدكتور انني اكتم خبر سفره كل الكتمان ولا اتعرض له بسوء

فارتاح الدكتور الى وعد كاليوسترو ثم تحدثا مدة وبعد ذلك عاد الرجل الهائل من حيث اتى وقد ترك الدكتور مدهوشاً من مقدرته على استطلاع كل الخفايا والوقوف على جميع الاسرار

الفصل الثلاثون

﴿ فرار الملك ﴾

(والقبض عليه)

وكان الملك قد استعد اتم استعداد للسفر وكان موعد الفرار في ٢٠ يونيو من ذلك العام كما تقدم

ولما جاء هذا اليوم غيرت الملكة زيها و بدلت ايضاً زي ولديها وخرجت في السر من قصر التويلرى مع الملك ليركبا المركبة التي كانت تنتظرهما في مكان قرب القصر

وكان سفر الملك والملكة من طريق موغدي كما كان الاتفاق وكان المركيز دي بوليه قد بعث بجنوده الى المراكز التي على طريق السفر لوقاية الملك من الطوارىء وسار جورج دي شارني زوج كاترين امام المركبة يمهد لها طريقها ولحق بها اخوه الكونت دي شارني حبيب الملكة لحراستها

وكانت الملكة مسرورة في هذا اليوم لسببين . الاول انها تحققت انها ستخلص من تهديد الباريزيين واضطهادهم كما كانت تعتقد والثاني انها كانت تشعر بان صديقها شارني قريب منها وانها تحت حمايته وحراسته

اما الملك فانه كان سكوتاً لا يتكلم

وقبل ان فارق الملك قصر التويلري ترك فيه منشوراً الى الامة الفرنسوية

وظلت المركبة سائرة بركابها وهم يضربون اخماساً لاسداس في ماذا يكون مصير هذا السفر حتى وصلت الى المحطة الاولى فغيرت الخيل واستانفت السير . فاطمأن بال الملك والملكة قليلاً لانه قد مر عليهما مدة دون ان يتعرض لمركبتهما احد . وكانت هذه المركبة مقفلة وهما يشاهدان من داخلها الناس الذين كانوا يمرون بها دون ان يدروا بانها تضم الملك والملكة وولديهما . وكانا ايضاً يشاهدان الجنود التي بعثها المركيز دي بوليه لحراسة المركبة من بعيد . اما الكونت دي شارني فانه كان على جواده يسير وراء المركبة في مسافة بعيدة ويمر بعدها في الاماكن التي تمر بها ليسمع ما يقوله الناس عنها

وهكذا مرت المركبة في عدة محطات دون ان يلتفت احد اليها او يدري بركابها . ولكنها لما وصلت الى محطة قريبة من فارين خطر للملك ان يبرز رأسه من نافذتها ليشاهد

المكان والسكان فمن سوء حظه وقع نظره على رجل كان قد ذهب الى باريز وشاهد الملك فيها . فلما رأى هذا الرجل الملك دهش وقال : هذا هو الملك . فاسرع الملك الى الرجوع عن نافذة المركبة . ثم سارت المركبة في سبيلها وقدم الكونت دي شارني على اثرها فسمع الناس يلهجون بما شاهده الرجل الذي تقدم ذكره . ثم انتهي بهم هذا الحديث الى ارسالهم فارساً وراء المركبة لينبيء محطة فارين بوجوب ايقاف تلك المركبة وفحص جواز السفر الذي مع ركابها لان بعض السكان يزعم ان الملك قد فرّ فيها باسرته يقصد الخروج من فرنسا

فلما سمع الكونت دي شارني هذا الكلام ورأى الفارس قد امتطى جواده وسار في اثر المركبة طار صوابه وتحقق ان الخطر عظيم . ولكنه لم يلبث ان عاد اليه رشده فرأى انه اذا قتل ذلك الفارس فانه بذلك يمنعه من اطلاع المحطة التالية على هذا الامر وبذلك تنجو المركبة . وبناء عليه ركب شارني جواده وسار في اثر الفارس المذكور كانه البرق الخاطف

وهكذا كان على طريق (فارين) مركبة تعدو وهي تطلب الخلاص من خطر بان لها . وفارس يعدو وراءها يطلبها . وفارس آخر يعدو وراء هذا الفارس ليقتله ويمنعه من الوصول اليها

وظلّ الفارسان يعدوان بسرعة البرق حتى كلّ جواداهما . ولكن جواد دي شارني كان اكرم من جواد خصمه ولذلك ربح بعض المسافة واستطاع الدنو منه . اما الفارس فانه لما شاهد فارساً آخر يعدو وراءه تحقق انه يطارده من اجل المهمة التي سار من اجلها فازداد استحثاثاً لجواده ليفر منه . فكان جواده يعدو بكل قواه وجواد دي شارني يعدو بكل قواه ايضاً . ولكن المسافة بينهما ظلت كما هي فلا جواد دي شارني لحق بالجواد الثاني ولا الجواد الثاني استطاع ان يتوارى عنه . فلما راى ذلك صاحب الجواد الثاني ترك الطريق المطروقة ومال الى غابة هناك يقصد اختصار المسافة منها . فسار دي شارني في اثره بين اشجار تلك الغابة . وبعد حين صار دي شارني على مسافة مرمى الرصاص منه فتنفس الصعداء لانه تحقق انه قد ادرك امنيته . فمد يده الى بيت السلاح الذي كان في مقدمة سرج الجواد وهو يقول في نفسه لقد قتلت هذا العدو وانقذت الملك والملكية . ثم تناول المسدس بيده وصوبه الى خصمه واطلقه عليه وقلبه يرقص فرحاً وجزعاً

وكان قلبه فرحاً لانه سيخدم الملكية اكبر خدمة وجزعاً لانه يتعمد قتل نفس بشرية

ولكن من سوء حظ الملك والملكية ان ذلك المسدس كان فارغاً من الرصاص لان دي شارني كان قد نسي حشوه · فياخيبة الامل وسقوط الرجاء

وهكذا استطاع ذلك الفارس الوصول الى محطة فارين وابلاغ ذلك الامر الى حكومتها المحلية

فلما انتشر الخبر بين السكان خرجوا جميعاً لمشاهدة هذا الامر الغريب · ولما قدمت المركبة اوقفها الحاكم وطلب جواز السفر من الرجل الذي فيها فقدم له الملك الجواز الذي معه باسم مستعار لا حقيقة له · ثم انتهى الامر بمعرفة السكان الملك وايقافه عن المسير مع امرته · فكان لذلك دوي عظيم في باريز وفرنسا والدنيا كلها

ولما ذاع الخبر بايقاف الملك في وارين تجمهر الشعر وحدث شغب عظيم · وقد تقدم الكلام ان الفيكونت ايزيدور دي شارني زوج كاترين كان في معية الملك · فبينما كان في وسط الجمع امام المكان الذي نزل الملك فيه عرف الشعب انه من ضباط الملك ورجاله · فمدت يدٌ واطلقت عليه رصاصة فاصابته في صدره · فصاح ايزيدور حينئذ : مسكينة انت يا كاترين · يريد بذلك انها قد اصبحت بعده ارملة بلا زوج ولا نصير · وبعد بضع دقائق فارق هذا الشاب الحياة في سبيل الملك كما كان مصير شقيقه جورج الذي قُتل في فرساليا على ما تقدم

ولما درى المجمع الوطني بايقاف الملك في فارين وانتشر الخبر في باريز هاج الشعب وماج كالبحر الزاخر وقرر المجمع ارسال بعض اعضائه لمرافقة الملك في عودته الى عاصمته · وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً في فرنسا كلها · وقد قرر المجمع الوطني ايضاً الغاء سلطة الملك وايقافه عن الملكية وقتياً لبينما يقسم يمين الامانة للدستور · ولم ينادِ المجمع بخلع الملك رسمياً لانه رغبة في المسالمة اعتبر الملك مخطوفاً لا فارّاً والقى تبعة خطفه على المركيز دي بوليه وضباط حرسه · وحين عودة الملك الى باريز عاد اليها في مركبة جلس فيها بعض اعضاء المجمع الوطني الذين ذهبوا لاستقباله واعادته الى عاصمته · فكان ذلك رمزاً لطيفاً الى تغلب الشعب على السلطة الملكية واخضاعها اياها لان اولئك الاعضاء كانوا من ابناء الشعب لا من ابناء النبلاء

الفصل الواحد والثلاثون

﴿ واقعة فالمي المشهورة ﴾

وفي ١٣ سبتمبر من ذلك العام اقسم الملك يمين الامانة للدستور وعاد الشعب الى حبه واكرامه . ولكن الملكة كانت موقنة ان خلاص الاسرة المالكة لا يكون الا على يد اوربا وقد كانت تكتب ذلك الى اخصائها . وفي ٢٠ ابريل من عام ١٧٩٢ وقعت الحرب بين النمسا وفرنسا وكانت الملكة تتمنى في نفسها انتصار النمسا على فرنسا ويقال ان الملك ارسل يومئذ الى برلين والى فيينا بيان الخطط العسكرية التي وضعها الجيش الفرنسوي لهذه الحرب . ولما انتصر الجيش الالماني على الجيش الفرنسوي في المعركة الاولى قيل للملك والملكة ان يقصدا كومبيين فكان جواب الملكة ان الجيش الالماني وضع نصب عينيه ان ياتي وينقذنا في باريز نفسها »

وكان المجمع الوطني قد انحلَّ وحلَّ محله مجمع يُدعى « المجمع التشريعي » وقد انعقد بالانتخاب العام . فظنت الملكة ان اعضاء هذا المجمع سيكونون اضعف من اعضاء المجمع الوطني لانهم كانوا حديثي السن وكان اغلبهم من الاقاليم ولم يكن بينهم احد من اعضاء المجمع السابق . اما مشيرو الملكة فابلغوها ان هولاء الشبان القادمين من الاقاليم سيكونون اشد وطأةً من اسلافهم الشيوخ المطبوعين على التأني . وفي اثناء ذلك كان الملك مستمرًّا على مخابرة الاعداء الذين كانت تحاربهم دولته . وكان معتمدًا على ستة آلاف من انصاره ومريديه لتفريق شمل اعضاء المجمع التشريعي وتمزيق رجال الثورة كل ممزق . ولكنه كان يحسب هذا الحساب وهو يظن ان النصر سيكون حليف الجيش الالماني والنمساوي . ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . والرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن

وبيان ذلك بالاختصار ان باريز قامت قومة واحدة لدفع العدو الخارجي القادم بخيله ورجله لدوس ارادة الامة في ملكها . فقد أُعلن فيها ان الوطن في خطر ولذلك سارع الى الرايات والجندية كل شاب ورجل يستطيع حمل السلاح . وقد انخرط في سلك الجيش الوف من الخياطين والحلاقين والحمالين وكل اصحاب الحرف . فلما سمع بذلك جيش العدو ضحك ضحكاً شديداً من جيش يكون رجاله كهولاء الرجال . ولكنه لم يكن يدري ان فرنسا نفسها قد قامت على قدم وساق في اشخاص هؤلاء الخياطين والحلاقين والحمالين . لم يكن

يدري ان الروح الفرنسوية قد آلت على نفسها يومئذ ان تنتصر وتدفع العدو المغير على بلادها او ان تموت موت الابطال تحت سنابك الخيل و بين حراب الرجال. و يومئذ وضع روجه دي ليسل النشيد الوطني الفرنسوي المعروف الذي لا يزال النشيد الفرنسوي الرسمي الى هذه الايام . والتقى ذلك الجيش جيش الخياطين والحلاقين والحمالين بالجيش الالماني العظيم الكامل العدد والعدد في اكمة تُدعى اكمة فالمي . وكان الجنرال ديموريه الفرنسوي يقود الجيش الفرنسوي وكان هذا الجيش نازلاً في قمة الاكمة والجيش الالماني في سفحها يبغي المرور ولا مقدرة له على ذلك اذا لم يدحر الجيش الفرنسوي و يزحزحه عن مكانه .

وكان مستقبل فرنسا بل مستقبل العالم كله متوقفاً على هذه المعركة . وكانت المدافع الالمانية تصب كراتها على الجيش الفرنسوي في الاكمة وهذا الجيش واقف في مكانه ينتظر اوامر قواده . وبعد حين اصابت احدى القنابل الالمانية صندوقاً كبيراً للبارود فانفجر الصندوق وكان له دوي شديد اضطرب له الجيش الفرنسوي . فلما راى القائد الالماني ان الاضطراب قد وقع في جيش خصمه تحقق النصر فامر جنوده المدربة بالهجوم في الحال لتسلق الاكمة وسحق اعدائهم فيها

فلم يفت القائد الفرنسوي ما قصده القائد الالماني . فترك ذلك القائد الجنود الالمانية تتقدم دون ان يامر باطلاق مدفع او بندقية . وكان زحف تلك الجنود هائلاً . فانها كانت اقدر جنود اوربا . وقد كان زحفها الى شبان لم يروا نار الحرب ولم يشهدوا معركة قط . الى خياطين وحلاقين وحمالين كما تقدم . ولكن لما صارت هذه الجنود المدربة على مقربة من الجيش الفرنسوي تقدم القائد الفرنسوي جيشه ثم تناول قبعته فوضعها على راس سيفه وصاح باعلى صوته « لتحيَ الامة ايها الجنود » ثم هجم

فاجابه جيشه كله « لتحيَ الامة » ثم هجم وراءه

فهل رأيتَ الصواعق حين انقضاضها . هل رايت التيار كيف يجرف ما يعترضه في سبيله . هل رايت الامواج المائلة كيف تتلاعب بزوارق تكون على سطحها : هكذا كانت الجنود الالمانية المدربة بازاء ذلك الجيش الذي تالف من ارباب الحرف والمهن . ولقد كان صراخ الجيش الفرنسوي « لتحيَ الامة » بمثابة صراخ امة لا تريد ان تموت وتدافع عن شرفها وحياتها الى آخر نسمة من حياتها . وبناءً على ذلك لم يمضِ نصف ساعة حتى انكسر الجيش الالماني اشد انكسار ووصل نبأ انتصار الجنود الفرنسوية الى باريز فبكى الباريزيون من فرحهم واقاموا في العاصمة احتفالات عظيمة

الفصل الثاني والثلاثون

﴿ سجن الملك ﴾

اما البلاط الفرنسوي والملوك في اوربا فانهم دهشوا واي دهشة لهذا الانتصار لانه لم يخطرلهم في بال . واما المجمع التشريعي فقد تشدد عزمه وقوي صوته نخطر له يومئذ ايقاف سلطة الملك مرة ثانية . على انه لولا هذا الانتصار وثقة المجمع بقوة جيشه لما اقدم المجمع على ذلك لخوفه من مؤامرات الملكيين في الداخل والخارج . وبناء على ذلك امر هذا المجمع بايقاف سلطة الملك وقتياً لينفي عنه ما اتهم به من مخابرة اعداء الدولة . فاخذ الملك والاسرة المالكة اولاً من قصره الى قصر لوكسمبرج ثم نقل من هذا القصر الى التامبل فكان هذا المكان بمثابة سجن له ولاسرته . ولكن لما قام مجمع الكونفاسيون بعد المجمع التشريعي قرر اعضاؤه خلع الملك خلعاً نهائياً في ٢١ سبتمبر (سنة ١٨٩٢) ونادى بقيام الجمهورية في اليوم التالي

فكان لهذا الامر دوي شديد في فرنسا واوربا كلها . وكانت النمسا والمانيا تحرقان الارم على فرنسا وتتمنيان سحقها لانقاذ الملك والاسرة من مخالبها . اما فرنسا فانها كانت ساهرة اشد سهر على ملكها واسرته لمعرفتها انه اذا استطاع الفرار عاد اليها محارباً فتقع الحكومة الفرنسوية بين نارين نار حرب خارجية مع الدول ونار حرب اهلية في داخل بلادها . وكان لملوك اوربا حساب آخر وهو انهم ذعروا اشد ذعر من خلع الملك واقامة الجمهورية لخوفهم على عروشهم وحذرهم من ان تسري عدوى الجمهورية الى شعوبهم فيصنعوا بهم ما صنعه الشعب الفرنسوي بحكامه ولذلك اتحد الجميع لمحاربة الحرية التي انبثق فجرها في باريز . ولكن يظهر ان الله سبحانه وتعالى قد كره اطفاء ذلك النور العظيم وجعل الكلمة النافذة والسلطة العليا للشعوب لا للملوك . واذا كان الملوك قد وقفوا بعد ذلك في اوربا عند حدودهم وصاروا يعتبرون الشعوب ابناء لهم لا عبيداً وانعاماً سائمة فمعظم الفضل في ذلك راجع الى الثورة الفرنسوية

وقد كان سجن الملك لويس السادس عشر في بدء الامر مع امرته فكان يرى الملكة وولديه واخته في كل يوم . اما الملكة فلا تسل عن حالتها وهي في السجن فانها كانت كلبوة في قفص من حديد . وكان حبيبها دي شارني قد قتل في اثناء هجوم الشعب على قصرها

لاخراجها منه ولذلك كان يأسها مزدوجاً . وان كل من بين جنبيه قلب حساس يشعر بمصائب البشر وان اخطأوا في حياتهم وحادوا عن الصواب في اعمالهم لا يسعه الا ان يتألم مع هذه الملكة والام والزوجة التي جنت على نفسها هذه الجناية وهي لا تدري بها

وكان الملك يقيم في الطبقة الاولى من التامبل والملكة وولداها في الطبقة الثانية . وكان الضباط ينامون امام الغرف لحراستهم في الليل . وكان القائد سانتير يفد في كل يوم الى التامبل مع اركان حربه لزيارة المسجونين وتفتيش المكان . وكانت الحكومة تنفق على مائدة الملك وحدها في كل شهر اكثر من ٥٠٠ جنيه

وكان انصار الملك يعقدون المؤامرات السرية لخطفه مع اسرته من السجن فلما ظهرت آثار تلك المؤامرات ازدادت الحكومة تشديداً وسهراً على سجنائها ومنعت عنهم الحبر والورق وحالت بينهم وبين كل داخل وخارج فانقطعت اخبار العالم عن الملك وانقطعت اخباره عن العالم

ثم شرعت حكومة الكونفانسيون بالاهتمام بمحاكمة الملك . وكان لرجالها رأيان . الراي الاول الاكتفاء بخلع الملك ونفيه من فرنسا والثاني وجوب محاكمته والحكم عليه بالاعدام

وكان انصار الراي الاول يقولون : « ان الامة قررت على يد نوابها في الدستور الذي وضعته في عام ١٧٩١ ان شخص الملك مقدس فهو غير مسئول عن شيء من الاشياء ولا يجوز ان يُمس بشيء . فليس للحكومة ان تسن الآن قانوناً جديداً ينقض ذلك القانون القديم . وقد جاء في هذا القانون القديم ان الملك اذا خان الامة وعمل على محاربتها مع اعدائها فجزاؤه الخلع من الملك . فاكتفوا اذاً بخلع الملك . واذكروا ان وزراءه هم الذين يجب ان تقع عليهم كل مسئولية »

واما انصار الراي الثاني فانهم كانو يقولون : « اذا كان شخص الملك مقدساً وغير مسئول فهو مقدس وغير مسئول بالنظر الى دوائر الحكومة ومجالسها لا بالنظر الى الامة نفسها . فهو مسئول لدى الامة لان الامة فوقه . ولا يجوز للملك ان يتمسك بالدستور فيقول عاملوني بموجب الاتفاق الذي عقد بيننا من الاكتفاء بالخلع فان الرجل الذي صرف عمره في مقاومة الدستور في السر ونقض احكامه لايجوز له ان يتمسك به و يرجع اليه . وان قيل ان المسئولية واقعة على الوزراء دون سواهم فهذا خطاء محض اذ كيف يجوز ايقاع المسئولية على اناس لم يعلموا بالحوادث التي جرت لكتمان الملك اخبارها عنهم . اما الخلع فهو عقاب غير كاف لان كل قوانين الامم تحكم بالاعدام على كل خائن لدولته وامته . واما

سؤالهم عن المحكمة التي يجب ان يحاكم الملك لديها فهي محكمة الامة اي النواب الذين اختارتهم الامة ليمثلوها . واما قولهم انه لا يجوز ان تكون الامة خصماً وحكماً في حين واحد فهو قول غريب واذا كان ذلك غير جائز فهل نفوض اذاً هذه المحاكمة الى الدول الاجنبية »

الفصل الثالث والثلاثون

﴿ المحاكمة ﴾

وفي ٣ دسمبر من ذلك العام جعل روبسبيير مجمع الكونفانسيون يقرر هذا القرار « يجب محاكمة الملك وينبغي ان تكون محاكمته في مجلس الكونفانسيون » وكانت الحكومة قد وجدت في الخزانة السرية التي تقدم تفصيل انشائها في القصر كثيراً من الاوراق السرية التي لا اهمية لها . وذلك لان الحكومة لم تعثر على هذه الخزانة الا بعد ان اخذ منها البلاط كل الاوراق المهمة كما ذكرت مدام كمبان في تاريخ حياتها . وقد اتهم كثيرون من المتطرفين الوزير رولان نفسه بانه اخفى بعضاً من الاوراق المهمة التي وجدت فيها . وقد دفع رولان هذه الاوراق الى الكونفانسيون في ٢٠ نوفمبر

وفي ١١ دسمبر ذهب بسيون الى التامبل وابلغ الملك قرار الكونفاسيون القاضي بمحاكمته مع صورة الاتهام . وفي اليوم التالي حضر الملك الى قاعة المحاكمة . وهكذا وقف الملك لدى شعبه في موقف المجرمين

وقد جلس الملك في قاعة الكونفانسيون على كرسي امام الاعضاء وكان الرئيس يلقي عليه الاسئلة فيجاوب بكل بساطة واتضاع . وكان احياناً ينكر ما يعزى اليه واحياناً يلقي تبعته على وزرائه وأحياناً يقول ان ما صنعه كان من حقه ويستند في ذلك الى مواد الدستور التي كان قد حفظها كلها . ولما سُئل عن الخزانة الحديدية السرية التي تقدم ذكرها اجاب انه لم يكن يعرف ما كان مخبوءاً فيها . قال الجمهوريون : وهذا كذب صريح . وقد دافع عن الملك مالرب وديسيز . وفي هذه الجلسة خاطب ديسيز اعضاء الكونفانسيون بهذه الكلمة المشهورة في اللغة الفرنسوية وهي « انني اطلب عندكم حَكماً فلا اجد الا خصماً » وقد كان الدفاع عن الملك مؤثراً . وقد دافع هو نفسه عن نفسه بخطاب وجيز يدل على بساطته . ولم يكن في كلام الملك ولا في وقفته شيء من العظمة الملكية لان لويس السادس عشر كان مشهوداً

بالبساطة واللطف وترك الامور لاقدارها كما عرفه القراء

وكأنَّ هذه البساطة وهذا التسليم قد اثرا في القضاة ولذلك وقف سن جوست احد الغلاة في جلسة اخرى وطعن على الملك بقوله انه ظالم يظهر اللين وقد اشبع الامة ظلماً واستبداداً بهذا اللين وهذه البساطة . وكان التردد كثيراً بين الاعضاء ولذلك اقترح بعضهم ان يُسأل الشعب باقتراح عام عن رايه في هذه القضية الكبرى . ولكن الساسة تحققوا ان هذا السؤال اذا القي على الشعب جرَّ وراءه حرباً اهلية ولذلك عدلوا عنه . وبعد ذلك شرع المجمع باخذ آراء اعضائه في الاسئلة الثلاثة التي كانت في هذه القضية وهي

(١) « هل ان لويس كابت جنى على الحرية العمومية وسلامة الدولة الفرنسوية بالتآمر مع اعدائها

(٢) « ماذا يكون جزاء لويس

(٣) « هل يجب تنفيذ الحكم الذي يصدر على لويس ام ايقاف تنفيذه

وكان من الواجب على الاعضاء ان يبدوا آراءهم من غير تستر ولا كتمان وهو ما يسمونه التصويت جهراً . وقد قال كثيرون من المؤرخين انه لو كان التصويت بالاقتراع السري لما كان قد حُكم على الملك بما حكم به عليه

فلما القي السؤال الاول على الاعضاء انقسمت الاصوات كما ياتي

٨ اعضاء كانوا غائبين بسبب المرض

٢٠ عضواً غابوا لاشغال الحكومة

٢٧ لم تحص اصواتهم

٣ امتنعوا من التصويت

٦٩١ اجابوا بالايجاب

ثم سئل الاعضاء هل يجب ان يُعرض حكم المجمع على الشعب ليوافقوا عليه . فاجاب ٤٢٤ عضواً جواباً سلبياً و٢٨٧ عضواً جواباً ايجابياً

ثم القي عليهم السؤال الثاني فكانت الاصوات كما يلي

٢ صوتان قضيا على الملك بالسجن

٢٨٦ صوتاً قضت بالنفي بعد عقد الصلح مع اوربا او قبله

٣٦١ صوتاً قضت بالاعدام

٢٦ صوتاً قضت بالاعدام مع ايقاف التنفيذ

وفي ١٩ يناير القي عليهم السؤال الثالث فاجاب ٣٨٠ عضواً بتنفيذ الحكم عاجلاً واجاب ٣٤٦ عضواً بايقاف تنفيذه . وهكذا حكم على ذلك الملك المسكين بالاعدام وتنفيذ هذا الحكم فيه عاجلاً مع انه لم يجنِ نصف ما جناه اسلافه . فجاء ذلك طبقاً للمثل الذي كان يتمثل به وهو : الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون

الفصل الرابع والثلاثون

﴿ الاعدام ﴾

وكان الحكم على الملك في ١٧ يناير وقد قُرر انفاذه في ٢١ منه

وكان المنتظر ان الحزب الملكي يقوم بعد هذا الحكم بعمل عظيم يقصد به انقاذ الملك قبل اعدامه . الا انه لم يعمل شيئاً تقريباً . وكان الملك يتوقع هذه المداخلة وقد بقي هذا الامل في نفسه حتى وضعت سكين الكليوتين على عنقه . ولذلك كانت حكومة الكومون تبذل قصارى جهدها في مراقبته وحراسته

وفي ٢٠ يناير قدم الى التامبل سجن الملك وزير العدلية المسيو كارات وقائد الجند سانتير وغيرهم ليقرأوا على الملك حكم المجلس . فلما قرأوه عليه سطر الملك ورقة طلب فيها اربعة امور . (١) ان يُفسح في اجله ثلاثة ايام ليستعد للموت . (٢) ان يؤذن للملكة وولديها بالخروج من فرنسا . (٣) الاذن له بالاجتماع بزوجته وولديه قبل اعدامه (٤) ان يُستدعى له كاهن من الكهنة الذين لم يقسموا يمين الامانة للحكومة لان الذين اقسموا هذه اليمين كانوا محسوبين خارجين عن الكنيسة تقريباً

اما الامر الاول والثاني فقد رفضتها الحكومة ولكنها اجابته الى الثالث والرابع . فاستدعى وزير العدلية كاهناً اجنبياً يُدعى ادجورث دي فريمون وجاء به في مركبته في الساعة السادسة مساء . فخلا الملك بهذا الكاهن ولبث يحادثه ساعتين عن شؤون الكهنة والديانة . وفي الساعة الثامنة اجتمع بالملكة وولديها واخته فكان اجتماعاً مؤثراً تدمى له القلوب . وقد كان يومئذ محظوراً عليه هذا الاجتماع لان الحكومة فصلته عن اسرته بعد ما ظهر لها من مؤامرات الملكيين لانقاذه وايصال الاخبار اليه

اما الملكة المسكينة فانها وقعت في يأس لا يوصف لما عرفت بذلك الامر الهائل .

واما ابنته فانها اغمي عليها بين يديه . ولبث الجميع يبكون ويتعانقون بلهفة ويأس يقصر القلم عن وصفها . فما اغرب تصاريف الزمن واحكامه . ان اكبر المصائب البشرية دخلت الى منزل اكبر رجل في قومه . الى منزل ملك كان يظن بيته في مامن منها . فصار هذا الملك وزوجته واولاده يحسدون في تلك الساعة اصغر الصعاليك الذين يعيشون في اكواخهم الحقيرة في تلك البلاد الواسعة التي كانوا يسمونها مملكتهم الجميلة

ولم تفارق الملكة الملك حتى وعدها وعداً باتاً بانه يقابلها مرة ثانية قبل ان يُساق الى الاعدام . وبعد مفارقتها خلا الملك بالكاهن مرة ثانية وجلس يحادثه الى منتصف الليل . وبعد منتصف الليل قصد فراشه ونام بعد ان اوصى خادمه ان يوقظه في الساعة الخامسة صباحاً اي قبل الميعاد المعين للذهاب الى ساحة الاعدام . وكان غرضه من ذلك حضور قداس استاذن الكومون في اقامته فاذنت له . وقدقام بهذا القداس الكاهن الذي تقدم ذكره

وفي مساء ذلك اليوم (٢٠ يناير) قُتل في باريز النائب دي سان فرجو وكان من الاعضاء الذين قرروا قتل الملك . فظنت الحكومة ان هنالك مؤامرة ملكية عظيمة فازدادت تشديداً ومراقبة على الملك . ولما حانت ساعة الاعدام اقنع الكاهن الملك بان لا يقابل الملكة فان مقابلته اياها في مثل تلك الحالة مما يبلغ الياس في نفسها الى اقصى حدوده . فاقتنع الملك بذلك . ثم انه تناول خاتم زواجه فاوصى بان يدفع اليها واخذ خاتم المملكة الرسمي فاوصى بان يُسلم الى ابنه وولي عهده مع وصيته التي كان قد كتبها . وحينئذ قدمت المركبة التي عُينت لنقله الى ساحة الاعدام فنزل الملك لويس السادس عشر من سجنه بعد ذلك العز والسلطان وركب هذه المركبة

وكانت هذه المركبة خضراء اللون وفيها جنديان جالسان في مقدمها . اما الملك فانه جلس مع كاهنه في داخلها . ولما جلسا فيها جرت بهما نحو « ساحة الثورة » حيث نُصبت آلة الاعدام وهي الكليوتين التي تقدم ذكرها

وكانت باريز في تلك الساعة هادئة ساكنة كانها مدينة اموات لا مدينة احياء . وكانت النوافذ والابواب مقفلة . الا ان الشوارع والاسواق كانت غاصة بالناس وكلهم مدججون بالسلاح ومنصتون

وفي الساعة العاشرة وصلت مركبة الملك الى ساحة الاعدام فكان الناس فيها كالبناء المرصوص يزحم بعضهم بعضاً . فنزل الملك من المركبة وبداء يخلع ملابسه . وكان ثابت

الجاش هادئاً لامرين · الاول انه كان شديد التمسك بالدين المسيحي وذلك مما اعطاه قوة غريبة · والثاني انه كان لا يزال يرجو مداخلة بعض الاحزاب في شانه لينقذوه من مصابه كما تقدم · ولما خلع ملابسه تقدم منه الجلادون لربط يديه فقاومهم وقاوموه ولم يتركهم يربطونهما حتى تداخل كاهنه واشار عليه بان يدعهم وشانهم · وكانت الطبول تُضرب في هذه الساعة فاشار اليها القائد سانتير فسكتت فالتفت الملك حينئذ وهو على آلة الاعدام وقال بصوت جهوري « ارجو ان يعود دمي خيراً على فرنسا »

وهنا اختلفت اقوال المؤرخين · ففريق الملكيين يقولون ان القائد امر حينئذ الطبول بان تضرب ثانية لخنق صوت الملك ومنع الحاضرين من سماع كلامه · واذا صحَّ هذا الامر كان عملاً فظيعاً يوازي فظاعة اعدامه · اذ ماذا يخاف البشر من حرية اللسان اذا كانوا قد حكموا على الانسان كله بالاعدام · وهل يجوز لهم ان يضعوا حين اعدام المخلوق حاجزاً بينه وبين الانسانية التي يُبلغ اليها ارادته الاخيرة وبين السماء التي يستغيث بها من ظلم بني جنسه او مما يسميه ظلماً

وفريق الجمهوريين يقولون ان القائد لم يامر حينئذ بضرب الطبول لخنق صوت الملك ولكن لحفظ النظام بين الجمع · فانه لما عزم الملك على الكلام اسرع الناس الى آلة الاعدام يزحمون بعضهم بعضاً لسماع كلامه وكاد يحدث اضطراب عظيم لذلك السبب · ولذلك قُرعت الطبول فعاد كل واحد الى موضعه

ومهما يكن من هذين القولين فقد سُمع الملك يقول ايضاً قبل اعدامه « انني اموت بريئاً · واتمنى ان لا يقع دمي على فرنسا » ولا صحة لما قيل من انه نادى قبل مصرعه « العفو العفو » كما انه لا صحة لقولهم ان كاهنه قال له حينئذ « اصعد الى السماء يا ابن القديس لويس » وقد كان الملك هادئاً رابط الجاش حين صعوده الى آلة الاعدام لانه كان لا يزال مؤملاً بان حزباً عظيماً سيقوم قومة واحدة لانقاذه · ولكنه لما رُبطت عيناه وتحقق دنو اجله صرخ صوتاً عظيماً على ما قالوا واضطرب بين يدي الجلاد · وفي هذا الحين سقطت الآلة وقطعت راس ذلك الملك التعيس ·

ولقد اختلف المؤرخون في فائدة هذه الحادثة وفي فظاعتها · فمنهم من قال انها لم تجدِ نفعاً · قال ميشيله المؤرخ المعتدل المشهور « ان الملكية ماتت حين تنكَّر الملك وفرَّ الى فارين · وسقطت الى حد الدناءة لما بدا من الملك من الاثرة في ١٠ اغسطس · ولكنها بُعثت يوم اعدام الملك وذلك من طريق الشفقة وسفك الدماء » وقال كينه « ناشدتكم

العدل اخبرونا ماذا استفدنامن يوم ٢١ يناير (اي يوم الاعدام) وماذا نتج من سفك هذا الدم »

ومنهم من قال انها جناية على الانسانية ولذلك يسمون الاعضاء الذين قضوا باعدام الملك « قتلة » وهولاء هم انصار الملكية

ومنهم من قال ان ذلك الاعدام كان ضروريًا مع فظاعته . فانه لو بقي الملك في قيد الحياة لكانت اوربا تعتبره دائمًا الحاكم الشرعي لفرنسا وتساعده على العودة اليها . ولا يخفى ان ذلك امر يفضي في فرنسا الى حروب اهلية عظيمة

ولما نُشرت وصية هذا الملك وُجد فيها كلام في غاية الرقة . من ذلك قوله : انه يغفر لجميع الذين اضطهدوه وعذبوه واساءوا اليه . وهو يوصي فيها ولده ان يحذو حذوه اي ان ينسى كل اساءة . ويقول له ايضًا « اذا ابتليت بالملك (اي اذا وقعت في مصيبة الملوك وصرت ملكًا) فاذكر دائمًا انه يجب عليك ان لا تالو جهدًا في خدمة شعبك وابلاغه السعادة » وقد ختم وصيته بقوله « انني اشهد امام الله الذي ساقف لديه بعد حين انني بريء من الذنوب التي رُميتُ بها »

اما الجمهوريون فانهم يردون على هذا القول بقولهم ان الملك يعتبر نفسه دائمًا فوق كل قانون وكل سلطة . فاذا عمل اي عمل فانه يحسب نفسه بريئًا لاعتباره ان ذلك العمل داخل في دائرة سلطته

وبعد اعدام الملك قرر الكونفانسيون الاحتفال في مثل ذلك اليوم من كل عام بعيد وطني ولكن حين قيام الملكية ثانية في فرنسا جعلت حكومتها ذلك اليوم يوم استغفار وصلاة . وقد دُفنت جثة الملك في مقبرة المادلين . ورامت الحكومة الملكية بعد ذلك اقامة كنيسة في الساحة التي اعدم لويس السادس عشر فيها ولكن حكومة الملك لويس فيليب عادت وقررت نصب المسلة المصرية في تلك الساحة وذلك على سبيل الفصل بين الملكيين والجمهوريين . ولما انقضت مائة سنة على يوم هذا الاعدام اي في ٢١ يناير من عام ١٨٩٣ احتفلت الاحزاب المتطرفة الاشتراكية بهذا التذكار احتفالاً اظهرت فيه سرورها فاحتفل الملكيون في مقابلة ذلك احتفالاً اظهروا فيه حزنهم ووداهم لذلك الملك التعيس الذي صبت على راسه وحده كل النقمات التي اجتمعت في فرنسا على يد ملوكها السابقين

الفصل الخامس والثلاثون

﴿ بعد مقتل الملك ﴾

لمحة تاريخية اجمالية من مقتله الى اليوم

وبعد اعدام الملك حزنت الملكة عليه حزناً شديداً ولبست السواد هي وولداها واخت الملك القتيل . ثم استولى المتطرفون على الحكومة فاساءوا اليها في سجنها وفصلوها عن ولديها واخذوا يعذبونها . وقد حاول الحزب الملكي خطف الملكة والولدين فلم يقوَ على ذلك لشدة المراقبة عليهم . ثم حوكمت الملكة وحُكم عليها بالاعدام فاعدمت ايضاً ودُفنت مع زوجها . وبعد ذلك بات الفرنسويون حزبين حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتد الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيرًا الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حل البرلمان ارضاء للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما يدل على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمرًا ولم يقف ابدًا . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكلترا . وكان لهذا الملك اخ ثان يدعى فيليب وكان مشهورًا

بميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » ٠ وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو منع بعضاً من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة فتنازل حينئذ لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية وهي الجمهورية الثانية

ثمَّ جعل لويس بونابرت ابن اخي نابوليون الاول رئيساً لهذه الجمهورية فاغتصب الحكم ونادى بنفسه امبراطوراً باسم « نابوليون الثالث » لان نابوليون الثاني نجل نابوليون الاول كان قد توفي في النمسا كما هو معلوم ٠ وما زال نابوليون الثالث في عز وجاه حتى حارب الالمانيين في سنة ١٨٧٠ فاسروه في سيدان فنادى الشعب حينئذ في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية ثالثة ٠ وهي الجمهورية الثالثة التي لا تزال قائمة في فرنسا الى هذه الايام



الفصل السادس والثلاثون

﴿ اعمال الجمهورية ﴾

وهل تعود الملكية الى فرنسا

ولا يزال النزاع قائماً بين الملكيين والجمهوريين الى هذا الزمن · ولقد قام معهما حزب ثالث وهو حزب البونابرتيين · فصارهمُّ الجمهوريين حفظ الجمهورية وهمُّ الملكيين اعادة الدوق دورليان المطالب بالملك الى عرش فرنسا · وهم البونابرتيين اعادة احد الامراء من اسرة بونابرت الى عرش نابوليون الاول

ولو كان الجمهوريون على اتفاق ووئام لما كان للملكية او الامبراطورية امل في العودة الى الارض الفرنسوية · ولكنهم من سوء حظهم منشقون · فمنهم الجمهوريون المعتدلون ويسمونهم البروجرسيست · والجمهوريون الراديكاليون · والجمهوريون الراديكاليون الاشتراكيون والجمهوريون الاشتراكيون · والجمهوريون المتطرفون وهم اشد غلوًّا من رفاقهم الاشتراكيين لانهم يطلبون تقسيم الارض والمال بالسواء بين بني الانسان · وطريقتهم الى ذلك القوة والجبر لا المسالمة والاقناع · اي انهم ينتظرون غرة من الهيئة الحاكمة ليغيروا عليها ويقبضوا على ازمتها بمساعدة الشعب وقوته · واما الاشتراكيون المعتدلون فانهم لا يعتمدون على القوة في تحقيق آمالهم ولكن على تقدم البشر وارتقائهم في سلّم المدنية والرفق والعدل البشري · ومتى وصل البشر بحكم الارتقاء المستمر الى هذا الحد من العقل والفضل تنازلوا من تلقاء انفسهم عن مطامعهم وانالوا الشعوب حقوقها في خيرات الارض وسعادة الحياة

اما ما صنعه الجمهوريون في فرنسا فما لا يستطيع عاقل ان ينكره · فانه من المعلوم ان الامبراطورية قد خربت فرنسا واسقطتها الى حد الدول الصغيرة في حربها مع الالمان في سنة ١٨٧٠ · ولقد قال الناس يومئذ انه لا تقوم لفرنسا قائمة بعد تلك الضربة الهائلة · على انهم كانوا يقولون ذلك دون ان يحسبوا حساب الحكومة الجمهورية المبنية دعائمها على الجد والعمل والسلم والحرية · فان الجمهورية قامت بعد ذلك قومة واحدة الى اصلاح شؤون الدولة · فوفت الغرامة الحربية الهائلة وطهرت الارض الفرنسوية من اقدام الاعداء · ثم نظمت الجيش وانفقت عليه دماء القلب فصار مضاهياً لاعظم جيوش العالم بعد تفرق شاع في تلك المعارك المحزنة · ولقد شهد قواد الاجانب في باريز ان المدفع الفرنسوي هو اقوى

المدافع في اوربا في هذا الزمان مع انه كان في زمن الحرب في عهد نابوليون الثالث اضعف من المدفع الالماني بكثير وذلك سبب من اسباب انتصار الالمانيين . وقد انصرفت الجمهورية الى التعليم وانشاء المدارس فجعلت التعليم الزامياً وانفقت عليه قناطير الاموال . ونظمت مالية الدولة وجعلتها على قواعد ثابتة . ومدت السكك الحديدية في بلادها ونشطت الزراعة والتجارة والصناعة تنشيطاً لم يسبق له مثيل فيها . واكتسبت ثقة دولة روسيا العظيمة وحالفتها فانتقلت فرنسا بهذه المحالفة من درجة الدول الثانية التي وضعتها فيها حربها مع الالمان الى الدرجة الاولى واستعادت سمعتها وعظمتها القديمة . واكثر من ذلك كله انها انشأت لفرنسا مستعمرات واسعة تزيد مساحتها عن مساحة البلاد الفرنسوية عدة مرات . وهذا نهاية في النشاط والجد والعمل . ولو ان ملكاً او امبراطوراً قد صنع كل ذلك لفرنسا بدلاً من حكومتها الجمهورية لطار اسمه في الجهات الاربع وسماه الناس في كل اقطار الارض « ملكاً عظيماً »

وهذا هو السبب الذي يجعل الشعب الفرنسوي محباً للحكومة الجمهورية وناصراً لها فضلاً عما يجده فيها من الحرية المطلقة التي تنطبق على امياله واهوائه . ولقد قال فريق من الملكيين الذين يئسوا من عودة الملكية الى بلادهم : ان الذي ينكر ميل الشعب الفرنسوي الى الجمهورية ويظن ان الملكية او الامبراطورية اصلح لحكومته بعد الانقلاب العظيم الذي حدث في اخلاقه وعاداته وامياله يخطيء خطاء عظيماً

على ان الملكية او الامبراطورية قد تعود الى فرنسا في حالة واحدة : وهي انكسار فرنسا انكساراً شديداً في حربها مع احدى الدول كما قال المرحوم فليكس فور . ففي هذه الحالة تلقي الامة بنفسها بين ذراعي كل من يروم انقاذها . ولكن الحكومة الجمهورية ليست حكومة طياشة وخفة لتقذف نفسها في حرب تخرج منها مكسورة الجناح كما صنعت الامبراطورية الثانية بل هي حكومة تانٍ ورزانة وحرية في القول والعمل . ولا سلطة الرجل واحد عليها يدفعها حيثما يريد قضاء لاغراضه وانفاذاً لمطامعه . فهي حكومة الشعب بالشعب من اجل الشعب كما يقول الجمهوريون . وهم يعتقدون ان هذه الطريقة في الحكومة ستكون طريقة الحكومات في جميع الامم في مستقبل الزمان

الفصل السابع والثلاثون

﴿ الخاتمة ﴾

هذا ومما تقدم يظهر للقارىء ان القلم قد هجر اسلوب الرواية الى اسلوب التاريخ في تفصيل حوادث هذه الثورة العظيمة واننا لم نعتمد على اسكندر ديماس في الفصول الاخيرة . وبما اننا قد فرغنا من هذا التفصيل وصار في ذهن القارىء صورة اجمالية للحوادث التي تقدم ذكرها فقد وجب علينا ان نتعقب ابطال روايته كما تعقبنا ابطال التاريخ لنقف على ما وقع لهم قبل ختام هذا الموضوع . ومما لا يحتاج الى بيان اننا لولا اهمية التاريخ في هذه الاجزاء الاربعة وما فيها من وصف الحالة الاجتماعية في ذلك الزمن العظيم لما كان لنا صبر على الاهتمام بشؤون مختصة بالروايات التخيلية التي لا علاقة لها باحوالنا الاجتماعية .

اما خاتمة الرواية فاليك خلاصتها

لما سقطت الملكية واعدم الملك ذهب الدكتور جيلبار الى احدى القرى وانفرد فيها يندب حظ الملكية ويتامل في مجرى النواميس الطبيعية التي لا تُرد . وكثيرًا ما كان يقول في نفسه : لو ان لويس السادس عشر كان رجلاً مقداماً لقدر بالعقل والاعتدال والنشاط على انقاذ عرشه

واما الكونتس دي شارني فانها اخذت ابنها سيباستيين الى منزلها باذن من الدكتور جيلبار وعاشت مسرورة باجتماعها به وحزينة لوفاة حبيبها وزوجها اوليفيه . ويحق لهذه المرأة المحبة التي لم يدخل الحب قلبها الا لعذابها ان تتمثل بقول ذلك الحكيم الذي قال : ان الانسان الذي كان في خاطره امران يروم تحقيقهما ثم لم يتحقق منهما الا امر واحد لا يجب ان يحسب نفسه تعيساً فانه كثير على الانسان ان تتحقق نصف آماله

واما ايزيدور دي شارني فقد تقدم انه قُتل في سبيل الملك حين فراره وهو يقول « مسكينة انتِ يا كاترين » . وفي الواقع ان هذا المصاب كان شديدًا على حبيبته وزوجته كاترين لانها كانت قد هجرت بيت ابيها من اجله . ولما وجدت كاترين نفسها وحيدة فريدة في قلب باريز اسودت الدنيا في عينيها خصوصاً لانها كانت قد صارت اماً وصار على يدها ولد يجب عليها القيام عليه . وكانت الاعوام قد مرّت عليها وعلى ابيها بيلو فغيرتها ولم تغيره . ذلك ان هذا الاب الصارم الحريص على شرفه وشرف عيلتة ال على

نفسه ان لا يرى بعد ذلك اليوم وجه الابنة الطائشة التي تركت بيت ابيها من اجل شاب اغواها خصوصاً لان هذا الشاب من النبلاء الذين كان هو يحاربهم . وكان غليل بيلو قد اشتفى من طبقة النبلاء ولم يبقَ له من ثار عندهم لانه هو ورجال الثورة قد اسقطوهم عن عروشهم الا انه مع ذلك كان لا يطيق رؤية كاترين . وكانت كاترين تعرف اخلاقه ولذلك لم تطرح نفسها عليه . ومما زاد في ياسها وحزنها بعد موت زوجها وحبيبها وفاة امها التي لقيت اجلها من حنينها اليها ولهفتها عليها . ولقد ماتت هذه الام المسكينة واسم ابنتها كاترين بين شفتيها

بقي صاحبنا بيتو . وكان بيتو قد شبَّ في هذه الاعوام وصار رجلاً . وبما انه كان جريئاً وصاحب قبضة قوية فقد تقدم في اثناء الحوادث الماضية وصار من انصار الثورة الاشداء . الا انه مع تقدمه وارتقائه كانت في نفسه غصة شديدة . وهذه الغصةُ هي حب كاترين . ولذلك لما سمع بان زوجها وحبيبها ايزيدور دي شارني قد لقي حتفه اسرع الى منزلها في باريز ليعزيها . ثم انتهى الامر بينهما بما لم يحلم به بيتو في المنام وهو رضى كاترين بان تقترن به وتتخذه عوناً وسنداً

وبناء على ذلك عاد بيتو مع كاترين الى قرية عمته التي تقدم ذكرها في مقدمة الرواية . وكان قد علم بان عمته قد ماتت ولم تترك له شيئاً . فلما دخل مع كاترين الى بيتها جاس على الكرسي المعروف من القارىء وجلست كاترين بازائه . ثم سحب بيتو هذا الكرسي قليلاً ليدنو من كاترين فسمع في داخله صوتاً يحكي صوت احتكاك قطع النقود . ففحص الكرسي متانياً فوجد ذلك الصوت حقيقياً فاخذ آلة وفتح جوف الكرسي فوجد فيه كومة من الذهب

فطار صواب بيتو حين وقع نظره على الذهب . ثم عاد اليه رشده فعلم ان عمته كانت تخزن المال الذي تجمعه في هذه الخزانة السرية

ولما عدَّ بيتو وكاترين تلك الكومة الذهبية وجدا انها تزيد على الالفي قطعة . فقال بيتو رحمك الله ياعمتي وغفر لك بخلك في حياتك فانك كنتِ كريمة في مماتك . ثم جمع الذهب وابتاع به مزرعة وعاش فيها مع حبيبته وزوجته كاترين هنيء البال قرير العين وبذلك انتهت هذه الحادثة بالزواج شان كل قصة كما قال موليير

تمت

الجزء الاول

الجامعة

السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — ذو القعدة سنة ١٣٢٠

مقدمة السنة الرابعة

تفتتح الجامعة سنتها الرابعة بحمد الله باريء النسم وتسأله تعالى الهداية في طريقها والسداد في اقوالها انه المنعم الكريم

ثم هي تهدي خالص شكرها الى حضرات وكلائها ومشتركيها الكرام الذين لم يدخروا وسعاً في الاخذ بيدها تمهيداً لسبيلها جزاهم الله عن المعارف في الشرق خير جزاء

وبما ان اكثر قرآء الصحافة هم غير مشتركيها على الغالب لان نسبة هؤلاء الى اولئك لا تتجاوز نسبة واحد الى عشرة اي ان الجزء الذي يرد الى مشترك واحد يقرأه حوله عشرة او اكثر . فنحن نغتنم هذه الفرصة في مفتتح هذه السنة ونرجو من هؤلاء القرآء الذين يزيد عددهم على عدد المشتركين في الجرائد والمجلات عشر مرات كما تقدم ان يسمحوا للجامعة ان تقول لهم بلسان جميع الصحافة انهم مديونون للنهضة الادبية في الشرق بان يتشبهوا بمساعدي عوامل هذه النهضة مساعدة فعلية . اي ان يطالعوا ما يريدون مطالعته من الجرائد والمجلات اخذاً من ادارتها لا استعارة من مشتركيها . ولقد زدنا في هذا العام الف نسخة من الجامعة على النسخ التي كانت تطبع منها في السنة الماضية . ولكننا على ثقة من ان هؤلاء القرآء الافاضل الذين لا ينكر شغفهم بالمطالعة لو عملوا بهذه الملاحظة لزادت

الجامعة في شهر واحد خمسة او ثمانية الآف نسخة على عدد المطبوع منها . وكذلك باقي الصحافة . وبذلك تحصل فائدة غير فائدة ترقية الصحافة الشرقية الى رتبة الصحافة الغربية وهي حفظ اخواننا القرّاء الذين نعنيهم هنا في مكاتبهم لانسبائهم واولادهم من بعدهم تلك الاوراق الثمينة المملوءة فوائد وحقائق والتي تسيل عليها نفوس الذين اعدُّوها

ولقد اعلنت الجامعة في سنتها الماضية انها عزمت على ادخال تحسين مهمّ في سنتها الحاضرة . ولا ريب ان القارئ اذا تصفّح هذا الجزء رأى آثار التحسين الجديد فيهِ . فان الجامعة **جدّدت حروفها كلها** ليكون طبعها اوضح طبع وزادت رسومها حتى بلغت في هذا الجزء ١٤ **رسماً كبيراً** . واتقنت طبعها اتقاناً **لم تبق معه زيادة لمستزيد** . وهي ستستمرّ متبعة الخطة التي رسمتها في هذا الجزء من **نشر الرسوم الكثيرة** في كل جزء منها في مطاوي ما تنشرهُ من المواد الجدية المهمة اذا كان ذلك يُرضي القرّاء . وفضلاً عن ذلك فقد شرعت في **زيادة ابواب جديدة** على ابوابها المعتادة ولكنها لم تتمكن من فتحها في هذا الجزء لتأخر حفرها بالزنوغراف . ولذلك توَّجلها الى جزء آخر

هذا والجامعة ترى مما يردها من الصدى من جميع الاقطار التي يصل صوتها اليها انها قائمة بالخدمة الصغيرة التي ينتظرها منها قراؤُها . وقد قلنا هنا ما نعتقده من انها « خدمة صغيرة » مع ان كثيرين من قرائها من جميع العناصر الشرقية يعتقدون انها « كبيرة لا صغيرة » وان ابناء المستقبل سيذكرونها لها . على ان الجامعة لا تريد ان تنتظر جزاءها من ابناء المستقبل فقط لان ذلك جحود لجميل ابناء العصر الحاضر الذين لم يدخروا وسعاً في تنشيطها والاخذ بناصرها لتمهيد سبيلها . وانما يلتفت العامل الى المستقبل ويضع فيه امله دون سواه ويشتغل ويعمل لهُ لا لسواه حينما يرى ان ابناء العصر لا يفهمونهُ . اما وابناء العصر هم الذين يدفعون الجامعة الى الامام لطلب الحقيقة المجردة ونشر المبادئ بلا تهوُّر ولا ضعف فانها يحقُّ لها ان تنتظر جزاءها منهم وما جزاؤُها الا رضاؤُهم عنها وشدُّهم ازرها لتتمكن من اتمام وظيفتها

ولذلك هي تعتقد ان قرّاءها سيكونون في هذه السنة اشدّ رضىً عنها واكثر اخذاً بيدها منهم في السنوات الماضية . وكل واحد منهم يعتبر نفسهُ صديقاً للمجلة ووكيلاً لها عاملاً على نشرها بين معارفهِ واصدقائه . وفي ذلك ما فيه من الخدمة النافعة لهم ولها . وفقنا الله جميعاً الى ما فيهِ الخير العام ونشر ما يفيد نشرهُ في بلادنا الشرقية

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

ملك شاعر تعيس

المعتمد بن عباد ملك الاندلس

(وخصمه ابن تاشفين باني مراكش وامير المغرب)

في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول بين الاندلس والمغرب يتضمن تفصيل حالتها السياسية في اواخر القرن الرابع للهجرة وما كان من الاختباط بين العرب والمغاربة والافرنج حين ضعف ملوك الاندلس

في كل جزء شرقي وغربي رأينا في عام « الجامعة » الجديد ان نوسع باب « المشاهير » توسيعاً تكمل به الفائدة لان تراجم مشاهير الارض عبارة عن تاريخ الارض نفسها . ولذلك عزمنا على ترجمة اثنين من المشاهير في كل جزء : واحد من « **مشاهير الشرق** » وواحد من « **مشاهير الغرب** » ففي تراجم مشاهير الشرق نقف على **(الادواء والامراض التي فتكت بالشرق وعلى جوانب القوة وجوانب الضعف فيه ليكون ذلك عبرة لابنائه)** وفي تراجم مشاهير الغرب نقف على **(الاصول السياسية والعلمية والادبية والفلسفية التي رفعت الغرب الى مقامه الحالي بعد ان كان دون الشرق بدرجات)** و بذلك يكون (باب المشاهير) في الجامعة عبارة عن تاريخ لذيذ مفيد يشمل **(الماضي والحاضر والمستقبل)** معاً

حوادث المغرب الاخيرة وقد اخترنا في هذا الجزء ترجمة المعتمد بن عباد ملك الاندلس لعلاقة هذه الترجمة بحوادث المغرب التي حدثت في الايام الاخيرة وما فيها من عبرة السياسة وفكاهة الادب وبيان كيفية قيام الدول القديمة في الشرق . ويا لله من عبرة التاريخ . فان رجلاً واحداً طماعاً جاهلاً يدعى « ابا حماره » (وبعض الكتاب الاوربيين يقول انهُ رجل وهمي لا وجود لهُ) قدر منذ مدة على حصر سلطان مراكش في فاس وكاد يسقطه عن عرشه مع ان الجالس على هذا العرش كان في الايام الغابرة صاحب

السلطان على افريقيا كلها وكان يمدّ يده من المغرب (مراكش) فيخلع ملوك العرب في الاندلس ويوقع بملوك الافرنج الطامعين في املاكه الاندلسية ·

***

اصل اسرة المعتمد لم تكن اسرة المعتمد متصلة بالملك منذ بدء امرها فان جدّها من العريش وكان يُدعى نعيماً · فسافر الى الاندلس واقام بقرب تومين من اقليم طشانه من ارض اشبيلية هو وابن لهُ يدعى عطافاً · وامتدّ لعطاف هذا عمود النسب الى الظافر محمد بن اسمعيل القاضي فهو اول من نبغ منهم في تلك البلاد حتى ولي قضاء اشبيلية ·وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلي ملك (قرطبة) في ذلك الزمان · وكانت الفتن بين حكام الاندلس قائمة قاعدة · فسار المستعلي ملك قرطبة لاخضاع اشبيلية وكان مذموم السيرة · فلما حصر اشبيلية اتفق اهلها على تولية القاضي محمد بن اسمعيل الذي تقدم ذكره وهجموا على ملك قرطبة فقتلوه وهو سكران · وقد روى ابو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب « نقط العروس » رواية غريبة بشأن هذا القاضي الذي ارتقى الى منصة الملك وهي تدلُّ على ذمته وامانته اذا كانت صحيحة · ولكن غرابتها تمنع من تصديقها · وتفصيل ذلك ان الخلافة في الاندلس كانت في اسرة الامويين · وقد ذكرنا في كتاب « ابن رشد وفلسفته » ان الحاجب المنصور وثب على الفتى هشام بن الحكم الخليفة الاندلسي واغتصب السلطنة منهُ · فبعد انقضاء عشرين عاماً على موت هشام هذا ظهر رجل يُقال له « خلف الحصري » وادّعى انهُ هشام وانه كان مختبئاً من الخوف على نفسه · فلما سمع بذلك القاضي محمد بن اسماعيل الذي ولّي اشبيلية ارسل واحضر الرجل من مسجد بقلعة رياح فبايعه الناس وخُطب له على جميع منابر الاندلس ·قال ابن خلكان الذي نعتمد عليه في بعض هذه الترجمة « وأقام المدّعي أنه هشام نيفاً وعشرين سنة والقاضي محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والأمر اليه الى ان توفي المدعو هشاماً فاستبدّ القاضي محمد بالأمر بعده » نقول ولعلّ هذه القصة لم تخرج عن كونها « أُخلوقة » كما قال محمد بن حزم في كتاب نقط العروس ·

وكانت وفاة القاضي صاحب اشبيلية في سنة ٤٣٣ للهجرة · فخلفه ولده المعتضد بالله · وكان للمعتضد بالله ولدان وهما عمر وعباد · ثم افضى الأمر الى عباد فسمي بفخر الدولة ثم بالمعتضد · وكان جواداً شديداً جميل الوجه مكبّاً على الملاهي تزوج كثيرات من النساء وخلط في اجناسهنّ فرزق منهنّ عشرين ذكراً وعشرين انثى · ومن شعره

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر اما بخارها فضخم واما جسمها فدقيق

ثم توفي بعلة الذبحة في سنة ٤٦١ هـ وخلفه ابنه المعتمد على الله ابو القاسم محمد صاحب الترجمة ·

***

المعتمد بن عباد ولما ولي المعتمد الحكم وجد نفسه في نعيم مقيم · قال ابن خلكان في ترجمة يوسف بن تاشفين يصف اشبيلية قاعدة ملكه « كانت من اجمل المدن منظرًا وموضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه · في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخًا يشتمل على آلاف (كذا) من الضياع كلها تين وعنب وزيتون · وهذا الموضع هو المسمى شرق اشبيلية · وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف · وفي جانب المدينة قصور المعتمد وابيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها انواع ما يُحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش » فانصرف ابن عباد الى التمتع بتلك الخيرات · وقد قال عنه ابو الحسن عليّ بن القطاع السعدي في كتابه لمح الملح « انه كان اندى ملوك الاندلس راحةً وارحبهم ساحةً ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء ومألف الفضلاء » نقول ولكن حفظ بلاد الاندلس كان يقتضي يومئذٍ امورًا غير التمتع بالملاذ والطرب لسماع الشعر · فان ملوك الافرنج كانوا قد وحدوا كلمتهم بازاء تفرق كلمة ملوك الاندلس اي حكام اقاليمها واشتغالهم باخضاع بعضهم بعضًا وصمموا على اخراج العرب من البلاد الاندلسية · ولذلك لما وصل الملك الفونس السادس ملك كاستيل الى طليطلة واخذها في سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد صاح الشاعر الطليطلي عبدالله بن فرج بن غزنون ينذر قومه :

حثوا رواحلكم يا أهلَ اندلسٍ فما المقامُ بها الاَّ من الغلطِ
السلك ينثر من اطرافه وأرى سلك الجزيرة منثورًا من الوَسطِ
من جاور الشرَّ لم يا من عواقبه كيف الحياة مع الحيَّات في سفطِ

ولقد صدق الشاعر فان ملوك الافرنج لم يكونوا يقصدون يومئذٍ باخذهم طليطلة اخضاع ملوك الاندلس لان هؤلاء كانوا يؤدون الجزية لهم اجتنابًا للنزاع والقتال ولانقضاء ذلك الزمن الذي كانت فيه الاندلس سلطنة عظيمة يؤدي ملوك الافرنج الجزية لها · وانما كان غرضهم استرداد البلاد من العرب · وهذا هو السبب في رفض ملك الافرنج بعد

اخذه طليطلة الجزية من المعتمد بن عباد اكبر ملوك الاندلس . فانه ارسل اليه يطلب منه ان يتنزل عن الحصون التي بيده ويكون له السهل فقط . فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه . فلما سمع بذلك ملك الافرنج اخذ يتأهب لمنازلته

اما مشائخ الاندلس وعلماؤها فانهم لما رأوا هذا الخطر اجتمعوا وتشاوروا . ثم اتفقوا على استدعاء يوسف بن تاشفين من افريقيا لمساعدتهم على عدوهم مع ما في عبوره من الخطر . وكان يوسف بن تاشفين سطان المغرب يومئذٍ وهو زعيم الدولة التي كانت تسمى « الملثمين » او المرابطين وهي من البربر . ولذلك قال المعتمد بن عباد حين رؤيته نفسه بين نارين « الفرنج والملثمون ضدان وان دُهينا من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين امر الملثمين . ولئن يرعى اولادنا جمالهم احبُّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج »

***

دولة الملثمين وقبل تفصيل الحوادث التالية يحسن بنا ان نذكر شيئًا عن نشأة هذه الدولة القوية التي كان يوسف بن تاشفين رئيسها .

روى ابن الاثير في الجزء العاشر من تاريخه الكامل ابتداء دولة « الملثمين » فقال : قيل كان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا للغزو فخالفهم عدوٌّ لهم الى بيوتهم ولم يكن بها الاَّ المشائخ والصبيان والنساء . فلما تحقق المشائخ انه العدو قادم عليهم امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن حتى لا يُعرفن ويتقلدن السلاح . ففعلن ذلك . فلما اشرف العدو ظنهنَّ رجالاً فقال : هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهنَّ قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان تبعونا قاتلناهم . وبينما هم يجمعون الانعام من المراعي اذ قد أقبل رجال الحيّ فهجم عليهم النساء من جانب والرجال من جانب فقتلوا منهم كثيرين . وقد قُتل من النساء اكثر منهم . ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يُعرف الشيخ من الشاب . نقول ولعلَّ هواء الصحراء ونسفه الرمال على الوجوه مع شدة الحر هي التي جعلتهم يتخذون اللثام سنة . وقد قال الشاعر في هذا اللثام متزلفًا اليهم

قومٌ لهم درك العلا في حميرٍ وان انتموا صنهاجة فهمُ همُ
لما حووا احراز كل فضيلةٍ غلب الحياء عليهم فتلثموا

فمن ذلك يظهر انهم كانوا ينسبون الى حمير . وكانوا عدة قبائل اشهرها لمتونه وجداله ولمطه . قال ابن الاثير . وكان اول مسيرهم من اليمن ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى ابن نصير وتوجهوا مع

طارق (فاتح الاندلس) الى طنجه . ثم انهم احبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها لهذه الغاية . ففي سنة ٤٤٨ ﻫ توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة « جدالة » الى افريقيا طالباً للحج فمرّ بفقيه بالقيروان لعله ابو عمران الفاسي وعنده جماعة يتفقهون فاعجبه حالهم . ولما قفل راجعاً من الحج قصد الفقيه وقال له « ما عندنا في الصحراء من هذا شيء غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلّمهم شرائع الاسلام . فارسل معه رجلاً اسمه عبدالله بن يس الكزولي فاتيا قبيلة لمتونه (اشهر قبائل الملثمين) فنزل جوهر عن جمله واخذ بزمام جمل عبدالله بن يس تعظيماً لحامل شريعة الاسلام . فاقبل الناس على جوهر وسألوه عن الفقيه فقال « هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الاسلام » فرحبوا بهما وقالوا اذكر لنا شريعة الاسلام فعرّفهم الفقيه عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا « اما ما ذكرتَ من الصلاة والزكاة فهو قريب واما قولك من قتل يُقتل ومن سرق يُقطع ومن زنى يُجلد او يُرجم فامر لا نلتزمه . اذهب الى غيرنا » فرحل جوهر والفقيه عنهم . قال ابن الاثير « فنظر اليهما شيخ كبير فقال لا بدّ وان يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يُذكر في العالم » نقول ولعلّ ذلك قيل من بعد ان صار له ذلك الشأن

ثم انتهى جوهر والفقيه الى جدالة قبيلة جوهر فدعاهم الفقيه والقبائل التي تجاورهم الى حكم الشريعة فمنهم من اطاع ومنهم من أعرض . واجتمع المخالفون وتألبوا فقال عبدالله بن يس الفقيه للذين اطاعوا « قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم اميراً » فقال له جوهر : انت الامير فقال : لا انما انا حامل امانة الشريعة ولكن انت الامير فقال جوهر « لو فعلتُ هذا لتسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك عليّ » ثم انهما قصدا ابا بكر بن عمر رأس قبيلة لمتونة وعرضا عليه الامارة فاجاب فسماه الفقيه « امير المسلمين » وجمع اليه مَن حسن اسلامه وحثهم على الجهاد وسماهم « المرابطين » ثم استمالوا اليهم نحو الفي رجل من الذين اعرضوا عن الشريعة فجمعوهم في مكان وخندقوا عليهم ثم قتلوهم وبذلك خلصوا من مقاوميهم ودانت لهم اكثر قبائل الصحراء . ولما انفرد ابو بكر وابن يس بالامر دون جوهر داخله الحسد فشرع سرّاً في افساد الأمر فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة . ثم ضاقت الصحراء بالملثمين فخرجوا منها فحاربهم اهل السوس الاقصى وهزموهم وقتلوا الفقيه ابن يس . فعاد ابو بكر بن عمر فجمع جيشاً من الفي راكب ورجع اليهم فاجتمع عليه منهم ومن زناته اثنى عشر الف فارس

ومنعوه من العبور الى الاندلس حيث كان يقصد للغزو والجهاد . فدعا ابو بكر قائلاً « اللهمّ ان كنا على الحق فانصرنا والاّ فارحنا من هذه الدنيا » ثم قاتلهم وصدق هو واصحابه فهزموهم وغنموا اموالهم واسلابهم . وبعد ذلك حارب ابو بكر سجلماسة واخذها . فدانت له تلك الجهات وكان له ابن عم يدعى يوسف بن تاشفين من لمتونة ايضاً فاستعمله على سجلماسة ثم عاد الى الصحراء .

***

﴿ يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ﴾ وكان يوسف هذا رجلاً حازماً داهية حسن السيرة فساس الناس سياسة استمالتهم اليه ولم يأخذ منهم غير الزكاة . وبعد سنة عاد ابو بكر الى سجلماسة وجهزه بجيش لفتح السوس ففتح على يديه . وفي سنة ٤٦٢ توفي ابو بكر بن عمر بالصحراء فاجمعت قبائل المرابطين على تمليك يوسف بن تاشفين ولقبوه « امير المسلمين » وكانت الدولة في بلاد الغرب لزناتة فحاربهم ابن تاشفين واستخرج البلاد منهم بلداً بلداً بايسر سعي . فملأت سطوته القلوب واحبته رعيته وصلحت احوالهم به . وكانت قبائل المصامدة اشد اهل المغرب فقصد يوسف بن تاشفين جبلهم واختار بقربه بقعة متوسطة في المغرب كالقيروان في افريقيا وبنى فيها مدينة « مراكش » ليتخذها قاعدة لحروبه مع اهل تلك الجبال اخضاعاً لهم وقد جعلها مقرّه . وكان موضع هذه المدينة ملجأً للصوص ولذلك كان المسافرون يقولون بعضهم لبعض « مراكش » اي مرّ مسرعاً ومن هنا اشتق اسمها . غير ان الأمن استتب في ما حواليها بعد اهتمام ابن تاشفين بها . فملك ابن تاشفين البلاد من تلمسان الى ساحل البحر المحيط وفيها سبته وطنجه وسلا وغيرها .

فلما ضخم سلطانه الى هذا الحد طمحت نفسه الى الاندلس فانشأ السفن لنقل جنوده اليها . فاتفق ملوك الاندلس (العرب) على مقاومته خوفاً على ممالكهم منه واعترضوه بمراكبهم العديدة وهددوه بموالاة الافرنج عليه اذا اراد بهم شرًّا . ولكن لما قصد الفونس السادس ملك كاستيل وصاحب طليطلة التي جعلها قاعدة بلاد الافرنج محاربة المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وطليطلة وغيره من ملوك الاندلس اتفق الاندلسيون كما تقدم على الاستنجاد بيوسف ابن تاشفين لاختيارهم اهون الشرين . فاجابهم ابن تاشفين وعبر الى الاندلس لمحاربة العدو المشترك ونفسه تحدثه ولا شك بارتياد تلك البلاد التي كانت منبع الثروة والخيرات

ولما عبر يوسف ابن تاشفين الى الاندلس بجيوشه عبر معه من الجمال ما اغصّ الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن اهل الاندلس رأوا قط جملاً ولذلك كانت خيولهم

تجفل من صورتها وصوتها . فكانت اذا حضرت الجمال الحرب نفرت خيل الافرنج منها .
اما الملك الفونس (اذ فونش) فانه لما رأى اجتماع عزائم العرب عليه علم « انه عامٌ نطّاح » فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا ونزلوا في مكان افيح يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس فلقيهم العرب والمغاربة هناك وجرت بين الفريقين وقعة هائلة كان فيها النصر لجيش يوسف بن تاشفين . ولم يفلت من الافرنج الا الملك وقليلون من جنده . فعاد الامل الى العرب في الاندلس وأمنوا بعض الامن على البلاد التي كانوا يقطنونها

***

﴿ ابن تاشفين والاندلس ﴾ ولما كان المعتمد ابن عباد صاحب قرطبة واشبيلية اكبر ملوك الاندلس يومئذٍ استزار يوسف ابن تاشفين فزاره يوسف في قصره في اشبيلية وشاهد ما فيه من البذخ والترف . وكان معه بعض اصحابه فصاروا ينبهونه الى تامل تلك الحال ويقولون له « ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه » وكان من طبع ابن تاشفين الاقتصاد والتدبير وقد صرف عمره في شظف العيش فاجاب مغريه بهذا الجواب البديع « الذي يلوح لي من امر هذا الرجل (يعني المعتمد) انه مضيع لما في يديه من الملك لان هذه الاموال التي تعينه على هذه الاحوال **لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن ابداً اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل** »

ثم عاد ابن تاشفين الى المغرب وفي نفسه شيء من بلاد الاندلس ومن المعتمد ابن عباد . اما بلاد الاندلس فقد راقه جمالها وغناها واما ابن عباد فقد ساءه منه ارتيابه فيه وعدم الفته اياه لما بين الذوق العربي وذوق البربر من الاختلاف . ولقد قال ابن عباد قبل عبور ابن تاشفين الى الاندلس « ان مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار » وربما نصح لابن عباد بعض اصحابه كما روى ابن خلكان بان يحذر ابن تاشفين على ملكه ويغتنم هذه الفرصة ويقبض عليه فوصل هذا الخبر الى ابن تاشفين فتغيرَّ على حليفه . وبعد ان عاد ابن تاشفين الى بلاده اقام عسكره في الاندلس لمطاردة ملك الافرنج وجنوده فبعد مدة كتب قائد هذا العسكر سير ابن بكر الى اميره ابن تاشفين يقول انه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب فيها حراساً ولكن لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور في ضنك العيش تصابح العدوّ وتماسيه ويحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش » فالظاهر ان هذا القول اصاب هوىً في نفس ابن تاشفين لانه رأى ان سيد البلاد وصاحبها هو الذي يحميها لا الذي يأكل خيرها فعهد الى قائده اخضاع ملوك الاندلس مبتدءًا من الثغور وان لا يتعرض لابن

عباد ما لم يستول على البلاد كلها

***

﴿ نكبة المعتمد ﴾ وكان المعتمد يومئذٍ في قصره في اشبيلية مشغولاً بنعيم الدنيا . وكان مولعاً بجواريه وحظاياه . ففي ذات يوم قصد ارسالهنَّ من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهنَّ يشيعهنَّ فسايرهنَّ من اول الليل الى الصبح ثم رجع وانشد في ذلك

سايرتهم والليل اغفل ثوبه حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعاً وتسلمت مني يد الاصباح تلك الانجما

وكتب من قصره في قرطبة الى ندماء له اصطبحوا بالزهراء القصر المشهور في ضواحيها يدعوهم الى الاغتباق في قصره

حسد القصرُ فيكم الزهراء ولعمري وعمركم ما اساأ
قد طلعتم بها شموساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساأ

ولكن المعتمد مع اشتغاله بهذه الملاذ فانه كان مشغول الفكر من جهة ملكه هو وابناؤه . قيل ان ابنه الرشيد كان في مجلس انس فأمر ابا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يادارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابدِ

فاستاء وتطير وامر بالغناء من ستارته فغنت احدى الجواري

ان شئتَ ان لا ترى صبراً لمصطبرٍ فانظر الى اي حالٍ اصبح الطللُ

فاشتد استياؤه وتطيره فامر جارية أخرى بالغناء فغنت

يا لهفَ نفسي على مالٍ افرقه على المقلين من اهل المروءاتِ
ان اعتذاري الى من جاء يسالني ما ليس عنديَ من احدى المصيباتِ

وكان ابن اللبانة الشاعر حاضراً فقام وارتجل ابياتاً محا بها تطير الامير ووصف ملكه بالقوة والثبات

وكان ذلك في عام ٤٨٣ هـ . ففي العام التالي وصلت جيوش يوسف ابن تاشفين بقيادة سير ابن ابي بكر الى اشبيلية قاعدة ملك المعتمد وحصرته فيها . قال ابن خلكان « وظهر من مصابرة المعتمد (في الحصار) وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يُسمع بمثله . والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع . يقطعون سبلها سياحة . ويخوضون نهرها سباحة . ويترامون من شرفات الاسوار . فلما كان يوم الاحد لعشرين من رجب سنة اربع وثمانين واربعمائة هاجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيها الغارات ولم

يتركوا لاحد شيئاً · وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم » وكان الافرنج في هذه الحرب يعاونون العرب على جيش ابن تاشفين لخوفهم منه

اما المعتمد فانهم قيدوه وجعلوه مع جميع اهله في سفينة وارسلوهم الى المغرب · وفي ذلك قال ابن خاقان في قلائد العقيان « وحملتهم الجواري المنشئات · وضمتهم كانهم اموات · بعد ما ضاق عنهم القصر · وراق منهم العصر · والناس حشدوا بضفتي الوادي · يبكون بدموع الغوادي » وقال ابن اللبانة في ذلك

تبكي السماء بدمعٍ رائحٍ غادي ... على البهاليل من ابناء عبادِ
على الجبال التي هدت قواعدها ... وكانت الارض منها تحت اوتادِ
ياضيف اقفر بيتُ المكرمات فخذ ... في ضم رحلك واجمع فضلة الزادِ

وهي قصيدة طويلة · وقال ابو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي من قصيدة طويلة ايضاً ·

جرى لك جد بالكرام عثورُ ... وجار زمانٌ كنتَ منه تجيرُ
ولما رحلتم بالندى في اكفكم ... وقلقل رضوى منكم وثبيرُ
رفعتُ لساني بالقيامة قد دنتْ ... فهذي الجبال الراسيات تسيرُ

***

شعره وحاله في نكبته وقد ارسل ابن تاشفين المعتمد واهله الى « اغمات » وهي قرية صغيرة بالقرب من مدينة مراكش بينهما مسافة يوم مشياً وسجنهم فيها واساء في معاملتهم · قال ابن الاثير « فابان بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة » وصار فضلاء البلاد يراسلون المعتمد بالنظم والنثر وهو في سجنه · اما اهل المعتمد فانهم سجنوا مثله ايضاً وكان بناته يغزلن للناس باجرة لينفقنها عليهم · وفي يوم عيد دخل على المعتمد في سجنه بعض بنيه « وفيهم بناتـه وعليهنَّ اطمار كأنها كسوف وهنَّ اقمار واقدامهنَّ حافية وآثار نعمتهنَّ عافية » كما روى ابو الفداء · فقال المعتمد فيهنَّ ·

فيما مضى كنتَ بالاعياد مسرورا ... فجاءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة ... يغزلنَ للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين والاقدام حافيةً ... كأنها لم تطأْ مسكاً وكافورا
لاخدَّ الا تشكى الجدب ظاهره ... وليس الا مع الانفاس ممطورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلاً ... فردَّك الدهر منهياً ومأمورا

من باتَ بعدكَ في ملك يسرُّ بهِ فانما بات بالاحلام مغرورا

وتألم المعتمد يوماً من قيده وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود بذلِّ الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا ادهماً يعضُّ بساقيَ عضَّ الاسود

ودخل عليه يوماً ولده ابو الهاشم فلما راى المعتمد والقيود تعض ساقيه « بعدما عهدنفسه فوق منبر وسرير · وفي وسط جنة وحرير · تخفق عليه الالوية · وتشرق منه الانديه » بكى وقال

قيدي اما تعلمني مسلماً ابيت ان تشفق او ترحما
دمي شرابٌ لك واللحم قد اكلته لا تهشم الاعظما
يبصرني فيك ابو هاشمٍ فينثني والقلب قد هشما
ارحم طفيلاً طائشاً لبه لم يخشَ ان يأتيك مسترحما
وارحم أُخيَّات له مثله جرعتهنَّ السمَّ والعلقما
منهنَّ من يفهم شيئاً فقد خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما يفتح الاَّ لرضاعٍ فما

واجتمع عليه بعض الشعراء والحوا في السوءال فانشد

سأَلوا اليسير من الاسير وانه بسوءالهم لأَحق منهم فاعجبِ
لولا الحياء وعزة لخمية طيَّ الحشا لحكاهمُ في المطلبِ

وللمعتمد اشعار كثيرة في نكبته ولابن اللبانة عدة قصائد فيه وفي البكاء على ايامه · منها ديوان له سماه « نظم السلوك في وعظ الملوك » وقد وفد على المعتمد في اغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء · وله فيه من قصيدة طويلة

فجعتَ منها باخوانٍ ذوي ثقة فاتوا وللدهر في الاخوان آفات
واعتضتَ في آخر الصحراء طائفة لغاتهم في جميع الكتب ملغاةُ

يعني البربر اي ابن تاشفين وعسكره · وكانت وفاة المعتمد في سجنه في سنة ٤٨٨ ه « فنودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شانه » وقد رثاه الشعراء عند قبره · منهم شاعره المختص به ابو بحر عبد الصمد فقد انشد على قبره قصيدة اولها

ملكَ الملوك اسامع فاناديـ ام قد عدتكَ عن السماع عوادي

لما نقلتَ عن القصور ولم تكن — فيها كما قد كنتَ في الاعيادِ
اقبلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً — وجعلتُ قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبّل الثرى وعفر خده فابكى كل من حضر

قال ابن خلكان : ورأى ابن اللبانة حفيداً للمعتمد اتخذ الصياغة صناعة وهو غلام وسيم وكان يلقب في ايام دولتهم « فخر الدولة » فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من قصيدة طويلة

ياصائغاً كانت العليا تصاغ له — حلياً وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى — اني رأيتكَ فيه تنفخ الفحما
وددتُ اذ نظرت عيني عليك به — لو انّ عيني تشكو قبل ذاك عمى

***

دولة الموحدين تلك قصة المعتمد بن عباد اشهر ملوك الاندلس في زمنه . ولا تشبهها في التاريخ العربي قصة غير قصة البرامكة ونكبتهم في المشرق . على ان العدالة الابدية التي تدبر شؤون هذه الحياة بنواميسها الازلية الثابتة قد سلطت على ذرية يوسف ابن تاشفين الذي فعل ببني عباد هذه الفعلة الشنعاء من فعل بها مثلها . فاقامت دولة « الموحدين » في المغرب على دولة « المرابطين » كما قامت دولة المرابطين على ملوك الاندلس ولبيان ذلك نقول باختصار

تقدم في الصفحة ٨ ان قبائل المصامدة في جبال اغمات كانت اشد القبائل بأساً وان يوسف ابن تاشفين بنى مراكش واتخذها مقاماً له لاخضاع تلك القبائل . ففي سنة ٥١٤ للهجرة اي بعد انقضاء ٢٦ عاماً على وفاة المعتمد بن عباد ظهر من المصامدة رجل يدعى عبدالله بن تومرت وتعرف قبيلته بقبيلة هرغه وهي قبيلة نزلت في تلك البلاد لما فتحها المسلمون مع موسى بن نصير . وكان هذا الرجل عالماً بالشريعة فسافر الى بلاد الشرق وحج ثم عاد الى المغرب عن طريق الاسكندرية . فعند عودته صار يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فاجتمع الناس عليه واجلُّوه ولقيه في ملالة رجل يدعى عبد المؤمن بن علي فاتفق معه . ولما قدم الى مراكش عاصمة يوسف ابن تاشفين وجد فيها من المنكرات اكثر مما وجده في طريقه فزاد في امره بالمعروف . واتفق انه رأى في ذات يوم اخت الامير يوسف في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة وهن مسفرات (**لان العادة كانت في دولة الملثمين ان يسفر نساؤهم ويتلثم رجالهم**) فهجم على الموكب مع اصحابه وامرهن بستر وجوههن وضرب دوابهن

فسقطت اخت الامير عن دابتها . فاحضره الامير يوسف بين يديه وامر الفقهاء ان يناظروه فقال له احدهم ان هذا الرجل لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما يريد اثارة فتنة ليغلب على بعض النواحي . فاخرجوه من مراكش فذهب الى قبائل المصامده وصار يعظهم ويذكرهم بما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم وانه لا بدَّ من ظهور المهدي الذي بُشر به . فقال له بعض السامعين وفيهم عبد المؤمن انت المهدي . فبايعوه وسماهم المهدي « موحدين » فلما بلغ ذلك الى الامير يوسف ارسل عليهم جيشاً فهزموه وبذلك قويت قلوبهم . قال ابن الاثير : وكان ليوسف بن تاشفين عدة مماليك من الروم والفرنج يغلب على الوانهم الشقرة وكان في كل عام يخرجون مرة الى جبال المصامدة ليجبوا الضرائب منها فكانوا يطردون الرجال وينامون في المنازل . فلما جاء المهدي الجديد سأَل قومه مالي اراكم سمر الالوان وارى اولادكم شقراً زرقاً فاخبروه ذلك الخبر . فقبح الصبر على هذا وامرهم بقتل اولئك المماليك حين قدومهم والاستقلال بالجبل ففعلوا وازدادوا جرأَة على جرأَة

ثم استفحل امر هذه القبائل وحصروا مراكش وصاحبها علي بن يوسف بن تاشفين لان يوسف كان قد توفي فعادوا عنها بالخيبة . وفي اثناء ذلك توفي المهدي وسلم الامر الى عبد المؤمن واوصى اصحابه بطاعته . ففتح عبد المؤمن البلاد واخذ مراكش كرسي دولة المرابطين . وكان فيها جيش من الافرنج استنجد به المرابطون كما روى ابن الاثير . وكان صاحب مراكش اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو فتى فلما وصل الموحدون الى القصر واخرجوا من فيه للقتل صار اسحق الفتى يرتعد رغبةً في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي . فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفاً فبصق في وجهه وقال : تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين . فقام اليه الموحدون بالخشب فقتلوه . وقُدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة ٥٤٢ وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم . وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة : يوسف وعلي وتاشفين واسحق . وكما اسقط الموحدون المرابطين في افريقيا اسقطوهم في الاندلس وبذلك انتقموا لملوكها الغابرين

***

فيرى القارئ فيما مرَّ في هذه الترجمة تاريخ ثلاث دول مهمة . (الاولى) دولة بني عباد التي قامت في اشبيلية وقرطبة وما جاورها . (والثانية)دولة ابن تاشفين (المرابطين)

التي قامت في مراكش واستولت على افريقيا والاندلس . (والثالثة) دولة الموحدين التي اسقطتها وحلت محلها . وكل هذه قوات قامت ثم سقطت وذهبت سدى دوان ينتفع بها بينما كانت امم الافرنج في اثناء ذلك تتكون وتتجمع تحت سلطة امرائهم ورؤسائهم لينشئوا بعد ذلك اممًا مستقلة مختلفة . ولم تكن تدري تلك الدول التي كانت تتزاحم وتتخاذل على ابواب اوربا ان مستقبل الشرق والغرب والعالم كله كان يومئذ في ايديها

الفيلسوف اوغست كونت

(مؤسس الفلسفة الحسية وواضع ديانة الانسانية والعلم)

ترجمته وذكر مبادئه بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه في رئاسة ديانة الانسانية في الشهر الماضي في باريز

اذا ذُكر نوابغ القرن التاسع عشر فان الفيلسوف اوغست كونت يُذكر في مقدمتهم . وقد رأينا ان ننشر في هذا الجزء ترجمته وشيئًا من فلسفته بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه بطرس لافيت « رئيس ديانة الانسانية » فنقول

ترجمته ولد اوغست كونت في مونبيله (فرنسا) في سنة ١٧٩٨ وقد تلقى دروسه في مدرسة الرياضيات ولكنه لم يتمها فخرج وانصب على الدرس لنفسه . وكان في اثناء ذلك يرتزق من التدريس لانه كان فقيرًا . ومن حسن حظه انه عرف في سنة ١٨١٩ سان سيمون الكاتب الفرنسوي المشهور فاتفقا على الاشتغال بالعلم والسياسة معًا . وكان سان سيمون محتاجًا اليه وهو محتاج الى سان سيمون لان سيمون كان ذا بصيرة في السياسة ولكنه كان قاصرًا في العلم وكان اوغست كونت طويل الباع في العلم ولكنه قاصر في الامور السياسية . فكمل احدهما نقص الآخر

الاَّ ان كونت كان مطبوعًا على حب الاستقلال فلم يجد بدًا من مفارقة سان سيمون الذي كان ينزل نفسه منه منزلة المتسلط الآمر . فاغتنم فرصة لذلك . وهي ان كونت كتب الجزء الثالث من كتاب « مبادئ اهل الصناعة » واتفق مع سيمون على ان ينشره باسم مؤلفه . فذهب سيمون ونشره دون ان يذكر مؤلفه فكان ذلك عذر كونت في مفارقته

وبعد ذلك انصرف كونت الى التأليف والتدريس في منزله فكان نخبة الناس يقبلون على استماع خطبه العلمية . غير انه أُصيب بعد ثلاث خطب بتهيج في الدماغ خيف عليه

الجنون منه فنقل الى احد المستشفيات واقام فيه ٧ اشهر بلا فائدة . وكانت له زوجة كريمة عاقلة فاعادته الى منزله ولبثت تداريه وتسكن اضطرابه باللطف والمجاملة حتى هدأ اضطرابه وعادت اليه قواه العقلية . وهنا لا بدّ ان يذكر القارئ رأي العلامة لمبروزو الايطالي الذي مقتضاه ان سبب نبوغ اعاظم البشر خلل يطرأ على ادمغتهم وعقولهم فيرفعها عن عقول البشر الاعتيادية . وبذلك يكون نوابغ البشر الذين رقوا الهيئة الاجتماعية انصاف مجانين . والعياذ بالله من هذا الرأي الغريب .

وبعد شفاء كونت بدأت مؤلفاته العظيمة التي كانت اساساً للعلم الحسي والسسيولوجيا . فصارت له شهرة واسعة . الاّ ان اخلاقه الغريبة كانت تبعد عنه كل انصاره . فانه كان يسيء في معاملة الجميع لرؤيته انهم لا يعطونه حقه ولا يقدرونه قدره . فمن ذلك انه كان يطلب التدريس في احدى المدارس الكبرى فلما خلت وظيفة كبيرة في مدرسة الرياضيات كتب الى اصدقائه في الاكاذمية كتاباً يطالبهم فيه بتلك الوظيفة كحق له ويعنفهم لاعراضهم عنه ويطعن على مشاهير الرياضيين في عصره . فانتهى الامر برفض طلبه . ومن ذلك طعنه في احد كتبه على اراغو المشهور طعناً جرح كبرياء اراغو الذي كان يومئذٍ في اوج الشهرة فسعى في عزله من وظيفة كانت له في مدرسة الرياضيات . وكان كلما تقدّم في نشر مذهبه الفلسفي وازداد تحققاً فيه واستيثاقاً من عظم عمله ازدادت اخلاقه شراسة وكبرياء حتى لم يعد يقبل نصيحة ولا اشارة من احد . ولما رأت زوجته ذلك علمت استحالة الاتفاق معه فانفصلت عنه بهدوء ولكنها بعد الانفصال بقيت تراسله .

ولما كانت سنة ١٨٤٥ بدأ كونت يطبق فلسفته على السياسة . اي بدأ يُدخل في حيز الفعل والتجربة النظريات التي ذكرها في فلسفته . فادّى به هذا الامر الى امور غريبة سنذكرها في موضعها . ولذلك يقولون ان هذا العام كان بدء نزوله عن جبل العظمة العلمية

ولما فقد كونت وظيفته الرسمية في مدارس الرياضيات فقدَ معها مورد رزقه ولكن بعض علماء انكلترا واغنيائها ارسلوا اليه مالاً طائلاً مساعدة له لان الانكليز اعجبوا بمواهبه . فطلب كونت ان تكون هذه المساعدة سنوية فرفضوا فخاصمهم كونت لرفضهم . فشرع حينئذٍ تلميذه العلامة ليتره المشهور في جمع مال طائل لاستاذه على سبيل الاكتتاب ليجعل له منه دخلاً سنوياً فاستمر ذلك اربع سنوات ولكن كونت رأى ان تلميذه ليتره لم يكن مطيعاً له الى الحدّ الذي يريده فخاصمه ايضاً وتولى هو نفسه رئاسة الاكتتاب . .

وقد كانت وفاة كونت بسرطان في معدته فجزع عليه تلامذته . ولا يزال بيته في

باريز (هيكلاً) يحج اليه تلامذته من جميع اقطار العالم

﴿ مؤلفاته وطريقة تاليفه ﴾ كان لكونت في التأليف طريقة لم تكن لسواه بين جميع المؤلفين . فانه منذ شرع في كتابة مذهبه الفلسفي انقطع عن كل درس ولم يعد يقرأ كتاباً لاحد من المؤلفين . وسبب ذلك انه قصد ان لا يكون لاحد تأثير على افكاره . ولقد كان ذلك حسناً قبل افراغه جعبته في مؤلفاته . ولكنه بعد افراغه جعبته جرَّه الى الامور الصبيانية التي سنذكرها في ترجمته لانه فصله عن عالم العلم وجعله يتهوَّر في التعاليم الرمزية التي مزج فيها الدين بالفلسفة . ومهما يكن في هذا الامر فانه كان دليلاً غريباً على عظيم ثقته بنفسه

اما كيفية كتابته مؤلفاته فانها كانت كما يلي . كان يفكر اولاً في الموضوع وينشىء في ذهنه جميع اجزائه وتفاصيله . ومتى فرغ منها كلها كان يقول ان كتابه قد تمَّ . وحينئذ يتناول القلم ويبدأ بالكتابة بسرعة غريبة ثم يرسل الاوراق التي يكتبها الى المطبعة دون مراجعتها . وبعد ترتيب حروفها لا يصحح اغلاطها المطبعية الا مرة واحدة . وعند تصحيحها لا يغير شيئاً في كلامه

واما مؤلفاته فاهمها كلها « دروس في الفلسفة الحسية » وهو ستة اجزاء فيها كل فلسفته « واقوال فلسفية في العلم والعلماء » (واقوال في السلطة الروحية الجديدة) (وكتاب في مبادىء الهندسة) (وكتاب فلسفي في علم الهيئة العامي) (وكلام عن مجمل الفلسفة الحسية) وهو كتاب اختصر فيه فلسفته (ومذهب الفلسفة الحسية السياسي) وهو اربعة اجزاء وقد دعاها ايضاً : كتاباً في السسيولوجيا يبحث في ديانة الانسانية (وكتاب مبادىء التعليم في الفلسفة الحسية) وهو في (ديانة الانسانية) يقابل (كتاب مبادىء التعليم المسيحي) للاولاد في الديانة المسيحية او اصول الشرع والقرآن الاولى في الديانة الاسلامية . ومنها كتب اخرى

﴿ مذهبه الفلسفي ﴾ وقبل ان نذكر شيئاً عن مذهب اوغست كونت الفلسفي نقسم اعمال هذا الفيلسوف الى قسمين : فقسم كان عظيماً جليلاً لما كان له من التأثير على الحركة العلمية والسياسية في اوربا منذ ذلك الزمن الى اليوم . وقسم كان صغيراً – ومع احترامنا لتذكار الفيلسوف فاننا نقول انه كان مضحكاً . وقبل الوصول الى القسم الثاني نشرح القسم الاول

لما قام كونت ورأى الفلسفة مبنية على النظريات والمجادلات العقيمة عدل عن هذه

الطريق وقام يدعو الى تأسيس الفلسفة على الامور المحسوسة · فقال اننا لا نبني فلسفتنا الا على ما نعرفه معرفة تامة · ولذلك لا نعرف للفلسفة اساساً غير (**الرياضيات وعلم الفلك والطبيعيات والكيمياء والبيولوجيا والسسيولوجيا**)

وكان مراده بذلك صرف افكار الفلاسفة عن البحث في (علة العلل وسبب الاسباب) لادخال العلم في دور (**النفع**) للبشر · وان قيل ان ذلك يضع حداً للعلم ويجعله مقيداً فكونت يجيب عن ذلك بان فلسفته لا غرض لها غير (**نفع الناس**) بترقية الانسانية اما معرفة مبداء العالم ومصيره فمن العبث الاشتغال به بقوانا العقلية · فبدلاً من ان تضيع الفلسفة وقتها الثمين في البحث في هذه المسائل يجب ان تحصر قواها في درس الامور المحسوسة واستخدام العناصر الطبيعية لنفع الانسانية اذ لا شيء حقيقي غير الانسانية

وهو يرى ان الانسانية قد آن لها ان تصل الى هذا الغرض وان فلسفته هذه دور من ادوارها · وايضاحاً لذلك يقول ان كل هيئة اجتماعية لها ثلاثة ادوار الاول دور الطفولية وهو الدور الذي تظن فيه نفسها محكومة بقوات غير منظورة كالآلهة والارواح والثاني دور الشباب وهو الدور الذي تكون فيه منصرفة الى ما وراء الطبيعة والعقل والحس والثالث الدور الحسي وهو دور الرجولية · بل ان الانسان نفسه يتقلب في عمره بين ادوار كهذه الادوار فانه في صباه يكون في الدور الاول وفي شبابه في الدور الثاني وفي كهولته في الثالث ·

واعظم اكتشافات كونت في هذه الفلسفة اثباته الترتيب والعلاقة بين العلوم الطبيعية · قال المسيو رويسين الذي نعتمد عليه في تلخيص هذا المذهب : ان الرياضيات قد وُضعت اصولها منذ نشأتها في القرون الماضية وقد خطط كبلر وغاليله طريق علم الهيئة (الفلك) وخطط باكون وديكارت طريق الطبيعيات ولافوازيه طريق الكيمياء وبوفون وكوفيه ولينه وجفروى سان هيلير طريق البيولوجيا · واما أوغوست كونت فانه وضع اساس السسيولوجيا (علم العمران) ورفعه الى مقام العلوم الطبيعية الثابتة · وذلك باكتشافه ما بين العلوم الطبيعية من الترتيب اي لزوم بعضها عن بعض لانها تنشأ عنها واثباته انها كلها تنتهي الى غرض واحد وهو خدمة علم السسيولوجيا لترقية العمران في الارض وتحسين حالة الانسانية

وبناء على ذلك يكون اساس فلسفة كونت علم السسيولوجيا اي علم اصلاح شأن البشر · وهو الذي وضع هذه الكلمة (السسيولوجيا) واودع فيها المعنى المصطلح عليه اليوم ·

وتوصلاً الى ذلك الغرض جعل همه ايجاد (سلطة روحية) جديدة ليقرنها بالسلطة السياسية ويعهد اليها تدبير شؤون البشر · وهو يرى ان الكنيسة المسيحية قد صنعت صنعاً بديعاً بجمعها بين السلطة السياسية والسلطة الروحية في شخص واحد يتولى ادارة الامة · ولكنها بما انها فصلت بين العقل و بين الطبيعة في تلك السلطة فقد ادخلت بذلك في جوفها جراثيم الضعف والانحلال · وهذا الانحلال والانقسام لم يلبث ان ظهر بقيام المذاهب الفلسفية والمذهب البروتستنتي · فالمطلوب لتدبير شؤون البشر تدبيراً محكماً اقامة سلطة روحية توافق السلطات السياسية والامور الطبيعية · وليس هنالك سلطة روحية قوية غير سلطة العلماء · اذاً يجب ان تتألف لجنة من العلماء في كل الامم ليتولوا حكومة البشر بالروح وبالسياسة حكومة مبنية على الواجب · ويكون شعارهم هذه الكلمات « **محبة الناس لانها واجبة · وحفظ النظام والامن لانهما اساس الاجتماع · وتمهيد سبيل المدنية لانها غرض الانسانية** »

« مذهبه الديني » واليك القسم الثاني من مذهب كونت الذي اشرنا اليه في ما تقدم سمى كونت الانسانية (الذات الاعظم) واوجب في اكرامها ترقية شؤونها لا عبادتها · وسمى دينه الجديد (ديانة الانسانية) وهو يوجب الصلاة لا لانها واسطة لطلب شيء للانسان بل لانها عبارة عن اشتراك وتامل في مصدر الكمال · ومن قوله : انما الصلاة حب وفكر اذا كانت بالروح والفكر فقط · ولكنها اذا كانت بالكلام ايضاً فهي حب وفكر وفعل · فكأنما الصلاة عبارة عن نموذج للحياة · وكأنما الحياة صلاة دائمة

ومعبد الانسانية يجب ان يقام في وسط حرش مقدس يجتمع فيه المؤمنون · وتكون فيه العبادة عمومية · ويوضع في صدره تمثال للانسانية يمثل امرأة تحمل طفلاً · وتخصص غرفة في المعبد بالنساء اللواتي امتزنَ في حياتهنَّ باعمال جليلة و١٣ غرفة تحوي تماثيل ١٣ رجلاً وهم « **موسى وهوميروس وارسطو وارخميدس وقيصر والقديس بولس وشارلمان ودانت وغوتنبرج وشكسبير وديكارت وفردريك الثاني وبيشات** » · وقد غير كونت حساب الاشهر فجعل السنة ١٣ شهراً وسمى كل شهر باسم واحد من هؤلاء المشاهير وجعل في كل يوم من ايام السنة عيد رجل من الذين افادوا البشر · اما تعاليم هذا الدين الجديد الغريب فهي ترجع الى مبدإ واحد وهو (ان يحب الانسان الناس ويعيش من اجلهم)لانه جزء وهم كل · وبذلك وضع كونت اصول الآداب والفضائل فوق اصول العمران (السسيولوجيا)

ومن مبادىء هذا المذهب تقديس النساء لان المرأة في رأي كونت اطهر مخلوقات

الانسانية · وهي الرباط الحي الذي يربط الانسان بالهيئة الاجتماعية سواء كانت زوجة او اماً او ابنة · وقد وضع هذا الفيلسوف الغريب الاخلاق عبادة مختصة بالنساء · ووضع مذهبه تحت حماية (القديسة كلوتيلد) وكلوتيلد هذه اسم امرأة عرفها كونت في سنة ١٨٤٥ واحبها حباً شديداً مع انه كان في السابعة والاربعين من عمره ·· وهي تدعى كلوتيلد ديفو

فمن كل ذلك يظهر ان هذا الفيلسوف مزج فلسفته بكثير من الامور الصبيانية · على ان الفلاسفة ينظرون الى مذهبه الفلسفي لا الى مذهبه الديني · ويقولون عنه انه كان فيه شخصان : شخص عظيم وضع في الرياضيات والطبيعيات والسيولوجيا كتباً في غاية الاهمية حوّلت مجرى افكار البشر في الارض · وشخص وضع ذلك المذهب الديني بعد فراغ جعبته العلمية فصغر به نفسه

﴿ خلفه الذي توفي اخيرًا ﴾ وقد اشتغلت جرائد اوربا منذ مدة بذكر كونت وفلسفته مرتين · الاولى حين اقامة تمثال له منذ بضعة اشهر · وقد خطب الجنرال اندري وزير الحرب في فرنسا في تلك الحفلة لانه من انصار الفلسفة الحسيــة · والمرة الثانية حين وفاة بطرس لافيت تلميذ كونت و(رئيس ديانة الانسانية) بعده · وقد احتفل بجنازته في ٢ موسى وهو يوم قورش (اي في اليوم الثاني من الشهر المسمى موسى والمخصص بقورش ملك فارس القديم) فجيء بالجثة الى (الهيكل) وهو البيت الذي توفي كونت فيه · وكان هذا البيت مزيناً بالرايات المختلفة دلالة على اشتراك الانسانية كلها في تشييع واحد منها · وكان العلمَ العثماني في جملتها · وبعد عرضها حُملت الى المدفن حيث ابَّنه بعض اكابر العلماء في جملتهم المسيو اناتول فرانس احد اعضاء الاكاذمية وخطيب اسود وهو وكيل هايتي السياسي في باريز كان ينوب عن الجنس الاسود في هذه الجنازة

وقد ابنَّت الجرائد المسيو لافيت خلف استاذه كونت فقالت انــه تصرف بمبادئ استاذه تصرفاً نبذ منها الامور الصغيرة وادخل فيها البشاشة واللطف فزاد في قوتها وانتشارها · وكتب المسيو غاستون ديشان المنتقد المشهور مقالة طويلة في جريدة الطان قال فيهـا ان جميع المؤلفين الذين قاموا بعد كونت قد استمدوا من مؤلفاته وآرائه في اوربا كلها حتى رنان وتين · ولذلك تجد الكتب والروايات مملوءة من روحه · وهذه المقالة طويلة لامحل لتلخيصها وانما نذكر منها غرض كونت كما صوّره هذا الكاتب · قال : كان غرضه مداواة داء العصر بوضع النظام العقلي والادبي مكان الفوضى الاشتراكية · وانشاء سلطة روحية جديدة توفق بين عناصر الامة وتوحد التعليم في مدارسها لتوحيد كلمتها · ومصالحة العقل والقلب · والعلم والحب ·

التي فرقتها حالة العصر. واقامة دين بابه مفتوح لكل جديد ومع ذلك حافظ للتقليد . ويكون مستمداً تعاليمه من حالة الاجتماع وغرضه ان ينال من الناس الاجماع

﴿ الفائدة ﴾ هذا ما رأينا نشره بشان اوغست كونت . وقد بقيت امور كثيرة لم نذكرها رغبة في الاختصار منها ارساله الى نقولا الاول امبراطور روسيا كتاباً يقترح عليه فيه ان يوحّد امم اوربا ويقبض على سلطتها السياسية ويعطيه سلطتها الروحية . وغني عن البيان ان هذا الكتاب بقي بلا جواب . ومنها تفصيل تاريخ انتشار مذهب كونت الديني والفلسفي في فرنسا وانكلترا واسوج والبرازيل حيث ادخله بنجامين كونستان وذكر جمعياته ومجلته التي تطبع في باريز وعنوانها « المجلة الغربية » ولكننا نلتزم الاختصار لضيق المقام ونختم هذا البحث بذكر الفائده التي تنجم عنه وتؤخذ منه بقطع النظر عن الامور الصغيرة التي فيه كترك الفكرة الالهية التي تحيي نفوس البشر وتقليد العبادات المادية

وهذه الفائدة هي تقديس الانسانية واحترام شخص الانسان احتراماً مطلقاً . ويدخل في ذلك مبدأ هو اسمى المبادىء التي وضعها البشر نعني مبدا « كراهة سفك الدم البشري » الذي يُقال فيه انه المبدأ العظيم الوحيد الذي تمتاز به المدنية الحديثة على جميع المدنيات القديمة . فقد كان دم الانسان في الزمن القديم رخيص الثمن وكان البشر عبارة عن انعام يُذبحون او يُحرقون بامر رؤسائهم لاصغر الاسباب سواء كانت دينية او سياسية . اما اليوم فقد صار الشخص مقدساً لانه جزء من الانسانية ولذلك صار همّ البشر منصرفاً الى الاتفاق على تدبير الطرق السلمية ليحملوا بعضهم بعضاً ويعيشوا بعضهم مع بعض بالفة ووئام بعد ان علموا انه من الجناية على الانسانية ومن المستحيل في شرعها استئثار بعضها بالحياة والارض دون بعض . ومن هنا نشأ ارتقاء حقيقي في حالة الانسانية . وهم يُرجعون الفضل في هذا الارتقاء الى الفلسفة الكونتية



المقالات

تاريخ الرسل

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

الاشتراكية المسيحية والاشتراكية العصرية

اثبت البحث في نشأة الاديان انها كلها قد نشأت للقيام بحاجات اجتماعية . فان الديانة البوذية مثلاً لم تقم بما فيها من الفلسفة العدمية ولكنها قامت باعلان بوذه الغاء الامتيازات والطبقات وبوضعه شريعة ينال بها النعمة كل داخل فيها . وكما كانت الديانة البوذية عبارة عن حركة قام بها الفقراء فان الديانة المسيحية كانت كذلك ايضاً . فان الجاذب الذي جذب الناس افواجاً اليها هو ما كانت تجده فيها طبقات المساكين من الحماية والرأفة ورفعة الشان

وكان عدد الفقراء في اليهود كثيراً يومئذ . فان البلاد نفسها قليلة الموارد عديمة الصنائع ولا مورد فيها الا من جهة المعابد وجهات الحكام . اما خيرات الهيكل في اورشليم فانها كانت خاصة بقليلين من الرؤساء . وكان حول بني هيرودس بعض الأسر الغنية التي وضع هؤلاء الحكام الغنى فيها ولكن الشعب من اليهود الحقيقيين كان لا ينظر اليها بعين الاحترام بل كان يدير ظهره لها وللتمدن الروماني الذي كانت مقبلة عليه . وبذلك كان هذا الشعب يزداد فقراً على فقر . فتألف منه فريق يحفظ قواعد دينه كل الحفظ وينبذ كل جديد وهو في غاية الفقر ويعتبر اولئك الاغنياء اعداء له ويطلب اذلالهم . وكان اقصى اماني هذا الفريق مجيء اليوم الذي يكون فيه الحكم اليهم ليقيموا الشريعة الحقة . ولم يكن شيء يعادل بغضهم للمباني الفخيمة التي كانت تنشأ في جميع اقطار البلاد من سراة اليهود ومن الرومانيين . وكانوا مضطرين الى العمل في هذه الابنية طلباً للرزق والا ماتوا جوعاً ولكنهم مع ذلك كانوا لا ينفكون عن التفجر ونسبة الكفر والفساد والشر الى اولئك الاغنياء الذين كانوا يقبلون على التمدن الغريب

فبناءً على ذلك كانت الطائفة المسيحية الاولى بمنزلة الفردوس لهؤلاء الفقراء . فانها كانت عبارة عن اخوية ساذجة الاخلاق لطيفتها فيها المعيشة هادئة مضمونة وآمال في المستقبل عظيمة . ولذلك اقبل الناس عليها . وكان الداخل فيها يبيع املاكه اذا كان ذا ملك ويدفع ثمنها الى صندوق الطائفة . وكانت هذه الاملاك على الغالب عبارة عن حقول قليلة الدخل صعبة الاستثمار ولذلك كان صاحبها لا يخسر كثيراً في بيعها ودفع ثمنها للطائفة ليعيش بين ابنائها وهي تقوم بحاجاته . وبما ان الطائفة كانت تقوم بحاجات كل واحد منها بقدر حاجته لا على نسبة المال الذي يضعه في صندوقها فقد كان كل مال يخفيه عنها الداخل فيها مالاً مسروقاً منها . وهنا شبه عظيم بين هذه الحالة وحالة بعض المبادئ الاشتراكية التي قامت في هذا العصر . ولكن الاشتراكية المسيحية كانت مؤسسة على عاطفة دينية . واما الاشتراكية العصرية فهي منفصلة عن هذه العاطفة . وظاهرٌ كالشمس للعيان ان الهيئة التي يقدم لها افرادها راسمالاً ولا ينتظرون منها ربحًا الاَّ بمقدار الراسمال الذي وضعوه فيها او العمل الذي يعملونه في معاملها لا يمكن ان تُبنى الاَّ على عاطفة دينية توجب على الانسان انكار ذاته الى ذلك الحد قياماً بواجباته الدينية

اقامة درجة الشماسية

ولا بدَّ في ادارة كادارة الطائفة المسيحية الاولى ان تحدث شكاوى من عدة وجوه . فان اليهود العبرانيين كانوا ينظرون الى اخوانهم اليهود اليونانيين بشيء من الاحتقار لان اولئك كانوا اعرق في اليهودية منهم . ولذلك لم يلبث ان علت شكوى اليهود اليونانيين من ان ارامله كنَّ لا يأخذن من الحاجات اليومية حين توزيعها بمقدار ارامل اليهود العبرانيين . وكان امر التوزيع يومئذ في ايدي الرسل . فلما سمعوا هذه الشكوى رأَوا وجوب التنازل عن هذه الوظيفة الى غيرهم . فاقترحوا على الطائفة ان يختاروا لتلك الشؤون الادارية سبعة من عقلائهم . فرضيت الطائفة بذلك . واختاروا لهذا الامر اسطفانوس وفيليبوس وبروخوروس ونيكانور وتيمون وبرمنيّاس ونقولا . وقد اوجبوا اختيارهم من الداخين على الطائفة لا من الرسل والتلامذة الاولين . واختاروهم من اليونانيين على الاكثر فان جميع اسمائهم يونانية كما ترى . وكان اسطفانوس اهمهم وارفعهم شأناً . وبعد اختيارهم قدموهم للرسل فصلوا على رؤوسهم ووضعوا عليهم الايدي . وقد سموهم باسم سرياني وهو (شماس) واحياناً كانوا يسمونهم (السبعة) تمييزاً لهم عن (الاثنى عشر) وهم

الرسل انفسهم . وهذا هو اصل درجة الشماسية التي هي اقدم درجات الكهنوت في الديانة المسيحية

اما فائدة هذا الترتيب الجديد فقد كانت عظيمة . فان ذلك كان بمثابة رفع العناية بالفقر والفقراء الى درجة دينية . بل هو بمثابة اعلان لهذه الحقيقة الثابتة وهي ان المسائل الاجتماعية مقدمة على كل المسائل والعناية بها يجب ان تكون فوق كل عناية . ولقد كان الشمامسة في الديانة المسيحية افضل وعاظها . امـا تاثيرهم في تاسيس الطائفة فقد كان اعظم واشد ايضاً . فان هؤلاء الرجال المنصرفين الى تدبير الشؤون اليومية والذين كانوا قريبين من الفقراء والمرضى والنساء يرون كل شيء ويعملون كل شيء قد تعلموا بالاختبار طرق الدعوة والوعظ الا كثر تاثيراً في النفوس بينما كان الرسل جلوساً على كراسيهم في اورشليم في سكينة تامة . ولذلك يرجع اليهم الفضل في تاسيس الطائفة المسيحية

المراة في المدنية القديمة وفي المسيحية

ولم تكن هذه الوظيفة والخدمة مختصة بالرجال فان النساء لم يلبثن ان دخلن فيها . وكانوا يسمون المرأة التي تشترك في هذه الخدمة (اختاً) كما يسمون الراهبات اليوم . وكانوا اولاً يستخدمون الارامل لها ثم عدلوا عن الارامل الى العذارى . فكان الرجال يخدمون في ماهو داخل في دائرة عملهم والنساء يخدمن في ما يدخل في دائرة عملهن . وبذلك وضع اولئك السذج الصالحون اساس العمل العظيم الذي هو خاصّ بالمسيحية وهو مباني (الاحسان) . وقد وضعوا ذلك ابتداعاً لا تقليداً لانهم لم يقفوا على مثال له قبل ذلك . ومن المحتمل انهم وضعوا هذا الاساس بارشاد السيد في حياته لانّ تعاليمه كانت لا تزال تملأ نفوسهم وتدبر شؤونهم

ولقد كان من نتيجة ذلك ان النساء اقبلن من كل صوب على هذه الطائفة التي كنّ يجدنَ فيها ملجاء يعشن فيه بسلام واكرام . ذلك ان مقامهنّ في الهيئة الاجتماعية يومئذٍ كان ضعيفاً متقلقلاً . فان الارامل على الخصوص كنّ مهجورات للفقر والشقاء . وكثيرون من علماء الدين عند اليهود كان مذهبهم ان لا تُعلم المرأة شيئاً من المبادىء الدينية . ومما يدل على ذلك ان التلمود يعتبر من آفات العالم الارملة الثرثارة التي تصرف اوقاتها عند الجيران والعذراء التي تضيع وقتها في الصلاة . ولقد كان عصر السلوسيين في فلسطين عصر اضطراب في المنازل فانه لم يحدث في عصر آخر ماحدث فيه من التسميم والفسق والفتن بين النساء وازواجهنّ

فصار حكماء ذلك الزمان يعتبرون المرأة عبارة عن شيطان رجيم خُلق لافساد نفوس البشر وتعطيل ما فيهما من الصلاح . فالديانة المسيحية الجديدة غيرت كل هذا بان اوجدت للمرأة يومئذ ملجأ شريفًا امينًا . فكأنها رفعت جنس النساء من الدرجة التي كانت فيها الى درجة الرجال وخلقت لهن حياة جديدة ينفقن فيها ما في نفوسهن من قوى الاخلاص والاحسان . وصار يكفي ان تضع المرأة على راسها غطاء اسود وتدخل الى الطائفة الجديدة تخدم فيها لتعامل فيها معاملة اكرم رجالها واجلهم . وبذلك صارت النساء مساويات للرجال . والارامل للعذارى . وكانت الارملة التي تخدم هذه الخدمة تُسمى (العجوز الجميلة) وكانوا يحترمونها احترام الام . وكان هؤلاء النساء من اقوى العوامل في نشر المذهب الجديد . ولقد اخطأ البروتستنت بانتقادهم هذا الاجتماع انتقادًا ! مبنيًا على روح الاستفراد العصري كاعتراضهم على معيشة الرهبانيات معيشة مشتركة فان هذا الاشتراك في المعيشة كائن في طبيعة الديانة المسيحية وهو في صدر تاريخ نشأتها

ولم يكن يومئذ قد انشئت وظيفة الاسقفية والكهنوت ولكن كان بدلاً منها وظيفة العناية بالناس عناية روحية عمومية واتحاد النفوس بالروح اتحادًا مطلقًا . ففي هذه الحالة كان للمرأة مسعف ومرشد يسعفها ويرشدها . وتاريخ حرية المرأة يبدأ من تاريخ اقامة هذا المرشد لها . ذلك ان المدنيات القديمة كانت تدفع المرأة الى الرجل بلا شرط ولا ضمانة فكان ذلك للمرأة بمثابة عبودية حقيقية . ولم يكن للمرأة قبل الديانة المسيحية ضمير خاص بها وفكر ادبي مستقل يختط لها طريقها بل كانت آلة والعوبة في يد الرجل . واما الديانة المسيحيــة فانها جعلت لها الاسقف او الكاهن مرشدًا يدبرها . وهذا المرشد الذي يصرف همه الى تدبير شأنها وارشادها محبوب اليها لان المرأة في حاجة الى الارشاد ولا تكون سعيدة الا اذا كانت محكومة . وبما ان حياة النفس هي الحياة الحقيقية فمن المعقول ان يكون ذلك الذي هو قادر على اثارة عواطف النفس وتحريك اوتارها الالهية فوق كل شخص سواه

رايه في الزواج والدير

فمن هذه الجهة كانت المسيحية عبارة عن ردّ فعل لحالة الزواج القديم في النسل الآري وما كان فيها من الضيق . ولقد احدثت الديانة الجديدة توسعًا في ذلك حالةً جديدة وهي ترك الزواج . فانهــا رأت ان العائلة ليست سنّة مطلقة في الحياة وان واجب النسل وان

كان مقدساً فانه لا يجب على كل انسان . ولذلك استثنت منها الكهنة والراهبات رغبة في الخير العام لانقطاعهم الى الخدمة العمومية . ولا عجب في ذلك فان بعض النفوس يلذ لها الاجتماع مع خمسمائة اكثر من الاجتماع مع خمسة او ستة ولذلك ترى العائلة ناقصة مضجرة باردة . فلماذا يجب ان نجعل نظام اجتماعنا الضيق شاملاً للجميع . ان العائلة الحالية لا ترضي الانسان وحدها . بل هو يطلب دائماً اخوة واخوات من غير طريق اللحم والدم

وبناء على ذلك جمعت الطائفة الاولى في تاريخها الاول ضدين غريبين . فمن جهة اطلاق الحرية ومن جهة تقييدها . وقد كانت الانسانية راضية مرتاحة في هاتين الحالتين . ولكن لما انتشرت المسيحية في اقطار الارض ودخلت فيها امم باسرها صار العمل بنظامها الاول امرًا مستحيلاً الاّ في الاديرة . فالاديرة اذاً ليست الاّ تتمة للمعيشة المسيحية الاولى . والدير نتيجة ضرورية تلزم عن الديانة المسيحية . لانه لا مسيحية حقيقية الاّ في الدير حيث لا يمكن العمل بالكمال الانجيلي في مكان سواه

تاريخ العلم في لبنان

لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ شاهين الخازن اللبناني

المقالة الثانية

عرف قارىء المقالة السابقة في مدارس لبنان انه ليس بينها مدرسة للفنون والصنائع . وقد شاعت هناك مع ذلك فنون وصنائع ولّدها الاضطرار كما سيأتي في مطاوي هذا البحث

المحاماة والطبابة

انتشر فنّ المحاماة في لبنان بعد ان أُدخل فيه نظام العدلية غير ان العدلية سارت سيراً مختلاً اذ لا يمكن التوفيق من كل الوجوه بينها وبين نظامه المخصوص نظرًا الى امتيازاته الاساسية التي لا يُنقض شيء منها الا بمؤتمر دولي . فكان فن المحاماة غير قانوني من وجهين احدهما انه ليس هناك من مدارس شرعية ولا نظامية . ومع ذلك نبغ افرادٌ في لبنان بعلمي الشرع والنظام نبوغاً اطار شهرتهم في بلاد الدولة العلية بما ألّفوا وشرحوا وعربوا ولبعضهم تلامذة بارعون يركن اليهم في مشكلات الابحاث النظامية . ولكن الافراد المشار اليهم وصلوا

الى هذا الحد من علوم الشرائع اما لاخذهم بعض اصولها عن فقهاء غير لبنانيين ثم جدّوا في البحث والتحصيل والتمرن واما لانهم حصلوه بالاجتهاد من اوله الى هذه الغاية · وقد احدث دولتلو نعوم باشا متصرف لبنان السابق شهادة يُعطاها بعد الامتحان من يريد احتراف المحاماة ولكنها لسوء الحظ اعطيت لاشخاص من بين نائليها علموا من الفقه والنظام ما يعلمه طالب السنة الاولى من لغةٍ اجنبية · ولست بمنكر على كثير من رؤساء المحاكم والمحامين تمكنهم من العربية نحوًا وبيانًا وبديعًا وقريضًا الى غير ذلك فمنهم الادباء والشعراء والكتبة المجيدون وقد طلبوا الفقه من طريق اللغة غير انهم لم يتجرّدوا له المدّات الكافية للتوسع فيه · وكان الخالد الذكر داود باشا قد ابتاع دار الامير قاسم ابن الامير بشير الكبير من ماله ليجعلها مدرسة كلية لبنانية يتلقى فيها اللبنانيون علوم الشرائع والصنائع وغيرها ولكن استقالته حالت دون اتمام ذلك الغرض النبيل

وليس في لبنان من حرفة قانونية غير الطبابة على ان اصحابها يتعلمونها في بيروت في الكلية الفرنسوية او الاميركانية وكانوا فيما مضى يطلبون الطب في القطر المصري ايام كان لا فرق بين القطرين الشقيقين الا من بعض الوجوه · وقد كثر الاطباء اليوم في لبنان وعددهم يزداد في كل عام لان دارسي الفرنسوية والانكليزية لا يجدون عندهم من الصناعات القانونية غير هذه الصناعة اللهمّ الا الصيدلة فقد اندفع الى اقتباسها المنتهون من الدروس الثانوية · وسينتشر الصيادلة في البلاد انتشار الاطباء فيها وفي كثرتهم رحمة للعباد لا تخفى

المعارف في لبنان ادبية

وقد برع كثيرٌ من اللبنانيين بعلوم أُخر طلبوها في اوربا كالهندسة والرياضة الا انهم لم يجدوا مجالاً لها في لبنان فغادروه الى حيث يتمكنون من الاشتغال بها فلم يهبّ سواهم الى الاتساء بهم لكساد سوقهم في بلاد الشرق

وقد انشئت في رومه وباريز مدارس للبنانيين ولكنها خُصت برجال الدين وفي لبنان من متخرجيها اليوم عدد غير قليل من الكهنة والرهبان بينهم محبو الفلسفة والرياضة وغيرها وكانت لهم منذ ٣ قرون مدرسة في رومه اخرجت كثيرين من العلماء

فلقد تبين مما مرّ امران : الاول منهما هو ان اللبنانيين يطلبون العلم حيثما تيسر لهم اخذه فان فاتهم في بلادهم سعوا اليه في بلاد اخرى مهما بعدت شقتها ولا يرضون بان يكونوا جهلاء · فان خلا لبنان من صروح العلم في بعض الاحيان فانه لم يخلُ من العلماء في زمن من الازمان منذ حفل بالسكان · فالمشاهير منه اليوم خلفوا غيرهم ممن طواهم بطن الارض ·

فعلماء التاريخ خلفوا البطريرك بولس مسعد والدويهي والامير حيدر وهولاء جاءوا بعد الباني وابن شباط والقلاعي وجاء هولاء بعد غيرهم الى عهد لبنان الاول . وعلماء اللغة تقدمهم الشدياق واليازجي والدحداح . وعلماء الشرائع سبقهم نقولا النقاش والمطران يوحنا حبيب والبطريرك يوحنا الحاج والخوري عبدالله العقيقي ومن قارنهم . وعلماء العلوم الأُخر كان قبلهم بطرس البستاني بعد السمعاني والحاقلاني . والاطباء خلفوا الاطباء والشعراء الشعراء والخطباء الخطباء وهلمَّ جرًّا الى آخر عهد لبنان رجوعاً . ولم تنقطع اللغة السريانية التي حلت محلها العربية بل فيها مؤلفون وباحثون الى اليوم كالكفري واضع الغراماطيق المعروف باسمه والقرداحي مؤلف المعجم السرياني الجديد . وللغات الاخرى علماء ايضاً من متفرديهم المطران نعمة الله الدحداح الذي لم يمت بموته ذكر معارفه الواسعة . وغيره كثيرون احياء لم اذكر احداً منهم لكثرتهم ومنهم من يقيمون في لبنان ومنهم في جواره ومنهم من فصل البحر بين مقامهم وبينه

والامر الثاني هو ان المدارس العديدة نشرت بساط العلم في لبنان كله نشراً غريباً فقام على اساس راسخ لم يبقَ سبيلٌ الى الخوف من تزعزعه بل ان العصر الحاضر سيزيده بتقدمه قوةً ومكانة . ولكنه بالعموم لم يزل اساساً يجب البناء عليه . فانك اذا جبت لبنان تجد اللغتين الفرنسوية والعربية عامتين انحاءه بجميع فروعهما وترى بهما الكتبة والشعراء والخطباء فتعود بالدهشة والاستغراب . غير ان هذا كلُّ علمهم فلا علوم اجتماعية هناك ولا يعرف احد منهم ما تحتاج اليه البلاد . فلا تجد هنا فيلسوفاً وهنا مهندساً وهناك رياضياً وهنالك حاسباً او صانعاً او اصولياً الخ . بل تجد الكل متساوين بالمعارف الادبية والتفاوت بينهم ان هو الا بالتمكن منها اقل او اكثر . وفاتهم ان اكتفاءهم بها يحول دون ما يرجى منهم من خدمة الوطن لانها لا تزيد عن كونها ادباً واجادةً للقراءة والكتابة

ولما كانت معارفهم في مدارس لبنان كلها ادبية انصرف اصحابها الى الاستخدام او التدريس او هجروا الوطن واستحال عليهم العمل في بلاد الدولة لاسبابٍ منها جهلهم لغتها . ومَنْ من المقيمين ابت نفوسهم الاَّ الاستقلال انشأ بعضهم المطابع والجرائد فزادوا الوطن صناعتين شريفتين كان لهما اعظم تأثير في شؤون الامم الحرة المتمدنة والدول الكبرى ألا وهما الطباعة والصحافة

الصحافة والطباعة

وكان داود باشا الجليل المآثر اول موحٍ بهذا العمل الخطير فانشأ مطبعة

وجريدة في بيت الدين مركز الحكومة اللبنانية العام · الآن الجريدة صارت الى العدم مع سائر اعمال هذا الرجل العظيمة بعد قدوم خلفه فرنكو باشا واعتيض عنها في الشؤون اللبنانية بجريدة حديقة الاخبار التي انشأها في بيروت ذو السعادة خليل افندي الخوري وهي تنشر بالعربية والافرنسية الى اليوم · واول صحيفة ظهرت بعد ذلك مجلة الصفاء فظلت تبدو حينًا وتغيب احيانًا حتى بات لبنان خلوًّا من الصحف الى عهد واصا باشا · فاحدثت في ايامه جريدة لبنان المنشورة اليوم في بعبدا مركز المتصرفية الشتوي واستمرت وحيدة الى ان اتى نعوم باشا فابطلها في اوائل عهده · وكانت بعض الجرائد البيروتية تنشر اعلانات لبنان القضائية · وفي عطلتها انشئت جريدة الروضة فظهرت في بعبدا ايضًا واستقلت بالاعلانات المذكورة حتى عادت جريدة لبنان الى الظهور فتقاسمتاها · ثم حوّلت مجلة الصفاء الى جريدة اخبارية باسمها وصدرت عن قرية عبيه من قضاء الشوف وهي لم تزل كذلك الى اليوم · ثم أنشئت جريدة الارز في جونية مركز قضاء كسروان وقد رخص لصاحبها من زمن غير بعيد ان ينشرها باللغة الفرنسوية وأعطي امتيازًا بمجلة تسمى ضياء الالباب · ثم نزلت مجلة الرئيس الى ميدان الصحافة تصدر عن جونية مرة في الشهر · وآخر الصحف اللبنانية عهدًا جريدة النصير تطبع في قرية الحدث المحاذية لبعبدا

وكل هذه الجرائد تصدر مرة في الاسبوع الآ الارز فقد ابتدأت من اول هذا العام ان تظهر كل يوم حسب امتيازها وهي اول جريدة يومية في لبنان والجريدة الرسمية للحكومة اللبنانية بناء على الاتفاق الذي ابرم بينها وبين دولة المتصرف الجديد · وتمتاز عن سائر الجرائد الرسمية في بلاد الشرق بانها يومية وبان نصفها غير رسمي معدود للانباء العمومية كالجرائد الحرة السيارة · ولكلٍ من هذه الصحف مطبعة خاصة بها الآ مجلة الرئيس · وقد اخذت امتيازاتها من الاستانة العلية الآ الاولى وهي التي انشأها داود باشا فانه قد احدثها بامره عملاً بما يوليه اياه امتياز لبنان ولم يتنازل خلفاؤه عن هذا الحق الالاغراضٍ ليس هنا محل النظر فيها

اما المطابع الاخرى الموجودة في بعض الاديار فقد ابطل اكثرها باهمال اصحابها لها لا لسببٍ آخر · والمعروف منها اليوم مطبعة دير الشرفة التي جدّدها على الطرز الحديث رئيسه السابق السيد بطرس هبرا مطران الموصل الحالي · ولغبطة السيد افرام رحماني يد مشكورة في هذا التجديد وهي مخصوصة بمطبوعات الدير وببعض ما قويت علاقته بالطائفة السريانية

ويصدر عن هذه المطابع كل يوم كتب جديدة من اوضاع اللبنانيين وتآليفهم وتعريبهم ولكن بما لا يفيد البلاد كثيراً لاسباب منها تقييد الطباعة كما سيأتي

الصناعة والزراعة

اما سائر الصناعات اليدوية فكثيرة ولكنها تكتسب من غير علم قانوني بل بالطريق التقليدية فتنقل من سلف الى خلف بالتمرين وطول المزاولة · ومع ذلك فمنها ما هو متقن معجب كالحياكة الزوقية فقد اصبحت منسوجاتها تعد من النفائس ولا تقل قيمة عن اثمن العاديات وهي لو نشطت لاغنت البلاد عن كثير من صناعات الغربيين التي من قبيلها · والغربيون انفسهم يتنافسون باقتناء شيء منها ولا عجب فانها من اعز ما تزدان به قصور الملوك ومن انفس ما يهدى اليهم · وقد كسدت صناعة المنسوجات الاخر ايضاً في بيت شباب وبكفيا وبسكنتا وغيرها حتى لم يبق فيها جميعاً اليوم ما يزيد على ٦٠٠ نول · وفي هذه القرية صناعة الاجراس والنواقيس وما شاكلها وقد ضارع بها اصحابها صناعة رومة المشهورة حتى استغنت سوريا كلها من زمن بعيد عن ابتياع الاجراس والصنوج وغيرها من رومة · ولم تزل هذه الصناعة المهمة محصورة هناك لم تمتد الى بلد آخر · وقد اتقنت صناعة البناء والنجارة الشرقيتان ايضاً وغيرهما من الصناعات الوطنية الضرورية ولكن كلها لم تبلغ ما بلغته تربية دود الحرير من النجاح حتى عرف بها لبنان وذلك لان الاكابر والاصاغر اشتركوا بها فلا يستعيب وجيه ولا تستحقر سيدة نبيلة او مثرية سهر الليالي لاطعام الدود واستثمار فيالجها واستصناع حريرها · ولهذا عمت لبنان منافع هذه الصناعة مع انها فيه بدون علم البتة · وقد ابتدأت اصول بستور ان تجرب في بعض البيوت التي فيها اهل علم وبحث · وكثرت ايضاً معامل غزل الحرير في عموم الانحاء اللبنانية وهي تعد اليوم بما يربو على المائة وخمسين معملاً كبيراً حتى اصبحت صناعة وطنية · وقد اعارها دولة مظفر باشا المتصرف الجديد عناية مخصوصة تذكر له بالشكر والثناء فاحدث لها غرفة في دوائر الحكومة وألف لجنة تجتمع برئاسته في الاحد الاول من كل شهر لتتباحث في امر ترقيتها من جهتي العلم والعمل · اما الزراعة فلم تزل على الفطرة ولم يدخل اليها بعد شيء من الاصلاح والتقدم · ولبنان الذي يوزع مياهه على سوريا باجمعها بقيت فيه انهر وينابيع غزيرة مشهورة يذهب اكثرها سدى · واراضيه الظماءى تعطي بلا سقي موسماً وافراً كل عام فكيف بها لو حصلت على ري منتظم · وليست كاراضي البلاد الاخرى محتاجة للتربة بل يكفيها القلب والري على ما يعرفه علماء الزراعة وتوزيع الماء في المواعيد المنتظمة فتقبل وتخصب بما لا يبقى وراءه

مطلب لمستزيد . وهي اليوم

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

وهناك شؤون اخر كالمناجم والمعادن لا تستثمر كالاشياء السابقة بغير العلم وهذا ما حملني على الاشارة اليها في مقام ليس مقامها وقد انتبه اليها دولة المظفر وعلمت انه صارف اليها همة عالية ولكن لا يقوم بها الا اوربيون علماء بهذه الخصائص وليس مثل هذا التدبير على عزيمته بعزيز

اسباب تاخر المعارف

وبعد هذا الاستطراد اعود الى موضوع المقال مبيناً ما اعتقده يقعد بالعلم في مدارس لبنان وصحافته وهو يتناول اموراً كثيرة ترى العلم ينهض على الرغم منها ويسير منتشراً غير حافلٍ بالعقبات الكؤود التي تعترض طريقه . منها ان الحكومة اللبنانية لم تنشطه بشيء ولم تعن باحداث مدارس تحت ادارتها فكان خدّامها اصحاب النفوذ المستمد من ذوي السيطرة والتسلط بقوة الوجاهة واتساع الثروة لا بمقدار الاهلية والجدارة . واذا كان في رجالها من هم على شيء من العلم فانهم لديها لشدة الاضطرار اليهم اما لستر الاغراض واما لمقاصد اخر ليست منها افادة الامة والبلاد . ومن تلك الاسباب ان المنصرفين الى العلم هم في الغالب غير اصحاب الثراء فاذا وضع او ترجم احدهم كتاباً لا يجد سوقاً يروج فيها واذا تمكن من جمع مقدار نفقته فيكون من الفائزين . ومنها ان المتعلمين لا يلقون مراكز يشغلونها فينادون بوجوب الاصلاح من لا يفقهون له معنىً فيعدّون من الكافرين او يلجئون الى المهاجرة فلا يستفيد منهم لبنان شيئاً . ومنها ان المؤلفين لا ينظرون الى شؤون البلاد ولا الى حاجاتها بما يؤلفون او بما يترجمون وهذا من اسباب الكساد الذي تصادفه بضاعتهم . ولا غرو فانهم لم يتعلموا شيئاً منها فيكتبوا فيها وينبهوا اليها او يعلموا ما يعود بالفائدة عليها . ومنها ان قادة الامة لا يفهمون الا بالجيوب ولا يفقهون غير الحاصل وكل علمٍ لديهم محتقر والعالم ذليلٌ مهزوءٌ به . ولا عجب فان من جهل شيئاً احتقره او عاداه . ومنها ان ليس في لبنان مدرسة واحدة وطنية عمومية والمدارس كلها كما رأيت اما اكليريكية لمنفعة رجال الدين في شؤون الدين واما خصوصية اقامها افراد على نفقاتهم وكلها على وتيرة واحدة فلا تنظر الى ما يحتاجه الطالب في بيئته من المعارف ولا الى ما تقتضيه منها المصلحة العمومية وشروط الوطنية من الدروس الاجتماعية . ولهذا اهمل كثيرون ما تعلموه بل عادوا العلم واصحابه فعدّوا من ذوي البصائر وارتفعوا منزلةً وقدراً . ومنها ان الرؤساء الروحيين

ولئن كانوا على عكس هذه المبادىء فيما بينهم وللعالم منهم شأنه باعتبار اخوانه الا انهم اهملوا الشعب اهمالاً ولم يمدوا له في العلم يداً مسعفة ولا حلموا بالسعي وراء ترقيته مع ما شادوا من المدارس العالية في لبنان وبيروت وروميه وباريز لتهذيب الاكليريكيين وما استندوا من سخاء الحكومات والدول في هذا السبيل . وهم يعلّمون الكهنة ولا يوجدون لهم مراكز تسعفهم على الافادة بعلومهم فيأتيهم العلم بالشقاء ويحرمهم نعيم الاغبياء . وليسوا رهباناً فيعتزلوا ولا عوامّ فيشتغلوا بشؤون الحياة الأخر

ومن تلك الشكائم في فم العلم تقييد الصحافة والطباعة فانها بعد ان كانت حرّة ضيقت عليها الدائرة بان احدث لها دولتلو نعوم باشا مراقبة وقتية ناظراً بذلك الى حداثة عهدها حتى لا تسير في طريق الفوضى والشطط . ولكن المراقبة اضرّت بنموها لان المفيدة بينها قاست منها مايقاسيه الحرّ من نكد الدنيا مع انها لم تأتِ وهي مطلقة امراً اداً ولا شطت ولا عمهت الاّ بعد تكبيلها اذ استرسل بعضها في الثناء المرغم والمدح المأمور وذهب في الاطراء والتمليق كل مذهب . ولم يسمح لها ان تحوي صفحاتها ما من شأنه الانهاض والتهذيب ولم يكن للتنبيه الى مواضع الخلل في ابحاثها من نصيب . لان المراقبة سدّت دونه المنافذ وقطعت طرق اللياذ الابها وعادت كل حرٍ غير لائذ . وقد بات العقلاء يرجون زوالها لرسوخ الصحف في فن الصحافة فلم يبقَ محلٌ للخوف من تطرُّفها لانها اذا تطرّفت فالمحاكم تسدّد خطواتها وتؤمّن عثراتها . والناس لا يستسمنون الورم فانهم يحتقرون الطعن والطاعن ويهزأون بالمملقين وبتمليقهم ومعظمهم اليوم يجيد التفريق بين غث الكتابة وسمينها وللحكومة بهم اقوى مسعفٍ في اعلاء شأن الصحف المفيدة

واما اصلاح مناهج التعليم وترويج اسواق العلم في لبنان فان لها طرائق كثيرة يسهل التمشي عليها لو رضي اصحاب الشأن . اهمها احداث مدارس وطنية بين عالية ووسطى وابتدائية بالاوقاف العمومية والخصوصية وهي كثيرة جداً ووافرة الدخل وكلها ذاهبة في سبيل فئات قليلة والعموم محرومون من فوائدها مع انها لم تجعل الاّ لفائدة العموم . فلو فاز دولة المتصرف الهمام بالاتفاق مع الرؤساء الدينيين على تخصيص شيء من ثروات الكراسي الاسقفية اومن اموال الرهبانيات الطائلة التي لا تقل عن نصف ما تملكه بعض البلاد بمنشآت عمومية تقام فيها المدارس العلمية والصناعية المشار اليها لما نقصت تلك الاملاك الواسعة ولا الاموال الطائلة شيئاً ولا مسّ استقلال رؤساء الاديار الرهبانية اقل مساس . ولا اظن الوصول الى هذا الغرض الشريف بالامر المستحيل الا اذا لقي عقبةً بايهام ان تلك

والاموال اوقاف وقد كادت تجهز على ثروة البلاد فلا حول ولا قوة الاَّ بالله · ولكن كيفما كانت الحال لا يصعب الاتفاق مع بعض الاسر التي لديها من الاوقاف الخاصة ما يقوم باعباء مثل هـذه الاعمال النبيلة وهي اسر تعودت البذل في سبيل الوطنية فلا تضنّ بتحقيق نيات الحاكم العادل · ولا اظنها تحجم عن توجيـه تلك الموقوفات التي لا تحسن الانتفاع منها الى انشاء الشبيبة اللبنانية غير ناظرة الى المذاهب فيشدو لبنان بنعمتها الى ما شاء الله

هذا ما رايت ان اوجه اليه نظر دولتلو مظفر باشا في ختام هذه المقالة متعللاً بان انتباه القادرين في لبنان من ذلك السبات الطويل يجيبه الى ندائه فيفوز لبنان بالامنيـة التي لم ترقَ بلادٌ بدونها الى مراقي العمران ويرتع اهلوه بعد طول الشقاق في ظلال الاخاء والوفاق ويخرجون من ظلمات الجهل الى عالم العلم الصحيح ان شاء الله

صبيٌّ حكم وصبيٌّ سيحكم

عثرنا في هذا الشهر على رسم لسمو الامير « محمد عبد المنعم » ولي عهد الجناب الخديوي · وبينما كنا نعدّه للطبع عثرنا على رسم آخر لصبيٍّ ملكٍ آخر فضممناهما معاً في هذه النبذة

اما سمو الامير الصغير محمد عبد المنعم فقلما يعرف احدٌ شيئاً عنه · ولكن لو كان البلاط الخديوي في اوربا لما بقي شيءٌ من حركات ولي العهد وسكناته الا وقيدته الصحافة ونشرته كتفكهة لقرائها واستمالة لقلوب الجمهور اليه منذ صغره

واما الصبي الثاني « جلالة الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا » فان جرائد اوربا لم تترك شيئاً من تاريخ حياته الا ونشرته · ولا بأس بنشر شيءٍ منها هنا

بلغ الملك الفونس سن الرشد في العام الماضي فاحتفل بتتويجه الاحتفال الذي يذكره القراء · وسن الرشد لابناء الملوك ١٦ سنة مع انه لسواهم ٢١ · فكأنَّ المبالغة بتدريبهم وتعليمهم تعوض عليهم الخمس سنوات

ولقد نشأ الملك الفونس تحت وصاية امه الملكة ماري كريستين وهو يحبها حبًّا شديداً · واذا اتفق وعصي لها امرًا فانها كانت تقول لهُ انني سابكي اذا لم تفعلهُ · فيفعلهُ بالحال

وقد توفي ابوه الفونس الثاني عشر وهو في بطن امهِ · فلما وُلد نودي به ملكاً · وهذا

امر مفرد في التاريخ ولم يجرِ له شبيه الاَّ مرة واحدة في فرنسا حين ولادة الملك حنا الاول ملك فرنسا في سنة ١٣١٦ وحياته خمسة ايام فقط . ومذ بلغ الفونس السنتين من عمرهِ صارت امه تصطحبه الى الحفلات العمومية وافتتاح البرلمان فكان يجلس على العرش بجانبها وهو طفل



الامير محمد عبد المنعم ولي عهد الاريكة الخديوية

وكانت الكبرياء الملوكية تجري في مفاصله مع دمه ولذلك كانت امه تفرغ وسعها في تعليمهِ الاتضاع واللين . فمن ذلك انَّ موءدبته اضطرَّت الى تعنيفه يوماً لانه اساء وكان عمره سنتين فنظر اليها بكبرياء وقال « انا الملك » وفي مرة اخرى لقيه احد اكابر البلاط وكان عمره ثماني سنوات فقال هذا الرجل متحبباً اليه « بوبي » وهو الاسم الذي كانت تناديه به

امه تحبباً فاجابه الفونس « انا بوبي عند امي ولكنني (الملك) عندك »
ثم شبَّ الملك الفونس وصار يدرك شؤون الحياة وشؤون وظيفته بتدريب مدرّبيه



الملك الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا ووالدته

وتدريس مدرّسيه . في ذات يوم كان يزور معملاً فانتصب احد العملة واستأذنه في

الخطابة باتضاع وذل . فقال الفونس لمرشده الذي كان يرافقه : لماذا يخجل هذا العامل من عمله فانني انا عامل مثله . ولا فرق بيني وبينه سوى انهُ يعمل في الحديد وانا اعمل بالاوراق والقرارات

والفونس فتى كريم الاخلاق هادئ لطيف كما ترى وهو نحيف الجسم محدوب الظهر قليلا كأنه ينوء تحت الحمل الثقيل الذي وُضع على عاتقه . والفضل في اعداده لوظيفته وحفظ ملكه له راجع لامه الفاضلة التي قاست في السنوات الاخيرة من الحرب الاميركية التي ضعضعت عرش اسبانيا والاضطرابات السياسية الداخلية ما جعلها في التاريخ مثالاً في الصبر وثبات الجأش وحسن الادارة لجميع النساء والامهات . على ان المستقبل لا يزال مظلماً في وجه ابنها لاختباط الاحزاب في بلادهِ . ولو قام الاندلسيون الذين قصصنا قصتهم في صدر باب المشاهير في هذا الجزء من قبورهم اليوم وشاهدوا حالة اسبانيا الحاضرة لرأوا ان الدهر قد انتقم لهم انتقاماً شديداً . ولتعزوا بكون الدهر يدور كالدولاب يوم للانسان ويوم عليه

وقد نشرنا رسمي الصبيين الكريمين في هذه النبذة بعد مباحث العلم والفلسفة والتاريخ لان منظرهما مما ينشر عليها شيئاً من بهاء الصبى وجماله ويشغل الذهن عن شؤون الحياة الحقيقية

مدارس زراعية بطرق جديدة

وادخال هذه الطريقة الى القطر المصري

اقتراح

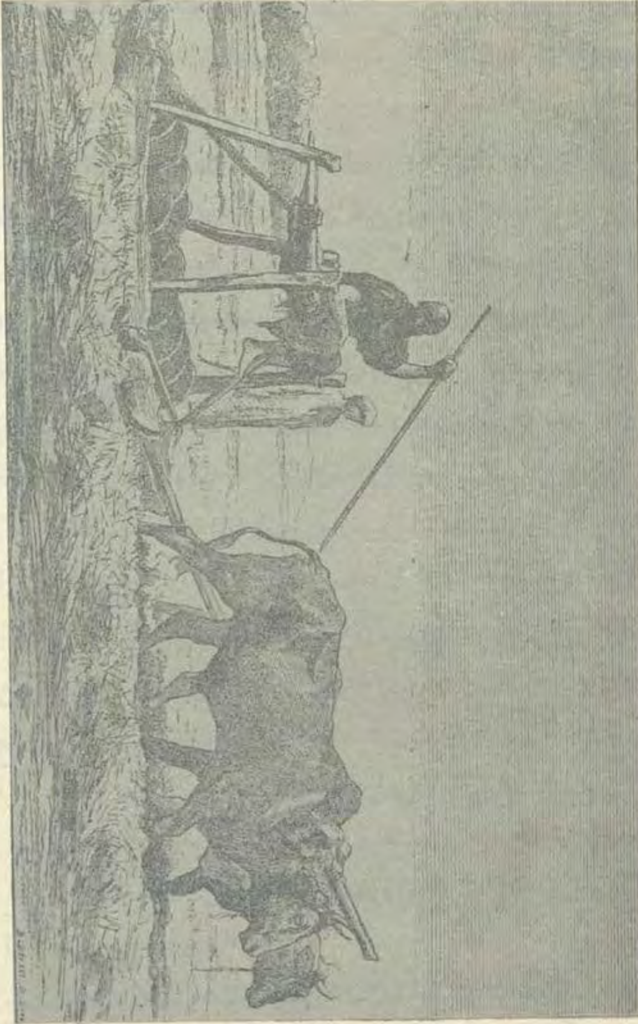
الزراعة حياة مصر : هذا قولٌ يردّده كل حاكم في مصر وكل مقيم فيها . وهو قولٌ صحيحٌ من الجهة المادية . ولذلك كان همُّ الحكومة مصروفاً الى ترقية شؤون الزراعة فيها . فنظمت الريّ اي توزيع ماء النيل على الزراع واقامت القناطر في مصر وازالت السدود من اعالي النيل وانشأت الخزانات العظيمة في اصوان واسيوط . وكل هذا في غاية النفع والفائدة للقطر اذ به حياته المادية كما قدّمنا . ولكننا مع ذلك نعتقد ان الحكومة لم تصنع بعدُ كل ما تستطيع صنعهُ لترقية زراعة القطر ترقية تعود بالفائدة العمومية على اهله

ونريد بذلك ان الحكومة لم تهتمّ حتى اليوم بما تهتم بهِ كل حكومة بلادها زراعية . فهي قد قصرت عنايتها على اصلاح الارض والماء وتركت الزارع وشأنه . ومعلوم ان الزراعة عبارة عن اتفاق بين فريقين : الارض والزارع . فهو يعتني بها وهي تردّ لهُ عنايته . فالذي يريد ترقية الزراعة في احدى الممالك يجب ان يهتمّ باصلاح الارض والزارع معاً . والاّ فانه اذا أُصلح الارض فقط وترك الزارع وشأنه بلا تدريب ولا تعليم ادّى هذا الامر بحكم الضرورة الى مصيبة على البلاد وهي تنبيه نفوس الشركات واصحاب الاموال لاحتكار الارض لان الفرد الساذج الجاهل لا يستطيع حفظ ارضه بازائهم لجهله طريقة استثمارها وضعفه عن مجاراة مزاحميه . وبذلك يقع الشعب في المصيبة التي هي مصيبة كل الشعوب في هذا العصر : وهي استغراق املاك الشركات وارباب الاموال املاكه ومصيره الى خدمتهم بالاجرة اسوء الى العبودية الحديثة التي تُدعى استئجاراً واستخداماً

فاولُ واجبات الحكومات اذاً ان ترفع نفوس الشعب الى درجة يكونون عندها عارفين بالطرق الصناعية الزراعية التي يحاربهم بها اصحاب الاملاك والشركات ليتسنى لهم مزاحمتهم والجريان في تيارهم اي ان تعلّمهم تعليماً زراعياً ادبياً يمنعهم من اضاعة ملكهم ويمكّنهم من استخراج اكثر ما يمكن استخراجه منه . ولذلك تأ لفت في اوربا جمعيات كبرى للزراع يرجع اليها كل فرد في شؤونه وحاجاته فتكون له بمثابة شركة كبرى تقاوم الشركات وتقوي الافراد عليها . هذا فضلاً عن التعليم الزراعي الالزامي في المدارس الابتدائية لجميع ابناء الامة استمالةً لاذواقهم واميالهم الى الزراعة واطلاعاً لهم منذ الصغر على اصولها . وفضلاً عن الجوائز التي تهبها الحكومة للزراع الذين يعجزون عن مجاراة زراع بلاد اخرى في صنف من الاصناف التي يزرعونها

فالفلاح في القطر المصري يحتاج اليوم اشد احتياج الى عناية الحكومة به افرادياً بعد عنايتها بارضه ومائه . والا اذا بقي كما هو اليوم يفلح ويزرع بالطرق التي كان يستعملها اسلافه في مصر في عهد الفراعنة (كما لاحظ ذلك غبريال شارم في سياحته) فان كل الفوائد التي تحصل في مصر من اتقان الريّ وبناء الخزانات واصلاح الاطيان تنصرف الى سواه . ومعلوم ان الفلاح في مصر هو الشعب كله

ولسنا نعني بذلك ان تنشئ الحكومة مدارس الزامية عمومية لتعميم تعليم اصول الزراعة ولا ان تقرض الفلاحين اموالاً طائلة يبتاعون بها الآلات الزراعية الحديثة وتعلمهم استعمالها . ولا ان تسعى الحكومة نفسها في ادخال اصناف جديدة من المزروعات والمغروسات



﴿ الفلاحة في مصر والسودان ﴾
بالطرق التي كانت منذ ايام الفراعنة

الى القطر لتنويع زراعته وحث زراعه على هذا التنويع الضروري بدلا من اقتصارهم على صنفي القطن والذرة بالاكثر وعلى شيء قليل من قصب السكر وبعض الحبوب لسد الحاجة. فان كل هذه امور صعبة بعضها فوق استطاعتها الآن لحاجتها الى المال وبعضها ليس من شؤونها. وهي تكتفي من كل ذلك بمدرستها الزراعية التي تقوم بوظيفتها « المحدودة » خير



﴿ السافية في مصر لاستخراج الماء ﴾

بحسب الطريقة القديمة

قيام . وانما نريد بما نقترحه هنا امرًا سهلاً لا تنفق الحكومة عليه شيئًا وهو مؤدٍ الى شيءٍ من الغرض الذي بسطناه آنفًا اي تعميم الاصول الزراعية العلمية بين جمهور الزراع في مصر لانهم الشعب وهم سواد الامة واساس مستقبلها

وهذا الامر السهل نأخذه من مملكة « ورتنبرج » احدى ممالك المانيا المتحدة . ومداره على انشاء « مزارع مدرسية » عمومية بطرق جديدة تفرَّدت بها هذه المملكة الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها عن مليوني ونصف نفس

وبيان ذلك ان هذه الدولة اقتطعت اطيانًا واسعة من اطيانها الزراعية واعانت ان تؤجر منها كل من يريد الاستئجار وتتنازل له عن ثلث اجرتها او نصفها ليعلّم لها في مقابلة ذلك ١٢ تلميذًا او فلاّحًا في كل سنة اصول الزراعة علمًا وعملاً . فالراغب في ذلك يستأجر هذه الاطيان ويقبل عنده الاثني عشر رجلاً ويدرّبهم في زراعة هذه « المزرعة المدرسية » ويجب عليه ان يجعل الزراعة فيها تابعة لمعارف تلامذتهِ ومنطبقة على جدول الدروس المدرسية في المدارس الزراعية . ومن واجباتهِ في اثناء التجارب الزراعية مراقبة الدروس التي يكون هؤلاء التلامذة او الفلاحون قد تلقوها في المدرسة الاصلاحية اذا وجد فيها خطاء . وتلامذته يعملون في مزرعته بكل طاعة له دون ان يأخذوا اجرة لعملهم ولكنهم ينامون في المزرعة ويأكلون ويشربون على مائدتها . والحكومة تساعد مستأجر المزرعة فضلاً عن ذلك بان تعيّن له معلمًا في الزراعة ومفتشًا وطبيبًا بيطريًا يترددون على هذه المزرعة لمراقبة احوالها دون ان يطلبوا اجرة منه . وقد قلنا ان عدد التلامذة او الفلاحين الذين تدخلهم الحكومة الى هذه المزرعة ١٢ رجلاً ولكن اذا ادخلت الحكومة اليها اكثر من هذا العدد فانها تدفع للمستأجر مكافأة مالية في مقابلة هذه الزيادة

فالتلميذ او الفلاح يقيم في هذه المزرعة المدرسية سنة او سنتين ثم يخرج منها عالمًا بجميع اصول الزراعة . فهو يتعلم فيها احوال التربة المختلفة والهواء وتركيب السماد واستعماله وزراعة النباتات والحبوب والاشجار المثمرة وصنع العلف وتربية الحيوانات الداجنة وطرق التجارة الزراعية ومعرفة تدبير شؤون المزرعة اجمالاً ومبادىء الحساب الضرورية وكتابة الرسائل ومبادىء العلوم الطبيعية الاولى . وبعبارة واحدة نقول انه يخرج منها وهو رجل رشيد يصير اديبًا وزراعيًا قادرًا على ادارة زمام نفسه وزمام ارضه فاذا القته الاقدار بعد ذلك على ارض صخرية فانه يجعلها بقوته ومعارفه وصبره اخصب تربة ويحوّل ارضها ذهبًا

ومما لا يحتاج الى بيان ان مدارس اوربا الزراعية المنتشرة في كل بلادها لا تخلو من

حدائق وحقول ملحقة بها لتعليم طلبتها الزراعة بالعمل وهم ياخذونها بالعلم . ولكن ليس في جميع اور با مدارس زراعية كهذه « المزارع المدرسية » التي مرَّ ذكرها والتي يمكن التصرف بها في بلاد كمصر مثلاً تصرفًا يلائم المكان

مثال ذلك ان تؤجر الحكومة باجرة قليلة اطيانًا لها في كل مديرية لمن يريد جعل هذه الاطيان مزرعة (عزبة) مدرسية عمومية . وهذه المزارع المدرسية تكون مفتوحة الابواب دائمًا لجميع زرَّاع القطر وفلاَّحيه كأَنها معرض عمومي دائم يحق لكل زارع ان يدخل اليه في الوقت الذي يريده ليشاهد ما فيه من الطرق الزراعية . وكل من يريد من الفلاحين او الزرَّاع ان يتعلَّم اصول زراعة يستحسنها في هذه المزارع فله ان يخدم في احداها اسبوعًا او شهرًا ليتعلَّمها . وفضلاً عن ذلك فان كل واحدة من هذه المزارع تعلِّم التلامذة الذين تقدمهم اليها الحكومة على طريقة مزارع ويرتنبرج . وبدلاً من الموالد والحفلات التي تُقام دائمًا في الارياف لغير فائدة تقام في هذه المزارع في كل شهر حفلات للفلاحين والزراع يحق ان تسمى « موالد زراعية » او « معارض شهرية » - والفكرة الكبرى التي يجب ان تدير هذه الاعمال كلها وتكفل نجاحها تنبيه نفوس الشعب الراقدة الى ان الطرق القديمة لم تعد تجدي نفعًا وان الشركات وارباب الاموال سيقوون عليهم لا محالة ويخرجون خيرات ارضهم من ايديهم اذا كانوا لا يقتصدون ويتحدون ويؤَلفون لهم جمعية تزود عن مصالحهم وتعمم الطرق الزراعية العلمية في اطيانهم وتربي اولادهم تربية اقتصاديه وتكون واسطة بين الهيئة الحاكمة وبينهم

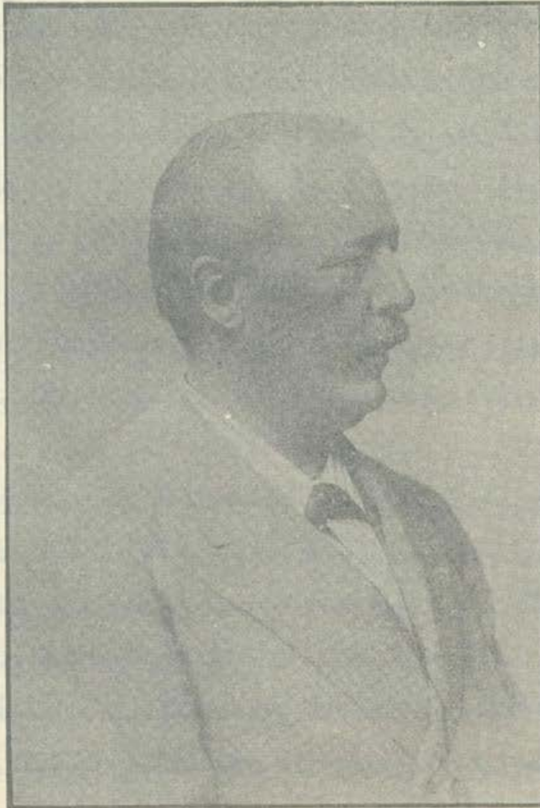
ولا ريب ان الحكومة اذا التفتت هذا الالتفات الى فلاَّحي مصر بعد افراغها جهدها في اصلاح ارضهم ومائهم فانها لا تخدمهم فقط خدمة زراعية تحفظ بها للشعب اطيانه التي هي عماد مستقبله وقوام حياته بل هي تخدمه خدمة ادبية في غاية الاهمية . لان ارتقاء معارف الشعب من الجهة الزراعية لا يمكن ان يتم بدون ارتقائه ادبيًا . وتلك في رأْينا اول خطوة نحو التعليم الزراعي والادبي الالزامي الذي نعتقد ان حكومة مصر الكريمة ستجود به على الشعب في المستقبل . وبذلك تكون اول حكومة في الشرق نهضت بشعبها نهوضًا حقيقيًا . اذ لا نهضة حقيقية بدونه



بين سواكن والاسكندرية

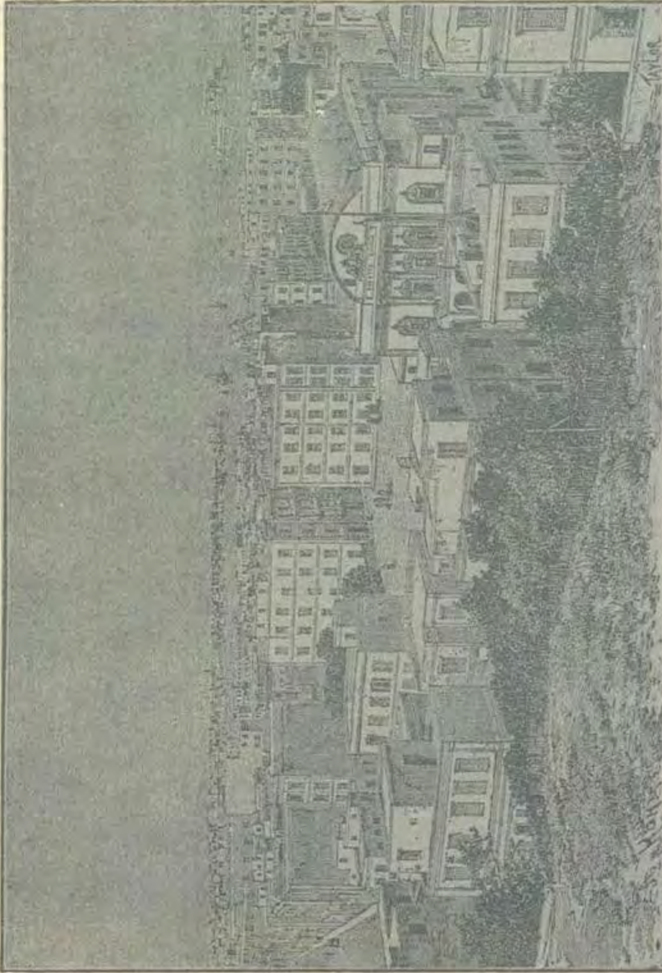
في خطبة جناب اللورد كرومر

لا نعلم ماذا كان رأي اهل صور وصيدا في ايام الفينيقيين لما بنى اسكندر المكدوني مدينة الاسكندرية . ولكن الراجح لدينا انهم لم يهتموا يومئذٍ بذلك اهتماماً يُذكر لانهم



اللورد كرومر

كانوا يجهلون ان مدينة الاسكندر الجديدة ستسقط مدينتهم عن عرشها التجاري وتحلّ



الاسكندرية

منظر من مناظرها من جهة تياترو زيزينيا

محلها في العالم. وكأنَّ هذا المثال بقي حاضراً في اذهان الشرقيين الذين اتوا بعد الفينيقيين فصاروا يهتمون به اهتماماً شديداً . فهوذا مدينة بيروت تغضب كما روت الجرائد لان دولة متصرف جبل لبنان سعى في الاستانة بتحويل الجبل حق وقوف السفن في احدى موانيه كجونيه مثلاً لتحول تجارة الجبل عن بيروت اليها. وهوذا الاسكندرية تغضب من جناب اللورد كرومر لانه يريد ايجاد ضرَّة لها وهي مدينة سواكن على شواطئ البحر الاحمر



سواكن

التي ستضاهي الاسكندرية بعد نصف قرن

وقد اعلن اللورد كرومر عزمه هذا في الخطبة المشهورة التي القاها منذ مدة في الخرطوم وكان لها دوي في جميع انحاء القطر . ومما قاله فيها انه لا يرجى لبلاد السودان عمران حقيقي الا اذا صار لها على شواطئ البحر ثغر قريب تستورد بضائعها منه بدلاً من استيرادها من الاسكندرية وبورسعيد . وضرب لذلك مثلاً بأن ثمن الطن الواحد من الفحم في الخرطوم اربعة جنيهات واكثر لما تقتضيه اجرة نقله . ولذلك كان لا بدَّ من مدّ خط حديدي من الخرطوم الى سواكن . ثم قال جنابه « وكثيراً ما قيل بان هذه السكة الحديدية وان

كانت مفيدة للسودان ولكنها ستضر بالقطر المصري ضررًا شديدًا لانها تحوّل التجارة السودانية عن وادي النيل . واما انا فلا ارى هذا الراي . لانني اعتقد ان مصلحة مصر تقتضي ان يصير السودان قادرًا على القيام بنفسه و بنفقاته . وهذا امرٌ مستحيل اذا لم يفتح لتجارته باب قريب منه . وفضلاً عن ذلك فليست المسألة مسألة تحويل تجارة من مكان الى مكان بل مسألة ايجاد تجارة من العدم . وهذا الايجاد غير ممكن اذا لم تنشأ طرق المواصلات بين السودان والبحر الاحمر »

فغير بعيد ان لا تمرّ ٣٠ او ٥٠ سنة حتى تصبح « سواكن » على البحر الاحمر بمنزلة الاسكندرية من الاهمية في العمران والتجارة . ور بما فاقتها ايضًا لانها اقرب منها الى خط السلطنة الافريقية الممتدة من الكاب . وحينئذٍ يُقال « من الكاب الى سواكن » لا « من الكاب الى الاسكندرية »

آثار مصر المتوسطة

في مصر آثار قديمة وحديثة ومتوسطة . فالقديمة ترجع الى عهد الفراعنة القديم ومدنيتهم القديمة التي استمدّت منها شعوب كثيرة . والحديثة ترجع الى عهد حملة بونابرت على مصر وقيام محمد علي باشا لادخال المدنية الحديثة اليها . واما آثارها المتوسطة فهي آثارها بين هذين الزمنين يوم كانت مصر متروكة لنفسها

واذا اردنا ان نصوّر في هذا الفصل شيئًا من الآثار المتوسطة فلسنا نعني بذلك انها قد اندرست الآن تمامًا فان تلك الآثار لا يزال لها اثرٌ . وانما اردنا تقييد بعض تلك العادات والتقاليد القديمة شيئًا بعد شيء على سبيل الفكاهة والعلم بشؤون الزمن الماضي قبل ان يزول بعد ربع قرن او نصفه من وجه المدنية الداخلة بقوة عظيمة

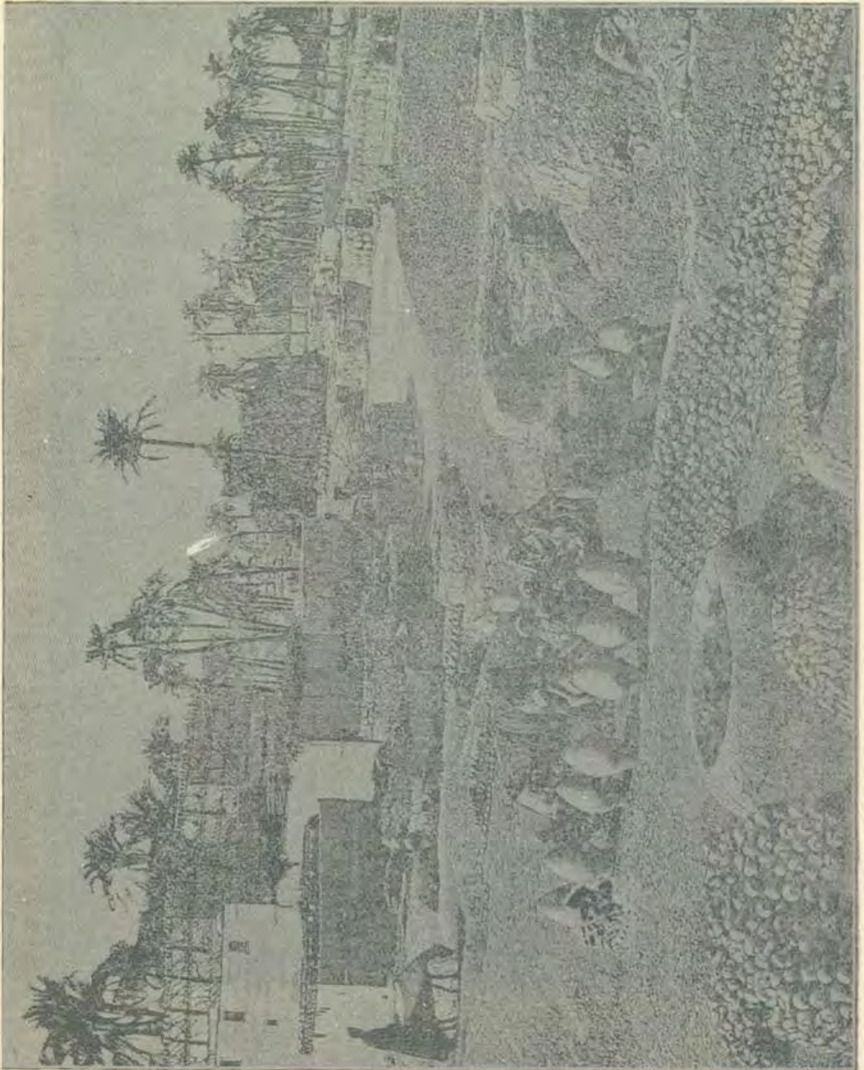
فمن ذلك هودج العروس في الاعراس وترى صورته في « **الرسم الاول** » محمولاً بين جملين بطريقة متعبة جدًّا للجمل الثاني

واما « **الرسم الثاني** » فهو رسم صناعة قديمة في مصر وهي صناعة الفخار (صنع البلاص) .



﴿ هودج العروس في زفاف ﴾

فهذه صناعة تعلمها اربابها دون ان ينتظروا فتح المدارس الصناعية التي يُدعى في كل حين اليها . وبذلك كان لهم فضل عظيم خصوصاً لان السواد الاعظم من الناس يقطرون الآن ماء النيل باوعية منها



﴿ صناعة الفخار في مصر ﴾



﴿ صراف اسرائيلي قديم ﴾

واما « **الرسم الثالث** » فهو رسم صرّاف اسرائيلي بالزيّ القديم صناعته تبديل النقود واقراض الفلاحين جنيهاً بجنيه ونصف لمدة شهر او شهرين وهو لا يقرضهم الاّ برهن ٠٠

بقيَ « **الرسم الرابع** » وهو رسم طائفة من البدو يعيشون في خيامهم في الارياف وهم منتشرون في اكثر جهات القطر ٠ ولا بدّ ان يأتي يوم تهتمّ فيه الحكومة بتنظيم شؤون هؤلاء البدو الذين يعيشون في بلادها في احضان الحضارة ٠ ولا يكون اهتمامها هذا لتحسين

﴿ عائلة بدو في خيامهم ﴾

احوالهم فقط وادماجهم في سلك الاهالي بدلاً من ان يبقوا كما هم الآن فريقاً مسكيناً مستقلاً ضمن فريق آخر ولكن يكون ذلك ايضاً لتقليل حوادث السطو والاعتداء والسرقات والجنايات في القطر لانه يقال ان كثيراً منها مصدره هذه الخيام البدوية



التمدن يُصلح ما افسده

(الكهرباء والبخار)

لما اخترعت ادارة الآلات بالبخار · وكثرت المعامل في المدن · وهجر العملة والعاملات منازلهم التي كانوا يعملون فيها بايديهم وهم في راحة وسكينة ليجتمعوا افواجاً افواجاً في المعامل تاركين اولادهم واطفالهم في الاسواق والشوارع · وتلا ذلك مهاجرة سكان القرى والضواحي الى المدن للعمل في هذه المعامل تاركين حقولهم الزراعية وقراهم الجميلة ذات الماء الصافي والهواء النقي · وعلت في الجوّ غيوم البخار متصاعدة من مداخن المعامل تفسد هواء المدن وتعمي الابصار · وفسدت آداب وصحة العملة والعاملات بازدحامهم في معامل ضيقة · وجُرَّ الاولاد حتى الذين يبلغون السنة العاشرة الى المعمل للعمل ١٠ ساعات او ١٢ ساعة في كل يوم وبذلك كانت بنية الناشئة تُهدم من اساسها · واضطر البشر لادارة الصناعة الى انزال ملايين منهم الى قلب الارض والمعيشة في ظلام المناجم طول النهار لاستخراج الفحم الحجري — لما حدث كل ذلك قام الفلاسفة وعلماء العمران ينادون بان حسنات هذا التمدن مساوية لسيئاته · وصار الفيلسوف جول سيمون يصيح في فرنسا ملء فمه : ان نصف دم فرنسا يفسد في كل عام · يعني مهاجرة السكان قراهم الى المدن وافساد الرجال آداب العاملات في المعامل

وانه ليطيب لنا الآن ان نقول انه لو قام اليوم اولئك العلماء والفلاسفة من قبورهم وشاهدوا بدء الانقلاب الاجتماعي الذي يحدث في هذه الايام لضاعفوا ثقتهم واملهم في التمدن الحاضر وعلموا انه سيصلح في المستقبل ما افسده في الماضي · ولبيان ذلك نقول

﴿ الكهربائية تحل البخار ﴾ في ٢ اكتوبر من عام ١٨٢٥ فُتح في انكلترا خط حديدي صغير بين درلنتون وستوكتون لتجربة القاطرة البخارية لاول مرة · فنجحت التجربة وكان بها انتصار عظيم لستفنسون مخترع هذه الآلة · وفي العام الحالي بدأت الولايات المتحدة بلاد الكهربائية بتحويل قواطرها البخارية الى قواطر كهربائية · وقد قررت منذ مدة تجربة هذه القواطر في خط يمر في نيويورك طوله ٥٠ كيلومتراً والنفقة اللازمة لوضع الكهربائية فيه موضع البخار ٧٥ مليون فرنك · اما اسباب هذا التغيير فهي تفضيل القواطر الكهربائية لانها اسرع وانظف والخوف من انفجارها قليل لا الرغبة في توفير في النفقة · لانه قد ثبت ان نفقات الكيلومتر الواحد من الخطوط الحديدية لا تنقص اذا سارت قواطره بالكهربائية

غير ثلاثة سنتيمات عن نفقات سيرها بالبخار

فمن ذلك يظهر ان حلول الكهرباء محل البخار قدصار امرًا هينًا وربما الايجيء عام ١٩٢٥ الا وهو عيد تذكار مرور مئة سنة على اختراع القواطر البخارية حتي يبطل استعمال البخار في جميع السكك الحديدية (١)

ومتى وُضعت الكربائية موضع البخار كان لهذا التغيير فائدتان كبيرتان . الفائدة الاولى نقص المستهلك من الفحم الحجري وذهاب الخوف من نفاده . وهذا الخطر صار الانكليز على الخصوص يتهيبونه جدًا في هذا الزمان . ولذلك ألفوا حديثًا لجنة لفحص مسألة الاقتصاد في الفحم . وقد كتب احد علمائهم الى مجلة « الطبيعة » يقول ان الدواء الشافي في هذا الاقتصاد انما هو اختراع آلات بخارية جديدة غير الآلات الحاضرة فان هذه الآلات تبذر الفحم تبذيرًا لانها اذا احرقت طنًا فلا تستفيد من حرارته الا ١٠ في المائة منها والباقي يذهب ضياعًا . فلو كانت تستفيد نصفه او اكثر لحصل اقتصاد عظيم في الفحم الحجري في جميع اقطار الارض

والفائدة الثانية فائدة عمرانية في غاية الاهمية وهي الغرض من كتابة هذه النبذة

الفحم الابيض والفحم الاسود ان السبب الذي يحصل به توفير الفحم الحجري حين استبدال البخار بالكهربائية استغناء الكهربائية عن الفحم وتولدها بقوة المياه المنحدرة من مكان مرتفع وهو ما يسمونه الشلالات . ولذلك لقبوا مياه الشلالات « الفحم الابيض » وطريقة توليد الكهربائية بالشلالات ان تبنى المعامل الكهربائية في الجبال والآكام قرب هذه الشلالات وتستخدم قوة الماء المنصبة منها لتوليد الكهربائية . ومتى تولدت الكهربائية وُزّعت من تلك الجبال على المدن والمعامل التي فيها او في ضواحيها بواسطة اسلاك خصوصية تمدُّ اليها . وبهذه الكهربائية الواردة من الجبال على الاسلاك تسير قواطر السكك الحديدية وُتدار دواليب المعامل وتحدث كل الحركات الصناعية في المدن . وبذلك تصبح مياه الشلالات عبارة عن امواج من ذهب بعد ان كانت تضيع بخارًا في الهواء وماء في البحار كما تضيع اليوم شلالات النيل في مصر

وماذا تكون نتيجة هذا الانقلاب ؟

نتيجته ان الاراضي والآكام القريبة من الانهر والشلالات والجبال تصبح مقصدًا

(١) وقد بدأ عندنا صدى هذا الانقلاب فان سكة حديد الرمل التي كانت مركباتها تُدار بالبخار ستدار في الشهر القادم بالكهربائية

للناس ليقيموا فيها المدن الصناعية فتكون قريبة من المعامل الكهربائية . وعلى ذلك يكون فعل الكهربائية عكس فعل البخار . فان البخار ساق الناس من القرى والحقول وحشرهم في معامل المدن حيث الهواء فاسد والزحام شديد . واما الكهربائية فانها تعيد الناس من المدن الى الجبال والآكام حيث الهواء نقي والابدان سليمة فيعمّرونها ويتمتعون بخيراتها الطبيعية ناسين المدن واقذارها وبذلك يحدثون في الهيئة الاجتماعية اصلاحاً عظيماً . وهذا معنى قولنا ان التمدُّن بدأ يُصلح ما افسده

وقد بدأ هذا الاصلاح الاجتماعي فعلاً في الولايات المتحدة التي سبقت العالم في هذه الطريق . فان جهات بوفالو ونياغارى مشهورة الآن بمعاملها الكهربائية التي تدير الحركات الصناعية في تلك الجهات وتنشىء المدن والقرى على جوانبها . وقد اخذت اوروبا تهتمّ بهذا الامر اشدّ اهتمام . فقد عقد بعض علماء فرنسا في الشهر الماضي مؤتمرًا في غرينوبل لفحص شلالات مقاطعة الدوفينه والشروع في استخدامها . وكذلك في ايطاليا حيث استخدمت بعض شلاّلاتها . وغير بعيد ان تأتي قريباً نوبة شلالات النيل في مصر

✻ **كتاب الجزء القادم** ✻ في الجزء القادم تنشر الجامعة الحلقة الرابعة من مشروعها الشهري وهي رواية تاريخية ادبية عنوانها « اسبانيّة تحب عربياً » وحوادثها حدثت في الاندلس بين الافرنج والعرب وهي لمؤلف من اشهر نوابغ الغرب . وقد وضع فيها اسمى صفات النفس العربية والنفس الاسبانية معاً . وستنشر كاملةً ذيلاً للجزء المذكور

✻ **اقتراح تشطير** ✻ اقترحت رصيفتنا جريدة (اقبال) الغراء في بيروت على الادباء تشطير البيتين التاليين وقالت انهما منسوبان لابي حيان وهما

خُلقنا لامرٍ لو علمنا خفيّه لما حبّ منا المرء ليلى ولا لبنى
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الا راحة تُعقب الحزنا

والجامعة تنشر ايضاً كل ما يردها من التشطير لهذين البيتين

✻ **ديوانان** ✻ يعرف محبو الادب في مصر شاعرين مجيدين يشدوان دائماً في حديقة الصحافة شدو البلابل وهما حضرات احمد افندي محرم في الدلنجات واحمد افندي الكاشف في القرشية . وقد عزم هذان الفاضلان على نشر ديوانيهما الاول بعنوان « ارجوزة محرم » والثاني بعنوان « ديوان الكاشف » فمن اراد من قراء الجامعة خارج مصر او داخلها اقتناء هذين الديوانين فليخابر ادارة المجلة

آثار الشرق القديمة

آثار الفينيقيين والعرب

في جنوبي افريقيه

اكتشافات جديدة

ليس المستر تشمبرلن وسسل رودس واعوانهما من طلاب الذهب والثروة في جنوبي افريقيا باول من طمعوا في تلك البلاد وذهبوا اليها لاستخراج ذهبها . فان البلاد الرودسية (روديزيا) مملوءة بالآثار القديمة التي اقامتها الامم المتقدمة لاستخراج الذهب منها

ولقد عاد الدكتور لوار من تلك البلاد منذ مدة بعد ان فحص هذه الآثار فحصاً طويلاً وكتب يصفها فقال ما خلاصته

وصف الآثار ان الانسان يعثر في طريقه في روديزيا عند كل خطوة يخطوها على آثار يرجع تاريخها الى ازمنة قديمة متفاوتة . ولكن اهمّ تلك الآثار واسلمها من عوادي الزمان الآثار القائمة في بلاد الشرترد على مسافة ٢٥ كيلومتراً من جنوبي مدينة فيكتوريا . فانها تمتدُّ على موازاة نهر لابي حتى متندله وهي قائمة على آكام علوها الف متر عن سطح البحر . واما ارضها فهي من الغرانيت وكل حجارتها مبنية من الغرانيت ايضاً دون تطيين اي ان الحجارة مركبة بعضها فوق بعض من غير طين كما كانت عادة الفينيقيين

وهذه الآثار مؤلفة من عدة مجموعات كل مجموعة منها عبارة عن ثلاثة اقسام . فقسم منها عبارة عن حصن قائم فوق اكمة . وتحت الحصن عدة انقاض قديمة . وفي سفحه دائرة واسعة تحيط بالجميع . وهذه الدائرة مغطاة اليوم بالاشجار والنباتات ولم تكتشف الا بعد تقطيع ما كان حولها . ولا يزال سكان تلك البلاد يتخذون هذه الدوائر لحماية حقول الذره التي يزرعونها فتصبح بها هذه الحقول كأنها مستورة عن الانظار . ولما كانت جدران هذه الدوائر من حجر الغرانيت ايضاً فان الاشجار والنباتات لم تؤثر فيها بكرور الايام . اما محيطها فهو من ٦٠ الى ٨٠ متراً واما علوها فهو من ٥ امتار الى ١١ متراً واما ثخانتها فهي

من مترين الى ٥ امتار · وجدرانها الجنوبية مصنوعة من حجارة منحوتة بدقة هندسية وهي اقوى جدرانها واتقنها

واما مدخل هذه الدائرة فهو من جهة الشمال تجاه القلعة القائمة على الاكمة وعرضه متر واحد · ومن هذا المدخل يُنزل الى داخل الدائرة بدرجات مطيّنة بطين مصنوع من الغرانيت المسحوق · وفي الدائرة مدخلان آخران اضيق من هذا المدخل احدهما الى الغرب والآخر الى الشمال الغربي

واما داخل هذه الخرابات فهو عبارة عن تيه · والقلعة في رأس الاكمة تحميها عقبات موضوعة حولها · وقد ذهب المسيو بنيت العالم الارشيولوجي الانكليزي الى ان اصحاب هذه الخرابات كانوا يعبدون القمر في هذه القلعة ويحرسون منها الابنية · وفي جنوبي هيكل القلعة سلم تؤدي الى مغاور تحت الارض منحوتة في الصخر · وسكان البلاد يتخذون اليوم هذه المغاور ملاجئ لهم من الحر والبرد

هذه لمحة من وصف خرابات الشرترد · وعلى مسافة ١٢ كيلومترًا من هذه الخرابات خرابات زمبابوه القائمة قرب نهر « لوندي » على مسافة ٥٠ كيلومترًا من مدينة فيكتوريا الى الجنوب الغربي وهي عبارة عن حصن مبني من الغرانيت بلا تطيين ايضاً وثخانة جدرانه متر ونصف · وكذلك خرابة اخرى في متندله علي شاطئ نهر لابي وهي شبيهة بخرابة زمبابوه · وقد وجدت ايضاً جدران قديمة من نوعها حتى شمالي سالسبوري على شاطئ نهر ماجوي في ماشونالاند

اما الغرض الذي بنيت هذه الحصون والدوائر له فظاهر من الآثار التي وجدت فيها · فان المعاول والفؤوس والحراب والاجراس المزدوجة والمقابض والامخال التي وجدت في هذه الخرابات فضلاً عن آثار استخراج المعادن في المغاور والاقبية الكائنة تحتها — كل ذلك يثبت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية كان غرضه استخراج الذهب في ما حواليها

﴿ هل هي اوفير سليمان والفينيقيين ﴾ و بعد البيان الذي تقدّم يلزم ان نتسآل الآن من هم هؤلاء المتقدمون الذين اقاموا منذ قرون عديدة هذه المباني والقلاع والحصون لاستخراج الذهب من الروديزيا

من الثابت ان الشعب الذي بنى هذه الابنية شعب عارف باصول الهندسة القديمة · فليس هو اذاً من الزنوج سكان البلاد الاصليين لان هؤلاء لا يعرفون شيئًا من الحساب و بعضهم وهم البوشمنس لا يعرفون عدداً حسابياً فوق عدد الثلاثة · وقد بنيت هذه المباني في اماكن

يمكن لبانيها ان يرصد منها الفلك خصوصاً مراقبة الدائرة القطبية · وفي جملة الآثار التي وجدت في هذه الخرابات تماثيل طيور مصنوعة من تراب مخور من خواصها التفتت وهي كثيرة هناك وهذه الطيور مركبة على اعمدة صغيرة يظهر انها كانت زينة للهيا كل · ومناقير هذه الطيور واجنحتها شبيهة بمناقير واجنحة العقبان التي كانت طيوراً مقدسة عند اهل قرطجنة والرومانيين الذين خالطوهم لانها كانت عندهم رمزاً الى الشمس · ولا يخفى ما بين اهل قرطجنة والفينيقيين من الروابط · وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من النقوش والرسوم الهندسية وصور البقر التي وجدت على الجدران كلها شبيهة بالآثار الفينيقية التي من نوعها · وقد وجد ايضاً في خرابات زمبامبوه قالباً للمعادن شبيهاً بقالب فينيقي وجد في انكلترا

وما عدا هذا فقد روى هيرودوتس شيخ المؤرخين ان الفينيقيين الذين كانوا في مصر يخدمون الفرعون نيخو (وهو اول من فكر بحفر ترعة السويس لوصل البحرين) ساحوا حول افريقيا في عام ٦٠٠ قبل الميلاد المسيحي وانهم كانوا اول السياح الذين نظروا الشمس الى يمينهم في مسيرها (؟؟) نحو المغرب · ومما لا ريبة فيه لدى المؤرخين ان الشعب الفينيقي قد وصل في اسفاره الى شواطئ افريقيا الشرقية

وبعد ان استشهد الدكتور لوار بما تقدم قال : انهُ من المحتمل ان تكون تلك الخرابات آثار مدينة اوفير القديمة التي كان الفينيقيون يقصدونها سراً في الزمن القديم لجلب الذهب منها والتي كان قبلهم سليمان الحكيم ملك بني اسرائيل يعتمد ايضاً على معادنها الذهبية · وقد اكد هذا الرأي سائح الماني يدعى كارل موش عند سياحتهِ في جنوبي افريقيا في عام ١٨٧١

ولكن الدكتور لوار لا يرى ان هذه الآثار آثار فينيقية فقط بل يقول انها آثار عربية ايضاً · فان العرب قبل الاسلام ملكوا شرقي افريقيا في سنة ٣٥ للميلاد المسيحي · وبعض مؤرخي العرب في القرن التاسع والعاشر يذكرون ثلاث مدن في افريقيا كانت تُسمى بالاسم العربي « لابي » ولا يزال اسم « لابي » اسماً لنهر في تلك البلاد كما تقدم · وفي عام ١٥٠٠ للميلاد صادف فسكودي غاما المشهور تجاراً من العرب في شرقي افريقيا يشتغلون بتجارة شذور الذهب وتبره ووجد في ثغر سوفله القريب من تلك الخرابات وهو ثغرها الطبيعي سفينتين مشحونتين ذهباً · فالراجح ان تلك الآثار آثار فينيقية عربية

هذا ومن المحتمل ان يكون جناب المستر تشمبرلن قد زار الروديزيا في سياحته الاخيرة في الكاب · فاذا كان ممن يهتمون بالآثار القديمة واستوقفت تلك الخرابات نظره فانه ولا بدَّ يقف امامها وقفة المتأمل طويلاً ليتبصر في حوادث الزمان التي تُسقط الممالك وتفني

الدول . ولعله يذكر في ذلك الموقف ما قالهُ فولني حين وقفته على اطلال تدمر وخلاصته « ما يدرينا انه لا يقوم في المستقبل سائح شرقي يقف على اطلال لندن وباريز ويندبها كما نندب الآن اطلال الشرق البالية » - على ان هذا الفكر مما يجب ان يجعل الغرب اعدل سياسةً واكثر حكمةً واوسع صدراً مع الشرق وسواه لعل تمدنه الحاضر يسلم من ذلك الناموس الهائل - ناموس الانقراض والفناء الذي ذهبت به المدنيات الماضية

باب الاخبار العلمية

صدق مصدقو الاحلام في شيء

اقتراح على القراء

من الغرائب ان بعض الكتاب والعلماء لا يزالون يشتغلون حتى اليوم بمسألة الاحلام وصحتها . وقد عثرنا على رأي لاحد الاطباء يقوّي كثيراً اعتقاد بعضهم بصحة الاحلام . وقد قال هذا الطبيب انه لا يبحث في صحة الاحلام فلسفياً لانه لا يعتقد بها ولكنه يعتقد بصحة بعض الاحلام طبياً . واليك بعض الامثلة التي استشهد بها

من ذلك ان مريضاً من مرضاه رأى في الحلم انه متألم ألماً شديداً من مرض في جنبه الايسر وقد صار يبكي منه . فلما انتبه صار يضحك من نفسه . ولكنه في الليلة الثانية عاد فرأى نفس الحلم وشعر بثقل شديد في جنبه . وبعد يومين ظهرت قرحة شديدة في المكان المذكور فكاد يقضي نحبه بها

ومنه ان مريضاً آخر شعر في الحلم عدة مرات بان سكيناً تشق بطنه بالم شديد . وبعد مدة قصيرة طرأ على امعائه مرض كاد يذهب بحياته

فالطبيب صاحب هذه المشاهدات يقول ان صدق امثال هذه الاحلام الطبية امر معقول وهو طبيعي . لان الاعضاء المستعدة للمرض يظهر استعدادها في الحلم وذلك عن تهيوء للمرض مستمر حتى اذا كملت اسبابه ظهر ظهوراً تاماً . وبذلك تكون اسباب هذه الاحلام طبيعية اي اسباباً معقولة

ولا ريب ان المعتقدين بصحة الاحلام سيتمسكون بهذه الحقيقة الطبيعية الجديدة ويقولون : ما الفرق بين هذه الاحلام التي تصدقونهاوالاحلام الاخرى التي لا تصدقونها . مثال ذلك ما يأتي : قبل خلع المرحوم اسماعيل باشا الخديوي ببضعة ايام رأى احدهم في حلم ان هذا الخديوي قد سقط من قمة جبل الى الارض . فما معنى هذا السقوط اليس معناه الخلع . وقبل انفجار بركان المرتنيك بيومين رأى بعضهم في اوربا ان الله غضب على فرنسا لاضطهادها الرهبانيات في بلادها فامطرها نارًا . أليس ذلك انذارًا بثوران البركان؟

نقول . بما اننا خرجنا الآن بهذا القول من دائرة التقرير العلمي الى دائرة الفكاهة فاننا نقترح على القراء ان يرسلوا الى الجامعة كل ما يعرفونه من هذا القبيل عن صدق الاحلام سواء كانوا هم الذين رأوها او كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم . واذا كان احد منهم مقتنعاً بصحتها فله ان يؤيد رأيه . والجامعة تنشر كل ما يردها بهذا الشأن وتحذف اسم المراسل في رسالته اذا شاء . والغرض من هذا الاقتراح جمع مقالة فكاهية من الاحلام التي يراها الناس وهم بين مصدّقين يعتبرونها انذارًا والهاماً ومكذّبين يعتبرونها ناشئة عن ابخرة المعدة وتصورات الخيال في اثناء رقاد القوة العاقلة

﴿ هبوط مكروبات جديدة للارض ﴾ اثبت المسيو درسونفال العالم الفرنسوي في بلاغ الى المجمع العلمي ان اكثر الميكروبات والجراثيم التي تكون في الهواء لا تموت اذا سيّل ذلك الهواء وحوّل الى ماء بل تسبت سباتًا في وسط تلك البرودة حتى اذا ارتفعت البرودة عنها عادت الى حياتها الاولى . وعلى ذلك فقد حلّ هذا الاكتشاف الصغير في نظر بعضهم مشكلة كبيرة وهي امكان اتصال الميكروبات والجراثيم من جرم الى جرم في الفضاء دون ان تموت في هذا المرور . فانهُ من المعلوم انّ بعض الاجرام السموية التي هي اراض مثل ارضنا قد تطرأ عليها طوارىء فتنفجر وتتطاير هباء في الهواء فاذا كانت هذه الاجرام مأهولة فان ميكروبات الامراض التي تكون فيها تنتشر في الفضاء وتمرّ في البرودة دون ان تموت حتى تدخل في فلك جرم آخر فتقع عليه . ولذلك قال المسيو فونفيل مازحًا : لا يبعد ان يكون مكروب السل ومكروب داء الكرمة قد هبطا الى الارض حديثًا من جرم آخر في الفضاء لان المتقدمين كانوا يجهلون هذين الدائين . وغيره يعلّل نفسه بان يكتشف طريقة وصول الحياة الى الارض من هذه الطريق . ولكنه رأي بعيد . واذا افترض ثبوته فان ذلك لا يحلّ تلك المشكلة الكبرى بل يبعدها ابعادًا فقط

بان يُسأَل مثلاً : ومن اين اتت تلك الحياة الى الجرم الذي اعطانا الحياة · وهلم جرًّا

طريقة المصريين في رصد الفلك كان قدماء المصريين لا يتركون السماء ساعة واحدة بلا رصد لانهم كانوا يقيمون على هيا كلهم حارساً مخصوصاً لمراقبة السماء وظواهرها · وقد اخذ بعض علماء الفلك يقترحون تقليد هذه الطريقة وذلك باصعاد بالون (منطاد) في الجوّ ووضع آلة للرصد فيه دائماً ليلاً ونهاراً اذ قد تحدث في ساعة واحدة حوادث جوية مهمة والفلكيون غافلون عنها · والظاهر ان استعمال المناطيد (البالونات) سيصير عمومياً في المراصد لانه يمكّن العلماء من مشاهدة السماء صافية ولو كانت غائمة وذلك بالصعود في المناطيد الى ما فوق الغيوم كما صنعوا في الكسوف الماضي · فضلاً عن ان المقيم فوق السحاب في الفضاء يرى من الظواهر الجوية البعيدة ما لا يراه العلماء الجالسون في غرَف المراصد

الوباء في مصر وفلسطين وفرار الطيور بعث الاب فيكتور من دير قرب يافا في فلسطين الى مكتب الميتورولوجيا في فرنسا ملاحظات لهُ بشأن فرار الطيور من الامكنة الموبؤة · فقال انه لما كان في دير قرب الاسكندرونة فشت بعض الحميات في ذلك المكان ففرّت طيور السنونو المعششة هناك ولم تعد الى ما بعد ذهاب الداء · وقد كتب اليه الاب رولان من المنيا (مصر) يقول ان الطيور فرّت من البلد حين انتشار الوباء في الضواحي ولما ذهب الوباء عادت فصار الاهالي يقولون «عادت الطيور وذلك دليل على ذهاب الوباء» وقد لاحظ الاب فيكتور نفسه حين انتشار الوباء في ضواحي ديره في جهات يافا ان السنونو قد هجرَت الدير بالحال لانها في طيرانها السريع تصل الى الضواحي الموبؤة واما العصافير الاعتيادية في الدير فانها لم تهرب لبقائها فيه وعدم خروجها الى الضواحي الموبؤة · واذا اتفق وحضرَت بعض طيور السنونو فانها تكون قادمة حديثاً من اوروبا فلا تلبث ان تفرّ دون ان تلوي على شيء · ويقولون ان سبب ذلك ان تلك الطيور تغتذي من فضلات الناس والذباب الذي يحمل مكروب الداء فلا تأْمن ان يصل الوباء اليها عن هذا الطريق

ترعة السويس وسكة بغداد يظهر ان سكة حديد بغداد ستحوّل تجارة الشرق عن ترعة السويس اليها وان هذا هو السبب الذي جعل بعض الحكومات الاوربية تلحّ منذ الان على الباب العالي بانشاء المنائر في البحر الاحمر لتأْمين السفن في سيرها تسهيلاً لاتقان الملاحة في هذا الخط من حيث السرعة · واذا كان خط ترعة السويس وخط سكة بغداد سيتزاحمان على تجارة الشرق منذ الآن فان الدولة عملت ضد مصلحتها بانشائها المنائر الاربع

الاخيرة في البحر الاحمر . على انها معذورة في ذلك لانها رأت الحكومة الانكليزية تقترح انشاءها بالحاح وتعرض عليها ان تنشئها هي نفسها . فلو لم تنشئها الدولة لانشأتها الحكومة الانكليزية وجعلت بذلك لنفسها حقوقاً جديدة

الخيول العربية والخيول الانكليزية قال المسيو جفراي في احدى المجلات الفرنسوية ان الجياد العربيــة هي آباء الخيول الانكليزية الكريمة التي تجري في ميادين السباق ومنها اشتقت كرائم الخيول الاوربية . فان انكليزياً يُدعى دورنلي سافر الى سوريا في سنة ١٧٠٢ واشترى منها مهراً كريماً سماه « درلي العربي » فاعجب الانكليز بنسله ومن ذلك الحين صاروا يفضلون الجواد العربي على كل جواد . وفي عهد لويس السادس عشر اهدى باي تونس الى هذا الملك جواداً عربياً كريماً . فلما شاهده الملك احتقره لانه كان حقير الصورة صغير الجسم ولم يكن الملك يميل لغير الخيول الانكليزية الكبيرة الهامة . فانتهى الامر ببيع هذا الجواد . وفي ذات يوم كان انكليزي آخر يُدعى المستر كوك ماراً بالجسر الجديد في باريز فابصر هذا الجواد يجرّ مركبــة عليها برميل ماء فانتبه اليه واحسن الظن فيه لحسن فراسته فابتاعه من صاحبه ببضعة جنيهات فجاء اكرم جواد . وقد سماه صاحبه « كودولفين العربي » ومن هذين الجوادين (درلي العربي وكودولفين العربي) جاءت جميع كرائم الخيول الانكليزية حتى الجواد « اكليبس » الذي ربح في السباق ٦٢٥ الف فرنك في ١٣ شهراً وهو اشهر الجياد الانكليزية

الفضة والمكروب تنمو المكروبات كثيراً على قطع النقود النيكلية والذهبية ولكنها لا تعيش على القطع الفضية الا قليلاً جداً لان الفضة سم قاتل لها . وعلى ذلك فحمل القضبان التي تكون مقابضها مفضضة مما يفيد في قتل الجراثيم التي تعلق في اليد

التصوير على نور الزهرة تمكن بعض المصورين من التصوير الفوتوغرافي على نور الزهرة نجم الصباح فجاءت الصورة واضحة

شفاء الامراض بالنور ابلغ الدكتور كارنول والمسيو تروفه المجمع العلمي انهما شفيا الروماتزم شفاء تاماً بالنور الكهربائي وقد شفيــاه بضياء النور لا بحرارته لانهما وضعا بينه وبين المريض صندوقاً من زجاج مملوء بالماء . وقد قوي اعتقاد العلماء بفعل النور في كثير من الامراض الداخلية . وهذا مما يزيد فضل الشمس على الارض وسكانها كما ترى

باب تدبير الصحة

معامل الجمال للسيدات

يعنف بعض الشرقيين سيدات الشرق لصرفهنَّ مدة طويلة من وقتهنَّ امام المرآة للبس والزينة . وهم يعنفونهنَّ على ذلك مع انهنَّ لا يهتممنَ ذلك الاهتمام الاَّ من اجلهم . فيظهر ان رجال الشرق لا يعرفون مصلحتهم حقَّ المعرفة

ولكن اذا وضعنا الهزل جانباً فاننا نجد ان سيدات الشرق مظلومات في هذه التهمة بالنسبة الى سيدات الغرب ولك ان تحكم مما يلي

في اوروبا وخصوصاً في انكلترا نوادي عمومية يتردَّد عليها النساء لاصلاح جمالهن كما يتردَّد الرجال عندنا على القهاوي والحانات . وهذه النوادي تديرها سيدات من ذوات الظرف والاختبار وفيها كل العطور والادهان والآلات الكربائية اللازمة لاصلاح الجمال

واشهر هذه المعامل معمل انيق في لندن تديرهُ مسز دلي وستون واليك بعض الشؤُون التي يشتغل بها هذا المعمل المشهور لدى سيدات الانكليز

﴿ ابقاء القامة معتدلة هيفاء ﴾ ان السيدة التي تريد ابقاء قامتها هيفاء رقيقة معتدلة تقتصر على طعام مخصوص اكثرهُ يكون من اللحم والشاي

﴿ ازالة تجعد الوجه ﴾ هذه هي مسأَلة المسائل في الجمال . فان الشمس والريح والهموم وكبر السنّ تُحدث في الوجه الجميل غضوناً (تجعدات) تذهب بنضارتهِ وتدل على دخول صاحبتهِ في سنّ العجز . فما الطريقة لمحو هذه الغضون التي ترسمها السنون بيدها القاسية على الوجوه الجميلة ؟ ـ الطريقة لذلك في معمل مدام وستون دلك تلك الغضون باسطوانات كهربائية مخصوصة لهذه الغاية . وبما انه قد ثبت فسيولوجياً ان سبب حدوث هذه الغضون جفاف بشرة الوجه فانهم يجتهدون بدهن الوجه بدهون تجعلهُ ليناً دائماً . وامامنا الآن رسم يمثّل صاحبة المعمل تدلك باسطوانتين كهربائيتين وجه سيدة جميلة جالسة على كرسي بين يديها كما تكوي الغسالة الثياب بمكواتها

※ ازالة الذقن الثانية ※ والسيدات ذوات الاجسام السمينة قد تحدث لهنَّ غضون فوق الذقن فتكون بمثابة ذقن ثانية . وهنَّ يكرهنَ هذه الذقن الثانية جداً وينسبنها الى كبر السن مع انها في أغلب الاحيان تكون منتقلةً بالارث . ولذلك يزلنها في هذا المعمل بمدالك كهربائية ايضاً

※ جعل العينين برّاقتين ※ وبما ان العينين هما اجمل ما في الوجه بعد الفم اوقبله فانهنَّ في هذا المعمل لا يهملن العيون . ولذلك يوصين السيدات بان يربطن عيونهن بمنديل قبل النوم ويعصبن جباههن . فعصب الجبهة يحول دون تجعدها اذا رأَت السيدة احلاماً مزعجة وربط العيون يجعلها برّاقة في الصباح متى وقع عليها النور بعد الظلام

※ اجراء الدم في الجسم ※ وبما ان الدم في الجسم يكاد يكون المصدر الاوَّل للجمال اذ بهِ بهاؤُهُ ورونقهُ فان السيدات يتخذنَ مطارق صغيرة يطرقنَ بها اجسامهنَّ طرقاً خفيفاً لتنشيط الدم واستدعائهِ الى ظاهر الاجسام

※ تضمير الاعضاء ※ ولكن واأسفاه ان السيدات لا يقتصرنَ على هذه الطرق السهلة فان بعض القاسيات منهنَّ من اصحاب الاجسام الضخمة يحاربن اجسامهن محاربة شديدة لتضميرها وجعلها نحيفة القوام . فيعذبنها بآلات مختلفة قد يبكين احياناً من آلامها . ولكنه بكاء كالضحك

※ الحواجب والعنق والاهداب ※ اما الحواجب فلها فن مخصوص يجعلها كالقوسين بازالة كل شعرة نافرة . وكذلك يُعتنى بالاهداب . والعنق تُتعهد بالدهون والطيوب الخصوصية . ويجب تعهد الوجه باجماله مرة واحدة في الاسبوع على الاقل

※ العناية بالايدي ※ واما العناية بالايدي فهي فوق كل عناية . فان اظفارها لا تقلّم بالمقص ولكن بشفرة خصوصية تقلّها بشكل هلال وتتركها طويلة اتباعاً لطريقة الطبقات العالية . وبعد ذلك ينظف داخلها بشفرة دقيقة جداً . ثم يؤتى باناء فيه ماء ممزوج بطيوب خصوصية مختلفة فتغمس فيه اليدان الواحدة بعد الاخرى وتبقيان بالماء حتى تتشرب البشرة منه . وبعد ذلك تُجفف اليدان وتُتعهد الاظفار بقليل من اللون الاحمر للزيادة في حمرتها الطبيعية متى كانت غير كافية . ثم تنضح اليدان بالكولونيا وتجففا ترويحاً بالمروحة لا بالمنديل لانه من الجناية ان يمسَّ المنديل مهما كان ناعماً تلك الايدي التي اعتني بها هذا الاعتناء

※ اجرة الجلسة الواحدة ※ اما الجلسة الواحدة لاصلاح اي امر كان في جسم السيدة من الامور التي تقدم ذكرها فان اجرتها ٢٥ فرنكاً (جنيه انكليزي) ولو كانت

ساعة او نصف ساعة

بقيَ علينا بعد ما تقدَّم ان نعلم هل كل ما مرَّ ذكرهُ يجدي نفعاً في زيادة لطف ونباهة الجنس اللطيف ام اللطف والنباهة الحقيقيان من خواص النفس لا من خواص الجسد ولذلك لا تُكتسبان بالتنميق والتزويق بل بحسن التربية والتهذيب

باب التقريظ والانتقاد

الراوي

جريدة يومية لصاحبها جناب يوسف بك طلعت

اذا شكا ارباب الصحافة من كثرة الجرائد فان الجمهور في رأْينا يرتاح الى هذه الكثرة لانها تحمل الجرائد على تحسين احوالها طبقاً لناموس المزاحمة الطبيعي . وامامنا الآن العدد الثاني من جريدة يومية صدرت في العاصمة عنوانها « الراوي » وقد تلت ببضعة ايام جريدة « الجوائب المصرية » اليومية التي صدرت حديثاً ايضاً . فنحن نتمنى للرصيفتين كل توفيق ونجاح

لائحة لبنانية

طبعتها ووزَّعتها جريدة المناظر الغرَّاء بالبرازيل

وردتنا لائحة مرفوعة الى دولتلو مظفر باشا متصرف جبل لبنان وهي تحتوي آراء في اصلاح الجبل وحكومته . وقد وُضعت لفصولها عنوانات رقيقة . منها ما جاء في قاموس لاروس في تحديد كلمة الاستقلال « تكون الامة مستقلة متى كانت سيدة شؤُونها » ومنها تعريف الوطنية في كتاب لدالوز « الوطنية هي الرابط الذي يجمع فئة من الناس بمصلحةٍ واحدةٍ في بقعة واحدة . ويزداد هذا الرابط وثوقاً اذا كانت لغة الفئة واحدة » ومنها قول بي ومارغال في كتاب الوطنية « لا تعرف آسيه حتى الآن الحرية التي تتمتع بها اوروبا منذ مدة مديدة . والشعوب الاسيوية لا تزال متقهقرة وراء الشعوب المتمدنة . ذلك

لانتفاء المصالح الوطنية بسبب الجامعة الدينية » ومنها قول لواشنطون في اول خطاب بعث به الى الندوة بعد الاستقلال « يجب ان نوحّد مبدأ الشعب الاميركي المستقبل بالمدرسة»

وفي هذه اللائحة صفحات كثيرة تدل على توقد الغيرة في صدر كاتبها على شؤون وطنه واليك واحدة منها

« اصل تحجب الحكام ياصاحب الدولة عادل ولكن اصل الحكومة اعدل . ويستمر تحجب الحكام عادلاً حتى تكون الهيئة المحكومة اعقل من ان تتهيب الحاكم لمجرد تحجبه ولكن اصل الحكومة يستمرُّ عادلاً ابداً

« يتحجب الحاكم ليكون مهاباً . ويجوز له الحجاب مع انه مخالف للمقصود من الحكومة ما زال الشعب شرساً متمرداً لا تردعهُ عن المنكرات والمعاصي الاّ هيبة الحكومة . فاذا صار الشعب الى ما صار اليه الجمهور اللبناني من السكينة والميل الى التقدم فقد صارت كل معاني الحجاب ضرراً

« لذلك نسأَلك مولاي ان تمزّق الحجاب المسدول بينك وبين الجمهور لتستطيع ان تعلم حالة الرعية التي انت تحكمها

« انك مع التحجب ياصاحب الدولة لا يجالسك غير الرؤساء والاعيان والاغنياء . وهؤلاء لا يحادثونك الا بما يوافقهم . والذي يوافقهم ليس هو ما يصلح للجمهور . فانت مع التحجب للاكايرس والاعيان والاغنياء لا للشعب

« ولستَ تستطيع ان تمزّق حجاب التحجب الا اذا ابحت المقابلة للجمهور وجعلت لهم ميعاداً اسبوعياً . وهكذا تكون كما بريد جلالة المتبوع الاعظم وكما تريد سفارات البرتوكول متصرفاً للبنان لا للاكايرس ولا للاعيان ولا للاغنياء »

فنحن نرجو ان يوفّق دولتلو مظفر باشا لارضاء اللبنانيين عموماً بسياسة عادلة حكيمة فيها مصلحة جميع طبقات الامة اللبنانية الكريمة

مسيح الهند

لم ننشر للقرآء حتى الآن شيئاً عن رجل هندي ادّعى في الهند انهُ المسيح وانهُ جآء للتوفيق بين الناس وجمع كلمتهم لاننا رأَينا ان مزاحاً كهذا المزاح ليس يصحّ الاهتمام به . ولكن حضرته لا يزال يرسل المنشورات التي ينشرها وآخر ما وردنا منهُ كرّاس من لاهور باللغة الانكليزية . والظاهر من لغة هذا الكراس الفصحى انه

مكتوب بقلم غير قلمه . والغرض من نشره الاقتراح على الحكومة الانكليزية ان تجمع مجمعاً من علماء المسلمين في الهند ليقرّروا ابطال الجهاد وهو اقتراح بارد ولا محلّ له لان جميع عقلاء المسلمين يقولون اليوم ان الجهاد كان واجباً في زمنه لحماية الدعوة واما اليوم فلا محلّ لهُ ولا موجب لان جميع البشر صاروا مؤمنين بالله سبحانهُ وتعالى

والذي اضحكنا في كراس مسيح الهند تزلّفهُ الى حكومة الهند تزلُّف التابع للمتبوع دون ان يكتفي بالكلمة المشهورة التي تدلُّ على التابعية والاحتقار معاً وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر » . فهل يا ترى كان المسيح متزلفاً

جريدة الرقيب ومطبوعاتها

اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغرّاء خمس روايات ادبية فكاهية مجلدة تجليداً حسناً في مجلد واحد عنوانه « باريس الخفية » وهي من تعريب حضرة الاديب زاكي افندي مابرو وقد نُشرت تباعاً في جريدة الرقيب وتطلب منها ومن جميع المكاتب وثمنها ٢٥ غرشاً صاغاً

ونغتنم هذه الفرصة لشكر رصيفنا الرقيب الاغرّ على نقلهِ الصفحة التي نشرتَها الجامعة في غلاف جزئها السابق اعلاناً لكتاب ابن رشد وفلسفتهِ . انما وقع خطأ في عنوان ذلك الفصل فان مرتب حروف الرقيب وضع في العنوان هذه الكلمات « اعلان من ادارة مجلة الجامعة » وظاهر انهُ خطأ مطبعي

وقد طرأ في المدة الاخيرة على صحة حضرة صديقنا الفاضل صاحب الرقيب اعتلال خفيف جعلهُ يوقف اصدار جريدته مدة قصيرة ثم تعود الى عالم الصحافة بهمة حضرته ونشاط جناب محرّرها الكاتب الفاضل طانيوس افندي عبده احد محرري جريدة البصير الغرّاء الذي يتولى تحريرها منذ مدة بعيدة

مذهب تولستوي

(بقلم جناب سليم افندي قبعين)

طُبع هذا الكتاب على نفقة حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهو من تعريب حضرة الاديب سليم افندي قبعين . وقد جمعهُ حضرة معرّبه من اللغة الروسية ومن اللغة العربية ونقل فيه اشياء كثيرة عن الجامعة بعضها ذَكَر الجامعة حين نقله وبعضها اغفل فيه ذكرها كما في الصفحة ٤١ حيث بسط فلسفة تولستوي وآراءه

مع انها مأخوذة كلمة كلمة من ترجمة الجامعة لتولستوي في الجزء الحادي عشر من السنة الثانية . وهذا الكتاب يحتوي خلاصة ترجمة تولستوي ووصف معيشته وآرائهِ وحرم المجمع المقدَّس لهُ وردود رجال الدين عليه وهو يُطلب من المكتبة الشرقية في العاصمة وثمنهُ ٦ غروش صاغ

الاخاء

مجلة عمومية ادبية لصاحبها جناب محمود افندي كامل كاشف

صدر الجزء الاول من مجلة عمومية ادبية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل محمود افندي كاشف وادارتها في طوخ (قليوبية) والاخاء اقسام منه قسم اجتماعي وقسم سياسي وقسم ادبي عدا الفوائد والاخبار واشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في الخارج . فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ **مجلة المقتطف** ﴾ اتمت رصيفتنا مجلة المقتطف الغرآء سنتها الثالثة ودخلت في سنتها الرابعة . وقد صدر الجزءُ الاوَّل منها مصدرًا برسم جان دارك وفيهِ ترجمتها ومقالة في الفلسفة والقانون والهوتنتوت وترجمة سقراط ومقالة في سلامة العيون وغير ذلك من الاخبار العلمية والفوائد . فنحن نهنئُ الرصيفة بدخولها في سنتها الرابعة

﴿ **النتيجة الشرقية** ﴾ اصدر حضرة الكيماوي الاصولي يوسف افندي الخوري صاحب الصيدلية المشهورة في الثغر النتيجة التي اعتاد اصدارها في كل سنة وفيها عدة فوائد ورسوم واعلانات عن بعض العلاجات . وقد اهدانا نسخة منها فنشكر لهُ هديته

﴿ **خريطة جبل لبنان** ﴾ وضعت جريدة الرموز الغراءُ التي تُطبع في البرازيل خريطة لجبل لبنان وهي باوضح شكل واجمل تصوير وقد اهدتنا نسخة منها فنشكرها على هذه الهدية النفيسة ونحث كل لبناني على اقتنائها

﴿ **المنار البيروتي** ﴾ دخلت جريدة المنار التي تُطبع في بيروت في سنتها الخامسة وصدر الجزءُ الاول منها في شكل مجلة يديرها جناب رصيفنا الفاضل روفائيل افندي الياس كاك مدير جريدة المحبة الغراء ويرئس تحريرها جناب الكاتب الفاضل الشيخ رشيد نفاع . فنحن نرحب بالرصيفة في طورها الجديد وندعو لها بالتوفيق في الخدمة النافعة التي تحتاج البلاد اليها

بين شاعرين في مصر

ما فرغتُ من قراءة قصيدة الشاعر الالمعي مصطفى صادق افندي الرافعي التي رثى بها الشرق في الجامعة (الجزء ٩ الصفحة ٦٢٤) حتى وجدتُ في نفسي اثرًا موءلمًا فراجعتُ هذا الصديق الفاضل بالقطعة الآتية ويتلوها ما اجابني به عليها وقد رأيتُ ان ارسلها اليكم للتكرم بنشرها في الجامعة انجازًا لما وعدت به هذا الصديق

قلت

رثيتَ من الشرق مجدًا ذهبْ وعزًّا غدا نهب ايدي النوَب
فذكّرتني موقفاً كانَ لي باطلاله يستثير الكرب
فما وقفَ الدمع حتى جرى ولا هدأَ الوجد حتى التهب
بكيتَ فابكيتَ ذا حميةٍ يسعّرها من بكى او ندب
أَجدّكَ هل يوقظ النائمين صياح نردده او صخب
بلى وأَبيك ولكننا نوءدي بذلك حقاً وجب
فلا يثنينّك ما قد ترى عن الشعر يُختار او يُنتخب
أَلاَ ربَّ قافيةٍ قلتها يهل الاديب لها والادب
عليك السلام ونلتَ الذي تتوق الى نيله من ارب

فاجاب

أَخي هل جرى مدمعٌ فانسكبْ ومسّ الفوءاد جوى فالتهب
لقد كنتُ احسب ان الرقاد خاطَ الجفون بخيط الهدب
ولم ادرِ انك حلف السهاد بلى قد عرفتك حلف الادب
بربك هل أَسمعتْ صيحتي وقد خفقتْ من صداها الشهب
فكم قد نظمتَ وكم قد نثرتَ وكم قد نصحتهمو بالخطب
وان قصائدكَ النيرات لكالبدر يُطلع او يُرتقب
اذا صحتَ في شرقنا صيحةً وقلتَ ارى الغرب منا اقترب
فما انت مسمعُ من في القبور ولا انت مفزعُ مَنْ في السحب
نخفّضْ عليك عليك السلام ما ذكر الناس فضل العرب

الدلنجات احمد محرم

الجامعة

الجزء الثاني — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ــ مارس (آذار) سنة ١٩٠٣ ــ ذو الحجة سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

مشاهير الشرق

حمورابي

(واضع الشرائع البابلية التي يُقال ان بعض شرائع التوراة نُقلت عنها)

ترجمة حمورابي · شرائعه · التوراة وهذه الشرائع · كتاب الامبراطور غليوم الذي شغل جرائد العالم · الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة · رأي المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية · بابل مضروبة وضاربة

لما نشرنا منذ عدة شهور في باب « آثار الشرق القديمة » في الجزء السابع من السنة الثالثة فصلاً عنوانه « آثار من زمن ابرهيم الخليل » وذكرنا فيه ما اكتشفه المسيو دي مورغان في سوس من شرائع العيلاميين ــ لم يكن يدر في خلدنا ان هذا الاكتشاف سيكون له الاهمية العظمى التي كانت له في اوربا حتى ان الامبراطور غليوم نفسه يضطر الى المداخلة في شأنه بكتاب طويل اقام جرائد المانيا واقعدها · ونحن نغتنم هذه الفرصة لنقل هذا الكتاب الغريب الذي ادهش به هذا الامبراطور العالم شأنه في اكثر الاشياء التي تصدر عنه ·

وبهذه المناسبة ننشر ترجمة الرجل الشرقي العظيم (حمو ربي) الذي كُتب هذا الكتاب بسببه وما يلزم عن ذلك من البيان فنقول

***

﴿ ترجمة حمو ربي ﴾ حمو ربي او حامورابي او هامورابي اسم جديد سيكون له في تاريخ البشر في الارض منزلة تعادل منزلة اعظم الرجال الذين خدموا الحضارة ورقوا شؤون البشر فلا الاسكندر في عظمته ومجده ولا دريوس في بذخه وسلطانه يساوى مقامه مقام هذا الملك الممدِّن . وهو ملك ساميّ حكم بابل بين سنة ٢٣٩٤ و٢٣٣٩ قبل الميلاد اي منذ ٤٤ قرنًا (٤٤٠٠ سنة) واسمه « حموربي » مشتق من اللغة العيلامية ومعناه على ما يُقال « المولود من نسل كريم »

وقد نقلت احدى الرصيفات عن جريدة النشرة الاسبوعية الغراء التي تُطبع في بيروت شيئًا عن هذا الملك البابلي ومنه يُعلم ما كان له من المنزلة العليا في زمنه . وهذا نص كلام النشرة الاسبوعية :

„ لم يبقَ ادنى ريب في ان هامورابي هو امرافل ملك شنعار المذكور في سفر التكوين وانه كان ساميًا دخل على الترجيح ارض شنعار الخصبة (او سومر وهي بلاد الكلدان المعروفة بكلدية الواطئة) من بلاد العرب . وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم . وكان قد مرَّ على العيلاميين قرونٌ وهم مستولون على بابل . فحارب العيلاميين وطردهم من الارض الكلدانية وملك كل العالم المتمدّن في عصرهِ ما عدا مصر . فكان ملكهُ من بلاد الفرس الى البحر المتوسط . واما الحروب المتوالية التي مكّنته من ذلك المُلك فلا نعلم تفصيلها . ولكن ما في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يدل على انه في قديم الازمنة وكان يملك حينئذٍ في عصر فيه ملك عيلام السائد

„ وكان لنا قبل اكتشاف شرائع هامورابي العجيبة ما هو كافٍ من اخبارهِ لمعرفتنا انه الظافر والباني هيا كل الآلهة وانه كان من السياسيين المجتهدين في نفع رعاياه . قال ناقل هذا النبإ « وقد شاهدتُ مئات من الاميال المربعة من ارض وادي الفرات العجيبة الخصب فلاةً وعراءً يابسًا وعلة ذلك انسداد القنوات التي كانت تسقيها . وكان هامورابي بنى سدًّا حيال نهر دجلة دفعًا لاضرار طوفانه وانشأ قنوات يجري فيها الماء الى امدٍ بعيد فيسقي الارضين ويحييها » . قال ذلك الملك في ما تركهُ من مكتوباتهِ « لما اعطاني الاله انو والاله بعل المُلك على ارض سومر واكاد (وهي الجنوب والشمال من بلاد بابل) ووضع مقودهما

في يدي حفرتُ قناة هومارابي فحملت كثيرًا من المياه الى اراضي سومر واكاد فجعلت الارض على جانبي النهر صالحة للفلاحة والزراعة وجمعت غلة الحنطة واعددتُ المياه في سومر واكاد للاعقاب وجعلتُ الارض التي قسمها السكان واحدة واعددت طعامًا وشرابًا وسستهم بنعم وافرة واسكنتهم في الامن والسلام »

„ فكان هامورابي سياسيًا مدربًا كما كان بطل حرب ووقف نفسه لنفع رعاياه . وتبين من الكتابة على العمود الذي اكتشفه دي مرغان حديثًا انه كان ممن يؤلهون الشمس وادّعى انها هي التي اعطته الشريعة . فعلى ذلك العمود ما ترجمته « بامر الشمس حاكم السموات والارض الاعظم ليكن العدل في الارض وباسم ربي ميروداخ انهى عن هدم ما اقمته تذكارًا في هيكل ايساغيل الذي احبه . فليردّد اسمي (على الالسنة) ابدًا . وليقف كل مظلوم له دعوى شرعية امام صورتي هذه باعتبار اني « ملك البرّ » وليقراء المكتوب وليفهم كلماتي الثمينة . وهذا المكتوب يبين له دعواه فيرى ما هو الحق ويبتهج قلبه ابتهاجًا يحمله على ان يقول هامورابي ملكٌ كأب لرعاياه تمسك بكلام ميروداخ بالهيبة والاكرام وانتصر بمساعدة ميروداخ على الشمال والجنوب وابهج قلب ميروداخ ربه فوهب منافع دائمة لشعبه ووطد شريعته في الارض . ومتى قرأ النبأ فليصلِّ بكل قلبه امام ميروداخ سيدي وزربانيت سيدتي . وحينئذ الارباب الواقية والآلهة الذين كثيرًا ما يترددون في حضرة ايساغيل لا بدّ من ان يهبوا له بوفور النعمة المشتهيات اليومية امام ميروداخ مولاي وزربانيت مولاتي»

„ ولقب « ملك البرّ » من احب الالقاب وقد ادعاه هامورابي لاعتقاده انه استحقه لبره برعيته كما يظهر من قوله على ذلك الاثر « هامورابي ملك البر . الذي منحته الشمس حقًا (او شريعةً) انا هو . كلماتي تُراعى . اعمالي لا نظير لها لا أوطئ الاعلينَ وأضع المتكبرين وانفي العُتاة فاذا راعى خَلَفٌ متسلط كلماتي التي كتبتها في رسمي هذا ولم يُبطل شريعتي ولا يفسد كلماتي ولا يغير ما اقمته تذكارًا قوّت الشمس ملك ذلك الملك كما قوّت ملكي . فملك البِر هو الذي يملك بالبر رعاياه »

„ ومما كتبهُ هذا الملك يتبين ان بعضه كأنه كُتب بقلم موسى او سليمان ومن ذلك قولهُ

« في مستقبل الزمان في كل الاعقاب الآتية ليراعِ الملك الذي يكون في الارض كلمات البِر التي انا كتبتها على حجري التذكاري هذا شريعة مملكتي التي وضعتها والسنن التي سننتها لا يغيرها . ولا يشوه ما اقمته تذكارًا . وان كان المتسلط حكيمًا وقادرًا ان

يسوس الارض بمقتضى الشرع فليراع كلماتي التي كتبتها في مرسومي القانون والفرائض والشرائع التي اعطيتها والاحكام التي وضعتها . فهذه كلها تظهرها له هذه الكتابة . فليحكم على رعاياه بمقتضاها ويخاطبهم بالعدل وليستقم بالاحكام . ولينف الاشرار والمجرمين من ارضه وليعد المنافع الى رعاياه »

« وما كتبه هامورابي للملوك الذين يخلفونه . ككتاب وشنتون الوداعي الى خلفائه . ولا ريب عندنا ان سيرته واعماله النافعة في الزمن الطويل كانت مما اكرمه واحترمه خلفاؤه . ثم كان بعد ذلك خمسة قرون سلام وراحة ونجاح ثم جاء الغزاة من جبال عيلام وعاثوا في بابل وسورية

« ونعلم من قانون هامورابي انه اشتمل على شرائع انتشرت في كل الشرق نحو ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وقد اتفقت شريعة موسى وشريعة هامورابي في امور كثيرة وهي تدل على قدم التمدن والعدل والشرائع النافعة . » انتهى كلام النشرة بتصرف يسير

***

شرائع حمورابي ولقد قلنا في السنة الماضية ان المسيو دي مورغان وجد شرائع هذا الملك العظيم في خرائب سوس منقوشة على عمود من الحجر الصلد طوله متران ونصف وهو المذكور هنا بالصفحة ٦٩ السطر ٢٦ وعليه اربعة آلاف سطر قرأها الاب شيل العالم باللغة العيلامية . ونحن نلخص هنا بعضها استيفاء للكلام واتماماً للفائدة

تبدأ هذه الشرائع بعقاب السحر والتجديف والرشوة القضائية والسرقة وغيرها من الجرائم التي عقابها الموت . ثم تستطرد الى السرقة الاعتيادية وخطف الاشخاص وقصاص العبيد الآبقين وقطع الطرق . وبعد ذلك تنتقل الى مسائل بيع المنازل والاراضي وتأجيرها واقراض الاموال وتنظيم الشؤون التجارية . وللمرأة مكان واسع في هذه الشرائع فان واضعها نص على جميع الاحوال المتعلقة بها سواء كانت تتجر ببيع المشروبات او كانت مقيمة بالبيت . فالزنا مثلاً يعاقب بالقتل وذلك باغراق الفريقين في نهر . ولكن اذا كانت المرأة قد غصبت فيغرق الرجل فقط . واذا كانت امرأة قد ذهب زوجها اسيراً في الحرب فليس لها ان تتزوج غيره الا اذا كانت فقيرة لا تقدر على سد حاجاتها . ولكن اذا كانت غنية واتخذت رجلاً غير زوجها فتغرق . واذا عاد زوجها من الاسر وكانت قد تزوجت من الفقر فيجب عليها ان تعود الى زوجها الاول ولكنها تترك لزوجها الثاني الاولاد الذين رزقتهم منه . وفي هذه الشرائع نص على حالة كالحالة التي كانت مع ابرهيم الخليل . فان ساره لما رأت نفسها عاقراً دفعت خادمتها هاجر الى زوجها فولدت منه اسمعيل . ثم غارت منها

ساره فطردتها . فالشريعة العيلامية تجيز امراً كهذا الامر في حالة عقم الزوجة . لكن متى وضعت الخادمة من سيدها فسيدتها لا يجوز لها بعد ذلك ان تبيعها ولا ان تسيء معاملتها . وبذلك تكون ساره بطردها هاجر قد خالفت هذه العادة البابلية التي كانت متبعة في جميع اقطار الشرق في ذلك الزمان

وفي الشريعة البابلية للاطباء نظام في غاية التدقيق . من ذلك : ان الطبيب اذا عالج عين رجل حرّ وشفاها اخذ اجرته . ولكنه اذا عطّلها فان يده تُقطع .. واذا كان الرجل عبداً لا حراً وعطل الطبيب عينه او اماته وجب عليه ان يبتاع لسيده عبداً غيره . وهذه الصرامة غير مقصورة على البشر بل تتناول الحيوانات . فاذا عالج طبيب حيواناً وقتله وجب عليه ان يدفع لصاحبه ربع ثمنه

وللبنائين والمقاولين نظام صارم ايضاً . فاذا بنى بنّاء منزلاً فجاء بناؤه حسناً فان البنّاء يأخذ اجرته . ولكن اذا سقط هذا المنزل وقتل صاحبه فان البناء يُقتل . واذا قتل ابن صاحبه قُتل ابن البنّاء واذا قتل عبد صاحبه وجب على البناء ان يعطيه عبداً بدلاً منه . واذا تلف اثاث المنزل بسقوطه لزم الباني ان يبتاع اثاثاً مكانه . ثم يلزمه ان يعيد بناء المنزل لانه كان سبب سقوطه

واذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة . واذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه . واذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضه . واذا استأجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردّ الى صاحبها بقرة مثلها واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها . واذا وهب رجل امرأته شيئاً من ماله او من حقوله وبساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته . ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره . واذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشان فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم »

وعلى ذلك فالعقاب في هذه الشرائع مبني كما رأيت على قاعدة « العين بالعين والسنّ بالسنّ » اذا كان المُساء اليه من الاحرار والاشراف . واما اذا كان من العامة والارقاء قُبلت الغرامة المالية من المسيء

ولو اردنا نشر جميع مواد هذه الشريعة للزمنا ان نملأ بها هذا الجزء كله

***

﴿ التوراة وهذه الشرائع ﴾ فلما انتشرت ترجمة هذه الشرائع في اوروبا في هذا العام قام لها العلماء وقعدوا . وكتب احدهم الى احدى الجرائد يقول : فليتحمل مكتشفو هذا الاكتشاف تبعة اكتشافه . وايضاحاً لمعنى هذا الكلام نقول

يظهر انه وجد بين هذه الآثار المكتشفة حديثاً وبين رواية التوراة شيئاً من الاختلاف والتشابه . اما الاختلاف فهو في الحوادث التاريخية واما التشابه فهو في الشرائع والنظامات . وليس يتسع المجال في هذا المقام للخوض في هذه المسألة بالتفصيل وانما نكتفي بذكر قضيتين

الاولى ان علماء المانيا قد اثبتوا ان حمورابي هذا هو الملك امرافل الذي ورد ذكره في السطر الاول من الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين وان كان علماء فرنسا لا يؤكدون ذلك . وزيادة في الايضاح ننقل هذا الاصحاح برمته . وهذا نصه :

((وحدث في ايام **امرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم ان هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمة وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر . جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين الى عمق السديم الذي هو بحر الملح . اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدرلعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه . وفي السنة الرابعة عشرة اتى كدرلعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران التي عند البرية . ثم رجعوا وجاؤوا الى عين مشفاط التي هي قادش . وضربوا كل بلاد العمالقة وايضاً الاموريين الساكنين في حصون تامار . فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السديم مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم **وامرافل ملك شنعار** واريوك ملك الأسار . اربعة ملوك مع خمسة . وعمق السديم كان فيه آبار حمر كثيرة . فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا الى الجبل . فاخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع اطعمتهم ومضوا . واخذوا لوطاً ابن اخي ابرهيم (الخليل) واملاكه ومضوا اذ كان ساكناً في سدوم . فاتى من نجا واخبروا ابرهيم . وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الاموري اخي اشكول واخي عانر . وكانوا اصحاب عهد مع ابرهيم . فلما سمع ابرهيم ان اخاه سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم الى دان وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم الى حوبة التي عن شمال دمشق واسترجع كل الاملاك واسترجع لوطاً

اخاه ايضاً واملاكه والنساء ايضاً والشعب . فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك . **وملكي صادق ملك شاليم** (مدينة السلام وهي اورشليم) اخرج خبزاً وخمراً . فاعطاه ابرهيم عشراً من كل شيء))

فيؤخذ من هذا الفصل اذا اعتبرنا ان امرافل هو حمورابي كما يقول الالمان ان ابرهيم الخليل استطاع بثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً ان يكسر جيش حمورابي العظيم وجيش اريوك وجيش لعومر وجيش وتدعال . وما عدا ذلك فملك فخم الجاه والسلطان مثل حمورابي لا يحتاج الى محالفة اولئك الملوك الصغار رغبة في اخذ مدن كسدوم وعمورة وادمة وصوغر . لانه ملك آسيا كلها حتى شاطىء البحر

هذا هو شيء من الاختلاف . اما التشابه فهو كائن في اشتراك التوراة وشرائع حمورابي في كثير من الاصول والعادات والتقاليد . وقد ذكرنا في ما تقدم عقاب « العين بالعين والسن بالسن » المذكور بهذا اللفظ نفسه في شرائع حمورابي . ونحن نذكر الآن شبهاً آخر وهو ان حمورابي يلقب نفسه في شرائعه « ملك البرّ (الخير) وملك السلام » وهذا الاسم ملك البرّ او ملك الخير او ملك الصدق » ترجمته باللغة العبرانية « ملكي صادق » وملكي صادق هو اسم للكاهن العظيم المذكور في التوراة (راجع فوق السطر الثاني) وهو يُدعى ايضاً ملك شاليم اي ملك السلام ـ فايهما قلد الآخر . حمورابي قلد التوراة ام التوراة قلدت حمورابي ؟

***

كتاب الامبراطور غليوم ولقد بحث الاستاذ دليتش الالماني بحثاً مسهباً في هذه الاختلافات والمشابهات . والقى فيها خطبة حضرها في برلين علية الناس في جملتهم الامبراطور غليوم والامبراطورة . وقد قال الخطيب في خطبته ان شرائع التوراة مأخوذة من الشرائع البابلية . ثم ختم كلامه بهذه العبارة « اننا نضع يدنا على قلبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر منه »

وهذا الاستاذ من اخصاء الامبراطور غليوم ومن اعضاء « جمعية الشرق » الالمانية التي تستخرج الآثار الشرقية القديمة منه . فبعد الخطبة اجتمع بالامبراطور والامبراطورة وصار يحادثهما امام الحاضرين . فاكبر الناس ذلك من الامبراطور غليوم لمعرفتهم حرصه على حفظ التعاليم التقليدية . ونتذكر ان جريدة الطان افردت يومئذٍ فصلاً مخصوصاً في صفحتها

الاولى لهذه الحادثة · ولكن بعد اجتماع آخر اجتمعه الامبراطور بهذا الاستاذ كتب الامبراطور الى صديقه الاميرال هولمن الكتاب التالي ليبدي رأيه في تلك الخطبة بصراحة وجلاء · وهذا نصُّ هذا الكتاب الغريب

« عزيزي هولمن

« لا بدّ ان تكون الرسالة البرقية التي بعثتُ بها اليك قد محت من نفسك الشك الذي كان فيها بشأن نتيجة تلك الخطبة · ولقد فهم السامعون تلك الخطبة كما يجب ان تُفهم · ومع ذلك فيسرّني ان اغتنم هذه الفرصة لابداء رأيي في هذا الموضوع(١)

« ان الاستاذ دليتش في اثناء احدى الاجتماعات المسائية عندنا دخل مع الامبراطورة والوكيل العام دريابدر (وهو من رجال الدين) في بحث استمرّ عدة ساعات · اما انا فقد جعلت نفسي من جملة السامعين · ولكن الاستاذ من سوء الحظ لم يلبث ان ترك البحث التاريخي المحض في المسائل الاشورية ودخل في مسائل دينية لا محلّ لها · فلبثتُ مصغياً · غير انه لما وصل في كلامه الى العهد الجديد (الانجيل) لم يبقَ لديّ شك في رأيه · فانه قال في شخصية مخلصنا اقوالاً شاردة مناقضة رأيي واعتقادي لانه لا يعتقد بلاهوت المسيح · ولذلك كانت التوراة في رأيه لا تحتوي شيئاً من الوحي والنبوءة عن يسوع بانه المسيح

«فهنا يختفي (في الاستاذ دليتش) المؤرخ والباحث في آثار اشور و يظهر اللاهوتي بكل ما فيه من النور والظلام معاً · اما انا فانني انصحه بان يخطو في هذا السبيل خطوة خطوة بكل تأنٍ وحذر وان لا ينشر آراءه الا في كتب لاهوتية او في دائرة رصفائه · وليكفنا نحن الخارجين عن هذه الدائرة خصوصاً « جمعية الشرق » التي لم تنشأ لتكون ندوة تُلقى فيها كل الآراء ـ عناء البحث في هذه الامور · فاننا انما نحفر في الارض ونستخرج آثارها القديمة ونقرأ ما عليها من الكتابات وننشره لمساعدة العلم والتاريخ وليس لتأييد او نقض الآراء الدينية التي يراها هذا العالم او ذاك · ولا ريب ان دليتش المؤرخ يخلّص دليتش اللاهوتي لان ذاك لا وظيفة له الاّ اعلاء قدر هذا

«وانني اتاسف لان دليتش لم يقتصر على الغرض الذي بسطه لنا في العام الماضي اعني اتخاذه الآثار القديمة التي تستخرجها جمعيتنا من الشرق دليلاً لمعرفة ما كان للتمدن البابلي القديم من التأثير على التمدن الاسرائيلي لنقف على العادات والاخلاق والشؤون السياسية والشرائع

(١) ترجمنا كلام الامبراطور في هذا الكتاب حرفيًا الاّ في سطر واحد

التي يمكن ان يكون الاسرائيليون قد اخذوها من البابليين ولنرى اذا كان في هذه الآثار ما يرفع - من الجهة البشرية - عن البابليين الاوصاف التي تصفهم بها التوراة وصفاً لاريب في انه غليظ وشنيع وغير عادل

„ هكذا كان غرضهُ الاوَّل كما فهمت ذلك منه وقد كان غرضاً كبيراً يجب علينا نحن المتفرجين ان نشكره عليه . ولكنه من سوء الحظ قد جاوز هذا الغرض من فرط غيرته

„ فان الآثار التي اُكتشفت وُجدفيها كما كان ذلك في الحسبان بعض آثار تتعلق بمسائل التوراة الدينية . فحين كلام دليتش على هذه الآثار كان يجب عليه ان يشير اليها ويشرح احوالها ثم يدع السامعين يستخرجون النتائج الدينية التي يرونها . ولو فعل ذلك لنالت خطبته استحسان جمهور السامعين . ولكنه من الاسف ان لا يكون قد اقتصر على ذلك

„فانه في خطبته اخذ يخوض بلهجة المناقشة والجدال في مسألة الوحي فانكر هذه المسألة قليلاً او كثيراً ثم ظنَّ نفسه قادراً على اثبات ان اصلها تاريخي بشري محض . فارتكب بذلك خطاءً عظيماً لانه دخل بهذه المسألة الى باطن النفس ومسَّ هيكلها المقدس في غير شخص من سامعيه الذين تختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم . وسواءٌ كان مخطئاً او مصيباً فانهُ صدَمَ وقلَبَ في نفوس كثيرين انفَسَ الصور والافكار التي هي ثمينة مقدسة عندهم . وقلقل اساس ايمانهم ان لم نقل انه ضعضعهُ . وهذا عمل لا يجسر عليه احد غير المشاهير اصحاب القرائح والعقول العظمى . واما درس الشؤون الاشورية درساً بسيطاً فليس مما يستوجب هذا

„ولقد بحث « جوت » يوماً في هذا الموضوع فقال انه يجب على المتكلم امام جمهور تختلف الطبقات ان يحذر حتى من هدم « هياكل الالفاظ المصطلح عليها » ولكن الاستاذ الكريم نسي من فرط حماسته المبدأ الذي يوجب الفصل بين ما يلائم الكتب وجمهور السامعين وبين ما لا يلائمهم . فانه كلاهوتي يستطيع ان ينشر بين رصفائه او في كتب خصوصية الآراء والافتراضات التي يراها في المسائل الدينية . ولكن لا محل لذكره ذلك في خطبة على الجمهور او في كتب تُنشر بين العامة

„والآن فاني فيما يختص بالاعتقاد بالوحي اعود الى رأيي الذي بسطته لك غير مرة ياعزيزي هولمن ولكثيرين غيرك . فانني أُعتقد بنوعين من الوحي مختلفين . الواحد وحي مستمرّ وهو تاريخي بلا شك والثاني ديني محض لانه عبارة عن تمهيد لمجيء المسيح

« اما رأيي في الوحي الاول فهو دون اقل ريب ان الله يظهر دائماً في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته . فانه هو الذي « نفخ في الانسان روحه » اعني منحه شيئاً من ذاته اي

نفساً حية . وهو يراقب نمو الجنس البشري بعناية الاب ليحسّن احواله . وهو يظهر تارة في رجل عظيم هنا وطوراً في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهناً او ملكاً وسواء كان بين الوثنيين او اليهود او المسيحيين

,,ولقد كان (حمو ربي) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وابرهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وكَنْت والامبراطور غليوم الكبير . فان الله اختارهم ورآهم اهلاً لان يعملوا بحسب ارادته اعمالاً عظيمة لا تفنى خدمة لاممهم سواء كان ذلك في الحيز الروحي او في الحيز الزمني . وكثيراً ما كان جدي (غليوم الكبير) يقول انه لم يكن سوى آلة في يد الله

,,فالله اذاً يرسل اعاظم الرجال للبشر ليستفيد هؤلاء من ثمار عقولهم ويكملوا نموّهم ويتمكنوا من المسير في تيه هذه الحياة وطرقها المجهولة . ولا شك في ان الله ظهر في عدة اشخاص على ضروب مختلفة وذلك بحسب حالة الامة ودرجتها من الحضارة . ولا يزال يظهر حتى في عصرنا هذا

,, اما النوع الثاني من الوحي وهو الوحي الديني المحض فهو الوحي الذي كانت نهايته ظهور المسيح . وهذا الوحي بدا يظهر منذ زمن ابرهيم ببطء ولكن بحكمة . ولولاه لقضيَ على الجنس البشري

,, و بحسب هذا الوحي انمى نسل ابرهيم الايمان باله واحد وهو الايمان الذي كان من الضروري حفظه . وهذا النسل لم يستطع النهوض الاّ بمعونة الله له . وما زال حافظاً هذا الايمان من قرن الى قرن والحوادث يتلو بعضها بعضاً حتى ظهر المسيح وكان ظهوره اعظم ظهور ظهره الله في هذا العالم

,,ذلك لان الله ظهر يومئذ في شخص الابن بشكل بشري . وهو مخلصنا . وهو الآن يملأنا حماسة ويدعونا الى اتباعه . واننا لنشعر بناره تحرق في داخلنا . ورحمته تعزّينا . وان كان غضبه يفنينا فان شفقته تحيينا . ومتى كنا متبعين وصاياه فاننا نقتحم كل شيء ولا نخاف شيئاً لا التعب ولا الاحتقار ولا الحزن ولا الفقر ولا الموت لاننا واثقون من النصر . وذلك لاننا نسمع منه الكلام الموحى به من الله وهذا الكلام يَصدق دائماً

,, هذا هو رأيي في هذه المسألة . فان (الكلمة) قد صارت عندنا نحن التابعين للكنيسة البروتستنتية بمنزلة كل شيء وذلك من فضل لوثر . ولقد كان على دليتش ان لا ينسى ما كان لوثرنا العظيم يعلمنا انشاده والنداء به وهو (يجب عليكم ان تُبقوا على الكلمة)

,,وعندي انه من البديهي ان التوراة تحتوي على عدة فصول من اصل تاريخي اي بشري محض وليست كلاماً موحى به من الله · وهذه الفصول هي عبارة عن تاريخ حوادث عديدة حدثت لشعب اسرائيل في حياته السياسية والدينية والادبية · مثال ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله اعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل · فانني اعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الاّ اعتباراً شعرياً رمزياً · لان موسى على الارجح قد نقل تلك الشرائع عن شرائع اقدم منها وربما كان اصلها مأخوذاً من كتاب شرائع (حمورابي) ثم اضافها الى شرائع امته وقواها بها · وربما قدر المؤرخ ان يجد اتصالا بين شرائع حمورابي صاحب ابرهيم الخليل وبين شرائع بني اسرائيل لفظاً ومعنىً · ولكن ذلك لا يمنع قطعياً من الاعتقاد بان الله قد اوحى الى موسى وانه ظهر لبني اسرائيل بواسطته

,, ولذلك ارى انه يجب على استاذنا الظريف ان يجتنب منذ الآن فصاعداً ادخال المسائل الدينية في الخطب التي يتلوها في حضرتنا · ولكن له ان يبحث بكل حرية في عادات واديان البابليين وغيرهم من الشعوب الذين ورد ذكرهم في التوراة

,,اما انا فانني استنتج مما تقدم النتائج التالية

ا) اؤمن باله واحد

ب) نحن الرجال لا غنى لنا لمعرفته عن شيء يمثل ارادته · واولادنا اشد حاجة منا الى ذلك

ت) ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة كما وصلتنا بالتقليد · واذا ظهرت اكتشافات اثرية تخالف بعض رواياتها فهذا لا شأن له كما انه اذا فَقدَ بها الشعب المختار (بنو اسرائيل) شيئاً من رونق تاريخه فلا اهمية لذلك ايضاً · ذلك لان روح التوراة تبقى سليمة مهما طرأ على ظاهرها · وهذه الروح هي : الله واعماله

,,ان الدين لم يكن قط حادثاً علمياً ليختلف باختلاف العلم والتاريخ وانما هو فيضان من قلب الانسان ومن وجدانه بسبب علائقه مع الله

هذا وانني مع الشكر والثناء ابقى دائماً صديقك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

وقد تناولت جميع الجرائد الالمانية هذا الكتاب واسهبت في شرحه وانتقاده ونشر الاستاذ هرنك الالماني الذي هو اليوم اشهر علماء البروتستنت في اوروبا وصديق حميم

للامبراطور غيليوم رأيه في هذه المسألة فدافع عن الاستاذ دليتش دون ان يخطىء الامبراطور فقال ان دليتش ذو فضل لانه كشف اموراً مجهولة وانه يجب ان يُصرح بالحقيقة مهما كانت النتيجة

وقد روت جريدة برلنر تاجبلاط ان قداسة البابا لما اطلع على كتاب الامبراطور غيليوم وافق على مبادئه الاجمالية . وقال احد الكرادلة لمراسل هذه الجريدة في رومه « ان قداسة البابا والامبراطور متفقان في مسألة التوراة ايضاً »

***

﴿ الاعصر التاريخية والاعصر المجهولة ﴾ وعلى ذلك فلا يسع الباحث بعد كل ما تقدم الا ان يقف متأملاً مدهوشاً . وهو لا يُدهش لكتاب الامبراطور غليوم الذي نقض فيهِ عصمة التوراة وخالف نصها الصريح وموافقة الحضرة البابوية على رأيهِ . لان المطلع على الحركة الفلسفية والاجتماعية والعلمية في هذا العصر لا يجهل ان عقلاء رجال الدين وقادة الامم قد تركوا الاصرار القديم وصاروا يلتمسون منافذ جديدة للتطبيق بين العلم والدين . واين المبدأ الذي وضعه الامبراطور غليوم هنا (الصفحة ٧٧ السطر ٤و٥) من المبداء الذي اخرج الفيلسوف رنان عن الطريق التي رام سلوكها في شبابه . فان رنان لما كان راهباً وتعمق في درس اللغات الشرقية راى في التوراة بعض الاغلاط التاريخية فبطل اعتقاده بانها من وحي الله . واما الامبراطور غليوم فانه قد حلَّ تلك المشكلة بكتابه هذا اذ قال ان الكتب كلها لا تسلم في تفاصيلها وجزئياتها من امور كهذه لانها كُتبت بايدي بشر وان كانت سليمة منه في اجمالها وكلياتها

وانما الذي يُدهش الباحث في ما تقدم ثبوت ان التمدن البشري في الارض اقدم مما كان يظنه العلماء . ولا يزال الباحثون في بلاد الكلدان يعثرون في كل عام على آثار تثبت هذا الرأي . وقد قال المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية في هذا الموضوع ما خلاصته :

« انني اصدق ان حمورابي قد وضع هذه الشرائع بل انني اؤكده ولكنني اؤكد ايضاً ان كثيراً منها كان موضوعاً قبله . فان سارغون الاول ونارانين اللذين حكما مملكة بابل قد وضعا شرائع لتنظيم حالة المرأة في العائلة وتعيين مسئولية الاطباء والبنائين قبل ان اخذ ذلك الملك الشيخ (حمورابي) شرائعه من فم الاله شماش نفسه (١) بالف وخمسمائة

---

(١) يقول حمورابي في شرائعهِ انه تلقاها من فم الاله شماش نفسه ولذلك صور نفسه يكتب والاله يُملي عليهِ . وشماش باللغة العيلامية اشمس . ولعل هذه الكلمة العربية منقولة عنها

سنة تقريباً . وفي هذا الزمن كان في مصر شرائع اخرى قيل ايضاً انها تلقتها من الاله اوزيريس وهي متناهية في القدم . ولا ريب ان هذه الشرائع المصرية قد نُقلت ايضاً عن شرائع قبلها وهكذا الى ما شاء الله . وانني ارجو ان اولادنا يتمكنون في المستقبل من اكتشاف اسرار تلك العصور القديمة والدخول في تاريخها . بل ارجو ان نقدر نحن انفسنا على ذلك فان هذا الامر لم يعد مستحيلاً لدينا كما كان منذ مائة سنة . ولما نتمكن من هذا الاكتشاف نضطر يومئذ الى الاعتراف بان حدود التمدن في الارض ابعد بكثير مما نظنه الآن وانه كان قبل التمدن البشري المعروف امم عاشت منظمة قبل عصر التاريخ بازمنة بعيدة »

***

﴿ بابل مضروبة وضاربة ﴾ هذا ونحن نختم هذا الفصل الذي طال كثيراً بالرجوع الى بابل تلك المدينة العظيمة التي كانت صاحبة هذه الشرائع والتي قامت في آسيا قديماً كلندن وباريز في اوربا في هذا الزمان . فنقرأ عنها بلذة واسف قول اشعيا الذي ينذرها بالخراب

((انزلي واجلسي على التراب ايتها العذراء ابنة بابل . اجلسي على الارض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين ناعمة ومترهفة . خذي الرحى واطحني دقيقاً . اجلسي صامتة وادخلي في الظلام يا ابنة الكلدانيين لانك لا تعودين تُدعين سيدة الممالك»

وقول ارميا

هاءنذا اوقظ على بابل وعلى من فيها ريحاً مهلكة . وارسل اليها مذرّين فيذرّونها ويُفرغون ارضها . اهربوا من وسط بابل وانجوا كل واحد بنفسه لا تهلكوا بذنبها لان هذا زمان انتقام . بابل كأس ذهب تُسكر كل الارض . من خمرها شربت الشعوب ومن اجل ذلك جُنت . سقطت بابل بغتة وتحطمت ولولوا عليها . داوينا بابل فلم تشفَ . دعوها ولنذهب كل واحد الى ارضه . ايتها الساكنة على مياه كثيرة الوافرة الخزائن قد اتت آخرتك — كف جبابرة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصون . نضبت شجاعتهم . صاروا نساء — طلع البحر على بابل فتغطت بكثرة امواجه . صارت مدنها خراباً وارضها ناشفة قفراً لا يسكن فيه انسان ولا يعبر فيه ابن آدم »

هكذا كان بنو اسرائيل يضربون بابل وينذرونها بالخراب . ولقد صدقوا في انذارهم . ولكن يا للعدالة الابدية . ان بابل قامت اليوم تردّ اليهم ضرباتهم . واكتشافات شرائع حمورابي في هذا العام ضربة شديدة لضاربيها

مشاهير الغرب

ثلاثة امثلة

باري · لِكوفه · كينه

قلنا في الجزء السابق اننا نترجم في كل جزء رجلاً من مشاهير الشرق ورجلاً من مشاهير الغرب · وقد صدرنا باب المشاهير في هذا الجزء بالكلام عن « حمو ربي » الذي اصبح بعد اليوم من اعاظم مشاهير الشرق · ولما اردنا الانتقال الى الغرب وجدنا اننا طالعنا في الجرائد الاخيرة شيئاً كثيرًا عن ثلاثة من مشاهير الفرنسويين اشتغلت بذكرهم الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر · فرأينا من الفائدة تلخيص حياتهم الادبية لاتخاذها مثالاً لان كل واحد منهم يمثل مبدءًا وله صورة ادبية خصوصية · وهذه هي الفائدة الحقيقية من كتابة تراجم المشاهير

﴿ غاستون باري ﴾ هو العالم الفرنسوي المشهور رئيس مدرسة كوليج ده فرنس واحد اعضاء الاكاذيمية وجمعية الآثار والآداب · ولد في سنة ١٨٣٩ في افني من اعمال فرنسا وتوفي في كانّ في ٦ مارس لهذا العام · وقد احتفل بجنازتهِ احتفالاً عظيماً مشى فيه العلماء والكبراء والوزراء وكان وزير المعارف الفرنسوية من جملة مؤبنيه

وصاحب الترجمة أشهر عالم بالادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية خصوصاً ما كان منها مختصاً بالامور الوسطى · وقد تلقى دروسه الاولى في مدرسة رولين ثم انتقل الى كلية كوتنج وكلية بون الالمانيتين وبعد ذلك دخل مدرسة الشارت الفرنسوية ليتلقى فيها علم قراءة الآثار اللاتينية القديمة · ولما اتمّ دروسه اكبّ على التدريس · وكان ابوه رولين باري استاذًا في مدرسة كوليج ده فرانس فلم يلبث ابنه ان خلفهُ في هذا المنصب · وفي سنة ١٨٧٦ جُعل عضوًا لجمعية الآثار والآداب وفي سنة ١٨٩٥ عُين رئيساً لمدرسة كوليج ده فرانس وهو منصب عالٍ جدًا وفي السنة التالية جُعل عضوًا للاكاذيمية خلفاً للعلاَّمة باستور

مؤلفاته — انقطع غاستون باري الى علم واحد وهو علم الادب الفرنسوي واللغة الفرنسوية في العصور الوسطى ولكنه مع ذلك كتب كثيرًا في التاريخ والفلسفة لما لهما من العلاقة بذلك

العلم ٠ وهو الثقة الذي ابرز مخبئآت الآداب الفرنسوية القديمة من زوايا الزمان ٠ واشهر تآليفه الكتب الآتية : « تاريخ شارلمان ٠ قصص شرقية في آداب اللغة الفرنسوية في العصور الوسطى ٠ اقدم آثار اللغة الفرنسوية ٠ درس في اللهجة اللاتينية الكائنة في اللغة الفرنسوية ٠ ترجمة القديس الكسيس ٠ اشعار القرون الوسطى » هذا فضلاً عن مساعدته في تأسيس المجلة الاقتصادية ومجلة رومانيا والمجلة التاريخية وجريدة العلماء التي عهد اليه المجمع العلمي قبيل وفاته اعادة نشرها

اخلاقه ـ كان غاستون باري عظيم الهامة شامخ الرأس بشعر طويل ولحية بيضاء مهيبة ٠ وكان الادب العلمي واللطف والتساهل في اسمى منزلة عنده ٠ وقد حدّث عنه المركيز دي فوكوه فقال : كانت قاعته مجمعاً لاكابر العلماء والاعيان من كل الاحزاب حتى الحزب الملكي ٠ فقد كان يلتقي فيها رنان وباستور وبرتلو والكونت دي مون زعيم الحزب الملكي في مجلس النواب والجنرال دي غاليفه وغيرهم عشرات ٠ وكانوا اذا اجتمعوا بحثوا في كل شيء : في العلم والسياسة والفلسفة والادب مع ان آراءهم متناقضة في هذه المواضيع ٠ ومع ذلك فقد كان بحثهم لطيفاً نزيهاً هادئاً شأن العقلاء والحكماء ٠ ولم يكدّر صفوهم الا مسألة دريفوس التي قسمت فرنسا قسمين ٠ ولكن لما مرّت حادثة دريفوس عادت جروح تلك القاعة الى الالتئام ٠ والآن بعد وفاة صاحبها صار اكثر من عشرين رجلاً كبيراً في باريز يتساءلون في ظهر يوم الاحد : اين نصرف وقتنا بعد الظهر في هذا النهار

حبه للحقيقة ـ وهذا هو الخلق الشديد الذي عُرف به ٠ فانه في ٨ دسمبر من عام ١٨٧٠ قال في اول درس القاه في مدرسة كوليج دي فرانس ما نصه :

« انني اعتقد اشد اعتقاد ان العلم لا غرض له غير طلب " الحقيقة " وهو يطلب »
« الحقيقة لذاتها دون ان يهتم بالنتيجة التي تنتج عنها عند العمل بها كأن يُسأل هل تكون »
« هذه النتيجة حسنة او غير حسنة ٠ وعندي ان كل من يتصرف بالحقيقة قليلاً او كثيراً »
« عند بحثه في المباحث التي يبحث فيها والنتائج التي يستخرجها منها سواء كان ذلك التصرف »
« لسبب وطني او ديني او ادبي ـ لا يستحق ان يكون له مكان في معمل العلم العظيم الذي »
« يحتاج الى النزاهة والامانة اكثر مما يحتاج الى البراعة »

وقد القى الاستاذ باري هذا الكلام الدري ليعلم سامعوه انه لا ينطق الا بما يوحيه اليه ضميره من الصدق وان كان في ذلك ما يسوؤه ٠ وقد بقيت هذه القاعدة الذهبية قاعدة اعماله كلها في جميع ادوار حياته ٠ وكان كثيراً ما ينفق وقتاً طويلاً ويتعب تعباً شديداً

في تحقيق حرف او كلمة وردت في عبارة قديمة وذلك حفظاً لقاعدته المشهورة اي الاقتراب من الحقيقة المطلقة بقدر ما يمكن الاقتراب منها

اكثر الله في بلادنا مثل هذه الامانة والنزاهة والصدق والجرأة في التحقيق والتعبير وبسط الحقائق فاننا نحن معاشر الشرقيين في اشد حاجة الى هذه الصفات التي هي اخص صفات العلماء والكتّاب الحقيقيين

ارنست لِكوفه وكما تعلمنا من صاحب الترجمة السابق كيف تكون النزاهة والامانة وحب الحقيقة والتساهل والتسامح بين الاحزاب المختلفة والجد والعمل نتعلم من ترجمة " ارنست لكوفه " الذي توفي في هذا الشهر ايضاً كيف يستطيع الانسان اجتناب قصر العمر واطالة حياته الى حدها الطبيعي الذي هو مائة سنة كما قيل

ولد ارنست لكوفه في سنة ١٨٧٠ في باريز فكان عمره حين وفاته ٩٦ سنة . وهو « شيخ الاكاذمية الفرنسوية » اي اكبر اعضائها سناً . وقد كان ابوه جبرائيل لِكوفه شاعراً وله ديوان عنوانه " قدر النساء " اشتهر منه بيت بليغ في اطراء جنس النساء وهو : " اجثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك " (١) - اما ابنه صاحب الترجمة فقد كان شاعراً ومؤلفاً للروايات التمثيلية والقصص وخطيباً ومنتقداً . وله عدة مؤلفات منها " فن المطالعة . وتذكارات ستين سنة . وحرب النساء . وبياتريس . وادريانه لكوفرور " وغيرها . وهو لم يشتهر بمؤلفاته اشتهاراً اعظيماً وانما كانت شهرته مبنية على كبر سنه وعلى اخلاقه اللطيفة الهادئة التي انضجتها الشيخوخة

وقبل وفاته ببضعة ايام نشر احد الكتاب الباريزيين مقالة دعى فيها الكتّاب والعلماء وعامة الناس الى الاعتبار بصحة لكوفه وحثهم على سؤاله عن طرق معيشته التي أطالت حياته الى هذا الحد . ومما قاله هذا الكاتب ان السر في طول عمر لكوفه اقباله على ترويض جسمه دائماً . فقد كان احب شيء اليه اللعب بالسيف والمشي والسباحة والعمل وترك التعب الشديد عقلياً وبدنياً . اي الاعتدال في كل شيء . وقد بقي لكوفه في كل يوم يمارس لعب السيف الى آخر يوم من حياته على رغم كبر سنه . وكذلك كان شأنه في القلم ايضاً فانه في الاسبوع الذي توفي فيه نشر مقالة طويلة في جريدة الطان موضوعها لافونتين ونوع شعره . وقد وصلنا العدد الذي فيه هذه المقالة من باريز في نفس اليوم الذي نقل به

(١) اذا شاء احد الشعراء التقاط هذه الجوهرة ونظمها في بيتين او اربعة نشرنا اياته مع الشكر

البرق نعيه . فاعجب لشيوخ لهم همة الشباب ولكتاب يموتون والاقلام في ايديهم

وكان قبيل وفاته يقول : انني لا ارهب الموت ولكنني ارهب الطريق الموصلة اليه . يعني نزع الموت . في اليوم الذي توفي فيه قال لاهله امام طبيبه : لا تخافوا فاني انام . وفي الحقيقة انه نام نوماً ابدياً بلا نزع ولا اضطراب

وقد احتفل في باريز بجنازته احتفالاً كبيرًا ولكن لم يؤبنه احد طبقًا لوصيته . و بوفاته هو وغاستون باري خلت كرسيان في الاكاذمية الفرنسوية وفرغ مكانان بين مشاهير الفرنسويين (١)

﴿ ادكار كينه ﴾ والثالث ادكار كينه الشاعر والمؤرخ والفيلسوف الذي احتفلت الحكومة الفرنسوية في اول مارس لهذا العام بتذكار مرور مائة سنة على يوم مولده . وقد اقيمت هذه الحفلة في قاعة كلية السوربون برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية وتليت فيها عدة خطب منها خطبة لوزير المعارف المسيو شوميه

وادكار كينه شبيه بفكتور هيكو من حيث حب الجمهورية وبذله راحته من اجلها . فانه ولد في عام ١٨٠٣ ونشأ كاتباً وشاعرًا ومؤرخًا . ولما اغتصب نابوليون الثالث الحكم واسقط الجمهورية الثانية كان كينه مع فكتور هيكو في جملة المنفيين . وقد آلى كينه على نفسه ان لا يعود الى فرنسا الاَّ بعودة الحرية اليها اي بزوال الحكم الامبراطوري منها . وكان هو وفكتور هيكو اشد اعداء الامبراطور نابوليون الثالث . فلما سقط الامبراطور عاد كينه الى فرنسا واخذ يدعو الى تعليم الشعب تعليماً يمنع عودة مثل هذا الاستبداد والاغتصاب . وهنا ظهرت مزية كينه التي جعلت له بين مشاهير فرنسا مقاماً خصوصياً

فان هذا الرجل جعل همه توحيد كلمة الامة وتربيتها تربية ذيموقراطية . وقد علم انه لا سبيل الى ذلك الاَّ بالمدرسة التي لا دخل للمذاهب الدينية فيها . فصار يدعو الى فصل المدرسة عن الدين ليتعلم فيها ابناء العناصر المختلفة تعليماً واحدًا . على انه لم يكن يقصد بذلك اهمال المبادىء الدينية المنزهة عن كل شائبة لانه كان من انصارها وانما كان ينبذ دناءة البشر الذين يتخذون الدين وسيلة للامور السياسية والاغراض الخصوصية . ولذلك لما اقترح فالو في شريعته المدرسية « جعل التعليم الابتدائي شاملاً للتعليم الادبي والديني » اقترح كينه ان يُزاد على هذا النص ما يلي « دون ان تدخل فيه التعاليم المختصة بالمذاهب الدينية المختلفة »

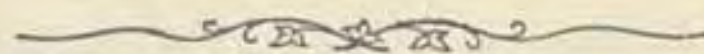
«١» في الصفحة السابقة السطر ١٠ (سنة ١٨٧٠) وصوابه سنة (١٨٠٧)

وهذه الخطة التي رسمها كينه هي الخطة التي تجري عليها فرنسا اليوم في مدارسها كلها. وانما اكرمته حكومتها بهذا الاحتفال اعترافاً بما كان لهُ عليها من الجميل . وقد قال وزير المعارف الفرنسوية في ختام خطبته عنه في هذا الاحتفال ما نصه «كان غرضه ان ينبه الضمائر وينشىء في باطن كل انسان حَرَماً مقدساً يكون فيه الفكر حرّاً مطلقاً لا تصل القوة اليه ويكون العقل فيه حاكماً مع الحق . واذا انتصر الباطل في خارجه وجد في نفسه قوة على تقريعه»

وكانت وفاة كينه في سنة ١٨٧٥ فسار في مقدمة الجنازة فيكتور هيكو وغمبتا يحيط بهما الحزب الجمهوري في باريز . وابّنه فيكتور هيكو وهنري بريسون وغيرهما

ولكينه موءلفات كثيرة منها «الروح الجديد . وتربية الشعب . والثورة» وهي افضلها . اما صفاته واخلاقه ففي غاية الصدق والنبالة والنزاهة . قال المسيو ديشان : وقد اضرَّت نزاهته هذه بسمعته الادبية . ذلك لان رصفاءه من الموءلفين كانوا لا يأْلون جهداً في طلب الشهرة والتزلف الى الكتاب ليحسنوا تقريظ موءلفاتهم واما كينه فانه كان يترفع عن ذلك ولذلك قلما كان الكُتّاب يوفونه حقه . وكان كلما صدر كتاب للموءرخ ميشله صديقه يهتف كينه في الجرائد هتاف الاعجاب والاستحسان فكان ذلك يزيد في مجد ميشله ولكن ميشله لم يكن يقابله بالمثل

ولما علمت حكومة رومانيا بعزم الحكومة الفرنسوية على اقامة ذلك الاحتفال تذكاراً لكينه بعثت الى سفيرها في باريز المسيو غرغوار شيكا تأمره بان ينوب عنها في هذا الاحتفال . ذلك ان كينه كان من مساعدي رومانيا في حوادثها الماضية . وزوجته رومانية تزوج بها في منفاه . وقد خطب هذا السفير في الاحتفال فقال انه يصرّح بالنيابة عن دولته بفضل كينه عليها . وقد قرأَ في هذه الخطبة نص الرسالة التي كان قد بعث بها وزير خارجية رومانيا الى كينه يبلغه فيها ما قررهُ مجلس النواب الروماني باجماع الآراء من اعتبار كينه وطنياً رومانياً . وقد كانت الاحزاب المتطرفة قد طلبت من الحكومة الفرنسوية قبل الاحتفال ان لا تشرك فيهِ رومانيا لاضطهادها الاسرائيليين في بلادها وكينه كان عدوّاً لكل اضطهاد وعلى الخصوص الاضطهاد الديني . غير ان الحكومة لم تصغِ اليهم وكان المسيو ديلكاسه وزير الخارجية يحادث السفير في اثناء الحفلة وقد حيّاه بلطفٍ بعد خطبته



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعتهُ من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

(تابع)

مبدأ الاحسان

ولا ريب ان المسيحية قد اقتبست من اليهودية قسماً مهماً من هذه الانشاءات العظيمة . فان كل طائفة من الطوائف اليهودية التي كانت متفرقة على شواطىء البحر المتوسط كانت عبارة عن كنيسة وفيها صندوق لمساعدة محتاجيها . ذلك ان الاحسان (الزكاة) كان قاعدة من القواعد اليهودية وقد اوصى به جميع حكمائهم . وكان يؤْتى في الهيكل في اورشليم وفي المعابد في الاقاليم . وكان بمنزلة اول واجبات المؤْمن . ولقد امتازت اليهودية في كل الازمنة بعنايتها بفقرائها عناية اخوية

وعلى ذلك فمن الظلم اعتبار المسيحية بمثابة توبيخ لليهودية لان كل ما كان في المسيحية الاصلية وارد على الاجمال من اليهودية . فاذا ادهشنا الاحسان المسيحي فانه يدهشنا بالنظر الى العالم الروماني لا الى العالم اليهودي . فان الهيئات الاجتماعية العالمية التي تقوم على قواعد العقل لا يمكن ان تنتج نتائج بديعه كتلك النتائج . ذلك ان شريعة كل هيئة كهذه الهيئة تكون مبنية على الحرية واحياناً على المساواة لا على الاخاء . اما الاحسان فمن حيث الحقوق لا يمكن ان يكون الزامياً لانه امر مختص بالافراد فقط . وكثيرون يرون فيهِ ما يوجب النفور منه فينفرون . هذا فضلاً عن ان انفاق الاموال العمومية على اصلاح حال الشعب هو عبارة عن عمل اشتراكي . وبناءً على ذلك لا تصنع السياسة شيئاً اذا رأَت رجلاً

يموت او كانت طبقات عديدة من الشعب تضعف وتنحط . وانما تقتصر على الاستياء من ذلك فقط . وهي بذلك تدل على انه ليس من نظام مدني وسياسي الا مع الحرية . ولكن ما هي نتيجة هذه الحرية؟ نتيجتها ان الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر ان يربح شيئاً يموت جوعاً . وهذا مر قانوني . ولكن مما لا بدّ من التصريح به ان الفساد القانوني لا يقف في وجه طبيعة الاشياء . فان حاجات الطبقة التي هي اوفر الطبقات عدداً لا بد ان تقوى على غيرها . وحينئذ لا تعود الشرائع السياسية والمدنية كافية

الشرائع الاجتماعية والشرائع السياسية

فمن مجد الشعب اليهودي وفخره انه فهم هذا المبدأ واعلنه في الارض فكان به القضاء على الدول القديمة . وهذا المبدأ قد رسخ في الارض فلا يزول منها بعد الآن . ومما ساعد على ترسيخه ان شريعة اليهود كانت شريعة اجتماعية لا سياسية وانبياؤها دعاة اصلاحات اجتماعية لا اصلاحات سياسية . فان اليهود في النصف الاول من القرن الاول للميلاد لما وجدوا انفسهم بازاء الحقوق الرومانية وتمدنها الغريب كان لا همّ لهم الا نبذ تلك الحقوق الكافرة الشاذة التي تساوي بين الجميع والنداء بان حقوقهم التيوقراتية خير الحقوق اذ هي وحدها تنشيء هيئة اجتماعية دينية ادبية . وكانت فكرتهم الكبرى ان «الشريعة» اليهودية هي التي تجعل الناس سعداء وقد صرّح بهذا كثيرون من حكمائهم منهم فيلون ويوسيفوس . اما شرائع الغير فانها تسهر فقط على اقامة العدل ولا تهمها سعادة الناس . فكأنّ المسيحية عبارة عن تتمة لهذه الفكرة . فان كل كنيسة فيها دير كبير لكل واحد من اهله ما للآخر فلا فقر ولا خبث وكل ما كان موجوداً فهو للكل والكل يراقبون الكل ويأمرون الكل . واذا رمنا تعريف المسيحية الاصلية امكننا ان نعرّفها بانها جمعية كبيرة للفقراء او حملة شديدة على الاثرة مبنية على ان كل واحد لا يجب ان يكون له شيء فوق حاجته لان الفضول تُعطى لمن لا يملك شيئاً . ومن هنا يظهر ما بين هذه الروح والروح الروماني من الاختلاف الذي يتنازعان بسببه نزاعاً للموت . ومن جهة اخرى لا تتمكن المسيحية من التسلط على العالم بعد ذلك الا بتغيير شيء من روحها هذه

نبوءته عن الاشتراك والانتظام

ولكن اذا كانت قد اضطرت الى تغيير شيء من هذه الروح فان حاجات هذه الروح ابدية لا تفنى . نعم ان هذه الروح قد تشوّهت قليلاً بما طرأ عليها في العصور الوسطى

ولكن العصور الحديثة قد ظلمتها بجملتها عليها حملة شديدة . فكأننا نسينا ان الانسان لم يذق اعظم الافراح الا في حالة الاجتماع . وتنازلنا لغيرنا عن هذا النشيد « ما احلى ان يسكن الاخوة معاً » . ولكن لما يثمر الاستفراد العصري ثماره الاخيرة . لما تصبح الانسانية صغيرة حزينة عاجزة بعد تجربتها هذه . لما يقوم اقسام الانسانية الاقوياء الطالبون للكمال والملتمسون اسمى مبادئه ويطردون بالسياط رجال مبادئنا الحاضرة ـ فيومئذٍ تعود الانسانية الى المجتمعات العظيمة والانتظامات القوية . يومئذٍ تُنظَّم شؤون كثير من الامور العظمى (والعلم في جملتها) على نظام الاديرة ويتوارثها اصحاب هذه الشؤون ارثاً لا دخل فيه للحم والدم . يومئذ تنقص الاهمية التي للعائلة في هذا الزمان . فان الاثرة التي هي شريعة اساسية للهيئة الاجتماعية المدنية لا تكفي النفوس الكبيرة . وكل هذه النفوس تُسرع من الجهات المتضادة وتتعاون على مقاومة مبادىء الشراهة الواطئة . ويومئذ يفهم الناس كلام يسوع حق فهمه ويفقهون افكار العصور الوسطى . انهم يفقهون حينئذ ما كان يعتقده اهل هذه العصور من ان الانسان اذا ملك شيئاً كان ملكه هذا نقيصة ويعرفون السبب الذي من اجله تنازع مؤسسو الاديرة قروناً طويلة ليعلموا هل ان يسوع ملك في حياتهِ الاشياء الاعتيادية . وعلى ذلك تصبح هذه الامور الفرنسيسكانية الصغيرة مسائل اجتماعية عظيمة . ويُكتب يومئذ على باب فردوس الانسانية مبدا الكمال الذي تنبأ به كاتب « اعمال الرسل » وهو قوله « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن احد يقول ان شيئاً من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ولذلك لم يكن فيهم احد محتاجاً . لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون باثمانها ويضعونها عند اقدام الرسل . فكان يُوزَّع على كل واحد منهم بقدر حاجته . وفي كل يوم كانوا يكسرون الخبز معاً بسلام وفرح وبساطة قلب »

المسيحية خارج اورشليم

ولكن لا نعجلن للوصول الى هذا الوقت فاننا الآن في السنة ٣٦ بعد الميلاد تقريباً . وكان طيباريوس قيصر مقيماً يومئذٍ في كبري وهو لا يدري بالخطر الكامن للامبراطورية الرومانية والذي كان يكبر شيئاً فشيئاً . فان الطائفة المسيحية نمت في سنتين او ثلاث نمواً غريباً حتى صار قومها عدة الوف . وكان اليونانيون قد تكاثروا جداً حول الرسل حتى صار غالباً على الظن ان الوظيفة الاولى ستكون لهم . ولم يكن قد دخل يومئذٍ في الطائفة احد من الوثنيين اي الذين لا علاقة لهم بديانة اليهود ولكن في مقابلة ذلك دخل فيها

كثيرون من المستعمرات اليهودية التي كانت قائمة على شواطىء البحر المتوسط كقبرس وانطاكية وسيرينيا • اما مصر فلم يدخل منها احد في ذلك الوقت • وقد بقيت خارج الطائفة مدة طويلة ايضاً • ذلك انه كان بين يهود مصر ويهود فلسطين شيءٌ من الخلاف في المعتقدات • فكان يهود مصر يعيشون مستقلين عن اخوانهم يهود فلسطين دون ان يصلهم صدى الحركات الدينية التي كانت تختلج في نفوس هؤلاء

الفكر لا يُحارَب بالقوة

وقد كان مما لا بدَّ منه ان وعظ رجال هذه الطائفة ينبّه غضب الذين حكموا على يسوع بالموت • وكانت اسرة حنانيا الصدوقية لا تزال قابضة على زمام الرئاسة فكان يسوء رجالها وانصارها ان يروا اولئك التلامذة والرسل السذج الذين لا وظيفة رسمية لهم يكتسبون اميال الشعب اكثر منهم • فقبضوا على بطرس ويوحنا وغيرهما وسجنوهم وجلدوهم • وكان الجلد عقاباً للكافرين بالدين • ولم يكونوا يحتاجون الى اذن من الرومانيين لانفاذ هذا العقاب • على ان هذه الخشونة لم تكن الا لتزيد الرسل اصراراً في اعتقادهم • وقد قاموا من الجلد وخرجوا وهم مسرورون لانهم تعذبوا من اجل سيدهم • فما اجهل اولئك الذين يعتقدون ان الفكر يُحارَب بالقوة

على ان هذه الخشونة والشدة كانت صادرة عن الصدوقيين فقط • اما الفريسيون فقد برد غضبهم • وسبب ذلك ان الفريسيين انما كانوا مغتاظين من عظمة نفس يسوع ومن سهام التهكم التي كان يرشقهم بها • واما الرسل فقد كانوا اناساً اتقياء لا عظمة في نفوسهم ولا تهكم في كلامهم • واحياناً كان الفريسيون يميلون اليهم • وبعضهم صار منهم ودخل في مذهبهم

استشهاد اسطفانوس

وكان بين الشمامسة شماس شديد الغيرة والحماسة يُدعى اسطفانوس • فهذا الشماس اثار غضباً عظيماً بسبب وعظه • فان الشعب على ما يظهر كان يُقبل عليه لسماع تعليمه وكان ينشا بسبب ذلك خصام شديد بين الحاضرين • وكان يعظ بحماسة مثبتاً ان يسوع هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود وان الكهنة جنوا جناية عظيمة بحكمهم عليه بالموت وان اليهود قوم ينكرون الامور الظاهرة كل الظهور وهم عصاة ابناء عصاة • فلما سمع الرؤساء بهذه الاقوال عزموا على اهلاك هذا الواعظ الشديد • فوضعوا له اناساً يسمعون كلامه ليلتقطوا

منه شيئاً ضد موسى . ولما عثروا على ذلك قبضوا على اسطفانوس وجاءوا به الى المجمع . وكانت التهمة التي اتهموه بها شبيهة بالتهمة التي اتهم بها يسوع . فانهم قالوا انه يزعم انَّ يسوع الناصري قادر على ان يهدم الهيكل ويغير ناموس موسى . فدافع اسطفانوس عن نفسه دفاعاً طويلاً مستشهداً بالناموس والزبور والانبياء وختم دفاعه بشكوى المجمع لانه حكم على يسوع بالموت فقال « يا قساة الرقاب . وغير المختونين بالقلوب والآذان . انتم دائماً تقاومون الروح القدس . كما كان اباؤكم كذلك انتم . ايّ الانبياء لم يضطهده اباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فانبأوا بمجيء البار الذي انتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . لقد اخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (١) وعند هذه الكلمة صاح به الحاضرون بغضب فتحمس اسطفانوس اشد تحمس حتى كادت نفسه تطير شعاعا فشخص الى السماء فنظرت عيناه منظراً قال فيه « ها انا انظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله » فوضع حينئذٍ كل الحاضرين اصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا هذا الكلام ثم هجموا عليه وهم يحرقون الارم . فجروه الى خارج المدينة ورجموه بالحجارة . وكان في العادة ان الشهود يبدأون بالرجم فخلع الشهود ثيابهم ووضعوها عند قدمي شاب شديد التعصب يُدعى شاول او بولس (١) . وكان هذا الشاب قد وقف هنالك ليشترك في الرجم وهو مسرور لمشاركته في اهلاك رجل مجدف على الشريعة

الاستشهاد بين التساهل والتعصب

فلما رُجم اسطفانوس احدث قتله حزناً عظيماً في الطائفة فاحتفلت بدفنه وقد شاركها اليهود اليونانيون في هذا الاحتفال لانهم كانوا اقل تعصباً من اليهود العبرانيين . وبهذا المقتل انفتح سبيل الشهداء في الديانة المسيحية . وقد ادخل هذا المبدأ ـ مبدأ الاستشهاد في سبيل الايمان ـ مبدءاً جديداً في الغرب كان في حاجة اليه . فانه كان بمثابة النداء ان الايمان قوة لا تعادلها قوة في الارض وان الدين واحد في العالم . غير انا اذا نظرنا الى هذه المسألة من هذا الوجه وجدنا ان الاستشهاد بهذا المعنى انما هو بمثابة فتح سبيل التعصب . اذ في الامكان ان نقول ان الذي يبذل حياته من اجل ايمانه متى كان مغلوباً يكون غير

«١» قوله ترتيب ملائكة لاعتقادهم ان موسى اخذ شريعته على جبل سيناء من ملاك لا من العزة الالهية نفسها . وهذا موضع خلاف بينهم

«١» هو الذي صار بعد ذلك اشهر معلمي الكنيسة واعظم رسلها

متساهل متى صار غالباً . وكذلك كانت حالة الكنيسة . فانها اجتازت ثلاثة قرون والناس يضطهدونها حتى اذا ما تغلبت وانتصرت قامت تضطهد اضطهاداً عظيماً . ذلك ان الانسان اذا اراق دمه من اجل شيء نفيس فانه يميل بحكم الطبع الى اراقة دم غيره حفظاً لذلك الشيء النفيس الذي عانى في سبيله ما عانى متى رآه مهدداً

مصدر الآداب فلسفياً

لحضرة الكاتب الفاضل صموئيل افندي يني

الآداب روح المجتمع الانساني صحبت الانسان منذ وجودهِ الاوَّل وارتقت بارتقائهِ في سلم الحضارة والعمران . وهي التي علّمتها الاديان واوجبتها على الناس لانها سنَّة قدسية هبطت من السماء وهي التي تراءت للشارعين فسنوها وتجلَّت للشعراء فهاموا بوصفها ذلك قبل ان اتجهت صوبها اقلام الحكماء وقبل ان دخلت دائرة البحث الفلسفي

واذا التفتنا الى التاريخ انبأَنا انه مرَّت على الآداب ثلاثة ادوار اكتسبت في خلالها من المبادىء السامية ما زاد في جلالها جلالاً وفي بهآء انوارها كمالاً . فالدور الاول من ادوارها الثلاثة سموه « الدور الرواقي » وهو مذهب فلسفي نشأَ في القرن الرابع قبل المسيح في بلاد اليونان ومنها انتقل الى رومة عقيب فتح اغريقية فتهافت عليه اساطين علمائها سيما نوابغ الشارعين منها فبثوا من آدابهِ الشيء الكثير فيما سنوا من القوانين وشرعوا من الاحكام . ثمَّ جآء الدور الثاني دور المسيحية التي افاضت على الانسانية مبادىء حب الله والقريب . والدور الثالث القرن التاسع عشر وهو الذي كشف اللثام عن وجه الحرية على تعدد انواعها من دينية وسياسية وتجارية وصناعية ومدنية بحيث عُرف الحق والواجب بمعناه وشعر الانسان بانه انسان .

ومنذ دخلت الآداب دائرة البحث الفلسفي اخذ الفلاسفة يبحثون في اصلها ومبدئها ويذهبون في ذلك مذاهب شتى . على انها ترجع في اختلافها الى ثلاثة مصادر اساسية تتفرع عنها مذاهب كثيرة . وتلك المصادر هي "العقل" و"الحس" و"العواطف" ونحن نذكر للقراء الالباء ما ارتآهُ اساطين الفلسفة في هذه المصادر الثلاثة على قدر ما نستطيع من الايجاز المطلوب في مثل هذا المقام

﴿ العقل ﴾

خُلق الانسان حرًّا لا يأتي عملاً عن غير قصدٍ وروية يؤيد هذا الكلام ويشهد بحقيقتهِ الحس الباطن كما يشهد الحس الظاهر بالمحسوسات . وليس ثمت من قوةٍ على الارض تستطيع نزع تلك الخاصة المميزة للنوع الانساني التي بدونها لا وجود للآداب . اذ كيف نفرض على الانسان الواجبات او نلقي عليه تبعة اعمالهِ وهو ملزم فيما بيديه لا يفعل الاَّ اضطرارًا . وبدونها فالخير والشرّ والعدالة والظلم والفضيلة والرذيلة اسماء لا مسميات لها . ولا كان للعدالة ان تأْخذ على يدِ الجاني ولا للقوم ان يكرموا فاضلاً لانه ما اجتُرم الذنب ولا اوتيت الفضيلة اختيارًا

ولا اخال هذه القضية تحتاج الى برهان فقد عرفها البشر واعتقدوها منذ اتيح لهم الاجتماع واستوى في معرفتها واعتقادها البرابرة على خشونتهم وشظف احوالهم والحضر على اعتلاء عمرانهم وسمو شأْنهم . والا فلِمَ وضعت المحاكم ? وسنت الشرائع ? وقامت مجالس الشورى ? ولِمَ وجدت التضرعات والنصائح والتهديدات والمواعظ والاعتقاد العام بخلود النفس على اختلاف وجهاتها . أَليس كل ذلك دليلاً قاطعًا على اعتقاد الامم بالحرية الادبية

واذا تقرر ذلك فاعلم ان الحرية في الانسان تجري على سنن ثابتة لا كما يظن البعض انها سائبة . اذ كل انسان سليم العقل لا يعمل عملاً الا عن قصدٍ وروية . وجملة القول ان الانسان يندفع الى الاعمال باسباب هي " الاهواء " و " المنفعة " و " الواجب "

الاهواء — واذا تأَملنا الانسان في بدء كيانهِ قبل ان يستهدي بنور العقل نراه كثير الاميال وتلك الاميال تلعب به كما تلعب الرياح بفسائل النبات الهزيلة . الاَّ انه قد يعترض تلك الاميال من الموانع ما يحول دون مبتغاها فيحصل في النفس اثر ذلك حالة تسمى « انقباضًا » واذا لم يعترضها مانع وفازت بشهواتها حصلت في النفس حالة اخرى تُعرف بالانبساط او المسرة . وزد على ذلك انها تتوق الى كلما يساعدها على اميالها وتنفر من كلما يعاكسها في اهوائها فيتفرع عن ذلك سائر الاهواء من حبٍ وبغض وخوف ورغبة

هذا اول مظاهر الانسان فانه ينشأ كما سبق الكلام العوبة بيد الاهواء تتصرف فيه على ما تشاء وليس ثمَّ لقوى الادراك من يدٍ فعالة فيه لتكبح جماحها بل الحكم للهوى الاقوى المتسلطن وقتئذٍ فيجذب الارادة اليه وتسير طبق مرامهِ ويستمر على هذه الوتيرة الى ان تبدو طلائع العقل فيه فينتبه من غفلته ويتطلع الى حاله فيجد امياله في منتهى قواها ويدرك من نفسه انها بجملتها تتجهُ نحو غاية واحدة أَلا وهي اشباع طبيعته الانسانية . الاَّ ان الملاحظة

والاختبار يرشدان عقله الى انه يستحيل عليه اشباع طبيعته فيسعى الى آخر ما في الامكان من خيرها . ولا يقف العقل عند هذا الحد بل يدرك انه اذا لم يترك للقوى العاقلة سلطتها على الاهواء يتعذر على طبيعته الحصول على اعظم ما يمكن من خيرها وانه ما دامت قوى الادراك سائبة فالانسان عرضة لوسواس الاهواء فيخضع دائماً للهوى الاقوى المتسلط حالياً عليه . فينجم عن هذه الحالة ضرران الاول ان لا شيء سريع التغير والانقلاب كالاهواء . فالهوى الذي يتسلط اليوم لا يلبث ان يتبدل غداً بهوى آخر بحيث يتعذر على القوى العاقلة ابان تسيّد الاهواء تتبع اعمالها . ولهذا لا تنتج شيئاً هاماً . والامر الثاني انهُ يحدث في اغلب الاحايين ان الخير الذي يحصل للانسان من اشباع اهوائه قد يصدر عنه شرٌّ كبير والشر الذي يحصل له من عدم اشباع اهوائه ينبعث عنه خير كبير . والخلاصة انه يدرك ان لا سبيل لحصول الخير الا باتخاذ العقل نبراساً يُستضاء به في سائر اعمال الحياة

المنفعة ـ بهذه الامور ينتقل الانسان الى الدور الثاني اي الى النظر في المنفعة وحسبانها حيث تمتاز المنفعة بالحسبان والتعقل عن الاهواء التي تسير ولا يد لقوى الادراك فيها

الواجب ـ اما الدور الثالث فهو دور الواجب او الخير وقد ضرب احد الكتبة البارعين مثلاً ليقرّبه من الافهام فقال : اني أُودعت سرّاً خطيراً من رجل ابغضهُ شديداً فاذا افشيتهُ يُقضى عليه فافوز بالمنافع الكثيرة . وكل ما حولي يهيئُ لي سبيل الافشاء ويدفعني الى نكث عهده . ولا تبعة عليَّ في ذلك ولا مجال لتوقع الضرر في الحال والمآل . فما الذي يصدني عن الافشاء ياترى ؟ ان في النفس قوة تحارب تلك النزعات وعقلاً يعترضني ويأُمرني بكتم السرّ لانه شيء مقدس ويوحي اليَّ بان خيانة العهد جرم وحطة . فلِمَ يجب بقائي اميناً على عهده ؟ أَمجاراةً لعواطف طبيعتي الحساسة وقد حاربتها البواعث المعاكسة ؟ ام في الكتمان منفعتي مع ان في خيانة عهده المنافع الكثيرة . فبعد هذا اذا كتمت السرّ اكون كتمته لا رغبة في خيري الخاص انما لانه خير صرف . فارتفع بذلك من تصور خيري الذاتي الى تصور الخير لذاته . الى تصور الخير العام . الى تصور الخير المطلق

ولا ريب ان العقل يدرك مبدأً الخير ويتوق اليه بكليته لا بل ينحني امامه تعظيماً واجلالاً ويعرف انه مقدس واجب فيسديه احترام المحكوم لحاكمه ويتخذه شريعة سامية ابدية . وهو ولا غروَ طبيعي فيه ثابت وانكاره مكابرة ولئن تعذّر ادراك كنهه وتباعدت اقوال العلماء في تعريفه فلا يوجب ذلك امتناع وجوده فقد قصرّ العلماء عن ادراك كنه الحياة وتباعدوا في تحديدها ومع ذلك لا يختلف في وجودها اثنان

اوما ترى الناس في كل مكان وزمان يفاخرون بفضائل الفضلاء ويتحدثون عن مبرات الاكارم . او ما تراهم يشمئزون من قبح اعمال زيد ويقرفون بكرًا لرذيلةٍ ارتكبها . فما هي تلك القوة المودعة في نفس الانسان التي بها يحكم على حسن اعمال الناس او قبحها والتي توجب عليه اتباع سنن الآداب والفضيلة . ان هي الا قوة بديهية في نفسه روحانية صرفًا لا مستخرجة من مدركات الحس ولا حاصلة فيه من عوامل التربية ولا من نتاج الاحكام . انما التربية تزيدها نموًا والاحكام تذب عن حماها لتصون المجتمع الانساني من الاضرار والشرور

ولا ريب بان مبداء الخير موجود في كل انسان وليس في وسع الوسائل البشرية ايجاده او ملاشاته تمامًا لكن احوال التربية والبئة يؤثران في شأنه كثيرًا . ذلك ما حمل البعض على القول بان الضمير او مبدأ الخير من نتاج التربية . على اننا لا ننكر ان للتربية يدًا في انماء تلك القوة واذكائها لكن لا قوة لها على تغيير طبيعة الانسان . وبالجملة ان شأن هذه القوى كشان سائر قوى الادراك عرضةً للخمول والضعف وقابلة للازدهاء والنمو تبعًا للاحوال

على ان مبدأ الخير وما يفرضه من الواجب يولد فينا حالة تمتاز عما تولده الاهواء والمنفعة وانه كما يحدث ان الاهواء والمنفعة تدفعنا الى عمل واحد هكذا يحدث ايضًا ان تدفعنا المنفعة والبواعث الادبية الى سبيل واحد . الاَّ انه لا بد لهما مع ذلك الاتفاق من شيء يميزهما . ذلك بان مبدأ الخير توجب وتكون عامة وتلك تنصح وتكون خاصة . وان الفرق يزداد وضوحًا في الحوادث التي تليهما . مثال ذلك اذا عمل الانسان خيرًا بملء ارادته غير متبع مسرة عواطفه فاننا نحكم ان هذا الرجل لجدير بالاعتبار والمكافأة . وعكس ذلك ان ارتكب الشر فاننا نحكم عليه بالاحتقار . ولهذا يكون الحكم بالاستحقاق وعدمه نتيجة لازمة للاعمال الانسانية التي مصدرها صورة الخير وهي لا تتبع الاعمال التي تصدر عن المنفعة والاهواء . واذا سعى الانسان وراء منفعةٍ وامتنع عليه الفوز بها فلا يخزه ضمير على خسرانها بيد انه اذا قعد عن الخير وتهاون في الحصول عليه ففيه ضمير يخزه وخزًا شديدًا

وجملة القول ان الحكم بالاستحقاق وعدمه يحصل لنا ضرورةً عقيب افعال المنفعة والاهواء فهو ووخز الضمير ملازمان ابدًا للافعال الادبية التي مصدرها مبدأ الخير ومميزان له عن سائر الافعال



الحس

يُقصد بالحس هنا ما يرجع الى رفاهه ومنفعته ويُراد بالمنفعة ان فريقًا من الفلاسفة

حسبوها مصدراً للآداب فانكروا على الانسان حريته الادبية وقالوا انه ملتزم فيما يأتيه من الاعمال غير مختار ولا هو ذو ارادة حرة · وليس هذا التنازع الفلسفي بحديث النشأة انما هو قديم العهد منذ ايام الرواقيين والابيقوريين وقد اتصل بطائفة اليهود فاحتدم لاجله نار الجدال ما بين الصدوقيين والفريسيين

على ان اشهر الفلاسفة الذين ينفون الحرية الادبية الفيلسوف هوبس وقد قال في ذلك بما معناه : اذا كان الانسان لدى شيء من الاشياء تتنازع نفسه حالتان هما الرغبة فيه والرغبة عنه · وهذا التنازع يسمى « مشورة » حتى اذا انتهى التنازع بانتصار احدى الحالتين فيسمى الانتصار « ارادة » واذا كانت الارادة « قادرة » على انفاذ رغائبها وانفذتها سميت هذه « القدرة » حرية · بحيث يكون تعريف الحرية : عدم وجود موانع تجاه الارادة · وعلى هذا التعريف تكون الحرية سواء للعاقل ولغيره · فما ينسب منها للانسان يجوز نسبته للنهر ايضاً اذ كلاهما يفعلان اذا لم يجدا مانعاً يمنع هذا الفعل

وقال بخنر في كتابه القوة والمادة : ان الانسان وقواه العقلية والطبيعية هما ثمرة الطبيعة ونتاجها · ومما لا ريب فيه انها (اي الطبيعة) ليست فقط مصدر وجوده ولكنها ايضاً مصدر اعماله وارادته وعواطفه وافكاره · ثم عدد المؤثرات التي تفعل في الانسان وتكيف اخلاقه وشؤونه · فذكر منها الاستعداد الطبيعي والعقل والاميال والاخلاق التي تنتقل بالارث عن الآباء والاجداد والبئة وهي الوسط الذي يعيش فيه والتعليم والتربية والقدوة والعوائد والاحوال السياسية والاجتماعية والاقليم والبلد الى غير ذلك من الاحوال العامة · ثم عطف الى بيان الاحوال الخاصة كالصحة والتغذية والغنى والفقر والتعاسة والسعادة وقال ان كل تلك الاحوال عامها وخاصها تؤثر في صفات الانسان شديداً بحيث لا تترك مكاناً فيه لحرية الارادة · ثم ايد كلامه بشواهد كثيرة منها لن القبائل النازلة جنوبي افريقيا تتباعد عن بعضها في الاخلاق والعوائد ومثلها القبائل الهندية الاميركية · وان ذلك التباعد حاصل من اختلاف الاقاليم والبلد · وذكر مملكة الرومان في حالتيها الجمهورية والامبراطورية وافاض في الكلام عما كان من اختلاف اخلاق الشعب الروماني وتباينه في كل من الطورين تبعاً لاختلاف الاحوال السياسية والاجتماعية

وخلاصة اقوال الذين ينفون وجود الحرية الادبية ان الارادة تابعة للظروف والاحوال وان الانسان عبد للضرورة لا حر مختار

وهكذا اهل هذا المذهب ينفون بتاتاً وجود المبادىء الغريزية في الانسان ويقولون

ان كل مدركاته تحصل بواسطة الحس وما المبادىء الادبية الانتاج التربية . وقد قال فولتير في قاموسه الفلسفي : لا وجود للمبادىء الغريزية وليس من شيء فطري في الانسان ولكن الله خلق فينا اعضاء قابلة للنمو والشعور بكما يحتاج اليه حفظ النوع وان كل تصوراتنا حاصلة فينا من الاشياء التي تقع تحت الحس فاني لا الفظ ولا افهم كلمة اللاتناهي الا لاني قد رأيت من قبل شيئاً متناهياً . وزاد عليه بخنر قوله : كل من بحث في شؤون الامم العريقة في البداوة لا يرى اثراً للمبادىء الادبية فان بعض القبائل يرون من محكم التدبير ان يقتل الرجل اباه متى عجز عن العمل وصار شيخاً مقعداً بين ان هذا العمل تحسبه الامم المتمدنة من افظع الشرور واشد الجرائم هولاً . على ان زعماء هذا المذهب واساطينه المحنكين بعد ان انكروا على الانسان حريته الادبية ومبادئه الفطرية قالوا ان المنفعة هي مصدر الاعمال الادبية وان لا وجود للخير والشر مجردين بل هما نسبيان . وبعبارة اخرى ليس للافعال قيمة ادبية في ذاتها ولكن قيمتها تكون بالقياس الى نفعها او ضررها بحيث ان لاشيء منها بذاته خير او شر . فما كان من الافعال نافع ونفعه عائد على الجمهور فهو خير وما كان منها مضرٌ وضرره يرجع الى الجمهور فهو شر

ولما كان الانسان مدنياً بالطبع ومدفوعاً بحكم الضرورة الى الاجتماع بغيره من ابناء نوعه وكان ذلك لا يأتي له الا بمراعاة ما تقوم به مصلحة الجمهور ومنفعتهم وانكار ما تتشوق اليه اهواؤه من ملذاتها واساءة غيرها ـ فُرض عليه ان يأخذ بما يعود بالنفع على ابناء نوعه و يبتعد عما يرجع بالضرر عليهم . فترتبت عليه الواجبات والحقوق بالتبادل ونشأت من ذلك المبادىء الادبية مبتدئة في العائلة ثم تدرجت الى القبيل والامة . على انه لايمكن ان تقوم الآداب اولاً الا بطريقة التبادل كما سبق القول طبقاً لهذا المبداء الكريم: افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعل الناس بكم »

واذا تتبعنا اصحاب هذا المذهب في اقوالهم عرفنا الآداب بانها احترام حقوق الناس بالتبادل على السواء وتوطيد سعادة المجتمع . فكل ما يقلق او يهدم تلك السعادة وذاك الاحترام فهو شر وكلما يوطد السعادة والاحترام المتبادل فهو خير . فالشر اذاً في عرفهم الغلو في حب الذات (الاثرة) المبني على مضرة الآخرين . على ان حب الذات صفة بديهية في الانسان ضرورية لحفظ نوعه وهي ولا ريب اذا سارت سيرها الطبيعي ولم يتطرق اليها الغلو ووفقت بين منفعتها ومنفعة الجمهور صدرت عنها اسمى مبادىء الاداب واجملها . والخلاصة ان زعماء هذا المذهب اجمعوا اليوم على ان المنفعة العامة مصدر الادب

العواطف

ولقد قام بعد هوبس زعيم النفعيين هتشسون وشهر حرباً عواناً على هاتيك الآراء وذهب الى ان البحث عن مصدر الآداب يجب ان يكون في العواطف وليس في العقل والحس. ثم جعل عواطف الانسان مبعث الفضائل والواجبات وشدَّ ازره الحكيم جان جاك روسو فيما ارتآه حيث قال: ولد الانسان صالحاً نقياً وفيه عواطف فطرت على الخير تتجه اليه ان لم تصدها مفاسد المجتمع. واطلق على العواطف اسم الضمير. وزعم ان العقل يخدع الانسان اما الضمير فدليل النفس ومرشدها الى الحق والواجب ولا يخادعها في شيء

وما طال الامر حتى ظهر ادم سميث يدعم آراء استاذه هتشسون ببراعة في البيان سودته زعامة هذا المذهب ولئن ادخل فيه شيئاً من التبديل بان جعل مكان نزاهة العواطف الانجذاب القلبي والنفور. ويقصد بالانجذاب القلبي مشاركة الناس بعضهم بعضاً بالانفعالات والمؤثرات وبتعريف اعمَّ مشاركة جميع الكائنات الحاسة بكل مؤثراتها. فانا اذا شهدنا رجلاً وقد بدت منه عواطف كثيرة واهواء متعددة لا نلبث ان نتوق لتحديه في هاتيك الشؤون. والعقل والارادة بمعزل عن الحكم على العواطف. مثال ذلك اذا رأينا اماً تضم الى صدرها طفلها الصغير وقد ظهرت على وجهها دلائل الحنان والرأفة فلا بدَّ لنا من مشاركتها في عواطفها وشعورنا بوجود حالة فينا شبيهة بحالتها. وهكذا تكون حالتنا ايضاً مع غير العاقل. فاذا رأينا عصفوراً يغرد طرباً ويثب من غصن الى آخر تنشأ فينا على اثر ذلك حالة من المسرة شبيهة بحالة العصفور. وهذه الخاصية للطبيعة الانسانية تسمى انجذاباً قلبياً. وبعد ان اسهب سميث في تبيان الانجذاب وتعريفه بسرد الامثال قال ان هذا الانجذاب فينا قويٌّ لا يُغلب ومن شأنه ان يدفعنا الى مشاركة الغير في مسراتهم واحزانهم وسائر انفعالاتهم النفسانية وان سبب كل فعل ادبي عاطفة النفس وليس للعقل قيمة في ذاته الاَّ بقدر ما يستفز العاطفة من الانجذاب اليه او النفور عنه. فان جذبنا اليه كان حسناً وان نفرنا عنه كان قبيحاً. وانك اذا رأيت فعلاً حسناً جُذبتَ اليه وفي نفسك عاطفة الشكر للفاعل والرغبة في خيره والحكم له بالاستحقاق ويعكس الامر معك اذا رايتَ فعلاً قبيحاً فانك تنفر منه وفي نفسك عاطفة الامتهان للفاعل والرغبة في الاقتصاص منه. هذا هو مبدأ الاستحقاق وعدمه

ثم افترض ان رجلاً ابعدَ الى جزيرة مقفرة وقضيَ عليه ان يكون منفرداً بنفسه هناك لا يساكن انساناً ولا يعاشر مخلوقاً فيعيش ولا مبدأ ولا صورة في ذهنه للخير والشرّ والعدل

والظلم حيث لا ايحاء للنفس باشباه هذه المبادىء والصور ما لم ترَ اعمال الغير . فاننا لا نستدل في حكمنا الادبي من انفسنا على غيرنا بل من غيرنا على انفسنا . واذا لم يكن قد اتيح لنا من قبل ان نشاهد ونرى اعمال الغير فلا يتأتى لنا معرفة قيم الاعمال ولا ان نحكم على انفسنا في شيء . ولذلك قيل بوجوب اتحاد عواطف الانسان بعواطف غيره وان يتخذ من الاعمال ما تجذب اليه عواطف الآخرين

هذه خلاصة من اقوال من يجعل العواطف سبباً للآداب الا ان مبدأ الخير ولا مراء هو النظام الابدي والشريعة السامية والمبدا الكلي والقانون المطلق وهو ولا سواه المصدر الوحيد للافعال الادبية التي يترتب عليها سعادة المجتمع ورفاهه والاساس الوطيد لكل الفضائل السامية والاعمال الاثيلة التي تتفاخر بها الانسانية على مدى الايام

قلنا ان مبدأ الخير مبعث الاعمال الادبية ولا خلاف في ذلك . ايجوز في حكم العقل ان نجعل المنفعة مصدراً للآداب ومن خصائصها التبدل والاختصاص فتتغير بتغير الاحوال وتتكيف بتكيف الشؤون ولا تعرف التعميم والشمول فما ينفع الواحد يضر الآخر على حد قول القائل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فالجندي الباسل يتوق الى الحرب ويتطلع الى شبوب نارها حيث في ساحاتها الارتقاء السريع وبلوغ المراتب العالية بين ان التجار وارباب المهن يرون فيها الخسارة وكل الضرر . والاطباء يرومون كثرة المرضى لتدر عليهم الاموال وكذلك المحامون يسرهم خصام الناس وتنازعهم لينالوا الاصفر الرنان . وصاحب الملك تطيب نفسه لارتفاع قيم غلاته وآخرون يريدون هبوطها . فانىَّ لنا بجمع هذه المنافع المتباينة الى مبداء واحدٍ كلي شامل . وانىَّ يجوز لنا حسبان المنفعة مصدراً للاعمال الادبية وشأنها كما رأيت التبدل والاختصاص وان لا تستقر على وتيرة واحدة حتى في الانسان ذاته . فان ما يراه اليوم نافعاً له لا يلبث حتى يراه في الغد مضراً فيستحيل والحالة هذه صدور الاعمال الادبية عن غير مبداء كلي ثابت . وما احسن ما قاله في هذا الصدد الفيلسوف جول سيمون في كتاب الواجبات قال ما معناه « لا تكون الحياة شيئاً اذا لم تكن ذات نظام ولا نظام اذا لم يكن مستمراً ونحن احرار وذلك يكفي ان الله لم يمنحنا الدفة من غير ان يضيء لنا نجماً . ومهما يكن من امر ذلك النظام فهو واحد لا يتغير في مجرى الحياة ولا يكون في انسان خلاف ما هو في الآخر . وهو واحد ايضاً في كل مكان وزمان وفي منعةٍ عن ان تمسه عواصف الاهواء

وعوضاً عن ان يكون وقتياً متقلقلاً فهو مستحكم راسخ ابدي »

على ان بين مبداء الخير والمنفعة تفاوتاً بيّناً وفارقاً كبيراً وهذا التباين بينهما عرفه البشر يوم خرجوا من البداوة ونزلوا مرابع الحضارة . وحسبنا على ذلك دليلاً انهم منذ بدأوا يكتبون تواريخهم جعلوا يدونون فيها كل ما طرأ على مجتمعاتهم من الحوادث والشؤون وكل ما جال في اذهانهم من الخواطر والافكار . وانك اذا تصفحتها وجدتها ملآى بهذه الكلمات : الواجبات . الحق . العدل . المحبة . الرحمة . واشباهها من كل ما ينطوي تحت مبداء الخير ويدخل في دائرتهِ فضلاً عن ان هذه الكلمات موجودة في جميع لغات العالم حديثها وقديمها بذات المعنى المراد منها اليوم كما انه يوجد ايضاً فيها كلمات بمعنى المنفعة . والاثرة . والاهواء . الاَّ انهم لم ينزلوها منزلة الكلمات الاولى من التجلة والاعتبار وانما وضعوها في ذات الرتبة التي نضعها فيها اليوم وميزوها عن بعضها كما نميزها نحن تماماً . ولو لم يكن هذا الفارق موجوداً عندهم لاستحال على الاثينيين ان يفهموا كلام ارستيذس يوم خاطبهم قائلاً : ايها الاثينيون ثيموستكل ينصحكم ونصيحته تنطبق على منفعتكم لكنها تضاد العدل

واذا استنطقنا التاريخ قصّ علينا ان عدداً كثيراً من الرجال الافاضل بلغوا المكانة العليا من اكرام مواطنيهم والسدة الشماء من اعتبار قومهم لا لشرف منبتهم وواسع ثروتهم وبسطة جاههم لكن لآداب باذخة وفضائل سامية . وكم في محفوظ التاريخ من نبإ عن رجال الانسانية الذين لم تأخذهم في جانب الواجب منفعة ولم يشغلهم عنه هوىً بل افتدوا الواجب بدمٍ كريم لا يباع ولا يُشرى . هاك سقراط يوم حكم عليه المجلس الاثيني بالقتل فانه رضي بالموت في سبيل الحق عن ان يخون ضميره فشرب السم الزعاف وراح شهيداً لادب البحت . سلني عن شهداء المسيحية وما فعل بهم نيرون صاحب رومة وسواه من الظلمة العتاة وكيف سيقوا الى السجون ظلماً وعدواناً واخذوا بالسيف ودُفعوا لانياب الكواسر لتنهش اجسادهم وهم راضون يؤثرون العذاب على الجهر بغير ما يعتقدون . وكم رأينا من فئةٍ ترفعت الى مقام الحق الاعلى فلم ترَ غير الحق والواجب وتلك الفئة لم تخلُ منها امة من الامم ولا مرَّ زمن على مكانٍ من الارض لم يكن حافلاً بنفر كرام . وان كنتَ في ريب فسل التاريخ كم نشر في طياته عن الابطال الذين ذهبوا فداءً اما عن وطنهم او حريتهم او العدل او الرحمة او الصداقة او اشباه هذه المبادئ الجليلة

فلتقل لنا المنفعة ما هي تلك القوة العظيمة المودعة في هاتيك النفوس الطاهرة التي ذهبت ضحيةً على مذبح الحق والواجب ؟ ولتقل لنا ايضاً ما الذي جعل رجال الانسانية وابطالها

النبلاء في اعلى مكان من احترام الناس واعتبارهم وما الذي خلد ذكرهم في الالسنة مقرونًا بالاعجاب والتجلة على ترامي الاحقاب ومر الاجيال ؟ هنا نرى المنفعة قد تولاها العي وعراها الحصر ولبثت وستلبث صامتةً ليس فقط بازاء الوجدان الشخصي بل تجاه وجدان النوع الانساني المعلن في التاريخ

وما يُقال في المنفعة وبُعدها عن ان تكون مصدرًا للآداب يقال اكثر في العواطف لانها ابعد مسافة من محجة الصواب . على اننا لا نحتاج في دحضها للادلة الكثيرة لانه بمجرّد النظر في طبيعتها يتضح للباحث عدم اقتدارها لان تكون اساسًا للصواب والحق . ذلك لان من خصائص الاميال والاهواء التغير والاختلاف وانها اذا تُركت لذاتها قام التنازع بينها وصيرت الانسان في حالةٍ لا يستطيع معها الجزم في امرٍ . ومن صفاتها المميزة لها ان تكون شخصية وتابعة لاحوال الزمان والمكان والجنس والمزاج . فهل يصحُّ في الافهام حسبان العواطف وهي على الشكل المذكور بديلاً من مبداء كلي مطلق راسخ

واغرب من ذلك ما ذهب اليه سميث في معرفة الخير والشرّ والاستحقاق وعدمه مما مرّ بنا الكلام عليه . فكل منا يعرف ان الانسان اذا اراد الحكم على فعلٍ ادبي بعدلٍ مقرون بالتدقيق وجب عليه ان يتنزه عن كل ميل ويتجرّد من كل عاطفةٍ حتى يصدر حكمه مطابقًا للعدلِ والصواب . فكيف يجوز والحالة هذه ان نتخذ عواطفنا حكمًا في الافعال ومميزًا بين صالحها وطالحها

هذه لمعة من آراء جهابذة الفلاسفة في مصدر الآداب ذكرناها اختصارًا . على ان من تتبع الاسهاب في كلامهم وامعن النظر في ادلتهم الكثيرة يرى ان مذهب القائلين بمبداء الخير (او الضمير او الواجب) اقرب من غيره الى الصواب . والله اعلم



اقتراحات الجامعة

الاحلام وصدقها ــ المداهنة والمداراة

رأينا في كثيرين من القراء والادباء ميلاً الى الكتابة في الجامعة وقد كثرت لدينا رسائلهم في مواضيع مختلفة فكنا نضطر الى ان نضرب صفحاً عن نشرها لانه لا يمكننا ان ننشر في الجامعة الا ما نرى وجوب نشره فيها . ولكنا رغبة في ارضاء محبي الكتابة وجدنا طريقة تحلُّ هذه المشكلة التي تكون في بعض الاحيان مشكلة حقيقية . **وهي ان تعين المجلة نفسها المواضيع التي تقبل الرسائل فيها بطريقة اقتراحات تقترحها**

وهناك امر آخر وهو ان بعض الادباء والقراء **يروقهم كثيراً باب الاسئلة والاجوبة** وقد طلبوا ذلك غير مرة . ووردنا في هذا الشهر اربع رسائل يطلب اصحابها فتح هذا الباب في الجامعة . فرأينا ان نجيبهم الى ذلك ايضاً . وسنعود الى فتح هذا الباب في الجزء القادم

اما اقتراحات هذا الجزء فهي ما اقترحناه في الجزء السابق بشأن « صدق الاحلام » « والمداراة والمداهنة في الاجتماع » وهما مبحثان اقرب الى الفكاهة منهما الى الفائدة . وقد وردتنا اجوبة عديدة ننشر بعضها

١

الاحلام وصدقها

حضرة الفاضل منشىء مجلة الجامعة

قرأت في باب الاخبار العلمية من العدد الاخير من الجامعة ما كتبتموه عن الاحلام وقد اقترحتم على قرائها ان يرسلوا اليكم كل ما يعرفونه عن صدق الاحلام . فها انا اورد للجامعة ما سمعته من امي عن بعض احلام رأتها وصدقت . ولو اني لست من مشتركي الجامعة بل احد العشرة الذين يلتفون حول المشترك ليقرؤا الجزء . قالت امي . انها لما كانت في سن الشباب كانت ترى الزائرين في الحلم قبل زيارتهم للمنزل فكانت تنظف البيت وترتبه استعداداً لهم وقد كانت احلامها دائماً تتحقق . منها انها حلمت مرة انها واقفة داخل حمام وبلاط الحمام حامٍ للغاية فاحترقت قدماها من حرارته ثم احست ان رأسها احترق ايضاً

وكان لهيب النار يخرج منه · فوضعت يدها على رأسها وصرخت لعدم استطاعتها احتمال هذه الحرارة · وقد استفسرت بعض العارفين بتفسير الاحلام فاخبرها بقرب وفاة زوجها· ولم تمضِ مدة حتى تحقق هذا الحلم · فكأَن العناية الالهية قبل وقوع المصائب على بني البشر تخبرهم عنها بواسطة الاحلام حتى يستعدوا لها ويحتملوا جزءًا من المصاب قبل وقوعه والجزء الاخير عند وقوعه · ليت شعري هل ابخرة المعدة وتصورات الخيال تاتي باحلام كهذه الاحلام · اننا نعرف ان رأس المرأَة هو رجلها وامي رأَت رأسها يشتعل باللهيب الخارج منه واستدل المفسر من ذلك على قرب وفاة زوجها فصدق · اوهل رؤْية الزائرين قبل اتيانهم الى المنزل وتحقق ذلك في اليقظة تأْتيه ابخرة المعدة وتصورات الخيال · ان ذلك اكبر دليل على صدق الاحلام وان تحت ذيلها علماً واسعاً يحتاج الى البحث والتدقيق · ولعلنا نصل يوماً الى هذا العلم

اما اعتقادي في الاحلام فهو ان الله بحكمته الازلية قد وضع للبشر واسطة يعرّفهم بها ارادته سواءٌ كانت ارادته فعل شيء او وقوع مصيبة · وهذه الواسطة هي الاحلام · ثم اذا سئلت وكيف نقدر نفسر هذه الاحلام لنعرف ارادته عزَّ وجلَّ فاجيب نفسرها بواسطة مقارنة الحلم مع الاحوال · مثال ذلك اذا حلم انسان انه وجد خاتماً فيراقب الاحوال التي تحدث ويكتبها في مذكرة معه فربما تكون احدى هذه الاحوال حضوره عرساً · ثم اذا حلم بالخاتم مرة ثانية وحضر عرساً ايضاً فيتأَكد ان رؤْية الخاتم تنبئ بحدوث عرس · وبهذه الطريقة يمكننا تفسيرها · هذا واني لا اريد ان يفوت الجامعة معرفة ما كان يكسبني اعتقادي هذا من اللذة في بعض الاوقات فقد سبق وقلت انني اعتقد انها الواسطة لمعرفة ارادة الله · فاذًا بها يعرف الانسان اشياء عن مستقبله · فتراني في بعض الاوقات عند ذهابي الى الفراش والقاء رأْسي على الوسادة اتلذذ كثيرًا ويمتلئ قلبي فرحاً لافتكاري باني سأحلم احلاماً تريني ارادة الله واشياء عن مستقبلي · هذا هو اعتقادي بالاحلام وهذه هي اللذة التي اكسبني اياها اعتقادي · واني اظن ان كل من يعتقد اعتقادي ينتظر ان يعمَّ هذا الاعتقاد حتى يصير عالمنا الارضي اشد ارتباطاً بالعالم السماوي وبموجده الاقدس بواسطة معرفة ارادته

الاسكندرية　　　　جبران صفره

حضرة الفاضل منشىء الجامعة الغراء

اقترحتم في العدد الماضي على القراء ان يرسلوا للجامعة كل ما يعرفونه من قبيل صدق

الاحلام « سواء كانوا هم الذين را وها ام كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم » وقد جال في خاطري ان ارسل للجامعة شيئاً من ذلك على سبيل الفكاهة فاقول

اخبرني صديق لي ذات يوم بينما كنا نتحدث في موضوع (صدق الاحلام وكذبها) قال : قالت لي امي في يوم ما . حلمت حلماً لم ازل اردده في ضميري بخوف وارتياب وقصته عليَّ فقالت : را أيت على حائط البيت رفاً عالياً قليلاً ثم نظرت فوجدت على الرف ثلاث بكرات من الخيط الابيض كل واحدة منهن اكبر من الاخرى فمددت يدي لاخذهن فمسكت البكرة الكبرى وكانت هي الاولى ثم مددت يدي ثانية فاخذت البكرة الوسطى وكانت تليها ثم تطاولت لاخذ البكرة الثالثة وكانت تليهما فلم اتمكن من اخذها وقد حاولت مراراً فلم اتمكن واخيراً امسكت بطرف خيط البكرة وجعلت اسحبه قليلاً حتى انقطع ففزعت من ذلك وقمت من نومي مرعوبة استغفر الله . قال الصديق وكنا ثلاثة اخوة فلم يمض زمن قليل حتى مرض اخي الاصغر ومات . اقول ذلك وانا متأكد صدق الاحلام ان لم يكن كلها فبعضها وان لم يظهر صدقها في الحال ففي الاستقبال

طنطا راوٍ

حضرة الفاضل منشىء مجلة الجامعة

اقترحتم في العدد الاول من السنة الرابعة للجامعة البهية على حضرات قرائها الكرام ان يرسلوا اليها كل ما يعرفونه من قبيل صحة الاحلام سواء كانت حدثت لهم او لاحد اصدقائهم وقد حدا بي اقتراحكم هذا الى ان ابعث للجامعة بالحلم الآتي تفكهة . فاقول

حلمتُ في احدى الليالي ان احد اصحابي دعاني الى ليلة انس في منزله فلبيتُ الدعوة شاكراً . ولما ذهبت الى منزله جلست مع الجالسين . ومن عادتي انني لا ادخل منزلاً الاَّ وارفع طربوشي عن رأسي واضعه امامي . وبعد ان استقرَّ بي المقام رفعتُ الطربوش ووضعته امامي ومكثت جالساً الى انتهاء السهرة . وبعد ان خرج المدعوون نهضت على الاثر طالباً للخروج . فصافحت الداعي بعد ان شكرته على دعوته اياي وذهبتُ تواً حيث كنت جالساً لاتناول طربوشي واذهب . ولكني لم اجد طربوشي . فصرت اخطر في منزل الداعي ذهاباً واياباً فما كنت اهتدي اليه . وبعد ان اعياني التفتيش والانتظار معاً صحت في وجه صاحب المنزل : اين طربوشي . اريد طربوشي . فما شعرتُ الاَّ وابن اخي يقول لي : قُمْ ياعماه . صارت الساعة الثامنة . فانتبهت من النوم مذعوراً وقلت له : اين الطربوش .

فاجابني ان اخي اخذه وتوجه الى المدرسة . وهنا لا اقدر ان اصف عظيم الدهشة التي اعترتني عندما سمعت هذه الكلمة

الاسكندرية توفيق

حضرة الفاضل منشىء الجامعة

لست ممن يصدقون الاحلام ولكنني مع ذلك تعروني الدهشة من بعضها وارى فيها رمزًا الى الحياة . وانا اروي حلمين من هذا القبيل واضمن صدق الرواية . من ذلك ان تاجرًا كان يشتغل بتجارة فابتاع شيئًا كثيرًا من البضائع وفي آخر يوم من الاستبضاع خطر له وهو على فراش النوم ان يعرف المبلغ الذي انفقه والقيمة التي بقيت معه . ولكنه كان نعسان فقال في نفسه انني اعمل هذا الحساب في الصباح . ففي الصباح انتبه من النوم وهو يفتكر انه بقي معه ٢٧ جنيهًا . ثم قوي فكره هذا فقام الى صندوقه وعدّ المال الباقي معه فوجده ٢٧ جنيهًا تمامًا

وقد قص هذا الحلم على احد اصدقائه فاجابه ان القوة العاقلة في دماغه احصت في الليل على غير علم منه قيمة المال الذي انفقه على شراء البضائع وطرحته من راسماله واستخرجت الباقي . فهذا اذًا حلمٌ معقول طبيعي . وكثيرون من الرياضيين والعلماء يجدون في الرقاد حلّ المسائل والمشاكل التي يناموون وهم يفكّرون فيها . حتى ان بعضهم قد ينهض من فراشه ويكتب ذلك الحلّ ثم ينام . وفي الصباح ينهض دون ان يذكر شيئًا مما جرى لو لم يرَ الحلّ على مائدته

والحلم الثاني ان صديقًا خارج مصر في اثناء حدوث الهواء الاصفر فيها كتب اليه يقول له : نظرتك امس في الحلم مرشوقًا بسهم قوي فاصابك دون ان يضرك . فما تفسير هذا . وكان هذا الصديق المرشوق بالسهم قد اصابه في نفس ذلك اليوم تقريبًا اسهال شديد الزمه الفراش وخيف ان يتحول الى كوليرا ولم يذهب الا بدواء الكوليرا نفسه

واني لست ممن يستحسنون الخوض في هذا البحث لانه يزيد اعتقاد الناس بصحة الاحلام وهذا امر يضرهم لانهم كثيرًا ما يعملون بموجبها فيكونون كأنهم يضعون زمام حياتهم في ايدي خيالات الليل . ولا ريب عندي ان هذا الامر غير مقصور على البسطاء بل هو يتناول جميع الناس من بعض الوجوه . مثال ذلك ان زيدًا صديق لبكر . ففي احدى الليالي يحلم ان بكرًا اوقع فيه اذية شديدة لا تدوم معها صداقة مهما كانت قوية وخالصة .

فينزعج زيد اشد انزعاج . وهو ينهض من النوم ويرى بكرًا صديقه ويعلم ان تلك الاذية لا وجود لها ومع ذلك كله يبقى في نفسه شيء من النفور من بكر . فكأن الصداقة القديمة قد خُدشت من احد جوانبها . وهذا كله من اجل حلم . فلا ريب ان العلم اذا تمكن في المستقبل من جعل الانسان يحلم احلامًا محبّبة او احلامًا مكرّهة فانه يقبض بذلك على عواطف الانسان ويوجهها حينئذٍ حيث يريد . ولا يعود الحب والنفور امرين طبيعيين واضطراريين في بعض الاحيان بل يصيران امرين صناعيين

وبناءً على ذلك فقد تحوّلت الآن مسألة الاحلام عن وجهها . فلم يعد البحث في صدقها وصحتها فان هذا حديث خرافة ولكن صار البحث في تأثيرها على عواطف الانسان وهذا امر لا ينكره انسان الاسكندرية احد القراء

٢

المداهنة والمداراة

اما الاقتراح الثاني « المداهنة والتمليق والتزلف والمداراة » فنكتفي منه برسالتين اولاها لحضرة الشاعر الناثر صاحب التوقيع وهذا نصها

« لا شيء ابغض الى نفس المرء واثقل على طبعه مهما كانت مرتبته من الضعة من اظهار غير ما يضمر واعلان نقيض ما يسر . فالتملق وما جرى مجراه ليس بالسهل على النفس الى حد ان تتصاغر معه امام الوجدان والحقيقة وتخالف باستشعاره ما رسخ فيها من اعتقاد وثبت من يقين . فالمتزلف على ما اصطلح القوم (او المتملق او المداهن) انما يأتي هذه النقائص مدفوعًا اليها بما يراه من تكلفها بجلب ما يسرّه من خير ودفع ما يسوءه من شرّ وضير . وقد تسامحوا في الكذب اذا انجى من مكروه وهو اشدّ آفات الفضيلة واعدى اعدائها وحسبك من تقبيح الكذب والحطّ من قدر الكاذب انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (أيكون المؤمن جبانًا قال نعم قيل أفيكون بخيلاً قال نعم قيل أفيكون كذابًا قال لا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان الكذب يهدي الى الفجور وان الرجل ليكذب — اي مرة بعد مرة — حتى يُكتب عند الله كذابًا)

وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يابني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وانما يدل على عيبه . ويتعرض للعقاب من ربه . فالآثام له عادة . والاخبار عنه متضادّة . ان قال حقًا لم يُصدّق . وان اراد خيرًا لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله . والدال على فضيحته بمقاله . فما صحّ من صدقه نُسب الى غيره . وما صحّ من كذب غيره نُسب اليه

تسامحوا في الكذب وهذا مكانه من الضعة ومحل المهانة اذا خيف ان يجرّ الصدق شرًّا او يجلب ضرًّا وهذا الراجز يقول

ورقّع الخرق بلطفٍ واجتهدْ   وامكر اذا لم ينفع الصدق وكدْ

وانك لو قلت له كيف عميَ عليك وجه الصواب فوضعتَ المكر موضع الكذب وما هما من الاضداد لقال ما بي من خطاء ولكني كرهت ذكر هذه النقيصة التي لا يستعذب ذكرها اللسان ولا يسيغ اسمها ذوق انسان · فيا عجبًا للناس يستعظمون القول ويستصغرون الفعل · واشد من هذا ما قاله بعد

الشهم من يُصلح امر نفسهِ   ولو بقتل خله او عرسهِ
فانّ من يقصد قلع ضرسهِ   لم يعتمد الاّ صلاح نفسهِ

ويا لله من ذلك الصلاح المعكوس · ماذا يجب ان يُقال عن هذا الراجز وقد وضع ارجوزته لتهذيب الاخلاق وتقويم الطباع · وظن انها من اكبر واشرف وسائل الاستفادة والانتفاع · مَن احق باللوم هو ام الحريري الذي اخذ عليه بعض كتّاب العصر قوله في احدى مقاماته

عشْ بالخداع فانتَ في   دهرٍ بنوه كأُسد بيشه
وأَدِرْ قناة المكر حتى   تستدير رحى المعيشه

واظن ذلك الآخذ او المؤاخذ لو وجد في المجال سعة لزاد في الحطّ من قدر صاحب المقامات بايراد قوله :

يا ليتَ شعري أَدهري   احاطَ علمًا بقدري
وهل درى كنه غوري   في الخدع ام ليس يدري
كمْ قد قمرت بنيهِ   بحيلتي وبمكري
وكمْ برزت بعرفٍ   عليهم وبنكرِ
اصطاد قومًا بوعظٍ   وآخرين بشعرِ

الى ان يقول :

ولو سلكت سبيلاً   مألوفة طول عمري
لخابَ قِدحي وقدحي   ودامَ عسري وخسري

لاي شيء نلوم الحريري اذا قال اكثر من هذا وهو انما وضع مقاماته في قالب خيالي وفكاهي معًا ومثل هذا المقال انما جاء على لسان (بطل المقامات) المعروف الذي طالما عنفه

الحريري لتوخي هذا المسلك وانتهاج ذلك السبيل . أمن الانصاف ان نذكر للحريري تلك المساوىء الخيالية ونغمض الجفن عن مثل قوله في نفس المقامات

واذا مطلبٌ كسا حلة العا ... رِ فبُعداً لمن يروم نجازه
ومتى اهتزَّ للدناءة نكسٌ ... عافَ طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ ... من ركوب الخنى ركوب الجنازه

لا جرم ان الراجز احقُّ بالملامة واَولى بالمعتبة . على اننا لو تدبرنا الامر رأينا انهُ قد جرى على سنَّة العقلاء فامر بما يستطاع رجاء ان يُطاع ـ نقول ذلك عنهُ ونعلم انهُ لو بُعث فنوقش الحساب على قوله لما اجابنا بغير هذا الجواب ولا عمد الى سواه في دفع اللوم او العتاب . على اننا ندعهُ في حفرته آمناً مطمئناً ونقبل على ما كنا فيه فنقول ان التملق والمداهنة من ضروريات هذا الاجتماع الذي يخطىء من يقول انه قائم على اساس الحقيقة او دعامة الفضيلة اذ لو كان كذلك لما كان للناس من حاجة الى تينك الخلتين الذميمتين ورحم الله القائل :

ظهرَ الكذب في الورى والنفاقُ ... فلسوق النفاق فيهم نفاقُ

ولقد يحضرنا الشيء الكثير من اقوال المتقدمين التي تجول فيها روح التملق والمداهنة وزعموا انها في معنى المداراة والمسالمة فمن ذلك قول بعضهم

كنْ مع الناس كيف كانوا ووافقْ ... انَّ من لا يوافق الناس مائقْ

اي روح يرى القارئ في هذا البيت وأيُّ حكم يطلق عليهِ بل بأي عين ينظر الى قول الآخر

من يحمد الناسَ يحمدوه ... والناسُ من عابهم يُعابُ

أليس في ذلك صورة من صور المداهنة المرذولة ؟ بل أليس هذا القول مبدأها المتين واساسها المكين . ومثله قول الشاعر

عظّم الناس تنل تعظيمهم ... واجتنب تحقيرهم فهو الردى

ما معنى هذا التعظيم المطلق والانذار المخيف . وايُّ علاقة بين المداراة وهذا القول الملقى على عاهنه . كيف اعظّم من لا ارى التعظيم من حقه . واي نفع لي في ان يعظّمني من لا يعرف معنى العظمة الحقيقية التي لا تصدر الا عن الفضيلة ولا تكون حقاً لغير الفضلاء . ألم يكن يكفي القوم في الحضّ على المداراة ما قال قائلهم واصاب

اصبر على خلق من تعاشره ... ودارهِ فاللبيب من دارى

لا ندري ماهذا الخلط من الناس (وما اشبه المتقدمين بالمتأخرين) بين المداراة والمداهنة على شدة تنافيهما واختلاف امريهما . ومتى صح ان يكون الحزم والنفاق سيين . وحسن الرأي والغش اخوين . لا احسبني في حاجة الى ايراد ما قيل في النفاق والغش من اقوال الانبياء والحكماء ولا ما جاء في المداراة والمسالمة . وكفى ان اذكر عن الشطر الثاني قول النبي العربي صلى الله عليه وسلم « أُمرت بمداراة الناس كما امرت باداء الفرائض » . وقد رأيت العلاَّمة الطرطوشي يقول في كتابه سراج الملوك (من دارى سلم ، ومن داهن اثم ،) وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون الى ان يقول « واعلم انه اذا سقمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة « ان توافق الناس على وجه يذهب فيه دينك » والمداراة « مخالفتهم على وجه يسلم معه دينك » ـ هكذا يقول هذا العلاَّمة وهو قول من الصواب بمكان ويعجبني في المداراة والمصانعة قول احد الاعراب

اكاشح اقواماً على سرّ بغضةٍ … واضحك في وجه العدوّ المكاشر
اريه كذا كم ما اريه واتقي … به في غدٍ خوف الجدود العواثر
كلانا يرى ان ليس في الصدر ريبة … على حنقٍ بين الشزا سيف واغر

وكيفما كان الفرق بين المداراة والمداهنة فان كلمة الحق مُرة في الاذواق ثقيلة على الاسماع وقد كان يقال : من قلّ صدقه قلّ صديقه . اما الان فقد انعكست الحال فاصبح الصدق مجلبة العداوة ومدرجة الجفاء والقطيعة . فمن لك في الناس بمن ان قلت له اخطأت عمد الى اصلاح خطأه شاكرًا لك صنيعك ـ مَن لك بمن يرى الصديق والصداقة بعين ذلك القائل :

صاحب صديقك ما بدالك نصحه … فاذا ارابك غشه فتحوّلِ

مَن لك بمن يفهم ان النصيحة روح الصداقة وان الغش من حقه ان يكون داعية العداوة ولقد كنت في عهد حداثتي الوم العلامة الطويراني لقوله في رسائله (النسر الدهري)

واني ان اداهن او اداهي … فتلك سجية البشر الوضيعِ
بها قامت مصالح كل حيٍّ … فتمّ نظام عالَمنا البديعِ

اما اليوم فلا لوم اذ وضح السبيل وبدا الدليل . وان من يريد انتزاع تلك النقائص من النفوس لكمن يقاوم الطبيعة ويدافع الاقدار واني لاسمع المعرّي يناديه من جانب حفرته ببعض ما يؤثر من حكمته

اردت تهذيب هذا الخلق من دنسٍ … والله ما شاء للاقوام تهذيبا

الدلنجات … احمد محرم

وهذه الرسالة الثانية

« اذا كان الغرض من اقتراح الجامعة معرفة هل يمكن ان يعيش الانسان من غير مداهنة وتزلف وتمليق فالجواب سهل . وهو نعم ان ذلك ممكن . وهذا امر لا ينكره احد . ولكن اذا كان الغرض معرفة هل يعيش الانسان في هذه الحياة « وينجح » فيها من غير تزلف ولا مداهنة وتمليق فقد صار الجواب عن ذلك صعباً

انني ارى ان فوق مبداء النجاح في الارض مبدأين اشرف واسمى . وهما مبدأ الادب المحض ومبدأ الاصلاح في الارض . وهذا المبدأ (الاصلاح) لو بني على التزلف والتمليق والمداهنة والمداراة لما رسخ في الارض شيء نافع ولما قدر الرسل والانبياء ان يصنعوا شيئاً . فالجنس البشري في الارض اذا كان يتقدم ويسير الى امام فانما يتقدم باصحاب المبادىء الذين يعملون بمبادئهم حرفاً ومعنىً دون ان يتساهلوا فيها . اما التمليق والمداهنة والمداراة والتزلف فهي مما يسهّل معاملات البشر ويجرّ لهم المنافع ولكنه لا يقدّم الافكار والعقول خطوة واحدة

وليس المراد بذلك ان يتصلّب كل صاحب مبداء في مبداءه ويحمل سيفاً ليدافع به عنه . فان هذا يُدعى خشونة وقلة ادب لا فضيلة وادباً . وانما المقصود ان لا يتساهل صاحب المبداء في شيء من مبادئه ويبقى مع ذلك هادئاً راسخاً باشاً مسالماً لان المبادىء لا يليق بها غير الهدوء والرسوخ والبشاشة والمسالمة . وهذا هو التساهل الذي يشير به الحكماء لا التنازل عن المبداء او ستره او انكاره طلباً للفائدة

وبناء على ذلك يكون الحد الذي يمكن للانسان التساهل عنده ولا سيما في معترك الحياة ومزاحماتها هو جعل مصلحة غيره مقياساً لتساهله لا مصلحة نفسه . اي انه اذا وجب عليه ان يداري دارى لا طلباً لنفعه الخاص بل فراراً من ان يسيء الى سواه . والبعد بين الامرين كالبعد بين الارض والسماء » « مشترك »

اقتراحات للجزء القادم هذا ما نشرناه في اقتراحات هذا الجزء اما الاقتراحات التي تقبل الجامعة الرسائل فيها للجزء القادم فهي التالية « هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل . وكم هي المدة اللازمة لذلك . وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان التعليم على الطريقة الحاضرة . واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهم وجوه هذا الاصلاح » ـ ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الاهمية ليس في مصر فقط بل في جميع بلاد الشرق

السماء والارض والانسان

رأي جديد غريب لرفيق درون

من المشهور ان رجال الدين في اوربا وفي كل مكان قد قاوموا الاعتقاد بكروية الارض ودورانها مقاومة شديدة . ولم تكن تلك المقاومة منهم عن جهل او عن مقاومة للعلم بل عن خوف من ان يهدم هذا الاعتقاد شيئاً من معتقدات البسطاء ويجرّ الانسان الى التصاغر والسأآمة من الحياة . فقد كان من الشائع في الزمن القديم (دينياً وفلكياً) ان الارض هذه هي مركز الكائنات وان الكون كله قد خُلق من اجلها ومن اجل الانسان ساكنها . وهذا الانسان هو سيد المخلوقات وسلطانها لانه ارقاها كلها . واما الاعتقاد بكروية الارض ودورانها حول الشمس فانه يجعل هذا العالم بمثابة قبضة من التراب سابحة في الفضاء مع ملايين غيرها من قبضات اكبر منها والانسان يعيش عليها كالديدان على برتقالة في شجرة . وعلى ذلك لا يعود للخالق سبحانه وتعالى عناية خصوصية بهذا الانسان و بارضه اذ مثله ومثلها كثير في الفضاء الابدي . هذا فضلاً عن ان الحياة والعالم يصغران حينئذٍ في عيني الانسان العاقل ويرى كل شيء كبير في هذه الارض صغيراً حقيراً بالنسبة الى عوالم الابدية التي يراها فوق راسه في قبة السماء كانها نقط صفراء في صحيفة زرقاء

وكما ان كتاب كوبرنيك الذي ظهر في عام ١٥٤٣ قد احدث انقلاباً عظيماً في علم الفلك لانه اثبت ان ارضنا هذه ليست مركزاً للعالم بل هي سيارة تدور حول الشمس كسائر السيارات فان المستر ارثر ولس العالم الطبيعي الانكليزي يرى اليوم رأياً جديداً سيحدث انقلاباً عظيماً في هذا الشأن اذا كان صحيحاً

﴿ مقام صاحب الرأي ﴾ وقد نشر المستر ولس رأيه هذا في « فورنيتلي رفيو » وهي مجلة انكليزية من افضل المجلات وعنوان مقالته فيها « مرتبة الانسان من الكون » ولكن قبل ان نلخص رأيه يجب ان نذكر شيئاً عن هذا العالِم للدلالة على مقامه العلمي في قومه

كان المستر ولس رفيقاً لدرون العالم الطبيعي المشهور وهو واضع مبداء « تنازع البقاء » وسابق درو ين الى مبداء « الارتقاء والتحوّل والاختيار الطبيعي » . ولذلك نادرة لا يخلو ذكرها من فائدة . فان درون صرف عشرين سنة وهو يبحث في هذا المبداء حتى اثبته

فلما اطلع السير دافيد ليل عليهِ حثه على نشره بين العلماء · فاخذ دروين يشتغل بكتابه · ففي ١٨ يونيو من عام ١٨٥٨ بينما كان دروين قد فرغ من نصف عمله ورده كراس من المستر واس مقرون بكتاب منه يسأَلهُ فيه ان يُطالع هذا الكراس واذا وافق على ما فيه فليدفعه الى السر دافيد ليل ليطبع وينشر · وكان دروين لم يلتقِ بالمستر ولس الاَّ مرة واحدة · وكان عمر المستر ولس يومئذ ٣٥ سنة وعمر دروين ٥٠ سنة · فطالع دروين هذا الكراس فوجد ان مؤَلفه قد اثبت فيه ذات المبداء الذي مرَّ عليه هو عشرون سنة وهو يبحث فيه · فاتفقا حينئذ ونشرا مبداءهما في مقالة واحدة وقعا عليها معاً · وكان اكتشاف دروين نتيجة بحث طويل وصبر شديد لانه لم يتوصل اليه الا بعد التنقيب والملاحظة عشرين سنة · وكان اكتشاف واس نتيجة وحي عقلي وقد كتبه في ثلاث ليالٍ · وهذا خير مثال لنوعيْ العقل البشري في النوابغ ودليل لا يُنقض على صحة توارد الخواطر · ولكن لا عجب في هذا التوارد لان كلاً من دروين وولس قد انتبه الى هذا المبداء من مطالعته كتاب ملتوس الاقتصادي الانكليزي في الشعوب والقبائل

الراْي هذا هو المستر ولس صاحب الراْي الجديد الذي نحن الآن في صدده · وهو اليوم شيخ جليل في نحو الثمانين من عمره · وبعد هذا الايضاح ننتقل الى راْيه

واذا كان راْيه السابق في التحوّل والارتقاء الحيواني قد صدم الكتب الدينية صدمة شديدة لانه يُرجع اصل الانسان الى الحيوان فان راْيه الجديد يؤَيد الكتب الدينية تاْييداً يُسرُّ به اهل المذاهب والاديان · ذلك انه يقول اننا نحن الآن ساكنون على الارض في مركز الكون كله خلافاً لاعتقاد العلماء باننا ذرة طائرة في الفضاء مثل باقي الذرات · فمرتبتنا في الخليقة مرتبة مستثناة ممتازة وربما لم يكن في فضاء الابدية كله حالة كحالتنا · وفضلاً عن ذلك فانه يعتقد ان الغرض من وجود كل هذه العوالم والاجرام الواسعة هو ايجاد نفوس حية في ابدان البشر الفانية وترقية هذه النفوس

ولكن بماذا يؤَيد المؤَلف اعتقاده باننا في مركز الكون ؟

يؤَيد اعتقاده بادلة فلكية واليك خلاصتها

يقول ان عدد النجوم التي تُكتشف قد اخذ بالتناقص مع ان النظارات المكبرة تزداد اتقاناً شيئاً فشيئاً · فهذا دليل على ان عدد النجوم الغير المنظورة اقل مما يظنه العلماء وان الفضاء السماوي المجهول يكاد يكون خالياً · وزد على ذلك ان صور السماء الفوتوغرافية ونواميس

النور وتجارب المستر نيو كومب فيها - كلها تدل على ان الشموس عددها محدود في الفضاء

وقد ثبت لدينا ان هذه النجوم ليست كلها ثوابت فان لا كثرها ان لم نقل كلها «حركة ذاتية» . وليس اقرب هذه النجوم الينا اشدها سطعاناًواشراقاً كما هو الشائع بل اقربها الينا تلك التي حركتها الذاتية اسرع من حركة غيرها في نظرنا

وهذه النجوم التي هي اقرب النجوم الينا ليست تجتمعة في جانب واحد في الفضاء على جوانب المجرّة (طريق التبانه عند العوام) او في جانب آخر بل هي منتشرة في جميع انحاء الفضاء السماوي . وهي منتشرة هذا الانتشار بشكل كروي اذ لو لم يكن شكلها كروياً لما كان لانتشارها ما له من الانتظام . ومرتبة الارض من هذه النجوم القريبة منا هي في الوسط اي اننا نحن في وسط مجموعها الكروي

ثم ان المجرّة (طريق التبانة) تشرف على اكثرية النجوم في الفضاء لان هذه النجوم متجمعة على جوانبها . وقد اقام هرشل الدليل على ان هذه المجرّة هي عبارة عن دائرة في الفضاء بالنظر الينا . فنحن «يجب» ان نكون في وسط هذه الدائرة ولولا ذلك لما امكننا ان نرى انها دائرة . فنحن اذاً والنظام الشمسي في وسط مجموع النجوم القريبة منا . وهذا المجموع الكروي هو وايانا في وسط دائرة المجرة وحواليها النجوم المختلفة . وبناء على ذلك نكون نحن في وسط الكون وما وراء تلك الحدود خلاء وفضاء لا شيء فيه

ثم ان مرتبة الارض من النظام الشمسي مرتبة ممتازة ايضاً وهي المرتبة المتوسطة التي يمكن وجود الحياة فيها . فعلى ذلك يكون الانسان غرض هذه الاكوان كلها ولا يكون للحياة اثر في غير هذه الارض

هذا هو رأي المستر ولس الجديد الذي اقام اهل العلم واقعدهم في هذين الشهرين . وهو رأي جميل لانه يعيد الى الانسان كبرياءه وعظمته البشرية وان كان يحرمه لذة الامل في ان يكون له في العوالم السماوية اخوان من بني الانسان ارقى من انسانية الارض وابعد منها عن الشرور والمصائب المختلفة



ابن ملك في شوارع مصر

(قصة)

زارت مصر في هذه الاثناء احدى ملكات اوروبا وبعد ان شاهدت مع ولديها الآثار المصرية الفخيمة والمباني الجميلة عادت من سياحتها في النيل مرتاحة الى ما رأته من عظمة مصر الماضية وتقدمها الحالي في حلبة العمران شيئاً فشيئاً . ولكن احد ولديها قال لها بعد عودتها : لقد بهرت عيني يا اماه مما شاهدتُ من محاسن مصر وآثارها العظيمة . وانا مسرور من هذه السياحة . ولكني لا اكتمكِ انني لا احسب نفسي شاهدت كل ما اريد مشاهدته في مصر الآن اذا نزلت الى شوارع مدنها وطفت بنفسي بين احيائها لارى الحياة الحقيقية فيها . فان ما رأيناه اكثره من ظواهر مصر خصوصاً مصر الماضية

وليس يُستكبر على ابناء الملوك ايا كان سنهم ان يلاحظوا هذه الملاحظة المهمة فان عقولهم منذ الصغر تُدرَّب تدريباً خصوصياً لتعدَّ لوظيفتها الخطيرة . فاذنت لفيكتور امه في ما سألها اياه لانها رأت سؤاله حقاً . وودت لو ان نظام وظيفتها يسمح لها بان تصنع صنعه اي ان تخرق ولو ساعةً ذلك الجدار الكثيف الذي يفصلها عن بني الانسان ويضعها في مرتبة هي ارفع منهم كثيراً ولكنها بعيدة عنهم كثيراً

فاصطحب الصبي فيكتور رفيقاً من حاشية امه وترجماناً من اهل البلاد وخرج الى الشوارع متنكراً كعامة الناس . فزار القهاوي الكبيرة التي هي في النهار مجتمع الكسالى وفي الليل مجتمع الذين يترددون اليها يطلبون فيها التسلي وقطع الوقت عبثاً بدلاً من صرفه بهدوء وفائدة في وسط عائلتهم . وتفرَّج في مسيره بمشاهدة الشوارع الواسعة والمخازن الجميلة اللامعة تقف عليها المركبات . والحدائق الغناء تحيط بالمنازل فتحسّن الهواء بما ينبعث منها . والمركبات تمر مرَّ البرق تروح خفافاً وتعود ثقالاً . احياناً فيها الرجال ولوائح اشتغال البال على وجوههم مما يدل على انهم مسرعون الى اشغالهم . واحياناً فيها السيدات ولوائح اللطف وفراغ البال مرسومة على جباههن وفي افواههن ابتسامات جميلة يوزعن منها بلا قصد على طول الشارع كبستانيات ينثرن في طريقهن ورداً غضاً . وبين اولئك وهؤلاء شعب نشيط عامل في حركة دائمة كأنه البحر الخضم وهو يروح ويجيء في حوائجه . كأنهم ممثلون مختلفو الهيئات والملابس والازياء يمثلون في ملعب الحياة رواية من الروايات

وبعدان مرّت على فكتور ساعتان وهو يشاهد آثار المدينة اجمالاً وتفصيلاً تعب فقصد مع رفيقيه احدى القهاوي الكبيرة التي على طريقه وجلسوا فيها · فلم يستقر بهم المقام حتى احاط بهم مساحو الاحذية من كل صوب وهم بين كهول وشبان وصبيان · فنظر الفتى الى



حتى احاط بهم مساحو الاحذية من كل صوب «صفحة ١١٣ سطر ٣»

ما حوله مستغرباً وسأل الترجمان ماذا يريد هؤلاء · ولم يخطر في بال فكتور انهم فوضويون يقصدون به شراً لانه كان يعرف ان نزاهة الشعب المصري وانطباعه على المسالمة ارفع من ان تخرج من احشائه آفة كتلك الآفة · هذا فضلاً عن ان الآلات التي في ايديهم كانت متشابهة وهي عبارة عن صندوق صغير من الخشب «وفورشة» يضربون بها عليه · ولكن الترجمان ازال حيرته بقوله انهم يطلبون مسح الاحذية · فضحك الصبي وقال نحن هنا ثلاثة وهم اكثر من عشرة · ثم انه تناول من جيبه عدة غروش والقاها اليهم من بعيد · فتصور ما قام بينهم من النزاع والضرب والزحام للحصول عليها



ذلك انه شاهد امامهُ في ساحة صغيرة ارجوحة منصوبة « صفحة ١١٥ سطر ٦ »

وبعد ان ضحك فكتور من هذا المشهد قليلاً نهض مع رفيقيه وهو يقول لهما · عندنا لا نحتاج الى بشر يمسحون الاحذية لان في منعطف كل شارع تقريباً آلة ميكانيكية للمسح · فكل من يضع فيها قطعة معلومة من النقود ويلقي قدمه عليها تشرع في مسح حذائه كابرع المساحين · واذا لم يضع فيها شيئاً لا تتحرك ابداً · فضحك الترجمان من هذا الاختراع الغريب · فاردف الامير بقوله : وليس لي على هؤلاء البشر الا اعتراض واحد وهو انني نظرت بينهم رجالاً اشداء اقوياء اذا رُبطوا في شجرة وأُجفلوا اقلعوا تلك الشجرة من قوتهم · فهل يحسن بمن هذه قوته ان يتولى مسح الاحذية · ولماذا لا يتركون هذه الصناعة الهيّنة للصبيان والضعفاء · فهمّ الترجمان بان يجاوبهُ ليخبره بان المحافظة كانت قد عزمت على ذلك ولكن الجمعية الارمنية وبعض وجوه الارمن توسطوا فيه وارجعوها عنه لان كثيرين من قومهم الكهول يحترفون هذه الحرفة · ولكن رفيق الامير بادره بقوله بلغته : وما نصنع بمبداء حرية



فاذا به بائع السوس ينادي على بضاعته «صفحة ١١٥ سطر ١٠»

الانسان اي حرية الصناعة والتجارة ايها الامير · فان الانسان حر مطلق في اختيار الصناعة التي يريدها · فاحمر وجه الامير واجابه بشيء من الغضب : ان كلمة الحرية هذه تتبعنا حتى الى اقاصي الدنيا

ولكن لم يلبث الامير الصغير بعد قوله هذه العبارة التي هي اكبر منه والتي لو سمعها احد من قومه في بلاده لاقاموا القيامة عليه ـ ان تغير وجهه من العبوسة الى البشاشة · ذلك انه شاهد امامه في ساحة صغيرة ارجوحة منصوبة وجماعة يتسلون بها · فوقف يضحك وسأل الترجمان عنها فاخبره انها لعبة من ملاهي الشعب في الاحتفالات · فبقي الامير واقفاً نحو عشر دقائق يتفرج · ولم يلفته عن ذلك المنظر الا صياح صائح وراءه : شربات شربات · فاجفل الامير والتفت الى الصائح فاذا به بائع السوس ينادي على بضاعته · ولما علم الامير بصناعته سأل الترجمان : وهل يشرب جميع الشاربين من آنية واحدة · فاجاب الترجمان



« فقيل له هذا السقاء يبيع الناس الماء »(صفحة ١١٦ سطر ٣ »

نعم . فقال الامير هذه احدى العلل في سرعة انتقال العلل . ثم سار وهو يفتكر . وفيما هو سائر ابصر رجلاً يحمل على ظهره ضرفًا فسأل ما هذا فقيل له . هذا السقاء يبيع الناس الماء . فقال هذا امر يعيدنا الى موضوعنا السابق ومن اين يأتي بالماء فاجاب الترجمان من النيل . ففتح الامير عينيه دلالة الاستغراب وسأل : من النيل رأساً بلا ترشيح ولا تصفية ؟ فاجاب الترجمان بل هناك حنفيات تأتي بالماء وقد يأتي به السقاء رأساً ايضاً . ولكني لا اكتم الامير انه بلا ترشيح وان كان هذا القول مما يجب ان نخجل منه . على ان العيال



وهو يفتش في ثيابه في نور الشمس عن الهوام المؤذية التي فيها «الصفحة ١١٩ السطر ١٤»



وهو واقف امام رجل وامراة ضعيفين جالسين في الشارع وامامها كيس الشحاذة (الصفحة ١١٩ السطر ١٢)











بائع الحلاوة
عمود بومبيوس

الفنار الصغير عند مدخل البوغاز

بائع الليموناده
فنار الاسكندرية الكبير

التي تعرف ضرر شرب الماء بلا ترشيح ترشحه دائماً وهي تأخذ ماءها من انابيب شركات المياه · ويقال ان المجالس البلدية تسعى في وضع مرشحات رسمية على النيل ولكننا لا نعلم متى تنتهي من هذا المشروع

وبينما كان الامير سائرًا يصغي الى ترجمانه واذا كفهر وجهه بغتة · ذلك انه وقع نظره على منظر اثر فيه · فسأله ترجمانه ما هذا ؟ فاجاب الترجمان مضطربًا : هذه هي الحالة التي وصفها فيكتور هيغو في كتابه « التعساء » فقال الامير وهل ليس في المدينة ملجاء للشيوخ والمرضى الفقراء يأوي اليه هؤلاء المساكين التعساء بدلاً من ان ينطرحوا في الشوارع · فاجاب الترجمان نعم في المدينة ملاجىء ولكنها للاجانب على ان جمعية خيرية وطنية في الاسكندرية عزمت على انشاء ملجاء كبير وقد فتحت لذلك اكتتابًا تحت حماية الجناب الخديوي · فاجاب الامير قد وهبتُ هذا الملجاء مائة جنيه وانني ارجو ان يتمكن اهل الخير من انشائه

وكان الامير يتكلم وهو واقف امام رجل وامرأة ضعيفين جالسين في الشارع وامامهما كيس الشحاذة وبجانبهما بعيدًا عنهما رجل آخر طاعن في السن منطرح في الشارع وهو يفتش في ثيابه في نور الشمس عن الهوام المؤذية التي فيها · · ·

على ان هذه المناظر قبضت نفس الامير فرام الفرار منها لان النفوس الحساسة لا تطيق منظر الشقاء والالم · فنادى سائقًا وركب مع رفيقيه مركبة قاصدًا الميناء لاستنشاق هواء البحر الذي يشرح الصدر · ومن هناك ركب زورقًا الى الفنار الصغير على فم البوغاز بعد ان مرَّ بالفنار الكبير · ولم يسعه وهو هناك الآن يذكر ما قرأه عن منارة الاسكندرية القديمة

ولما طرد هواء البحر كل ما كان في صدر الامير من الانقباض وازال ما كان في اعضائه من التعب عقيب هذه السياحة الطويلة عاد الى امه واخذ يقصُّ عليها تفاصيل نزهته · وكان تارة يضحك وتارة ينقبض في اثناء قصته تبعًا للعواطف التي كانت تقوم في نفسه في اثناء الحكاية · وكان آخر قوله لها : لم ارَ يا اماه شعبًا لطيفًا هادئًا قنوعًا مسالمًا كالشعب المصري · فليت عرشنا كان قائمًا على ظهر هذا الشعب او كان هذا الشعب قائمًا تحت عرشنا هناك

هل الخمور مغذية

واحتدام الجدال بين العلماء بشأنها

احتدم الجدال في الشهرين الاخيرين بين علماء اوروبا في مضار الخمور وفائدتها فلم تخلُ من هذا البحث جريدة من جرائدهم · وقد انقسم هؤلاء العلماء فريقين شأنهم في كل المسائل واليك البيان

رأى المهتمون بقلة النسل في فرنسا انَّ زيادة النسل الفرنسوي زيادة تعادل زيادة النسل الالماني امر مستحيل لان اخلاق الفريقين متباينة ودرجة مدنيتها متفاوتة فقاموا يدعون الى الوسائل التي تقلل الوفيات بدلاً من الدعوة الى الوسائل التي تكثر النسل دعوة لا يُرجى نجاحها · ومتى قلت الوفيات كان ذلك بمثابة زيادة النسل · وكثيرون من علماء الاقتصاد في فرنسا معتقدون انَّ كثرة الوفيات ناشئة بالاكثر عن الافراط في شرب الخمور · ولذلك اخذوا يشنون غارة شعواء على هذه الآفة المهلكة · فالقوا الخطب ونشروا المنشورات وعقدوا الجمعيات والصقوا الاعلانات في الشوارع لمقاومة المسكرات · وكان شعارهم في هذه الحرب المعنوية قولهم « ان النسل الفرنسوي ينقرض اذا لم يترك شرب الخمور »

وبينما هم في وطيس هذه المعركة واذا بالمسيو ديكلو العالم الفرنسوي الذي خلف باستور في رئاسة المعمل البكتريولوجي المشهور المعروف باسمه وقف وصرّح على رؤوس الملاء : بانه ليس من الحكمة مناصبة الكحول (الخمور) العدوان الى هذا الحدّ لانها غذاء للذين يعتدلون في شربها اي الذين لا يتناولون في اليوم اكثر من لتر واحد منها · وقد بنى رأيه هذا على تجارب عالمين اميركيين اسمهما اتوتر وبنديكت · فان هذين العالمين اجريا عدة تجارب في اناس كانوا يغذونهم بخمر وبغير خمر فاسفرت تجاربها عن ان الخمر مغذّية كاللحم

ولما انتشر قول المسيو ديكلو عمَّ الفرح في الخمارات والحانات وشمل الاسف كثيرين من العقلاء · فصار اسم ديكلو ورأيه بين فريقين · فجمعيات الزراعة التي تستقطر منها الخمور نشرت قوله في جميع الانحاء نقضاً لرأي جمعية المسكرات التي كانت تحارب هذه الآفة بخطب واعلانات كثيرة · واما جمعية مقاومة المسكرات هذه فانها عقدت اجتماعاً وخطبت فيه ضد المسيو ديكلو وافرغت كثيراً من زجاجات الماء القراح الصرف في شرب نخب انتصار

مبادئها المنعية . واما العلماء رصفاء ديكلو فقد انقسموا فريقين ايضاً ولكن الاكثرية الكبرى كانت ضد ديكلو . وقد القت احدى المجلات على اكابر علماء الطب والكيمياء اسئلة بشأن رأي ديكلو فاجابها كثيرون منهم في جملتهم برتلو ومتشنيكوف والدكتور رو . وكانت خلاصة اجوبتهم ما يأتي : هب ان في الخمر القليلة غذاء فلا ينبغي التصريح بذلك لان الشعب اذا سمع به زاد افراطاً في شربها . ولا ريب ان الافراط فيها قتل للذات . فردَّ عليهم فريق آخر بقوله : لا بل يجب علينا ان نقول الحقيقة كيفما كانت النتيجة . والحقيقة ان القليل من الخمر مغذٍ مفيد

وبما ان الزعم بلا دليل يبقى زعماً فقد خرج الاطباء والعلماء من دائرة الزعم الى دائرة التجربة . فاجرى كثيرون منهم عدة تجارب . اما تجارب اتوتر وبنديكت الاميركيين فليس في الامكان اعادتها لان آلاتها تقتضي نفقات كثيرة كما قال المسيو ديكلو

☀ تجارب المسيو غريهان ☀ ومن هذه التجارب تجارب المسيو غريهان احد علماء الفسيولوجيا . فانه كان يجرع الكلاب والقطط والانسان كميات مختلفة من الخمور ويفحص حالتهم بعد ذلك . فثبت لديه من التجارب العديدة انه ما دامت نسبة دقائق الخمر الى دقائق الدم في جسم الانسان كنسبة واحد الى الف (اي كل جزء من الخمر في الف جزء من الدم) فان صحة الانسان لا خطر عليها ولكن اذا زادت هذه النسبة خيف من الخطر . ثم قال ان الانسان الذي ثقله ٦٥ كيلوغراماً يستطيع ان يشرب في كل يوم لتراً واحداً من النبيذ اي نصف لتر على الغداء ونصف لتر على العشاء دون ان يخشى على صحته . لان هذا اللتر يجعل دقائق الخمر في دم الانسان بمقدار النسبة المشار اليها

☀ تجارب الدكتور شنيدر ☀ على ان التجربة المهمة التي جرت في هذا الصدد هي تجربة الدكتور شنيدر السويسري . وقد اهتمَّ العلماء اشد اهتمام بها لانها مضبوطة بآلة ميكانيكية . ولايضاح ذلك نقول

صنع الدكتور شنيدر بمساعدة الاستاذ ديبوى في برن عاصمة سويسره آلة تُقاس بها قوة الانسان . وذلك انه يقبض باصبعه على حلقة ويشدها فترفع الحلقة ثقلاً معيناً . وهذا الثقل يرتفع على نسبة قوة اليد التي تشده . وقد جرب الدكتور شنيدر والاستاذ ديبوى رفع الاثقال بهذه الآلة اياماً عديدة . وكانا احياناً يتناولان الخمر بلا طعام واحياناً يتناولانها مع الطعام واحياناً يتناولان الطعام بلا خمر . وكانا يشرعان في رفع الثقل بالآلة بعد الطعام . فثبت لديهما بعد التجربة مائة مرة واكثر ما يأتي

الخمر بلا طعام ـ كان الدكتور شنيدر يصوم ثم يتناول ١٥٠ سنتيمترًا مكعبًا من نبيذ بوردو ويشرع في الحال في رفع الثقل فكان يرفع في اول التجربة ٨ كيلو غرامات و٤٨ غرامًا وفي نهايتها اي بعد تعبه كثيرًا في الرفع كيلوغرامين و٢٣٨ غرامًا . ولكنه اذا لم يتناول خمرًا اي اذا اشتغل بلا اكل ولا شرب فانه كان يرفع في اول التجربة ٧ كيلوغرامات و٢٥٤ غرامًا وفي آخرها كيلوغرامًا واحدًا و٩٠٣ غرامات . فالربح اذًا في جانب الكحول في مجموعها كيلوغرامان و٧٦٨ غرامًا

طعام بخمر وبلا خمر ـ ولكن هذا الربح الذي ربحته هنا الخمر بلا طعام تخسره كله متى وُضع الطعام موضعها . اي ان رغيفًا واحدًا من الخبز يُعطي قوة اشد من قوتها . وقد جرَّب الدكتور شنيدر رفع الاثقال بعد تناوله طعامًا بخمر ورفعها بعد تناوله طعامًا بلا خمر . وكان طعامه من اللحم ومرقه والخضر والخبز . فكانت نتيجة عمله انه رفع ٢٦ كيلوغرامًا و٦١٣ غرامًا بلا خمر و٢٥ كيلوغرامًا و٧٢٩ غرامًا مع الخمر

وهذه الارقام كلها مذكورة على سبيل التعديل لكثرة هذه التجارب التي استمرَّت اياماً طوالاً . وكانت نتيجتها ان الخمر لا تزيد قوة العامل على عمله كما يعتقد بعضهم لان في كسرة الخبز من الغذاء اكثر مما فيها . وهذا بقطع النظر عن تحريكها شهية الطعام ولذتها في فم الشاربين

﴿ **بحث المسيو غراندو** ﴾ وقد بحث المسيو غراندو في هذا الموضوع بحثًا مسهبًا ايضًا فتوصل بعد تحليله الخمر كيماويًا ومعنويًا الى النتائج التالية

(١) ان الخمر لا تساعد على انشاء الانسجة في الجسم او توليدها وذلك لانها لاتحتوي شيئًا من الازوت ومعلوم ان الدم والانسجة وعضلات الجسم لا يمكن وجودها بدونه (٢) ان الخمر لا تنشئ في الجسم شيئًا من الخزانات التي تُخزن فيها قوته كالدهن وما اشبه . وهذا علة انتقالها بسرعة في الجسم (٣) ان الخاصية الوحيدة التي تشترك فيها الخمر والمواد المغذية هي توليدها الحرارة . فانها عند اختمارها في وسط انسجة الجسم تترك مجالاً للهواء ثم تتحد بالاوكسجين في باطن الجسم وتنقلب الى ماء والى حامض كربونيك

﴿ **رأي اكاذمية الطب** ﴾ وبعد كل ما تقدم عن هذه المسألة لا نجد قولاً اجدر بختام هذا الموضوع غير رأي اكاذمية الطب في باريز . فان هذه الاكاذمية عينت لجنة خصوصية لفحص هذه المسألة فقدم اليها المسيو لا بورد بالنيابة عن هذه اللجنة تقريرًا ضافي الذيول اسهب فيه في بيان المضار العظيمة التي تنشأ من قولهم ان الخمر مغذية . وقد

حمل حملة شديدة على المسيو ديكلو · وبعد جدال طويل بين اعضائها استمرَّ عدة جلسات قررت الاكاذمية ان الخمور (الكحول) تضرُّ ولا تنفع وانه يجب اعتبارها كالدواء الذي لا يجب ان يُتخذ الاَّ حين اذن الطبيب · وبذلك قطعت جهيزة قول كل خطيب

﴿ كاس لفتح الشهية وتسهيل الهضم ﴾ بقيَ ان يقول الذين اعتادوا ان يتناولوا في كل يوم شيئاً من الخمر قولهم المشهور : اننا نتناول كأْساً واحدة فقط لفتح الشهية · او اننا نتناول كأْساً فقط لتسهيل الهضم · وهذه كمية لا تضرُّ مطلقاً بل تفيدنا زيادة القابلية للطعام ·ـ فالجواب عن ذلك نعم ان كاساً واحدة لا تضر « اذا كانت من الخمر الجيدة التي لم تمزج بمواد مضرة » ولكن لا تقولوا انها تفيد بل قولوا انها لا تضرّ اذ بين القولين فرق بعيد · اما تسهيل الخمر الهضم فهو حديث خرافة لان زيادة الحرارة في المعدة قد يضرها بدلاً من ان ينفعها · واما زيادة القابلية للطعام ففيها ضرر ايضاً · ذلك ان المعدة اذا هيجتها الخمر وجعلتها تطلب من الطعام فوق القدر الذي تقدر عليه فهي لا تلبث ان تُصاب بالضعف بعد نزول الطعام الكثير اليها · اذ يكون مَثلها مثل حيوان يُحمل حملاً فوق طاقته · فليكن كل انسان اذاً على ثقة من ان القليل من الخمر اذا لم يضر فهو لا يفيد · واما الكثير منهُ فهو آفة مهلكة تظهر عاجلاً او آجلاً ·ـ ولا يغرنَّ شاربيها ما قيل فيها

ولو وضعوا في فيءِ حائط كرمها عليلاً وقد أُشفى لفارقه السقمُ

فان هذا الكلام قيل هناك عن الخمر المعنوية



اللغة المصرية القديمة

﴿ الهيروغليف ﴾

لغتنا مصر القديمة . منشأ اللغة الهيروغليفية وصورها · اقتباس الفينيقيين حروفهم الهجائية منها · شمبوليون في مصر وهتافه لشرية من مائها · حجر رشيد · حلُّ شمبوليون رموز هذه اللغة بوقوفهِ على كلمتين منشورتين هنا (الرسم الثاني العمود الثاني)

كل متأمل في الوف السياح والعلماء والامراء الذين يفدون من اوروبا في كل عام الى القطر المصري ويصرفون فيه قسماً من وقتهم وما لهم لا يسعهُ الا الثناء على اهل الهمم والمعارف الذين مهدوا لهم هذا السبيل فاوجدوا به للقطر ثروة جديدة · ومن هؤلاء الافاضل الذين جعلوا القطر المصري محطّ رحال اهل العلم والوجاهة في العالم بضعة من علماء الآثار المصرية الذين نشروا في اوروبا واميركا محاسن مصر بما كتبوه عنها وحلوا رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليف) ففتحوا بذلك للناس كنوز تاريخ الامة المصرية القديمة التي كانت بلادها منشاءً للعمران والمدنية · وفي مقدمة هؤلاء العلماء في صف مخصوص به وحده العلاَّمة شمبوليون · فان هذا العالم الفرنسوي هو الذي اكتشف اسرار الاحرف الهيروغليفية ومكّن الناس من قراءة الآثار المصرية والوقوف على تاريخ مصر · وهو ايضاً كاتب اجمل وصف لمصر ومحاسنها حتى ان قارىء مؤلفاته خصوصاً „ سياحته في مصر ،، يعشق بلاد مصر وآثارها لكثرة اطرائه لها

﴿ الكتابة الهيروغليفية ﴾ ولكن قبل ان نأتي على شيء من تاريخ اكتشاف اسرار الكتابة الهيروغليفية نذكر شيئاً عنها

في الزمن القديم كان في مصر لغتان · لغة للعامة وهي التي يتكلمون ويكتبون بها · ولغة للخاصة تُنقش بها الكتابات على الآثار وهي اللغة الهيروغليفية المقدسة · فشأن ذلك شأن اللغة العربية العامية واللغة الفصحى في هذا الزمان تقريباً : وكلامنا هنا عن اللغــة المصرية القديمة الفصحى اي الهيروغليف

وهذه اللغة كانت مؤلفة من اكثر من ثلاثة آلاف علامة · وهي عبارة عن صور تدل على المعنى المقصود ابلاغه · وهذا منشاء الكتابة · لانه من الثابت ان البشر قد تكلموا قبل ان

يكتبوا . ولما ارادوا الكتابة للتعبير عن كلامهم كانوا يعبرون عن كل معنى بصورة . فاذا راموا الدلالة على الاسد صوروا اسدًا او الشجرة صوروا شجرة . ثم لما كثرت هذه الصور اضطروا الى الاختصار فكانوا اذا ارادوا الدلالة على حرب وقعت يصوّرون يدًا تحمل حربة وترسًا بدلاً من تصوير صورة معركة . ولما قدم عهدهم بهذه الاصطلاحات تحوّلت من صور الى اصوات . مثال ذلك صورة البيت . فانهم كانوا اولاً اذا راموا ان يكتبوا (بيت) صوروا البيت تصويرًا . وحين قراءته يلفظونه مثلاً (بيت) ثم مع كرور الوقت تغيرت لفظة (البيت) تبعًا لناموس الاختصار وصارت (باء) فصار لفظ (البيت) عبارة عن حرف هو (الباء) وبذلك نُقلت الصورة الى صوت وصار هـذا الصوت حرفًا . وحينئذٍ لم يعد رسم البيت دليلاً على البيت بل صار حرفًا هجائيًا هو (الباء) . خصوصًا بعد حذف الحرف الصوتي للاستغناء عنه وعدم استعماله احيانًا الا عند الحاجة اليه اي في اوّل الكلمة وآخرها

هذا مثال على انتقال الصور من الرسم الى الصوت كما هي الحالة في الهيروغليفية . ولقد كان للمصريين القدماء فضل عظيم بهذا النقل لان الفينيقيين اخذوا على الارجح حروفهم الهجائية عنهم وادخلوا فيها ما ادخلوه من التغيير ثم نشروها في اقطار الارض وبها علّموا الامم الكتابة

وتجد الاحرف الهيروغليفية في (الرسم الاوّل) في هذا الفصل . ولكل حرف منها عدة صور كما ترى تبعًا للاصل . فمنها صور طيور وكلاب وضفادع وسمك واوراق ونجوم وبشر وغيرها . واما الرسم الثاني ففيه اسماء بعض الملوك والامراء منذ العصر المصري القديم الى العصر الروماني . وهي مكتوبة بذات الشكل والهيئة التي توجد بها على الآثار المصرية اي في هيئة خرطوشية اكرامًا للملوك كما كانت عادتهم في الكتابة . ويقابل هذه العادة عندنا اليوم وضع اسماء الملوك والامراء في اثناء الكتابة بحروف ممتازة

﴿ شمبوليون مكتشف اسرارها ﴾ ولد شمبوليون في فيجاك من اعمال فرنسا في سنة ١٧٩٠ وتوفي في باريز في سنة ١٨٣٢ . وقد انصبّ منذ صغره على درس اللغة العبرانية والعربية والكلدانية والسريانية والحبشية للاستعانة بها على درس احوال الشرق . وقد استمالته مصر اليها في اثناء الدرس دون جميع الامم الشرقية فانقطع الى البحث في تاريخها وشؤونها . ولكن ماذا يجدي درس تاريخ مصر اذا كانت اللغة المصرية التي كُتب بها هذا التاريخ على الآثار المصريـة لا تزال مجهولة . فانصرف منذ ذلك الحين الى درس اللغة الهيروغليفية . وقد مر بك ذكر الصعوبة التي كانت قائمـة في وجه طلاب هذه اللغـة

حروف الهجاء الهيروغليفية

صور كانت رموزًا للآلهة المصرية القديمة

Voyelles employées indistinctement

A | E | I | O | U | OU ou F | HA | E^B V | D. | T ou TH | G. C | K | L | M | N | P. PH. | R ou RE | S ou TS | CH | Doubles Lettres | C

NU · M N · TO · 1 · 5 · 10 · 50 · 100

1000 · 1313 · TEMPS · Année · Mois · Jour

25ème Année 12ème jour du 4ème mois d'Été

1er Mois d'Été · 3e Mois d'Automne · 4e Mois d'Hiver

Divinités qui figurent dans les Cartouches

	SATÉ	ANUBIS	SOVK	OSIRIS	NOUB (Cnouphis)	PHRÉ ou RÉ	PHTAH	AMON
Figuratifs								
Symboliques								
Phonétiques								

Titres et qualifications des Dieux, des Rois et des simples particuliers

Dieu	Royal	Roi d'un peuple obéissant	Seigneur du monde	approuvé
Soleil ou Pharaon	Fils du Soleil	Puissant	Immortel	Chéri
Grand Père	Père	Frère	Fils	Petit Fils
Mère	Femme	Sœur	Fille	Signe féminin

القاب وصفات الآلهة والملوك والاشخاص

العصر المصري | عصر الاسكندر | عصر البطالسة | العصر الروماني

أسماء الملوك والأمراء والمشاهير الذين كانت لهم علاقة بمصر باللغة الهيروغليفية

ÉPOQUE GRECQUE — Alexandre, Philippe

ÉPOQUE PERSANE — Orchus, Melek / Roi, Artaxerxe, Perse, Xerxes, 12 ans, Darius, 36 ans, Cambyse, 6 ans

ÉPOQUE GRECQUE — Ptolémées: César, Cléopâtre, Cléopâtre, Philométor, Cléopâtre, Epiphane, Arsinoé, Philopator, Bérénice, Evergète, Arsinoé, Philadelphe, Bérénice, Ptolémée Soter

ÉPOQUE ROMAINE — Commode, Lucius Verus, M. Aurèle, Antonin, Hadrien, Trajan, Domitien, Titus, Vespasien, Néron, Claude, C. C. Germanicus, Tibère, Auguste

Psammeticus I, Sesonchis, Amerre, Osirtri, Phtamenoph, Ramses (Sesostris), Thotmosis, Osortasen

العصر الفارسي

التي لحروفها الهجائية اكثر من ثلاثة آلاف صورة ولا مرشد اليها · وكان بعض متقدمي اليونان قد حاولوا حلّ رموزها ولكن سعيهم ذهب سدىً · فخطر في ذات يوم للعلامة شمبوليون ان اللغة القبطية في مصر هي فرع من اللغة الهيروغليفية القديمـة كما ان اللغة الفرنسوية فرع من اللغة اللاتينية · فشرع في درس اللغة القبطية · وبعد ان كتب عدة كتب في مصر وشؤونها القديمة وعُين مديرًا للقسم المصري في متحف اللوفر في باريز لم يبقَ له همٌّ الاّ الحضور الى مصر ليرى سماءها بعينيه ويطأ ارضها بقدميه · فاجابته الحكومـة الفرنسوية الى ذلك وعهدت اليه مهمة علمية فيها · فسار شمبوليون من طولون ووصل الى الاسكندرية في ١٨ اغسطس سنة ١٨٢٨ · وفي ذلك كتب يقول لاخيه في رسالة خصوصية " لقد وصلتُ في ١٨ اغسطس الى ارض مصر التي كنت منذ زمن بعيد اتنهد واشتاق لرؤيتها · ولقـد عاملتني الى الآن معاملة الام الحنون · وفي ظني انني ساحفظ فيها صحتي سليمة كما هي · وقد شربت من مائها البارد بقدر ما اردت · وهذ الماء من ماء النيل نفسه "

فتأمل كيف ان شربة واحدة من ماء النيل كانت تملأ نفس ذلك العالم مسرة وحبورًا

ثم سافر شمبوليون الى الصعيد واقام بين خرائب ثيبة صيفًا كاملاً يدرس درسًا دقيقًا وفي اثناء ذلك اكتشف اكتشافه الجليل الذي حلّ به رموز الهيروغليف

واليك الطريقة التي اهتدى بها الى هذا الاكتشاف

وُجد في رشيد حجر اشتهر بين علماء الآثار بحجر رشيد · وهذا الحجر نُقشت عليهِ كتابة قديمة بثلاث لغات : اليونانية · والمصرية العامية · والمصرية المقدسة (الهيروغليفية) وكانت الكتابة اليونانية والكتابة المصرية العامية سليمة في الحجر فتمكن (اكربلاد) من قراءة الخط المصري العامي وذلك بمقابلته بالخط اليوناني · واما الخط الهيروغليفي في الحجر فقد كانت قراءته متعذرة من سوء الحظ لان الحجر كان مكسورًا من شماله ويمينه ولم يكن فيه من الكتابة الهيروغليفية الا الثلث تقريبًا · على ان العالم (يونغ) الانكليزي لاحظ ان كتابات هذا الحجر تحتوي ثلاثة اسماء مكررة في عدة مواضع فيها وكل اسم منها منقوش بهيئـة خرطوشية (كما ترى في الرسم الثاني) وكانت هذه الاسماء لكليوبتره وبطليموس وبرنيس لان هذا الاثر كان من عهد البطالسة · غير ان الكتابة الهيروغليفية في هذا الحجر لم تكن تحتوي الا اسماً واحدًا ضمن خرطوشة لانكسار الاسمين الآخرين · فافترض (يونغ) ان هذا الاسم الموجود في الكتابة الهيروغليفية هو اسم « بطليموس » وبناء على هذا الافتراض قال ان الصورة الاولى هي الحرف (ب) والثانية (ت) وهلم جرًا · غير ان هذا القول لم

يخرج عن كونه افتراضاً ولذلك وجب التفتيش عن دليل يثبته · فوجد شامبوليون هذا الدليل، وبيان ذلك انه كان يجول في ذات يوم في جزيرة انس الوجود (فيله) فعثر فيها على مسلة جميلة اقامها هناك كهان مصر القدماء اكراماً لكليوباتره وبطليموس ونقشوا عليها كتابة باللغة اليونانية · وكان منقوشاً على هذه المسلة اسمان ضمن خرطوشتين باللغة الهيروغليفية احدهما شبيه بالاسم الهيروغليفي الذي وجد على حجر رشيد · فلم يبقَ لدى شمبوليون شك في ان هذين الاسمين هما لكليوباتره وبطليموس · وانما بقي عليه ان يعلم ايهما لكليوباتره وايهما لبطليموس وبذلك يقبض على مفتاح بضعة حروف من اللغة الهيروغليفية فيفتح بها باقي اسرارها

واذا فتشتَ عن هذين الاسمين في الرسم الثاني وجدتَ اسم كليوباتره في الخرطوشة الثانية والثالثة والسادسة من العمود الثالث الذي كتبنا فوقه « عصر البطالسة » وهذه الحروف التي فيها هي نفس الحروف التي اهتدى بها شمبوليون الى حل رموز هذه اللغة · وكذلك اسم بطليموس تجده في الخرطوشة العاشرة من العمود نفسه · وفيه نفس الحروف التي هدت شمبوليون

ومن مقابلة هذين الاسمين تمكن شامبوليون من قراءة حروفهما · فعلم ان ربع الدائرة في اسم كليوباتره هي الحرف (K) والاسد الرابض الحرف (A) والورقة التي وراءه هي الحرف (E) والغصن الملوي بجانبها هو الحرف (O) والمربع الذي وراءه هو الحرف (II) والطائر الذي بعدهُ هو الحرف (A) واليد الممدودة بعده الحرف (T) والفم المفتوح تحتها الحرف (P) والطائر الاخير الحرف (A) ايضاً ــ وذلك طبقاً لاسم كليوباتره باللغة اليونانية

ومنذ هذا الحين اخذ شمبوليون يطارد باقي الحروف مستعيناً بالاحرف التي حلَّ رموزها فتمكن من قراءة كثير من اسماء الاعلام ثم تدرج شيئاً فشيئاً حتى صار يقرأ الكتابات الهيروغليفية على الآثار كما تُقرأ الكتب · وقد وضع قاموساً للغة الهيروغليفية والف كتاباً في صرفها وبيانها · وقد استعان كثيراً على ذلك باللغة القبطية التي مرَّ ذكرها · اما صدى اكتشافه في اوروبا فحدّث عنه ولا حرج وقد جعله في اسمى مقام بين مكتشفي اوروبا · واليه يُنسب الفضل في اطلاق تاريخ مصر القديم من اسر الحجارة الصماء التي كان منقوشاً عليها وابراز بهاء عظمتها الماضية



مجلة السيدات والبنات

(مجلة نسائية للعائلات)

تصدر مرة في الشهر في « الاسكندرية »

لصاحبتها المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية بالابرهيمية

لما صدر الاعلان بالعزم على انشاء هذه المجلة اجمع جمهور القراء والقارئات وربات العيال على الاحتياج اليها · ولذلك لقيت من الاقبال والرواج اول صدورها ما تلقاه المشروعات التي تكون الحاجة ماسة اليها

ولسنا نقول هذا للثناء على مجلةٍ لنا علاقة بها ولكننا نقوله لامرين (١) سهولة انتشار المجلاَّت النسائية لان عدد القارئات كثير جداً بالنسبة الى عددها (٢) اعتقادنا ان المجلاَّت النسائية التي تقوم بواجباتها حق القيام تفيد اضعاف الفوائد التي تفيدها الصحافة الخاصة بالرجال

اما سهولة انتشار المجلاَّت النسائية فامر لا يحتاج الى بيان لانها لا تزال قليلة العدد وان كان القارئات قليلات ايضاً · وهي الآن في جميع العالم العربي مجلتان : مجلة انيس الجليس الغراء ومجلة السيدات والبنات · واما فائدة المجلاَّت النسائية فلأنها تخاطب الامَّ والزوجة والمعلمة — ثلاث كلمات يتوقف عليها مستقبل كل امة وبها تُقاس درجة تمدنها · ولذلك قال العلاَّمة روسو القول الذي صدرنا به غير مرة باب التربية والتعليم : يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

وامامنا الآن الجزء الاول من « مجلة السيدات والبنات » وهي مصدَّرة بعنوان جميل منقوش عليه اسمها وهو يمثل ملاكاً بهيئة امرأة ويده آخذة بيد صبي صغير · وتحت هذه الصورة نُقشت هذه العبارة « ملاك الام يحرس ويرشد النسل البشري في العالم » وذلك دلالة على وظيفة المرأة السامية في المجتمع البشري — تلك الوظيفة التي هي اسمى من وظائف الملوك لان الملوك انفسهم يخضعون لها في صغرهم وتؤثر اشد تأثير في تربيتهم وفي مستقبلهم ومستقبل ممالكهم

اما مقدمة هذا الجزء فقد جاء فيها بعد بيان غرض المجلة ما نصه « وبما ان صاحبة

هذه المجلة هي حديثة في هذه الصناعة الصحافية الصعبة وكان من الواجب ان لا تكون « مجلة السيدت والبنات » اضعف من مجلات الرجال فهي قد اتخذت شقيقها منشئ الجامعة مساعداً لها في هذا المشروع المهمّ . ولذلك فمنشئ الجامعة مع كثرة اشغاله يحرّر في هذه المجلة بعض الابواب وهي الابواب التي تحتها ثلاثة انجم (***) اما باقي ابواب المجلة فهي وان كانت لا تستغني عن ملاحظته الاّ ان اخواتنا القارئات اللواتي عرفن انقطاع صاحبة المجلة الى الدرس ومطالعة كتب التربية والادب من سنتها الثانية عشرة حتى الآن في مدرسة من اشهر مدارس البنات الاميركية الكبيرة في سوريا وممارستها بعد ذلك صناعة التعليم وتدبير عقول الطالبات ودرس نفوسهنّ فضلاً عن مطالعة المجلات العربية مطالعة دقيقة كل ذلك يجيز لها عندهن ان تضع اسمها في مجلة لهنّ تخاطبهن فيها بالمسائل التي مرّت عليها مدة العشر السنوات الماضية . واخواتها السيدات والبنات يكنّ على ثقة من انهنّ يقرأن افكار وكتابات واحدة منهنّ دون ان يؤثر عليهن سوء ظن احد وان كان لسوء الظن عذر في بلاد كبلادنا »

اما مواد المجلة فهي موزعة على ابواب كثيرة وهذه مواضيعها : باب لترجمة (شهيرات النساء الشرقيات والغربيات) اي ذكر خلاصة اعمالهن في حياتهن . باب (الام والولد والمدرسة) وهو يحتوي على ما له علاقة بالتربية الادبية والجسدية في البيت والمدرسة خصوصاً عناية الامهات بالاطفال . باب (المنزل والمطبخ والمائدة) وهو يحتوي على كلام في تدبير المنزل والاقتصاد وترتيب المائدة وتدبير الصحة في البيت والعناية بالطبخ والزينة . باب (مراسلات بين بنات شرقيات) وقراء الجامعة يعرفونه . باب (اخبار نساء الغرب) ويُجمع فيه اخبار السيدات الغربيات في الادب والعلم والجمعيات الخيرية والعمومية . باب (اخبار نساء الشرق في صحافته) ويُلخص فيه ما تنشره المجلات والجرائد العربية عن نساء الشرق . باب (اسئلة صحية وادبية) يُجاب فيها عن اسئلة القارئات واستشاراتهن الطبية والمجلة تعتمد على طبيبين فاضلين للمجاوبة عن هذه الاستشارات . باب (القصص الشهرية) وفيه قصة تهذيبية فكاهية تبتدئ وتنتهي في الجزء نفسه . باب (فوائد وفكاهات) وفيه نوادر وملح واخبار ادبية متفرقة . باب (صحيفة الازياء) وهذا الباب يهمّ كثيراً السيدات خصوصاً خارج مصر اذ فيه تفصيل جميع اخبار الموضه الجديدة (الازياء الحديثة) في الاسكندرية وفي الخارج وهو مأخوذ من اشهر الخياطات في الثغر ومن جرائد الازياء في باريز ولندن . والمجلة تهدي في كل جزء كل واحدة من قارئاتها تفاصيل من ورق مثالاً لهذه الازياء

الجديدة وتنشر رسومها . وهذه التفاصيل تكلف المجلة من الثقلة واجرة الخيّاطة التي تعدّ ها ونفقات ورفها على قدر الاجزاء المطلوبة ما تساوي نفقته وعناؤه نفقة وعناء طبع ملزمة كاملة (اي ١٦ صفحة) من المجلة

وقد صدر الجزء الاول طافحاً بالابواب التي تقدمت وهو مطبوع على ورق جميل طبعاً باتقان الجامعة وبحروف جميلة لحروفها وحجم لحجمها . وغلافه مطوق بغصن من الورد الجميل في رأسه ثلاثة ازرار نظنها رمزاً الى الدعائم الثلاث التي يجب ان تُبنى عليها المعيشة الاجتماعية في العائلات وهي « الفضيلة والعلم والبشاشة »

ونحن نختتم هذا البيان او هذا التقريظ بكلام ورد في مقدمة هذا الجزء وهذا نصه : « مع كل ما بذلته المجلة من الاجتهاد لجعل مجلة السيدات في اول ظهورها مجلة كبيرة جامعة كل ما يهم السيدات والبنات الاطلاع عليه سنزيد في المستقبل تحسينها وزيادة صفحاتها كلما رأينا ان الاقبال عليها في ازدياد . وهذا الاقبال عندنا مضمون بلا شك لاننا لا نظن انه يوجد ام عائلة او رب عائلة يطلع على جزء واحد من (مجلة السيدات والبنات) الاّ ويطلب ادخالها الى منزله لسيدته وبناته »

اما اشتراك هذه المجلة فهو ٥٠ غرشاً صاغاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج وهي تُطلب من ادارتها في الاسكندرية



آثار الشرق القديمة

كنوز السلطنة العثمانية

الاراضي ما بين النهرين وخطبة السير وبليم ويلكوكس

نشرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية (الصفحة ٨٦٥) مقالة عنوانها "المدنية الجديدة والمدنية القديمة في الدولة العثمانية" وتكلمنا فيها عن الاراضي ما بين النهرين (دجلة والفرات) وخطة سكة بغداد الحديدية · وقد قلنا يومئذٍ في مقدمتها ما نصه " ان هذه الارض كانت وطناً لاقدم مدنية · قال المسيو ليفني : ان اراضي ما بين النهرين وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يُصدق · فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك · وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة · فتكون غلة تلك الاراضي في كل سنة ١٢٠ مليون ليرة فرنسوية وهي ثروة لا تعادلها ثروة · وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها مضاعف دخل الدولة اربع مرات · ولذلك كان المقدَّم على كل شيءٍ التفكير في احيائها · واذا كانت الفكرة العسكرية قد احلَّت مشروع سكة بغداد الحديدية في اسمى منزلة في ذهن جلالة السلطان فان هذه الفكرة المالية قد زادت ولا شك اهتمام جلالتهِ به "

ولم يكن يومئذٍ يخطر لنا بالبال عند كتابة تلك السطور ان جناب المهندس المشهور السير وليم ويلكوكس كان في مثل ذلك الوقت تقريباً يشتغل باعداد خطبة في غاية الاهمية في هذا الموضوع · وقد القى بحضرته هذه الخطبة في العاصمة في اواسط مارس لهذا العام على جمهور غفير من محبي الفوائد بين وطنيين واجانب فرأينا من الواجب بعد الفصل الذي كتبناه بهذا الموضوع ان ننشر خلاصة خطبته هذه وذلك نقلاً عن جريدة المؤيد · واليك هذه الخلاصة

« قال في مقدمة الخطبة « يُروى عن المأمون ابن هارون الرشيد انهُ قال لما صعد على جبل المقطم وابصر ارض وادي النيل منبسطة امامهُ « ما كان اضلَّ فرعون لما قال متبجحًا « أَليس لي ملك مصر » وهو لو رأَى ارض الجزيرة لاستحي ان يقول ما قال » ولكن المامون بلا شك قد بالغ في القول لان مصرًا كانت وستبقى دائمًا ملكة البلاد التي تروى اراضيها . ويعقبها بلا خلاف في الدرجة الارض العجيبة التي كان يرويها الدجلة في الازمان الماضية . وهذه سكة حديد بغداد تزحف من جهة الغرب والمدنية الغربية تكسح امامها الاعراب المنتشرين في تلك البقاع وتبدّدهم ايدي سبا . ولطالما خطر ببالي انهُ في الامكان مدّ سكة حديدية تبتدئ من الخليج الفارسي واخرى من شاطئ البحر الابيض المتوسط وان يلتقي هذان الطريقان في وادي نهر الدجلة والفرات »

« ثمَّ انتقل من ذلك الى الكلام على سكة حديد كندا في شمال اميركا وكيف منحت اميركا شركتها ارضًا واسعة لمد خطوطها وان الحال لا يستلزم مثل هذه الارض فيما يختص بسكة حديد بغداد . ثم اخذ يصف وادي الدجلة والفرات فبدأَ ببغداد وما حواليها واطال في هذا الوصف وعرج على ما لهذه البقعة من الاثر التاريخي فقال في هذا الصدد

« تعلو بغداد على سطح البحر بمقدار ستة وستين مترًا وتبعد عن البحر بمسافة ٨٠٠ كيلو مترًا اذا قيست على شاطئ الدجلة ولكنها على مسافة ٥٥٠ كيلومترًا اذا قيست على خطّ مستقيم . ويحيط ببغداد ارض مقفرة في هذا الزمان ولكنها كانت في ازمان ماضية تاج ممتلكات الدول التي قبضت على ناصية الشرق . هناك يوجد كنز الملوك التي حكمت الشرق . فحيثما ذهبت يمينًا او شمالاً لا تطأُ اقدامك الاَّ ارضًا تاريخية . فاذا نزلت جنوبًا على شاطئ الدجلة ترى آثار مدينة الدورة التي كان يبتدئ بجوارها بحر النهروان (او ترعة النهروان) ثم ترى السهل الذي اقام فيه بختنصر تمثاله الذهبي الذي شيده على ما يظن تذكارًا لاصلاح ذلك البحر . ثم ترى بعد ذلك (تل النبج) الذي مات فيه الامبراطور جوليان من جراحه عند ما كانت نتيجة طرد الرومانيين من تلك البقاع انتقالها بل انتقال العالم الشرقي الى دولة الفرس . ثم بغداد دار السلام ومقرّ ملك الخلفاء وحيث كان عرش هارون الرشيد . وترى ايضًا آثار كتسفون عاصمة ملوك دولة بني ساسان الفارسيين . ثم بابل القديمة وغيرها وغيرها . وكان يحمي هذه الارض الواقعة على ضفاف الدجلة سور مدين من جهة الغرب — ومن المحتمل ان هذا السور كان مقامًا على ضفة ترعة ري . ومن الغرب ببحر النهروان . وبذلك صارت هذه البقعة آمنة من تعديات صعاليك الاعراب واغنى البقاع في

بلاد الشرق

« وكما ان (مينا) حوّل النيل من مجراه الغربي وساقه في طريق سفح صحراء العرب ليحمي به عاصمة مملكة منفيس من العرب الرحالة كذلك انشأ الملوك الكلدانيون الاولون تلك الترع الكبيرة لحماية البقاع الخصبة والمدن الآهلة العامرة على شواطئ الدجلة

« ثم انتقل من ذلك للكلام على ان مياه الامطار لا تكفي لري تلك البقاع وانه حصل على المعلومات الخاصة بمقدار سقوط الامطار وكل ما يتعلق بالمسائل الجوية من مذكرات للكبتن فيلكس جونس احد ضباط البحرية الهندية الذي اقام ازماناً طويلة في بغداد لدراسة كل ما يتعلّق بالريّ هناك وان الذي استلفت نظره الى هذه المذكرات هو المستر سبرنج رايس الذي كان مندوب انكلترا في صندوق الدين المصري (والآن في سفارة بطرسبرج) ثم قال انه لا دخل له في السياسة مطلقاً وان كل ما يرمي اليه هو ان يرى (عشرة عيدان من الحشائش تنمو في مكان لا ينمو فيه عود واحد الآن »

« ثم شرع يتكلم عن مجرى نهر الدجلة ونبوعه من بحيرة (فان) في بلاد فارس ومروره على آثار مدينة نينوى القديمة وذكر ان مدينة اوبيس القديمة اشبه في مركزها بالنسبة لنهر الدجلة بمدينة القاهرة بالنسبة لنهر النيل . فكما ان القاهرة على مسافة قليلة من رأس الدلتا وتوجد على مقربة منها القناطر واصول الفروع التي تروي ثلاثة ملايين فدان من ارض الدلتا كذلك كانت اوبيس على مقربة من رؤوس الترع التي كانت تروي ارض دلتا الدجلة . وكأنما ارادت الطبيعة ان تكون هذه البقعة مصدراً لنظام خاص بالريّ »

« ثم انتقل الى الكلام عن نظام الري القديم في تلك البقاع وانه كان هناك بحر النهروان على الشاطئ الايسر ونهير الدجيل من الشاطئ الايمن من نهر الدجلة وكيف كانت تلك البقاع جنة . ثم اخذ يبين سبب انحلال ذلك النظام الهندسي وتسرب الخراب الى تلك البحار والترع مما يدخل في ضمن دائرة المباحث الهندسية ولذلك نضرب عنه صفحاً

وبعد الكلام طويلاً عن ماضي تلك الاصقاع وما آلت اليه من الخراب والدمار حتى صارت صحراء بلقعاً تهب فيها رياح السموم قال في صحيفة ١٥ وما يليها

« ولقد تكلمنا كثيراً عن اسباب هذا الخراب ووصفنا حالة الدمار . واما اعادة هذه الديار الى ماضيها فلسنا ننتظر ان يذهب اليها الاوروبيون ليستعمروها ويعيدوا خصبها بل الذي يغلب على الظن ان اهل الشرق سيذهبون اليها ليعيدوا شبابها و يستثمروا ارضها . وهذه سكة حديد بغداد كما قلنا تزحف من الغرب وستقام خطوطها

الحديدية على ضفاف ترعة النهروان بعد تجديدها واصلاحها ونرى بعد ذلك ماء الحياة والخصب يجري في عروق ارضها · وليت شعري هل تصلح هذه الديار باموال انكليزية تُساق اليها من الخليج الفارسي جنوبًا ام باموال المانية تأتي اليها من سكة حديد بغداد غربًا ؟ ولكن ما لاخلاف فيه هو ان اعادة الترع المذكورة ستؤدي الى احياء اراضٍ واسعة حول سكة حديدية تشبه في غناها وخيراتها ارض مصر وتقوم محصولاتها بنفقات السكة الحديدية واعمال الري ويزيد من ايراداتها مقدار كبير لا يقدر قيمته الا الذين خبروا احوال الزراعة المصرية · وليس ببعيد ان يقوم عمال من الهند وربما يكونون من المصريين بحفر الترع وانشاء القناطر التي تعطي المياه بقدر معلوم · ثم يستوطنون تلك الاراضي ويحيون مواتها فتكثر موارد خيراتها وتنمو ثروتها وكأنهم في بنجاب او مصر اخريين »

« ثم اخذ بعد ذلك يبين لسامعيه الاعمال التي تلزم لاعادة تلك الترع واصلاح الري في تلك البقاع ولبيان مقدار ما يلزم من الاموال وما ينتظر من فوائدها فقال

« ان مساحة الارض الواقعة غربي مجرى نهر الدجلة القديم تبلغ ٢٨٠٠٠٠ فدان والارض الواقعة بين المجرى القديم والجديد ١٦٠٠٠٠ فدان والارض الواقعة شرقي الدجلة شمال بغداد ٤٢٠٠٠٠ فدان وجنوب بغداد ٤٢٠٠٠٠ فدان فيكون مجموعها ١٢٨٠٠٠٠ فدان · وقدر النفقات اللازمة لاصلاح الري بمبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات · وقدر اثمان الاراضي المذكورة على حساب ٣٠ جنيهًا الفدان بمبلغ ٣٨٠٠٠٠٠٠ جنيه · وايجارها على حساب ثلاثة جنيهات عن كل فدان بمبلغ ٣٨٤٠٠٠٠ جنيه · وفرض انه يصرف في كل عام على اعمال الري والسدود والقناطر ١٨٤٠٠٠٠ جنيه · فيبقى بعد ذلك ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه ايرادًا لراس مال قدره ٨٠٠٠٠٠٠جنيه فيكون الربح باعتبار ٢٥ بالمائة · ثم سأل سامعيه « فليقل الذين خبروا مصر هل تُعدّ هذه الارقام مبالغًا فيها » ثم قال

« اكتفيت بالكلام عن الاراضي الواقعة عند ابتداء دلتا نهر الدجله لانني ارى ان هذه الاراضي اهم ما يستحق الذكر في تلك البقاع ولكن هناك قطعة ارض اخرى مملوءة الآن بالمستنقعات وهي واقعة بين الدجله والفرات · وهذه البقعه في الحقيقة لا تقارن بالارض الكائنة بقرب بغداد وهي التي سبق الكلام عنها ولكن هذه البقعة الاخيرة كانت في الازمان السابقة كثيرة الخصب تخترقها ترع ومجار لريها وكانت آهلة بالسكان »

ثم اخذ يتكلم عن هذه البقعة فقال انها تُسمى في كتب العرب (بالعراق العربي) ومساحتها تقدر بمليون وخمسمائة الف فدان اي عبارة عن نصف مساحة الوجه البحري في

مصر ثم قال :

« لما استوطن الكلدانيون القدماء ـ وهم القوم الذين جابوا الاقطار وركبوا متون الاسفار من شرق البلاد الى غربها ـ هذه البقعة لا بدّ انهم وجدوا نهري الدجلة والفرات يسيران في مجراها الطبيعي اللذين كانا يحفظان مياههما على الدوام . ولا شك في ان مياههما كانت تفيض في بعض الاحايين على الاراضي المحيطة بهما . ولكن لما ازداد عدد الاهالي وكثرت الحاجة الى اصلاح الاراضي وحمايتها من الفيضانات انشئت الترع واقيمت الجسور وبنيت القناطر ووزعت المياه في المصارف بقدر معلوم فاخذ مجريا النهرين في التغيير على حسب ما يناسب الحالة الجديدة . فلما تغيرت الايام وتبدّلت الاحوال واقبلت المصائب والرزايا بكلكلها على هذه البلاد وسدّت افواه المصارف والترع لم يعد مجريا النهرين قادرين على تحمل المياه ففاضت حتى صيرت تلك البقعة الواسعة مستنقعاً وهكذا وصلت الى ما وصلت اليه اليوم

« وفي هذه النتيجة التي وصلت اليها بلاد العراق خير درس لمصر يجب ان لا تنساه في ايام عزها وثروتها

« ويعرف المشتغلون بهندسة الريّ ان طريقة الريّ من مجرى النهر الاصلي ان المياه كانت تؤخذ من النيل مثلاً في اوّل الفيضان محملة بالطمي ثم تعود اليه في التصفية خالية من الطمي المذكور وبذلك كان مجرى النيل يبقى نظيفاً حافظاً لشكله الاصلي واتساعه المعتاد ولهذا السبب عينه وجدنا نهر النيل بعد سبعة آلاف عام قادرًا على تحمل مياههِ كما كان ايام (مينا) . اما الآن وقد حلّ الريّ الصيفي (اي الريّ بواسطة الترع وغيرها) مكان الري من مجرى النهر فنحن نقلد الكلدانيين فيما عملوه على شاطىء الدجلة والفرات . فلذلك ارى من الواجب علينا ان نراقب بعين اليقظة مجرى نهر النيل ولا نتركه ينقص او يضيق عن تحمل مياههِ وواجب ان نتخذ الاحتياطات باخذ المقاسات السنوية حتى اذا وقفنا على نقص في جهة عملنا على تدارك الخطب قبل استفحاله »

« وعاد بعد هذا الى موضوع امكان اصلاح العراق العربي وما يلزم بناؤه وانشاؤه من الترع والجسور وغيرها فقال : انه وصل الى علمهِ ان جلالة السلطان عبد الحميد بدأ بنجاح وافر في احياء الاراضي الواقعة بالقرب من بابل وذلك بانشاء ما يلزم انشاؤه لاحيائها .

واذا اعتمدنا في تحقيقاتنا على النفقات التي انفقت على القناطر والجسور والمصارف في مصر نقول ان هذه الاعمال نفسها في وادي الدجلة والفرات تكلف جنيهاً واحداً عن

الفدان الواحد لانشاء القناطر ونصف جنيه عن الفدان للجسور وجنيهين ونصفاً عن الفدان للترع وجنيهاً ونصفاً عن الفدان للمصارف او بعبارة اخرى عشرة جنيهات عن كل فدان »

« وذكر ان هذه الارقام ماخوذة من كتابه المسمى „ الري المصري ،، وانه وصل الى تقديرها بعد خمس عشرة سنة قضاها في الاختبار والعمل · ويؤخذ من الجدول الآتي البيان الكافي عن تقديرات الخطيب لاثمان الاراضي ونفقات الاعمال الخاصة باصلاح ريها »

	فدن	نفقات الاعمال	ثمن الارض
كلدانيا الشمالية	١٣٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٩٠٠٠٠٠٠
كلدانيا الجنوبية	١٥٠٠٠٠٠	٣٢٥٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠
المجموع	٢٨٠٠٠٠٠	٥٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠

« وقال في ختام خطبته ما يأتي « تسمى بغداد دار السلام ولكنه سلام سوف يحل ساحتها وهو السلام الذي حرمت منه في زمان طويل منذ ايام تيمور وهلاكو وغارات التتار الذي كان قدومهم الى تلك الاصقاع انكى وادهى من تغيير مجرى الدجله وتركه تلك الارض قاعاً بلقعاً · وستكون هذه الارض غرة في جبين الدنيا يهرع اليها الوف العمال من الهند ومصر لانشاء السكة الحديدية من الكويت (او القويط) شمالاً والترع والمصارف بالقرب من آثار اوبيس القديمة جنوباً · وهكذا تنقل السكة الحديدية الرجال والعمال والادوات من الخليج الفارسي لاحياء الاراضي وانشاء المدن في تلك البقعة الواسعة · ولا حياة للسكة الحديدية بغير احياء الارض · ففي اليوم الذي تلتقي فيه السكة الحديدية من البحر الاحمر بالسكة الحديدية من الخليج الفارسي تكون بطاح كلدانيا القديمة خضراء زاهرة تقوم بتصدير محصولاتها التي يطلبها الشرق او الغرب · وليس في الارض بقعة اجود تربة وانفع لزراعة الخضر والحبوب من هذه البقعة · فالقطن وقصب السكر والذرة والبرسيم والافيون والدخان وغيرها من النباتات التي تنمو في مصر تنمو ايضاً في تلك البلاد · وزد على ذلك ان جوها صالح لكل شيء · فبلادٌ هذه شأنها يجب ان لا تبقى مقفرة قاحلة في الوقت الذي تزحف فيها سكة حديد بغداد من الشمال واوربا تبحث عن ارض تستثمر فيها المال » اه

باب تدبير الصحة

اهمية الرياضة البدنية

من افضل المبادىء التي أُدخلت الى المدارس الاميرية في القطر المصري مبادئ الرياضة البدنية . وقد عمّت هذه المبادىء مدارس اوروبا كلها خصوصاً مدارس الانكليز والاميركان وتطرقت من مدارس الذكور فيها الى مدارس الاناث حتى صار ترويض جسم



حضور آباء الطلبة في مدرسة الفرير في الثغر الاحتفال السنوي بالالعاب الرياضية الخاصة بالمدرسة

الابنة بمنزلة تلقينها اسمى المبادىء . ولا عجب في ذلك فان صحة الابدان في هذه المدنية المتأنثة التي يزداد فيها ميل الانسان الى الراحة والكسل متوقفة على إتعابها وترويضها . فعسى ان تعمّ مبادىء الرياضة البدنية جميع المدارس الشرقية

وهنا ننشر صورتين يمثلان احتفالاً اقيم في احدى مدارس الثغر دلالة على اهتمام المدارس الغربية بالرياضة البدنية



الطلبة بملابس الالعاب الرياضية قبل الشروع فيها

﴿ الاطفال وجناية غلي اللبن ﴾ اللبن غذاء ضروري للاطفال . ولكن باعة اللبن قد يغلونه ويستخرجون منه مادته اليسيتينيّة (القشطه) ليبيعوها على حدة وبذلك يأخذون افضل ما فيه من الغذاء . وتلك جناية على الاطفال يجب الانتباه اليها . وقد ابلغ الدكتور برواردل اكاذمية العلوم ان اللبن اذا أُغلي على النار مباشرة فقدَ ٢٨ في المائة من مادته المذكورة ولكنه اذا أُغلي بحرارة النار لا بالنار نفسها وذلك بطريقة تعرف بطريقة « حمام ماري » فانه لا يفقد منها الاَّ ١٢ في المائة

﴿ الغبار الغبار الغبار ﴾ كان باستور اوَّل من صرخ هذه الصرخة لانه بعد

اكتشافه امر الميكروبات علم ان الغبار اقوى موصل لها لدخوله الى جسم الانسان بطريق الانف · ولا يزال علماء الهيجيين يحاربونه الى اليوم · وهم يشيرون على ربات المنازل ان لا يكنسن كنساً جافاً لان الكنس الجاف يثير في البيت الغبار الكامن في زواياه واذا كان في هذا الغبار مكروبات ثارت في فضاء الغرفة واستنشقها اهل البيت مع الهواء والغبار · وكثيرًا ما تدخل مكروبات السل والطاعون والتتانوس والحمى من هذه الطريق · فالافضل اذًا مسح المكان الذي يُراد كنسه بخرقة مبلولة او اسفنجة وبذلك تُستأصل جراثيم الغبار · ولذلك صاروا يشيرون بوجوب ان لا يُستعمل في المنازل الا كل شيء يمكن مسحه وغسله اي ابطال استعمال الستائر على النوافذ والسجادات وما اشبهها · وقد اخترع احدهم آلة هي عبارة عن ممص يوضع في اماكن الغبار فيمتصها مع الهواء ثم يعيد الهواء ويبقي الغبار في جوفه

باب الاخبار العلمية

﴿ آثار مصر في انكلترا ﴾ في ستنهنج في انكلترا خرابات قديمة قيل انها من العصر الحجري وهي عبارة عن حجارة ضخمة قائمة فوقها حجارة اخرى طويلة بمثابة سقف لها · وقد وجدوا بعد البحث الكثير انها آثار قوم كانوا يعبدون الشمس وقد عرفوا ذلك من ان الشمس حين بزوغها تقابل مدخلها وترسل منه اشعتها الى الداخل في اطول يوم من ايام السنة · وهذه الطريقة هي طريقة الكهنة المصريين القدماء في بناء هياكلهم ليدهشوا الشعب بظهور الشمس لهم بغتة في يوم معين · ولذلك قيل ان الذين بنوا هذه الخرائب اقتبسوا طريقتها من مصر

﴿ سبب حدّة بعض الكتاب ﴾ حين صنع ورق الطباعة وصقله يمرّ تحت اسطوانات كهربائية · قال بعضهم : فسبب حدّة بعض الكتاب ونزقهم وهم يكتبون تهيجهم من تلك الكهربائية الكامنة في الورق · فلا شك ان هذا العذر اجمل الاعذار

﴿ القطب الجنوبي ﴾ روى البرق خبر نجاح البعثة الانكليزية التي سافرت الى القطب الجنوبي · فان هذه البعثة سافرت اليه في شهر اغسطس من سنة ١٩٠١ وبقيت اخبارها كل هذه المدة مقطوعة · وهي بعثة اوفدتها الجمعيات العلمية الانكليزية لارتياد

القطب . فتمكنت من الوصول الى ما فوق الدرجة ٨٠ في القطب اي انها تجاوزت السياح الذين ارتادوا القطب الجنوبي قبلها بمسافة ٣٠٠ كيلومتر . وكانت الحرارة تهبط هناك الى الدرجة ٤٥ تحت الصفر . وقد اكتشفت جبلاً ارتفاعه من ٣ الى ٤ آلاف متر . وكل ما رأته يؤيد ما نقلناه قبلاً من وجود قارة كبرى عند القطب الجنوبي . وقد عزمت على صرف فصل الشتاء هناك لتكمل ملاحظاتها في فصل الصيف . على ان في القطب الجنوبي بعثتين اخريين غيرها واحدة المانية وواحدة اسوجية ولكن اخبارهما مقطوعة منذ مدة طويلة

﴿ علم الفلك في المدارس الابتدائية ﴾ عاد بعض علماء الفلك الى ما اقترحه العلاَّمة له فريه المشهور من وجوب وضع نظارة مكبّرة صغيرة في كل مدرسة ابتدائية لتربية اذواق الطلبة على علم الفلك

﴿ كوكلين في الاستانة ﴾ كوكلين اشهر ممثلي فرنسا وقد سافر الى الاستانة منذ شهر ومثل في القصر السلطاني مع جوقه بعض رواياته المضحكة فكان جلالة السلطان يهبه كل مرة ٥٠٠ ليرة عثمانية وقد انعم عليه بالنشان المجيدي الثالث

﴿ مراهنة تنقلب لغا النفس ﴾ تراهن بحريان في اوروبا (ولا نذكر جنسيتهما) على ان تُربط يدا احدهما خلف ظهره ويُربط جرذ حيٌّ امامه على المائدة بخيط طويل . والرجل يهاجم الجرذ فيمسكهُ بفمهِ فقط ويقتلهُ بهِ . ففعل الرجل ذلك ونال الجائزة بعد ان خدشهُ الجرذ وعضّه كما عضه . .

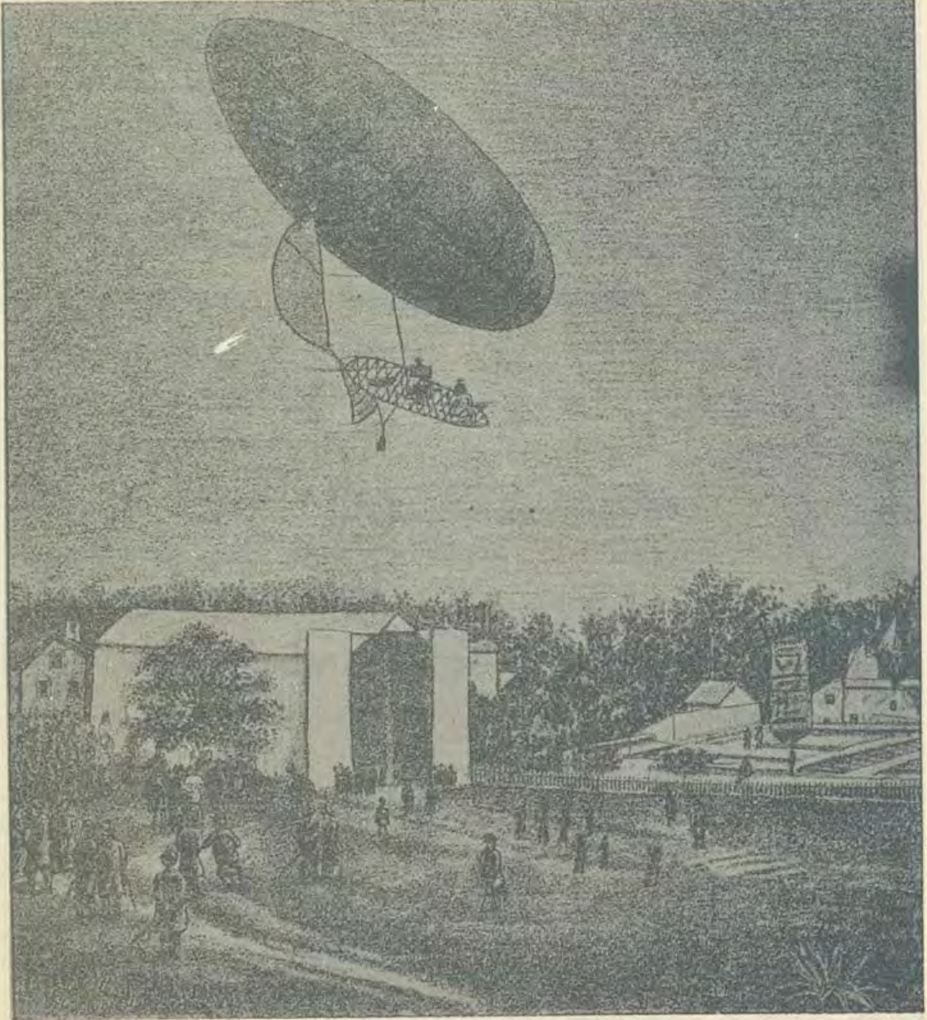
﴿ موافقة المانيا على معاهدة الاختراعات الدولية ﴾ كانت المانيا خارجة عن دائرة معاهدة الاختراعات الدولية فوافقت على هذه المعاهدة في هذا الشهر وبذلك صارت حقوق المخترعين من غير رعاياها مرعية فيها

﴿ الفيلة والماء والنار ﴾ الفيلة تكره الخوض في الماء فبدلاً من جرها اليه يحيط بها رجال بايديهم مشاعل من كل جانب الاَّ من جانب الماء فتتجه حينئذٍ الى هذا الجانب من تلقاء نفسها وتخوضه

﴿ تأثير الهواء في النبات ﴾ اخذ المسيو بونيه عدة نباتات من فصائل متشابهة وزرع بعضها في باريز وبعضها في شواطىء البحر المتوسط فلم تمرّ عليها ثلاث سنوات حتى ظهر التغير فيها وصارت النباتات التي على شاطىء البحر تختلف عن النباتات الباريزية وهذا مما يثبت سرعة تغير الاحياء بتغير المكان والهواء

﴿ المناطيد والطيران في الهواء ﴾ يعرف القراء سنتوس ديمون البرازيلي مخترع

المنطاد (البالون) المعروف باسمهِ ٠ وقد نشرنا هنا صورة احد مناطيده التي طار بها فوق ضواحي باريز ٠ ويُقال انه سيعرض مع كثيرين من الهوائيين في معرض سان لويس القادم الذي سيقام في اميركا منطاداً ارقى من جميع مناطيده السابقة حتى الذي نال به الجائزة يوم دورانه حول برج ايفل



سنتوس ديمون في منطاده فوق ضواحي باريز

تاج سايتافارنس سايتافارنس ملك مشهور من ملوك القبائل السكيثية القديمة التي عاشت في شمالي اوروبا الشرقي بينها وبين آسيا ٠ ومنذ عدة سنوات ابتاع

متحف اللوفر في باريس بمبلغ ٢٠٠ الف فرنك تاجاً من ذهب قيل ان هذا الملك كان يلبسهُ في حياته ٠ على انه شاع اخيرًا في كل الجرائد الفرنسوية ان هذا التاج مزوَّر فعينت الحكومة لجنة لفحصه ٠ وبذلك وقعت الشبهة على كثير من الآثار القديمة النفيسة فصار اصحابها يقلّبونها وهم في خوف من تزويرها

﴿ تجارة اوستراليا مع اوربا ﴾ بلغ ما اصدره اقليم فيكتوريا من اوستراليا فقط الى انكلترا من السمن ١٧ الف طن في سنة واحدة وقيمتها ٤٠ مليون فرنك

﴿ ظهور نجم مذنب ﴾ ظهر لعلماء الفلك نجم مذنب آخذ في الاقتراب من الارض وهو قريب جدًا من الشمس ولذلك لم يظهر جليًا ٠ وقد كان ظهوره لهم في ١٩ يناير الماضي ولكن لم يدخل يوم ١٦ مارس حتى صار يرى اكبر مما رؤي عند ظهوره بواحدة وار بعين مرة

﴿ وجود الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ثبت ان الارسنيك موجود في كل شيء حتى في جسم الانسان ولذلك صحَّ ما قاله احد المحامين لاحد القضاة في قضية تسميم « انني قادر على استخراج الارسنيك من كرسي القاضي نفسه » اي من مادتها الخشبية ٠ وبناء عليه لم يعد وجود الارسنيك في امعاء الميت دليلاً على تسميمه وانما يجب لاثبات ذلك وجود مقدار كثير منه فيها

باب التقريظ والانتقاد

الخبط في مسألة الضغط

تأليف حضرة السيد ابن شهاب

اهدانا حضرة السيد ابن شهاب من علماء الهند الافاضل نسخة من كراس وضعه بهذا العنوان وغرضه تخطئه علماء الطبيعة في قولهم ان الهواء الكروي يضغط على الاجسام التي على الارض ٠ وقد اسهب حضرة المؤلف في اثبات مذهبه هذا وهو لا يعتقد به كل الاعتقاد كما ظهر من قوله مخاطباً القارىء « فان وجدتني مخطئاً فذلك شأني وشأن المتطفلين امثالي ولست اول سارٍ غره القمر ٠ وان وجدتني اصبت كبد المرمى وجئتك بالصواب الصراح فرمية من

غير رامٍ ومع الخواطئ سهم صائب » ولا شك في ان الكاتب قد قال هذا القول وهو يفتكر في المشاهدات العديدة التي يُثبت بها علماء الطبيعة في هذا الزمان مذهبهم في ضغط الهوآء وهي في حُكم الاوليات مثل المضخات (الطلمبات) والممصات وغيرها . وبناء عليه يكون مذهبه عبارة عن رأْي يُعرض للنقد . ولذلك كان الاجدر بحضرته ان لا يسميه « رفع الخبط عن مسألة الضغط » فان في كلمة « الخبط » تحقيرًا لجميع جهابذة العلم الذين استقى المؤلف منهم . بل كان يجب ان يسميه « رأْي في مسألة الضغط »

المباحث العصرية

تاليف جناب ناشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية

يسرنا ان يظهر من قلم الناشئة المصرية حيناً بعد حين كتاب ككتاب « المباحث العصرية » الذي وضعه جناب ناشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية . وهذا الكتاب يشتمل على فصول في مواضيع متفرقة وهذه ابوابها : حقوق المجرمين . السحر الحديث اي التنويم المغنطيسي . الداء الاجتماعي اي السكر . الاحسان وعلاقته بالحكومات والافراد . حقوق الانسان الطبيعية وفيها حق البقاء والحرية والملكية . وقد ايد جناب المؤلف اقواله بكثير من آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين مما دل على سعة اطلاعه . فنحن نتمنى الرواج لكتابه ليكون ذلك مشجعاً له على الاستمرار في الكتابة . ومما اعجبنا في الكتاب قول المؤلف في المقدمة « واني لا اود ان اتبع خطة غيري من الذين كتبوا قبلي فابث في مقدمة كتابي عبارات الاعتذار لقصر الباع وقلة المتاع لان ذلك القول صار مبتذلاً عند العقلاء يا نفهُ ذوو الافكار الحرة اذ الكاتب بنشر خلاصة افكاره يعترف ضمناً باعتقاده في نفسه بعض الكفاءة والمقدرة »

آسيا

لحضرة واضعهِ شارل افندي مقصود

هو كتاب جغرافي مدرسي مكتوب باللغة الفرنسوية وفي حواشيه شروح باللغة العربية لحضرة مؤلفه شارل افندي مقصود مدرّس اللغة الفرنسوية في مدارس جمعية العروة الوثقى . وموضوع هذا الكتاب البحث في جغرافية آسيا واقسامها كلها وشيء من تاريخها مما يفيد في المدارس الابتدائيه فائدة تُذكر . فنثني على جناب مؤلفه اجمل ثناء لاننا لا نجد

احداً اجدر بالثناء من اولئك النشيطين الافاضل الذين يبذلون قواهم واوقاتهم في تثقيف عقول الناشئة دون ان يلقوا في هذا التثقيف في بلادنا الشرقية المكافأة والاكرام اللائقين بهم

الجمعية الخيرية الارثوذكسية في طرابلس الشام

اهدتنا هذه الجمعية الكريمة نسخة من بيان حساباتها لسنة ١٩٠٢ ويؤخذ منها ان دخلها قد بلغ اكثر من ١٩ الف غرش ونفقاتها ١٣ الفاً. ونحن لا يسرّنا شيء مثل اقبال اهل البلاد على الاشتراك في معاونة بعضهم بعضاً بجمعيات خيرية عمومية او خصوصية. انما نسأل الله ان يزيد الهمم علوًا في هذا السبيل فان مبدأ التعاون والاجتماع الذي صار قاعدة اعمال الغرب كلها سياسةً وتجارةً وادبًا لا يزال في اول طفوليته عندنا حتى انهُ لولا المذاهب الدينية لما كان بيننا جمعية قط

﴿ المصباح ﴾ عادت الى عالم الصحافة جريدة المصباح الغراء التي تطبع في بيروت بادارة حضرات نجيب افندي حبيقة والياس افندي جدعون فنحن نرحب بالرصيفة

﴿ مطبوعات المكتبة العمومية ﴾ اهدتنا المكتبة العمومية في بيروت لصاحبها جناب سليم افندي ابرهيم صادر نسخة من قائمة مطبوعاتها التي صدرت حديثًا وفيها اسماء الكتب والروايات التي تباع فيها. وهي تُطلب من هذه المكتبة في بيروت

﴿ مطلع الميامن ﴾ جمع حضرة الرصيف عزتلو عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران الغراء كتاباً عنوانه " مطلع الميامن في تهانىء غبطة البطريرك كيرلس الثامن "، وقد ضمنه تاريخ طائفة الروم الكاثوليك بالتفصيل وذيله بالتهانىء التي رُفعت الى غبطة الحبر الجليل السيد كيرلس الثامن بعد ارتقائه الى العرش البطريري وبرسم غبطته ورسوم كثيرين من احبار الطائفة الاجلاء. وهذا الكتاب يُطلب من جناب واضعه في العاصمة وثمنه خمسة فرنكات عدا اجرة البريد

﴿ الامام ﴾ الامام جريدة اسبوعية سياسية ادبية قضائية لصاحبيها حضرات عزتلو محمد ابو شادي بك المحامي ومحمود افندي واصف وقيمة اشتراكها في مصر ٨٠ غرشاً صاغاً و٢٥ فرنكاً في الخارج. وقد قرأنا فيها ابحاثاً مهمة منها بحث في المقارنة بين العقوبات في الشريعة الدينية والشريعة المدنية تدلّ على سعة اطلاع فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ دليل الكاتب ﴾ هي رسالة في فن الخط صغيرة الحجم كبيرة الفائدة لواضعها جناب محمد افندي حلمي الكاتب بدائرة دولتلو الامير محمود حمدي باشا وقد طبعت في مطبعة التمدن طبعًا في غاية الاتقان شأنها في كل مطبوعاتها



﴿ ادورد السابع ملك انكلترا ﴾

بلباس رئيس المجامع الماسونية وهو ولي العهد

﴿ اميل لوبه ﴾

رئيس الجمهورية الفرنسوية

الجامعة

الجزء الثالث — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ ـ صفر سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الغرب

الملك ادورد * الرئيس لوبه

الملك ادورد والرئيس لوبه هما اليوم الرجلان اللذان يمثلان ارقى امم الارض وحكومتها (مع حكومة الولايات المتحدة) ارقى الحكومات في العالم . ولمناسبة التقائهما في باريز بعد سياحة الرئيس لوبه في الجزائر وتونس يحسن ان نصدر هذا الجزء بشيء من ترجمتها

***

الملك ادوار ولد الملك ادوار في سنة ١٨٤١ ويوم ولادته ساد الفرح في انكلترا كلها لان بكر امه كان بنتاً . وقد صرف ابوه همه الى تحويل ميله منذ صغره الى المعارف والفنون تنبيهاً للميل الادبي فيه لان امته امة علم وادب . فشبَّ الامير ادور اديباً مطلعاً .

الا ان امه المرحومة فيكتوريا وضعته بمعزل عن المعيشة الملوكية الرسمية اي لم تكن تسمح له بالتداخل في شأن من الشؤون لئلا يجرّ ذلك عليه الانتقاد واللوم . ولذلك كان الامير يقول: ان ابن اختي الامير غيليوم (يريد الامبراطور غيليوم وهو ولي عهد) يدبّر كل شيء ويتداخل في كل شيء اما انا فكأنني غير موجود . ولكن لما توفي ابوه جزعت الملكة فيكتوريا لوفاته جزعاً شديداً وانقطعت عن الحفلات الرسمية فصار نجلها الامير ادور ينوب منابها فيها . ومع ذلك فقد كانت وظيفته مقصورة على الظهور في تلك الحفلات دون ان يتداخل في شيء من امور الدولة الرسمية احتراماً لارادة والدته التي لم يكن يخالف لها امراً

وكان من صفات الامير وهو ولي العهد كراهته للاستقبالات الرسمية ورغبته في ان يروح ويجيء في المدينة كما يريد دون ان يعرفه احد او يحفل به احد . ومن اقواله : انني اكون سعيداً جداً يوم اقدر اروح واجيء كما احب فلا يقال عني راح البرنس دي غال وجاء البرنس دي غال . او لعب البرنس دي غال الليلة وخسر مالاً لا يقدر على وفائه » وكان من المغرمين باقتناء الخيل وتضميرها للسباق وقد ربح جائزة دربي ثلاث مرات . وكذلك كان من محبي التأنق في اللبس وكثيرون من الباريزيين والباريزيات لا يزالون يذكرون نزهاته في حرش بولونيا في باريز بقبعة منحرفة على اذنه قليلاً كالشبان المرتاحين الى الحياة وسترة بزيّ جديد خاص به وهذه السترة كانت لا تلبث ان تصير منذ ذلك اليوم زياً عمومياً (موضة) فيتهافت اهل التأنق على لبس سترة مثلها

ولكن لما توفيت المرحومة الملكة فيكتوريا والقيت على عاتقه اعباء الدولة الثقيلة تغير الامير تغيراً كلياً . فصار منظره رسمياً محضاً . ومنذ اول اسبوع رحب الشعب الانكليزي بملكه الجديد اجمل ترحيب . غير ان الساسة باتوا يتساءلون : هل ان الملك ادوار يجري في ملكه على سياسة وزرائه ام له آراء خصوصية يريد تحريك سفينة الدولة نحوها . فيظهر من الحوادث التي مرّت عليه الى الآن ان الملك ادوار ملك جدي لا يترك نفسه آلة في ايدي وزرائه . فانه على ما يُقال هو الذي جعل الوزارة الانكليزية تُصالح البوير على الشروط التي تمّ الاتفاق عليها . وهو ايضاً الذي حرّك سفينة الحكومة نحو صداقة فرنسا . ومما هو معروف عنه انه شديد الميل للفرنسويين خصوصاً لباريز لانه اقام فيها مراراً مدات طويلة وعرف اكابر رجالها وسيداتها خصوصاً في المجتمعات العليا . ومن اقوال بعض اخصائه عنه : ان ابتسامة باريز له تعادل عنده ابتسامة الدنيا كلها

وفي يقيننا ان باريز لا تكتفي بالابتسام له هذه المرة التي تحظى فيها بزيارة سلطان

السلطنة الانكليزية . لانه يظهر من الاخبار الواردة منها ونحن نكتب هذه السطور انها ستضحك له ابتهاجاً بزيارته ملء فيها . فعسى ان يكون في هذه الزيارة خدمة جديدة للسلم العام في العالم وازالة النفار من بين الامتين العظيمتين اللتين خلفتا الامة اليونانية والامة الرومانية

***

اميل لوبه ولد اميل لوبه في مونتليمار في اقاليم فرنسا ونشأ محامياً ووكيلاً للدعاوى ولبث يتدرج من هذه الحرفة حتى وصل الى رئاسة الجمهورية . اي انه مرَّ في جميع الدرجات التي بينها وبين هذه الرئاسة . فكان عضواً في المجلس البلدي في بلدته ثم عمدة لها ثم موظفاً في الحكومة فنائباً في مجلس النواب فوزيراً فعضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً لهذا المجلس . فتقدمه اذاً كان عبارة عن سير تدريجي مطرد بلا وثبة ولا عنف لانه كان عبارة عن نتيجة ارادة قوية وصبر شديد . وقد كان انتخابه لرئاسة الجمهورية في الاحوال التالية :

لما فُتحت مسألة دريفوس انقسمت فرنسا قسمين قسم يُدافع عن الجيش وقسم يطلب الحقيقة اي يطلب تبرئة دريفوس اذا كان بريئاً ولو ادى ذلك الى اهانة رؤساء الجيش الذين كانوا يؤكدون خيانته . وكان على رئاسة الجمهورية يومئذ المرحوم فليكس فور وكان من حزب الجيش وبعض الجمهوريين المعتدلين الذين كانوا يعضدونه اعتقاداً بخيانة دريفوس . فيظهر ان هذه الحادثة اثرت بالمرحوم فليكس فور فاصيب بداء السكتة من جرائها وبعضهم يقول انه مات مسموماً وهو حديث خرافة . فلما خلت رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت الذي كان اشد اوقات الضيق على فرنسا عرف اعداء الجمهورية ان هذه هي ساعتهم . فزادوا في تنفير الشعب منها والحملة عليها . اما الجمهوريون فانهم اجتمعوا بسرعة غريبة لانتخاب رئيس الجمهورية . فوجدوا من مصلحة الجمهورية يومئذ ان يضعوا في رئاستها رجلاً جامعاً لصفتين: الاولى ميله الجمهوري المحض لكي لا يخون الجمهورية وينحاز الى اعدائها . والثانية الاعتدال واللطف والمسالمة التي لا بدَّ منها في منصب فوق الاحزاب كهذا المنصب . فوقع اختيارهم على المسيو اميل لوبه الرجل الكريم الجامع للصفتين معاً

ولما بلغ خبر انتخابه الى باريز قام حزب الناسيوناليست وقعد . وانتشر هذا الحزب على الطريق التي مرَّت بها مركبته قاصدة قصر رئاسة الجمهورية يصيحون : بناما بناما . يريدون بذلك تعيير الرئيس بانه كان له يد في قضية بناما المشهورة . مع ان المسيو لوبه لم يكن له يومئذٍ يدٌ الاَّ في دفن تلك الاقذار لئلا تنتشر رائحتها فتضر سمعة فرنسا نفسها . فاحتمل

المسيو لوبه مهاجمات واهانات اعداء الجمهورية بصبر غريب بالنسبة الى كبر سنه · ولكن كبر النفس لا تتوقف على كبر السن او صغرها · ولما اعترض المسيو ديروليد زعيم حزب الناسيوناليست الجيش وهو عائد من جنازة المرحوم فليكس فور وطلب من قائده ان يزحف معه الى قصر رئاسة الجمهورية لاخراج الرئيس الذي فيها واقامة جمهورية جديدة « للشعب من اجل الشعب » قابل المسيو لوبه في قصره هذا الخبر بالابتسام · ولكن لما حضر سباق اوتيل وهجم عليه احد ابناء الاشراف وضربه بعصاه على قبعته على مشهد من جميع الناس ذهب يومئذٍ هذا الابتسام وتحوّل الى جدّ غريب · فان الرئيس قال يومئذٍ لاحداخصائه : انهم يصنعون بي هكذا ليحملوني على الاستعفاء ضعضعة لاركان الجمهورية ولكن فليعلموا انني سابق في منصبي مهما جرى لي

ثم كانت وزارة المسيو والدك روسو بطل الجمهورية والبرلمان الفرنسوي فجمع شمل الجمهوريين واضعف اعداء الجمهورية بمساعدة المسيو لوبه وبذلك انتصر هذا الرئيس اللطيف بصبره ورزانته وصار بعد تلك الاهانات والمهاجمات محترَماً في فرنسا كلها وصارت الملوك (كالقيصر والملك ادورد السابع) تتسابق لزيارته وهزّ يده

مشاهير الشرق

ملك شاه ✻ نظام الملك

حين خروج الامة التركية من بلادها في اقاصي آسيا واكتساحها ما يليها من البلاد التي كانت في قبضة العرب والفرس اشتهر منها سلطان ووزير طبقت شهرتهما الخافقين وفتحا اكثر بلاد آسيا وهما السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك · وفي ترجمة هذين الحاكمين عبرة للحكام وفائدة للقراء · لانه اذا صحّ كل ما روي عن ملكشاه من الخصال والمناقب وجب وضعه في مقدمة الملوك المتمدّنين الذين اشتغلوا لترقية الحضارة والمدنية في الارض

✻ السلطان الب ارسلان ✻ السلطان ملكشاه هو ابن السلطان الب ارسلان الذي خلف السلطان طغرلبك · ويوم وفاة هذا السلطان كان الب ارسلان صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فولوه دون سليمان بن داود جغري بك الذي عهد اليه السلطان طغرلبك بالسلطنة · فاتسع سلطان الب ارسلان حتى لُقب « بسلطان

العالم » وكان رفيقاً بالفقراء حكيماً متبصراً . قيل « ان بعض السعاة كتب اليه سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ما له ما في ممالكه من الرسوم والاموال وترك هذه الورقة على مصلاّه . فاخذها فقرأها ثم سلّمها الى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس » قال ابن الاثير بعد سرده هذه الحكاية : وهذه حالٌ لا يُذكر عن احد من الملوك احسن منها . وكان ألب ارسلان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية . وقد بلغه يوماً ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازاراً فاخذ المملوك وصلبه . فارتدع الناس من التعرض الى مال غيرهم . ولقد كانت هذه الشدة ضرورية بعد ما احاق ببغداد والبلاد من السلب والنهب على يد الجنود والعساكر

﴿ ملك شاه ونظام الملك ﴾ فعند وفاة ألب ارسلان اوصى ابنه ملك شاه بالاعتماد على وزيره نظام الملك فاعتمد عليه ملك شاه ولقبه القاباً جليلة من جملتها « اتابك » يعني الامير الوالد . فقام نظام الملك بهذا الامر احسن قيام

وكان نظام الملك رجلاً مقداماً . وقد كانت ولادته في سنة ٤٠٨ للهجرة في نوقان احدى مدينتي طوس . قال ابن الاثير « وقد زال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شبّ وتعلّم العربية وسرّ الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم » ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان ثم اتصل بداود نفسه فاوصى به ابنه الب ارسلان

﴿ المشاكل الثلاث ﴾ ولما تولى ملك شاه السلطنة وعهد بوزارتها الى نظام الملك وجد نظام الملك نفسه لدى ثلاث مشاكل : المشكلة الاولى قيام الخليفة المقتدي بالله اماماً في بغداد والتفاف العرب حوله وما ينشأ عن ذلك عادةً من الاحتكاك بين الخلافة والسلطنة . والمشكلة الثانية هياج الجند ورغبتهم في ان تُطلق ايديهم في اموال الرعية ليأخذوا ما يريدونه منها . والمشكلة الثالثة تسكين الثورات واخضاع الخوارج في اطراف البلاد وتأمين السبل فضلاً عن فتح البلاد اللازم فتحها تأميناً على ما في اليد من الاملاك

﴿ المشكلة الاولى ﴾ اما المشكلة الاولى فقد اتخذ فيها نظام الملك سبيل اللين والمسالمة . فصار يُبالغ هو والسلطان في زيارة قبور الائمة والاولياء كقبر موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة (رضه) وغيرها من القبور المعروفة . وفي ذلك قال ابن

ذكرويه الواسطي يهنئ نظام الملك بقصيدة منها :

زرتَ المشاهد زورة مشهورة ارضت مضاجع من بها مدفونُ
فكأنك الغيث استهلَّ بتربها وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وانجحت ولك الاله على النجاح ضمين

قال ابن الاثير في سنة ٤٧٩ « وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده بقي نظام الملك قائماً يقدم الى الخليفة اميراً اميراً . وكلما قدم اميراً يقول : هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا الى ان اتى على آخر الامراء » وفي هذه الزيارة « فوَّض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم . وطلب السلطان ان يقبّل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبّل خاتمه فاعطاه اياه فقبَّله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد . وخلع الخليفة ايضاً على نظام الملك »(١) فتأمل هذا الاحترام الجميل الذي كان السلاطين يقابلون به الخلافة وان كان في ذلك شيء كثير من ضروب السياسة

عرس جليل وزيادة في الاستيثاق من الخلافة رغب السلطان ملك شاه في تزويج ابنته الخليفة المقتدي بالله فتمَّ الاتفاق على ذلك بعد ممانعة الخليفة قليلاً وقد « نقل السلطان جهاز ابنته الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي . وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين بغلاً مجللاً بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنى عشر صندوقاً من فضة لا يُقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب » اما الخليفة فانه ارسل ابا شجاع وزيره الى زوجة السلطان تركان خاتون ام العروس لان السلطان كان يومئذٍ متغيباً في الصيد « وكان بين يديه (يعني اباشجاع) نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل . ولم يبقَ في الحريم دكان الاَّ وقد أُشعل فيه الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك . وارسل الخليفة مع (ظفر) خادمه محفة لم يُرَ مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون (ام العروس) سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . وقد اذن في نقل الوديعة الى داره . فاجاب بالسمع والطاعة . وحضر نظام

---

(١) وقال ابن خلكان « دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي بالله فاذن له في الجلوس بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضاء امير المؤمنين عنك »

الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير ٠ وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ٠ ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء ٠ وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة ٠ وكانت ليلة مشهورة لم يرَ ببغداد مثلها » ولكن ابنة السلطان لم يطل مقامها في حرم الخليفة اكثر من سنتين اذ في سنة ٤٨٢ « ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدّ منه ٠ وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاوّل وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بالله » ولما وصلت الى اصبهان اقامت بها الى ذي القعدة ثم توفيت فجلس وزير الخليفة في بغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها في بغداد مقر الخلافة وفي اصبهان معسكر السلطان

﴿ المشكلة الثانية ﴾ اما المشكلة الثانية وهي كف ايدي الجند عن اموال الرعية فقد لجأ فيها نظام الملك الى سياسة السلطان الب ارسلان وهي التشديد في معاقبة الاعتداء ٠ فكبح بشدته جماح الجند كبحاً شديداً بعد ان كاد الجند يعود الى السطو كما كان يفعل في ايام السلطان طغرلبك وغيره ٠ وفضلاً عن ذلك فان نظام الملك شغل الجند بالفتوحات والحروب الخارجية عن الفتن الداخلية

﴿ المشكلة الثالثة ﴾ وبهذه الفتوحات والحروب الخارجية مدّ ملكشاه ونظام الملك سلطنتها من « حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن ٠ وحمل اليه (يعني الى ملكشاه) ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد » « وكان منصوراً في الحروب ومغرماً بالعمائر فحفر كثيراً من الانهار وعمل الاسوار على كثير من البلدان وانشأ في المفاوز رباطات وقناطر ٠ وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها اموالاً كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس والخفارات في جميع البلدان ٠ وكانت السبل في ايامه ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى اقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير رهب »

ومن ذلك يُعلم عظمة تلك الارادة القوية التي سكنت سائر الفتن بين العناصر والمذاهب المختلفة وبسطت رواق الامن في آسيا

﴿ المدرسة النظامية ﴾ ومن اهم الامور التي صرف اليها نظام الملك فكره انشاء المدارس . ومن المدارس التي انشأها المدرسة النظامية الكبرى في بغداد التي اشتهرت اشتهار اعظم كليات اوروبا . وكان نظام الملك يربي ابنه فيها . وقد « شرع نظام الملك في بنائها في بغداد عام ٤٥٧ وفي عام ٤٥٩ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ ابو اسحق الشيرازي . فلم يحضر . فذكر الدرس ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوماً . ثم جلس الشيخ ابو اسحق يدرّس بعد ذلك . وكان الشيخ ابو اسحق اذا حضر وقت الصلاة خرج منها (لكي لا يصلي فيها)) وصلى في بعض المساجد » ذلك انه كان يقول « بلغني ان اكثر آلاتها غصب » يعني ان نظام الملك بناها بغصب الناس اشياءهم . وكان نظام الملك كلما قدم الى بغداد « يدخل اليها ويجلس في خزانة الكتب (اي مكتبتها) ويطالع فيها كتباً . وقد سمع الناس عليه بهذه المدرسة جزء حديث واملى جزءاً آخر » وممن اشتغلوا بالتدريس في هذه المدرسة بعد ذلك اكابر علماء العراق منهم حجة الاسلام الامام الغزالي حتى صارت في العراق بمنزلة الجامع الازهر في مصر . ويظهر ان الخلاف بين الحنابلة والاشاعرة اشتدَّ في سنة ٤٧١ ودخل فيه مدرّسو هذه المدرسة وطلبتها فجرت بسبب ذلك فتن دموية فكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك في ابيات

يا نظام الملك قد ✲ حلَّ ببغداد النظام ✲ يا قوام الدين لم ✲ يبقَ ببغداد مقام
فاذا لم تحسم الد ✲ اء اياديك الحسام ✲ ويكف القوم في بغ ✲ داد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها ✲ ومن فيها السلام

فقدم حينئذ نظام الملك الى بغداد ودخل مدرسته النظامية والقتل بجوارها فسكن ثائر تلك الحركة . وكان يومئذ التوفيق بين العناصر والمذاهب مشكلة رابعة بذل نظام الملك جهده في حلها

﴿ مقتل نظام الملك ﴾ قال ابن خلكان « ان نظام الملك وطَّد المملكة لملك شاه فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الاَّ التخت والصيد . واقام على هذا عشرين سنة » ويظهر ان علو كلمة نظام الملك في المملكة الى هذا الحد اثار عليه غضب السلطان في نهاية الامر لا سيما وان خصمه تاج الملك كان يوغر عليه صدر السلطان دائماً . فبطش به السلطان كما بطش هرون الرشيد بالبرامكة والمنصور بابي مسلم الخراساني خوفاً وحسداً . وقد اغتنم ملك شاه لذلك اول الفرص . واليك البيان :

كان لنظام الملك حفيد يدبر شؤون مرو ويُدعى عثمان . ففي ذات يوم ارسل اليها ملك شاه رجلاً من اكابر مماليكه يُدعى قودن فتنازع هو وعثمان تنازعًا افضى الى ان فعل به عثمان فعلة نضرب عنها صفحًا . فذهب قودن الى السلطان شاكيًا مستغيثًا . فلما بلغ هذا الامر الى ملك شاه غضب وارسل الى نظام الملك يقول له « ان كنتَ شريكي في الملك ويدكَ مع يدي في السلطنة فلذلك حكم . وان كنتً نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حدّ التبعية والنيابة » ثم ذكر له استيلاء اولاده على الكور وتطاولهم على شؤون الدولة . فحين بلغت نظام الملك هذه الرسالة غضب واجاب عليها بقوله « قولوا للسلطان ان كنتَ ما علمتَ اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلتَ هذا الامر الا بتدبيري ورأيي - قولوا له ان ثبات تلك القلنسوة (يعني قلنسوة السلطان) معذوق بهذه الدواة . وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة . واذا أطبقت هذا يعني الدواة) زالت تلك »

فلما بلغ هذا الجواب الى السلطان وقع وقعًا عظيمًا عنده فدبّر له على الارجح من قتله . وتفصيل ذلك ان نظام الملك كان يومًا في قرية قريبة من نهاوند يقال لها « سحنة » واذ اعترضه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح مستغيث وبيده ورقة فدنا منه نظام الملك ليتناولها فطعنه الصبي في فؤاده ثم فرّ فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه . واما نظام الملك فانه حُمل الى مضربه فمات لساعته

وكأنَّ النظام بقوله ان دواته منوطة بقلنسوة السلطان قد نظر الى المستقبل . فان السلطان ملك شاه لم يعش بعده اكثر من خمسة وثلاثين يومًا . وكان سبب موته « انه اكل لحم صيد فحمّ وافتصد ولم يستوفِ اخراج الدم » وبعد موتهما انحلت تلك الدولة الواسعة التي لم يملك مثلها احد من ملوك العرب بعد الخلفاء المتقدمين كما قال ابن خلكان ووقع السيف فيها . اما دفنها فقد كان في اصبهان

وقد رثى الشعراء نظام الملك من ذلك قول شبل الدولة مقاتل بن عطيه

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزّت فلم تعرف الايام قيمتها   فردّها غيرةً منه الى الصدف

﴿ عود الى الخليفة المقتدي بالله ﴾ وقبل وفاة ملك شاه « بايع الخليفة المقتدي بالله لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر . فالزم السلطان الخليفة ان يخلعه ويجعل جعفرًا ابن بنته (التي تزوج بها الخليفة كما تقدم) ولي عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة . فشق ذلك على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا

الرأي فلم يفعل وطلب المهلة عشرة ايام ليتجهز فامهله · فقيل ان الخليفة في تلك الايام جعل يصوم ويطوى واذا افطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله على السلطان فمرض السلطان في تلك الايام ومات وكفى الخليفة امره »

﴿ نوادر عن اخلاق نظام الملك ﴾ كان عالماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت · « وكان اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لها ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه · فقيل له في ذلك فقال : ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا ويثنون علي بما ليس في فيزيدني ذلك عجباً وتيهاً · وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه »

« وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد · فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرّب المقطوع اليه فاكل معه · وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه »

ولما ولي ملكشاه السلطنة خرج عليه احد اعمامه فاسره ملكشاه وامر بقتله فطلب اليه عمه ان يعفو عنه وانفذ اليه خريطة مملوءة من كتب امرائه ليثبت له بذلك انهم هم الذين حملوه على الخروج عن طاعته · فاخذ ملكشاه الحقيبة ودفعها الى نظام الملك ليفتحها ويقراء ما فيها · فتناولها نظام الملك والقاها في كانون نار كان هناك فاحترقت الكتب وسكنت قلوب الامراء والعساكر ووطنوا انفسهم على خدمة ملكشاه بعد ان كانوا قد خافوا من الخريطة لان اكثرهم كان قد كاتبه · وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك وكانت سبباً في ثبات قدم ملكشاه في السلطنة »

﴿ نوادر عن اخلاق ملك شاه ﴾ كان ملك شاه يلقب بالسلطان العادل · ويروى ان رجلين من ارض العراق السفلى قصدا ملك شاه وشكيا اليه مصادرة احد العمال لهما بالف وستمائة دينار وكسره ثنيتي احدهما « فنزل السلطان عن دابته وقال « ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن (يعني نظام الملك) فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك · فبلغ الخبر الى نظام الملك فخرج مسرعاً ولقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم : ما حملك على هذا · فقال كيف يكون حالي غداً عند الله اذا طولبت بحقوق

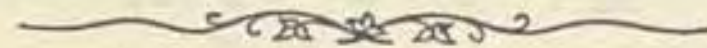
المسلمين وقد فلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف . فان نال الرعية اذى فانت المطالب

لما خرج عليه اخوه سار ملك شاه ونظام الملك لقتاله « فاجتازا بقبر علي بن موسى الرضى وبطوس فدخلا وصليا فيه واطالا الدعاء . ثم قال ملك شاه لنظام الملك باي شيء دعوت . قال دعوت الله تعالى ان ينصرك ويظفرك باخيك . فقال اما انا فلم ادعُ بهذا بل قلتُ اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية »

وسطا بعض الجنود على سوادي فغصبوه بطيخاً معه فلقيه ملك شاه يبكي . واذ عرف الخبر بعث من يطوف في الجنود ليجيء بمن يجد عنده بطيخاً . ولما جاء الرجل وكان من امراء المماليك سأله من اين لك البطيخ فاجاب ان بعض الغلمان جاءوا به فقال السلطان جئني بهم فذهب الامير وهرّبهم ثم عاد وقال للسلطان انني لم اجدهم . فالتفت السلطان الى السوادي وقال له : هذا مملوك قد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين اخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن رقبتك . فاخذه السوادي بيده فاضطر الامير ان يشتري نفسه منه بثلاثمائة دينار

وروي ايضاً انه « احضرت اليه مغنية وهو بالريّ فاعجب بها فاستطاب غناءها ورام منها ما لا يُرام فقالت ياسلطان اني اغار على هذا الوجه الجميل ان يُعذّب بالنار فان الحلال ايسر و بينه و بين الحرام كلمة . فقال صدقتِ واستدعى بالقاضي فتزوجها منه

هذه خلاصة ترجمتي ذينك الرجلين العظيمين اللذين يحق للشرق ان يفتخر بهما



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

بيت المقدس

(اورشليم او القدس والاماكن المشهورة فيها)

لحضرة نجيب افندي خوري نصار اللبناني في طبريا

هي المدينة الطائرة الصيت والذائعة الشهرة لاشتهارها بالوقائع التاريخية والحوادث الدينية التي جعلتها منذ ابتداء التاريخ المدني ذات شأن مهم في كل قرن تقريباً . فكانت شهرتها تتعاظم كلما تقادم عهدها حتى اشرأبت اليها اعناق الملوك وتسابقت الابطال الى اكتساب الشهرة بالحرب عند ابوابها والمدافعة عن اسوارها . وسعت الى السجود في معابدها رجال الدين وتاق الاتقياء من كل ملة الى تأدية فرائضهم الدينية فيها معتقدين ان كل وطأة قدم من اديمها مقدسة بما وطئها من اقدام الانبياء والمرسلين

﴿ موقعها الجغرافي ﴾ موقعها الجغرافي على سلسلة جبال كلسية قائمة في وسط فلسطين وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً الى الجهة الجنوبية الغربية من يافا في عرض شمالي ٤٧ ٣١ وطول شرقي ١٥ ٣٥ من كرينوج . وتعلو ٢٥٦٠ قدماً عن سطح البحر

والمدينة الاصلية محاطة بسور محيطه ميلان وثلاثة ارباع الميل وارتفاعه نحو ثمانية وثلاثين قدماً وفيه اربعة وعشرون برجاً وثمانية ابواب اشهرها باب الخليل نسبة الى حبرون بلد ابرهيم الخليل . والافرنج يسمونه باب يافا وهو في جهة السور الغربية . وباب صهيون المعروف بباب النبي داود لانه واقع على جبل صهيون مدينة داود الاصلية في الجهة الجنوبية .

(الجامعة) رأينا من الفائدة بعد نشر تاريخ المسيح والرسل بقلم رنان ان ننشر هذه المقالة المسهبة التي تضمنت وصف المدينة العظيمة التي حدثت تلك الحوادث فيها

و باب العمود المسمى ايضاً باب دمشق والباب الحميدي الذي فُتح من عهد قريب وكلاهما في جهة المدينة الشمالية . والباب الجميل في الجهة الشرقية مسدود

﴿ اسواقها وابنيتها وسكانها ﴾ اسواقها ضيقة وقذرة بسبب ازدحام الاقدام و بعض اقسام منها اقبية مظلمة وفيها منعطفات كثيرة وليس فيها انتظام كاسواق المدن الجديدة

والمدينة مبنية على اربع تلال يُفصل بينها باودية صغيرة يميزها الناظر من جبل الزيتون الواقع الى شرقيها . واسم هذه التلال صهيون وهو القسم الجنوبي الغربي الى المدينة والموريا او جبل الهيكل المقدس وهو القسم الجنوبي الشرقي منها . ويقابلها تلا اكرا و برانيا والمدينة الجديدة . وقد امتدت المدينة في السنين الاخيرة مسافة ثلاثة اميال الى الجهة الشمالية الغربية ونحو ميل الى الغرب وميل ونصف الى الجنوب الغربي وكثرت فيها الابنية المتقنة والقصور الشاهقة والمستعمرات الاسرائيلية وازداد عدد سكانها من خمسة واربعين الفاً في سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد عن السبعين الفاً في يومنا هذا . منهم نحو تسعة آلاف من المسلمين و بينهم عائلات عريقة جداً في النسب كالاسرة الحسينية المتسلسلة من سيدنا الحسين ابن علي بن ابي طالب والاسرة الخالدية نسبة الى خالد ابن الوليد . ونحو عشرة آلاف من المسيحيين بينهم عدد من الارمن والاقباط والالمان والاروام و بعض الاميركان . والباقون يهود من اسبانيا وجزائر الغرب وكردستان ورومانيا واوستريا وروسيا . واكثرهم هاجروا منها الينا في السنين الاخيرة بسبب ضغط بعض تلك الدول عليهم

﴿ ماؤُها ﴾ ولولا قلة المياه في القدس لنمت كثيراً عن ذلك وصارت ام المدن السورية رغماً عن رداءة فرضتها يافا وقلة محاصيلها لجدب الاراضي حواليها . وهي تستقي ماءها من الآبار الشتائية وقد جرّت اليها الحكومة السنية من مضي ثلاث سنوات مياه برك سليمان الواقعة على مسافة خمسة اميال الى جنو بيها باسطوانات حديدية ، غير ان هذه المياه قليلة في جنب حاجة المدينة

﴿ هواؤُها ﴾ جيد على ما اختبرناه بانفسنا وسمعناه من اذكياء الاطباء الموجودين فيها . وهو معتدل بنسبة ارتفاعها عن سطح البحر

﴿ تاريخها ﴾ يسمح لي القراء ان اكتفي بذكر المهمّ منه بايجاز لانه وان يكن غير خافٍ ما في مطالعة التواريخ المستوفاة من الفكاهة وما يجتنيه المدققون من متابعة ارتقاء وانحطاط البلدان بسلامة وفساد مبادىء الحكام والشعوب وغير ذلك من الفوائد كدرس اخلاق الرجال ومعرفة اطوار البشر فان ذكر ما قلّ ودلّ مراعاة لضيق المقام لخير من ترك الكل

اول ما ورد ذكر هذه المدينة في التوراة باسم شاليم مدينة ملكي صادق الكاهن العظيم · ويجدر بنا هنا ان نذكر حكاية عن ملكي صادق الذي لم تذكر لنا التوراة شيئاً عن سلالته · قيل : كان للمخي بن مولوخ ولد اسمه ملخي صادق فطلب اليه ابوه ان يذهب و يصطاد له عدداً من الغنم البرية ليقدمها ذبيحة لابيه مولوخ · فبينما كان الولد ذاهباً لقضاء هذه المهمة خطر له بالهام انه لا يجوز تقديم الذبائح لجده مولوخ الذي كان جباراً عاتياً · فعاد واخبر اباه بما خالج ضميره · فانتهره ابوه وامره بلزوم طاعته · فعـاد الولد الى امه واخبرها ظاناً انها تشفع به عند ابيه · غير انها الحت عليه بوجوب تنفيذ اوامر ابيه لئلا يقتله · فضاقت الحيل على الولد ولم يجد سبيلاً في غير الفرار · فهرب من وجه ابيه وجاء الى كهف في جبل الطور بقرب الناصرة وصمم على انكار ابويه وصلى الى الله ان يقتص منهما وممن يتبع ضلالتهما · فابتلعتهما الارض في معبد مولوخ · و بعد ان اقام مدة اربعين سنة متستراً في كهفه ومتنسكاً جاء مدينة شاليم (مدينة السلام وهي القدس) فوجده اهلها رجلاً صالحاً فاقاموه ملكاً عليهم

ودعيت القدس ايضاً يبوس نسبة الى اليبوسيين الذين لم يقوَ اليهود على طردهم منهـا وكانت عاصمة لهم حتى قبض داود على صولجان الملك على مملكة اسرائيل كلها فحصنها وجعلها كرسي مملكته وصارت تُدعى اورشليم والمدينة المقدسة ومدينة الملك ومدينة داود وصهيون وورد ذكرها باسماء اخرى كثيرة في التوراة · و بقيت عاصمة المملكة وكرسي الديانة مدة تنوف عن خمسمائة وخمسين سنة حاربها في غضونها المصريون والاشوريون وغيرهم · وفي سنة ٥٦٠ ق · م خربها نبوخذ نصر ملك بابل وسبي اهلها وجميع اليهود الى بلاده · ثم بعد غربة سبعين سنة عاد اليهود اليها واعادوا بناء اسوارها وهيا كلها · وفي سنة ٣٣٢ سلمت الى الاسكندر الكبير بدون حرب فدخلها باحتفاء جدير بعظمته وقدّم فيها الذبائح والقرابين بمقتضى الطقوس الاسرائيلية · ثم انتهت الى حكم السلوقيين الذين اضطهدوا اليهود كثيراً ودنسوا هيكلهم يذبح الخنازير على مذبحه فهاجت لذلك احقادهم وتحركت الضغائن وفضّلوا الموت على اهانة شريعتهم فجاهر متثياس الحشموني بالعصيان وكان من احدى عائلات رؤساء الكهنـة وحرّض اليهود على ذلك فتبعه بعضهم واستفحل امر ابنائه يهوذا و يوناثان وسمعان وفازوا بمساعدة الامة كلها فخلعوا نير السلوقيين وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل المسيح · وحاربوهم وابناءهم حروباً مجيدة انتصروا فيها انتصارات باهرة ذكرها يوسيفوس (اخبار اليهود كتاب ١٢ و١٣ وحروب اليهود كتاب ١) · ولكن حب الرئاسة

افضى باختلاف ارستو بيولس وهركانوس · فطلب هركانوس مداخلة بومبيوس القائد الروماني فدخل هذا المدينه بعد قتال شديد مع انصار ارستو بيولس · قال يوسيفوس: ان الرومانيين تعجبوا كثيرًا يومئذٍ مما شاهدوه من ورع كهنة اليهود الذين لم ترعهم جنود الاعداء بهجومها على الهيكل وقتلها كل الذين كانوا فيه بالحراب والخناجر بل بقوا يمارسون وظائفهم الدينية بكل هدوء واحترام · وهكذا قضي على استقلال اليهود بوقوعهم تحت سلطة الرومان الذين قبضوا على ازمتهم بايدٍ فولاذية واقاموا عليهم الولاة الرومانيين · غير ان بعض هؤلاء الولاة عاملوهم بقسوة ادَّت بهم الى التمرد والمقاومة فانتهز هيرودس الكبير (وهو ابن انتيباتر رجل ادومي دخل في خدمة الحشمونيين وتزوج منهم) فرصة هذه الاضطرابات والقلق الذي حدث في رومية على اثر قتل الامبراطور وتداخل مع مرقص وكاسيوس اللذين اتيا سوريا للاستيلاء على فرق الجيوش الرومانية المرتبة للبلاد فولياه على سوريا لانهما شهدا منه اقتدارًا ودهاء سياسيين امَّلاهما بالانتفاع منه عند الحاجة · ولكن القلاقل المستمرة اضطرته الى الذهاب بنفسه الى روميه فتمكن بدهائه ومساعدة انطونيوس والاحوال من الفوز برضى القيصر وتسميته ملكاً على سوريا · فعاد اليها وحارب القدس حربًا شديدة وقتل انتيكونوس آخر سلالة ملوك الحشمونيين الذين حكموا في شعبهم اليهود ١٢٦ سنة · وحصن هيرودس سور المدينة الثاني بثلاثة ابراج منيعة سماها هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا واعاد بناء الهيكل وحصن برجه الذي دعاه انطونيا وسيأتي استيفاء الكلام عليه في محله · واقام ابنية شاهقة عظيمة ومحلات ملاهي وملاعب وتماثيل كثيرة في المدينة على الطراز الروماني · غير انه كان كثير المخاوف والشكوك ولذلك لم يسترح هو ولا البلاد التي كان يملك عليها · وقد اغرته وساوسه بارتكاب جرائم فظيعة كقتل امرأته المكابية وولديها وكثيرين من اخصائه واصحابه · وانقسمت المملكة اليهودية بعد وفاته الى اربعة اقسام تولى ارخيلاوس ابنه قسم اليهودية منها ولكنه لم يحسن الادارة فنفي وخلفه ولاة رومانيون · ثم انتهى الملك في ايام القيصرين كايوس وكلود يوس الى اغربياس الاوَّل حفيد هيرودس وكان هذا رجلاً حكيماً تمكن من التسوية بين مطالب الحكومة الرومانية في اخضاع رعاياها لاحكامها خضوعًا تامًا واليهود الذين لم يكن قد مرَّ عليهم الزمان الكافي لنسيان لذة الحرية · وبنى سور المدينة الثالث حول المدينة الجديدة وحصنه بتسعين برجًا · وبعد موته أُعيدت الولاية لولاة رومانيين فجاهر اليهود بالعصيان وبدأوا بتحصين المدينة واتموا بناء سور اغربياس الذي كان أُوقف

بناؤه بامر قيصري . وارسلوا يوسيفوس المؤرخ لحصن الجليل . ولكن لم تعد تقوى الجيوش الرومانية التي كانت في البلاد على اخماد نار الفتنة والقاء اليهود في قيد طاعتهم . فاوفدت لهم رومية فسباسيانوس القائد الشهير لتدويخهم فخارب مدن الجليل واخذها كما سيجيء . ثم علم بموت القيصر فتوجه الى رومة ليتبوأ عرش الامبراطورية تاركاً القيادة لابنه طيطس الذي جاء القدس واصلاها تلك الحرب الحامية اذ احاط اسوارها احاطة السوار بالمعصم وشدَّد عليها الهجمات وحبس عنها المؤن وقطع عنها المواصلات . وكان المحاصرون في داخل المدينة مقسومين الى اربع فرق تحارب بعضها بعضاً . وكان زعماؤها يرتكبون فظائع بربرية . فعمَّ الويل والبلاء واشتدت في المدينة المجاعات ومع ذلك كان طيطس بالرغم عن شدة بأسه يلاقي اشد الصعوبات في اثناء هجماته على المدينة . وبعد انقضاء شهرين على اقامة الحصار فاز بدكّ اسوار المدينة الجديدة واستولى بعد ذلك بشهر على برج انطونيا فحرق احد جنوده الهيكل العظيم بشعل نار رماه في داخله . ثم لاقى بعد ذلك مقاومات عنيفة مدة شهر كامل من الذين كانوا يحاصرونه في مدينة صهيون العليا . وبعد ان تمَّ له النصر هدم اسوار المدينة وحصونها وابنيتها كلها ما عدا الابراج الثلاثة هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا التي بناها هيرودس فانه ابقاها لاسكان بعض الجنود التي تركها في القدس ولتكون مثالاً لمناعة الحصون التي قويت جنوده على فتحها . واطلق الحرية لاربعين الفاً من اليهود واخذ الباقين وهم نحو ٧٩ الفاً اسرى . وكان ذلك في سنة سبعين بعد الميلاد المسيحي

وفي سنة ١٣٦ بدأ الامبراطور ادريانوس باعادة بناء المدينة ولكنه لم يسمح لليهود بالاقامة فيها بل فرقهم في البلاد خوفاً من عودهم الى العصيان . لكنهم لم يلبثوا ان شقوا عصا الطاعة بامرة رجل يهودي يُدعى باركوخبا واستولوا على القدس وعدة محلات اخر فاسترجع الامبراطور جيوشه التي كانت تحارب بقيادة يوليوس سفروس في بريطانيا وبعث بها الى البلاد السورية فبددت شمل العصاة واستعادت البلاد التي كانوا قد استولوا عليها وعاد هو الى اتمام بناء المدينة وبنى اسوارها على الاسس القديمة الا من جهة الجنوب فانه ضيقها فراراً من الاودية ودعاها كولونيا غاليا كابيتولينا وبنى فيها على اسس الهيكل هيكلاً لجوبتير وبنى هيكلاً آخر للزهرة في محل كنيسة القبر المقدس الحالية . وبقي اسم المدينة الجديد عليها مدة مئتين وخمسين سنة اذ اعاد لها الملك قسطنطين اسمها الاول واذن لليهود بزيارة القدس والدنو من اسوارها ثم اذن لهم بالدخول اليها ليبكوا وينوحوا على خراب هيكلهم المقدس

قيل ان اليهود كانوا في القرون الثلاثة الاولى كلما تشددت ايديهم يضطهدون المسيحيين وقد بالغوا في اضطهادهم اثناء ثورة باركوخبا فاضطر المضطهدين ان يتحاشوا كل مداخلة معهم وصاروا ينتخبون مطارنتهم من الامم المتنصرين فقط . وكان اسم اول مطران انتخبوه في ايام باركوخبا مرقص فمنه حتى ايام قسطنطين الملك قام ثلاثة وعشرون مطراناً

قال يوسيبيوس ان تنصر قسطنطين ازال عقبات كثيرة من طريق الديانة النصرانية وكان لزيارة امه هيلانة في عجزها للقدس اشد التأثير على النفوس حتى صار الناس يتقاطرون لزيارتها من جميع اطراف المعمور . وفي سنة ٤٣٥ قرر مجمع كاليدونيا جعل القدس كرسي بطريركية وبنى فيها الامبراطور جوستينيانوس في اوائل القرن السادس كنيسة وعدة اديرة ومستشفى للزوار وآخر للغرباء . وفي اوائل القرن السابع اشاع بعض رجال الدين انهم حصلوا على عظام القديسين فصارت الاديرة تفاخر باحرازها وتبيعها للزوار باثمان غالية . وصارت بعد ما انتشر خبرها في البلدان تجارة مهمة . ومما تقدم يتبين انه مضى على القدس مدة الثلاثة القرون الاول بعد المسيح وهي تحت حكومات امية والثلاثة الأُخر تحت حكومات مسيحية

وفي سنة ٦١٤ استولى خسرو على القدس فاسترجعها هيراقليوس منه في سنة ٦٢٨ وسنة ٦٣٦ حاصرها ابو عبيده قائد العرب فابى بطريركها ان يفتح ابوابها لغير الخليفة نفسه فجاءها الامام عمر بن الخطاب وامّن اهلها على دمائهم واملاكهم ودخلها وصلى على مقربة من باب كنيسة القبر المقدس حيث شاد المسلمين جامعاً . ولم يرضَ ان يصلي في القيامة نفسها لئلا يطلب المسلمون الاستيلاء عليها بعده . وامر ببناء الجامع الاقصى وصارت المدينة منذ ذلك العهد باسم القدس وبيت المقدس . وفي اواسط القرن الثامن اتصلت الخلافة بالعباسيين فاتخذوا بغداد كرسياً لهم وحدث في ايامهم اضطهاد على المسيحيين دام حتى بداية القرن التاسع اذ تولى الخلافة هرون الرشيد المشهور بالعدالة وكرم الاخلاق فدفع المظالم وسمح للمسيحيين باعادة كنائسهم واديرتهم . ولم يحد ابنه المأمون عن خطة ابيه بعد ما رقي كرسي الخلافة فارتاحت البلاد بظل دولتهما وراجت الاشغال واطمأَنت قلوب الناس . غير ان الخلاف بعدهما افضى الى انحلال الدولة العباسية وقيام الدولة الفاطمية التي لم ينتبه خلفاؤها الى القدس وراحة اهلها فاضطُهد المسيحيون مدة خلافتهم وعومل زوار الافرنج بخشونة نشأت عنها الحروب الصليبية المشهورة التي هلكت حملتها الاولى قبل وصولها

الى الديار السورية . واما الحملة الثانية فاستولت على الشواطىء السورية و بعض داخليتها وعلى البلاد الفلسطينية وجعلت القدس عاصمة لها وسمي كودفروى ملكاً عليها . و بقيت البلاد في ايدي الصليبيين مدة ثماني وثمانين سنة قام في غضونها ثمانية ملوك على القدس فبنوا فيها عدة ابنية ومستشفيات وحصون وكنائس وحاربوا المسلمين عدة حروب و بنوا في البلاد عدة قلاع جسيمة منيعة لم تزل آثارها تشهد لهم بالقوة واتقان صناعة البناء . وسنذكر اشهر هذه المحلات في مقالاتنا التالية . وفي سنة ١١٨٧ قام الملك صلاح الدين الايوبي فجمع كلمة المسلمين وساقهم الى محاربة الصليبيين على اثر تعدي امير الكرك على قافلته وانتصر عليهم تلك النصرة الباهرة بعد واقعة حطين الشهيرة الآتي ذكرها فيما بعد . واستولى على القدس وطرد الافرنج منها وحصن اسوارها وحصونها لانقاء هجمات ريشارد قلب الاسد بطل الحملة الصليبية الثالثة الذي حارب صلاح الدين في عدة مواقع واسترجع بعض المدن البحرية من ايدي المسلمين وانتهت المحاربة بينهما بمعاهدة اعطيت فيها الشطوط البحرية بين يافا وصور للفرنج والغيت الرسوم التي كان المسلمون يأخذونها من زوار الفرنج . وهكذا حُسم الخلاف وعُقد الصلح بين بطلي الشرق والغرب في عصرهما اللذين كانت كرامتها وانفتها تحليان صفاتهماومزاياها الحربية . وفي سنة ١٢١٩ هدم الملك المعظم اسوار القدس خوفاً من ان يستولي الافرنج عليها و يتحصنوا فيها . وسنة ١٢٢٩ اعطيت لفردريك الثاني على شرط ان لا يبني اسوارها غير ان الفرنج بنوها بعد ذلك بعشرين سنة فجاءها امير الكرك وهدمها . وسنة ١٢٤٤ اخذها خرزميان . ولا يخفى ان تداول الايدي واختلاف مشارب العمال عليها والحروب المتوالية والضغط المتبادل حط من عظمتها وقاص ظل تقدمها كثيراً . وسنة ١٥١٧ خضعت البلاد للسلطان سليم فزار القدس بعد عودته من مصر . وسنة ١٥٤٢ بنى السلطان سليمان ما كان متهدماً من اسوارها واحدث فيها وفي ابنية الحرم اصلاحات مهمة . ولم تزل من ذلك العهد حتى يومنا هذا تحت ظل الدولة العلية العثمانية وقد اخذت في هذا العصر تنمو نمواً سريعاً . وربما لا يمضي عليها على ما نظن زمن طويل حتى تصير تضارع اختيها بيروت والشام

الاماكن المشهورة في فلسطين

الحَرَم

هو المكان البالغ في قدميته حد نشأة اول المذاهب الصحيحة . فحق له ان يُدعى مهد الهدى في ارضنا . وقد تداولته ايدي دول المذاهب الثلاثة فاتفق شعوبها على

احترامه وتقديسه · موقعه على جبل الموريا في جهة المدينة الجنوبية الغربية في فناء طوله ١٥٣٠ قدماً انكليزياً وعرضه ٩٧٠ قدماً طبقاً لقياس مجير الدين وهو ٦٩٩ ذراعاً طولاً و٤٠٦ اذرع عرضاً · وذلك يساوي ربع مساحة المدينة الواقعة داخل السور تقريباً

﴿ تاريخه ﴾ في رواية التوراة ان ابرهيم الخليل قصده ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليه · وهناك تراءى الرب لداود فبنى مذبحاً · وحول المذبح بنى سليمان هيكله العظيم · ولما لم يكن سطح الجبل كافياً لبناء هذا الهيكل اقام له جدراناً بناها بحجارة ضخمة جداً بناء متيناً من جهتي وادي يهوشافاط الشرقي ووادي التيروبيون (اي الجبانين) الجنوبي ملأها باقبية كبرى تساوت سطوحها بسطح الجبل فاتسعت المساحة لابنية الهيكل · وكان هذا الهيكل مؤلفاً من قدس الاقداس الذي لم يكن يدخله الا رئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير · والقدس قدامه من جهة الشرق وهو المكان الذي كان الكهنة يمارسون فيه وظائفهم الدينية ودار الشعب امام القدس احيطت بجدار فيه اربعة ابواب من جهاته الاربع · ودار اخرى خارجية للامم

وكان الهيكل كله محاطاً بعدة اروقة · وقد كانت تلك الابنية غاية في العظمة والاتقان · وبعد ان اتم سليمان بناء الهيكل في سنة ١٤٤٠ بعد الطوفان وصل بينه وبين جبل صهيون الذي كان قصره مبنياً عليه بجسر كبير فوق وادي التيروبيون · وقد اقتضت الحروب والمحاصرات هدم ذلك الجسر واعادة بنائه مراراً حتى رُدم الوادي واختفت آثار الجسر وبقيت مجهولة الى ان اكتشفها العلامة الدكتور روبنصن الشهير فدعيت من ذلك الوقت باسم (اقواس روبنصن) وآثارها ظاهرة في حائط سور الجامع الاقصى الغربي · — وصار الهيكل بعد بنائه كعبة بني اسرائيل وصار الحج اليه فريضة واجبة ثلاث مرات في السنة على كل اسرائيلي تجاوز السنة الثانية عشرة من عمره

وفي سنة ٥٩٠ (ق م) خربه نبوخذنصر ملك بابل وسبى اليهود الى بلاده واسكن مكانهم السمرة · ولكن اليهود عادوا بعد غربة سبعين سنة كما تقدم وتمكنوا بعد مقاومات شديدة دامت مدة طويلة من اعادة بناء الهيكل · الا انهم بنوه اصغر كثيراً من هيكل سليمان واقل منه ظرفاً واتقاناً · وقد جاء في التوراة ان شيوخهم الذين كانوا يعرفون الهيكل الاول حزنوا وبكوا لِما رأَوه من حقارة الهيكل الثاني

ولما استقام الملك لهيرودس الكبير بين السنة الثلاثين والعشرين (ق م) رغب في ان يصلح ذات البين بينه وبين اليهود الذين كانوا حانقين عليه لانه قتل انتيكونوس آخر سلالة

ملوكهم الحشمونيين فعرض عليهم ان يبني لهم هيكلاً جديداً يفوق هكل سليمان كبراً وعظمة . فارتابوا بصدقه ولذلك اعدّ مواد البناء قبل ان أذنوا له بهدم الهيكل الثاني . واقام من وراء جدران سليمان على جانبي الواديين المذكورين جدراناً لتوسيع نطاق المساحة . واقام عوضاً عن الهيكل الثاني هيكلاً كبيراً في غاية الظرف واتقان البناء وضخامة الحجارة المنحوتة وزينه من الداخل اجمل زينة . وقد بالغ يوسيفوس في وصف هذا الهيكل في كتابه اخبار اليهود كتاب ١٥ فصل ١١ وحروب اليهود كتاب ٥ فصل ٥ . وحصن هيرودس الحصن المبني على صخرة شاهقة قائمة في زاوية فناء الهيكل الشمالية والشمالية الغربية وسماه انطونيا تيمناً بانطونيوس قيصر وقد كان امراء الحشمونيون يسمونه باريس . ونحت تلك الصخرة حتى لا يتسلقها الاعداء في وقت الحرب ووضع في البرج شرذمة من العسكر الروماني كان يعززها في مدة الاعياد خوفاً من ثورة اليهود . وهذا هو الهيكل الذي يذكره الانجيل وهو الحصن الذي لاقى امامه طيطس المقاومات العنيفة والوقائع التي تشيب لها الولدان رغماً عن شدة بأس عساكره ودربته الحربية قبل ان تمكن من دكه . وقد حرق الهيكل في هذه الحرب كما تقدم ولكن لم يكن لطيطس يد ولا رغبة في هذا العمل القبيح

واعاد ادريانوس بناء الهيكل في القرن الثاني وكرسه لجوبتير . وقد قال سائح : انه رأى هيكل ادريانوس ورأى تمثال جوبتير قائماً بجانب الصخرة . وفي بعض الاقوال التاريخية ان القديسة هيلانه بنتْ هناك كنيسة . ولا خلاف في كون جوستينيانوس بنى في القرن السادس كنيسة كبرى منقنة للعذراء في محل الجامع الاقصى الحالي

ثم ان الخليفة عمر ابن الخطاب امر ببناء جامع من خشب بجانب الصخرة ذكره اركولفوس في القرن السابع . وفي سنة ٦٠٨ مسيحية امر الخليفة عبد الملك ببناء قبة الصخرة الحالية الواقعة في اعلى نقطة من فناء الحرم فوق الصخرة بشكل مثمن . واما حيطانها من الخارج فهي مغطاة من الاسفل ببلاط رخامي وقد صفح الاقسام العلوية منها السلطان سليمان بالواح صينية جميلة خُطت عليها آيات قرآنية . والقبة نفسها مغطاة بالرصاص ولها اربعة ابواب كبرى مربعة وامام الباب القبلي رواق مفتوح قائم على ثمانية اعمدة رخامية . واما داخل القبة فقطره ١٧٤ قدماً . وهو مقسوم الى ثلثة اقسام بصفي اعمدة مستديرين . الصف الاول يحتوي على ستة عشر عموداً عليها ثماني قناطر والصف الآخر الامامي القائمة عليه القبة نفسها يحتوي على اثنى عشر عموداً عليها اربع قناطر . وقد غطيتْ قواعد هذه الاعمدة بالرخام في القرن السادس عشر لانها مختلفة الاشكال . والاعمدة كلها رخامية

مختلفة الالوان والحجم وكذلك رؤوسها مختلفة الاشكال · ويرجح انها من اعمدة هيكل ادريانوس ومن كنيسة الملك قسطنطين · واقسام الجدار العلوية مرصعة بالفسيفساء الدقيقة الملوّنة برسوم آنية ازهار وسنابل حنطة وقطوف عنب على ارض ذهبية ترصيعاً يأخذ بمجامع القلوب · وقد قيل ان اشهر صناع البيزانتيين في القرن العاشر صنعوا تلك الصنعة الباهرة · ومما يزيدها جمالاً ورونقاً الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي بلون ذهبي على بحر سماوي · واما الشبابيك فهي صفان الواحد فوق الآخر وكل برواز منها مركب من قطع زجاج صغيرة ملوّنة بالوان عديدة تضعف نور الشمس وتكسره فتبعثه الى الداخل محجوباً خجلاً مما يقابله من جمال وبهاء النقوش الداخلية البديعة · وقصارى القول ان القلم يعجز عن وصف ظرف هذا الجامع واتقان الصناعة الظاهرة فيه · وقد نُقل رسمه في ايام الصليبيين الى اوروبا فشيدت عليه الكنائس في عدة مدن منها · قال لنا جملة من سياح الفرنج الذين زرناه واياهم · انه يفوق جوامع الاستانة ومصر ظرفاً وبهاءً

اما القبة نفسها فعلوها ٩٩ قدماً وقطرها ٦٦ قدماً · وهي مبطنة من الداخل بالخشب الملون بالازرق المزين باقلام الجبسين المذهب · والقبة قائمة فوق الصخرة المقدسة التي يبلغ طولها سبعة وستون قدماً وعرضها ثلاثة واربعون · وهي منقورة في الوسط او قربه ولذا ظن بعض الكتبة ان محل مذبح المحرقة الاسرائيلي كان عليها · واليهود يقولون ان اسم الله مكتوب عليها · وبعض المسلمين يعتقدون انها آتية من الجنة وان الحق عز وجل سيجلس عليها في يوم الدين ليدين البشر · ولقد حوّل الصليبيون هذه القبة الى هيكل بعد ما استولوا على القدس ووضعوا المذبح على الصخرة بعد ان صفحوها بالبلاط الرخامي · وبقيت كذلك الى ايام صلاح الدين الذي اخذها من ايدي الصليبيين واعادها لما كانت عليه · وبقربها بلاطة صغيرة يسمونها بلاطة الجنة · ويوجد ضمن هذا البناء البديع عدة اشياء أُخر صغيرة تستلفت الانظار ولا محل لذكرها هنا

وامام باب قبة الصخرة الشرقي المدعو باب السلسلة قبة اخرى صغيرة جميلة قائمة على صفي اعمدة تدعى محكمة داود · والى الشمال الغربي من قبة الصخرة قبة المعراج · ويوجد ايضاً قبتان صغيرتان تدعيان قبة الارواح وقبة الخضر · وهناك ايضاً منبر مبني من الرخام بناء انيقاً يخطب فيه الائمة في ايام الجمعة

﴿ الجامع الاقصى ﴾ ويقابل قبة الصخرة التي يدعوها الفرنج جامع عمر الجامع الاقصى (عن الكعبة) واصله كنيسة بناها جوستينيانوس في القرن السادس وحوّلها الامام عمر بن

الخطاب الى جامع . وقد وجده المهدي في القرن الماضي متهدماً على اثر زلزلة فاعاد بناءه ولكن باختصار في طوله وزيادة في عرضه . وطوله ٢٥٠ قدماً وعرضه مئة وخمسون وهو قائم على صفي اعمدة بيزانتية لا شك في كون بعضها لم يزل قائماً في مكانه من عهد جوستينيانوس

اما قبة هذا الجامع فمصفحة من الخارج بالرصاص وداخلها اشبه بقبة الصخرة بترصيفها بالفسيفساء وتكوين شبابيكها . وبجانب المحراب منبر من خشب مطعم بالعاج واللؤلوء اتى به السلطان صلاح الدين من مدينة الشهباء . ووراء المنبر اثر قدم السيد المسيح . وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكاراً لاستشهاده بين الهيكل والمذبح . ودعي قسم من تلك الجهة من الجامع الاقصى جامع الاربعين شاهداً

ويلاصقه من الجهة الغربية جامع النساء المدعو ايضاً الجامع الابيض القائم على صفين من الاعمدة ولعله من بقايا الابنية التي شادها الصليبيون . وتحت الاقصى اقبية بيزانتية قائمة على اعمدة وقناطر قوية متينة البناء يقول بعضهم انها كنيسة القديسة هيلانة ويقول آخرون ان جوستينيانوس بناها لتسوية ارض الجامع . وفي الفناء الوسيع عدة آبار اكتشف على سبع وثلاثين منها . منها بئر الورقة داخل الاقصى وامامه بئر عين الكاس التي كان يأتيها الماء من برك سليمان

﴿ اصطبلات سليمان ﴾ وتحت قسم من هذا الفناء اقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفاً من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى تدعى اصطبلات سليمان . ولعلها استخدمت لهذه الغاية في زمن الصليبيين . ومن شكل بنائها يُستدل انها من القرن السادس بعد المسيح . والمسلمون يدعونها المسجد القديم . وفي جدارها الشرقي عند اسفل الدرج بعض حجارة ضخمة قديمة يعتقد الخبيرون انها من بناء هيرودس . قالت جمعية البحث عن الآثار الفلسطينية : ان بناء الباب الجميل وعدة من اقبية الآبار التي ذكرناها ترجع الى القرن السادس

﴿ موقع الحرم القديم والحديث ﴾ اجمعت آراء المدققين على كون دائرة الحرم هي ذات دائرة الهيكل الذي بناه هيرودس . لان الصخرة الكبرى الواقعة في زاوية الدار الشمالية الغربية التي يقول يوسيفوس ان الحشمونيين بنوا عليها برج باريس الذي حصنه هيرودس لم تزل قائمة شاهداً بعدم تغيير تلك الزاوية . وقال يوسيفوس ان اروقة هيكل هيرودس امتدت من الوادي الى الوادي . وان سور الارفل اتصل باروقة الهيكل الشرقية . وقد اكتشف السير تشارلس ورن حائطاً على تل الارفل ملاصقاً لسور الحرم في

زاويته الجنوبية الشرقية فجاء اكتشافه هذا مؤيدّ القول يوسيفوس ولكون الفسحة لم تتغير من تلك الجهة ايضاً . ولم يختلف الثقاة في كون الزاوية الجنوبية الغربية الحالية هي في مكان الزاوية القديمة ولكنهم اختلفوا في الزاوية الشمالية الشرقية . فمنهم من قال بكونها على مكان الزاوية القديمة وخالفهم آخرون بقولهم ان القديمة كانت عند الباب الجميل

وقد اتفق اكثر الرواة على كون قدس الاقداس كان قائماً على الصخرة المقدسة معتمدين في ذلك على مناسبة موقعها . وقول يوسيفوس بان قدس الاقداس كان في أعلى نقطة من دائرة الهيكل التي هي الصخرة . وكل الافيدة لجميع الامكنة التي ذكرها يوسيفوس تطابق المواقع الحالية بنسبتها الى علو الصخرة . وخالفهم البعض في ذلك متخذين لتأييد آرائهم براهين اخرى لم يحتفل بها الرأي العام

البراق

محل نواح اليهود

يأتي اليهود في عصارى كل الايام خصوصاً في ايام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم فيقفون امام هذا الجدار وهو قسم من جدار سور الحرم بجانب زاويته الجنوبية الغربية . علوه ست وخمسون قدماً وحجارة قواعده السفلى كبيرة جداً . وقد اثرت عليها فواعل الطبيعة والزمان حتى بالغ بعضهم في قدميتها فقالوا انها من ايام هيرودس . وهناك يبكون على حالتهم ويتذكرون ازمانهم ويصلون الى الله ان يعيد لهم سابق مجدهم وهذا بعض ما يقولونه باصوات حزينة وبكاء مر

(يقول الحاخام) من اجل الهيكل المقدس العظيم (فيرد الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل اسواره هذه المدينة الساقطة (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل مملكتنا التي بادت (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل رؤسائنا الذين ماتوا (« الجماعة) نقف بذلة وننوح الخ

ثم يقول آخر

(حاخام) آه تحنن على صهيون (الجماعة) واجمع شتات ابناء اورشليم
(حاخام) اعد سابق مجدك لصهيون (الجماعة) وانظر مترحماً اليها . الخ

ثم تقرأ مراثي أُخر وتُقدم صلوات عديدة كهذه في هذا المكان . ولا ريب ان هذه العادة نشأت من بعد صلاة سليمان التي قدمها امام المذبح بعد فراغه من بناء الهيكل . ومضمونها انه مهما اشتدت الضيقات على شعب اسرائيل وصلوا الى الله باسطين ايديهم

نحو الهيكل فان الله يستجيب لهم · وقد تقدم القول ان ادريانوس منع اليهود من دخول اورشليم والدنو من اسوارها · واما قسطنطين فقد سمح لهم بالدخول اليها لينوحوا على خرابها وخراب الهيكل · ولعلهم اختاروا هذا المكان لهذه الغاية من ذلك العهد · وقد اشار بنيامين توريلا في القرن الثاني عشر الى هذا الحائط · غير ان الكتبة المسيحيين والمسلمين لم يعيروه جانباً من الاهمية · فلم يأتوا على ذكره البتة

كنيسة القيامة

وقبر المسيح

قال يوسيفوس: ان ادريانوس بنى في هذا المكان هيكلاً للريخ وانه اوحي الى قسطنطين بعد ان تنصر ان يطهره من ادناس الوثنيين وان يقيم عليه كنيسة · فبناها فوق القبر وزينها بالاعمدة والنقوش الجميلة وبلط فسحة امامها من جهة الشرق ببلاط منحوت رمزاً الى البستان الذي صُلب فيه السيد · واقام الكنيسة على صخرة الجمجمة او الجلجلة شرقي الفسحة وصفح حيطانها بالرخام الملون وزين سقفها بنقوش حفرية انيقة حلاها بالذهب وغطى السطوح بالرصاص وجعل لها ثلاثة ابواب كبرى من جهة الشرق واقام امامها اثني عشر عموداً بشكل نصف دائرة تذكاراً للتلاميذ · وفي سنة ١٤٦١ احرق العجم في غزوتهم بقيادة خسرو الثاني هذه الابنية بالنار ولكنها اعيدت بمساعي راهب يدعى مورستوس وبمعاونة بطريرك الاسكندرية سنة ٦٢٨ · وفي سنة ٨٧٠ ذكر برنهارد فيضان النور من القبر المقدس في يوم السبت الواقع قبل عيد الكبير عند الطائفة الشرقية · وسنة ٩٦٩ احرقت القيامة بالنار فبنى تجار املفي من اعمال ايطاليا سنة ١٠٠٤ ديراً وكنيسة للعذراء على مقربة من القبر المقدس · وبني بعد ذلك دير للراهبات بالقرب من هذه الابنية · ثم اقتضى الامر بناء مستشفى للزوار وعُزي الى يوحنا اليمون بطريرك الاسكندرية · وفيه تألفت في عهد الصليبيين فرقة فرسان ماري يوحنا حامية القيامة · وهذا هو المكان الذي وهبته الحكومة لجد امبراطور المانيا الحالي فاقام هذا على قسم من آثاره كنيسة احتفل بتدشينها بحضور جلالته · وفي سنة ١٠١١ خرب القيامة حاكم الرملة وقد كان يسمى رئيس جند فلسطين فاعيد بناؤها بتوسط الملك رومانوس في سنة ١٠٤٨ · واحاط الصليبيون جميع ابنيتها بهيكل كبير اذ شاهدوا حقارتها · وسنة ١٢٤٤ خربها خرزميان فبُنيت سنة ١٣١٠ بغاية الاتقان · وفي سنة ١٨٠٨ التهمت النيران كنيسة الارمن فيها وقبة القبر المقدس وكنيسة الروم الارثوذكس واحدثت اضراراً غير يسيرة في عدة محال اخر ولكنها اعيدت في مدة سنتين الى ما كانت عليه من

الظرف باحكام زائد حتى صار يتعذر التمييز بين ما أُصلح وما كان

﴿ الكنيسة الحالية ﴾ هي تختص بالروم الارثوذكس والارمن والكاثوليك والاقباط والسريان واشهر ما فيها كنيسة الجلجلة الى جنوبي الباب وهي مقسومة الى قسمين قسم منها يختص بالروم الارثوذكس والآخر بالكاثوليك · وكنيسة الارمن الى شماليه · وامامه من الشرق كنيسة الروم الارثوذكس وهي اكبر الكنائس واجملها بما فيها من النقوش والزين والثريات الثمينة · وامام هذه من الشمال القبر المقدس القائمة عليه القبة الكبرى وهو مبني بالرخام الجميل ومزين بالقناديل الذهبية والفضية والمعدنية · والى الشرق منه الكنيسة الكاثوليكية وفيها العمود الذي رُبط اليه السيد ليُجلد ووراء هذه الابنية من جهة الجنوب كنيسة بيزانتية لم تزل اعمدتها تشهد بكونها من ايام مورستوس وهي التي بناها على آثار كنيسة قسطنطين · ويُنزل من هذه الكنيسة بثلاث عشرة درجة الى المغارة التي اكتشف فيها قسطنطين خشبة الصليب · و يوجد محلات اخر عديدة تستحق الذكر ولكن ضيق المقام يلجئنا الى ان نضرب صفحاً عنها

﴿ البحث في صحة موقعها ﴾ يعتقدون بصحة هذا المكان منذ القديم معتمدين على رواية يوسيبيوس التي ذكرناها · وعلى الاقوال التقليدية بكون القديسة هيلانة هي التي اوحي اليها بناء الكنيسة قبل قسطنطين ابنها· وعلى كون الوثنيين وفي مقدمتهم ادريانوس في الجيل الثاني بنوا هيكلاً لالهة اخرى في هذا الموقع بالنظر لما رأوه من احترام المسيحيين الاولين له · ويتخذون مثل هذه الادلة برهاناً على كون التاريخ لم يُضع تلك النقطة فلم يبق باب للاشتباه بها · فضلاً عن كونهم يعتبرون المدافن القديمة التي اكتشفت داخل الكنيسة اليعقوبية المنقورة في الصخر مدافن ليوسف ونيقوديمس · ولا يشكّون في كون الباب المكتشف على مقربة من القيامة في الجهة الجنوبية الشرقية هو باب سور المدينة الثاني · وعلى ذلك يكون موقع القيامة الحالي واقعاً خارج الاسوار القديمة · وقد عارضهم الكتبة المتأخرون وفي مقدمتهم كانون وليمس والسر تشارلس ورن والدكتور روبنصن والجنرال غوردون بقولهم : اذا فرضنا ان موقع القيامة الحالي هو خارج السور الثاني القديم فلا بد ان يكون رسم ذلك السور مغايراً من جميع الوجوه للاصول الفنية والعسكرية في بناء الاسوار · وقال آخرون : هب ان محل القيامة كان خارج السور الثاني فلا شكّ انه كان واقعاً بين ابنية المدينة الجديدة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت حتى اضطر اغريباس الاول بعد ذلك بقليل الى احاطتها بسور ثالث لوقايتها · ومعلوم ان اليهود لم يكونوا ليرضوا

بوجود محل عقاب المجرمين فيما بين بيوتهم لان ذلك محرم عندهم · وقالوا ايضاً ان حالة المدافن الموجودة في كنيسة اليعقوبيين تدل على كونها اقدم كثيراً من عصر المسيح · و يعترضون على الباب المكتشف حديثاً والمظنون بانه باب السور الثاني بانه ربما كان باب الهيكل الذي بناه الصليبيون حول ابنية القيامة · وليته اكتُشف وهم بعد في البلاد ليتمكنوا من الحكم عليه من حيث هيئة بنائه التي يمكن الاستدلال منها على قدميتها · ولعل بعض الخبيرين بهذا الفن يجلو لنا حقيقة ذلك · ورأي هؤلاء المعارضين ان التل المحفورة تحته مغارة ارميا خارج باب العمود شمالي السور يلائم من جميع الوجوه موقع الصلب · فانه شبيه بهيئة الجمجمة وهو على قارعة الطرق وخارج المدينة · وقد اكتشفت حوله مدافن يُستدل من شكلها انها من نوع المدافن التي كانوا يستعملونها في الاعصر المسيحية الاولى· على اننا نؤمل ان تسفر الابحاث المستمرة عن رفع كل اعتراض عن موقع القبر المقدس الحالي الذي لم يختلف فيه المسيحيون حتى القرن الثامن عشر

محلات اخر يوجد عدة محلات اخر جديرة بالذكر كدير الارمن وفيه كنيسة مار يعقوب وهو اكبر بناية داخل اسوار المدينة · ويُظن انه قائم على آثار برج مريمنا وقبر النبي داود وكنيسة العشاء الرباني وهما خارج السور· وهذه المحال الثلاثة واقعة على جبل صهيون · والى شرقي المدينة جبل الزيتون وفي سفحه فوق وادي يهوشافاط بستان جثسياني وعلى قمته محل صعود السيد ومنارة روسية شاهقة تطل على كل الامكنة المجاورة · والى الشمال من المدينة في طرف ابنيتها الجديدة قبور السلاطين ودُعيت بذلك غلطاً لان ملوك يهوذا دُفنوا على جبل صهيون· وقد ثبت انها قبور للملكة هيلانة ملكة اديابيني (بلاد في العربية) تمذهبت بالمذهب اليهودي في القرن الاول ق·م وجاءت القدس مع امراء اسرتها وحفرت في ذلك المكان آباراً ودوراً واسعة ومغارة امامية فتحت في جوانبها الاربعة ابواباً الى مغائر اخر داخلية وجعلت فيها دكاناً لوضع النواويس وكل تلك الحفريات في صخر واحد كبير· و باب هذه المغائر كحجر الرحى قائم على حرفه يدحرج على باب القبر وعنه · وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه الاماكن واغضينا عن اخرى تاريخية وغير تاريخية خوفاً من ملل القراء ومراعاة لضيق المقام

ولو لم تكن القدس وما ذكرناه عنها ذات اهمية كبرى لما اطلنا الكلام عليها · ولا نظن غير القدس من المدن والاماكن الفلسطينية التي سنتكلم عنهـا تضطرنا الى اسهاب كهذا الاسهاب

سيبيريا والنفي السياسي اليها

(وكلام سائح انكليزي ساح فيها)

لحضرة الياس افندي خليل عبساوي ب ٠ ع

قيل ان سجن ملوك فرنسا العلماء والادباء والابرياء في سجن الباستيل المشهور هو الذي دفع الشعب الفرنسوي الى الثورة الفرنسوية التي قلبت وجه العالم وخرج منها الاصلاح السياسي ٠ واذا كان هذا القول صحيحاً فقد جاز ان نقول ان نفي روسيا الناس الى سيبيريا كان له شيء من ذلك التأثير على السياسة الروسية التي بدأ فيها الانقلاب الذي نراه ٠ لان سيبيريا عند الروس كانت تقابل الباستيل عند الفرنسويين ٠ ويسرُّ كل محب لهذه الدولة العظيمة ان يراها قد دخلت الآن في طريق الاصلاح بالمنشور الذي نشره جلالة القيصر منذ مدة يعلن فيه رغبته الشديدة في اصلاح احوال الامة التي وضعها الله في ذمته ٠ ولقد رأيت لهذه المناسبة ان الخص شيئاً عن سيبيريا ومنافيها السياسية واحوالها القديمة والحديثة ومنه يطلع القراء على التحسين المستمر في احوال روسيا

تمهيد

سيبيريا والمسجونون السياسيون

سيبيريا واقعة في القسم الشمالي من قارة آسيا ٠ وهي بلاد واسعة الاطراف تتخللها الانهر في كل جهاتها ويغطيها الثلج خصوصاً في شماليها مدة طويلة من السنة ٠ وسكانها يبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم من السكان الاصليين والنصف الآخر روسيو الاصل ممن اضطرتهم حكومة بلادهم للاقامة والتوالد هناك ٠ والبلاد خصبة في اكثر جهاتها خصوصاً القسم الغربي منها ٠ ويبدأ تاريخ خصبها بابتداء مهاجرة التجار وخصوصاً الالمان اليها منذ مدة قريبة ٠ وبذلك اصبحت البلاد تضاهي بمدنيتها كثيراً من البلاد الاوروبية حتى ان في بعض مدنها الكبيرة كاركيتسك وتومسك ملاعب متقنة لتمثيل الروايات ومطاعم وفنادق كما في احسن البلدان الاوروبية مما يسلي المهاجرين عن اوطانهم

وقد افتتحت روسيا سيبيريا في سنة ١٦٥٨ وجعلتها من حين افتتاحها مستعمرة تنفي اليها المجرمين السياسيين والمدنيين وغيرهم ممن كان يقع عليهم سخط القياصرة والحكام ٠

فبطرس الاوَّل كان يُبعد اليها العصاة افواجاً افواجاً · ثم حكم بعده بعض الملكات فكنَّ ينفين اليها من اذنب اليهن من اهل البلاط · ثم جاءت الملكة كاترين المشهورة واخذت ترسل اليها البولانديين زرافات زرافات بدون ادنى رحمة او شفقة · ثم بعدذلك صار يُنفى اليها النهليست والسوسياليست وغيرهم مما كان يُشتبه في امرهم · ولكن عدد المنفيين كان قليلاً حتى القرن الثامن عشر حين ابتداء عددهم يزيد زيادة كلية · الا ان عددهم لم يكن يُعرف تماماً قبل سنة ١٨٢٣ لانهم لم يكونوا يعملون احصاآت رسمية كما في الوقت الحاضر · ولكن من المحقق انه في ابتداء القرن التاسع عشر كان يُنفى الى سيبيريا كل سنة نحو الفي رجل · وابتداءً هذا العدد يزيد حتى صار بين سنة ١٨٧٣و١٨٧٧ ١٨٠٠٠ كل سنة · وفي سنة ١٨٨٢ اي حين اغتيال المأسوف عليه القيصر اسكندر الثاني بلغ عدد المنفيين ٢٠٠٠٠ ماعدا نساءهم واولادهم الذين تبعوهم وعددهم ٦٠٠٠ · ومن هؤلاء المنفيين من يُحكم عليه بالاشغال الشاقة ومنهم بسقوط الحقوق المدنية ومنهم بالنفي فقط · اما الذين يحكم عليهم بالاشغال الشاقة فيوزعون بين مناجم الذهب ومعامل الملح في كارا وازوليا · ولما كانت هذه المناجم والمعامل لا تسع اكثر من ١٠٠٠٠ رجل فيرسل الباقون الى سفاليان حيث يشتغلون في مناجم الفحم · وبعد قضاء مدة سجنهم يصير للمنفيين الحق بان يسكنوا في الضياع والقرى · ويظهر من الاحصاآت الرسمية ان عدد الذين نُفوا منذ الابتداء الى اواخر القرن التاسع عشر يقارب مليوني نفس وثلث هذا العدد لم يعد يُسمع عنه خبر بعد نفيه · ويقال انه كان منذ مدة ٢٠٠٠٠ منفي يواصلون السير في الاحراش كي يرجعوا الى بلادهم ولكن كثيرين من هؤلاء يتيهون فيموتون في تلك الاحراش وتذهب آثارهم

ولكن المنفيين اقل كثيراً مما يظن · ففي مقاطعة توبولسك يبلغون ٤٦ في المئة من السكان وفي مقاطعة تومسك ٢٩ وفي غيرها اكثر · ولكن المعدل ٤٩ في المئة من السكان · وقد كان المنفيون يُسامون في الابتداء اشد العذاب ويعاملون اردأ المعاملة ولكن في السنين الاخيرة تنبهت الحكومة لذلك واخذت في اصلاح حالة المسجونين وجعل السجون مطابقة للاصول الهيجيينية كغيرها من سجون اوروبا · والفضل في كل ذلك للفيلسوف تولستوي الذي اذا لم يكن من فوائد قلمه غير هذا الاصلاح لكفى ذلك لوضعه في جملة المصلحين العظام في المجتمع الانساني · وقد عثرتُ في احدى المجلات الانكليزية على مقالة بقلم احد سياح الانكليز زار في خلال هذه السنة اعظم سجون سيبيريا بعد ان استأذن الحاكم العام في ذلك · فرأيتُ من الفائدة تلخيص مقاله · قال :

اعظم سجون سيبيريا

« لستُ انسى في كل حياتي تلك الليلة التي سافرتُ فيها من مدينة اركتيسك (عاصمة سيبيريا الوسطى الواقعة على مسافة ٤٠٠٠ ميل من شرقي موسكو عاصمة بلاد الروس القديمة) لاشاهد اعظم سجون سيبيريا وهو سجن « الكسندروفسكي » وكان البرد قارصاً والرياح تعوي عواء الذئاب اما الشتاء فانه في تلك البلاد يمتد الى ثلثي السنة ويشتد فيه البرد حتى لا يستطيع الاَّ القليلون ان يسكنوا تلك الاصقاع . والاهالي انفسهم لا يكادون يقوون على احتماله فيلتفون بالفرو من قمة الرأس الى اخمص القدم بحيث يصعب التمييز بين رجالهم والنساء

وقبل زيارتي لذلك السجن كنت اعتقد كما يعتقد لحد الان كثيرون غيري من الانكليز انني سارى هناك اشخاصاً يُساقون للموت قسرًا بسبب المعاملة الرديئة التي يذيقها اياهم الجنود والضباط الموكاون بحراستهم . وانني ساسمع علاوة عن تنهدات اولئك المساكين التي تتفطر لها القلوب جلجلة السلاسل الحديدية التي تربطهم بعضهم ببعض . ولما استاذنت من حاكم اركتيسك العام بزيارة السجن كنت منتظرًا ان يصادف طلبي رفضاً باتاً لعلمي ان الروس يريدون ان يخفوا عن العالم المتمدن تلك المعاملة التي يعاملون بها المنفيين . ولكن كان استغرابي عظيماً حين الفيت منه بدلاً من الرفض البات كل التسهيلات والمساعدات الممكنة

وسجن الكسندروفسكي هذا واقع على مسافة ٥٠ ميلاً من شمالي اركتيسك وصار الاتفاق ان اسافر اليه ليلاً مع احد موظفي السجون لانه لا يوجد في الطريق من محاسن الطبيعة ومناظرها الجميلة ما يرغّب المسافرين بالسفر اليه نهارًا . فتسلح كل منا بالمسدسات اللازمة للطريق خوفاً من ان يهاجمنا بعض الذين اتموا مدة نفيهم واتخذوا لانفسهم بعدها حرفة اللصوصية . ذلك لان الحكومة الروسية لا تكلف نفسها ارجاعهم الى بلادهم بل تتركهم وشأنهم فيرجع منهم القليل ويقصد البعض امهات المدن السيبيرية فيجدون اشغالاً فيها . اما الاكثرون فيحترفون حرفة اللصوصية وقاطعي الطرق فيتعرضون للمسافرين ويقتلونهم ويسلبون امتعتهم ونقودهم . وسكان المدن انفسهم ترى كثيرين منهم من الاشقياء لان سكان سيبيريا ويبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم اما من المجرمين الذين اكملوا مدة سجنهم او من نسلهم . ولما كان « العنب لا يُجنى من الشوك ولا التين من الحسك » فلا يُنتظر اذًا ان يكون هؤلاء ادباء مهذبين . ولكن قد قدرت العناية الالهية ان لا نصادف في طريقنا احد هؤلاء اللصوص . فوصلنا الكسندروفسكي الساعة الرابعة في الصباح بعد ان ذقنا في اثناء سفرنا مرارات البرد القارس

واول شيء وقع عليه نظري كان كنيسة ارثوذكسية كبرى سقفها مغطى بالثلج . اما المكان فكان هادئاً لا يُسمع فيه غير وقع حوافر افراس يعلوها بضعة انفار من القوزاق المنوط بهم حراسة السجن . والسجن نفسه كان مظلماً كالقبر وهادئاً لا يُسمع منه ادنى حركة او صوت . وقد رأينا تجاه السجن بناءً جميلاً هو منتدى للاجتماعات . فاوقفنا المركبة ودخلنا اليه . وما وقفت بنا المركبة حتى طلع من ذلك المكان عدة اشخاص كانوا من المجرمين الذين اختاروا ان يستبدلوا سجنهم بالخدمة في ذلك النادي وهي نعمة عظمى عند المنفيين لا ينالها منهم الا من كان سلوكه حسناً وحاز رضى رؤسائه . وقبل ان اشرح ما رأيت في سجن الكسندروفسكي لا ارى بدّاً من الاشارة الى سجون سيبيريا على الاجمال والمنافع التي تعود على روسيا من ارسال المجرمين اليها

سجون سيبيريا على الاجمال

من المعلوم ان كل البلاد الواقعة الى شرقي جبال اورال التي تفصل روسيا عن آسيا كانت قبل امدٍ غير بعيد لا يُعرف عنها شيء . فكان يظنها الاوربيون بلاداً قاحلة تكسوها الثلوج على مدار السنة . ويملأها الظلام عدة اشهر من كل عام . ولما كان الحكم بالقتل قليلاً جداً في بلاد الروس ارتأت الحكومة الروسية ان تبعد كل المجرمين من لصوص وقتلة وغيرهم ممن يُغضبون جلالة القيصر الى تلك البلاد المخيفة فلا يرجع منهم الا القليل وبهذا تتخلص الهيئة الاجتماعية من شر اعضائها الاشرار او الذين يُحسبون اشراراً . ولذلك كان الاهالي قبل امتداد السكك الحديدية في سيبيريا يتجمهرون حول المجرم يوم سفره فينسون جرمه مهما كان كبيراً ويقدمون اليه بسخاء المال والطعام ظناً منهم ان ذلك المنكود الحظ ذاهب الى سيبيريا ليُقبر فيها حياً . وهذا ماجعل الاوربيين يبالغون في وصف المعاملة السيئة والعذابات التي يتحملها المنفيون . ولكن كما انه في المدة الاخيرة وخصوصاً بعد الشروع في عمل السكة الحديدية السيبيرية ذهب منا كثيرون الى سيبيريا فطرحوا اعتقادهم السابق وصاروا يعرفون جيداً انها ليست البلاد التي كانوا يظنونها قبلاً وانها بلاد خصبة طيبة الهواء خصوصاً في ايام الصيف هكذا زيارتي لسجون سيبيريا وان يكن في تلك السجون شيء كثير قابلاً للنقد واللوم لكنها جعلتني انبذ تصوراتي القديمة بخصوصها . فروسيا متأخرة قرناً كاملاً في الحضارة والمدنية عن باقي رصيفاتها الاوربيات . ومنذ زمن قريب كانوا يعاقبون في سجونها عقابات صارمة جداً . فكانوا مثلاً يجلدون المذنب جلداً يهون عنده الموت حتى ان جلاداً ماهراً من جلادي سيبيريا يقدر ان يذيق المجلود حتفه بستة

اسواط فقط . والمنفي بعد ان يُسجن المدة المحكوم عليه بها يُصرح له بترك السجن على شرط ان يبقى في سيبيريا مدة معينة قبل ان يُسمح له بالرجوع الى بلاده . ويحق لزوجة المنفي ان تعتبر نفسها طليقة بحسب الشريعة الروسية ولكنها اذا ارتأَت ان تتبع زوجها تنقلها الحكومة مع اولادها بدون اجرة . وهناك تسكن مع اولادها في القرية الاقرب للسجن (ويوجد في اغلب الاحيان قرية بجانب كل سجن) والحكومة لا تساعدها الا بدفع ثلاثة ارباع البنس (٤ مليمات) في اليوم عن كل واحد من اولادها ولكنها تعطيها ثياباً لتخيطها او لتغسلها فتنتفع باجرتها . والزوج اذا حاز رضى رؤسائه يُسمح له في كثير من الاحيان ان يذهب ويسكن مع عائلته وان يشتغل ليقوم بمعاشها . والقسم الاكبر منهم لا يرجعون الى روسيا عند قضاء مدتهم بل يفضلون البقاء في سيبيريا . ولما صار في المدة الاخيرة يقصد روسيا كثير من التجار الروسيين جعلوا يرفعون العريضة وراء العريضة طالبين من جلالة القيصر ان لا يرسل اليهم « اوباش البلاد » فقبل جلالته اخيراً وامر ان لا يُرسل اليها بعد الآن سوى المجرمين السياسيين والمجرمين المحكوم عليهم بالسجن المؤبد . اما الباقون فيعاقبون في مدنهم كما في باقي الممالك . واكثرهم الآن يُنفى الى جزيرة سفاليان الواقعة على الساحل الشرقي . وفيها اردأ السجون حتى اذا دخلها المجرم لا يبقى له بارقة امل بالخروج منها حياً . وحالما يدخلها يُلغى اسمه ويسمى بدل الاسم بعدد يميزه عن غيره . ولا يُسمح له بمخالطة احد من اقاربه واصدقائه . وحين يموت لا يعلم اهله بموته . فهو بالنسبة الى العالم ميت بصورة الاحياء . اما معاملة المجرمين والقصاصات التي تُنفذ فيهم فهي ليست من القساوة بالدرجة التي يتصورها البعض . وانا لا الوم الحكومة الروسية سوى لابعادها الى سيبيريا المجرمين السياسيين او بعبارة اخرى اصحاب الافكار الحرة واكثرهم من تلاميذ الكليات الذين يريدون ان ينشروا مبادىء الحرية والصلاح ولو بواسطة « الديناميت » . فهؤلاء الاحداث والشبان الذين تتقد في صدورهم نار الحرية يطلبون الاصلاح بواسطة الثورات كما كنا نعمل في حداثتنا حين كنا في المدارس . ولكن الحكومة الروسية بدلاً من ان تعير هؤلاء الاحداث (اقول احداثاً لاني شاهدت كثيراً منهم في الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر) اذناً صاغية وتنظر الى مطالبهم بعين الرضى والاستحسان تبعدهم الى سيبيريا لكي تموت تلك العواطف الشريفة من نفوسهم مدة السجن . وقد تحادثت ملياً مع كثيرين منهم فاخبروني انهم يتأسفون جداً لهذا الضغط التي تضغطه روسيا على الافكار الحرة . ولم يزيدوا على هذا ولا تذمروا من معيشتهم . وهؤلاء « السياسيون » لا يُلقون في السجون مع غيرهم من

المجرمين المدنيين بل لهم سجون خاصة بهم · ويُسمح لهم بقراءة الكتب غير الاجتماعية والسياسية منها · وهم عائشون معاً كعائلة · وبالاختصار ان معاملتهم ليست كما يُظن · وحين تنتهي مدة سجنهم يبقى اكثرهم في سيبيريا حيث يجدون وظائف عديدة لانهم كما تقدم القول من المتنورين · و يمكن ان اقول بدون مبالغة ان ٨٠ في المئة من اصحاب الوظائف المهمة الذين صادفتهم مدة وجودي في سيبيريا هم من المجرمين السياسيين الذين انهوا مدة سجنهم

سجن الكسندروفسكي

ولنعد الآن الى وصف ما شاهدته في سجن الكسندروفسكي · فبعد ان استرحنا قليلا ذهبنا لمشاهدة السجن المذكور فدخلنا غرف النوم فالفيناها واسعة جداً ويفصل الواحدة عن الاخرى ابواب حديدية غاية في الفخامة · ولاحظتُ ان الفريق الاكبر من المسجونين رجالٌ اقوياء البنية ووجوههم مطبوع عليها علامة المجرمين · وكان كل واحد منهم لابساً رداءً من اللباد · ولما كانت هذه الملابس تُصنع كلها على قياس واحد فكنت ترى امامك صوراً مضحكة · وقد استنتجت انهم لا يخافون الموظفين كما كنت اظن قبلاً وان جميع الموظفين غاية في اللطف معهم · ثم ذهبنا لورشة الصنائع فوجدنا المجرمين يشتغلون بعمل ثياب واحذية واثاث بيوت وغيرها · وقد اخبرني الحاكم ان اثاث القسم الاكبر من بيوت اركيتسك هي من صنع سجن الكسندروفسكي · وفي كل واحدة من الغرف كنا نجد معلقاً على الجدران الايقونات الكنائسية (الصور) كما هي العادة عند الروسيين · وقد رأيت بين عداد المسجونين ٢٠٠ من مسلمي البلاد التابعة لروسيا كبلاد التتر وبخارى وكرجستان وغيرها ويُسمح لهؤلاء ان يكرسوا يوم الجمعة للعبادة و يسمح لليهود ان يعيدوا السبت ايضاً · ومن الغريب انني وجدت في جملة المنفيين اليهود رجلاً انكليزي الاصل كان قد ذهب الى روسيا بقصد الاتجار فابتداء هنالك يزور اوراقاً مالية و يقلد تواقيع الناس فحكمت عليه الحكومة الروسية بالابعاد ١٦ عاماً الى سيبيريا

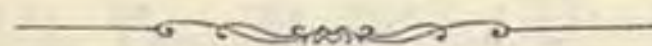
وقد سألت الحاكم عن الوسائط التي يتخذها لكي يدفع الضجر والسآمة عن المنفيين · فاخذني الى غرفة واسعة فيها رفوف كتب مختلفة المواضيع وفي وسطها موائد عليها جرائد ومجلات تصويرية · وكان حول الموائد كثيرون من المسجونين يتفرجون بمشاهدة الصور في المجلات · ويوجد معلم خصوصي لتعليم من اراد منهم القراءة والكتابة · ولما آنست من الحاكم هذه المعاملة اللطيفة لهم احببت ان امزح معه فقلت له « يظهر لي انكم تعاملون هؤلاء المذنبين معاملة تكاد لا تصدق فلماذا لم تبنوا لهم ملعباً للتمثيل يتسلون به » فاجابني الحاكم

على الفور « عندنا لهم ملعب للتمثيل » ثم اخذني الى قاعة جميلة وقال لي « في كل اسبوع يجتمع المسجونون الذين كان سلوكهم حسناً فيمثلون روايات هزلية » ثم طلب مني ان لا اذكر شيئاً عن هذا الملعب في كتاباتي لئلا يستاء من ذلك رؤساوءه في روسيا . وقال لي « يذكر لي بعض السياح الذين يأتون لزيارة السجن هنا انني اعامل المسجونين بلطف كلي ولكني في الحقيقة لا اعمل سوى الواجب . لان المقصود من السجن ليس العقاب فقط بل جلّ القصد منه ان يعلم السجين ان يكون نافعاً بعد ان يترك السجن . ولذلك فانا لا افرض على احدهم شغلاً لا يعود بفائدة عليه . وقد علمني الاختبار ان اللطف يؤثر بالمجرمين فيحسّن سيرتهم ويجعلهم يفتخرون بصنائعهم التي يتعلمونها هنا »

ثم زرت المطبخ فوجدته نظيفاً والاكل مغذياً ولذيذاً . وبعده زرت المستشفى حيث لاحظت ان اغلب المرضى مصابون بالتدرن الرئوي . ثم ذهبت الى المدارس التي يتلقى فيها ابناء المجرمين المعارف والصنائع وسررت جداً من النظافة والاتقان في كل المحلات . ولا ريب ان صنيعاً كهذا يشفع بالمعاملة السابقة في الازمنة الماضية مهما كانت درجتها من الشدة

سجن النساء السياسيات

ولاتمام الفائدة لا ارى بداً من ان اذكر قليلاً عن سجن النساء في اركيتسك . فهو وان يكن يسمى « سجناً » لكن ليس بالحقيقة سوى بيت اعتيادي محاط بجدار عالٍ ومفتوح الابواب في اكثر الاوقات بحيث يقدر من شاء ان يخرج منه بدون ان يشعر به احد . وهو ليس نظيفاً كسجون الرجال . وقد استغربت كيف لا يخافون ان تهرب السجينات منه ما دامت ابوابه مفتوحة فبناء عليه سألت رئيسته عن ذلك فاجابت « انه لا يخطر ابداً ببال السجينات ان يهربن . وفي طول مدة وجودي هنا كرئيسة لم يحدث غير حادث من هذا القبيل . وذلك انه عند ما قرأنا ذات يوم اسماء السجينات في المساء كما هي العادة وجدنا احداهن غائبة فاستغربنا ذلك ولكنها ما لبثت ان عادت ثانيةً بعد خمسة ايام . فسألناها عن سبب هربها فاجابت « بما انه غير مسموح للرجال ان يزوروا السجن رأيت نفسي مضطرة ان اذهب لارى حبيبي في مكان قريب » فسامحناها لان عذرها مقنع . .



تاريخ حياة المسيح واعماله

✻ كما يكتبه مؤرخو العرب ✻

(نقلاً عن التاريخ الكامل للمؤرخ المشهور ابي الحسن ابن الاثير الجزري)

(منقول عن كتاب تاريخ المسيح بقلم رنان تحت الطبع)

ليس يخلو من فائدة ان نردف تاريخ المسيح كما كتبه رنان بتاريخ المسيح كما يكتبه مؤرخو العرب نقلاً عن الكتب والاخبار الدينية · فاخترنا من كلامهم بهذا الصدد كلام المؤرخ ابن الاثير المشهور · وهذا نصه

(ذكر ولادة المسيح الى آخر امره)

« كانت ولادة المسيح ايام ملوك الطوائف · قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين · وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضي ثلاثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل · وزعموا ان مولد يحيى (١) كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين · وان عيسى عاش الى ان رُفع (الى السماء) اثنتين وثلاثين سنة واياماً وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة · وان يحيى قُتل قبل ان يُرفع المسيح · واتت المسيح النبوءة والرسالة وعمره ثلاثون سنة · وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة · وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدَّق بذلك · وكانت مريم اذا نفد ماؤُها وماء يوسف ابن عمها اخذ كل واحد منهما قلَّته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة · فلما كان اليوم الذي لقيا فيه جبرائيل نفد ماؤُها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء · فقال عندي من الماء ما يكفيني الى غدٍ · فاخذت قلَّتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل (الملاك) قد مثله الله لها بشراً سوياً · فقال لها يامريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاماً زكياً · قالت اني اعوذ بالرحمن منك

«١» يوحنا المعمدان

ان كنت تقيًا · اي مطيعًا لله · وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلاً · قال انما انا رسول ربكِ لاهب لك غلامًا زكيًا قالت انىّ يكون لي غلام ولم يمسسني بشر قال كذلك قال ربك (الى قوله امرًا مقضيًا) فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها · وملأت قلّتها وعادت · وكان لا يُعلم في اهل زمانها اعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار · فلما حملت واتتها خالتها امرأة ذكريا ليلةً تزورها وفتحت لها الباب التزمتها فقالت لها امرأة ذكريا اني حبلى فقالت لها مريم وانا ايضًا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدتُ ما في بطني يسجد لما في بطنك · وولدت امرأة زكريا يحيي (يوحنا) وقد اختلف في مدة حملها فقيل تسعة اشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية اشهر فكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غيره · وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو اشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا » عقبه بالفاء · فلما احست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه ففاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياءً من الناس : يا ليتني متُ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيًا · يعني نُسي ذكري واثري فلا يرى لي اثر ولا عين · قالت مريم كنت اذا خلوتُ حدثني عيسى وحدثته · فاذا كان عندنا انسان سمعتُ تسبيحه في بطني · فناداها جبرائيل (الملاك) من تحتها اي من اسفل الجبل : لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا وهو النهر الصغير اجراه تحتها · فمن قرأ مِن تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله · وهزي اليك بجزع النخلة · كان جزعًا مقطوعًا · فهزته فاذا هو نخلة · وقيل كان مقطوعًا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضرّ وارطب · فقيل لها وهزي اليك بجزع النخلة فهزته فتساقط الرطب · فقال لها كلي واشربي وقرّي عينًا فاما ترين من البشر احدًا فقولي اني نذرتُ للرحمن صومًا فلن اكلم اليوم انسيًا · وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي · فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت · فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله · وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة اربعين يومًا ثم جاء بها الى اهلها وكانت من نسل هرون اخي موسى كذا قيل · قلتُ انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهوذا ابن يعقوب من نسل سليمان بن داود · وانما كانوا يُدعون بالصالحين · وهرون من ولد لاوي بن يعقوب · قالت لهم ما امرها الله به بعد ذلك · وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بكِ قتلوك وولدكِ · فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم

مصر ادركها المخاض · فلما وضعت وهي محزونة قيل لها لا تحزني (الآية الى انسياً) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء · واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاءوا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث في الارض حادث · فطار عند ذلك وغاب عنهم فمرَّ بالمكان الذي ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به · فعلم ان الحدث فيه · ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر لاضل به اكثر ممن يهتدي · واحتملته مريم الى ارض مصر فمكث اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها · وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك · فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيرودس · فان اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام · وقيل ان هيرودس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله اعلم

ذكر معجزات المسيح

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسُرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال اتريدين ان اداًه على ماله قالت نعم قال انه اخذه الاعمى والمقعد · اشتركا فيه : حَمل الاعمى المقعد فاخذه · فقيل للاعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويتَ على حمله البارحة لما اخذتما المال · فاعترفا واعاداه · ونزل بالدهقان اضياف ولم يكن عنده شراب فاهتمَّ لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتاً للدهقان فيه صفان من جرار فامرَّ عيسى يده على افواهها وهو يمشي فامتلأت شراباً وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة · وكان في الكتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع اهلوهم وبما كانوا يأكلون · قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فالقاه بين رجلي المسيح متلطخاً بالدم · فانطلقوا بهِ (اي المسيح) الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبياً · فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى اسأله من قتله · فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل · فدعا الله فاحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله · فقال بنو اسرائيل للقتيل مَن هذا · قال هذا عيسى ابن مريم ثم مات الغلام من ساعته · وقال عطاء : سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال

للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلتُ في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يُصبغ به فاصبغها حتى اعود من حاجتي هذه . فاخذها المسيح والقاها في جب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال اين هي قال في هذا الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدتها على اصحابها وتغيظ عليه . فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها . وقام واخرجها كل ثوب منها على اللون الذي اراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى

ولما عاد عيسى وامه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فاقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما امر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره . وحضر يوماً طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة ياكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من اصحابه فكانوا الحواريين (١) وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره واصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم . وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً وكانوا اذا جاعوا او عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا . فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفين وما يشربون . فقالوا من افضلُ منا . اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا . فقال افضلُ منكم من ياكل من كسب يده . فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة . ولما ارسله الله اظهر من المعجزات انه صوَّر من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرًا باذن الله . قيل هو الخفاش . وكان غالبًا على زمانه الطب فاتاهم بما ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى تعجيزًا لهم . فممن احياه عازر وكان صديقًا لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة ايام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة ايام فاتى قبره فدعا لهُ فعاش وبقي حتى ولد له . واحيا امرأة وعاشت وولد لها . واحيا سام بن نوح . كان يوماً مع الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلاً وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال : قد قامت القيامة ؟ فقال المسيح لا ولكن دعوتُ الله فاحياك . فسألوه فاخبرهم . ثم دعا ميتاً واحيا عزير النبي . قال له بنو اسرائيل احيِ لنا عزيرًا والا احرقناك فدعا الله فعاش . واحيا يحيى بن زكريا واحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

«١» رسل المسيح وتلامذته

ذكر نزول المائدة

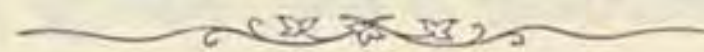
وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة · وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له ياعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء · فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا · فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم ياكلون منها ولا تنفد · فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها · فما مضى يومهم حتى ادخروا · وقيل اقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم · وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تُمد بكل طعام الا اللحم · وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شيء · فلما اكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله · ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر اعينكم · فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي · فبقوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا · وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين ايديهم · فبكى عيسى وقال اللهمَّ اجعلني من الشاكرين · اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة · واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحاً اطيب من ريحها · فقال شمعون (سمعان) يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الجنة · فقال المسيح لامن طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته · فقال لهم كلوا مما سألتم · فقالوا له كل انت يا روح الله فقال معاذ الله ان آكل منها · فلم ياكل ولم ياكلوا منها · فدعا المرضى والزمنى والفقراء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص · فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء · ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت · وندم الحواريون حيث لم ياكلوا منها · وقيل انها نزلت اربعين يوماً كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً · وامر الله عيسى ان يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها · فاوحى الله الى عيسى اني شرطت ان اعذب المكذبين عذاباً لا اعذب به احداً من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فاصبحوا خنازير · فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين · فلما ابصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم باسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا

ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة ·

فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير . فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال : يا معشر اليهود ان الله يبغضكم . فغضبوا من مقالته وساروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فادخله في خوخة الى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة . فامر رأس اليهود رجلاً من اصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم يرَ احداً والقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه . وقيل ان عيسى قال لاصحابه ايكم يحب ان يُلقى عليه شبهي وهو مقتول . فقال رجل منهم انا يا روح الله . فالقى عليه شبهه فقتل وصُلب . وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلي اسمه يوشع ايضاً . وقيل لما اعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا اخذ يغسل ايديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد عليَّ الليلة شيئاً مما اصنع فليس مني . فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي فليكن لي اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض . واما حاجتي التي استعينكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر اجلي . فلما نصبوا انفسهم للدعاء اخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة . فالوا والله ما ندري مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه . فقال يُذهب بالراعي ويفترق الغنم . وجعل ينعي نفسه ثم قال : ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني . فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين وقالوا هذا صاحبه . واختلف العلماء في موته قبل رفعه الى السماء فقيل رُفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم احياه ورفعه . ولما رُفع الى السماء قال الله له انزل . فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال ما انا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثاً . فلما سمع صياح الديك بكى واحزنه ذلك . واتى احد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح واعطوه ثلاثين درهماً فاتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح والقى شبهه على الذي دلهم عليه فاخذوه واوثقوه وقادوه وهم يقولون له انت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك . وهو يقول انا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها . وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحواري اتبعوه واخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه . فاظلمت الارض

وارسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه · والقي شبه المسيح على الذي دلهم عليه فاخذوه ليصلبوه · فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها · ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياه ورفعه · ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبكِ عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها · فنزل عليها بعد سبعة ايام فاشتعل الجبل حين هبط نورًا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون · فقال ما شانكما تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وامرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلاً عن الله وامرهم ان يبلغوا عنه ما امره الله به · ثم رفعه الله اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيًا ملكيًا سماويًا ارضيًا · فتفرق الحواريون حيث امرهم فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى · وتعدَّى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلاً كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من امره فوالله لو علمتُ ما خليت بينهم وبينه · ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فاخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شُبه لهم فغيّبه واخذ الخشبة التي صُلب عليها فاكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة · فمن هناك كان اصل النصرانية في الروم · وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طبار يوس وكان هذا ايضًا يسمى ملكًا · وكان ملك طيبار يوس ثلاثًا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة واياماً» انتهى كلام ابن الاثير بحذف يسير



السماء والأرض والانسان

(جدال العلماء)

(هل الارض في مركز الخليقة ؟)

ردّ العلامة كاميل فلامريون على العلامة ارثر ولس

نشرنا في الجزء السابق تحت هذا العنوان تفصيل رأي جديد للعلامة ارثر ولس رفيق العلامة درون وتحصّله ان كرتنا الارضية كائنـة في مركز الكون وانها مأهولة بالسكان دون غيرها من الكواكب والسيارات . ولقد كان لهذا القول دهشة في العالم الشرقي كما كان له دهشة في العالم الغربي . ومما قرأناه في البريد الاخير مقالة للعلامة كاميل فلامريون المشهور يردُّ بها على المستر ولس . فرأينا من الواجب تلخيص الردّ بعد تلخيصنا الرأي

قال المسيو فلامريون : ان الانسان يتساءل كيف ان عالمًا مهمًا مثل ارثر ولس يرى ان الشمس كائنة في مركز الكون ولا وظيفة لها غير انارة الارض وان هذه الارض هي الجرم الوحيد المأهول في الفضاء . نعم سمعنا كثيرًا من هذه الاقوال في بعض المواعظ والخطب الدينية ولكنا لم نسمع مثلها قبل الآن من عالم موضوع في الدرجة الاولى بين العلماء

ثم ان المسيو فلامريون يقول : على ان ذلك امر محزن لان هذا الحجر الذي القاه صاحب الرأي في بحيرة العلم سيحدث امواجًا تمتدُّ الى بعيد ويبقى منها اثر في الاذهان . ذلك ان الاوهام والاغلاط خصوصاً ما كان منها منطبقاً على اهوائنا وموافقاً كبريائنا لا تتلاشى بسرعة . وكم من القواعد التي وضعها ارسطو قديمًا تعرقل الآن عقولنا في مباحثنا الفلسفية . ولذلك نعتبر ان رأي المستر ولس لا يجب ان يُعتد غيمة مرّت في سماء العلم بل ظلامًا تكاثف فيها

ثم شرع المسيو فلامريون في الردّ على هذا الرأي فقال ما خلاصته

محصل رأي المستر ولس ثلاثة (الاول) ان عدد النجوم في السماء محدود لا غير متناهٍ كما قيل (الثاني) ان الكون كله كائن على جوانب المجرة وهذه المجرّة مؤلفة بترتيب دقيق (الثالث) ان الشمس واقعة في مركز الكون اي في مركز المجرّة

اما الامر الاول فيردُّ عليه بان بين كلمة « العدد » وكلمة « غير متناهٍ » تناقضاً لا يزول . لان كل عدد لا يمكن ان يكون غير متناهٍ . اذ الغير المتناهي ما استحال الزيادة عليه .

والعدد قابل للزيادة دائماً · فلا مانع من القول بان عدد النجوم في السماء غير متناهٍ ـ ولكن لا ينبغي الخلط بين النجوم والفضاء · فانه اذا كان عدد النجوم متناهياً فالفضاء (الخلاء) لا يمكن الا ان يكون غير متناهٍ اذ ليس فيه فوق ولا تحت ولا شمال ولا يمين كما انه في ابدية الزمن لا بداية ولا نهاية · على ان بعض الفلاسفة يعرّفون الفضاء بانه المسافة التي تفصل بين جسمين ولذلك لا يتصوّرون فضاء بلا اجرام · واللاهوتيون ينكرون لا نهاية الفضاء خوفاً من ان يطلقوا على الفضاء صفة من صفات الله (اللانهاية) غير انني اتجاسر واقول ان هذه الاقوال سفسطائية اذ هب ان الاجرام لم توجد ولا وجد هذا الكون فان الفضاء يكون موجوداً · اي يوجد فراغ يحتمل وجود الاجرام فيه

ومن براهين المستر ولس على ان عدد النجوم غير متناهٍ انه لو كان كذلك لوجب ان تكون النجوم منتشرة في كل جوانب الفضاء وبما ان كل نجم من تلك النجوم شمس منيرة فانه يلزم ان تلتقي انوارها الساطعة وتؤلف افقاً منيراً كنور الشمس · ولكن هنا اربعة اعتراضات على هذا القول (الاول) ما ادرانا ان النور الواصل الينا من الفضاء لا تعرض له عوارض تضعف خواصه ولماذا لا يؤثر الاثير على اشعته بان يمتص منها ويضعف نورها (الثاني) وجود شموس مظلمة (اي منطفئة خامدة) في الفضاء كما يوجد فيه شموس منيرة فلماذا يعتبر المستر ولس كل تلك النجوم شموساً منيرة · وما المانع من ان تكون تلك الشموس الخامدة واقعة بين الشموس المنيرة وحائلة دون التقاء انوارها وانتشارها (الثالث) ان الفضاء مملوء بالسدم والغازات وفن الفوتوغراف يكتشفها في كل جانب تقريباً · وهذه السدم والغازات قد تكون منيرة وقد تكون مظلمة فما المانع من ان يكون المظلم منها ذا تاثير على النور في السماء (الرابع) وجود الغبار بكثرة في الفضاء منتشراً عن عوالم السماء وامكان تاثيره على النور

ثم ردّ المؤلف على القول الثاني والثالث (المجرّة وترتيبها ووجود الشمس في مركزها) فاقام الدليل على ان المجرّة ليست نظاماً مخصوصاً مرتباً بل هي مجموعة سدم واجرام صغيرة وقد عدوا منها بالتلسكوب نحو عشرة الآف · وهي عبارة عن دائرة حولنا وحول الشمس ولكن الشمس ليست في مركزها تماماً ولا هي اكبر الاجرام الواقعة ضمن دائرتها لان الفا دي سانتور التي هي في جملة هذه الاجرام جرمها مضاعف جرم الشمس · ومع ذلك فهب ان شمسنا في مركز المجرة تماماً فانها لا تبقى دائماً في هذا المركز · ذلك انها سائرة بسرعة نحو مجموع هرقل وستجتاز المسافة من هنا الى الفا دي سانتور بخمسة وستين الف سنة · وهي

مدة قصيرة في نظر تاريخ الخليقة كما ان الجيولوجيين يعتبرون ان عشرين مليون سنة مدة ليست طويلة في تاريخ الطبيعة · وهذه المدة (٦٥ الف سنة) كافية لاخراجنا واخراج كل شمسنا من دائرة المجرّة

ثم انتقل المؤلف الى الهجوم بعد الدفاع فقال : يؤخذ من تقدير اللورد كلفن الاخير ان عدد الشموس في عالمنا السماوي ليس باكثر من مليار شمس بكثير · واذا افترضنا ان معدل جرم كل واحدة من هذه الشموس مساوٍ لجرم شمسنا لزم ان يكون معدل سرعة الاجرام في دورانها الناشىء عن تجاذبها وتدافعها من ٢٠ الى ١٠٠ كيلومتر في الثانية · ولكن لو كان عدد تلك الشموس عشرة مليارات مثلاً للزم ان تكون سرعة الاجرام المتعلقة بها اقوى واشد كثيرًا من السرعة المذكورة آنفًا · الا انه هب اننا افترضنا ان عدد الشموس في الفضاء مليار فما الفائدة من هذا الافتراض · هل يمنع ذلك من وجود عالم ثانٍ وراء هذا العالم عدد شموسه ايضًا مليار وعالم ثالث وراءه عدد شموسه ايضًا مليار · فان المجرّة التي حولنا ليست سوى نقطة في فضاء الابدية

ومما يقوّي لدينا هذا الظن اكتشافنا نجومًا ليست تابعة لعالمنا هذا · منها النجم الذي ذكره نيوكمب والمعروف بنجم كرمبردج وكان اكتشافه في سنة ١٨٣٠ · فان سرعة هذا النجم في دورانه بلغت ٣٠٠ الف متر في الثانية الواحدة · وهو يخترق عالمنا هذا قادمًا من خارجه ككرة مقذوفة بقوة هائلة · فالارجح انه تابع لعالم آخر سماوي غير عالمنا وانما يمر بنا مرًا · و يقوي هذا الظن ان قوة جاذبية المليار من النجوم الذي تقدم ذكره لا يمكن ان تسبب سرعة هائلة كهذه السرعة لان معدل السرعة التي تنجم عن ذلك المليار انما هو من ٢٠ الى ١٠٠ كيلومتر في الثانية كما تقدم

ثم ختم المسيو فلامريون ردّه بخاتمة جميلة اظهر فيها عجبه من ان عالمًا مثل المستر ولس يعتقد بالنشوء والتحوّل — اي يطلب مساعدة الزمن لحدوث الفعل — ثم يعتقد مع ذلك بان لزمننا هذا وارضنا هذه مزية خصوصية بدلاً من ان يعتقد بان الارض هي بنت اليوم كما ان القمر ابن امس والمشتري ابن الغد · يعني المستر فلامريون بذلك ان الارض غير ممتازة بشيء عن باقي الاجرام وانما وجدت الحياة فيها اليوم لملائمة احوالها لها كما كانت موجودة من قبل في القمر ثم انقرضت منهُ وكما ستوجد في السيارة (المشتري) يوم استعداد هذه السيارة لها · نقول وهذه عقدة العقد التي يصعب تصديقها كما يصعب قبولها يوم ثبوتها



أقتراحات الجامعة

هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل ؟ وكم هي المدة اللازمة لذلك ؟ وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان هذا التعليم على الطريقة الحاضرة ؟ واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهمّ وجوه هذا الاصلاح ؟

اقترحنا في الجزء السابق على الادباء الاقتراحات التي سطَّرناها فوق جرياً على القاعدة التي وضعتها المجلة وهي ان تعين المواضيع التي تقبل الرسائل والفصول فيها . فوردتنا عدة اجوبة . غير ان في هذه الاجوبة ما لو اردنا نشره كله لاستغرق عدة صفحات من الجامعة . ولذلك نكتفي بنشر شيء من كل جواب لنتمكن من نشر آراء جميع المراسلين والاَّ اضطررنا الى الاقتصار على رسالة واحدة

واولى هذه الرسائل مقالة مسهبة من جناب حليم افندي لوقا في اسيوط وقد ختمها حضرته بما يلي :

« اهم الطرق الواجبة لاصلاح التعليم

(اولاً) ادخال المجانية الالزامية على قدر الامكان ولو في المدارس الابتدائية وان شئت فالكتاتيب على الاقل . (ثانياً) انشاء مدارس تجهيزيه في كل بلدة وكل قرية يتعلم فيها الطلبة القراءة والكتابة والمبادىء الطبيعية (وهي التي نرى ضرورة جعلها مجانية) (ثالثاً) طلبة المدارس التجهيزية اذا شاءوا دخلوا المدارس الابتدائية التي يجب ان تُنشأ في عاصمة كل مديرية وكل مركز ويجب ان يكون العلم فيها مقروناً بالعمل وتُشغل اوقات الفراغ بالرياضة الجسدية كالسباحة وركوب الخيل والجمنستيك وغير ذلك . وفي كل سنة من سني الدراسة يتعلم التلامذة صناعة يدوية او فنية عن يد استاذ ماهر . وينبغي الاعتناء الشديد بالتربية الادبية اي حفظ الفضائل والآداب ومراقبة سلوك التلامذة اشد مراقبة وتعويد الشاب الاعتماد على نفسه في كل عمل يأتيه ومعاملته معاملة الرجال (رابعاً) تنشأ ثلاث مدارس كلية في مصر والاسكندرية واسيوط على مثال مدارس اوروبا (خامساً) تنشأ ما عدا ذلك المدارس الصناعية والزراعية والتجارية ويكون التعليم فيها علمياً عملياً وعددها بقدر حاجة البلاد »

(اسيوط) حليم لوقا

وجاء في رسالة لجناب سليمان افندي كرم في الشيخ فضل

« من شأن الشعوب مهما كانت ضعيفة ان تميل للارتقاء . وهذا لا يتم الا بالعلم والغنى . ومصر غنية بشهرتها عن بيان ثروتها فلا ينقصها اذاً الاّ التثقيف العام . وهذا منوط بالزامية التعليم والذي يحملنا على الحكم بالحصول عليه فيما بعد السنّة العظمى السائدة في العالم وهي الزحف الى امام . وغير بعيد ان حكام مصر بعد ان درسوا سر تقدم الممالك الغربية وعرفوا اسباب انحطاط الشرق لا يرتضون ان يتركوا الامة في دياجي الجهل بل تأخذهم غيرة التقدم الحقيقي فيدخلوا في القانون المصري الزامية التعليم

اما مدارسنا الآن فتعليمها سطحي . وعندي انه قد حان لنا الوقت الذي يجب فيه الخروج من هذه الحالة . وذلك يتم بان تنقش على جدران مدارسنا وكتاتيبنا هذه الكلمات التي تغير الامة وهي : قرن العلم بالعمل

(الشيخ فضل) سليمان كرم

وجاء في رسالة بلا توقيع

« لم يسلم التعليم الالزامي المجاني من الاعتراض والنقد شان جميع المسائل الادبية . ففيه مذهبان تختلفان كل الاختلاف

فالمذهب الاول مذهب اللورد سبنسر وغيره من الفلاسفة الذين يريدون توجيه عقول البشر في الارض الى الاشياء العملية النافعة . فان هؤلاء القادة يرون ان عامة الشعب اذا تلقوا الدروس الابتدائية والثانوية خرجوا من المدارس وهم كالغراب الذي رام يمشي مشية الحجل . ذلك ان نفوسهم تنفر من حالتهم الاجتماعية وتتطاول الى الارتقاء الى طبقة اعلى من طبقة آبائهم واجدادهم . وبما انهم لا يستطيعون الوصول الى هذه الطبقة يصبحون بين الطبقتين اي لا يكونون من طبقة آبائهم لانهم نفروا منها ولا من الطبقة التي فوقهم لانهم لا يستطيعون الوصول اليها . ولذلك يسميهم الفلاسفة « فاقدي الطبقة » وهؤلاء الفاقدو الطبقة يكونون حملاً ثقيلاً على انفسهم وعلى اهلهم وعلى امتهم لانهم لا يستطيعون أن ينفعوا ولا ان ينتفعوا . على حين انهم لو تلقوا بدلاً من الدروس الادبية التي تلقوها شيئاً من المعارف الابتدائية وانصرفوا الى صناعة آبائهم واجدادهم لعاشوا معهم مستريحين مريحين

ويظهر ان جناب اللورد كرومر قد اقنعه ما قاله الفيلسوف هربرت سبنسر في كتاب له صدر منذ عامين وخلاصته استياء الفيلسوف الجليل من مبالغة الناس في توقعهم الخير

من التعليم وافراطهم في تعميمه · ولذلك ارتأى اللورد كرومر في تقريره الاخير رأياً موافقاً كل الموافقة لرأي الذين يدعون الى تقليل عدد « فاقدي الطبقة » · واذا بقي اللورد كرومر على هذا الرأي ولم تصرفه نظارة المعارف عنه في المستقبل فمن المحتمل ان التعليم الالزامي المجاني لا يتمّ مع الاحتلال في القطر المصري

على ان انصار التعليم الالزامي يردّون على ذلك بقولهم

لانجهل ان التعليم الالزامي لكل ابناء الامة قد يُفضي الى تكثير عدد « فاقدي الطبقة » كما ذكرتم · ولكن هذا الضرر لا ينشأ من نفس التعليم الالزامي بل من فساد طريقته · فان المدارس الادبية التي تقتصر على تدريس الصرف والنحو والشعر والبيان وشيء من مبادئ العلوم لا يمكن ان يخرج منها التلامذة الاّ وهم « فاقدو الطبقة » وليس العجب في خروجهم منها كذلك بل العجب في ان لا يخرجوا منها كذلك · وانما الكلام هنا على المدارس المفيدة اي على مدارس غير المدارس الادبية المقصود بها اعطاء التلميذ شهادة الدروس الثانوية · المقصود بالتعليم الالزامي المجاني التعليم المنطبق على حاجات الامــة · فاذا كانت الامة زراعية كان التعليم مقروناً بالمعارف الزراعية واذا كانت صناعية كان مقروناً بالمعارف الصناعية وان لم تكن هــذا ولا ذاك بل وجب ايجادها وتكوينها فانه يُنشأ لها مدارس لايجادها وتكوينها باخلاص وحسن نية

نعم من المحتمل ان اشعة نور العلم اذا وقعت على ادمغة بعض الاولاد اضرتهم بدلاً من ان تنفعهم لان تلك الادمغة « محدودة » اي قاصرة لم تخلق الاّ لعمل محــدود · وان ذلك يجرُّ عليها وبالاً في معترك الحياة لانه يريها سوء الحال التي هي فيه دون ان يعطيها قوة للخروج منها ـ ولكن اي شأن لهذا الامر بازاء اكتشاف تلك الاشعة في طبقات الشعب والعامة القرائح العظمى والعقول الكبري والنوابغ الذين وهبتهم السماء مواهب ليخدموا بها البشر في الارض

ان اكثر اعاظم الرجال الذين نبغوا في القرن التاسع عشر (اي بعد الثورة الفرنسوية) كانوا عصاميين وخروجهم كان من احشاء الشعب والعامة · هذا محمد علي باشا وهذا علي باشا مبارك وغيرهما من نوابغ مصر · من اية طبقة خرجوا ؟ أَليس من طبقة الشعب · فلتكن اذاً مباركة الف مرة تلك الاشعة الجليلة التي تقع على ادمغة عامة الشعب منذ الصغر فتُظهر ما فيها من المواهب والاستعداد العظيم بدلاً من تركها تصداء وتفنى بالاهمال والغباوة كالذهب الذى يلحقه الصداء فيستر معدنه الكريم

وما عدا فائدة التعليم الالزامي في اظهار النوابغ في الامة فهناك فائده اخرى . وهي ان قوة الامة متوقفة على قوة افرادها . وافرادها لا يكونون اقوياء الاَّ بمعرفتهم حقوقهم وواجباتهم في الامة . وقد صارت الحياة في هذا الزمان عبارة عن معترك شديد بين الناس . فاذا لم يسلّح الفرد بسلاح العلم والاقدام والجرأة التي تقوي قلبه وتدرّبه في طريقه فانه يسقط ويُداس . ومن اين للامة هذه الفضائل من غير تربية علمية عمومية

فحسنًا تصنع الحكومة المصرية متى وجدت العشرة ملايين جنيه التي تريد انفاقها على ازالة السدود من اهالي النيل ان تأخذها وتنفقها على وضع اساس التعليم الالزامي المجاني في مصر فان العناية بهذا الامر ليس باقل اهمية من ذاك »

﴿ اقتراحات الجزء القادم ﴾ اما اقتراحات الجزء القادم فهي « اصحيحٌ ما ورد في « مقالة السودان ونغمته الجديدة » في هذا الجزء من عواطف السودان نحو مصر . وهل سمعت شيئًا عن ذلك . وما سببه اذا كان صحيحًا . وما هي الطرق للتوفيق بين الفريقين وكيف يكونان في المستقبل . وهل يبقى السودان مستعمرة لمصر ام يُصدَّقَ ما يُقال من انه سيسبقها في حلبة العمران » — ولا ريب ان قراءنا الافاضل في اقطار السودان اقرب القراء الى هذا الموضوع المهم . غير اننا نرجو من كل من عنده معلومات بهذا الشأن ان لا يبخل بها على قراء الجامعة

السودان ونغمته الجديدة

« وباء الجمسيات والمذهبيات »

لمناسبة صدور جريدة السودان لصاحبها جناب محمود افندي القباني

السودان بلاد واسعة الاطراف واهله داخلون في الحضارة شيئًا فشيئًا وكلهم يتكلمون اللغة العربية فلا ريب في ان مستقبل الصحافة فيها سيكون عظيمًا متى كثر قراؤها . وقد بدأت الصحافة السودانية منذ الآن فان ادارة جريدة المقطم نالت امتيازًا من الحكومة السودانية بفتح مطبعة وجريدة في ام درمان . وامامنا الآن جريدة سياسية ادبية تجارية اسبوعية عنوانها « السودان » لمديرها ومحررها جناب محمود افندي القباني قال في فاتحتها ما نصه : « انني كنتُ اصدرت جريدة باسم السودان منذ بضع سنوات ثم بدا لي

بعد فتح ام درمان تعطيلها الى اجلى غير مسمى حتى اتمكن من اعادة اصدارها في نفس وطني الخرطوم حينما تتقاص من بلاده الاحكام العرفية وتباح فيه حرية المطبوعات · — ولما كنتُ من اهل مدينة الخرطوم الذين حوصروا فيها مع الطيب الذكر الجنرال غوردون باشا الذي يمتزج تاريخ اعماله وحياته بتاريخ السودان عموماً والخرطوم خصوصاً جعلت شعار جريدتي صورته الكريمة وبجانبها راية العدل والعمران الانكليزية وفي الجانب الايسر صورة اعرابي من بدو السودان الشرقي بزيه الشائع بين تلك القبائل الضاربة في تلك الفيافي وفي عنقه وذراعيه « التمائم » والتعاويذ · — ولما كانت الغاية تبرر الواسطـة (كذا) فان غايتي خدمة قومي بما لا يخرج عن رغائب الاصلاح اذ نعدُّ انفسنا اليوم من رعايا جلالة الملك ادورد السابع (كذا فقط) يحكمنا موظف سامٍ من خيرة رجاله مستمداً انوار الاصلاح والمدنية من ذلك الوزير الخطير والمصلح الكبير صاحب الفخامة اللورد كرومر الذي لا نحتاج الى تعريفه باكثر من هذا »

والحق يُقال ان هذه الجريدة مفيدة في موضوعها لانها تروي من اخبار السودان والشؤون المتعلقة به ما لا يوجد في غيرها · واذا كانت فاتحة جرائد السودان هكذا فلا ريب ان صحافته ستكون قوية جداً · ولا عجب في ذلك فان مصر كانت مدرسة للصحافة وحملة الاقلام في القطرين

ولكن ثناءنا على حضرة صاحبها الفاضل لما حوته جريدته من الفوائد لا يمنعنا من الجهر بحقيقة تنجلي لكل من يقرأ سطرين في جريدته

فانه يظهر انه رأى من الفائدة ان يختار حزب التطرف على حزب الاعتدال في المسالة السودانية فقام يدعو ابناء وطنه الدعوة التي الفتها جميع الاحزاب المتطرفة في جميع البلاد لمراعاتها في ذلك مصالحها ومصالح احزابها قبل مصلحة اممها · ولذلك قلما ترى بلداً خلا من كتاب مجيدين يقطعون اوقاتهم و يتسلون بانتقاد الغرباء والاجانب حتى اخوانهم المشاركين لهم في كل شيء الا في شيء ويحرضون عليهم قراءهم تحريض الريح البحر ان يثب على المدن وان كان لهذا التحريض في بعض الاحيان سبب مفهوم قد يصح اتخاذه عذراً ولا نظن ان بض رصيفاتنا الجرائد السورية التي تُطبع في اميركا قد سلمت من هذا الوباء فان بعضها قام يناصب فئة من الغرباء والاجانب في البلاد السورية ويحمل عليهم حملات منكرة بحجة المصلحة العمومية · فيا ايتها المصلحة العمومية كم من الصغائر يصنع الناس باسمك

ويكفي ان نروي لك بعض فقرات من رصيفتنا جريدة السودان لتعلم الخطة التي اتبعتها ·

فمن ذلك ما رأيتَ في فاتحة الجريدة . ومنه ما جاء في العدد الثالث في مقالة عنوانها العلائق بين مصر والسودان . فقد قال فيها ان المهدي لم يجذب السودانيين اليه و يجعلهم يلتفون حوله الا بقوله لهم في كل منشوراته « اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بان الترك « اي المصريين » كفار وهم اشد الناس كفرًا لانهم ساعون في اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتمّ نوره ولو كره الكافرون » قال الكاتب « هذه هي الجملة التي تلقاها اهل السودان كلهم بالقبول و رقصت لها افئدتهم المفعمة بالغيظ والحقد على ظالميهم المصريين » ـ ثم استطرد من هذا الى قوله « باستحالة التوفيق بينها (اي بين المصريين والسودانيين) بغير وجود الانكليز . والعواقب وخيمة اذا اصر المصريون على تعنّتهم ولم يصغوا لنصائح رجال الاصلاح الذين يداأبون في التوفيق بين مصلحة مصر والسودان » ثم يقول « ان بعضهم يزعم ان اهل السودان يحبون المصريين وانهم لا يرضون حتى الآن ان يكونوا الا محكومين بسلطة مصر وهو قول لم يكن له نصيب من الصحة البتة . ومما يدل على فساده ان قائليه ابعد خلق الله عن السودانيين وليس لهم رابطة ما معهم . وفي اي نادٍ قال لهم السودانيون هذا القول . وفي اية جريدة عبّروا لهؤلاء الغرباء المتملقين بهذه الافكار التي لو رأى السودانيون ملصقها بهم لشربوا من دمه »

ثم يقول عن زيارة الجناب الخديوي المعظم للسودان « ان زيارة الوالي (يعني الجناب الخديوي) لم يكن لها فائدة سوى انه اخبر اهل السودان بصريح القول بحقوق انكلترا فيه من الفتح والامتلاك . وقد جاء ذكر الراية الانكليزية المظفرة قبل الراية المصرية في تصريح حضرته الرسمي . والسودانيون يسمون الراية المصرية هكذا « الروبية » تصغير راية او « التريكوه » تصغير تركيه فاذا كانوا (يعني جرائد مصر على الاغلب) ناطقين بأميال الامة السودانية فليفهموا معنى هاتين الكلمتين اللتين ندعهما بلا تفسير . ـ وقد اضحكني ادعاؤهم بان حضرة الوالي (يعني الجناب الخديوي المعظم) قوبل هناك بالاحتفاء والزينات فاذا كان بين عباراتهم كلمة صدق فهي هذه . اذ الزينات والحفاوة واجبان لكل ضيف سيما اذا كان الغرض منها مثل هذا الاعتراف الذي قطع كل قيل وقال وفقاً حصرماً في اعين المدعين باننا نميل الى الترك (المصريين) ونبغض الانكليز سبحانك هذا بهتان عظيم . ـ ومما يدحض حجتهم وينهض حجتنا ما يقوله السودانيون اجمعون باننا احتفينا وزينا عملاً بواجب الضيافة ولكننا لم نبرهن قط باننا نميل الى حكمه دون الانكليز بدليل اننا لم نرفع الى حضرته اقل شكوى ولم نسأل جنابه ادنى مسألة . ـ والفرق ظاهر بين ما استقبلنا به

حضرته وبين ما نستقبل به صاحب الفخامة اللورد كرومر مصلح وادي النيل الذي لا يصل الى بلد او محطة حتى يحتشد حوله الالوف من الاهلين وهم يصيحون بملء افواههم قائلين « يا وكيل الملك نشكو من كيت وكيت» ونريد « كذا وكذا » . فيقف وسط الجموع وينظر في جميع ما يعرض عليه ويكلمنا عن الدقيق والجليل من الشكاوى او الالتماسات التي نعرضها عليه . وينفق في كل رحلة الالوف من الجنيهات ولم يشأ نشرها والطنطنة بها على صفحات الجرائد حتى صار الذين يؤاسيهم بتلك الاموال يطالبونه بوفائها كلما زار السودان وهي اعطية تذكر نأتي على ذكر واحدة منها قياساً على الباقي وهي ثلاثون جنيهاً لامام مسجد ام درمان ومن على شاكلته كل بما يناسب مقامه . فهل فعل حضرة الخديوي شيئاً من هذا القبيل وهل سألناه اياه وهل اذا سألناه نجد منه ما نجده من فخامة اللورد كرومر ؟ »

هذه هي المبادئ والآراء التي تنشرها رصيفتنا جريدة السودان وبموجبها يكون غريباً كل من لم يكن سودانياً . ونحن لا نعلم هل هي منطبقة على آراء السودانيين حقيقة او فيها شيء كثير من المبالغة كما اننا لا نعلم هل يرضى عنها شركاء مصر في السودان او لا يرضون خصوصاً حاكمه العام المشهور بالاعتدال والتأني والحكمة سعادتلو ونجت باشا . ولكن ما لا ريب عندنا فيه ان هذه المبادئ تضر السودان ومصر معاً . وحسناً يصنع السودان اذا لم يُدخل اليه وباء الجنسيات والمذهبيات التي هي عبارة عن ميكروبات الانحطاط والضعف والانحلال في الامم . بل يتشبَّه بالولايات المتحدة تلك الامة الفتاة القوية التي ينادي رئيس جمهوريتها في خطبه بقوله : فلتأتنا العناصر القوية من كل اقطار الارض لاننا الآن في زمن نؤلف فيه بالتدريج الامة الاميركية العظيمة . ولكن لو افترضنا المستحيل واحتلت احدى الدول الولايات المتحدة فان الشغل الاكبر للدولة المحتلة يكون منع تقوية الامة الاميركية المختلطة بالعناصر القوية الحية التي تهاجر اليها . فبدلاً من ان يكون سكان اميركا كلهم « اميركيين » كما هم اليوم يصبحون ومنهم « الاميركيون الاصليون » والايرلنديون والالمان والهولانديون والفرنسويون والايطاليون والسوريون — اي يُجزاء ذلك الكل الكبير الى اجزاء تتدافع وتشتغل باضطهاد بعضها بعضاً ولا يكون في ذلك غير انتصار القوي المشرف على الفريقين الذي يضحك في سره لهذا الانقسام المنطبق على سياسته لكونه يشغل محكوميه عنه ويلهيهم بانفسهم وبصغائر الامور

هذا ما رأينا ان نقوله في رأي جريدة السودان . ولذلك نتمنى لها ما تمنته لها جريدة المؤيد من الاعتدال لاسيما وانها فاتحة الصحافة في السودان واول ما تقع عليه انظار الناشئة السودانية

مقاومة داء السل

اجتماع اللجنة الدولية في باريز وخطبة المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية الفرنسوية

ألّفت الدول الاوربية لجنة دعتها «لجنة مقاومة داء السل الدولية» وغرضها درس الطرق الفعالة لمقاومة هذه الآفة المهلكة بالاتفاق بين الدول . وقد وفد اعضاء هذه اللجنة الى باريز للاجتماع فيها وفيهم كبار الاطباء فعقدوا في ٥ مايو جلستهم الاولى وقد رأسها المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية والقى فيها خطبة الافتتاح . ومما قاله ان مؤتمر السل الدولي القادم سيجتمع في العام المقبل في باريز . ثم قال ان الناس كانوا يعتقدون قبلاً بان هذا الداء الوبيل يستحيل شفاؤه اما الآن فكل المؤتمرات وجميع العلماء قد صرحوا بان شفاءه امر سهل اذا تداركه صاحبه . وبعد ذلك قال انه ليس من العدل ان نقضي بفرز المسلولين واعلان دائهم قبل ان نوجد لهم اماكن للمعالجة يعيشون فيها مستريحين حتى الشفاء . واشار الى ان مسالة مقاومة هذا الداء مرتبطة بالمسالة الاجتماعية في العالم لان شفاءه يقتضي تحريك كل القوات الاجتماعية اي يقتضي ان تهتم الامم بتحسين احوال الشعب ومساعدة الناس ادبياً ومادياً لئلا يفغي بهم جهلهم وفقرهم وافراطهم الى الوقوع فيه . ثم قال مخاطباً الاعضاء : ولكم حلفاء ايها السادة يجب ضمهم اليكم . وهؤلاء الحلفاء هم اولئك الكرام الذين يهتمون باصلاح مساكن العملة . وجمعيات التعاون التي تجمع الفقراء وتولد لهم الغنى من الفقر بواسطة اشتراكهم فيها بمبلغ جزئي . واولئك الذين يقاومون المسكرات بجراءة وشجاعة . فاجمعوا هذه القوات وضموها . وسيروا كرسل المدنية والسلام شاهرين حرباً عواناً على آفتي الجنس البشري وهما : الشقاء المادي والشقاء الادبي

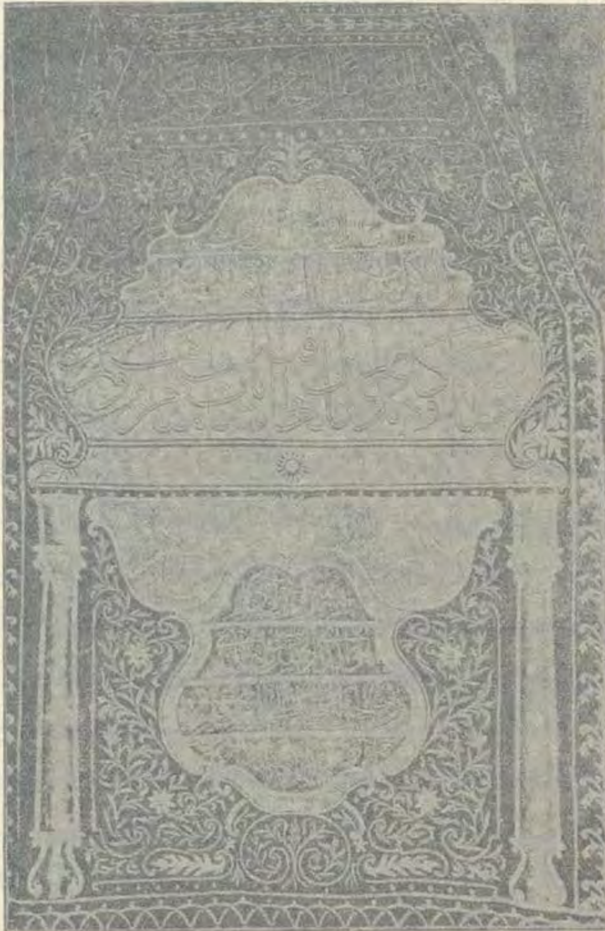
ثم قال : ولقد سألني رئيسكم الكريم المسيو برواردل ان اجلس في مكانه في هذه الجلسة . فانا اعتبر انني لم اجلس هنا الا لامثّل الرأي العام ولاقول لكم بالنيابة عنه اننا ننتظر من العلم تحقيق الآمال . فسيروا ونحن نتبعكم وامامنا العلم كعمود من نار ينير الطريق »

وقد حضر هذه الجلسة كثيرون من علماء فرنسا واوروبا في جملتهم فون ليدن طبيب امبراطور المانيا الخاص نائباً عن المانيا . ويُعد اجتماع هذه اللجنة في باريز تمهيداً للمؤتمر الدولي العام الذي سيجتمع فيها في القام القادم كما اجتمع في لندن منذ سنة

عاد من الحج فائزًا بالرهان

(قصة)

لما قررت الحكومة في هذا للعام تسيير الحجاج مع ركب المحمل واوجبت على من يريد الحج دفع ٥٠ جنيهاً او ٧٠ انقوم هي بنفقة طريقه استاء الذين كانوا عزموا على قضاء هذه

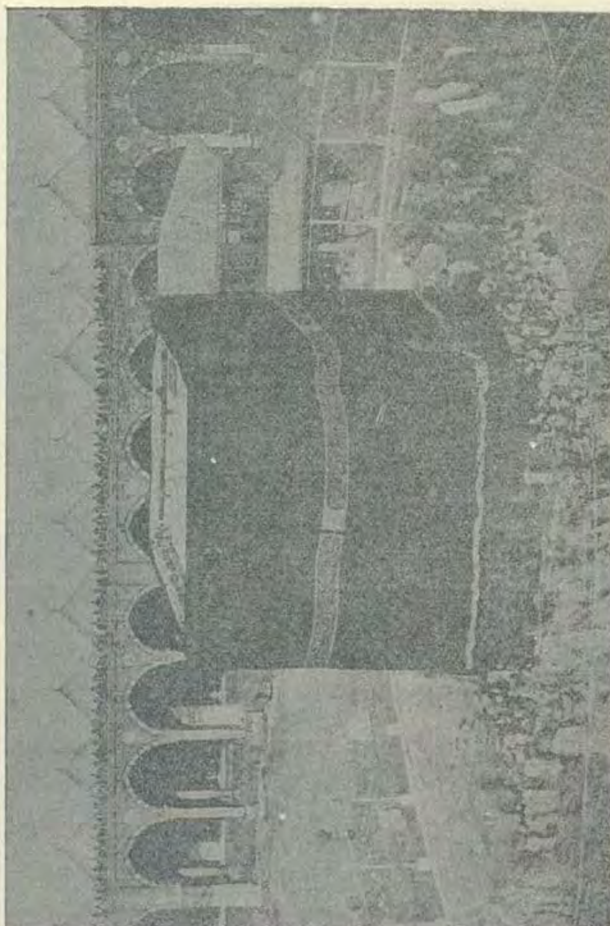


الكسوة السنية التي يحملها المحمل في كل عام

الفريضة الدينية المقدّسة من الطبقات المتوسطـة والعامة لاستصعابهم دفع ذلك المبلغ او



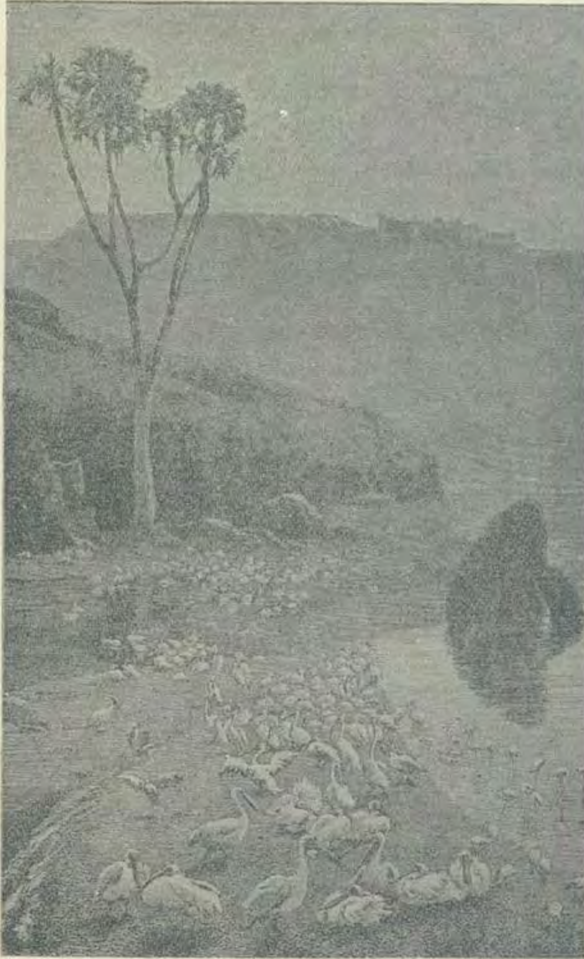
﴿ قافلة للحجاج نازلة قرب مكة ﴾



﴿ الكعبة المكرمة والطواف حولها ﴾

لعدم مقدرتهم عليه . ولذلك امتنع الحجاج المصريون عن السفر في هذا العام الا ٢٢ شخصاً دفعوا الرسم المذكور وسافروا مع المحمل

ففي يوم تشييع المحمل في العاصمة كان اثنان يتحادثان على مقربة من الاحتفال . وكان احدهما شاباً قوياً مفتول العضل وهو من « جدعان » الريف الذين لهم فيه غارات معروفة على الاطيان يسممون مواشيها ويقتلعون زراعتها ويقتلون خفيرها اما انتقاماً منه او من صاحب الاطيان نفسه . فقال هذا الشاب لرفيقه وكان شيخاً ضعيفاً : ما قولك يا ابتاه اذا كسرت امر الحكومة وسافرتُ الى الحج بدون ان ادفع الرسم



﴿ جبل الطيور على شاطئ البحر الاحمر (الصفحة ٢٠٧ السطر ٣) ﴾

وكان بجانبهما رجلٌ عليه لوائح السعة والثروة وكان ينظر كل تلك المدة الى حفلة المحمل بشيء من الانقباض . ذلك انه كان يقول في نفسه : ان الاصل في تسيير هذا المحمل يحمل الكسوة السنية المعدة للمكان السني الدلالة على ان طريق الحج مفتوحة لا خوف على سالكيها . وهذا معنى انشاء الملك الظاهر عادة تسيير هذا المحمل من القاهرة . فكيف يسير المحمل في هذا العام والطريق نصف مسدودة

الا ان هذا الرجل لما سمع كلام الشاب التفت اليه وقال له : ماذا تقول ماذا تقول .



﴿ اهل الحجاج ينتظرونهم على شاطئ البحر الاحمر ﴾

فالتفت الشاب اليه وسلم قائلاً : مرحبا عمي حسن . انني اقول انني لو اردتُ لسافرت الى الحج من غير ان ادفع الرسم . فاجابه العم حسن . هذا امر مستحيل يا احمد . فقال الشاب وان قدرتُ عليه فماذا تدفع . فاجاب الرجل ادفع لك الرسم الذي قررته الحكومة اي ٥٠ جنيهاً . فقال الشاب متحمساً قد قبلت هذه المراهنة وساسافر الساعة

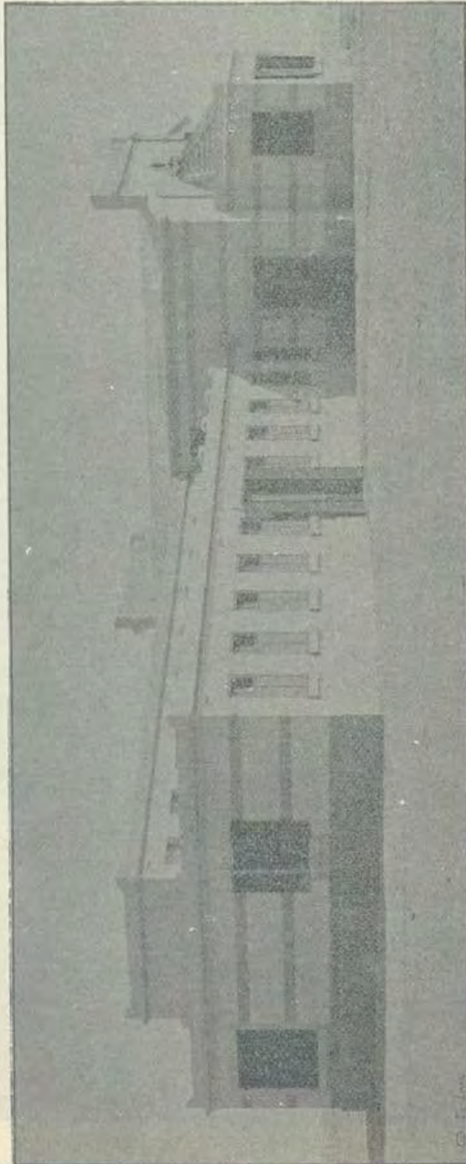
وفي الحقيقة ان الفتى احمد هيأ نفسه في ذلك اليوم للسفر . فما برح المحمل القاهرة حتى كان هو قد ركب القطار قاصداً الاسكندرية ومنها ركب احدى البواخر الخديوية قاصداً بورسعيد . وفي الباخرة اختلط ببعض الركاب الاتراك المهاجرين فابتاع منهم شيئاً من ملابسهم وعمامة ضخمة كعمائمهم وتعلّم منهم بضع كلمات باللغة التركية : « بك اعلى » (جيد جداً) « اوت » (نعم) « يوك افندم » (لا ياسيدي) « صباح شريف لرنز خير اولسون افندم » (نهاركم سعيد يا سيدي) « صو استيورم » (اريد ماء) « بكي بكي » (طيب طيب) ثم حمل عصا طويلة ضخمة ليتوكأ عليها وسار في الباخرة كلها يضرب ظهرها بعصاه ويردد



﴿ عيون ام موسى ﴾

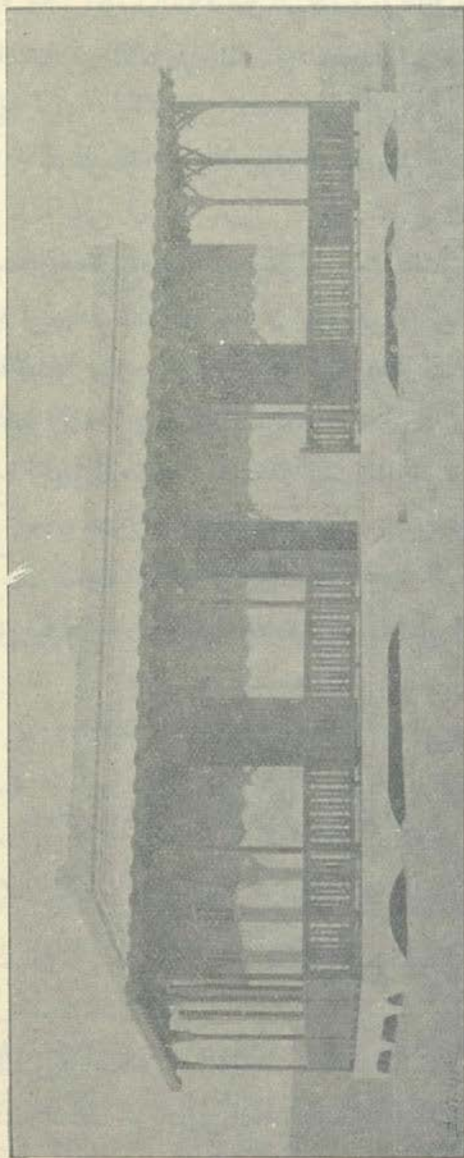
هذه الكلمات كأنه نسي اللغة العربية تماماً

ولما وصلت الباخرة الى بور سعيد نزل الى البر تركياً محضاً لا شك فيه · ومن بورسعيد اختلط بحجاج الاناضول وسار معهم حاجاً تركياً فطاف الحجاز كله وحج حجاً هنيئاً · ومما زاد سروره انه استطاع خلع الزي التركي في الحجاز واختلط بالحجاج المصريين · ولما



﴿ دار المرضى في محاجر الحجاج ﴾

انصرف الحج عاد قافلا . فانفرد ببعض اصحابه و زيّن لهم ان يستقلوا عن الحجاج حين وصولهم الى الشاطىء و يركبوا بالسر سفينة الى الشاطىء الافريقي على البحر الاحمر ومن هناك يعودون الى مصر عن طريق سواكن كانهم قادمون منها لا من الحج و بذلك لا يدخلون



﴿ دار التطهير والتبخير في محاجر الحجاج ﴾

المحاجر . ففرح رفاقه بهذا التدبير واعجبوا بذكاء رفيقهم . فركبوا جمالهم وهم مسلحون بالسلاح الكامل لا يخشون من العرب غارة حتى وصلوا البحر بعد السفر اياماً طوالاً . وحين نزولهم من البحر شاهدوا هناك جبلا يسمونه جبل الطيور لكثرة ترددها عليه . فنزلوا ليصطادوا شيئاً

منها · غير ان احدهم وكان اكرمهم اخلاقاً قال لهم لا تستحلوا الآن دماً حتى ولا دم الطيور لاننا عائدون انقياء انقياء من الاماكن المقدسة » وهكذا بقيت تلك الطيور الجميلة آمنة في مواقعها

ثم ركب اصحابنا البحر من الشاطئ الاسيوي قاصدين الشاطئ الافريقي · الا انهم وجدوا في طريقهم ما لم يكن في الحسبان · فان مجلس الصحة والمحاجر اقام هناك مخافر مخصوصة شديدة المراقبة لمنع فرار الحجاج من الشاطئ الاسيوي الى الشاطئ الافريقي قبل قضائهم مدة الحجر · فامسكهم الجنود بعد ان تهددوهم بالرصاص وارسلوهم الى محاجر الطور فلما كانوا على الطريق صار صاحبنا تركياً مرة ثانية · فصار يتمتم و يدمدم بكلام يُفهم ولا يُفهم · فما وصل الى المحجر الا وهو تركي صرف فاسكنوه بين حجاج الاتراك و بذلك خلّص نفسه

ولما انقضت مدة الحجر وذهب عناء الانتظار ركب البحر مع باقي الحجاج الى السويس وفيها خلع الزي التركي وعاد مصرياً · وفي السويس ركب السكة الحديدية كراكب من السويس لا كحاج وكان دخوله الى العاصمة يوم دخول المحمل اليها عائداً من الحج

و بذلك استحق قيمة الرهان وقبضها مسروراً بانه فاز على الحكومة وحج من غير ان يدفع رسماً

جبرائيل الدلال الحلبي

نُشرت ترجمة المرحوم جبرائيل الدلال الشاعر الحلبي مقرونة بمقتطفات من شعره فرأينا تلخيص شيء منها هنا اهتماماً برجال الادب في الشرق خصوصاً من كان منهم مجهولاً لا تتعدى شهرته بلده في هذا الزمن

ولد جبرائيل الدلال في سنة ١٨٣٦ في حلب ودرس مدة في مدرسة عين طورا في لبنان ثم عاد الى وطنه واكب على درس اللغة الفرنسوية والطليانية والتركية · « وكان يحفظ ديوان المتنبي واكثر شعر صفي الدين الحلي ومقامات الحريري وكثيراً من مقدمة ابن خلدون والمعلقات السبع والبردة وطائفة من اشعار العرب وقسماً كبيراً من القرآن الكريم » ثم سار الى الاستانة فاقام فيها مدة وامتدح بعض وزرائها و بعد ذلك عاد الى حلب ومنها سافر للسياحة في اوروبا مع قرينته فوصل الى البرتغال وقابل ملكها ومن هناك انحدر الى اسبانيا لزيارة آثار العرب في الاندلس وقد كتب يقول في ذلك « فبتُّ كأني اشاهد من الامراء

والوزراء خيال المعتمد بن عبّاد صاحب قرطبة واشبيلية وابي الحجاج وبني السراج وبني المظفر ومن العلماء والشعراء ابن خلوف وابن زيدون وابن عبدون وابن خاقان وابرهيم بن سهل . وكنت ارى آثارهم واضحة لا فقط من الاسماء الباقية على كثير من الاماكن والابنية العربية الشانخة بل ايضاً من هيئة الجنس والسحنات الدالة على الاصل العربي واخص ذلك العيون والحواجب »

ولما عاد الى باريز « انتدبه وزير المعارف للتحرير في صحيفة الصدى العربية التي كانت تصدر فيها بامر الحكومة الفرنسوية . لكنه لم يكن يكتب فيها ما يريد بل ما يُراد بايعاز وزارة المعارف الفرنسوية المشار اليها وكان يترجم بين سفراء الحكومات العربية الذين كانوا يقصدون باريز كوزراء مراكش وزنجبار وبين وزراء فرنسا » « ثم قدم باريز خير الدين باشا وزير باي تونس فاتخذه نديماً وجعله امين سره » ولما استدعي خير الدين باشا الى الاستانة ليكون صدراً اعظم فيها ارسل فاستدعى صاحب الترجمة الى عاصمة السلطنة « وانتدبه لانشاء صحيفة (السلام) وكان الصدر ينشر بها آراءه السياسية وافكاره في طرق الاصلاح وعُرفت انها جريدة الصدر وقد ارّخ ظهورها يومئذ المرحوم ابرهيم كرامه وهو ابن الشاعر المشهور بطرس كرامه بهذين البيتين »

نُشرت صحيفتنا (السلام) ونشرها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضاق بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثه السلام عليكمُ

وبعد استقالة خير الدين باشا جُعل صاحب الترجمه استاذاً للغة العربية في المدرسة الملكية في فينا ثم قدم الى حلب فاكرمه اهلها المشهورون بحب الادب ولكن حدث بينهُ وبين بعض خصومه فيها نفور افضى الى هجر وطنه واتخاذه بيروت مقاماً له . ومنها قصد الاستانة وكانت له معرفة بوزير المعارف منيف باشا وكثيرين من الاكابر والوزراء فعينه الصدر كامل باشا اميناً لصندوق المعارف في حلب ورئيس المحاسبة في دائرتها واستاذاً اول للغة الفرنسوية في مدرستها الاعدادية . ولكن بعض خصومه فيها اتهموه « بتأليف وطبع قصيدة (قبل ذلك العهد بزمن بعيد) تخالف القوانين العثمانية فالقي في السجن بعد ان عُزل من منصبه وظلّ فيه سنتين » ثم توفي فيه في سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً

ومن شعره في رثاء شقيقة له توفيت بازمير

اترى الحبيبةِ باكرتك غوادي دمعٍ يصعّده زفير فؤادي
ياليتَ شعري والبلاد بعيدة هل تسمعين شقيقتي فانادي

أغريبة الاوطان هل من عودة ترجى فذكرك لم يزل في النادي
حق الطبيعة ان اكون مقدَّماً فعلامَ قد اخلفتِ في الميعادِ
شطَّ المزار واصبح الاخوان بال شهباء ذاك وذا بغرب بلادٍ

وله في الغزل

ومليحة قلبي لديهـا قد صار اهون ما عليها
قصدت تكمل حسنها لتزيد فتنة مقلتيهـا
فتمايلت وتضاحكت وغدت تزجّج حاجبيها
ا نْظرتها مرآتهـا فعكستُ فتنتهـا اليها

وله في مزين

يا رُبَّ حلاقٍ بلوني به اذاقني مرَّ العذاب الاليم
شماله كالطور ثقلاً وفي يمينه موسى وخدي الكليم

ولما كان في بيروت بعد هجره وطنه كما تقدم كتب اليه ابن اخته جناب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي ناشر الترجمة التي نحن في صددها (من منزل الشاعرة السيدة مريانا مراش) يشوقه فيها الى حلب فاجابه صاحب الترجمة بقصيدة طويلة يفاخره فيها ببيروت ومحاسنها . منها

وذكرتم لنا ضروباً من الحلوى م التي تأكلونهـا بالمرافع
وبها تصنعون اقراص شيبا نَ ولوزينجا وغير صنائع
ذا طعامٌ ان لذَّ فهو غليظٌ كظَّةٌ للرغيف غصةُ بالع
فانعموا بالتقـامه واستلذّوا والعقوا عقبهُ رؤوس الاصابع
اين هذا مما هنا يصلح الطا هي طعاماً للهضم يصلحُ نافع
عندنا البحر نجتني افخر الاسماك منه وتأكلون الضفادع
وجبالٌ نصيد منها صنوف ال طير ما بين ناهض ثم واقع
واذا لم يكن هنا غير ان ال حُرَّ فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظاً لقلبي وان سا لتْ على غربتي غروب المدامع

ثم قال انه لا يشتهي من الشهباء

غير قرب الفريدة اللطف ذات ال صون والحسن والذكا والبدائع
ربةُ الفضل والفضائل مريا نا التي ذكرهـا يسرُّ المسامع

والتي زانها الكمال اذا زا ن سواها الحلى وسدل البراقع
ان تكن اطعمتكم الان تفا حًا شهيًا نخلتموه كيانع
ذاك لا بدع انها بنت حوًا وحديث التوراة في الامر ذائع
اشبهتها والام للبنت طبعًا اقرب الشبه ما لذلك دافع
بيد ان التفاح في البرد لا ينضج والطعم منه بالحمض فاقع
وهو فج كالخل طعمًا فان ما لت الى اكله فمن ذا يراجع
غير مستنكر محبتها الاحماض حب النساء للحمض شائع
ما عسى ان يكون تفاحكم ان م لاثمارنا تحن الاضالع
ولدينا النرنج اضحى يحاكي اكر التبر فهو اصفر لامع
وكذاك الرمان فالحب كاليا قوت لونًا والقشر ابيض ناصع
يفضلان التفاح لونًا وحجمًا وانا تعلمون في ذين والع
وبودي اذيقكم ثمر المو ز الشهي اللذيذ يشبع جائع
وكذا التمر وهو كالشهد طعمًا طلعه كالنجوم في الافق طالع
وطويل الرماح من قصب السكر م مصًا فما رماح المعامع
فاذا عدت نحوكم جئت منها بالهدايا لكم متى ابت راجع

هذا احسن شعر المرحوم جبرائيل الدلال . وله غير شعره عدة مؤلفات منها « رسالة في الهمزة واحكامها ورسالة ثانية في قواعد اللغة العربية تقرب منالها على الطالبين من الفرنج ورسالة في ملخص التاريخ العام وكلها لم تطبع عدا روايات كثيرة ترجمها عن الفرنسوية وبعضها مطبوع وهو نادر الوجود » اما قصيدته التي سجن من اجلها وعنوانها « العرش والهيكل » فهي قصيدة طويلة حذا فيها حذو فولتير في التهكم على الدين والملوك

فنحن نثني على حضرة الكاتب الفاضل جامع هذه الترجمة لانه احيا بها ذكر شرقي فاضل هو اهل لهذا الاكرام . انما كنا نود لو خفف حضرته قليلاً من المبالغة في وصف ممدوحه للمطابقة بين الوصف والموصوف . فان قوله في ممدوحه ,, فكأنه (يعني المرحوم صاحب الترجمة) اخذ القلم ونفخ فيه من روحه ثم قال باسم ربك تكلم فنطق بما لو كان بلغة الفرنج لقالوا افهذا سحر ام انتم لا تبصرون) لما لا يقال الا للمتنبي او لفيكتور هيكو او جوت او شكسبير او شوقي بعد ٢٠ سنة اذا استمر يشتغل ويدرس بجد . ونحن نتمنى ان يقلل المشارقة ما امكنهم من هذه المبالغات التي يصفهم الفرنج بها

آثار الشرق القديمة

بقايا الصنائع في الشرق

السجاد العجمي

وحسن ذوق النساء الشرقيات

ذهب الزمن الذي كانت فيه المعامل العربية في الاندلس وشمال افريقيا تصنع المصنوعات وتصدرها الى الشرق والغرب وجاء الزمن الذي صار فيه الغرب مصدراً لتلك المصنوعات الى الشرق · غير ان الشرق لا يزال يُصدر الى الغرب صناعة لم يستطع الغرب حتى الآن ان يصنع مثلها · ونريد بذلك السجادات العجمية التي هي آية في حسن الاتقان والزخرف والمتانة

وهذه السجادات تصدر الى اوروبا باسم « سجادات بخارى » (١) وهي في الحقيقة من خمسة مصادر لا من بخارى وحدها · الاول بلاد العجم (والثاني) الاناضول (والثالث) القوقاز (والرابع) آسيا الصغرى (والخامس) بلاد الهند

وافخر السجادات التي تصدر من هذه الاماكن المتعددة سجادات طهران وخراسان وكردستان وقرمان · وصناعها يفاخرون بعضهم بعضاً باتقان صناعتها · والغالب ان صناعتها في يد النساء · ولذلك يتزوج الرجال بالنساء الماهرات في هذه الصناعة وان كن متقدمات في السن او لم يكنَّ على شيء من الجمال و يفضلونهن على الجميلات اللواتي لا يحسنَّ هذه الصناعة. وربَّ امرأة تشتهر بهذه الصناعة فيصير لها من الاحترام والكرامة عند زوجها واهلها مـا لنساء الغرب من سمو المقام والاعزاز

ومما هو حري بالذكر والاعجاب تمكن اولئك النساء البدويات الساذجات من اتقان هذه الصناعة الى حد الاعجاز · فقد قيل ان اتقان الفنون انما هو نتيجة ارتقاء الانسان في الحضارة وتهذيب ذوقه ببدائعها ونفائسها قرناً بعد قرن · ولذلك لا يخاف بعض الغربيين

(١) السجادات افخر انواع البسط سميت كذلك لاتخاذها تحت المصلي يسجد عليها كما هي العادة في الشرق كله · وهي زينة المنازل في الاقامة ورفيقة المسافر في السفر للصلاة وقضاء حوائجه عليها

من الشرقيين على صنائع الغرب و بضائعه لان هذه الصنائع المحكمة والبضائع المتقنة نتيجة مدنية الغرب قروناً طويلة . فاذا كان هذا القول سديداً فما الذي يمكّن تلك البدويات الجاهلات من ان يخرجن من بين ايديهنّ نفائس فنون في غاية الزخرف والجمال و الاتقان حتى ان اوروبا نفسها لتعجز ان تصنع مثلها . نعم انه قد مرّ على اسلاف هؤلاء النساء نحو الف سنة وهن يمارسن تلك الصناعة ولذلك اتقنّها ذلك الاتقان البديع . ولكننا نظن ان مرور الزمن الطويل لا يكفي لجعل الجاهل بالصناعة صانعاً ماهراً مبدعاً اذا لم يكن في نفسه وذوقه استعداد لقبول روحها. فلا ريب ان النساء العجميات والكرديات والقوقازيات ذوات استعداد عظيم للفنون والصنائع اليدوية الجميلة . ولو ربين في مدارس اوربا التي تعلّم النقش والتصوير والرسم لنبغ منهن عدة نابغات

وقد شهد الفرنج ان المعامل التي اقيمت في اوربا لصنع السجاد والبسط فيها على الطريقة الشرقية لم تتمكن حتى الآن من ان تصنع مثل السجادات الخارجة من ايدي اولئك النساء الشرقيات بل هي تصنع شيئاً قريباً منها . ومما زاد الصعوبة انّ لاولئك العاملات الشرقيات طريقة في صبغ الصوف الذي ينسجن السجاد منه وتلوينه الواناً جميلة ثابتة مختلفة وهذه الطريقة سرٌّ من الاسرار التي يتوارثنها في هذه الصناعة جيلاً عن جيل ولا سبيل للاطلاع عليه . وهب ان المعامل الاوربية وقفت على هذا السر الصناعي فانها تبقى بحاجة الى الشجرة التي تزين بها العاملة الشرقية سجادتها تزييناً لا يخطر في البال

وافضل السجادات الشرقية من حيث الزخرف والزينة سجادات النساء الكرديات اللواتي يحكنها في جبالهن الشامخة . والفرنج يطلبونها لجمالها ودقة صناعتها الغريبة . فان الواحدة منها قد تحتوي في كل متر مكعب ٧ او ٨ الاف زهرة مشتبكة متعاقدة ولونها صاف نقيٌّ . ولذلك يقف عملة الفرنج مدهوشين امامها

قال احد السياح الذين ساحوا في جهات آسيا الوسطى : ان السائح اذا زار آسيا الوسطى وجبال القوقاز وصار يفتش عن السجادات النفيسة لدى السكان بصبر وتأنٍ فانه يبتاع منهم باثمان بخسة نفائس يبيعها في اوربا متى عاد اليها باضعاف ثمنها الاصلي عشرين مرة او خمسين



آثار قديمة في جوف البحر

للارخبيل في البحر المتوسط ويُعنى بها جزيرة رودس وما حولها وبعدها من الجزر — اهمية كبرى في نظر التاريخ اذ كانت مهد قوة وعلم وصناعة يونانية ضرب بذكرها المثل حتى عد هيكل رودس النحاسي احد عجائب الدنيا السبع فكل ما يستخرجه الآن منها الباحثون عن العاديات يتلقاه عالم الاثار القديمة باهمية كبرى ويجيل فيه نظره ليستخرج منه الحقائق التاريخية

وقد اطلعنا اخيرًا ان صيادي الاسفنج في جزيرة شيا من توابع ولاية جزائر بحر سفيد غرق لهم بالقرب من (سريقوتو) سفينة واذ كانوا يتحرون عليها في البحر عثروا في قعره بعمق ٥٠ مترًا على جملة كبيرة من الهياكل والآثار القديمة فتمكنوا من اخراج اهمها وهي ستة هياكل :

١) رأس انسان في ارتفاعه الطبيعي مصنوع من النحاس واذ كان يشبه رأس المحاربين فلم يبق شك انه كان في اوليمبي

٢) هيكل نحاسي ارتفاعه ٥٤ سنتيماً وهو سالم محفوظ . وقد استلفت انظار علماء الآثار بدقة صنعه . ومما زاد في اهميته لديهم اعتلاء تاريخه الخامس قبل الميلاد وصنعه بيد الرسام الشهير بوليقله او احد تلامذته

٣) هيكل نحاس ارتفاعه ٤٥ سنتيماً وتاريخه يعلو للعصر الثالث والخامس وعلى كتفه الشمالي نوع من الاردية الوسيعة

٤) هيكل امرأة بقطع صغير للعصر الخامس من الميلاد . وهي مصنوعة على اصول (اوربك) المعمارية الا ان القسم العلوي منها مفقود

٥) هيكل من المرمر مصنوع بدقة عظمى وهو يصور رجلاً قد القي اليه شيء من الكلام ذو بال وهو يمعن النظر فيه

٦) هيكل نحاسي ارتفاعه متران الا انه منكسر لعشرين قطعة كبيرة الامر الذي اوجب اسف الباحثين . وهو من اعظم ما يستدل به على دقة الصناعة اليونانية

« جريدة طرابلس »



باب الاخبار العلمية

﴿ الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ذكرنا في الجزء السابق نقلاً عن مجمع العلوم في باريز خبراً اكتشاف الارسنيك في كل عناصر الطبيعة تقريباً حتى في جسم الانسان. وقد ورد حديثاً في وقائع المجمع ان المسيو جبرائيل برتران وجد الارسنيك في البيض وهو كثير في الصفار وقليل في البياض (المح)

﴿ اخطار اكل الفسيخ والسمك المالح ﴾ كثيراً ما يصاب أكلة الفسيخ والسمك المملح النيء بالتسمم عقب الاكل ويقضون نحبهم من تلك الاكلة. وسبب ذلك ان السمك المملح يتولد فيه بتركيب كيماوي خصوصي سمٌّ قاتل وذلك قبل الفساد متى اوشك ان يفسد. وقد كثرت حوادثه في اوربا وروسيا فوضعت اكاذمية العلم في بطرسبرج ثلاث جوائز لمن يؤلف احسن كتاب في هذا الموضوع. الجائزة الاولى قيمتها ٥ الاف روبل والثانية ١٥٠٠ والثالثة ١٠٠٠. وموضوع هذا الكتاب درس مادة السمك السمية ووصف اعراض الاسماك التي تحتوي على شيء منها والاسماك السليمة والاسباب المانعة لتسمم السمك والادوية الناجعة في علاج دائه بعد وقوعه. وفي اول العام القادم سيصدر حكم الاكاذمية في الكتب التي تعرض عليها. فلا ريب انه من الضروري نشر خلاصة هذه الكتب في هذه البلاد

﴿ الغليسرين في الدم ﴾ وجد المسيو موريس نكلو الغليسرين في دم الحيوانات فكان هذا الاكتشاف مهماً اذ ربما توصل الباحثون الى معرفة سبب وجود الدهن في الدم الطبيعي من مجرد درسهم المادة الغليسرينية المذكورة

﴿ رمل افريقيا طار مسافة ١٥٠٠ كيلومتر ﴾ ابلغ المسيو شوفو مجمع العلوم في باريز انه شاهد على مسافة ٥٠٠ ميل من جزيرة اسور احدى جزائر الاوقيانوس الاتلانتيكي سحاباً طائراً في الفضاء وقد تكاثف حتى حجب نور الشمس. ولما صار فوق قرية سان نقولا وقع منه شيء على الارض فاذا به رمل دقيق. وقد اثبت المسيو شوفو انه من رمال صحرائنا الافريقية حملتها الرياح الى تلك الجزيرة وبينهما مسافة ١٥٠٠ كيلومتر. فتامل

﴿ غناء الصحراء ﴾ كل الذين سافروا في الصحراء لا بدَّ ان يكونوا قد سمعوا اصواتاً ترد من باطن الارض في وسط تلك القفار الهادئة. وقد ذهب بعضهم ان سبب

تلك الاصوات تماوج الرمل على سطح الارض · غير ان البعض الآخر رجح ان السبب هو احتكاك مليارات دقائق الرمل بعضها ببعض في الارض لانها في حركة دائمة

﴿ معرفة دم الانسان من اثره ﴾ كثيرًا ما يوجد على ثياب القتلة اثر دماء القتلى فيدعون انها دماء حيوانات لا دماء بشر فيحتار الكيماويون والقضاة في ذلك اذا كانت تلك البقع الدموية قديمة جافة · على ان الدكتور لينوسيه والدكتور لموان اكتشفا طريقة يُعرف بها دم الانسان بسهولة · ذلك انهم يحقنون الارنب بدم الانسان مرارًا ثم يستخرجون منه مصلاً ويضعونه في زجاجة صغيرة · واذا ارادوا فحص بقعة الدم الجافة يبلون القطعة بماء حتى يتشربها الدم ثم يعصرونها · وبعد ذلك يصبون من هذا الدم المعصور في الزجاجة التي فيها المصل المستخرج من الارنب فاذا تعكر لون المصل وامتزج بالدم المصبوب فيه فهو دم انسان والاَّ فهو دم حيوان · ولمعرفة دم اي حيوان هو يُستخرج من الارانب مصل من الحيوانات المختلفة فالحيوان الذي يتفق دمه مع الدم المعصور من البقعة يكون هذا الدم منه

﴿ فائدة جديدة لاشعة رنتجن ﴾ صارت اشعة رنتجن مشهورة فهي الاشعة التي تُري الانسان ما في باطنه وقد خدمت بذلك فن الجراحة والطب اجلَّ خدمة · وقد اكتشف لها الآن فائدة جديدة في غاية الاهمية · وهي ان هذه الاشعة بدخولها الى باطن الجسم لا تساعد فقط على زيادة نشاط الاعضاء الصحيحة وتقويها بل ايضاً تجهز على الجوانب المصابة وتعجل في استئصالها · وهكذا تفيد في معالجة السرطان وغيره من العلل الباطنية · غير ان السبب في ذلك لا يزال مجهولاً · فمنهم من يرى ان سبب فعلها هذا تقويتها كريات الصحة في الدم واضعافها كريات المرض · ولا يزالون يوالون البحث في ذلك

﴿ استعداد الاطفال للامراض ﴾ ابلغ الاستاذ بوشار مجمع العلوم في باريز رأياً للمسيو دلامار مفاده عجز الاولاد في بدء عمرهم عجزاً طبيعياً عن مقاومة جراثيم الامراض · من ذلك انهم قلما يعرقون في الايام الاولى من ولادتهم مع ان العرق من احسن الوسائل في منع دخول ميكروبات الامراض الى الجسم عن طريق الجلد لان هذه الميكروبات تعلق بالعرق فيستحيل عليها الدخول · ومن ذلك ان المادة القاتلة للميكروبات في العصارة المعدية تكون قليلة فيهم في الايام الاولى ايضاً فاذا دخلت الميكروبات الى اجوافهم امكنها النفوذ والبقاء

﴿ العصر الحجري ﴾ وجدوا في كندا جمجمة انسان من العصر الحجري · وقد عرفوا ذلك من ان هذه الجمجمة مثقوبة بحربة حجرية قُتل ذلك الانسان بها ولا تزال الحربة داخلة في جمجمته

جائزة ٣٠ الف فرنك وضع المسيو فالوري احد اعضاء مجلس الشيوخ الايطالي جائزتين سنويتين بقيمة ٣٠ الف فرنك لتعطيان في كل سنة واحدة لموءلف احسن كتاب ادبي وواحدة لموءلف احسن كتاب علمي طبيعي

الفحم الحجري في العالم ورد في تقرير رسمي في نيويورك ان المستخرج من الفحم الحجري في عام ١٩٠١ قد بلغ في العالم ٨٤٠ مليون طن منها ٢٨٨ مليون طن للولايات المتحدة و٢٤٦ مليونًا لانكلترا و١٥٠ مليونًا لالمانيا

نور الشمس والبذار ثبت ان نور الشمس يؤثر تأثيرًا سيئًا في الحبوب والاثمار اذا بقيت معرضة له مدة طويلة بعد بلوغها حالة النضج والبلوغ لانه قد يضعف نموها اذا زُرعت . واحيانًا ينتهي هذا الضعف بموت الحبة

خاصية جديدة للراديوم من المشهور ان الراديوم اغرب المعادن لانه جسم منير بذاته اي يصدر منه نور خاص به يسمى نور الراديوم . وقد اكتشفوا له الآن خاصية اخرى وهي وجود حرارة خصوصية فيه ايضاً . فقد اثبتت التجارب الدقيقة حديثًا ان حرارة هذا المعدن تكون دائمًا اقل من حرارة المكان الذي يوضع فيه بدرجة واحدة ونصف درجة . وهم يبحثون الآن في هذه الخاصية الجديدة الغريبة

هل قطع الاتلانتيك وجدوا على شواطىء جزائر شتلند قرب سكتلنده حجرًا بركانيًا من الحجارة المعروفة « بالحجارة الخفيفة » (الخفاف) التي تكثر على شواطىء البحار الا ان هذا الحجر مساحته ١٢٠٠ سنتيمتر مكعب وثقله لا يتجاوز ١٢٠ غرامًا . وقد كان طافيًا على وجه الماء كخشبة . فذهب كثيرون الى انه قادم من جزائر المرتنيك مقذوفًا من فوهة بركانها وقد قطع الاوقيانوس الاتلانتيكي الى انكلترا عائمًا . فلما درى بذلك بعض العلماء اهتموا به اهتمامًا شديدًا وصوّروه وفحصوه . غير ان الاستاذ بوني الانكليزي المشتغل بالبراكين وآثارها قرّر بعد فحصه انه من حجارة التنانير البشرية لا الطبيعية وانه قُذف من شاطىء انكلترا الشرقي

الفيلسوف سبنسر وفرنسا سأَل مراسل جريدة الماتن في لندن الفيلسوف هربرت سبنسر رأْيه في اتفاق انكلترا وفرنسا حين زيارة الملك ادورد باريز فكلفه الفيلسوف الجليل ان يصرح للفرنسويين عن لسانه بهذه العبارة « انني اسرُّ لكل ما من شأْنه زيادة الاتفاق مع فرنسا » ورأْي هذا الفيلسوف في الحرب والخصام معروف فانه في كتابه الاخير الذي نشره في اثناء حرب الترنسفال قال انه يخجل مما صنعته حكومته بالبوير

باب التقريظ والانتقاد

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد

تأليف المرحوم عبد الرحمن الكواكبي
طبع طبعة ثانية على نفقة المكتبة الشرقية بالعاصمة

عبد الرحمن الكواكبي عالم متضلع من العلوم الاسلامية وملمّ بالعلوم الطبيعية العصرية . نشأ في حلب مسقط رأسه ثم هاجر منها فرارًا من اضطهاد اعدائه ولجأ الى مصر . ولما اتخذ مصر مقامًا له تمكن في مدة قصيرة ان يشغل مكانًا واسعًا فيها لسعة علمه وانطباع المصريين على اكرام العلم والعلماء . فنشر فيها كتابًا دعاه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وكتب كتابًا عنوانه « النظام في الاسلام » وكتابًا دعاه « ام القرى » وقد الفه باسلوب خيالي اذ جعله على طريقة اجتماعات تصوَّر اقامتها في مكة المكرمة للبحث في حالة الاسلام . وله غيرها عدة رسائل واوراق لم تنشر ولكن تلك اهمها . وقد فاجأته المنية في العام الماضي فذهب الى رحمة ربه مأسوفًا عليه من كل من عرف فضله . وقيل انه اشتُبه بسبب وفاته فمنهم من زعم انه توفي مسمومًا . ولكن هذا الخبر حديث خرافة لانه لو كان صحيحًا لما امكن كتمان ذلك بل كان لا بد ان يرتفع في مصر صوت واحد على الاقل للنداء به . وبعد وفاته اهتم بعض اكابر الاستانة باوراقه فابتاعوها على ما يقال من نجله

ولما توفي هذا الرجل الكريم في العام الماضي عتب علينا بعض القراء لاننا لم ننشر ترجمته وقد كان هذا العتاب في محله لان رجلاً كالكواكبي لا يليق السكوت عنه . ولكننا مع ذلك كنا معذورين اولاً لاننا لم نتشرف بمعرفة الفقيد في حياته فلم نكن نعرف شيئًا عنه وثانيًا لان الرجال الذين يكونون في حالة كحالة الكواكبي لا يمكن لمترجميهم ان يكونوا منصفين في ترجمتهم الا بعد ان يبرد تراب ضريحهم وتخمد قليلاً نار الحزن عليهم وحينئذٍ تخمد الاهواء التي آثارها موتهم فيمكن الكلام عنهم بانصاف وحق

وربما عدنا في فرصة اخرى الى ترجمة المرحوم الكواكبي لنبسط الكلام على آرائه الفلسفية والادبية والدينية والسياسية فان هذا الكاتب الشرقي ممن يحق للشرق ان يفتخر بهم

ويجب على ابنائه الاهتمام بآرائهم للوقوف على قويها وضعيفها لاسيما وان هذه الآراء مرتبطة بحياتهم الاجتماعية والسياسية

اما الآن فاننا نكتفي بالاشارة الى كتابه « طبائع الاستبداد » الذي نحن في صدده. فقد طالعنا هذا الكتاب حين صدوره في اوقات الفراغ كما تُطالع الكتب الجليلة التي تقتضي الامعان لان القارىء لا يطلب ما في سطورها والفاظها فقط بل يطلب ايضاً ما بين سطورها وما وراء الفاظها . وبعد مطالعته انتهينا الى هذا الاعتقاد

(١) ان المرحوم الكواكبي كاتب نادر المثال وكل سطر في كتابه يدلُّ على قوته وعلمه . وانك لتتأثر من قوة كلامه كما يتاثر الانسان من قوة كهربائية . الا انه يميل كثيراً الى الاسلوب الخطابي او الشعري . ولعل ذلك تابع لمزاجه العصبي المتجسم في كلامه او انه يريد التاثير في قرائه لجذبهم الى رايه اكثر مما يريد بسط ما في نفسه

(٢) ان في روح هذا الكتاب شيئاً من التناقض . فان مؤلفه حذا فيه حذو مونتسكيو في كتابه روح الشرائع وجان جاك رسو في كتابه الميثاق الاجتماعي (الكونترا سوسيال) من انذار الاستبداد بتخريب البلاد واعتبار الامة والشعب مصدر السلطة . ولذلك اقام القيامة على المستبد . على ان جان جاك روسو لم يحارب الاستبداد « اي روح الملوك والملكية » ليخصص حربه هذه ببعض الملوك دون بعض . بل انه حاربهم كلهم على وجه الاجمال اى حارب المبداء الذي يمثلونه وان كانت حرباً ضمنية مستترة . واما المرحوم الكواكبي فانه على ما يظهر قصر حربه على الاستانة فقط بدليل ما ورد من الثناء في فاتحة الكتاب على مليك عزيز جليل . وهذا ما يسمى الكيل بكيلين . والوزن بميزانين

على اننا نرجو ان لا يعجل القارىء فيظن اننا من راي مؤلف الكتاب في محاربة روح الملكية فان الجمهوريات (كجمهورية الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وجمهورية فرنسا والولايات المتحدة وسويسره) قلما يكون لها في الشرق الآن النجاح الذي يكون لها في الغرب . ذلك لان امم الشرق المختلفة وعناصره المتعددة ستبقى في حاجة الى قوة تكون فوقها كلها ما لم ينحصر كل عنصر في ارضٍ ويتولى شؤُونه بنفسه . وهذه حالة لازمة عن تعدد العناصر خصوصاً متى كان العنصر الكثير العدد لا يريد ان يُدخل شيئاً جديداً على شرائعه تكون فيه مشاركة باقي العناصر له في كل حقوقه مطلقاً . — ومن هذا ينتج ان كثيراً مما سماه المؤلف رحمه الله « استبداداً » لازم في بعض الاحيان مراعاة للزمان والمكان على ان هذا لا يمنع من الاعجاب بجراءة المؤلف رحمه الله على اعلان مساوىء الاستبداد.

والاسطر الاخيرة من كتابه تدل على انصاف في تقرير الحقيقة قلما يصدر عن الكتاب الذين في منزلة كمنزلته

ديوان الرافعي

لناظمه جناب مصطفى افندي صادق الرافعي

يعرف قراء الجامعة جناب الشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي . وقد سرنا ان حضرته نشر الجزء الاول من ديوانه واودع فيه من نظمه الرقيق المتين ما تجب مطالعته على كل اديب . وقد قال في مقدمة له طويلة حرية بالمطالعة ما نصه للدلالة على منزلة الشعر قديماً . " كان من قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل وهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس . وايام كانوا لا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهنّ الشعراء " نقول ولكن من سوء الحظ (بل من حسن الحظ) قد ذهب ذلك الزمن لان البشر لا يمكن ان يقيموا في الطفولية الا بمقدار طور الطفولية

وفي هذا الديوان ستة ابواب وهي في التهذيب والمديح والوصف والغزل والمقاطيع والرثاء . واليك بعض مختارات منها

قال في وصف المأمون الخليفة العباسي المشهور

وعزّز العلمَ فاعتزَّ الانامُ بهِ ... وما الى العزّ غير العلم من سببِ
ودولة السيف لا تقوى دعامتها ... ما لم تكنْ حالَفتها دولة الكتبِ
ويل لمن عاش في لهو وفي لعب ... فميتة المجد بين اللهو واللعبِ

وقال في وصف التربية في الصغر وهو نهاية في الجودة

ومن لم يرشدوه في صباهُ ... تحكم في شبيبته الضلالُ
فما قلب الصغير سوى كتابٍ ... تُسطَّر في صحائفه الخلالُ
فكم رجل ترى فيه صبياً ... وكم من صبيةٍ وهمُ رجالُ

وقال في زمن المدرسة

يا بني الدرس من تمنى الليالي ... كلياليكم تمنى المحالا
قد خبرت الانام في كل حال ... فاذا الطفل احسن الناس حالا

ومن قوله يحث الطالب بعد الدراسة وقد اجاد كل الاجادة

والفتى من اذا تغيَّر حالٌ ... لم يقف في وجوهه حيرانا

ليس يجدي الانسان ان ياءمل الناس فلاناً من قومه وفلانا
فاسعَ في الارض ان عقبان هذا الجوّ لا يرتضين منه مكانا
واحذرِ الناس انما يأمن النا س صبيٌّ يظنهم صبيانا
واركب الجدّ في الامور ولا تجبن اذا فات بعضها احيانا
ان هذا الوجود كالحرب لا يُكرم في الحرب من يكون جبانا

وهذا الديوان يُطلب من مكاتب مصر . فنثني على حضرة ناظمه اجمل ثناء لاتحافه الادباء بشعره المتين

الجمعيات الخيرية

قلنا غير مرة انه لا اوقع في نفوس محبي خير الشرق من اخبار جمعياته وان كان عددها لا يزال قليلاً في البلاد ومبداء التعاون فيها لم يبرح في طفوليته

﴿ جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ وقد وردنا من جناب الفاضل عبد الفتاح افندي شريف رئيس جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بالاسكندرية ان هذه الجمعية الكريمة قد ابرزت مشروعها من حيز القوة الى حيز الفعل فاستأجرت منزلا رحباً وهيأته للايتام واللقطاء في الثغر . وهو عمل جدير بان يصادف المساعدة من جميع سراة البلاد اقتداء بالجناب الخديوي الذي وضع هذا المشروع تحت حمايته . ونحن ندعو بتوفيق هذه الجمعية الكريمة الى اتمام هذا العمل الجليل

﴿ مستشفى الروم الارثوذكس في بيروت ﴾ ووردنا بيان اعمال جمعية مساعدة المرضى في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت لتطبيب مرضى «جميع الطوائف بدون استثنا» وذلك عن سنة ١٩٠٢ وهي السنة الرابعة والعشرون للمستشفى . ويؤخذ من هذا البيان انه بلغ عدد المتمرضين في مستوصف هذا المستشفى في هذا العام ٤٢٣٩ نفساً منهم ٢٢٠٢ روم و ١٠٢٩ موارنة و٣٠٤ كاثوليك و٢٩٤ مسلمون و٧١ اسرائيليون و١٦٢ انجيليون و ٦١ ارمن و٧٩ دروز و٦٢ متاولة . والمتمرضون في داخل المستشفى على هذه النسبة تقريباً . فكل ثناء يقصر في جنب همة الكرام الذين يديرون هذا المستشفى المفيد الذي يعامَل فيه البشر كبشر دون ان يُترك فيه مجال لوباء الجنسيات

﴿ اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق ﴾ ووردنا ايضاً بيان لجنة هذه الجمعية الكريمة في الشام عن سنة ١٩٠٢ ويؤخذ منه ان دخلها بلغ ١٢٨٧٦١ غرشاً ونفقاتها اكثر من ٨٦ الفاً

﴿ جمعية دفن الموتى الارثوذكسيه باسكلة طرابلس ﴾ ووردتنا خلاصة اعمال هذه الجمعية النشيطة المؤلفة من عدة من نشيطي اسكلة طرابلس الشام ومحبي الخير فيها وذلك عن سنة ١٩٠٢ فبلغ دخلها اكثر من ٢٢ الف غرش ونفقاتها اكثر من ١٢ الفاً

﴿ جمعية البر الارثوذكسية في القدس ﴾ واهدتنا هذه الجمعية الكريمة خلاصة ميزانيتها عن السنة الماضية فيؤخذ منها ان مجموع دخلها بلغ ٥٢ الف غرش ومجموع نفقاتها ٤٠ الفاً

﴿ جمعية اتحاد البر الارثوذكسية في بيروت ﴾ ووردنا بيان اعمال هذه الجمعية الكريمة عن السنة الماضية ويؤخذ منه ان دخلها بلغ اكثر من ٤٢ الف غرش ونفقاتها نحو ٢٥ الفاً

﴿ جمعية الاحسان في بوسطن اميركا ﴾ وكتب الينا جناب الفاضل الياس افندي صوابيني رئيس هذه الجمعية الكريمة انها قد تألفت في بوسطن (الولايات المتحدة) للتأليف بين المهاجرين ومساعدة فقرائهم وانشاء غرفة للمطالعة تضم اهم الجرائد . وهي تقبل المساعدة اليها وتعلن اسماءهم اقراراً بجميلهم . فنحن ندعو لها بالنجاح ونثني على الافاضل الذين اسسوها ونسأله تعالى ان ياخذ بيد جميع الساعين في الخير وخدمة الجمعيات المفيدة التي لا خلاف في ان البلاد والعباد في اشد حاجة اليها

البحث القويم في فن التنويم

لجامعه جناب يوسف افندي مقار

جمع هذا الكراس جناب يوسف افندي مقار مدرّس اللغة الانكليزية الايطالية ببني سويف وموضوعه بيان ماهية التنويم المغنطيسي وطرقه وتاريخه . ويظهر ان حضرة المؤلف ابرع في اللغة الفرنسوية والانكليزية منه في اللغة العربية لان في هذا الكراس بضع فقرات بالفرنسوية سليمة من الخطاء غير الخطاء المطبعي خلافاً للنص العربي فيه . وهذه احدى نتائج التعليم الحالي في البلاد . وقد ذكر جامع هذا الكراس في خاتمته انه نحت كلمة فرنسوية جديدة لتقوم مقام كلمة « Oncle » و« Tante » الكلمة الاولى معناها « العم والخال » والكلمة الثانية « العمة والخالة » فرغبة في منع الالتباس خصص كلمة « Oncle » بالخال و« Tante » بالخالة ونحت للعم والعمة كلمة « Neuthin » و « Neuthine » اخذها من اللغة اليونانية (Neo معناها جديد و Thio عم اي العم الجديد والعمة الجديدة) وهو اختراع جميل . وقد كتب في سنة ١٨٩٧ الى الاكاذيمية الفرنسوية يبلغها اختراعه هذه الكلمة لمنع الالتباس

فورده الجواب من حافظ اوراق الاكاذمية يقول ان الاكاذمية ليست وظيفتها نحت كلمات جديدة للمعاني بل وظيفتها ان تقبل الكلمات الجديدة متى عم استعمالها وصقلتها الالسنة حتى صارت جزءًا من اللغة · على انه لو كان حافظ اوراق الاكاذمية يعرف اللغة العربية لكتب لحضرته حاشية في كتابه وهي : ان اللغة العربية احوج الى نحت الالفاظ الجديدة من اللغة الفرنسوية والاوجب على ابنائها ان يهتموا بلغتهم قبل لغة غيرهم

مسامرات الشعب

ورقة الآس لجناب شوقي بك

مصارع الشهوات لجناب اتربي افندي ابو العز

مسامرات الشعب روايات صغيرة تصدر في الشهر مرتين ويحرر كل رواية منها كاتب من الكتاب · فهي روايات « نصف شهرية » كما ان الروايات التي يصدرها جناب يعقوب افندي جمال « روايات شهرية » وآخر رواياتها رواية « ورقة الآس » تأليف جناب عزتلو احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ورواية « مصارع الشهوات » تعريب جناب المحامي اتربي افندي ابو العز · ونحن نرجو ان يسمح لنا جناب شوقي بك ان نقول له ان عشاق ادبه تطربهم قصيدة واحدة على نسق قصيدته في ولي عهد المانيا التي نشرها في جريدة اللواء اكثر من عشر روايات يكتبها على نسق « ورقة الآس » · ويظهر انه قد كُتب للقلم الذي يكتب به حضرته النثر ان يبقى حاسدًا القلم الذي يكتب به الشعر الى ما شاء الله ·

الاقبال الاقبال جريدة سياسية ادبية تجارية لصاحبيها حضرات يوسف افندي صليبا وغصن افندي غصن تصدر في لورنس ماس بالولايات المتحدة وهي غير رصيفتنا « الاقبال » الاسلامية التي تطبع في بيروت · وقيمة اشتراكها في السنة ثلاثة ريالات في الولايات المتحدة وثلاثة ونصف في الخارج · فنرحب بالرصيفة الجديدة

بطرس الاكبر هي رواية تاريخية غرامية ادبية نقلها من اللغة الروسية جناب سليم افندي قبعين ونُشرت تباعًا في جريدة العمران الغراء وهي تطلب من ادارتها في العاصمة وثمنها خمسة غروش صاغ

قانون نظام معلمي المدارس وضع جناب سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية قانونًا لمعلمي المدارس وهو عبارة عن نظام شامل للعلائق بين التلامذة والمعلمين

وعلائق المعلمين بعضهم ببعض · وثمن النسخة غرشان صاغ وهي تطلب من حضرته في مصر

﴿ الفضيلة ﴾ مجلة ادبية عمومية تصدر في آخر كل شهر لمنشئها جناب سليم افندي العضم وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة و١٣ فرنكاً في الخارج وادارتها بالاسكندرية

﴿ المودة ﴾ مجلة نسائية ادبية تهذيبية لصاحبها جناب سليم افندي خليل فرح وادارتها بالاسكندرية · وهي تبحث في ما يتعلق بالشؤون النسائية · فندعو لها بالنجاح في هذه الخدمة المفيدة

﴿ تنوير الاذهان ﴾ اعلن حضرة الدكتور بشاره افندي زلزل عزمه على نشر كتاب عنوانه « تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان وتفاوت الامم في المدنية والعمران » وسيصدره اجزاء كل جزء منها يتألف من ٦٤ صفحة يصدر في كل شهر · وقيمة الاشتراك في السنة ٨٠ غرشاً صاغاً

﴿ مراثي المرحوم الياس سعاده ﴾ عزم جناب الاديب سامي افندي سعاده على جمع مراثي الادباء واقوال الجرائد في عمه الماسوف عليه الشيخ الجليل المرحوم الياس سعاده · فمن نظم او نثر شيئاً في ذلك فليرسله اليه في نيويورك · تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه والهم اسرته الكريمة العزاء والصبر الجميل على فقده

﴿ مسامرات النديم ﴾ هي مجلة روائية تصدر في الشهر مرة لمنشئها جناب ابرهيم افندي رمزي وعزت افندي حلمي وعنوان روايتها الاولى سلطان الهوى وقيمة الاشتراك فيها عشرون غرشاً صاغاً يدفع نصفها مقدماً

﴿ المجلة الماسونية ﴾ عادت المجلة الماسونية الى الظهور لمنشئها جناب يوسف افندي لفلوفه ومديرها جناب نقولا افندي سابا وفيها اخبار الماسون في القطر المصري ومقالات ادبية وتاريخية وقيمة اشتراكها ٢٥ غرشاً في مصر و١٠ فرنكات في الخارج

﴿ احياء العلوم ﴾ هي مجلة نصف شهرية لمنشئها جناب عبد الفتاح افندي جاب الله وغرضها البحث في العلوم الاسلامية وقيمة اشتراكها ١٥ غرشاً صاغاً وادارتها في زفتي

﴿ الصيحة ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية ادبية لمحررها ومديرها جناب محمد افندي الشاذلي وقيمة اشتراكها ١٠٠ غرش صاغ تدفع مقدماً وادارتها في طنطا

﴿ الاصلاح ﴾ الاصلاح جريدة سياسية انتقادية لصاحبيها ومحرريها حضرات محمد افندي زياد بدران واحمد افندي الماجدي وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشاً في مصر و١١٠ غروش في الخارج وادارتها في العاصمة

﴿ معين المتعلّم ﴾ مجلة شهرية لمساعدة طلبة اللغة الانكليزية من ابناء الشبيبة المصرية يحررها حضرات رزق الله افندي حنا وعجبان افندي بطرس وقيمة الاشتراك فيها ١٠ غروش في مصر و١٢ في الخارج وادارتها في العاصمة

﴿ مائة مسئلة ومسئلة حسابية ﴾ وضع هذا الكراس جناب رشدي افندي كمال في مصلحة السكة الحديدية بالعاصمة وضمنه مسائل حسابية لتلامذة الشهادة الابتدائية وهو يُطلب من جناب واضعه

عقدٌ وتشطير

اقترحت الجامعة في حاشية في الصفحة ٨٢ في الجزء السابق عقد هذا المعنى للشاعر إكوفه في اطراء جنس النساء « اجثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك » فنظم في ذلك حضرة الشاعر الرقيق مصطفى افندي صادق الرافعي البيتين التاليين

اجثُ خضوعاً واحتراماً لمن امك في حواءَ من امّها
الا ترى الجنة فيما رووا مطلوبة من تحت اقدامها

وفيه اشارة الى الحديث الكريم « الجنة تحت اقدام الامهات »

وقد نشرت « مجلة السيدات والبنات » في جزئها الثاني هذا السؤال وجوابه

﴿ سؤال ﴾ ما هو الجمال

﴿ الجواب ﴾ ان الجمال بمعناه الحرفي هو جمال النفس . فان وراء كل جسم جميل يجب ان تكون نفس جميلة . ولذلك قالوا ان الجمال بدون النفس الجميلة ليس بجمال حقيقي . والنفس الجميلة هي النفس التي تحب الخير والصلاح وتخضع لناموسهما وتبتعد عن كل ما يخالفهما »

فنظم في هذا المعنى حضرة الشاعر الاديب علي افندي علي الغربي في دمياط الابيات التالية

ومعجبة باعطاف ودلٍّ وحسن صانه منها جلالُ
ووجه زانهُ خد اسيل يؤذّن للدلال به بلالُ
والحاظ مراض كم اراشت سهاماً دون مبعثها النبالُ
وثغر دره بالدر يزري وجيد لا يحاكيهِ غزالُ
تقول لصبها الولهان تيهاً امثلي في البهاء لهُ مثالُ

فقد حزتُ الرشاقة عن تمام وبي جُمعت محاسن لا تُنالُ
فقال وقد رأى فيها اختيالاً وكل جميلة فيها اختيالُ
تقولين الجمال وليس هذا : جمال النفس منك هو الجمالُ

اما البيتان اللذان اقترحنا تشطيرهما في الجزء الاول :

خُلقنا لامر لو علمنا خفيه لما حبَّ منا المرء ليلى ولا لبنا
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الا راحة تعقب الحزنا

فقد وردتنا بشانهما عدة اجوبة · ونشرها كلها يستغرق اكثر من صفحتين · لذلك نكتفي بنشر عجز الصدر الاول لان جواب الشرط فيه يدلُّ على فكر كل شاعر · قال جناب الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة في جوابه

خلقنا لامر لو علمنا خفيه لما عُمرٌ عادى بلا سبب حنّا

وقال ايضاً

خلقنا لامر لو علمنا خفيه لكانت حياة المرء في ارضنا غبنا

وقال جناب فرج الله افندي فرج الله في رام الله (فلسطين)

خلقنا لامر لو عرفنا خفيه لأُجهدت الارواح في عمل الحسنى

وقال « احد المشتركين » في طنطا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه زهدنا وآثرنا الكهوف لنا سكنى

وقال جناب القانوني محمد افندي نور المحامي بقنا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه علمنا بانا للطبيعة سُخّرنا

وليس بعجيب ان يحتار الشعراء في الامر الذي خلقنا من اجله فان حيرتهم هذه قديمة من زمن شيخ المعرة ابي العلاء بل من عهد وجود نوع الانسان · والفلاسفة يشاركون الشعراء في هذه الحيرة · على انهم ولئن شاركوهم فيها فانهم لا يكتفون بان يقولوا مع شيخ المعرّة

هذا الذي صيّر الالباب حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

بل ينادون ان غرض الانسان في هذه الحياة : صنع الخير المطلق والقيام بالواجب والرفق ببني جنسه وممارسة الفضائل وتصفية روح الانسانية عن كدورات المادة لترقية شؤون البشر وابلاغهم طور الكمال · ومن ادار ظهره لهذه الاغراض واخذ يبتعد عنها كان كأنه يبتعد عن الانسانية الحقيقية

الجامعة

الجزء الرابع السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ — ربيع اول سنة ١٣٢١

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الشرق

محمد عبدالله

مهدي الصومال الذي تحاربه انكلترا الان

لا نعرف شيئاً عن محمد عبدالله المهدي الذي ظهر في بلاد الصومال الاَّ ما تكتبه المجلات والجرائد الغربية عنه . ولكنَّ هذه الجرائد تصفه بصفات لا تخلو من المبالغة اذ تنسب اليه الجهل المطبق والتوحش والغش وتسميه « ملا المجنون » وهذا مما يصعب تصديقه . ذلك لان رجلاً يحرك الصومال ويجتذب قلوب اهلها اليه يلزم ان لا يخلو من صفات جليلة واخلاق مخصوصة تسهّل له هذا الاجتذاب واليك ما نقتطفه من اخبار هذا المهدي الجديد

﴿ بلاد الصومال ﴾ بلاد الصومال واقعة في شرقي افريقيا وهي في الخريطة عبارة عن لسان واسع عريض داخل نحو بحر الهند في جنوبي بلاد العرب يفصله عنها خليج عدن . وهي مقسومة بين اربع دول . القسم الاول لفرنسا ومنه اوبك وجيبوتي . والقسم الثاني

لانكلترا وهو يمتد من زيلع الى (بندرزياده) والقسم الثالث للحبشة وهو يمتد من جنوبي هرر الشرقي الى جنوبي القسم الانكليزي . والقسم الرابع لايطاليا وهو ما بقي من هذه البلاد اي كل الشاطيء من بنادر الى جوبه فضلاً عن رأس اللسان الداخل في البحر . الا ان ايطاليا لم تحتلّ قسمها بعد .

﴿ اهل الصومال واخلاقهم ﴾ ويزعم سكان الصومال انهم من اصل عربي . وهم شديدو الافتخار بهذا الاصل . ولقد كانوا ذا حق في هذا الفخر لو كانوا من نسل عربي حقيقة . ولكن الحقيقة انهم من نسل غالاسي امتزجوا بالعرب بعض الامتزاج حين الفتوحات العربية في افريقيا . واخص قبائلهم ثلاث : الاولى بنو حجي والثانية بنو حاوية والثالثة بنو رهانوين . وجميع ما بقي من القبائل تشتق من هذه القبائل الثلاث .

وكل واحدة من هذه القبائل يحكمها زعيم تارة يسمى « سلطان » وتارة يسمى « جراد » (كذا) وهم قوم على البداوة والفطرة كبار الاجسام يغلب على جلودهم السواد مشوباً بالحمرة . وشعورهم سوداء خشنة متفرقة ونساؤهم يجمعن شعورهن على رؤوسهن بشيء شبيه بالكيس فلا يظهر منها شيء . وهن سافرات الوجوه لا يحتجبن . ويشاركن الرجال في كل اعمالهم حتى الحرب والقتال كما كان نساء العرب في القرون الماضية . اما زينتهن فهي الاقراط للآذان والعقود من الخرز والاساور في العضد وفي اليد . وهن يلتففن بقطعة طويلة من النسيج ويبرزن عاريات الصدر والذراعين كالديكولته عند نساء العصر . . اما الرجال فلا زينة لهم سوى بضع آيات قرآنية مكتوبة وملفوفة بقطعة جلد ومعلقة باعناقهم . وهم يلتفون بقطعة نسيج كما تصنع النساء . ولهذه القبائل الرحل جوامع ثابتة قرب الشاطيء مبنية بالحجر وبعضها مموّه بالكلس (الجير) . غير انهم في رحلاتهم يبسطون قطعاً من الجلود ويحيطونها بدائرة من الحجارة ويصلون ضمنها

﴿ ظهور المهدي محمد عبدالله ﴾ هو شاب في الثانية والثلاثين من عمره ولد من ابوين كانا يرعيان المواشي في اوغادن من بلاد الصومال ولكنه ربي بين قبائل الدناقلة . ولما بلغ سن الرشد اخذ على ما يقال يتعلم شيئاً من الشعوذات التي تدهش العوام فكانوا يجتمعون عليه لمشاهدتها ويعجبون بقوته . وبعد ذلك درس القرآن على بعض مدرّسيه في الصومال وحجّ اربع مرات فصارت له مكانة سامية بين قومه . وكان محمد عبدالله مطبوعاً على حب السيادة والسلطة فاتخذ مكانته هذه ذريعة الى مقاصده . فحاول اولاً الوعظ في بربره بين القبائل النازلة على شواطيء خليج عدن ليدعو الناس الى المعروف وينهاهم عن

المنكر فانكرت عليه القبائل ذلك ولم تبالِ به . فعلم ان داخلية البلاد اكثر استعدادًا لعمله من شواطئها فدخل الى النوجل حيث تقيم قبائل الدليهنتي . واخذ يدعو الناس الى سبيل الله بكلام فصيح وحماسة وجرأة فاعتقدوا انه مرسل اليهم والتفوا حوله يصغون الى وعظه وارشاده

ولما صدقوا دعوته و كثر انصاره ركب معهم وقصد قبائل بربره التي نبذته للجهاد فيها عقابًا لها على تكذيبه . ومن هنا ابتدأت رغبته في الاستيلاء على كل بلاد الصومال واخضاع مكذبيه ومقاوميه للاستئثار بها . فاضطرت انكلترا الى حماية مستعمرتها من هولاء الغزاة الاشداء الذين هاجموها بحماسة غريبة وفتكوا بقبائلها فتكاً ذريعاً . فارسلت في سنة ١٨٩٩ الى بربره حملة من الهند لمساعدة الحامية الانكليزية . فرأى المهدي من الحكمة حينئذ ان يخرج من الاملاك الانكليزية فعاد الى اوغادن واستثار قبائلها الصومالية وغزا بهم املاك الحبشة قاصداً هرر . فحشد الرأس ما كونين جيشًا عظيماً ولقيه به بين « جدجبا » « وململ » فهاجم الصوماليون الاحباش مهاجمات هائلة ولكنهم لم يستطيعوا ان يدحروهم فعادوا عن الحبشة بعد ان قتل منهم الفا رجل . ولكن هذا الرجوع لم يؤثر في نفوذ المهدي فعاد وساق قبائله على الاملاك الانكليزية في عام ١٩٠١ فلقيه الكولونل سوين وهزمه . فلجاء المهدي حينئذ الى اراضي الصومال الايطالية . ومع ذلك فقد بقي يدعو الى الجهاد لطرد الاجانب من البلاد ومعاقبة الصوماليين الذين حالفوهم . ورغبة في تقوية سلطته حالف سلطان ماجورتين وتزوج بابنته فاتسع سلطانه واشتدت قوته . واضطرت ايطاليا ان تطلق مدافعها من الشاطيء على قرى هذا السلطان لانه كان يهرب الاسلحة للمهدي .

وفي سنة ١٩٠٢ عاد المهدي الى الاراضي الانكليزية فلقيه الكولونل سوين بجيش من الهنود الانكليز والصوماليين . لكنه اضطر ان يعود عنه بعد ان قُتل ٧٠ من رجاله . فكان لهذا الفشل دوي عظيم في بلاد الصومال . وفي هذا العام اتفق الانكليز والايطاليون والاحباش على مطاردته فلم يفلحوا وانتهى الامر بانكسار حملة انكليزية كانت مسوقة عليه . فعزز هذا الانكسار منزلة المهدي تعزيزًا عظيمًا . ولكن كل آماله لا تغني عنه فتيلاً لانه سيقع في خاتمة الامر اسيرًا في يد مطارديه ويُنفى من بلاده ان لم يُقتل في ساحة الحرب كما قُتل التعايشي

ويقدرون اليوم قوات هذا المهدي باكثر من ٣٥ الف جندي

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة

لكل عصر حاجات . ولو كان العصر اليوم كعصر الهمذاني والزمخشري وابن المقفع والمتنبي لما كان لاحدٍ ان يذكر للكتّاب حاجات جديدة . فان الهمذاني كان يزور خراسان مثلاً فينشد بضعة ابيات ويكتب بضع رسائل فيعود ممتلىء الاردان . والمتنبي كان يقول قصيدة واحدة فيعطى من اجلها الوف الدنانير . ومتى كانت سوق الادب رائجة الى هذا الحدّ فذلك دليل على وجود الاتفاق التام في اذواق القائلين والسامعين

ولو ان العصر بقي كما كان في ايام من اشرنا اليهم لجاز ان يقال لادباء اليوم : تحدّوا سابقيكم واقتدوا بمتقدميكم . وحينئذ كان هذا الاقتداء امراً معقولاً مقبولاً . ولكن العصر قد تغيرّ من حسن الحظ . ولم يعد المقصود من الادب وصناعته مدح الملوك والامراء او العظماء بل صار يُقصد به امر اسمى من هذا كثيراً : ونريد بذلك تكوين الامم وتكبير نفوسها وانهاض ضعفائها وترقية شؤونها

كان المتنبي لا ينظم شعره الا لممدوحه وطبقة الشعراء والمتأدبين . وكان يظن ان هؤلاء الشعراء والمتأدبين هم الدنيا كلها بدليل قوله « اذا قلتُ شعراً اصبح الدهر منشداً » — مع ان هؤلاء الشعراء والمتأدبين كانوا جزءاً صغيراً من الامة . اما اليوم فالكاتب العصري عليه ان يكتب لمجموع الامة كباراً وصغاراً . اغنياء وفقراء . رجالاً ونساء . تجاراً وصناعاً وزراعاً وادباء . اي ان الادب والعلم افلتا من قيدهما القديم الذي كان يحصرهما في طبقة واحدة لغرض التسلية والطرب واندفعا نحو جميع الطبقات لاغراض عمومية يُقصد بها فوائد ادبيـة وعملية . فنتج عن ذلك ان رواج الادب لم يعد متوقفاً على طرب

امير كسيف الدولة ولا على جود الملوك والخلفاء . بل على تاثير اقوال الكاتب في الجمهور الذي صار السيد الحقيقي على الادب والادباء . فوظيفة الكاتب اذًا ان يُحسن التأْثير في نفوس هذا الجمهور

وان قيل ان الملوك والامراء قد يؤثرون اعظم تاثير في ترويج الادب لمساعدتهم اهله . فنجيب ان هذا القول صحيح متى كانوا يقصدون بمساعدتهم لهم مجرد انماء مواهبهم لتنتفع الامة بها . ولكن اذا كانوا يقصدون بذلك تقييد تلك المواهب بهم لتنشر نور مجدها عليهم وعلى اعمالهم بالمدح والثناء فان الحال تتغير تغيراً عظيماً خصوصاً متى كانت مصلحة الملك مخالفة لمصلحة الامة . ذلك ان صاحب تلك المواهب لم يعطَ مواهبه من الله ليجعلها وقفاً لفرد واحد ولو كان ملكاً بل اعطيها ليخدم بها جميع بني جنسه . فاذا خطر له وقفها على واحد او جماعة او طائفة او مذهب دون غيره فانه بذلك ينقض العهد الذي اعطاه على نفسه وهو في بطن امه حين اخذ تلك المواهب عن طريق الطبيعة من يد العناية الالهية . وحينئذ يقع بين نارين اما دوس مصلحة الامة من اجل مصلحة ملكها واما ترك الملك وقيوده الذهبية مختاراً عليها معيشة الفقر والحرية مع الامة . ولا ريب في ان اولئك الكتاب والشعراء المتقدمين الذين كانوا يتزاحمون على ابواب الخلفاء والامراء و يتنافسون في اطراء ممدوحيهم و وضعهم احياناً في مرتبة الالهة ليستدروا منهم الوف الدراهم والدنانير ـ تلك الاموال التي كانت مأْخوذة من دماء الشعوب والامم بطرق مختلفة ـ لو علموا انهم وُجدوا لمساعدة الشعوب والامم لا لمساعدة ملوكها على ابتزاز اموالها ومشاركتهم بعد ذلك فيها بطرق تشبه طرق الشحاذة لعلموا انهم اضاعوا مواهبهم في غير وجوهها ولم يأْكلوا مالاً حلالاً .

ومتى ثبت ان اول اغراض الادب والعلم ترقية الامم وانهاض الشعوب ترتب علينا ان نعلم حاجات الكاتب الشرقي الجديدة في هذا العصر .

الحاجة الاولى وعندنا ان اولى حاجات الكاتب «الجرأَة والحرية» ونريد بذلك حرية الفكر والنشر . وتحت الحرية تدخل فضائل كثيرة . فانه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر فانه يكون صادقاً منصفاً عادلاً قليل الشذوذ والشرود . ويشترط في ذلك ان تكون الحرية مطلقة في اقواله لا ان يتكلم بحرية في هذا الموضوع لان الحرية فيه موافقة لمصلحته ويداهن ويصانع في ذاك لان الحرية فيه مخالفة لمصلحته . وكل انسان يعذر الكاتب الذي يعيش في بلاد اقلامها مقيدة اذا لم يتجاوز في كتابته حد المداراة القانونية ولكن

ما عذر الكاتب الذي يعيش في بلاد اقلامها مطلقة . لا عذر له غير "المصلحة"، فمصلحته هي التي تمنعه من ان يقول الحق الذي يفتكر به وتجبره على مدح ما يستحق الذم وذم ما يستحق المدح . وحينئذ يخرج عن دائرة الوظيفة الحقيقية التي توجد لها الصحافة وتُثقف لها الاقلام . ولسنا ننكر ان هذه الحالة شائعة في كل العالم لانها حالة عمومية اذ كل انسان يطلب تأييد مصلحته قبل كل شيء . ولذلك كانت اكثر صحافة اوروبا نفسها مبنية على المصلحة . قال احد كتابهم في الشهر الماضي "ان جرائدنا صارت عبارة عن وباء حقيقي . فان المدح والذم يُكالان فيها بلا عدل . وقد قتلوا الانتقاد الصحيح المبني على الصدق وحرية الفكر ووضعوا في مكانه اوراقاً يرسلها المؤلفون واصحاب الكتب . فاذا قرأتَ انتقاد كتاب فاعلم ان اكثره مكتوب بقلم المؤلف نفسه او بقلم صديق له". نقول ولكن اذا كان في الغرب جرائد هذه حالها ففيه ايضاً جرائد كالتيمس والطان و برلنر تاجبلاط لا يمكن ان يلحقها شيء من هذا الغبار . فنحن نرجو ان نقوى في الشرق صحافة جدية مستقلة كهذه الصحافة لتخرج من الدائرة التجارية المحضة الى الدائرة الصحافية الحقيقية . ويلوح لنا ان ذلك لا بد منه والا بطل كل تأثير لها على القراء لان الاقوال لا تؤثر الا متى كانت خارجة من القلب والضمير .

الحاجة الثانية ورب قائل يقول : ماذا يحلُّ بالافكار في الشرق اذا كان كل كاتب فيه يبسط آراءه بكل حرية دون مراعاة مع ما هو معروف من تعدد العناصر . فنجيب : لا يحلُّ بالافكار سوء لان «التساهل» كالماء يخمد كل حدَّة وكل نزق . فالحاجة الثانية «التساهل» ــ وليس المراد بالتساهل ان يكون ما يكتبه الكاتب موافقاً لكل الآراء وكل العناصر وكل المذاهب . كلا . فان هذا التساهل يُفني قوى الكاتب ويذهب بتعبه ادراج الرياح ويشوّه الحقائق اقبح تشويه . ولقد سمعنا مرة بعضهم يقول : ان موقف الكاتب الشرقي صعب جداً في هذا العصر . لانه يكتب للمصري والشامي والجزائري والتونسي والهندي والفارسي والافغاني والقوقازي الخ الخ ولذلك يجب عليه ان لا يكتب الاَّ ما يُرضي الجميع . فضحكنا عند سماعنا هذا الكلام وقلنا ان وظيفة الكاتب اسمى من ذلك بكثير . اجل ليست وظيفة الكاتب بتر الحقيقة هنا وتمويه الكلام هناك ارضاء لهذا او ذاك . بل وظيفته ان يقول الحق وينطق بالصدق في اي جانب كان . لكن يُشترط عليه في ذلك شرطاً لا بدَّ منه . وهو ان يترك دائماً للقارىء الحكم في المسائل التي يبسطها . لان القارىء قلما يحب ان تضغط عليه لتقنعه . واذا كنت تطلب منه التساهل فيجب عليك ان تعلّمه ذلك بالقدوة اي ان تكون متساهلاً في آرائك . لان القدوة خير المعلمين . اذن

لا تضع آراءك واقوالك في منزلة الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد مسه فان لكل انسان نظرًا ومذهبًا في الامور . ومتى احتكت هذه المذاهب والآراء بعضها ببعض فلا يبقى منها مع الوقت الا افضلها . وهذه هي الطريقة الوحيدة لنشر الحقائق والمبادىء نشرًا فعليًا بين الناس وترقية العقول عن الاشياء المألوفة الراسخة في النفوس بحكم العادة . وكن على ثقة من ان كل العناصر التي ذكرتها تقراء اقوالك ولا تستاء منها اذا راعيتَ هذا الشرط ولو وجدتْ فيها ما يسوءها لانها تعلم انك لا تقصد بها سوءًا ولا سيطرة على عقولها فيما تكتب وانما تقصد بسط الآراء والمبادىء بعضها بجانب بعض طلبًا للحقيقة في اي جانب كانت

﴿ الحاجة الثالثة ﴾ والحاجة الثالثة ان يحب الكاتب صناعته و يولع بها و يطلبها لذاتها . ولا بد هنا من اعتراض قوي وهو ان جميع الكتاب في كل البلدان يحبون صناعتهم وكثير منهم لا يجنون منها فائدة كبيرة ومع ذلك تراهم متعلقين بها . فالجواب ان هنا اشكالاً تجب ازالته . اذ شتان بين من يولع بشيء لانه عمله الذي خُلق له وبين من يريد ان يجعله عمله قسراً ويرغم طبيعته به ميلاً الى جماله وجلاله . وهذا الخطر موجود في كل مكان لا في الشرق فقط . وقد وضع المسيو بونيه الفرنسوي منذ بضعة اشهر كتابًا سماه « خطر صناعة القلم » او « ثلاثة من عائلة لكران » اثبت فيه ان الوفًا من الادباء يتهافتون في كل عام على صناعة القلم في فرنسا وتسوء حالهم لانهم قهروا طبيعتهم قهرًا على عملٍ لم يكونوا من رجاله . وانما جُذبوا اليه بجاذب جماله .

وانما اردنا « بحب الكاتب صناعته وطلبها لذاتها » مقاومة داءين شديدي الفتك . (الداء الاول) يأْس كثيرين من الكتاب من صناعة الادب في الشرق . ولذلك يولولون عليها ويقيمون المآتم حزنًا لموتها . وهذا الامر يسبب ضررين الاول الحط من كرامة الادب لدى قرائه والثاني ازالة الثقة من نفوس اولئك الكتاب . ومتى زالت من نفس الكاتب ثقته في نفسه وفي صناعته فقد قضى على نفسه وعلى صناعته وعلى قرائه ولم يعد يقدر ان يصنع شيئًا مفيدًا . فالاجدر به في هذه الحالة ان يترك القلم بسكون وهدوء ويطلب الرزق من باب آخر . (والداء الثاني) اتخاذ الادب شباكاً لصيد الذهب . وهذه آفة الادب في الشرق . ولسنا ممن يحرّمون الغنى على طلاب الادب ولكننا ممن يحرّمون في الادب جعل المال في المرتبة الاولى والعلم والادب في المرتبة الثانية . لان صناعة الادب ليست بصناعة تجارية ومن يريد معاملتها معاملة التجارة فهو غير اهل لان يكون منها . وسبب ذلك ان موضوع الادب خدمة الجمهور كما تقدم . وهذه الخدمة تقتضي ان تعطي الجمهور من

قوتك ومن نفسك اكثر ما يمكنك اعطاؤُه . فالكاتب الذي لا يطلب صناعته لذاتها بل لاجرتها يكتفي في اكثر الاحيان بملء الورق بما يكون قريب المنال اذ غرضه ربح المال لا ابراز ارق ما يمكنه ابرازه من قوى نفسه . وبذلك يصبح الجمهور مغبونًا والادب مظلوماً لانه ينحط بهذه الطريقة ولا يمكن ان يترقى معها . وحينئذ يتساءل الناس لماذا لا تؤثر الاقلام في النفوس . مع انّ السبب معروف محسوس . وان قيل ان التبعة في هذه الحالة واقعة على الجمهور لانه لا ينشط اهل العلم والادب التنشيط الواجب ليسد حاجاتهم ويجعلهم يطلبون صناعتهم لذاتها . فالجواب ان على الجمهور تبعة عظيمة في هذا الامر ولكن هذا لا يخفف التبعة التي على الكاتب . اذ متى وُجد كتاب يطلبون العلم والادب لذاتهما فانه يكون عندهما الفقر والغنى سيين في هذه الصناعة . لان الغنى الذي في النفوس لا تنقص قيمته عن الغنى الذي في الخزائن ان لم نقل انه افضل منه

﴿ الحاجة الرابعة ﴾ واما الحاجة الرابعة فهي مختصة بقلم الكاتب ونريد بها تضلعه من المواضيع التي يكتب فيها .

وهذه الحاجة تقسم عندنا الى قسمين . « المادة ولباسها » اي الافكار والالفاظ التي يعبر بها عنها والاسلوب الذي يجري هذا التعبير به .

اما المادة فهي تكاد تكون موجودة في كل يد . . فان كل كاتب يكفيه لخوض ابواب السياسة والتاريخ والعلم الادبي والعلم الطبيعي والفلسفة ان يفتح اي جريدة او روبية او اي كتاب اوروبي . . وهذا من فضل اللغات الاجنبية التي تسهل للكتاب طريق هذه العلوم التي تعب المؤلفون عشرات سنين في سبيل تحصيلها . ولكن الحق يقال ليس الذنب في ذلك للشرقيين بل للناموس الطبيعي فاننا الآن في عصر يسميه علماء العمران « عصر القرود » يريدون به عصر التشبه بالغير والتقليد . واذا ساعدت الاحوال المعارف الشرقية فانها ستنتقل ان شاء الله من طور « الاتباع » الى طور « الابتداع » وحينئذ ينبغ في الشرق المبتكرون والمخترعون . ولا نعود نرى المعارف الشرقية عبارة عن نسخة من المعارف الاوروبية وصدى لمجلاتها وجرائدها العلمية والسياسية . بل يكون الباحث في الكيمياء معتمداً في بحثه على معمله لا على مجلته والباحث في التاريخ معتمدًا على سياحاته لدرس الآثار في اماكنها الاصلية لا على الكتب والاوراق وهلم جراً . وربما وصل الشرق الى هذا الزمن بعد قرن او نصف قرن اذا ساعدته الاحوال وكثر قراء اللغة العربية فيه كثرة تمكّن احد الكتاب من التفرغ لكتابة كتاب واحد في عامين او ثلاثة . اي ان الكاتب يستفيد من كتابه هذا بعد كتابته ونشره

فائدة مالية تكافيء اتعابه ونفقاته ·

وبما ان « المادة » صارت اليوم موجودة في كل يد كما تقدَّم فقد صار الفضل والصعوبة في الاسلوب الذي تُبرز به · ورب مادة يُعطاها كاتبان فيصنع احدهما منها فصلاً ترقص له عجائز وائل ويصنع الآخر منها فصلاً لا يقراءه احد · وهنا مذهبان مختلفان يتنازعان الكتاب في كل امة تقريباً · المذهب الاول مذهب الذين يعتمدون على قواعد السلف واصولهم في الكتابة والتاليف فلا يخرجون عنها قيد اصبع · والمذهب الثاني مذهب الذين يحكّمون عقولهم وافهامهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقليد اذا لم يكن في محله ويرومون ان يكتبوا كما يشعرون · وعندنا لهذين الفريقين كلمة تدل عليهما احسن دلالة · وهي « ان الفريق الاول يهتمّ بالالفاظ قبل اهتمامه بالمعاني · والفريق الثاني يهتمّ بالمعاني قبل اهتمامه بالالفاظ »

ومهما صرخ انصار المذهب الاول فان مذهبهم آخذ في الانقراض · لان تلك الاسجاع الضخمة والالفاظ المنتفخة كأنها الهر يحكي الاسد « قد نبتت في المعد · وصارت في كل يد » كما قال الهمذاني رحمه الله · واذا قابلتَ بين اسلوب الكتابة العربية منذ ٣٠ سنة وبين اسلوبها اليوم رأيت الفرقَ بين الاسلوبين · وان قيل انه قد بقي الى اليوم شيء من تلك الاسجاع والالفاظ المترادفة والتعابير الخطابية التي تسرد منها سطرين او ثلاثة ولا يكون تحتها الا فكر واحد ـ كانها صبيرة طمثن ـ نقول ما ذلك الاَّ لانَّ لهذا الاسلوب اصلاً مكيناً في نفس اللغة العربية وهذا الاصل لا يموت وينقرض تماماً الاَّ بانقراض طلاًّ به · ولكنه الآن يموت شيئاً فشيئاً · ولا امل باحيائه الا بطريقة واحدة · وهذه الطريقة يرضى بها حتى اهل المذهب الثاني · وهي ان يعود موءسسو ذلك الاصل من قبورهم الابدية ويكتبوا لنا مثل كتاباتهم الماضية · فحينئذ نقبل منهم ذلك بكل سرور ورضى لان كتابتهم ارقى ما يتصور الانسان كتابته في هذا النوع · وكيف اذا قام الهمذاني من قبره وكتب شيئاً من رسائله يمكننا ان نقول له اترك هذا فقد ذهب وقته · وكيف اذا قام ابن المقفع بلغته السهلة البليغة المفهومة ليعرب عن الهندية كتاباً آخر ككليلة ودمنة يمكننا ان نقول له عربه بلغة الكتابة العصرية لا بلغتك · كلا · اننا لا نقول لهما ذلك · وانما نقوله بلا تردد للذين يحاولون تقليدهما في هذا العصر ولا يكون لهما مقدرتهما · وقد قيل : بين المقلِّد والمقلَّد ما بين التكحُّل والكَحَل · وان قيل ان الاموات لا يعودون بل ينبغ من الاحياء من يقوم مقامهم ويبلغ منزلتهم · فالجواب اين الذي يضمن لنفسه نفساً كنفوسهم ثم يصرف قواها

كلها عشرين سنة او اربعين في درس كتب اللغة والادب ليبلغ منزلتهم فيها . ثم اذا كان مثل هذا الانقطاع ممكناً في الشرق الا يكون من الجناية على الشرق جعله للغة والالفاظ بدل جعله للعلم الحقيقي الذي يرقي الامم وينقلها من حال الى حال .

فالافكار الافكار . المعاني المعاني . هذا هو الغرض الحقيقي من الكتابة . لان الالفاظ ليست سوى لباس او قشور للمعاني ـ بقي الاسلوب الذي هو صلة بين الالفاظ وبين المعاني لانه قالبها الذي تُسبك به . وفي ذلك نقول

قال بعضهم : ان انشاء الانسان لهو الانسان نفسه . يعني بذلك ان كتابته تدل عليه لانها صادرة عن نفسه . وعلى ذلك يكون اسلوب الانسان في الكتابة على نوعين : اكتسابي وغريزي . فالاسلوب الاكتسابي ما حصله الانسان بكدّ الخاطر وتهذيب النفس ومعرفة الاصول ومطالعة اشهر المؤلفين . والاسلوب الغريزي ما يكون مغروساً في فطرة النفس وهذا لا يُشرى ولا يُباع ولا يُحصّل لانه ملازم للنفس . وقد قال بوفون وغيره ان قرائح النوابغ تنشأ عن الصبر والكد والمزاولة . وهو قول صحيح من بعض الوجوه خصوصاً في العلوم الطبيعية التي تقتضي من علمائها والمخترعين فيها الكدّ والصبر والجلد الشديد . وهذا نيوتن وباستور خير مثال على ذلك . ولكن العلوم الادبية والفلسفية تختلف عن العلوم الطبيعية . وبما ان العمدة في تلك العلوم (الادبية والفلسفية) على التأثير في النفوس فالواجب ان يكون اسلوبها اللطيف اول اسلحتها . وماذا كان عمل روسو وبرناردين دي سان بيير ورسكن ورنان وغيرهم لو لم تكن فطرتهم مسلحة بذلك السلاح اللطيف الذي كان يهزّ النفوس كما تهزّ الزوابع باسق الاشجار . فعلينا في الشرق ان نذكر اننا محرومون تلك اللذة الحقيقية التي تتناجى بها نفوس القراء والكاتب لاستطاعته تحريكها من اعماقها . ولا نلقين التبعة في ذلك على القراء بل على الكتاب وان كان لهم بعض الاعذار . لان اشجار الحدائق اذا بقيت ساكنة ولم تتحرك فالذنب للريح لانها لم تهب لتحركها .

ولكننا نرى ان هذه الريح محالٌ ان تهب لتحريك الاشجار اذا لم تطلق اللغة العربية من اسر الاهتمام بالالفاظ والسجع والمترادفات وتحدي المتقدمين ويقدّم عليها الاهتمام بالمعاني المقصود ابلاغها الى فهم القارىء . ذلك لان الانسان لا يستطيع ان يعبر عن العواطف المختلفة التي تختلج في نفسه اذا كان يتعوّد صرف قواه حين الكتابة الى الالفاظ لا الى تلك المعاني . الا ترى الكاتب اذا تكلم بلغته العاميـة اندفع اندفاع السيل وابرز بكل سهولة صوراً جميلة من المعاني كانت تجول في نفسه . ولكن اطلب منه ان يبرز تلك الصور الجميلة

باللغة الفصحى ملتوتة بالمترادفات الزائدة والالفاظ الفخمة والاسجاع الفارغة . فانه يقيم يوماً كاملاً لكتابة ما عبّر عنه في ساعة واحدة بلغته التي يتكلم فيها. وما يكتبه يجيء بارداً . ولا تقل ان سبب ذلك كونه لم يتعود الكتابة بلغة الهمذاني والحريري . كلا . ما من سبب لذلك سوى انه مع اللغة العامية يفتكر بالمعاني فقط ومع لغة السجع والمترادفات يفتكر بالالفاظ . ولكن اخبرونا ما هو الكاتب . الكاتب كالشاعر هو الذي يشعر بالمعاني شعوراً اشد من شعور سواه ويبرزها الى القراء باسلوب جميل لطيف سهل مفهوم لابلاغها اليهم . ويتفاضل الكتاب كما يتفاضل الشعراء اي ان افضلهم اشدهم شعوراً والطفهم احساساً . ولذلك قالوا ان الكتابة صناعة من صناعات النفس . وما الكتّاب العظام الذين اقاموا بني عصرهم واقعدوهم بما كانوا ينشرونه بينهم سوى نفوس ادق شعوراً من باقي النفوس كانوا يجمعون العواطف التي تختلج في صدور بني عصرهم بوجه مبهم غامض ويبسطونها واضحة جليّة يتناولها القريب والبعيد لانهم كانوا اشد شعوراً بها . — فتأملوا في هذه الوظيفة التي هي وظيفة الكتّاب الحقيقيه وقابلوها بوظيفتهم متى كان عملهم مقصوراً على طلب الالفاظ الغريبة من قواميس اللغة واقتناص التعابير البدوية والاساليب القديمة التي لم يبقَ ما يسوّغ استعمالها في عصر كهذا العصر . لاريب عندنا ان هذا بمثابة ردم معادن المعاني في نفوس الكتاب وجعل اذهانهم عبارة عن مخازن للالفاظ فقط . وبذلك يُقضى على الكاتب العربي ان تبقى كتابته بلاتاثير في قرائه مهما ابدع واجاد في تنسيق التعابير والالفاظ لان الالفاظ عبارة عن جماد لا يؤثر في النفس اذ النفس لا يؤثر فيها الا فيض المعاني الخارج من نبعها العذب . ولا تنسَ اننا قلنا في مقدمة الكلام ان وظيفة الكاتب الكتابة للامة لا لنفسه ولا لطبقة واحدة من طبقات الامة وان حسن التأثير شرطها الاول والفائدة العمومية اساسها الحقيقي



فلسطين واشهر آثارها

لحضرة نجيب افندي نصار الخوري اللبناني في طبريا

تكلمنا في المقالة الاولى عن اشهر مدينة في فلسطين وهي مدينة القدس او اورشليم . وقبل الاستطراد الى باقي الاماكن والبلدان المشهورة في هذه القطعة التاريخية المقدسة عند الامم الثلاث نذكر شيئاً عن مملكة بني اسرائيل القديمة تمهيداً للموضوع

ان بني اسرائيل لم يستولوا استيلاء تاماً الا على قسم سوريا الواقع غربي الاردن — ما عدا الارياف البحرية الجنوبية من يافا حتى غزة وهي بلاد الفلسطينيين الحقيقية من غزة مملكة الاسرائيليين من بئر سبع على مسافة نحو ثلاثين ميلاً الى الجنوب الشرقي . وامتدت حتى دان اي تل القاضي الواقع عند سفح جبل حرمون وراء سهل الحولة . وانقسمت هذه المملكة في ايام الملك رحبعام بن سليمان الى مملكتي يهوذا واسرائيل . فانحصرت مملكة يهوذا الجنوبية في القسم الواقع حوالى القدس بين بئر سبع جنوباً ورامة بنيامين على بعد ثمانية اميال من القدس شمالاً . وتضمنت مملكة اسرائيل البلاد الواقعة شمالي تلك . وانقسمت اراضي هاتين المملكتين بعد سبي نبوخذنصر الى ثلاث مقاطعات . وهي مقاطعة اليهودية ويمكن حصرها تقريباً في متصرفية القدس الحالية . ومقاطعة السامرة وهي ما تحتويه متصرفية نابلس بدون فرق كبير . ومقاطعة الجليل وهي بلاد الناصرة وطبريا وصفد الحالية

وقد قسم الرومانيون البلاد بعد ذلك الى اربع ولايات ومقاطعات لا يمكننا ذكرها لضيق المجال لانها كانت تختلف كثيراً باختلاف الازمان والعمال والحروب

اما بلاد اليهودية فهي بلاد جبلية وعرية قليلة الخصب والقسم الجنوبي الشرقي منها الواقع حوالى البحر الميت برية جدباء . ومن اشهر مدنها القدس التي مر الكلام عليها . ويافا وهي موضوع كلامنا الآن

يافا

يافا فرضة بحرية واقعة على اكمة تعلو قليلاً عن سطح البحر في نقطة متوسطة بين غزة وراس الكرمل وعلى مسافة نحو ٣٥ ميلاً الى الشمال الغربي من القدس وهي كائنة في طرف سهل شارون الخصيب الذي تغزل سليمان الحكيم بجمال ازهاره

﴿ تاريخها ﴾ هي من اقدم مدن العالم وقد كانت تُدعى جافو لاعتبار بعضهم ان

اسمها مشتق من يافث ابن نوح ويوبا لزعم آخرين انه مشتق من اصل عبراني ومعناه جميل . وجوبا نسبة الى جوبا ابنة عولص التي ربطت مع اندر وميدا ابنت زفس الى صخر في البحر هناك وتُركتا عرضة لحيتانه حتى اطلقهما برسوس . قال احد المؤرخين ان ملاحي اليونان لفقوا هذه الحكاية مما وصل اليهم من رواية يونان النبي والحوت

واول ما ورد ذكر يافا في سفر يشوع بن نون غير انها اشتهرت في ايام الملك سليمان بانها كانت ميناء مملكة اسرائيل . ومنها هرب يونان وجرى ما جرى له كما هو مذكور في سفره . ولقد ظن الكتبة ان حسن موقعها كان السبب في نجاتها من الخراب في غزوة نبوخذنصر . وجاء في سفر المكابيين انها كانت امنع حصن في فلسطين . وكان سكانها يومئذ اخلاطاً من مكدونيين ومصريين وسوريين ويهود . واذ اتفقت الفرق الثلاث الاولى على اليهود وثاروا عليهم وطرحوا منهم عدداً في البحر هاجمها يهوذا المكابي ليلاً واخذها واحرق سفنها بمن لجاء اليها من تلك الفرق . وقد هاجمها ساسنيوس في سنة ٦٣ مسيحية واحرق الوفاً من سكانها وضمها الى الولاية السورية الرومانية . ثم سُلخت عنها واعطيت لهيرودس الكبير . وبعد عزل ابنه ارخيلاوس اعيدت مع باقي فلسطين الى الولاية السورية الرومانية وقد غزاها ساستيوس غالوس في سنة ٦٦ مسيحية . ثم تجمع اليها اليهود من انحاء فلسطين فارسل اليهم فسباسيانوس فرقة من جنده من قيصيرية فالتجأوا الى السفن . فهبّت عليها عاصفة كسرتها واغرقتهم . ثم قتل العسكر الروماني من نجا منهم على الشاطئ

ودخلها الدين المسيحي منذ ايام الرسل . وفيها رأى بطرس رؤياه « ان يذبح ويأكل مما انزل الله عليه في ملآة من السماء واوحي له ان لا ينجس ما خلقه الله تعالى » وهذه الرؤيا وقعت كالضربة القاضية على تقاليد اليهود القديمة وجرأت الرسل على المناداة بالمساواة بين جميع الشعوب وحلت الطائفة المسيحية ومستقبلها من قيود الشريعة اليهودية وما الحق بها من التقاليد بوجوب تحريم بعض المآكل وتحليل الاخرى واعتبار هذا طاهراً وذاك نجساً

وصارت المدينة في ايام قسطنطين كرسي اسقفية وبقيت كذلك الى الفتح الاسلامي اذ صارت ميداناً لحروب دموية متتابعة بين الفاتحين والصليبيين الجاءت سكانها الى الهرب من ويلاتها . فبقيت مهجورة حتى اوائل القرن السابع عشر اذ اطمأن الناس فعادوا اليها وعمّروها . وبالنظر لحسن موقعها التجاري كانت تنمو نمواً سريعاً . وفي سنة ١٧٩٩ هاجمها بونابرت وكانت يومئذ تحت ولاية الجزار . ولما لم تفتح له ابوابها هدم اسوارها ودخلها

عنوة وقتل الفاً ومئتي اسير ممن اسرهم فيها بدعوى انهم خانوا عهده وعادوا الى محاربته قبل انتهاء الاجل الذي ضرب به لهم في ان لا يعودوا الى مثل ذلك عندما اطلق سراحهم بعد اسره اياهم في موقعة العريش · فحسب له التاريخ هذه وتسميمه الجنود التي اصيبت بالطاعون من جيشه فظائع ضد الانسانية

و بعد ما غادر نابوليون المدينة عاد الانكليز فرمموها ولم تلبث طويلاً حتى نمت كثيراً وهي لا تزال آخذة في النمو بالابنية وعدد السكان · ولها سهم كبير في التجارة بصادرات البلاد كالحنطة والذره والسمسم والبرتقال والصابون وغير ذلك · وهي الميناء الاولى للسياح وزوار البلاد الفلسطينية · فتربح بذلك ارباحاً جزيلة

﴿ سكانها ﴾ كان عددهم ستة آلاف يوم غزوة بونابرت ولكنهم بلغوا الثلاثين في يومنا هذا منهم نحو خمسة عشر الفاً من المسلمين وسبعة آلاف من المسيحيين وستة الاف من الاسرائيليين · والباقون اجانب من الالمان واليونان وغيرهم

﴿ المدينة ﴾ مركز قائمقامية من الصنف الاول تابعة لواء القدس وقد جددت فيها محكمة تجارية لاتساع تجارتها وفيها وكلاء لقناصل الدول الاجنبية وعدة مدارس للحكومة والجمعيات الخيرية ومستشفيات خيرية انكليزية وفرنسوية والمانية

﴿ ابنيتها ﴾ ان ابنيتها كباقي المدن الشرقية القديمة عديمة الانتظام ومزدحمة · اما الابنية الجديدة فمتقنة وجميلة ولا سيما خارج البلد · ومن جهة المدينة الشمالية الشرقية مستعمرة المانية جميلة جداً تتخلل ابنيتها الطرق الواسعة المستقيمة وتحيط بها الجنائن الصغيرة الغاصة بالاشجار والازهار وفي المستعمرة فنادق كبري متقنة معدة لقبول السياح والغرباء

واسواقها القديمة ضيقة وقذرة اما الجديدة في شرقي المدينة وشماليها وجنوبيها فهي احسن من تلك كثيراً ويلقى الناظر فيها ما يدل على الهيئة المدنية

وفي جهتها الجنوبية بقرب الفنار جامع صغير يُظن انه في مكان بيت سمعان الدباغ الذي راى فيه بطرس رؤياه غير ان ذلك يحتاج الى اثبات

﴿ ميناؤها ﴾ شبيه بمرفاء صغير محاط بصخور طبيعية هائلة اكثرها تحت سطح المياه · والمدخل الى هذا المرفاء ضيق بين صخرين كبيرين فيخاف الملاّحون من عبور القارب في ذلك المضيق ابان الانواء التي تتعاظم كثيراً اثناء هبوب الرياح الصرصرية حتى لا تعود السفن تجسر على الوقوف في تلك الميناء · وقد قال بعض الكتبة ان المرفاء كان اصطناعياً في الاعصر القديمة وان ابنيته كانت قائمة على الصخور الطبيعية الحالية غير

انه يستدل من وصف يوسيفوس ان حالة الميناء القديمة لم تكن الا كما هي اليوم · وحبذا لو تهتم الحكومة في تحسين هذا المرفاء وجعله امينًا فيكون ذلك سببًا لتقدم كل فلسطين الجنوبية ونجاحها نجاحًا عظيمًا

﴿ سكتها وجنائنها ﴾ و يسير القطار الحديدي ذهابًا وايابًا مرة في كل يوم بين يافا والقدس ويقطع مسافة الطريق البالغة اربعة وخمسين ميلاً في ثلاث ساعات واربعين دقيقة · والمدينة محاطة بجنائن البرتقال اليافي الذائع الشهرة في جميع البلدان · ولزهره رائحة عطرية تعطر الارجاء والنواحي في فصل الربيع · وللثمر بعد نضجه منظر بين اغصانه الخضراء الغضاء يأخذ بمجامع القلوب · وترسل منه مقادير كثيرة الى اوروبا فيربح اليافيون به ارباحًا وافرة

اللد

اللد واقعة على مسافة اثنى عشر ميلاً الى الجنوب الشرقي من يافا ومحاطة بكثير من اشجار التين والزيتون والتوت والرمان والصبر الكثير الذي تتناثر اشواكه الدقيقة في الرياح فيصيب الاعين نصيبها منه ولذلك تكثر الامراض البصرية في اللد · وفيها محطة للسكة الحديدية وقد كانت قديمًا على طريق القوافل التجارية بين بلاد الشام ومصر · ولذلك لم تكن قليلة الاهمية

﴿ تاريخها ﴾ يدعوها العبرانيون لود ولودًا والرومانيون ديوسبوليس · ولم تكن ذات شهرة في عهد الاسرائيليين وقد سكنها البنياميون منهم بعد العودة من السبي · وسلخها ديمتريوس نيكانور عن السامره وضمها الى اليهودية دلالة على رضائه عن المكابيين · وبعد موت يوليوس قيصر باع كاسيوس اهلها عبيدًا فحررهم انطونيوس بعد ذلك بقليل · وقد سبب شفاء بطرس اينياس المفلوج من دائه انتشار الدين المسيحي فيها · واحرقها ساستيوس غالوس في طريقه الى القدس فلم يمض عليها زمان طويل حتى عادت الى العمران · ويشهد بذلك وصف يوسيفوس لها حين سلمت لفسباسيانوس بقوله عنها : انها قرية لا تقل عن مدينة في حجمها وعدد سكانها · وانه كان فيها مدرسة يهودية اسرائيلية شهيرة · وجعلها المسيحيون كرسي اسقفية في القرون الاول بعد المسيح · وبقيت في زمن المسلمين عاصمة جند فلسطين حتى بنى سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة ونقل كرسي الولاية اليها · وزهت كثيرًا في ايام الصليبيين الذين اعادوا بناء كنيسة مارجرجس فيها · ولكن لم تلبث طويلاً حتى اصابها ما اصاب غيرها من جراء الحروب وتداول الايدي لها · ويروى ان بعض المسلمين

يعتقدون ان المسيح يقضي على المسيح الدجال عند ابوابها · وقد خربها المغوليون في سنة ١٢٧١ وبقيت في حالة الاهمال الى اواخر القرن السابع عشر اذ عمرها اهالي يافا

﴿ كنيسة الشهيد جورجيوس ﴾ لم يوفق الباحثون بعدُ الى معرفة بانيها كما انهم لم يتفقوا كلهم على كون القديس المذكور دُفن فيها· واصح ما قيل انه ولد في اللد واستشهد في اواخر الجيل الثالث في نيكوديميا على اثر الاضطهادات التي ثارت على المسيحيين في عهد ديوكليشيان ومكسيميان وان عظامه نُقلت من هناك الى اللد · وقد قال البعض ان جوستينيانوس هو الذي بنى هذه الكنيسة غير ان بروكوبيوس الذي يعدد الابنية والآثار التي شادها هذا الامبراطور لم يأتِ على ذكر هذه الكنيسة في اللد بل ذكر كنيسة باسم هذا القديس في ارمينيا · والذي يتبادر الى الذهن ان كنيسة اللد بُنيت قبل تلك بزمن طويل · وقد بنى المسلمون على آثارها جامعاً في اواخر القرن الخامس عشر · غير ان الحكومة جادت به من زمن غير بعيد على الروم الارثوذكس

الرملة

الرملة واقعة على مسافة ثلاثة عشر ميلاً ونصف الى الجنوب الشرقي من يافا على ارض رملية ولذلك دعاها بانيها الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان مدة خلافة اخيه والياً على جند فلسطين « الرملة » · وقد بناها في سنة ٧١٦ مسيحية · غير ان اسمها هذا جعل بعض الكتبة يظنون بكونه محرفاً عن (رعمقايم صوفيم) المذكورة في التوراة واقتاد آخرين الى تاويله الى رامة صموئيل · وقال غيرهم انه مشتق من اريماثا المذكورة في الانجيل · ولكن المدققين لم يحفلوا بهذه الآراء لان مؤرخي المسلمين اثبتوا حقيقة زمن بنائها

﴿ تاريخها ﴾ واول ما بنى سليمان المذكور قصره ثم داراً للصباغين واسس الجامع وشرع في بنائه واتصلت اليه الخلافة بوفاة اخيه فاتمه · واتم بناء المدينة عمر بن عبدالعزيز الذي تولى على جند فلسطين بعده · وقد قال المقدسي ان المدينة كانت ذات سور وحصن واسواق · وان لها اثنى عشر باباً · وقال الادريسي ان اسواقها الكبيرة كانت متصلة بابوابها الاربعة الكبرى وانها كانت ذات اهمية كبرى لانها كانت داراً لحكومة الجند الفلسطيني وقد احرقها ايفالين في سنة ١١٧٧ · وفي سنة ١١٨٧ استولى عليها صلاح الدين غير انه احرقها بعد ذلك مع كنيسة اللد خيفة من استيلاء ريشارد قلب الاسد عليها · وبعد عقد الهدنة بين هذين الرجلين العظيمين جعلوا الرملة مناصفة ثم اعطيت كلها للصليبيين فاستخلصها منهم السلطان بيبار · وزارها بيلون في سنة ١٥٤٧ فلم يجد فيها اكثر

من اثنى عشر بيتاً وزارها نابوليون الكبير واقام فيها ليلة واحدة · وهي الآن قرية كبرى فيها نحو سبعة آلاف من المسلمين والف من المسيحيين الارثوذكس وهي مركز مديرية تابعة يافا وفيها محطة للسكة الحديدية وفندق الماني

✻ جامعها ✻ واقع في جهة المدينة الغربية الحالية وقد كان واقعاً في وسط المدينة القديمة · ولقد ذكرنا بانيه · وقد قال المقدسي انه لامثيل لمحرابه في كل البلاد الاسلامية · اما مأذنته فبناها هشام ابن عبد الملك بمواد كان المسيحيون اعدوها لبناء كنيسة بلعة وتهددهم بهدم كنيسة اللد اذا لم يعطوه المواد لبناء تلك المأذنة · فاستدل بعض كتبة المسيحيين الجاهلين حقيقة هذه الرواية من شكل هذه المواد على ان الجامع كان كنيسة ومأذنته قبة جرس · ولهذه المأذنة نظارة واسعة تحيط بكل الانحاء المجاورة

وليس هناك محلات اخر ذات اهمية كبرى بين القدس ويافا تستحق ان نفتح لها مجالاً في هذه العجالة غير عمواس التي دعاها الرومانيون نيكوبوليس المذكورة في الانجيل · غير ان الثقاة اختلفوا كثيراً في حقيقة هذا الموقع فلا يسعنا المجال لسرد آرائهم فيه

العناصر الشرقية والتقريب بينها

✻ نبذتان ✻

واحدة للفيلسوف ابن رشد وواحدة لرئيس الكلية الاميركية في بيروت

لو سئل الشرقي : اي عمل افضل الاعمال في بلادك · لاجاب ان افضل الاعمال ما كان متعلقاً بتآخي العناصر الشرقية المتعددة والتقريب بينها لتعيش بهدوء وسلام في ارض واحدة بدل ان تفني قواها في ما لا فائدة منه · ولذلك يسرنا دائماً ان نشير الى ما نجده في طريقنا من دلائل الاعتدال والالفة وعوامل التقريب والتوفيق · ولقد عثرنا في هذا الشهر على اثرين راينا من الواجب ان نشير اليهما · الاول فقرة لفيلسوف الاسلام ابن رشد مختصة بمسالة التثليث عند المسيحيين · فانه يرى فيها راياً موافقاً لراي عقلاء النصارى اليوم كل الموافقة · واليك كلامه ·

قال ابو الوليد رحمه الله في كتابه تهافت الفلاسفة يشرح مسالة النفس وصفاتها « (فان قيل) ان الفلاسفة يعتقدون ان النفس فيها امثال هذه الصفات وذلك انهم

يعتقدون انها دراكة مريدة محركة وهم معتقدون مع هذا انها ليست بجسم . والجواب انهم ليس يرون هذه الصفات هي للنفس زائده على الذات بل يرون انها صفات ذاتية . ومن شان الصفات «الذاتية» ان لا يتكثر بها الموضوع الحامل لها بالفعل بل انما يتكثر بالجهة التي يتكثر المحدود باجزاء الحدود **وذلك انما هي كثرة ذهنية عندهم لا كثرة بالفعل خارج النفس** . ومثال ذلك ان حد الانسان حيوان ناطق وليس النطق والحياة كل واحد منهما متميزاً عن صاحبه فيه خارج النفس بالفعل واللون والشكل . ولذلك يلزم من يسلم ان النفس ليس من شرط وجودها المادة الا يسلم انه يوجد في الموجودات المفارقة بما هو واحد بالفعل خارج النفس كثير بالحد . وهذا هو مذهب النصارى في الاقانيم الثلاثه وذلك انهم ليس يرون انها صفات زائدة على الذات **وانما هي عندهم متكثرة بالحد وهي كثرة بالقوة لا بالفعل** ولذلك يقولون انه ثلاثة «في» واحد اي **واحد بالفعل ثلاثة بالقوة** . »

والاثر الثاني خطبة وجيزة القاها حضرة المفضال رئيس الكلية الاميركية في بيروت يوم الاحتفال بتذكار المولد النبوي . وقد وجدنا خلاصة هذه الخطبة في رصيفتنا ثمرات الفنون الاسلامية الغراء التي تطبع في بيروت فنقلناها عنها حسب روايتها قالت الرصيفة

« اتصل بنا انه في يوم الاثنين الماضي المصادف لذكرى المولد النبوي الشريف قام حضرة الفاضل الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية الجديد واعظاً في منتداها وقال

« اليوم يحتفل اخواننا المسلمون بذكرى ميلاد عظيم من عظام الانبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) ومع ان للمسيح المقام المعلوم الذي نعتقده ينبغي لنا ان نفكر بمقاصد ذلك النبي العربي الكريم ونجعل حياته نصب اعيننا

« ثم استشهد الرئيس بكلام (لكرليل) الكاتب الشهير هاته خلاصته

« كلام مثل هذا العظيم (يعني النبي محمد صلعم) هو لسان الفطرة وروح الوجود وعلى العالم ان يصغوا له . قد كان يجول في خاطره اثناء رحلاته وحجه كثير من المواضيع الكونية المعضلة . منها ما انا ؟ وما هذا الوجود الذي لا يسبر غوره ولا يعرف سره ؟ ماهي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ ماذا اعمل ؟ وكان يطلب عليها مجيباً . لكن صخور حراء وسيناء ورجال الفيافي الموحشة والسماء المحيطة مع نجومها المتلالئة لم تشف غليلاً ولم ترد جواباً . من هاته لا ينتظر كشف المعميات . لكن قلب الرجل وما اودعه الله هناك من الوحي هما عليهما كشف الحقائق ورفع الستور

« وفي رمضان سنة ٤٠ من حياته صعد يوماً الى جبل حراء للتفكر ثم رجع لزوجته

خديجة واخبرها انه بتعطف الهي يعجز اللسان عن وصفه عرف الحقيقة واهتدى لامور الكون وان كل هاته الاوثان اخشاب لا تسمن ولا تغني من جوع . وان تلك التقاليد الدينية هي بقايا لا معنى لها ولا فائدة فيها . وان ثمة الهاً عظيماً بيده مفاتيح الكون واليه ترجع الامور . خالقنا وهو يحفظنا . وما الموجودات الا ظله تعالى

« الله اكبر من كل كبير . والاسلام هو التسليم لمشيئته وقدرته . قال غوث (اشهر شعراء الالمان) اذا كان هذا هو الاسلام امانحن في وسط الاسلام عائشون؟ انتهى باختصار يسير

نقول والمقصود مما تقدَّم اظهار ان الاعتقاد بالله تعالى وتسليم الامور اليه والاتكال عليه كافٍ لان يكون رباطاً يجمع جميع البشر على الاخاء والتعبد له . لان العدو الحقيقي للاديان في هذا الزمان انما هو الجحود والتعطيل . و بذلك تكسد بضاعة التعصب والتفريق والتضليل

حادثة السرب

لجناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

ذكر مقتل الملك اسكندر والملكة دراجا زوجته التي كانت من نساء امه وتزوج بها لحبه لها وقد قتلها رؤساء الجيش هجوماً على قصرها كالوحوش الضاربة

قُتل الحب ياليـالي الودادِ	فاسلمي بالقلوب والأكبـادِ
مهجة تلتظي غراماً ولكن	الف قلب يغلي من الاحقاد
وصدور كالنار غطي عليهـا	من سواد الرياء شبه الرماد
وهموم الحيـاة تُخلق للقلـ	ـب وأي امرىء بغير فؤاد
ما أمنا الزمان الا كما يأ	من ابليس زاهد الزهـاد
كل يوم بصيح بالناس صوت	كضجيج «الساعات» في الميعاد
أين من يأ من العوادي والنا	س بأجناسهم ثمار العوادي
من تدعه فريثما يدرك النضـ	ـج ورب البستان بالمرصاد
وقتيل من كان في الغاب حياً	تتولاه أعين الآسـاد
انمـا الناس ما يخلده النـا	س وان كان امرهم للنفاد
ان ذكر الذين شادوا وسادوا	لم يزل راسخاً على الاطواد

واذا المرء اودع الارض سرًا نبشت سره يد الآباد
ان تشأ ان ترى حديثك بعد الموت فانظر الى حديث العباد
كم ترينا الايام من عبر شتى كأنّ الايام في استعداد
واراها في عبرة قد طوتها كانطواء (المليون) في الاعداد
في مليك كساه امس جلالاً وغدا اليوم بالي الابراد
كان فوق السرير فانقلب الدهر فامسى به على الاعواد
وقضى العمر يوم عيد فلما مات ضنّت ايامه بالحداد
ومن الهم ان ترى عين باك ادمعُ الموت غير ادمع الميلاد
شدّ ما يؤخذ الظلوم اذا ما سار في الناس سيرة استبداد
انما انفس الانام سيوف ان تُحرك سالت من الاغماد
اين من كان في الثغور ابتساماً وهو اليوم مضغة الحساد
اين من كان في البلاد رجاء وهو اليوم عبرة في البلاد
سطروا ذكره على صحف التاريخ من سوء فعله بمداد
واروه ان الفساد وان طال فعقبى اموره للفساد
لم يكن يجهل الرشاد ولكن عمي الحب عن سبيل الرشاد
واضلّ الهوى هوى ملك الارواح يبغي محاسن الاجساد
ان للتاج ربة لا تزين التاج الا بطلعة الاولاد
لا كتلك التي هي الصدف الفارغ نحساً لطالع الصياد
عذلوه فيها فكان مريضاً ساخرًا بالطبيب والعوّاد
واذا كان للخطيئة عذر اي عذر لمخطئ في التمادي
ابعدوها عن القلوب فلم يرض وصعبٌ تجاور الاضداد
هو القي في النار فحماً فلما اجّ لم يختطف سوى الوقاد
ليس للملك من يسوق هواها حامل التاج مثل سوق الجياد
انضجته بالحب حتى اذا ما بلغ النضج اطعمته الاعادي
وارته العينان ان بياض الحظ قد شابه الهوى بسواد
جردت من لحاظها فاتكات جرأت كل تلكم الاجناد
ليتها حين لم تقده لمجد لم تخلّ الزمام «للقواد»

ليتها حين أسهرته عليها ما جزته بمثل هذا الرقاد
قتلته ببغيها وتلته وترى البغي جامعاً كالوداد
اي ايدٍ قد بدلت ذلك الود بحب الرصاص فوق الهوادي
او ماخافت الكواكب ان تسـ قط من غيرة على الاجياد
ما لتلك اللحاظ وهي حداد اصبحت في العذو غير حداد
لم تؤثر في قلبه نظرات ربما اثرت بجسم الجماد
قتلوا ظبية القصور ولكن قتلة الصائدين جبة وادي
حسبوها فأراً وهم قطط البيـ ت فلم ياكلوه قبل الطراد
وكذا يقدم اللصوص اذا ما ابصروا الرأس مال فوق الوساد
ما ارى هذه الشهامة الا حمقاً من فظاظة الاكباد
عربدوا في الدم المراق وما الوحـ ش اذا اغتال يترك الدم بادي
وكذاك اليهود من قبل عدوا يوم صلب المسيح في الاعياد

اولاد الفقراء ومصائفهم

﴿ اختراع اميركاني ﴾

مما يطيب ذكره للدلالة على اهتمام الغربيين بالاعمال العمومية النافعة اختراع للمستر ويلرد برسنس احد رعاة الدين في احدى قرى بنسلفانيا في الولايات المتحدة . وهذا الاختراع يدوي الآن في اوربا لدى علماء الاجتماع دوياً شديداً . فان هذا الرجل خطر له في سنة ١٨٧٧ ان يأتي بتسعة اولاد من شوارع نيويورك ويُسكن كل واحد منهم لدى مزارع في قريته مدة ١٥ يوماً . وكلما انقضت هذه المدة كان يعيد اولئك الاولاد الى نيويورك ويأتي بغيرهم . فما انقضى فصل الصيف حتى بلغ عدد الاولاد الذين تمتعوا بالاصطياف بلا نفقة نحو ٦٠ ولداً . فخطر حينئذٍ للمستر برسنس ان يعمم هذا العمل . فانشأ جمعية كبرى غرضها ارسال الاولاد الفقراء من المدن السوداء الى البرية ليتمتعوا باستنشاق الهواء النقي ومشاهدة الحقول الخضراء ولو ١٥ يوماً في السنة

وقد ارسل المستر برسنس في عام ١٨٧٧ — ٦٠ ولداً فقط . اما اليوم فجمعيته ترسل

في كل نصف شهر ٢٠ الف ولد الى البرية ليقيموا فيها ١٥ يوماً و٣٠ الف ولد ليقيموا فيها يوماً واحداً . وقد بلغت ميزانية الجمعية في العام الماضي ١٤٠ الف فرنك مجموعة من اهل الاحسان الذين يرومون نفع اولئك الاولاد . اما نفقة ارسال الولد فهي لا تتجاوز ٩ فرنكات اذ لا يُدفع عنه سوى اجرة السكة الحديدية لتناوله كل ما يحتاج اليه من بيت مضيفه

والفائدة الاجتماعية الكبرى من هذا العمل المفيد انما هي في خروج اولئك الاولاد المساكين خمسة عشر يوماً من وسَطهم واقامتهم في وسط هادىء يجدون فيه كل شروط الادب والتهذيب والنظافة وجودة الغذاء . فيعقد بين الاولاد وبين مضيفيهم عهود الصداقة والوداد منذ الصغر . قال احد مضيفيهم « والغريب ان تأثير هؤلاء الاولاد على مضيفيهم يكافيء هؤلاء على ما يحسنون به عليهم . فانهم يبقون البركة وراءهم . ويعطون اكثر مما ياخذون . ذلك انهم يؤثرون في القلوب . فان اهالي بلادنا سمعوا كثيراً من العظات عن الصدقة والاحسان غير انهم كانوا لا يلبثون ان ينسوها . ولكن اقامة هؤلاء الصغار عندهم جعلت في نفوسهم من الاحسان صورة لا تُنسى »

ويؤخذ من الاحصاء الاخير ان الفي ولد من الاولاد الذين ارسلوا الى القرى وردهم بعد رجوعهم الى مدنهم دعوات من مضيفيهم يطلبون فيها ان يعودوا اليهم كل سنة . ومنهم من تزوج في القرية التي كان يذهب اليها . ومنهم من استخدم عند مضيفه واقتصد مالاً فابتاع به مزرعة صغيرة ثم تزوج بابنة سيده . ومنهم من أجبر اهله على ترك المدينة للاقامة في البرية لانه لم يعد يجد لذة في الاقامة بين الاقذار والاوضار . فكأن هذه الجمعية المفيدة تعاكس فعلاً قبيحاً للتمدن . فان التمدن يخطف الفلاح من قريته الهادئة ليحشره في المدينة السوداء اما هي فانها تخطف ابن المدينة وترسله الى الخلاء ليقوم فيه مقام ذلك المغتر بجمال المدن .

تلاعب الحسان بعقول الفتيان

✻ او الشاب المغرور في الازبكية ✻

لحضرة محمود افندي خيرت معاون مركز ادفو

يامن لنا عهدٌ لديه وموثقُ   العفو اولى بالكريم واليقُ

لم اجنِ ذنباً في هواك وانما   هم زوّروا لك ما سمعت ولفقوا

ولقد رجوت الصبر بعدك باطلاً والقلب يا أبي والمدامعُ تسبقُ
فقصدتُ نحو الازبكية عانيًا امحو بها تلك الهموم وامحق
ودخلت اجمل قهوة مع صاحبٍ صادفته واخو الهموم موفقُ
وجلست اذجلس الصديق ولاتسل عما حواه المجلس المتأنق
قد زُينتْ بالكهربا ارجاؤه حتى كأن الشمس فيه تشرق
وغدت مراوحه تدورُ كأنها طيرٌ يرفرف والهواء يصفق
واجمع الى هذا الجمال اوانساً يبرزن للقلب الخليِّ فيعشق
ولقد تكلفت الحديث وصاحبي في شاغل يرنو لهن ويطرق
يشكو الهوى سرًا وخاطر فكره وجدًا يغرّب تارةً ويشرّق
حتى دنت من بينهن مليحةٌ روميــة ترمي القلوب وترشق
فتنفس الصعداء لما اقبلت وفؤاده وجدًا بها يتحرق
جلستْ بجانبــه تخامره الهوى واخو الخلاعة بالتهتك اخلق
قالت له ما ذا تريد (أبيرةٌ) ؟ فاجاب لا . كنياكُ . ذلك اوفق
واذا سمحتِ فجالسينا لحظـةً ثم اطلبي ما تشتهين وا نفق
فتهللت فرحًا واسرعتِ الخطـا مدفوعةً فكأنما هي زئبق
ثم انثنت من بعدها وبكفهـا خمرٌ تذيبُ بها القلوب وتحرق
خمرٌ معتقةٌ ولكن الذي يحيي بها عبد لها لا يُعتق
ولقد نصحت الى الصديق وكلما محضته نصحي يزيد ويحنق
فتركتها لفنونهـا وتركتـه لجنونه وهو الجنون المطلق
ولبثت انظر ما يكون من الهوى في امره وانا عليه مشفق
فاذا هما يتغامزان وصاحبي بادي الهموم وفكره متفرق
فاسترجعتْ قالت وقد لمحت على احدى يديه خاتمًا يتألق
دع عنك حب الغانيات فلست من اربابه حتى تلاقي ما لقوا
ان كنت تهوى اين تذكار الهوى يا ايها المتلون المتملق
ورمت باسرع ما يكون لكفه يدَها . فابعدها . فقامت تُبرق
وجرت . فامسك ثوبها . فتفلتت منه وادمعه تسيل وتنطق
فسعى بخاتمه لها واعادها والاشعبية لا ترق وترفق

وادار رنات الكؤوس فاوشكت روحي تذوب لهول ذاك وتزهق
وعجبت من هذا الذي شاهدته فكتمته والصدر مني ضيق
حتى دنا الميعاد فانصرف الورى وهو الذي فيه الملاهي تغلق
وبدت مصابيح المحلة تنطفي شيئاً فشيئاً والظلام يحلّق
فتعجلته على الحساب ودفعهِ والهم يحتاط الفؤاد ويحدق
فرمى لها عشراً من الذهب الذي يرنو له قلب الفقير فيخفق
ثم انثنى فتكلفت توديعه والغرُّ يحسبها تحبُّ وتصدق
فتبعته عدواً فلم اعثر به وانا احدق في الدجى واحقق
فقصدت ساحة بيته وانا الى ما كان بعد خروجه متشوق
فاذا به قطع الطريق له على قدميه (١) وهو يكاد غيظاً يصعق
فعجبت من نزق الشباب وجهله وكذاك يفتقر الغنيُّ الاحمق

آثار الشرق القديمة

برغاميا وفنونها الجميلة

انشأَت المانيا في برلين متحفاً جديداً دعته «برغامون» لتجمع فيه آثار برغاميا وفنونها الجميلة

﴿ برغاميا الاولى والثانية ﴾ ويُطلق اسم برغاميا عادة على مدينتين . الاولى مدينة ترواده المشهورة التي زعم الدكتور شليمان انها كانت حيث قرية حصارلك التركية اليوم . والثانية مدينة في آسيا الصغرى كانت فيما مضى عاصمة لمملكة كبيرة وهي المقصودة في هذا الفصل . وقد كان لهذه المملكة شأن يُذكر في عهد ليزيما كوس (احد قواد اسكندر المكدوني) الذي استأثر بها بعد وفاته وانقسام سلطنته . ثم اخذت برغاميا تترقى حتى صارت في عهد ملكها اتال الاول والثالث (سنة ١٣٣ ق م) من اقوى ممالك آسيا واهمها . وقد انشأ فيها ملوكها كثيراً من المباني العمومية والخصوصية وزينوها بالفنون اليونانية الجميلة

(١) اشارة الى انه لم يبقَ معه شيء من المال يركب به الى منزله

﴿ فنونها وآثارها ﴾ وقد مضت على الالمان عدة سنوات وهم يحفرون و يبحثون في آثار برغاميا فتمكنوا من جمع قطع هيكلها القديم واعادة تركيبه · ووجدوا كثيراً من التماثيل والنقوش التي كان البرغاميون يمثلون فيها حوادثهم وخرافاتهم · منها تماثيل تمثل حرب الآلهة وابناء السماء الذين تمردوا عليهم (التيتان) ـ و بيان ذلك ان فريقاً من المخلوقات كانوا يدعون عندهم « ابناء السماء والارض » تمردوا على الالهة لانها لم تكن تسمح لهم بالصعود الى السماء فصاروا يركبون جبلاً على جبل قصد الارتقاء اليها · فلما رأت الآلهة ذلك هاجمتهم واشتبك القتال بين الفريقين · وغني عن البيان انه انتهى بانتصار الالهة · ففي التماثيل التي وجدت في برغاميا منظر الآلهة وابناء السماء آخذون بعضهم برقاب بعض بشكل في غاية الجمال · منها شاب من ابناء السماء يسقط مصعوقاً بضربة من مينرفا الاهة الحكمة · وكل آثار هذه الفنون تدل على ان الفن البرغامي فنٌ مستقل بذاته · لان الفن اليوناني الذي تقدمه كان يمتاز بالهدوء والسكينة لاعتماده على ارقى صور الكمال في النقش · واما الفن البرغامي فاعتماده على الحركة والهياج · لذلك ترى اكثر آثاره منقوشة بحالة الحركة والهياج الشديد · ولكن في الفن البرغامي ما ليس في الفن اليوناني الكامل القديم من تمام معرفة الجسم البشري وابراز حالاته النفسانية باتقان غريب ·

﴿ الامبراطور غليوم ومتحفه ﴾ ويوم افتتاح هذ المتحف الالماني في برلين القى الامبراطور غليوم خطبة لانه يخطب في كل شيء · فقال ان الفن العصري المبني على الاصول الطبيعية العملية افضل من الفن القديم المبني على التصور والخيال · فردَّ عليه علماء الفنون بقولهم ان الفن الطبيعي الذي يطلب تمثيل الموجودات الحقيقية ان هو الاَّ عبارة عن رد فعل للفن التصوري الخيالي ولذلك كان في آثار برغاميا كثير من الفن الطبيعي · ـ نقول وهذه الحرب بين الطبيعي الموجود و بين الخيالي الكمالي كائنة اليوم في كل مكان وفي كل فرع من فروع العلوم والفنون

باب الاخبار العلمية

﴿ كانت الخرطوم بحراً ﴾ بحث العلماء حديثاً في جيولوجية افريقية · وهناك مذهبان فيها · المذهب الاول المذهب القديم وهو الاعتقاد بان البحر كان داخلاً

في صحراء ليبيا ممتداً من النوبة الى الخرطوم دون ان يصل الى بحيرة تشاد . والمذهب الثاني مذهب المسيو لابران احد اعضاء المجمع العلمي . فان الكابتن غاردن ارسل اليه حفريات وجدها في الصحراء الافريقية بين النيجر وبحيرة تشاد فظهر له انها شبيهة بكثير من الحفريات التي وجدت في نواحي باريز . فاستنتج من ذلك ان البحر لما كان غامرًا باريز كان غامرًا افريقيا حتى بحيرة تشاد والنيجر

هل هنود اميركا آخذون بالانقراض لا يألو المستر بوب والماجور بول الاميركيان جهداً في نقض ما يعتقده الناس من ان هنود اميركا آخذون في الانقراض . وقد اثبتا رايهما باحصاءات عديدة ونشر رسوم مدارس اولئك الهنود وصور عائلاتهم وطلبتهم فاذا بهم لا فرق بينهم وبين المتمدنين في شيء

التصوير الفوتوغرافي بالتلغراف عرض المسيو كورن على مجمع العلوم في باريز اختراعًا يقدر به وهو في مرسيليا ان يصور بالفوتوغراف رجلاً مقيماً في باريز وذلك بان يقف الباريزي امام سلك ممتد من باريز الى آلة الفوتوغراف في مرسيليا . ولكن هذا الاختراع لا يزال ناقصاً وهو آخذ في اكماله

علاج للتتانوس كانو يعالجون التتانوس بمصل يستخرج لهذا الغرض اما اليوم فقد ابلغ الدكتور كالمت مجمع العلوم انهم يستعملون بدل المصل مسحوقًا مصنوعًا منه ليتمكنوا من نقله الى اقاصي البلدان دون ان يطرأ عليه طارئ . ومما قاله في بلاغه هذا ان اي جرح يلحقه التراب او الوحل يمكن ان يُصاب بالتتانوس اذ تكون ميكروباته كامنة في ذرات التراب .

قتل اللبن للاطفال بلغت وفيات الاطفال الذين يرضعون من الممصات الصناعية (الرضاعات) في باريز ٢٣٠ طفلاً في اسبوع واحد مقابل ٣٩ طفلاً يرضعون من الثدي . ولا سبب لذلك غير رداءة اللبن الذي يتناولونه لان تجاره يغشونه ويمزجونه بمياه فاسدة . فيجب الانتباه جيدًا الى لبن الاطفال عندنا .

نفقة العائلة في اليابان بشهر واحد حسبوا ما تنفقه عائلة معلم من معلمي اليابان اذا كانت مؤلفة من زوج وامراة وولد فاذا به في شهر واحد ٢٨ فرنكاً . هذا مع ان اثمان المواد ارتفعت كثيراً بعد حرب اليابان مع الصين . فلا ريب في ان المعيشة في اليابان رخيصة جدًا وربما كانت شبيهة بمعيشة الشرقيين منذ ٤٠ سنة .

اولادهم واولادنا ذكرنا في باب المقالات (مصائف الاولاد) في

اميركا وهنا نذكر مكاتبهم . ففي بوسطن من اعمال الولايات المتحدة مكتبة للاولاد في الطبقة الثانية من المكتبة العمومية فيها نحو ١٠ الاف مجلة من كل ما يحب الاولاد الاطلاع عليه كالقصص والتواريخ والسياحات والصور والكتب المفيدة . وقاعة المكتبة تسع ١٥٠ ولداً وفيها فتيات لرعاية الاولاد واحضار الكتب لهم . وفي ايام الآحاد والاعياد يضاف رجلان لمساعدتهن لكثرة عدد الفتيان والفتيات الذين يتوافدون على مكتبتهم . وجميعهم يجلسون و يطالعون بكل لطف وادب . وكبارهم يأتون باخوانهم الصغار ليروهم الرسوم ويقرءوا عليهم بعض القصص . ولم يُذكر قط ان احدهم خطر له يوماً ان يسرق كتاباً او صورة من المكان . وقد بلغ في العام الماضي عدد الكتب التي طلبت ٦٤٦٨٦ كتاباً . ويجوز لهم ان ياخذوا بعضها الى الخارج — فلا عجب ان يصبح اولادهم رجالاً في كبرهم ما دام هذا هو الوسط الذى يربونهم فيه ويكون اولادنا على ما تعرف من احوالهم ما دام وسطهم القهاوي والحانات والشوارع والاجتماعات الفارغة التي يتعلمون بها سوء الخلق بالقدوة السيئة .

باب التقريظ والانتقاد

الاحتلال في مصر والهند

اليتيم

بقلم جناب احمد افندي حافظ عوض

في مصر — وكل بلاد تحتلها سلطة اجنبية — حزبان . حزب يكره هذا الاحتلال لانه في منزلة القتل لحرية الامة . وحزب لا يرى امكان التقدم والارتقاء في مصر مع وجود العناصر المختلفة فيها الا بقيام سلطة عليا فوق جميع هذه العناصر لتساوي بينها مساواة مطلقة في الحقوق العمومية . والعادة انه اذا رسخت قدم الاحتلال وظهر انه لا أمل للبلاد المحتلة بالتخلص منه ان ينقسم سكان هذه البلاد الى ثلاث فئات : الاولى تتنفس الصعداء لأنها على اشيائها وحينئذ تطلق اموالها من قيودها لتستثمرها في بلاد امينة وتبتاع الاملاك والاطيان وتؤلف الشركات اي تعمل عمل مقيم اقامة نهائية . والثانية تبقى مطالبة بحق الحرية والاستقلال

وحكومة الذات بالذات والوعود والعهود وذلك باسم المبادىء الطبيعية الابدية التي لا يجوز نقضها . والثالثة ترى ان القوة هائلة لا تقاوَم فاذا قاومت خسرت الفوائد التي تنتج عن المسالمة فتدير الظهر للاستقلال وتعمل على طلب الفائدة ـ ولكل فريق من هؤلاء الثلاثة حجج قوية يؤيد بها رأيه .

وامامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير الفائدة عنوانه « هنا وهناك » بقلم جناب احمد افندي حافظ عوض احد محرري جريدة المؤيد . وموضوع هذا الكتاب بحث في حالة الاحتلال في الهند ومقابلته بالاحتلال في مصر . ويظهر من مطالعة صفحاته ان جناب المؤلف من الفئة الثانية وبذلك يكون على خلاف مع جريدته لانها صارت في المدة الاخيرة في جملة الفئة الثالثة . قال جنابه في الصفحة ١١ ,, والذي يطالع الجرائد التي يحررها الهنود انفسهم باللغة الانكليزية يتوهم من اول وهلة ان الانكليز اصلحوا البلاد الهندية تماماً ورقوا اهلها ونظموا امورها لما يقرؤه من الثناء والمدح في سياسة انكلترا فيقول الانسان اذا كان هذا ما يقوله الهنود انفسهم فهو اعظم برهان على تقدم البلاد الهندية وارتقاء احوالها واصلاح امورها . ولكن الباحث المدقق الذي لا يأخذ الامور بظواهرها لا يكتفي بذلك . وحقيقـة انه لا يكاد يفرغ الانسان من تلاوة اقوال المدح والثناء والتبجيل والاجلال لانكلترا واعمالها حتى يجد في الصحيفة التالية او في النهر التالي لما قرأه من الجريدة شكوى من القحط او المجاعة او الفقر او سوء الادارة في الحكومة الهندية مصحوباً كل ذلك بالتعطف والرجاء وان شئت فقل بالمدح والثناء حتى يكاد يضيع صواب القارىء ولا يعرف اي القولين يصدق عن اعمال انكلترا . واذا طالع الانسان الجرائد التي يحررها الانكليز يجد في كل صحيفة وفي كل نهر من الجريدة ما يراه في بعض الجرائد المصرية التي اخذت على نفسها ان تبرر اعمال الانكليز دائماً بغير تمحيص او تدقيق وتحرق لهم بخور الثناء في كل صباح ومساء وهو ما لا يحبه ولا يقول به الانكليز انفسهم ,, . وقال في الصفحة ١٤ ,, وما غرضي من ذلك بعد ان امتنعت زمناً طويلاً عن الكتابة في السياسة قاصراً نفسي على المباحث الاجتماعية والادبيـة وما يجري مجراها الا خدمة بلادي بان اوضح للناس حقيقة اعمال الانكليز في الاقطار الهندية ليكونوا على بصيرة من حاضرهم ومستقبلهم اذ ان المثال اوضح من النظرية والواقع اصدق من كل شيء . فانا اعتقد ان الهند هي خير مثال لسياسة انكلترا وكل ما يصدق عليها او ما تم لها يصدق علينا او سيحصل لبلادنا عاجلاً او آجلاً ,, . وقال في الصفحة ٥٨ ,, سترى من الجدول الآتي هل صدق الانكليز في وعودهم مع الهنود حتى ننتظر منهم الصدق في عهودهم

معنا . ولا يفلح شعب يسلّم نفسه لغيره سياسياً ومالياً وادبياً وتجارياً ،،

وفي هذا الكتاب فوائد كثيرة موءيدة بالارقام عن الهند وسياستها وتجارتها ونهضة العنصر الاسلامي فيها فنحث القراء في الهند على اقتنائه ومطالعته

اما اليتيم فهي رواية صغيرة للموءلف نفسه ايضاً وقد كتبها عند خروجه من المدرسة واعادت طبعها الآن مسامرات الشعب . ويظهر ان اكثر هذه القصة كانت عن نفسه

البوءساء

تعريب حضرة الشاعر المشهور حافظ افندي ابراهيم

كتاب « الميز رابل » اشهر كتاب لفيكتور هيغو . بعضهم يرفعه الى السحاب فوق كل كتاب وبعضهم يضعه في مرتبة باقي الكتب الجميلة الاعتيادية . قال المسيو بول بورجه احد رجال الاكاذمية الفرنسوية في مقالة كتبها بالفرنسوية لجريدة التيمس ونشرتها هذه الجريدة في يوم الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على ولادة هيغو « ان فيكتور هيغو لم يبتدع شيئاً مهماً في هذه الرواية . بل كل ما ذكره فيها سُبق اليه . فان الراوي اوجين سو سبقه الى وصف مكنونات باريز وشقائها وطلب الرحمة لضعفائها . غير ان الشيء الوحيد الذي اخترعه هيغو في روايته هو الصبي كفروش الذي وصف فيه صبيان الازقة في باريز وصفاً صار مضرب المثل »

ولكن مهما قيل في رواية « الميزرابل » فانها تبقى عبارة عن محكمة اجتماعية عظيمة خاصم فيها فيكتور هيغو وحده الهيئة الاجتماعية الحاضرة وجعلها تنكس رأسها واجبر المحكمة بالحكم عليها . وقد سرَّنا ان جناب الشاعر المشهور حافظ افندي ابرهيم اقدم على تعريب هذه الرواية وابرز الجزء الاول منها . ونحن على ثقة من انه متى اتمّ جنابه تعريبها واطلع قراء الشرق على موضوعها بالتمام فقلّما يجدون فيها امراً غريباً من حيث الاخلاق الفاضله المقصود وصفها لان تصورات الشرقيين قريبة جداً من التصورات الدينية والانسانية التي هي جمال هذه الرواية وذلك لتمسكهم بشرائعهم الدينية ورؤيتهم في تاريخها كثيراً من الافعال الجميلة التي بالغ المؤلف في وصفها واطرائها

ونحن نشكر لجناب المعرب الفاضل خدمته الادب . انما نرجوان يسمح لنا بملاحظة صغيرة . وهي ان طريقة هيغو في الكتابة كانت طريقة الرومانتيك ولقد كان هيغو زعيم هذه الطريقة في فرنسا وهو الذي نصرها على طريقة الكلاسيك بروايته هرناني كما شرحنا ذلك في ترجمته

في الجزء السابع من السنة الثالثة (الصفحة ٤٣٥) فلو قام اليوم هيغو من قبره ورأى ان مترجمه قد ترجم كتابه بطريقة الكلاسيك لاستاء كثيرًا منه لانه كان اعدى اعداء هذه الطريقة التي تأسر روح الكاتب وتجعله يهتم بالالفاظ اكثر من اهتمامه بالمعاني . ونحن نرجو مع محبي هذه الرواية الاجتماعية ان يعدل عن هذه الطريقة في اجزائها المقبلة ويحرص على الاصل ويتابع تصورات هيغو الفلسفية اذا كان يحرص على جمال الرواية ويروم ان تروج في اللغة العربية رواجًا حقيقيًا . والاَّ فانه يجني على المعلّم هيغو جناية لا نظنه يرضاها له اذ يجعله صغيرًا حتى بازاء الكتَّاب المعاصرين فضلاً عن المتقدمين

لحن كيوتزر

تاليف الفيلسوف تولستوي وتعريب جناب رفول افندي سعاده

نشرت رصيفتنا جريدة المناظر الغراء في سنتها الماضية رواية للفيلسوف تولستوي معربة بقلم جناب رفول افندي سعاده عنوانها "لحن كيوتزر" . واتفق اننا في ذلك الحين كنا نقرأ جريدة الطان فرأينا فيها عن هذه الرواية خبرًا غريبًا . وخلاصة هذا الخبر ان احد ناشري الكتب في الولايات المتحدة نشر هذه الرواية فيها فكان لها دوي شديد ونفدت نسخها كلها في شهر واحد . وقد سرت مبادئها في نفوس قرائها فكره كثير من الازواج المعيشة الزوجية الاعتيادية وصاروا يميلون الى معيشة العفاف حتى مع زوجاتهنَّ لانَّ من مبادىء تولستوي ان اجمل واشرف معيشة يعيشها الرجل هي المعيشة بعيدًا عن المرأة وقد قال : ان المسيح بقوله « من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنا في قلبه » قصد به كل امرأة حتى الزوجة ايضًا . وعلى هذا بنيت هذه الرواية

فلما رأى ناشر هذه الرواية رواج روايته الى هذا الحد . كتب الى تولستوي كتابًا طويلاً يطلب منه رواية اخرى . وبعد ان ذكر له ذلك الرواج العظيم الذي اصاب روايته قال : وبناء على هذا فانني اقدّم للفيلسوف ثلاثة ريالات اميركية عن كل كلمة من روايته الجديدة مهما كان عدد صفحاتها

ولكن هل يعلم القارىء ماذا كان جواب تولستوي على هذا الطلب ؟ اليك خلاصة جوابه . قال : بما انك تربح من رواياتك الى هذا الحدّ فيجب عليك ان تخفض قيمتها للناس . اما انا فلا ابيع كتاباتي بالمال

قال الكاتب الذي روى هذا الخبر : ولكن ما ضرَّ تولستوي لو قبل تلك العطية الملوكية

ثم وهبها للفقراء والمحتاجين ما دام في غنى عنها

وقد جُمعت رواية « لحن كيوتزر » على حدة بعد نشرها في جريدة المناظر وقدَّم لها حضرة معربها مقدمة اجاد فيها حيث قال — « ولكن اذا كان الفكر هو الذي يصنع الرجل كما قال شاتوبريان ولا يستطيع ان يقاتل ذلك الفكر الا الفكر نفسه كما قال بنجامين كونستان فعبثاً يحاول جماعة من الروس الضغط على استاذنا الاعظم تولستوي وعلى مؤلفاته » ثم قال « وعند ما ثار عليه اضداده جاءه صديق واخبره بما ينسبون اليه وبما يعيرونه به فابتسم وامسكه بيده واخرجه الى خارج البيت وكان اذ ذاك وقت الهاجرة وقال له مشيراً الى الشمس — هل ترى هذا الكوكب العظيم الذي يسبح في الفضاء فوق رؤوسنا لا يحجبه عنا شيء · فقال نعم اراه — فقال له — هل يمكنك ان تحدق نظرك فيه جيداً · فقال كلا لان الاشعة القوية المنبعثة عنه تضرُّ بباصرتي · فقال له الفيلسوف وهكذا الحقيقة تظهر واضحة لكل الناس ولكن لا يتجرأ الكل على الجهر بها لانها تجرح

فنحن نشكر حضرة المعرب لاخراجه هذه الرواية الجميلة الى اللغة العربية · انما كنا نود لو حذف من بعض صفحاتها بعض العبارات التي « تخدش الآذان » كما يقولون · نعم نحن لانجهل ان الرواية كلها مبنية على « ذلك الموضوع » ولكن ما هذا بعذر لها عندنا اذ كان في الامكان الاكتفاء باشارات نحيفة اليها · وانما عذرها الحقيقي عندنا ان القارىء يكره « ذلك الموضوع » وينفر عنه بعد وقوفه على عباراته بدل ان يتهيج له ويميل اليه · وهذا هو السر في التهذيب والفائدة من المطالعة

وستلخص ،، مجلة السيدات والبنات ،، في جزئها الآتي شيئاً من هذه الرواية لانها رواية نسائية محضة

﴿ الخطوة الاولية ﴾ لقد خدم جناب شكري افندي الخوري ابناء وطنه في البرازيل خدمة تُذكر فتشكر بوضعه لهم كتاباً يتلقون به اللغة البرتغالية اللغة الشائعة في تلك البلاد · وقد بدأ كتابه بمقدمة هذه فاتحتها « يستغرب الواقف على هذا الكتاب اذا كان يعرف جامعه معرفة شخصية ويعرف عدم تضلعه باللغة البرتغالية · اما انا فاقول ان هذا الضعف في معرفتنا لغة البلاد كان الحامل على نشر هذا الكتاب » · فنحن نشكره بلسان المهاجرين الذين يحتاجون الى كتابه على هذه الخدمة المفيدة

﴿ اللائحة الجلية ﴾ هي خلاصة اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت في السنة الماضية · وقد طبعت بمصادقة سيادة الحبر الجليل السيد جراسيموس مطران بيروت وتوابعها ومنها

يؤخذان دخل الجمعية بلغ اكثر من ١٩٣ الف غرش ونفقاتها اكثر من ١٢٣ الفاً منها ١٧ الفاً احسانات شهرية وغير شهرية و ٥٨ الفاً رواتب اساتذة و١٩ الفاً لابنية جديدة و ٩ الاف رسوماً اميرية . والذي سرنا في هذه الارقام ان نفقات التعليم تبلغ اكثر من ثلث النفقات العمومية فيا حبذا لو كانت تزيد على نصفها فان كل ما ينفق في هذا السبيل يذهب في احسن طريق سواء كان ذلك لزيادة عدد المدارس وترقية التعليم او كان لمكافأة المعلمين الافاضل الذين يبذلون دماءهم في مهنة هي اشق المهن واجلّها

❊ **الخدمة المدرسية** ❊ اهدانا حضرة الفاضل جرجس افندي الخوري المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام نسخة من كتابه المدرسي « الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد اللغة العربية » وقد توخى فيه تسهيل قواعد الصرف والنحو للمتعلمين المبتدئين بناء على اختباره الطويل في صناعة التعليم . فنحث المعلمين على الاطلاع عليه ومقابلته بالكتب التي بين ايديهم لعلهم يجدون فيه من السهولة ما هو ضالتهم المنشودة . وهو يطلب من جناب مؤلفه في طرابلس الشام .

❊ **النجم** ❊ هو كراس وضعه حضرة كامل افندي الخلعي وفيه ملح وفكاهات وحكم منها : كان رجل مصارع يكون ابداً مصروعاً . فترك الصراع وتعلم الطب . فقال احد الفلاسفة : الآن يصرع الناس .

❊ **الفتى الريفي . غادة الربيع** ❊ اهدانا جناب الناظم الناثر محمود افندي خيرت معاون مركز ادفو وصاحب القصيدة الرقيقة في هذا الجزء نسخة من روايته « الفتى الريفي » التي نشرها في مسامرات الشعب واخرى عنوانها ,, غادة فصل الربيع ،، فنشكر هديته ونثني على اجتهاده في خدمة الأدب .

❊ **الفتاة اليابانية** ❊ هي الرواية السادسة عشرة من روايات مسامرات الشعب لواضعها جناب حسن افندي رياض في نظارة المعارف العمومية . وقد كتب عليها انها « تأليف » لا تعريب فاذا كان حضرة واضعها الفاضل قد عانى مشقة وضعها من غير اعتماد على رواية اجنبية فقد كان الاسهل له ان يؤلف رواية عن الفتاة المصرية بدل الفتاة اليابانية وحينئذ يكون الاقبال على روايته اكثر مع ان مشقة التأليف واحدة في الروايتين .

❊ **جمعية تهذيب الشبيبة السورية** ❊ اسست في بيروت جمعية بهذا العنوان وغرضها ,, تهذيب الاحداث السوريين في المدارس العالية بقطع النظر عن مذهبهم وموطنهم ،، وقد وردتنا نسخة من قانونها فنرجو لها النجاح

ثمن النسخة الواحدة فرنكان واجرة البوسطة غرش صاغ

الدين والعلم والمال

المدن الثلاث

ذكر مدينة الدين ومدينة العلم ومدينة المال وما جرى بين سكانها من النزاع
ودعاوى كل فريق منهم علي خصمهُ وكيف انتهت مشكلتهم التي هي اليوم اكبر
المشاكل عند كل الامم والشغل الشاغل لفلاسفة العمران
ورؤساء الحكومات

تأليف

فرح انطون

منشيء مجلة (الجامعة)

« فتحذر العالم من يوم يصير فيه
« الضعفاء اقوياء والاقوياء ضعفاء

الاسكندرية في ١ لوليو (تموز) سنة ١٩٠٣

فهرست الكتاب

المقدمة

من الروايات ما يُنشأ للتفكهة والتسلية ومنها ما يُنشاء للافادة ونشر المبادىء والافكار . والذين انشئوا رواياتهم للافادة في الغرب معدودون في مقدمة مشاهير المؤلفين كتولستوي و زولا و كيبلنغ وغيرهم . فان كل واحد من هؤلاء الكتاب لا يرى في وضع الروايات حطة وضعة بل يعتبر الرواية منبرًا ينشر منه آراءه وافكاره بطريقة تبلغها الى اذهان القراء بسهولة . ونحن في الشرق محرومون هذه الطريقة لعدم رواجها لاسباب لا محل لذكرها هنا . ولذلك كانت الروايات التي تُنشر عندنا لا غرض منها غير التفكهة الاّ بعضها

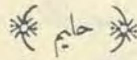
ولما وصلنا في ابراز مواد « الجامعة » الى المواضيع المهمة التي تكمّل مباحثها السابقة خطر لنا ان نهجر اسلوب المقالات المنقطعة والفصول المتفرقة الى اسلوب الرواية لانه اجمع واوعى فضلاً عن كونه اشد تاثيرًا واحسن وقعاً . فعزمنا بحوله تعالى على ابراز عدة روايات كل واحدة منها تبتدىء وتنتهي في جزء واحد تسهيلاً لمطالعتها واستيعابها لان الانتظار يقطع الرغبة فيها . وسيكون اهتمامنا فيها بالمبادىء والافكار مقدماً على الاهتمام بالحوادث والاخبار . ولكن هذا لا يمنع من التزام ما تقتضيه الروايات من الوصف وتصوير العواطف والحوادث تصويراً طبيعياً لان فن الروايات فنٌّ بسيكولوجي جماله وتأثيره متوقفان على حسن سبكه ولطف اسلوبه ودرس باطن الانسان واخلاقه و بيئته درساً دقيقاً

وهذا الكتاب « الدين والعلم والمال » هو الرواية الاولى من هذه الروايات . وموضوعه معروف من عنوانه . وقد سميناه هنا (رواية) على سبيل التساهل لانه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في علائق المال والعلم والدين وهو ما يسمونه في اوروبا « بالمسالة الاجتماعية » وهي عندهم في المنزلة الاولى من الاهمية لان مدنيتهم متوقفة عليها

وربما قيل ان هذا الموضوع غير لاصق بنا كل اللصوق لان « المسألة الاجتماعية » لا تزال صغيرة عندنا . فالجواب ان هذه المسائل هي مدخل للمباحث التالية في الكتب التالية . ذلك لان المباحث الاجتماعية والفلسفية مرتبطة في الحقيقة بعضها ببعض فلا يمكن تحقيق احدها دون الغوص الى اعماقها لمعرفة اساسها . وقد اظهرنا الاساس في هذا الكتاب . فعسى ان ينال من رضى ساداتنا القراء والكتاب ما ينشطنا في خدمتنا

الاسكندرية ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ « المؤلف »

الفصل الأوَّل



والمدن الثلاث التي كان يحج اليها الناس

فقال له الشيخ وهل تقيم عندنا طويلاً يابنيَّ

فاجاب الشاب نعم ياعم فانني جئت من اقاصي البلاد لاشاهد المدن الثلاث التي سار بذكرها الركبان . وربما استغرقت اقامتي عندكم شهراً على الاقل . لانني سازورها واحدة واحدة وابحث في شؤونها بحث مؤرخ دارس لا بحث متفرج

فتنفَّس الشيخ الصعداء وقال . اف اف كم يزور الناس هذه المدن الثلاث . فهم يظنونها عجيبة من عجائب الدنيا مع اننا نحن لا نراها الاَّ مدناً كباقي المدن . انظر اليها اي فرق بينها وبين باقي المدن سوى قيامها في هذا السهل الفسيح بشكل مثلث

فنظر الحاضرون الى حيث اشار الشيخ فشاهدوا امامهم سهلاً فسيحاً لا يعرف الطرف آخره . وكان في هذا السهل ثلاثة بلدان جميلة البنيان محاطة من كل جهة بالحدائق والبساتين والحقول الصفراء من منظر الزرع تتخللها المواشي المختلفة وهي ترعى بحراسة فتيان وفتيات كانوا جالسين افراداً وازواجاً وجماعات تحت الاشجار المثمرة او في ظل بعض السياجات

فقال الشاب بعد ان سرَّح طرفه في هذا المنظر البرّي . حقاً انه منظر بديع

وكان المكان الذي يقيم فيه الشاب والشيخ مع بعض من الزائرين منزلاً صغيراً في قرية صغيرة قريبة من « المدن الثلاث » وكانت هذه القرية في اول السهل على مقربة من

النهر الجميل الذي كان ينساب في السهل انسياب الافعى ليسقي زروعه واشجاره . وقد سمى الناس هذه القرية « الدخول » او قرية الدخول لانها المدخل الى المدن الثلاث ــ الى تلك البقعة التي كان يحسبها الناس جنة الله في ارضه

فبعد ان امعن الشاب النظر قليلاً في المدن الثلاث التفت الى الشيخ وقال : هل تعرف ياعم تاريخ تأسيس هذه المدن بالتدقيق

فاجاب الشيخ : كل الناس هنا يعرفون هذا التاريخ يابنيَّ لانهم لا ينسون ذكر ذلك الرجل الكريم والانسان الذي لا مثيل له بين البشر مؤسس هذه المدن ومنشئها . انظر الى تلك الحديقة البعيدة الكائنة في وسط المدن الثلاث . هذه حديقته وقد اقام لها فيه اهل هذه المدن تمثالاً عظيماً يحتفلون بتذكاره مرة في كل عام

فقال الشاب انك تتكلم عن المرحوم الشيخ سليمان فاحكِ لي قصته وقصة تأسيس هذه المدن من اولها

فسعل الشيخ قليلاً واصلح جلوسه فوق الوسادة ثم اخذ يقول

منذ نحو مائة سنة يا بنيَّ كان الشيخ سليمان فتى فقيرًا يتيماً يتجول في المدن بطلب عملاً . فذاق في صباه كل انواع العذاب في هذه الحياة . ومما كان يزيد عذابه نفسه الحساسة الكبيرة طبقاً لما قيل

وانعس الناس حالاً من تكون له نفس الملوك وحالات المساكينِ

ولكن يظهر ان العناية الالهية يا بنيَّ لا تخصُّ بعض هذه النفوس بالشقاء والنقم والعذاب الا لمقاصد سامية . فانه اذا كانت المصائب تسحق النفوس الصغيرة وتفلّ عزائمها فانها تشدّد عزائم النفوس الكبيرة لانها تعلّمها بالاختبار ما لا تتعلمه بسواه . فهي كالعود الطيّب الذي لا تنتشر رائحته الامتى مسته النار او كالزيت الذي لا يضيء الا بالاحتراق . وهذا ما جرى للشيخ سليمان . فانه بعد ان ذاق من مصائب الحياة ما ذاق في ابان الفقر والضيق لم تسمح له طبيعته الكريمة ان ينسى ذلك في ايام الثروة والرخاء

انَّ الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشنِ

ولذلك كان همه اول ما اثرى وجمع مالاً طائلاً ان يقوم بمشروع كانت تحدثه نفسه به منذ صباه فانه في ذات يوم أعلن في البلاد كلها اعلاناً غريباً أُلصقه في الشوارع وفرقه في الناس وبعثره في الطرق والاسواق . ومحصل هذا الاعلان ان كل فتى وكل فتاة يجولان في الشوارع بلا شغل ولا رزق اذا قصداه فانه يعطيهما شغلاً ورزقاً واسعاً . فلم يمضِ على

هذا الاعلان اسبوع واحد حتى بلغ عدد الفتيان الذين قصدوه ٣٢٤٥ فتى وعدد الفتيات ٣١٢٠ . فاشترى الشيخ سليمان هذا السهل الواسع الذي امامنا ومساحته ٥٠٠٠ فدان واسكن اولئك الفتيان والفتيات فيه واحضر لهم زراعاً وصناعاً يدربونهم على الزراعة والصناعة واقام منهم حكومة لهم وسن لهذه الحكومة قوانين وجعل فيها قضاة وجنداً ورئيساً اعلى . نعم ان ذلك كان مضحكاً في بدء الامر ولكنه لم يلبث ان صار جدياً مهماً . فان اولئك الفتيان والفتيات الفقراء الذين اجتمعوا من كل الجهات انتقلوا بهذه المعاملة من حالة الى حالة . فبعد ان كانوا مثلاً يجمعون اعقاب السكائر من الشوارع والاسواق ليبيعوها الى تجار الدخان او يطوفون المدينة بالنهار باثواب بالية قذرة يستعطون قوتهم او يطلبونه من فضلات المنازل في المزابل وفي الليل ينامون اكداساً اكداساً في زوايا الطرق على البلاط البارد حتى في اشد ليالي الشتاء برداً كانهم حيوانات لا بشر — صاروا يشتغلون بشرف واجتهاد في اماكن معدة لذلك ويلبسون من اجرة شغلهم ثياباً نظيفة ويتغذون باطعمة مغذّية . ولم تعد ترى في عيونهم ذلك القلق الشديد الذي كان فيها حين كانوا في تيار تلك المعيشة الهائلة التي لا يكون فيها الانسان على ثقة حتى من بلغة يسدّ بها رمقه في المساء او في الصباح لتدوم له حياته . بل حلّ محل ذلك القلق طمانينة تامة لثقة ذلك العامل الصغير بان حياته صارت مضمونة . ولذلك صار يبتسم للحياة ابتسام الراحة والارتياح بعد ان لم يكن يبتسم من قبل الا ابتسام عدم المبالاة بشيء حتى بالحياة . ومما زاده راحة وسعادة حكومته نفسه بنفسه تحت مراقبة الشيخ سليمان وصيّه . فانه لم يمرّ على هؤلاء الاولاد نحو سنة من الزمان حتى صاروا يشعرون بالتبعة التي عليهم ولذلك صاروا يراعون الحدود في سلوكهم . ومن هذا اليوم يبتدأ تاريخ نهوضهم من عثرتهم

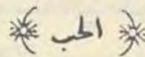
فقطع الشاب كلام الشيخ وقال : اذاً اجداد سكان هذه المدن الثلاث كانوا من فضلات الازقة والشوارع

فقال نعم يا بني ولكن تذكّر ان الورد لا ينبت الا من الشوك والنرجس لا يخرج الا من بصل . على اننا نحن سكان هذه القرية كنا نودّ لو اقتصر سكان هذه المدن الثلاث على المعيشة التي عاشها اجدادهم اولئك الفتيان العاملون لان في ذلك راحتنا من الاضطرابات والفتن التي قام قائمها بين السكان في الازمنة الاخيرة . فاولئك الفتيان كان لا همّ لهم غير زراعة ارضهم واتقان مصنوعاتهم والمعيشة بسلام بعضهم مع بعض . اما اصحابنا هؤلاء فان دأبهم النزاع والخصام . فنعم الآباء ولكن بئس ما ولدوا

فقال الشاب وما سبب نزاعهم وخصامهم

فقال الشيخ : انت ترى يا بنيّ ان هذه المدن ثلاث . فاحداها تُدعى مدينة المال لان اهلها كلهم يشتغلون بجمع المال . والثانية تدعى « مدينة العلم » لان اهلها كلهم يشتغلون بالعلم . والثالثة تدعى « مدينة الدين » لان اهلها كلهم منقطعون الى الدين . وقد حدث هذا الانقسام على ما ترى منذ زمن بعيد . فان اولئك الفتيان والفتيات الذين اسسوا هذه الجمهورية الصغيرة بعد اشتغالهم بزراعة الارض واتقان المصنوعات اصابوا نصيباً من الثروة والسعة . فلما تزاوجوا وتكاثروا جاء ابناؤهم ارقى منهم واكثر ميلاً الى الشؤون النفيسة . فعكف بعضهم على التجارة و بعضهم على العلم و بعضهم على الادب وبعضهم على الدين — كل بحسب استعداد نفسه وقابليتها . فلم يمر زمن طويل حتى قام النزاع بينهم على ساق وقدم . فارتأى بعض منهم زيادة في توسيع المعيشة على السكان ان ينشئوا بلدتين اخريين قريبتين من البلدة الاصلية . ثم رغبةً في حصر النزاع في مكان واحد او منعاً للنزاع قرروا ان تسكن كل طبقة في بلدة . فطبقة المال تسكن في البلدة الشرقية وطبقة العلم في البلدة الغربية وطبقة الدين في البلدة الجنوبية . ولكنّ هذا التدبير قد ذهب سدى بلا جدوى لانّ النزاع ما زال قائماً بينهم

الفصل الثاني



في قلب لم يعرف الحب

وكان الشاب الذي القى على عمه الشيخ تلك الاسئلة في نحو الثلاثين من العمر وقد جاء سائحاً لمشاهدة هذه المدن الثلاث التي سمع بها من بلده . وكان رجلاً قد درس علوم المتقدمين والمتاخرين ووقف على المبادئ القديمة والحديثة وصار يطلب ضالته بينها على غير فائدة . فلا المدنيات القديمة كانت تعجبه لان حقوق الضعفاء كانت مهضومة فيها وبناءها قائم على القوة والعنف . ولا المدنيات الحديثة كانت ترضيه لانها جعلت الحياة عراكاً هائلاً وجهاداً عظيماً بين الناس . وكان وهو في المدرسة قد لمح في ذهنه عصراً يسميه مؤرخو اليونان العصر الذهبي ويسميه كتاب المسيحية عصر الفردوس الارضي فبقي منه في فكره

اثر كان يحضر فيه كلما رأى زحام الحياة وجهادها بين افرادها · فلما سمع بهذه المدن الثلاث ومعيشة سكانها في وسط الطبيعة معيشة خالية من ادران الاجتماع ورذائله خيل له انها بداية العصر الذهبي الموعود به الانسان في الارض (١) فقال في نفسه : فلنذهبن لمشاهدة تلك البقعة التي ابتدأ بها العصر الذهبي فانه قد آن للانسانية في الارض ان تصل اليه وتجد شيئاً من الراحة بعد جهاد القرون الماضية

لكن لما سمع الشاب ما حدثه به الشيخ عن نزاع تلك المدن الثلاث سقط امله وخاب ظنه · على انه كان من الذين يستفيدون من كل شيء · فقال في نفسه : انني مولع بدرس كل ما له علاقة بتنازع المال والعلم والدين · فربما قدرت في هذه المرة على اكتشاف اسرار جديدة بهذا الشان · بل ربما كان تنازع هذه المدن الثلاث المنصوبة احداها تجاه الاخرى كمنجانيق للحرب مؤدياً الى حل لهذه المشكلة القديمة

وبينما كان الشاب يفكر في هذه الامور واذ سأله الشيخ : متى تدخل الى هذه المدن ياولدي حليم · فاجاب الشاب : سادخلها غداً · فقال الشيخ وهل تعرف فيها احداً يا بني · فتنهد حليم واجاب مبتسماً كلا · فقال الشيخ : لقد رابني في جوابك شيئان · تنهدك وابتسامك فاصدقني · فزاد حليم في الابتسام وقال : وما يمنع من ان اصدقك لو كنت اعرف فيها احداً

الا ان حليماً لبث بعد هذا الجواب مبهوتاً · وقد تنهد هذه المرة تنهداً لم يدع عمه الشيخ يشعر به وشخصت عيناه حينئذ الى المدينة الشرقية — مدينة المال · ثم انتقلت من مدينة المال الى حديقة واقعة تجاه القرية على شاطئ النهر عند مدخل السهل · ولما وقع نظره عليها اغمض عينيه كما يغمضها من لا يريد ان ينظر ما امامه او من يريد ان ينظر في داخله صورة نفيسة مخبوءة فيها · وكان غرض حليم الامرين معاً

وكان مع حليم رفيق اكبر منه سناً واضخم منه جسماً · فلما شاهد حركاته هذه ابتسم له · فتوردت وجنتا حليم لهذا الابتسام لانه فهم معناه · فخشي رفيقه ان يكون قد اساء اليه بهذه الاشارة فمال نحو اذنه وهمس فيها قائلاً على سبيل المداعبة : اما تظن ان العصر الذهبي قد ابتدأ

فازدادت حمرة جميل واجاب صديقه ضاحكاً : مهما كان في عبارتك من التهكم فانها مقبولة لانها اختراع جميل

فقال له صديقه على سبيل المداعبة ايضاً : انت اجمل يا صاح · ولكن لا تله نفسك

«١» ملكوت الله

الآن بهذا الكلام عن الامور المهمة — ثم اشار نحو الطريق

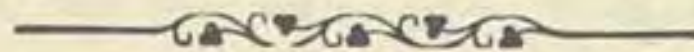
فلفت جميل نظره الى حيث اشار صديقه فتمشى قلبه في صدره لمنظر رآه بعيداً . ذلك انه شاهد خمسة جياد عليهن خمس فتيات يركضن عليهن خبباً . فطار نظره في الحال الى التي تلبس ثوباً ابيض بينهن . فرآها تسير في الوسط وهي اخفهن حركة وجوادها اسرع خطى . فلبث شاخصاً نحوها . اما صديقه فتركه في مناجاته ولم يزعجه هذه المرة بالمزاح الثقيل لانه كان يعلم ان النفوس الحساسة المخلصة لا تطيق المزاح احياناً في بعض الاشياء . ذلك ان المزاح سهم يخدش دائماً وان كان خدشه خفيفاً . والرجل الكريم يغار على ما هو نفيس عنده ومحبوب ان يُخدش حتى بوردة . ومن الغريب ان سوءالاً واحداً كان في تلك البرهة يشغل فكر حليم وفكر صديقه معاً . وهذا السوءال هو . هل تلتفت الفتاة الى النافذة ام لا . الا ان حليماً كان يشك في التفاتها . واما صديقه فانه كان على يقين منه . ذلك لانه راى منها في البستان الذي شاهداها فيه مع رفيقاتها قبل وصولها الى هذه القرية ما لم يرَه حليم منها . وكانت عالمة انها سينزلان في ذلك المنزل . ولكن مع ذلك صدق ظن حليم وخاب ظنه هو . فمرّت الفتاة مع رفيقاتها في الطريق البعيدة دون ان تلتفت الى النافذة

وكان حليم شاباً كريماً . وكان قد صرف عمره في مطالعة الكتب وانتقاد احوال الاجتماع . ومن سوء حظه لم تعرض في طريقه فتاة تريه خطأ ذلك الانتقاد . ولذلك كان حليم الى تلك الساعة بلا حب . ولكن لا يجب ان يُستدل بهذا القول على ان قلبه كان جامداً كالحجارة ولذلك لم يتحرك قبل الان . كلا . ان قلب حليم كان بسلاسة الماء ولطف النسيم ولين الشمع . ولكنه لم يكن يجد في طريقه من تقدر ان توءثر عليه وتحرك هذا القلب . فهل الذنب ذنبه في هذا الامر ام ذنب الناس . وكيف تريدون من النار ان تشتعل اذا لم يكن هنالك حرارة الاشعال او من الحديد ان يُجذب اذا لم يكن هنالك مغناطيس للجذب . وقد كان يُقال له احياناً : كيف يمكن ان تحب وتتزوج اذا بقيت بعيداً عن الناس كما انت . هل الحب هواء يطير ويدخل في الاجسام ليأتيك وانت بعيد عنه بين المحابر والالوان والاقلام . كلا . اذاً افعاشر وساير ان رمت ان تحب . اما هو فقد كان يجيبهم باسماً : انني من الذين يقرأُون الرسالة من العنوان ويعرفون الشجرة من الثمرة . فانا في وادٍ ونساوءكم وبناتكم في وادٍ . على انني لست الوم النساء اذا لم يفهمن اخلاقي وعواطفي ما دام الرجال انفسهم لا يفهمونها . فالانفراد عن هذه الهيئة الباطلة الكاذبة التي نعيش

فيها غير مبالين بها ولا بمسراتها ولا بآمالها —لانها تختلف عن مسراتنا وآمالنا — خير من الانضمام اليها وسريان عدواها الينا

ولذلك كان حليم يقابل السيدات بلا مبالاة ولا مجاملة كما يقابل الرجال . وبينما كنت ترى جميع الشبان في الحفلة يطوّفون بكراسيهم اجمل السيدات والبنات ويبذلون جهدهم في خدمتهن كأنهم كلاب صيد لاشان لهم في الجلسة الا احضار ما يطلبنه اوندامى لا غرض لهم الا بسطهن وتسليتهن — كنت ترى حليماً جالساً في زاوية يضحك من اولئك وهئولاء ويتسلي بمراقبة الحركات الباردة والكلمات الشاردة والنظرات المجاهدة - وعند كل واحدة منها كان يضحك في نفسه و يقول : ما اكذبك ايها الانسان

ولكن لما قدم حليم في هذه المرّة الى هذه القرية قاصداً السياحة في المدن الثلاث ووجد في طريقه قبل الوصول الى القرية تلك الفتاة بين رفيقاتها — تغير وجه المسالة في نظره . والغريب ان هذا الوجه قد تغيرّ بلا سبب مغير اي من غير ان يحادث حليم هذه الفتاة ويختبر اخلاقها ليعرف ما وراء جمالها وهل هي ارقى من بنات بلده حقيقة لتستحق ميله وحبه . فهل ترى كان ذلك التغيير من تاثير السفر على الاخلاق لانه يهيئها لقبول كل تاثير يعرض لها لانها تكون في حاجة اليه في غربتها ؟ ام ذلك لميل النفوس دائماً الى البعيد ونبذها القريب المالوف طبقاً لقول العامة « الدير القريب لا يشفي » ؟ ام ذلك لان عواطفه المضغوطة في قلبه قد وجدت هذه المرة منفذاً ففاضت رغماً عنها اذ طال بها عهد انتظار الحب وهو لا يأتي ؟ ام ذلك لان علم حليم بان تلك الفتاة من احدى المدن الثلاث قد جعل لها في نفسه مكاناً سنياً في الحال فنظر اليها بعين الكمال بعد ان كان ينظر الى بنات جنسها بعين النقص ؟ ام ذلك لان كهربائية حليم وكهربائية الفتاة قد اتحدتا لاول نظرة لانهما خُلقا ليتحدا معاً طبقاً لاعتقاد بعض المتقدمين بان الله يصنع النفوس انصافاً انصافاً وان الحب هو عبارة عن وجود النفس نصفها الثاني المكمّل لها ؟



الفصل الثالث

المدن الثلاث

مدينة المال · مدينة العلم · مدينة الدين

وفي صباح اليوم الثاني استعدّ حليم ورفيقه صادق للدخول الى المدن الثلاث · فنهض حليم الى ثيابه يصلحها بتأنق خلافاً للعادة · فنظر اليه صديقه وابتسم · فعبس حليم قليلاً وقال له · يظهر ان صحبتك ستكون ثقيلة قليلاً بعد الآن · فاجابه رفيقه : قل ما تشاء في ذمي ولومي ودعني ارى فيك ما لم اره قبل الآن وهو اهتمامك بظاهرك · فقال حليم وقد رام تغيير الحديث : بأي مدينة نبتدئ · فابتسم رفيقه واجاب : هل من حاجة للسؤال فاننا سنبدأ بمدينة المال · ففهم حليم حينئذ انه انتقل من الرمضاء الى النار فاجابه ضاحكاً ومتورداً خجلاً : حقاً انك لا تستطيع ترك المزاح

وما طلعت الشمس في ذلك النهار تبعث الى الخليقة حرارتها المحيية ونورها المنعش حتى خرج حليم وصادق من القرية وقصدا المدن الثلاث · فوجدا في الطريق الزراع خارجين الى حقولهم وبساتينهم والرعاة يسوقون مواشيهم الى مراعيها الخصيبة وفي مقدمتها ومؤخرتها الكلاب لحراستها وهم سائرون وراءها في ايديهم قصب رخيم الصوت ينفخون به نفخاً يذكّر السامع نفخ زمار الرعاة في جبال لبنان واوديته او غناء الرعاة في عصر الاله ابولون لما نزل الى الارض وجعل نفسه راعياً وعلّم الرعاة اناشيد الآلهة · ثم سارا بضع خطى فوجدا اعمى يستعطي جالساً تحت سياج بستان على الطريق ووراء السياج في داخل البستان رجل في يده كيس كبير يملأه من الثمار والقلق بادٍ على وجهه مما يدل على انه يسرق تلك الاثمار · ثم بعد برهة شاهدا صياداً يطارد الطيور **ليصطادها** رغبة في لحمها ويترك بعد ذلك صغارها تنتظرها في اعشاشها حتى تموت برداً **وجوعاً** · وبعيداً في رأس شجرة منفردة صبي لا يتجاوز عمره عشر سنوات ينصب قضبان دبق **للطيور** ليمسكها بها · وقريباً من هذه الشجرة رجلان كل منهما آخذ بخناق رفيقه وهما **يشاتمان** ويتضاربان **بحدة** وجنون كانهما كلبان يقتتلان على عظمة · وفي الجانب الآخر وراء **جذع** شجرة فتى يرافق فتاة لا هي اخته ولا هي نسيبته · ·

فلما شاهد حليم هذه المشاهد قال في نفسه باسماً : نحن في وادٍ والعصر الذهبي في وادٍ . فان هذه المصائب والقبائح تدل على اننا قرب مدن كالمدن المألوفة الاعتيادية

وبعد المسير نحو ساعة وصل الصديقان الى مدينة المال . فدخلا اليها بلهفة وشوق ليروا داخلها

وكانت هذه المدينة اكبر المدن الثلاث واوسعها . وكانت ممتازة عن المدينتين الاخريين بقصورها الشاهقة ودورها الباذخة وجنائنها المحيطة بمنازلها . فلما اخذ حليم ورفيقه يجولان في اسواقها وشوارعها لم يكونا يسمعان الا نداء الباعة واصوات التجار ورنين المال يُدفع او يُقبض ودوي اصوات البضائع تُحمل او تُنزل . ونظر حليم الى اهلها نظر منتقدفرآهم باجسام سمينة وعيون هائمة لا تستقر في مكان لا لفتها النشاط والحدّة والتفتيش وثياب نظيفة مرتبة تدلُّ على سعتهم . فخيل له انه بين قوم سعداء بعلمهم اقوياء بنشاطهم وجدّهم . لكنه كان من الذين لا يكتفون بظواهر الاشياء للحكم عليها حكماً سديدًا . فقال في نفسه سنرى النتيجة بعد زيارة المدينتين الاخريين

ومما لا يحتاج الى بيان ان حليماً كان يفتش بعينيه كثيرًا عن فتاته لعله يلمحها في نافذة مفتوحة او شرفة او حديقة . ولكن تعبه ذهب بلا جدوى . فانه كان يرى في النوافذ والشرفات والحدائق والطرق كثيرات من الحسان وكلهن كأنهن اقمار فوق اغصان بان . الاَّ انه لم يقف على اثر لحسنائه . فكان كلما رأى حسناء وظنها اياها ثم ظهرت له خيبة ظنه يردد قول للشاعر

أليس عجيباً ان نكون ببلدةٍ   كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلَّمُ

وبعد ان جال حليم وصديقه في مدينة المال ساعتين خرجا منها الى مدينة العلم . فمرَّا في طريقهما اليها بالحديقة العظيمة الواقعة بين هذه المدن الثلاث وهي ملتقى اهلها ومجمعهم ومتنزههم . فشاهد فيها جميل ورفيقه رهباناً وقسساً وشيوخاً وائمة ورجالاً وشباناً يحملون بايديهم كتباً وصحفًا وهم تارة يقرأُون فيها وطورًا يتأملون وآونة يتذاكرون . فقال حليم لرفيقه هذه طلائع مدينتي العلم والدين . ثم مرَّا قاصدين مدينة العلم دون ان ينتبه اليهما المقيمون في الحديقة

ولما وصل جميل ورفيقه الى مدينة العلم وجدا السكون والهدوء مخيمين عليها حتى انك لتسمع حين مرورك في الشوارع طنين الذباب في طيرانها . وكانت منازلها صغيرة حقيرة وشوارعها ضيقة . فارتاحت نفس جميل لما وجده من الهدوء فيها وقال : اين نحن من جلبة

تلك المدينة . غير ان البياض اذا اشتدَّ صار برصاً . ولذلك لم يوغل جميل في المدينة حتى صار ذلك الهدوء التام ثقيلاً على نفسه . فانه لم يكن يسمع حركة ولا يرى شخصاً في الشارع ولا يلمح يداً ولا وجهاً في النافذة . فكان كانه في مقبرة او مدينة اموات لا احياء . الا انه كان احياناً في مروره ببعض المنازل يرى شاباً مستلقياً على سريره وكتابه في يده او رجلاً يروح ويجيء في غرفته وهو يفكر ويتأمل كأنه متجرّد عن هذا العالم . او قارئاً كتابه في يده ولكن فكره يسبح بعيداً في الفضاء الابدي

ولو لم يكن حليم ممن الف هذه الحالات واحبها لداخلته خشية منها وعراه نفور عنها . لان هذا الهدوء هدوء الاموات وذلك الانقباض البادي في وجوه النفر الذي رآه لما يبعث في النفس شعوراً رهيباً لمعرفتها ان ما يقع في ذلك الحين في وسط ذلك الهدوء الشديد مع ذلك الانقباض الاليم يجب ان يكون امراً رهيباً خطيراً تقف عنده النفوس رهبة واجلالاً . والنفس غير مخطئة في شعورها هذا لان ذلك الامر هو عبارة عن عراك ونضال بين الارض والسماء . والمعلوم والمجهول . والمادة والروح . والمحدود وما لا حد له . ذلك ان الانسان الترابي القاصر الضعيف يطلب الوصول بفكره الى الذي لا يصل اليه فكر والعقل المحدود يروم الاستيلاء على العقل الذي لا حدَّ له

وبعد ساعتين خرج حليم ورفيقه من مدينة العلم وقصدا مدينة الدين . وكان حليم يمشي وفكره مشغول للعواطف التي قامت في نفسه حين مروره في مدينة العلم . فهناك تجدَّدت هواجسه كلها وبلغ اضطرابه معظمه . هناك كان ينتظر ان يرى العلم ضاحكاً باشاً لانه وجد ضالته فاذا به يراه كما عهده منقبضاً مظلماً يطلب ويفتش عبثاً . فانقبض صدر حليم ونسي في هذه الدقيقة حسناءه نسياناً حقيقياً . ومن هنا تقدر ان تستدل على اخلاق هذا الشاب استدلالاً مهماً وتعرف السبب الذي جاء من اجله الى هذه البلاد . فان الناس يضعون عادة حبهم فوق كل امر . وقد وضعه الملوك مرات كثيرة فوق تيجانهم وعروشهم . اما حليم فلم يكن يعرف احبَّ اليه من ان يعرف (١)

ولكن لم يلبث حليم ان دنا من مدينة الدين . وكان يسير اليها وهو مطرق مفكر بكل ما في فكره من القوة . ولكنه ما قرب من باب المدينة حتى سمع اصواتاً شقَّت الفضاء واناساً بانغام رخيمة يصيحون من اعالي المآذن — الله اكبر الله اكبر . لا اله الا الله . فالتفت حليم بغتة وقال هل وصلنا ? ثم سرَّح بصره في المدينة التي امامه . وكان حينئذ دخول

(١) في الحديث « لا يكمل ايمان المرء حتى لا يعرف احبَّ اليه من ان يعرف »

الظهر والمؤذنون يدعون في المآذن الى الصلاة · فلبث جميل يتأمل فيهم من بعيد بلذة لا توصف وهو يتبع كل حركة من حركاتهم · وما كاد ينتصف الاذان حتى علت اصوات الاجراس ايضاً من قبب الكنائس · فامتزجت اصوات الاذان باصوات الاجراس تذكّر البشر في الارض بالخالق جلّ جلاله وتنبههم الى واجباتهم وتنذرهم بانهم ضيوف في هذا العالم · اما رفيق حليم فانه ضحك وقال : في بلادنا تستمرّ الصلاة الى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر في يوم الاحد اما في هذه البلاد فالظاهر انها تستمرّ الى الظهر · غير ان حليماً لم تكن نفسه مستعدّة للضحك في تلك الساعة لانها كانت تفكر في موضوع ارفع واسمى · فسرّح نظره في مدينة الدين بين اصوات المؤذنين الشجية ونغمات الاجراس الرخيمة التي تناجي السماء فراقهُ جمال هذه المدينة بجوامعها الخفيفة الجميلة ومآذنها الانيقة وكنائسها وقبابها المبنية اجمل بناء · وصار يقول في نفسه : هذه مدينة السلام لكثيرين من الناس · هنا مستقرّ السعادة والراحة لملايين من البشر · هنا وطن الاخاء والحب والحرية والسواء · هنا مدفن احقاد الانسانية ومصائبها ومتاعبها وصغائرها لو كانت تعلم

ولما دخل حليم الى مدينة الدين استغرب ما رآه فيها من آثار الثروة والنعمة والغنى · فانّ جوامعها وكنائسها — وكلها كانت كنائس وجوامع — كانت مبنية باتقان وزخرف يستوقف النظر · وكانت شوارعها فسيحة فيها الناس يروحون ويجيئون الى الجوامع والكنائس ومنها · وهم بين رجال ونساء بالخزّ زينة

فبعد ان جال جميل ورفيقه ساعة في المدينة وشاهدا ما فيها قال لرفيقه : لقد شاهدتُ الآن ما اردت مشاهدته من هذه المدن فهلمّ بنا الآن نذهب الى الحديقة التي هي مجمع اهلها ومتنزههم فقد بقي علينا الوقوف على دخائلها بعد ان وقفنا على ظواهرها

فقال صديقه ولكن الحديقة تكون خالية في وقت الظهر فاجل الى المساء دخولنا اليها وهلمّ بنا الآن الى فندق لنتغدى ونستريح فقد تعبنا

الفصل الرابع

﴿ الحديقة ﴾

والظاهر ان حليماً ورفيقه قد ناما قليلاً في الفندق بعد الغداء ولذلك لم يخرجا منه الا بعد العصر . فاقبلا نحو الحديقة وكانت غاصة بالناس من كل الطبقات

وكان في الحديقة ثلاث قاعات كبرى كل واحدة منها قائمة في احد جوانب الحديقة . فكان كل فريق من سكان مدينة العلم والدين والمال يجتمع في احدى هذه القاعات للبحث في شؤونهم واحوالهم . فكانت قاعة اهل المال عباره عن بورصة صغيرة وقاعة اهل العلم عبارة عن مكتبة كبيرة . وقاعة اهل الدين نصفها مكتبة ونصفها مجتمع للحديث

فلما دخل حليم ورفيقه الى الحديقة شاهدا الناس منتشرين في اطرافها بين اشجارها الجميلة وازهارها العطرية واكثرهم يتحادثون ويتجادلون بجدّة . غير ان دخول هذين الزائرين الغريبين الى الحديقة نبّه المتنزهين فيها اليهما فصاروا يقلبون انظارهم في هيئتهما وملابسهما . فقال حليم حينئذ لرفيقه : ان القوم قد التفتوا الينا فاذا سألك احد عن اسمي فقل له انني ادعى جميلاً وصناعتي التجارة وقد جئنا نستبضع من مدينة المال . واياك ان تذكر لاحد اسمي فانني اكره الرسميات في سياحتي هذه

وبينما كان حليم يوصي رفيقه بهذا الامر على مقربة من قاعة اهل العلم كان ثلاثة شبان وقوفاً قرب هذه القاعة وهم يتفرسون بهما جيداً . ثم سُمع احدهم يقول لا شك انه هو لانني شاهدتُ صورته قبل اليوم في احدى مجلاتنا . فقال الآخر لا يبعد ان يكون هو بعينه فان منظره اللطيف الهادئ لا يُكذّب شهرته الواسعة . وحينئذ انفرد المتكلم الاول عن رفيقيه وسار نحو حليم وصديقه بخطى واسعة وهو يبتسم

فلما رآه حليم قادماً بهذه الهيئة لم يشك في كونه قادماً لمخاطبته فتشاغل عنه بمحادثة رفيقه . اما الشاب القادم فانه لما صار على مقربة منه مدّ يده اليه مسلماً وقال باحترام وبشاشة : ارجو ان تسمح لي بسؤال ياسيدي . هل تريد ان تشرّفني بمعرفتك . فتلعثم حليم قليلاً لانه كره الكذب ثم اجاب : نحن ضيوف يا سيدي في المدن الثلاث الجميلة وقد جئنا لمشاهدتها والاستفادة من اهلها الكرام . فقال الشاب نعم لا ريب عندي في انكم ضيوف ولكني اول ما وقع نظري على جنابك تذكّرت انني شاهدت هذا الوجه قبل الآن

في احدى مجلاتنا . ألست جنابك الخواجا حليم المصوّر الطائر الصيت

فلما رأى حليم انهم عرفوه ضحك واجاب : ان ذكاءكم في هذه البلاد غريب ياسيدى فانكم تعرفون الرجل من غير ان تعرفوه

فلم يتمالك الشاب ان عاد وثبًا الى رفيقيه واخبرهم ان ذلك الضيف هو المصوّر حليم نفسه . فانتشر هذا الخبر بسرعة البرق في الحديقة كلها . فصار الناس يتداعون لمشاهدة الرسام الطائر الصيت الذي بارى في هذا الفن اشهر الرسامين وطارت شهرته في جميع اقطار العالم . ولم تمض دقيقتان حتى اجتمع كل من في الحديقة من اهل العلم والمال والدين حول حليم ورفيقه وصارت الاعناق تتطاول اليهما من كل صوب . فازداد الورد في وجنتي حليم خجلاً من ذلك لانه كان كثير التواضع قليل الجرأة على مقابلة آلهة الشهرة . ولكنه لم يكن ضعيفًا الى حد الجبن . ولذلك رفع رأسه بعد ذلك الحياء بجرأة وبشاشة وحيّا بهزّ رأسه باسماً . وكان الجمع الذي حوله في حركة في ذلك الحين ثم انفرد منهم خمسة بينهم رجال من اهل المال والعلم والدين وتقدموا نحوه . فتبعهم باقي الجمع زاحفين نحو حليم كالجند وهم كالبناء المرصوص . فخطا حينئذ حليم نحوهم بخطى واسعة وهزّ الايدي التي كانت تمدُّ اليه من كل جانب كانها اغصان مشتبكة

ومنذا هذا الحين فقد حليم نصف لذة السفر لانه صار مقيدًا بعدان كان مطلقًا يروح ويجيء كما يشاء . الا ان خسارته هذه لا تعادل الفائدة التي استفادها في ساعة واحدة بعد ان عرفه اهل هذه البلاد . فانه صار دفعة واحدة في وسطهم فاصبح قادرًا على الوقوف على كل ما اراد الوقوف عليه منهم

وبعد ان جلس حليم واستراح برهة حدثهم في اثنائها عن سفره وما شاهده في المدن الثلاث همّ بالاستئذان فدنا منه الشاب الذي كان اول من عرفه وقال : لي على جميع اخواني حق التقدم لانني كنت اول من تشرف بمعرفتك . فانا ارجو ان تتخذني صديقاً ورفيقاً لك في هذه الديار لادلّك في سياحتك . فشكر له حليم لطفه وادبه . ثم نهض يطلب الخروج من الحديقة وكل جوارحه تتمناه . فهمس ذلك الشاب في اذنه قائلاً : ألا تحضر الاجتماع الليلة في الحديقة . فقال حليم واي اجتماع . فقال الشاب : ان الليالي الثلاث القادمة ليالي في غاية الاهمية . فان السكان عزموا على الاجتماع فيها ثلاث مرات لحلّ بعض المشاكل التي بينهم والتي هي سبب النزاع والخلاف بين طبقاتهم . ولا ريب انّ خراب مدننا الثلاث وعمرانها يتوقفان على نتيجة هذه الاجتماعات . والليلة الاولى مخصوصة بالمال .

والليلة الثانية بالعلم . والليلة الثالثة بالدين - فقال حليم سأحضر هذه الاجتماعات لا محالة . ثم ودّع وخرج مع رفيقيه وهو يقول في نفسه انه قد جاء في احسن الاوقات واهمها

الفصل الخامس

﴿ تمهيد الجلسات الثلاث ﴾

« رجاء الشيخ الرئيس »
وشكاوى اهل العلم والدين والمال

وفي المساء برزت الحديقة بالانوار الساطعة واقبل الناس عليها من الجهات الثلاث واكثرهم سكوت كأنهم يفكرون في امر عظيم . وكانت اشكال ملابسهم تدل على انهم من طبقات مختلفة بين تجار وعمال واهل علم واهل دين . وكان كل فريق مشغولاً عن الفريق الآخر بمناجاة حزبه همساً استعداداً للجدال العلني الشديد . وما دخلت الساعة التاسعة مساء حتى غصت الحديقة بالناس على اتساعها وجلسوا ينتظرون . وكان حليم ورفيقه قد اختارا مقعداً في زاوية مظلمة قريبة من دكة الرئيس فكانا يشاهدان الحاضرين دون ان يشاهدهما احد

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الاولى جلس رئيس ذلك الاجتماع على كرسيه وهو رئيس جمهورية المدن الثلاث . وكان شيخاً جليلاً في نحو الثمانين من العمر وهو بقية الشيوخ الذين عاصروا الشيخ سليمان مؤسس هذه المدن . فلما سكنت الضوضاء اخذ يقول

ايها الابناء الاعزاء

قد عزمتم على عقد ثلاثة اجتماعات كبرى لتتباحثوا في مسائلكم المهمة والمشاكل التي نغّصت عيشكم وعطّلت اشغالكم وقسمت قلوبكم وعيالكم . فيسرّني انا حاكمكم وابوكم ان تؤدي هذه الاجتماعات الى قطع كل ما بينكم من اسباب النزاع والخلاف حرصاً على سعادتكم وعلى عمران مدننا الثلاث التي تعبنا في انشائها وترقية شؤونها . انما قبل الشروع في المباحثة اتمنى من صميم قلبي امراً . وهو ان يجتنب كل فريق منكم في اثناء كلامه كل قول يسوء الآخر فان الانسان يستطيع ان يصرّح بادب ولطف بكل ما توجب عليه مصلحته التصريح به . ولا يجدي العدوان والشدة نفعاً . وانني اسأل الله ان يوفق اعمالكم ويسدّد آراءكم وينير عقولكم

فهنا حصلت ضجة بين بعض من اهل العلم · فانتصب رجل من فريق الدين وقال بصوت جهوري : ماذا ؟ هل صرتم تكرهون ان تسمعوا اسم الله ايضاً · فصرخ خمسون عاملاً من العملة كانوا جالسين قرب فريق اهل العلم : كذاب كذاب · فانتصب حينئذ احد هؤلاء وكان اقربهم الى العملة وقال مخاطباً فريق اهل الدين : لا تبدأوا بالعدوان اذا كنتم مخلصين في طلب المسالمة · فقال الشيخ الرئيس حينئذ :

ـ لستُ اجهل سبب الضجة التي حصلت بين بعض من الابناء · فانهم لا يزالون يطلبون ترك المسائل الدينية للجوامع والكنائس ولذلك لا يجيزون لحاكمهم ان يلفظ عبارة دينية في منصبه الرسمي · وانا على ثقة من ان ذلك لم يكن منهم عن انكار للمسائل الدينية بل عن رغبة في الفصل بين شؤون المذاهب المختلفة · ولكني اظن انهم يُجيزون لشيخ بسني صار قريباً من القبر ان يستسلم لعواطفه احياناً

ثم قال الرئيس

ـ اما الآن فاننا نسمع الشكاوى التي اجتمعنا للنظر فيها بصدق وحسن نية · ولنعلمن قبلُ نوعها وتفصيلها

فنهض حينئذ زعيم العملة وقال

ـ ان شكوى العمال من طمع ارباب الاموال · فالعمال يتعبون ويجنون وارباب الاموال يتمتعون بتعبهم ويتلذذون · فمن العدل ان يشارك اولئك هؤلاء في كل الاشياء

فنهض النائب عن ارباب الاموال وقال

ـ ان شكوى ارباب الاموال لم تكن من العملة انفسهم فاننا نحبّ عمالنا كما نحبّ اولادنا · كيف لا وهم رفقاؤنا وشركاؤنا في اعمالنا · وانما شكوانا من بعض الطامعين الذين يثيرون خواطرهم علينا ويحرّضون طبقتهم على طبقتنا · فلتفصل الحكومة العمال عن هؤلاء المحرّضين فيستتب السلام بين الجميع

فنهض رجل من فريق العلم وقال

ـ اذا صحّ انه متى رُفعت يد الذين يُسمونهم « محرضين » من بين العمال واصحاب الاموال فان السلام يستتبّ في الحال فقد زال نصف شكوى اهل العلم · وانما يبقى عليهم في هذا الموضوع ان يبحثوا هل يرافق السلام الذي يحصل حينئذ هناء العمال وراحتهم وسعادتهم ام يبقى سلامهم موتاً ادبياً ومادياً كسلام اهل القبور · واننا معشر اهل العلم نفتخر في هذا العصر باننا حللنا في هذه المسألة محل اهل الاديان وصار همنا الاول التفكير

بانهاض الشعوب وترقيتها بينما نرى اهل الاديان يسمّون الشعوب بايديهم الى الاطماع المختلفة · فكان مثلهم مثل ملوك يخلعون انفسهم بانفسهم · ولذلك تراهم يكثرون من التزلف للاغنياء وارباب الاموال ويجارونهم في كل شيء حتى في ما يخالف مبادئهم الدينية وينقض اساسها ويلهون الشعب في اثناء ذلك بالتدجيل عليه ليشغلوه بالاوهام والاحلام عن مصالحه الحقيقيَّة · فغرض العلم في هذا الزمان تفتيح عيني الشعب وترقية احواله والضرب على ايدي المدجلين · وشكواه من كل من يحاول منعه من الوصول الى هذا الغرض الشريف

فهمس حينئذ واحد من اهل العلم كان قريباً من الخطيب في اذن جاره قائلاً : ليت اصحابنا انابوا عنهم خطيباً اكثر اعتدالاً من هذا الخطيب فان مقاماً كهذا المقام لا يفيد فيه غير التأني والاعتدال · اما رأيت السياسة التي اتخذها نائب ارباب الاموال

وكان قد نهض نائب فريق الدين فقال

— اما شكوانا نحن خدمة الله تعالى فمن اولئك الكفرة الجاحدين الذين يبثون روح ضلالهم وكفرهم في النفوس · فاننا والحق يقال لولاهم لكنا كلنا في الف نعمة من الله تعالى · فانهم بدأوا ضلالهم بيننا بتعليم اولادنا مبادئهم الطبيعية الممقوتة والعياذ بالله · ثم تدرَّجوا منها الى انكار المذاهب المختلفة فالوحي وجود الخالق سبحانه وتعالى · فما دام هؤلاء المفسدون يفسدون عقول الناس فلا سلام ولا راحة عندنا

فقال الشيخ الرئيس حينئذ : نعم هذه هي الشكاوى المختلفة التي مرَّ عليَّ عشرات سنوات وانا اسمعها · فاستحلفكم بكل ما هو عزيز ومقدس لديكم · استحلفكم بالشيخ الجليل المحسن الى هذه المدن والواقف الآن بيننا في وسط الحديقة على تمثاله الرخامي يسمع كلامنا وينظر الينا — ان تكسروا حدتكم قليلاً وتتباحثوا في مشاكلكم بسلام وادب · فاننا كلنا يا ابنائي اخوان · وكلنا في هذه الارض ضيوف وغرباء

اجارتنا انا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب قريبُ

وانتم تعلمون ان الانسان لا يعيش في الارض عمرين وان ايامه فيها معدودة · فلماذا لا يصرف هذه الايام بما يدعو الى الراحة بدل ان يصرفها في خصام صبياني · هل ان حطام الدنيا وخيراتها الزائلة ومسراتها الفانية تستحق هذا الاقتتال الشديد عليها · اما سمعتم ذلك القول البديع المنسوب لحكيم عظيم (١)

« ١ » فيلسوف العرب والعجم ابي نصر الفارابي

اخي خلِّ حيِّز ذي باطلٍ وكن للحقائق في حيِّزِ
فما الدار دار مقامٍ لنا وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على اقلَّ من الكلم الموجز
وهل نحن الاَّ خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات اولى بنا فماذا التنافس في مركز

فتباحثوا الآن في مسائلكم واذكروا ان عمران مدننا وخرابها متوقفان على نتيجة بحثكم . ولنبدأ اولاً بمشكلة العمال وارباب الاموال وان كانت هذه المسائل كلها مرتبطة بعضها ببعض

الفصل السادس

﴿ الجلسة الاولى ﴾

المال ومشاكله

فساد حينئذ في الحديقة سكوت تام لم يُسمع في اثنائه سوى حفيف الاوراق وهمس بعض السيدات اللواتي كن جالسات على مقعد في زاوية مقابلة للزاوية التي جلس فيها حليم ورفيقه . وكان حليم قد بدا يرمي ببصره الى هؤلاء السيدات منذ لمح وجودهن هناك لعله يجد ضالته بينهن

دعوى زعيم العمال

و بعد دقيقة تقدم زعيم من زعماء حزب العمال وقال مفتتحاً البحث

ـ لقد احسنتم في تخصيصكم الجلسة الاولى بمشاكل العمال واصحاب الاعمال لان هذه اكبر المشاكل في الحقيقة . ومتى حللناها حللنا معها سواها . ولكن لا سبيل الى حلها الا بطريقة واحدة . وهي إشراك العمال في ربح الاعمال . فاننا الآن نخدم اصحاب الاعمال كما يخدم العبد سيده . واسعدنا حظاً واعظمنا قدراً يتناول في الشهر مائة فرنك . اي يأْخذ في السنة اجرة لعمله ١٢٠٠ فرنك . فاذا افترضنا ان عددنا في العمل ٣٠ عاملاً كان مجموع ربحنا جميعاً في العام ٣٦ الف فرنك . على حين ان ذلك العمل يربح في كل عام مليون فرنك ربحاً مجرداً . وكل هذه القيمة تذهب وتنصبُّ في صندوق صاحب المعمل مع اننا نحن

السبب في ربحها . فاية عدالة عند الله والناس تُجيز هذا الامر . واي دين يرضى بان يسعى مائة وواحد يأكل

« ولكن فلنترك مسألة الربح جانباً ولننظر الى مسألة اخرى . وهي ان بين العمال المستخدَمين قوماً لا يتناولون في اليوم اكثر من فرنك واحد اجرة لهم . فكيف يمكن ان يكفيهم هذا الفرنك خصوصاً اذا كان لهم اولاد عليهم القيام باودهم . أليس ذلك عبارة عن ضرب الشقاء والذلة عليهم مدى العمر

« ثم ان العامل قد يمرض وقد يعجز وقد يموت . فماذا يحل به وبعائلته اذا كان قد صرف حياته كلها في خدمة صاحب العمل ولم يعد قادراً في مرضه وفي آخر عمره ان يكسب رزقه بعرق جبينه . ايموت جوعاً هو وعائلته . ام يدور في المدينة يستعطي

« لذلك نطلب منكم نحن العمال باسم الانسانية والاخاء البشري ان تنصفونا فاننا نحن الاكثرية في البلاد . وبدوننا لا تقدرون ان تصنعوا شيئاً . فنحن نحارب لرد غارة العدو . ونحن نفلح الارض لنخرج منها القوت والغذاء . ونحن نخدم في دوائر الحكومة والمحال العمومية والخصوصية . ونحن ندير المصانع لصنع المصنوعات ونسج الانسجة . فحرام ان نصنع كل شيء وعلى ظهورنا تُلقى كل الاحمال ثم تترك الحكومة فريقاً قليلاً من اصحاب الاموال يحتكر منافع البلاد وفوائدها وخيراتها ويسخّر لنفسه الامة كلها

فصاح به حينئذ صائح من فريق المال

ـ ولكن ماذا تريدون ان تصنع الحكومة . هل من حقها ان تتداخل بينكم لتجبر ارباب الاعمال على زيادة اجوركم او مقاسمتكم ارباحهم . ألا تعلمون ان لاصحاب الاموال الحق المطلق في التصرف باموالهم واملاكهم كما يريدون . وان الحكومة لا يمكنها التعرض لحق الملكية لانه من الحقوق الطبيعية التي لا تُنقض

فاجاب الخطيب زعيم العمال

ـ هذه شنشنة عرفتها من اخزم . فكأنكم نسيتم ان هنالك مذهبين متناقضين واحد معكم وواحد عليكم . ومما يحق لنا الفخر به نحن العمال الصغار ان مذهبنا في هذه المعضلة موافق لمذهب جميع شارعي الاديان من موسى الى يسوع الى محمد . فان هؤلاء الكواكب الثلاثة الذين اناروا سماء الشرق والعالم قاطبة لو عادوا اليوم الينا لكانوا من حزبنا . ذلك لانهم يعلمون ان كل هيئة اجتماعية تُبنى على ظلم الفئة الكبرى وراحة الفئة الصغرى هيئة فاسدة ستسقط لا محالة . فاذا كان في حزبكم فلاسفة كبار وعلماء اعلام ففي حزبنا من هم

فوق العلماء والفلاسفة . ثم هل تريدون منا فلاسفة فاسمعوا رأي الفيلسوف كارل ماركس

فضحك هنا بعض فريق المال وقال احدهم

ـ ما شاء الله . تستشهدون باشدّ انصاركم غلوًا

فقال الزعيم

ـ لا بل نستشهد بفيلسوف من الفلاسفة رأيه يناقض رأيكم في الملكية . فانكم تقولون ان ارباب الاموال مطلقو التصرف في معاملهم ومصانعهم ومتاجرهم . اما نحن فنقول لكم مع هذا الفيلسوف انكم في خطاء عظيم . فان معامل الامة ومصانعها ومتاجرها واراضيها هي من مرافقها ومنافعها كالانهر والابحر والهواء . ولذلك لا يجوز ان تكون ملكاً لفردٍ ايًا كان بل هي ملك لجميع الامة . فعلى الامة اذًا ان تتولى ادارتها بنفسها وتوزع ارباحها بين ابنائها . اي ان الحكومة تجعل نفسها التاجر الكبير الوحيد الذي تنحصر في يده تلك المتاجر والمصانع والمزارع وتستخدم فيها افراد الامة وتعطيهم اجرتهم من تلك البضائع نفسها اي من عين المال كلاً بقدر حاجته وكفاءته . والعامل يستطيع ان يستبدل البضائع التي تجتمع عنده باي بضاعة احتاج اليها .ـ هذا ما يراه بعضهم عدلاً وانصافًا . ونحن لا نطلب منكم كل هذا فاننا نترك لكم مصانعكم ومعاملكم ومتاجركم واراضيكم . وانما نطلب منكم ان تعطوا نصف ربحها في كل عام للعمال والمستخدمين الذين تخدّمونهم فيها وتبقوا النصف الثاني لكم

« ولا تقولوا اننا قد طلبنا شيئًا كثيرًا فاننا لا نطلب الا حقوقنا . لقد كرهت نفوسنا الخدمة بالاجرة كالاجراء . لقد كرهنا هذه العبودية الجديدة التي اخترعها التمدن الجديد . فاذا لم تنصفونا وتريحونا منها فاعلموا اننا نحذو حذو شمشون اذ نأخذ باعمدة الهيئة الاجتماعية ونشدها قائلين « علينا وعلى الجميع يارب » فيسقط البناء علينا وعليكم .

« ايها الاخوة . ان نور الشمس ونسيم الصباح وحنان الامهات ورغد العيش ومسرّات الاجتماع وراحة البال ـ كلها لم تخلق فقط لارباب الاموال . فان الله العادل خلقها لجميع البشر على السواء . ونحن معشر الفقراء المساكين من جملة البشر . فانظروا الينا وارحمونا . صدقونا ان لنا نفوسًا كنفوسكم تتألم من المصائب والفقر والشقاء . وان لنا اولادًا كاولادكم ونساء كنسائكم يجب علينا سدّ حاجاتهم . صدقونا ان الطبيعة ـ تلك الطبيعة القاسية الظالمة ـ لم تخصنا بخواص الجماد . فانها من ـ سوء حظنا ـ جعلت لنا معداً تتألم من الجوع . وقوى تخور اذا لم تُغذّ . ونفسًا تفضل الجحيم احيانًا على هذه الحياة . وهذا ما يدفعها مرارًا الى اقصى حدود الوحشية : كالفوضوية وما اشبهها . في ايديكم الآن يا ابناء

الوطن خراب بلادكم او عمرانها »

وما سكت زعيم العمال حتى قامت ضجت في صفوف اهل المال فصاح احدهم : يتهددوننا بالفوضوية . وصاح آخر : لا نخافهم فوراءنا جيش الحكومة . ولكن لم يلبث ان نهض زعيم اهل المال واشار الى رفاقه بالسكوت ثم اخذ يقول

دعوى اهل المال

ايها السادة

ـ مسألتنا مع عمالنا مسألة قديمة منذ وجود الانسان في هذه الارض . فمنذ وجد فيها رجلٌ نشيط قوي مدبر عامل ورجل ضعيف ساذج مهمل تسلّط الاول على الثاني واستخدمه في ما فيه مصلحتهما معاً . وان هذا الاتفاق بين القوي والضعيف ـ بين الرأس المدير الآمر والجسد المدار المأمور ـ بقي وثيقاً وطيداً الى ذلك اليوم الذي قام به الحسد والطمع يحرّضان الضعيف على القوي ويُغريانه بان يُعطل اعماله ان لم يشاركه فيها . فالحسد والطمع سبب كل هذا الخلاف

«ولقد كان العمال قبلاً يشكون من ان اجورهم قليلة وشغلهم كثير . فانهم كانوا يعملون من شروق الشمس الى ما بعد غروبها واسعدهم حظاً كان يتناول فرنكين في النهار . فرأينا ان نخفف عنهم فجعلنا اوقات عملهم ٨ ساعات في النهار (١) وابلغنا راتب الواحد منهم الى مائة فرنك . ثم انشأنا لهم منازل صحية رخيصة الاجرة ليقيموا فيها . واعتنينا بنسائهم واولادهم في اوقات الولادة والمرض . ولكن كل هذا لم يُقنعهم بل تدرّجوا من طلب الى طلب حتى وصلوا الى طلب مشاركتنا في مصانعنا ومتاجرنا ومزارعنا . فاذا اجبناهم اليوم الى ذلك فانهم لا يلبثون ان يطلبوا غداً طردنا منها ليستولوا عليها من دوننا

«فاعلموا ايها السادة انكم الان بازاء الطمع والحسد الاجتماعي لا بازاء مظالم بشرية كما يقولون . والويل لحكومتنا ولهيئتنا الاجتماعية اذا تركتموها تخضع للطمع والحسد . ولا ريب عندنا ان حرصكم على مصلحة وطنكم المرتبطة بمصلحة اهل المال والاعمال اشد ارتباط سيجعلكم تردّون دعوى العمال لا محالة

«ذلك انكم تذكرون ولا بدّ في هذا المقام اموراً عظيمة تتوقف عليها حياتنا وحياة بلادنا

---

(١) سبق البرلمان الانكليزي سائر الامم بتعيينه في العام الماضي ساعات العمل في المناجم ٨ ساعات فقط . وهذه المسألة يهتم بها العمال في كل مكان اهتماماً عظيماً . و ينكرها اصحاب الاعمال لانها تعطل اعمالهم

(الامر الاول) منزلة اهل المال في الهيئة الاجتماعية . فانكم تعلمون ايها السادة اننا مصدر ثروة البلاد وحياتها . فبتدبيرنا وسعينا ننشىء المتاجر الواسعة والمصانع العظيمة والمزارع الخصيبة وندرُّ على الامة بها اخلاف الثروة . ولو شئنا ان نحبس اموالنا ونقفل صناديقنا ونبطل سعينا لماتت الامة في سنة واحدة . والحكومة التي قراطيسها المالية في ايدينا تعرف ذلك حقَّ المعرفة . وان قيل لكم ان العملة واهل العلم سبب هذه الثروة فاجيبوهم: لماذا اذاً لا يستغنون عنا و يتصرفون بهذه الثروة كما يشاءون دون حاجةٍ الينا اذا كانوا صادقين . ولكنهم غير صادقين لانهم يبالغون في نسبة الفضل اليهم . فانهم بينما يكون الواحد منهم غائصاً في احلامه واوهامه يكون فكر الواحد منا حائماً حول متاجر الارض ومصانعها يفتش عن ثروة جديدة لبلاده . بينما يكون احدهم منهمكاً بكتابة مقالة على مائدته (حبر على ورق) او نظم شعر في غرفته (هباء في الهواء) فان احدنا يُسمع الامة موسيقى اجمل من موسيقى الشعر و يريها جمالاً ابهى من جمال الادب : اعني به جمال الذهب الذي ينساب من صناديقنا قناطير قناطير و ينشر الراحة والسعة والخيرات في طبقات الامة كلها . فاذا كنتم ايها السادة في غنى عن هذه القوة التي لا تعادلها في الوجود قوة فاخبرونا ذلك ولا تخجلوا منا

(الامر الثاني) حفظ مركز الامة الصناعي والتجاري والزراعي . فانكم تعلمون ان المزاحمات الصناعية والتجارية قائمة في الدنيا على ساق وقدم . والنصر النصر في هذه المزاحمات لمن يصنع المصنوعات والبضائع بارخص الاثمان . فاذا حكمتم علينا بزيادة اجور العمال وتقليل مدة العمل او اشراكهم فيه كنتم كأنكم تحكمون باقفال معاملنا ومتاجرنا لاننا بعد ذلك لا نستطيع مزاحمة المعامل الاجنبية

(الامر الثالث) حفظ شرائعنا المقدسة حفظاً مطلقاً . فان حق الملكية حق مقدَّس لا يجوز للحكومة مسه . ونحن بموجب هذه الشرائع مطلقو التصرف في املاكنا ومزارعنا ومتاجرنا . فاذا رامت الحكومة الضغط على حرية الملاك نقضت الشريعة والنظام نقضاً يخشى منه بعد ذلك على اساس هيئتنا الاجتماعية

(الامر الرابع) ايقاف تيار الاشتراكية عند حده . فان هذه الآفة الكبرى قد عظم خطبها وجل امرها . ولذلك طريقتان بسيطتان (الاولى) امتناع الحكومة عن المداخلة بين العمال واصحاب الاعمال لان ذلك ليس من وظيفتها (والثانية) ابطال الحكومة جمعيات العملة اي عدم معرفتها اياها رسمياً ومنع مداخلتها بين العمال واصحاب الاموال . فان

الشرّ كل الشر وارد من هذه الجمعيات التي تحرض العملة وتغرر بهم بوعود باطلة . وهنا مهد الاشتراكية . اذ متى فرّقت الحكومة هذه الجمعيات استؤصلت جرثومة الاشتراكية لسقوط نيرها عن اعناق العمال المساكين وصار ارباب الاعمال يحلون مشاكلهم معهم بكل لطف وسلام

(فقهقه هنا بعض في صفوف العمال وصاح احدهم : هذا وعد الهرة للفأر ان لا تأكله)

فقال زعيم اهل المال من غير ان يجاوبه

(والامر الخامس) هدم التجارة والصناعة والزراعة متى صار صاحب المعمل شريكاً لعمّاله . ذلك لان هذه الفنون المتشعبة العظيمة تقتضي وحدة الادارة واطلاق الارادة . فمتى كان صاحب العمل مقيداً باراء عمّاله فقد خرب العمل لا محالة وخمدت نار النشاط والاقدام الشخصي على الاعمال لان الفرد لا يعود يخاطر بماله ووقته وذكائه من اجل غيره

(والامر السادس) ان تذكروا ايها السادة ان حكومة بلاد كبلادنا لا يليق ان تُبنى على الاوهام والاحلام ويُلقى زمامها الى اصحاب التصورات والتخيلات . ان المخلوقات كلها قد خلقها الله طبقات مختلفة . ففيها القوي والضعيف والكبير والصغير والخامل والنبيه . وما الاشتراكية التي تحاول جعل جميع الناس متساوين الاَّ وهم وخيال . فهي تطلب مثلاً ان توّزع ثروة الدنيا واراضيها على جميع البشر بالسواء حتى لا يكون فيهم فقير وغني بل يكونوا كلهم في مرتبة واحدة . فهل سُمعت خرافة كهذه الخرافة : وهب اننا وزعنا اموال الدنيا واراضيها بين الناس بالسواء فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة ان الكسالى والجهلاء والضعفاء والخاملين والمسرفين ينفقون اموالهم ويبيعون اراضيهم بعد مدة وجيزة فيحصرها ويستولي عليها المجتهدون والمقتصدون واهل الذكاء والتدبير . وحينئذ تعود الحالة الى ما هي عليه اليوم ونرجع الى ما نحن فيه . فهل تريدون ضعضعة اساس الهيئة الاجتماعية من اجل تجربةٍ كل التاريخ البشري في الارض يشهد بفسادها . كلا . لا تخالفوا نواميس الاجتماع والطبيعة نفسها . ان نواميس الطبيعة الثابتة تُثبت هذا الامتياز بين المخلوقات . ولذلك يأكل قوي الحيوانات ضعيفها . اية قوة في العالم تقدر ان تساوي بين الذئب والحمل والهرّة والفأر والبازي والعصفور . اية قوة تقدر ان تنقض ناموس تنازع البقاء وبقاء الافضل في الارض . ان هذا الناموس وحده كافٍ لنقض مذهب الاشتراكية . في الحياة طبيعياً واجتماعياً وسياسياً القوي يقوم والضعيف يسقط . وهذا سبب انقراض كثير من الامم وقيام كثير من الشعوب . فمن اراد جرّ القوي من طبقته وانزاله ليساوي

بينه و بين الضعيف كان كمن يهدم قوة الهيئة الاجتماعية ويجعل جميع افرادها ضعفاء خاملين بحجة المساواة بينهم »

« ولقد ختم نائب العمال كلامه بذكر كارل ماركس و بتهديده لنا . فنحن نشك في رضائكم عن هذه المبادىء لانكم تعلمون عقباها . انكم لا تجهلون ان دعامة مذهب كارل ماركس اعتقاده بان الحكومات لا يمكن ان تهب الشعب والعمال من تلقاء نفسها حق الاستيلاء على مرافق الامة ومنافعها لان رجال هذه الحكومات من اهل المال الذين هم في رأيه اعداء للعمال . ولذلك يوجب على الشعب ان يغتنم احدى الفرص و يهاجم الحكومة و يستولي عليها . و بعد ذلك يتصرف بها طبقاً لمصلحته من جعل المعامل والمتاجر والمصانع والمزارع ملكاً للامة نفسها واعطاء اصحابها تعويضاً عنها . فاذا كانت هذه مبادئهم ايها السادة فما هذا التحكيم والرغبة في المسالمة الا رياء لا ينطلي محاله علينا

« فهم استحلفوكم ايها السادة باسم الاخاء الانساني ان تجيبوهم الى طلبهم اما نحن فنستحلفكم باسم دستورنا وعمران بلادنا ومستقبل امتنا وشرف صيت حكومتنا عند الامم ان تردوا هذا الطلب »

وما جلس زعيم اهل المال في مجلسه حتى اضطربت صفوف العمال وصفوف اهل العلم المجاورة لها . ثم انفرد احد رجال العلم وقام . فشخصت اليه جميع الانظار واشرقت وجوه العملة لانه كان معروفاً عندهم . فابتدأ هذا الخطيب خطابه قائلاً

دعوى اهل العلم

ايها السادة

« كان في نيتي ان لا اتكلم اليوم بل غداً ولذلك سمعت كثيراً من الاقوال والمزاعم التي تقتضي الرد دون ان تتحرك نفسي للرد عليها . غير ان كلمة واحدة لفظها خطيب اخواننا اهل المال في آخر مقاله اثارت نفسي للكلام رغماً عنها

« فهو ايها السادة استحلفكم في آخر خطابه « بمستقبل امتنا » ان لا تجيبوا الشعب الى ما طلب من مشاركة اصحاب الاعمال في اعمالهم . فهذا الاستحلاف « بالمستقبل » امر مدهش ايها السادة في مسألة كهذه المسألة . المستقبل؟ بالله دعوا المستقبل لله . وهل تعتقدون حقيقة ان الانسانية ستكون في المستقبل على ما هي عليه اليوم من الشقاء . اتصدقون ان اكثرية البشر سيبقون في المستقبل عبيداً وخداماً للاقلية . ايدخل في تصديقكم ان الشعوب ستبقى ضعيفة ضئيلة تحت نير الاجتماع اقوياؤها يموتون ضنى وجهاداً في هذه الحياة

لانهم لا يكادون يقدرون على تحصيل رزقهم ورزق اولادهم وضعفاؤها يموتون جوعاً وبرداً في الشوارع والاسواق وعاجزوها يعاملون معاملة الكلاب - بينما افراد قليلون في المدينة يجمعون قناطير الاموال

« اذا كنتم تعتقدون حقيقةً بذلك فقد انكرتم الله وجحدتم العدالة وقررتم الاباحة وبررتم قول من يقول : بطون تدفع وارض تبلع فلا نظام ولا ناموس

فصاح حينئذ واحد من صفوف رجال الدين

- هذا قول بارد . فان الانسان حرٌّ . وله ان يتصرف بحريته كما يشاء . ولذلك كان مسئولاً عن اعماله . وما الحيلة بسنة تنازع البقاء

فاستشاط الخطيب حينئذ وصاح مخاطباً فريق الدين

- لله ما اجهلكم

فاجابه ذاك

- لله ما احمقكم

فقال الخطيب :

- نعم نحن نحمق من جهلكم . أَلا تعلمون ان سنّة تنازع البقاء هذه سنة وحشية تناقض كل سنة دينية . أَلا تعلمون ان السنة الدينية ما وضعت الا لمقاومتها . أَلا تعلمون ان رجال الدين اذا قالوا بها كانوا كانهم ينتحرون وينحرون مبادئهم

« سنّة تنازع البقاء معناها ان كل واحد من البشر يسعى لنفسه ويجاهد رفيقه ليستأثر بالمنافع والخيرات دونه . وتكون خاتمة هذا الجهاد ان الاقوى يكون الفائز . والضعيف يُغلب ولا بأْس ان يموت ايضاً لان الهيئة الاجتماعية في غنى عنه . وبعض المتقدمين كانوا يقتلون اطفالهم الضعفاء وفقاً لناموس بقاء الافضل . فهذه الحالة هي حالة الحيوانات تماماً ايها السادة . كذا تحيي وتعيش وتموت وتنمو او تنقرض . فهل صار من فخرنا في تمدننا هذا ان نقتدي بالحيوانات في معيشتها الدنيئة

« فمبدأُ تنازع البقاء وبقاء الافضل مبدأ فظيع وحشي يهدم كل ما بنته الاديان وكل ما وضعه الفلاسفة وعلماء الآداب في الارض . اذ ما الفائدة من مراعاة الآداب والفضائل ما دامت الطبيعة تسنُّ ان للقوي ان يتمتع بكل قواه . ولماذا توضع الحدود والشرائع لكف الناس اذاهم بعضهم عن بعض ما دام القوي معذوراً في اعتدائه لانه يعمل وفقاً للناموس الطبيعي . ولماذا تكذب الاديان وتحثنا على الخير والبرّ والرفق والزهد والوئام والسلام مادام

كل هذا مخالفاً لناموس تنازع البقاء والكلمة العليا هي لهذا الناموس دائماً · اليس ذلك بمثابة غش للضعفاء من اجل منفعة الاقوياء

« فرحماكم لا تخلطوا بين الحالة الطبيعية والحالة الاجتماعية · ان تنازع البقاء وبقاء الافضل امران صحيحان في الحاله الطبيعية · وهنالك لا مرد لهذين الناموسين الهائلين · لذلك ياكل القوي الضعيف ويسحق الكبير الصغير كما تصنع الحيوانات الوحشية · اما في الاجتماع فان الحالة تختلف كل الاختلاف · ذلك ان الحكومة قد اخذت على نفسها من حين عزم البشر على الاجتماع والمعيشة معاً في مدينة واحدة « ان ترفع ظلم القوي عن الضعيف وتمدّ الضعيف بالقوة ليعيش بامن وسلام » وهذا ميثاق معقود بين الحكومة والناس · وبموجبه يعيش في المدن جنباً الى جنب الاقوياء والضعفاء · الاغنياء والفقراء · المرضى والاصحاء · فلزم عن هذا اذاً ان يكون للحكومة حق التداخل لرفع ظلم القوي عن عنق الضعيف كلما شكا الضعيف من الظلم · اي ان وظيفة الحكومة الاصلية التي اعطت على نفسها بها عهداً انما هي حماية الضعفاء من الاقوياء : اي مقاومة ناموس تنازع البقاء

« فعلى الحكومة اذاً لا ان تُنزل الاقوياء من طبقتهم لمساواتهم بالضعفاء بل ان ترفع الضعفاء من طبقاتهم لمساواتهم بالاقوياء · وهذا امر ممكن وذلك بالتعليم والتدريب والمساعدة · ومتى حصل هذا وصار جميع افراد الشعب اقوياء بتربيتهم العمومية سقطت حجة الذين يقولون ان البشر نبيه وخامل · وانه لا بدّ من تسلط الاول على الثاني كما قال الخطيب

هذا ما نُسميه اصلاح ظلم الطبيعة · على اننا لو كنا حيوانات ضارية نعيش في واسع البر لكان من المحتمل ان نترك الطبيعة تفعل فعلها الذي يحلو لها

« ولكنني اؤكد لكم اننا لو كنا نعيش في الطبيعة كالحيوانات لما عاش بيننا كثيرون مثل نيوتن · فان هذا النابغة كان ضعيفاً في صباه الى درجة الموت · ولم يعش الا بعناية امه وعناية الله · ولو عاش بين الاسبرطيين مثلاً لكانوا قتلوه لانه ضعيف لا يجدي نفعاً فذهب ضحية ناموس بقاء الافضل وتنازع البقاء · وانتم تعلمون كيف قلب هذا الرجل العلم باكتشافاته العظيمة · وذلك يثبتُ انّ ناموس بقاء الافضل وتنازع البقاء قد يكون احياناً ضد ناموس العمران (١)

« بقي بعد هذا ان نسأل : ماذا يصنع الشعب بعد ان يقوى ويتعلم ويتدرب ؟ هل

(١) لان الفضل في الطبيعة والقوة هي القوة البدنية التي عليها مدار ناموس تنازع البقاء وبقاء الافضل · واما في الاجتماع فقد تغيرت هذه القوة وصارت عقلية .

يعود للاستخدام كالرقيق ام يذهب ويستخدم هو نفسه بعضاً من اخوانه بني الانسان ويكون سيداً عليهم فيعمل بذلك عملاً كان هو نفسه يشكو منه ـ لا هذا ولا ذاك بل على الحكومة حينئذ ان تسلمه معامله ومصانعه ومتاجره ومزارعه · اي ان تشغله فيها تحت ادارتها هي ومراقبتها · وتوزع ارباحها عليه · وفي شيخوخته تعين له راتباً صغيراً يكفيه حتى لا يموت جوعاً : هذه كل مطاليبهم ايها السادة · فاذا عرضنا هذه المطاليب على بدوي ساذج لم يدخل المدن قط لاستغرب ان يوجد بين البشر قوم ينكرونها

« يقولون ان حق الملكية لا يُنقض · ولكن لماذا تنقضه الحكومة يوم تقرر نزع ملكية الاراضي والاملاك التي تحتاج اليها في مقابلة تعويض تعطيه لاصحابها · فالمعامل والمصانع والمتاجر والمزارع تنزع ملكيتها ويُعطى اصحابها تعويضاً عنها

« يقولون انه اذا قُسمت الاموال والاملاك بين الناس على السواء فانها تعود تجتمع في ايدي المدبرين المقتصدين · نقول ليس احد يطلب قسمتها بالسواء فان هذا وهم وافتراء علينا وعلى العمال · وانما نطلب وقف المصانع والمزارع والمتاجر والمعامل للامة وقفاً لا يجوز بيعه وشراءه لانه للجمهور · وليس يجوز للجمهور ان يتمتع بسوى ريعه · وتكون الحكومة الوكيلة العظمى لهذا الوقف العظيم

« يقولون ان ذلك يضعف الهيئة الاجتماعية لانه يجعل الاقوياء ضعفاء · نقول بل بالعكس انه يقوّي الهيئة الاجتماعية لانه يجعل الضعفاء اقوياء

« يقولون ان ذلك يهدم التجارة والزراعة والصناعة من قلة الاقدام حينئذٍ عليها وتقييد صاحب العمل بآراء عماله · نقول اذاً كيف تنجح المشروعات الكبرى التي تديرها الشركات الكبرى · والحكومة أليست حاضرة للمساعدة · وهل نجحت الاعمال التجارية والصناعية والزراعية من غير تنشيط الحكومات ومساعداتها

« يقولون ان المتاجر تكسد لانها لا تعود قادرة على مزاحمة البضائع الاجنبية الرخيصة · نقول ان بضائعنا ترخص اثمانها حينئذٍ بدل ان تغلو لان الحكومة لا تطلب ربحاً منها تخزنه في صناديقها

« يقولون ان ذلك يضر بالحالة الحاضرة · فنقول ولكن هل تريدون ان نخون المستقبل ونؤخره حفظاً للحالة الحاضرة

« المستقبل · لقد عدنا للمستقبل · اننا نريد في المستقبل حياة افضل من حياتنا الآن · فانّ اعصاب الانسانية الآن كلها متوترة متهيجة · كل واحد لا يأتمن اخاه على

اقل الاشياء . كل واحد يحذر اخاه حذره من الذئاب الضارية . وما ذلك الاّ لذلك المبداء الملعون الذي انبث في نفوسنا وهو مبداء تنازع البقاء مبداء طلب الفائدة للذات بكل الطرق وان اضرّ ذلك بالغير ضرراً عظيماً . فنحن نريد بدل هذه الانسانية المضطربة المتشنجة انسانية هادئة مطمأنة متمتعة بامن وسلام بنعم الارض والسماء . وهذا لا يتمّ مع النظام الحاضر والحالة الحاضرة لان الانسان لا تهدأ نفسه ويسكن جاشه وتتلطف اخلاقه الا اذا صار اميناً على رزقه . ولا امن على الرزق ما دام الاقوياء متروكين على الضعفاء يمتصون دماءهم والضعفاء يزمجرون ويزبدون في سرّهم حسداً وطلباً للنقمة

« ولقد سمعت الخطيب الثاني يتهكم على العلم واهله ويقول ان اهل المال هم المحسنون الى الهيئة الاجتماعية بقناطيرهم الذهبية . فهذه دعوى غريبة لانني كنت اظن ان المال يسمم الآن هيئتنا الاجتماعية تسميماً

« وليس سبب هذا السم المال نفسه ولكن الطريقة التي يُستعمل بها . فان طلاب المال لا غرض لهم في مصانعهم ومتاجرهم ومزارعهم سوى « ربح اكثر ما يمكن ربحه بكل الطرق » ولذلك نظلمهم اذا اردنا وضع قواعد ادبية ورمنا منهم حفظها في معاملاتهم . ان طلب المال والادب لا يجتمعان . ولذلك قيل « لا يُعبد ربان : الله والمال » ـ وهذا بخلاف ما لو كانت تلك المصانع والمزارع والمتاجر في ايدي الحكومة . فانه لما كان اساس كل حكومة عادلة الفضيلة المطلقة وكان غرضها حماية الضعفاء لا جمع المال فانها تنبو بالطبع عن الروح التجاري الافرادي الذي يسمم الهيئة الاجتماعية اليوم ويبثّ فيها روح الفساد بدل روح الاصلاح والاحسان الذي اشار الخطيب اليه

« وروح الفساد هذا ظاهر في كل مكان . فان النفوس اليوم لم تعد تعرف نظاماً غير الذهب ولا فضلاً لغير الذهب ولا قيمة لغير الذهب . انظروا الى اعمالهم لا تجدوا لها غرضاً غير جمع الذهب والظماء الى الذهب . ولذلك صار كل شيء يُشرى ويباع عندهم بالذهب . فالاستقامة والامانة : كلام فارغ لان المقصود جمع الذهب . الآداب والفضائل : حلية العاجزين لان الحلية الحقيقية حلية الذهب . الضمير والذمة والشرف والمبادىء الازلية والرفق بالناس ومحبة القريب وصنع الخير والله : دعنا منها كلها فما هي الا حبائل نصبها الساسة والشارعون لاخضاع الشعوب والحقيقة ان كل شيء دون الذهب . ـ فما هذه الحالة الهائلة التي ترتعد منها فرائص الانسانية ايها السادة . هذه هي جهنم الحقيقية . هذه هي الهاوية السافلة التي يلقون فيها كل ما هو محبوب وكل ما هو مقدس وكل ما هو جميل وكل

ما هو عزيز عندنا . وهم يسمون هذا الامر سعة وثروة وخيرات ونعماً . واما انا فاسميها : فظاعة وجنوناً وهوساً و شراهة ونهماً وقبضاً على الهواء

« وقد قلت « قبضاً على الهواء » لان طالب الذهب يرى وهو على فراش الموت في يومه الاخير في ساعته الاخيرة انه سعى وتعب وجدّ عبثاً . اذ ماذا عمل ؟ واي فائدة له مما جناه؟ هل كان يأكل كل يوم الف كبش كما تهكم عليه اليازجي ام كان يكتفي بكسرة من الخبز وقطعة من اللحم كما كان يأكل جاره الفقير . وما يعمل اولاده بتلك القناطير المقنطرة التي تركها لهم . هل ترى جمعها قطعة قطعة من كل طريق و بكل الوسائط ومن كل الجيوب لكي يرى عدم فائدتها في ساعته الاخيرة وعجزه عن اخذ شيء منها معه ـ وحينئذ يتمثل له الاشخاص الذين امتصها منهم في حياته والدموع التي جرت من بعضهم والغضب الذي ثار في بعضهم والعرق الذي انصب من بعضهم في سبيل خدمته فيرى ان حياته كانت حملاً ثقيلاً على البشر . وفي هذه اللحظة الاخيرة يفهم معنى قول الماليّ المشهور كارنجي غريبة الغرب « سيأتي يوم يكون فيه كل غني يموت دون ان يفرّق امواله موصوماً عند الناس بوصمة العار » فيغطي حينئذ عينيه بيديه و يقول : لم يبقَ لي غير رحمة الله . ولكن الله لا يرحمه الا اذا كان يهب في تلك اللحظة نصف ماله للفقراء والمساكين : اي ان يعيد نصف ماله للامة التي اخذه منها . ـ وعلى خلاف ذلك من لا يجعل غرضه في حياته مقصوراً على جمع المال بل يطلب غرضاً اشرف موافقاً لمصلحته ومصلحة الهيئة التي يعيش فيها معاً

« وهذا الغرض الاشرف هو حفظ النظام في الارض والمساعدة على حفظه . فان البشر لا يمكن ان يعيشوا براحة في الارض من غير شرائع تحكمهم . وهذه الشرائع منها سياسي وديني واجتماعي وادبي . ومجموعها نسميه « النظام » اي الشريعة المطلقة التي تدخل فيها كل الشرائع . وحفظ النظام اول ما يجب على الانسان الذي يستحق ان يُسمى انساناً . وكل من يخرق هذا النظام يخرج عن حدود الانسانية . ولكن كيف يُخرق هذا النظام ؟ يُخرق بطرق عديدة . فالصانع الذي يغش صناعته والزارع الذي يغش زراعته والتاجر الذي يغش تجارته انما يخرقون ذلك النظام لانهم يخدعون اخوانهم بني البشر ليربحوا منهم اكثر مما اعتادوا ربحه . وصاحب العمل الذي يستخدم العمال في عمله باجرة قليلة بالنسبة الى ربحه وصاحب الاموال الذي يضايق مديونيه والسيّد الذي يسيء في معاملة مسوده لانه لا يعظّمه بقدر ما يريد ان يُعظّم ـ كل هؤلاء ايضاً يخرقون حرمة النظام الاجتماعي لان الرفق والرأفة اساس هذا النظام . فانتم ترون ان « حفظ النظام » و « جمع

المال » نقيضان لا يجتمعان وضدان لا يأتلفان . فاين ما قاله الخطيب من ان الهيئة الاجتماعية لا تستغني عن اهل المال

« كلا ثم كلا . أن الهيئة الاجتماعية تحتاج الى المال لا الى اهل المال . والمال متى عاد الى صندوقه الحقيقي انحصر في يد الحكومة . اما الذين لا يمكن للهيئة الاجتماعية ان تستغني عنهم فهم اهل العلم . هم حفظة هذا النظام الذين نشير اليه . هم الذين يطرحون انفسهم بين الانسانية المقتتلة على حطام الدنيا وخزعبلاتها ليسمعوها كلمة المحبة والرفق والالفة و يذكروها بزوال هذه الاباطيل . هم الذين يولدون فقراء و يعيشون فقراء مفتخرين بفقرهم لان قناطير الاموال التي تُجمع في الصناديق انما تُجمع من دماء بني جنسهم اما من التسفل لاقويائهم او الضغط على ضعفائهم . هم الذين تراهم مع فقرهم هذا مكتفين قنوعين يستنشقون براحة وهناء هواء جوّهم النقي من جراثيم الرذائل والفظائع التي تسمم جوّ غيرهم . هم الذين يطبقون اعمالهم على اقوالهم فلا يظلمون ولا يخدعون ولا يتسفّلون . فكأنهم اعمدة شامخة نصبها الله بيده الازلية في هذه الارض ونقش عليها فضائل اديانه بكتابات جديدة وطرق جديدة بعد ان فسدت الاعمدة الاولى التي نقشها عليها اولاً بفساد قلوب الرجال الذين كانوا يحرسونها

« هذا ما يُقال في العلم حافظ « النظام المطلق » في الارض . بقطع النظر عما كان له من الفوائد العملية كالاكتشافات والاختراعات التي احيت التجارة والصناعة والزراعة ولولاه لما كانت الآن على جزء من تقدمها الحاضر

« فمن الغريب ان يهاجمنا اهل المال وينكروا فضل العلم ونعمته بعد كل ما صنعه العلم للهيئة الاجتماعية

« اما حكمكم في مشاكلنا هذه ايها السادة فليكن كما تشاؤن ولكن علينا ان نذكركم بان الدنيا كلها تنتظر حكمكم بشوق شديد لترى الى اي درجة وصل العدل في الكرة الارضية »

ولما جلس الخطيب تزحزح الشيخ الرئيس ونظر في ساعته ثم قال بصوت جهوري

ـ انني مسرور لاننا سمعنا اقوال الخطباء الثلاثة بكل هدوء وسكينة . فهل ترون ان نتباحث الآن فيها

فنهض واحد من فريق رجال الدين وقال

ـ بل ارجو ان نترك البحث في كل المشاكل الى ما بعد سماع اقوال باقي الخطباء

فهزّ بعض من فريق العلم رؤوسهم لانهم علموا ان هذه حيلة عليهم وقال الشيخ الرئيس اذاً نعقد غداً الجلسة الثانية

الفصل السابع

﴿ الجلسة الثانية ﴾

العلم ومشاكله

وفي الليلة التالية ازدحمت الحديقة بالاقدام ازدحاماً شديداً · ذلك ان الخطب التي أُلقيت امس حمَّست السكان ولم يكن في المدن الثلاث في ذلك النهار حديث في غيرها · وقد حدثت بعد العصر عدة فتن في مدينة المال بين العمال واصحاب الاعمال فاضطرت الجنود الى المداخلة اعادة للنظام · ولذلك كان عدد الجند حول الحديقة في هذه الليلة اكثر منه في العادة

ولما انتظم عقد الاجتماع وجلس الشيخ الرئيس في كرسيه وعلى وجهه لوائح القلق واشتغال البال انصت الجميع · فقال الشيخ الرئيس

ـ كملوا يا اولادي مباحثتكم في مصالحكم واذكروا وصيتي لكم بالهدوء والسكينة

وكانت هذه الجلسة مخصوصة بالعلم ورجاله · فنهض زعيم كبير من صفوف رجال الدين وابتدأ يخطب في الجمع بصوت جهوري · فقال

دعوى اهل الدين

ايها السادة

ـ لما كنت اصغي الى الخطب الثلاث التي القيت امس كنتُ اظنني في حلم · لان الخطباء الثلاثة بعد كل ما ذكروه في اثناء كلامهم لم يدخلوا في اساس الموضوع · فكل كلامهم كان خارجاً عن دائرة المسألة

ان المسألة الكبرى التي هي مسألة المسائل في الهيئة الاجتماعية هي « كبح هوى الانسان » اي وضع شكيمة تضبط شهواته واهواءه لان الاجتماع مستحيل من غير هذه الشكيمة · وهذا هو السبب في نزول الاديان وقيام المهذّبين والمرشدين ليعلّموا البشر انهم لا يكونون بشراً الا اذا كسروا حدتهم وقللوا طمعهم وسكّنوا اهواءهم وسامحوا المسيئين اليهم · الى غير ذلك · ولكن تعالوا وانظروا ماذا يصنع اهل الكفر والضلال

فصاح صائح من بين صفوف اهل العلم

ـ لم يصنعوا شيئاً سوى انهم نقلوا الجنة من السماء الى الارض
فاتمّ الخطيب كلامه دون ان ينتبه اليه قائلاً
ـ انهم قاموا يعلّمون الناس الانفكاك من هذه القيود الادبية الجميلة التي حفظت الهيئة الاجتماعية الى اليوم . فانهم يحرّضون الضعفاء على ان يتمتعوا بالحياة كالاقوياء . ويعلمونهم ان ذلك من حقهم لانهم الاكثرية . وان اللذات الموعودين بها فوق تعويضاً لهم عما فاتهم منها هنا انما هي لذات وهمية . وبهذا التعليم ايها السادة يهدمون نظام الاجتماع الذي يزعمون انهم حافظوه ويثيرون كل ما في نفس البشر من الاحقاد والضغائن والشهوات الحيوانية
فصاح حينئذ صائح من صفوف العمال
ـ كم اعطاك اهل المال لتقوم مدافعاً عنهم
وصاح صائح آخر منهم
ـ لا عتب علينا نحن العوام اذا كنا نطلب التمتع بخيرات الارض ما دام رجال الدين قد سبقونا الى ذلك منذ ازمان
فاتمّ الخطيب كلامه قائلاً
ـ فاهل الضلال هم السبب في كل هذه الفتن وهذه الاضطرابات . ولست اسميهم « اهل العلم » لان العلم الحقيقي براء منهم . وها في صفوفنا نحن كثيرون من اهل العلم الحقيقي ينكرون تلك البدع المهلكة
« ايها السادة . ان بابل ونينوى وسدوم وعمورة انما خربت وصُب عليها غضب الله لانها اطلقت اهواءها وشهواتها من كل قيد . فهل ترومون ان يصيبنا ما اصابها
« هؤلاء المصلحون اصلحهم الله يريدون الاشتراكية . اي يريدون هيئة اجتماعية فيها الجميع اخوة وتكون ادارتها تهتم بالجميع . فعافاكم الله ايها المقلّدون الذين يُسمون انفسهم مخترعين . الا ترون ان هذه الهيئة هي هيئتنا نفسها . فتعالوا اذاً الينا . ولكنكم لا تأتون لان اشتراكيتنا نحن مبنية على المحبة والرفق لا على العنف والغصب . نحن نعتبر الكبير فينا صغيراً والصغير فينا كبيراً واما انتم فتريدون ان تكونوا كلكم كبراء . نحن نجامل الجميع ونساوي بين الجميع لنرضي الجميع واما انتم فتريدون جعل الفقراء اغنياء والاغنياء فقراء . نحن نطلب خيرات الدنيا لنفرقها على غيرنا واما انتم فتطلبونها لتدفنوها في بطونكم
« فالفرق بيننا وبينكم في المسألة الاقتصادية كالفرق بين الخير والشرّ والبياض والسواد . انتم تحرّضون وتهيجون ونحن نسكّن ونهدّد . والله من اعالي السماء يعلم اننا انفع للهيئة الاجتماعية

فصاح حينئذٍ صائح من بين العمال

ـ هذا افتخار من يكبح جماح البقرة ويمسكها لمن يريد حلبها

وصاح صائح من فريق اهل العلم

ـ نراكم صبرتم تفتخرون بفوائد مبادئكم بدل الافتخار بصحتها

فاجاب الخطيب ـ ان المفيد يكون صحيحاً دائماً

فصاح واحد آخر من فريق العلم ـ ان دين بوذه وكونفوشيوش وبرهما صحيح ايضاً لانه مفيد

فاستشاط الخطيب غضباً حينئذ وصاح مخاطباً اهل العلم

ـ كل المذاهب خير من مذهبكم . ونحن سواء كنا مسيحيين او مسلمين او اسرائيليين او بوذيين او براهمة او كونفوشيوشيين كلنا على اتفاق ضد مبادئكم المهلكة

فصاح صائح آخر من فريق العلم

ـ هذا افتراء فظيع علينا فاننا نؤمن بالله مثلكم

فاشتد غضب الخطيب فقال

ـ نعم تؤمنون بالله لتتخذوا هذا الايمان ستاراً تنشرون وراءه مبادءكم . وهل تحسبوننا بلهاً الى هذا الحد حتى نكتفي منكم بالايمان بالله . فاما ان تؤمنوا كما نؤمن نحن اوتكونوا جاحدين . هل تؤمنون برسالات الرسل والانبياء والاقانيم الثلاثة وعلم الله بكل شيء ومقدرته على كل شيء والبعث والحساب في عالم آخر فيه جنة وفيه نار . كلا انكم لا تؤمنون بذلك . ومع ذلك تنادون « ان علمكم موافق للدين » . وعلمكم لا يكون موافقاً للدين عندنا الا متى اضاف الى ايمانه بالله الايمان بهذه الامور لانها هي الدين . فتدجيلكم اجيزوه بعد الآن على السذج لا علينا

فقطع كلامه احد رجال العلم قائلاً

ـ هل تعلمون سياستكم هذه الى اي هاوية تجركم

فاجاب الخطيب

ـ كل الهاويات عندنا مقبولة بالنسبة الى هاويتكم . انكم تهدمون ما بنيناه في عدة قرون . انكم تضعضعون الهيئة الاجتماعية من اساسها . فعلينا محاربتكم بكل سلاح

« ولكن خبرونا ماذا تريدون ان تضعوا بدل الشيء الذي تطلبون هدمه . لا ريب انكم تعلمون المبداء القائل « لا يمكن في الاجتماع هدم شيء الا متى امكن وضع شيء آخر مكانه يقوم مقامه » فماذا تضعون موضع الدين . أتضعون العلم ? لله ما

لله ما اسخف احلامكم . اذهبوا وقولوا للناس وخصوصاً للشعب المسكين : يجب عليكم ان تحبوا قريبكم من اجل العلم . وتصنعوا الخير من اجل العلم وتعفّوا عن مال غيركم اكراماً للعلم . ولا تصنعوا شرّاً في السر ولا في العلانية اكراماً للعلم — وحينئذ تسمعون الجواب . ولكن ويل للهيئة الاجتماعية في ذلك اليوم الذي تقطع بيدها الاثيمة قيود خوف الله ورهبة الدين لتجرب هذه التجربة الهائلة

فقطع هنا كلامه خطيب العلم السابق قائلاً

— هل تسمح لي ان اجيبك الآن عن هذا الكلام

فقال الخطيب

— اذا كان جوابك وجيزاً فلا بأس

فقال المعترض

— معاذ الله ان نروم هدم الدين كما تفترون علينا وانما نروم هدم الاوهام والخزعبلات في الدين . فلماذا تجعلون هذه قسماً منه . واول هذه الخزعبلات قولكم ان الانسان لا يمكن ان يعبد الله ولا ان يفهم الكتب الدينية الا بواسطة كاهن او شيخ . وبذلك تضعون انفسكم بين الله وبين عباده رفعاً لشانكم وطلباً للفائدة لكم . وهذا ما جعل بعض رجال الدين في بعض خطبه العمومية يفضّل الذبيحة اليومية في الكنيسة على كل ما في الديانة المسيحية من الفضائل وروح الكمال . فنحن اذا حاربناكم فانما نحارب هذه السيطرة على عقول الناس . اي نحارب اتخاذ المبدأ سبيلاً للمصلحة

« اما ماذا نضع موضع الدين فهذه مسألة يجيبكم عنها علماء الفلسفة الوضعية او الحسية . فانهم يقولون ان للبشر ثلاثة اطوار : طور الطفولية وهو الاعتقاد بان العالم محكوم بالارواح والآلهة . وطور الشباب وهو البحث في ما وراء الطبيعة . وطور الرجولية وهو طلب الهيئة الاجتماعية «نفع الناس» بناء على «الواجب» ومحبة الناس والعقل والمصلحة المتبادلة . وهم يقولون ان البشر متى وصلوا الى هذا الطور صاروا يعملون ما يجب عليهم عمله من غير ارهاب ولا تشويق بل بسائق فطرتهم ومصالحهم المتبادلة المحصورة في هذه العبارة « يجب ان لا اصنع بالناس الا ما اريد ان يصنع الناس بي »

فصاح الخطيب

— اذاً تكون قصارى فلسفتهم ايها السادة ان يأكل الناس ويشربوا وينامو ويعيشوا معيشة الخنازير . هذه هي « المعيشة الوضعية » وكثيرون من البشر هذا شأنهم

اليوم . وهم يضيفون الى ذلك التمتع بكل شهواتهم واهوائهم الحيوانية . فهل يكون في المستقبل ايها السادة هؤلاء الحيوانيون العابثون بكل شيء مصيبين والذين صرفوا حياتهم بالعفاف والزهد والفضيلة والخير والصلاح مخطئين . هل المستقبل سيذبح الفضيلة هذه الذبحة الهائلة بان يثبت ان اولئك كانوا اقرب الى الحقيقة من هؤلاء . اذًا ما افظع الحاضر وما اقبح المستقبل . و ياهاويات الفناء . يا جحيم العدم . ابتلعينا منذ الآن واريحينا من حاضر فظيع ومستقبل قبيح

« ولكن لا لا . ان الله موجود ايها السادة « وكل ما في الطبيعة يدل عليه ويشير اليه . ولا ينكره الا الاشرار الذين يخافون عدله» . ونحن لا نعلم هل يوجد في العالم بشر تكفيهم تلك المعيشة الخنزيرية المجرَّدة عن كل عاطفة انسانية كريمة وكل جنوح الى ما وراء الطبيعة ولكننا على ثقة من انَّ في العالم قومًا لا تكفيهم هذه المعيشة الحيوانية . بل ان نفوسهم الشريفة وفطرتهم السامية تجنح دائمًا الى خالق الطبيعة وواهبها قواها . الى الآخرة التي هي وطننا الحقيقي . الى الحياة الروحية التي هي الحياة الحقيقية . - و بناء على ذلك يكون علمكم وفلسفتكم مما يرضي قسمًا من الانسانية فقط . والقسم الثاني لا يستغني عن علمنا وفلسفتنا اي عن مبادئنا الدينية . ولذلك يكون الدين من حاجات قسم كبير من الناس لاختلاف قلوب الناس باختلاف فطراتها ولان اصوله مغروسة في النفوس لا في الكتب والاوراق

فصاح به المعترض

— ولكن هذا الفريق من الناس ينقرض متى دخلت الانسانية في الطور الثالث من اطوار الفلسفة الوضعية التي تقدم ذكرها

فصاح الخطيب ضاحكًا ومتهكمًا

— انتظروا فاننا معكم منتظرون . ولكن على افتراض ان هذا القول صحيح هل يجوز جرح عواطف الناس بمهاجمة معتقداتها قبل حصول هذا التغيير ودخول الانسانية في طور التحوّل عما بين يديها

فاجاب المعترض

— نحن نجاهد كالرسل والانبياء . ولولا هذه المجاهدة لما تقدمت المبادئ . وهل تظنون ان المسيحيين والمسلمين لو انتظروا حصول التغيير في الارض من مجرّد سير المبادئ، كانوا قد وصلوا الى ما وصلوا اليه

فصاح الخطيب وقد فرغ صبره

— بئس هذا الجهاد الذي تقومون به · فانكم تهدمون به كل شيء محبوب الينا · واي شيء سلم من هدمكم · لقد هدمتم الدين وهدمتم الوطن وهدمتم الجيش وهدمتم العائلة وهدمتم العادات الجميلة المقدسة

فضحك هنا كثيرون من فريق العلم وقال احدهم

— انك تتسلح بالمبادىء الوطنية وبالدفاع عن الجيش تقوية لحجتك

فقال الخطيب

— وهل تنكرون انكم افسدتم الفكرة الوطنية وشوَّهتم مبادئها المقدسة · اما نسمعكم دائماً تعلّمون الناس ان البشر اخوان وان الحدود يجب ان تُزال من بين بني الانسان · فما معنى هذا عندكم · اليس معناه تسليم الوطن للاجانب · ثم اما انتم الذين تدعون الى نزح السلاح وقصدكم من ذلك اضعاف جيشنا لكي يصبح غير قادر على مقاومتكم يوم تريدون انفاذ اغراضكم · اما انتم الذين تحرّضون الجنود على الفرار من الخدمة العسكرية لانها عارٌ في مذهبكم لقيامها على حمل السلاح وسفك الدماء وتنشرون المنشورات بين صغارهم ليعصوا قوادهم ولا يكبحوا جماح العمال في اوقات الاعتصاب · اما انتم الذين ادخلتم الطلاق في العائلة فضعضعتم به اساسها واساس الهيئة الاجتماعية ثم تريدون الآن توسيع نطاقه باعطاء كل واحد من الزوجين حق الطلاق حينما يطلب ذلك وان لم يرضَ به الثاني · اما انتم الذين تدعون الى اباحة الزواج من غير زواج والعياذ بالله اي من غير عقد رسمي سوى رضى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ومتى شاءا يفترقان كما اجتمعا

فصاح حينئذٍ كبير من فريق رجال العلم

— يظهر ان هذا الكذب لا حدَّ له عندكم فانكم تنسبون الينا كل اعمال الاشتراكيين مع علمكم اننا براء منها

فقال الخطيب

ـ ولكن أليست هذه كلها نتائج مدنيتكم هذه · انما اردنا ان نظهر للامة الهاوية التي تجرّون البلاد اليها اذا بقيت لكم الحرية · فانكم تعطلون عقائد الامة بجرّها الى الالحاد · وتثيرون الحرب الاهلية بتحريضكم الصغار على الكبار والضعفاء على الاقوياء · وتفرّقون الجامعة الوطنية والدينية بدعوتكم الى الاخاء والتعاون الانساني · وتُضعفون قوة البلاد بمقاومة جيشها واهانته في كل يوم · وتهدمون الهيئة الاجتماعية والفضائل المدنية بمحاربتكم العائلة ووضعكم الفاحشة موضع الزواج المقدس اللطيف

« هذه ثمار اعمالهم ايها السادة . ومن ثمارهم تعرفونهم . فلا يفتخروا بعد الآن بانهم حفظة « النظام المطلق » مع انهم مضعضعوه . ان النظام يقتضي قبل كل شيء « انكار الذات » اي ان يتنازل الانسان عن شيء من حقوقه في سبيل المصلحة العمومية اكراماً للذين يخدمون و ينفعون . فالرؤساء والحكام والاغنياء والكبراء يتفانون في الخدمة العمومية ونفع الامة ولذلك يجب على افراد الامة ان ينكروا ذواتهم قليلاً ويتركوا لهم شيئاً من حقوقهم في مقابلة متاعبهم ومسئوليتهم . ولذلك تكون المساواة المطلوبة بين هولاء وافراد الامة عبارة عن وهم وخيال . اما المساواة الممكنة الحقيقية ايها السادة فهي تكون في السماء لدى الله لا في الارض بين الناس »

وهنا فرغ الخطيب من خطابه وجلس وهو يمسح العرق عن جبينه . ويظهر ان الغيظ الذي كان في اثناء كلامه يجيش في صدور العمال والغلاة من انصارهم قد طفح حين سكوت الخطيب فهاجوا وماجوا وصرخوا صرخة واحدة قائلين « فليسقط الظالمون » وصاح احدهم « قلتَ ان المساواة وهم وخيال فالوهم معتقدك والخيال في دماغك اما المساواة فسنحققها او نموت » وصاح اخر « ان قولك وهم وخيال ينقض كل الاديان ولكن لا يهمكم دينكم ما دامت مصلحتكم مصونة » -- فردّ عليهم حينئذ فريق من رجال المال ورجال الدين وعلت الضوضاء واحتدم الجدال وتماسك فريق منهم بعضهم ببعض وتضاربوا فعمت الفتنة الحديقة كلها واضطرت الجنود الى المداخلة حفظاً للامن . ولكن الجنود لم تتمكن من ذلك الا بشق النفس لعظم الاضطراب . ثم انجلت الفتنة عن جريحين حُملا الى المستشفى بحالة النزع . واخرجت الجنود الناس من الحديقة وفرقتهم في المدن الثلاث لان التحمس كان شديداً

الفصل الثامن

الجلسة الثالثة

الدين ومنشأه كله

وفي اليوم التالي انتبه السكان على اصوات جلبة العمال واجتماعهم في الشوارع والاسواق افواجاً افواجاً لاعتصابهم وتركهم العمل بتاتاً في ذلك اليوم . فتفاقم الخطب وازداد الاضطراب .

لكن لما بلغ العمال ان شيخ اهل العلم سيخطب في تلك الليلة ردًّا على خصومهم خمدت قليلاً نار حدتهم . ولما امسى المساء غصت الحديقة بالناس حتى لم يبقَ فيها مكان لموضع قدم . وكانت جميع الابصار حائمةً على صفوف اهل العلم لتشاهد شيخهم الكبير الذي كان لا يخرج من خلوته في مدينة العلم ولا يحضر المجتمعات العمومية ليبدي رأيه فيها الاَّ في اشد الاوقات . وبينا هم يتطاولون نحو صفوف العلم انفرد من هذه الصفوف شيخ مهيب جليل كلّل الشيب رأسه وهو يناهز السبعين . فجلس على كرسي منفرد كان موضوعاً على دكة وابتدأ خطبته والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير . وكان حليم جالساً مع رفيقه في الزاوية التي تقدم ذكرها قريباً من شيخ العلماء والشيخ الرئيس وقد صار شديد الاهتمام بما عليه اهل هذه المدن من الاختلاف بعد ما سمعه في الليلتين السابقتين

اما شيخ العلماء فانه انشأ يقول

خطبة شيخ العلماء

ايها الاخوان

ـ قرأتُ اليوم في الجرائد خطبة اخينا المدافع عن الدين الحامل على العلم حملة منكرة فخيل لي وانا اقرأُها انني في مشهد صراع وان الخطيب مصارع يطلب اعدام خصمه لا اقناعه . فذكرت حينئذ مشهداً كهذا المشهد فيه فكاهة وعبرة معاً . فانني كنتُ اسمع مرة احد المتحمسين في الدين يدعو الى دينه . فكان يتكلم بصوت كالرعد القاصف ويخبط الهواء بيديه خبطاً متوالياً ويرفس الارض بقدميه رفساً شديداً وينادي ملء فيه : ان البشر لا يستغنون عن الدين . ان دينه خير الاديان كما ورد في كتابه . ثم اردف ذلك باقوال عن العلة والمعلول والفاعل والمفعول والواجب والممكن وغيرها . فلبثت في مكاني مبهوتاً وانا اقول : ان هذا الرجل يطلب ان يدلنا على طريق السماء ومع ذلك فانه يغطي وجهها بالغبار الذي تثيره حدته وبالسحب المتراكمة من اقواله الجافة الغامضة التي لا يفهم سامعوه لها معنى . والتفتُّ لارى حالة سامعيه فابصرتُ في زاوية امامي فتاةً جاثية على بلاط الارض ووجهها لاصق بالثرى وهي تصلي ولا تسمع شيئاً من كلام ذلك المتحمس . فثارت نفسي لهذا المشهد وقلت ان هذه الفتاة بلطفها وهدوئها وسكوتها تعرف طريق السماء وتؤثر في الارشاد اليها اكثر من ذلك الواعظ البليغ الفصيح

« وان سألتم لماذا يكون تأثير هذه الفتاة مع سكوتها اوقع في النفوس من تأثير ذلك الواعظ المتحمس مع كثرة كلامه . فاجيب : ذلك لان هذه الفتاة تتمسك باسمى مبادئ

الدين ولا تلتفت الى ما بقي . واسمى مبادىء الدين التسليم والاستسلام الى الخالق وترك الدنيا لطلب ما وراءها لا الاستيلاء عليها وعلى عقول سكانها. بماذا كبرت الاديان وشرفت وعظمت ؟ هل كان ذلك بالحروب والسيوف والمدافع ؟ كلاً وانما كان ذلك بدم الشهداء . اي بتسليم الانسان نفسه الى كبرياء المخلوق اعتماداً على عدل الخالق . وقد كان الخالق عادلاً فان ذلك المسيحي الذي كان يحتمل كل عذابات الموت بسكوت وفرح وشكر لله لانه اختاره ووجده اهلاً لان يتعذب من اجله . وذلك العربي الذي كان في واقعة اليرموك يهجم طالباً الموت منادياً " يا محمد امتك امتك " – قد اسسا في العالم اديانًا عظمى وممالك كبرى . فكان انتصارهما عظيماً

« فدماء الشهداء ايها السادة وظلامات المظلومين هي التي نصرت الاديان وجعلت على هامة الدين اكليلاً من الجمال والسناء . فاحذروا ان ترفعوا هذا الاكليل عن هامة الدين . وانكم لترفعونه عنها وتضعونه على هامة قوم غيركم يوم يصير الشهداء في صفوف غير صفوفكم . فينتقل يومئذ صولجان العظمة والجمال منكم الى اولئك الشهداء الذين تعادونهم وتعذبونهم . اذاً لا تضطهدوا العلم والعلماء ولا تفتروا عليهم ولا تقاوموا العمال المساكين انتصاراً لاصحاب الاعمال فان هولاء العمال هم شهداء العصر الحاضر . وارجعوا الى الله في نفوسكم والى مبادئكم الاساسية التي منها درجتم فتنكشف لكم الحقيقة التي ننشدها معكم

« ولا تخشوا ان اقع في الخطاء الذي يقع فيه الناس عند طلبي التساهل والاعتدال منكم . فانني اعلم ان التساهل الديني ليس سوى فرع من التساهل العمومي الواجب بين جميع الناس في جميع المعاملات . اذ ماذا يفيدنا ان نطلب التساهل الديني فنحصل عليه ثم يبقى التعصب والتصلب في باقي الامور شديد البنيان راسخ الاركان . كلا . اننا نطلب التساهل المطلق . التساهل بكل فروعه . لان هذا التساهل العام هو وحده الضربة القاضية على الحيوانية والاثرة البشرية . فالذي يفتخر بانه متساهل في دينه لا يبغض غيره ولا يطلب ضرره بسبب مذهبه ثم تراه ظالماً في معاملاته الخصوصية فسمه متعصباً لا متساهلاً . وهكذا يكون صاحب العمل الذي يظلم عامله متعصباً . والعالم الذي يتصلب برأيه ولا يحتمل رأي غيره متعصباً . وهلمَّ جراً . فاطمئنوا فانكم لستم وحدكم مصدر التعصب لان للتعصب انواعاً متعددة

« ولكني اعتقد انه يحسن بخدمة الله ان يكونوا البادئين باقامة مملكة التساهل في الارض وقتل روح التعصب على انواعه . فساعدونا ايها السادة على محاربة الاثرة البشرية وحب

الذات واعادة الامن والنظام الى نصابه في البلاد

« وتوصلاً لذلك علينا ان نبحث معكم في مسألتين (الاولى) علاقة العمال بارباب الاعمال (والثانية) علاقة العلم بالدين

« اما المسألة الاولى فقد قرأتُ اقوال الفريقين فيها . فرأيت الغلو في الجانبين . فلتكن وظيفتنا ايها السادة التوفيق بين المصلحتين لا نصرة احداهما على الاخرى

« وقد القيتُ الى حضرة الرئيس حين دخولي الى هذا المكان لائحة فيها عدة اقتراحات اظنها كافلة بهذا التوفيق

« اما المسألة الثانية فحلها اسهلُ من حل المسالة الاولى . فان العلم والدين اذا اختلفا في الطرق فانهما يتفقان في الغرض . ذلك لان غرض العلم والدين واحد وهو تحسين حالة الانسانية وترقية شؤون البشر . فما الموجب لجعل الواحد يناقض الثاني ويحاربه

« لا موجب لذلك سوى الاهواء والمصالح ايها السادة

« فلننبذ الاهواء والمصالح ولنتمسك بالمبادىء والمبادىء توفق بيننا وان اختلفنا في تفسير بعضها

« ولكن فاعلموا جيداً ايها السادة انه لا سبيل للوفاق بين الفريقين الاَّ بتساهل الاثنين . فعلى الدين قبل كل شيء ان يتذكر ان العالَم قد تغير وتبدل ولذلك يجب ان يغير شيئاً من مبادئه وقواعده القديمة . وعلى العلم ايضاً ان يتذكر ان العالَم قد تغير وتبدل ولذلك يجب ان يغير شيئاً من مبادئه وقواعده الماضية . — ذلك ان العدو الحقيقي للدين والعلم ايها السادة انما هو الاثرة والشراهة والرغبة في الانفكاك من كل قيد . او كما يقول بعضهم " اعطاء الفرد مداه لاشباع كل قواه " . وما نتيجة هذا الامر الاَّ استعلاء ذوي الفطر الدنيئة على ذوي الفطر السامية اي تغلب صغار النفوس على كبارها لان المواهب السامية والعواطف الكريمة المودعة في النفوس الكبيرة لا تعود نافعة لشيء ما دام الغرض من الحياة التمتع بما فيها من اللذات . وحينئذ يملك في الارض اصاغر سكان الارض اعني الشرهين والحمقى والوقحين والمعتدين والظالمين . وينزوي الاكابر الحقيقيون في زوايا الاهمال يندبون سقوط كل ما هو جميل وجليل . ولا عزاء لهم حتى ولا بحياة اخرى لان اولئك يضحكون منهم ويخبرونهم انها حياة وهمية

" نعم ايها السادة اننا مثلكم نبكي حزناً واسفاً كلما رأينا العلم يؤدي ببعضهم الى هذه النتائج المكروهة . ولكن رحماكم انصفوا ولا تلقوا التبعة في ذلك على العلم بل على الذين اخرجوه هذا المخرج . اي على النفوس التي استنتجت منه هذه النتيجة القبيحة . ان العلم

„ كندى السماء . ولا يبقى الندى نقياً الاّ اذا وُضع في اناء نقي ‟ فالنفوس التي تُخرج العلم المقدّس ذلك المخرج ليست بنفوس نقيّة ولذلك يفسد العلم فيها . فقبل لومكم العلم لوموا الفطرة الطبيعية الدنيئة

„ ثم هل تظنون ان العلم وحده يُنتج نتائج كهذه النتائج . كلا . فان تعليمكم الدين بالطريقة التي تعلمونه بها يُنتج مثلها ايضاً . فانكم تعلمون مبادىء وقواعد قديمة لم تعد العقول تقبلها في عصر كهذا العصر . وتطلبون تدبير الحاضر بالماضي . وتقولون ان الناس لا يمكنهم فهم الكتب الا بواسطتكم ولذلك تفسرونها وتضعون رايكم في هذا التفسير في موضع الحقيقة الثابتة التي لا يجوز مسّها بدل ان تتركوا الناس يفهمونها كما تسوقهم فطرتهم . فكم من نفس ساذجة كريمة تفهم مع سذاجتها تلك الكتب بالروح اكثر مما تفهمونها انتم . بل هي تصنع افضل من هذا فانها لا تفهمها فقط بل تعمل بها ايضاً وهذا فضل لها عظيم عليكم يا من تكتفون بالقول دون الفعل . فلماذا تجعلون انفسكم بين الله والناس في منزلة الوسيط والمدافع عن الدين اي عن الضمير البشري . من اقامكم وسطاء ومدافعين عن هذا الضمير . دعوا البشر يعيشون بملء حريتهم الروحية . فان كتبهم الدينية بين ايديهم . وضمائرهم اذا لم تفسدوها بالجدل والمماحكة والاهواء فانها لا تقراء فيها الا الحقائق الازلية ومبادىء الاخاء البشري . ولا تقولوا نحن نرشدهم . فانكم بشر مثلهم . اي فيكم جميع اهواء البشر الصالحة والفاسدة . وهذا الارشاد لا يقبله البشر الا من الملائكة . ويوم تصيرون ملائكة مجردين من كل ضروب الشقاء البشري فاعلموا اننا نحن نسعى اليكم من غير ان تأتوا الينا ونطلب مساعدتكم . فدعونا ولا تقفوا بيننا وبين الله لتجبرونا على ان نفهم حياتنا وكتبنا والهنا ومصالحنا كما تريدون انتم : فان ذلك الضغط يجرنا الى الكفر بكل شيء

„ ثم هل انتم تكتفون بذلك ؟ كلا : فانكم لا تنفكون عن محاربة بعضكم بعضاً . فهذا المذهب يكفّر ذاك وذاك هذا الى ما شاء الله . والاقبح من ذلك الحرب بين الاديان اي بين دين ودين لا بين مذهب ومذهب فقط . فان الذين مصلحتهم قائمة بتكدير الاخاء بين البشر واثارة التعصب في نفوس اهل السذاجة (ولولا ذلك لم يكن ثمت موجب لوجودهم ولا معنى له) لا ينفكون عن النداء ان دين اولئك باطل لاحتوائه على كذا وكذا فيجيبهم غلاة هذا الدين بل دينكم الباطل لاحتوائه على كذا وكذا . وفي اثناء ذلك يكون رجل ثالث واقفاً بعيداً عن الفريقين يسمعهما . فلما يرى الفريقين في سكرة من الجنون والحماقة الى هذا الحدّ . لما يرى انه لا غرض لهما من هذا الطعن غير التدجيل والشعوذة „ لملء الخزانة واشباع

الخزانة ،، كما قال الزمخشري في بعضهم على افتراض ان هذا التدجيل يجوز على عقول اهل السذاجة ـ فانه حينئذ يهب من مكمنه و يقول للفريقين : ان رمتما الحق فكلا كما في ضلال . وليس هنالك دين صحيح غير ديني . فيسالانه : وما هو دينك ؟ فيجيبهما ,, ديني ان افعل ما اريد كما اريد وقتما اريد . وما بقي فاوهام وخزعبلات حاكتها التصورات والخيالات وهدمتها كل الفلسفات ،، ـ وهكذا يكون تكفير الناس بعضهم بعضاً في عصر كهذا العصر مؤدياً على خط مستقيم الى هدم جميع الاديان على السواء . وليست التبعة في ذلك واقعة فقط على الغلاة من اهل العلم والفلسفة بل هي واقعة ايضاً على الغلاة من اهل الاديان في اي دين كان .

,, من اجل هذا طلبنا منكم التساهل والاعتدال وترك الصراع والنزاع . ان مبادئكم ـ كتلك الفتاة التي كانت جاثية بخشوع على البلاط تصلي في اثناء هياج الخطيب المصارع ـ لا تؤثر تأثيراً حقيقياً الا بالتسليم لرحمة الله والهدوء والاقناع . فكونوا هادئين ومخلصين مقنعين ومقتنعين . . . واعلموا ان الوفاق في بلادنا بين عناصرنا لا يمكن الا بمراعاة الوَسط الجديد الذي صرنا فيه لان الوَسطَ الماضي قد تغيرَّ علمياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً . وهذا الوَسط لا بدَّ ان تجتمع فيه جميع المذاهب والآراء والمبادىء والافكار . وبناء على ذلك لا سبيل لدوام الوفاق بين الجميع الا باطلاق الحرية المطلقة لجميع تلك المذاهب والآراء والمبادىء والافكار من اي نوع كانت . وهي من تلقاء نفسها متى تُركت لذاتها ولم يكن هنالك شهوة دنيئة تحرّكها تتفق وتتجه الى غرض واحد وهو الخير اي محاربة الرذيلة والشناعة والفظاعة والشرور في الارض من اي مصدر وردت وباي صورة كانت . و بعد حين لا يبقى منها الا الافضل ,, لان الافضل ينسخ بما هو افضل منه ،، كما قال ابن رشيد . ونحن نقبل هذا الافضل في اي جانب كان ومن اي مصدر كان .

ولا تقولوا ان اقوالي هذه تهدم آمالكم القديمة واحلامكم الجميلة . كلا . فانه لا حلم ولا أمل اجمل من رفع الجنس البشري وانهاض الشعوب . فاصرفوا هممكم لا الى تحريك التعصب في صدور الشعوب ولا الى طلب المستحيل بل الى خدمة الشعب خدمة حقيقية . ويتم ذلك بانارة عقول ابنائه ـ دون سيطرة عليها ـ ومساعدتهم في حياتهم وتعزيتهم في مصائبهم وذلك بالفعل لا بالقول فقط . فان القول لم يعد يؤثر شيئاً والقدوة خير المعلّمين . فاحملوا اذاً لواء الفقر والرفق والمحبة والايثار والزهد وامشوا في طليعة جيش الشعب . فانكم لهذا وُجدتم . اما اذا رمتم حمل لواء البذخ في صفوف الحكام والكبراء واصحاب الاعمال

فيكون حينئذ مثلكم مثل ملوك يخلعون انفسهم ويخونون وظيفتهم و ينقضون مبادئهم ،،

ولما سكت الشيخ الخطيب علا من صفوف العمال شيء من الجلبة لعدم رضائهم عن هذه الخطبة كل الرضى . واما صفوف اهل المال واهل العلم فانهم صاروا اقل مقاومة مما كانوا . على ان الجميع باتوا ينتظرون الاقتراحات التي اشار اليها الخطيب في اثناء كلامه ليروا منها هل الاتفاق ممكن ام لا . فتناول الرئيس حينئذٍ ورقة ونشرها ثم قال يخاطب الجميع

ايها الابناء

ـ اليكم نص الاقتراحات التي يقترحها من احترامه واجب علينا جميعاً وذلك حسماً للنزاع والخلاف . وانني ارجو ان تكون وسيلة لاتفاقكم

(المادة الاولى) تزاد رواتب العمال والمستخدمين والموظفين ٥٠ في المائة . ولكن هذه آخر زيادة الا للذين تجب مكافاتهم في المستقبل حين الاقتضاء

(المادة الثانية) لا يمكن استخدام احد في اي عمل كان باقل من مائة فرنك في الشهر

(المادة الثالثة) ساعات العمل في اليوم ٨ فقط ٤ قبل الظهر و٤ بعده

(المادة الرابعة) اما الاولاد والنساء فانهم يعملون ٦ ساعات فقط لان كثرة العمل تهدم بنية الولد وتمنع النساء من افتقاد منازلهن

(المادة الخامسة) ينشأ صندوق يدعى ،، صندوق تقاعد العمال ،، وكلما شاخ عامل او عجز عن العمل لمرض فانه يتناول رزقه الضروري من هذا الصندوق طول عمره

(الماده السادسة) لا يجوز لاصحاب الاعمال ان يستغنوا عن احد من المستخدمين والعمال بحجة قلة العمل او ان يخفضوا اجور بعضهم لاي سبب كان . وعليهم ان يعتبروا جمعيات العملة نائبة عن هؤلاء في كل مخابراتهم

(المادة السابعة) توضع ضريبة على الايراد مقدارها ١٠ في المائة . فمن كان ايراده الف جنيه في العام يدفع ١٠٠ جنيه ومن كان ايراده ١٠ الاف جنيه يدفع ١٠٠٠ جنيه وهلم جرا . وذلك لتخفيف الرسوم والضرائب عن عنق الشعب . ولكن كل من كان ايراده اقل من ٢٠٠ جنيه فان ضريبته تكون ٣ في المائة فقط ومن كان ايراده اقل من ١٠٠ جنيه ١ في المائة . ومن كان ايراده ٥٠ جنيها فلا يدفع ضريبة ولا رسماً على الاطلاق

(المادة الثامنة) تتعهد الحكومة بان تنشىء في البلاد من اموال الضريبة على الايراد التي تقدم ذكرها مزارع واسعة ومصانع عديدة تشغل بها كل من كان بلا عمل وبان تبني في كل مدينة من المدن الثلاث مستشفيين للمرضى وملجأين للشيوخ والعجزة

ودارين للايتام ودارًا للقطاء

(المادة التاسعة) تتعهد الحكومة ايضاً بان تنشىء للشعب مدارس مجانية يكون فيها التعليم اجبارياً لكل ابناء الامة . ولا يُدرس في هذه المدارس صغراها وكبراها من الاصول الدينية غير المبادىء العمومية التي تقبلها جميع المذاهب »

تلك كانت اقتراحات شيخ العلماء . وقد تغامز اهل المال كثيرًا بينما كان الرئيس يتلوها . ويظهر انه لم يسؤهم منها كثيرًا غير وضع الضريبة على الايراد لانها من امهات المسائل . اما العمال واهل العلم فصاروا يتناجون في السر ويتساءلون عن النتيجة . وفي هذا الحين قال الشيخ الرئيس مخاطباً الجمهور

— لا ارى مانعاً من فض هذا الاجتماع الآن للبحث في هذه الاقتراحات غداً لانها تقتضي الامعان والمشاورة

الفصل التاسع

وضع الجنون موضع العقل

وخرج الجمع من الحديقة وهم يتباحثون في هذه الاقتراحات . وكان حليم في جملتهم يباحث فيها رفيقه صادقاً ويعرب له عن سروره بنيل الشعب ما لم ينله سواه في باقي البلاد

وقد انقضت تلك الليلة بهدوء وسكينة . لكن لم يطلع الصباح حتى علت ضوضاء شديدة في المدينة . فان السكان انتبهوا على اصوات باعة الجرائد « خيانة خيانة » ففتحوا نوافذهم فوجدوا على الجدران في كل مكان اعلانات حمراء طويلة عنوانها باحرف غليظة

« الشعب المهذَّب يخون الشعب المسكين »

وهذا نصُّ ذلك الاعلان الغريب

» ايها الاخوة العمال والمستخدَمون

» لقد خانوكم وضحكوا عليكم

» فلا تصدّقوهم

» ولا ترضوا باقتراحاتهم

» اذ لا غرض لهم من هذه الاقتراحات سوى ارجاعكم الى العبودية بالاجرة

» وانتم لا تطلبون الضريبة على الايراد ولا زيادة رواتبكم بل تطلبون مشاركة اصحاب الاعمال في اعمالهم

» فاذا رفضوا هذا الطلب فان من حقوقكم الاستيلاء على المعامل والمزارع والمتاجر والمصانع لانها ملك لكم بحكم الطبع وهو خير من حكم الشرع

» فاستولوا عليها ولا تخافوا فان الجيش معكم

» ايها الاخوة

» هل تعرفون الذين خانوكم

» خانكم اولئك الذين يسمون انفسهم علماء معتدلين ومادروا ان الاعتدال لا يُحصل حقاً ضائعاً

» يقولون انهم اهل العلم وانهم خرجوا من احشاء الشعب ولذلك يرومون خدمته

» فاخبروهم انكم في غنى عن خدمتهم اذا كانت على هذا المثال

» وخير لنا عداوتهم

» انهم اقتدوا برؤساء الدين ومالوا لاصحاب الاموال ترويجاً لمصالحهم واشباعاً لبطونهم

» فقولوا لهم ان خيانتهم مزدوجة . اولاً لانهم يفتخرون بكونهم خرجوا من الشعب وثانياً لانهم تهذبوا ولم يمنعهم تهذيبهم من الخيانة

» فما احطّ ابن الشعب الذي حين ارتقائه لا يصرف همه الا لخيانة ابيه الشعب الفقير المسكين

» وانتم تفضلون ولا شك ارباب الاعمال المتغطرسين عليكم والمقاومين لكم على هؤلاء الاخوة الكاذبين الخائنين

» ايها الاخوة . نحن في غنى عن الجميع . واعتمادنا على انفسنا . فلنجتمع اليوم على ابواب المصانع والمزارع والمتاجر لنناقش اصحابها الحساب ونريهم قوتنا ونبلغهم نهائياً اننا نطلب الموت او مشاركتهم في ارباح اعمالهم

فلما نزل حايم من الفندق وقرأ هذا الاعلان في الشارع احس بقشعريرة تدبّ في جسده . وقال لرفيقه صادق : ان الموقف حرج والمصير سيّئ . ثم ذهب يجول في اسواق المدينة وشوارعها فوجد الاضطراب سائداً فيها . فان اصحاب المعامل والمزارع والمتاجر بعثوا حين وقوفهم على ذلك الاعلان يطلبون من الحكومة جنداً لحراسة مخازنهم ومعاملهم

فجاء الجند وطوقوها تطويقاً . وكان العمال والمستخدمون يتوافدون عليها مئات من كل صوب وهم يصيحون « الاشتراك او الموت » . فلما قربوا منها وشاهدوا الجند حولها ازدادوا حدة وهياجاً وصاروا يصيحون « ايها الجنود نحن وانتم اخوان لاننا جميعاً من ابناء الشعب . فلا تسيئوا الينا » وكانت الجنود تسمعهم وتحول نظرها عنهم اتباعاً لنظامها

ولما حاول بعض العمال الدخول الى المعامل والمخازن حال الجنود بينهم وبين الدخول . فحدثت فتنة بين الفريقين . واتفق في هذا الحين ان اطلق واحد من العمال طلقاً من مسدس كان معه فاصاب كتف احد الجنود . فعمَّ الاضطراب في تلك الناحية . وصدر الامر الى الجنود بان تجرد السلاح وتهجم لتفرّق العمّال من غير سفك دم . فهجمت الجنود طاعة لرؤسائها هجمة واحدة . غير ان صفاً واحداً منها كان مؤلفاً من ٥٠ جندياً القى سلاحه وانضمَّ الى العملة . فصرخ العملة حينئذ صراخ الابتهاج والفرح . اما رؤساء الجند فعلا وجوههم الاصفرار من هذا التمرد وخافوا ان يحذو باقي الجند حذو هؤلاء المتمردين فيصير الامر للعمال ويُقضى على السلطة القديمة

لكن النظام العسكري كان متأصلاً في نفوس اولئك الجنود بتربية عدة سنين . ولذلك كان اكثرهم يسيرون كالعميان الى حيث يقودهم رؤساهم ولو كان ذلك ضد مصلحتهم . فتمكن الجند في ذلك النهار من تفريق العمّال واعادة النظام . ومع ذلك لم يرضَ الشيخ الرئيس حاكم المدن الثلاث ان يعقد جلسة في تلك الليلة في الحديقة لان الافكار كانت شديدة الحماسة

الفصل العاشر

تحالف الارض والسماء

على تاركي مبدإ الرفق والاخاء

ولما اقبل المساء ساد على المدينة سكون تام . فتنفس الحكام واصحاب الاعمال الصعداء واطمأنت نفوسهم قليلاً . وعاد لمدينة المال شيء من منظرها الاعتيادي بعد ذلك الاضطراب . فكان الناس في القهاوي والساحات العمومية جالسين يستنشقون نسيم المساء وهم يتباحثون بهدوء في حوادث النهار

ثم انتصف الليل فاطفأت الانوار في المدينة ونام جميع السكان · وساد سكوت تام حتى لم يعد يُسمع فيها سوى خرير النهر الجاري يسقي المدن الثلاث وصوت الخفاش في طيرانه في الظلام ووقع اقدام الجنود والحراس الذين كانوا يحرسون المدينة في الليل · وكان هؤلاء الحراس يسمعون حيناً بعد حين في ظلمة الليل صوت طائر بعيد فيقول بعضهم لرفاقه : انَّ عظامي تنتفض كلما سمعتُ هذا الصوت في الليل في احوال كهذه الاحوال

ذلك ان ذلك الصوت كان صوت البوم المشهور بانه نذير الخراب

وبقيت المدينة نائمة بهدوء واطمئنان تحت جنح الدجى حتى الساعة الثالثة قبل الفجر · ففي هذه الساعة انتشرت في انحاء المدينة انوار مختلفة في جوانبها الاربعة · ثم علا الصياح والصراخ · ثم ارتفع الدخان فسدَّ منافس الفضاء · وحينئذ حدث حادث ترتعد له الفرائص وترتجف القلوب · فان المدينة كلها هبت من الرقاد هبة مجنون · وصار الرجال يصرخون والنساء يولولن والاولاد يبكون وينتحبون · ذلك ان لسان النار لعبت في اكثر منازل المدينة خصوصاً في معاملها ومتاجرها ومنازل اصحاب الاعمال فيها · وهجم عليها جماعات كانهم ابالسة خرجوا من الجحيم فصاروا ينهبون ويسلبون · وكان حليم ورفيقه نائمين في فندق من اشهر فنادق المدينة · فلما انتبها وشاهدا النار تأكله اخذا الستائر والسجادات فعملا منها سلماً وتدلَّيا عليها الى الارض · ولما باتا في الشوارع ابصرا فيها ما تنفطر له القلوب · ابصرا الانسان بحالته الحيوانية الحقيقية · فان جماعات السلابين النهابين كانوا يهجمون كوحوش ضارية ويكسرون المخازن والحوانيت ويحملون ما فيها · وكانوا يصعدون الى القصور الكبيرة والنار تضطرم فيها وبدل ان ينقذوا النساء والاولاد الذين كانوا يختنقون فيها من الدخان او يحترقون بلهيب النار كانوا يقتلون وينهبون كل ما وصلتْ اليه ايديهم · اما الجند والمطافئ فماذا تقدر ان تصنع في ثورة عمومية كهذه الثورة · فانه لم يكن في المدينة سوى ١٠ مطافئ ومع ذلك فقد كانت النار مضطرمة في ٥٠٠ منزل · وعن قريب ستتصل الى باقي المنازل فتاكلها كلها

وقد ظن حليم لاول وهلة ان هذا المصاب قد حلَّ بمدينة المال وحدها ولكنه لم يلبث ان سمع الصراخ من جهتي مدينة العلم والدين ورأى اللهيب يرتفع من جوانبهما · فقال لرفيقه : هذه مؤامرة دبَّرها الغلاة المتطرفون ولا شكَّ انها نتيجة الاعلان الذي نُشر امس · فسأله رفيقه وما رأيك فيها · فاجاب حليم لو كنت املك الآن مسدساً ومائة خرطوشة لكنت أُظهر لك رأيي فيها · فانني كنت اذهب واحرق ادمغة كل من اراه في طريقي

من هؤلاء الابالسة الذين يقتلون وينهبون . ولا شكّ عندي ان عقلاء العمّال والاشتراكيين انفسهم يأنفون من انزال مبادئهم الى هذه الحمأة من اللصوصية والسفالة . فقال له رفيقه : ولكن الا تظن ان هذا التطرف نتيجة لازمة عن تطرف الفريق الثاني

فهمّ حليم ان يجيبه بانه لا يريد ان يعرف عذرًا للسلب والقتل والنهب مهما كان سببه . واذ ارتفع في المدينة صراخ اليأس والاضطراب تمازجهما طلقات البارود . فاصغى حليم وسأل ما هذا . ثم علم ان الجنود قد اخذوا كل ما في ثكناتهم من الرصاص وهجموا بقيادة رؤسائهم على جماعات الثائرين يفتكون بهم فتكاً ذريعاً . فدارت بين الفريقين رحى حرب حقيقية سالت بها الدماء وكان لتلك الدماء على اشعة النيران المتقدة حولها بين حشرجة القتلى وولولة النساء وصراخ الرجال منظر مريع

وكان حليم يُسرح نظره من بعيد في المشاهد الفظيعة التي كان يراها امامه وهو مشتغل البال بها لا يقدر على ردّ شيء منها ومضطرب الفكر لما عسى ان يكون قد جرى للفتاة العزيزة التي شاهدها في البستان عند « قرية الدخول » وكان يفكر بها . لكنه بعد برهة سمع هديرًا عظيماً قريباً فعلم انه صوت انهدام القصور المحترقة . ثم سمع اصوات القتل والبنادق اقرب منه مما كانت . فرأى ان يخرج من المدينة فرارًا من البلاء ما دام لا يقدر ان يرده . فاخذ رفيقه وخرج معه من المدينة بنفس متألمة اشد الم وقصدا اكمة قريبة مشرفة على المدن الثلاث وكانت مغروسة اشجارًا يتفيأ السكان ظلها في حر الهجير . فشاهدا منها مشهدًا جميلاً مريعاً . فان السنة النار كانت تندلع في المدن الثلاث فتنير الافق بنور تخالطه سحب من الدخان القاتم تحت سماء مستترة بالغيوم السوداء — كأنّ السماء خجلت من ان تشاهد فظائع البشر في الارض في تلك الساعة . وكانت اصوات القتال تردُ من المدن الثلاث في صفاء ذلك الليل فتزيد ذلك المنظر رهبة وفظاعة

ولكن يظهر ان السماء كرهت ان تبقى واقفة لدى هذه الفظائع الارضية وقفة المتفرّج المشاهد زمناً طويلاً . نعم ان صبرها طويل ولكن لكل شيء حداً . ولذلك تناول جو بيتير اقوى صواعقه وارسلها في الفضاء . فلعلع الرعد فوق تلك المدن الثلاث كانذار وتهديد للارض من السماء ان تسكن وتهداء والا اخربتها . ولكن اهل الارض لم يسمعوا هذا الانذار لان اصوات البارود وصراخ القاتلين والمقتولين كانت تصمّ اذانهم . فحدث حينئذ ما زاد تلك المناظر رهبة وفظاعة . فان زوبعة هائلة هبت على السهل الذي كانت فيه المدن الثلاث وصارت تكنس كل ما في طريقها . وزأرت الريح وقصفت الرعود ومدت التنانين

خراطيمها من السحاب وهطل المطر كافواه القرب . وكأنَّ الارض خشيت من السماء قبل البشر ولذلك اهتزَّت تحت المدن الثلاث بزلزلة شديدة . وهكذا تحالف على المدن الثلاث التعيسة النار والقتل والصواعق والزوابع والزلازل . كأنَّ السماء تخلّت عنها وقضت عليها قضاءً نهائياً

وكان حليم في ذلك الحين جالساً مع رفيقه تحت شجرة والمطر قد بلل ثيابهما . ومع ذلك فقد كانا ينظران باهتمام الى تلك المدن وينتظران طلوع الفجر . فلما طلع الفجر وصار في امكانهما ان يلمحا المدن لم يشاهدا فيها — واأسفاه — سوى خرائب واكوام سوداء ينبعث الدخان عنها

فصاح حليم حينئذ : واحرباه . اهكذا خربت سدوم وعمورة وبابل ونينوى في القرون الماضية ؟

ولما لفظ حليم هذه العبارة وقع نظره على فرسان قادمين من جهة مدينة المال . فلبث يحدق في جهتهم حتى انكشفوا له وكان الفجر قد زاد اشراقاً . فدبَّت حينئذ في نفس حليم قشعريرة شديدة . ذلك ان هؤلاء الفرسان كانوا خمس فتيات وهن هن اللواتي شاهدهن في البستان قرب قرية الدخول . وكانت حسناؤه صاحبة الحلة البيضاء راكبة في وسطهن كما كانت هناك . فصاح حليم برفيقه : ماذا نصنع الآن . اترى هؤلاء الفتيات بقية من بقي من سكان المدن الثلاث فجئن يلجأن الى هذه الاكمة فراراً من الزلازل والنار . عزيزي صادق ماذا نصنع . الا تظنُّ انهن يجفلن ويخفن منا اذا شاهدننا هنا

وبعد برهة دنت الفتيات على افراسهن . وكان في يد كل واحدة منهنَّ منديل تمسح به دموعها من حين الى حين وهنَّ بلباس النوم . وكانت وجوههن صفراء كوجوه الموتى . فلما وقع نظر حليم على هذه الوجوه وتلك الدموع لم يتمالك ان بكى ملء عينيه . وقال في نفسه . ان الابالسة والشياطين حين اتيانهم الشر في الارض لا يفتكرون ان شرهم لا يقع اشد اذاه الا على اللواتي هنَّ اقل تحملاً له

ولما صعدت الفتيات الى الاكمة وشاهدن فيها بشراً اغرقن في البكاء . وصرن لا يرفعن مناديلهن عن عيونهنَّ الا للنظر الى المدن وما صارت اليه . فاين بكاء ارميا على انقاض « ابنة صهيون » من بكاء هؤلاء العذارى على وطنهنَّ المحبوب . لقد فقدن — بفقده — كل شيء . لقد خرجن منه كما يخرج السيف من غمده . فالاهل والمال والمنزل والصداقة ورغد العيش والوطن والعائلة والآمال — كل هذه ذهبت في ليلة واحدة ولم يبقَ في

مكانها غير اكوام الفحم والحجارة واشلاء القتلى و رائحة الدماء والدخان · فيا ايتها السماء لماذا كنت قاسية الى هذا الحد · يا ايها الخالق الحكيم ليتك كنت اكثر رحمة واشد رأفة · لانه اذا استاء هل كل اولئك العتاة القساة عقابك فهؤلاء الضعيفات الطاهرات الرقيقات — والوف غيرهن — لا يستاء هلنه

وكان حليم في تلك الاثناء منزوياً مع رفيقه وقلبه يتقطع حزناً واسفاً · وبعد برهة تقدم وهو يبكي لبكاء الفتيات التعيسات وقال مخاطباً حسناء وكان يظهر انها اكبرهن سناً وارشدهن رأياً

— هل تسمح سيدتي في حين كهذا الحين ان اعرض عليها وعلى رفيقاتها خدمتي

وكان حليم قد خاطب حسناء بقلب خلا في تلك الساعة من الحب لان عاطفة الحب قد غرقت حينئذ في عاطفة الحزن والشفقة والرأفة · وهذا شان القلوب الكريمة : ذلك لان عاطفة الحب اكثرها مصوغ من عاطفة محبة الذات واما عاطفة الحزن والشفقة والرافة فاكثرها مصوغ من محبة الغير · والقلب الكريم في ساعة كهذه الساعة يفتكر بغيره لا بذاته

فاشتد بكاء الفتيات عند سؤال حليم واجابته فتاته

— عفواً يا سيدي · ماذا تقدران تعمل · ان ابانا حاكم المدينة كان اول القتلى ومنزلنا كان اول المنازل المحروقة · ولولا مساعدة الجند الذين كانوا نياماً في دارنا لما نجا منا احد · بل كان حل بنا ما حل بباقي السكان الذين مات نصفهم بالسيف والنار والرصاص ونصفهم بالزوابع والزلازل · فكل ما نطلبه منك هو ان تصلي الى الله معنا ان يرحمنا و يعزينا

ورغبة من حليم في ان يروح هموم الفتاة قليلاً و يشغل فكرها عنها ولو دقيقة سألها

— ولكن ما الذي دعا الى هذه الفاجعة الهائلة ياسيدتي بعد ما رايناه من سكينة الاحزاب

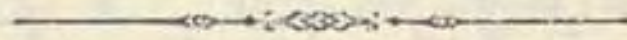
فاجابت الفتاة والدموع ملء عينيها

— انني انقل لك ياسيدي السبب الذي ذكره لي ابي امس قبل دخولي الى غرفة النوم · فانه اخذ يدي بين يديه وقال لي : اتعرفين سبب كل هذه القبائح يا بنية · سببها الشراهة والاثرة والطمع · ولست ابرىء منها حزباً دون حزب · لان التبعة واقعة على الجميع · ولا استغرب ان تخسف بنا الارض او تنقض علينا صواعق السماء ما دمنا بعيدين الى هذا الحد عن مبداء الرفق والاخاء ·

الخاتمة

ومما لا يحتاج الى بيان ان حليماً استطاع بعد ذلك تعزية فتاته بعض التعزية . وبما انها كانت مع شقيقاتها وارثات المدن الثلاث وما يتبعها من السهول فانها تولت اعادة بناء هذه المدن لتقيم فيها هيئة مبنية على « الرفق والاخاء » تكفيراً عن سيئات المعيشة القديمة . وقد اختارت حليماً زوجاً لها واوصادقاً زوجاً لاحدى شقيقاتها ثم زوجت شقيقاتها الثلاث الاخريات ثلاثة شبان من اصدقاء حليم وعاشوا جميعاً في تلك الاماكن مع نسلهم وعمالهم ونسل عمالهم معيشة يحسدهم عليها اهل العصر الذهبي . ولا نعلم هل نتمكن يوماً من الايام من وصف هذه المعيشة الفردوسية التي لم ترَ الارض مثلها قبلها كما وصفنا معيشة المدن الثلاث القديمة . اما الآن فنكتفي بان نقول بان حبيبة حليم لم تنس ان تقيم ثلاثة آثار في ثلاثة اماكن على سبيل التذكار : المكان الاول البستان الذي شاهدت فيه حليماً اول مرة عند قرية الدسول . والمكان الثاني الاكمة التي وجدته عليها يوم خراب المدن الثلاث . والمكان الثالث الدار التي قُتل بها ابوها الشيخ الرئيس

تمت



اغلاط مطبعية

وقعت بعض اغلاط مطبعية في الكتاب · منها في الصفحة ٣ « اقام لها فيه » وصوابه « اقام له فيها » وفي الصفحة ٥ « كما يغمضها » وصوابه « كما يغمضهما » وفي الصفحة ٩ « سعداء بعلمهم » وصوابه « سعداء بمالهم »وفيها ايضاً في سطرين اسم « جميل »وصوابه حليم · وكذلك في الصفحتين التاليتين في ثلاثة مواضع · ومنها في الصفحة ١٧ « قد بدا » وصوابه « قد بدأ » وفي الصفحة ٤١ ،، ابن رشيد ،، وصوابه ،، ابن رشد ،، وفي الصفحة ٤٢ السطر ٣ ،، اهل العلم ،، وصوابه ،، اهل الدين ،، وفي الصفحة ٤٧ ،، تضم آذانهم ،، وصوابه ،، تصم آذانهم ،، وغيرها مما لا يفوت ذكاء القارىء

الجزء الخامس

الجامعة

السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ ـ جماد اول سنة ١٣٢١



مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف جول سيمون

والاحتفال بنصب تمثاله في باريز في الشهر الماضي

(مثال الرجل الفاضل)

احفروا الترع في البلاد ونظموا الري · ابنوا الخزانات العظيمة للنيل · افتحوا للامة ابواب التجارة والصناعة · اعقدوا جمعيات لتدريب الناشئة على الرياضة البدنية اصلاحاً لبنية الامة · انشئوا مدارس كثيرة في كل مدينة وكل قرية لتعلّموا ابناء الامة في هذه المدارس ان الحياة عراك شديد يقوم فيه القوي ويسقط الضعيف فيجب ان يكونوا اقوياء لا ضعفاء غالبين لا مغلوبين احشوا عقولهم بمبادىء العلوم الطبيعية والتاريخية والتجارية · وبعبارة واحدة نقول افتحوا موارد الرزق والثروة والقوة دفعة واحدة للامة لتنال منها ما لم تنله امة قبلها · فماذا تكون النتيجة ؟ واي جنس من البشر يكون لنا في ختام هذا السعي العظيم ·

يكون لنا في نهاية هذا السعي بشر آلهتهم بطونهم وجيوبهم · جيل ثقيل شره قاسٍ غايته في هذه الحياة ان يدوس كل شيء تاءٍ بيدءاً لمصلحته ولا مبدأ له غير منفعته · ولعمر الحق ان سكنى الارض خاوية خالية او المعيشة فيها ممتلئة فقط بالحيوانات الطبيعية الفطرية لخير من الاقامة بين جيل كهذا الجيل

وقد ذكرنا هذا التمهيد في هذا الفصل مقدمة لكلام عن الفيلسوف الكريم الذي وقف حياته للنداء بهذه الحقيقة والتصريح بان ادواء الهيئة الاجتماعية الحاضرة لا تشفيها الثروة مهما عظمت ولا دواء لها الا التربية الادبية وانشاء الاخلاق الفاضلة

وهذا الفيلسوف هو « جول سيمون » الذي احتفل الفرنسويون في الشهر الماضي باقامة تمثال له تحت رعاية الحكومة الفرنسوية · فان هذا الرجل الكريم وقف حياته في قومه لتعليمهم المبادىء الابدية والواجبات والفضيلة والآداب والحرية · وقد علمهم ذلك بقوله وفعله · فانه

وجد نفسه مرتبن (١) في حياته بين طريقين · الطريق الواحدة تؤدي الى السلطة والنفوذ والثروة والجاه ولكن يجب ان يدوس من اجلها ضميره · والطريق الثانية ان يحرص على مبادئه ويعمل بما يجب عليه ادبياً وان خسر تلك الخيرات كلها · وغني عن البيان انه اختار الطريق الثانية طريق الضمير والنزاهة الادبية · وبذلك كسر مستقبله كسراً ولولا ذلك لكان الآن معدوداً بين رؤساء الجمهورية ولقدر ان يجمع من المال ما يغنيه عن ان يشتغل ليعيش وهو في الثمانين من عمره (١)

فالذين يحبون خير الامة الشرقية ويرومون انهاضها لا يجدون مثالاً وقدوة لها احسن من هذا المثال · وهذا ما حملنا على تصدير هذا الجزء بترجمة الفيلسوف عدا اننا مديونون له بما اخذناه عنه ودرسناه في كتبه ديناً لا يفيه تقريظ ولا ثناء

﴿الاحتفال﴾ اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز في هذا الشهر فقد رأسه المسيو شوميه وزير المعارف العمومية وحضره اكابر رجال العلم والسياسة والوجاهة مع نجليه الكريمين الدكتور غوستاف سيمون والمسيو شارل سيمون واولادهما · وقد القيت فيه عدة خطب · (الخطبة الاولى) للمسيو فاليير رئيس مجلس الشيوخ (والخطبة الثانية) للمسيو ديفيل رئيس المجلس البلدي (والخطبة الثالثة) للمسيو دي سلف والي باريز (والخطبة الرابعة) للمسيو شوميه وزير المعارف (والخطبة الخامسة) للمسيو بول ديشانل بالنيابة عن الاكاذميه الفرنسوية (والخطبة السادسة) للمسيو جورج بيكو بالنيابة عن مجمع الفنون الادبية والسياسية · (والخطبة السابعة) للمسيو جان ديبوي بالنيابة عن نقابة الصحافة · (والخطبة الثامنة) للمسيو مارسل بريفو بالنيابة عن جمعية الادباء

﴿التمثال﴾ وقد نقش هذا التمثال النقاش دنيس بوش المشهور وقد صنعه من الرخام وهو ثلاثة اقسام القسم الاول وهو اكبرها يمثل (جول سيمون » بحجمه الطبيعي واقفاً على منبر الخطابة ويداه مطويتان على صدره وهي الوقفة التي كان يختارها عند الخطابة · وتحت هذا القسم عن الشمال واليمين قسمان : الاول شخصه جالس الى مائدته وبجانبه عاملة تفتكر وولد يقراء ولقيط يمدّ اليه يده اشارة لصرفه حياته في انقاذ اللقطاء ونشر التعليم وترقية شؤون

« ١ » المرة الاولى احتجاجه على لويس بونابرت لقلبه الجمهورية « الصفحة ٢٦٣ السطر ٢٢ » والمرة الثانية مقاومته حزب الجمهورية نفسه « الصفحة ٢٦٥ السطر ٤ »

« ١ » كان جول سيمون في شيخوخته يشتغل ليعيش فكان يكتب في كل يوم مقالة للجرائد · وفي ذات اليوم الذي توفي فيه نشر مقالة من قلمه في احدى الجرائد

العملة . والثاني يمثله وهو واقف في قاعة السربون ينادي بالاحتجاج على نابليون الثالث لانه قلب الجمهورية واقام الامبراطورية - وقد نُصب هذا التمثال في ساحة المادلين في باريز بجانب البيت الذي عاش الفيلسوف فيه نحو ٥٠ سنة . وكان منزله في الطبقة الخامسة

﴿خطبة رئيس مجلس الشيوخ﴾ واولى هذه الخطب خطبة المسيو فاليير رئيس مجلس الشيوخ الفرنسوي ورئيس اللجنة التي جمعت المال لصنع هذا التمثال . ومعلوم ان لرئيس مجلس الشيوخ المقام الثاني في الحكومة اذ لا مقام فوقه غير مقام رئيس الجمهورية . فلما ازفت ساعة الاحتفال رُفع الستار عن التمثال فصنق الحاضرون تصفيقاً شديداً فانبرى رئيس مجلس الشيوخ وقال : انه عند تسليمه هذا التمثال الى مدينة باريز لا يتمالك من التأثر لذكرى حياة الرجل الذي شغل في الآداب والسياسة حيزاً عظيماً . ثم ذكر جول سيمون فقال انه كان معلماً في مدرسة المعلمين وهو بسن الطلبة . ثم ترقى حتى صار ينوب مناب فيكتور كوزين في تدريس الفلسفة بالسوربون . وهو اعظم منصب فيها . فاجتذب اليه السامعين من كل صوب بفصاحته وسمو فكره وحسن اخلاقه وشرف معيشته . وهكذا حقق قول رموزا « ان الفضيلة مستقلة عن الثروة وما برحت الآداب ثابتة في الارض لا تتغير مع كثرة التقلبات والتغيرات » وقد قال الخطيب ذلك لان جول سيمون كان فقيراً

ثم قال : ومنذ ذلك الحين اخذ عقله يتملص من قيود الحواس وفلسفته صارت تبرز شيئاً فشيئاً . ومآلها الاعتقاد بخلود النفس وان هذا الخلود شاهد بوجود الله . وبما انه كان متعوداً الصعود الى ينابيع المتقدمين للاستقاء منها فقد اخذ يعلم مع افلاطون (ان الفلسفة هي علم الناس الاحرار) وينادي ان الحق والعدل اذا لم يقرنا بالحرية اصبحا هدفاً للقوة

ولم تكن هذه الاقوال عبثاً فان ذلك الخطر كان قريباً من البلاد . فان لويس نابوليون رئيس الجمهورية رام قلبها في سنة ١٨٥١ فاقترح على الشعب اقتراحاً عاماً « هل يريد اعادة الامبراطورية » فبلغ يومئذ الاضطراب معظمه . فوقف جول سيمون ليلة الاقتراح في منبر قاعة السوربون ونادى باعلى صوته « ايها السادة . انا هنا معلم للآداب . ولكنني اليوم مديون لكم بمثال لا بامثولة . فقد خان الحق جهراً مَن عُهد اليه ان يصونه . وستنطق فرنسا غداً بالحكم فنرى هل ترضى عن الخيانة ام تنكرها . اما انا فاقول منذ الآن انه اذا لم يكن في صناديق الاقتراع غير ورقة واحدة تنكرها فتلك الورقة تكون مني »

فلما سمع الحاضرون هذا الكلام صفقوا تصفيقاً ما بعده تصفيق فقال لهم جول سيمون حينئذ برزانة وجد (لقد اعتبرت تصفيقكم هذا كقَسم وعهد منكم . فاذا وافقتم الخائنين بعد

الآن طمعاً في الربح فانكم تخشون بيمينكم

فاشتد التأثر حينئذ حتى ضاقت به الصدور فامتدت جميع الايدي نحو الخطيب وصاروا يهتفون له ولم يتملص من الشعب الذي كان يطلب حمله في الشارع الا بتعب شديد

ومنذ هذا الحين فصل جول سيمون عن السوربون و بذلك وقع في مصاعب الحياة واخذ يشتغل بالسياسة جاعلاً همه تنبيه الرأي العام الذي كان قد اصابه الشلل . ولكن الديموقراطية لم تحتج قط الى رؤساء ومدربين اذ حالما احتاجت اليهم وجدتهم . وما نراه في ايامنا قد كان مثله في تلك الايام التي طمست فيها الاضطرابات مبادىء العدل والحقيقة . ولذلك تنفس الناس الصعداء لما ابرز جول سيمون كتابه « الواجب » ليذكّر مواطنيه بواجباتهم . وقد كان هذا الكتاب الجميل ضرورياً يومئذ للنفوس التي اخذت تضعف لانه اعطاها الامل والثقة في المستقبل

وبعد مدة ظهر كتابه « الدين المطلق » وهو عبارة عن انجيل نفس تملَّصت من حرفيَّة القواعد واخذت تعترف باعتقاداتها في قرن ساد فيه ترك الاعتقاد .

ثم صدر كتابه (حرية الضمير) وآخر عنوانه (حرية الفكر) وآخر عنوانه (الحرية المدنية) وكلها اجزاء كتاب واحد كان غرضه تدريب الديموقراطية وارشادها . فلم يعد جول سيمون يخاطب بني وطنه في هذه الكتب بلسان الفيلسوف بل بلسان السياسي الذي يدرس حاجات قومه . فدرس اصل حقوق الامم واثبت هذه الحقوق وردّ على سفسطائيات التعاليم التي كانت تجدد منذ الثورة وتعيقنا في مسيرنا . وعيّن مقدار الحقوق التي يجوزلهم (للاشتراكيين) المطالبة بها وسطر بروغراماً كبيراً انجزنا بعضه الى الآن

ثم دخل جول سيمون الى المعامل والمناجم لاصلاح احوال العملة . فدرس هذه الاحوال بنفسه . وشاهد فيها الاب والام يهجران منزلها للعمل في المعمل والولد يقرن بالآلة العاملة وعمره ٨ سنوات فسماه ،، العامل في السنة الثامنة ،، . و بعد الدرس الدقيق اخذ يصيح ،، ان داءنا داء ادبي قبل كل شيء . فيجب مداواة النفوس وشفاؤها . يجب ان نتغلب على الحانات والخمارات . يجب اصلاح المعيشة العائلية التي هي وحدها مدرسة الحرية والشجاعة الادبية . يجب اتخاذ كل الوسائل التي تسمح بها الحرية لاعادة الاب والام الى المنزل ،، وما عدا هذا يجب فتح ابواب المدارس لتعليم الامة تعليماً عمومياً وازالة كل الموانع من هذا السبيل ـ وفي صفحات بليغة لم ينقص الزمن شيئاً من اهميتها اخذ يدعو الى الاصلاح والتضامن البشري دعوة ادخلت هذه الروح من ذلك الحين في نظاماتنا واحوالنا . وبما

اننا اليوم نسير نحو الارتقاء لنصل الى انسانية افضل فمن العدل ان نكرم جول سيمون لانه كان في زمنه احد الدعاة الى قسم من هذه الاصلاحات

ولقد كان في منتصف عمله لما دخل في مجلس النواب · فصارت الحكومة تخشى بطشه وطارت شهرته كخطيب كبير · وان من لم يرَ جول سيمون في منبر الخطابة ولم يسمع كلامه لا يقدر ان يعرف مقدار تأثير الكلام في النفوس وسحره لها · فكل شيء في كلامه ونظره ولهجته كان لطفاً وقوة · وقد كان عند اشتداد اللجاج ينتظر سكوت سامعيه لعلمه انهم لا يضنون بالسكوت على واحد مثله · وكان يرتجل خطبته ارتجالاً ولكن ليس ارتجاله عبارة عن ترك كلامه للصدفة والاتفاق بل كان يرتجل وفقاً لقاعدة الارتجال وهي (ان الارتجال معرفة الخطيب ماذا يريد ان يقول دون ان يعرف باية عبارة يقوله ،، وقد كانت براهينه وادلته آخذة بعضها برقاب بعض · واذا ورد في اثنائها نادرة او ملحة فلا تظن انها وردت عبثاً بل انها وردت لتقوية الدليل واستخراج النتيجة · وقد كان يسدّد سهام التهكم في خطابه ولكنه كان تهكماً خفيفاً اذ يجعل الخصم يشعر بوخزه دون ان يجرحه به · وكان يمازج كلامه التأثر واحياناً رفع « الكلفة ،، وكانت لغته بسيطة انيقة جميلة · وكان لها لين الفولاذ وقوته · واحياناً كان لها شرره وذلك لما يرتفع فكره ويضرب به تلك الضربات التي تُنيل النصر والظفر

ثم استطرد المسيو فالبير الى ذكر جول سيمون كسياسي وجمهوري ووطني نزيه وقف حياته للنزاهة وخدمة الخير والحرية والواجب · فقال ان كل الناس يذكرون جهاده في مقاومة السياسة الامبراطورية في انحاء فرنسا كلها · فقد كان اسمه يومئذ في كل الافواه وكتاباته يقرؤها الناس في جهات فرنسا الاربع وخطبه كانت تُنتظر بفروغ صبر وتُشرح بشدة وحدة · فكان فكره يحرك جميع الضمائر والافكار التي كانت تجنح الى الاصلاح · وكان ذلك الفكر يبقي في نفوس الناشئة اثراً لا يفنى يحثهم على المقاومة ويرشدهم الى الغاية · ثم لما جاءت اهوال سنة ٧٠ صار اكبر مساعدي المسيو تيرس اذ عهدت اليه وزارة المعارف واعطي القوس باريها · فرام ادخال الزامية التعليم في فرنسا ومجانيته فلم تطاوعه الاحزاب القديمة · ثم كانت رئاسة المرشال مكماهون للجمهورية · فعهد الى جول سيمون رئاسة الوزراء ارضاء للاحزاب الجمهورية لانه كان اكثرهم اعتدالاً · فرضي جول سيمون بهذا المنصب لعله يمنع حدوث الزوبعة · ولكنه اضطرّ بعد ذلك للاستقالة فخرج من رئاسة الوزراء ابيّ النفس شامخ الرأس ولكنه خرج ساكتاً لان السكوت في مقام كذلك المقام خير من الكلام

قال المسيو فالبير : ومنذ هذا الحين انتهت اعمال جول سيمون الوزارية . ولكن حياته العمومية اضطربت بعد ذلك بحادثة تُعرف عندهم بالمادة السابعة . فان الحزب الجمهوري يومئذ رام امرين (الاول) جعل المدارس الابتدائية مستقلة عن الدين وهو ما يسمونه (جعلها على الحيادة) بين جميع المذاهب (والثاني) عدم الاذن للرهبانيات بالتعليم . فانفصل يومئذ جول سيمون عن حزبه الجمهوري الذي خدمه كل عمره وصار يقاومه في هاتين المسألتين . فطلب ان يُكتب بالدستور وجوب تعليم الطلبة ما يجب عليهم لله ونادى بحرية التعليم بلا شرط سوى كفاءة المعلم وأدبه . وقد فاز على حزبه الجمهوري كله فحقد عليه هذا الحزب واعتبره خائناً له . ولكن لم يلبث ان حصل ردّ فعل لهذا النفور . فان الجنرال بولانجه قام يتهدّد الجمهورية فبادر جول سيمون واشرع قلمه ضده فكان ينشر في كل يوم مقالةً فابعد بذلك عن الجنرال كثيرين ممن كانوا نووا الانتصار له . وكانت مقالات الفيلسوف تترجم عن عواطف الحزب الجمهوري احسن ترجمة . فعادوا اليه بعد ذلك النفور الذي جرّه عليه انتصاره للحرية المطلقة وفقاً لمبادئه التي شب وشاب عليها

وقد ختم المسيو فالبير خطبته الشائقة بهذه الخاتمة :

لقد كان جول سيمون احد مؤسسي الجمهورية الثالثة البواسل وداعياً من اشد الدعاة الى التضامن الاجتماعي . ولقد اعانه في شيخوخته التي كان يشتغل فيها ايضاً لكسب الرزق - الخيرُ الذي كان يصنعه حوله بلا حساب . هذا ما عدا عناية اهله . فكان يساعد المشروعات الخيرية ويهبها مع وقته ثمرة خبرته وحكمة نصائحه . وكان وهو فوق الثمانين من العمر يجد في كلامه قوة الشباب لمهاجمة الشر ونبش دفائنه وردّ غاراته او اصلاح تخريبه . فكم من مرّة نادى بالالتفات الى ضعفاء الارض كالعملة الذين بلا عمل والمرضى بلا عناية والعجزة بلا مساعدة والاولاد المهجورين - الذين هم كلهم ضحية التعاسة او الفساد او سوء التدبير . وقد كانت تلك العناية منه شرفاً لحياته وستكون مجداً له عند الاجيال الآتية

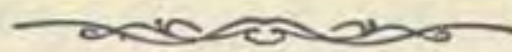
هذه خلاصة خطبة المسيو فالبير . وقد لخصناها كلها لانها عبارة عن ترجمة الفقيد . وقد نشر في العام الماضي نجلا الفقيد كتابين في ترجمة حياته اكثرها كتب بخط يده وفيها من الملح والنوادر والعبر ما يلذ ويفيد . فربما لخصناها في مقالة تالية

جول سيمون والجامعة ولقد جاء علينا زمن كنا فيه اذا فتحنا كتاباً من كتب جول سيمون «كالواجب» او «المرأة في القرن العشرين» او «المدرسة» او «العاملة» او «الحرية السياسية» وغيرها فاننا كنا نفتحه باحترام يحكي احترام رجال الدين

حين دنوهم من الحراب . ولقد نقلنا منذ بضع سنوات كتابه « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية وكتبنا الى الفيلسوف الكريم نستاذنه في نشره . فوصله كتابنا قبل وفاته وهو بين ايدي الجراحين لاصابة عينيه بالكاتركت (الماء الزرقاء) . فاجاب عليه بما خلاصته « لقد عرضت كتابكم على ابني (١) ونحن مسرورون لنقلكم « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية . ولقد ترجمت حتى الآن الى اللغة الروسية والاسوجية . وقد كنتم في غنى عن طلب الاذن بنشرها . ولم اشاء ان ابطىء في ابلاغكم ذلك وان كنت الآن بين ايدي الجراحين لعملية الكاتركت الخ . . . » وفي الحقيقة ان الجواب لم يبطىء الا بمقدار سفر الباخرة وعودتها — ولا يزال كتابه عندنا نحفظه كما نحفظ شيئاً مقدساً

عود الى المقدمة هذا هو الرجل الذي ننصبه مثالاً للشرق بعد ان كان مثالاً للغرب . وخلاصة ترجمته معيشةٌ طاهرة نقية لم يدنسها شيء حتى ولا نقائص الشباب . وجدٌّ بالغ حده رفع صاحبه من قرية سان جان بريفيلاي حيث كان فلاحاً صغيراً الى قمة رئاسة الوزراء وذروة العلم والفلسفة والشهرة . وشهامةٌ ونزاهة تامة حببتا اليه الفقر مع العدالة والنزاهة والواجب على الغنى والجاه من طريق لا يرضى عنه الضمير والذمة . وسعيٌ مجيدٌ في خدمة الطبقات الضعيفة من الامة ومقاومة طبقاتها القوية حينما كانت تروم الاستئثار بالمنافع والخيرات دونها

فبارك الله في الامم التي يظهر فيها رجال كهذا الرجل . ويا لشقاء الامم التي لا تفهم هذه المبادىء السامية بل تصرف نفوس ابنائها وعقولهم قبل كل شيء الى مستنقعات الارض لالتقاط اشيائها المادية . ذاهلين عن ان تلك المبادىء الادبية — بين تقلبات الحياة ومعاركها المختلفة — هي وحدها الانسانية الحقيقية وان الحياة بدونها لا قيمة لها الا بمقدار قيمة الحياة الحيوانية



« ١ » الدكتور غوستاف سيمون مؤلف القسم الطبي الصحي من كتاب المراة في القرن العشرين

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعًا لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

الاوقاف المصريَّة القديمة

ونقلها السلطة من يد الملك الى يد رئيس الكهنة

من مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية

للاضطراب الذي نشأ في فرنسا في هذا العام بشأن حرية التعليم وحلّ الرهبانيات الغير المأذونة اسباب عديدة اعظمها الخوف من تكاثر الاوقاف الاكليريكية واستغراقها كثيرًا من املاك الامة . ولذلك يقولون انه لولا خطبة المسيو والدك روسو في طولوز لما رضي بعض الجمهوريين المعتدلين بمجاراته في سن نظام الرهبانيات . فان المسيو والدك روسو صاح في خطابه هذا : ان املاك الرهبانيات واوقافها صارت تُقدر « بمليار » فرنك وهي في ازدياد مستمر فاذا لم تضعوا لذلك حدًّا امتصّت هذه الرهبانيات دماء الامة وصارت دولة في الدولة

فتناول يومئذ الاشتراكيون والغلاة كلمة « المليار » وصاروا يحاربون بها الرهبانيات . وهال بعضَ معتدلي الجمهوريين هذا الرقمُ وهذه الثروة فرأَوا من الواجب ان يضعوا حدًّا لذلك . ومن هنا نشأ نظام الجمعيات الدينية

فانت ترى في ما تقدَّم ان اوروبا لا تنظر اليوم الى اوقافها بعين الرضى والطمأنينة خصوصًا في البلاد التي يكون رجال الدين فيها مقاومين للسلطة الحاكمة . ولكن الدول التي يكون فيها رجال الدين على وفاق مع السلطة الحاكمة كروسيا مثلاً يكون شأن اوقافها شأن الاوقاف في بلادنا الشرقية . وحكومتها تشجع الواقفين وتثني عليهم لانهم بمنحهم املاكهم للهيئة الدينية وقفًا على «الفقراء والمساكين» انما يمنحون الحكومة نفسها قوة جديدة طالما يكون فوق

يدها يد تراقب التصرف بهذا الوقف لانفاق دخله في افضل الوجوه التي تنفع الامة نفعاً حقيقياً

ويظهر ان خوف الحكومة الفرنسوية كان في محله . فقد عثرنا في هذا الشهر على مقالة لجناب المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية نشرها في احدى جرائد اوروبا وذكر فيها انتقال صولجان السلطة في مصر قديماً من ايدي الفراعنة الى ايدي الكهنة بسبب كثرة هذه الاوقاف واستغراقها قسماً عظيماً من البلاد والعباد . واليك خلاصة هذه المقالة المهمة . قال المسيو ماسبرو .

لما شاخ رعمسيس الثالث تنازل عن الملك لابنه رعمسيس الرابع واقام لذلك احتفالاً عظيماً في هيكل الاله عمون . ثم اخذ رعمسيس الثالث (الاب) يساعد ابنه بالنصح والارشاد ويشتغل بكتابة وصيته السياسية ليبلغ اخباره الى الاجيال التالية . ومن حسن الحظ ان احدى هذه الاوراق وقعت في يد رجل يُدعى المستر هرس وكان قنصلاً لانكلترا في الاسكندرية ثم ابتاعها منه متحف لندن بعد بقائها ٢٥ سنة معه . وهذه الورقة تنتهي بذكر فتوحات رعمسيس واعماله . وفيها ما عدا ذلك بيان الاملاك والهبات التي وهبها للآلهة المصرية . وقد جاء في الورقة ان رعمسيس هو الذي وهبها للآلهة ولكن الحقيقة ان تلك الاملاك كانت موهوبة لها من اسلافه من ملوك الاسرة الثامنة عشرة حتى التاسعة عشرة . فالاهمية في هذه الورقة في بيان املاك الآلهة واوقافها في زمن من اهمّ الازمنة . ولذلك كانت فريدة في بابها .

وقد ورد في هذه الورقة ذكر اوقاف الآلهة في ثيبة وعين شمس (هليوبوليس) ومنفيس وبعض المدن الصغرى . وفيها تفصيل كل صنف من الاملاك كالبساتين والعبيد والحقول والمواشي مما يضيق المقام عن ذكره . غير اننا نكتفي بذكر ما كان للاله عمون الذي هو اكبر الآلهة المصرية القديمة . فقد كان يملك ٨١٣٢٢ نفساً من العبيد والخدمة والخادمات و ٤٢١٣٦٢ رأساً من المواشي الكبرى والصغرى و٤٣٣ بستاناً و ٢٣٩٣ كيلومتراً مربعاً من الاطيان كانت تُزرع حنطة و٨٣ سفينة تمخر عباب النيل والبحر و ٤٦ معملاً للبناء و ٦٥ مدينة او قرية (منها سبع في آسيا) — وما عدا ذلك فقد اهداه الناس في اثناء المدة التي ملك فيها رعمسيس الثالث وهي ٣٢ سنة ٣١ كيلوغراماً من الذهب و٨٣٣ غراماً — و٩٩٧ كيلوغراماً من الفضة و٨٠٥ غرامات — و ٢٣٩٥ كيلوغراماً من النحاس و ١٢٠ غراماً — و ٣٧٢٢ قطعة من النسيج و ٣٠٩٩٥٠ هيكتوليتراً من القمح و ٣٨٩٥٣٠ طائراً وكثيراً من الخيوط والكتان والزيت والخمر والبخور والبقول . وعلى ذلك فقد كانت

ثروة الاله عمون فوق كل ثروة دون ثروة فرعون · وكانت املاكه عبارة عن جزء من ثمانية اجزاء من بلاد مصر وكانت آخذة بالازدياد والاتساع

ومن اجل هذا استنتج متأخرو المؤرخين نتيجة نشير اليها · فانه من المعلوم انه بعد انقضاء مائة سنة او ١٢٠ على ملك رعمسيس الثالث قام كاهن عمون الذي كان الكاهن الاعظم في ثيبة ونادى بنفسه ملكاً جامعاً بذلك بين السلطتين المدنية والروحية · وبذلك سقطت سلطة « الرعامسة » · فالمؤرخون كانوا يعتقدون حتى اليوم ان السبب في حلول سلطة رئيس الكهنة محل سلطة الفراعنة منذ نحو ٣ آلاف سنة كون الاوقاف للكهنة والآلهة زادت زيادة كبرى عن املاك الملك فصار لهم القوة والسلطة دونه لرجحان ثروتهم على ثروته · ولكن المسيو ارمن الذي نشر منذ مدة كتاباً موضوعه البحث في « بابيروس هرس » وهي الورقة التي تقدم ذكرها يقول انه يجب ابطال هذا الرأي لان اوقاف الاله عمون لم تبلغ اكثر من عشر البلاد · والناس الذين كانوا تابعين لها لا يبلغون جزءاً من ١٠٠ جزء من سكان مصر · فكيف والحالة هذه يمكن ان تتغلب طبقة الكهنة على اسرة الملوك

الا ان المسيو ماسبرو صاحب المقالة يردّ على المسيو ارمن · وردّه في غاية السداد على ما يظهر فانه قال ان ورقة هرس نقلت الينا بيان ثروة الاله عمون في آخر حكم رعمسيس الثالث · وكانت خزانة رعمسيس يومئذ تطفح بالمال وارداً من سوريا · لكن في القرن الذي تلا ذلك الزمن اضطر الملوك الى ترك ولايات سوريا البعيدة فانقطع دخلها عن خزائنهم ولم يبق لهم غير دخل املاكهم في مصر · وبناء على ذلك نقص دخل الملوك نقصاً عظيماً بينما دخل الكهنــة بقي على حاله تقريباً لانه لم يخسر الا ايراد بعض المدن السورية التي تُركت وهي خسارة قليلة · واذا حسبت الهدايا التي كانت تُهدى اليه كلما ارتقى ملك الى العرش وجدتَ ان ذلك يعادل خسارته المذكوره آنفاً · فرجحان ثروته على ثروة الملوك لم يكن من قبيل زيادتها بل من قبيل حفظه لدخله وتناقص دخل الملوك · ولما رأى رئيس الكهنة قوته ورجحان ثروته اغتنم هذه الفرصة وطلب جعل حق رئاسة الكهنة في اسرته فصار رئيس الكهنة لا يُختار الاَّ منها وبذلك اصبح هذا المنصب وراثياً من الاب للابن · ومنذ هذا الحين زادت سلطة الكهنة وصارت الاسرة الرئيسة تزوج ابناءها بنات الاغنياء والعظماء زيادة لقوتها واعوانها · فلم يمض على ذلك قرن او قرن ونصف حتى صارت بلاد ثيبة وهي ثلث بلاد مصر تقريباً وقفاً للاله عمون وملكاً له ولكهانه · وكان رئيس الكهنة يحكم البلاد من اصوان الى اسيوط ويقود الجيش ويحكم بلاد الجنوب حتى الحبشة نفسها

كانت تحت سلطته · وهكذا لم يلبث ان صار مالكاً لمصر من النيل الازرق حتى نواحي اسيوط · ولكنه لم يستطع ان يصنع في الدلتا (الوجه البحري) ما صنعه في الجنوب لقلة املاكه فيها · فقامت في تنيس اسرة ملوكية جديدة لتزاحمه فاجبرت مدن الدلتا العديدة السكان اهل ثيبة على اقسام يمين الطاعة لها · ومنذ ذلك الحين صارت مصر مقسومة الى قسمين احدهما في الجنوب يحكمه بالاسم الاله عمون وبالفعل رؤساء كهنته ذكورًا واناثاً

قال المسيو ماسبرو الذي هو اليوم اعظم ثقة في الاثار المصرية مختتماً كلامه : نعم ان ثروة عمون لم تكن السبب الوحيد في تلك الثورة التي احدثت هذا الانقلاب ولكنها السبب الاصلي · فانه لولا تلك الثروة لما تمكن الكهنة من التغلب على الملوك

فلسطين واشهر آثارها

لحضرة نجيب افندي نصار اللبناني في طبريا

بيت لحم

بلدة بيت لحم واقعة على مسافة خمسة اميال الى الجنوب من القدس تقطع الطريق منها اليها وادي ابن هنوم تحت جبل صهيون وتمر في سهل الرفائيين شرقي المستعمرة الالمانية القدسية · فدير مار ايلياس الذي بناه مطران بهذا الاسم في تاريخ مجهول فصار المتاخرون ينسبونه للنبي ايليا · فقبر راحيل امرأة يعقوب المعروف باسم قبة راحيل

وقد اكتشف هذا المكان (قبة راحيل) منذ ابتداء التاريخ المسيحي وكان مبنياً باثنى عشر حجرًا بشكل هرمي اشارة الى اسباط اسرائيل الاثني عشر · اما بناؤه الحالي فهو قبة فوق القبر ورواق امامها بنيا في القرن السابع عشر · وقد جاءت ابحاث الدكتور روبنصن مخالفة للاعتقاد الراسخ منذ نحو الفي سنة في اذهان البشر على اختلاف مذاهبهم بصحة هذا المكان · قال هذا العلامة : وان يكن الموقع مطابقاً لقول التوراة بان راحيل دُفنت بالقرب من افراته التي هي بيت لحم الا انه لا ينطبق على قول صموئيل بكون قبرها واقعاً على الحد بين يهوذا وبنيامين · لان الحد بعيد الى الشرق من تلك النقطة · ولا يوافق رواية التوراة ايضاً في ان شاول في عودته من الرامة من عند صموئيل الى بلده جبعة مر بقبر راحيل · فالرامة وجبعة واقعتان الى الشمال من هذه النقطة · فحقيقة حال هذا المكان تبقى

مجهولة الى ان تُظهرها ابحاث المدققين

وهنا نترك طريق الخليل اليمنى ونتبع الطريق اليسرى فنقنادك ببضع دقائق الى بيت لحم

﴿ البلدة ﴾ هي محاطة باشجار الزيتون والكرم وواقعة على تلين علوهما ٢٥٥٠ قدماً عن سطح البحر

﴿ سكانها ﴾ يربون على الثمانية الآف نسمة نصفهم روم ارثوذكس والنصف الآخر كاثوليك الا قليلاً من المسلمين والبروتستنت . والمظنون ان البيتلحميين من سلالة الصليبيين لان هيئاتهم والوانهم تشابه بالجملة هيئات والوان الاوروبيين . والرجال منهم يتعممون بالعمائم الحريرية الصفراء فوق الطرابيش المغربية و يلبسون العباءة فوق القفطان (الغنباز) والنساء يلبسن اثواباً (قمصاناً) قطنية واسعة طويلة مصبوغة بلون ازرق ومطرزة بالحرير الملون على قباتها وصدورها واكمامها . و يلبسن فوقها عباءة صوفية حمراء ذات اكمام قصيرة . وقد صرن يستبدلنها (بصلطات) الجوخ ويغطين رؤوسهن بقبعات صغيرة هي اشبه بالطرابيش الصغيرة مزينة بالقطع الذهبية والفضية و يسترنها بملاءة قطنية مطرزة بالحرير الاحمر والعنابي تطريزاً متقناً و يرسلنها على اكتافهن وظهورهن ويشددن خصورهن بزنار

﴿ صناعتها وتجارتها ﴾ والرجال يتقنون صناعة الاصداف وعرق اللولوء (كما يحسن القدسيون صناعة الادوات الجميلة من خشب الزيتون) فيصنعون منها المسابح والصلبان والدبابيس الصدرية ومقاطع الورق وصنوفاً اخر عديدة و ينقشون على القطع الكبيرة من هذه الاصداف رسوماً انجيلية وكنسية متقنة غاية الاتقان يبيعونها لسياح الفرنج والزائرين ويتجرون بها مع البلدان الاميركية والانكليزية خصوصاً والاوروبية عموماً . وللبلده تجارة مع العربان المجاورة لها في الحنطة والسمن والصوف وجلود الضأن .

﴿ اسواقها ﴾ ضيقة حتى ان مركب واحدة اذا مرت في اكبرها تسده ويتعذر على المارين المرور معها غير انها نظيفة

﴿ مدارسها ﴾ فيها مدارس خارجية للذكور والاناث للطوائف الارثوذكسية واللاتينية والبروتستنتيه ومدرسة داخلية بروتستنتيه للبنات واخرى كاثوليكية للذكور وقد بنت احدى الجمعيات الخيرية الالمانية مدرسة كبرى للذكور الايتام فيها .

﴿ حكومتها ﴾ هي مركز مديرية تابعة للواء القدس

﴿ تاريخها ﴾ لم يختلف الرواة في كون بيت لحم هي افراتة لان اسمها ومعناه بالعبرانية بيت الطعام لم يتغير . والمسافة الكائنة بينها وبين القدس هي عين المسافة التي يعينها الكتبة

الاقدمون في عصور مختلفة . وكانت في بداية التاريخ اليهودي قليلة الاهمية الى حد انها لم تذكر في عدد القرى المعطاة ليهوذا . وذُكرت بعد ذلك مرة بمناسبة ميخا عابد الاصنام واخرى بمناسبة الافرايمي وسريته التي نشأت بسببها حرب عوان في اسرائيل . غير انها فيما بعد بلغت مقاماً عظيماً من الاهمية بقيام داود منها وله شعث الاسرائيليين وجمع كلمتهم وجعل مملكتهم قوية ذات صولة وشأن عظيم تجاه القبائل العديدة المعادية لهم والمحيطة بهم . وبولادة المسيح فيها حسب رواية الانجيل اخذت شهرتها تزداد بانتشار الدين المسيحي فلم تلبث بعد ذلك قروناً حتى ملأ اسمها الاقطار وحلا ذكرها لدى جميع المسيحيين في جميع الامصار ففاقت مع صغرها وحقارتها عواصم الممالك في الاهمية والاعتبار وصار السياح والزوار يتواردون لزيارتها من جميع البلاد . وبنت فيها القديسة هيلانه كنيسة سنأتي على ذكرها . وقد اصطفتها بولا الرومانية فبنت فيها اديرة وصرفت باقي حياتها في واحد منها الى جانب استاذها جيروم الذي اتم فيها ترجمة نسخة من التوراة من العبرانية الى اللاتينية ومات ودفن فيها على رواية بعضهم . واحاطها جوستينيانوس باسوار هدمها العرب فيما بعد . ثم دخلها الفرنج بناءً على طلب اهلها واعادوا بناء اسوارها وحصنوها بقلعة . وفي سنة ١١١٠ جعلها بلدوين كرسي اسقفية وفي سنة ١٢٢٤ خربتها جيوش خارزميان ففقدت مقامها ولم تعد بذات اهمية حتى القرنين الاخيرين . لكنها بقيت عرضة لهجمات البدو ومناوشاتهم . والسبب في ذلك ان اهلها لم يكونوا يخضعون كاهالي باقي القرى لاستبداد قبائل البدو الذين كانوا يضربون الجزية على القرى المجاورة لهم وينهبون مواشيهم ويسلبون ابناء السبيل منهم اذا لم يؤدوها . وكان ذلك قبل امتداد سلطة الحكومة ونفوذ كلمتها في هذه القبائل الرحالة

المغارة

التي ولد فيها المسيح

﴿كنيسة العذراء﴾ اشهر ما يذكر ببيت لحم كنيسة الولادة المدعوة باسم العذراء وهي احدى الكنائس الثلاثة التي شادتها القديسة هيلانه في البلاد المقدسة الفلسطينية . مبنية على طراز بسيط يستدل منه ومن تقارير الكتبة المتشابهة عنها في الاعصر المختلفة انها لم تزل على حالها منذ بُنيت فضلاً عن كونهم يعترفون بانها لم تلاقِ ما كانت تلاقيه باقي الكنائس والاديره من الخراب اثناء الحروب الويبلة . وهي قائمة على صفي اعمدة من حجارة كلسية يبلغ علو الواحدة منها بما فيه قواعدها المربعة ورؤوسها الكورنثية تسع عشرة قدماً . وقد رصع

الامبراطور مانوئيل البيزانتي جدرانها بالفسيفسا ونقش رسمه عليها في عدة محال غير ان هذه النقوش طمست وغدت اثرًا بعد عين · وفي سنة ١٤٨٢ جلب اليها ادورد الرابع ملك انكلترا وفيليب امير بورغانديا صناعًا من البندقية (فنيسيا) واصلحوا سقفها الذي جردته الحكومة في سنة ١٦٧٢ من الرصاص لعمل القنابل · وبعد ما رُممت استولى عليها الروم والارمن غير ان الكاثوليك اخذوا بواسطة نابوليون الثالث حصة منها وشادوا كنيسة متقنة على حصتهم ·

﴿ صحة موقعها ﴾ قلنا ان الكنيسة قائمة فوق مغارة المهد فالكتبة المدققون يعترضون على حقيقة هذا الزعم بقولهم ان ولادة المسيح كانت على حسب رواية الاناجيل في منزل وليس في مغارة وفي رأينا ان هذا الاعتراض في غير محله لان الاولين كانوا ينقرون المغاور في الصخور ويتخذونها منازل وتشهد بذلك مغاور بيت جبرين الواسعة العديدة وغيرها من مغاور القرى العديدة في البلاد الفلسطينية · وان قيل ان مغارة المهد نفسها كانت صغيرة لا يمكن ان تكون نزلاً للغرباء قلنا انها مع مغارة جيروم الواقعة الى جانبها والتي هي بالحقيقة قسم منها كافية لان تكون نزلاً لغرباء قرية كبيت لحم بحسب ظروف ذلك الزمان · ولا ينبغي ان يعتقد المتأخرون ان منازل الاولين كمنازل اليوم في تنظيفها وتعداد غرفها فان غرفة واحدة كبرى كانت كافية لمبيت عدد غير يسير من ابناء السبيل في ذلك الزمان · وزد على ذلك ان المسيحيين كانوا يعتقدون بولادة السيد في هذه المغارة منذ اواسط القرن الثاني · ومما يُروى ان ابناء الطوائف الاخرى لم يكونوا يعترضون على اعتقاد المسيحيين هذا في القرون الاولى · ويوسيبيوس قبل القديسة هيلانه بعدة سنين يؤكد هذا الزعم · فيظهر ان مجال الاعتراض على حقيقة هذا المكان ضيق بالرغم عن طول باع المعترضين وانقياد الحجة والبرهان لهم · (هذا بصرف النظر عما قاله بعضهم من ان ولادة المسيح كانت في الناصرة) ــ وقرب دير الروم محلات اخرى كمغارة الحليب وبيت يوسف لا محل لذكرها هنا

بيت ساحور

او بيت ساحور النصارى تبعد ميلاً الى الشرق عن بيت لحم ربما تناولت اسمها من اشحور ابن تقوع المذكور في سفر الايام الاول او من اسحار وهي بقلة تسمن الغنم كان الرعاة يرعون غنمهم فيها كما قيل لما بشرهم الملاك

سكانها نحو سبعمائة نسمة من المسيحيين وفيها عدة مغاور وآبار اكبرها في وسط القرية ويقول العامة ان ماءها ارتفعت باعجوبة الى فمها فشربت منها العذراء اذ ابت النساء اللواتي

كن يستقين ان يسقينها من دلائهن · وهناك ايضاً مغارة يعتقد الناس ان الوعاة كانوا يقيمون فيها

وعلى مسيرة نحو عشر دقائق الى الشرق من بيت ساحور بقعة خصيبة يدعونها سهل بوعز

اما المغارة التي صار الناس منذ القرن السادس عشر يعتقدون ان الملائكة ظهروا للرعاة وهم فيها فهي على مسافة عشر دقائق الى الجهة الشمالية الشرقية من سهل بوعز وفيها كنيسه يُنزل اليها بواحدة وعشرين درجة فيها قطع اعمدة و بقايا نقوش بالفسيفساء يقول الخبيرون بهذا الفن انها من صنعة الاجيال المتوسطة · وفوقها بقايا ابنية ربما كانت بقايا الكنيسة التي كان الصليبيون يدعونها « المجد لله في الاعالي » قالت بولا : ان برجاً للرعاة كان قائماً هناك

جبل الفريديس

« هيروديوم »

هو تل مخروطي الشكل · ربما دعي الفريديس لانه يشرف على مناظر متسعة بديعة ولانه كان محاطاً بجنائن جميلة تشبه الفردوس · واقع على مسافة ساعة الى الجنوب الشرقي من بيت لحم و يدعي ايضاً جبل الفرنج لان بعض الرواة قالوا ان الصليبيين اقاموا فيه مدة اربعين سنة بعد ما خرجت القدس من ايديهم · علوه ٢٤٨٧ قدماً ومحيطه ٧٦٠ قدماً

﴿ تاريخه ﴾ اختلف الرواة في حقيقته فقال بعضهم هو بيت هكاريم المذكورة في ارميا ص ٦ ع ١ واخرون بيت اوليا غير انه يتضح من اقوال يوسيفوس في اخبار اليهود (كتاب ١٤ فصل ١٣ قطعة ٩) (وكتاب ١٥ فصل ٩ قطعة ٤) ان بعض هذا التل طبيعي والبعض الآخر اصطناعي · لان هيرودوس كمله حتى صار بشكل صدر امرأة و بنى عليه قلعة حصنها بالابراج المنيعة وقصراً بهيجاً واحاطه بالجنائن تذكاراً لتغلبه على انتيغونوس الذي كان يطارده خوفاً منه على ولايته على اليهودية · وآثار ابنية هيرودس لم تزل شاهدة بكونها من عصره خلافاً لما يقال بكونها صليبية · وقد تبين ان مسافة الستين غلوة التي يذكرها يوسيفوس بينه و بين القدس تنطبق عليه · و يزيد بذلك تاكيداً صحة نسبة هذه الستين غلوة الى الثلثمائة غلوة المسافة التي يذكرها هنا المؤرخ بين القدس والبحر الميت · وقد نقلت جثة هيرودوس بعد وفاته ودفنت في هذه القلعة ولذلك يسمون هذا الجبل « هيروديوم »

برك سليمان

واقعة على مسافة ساعة من قبر راحيل الى يسار طريق العربة من القدس الى الخليل في منحدر وادي ارطاس . وهي ثلاث برك الواحدة فوق الاخرى ولكن على خط غير مستقيم . وقعر العليا يوازي سطح الثانية وهكذا في الثانية والثالثة . وتبعد الاولى ٥٣ يرداً عن الثانية وهذه تبعد ١٥٥ يرداً عن الثالثة

البركة الاولى — طولها ١٢٧ يرداً وعرضها ٧٦ واعمق نقطة فيها من جهة الشرق ٨ يردات بعضها منقور بالصخر والبعض الاخر مبني بالحجارة وينزل اليها بدرج عند زاويتها الجنوبية الغربية

البركة الثانية — طولها ١٤٠ يرداً وعرضها ٥٤ وعمقها ثلثة عشر والدرج اليها في زاويتيها الشمالية الغربية والشمالية الشرقية وتصب فيها قناة عين صالح عند زاويتها الشمالية الشرقية واكثرها تجويف في الصخر .

البركة الثالثة — اكبر من اختيها طولها ١٩٤ يرداً وعرضها ٥٠ وعمقها ستة عشر بعضها حفر في الصخر والبعض الاخر كمل بالبناء وينزل اليها بسلمين في زاويتيها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية وفي حائطها السفلي دهليز يوصل الى كهف نبع الفروجة الذي يصب في قناة القدس .

﴿ تاريخها ﴾ يظهر ان هذه الاحواض قديمة العهد جداً لان كثيرين من كتبة اليهود الاقدمين يذكرونها وخصوصاً كتبة التلمود الذين يشيرون الى نبع عيطام بين القدس والخليل ويقولون ان ماءه كان يصب في بئر ومنها يجري بقناة الى اورشليم . ويقول يوسيفوس ان عيطام لم تكن بعيدة عن القدس وان سليمان الملك غرس الجنائن حولها وجر ماءها الى الهيكل المقدس . وسكت الكتبة الذين جاؤوا بعدهم عن ذكرها حتى القرن الرابع عشر اذ ذكرها رودولف دي سوخم بقوله ان آبار اورشليم كانت تسقى باقنية من ماء الخليل . غير ان كوتيفيكوس يصف البرك في سنة ١٥٩٨ وصفاً دقيقاً . واذ كانت هذه الاقنية خربة جرت الحكومة العثمانية ماء البرك من منذ ثلاث سنوات باقنية حديدية جديدة الى القدس وخففت عن الاهالى كرباً وضيقاً كانا يحلان بهم في خريف كل سنة وقت نفاد ماء الشتاء من صهاريجه . وقد ظن الدكتور روبنصن ان عيطام التي بناها يربعام (ايام ص ١١ ع ٦) هي ارطاس بلدة بجوار بيت لحم

مدينة الخليل

وطن ابراهيم الخليل — بلدة اقدم من منفيس

فيها مضيف لرجل اسرائيلي وآخر للزوار الروسيين ويُقبل غيرهم اذا كان معهم كتاب توصية من الارشمندريت الذي يقيم في مسكوبية القدس

تبعد نحو اثني وعشرين ميلاً الى الجنوب الغربي عن القدس وهي واقعة في وادخصيب يكثر فيه شجر اللوز والدراق . اما الكرمة فتنمو وتثمر ثمرًا وافرًا يانعًا حتى ان بعض الكتبة اجمع رأيهم على ضرورة كون وادي اشكول الذي عاد منه الجاسوسان الى يشوع بقطف عنب كبير للدلالة على خصب الارض — كان في هذا الجوار . وسكانها يبلغون عشرة الاف نسمة منهم نحو الف من اليهود

﴿المدينة﴾ والمدينة تعلو ثلاثة الاف قدم عن سطح البحر . وقد كانت تنقسم الى اربعة احياء غير ان الابنية ازدادت كثيرًا في المدينة حتى اتصلت الاحياء بعضها ببعض وصار يعسر تمييزها . وهي مركز قائمقامية وفيها شعبة بوسطة وتلغراف ومكاتب ابتدائية عثمانية ومعامل زجاجية من القرون المتوسطة تصنع فيها السرج والاساور والخواتم الملونة التي تتزين بها النساء وتباع للزوار وسياح الفرنج . واهلها يدبغون جلود الحيوانات ويصنعونها قربًا يبيعونها من الحجاج والعرب ويتجرون مع العربان المجاورة والبرية فينقلون اليهم لوازمهم ويستبدلونها منهم بالصوف والسمن والقرد والاسرائيليون يصنعون الخمور من عنبها الجيد

﴿تاريخها﴾ يُظن ان المدينة القديمة كانت واقعة مقابل الحديثة على تل الرميدة الذي وان كان قد صار مشجرًا بشجر الزيتون الا انه لا تزال عليه بعض آثار الابنية القديمة والحديثة وبينها قبر يسى ابي داود ومزار اربعين شاهدًا وفي سفحه بئر منسوبة لسارة امرأة ابراهيم الخليل يدعى العين الجديدة

والمدينة كانت تدعى قديمًا (قرية اربع) قال بعض كتبة اليهود القدماء دُعيت كذلك لان الشيوخ الاربعة وهم ادم وابراهيم واسحق ويعقوب ماتوا ودفنوا فيها . وقال آخرون منهم انها قرية ادم لان كلمة اربع تفيد معنى آدم . وهي تدعى ايضًا حبرون . والمسلمون يسمونها خليل الرحمان وحبرا ومجد ابراهيم ويدعون المقاطعة كلها جبل الناصرة .

وهي مدينة عريقة جدًا في القدمية جاء في التوراة في سفر العدد « ١٣ : ٢٢ » انها بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين . وقال يوسيفوس في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٩

قطعة ٧ » انها اقدم من منفيس وانها بنيت قبل زمانه بالفي وثلثمائة سنة · وفيها عاش ابراهيم واسحق و يعقوب · ومنها رحلت عائلة يعقوب الى مصر عن طريق بئر سبع ولما عاد الاسرائيليون من مصر وجدوا قبيلة العنافيين فيها فاعطاها يشوع لكالب ابن يفنة الذي طردهم منها · ثم صارت المدينة ملجاء واعطيت للاويين (يشوع ٢١ : ١٣)وفيهاملك داود على سبط يهوذا سبع سنين · وعند بابها قتل يوآب ابن صروية رئيس جيوش داود ابنير قائدجيش شاول · وفيها سمي داود ملك على مملكة اسرائيل كلها · وفيها ايضاً جاهر ابشالوم ابنه بالتمرد عليه · وحصنها رحبعام ابن سليمان بعد انقسام مملكته · وعاد اليهود فسكنوها بعد رجوعهم من سبي بابل · ويفهم من اقوال يوسيفوس والمكابيين ان الادوميين استولوا عليها وعلى القسم الجنوبي من البلاد وان سمعان المكابي طردهم منها وطرد سر باليس احد قواد فسباسيانوس منها سمعان خيور يدس الذي عصي وتحصن فيها في القرن الاول بعد المسيح

ولم تفقد المدينة شيئاً من اهميتها بدخولها في حكم المسلمين لانهم سروا باستيلائهم عليها ولم يدمروها في الحرب اجلالاً لابراهيم الخليل الذي اتخذها لنفسه وطناً ومقيلاً ابدياً · بل انشئوا فيها مضيفاً للغرباء من جميع الملل تذكاراً لحسن ضيافته على رواية بعضهم وعلى قول آخرين ان المضيف انشئ بامر تميم الداري احداصفياء الرسول(صلعم) اذ استوهبه المدينة و بعض القرى المجاورة فوهبه اياها

واستولى الصليبيون على الخليل بعد القدس فوهبها كودفري دي بيلون الى جرهار وفي سنة ١١٦٧ صارت اسقفية كاثوليكية · ثم طرد صلاح الدين الفرنج منهـا كما طردهم من باقي البلدان · وفي سنة ١٧٥١ احدثت مناوشات بين اهلها واهل بيت لحم فاصيب الفريقان بضرر شديد

﴿ حرمها ﴾ هوفوق مغارة المكفيلة التي هي اقدم مكان مقدس في ارض الميعاد لانها اول قطعة اشتراها ابرهيم ليدفن فيهـا امرأته ثم صارت مدفناً عائلياً له ولسلالته · وهي مؤلفة من طبقتين الواحدة فوق الاخرى ولذلك دعيت المكفيلة (المزدوج) وفيهـا قبور الشيوخ الثلاثة ونساؤهم و ربما قبر يوسف ايضاً · والمسلمون يحتفلون بها كثيراً حتى انهم لا يجيزون لاحد من غير المسلمين ان يطاء اديمها الا باذن خاص من صاحب الخلافة · والطبقة العليا منها تتضمن مقامات اشبه بالمدافن الحقيقية قائمة فوقها على خط مستقيم واليها يدخل الزائرون المأذونون خلافاً لحرم القدس الشريف الذي تجيز الحكومة المحلية للسياح الدخول اليه

وقد اختلف الرواة في حقيقة الابنية القائمة فوق هذه المدافن . فمن كتبة المسيحيين من عزاها الى هيرودس . غير ان يوسيفوس الذي ذكر جميع ابنية هيرودس في القدس وخارجها يشير الى هذه بلغة تدل على كونها بُنيت في زمن سابق لزمانه . قال في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٩ قطعة ٧ » في سياق كلام له عن ابرهيم : ولا يزال يُدَل على مشهده « مقامه » في تلك المدينة الصغرى « الى هذا الزمان بعينه » وبناؤه من رخام مصنوع بابدع اسلوب ـ فاعتمد المخالفون من المسلمين والمسيحيين لاصحاب الرأي الاول هذه الكتابة ونسبوا الابنية لسليمان لكونه اشهر بنائي القرون الاولى . غير ان التوراة جاءت بتقارير وافية عن ابنية سليمان الذي صفا ملكه فاطمأنت رعاياه وتفرغ الكتبة الى ذكر حوادث العمران فلم يفتهم شيء من ماجرياته . ولكنهم لم يذكروا شيئاً يتعلق بحرم ابرهيم مع كونه عظيم الاهمية عند اليهود . فبناء على ذلك وبناء على ما نعلمه من حوادث داود في تلك الايام كقتله قتلة ابن الملك شاول واستيائه من يواب لانه قتل ابنير نستدل على انه كان يرغب في تأليف قلوب الاسرائيليين وجمعها على حبه ولذلك نعتقد انه هو الذي بنى هذا المقام الشائق على مدافن اجداده واجدادهم استرضاء لهم فضلاً عن انه لم يكن اقل رغبةً من سليمان في اقامة الابنية لانه طلب ان يبني هيكل الله قبله . ولا يؤاخذ كتبة اليهود اذا فاتهم ذكر ذلك في ذلك العهد لان افكارهم كانت تشتغل عن كل الامور الثانوية بما كان يتهدد مملكتهم من الخطر الناشيء عن القلاقل والحروب الاهلية والخارجية

وقد ذكر سائح برذُو في بداءة القرن الخامس بناء مربعاً حول الابنية القائمة فوق المغارة قال فيه الدكتور روبنصن انه ربما فات يوسيفوس ذكره . وقد جرت عادة كثيرين من الكتبة ان يكتبوا عن الاشياء الرئيسة ويهملوا ذكر توابعها . وانطونيوس الشهيد قبل المسلمين بقليل يشير الى كنيسة وايوان غير مسقوف ويقول ان النصارى واليهود كانوا يزورون المقام ويحرقون البخور فيه . ويظن ان الكنيسة هذه هي من بناء جوستنيانوس ومجير الدين يقول ان ابرهيم الخلنجي بنى قبر يوسف بامر احدى نساء الخليفة في الحقل الخارج عن بناء سليمان قبالة قبر يعقوب ابيه مع ان رواية التوراة تدل على ان يوسف دفن بقرب شكيم « نابلس » غير انه يحتمل ان يكون اليهود نقلوا عظامه بعد ما توطنوا في الارض وضموها الى عظام ابائه بحسب طلبه قبل وفاته . ولكن لا يوجد دليل على ذلك في تواريخهم . وعلي بك يقول ان اصل الجامع الحالي كنيسة ارثوذكسية . وهي قائمة على اربع قناطر ولها ثلاثة اجنحة اوسطها اعلاها . اما مقاما اسحق ورفقه فهما في داخلها ومقامات ابرهيم وسارة

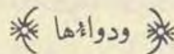
ويعقوب وليا ضمن ابنية خاصة بها في الايوان امام الجامع

﴿ البركتان ﴾ واقعتان في الوادي الى الجهة الجنوبية الغربية من حارة « القزازين» واكبرهما تدعى بركة السلطان مربعة الشكل طول كل من جوانبها ١٣٣ قدماً وعمقها ٢٠ قدماً ينزل اليها بدرج من جوانبها الاربعة والثانية تُدعى بركة « القزازين » طولها ٨٥ قدماً وعرضها ٥٥ قدماً وعمقها ١٨ و يرجحون ان الاولى منهما هي التي شنق داود فوقها قتلة ايشبوشث ابن شاول

واما قبرا ابنير وايشبوشث الموجودان احدهما في القلعة والاخر في المدينة فهما بحسب التوراة واحد لان راس ايشبوشث دُفن في قبر ابنير

﴿ بلوطة ممرا ﴾ واقعة على مسافة نصف ساعة من مدينة الخليل بجانب المضيف الرومي الذي له برج يشرف على مناظر شاسعة بهيجة . و يقال ان هذه بلوطة ابرهيم . غير ان العارفين بعلم النباتات يظنون انها خليفتها في مكانها وهي بالحقيقة قديمة العهد جداً لان يوسيفوس وجيروم يذكرانها

وسنأتي بالتتابع على أشهر الآثار الفلسطينية التي في الاطلاع عليها لذة وفائدة



زراعة الزيتون وآفاتها

﴿ ودواؤها ﴾

الزيتون زراعة من افضل الزراعات واجملها . وهي تقتضي الصبر وطول البال . ولكنها متى بلغت اشدها وصارت تعطي ثمراً فقد اصبحت بمنزلة عقار ذي ريع وافر اذ دخلها السنوي ليس بالشيء اليسير . وسكان بعض البلاد في الجزائر والشام ولبنان وجنوبي ايطاليا وجنوبي فرنسا وكاليفورنيا وغيرها ينتظرون منها في كل عام ماينتظره زراع القطن في مصر من السعة والثروة

قلنا ان زراعة الزيتون تقتضي الصبر والانتظار . ولكن الشرقي من سوء الحظ لم يتعود بعد هذه الخلة الحميدة . واليك هذه النادرة التي سمعناها في احدى مدن الشام لتعلم ان الفلاح الشامي شبيه برصيفه المصري : سمع بعضهم ان الزيتون يعطي ايراداً وافراً وكان ممن تعوّدوا زراعة ارضهم قمحاً يستورد منه في كل عام ثمانية او عشرة جنيهات . فشرع في غرس ارضه زيتوناً . فاحضر الشجيرات وغرسها واعتنى بها واخذ ينتظر . فدخلت السنة

الاولى فلم يعطه الزيتون شيئاً . ودخلت الثانية وبقي الزيتون على حاله . فذكر حينئذٍ انه يخسر بذلك في كل عام بضعة جنيهات فجاء واقتلع الزيتون ليزرع في مكانه حبوباً كما كان من قبل وهو يقول في نفسه : دينار عاجلاً خير من ٢٠ آجلاً

غير ان للزيتون الذي هو في كثير من البلاد مورد رزق لاصحابه كما تقدم آفات اذا اصابته قطعت ذلك الرزق عن اهله . واليك بيانها .

واولاها الآفة التي تُدعى « دودة الزيتون » (œcophara oliviela) وهي دودة صغيرة تبيض على ثمرة الزيتون اول تكونها ويغتذي صغارها من لب البزرة . الا ان هذه الدودة لا تضرّ ذات الثمرة التي يعصر منها الزيت وانما ينحصر ضررها في ايقاف نمو الثمرة حيناً وبعد ذلك تعود الى حالها .

والآفة الثانية تُدعى « ذبابة الزيتون » (Dacu oleae) وهذه اشد الافات عليها . وهي عبارة عن ذبابة صغيرة ذات رأس ابيض ضارب الى الصفرة وفيه نقطة سوداء من الجانبين وبطنها مخطط بخطوط سوداء منقطعة . فهذه الذبابة تقصد كل ثمرة من ثمار الزيتون وتغرز فيها بيضة واحدة . فلما تنقف هذه البيضة تجد طعامها حولها في الثمرة نفسها فتتمتع به متلذذة . وقد اصابت هذه الآفة زيتون ايطاليا في سنة ١٨٩٩ فاعدمت موسم الزيتون حتى ان اصحابه لم يتجشموا عناء جنيه لتحققهم ان ذلك لا يكافىء نفقاته . فاعلن يومئذ مجلس ادارة باري انه وضع جائزة قدرها ٥٠ الف فرنك لكل من يرشد الى دواء لاهلاك هذه الآفة واضافت الحكومة الايطالية ١٠ الاف فرنك الى هذه الجائزة . ولكنهم لم يجدوا لها دواء غير التعجيل في جني ثمر الزيتون قبل نقف البيض وان كان الزيتون لم يبلغ اشده وذلك رغبةً في ابطال نمو هذه الآفة واستئصال بيوضها

والآفة الثالثة تُدعى « قملة » الزيتون (Lecanium oleae) وهي حشرة لونها رمادي ضارب الى السمرة طولها مليمتران الى ٤ مليمترات . وهذه الحشرة شديدة الفتك بالزيتون في كل مكان . وهي تقيم على باطن الورقة وتتوالد بسرعة غريبة فلا تلبث ان تملاء اوراق الشجرة كلها . ومن خواصها انها تفرز سيالاً سكرياً يجف على الورقة فيمنع نموها فضلاً عن كون تلك الحشرة تمتص عصارة الورقة وتحرمها غذاءها . وما عدا ذلك فان المادة السكرية التي في ذلك السيال يجتمع عليها نوع من الفطر يُدعى (Capnodium claeophilum) وهو ما يسمونه « الداء الاسود » لانه عبارة عن مادة سوداء تجتمع على اوراق الشجرة واغصانها . وهذا الفطر الاسود يضر بالشجرة اشدّ ضرر . فانه ينشىء قشرة سميكة فوق الشجرة فيسد مسامها ويمنعها

من التنفس اللازم لها . واذا حصل ذلك قبل الازهار قلّ زهر الشجرة او أُعدم . واذا حصل عند تكوّن الثمر فان الثمر يسقط . واذا حصل بعد كبر الثمر فانه يمنع تضخمه ونموه وبذلك يقلل زيته

دواؤه غير انهم وجدوا من حسن الحظ دواء لهذا الداء العام ويسرّنا ان نشير اليه هنا لان زراعة الزيتون في غاية الاهمية في لبنان . وهذا الدواء قسمان صناعي وطبيعي . فالصناعي طليهم الشجرة وفروعها بهذا المحلول : يضاف كيلوغرامان من الصابون الاسود وليتران من زيت البترول (الكاز) الى مائة ليتر من الماء او الى محلول سلفات الحديد على نسبة ٥٠ في المائة . — وهناك علاج آخر جربه المستر جيلي مدير احدى المزارع الكبرى في اوستراليا وهو طلي الشجرة بمحلول مركب من غرامين او ثلاثة من كربونات الصوده في كل هيكتوليتر من الماء . ويجب طلي الاشجار بهذا العلاج في ايام الربيع بينما تكون الحشرات صغيرة . ويعاد هذا العلاج في كل ثلاث سنوات

واما العلاج الطبيعي فهو انجع فعلاً . وبيانه ان المستر الوود كوبر ادخل في عام ١٨٩٢ في مزارعه الزيتونية في كاليفورنيا بضعة ازواج من حشرة تدعى (Rhizodius ventralis) فلم تنقض بضعة اشهر حتى تكاثرت هذه الحشرة جداً وافترست ما كان على الاشجار من الحشرات المعروفة ,, بقمل الزيتون ،، وكذلك الحشرة (Erastria scitula) فانها تعيش على اوراق الزيتون ولا تغتذي منها بل من ميكروبات الفطر التي تتولد على الشجرة فتستأصلها كلها وتفني الداء الاسود الذي تقدم ذكره . وهاتان الحشرتان هما انجع الادواء لداء « القملة » التي تقدم ذكرها

وهناك ادواء اخرى ميكروبية للزيتون ولكنها خفيفة الوطأة قليلة الضرر . مثال ذلك فطر يتولد على جذع الشجرة ويجعله فصفورياً . وتعقّد اغصان الشجرة تعقّداً قد يفضي الى يبس الغصن المعقد

اعادة الفلسفة الى الشرق

حضرة الفاضل صاحب الجامعة

الفلسفة . هذه الكلمة كنت اذا سمعتها في موضوع فما اشعر الا وابواب ادراكي قد اقفلت ونور ذهني انطفأ ولم يعد يُدرك ولا يفهم . هذا ما كنت اشعر به قبل ان

كتبت الجامعة في الفلسفة . مضى زمن يتبعه زمن حتى اتاحت لي شهرة الجامعة ان اقرأها فانقطعت اليها بالفعل ولازمت بيتي في اوقات فراغي خصوصاً هذا الوقت وقت غروب الشمس وقت التمتع باجتلاء محيا الطبيعة صيفاً في الاسكندرية

تعلم يا حضرة الفاضل ان هذا العلم اندثر من الشرق ولم يبقَ له فيه الا اثر بال . وكتب هذا العلم اصبحت في ايدي الاجانب فاخذوا منها نوراً وضح لهم الطرق ونقح لهم الافكار وفتق من اذهانهم ما كان من نتائجه ظهور هذه المدنية الجديدة . وصار ما نراه من نبوغ الافراد واتساع هذا العلم بينهم . وبينما نرى طلوع الشمس هناك نرى غروبها هنا . ولولا الجامعة لما سمعنا بهذا العلم بيننا

الا انني لاحظت عند تدوينكم آراء فيلسوف من الفلاسفة انكم تاخذون بمجامع القول وتشرحونه كانكم تشرحونه لمن سبق له دراسة هذا العلم . ولكن بالله من هم الذين درسوه ؟ اظن انهم لا يتجاوزون عدَّ اصبع يد لا بدين . وليس هذا غرضكم على ما افتكر بل غرضكم هو ادخال هذا العلم في عقول الناشئة الجديدة لتتشرب هذا العلم وتحييه بعد مماته . ولذلك يجب ان تعرف الناشئة الجديدة ما هي اصول الفلسفة وما فروعها وما مذاهبها وكيف يفهمها الانسان . واذا عرف الانسان ذلك امكنه ان يفهم مثلاً اقوال ابن رشد او ابي حامد بدون ان يرجع الى الاصول

فيا حبذا لو تفضلتم واشتغلتم باهداء الناشئة كتاباً في الفلسفة تقرأه فتعرفها معرفة تامة ويكون بمثابة مدرسة يتخرجون فيها ولا يكبر ذلك على همتكم بعد ما رأيناه

واسمحوا لي ان اردتم ان آتي هنا على طرق تدريسه لنا بعد ان تروا ما ترونه وتنهجوا ما تنهجونه

يؤتى بمقدمات بسيطة للفلسفة تبين للطالع بانه علم نفيس سهل يمكن لكل ذكي تحصيله ويكتب هذا الكتاب جزءاً جزءاً بالجامعة حتى اذا تمت السنة جُمعت الاجزاء وطُبعت على حدة . ويؤتى في خلال الشرح بامثلة واضحة وضوحاً تاماً . وتطبق فيه المبادىء الدينية العامة على اصول الفلسفة كيلا ينفر منها البعض ممن لم يفهموا الغرض من الدين . ولا مانع من ان تذكروا افضل المؤلفين الفرنج في هذا العلم واحسن الكتب الفرنجية التي الفت فيه

هذا ما بدا لي ان اكتبه لحضرتكم فاملي ان لا تضيعوا عليَّ هذا الوقت الثمين وهذه الآمال الثمينة ووفقكم الله الى ما فيه نفع الشعب المصري خصوصاً والشرق العربي عموماً

وان ما كتبته ليس ما اريده انا منفرداً بل ما يريده لفيف الاخوان المتعلم الذي

اعاشره واشاركه و يشاركني في الافكار علماً وتربية . فان اجبتم الطلب فهو اجابة لعدد عظيم متعطش لآرائكم

« موظف بمصلحة البوسطة باسكندرية »

الجامعة نشكر لكم حسن ظنكم بالجامعة ويسرّنا جداً ان نجيبكم الى هذا الاقتراح المهم لاننا بذلك ندرس معكم علماً خطيراً . ولسنا نقول هذا على سبيل الاتضاع الكاذب بل نقوله من صميم القلب لاننا طالبون له مثلكم . غير ان اوقاتنا القصيرة واشغالنا الكثيرة لا تسمح لنا بذلك الآن اذ علينا الاهتمام بمواد المجلة قبل كل شيء . والكتابة على الطريقة التي ترومونها قلما تروج لدى عشرة في المائة من قراء اللغة العربية . فربما اجلناه الى فرصة اخرى او رجونا احد الاصدقاء ممن يوثق بنقلهم ان يخرج لنا هذا الكتاب المهم . اما الآن فنكتفي بان نردكم الى بحث للفيلسوف الشهير ابي نصر الفارابي موضوعه ما يجب على طالب الفلسفة ان يعرفه قبل الاقدام عليها . فنتشوا عليه . وعليكم لمعرفة اصول الفلسفة بكتاب « الواجب » للفيلسوف جول سيمون وكتاب « المختصر الفلسفي » له ولشر يكين معه . فاننا اول مصالحتنا لالاهة الفلسفة كانت في هذين الكتابين . ولا نردكم الى كتب سبنسر وفنت وهجل وكونت فانها كلها مطوّلات عويصة . ولا ريب عندنا ان كتاب « الواجب » الذي تقدم ذكره يقوم مقام الكتاب الذي تقترحون انشاءه . وربما لخصنا شيئاً من هذا الكتاب في فرصة اخرى . وما عدا ذلك فان الجامعة تنشر حيناً بعد حين تراجم اساطين الفلسفة كاوغوست كونت وباكون وابن رشد ومتى اتمت نشر هذه التراجم كان ذلك بمثابة تاريخ لجميع مبادىء الفلسفة ومذاهبها لان تاريخ الفلاسفة هو تاريخ الفلسفة نفسها . واذا راجعتم تاريخ الفلسفة الرشدية في اوروبا في كتاب (ابن رشد وفلسفته) رأيتم فيه خلاصة المبادىء الفلسفية القديمة اجمالاً

هذا وقد قلنا في غير هذا الموضع ان الوفاق في الشرق بين عناصره المتعددة لا يكون راسخ الاركان الا متى اهتمّ اهلوه بالفلسفة ورأوا ما فيها لهم ولمذاهبهم من النور والظلمة . فهي وحدها تجمع القلوب وتنشر روح التساهل اذ تنير الطريق وتُري البشر ما فيها . و يسرنا جداً ان نرى اقبال نبهاء الشرقيين على هذا العلم وتنبههم له . كما يسرنا في هذا المقام ان نذكر ذلك الزمن الجميل الذي كانت فيه بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة والقيروان مدارس عليا للفلسفة . بل اصعد مراقي التاريخ الى ابعد من ذلك تجد الدلائل على اهتمام كل ذي فكر بالفلسفه . قال الامام علي (رضه) في رواية بعضهم « رحم الله امرءاً عرف نفسه واستعد

لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين » فاذا صح سند هذا الحديث دل على واحد من امرين خطيرين . فاما ان يكون الامام العظيم قد طالع كتباً للنساطرة في الفلسفة فاخذ منها هذه العبارة « من اين وفي اين والى اين » التي هي ترجمة حرفية لعبارة ارسطو الشهيرة « من انا . ومن اين جئت . والى اين اذهب » (١) واما انه ابتكرها ابتكاراً على سبيل توارد الخواطر . وفي الحالتين كفى ذلك دلالة على اهمية الفلسفة وكونها شغلت عقول اعاظم البشر في كل الازمنة . واحر بالعقلاء ان يحفلوا بها و يرفعوا نفوسهم عن المطالب المادية التي قصاراها الاكل والشرب والنوم وجمع المال والتسليم الاعمى

مسيح الهند ومعجزاته

عود الى الاحلام

بقلم هندي مصدق لمسيح الهند ووصف معجزاته فيها

حضرة الفاضل منشىء مجلة الجامعة الغراء

ان بحث الجامعة في الاحلام الجأني ان اعرب اقسام الاحلام واسرارها واورد هنا بعضها تجربة فارجو ان تدرجوها في مجلتكم الجامعة الغراء

ان الاحلام على ثلاثة اقسام . نفسانية . وشيطانية . ورحمانية

الاحلام النفسانية ان تتمثل خيالات في نفس احد فيراها في النوم على اشكال مناسبة الخيالات وكما قال القائل في الفارسية ما ترجمته « عين العاشق لا ترى في النوم الا تراب سكك معشوقه . لان المرء كلما يراه او يخيل له يقظة يراه في النوم — »

الاحلام الشيطانية ان تجتمع جذبات شيطانية وشهوانية في نفس احد فتتمثل على مناسبتها فيراها في النوم

الاحلام الرحمانية ان ينبئ الله تعالى احداً بواقعات المستقبل المتعلقة بالبشارات والانذارات . فكان حلم يوسف عليه السلام من هذا القبيل بشارة له . كما قال الله تعالى حكاية عنه : واذ قال يوسف لابيه يا ابتِ اني رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر

: ١ : قول الامام ايضاً في تلك العبارة « رحم الله امرءاً عرف نفسه » لا تخفى اهميته اذ اساس الفلسفة عند الفلاسفة « معرفة النفس »

رايتهم لي ساجدين . فلما مكنه الله تعالى في مصر واجدب كنعان نجاء يعقوب عليه السلام مع احد عشر من اولاده الى مصر فرفع يوسف أبويه على العرش (اي قرب ابويه لسرير الملك) فخروا له سجداً فقال يوسف لفرط السرور وجداناً هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً

واني اكتب هنا عدة من كشوف والهامات تجربة ومشاهدة من احد اعظم المقربين **خليفة الله في الاسلام الامام الهمام مجدد الزمان حضرة ميرزا غلام احمد القادياني مهدي الوقت ومسيح الدوران** ولقد شهد على صحة وصدق الهاماته مئات الاف من الناس وقد كتب حضرته في كتبه قبل الوقوع لبعض الواقعات المتعلقة بازمنة مستقبلة فجربنا ورأينا باعيننا انها وقعت كما كتب من قبل . وان كشوفه والهاماته المتعلقة بالنبوءة وآياته الباهرات كثيرة لا تحصى ولا تعد — واني اورد هنا نبذة منها ملخصاً لقارئي الجامعة وهي هذه .

منها ما كتب في كتابه انجام اتهم — ان روح ابني الرابع تحرك في صلبي بعالم المكاشفة ونادى اخوانه ان بيني وبينكم ميعاد يوم قال ان المراد من يوم سنة واحدة وقال لمن ينكر الهاماته ومبشراته بخلاً وحسداً انك تكون حياً حتى يولد هذا الولد الموعود . فرأينا باعيننا ان الولد الموعود ولد بعد سنة واحدة من الاعلان وسمي الموعود بمبارك احمد وان المنكر حي حتى الآن

ومنها ما كتب في كتابه انوار الاسلام اني رايت في عالم المكاشفة انه سيلد لمولوي نور الدين الطبيب ولد ذكر ويخرج الدمامل والبثور على بدن ذلك الولد . ولقد راينا هذه الواقعة ايضاً باعيننا انها وقعت كما كان كتب من قبل .

ومنها ما كتب في عدة من كتبه اعلاناً لموت احد من كبار براهمة الهنود المسمى ليكهرام الفشاوري وقد كان اعلن الساعة وشخص وقت موته فرأينا انه وقع كما كان اعلن منذ سنين قبل وقوع الواقعة ومات ليكهرام وفقاً للوعيد

ومنها ما كتبه منذ خمس وعشرين سنة في كتابه براهين النبوءات المتعلقة بالطاعون وقد رأينا باعيننا انه حدث الطاعون في الهند وهلك به مئات الوف من الناس .

ومنها ما كتبه منذ ستة اشهر في كتابه (اعجاز احمدي) نبوءة بحق القرية التي كان يسبه اهلها وكانوا من اعدائه الاشداء فقال بحقهم (ارى ارض (مُدّ) قد اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تجذر . وان كلامي صادق قول خالقي . ومن عاش منكم برهة فينظر)

فسمعنا من الثقاة ان تعداد ساكني تلك القرية كان نحو مائتين من الرجال والنساء والاولاد فهلك مائة وثمانية منهم بالطاعون الى اول ربيع الاول سنة ١٣٢١ هـ وان الطاعون حتى الآن فيهم

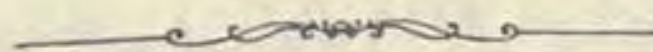
ومنها ما كتب في كتابه (دافع البلاء ومعيار اهل الاصطفاء) منذ سنتين نبوءة من الله تعالى متعلقة بالطاعون وهلاك اكثر مخالفيه به ونجاة قريته ومؤمنيه منه . وقد رأينا ان قريته القاديان محفوظة من الطاعون حتى الآن وحولها في جميع القرى والمدن في بنجاب طاعون جارف فهذه آية من الله تعالى

والآن اني اكتب بعض الهاماته المتعلقة بالطاعون ملخصاً لقارئي الجامعة وهي هذه (ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم . انه اوى القرية لولا الاكرام لهلك المقام . اني انا الرحمن دافع الاذى . غضبت غضباً شديداً . الامراض تشاع والنفوس تضاع . ان الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فاولئك لهم الامن وهم مهتدون . اني اجهز الجيش فاصبحوا في دارهم جاثمين) . قلنا انا نؤمن بكلها انها من الله تعالى لانها وقعت كما قيل من قبل وقوع الواقعة منذ سنين .

مولوي محمد فضل خان (الهند)

﴿ الجامعة ﴾ يظهر ان حضرة المراسل حوّل مسألة الاحلام الى دعوة على صفحات الجامعة لمسيح الهند الجديد الميرزا غلام احمد القادياني . وقد كنا ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة شيئاً عنه لكن لم يكن يومئذ يخطر لنا في بال ان له هذا المقام وهذه الاهمية في الهند حتى ان بعض الادباء المطلعين يصدقونه ويتبعونه . اما مسألة الاحلام فالبحث في صدقها وعدمه في هذا العصر من قبيل الفكاهة فقط ولذلك كان حضرة المراسل في غنى عن ذكر اقسامها واسرارها

وبعد كتابة هذه السطور وردتنا رسالة اخرى من المراسل يعترض فيها على ما جاء في كلام ابن الاثير الذي نقلناه في الجزء الثالث من ارتفاع المسيح الى السماء . وهو يردّ على هذا القول ويقول ان المسيح هو اليوم في الهند .. وربما نشرنا هذه الرسالة في الجزء القادم



آثار الشرق القديمة

الباب العالي « في الاستانة »

كتب احد كتاب الفرنج فصلاً في تاريخ الباب العالي في الاستانة قال فيه ما يعرفه الجميع من انه سمي كذلك للاجلال والاكرام ثم ارتأى انه من المحتمل ان لا يكون المقصود بذلك ذات الباب بل معناه الشرقي . فان معنى « الباب » باللغات الشرقية « الرئاسة والقوة والسلطة » (١) وقد ورد شيء من ذلك في الانجيل حيث قيل « على هذه الصخرة ابني كنيستي « وابواب » الجحيم لا تقوى عليها » ولكن هذه الترجمة خطاء لان كلمة « ابواب » الاصلية معناها قوات ولولا ذلك لما كان لمعنى الآية ما له من القوة

عبادة ايزيس المصرية في باريز

ايزيس الاهة مصرية مشهورة يتغزل بجمالها الادبي والبدني دارسو تاريخ مصر والباحثون في آثارها . ويظهر ان بعضاً منهم قد اشتد بهم الوجد فانشئوا في هذا الشهر في باريز هيكلاً ومذبحاً احتفلوا به بعبادة هذه الالاهة . وقد حضر هذا الاحتفال الهزلي على ما نظن كثيرون من الرجال والنساء . وقد جعلوا مذبح الالاهة في الوسط وارتقى الكاهن الاعظم بملابسه الرسمية الرمزية الى المذبح ووراءه سيدات لابسات ملابس مصرية قديمة وفي ايديهن باقات من الازهار تتمايل بها ايديهن طبقاً لعادة كاهنات ايزيس في القديم . فهل تحركت عظام ايزيس في ارض ثيبة لهذا الاكرام الباريزي

المعارف اللاتينية في مصر

تيت ليف مؤرخ لاتيني مشهور ولد في بادو في سنة ٥٩ قبل المسيح وتوفي في سنة ١٩ بعده . وله مؤلفات ضائعة يتحسر عليها طلاب المعارف . الا ان بعضاً من السياح وجدوا منذ مدة في اثناء سياحتهم في مصر اوراقاً لاتينية من كتاب له فابلغ المسيو ريناخ مجمع الآثار في باريز هذا الاكتشاف واهتموا به لدلالته على اشتغال المصريين في ذلك الزمان بالوقوف على المعارف اللاتينية

« ١ » تطلق كلمة (الباب) عند السبعية على الامام علي بن ابي طالب « رضه » ماخوذاً من الحديث (انا مدينة العلم وعلي بابها) ولما قام صاحب مذهب البابيين في بلاد فارس سمي « الباب » ايضاً مقارنة بينه وبين الامام

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات ولكننا نرجو الاختصار اذ لا تنشر في كل موضوع من مواضيعه غير صفحة واحدة او اقل

ابن رشد والشدياق

كتب الينا صديق في البرازيل يخبرنا بانه سمع بان في مكتبة ريودي جانيرو العموميه كتاباً من تأليف احد زعماء النهضة الادبية في الشرق احمد فارس الشدياق وموضوعة فلسفة ابن رشد وشرح بعض كتبه . ثم كتب الينا في كتاب آخر يقول :

سافرت الى الريو وثاني يوم وصولي اخذت شخصاً ايطاليًا دلني على مكتبة الحكومة وكان ذلك في الليل . فدخلنا وطلبت مؤلفات ابن رشد فجاءوني بكتاب رنان وكتاب آخر باللاتينية قديم جدًا . فسألت المدير هل عنده سواهما . ففتش كثيرًا ولم يجد . ولما الححت عليه بقولي انه يوجد كتاب آخر قال لي ربما يكون ذلك الكتاب باقياً بين كتب الامبراطور في المكتبة التي ينقلونها ولذلك يتعذر عليه الحصول عليه الآن . وهذه المكتبة كبيرة جدًا وهي تحوي الوفاً كثيرة من المجلدات وكانوا شرعوا بنقلها من البناء الذي كانت فيه قبلاً الى بناء اخر . وكتب الامبراطور مميزة عن باقي الكتب . وهذا الامبراطور هو بطرس الثاني خلع سنة ١٨٨٩ وكان على جانب عظيم من العلم وكان يعرف ١٤ لغة وقد زار الشام والشرق مرتين . وفي كل مرة كان يصحب معه كتباً من تأليف المرحوم فانديك ومن مطبوعات الاميركان واليسوعيين . والظاهر انه حصل على كتاب ابن رشد المشروح بقلم المرحوم احمد فارس الشدياق في احدى زيارتيه . ولما خلعه الاهالي لاقامة الجمهورية استولت الحكومة على مكتبته الخصوصية واضافتها الى مكتبة الحكومة . لكنها لا تزال تبقيها لوحدها ضمن بناء المكتبة العمومية

وانا لا ازال مصمماً على الحصول على هذا الكتاب مهما كلفني الامر لانسخه لكم . وربما في الشهر القادم انزل الى الريو وارى هل يتيسر لي ذلك هذه المرة . واذا يسر الله هذا الامر فسابعث اليكم بتلغراف هكذا (Eureka) اعني « وجدته »

وفي هذه الليلة ساذهب ايضاً الى مكتبة سان باولو العمومية لارى هل اجد فيها شيئاً من كتب ابن رشد اذ ذلك محتمل ولكن تعليق احمد الشدياق افكاره على كتب ابن رشد اهم الاشياء فعسى ان نجده

الحب وبسيكولوجيته

جناب صاحب مجلة الجامعة البهية

ارجو ان تذكروا هذا السؤال في مجلتكم الغراء على سبيل الفكاهة

قيل ان القلب دليل على القلب وعال بعضهم اصل الحب فقال ان في عيون العاشقين كهربائيه فبمجرد نظر الحبيب للمحبوب « قبل الحب طبعاً » تلتقي الكهربائيتان ومتى تقابلتا اتحدتا ومن ثم تتمكن بينهما عرى الحب والعكس بالعكس وقد سبق وقال شاعرنا العربي في هذا المعنى

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها　　فدب دبيب الراح في كل مفصل

والذي دعاني لتسطير هذا السؤال حادثتان قرأتهما في احدى الجرائد اليومية الاولى تؤيد هذا المذهب والثانية تنافيه

— ١ — تيم احد الاعراب فتاة تركية في السويس فسألت والديها ان يرضيا بالعربي بعلاً لها فابيا فلم تجد مخرجاً من هذا المازق الا بالانتحار فصبت قليلاً من البترول على ثيابها واضرمت بها النار ثم القت بنفسها من نافذة في منزلها فذهبت شهيدة هواها وعنادها

— ٢ — اكثر احد الالمانيين من التصبب الى ممثلة من ابناء جلدته بارعة الجمال ولكنها لم تكن تهواه وكانت تعرض عنه كلما تعرض لها واتفق في الاسبوع الماضي انها كانت عائدة الى منزلها بعد انتهاء التمثيل فوقف بها هذا الثقيل في الطريق وجعل يغازلها فما كان منها الا ان القت بنفسها الى النهر المخترق برلين لتتخلص من مضايقة هذا المحب الثقيل . ولما اسرع المشاهدون بقوارب الانقاذ لانتشالها اعرضت عنهم وسبحت الى الجهه الثانية تفادياً من الالتقاء بالمحب الذي أغمي عليه لما رأى تلك الحالة

قلت فما هو السبب في حب الانسان لانسان آخر مع معرفته ان هذا لا يحبه . وهل ان هذا يحصل بين الجنسين فقط ام يمكن حصوله في جنس واحد ايضاً

(مصر)　　احمد البارودي

﴿ الجامعة ﴾ نترك الجواب عن هذا السؤال لمن شاء من القراء خصوصاً الشعراء لانهم ادرى الناس بهذه المواضيع ٠

اقتراحات الجزء الثالث

وردتنا بضعة اجوبة بشأن اقتراحات الجزء الثالث « السودان ونعمته الجديدة » فرأينا ان نشير اليها هنا

منها رسالة مسهبة لجناب سليمان افندي كرم في الشيخ فضل افتتحها بقوله « طالعت بامعان في الجزء الاخير من الجامعة مقالة « السودان ونعمته الجديدة » فباحثت في هذا الموضوع صديقاً لي سكن الخرطوم زمناً طويلاً وتجوّل في جميع انحاء السودان حتى فشوده لاتحقق هل ما روته « السودان » مطابقاً للحقيقة ٠ ولقد وجدت بعد البحث الدقيق ان اكثر تلك الاقوال غلو ومبالغة »

ومنها رسالة لاحد قرائنا في السودان قال فيها « مثل روح الامة السودانية الآن مثل الشمع ينطبع فيها كل ما اريد طبعه ٠ وقد قيل ان ذكر الشيء وتكراره يفضي الى ايجاده فاذا كثر الكلام في لهجة كلهجة جريدة السودان ادى ذلك الى وجود هذا الداء حقيقة وان يكن الآن في بدئه ٠ وغني عن البيان ان هنالك امرين ينفّران السودانيين ٠ الاول اختلاف الاذواق والاخلاق والاجناس والثاني تسلطنا عليهم منذ الفتح الاول ٠ ولا سبيل للوفاق ما داموا يقولون السودان للسودانيين »

تعبير عربي لكلمتين افرنجيتين

﴿ سؤال ﴾ ما هي الترجمة الصحيحة لكلمة « Libres penseurs » و« Liberté de penser » التي تُرجمت « احرار الفكر » وحرية الفكر » — وما هو التعبير الصحيح لقولهم « بقاء الانسب ٠ او بقاء الاصلح »

﴿ الجامعة ﴾ ليس معنى « Libres penseurs » أحرار الفكر لان كل انسان قد يكون حرّ الفكر ولا يكون « Libre penseur » بالمعنى الذي اصطلحوا عليه وهو ان لا يقبل شيئاً الا اذا اثبته العقل ٠ وقد ترجم ابن رشد هذه الكلمة ﴿ اهل التحقيق ﴾ ونقلها عنه رنان في كتابه — وكذلك قال ابن رشد في كتابه تهافت الفلاسفة « ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه » وهو عين قولهم بقاء الانسب او الاصلح ٠ والاحسن القول « بقاء الافضل » وهنا موضع للعجب في اكتشاف ابن رشد هذا الناموس قبل درون وولس بعدة قرون

باب الاخبار العلمية

﴿ انماء المزروعات بالكهربائية في الجزائر ومصر ﴾ عرض الكولونل مرشان مشروعاً لجمع الكهربائية من جوّ الجزائر والاستعانة بها على انماء مزروعاتها وهو امر كان برتلو قد قال به منذ عدة سنوات . ومما يجدر ذكره ان اشجار النخيل التي تُغرس في الجزائر ومصر تكون احسن موصل بين التربة والكهربائية في الجو فتنتقل اليها منها ما يزيد النترات في التربة فيتوفر الخصب . واذا كان جو الجزائر اصلح الاجواء كما قالوا للاستنبات بالكهربائية لانه جافٌ وحامل لمقدار كبير منها فضلاً عن قوة نوره فان جو مصر مشابه له

﴿ انقلاب مالي عظيم ﴾ اخذ البرلمان الفرنساوي يبحث في اصلاح عظيم وهو الضريبة على الايراد رغبة في المساواة بين دافعي الرسوم والضرائب اذ يدفع كل واحد بقدر دخله . وان قيل كيف يُعرف دخله قلنا يُعرف من دفاتره اذا رام اطلاع الموظفين عليها والاَّ فانَّ الموظفين يقدّرون ذلك بحسبما يتراءى لهم . وهم يحسبون اجرة البيت الذي يسكنه الانسان عشر دخله اي جزءًا من عشرة منه ويقبضون منه على هذه النسبة نصفاً في المائة من ايراده . ولا خلاف في ان هذا الامر زهيد الآن ولكن اذا زيدت هذه الضريبة وجعلت ٢ او ٤ او ٦ في المائة فانها تكون بلاءً على الاغنياء هناك خصوصاً لانها متفاوتة الدرجات

﴿ كهربائية الارض وكهربائية السماء ﴾ ثبت من درس كهربائية الجو وكهربائية الارض ان كهربائية الجو كهربائية ايجابية وكهربائية الارض كهربائية سلبية . وهذه الكهربائية تكون قوية بقرب الارض ولكنها تضعف ضعفاً شديداً في علو ٤ او ٥ الاف قدم عنها . وهي في اضعف حالاتها في الصيف وفي اشدها في الشتاء

﴿ اكتشاف غش الخمور ﴾ اكتشف المسيو ارمان كوتيه طريقة يعرف بها هل ان الكحول التي تكون موجودة في عصير العنب بعد اختماره هي من نفس العنب ام مضافة اليه من الخارج

﴿ بعثة جريدة الى القطب الجنوبي ﴾ تجمع الآن جريدة الماتين الفرنسوية من قرائها مالاً لارسال بعثة من قبلها لارتياد القطب الجنوبي وقد بلغ اكتتابها الى الآن نحو

٩٠ الف فرنك وتبرعت الحكومة بعشرة آلاف فرنك منها · وقد قدرت نفقات الحملة بمائة وخمسين الف فرنك ·

﴿ لاون الثالث عشر والفيلسوف رنان ﴾ كان لوفاة البابا لاون الثالث عشر دوي عظيم في العالم لانه فوق منصبه الروحي الرفيع كان من اعظم رجال الارض عقلاً



﴿ المرحوم لاون الثالث عشر البابا المتوفى ﴾

بملابسه الحبرية وهو يبارك الناس

وتدبيرًا ودهاءً · ومما يروى عن تساهل قداسته انه لما توفي اميل زولا الكاتب المشهور المعادي للكنيسة نُقل اليه هذا الخبر فقال « رحمه الله فقد كان خصماً كريماً » ونقلت جريدة « الجرنال » انه حين وفاة الفيلسوف رنان موءلف تاريخ المسيح سأل قداسته « هل مات بلا توبة · فاجيب نعم · فاطرق يفكر ثم قال : ذلك خير من ان يتوب · ولا يبقى له امل غير امل العاملين بحسن نية · ثم قال ان قيام رنان في الارض كان عقاباً لبعض اللاهوتيين ليهزّهم



﴿ بيوس العاشر البابا الجديد ﴾

ويجزيهم على عملهم » وغنيٌّ عن البيان ان هذا القول لا يفيد رضاه عن قيامه

اما خلفه قداسة البابا بيوس العاشر فهو مشهور بالتقوى اكثر من السياسة . وربما عدنا في فرصة اخرى الى ترجمته ومبلغ تاثير منصبه في العالم واعمال سلفه « البابا العظيم » لنشرح علائق الكرسي البابوي بامم الارض وما يقوم بينهما من المسائل الكبرى احياناً كالحال الآن بين الفاتيكان والحكومة الفرنسوية

﴿ مدنية المانيا وانكلترا وفرنسا ﴾ قال المسيو انريكو فري اكبر خطباء البرلمان الايطالي ان الشعب الفرنسوي اكرم الشعوب واشرفها نزعة لانه يجمع الى مبادىء التقدم الحديثة مبادىء الرفق والرحمة والجنوح الى محجة الكمال وقد خفف المبادىء الوضعية القاسية السائدة في انكلترا والمانيا بمبادئه المبنية على طلب العدل والحق . ومما قاله غيره ايضاً ان مبدأ تنازع البقاء ومذهب درون لم ينتشرا كثيراً في فرنسا لانه تخالف لذوق الفرنسويين وطبيعتهم التي تنبذ مبادئ ثقيلة قاسية الى هذا الحد . اما انكلترا والمانيا فقد انتشرا فيها اشد انتشار

باب التقريظ والانتقاد

وقاية الشبان

لحضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمرا

وردنا هذا الكتاب من حضرة مؤلفه الدكتور سعيد افندي ابي جمرا صاحب جريدة الافكار الغراء في البرازيل وعليه هذه الكلمات « اذا لم يكن بهذا الكتاب ما يستحق التقريظ فان به ما يستحق الانتقاد » ولعل الرصيف قد اراد بذلك ان يذكرنا باساءته الى الجامعة في جوابه على انتقادها كتابه « الحياة التناسلية » فنحن نعذره لاستيائه من ذلك الانتقاد كما ان الجامعة معذورة في كتابته . ذلك انها وجدت نفسها بين امرين : فاما ان تضرب صفحاً عن ذكر الكتاب واما ان تجهر برأيها فيه . ففضلت الامر الثاني على الاول لسببين اولاً لانها تكره تعويد نفسها ان تكتم رأيها خوفاً من غضب المؤلفين الذين تذكر كتبهم وثانياً لان كل الكتب خير لها ان تُذم من ان تُهمل . ولو امعن الرصيف قليلاً في كلام الجامعة لوجد انها لم تلم المؤلف على تأليفه كتابه بل لامته على قوله في المقدمة كلمة هي اساس الخلاف . واليك ما جاء في كلام الجامعة « وهو يتضمن ابحاثاً طبية من **اختصاص الاطباء البحث فيها** ولكن اذا كان من اختصاص الاطباء البحث في ابحاث كتلك الابحاث فليس من اختصاصهم في رأينا القول بان مواضيع ذلك الكتاب مما يجب على (محبي الحقائق) الاطلاع عليه في عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » - فاعتراض الجامعة كان على هذا القول لا على موضوع الكتاب . ومتى انصف الرصيف ونظر في ذلك الكلام بحسن نية علم انه كان ظالماً في اساءته الظن برصيفته . والعقلاء لا يرضون الظلم لانفسهم

اما كتابه ،، وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان ،، الذي نحن الآن في صدده فهو على نسق كتابه ،، الحياة التناسلية ،، ولكن من حسن الحظ لم يذكر في مقدمته ان « محبي الحقائق يجب عليهم الاطلاع عليه في عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » فبناء على ذلك لا يطالع هذه الكتب الا من يحتاجها . وهذه نقطة الخلاف من اصله .

وفي كل حال فاننا نحب ان نقابل اساءات الرصيف المتعددة بالمعذرة والصفح

﴿ تقدمة الشكر ﴾ هي خلاصة اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية عن سنة ١٩٠٢ ويؤخذ منها ان مجموع دخلها في ذلك العام بلغ اكثر من ٥٦ الف غرش ومجموع نفقاتها اكثر من ٤٤ الفاً فتكون الزيادة نيفاً و١٢ الفاً اضيفت الى راسمال الجمعية . فنثني على همة حضرة رئيسها الهمام المسيو وهبه كرم الذي لا يألو جهداً في رعايتها وتضحية اوقاته واتعابه في سبيل خدمتها وعلى حضرات اعضائها الافاضل جزاهم الله خيراً

﴿ الانتقام ﴾ هي الرواية العشرون من روايات مسامرات الشعب تعريب حضرة احمد افندي حافظ عوض المحرر بجريدة المؤيد الغراء . وان كل من يقرأ مقالات حضرته في المؤيد ونخص منها مقالته الاخيرة في (القديم والحديث) يعجب بسلامة ذوقه وجرأته وطول باعه ويستغرب كيف يطاوعه قلمه بعد ذلك على الاشتغال بتعريب روايات قد تكون بلا اهمية . فنحن مع المعجبين باجتهاده نتمنى ان يصرف قلمه الى المواضيع الوطنية لتكون رواياته عبارة عن صورة لمقالاته بزيادة شيء من الجراءة عليها . وهذه خدمة من افضل الخدم للامة

﴿ شهداء الآباء ﴾ هي الرواية الثامنة عشرة من روايات مسامرات الشعب بقلم مصطفى افندي ابراهيم بمصلحة البوسطة بالاسكندرية . وكل من عرف حضرة الكاتب وعلم انه يسترق اوقات فراغه لانفاقها في الاشتغال بالادب لا يسعه الاَّ ان يعجب بهذه الشبيبة المصرية الجديدة التي تنفق اوقاتها في كل ما يفيد .

﴿ منتخبات الشيخ نجيب الحداد ﴾ جمع حضرة الاديب حنا افندي نقاش منتخبات المأسوف عليه الشيخ نجيب الحداد فقيد النظم والنثر وقد طبعها طبعاً متقناً على ورق جميل فجاءت مجموعة كبيرة حاوية لكثير من المقالات والفصول التي انشأها الفقيد في اثناء حياته الصحافية . وهي تطلب منه في الاسكندرية او من المكتبة الخديوية وثمنها عشرون غرشاً صاغاً

﴿ الحسناء الوفية ﴾ هي رواية ادبية بقلم جناب احمد افندي رفعت افتتحها بوصف مدينة الاسكندرية بهذه الاسطر « الاسكندرية ثغر جميل المنظر حسن الموقع طيب المناخ تحيط به مياه البحر المتوسط من كل الجهات وبه من المباني الكبرى والقصور العظمى والاندية الجامعة والمنتزهات الواسعة والرياض النضيرة والمزارع الكبيرة والحمامات البحرية والضواحي الخلوية والآثار التاريخية ما يجعله يتيه به على سواه ويشغل كل من وفد عليه بهواه » ثم يدخل المؤلف في موضوع الرواية وينتقد فيها كثيراً من العادات السيئة فنتمنى ان يقتدى به في هذا الشأن المفيد

الدين والعلم والمال

(كتاب الجزء السابق وبعض الآراء فيه)

نشرنا في الجزء السابق كتاباً كاملاً عنوانه « الدين والعلم والمال » وقد سرّنا ان قراءنا ارتاحوا الى هذه الطريقة التي اتبعتها الجامعة وهي نشر كتاب مستقل مفرد في موضوع مهم في اكثر اجزاء المجلة . ذلك مع ابقاء ابوابها الاعتيادية كما هي بل بزيادة عليها كما يرى القراء في هذا الجزء . وهذا ما كتبه الينا احد القراء الاصدقاء بهذا الشأن قال « هذا ابتكار مفرد من حين انشاء الصحافة . ونحن نعلم ما يكلفكم من العناء . وقد سمعت اليوم بعض القراء يعجبون منه ويقولون ان كل جزء من الجامعة يسوى قيمة الاشتراك . وهم يعذرونها مهما تاخر صدورها لان ما يُبذل فيها من العناية والتعب والروية جدير بان يستغرق وقتاً كهذا الوقت »

وبعد بيان ارتياح القراء ورضاهم لا بأس ان نذكر شيئاً عن آرائهم في الكتاب الذي نشرناه في الجزء السابق . وهنا اختلفت الاقوال . كتب الينا احد الافاضل « شرقنا في اشد الحاجات الى هذه المبادئ وهذه اللهجة الصريحة باخلاص صريح واستقلال صريح . فهذا هو نسيم الحرية الحقيقية الذي يهبّ على النفوس فيحييها ويبث فيها القوة الحقيقية . فزيدونا زيدونا منها جزاكم الله خيراً »

وكتب مراسل فاضل آخر يسأل عن المصادر التي استقينا منها ذلك الكتاب . لانه « استغرب » كلمة التأليف في صدره ونحن لسنا في اوروبا لنؤلف في هذه المباحث دون اعتماد على المؤلفات الاوروبية . فجوابنا على ذلك مختصر وجيز . فان كتاب « الدين والعلم والمال » نتيجة مطالعة ثلاث سنوات في اهمّ الجرائد والمجلات الفرنسوية . فقد اشتدّت الازمة الاجتماعية في فرنسا في السنوات الاخيرة فكنا في اثنائها نقرأ كل ما تكتبه فيها الطان والدبيا والماتين والفيغارو والاورور والغولوى ومجلة باريز ومجلة المجلات واحياناً مجلة العالمين . ولما شرعنا في الكتاب لم نراجع شيئاً سوى ما كان قد علق في الذهن من هذه المواضيع فادمجناه في الكتاب باسلوب رواية . فاذا حلل القارئ ذلك الكتاب تحليلاً وجد ان مبادئه كلها تختلج اليوم في اوروبا اختلاجاً شديداً . فكانه يقف فيه على اهمّ اخبار الامم الاوربية ونتيجة تمدنها واحوالها الاجتماعية والسياسية

وكتب مراسل آخر يسأل أليس الافضل ترك هذه المسائل الخطيرة وعدم تحريكها في فضاء الشرق لئلا يلتهب بها. فجوابنا عن هذا السوءال الذي كنا ننتظره اننا لا نريد ان نعرف حدًا لحرية الفكر والنشر . والجامعة انما تكتب عن لذة في الكتابة ولا جزاء لها الآن غير هذه اللذة. فيوم يقال لها قيدي قلمك قليلاً فانها تفضل تركه على تقييده اذ لا يبقى في حياة الكاتب من اللذة ما يساوي العناء . فابقوا لها هذه اللذة على الاقل . ولعمر الحق اننا لا نفهم كيف ان الكاتب يجوز له ان يشتغل بالصحو والمطر .والنبات والحيوان . والصين وفيليبين . وتاريخ الامم الغابرة . ويترك اهم شيء يجب عليه الاهتمام به لانه الصق الاشياء به وهو النظر في اعماق اساس الهيئة الاجتماعية لمحاربة الفساد الذي فيها وتقوية الصلاح وتربية الاذواق الادبية وتكوين الضمائر الحية التي بدونها لا يكون الانسان انسانًا . فان هذا افضل ما تحتاج اليه اليوم بلادنا الشرقية والاهتمام به مقدم على كل اهتمام

وقد نظم حضرة الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي في «الدين والعلم والمال» الابيات التالية

هي الافلاك لا شبه القباب ... ولا كالفلك تجري في العباب
تدور بما تدور ونحن منها ... مكان الظل من فوق التراب
ولو ان الورى كانوا عليها ... لباتت كالسفينة في الضباب
بد الانسان آتمة ولو في ... ذرى الافلاك من فوق السحاب
ولو خلت الملائك عاشرته ... لقلت ارى الحمامة كالغراب
ضعيف وهو اقوى من عليها ... قوي وهو اضعف من ذباب
وليس الناس اجسامًا تراءى ... ولكن كل نصل في قراب
تفاوتت النفوس قرب نفس ... علي فلك ونفس في ثياب
فلا عجب اذا الانسان امسى ... لدى الانسان كالشيء العجاب
يعد الناس ضعف الناس ذنبًا ... لذا خلق القوي من العقاب
فذو المال استبد بكل نفس ... وذو العلم استخف وذو الكتاب
لدن ركبوا اسفين الدهر ظنوا ... بني الدنيا متاعًا للركاب
وليس «المال» غير العين امّا ... غدت سود الحوادث كالنقاب
فلا يفخر بصير عند اعمى ... فما غير المصاب سوى المصاب
سلوا من ظن امر المال سهلاً ... اكان السهل الا بالصعاب
لعمرك انما الذهب المفدى ... نفوس لم تعد بعد الذهاب

هم اكتسبوا لغيرهم فامسي عليهم الاكتساب بالاكتئاب
وصيغ شبابهم ذهباً اليست على الدينار زخرفة الشباب
يرجّون السعادة وهي منهم منال الماء في بحر السراب
وانّ خزانة الآمال ملأى لمن تلقاه مهزول الجراب
ومن يغترّ بالاقوى يجده كنصل السيف يغمد في الرقاب
متى نادى الدجاج بثعلبان فقل حُييّت من داع مجاب
يظن الاغنياء الفقر ضعفاً وكم من حية تحت الخراب
ولا يخشون من جاعوا لديهم وليس اضرّ من جوع الذئاب
الم تكن السفينة من حديد فما للماء يخرقها بناب
اذا شمخت على الامواج انفاً فما بعد العلوّ سوى انقلاب
اما « للعلم » سلطان على من يرى ان الفضائل في الخلاب
وما ذو العلم بين الناس الا كمن كبح البهيمة لاحتلاب
يظل بها يمارسها شقياً وحالبها يمتع بالوطاب
وكم بين الطروب وذي شجون اذا ابصرت كلاً في اضطراب
ارى العلماء اذ يشقون فينا نعيماً كامناً تحت العذاب
كقطعة سكر في كاس بنّ تذوب ليغتدي حلو الشراب
ومن اخذ العلوم بغير خلق فقد وجد الجمال بغير سابي
وما معنى الخضاب وانت تدري بان الشيب من تحت الخضاب
اذا الاخلاق بعد العلم ساءت فكل الجهل في «فصل» و«باب»
ولولا العلم لم تسكن نفوس على غيّ الحياة الى الصواب
ولولا «الدين» كانت كل نفس كمثل الوحش تسكن للوثاب
رأيت الدين والارواح فينا كصحب الغريب اخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا رأى راحاً تُصب بلا حباب
ليجحد من يشاء فرب قشر يكون وراءه عجب اللباب
الى الله المآب فكيف يعمى اخو الاسفار عن طرق المآب
وما ظمأى وفي جنبيّ نهر تدفق بين قلبي والحجاب

كما كنت تقولين · فقالت عزيزي يعقوب لا اقدر على اخذك الآن معي · ولكن اعدك انني ساطلبك · فصاح مخلوف · متى يكون ذلك، · فقالت حين وصولي الى بلادي · فبكي مخلوف وصاح بلادك ولكن بلادك هنا · فقالت بل بلادي اميركا يا عزيزي مستر يعقوب · فعش هذه المدة مسرورًا راضيًا بغيابي لانني سأذكرك دائمًا وارسل اليك كل ما تحب الى ان يتيسر لي استدعاؤك »

وهكذا هداء ذلك المجنون العاشق التعيس بشيء من اللطف والوعود · ولكن هدوءه كان وقتيًا فانه ما تحرك الركب وسار حتى اشتد به الجنون وشرست اخلاقه فاضطروا الى شد وثاقه وارسلوه الى دير قزحيا ولا يزال في الدير الى اليوم ينشد الاشعار و يترنم بذكر حبيبته اميليا

فمسكين انت يا مخلوف · تخاصم البحر والريح فكان الصلح عليك · ولكن اما سمعت ما قال سليم · ان العبرة بالانتظار والثبات · وانت لم تقدر على الانتظار لان عقلك رحل عند اول صعوبة · على انك لو انتظرت وكنت الآن عاقلاً فربما كنت نلت الآن اسمى منزلة عند اميليا بعد منزلة زوجها

* * * * * * * *

اما سليم وكليم فقد اقاما في الارز بضعة ايام وكان تخلصهما من مكاريهما بطرس الثقيل بواسطة امين الذي عاد على بغله الى الحدث · وحين عودتهما من الارز ممتلئين صحة وقوة كان سليم يقول لكليم كلما مرّا بالاديرة : اما اقتنعت الآن بعد ما رأيناه من تقلبات حوادث الحياة وقصصها المضحكة والمبكية انه خير للانسان الذي يريد الراحة ان يعيش منفردًا عن العالم في دير او في نفق

فتنهد كليم وقال ليس الانفراد عن الناس هو الذي يريح الانسان · فان مخلوف منفرد الآن عنهم في دير ولكنه تعيس جدًا · فراحة الانسان وسعادته في داخله اي في نفسه · فلا يبحث عنهما خارجًا عنها · والنفوس القوية العادلة المستقيمة تقدر ان تكون مستريحة سعيدة حتى في وسط تقلبات الحياة

تمت

بعد . فاطلق ساقيه للريح وراءها . فثار سليم وكليم وراءه ايضاً . فوصل مخلوف الى المسافرين وصار يقلب نظره فيهم ، فلما وقع نظره على اميليا صاح صيحة دوت لها الجبال وانطرح على الارض صارخاً : لقد صدق سليم . عادت اميليا

فضحك كلدن وقال لم تخلص من الاسرار بعد . فاخبره حينئذ متى انه شاب مجنون انقذ في زمانه حياة اميليا . فمد كلدن يده الى جيبه واخرج منها ورقة بخمسمائة دولار واوماء بها الى مخلوف قائلاً . خذ هذا تذكاراً من اميليا . فصاح به ومن انت . فقال كلدن ضاحكاً انا زوجها

فيا ليتك يا مستر كلدن لم تلفظ هذه الكلمة . فان مخلوف ازدوج حينئذ جنونه فصار يضرب الارض بيديه ورجليه وراسه و يصيح «زوجها ، زوجها ، وانا اذاً من انا ، من اذنك ان تتزوجها ، كيف تسلبني حقي ومالي ، عاما متى حاروم ، ما شاء الله ماشاء الله ، ثياب جديدة وشعر مقصوص ، وراكب على بغل ، قه قه قه ، بغل على بغل ، لو لم تكن بغلاً لما زوجت ابنتك هذا النغل وتركت رجلاً مثلي ، ولكن اظنكم تضحكون ، اميليا اميليا انسيتِ يعقوب»

فقال كلدن حينئذ لزوجته مسز سوقي جوادك الى الامام واتركينا

فوثب حينئذ مخلوف وثبة الذئب وصاح « بل انت تتركها » ثم مدّ يده الى جيبه واخرج منها سكيناً وهجم على كلدن

فلم يكن كلمح البصر حتى اطبق عليه كليم وسليم من وراء وقبضا على يده فاسرع البغالون وشدوا وثاقه بحبل غليظ . فانكسرت حدة مخلوف حينئذ فصار ينوح ويصيح متذللاً باكياً (اميليا ، اميليا ، بحياتك لا تتركيني ، ماذا صنعت لك حتى تعذبيني ، اما انقذتك من الموت . هل انقذتك لغيري ، اما احببتك عشر سنوات دون ان انساك ، اميليا اميليا ، يقولون انه زوجك ، فلا باس ، هو زوجك تخذيني انا خادماً لك ، انني اتبعك ماشياً لا راكباً ، لا اكلمك ولا ادنو منك وانما احرسك واخدمك واقبل قدمك . اميليا اميليا انظري اناصديقك تعيس الآن ولوقا طمعون عدوك سعيد . يا لنكران الجميل . يا للظلم . هو يركب بجانبك مسروراً وانا يشدونني بالحبال و يعذبونني . اميليا اميليا خذيني معك . لا تقتلي نفساً بريئة فان الله يحاسبك)

فاثرت هذه الكلمات في نفس اميليا حتى بكت لها شفقة على ذلك التعيس فخاطبت زوجها مستاذنة في امر ثم وجهت جوادها نحو مخلوف فدنت منه وهو مشدود الوثاق . فكأنّ روحه عادت اليه . فمدت يدها البيضاء اللطيفة ووضعتها على كتفه وقالت له بنغمتها الساحرة : عزيزي مستر يعقوب . فصاح مخلوف : بلا مستر بلا مستر بحياتك قولي عزيزي يعقوب

بشراً اذا كانوا يصرفون كل ما اعطاهم الله من النباهة والعقل والقوة في مجاهدة بعضهم بعضاً ليستأثروا اقوياؤهم بالمنافع والخيرات دون الضعفاء ويدوسونهم كما يدوسون الحيوانات الدنيئة»(١)

* * * * * * * *

وفي المساء ركب الجميع مسرورين قاصدين بيروت عن طريق بعلبك وكان سليم وكليم وامين جالسين على اكمة ينتظرونهم فلما مروا بهم وشاهد امين خصمه لوقا يحادث متى ويضاحكه واميليا تنظر اليهما وتبتسم مسرورة لنقلب الزمان صار امين يبكي ويقول : اين العدالة في العالم . فتنهد سليم واجابه : العدالة ياصاح موجودة ولكن المهمّ الجدّ والانتظار والثبات . الم تنظر كيف انتصرت اميليا ولوقا بهذه الصفات . فلا تجدف على النواميس الابدية فانه ليس بالامكان ابدع مما كان . وكل ظلامة مهما كانت عظيمة تُكشف عن صاحبها اذا تسلح بهذه الفضائل . فان الله اعدل من ان يخذل الحق . وهو لنصرته لا يطلب من البشر غير الصبر والجد والانتظار

فقال امين متأوهاً : وما الحيلة بمن لا يستطيع الانتظار لان ايامه معدودة

فاجابه سليم . هذا وهمٌ يا صاح وعلى افتراض صحته فان المظلوم يكون اقرب الى الله في الآخرة مما لو انصفه الله هنا

فهزّ امين راسه وقال ، كلام حلو للتعزية ، كلام حلو للتعزية

الفصل السابع عشر

﴿ حب المجانين ﴾

لوقا يأكل الحصرم ومخلوف يضرس

وكانت الاكمة التي جلس عليها الرفاق الثلاثة قريبة من الكنيسة . واذا هم يسمعون حينئذ صراخاً عظيماً فيها ففطنوا حينئذ الى مخلوف الذي سجن فيها فنهض سليم ليراه . ولكنه لم يخطُ خطوتين حتى كان مخلوف قد كسر الباب وخرج منها وعينه تستطير شرراً . فلما رأى سليم صاح به اين متى , حاروم . ولوقا طمعون . فاجابه سليم قد رحلا . فوثب حينئذ مخلوف راكضاً الى الطريق ليتبعهما واذا به يرى الدواب والاحمال امامه لانها لم تكن قد بعدت

(١) من هنا تعلّم كرنيجي توزيع امواله بعد ان اثرى ثراءً عظيماً كسيده كلدن

وبعد ساعة ونصف حضر « مزين » من بشري فاصلح شعر الخواجا متى واُلبس ملابس نظيفة ونُقل الى صدر خيمة اميليا . وكان الناس في الخارج قد ضجروا وهم ينتظرون « يوم كلدن » فلما بلغ ضجرهم الى المستر كلدن قال لاميليا باسماً « لا انا ولا انتِ بل ان اباك هو الذي سيعمل يوم كلدن »

فجيء بكيس كبير فيه ريالات بقيمة الف جنيه فحمل مفتوحاً على حمار وسار وراءه الخواجا متى بملابسه النظيفة المرتبة وشعره المصقول وصار يفرق في الجماهير الحاضرة ريالاً ريالاً لكل واحد من الاولاد وريالين ريالين لغيرهم . وكانت الجماهير تزحمه من كل جانب

فلما ابصر سليم وكليم صاحبهما « ملك راس القضيب » بتلك الحالة الجديدة اعتراهما العجب الشديد . فكانا يدنوان منه ويتأملان فيه . اما هو فلم يعرفهما . ولم تفارقهما الدهشة حتى اطلعهما الترجمان على تفصيل الحادثة

* * * * * * * *

وفي المساء عزم كلدن وزوجته على السفر من الارز للرجوع الى اميركا بعد وجودهما ضالتهما المنشودة . فقوضا الخيام وعزما على الركوب . وكان لوقا طمعون قد انفرد عنهما بعد الحادثة ولم يلتقِ بمتى . فقبل السفر قصد اميليا وسألها ضاحكاً اتسمح له الآن بوكالة الاشغال التي طلبها . وكان كلدن حاضراً فاجابه هذه المسألة صارت متوقفة على رضى الخواجا متى

واذ قُصت هذه القصة على الخواجا متى وطُلب رأيه فيها ضحك اولاً ثم اطرق مفكراً وبعد ذلك قال « رأيي ان الصفح اولى . فان الوحش الذي في الانسان لا تذلله المقاومة والعناد بل الحلم والصفح . ولذلك يكون الاقل حيوانية والاكبر عقلاً اكثر صفحاً وحلماً»

فلو سمع سليم وكليم هذا الجواب لقالا ان فلسفة صاحبنا في « الوحشية » وهو مجنون مخالفة من حسن الحظ لفلسفته فيها وهو عاقل

* * * * * * * *

وقبل السفر استدعى كلدن سكرتيره وقال له وهو يطوف معه بين اشجار الارز : مستر كرنيجي اما تعلمت شيئاً من هذه الحادثة . فاجاب كرنيجي : تعلمت وجوب الرحمة يا سر للضعفاء الذين يسقطون في جهاد الحياة . والا لم يكن هنالك فرق بين البشر وبين الحيوانات . فقال صدقت ياصديقي . اذاً خصص في كل عام مليون فرنك لمساعدة العيال التي تسقط . واكتب لمحلنا يقرض مليون دولار لمحل خصمنا « ارميس » الذي افلس من مزاحمتنا ومليوناً آخر لمحل « ودن » الذي خسر ثروته في احتكاراتنا . فانني بعد الآن صرت ارى ان البشر لا يكونون

القهقرى خوفاً . ولكنها كالبرق عادت اليه واكبت عليه

وكان الناس قد اجتمعوا في الخارج فنادى كرنيجي اثنين منهم وحمّلهما مخلوف فنقلاه الى الكنيسة فبقيت اميليا مع ابيها

فانحنت الابنة حينئذ تقبل قدميه ويديه . وكانت تبكي وتناديه بصوتها اللطيف «ابتاه ابتاه . انتبه فقد جاءت اميليا . . ابتاه . افتح عينيك وانظر اليّ . . لقد جئتك بحفيدتين معي . قم وانظر اليهما فانهما تذكرّانك اميليا صغيرة . . ابي هل غضبتَ عليّ ولعنتني لما تركتك . . هل خطر في بالك انني فررتُ من خدمتك . . قم واخبرني انك لم تسيء الظن فيّ . . ان ضرباً من الجنون استولى علي ودفعني الى السفر . . فلعل الله هو الذي اراد ذلك لاعود اليك بالخير والغنيمة والظفر . . ابي مالك لا تجيبني . . ما هذا الرباط الذي في يديك ورجليك . . ما هذا الجلد الخشن الذي يستر جسمك مع انه كان يلبس الملابس الناعمة . . ما هذا الشعر الهائل الذي يغطي جبينك الذي كان صافياً هادئاً . وما هذه الشقوق التي في قدميك . . آه لقد تعذبتَ في شيخوختك كما تعذبتُ في صباي . ولكننا استرحنا الآن . فقم وعانقني . ابتاه ابتاه مالك لا تجيب . »

فيا لتأثير الحنان البنوي . يا لفعل القلب في القلب . يا للعدالة الابدية التي لا تسمح بموت « الحق » في العالم

فان الشيخ الهائل لم يلبث ان تحرك لذلك الصوت الملائكي اللطيف وانتفض وفتح عينيه . فجمدت اميليا في مكانها جمود الصنم . فادار الشيخ نظره في المكان متحيراً كانّ على عينيه غشاوة . ثم صاح ماذا تريدون . فغصت اميليا بدمعها واجابت . « ابي . هل انتبهت . » فبهت الرجل وقال متحيراً من انتِ . فقالت « انا اميليا اميليا »

فحينئذ جلس الشيخ متثاقلاً وصاح غاصّاً بدموعه . اميليا متى جئتِ يا حبيبتي . — فانطرحت الفتاة بين ذراعيه وصارا يبكيان بكاء اللقاء بعد طول الفراق

ولم يدوّن علم الطب قط في تاريخه حادثة شفاء من الجنون كهذه الحادثة الغريبة . وكل من سمع بها رجح ان الشفاء كان من فراغ جنون الشيخ في تهيجه الاخير على لوقا وان كان لصوت ابنته دخل في ذلك ايضاً

واذ سألت اميليا اباها عن حالته وسبب وجوده هناك ولبسه تلك الملابس وجدته اشد منها عجباً ودهشة من ذلك . لانه بعد رجوع عقله اليه نسي كل ما كان

* * * * * * * *

كلا يا سيدي ليست التجارة هي التي دفعتك الى صنع ما صنعت بل طمعك ورغبتك في الثروة باية طريق كانت · وانا الآن لست آسفة على ما ضاع من الاموال والارزاق لان الله عوضني خيراً منها وانما اسفي على شيء واحد لا يعوض وهو فقد ابي

وهنا ترقرق الدمع في عيني اميليا · فتأثر لوقا لهذه الدموع وهذا الكلام وان كان فيه اهانة له لانه رآه ممزوجاً بشيء من اللطف · لاسيما وانه كان ينتظر اشد منه ففكر قليلاً ثم قال باسماً : سيدتي انني اعرف مكان ابيك · وساجيئك منه بالشهادة المطلوبة

فرفعت اميليا حينئذ يديها وعينيها الى السماء وصاحت بجنون « ماذا تقول » فقال الرجل نعم انني اعرف مكان ابيك · فنهض حينئذ المستر كلدن مدهوشاً وصاحت اميليا « اين اين قل فاملاء فاك درا · ردَّه الي فانسى كل اساءاتك · وا ابتاه واابتاه · اصحيح ما تقول · · قل قل مالك لا تتكلم · متى نظرته ؟ » فاجاب لوقا (اليوم) فصاحت اميليا « اليوم ؟ واين ذلك اين » فقال لوقا هنا في الارز

الفصل السادس عشر

صوت الابنة الكريمة

يحيي العظام الرميمة

فحينئذ ذهلت اميليا عن نفسها وعن زوجها وعن مقامها ووثبت خارج الخيمة كالبرق الخاطف وهي تصيح « اين اين »

فتبعها المستر كلدن وسكرتيره ولوقا · وحينئذ عرف المستر كلدن من لوقا تفصيل ما جرى فرام كلدن تسكين جاش زوجته واقناعها بالانتظار الى ان يصلحوا ملابس الشيخ ويحسنوا حالته وينقلوه من تلك الغرفة · اما اميليا فلم تصغِ لاحد بل مرقت كالسهم قاصدة الغرفة فلم يكن لوقا ولا كلدن يعرفان وا اسفاه انه كان مجنونا

* * * * * * * *

فلما وصلت اميليا الى باب الغرفة دفعته وهي ترتجف ودخلت فابصرت على الارض شخصين مقيدين راقدين ـ والحقيقة انهما كانا في نوبة الصرع كما تقدم

فصرخت اميليا صرخة الجنون واليأس حين وقع نظرها على ابيها بتلك الحالة ورجعت

فتوفيت وابنة طائشة فرَّت وتركته

فحينئذ وثبت اميليا كمن لسعته افعى في صميم قلبه وصاحت باعلى صوتها : يا ظالم تخرب بيته وتميت زوجته وتهرّب ابنته وتبيع منزله وتمحو اثره ثم لا تكتفي بكل ذلك بل لا تزال تطارده بحقدك و بغضك فتهينه وتهين ابنته امامنا الآن ٠

فغضب لوقا عندهذا الكلام وقال : الوداع يا سادتي ٠ وهمَّ بالخروج ٠ فوثب اليه كلدن وثبة الاسد فاخذ بذراعه وقال بجدة ٠ مستر لوقا قبل ان تخرج من هنا اجث واطلب الصفح من مسز كلدن ابنة الخواجه متى حاروم

وان القلم ليعجز عن وصف ماجرى حينئذ وكيف استقبل لوقا هذه الصاعقة التي انقضت على راسه ولكن لما انقضت دهشة لوقا وعلم خطارة موقفه وهوله جمع قواه وكبرياءه التي كانت قد فارقته ٠ و بعد السكوت برهة قال ٠ الآن فهمتُ ياسيدتي سبب ماجرى ٠ فصار يجب عليَّ تبرئة نفسي لا للحصول على وكالة اشغال بل حفظاً لكرامتي لديك ٠ فكل ما بلغك عني يا سيدتي كان معكوساً او مبالغا فيه ٠ اذ اي عمل عملته في معاملتي ابيك ولا يعمله كل الناس اليوم ٠ والمستر كلدن زوجك المحترم لا يستطيع تكذيب كلامي ٠ اسأليه اذاشئتِ كيف جمع ثروته الطائلة وملايينه العديدة ٠ اما افلست بنوك خصومه وقامت بنوكه ٠ اما امتصت سككه الحديدية ثروة سكك اعدائه ٠ اما خربت في الاحتكارات التي احتكرها الوف من المحلات وافلس في مضاربته الوف من المضاربين ٠ فما الحيلة اذا كانت هذه طبيعة التجارة نفسها ٠ وكيف نستطيع جمع الثروة لننفع بها الناس اذا كنا نحذر من ضرر هذا ونخاف مزاحمة ذاك ٠ فهذه سنّة العالم وقد قال جوت « الى الامام الى الامام ولو فوق الجثث »

فدهش المستر كلدن لثبات جأش الرجل بعد تضعضعه وللطريقة التي حوّل بها الموضوع عن محوره ٠ اما اميليا فقد خلعت عن نفسها لدى هذا الكلام ثوب الحاضر وارتدت بثوب الماضي واجابت بجدة

ــ كل هذا الكلام يا سيدي لا يبرىء السرقة والاحتيال والدسائس والسلب والنهب ٠ تقول التجارة والاصول التجارية ولكن اي تاجر شريف يزعم ان اله التجارة يطلب دائماً ضحايا بشرية ودماء بشرية ٠ اي تاجر خال من عواطف الشرف والانسانية يرضى بان يجمع ثروة من طعام الاطفال ودموع البنات وموت الاولاد وخراب البيوت ٠ اذا وجد في العالم هذا التاجر فلا اسميه تاجراً بل لصاً وقاطع طريق ٠ بل هو ادنى من اللصوص لان اللصوص يهاجمون الانسان من وجهه اما هو فانه يغدر به لانه يباغته من وراء ويغمد خنجره في ظهره ٠

قدمت لحضرتك الشهادات الكافية وفي جملتها شهادة رئيس ديني كبير

فقهقه حينئذ كلدن بصوت عالٍ وقال : شهادات ؟ هل تريد ان اجعل احد خدامي يجلب مثل هذه الشهادات بعشرة ريالات فقط . ثم التفت الى اميليا وقال : ما قولك مسز هل تُقبل منه هذه الشهادات

فلم تجاوب اميليا لانها كانت غير قادرة على الكلام . اما لوقا فعدل حينئذ عن مطلبه فقال بشيء من عزة النفس : عفوًا يا سر . انا سالت حضرتكم سؤالاً فاذا قبلتموه شكرتكم واذا رفضتموه عدتُ من حيث اتيت مسرورًا باني تشرفت بمعرفتكم

فحينئذ دبت الحماسة في صدر اميليا لانها شعرت بان الخصم لا تزال له قوته التي سحقتها في ما مضى . فعزمت على سحق هذه القوة للانتقام منها . فجمعت قواها كلها وقالت

ــ ان طلب المستر كلدن حق اذ بلغته اعمالك في صيداء

فقال لوقا في نفسه الآن علمتُ سرَّ المسألة فان اعدائي ومزاحميَّ سعوا بي لدى هؤلاء الكرام ولذلك اساؤوا استقبالي . ثم اجاب مبغوتًا ومظهرًا الدهشة . عفوًا ياسيدتي الكريمة اية اعمال تعنين . ان جميع اهل صيداء يشهدون لي بحسن السيرة والسريرة والشرف . واذا تفضلتِ واطلعتِ خادمك الامين على الاقوال التي بلغتكم من حسادي واعدائي فانني انقضها كلها قولاً قولاً

فاجاب المستر كلدن حينئذ بحدة : انا لا احب كثرة الكلام يا مستر لوقا . فاذ شئتَ ان تكون وكيلاً لاشغالنا فجئنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجا متى حاروم في صيداء

فلو ان الصاعقة وقعت تحت قدمي لوقا لما اثرت فيه تأثير هذا الكلام . فنهض بحدة وصاح . لا تصدق ياسيدي لا تصدق كل ما سمعته . فان هذا الرجل جاهل سيء التدبير نخرب نفسه و . . . .

فهنا لم تعد اميليا تستطيع السكوت فقطعت كلامه وصاحت بحدة رغمًا عنها . لا تهن الناس ياخواجه بل اجب اتأتي بالشهادة المطلوبة ام لا

فقال لوقا في نفسه حينئذ . انني اذا ذكرت لهم ان متى حاروم موجود الآن في الارز بحالة الجنون والهول وقد كاد يفتك بي فتلك اقبح شهادة . فانهم يسألونه ويعلمون منه ما يريدون علمه . فاجاب . ان متى حاروم ياسيدتي لم يوقف له على اثر منذ عشر سنوات فقالت اميليا والدموع ملء عينيها . ومنزله . فقال قد بيع . قالت واهله . قال كان له زوجة

الا بجهد شديد · فذهب لوقا طمعون نحو خيام المستر كلدن والدماء تسيل من وجهه والجماهير تتبعه ليغسل جروحه · اما مخلوف والشيخ فقد ادركتهما نوبة الجنون حنقاً لعجزهما عن خنق الخصم فسقطا على الارض مصروعين بلا حراك · فقيدهما سليم وكليم لئلا يضرا نفسيهما ثم نقلاهما الى الغرفة المقابلة للكنيسة واقفلا الباب

هذه هي الحادثة التي كانت سبباً في الجلبة التي سمعها المستر كلدن بينما كان يحادث امرأته

الفصل الخامس عشر

﴿ ذئب لدى لبوة ﴾

موقف حرج

فهنا وا اسفاه لم تبقَ حاجة الى شرح الحادثة التي تقدمت لان القارىء اللبيب فهم كل تفاصيلها وروابطها واسبابها · وعرف مبلغ تعاسة اميليا

وما استقرّ المستر كرنيجي برهة في الخيمة مع المستر كلدن وزوجته حين دخوله عليهما كما تقدم حتى دخل الترجمان يقول ان رجلاً يدعى الخواجه لوقا طمعون قد حضر من بيروت للسلام على حضرة السر · فعاد الاضطراب حينئذ الى اميليا ونهضت لتخرج الى خيمتها · فاومأ اليها المستر كلدن ان تبقى لتلتذ بمشاهدة خصمها تحت قدميها · ثم همس بضع كلمات في اذن سكرتيره ليطلعه على طرف من المسالة · وبعد ذلك قال للترجمان قل للرجل ان يدخل

فدخل لوقا طمعون باشاً ضاحكاً كانه لم يُصب بمكروه · فحيا اجمل تحية · فجاوبه المستر كرنيجي · اما المستر كلدن فقد كان يتشاغل بتقليب الاوراق على المائدة واما اميليا فقد ادارت ظهرها للباب وانحرفت نحو الظل وهي ترتجف من الغضب والحقد

فساء لوقا هذا الاستقبال البارد فجلس منقبضاً · وبعد ان دام السكوت دقيقة قال المستر كلدن بنزق وهو ينظر في الاوراق لا في وجه ضيفه : ماذا تريد حضرتك · فاجاب لوقا · لقد كتبت لجناب السر اعرض عليه خدمتي في كل ما يريده في الشرق اذ بلغني انه يطلب وكيلاً · فقال كلدن · وكيف تريد ان اتخذك وكيلاً من غير ان اعرف امانتك واستقامتك

فانجرح هنا لوقا في صميم شرفه التجاري والادبي فصعد الدم الى رأسه واجاب : لقد

فالتفت سليم وكليم وصاحا : هذا صاحبنا . ما جاء به

اما مخلوف فانه لم يهمه شيء من كل ذلك . بل انه لما راءى الجموع قد فرَّت من وجهه وتركت الخواجا لوقا وحده مشغولاً باصلاح ملابسه هجم عليه كالذئب واخذ بخناقه

فحينئذ خرج من فم الوحش البشري القادم وفي يده بندقيته صوت اجش سمعه القارىء قبل الآن في راءس القضيب وهو صراخه « الوحش الوحش الوحش » — ثم انه سدَّد بندقيته نحو مخلوف ليطلقها عليه

فعلم سليم وكليم ان صاحبهما ملك راءس القضيب سيقتل مخلوف ولوقا معاً اذا لم يدخلا بينهم لاعتباره ان مخلوف ظالم معتدٍ كما كان يقتل الحيوانات التي تعتدي على رفاقها . فدخل سليم وكليم حينئذ بين الفريقين وواريا مخلوف ولوقا وراءهما وصاح كليم . ياعمّ دعه فنحن نؤدبه ونأتيك به

وكان مخلوف وخصمه يتصارعان حينئذ بقوة هائلة والناس لا يجسرون على الدنو منهما للدخول بينهما . ولكن حانت من مخلوف التفاتة فابصر ذلك الوحش البشري ينظر اليه وبندقيته مسددة نحوه . فانتبهت فيه عاطفة الحرص على البقاء . فترك خصمه وخطا خطوتين نحو الشيخ الهائل غضوباً فتبعه سليم وكليم لئلا يقتله الشيخ

ولكن ما تقدم مخلوف بضعة امتار حتى وقف مدهوشاً هذه المرة ايضاً وصرخ صرخة دوت لها الجبال . ثم هجم على الشيخ صائحاً « متى حاروم حنا حاروم . . . جئتَ في وقتك . . . وفي يدك بندقيتك . . . انظر صاحبك لوقا طمعون . . . »

فلما سمع الشيخ الهائل اسم (لوقا طمعون) ظهرت الرعدة في جسمه وجحظت عيناه واصطكت ركبتاه . فهجم كالذئب نحو لوقا . واذ عرفه زمجر كالاسد صائحاً « يالعيني اميليا . . حقاً لقد انتهى » . . . ثم سدد البندقية نحو لوقا واطلق نارها عليه

فصاح سليم وكليم وهجما نحوه ولكن من حسن الحظ لم ينطلق الرصاص لان الضباب كان قد رطب بيت البارود

فحينئذ القى الشيخ بندقيته وهجم على لوقا طمعون فتبعه مخلوف هاجماً لهجومه

فكل من راءى ذئاباً تهجم واسوداً تثب وضباعاً تغضب يمكنه ان يتصور هجوم هذين التعيسين على ذلك التعيس

فصاح كليم وسليم بالجموع التي كانت تنظر اليهم من بعيد . الينا يا شباب وساعدونا فهذا وقت المروءة . فهجم الناس لمساعدتهما ولكنهم لم يستطيعوا الفصل بين المجنونين وفريستهما

وكان وصوله الى الارز قبل بزوغ الشمس وكان كليم وسليم وامين جالسين عندئذ على اكمة صغيرة مشرفة على الطريق خارج الارز

فلما ظهر الخواجه لوقا في الطريق ارتجف امين وقال لكليم : لا حول ولا قوة الا بالله ان هذا الرجل الذي قطع حبل حياتي يتبعني اينما ذهبت

وكان مخلوف المجنون قادماً من الارز في هذه الساعة نحو الرفاق الثلاثة . فلما وصل اليهم كان الخواجه لوقا قد صار على مقربة منهم

فالتفت مخلوف الى القادم وهو ينشد حسب عادته

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا　　　واخرى بنامجنونة لا نريدها

ولكن ما وقع نظره على القادم حتى جمد في مكانه كانه صنم اصم . ولولا تقليبه عينيه في الرجل القادم لظن رفاقه انه فارق الحياة وهو قائم على قدميه

و بعد هذا الجمود برهة أسرع مخلوف وعينه تستطير شرراً فنزل عن الاكمة ووقف على الطريق . فلما وصل اليه الراكب صاح مخلوف صيحة كعواء الكلاب والذئاب . وقال « هذاهو » ثم اطبق على لوقافاخذبه وشدّه فالقاه عن جواده على الارض كالجذع الممدود و برك فوقه

فهجم حينئذ المكاري وسليم وكليم ليرجعوه عنه فكان مخلوف يصيح كالوحوش والزبد على شدقه « لا يرجعني عنه احد غير الله . . . قد اهلكني . . . قد حرمني حياتي . . . لولاه لما فرّت حبيبتي . . . الانتقام . . . الانتقام»

وكان عند كل كلمة من كلامه يضرب لوقا بقبضته ضرباً شديداً وهو كالجمل الهائج وناهيك بغضب المجانين . فاسرع الناس من جهات الارز على صوته عشرات ومئات مئات فتكاثروا عليه وانهضوه عن خصمه بعد جهد شديد . فانقلب مخلوف من الغضب على خصمه الى الغضب على نفسه وهو في اشدّ حالات الجنون . فتناول حجراً وصار يضرب به نفسه و يلقي نفسه على الارض و يقوم وهو يهذي بهذا الكلام « مسكتك يا ظالم . . . دعوني معه لاحاسبه . . . مضت سنوات وانا افتش عليه . . . هل يموت حق حبيبتي . . . ابعدوا والاّ قتلتكم كلكم . . . اليوم يوم الثار . . . يا الهي ارسل الآن صواعقك اذا كنت عادلاً . . . صاعقة واحدة فقط . . تقتلني وتقتله »

وكأنّ الله اجابه الى طلبه في هذه الساعة . فان الناس الذين كانوا يمنعون عنه فريسته تركوها واجفلوا راجعين القهقرى اجفال العصافير حين ظهور الباشق . ذلك انهم شهدوا امامهم مشهداً مريعاً . فان وحشاً بشرياً هائل المنظر كان قادماً نحوهم وفي يده بندقية

ونكد الطالع لان اصحاب الديون بتحريض لوقا استولوا على المنزل و باعوه وطردوا الرجل منه ·
وكان قصد لوقا من ذلك محو كل اثر لهذه العائلة واثرها القديم لانها تذكره بحالته القديمة ·
ومنذ هذا الحين لم تعد الفتاة تسمع شيئاً عن ابيها · فكيف تستطيع الآن ان ترى وجه
ذلك الرجل الذي كان سبباً في كل هذه الفظائع والمصائب

ولكن ما اتت اميليا على آخر الكلام حتى علت في الارز جلبة شديدة وكثر الصياح
والصراخ فخرج المستر كلدن من خيمته ليعلم السبب فلقي سكرتيره المستر كرنيجي داخلاً
فسأله ما الخبر · فاجابه قوم يتخاصمون ويتضاربون

الفصل الرابع عشر

مجنون ليلى وملك راس القضيب

اجتماع جنونهما على واحد

وكان لتلك الجلبة والصياح سبب في غاية الاهمية · واليك بيانه

كان الخواجه لوقا طمعون المذكور آنفاً تاجراً صغيراً في صيداء يرتزق من معاملة كبار التجار ·
ولكن لم تمض عليه عدة سنوات حتى انتقل الى بيروت لان صيداء ساقية لا تحمل سفينة كبيرة ·
فوسع اشغاله في بيروت ما شاء التوسيع ولكن دولاب حظه كان واقفاً في تجارته مع ذكائه
ومهارته · ولولا اعتماده على اهل له في بيروت لما قامت له قائمة ولا قدر على ان يعمل شيئاً ·
فلما سمع بمجيء المستر كلدن الغني الاميركي المشهور الذي يملك الملايين وعزمه على اقامة وكيل
له في الشرق للاعتماد عليه في تجارته الاميركية صادراً و وارداً علم انه اذا نال هذه الوكالة
كانت له غنيمة عظيمة · فلم يدخر وسعاً في ذلك ولا ترك واسطة الا استعملها · ولكن لما قدم
كلدن الى بيروت لم يستطع لوقا مقابلته لان لادي كلدن ابت استقبال احد في بيروت كما
تقدم وسافرت منها في الحال · فعلم الخواجه لوقا ان صاحبه مسافر الى الحدث فركب مركبة
من بيروت قاصداً البترون ومنها امتطى فرساً الى الحدث · فلما وصل اليها قيل له ان الاميركي
سافر الى الارز فتبعه على الاثر

وكان الخواجه لوقا كهلاً في نحو الاربعين من العمر وهو بدن ذو جسم قوي ولسان طلق ·
وكان جريئاً مع الضعفاء ولكنه ضعيف مع الاقوياء شأن اهل السياسة الجبناء · الا انه مع
ضعفه مع الاقوياء كان قادراً على مقابلة رجل كالمستر كلدن واستمالته وارضائه

ارى وجهه · حبيبي جورج اقتلني ولا تجعل له في حياتي ذكرًا بعد اليوم · لانه يسمم حياتي · انني ارى دهشتك الآن واعلم ماذا تقول في نفسك · انك تقول لم اعهد اميليا رديئة القلب الى هذا الحدّ · فانها من الذين يصفحون ويحلمون ويحبون اعداءهم ويباركون مبغضيهم فما بالها الآن عمدت الى الرداءة والخبث · لا لا ياحبيبي لست رديئة ولا خبيثة · وانما انا فتاة ذاقت من هذا الرجل ما لم تذقه الفرائس من الوحوش · فانا اغتفر كل الذنوب والآثام واصفح عن كل الاساءات الا عن اساءة هذا الوحش · واذا كان الله يكتب عليَّ هذه العاطفة الرديئة فانني افضل دخول جهنم على الصفح عن هذا الرجل

وكانت اميليا حينئذ في حالة لو رآها رافاييل لعض اصابعه تحسرًا على انه لم يظفر بمثلها في حياته ليصوّر بتصويرها اجمل سيدة في اجمل غضب · ولو سمعها الناصري لعلم مبلغ ظلامتها من مبلغ تأثرها وحينئذ يقول لها : ايتها المرأة مغفورة خطيئتك

اما كلدن فانه صار يضحك بعد وقوفه على حقيقة المسألة · فقال لها · انا لا اسيء الظن بك لانني اعرف قلبك · فاجلسي وقصي عليَّ القصة من اولها · ثم ان غضبك في غير محله فان الغضب يكون عادةً سلاح الضعفاء المغلوبين لا الاقوياء · وهو الآن ضعيف بالنسبة الينا لانه جاء يرجو منا لنجعله وكيل اشغالنا · فصاحت اميليا · كما كان وكيل اشغالنا فقال كلدن اذاً فاضحكي يا عزيزتي ضحك القوي الواثق بقوته وبحقه · المنتصر على خصمه · بدل ان تغضبي غضب الخوف والاهتمام بما لا يستحق الاهتمام

فسكن حينئذ جأش اميليا شيئًا فشيئًا وجلست تقص عليه قصتها · فعلم كلدن ان الخواجا لوقا طمعون هو الرجل الذي كان سبب مصابها ومصاب اهلها · فانه كان اولاً من اصدقاء ابيها وكان يتزلف اليه ويتقرب منه طمعًا في الفائدة · وكان يتظاهر بانه يريد الاقتران بابنته · فاصطفاه ابوها واطلعه على اشغاله واسراره وصار يعوّل على نصائحه وآرائه ويمدّه بمساعدته نفعًا له وترويجًا لاعماله · فاغتنم لوقا هذه الفرصة وغدر بالرجل ليبني اشغاله على انقاض اشغاله ويحلّ محله في بلده ويجمع لنفسه راسمالاً من راسماله · فادت دسائس لوقا لابيها الى خسارة ابيها امواله كلها وخراب محله وسقوط منزلته · فماتت امها قهرًا من هذه الحالة · وهي نفسها عزمت يومًا على الانتحار تخلصًا من الفقر والضيق والجوع فالقت نفسها في البحر ولكنها أُخرجت قبل فراق الروح · فعدلت حينئذ عن الانتحار وعزمت على الفرار من بلدها ففرت وتركت اباها وحيدًا فريدًا · وهذا ما كان يطير صوابها · الا انها كانت تؤمل ان اباها يقدر ان يعيش براحة وحده في منزله · فخاب املها من سوء الحظ

فخرج حينئذ كرنيجي من الخيمة · فسألها كلدن كيف ترين الارز · فاجابت هذه اول مرة سررت فيها بسياحتنا · ولولا هذا المكان الجليل الجميل لاسفت على انتقالنا من اميركا · فقال كلدن الحمد لله الحمد لله · وهل ذهبت الافكار السوداء · فعبست اميليا وقالت بحياتك لا تذكرني بها · آه لو تعلم الحلم الجميل الذي رايته في هذا الليل · فقال ماذا رأيتِ · فقالت وقد بدت الدموع في عينيها رأيته في السماء لابساً ملابس الملائكة وهو يبتسم لي ويقول · رضي الله عنكِ رضي الله عنكِ · لا تحزني فانني استرحت هنا بعد عذابي في الارض

وهنا استخرطت اميليا في البكاء فاكبت على المائدة التي كانت في وسط الخيمة وصارت تذرف الدموع · فلام المستر كلدن نفسه لانه فتح هذا الباب · ورغبة في صرفها عنه مال اليها ملاطفاً ومتوجعاً وهو يقول · بحياة عينيك يا حبيبتي لا تنغصي عيشنا في هذا اليوم الجميل ولا تهيجي عينيك بالبكاء فعليك مقابلة الناس · فرفعت رأسها وقالت اي ناس · فقال انك ستصنعين « يوم كلدن » بيدك · فتكون الهبة اكثر قيمة واشد تاثيراً · اذ شتان بين يدك البيضاء الجميلة ويدي الخشنة · وفضلاً عن ذلك فان تاجراً مشهوراً من ابناء وطنك سيزورنا اليوم · فقالت بدهشة اي تاجر · فقال هو تاجر من بيروت يطلب ان يكون وكيل اشغالنا التجارية في الشرق كله وهذا كتابه وشهاداته امامك على المائدة

فمدّت اميليا يدها الى الاوراق وادارتها لترى التوقيع الذي على الكتاب

وحينئذ صاحت صيحة من اعماق قلبها ووثبت مجفلة كان حية لسعتها

فاجفل المستر كلدن وعرته دهشة عظيمة فصاح ما بكِ ما بكِ

اما اميليا فكانت منتصبة بهياج شديد وراء المائدة ووجهها كوجوه الاموات لاصفراره فهال منظرها المستر كلدن وحسب انها جُنت · فصاح بحياتك اميليا قولي ما بكِ

فصاحت حينئذ اميليا بصوت كصوت لبوةٍ هوجمت اشبالها : من اوصل هذه الاوراق الى هنا

فقال كلدن : هل تعرفين صاحبها

فصاحت اميليا : يسألني هل اعرفه · ومن ذا الذي لا يعرف الذئاب والوحوش الضارية · ماذا يريد هذا الرجل منا · اما كفاه انه سمم اول حياتي فجاء الآن يسمم آخرها

ففهم كلدن حينئذ ان في المسالة سراً : فقال لها بلطف · عفواً يا اميليا · هدئي بالك واجلسي لنتحادث في هذا الشأن بهدوء · ولا يكون الا ما تحبين

فقالت اميليا · لا لا · لا اريد ان اتكلم عن هذا الرجل ولا ان اسمع اسمه ولا ان

انا صنعنا امس صنع الابطال بنومنا تحت هذه الاشجار على خرج تحت غطاء خفيف فانظر الى اصحابنا القرويين فانهم ينامون بلا خرج ولا غطاء كأنّ الامر عندهم في غاية البساطة

فاجاب كايم هذا مصداق لقول روسو يجب ان لا يربى الانسان كشجرة تعيش في هذا الاقليم ولا تعيش في ذاك بل يجب ان يُجعل قادرًا على المعيشة في كل الاقاليم فحيثما القيته جاء واقفًا على قدميه نشيطًا قويًا قادرًا على احتمال كل تقلبات الحياة

الفصل الثالث عشر

كيف يكون غضب النساء

تاجر في بيروت يطلب وكالة الاشغال في الشرق · حلم اميليا · غضبها · قصتها

وفي الصباح انتبه المستر كلدن مع غربان الارز لانه كجميع الرجال النشيطين اعتاد التبكير · ولما نهض استدعى كاتم اسراره المستر كرنيجي وساله هل انتبهت لادي كلدن · فاجاب كلا · فقال كلدن خذ كرسيًا يا مستر كرنيجي واجلس · هل ورد البريد الاخير · فاجاب كاتم الاسرار نعم يا سر قد اخذناه في الحدث وهذه بضع رسائل تقتضي الجواب · فتناولها المستر كلدن بنشاط واجال نظره فيها

وبعد حين سأله من هو كاتب هذا الكتاب · فاجاب كرنيجي هو تاجر مشهور في بيروت وهو يقول في ختامه انه قادم لمقابلتكم للترحيب بكم والاتفاق معكم على الشروط · فقال كلدن وما رأيك في طلبه · فقال كرنيجي بما انكم عزمتم على احتكار الشرانق والحرير في العالم فمن الصواب ان تجعلوا لكم وكيلاً وطنيًا في سوريا ولبنان لابتياع الموسم · فقال كلدن وهل هذا الرجل مشهود بامانته واستقامته · فضحك كرنيجي وقال لقد ارسل مع كتابه شهادات من اعظم الرؤساء الدينيين والمدنيين حتى من بعض قناصلنا · وهذه هي الشهادات

ثم ان كاتم الاسرار القاها على مائدة في وسط الخيمة

وكانت هذه الخيمة منصوبة بجانب خيمة لادي كلدن وابنتيها · فيظهر ان حديث الرجلين نبّه اللادي من نومها · فانها في ذلك الحين ازاحت باب الخيمة وظهرت بثوب النوم باسمة موردة الخدين كانها وردة رطبة برزت من وراء غصنها · فقام اليها المستر كلدن مسرورًا لسرورها فقبلها قبلة شهية في الصباح وادخلها خيمته لان البرد كان قارصًا في الخارج

وشعره ولحيته مقصوصان ومزينان وكانت هيئته وكلامه واشاراته كلها تدل على انه معتنٍ بنفسه اشد عناية · ففطن سليم في الحال الى ان هذا الانقلاب الجديد فيه نتيجة الدرس الذي القاه عليه في عين السنديانة · فسرَّ بهذا الخير الذي قدر على صنعه مع هذا المسكين · ومن هذا الحين ازدادت عنايته به لاتمام عمله

واذ انفرد سليم بمخلوف سأله اين بدلتَ ملابسك يا خواجه مخلوف · فنظر اليه المجنون بلطفٍ كلطف الاولاد واجاب بدَّلتها في حصرون · فقال وهل تعرف احداً فيها · فحدق مخلوف فيه واجاب : وهل نحن نحتاج لمعرفة الناس · اما نحن جميعاً اخوانٌ · انني حيثما اكون ادخل اول بيتٍ اراه في وجهي واطلب من صاحبه او صاحبته ما اكون في حاجة اليه · فآكل واشرب والبس ثم انطلق على شرط انني لا احمل معي شيئاً حتى ولا كسرة خبز لان الله يرسل خبز الغد · فدهش سليم وساله : واذا منعوا عنك ما تطلب · فغضب المجنون واجاب : كيف يمنعون عني ذلك اما نحن اخوان · اليس لي مالهم ولهم مالي · الا يعلمون انهم اذا امنعوا عني شيئاً فالله يمنع عنهم اضعافه

فضحك سليم وقال له : اذا بقيتْ لك هذه الافكار الجميلة يا خواجه مخلوف فانك تبقى سعيداً وتنال امنيتك ...

وما اتى سليم على هذه العبارة حتى شوهدت الجموع في الارز تتحرك كلها مسرعة نحو الطريق فقال مخلوف لعل صاحبنا الاميركي قد اتى

وكان قد امسى المساء واشعة الشمس لم تعد تصل الى الارز لانها توارت وراء آكام بشري والديمان والحدث · الا انَّ عصابة منها كانت تزين رؤوس الجبال فوق الارز دلالة على انها لم تغب بعد · وكان القادمون في هذه الساعة رجال المستر كلدن سبقوه لنصب الخيام فاجتمع عليهم الناس · وقد نصبوها في شرقي الارز تحت اشجاره على اكمة عالية تشرف عليه · اما المستر كلدن وزوجته وابنتاها ووكيل اشغاله فكان وصولهم بعد هبوط الظلام

وبعد وصولها بساعتين اذا بثلاثة بغال داخلة الى الارز · وعليها امين وابواه · فدهش سليم وكليم لذلك · وكان امين في اضطراب وانزعاج شديد · ثم علما من ابويه ان عدوه القديم الخواجه لوقا طمعون وصل الحدث للتصييف فيها ولذلك فرَّ امين منها · هذا فضلاً عن رغبته في حضور « يوم كلدن » في الارز

ولم ينتصف الليل حتى صار عدد المتوافدين على الارز نحو الفي شخص فلما رآهم سليم وكليم يتمددون على الارض للرقاد بدون غطاء ولا فراش قال سليم لكليم · نحن حسبنا

رديئة تحمل الحيّ على اضرار حيّ آخر والاعتداء عليه طمعاً في الفائدة لنفسه · فيا للحكمة والفلسفة في افواه المجانين وعندي ان هذا الرجل لم يدرك هذه الحقيقة الاَّ بالاختبار والمصائب · فيظهر انه كان تعيساً جداً في حياته في وطنه كما قال حتى انصرف جنونه الى هذه الجهة

فقال كليم سننبش ذلك في زيارتنا الثانية ·

وما قرب الرفيقان من حرش الارز حتى سمعا ضجة عظيمه وابصرا الناس جماهير جماهير حول الحرش وداخله · وكانوا بين فتيان وفتيات ورجال ونساء · وهم يبلغون نحو الف شخص فعجب الرفيقان من ذلك ولما وصلا الى الحرش دخلا بين الناس واستخبرا الخبر فعلما حينئذ مايلي

لما وصل الخواجه كلدن وزوجته الى الحدث لم يعجب المكان السيدة اميليا لانها كانت مضطربة النفس من سياحتها لا يعجبها شيء · فتضجرت وقالت : ان جبال كاليفورنيا اجمل من هذه الجبال · فامر زوجها رجاله بالمبيت في الحدث تلك الليلة للراحة فقط و بالسفر الى الارز في مساء اليوم التالي لانه كان على ثقة من رضى اميليا عن الارز اكثر من الحدث · وفي المساء بلغ اميليا رغبة بعض الاهالي في ان يصنع زوجها (نهاره) عندهم فضحكت وابلغت زوجها هذا الخبر · وكان كلدن يعلم ان ذلك يسرّ زوجته جداً لميلها بالطبع الى الشرقيين ابناء وطنها · فامر وكيله ان يعدّ له ريالات عثمانية بقيمة الف جنيه وقال لابي مرعب وقومه (يس يس سنامل يووم كلدن في الهرز) يعني (سنعمل يوم كلدن في الارز)

فمنذ هذا الحين طار هذا الخبر بسرعة البرق الخاطف بين السكان والقرى في الجبة كلها · فضحك له الخاصة وسرَّ به العامة · واذ عُلم ان ذلك الغني الاميركي مسافر في اليوم التالي الى الارز اخذ القرويون ينسلون الى الارز من كل حدب وصوب ليستقبلوه استقبالاً عظيماً وينتظروا يومه · وكان اكثر القادمين من الطبقات المحتاجة · ومع ذلك فقد كان اكثرهم يُظهرون انهم قادمون لاكرام غني كريم كهذا الغني ومشاهدته لا لنواله · فيا لعزة نفس الشرقي الذي يرى توزيع المال عليه من غير عمل يتعب فيه نقيصةً وعاراً

وبينما كان الرفيقان يجولان بين الجموع التي اجتمعت في الارز واذا برجل يناديهما من بعيد « يا خواجات يا خواجات » فالتفتا فابصرا رجلاً غريباً لا يعرفانه · ولكن هذا الرجل ضحك ودنا منهما · ولما اقترب صاح سليم وكليم معاً : مسيو مخلوف · فقال المجنون العاشق مبتسماً : نعم مسيو مخلوف · هل علمتم متى يحضر الاميركي

فلم يجب الرفيقان عن هذا السؤال لانهما كانا مشتغلين بالدهشة من حالة مخلوف الجديدة · فقد كان لابساً ثياباً نظيفة مرتبة وفي رجله حذاء ليس بقديم وعلى رأسه طربوش نظيف

فقال سليم ومتى يكون ذلك يا عماه فقال الشيخ : اما سمعت ما قلته من ان الامر قد انتهى ·
فمنذ هذا الحين وقف كليم وسليم على حقيقة حالة ذلك التعيس · فعلما انه رجل اضاع صوابه لظلم اصابه فبرح بلدته واقام في تلك الجبات المقفرة وهو يعتقد ان الله ولاه عليها لمحو الظلم والشر ثم اهلاكه المدن لاستئصالها منها ايضاً · وقد افتقد سليم وكليم كوخه ومعيشته فوجدا انه يعيش في اشد الحالات ورب يوم لا يتناول فيه غير كسرة خبز اسود يصنعه من دقيق يعجنه ويشويه على النار او قطعة من لحم الوحوش (المعتدية) التي يصطادها · وكان يمر عليه في زمن الثلج والشتاء عدة ايام مخبوءاً في كوخه الحقير لا يخرج منه لتراكم الثلج عليه في ذلك الجبل · وكان قد تعود احتمال البرد كالحيوانات · فاذا ذاب الثلج قليلا زحف من كوخه وخرج على الثلوج يسير عليها زلقاً لا مشياً · كانه سائح فوق ثلوج القطبين

فاشفق كليم وسليم اشد اشفاق على ذلك الرجل الذي يعيش في شيخوخته هذه المعيشة القاسية · فصارا يفكران في سبيل لنفعه · وقبل توديعه عرضا عليه نقوداً وسألاه ماذا يتمنى · فرد النقود بعظمة ضاحكاً وقال : ماذا اصنع هنا بالمال · اما حاجتي فهي ان لا تطلقا النار في مملكتي على احد الا اذا كان ظالماً معتدياً والا اضطررت الى تاديبكما · فاخبره حينئذ سليم وهو يضحك في نفسه انهما لم يطاردا الذئب الا لانه هجم عليهما تلك الليلة في الارز · قال له الشيخ انني اعرف هذا الوحش وهو يسمى (ابا اليد الحمراء) فساؤدبه قريباً

الفصل الثاني عشر

الجميع في الارز

الحقيقة في افواه المجانين · توافد اهل الجبة الوفاً على الارز · عود الى مجنون ·
ليلى ورأيه في الاخاء البشري · امين ·
رأي روسو في التربية

ونزل سليم وكليم من رأس القضيب بعد ان وعدا ذلك الشيخ التعيس بان يعودا اليه لزيارته ما داما مقيمين في الارز

وفيما هما منحدران اخذا يتحدثان في امر هذا الرجل · فقال سليم لم تبقَ لدينا شبهة في انه مجنون ولكن هل رأيت كيف ان جنونه منصرف الى اهم مسألة · فقال : اي مسألة تعني فقال · مسألة رفع الظلم والاعتداء والضغط عن الناس · فهو يسمي « الوحش » كل عاطفة

هذه المملكة ما هو اصل الشر؟ فرايت ان اصله الوحش الذي في الانسان . فانكم تعلمون ان في الانسان شيئين . الوحش والانسان . فالوحش يطلب كل شيءٍ لنفسه ولو مات غيره والانسان يشفق على نفسه وعلى غيره ايضاً . فقلت إن رأس واجباتي كملك لهذه الديار قتل الوحش لاستئصال الشر . فاقتنيت هذه البندقية وقد اشتريتها بجلود عشرين ذئباً واسدين وخمسين ثعلباً وعشر ضباع . وكنتُ اجلس على هذه الرابية وكلما رايت احداً يعتدي على غيره — اي كلما رأيت الوحش يطمع في ما هو لغيره — قتلته برصاصة واحدة . ففي بدء الامر قتلت مئات ثم عشرات اما الآن فقد تناقص الشر وقلما اقتل في الشهر واحداً

فارتعدت حينئذ فرائص سليم وكليم لهذا الكلام وتحققا جنون ذلك الشيخ التعيس . وصار همهما اظهار التقوى والصلاح والقداسة لئلا يلحقهما ابن فتك بهم جنونه من قبل . اما الشيخ فكان في هذا الحين يسرّح نظره في مملكته الواسعة . واذا به قد صرخ بغتة بصوت كصوت الوحوش « الوحش الوحش الوحش » وقام يعدو و بندقيته في يده . فالتفت كليم وسليم وهما مدهوشان الى الجهة التي سار فيها فنظرا على اكمة قريبة ذئبين يتقاتلان . فلما خرج الشيخ من واديه اطلق على الذئبين طلقين فصرعهما بالحال . ثم اسرع اليهما فاجهز عليهما وجرّهما الى كوخه وطرحهما امام سليم وكليم وهو يضحك لفوزه ويقول . كلاهما معتدٍ فارحنا المملكة منهما

فتنفس سليم وكليم حينئذ الصعداء لانهما علما انه انما كان يقصد بكلامه الحيوانات لا البشر . وقال كليم حينئذ للشيخ الذي كان يحشو بندقيته . « لقد ادهشتنا يا عم بقوتك ونشاطك وصلاحك . فلماذا لا تذهب معنا الى المدن لمحاربة الشر هناك وتكوين العالم الحقيقي فيها . ان مدننا الفظيعة القبيحة محتاجة الى هذا الاصلاح . فلماذا تحرمها من مساعدتك

فعبس الشيخ حينئذ وقال وشرر الغضب تتطاير من عينيه « المدن ويل للمدن . وويل لي اذا دخلت المدن . فانني لا اقدر على جميع الوحوش التي فيها اذ ليس لي غير يدين ولا اقدر ان امسك بهما اكثر من بندقية واحدة . وبندقية واحدة لا تكفي لاخضاع الوحوش الذين فيها . اه من المدن ومن العذاب الذي ذقته في المدن . لا تصدقوا انني ولدت هنا بل انني ولدت في المدن وعشت في المدن . ولكن الوحوش فيها اكلتني وطحنتني ففررت منها . كلا يا اخوان ان صحبة الذئاب والضباع والنمورة في البر افضل من صحبة الانسان في المدن . ولكن لا بأس ستاتي نوبة المدن . وحينئذ ادخل اليها باذن الله دخول المنتقم لله من وحوشها الضارية »

وقال : انني مسرور من لطفك ولين كلامك . وهذه اول مرة في حياتي ارى فيها رجلاً عاقلاً . ولكن اعذرني فان سري هائل

فازداد سليم وكليم رغبة في الوقوف على خبر هذا الرجل الغريب فقال سليم : نحن اولادك ياعم فلا تحذر منا

فلما سمع الشيخ كلمة « اولادك » اجفل ونهض كأنَّ افعى لسعته . و بدا الغضب في وجهه فقال : لا لا ليس لي اولاد ولا اريد ان يكون لي اولاد

فقال كليم لرفيقه : لقد هدمتَ ما بنيناه . ثم التفت الى الشيخ وقال : الحق اقوله لك يا عم انني لا استطيع كتمان ما في نفسي . فلا تغضب علينا ودعنا نستفيد منك . انني ارى في امرك شيئاً مدهشاً ويخيل لي انني اقرأه في عينيك . فاستحلفك باسم الله ان لا تحرمنا من الفائدة

فلما فاه كليم بكلمة « الله » احنى الشيخ عنقه وجثا على الارض وعفر خده بالتراب وهو مطبق العينين

فقال كليم لرفيقه همساً : لقد قبضنا على شيء . ثم قال للشيخ . فالله سبحانه وتعالى قد هيأ لنا اليوم فرصة لقياك . ولا ريب أن ذلك بتدبير منه وعناية خصوصية . فهل لك ان تطلعنا على سبب اقامتك هنا انفاذاً لارادة الله

فرفع الشيخ راسه واستوى جالساً . ثم قال . نعم ربما كان لله ارادة بهذا الامر . ولا اخفي عنكم انني في الليالي الاخيرة سمعت مراراً صائحاً يصيح . لقد انتهى لقد انتهى

« اجل يا اخوان لقد انتهى ملك الشر والظلم والكذب والرياء والاعتداء في العالم الفاسد . ان الفأس قد وضعت على اصل الشجرة فكل شجرة لا تثمر ثمراً صالحاً تُقطع وتلقى في النار

« انظروا هذه المملكة الواسعة التي امامنا . هذه هي العالم الحقيقي . ولذلك قلت لكم انني ههنا منذ تكوين العالم . فانا الآن هنا اكوّن العالم الحقيقي الذي يسود فيه الخير والصلاح . وقد مرت عليَّ سنوات عديدة اهذبه واؤدبه . فتم لي ذلك بمعونة الله تعالى . واذا فتشتم هذه الاقطار كلها لا تجدون فيها بين سكانها اثراً لفظائع العالم وشروره الهائلة

فقال سليم همساً . نعم لا نجد فيه شيئاً حتى ولا سكان . فاجاب كليم همساً ايضاً . يظهر ان صاحبنا مجنون

ثم التفت كليم الى الشيخ وقال . انني اعجب ياعم كيف استطعت تهذيب هذه المملكة مع ان الملوك عجزوا حتى الآن عن تهذيب ممالكهم

فصاح الشيخ حينئذ بغضب . ويل للملوك ولترتجف عروشهم من غضب الله . ولو كان اصغر الملوك يصنع بمملكته ما صنعته بمملكتي لما بقي فيها شر . فانني سألت نفسي حين تسلمت

فمشي الرجل الهائل نحو الكوخ قائلاً : تعالوا لاطعمكم ·

فخيل لسليم انه قال : تعالوا لآكلكم لانه خاف عاقبة السير معه الى حيث يقصد · وذكر في تلك اللحظة حكايات الغول والجن التي سمعها في صغره من العجائز والشيوخ وكيف انها تأكل الناس فقال لرفيقه مازحاً في ابان الخطر اظهاراً للقوة : ما جئنا نسمن اجسامنا في الارز لكي نجعلها طعاماً لوحش كهذا الوحش

وكان الرجل الهائل قد بلغ كوخه في طرف الوادي ودخله ثم خرج ومعه بيضتان وكسرتا خبز فوضعهما على حجرين بازاء الكوخ واوماء الى الرفيقين قائلاً : تعالوا كلوا

وكان سليم وكليم لا يزالان جامدين في مكانهما يتشاغلان باصلاح ملابسهما · فلم يريا مناصاً من اجابة الرجل الى دعوته · فتقدما نحو الحجرين بجانب الكوخ وجلسا · اما الرجل فانه جلس بازائهما بعيداً عنهما نحو ثلاثة امتار

فحدق به الرفيقان هذه المرة جيداً فذهب عنهما حينئذ شيءٌ من الجزع والخوف · فان ذلك الرجل كان انساناً لا يختلف عن باقي البشر الا بكونه يلبس رداءً مصنوعاً من جلود الغنم الى ركبتيه وليس على جسمه لباس غيره · وكان وجهه محاطاً بشعر كثيف طويل شاب اكثره ولكن في عينيه وملامحه دلائل الهدوء والتأمل والانكسار وما هذه بعلامات الوحوش او قطاع السبيل · فسكن حينئذ بال الرفيقين وقال سليم لكليم هلم ندخل معه في الحديث فانني ارى لهذا الرجل شاناً يُذكر

فالتفت اليه كليم وقال : هل مضى عليك وقت طويل في هذا المكان يا عمُّ

وكان الرجل حينئذ مطرقاً الى الارض يتأمل ويفتكر بما قام في نفسه لدى مشاهدته هؤلاء البشر القادمين من المدن · فرفع رأسه لسؤال كليم وادار فيه عينين متحمستين واجاب · اقيم هنا من حينما جئت الى هنا · فقال سليم ومتى جئت الى هنا · فتنهد الرجل واجاب · من حين تكوين العالم

فنظر سليم الى رفيقه بدهشة · فقال الرجل : مالك لا تصدقني قلتُ لك انني هنا من حين تكوين العالم · فاذا كنتَ نبيهاً فافهم والا فاسكت وارحني

فقال كليم : عفواً يا عم واسمح لي ان اكلمك بحرية · اننا لما نظرناك اول مرة دهشنا لاقامتك منفرداً في هذا المكان · اما الآن فيظهر لنا من كلامك انك في شأن عظيم فهل تكرم علينا وتفيدنا شيئاً

فلما سمع الشيخ هذا الكلام اللين اطرق الى الارض بانكسار وصار يفكر · ثم رفع رأسه

ملقيين لسباع البرّ لان سلاحهما وايديهما التي كانا يعتمدان عليها لم تعد تجديهما نفعاً . وبذلك صارا ضعيفين كطفلين

وكانا من حين الى حين يطلقان بندقيتهما في الفضاء ارهاباً وابعاداً للوحوش عنهما

وبينما هما سائران كعميان يتلمسون الطريق وقد تكاثف الضباب فيها حتى لم يعد يرى احدهما موضع قدمه واذ هوت اقدامهما في واد صغير فسقطا وانطلقت البندقيتان في سقوطهما ولولا رحمة الله لقتلتهما . ولكنهما لم يكادا ينهضان مترضضين حتى سمعا طلقاً نارياً قريباً منهما في بطن الوادي وصائح يصيح بصوت اجش ـ « الوحش الوحش الوحش »

فانقطعت حينئذ انفاسهما وجمدا في مكانهما يتوقعان امراً جديداً

فلم يلبث ان لاحت لهما من خلال الضباب المتكاثف على قيد ذراعين منهما صورة هائلة

فان وحشاً هائل الجثة منتصباً على قدميه مغطى جسمه بالشعر وله وجه كوجوه البشر حوله شعر كثيف طويل ولحية مخيفة كان واقفاً امامهما وقفة الاسد ينتظر فريسته

فكاد دمهما حينئذ يجمد في عروقهما خوفاً وجزعاً . ومدّ سليم يده الى بندقيته ولكنه ذكر انها كانت فارغة

اما ذلك الشخص الهائل فكأنه فهم فكر سليم فرفع بندقيته في الفضاء كتهديد وانذار وصاح بصوته الاجش « الوحش الوحش الوحش »

فعجب حينئذ سليم وكليم من ان ذلك المخلوق الغريب قادر على النطق كالبشر . فرأيا حينئذ وجوب المجاملة فاخفيا جزعهما وابتسما وقال كليم (العوافي يا عمّ)

فاجاب ذلك المخلوق الهائل (الله يعافيك ماذا تصنعون هنا)

فثاب الرشد حينئذ الى سليم وكليم وتحركت نفسهما للدخول في الحديث معه فاجابا نحن نتصيد وقد فاجأنا الضباب وادركنا الجوع فهل معك طعام

فقال الرجل عندي طعام . ولكن لماذا دخلتم الى هنا من غير اذن مني

فقال سليم كنا قادمين لاستئذانك فالحمد لله اننا لقيناك هنا

فقال الرجل . فاياكم مرة اخرى ان تدخلوا هذا المكان من غير اذني

فاجاب سليم وكليم . امرك يا عم

وفي هذا الحين هبت ريح شديدة من جهة الشرق فكنست الضباب عن الجبل ودفعته الى جهة الارز فانجلى المكان للانظار فوجد سليم وكليم نفسيهما في وادٍ صغير واسع الاديم وعليه في جانبه العالي كوخ صغير مستور عن الانظار لانه على مساواة الجبل .

الفصل الحادي عشر

﴿ الوحش الوحش الوحش ﴾

ملك راس القضيب وفم الميزاب

وقطع الرفيقان المسافة بين الارز وسفح الجبل يصطادان ما يجدانه فاصابا غرابين وثعلباً. وبينما كانا واقفين على احد الرعاة يحلب لهما لبناً واذا بالراعي صفر صفيراً شديداً. فهبت كلابه كالبرق الخاطف. ثم اشار الراعي الى سفح الجبل وقال انظرتم ذلك الذئب

فابصر الرفيقان حينئذ شبحاً بعيداً هيئته كهيئة الكلب يثب من صخرة الى صخرة في سفح الجبل

فشرب سليم وكليم لبن الشاة على عجل ثم اتجها نحو الذئب

وكانت الشمس قد ظهرت حينئذ من وراء تلك الجبال العالية فصار الجبل يدخن من تأثير حرارتها. فضحك كليم وقال اصعد فهذا طور سيناء يعممه الضباب. فقال سليم لا تشغلنا بالمزاح الآن والا فاتنا الذئب. ويظهر ان الذئب قد رآهما لانه اخذ يعدو عدواً سريعاً موغلاً في الجبل. فجد سليم وكليم في طلبه وهو تارة يظهر وطوراً يغيب. واستمرا على ذلك نحو نصف ساعة حتى كلَّت قواهما. وكان الذئب يتلفت ثم يجدّ في العدو فيخيل لهما حين لفتته انه يضحك منهما ويقول لهما (أراه غباري ثم قال له الحق)

ولكن هذا الطراد لم يستمرّ وقتاً طويلاً. فان الضباب كان قد تكاثف على الجبال المجاورة وصارت الريح تسفيه نحو سليم وكليم. فلم يمض ربع ساعة حتى اقبل عليهما مسرعاً. فقال سليم هذه مصيبة ما كانت في الحسبان. وفي الحقيقة انه مصاب ذو شأن. فان الضباب غطى الجبل واحاط بهما من كل جانب فلم يعودا يعرفان الطريق (١) وكانا قد قطعا ثلثي الجبل والذئب امامهما ولا تخلو تلك الاماكن المقفرة من غيره من الوحوش. فصارا يسيران رجوعاً على غير هدى راضيين من الغنيمة بالاياب سالمين من مفاجئة الوحوش والذئاب لانهما كانا لا ينظران شيئاً ابعد من عشرين قدماً. فاشبها في هذه الحالة رجلين مكتوفين

---

(١) يسمون هناك هذا الضباب غطيطه لانه يغطي الارض. والطرابلسيون يرونه من مدينتهم يعمم جبال لبنان كالغيوم

وفي الحقيقة ان الرفيقين لم يناما تلك الليلة نوماً هنيئاً · فكانا كالاسد ينامان بعين ويسهران بعين خوفاً من الطوارىء · وكان ذلك السكون التام في هدوء الليل وسط جبال شاهقة واحراش متسعة وجهات مقفرة مما يجعل نفس اقوى الاقوياء في حذر دائم سواء كان ذلك من اللصوص او الوحوش

ويظهر ان خوف سليم وكايم كان في محله فانه لم تدخل الساعة الثالثة بعد نصف الليل حتى انتبه سليم على صوت قرقعة فرفع رأسه قليلاً فلم يرَ شيئاً ولكنه سمع صوتاً كصوت كلب يقضم عظمة · ثم تلا ذلك صوت البغلين يرفسان ويجفلان وقد قطعا قيادهما واخذا يهيمان بين اشجار الارز · فحينئذ انتبه بطرس وخرج من الغرفة وصاح "ذئب ذئب" فهبَّ الرفيقان مذعورين اذ لم يكن في يدهما سلاح حتى ولا سكين تجرح · ولكن من حسن الحظ كان لدى السيدتين بندقيتان لرجلهما الذي كان قد سافر الى بشري في ذلك اليوم· فتسلح سليم وكايم بالبندقيتين · وبذلك عادت اليهما قوة الابطال

ولما لم يرَ للذئب اثر قضى الجماعة بقية الليل في السهر خوفاً من غدره · فلم يلبث الصباح ان ذر قرنه وهبَّت نسماته ابرد من الثلج · وانتبهت الطيور في اعالي الاشجار تستقبل الفجر باصواتها المختلفة · فقال سليم لرفيقه لا اعلم كيف تطلع علينا شمس الغد فاننا تعبنا وسهرنا ونمنا في البرد · ولكن لما اصبح الصباح وتعارفت الوجوه هبَّ سليم وكايم يمشيان بقوة ونشاط فوق العادة · فاستغربا ذلك · وعجبا من جودة ذلك الهواء النقي الخارج من يد الله كما صنعه الله يجدد القوى ويملأ النفس نشاطاً وارتياحاً

وبعد ان غسل الرفيقان وجهيهما بماء يستقى من نبع قريب من الارز قال سليم : ان هذا الذئب قد اخافنا في الليل وانا من المغرمين بالصيد · فهلم بنا ناخذ البندقيتين وشيئاً من الرصاص ونصعد الى الجبال التي فوقنا فاننا نصطاد فيها ونتفرج بمشاهدتها ونروض اجسامنا باجتيازها ونتغذى من لبان المواشي التي ترعى بها · واذا وجدنا الذئب في طريقنا فالويل له

فطاوعه كايم على ذلك فاخذا البندقيتين وسارا وقد تركا بطرس في الارز في احسن رفقة على ان يعودا في المساء · وكان اتجاههما الى جهة الشرق نحو راس القضيب وراء الارز وهو جبل مشرف عليه وعلوه نحو ٩ آلاف متر عن سطح البحر · وهو مقابل "لفم الميزاب" الذي يعلوه الف قدم

غيرهم . فسألاها فاجابتهما ان قوماً كانوا نازلين في الارز قوضوا خيامهم في ذلك الصباح وساروا في جهة الجنوب ليقيموا هناك يوماً او يومين

فاستاء الرفيقان من ذلك لانهما لم يحضرا غطاء ولا فراشاً . ولكنهما تذكرا الكنيسة لان المسافرين ينامون فيها . فقيل لهما ان امين مفاتيحها غائب ولا يعود الا في اليوم التالي

وكان قد أمسى المساء وهبط الظلام وبرد الهواء برداً قارصاً . فصار كليم وسليم يضحكان من نفسهما لانهما سيضطران الى النوم على اديم الارض تحت السماء (١) ولكن جوعهما ذكرهما بالطعام قبل الرقاد . فاختارا ارزة عظيمة قائمة بجانب الغرفة المذكورة الى الشمال فبسطا تحت جذعها بساطاً كان معهما وتناولا طعامهما من الخرج وجلسا . فجلس بطرس بجانبهما يأكل معهما . وكانت السيدتان صاحبتي ذوق فاحضرت احداهما قشاً وحطباً واشعلته بجانب سليم وكليم لطرد البرد والظلام . اما بطرس ففي اثناء ذلك كان يقول للسيدتين وفمه ممتلىء بالطعام « عافاكم عافاكم » كأن السيدة صنعت ذلك اكراماً له

ولما حان وقت الرقاد بسط الرفيقان بساطهما بجانب جذع الارزة ليتقيا به الريح الباردة التي كانت تهب من المشرق واردة عن قمم رأس القضيب وفم الميزاب . ووضع كل واحد منهما احد كيسي الخرج تحت رأسه وادار ظهره لرفيقه وتغطيا بغطاء خفيف احضراه معهما اتفاقاً . ويظهر ان غربان الارز كانت تنظر اليهما حينئذ من اعلى الاشجار لان اثنين منهما اخذا ينعقان . فخيل للرفيقين ان صوتهما عبارة عن قهقهة وضحك من نومهما على هذا الفراش

ولما درت السيدتان ان الرفيقين سينامان تلك « النومة المكربة » خرجتا اليهما ودعتاهما الى النوم في الغرفة خوفاً عليهما من البرد . فامتنع سليم وكليم من ذلك تأدباً اذ لم يكن مع السيدتين رجال . ولكن صاحبنا بطرس دبّ حينئذ في جسمه برد شديد . وصار لا يطيق النوم في الخلاء . فقال انا اقبل دعوتكما بشكر . ثم حمل غطاءه واتجه نحو الغرفة . فصاح به سليم وكليم يا بطرس كيف تترك بغليك خارجاً الا تخاف عليهما من ذئب او ضبع . فاجاب لا فانكما انتما على مقربة منهما

فقال سليم حينئذ : كثّر الله خيرك . اما كليم فانه كان يقهقه ويقول لرفيقه « ضبّط اذا كنت تقدر على مبادىء الديموقراطية التي تدعو اليها »

وهكذا نام بطرس في الغرفة مع السيدتين وبقي سليم وكليم في البرد والظلام يحرسان نفسيهما والبغلين

« ١ » اما اليوم ففي الارز فندق للمبيت والطعام انشيء منذ بضع سنوات

ولكنها مع ذلك تدخله · وهذا السور صار اليوم متهدماً وهو لانخفاضه يتسلقه الولد بسهولة لانه لا يعلو عن متر واحد

ومن الاسف ان الحكومة لا تزرع في هذا الحرش الكبير ارزاً جديداً ليقوم مقام الارز القديم متى شاخ وانقرض في القرون القادمة · والاشجار التي تنبت من تلقاء نفسها في الحرش قليلة جداً · ولكن في جهات اخرى فوق الحدث في وادٍ الى الجنوب وفي اماكن اخرى في اعالي لبنان احراشاً واسعة مؤلفة من ارز صغير آخذ في النمو · فلا ريب انه سيقوم مقام الارز الكبير في القرون القادمة · وربما وقف سائح بعد ٥٠٠ او ٨٠٠ سنة في الحرش الذي وراء الحدث في الوادي وصار يتساءل ويستنطق التوراة وكتب التاريخ ليعلم هل قطع سليمان الخشب لهيكله من ذلك الحرش ام من سواه

وسواء قطع سليمان الخشب من الحرش الكبير او من سواه فان السياح الافرنج من امراء وعظماء وعلماء يتقاطرون على هذا الحرش ويزورونه باحترام عظيم · والغريب انهم يفدون لهذا الغرض من اقصى الاقطار مع ان جيران الارز في الشام ومصر لا يعرفونه · ورجال الدين منهم يصلّون هناك بخشوع زائد ويعتبرون اجر الصلاة فيه مضاعفاً · وجميعهم ينقشون اسماءهم او بعض حروفها على جذوع اشجاره فغطوا بها كثيراً منها حتى صدر الامر بمنع ذلك حفظاً للاشجار · والزائر يشاهد احداها مكشوطة القشرة بفأس او سكين على قدر شبر او اكثر وفيها اسم منقوش · فلا نعلم كيف ان ذلك القاسي البارد ناقش هذ الاسم طاوعته يده على طعن تلك الارزة المقدسة الجميلة هذه الطعنة في صدرها

الفصل العاشر

ليلة باردة تحت اشجاره

(بلا فراش ولا غطاء)

فدخل سليم وكليم الى دائرة الارز مشياً على الاقدام وتبعهما بطرس مع بغليه فربطهما وراء غرفة صغيرة مبنية على انفراد بازاء الكنيسة القديمة القائمة في شمالي الارز

وقد افتقد سليم وكليم اصحابهما الذين بعثوا في طلبهما فلم يجدا لهم اثراً فاستغربا ذلك · وكان في الغرفة التي اشرنا اليها عائلة مؤلفة من امرأتين وبضعة اولاد ولم يكن في الارز

ولما قطعوا تلك العقبات الطويلة التي يلي بعضها بعضاً وصعدوا الى مساواة الحرش بان لهم الارز من بعيد · فاشرق وجه سليم وكليم ابتهاجاً وسروراً وصارا ينظران الى الارض التي تطأها حوافر بغليهما نظرهما الى اشياء مقدَّسة

وكان وصول سليم وكليم الى الارز عند غروب الشمس · وكانت الطيور تتوافد من جميع جهات تلك الجهات الجرداء الى اشجار الارز لتبيت فيها · وكانت الغربان اشدها ظهوراً · فكان يُسمع صوتها الناعب من حين الى حين كانه صوت الزمان ينعي الاجيال والقرون الماضية

والارز عبارة عن حرش متسع عظيم قائم على آكام متعددة تحيط به نصف دائرة من الجبال الشامخة واشجاره شديدة الاشتباك حتى ان الشمس تكاد لا تعرف ارضه · وفي هذه الاشجار ما هو صغير وفيها ما هو ضخم كبير سامق الى السماء ويكاد عشرة رجال لا يحيطون بجذعه اذا مدوا اذرعهم حوله · وهم يقولون ان هذه الاشجار الضخمة الهائلة ترتقي الى زمن الملك سليمان الذي بنى منها هيكله المشهور في اورشليم وزمن افسس التي بنيت من خشبها بعض اماكنها اليونانية القديمة · ولكن هذا زعم لا يؤيده دليل بل ان علم النبات ينقضه · الاَّ انه من المحتمل ان اولئك المتقدمين قطعوا اخشاباً من هذا الحرش وقامت الاشجار الحاضرة على آثار الاشجار المقطوعة او اشجار تلتها

اما صفة الارز فهي كما تراه في الرسم · فانه عبارة عن جذع شامخ يتوارى عنك راسه في الفضاء لعلوه · ومن هذا الجزع تتفرع اغصان بخط افقي كما ترى في الرسم · ويبلغ طول هذه الاغصان احياناً عدة امتار · وهي تحمل اكوازاً خضراء حرشوفية كرؤوس الصنوبر بعضها ذكور وبعضها اناث ثمّ تنقلب عند البلوغ فتصير حمراء · ولها رائحة طيبة ترتاح اليها النفس فتعطر بطيبها وبنشر اشجارها هواء الارز النقي · ويكون في عقبها بزرتان لحفظ نوعها متى بلغت وسقطت على الارض · والارز عدة فصائل وانواع وهو ينمو في جبال سوريا وجبل حملايا في الهند وجبل الاطلس في افريقيه وجبل طورس في آسيا وفي غيرها من الجبال · ولكن أرز لبنان اشهرها كلها

والمقرر ان القطع في الحرش ممنوع اليوم قطعياً بامر من حكومة الجبل حتى ان الزائر لا يستطيع ان يقصف غصناً ليأخذه تذكاراً من الارز الاَّ في السرّ او بمبلغ يدفعه الى الحارس · ولقد احسنت الحكومة في هذا المنع حفظاً لهذا الاثر الجليل · ومما يُذكر لها بالشكر ايضاً انها سوَّرت الحرش كله بسورٍ من الحجارة والطين لمنع الدواب من الدخول اليه ·

فقهقه كليم حتى كاد يقع عن ظهر البغل وقال لسليم · تفضل يا صاحبنا وانظر نتيجة مبادئك

اما سليم فانه غضب وصاح ببطرس قلت لك ناولني ماء لاشرب · فاجاب بطرس ولماذا لا تشرب انت · فقال لان كاس الماء بعيدة ولا استطيع الدنو من النبع وانا راكب · فقال بطرس هذا امر سهل فانزل واشرب · فقال سليم انا لا امزح واسالك للمرة الاخيرة اتناولني الماء ام لا · فقال بطرس وانا لا امزح لان مناولتك الماء لم تدخل في الاتفاق الذي ذكرته فاذا شئت الشرب فانزل واشرب

وكان كليم في اثناء ذلك لا يزال يضحك · فرغبةً في انهاء هذه المسالة قال لبطرس · طيب هذا الامر لم يدخل في الاتفاق كما ذكرتَ · فناولنا الماء ونحن في مقابلة ذلك نسقيك « خمسينية » من عرق بشري

فضحك بطرس حينئذ وقال الآن تم الاتفاق · ثم دنا وناولهما الماء

وبعد الشرب قال كليم لرفيقه وهما سائران ارايت نتيجة الحرية والاستقلال والمساواة والاخاء اذا بُذرت بذورها قبل اوانها بين طبقات لم تستعدَّ لها

فاجاب سليم ولكن مع غضبي من صنعه افضّل هذه الحرية التي هي في غير محلها على العبودية والذل والموت المعنوي · ولولا انني كنتُ شديد الظماء وغلبني غضبي لما لمته بل كنت اقول له : برافو يا خواجه بطرس فان امثولتنا اثمرت فيك في ساعة واحدة

فقال كليم ولكن هنا مذهبان واحد معك وواحد عليك

فقال كليم ولكن مذهبي هو المذهب الصحيح الابدي الذي انتصر مع الثورة الفرنسوية · هو مذهب الحياة والنور والحرية للطبقات الضعيفة التي تئنُّ تحت نير الطبقات القوية

الفصل التاسع

ارز لبنان

وصف الارز · اشجاره · جماله · عناية الحكومة به · زيارة العظماء والامراء له من اوربا واميركا واهال جيرانه له · هل هو الحرش الذي قطع منهُ الملك سليمان خشبًا لبناء هيكلهِ في القدس

ثم جدَّ الرفاق الثلاثة في السير فبلغوا بشري فابتاع منها بطرس « خمسينية عرق » على حساب رفيقيه حسب الوعد ثم تسلقوا منها العقبة المؤدية الى جبل الارز العظيم

امتاز عنك بشيء سوى انني تعبت وحصلت مالاً اقدر به على ان اريح نفسي من المشي · وبئست هذه الراحة لانني افضل ان اتعب مثلك واكون بصحة كصحتك

وكان سليم يتكلم وبطرس يظهر الدهشة والاستغراب · ثم اجاب · حقاً قلتَ الصواب يامعلمي · فصاح سليم رجعنا الى « معلمي » اما انا بشر مثلك · بل انت الآن معلمي لانك اقوى مني ونفعتني ببغلك اكثر مما نفعتك · فضحك بطرس وقال : حقاً قلتَ الصواب فيما يختص بالاجرة والركوب · ولكن قولك يا معلمي اننا كانا متساوون لدى الحكومة والله فيه نظر · فانني اصدق كل شيء الا هذا · اما المساواة عند الله فلندعها جانباً · لاننا متى وصلنا الى هناك نبقى نتكلم عنها · واما المساواة لدى الحكومة فاحب ان تدخل على سعادة القائمقام حين يصيف في الحدث (١) وترى الناس كيف يجلسون في حضرته وبعد ذلك تبقى تتكلم عن المساواة لدى الحكومة

فقال سليم هذا ليس ببرهان لان الناس كثيراً ما يسيئون في تنفيذ الشرائع فلا تلصق الاساءة بالشرائع نفسها بل بمنفذيها

فقال كليم لرفيقه لا بأس بهذا الحديث اذا كان لا يحدث منه ضرر · ولكني كنت اتمنى ان لا تكون هذه التجربة فينا لئلا نكون اول من يجني ثمارها

ثم استمر الرفاق الثلاثة سائرين فقطعوا الديمان وهبطوا في وادي حصرون · وكان بطرس في اثناء ذلك يفتكر في كلام سليم وهو يقول في نفسه : حقاً ما اجهلنا نحن سكان القرى · صحيح · ما الفرق بيننا وبين الخواجات والبكوات والحكام · نحن ناكل كما ياكلون ونشرب كما يشربون ونمشي كما يمشون ونفتكر كما يفتكرون وندفع ما علينا للحكومة كما يدفعون · فلماذا يكون كل الاكرام لهم وعلينا الخدمة والطاعة والذل · والله لما اعود الى القرية ويقول لي البك اعمل هذا اولا تعمل هذا فكل جوابي يكون انني ادير له ظهري واهزّ رأسي وامشي في سبيلي

وفي هذا الحين كان الرفاق الثلاثه قد قطعوا حصرون ووصلوا الى نبع ماء على الطريق ماؤه كالفضة الجارية صفاء والثلج الذائب برودةً · فصاح سليم : يا بطرس ناولنا ماء لنشرب · وكان بطرس يفكر كما تقدم في عباراته الاخيرة · فكان كل جوابه لسليم ان هزّ راسه وادار ظهره وسار في سبيله

(١) كان قائمقام البترون يصيف في الحدث مع دوائر الحكومة لما تكون القائمقامية في غير يد المرحوم اسعد بك كرم المشهور الذي كان يصيف في وطنه اهدن

يمنعك من اطلاعي على مراد امين بكلامه الاخير . فقال كليم كلا ولكن ليست هذه القصة جديدة في الارض . فانها قصة كل المغلوبين والمقهورين والمظلومين فيها . انها قصة العراك الابدي الذي بين الناس وهو ما يسمونه (تنازع البقاء) فان اميناً كان من موظفي الحكومة وكان محبوباً مسموع الكلمة لذكائه وعقله . وكان على وشك الاقتران بفتاة يحبها وهي ذات دوطة طائلة . وكان احد تجاركم في بيروت يطمع في دوطتها ليصلح بها احوال محله التجاري المتضعضع . فوشى لدى الحكومة سرًّا بان اميناً يعاون حزب تركيا الفتاة ويراسله فعزل وسجن والهين ولم يطلق سراحه حتى ظهر مرضه . اما الواشي فلم يتمكن من الاقتران بخطيبته لانها تركت الاثنين معاً

فقال سليم ومن هو ذلك الواشي . فقال كليم : هو « الخواجه لوقا طمعون » فقال سليم هذا تاجر اصله من صيدا لا من بيروت وقد سمعت الناس يذمونه كثيرًا لسوء اخلاقه .

وكان مع الرفيقين في هذه المرة مكارٍ من الحدث وهو شاب قوي البنية ربعة الجسم يدعى (بطرس) فسأل رفيقيه « هل تمرون على الديمان في طريقكم يا خواجات » فسأله كليم هل اليوم غبطة البطريرك في مصيفه هذا . فاجاب بطرس كلا بل هو غائب . فقال كليم فلنمض اذًا في سبيلنا

وكانت يومئذ الدار البطريركية في الديمان دارًا يدل ظاهرها على البساطة والقدم . اما اليوم فقد اقيم هنالك قصر فخيم على الطراز الحديث للسلطة البطريركية

وكان سليماً وكليماً راما طرد الافكار السوداء التي كانت تتردد على ذهنيهما من كلام امين ووداعه فقال الثاني للاول : لقد سلانا المكاري جرجس قليلاً من قلحات الى الحدث فبماذا يسلينا بطرس . فقال سليم اسمع . ثم التفت الى بطرس وقال له يا بطرس : لماذا تنادينا خواجات . فاجاب بطرس بوجل اذا كنتم بكوات يا معلمي فارجو السماح . فقال سليم ولا بكوات . بل نحن بشر مثلك . فاذا كنا خواجات فانت خواجه ايضاً لان كل البشر اخوان . فتنهد بطرس وقال : هذا في القول يا معلمي فقط . وما ابعد القول من الفعل الا ترى انكم راكبون وانني ماشٍ . وهذا اول فرق بيننا . فضحك سليم وكليم وقال سليم لرفيقه حقاً ان مكارينا نبيه . ثم التفت اليه وقال . ما عنيتُ هذا بقولي . وانما عنيتُ اننا واياك متساوون لدى الحكومة ولدى الله وان كان البشر يعطون بعضنا امتيازات دون بعض . فانت لست بمديون لي بشيء سوى ما تقبض اجرته مني . وانا كذلك . فالآن انا راكب وانت ماشٍ باختيارك وطوعك حسب الاتفاق الذي عقدناه على ان اعطيك اجرة تعبك . فلست اذًا

الفصل الثامن

﴿ الفاسفة والمكاري بطرس ﴾

(قصة امين)

وبينما كان كلدن وزوجته صاعدين مع حاشيتهما الى الحدث كان سليم وكليم يتأهبان للسفر منها الى الارز . لان اصدقاءهما في اهدن سافروا الى الارز وبعثوا يستعجلونهما . فقال كليم لرفيقه سنتعرف بالمستر كلدن بالارز فهلمَّ بنا نسافر لان الاقامة هناك تحت ظل الارز العظيم افضل من الاقامة هنا

ولما دخل كليم وسليم لتوديع صديقهما امين ظهر الحزن في وجهه . وكان قد ازداد ضعفاً وهزالاً . فودعهما وهو يقول اظن هذا الوداع هو الوداع الاخير . فقال كليم متأثراً لم نعهد قلبك ضعيفاً ايها الصديق فعلامَ الخوف وانت متقدم الى الصحة ان شاء الله . فهزَّ امين رأسه وقال هل تظن انني اخاف الموت . كلاَّ . فان الموت راحة لمن كان مثلي . وانما انا آسف لامر واحد .

قال ذلك وانحدرت الدموع من عينيه

فترقرق الدمع في عيني سليم وكليم وقال كليم : ما هو هذا الشيء . فقال امين: هو ان اخرج من هذه الحياة قبل ان انتقم من الظالمين

ففهم كليم مراد امين في الحال واجابه : كن على ثقة ايها الصديق انك ستشفى وتنتقم لنفسك . فان الله اعدل من ان يسحق المظلومين ويرفع الظالمين . واذا افترضنا المحال وقويت عليك علتك لعدم مداراتك نفسك فاعلم ان الظالم سيسقط من نفسه لان كل ما يُبنى على الظلم فهو مهدوم . والبغي مصرعه وخيم

فهزَّ امين رأسه وقال : واأسفاه انني لا ارى هذا الامر واضحاً كل الوضوح في الحوادث البشرية . — ثم انطرح على فراشه يفكرّ والدموع ملء عينيه . وكان منظره حينئذ كمنظر جندي سقط قتيلاً في ساحة العراك في آخر النهار

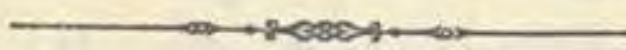
اما سليم وكليم فانهما ركبا بغلين فوبين وانحدرا من الحدث قاصدين وادي حصرون . وكانا هذه المرة ساكتين يفكران بكلام الصديق امين . فسأل سليم رفيقه هل من مانع

مات في الشيخوخة والضعف والفقر والوحدة وهو يلعنني

فهنا رام كلدن ان يصرف فكر زوجته عن هذه التذكارات المحزنة فقال ضاحكاً : اما انا فلا اعتبر سفرك من بلادك الى اميركا غلطة يا اميليا لانني لولا هذا السفر لما التقيت بك واقتنصتك . فانا اشكرك لتلك الحدة التي حملتك على السفر . ولا يزال يحلو لي ان اتذكر معك اليوم الذي لقيتك فيه في واشنطون . فقالت اميليا مبتسمة دعنا من هذه الذكرى . فقال لا بل دعيني اتكلم بحياتك . فقد خرجتُ في ذلك اليوم لأعمل « نهار كلدن » ومعي المستر كرنيجي كاتم اسراري . فبعد ان ذهب نصف ما في جيوبي من الاوراق وصلت الى الساحة القريبة من دار الحكومة فوجدتك سائرة في طريقك مع احدى بنات جنسك . فمددت يدي اليك بورقة قيمتها خمسمائة دولار وقد فعلت فيَّ عيناك ما لا يفعله السحر . ذلك انكم انتم الشرقيون لا تعرفون مبلغ التأثير الذي يؤثره فينا الجمال الشرقي الخاص بكم . فكان جوابك انكِ رفعتِ يدكِ ولطمتني على وجهي لطمة ارتني « نجوم الظهر » كما يقولون في لغتك . لانك ظننتِ انني رجلٌ بذيءٌ يقصد اغوائك بماله . فكبر قدرك منذ ذلك الحين في عيني واريتني بهذا الفعل جمالك الادبي بعد ان رأيت في وجهك جمالك الانثوي . وانتِ تعرفين التتمة . فبالله اخبريني كيف اجترأتِ على لطم رجل قوي مثلي قادر على سحقك بقبضة واحدة

فقالت اميليا تعلمت ذلك من معلمتي في المدرسة فانها قصت علينا يوماً ان احد الوقحين عرض عليها في سوق نيو يورك مالاً فجاوبته بلطمة على وجهه ففرَّ كالهرّ المطرود . فقال كلدن حينئذ رافعاً رأسه افتخاراً : هل من ينكر بعد هذا فضل مدارسنا في الشرق .

وقد سرَّ المستر كلدن من اجوبة زوجته لانه قدر بذلك على صرف افكارها عن موضوعها الاول . ولم يعد يسألها لماذا كانت تكره الاقامة في بيروت والسفر الى صور وصيداء



كهذه المسالة فان قلبي في غاية الالم · نعم كنت اشتاق في بلادنا الى رؤية البلاد التي ربيتُ فيها ولكني اول ما وصلتُ اليها تغير قلبي فعلمت حينئذ انه قد كتب لي التعاسة على هذه الارض · فانني اذا قمتُ في بلادنا اميركا شعرتُ انني غريبة فيها واذا جئت بلادي الاصلية شعرتُ ايضاً انني غريبة · فشاني شان طائر نسفت الزوابع عشه واستاصلت الشجرة التي كان ياوي اليها فلم يبقَ له امل في الراحة وان وجد عشاً احسن من عشه الاول وشجرة افضل من شجرته الاولى · وليس معنى كلامي هذا انني غير راضية بحالتي الحاضرة · فانني من فضلك ونعمتك في الف فضل والف نعمة · ولكن ماضيَّ شديد الضغط على نفسي

وهنا انحدرت الدموع من عيني اميليا · فصاحت بها ابنتها الاولى : عدنا الى البكاء يا ماما · اذا لم تسكتي فانني ابكي ايضاً · وقال لها زوجها · الحق اقول لك يا عزيزتي انني لا أعرف سبباً لهذا الحزن واليأس · فانك تعلمين اننا صنعنا كل ما في امكاننا فلم نعثر على اثر لابيك · وقد عرضتُ عليك الف مرة ان ننتقم من اعدائه فكان جوابك ما الفائدة من الانتقام ·

فهنا اغرقت اميليا في البكاء وقالت نعم ما الفائدة من الانتقام فانه لا يردُّ لي ابي · ولو عثرت على ابي فربما كنتُ طاوعتك على الانتقام ارضاء له · لانه تعذب كثيراً في اثناء حياته · ومن العدل ان يعذَّب معذبوه وان كنت لا احبُّ عدلاً كهذا العدل · ولكن ماذا كان جواب الباحثين عنه في جهات البرازيل

قال لم يجدوا له اثراً · وانت تعلمين انني نشرت منشوراً في جميع اقطار الارض في الشام ومصر واوربا واميركا وآسيا وافريقيا ووعدت بدفع مليون فرنك جائزة للذي يجد « الخواجه متى حاروم » ويدلنا عليه وها قد مرَّ على هذا المنشور سنوات والوف من الناس يبحثون عبثاً طمعاً في الجائزة · فاعتقدي يا حبيبتي بعد الآن ان اباك الكريم قد توفي الى رحمة الله وسبقنا الى الآخرة · لانه من المحال ان يكون حياً ولا نعثر عليه بعد كل هذا التفتيش · ولا تنسي اننا كلنا ضيوف في هذه الارض وان وطننا الحقيقي فوق · فتعزي ولا تحزني حزن الذين لا رجاء لهم

فاطرقت اميليا برهة تبكي بسكوت · ثم قالت ليس بكائي للموت بل بكائي للغلطة العظيمة التي ارتكبتها · وهذا ما يعذبني ويضغط على نفسي وضميري · فانني تركت ابي في اشد الاوقات عليه حين تخلت عنه الارض والسماء وابتعد عنه الاقربون والابعدون · فكنت اقساهم عليه واجحدهم لجميله لانني كنت اقربهم اليه · وانني اخشى ان يكون قد

الفصل السابع

﴿لا تريد المرور على بيروت﴾

زوج اميركي وزوجة شرقية · الحسن الاميركي والحسن الشرقي · غلطة فتاة يبكتها ضميرها · كيف احب كلدن امرأته واقترن بها

وفي هذه الاثناء كان المستر كلدن وزوجته وابنتان لها وحاشيتهما الكثيرة صاعدة عند دير حنطورة في الطريق الموصلة الى عين السنديانة ·

وكانت الابنتان في مقدمة الركب وكل واحدة منهما على جواد ووراءهما امهما على جواد ايضاً يليها الأب على فرسه وبجانبه وكيل اشغاله ووراءهم الحاشية والخيام والبغال تحمل الاثقال

وكان المستر كلدن كهلاً في الخمسين من العمر · وهو جميل الوجه طويل القامة احمر اللون اشقر الشعر متقد العينين بالذكاء الاميركي المعروف وفي كل حركة من حركاته وكل كلمة من كلماته شيء يدل على النشاط والحدة

اما زوجته فقد كانت في نحو الثلاثين · وكانت بيضاء الوجه كالثلج المعمم قمم لبنان سوداء الشعر والعينين رشيقة القوام كغصن البان خفيفة الحركة فوق جوادها الرشيق كانها غزال على غزال

فكان هذا الزوج وزوجته يمثلان ضربَي الحسن في العالم · الحسن الاميركي الاشقر والحسن الشرقي الجامع بين اللون الابيض الناصع واللون الاسود الفاحم

والغريب ان ابنتيهما جاءتا واحدة على شكل امها وواحدة على شكل ابيها · وكانت احداهما في التاسعة من العمر والاخرى في السابعة · وكانتا ثابتتين على ظهر جواديهما ثبات الفوارس · ولا عجب في ذلك لانهما ربيتا تربية اميركية

ولما حاذى الركب دير حنطوره كان المستر كلدن في حديث مع امرأته وقد تنحى عنه وكيل اشغاله · وكان يقول لها : لماذا تكرهين بيروت يا اميليا الى هذا الحد · حقاً انني صرت اخجل من قومي فيها لعدم استقبالنا اياهم فاجابت زوجته والحزن بادٍ في وجهها : حقاً انني ندمت يا جورج على سياحتنا هذه · فقهقه المستر كلدن وقال : كيف تندمين الآن بعد ان بكيتِ سنتين على هذه الزيارة · وفي كل يوم كنت تتنهدين وتقولين : هل ارى بلادي مرة قبل ان اموت ؟ فقالت اميليا والدموع في عينيها · لا تمزح يا صديقي في مسألة

الكنز . فجلس ابو مرعب وقصّ عليهم ما يلي

كنت الآن هناك مع ترجمان الجماعة واذ كنتُ اسأله عن المستر كدن . نكدن كيف يلفظ اسمه ؟ فاجاب كليم « كلدن » فقال تمام « كلدن » فاجابني الترجمان انه غني عظيم تُقدر ثروته بخمسين مليون ليره . واذ كنتُ اسأله عن اخلاقه وصفاته اخبرني خبرًا غريبًا . فقد قال لي ان هذا الرجل يخرج في السنة مرة من بيته في شيكاغو الى المدينة وجيوبه ممتلئة باوراق البنك . ولا يزال يوزع منها على الذين يجدهم في طريقه حتى تنفد . فربما وزع مليون فرنك في ذلك النهار . ولذلك يسميه الناس نهار كدن . . نكدن كيف اسمه فقال سليم ضاحكاً « كلدن » فقال ابو مرعب نعم نعم « نهار كلدن » وقد اخبرني الترجمان ان الذي ابتكر هذه الطريقة وحثه عليها شاب مستخدم في محله يُدعى « المستر كرنيجي » وكثيرًا ما يرافقه في ذلك النهار . فما قولكم اذا جاء صاحب الملايين غدًا وعلم بانني انقذت رجال حاشيته الا (يفتح يده) ويرينا جوده وكرمه .

فضحك الحاضرون وقال سليم اشير عليك ياعمي ابا مرعب ان تطلب منه ان يصنع « نهار كلدن » مرة في الحدث . فقال ابو مرعب والله هذا رأي في غاية الصواب . وسنطلب ذلك منه كلنا . ثم نهض ابو مرعب واسرع ليجتمع ببعض رفاقه من اهل القرية ويتفق معهم على هذا الطلب

فلما غاب عن اصحابنا التفت كليم الى حنانيا وقال ماذا تصنع يا حنانيا اذا صنع المستر كلدن « نهاره » في الحدث

فاجاب فاضل عن حنانيا : اعوذ بالله . ان صاحبنا حنانيا يقطع نفسه عشرين قطعة في ذلك اليوم ليصادفه صاحب الملايين عشرين مرة

وكان حنانيا يضحك في اثناء ذلك وهو ساكت .

ولما عاد الاصحاب الاربعة من الحرش وجدوا خمسين قرويًا جالسين حول ابي مرعب تحت بيته وهم يبحثون في طريقة يقنعون بها المستر كلدن ان يصنع « نهاره » في الحدث . وقد اخذوا منذ تلك الساعه يلاطفون رجال حاشيته ويكرمونهم احسن اكرام . ومابرحت المصالح تغيّر قلوب الناس في كل زمان ومكان



وبعضم يموت . ولذلك سموه « داء الانسانية » وفي فرنسا وحدها فقط يموت به في كل عام ١٥٠ الف شخص . اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء : الافراط في السكر الافراط في الزواج الافراط في التعب والهمّ الافراط في السهر وسوء المعيشة وقلة الغذاء وفساد الهواء الخ . . ويقولون انه ينتقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اذ جلّ ما تفعله الوراثة اعطاء الولد بنية ضعيفة . فاذا كان الاهل حكماء استطاعوا تقويتها وانقذوا الولد . والا سقط . فسقوطه اذًا يكون لا من وراثته داء السل بل من وراثته ضعف البنية . وكانّ آفة السل تمثال اسود للشقاء والعذاب منصوب في ساحة تؤدي اليها كل طرق الشقاء والغلو والافراط والفساد

« اما دواء هذا الداء فبسيط جدًا . وانا احب ان يُنادى على السطوح على مسمع من جميع المرضى المساكين ان داءهم قابل للشفاء خلافًا لما بلغهم . بل ان شفاءه اسهل من شفاء الحمى التيفوئيدية والجدري وغيرهما — لكن على شرط ان يُتدارك من اول ظهوره . فقولوا للمرضى به لا تحزنوا ولا تخافوا ان داءكم بسيط اذا احسنتم مداواته . ولكن اذا اهملتموه قضي عليكم لا محالة . وان قيل كيف تُحسن مداواته فالجواب لا دواء له غير شيء واحد وهو « الهواء النقي والغذاء الكافي » اما ما يُقال عن العلاجات والادوية فهو كله تدجيل في تدجيل . وكثيرًا ما تناول المصدورون ادوية فنفعتهم شهرًا او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى أجلهم (١) فترك الدواء اذًا هو كل الدواء . ومعرفة وقت ابتداء الداء هي السرّ الوحيد في الشفاء . ولا ينبغي للمسلول ان ييأس من شفائه ابدًا فان بعض الاطباء داوى بعض المرضى بالسل ٢٠ سنة وكانوا ينفثون الدم مع البلغم ومع ذلك رزقوا اولادًا وعاشوا عمرًا طويلاً . ولكن المسلول العازب عليه ان لا يتزوج وان تزوج ولم يكن « حكيماً » غلبه داؤه . اما النساء المسلولات فالحبل فقط يضرهن ضررًا شديدًا ويغلّب داءهن عليهنّ . ومن ذلك كله يظهر ان الاعتدال وحسن المعيشة في الهواء النقي الجاف في الجبال مع قليل من الرياضة الخفيفة هي الدواء الوحيد الشافي من هذا الداء

وما اتى سليم على هذا الكلام حتى نُظر ابو مرعب راكضاً نحو الحرش ينهب الارض نهباً . فاشرأبت اليه الاعناق وقال كليم خير ان شاء الله ما وراء ابي مرعب . ولما وصل ابو مرعب صاح وهو يلهث تعباً هل بلغكم الخبر . فقالوا ماذا . فقال قد وجدنا كنزًا . فقال كليم وما هذا الكنز . فقال ابو مرعب لاهثًا . كنز كنز عظيم . فقال كليم فاخبرنا ما هذا

* ١ * هذه المعلومات عن السل ماجوذة من رسالة مطولة حديثة للدكتور دارنبرلج وهي من اهم ما قيل في هذا الموضوع

اذا كانوا كلهم « على نسق » صاحبنا حنانيا

فقال حنانيا انا لست سلاً ولا بروتستنت ليستطيعوا طردي فانني قاعدهنا على صدورهم الى ان يحلو لي السفر · ثم فلنترك الآن المزاح هل بلغكم عزم اهل القرية على التجمهر لاخراج المرضى من قريتهم

فقال سليم · وما قولكم في قصدهم هذا الا ترون فيه شيئاً من الحق

فاجاب فاضل بحدة : عفواً عفواً · ان لاهل القرية الحق في ابعاد المرضى عنهم كما ان للمرضى وخصوصاً المصدورين الحق في اختيار الحدث للاقامة فيها الان هواءها اجف الاهوية والاطباء يامرونهم بان يسكنوها · ومن الخشونة والهمجية ان يُداس حق الضعفاء ارضاء للاقوياء

فقال سليم فما الحيلة لارضاء الفريقين · اليس هناك يا ترى طريقة جامعة

فقال فاضل كنتُ افكر منذ مدة في هذا الامر حين سماعي ذلك الخبر فحللت هذه المشكلة · وذلك ان يُبنى فوق القرية تحت الارزات التي هناك « مستشفى للمرضى » مؤلفاً من عشرين او ثلاثين غرفة جامعة لكل الشروط الصحية على نسق المستشفيات الصحية للمسلولين في اوربا (سانتوريوم) وحينئذ يجتمع المرضى من تلقاء انفسهم في هذا المستشفى بدل ان ينتشروا في منازل القرية ويخاصموا الاهالي لاستئجارها (١)

فقال كليم لقد اصبتَ فان هذا خير حل · وحينئذ يكون من حق الاهالي اجبار المرضى على الانفراد بذلك المستشفى · والا فكل مقاومة منهم تعد خشونة وقسوة اذ الارض ليست ارضهم ولا الهواء هواءهم بل هما لله · اي انهما مشتركان بين جميع البشر · واذا لم يقم احد لبناء هذا المكان الصحي فانني اؤكد ان الحدث لا يقصدها في المستقبل غير المرضى فتخسر خسارة غير قليلة

فقال سليم · نعم ان السل آفة هائلة · والناس يرهبونه كما يرهبون نيران جهنم

فقال حنانيا ولكن من اين تنشأ هذه الآفة المهلكة التي كثرت في بلادنا · ثم اليس من دواء لها

فقال سليم لقد اطلعت منذ اسبوعين على آخر الابحاث والآراء في هذه الافة ومنها يظهر ان السل يصاب به نصف البشر على الاقل · فبعضهم يشفى منه دون ان يدري به (١)

« ١ » بُني هذا الراي على المبداء الذي يجري عليه اليوم جمهور الاطباء والشارعين في الغرب وهو انهُ ليس للهيئة الاجتماعية ان توجب على الطبيب التصريح بعلة مرضاه لتعزلهم الحكومة عن الناس الا متى بنت لهم الحكومة مستشفيات صحية مجانية يجدون فيها كل عناية

« ١ » عُرف ذلك من تشريح الجثث في مستشفى باريز

فقال كليم مَن جهل شيئاً لم يحفل به . فهم يجهلون فضائل هذه الجبال . هذا عدا عن ان طريقها وعرة (١)

وفي هذا الحين وصل الى الحرش شابان . فصاح كليم . بهما : اهلاً بالخواجه فاضل والخواجه حنانيا . ثم جلس الشابان بازاء رفيقهما واخذا في الحديث معهما . وكانا من رفاق كليم وابناء وطنه وهما مصيفان في القرية .

وكان حنانيا شاباً تدلُّ هيئته على « البساطة » ولكن في الزوايا خبايا . وكان بلحية ضاربة الى الشقرة وهو كثير التنحنح كلما فاه بعبارة . وكان رفيقه فاضل يكثر من ممازحته ومداعبته وكذلك كليم . وقد كان حنانيا يُسر بهذه المداعبة على ما يظهر لانه لم يكن يستاء منها ولو جرحته احياناً . وكثيرون وفي جملتهم المؤلف كانوا يعتبرون ان هذا الامر ناشيء بالاكثر عن « طيبة » قلبه

اما فاضل فقد كان شاباً هادئاً يحب الجدّ كما يحب المزاح وقد كان في عينيه مايدل على صفاء قلبه . وفي اساليبه وكلامه وسكوته ما يدلُّ على انه ربي في عائلة ذات نعمة . وكان من المشهور عنه انه شديد الاخلاص والرغبة في نفع غيره فلم يكن احد يساله شيئاً في طاقته ويقعد عنه .

ولما دار الحديث بين الرفاق الاربعة قال فاضل ان رفيقنا حنانيا قد ابتاع اليوم كرماً . فقال حليم وكيف ذلك . فقال فاضل : جرت عادته انه كلما رام ان يا كل عنباً يقصد هذه الكروم الممتدة امامنا من القرية الى حرش الارز الصغير المشرف عليها وكلما شاهد عنقوداً جميلاً جلس كالثعلب بجانبه وتناول منه انضج حبوبه واكبرها . ولا يزال يفعل ذلك حتى يشبع . ففي هذا الصباح بينما كان « يفطر » بهذه الطريقة نظره (ناطور) الكرم فصاح به واسرع اليه فاجابه صاحبنا بكل « برودة » قلب ماذا تريد . فقال له (الناطور) اخرج من الكرم . فقال له بغضب ولماذا . هل هو كرمك . قال بلا شك . فقال له صاحبنا ارني (الحجة) التي بيدك لاتحقق ذلك ـ ولعمري ان هذه خير الطرق للشبع من العنب بدون دفع بارة واحدة .

فقال كليم اذاً لايظلم اهل القرية كثيراً ضيوفهم بمعاندتهم والرغبة في التخلص منهم

« ١ » كانت كذلك في زمن هذه القصة أما اليوم فالمركبات تسير الى اعالي الجبة كما تقدم . فعسى ان يكون في هذا الكلام ما يجبب الى كرام المصريين والسوريين التصييف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوربا

حديثي النعمة الذين يحلون محل ذلك الانسان بعد سقوطه امور لا تحتملها النفوس

فقال امين بهدوء ورزانة : ما للانسان وكلام الناس انما عليه ان يعيش بهدوء مستوراً واذا كان في الناس قوم « ارديا‌ء » يشمتون وينتقمون ففيهم قوم « طيبون » يؤانسون ويعزون . فقد كان على الفتاة ان تبقى ولا تسافر بهذه الصورة الشنيعة .

فقال كليم ضاحكاً : لو سمعك مخلوف الآن لاعطاك طربوشه من فرحه

فقال امين ضاحكاً : وما نفعي منه فان طربوشه قذر — فضحك الجميع لهذا الجواب

الفصل السادس

حديث في حرش صغير

التصييف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوربا . هل يجوز للهيئة الاجتماعية عزل المرضى . السلّ داء الانسانية الاسود . آخر الآراء والابحاث في اسبابه وعلاجه . كرنيجي الاول

وقد طابت الاقامة لسليم وكليم في هذا الحرش الصغير فصارا في كل يوم يقصدانه مرّة او مرتين للاستظلال به من حرّ الشمس . ولكنهما لم يكونا يجلسان في الظل ربع ساعة حتى يبردا فينهضا الى الشمس فيسخنا فينهضا الى الظل وهكذا على التتابع . وكانا يصرفان الوقت هناك بالحديث ومطالعة اطايب الكتب

فبعد ان مضى عليهما بضعة ايام في هذه المعيشة نظرا الى نفسيهما ذات يوم وهما في ذلك المكان فاذا بهما قد صار جسمهما ممتلئاً قوة وصحة وتورّدت وجناتهما واكتسيا من هواء الجبال ثوباً زاهياً غطى ثوب الاصفرار والضعف الذي كستهما به المعيشة المدنية . وكانا ينظران الى نفسيهما في المرآة ولا يصدّقان . فالتفت سليم الى كليم وقال : ان الذين يعيشون في السهول والمدن في الشام وغيرها يخطئون اشد خطاء اذا كانوا لا يصعدون مرة في العام الى جبال كهذه الجبال لتجديد قواهم ودمائهم . فاجاب كليم انا موافق على رأيك بعد ما شاهدته في صحتي من التحسن . تالله انني احسب نفسي انني كنت ميتاً وبُعثت . فانني آكل ولا اشبع . واشرب ولا اروى . وامشي ولا اتعب . واحياناً اخشى لنشاطي وخفة جسمي ان اطير في الهواء . فضحك كليم وقال : ما رأيك باصحابنا في الشام وفي مصر الذين يقصدون جبال سويسره وبلاد اوروبا في الصيف ويتركون هذه الجبال التي فيها المعيشة ارخص مايكون .

و يعرفون قصته . فقال سليم وهل تعرفها بالتفصيل فقال نعم ولكن اين شاهدتموه فقص عليه سليم كيف شاهدا مخلوف في عين السنديانة وما جرى له وكيف وعدهما بان يقابلهما في الارز . فقال امين : اظن هذا كل ما تعرفانه عنه اما انا فانني اقص عليكما قصته من اوّلها الى اخرها كما سمعتها من عارفيه واليك تفصيلها

ان اسم مخلوف الاصلي (يعقوب درمان) وهو شاب اديب من بلده صور وكان منذ عشر سنوات مكبًا على الدرس استعدادًا لفن المحاماة . فبينما كان ذات يوم يطالع بعض دروسه على شاطيء البحر واذا به يسمع صراخًا وعويلاً فركض فابصر خادمة تنادي على سيدة لها بين الامواج تكاد تغرق فالقى نفسه حالاً باثوابه في البحر وانقذ السيدة . وكانت هذه السيدة فتاة في نحو الثامنة عشرة من العمر وهي كريمة تاجر كبير في صور . وقد رامت الانتحار غرقًا لاسباب مجهولة . فلما انقذها يعقوب ارسلها الى بيتها وكانت مغشيًا عليها . فكاد ابوها يموت من حزنه ولكن الحياة عادت اليها . ومنذ ذلك اليوم احبها يعقوب درمان حبًا شديدًا يقرب من العبادة ومالت الفتاة اليه لانه انقذ حياتها . لكن الاقدار عاكستهما بعد ذلك . فان اباها على ما يقال توفي في ذلك العام وقد خسر جميع امواله وانحطت كرامته بين قومه بعد ان كان عزيزًا بينهم و بذلك يتميت ابنته وحدها اذ لم يكن في البيت غيرها لوفاة امها . وكان يعقوب درمان فقير الحال ايضًا . فرأت الفتاة انها اذ اقترنت به ازدادت سوء حال على سوء حال . وكانت عزيزة النفس شديدة الانفة لانها نشأت في الترف والغنى والدلال فكرهت ان تقيم ذليلة فقيرة في بلدة كانت فيها العزيزة المبجلة . فغافلت حبيبها يعقوب وفرّت مسافرة مع احدى البواخر التي تمر على صيدا وتركت له ورقة تقول له فيها « انسني واسلني بعد الآن » ويظهر ان دماغ يعقوب ضعيف من فطرته فلم يقوَ على تحمل هذه الصدمة فجنّ من يومها

فقال سليم ولكن كيف سافرت الفتاة وحدها الى بلاد لا تعرفها ؟ فاجاب امين لا تسل عن ذلك فانها نشأت في مدارس الاميركان وانت تعلم انهم يربون البنات في مدارسهم على الجراءة والاقدام والاستقلال . وهو امر احيانًا يكون نافعًا واحيانًا يكون ضارًا

فضحك كليم وقال لا ريب اننا اذا رأيناه نحن في هذه الحادثة نافعًا فان الخواجه مخلوف يراه مضرًا جدًا لانه فقد به حبيبته وعقله

فقال كليم ولكن عندي ان الفتاة لم تخطىء اذ لا اصعب من معيشة الانسان محتاجًا الى الناس في بلدة كان فيها من قبل غنيًا عنهم . فان دناءة الشامتين ولؤم المنتقمين ووقاحة

ولما تعالت الشمس فوق المشرق واشتدت حرارتها قليلاً انتبه امين من النوم واوعز الى ابويه ان يستعدا للذهاب الى حرش الصنوبر القريب من القرية ليتناولوا طعام الصباح هناك مع ضيفيهما . فبعد نصف ساعة سار كليم وسليم نحو الحرش وركب امين حماراً لانه كان عاجزاً عن المشي لضعفه وسار ابواه وراءه . والمسافة بين القرية والحرش نحو ٤ او ٥ دقائق . وهذا الحرش قائم بين القرية القديمة وبضعة منازل جديدة بنيت وراءه الى الجنوب وهو مغروس فوق اودية مختلفة تنفرج من الحدث الى السهل فيُرى من ورائه بحر الكوره والبترون وما وراءه من الافق .

فجلس الرفاق هناك في اجمل مجلس وتناولوا طعام الصباح . وقد جعل امين مجلسه بعيداً من مجلس صديقيه وفصل طعامه عن طعامهما . فكان هذا الشعور اللطيف منه يزيد صديقيه رغبة في محو ذلك الاثر من نفسه . ولكن واأسفاه ما الفائدة من محو ذلك الاثر من النفس ما دام بادياً في الوجه . فان اميناً كان في تلك الجمعية التي كانت تتمتع بالصحة والعافية في ذلك المكان المشرف على مناظر الجبال الجميلة والمعطر الهواء برائحة الصنوبر الطيبة ـ عبارة عن شبح وخيال . فان العلة الهائلة اكلت وشربت لحمه ودمه . والهزال افنى قواه واخمد نار عينيه وصبغ وجهه اللطيف بلون الموت . ولم يبقَ من قوة لتلك الروح الصبورة في ذلك الجسم النحيف الذي صار كاجسام الاولاد ـ سوى قوة الابتسام بشفتيه الرقيقتين تحت شاربيه الاشقرين الدقيقين اللذين صارا لا يظهران كثيراً لامتزاج لونهما بلون الوجه . فبالابتسام فقط كانت تظهر حياة امين وعواطفه وارادته . وكان يجود بالابتسام دائماً اظهاراً للقوة وايناساً لجلاسه . فهنا نقول مرة ثانية ايضاً : ما رأى الممرضون قط مريضاً شجاعاً صبوراً مثل الفتى امين . والعجب من نفس قوية صبورة كهذه النفس كيف استطاعت العلة ان تقوى عليها

وكان لا ينغص عيش سليم وكليم شيء في ذلك المكان الجميل سوى هذه الافكار التي كانت تتردد عليهما . ورغبة في طردها وتسلية المريض دخلا في الحديث معه . فقال كليم الا تذهب معنا الى الارز ايها الصديق . فضحك امين وقال انتَ ترى انني لا اقدر على الركوب من القرية الى هنا . فقال سليم . لا تبالغ فانك بخير والحمد لله وانك تستطيع الذهاب معنا الى الارز اذا أردته . ولك علينا اذا سرتَ معنا ان نريك « فرجة » لم ترها في حياتك . فقال امين وما هي . فقال سليم نريك مجنون ليلى . فقال امين ومن هو مجنون ليلى . فقال سليم هو رجل جنَّ من الحب . فصاح امين : لعلك تريد بهذا الرجل المسيو مخلوف . فدهش سليم وكليم وقالا : هل تعرفه . فقال امين هذا امر بسيط فان كل الناس هنا يعرفونه

في اعالي لبنان . وقد اشار عليهم اطباء بيروت ان يتخذوا الحدث محطة لهم اذا اعجبتهم لان هواءها اجف الاهويه ومنها يزورون كل الاماكن الجميلة التي بجوارها . وهذا ما جعلنا نتقدمهم وننتظرهم

فقال كليم اذاً لستم مرسلين اميركيين كما ظن اهل القرية . فضحك الترجمان وقال كلا . فقال كليم ومَن مِن رفاقك المصاب بداء الصدر . فضحك الترجمان ايضاً وقال لا اعرف احداً مصدوراً بينهم ولكن لون احدهم ضارب الى الاصفرار فحسبوه مصاباً او انهم ادعوا ذلك تأييداً لحجتهم . فضحك سليم وقال لا بأس نحن نحمد هذه الصدفة التي جعلتهم قريبين منا لاننا سنتعرف بالمستر « كلدن » ولا شك . فقال الترجمان وهل تحبون التعرف برجال بطانته . فاجاب سليم . ذلك ما نتمناه

وفي المساء زار سليم وكليم المسافرين الاميركان فاحسنوا استقبالهم وقد سروا لمصادفتهم اديبين مطلعين يحادثانهم بلغتهم حديثاً مفيداً عن المكان السكان . وفي اثناء الحديث سأل سليم احدهم : بلغنا من الترجمان ان مسز « كلدن » مريضة وهذا سبب سياحتها مع زوجها المكرم ولكن ما مرضها . فضحك المخاطب واجاب « مرض الوطن » فاستغرب سليم وكليم ذلك فقال صاحبهما : نعم انا اخبركم الآن شيئاً جديداً وهو يسركما ولا شك . فان مسز كلدن اصلها من بر الشام . ولم تنفك عن الاشتياق الى وطنها الاول . فجاء بها المستر كلدن في هذا العام لعل صحتها تعود اليها في هذه السياحة التي هي متعبة وان كانت جميلة

الفصل الخامس

قصة مجنون ليلى

وهل اخطات حبيبته ام اصابت في سفرها

وفي ذلك الليل نام كليم وسليم نوم الهناء بعد تعب السفر . ونهضا في صباح اليوم التالي نشيطين مسرورين . الا انهما شعرا قبل شروق الشمس بشيء من البرودة لم يتعوداه في اغسطس لقياسهما الجبل على السهل . لكن لما طلعت الشمس وما زجت ذرات نورها الحار ذرات الهواء البارد شعرا بارتياح شديد لم يشعرا بمثله في حياتهما كلها . ومنذ هذه الساعة بدأت الحدث تكون جميلة في عيونهما

بقول ليس من آداب الضيافة ان نمنع الاجانب من الاقامة في قريتنا والاّ سبّنا الناس حتى اهل القرى المجاورة · وكان في هذا الفريق صاحب المنزل نفسه · وفريق آخر كان يقول: نحن لا نُبعد هؤلاء الضيوف لانهم بروتستنت فقط بل لان فيهم رجلاً مسلولاً اذ تخاف على قريتنا من العدوى

فرفع حينئذ ابو مرعب صوته وقال مخاطباً الفريق الذي كان يقاوم : يا شباب هل هذا المنزل منزلكم · فاجابوا كلا · فقال وهل لصاحبه الحق في اقفاله او هدمه او تلعيب القرود فيه ام لا · فاجاب احدهم وكان اجراءهم · نعم له الحق في ذلك ولكنه ليس له الحق في ان يضع فيه شيئاً يضر باهل القرية كلهم · فقال ابو مرعب وقد بدا الغضب في وجهه · وماهو هذا الشيء يا ابن طنوس · فقال « المرض » (١) فصاح به الشهم ابو مرعب : هل انت بدون دين يا ابن طنوس حتى تضطهد وتطرد المرضى والضعفاء الذين اوصت ديانتنا بمساعدتهم وزيارتهم · ولماذا لم تطرد القرية اباك لما مات منذ سنتين بعلة الجذام

فسكت ابن طنوس ولكن شاباً بجانبه اجاب : هل الغريب كالقريب يا ابا مرعب · فقال ابو مرعب عافاك الله يا ابن سركيس فانك نطقتَ بالحق · فانتم اذاً تريدون اضطهاد هؤلاء الضيوف لانهم اجانب وبروتستنت لا لحفظ صحة القرية · فانا اخبركم انني الآن آخذهم الى بيتي وكلٌ من تحدثه نفسه بمنعي فليتبعني

ثم اندفع ابو مرعب الى البغال فاخذ باحدها ومشى في المقدمة يتبعه المسافرون وبجانبه كليم وسليم يعجبان من كرم اخلاق هذا القروي

اما المسافرون الاميركان فانهم كانوا في اثناء ذلك يضحكون وقد افهمهم ترجمانهم كل ما جرى فاجابوا يس يس اي انهم رضوا بالاقامة في منزل ابي مرعب · الاّ انهم لم يشكروه على ذلك شكراً خصوصياً لانهم لم يعرفوا قيمة العمل الذي عمله معهم ذلك الرجل الكريم

ولما استقرَّ بهم المقام في بيت ابي مرعب نادى سليم وكليم ترجمانهم وكان من تراجمة بيروت قدم معهم لهذا الغرض · وبعد ان تعرفوا به سأَلوه عن رفاقه وقصتهم فاخبرهم ان هؤلاء الثلاثة الاميركان هم من حواشي اميركي كبير قادم للسياحة في جهات الارز · فسأله سليم وما اسمه فاجاب الترجمان · اسمه « مستر كلدن » فصاح سليم مستر كلدن احد اغنياء اميركا العظام · فقال الترجمان نعم فان زوجته مريضة وقد حضر معها للسياحة

« ١ » متى قيل المرض على الاطلاق يعنون به هناك داء السل

اياهما في آخر العمر فريدين وحيدين في هذه الحياة · الا انهما مع حزنهما المتصل في السر كانا يظهران امام المريض كل سرور وبشاشة · وكذلك كان المريض امامهما · فانه كان عالماً بعلّته التي كانت تجره الى الموت شيئاً فشيئاً ولكنه كان يحتملها بلا ضجر ولا شكوى لئلا يزيد في عذاب الشيخين اللذين كانا يعتنيان به · ولم يرَ احد قط صبرًا على مرض كصبر هذا المريض الكريم وممرّضيه الشيخين

ولما دخل سليم وكايم عليه كان امين ممددًا في سريره لا يقوى على النهوض · فابتسم لهما مسلماً · اما هما فلم يقنعا بهذا الابتسام بل تقدّما منه ليصافحاه بهزّ اليد · فلما رآهما يمدان يديهما نحوه سحب يده واخفاها تحت اللحاف وقال لهما بدمع في عينيه : لا تتعباني بالسلام عليكما فانني في غاية الضعف · فنفرت الدموع حالاً الى عيني سليم وكايم لعلمهما ان ذلك المريض العزيز لم يخفِ يده الاّ فرارًا من ان يعديهما من دائه · فيا ايها المرضى الذين يشكون من فرار الناس منهم خوفاً من العدوى · ويا ايها المصابون بامراض مزمنة يقضون اوقاتهم بالتضجر والتألم والتحسر : تعلموا هذا الشعور اللطيف والصبر الجميل من هذا المريض الكريم ·

وما جلس كايم وسليم يستريحان بعد تعب الطريق حتى اشتدّت الضوضاء في القرية وعلا الصياح فهرعا كلاهما الى النافذة واطلاّ منها ثم قال كليم لامين : لم نفهم جيدًا سبب هذا الاضطراب · واذا بصاحب المنزل داخل · فسأله امين كيف انتهت المسالة يا ابا مرعب · فقال ابو مرعب حقاً انهم تجاوزوا الحدود · وقد عزمت ان اذهب وادعو اولئك الضيوف الى منزلي هذا وادعهم يقيمون في الجانب الآخر فما قولكم · فقال له امين احسنت يا ابا مرعب وهكذا فلتكن الشهامة · فقال ولكنني اريد ترجماناً بيني وبين الخواجات فهبّ سليم وكايم وقالا نحن نرافقك

وبعد خمس دقائق وصل ابو مرعب مع سليم وكايم الى المنزل الذي كان النزاع عليه فوجدوا حوله نحو عشرين رجلاً من اهل القرية وبضع نساء وعدة اولاد وامام المنزل ثلاثة بغال عليها حوائج السفر وبجانبها ثلاثة من الاميركان وترجمان وخادم

وكان ابو مرعب في نحو الخمسين من العمر وهو رجل كبير الجسم كثير السمن قوي العزم لا يهاب الموت اذا تمثل له في شخص انسان · وكان مشهورًا عنه انه حارب مع يوسف بك كرم وكان من اشد اعوانه حتى ان يوسف بك سماه « كلة مدفع » اشارة الى استدارة جسمه وقوته · فلما وصل ابو مرعب الى المتجمهرين دخل بينهم مع رفيقيه واستفهم منهم عن سبب الاضطراب والصياح · فعلم منهم ان ذلك الجمهور كان مقسوماً قسمين ففريق كان

يجوز · فاجاب جرجس · الحق اقول لك يا معلمي ان الاهالي لا يريدون تغيير مذهبهم الذي ربي عليه اباؤهم واجدادهم وهم يفدونه بدمائهم سواء كانوا في الكورة بناحيتنا او في الجبة بهذه الجهات · فاجاب سليم مازحاً · ولكن لماذا لا تصنعون انتم في نواحي الكورة ما يصنعه اهالي الجبة من طرد الاميركان فانكم قبلتموهم وقد فتحوا عندكم بضع مدارس · فاحتار جرجس في الجواب ثم قال · اهالي الكوره روم يامعلمي واهالي الجبة موارنه · فضحك سليم وكليم لانهما ادركا معنى كلام جرجس · وقال سليم انا ماروني يا جرجس وكن على ثقة انني اكره الاساءة حتى للمجوس · ولكنك قد جهلتَ السبب الحقيقي فاعلم ان لذلك اربعة اسباب (الاول) ان اهل الجبة احرص من اهل الكوره على استقلالهم وارسخ منهم قدماً في الدفاع عن حريتهم · وما برح اهل الجبال اشد استمساكاً بحريتهم المطلقة من اهل السهول · وهم يعتبرون مذهبهم الديني من جملة عواملهم وحاجاتهم الوطنية (والثاني) ان لرجال الدين عليهم سلطة عظمى خلافاً لرجال الدين في الكوره وذلك لما للهيئة البطريركية الدينية من النفوذ الخصوصي في سياسة الجبل (والثالث) ان فرنسا التي تحمي هذه السلطة الدينية يطيب لها ان تُبعد ما امكنها كل اجنبي يزوم مخالطة الاهالي واستمالتهم وعلى الخصوص البعثات الدينية الغير الفرنسوية (والرابع) ان الكورة تابعة لاسقفية طرابلس دينياً والروم والاميركان في طرابلس على شيء من الاتفاق · فكيف يستطيع اهل الكوره ان يعاندوا الاميركان ما دامت هيئتهم الدينية في طرابلس مسالمة لهم · — فقال كليم حينئذ وقد ضجر من هذا الكلام لله ما اصبرك على البحث في هذه الهنات

وفي هذا الحين وصل الجوادان الى المنزل الذي كانا يقصدانه في القرية وهو اعلى المنازل في الجنوب وآخرها · وكان اهل المنزل في النوافذ ينتظرون الضيفين ويشاهدون اضطراب الاهالي وصياحهم حول المنزل الذي تقدم ذكره

وكانت العائلة المضيّفة في هذا المنزل عائلة صديق لسليم وكليم يُدعى الخواجا امين وكان مريضاً وهي مؤلفة من امين المريض وابٍ له في السبعين من العمر وامّ في نحو الستين · وكان امين مريضاً بعلة الصدر المشهورة التي كثرت في سوريا ولبنان في هذا الزمان وهو شاب في الخامسة والعشرين من العمر انقضى عليه ثلاث سنوات بهذه العلة فلم ينجع بها دواء ولم يبقَ لها علاج عند الاطباء غير الاقامة في الهواء النقي الجاف في اعالي الجبال · وكان امين وحيد والديه الشيخين وقبلة آمالها ولكن المرض لا يعرف رحمة ولا يرعى حرمة · وكان ابواه في يأس شديد من حالته يبكيان الليل والنهار على وحيدهما الشاب الذاهب عنهما تاركاً

الفصل الرابع

الحدث

«احد اغنياء اميركا العظام فيها»

المذاهب والاديان · مريض لا اكرم منه · شهامة فروي · مرض الوطن

وطوى الفارسان بالحديث المسافة بين عين السنديانة والحدث · ولما وصلا الى هذه القرية دخلا اليها منقبضي الصدر لانهما كانا يعلّلان النفس بان يشاهدا في اعالي الجبل مناظر ابهى واجمل · وهذا شأن كل من يتصوّر شيئاً جميلاً قبل معرفته فانه قلما تكون صورته الحقيقية مساوية لصورته الخيالية خصوصاً اذا كان المتصور شديد الخيال · واشد الناس خيالاً وارقاهم تصوراً واسلمهم ذوقاً من لا يرى في صور الموجودات — مهما كانت عظيمة نفيسة — صورة تفوق او تساوي صورتها التي ارتسمت في خياله قبل ان يراها

وفي الحقيقة ان جمال الحدث لا يظهر للداخل اليها لاول مرة بل تجب الاقامة فيها يومين او ثلاثة لادراك محاسنها · فهي قرية صغيرة قائمة على قمة اكمة في جبة بشري مطلقة للهواء والنور من جهاتها الاربع · فيظهر ان الذين بنوها لم يرهبوا الزوابع والرياح والثلوج في تلك الاعالي ولذلك لم يخفو قريتهم في ظل اكمة مرتفعة كقرية «قنات» القريبة منها الى الجنوب الغربي ولا بنوها في سفح جبل كاهدن التي تقابلها في الشمال ولا في قلب وادٍ كحصرون في الشرق · بل هم قصدوا بها على ما يظهر مصادمة تلك العناصر الطبيعية في تلك الاعالي التي يعممها الثلج ويغطيها الضباب نصف سنة تقريباً · وهذا ما جعل هواءها اجود الاهوية واجفها واجتذب اليها المرضى للاستشفاء فصاروا يفضلونها على سواها

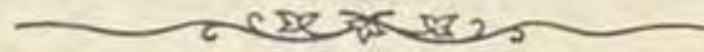
ولما دخل سليم وكليم الى القرية كان اهلها في هياج واضطراب وبعضهم يتراكضون الى منزل قائم فوق حرش صغير بجانب القرية الى الجنوب الغربي · فقال كليم ياجرجس استخبر لنا الخبر · فسأل جرجس احد الاهالي فاخبره ان بعض الاميركان يرومون استئجار بيت في القرية ولكن في الاهالي فريقاً لا يريد تأجيرهم لانهم بروتستنت يحثون الناس على ترك مذهبهم الماروني الى المذهب البروتستنتي · فضحك سليم لما علم بسبب هذا الاضطراب وقال لرفيقه : ان هذه الخلافات في المذاهب والاديان تتبعنا حتى اقاصي البلدان · ثم سأل سليم جرجس · ما رأيك ياجرجس في هذا هل يجوز لهم ذلك ام لا

المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حرم رسول الله وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسيناً وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الابل . اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار . ولا يزال يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا عمر فاتي بغلام فاجلس بين يديه . فقال جزاك الله خيراً عن الاسلام فقد احييت العدل بعد موته والنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فالحقوه بالصديقين . ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بني العباس فسكت . فقيل له هذا ابو العباس امير المؤمنين . قال : فبلغ امرنا الى بني هاشم . ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعاً » (١) فقيل له و بعدُ : فقال اين امويو الاندلس . فرفع اليه غلام . فقال له : ايه عبد الرحمن الداخل ذهبت تخرق خرقاً في الاسلام وتنشيء خلافة جديدة وسلطنة كبيرة لم تحسن انت وقومك الدفاع عنها . اذهبوا به الى النار . ثم قال اين الفاطميون . فرفع اليه غلام . فقال لقد الهتم امراءكم واضعفتم الاسلام بشقه شطرين . خذوهم . فقيل له و بعدُ . فقال بعدُ ماذا . فقيل آل عثمان . فالتفت يمنة و يسرة ومدّ لسانه وحك راسه وهمّ بالكلام . فصاح به صائح : باب السجن مفتوح . فضحك المعتوه وقال : اما بنو عثمان فاننا نؤجل الحكم عليهم . فضحك الجميع وانصرفوا

فقال سليم حقاً ان امر هذا الرجل غريب فانه مع جنونه يصف كل امير الوصف الذي ينطبق عليه كانه من ابصر الناس بالتاريخ . اما صاحبنا مخلوف فانني ارى من القسوة ان نتركه في هذه الحالة ولذلك عزمت على معالجته لعلي اردّ عليه صوابه



* ١ * الى هنا انتهت رواية العقد الفريد

فقال سليم يا للعجب وهل روحه في يده حتى يطلقها حين يريد . فقال كليم هذه قصة محزنة عن المجانين . وقد شهدت ايضاً حادثة اخري ولكنها مضحكة . الا انها تدل ايضاً على ذكاء هذه الطبقة التي اذا طمس الجنون عقلها فانه يبقي على نباهتها وحدة ذهنها . وتفصيل الخبر انني كنت ذات يوم ماراً بقرية القلمون الاسلامية الكائنة على شاطىء البحر تحت دير البلمند وقلحات فرأيت اجتماعاً عظيماً خارج القرية فسألت ما الخبر فعلمت ان هنالك معتوهاً يضحك الاهالي منه ويجوزون له ما لا يجوزونه لسواه . وكان هذا المعتوه « يجد » ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) . وكان يركب قصبة في كل جمعة يومي الاثنين والخميس . فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة . فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلاً وينادي باعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون . اليسوا في اعلى عليين . فيقولون نعم . قال هاتوا ابا بكر الصديق . فاخذ غلام فاجلس بين يديه . فيقول جزاك الله خيراً ابا بكر عن الرعية فقد عدلت وقمت بالقسط وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام في حسن الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة اذهبوا به الى اعلى عليين . ثم ينادي هاتوا عمر فاجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيراً ابا حفص عن الاسلام فقد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت في الرعية اذهبوا به الى اعلى عليين بحذاء ابي بكر . ثم يقول هاتوا عثمان . فاتي بغلام فاجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم . ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه في اعلى عليين . ثم يقول هاتوا علي ابن ابي طالب . فاجلس غلام بين يديه . فيقول جزاك الله عن الامة خيراً ابا الحسن فانت الوصي وولي النبي بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى اعلى عليين الفردوس . ثم يقول هاتوا معاوية فاجلس بين يديه صبي . فقال له انت القاتل عمار بن ياسر وخزيمه بن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الذي اخلقت وجهه العبادة . وانت الذي جعل الخلافة ملكاً واستأثر بالفيء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وانت اول من غير سنة رسول الله ونقض احكامه وقام بالبغي اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة . ثم قال هاتوا يزيد . فاجلس بين يديه غلام فقال له . . . انت الذي قتلت اهل الحرة وابحت

---

* ١ * كذلك هذه الحادثة منقولة عن العقد الفريد الجزء ٢ الصفحة ٣٢٩ حرفياً وهي مروية عن العتبي عن ابي عبد الرحمن بشر وقد حدثت في زمن المهدي

كأنما هو في حلٍّ ومرتحل   موكلٌ بفضاء الله يذرعه

ولما غاب عن بصرهما في منعطف المكان التفت سليم الى رفيقه وقال حقًا ان حالته حالة مؤثرة . وبعد ان تناولا الطعام واستراحا قليلاً ركبا وسارا في طريقهما مع جرجس . وكان كل واحد منهما يفكر في مخلوف . وبعد برهة دار بينهما الحديث على الطريق لان الطريق خير محرّك للحديث . فقال سليم هذه اول مرة ارى فيها محبًا جُنّ من حبه . فما احسن هذه الاخلاق الدمثة اللطيفة مع الجنون . فقال كليم اما انا فقد شاهدت مجانين عشاقًا قبل اليوم . وعندي قصة اشد تأثيرًا من قصتنا هذه . فانني منذ سنتين زرتُ في طريقي مع بعض الاصحاب دير قرحيًا حيث يُعزل بعض المجانين . فلما اشرفنا على مكانهم وجدنا احدهم منفردًا عن الباقين وهو جالس حزينًا ملوي الراس فقلنا « ان كان فهذا . فوقفنا به فسلمنا عليه فردّ السلام . فقلنا له ما تجد . فانشأ يقول

الله يعلم انني كمدُ   لا استطيع ابثُّ ما اجدُ
نفسان لي نفس تضمنها   بلدٌ واخرى حازها بلدُ
وارى القيامة ليس ينفعها   صبر وليس يفوقها جلدُ
واظن غائبتي كشاهدتي   فكأنها تجد الذي اجدُ

فقلت له احسنت والله . فاوماء الى شيء ليرمينا به وقال : امثلي يُقال له احسنت . فولينا عنه هاربين . فقال اسألكم بالله الا ما رجعتم حتى انشدكم . فان احسنت قلتم لي احسنت وان اسأت قلتم لي اسأت فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل . فانشأ يقول

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهمُ   ورحلوها وسارت بالدمى الابلُ
وقلبت من خلال السجف ناظرها   ترنو اليَّ ودمع العين منهملُ
وودعت ببنان عقده عنم   ناديت لا حملت رجلاك يا جملُ
ويلي من البين ما ذا حل بي وبها   من نازل البين حلَّ البينُ وارتحلوا
يا راحل العيس عرّج كي اودعهم   يا راحل العيس في ترحالك الاجلُ
اني على العهد لم انقض مودّتهم   يا ليت شعري بطول العهد ما فعلوا

فقلتُ له ماتوا . فصاح وقال . ماتوا ؟ وانا والله اموت . ثم تربّع وتمدّد فمات لساعته . فما برحنا حتى دفناه » (١)

☆ ١ ☆ ليست هذه الحادثة تصنيفًا من المؤلف فقد وردت في اخبار المجانين في العقد الفريد جزء ٣ صفحة ٢٤٥ نقلاً عن المبرد محمد بن يزيد النحوي وقد شهدها كما قال في خروجه من بغداد الى واسط في «دير هرقل» الذي كانت تحبس به المجانين . ولذلك وضعناها بين قوسين لانها منقولة حرفيًا

او طويلاً فانها تعود رغماً عن انفها · ولكنني لم اذكر لك الطريقة التي استعاد بها المستر «ارثور» حبيبته المذكورة · فانه قبل كل شيء ثبت على حبها ثبات الابطال · فكان لا يذكرها بكلمة سوء ولا يحكي قصتها لاحد · ثم كان يتظاهر باللطف والبشاشة دائما ولا يضر احدًا من الناس وينفعهم بقدر استطاعته · وكان على الخصوص يعتني بنفسه فيأ كل من الغذاء ما يكفيه ولا يتعب كثيرًا بالطواف في البلاد ويداري صحته ما امكنه · وبهذه الطرق صار رجلاً جميل المنظر لطيفًا محبوبًا من الناس · فما لبثت حبيبته ان عادت اليه تطلب منه الصفح عن هجرها اياه

وكان سليم يتكلم ومخلوف يفتكر · وقد اخذ العرق يقطر من جبينه فدلّ ذلك على ان نفسه كانت حينئذ في صراع شديد مع نفسها · ولما أتى سليم على آخر كلامه انهملت دموع مخلوف على خديه · فوضع رأسه بين يديه وصار يبكي بكاء شديدًا فاغرورقت حينئذ بالدمع عينا سليم وكليم · وازدادت دهشتهما من ان يوجد اليوم في الارض اخلاص كاخلاص هذا العاشق المجنون التعيس ·

ولما استغرق مخلوف في البكاء رام كليم تسليته من وجه آخر فقال له انت مصيب في بكائك يا مسيو مخلوف · فبارك الله في عواطفك الرقيقة وقلبك الحساس · انك ولا شك تبكي على جميع الازواج التعساء في العالم · انك تبكي على الزوج المسكين الذي يتزوج ويُرزق اولادًا من زوجته ومع ذلك يرى عين امرأته ناظرة الى سواه ـ الى شاب اغض منه شبابًا فتجعل حياته جحيماً دائماً انك تبكي على الزوج الذي يتزوج اليوم ثم تموت زوجته الفتاة الرطبة الجميلة بعد سنتين تاركة على ذراعيه طفلين يصيحان دائماً «يا اماه» بينما قلبه يصيح معهما يا «حبيبتي» ـ انك تبكي الزوج الذي يموت بعد زواجه بسنتين تاركاً ارملة فتاة وصغيرين لا معين لهما غير الله · انك تبكي الزوج الذي يرى عائلته تكبر شيئًا فشيئًا ـ كل سنة ولد ـ ويرى باب رزقه ضيقًا : فهذه الاحوال الاجتماعية جديرة يا مسيو مخلوف بدموعك · واذا كنتَ لم تتزوج بعدُ فاشكر الله لانك لم تقع في احدها

ولكن يظهر ان المسكين مخلوف لم يفهم معنى هذا الكلام او كأنه لم يسمعه لاشتغاله عنه بما كان يجول حينئذ في ضميره · فلما سكت كليم تحفز للنهوض فامسك به سليم وكليم ليشاركهما في الطعام فاعتذر ونهض · فحاولا اقناعه بالسفر معهما الى الحدث ومنها الى الارز · فلما سمع كلمة الارز قال لهما بهيئة جدية يضحك منها من يعرف جنونه انه مسافر بعد مدة للارز للسياحة هناك وانه سيقابلهما فيه · ثم تخلص منهما وودعهما باحناء راسه وسار في سبيله

يؤثر فيّ الحر ولا ضيق الصدر ولا التعب وانما هذه الجريدة الملعونة . فكيف تجيز لها السماء والارض ان تتركه وتذهب . هو يحبها كما يحب الهه . هو يطرح تحت قدميها اسمه وميراثه وشرفه لتتنازل وتاخذها وترضى فقط بالابتسامة له . ومع ذلك فانها تردّ هذه الهبات بقدميها وتفرُّ منه كالبرق وتختفي . فما هو جزاؤها يا ترى ؟ ! أليس القتل . والخنق . والحرق . والشنق . والدوس بالاقدام . والتقطيع قطعة قطعة

وكان مخلوف قد بلغ به الغضب عند هذه الكلمات مبلغاً عظيماً . فجحظت عيناه وانتفخت اوداجه وصعد الدم الى رأسه فكاد يخنقه وبدا الزبد على فمه كالجمل الهائج . فهال منظره سليماً وكليماً وعلما حينئذ انه قرأ في الجريدة الانكليزية هذه الحادثة فاذكرته حادثته . فتلافى سليم الامر رغبةً في تسكينه وتعزيته وقال . لقد نطقتَ بالحق فان تلك الفتاة تستحق اكثر مما ذكرتَ . ولكن هل قرأتَ ثمة حادثة مس "لنهيم" التي تشير اليها . فاجاب مخلوف وهو يلهث تعباً من اثر الهياج : لا . فماذا جرى لهذه الخبيثة بعد تركها حبيبها . فقال سليم . لقد لقيتْ عقابها . — فصاح مخلوف حينئذ وشرر الجنون واليأس تتطاير من عينيه « هل ماتت » فارتعدت فرائص سليم وكليم لذلك الصوت الذي حكى صوت وحش جُرح برصاصة . واجاب سليم . كلا كلا . فانه لا يموت احد الحبيبين اذا افترقا وخصوصاً اذا كان احدهما مظلوماً الا بعد اجتماعهما . فبهت مخلوف يتأمل قليلاً ثم قال : وكيف ذلك . فقال سليم روى فرفوريوس عن نيقوديموس عن افلاطون عن ارسطاطاليس ان كل نفس مظلومة لحبها نفساً اخرى لا تموت اذا ثبتت في حبها وصدقت قبل ان ترى النفس المحبوبة . ولذلك فكلُّ فتاة تهجر فتىً يحبها ويثبت الفتى على حبه لها تعود اليه ذليلة من تلقاء نفسها بعد ذلك وتستغفره عن ذنبها وتطلب اليه ان يشاركها في حياتها . وهكذا جرى لمس لنهيم التي قرأتَ في الجريدة حادثتها . فانها عادت بعد مدة ذليلة واستصفحت خطيبها

فهنا استوى مخلوف جاثياً على ركبتيه وابرقت عيناه برقاً غريباً وقال . واذا كان قد انقضى على غيبتها عدة سنوات

فادرك كليم في الحال ما قام في نفس ذلك المجنون التعيس فهمس في اذن رفيقه : انك تحاول نفعه بالامل ولكنك ستضرّه . فاجاب سليم وهل بعد الجنون من ضرر فانني الآن اجرب طريقة لاصلاح شأنه وتسكين جهازه العصبي الى حين

ولما سأله مخلوف السؤال الذي تقدم اجابه سليم بقوله : سواء كان الوقت قصيراً

جننا بليلى وهي جنّت بغيرنا   واخرى بنا مجنونة لا نريدها

ثم وقع على الارض واغمي عليه ·

فذعر حينئذ كليم وسليم · اما صاحب المحل فانه ركض مسرعاً وهو يضحك فنضح وجه ذلك الرجل المسكين وصدره بالماء · ثم التفت الى سليم وكليم وقال : لا تخافا فان هذا الرجل مجنون · بل هو نصف مجنون · وهو يصاب بهذه النوبة مرة كل يوم او كل يومين · فاشتد حزن سليم وكليم على حالة الرجل حينئذ وبادرا اليه يسعفانه بالمعالجة · وبينما كانا يفركان يديه بايديهما سألا صاحب المحل وما قصته واين بلاده فانه غريب عن لبنان على ما يظهر · فاجاب صاحب المحل · الذي سمعته انه غريب عن لبنان و يقال ان سبب جنونه حبه فتاة رام الاقتران بها فرفضت وهجرته · وهو من ذلك الحين يطوف البلاد على قدميه يأكل اذا وجد طعاماً ويصوم اذا لم يجد · واحياناً ينام تحت سقف منزل واحياناً تحت قبة السماء فهو شبيه برجل تائه على وجهه في البلاد · وكل الاهالي يعرفونه

فلما سمع سليم وكليم هذه القصة تأثرا تاثرًا شديدًا · ومما زاد تأثرهما امتزاج تعاسة الرجل بشيء غزَلي جميل لانه جُنّ بسبب الحب كما سمعا · فقال سليم لرفيقه : حقًا انني لما كنت أسمع كلام صاحب المحل خيل لي وانا افرك يد هذا المريض ان يدي تمس الآن يد مجنون ليلى او غيره من عشاق العرب المشهورين · ومن العجب ان يبقى اليوم في الارض اناس رقاق الشعور شديدو الانجذاب النفسي حتى انهم يجنون بسبب الحب مع ما هو معروف في هذا العصر من اندفاع تيار الشهوات الحيوانية التي تقتل ذلك الشعور الدقيق

فسأل كليم صاحب المحل وما اسم هذا الرجل التعيس · فاجاب ان الناس يسمونه مخلوف وفي هذه البرهة اختلج مخلوف اختلاجًا شديدًا وصار يصرخ صراخًا هائلاً ويخبط بيديه ورجليه · فامسكه بها الثلاثة الحاضرون لئلا يؤذي نفسه · وكان قد اجتمع عليهم بعض من الاولاد وهم يعجبون من دنو سليم وكليم منه لان اكثر العامة في اقطار الشام يخافون كثيرًا ممن يغمى عليه ذلك الاغماء لاعتقادهم ان فيه شيطانًا يسبب ذلك الاضطراب · وهم يسمون المغمى عليه « واقع في الساعه »

وبعد حين ارتخت اعضاء مخلوف وتنهد تنهدًا عميقًا ثم فتح عينيه وصار يضحك لمن حوله ضحكاً لطيفًا كضحك الاولاد · فقال له كليم كيف حالك الآن يا مسيو مخلوف · فاجاب مخلوف : حالي كما ترى · فقال سليم : هذا امر بسيط وكثيرًا ما يقع فيه الناس اما بسبب الحر او ضيق الصدر او التعب · فجلس مخلوف حينئذ وقد ظهر الغضب في وجهه وصاح : لم

رؤساء كرام يفهمونه وينبذون الاطماع جانباً . فلماذا لا يقوم اكابر الطوائف وافاضلها لمراقبة اوقاف الاديرة والاملاك الدينية مراقبة شديدة بواسطة مجالس دائمة خصوصية تُنشأ لهذا الغرض لانفاق دخلها الطائل في وجوه نافعة لمجموع الامة؟

الفصل الثالث

﴿ عين السنديانة ﴾

مجنون ليلى

وبقي سليم وكليم يتحادثان في هذا الموضوع حتى وصلا الى عين السنديانه وهي محطة يستريح فيها المسافرون في طريقهم الى اعالي الجبل . والمكان مؤلف من منزل اتخذه مستأجره حانوتاً يبيع فيه مواد الغذاء للمسافرين . وامامه دكة عالية قليلاً يجلس المسافرون عليها وبجانبها عين ينبع منها ماء بارد يشربه المسافرون بظماء ولذة بعد تعب الطريق وحرها

فنزل كليم وسليم للراحة وتناول الطعام . وبعد حين طلبا بيضاً مقلواً وجبناً وعنباً وجلسا يأكلان . واذا برجل قد دنا من احد الفرسين ومدّ يده الى الخرج الذي كان عليه واخرج منه جريدة انكليزية . فقال كليم لرفيقه . ما شاء الله ان صاحبنا يفعل بخرجنا ما يشاء « بدون تكليف » ثم نهض ودنا من الرجل وسأله . ماذا تريد . فعبس الرجل وقال . لا اريد شيئاً ولكنني احب ان اقراء

ثم انه ادار ظهره لكليم وجلس على طرف الدكة ونشر الجريدة الانكليزية وصار يقرأ فيها .

فاستغرب كليم وسليم أمر هذا الرجل . وكانت هيئته وثيابه مما يزيد الاستغراب . فانه كان في نحو الاربعين من عمره بلحية كثة وخطها الشيب وشعر وافر في رأسه يتدلى من تحت طربوشه القذر . وكان طويل القامة عريض العضل يلبس ثياباً قديمة قذرة ويمشي بحذاء ممزق . الا ان سحنته كانت تدلّ على الهدوء واللطف والسكينة

وبعد ان قرأ هذا الرجل بضعة اسطر في الجريدة رفع رأسه وضحك ضحكاً شديداً ثم قال : كلهن سواء . ثم التفت الى كليم وقال . اليس حقيقياً ما اقول . فقال كليم عن اي شيء تتكلم . فضحك الرجل ضحكاً اشد من ضحكته الاولى وقال وهو يهزّ رأسه طرباً

جرجس مسروراً : عافاك عافاك يا معلمي هكذا يجب الكلام عن آبائنا الرهبان . اما كليم فانه قهقه شديداً وقال لرفيقه : كفى تحلم كفى تحلم . فهم في واد وانت في واد . ومن كلامك يظهر انك لا تعرف ما هو الغرض من الدير فمسكين انت ايها الجاهل . معنى الدير عندهم اليوم ان يقيم فيه الرهبان يكررون صلوات مألوفة ويجمعون من الناس بحجة هذه الصلوات ما امكنهم جمعه من المال سواء كان نقوداً او اوقافاً ذات دخل عظيم . والسذج يبذلون بسخاء في هذا السبيل ابتغاء للثواب على ما يقولون . وهكذا بدل ان تكون هذه الديور ناشرة للثروة والخير في ما حولها من القرى صارت ممصاً للثروة لنفسها . وقد قلت ان اهل العلم عندنا مضطرون الى الافتكار بالمال قبل العلم والا تعذر عليهم الاشتغال به . فانا اخبرك ان اهل الدين - الذين وظيفتهم نذر الفقر كما ذكرت - صاروا ايضاً يفتكرون بالمال قبل الدين

فقال سليم : لا لست احلم بل انا انظر الى الدير كما يجب ان يكون وانت تنظر اليه كما جعلوه اليوم . وهذا اوضح دليل على ان كل شيء انما يصلح ويفسد تبعاً للطرق التي يُستعمل بها والاشخاص الذين يتولون استعمالها . وهذه مسألة المسائل في كل الشؤون حتى سياسة الامم . واست اظنك تزعم ان الديور كانت في القديم (واعني القرون الاولى لا القرون المتوسطة) على حالتها الحاضرة اليوم . فانها لو كانت كذلك لما قام لديانتها قائمة . وانما كانت الديور يومئذ عبارة عن انقطاع حقيقي الى الله للخلاص من حياة الاجتماع التي تجر الانسان احياناً الى ما لا يهواه . ولا عتب في ذلك على اولئك المتقدمين لانهم كانوا يومئذ في الطور الذي يُسمي « طور الايمان الحار » ولذلك يجب ان لا نلومهم لانقطاعهم عن الناس بقولنا انهم فعلوا ذلك مدفوعين بعامل الاثرة وحب الذات فان الرغبة في معيشة الانفراد الاشتراكية كائنة في طبيعة البشر خصوصاً الضعفاء منهم . ولكننا اذا كنا لا نلومهم اليوم فاننا لانحث الديور في هذا الزمن على ان تنسج على منوالهم بل نطلب ادخال تغيير على حالة الاديرة طبقاً للوصف الذي ذكرته آنفاً . فان الهيئة الاجتماعية قد تغيرت . والنفوس الدينية صارت كما يظهر من قولك لا تكتفي (بالايمان الحار) . فبناء عليه بطلت وظيفة الدير الاولى التي هي البعد عن البشر والانقطاع الى الله انقطاعاً حقيقياً وصار من الواجب ان يحل محل هذه الوظيفة وظيفة مساعدة الناس مادياً وادبياً كما وصفت ذلك آنفاً . والا فلامعنى لوجود الدير في هذا العصر . وانا على يقين ان هذا التغيير امر سهل وكثيرون من رجال الدين يرضون به لانه يحيي البلاد والعباد بثروات الاديرة والاوقاف الدينية . انما يشترط فيه وجود

لاهمَّ لها في الارض غير صنع الخير ومساعدة الضعفاء . وهذه الحالة تسوقهم بالطبع الى الاشتغال بالعلم والأدب وهنا مسألة المسائل الجديرة بكل اهتمام . هنا مفتاح ترقية العلوم والفنون والصناعات المختلفة . اذ ماذا يصنع الرهبان في كل اوقاتهم الطويلة . وباي شيء يقطعونها . هل من شيء يُقطع به الوقت (ما عدا صنع الخير) انفس من الاشتغال بالعلم والادب . وبذلك يكمّل الرهبان المنفردون في اديرتهم الجميلة نقصاً ظاهراً اليوم في هيئتنا الاجتماعية . انظر الى الحركة العلمية والادبية عندنا تجد انها مطلوبة للمال لا لذاتها . وبما ان طالبي العلم والأدب يهتمون بالمال اكثر من اهتمامهم بالعلم فالعلم يبقى بيننا قاصراً . ذلك لان العلم لا يتقدم ولا يترقى الا اذا امكن للمشتغلين به الانقطاع اليه انقطاعاً لا دخل لشهوة المال فيه . وهذا امر بعيد الحصول عندنا ما دام اصحاب الثروة لا يشتغلون بالعلم . فالرهبان اذاً عليهم سدّ هذا الفراغ لانهم قادرون على الانقطاع اليه اتم الانقطاع اذ كل حاجاتهم مضمونة عندهم . وفي وسع كل واحد منهم ان ينقطع الى علم او فن في عشرين سنة او اربعين فيرقيه اتم ترقية عندنا دون ان يحتاج شيئاً . وحينئذ تصبح الديور مصدراً لنهضة علمية جليلة ويصير كل واحد منها عبارة عن اكاذيمية كبيرة كل عضو من اعضائها عالم في فن وفي علم . ومجموع الاعضاء يتألف منه مجموع المعارف البشرية . والاختراعات والاكتشافات تتتابع من هذه الاكاذميات الجديدة لنشر الخيرات في الامة وتحسين شؤونها . فتكون هذه الديور مثالاً « للعلم » كما كانت مثالاً (للصلاح) في ما تقدم . وهي ما عدا ذلك تكون ايضاً مثالاً (للنظام) المطلق . فان معيشتها اشتراكية محضة . الكل اخوة متساوون قولاً وفعلاً . وليس احد فيهم يقول هذا لي لان كل شيء يكون بينهم مشتركاً . ولكنهم مع تساويهم هذا خاضعون لسلطة عليا خضوعاً تاماً بلا مراجعة ولا تردد لعلمهم انها لا تأمرهم الا بالخير وما فيه خير . ولذلك ترى اكبرهم واصغرهم يعفران رأسيهما بابتهاج وسرور تحت قدمي هذا النظام الذي انقذها واعطاها هذا الوسط الهادئ النقي — وهكذا بينما تكون الدنيا قائمة قاعدة بالاضطرابات والفتن والثورات بين كل الطبقات . بينما ترى روح الاستفراد العصري الذي ضرب به رنان بسوطه ضربات شديدة (١) يبذر بذور الشقاق في العالم حتى بين الأب وابنه والمرأة وزوجها لرغبة كل انسان في ان يعيش حراً على هواه — ترى الهدوء والنظام والخير عامة شاملة في الدير وما حوله من القرى . كانه صار قطعة من الجنان »

وهنا سكت سليم واخذ يمسح العرق عن جبينه لانه قد تحمس في اثناء وصفه . فصاح

« ١ » الجامعة السنة ٤ الجزء ٣ الصفحة ٨٧ السطر ٣

نتا ئم وجهاد في تحصيل الرزق والطمع يحكي جهاد الفاتحين · وقد احترم صاحب الشريعة الاسلامية هذه الحاجة لانه اوصى بالصوامع والرهبان خيرًا · وكذلك الخلفاء الراشدون · فضلاً عن ان التكايا التي انشأت بعد ذلك في انحاء العالم الاسلامي انما هي نوع من المعيشة الديرية ايضاً · وهذا يدل على ان هذه المعيشة الاشتراكية للزهد والانقطاع الى الله كانت حاجة من حاجات النفوس في كل الازمان

«اما النفع المادي فهو اعتبار الدير عبارة عن قوه ممدنة تستعمر الجهات التي يكون الدير قائمًا فيها · والديور انما تقام عادةً في القفار والجبال والقرى البعيدة · اي في الاماكن المحتاجة اشدّ احتياج الى تعمير واحياء · فتامل مقدار الخير الذي يستطيع ذلك الدير صنعه في تلك الجهات اذا جعل نفسه عبارة عن شركة عظيمة يجتمع حولها اهل القرى ليتلقوا منها طريقة زراعة الارض ويتعلموا صناعات جديدة ويعتمدوا عليها في جميع شؤونهم العملية اعتمادًا متبادل النفع بين الفريقين · فان الدير يصير في هذه الحالة عبارة عن مركز اعمال القرويين ومستشارهم في جميع اشغالهم · وكيف لا يحلو للمتامل ان ينظر ذلك الراهب الذي كان يصلي الى الله منذ مدة يأخذ معوله وفاسه ويقصد حقول القرية حيث يقابله اهلها كرسول العلم والثروة والمدنية بينهم ويسترشدون بارشاداته التي اكتسبها بالدرس والمطالعة والتي لا تصل الى هؤلاء القرويين بدونه · لا ريب ان هذا الامر يساوي عندي على الاقل خروجه من الدير وبيده الانجيل لعيادة مريض في القرية او تسلية حزين · ولست اعرف شيئًا في العالم يعادل نفعه نفع هذه الديور في التمدين والتعمير اذا سلكت باخلاص ونزاهة هذا السبيل

«هذا فيما يختص بالاشتراك الخارجي بين اهل الدير واهل القرى في تعمير الاراضي ونشر الخير والثروة حولهم · بقي هناك اشتراك آخر داخلي · وهو تعاون الافراد المجتمعين في ذلك الدير على جعل معيشتهم فيه عبارة عن مثال لارقى حكومة في الارض · فان اهل الدير قد ارتفع عنهم عند دخولهم اليه همّ تحصيل الرزق والطمع والجهاد في سبيله · وذلك مما يسكن النفس ويبقي قواها · ثم اضف الى ذلك الانفراد عن معارك الحياة تجد ان النفس تصفو في ذلك الانفراد عن كدوراتها اليومية وتتملص من كل اهوائها الفاسدة التي كانت تضغط عليها وتعذبها في حالة الاجتماع · وهكذا يصبح اهل الدير عبارة عن بشر فوق البشر لانهم خرجوا عن دائرة البشر · ويصير البشر في الاجتماع ينظرون اليهم نظرهم الى معلمين مرشدين موضوعين فوقهم · فكأنّ الانسانية في هؤلاء المنفردين قد تكررت وتصفّت وصارت انسانية جديدة

وبهذه النذور الثلاثة المشهورة تحرم الهيئة الاجتماعية فوات ضرورية · فبنذر الطاعة تضع ضميرها بين يدي الرئيس وما ادراك ما هو التنازل عن الضمير · فان ذلك يفني شخصية الانسان ويحقّر الانسانية فيه ويجعل تحت سلطة ذلك الرئيس جيشاً كثيفاً مطيعاً يؤثر اشد تاثير على الهيئة المدنية لفائدة الهيئة الدينية · وبنذر الفقر يحرم الانسان نفسه وغيره ثمار تعبه من خيرات الارض التي حُلل له التمتع بها · فيعيش ذليلاً وضعيفاً · وبنذر العفاف يجني على امته لان الامم يهمها تكثير النسل وهي لا تأْلو جهداً في الحث عليه بالطرق المحاللة · — فالنذور الثلاثة اذاً تعارض المدنية الحاضرة وتعاكسها · لا سيما وان هذه المدنية جلبت معها مبادىء جديدة مناقضة لمبادىء الهيئة الدينية كل المناقضة في كثير من شؤونها الاساسية

« والصورة الثانية للمعيشة الديرية ان ينقطع بعض البشر عن البشر لنفع روحي ومادي · اما النفع الروحي فلا يدركه حق الادراك الا كل من رمته عواصف الدهر بين معارك الحياة اليومية ورأى مافي هذه المعارك من الهمجية والخشونة والفظاعة · فهناك وااسفاه يكون البشر حيوانات وحشية لا بشراً · هناك الظفر والغلبة لا يكون بالاستقامة والفضل وشرف المبادىء والاخلاق · فان هذه الفضائل التي هي جميلة في المجتمعات الرسمية والنوادي الادبية تكون سبباً لضعف صاحبها في وسط تلك المعارك لا لقوّته · وانما يكون الظفر والغلبة للاكثر وقاحة والاكثر ظلماً والاكثر اعتداء والاكثر خداعاً · ولذلك قال رنان : ان الانسان لا يكون دائماً قوياً في الحياة الا متى كان يُظهر دائماً انه كان مغشوشاً في ماصنعه من الخطاء مع انه كان غاشاً · فماذا تصنع النفوس الحساسة اللطيفة التي جبلها الله لا تحب الغش والظلم والاعتداء حين وجودها في هذا الوَسط الهائل · هل تسلّم سلاحها خافضة جنح الفضيلة امام وقاحة الرذيلة وتقع في ميدان العراك في جملة الاسرى او القتلى ؟ ام تخلع عنها ثوب الفضائل السماوي الذي البستها اياه اليد الجميلة الابدية لترتدي بدله بثوب الظلم والاعتداء والغش والنهب والسلب وتصنع ما يصنعه غيرها ؟ وهل يجوز ان تبخل عليها الارض والسماء حينئذ بزاوية صغيرة في احدى زوايا الارض لتعيش فيها بامن وسلام دون ان تُضطر الى ذلك الانحدار وهذه الجناية

« ان هذه الزاوية هي الدير · فالدير وُجد لسد فراغ في نفوس فريق من البشر في الارض · وهو موجود قبل الديانة المسيحية بقرون عديدة لان انفراد بوذه وانصاره في جبال الهند نوع من المعيشة الديرية · وستبقى هذه الحاجة لازمة في الامم ما دام فيها ناموس

طريق . واخاف على افراسي لا على نفسي . وبالامس كان جارنا ابو يعقوب سائرًا قرب البلمند قادمًا من المدينة (يعني طرابلس)وكان الراكب على حمارته واحدًا من (السوقه) لا يحب الرهبان وكان يتهكم عليهم . فبركت الحمارة في الارض قرب الدير ولم تنهض حتى نذر ابو يعقوب للدير نصف الاجرة التي ياخذها من الراكب

فصاح كليم بصاحبه اسمعت قول الرجل ؟ هذه هي المبادىء التي يعلمها للشعب الرهبان الذين نسلمهم ارزاقنا وننفق على تسمينهم كالعجول

فقال سليم : هذه مسالة اخرى غير تلك فاننا لا نبحث الآن في هل هم قائمون بوظيفتهم التي وُجدوا لها ولكني اسألك هل تحبّ المعيشة في الدير اذا كان الدير قائمًا بحسب النظام الذي وُضع له للغرض الحقيقي الذي يجب ان يوضع له . فاجبتني انك تفضل على هذه المعيشة معيشة الانسان الذي يأكل من كسب يده

فقال كليم نعم هذا هو رأيي . لاني اكره الكسل والبطالة ولا استطيع اتصوّر اناسًا كالبعوض والبق والعلق والبراغيث يعلقون على جسم الهيئة ليمتصوا دماءها وهم قاعدون بلا عمل بحجة انهم يخلصون انفسهم ويصلون لغيرهم

فسكت سليم برهة يفتكر . ثم قال : كل من يسمع هذا الكلام يوافقك عليه لاول وهلة . ولكن لدى التأمل يظهر انك ظلمت المعيشة الديرية بهذا الوصف الذي لا ينطبق عليها الا اذا كانت بلا عمل ارضي ينفع كما قلتَ . قلتُ « ارضي » لانّ « السماوي » ليس من بحثنا الآن . وعندي ان معيشة الدير لها صورتان كل واحدة منها جميلة بحد ذاتها . ويطيب لي الآن في هذه الارض ارض الاديرة والرهبان ان ارسم معك هاتين الصورتين . واذا كان في الهواء الذي يحيط بنا اذان خفية تسمع ورامت ايقاف صوتنا فنحن باسم اله الحرية الساكن في هذه الجبال نقوى عليها . ذلك لانها لا تستطيع انكار اله الحرية اذ طالما استنجدت به في هذه الجبال . وبما ان الحرية واحدة لا تتجزاء ولا تنقسم ـ سواء كانت في الفعل او في القول ـ فمن الحق والعدل ان تخضع لهذا الاله بعد ان اخضعت له غيرها

« فالصورة الاولى للمعيشة الديرية هي ما ذكرتَ . بشرٌ ضعفاء من طبقات لا تقدر على كسب رزقها ينسدّ في وجهها باب الرزق في العالم وترهب معارك الحياة وتنازع البقاء فتطلب مكانًا تلتجىء اليه وتعيش فيه بامان . وهي للحصول على هذه المعيشة تتنازل عن اشرف واثمن ما لدى الانسان اريد حريته الشخصية . فتصبح آلة في يد الرئيس لا ارادة لها ولا قوة . ذلك انها تنذر اول كل شيء الطاعة العمياء . ثم الفقر . ثم ترك الزواج .

المعروف بدير «حنطوره» — وعلى موازاة الطريق الى اليسار تحت الدير يسمع الراكب هديرًا شديدًا ناشئًا عن مرور نهر ابي علي في واديه المقدّس منحدرًا الى طرابلس · وكلما صعد الراكب بين ذينك الجبلين على الحان النهر بين نسمات الصباح التي تداعب وجهه باردةً اكثر من هواء السهل يشعر ان جبل لبنان الحقيقي انما يبتدئ من هينا · وحينئذ يخطر في باله ان سكان هذا القسم من الجبل كانوا في كل الازمنة والعصور قذى في عيون الفاتحين · فان جبالهم كانت تحميهم اكثر من كل الحصون والمدافع · ولذلك كانت تلك الارض عبارة عن حَرَم الحرية المقدس · نعم ان هذا الحَرَم قد فُتح مرارًا وُلطّخ مرارًا ولكن الغلبة كانت دائمًا للمدافعين عنه · ذلك ان الطبيعة نفسها كانت تحارب معهم بين صفوفهم · وربَّ مائة رجل من اهله فقط لقوا بين تلك الآكام والوهاد عشرة آلاف جندي بمدافعهم دون ان يتركوا لهم سبيلاً اليهم — فثارت عواطف سليم وكليم وتصوراتهما لدى هذه الافكار وهذه المناظر الجميلة فاحسا انهما صاعدان الى عالم آخر غير هذا العالم · ويظهر ان نفسهما قد خفّت حينئذ ونشطت عما كانت فيه اوّلاً فنزلا عن جواديهما ليتلذذا بالسير على اقدامهما فوق تلك الارض الجديدة · وكان سرورهما بالمشي في تلك الساعة على تلك الارض المؤدية الى الاماكن التي تنطح السحاب ويعممها الضباب دائمًا يعادل سرور الاولاد حين انصرافهم من المدرسة الى نزهة خصوصيه

وبعد ربع ساعة كثرت العقبات في الطريق فعاد كليم وسليم الى جواديهما فنبههما جرجس ان ينحرفا على ظهر الجواد قليلاً الى امام في عقبة الصعود وينحرفا قليلاً الى وراء في عقبة النزول — فضحك سليم وقال هذا درس في «طريقة الركوب في العقبات» ثم اخذ الرفيقان يتحادثان لقطع الوقت بعد ان وجدا في المشي شيئًا من الراحة · ولا عجب فكما ان السكوت بعد الحركة فيه راحة كذلك الحركة بعد السكون ·

فقال سليم : ما رأيك ايها الصديق في الاقامة طول العمر في هذا الدير الجميل الذي شاهدناه · هل تعرف مكانًا اجمل من هذا المكان للراحة والسعادة

فقال كليم سؤالك هذا يذكرني سؤالاً آخر · يقول كتاب العرب ان الحواريين «الرسل» سألوا المسيح «من افضل منا · اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا» فاجاب «افضل منكم من يأكل من كسب يده» فالافضل والاجمل من الاقامة في هذا الدير الدخول في العالم والاكل من كسب اليد لان خبز الاحسان خبز دنيء كما قال روسو

فثار هنا جرجس وقال : ارجوك يا معلمي ان لا تجدف على الدير والرهبان · فاننا في

ومعيشتهم .رتبطة بحياتها. وهذا هو السبب في انه بينما كان سليم وكليم يخاطبانها بقولهم (يا الاهة الجمال التي عبدها الاقدمون . يا عروس كواكب السماء . يامضيّعة ابن رشد(١) ـ كان المكاري جرجس ينظر الى دليلته السماوية نظر المرؤوس الى رئيس له تربطه به مصالح ومنافع متبادلة لا لمجرد الاستحسان فقط . ولو مثلت الزهرة حينئذ فتاة كما كان يمثلها المتقدمون لشوهدت تبتسم للمكاري جرجس وتهتم به اشد من اهتمامها برفيقيه الحضريين الظريفين

الفصل الثاني

﴿ كلام عن الدير امام دير ﴾

عند كسبا . مدخل الجبل الحقيقي . صورتان للدير واحدة عليه وواحدة معه . النذور الثلاثة التي من اجلها اضطهد الفرنسويون رهبانيانهم . تغيير وظيفة الدير بعض الشيء تبعاً للعصر الجديد وجعلها للتعمير والتمدين

و بعد برهة اخذت ذرات الفجر تنتشر في الفضاء وصارت نجوم السماء تبهت خجلاً من سلطانة النهار القادمة على هودجها الناري ببهائها العادي . وقد طلعت الشمس لاصحابنا الثلاثة عند قرية كسبا حين دخولهم بين الجبلين في الطريق المؤدية الى اعالي لبنان (١) وان من لم تطلع عليه الشمس في ذلك المكان بعد السير اربع ساعات في ظلمة الليل لا يدرك اللذة التي شعر بها سليم وكليم حين استقبالها تلك الطريق الصاعدة . فقد كان عن يمينها جبل عال يمران بجانبه وعن يسارها جبل آخر عال بعيد عنهما . وعلى قمة هذا الجبل الشمالي بناء حوله اشجار باسقة ولكنها تظهر صغيرة لبعد المسافة والبناء بينها كانه عش طائر بني هناك في مأمن من الزوابع والعواصف . وفي الحقيقة انه كان عشاً يبنى للامن من العواصف ولكنه عش انساني بناه البشر الذين يحبون الانفراد عن معارك الاجتماع وعواصفه وهو الدير

(١) وجدوا في تلاخيص الفيلسوف ابن رشد في حياته هذه العبارة « ظهر ان الزهرة احد الالهة » فكان هذا القول من جملة الاسباب التي اتخذها حساده لنفيه والنقمة عليه . راجع ابن رشد وفلسفته الصفحة ١٧

* ١ * صارت المركبات اليوم تسير على طريق اهدن حتى بشري ولذلك انصرف اليها المسافرون عن هذه

فقال كليم بما اننا ذاهبون الآن الى الارز عن طريق الحدث وهي الطريق الغربية فاننا نعود منه عن الطريق الشرقية طريق اهدن . فسأل سليم اذاً لا نعود الى الحدث بعد مبارحتها ؟ فقال كليم كلا فان طريق اهدن مقابلة لطريق الحدث . فقال سليم اذاً يجب ان نقيم عشرة ايام في الحدث بدل الخمسة التي اتفقنا عليها وذلك اكراماً لصاحبنا فيها . فقال كليم سنرى ذلك بعد وصولنا . فقال سليم وكم يوماً عزمنا على الاقامة في الارز . فاجاب كليم بقدر ما تطيب لنا الاقامة . فقال سليم هل وزنت نفسك قبل السفر من طرابلس . فقال كليم نعم فكانت زنتي ٦١ اقه . وانت . فقال سليم انا وزنتُ نفسي قبل سفري من بيروت فكانت زنتي ٥٩ اقه : فقال كليم هازًا رأسه . كانما وزننا وزن طيور لرقة اجسامنا . فقال سليم ضاحكاً لا تعبِ الرقيق ولا تستضعفه فالرعود والصواعق لا تنشاء الا عن رقيق السحاب . فقال كليم لا ريب عندي انك بعد نزولك من الارز تتغير رأيك فتمدح السمان لا الرقاق لان كل واحد منا سيزيد على الاقل ٥ اقات .

وبعد نصف ساعة انقضى في سكوت تام لان كل واحد من الرفقاء الثلاثة كان يناجي نفسه واذا بجرجس يصيح ملء صوته : الحمد لله . فقال كليم ماذا فقال جرجس طلعت النجمة فالتفت كليم وسليم الى جهة الشرق وكانت امامهما فابصرا « الزهرة » في طرف المشرق من وراء الجبال تتهادى بجمالها الفتان ونورها الباهر تتيه به على جميع النجوم الزواهر التي كانت تزين حينئذ قبة الفلك الدائر . فصاح كليم وسليم لدى هذا المنظر الفخيم : تبارك الخالق . تبارك الخالق . اما جرجس فانه رفع يديه نحو رفيقته في اسفاره وقال « هلّيك ومستهلّيك جعلك علينا يوماً مباركاً » فنسي لفرحه ان هذا الكلام يُقال للهلال حين ظهوره في اول الشهر لا لنجم الصباح . ولكن ما الذي يمنع جرجس ان يقول لرفيقته المحبوبة ما يُقال للهلال عادة هل هو افضل منها . كلا . لانها تهدي في آخر الليل كما يهدي الهلال في أوّله . واذا كان لاحدهما مزية على الآخر فالمزية (للنجمة) الجميلة . ذلك لان صحبة الهلال تنتهي بالاستياء منه لافوله ويبقى المسافر حزيناً بعده لما يجده من الوحشة اما صحبة (الزهرة) فتنتهي بالسرور لانها رسول الصباح ومقدمة النور . وكل الذين عانوا مشاق السفر في الظلام في ليالي البرد والمطر والريح واخطار الطريق يعرفون قدر (الزهرة) متى طلعت تبشر بدنو الشمس التي تنعش وتدفىء والنهار الذي يبعد الاخطار . فهي عندهم رسول الامل وابتسامة الطمأنينة وعهد من الخالق على نفسه ان لا يجعل ظلام الليل ظلاماً ابدياً . فهي اذاً عندهم حاجة وضرورة لا مسرّة يُلهى بها وتُفرّج النفس بمشاهدتها . ولذلك كانت حياتهم

يـا دوم عيني يا دوم　　تعذبني وتقول اليوم

يا طير ياللي طاير　　يا للي اسمك عبد الله
بوسه مابيحصل منك(١)　　ياللي ما تخاف من الله

يا طير فاينك طاير　　قاعد براس الزعروره
جيب من حبي علامه　　الله يخلي هـا الصورة

ولما سئم الفارسان صوت مكاريهما أخذا في الحديث . فقال كليم انني اشعر بان جوادي صار بعد الغناء انشط مما كان قبله فهل تظن ذلك لانه طرب لصوت صاحبه . فقال سليم دع المزاح جانباً فانني انا نفسي صرت اشعر بشيء من النشاط وذهب عني النعاس تقريبـاً بعد سماعي هذا الغناء . ولا شك ان ذلك من تأثير الشعر علي فقال كليم وهل اعجبك هذا الغناء . فقال سليم ان الأمر الذي ادهشني في هذا الغناء رقته وتجرّده من الاقوال الباردة التي تخدش الأدب . وظاهرٌ ان هذا الغناء غناءٌ عامي وهو من ملاهي الطبقات الضعيفة . فاقتصاره على وصف العواطف الحبية بكلام رقيق ادبي خالٍ من الالفاظ القبيحة والتلميحات الفظيعـة دليل مدهش على ارتقاء الاداب هنا بين العامة وصلاح نفوسها . لانك تعلم ان الاناشيد العامية قد تكون افضل دليل على اخلاق الامم . وحقاً ان من يسيح في اقطار العالم ويشاهد قبائح بعض طبقات العامة فيه ثم يعود الى بلاد كهذه البلاد ويسمع اناشيد كهذه الاناشيد يفضّل آداب هؤلاء السذج على آداب كثير من عامة الغربيين المتمدنين

وكان الجوادان قد قطعا عند هذا الكلام قرية فيع وانحدرا في سهل بطرام . فالتفت كليم الى المكاري وصاح : يا جرجس لم تطلع نجمة الصبح بعد . فاجاب جرجس وهو يحك رأسه باظافره : ستطلع قريباً يا معلّمي . ثم لطم كفل الجواد بيده صارخاً ديه . ديه . فقال سليم ان سوقك الجواد يركضه هو اما نجمة الصبح فتبقى في مكانها دون ان تركض فركّضها هي اذا قدرت . فتنهد جرجس هذه المرة . ولا شك انه قال حينئذ في نفسه شيئاً لا يحلو للرفيقين .

وبعد سكوت خمس دقائق التفت كليم الى سليم وسأله على اي شيء عزمنا الآن في سفرنا هذا . هل نذهب الى اهدن لمشاهدة اصحابنا فيها ام لا . فقال سليم الأمر اليك

(١) هذا على ما نظن اقصى حد في الخلاعة يصل اليه هذا الغناء العامي هناك

وتملكوا هناك « بتعاشر الغير وتنساني انا » نعم قد عاشروا الامير كثيرين وامتزجوا بهم وكثيرون منهم نسوا بلادهم وتجنسوا بغير جنسيتهم · فيا ايها الشاعر العامي الذي كُشف له الغطاء عن المستقبل قبل وقوعه انك شاعر عظيم وان كنت لا تعرف القراءة والكتابة

وفي خلال تبادل هذه الافكار بين سليم وكليم كان جرجس يجدُّ في الانشاد في هدوء ذلك الليل فيدوي صوته دويًا

يا ظريف الطول يا سنّ الضحوك يا مربى الدلال بحضن امك وابوك
جاني خبر يا حبيبي خطبوك تخطب يا عيني وتتزوج بالهنا

ميجانا عليجانا عليجانا يا حبائب لا تغيبوا جيت انا

واقفة بالباب والباب صغيّار تنظرلي بعينها وصرت انا محيّار
وياللي مفارق حبيبو كيف حالو صار ما حد فارق حبيبو غيري انا

وكأنَّ جرجس سئم هذا القدّ بعد دورين فدخل باعلى صوته في القدّ الآتي الذي يحلو لحنه على الخصوص في هدوء الليل

هلولولو ليا هلولولو ليا عيني يامو ليّا يا نائمين انهضوا جتكم حراميّا

وتقولي صابوني وتقولي صابوبي مروا عليّ العدى وبالعين صابوني
ولو قطعوني شقف كالواح صابوني ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيّ

هلولوليا هلولولوليا عيني يا لابنيّة يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيّا

ومن هون لارض الدير ومن هون لارض الدير السرّ اللي بيننا ايش وصّلو للغير
وان كان ما فيه ورق لاكتب على جناح الطير وان كان ما فيه حبر بدموع عينيّ

وتحوشي بالكمره وتحوشي بالكمره يا خدود بنت لكم يازهرة الحمرا
وان عيروني وقالوا محبوبتك سمرا سمره تشيل الحمل قنطار وشويّا

هلولوليا هلولولوليا عيني يا لابنية يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيا

والبنت تقول لامها يا امي ظلمتيني اول عريس طلب ليش ما عطيتيني
وثاني عريس اللي طلب دينو على ديني وثالث عريس اللي اجا يانور عينيّ

ثم انتقل الى القدّ الآتي

فتثاءب سليم وقال اف لاجل هذا اشعر بنعاس شديد وا كاد انام على ظهر الجواد ولما رأى صاحبنا جرجس ان الحديث لا يطول بينه وبين رفيقيه بل هما يتحادثان معاً لوحدهما رأى ان يسلي نفسه بنفسه . وكان الجو صافياً كانه مرآة الغريبة والنجوم تسطع فيه كمصابيح بعيدة معلقة في قبة الفلك فلا تكاد تنير طريق الجوادين في سيرهما . ولكن الجوادين كانا قد اعتادا السير في ظلام الليل ولذلك كانا يبصران الطريق المخططة كانهما في نهار . وهذا ما جعل الفارسين يعجبان له . وكان الهواء يهب في خلال نور النجوم الضئيل بارداً ضعيفاً فينشرح الصدر وينعش الفؤاد . وتلك الطبيعة القروية الساذجة كانت ساكنة هادئة كانها تستريح تحت جنح الليل من عناء النهار . فاثار هذا المنظر الجميل في نفس جرجس عاطفة الجمال الكامنة فيها فاندفع ينشد الاناشيد التي يعرفها . فهل درى حينئذ ذلك القروي الجاهل الساذج انه بعمله دلّ على ان نفسه كانت في تلك البرهة ارقى من نفسي رفيقيه الحضريين . ان نفسه لدى مناظر الليل البهية ثارت على غير علم منها واندفعت تترجم بالغناء والنشيد عما كان يختلج فيها حينئذ من عاطفة الجمال بسبب تلك المناظر . واما نفسا رفيقيه الحضريين فقد كانتا مشغولتين بالتثاؤب والنعاس عن الجمال الذي كان يحيط بهما . فلا ريب ان ذلك كان من افضل الادلة على ان النفس الاولى ربيت في احضان الطبيعة قليلة الحاجات قوية على كل متاعب الحياة . والنفسان الاخريان ربيتا ضعيفتين بين جدران المدن لا تستطيعان مقاومة سلطان ضعيف كسلطان النعاس الذي هو — لمن نام ساعتين او ثلاثاً — اخف الحاجات الطبيعية

ولما اخذ جرجس في الانشاد اصغى اليه كليم وسليم . وقال كليم اسمع اغاني الجبل . وكان جرجس ينشد

حنيّانا يا حنيانا يا حنيانا   يا قمر سلّم على غيابنا

فضحك كليم وقال « من سوء الحظ ان القمر غائب ايضاً »، فضحك سليم لهذه الحاشية . اما جرجس فانه كان مستمراً في الانشاد

ياظريف الطول وقّف تقولك   رايح عالغربه وبلادك احسن لك
خايف يامحبوب تروح وتتملّك   بتعاشر الغير وتنساني انا

فهنا التفت سليم الى جرجس وصاح به : ما هذا ما هذا الغناء اعده . فاعاده جرجس فتنهد سليم وقال لله درّ قائل هذين البيتين فكأنه خرق بنظره حجاب الغيب وتنبأ عما يكون من المهاجرة الى اميركا — « خايف يا محبوب تروح وتتملك » نعم قد راح المحبوبون

يا رايح الى فيع دبدب لا تضيع
يابسين قلحات احسن من شيخ فيع

وكان بين اولاد فيع ابن شيخ فيع نفسه فاغتاظ لاهانة ابيه فركض الى شجرة توت قريبة فتسلقها وقصف منها غصناً ثم اندفع نحو اولادنا بينما كان رفاقه يتغنون بغنائهم

يا رايح الى قلعات تمتلي منها .. اط
يابسين فيع احسن من شيخ قلعات

ولما وصل ابن شيخ فيع الى اولادنا امسكوه (ونزلوا فيه) ضرباً فاسرع رفاقه الى نجدته فدار الضرب بين الفريقين فجرح منهما بضعة اولاد . فركض حينئذ احد اولادنا ووقف فوق القرية وصاح ان اهل فيع قتلوا اولادنا . فهبّ كثيرون من الرجال الى محل الحادثة . وكذلك ركض احد اولاد فيع وابلغ اهلها مثل ذلك الخبر فاسرع بعض رجالها ايضاً . ولما التقى الفريقان في محل الحادثة دار الضرب بين الكبار بعد ان كان بين الصغار ولو لم يحضر "الآغا" مع نفرين لاشتبك القتال بين اهل القريتين جميعاً . ـ ولذلك لا نقدر ان نمرّ الآن بجانب فيع لئلا يتحرشوا بنا كما انهم هم ايضاً لا ينفردون للمرور بجانب قريتنا

وكان الجوادان قد صعدا في ذلك الحين من وادي قلحاط وجانبا قرية فيع . ذلك ان قرية قلحات كائنة على اكمة منخفضة بين واديين من اشجار السنديان واحد من جهة الشرق وواحد من جهة الغرب . وهي على مسافة ربع ساعة من دير البلمند المشهور المشرف من جبله العالي على مدينة طرابلس الشام . وهواء هذه القرية جاف نقي لانها واقعة بين حرشين من السنديان كما تقدَّم

وقطع سليم وكايم الطريق حتى فوق فيع دون ان يطلع نجم الصباح الذي وُعدا بطلوعه قريباً . فقال كايم لجرجس : لم تطلع نجمة الصبح بعدُ ياجرجس . فاجاب جرجس ستطلع قريباً . فضحك كايم وقال لرفيقه : يظهر ان صاحبنا "عملها معنا" . فقال سليم واي شيء عمل . فقال كايم : للمكارين عادة وهي انك اذا طلبتَ من احدهم السفر في الغد قبل طلوع نجم الصبح بنصف ساعة يجيئك قبل طلوعها بساعتين ويقول لك انها ستطلع بعد ربع ساعة . وهكذا تركب معه في ظلمة الليل وتقطع الطريق كلها وتصل الى مكان قصدك قبل ان تطلع نجمة الصباح . وبذلك يكفي نفسه ودابته عذاب الحرّ في اثناء الطريق . فالظاهر انه صنع معنا ما يصنعه غيره مع غيرنا . وربما وصلنا الى الجل قبل ان تطلع الشمس مع ان بيننا وبينه نحو خمس ساعات .

نا أكل بعضنا بعضاً احياناً ولكننا نفعل ذلك حين الحاجة فقط قياماً بسد عوزنا . اما انتم فمع كونكم ذوي عقول تعقل ونفوس تدرك فانكم تأكلون بعضكم بعضاً بحاجة ومن غير حاجة . وكثيراً ما يكون ذلك ارضاء لكبريائكم فقط لا لضرورة : ولذلك قال احد حكمائكم (١) ياوحوش البرّ وافاعي الغابات خذيني اليكِ آكل من طعامك واشرب من مائك لا تخلص من صحبة الانسان

فقهقه كليم هنا وقال نعم هذا خير ما يُعتذر به عن طياشة ذلك الطوّير المطرب

وكأنّ المكاري ضجر من هذه اللغة التي لم يكن يفهم منها شيئاً فتحول ضجره الى غضب على جواده فصاح به باعلى صوته « ديه سوّق . . » وهمَّ باتمام عبارته . فصاح به كليم اياك ان تكملها ياجرجس . فقال جرجس وما هذا يا معلمي . فقال كليم انت فهمت كلامي بلا تفسير

فسأل سليم كليماً وما معني كلامك . فاجاب كليم باللغة الانكليزية : هي نادرة مضحكة تحدث بين بعض هؤلاء المكارين والعائلات المدنية التي تصيّف في قراهم . فانهم يسمون هذه العائلات « سَوْقه » وحينما يرومون التهكم عليهم في الطريق يقول احدهم لرفيقه « سوق يا اخي سوق يلعن ها لسوقه » يُظهر انه غير راضٍ عن سير الدواب والحقيقة ان مراده « سب » « السوقة » في وجوههم دون ان يدروا بذلك

فضحك سليم وقال : يظهر ان صاحبنا غير راضٍ عنا حتى رام اهانتنا . والذنب في ذلك ذنبنا لاننا لم نهتمّ بملاطفته لنستميله الينا . ثم التفت سليم الى جرجس ليفاتحه بالحديث فقال

— لماذا سرتَ بنا يا جرجس على هذه الطريق من الوادي . خذنا من فوق عن طريق « فيع »

فقال جرجس لا يا معلمي لا نستطيع الآن المرور عن طريق فيع لحدوث خصام شديد بين قريتنا واهالي تلك القرية منذ يومين

فقال سليم نعم سمعنا بهذا الخصام ويقال ان قد جُرح رجلان واسقطت امرأة في اثنائه فما سببه

فقال جرجس . سببه يا معلمي خصام بين اولاد فيع واولاد قلحات . فقد كان خمسة اولاد من اولاد فيع يلعبون بازاء حقول العنب الكائنة بين القريتين ويأكلون من العنب بلا حق فاسرع اليهم ثلاثة من اولادنا لردعهم عن الاعتداء على رزقنا ففرَّ اولاد فيع ووقفوا بعيداً فصار اولادنا يتغنون بغناء قديم عندهم وهو

---

(١) لابرويير

له هلمَّ نركب يا سليم فان مطيتينا حاضرتان ولنلبس ملابسنا اولاً

وبعد ثلث ساعة كان كليم وسليم على جوادين قويين سائرين في صفاء الليل تحت اشعة النجوم الضئيلة ولا انيس لهما غير المكاري يسير وراءهما وهو تارة يحدو فرسيه بكلام مشجع وتارة يزجرها لانهما صدما حجرًا في طريقهما · ولم يكن يُسمع في ذلك الهدوء ما عدا وقع حوافر الجوادين وصوت المكاري سوى اصوات الحشرات الصغيرة التي تنتشر في لبنان على اشجار الزيتون والتوت وتنشد في الليل والنهار اناشيد متواصلة

ويظهر ان جفون كليم وسليم كانت لا تزال مثقلة بالنعاس لانهما كانا يتثاءبان من حين الى حين · فرغبة في طرد النعاس ابتدأ كليم قائلاً : اسمع ياصاح اصوات هذه الحشرات الصغيرة التي تهكم عليها لافونتين تهكمًا شديدًا (١) حقًا انه ظلمها بهذ التهكم ترى ما عساها كانت تجيبه لو درت بتهكمه

فتثاءب سليم وقال : لا ريب انها كانت تجيبه جوابًا جميلاً · فانها تقول له « ليس بالخبز وحده تحيي الكائنات الحية بل الحياة الحقيقية هي الحياة الروحية · وحياة الروح عندهذه الحشرات نشيدها المستمر الدال على انها في حالة الانبساط والراحة · ولو خُيرت في ايهما احب اليها · ففقدانها هذه الحياة الروحية التي هي فطرتها وطبيعتها ام فقدانها الخبز اليومي الذي هو حياتها البدنية فانها لا شك تختار فقدان هذه الحياة على تلك · وما الذنب في ذلك ذنبها لانها هكذا صُنعت وهكذا فُطرت · ومع ذلك فان لافونتين لم يقدر على قهرها بتهكمه في ذلك المثل الا لانه قاس معيشتها على معيشة البشر و بذلك جاءت حجته قوية · ولكنه لو امعن النظر لرأى ان هذا الحيوان الصغير لا يحتاج الي القوت بعد مرور ايام الحصاد حتى في اشد اوقات الشتاء · فان قطرة من قطرات المطر كافية لشربه · وورقة واحدة من اوراق الشجر كافية لايوائه وتدفئته · واقلّ حشرة صغيرة او دودة حقيرة كافية لتغذيته · ولو عقل هذا الحيوان لاجاب ذلك الشاعر : عندنا في الطبيعة ليس من حيوان ولا نبات يحتاج الى قوت ويبيت بلا غذاء · فان فظائع كهذه الفظائع لا تحدث الا بين البشر في الاجتماع · نعم نحن

« 1 » La cigale et la fourmie (الجُدجُد والنملة) قصة الجدجد والنملة مشهورة وخلاصتها ان تلك الحشرة التي تصرف اوقاتها في الغناء جاءت في الشتاء الى النملة وطلبت منها ان تقرضها شيئًا من القوت حتى يمضي فصل الشتاء · فاجابتها النملة ولكن ماذا كنت تصنعين في الصيف في ايام الحصاد ولماذا لم تذخرين شيئًا لهذا اليوم العصيب · فاجابتها الحشرة · في ايام الحصاد كنت اغني · فضحكت النملة واجابت : كنت تغنين يومئذ · اذًا فارقصي الآن · ــ وقد اراد لافونتين بهذا المثل البديع اظهار وجوب التدبير والاذخار لاوقات الضيق

الفصل الأوّل

﴿ على طريق الجبل ﴾

طرق الارز · سفر سليم وكليم · الشاعر لافونتين والجد جد اللبناني · نادرة عن المكاربن والسوقة فبع وقلحات وما يقوم بينهما من الخصام · نفس الحضري ونفس القروي · بعض اغاني لبنانية · نجمة الصباح رفيقة المكاربن المحبوبة

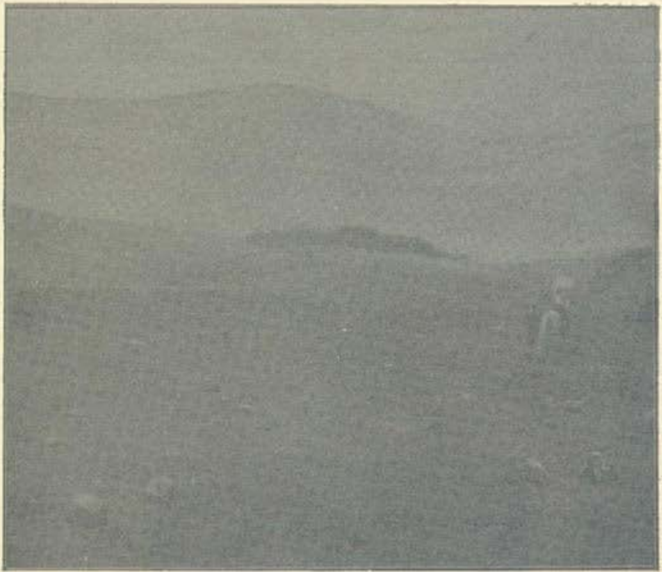
أشهر الطرق من البحر الى (ارز لبنان) طريقان · واحدة عن طريق اهدن فبشري · او الحدث فحصرون فبشري ـ وهي من امام الارز · وواحدة عن طريق بعلبك من وراء الجبال الشامخة المحيطة بهذا الحرش · والطريق الاولى طريق الثغور من طرابلس حتى البترون · والطريق الثانية طريق السياح الذين يصعدون من بيروت الى بعلبك لمشاهدة آثارها ثم يعطفون منها الى الارز لمشاهدة آثاره الجميلة الطبيعية بعد مشاهدة آثار بعلبك الصناعية ·

ففي ليلة ٨ اغسطس من السنة التي نكتب تاريخ حوادثها هنا قرع مكارٍ في آخر الليل باب غرفة عالية كائنة في غربي قرية قلحات فوق طرابلس الشام وهو ينادي ياخواجه كليم ياخواجه كليم · فدوى صوته في القرية في صفاء ذلك الليل دويًا هرت له الكلاب التي كانت راقدة في الشارع قرب تلك الغرفة فساعد هريرها على تنبيه النائمين فيها · ولذلك لم يلبث ان فُتح الباب واطل منه الخواجه كليم وهو يفرك عينيه ويقول : هل ظهر نجم الصباح ياجرجس · فاجابه المكاري اظنه سيظهر بعد نصف ساعة على الكثير والارجح ان الشمس تشرق لنا عند بطرام · فقال كليم فلنعجل اذًا فاننا نروم الوصول الى الجبل قبل اضطرام وطيسها فرارًا من الحر

وحينئذ التفت كليم لينبه رفيقًا له كان نائمًا معه في الغرفة فوجده واقفًا وراءه · فقال



الوحش الوحش الوحش



ارز لبنان

منظر الارز من بعيد وفوقه الجبال وامامه السياح يقصدونه

حرش الارز ظاهر في الوسط



(هذان الرسمان منقولان عن صورتين فوتوغرافيتين مصورتين في العام الماضي)

ثمن النسخة الواحدة فرنكان واجرة البوسطة غرش صاغ

الوحش الوحش الوحش

او

سياحة في ارز لبنان

بقالب رواية فلسفية اجتماعية ادبية

﴿ تأليف ﴾

فرح انطون

منشئ مجلة (الجامعة)



﴿ منظر شجرة الارز ﴾

اكبر اشجار الارز مصغرة مئات مرات

الاسكندرية في ١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣

الجزء ٦ و٧ و٨ الجامعة السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ الجزء السادس ـ سنة ١٩٠٣ م ـ سنة ١٣٢١ هـ



رنان في آخر عمره

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف رنان

« الاحتفال في الشهر السابق بنصب تمثاله في فرنسا »

مثال الفيلسوف الكامل

لم نكد نفرغ في الجزء السابق من تفصيل الاحتفال بنصب تمثال الفيلسوف جول سيمون حتى قامت الضجة في فرنسا لنصب تمثال الفيلسوف ارنست رنان في بلدة «تريجيه» مسقط رأسه(١)وقد ذكرت الشركات البرقية هذا الحادث في حينه ليس فقط لسمو منزلة الرجل بل لان ناصبي التمثال جعلوا له معنىً خصوصياً خيف ان يحدث بسببه اضطراب في بريطانيا · واليك البيان

من المشهور ان مقاطعات بريطانيا الفرنسوية شديدة التمسك بالتقاليد الدينية القديمة · وقد ولد رنان فيها في بلدة «تريجيه» التي تقدم ذكرها · ولا يزال منزله فيها كعبة يحجُّ اليها الاوروبيون والاميركيون ليشاهدوا الجدران التي تحركت ضمنها روح افلاطون المتأخرين وكبير حكماء الفلسفة الادبية والدينية في العالم · فبسبب ما قام في فرنسا بين الحزب الجمهوري والحزب الاكليريكي في العامين الماضيين وانتصار البريطانيين للحزب الاكليريكي انتصاراً شديداً كاد يفضي الى ثورة اهلية في بريطانيا حين اقفال مدارسها الاكليريكية الغير المأذونة ـ خطر لابناء بريطانيا الجمهوريين ان ينصبوا تمثالاً لرنان في مسقط رأسه ليوجدوا بين البريطانيين حركة تدفعهم عن المبادىء الاكليريكية الى المبادىء الجمهورية · وهؤلاء الجمهوريون البريطانيون يُدعون «البريطانيين الزرق» تمييزاً لهم عن «البريطانيين البيض» وهم المخالفون لهم في السياسة · فألَّف «البريطانيون الزرق» لجنةً لجمع المال وانشاء التمثال فنشرت اللجنة اعلاناً بغرضها بين جميع مشاهير الارض فوردتها الاموال ورسائل

---

١ اطلب ترجمته في الجزء الثاني السنة الثالثة

الاشتراك من كل الجهات : وقد كان المشتركون معها من كل الاحزاب العاقلة المتساهلة كاثوليك وانجيليين واسرائيليين وفلاسفة . وفي جملتهم المؤرخ ممسن اعظم علماء الالمان اليوم والعالم جبرائيل مونود اعظم علماء البروتستانت في فرنسا والمسيو ريبو الكاثوليكي الذي امتاز في فرنسا بالعامين الاخيرين بالانتصار للحزب الاكليريكي صوناً لمبداء الحرية والجمهورية وهو من رؤساء الوزارات السابقين . والمسيو والدك روسو المشهور . وكثيرون من علماء الارض من كل البلاد . وكلهم كتبوا الى اللجنة كتباً خلاصتها ان الانسانية وفرنسا يحق لهما ان تفتخرا بظهور رجل فيهما نزيه الاخلاق واسع العلم مترفعاً عن دنايا الارض مثل ارنست رنان . وقد جمعت اللجنة هذه الرسائل كلها في كتاب ضخم دعته "كتاب رنان الذهبي" لانه عبارة عن شهادة له من مئات من اكابر علماء الارض وعقلائهم بصفات علمية وفلسفية وادبية لم تنسب لغيره من عهد افلاطون . ولذلك دعوه "افلاطون المتأخرين"

***

رنان والاحزاب ومن البديهي ان الرغبة في نصب تمثال رنان في بريطانيا اسخط الحزب الاكليريكي . فكتب كاهن تريجيه الى شيخ البلدة يقول له انهم اذا جرّوا هذا العار والفضيحة على تريجيه فانه يمتنع عن الدخول الى الشارع الذي يُنصب فيه التمثال حتى اذا حضرت الوفاة احد المسيحيين في ذلك الشارع لم يستطع الذهاب اليه لتزويده بالاسرار المقدسة . فعدلوا حينئذ عن نصب التمثال امام منزل رنان وقرروا نصبه في ساحة الكنيسة امام بابها الكبير . فازداد الخصام والانقسام بين الحزبين في فرنسا كلها وصار اسم رنان عبارة عن راية يتحاربان تحتها

على اننا بعد مطالعة ما طالعناه من كتب رنان يظهر لنا انه لو كان حياً لما رضي باقامة تمثاله في تريجيه بهذه الطريقة وان كان يحب مسقط رأسه حباً بريطانياً كما كان يقول . ذلك لانه كان يحب الحرية والتساهل فوق كل شيء . واقامة تمثاله في تريجيه بتلك الطريقة كانت عبارة عن تحرش بمعتقدات الغير واعتداء عليها . وهذا ما ذكرته الطان البروتستنتية والديبا الكاثوليكية . فانهما قالتا ان رنان كان رسول التساهل وحرية الاعتقاد في العالم ومن كانت هذه صفته لا يرضى عن الاساءة الى معتقد غيره

وتقسم الاحزاب الفرنسوية اليوم الى سبعة (١) الحزب الراديكالي (٢) الراديكالي الاشتراكي (٣) الاشتراكي (٤) الحزب الجمهوري المعتدل المحالف للراديكالي (٥) الحزب الجمهوري المعتدل المستقل ولكنه يميل نحو الحزب الملكي اكثر من الميل الى الحزب الراديكالي

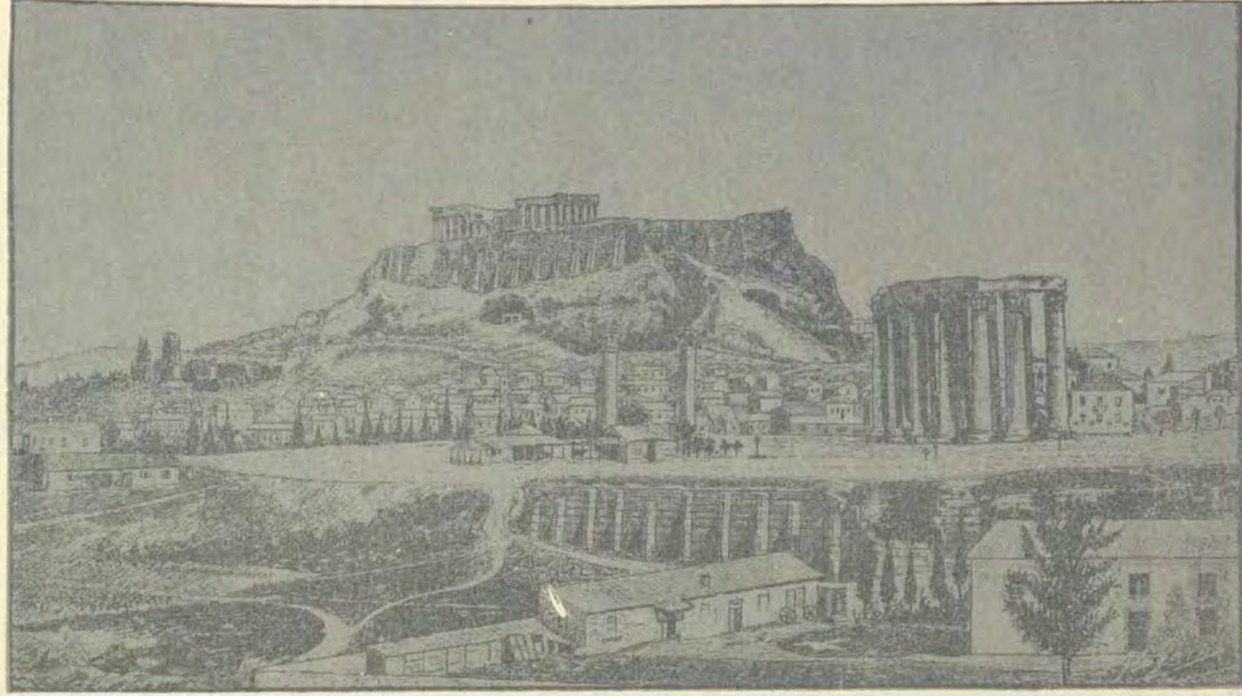
الاشترا كي لخوفه من المبادىء الاشتراكية (٦) الحزب الملكي الاكايريكي (٧) حزب الناسيوناليست — فالاربعة الاحزاب الاولى وهي الاكثرية الكبرى ائتفت ما سموه " عصبة " واقامت وزارة على مبادئها لادخال الاصلاحات التي ترى لزومها . فهذه الاحزاب الاربعة هي التي كانت تضج في اثناء الاستعداد للاحتفال برنان وتحارب خصومها بالدفاع عنه . فكانت الطان والديبا اللتان هما لسان حال الحزب الجمهوري المعتدل المستقل (الخامس) تضحكان وتقولان لهم ان مبادىء رنان لا تنطبق على مبادئكم

***

﴿ رنان والجمهورية ﴾ ذلك ان رنان عاش ومات بين الاحزاب . فلم يكن منسوبًا لاحدها . يروى ان سقراط الحكيم سُئل من اي وطن انت ؟ وربما رام سائله تعبيره بذلك لانه كان يدعو الى وحدانية الله وهذه الدعوة مخالفة لتعدد الآلهة عند اليونانيين وكان عندهم من يسيء الى الآلهة فقد اساء الى وطنه . فاجاب سقراط " وطني العالم " — وكذلك لو سُئل رنان في حياته : ما هو حزبك . لاجاب ولا شك : حزبي البشر كلهم لانني اخ لهم جميعًا لا لفريق منهم

وهذا هو السبب في انك ترى في افكار رنان شيئًا كثيرًا من التناقض . فانه يبش للملكي والجمهوري . والجاحد والمؤمن . والقديم والحديث . والتعصب والتساهل . ذلك ان فكره واسع رحب يستطيع فهم كل ما في تلك المتناقضات من الجمال والحقائق . فيذكر محاسنها ومساوئها معًا باستقلال تام وانصاف كامل كانه واقف امام الدينونة الاخيرة . وهذا معنى قولنا عنه في صدر الكلام انه مثال الفيلسوف الكامل

ولقد ندّد رنان في الجمهورية والديموقراطية بعد حرب السبعين لان الغلاة اتوا فيها كثيرًا من المنكرات التي اغضبته . وفضلاً عن ذلك فذوقه ارستوقراسي نحيف ولذلك كان يودّ لو تكون حكومة البشر ملقاة الى عصبة من العلماء والفلاسفة ويكون ملكها عالمًا ايضًا وغاية في الكمال . ولكنه لما رأى بالخبرة ان العلم يترقى مع الجمهورية اكثر مما يترقى مع الملكيّة لان الجمهورية تُطلق له الحرية والملكية قد تقيده بقيود حديدية صار بفضل الجمهورية . وعلى ذلك فحرية العلم اي حرية الفكر والنشر مقياس الافضليّة عنده . ورأيه في ذلك مبسوط في كتابه (المباحثات الفلسفية) الذي كتبه في آخر حياته . ففي احدى مباحثات هذا الكتاب قصة كاليبان وبروسبيرو . وبروسبيرو هذا هو ملكه العاقل الكامل . واما كاليبان فهو رجل قاصر مشوه الدماغ وهو كناية عن الشعب . فقام كاليبان واسقط بروسبير وعن



منظر مدينة آثينا

وفوقها الاكروبول الذي وقف فيه رنان يصلي الى الالاهة آثينا الصلاة المذكورة في الصفحة ٢٠٥

ملكه وحلّ محلّه قبل ان ينضج رأيه وتصلح حاله . قال رنان " انني احب بروسبيرو ولكنني لا احب الذين يريدون ارجاعه الى ملكه . فان كاليبان (مع حالته القاصرة) ينفعنا اكثر من بروسبيرو اذا عاد الينا على يد الجزويت والجنود الحبرية . ذلك لان عودته تكون ضغطاً علينا لا نهضة لنا . اذاً فلنبقِ كاليبان "

***

الله والدين ورنان وانما قالت الطان والدبيا للاحزاب الفرنسوية المتطرفة ذلك القول لان رنان يرى في الله والدين ما لا تراه هي . ويحسن بنا هنا ان ننقل شيئاً من آرائه في هذه المواضيع الخطيرة لعلّ الذين تعلموا من الغرب سب رنان في الشرق تدعوهم ذمتهم الى الاعتدال والانصاف ولو قليلاً

قالت جريدة الدبيا الكاثوليكية ان رنان خدم الروح الديني في العالم خدمة ما بعدها خدمة . فانه هدم " روح فولتير " هدماً . تعني روح التهكم على الاديان والمذاهب واعتبارها اساطير قديمة . وانما هدم رنان تلك الروح بشيئين : الاول اعتماده في كتابته تاريخ الديانة المسيحية على الكتب المسيحية نفسها . والثاني تعليمه الناس احترام الامور الدينية واظهاره جمال العواطف الصادرة عنها . ولذلك قالت جريدة الطان ان الذي نشّط الحركة الدينية في العالم وزادها اتساعاً هو رنان . فان كل قارىء لا يتمالك ان يطير طرباً كلما قرأ ذلك الكلام اللين الحلو الممتلىء روحاً دينياً وتتشبع نفسه منه . وهكذا نشأ متأدبو العصر على احترام العواطف الدينية ووضعها في اسمى منزلة في نفوسهم بعد ان كان لا همّ لهم الا التهكم عليها واحتقارها . وبذلك حلّت " الروح الرنانية " محل " الروح الفولتيرية "

واليك بعض الامثلة لذلك

قال رنان في خاتمة كتابه « اعمال الرسل » ان الانسان حيوان ديّن اي مفطور على الدين . وكلما ارتقت الانسانية ازداد شعوره الديني . وقد شرح ذلك هناك شرحاً وافياً . وهذا الرأي مخالف رأي الماديين والوضعيين على خط مستقيم

وقال في منتخباته ما ملخصه « انه لما كان في غزير (لبنان) نزل ضيفاً على احدى الاسر الكبيرة هناك . فلما قامت الضوضاء في فرنسا بسببه دعا كبير تلك الاسرة نجلاً له وسأله قائلاً يابني ما بالهم ينسبون الى المسيو رنان ما ينسبون . اخبرني عن اعتقـاده . ولنبدأ اولاً بالآب . هل يعتقد بالله . فاجاب الفتى : اما في هذا فانه وطيد الايمان . فاجاب ذلك الشيخ الكريم : هذا شيء كثير هذا شيء كثير » وقد اورد رنان هذه القصة لاثبات ايمانه

وحدّث في الشهر الماضي احد كتّاب الدبيا فقال : بعد دفن اخت رنان في جبيل (لبنان) كان رنان يستدعي الكهنة لاقامة القداسات عن نفسها . ولما قيل له في ذلك اجاب انني استنزل عليها بركة شيوخ صالحين كهؤلاء الشيوخ واحول بذلك دون اهانة قبرها بعد سفري اذا سُمع هنا عني شيء يكرهونه

وقال في مقدمة كتابه «اوراق منثورة» «هل الحاجة الابدية التي في ضمائرنا الى ما وراء الطبيعة هي وهم وخيال ؟ كلا ثم كلا . فان من ينفي ذلك نفياً قطعياً مَثله مثل من يُثبت ذلك اثباتاً قطعياً . لانه اذا كان لم يثبت عقلياً ان للكون نفساً فايضاً لم يثبت انه ليس هنالك نفس له . فكل ما نعلمه اننا لا نعلم شيئاً . هذا كل ما نقدر ان نقوله عما وراء الطبيعة . فلا ننكرنّ شيئاً ولا نثبتن شيئاً . بل فلنتمسك بالامل»

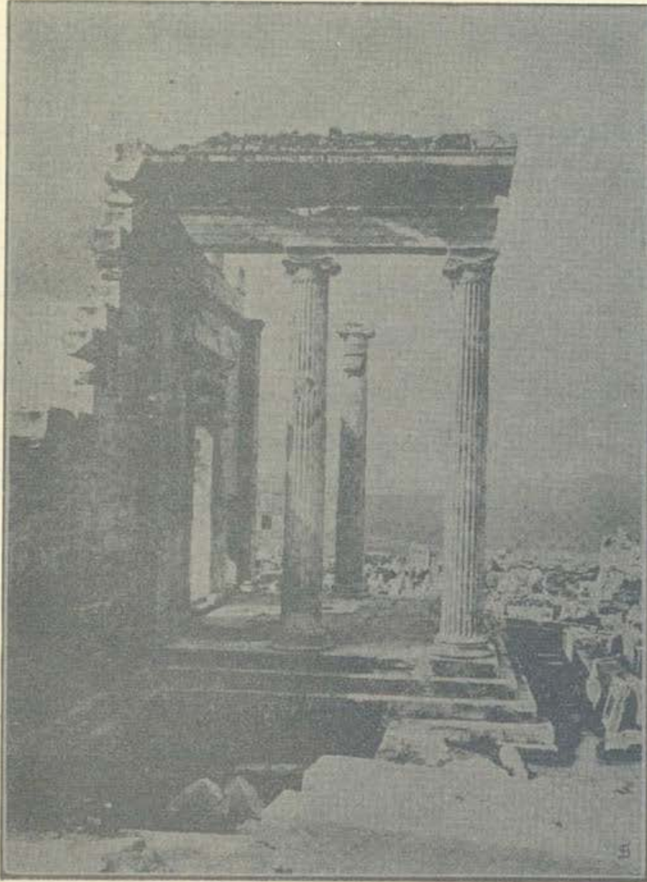
وقال في موضع آخر «ان نفسي ستسكن بعد وفاتي في خرائب كنيسة القديس مخائيل بشكل طائر البحر الابيض . وسيبقى هذا الطائر حائماً في الليل حول ابواب الكنيسة ونوافذها تائهاً عن المدخل شاكياً متألماً . وهكذا تبقى نفسي المسكينة حائمة متألمة حول هذه الاكمة الى الابد . فيقول عنها الفلاح حين مروره بها انها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتلاوة قداسه» قال محرر الدبيا بعد ايراده هذه الشذرة «ولكن يا للاسف انه لا يجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس»

والآن اليك ما قاله في معلميه واساتذته وكلهم من رجال الاكليروس لانه كان راهباً في شبابه «كان اساتذتي يعلمونني ما هو افضل من الانتقاد والاستنباط الفلسفي . ذلك انهم كانوا يعلمونني حب الحقيقة واحترام العقل والمعيشة الجدية . وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر فيّ . ولقد صرت بتربيتهم لا اقدر على شيء من الحياة الزمنية فانصرفتُ الى الحياة الروحية . وصرت ارى كل عمل مأجور عملاً دنيئاً . فيا اساتذتي الاعزاء الذين مات اكثرهم الآن . انني اراكم احياناً في احلامي ولكنني اراكم كتذكار حلو عندي لا كتبكيت وتوبيخ . فانني لم اخنكم بقدر ما تظنون . نعم قلتُ ان تاريخكم غير كافٍ وفلسفتكم اضعف من الفلسفة التي تعلمنا ان لا نقبل «شيئاً خاصاً وراء الطبيعة» ومع ذلك فانني لا ازال تلميذاً لكم . فانني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا بصرفها في الاخلاص والحقيقة والخير . الا انكم تفسرون هذا الخير تفسيراً ضيقاً وتجعلون هذه الحقيقة مادّية مجسمة وان كنتم مصيبين من حيث اساس الموضوع . فانا اشكركم لانكم طبعتم فيّ كطبيعة ثانية ذلك المبدإ الذي قد يمنع نجاح الانسان الدنيوي الا انه ينيله السعادة



التمثال الذي نُصب لرنان في فرنسا

(رنان في نحو الاربعين جالس على مقعد في وطنه تريجيه كما كان يجلس في حياته يتأمل في الكون والانسان · وفوقه الالاهة آثينا الاهة الحكمة والعقل تتاهب لتكليله باكليل المجد · وهي الالاهة التي صلّى اليها رنان الصلاة المنشورة في ما يلي لما زار هيكلها في الاكروبول في آثينا)



احد هياكل الاكروبول مصوّرة عن قرب وتظهر فيه دقة الصناعة اليونانية

والراحة وهو ان الانسان عليه ان ينصب امامه غرضاً شريفاً يسعى اليه في الحياة سعياً مجرداً عن المصلحة الخصوصية »

هذه هي مبادىء رنان وافكاره الدينية ولا ريب ان كثيرين من القراء يدهشون من بعضها لما يقرأونه عادة من طعن المتحاملين عليه لاغراض مختلفة . ولكن الغرض مرض لا دواء له

***

﴿ التمثال والاحتفال ﴾ ولما دخل ١٤ سبتمبر كان تمثال رنان منصوباً في ساحة تريجيه نخف الوزراء والعلماء والكبراء في فرنسا للاحتفال برفع الستار عنه . وهذا التمثال يمثل رنان جالساً على مقعد في تريجيه كما كان يجلس عادةً وهو في سن الستين وفوقه « بالاس آثينا » الاهة الحكمة عند اليونان تحمل اكليلاً لتضعه على رأسه وقبعته الى جانبه وعصاه في يده وهو غائص في بحر التفكر والتأمل في الحياة والكون والانسان حسب عادته . وهذا التمثال من صنع النقاش جان بوشه . وقد قامت تريجيه وقعدت في ذلك الوم لكثرة المتوافدين عليها . وحدث بين حزب رنان والحكومة و بين الحزب الاكليريكي الملكي شيء من الاضطراب ولكن من حسن الحظ غلّب الفريقان العقل على الجنون فانتهى الامر على احسن حال . وكانت الحفلة تحت رئاسة المسيو كومب رئيس الوزراة والمسيو شوميه وزير المعارف العمومية . ولما رُفع الستار عن التمثال صفق الحاضرون وهتفوا فتلت حينئذ المدموازل مارينو « صلاة رنان على الاكروبول » التي ترجمناها بعد وهي ابلغ ما كتبه الفيلسوف . ثم شرعوا في الخطب . وهي ست (الاولى) للمسيو كيس رئيس جمعية « البريطانيين الزرق » صاحبة التمثال . (والثانية) للمسيو كيلرم شيخ تريجيه (والثالثة) للمسيو شوميه وزير المعارف بالنيابة عن الحكومة والجمهورية (والرابعة) للمسيو برتلو الكيماوي المشهور صديق رنان الحميم بالنيابة عن جمعية العلوم (والخامسة) للمسيو اناتول فرانس الكاتب الكبير الذي خلف رنان في فرنسا برقة العبـارة والجرأة (والسادسة) خطبة شكر تلاها المسيو بسيشاري صهر رنان . وكانت قرينته مدام بسيشاري ابنة رنان حاضرة الى جانبه

***

﴿ صلاة رنان على الاكروبول ﴾ قلنا انه تلي في الاحتفال « صلاة رنان على الاكروبول » والاكروبول قلعة اثينا القديمة وهي مزينة بالهياكل وتماثيل الالهة بينها تمثال الالاهة « آثينا » ابنة جوبيتير الاهة العقل والحكمة . وهذه الالاهة كانت حامية اثينا عند

اليونان وباسمها سميت المدينة . فلما زار رنان اثينا في عام ١٨٦٥ وشاهد جمال هذا التمثال البالغ حد الكمال دُهش واصبح يعتقد بان الكمال من هذا العالم حتى لقد سمى تلك المصنوعات ,, معجزات يونانية ،، حقيقية وصار يستصغر كل تمدن دون تمدنها . ولاعجابه بها كتب الصلاة التي تقدم ذكرها . وقد تطرف رنان في هذه الصلاة لانه كان يخاطب ,, الاهة العقل ،، بالعقل فقط اي انه وضع القلب جانباً كما قال فيها . وان هذا القلم قد سجد عشرين مرة لقلم رنان الساحر حين ترجمتها لعله يغفر له تقصيره في نقل ابلغ كلام صاغته نفس بشرية . وهذه ترجمتها ملخصة طبقاً للاصل الا في موضعين او ثلاثة اختصرناها فراراً من التطويل

من رنان الى الاهة العقل والحكمة

وهي الالاهة «آثينا» المصوَّرة في صدر الجزء تكلل الفيلسوف

«يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي . يا ايتها الالاهة التي يُتقرَّب اليها بالحكمة والعقل . يا من هيكلها عبارة عن مثال ابدي للاخلاص والمعرفة . لقد ابطأت في الوصول الى هيكل اسرارك . وانني جئت اليك بضمير متألم . ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها . انك كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكر والجهد الشديد

لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزرقاوين في بلاد السيميريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطئ بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيراً كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبيّة . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كانها من اللبن والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء معاً فتحجب وجه السماء

وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هولاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن « خرونوس » الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هيا كل هؤلاء الكهنة فهي اعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرَّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتيها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهيا كل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست فنّك الالهي بعد . فضلاً عن

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

انني كنت اجد « الله » فيها . وكانوا يغنون فيها اغاني ما زلت اذكر بعضها . منها « السلام عليكِ يا نجمة البحر . . يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع » او « يا وردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح » - انظري ايتها الالاهة . انني حينما اتذكر هذه الاغاني يتفطر قلبي حنوًا واكاد اجحدك . فصفحًا عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه السحراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض . فان كل استقامة ذهبت منها . وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات مؤلفة من اناس احرار . بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل . جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم . وكذلك مدعون ثقلاء يسمون „ خفيفي الرأس ‟ كل من يخدمك . وقد تألف من كل الصغائر والدنايا عصبة طوقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس . حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك . هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عامًا وحطم هيكلك بالمطارق ليحمله الى „طوله‟ ؟ ان جميع الذين يخدمونك اليوم يصنعون صنعه . . . فلقد كتبت بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس . وقد صاروا يكتبون لي و يسألونني ماذا اقصد بذلك . فكأنهم لا يرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمرًا ماديًا . ولكن يا ايتها السماء . اسألك لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة . اليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حيًا في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السوريين والذي جاء الى هنا في عهد ديونيزودوروس فطاف في ساحات هياكلك دون ان يفهمك وقرأ النقوش التي على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحًا مقامًا „ لاله مجهول ‟ - الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم . ولقد انقضى الف سنة يا ايتها الحقيقة وهم يسمونكِ وثنًا . لقد انقضى الف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه زهرة . ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نفير الفكر البشري . وكان من يحبك حينئذٍ يُحسب جانيًا يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي . حتى اليوم وقد

(١) السكيثيون قبائل متوحشة كانت في عهد اليونان

افرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة صاروا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غنى عنها

انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة · انتِ وحدك قوية يا الاهة النصر · انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها · فان لك من « المريخ » كل ما يلزمك من القوة · ولكن لا غرض لك غير السلام · فيا واضعة الشرائع العادلة · يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خيرهو آتٍ من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء ـ علمينا كيف نستخرج « الماس » من الجموع الجاهلة · ويا عناية جوبتير · يا امّ كل الصنائع · يا حامية العمل · يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها · يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى · اجعلينا روحيين نفساً وجسداً · ـ يا ايتها الالاهة · لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اخترتِ الاقامة بين الاثينويين لانهم اكثر حكمة · فانزل ابوكِ على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأةً لهم على اجلالهم ابنته · فصار الرودسيون اغنياء · اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء اي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الاّ اذا عاد اليكِ ونبذ صلاته البربرية · فلنركض اليكِ ولنأتِ افواجاً افواجاً · يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي اخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وتردّ تلك السرقة معتذرةً بقولها « عفواً ايتها الالاهة ما اخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل » وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية ليزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

انني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قوياً فيك فانني اقاوم كل نصح يغرني · اقاوم ارتيابي الذي يجعلني اشك في الشعب · اقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً · اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كل ما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة · فيا مثال الكمال الذي يبثه اصحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى انني افضّل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه · فاعلمي انني ساوقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك · سانسى كل

---

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك · بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرتُ) متعصباً متحيزًا اكرامًا لك · فلا احب شيئاً غيرك · وهوذا انني ساتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها · سا كون ظالمًا لكل شيء لا يتعلق بك · ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك · سامدح سكان ارضك واحب فيهم كل شيء حتى عيوبهم · ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفلون فوق على رخام نقوشك بعيدهم الابدي · ساسلخ من قلبي كل شيء لا يكون عقلاً وصناعة مجرَّدة · ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني · فساعديني يا ايتها الالاهة وانقذيني

ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي · فانني ساضطر الى تغيير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي · فساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي · ذلك لانني ابطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي · ان فلسفة فاسدة جعلتني اعتقد ان الخير والشر · واللذة والالم · والجميل والدميم · والعقل والجنون – كلها تجول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مطاوي عنق الحمامة · وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحبّ الانسان شيئاً مطلقاً ولا يبغض شيئاً مطلقاً · فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر · اذاً فكل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطئوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح · فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا · – هذه هي المسبّة التي تجول في فكري الفاسد · ان الاشياء اذا كانت صحيحة سليمة من كل جهة مثالك فانها تدعو الى الملل والسآمة

انكِ تضحكين من سذاجتي · ولكن قلت واقول الملل والسآمة · فان عقولنا فسدت وما الحيلة · بل انني اقول لك اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي · عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان · لان في نشوة « التراس » وجليد « الستريمون » شيئاً من الغزَل لا يوجد في سواها · وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة · ان العالم اكبر مما تظنين · ولو انك شاهدت ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحدّ · وراسك حينئذٍ يتسع اكثر فيسع ضروباً من الجمال مختلفة

انت الحقيقة · انت كاملة نقية لا لطخة على بلاطك · ولكن هيكل هاجيا صوفيا في

بيزانس (١) بآجره وجدرانه يُحدث في النفس تأثيرًا الهيًا مثلك . فانه رمز الى قبة السماء . ومع ذلك فانه سينهدم . ولو كان بيتك واسعًا حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضًا . ان نهرًا واسعًا يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة . فيا ايتها الهاوية . . ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية . واحلام كل الحكماء فيها شيء من الحقيقة . وكل شيء في هذه الارض ليس الا رمزًا وحلمًا . فان الالهة تمرّ و تذهب كالناس . وليس يحسن ان تبقى ابدية . والايمان الذي كان للانسان لا يجب ان يكون له قيدًا . فانه متى لفه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الالهة الميتة يكون قد وفاه حقاه »

هذه هي صلاة الاكروبول التي هي اشهر ما كتبه رنان . ومما يحسن ذكره هنا ان جمعية العلوم في باريز ارسلت الى اثينا في العام الماضي احد اكابر المصوّرين الباريزيين فصوّر في الاكروبول رنان بحجمه الطبيعي واقفًا امام الالاهة (اثينا) وباقي الآثار يتلو لديها صلاته المذكورة

***

﴿ جواب الالاهة على صلاة رنان ﴾ وقد ذكرنا ان المسيو اناتول فرانس الذي خلف رنان بفرنسا في رقة العبارات وعذوبة الالفاظ قد خطب في جملة الخطباء . ففي ختام خطبته التي كانت في غاية الجمال جعل الالاهة اثينا تجاوب على صلاة رنان بالجواب التالي

« ايها السادة

« لقد اصاب النقاش الذي وضع " آثينا ،، بجانب رنان . فان هوميروس يخبرنا انها كانت تنزل من السموات الواسعة لتزور الرجال الذين كانت راضية عنهم . وقد زارت عولس غير مرة . وكأنني الآن اسمعها تخاطب صديقها الارضي وتقول

انني الحكمة . ويصعب على الناس حتى افضلهم ان يعرفوني لاول وهلة بسبب الحجب والسحب التي تسترني لانني كالسماء غائمة صافية . اما انتَ يا ايها السلتي الظريف فانك طلبتني دائمًا وكلما وجدتني بذلت جهدك في معرفتي . فكل ما كتبته فيَّ ايها الشاعر حقيقي . ان قريحة اليونان انزلتني الى الارض . ولما قضت خرجتُ منها . فجاء بعدهم البرابرة واجتاحوا العالم . وكانوا يخافون الجمال ويحسبونه شرًا . فلما رأوني جميلة شكُّوا فيَّ ولم يحسبوا انني الحكمة . فطردوني . ولكن بعد ليلٍ دام عشرة قرون بزغ فجر النهضة . فنزلت الى الارض

« ١ » هو اليوم جامع آجيا صوفيا في الاستانة

وزرت نصراء الانسانية والفلاسفة في غرفهم الضيقة حيث كانوا يصونون بضعة كتب جميلة في باطن الصناديق . وكذلك زرت المصورين والنقاشين في معـاملهم التي كانت حينئذٍ حوانيت صغيرة . ولما حدث الاضطهاد فضّل بعض انصاري الموت حرقاً بالنار على جحودي . والبعض الآخر تخلصوا من مضطهديهم بالتهكم والمزاح . ولكنهم لم يلبثوا ان نموا وتكاثروا شيئاً فشيئاً . وكان الفرنسويون اول من اقام لي الهياكل . وان قرناً بجملته من تاريخهم قد اهدي اليّ

ومنذ ذلك الحين صار الفكر حرًّا واُقبل الفلاسفة والعلماء وارباب الفنون على اكرامي . ولكنك انتَ من بينهم كلهم قدمتَ لي على ما اظن العبادة التي هي اشقّ ما يكون وارق ما يكون . ومنك انتَ رُفعتْ اليَّ الصلاة التي هي انقى صلاة واحرّها . فانك على اكروبولي المقدّس حيّيتني اجمل تحية بكلام لم يُصغْ مثله في الارض منذ ذلك الزمن الذي كانت فيه نحل الحكمة تلقي عسلها على شفاه سوفوكلوس وافلاطون

ان الآلهة الخالدة مديونة بشيء كثير للذين يعبدونها . وهي مديونة لهم قبل كل شيء بالحياة . وهذا سرٌّ قد عرفته انت . فان الآلهة انما تستمد غذاءها من الناس . وهي تغتذي من البخار المتصاعد عن دماء الفريسة . ولا ريب انك تعلم ان المقصود بذلك ان حياتها مؤلفة من جميع افكار البشر وعواطفهم . فالناس الكرام الصالحون تكون آلهتهم كريمة صالحة . اما الالهة الشرسة القاسية فلا تكون الا للذين تكون عواطفهم وتقدماتهم كذلك . وحقاً قلتَ : ان الآلهة كالبشر غير خالدين . ومنها ما لا يعيش اكثر من الفي سنة

واما انا الالاهة « آثينا » ذات العينين الصافيتين فانني مديونة لك بانني ما زلت حية . ولكني ما كنت لاكتفي فقط بالحياة وطول العمر . فانني اشفق على الآلهة التي في خلال البخار وبقايا البخور تجرّ ذيل الهبوط . بل انك زدت في جمالي وعظمتي . لقد غذيتني من قوتك ومن مبادئك . وبكَ وبمن يشبهك اتسعت دائرة عقلي حتى صار يسع عالمَ كبلر ونيوتن

لقد ولدتُ ذكيةً في بلاد اليونان السعداء . وفي صباي اكتشفت من النواميس والشرائع ما لم يعلم به الاله الذي طردني . ولكن العالم كان يومئذٍ صغيرًا . فانني ما كنت اعلم من الهندسة الا ما كان يعلمه اقليدس ولا من الطب الا ما كان يعلمه ابيوقراط ولا من علم الفلك الا ما كان يعلمه اريسترخس من جزيرة صاموس . ولم تكن عيناي تقعان الا على بحر الاتييك وجباله البنفسجية التي ينمو الزيتون فيها . ولم اكن اعرف من البرابرة غير

السكيثيين . وكنت اظن ان السفن الفينيقية الراسية في مياه البيره هي تجارة الدنيا كلها . وقد كنت متشرعة فانني من شاهق صخرتي المقدسة هذه كنت احكم على بضعة الوف من الاحرار البلهاء . وكانوا يصورونني على كتب القضاء بجمال جامع بين السذاجة والرقة وهو لا يزال يفتن ناظريه حتى اليوم . نعم يا رنان . انني استحق الاسماء التي سميتني بها . كالاهة السلام . وحامية العمل . والديموقراطية . والنصر . ولكن قل لي اية نسبة بين مدننا القديمة والامم العظمى التي في هذا العصر . فالحكماء اليوم قد كشفوا عن ناظري واروني ما لا نهاية له من العوالم . فرأيتُ على ارضٍ ترتجف من نفخ البخار وصدم الكهرباء امماً عديدة عددها مليار وستمائة مليون شخص كانت امس بعضها اعداء لبعض وهي اليوم بعضها اقرب من بعض مما كانت وكلها مندفعة للعمل في الصناعة والعلم يشتغل بعضها لبعض او بعضها ضد بعض متحاسدة متباغضة متزاحمة

ولكن ترى كيف تكون نهاية هذا الزحام والنزاع بين كل تلك القوى المتعددة والاهواء المختلفة ؟ من يكون الغالب في الخاتمة ؟ الحب ام البغض ؟ الجهل ام العلم ؟ الحرب ام السلم ؟ الهمجية ام المدنية ؟ قوات الذين سميتهم « ملوكاً خرجوا من دم ثقيل » ام قوة الديموقراطية ؟ — لا تسلني عن ذلك يا رنان . فان المستقبل محجوب حتى عن الذين يصنعونه . لا تسل كيف تكون حالة المستقبل ولكن كن على ثقة من انني سابنيه وحدي . ذلك لانه لا مهندس ولا بنّاء غيري . ولم يستدعني الفلاسفة والعلماء الى الارض عبثاً . فانه بينما يشتغل الجبابرة اعداء الآلهة العادلة بصنع الاسلحة ووضع الجبال بعضها فوق بعض ابني انا مدينة المستقبل المقدسة وان كان الحكماء انفسهم لا يرون ذلك ويشكون في انني ابنيها . ولكن المستقبل سيعرف ابنيتي هذه من قوتها ومتانتها لان مباني الجهل والضلال لا تلبث ان تنهدم من نفسها . وانك ذكرت ذلك يا رنان وقلت ان لا شيء يدوم ويبقى الا اذا كان منظماً بيدي بحسب قواعدي . ذلك لانني امُّ الاحتياط والنظام . ذلك لانني فكر كل ذي فكر وعلم كل ذي علم . بل فكرك وعلمك يا صديقي رنان

فكن مطمئناً واقتبل الآن من يدي غصن الذهب الذي استحقه جدك وكدك . عش ممجّداً معظماً في انقى القلوب واقوى النفوس . احيَ فيَّ لاحيى فيك يا اعظم اصدقائي . فلقد نلتَ الخلود الذي كنت تصبو اليه . وكل ما ابرزته نفسك من الجمال والخير لا يذهب شيء منه سدى بل يبقى الى الابد . فان الانسانية لا بدَّ ان تحقق احلام الحكماء شيئاً فشيئاً وان كان سيرها بطيئاً » — انتهت خاتمة المسيو اناتول فرانس

الخاتمة

هذا ما رأينا ذكره عن الفيلسوف رنان في هذا الفصل . وليس غرضنا منه سوى الاشتراك في اكرام هذا الفيلسوف العظيم الذي خدم البشر في الارض بكل قوى عقله الفائق وفطرته الخارقة العادة وان كان قد تطرف في ذلك تطرفاً حسابه بينه وبين الله وحده

وان قيل ما فائدتنا من هذه المقالة فالجواب لنا فيها فائدتان مهمتان . (الاولى) من حيث لغة رنان (والثانية) من حيث فلسفته

﴿ الفائدة الاولى ﴾ اما الفائدة الاولى وهي من حيث اللغة فهي لا تخلو من اهمية للكتّاب الشرقيين . ذلك ان رنان من حيث اللغة هو ممثل الكمال والجمال فيها بين جميع كتّاب العالم . فلغته ارق وابلغ لغة خطها بنان انسان والفرنسويون كلهم مجمعون على انه ابلغ كتّابهم من يوم وجود اللغة الفرنسوية الى اليوم . ولكن بلاغة رنان خاصة به . فان الطفل يقرأ كلامه ويفهمه بسهولة دون ان يحتاج ان يفتش عن كلمة في قاموسه . وكان رنان حينما يبالغون في الاعجاب بلغته الحلوة السهلة البسيطة يتعجب من مبالغتهم ولا يفهم اعجابهم هذا . وسبب ذلك ان هذا الاسلوب كان طبيعياً فيه وبما انه لم يكن يتعب في صوغه فقد كان يستهينه ويظنه امرًا سهلاً على غيره . فبلاغته اذاً كانت مصوغة من مادتين : الاولى الفاظ سهلة بسيطة مألوفة الاستعمال يفهمها كل الناس حتى الاولاد والاطفال . والثانية رقة خصوصيَّة في نفسه تبث الحياة في تلك الالفاظ وتجبلها بحلاوة تسكر النفوس ولو كان الموضوع من اصعب المواضيع الفلسفية والتاريخية والعلمية مبقيةً له كل ما يلزم من السهولة والبساطة لسرعة الفهم

وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاب ويفتشوا فيها عنها بل هي في الطبيعة نفسها اي طبيعة الكون الجميلة وطبيعة نفس الانسان اي في باطنه . فمن لا يملكها في نفسه فعبثاً يطلبها في الكتب . فانها حسناء ذات دلال لا تُنسى الاَّ مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه . فالبلاغة اذاً عبارة عن حسنٍ فطري باطني اي نفسي كما ان حسن الوجه حسن خارجي . وربما كان هنا شيئاً من الفرق والاختلاف بين البلاغة الافرنجية والبلاغة العربية لاعتماد هذه على الالفاظ وتنميقها اكثر من اعتماد تلك على ذلك . واذا كان هذا الرأي صحيحاً فهو عثرة في سبيل البلاغة العربية . ولكن من حسن الحظ ان هذه العثرة قد اخذت تزول بعد ان طما على اللغة العربية سيل البلاغة اليونانية في عصر النهضة العباسية والاندلسية الاولى وبلاغة الافرنج في هذا العصر وان

كانت هذه مصدرها تلك ايضاً . ولذلك صار اصحاب الذوق يستملحون البلاغة الافرنجية كصلاة رنان على الاكروبول المنشورة آنفاً وغيرها . وفي الحقيقة ان هذه الصلاة الفلسفية هي ادل الاقوال على حقيقة البلاغة الافرنجية . ويا ليت الذين يختارون بعض الترجمات السقيمة لافكار بلغاء الافرنج ثم يحكمون بركاكة لغتهم بالنسبة الى اللغة العربية يجيلون النظر في معاني رنان في صلاته هذه وحينئذٍ يعرفون حقيقة البلاغة فتعاف نفوسهم بعدها كل لغةٍ لا تكون قريبة منها كما يعاف آكل السكر الثمر المزّ بعده . ويعلم حينئذٍ الذين ينسبون الى اللغة العربية القصور عن مجاراة لغات الافرنج انهم ظلموها بذلك لان القصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها . لانها لم تخرج عن كونها لغة ساميّة رقيقة يعبّر بها عن كل العواطف الجميلة متى هُجر ذلك الاسلوب وحلّ محله الاسلوب الذي سموه « افرنجيا » وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان اول بلاغته

﴿الفائدة الثانية﴾ هذا ما نستفيده من حيث اللغة من قراءة هذا الفصل حين الوقوف على كلام رنان الساحر . اما ما نستفيده من حيث فلسفته فهو اهمّ من ذلك بكثير

قال رنان في آخر حياته في احدى خطبه وهو من اشهر اقواله . « وددت لو يكون قبري في وسط دير . ولكن الدير فرع عن الكنيسة والكنيسة لا تريدني وان كانت مخطئة في ذلك . واودّ ان يحفروا على قبري هذه العبارة « لقد احبَّ الحقيقة » اجل انني احببت الحقيقة وطلبتها وسعيت وراءها الى حيث كانت تدعوني دون ان التفت الى ما اعانيه في سبيلها . ومما لا يحتاج الى بيان ان سرّ الكون لم ينجلِ لاحد بعد . وليس هنالك احد على ثقة من انه وجده . فان اللانهاية التي تحيط بنا وتضغط علينا لا يحيط بها علم وهي تتملّص من كل حدٍ وقيد . ولكن هنالك شيء واحد يستطيع الانسان تأكيده ويكون على ثقة منه وهو حسن نية القلب . ولقد عملت ما عملتُ بحسن نيةٍ . وانا اقسم على صدق هذا القول بموتي الاخير في يوم الدينونة » وقال في موضع آخر « متى وجدتُ في اثناء بحثي تعليماً او مبادىء تعترضني وتسد الطريق في وجهي فانني احكم عليها بالضعف واعرض عنها لانني اريد اللانهاية ولا اقبل شيئاً غيرها »

فيظهر من هذا ان غرض رنان انما كان طلب الحقيقة المجردة بقواه العقلية دون اعتماد على شهادات الكتب والناس . فاذا اخطأ فقد اخطأ عن حسن نية واذا اصاب فقد اصاب بحسن نية . وكل انسان يطلب ما يشاء بحسن نية اي يطلبه لذاته مجرداً عن المصلحة

الخصوصية فهو معذور ولا شك لانه يتبع ضميره ووجدانه · وبذلك لا تكون صناعة القلم عبارة عن صناعة تجارية يقصد بها جمع الفكاهات والفوائد التي ترضي الناس وتدر المال بل تكون — فوق الاهواء وفوق الناس — محكمة عليا للمبادئ والضمير اذ لا غرض لها الا تقرير الحقائق لذاتها بين الجميع وطلبها حيثما كانت · وحينئذٍ تكون هذه الصناعة صناعة الهية وميزان الله في الارض بين الصغائر والدنايا البشرية

فياموحية هذه الصناعة الالهية يا « آثينا » العظيمة اسمحي لنا بعد صديقكِ العظيم ان نوجه اليكِ رجاءنا وسؤالنا نحن معاشر الشرقيين · وليس لك ان تتكبري علينا كثيرًا فان بيننا رحمًا قديمة · اتذكرين يا ايتها الالاهة اولئك الفينيقيين الاسرى الذين كان يختطفهم بحارة جزائرك في الارخبيل من شواطئ صور وصيداء ويسوقونهم الى بلادك · ان هؤلاء الاسرى كانوا من مساعديك على تمدين قومك وتعليمهم الفنون الجميلة لاول مرة وهم من قواعد نهضتك · ففي عروقك اذًا يا ايتها العذراء الجميلة شيء من دماء شرقية · فنناشدك بحق حرمة هذا النسب القديم ان تبعثي الى الشرق جدك القديم شيئًا من سناء نورك العظيم · علمينا ان ننسى اهواءنا ومصالحنا الخصوصية لمانضع انفسنا في موضع خدمة المصلحة العمومية · علمينا ان نجهر بمعتقدنا ايًا كان ولا نخاف فيه فوات الارض والسماء لئلا نكون خونة لك ضعفاء جبناء · افهمينا معنى الحق والعدل والواجب والعقل لنتخذها نجومًا تهدينا في ظلمات هذه الحياة وجامعة جديدة تقوم لدينا مقام كل جامعة بدل انقسامنا وتفانينا في تأييد المصالح والجهالة والاهواء · ثبتينا دائمًا في احتقار ملاذ الارض وموادها لئلا تشغلنا عنك فان تلك الملاذ الباطلة تقتلك وتقتلنا اذا قويت عليكِ وعلينا وحينئذٍ تصبح الارض مستنقعًا نتنًا يسود فيه الاكثر شراهة والاشد قابلية · افتحي عيوننا لنرى اننا في طلبنا الاصلاح في الشرق يجب ان نكون مخلصين قلبًا وقالبًا مهتمين بالجميع لا بفئة واحدة وان نبداء باقرب الاشياء الينا اي بانفسنا · واكمالاً لهذا الاصلاح بثي فينا يا ايتها الالاهة القادرة ذلك الروح الذي لا خلاص لنا بدونه وهو روح التساهل المطلق الذي كان صديقك رنان رسوله الكبير · ونعني بهذا التساهل اعطاء جميع الآراء والافكار حق الظهور في الشرق بين الناس لتكمل بذلك الحركة الشرقية تمهيدًا للنتيجة العظيمة التي تخرج منها بعد استيفاء فعلها واختمارها · ونحن نرضى هذه النتيجة مهما كانت لاننا على ثقة من انها لا تكون مناقضة لروحك روح العدالة والنزاهة الابدية الالهية · واذا كنا لا نشاهدها في زماننا فحسبنا ان يشاهدها احفاد احفاد احفادنا ولو بعد عشرين عقبًا

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

مصر قبل التاريخ

وسكانها الاصليون

لم يحقق علماء التاريخ بعدُ مسألة سكان مصر الاصليين ولا تزال هذه المسألة موضوعة موضع البحث والتنقيب . وقد كتب بول كومب في ذلك فصلاً مسهباً اليك خلاصته

قال سان هيلير « اننا اذا بحثنا في حيوانات مصر بحثاً دقيقاً لم نجد فيها حيواناً خاصاً بها » اي ان جميع حيواناتها قادمة اليها من خارج . وما يُقال في الحيوانات يُقال في البشر الذين سكنوها . قال المسيو دي مورغان مدير الآثار المصرية السابق في كتابه « اصل مصر والعصر الحجري والمعدني فيها » ان صناعة الحجارة في مصر جرت في تكيفها وارتقائها مجرى هذه الصناعة في باقي اقطار الارض . يريد بذلك انه كان لها اتصال بالخارج وهو يعتقد انها من صنع شعب افريقي استولى عليه شعب غريب قادم من آسيا واعطاه صناعة المعادن التي كانت اساس التمدن المصري القديم

وعلى ذلك يكون اصل سكان مصر افريقياً . وقد وافق على هذا القول شمبوليون المشهور فانه يقول في كتابه « خلاصة تاريخ مصر » ان القبائل الاولى التي سكنت وادي النيل من شلالات اصوان الى البحر قدمت اليه من الحبشة او من سنار . ويستحيل تأريخ هذه الهجرة لانها متناهية في القدم . وهؤلاء السكان كانوا يشبهون سكان بلاد النوبة اليوم . ولسنا نجد بين الاقباط في هذا الزمان لوائح اولئك السكان الاقدمين لان الاقباط خرجوا من امتزاج جميع العناصر التي حكمت مصر على التوالي »

ولكن اذا كان قد تقرر ان سكان مصر الاصليين قدموا اليها من اعالي النيل فانه قد

ثبت ايضاً ان مصر خالطت آسيا قبل الدولة الاولى . وقد عُرف ذلك من درس رسوم حيواناتها . فقد وجد في جملتها الثور الاسيوي والحمار الاسيوي والغنم الاسيوية وكلها تختلف عن حيوانات مصر الافريقية اختلافاً شديداً . ولذلك ذهب اكثرهم الى ان مبدأ التمدن العصري القديم كان في آسيا . وهذا رأْي المسيو ماسبرو مدير الآثار المصرية لهذا العهد . فانه يقول في كتابه « تاريخ مصر القديم » ان سكان مصر مشتقون من قبائل ساميّة مختلطة قدمت اليها من آسيا عن طريق السويس فوجدت فيها نوعاً آخر من البشر وربما كان اسود فطردته الى داخل افريقيا »

قال بول كومب « فمما تقدم يظهر ان سكان مصر الاصليين كانوا من سود افريقيا وانهم نزلوا اليها مع الوقت على موازاة النهر . وان الحيوانات الافريقية التي وجدت في الآثار المصرية القديمة انما كانت متخلّفة عن هؤلاء السكان . ـ ثم زحفت الى مصر قبائل اسيوية معها حيوانات اسيوية وعندها صناعات معدنية فكان بها مبدأ التمدن المصري القديم ولكن من اين جاءت تلك القبائل الاسيوية ومن اي جنس هي . هنا موضع البحث والتنقيب

﴿ الكوخ الهندي ﴾

قرآته في المدارس

في الثغر مدرسة يونانية مهمة تُدعى « مدرسة افيروف » اسسها المرحوم افيروف الشهير . وهي تدرّس اللغة العربية لتلامذتها اليونانيين على اختلاف سنهم . وقد كان استاذ اللغة العربية فيها منذ مدة سيادة الاب المفضال الارشمندريت الياس شحاده ذيب رئيس الكيسة السورية الارثوذكسية في الثغر . فهذه المدرسة قررت تدريس « الكوخ الهندي » لطلبتها الذين يتعلمون اللغة العربية نظراً لسهولة عبارته وسمو المبادىء التي وضعها فيه مؤلفه برناردين دي سان بيير . وهنا محلٌ للاعجاب باهتمام اخواننا الافرنج . فانهم يسبقون الناس دائماً الى طلب ما يفيد ويرقي حتى ان مدارسهم اليونانية سبقت المدارس العربية في مصر والشام الى قراءة رواية عربية كالكوخ الهندي على الطلبة . مع ان اساتذة مصر والشام لو انصفوا لما تركوا تلميذاً لهم تخلو يده من هذا الكتاب

وقد كادت تنفد طبعة الكوخ الهندي الاولى كما نفدت روايات الثورة الفرنسوية تقريباً فاذا عوّلت مدرسة اخرى على قراءته اضطررنا الى اعادة طبعه

فلسطين واشهر آثارها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

ان رضى القراء عن هذه الفصول المتتابعة في وصف الاثار المشهورة في فلسطين يمنعنا من اختصارها حرصاً على فوائدها لان القارىء الذي لم يزر فلسطين وتلك الاماكن المقدسة عند الامم الثلاث يراها ماثلة امامهُ كانه يشاهدها بعيني راسه لا سيما وان واصفها الفاضل ممن صرفوا عمرهم بالتنقل بينها ودرس شؤونها

طريق اريحا

اريحا واقعة على مسافة نحو ستة عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من القدس . وطريقها طريق مركبات تدور من وراء سور المدينة من جهة الشمال بين محجر سليمان الى اليمين وهو مغارة كبيرة قطع منها سليمان الحجارة للهيكل واقصره لها باب صغير في حائط السور وتمتد كثيرًا الى الداخل تحت ابنية المدينة . ولم تزل آثار الاسافين والازاميل ظاهرة في اماكن كثيرة في جدرانها — وبين مغارة ارميا الى اليسار والارجح انها قسم من محجر سليمان

ثم تنحدر الطريق فتقطع وادي قدرون الفاصل بين جبل الموريا وجبل الزيتون عند كنيسة العذراء، في بطن الوادي الى يسار الطريق . وقد ذكرها اركولفوس في سنة ٦٩٧ م اما مارينوس سناتوس فيظن انها بُنيت في الاعصر المسيحية الاولى وانها توارت بخرابات المدينة في عهد ادريانوس . اما البناء الحالي فقد بنته امرأة فولك انجو رابع ملوك القدس من الصليبيين . ويُنزل اليها بسبع واربعين درجة وفيها قبرا يهويا كيم وحنة نُقلا اليها في القرن الخامس عشر وقبرا يوسف والعذراء . والى جانبها بئر قديمة منقورة في الصخر يقال انها مغارة الآلام . ثم ترى بستان جثسيماني الى اليسار . وفي الوادي تحت الطريق الهرم المسمى تارة طنطور ابشالوم واخرى طنطور فرعون . ويرشقه اليهود بالحجارة لما يمرون بجانبه ازدراء بعصيان ابشالوم على ابيه . وقد ترجح انه قبر اسكندر جانيوس احد امراء الحشمونيين . وفي الوادي ايضاً توجد مغاور منحوتة في الصخر وهي مدافن قديمة كانوا ينسبونها في كل قرن الى قوم آخرين من الانبياء والاولياء والرسل الى ان اقتاد البحث عنها المسيو دي فوكوه الى اكتشافه كتابة بالاحرف العبرانية من الشكل المربع تتضمن اسماء عشرة انفار من عشيرة بني حزير الذين كانوا من رؤساء الكهنة في ايام الحشمونيين وهيرودس وبعد ذلك تمتد الطريق الى قرية اللعازرية

﴿ قرية اللعازرية او بيت عنيا ﴾ تبعد نحو ميلين عن القدس وهذه المسافة هي عين الخمس عشرة غلوة التي يذكرها يوحنا في انجيله . والبلدة واقعة في بقعة خصيبة في الجهة الجنوبية الغربية من سفح جبل الزيتون عدد سكانها نحو ثلثمائة نفس من المسلمين وهي « بيت عنيا » التي كان المسيح يتردد عليها والتي تعشى فيها مع صديقه لعازر وفيها مُسحت رجلاه بطيب الناردين . وفيها بنت ماليسدا امرأة فولك التي مر ذكرها في المكان المزعوم انه بيت لعازر ديرًا للراهبات ربما خرب في القرن الثالث عشر . وبالقرب منه من جهة الغرب بقايا برج روماني شاهق

اما قبر لعازر فهو على مسافة قريبة الى الشمال من البرج في مغارة سفلية يُنزل اليها باربع وعشرين درجة . واما الكنيسة التي ذكر جيردم في القرن الرابع بانها كانت مبنية فوقه فقد ذكرها اركولفوس في القرن السابع ايضاً . وقال احد كتبة القرن الخامس عشر بانه شاهدها محوَّلة الى جامع

وقد رجحت الاقوال على كون بيت سمعان الابرص واقعاً بالقرب من هذا القبر من جهة الشرق . والله اعلم

ويزعمون ان مريم ومرثا اختي لعازر لاقتا المسيح الى مسافة نحو ميل الى الجنوب من بيت عنيا حيث جلس ليستريح على حجر هناك . فاحاط الارثوذكسيون ذلك الحجر بدير.

﴿عين الرسل ﴾ ومن اللعازرية تنحدر الطريق في منعطفات كثيرة الى واد عميق فيه نبع ماء يُدعى الحوض وقد سماها الصليبيون عين الرسل لاعتقادهم ان تلاميذ المسيح استراحوا عندها وشربوا منها في طريقهم من اريحا الى القدس . ولا يبعد ان هذه العين كانت كما هي الان محل استراحة المسافرين لانها العين الوحيدة على هذه الطريق . وقد بنت الحكومة بجانبها نزلاً صغيرًا لهذه الغاية . ولم يختلف الرواة في كون هذه العين هي عين شمس (يشوع ١٥ : ٧—٨) الواقعة على الحد بين يهوذا وبنيامين

﴿عقبة الدم ﴾ وبعد نحو ساعة تصل الطريق الى عقبة الدم وهذه ايضاً على الحد بين يهوذا وبنيامين (يشوع ١٥ . ٧ —٨) قال بعضهم ان اسمها اشتق من لون اديمها الاحمر المشابه لون الدم . وقال البعض الآخر بل من كثرة الدماء التي اهرقها اللصوص فيها لانها كانت قديمًا مكمناً لا يخلو من اللصوص . وفي راسها خان بنته حكومة القدس ايضاً . ويعتقد الجمهور ان الفندق الذي قال المسيح ان السامري وضع فيه ذاك الذي ضربه اللصوص وجرحوه وعروه وتركوه بين حي وميت (لوقا ١٠ : ٣٠ — ٣٧) كان قائماً في موضع هذا

الفندق بدليل ان هذا الخان واقع في منتصف الطريق بين القدس واريحا وبحماية القلعة التي بناها الرومانيون وعززوها بحامية من الجند لحماية هذه الطريق الممتدة بين جبال اليهودية الجدباء

وآثار هذه القلعة لم تزل مشهورة على تل واقع على مسيرة ٥ دقائق الى الجنوب الشرقي من الخان . وهي تشرف على القسم الكبير من الطريق وقد ذكرها يوسيفوس باسم « داغون » وقال ان بطليموس لجأ اليها بعد ما قتل حميه سمعان المكابي . ودعاها الصليبيون القلعة الحمراء

﴿ وادي النبي ايليا ﴾ ثم تمتد الطريق الى ان تصل الى بقية قناة قديمة مبنية بالحجارة والكلس ربما كانت من بقايا الاقنية التي بناها هيرودس او ارخيلاوس ابنه لجر الماء الى اريحا . وعندها تترك المركبة وتتسلق التلال الى يسار الطريق فتعلو في نحو دقيقتين رابية تشرف على واد عميق هائل تكاد جدرانه الصخرية تكون عمودية يدعى وادي القلط فيه مسيل ماء يؤكدون انه نهر كريث الذي قيل ان النبي ايليا لجأ اليه فرارًا من وجه اخاب ملك اسرائيل وصارت الغربان تعوله هناك (ملوك ص ١٧ ع ٣-٨) وفي وسط جانب ذلك الوادي الايسر بنى الروم الارثوذكس ديرًا باسم يوحنا المعمدان . وبجانب الدير مغارة في الصخر يُصعد اليها بسلم يظنون انها المغارة التي اختبأ فيها النبي ايليا . وفي جانب الوادي الآخر نقر ارخيلاوس قناة لتحويل ماء النهر الى الاقسام العلوية من غور اريحا . وبعض هذه القناة منقور في الصخر وبعضها مبني بالحجارة والكلس والرمل . وقد رممها الصليبيون وانتفعوا بها

وبعد نحو ساعة تصل الى اريحا

اريحا

او مدينة النخل

هي واقعة في جهة غور الاردن الجنوبية . تحت سطح البحر بتسعماية قدم . ولذلك تشتد فيها الحرارة في فصل الصيف الى درجة لا تطاق . وهي تابعة للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك السلطاني) ما عدا القليل منها . وتدير شؤونها الزراعية شعبة ملحقة بمديرية الاملاك الخاصة بالقدس . وفيها اربع « لوكندات » معدة لقبول السياح الغرباء . غير انها لا تُفتح في الصيف وذلك لشدة الحر ولعدم وجود مسافرين . وفيها ايضًا مضيف رومي

اما اهلها فهم من سبط الغوارنه (سكان غور الاردن) وهم قوم نحاسيو اللون يميلون

الى الراحة لان الحر الشديد يحل عزائمهم فيقعدهم عن العمل والجد · ولذلك تراهم في فقر شديد وسذاجة كلية · وهم يسكنون بيوتاً مصنوعة من الاخشاب والقصب والطين وقلما يبنون بالحجارة

ويقول اكثر الرواة ان اريحا الصليبية التي كانت يومئذ نضرة بكثرة اشجارها وبساتين قصب السكر التي كانت فيها كانت في موقع هذه · وقد بنى فيها الصليبيون في ذلك الزمن كنيسة وديرًا باسم استفانوس · وحصنوها بقلعة · واما اليوم ففيها كنيسة ارثوذكسية يزعمون انها في مكان بيت زكا العشار · وفيها كثير من شجر الموز والعنب الذي ينضج ثمره قبل البلدان الباردة العالية · ولذلك يُباع باثمان غالية · وفيها غابات من انجم النبك وهو نبت وادي الاردن الكثير · ويظنون ان اكليل المسيح ضُفر من شوكه

اما اريحا القديمة فقد كانت على زعم يوسيفوس وغيره من الكتبة الاقدمين واقعة على التلال القائمة الى جانب عين السلطان على مسافة نحو ميلين الى الشرق من اريحا الحالية · وهي التي جاءها الجاسوسان الاسرائيليان والتي سقطت اسوارها بدون حرب امام الجيوش العبرانية (يشوع ص ٦)والتي اعاد بناءها حيئيل البيتئيلي فوضع اسسها بابيرام بكره ونصب ابوابها بسجوب صغيرة (ملوك ١٦ : ٣٤) وكانت من نصيب سبط بنيامين · غير ان مملكة اسرائيل الشمالية استولت عليها بعد انقسامها عن اختها في ملك رحبعام · وبقيت في حوزتها حتى الاسر البابلي · وقامت فيها في غضون ذلك مدرسة للانبياء · اما اريحا الرومانية التي يرجح الجمهور انها كانت على مسافة نحو ميل وربع الى الجنوب من عين السلطان فقد قيل ان اليهود بنوها بعد ما رجعوا من الاسر البابلي وحصنها بخشيد قائد جيش ديمتريوس ابن سلوقس بعد واقعة بيت حجلا مع المكابيين · ومر فيها بومبيوس في طريقه من بيت شان الى القدس · وجعلها غابيوس بعد ان سلخ الحكم من ايدي اليهود مركز قنصلية رومانية · ووهبها انطونيوس قيصر لكليوباترا التي باعتها من هيرودس الكبير فاعاد بناءها بعد ما كان خربها في بداءة ملكه وزينها بالابنية الكبيرة الشائقة التي سماها باسماء اصحابه منها قلعة كيبروس على اسم والدته التي كانت تصرف فصل الشتاء فيها · واليها جمع كبراء الامة اليهودية لما ثقل مرضه واوصى اخته بقتلهم يوم وفاته كما قيل ليعمّ الحزن والنواح الامة كلها في ذلك اليوم · غير ان اخته اطلقت سراحهم حال موته فكان يوم فرح عظيم شامل « يوسيفوس حروب اليهود كتاب واحد فصل ٣٣ قطعة ٦ » وخلفه ابنه ارخيلاوس فحصّن القلعة وحسنها وجرّ المياه الى المدينة من قرية تُدعى نيريا وزينها

ببساتين البلسان والحناء والبلسم وغرس فيها كثيرًا من النخل . وقد قال يوسيفوس انه كان فيها غابة من شجر النخل الغض تبلغ مساحتها مائة ستاديا

ولقد كان اليهود القادمون للعيد الى اورشليم يجتمعون فيها من الجليل ومن بيريا الواقعة شرقي الاردن . وقد مرّ فيها السيد المسيح مرة وتلمذ زكا « لوقاس ١٩ » وترك فيها فسباسيانوس الفيلق العاشر من جنده لوقاية تلك المقاطعة من الثائرين . وفي بدء القرن الرابع صارت كرسي اسقفية و بنى فيها جوستينيانوس كنيسة للعذراء . ولقد قال بعضهم ان اريحا كانت حصن اليهودية ومفتاحها . والحقيقة خلاف ذلك لاننا لم نعثر اثناء البحث في تاريخها على كون اهلها كانوا ينازلون اعداءهم ويحاربونهم او يثبتون على الاقل في الحصار امامهم . بل كانوا على الدوام اما يسلمون للاعداء او ينهزمون من امامهم . ولكنها احق بان تسمى مخزن اليهودية الكبير بسبب غناء اراضيها بالحاصلات ولانّ واردات وادي الاردن الخصيب كانت تأتي القدس ويافا بطريقها وتودع في غالب الاحيان في مستودعاتها

عين السلطان

عين السلطان على مسافة ميلين تقريبًا الى الشرق من اريحا الحاليـة وهي العين التي قيل ان اليشع النبي ابرأها بوضعه الملح فيها « ملوك م : ١٩ـ ٣ » وجاء يوسيفوس على ذكر ذلك في حروب اليهود « كتاب ٤ فصل ٨ قطعة ٣ » قال بعض الكتبة ان بيت المرأة راحاب التي قبلت الجاسوسين فيه كان بقرب هذه العين . ماؤها ينبع من الارض في بركة مبنية حولها طولها ٩٠ قدمًا وعرضها ١٨ قدمًا . ودرجة حرارتها ٨٠ بمقياس فرنهيت . وعليها ثلاث مطاحن وهي تسقي المدينة الصغيرة و بساتينها النضرة

والى الغرب من هذه العين بقايا ٣ معاصر لقصب سكر ربما كانت من اثار الصليبيين و بالقرب منها عدة اقنية يغلب الظن انها من اقنية ارخيلاوس . وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من عين السلطان الى الشمال الشرقي من معاصر قصب السكر توجد عين النويعمه وعين الدوك وقلعة دوكس المذكورة في سفر المكابيين « ١٦ : ١٥ » وتصل من هناك في عشرين دقيقة الى دير الاربعين الذي يزعمون ان السيد المسيح صرف عنده مدة الاربعين يومًا صائمًا . ومن على قمة الجبل الواقعة فوق الدير ورد في الانجيل ان الشيطان اراه جميع ممالك العالم ومجدها « متى ٤ »

البحر الميت

تسير المركبة ببعض الصعوبة في طريق طبيعية من اريحا اليه . وعند منتصف الطريق

تشاهد دير حجلا للروم الارثوذكس ربما بني على آثار قرية بيت حجلا القديمة التي كانت على الحد بين يهوذا و بنيامين والتي تغلب فيها سمعان واخوه يهوذا المكابيان على بخشيد قائد ديمتريوس

اما البحر الميت فيدعى في التوراة بحر لوط وبحيرة الملح والكتبة العبرانيون يدعونه بحر الاسفلتيتس وطوله ٤٧ ميلاً وعرضه يختلف من ثلثة اميال الى تسعة واعمق مكان فيه يبلغ الف وثلثمائة قدم. وارضه اقل من اليابسة انخفاضاً لانها اوطأ من سطح البحر بالف وثلثمائة قدم . وتطغو مياهه كثيرًا في ايام الربيع بسبب فيضان نهر الاردن والجداول الاخرى التي تصب فيه وبسبب قلة التبخير منه لضعف حرارة الشمس في ذلك الفصل من السنة، غير انها تتناقص كثيرًا في الصيف بسبب شدة حرارة الشمس التي تمتص منها اكثر كثيرًا من المياه المنتهية اليها . ويؤكد ذلك الادلة التي اكتشفها علماء الطبيعة بكون سطح هذا البحر كان اعلى كثيرًا في الاعصر الغابرة مما هو الان . وماؤه أجاج واثقل مياه الابحر المالحة . قال يوسيفوس ان فسباسيانوس ربط ايدي وارجل بعض الاسرى الذين لم يكونوا يحسنون السباحة وطرحهم فيه فلم يغرقوا . وقال ايضاً انه (اي البحر) كان يقذف مادة من الحمر كانوا يستعملونها لطلي السفن ولحاجات اخرى . وقد كانت السفن كثيرة في هذا البحر واما اليوم فلا يوجد فيه سوى واحدة وضعتها الحكومة لتسهيل المواصلات بين الكرك ومدينة القدس . اما العناصر الموجودة في الماء فهي كلوريد الصوديوم وكلوريد المغنيسيوم وكلوريد الكلس و بعض عناصر اخر ثانوية . وقال يوسيفوس ايضاً ان المدن الخمس التي كانت على هذا البحر وهي صدوم وعامورة وادمة وصبوييم وجبوييم (تكوين ص ١٤) كانت آثارها ظاهرة في ايامه

نهر الاردن

ولئن كان هذا النهر اكبر انهر سوريا الا انه يحسب جدولاً بالنسبة الى انهر العالم الكبيرة كنهر الامازون والمسيسبي والتيمس . غير انه يفوقها شهرةً لوجوده في ارض الميعاد المقدسة ولتعلقه بعدة حوادث دينية . وله ثلاثة ينابيع رئيسية احدها حاصبيا و يقال له الحاصباني والاخر عند بانياس يخرج من مغارة الاله بان الذي اتخذت البلدة اسمها منه. والثالث يخرج من تحت تل القاضي وهو حد مملكة اسرائيل الشمالي . وتتحد هذه الانهر عند رأس سهل الحولة الشمالي وتصب في بركة الحولة المدعوة في التوراة مياه ميروم فبحيرة طبريا فالبحر الميت . ويصب في هذا النهر عدة جداول اخر بعضها دائم كنهر اليرموق الذي ينضم

اليه بعد خروجه من بحيرة طبريا · وعليه بقايا عدة جسور رومانية بعضها خرب والبعض الاخر لم يزل قائماً كجسر بنات يعقوب بقرب صفد وجسر الجامع بقرب طبريا · ويعلو مخرجه عن مصبه ثلثة الاف وثلثمائة قدم ولذلك يسير بسرعة زائدة وله تعاريج كثيرة حتى ان مسافة مجراه تعدل ثلاث مرات المسافة الكائنة بين مخرجه ومصبه البالغة نحو ١٢٥ ميلاً · وتكثر اشجار الدفل والقصب على ضفتيه · وفيه من انواع اسماك بحيرتي الحولة وطبريا غير انها اذا سيقت بطغيان الماء الى البحر الميت تموت حالما تدخله

☆معبر الاردن☆ اما المكان الذي يُظن ان الاسرائيليين عبروا منه الى ارض الميعاد فهو على مسافة ساعة من البحر الميت تسير اليه المركبة في طريق غير ممهدة · وهناك يزعمون ايضاً ان ايليا ضرب الماء بردائه فاوقفه وقطع على اليبس الى الضفة الاخرى وصعد بمركبة نارية الى السماء (٢ ملوك ص ٢) وكذلك يوحنا المعمدان كان يُعمد فيه فتكون معمودية المسيح قد جرت هناك · ولذلك شبه المسيحيون نهر الاردن بنهر الموت وعدوا عبور الاسرائيليين اياه الى ارض الميعاد والحوادث الاخر التي ذكرناها رمزًا الى انتقال المسيحي من عالم الخطيئة الى دار البقاء · فلذلك تراهم يبالغون في احترامه و يتواردون من جميع الانحاء الى زيارته والاعتماد فيه و ينقلون من مائه الى البلدان القصية ليمزجوه بالماء الذي يعمدون فيه اطفالهم تبركاً · قال انطونيوس في القرن السادس عشر ان ضفتي النهر كانتا مبلطتين في هذا المكان وان صليباً خشبياً كان منصوباً في وسط الماء

☆مأوى يحيى☆ بالقرب من هذا المكان دير ماري يوحنا للروم الارثوذكس يُقال ان القديسة هيلانة بنته فوق الكهف الذي كان يوحنا المعمدان يأوى اليه لما كان يكرز ويعمد في برية اليهودية بقرب الاردن · غير ان الاقوال الحقة تشير الى كون جوستينيانوس بناه فخرب فاعيد بناؤه في القرن الثاني عشر · ويوجد فيه بقايا افنية قديمة وبقايا نقوش بالفسيفساء

☆الجلجال☆ محطة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم النهر لم تزل حقيقة موقعها مجهولة غير انها لا بد ان تكون متوسطة بين النهر واريحا لان التوراة تقول انها في تخوم هذه

☆غور الاردن☆ يليق بنا قبل الفراغ من هذه المقالة ان نذكر شيئاً عن حقيقه وادي الاردن مصدر ثروة فلسطين اذ يملأ ايدي الفلاح خيرًا من دون تكليفه عملاً شديدًا كباقي الاراضي · ويمر في عرضه على جانبي الاردن عدة مشارع وجداول بحيث يتيسر ري اراضيه بسهولة · وتنمو فيه كل اشجار البلدان الحارة نموًا سريعًا وتنضج اثمارها بسبب الحر قبل الاوان فتباع باسعار غالية · ويطلق اسم الغور على القسم الواقع بين

طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً واوسع نقطة فيه عند غرين تبلغ نحو ١٠ اميال

اما الاقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير · وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة · واطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدباء من كثرة الملح المنتشر فيها · والقسم الاكبر منه الآن تابع للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتديرشؤونه الزراعية مديرية بيسان ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير اراضيه واستغلالها بعد ان كانت مهملة ان اسباب العمران لا تتوفر الا بتوفير اسباب الامن والراحة كمد طريق مركبات تتصل بطريق القدس عند اريحا و بطبريا من الطرف الآخر · وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه · وقد كتبنا بذلك مرة الى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فرأينا انها اقتصرت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتمهيد الطريق حواليها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الاردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمره · ويعسر السفر في الغور في ايام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكون الارياح فيعمي الابصار ويصم الاذان وافضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا الى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرأناها لبعضهم منذ مدة وهي قوله في كلامه عن احدى المجلات ما معناه

« ان تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر · فانه يكفي ان تكون في مكتبة الكاتب دائرة للمعارف الاوروبية (انسيكلوبيذيا) لتكون مجلته او جريدته علمية تاريخية صحية فلسفية زراعية سياسية صناعية · اذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ · · »

فجواب المنصف على ذلك ان هذا الانتقاد في محله اذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتركهم « الاخصاء » (انصراف كل عالم الى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمعقول معاً · فيكون احدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً ادبياً فيلسوفاً في وقت واحد مع

انه لو صرف عمره في فن واحد من هذه الفنون لما استطاع انقانه كما يجب ولما المّ بكل ما يُكتب فيه · وقد سبقت الجامعة الى هذا الانتقاد في مقالتها « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » لان الجهر بالحق واجب وان كان مرًّا · ولكن اذا كان الغرض من كلام المنتقد تحقير العاملين في الشرق اليوم فانه تحامل وتطاول على الذين يشقّون انفسهم بالتعب والكدّ لنفع الناس · ولو انّ اصحاب المجلاّت الاوروبية والاميركيّة يسمعون بان في الشرق مجلاّت وجرائد قد ينفرد باحداها فرد يبذل عرق القربة في تحرير موادّها العلمية والادبية والسياسيّة المختلفة وابوابها المتعدّدة وان بين قراء الشرق من يجزي اصحابها على ذلك بالتصغير والتحقير جزاء سنمّار فانه يدهش من ذلك ويعرف به سرًّا من اسرار التأخر في الشرق وهو مقاومة العاملين النافعين

فالمجلات والجرائد في الشرق مضطرة الى تنويع ابحاثها تبعاً لاذواق قرائها · ولو انفردت كل واحدة منها بمادّة لما قامت لها قائمة · فالتبعة اذًا واقعة بالاكثر على الجمهور اذ ليس بين قرائه قراء يطلبون مادة واحدة ويكتفون المجلة المشتغلة بها · ولو وضعتَ اي عالم من علماء الغرب بين قومه موضع كتابنا بين قومنا اي انك عهدتَ اليه ان يحرر بقلمه وحده مجلة « تبحث في كل شيء » كما يقولون وتحوز رضى الجمهور الغربي واكرامه لاستعفى اليكَ بقوله « عفوًا فلستُ حطّابًا » وما ذلك الاّ لانه يرى نفسه مع سعة علمه في فنه عاجزًا عن ارضاء الجمهور الغربي في باقي الفنون لان التأليف عندهم هناك ابتداع لا اتباع · ومن المحال ان يكون الابتداع في جملة فنون لان عمر الانسان قصير وقواه محدودة

ولنا احسن دليل على ذلك في كبير مؤلفي الغرب الفيلسوف ارنست رنان · فانه في مقدّمة كتابه « القديس بولس » لم يخجل من التصريح بانه استعان في كتابة هذا الكتاب بالمسيو دارانبورج والمسيو نولاير فيما يختص بالتلمود · و بالمسيو رو وهوزي ودي جاردين وكيبر فيما يختص بالجوغرافيا · و بالمسيو رنيه واجر وادنكتن فيما يختص باللغتين اليونانية واللاتينيّة · قال ولم يكن فكري يستريح فيما يختص بشؤون سوريا وآسيا الصغرى الاّ متى جاء رأيي مطابقًا لرأي المسيو وادنكتون الرحالة المشهور · اي ان رنان كان يقابل من ذكرنا من الاخصائيين في اثناء تأليفه كتابه و يستعين بعلمهم — فاذا كان مؤلف مثل رنان يعتمد على غيره أيُحرّم على كتّاب الشرق الاعتماد على كتاب الغرب الذين سبقوهم بمراحل

ثم ان الذين يظنون ان الترجمة والتلخيص أمر سهل يخطئون خطاء عظيماً · اذ القصد من الترجمة الصحيحة ابراز نفس مادة المؤلف بقالب مساوٍ لقالبها الاصلي في القوة والسهولة

والجمال . وهذا يقتضي قوى كقواه . نعم ان ترجمة وتلخيص الفصول التاريخية والنباتيَّة والصحية والطبيعية امر سهل لان الكاتب اذا تصرَّف فيها لا يشوّهها ولا تقتضي تعباً غير معرفة الاصول وضبط الاصطلاحات . ولكن ترجمة المواد الفلسفية والادبيَّة على الخصوص بقالب كقالبها الاصلي لا يعرف صعوبته الاَّ من عاناه . ولقد صرفنا نصف نهار في ترجمة « صلاة رنان على الاكربول » المنشورة في هذا الجزء مع اننا متى كانت المواد جاهزة لدينا نكتب بنصف هذه المدة اطول مقالة من مقالات الجامعة تأليفاً او تلخيصاً . وعلى ذلك فترجمة كتلك الترجمة هي في الحقيقة اصعب من التاليف

وبناء على ذلك لا غنىً للكتّاب اصحاب المجلات والجرائد في الشرق عن الاعتماد على علماء الغرب في جميع فروع الحركة العلمية لان الغرب اليوم مصدرها كما ان الشرق كان مصدرها من قبل وكان الغرب ياخذها عنه . والمخلصون منهم الذين يكرهون الشعوذة يعترفون بذلك ويقولون ان وظيفتهم انما هي قائمة باقتطاف المعارف الغربية من حدائق علمائها الاعلام المنصرفين الى غرس هذه الحدائق علماً وعملاً . اما الذين يحاولون انكار ذلك والتظاهر بضده فلا يجوز ايهامهم الاَّ على السذّج والعامة الذين يصدّقون كل ما يقال لهم . ولو لم يكن المنتقد من الفريق الثاني لما صدر هذا الانتقاد عنه

وربما يُقال ان الكلام في المواضيع الشرقيَّة لا ينطوي تحت هذا الحكم . فتاريخ الشرق وعادات الشرق وجغرافية الشرق لا تؤخذ الاَّ عن الشرقيين انفسهم . فجوابنا على ذلك بكل حرية وصراحة ايضاً اننا من سوء الحظ في هذا ايضاً لا غنى لنا عن علم الغرب وجدّه وصبره . فهنالك مستشرقون عظام ينفقون اموالهم واعمارهم في درس الشرق وآثاره معتمدين على مكاتبهم الغاصة بكتب علماء الشرق الاولين . وربَّ واحد منهم يسيح في الشرق سنة ويتفكر ويطالع في موضوعه سنتين ويكتبه في سنتين وينقحه في عشر سنوات ثم يبرزه آية في الجمال والكمال . فالمؤلفون في الشرق لا وقت عندهم ولا مال ولا الاحوال تساعدهم على هذا الانقطاع فيضطرون الى الاعتماد على رصفائهم الغربيين بالاكثر فيأخذون في سنة ما تعب اولئك سنوات في وضعه . واحياناً يذكرون ذلك واحياناً لا يذكرونه . فالشرق لا يزال طفلاً في كل شيء حتى فيما يختص بنفسه . والطفل لا يصير رجلاً بمجرَّد دعوى الرجولية . واذا كان هذا الطفل لا يزال يجلب ملابسه وآلات عمله وجميع حاجاته من الغرب فهل من الغرابة ان يجلب منه علمه ايضاً . هل ان ايجاد العلم اسهل من ايجاد المصنوعات . كلا بل ايجاده اصعب من ايجادها بكثير لانها ليست سوى نتيجة له . ولكن

العلم يسهل انتحاله والمصنوعات لا يسهل انتحالها

وغني عن البيان ان هذا القول لا يشمل التلخيص او التأليف من الكتب الشرقية العربيّة التي بين الايدي لان هذا الامر اسهل من التلخيص او التأليف من الكتب الافرنجية. ذلك لانه لا يستلزم سوى الصبر على المطالعة وحسن التأليف بين المواد الموجودة امامه في الكتب اي جمعها بعضها الى بعض مع ملاحظة تناقضها ومبالغتها

كل ذلك يعترف به الكتّاب ولا ينكرونه · وهم يعجبون بغيرة بعض الشرقيين الذين لا يرضون ان تتبع مجلاتهم وجرائدهم خطى علماء الغرب بل يطلبون ترقيتها لتستقل بنفسها وبعلمها · ولكن هؤلاء الغيورين ينسون من سوء الحظ ان ذلك لا يتمّ لها بالتطاول والتحامل عليها ولكن بمساعدتها وتشجيعها

اللغة العربية والشرق

بقلم جناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

((يحق للقارئ بعد تلاوة هذه القصيدة الغراء ان يقول معنا هذا هو الشعر العربي المبين والدرّ النظيم · وقد خصص كلٌّ من نابغي الشعر في مصر نفسه بمقام رفيع يلوذ به · فشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية · وحافظ افندي ابرهيم والشيخ مصطفى افندي المنفلوطي شاعرا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية · اما الرافعي ناظم هذه القصيدة فهو على ما يظهر يحب ان يكون (شاعر الشرق) لكثرة حنينه اليه · وكل من يعرف شباب الناظم لا يشكّ في انه سيكون له في هذا الفنّ في الشرق ارفع مقام اذا استمرّ يطلب فنه لذاته ولم ييأس منه ويتشاغل عنه · والآن اليك درره في اللغة العربية والشرق))

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ

كانت لهم سبباً في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ

لا عيب في العرب العرباء ان نطقوا بين الاعاجم الا انهم عربُ

والطير تصدح شتّى كالانام وما عند الغراب يُزكّى البلبل الطربُ

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ

ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحبُ

ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه ... صبح فكان ولكن فجرها كذبُ
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة ... كأنها لعنة في الجو تلتهب
سلوا الكواكب كم جيلٍ تداولها ... ولم تزل نيّراتٍ هذه الشهب
وسائلوا الناس كم في الارض من لغة ... قديمة جددت من زهوها الحقب
ونحن في عجب يلهو الزمان بنا ... وما اعتبرنا وبئس الشيمة العجب
ان الامور لمن قد بات يطلبها ... فكيف تبقى اذا طلاّبها ذهبوا
كان الزمان لنا والألسن جامعة ... فقد غدونا له والامر ينقلب
وكان مَنْ قبلنا يرجون نهضتنا ... فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا
أنترك الغرب يلهينا بزخرفه (١) ومشرق الشمس يبكينا وينتحب
وعندنا نهرٌ عذب لشاربه ... فكيف نتركه في البحر ينسرب
لكم بكى القول في ظل القصور على ... أيام كانت خيام البيد والطنب
والشمس تلفحه والريح تنفحه ... والظل يعوزه والماء والعشب
وأيما لغةٍ تنسي امرأً لغةً ... فانها لعنة من فيه تنسكب
ارى نفوس الورى شتى وقيمتها ... عندي تأثرها لا العز والرتب
الم ترَ الحطب استعلى فصار لظىً ... لما تأثر من مس اللظى الحطب
فهل نضيّع ما ابقى الزمان لنا ... وننفض الكف لا مجدٌ ولا حسب
انا اذاً سبة في الشرق فاضحة ... والشرق منّا وان كنا به خربُ
هيهات ينفعنا هذا الصياح فما ... يُجدي الجبان اذا روّعته الصخب
ومن يكن عاجزاً عن دفع نائبة ... فقصرُ ذلك ان تلقاه يحتسب
اذا اللغات ازدهت يوماً فقد ضمنت ... للعرب اي فخار بينها الكتب
وفي المعادن ما تمضي برونقه ... يدُ الصدا غير انْ لا يصدأ الذهب

---

(١) فليسمح لنا الناظم ان نقول هنا بان تمدن الغرب ليس بزخرف بل هو تمدن عظيم . والاحسن ان نشترك في فضله ونقول انه ليس سوى تتمة التمدن الشرقي الاوّل . وبناء على ذلك اذا اقتبسناه فاننا نسترد بضاعتنا القديمة

آثار عرب الشام

الغساسنة

بينما كان علماء الالمان في هذا العام يبحثون في الجامع الاموي في دمشق الشام عن آثاره الخطية القديمة وينشرون ما انطوى فيه من الكتب والرسائل العبرانية والسامرية واللاتينية والارمنية واليونانية والسريانية كان المسيو برهرت احد المستشرقين الالمانيين ايضاً يجول بين يدي سكة الحجاز الحديدية في غربي الاردن حيث تكثر الخرابات والآثار القديمة. وقد سهّل له ذلك المهندسون الالمان في السكة الحديدية الحجازية

ولما عاد المسيو برهرت الى وطنه نشر شيئاً من نتيجة رحلته. واهمّ ما جاء فيها تنبهه الى خرابات مجهولة قائمة وراء الاردن على طريق الحج تدعى «المشتى» وقد سميت كذلك لان البدو هناك يصرفون فصل الشتاء فيها

وخرابة «المشتى» هذه عبارة عن قلعة مربعة تقريباً طول جدارها الجنوبي ٦٠ متراً وجدرانها الثلاثة الاخرى اقصر بثلاثة امتار. وعلى هذه الجدران الثلاثة برجان ضخمان وخمسة ابراج اخرى أصغر منهما. والمدخل اليها كائن في صدرها الجنوبي. وهذا الصدر مزين بنقوش في غاية الجمال وإحكام الصنعة حتى ان السائح ليدهش من اتقانها

لكن يظهر من حالة البناء انه لم يتمّ قط اي ان الذين شرعوا في بنائه عدلوا عنه بعد الشروع فيه. قال المسيو برهرت: ولكن من بنى ذلك البناء الفخيم في تلك البرية الجرداء التي لا اثر للقرى والمدن من حولها؟ يظهر ان السائح يرجّح ان ذلك الاثر من آثار الغساسنة عرب الشام. فان المسيو دي فوكوه يقول ان آثار شربة البيداء في الصفا في شرقي دمشق هي من آثار الغساسنة. والمشتى شبيهة بشربة البيداء من عدة وجوه. وفضلاً عن ذلك ففي قرب المشتى قلعة اخرى تُدعى «القسطل» مشهور عنها انها من آثار الغساسنة. (انظر كلام ابي الفداء بعدُ) وفي ذلك دليل على صحة رأي المسيو برهرت

ومعلوم ان الغساسنة عرب اصلهم من اليمن من بني الازد وقد هاجروا بلاد العرب عقب حروب واضطرابات مختلفة (١)« ونزلوا على ماء بالشام يقال له "غسان"، فنسبوا اليه. وكان قبلهم بالشام عرب يُقال لهم الضجاعمة من سليح فاخرجت غسان سليحاً عن ديارهم

(١) ابو الفداء يقول عقب سيل العرم

وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم . واول من ملك منهم جفنة بن عمرو . وكان ابتداء ملكهم بالشام قبل الاسلام بما يزيد على اربعمائة سنة وقيل اكثر » (ابو الفداء) ولما ظهر الاسلام اتخذهم القياصرة اعواناً لهم على المسلمين كما اتخذوهم من قبل اعواناً لهم على الفرس فكان الدم العربي المسيحي في جيش الروم يحارب الدم العربي في جيش المسلمين . اي ان الاخوين كانا يقتتلان كل واحد دفاعاً عن دينه وملكه وبلاده . وغير غريب ان تكون خرابة المشتى الجميلة أثراً من آثارهم فقد روى المؤرخون انهم كانوا مولعين بالبناء وانشاء الحصون والقصور . منها صرح الغدير (١) في اطراف حوران لاميرهم ثعلبة . والقناطر وادرح والقسطل الذي مرّ ذكره لجبلة . والحفير ومصنعه للحارث بن جبلة . ودير ضخم ودير النبوة(٢) للايهم بن الحارث . وقصر السويداء للنعمان الذي قال النابغة الذبياني في ابيه عمرو

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمـة　　لوالده ليست بذات عقارب

واصلح النعمان بن الحارث صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين . وبنى الايهم بن جبلة بن الحارث ابنية في تدمر وكان له عامل يُدعى « القين » بنى خسر وقصراً عظيماً في البرية ومصانع الذي يظن ابو الفداء انه قصر برقع

وكان الغساسنة يحبون السكنى في القفار والسهول الجدباء على الاقامة في المدن والقرى وذلك لانطباعهم في الاصل على المعيشة البدوية ولكن امراءهم كانوا يتخذون القصور والحصون مقاماً لهم ويبنونها في وسط القفار . وكان لديهم بناءون ماهرون في صنعة البناء من اليونان والفرس . وكل امير منهم لم يكن يبني شيئاً في حياته فانه يكون عندهم قد خالف سنة اجداده كما رأيت فيما تقدم

وقد شاهد المسيو برهرت في سياحته التي نحن في صدرها في جهات ادوم ايضاً آثار بُصرى الادومية (غير بصرة العربية) وهي التي كانت موجودة في عهد موسى لما اقتسم ارض الميعاد بين بني اسرائيل ودخلت يومئذ في قسم روبين . ولكن بما انها كانت على حدود مملكة روبين وادوم ومواب فقد كانت تنتقل بين هذه الممالك الثلاث تبعاً للمنتصر . وقد صارت في عهد قطسنطين الكبير وفيليب العربي كرسياً للولايات العربية وبلغت من الحضارة مبلغاً عظيماً . وفي عصر مملكة تدمر كانت حصناً للحدود ومركزاً عاماً لقوافل التجارة .

---

(١) لعلها شربة البيداء التي تقدم ذكرها آنفاً

(٢) يقول ابو الفداء « البنوة » ولعلها اصح لنسبتها للاقنوم الثاني

اما اليوم فلم يبقَ فيها سوى خرابات نخيمة و بيوت حقيرة تسكنها ثلاثون او اربعون عائلة ولكن السائح وجد بجانب بصرى هذه خرائب قريتين تدعيان « غسام »قال بعضهم: فمن المحتمل ان تكون هذه الكلمة محرفة عن «غسان» وان تكون تلك الآثار من آثار الغساسنة ايضاً . وبذلك تقوى حجة القائل بان خرابة « المشتى » من آثارهم لثبوت وصولهم الى بلاد ادوم

كتاب مفتوح

الى عطوفتلو رشيد بك والي بيروت قبلاً
و والي بروصه الآن

هي قصة صغيرة نرجو من عطوفتكم ان تسمحوا لهذه المجلة ان تقصها عليكم . وهي مضطرة الي ذلك بسبب وظيفتها الاولى التي كانت لها

فانكم تعلمون يا صاحب العطوفة ان هذه المجلة كانت تُدعى « الجامعة العثمانية » ونذكر انها صدرت وعطوفتكم في بيروت . وقد صرفت همها منذ نشأتها للدعوة الى ما فيه التوفيق بين العناصر العثمانية المختلفة . وذلك لسببين (الاول) ان اخلاق صاحبها تكره الشقاق والنزاع . وهو يفضّل ان يكون بين الاحزاب تصيبه الصدمات من الجانبين على الانحياز لاحد الفريقين . ذلك لان الانحياز يقتضي التنازل عن الاستقلال الشخصي وطلب الغلبة لا طلب الحقيقة . فقد قال فولتير واصاب في هذه ان من ينشد الحقيقة المجردة لا يمكن ان يكون مع حزب دون حزب لان كلاً من الاحزاب في جانبه شيء من الحق . والعقل يوجب على العاقل الاعتراف بهذا الحق بدلا انكاره تأييداً لحقه . (والسبب الثاني) ان مصلحة الدولة العثمانية نفسها ومصلحة « كل » العناصر فيها قائمة بالتوفيق والاتحاد والمسالمة

وقد استمرت « الجامعة العثمانية » في سنتها الاولى تبحث في الاصلاح العثماني وطرقه بكل حرية وهي تدخل مع البريد العثماني مارة على قلم المراقبة دون ان يؤخر جزء منها او تُقص صفحة من صفحاتها . . فخيبتم بذلك ظن صديق غيور كان يرسل اليها من بيروت مع احد الاصدقاء يقول لها ان تعدل عن الكلام في الاصلاح وذكر الاصلاح لئلا يصيبها اذى . ذلك لانكم فهمتم غرضها وأحسنتم الظن بها

ولكن من سوء الحظ نُشرت في الجزء التاسع منها مقالة لم ترضوا عنها . فردَّ الينا الجزء المذكور . فحينئذٍ علمنا انكم لا تريدون ان نقول « الحقيقة المجرَّدة » بل ترومون ان ننظر اليها من جانب واحد فقط . وبذلك هدمتم مشروعنا الاول باشارة واحدة . لان الذمة لا تطاوع على ان نكتم شيئاً ونُظهر شيئاً . وبما اننا كنا نكره القيل والقال عزمنا على العدول عن الخطة السياسية الاولى . فغيَّرنا حجم المجلة وتركنا السياسة جانباً على نية ان نعود اليها يوماً في جريدة سياسية خصوصية . وبدل ان تكون « الجامعة » مقتصرة على الشؤون العثمانية كما كانت ، وسعت حينئذٍ فضاءها ومدَّت حدودها وصارت « الجامعة » الشرقية

ولم نذكر هنا يا صاحب العطوفة هذه الاخبار التافهة لابراز السبب الذي من اجله عدلت الجامعة عن خطتها السياسية الاولى . كلا . وانما ذكرنا ذلك لحدوث حادث كبير فرط عقد الجامعة العثمانية التي انشئت هذه المجلة اولاً للدفاع عنها . وعلى ذلك يجب عليها ان تقول الآن كلمة فيها . والا فسكوتها في حال كهذه الحال يُعدُّ بمنزلة تهكم جارح لها وللمبادىء التي دافعت من قبل عنها

ونظنكم قد علمتم اننا لا نريد بالقصة المذكورة سوى حادثة بيروت المشهورة . ولا تخافوا فاننا لا نكبّرها . ولكننا ايضاً لا نصغّرها . وقد مضى عليها الآن من الوقت ما كسر الحدَّة في الجانبين فصار يمكن الكلام فيها بعقل واعتدال لوجود من يسمع هذا الكلام بعد ذهاب سورة الغضب والجنون

ثم اننا لا نقصد بهذا الكتاب القاء تبعة الفتنة عليكم او على غيركم فان هذا الامر من شؤون مجالس التحقيق . وانما الغرض استخراج النتائج من هذه الحادثة لنرى هل جاءت منطبقة على مصلحة احد من الفريقين او على مصلحة السياسة التي كان والي بيروت السابق اميناً عليها

فعطوفة والي بيروت السابق كان بينه وبين دولة مظفر باشا حاكم جبل لبنان شيء من النفور . وذلك لسببين السبب الاول رغبة والي بيروت السابق في خدمة السياسة العثمانية من جهة لبنان . وكانت سياسته في هذا الامر موجهة الى مقاومة استقلال لبنان بقدر الامكان لاظهار عجز الشرقيين عن حكم انفسهم بانفسهم وهدم هذه المنقطة المستقلة التي وضعتها الدول هناك كوباء يُخشى ان تسري عدواه . ولذلك لم يكن والي بيروت السابق يقاوم ذات المتصرف بل ذات حكومته . والدليل على ذلك ان والي بيروت السابق كان يقاوم نعوم باشا كما كان يقاوم مظفر باشا . وقد شاهدنا بعيني رأسنا رسائل مهمة ضد متصرفية الجبل في عهد نعوم باشا واردة من بعض المراسلين المسيحيين في بيروت وفيها ان والي بيروت السابق

يريد نشرها دون حذف شيء منها .ـ هذا هو السبب الاول في استيائكم من مظفر باشا والي لبنان . واما السبب الثاني فهو ان مظفر باشا كتب ضدكم الى الاستانة وقال فيكم ما قاله . فاستاءتم من ذلك ورمتم الاخذ بالثأر منه : قال المخبر البيروتي الثقة وهذا كان اصل البلاء بقطع النظر عن وصول الاسطول الاميركي

ذلك انكم كنتم تريدون كما قالوا ان يفرّ بعض من الاشقياء الى لبنان لكي تشكوا دولة مظفر باشا الى الاستانة بانه يشجع الاشقياء الذين يعيثون بالامن العام ويحميهم في بلاده . وفي الحقيقة ان هذا كان اشد انتقام منه لعلمكم ان جلالة السلطان يبذل ما عزّ وهان لحفظ الأمن في مدينة كمدينة بيروت في أحوال كهذه الاحوال . ولكن الضربة جاءت اكبر بكثير مما كنتم تظنون . فانكم بعثتم رجال البوليس لنزع السلاح من المزرعة والقبض على بعض المعتدين ثم ذهبتم الى مصيفكم في عاليه . ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل المحزنة فلنضرب صفحاً عنها . ولننظر الى نتيجتها . ان نتيجتها لم تكن فرار خمسة او عشرة اشقياء الى لبنان لاتهام حاكم لبنان بحمايتهم بل كانت نتيجتها فرار عشرات الوف من « العثمانيين » الى لبنان . وانظروا ذلك التهكم الغريب الذي جاءت به تصاريف الاقدار : ان مظفر باشا الذي رمتم نكايته كلّف من قبل الدولة بالنزول الى بيروت لمساعدة دولة الناظر الهمام على اصلاح الفساد

فمن ذلك يظهر ان نتيجة الحادثة جاءت مخالفة لمقصد والي بيروت السابق ولسياسته الشخصية كلّ المخالفة . فبدل ان يخرج له منها ما يرضي جاءه منها ما يُسخط لانها أحلّت سلطة خصمه ـ بل خصميه اي الناظر والمظفر ـ محلّ سلطته . ولكن فلنبحث . اذا لم يكن في تلك النتيجة نفع لسياسته الشخصيّة انما كان فيها نفع لسياسته العمومية من جهة لبنان

والاسفاه مسعاه حبط هنا كما حبط هناك ايضاً . ولم يحبط فقط بل انه ادى الى نتيجة معاكسة للنتيجة التي كان يطلبها . فان الحادثة المعلومة جعلت لبنان للفريق اللاجىء اليه بمنزلة حصن الأمن الذي تُحقن فيه الدماء . فلم يعد اللبنانيون وحدهم يتمسكون بامتيازاتهم فيه بل ان جيرانهم في كل الثغور صاروا اشد حرصاً عليها منهم لاشتراك منافعها بينهم . فكأن والي بيروت السابق قوّى امتيازات لبنان وزاد الناس تمسكاً بها بدل اضعافها . وحسبه ان يرى الآن تنبه العواطف القديمة في لبنان ليعلم سوء سياسته من نحوه

فهذه الحادثة يا صاحب العطوفة لم تنفع والي بيروت السابق شخصياً ولا نفعت سياسته العمومية . بقي علينا الآن ان ننظر الى المضرة التي نشأت عنها

ولسنا نقصد هنا بالمضرّة ما نزل في بيروت من الخراب المالي والتجاري . كلا . فان

هذا عارض والعارض يزول . وانما نقصد بالمضرّة تضعضع عاطفة كانت آخذة في النمو . وفي نموها مصلحة الدولة بلا مراء . واليكم البيان

تعلمون يا صاحب العطوفة ان ساسة الدولة العثمانية الاعلام مثل عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا كانت سياستهم مع المسيحيين في البلاد العثمانية تدور على محورين (الاول) استمالة رؤساء المذاهب المسيحية اليهم منعاً لمداخلات اوربا بينهم وبينهم (والثاني) بذل الجهد لفصل الرعايا المسيحيين «سياسيًا» عن رؤساء مذاهبهم الدينية اذا لم يمكنهم استمالة هؤلاء الرؤساء . وكانت طريقتهم الى ذلك تدلّ على ثاقب فكرهم وواسع نظرهم واصابتهم الدواء اللازم وصفه للداء . فانهم وضعوا هذا المبداء : ان الدين علاقة خصوصية بين المخلوق والخالق . فالمسيحي حرٌّ في ان يعبد الله كما يشاء . وليس من حق الدولة ان تتداخل في شيء من ذلك . ولكن اتخاذ الامور الدينية سبيلاً الى الامور السياسية في الدولة امر يوجب على الدولة المداخلة . ولكي تمكنها هذه المداخلة يجب عليها الاهتمام باقامة العدل على السواء بين الجميع ومعاملتهم سرًا وجهرًا معاملة الاخوة الحقيقيين . فبهذه الطريقة ينفصل نبهاء المسيحيين شيئًا فشيئًا عن الاحزاب الدينية السياسية القديمة فيكونون اعوانًا لنا . وبذلك تسقط عنهم وعنا السلطات السياسية الدينيّة

ونحن نخبر عطوفتكم يا صاحب العطوفة ان ذلك الحزب الجديد او النبت الجديد كان قد اخذ يتكاثر وينمو في بلاد الدولة . والداعي لكم كاتب هذا الكتاب يُقسم لكم بكل ماهو مقدس انه يعرف كثيرين منه . فان سياسة جلالة السلطان السلميّة من جهةٍ واهتمام اكثر رجال الدين بانفسهم قبل الاهتمام برعيتهم من جهة اخرى وظهور انانية اوروبا لمسيحيي الشرق ظهورًا رفع الحجاب عن عيونهم من جهة ثالثة ـ كل ذلك صار يُربي في ظلال الراية العثمانية نابتةً جديدة لا مطمع لها في غير العدل الحقيقي والمساواة الحقيقية لتكون مخلصة الى اقصى درجات الاخلاص . وقد اشتغل كثيرون من الكتاب والخطباء في مساعدتها على ذلك اذ فيه مصلحتها ومصلحة دولتها معًا

فبينما نحن في ذلك واذا بحادثة بيروت تهدم مبداء عالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا . اي تهدم البناء الذي بناه العقلاء في النفوس منذ ٢٥ عامًا . فماذا جرى حينئذ ؟ ان رجال المذاهب والاديان صار لهم في هذه الحادثة الاهمية الاولى واليد الطولى . والناس الذين كانوا ينتقدون رجال الدين لانهم لا يقومون بواجباتهم خرست السنتهم واختبئوا في الزوايا لعلمهم انه لم يبقَ الآن احد يسمع لهم . وكيف يسمع الناس عذلاً وانتقادًا في من يصونون

حياتهم ويسدون جوعهم · بل هنالك امر اعظم · اننا نعرف صديقاً في الاسكندرية مستاءً من مطران في بيروت · وكان لا يطيق ان يسمع بذكره لاعتباره انه اساء اليه في مسألة مهمة وان كان سيادة المطران يجهل تلك الاساءة او لم يتعمدها · فلما حدثت حادثة بيروت وسمع عن المطران ما سمع صار يضحك ويسر لذكره · وقد اتفق مع احد اصدقائه وارسل اليه ٢٠ جنيهاً لينفقها على المحتاجين

ونظراً لما نعلمه من ان هذا الكتاب لا يطلع عليه احد غير عطوفتكم نخبركم خبراً عن الجامعة نفسها من هذا القبيل فان « الجامعة » نشرت في جزئها الخامس رواية عنوانها « الوحش الوحش اوسياحة في ارز لبنان » وفي هذه الرواية فصل طويل بشأن الديور والرهبان · وقد جاء في هذا الفصل ان الديور لا نفع منها اليوم للناس اذا لم تغير خطتها · فلما حدثت حادثة بيروت تأملنا واخرنا ارسال الرواية الى لبنان · لانها لو وصلت في ابان الحادثة لقوبلت بالسخط والضحك · وربما لا تعدم هنالك راهباً متحمساً يقف ويقول « نفع الديور في هذا الزمان ظاهر للعيان · فانها تفتح ابوابها لالوف اللاجئين من بيروت فتؤاويهم وتغذيهم وتسكّن قلوبهم » وهكذا يا صاحب العطوفة يضطر حزبكم ان يسكت · ونريد هنا بحزبكم حزب فؤاد باشا وعالي باشا اي الحزب المسيحي الذي يروم الانفصال عن الامور الدينية السياسية انفصالاً قطعياً للانضمام الى جامعة عثمانية مبنية على الاخاء والمساواة المطلقة والحرية

هذه هي المضرة الكبرى التي حدثت بسبب تلك الحادثة · وقد ذكرناها لكم بكل حرية دون رياء ولا تصنع · ولا ريب عندنا ان الدولة تستاء من هذه النتيجة اشد استياء لانها مناقضة للباب سياستها ومصلحتها · ولكن من المسئول عن ذلك يا ترى ؟ هنا نراكم تفكرون ملياً ثم توعزون الى سكرتيركم ان يجاوب عنكم فيجاوب بهذا الجواب الطويل

« هل تظنون ان الوالي ملاك هابط من السماء ؟ ان الوالي بشر كباقي البشر · فحين يولّى مدينة زاهرة كبيروت يُخيل له انه ملك في مملكة · فالعناصر المختلفة تزحف لاجلاله وتكريمه · واكثر اغنيائها لا يدخرون وسعاً في استمالته · فاليوم يقيمون له المآدب · وغداً يقدمون له الهدايا · وبعد غد يدعونه الى المراقص · واحياناً يرقص ابنه في هذه المراقص مع سيدة جميلة وبعد الرقص تعرق السيدة من التعب فتمسح بمنديل الوالي عرقها عن وجهها وعن الديكولته · نعم ان حرمه حينما يدرين بذلك يسخطن منه ولكن رضى السيدات قريب كسخطهن وهكذا لا يرى الوالي من نصارى بيروت غير الجوانب الدنيوية

المزخرفة ولا يصادف امامه من رجالهم الاَّ طلاب الوظائف والاغراض . فيخيَّل له ان جميع نصارى بيروت على هذه الشاكلة . فيطمع فيهم ويستخف بهم . وكم من والٍ يتهيَّب بيروت في الاسبوع الاول من ولايته ثم يستخف بها منذ الاسبوع الثاني . ولذلك قال بعض ولاة الديار الشاميَّة يعني جميع اهل الشام نحن لا نستخف بهم بل هم يحنون لنا ظهورهم ويقولون اصعدوا واركبوا . فاين هذه الشهادة من شهادة معاوية بصلابة اهل الشام وحرصهم على حقوقهم . ومن جهة اخرى فان لبيروت داء غير هذا الداء وهو دسائس الاجانب . وهنا تنفس سكرتيركم الصعداء وقال : انني اترك الدسائس السياسية جانباً واَنظر الى ما هو اهمّ منها واريد به دسائس بعض تراجمة القنصليات في بيروت . فان بعضهم يتخذ السلطة القنصليَّة آلة يمتص بها منافع لنفسه ويدوس كل نظام وكل حق للوصول الى اغراضه . وقد كثرت هذه الشكوى حتى صار الناس يتمنون ان تجعل بعض الدول تراجمة قنصلياتها في بيروت اناساً من ابنائها ممن يحسنون اللغة العربية . فلماذا تلومون الوالي وحده مع ان له شركاء في المسئولية . ان الوالي ضيف . وهو اليوم هنا وغداً هناك . اما اولئك فهم ابناء البلد ولذلك يكونون احقّ باللوم منه متى سهّلوا العبث بمصالح بلادهم وقومهم خدمة لمصلحتهم الخصوصيَّة . ولكن كل ذلك لا يُذكر بالنسبة الى الداء المهم وهو وجوب توحيد التربية والوجهة بين العثمانيين كما تصنع فرنسا اليوم في بلادها لقطع كل مداخلة اجنبية في داخليتها بواسطة رعيتها . وبدون ذلك لا تقدم ولا راحة »

فهنا نقطع كلام سكرتيركم يا صاحب العطوفة لنستحسن كل الاستحسان ما ذكره عن توحيد التربية العثمانية ونجيبه عليه اولاً . نعم نعم يجب توحيد هذه التربية . نعم نعم يجب ان نتشبه بفرنسا وذلك بان نمنع ان يكون في قلب الامة امتان وشعبان . ولكن هل يعلم طالبو هذا الامر الهام الذين كثروا في سوريا ومصر على الاخص اي شيء يقتضي؟ انه يقتضي قبل كل شيء وضع الدين جانباً . اي ان كل مدارس الدولة التي يدرس فيها الفريقان درساً واحداً ويتلقنان فيها مبادىء متشابهة يجب ان تكون كالمدارس الفرنسوية معزولة عن الدين عزلاً قطعياً . فالطلبة من اي مذهب كانوا لا يدرسون فيها غير الدروس العلمية والادبية واما الدروس الدينية والمبادىء الدينية فتدرَّس في المعابد والمنازل . ويوم تعزم الدولة على توحيد التعليم في الامة العثمانية بناء على هذا المبداء مقروناً بالعدل المطلق والمساواة المطلقة قولاً وفعلاً فانها تجد من ابنائها المسيحيين اناساً يبذلون كل ما عزَّ وهان في سبيل تأييدها . ولكن بغير هذا المبداء ليس تحت قبة السماء قوة قادرة على توحيد مبداء الامة العثمانية

والاسفاه هنا مصدر دائنا . ولا نعلم متى يمن الله علينا بالدواء الذي لا دواء سواه دون مداخلة من الاجانب في شؤوننا . وعلى ذلك فكل ما ذُكر غير هذا انما هو فرع عنه وتابع له

ولكننا لا نجهل هنا الاعتراض القوي الذي يُعترض به على هذا القول . وهو هذا . كيف أُترك السياسة الدينية ما دامت اوروبا نفسها تستعملها في الشرق كآلة سياسية . والاسفاه . وهنا اوروبا تقول ايضاً : كيف اترك السياسة الدينية في الشرق ما دامت الدولة تجعلها محورها السياسي وقاعدتها الاولى فتبقى الضغائن الدينية فيه قائمة قاعدة في املا كي واملا كها كدرع للمصالح المادية الخصوصية يمنع الاتفاق النهائي الصحيح . وبناء على ذلك تبقى هذه متعللة بتلك وتلك بهذه الى ما شاء الله . والرعية — مسلمين ومسيحيين — بين الجانبين تستغيث بالله من الناس وتقف حيرى في ساحة الارتقاء بينما جميع الامم يزحفون ويتقدمون

هذا يا صاحب العطوفة ما اردنا رفعه الى مسامعكم الكريمة بعد الحادثة المشومة . ومنه يظهر ان والي بيروت السابق قد اخطأ الى الدولة خطاء شديداً بتمهيده السبيل لذينك الامرين (الاول) زيادة الميل والتعصب في سوريا ولبنان لامتيازات لبنان (والثاني) جعل السلطة الدينية في سوريا او بالحري في بيروت السند الوحيد للرعية المسيحية وبذلك قوي نفوذ هذه السلطة بعد ضعفه وخرس المقاومون لها لانكم سددتم افواههم بالحجارة . فاين عيون فؤاد باشا وعالي باشا تنظر هذا الامر وتندب انهدام ما تعب العاملون سنوات عديدة في بنائه . ولا ريب عندنا بعد هذا الانهدام انكم تشاركوننا في الاسف لحصول ذلك على يد والي بيروت السابق . واذا لقيتموه يوماً فتفضلوا بابلاغه هذا الاسف والسلام

« الجامعة العثمانية القديمة »

« حاشية » — بعد كتابة ما تقدم دخل علينا احد قراء الجامعة وقال انه كان يُطالع في هذا الصباح مقالة « ثلاث دول » المنشورة في الجزء الاول من هذه السنة . قال « فوصلت الى وقوع المعتمد بن عباد امير اشبيلية العربي بين نارين : نار الافرنج في الاندلس لطلبهم ملكه ونار المغاربة في افريقيا لطمعهم فيه ايضاً . فاستنجد بالمغاربة على الافرنج قائلاً « لئن يرعى اولادنا جمالهم احبُّ الينا من ان يرعوا خنازير الافرنج » فجاء امير المغاربة يوسف بن تاشفين بجنده فردوا الافرنج ولكنهم استولوا على اشبيلية واسروا ملكها المعتمد بن عباد . ثم جاء بعدهم الموحّدون فاسقطوهم وحلوا محلهم . وبقي النزاع في الاندلس قائماً

قاعداً بين العرب والمغاربة وقبائلهم بعضها مع بعض فاشتغلوا به عن حفظ انفسهم وتقويتها بينما كان خصومهم الافرنج يقوون انفسهم بالاتحاد تحت رايات دولهم . بل بلغ الحمق من تلك السياسة ان استنجدت دولة المرابطين بجيش من الافرنج على دولة الموحدين فلما فتح هؤلاء مراكش وجدوا فيها جيشاً افرنجياً (ابن الاثير) قال المحدّث فلما وصلت الى هنا رأيت ان هذه الحادثة تنطبق كل الانطباق على حادثة بيروت . فان اهل المزرعة المعتمد ابن عباد وأهل البسطة يوسف بن تاشفين وجنده . والافرنج ما زالوا افرنج . فهل يريد المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين ان يشغلا في بيروت مرة اخرى للافرنج كما اشتغلا لهم من قبل في الاندلس فصارت تلك البلاد كلها لهم »

قلنا سنوصل رأيك هذا الى عطوفة والي بيروت السابق ايضاً

العلم يبحث متلمساً

(الموت والحياة والسعادة والانسان)

آراء جديدة غريبة للعلامة الدكتور مشنيكوف في كتاب له حديث

اهتمت الدوائر العلمية في اوربا في هذا العام اهتماماً شديداً بكتاب عنوانه « مباحث في طبيعة الانسان » نشره العلاّمة الدكتور مشنيكوف الروسي وكيل ادارة معمل باستور في باريز . وقد ذكر فيه آراء في غاية الاهمية عن الموت والحياة واصلاح طبيعة الانسان اصلاحاً فسيولوجياً . واليك خلاصة هذا الكتاب الغريب فانه يجب ان يكون له صدى بين قراء اللغة العربية ليقفوا على اغرب الآراء في مستقبل الانسان والحياة في الارض

﴿ هل الانسان مخلوق كامل ﴾ تساءل العلاّمة مشنيكوف هل يمكن ان يكون الانسان سعيداً في الارض . قال : ذلك ممكن ولكن بشروط . فان بعض الحشرات والازهار قد خُلقت مزوَّدة بكل الاعضاء والغرائز التي تُتيح لها السعادة فما عليها الاّ ان تترك نفسها تعيش لتكون مستريحة سعيدة . ولكن الطبيعة غير عاقلة . فانها لم تخلق كل شيء بحكمة . وما الخلق عندها الاّ عبارة عن تصادم دقائقها حسب الاتفاق . ولذلك جاء الانسان على غير ما ينبغي ان يكون ووجدت فيه اعضاء تتعبه وتنغّص عيشه على غير فائدة وقد ورثها من الحيوانات اجداده . فان « الزائدة المعوية » فيه (الاباندیس) لا وظيفة لها في جسمه غير المرض لانها اثر قديم . ولكنها في الارانب ذات وظيفة مهمة لانها تساعدها

على هضم الطعام . وكذلك المعى الغليظ فهو مفيد جداً للحيوانات المجترة ولكنه في جسم الانسان موضع للخطر لان فضلات الطعام تتجمع فيه . وكذلك المعدة فانها مفيدة للبقر مثلاً ولكنها متعبة للانسان لانها تسبب له سوء الاخلاق وينشأ فيها السرطان . ولقد استأصل الاطباء المعدة من كثيرين فعاشوا دون معدة مسرورين مستريحين وذلك لاقتصارهم على اغذية كيماوية خفيفة على امعائهم

هذا من حيث اعضاء الانسان الداخلية . ولننتقل الآن الى امر آخر وهو «غريزته الحيوية» اي حبه الفطري للحياة . فنجد ان هذه الغريزة تعذبه اشد عذاب . فانها تنمو وتشتد كلما تقدم الانسان في السن . وسبب ذلك ان الانسان لا يبلغ اشده حتى تصيبه الشيخوخة والعجز . فتنتهي حياته قبل ان يتمتع بها كما يريد . ولذلك يزداد تمسكاً بها . ويتمثل له الموت دائماً نصب عينيه . واذا قيل ان ذلك ناموس طبيعي عام فالجواب ان هذا القول خطاء . فان كثيراً من الحيوانات وكل الديدان تموت دون ان يصيبها هذا الانحطاط اي المرض والشيخوخة . ومع ذلك فموت الحيوان لا يشبه موت الانسان . لان الانسان يشعر ويحس ان له اجلاً سيموت بعده وهنا موضع عذابه . واما الحيوان فلا يشعر بذلك بل يأتيه الموت ويأخذه دون علم منه . نعم ان كثيراً من الخيل تظهر في ساحة الحرب اذا كانت مفروشة بالجثث خوفاً فطرياً ولكنها لا تدري بان لها اجلاً

فبناء على ذلك يكون المرض والشيخوخة والموت اعظم موانع السعادة والراحة في هذه الحياة

﴿ **اصلاح طبيعته بسكين الجراح** ﴾ قال العلامة مشنيكوف ولكن لنا طريقة لازالة هذه الشرور وانقاذ الانسان من الضعف والمرض وهي ان يشق باطن كل طفل حين ولادته وتمد اليه سكين الجراح فتحذف الزائدة المعوية وتبتر المعى الغليظ وتصلح المعدة او تحذفها . . وهذا ما يسمى اصلاح طبيعة الانسان . وبما ان الشرائع تمنعهم من تجربته في الاطفال فقد شرع مشنيكوف وتلامذته في تجربته بالقرود . . فراحة الانسان وسعادته هي اذاً مسألة جراحية

ولكن فلنفرض ان هذه الاحلام قد صحت وتمكن العلم من التغلب على الامراض بطريقة باستور اي طريقة المداواة بالمصل فماذا تكون النتيجة ما دام الانسان لا خلاص له من الشيخوخة . قال العلامة مشنيكوف : ولكن الشيخوخة نفسها يقدر العلم عليها . واليك رأيه

﴿ **منع الشيخوخه قبل الثلاثمائة سنة** ﴾ في دم الانسان ودماغه كريات حية نافعة بزيادتها وقوتها زيادة نشاطه وقوته . وفيه ايضاً جراثيم مضرة بزيادتها وقوتها ضعفه

وخموله . وكلا الفريقين في حرب دائمة هذا يأكل ذاك وذاك هذا ! . ولكن الفريق الاول يكون اقوى في زمن الصبى والشباب . الا انه اذا اضعف الانسان قواه بامر من الامور تقوى الجراثيم المضرة على الجراثيم النافعة لضعف هذه حينئذ فتاكلها تلك وتحتل محلها في الجسم وتنشىء فيه اليافاً ثخينة هي علة الضعف والشيخوخة . فرغبةً في منع الضعف والشيخوخة يجب ان ندخل الى دم الانسان مدداً للجراثيم النافعة لتقويتها دائماً على الجراثيم المضرة وبذلك نمنع الضعف والشيخوخة . وهذا المدد يكون مصلاً خصوصياً لذلك . هذه طريقة اولى . والطريقة الثانية ان نبحث عن اصل تلك الجراثيم المضرة ومصدرها . فهنا لا يعلم العلم شيئاً . وانما يظن الدكتور مشنيكوف ان تلك الجراثيم المضرة تصدر عن المعى الغليظ في الانسان لان الاطعمة تجتمع هناك وتختمر وقد تفسد فتنشأ فيها الجراثيم المضرة وتتفرق منها في الجسم كله (١) ولذلك يوجب تقليل اكل اللحم ما امكن او الامتناع عنه قطعياً خصوصاً عن اللحم النيء وذلك رغبة في تقليل تلك الجراثيم . — قال فاذا عولجت طبيعة الانسان كما تقدم وذهبت اسباب الامراض والضعف والشيخوخة امكن الانسان ان يعيش مائتي سنة بل ثلاثمائة دون ان يشكو شيئاً ... فيكون طفلاً في المائة الاولى ... وفتى في المائة الثانية منصرفاً الى عواطف الشباب وملاذه ... ورجلاً خبيراً في امور الحياة في المائة الثالثة ...... ويكون في المئات الثلاث سعيداً مستريحاً سليماً من الامراض ...

﴿ بقي الموت ﴾ قالوا ولكن ما الفائدة من كل هذا التعب اذا كان الانسان بعد بلوغه سن الثلاثمائة سنة سيموت . فالموت او فكر الموت يبقى اكبر منغّص لعيشه واشد مانع له من الراحة والسعادة في الارض . قال مشنيكوف كلا ثم كلا . ان الموت مسألة علمية ايضاً . فان العلم متى بلغ الحالة التي ذكرناها يكون قد حلّها احسن حل . فاننا نحكم اليوم على الموت بانه شرّ ونخاف منه اشد خوف وما ذلك الا لان جميع الذين يموتون اليوم انما يموتون موتاً غير طبيعي اي قبل الاوان . وهم يموتون قتلى بسم الجراثيم المضرة التي ذكرناها . اما الموت الطبيعي . الموت الحقيقي فلا وجود له اليوم . فكيف نحكم عليه بانه مخيف منغّص للعيش قبل ان نعرفه ونختبره . فان شيخاً بالغاً مائة سنة قال لمشنيكوف « لو كنتَ بلغتَ سني لعلمت ان الانسان قد يحلو له الموت » وقال تولستوي في اثناء مرضه الشديد في عام ١٩٠١ وقد اشرف على الموت « ان الحياة لذيذة ولكني ارى الموت ألذ » . فغير بعيد بل الواضح كل الوضوح انه متى بلغ الانسان الثلاثمائة سنة وشبع من الدنيا والحياة توجد فيه

(١) هذا الراي الجديد من العلامة مشنيكوف جدير بالانتباه

« غريزة الموت » كما فيه « غريزة الحياة » فيصير يرى الموت عبارة عن نوم هادىء لطيف بعد تعب الحياة كما يرى احدنا الليل بعد النهار فيستقبل الموت في اَجله متلذذاً مسروراً. اما الآن والواحد منا يموت في الاربعين او الخمسين من عمره فاننا لا نقدر ان نشعر بتلك الغريزة . فمثلنا في ذلك مَثل بعض الفتيات الحبشيات اللواتي يتزوجن في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر ويقضين نحبهن باول ولادة فيمتن قبل البلوغ دون ان يشعرن بغريزة الحب ولذتها

هذه زبدة اراء العلامة مشنيكوف الغريبة في موضوعه الغريب . وهي وان كانت ممزوجة بكثير من التصوّرات الاّ انها تستحق مع ذلك كل امعان واهتمام لصدورها عن عالم له بين العلماء ارفع مقام . فترى هل يحقق العلم في المستقبل هذه الاحلام

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات، ولكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من مواضيعه غير صفحة واحدة او اقل

ابن رشد والشدياق

نشرنا في صدر باب المراسلات في الجزء السابق رسالة تحت هذا العنوان . وقد علمنا بعد ذلك من جناب كاتب تلك الرسالة انه تحقق بعد ارساله رسالته ان الكتاب الذي اشار اليه لم يكن من تأليف الشدياق في ابن رشد ولكنه كتاب من كتب ابن رشد كان من كتب الشدياق وعليه اسمه . فانتفى بذلك ان يكون الشدياق قد كتب في هذا الموضوع . على اننا نرجو من كل من يعلم شيئاً عن هذا الأمر ان يخبرنا عنه وله الفضل

روايات الجامعة

حضرة الفاضل منشئ الجامعة الغرّاء

بعد تقديم واجب التحية لحضرتكم لا يسعني الاّ ان اشكركم على اتحافكم قرّاء الجامعة بروايات هي بدعة في حسن السبك والاسلوب مع النظر الى حاجات العصر وفقر البلاد الى

المبتكرات الرقيقة الجامعة للحكم والفكاهات · فحقاً ان ما نراه او نسمع به عن مجلات الغرب قد تشخص الان لدينا بهذه الخطة الحسنة التي انتهجتموها حضرتكم فاصبح واحدنا بما يقرأه في الجامعة من المقالات والروايات مكتفياً بها عن تلك لان خطة كبار المؤلفين الذين يسبكون رواياتهم في قوالب المعاني والحكم ويحيكون عباراتهم على نول الرقة والذوق الحسن ممثلة بروايات الجامعة · فانها بعيدة عن الحب الفاسد والخيالات الوهمية المبنية على الغرام والوجد · فالروايات التي لا ينتقل قارئها الا من بيت العاشق الى مسكن العشيقة ومن لوعة الحب الى فرط الغرام ليست الاَّ كمكاوٍ تحرق قلب الشبيبة وترمي بها في وهدة اليأس وهاوية الضلال والغواية · فحاجة بلادنا هي الى روايات ملئها الرقة والاداب ومغزاها تثقيف العقول وانهاض الهمم ورفع الافكار الى اسمى درجات الكمال · وهذا ما نقراه الان على صفحات الجامعة فنسأل الله ان يوفقكم الى تتميم مقاصدكم الحسنة

سليمان كرم (الشيخ فضل)

الربوة هي كشمير وفيها قبر المسيح

بقلم هندي مصدق لمسيح الهند ومؤيد له

حضرة الفاضل منشئ الجامعة الغراء

ان الذي نشرته الجامعة من تاريخ حياة المسيح واعماله نقلاً عن ابن الاثير الجرزي لنا كلام في بعض مواقعه · مثلاً ان الذين قالوا ان المسيح عليه الصلاة والسلام رُفع الى السماء الثانية او الرابعة بجسمه العنصري وصُلب مكانه رجل آخر فالعقل والنقل يخالفان هذه القصة ولا يصدقها المتفرسون · فان الذي صُلب في مصلب عيسى عليه الصلاة والسلام ان كان من المؤمنين فكيف صلبه الله وقد جاء في التوراة ان من صُلب فهو ملعون وان كان المصلوب من اعداء عيسى ومن الكفار فكيف سكت المصلوب عند صلبه وما برّأ نفسه وكيف بقي امره مكنوناً والمصلوبون لا يموتون الا الى ثلاثة ايام او اكثر · الم يكن له شهداء من امه وزوجه واخوانه وجيرانه واحبابه واصحابه ومن الذين كان اودعهم اسراره وكانوا يعرفونه · فهذه القصص لا تقبلها الفطرة الصحيحة

ثم كتب ابن الاثير في كتابه ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك · اقول ان الربوة التي ذكرها الله في هذه الآية « وآويناهما الى ربوة ذات قرار معين »

فيها نبوءات متعلقة بعيسى وامه لتفحص امرهما وهي هذه (١) ان الله تعالى آواهما بعد ما رأيا اشد المصائب ولم يريا بعدها مصيبة مثلها لان لفظ الايواء لا يستعمل الا لايواء احد من مصيبة اصابته فيقال آويته ايواء اي هيأت له اسباب النجاة وافضته بالراحات بعد ما رأى التكاليف والمقاسات . ولم تمض على عيسى وامه زمان مصيبة صعبة قبل واقعة الصليب . فعلم ان الله تعالى اثارهما الى ملك آخر وآواهما بربوة بعد ما رأيا واقعة الصليب (٢) مكنهما بربوة مرتفعة عن سطح الكرة الارضيـة (٣) ابقاهما بتلك الربوة الى آخر حياتهما معاً (٤) ان الربوة ذات ينابيع وعيون وان ماءها صاف وشاف وهي كلها من نعماء الله تعالى وان الله تعالى لم يسلب منهما تلك النعماء بعد العطاء . فليتدبر القراء كلمات الآية المزبورة جيداً جداً . واما ما اختار ابن الاثير فيه من تعيين الربوة فنحن نرفع الاختلاف والحيرة بحول الله تعالى بتعيين تلك الربوة مستهدين بشهادة الآية المذكورة الفصيحة والتواريخ الصحيحة والقرائن الصريحة والمشاهدة العيانية فنقول ان تلك الربوة هي « كشمير » ومن اراد تفصيل هذا الاجمال فليطلب منا « اعلان قبر المسيح و تواريخه » واما الذين يصعدون عيسى الى السماء فاراهم مخالفين للقرآن كما قال الله تعالى « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » . واما قوله تعالى بل رفعه الله اليه فهو كقوله تعالى « ورفعناه مكاناً علياً . » وكقوله عن ابراهيم عليه السلام « اني ذاهب الى ربي » . وكقوله تعالى « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك » . ومثله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »

محمد فضل خان (الهند)

﴿ الجامعة ﴾ قلنا فالنتيجة التي تخرج من هذه الرسالة ان قبر المسيح في جبل كشمير (الهند) وانه قام اليوم من الاموات ليهدي الناس ويجمعهم على دين واحد وانه هو الميرزا غلام احمد القادياني نبي الهند الجديد الذي تقدم ذكره في غير هذا الجزء . فياحبذا لو كان في الامكان ان نتحقق هل ان حضرة المراسل يجد ام يهزل في هذه الرسالة

﴿ ارز لبنان ﴾ روت الجرائد الانكليزية انه يوجد في لندن وضواحيها من غصون الارز اللبناني ما لو جمع لزاد مقداره على ما في جبل لبنان ذاته ولو لم يكن لهـذه العاصمة التي هي اكبر عواصم الارض سوى هذا الدليل من ادلة العظمة لكفى (الشرق)

آثار الشرق القديمة

اشهر الآثار الشرقية

عمود ميزا من عصر التوراة — هل هو مزوَّر

اشهر الاكتشافات الاثرية الشرقية عمود ميزا الذي ابتاعه متحف اللوفر في باريز في عام ١٨٧٣ . هكذا قال عنه رنان في جريدة الدبيا في عام ١٨٧٠ . وسبب هذه الاهمية ان هذا العمود يحتوي كتابة لملكين من ملوك مواب الوارد ذكرهم في التوراة احدهم يُدعى ميزا وهذه الكتابة تفصّل بعض الحروب التي حصلت بين بني اسرائيل ومواب في زمن هذا الملك . فكانها تتمة للتوارة . مثال ذلك قول ميزا « انا ميزا ابن كامو جاد ملك مواب . لقد بنيت بعل مون . واصلحت بناء كيرياتايم . وكان ملك اسرائيل قد بنى ياحاس واقام فيهـا مدة الحرب . فطرده كاموس من وجهه . فاخذت مائتي جندي فقط وصعدت الى ياحاس فضممتها الى ديبون . ولقد بنيت قرحا وانشأت ابوابها وبروجها وبنيت قصر الملوك وبنيت سجونًا في وسط المدينة . ولم يكن فيها آبار من قبل . فقلت للشعب « فليحفر كل واحد بئره في بيته » ثم حفرت اقنية الى قرحا بواسطة اسرى من بني اسرائيل . ولقد بنيتُ اروير ... ولقد بنيت بيت باموث بعد انهدامهـا ... الخ الخ » على هذا النسق مما لا تخفى اهميته لان الحوادث الواردة في التوراة مشتركة مع هذه الحوادث

وهذا العمود ارتفاعه متر وعرضه ٦٠ سنتيمترًا وهو مؤلف من ٣٠ قطعة لانه وجد قطعًا قطعًا . والكتابة المنقوشة عليه مكتوبة باللغة الموابية في سنة ٨٩٦ قبل الميلاد المسيحي . واللغة الموابية فرع عن اللغة العبرانية ونقشها بالعمود بحروف الهجاء الفينيقيّة التي سبقت حروف الهجاء اليونانية

هذا في الشهر الماضي نشر احد العلماء النمساويين وهو المسيو البير لاوي رسالة قال فيها ان هذا العمود مزوَّر كما ان تاج سايتفارنيس الذي ذكرناه مرة كان مزورًا . فتصدّى له العلامة كليرمون كانو المستشرق الفرنسوي المشهور وهزأً بقوله . وقال انه يكفيه شهادة رنان وشهادة علماء انكلترا والمانيا بصحة مصدر الكتابة والعمود . وقد ايّد المستشرقون هذا القول . وانما اهتم المسيو كليرمون كانو هذا الاهتمام لانه هو الذي ابتاع للوفر هذا العمود لما كان ترجمانًا لقنصلية فرنسا في القدس . وقد ابتاعه من البدو الذين وجدوه على مسافة ثلاثة ايام من القدس في جهات البحر الميت . ولما كان المسيو فوكوه في القدس شاهده وشهد بصحته

باب الاخبار العلمية

*** وظيفة الضحك *** قال المسيو دي فاريني ان الضحك عبارة عن احتجاج على عمل مناقض لاصول الاجتماع وتنبيه الى النظام المتبع · فهو اذاً ذو وظيفة اجتماعية اصلاحية خصوصية · ولذلك انفرد الانسان به دون الحيوان

*** ميكروب جديد *** قدم المسيو رو بلاغاً الى المجمع العلمي بالنيابة عن المسيو سازراك يقول فيه انه اكتشف ميكروباً جديداً يؤكسد الغليسرين

*** الصاعقة وابرة فتاة *** وقعت الصاعقة منذ مدة في فرنسا على فتاة تشتغل بالابرة في البيت فخطفت الابرة منها دون ان تصاب الفتاة بضرر سوى الاغماء

*** اطول رجل في العالم *** معدل طول قامة الانسان متر واحد و٩٣ سنتيمتراً ولكن الاستاذ لوشان شهد في شهادة خطية انه فحص قامة رجل من كوسجاكي في روسيا عمره ٢٢ سنة ويُدعى فيودور ماخوف فوجد طولها مترين و٣٨ س وهو اطول رجل في الارض وقد استاجروه ليعرضوه في بلاد اوربا

*** ترتيب الحروف بالتلغراف *** عرض المسيو درسونفال على المجمع العلمي الباريزي آلة اخترعها المهندس روزار واسمها (اليكترو تيبوغراف) ووظيفتها ترتيب الحروف بالتلغراف في عدة اماكن معاً اي ان صاحبها اذا مدَّ سلكه التلغرافي الى خمس ادارات من ادارات الجرائد استطاع بآلته ترتيب حروف مقالة واحدة في هذه الادارات معاً

*** عدد الزلازل منذ التاريخ *** احصي عدد الزلازل منذ التاريخ فكان ١٥٦ الف زلزال منها ٢٠ في المائة بعضها حدث في الخط بين اسيا الشرقية واميركا الغربية وبعضها حدث في خط البحر المتوسط · فاستدلوا بذلك على ان هنالك سبباً محلياً

*** ظهور المذنب بورلي *** شاهدت مراصد مرسيليا هذا المذنب في الصيف وقد كان يُرى من فرنسا بالعين المجردة ولكن خفيفاً · والمدهش ان ذنبه تغير تغيرات مدهشة كما يؤخذ من صوره الفوتوغرافية · فانه كان يوماً كالحرف S بشكل مستطيل · ثم عاد فاستقام ولكن صار طرفه معكوفاً · وبعد عدة ايام تقطع ذنبه عدة قطع وتحول عن مركزه الاصلي ثم نبت له ذَنَب ثانٍ وبعد ذلك صار باربعة اذناب · فكان امره غريباً · وهو بعد ذلك اتجه

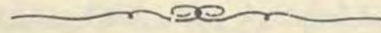
نحو الشمس فغاب عن الانظار · وقد حللوا غازه فوجدوا فيه شيئاً كثيرًا من الهيدروكاربون وحامض السينيدريك الذي هو سم زعاف · ولذلك قال المسيو برتلو في المجمع العلمي انه اذا صدم احد المذنبات الارض مات سكانها اختناقاً بهذا الغاز كلمع البرق الا اذا كان هذا الغاز يحترق حين اتصاله بجو الارض

﴿ اختراع جديد للغرقى ونقل السمك ﴾ عُرضت في باريز آلة جديدة لمساعدة الغرقى والسمك · اما الغرقى فتمدّهم بالاوكسجين وهم في البحر لتطيل مدة بقائهم الى ان يأتيهم المدد · وهي مؤلفة من كيس يُخزن فيه الاوكسجين وتلصق آلته على الوجه · واما السمك فيفيده هذا الاوكسجين في نقله من مكان الى مكان دون ان يموت · وقد نقلوا بهذه الآلة ٢٠ كيلوغراماً من السمك في ٨٠ ليترًا من الماء فقط من جنيف الى فينا وبقي السمك حياً

﴿ حمم الارض ودم فتاة ﴾ خاف بعضهم لتتابع الزلازل في هذين العامين ان تنفجر الارض لكثرة الحمم الخارجة منها فردّ عليه آخر يقول ان الحمم التي خرجت من البراكين نسبتها الى الارض كنسبة الدم الذي يخرج من اصبع فتاة تُطعن بابرة الى تلك الفتاة

﴿ اهم مموث في العالم ﴾ المموث حيوان هائل كالفيل انقرض في جملة الحيوانات المنقرضة · واهمُّ حيوان منه وجد منذ مدة في سيبيريا مطمورًا بين الثلوج ولا يزال لحمه وعيناه وجلده ولسانه سليمة · وطوله ٣ امتار وعلوه متران وقد نقل الى بطرسبرج بعد تقطيعه لكن جلده اخذ بالفساد فاذا استطاعوا حفظه وتركيبه كما كان كان مموثاً حقيقياً فريدًا في العالم كله

﴿ سير زورق في البحر وحده ﴾ عرض المسيو ابرت على مجمع العلوم في باريز اختراعاً للمسيو توريس المهندس الاسباني ومداره ارسال قوة كهربائية بلا سلك من البر الى زورق في البحر وتسييره بها الى اية جهة كانت دون ان يكون فيه احد · وعلى ذلك فربما سُيرت السفن الكبرى في المستقبل على هذه الطريقة بلا سكان (دفة) ولا آلة بخارية وربما قُذفت بها الطوربيد من البر الى السفن الهاجمة فاصابتها مهما كانت بعيدة



باب التقريظ والانتقاد

﴿ عرفات ﴾ وددنا لو اتسع لنا المجال في هذا الجزء لتعريف هذه الجريدة الجديدة الى قراء الجامعة تعريفاً يفيها حقها . فهي جريدة اسبوعية فرنسوية العبارة انشأها حضرة الشهم الفاضل محمود بك سالم من كرام المصريين المشهود لهم بالفضل ومكارم الاخلاق . وغرضه منها تعريف الشرق والاسلام الى الغربيين . ويسرّنا ان نكون على اتفاق في كثير من المسائل مع رصيفتنا عرفات . ويكفينا منها للدلالة على مشربها قولها في صدر العدد الثالث ما ترجمته « لو اتبع المسيحيون تعليم المسيح اتباعاً حقيقياً وكذلك المسلمون تعليم القرآن لما بقي بين الفريقين من فرق ولا قيد اصبع » وعندنا انه اذا استمرّت « عرفات » في الجادة المستقيمة فان اسم منشئها الفاضل يُضمّ في دفتر الاصلاح الشرقي العظيم الى اسم قاسم بك امين وغيره من المصلحين الذين لهم جراءة وقوة على الجهر بالحق اينما وجدوه

﴿ الاداب ﴾ هي خطبة لحضرة الفاضل الاديب جرجي افندي نقولا باز تلاها في جلسة جمعية شمس البر في غرف القراءة في بيروت وقد جمع فيها كثيراً من اقوال الفلاسفة والعلماء في « الآداب » وقد تفضل باهدائها الى الجامعة اشتراكاً في تنشيطها وتشجيعها في خدمتها . فنشكر له هذه الهدية النفيسة ونرجو ان تبقى الجامعة اهلاً لثقة اهل الفضل والادب

﴿ رباعيات المعري ﴾ نظم حضرة امين افندي ريحاني الكاتب الجريء شيئاً من شعر ابي العلاء المعري شعراً انكليزياً وطبعه في محل الخواجات دو بلندي وبيج وشركائهما في نيويورك فنثني على حضرته الثناء الذي يستحقه فضله واقدامه على الامور المفيدة التي ترفع الشرقيين في نظر الغربيين

﴿ كتب مدرسية ﴾ اهدانا حضرة رصيفنا الفاضل احمد افندي طباره رئيس تحرير جريدة ثمرات الفنون الغراء ثلاثة كتب مدرسية طُبعت على نفقته اثنان منها تأليف حضرة العالم الشيخ طاهر الجزائري (اولها) ارشاد الالبا الى طريق تعليم الف باء (وثانيها) رسالة الف با وهي ملخصة من الكتاب الاول (والثالث) المقامات العشر لطلبة العصر وهي مختارة من المقامات الحريرية ومشروحة شرحاً وافياً بقلم جناب الاستاذ الشيخ محمد المبارك الجزائري فنشكر لهما ولحضرة الناشر خدمتهما للادب

﴿ الشرق ﴾ الشرق اسم لجريدة سياسية يومية صدرت في الثغر لصاحبيها حضرات الفاضلين حنا افندي جاويش · وطانيوس افندي عبده · وقد جاء « الشرق » منذ اول صدوره كبيرًا في حجمه ومواضيعه وانتظم في سلك الجرائد اليومية الكبيرة فندعو له بتمام النجاح

﴿ الظاهر ﴾ الظاهر جريدة يومية جديدة صدرت في العاصمة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي المشهور عزتلو محمد بك ابو شادي وقد انتظمت منذ صدورها في سلك الجرائد اليومية الكبرى فندعو لها بالنجاح

﴿ المهاجر ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية جديدة تصدر في نيويورك لحضرة صاحبها الكاتب الفاضل امين افندي غريب وغرضها ان تكون صلة بين المهاجرين في اميركا واهلهم في الشام · فنتمنى لرصيفتنا النجاح الذي تستحقه

﴿ كتاب لهربرت سبنسر في التربية ﴾ اعلن حضرة الرصيف الفاضل نجيب افندي شقرا صاحب مجلة الاستقلال الغراء عزمه على نشر كتاب في التربية للفيلسوف هربرت سبنسر المشهور بعد ان استأذن الفيلسوف في ترجمته · وسيصدره في هذا العام · فمتى صدر وفيناه حقه

﴿ السنان الفيلسوف ﴾ هي الرواية الثانية والعشرون من روايات مسامرات الشعب تأليف حضرة الفاضل احمد افندي حافظ عوض المحرر بالمؤيد · ولا عجب ان تصدر المسامرات عدة روايات متتابعة من قلم حضرته فانها تعلم ما لاسمه من المنزلة في نفوس القراء

﴿ العصر الجديد ﴾ هي مجلة شهرية لصاحبها جناب محمود افندي صادق سيف واشتراكها السنوي ٤٠ غرشًا صاغًا فندعو لها بالنجاح

﴿ الاعراب عن قواعد لغة الاعراب ﴾ كتاب موضوعه المعاني وضعه جناب الفاضل رشيد افندي عطيه وهو مكتوب باسلوب سهل مقرون بالشروح التي توضح قواعده فنشكر له هديته

﴿ الواعظ ﴾ هو جريدة اسبوعية عمومية لصاحبها ومحررها جناب الكاتب الفاضل محمود افندي سلامه المشهورة آثاره في جرائد مصر اليومية فندعو لرصيفتنا بالنجاح الذي تستحقه

﴿ بليزار ﴾ هي رواية ادبية سياسية للكاتب الفرنسوي مرمونتال تعريب حضرة عباس افندي ابي نخول البجاني الشبابي اللبناني وقد نشرت تباعًا في رصيفتنا جريدة المناظر وهي تطلب منها في سان باولو بالبرازيل

﴿ مجلة ابقراط الطبية ﴾ هي مجلة طبية عملية للاطباء وصحية للعائلات لمنشئها حضرة الدكتور الفاضل حسين افندي يسري وادارتها في مصر فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ الشبيبة السورية ﴾ هي جريدة تهذيبية انتقادية جديدة اصدرتها في البرازيل جمعية الشبان السوريين في ريوجانيرو فنرجوان تخدم قراءها الخدمة المفيدة المنتظرة من شبان افاضل يعرفون حاجات قومهم

﴿ البستان ﴾ جريدة يومية سياسية انشاءتها شركة من كرام السوريين في بوسطن من اعمال الولايات المتحدة وعهدت تحريرها الى جناب سليم افندي سركيس فنرحب بالرصيفة وندعو لها بالنجاح

﴿ الخلاصة ﴾ هي خلاصة مشروعي انشاء كنيسة واقتناء مقبرة للطائفة السورية الارثوذكسية في نيويورك . وضعها حضرة الاب المفضال الارشمندريت روفائيل هواويني فنثني على همة سيادته ونسأل الله ان يقويه في خدمة رعيته

﴿ الامة الشرقية ﴾ هي مجلة علمية ادبية لصاحبها ح . ص . تصدر في الشهر مرة وقيمة اشتراكها اربعة فرنكات ونصف فقط فندعو لها بالنجاح

﴿ المباحث ﴾ وردتنا هذه المجلة الجديدة لمنشئها حضرة الاب جرجس فرج صفير وهي تبحث في كل المواد العلمية والادبية والفلسفية والدينية والانتقادية فندعو لها بالنجاح والاعتدال

﴿ المعاني ﴾ هي جريدة فكاهية انتقادية لصاحبها ومحررها جناب يوسف افندي يعقوب وهي مكتوبة باللغة العامية فندعو لها بالنجاح

﴿ الانسانية ﴾ هي مجلة جديدة لصاحبها ومديرها حضرة المحامي محمد افندي ابي النصر ومحررها حضرة الشيخ ابرهيم الدماغ واسلوب الانسانية في التحرير والانتقاد اسلوب جامع للمتانة والظرف مما يندر في غيرها

﴿ النيل ﴾ هي جريدة ادبية فكاهية تصويرية لصاحبها حضرات محمد افندى غانم وسليم افندي قبعين وتصدر كل اسبوع مرة فنرجو لها النجاح

﴿ روض المسرة ﴾ هو عنوان الكتاب الذي جُمعت فيه تهانئ الحبر المفضال السيد جراسيموس مسرَّه مطران الروم الارثوذكس في بيروت لمناسبة انتخابه مطرانًا لابرشيتها . وقد خُصص ثمن هذا الكتاب لوجه البر وهو مطبوع طبعًا متقنًا في مطبعة رصيفتنا جريدة لبنان الغراء . فنكرر لسيادته التهنئة بهذه المناسبة

﴿ الجريدة الماسونية ﴾ اصبحت المجلة الماسونية الشهرية جريدة نصف شهرية لصاحبها جناب نقولا افندي سابا ويحررها ع . ب وقيمة اشتراكها ٤٠ غرشًا صاغًا في السنة

اضطررنا الى اختصار باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء لضيق المجال

الجزء ٩ و ١٠ الجامعة السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ الجزء ٩ و ١٠ ـ سنة ١٩٠٤ م ـ سنة ١٣٢٢ ه

خاتمة السنة الرابعة

بهذا الجزء (التاسع والعاشر) والكتاب الملحق به انتهت السنة الرابعة للجامعة ودخلت المجلة في سنتها الخامسة

﴿ الكتاب الملحق بهذا الجزء ﴾ اما الكتاب الملحق بهذا الجزء فهو كتاب (تاريخ يسوع) مضافاً اليه عدة اضافات اذ لم يكمل نشره قبل الآن ونخصّ من هذه الاضافات المقدّمة التي صدّر الكتاب بها والتي نؤمل ان يقرأها كل قارىء بالامعان والتساهل الجديرين بأهل العقل والرزانة . وقد طبعنا هذا الكتاب النفيس على ورق ممتاز طبعاً ممتازاً باتقانه ونظافته . وهو يُهدى الى كل مشترك سدد قيمة الاشتراك ولغير المشتركين يباع بخمسة فرنكات

﴿ عدد كتب العام الماضي ﴾ وبناء على ذلك تكون الكتب التي اصدرتها الجامعة في سنتها الماضية (الرابعة) هديّة لمشتركيها اربعة وهذه اسماؤها

(١) تاريخ المسيح (٢) اوروشليم الجديدة

(٣) سياحة في ارز لبنان (٤) الدين والعلم والمال

ونظن ان هذه السنة هي « اخصب » سني الجامعة لانها ستصرف اهتمامها في السنة التالية (الخامسة) الى صدور اجزائها على التوالي بدل الاهتمام بكتبها كما فعلت في السنة الماضية

﴿ مطبعة الجامعة ﴾ ومما يسّهل لها الآن هذا الامر استقلالها بمطبعة خصوصيّة لها

تقدّم اشغالها على كل شغل وتوفّر لها النفقات الطائلة التي كانت تنفقها من قبل على نفسها في المطابع الاخرى · ولذلك نقلت الادارة من محلها القديم في ملك طوسن باشا الى محل يسع ادارتها الجديدة وما جلبته من الآلات والمعدّات وذلك في باب رشيد تجاه محل البرنطان · ولا حاجة الى القول بان كل ما يطلبه قراء الجامعة ووكلاؤها في مصر وخارج مصر من طبع مطبوعات لهم يُقضى باسرع ما يكون و بنظافة واتقان مشهورين في جميع مطبوعات الجامعة · والشرط الاول في الطباعة النظافة والاتقان كما هو معلوم

﴿ مكتبة الجامعة ﴾ وبالنظر لامتداد علائق الجامعة الى خارج القطر المصري في اقطار عديدة بعيدة صار كثيرون من قرائها الافاضل يعتمدون عليها في استيراد الكتب التي يحبون اقتناءها بين كُتب علمية وادبية وفكاهية ومدرسية وروايات مختلفة مما يطبع في مصر والشام وغيرهما · واكثرهم يلحون عليها بارسال فهرس تلك الكتب ظناً منهم بان للجامعة مكتبة خصوصيّة · فلما راينا من القراء هذا الاهتمام خطر لنا ان نجمع لهم في ادارة الجامعة اهمّ الكتب التي طُبعت في مصر والشام · فجعلنا في ادارة الجامعة محلاً خصوصياً (لمكتبتها) مشرفاً على الشارع العمومي يُدخل اليه ويُخرج منه من باب خصوصي غير باب الادارة العمومي · وبذلك تكون المكتبة مستقلة عن الادارة وكل زائر يستطيع في طريقه تقليب الكتب التي فيها بين علمية وادبية ومدرسية وروايات مختلفة من كل ما يُطبع في مصر وخارجاً لانتقاء ما يطلبه منها

اما فهرس الكتب الموجودة في (مكتبة الجامعة) فهو تحت الطبع ومتى فرغت المطبعة منه يُرسل هدية لكل من يطلبه · واما الكتب الغير الموجودة في المكتبة فادارة المجلّة تتولى ارسالها لمن يطلبها اياً كان نوع الكتاب واسمه وسواء كان من مطبوعات مصر او الشام او تونس او الهند اذ بينها وبين اكثر مكاتب سوريا ومصر حساب جارٍ تطلب به كل ما يُطلب منها

فكل قارئ من قراء الجامعة الكرام في مصر او خارج مصر يقدر ان يطلب منها اي كتاب اراده فيرسل اليه بالحال · ولكن يجب ارسال ثمن الكتاب واجرة البريد مع الطلب اذ ليس في دفاتر الادارة حساب مفتوح للمكتبة · وهذه القاعدة لا يمكن مخالفتها قطعياً

هذا ومما تقدم يظهر للقارئ ان هذه المقدمة كانت على الاكثر « مقدّمة تجارية » وهو امر لا بدّ منه في الشرق على ما يظهر لمن يشتغل بصناعة العلم والادب لان اكثر اهله لم تسمح لهم العناية بعد بالوصول الى الدرجة التي يُغنون بها طالبي العلم والادب عن طلب التجارة ايضاً · وذلك لانهم لا يزالون يهتمّون بمعدهم اكثر من اهتمامهم بعقولهم ونفوسهم · وهنا الصعوبة الكبرى في هذه الصناعة العزيزة · فانه يُطلب من المشتغل بها الحريص على كرامتها امران

قد يكونان متناقضين في كثير من الاحيان · وهما حفظ كرامة العلم والادب بالترفع عن السفاسف التي تقتضيها التجارة احياناً وعدم التفريط بالحقوق التجارية لان الاعمال لا تقوم الا بحفظها

ونحن نؤمل ان قراءنا الكرام يساعدون المجلة وادارتها على حفظ هذين الامرين معاً حقوقها الادبية وحقوقها التجارية وذلك بسهولة تسديدهم قيمة الاشتراك وسهولة معاملاتهم مع الادارة في كل اشغالها · وليس ذلك على فضلهم بكثير

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

عمر الخيامي

(الذي يسميه الافرنج فولتير الشرق)

﴿ ترجمته ﴾ يسميه الافرنج «عمر الخيّام» ويسميه العرب (عمر الخيامي) كما رواه بهاء الدين العاملي · واسمه الحقيقي (شيعة الدين ابو الفتح عمر بن ابرهيم) سمي الخيامي نسبة الى ابيه الذي كان يصنع الخيام و يبنيها · وقد ولد في نيسابور سنة ٤٠٨ للهجرة (١٠١٧ للميلاد) وتوفي فيها سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) اي انه عمّر فوق المائة سنة · اما قبره فلا يزال في نيسابور ولكنه لم يُكشف الاَّ بعد وفاته بمدة طويلة والذي اكتشفه تلميذ له يُدعى «نظامي» ولم يترك له استاذه من علامة يعرفه بها سوى قوله «ان قبري سيكون في مكان تهبُّ عليه ريح الشمال فتدفنه بالورد»

ومما رواه مؤلفو العرب والفرس من ترجمة عمر الخيامي في صباه انه تلقى العلم على علماء نيسابور اخصهم الامام الموفق · وكان يتلقى العلم معه فتى يدعى حسن صباح وهو الذي صار بعد ذلك امام الاسمعيلية وفتى آخر يدعى ابا علي حسن الطوسي وهو الذي رقي بعد ذلك الى دست الوزارة للدولة السلجوقية العظيمة وسمي (نظام الملك) · فهؤلاء الرفاق الثلاثة اتفقوا وهم في المدرسة على ان الذي يسبق رفيقيه الى ولاية امر او رفعة شأن يرفع شأن رفيقيه معه · فلما ارتقى نظام الملك الى الوزارة (اطلب ترجمته في الجزء الثالث) ذكر عهده فاستدعى حسن صباح وقرَّبه اليه ورام تقريب عمر فابى عمر ذلك لرغبته في

الانقطاع الى درس الرياضيات · وسواء صحت هذه الرواية ام لم تصح فما لا ريب فيه ان ملكشاه الذي كان نظام الملك وزيراً له استدعى عمر الخيامي بعد ما سمعه عن علمه وحذقه في الرياضيات واطلاعه على رسالته العربية في علم الجبر وفوّض اليه ادارة مرصد بغداد الفلكي

وكان عمر قد اكتسب بانصبابه على الدرس والبحث علماً واسعاً وشهرة بعيدة · فلما ولي ادارة مرصد بغداد دون علماء وقته ازداد مقامه رفعة عند بني عصره · وصارت مرتبته عندهم مساوية لمرتبة الشيخ ابن سيناء الفيلسوف المشهور الذي توفي وعمر الخيامي ٢٠ عاماً · فكأنه كان خلفاً له

وتقسم معارف الخيامي الى ثلاثة اقسام (علمه) و (فلسفته) و (شعره)

***

﴿ علمه ﴾ اما علمه فحسبنا ان نقول فيه انه كان اول عالم رياضي بحث في مقاييس المكعبات واتخذ لها مقياساً خصوصياً · ورسالته العربية في الجبر كانت مشهورة بين علماء الشرق حين كانوا يعنون بدرس الرياضيات · وفي اثناء ادارته مرصد بغداد الفلكي وضع خرائط فلكية سماها (زيج ملكشاه) نسبة الى هذا السلطان الذي قربه اليه وولاه ادارة المرصد · وهو الذي وضع حساب الوقت واصلح التاريخ الفارسي باضافة سنة كبيسة الى كل اربع سنوات من سني الحساب الفارسي · ويعرف هذا الاصلاح الحسابي بالاصلاح (الجلالي) نسبة الى جلال الدين وهو لقب لملكشاه · قال المسيو سلمون الذي اعتمدنا عليه في هذه التفاصيل : ان حساب السنة الجلالية (التي اصلحها الخيامي) اصحّ من الحساب الغريغوري الذي وُضع بعد ذلك بخمسة قرون

ولا يقدح في فضل الخيامي ان يوجد في معلوماته الرياضية والفلكية اغلاط كثيرة فان العلم كالطفل ينمو ويشب شيئاً فشيئاً · ولقد مرّ على الخيامي سبعة قرون ونصف قرن والعلم لم يشب عن طوق الصبى بعد مع جميع ما وجدوه حديثاً من الاصول الجديدة · لانه (كما قال تولستوي في رده على اهل العلم الذين يتكبرون بعلمهم الناقص) متى صار العلم علماً حقيقياً لم يبقَ لديه شيء مجهولاً · واذا كان الله قد قدّر للانسان هذه السعادة والكمال في الارض فذلك لا يكون الا بعد الوف وعشرات الوف من السنين

***

﴿ فلسفته وشعره ﴾ لا نقصد بقولنا (فلسفته) انه كان للخيامي مذهب فلسفي

خاص به ولكنا نقصد بذلك رأيه في الواجب والوجود والحياة والآداب والحكمة وما وراء الطبيعة . وهذا بمثابة قولنا انه لم يكن فيلسوفاً بل مفكراً وباحثاً لان الفيلسوف لا يُدعى فيلسوفاً الا اذا كان له في تلك الامور مذهب فلسفي خاص به . وهنا نصل في ترجمة الخيامي الى آرائه الدينية

يظهر ان الخيامي لم يستطع ان يضع لعقله شكيمة تشكمه وحدًّا يقف عنده . ولذلك كان بينه وبين رجال الدين في حياته نزاع شديد . وكان الصوفية اشدهم اضطهاداً له لانه كان يتهكم على تقشفهم وزهدهم في الدنيا تهكماً جارحاً . وكل ديوانه الفارسي (رباعيات الخيامي) مداره على الغزل ووصف الخمر وصفاً غريباً مهيجاً والاستهزاء بالزهد والقناعة والدين ورجاله . واحياناً يجترئ على الالوهية نفسها . واليك بعض الامثلة من رباعياته قال ما ترجمته

((سمعت في الفجر صوتاً يصيح : اليَّ اليَّ يا اهل الشراب والسرور . يا ايها الفتيان المجانين انهضوا واملأوا كأساً اخرى من الخمر قبل ان يملأ القدر كأس حياتكم))

ومنها

((يا رفاقي الاحرار . اذا متُّ فاغسلوني بخمر حمراء مشرقة ولا تدفنوني الا في ظل كرمةٍ))

ومنها

((اصبحت شارداً عن الدين كدرويش . قبيح المنظر كالبغي . ولم يبقَ لي دين ولا مال ولا امل في جنة))

فلا ريب ان قارىء هذه السطور يظن ان صاحبها سكّير معتوه يهذي بها في ابان نشوته . ولكنه في موضع آخر يسمعه يقول راجعاً الى الله رجوع الضال الى الصراط المستقيم

((ليست هياكل الاصنام والكعبة سوى اماكن للعبادة . وما اصوات الاجراس الا تسبيح بحمد القادر على كل شيء . وكذلك محراب الجامع والكنيسة والهيكل والصليب كلها ليست في الحقيقة الا اشكالاً مختلفة لحمد الله وعبادته))

فهذا القول ليس بقول رجل سكير معتوه يهذي بل هو قول رجل حكيم طار باجنحة الحكمة الى ما فوق عادات البشر وتقاليدهم . ومن العجيب ان يلتقي الخيامي في هذا الموضوع بالامام المشهور العارف بالله الشيخ محيي الدين بن العربي الذي يقول من قصيدة

لقد كنتُ قبل اليوم انكر صاحبي ... اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لاوثانٍ وكعبة طائفٍ والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين (الحب) انى توجهت ركائبه (فالدين) ديني وايماني

قوله «فالدين» يعني «الدين المطلق» وهو ما يسميه فلاسفة اوربا Religion naturelle فرحم الله الامام التقي الشيخ محيي الدين على هذا القول الجليل الذي اظهر به تساهلاً تطرب له عظام الفيلسوف رنان في قبرها. وغفر الله للخيامي بهذا كثيراً من سيئاته

***

﴿كيف نتصور الخيامي﴾ وكان الخيامي مشهوراً في بلاد الفرس والعرب بعلم الرياضيات والفلك ولكن شهرته بالشعر كانت اعظم واوسع . فان بني عصره من الفرس على الخصوص كانوا يلتقطون رباعياته ويتناقلونها من بلد الى بلد ومن منزل الى منزل فتملأ البلاد سروراً بما فيها من الدعوة الى لذة الحياة والتمتع بالطيبات والتغزل بالنساء والخمر والهوى النفساني الشديد الذي لم يصفه احد كما وصفه الخيامي . وهنا موضع للسؤال عن غرض الخيامي من شعره هذا . وقد انقسمت الآراء في ذلك الى ثلاثة . (الرأي الاول) ان الخيامي كان بتغزله في الخمر ودعوته الى ملاذها لا يقصد الا مقاومة الشرائع الدينية . قال المسيو درمستتر المستشرق المشهور في حكمه على الخيامي . «ان اغاني اوربا الخمرية ليست الا اغاني جماعة من السكيرين . اما اغاني الفرس الخمرية فهي بمثابة حرب تشهر على التقاليد الدينية الضاغطة على طبيعة الانسان وحريته وثورة عليها . فعندهم شرب الخمر عبارة عن طلب الحرية» (والراي الثاني) وهو رأي كثيرين من الفرس قالوا به بعد وفاة الخيامي انه انما كان يتغزل بالخمر الالهية لا خمر الكرمة . فان هذه الخمر عند الصوفية عبارة عن رمز الى الخمرة الالهية . ولكن يكفي لرد هذا الرأي ان الخيامي كان والصوفية على طرفي نقيض . وما جاز قوله في ابن الفارض لا يجوز في الخيامي . ولقد حكم المسيو باربيه دي مينار المستشرق المشهور في هذه الآراء حكماً مبهماً فقال «سواء كان هذا الكتاب (يعني رباعيات الخيامي) اعتراضاً على التقاليد الاسلامية او كان ثمرة تصورٍ عليل وخليطاً غريباً من الشك والتهكم والنفي المؤلم فانه من الغريب المدهش ان نجد في بلاد الفرس منذ القرن الحادي عشر رجالاً سبقوا جوت وهنري هين الى كثير من افكارهما» (١)

فبعد ما تقدم تظهر لنا صورة الخيامي بعد ثمانية قرون من وفاته واحدة من اثنتين : فاما

«١» جوت وهنري هين من اعظم نوابغ المانيا في الشعر والادب وكانت هذه المقارنة بين الخيامي وجوت من اكبر الاسباب التي وجهت الافكار الى شعر الخيامي في اوروبا واميركا

انه رجل كبير من رجال العقل والنقد كان يطلب محاربة التقاليد والاوهام ليطلق العقل البشري من عقاله ويهدم النظام الاجتماعي الذي كان في عصره لانه قائم على ظهور الصغار لمنفعة الكبار (١) واما انه رجل منتفخ الجسم دموي المزاج شديد الشهوة الى المسكرات وما وراءها اتخذ حرية عقله سبيلاً الى اشباع شهواته حين لم يجد وراء هذه الحرية شيئاً . وهذا شأن النفوس الصغيرة التي تطلب تحرير عقولها والانطلاق من قيد المعتقد لتبيح لنفسها المرح في ميدان الملاذ والشهوات في هذه الدنيا . وحينئذ يكون بين الخيامي وبين ابي العلاء المعري فيلسوف شعراء العرب وحكيمها من الفرق ما بين التراب والتبر . فان المعري كان يبحث في تحرير عقله ونفسه ليضعهما تحت نير اشد واصعب من نير الدين وهو نير الحكمة وكراهة الشر والتقوى الادبية التي تقوم عند العقلاء المخلصين متى كانت حقيقية مقام الشريعة الدينية والتقوى الدينية

***

﴿ شهرته في اوربا واميركا ﴾ ولقد عاصر الخيامي كثيرين من علماء العرب وفلاسفتهم اشهرهم الفيلسوف ابن سيناء وحجة الاسلام الامام الغزالي وابو العلاء المعري . ولم نعثر في اثناء مطالعتنا انه التقى بابن سيناء ولا بالمعري . فان ابن سيناء توفي وعمر الخيامي ٢٠ سنة كما تقدم وانما وجدنا ان الخيامي توفي وهو يقرأ « الشفاء » كتاب ابن سيناء المشهور . اما المعري فقد كانت وفاته في عام ٤٤٩ للهجرة كما روى ابن خلكان . وحيث ان الخيامي ولد في سنة ٤٠٨ فيكون عمره يوم وفاة ابي العلاء ٤١ سنة . وانما ذكرنا هذه التفاصيل للسبب التالي

اطلع علماء اوربا منذ سنة ١٧٤٢ للميلاد على معارف الخيامي الرياضية والفلكية بما نقله عنه المسيو جيرار ميرمان في كتاب له نشره في ليدن . وفي سنة ١٨٥١ م نشر سديلو وشاسل وو بك ترجمة رسالة الخيامي في الجبر وهي خمسة اقسام . وفي سنة ١٨٥٧ نشر المسيو كارسين دي تامي شرحاً على رباعيات الخيامي . وفي سنة ١٨٦٧ نشر المسيو نقولا الرباعيات نفسها باللغة الفرنسوية . والمسيو نقولا هذا يعتقد في الخيامي انه كابن الفارض

(١) قال المسيو سلمون: اول ما ظهر شعر الخيامي في اوروبا سموه « فولتير الشرق » ولكن لا مشابهة بين الاثنين الا من وجهين الاول شدة التهكم بجارح في كلامهما والثاني عطفهما على الصغار والضعفاء في الحياة وانتصارهما لهم . قلنا وهذا الوجه مؤيد للراي المسطر فوق . ثم اردف المسيو سلمون بقوله اظهاراً للفرق بين الشيخين ان فولتير لم يتكلم قط عن الهوى النفساني بالشدة التي تكلم بها الخيامي ولا حمل على الاقدار التي تجعل همها احياناً هدم كل ما هو كبير وكريم وجميل حملة الخيامي عليها

متغزل بالخمرة الالهية . وقد قال في مقدمة كتابه انه تلقى هذا الرأي من رجل أتي من طهران . وفي سنة ١٨٩٨ ترجم تشوفوسكي الرباعيات الى اللغة الروسية . غير ان الترجمة التي اطارت شهرة الخيامي في اوربا واميركا والعالم اجمع هي ترجمة الشاعر الانكليزي فيتس جرالد للرباعيات في سنة ١٨٥٩ . فان جرالد ترجم الرباعيات شعراً انكليزياً وتصرف بالترجمة فاعجب الانكليز والاميركان بشعر الخيامي واقبلوا عليه اقبالاً عجيباً لانهم وجدوا فيه ما يعجبهم بالاكثر في شاعريهم بيرون وسوينبرن من الاراء السامية في ذم الفساد في الدنيا وسطوة الشر على الخير والقبيح على الجميل فيها . فنال المترجم جرالد بهذه الترجمة شهرة واسعة وراجت كتبه وشعره بواسطتها رواجاً كثيراً . وقد بلغ ببعضهم الاعجاب بالخيامي ومترجمه ان اجتمعوا في لندن في سنة ١٨٩٦ (اي منذ ٨ سنوات) وانشأوا نادياً (كلوب) خصوصياً دعوه (كلوب العمريين) نسبة الى عمر الخيامي . ولعل هذا الكلوب لا يزال قائماً حتى اليوم . واول ما ظهرت الرباعيات في اوربا واميركا سمي قراؤها الخيامي « فولتير الشرق » .

ويظهر ان الشهرة التي نالها الخيامي في انكلترا على الخصوص قد نال مثلها في اميركا ايضاً . وهنا وصلنا الى السبب الذي جعلنا نقرن اسم الخيامي باسم ابي العلاء المعري على ما تقدم . فان احد الكتاب السوريين المجيدين في اللغة العربية والانكليزية في نيويورك (١) ظهر له ان الخيامي مستمد كثيراً من افكاره وارائه الدينية من شعر ابي العلاء المعري . ولذلك ترجم الى اللغة الانكليزية شيئاً من شعر ابي العلاء بعنوان (رباعيات ابي العلاء) ونشره في نيويورك . وقد ذكرنا هذا الكتاب في الجزء السابق . ومن المحتمل ان يكون كل من الخيامي وابي العلاء قد روى شعر صاحبه الا اننا لا نجزم بان الخيامي قد تحدى المعري واقتبس شعره . والاصح انهما كلاهما كانا يتناولان الهاماتهما من مصدر واحد وهو العقل وحب الحرية والبحث — ذلك الحب المشترك بين جميع النفوس وانما ينقطع اليه بعضها دون بعض بحسب استعدادها والمؤثرات التي تؤثر فيها

﴿ بين الخيامي والامام الغزالي ﴾ هذا ما اكتفينا به من الكلام عن عمر الخيامي . وقد ذكرنا آنفاً انه كان من معاصري حجة الاسلام الامام الغزالي . فنحن نختم هذا الفصل بذكر حادثة وقعت له معه وقد رواها بهاء الدين العاملي قال

«١» امين افندي ريحاني

« كان عمر الخيامي مع تبحره في علوم الحكمة سيء الخلق له ضنة بالتعليم والافادة . وربما طوّل الكلام في جواب ما يُسائل عنه بذكر المقدّمات البعيدة وايراد ما لا يتوقف المطلوب على ايراده ضنةً منه بالاسراع الى الجواب . دخل عليه حجة الاسلام الغزالي يوماً وسأله عن المرجح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقطبية دون غيره مع انه متشابه الاجزاء . فطوّل الخيامي الكلام وابتدأ بان الحركة من اي مقولة . وطوّل بالخوض في محل النزاع كما هو دأبه وامتدّ كلامه الى اذان الظهر . فقال الغزالي حينئذٍ : « جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج »

فهذه الرواية التي تدل على شهرة الخيامي ومنزلته من العلم حتى ان اماماً عظيماً كالغزالي يقصده مستفتياً او مختبراً — تدل ايضاً على ما كان بين العلم والدين يومئذ من النزاع والخلاف فكانها آلة فوتوغرافية تصوّر لنا جانباً من جوانب ذلك العصر . اجل ايها الامام الجليل لقد صدقتَ بقولك « جاء الحق » عند سماعك المؤذن يدعو الى الله ويذكّر الناس بان فوق المادة شيئاً يُدعى روحاً وان الحياة الحقيقية هي حياة الروح والفكر لا الحياة المادية البدنية التي هي حياة حيوانية . وهذه القضية هي « الحق » الابدي الذي لا يتزعزع مهما صدمته زوابع المادة والعلم الحسي Positivisme وقد قال رنان مخاطباً رجال الدين « انني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا اذا كانت مصروفة في الخير والحقيقة والاخلاص » ولم يقل ان قيمتها في الاكل والشرب وجمع الثروة بكل الطرق . ولكن لماذا ايها الاستاذ بعد قولك « جاء الحق » اردفتَ بقولك « زهق الباطل » ؟ واي شيء تعني بالباطل . اتعني به العلم ام ما كنتَ تراه وتسمعه عن شراهة الخيامي ؟ اذا كنتَ تعني به العلم (اي العلم الطبيعي الذي سميته في كتابك « تهافت الفلاسفة » تخيلات) فلو امدّ الله في اجلك الى هذا العصر لتحققتَ انه لم يكن كما ظننتَ . ولكن اذا عنيتَ به حالة الخيامي فالسلام عليك ايها الاستاذ . اجل انّ من كان بنفس كنفسك يقضي اواخر عمره تائهاً بين بغداد ومصر والاسكندرية ودمشق الشام يدرس اخلاق البشر ويلتمس ما يسكّن فكره الثائر ويطفىء في نفسه النار التي قال رنان « ان الآلهة توقدها في نفوس الابطال » ثم ينتهي به طول التفكير والبحث وراء الحقيقة الى الانقطاع عن الناس والتجوّل في القفار في ضواحي طوس والطابران بملابس الدراويش وحالة المساكين مع ان الوزير الكبير نظام الملك كان يستعطفك في كتبه للعودة الى المدرسة النظامية الكبرى في بغداد للتدريس فيها وانت تابى ذلك لانك تكره « الانتقال من المرتبة العليا الى المرتبة الدنيا »

كما قلت له في جوابك -- ان من كان بنفس كنفسك هذه لجدير بان يرى الباطل كل الباطل في افكار وافعال الخيامي . ومن هذا الوجه الحق كل الحق في جانبك ايها الاستاذ . ولكن نم براحة يا استاذ فان ما شكوت منه في عصرك بهذا الشان صغير بالقياس الى شكوى اهل هذا العصر . فان عصرنا (خيامي) اكثر من عصرك . انك كنت تحمل حملاتك المائلة على الشر والاستبداد -- اي على الفساد الاجتماعي والسياسي -- فتطعن بقلمك يا اعظم « شخص ادبي » قام بين موءلفي الاسلام (١) اولئك الخياميين الذين (لا همّ لهم الاّ ما يدخل في بطونهم) كما كنت تقول فكان الشرّ يرتعد منك و يتستر خجلاً . اما في هذا العصر فقد مُزّق الستار ورُفع الحياء . دع روحك يوماً يا استاذ تمرّ من بعيد على اندية الفساد والمسكرات والميسر في جميع اقطار البلاد وانظر كم زاد عدد الخياميين من عصرك الى عصرنا . بل دعنا من هذه الطبقة ولنصعد بضع درجات . اتعلم يا استاذ ماذا يسمون في هذا العصر الطمع والشره والاعتداء والغدر والظلم والتهجم لسلب ما في يد الغير باية الطرق على شرط ان يكون لها ظاهر « القانون » ؟ انهم يسمون كل هذه الاسماء « تنازع البقاء » . وربما لا تفهم هذا القول يا استاذ لانه من اللغة الجديدة وهو اصطلاح جديد ولكن لو فهمته لهرولت عائداً الى قبرك مستعيذاً بالله من هذه المعيشة الحيوانية . ولكن حسناً تصنع يا استاذ بتركك هذه المشاهد وعدم تعقبك باقي الافكار والعواطف العصرية . فانك لو فعلت ذلك لرايت هنا العجب لا في رجب . فانك ترى الدين عند جميع الامم قد صار آلة ووسيلة بعد ان كان غاية . ترى روءساء الشعوب يعاملونها معاملة الحيوانات السائمة يجزّون صوفها و يستدرّون لبنها وهمّهم بقاؤهم لا بقاؤها . فهم كامراء عصرك الذين ضربتهم في كتبك خصوصاً في رسالتك « ايها الولد » ضربات هائلة . ترى ثروات الامم وخيراتها وسلطتها تجتمع شيئاً فشيئاً في ايدٍ قليلة يجلس اصحابها على بساط البطالة والكسل والبطر والتبذير والباقي من الامة يسخرون لهم باجور تافهة قد لا تكفي لمعيشة البهائم بل قد لا يجدون هذه الاجور التافهة فيقضى عليهم وعلى اولادهم في الشوارع والاسواق جوعاً وعرياً وبرداً . ترى الشر -- استغفر الله لم يبقَ في الارض شرٌّ اذ ما هو الشرّ ما دام الغرض من الحياة التمتع بملاذ الدنيا واحتكار الانسان ما يستطيع احتكاره من خيراتها لنفسه باية الطرق و بصرف النظر عن غيره تحت ستار قانون يسنه من مصلحتهم موافقة لمصلحته . ان الشر والخير والحرام والحلال قد امتزجت في الباطن و يكاد لا يبقى لانفصالها اثر الا في الظاهر .

«١» كذا يسمي موءلفو الافرنج الامام الغزالي وقد قال سدليو في تاريخه عن العرب مثل ذلك

الخير والشر والحلال والحرام كلام كلام كلام كما قال هملت . وفي الحقيقة ليس هنالك شر ولا خير ولا حلال ولا حرام . بل كل ما هنالك آكلون ومأكولون . غاشون ومغشوشون . ظالمون ومظلومون . و بعبارة اخرى جماعة يتخذون المبادىء ستاراً يقضون وراءه مصالحهم واغراضهم ولذلك يكونون دائماً اقوياء في نظرهم . وجماعة يعتقدون لسذاجتهم بهذه المبادىء اعتقاداً حقيقياً وتدفعهم سذاجتهم وانخداعهم الى العمل بها ولذلك يكونون دائماً ضعفاء بين اولئك . وهكذا يا استاذ بدل ان تكون هذه الحياة حياة جدية مبنية على الاخلاص والخير والتعاون والامانة والصداقة والمحبة والعدل جعلها الخياليون عبارة عن دار خلاعة وضحك ولعب وقفراً موحشاً محرقاً يفوز فيه الاشد سطوة و ثروة والاكثر خداعاً واعتداء . فبازاء هذه الحالة ماذا يجدي ايها الاستاذ صراخك وصراخنا معك : (جاء الحق وزهق الباطل) ان هذا الباطل لا يزال منصوراً . وبعض من اهل العلم حتى فضلائهم يقولون انه سنة ابدية لا يحاربها الا من اصيب بداء الجهل او اعتلال الجسم او عسر الهضم . فعلامَ التعب بلا فائدة ايها الاستاذ ...

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

حكمة العرب والعجم

حكم مختارة من اقوال حكماء المتقدمين من العرب والعجم واليونان وهي مروية عن اكابر ادباء العرب ومجموعة من كتبهم القديمة المختلفة

١ قيل « لديوجانس الحكيم » هل لك بيت تستريح فيه فقال انما يُحتاج الى البيت ليُستراح فيه وحيثما استرحت هو بيت لي

٢ وكان في زمانه رجل مصوّر فترك التصوير وصار طبيباً فقال له : احسنتَ انك

لما رأيتَ خطأ التصوير ظاهرًا للعين وخطأ الطب يواريه التراب تركتَ التصوير ودخلت في الطب

٣ ورأى رجلاً اكولاً سميناً فقال : يا هذا ان عليك ثوبًا من نسج اضراسك

٤ « في شرح الشهاب للراوندي » ورد في الاخبار كراهة النوم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه وقت قسمة الارزاق

٥ « قال بعض الحكماء » انكاؤك لعدوك هو انك لا تريه انك تتخذه عدوًا

٦ « قال احد الحكماء » ينبغي للعاقل ان يعلم ان الناس لا خير فيهم وان يعلم انه لا بدّ منهم فاذا عرف ذلك عاملهم على قدر ما تقتضيه هذه المعرفة

٧ « سُمع » رجل يقول : اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة . فقال له : يا هذا . اقلب كلامك وضع يدك على من شئت

٨ « قال يونس النحوي » الايدي ثلاثة : يد بيضاء . ويد خضراء ويد سوداء . فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف . واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف . واليد السوداء هي المنّ بالمعروف

٩ « قال بعضهم » اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف

١٠ « كتب » ملك الهند الى الرشيد يتهدده في كتاب طويل فكتب اليه الرشيد : الجواب ما تراه لا ما تقراه

١١ « من كلام بقراط واضع الطب » انا والعلة وانت ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما اقول صرنا اثنين وانفردت العلة والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه

١٢ وسئل ما للانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء . فقال : كما ان البيت اكثر ما يكون غبارًا اذا كُنس

١٣ « وقال » يداوى كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة متطلعة الى هواها نازعة الى غذائها

١٤ « قال بعض العارفين » (١) اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت لانك ان قلتَ « لا » فقد كفرت وان قلت « نعم » فقد كذبت

١٥ « من كتاب الاحياء للغزالي » قال علي بن الحسين هل يدخل احدكم يده في كمّ اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن . فقيل لا . فقال اذهبوا فلستم باخوان

(١) يعني العارفين بالله

١٦ الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد الهاك

١٧ «سمع بعض الحكماء» رجلاً يقول : قلب الله الدنيا . فقال اذن تستوي لانها مقلوبة

١٨ الابتلاء بمجنون كامل اهون من الابتلاء بنصف مجنون

١٩ « قال بعض الحكماء » اذا قيل نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت بئس الرجل

٢٠ « قال بعض الحكماء » اذا قال السلطان لعماله هاتوا فقد قال لهم خذوا «٢»

٢١ « كتب بعض البلغاء » كتابة بليغة الى المنصور يشكو فيها سوء حاله وكثرة عيلته وضيق ذات يده فكتب المنصور في جوابه : البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرىء ابطراه وان امير المؤمنين يشفق عليك من البطر فاكتفِ باحدهما

٢٢ « قال سقراط » لولا ان في قولي لا اعلم اخباراً باني اعلم لقلت اني لا اعلم

٢٣ « قال بطليموس » افرح بما لم تنطق به من الخطاء اكثر من فرحك بما نطقت به من الصواب

٢٤ من ضاق قلبه اتسع لسانه

٢٥ «من كتاب انيس العقلاء » كان من عادة ملوك الفرس انه اذا غضب احدهم على عالم حبسه مع جاهل

٢٦ « قيل لحكيم » من ابعد الناس سفراً قال من كان سفره في ابتغاء الاخ الصالح

٢٧ « رأى مالك بن دينار » غراباً يطير مع حمامة فعجب وقال : اتفقا وليسا من شكل واحد . ثم وقعا على الارض فاذا هما اعرجان . فقال من ههنا

٢٨ « قال ارسطو للاسكندر » وهو صبي اذا وليتَ الملك فاين تضعني . قال حيث تضعك طاعتك

٢٩ « مرَّ ديوجانس الحكيم » بشرطي يضرب لصاً فقال : انظروا الى لص العلانية يؤدب لص السر

٣٠ « قال انوشروان لبزرجمهر » اي الاشياء خير للمرء فقال عقل يعيش به . قال فان لم يكن . قال اخوان يشيرون عليه . قال فان لم يكن . قال فمال يتحبب به الى الناس . قال فان لم يكن قال فعي صامت . قال فان لم يكن قال فموت جارف

---

(٢) يعني من الرعية

٣١ « قيل لصوفي » ما صناعتك قال حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس

٣٢ « قال بعضهم » خرجت يوماً الى المقابر فرأيتُ البهلول فقلت له ما تصنع ههنا قال اجالس قوماً لا يغدرونني . وان غفلتُ عن الآخرة يذكرونني . واذا غبت لا يغتابونني

٣٣ « في الاحياء للامام الغزالي » ان رؤية الثقيل هي العمى الاصغر . وقد قيل للاعمش لم عمشت عيناك فقال من النظر الى الثقلاء

٣٤ « من كلام بعضهم » يا ابن آدم انما انت عدد فاذا ذهب يوم ذهب بعضك

٣٥ « قال بزرجمهر » اعلم الناس بالدنيا اقلّهم منها تعجباً

٣٦ « في الاغاني » دخل يوماً علوية المجنون على المأمون وهو يرقص ويصفق بيديه ويغني

عذيري من الانسان لا ان جفوته   صفا لي ولا ان صرت طوع يديه

واني لمشتاق الى ظلّ صاحب   يروق ويصفو ان كدرتُ عليه

فقال المأمون : يا علوية خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب

٣٧ « كان يحيي بن معاذ » كثيرًا ما يقول : ايها العلماء ان قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية ومواكبكم قارونية واوانيكم فرعونية واخلاقكم نمروذية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم سلطانية : فاين المحمدية

٣٨ « من كلام افلاطون » انبساطك عورة من عوراتك فلا تبذله الا لمأمون عليه

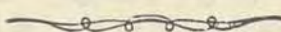
٣٩ ارعَ من عظمك من غير حاجة اليك

٤٠ « قال بعض الحكماء » اذا اردت ان تعرف من اين حصل الرجل المال فانظر في اي شيء ينفقه

٤١ « من كلام بعض الوزراء » من كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منه

٤٢ « قيل لفيثاغورس » من الذي يسلم من معاداة الناس . قال من لم يظهر منه خير ولا شر . قيل وكيف ذلك . قال لانه ان ظهر منه خير عاداه الاشرار . وان ظهر منه شر عاداه الاخيار

(جمع الجامعة)



فلسطين وأشهر بلدانها

(لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا)

﴿ اطراف اليهودية الشمالية ﴾

ولننتقل الآن بالقارئ الى بلاد اليهودية

﴿ اليهودية ﴾ بلاد جبلية تعلو عن بيت المقدس قليلاً . وكنت مساحتها تختلف باختلاف العمال والشؤون والازمان فتارةً تضيق الى مسافة ثمانية اميال عن العاصمة وتمتد اخرى الى ثلاثة او اربعة عشر ميلاً . ومما يجدر بالذكر من هذا الجانب من البلاد ما يلي :

﴿ تل سكوباس ﴾ المقابل القدس والمحيط بها مع جبل الزيتون . وقد قال يوسيفوس انه يبعد عنها سبع غلوات وان القائدين الشهيرين سيسترس وطيطس اقاما فريقاً من جيوشهما عليه في اثناء حصارها . والمدينة بهيكلها وجميع ابنيتها مكشوفة للواقف عليه انكشافاً تاماً

﴿ قرية شافاط ﴾ من وراء هذا التل الى يسار الطريق . قيل انها (نوب) المذكورة في صموئيل الاول « ٢١ : ٢٣ » وهي قرية صغيرة محاطة بشجر الزيتون وفيها آثار كنيسة صليبية وحوض منقور في الصخر

﴿ تل الفول ﴾ يقابل شافاط من جانب الطريق الآخر . وعليه بقايا قلعة صليبية وهو مشرف على كل البلاد المجاورة . ويتضح من قول يوسيفوس بان طيطس بعد ما قام بجيشه من جفنة في حملته على القدس خيم في وادي الشوك وراء جبعة شاول التي تبعد ثلاثين غلوة عن المدينة كون تل الفول هذا الواقع فوق الوادي بين جفنة والقدس وعلى البعد الذي ذكره عن المدينة هو جبعة شاول بن قيس اول ملوك الاسرائيليين بلا اشتباه . وهي التي سمح داود للجبعانيين ان يصلبوا فيها سبعة من اولاد شاول (صموئيل الثاني ص ٢١)

﴿ النبي صموئيل ﴾ قرية قائمة على تل شاهق على مسافة اربعة او خمسة اميال الى الشمال الغربي من تل الفول . وقد اختلف الرواة الاقدمون في حقيقتها فقالوا انها الرامة بلد صموئيل النبي التي ولد ومات فيها . مع ان يوسيفوس وجيروم يشيران الى كون

الرامة واقعة في السهل بقرب قرية اللد التي مرَّ ذكرهـا . والصليبيون اذ وجدوها منسوبة لصموئيل قالوا انها شيلوه . غير ان العلاَّمة الدكتور روبنصن قرَّر كونها المصفاة ومعناها المشهد او المرقب ووافقه جمهور الكتبة على رأيه هذا . وهي بلدة بنيامينية كان يأتي اليها الاسرائيليون مرَّة في السنة الى صموئيل ليقضي لهم فيها . وفيها انتخب شاول بالقرعة ملكاً على اسرائيل واقام الكلدانيون جليلياً عاملاً على من تركوهم من عجزة اليهود في البلاد بعد السبي فقتله اسمعيل ابن نثنيا (ملوك ثاني ٢٥ : ٢٢ : ٢٥)

⁂ جيب ⁂ في الوادي امام النبي صموئيل من جهة الشمال والمرجح انها جبعون التي عاهد اهلها يشوع (يشوع ص ٩) والتي قدم سليمان محرقاته فيها بعدما طلب حكمة من الله تعالى (ملوك اول ٣ : ٥) وترى ايضاً على مقربة من الطريق من الجهة الغربية قرى بيت إكسا وحانينا وبيت نبالا وهي قرى صغيرة لا ريب في انها قائمة على آثار قرى قديمة لم يتوصل الباحثون الى معرفتها بعد

⁂ خان الخرايب ⁂ على مسافة نحو خمسة اميال من تل الفول وهو احد الخانات القديمة التي كانت مبنية على طرق القوافل التجارية بين بلاد الشام والعربية ومصر والطريق القديمة بجانبه رومانية كانت مرصوصة بالبلاط ولم تزل بعض اقسامها تشهد باهتمام تلك الامة العظيمة بوسائل العمران

⁂ الرام ⁂ قائمة على تل مرتفع غير بعيد عن الخان وهي قرية صغيرة يسكنها نحو خمس عشرة عائلة من فقراء المسلمين وهي رامة بنيامين القديمة وقد جعلها ملوك يهوذا بعد انفصال المملكة الشماليه عنهم حصناً منيعاً على الحد بين المملكتين . قال يوسيفوس انها تبعد اربعين ستاديا عن القدس وذكر بروكاردروس انها جنوبي البيرة . وهناك مقام يُدعى مقام الشيخ حسين ضمنه آثار كنيسة رومانية . ومناظر هذه القرية فسيحة بديعة

⁂ خربة عطاره ⁂ على تل كبير امام الرام يظنها الكتبة انها عطاروث ادّار المذكورة في يشوع (٩ : ١٧)

⁂ البيرة ⁂ بلدة بنيامينية تبعد نحو عشرة اميال الى الشمال عن القدس . قال يوسيفوس كان المسافر يراها في الميل السابع الروماني في طريقه من القدس الى عمواس . وهي تظهر اليوم من تلك الطريق على مسافة ساعتين عن القدس فلا ريب في حقيقتها . وان اعتقد الصليبيون بكونها مخماش واليها هرب يوثان ابن جدعون من وجه ابيمالك اخيه الذي قتل اخوته التسعة والستين في عفرة (قضاة ٩ : ٢١) وقد كانت تختص بفرقة

الهيكليين من الصليبيين الذين بنوا فيها كنيسة تشبه كنيسة القديسة حنة في القدس . وبقاياها موجودة في اعلى نقطة في البلدة . وهم اول القائلين بان يوسف ومريم انما اشعرا فيها بتخلف السيد عنهما في عودتهما من زيارة بيت المقدس في العيد وهو ابن اثني عشرة سنة . وفيها نبع ماء غزير جيد . وربما اخذت اسمها (بئيروت) منه . وله حوض كبير قديم البناء وقد بني فيها محل صغير لراحة المسافرين بعد ما مدت اليها طريق العربة . — سكانها نحو ثمانمائة من المسلمين

﴿ رام الله ﴾ واقعة على مسافة ميل الى الغرب من البيرة والارجح انها رعمتايم صوفيم وفيها مدارس داخلية وخارجية للذكور والاناث لجمعيات اميريكية وانكليزية وديران للروم واللاتين . وسكانها نحو ثلاثة آلاف من المسيحيين المجتهدين في زراعة الكرم في اراضيهم الصخرية

﴿ بيت اين ﴾ واقعة على مسافة اثنى عشر ميلاً الى الشمال من القدس وهي وان كان الكتبة مختلفين في كونها « بيت ايل » التوراة فنحن من الفريق القائل بحقيقة ذلك لان قلب اللام نوناً في اللغة العامية الدارجة في اواخر الاسماء العربية امر مألوف كاسماعين لاسماعيل وعزرائين لعزائيل فضلاً عن كون يوسيفوس وجيروم يشهدان بكونها واقعة شرقي الطريق المؤدية من نابلوس الى القدس وعلى بعد اثنى عشر ميلاً عن الاخيرة . وفيها نام يعقوب لما كان هارباً من وجه اخيه عيسو الى خاله لابان في حاران ورأى في نومه السماء مفتوحة فوقه وملائكة الله صاعدة ونازلة منها واليها على سلم مدلاة منها الى الارض فبنى فيها مذبحاً ودعاها بيت ايل بعد ما كانت تدعى « لوز » وكانت من نصيب سبط بنيامين « يشوع ١٨ : ١٣ » ثم صارت لابناء يوسف . واليها مع المصفاة والجلجال اللتين تقدم ذكرهما كان صموئيل يأتي مرة كل سنة ليقضي لشعب اسرائيل الذي كان يوافيه الى هذه الامكنة في الاوقات المعينة واتخذها يربعام مركزاً دينياً ليضاهي بها مدينة القدس واقام فيها معابد ومذابح للاصنام ليزورها اهل مملكته في المواسم بدل القدس حتى لا تبقى قلوبهم معلقة بهذه المدينة فيعودوا للانضمام تحت لواء ابناء داود ملوكها . ولكن لم تلبث ان عادت لملوك يهوذا في ملك الملك يوشيا الذي طهرها من المعابد والمذابح الاصنامية بعد ما ذبح عليها كهنتهم . فتمت بذلك نبوءة رجل الله المذكورة في سفر الملوك « الاول ص ١٣ » وقد حصنها بخشيد في عودته من محاربة ياناثان المكابي في بيت مجلا التي مرَّ ذكرها . وفيها بقايا ثلاث كنائس شرقية واحدة ضمن البرج المنسوب

اليها واخرى في اعلى نقطة في جهتها الجنوبية الشرقية والثالثة بين الخرابات الكائنة بجانب البرج المربع في الجهة الشماليه الغربية وفيها ايضاً بقايا مستودع ماء مكشوف طوله نحو ٣١٥ قدماً وعرضه يزيد عن المئتين . اهلها لا يزيدون عن الاربعمائة نسمة من المسلمين وكلهم فقراء . وعلى مسافة نحو ثلثة اميال الى الجنوب الشرقي من بيت اين تل يشرف على جانب متسع من غور الاردن الخصيب و يعتقد بعض المتطرفين في تعيين المواقع الدينية بانه المكان الذي ارى الله منه ابراهيم الارض ووعده بان يعطيه اياها بعد انفصاله عن لوط ابن اخيه « تكوين ١٣ : ١٤ »

﴿ عاي ﴾ المدينة التي حاربها الاسرائيليون بعد اريحا وخذلوا فيها بخيانة عخان ولا بد من انها كانت قائمة في هذه الناحية « تكوين ١٢ : ٨ يشوع ٧ »

﴿ الطيبة ﴾ على مسافة نحو سبعة اميال الى الشرق من بيت اين وقد اجمع رأي اكثر الكتبة على كونها عفرة بلد جدعون احد قضاة بني اسرائيل الذي دعاه الله لمحاربة المديانيين وتحرير الاسرائيليين من نير عبوديتهم « قضاة ٦ : ١١ »

﴿ تل عاصور ﴾ هو جبل شاهق يبلغ علوه نحو ثلثة آلاف ومائتين قدم تقريباً واقع الى الشمال الشرقي من بيت اين وعليه بقايا قلعة صليبية . وقال اكثرهم انه بعل حاصور المذكور في صموئيل الثاني « ٢٣ : ١٣ »

اورشليم الجديدة واراء الرصفاء

ليس من غرضنا في هذا الفصل ذكر ما كان لكتاب الجامعة الاخير «اورشليم الجديدة» من الاثر في نفوس قراء الجامعة الكرام وما ورد علينا من اراء الادباء والفضلاء فيه ـ فاننا اعتدنا هذا التنشيط والتشجيع من قرائنا . ونحن نتلقى براهين ودادهم للجامعة واقبالهم على ما تكتبه بالشكر الجزيل ونعتبر انها انما نقوم بما يجب علينا من الخدمة فكل جهد تبذله فيها لا تستحق عليه شكراً ولا ثناء . وانما الغرض في مقالنا هذا شكر حضرات الرصفاء الافاضل الذين تفضلوا بذكر هذا الكتاب في جرائدهم ومجلاتهم تقريظاً او انتقاداً شأن الكرام الذين يحلّون الامور محلها و يشجعون العاملين بسلامة نية

هذا ونحن نغتنم هذه الفرصة لحادثة حضرات الرصفاء الذين بسطوا بشان

الرواية بعض ملاحظات بدت لهم في اثناء مطالعتها . فمن ذلك مقالة نشرتها رصيفتنا جريدة المصباح البيروتية الغراء لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ سليم خطار الدحداح انتقد فيها الرواية انتقاداً يدل على سلامة ادبه وطول باعه . ونحن نرد لحضرته كل ما ورد في مقالته من عبارات الثناء على الجامعة ومنشئها ونشكر له هذا التنشيط . الا اننا نرجو ان يسمح لنا حضرته بان نستغرب الملاحظات التي وردت في خاتمة مقالته . فاننا لا نعلم من اين تلقى ان مبداء الجامعة مبداء (الكومونيزم) الذي دعا اليه افلاطون « ١ » مع انه لو امعن النظر في الصفحة ٥٥ من (اورشليم الجديدة) في الحاشية (عن جمهورية افلاطون) لتحقق ان مبداء الرواية ضد ذلك المبداء على خط مستقيم . واذا كان قد افضى به الى هذا الاعتقاد ما رآه احياناً في كلام الجامعة او بعض ابطال رواياتها من الاشارة الى المسائل الاشتراكية فقد كنا نأمل ان يراعي الفارق بين الاشتراكية الانجيلية التي ورد ذكرها احياناً في كتابات الجامعة والاشتراكية المادية المجردة عن كل عاطفة دينية . واما اذا كان يرى ان الاشتراكية الانجيلية نفسها لم يبقَ لها محلٌّ في هذا العصر فذلك نقض صريح للاصل الاول الذي قامت عليه الديانة المسيحية

وهناك اعتراض آخر لحضرته وهو إكباره العبارة التي وردت على لسان ايليا مخاطباً استير (لا تتركي الحواجز الصناعية التي يضعها البشر تحول بيني وبينك) ولسنا نرى في هذه العبارة شيئاً يخدش مذهباً من المذاهب اذ المقصود بها اقناع ايليا المسيحي استير اليهودية لترضى به زوجاً . وهذا الزواج مالوف اليوم وان كان عظيماً في ذلك الزمن . اما اعتراضات حضرة الكاتب الاخرى فهي من قبيل المسائل الادبية التي تحتمل وجهين او اكثر والمجال لا يتسع لذكرها كلها . انما نشكر حضرة الكاتب لتنبيهنا الى خطاء فاتنا في الصفحة ١٤٧

---

(١) استنتج حضرته هذا الاستنتاج مما قرأه في منشورات الجامعة . ولكننا نرى جناب محرر (المنارة) في البرازيل ادق استنتاجاً واحسن مطالعة . فانه حين كلامه على كتاب الجامعة « الدين والعلم والمال » لام المؤلف لانه لم يحكم بين الاحزاب الاربعة اهل العلم واهل الدين واهل المال والاشتراكيين بل حرقهم جميعاً بنار وكبريت من السماء في ختام الرواية . ولوم الكاتب في محله لو لم يكن عدم الحكم حكماً . فان معاقبتهم كلهم بالنار والكبريت دليل على انهم في ذهن المؤلف مذنبون جميعاً وهو ما يؤخذ من بضع عبارات في الختام . وعليه لا يكون المؤلف موافقاً على كل ما ورد في ادلتهم وبراهينهم بل هو يرى ان في مذهب كل حزب منهم شيئاً حسناً وشيئاً لا يمكن قبوله في عدة ظروف . فهو يتمسك بكل ما كان حسناً مقبولاً في كل حزب وينبذ ما كان غير مقبول في كل حزب . وهذا سبب عدم الحكم بين الخصوم في تلك الرواية . فاي معنى اذاً لنسبة المؤلف الى اشد تلك الاحزاب تطرفاً

الحرير باقدار مختلفة فاسفرت التجارب عن ان افضل طعام للدودهو ورق التوت دون ريب وانه اذا ُقلل طعامه قلّ ما تفرزه من الحرير وطالت مدة انسلاخه

﴿ كتاب المتزوجات ﴾ قرر المجلس البلدي في باريز منذ سنتين ان ّ كل فتاة تتزوج ُتعطى ساعة عقد الزفاف رسالة صغيرة مطبوعة على نفقة المجلس وتحتوي على التدابير الصحية والنصائح الطبية المختصة بشان الولادة وتربية الاطفال . ولا تزال هذه العادة متبعة هناك

﴿ المسكر الازرق ﴾ ساء بعض المتفننين في الاشربة ان لا يوجد في العالم مسكر ذو لون ازرق فاعلنت جمعية المشروبات في نيو يورك انها جعلت جائزة قدرها ٥ الاف ريال لمن يخترع شرابًا بهذا اللون على شرط ان يكون طيب المذاق رخيص الثمن

﴿ رؤوس المذنبات من الراديوم ﴾ راى المسيو بويس رايًا جديدًا في رؤوس المذنبات وهو انها مركبة من الراديوم وبذلك يفسر سرًّا من اسرار المذنبات نعني بقاء اذنابها على ما هي عليه دون نقدها شيئًا من حجمها وهذا من خواص الراديوم الذي ينتشر منه ضباب منير دائم . فتكون اذناب المذنبات في رايه ضبابًا منيرًا منتشرًا من رؤوسها

﴿ اختراع لتدفئة السجادات بالشتاء ﴾ عرضوا في باريز بسطًا جديدة متصلة باسلاك كهربائية تدفئ الجالس عليها بتحمية السجادة نفسها في ايام الشتاء . وهذا آخر تفنن لهم بشان التدفئة

﴿ ثمن طابع بوسطة ﴾ ابتاع المسيو كروفورد من لندن طابعًا ازرق من طوابع بريد جزيرة موريس قيمه ٣٦٢٥٠ فرنكًا



فقد ورد فيها (الامبراطور كلوديوس) والصواب كلوديوس نائب الشعب لا الامبراطور . وتلك القطعة منقولة حرفياً عن مونتسكيو كما ورد في الحاشية فمضينا في الترجمة دون انتباه الى حقيقة الاسم وهو سبب الخطاء . واذا كانت مقالة المنتقد الفاضل لا تحتوي غير هذه الفائدة لنا فكفى بها امثولة للمستقبل (١)

هذا ما راينا بيله واجباً بشان مقالة المصباح اللطيفة . وهناك اعتراضات اخرى لرصفاء آخرين . منها ما آخذتنا به رصيفتنا جريدة الظاهر الغراء من ذكر (الميكانيكه) في زمن لم يكن فيه للميكانيكه اثر . والذي نعلمه ان عصر الميكانيكه اقدم من عصر الرواية بالوف من السنين . وهذه الاهرام الهائلة المبنية على مقربة منا والتي زرناها في الشهر الماضي لاشباع العين من منظرها الفخيم لا يمكن ان تكون بنيت الا بالات ميكانيكية اعانت العملة على بنائها او رفع حجارتها . وفضلاً عن ذلك فان الشيخ الراهب لم يذكر الميكانيكة على التحقيق بل على الظن وهو امر مالوف في انشاء الروايات . وكم من الروائيين يتصورون اليوم السياحة في الكواكب ويصفون اهلها وهم لم يتحققوا بعد هل هي مأهولة ام لا . اما انتقاد الرصيفة بشان رنان فجوابنا عليه اننا لو فعلنا كما تمنت لكانت هي اول الشاكين .

ولقد لاحظت رصيفتنا جريدة المنارة الغراء التي تطبع في البرازيل ملاحظة خلاصتها ان المؤلف لم يعرّف الى القارئ (ارميا والشيخ سليمان) فلم يعلم القارئ شيئاً من ترجمتهما ولا من اين قدما . وهذه الملاحظة في محلها الا ان المؤلف اعتمد في ذلك على ذكاء القارئ . والقارئ يستنتج من سياق الرواية وحوادثها ان الشيخ سليمان من اهل القدس وقد قُتل ابنه في حرب الفرس فذهب وانتقم له ثم عاد واقام في وطنه . وان ارميا معتوه مصاب بالهوس الديني ومثله كثير حول الاديرة . ونذكر هنا لرصيفنا الفاضل محرر المنارة صاحب هذه الملاحظة اننا لم نخلق ارميا خلقاً كما اننا لم نخلق مخلوف في رواية (الوحش الوحش) فان مخلوف موجود باللحم والدم وقد عرفناه وحادثناه في ربوع الشام . وكذلك ارميا فاننا رسمناه على صورة معتوه يهودي كان يدّعي انه المسيح ويأوي الى كنائس المسيحيين مدعياً ان البيت بيته . فلما كنا نكتب عن ارميا كانت صورة ذلك الشخص المسكين حاضرة في ذهننا فكان لنا فيها غنى عن تعريف صاحبها

---

(١) انتقد ايضاً حضرة المنتقد تفسير (ابيروس والتراس) في الحاشية فظنّ الضمير في (هي رومانيا وبلغاريا اليوم) عائداً الى ابيروس والتراس والصواب الى التراس فقط والاّ لوجب ان يقال (هما)

وبما اننا الآن في دائرة رصيفتنا المنارة فالانتقال منها سهل الى دائرة رصيفتنا جريدة (المناظر) . فقد نشرت الرصيفة العزيزة مقالة عنوانها (اوروشليم الجديدة) بتوقيع « الرجل الاجتماعي » فيها ما اعتادت (الجامعة) ان تجده لدى رصيفتها الجريئة الصادقة من كلمات التشجيع وعرفان قيمة العمل الجدي . ونحن نلقى تشجيع رصيفنا الكاتب الفاضل صاحب المقالة بعواطف الشكر والامتنان لقدره تعب الجامعة قدره ونرجو ان تبقى الجامعة اهلاً لثناء اهل الفضل والادب من الكرام امثاله

هذا ولقد اخرنا الكلام على انتقاد رصيفنا وشيخنا الكريم (المقتطف) الاغر لنطيل في شكر جنابه على ما تفضل به على الجامعة من عبارات اللطف والوداد التي تدل على انه في مقامه بين رصفائه لم يخسر شيئاً من منزلته العلمية ولذلك يلتزم الانصاف على الدوام ولا يحارب احداً منهم بسلاح الضعفاء . ونحن لا نشك في ان الرصيف لم يقصد قط الحط من قدر الرواية في ما كتبه عنها لانه ارفع من هذا الامر الذي لا ياتيه الا من كان يكره حسنات غيره ويسوءه التعب والجهد الذي يبذله العامل في عمله . والارجح عندنا ان الرصيف الكريم كتب انتقاده في ساعة اهمال او ضجر او عسر هضم كما يقول بعضهم لا لسوء قصد . وكل من يعرف تعب انتقاد الكتب يعذره . مثلاً قال حضرته ان تاريخ الواقدي الذي اعتمدنا عليه في بعض صفحات الراوية « هو نفسه رواية تاريخية كما يتضح لمن يطالعه فحبذا لو محص المؤلف ما نقله عنه » . فيظهر ان حضرة المنتقد قد قرأ « اوروشليم الجديدة » بسرعة او انتقدها قبل ان يقرأها او لم يقرأها . فقد قلنا في الصفحة (٣٢) في الحاشية ما نصه بحرفه " نعتمد هنا (اي في ذلك الفصل) على الواقدي وان كان تاريخه يكاد يكون في اكثر اقسامه قصة عنترية " وفي تلك الصفحة في الحاشية صححنا للواقدي قوله عن (قيصرية او بيت المقدس) وفي الصفحة (٣٣) حذفنا من كلامه اسم خالد ابن الوليد لانه نفسه يقول في موضع آخر انه لم يسر في مقدمة الجيش . وفي الصفحة ١٠٤ قلنا في الحاشية « الرواية التي رواها الواقدي هنا مخالفة للعقل بعيدة التصديق ولذلك لم نعبأ بها واولناها هنا هذا التاويل » وفي الصفحة ١١٩ عارضنا رواية الواقدي برواية ابن الاثير في جواب الامام علي وفي مطية عمر . وفي الصفحة ١٣٣ قلنا في الحاشية « لم نرَ في غير الواقدي اثراً لهذا الغدر ومبالغاته مشهورة » فمن ذلك يتضح اننا لم ننقل عن الواقدي الا كل ما رأيناه موافقاً للعقل والنقل التاريخي الصحيح . ونظن ان هذا ما يُدعى (تمحيصاً) . ولكن لعل الرصيف لم ينتبه الى ذلك

وهنالك ملاحظة اخرى لحضرته وهي قوله ان في الرواية (نصائح وحكم يشف بعضها عن لوم صاحبها الدنيا) وهذا ايضاً لم ينتبه اليه الرصيف. فانه لم يرد في الرواية لوم للدنيا بل « للفساد الذي في الدنيا »ولا مشاحة في ان كل الناس يذمون هذا الفساد الا الذين يستفيدون منه ويملأُون به خزائنهم ذهباً . وان قيل ان الصلاح سيتغلب على الفساد والخير على الشر في مستقبل الانسانية كما قال حضرته في خاتمة كلامه فهو قول "مرجَّح" . ولكن هل يقع ذلك في المستقبل باعانة الاشرار على شرورهم للاستفادة منهم ام بمقاومة هذا الشر بكل القوى البشرية . لا ريب عندنا ان الطريقة الثانية هي الطريقة الوحيدة التي بُني عليها ناموس بقاء الافضل . فالذين يصدمون الفساد على الدوام معرضين مصالحهم للخسران هم انصار هذا الناموس والذين يقولون «اتركوا الفساد فانه يزول من نفسه» وذلك لخوفهم من مقاومة اصحابه او التماساً لفائدة منهم انما هم يعيقون سير هذا الناموس . لانه اذا قويت قوة الشر على قوة الخير ضعف الخير وان كان ضعفاً وقتياً فافضى به هذا الضعف الى التاخر وان كان لا يمكن ان يضمحل للقوة العجيبة التي وضعها فيه الخالق العظيم . ولكن اذا أُعين الخير على الشر كان انتصاره سهلاً قريباً

وهذا الكلام يجرنا الى ملاحظة صغيرة لاحد كتّاب الفرنسويين . فقد كتب هذا الكاتب في احدى جرائد باريز ترجمة الشاعر الروسي العصري المشهور (مكسيم غوركي) الذي ساوت شهرته اليوم شهرة تولستوي في عالم الادب والشعر وفن الروايات . فذكر عنه ان كتاباته اخذت تنبه في نفوس كبراء الروس الميل الى اخوانهم الصغار الذين دونهم في الحياة الاجتماعية بما يصوّره في رواياته من احوالهم وشؤونهم وانه سيكون لهذا الشاعر المؤلف على روسيا من التأثير بشأن الطبقات الضعيفة ما كان لروسو على فرنسا بشأن الطبيعة . فيكتشف الروس في رواياته وجود اولئك التعساء وذلك الفساد كما اكتشف الفرنسويون الطبيعة في كتب روسو ومالوا اليها . ثم قال « وقد يعجب بعض كتّابنا من كساد سوق كتاباتهم واهمال الجمهور لها بازاء ما يرونه من تهافتهم على كتب غوركي مثلاً ولكن لا يلوموا احداً غير انفسهم . فانهم يصرفون وقتهم في البحث في الصحو والمطر والصعود والهبوط وغير ذلك من الامور الجافة الناشفة المخصوصة باهل العلم الباحثين دون غيرهم مع انه لدينا هيئة اجتماعيّة معتلّة علينا النظر في دوائها وفساد كبير علينا هدمه . والاشتغال عن هذا الاعتلال وهذا الفساد بالصحو والمطر والمدّ والجزر من قبيل اشتغال الانسان بالشيء الكمالي قبل الضروري . كاشتغال المريض المدنف مثلاً بشراء لحم

لا يقدر على اكله ولا هضمه قبل شراء دوائه او كاشتغال ربة البيت بخارج بيتها واهمالها داخله . ثم قال ان الكتّاب المشار اليهم معذورون لانهم لم يدرسوا حقيقة الحياة ولم يخالطوا الامة ليعرفوا مبلغ اتعابها وآلامها وطبيعة الفساد الذي تشكو منه »

وقد اراد الكاتب بهذا القول اظهار ان في كتّاب بلاده قوماً شبوا بمعزل عن الامة ولم يخالطوا الشعب كما خالطه غوركي "١" ليعلموا حاجاته وآلامه . ولكن عندنا ان هذا السبب وحده غير كافٍ . واذا صح هذا القول في الكتّاب الذين ينبغون في الطبقات العليا فلا يصح في الذين ينبغون في الطبقات التي تحتها وكثير ما هم . والصحيح ان «المصلحة والمنفعة» التاثير الاعظم في تغيير اخلاق الكتّاب وافكارهم وصرفهم الى الوجهة التي ينصرفون اليها فيجعلون همهم جمع المال بدل النفع العام . وهذه آفة العلم والسياسة والآداب — بمعنيينها — في العالم . غير ان هذه الآفة لسوء الحظ طبيعية في الانسان ، الاَّ اصحاب العقول والقلوب العظمى الذين تمنحهم العناية الالهية قوة خصوصية فيزدرون الثروة والمجد المادي وينحدرون من قمة مفاخر الدنيا والطبقات العالية الى وهاد الشعب وابناء الامة الرازحين تحت نير الطبقات القوية رغبة في تسليتهم واعانتهم على احتمال هذا النير او رفعه عن اعناقهم كتولستوي الذي هو « كونت » من اشراف روسيا وفولتير الذي كان من اشراف فرنسا . فان هوءلاء الاعاظم مع كونهم من الطبقات العالية ومن اهل المال دأبهم ان يحاربوا بكل قواهم في الطبقات العالية الحاكمة والمحكومة ذلك الفساد الاجتماعي والسياسي المبني على « سلطان المال » الذي يسمم دم الامة شيئاً فشيئاً لانه يقتل العدالة فيها لجعله القانون العوبة في يد المال يميل معه حيثما مال ـــ ويحصر السلطـة والمنافع والاملاك والارزاق في افراد قلائل يكون باقي الامة اجراء مسخرين لهم يتعبون ويكدون ويكدحون وغيرهم يتمتع بثمرة تعبهم دون ان يهتم او يغتم لحالة الامة والعملة الذين يجمع ثروته منهم

ويظهر ان هذا الداء قد بدأ ينتشر في الشرق انتشاره في الغرب . فقد قرأنا منذ مدة في شهر واحد فقط عدة فصول في الجرائد العربية فيها بروق ورعود على « سلطان المال » في الشرق . منها مقالة في جريدة « الصاعقة » المصرية هي في الحقيقة صاعقة لم نقرا قط مقالة بليغة بموضوع كموضوعها . واخرى في رصيفة في البرازيل لمراسل تكلم عن حالة

"١" غوركي كان في صباه حقيرًا مستخدمًا عند صانع احذية ثم ترك العمل وشرد في البلاد مع المتشردين وبعد ذلك تلقى العلم والادب من تلقاء نفسه وآخر كتبه الذي اقام روسيا واقعدها عنوانه « الطبقة السفلى » يعني ضعفاء الامة

الطبقات الاجتماعية . واخرى لسيادة مطران في بيروت وهي عظة بليغة نشرت في احدى رصيفاتنا البيروتية . وثالثة في الرصيفة نفسها وهي خطبة لدكتور في بيروت وجدنا في انفاسه فيها ريح الحرية والجرأة التي تعودنا استنشاقها في الرصيفة قبل طورها الاخير . ويظهر لنا مما نلاحظه ونقرأه ونسمعه حيناً بعد حين ان هذه الحركة آخذة في الامتداد والانتشار . ونحن نأسف لها لانها ستكون في مستقبل قريب او بعيد سبب نزاع شديد بين الشرقيين كما هي بين الغربيين . ولكن الاسف لا يوقف مجرى النواميس الطبيعية . ومتى جاء ذلك الزمن وصار معلوماً في الشرق ان هدم الفساد الاجتماعي مقدَّم على هدم الفساد السياسي لانه بدون الفساد الاجتماعي يستحيل وجود الفساد السياسي . وذهبت دولة « الاستفراد » العصري individualisme الذي اروج ما تكون بضاعته في صفحات رصيفنا المقتطف والاحتكار المالي الذي يقيم له الرصيف في صفحاته صوراً وتماثيل يمجد بها اولئك الاميركيين الطغام الذين يحتكرون ارزاق الامم ويعيشون فيها كالعلق يمتصون دمها ولا ينفعونها . وحلّت محل تلك الدولة دولة التعاون الاجتماعي والتضامن البشري بين جميع طبقات الامة والاخلاص القلبي — فرواية كرواية « اورشليم الجديدة » تكون حينئذ مفهومة من رصيفنا الكريم المقتطف الاغر اكثر مما كانت اليوم

وفي ختام المقال نشكر للاستاذ شيخنا وكبيرنا ملاحظاته التي كانت السبب في لذة هذا الحديث معه ولا ريب عندنا في انه يتجاوز عن مواجهتنا له بهذا الردّ لعلمه ان انتقاد منتقد مثله لا يحسن ان يبقى بلا جواب وذلك ان لم يكن اتباعاً لسنة « تنازع البقاء » فاحتراماً لاراء العلماء الاعزاء

الشعر العصري البليغ

ديوان الرافعي « الجزء الثاني » «١»

كل من يقرأ شعر الرافعي يدهشه ما يجده من البلاغة في شعر هذا الشاعر الجديد الذي ظهر في سماء الادب العربي على حين فجاءة ظهور الكواكب في السماء وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . ولقد اعتاد بعضهم الغلو في تقريظ المؤلفين والمترجمين ارضاءً لهم او تزلفاً اليهم اما الجامعة فانها رأت منذ وقفت على شعر هذا الشاعر ان تقوم بما يجب على المتقدمين

«١» تحت الطبع في مطبعة (الجامعة) وسيصدر قريباً

للمتاخرين متى ظهر فيهم من يجب تنشيطه ليستمرّ في عمله ولذلك كانت اول من وجه الانظار خاصةً الى الرافعي وشعره . وقد وقفنا الآن على « الملازم » الاولى من ديوانه الجزء الثاني فاحببنا اتحاف القراء ببعض مقتطفات منه . ففيها خير تقريظ لشاعرية الشاعر

قال في باب « الغنى والفقر » من ابيات كثيرة يذكر بها الفقراء والاغنياء و يخاطب كوخ الفقراء

فيا كوخ الفقير غدوت دنيا — وكل الارض للفقراء دارُ
على تلك القصور ارى دخاناً — اخف عليك منه ذا الغبارُ
وفيك سلامة من كل همٍ — وفيها من هموم الدهر نارُ
عليك الشمس تاج لم ينله — سواك ومن حلى الظل السوارُ
وما يغني كبارَ الاسم شيءٌ — وانفسهم وان كبروا صغارُ
فيا كوخ الفقير اذاً سلاماً — فانت لبهجة الدنيا وقارُ
وما تلك القصور سوى ذنوبٍ — وانت لها من الدهر اعتذارُ

وقال ايضاً في مثل هذا المعنى

ارى الانسان يطغى حين يغنى — وما ادنى الهبوط من الصعودِ
كما تعمى البهائم حين ترعى — عن الشوك الكثير لاجل عود
اليس من التغابن وهو ظلمٌ — جزاء السعي يُكتب للقعود

قلنا . هذا البيت الاخير يعدل وحده ديواناً كاملاً . فانه عبارة عن خلاصة الانتقاد الذي يوجهه بعض العلماء والفلاسفة كتولستوي مثلاً الى اغنيائهم الذين يتنعمون وهم قعود في مجالسهم دون عمل يعملونه بتعب عشرات ومئات والوف من البشر المستخدمين لهم

وقال مخاطباً نفسه

يا نفس بعضَ اليأس لا تقنطي من رحمة الله ولا تحنقي
ان كان ما مرَّ من العمر لم — يحقق الظن ففيما بقي
والناس في الدنيا دلاءٌ فذا — يهوى الى القاع وذا يرتقي

وقال في الناس

ان الانام وحوش — وانما الاسم ناسُ
تخاتل وزحام — وقسوة ومراسُ

فاخش الضعيف وان لا ن كم من الضعف باس

قلنا ولكن الشاعر عاد فقال في فقرة اخرى قولا غريباً . قال

تعلّم من الختل ما تتقي به كيد كل فتى خاتلِ

وخذ لمشيبك مكر الشباب ومن حادث العام للقابلِ

وأن كان كل الورى في جنون فما انت وحدك بالعاقل

فكن عالماً جاهلاً بينهم فهم خدم العالم الجاهل

فهذا المبداء لا نستحسنه ابداً مع ما فيه من حسن السبك وجمال المعنى . وانما نستحسن المبداء الذي في البيت بعده

دع الدنيا ترفّع كل وغدٍ فان الخمر قد سدّت بطينِ

وهو قول في غاية البلاغة ومبداء في منتهى الاستقامة . فانّ الخمر اذا علاها الطين يجب ان تكتفي بكونها خمراً ولا تتمنى ان تنقلب طيناً اي وحلاً دنيئاً . فان من العلو والنجاح في العالم ما يكون شراً من الخذلان لانه يُكتسب بالشر والدناءة . او كما قال مؤلف رسالة «العلم والدين والمال» «بالضغط على الصغار والتسفل للكبار» وما احسن قول الشاعر في هذا المعنى من ابيات بعده

قالوا جنون قلت اي والذي يقدر الهمّ لمن يعقلون

انقلب الدهر بابنائه لذا ترى العقل غدا في البطون

جنوننا ما دام في رأسنا عقل وهم من عقلهم في جنون

وقد سمى الشاعر هذا الباب «باب التهذيب والحكمة» واردفه بالباب الثاني «باب النسائيات» ومن قوله فيه يصف جرّ السيدات الاذيال

فاعين القوم واذيالها «مصلحة» للرش والكنس

وقال في وقوف الحسناء امام مرآتها

وكنتُ لها بواحدة قتيلاً فكيف بها اثنتين على قتالي

اي هي وخيالها في المرآة

فيامرآتها وصفاء قلبي وعصر طفولتي وخلو بالي

وياحظي وحاجبها ودهري وطرّتها وعينيها وحالي

تقلّبت الليالي بي ولما يرعني ان تقلّبت الليالي

فديتك ساعة المرآة طولي امدّك من ليالي الطوالِ

وقال في المرأة (الشرقية والغربية) معيداً اسباب تأخرنا الى ضعف تربية النساء كما هو الحق

واذا الامهات احببن شيئاً ورثت حبها له الابناء
واذا ما الفتاة شبت على اللهو فباللهو بعد ذاك تُساء
انما البنت زوجة ثم امٌّ ثم يبقى الحديث كيف تشاء
وهي كالماء كلما قطروه زاد حسناً ورق بعدُ الماء
لست ادري وليتني كنت ادري نحن بين الاموات ام احياء
اي هذين في الرجال اهن الا مهات النساء ام الاباء
صورة الغرب والنفوس من الشرق فهم في ديارهم غرباء
اين حق البلاد اين ذكاء القلب اين النفوس اين الدماء
انما ضيَّع البلاد واهليها قديماً نساؤنا الضعفاء

وهذا البيت الاخير انما هو صاعقة من الصواعق على رؤوس النساء النحيفة وعندنا انه لو كان الشاعر سيدة لا رجلاً لالقى هذه الصاعقة على رؤوس الرجال لا على رؤوسهنَّ لانهم لم يعلّموا النساء ولم يرشدوهنَّ وهم القوامون عليهنَّ . — وكأن الشاعر اسف لما قاله هناك فاردف يقول في ابيات بعدها

يا قوم لم تُخلق بنات الورى للدرس والطرس وقال وقيل
لنا علوم ولها غيرها فعلّموها كيف (نشر الغسيل)
والثوب والابرة في كفها طرس عليه كل خط جميل

وقال في النساء اللواتي يسلمن اولادهنَّ للمراضع والخدم

بداك ابرُّ بهذا السوار فان صار في يد اخرى انعدم
وصدرك اولى بمن هو منه فؤاداً ونفساً ولحماً ودم
ومن فيك تبعث فيه الحياة ويسقمه غيره كل فم
وما الطفل الا زيادة بطنٍ لجد واب وخال وعم
فان تعط طفلك للخادمين فما زدتِ الا عديد الخدم

يعني ان التي تسلم ولدها للخدم تجعله منهم لانه يكتسب اخلاقهم وعاداتهم و بعد باب النسائيات « باب الوصف » . قال مخاطباً الشمس حين غروبها

فيا شمس هل مزّقت ثوبك عندما نكبتِ وهذا الغيم في الافق اذيالُ
ام انتثرت منك الحليُّ لعثرة وهذا الهلال الساقط النصف خلخالُ
تودّعك الدنيا وتستقبل الدجى كما ودّع الام الرحيمة اطفالُ

وفي وصفه الترامواي الكهربائي يقول هذا البيت الذي يعدل الف بيت مشيرًا الى خسارة المركبات والحمير بعد انشاء الترامواي

ويح قومي حتى جماد «اوروبا» نال من رزق خيلنا والبغالِ
ايها الغرب علّم الشرق ان الـ علم لا شيء فيه صعب المنال
كل شيء يجوز لكن على قدر العقول اختلافنا في المحال

وقال يصف القمر وقد رآه بين نجمتين

يا طلعة البدر اذا الـ نجمان يكتنفانها
اذكرتني حبيبةً كنتُ على سلوانها
ذا وجهها وذا قرطان في آذانها

وله في الغزل ابيات رقيقة في غاية الجمال منها قوله في «القبلة المكتمة»

ولم انسَ يومًا جئتها ذات صحةٍ عليلاً كما هبَّ النسيم بلا وعدِ
وكنتُ وكانت والدلال يصدّها فتبدي الذي اخفي وتخفي الذي ابدي
وما زلت حتى كلّمتني قبلةً على حذرٍ حتى من الحلي والعقدِ
وكنا كمثل الزهر يلثم بعضه ولا صوت للنسرين في شفة الوردِ
وكان فمي فيه اليها رسالة فسلّمها فاها وحمّل بالرد

وقال في طلوع القمر على الحبيبة وهي نائمة يخاطبه

مكانكَ لا تعجل فتحضر ساعتي فاني ارى ساعات عمري ثوانيا
ويا بدر خذ عيني فذاك سريرها وتلك وان لم ادعها باسمها هيا
وذي قبلة مني اليها فالقها على فمها وارجع بانفاسها ليا
اغار عليها ان تقابل وجهها فتنقل عنه للوشاة معانيا
واخشى عليها من شعاعك مثلما يخاف على النفس الجبانُ المواضيا
فاني ارى جسمًا لو ان مدامعي جرين عليه اصبح الجسم داميا
بربكِ يا نفسي وربكِ شاهدٌ اتهنئة كان الهوى ام تعازيا

يكاد يفيض القلب من ذكرها دماً — لا كتب منه في هواها القوافيا
وتذهب نفسي حسرة ان رأيتها — واصرع وجداً كلما قلت «آه يا . . .»
اما لي عذر في الغرام واعيني — ترى كل شيء فيك للحب داعيا
وقد رفعتك الناس حتى ظننتهم — لاجلك يدعون النجوم جواريا

هذا ما اكتفينا به من هذا الديوان الجليل واكثره ان لم نقل كله على هذا النسق . ولا ريب عندنا في ان جميع المتادبين الذين يعشقون الشعر البليغ ويميلون الى ما فيه من الجمال والصفاء يرحبون بالرافعي وشعره وينشطونه باقتنائهم ديوانه ترويجاً لبضاعة الادب وتزييناً لمكاتبهم بشعر لا ينظم اليوم احد مثله غير اثنين او ثلاثة على حداثة سن ناظمه

موءتمر المستشرقين الدولي

بعثت الينا ادارة مؤتمر المستشرقين الدولي باعلان خلاصته ان المؤتمر سيعقد جلسته التالية في العام المقبل في حاضرة الجزائر تحت رعاية حضرة حاكم الجزائر . وهذه اول مرة ينعقد فيها هذا الموءتمر الجليل في ارض شرقية . اما جلسته الاخيرة فكان انعقادها في مدينة همبورغ في سنة ١٩٠٢ . واما مباحث المؤتمر فقد قسمت الى سبعة اقسام . الاول الهند واللغات الاوربية والهندية . الثاني اللغات السامية . والثالث اللغات الاسلامية وهي العربية والتركية والفارسية . والرابع مصر واللغات الافريقية ومدغسكر . والخامس الشرق الاقصى . والسادس البلاد اليونانية والشرق الادنى . والسابع الآثار القديمة والصنائع الاسلامية

والمقصود من نشر الموتمر هذا الاعلان « استلفات انظار اهل العلم والاداب نحو المنافع الجمة التي سيتعرض لها الموتمر في مثل هذه الجمعية العلمية الرفيعة الشان واعلامهم ان اللجنة مستعدة لقبول جميع ما يوجه اليها (من الاشتراكات والمراسلات) مع الاعتراف بالفضل لمن يجيبون نداءها بمشاركة المؤتمر في اعماله »

والقيمة الواجب دفعها على طالب العضوية في المؤتمر عشرون فرنكاً للرجال وعشرة فرنكات للسيدات

فنحث الشرقيين على اغتنام هذه الفرصة لايجاد العلائق والصلات بينهم وبين اكابر علماء الغرب . وعنوان المراسلات يكون باسم جناب السكرتير العام للموءتمر « المسيو ادمون دوتي في بلدة مصطفى بالجزائر » ومحل اقامته بستان العين الزرقاء

آثار الشرق القديمة

خبز المصريين القدماء

عُرضت على مجمع العلوم في باريز نتيجة التحليل الكيماوي الذي قام به المسيو ايندت بشان كسر من الخبز المصري القديم وجدت في مدافن قدماء المصريين . والغريب انه مع تعاقب القرون على هذا الخبز بقي له منظر سليم يدل على شكله وحقيقته واغرب من ذلك استطاعتهم تحليله . وقد اثبت التحليل ان الخبز المصري القديم مركب من مواد قريبة من المواد التي يركب منها الخبز في هذا العصر . ومواده قسمان فقسم مصنوع بالخمير وقسم فطير بلا خمير فثبت بذلك ان الخمير كان معروفاً عند المصريين . اما كمية تركيبه فهي ١١ في المائة من الكلوتن و ٦٥ في المائة من الاميدون مع شيء قليل من التنر والملح

الصناعة المصرية

نقلت جريدة « عرفات » الغراء عن كتاب " الصناعة العربية " للمسيو كايت تسلسلاً جميلاً للصناعة البشرية . وقد جاء فيه ان المصريين في مدنيتهم القديمة اعطوا الاشور بين صناعتهم في اثناء حروبهم معهم ورغبتهم في نشر ديانتهم . ومن اشور انتقلت الصناعة الى الفينيقيين . ومن الفينيقيين الى اليونان . ومن اليونان الى الرومان ومن الرومان الى بزنطيه « السلطنة الشرقية » ومن بزنطيه الى العرب ومن العرب عادت الصناعة الى مصدرها الاول مصر فكان الاقباط فيها اول من خلعوا نير الصناعة اليونانية وانشأوا للخلفاء والامراء صناعة خاصة بمصر . وهذا القول بمنزلة تاريخ الصناعة الشرقية والعربية بيضع كلمات . وبه كانت مصر مبداء صناعة وخاتمة صناعة . والبلاد التي لها في تاريخ الصناعة هذا الاثر الحميد تستحق ان تكون اول البلاد الشرقية التي تعود الى احياء الصنائع والفنون

الشيخ عباده في الوجه القبلي

لقرية الشيخ عباده في الوجه القبلي شهرة واسعة عند علماء الافرنج وهم يسمونها « انطنوه » او انطنيوبولس لان الامبراطور ادريانوس بنى بجانبها هيكلاً اكراماً لاحد اخدائه يدعى « انطنوه » انتحر غرقاً في النيل فسمي المكان باسمه . وكانت المدينة تدعى « بيزه » Besa وهي قائمة على شاطئ النيل الايمن في نواحي ثيبة . وقد وجد المسيو كايت منذ مدة

في خراباتها آثاراً ثمينة تدل على معيشة اهل مصر القدماء واخلاقهم وعاداتهم في القرون الاولى الميلادية . ومن جملة هذه الآثار اثبات ان المسيحيين في ذلك العصر كانوا يدفنون بحسب التقاليد التي كان يدفن بها غير المسيحيين وانما كان يوضع في توابيتهم زهرة تدعى (زهرة الخلود البرية) وزهرة اخرى تدعى (وردة اريحا) وهي زهرة مشهورة بكونها تنتعش وتحيا بعد الذبول اذا وضعت في الماء وذلك اشارة الى البعث والنشور . وقد وجدت الزهرتان في تابوت الحسناء تايس المشهورة التي عاشت في القرن الرابع للميلاد واكتشف مدفنها في الشيخ عبادة المذكورة آنفاً

﴿ اورشليم الجديدة واتفاقان ﴾ من غرائب الاتفاق انه ما صدر كتاب الجامعة الاخير (اورشليم الجديدة) حتى قرأنا في جرائد اميركا ان شركة اميركية كبيرة انشأت في معرض سنت لويس العام محلة دعتها «اورشليم الجديدة» مساحتها ١١ فداناً وهي تمثل اورشليم (بيت المقدس) بمنازلها وآثارها المقدسة وكنائسها وجوامعها . وهناك اتفاق آخر اشد غرابة . فقد صدر بعد صدور (اورشليم الجديدة) بشهر رواية فرنسوية لكاتبة ذهب اسمها عن بالنا عنوانها (فتح اورشليم) وبينها وبين «اورشليم الجديدة» عدة امور مشتركة . «الاول» ان اسم بطلها يدعى «عليا» بدل «ايليا» «الثاني» انه يزور اورشليم تبركاً ولكنه يفقد معتقده فيها لما يراه من تزاحم المصالح واحتكاك المذاهب حول آثارها . «والثالث» انصرافه عن الامور الدينية الى اتقان الفنون الجميلة لترقية النفوس بها وتطهيرها بما في هذه الفنون من الجمال . وهذا معنى «فتح اورشليم» اذ المراد فتحها فتحاً سلمياً واعادة جمال السلم والعمل والاخلاص اليها . وهو بمنزلة انصراف «ايليا» عن الانتظام في السلك الديني الى سلك العمل في مزرعة الشيخ سليمان . «والرابع» تعلق بطل الرواية «عليا» بفتاة يحبها وطلبه الراحة والجمال والامل في هذا الحب . «والخامس» انتهاء الرواية بموتهما معاً . — وقد اسهبت جرائد باريز في وصف هذه الرواية الجميلة لا سيما وانها بقلم سيدة غير فرنسوية

وهناك رواية اخرى فرنسوية صدرت في باريز فيها اسم «اورشليم» وهي لكاتب من اشهر كتابهم يدعى «موريس دوناي» وعنوانها «العودة من اورشليم» وهي تمثيلية وقد قامت باريز وقعدت في هذا العام سروراً بها لاعتبار بعضهم انها موجهة الى الاسرائيليين وهو نزاع مشهور في باريز بين الفريقين

باب التقريظ والانتقاد

الالياذه

قلنا في كتابنا « ابن رشد وفلسفته » في فصل فلسفة ابن رشد الادبية « الصفحة ٨٥ » ما نصه « مما هو جدير بالذكر ان العرب لم يهتموا بمؤلفات اليونان الادبية اهتمامهم بمؤلفاتهم الفلسفية والمنطقية والطبيعية ولعل السبب في ذلك ان مؤلفاتهم الادبية كانت مخصوصة بهم . مثال ذلك الالياذه والاوديسه وخطب ديموستينوس وغيرها . فان هذه الكتب الادبية البديعة لا ذكر فيها الا للمسائل اليونانية الخصوصية التي قلما يهتم بها باقي الناس سوى طلاب البلاغة . ولكن العرب الذين نبغ في لغتهم من عرفنا من الشعراء والخطباء في الجاهلية وبعدها معذورون اذا لم يقتدوا بالافرنج من حيث طلب البلاغة في المؤلفات اليونانية »

نقول ويسر محبي الوقوف على تاريخ اليونان وبلاغتهم ان يعلموا ان الالياذه المشهورة التي اشرنا اليها آنفاً نقلت الى اللغة العربية في الشهر الماضي بقلم سليل بيت العلم والادب حضرة سليمان افندي البستاني صاحب دائرة المعارف . وقد وضع لها حضرته مقدمة في غاية الاهمية عن الشعر وتاريخه عند العرب واليونان وفسر متن الالياذة بشروح مفيدة تدل على مبلغ التعب الذي عاناه في وضع هذا الكتاب الجليل . الا اننا كنا نود لو نقل حضرته الالياذه نثراً لا شعراً وبذلك كان كفى نفسه عناء كبيراً لا يعرفه الا من عانى الترجمة الدقيقة المراد بها التزام الاصل . فان صعوبة هذه الترجمة اضعاف صعوبة التأليف في الحقيقة خصوصاً متى كان المقصود ابراز المادة المترجمة بمتانة وجمال كمتانة الاصل وجماله . وبدون ذلك يذهب التعب سدى

والالياذه المذكورة عبارة عن قصيدة طويلة في حرب طرواده المشهورة وهي منسوبة الى هوميروس اشعر شعراء اليونان . الا ان كثيرين من المحققين يقولون انها لعدة شعراء وان هوميروس لم يوجد في العالم . قال المسيو ديشان الناقد المجيد في جريدة الطان « ان الالياذه والاوديسه هما لشركة ادبية » يعني بذلك انهما لغير واحد وانهما جمعتا ونسبتا الى هوميروس والله اعلم

وعدد صفحات الاليباذه ١٢٦٠ صفحة كبيرة وفيها عدة رسوم جميلة تمثل ابطال اليونان وآلهتهم . وثمنها مائة غرش صاغ وتطلب من معرّبها المفضال في العاصمة . وقد صرف حضرته في الاشتغال بها عدة سنوات فاستحق الثناء العاطر على صبره وفضله . واذا كان شعراء العصر المجيدون لا يجدون في شعر هوميروس العربي ما الفوه في منظومات اكابر شعراء العرب فكفى انهم يجدون في مقدمة الاليباذه وشروحها من الفوائد ما لا يجدونه في كتاب آخر

وقد قلنا ان الاليباذه مزينة بعدة رسوم جميلة ونزيد الآن انه فوق جمال ورقها واتقان طبعها لم يكن ينقصها سوى رسم واحد لاحد اكابر الرسامين . فان هذا الرسم يمثل جميع شعراء العالم وفي جملتهم ملتن وشكسبير وفيكتور هيغو وجوت وشيلر وهنري هين وراسين وموليير وكورنيل ولامارتين ودانت وعشرات غيرهم مجتمعين حول هوميروس ليتوجوه ملكاً عليهم . وهذا الرسم عندنا تحت امر حضرة المعرب . فانه مما يحسن تزيين صدر الاليباذه به في طبعتها الثانية ان شاء الله

ومما يحسن ذكره هنا ان فريقاً من كرام اهل العلم المصريين والسوريين في مصر اجتمعوا في فندق شبرد وعددهم نحو ٩٠ شخصاً واقاموا حفلة ادبية اكراماً لحضرة المترجم وهي اول حفلة من هذا النوع في الشرق . والفضل يعرفه ذووه

﴿ ديوان التعاويذي ﴾ اعتنى حضرة العالم الفاضل المستر د . س مرجليوث احد الاساتذة في مدرسة اكسفرد الجامعة بطبع ديوان ابي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي فجاء في نحو خمسمائة صفحة مطبوعة بالشكل الكامل . ويظهر ان الفلسفة الحديثة والعلم الحديث قد كسرا جنحي الفلسفة القديمة والعلم القديم حتى قلما يوجد اليوم بين علماء الغرب من يعتني بمؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن زهر والكندي والفارابي والغزالي اعتناء حضرة ناشر هذا الكتاب بشعر من الطبقة الثانية كشعر التعاويذي وينفق على طبعه بهذا الاتقان ما كانت كتب اولئك الفطاحل اولى به . على انه اذا انتفت الاهمية عن تلك المؤلفات الجليلة بالنسبة الى علماء الغرب فهي لا تزال في اسمى درجات الاهمية عندنا لانها انما صنفت لنا ونحن وارثوها . وعلى كل حال فاننا نثني اجمل ثناء على عناية حضرة ناشر هذا الديوان ونشكر له هذه الهدية النفيسة

﴿ صلاح الدين الايوبي ﴾ هي الرواية التمثيلية المشهورة التي هي افضل روايات فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وقد اعيد طبعها للمرة الثالثة في مطبعة الجامعة على نفقة علي افندي خضر ومحمد افندي نصر الله وهي تطلب من ادارة الجامعة وثمنها خمسة غروش صاغ

﴿ الوفاق والطلاق ﴾ هي رواية للفيلسوف تولستوي اسمها في الاصل لحن كيتسر وقد ترجمت مرة اولى في البرازيل وترجمها مرة اخرى في مصر حضرة سليم افندي قبعين وطبعت على نفقة المكتبة الشرقية في العاصمة . وقد سألنا كثيرون من القراء عن رواية لحن كيتسر بعد نشر مجلة السيدات شيئاً منها حتى ان بعض الاصدقاء ارسل يطلب نسخة الادارة . فمن رام اقتناء هذه الرواية الآن فليطلبها من المكتبة الشرقية في العاصمة

﴿ اسرار ديوان التفتيش ﴾ هي الرواية السادسة من روايات حديقة الفكاهة الشهرية التي تصدرها المكتبة الشرقية في مصر وموضوعها في هذا الجزء (سجن الشاتله) وهي من تعريب كاتب مجيد تعتمد عليه حديقة الفكاهة في اصدار رواياتها . وثمن الجزء الواحد غرشان صاغاً . والاشتراك في العام عشرون غرشاً

﴿ مغائر الجن ﴾ هي رواية ادبية غرامية سياسية بقلم جناب نجيب افندي اسعد جاويش وقد اعادت مطبعة جناب جرجي افندي غرزوزي بالاسكندرية طبعها ثانية وهي في جزئين ثمنهما ١٥ قرشاً صاغاً . وهذه الرواية من خيرة الروايات المتكهة التي لا بأس بادخالها الى المنازل

﴿ كنز النفائس ﴾ كنز النفائس في اتحاد الكنائس كتاب ديني من تأليف المعلم نقولا امبرازي اليوناني وقد عربه حضرة الاب يوحنا حزبون راعي الكنيسة الارثوذكسية في طنطا وهو يُطلب من حضرته

﴿ اسرار الارتقاء ﴾ او عظات الشيخوخة للشبيبة هو كتاب جليل الموضوع عربه من الانكليزية حضرة توفيق افندي دوس المحامي في اسيوط . ونتمنى ان يوضع هذا الكتاب في ايدي الشبان والشابات لانه يحتوي على مواضيع وفوائد وارشادات ينبغي ان لا تفوتهم فنثني على حضرة معربه الفاضل ونشكر له هديته

﴿ مقالة في الكوليرا ﴾ هي رسالة في الهواء الاصفر وضعها حضرة الدكتور عفيف افندي عفيف من افاضل اطباء طرابلس الشام وذلك في اثناء ظهور الكوليرا فيها والرسالة تحتوي على كل ما يختص بهذا الوباء فنشكر لحضرة الدكتور خدمته بني وطنه

﴿ ادوارد وسلفا ﴾ هي رواية ادبية غرامية بقلم جناب اسكندر افندي كنعان الصباغ وقد طبعت على نفقة حضرة رصيفنا سليم افندي العضم صاحب مجلة الفضيلة بالاسكندرية وثمنها اربعة غروش صاغ وتطلب من مجلة الفضيلة

﴿ البورصة ﴾ هي رسالة مفيدة في احوال البورصة واعمالها واصطلاحاتها وضعها حضرة الشيخ نسيم العازار وثمنها غرش صاغ وهي تهم المشتغلين في البورصة خارج مصر للوقوف على اصطلاحاتها وحركاتها وما يتعلق بها

﴿ آفات المدنية الحاضرة ﴾ عينت جمعية شمس البر في بيروت جائزة قدرها خمسة جنيهات انكليزية لمن يؤلف افضل كتاب في آفات المدنية الحاضرة . فنال الجائزة حضرة الكاتب الفاضل جرجي افندي نقولا باز احد اعضاء الجمعية فنهنيء حضرته باحرازه قصب السبق في ميدان الادب

﴿ زهرة البستان ﴾ طبع حضرة اسكندر افندي نحاس ثلاث قصائد في حرب الروس واليابان مما نشر في جرائد اميركا ووزعها بلا ثمن . وهذا اثر من آثار التحمس لهذه الحرب

﴿ منتهى البيان ﴾ منتهى البيان في حقيقة الانسان رسالة وضعها حضرة الشيخ محمد الشربتلي وقد شرح بها القصيدة النونية العرفانية الانسانية وقد طبعت على نفقة جناب عبد الحميد بك الطوبجي

﴿ مناهج الحياة ﴾ وكتاب اقتصادي موضوعه السعي والعمل والاقتصاد تأليف حضرة رصيفنا نقولا افندي حداد محرر جريدة الرائد المصري الغراء . وجدير برؤساء المدارس ومعلميها ان يضعوا هذ الكتاب بين ايدي تلامذتهم لانه من خير محركات الهمم ومرشدات افكار الطلبة

﴿ المعرض ﴾ هي جريدة اسبوعية تصدر في معرض سانت لويس العام الذي اقيم في اميركا في هذا العام لمديرها جناب سليم افندي شاهين وهي تبحث في شؤون المعرض وتنشر رسومه الجميلة

﴿ جامع الادلة على مواد المجلة ﴾ اعتنى حضرة الفاضل نجيب افندي هواويني المحامي في زحلة بطبع هذا الكتاب الذي يحتوي على مجلة الاحكام العدلية وشرح موادها بحسب اصلها الاول الذي طبع في الاستانة وعليه تعول المحاكم والمجالس في تطبيق الاحكام وسيصدره قريباً وقيمة الاشتراك فيه ريال واحد فنشكر له هذه الخدمة المفيده

﴿ المنار ﴾ عادت رصيفتنا الغراء جريدة المنار البيروتية الى عالم الصحافة يديرها حضرة رصيفنا الفاضل الشيخ رشيد نفاع ويشاركه في ادارتها وتحريرها حضرة الكاتب الرشيق جرجي افندي نقولا باز فنرحب بالرصيفة الكريمة

﴿ المرأة والشعر ﴾ هو الخطاب التاريخي الادبي الكاشي الذي القاه في حفلة جمعية

التعاون الاخوي في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت حضرة الفاضل الدكتور نقولا افندي فياض وقد طبعته هذه الجمعية على نفقتها حرصاً لى فوائده ولا ريب عندنا في ان كل شاعر يلذ له الاطلاع على هذه الخطبة الجميلة التي هي عبارة عن (حمام من جمال)

﴿ النور ﴾ هي مجلة ادبية اخبارية زراعية انتقادية لمنشئها جناب داود افندي سليمان مجاعص في الشوير (موقتاً) وتصدر في الاسكندرية فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ الطرائف ﴾ الطرائف جريدة اسبوعية ادبية لصاحبها حضرة الناظم الناثر رشيد افندي مصوبع صاحب الشعر الرقيق والنثر الانيق. فنتمنى لرصيفتنا كل نجاح

﴿ الاكسبرس ﴾ هي جريدة اسبوعية زراعية سياسية لصاحبها ومحررها حضرة محمود افندي ابرهيم. وهي تصدر في صباح كل احد وقيمة الاشتراك فيها مائة غرش صاغ. فنحن نرحب بالاكسبرس ونهضته فان محرره الفاضل محمود افندي ابراهيم من شبان مصر المقدمين الذين نفتخر باقدامهم الشبيبة المصرية.

﴿ الجوهر الفرد ﴾ او الشعر العصري في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات وهو النبذة الثالثة من نظم حضرة الشاعر المطبوع سليم بك عنحوري شاعر دمشق الفيحاء. ومن محاسن هذا الديوان تنوع مواضيعه فلا تقع عينك فيه الا على فائدة جديدة وهو منظوم بكلام سهل رقيق يفهمه الخاصة والعامة. وثمن النسخة الواحدة فرنك و ٩٠ سنتيما مع اجرة البريد ويطلب من مكتبة جناب خليل افندي خوري في بيروت

﴿ الجمعية الشحرورية ﴾ تالفت في سنتا ماريا مادلانا في البرازيل جمعية من ابناء قرية وادي الشحرور في لبنان وغرضها جمع المال لانشاء مدرسه في هذه القرية. وقد وردنا قانون الجمعية فنثني على حضرات اعضائها ونرجو نجاح عملهم المفيد

مصر الجديدة

او

المسيح الجديد

رواية تاريخية سياسية غرامية فلسفية على نسق اوروشليم الجديدة. وهي كتاب الجامعة الجديد الذي تشتغل به الآن. وستبداه بنشره تباعاً في جزء قريب

رسائل ومسائل

اضطررنا الى فتح هذا الباب لننشر فيه ما يرد على المجلة من الرسائل والمسائل والاقتراحات ولكننا نرجو الاختصار اذ لا ننشر في كل موضوع من المواضيع غير صفحة واحدة او اقل

في كتب الجامعة (١)

(مصر) الشيخ حامد احمد البدوي

قرأت في كتاب الكوخ الهندي قول الدكتور للهندي الخارجي ان الاشجار تجذب اليها الصواعق في فصل الشتاء ولذلك يجب اجتناب الجلوس تحتها في هذا الفصل . فكيف جعلتم في كتاب « الدين والعلم والمال » « حليماً » يجلس تحت شجرة على الاكمة المشرفة على المدن الثلاث في اثناء انقضاض الصواعق . اليس في القولين شيء من التناقض

﴿ الجامعة ﴾ قيل : يختار اهون الشرين . والفرار من شر محقق اولى من الفرار من شر ممكن . وبما ان المدن الثلاث قد احرقت في ختام الرواية ولم يبق لحليم من ملجاء يلجاء اليه من المطر الهاطل كافواه القرب غير الشجرة التي على الاكمة التي كان حليم عليها فمن البديهي التجاؤه الى هذه الشجره فراراً من شرّ محقق وان استهدف لشر ممكن

المعيشة تسعمائة سنة

(البترون) يوسف افندي نجم

لماذا كان الاقدمون في عصر التوراة يعيشون حتى التسعمائة او الخمسمائة سنة واهل عصرنا لا يكادون يبلغون المائة

﴿ الجامعة ﴾ هذا سوءال يسأله كثيرون واذا راجعتم قول الدكتور متشنيكوف في الجزء السابق عن طول الحياة ومعالجة الشيخوخة رايتم انه يتوقع للبشر في المستقبل عمراً يبلغ المائتين وذلك بايجاد مصل يقوي جراثيم الدم النافعة ويضعف الجراثيم المضرة مقاومة

(١) كثيرًا ما تردنا آراء وملاحظات من قراء الجامعة ومطالعي كتبها بشان ما يرد فيها فرأينا ان نفتح لذلك باباً نجاوب فيه عليها بياناً لما يشكل على القراء منها وزيادة في ايضاح مبادئها ومواضيعها . ويسرنا ان ننشر في هذا الباب كلما يردنا بهذا الشان

للشيخوخة كما هو مفصل هناك . وبما ان معيشة الاقدمين واجسامهم لم تختلف طبيعتها عن معيشة المعاصرين واجسامهم اختلافاً كلياً فالقول بان اسباب الشيخوخة عندهم كانت اضعف منها اليوم قول لا دليل عليه . والارجح ان السنة المذكورة في التوراة يراد بها جزء من سنتنا المعروفة كأن تكون فصلاً من فصولها مثلاً وحينئذٍ تكون المائة سنة من سنينا اربعمائة في نظر اهل التوراة وهلم جرًّا

احصاء حروف القرآن

(مصر) محمد افندي احمد

بلغني ان بعضهم احصى ما في القرآن من الحروف والكلمات فهل هذا صحيح وما هو هذا الاحصاء

﴿ الجامعة ﴾ ذكر هذا الاحصاء بهاء الدين العاملي وهذا نصه . عدد الكلمات التي في القرآن ٧٣٤٤٠ والحروف ٧٢٣٣٣٢ والالفات ٤٠٧٩٢ والباآت ١١٤٠ والتاآت ١٢٩٩ والثاآت ١٢٩١ والجيمات ٣٢٩٣ والحاآت ١١٧٩ والخاآت ٢٤١٩ والدالات ٤٣٩٨ والذالات ٤٨٤٠ والراآت ١٠٩٠٣ والزايات ٩٥٨٣ والسينات ٤٥٩١ والشينات ٢٥١٣٣ والصادات ١٢٨٤ والضادات ١٢٠٠ والطاآت ٨٤٠ والظاآت ٩٣٢٠ والعينات ١٠٢٠ والغينات ٧٤٩٩ والفاآت ٢٥٠٠ والقافات ٥٢٤٠ والكافات ٢٢٠٠٠ واللامات ١٤٥٩١ والميات ٢٠٥٦٠ والنونات ٢٠٣٦ والواوات ١٣٧٠٠ والهاآت ٧٠٠ والياآت ٢ ٥

ابتداء النزاع بين الشرق والغرب

(الاسكندرية) مصطفى افندي محمود

من اي زمن يبدأ النزاع بين الشرق والغرب وخوف هذا من ذاك

﴿ الجامعة ﴾ يبدأ من حروب الفرس واليونان القديمة وغارة الاسكندر المكدوني على المشرق وهذه سجية في الغالب فانه يحذر مغلوبه على الدوام . ومما رواه مؤرخو العرب عن الاسكندر بهذا الشان قولهم « لما ملك الاسكندر بلاد فارس كتب الى ارسطو اني قد وترت جميع من في المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدي على قصد بلادي واذى قومي وقد هممت ان اقتل اولاد من بقي من الملوك والحقهم بآبائهم لئلا يكون لهم راس يجتمعون اليه . فكتب اليه ارسطو: انك ان قتلتهم افضى الملك الى الانذال والسفلة . والسفلة اذا ملكوا طغوا وبغوا . وما يخشى منهم اكثر والراي ان تملّك كلا من اولاد الملوك كورة ليقوم كل منهم في وجه الاخر و يشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون . فقسم الاسكندر البلاد على ملوك الطوائف »

باب الاخبار العلمية

(استخراج الذهب من ماء البحر) ثبت ان ماء البحر يحتوي على كميات مختلفة من دقائق الذهب منتشرة فيه وهم يلتقطونها تارة بآلات كهربائية تجعل الدقائق ترسب فيها او بحفر خصوصية يحفرونها على شاطئ البحر ويمر فيها الموج فيستودعها ما يحمله من هذا المعدن النفيس . وهم يقولون ان في كل طن من ماء البحر خمسين ميلغراماً من الذهب فاذا قدّرت مياه البحار على هذه النسبة كان فيها من الذهب ١٠٢٥٠ مليون طن — الا ان نفقات استخراج الذهب من الماء لا تزال اكثر من قيمة الحاصل منه

(مرض النوم والبيض) قيل ان مرض النوم لا يصيب البيض في افريقيا ولكن المسيو لافران ابلغ الجمعية الطبية الفرنسوية ان بعضاً من البيض الساكنين في الكونغو اصيبوا به ونُقلوا الى مستشفى انفرس

(انيميا المعادن) يقول الدكتور مانوفريه ان سبب فقر الدم في اجسام العملة المشتغلين في المناجم دودة تنشأ في امعائهم بسبب الرطوبة والظلمة والحرارة المنتشرة فيها

(راي جديد في مداواة الكوليرا) يقول المسيو كارتيونوفو احد الاطباء في شمالي منشوريا انه جرَّب في مداواة الكوليرا اطلاق براز المصاب بدل حبسه اي الامتناع عن اعطائه الادوية القابضة فكان ذلك انفع في الشفاء لان المكروب سبب العلّة والفساد يخرج بسهولة ويريح الجسم من فتكه . فهو يحاربه باخراجه من حصونه في الجسم بدل قتله فيها . — ودواؤه الوحيد في ذلك برمنغنات البوتاسا

(اكتشاف معدن جديد) اكتشفوا في مدغسكر معدناً جديداً اكثره مؤلف من المغنيسيا والصوده فدعوه « غرنديديري » نسبة الى غرنديديه رائد مدغسكر . واهمية هذا الاكتشاف وجودهم نوعاً من الصخور التي تتألف منها قشرة الارض غير معروف قبل اليوم

(مداواة السل بنبتة) وضع المسيو دانان كتاباً شرح فيه مداواة السل بنبات ينمو في الجابيك وما يُدعى « زهرة سنتياغو » وفيه مقدمة للدكتور منوزيه ويقول المؤلفان ان هذه الزهرة تفيد فائدة فعالة في الدرجة الاولى والثانية

(طعام دود الحرير) جرب المسيو كاوج والمسيو بل كثيراً من المواد طعاماً لدود

الجزء الاول — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك اول تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ — ١٠ جماد اول سنة ١٣٢٤

مقدمة السنة الخامسة

ظهور الجامعة في نيويورك

اول تحية لارض الحرية

لما دخلت بي الباخرة مرفأ نيويورك بعد مسيرها في عباب الاوقيانوس الهائل سبعة ايام كاملة كنت واقفاً مع فريق من الفرنسويين رفاقي في السفر على جانب الباخرة ننتظر الوصول الى تمثال الحرية المنصوب عند مدخل الميناء. فلما صرنا على موازاة هذا التمثال العظيم ومرت الباخرة امامه وهي تشخر وتلهث تعباً من مشقة السفر ونار الشوق الى البر تكوي احشاءها — كشفتُ رأسي احتراماً للمبدإ الذي يمثله التمثال. بل كشفت راسي رداً لتحيته اذ خيّل لي ان تلك المرأة المهيبة القائمة على تلك القاعدة العظمى تمدّ يدها نحونا لتنير طريقنا — انها روح نيويورك بل العالم الجديد كله جُعلت هناك على طريق السفن القادمة لتحييها عند مرورها اجمل تحية وتذكّرها بانها دخلت من ظلمة الاوقيانوس الى ميناء السلام ومن بلاد ساد فيها الجهل والجهّال والظلم والظلاّم الى جنة الامن والعلم والعدل والمدنية. — فالف سلام وتحية يا ارض الحرية

لقد جئناكِ الوفًا الوفًا عوالم في عوالم (١) يا ايتها القدر الهائلة التي تنصبُّ فيها العناصر المختلفة من جميع انحاء الكرة الارضية فتصهرها صهرًا شديدًا · وتجعل منها عنصرًا جديدا · تارةً ذهبًا وطورًا فضةً وآونة حديدا · وما لا يصير هذا ولا ذاك تبيده وتلحقه عادًا وثمودا · لقد جئناكِ يا منخل العناصر والقوى البشرية · يا مخزن الكهرباء والفحم والحديد للعالم اجمع · يا ارضًا فيها الفائدة العملية (٢) مقدمة على كل شيءٍ (وتنازع البقاء) اشد فيها منه في اي ارض غيرها · لنا عندكِ قبل ان نعرفكِ وديعة ثمينة حضنتِها وعطفتِ عليها عطف الام على طفلها وان لم تكوني اماً لها · بقيَّة امة تعيسة جار عليها الجدُّ العاثر والدهر القاهر · فبعد ان كانت شعبًا كبيرًا يمتدُّ من بلاد الكلدان حتى غزة وعسقلان · شعبًا بنى ادسيس وانطاكية ودمشق وتدمر وبُصرى وصور وصيداء — هذه الاسماء اللامعة في تاريخه لمعان الماس في اصدافه — قد اصبح اليوم وشمله شتاتًا وداره خرابًا · مدنه العظيمة سقطتْ من بابل حتى انطاكية · لغته اندثرت وحلت محلها لغة اخرى · فنونه وآدابه وتجارته وصناعته دُرستْ ولم يبقَ منها الا مثل الوشم في اليد · حقوله وبساتينه جفَّتْ وصارت منبتًا للشوك ومطرحًا للهشيم بعد ان كانت «الجزيرة» وحدها تغلُّ ما قيمته اضعاف واردات الدولة العلية العثمانية (٣) ولم يبقَ اليوم من تلك الجنة الزراعية الفريدة في الدنيا كلها سوى آثار الاقنية والترع يغمرها النهر الفائض الذي خرج عن مجراه كما خرج كل شيءٍ فيها عن اصله او تغطيها الاشواك

---

(١) بواخر الاوقيانوس القادمة الى اميركا كأنها عوالم متنقلة لضخامتها وازدحامها بالمسافرين · وقد كنا في باخرتنا «لاتورين» زهاء الف راكب ٨٠ في الدرجة الاولى و١٢٠ في الدرجة الثانية والباقون في الدرجة الثالثة · ومثلها كثير يدخل الى نيويورك كل يوم قادمة من جميع انحاء العالم

(٢) Intérêt pratique

(٣) يسمي العرب الارض ما بين النهرين «الجزيرة» · قال المسيو ليفني : ان الارض ما بين النهرين في العراق وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حَال خصب لا يصدَّق فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك · وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة · فتكون غلة تلك الارض في كل سنة ٢٤٠٠ مليون ليره فرنسوية وبما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك

والادغال (١) فهذا الشعب الذي فقد كل شيء حتى نفسه وبلاده. هذه البقية الباقية من امة قديمة وتمدن قديم قد استودعك اياه يا ارض العمل والحرية التاريخ والقادر المتحكم في الامم والشعوب. وذلك لتصلحي اود نفسه التي شوّهتها قرون الذل والفقر والجهل. وتشحذي عزيمته التي افناها الياس وخسران كل شيء. وتملإي بيوته سعة وثروة ليرتفع بها ويرقى لا ليسفل ويتدانى. ولقد جئناكِ يا ارض السلام والامانة فوجدنا انكِ كنتِ على تلك الوديعة التي تفرقت في انحاء بلادكِ تحت اجنحة نسرك الهائل خير حارس امين. فالرؤوس ارتفعت. والبيوت ارتقت وامتلأت. والايدي سخت وبالمال عن سعةٍ وكرم طبعٍ جرت. والنفوس قويت ونشطت. والعقول دخلت الى قلب المدنية واخذت تنظر فيها ولئن كان نظرها تارة بعيون صحيحة وطوراً بعيون عليلة. نعم يا ارض النشاط والقوة لقد اعطيتِ وديعتكِ القوة والنشاط وجددتِ حياتها وخلقتها خلقاً جديداً. ولكن هل اعطيتها القوة المعنوية كما اعطيتها القوة المادية. انها تقسم نفسها بسذاجة غريبة طوائف ومذاهب مذاهب: وقد تتخاصم وتتنازع تنازع الاعداء والبعداء. ولكني موقن ان تمثال الحرية الواقف في الميناء كلما رأى ذاك النزاع بين الاخوة ابناء الوطن الواحد والشعب الواحد. فانه يتبسم لهذه المنازعات مع قبحها لانها دليل على القوة والحيوية. لان الميت لا يتحمس لشيء واما الحي وخصوصاً اذا كان حديث العهد بالحياة فانه يتحمس لاقل شيء. وما ابتسام التمثال سوى افتخار بان بلاده العظيمة جددت قوة ونشاط امة كانت في ادنى دركات اليأس والضعف واعتبار ان منازعاتها كلما اشتدت وعظمت انما هي دليل على عظمة ما استفادته آخراً من النشاط والحماسة والقوة. ولكن ما هذا ما عنيته ايها التمثال. انني لا اجهل ما نحن مديونون به لبلادك من القوة المادية. ولكن هل اعطتنا بلادك من القوة اجتماعياً بقدر ما اعطتنا مادياً. لست اعلم الان جواباً على هذا السؤال لانني ما زلت ضيفاً. فسالاحظ وادرس واقارن لكي استطيع الجواب عنه. وانما وظيفة مجلة «كالجامعة» في وسط مادي هائل كهذا الوسط بين مظاهر "تنازع البقاء" ونواميسه الشرسة المنكرة. هي ان لا تنسى ولا لحظة انه

الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها اضعاف دخل الدولة اربع مرات

(١) قال المستر ويلكوكس المهندس المشهور في مصر حين زيارته ما بين النهرين في العام الماضي ان اعادة تلك البلاد الى حالتها الزراعية العظيمة الاولى لا تقتضي سوى اعادة تلك الترع والاقنية الى ما كانت عليه

يجب عليها لنفسها ولقرائها ان تكون بكل لين ورفق واحترام لجميع الآراء والاشخاص ممثلة لهذا المبدإ . مذكرة به . داعيةً اليه . حاثة عليه . وهو هو الجامعة الذي يجمع القلوب والنفوس برباط الوداد والتساهل واحتقار اباطيل الدنيا وزخارفها اذا كان يقتضي الوصول اليها دوس تلك المبادىء التي بدونها لا يكون الانسان انسانًا



حكمة ابن حزم وفلسفته

حِكمٌ قديمة ولكنها جديدة

كان الوزير الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (بن حزم) الاندلسي الظاهري اماماً من ائمة الاندلس الاعلام . وكان الفيلسوف الاكبر (ابن رشد) يردُّ عليه في بعض كتبه كلما عرض له رأي مخالف لرأيه . وحسبنا ذلك دلالة على منزلة (ابن حزم) من الحكمة والفلسفة . وقد ورد في كتابنا ابن رشد وفلسفته) عبارة ردَّ بها هذا الفيلسوف على زميله وان كان مشاركاً له في كثير من الآراء والاحوال اخصها الاضطهاد الذي اصاب ابن حزم من اجل مبادئه وتعاليمه (١) . واتفق اننا قبل السفر من مصر شرعنا في قراءة كتاب (ابن حزم) في (مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل) فاعجبتنا فيها آيات باهرات في الحكمة والفلسفة . فلما شرعنا في إعداد مواد الجامعة هنا وكان الفكر لا يزال متبلبلاً . والعزم متقلقلاً . والعقل بين آثار نيويورك ومفاخرها متنقلاً . فقد رأينا من الفائدة لنا ولقرّائنا ان نملأ شيئاً من فراغ المجلة بحكمة هذا الجهبذ الحكيم

والمتأمل في الشذرات التالية المقتطفة بكل تروٍ وامعان من جميع اجزاء الكتاب يعجبه منها امران ويدعوه امر ثالث الى التفكر والامعان . اما ما يعجبه فهو اولاً جمال لغة ابن حزم ولطف تعبيره ورقة اسلوبه . والامر الثاني ان كثيراً من حكمة ابن حزم ينطبق على لباب النواميس الطبيعية والشرائع العليا الادبية اتم انطباق (٢) وهذا ما يوجب الاهتمام بها اذ لولا ذلك لكانت كغيرها مما كتبه المتقدمون نسيج ترّهات وخليط خرافات . وهذا الامر هو الفارق الحقيقي بين التمدن الحقيقي والتمدن الباطل . والفلسفة الحقيقية والفلسفة الباطلة . نعني ان كل شريعة وكل فلسفة وكل مبدإٍ لا تبنى على (الناموس الطبيعي والشريعة الادبية العليا) فانما هي عبارة عن بيت من الرمال ينهدم عند هبوب اخف ريح من الجنوب

---

(١) قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) في رده على الامام الغزالي بمسألة تلازم الاسباب والمسببات (لذلك العقل ليس بجائز فيمكن ان يخلق على صفات مختلفة كما توهم ذلك ابن حزم) (ابن رشد الصفحة ١٠٧)

(٢) وهذا لا يمنع ان يكون فيها كثير من الاوهام والآراء الضعيفة المرجوحة

او من الشمال . ألا ترى ان مؤلفي القدماء عند العرب يعدّون بالالوف ولا يُعتدُّ الأ ببضع عشرات منهم . فالفارق بينهم انما هو نخلهم بمنخل النواميس الطبيعية والشرائع الادبية الحقيقية . وهذا سبب ارتفاع (ابن رشد) في اوروبا وسائر العالم المتمدن على جميع علماء العرب حتى الفيلسوف ابن سيناء نفسه للذي كان مشهوراً بين ابناء المشرق اوسع شهرة حالة كون علماء الافرنج لا يكرمونه اليوم نصف اكرامهم لابي الوليد

واما الامر الذي يدعو الى التفكر والامعان فهو ما يستشفه القارئ من خلال كلام ابن حزم من خصومات كان حساده يطاردونه بها وعداوات مهما فعل لم يكن يستطيع ازالتها . وهذه على ما يظهر من (لزوم ما لا يلزم) عند حكماء الزمان في كل آن . وما برحت الجهالة والشناعة عدوة للحكمة والجمال . — والآن ننقل شيئاً من حكمة ابن حزم على ان نعود الى ترجمته وفلسفته في جزء آخر

١ سوء الظن يعدّه قوم عيباً على الاطلاق وليس كذلك الا اذا ادى صاحبه الى ما لا يحلّ في الديانة او الى ما يقبح في المعاملة والا فهو حزم والحزم فضيلة

٢ حدّ العدل (اي تعريفه) ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذه . وحدّ الجور ان تأخذه ولا تعطيه

٣ اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر . واول من يمقت شاهد الزور من شهد له به

٤ لكل شيء فائدة ولقد انتفعت بمحكّ اهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقّد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سبباً الى تآليف عظيمة النفع . ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التآليف

٥ لا تصاهر الى صديق ولا تبايعه فما رأينا هذين العملين الا سبباً للقطيعة . وان ظن اهل الجهل ان فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك . لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسه . والمؤثرون على انفسهم قليلٌ جدًّا

٦ صدق من قال ان العاقل في الدنيا متعوب . وصدق من قال انه فيها مستريح . فاما تعبه فبما يرى من انتشار الباطل وغلبته دولته . وبما يحال بينه من اظهار الحق . واما راحته فمن كل ما يهتم به سائر الناس من فضول الدنيا (١)

---

(١) هذا من قبيل التزهيد في الدنيا وهو امر فات وقته

٧ ان لم يكن لك عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدوّ له (١)

٨ لقد سألتُ بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس فما وجدتُ عنده مزيداً على ان قال لي (انا حرٌ لستُ عبد احد) فقلت له : اكثر من تراه يشاركك في هذه الفضيلة فهم احرار مثلك الاّ قوماً من العبيد هم اطول منك يداً وامرهم نافذ عليك وعلى كثير من الاحرار (٢) فلم اجد عنده زيادة فرجعت الى تفتيش احوالهم ومراعاتها فافكرتُ في ذلك سنين لاعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي لا سبب له . فلم ازل اختبر ما تنطوي عليه نفوسهم بما يبدو من احوالهم ومن مرامهم في كلامهم فاستقرَّ امرهم على انهم يقدرون ان عندهم فضل عقل وتميز راي اصيل لو امكنتهم الايام من تصريفه لوجدوا فيه متسعاً ولأداروا الممالك الرفيعة ولبان فضلهم على سائر الناس : — كلما نقص العقل توهم صاحبه انه اوفر الناس عقلاً (٣)

٩ ليس من الحلم تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم

١ نجد فرط المودّة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات

١١ الخطاء في الحزم خير من الخطاء في التضييع

١٢ من اراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له وجه تعسفه

١٣ ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على دينك (٤)

١٤ حدّ العفة ان تغض بصرك وجميع جوارحك عن الاجسام التي لا تحل لك فما

---

(١) قد يكون هذا القول صحيحاً وقد يكون باطلاً

(٢) هنا غمزة هائلة لا يُعرف مراده بها (٣) كل من يقرأ هذه الشذرة الجميلة يظن انه يقرأ شيئاً من حكمة حكيم الفرنسويين المشهور « لابروبير » صاحب كتاب « الاخلاق » الذي قال فيه العلماء المتاخرون « انه احد كتب قليلة تشرّف العقل الفرنسوي خارج فرنسا خصوصاً عند الامم الجدية كالانكليز والاميركان » وذلك لان الفرنسويين مشهورون بالخفة كما يقولون . وتشبيهنا حكمة ابن حزم بحكمة لابروبير اعظم ثناء على ابن حزم (٤) كان الاسبانيون واليهود في الاندلس مختلطين بالعرب اشد اختلاط وقد كان زمن عاش فيه الثلاثة « المسيحيون والمسلمون واليهود » في الاندلس بائتلاف تام وذلك في عهد الحكم كما فصلناه في كتاب " ابن رشد وفلسفته " فقد يكون في هذه الشذرة اشارة الى ذلك الائتلاف

عدا هذا فهو عهر

١٥ استبقاك من عاتبك وزهد فيك من استهان بشانك : — العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير

١٦ لا تكلف صديقك الاَّ مثل ما تبذله من نفسك فان طلبت اكثر فانت ظالم

١٧ اذا ارتفعت الغيرة (يريد بين المحبين) فايقن بارتفاع المحبة

١٨ اخبرني بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة حتى ابتلي بالمحبة (١) وكان هذا المخبر فاسد الطبع خبيث التركيب الا انه من اهل الفهم والجود

١٩ « الحلاوة » دقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الاشارات . ورب جميل الصفات « يعني جميل المنظر » على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع . وهي ايضاً « الفراهة » — « الحسن » هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه . وان لم تكن هناك صفات جميلة « اي اعضاء واجزاء جميلة » فكل من رآه راقه واستحسنه وقَبِله حتى اذا تأملت الصفات افراداً لم ترَ طائلاً . وكانه شيء في نفس المرئي يجده نفسه الرائي (٢)

٢٠ درج المحبة خمسة . اولها « الاستحسان » وهو ان يتمثل الناظر صورة المنظور اليه حسنه او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصادق (٣) ثم « الاعجاب » وهو رغبة

---

(١) ليس في هذا القول غرابة لانه امر طبيعي . وانما الغرابة والملاحة في ان يقول مثلاً « ما عرف المحبة حتى غار » لان الغيرة اقوى مذكيات نار المحبة

(٢) هذا ما يسميه الباريزيون (chic parisien) ومن امثالهم في وصف امرأة لا يدرَك معنى جمالها ادراكاً تاماً اذا نظر الى اجزاء وجهها افراداً وهي مع ذلك اجمل من الجميلات

elle a (je ne sais quoi) de sublime et de beau

(٣) من الغرابة ان نجد هذا الراي في التمدن الاندلسي لان الشريعة الاسلامية تمنع « الصداقة » بين الرجل وامراة من غير زوجه واهله . اما الافرنج اليوم فهذه المسألة عندهم من المسائل العائلية المعمة وهي « هل يمكن ان تتخذ المراة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يخشى من خطر وقوع الحب بينهما »

الناظر في المنظور اليه في قربه. ثم « الالفة » وهي الوحشة اليه اذا غاب. ثم « الكلف » وهو غلبة شغل البال به وهذا النوع يسمى في الغزل العشق. ثم « الشغف » وهو امتناع النوم والاكل والشرب الاّ اليسير من ذلك. وربما ادى ذلك الى المرض او الى التوسوس او الى الموت

٢١ لقد طال همُّ من غاظه الحق

٢٢ رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون اقساماً ثلاثة « احدها » من لا يبالي فيما اتفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق الى لسانه غير محقق نصر حق ولا انكار باطل وهذا هو الاغلب في الناس « والثاني » ان يتكلم ناصراً لما وقع في نفسه انه حق ودافعاً لما توهم انه باطل. غير محقق لطلب الحقيقة لكن لجاجاً فيما التزم وهذا كثير. وهو دون الاول « والثالث » واضع الكلام موضعه وهذا اعزّ من الكبريت الاحمر

٢٣ مما ينجع في الوعظ الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله. فهذا داعية الى عمل الخير وما اعلم لحب المدح فضلاً الاّ هذا وحده

٢٤ من وعظ ببشر وتبسم ولين كانه مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ فذلك ابلغ وانجع في الموعظة. وكان صلى الله عليه وسلم « يعني الرسول » لا يواجه بالموعظة لكن يقول « ما بال اقوام يفعلون كذا »

٢٥ تأملت كل ما دون السماء وطالت فكرتي فوجدتُ كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان قوي ان يقلع عن غيره من الانواع كيفياته ويلبسه صفاته. فترى الفاضل يودّ لو كان الناس فضلاء. وكل ذي مذهب يودّ لو كان الناس موافقين له. وترى ذلك في الغياض اذا احال بعضها على بعض احاله الى نوعيته وترى ذلك في تركيب الشجر وفي تغذي النبات والشجر والماء ورطوبة الارض واحالتها ذلك الى نوعيتها (١) فسبحان مخترع ذلك ومدبره — ثم لا ترى احداً يشبه آخر شبهاً لا يكون بينهما فيه فرق. وقد سألت من طال عمره وبلغ الثمانين عاماً هل رأى الصور (٢) في ما خلا مشبهة لهذه شبهاً واحداً. فقال لا. بل لكل صورة فرقها. وهكذا كل ما في العالم يعرف ذلك. لكن من تدبر

---

(١) ادهشنا هذا القول من ابن حزم لانه تقدَّم به « دروِن » العالم المشهور بعدة قرون. ولكن لا غرابة في ذلك فان في كثير من مبادىء المتقدمين بزور مبادىء المتاخرين (٢) يعني صور الموجودات اي اشكالها التي تتشكل بها

الآلات وجميع الاجسام المركبات وطال تكرُّر بصره عليها فانه حينئذٍ يميز بينها ويعرف بعضها من بعض بفروق (١)

٢٦ محن الانسان في دهره كثيرة واعظمها محنته باهل نوعه من الانس : داء الانسان بالناس اعظم من دائه بالسباع الكلبة والافاعي الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ من الانس اصلاً

٢٧ ما رأيت العجب في طائفة اقلّ منه في اهل الشجاعة واستدللت بذلك على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها

٢٨ لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي. لا كبير خصلة فيها كالشعر وما جرى مجراه (٢)

٢٩ لا شيء اضرّ على السلطان من كثرة المتفرّغين حواليه « يعني الذين لا شغل لهم » فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه (٣)

٣٠ العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الاجساد القوية ويهلك الاجساد الضعيفة

٣١ من سرّ بشجاعته فليعلم ان النمر اجرأ منه . وان الاسد والذئب والفيل اشجع منه . ومن سرّ بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والفيل اقوى منه جسماً . ومن سرّ بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار احمل منه . ومن سرّ بسرعة عدوه فليعلم ان الكلب والارنب اسرع عدوًا منه . ومن سرّ بحسن صوته فليعلم ان كثيرًا من الطير احسن صوتًا منه . فاي فخر واي سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه . لكن من قوي تمييزه واتسع علمه وحسن عمله فليغتبط بذلك

---

(١) هذا القول من المدهشات ايضاً وتفسيره باللغة الفلسفية الحديثة ان المادة في جميع الموجودات واحدة في الارض كما اثبت ذلك العلاّمة برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور وانما تتخذ اشكالاً « صورًا » مختلفة . وهو ما يسمونه

La diversité dans l'unité

٢ نظن ان شعراءنا الافاضل يتعزون بعض الشيء بهذا الكلام من ابن حزم عن شعراء الاندلس في عصره . وبه يستدل على مقام الشعر يومئذٍ

٣ هذا الكلام البديع لا يحتاج الى حاشية لانه مفهوم بنفسه

بنات الازبكية الجميلات

او

آفة مصر الجديدة

(مباحثة بين ثلاثة)

كتبت تحت سماء مصر في وادي النيل العظيم

١

سمعت يوماً حديثاً جديراً بالتدوين في بطون الاوراق. فقد تسلقت مرة قمة الصخرة الصناعية القائمة في حديقة الازبكية (١) ويسميها العامة الجبلاية لعلوها كالجبل وجلست في اعلاها اقرأ كتاباً معي على موازاة رؤوس اشجار الحديقة بين نعيق الغربان التي كانت تحوم حولي. واني لكذلك واذا باثنين من طلبة المدارس قد صعدا وجلسا بعيداً عني. وانني كثيراً ما دخلت الحديقة فوجدت بين اشجارها وازهارها بعض طلبة المدارس يراجعون دروسهم ويتباحثون فيها وكان ذلك يسرّني مسرّة شديدة حتى انه كان احياناً يشغلني عن الحديقة واشجارها واطيارها فاتلهى بالاصغاء الى مناقشاتهم في الطب والحقوق والصرف والنحو وانا جالس بعيداً عنهم دون ان يعلموا بانني مصغ اليهم. وعند كل نكتة او خلاف كان يظهر بينهم كنت ابتسم واتذكر الاوقات المدرسية الحلوة التي كنت فيها مثلهم. نعم كان يسرّني رؤية الطلبة في حديقة الازبكية يدرسون ويستنشقون هواءها النقي وهم بمعزل عن ضوضاء العالم ومشاغله الا انني لما رأيت التلميذين يصعدان الى حيث كنت جالساً وينفردان في الجهة المقابلة لجهتي في قمة الصخرة شعرت بشيء من الانقباض والاستياء. وسبب انقباضي خوفي من الطلبة الذين يطلبون الانفراد عن رفاقهم في اماكن لا تنفذ اليها العيون. نعم انني علمت ان الانفراد عن الناس في الصغر او في الكبر قد يكون في بعض الاحيان حاجة من حاجات النفس تميل اليها اما لرقة شعورها او لألم وجدته في الاجتماع او لمرض يصيبها او لكبر غريزي فيها قد يكون ضرّه اكثر من نفعه. الا ان هذا الانفراد هو

---

١) **الازبكية اعظم احياء القاهرة وهي في قلب المدينة حول حديقة واسعة مغروسة بالاشجار الضخمة على شكل دائرة**

انفراد مطلق اي انه يكون انفراداً عن الجميع حتى عن الرفيق الصديق . ولكن متى رأيت طالبين او اكثر يطلبون الانفراد معاً في مكان مستتر فعليك ان تخاف عليهم من هذا الانفراد خوفك عليهم من الاسود والذئاب . ومما كان يثبت هذه الشبهة لديَّ معرفتي ان هذه (الجبلايه) كانت من قبل قرارة اقذار وملجأً قبيحاً لمن يريدون الاستتار عن الابصار . حتى اذا تفاقم خطبها ابطلت الحكومة القهوة التي كانت فيها واطلقتها للزائرين . ونعم ما فعلت الحكومة في هذا الشان لولا انه بقي عليها ان تقيم فيها خفيراً يمنع دخول النساء اليها اصلاً صيانةً للشبيبة المصرية التي تتردد على الحديقة . فقد رأيت يوماً في جوف الجبلايه احد الطلبة وهو لا يناهز الواحدة والعشرين في يساره دفتر دروسه وفي يمينه يمين حسناء لعوب

٣

ولما جلس الطالبان التفت اصغرهما الى اكبرهما وقال : هوذا صاحبنا يوحنا . انظر اليه كيف اصبح لا يستطيع جرَّ قدميه . لا ريب في انه يجهد نفسه كثيراً في الدرس والسهر أليس هذا هكذا يا بطرس ؟

فتبسم بطرس وقال : كلا يا احمد ليس الدرس هو الذي فعل بصاحبنا هذا الفعل . بل هنالك سبب اخر اخجل من ذكره لك

فبهت احمد ثم قال : ما هو هذا السبب الذي تخجل من ذكره لي فقد شغلت بالي وهجت بلبالي . افتظن بعد قولك هذا انه يهدا لي بال قبل ان اقف عليه

فقال بطرس : صدقت يا صديقي فالكتمان لا يجدي نفعاً في كل حال . فانك انت قدمت من قريتك الساذجة الهادئة الى مصر منذ ثلاثة ايام فلا بدَّ ان تطلع على ما فيها بعد اسبوع او سنة . وحينئذٍ تباغتك اشياؤُها مباغتة الوابل للارض الظمأى التي اشتدَّ بها الاوار . فلا تجد من نفسك قوة على تحمل وقع هذه المباغتة فتستسلم اليها ويجرفك التيار . نعم صدقت يا احمد يجب ان اعطيك قوة التحمل والمقاومة لتقابل بها قوة الضعف والانحلال والا اصابك ما اصاب صاحبنا يوحنا . وهذا ما حدا بي الى التصريح لك بذلك . فاصغ اليَّ لبلائه عدة اسباب ولكن اهمها واكبرها سبب واحد جميعها ترجع اليه . انظر الى هذه الطريق الممتدة امامنا من فندق شبرد الى نيوبار ولاحظ حركات النساء اللواتي يسرنَ عليها . هؤلاء النساء هنَّ علة البلاء والجرح الدامي الذي يسيل منه الان خير ما في بدن مصر المسكينة من الدماء

انظر تَرَهنَّ كجيش يحملنَ على الطريق حملةً شعواء . انظرت تلك الهيفاء الممشوقة

القوام الرائعة الجمال التي في عينيها طفولية دائمة وثيابها وقبعتها من اجمل واظرف ما يكون ؟ هذه فتاة فرنسوية . انظرت تلك القصيرة الرقيقة التي تلبس رداءً شتوياً طويلاً وهي كالنحلة خفة ورشاقة عيناها وابتساماتها تجذب اليها الابصار والقلوب كما يجذب الحديد المغناطيس؟ هذه حسناء ايطالية . وتلك التي على راسها قبعة حمراء وتتبختر كأنها كليوبتره في شوارع الاسكندرية ؟ هذه سيدة المانية . ثم انظر الى اولئك فهذه انكليزية وهذه نمساوية وتلك يونانية وتلك بلجيكية . ماذا اقول لك ايضاً انك تجد بينهن حتى فتاة يابانية . نعم يا صديقي فان حسان العالم باسره يحملن اليوم على مصر المسكينة حملة عمومية . فان الرزق فيها كثير والتدبير قليل والجمال المحلي نادر وجنون الشبان وتصابي الشيوخ اكثر فيها من كل بلد غيرها حتى في الاجانب والنزلاء الذين يسكنونها . ومن اجل هذا تجد ان الفساد راج فيها اليوم رواجاً لم يُعرف فيها من قبل في اي تاريخ من تواريخها . فاذا جنّ الليل ترى الطالب منا يترك كتبه ومدرسته . والمتزوج يهجر بيته واولاده وزوجته . والكبير الجاه يترك جاهه ومنزلته . والشاب العازب غنياً او فقيراً ينسى نفسه وجيبه وصحته . وجميعهم يتهافتون تحت جنح الدجى على صحفة العسل القذر المسموم تهافت خنزير اصاب جيفته . ان جول سيمون الفيلسوف الفرنسوي كان كلما ابصر في حياته العاملات والاولاد تفسد اخلاقهم وآدابهم وصحتهم في المعامل بما يلاقونه فيها فانه كان يصيح ملء فيه : ان دم فرنسا يفسد شيئاً فشيئاً . فنحن الآن للحالة التي وصفتها لك نصيح بحق قائلين : ان دماء مصر تفسد شيئاً فشيئاً اذا لم تدبروا طريقة لاصلاحها

فدهش احمد وقال : فهمت الان سبب انحلال قوى يوحنا . واذا اضفنا هذا الخطب الجسيم الى مقتضياته ولوازمه كالمسكرات والسهر الطويل والمقامرة لربح المال توصلاً اليه عرفنا التنين الهائل الذي يمتص اليوم دماء مصر وثروتها ويفني قوى شبيبتها . ولكن لماذا لا تتداخل الحكومة لاستئصال هذا الشر من اصله وسحق هذه الافاعي الجميلة المطيبة التي تفني قوى ابنائها

فاجاب بطرس : ان سؤالك هذا يتضمن قضيتين . الاولى استئصال الحكومة هذا الشر والثانية (سحق الافاعي الجميلة) كما سميتها . فانا لا اجيبك عن القضية الاولى لان البحث فيها يقتضي اسهاباً وتفصيلاً ليس هنا محله . بل اكتفي بان اقول لك بان الحكومة عاجزة عن مداواة هذا الداء لعدة اسباب اجتماعية وسياسية اهمها ان هذا الداء كائن في اصل الهيئة الاجتماعية نفسها . ولا يثمر الفساد الا فساداً . وهذا بحث اجتماعي فلسفي طويل ارجئ

الخوض معك فيه الى فرصة اخرى . واما القضية الثانية فانني ابحث معك فيها بحثاً مسهباً لأمر ساطلعك عليه في خاتمة الكلام اذا كنت لا تقف عليه من تلقاء نفسك . وهذا هو غرضي من كلامي معك في هذا الموضوع الان

اسمع يا احمد . انك سميت هؤلاء النساء (افاعي جميلة مطيبة) فانت اصبت واخطأت معاً . اصبت لان ضررهنَّ قد يكون اشد من ضرر الافاعي ولسعاتهنَّ اشد ايلاماً . واخطأت لان قولك هذا يوهم بانه يجب ان يحملنَ وحدهنَّ تبعة الحالة الهائلة التي امسينَ فيها . ولكنك اذا بحثت قليلاً وجدت العكس . اقرأ ما كتبه عنهنَّ اسكندر ديماس الصغير (الذي هو في الحقيقة الكبير) وابوه ديماس الاب وفيكتور هيغو والفريد دي موسه فترى ما يستدرّ الدموع ويحني الضلوع . فان الاول كتب فيهنَّ (لادام اوكاميليا) والثاني (فرناند) والثالث (ماريون ديلورم) والرابع (برنرت) واي انسان ذي احساس يقرا هذه الكتب الاربعة ويرى شقاء المرأة الشقية وعذابها وآلامها من خلال مظاهرها اللامعة وظواهر السرور التي تضطرُّ الى الظهور بها ولا يتصدع قلبه كآبةً وحزناً على شقاء هذه الانسانية الساقطة . بل ما لنا وللقصص والروايات فان اللورد كرومر نفسه شهد لهنَّ في تقريره السابق شهادة بمقام الف شهادة . فانه قال ما خلاصته ان هؤلاء النساء يشتغلنَ في مصر بشغلهنَّ الهائل باغراء رجال يقرضونهنَّ شيئاً من المال ثم يقيدونهنَّ بهذا الدين تقييد السجين بالقيود . او انهنَّ يكنَّ متزوّجات او مرافقات فيسهل لهنَّ رفاقهنَّ هذا الامر لكي يعيشوا بدناءة ونذالة مما يكسبنه وهنَّ يخفنَ منهم خوفاً شديداً . وهذا منتهى ما تنحطُّ اليه الانسانية في الرجال وهي وا اسفاه درجة احط من درجة الحيوانية لانه لم يروَ عن الحيوان نذالة كهذه النذالة . والغريب ان الهيئة الاجتماعية تدري بهذه النذالة وتغض الطرف عنها . ولما يكلَّف ذو عقل مثلك بابداء راي في هذا الامر يصبُّ جام غضبه على المرأة وحدها ويسميها (افعىً جميلة مطيبة) . ان هذه الافعى يا احمد قد تكون افعى كما تقول ولكنها افعى صغيرة ضعيفة . وهي شهيدة الهيئة الاجتماعية الظالمة التي تتركها تبيع شرفها لتأكل به خبزاً وضحية (الافاعي الحقيقية والخنازير البشرية) التي تنتفع بها . فعلى رؤوس الهيئة الاجتماعية والافاعي والخنازير البشرية يجب ان يصبَّ الله والناس ما في الجحيم من نار ابدية ولعنات سرمدية

وربما تقول قد عرفتُ الافاعي الحقيقية . عرفت نذالة الرجال بل البهائم الذين يسترقّون ويستثمرون المرأة الضعيفة دافعين بها الى قعر الهاوية . ولكن لم اعرف من هم

(الخنازير البشرية) الذين ذكرتهم فاصغ ِ الي ً

ان هذه المرأة الجميلة النظيفة المطيّبة التي تراها في الشارع وهي تبحث بعينيها بين الناس لا تخرج من بيتها الا في المساء لانها تقضي النهار في النوم وذلك لانها تقضي الليل في السهر . فتخرج من بيتها ماشية ً او راكبة ً وليس في جيبها احياناً غير اجرة المركبة . وفي خروجها من البيت قد تكون نفسها في اشد حالات الالم . فان الليل مظلم كالمستقبل الذي امامها في آخر عمرها . وترى نفسها وحيدة فريدة بين الزوابع والامطار وسط اناس سكارى باخلاق النمورة والذئاب يزدحمون حولها في الشوارع والحانات . انك تراها تضحك وتبتسم هنا وهناك ولكن ادخل الى نفسها واقرأ افكارها تجد انها لا تفكر في شيء مما حولها . فان فكرها بعيد جداً . هي تفكر بصاحب المنزل الذي يطالبها باجرة منزلها ويتهددها بالطرد او بالحجز . هي تفكر بالخياطة التي بعثت في يوم واحد ثلاث مرات تطلب رصيد حسابها والا رفعت قضية عليها . وبصاحب الرستوران (المطعم) الذي ان لم تدفع اليه قيمة اشتراكها مقدماً رفض اشتراكها . وفوق هذا وهذا — هناك في مكان مستتر شخص ينتظر آخر الليل ليأخذ منها النار المحرقة التي تكون قد باعت عرضها بها . انها فكرت في كل ذلك قبل خروجها من البيت في المساء وبكت قليلاً . ولكنها الان تضحك وتبتسم لانها في السوق . ان الابتسام يجذب اما البكاء فينفرّ فيجب اذاً ان تبتسم في شفتيها وان كانت تبكي في نفسها . واذا وجدت انها لا تبتسم تبسماً كافياً دخلت احد « البارات » وتناولت من الجعة « البيرة » او الويسكي او الكونياك ما يزيل كل اثر للكآبة من عينيها ووجهها . ثم تنطلق في سبيلها

فهل تعلم الان من هم « الخنازير البشرية » الذين اشرت اليهم آنفاً . هم اولئك الغلاظ النفوس الذين يرون ضعف هؤلاء المسكينات الشقيات فيغتنمون فرصة شقائهن ّ وحاجتهن ّ الى المال على ما تقدم لابتياع شرفهن ّ بابخس الاثمان

ان هؤلاء الخنازير مساوون لتلك الافاعي وكلا الفريقين احط ّ من المرأة الشقية التي يدنسونها بملاذهم الخشنة . يقولون انهم يشترون بضاعة معروضة بثمن يدفعونه ولذلك يحسبون انهم قاموا بما عليهم . فلله در ّ منطقهم . انني اترك لهم منطقهم واسلم لهم بقولهم هذا اذا شاؤوا دون ان احتج عليهم بشيء من اصول الشرائع والفضائل والآداب فان هذه كلها اصبحت على ما يظهر زياً قديماً جديراً بالبله والمخدوعين في هذه الحياة . . ولكني اسأل ماذا يفعلون اذا سمعوا النداء التالي صادراً من صميم قلب المرأة التي يدنسونها وينزلونها منزلة العجماوات . هل يسدون آذانهم دون هذا النداء . فانها مثلاً يمكنها ان تقول لهم ما يأتي :

« لما رايتك في السوق ابتسمت لك في شفقة ولكني لعنتك في قلبي . فتبعتني الى البيت لتشتري شرفي . فلله ما اكرمك . انك بما تعطيني اياه الليله سأتمكن غداً من ان آكل واشرب جيداً في هذا البرد الشديد . فشكراً لك .. ولكن بعينيك اخبرني . لماذا العرض والشرف عندك غالٍ الى هذا الحد .. انك وضعت على المائدة ذهباً كاملاً فلماذا لم تكتفِ بوضع نصف ذهب .. يظهر انك تعرف قيمة العرض من انك ذو زوجة ولك امٌ واخت .. قه قه قه .. شكراً لك . لا تؤاخذني اذا قلت لك انني حين كنتُ الآن بين يديك اقبّل شفتيك كدتُ ابصق في وجهك . ولكنني ملكتُ نفسي وحوّلت غضبي ضحكاً فضحكت الضحكت العالية التي سمعتها . ولما سالتني عن سبب ضحكي الى هذا الحد كان جوابي انني ازددت تقبيلاً لك .. قه قه قه .. لماذا تستغرب كلامي . اظنك تقول في نفسك انني كنتُ كاذبة مرائية .. فمسكين انت ايها الرجل الساذج . ماذا تريد اذاً ان اكون . هل تريد ان اقول لك الحقيقة : فاسمع اذاً . انني اعتبرك (خنزيراً دنيئاً) وهذا هو اسمكم عندنا كلكم ايها الرجال لما نتحادث عنكم . انني احتقرك اكثر مما احتقر نفسي لانني اتسفل لكي آكل خبزاً وانت تتسفل لتشبع شهوةً . انني اقول لك انك نبيه جميل والحقيقة انني اراك حماراً باربع آذان وقبيحاً قبحاً يثير نفسي اشمئزازاً كلما قبّلتك . انني ابغضك واكرهك كما اكره الشيطان والجحيم لانك وهيئتك الاجتماعية الدنيئة لا تسمحون لي ان آكل واعيش الا ببيع اثمن ما لديّ بابخس ما لديكم . لماذا اراك تغضب . وماذا تنتظر مني اذاً — « هنا تبكي » — اتريد ان تاكلني واباركك . اتريد ان تهينني في عرضي وشرفي واحترمك . لو كان في نفسك مثقال ذرة شرفاً وشهامةً لما اغضبك كلامي هذا لانه حق . فلنترك الجدّ جانباً لانه مسيء . ولنبقَ في الهزل . خذ واشرب معي نخب معدتي ومعدتك لانهما كلتيهما تهضمان اشياء مدهشة»

فيا صديقي الصغير احمد بماذا يجيب اولئك البشر عن هذه الشكوى الهائلة . اتعرف لهم جواباً . وهل تطاوعهم نفوسهم بعد سماع ما تقدم على اعتبار هذا الامر بيعاً وشراءً لسلعة معروضة كما مرّ بنا

وكان احمد مصغياً اشدّ إصغاء . وقد رايته مرتين يمسح بمنديله دمعتين . فلما سكت بطرس اخذ احمد يده بلهفة وصاح باهتمام شديد — شكراً لك يا صديقي والف شكر . فانني علمتُ الآن انك ما تعبت بتفصيل ما فصلته الا لالقاء درس عليّ بصورة تأنيب وجهته الى غيري صيانةً لي . فكن على ثقة من ان كلامك هذا لا يذهب سدى .

فانني سانشره في الجهات الاربع · وكل من وقف عليه سيستفيد مما استفدته منه وهو الفرار من الانحطاط الى هذا الدرك الاسفل · ومن لا تعاف نفسه هذا الانحطاط فلا يستحق ان يسمى انساناً



وما انمّ احمد كلامه حتى سمعت قهقهة شديدة · فالتفتّ فابصرت يوحنا ثالث الثلاثة واقفاً ورائي يضحك من كلام رفيقيه و يستهزئ بهما لانهما على المبادىء القديمة التي ذكراها · ولست ارى من الحكمة ان انشر ما دار بينه و بينهما بعد ذلك من الحديث لانه قال لهما اقوالاً واعترض اعتراضات يجب الاعراض عنها · الاّ اذ وجدتُ مناسبة لذلك في مقالة تالية ·

فلسطين واشهر بلدانها

(١) لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا.

— نابلس —

(هي شكيم التي وقف المسيح على بئر قريب منها وجرى له مع السامرية الحديث المشهور الذي هو اسمى ما في الانجيل)

واقعة بين جبلي عيبال وجرزيم في وادٍ مملوء بالبساتين والاشجار النضرة التي تسقيها مياه ينابيع غزيرة · وتعلو ١٨٧٠ قدماً عن سطح البحر

✻ سكانها ✻ عددهم نحو عشرين الف نسمة نحو مائتي سمرة والف مسيحيين اكثرهم روم ارثوذكس والباقون مسلمون · وكثيرًا ما كان يُنسب لهم التعصب والتعدي حتى قال بعض كتبة الافرنج ان السياح كانوا يخافون المرور بنابلس فكانوا يسافرون من اليهودية الى الجليل بطريق يافا · غير اننا زرنا المدينة مرارًا عديدة فعرفنا من اهلها انهم شديدو الاستمساك بدينهم وبصورة عمومية كرماء الاخلاق يدافعون عن الغريب · ومن

---

(١) هذه تتمة تاريخ وجغرافية فلسطين اللذين نشرهما في السنة الرابعة من الجامعة حضرة الكاتب بعد ان ساح بنفسه في تلك الانحاء سياحات طويلة

مزاياهم الحميدة منع بيع الخمرة وعدم تعاطيها في بلدهم ولذلك لم يسرِ سمها فيه سريانه في باقي المدن السورية

والمدينة مركز متصرفية تابعة لولاية بيروت وفيها عدة جوامع فسيحة اصل بعضها كنائس مسيحية شرقية وغربية وربما كانت هذه الكنائس مجامع للسمرة . وفيها ايضاً مكاتب عثمانية ومدارس خارجية للطوائف المسيحية وديران للروم واللاتين ومستشفى خيري لبعثة انكليزية

☸ تاريخها ☸ اسمها السامي (شكيم) نسبة الى شكيم ابن حامور وفيها معامل كبرى للصابون الذي يرسل الى كل البلاد العثمانية والديار المصرية وهو مشهور بجودته وكتبة العبرانيين دعوها ماموراثا Mamoratha (الممر) لانها واقعة او بالحري كانت واقعة في المعبر الضيق بين الجبلين المذكورين . الى جوارها عاد يعقوب من فدان ارام واشترى لنفسه ملكاً واقام هناك حتى دنّس شكيم ابن حامور ابنته فرحل عنها الى حبرون ولكنه بقي يرسل مواشيه لترعى بجوارها . ولما قسمت الارض بين الاسباط بالقرعة وقعت في نصيب افرايم ابن يوسف ولكنها ما لبثت ان صارت مدينة ملجأ (يشوع ٢٠ : ٧) وفيها جرت المؤامرة بين ابيمالك ابن جارية جدعون واهل شكيم على قتل ابناء جدعون السبعين وتمليك ابي مالك عليهم (قضاة ٩) وفي سنة ٩٧٥ قبل المسيح في ايام الملك رحبعام ابن سليمان انشقت عنه العشرة اسباط وملكوا يربعام خادم سليمان فبنى هذا شكيم وجعلها قاعدة مملكته (ملوك اول ١٢) وبقيت كذلك مدة تنوف عن الخمسين سنة وصارت بعد السبي قاعدة السامريين . وقد حاربتها جنود فسباسيانوس واخضعتها وسماها الرومانيون منذ ذلك الوقت فلافيا نيابوليس Flavia Napolis اكراماً لطيطس فلافيوس فسباسيانوس وهي من المدن القليلة التي بقي اسمها الروماني متغلباً على الاسم السامي القديم . وقد بشر الرسل فيها بالديانة المسيحية فانتشرت فيها حتى صارت كرسي اسقفية منذ بداءة القرن الرابع . ويظهر من وصف يوسيبيوس لها في ذلك الزمن انها كانت كبيرة جداً الا ان القسم الشرقي منها الذي كان ممتداً نحو بئر يعقوب كان خراباً

ولما امتدت الفتوحات الاسلامية دخلت نابلس في ايدي الفاتحين وبقيت الى ان اخذها تنكريد احد قادة الصليبيين . وفي سنة ١١٨٤ نهبها السلطان صلاح الدين في عودته من الكرك خاسراً وتغلبت جيوشه عليها بعد واقعة حطين الشهيرة وقتلوا جمعاً غفيراً من اهلها . وفي سنة ١٢٤٢ عاد المسيحيون فاستولوا عليها لمدة سنتين واسترجعها منهم بعد

ذلك ابو علي حليف السلطان بيبار . ويظهر انها بقيت تحت سلطة المسلمين منذ ذلك الوقت وكان باشاوات الشام وعكا في المدة الاخيرة يولون عليها وعلى المقاطعة عمالاً من رؤساء عشائرها الذين اشتهروا بحب الرئاسة والقتال

= جبل عيبال =

يقابل نابلس من الجهة الشمالية وعلوه ثلاثة آلاف ومائة قدم . ويدعى (الاسلامية او الشمالي)وفي سفحه كثير من الصبر الذي يزكو ثمره للغاية وله منظر الى بعيد فيحيط بجبال الجليل والكرمل والطور ومرج ابن عامر وجبال حوران وبلاد صفد حتى جبل حرمون . وعليه بنى الاسرائيليون مذبحاً ونقشوا كلمات الناموس وذبحوا ذبائح سلامة ووقف ست اسباط منهم ليلعنوا كل من يخالف الشريعة كما وقفت الستة الاسباط الأُخر على جرزيم لتبارك من يحفظها ويتبع سنتها (تثنية ٢٧ ويشوع ٨ : ٣١) وعلى قمته خرابات قلعة كثيفة البناء ومقام لاحد اولياء المسلمين يقولون ان جمجمة يوحنا الذي قطع هيرودس رأسه مدفونة في داخله

= طلوزه =

على التل الواقع الى الشمال من عيبال ويستدل من اسمها على انها ترصة التي كانت لمدة قصيرة عاصمة مملكة اسرائيل (ملوك اول ١٦ : ٨)

= جبل جرزيم =

جبل السامريين المشهور

ويدعى الطور والقبلي ايضاً علوه ٢٨٨٤ قدماً ويشرف على جبال جلعاد واليهودية وحرمون والكرمل والبحر المتوسط . وعلى سطحه بقايا قلعة مربعة محصنة بالابراج وكثافة جدرانها تختلف من خمس الى عشر اقدام . ويستدل من شكل بنائها انها هي نفس القلعة التي بناها الامبراطور زينو الذي قام في القرن الخامس وهي التي وضع فيها الحامية لحماية كنيسة العذراء التي بناها ايضاً من تعديات السمرة الذين كانوا شديدي الغيرة على جبلهم . اما الكنيسة فقد كانت مثمنة الشكل ولم يبقَ منها سوى الأُسس

وفي الجهة الشمالية الشرقية مقام الشيخ غانم احد اولياء المسلمين . وفي سطح الجبل عدة خرابات أُخر تدل على انه كان مأهولاً يوماً ما . بينها بضع حجارة كبيرة الحجم يعتقد

السمرة انها حجارة المذبح الذي بناه يشوع بامر موسى على جبل عيبال · ويدلون على النقطة التي يزعمون ان ابرهيم أمَّها ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليها في جهة سطح الجبل الجنوبية الشرقية

وقد جُعل لهذا الجبل اهمية خصوصية في التاريخ الديني منذ عودة الاسرائيليين من السبي في نهاية القرن السادس قبل المسيح وعدم رضاهم بمشاركة السمرة لهم في تجديد بناء هيكل اورشليم الثاني اذ استاء السامريون من ذلك الرفض وعدّوه اهانة فقدسوا جبل جرزيم واتخذوه مركزًا لعبادتهم · واذ تزوج منسى احد رؤساء كهنة اليهود بابنة رجل سامري يدعى سنبلط كان وزيرًا للملك داريوس أنكر عليه اليهود ذلك الزواج المخالف لشريعتهم وخلعوه من رئاسة الكهنوت فاراد طلاق الاجنبية لولا ان اباها وعده ببناء هيكل على جرزيم متى تمت الغلبة لداريوس على اسكندر الكبير · فلما انطفأ نور الامل بفوز اسكندر قصده سنبلط واشار عليه بوجوب تفريق كلمة اليهود ببناء هيكل على جرزيم يباري هيكل اورشليم وتقليد منسى الذي كان يعضده حزب من اليهود رئاسة الكهنوت فيه · فوافق اسكندر على ذلك وامر ببناء ذلك الهيكل فبني وصار السمرة يكرمونه اكرام اليهود لهيكلهم في القدس · وبقي عامرًا مائتي سنة حتى خربه هركانوس ابن سمعان المكابي · ولم نعثر اثناء ابحاثنا على ما يشير الى اعادة بنائه غير ان السمرة لم ينقطعوا حتى اليوم عن احترام الجبل وعن تأدية فرائضهم الدينية عليه حالة كون اليهود لم يعودوا يؤدون فرائض الهيكل الدينية منذ خراب هيكلهم في الحرب الطيطسية · ولمناسبة ذكر السامرة وجرزيم نذكر شيئًا عن تاريخ السمرة واعتقادهم لتكمل الفائدة



تذكار انتقال الجامعة

منشور الانتقال من مصر · كتاب وداع وكتاب شكر · قصيدتان

نشرنا هنا بضع صفحات خصوصية في شأن انتقال الجامعة من الاسكندرية الى نيويورك · ونحن نعتذر الى حضرات القراء عن نشرها ولكنا رأيناها عبارة عن تذكار لهذا الانتقال يُحفظ في صفحات الجامعة

المنشور

قبل خروجنا من مصر (ونرجو ان لا يكون كخروج الاسرائيليين منها) وزعنا بين قرائنا المصريين الكرام منشوراً نقتطف منه ما يلي:—

﴿ سبب نوم الجامعة السنة الماضية ﴾ « ولكن قبل ذكرنا سبب هذا الانتقال لا بدّ ان يطالبنا مشتركوها بسبب نومها هذا النوم الطويل في السنة الماضية · فنحن نرجو منهم ان يعفونا من ذكر هذا السبب لان ذكره يؤلمنا ويؤلم غيرنا · يؤلمنا لانه يذكرنا تعطيل الاشغال وخسارة الوقت والمال بالانتظار واستهداف الجامعة لاستياء قرائها ومريديها وسوء ظنهم بها · ويؤلم غيرنا لان الكلام في ذلك يجرُّ الى الكلام في مسائل خصوصية في جملتها مسائل عائلية لا علاقة لها بالمسائل العمومية خصوصاً اذا كان فيها ما يسوء اناساً نكره اساءتهم وان اساءوا الينا · والجامعة ليس من عادتها ان تطرح المسائل الخصوصية مطرح المسائل العمومية لتجعلها منها · كما انه ليس من شأنها التذمر والشكوى مهما اصابها فانه متى وقع الانسان في حبائل كهذه الحبائل ولم يحسن التملص والتفلّت منها دون ان يترك ريشه فيها فليس له ان يلوم احداً غير نفسه لان سلامة النية والثقة ليست عذراً كافياً له اذ هي مما يجب ان يصحب كما يقولون اهل الاديرة والصوامع لا اهل الاشغال والمنافع · ولذلك لا نحاول تبرئة نفسنا من ذنب القصور في حق الجامعة وحق قرائها في السنة الماضية ونتحمل هذا الذنب وحدنا دون ان نحمل احداً شيئاً منه او نعطي نفسنا حق الشكوى من احدٍ · اما خسارة الوقت والمال وتعطيل الاشغال فعلى الله التعويض في كل حال · · · »

مسرّة وكآبة وبعد ان ذكرنا اسباب انتقال الجامعة الى نيويورك قلنا ما حرفيته " هذا ما اردنا بسطه هنا اطلاعاً لمشتركي الجامعة في مصر على السبب الذي اوجب فراقنا وتطميناً لهم عن مستقبل الجامعة . ونحن نكتب هنا كلمة (الفراق) ويتنازعنا عاملان : عامل مسرّة وعامل كآبة

« اما الكآبة فهي لتركي بلادنا الشرقية العزيزة التي نشأت فيها اخص منها بالذكر سوريا ومصر — سوريا التي رأيت فيها احسن ايام صباي . ومصر التي رأيت فيها احسن ايام شبابي . ولكن مما يخفف هذه الكآبة عندي عزمي على ابقاء الصلات بين « الجامعة » ومشتركيها من اهل الفضل والادب في مصر وسوريا كما كانت حين كانت ادارتها في مصر . ومن اجل هذا ابقيت لها ادارة في القطر المصري فكأن مركز « الجامعة » في مصر لم يتغير لان ادارتها فيها ما زالت ادارتها . وجميع مشتركيها ومراسليها في مصر يمكنهم مراسلتها ويرسل اليهم الرد على رسائلهم ويجابون الى طلباتهم بعد انقضاء يوم من وصولها . فلا يكون ثمت من فرق بين الماضي والمستقبل سوى ان الجامعة كانت تطبع في « الاسكندرية » فاصبحت تطبع في « نيويورك » وان كان هناك صعوبة او ألم فهما في جانب صاحب الجامعة الذي رحل عن بلاد يحبها وفارق بني وطنه الذين لقي من اهل الفضل والادب فيهم فوق ما يستحق من العناية والوداد

« هذا عامل الكآبة . اما عامل المسرّة فهو لانتقال صاحب الجامعة من وسط صغير الى وسط كبير . فاننا في الشرق في سوريا ومصر وغيرهما انما نحن في بلاد صغيرة ضعيفة لم تبلغ المدنية فيهما بعد مبلغاً تستحق معه ان تُتخذ استاذاً لاهل العلم والادب . ولذلك نحن مضطرون على الدوام الى تحدّي الاوروبيين والنظر الى اثارهم العلمية والادبية والاجتماعية نظر التلميذ الى آثار استاذه . فالجامعة يسرُّها ان تذهب بنفسها الى وسط المدنية الراقية وتغترف من منبع النهر العظيم هناك بدل ان تنتظر وصول مياهه الجارية الى هنا . فان نيويورك لا تفضلها اليوم عاصمة من عواصم العالم المتمدن غير لندن . فهي ثانية عواصم الدنيا . ومستقبلها سيكون في قول بعضهم اعظم مستقبل لاعظم مدينة في العالم

« لقد اقمنا في سوريا عدة سنوات رقبنا فيها احوال بلاد شرقية تحكم نفسها بنفسها (ان صح ان يقال هذا) فاختبرنا ما يؤثره الضعف والعسف والاهمال في احوال البلاد والعباد من خمود الهمم وتدلي الامم . ثم انتقلنا الى مصر وشاهدنا فيها تلك المدنية الشرقية الضعيفة المهمِلة المهملَة تنفض عنها غبار الضعف والعسف والاهمال والكسل وتتردى رداء المدنية

الغربية رداء النشاط والعدل والامن والعمل . وقد اختبرنا في مصر هذا الاختلاط بين « الشرقي والغربي » تمزجه يد غربية ورأينا آثاره في الاصلاح والفساد في الخير والشر فاذا هي عظيمة في الامرين . الا ان عظمة الاصلاح هذه لم يستفد منها اهل البلاد ربع ما استفاده منها الاجانب . ولذلك كان نصيب اهل البلاد من شر المدنية الجديدة اوفر من نصيبهم من خيرها . والويل كل الويل للامة التي تختلّ فيها الموازنة بين الخير والشر الى هذا الحد — فبعد اختبارنا آثار مدنية « شرقية محضة » في سوريا وآثار مدنية « شرقية غربية » في مصر يسرنا ان نختبر حالة ثالثة هي خير الحالات . ونعني حالة مدنية راقية قائمة بذاتها تسن شرائعها لنفسها بنفسها وتطبقها على حاجاتها . وفي ظل هذه الشرائع الحرة السهلة العادلة تعمل في العلم والصناعة والتجارة والزراعة والسياسة اعمالاً تحسدها عليها سائر الامم حتى اوروبا نفسها : فمعيشة مجلة عربية « كالجامعة » في جمهورية الولايات المتحدة بين كلياتها ومكاتبها وجمعياتها ومتاحفها ومصانعها ومزارعها ومجلاتها وجرائدها لما يوجب لها المسرّة والارتياح لانه سيؤثر عليها انفع تاثير بما تدرسه وتنشره من آثار ذلك الوسط العظيم

المهاجرون والجامعة « وما عدا هذا فهناك سبب آخر يوجب لها المسرة اكثر من السبب الذي تقدم . وهو ارتياحها الى الظهور بين اخواننا المهاجرين في اميركا الشمالية والجنوبية نخص منهم مهاجري الولايات المتحدة الذين نستودعهم الجامعة كما يستودع الكريم الكريم اكرم شيء عنده . ولولا ما تحققناه من سرور اخواننا المهاجرين في الولايات المتحدة بانتقال الجامعة اليهم وابلاغهم هذا السرور الينا بكل طرق الابلاغ لما نهضت بنا الهمة الى قطع الاوقيانوس اليهم . والجامعة تعطيهم عهداً على نفسها انها لا تألو جهداً في خدمتهم هناك الخدمة التي يرتاحون اليها ويرون فائدة فيها اسوة برصيفاتها التي تنشر في اميركا الشمالية والجنوبية

« على ان سرورنا من تنشيط المهاجرين الى اميركا للجامعة ليس بحديث العهد ولا نحن نقول ما نقوله هنا تزلفاً اليهم فان تنشيطهم لها بدأ من عدة سنوات . ولما قامت القيامة على الجامعة منذ سنتين بسبب المناظرة التي وقعت بشان « ابن رشد وفلسفته » مع العلامة المغفور له الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية السابق قلنا ذات يوم لمن كان يثبط عزمنا عن اتمام هذه المناظرة ما خلاصته : هب ان مصر وسوريا وتونس والجزائر والهند وايران أقفلت في وجه الجامعة ولم يبقَ بلد مفتوحاً في وجهها غير اميركا وحدها فان مشتركيها في اميركا يكفونَ للقيام بنفقات صدورها نخص منهم مشتركي البرازيل والولايات

المتحدة. فان مشتركيها في هذين القطرين يبلغون نحو ٥٠٠ مشترك يجمع منهم ما يكفي طبع المجلة ويزيد . وقد قدّرت جريدة الصواب في ريوجانيرو مشتركي الجامعة في البرازيل بثلاثمائة مشترك حولهم الوف من القراء وتقديرها هذا قريب من الحقيقة . ولسنا نذكر ما اقترحه على الجامعة منذ سنوات اخواننا المهاجرون في البرازيل بواسطة وكيلنا في سان باولو من اهدائهم اليها مطبعة تامة الادوات بمبلغ ٤٠٠ جنيه تجمع منهم على سبيل التذكار بمناسبة المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » ولا الحمية الخارقة العادة التي اظهرها مشتركونا الكرام هناك في تنشيط المجلة ومساعدتها وشرب بعضهم سرها « نخبها » في القهوات والحانات وجعلها موضوع حديثهم حتى لدى الشعب الغير المتعلم . فان ذكر هذه الامور لا يليق بمجلة كالجامعة تعرف عجزها وضعفها وكونها لا تزال في اول نشاتها فضلاً عن انه يزيد التبعة التي علينا في اهمالنا مجلة نزلت لدى الجمهور هذه المنزلة . ولكننا ذكرنا ما تقدم للدلالة على ما بين المهاجرين والجامعة من صلات الوداد والعواطف . ومنذ ٣ سنوات قام بين ادارة الجامعة ومصلحة البريد المصري خلاف صغير بشان الاجزاء التي ترسل الى اميركا . فلما رأى مدير البوسطة سعادتلوسابا باشا عدد هذه الاجزاء قال لنا مستغرباً " أالى هذا الحد بلغ اقبال المهاجرين على العلم والادب » وليس اصدار خمسمائة نسخة من مجلة الى قطر بعيد كاميركا مما يحق لتلك المجلة ان تفتخر به فان خمسمائة مشترك ليست شيئاً يذكر في عمر مجلة . ولكننا ذكرنا هذا استطراداً الى القول بان الجامعة لقيت هذا الاقبال من اخواننا المهاجرين وهي بعيدة عنهم الوف اميال فكيف بها اذا اصبحت « مجلتهم » وباتت تصدر بينهم وتستمد قوتها منهم وتشعر بحاجاتهم وتنطق بلسانهم . لا ريب ان اعتقادنا هذا الاعتقاد لهو سبب من اهم الاسباب التي اقنعتنا بالانتقال الى الاقطار الاميركية . وفي يقيننا ان ظننا لا يخيب لان مئات الوف المهاجرين الذين يقومون باكثر من خمس عشرة جريدة عربية تنشر في اميركا الجنوبية والشمالية يسرّهم على ما نظن ان يكون بينهم مجلة " كالجامعة " تساعد رصيفاتها هناك في الخدمة النافعة

الى الملتقى « والآن نقول لقرائنا في مصر والشام وباقي الاقطار الشرقية التي تصل اليها الجامعة " الى الملتقى قريباً " فان القارئ الكريم يقرأ هذا المنشور ونحن على اجنحة البخار بين السماء والماء نقصد العالم الجديد . وفي اقرب وقت ستصلهم الجامعة في حلتها الجديدة وحالتها الجديدة عائدة بشوق وحنين الى الشرق الذي كانت تصدر عنه

لقد ضحينا في سبيل الجامعة حتى الان كل شيء . فقد صرفنا عشر سنوات في الاستعداد

لما و٦ سنوات في الاشتغال بها فانفقنا عليها من المال والوقت والتعب ما لو انفقنا نصفه في اي عمل كان لعاد علينا بالوف الاموال · وحسب القارىء ان يعلم ان كتاباً واحداً من كتب الجامعة ككتاب « ابن رشد » انفقنا على طبعه في اربعة آلاف نسخة ٨٥ جنيهاً والان نفد كله · وكذلك « اورشليم الجديدة » وانني رأيت في بعض الليالي الفجر يطلع عليَّ وانا وراء مائدة العمل اسمع زقزقة العصافير بعد راحتها في الليل دون ان احسدها على راحتها لانني كنت ملتذاً بتعبي مسروراً بنتيجته · ولسنا نجهل ان الضحايا التي قدمناها للجامعة في السنوات الماضية والقوى التي انفقناها فيها اعظم كثيراً من النتيجة التي ترجى منها · وان الدنيا لا تخرب اذا ابطلناها قطعياً · ولكنا رأينا من الخرق في الرأي ترك صناعة صرفنا كل العمر في درسها واختبارها للشروع في صناعة جديدة لا سيما واننا كنا راضين كل الرضى عن صناعتنا مسرورين بنتيجتها قبل ان تركنا الضرر بثقة عمياء يقع علينا . والضحية الجديدة التي اقدمها الان « للجامعة » فوق الضحايا القديمة هي تركي الاهل والوطن والخلان والابتعاد عن بلادنا العزيزة · ولكني اظن ان هذا البعد سيكون وقتياً · لان اقصى اماني رجل باخلاق مضرة بصاحبها احياناً كاخلاقي هي ان يجمع من عمله في حياته شيئاً يجعل منه لنفسه دخلاً صغيراً ليعيش به في آخر عمره في الخلاء والفضاء بمعزل عن عدوان الكبار وغدر الصغار · ولست اجد « انا الشرقي قلباً ونفساً » مكاناً لهذا الامر افضل من جبال لبنان او اطراف السودان حيث الانسان يستطيع ان يعيش بهدوء وبساطة وصحة في النفس والبدن معيشة الفلاحة والزراعة التي هي انفع له وللناس الذين حوله من كل المجلات والكتب والاوراق · — ولذلك اقول الان لبلادنا مصر والشام « الى الملتقى » ولا اقول لها « الوداع »

كتاب وداع وكتاب شكر (١)

الكتاب الاول

حضرة الرصيف الفاضل

نشرت اليوم بين قراء « الجامعة » في مصر وخارج مصر كتاباً ذكرتُ لهم فيه سبب انتقال الجامعة الى نيويورك وقد بعثتُ بنسخة من هذا المنشور اليكم لتتفضلوا بالاشارة اليه

---

(١) الكتاب الاول كتبه صاحب الجامعة الى صحافة مصر قبل سفره والكتاب الثاني الى صحافة نيويورك بعد وصوله

في جريدتكم الغراء لكي يقف عليه من لم يصل ذلك المنشور اليه من قراء الجامعة

وانني افارق مصر باسف شديد لفراقها لانها الوطن الشقيق الذي صرفتُ فيه احسن ايام شبابي كما قلتُ في المنشور ولقيت فيه من عناية اهل الادب والفضل ووادهم فوق ما يستحقه رجل مثلي. وسيصلكم كتابي هذا وانا على اجنحة البخار بين السماء والماء قاصداً قلب مدنية الولايات المتحدة وثانية عواصم العالم. ولكن مفاخر مدنية الولايات المتحدة مهما عظمت وجلّت لا يمكنها ان تنسيني جمال الوطن الشرقي وسذاجته والامانة له لانني على قول المتنبي

خلقتُ الوفًا لو رجعتُ الى الصبى   لفارقتُ شيبي موجع القلب باكيا

فارجوكم ان تتفضلوا بنشر هذا الكتاب للرصفاء والاصدقاء والقراء الذين لم اقضِ واجب وداعهم قبل سفري فرارًا من زيادة الم الفراق عندي وهو التحية الاخيرة التي اخطها لحضراتهم تحت سماء مصر العزيزة التي لا انساها وان بعدت الدار وشط المزار

هذا وانني ارجو ان تشرفوني بكل خدمة تقتضيها مصالح جريدتكم هناك لانني كصحافي نشأ في مصر ولم يضنّ عليه اكثر رصفائه فيها بالمساعدة والتنشيط يسرّني ويشرّفني ان اعتبر نفسي ممثلاً للصحافة المصرية في اميركا لدى مئات الالوف من اخواننا المهاجرين ورصفاءنا هناك

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والاكرام

الكتاب الثاني

نيويورك في ١٩ حزيران سنة ١٩٠٦

حضرة الرصيف الفاضل

لم انتظر صدور الجامعة لاشكر حضرتكم على ما تفضلتم به عليّ في جريدتكم الغراء من عبارات الترحيب والتنشيط قبل وصولي الى نيويورك وبعده. فانا اشكر لجنابكم الان شكر رصيف يعجز عن ايفائكم حق فضلكم واسأل الله ان يقدرنا جميعًا على الخدمة النافعة في صناعتنا الشاقة

اما شكري للجالية السورية على اختلاف طوائفها في اميركا خصوصاً في الولايات المتحدة وعلى الاخص في نيويورك فان قلمي ولساني عاجزان عن الاعراب عنه. وحقًا ان رجلاً ضعيفًا مثلي لم يعمل بعد في حياته شيئًا يُذكر لا يستحق كل هذه العناية من اخواننا في دار هجرتهم. ولكني احمل منهم هذه العناية التي اخجلتني في بعض الاحيان لتجاوزها الحد

الذي كنت انتظره على محمل التنشيط والتشجيع مضافاً اليها الشعور الذي يشعر به الغريب حين استقباله الغريب

اجارتنا انّا غريبان ههنا وكل غريبٍ للغريب قريب

فانا اقول لحضراتهم الان بلسان صحيفتكم الغراء قولاً خارجاً من صميم القلب انني ممتنّ لهم اعظم امتنان شاكر ما اظهروه لهذا العاجز من الغيرة والمروءة مما لم يعتد اهل العلم والادب مثله في بلاد الشرق = ولا عجب فنحن تحت سماء اميركا ام الفضل . وهذه العناية منهم كانت اعظم منشط لي قبل ابتدائي العمل عندهم اذ صرت اشعر الان ان عزيمتي زادت اضعافاً . وهذا منهم اعظم فضل عليَّ اعترف لهم به جهراً

فارجو ان تتفضلوا بنشر كتابي هذا كشكر عمومي لحضراتهم وشهادة افتخار بما صار اليه المهاجرون بعيداً عن سوريا ومصر من الشعور الراقي والتقدم ادبياً ومادياً جرياً مع حالة الوسط الذي يعيشون فيه

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والسلام

غزل المتقدمين والمتأخرين

وداع — ولقاء

وقبل نشر القصيدتين التاليتين اللتين نشرتهما مرآة الغرب الغراء لا بد لنا من القول ان الفاضلين اللذين نظما هذه الابيات لم يقصدا بها سوى مجاملة صديق تخفيفاً لوحشة السفر ومرارة الغربة عنده . وقد قيل اعذب الشعر اكذبه . وان عصراً يُستجدى فيه الاغنياء بالشعر حتى اصغرهم واحقرهم غير كثير عليه ان يُجامَل فيه اهل العلم والادب مجاملةً قلما تعوَّدوها . زد على ذلك انك اذا وقفت على شعر المتقدمين من فطاحل شعراء العرب ورأيت فيه تغزلهم (بالرقمتين) و (سقط اللوا) والعقيق وغيرها خُيل لك انها اماكن عظيمة وجنّات فيحاء مع انك لو شاهدتها عن كثب لما رأيتها. الا رمالاً وصخراً وارضاً حقيرة تحرقها الشمس بياض النهار . ومن هذا القبيل هذا الشعر الجميل . الا اننا حفظناه كاثر لسفرنا على سبيل التذكار

احتى الوداع ابى ان يكونا وحتى الفراق نراه فنونا
اما يتقي ربه راحلٌ اذاب القلوب وافنى العيونا
دعاه الفراق فكان الجواب وراح يهيج الاسى والحنينا

فيا لك يوماً شديد البلاء ويا لك خطباً ابى ان يهونا
فتى الشرق مالك فارقته وكنا نراك بهذا ضنينا
وقمت تصانع فيه الخطوب مقام اريب يسوس الشؤونا
تسيغ الحوادث حلوًا ومرًّا وترضي الليالي بيضاً وجونا
فايّ المكاره اعيا عليك واي الخطوب قضى ان تبينا
وماذا دها الشرق والساكنيه فحوّلت رحلك في الآخرينا
واطلعت شمسك في غيره وقد كنت تطلعها فيه حينا
لعهدي به مطلعاً للشموس تضيء الظلام وتجلو الدجونا
فكيف انجلى عنه ذاك الضياء واعيا بنوه على المرشدينا
لقد دان من قبل بالمأثرات اخاه فما باله اليوم دينا
كفى برحيلك عارًا عليه وشجوًا لقوم به يعقلونا
تركت وجوههم شاحباتٍ واشقيت انفسهم اجمعينا
وهجت النهى فاغتدت طائرات مطار اللواتي فقدن الوكونا
وغادرت كل فؤادٍ يعاني مصاباً دخيلاً وداءً دفينا
فيا لك جرماً جزينا به وكان الجزاء على المجرمينا
شقينا بهم فسئمنا الحياة فاي شقاء اذًا قد لقينا
يرون المحامد موتاً زؤاماً وطيب الاحاديث امرّا مهينا
اليك اعتذاري فتى الشرق عنهم ومثلك من يعذر الجاهلينا
عليك سلام صديق طوى على صدق ودك قلباً امينا
يصون لك العهد مهما اضاع مضيع الحوادث عهدًا مصونا

دمنهور في ١ ايار سنة ١٩٠٦ (احمد محرم)

رجلٌ عمره ثلاثون عاماً كاملٌ جسمه طويل القامهْ
اسمر اللون ذو محياً جميلٍ كل وقت ترى عليه ابتسامهْ
واسع الجبهة التي يستدلُّ المرء منها على العلى والشهامهْ
لو تسنى جماله لفتاةٍ فعلى مثلها تقوم القيامهْ !
لو تأملت فيه كنت ترى في وجههِ للذكاء الف علامهْ

افندي فياض وحوادثها عائلية وهذا الذي يحببها الى الرجال والنساء . غير انها في ذلك الموضوع الذي يجرح الكلام فيه كل فؤاد . انها قصة فتاة ابنة رجل فقير يحرس الصيد لغني كبير أُودعت في قصر ذلك الغني لتشب على الادب والثروة غير انها راقت في عين الغني فطارحها الغرام واغواها . فاحست زوجة الغني بان الفتاة صارت حاملاً ولكنها لم تعرف من هو شريكها في تلك الجناية فطردتها وخرجت الفتاة في ديجور هذه الحياة تكافح الدهر ويكافحها بعد ان علم ابوها بالامر وغضب عليها . واخيراً ولدت ابنها وتمكنت من حيلة اودعته بها في دار ابيها . ثم سافرت الى باريس ودخلت مع اخواتها الشقيات في وادي الهموم ودار جهنم ذات ريح السموم

وما زالت على ما كانت فيه حتى اثرت وصارت لها القصور الباذخة والاراضي الواسعة والدخل العظيم . وحدث ان الغني الذي كان سبب مصائبها وهمومها عثر بها فعرض عليها غرامه فاعرضت عنه غير انه بذل كل شيء في سبيل رضاها فقبلته وكثيراً ما كانت تعنفه على الماضي وتنغص حياته

وفي يوم من الايام تعرفت هذه السيدة بشاب شاعر جميل وطارحته الغرام وعلم الغني بالامر فغار من الشاب واضمر له الشر . ودعت السيدة يوماً ما رجلاً يجهز لها الصيد في احد قصورها حيث ارادت ان تمضي فصل الصيف فاجتمع في غرفتها ثلاثة : حارس الصيد والشاعر الجميل والغني المذنب . وظهر اخيراً ان حارس الصيد هو ابوها والشاعر الجميل هو ابنها فلما عرف الغني انه كان يغار من ابنه على امه اراح نفسه واراح غيره بان انتحر

وعادت السيدة الى ابيها وابنها وعاشوا بسلام . ولولا ما في هذه الرواية من هناء عيش البغي بعد ثروتها واجتماعها باهلها على اسهل سبيل لكانت الرواية من اجمل الروايات . وكان الجدير بالمؤلف ان يظهر آلام البغي في آخر حياتها وامراضها واحزانها وفقرها لا ان يظهرها بمظهر الغنى والنعيم والعز المقيم . فلعل فتيات القاهرة لا يغتررنَ بقصة ابنة حارس الصيد فانها قصة ليس الاَّ

القاهرة (محمد لطفي جمعه)

الفرق بين مصر ونيويورك

الرسوم المنشورة في مقالة (روسو ومدام دي وارين) في هذا الجزء مأخوذة من بيت روسو نفسه في شمبيري وقد صنعها معمل الرسوم هنا مع ثلاث كليشات اخرى في يومين ولو كنا في مصر لانتظرناها عشرة ايام . . .

جلستهم الاولى فكانت كجلسة فلاسفة اليونان من تلامذة ارسطو وافلاطون· ودار البحث بينهم على شؤون شتى منها ما يرقي الصحافة المصرية ويجمع كلمة منشئيها وغير ذلك مما تدعوهم اليه حرفتهم· وقد انصرف الكل بعد هذا الاجتماع وواحدهم اعلق بصاحبه من ذي قبل

والذي سرَّني في هذا الاجتماع انه رمز للجامعة الكبرى التي تجمع كتَّاب الصحف العربية في مصر وسوريا واميركا تشبهاً بالصحف الغربية· ولا اظن ان صحراء افريقيه والمحيط الاطلنطيكي يكونان عائقاً بين قلوبنا وقلوب اخواننا في العالم الجديد· فاننا كلنا قوة واحدة وزعتها الطبيعة في اطراف العالم· فحبذا لو كثرت الصلات والروابط بيننا وكانت صحافة مصر اكثر اهتماماً بشقيقتها الصحافة الاميركية العربية

***

اخبار الشعراء كثيرة وسيد شعرائنا حافظ افندي ابرهيم يجعل الانسان حائراً اذا شرع في كتابة اخباره· فقد شرع منذ نصف سنة في تعريب رواية (مكبيت) من الفرنسوية الى العربية نظماً ونثراً· وكان يعدّها للتمثيل في دار التمثيل العربي وكثيراً ما كان يقول لنا « انني ارى شكسبير في كل يوم اكبر منه في اليوم السابق فانني لم اظفر بمعانٍ اجمل ولا افكار اسمى من معاني هذا الرجل وافكاره· واذا قُسم لي في هذه الحياة عمل عظيم فلا يكون الا نقل روايات هذا الشاعر العظيم الى العربية » غير ان حسن الطالع لم يكمل جميله مع حافظ فان المسكين اجهد نفسه في التعريب وفي قرض القصائد الاجتماعية الجميلة حتى اصيب بضعف المعدة وهو داء العظماء والعلماء· فاشار عليه الاطباء بالانقطاع عن العمل فانقطع··· ولما حان وقت الالعاب الاولمبية سافر الى اثينا فشاهد الالعاب وتمتع برؤيتها وزار آثار اثينا وبلغنا انه نظم شيئاً قليلاً في البحر ومثله عند رؤيته الاكروبول· غير انه يضنّ بالنظم ليظهر في الجزء الثاني من ديوانه الذي سيصدر قريباً

***

اما مراسحنا فعلى ما كانت عليه ولا زلنا نشاهد الروايات القديمة التي مجتها نفوسنا وسئمتها اذواقنا· وليت الشيخ سلامه حجازي الذي يُنتظر منه ترقية هذا الفن يعمل ما عمله صاحب الملعب المصري فان هذا يمثل الان على مرسحه روايات جديدة بعضها حسن مقبول· ولكن مزيته انه في كل شهر او شهرين يمثل رواية جديدة

ومن هذه الروايات رواية ابنة حارس الصيد وهي منقولة عن الفرنسوية بقلم جناب الياس

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تلقى عليها معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة . وقد نشرنا في هذا الجزء « رسالة مصر الاولى » (١)

رسالة مصر

الالفة بين الصحافيين . اخبار الادباء . حافظ ابرهيم . المراسح والروايات التمثيلية . رواية ابنة حارس الصيد

سألتني الجامعة ان اكتب لها من القاهرة عن اخبار الادباء واني اشكر الادباء لانهم ملأوا حقيبتي باخبارهم . الا انني احار في الابتداء والانتقاء

في الخامس من هذا الشهر (٢) اي يوم الاحد الماضي اجتمع خمسة عشر كاتباً من كتاب الصحف واحد من المؤيد واثنان من الاهرام واثنان من الظاهر وصاحب جريدة حكمت الفارسية وصاحب جريدة التمدن الاسبوعية ومؤلف كتاب اشهر مشاهير الاسلام وكاتب « دفاع بلفنا » و « تاريخ حرب اليونان » وصاحب جريدة « الكلمة الحرة » وواحد من المقطم وصاحب جريدة النيل — اجتمع كل هؤلاء الكتاب المختلفون في المشارب والمذاهب والمبادىء على ظهر باخرة قامت بهم من روض الفرج الى القناطر الخيرية وهبّ عليهم نسيم الصباح الذي ينعش الافئدة ويعيد القوة الى الاجسام . فقضوا ساعتين في النيل وصلوا بعدها الى حدائق القناطر الخيرية التي وصفها احد سياح الافرنج بانها جنة على الارض وانها اجمل من غوطة دمشق . فجلسوا تحت شجرة كبيرة اظلتهم جميعهم وعقدت

---

(١) عهدنا الى احد الكتاب الافاضل في مصر من اصدقاء الجامعة ان يبعث اليها في كل شهر او نصف شهر برسالة وجيزة تكون عبارة عن تاريخ لحوادث مصر الادبية في كل شهر وهذه رسالته الاولى . وسيرى القراء من رسائله وسلامة ذوقه فيها ما يدلهم على ان الجامعة قد اكتشفت لهم هذا الكاتب الجديد اكتشافاً كما يُكتشف المعدن الثمين (٢) مايو « ايار » اذ وصلتنا هذه الرسالة قبل وصولنا الى نيويورك

ستنقل عظام روسو من البانثيون وتطرحها في نهر السين » — قلت فتأمل البون الشاسع بين هذا الرأي والرأي الذي تقدمه واحكم بعد ذلك في ما يجب على البشر من التأني والتساهل والعقل ليعيشوا معاً بسلام ووداد دون ان يكون لتلك الخلافات العظيمة في الراي والمعتقد تاثير عليهم

ولما اطبقت السجل كتبت فيه بالفرنسوية اسمي واسم الجامعة ووضعت بجانبهما هذه العبارة « حين مروري قاصداً اميركا » ولما كتبتها سمعت صوت بلبل يغرّد على الشجرة وراء النافذة . ذلك ان الفصل فصل ربيع وكان روسو لا يحب شيئاً في الربيع هناك مثل تغريد البلابل . فخيل لي ان بلابل روسو حين كتبت تلك العبارة تقول لي « أقم هنا ولا ترحل » فابتسمتُ واجبتها في نفسي "هذا ممكن في آخر العمر لا في اوله"

ولما عدتُ من البيت الى المركبة التي كانت تنتظرني خارجاً كنتُ ممتلئ النفس غزلاً وشعراً . فاردت قطف وردة او زهرة من الحديقة فلم اجترىء على ذلك احتراماً للبيت . فخرجتُ وبحثت خارج البيت في الطريق عن زهرة احملها تذكاراً لزيارتي الاولى . فوجدت خارج باب الدخول زهراً ابيض جميلاً فمددت يدي وقطفت بضع زهرات منه ما زلت احفظها . فاصابت كفي حين مددتها نباتاً شائكاً بجانب الزهرة فشاكها وآلمها . فضحكت لانه خطر لي حينئذٍ هذا الفكر " جان جاك جان جاك . انك قضيت عمرك وانت تشكو الزمان والناس ومصائب الحياة . فاعلم الآن اننا في هذه الحياة المدنية الجديدة . التي كنت تحمل عليها حملات شديدة . والتي صار فيها « تنازع البقاء » بين الناس عبارة عن صراعٍ بين وحوش عنيده . صرنا نجد الآلام والمتاعب حتى حين قطف الازهار التي نراها في طريقنا

وقد اقمت في شمبيري اربعة ايام . وزرت الاحراش والحقول حول البيت وقرأت للمرة الثانية في ظل اشجارها الظليلة ما كتبه روسو عن تاريخ حياته وإقامته في تلك الجهات وقصته مع خليلته مدام دي وارين وخليلات اخرى غيرها عرفهنّ بعدها . وموعدنا بنشر ذلك جزء تالٍ

اقتراح على الادباء

يُقبل الجواب نظماً ونثراً

في هذا الجزء الصفحة (١٠) السطر ٢٥ في الحاشية الثالثة " مسألة عائلية اجتماعية " تقترح الجامعة على الادباء البحث فيها والجواب عنها نظماً او نثراً . ونشترط ان لا يتجاوز الجواب خمسة اسطر في الجامعة

وما كتبوه · فهناك سجلاًن سجل هذا العام وسجل امتلأ في مدة ثلاثة اعوام · فتصفحتها كلها بدلالة المرأة حارسة المكان وهي سيدة متادبة تحرس البيت هي وحماتها · ثم اخترت منها بضعة اسماء ونقلتها ولو اردت قراءتها كلها لاقمت في البيت اسبوعاً · واليك ما نقلته منها

رأيت في السجل توقيع المسيو « اناتول فرانس » احد رجال الاكاذيمية وهو أشهر كتاب فرنسا اليوم (١) وتحت توقيعه هذه الكلمات « الكرامة لروسو وبرجيره » والتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٠٣ وبرجيره هو بطل كتابات اناتول فرانس · وفي صفحة اخرى توقيع المسيو ريشبين وتحته هذه الكلمات «وانا افتكر في اناتول فرانس» اي وقَّع وهو يفكر فيه تشبيهاً له بروسو · وهناك توقيع الكونتس دي نوايل الكاتبة الفرنسوية المشهورة وفوقه هذه الكلمات « يا عزيزي روسو · يا عزيزي جان جاك · انت الرجل الذي كنت اكثر الناس حباً له والذي اثنيت عليه واحتفلت بأمره اعظم احتفال تحت اسماء متعددة» تعني اسماءها التي تستعيرها للكتابة · — وهناك توقيع بسيط « بول ياسينت لوازون ٢١ اكتوبر سنة ١٩٠٣ »وهو الكاتب المشهور الذي كان كاهناً فرنسوياً وترك الكهنوت · وتوقيع المسيو موريس بارس الذي جُعل في هذا العام عضواً للاكاذيمية الفرنسوية · والبارونة Kharuacé ولعلها اجنبية لا فرنسوية · وبين هذه التواقيع تواقيع لا تحصى (٢) مقرونة بعضها بشعر ونثر اطول وابرد من ليالي الشتاء وبعضها كلام موجز كايجاز العلماء · وجميع ما قرأته منها انما هو تغزل وهتاف لصاحبي المكان · منهم واحد كتب يقول " هنا دماغ فرنسا مصدر الحس ودقة الشعور فزوروا هذا المكان زيارتكم لهيا كل العبادة » ولم اعثر الا على قادح واحد واليك ما كتب " اذا عادت فرنسا الى نفسها يوماً من الايام فانها

(١) ترجمنا له خطبة في الجزء العاشر السنة الرابعة

(٢) وجدنا بينها توقيعين بالعربية احدهما قريب لسعادة بطرس باشا غالي ناظر الخارجية في مصر · ولما ابتسمنا لقراءتهما قالت لنا حارسة المكان « هل المسيو يفهم هذه الكتابة الصينية » فضحكت ولم أجب · وبما ان حمامات اكس لا تبعد عن شمبيري سوى ساعة في القطار وكثيرون من افاضل المصريين يغدون كل عام على تلك الحمامات فغير بعيد ان الذين يذوقون الادب منهم يقصدون بعد اليوم شمبيري من حمامات اكس « ليأخذوا فيها حماماً من الشعر والادب والجمال الطبيعي »

Réduit par Jean-Jaque habité,
Tu me rappelles son génie,
Sa solitude, Sa fierté
Et ses malheurs et sa folie.
A la gloire, à la vérité,
Il osa consacrer sa vie,
Et fut toujours persécuté,
Ou par lui-même ou par l'envie. (1)

وهذه الابيات البديعة نظمتها على ما يُقال مدام دابيناي التي ورد ذكرها كثيرًا في تاريخ حياة روسو وقد نقشها وجعلها هناك هيرو وسيشل في سنة ١٧٩٢ عند ابتداء الثورة الفرنسوية

ولما قرعتُ الجرس المعلق فوق الباب جاءت حارسة المكان . وهي مكلفة في ذلك البيت من قِبل الحكومة باستقبال الزائرين وقبض اجرة الزيارة وقيمتها نصف فرنك عن كل شخص . والبيت طبقتان في الطبقة السفلى غرفتان الاولى غرفة المائدة في وسطها المائدة التي كانا يا كلان عليها وفي خزانة كبرى الى ما وراءها صحون عديدة كانوا يستعملونها . ووراء غرفة المائدة قاعة الاستقبال وفي وسطها مائدة عليها شيء كثير من الصوَر التي نشرناها في هذه المقالة ولا توجد في غير هذا البيت وهي تباع للزائرين . وبجانبها السجل الذي يقيد فيه الزائرون اسماءهم وعواطفهم . وفي الطبقة الثانية من البيت (مُصلًّى) مدام دي وارين وهو مذبح للصلاة مزين بالايقونات والصور وبجانبه غرفتها وهي تشتمل على سريرها وكلة السرير ومرآتها وغير ذلك . وان القطن المحشو به فراشها بادٍ للنظر لتقادم عهده . وارض غرفتها الخشبية قد اكلها السوس والاقدام فلا بدَّ من تجديدها او سترها بطبقة خشبية بعد ١٠ او ٢٠ عامًا . والنظرة من نافذتي غرفة مدام دي وارين الى شمبيري وما حولها من الجبال والاحراش نظرة لم ارَ مثلها في حياتي كلها لا في قمة الاهرام ولا في اعالي الارز وصنين . وبجانب غرفة مدام دي وارين غرفة روسو وفيها سريره الجميل والمرآة التي كان ينظر فيها وجهه . ولم نصف هذه الغرف كلها لاننا اخذنا رسومها وسننشرها في جزء تالٍ

السجل وفكاهاته وكان في البيت سائحان غيري واحد انكليزي وواحد فرنسوي . فلما انتهيت من الزيارة طلبت سجل المكان لاقرأ فيه اسماء الزئرين

(١) ترجمتها — يا بيتًا سكنه جان جاك . انك لتذكرني روحه العظيمة ووحدته وكبرياءه ومصائبه وجنونه . فانه اجترأ على ان يجعل حياته وقفًا للمجد والحقيقة . ولذلك كان تارة يضطهده الناس حسدًا وتارة هو نفسه يضطهد نفسه

فيها فوق رأسي تغرّد احرّك عواطفي وهاج شجني · وكنت ساكتاً مبهوتاً مدة الطريق فكلمني السائق مرتين فلم اجبه الا اشارة · وبعد ٣٠ دقيقة انتهيت الى البيت



بيت روسو
يدعى (Les Charmettes) اي الفتان وسمي كذلك لان النظرة منه في الجبال والاحراش والبلدة تفتن الالباب

فلما صعدت الطريق الضيقة المؤدية اليه ووضعت قدمي في عتبة الباب احسست بقشعريرة في بدني · جان جاك جان جاك هوذا شخص من الف او من مليون اضرته مبادئك وجاء يشكو ضرره لك · منذ ١٥ سنة كنت اتمنى زيارتك وها انذا في بيتك · ولا تسلني هل هذه الزيارة زيارة تثبيت ام زيارة وداع فانني جئتك ضجراً تعباً من خدمة لا يجني صاحبها اذا اخلص النية فيها سوى الاضطهاد والعدوان

والبيت تحيط به حديقة من جانبيه · وامامه حديقة كبرى تزرع اليوم بقولاً · وهو مطوّق في وسطه بشجرة تسمى « لا كليسين » ذات زهر وردي يجعل للبيت هيئة غزلية جميلة · وعلى جداره امام باب الدخول بلاطة نقشت عليها الابيات الفرنسوية التالية

بيتاً فوق شمبيري في الخلاء والفضاء بين الاحراش والطيور. وقد اقام روسو فيه مع مدام دي وارين من سنة ١٧٣٦ الى سنة ١٧٤٠ اي اربع سنوات ذاق في اثنائها السعادة الحقيقية اي المعيشة بسذاجة وراحة في حضن الطبيعة مع نفس كريمة يحبها وتحبه

تاثيرها عليه ان الذين اكرموا بيت روسو ومدام دي وارين هذا الاكرام لم يكرموها لما كان بينها وبين فيلسوف جنيف من الحب والوداد فان هذا عاديّ يكون كل يوم بين الكتاب والشعراء وربات الظرف والجمال . وما برح الكتاب والشعراء خصوصاً مَن كان منهم ارقّ احساساً وادقّ شعوراً اكثر الناس تعرّضاً لهذا الداء الذي يسمونه حباً. وانما اكرموا البيت وصاحبته لما كان لهما من التأثير العظيم على عقل روسو وقلبه. فالوحدة والطبيعة غرستا فيه منذ شبابه بذور الدعوة للرجوع الى الطبيعة المشحونة كتبه بها في كل سطر من سطورها. واخلاق مدام دي وارين الكبيرة كبرت اخلاقه وغيرت مشربه فبعد ان كان فتى منكمشاً منقبضاً مخفض الراس لاعتياده ذل الخدمة معتاداً السرقة في بعض الاحيان كما قصّ ذلك في تاريخ حياته واذا به قد اصبح رجلاً « بكل معنى الكلمة » . وقد قصّ في تاريخه عدة قصص بهذا الشان اليك واحدة منها . لما توفي كلود آنه وكيل اشغال مدام دي وارين بكى عليه روسو بكاء شديداً لانه كان يحبه .. ولكنه في اثناء بكائه فكّر انه قد ورث ثوبه الاسود الجميل فاظهر لمدام دي وارين سروره بذلك. فصعقت مدام دي وارين لهذه العاطفة الرديئة فحولت وجهها وصارت تبكي . فانطرح روسو على عنقها . قال : ومن هذا الحين خرجت الى الابد كل عاطفة دنيئة من نفسي

فيا سحر الحب والوداد انك لتفعل في النفوس ما لا تفعله كل قوات العالم

زيارتي بيت روسو وصلت الى شمبيري في منتصف الليل فنمت بقية الليل في « اوتل البوسطة » ومنذ وطأت قدمي ارض شمبيري صرت احس بحمّى جان جاك تدب في مفاصلي . فقلت غداً سارى البيت الذي نام فيه جان جاك واتفيأ الاشجار التي تفيأها وادوس الارض التي داسها واسمع صوت الاطيار والانهار التي سمعها. فلم انم الا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . ولما انشق حجاب الفجر نهضت مسرعاً فاستاجرت مركبة (١) وسرنا من شارع جان جاك روسو نحو الوادي والاكمة وراءه ويُصعد اليهما في طريق مخططة سهلة . وكانت الساعة السادسة صباحاً والنسيم يداعب اغصان الحرش على جانبيّ والاشجار تظللني في مسيري والطيور الغريبة الصوت الرخيمة الغناء تغرد

(١) الاجرة ٦ فرنكات ذهاباً واياباً مع انتظار ٣٠ دقيقة امام البيت

وتلطفاً فتدعوه هي Mon petit « يا صغيري » . وقد بقي يسميها كذلك حتى في كتبه . فلما رأت مدام وارين ان روسو بلغ العمر الذي يُخشى منه على الشاب ان ينظر الى الجنس الثاني نظراً مخصوصاً جاءته واقترحت عليه اقتراحاً غريباً . قال شاتوبريان الكاتب المشهور : ان روسو رغبةً منه في ان يكتب صفحات متناهية في البلاغة والجمال قد فضح امرأة شرّ فضيحة بما كتبه وفصّله عنها

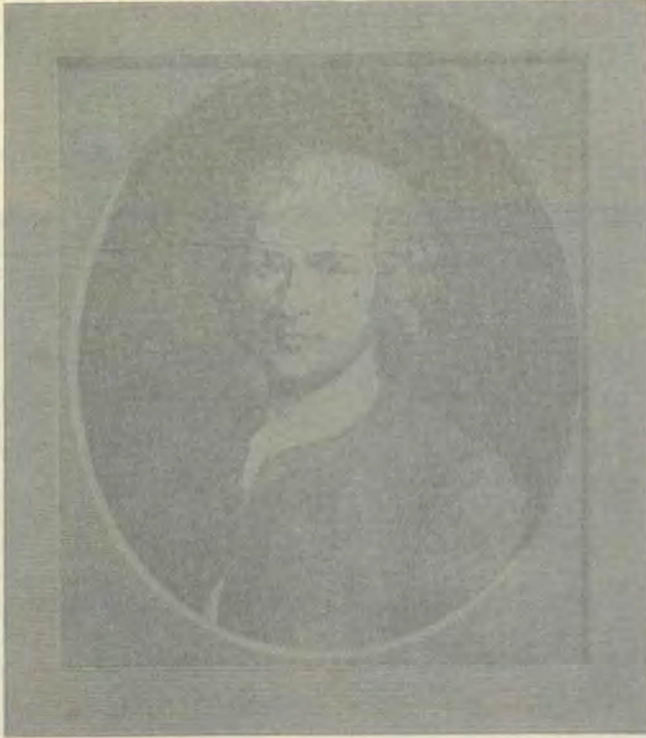
ومن هذا الحين عاش الفتى روسو مع مدام دي وارين معيشة الزوج مع زوجته . ولما توفي كلود آنه اصبح الفتى روسو صديقها الوحيد



روسو ومدام دي وارين في القاعة

وكانت مدام دي وارين امراة قد اعتادت التبذير واثقلتها الديون فلشدة حاجتها الى المال صارت تشتغل « بالكيمياء القديمة » نعني انها كانت تطلب تحويل المعدن الدنيء معدناً ثميناً . فصار بيتها في شمبيري مقصداً لجميع المشعوذين الذين يدّعون هذا العلم . فرغبة في الفرار منهم ومن سائر القوم الذين كانوا يزعجون البيت وسكانه اقترح روسو على خليلته ان يخرجا من البلدة ويعتزلا الناس في بيت بين الاحراش خارجاً عنها . فذهبا واستاجرا

عرّفه بعض الذين اهتموا به الى مدام دي وارين وارسلوه اليها لتسعى في نفعه. فادخلته مدام دي وارين بيتها واهتمت لامره فوصل روسو الى يدي مدام دي وارين ونفسه مشوّهة تشويهاً قبيحاً ذكره في كتبه ولكن جسمه ومنظره كان لطيفاً مقبولاً. ورسمه



جان جاك روسو في شبابه

الموجود في هذا الفصل هو رسمه بعد دخوله الى بيتها. وكان لمدام دي وارين خادم يدعى (كلود آنه) رفعته من درجة الخدمة الى درجة الصديق وعهدت اليه زمام بيتها. فلما دخل روسو الى البيت ادرك ما كان بينها وبين وكيل اشغالها من «الصلات الخصوصية» وكان بيت مدام وارين مقصداً لاكابر الرجال والقواد الذين كانوا يمرّون بشمبيري في اثناء الحروب بين فرنسا وسردينيا والامارات الايطالية لان شمبيري على الحدود بين فرنسا وايطاليا. وكانت مدام وارين تعيش في بيتها بين اولئك الاقوام الذين يترددون عليها لخطبة صداقتها ووادها معيشة رجل لا معيشة امرأة. وقد اعجبها روسو ولطفه الصبياني كما اولع هو بها اول ما وقع نظره عليها. وكان يدعوها «ماما» Maman اي «يا اماه» تحبباً



مدام دي وارين

ولما عرف روسو مدام دي وارين كان في السابعة عشرة من عمره وكان ضعيفاً ضئيلاً طاردته المصائب واذله الفقر. فانه استُخدم اولاً في محل «مسجّل» ثم عند نقاش وكان فكره المطلق ورغبته في المطالعة يزهدانه بهذه الصناعة . ففرَّ من جنيف مسقط رأسه (١) واستخدم في منازل الكبار كخادم ودخل احد الاديرة ليصير راهباً. وما زال تائهاً طريداً حتى

---

(١) لم يكن روسو فرنسوياً بل جنيفياً وقد قال عن نفسه في تاريخ حياته انه تلقى حب الحرّية والجمهورية من تراجم فلوطرخس وجمهورية جنيف وطنه



مدينة شمبيري Chambery

« جبل نيفوله » Nivolet نصب عليها صليب علوه ١٨ مترًا ولكنه يظهر فوق المدينة كأنه بقدر شبر لارتفاع الجبل اذ يعلو ١٥٥٨ مترًا عن سطح البحر . وبيت روسو فوق هذه البلدة الى شمالها وهو في وادٍ مشرف على البلدة مقابل جبل نيفوله (انظر يمين الرسم في الحرش)

قصتهما ليس الغرض في هذا الفصل ان نبسط ترجمة روسو ونذكر شيئًا من تاريخ حياته . فان فيلسوفًا كبيرًا كهذا الفيلسوف الذي ازعج الارض كلها بمبادئه وافكاره لا يمكن ان يترجَم في فصل او فصلين . فنرجىء الآن ترجمته وتلخيص مبادئه وكتبه الى فرصة اخرى . وسنبتدىء ذلك في الجزء التالي اذ نلخص فيه ما كتبه عن مدام دي وارين ومعيشته معها في شمبيري . اما الان فنقتصر على ما يلي لاطلاع القارىء على لمحة من قصتهما

كانت مدام دي وارين سيدة من النبلاء يُعرَف ذلك من اسمها . وكانت بروتستنتية فلما تركت مذهبها واعتنقت الكاثوليكية جعل لها الملك راتبًا تقبضه شهريًا وكانت تعيش في بلدة شمبيري لما قصدها صاحبنا روسو . ولسنا نصف هذه المرأة لان روسو في كتاباته سيصفها وصفًا دقيقًا وانما نقول انها لما كانت متزوجة اتخذت رجلاً يدعى المسيو دي تافل معلماً يعلمها الفلسفة . وكانت شديدة الامانة لزوجها فلما رأى هذا المعلم الشقي (كما يسميه روسو في كتابه) تدرعها بدرع الامانة الزوجية وعجزه عن افساد قلبها لاستمالتها واجتذابها اليه عمد الى طريقة اخرى تمكّنه من مراده فصار يصدم « عقل » المرأة بدلــ صدمه « قلبها » اي انه صار يلقي عليها مبادىء تحلّ مبادئها وتفسد عقلها حتى تمكن منها وابطل اعتقادها القديم في الواجبات الزوجية والعائلية مما لا محل لبسطه هنا

الذين يركبون القطار معي من محطة الى محطة . اما باريز فحدث عنها ولا حرج . فقد وفقني الله فيها الى صديقين اطلعاني منها في اسبوع واحد على امور ما كنت لاطلع عليها وحدي في شهر . فمتى كتبتُ هذه السياحة التي استغرقت شهرًا تقريبًا وجد فيها القارئ من المعلومات المفيدة والملاحظات الاجتماعية والطبيعية والادبية ما يلذّ ويفيد . وحسبك نوادر وحوادث السفر في الباخرتين من الاسكندرية الى مرسيليا ومن الهافر الى نيويورك . وسابدأ بها في الجزء التالي

اما الان فاقتصر في هذا الفصل على زيارتي لبلدة شمبيري التي هي من اهم حوادث سفري وقد قصدتها خاصةً مع انها تبعد ٥٩٢ كيلومترًا عن باريز

عهد منذ ١٥ سنة قال الفيلسوف تولستوي لبعض محدّثيه : كنت في شبابي اعتبر جان جاك روسو الهًا واعبده عبادة . وقد علقت صورته بعنقي كما تعلَّق صور القديسين . قلتُ وقد اولعت في زمن الشباب — وهو زمن صرتُ اراه بعيدًا وان لم يكن ببعيد — بمطالعة كتب روسو ولعًا شديدًا . ولما قرأت كتابه « الاعتراف » ورأيت فيه وصفه لبلدة شمبيري ومعيشته في بيت فيها هو وحبيبته مدام دي وارين وبسطه قصته معها ببلاغة كبلاغة الآلهة تحركت نفسي شوقًا الى ذلك الوادي والحرش والبيت الذي وصفه المؤلف وقلت في نفسي انني عند اول مرة تطأ فيها قدمي ارض فرنسا ساقصد بدون شك بلدة شمبيري لزيارتها وزيارة الوادي الذي عاش روسو فيه مع حبيبته . فهناك مصدر الغزل والحب والشعر . هناك الحرَم المقدس الذي لجأ اليه الفتى روسو من مصائب الدهر فوجد فيه نفسًا كبيرة في جسم امرأة ناشزة خرجت عن الطريق القويم فاستمدّ كبر نفسه من نفسها وعظمته من عظمتها . فكوّنت معيشته معها بين الاحراش والازهار في وسط الطبيعة بمعزل عن الناس روحه تكوينًا جديدًا وجعلتها كما ظهرت بعد ذلك في كتبه التي قلبت وجه العالم وغيرت افكار البشر في الارض لان انفجار الثورة الفرنسوية يُعزى اليه

شمبيري شمبيري بلدة عدد سكانها اليوم ٢٢ الف نفس وهي مركز مقاطعة السافوى . ومقاطعة السافوى هذه كانت من قبل ملكاً لعائلة سافوى المالكة اليوم في ايطاليا واليها نُسبت هذه العائلة ولكنها ضُمت الى فرنسا في سنة ١٨٦٠ . واشهر ما في المدينة متحفها وكنيستها وعلى الاخص القصر الملكي الذي كان يسكنه آل سافوى لما كانت شمبيري عاصمة لامارتهم . وهي قائمة في وادٍ منفرج تحيط به جبال الالب من كل الجهات تكتنفها الاحراش والطبيعة من كل صوب . فكأنها جعلت هناك للجمال والحب . وفوقها قمة

خمس عشرة سنة [1] ما لا يصنع العقل وحده في خمسة عشر قرناً »

وفي الجزء التالي سننشر تتمة هذا التمهيد لذي نبسط فيه تاريخ صلات الجامعة بالاستاذ ثم ننتقل الى النظر في مبادئه وارائه واعماله وصفاته ونقارن بينها وبين مبادىء استاذه جمال الدين

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

حب روسو ومدام وارين

(زيارة صاحب الجامعة بيتهما في شمبيري)

الذي ابتاعته الحكومة وجعلته مزاراً عمومياً يقصده السياح من اوروبا واميركا

سياحة صاحب الجامعة لقد شاهدت في سياحتي من الاسكندرية الى نيويورك مشاهد عظيمة ورأيت اموراً بديعة وخطر لي في اثنائها افكار كثيرة الا ان فكري لم يسترح بعد لتقييدها وتسطيرها على صفحات الاوراق . فقد زرت في سياحتي هذه مرسيليا ومعرضها الاستعماري العام وشاهدت الاقسام المراكشية والجزائرية والتونسية فيه . ثم زرت باريز وليون وكرنوبل وشمبيري وفالانس وكيلوس وحمامات اكس . وقد قطعت مقاطعة السافوى البديعة التي هي درة في عقد البلاد الفرنسوية من اقصاها الى اقصاها . ومررت فيها بين مضائق جبال الالب البديعة وسط تساقط المطر ولذع البرد وخرير الانهار وصفير البخار . فكنت في القطار كالمأخوذ انتقل من نافذة الى نافذة وانا اقول : هذه جنة الله في الارض . واحياناً اتعمد نسيان نفسي في القطار فجرى بي مرة عشرين ساعة وانا ألاحظ البلاد كأنها بانوراما تنبسط امامي الى ما شاء الله وادرس احوال الناس

(١) لما نشر هذا الرأي في الجامعة واطلع عليه احد جواسيس الاستانة جاء يسالنا (الا تظنون ان محمد عبده يريد بهذه المدة « ١٥ سنة » المدة التي مرّت على ملك جلالة السلطان) فضحكنا وقلنا له (اذهب واستنطقه ولا تستنطقنا)

والحرية » فكتب الاستاذ الينا الكتاب التالي

عزيزي الفاضل

قرأت الجامعة عددها الثالث فاذا كله حسن واحسنه الكلام في خير الامرين منحة الحرية للشرقيين قبل ان يستحقوها او اعدادهم لها قبل ان ينالوها . واختياركم الثاني . وقد ذكرني ذلك كلاماً كنتُ اقوله من اثنتي وعشرين سنة وهو تاريخ حركة اذهان الشرقيين في شؤونهم واحساسهم بما وصلوا اليه وما سيقبلون عليه . فاستحسنت ان ابعث به اليكم حتى اذا رايتم نشره في العدد الرابع نشرتموه على انه كلام سُمع عني وحفظه بعض اخواني كما هي الحقيقة لا على اني بعثتُ به اليوم لان الناس يعلمون اني لا اراسل الجرائد وليس فيما تذكرونه من ذلك شيئاً (كذا) يخالف الحقيقة . وهذا هو ما سبق قوله

وهنا اورد شذرة في عشرين سطراً من كتابته الدقيقة المرصوصة المتماسكة كانها دبيب النمل . وخلاصة رأيه ان الشرق لا ينهض الاَّ برجل (مستبدّ عادل) يفعل ما فعله بطرس الاكبر في روسيا ومحمد علي في مصر مثلاً . ومما ذكره في هذا الرأي :

« انما ينهض بالشرق مستبد عادل . (مستبد) يُكره المتناكرين على التعارف ويُلجئ الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف . يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة . (عادل) لا يخطو خطوة الاَّ ونظرته الاولى الى شعبه الذي يحكمه فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية . فهو لهم اكثر مما هو لنفسه

« يكفي لابلاغهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة وهي سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الوليّ الصالح ويشتد حتى يصرع من يصارعه . (الى ان قال) حتى اذا عرفت الافكار مجاريها بالتعريف . وانصرفت الى ما أُعدت له بالتصريف . وصحّ الشعور بالتعليل . واستقامت الاهواء بالتعديل . أُباح لهم من غذاء الحرية ما يستطيع ضعيف السنّ قضمه والناقه من المرض هضمه . واول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلدية ثم بعد سنين تأتي مجالس الادارة لا على ان تكون آلات تُدار بل على ان تكون مصادر للاراء والافكار . تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية . نعم لا يتيسر لرجل واحد ان يشهد الامر من بدايته الى نهايته ولكن الخطوة الاولى هي التي لها ما بعدها ويكفي لمدها خمس عشرة سنة (وما هي بكثير في تربية أُمة فضلاً عن أُمَّة) . هل يُعدم الشرق كله مستبداً من أُهله . عادلاً في قومه . يتمكن به العدل ان يصنع في

حين كنا نعدُّ كتبنا وقع في يدنا كتاب « الردّ على الدهريين » تأليف السيد جمال الدين الافغاني المشهور الذي ينسب اليه معظم الفضل في يقظة مصر الادبية في هذا العصر . والكتاب مترجم من الفارسية بقلم الشيخ محمد عبده ومساعدة احد مجيدي الترجمة . فاخذنا الكتاب لنطالعه في الباخرة ولما أتينا عليه ادهشتنا فيه امور ما كانت تخطر لنا ببال . فعزمنا يومئذٍ على ضمّ السيد جمال الدين الافغاني الى تلميذه الشيخ محمد عبده في كلامنا عن ترجمة الشيخ ومبادئه . وبذلك يصبح الكلام في كبيري علماء الاسلام في العصر الاخير : الافغاني ومحمد عبده

ولما كنا لم نعدّ الى الان جميع المواد التي يقتضيها هذا البحث المهم فقد ارجأنا الشروع فيه الى الجزء التالي . اما الآن فاننا نذكر طرفاً من تاريخ صلات الجامعة بالشيخ محمد عبده قبل المناظرة في مسألة ابن رشد وبعدها . لاننا نرجح انّ قراء الجامعة الذين تتبعوا تلك المناظرة التي كان لها ذلك الدويّ البعيد في جميع أنحاء العالم العربي يلذ لهم ان يقفوا على شيء من ذلك . لا سيما وان آثار اعاظم الرجال حتى اصغر اعمالهم واقوالهم ورسائلهم ينبشها الغربيون من مطامرها بكل الطرق الممكنة . وما كل يوم في الشرق رجل كمحمد عبده

لم نجتمع قط بالشيخ محمد عبده الا انه دارت بينه وبين الجامعة رسائل تبلغ العشرين . واول رسالة كتبها بعد صدور الجزء الاول من الجامعة اول ظهورها . فانه لما اطلع على الجزء الاول عهد الى صديق له في الاسكندرية من اكابر المصريين ان يبلغ الجامعة رضاه عن خطتها وعن مشربها فبعثتُ اشكره على التفاته هذا اليها . فورد منه الجواب التالي

حضرة الفاضل المحترم فرح افندي انطون

لا تأخذ عليّ في الابطاء بالاجابة فمن الشواغل ما لا يذكر . وقد يمنع عن الجواب واكبر . تذكر ثنائي على مشرب الجامعة وانما يثني على العامل عمله . ويحدّث عن الفاضل فضله . ورجائي ان يتمّ لك ما احسنتَ قصده . وان يصحبك النجاح فيما وجهت عزمك نحوه . والسلام

محمد عبده

١٩ ابريل سنة ١٨٩٩

ثم صدر الجزء الثالث من الجامعة لسنتها الاولى وفي صدره مقالة عنوانها « الاخاء

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغاني

ما بين مبادىء الشيخين من المشاركة · ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادىء العلم الحديث · امتياز محمد عبده على الافغاني بهذا الشان · تاريخ صلات الجامعة بمحمد عبده · رايه في نهضة الشرق

تمهيد

١

لما توفي العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية السابق أبنته جميع الجرائد العربية في جميع انحاء المعمورة تأبيناً يليق بمثله · وكان كثيرون ينتظرون تأبين « الجامعة » ورأيها في مبادئه واعماله لما قام بينها وبينه رحمه الله تعالى من الخلاف والمناظرة في مسألة « ابن رشد وفلسفته » · وبما ان هذا هو اول جزء من الجامعة يصدر بعد وفاة الاستاذ فقد راينا ان نجيب طلبهم وطلب التاريخ الذي يقضي بالنظر في آثار واعمال مشاهير المتقدمين ليُتخذ منها عبرة وعظة للمتأخرين · وقد قيل ان الرجل العظيم كالجبل العظيم فما دمتَ قريباً منه يظهر لك صغيراً فاذا بعدَ عنك بدا لك عظيماً جليلاً

وقد اسدل الستار على محمد عبده منذ زمان ورعى الدود جسمه الضعيف دون ان يقدر على الوصول الى روحه الخالدة في بطون الصفحات التي سطرها والفتاوى التي أفتى بها ومشروعات الحكومة التي كان من مساعديها ونفوس تلامذته ومريديه الذين قال عنهم اللورد كرومر في تقريره الاخير انهم حزب له وانه اذا نما هذا الحرب فانه ينفع مصر والاسلام نفعاً عظيماً · فغرضنا الان في هذه المقالات المتسلسلة بعد وفاة (الشيخ الرئيس) — وهو جدير بهذا اللقب كابن سيناء لان محمد عبده حلَّ محله في العالم الاسلامي في هذا العصر — قلنا غرضنا ان نبحث في هذه المقالات في مبادىء الشيخ محمد عبده واعماله وفلسفته بحثاً يعرّف الرجل الى قراء اللغة العربية حق المعرفة شخصياً وعلمياً ودينياً واخلاقياً · وقد كان هذا الامر في نفسنا منذ زمان · فاتفق انه قبل ركوبنا الباخرة في الاسكندرية

لم يكن يقتضي الكثير من الوقت لندعوه عالماً علاّمه
ماهر في الحديث سامعه يصغي طويلاً ولا يملّ كلامه
لا انتقام لا حدة عنده لا غيبةٌ لا تذمرٌ لا ملامه
جامعٌ من مروءة ووفاء من اباء وعفةٍ واستقامه

***

نحن ندري بانه ليس يرتاح الى المدح وهو ليس مرامه
فلقد قال انه واقف في خدمة الشعب سعيه واهتمامه
وعرفنا من المجلة في مصر رجاه وشانه ومقامه
ولئن نام مع مجلته ابس مطيلاً نوامها ونوامه
فبعيد القليل ننظره في عالم الصحف ناشراً اعلامه
ملكاً يامر الكلام فينقاد الى عرشه بطأطئ هامه
وسنلقاه للصحافة والسلم ونشر العلوم اقوى دعامه

***

وصباح فيه تزاحمت الصحب فلاقاه كلهم بالكرامه
وهجمنا عليه !! يلثمه ها ذا وهاذا يلقي عليه سلامه
وبه قد تمسك الكل حتى اوشك الصحب ان يروموا اقتسامه!
فعلى الرحب ايها الضيف ان الكل يدعو لكم بطيب الاقامه
جئتنا بالسلام فالحمد لله لداعي وصولكم بالسلامه

اسعد رستم



الجزء الثاني — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيو يورك ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ — ٢٤ جماد اول سنة ١٣٢٤

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغاني

ما بين مبادىء الشيخين من المشاركة · ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادىء العلم الحديث · امتياز محمد عبده على الافغاني بهذا الشان · تاريخ صلات الجامعة بمحمد عبده · قبل المناظرة و بعدها

تابع التمهيد

٢

جعلنا صدر الجامعة لهذا المقال للدلالة على اهمية هذا الموضوع · لان الكلام فيه ليس في ترجمة الاستاذ رحمه الله ولا في تاريخ حياة استاذه الافغاني ولكنه على الاخص في بسط مبادئهما وعلاقتها بعضها ببعض من جهة وبمبادىء العلم الحديث من جهة اخرى · وبما ان تأثير الافغاني ومحمد عبده على الشرق واهله تأثير عظيم فالكلام في مبادئهما كلام في النهضة الشرقية ونخصُّ منها الاسلامية في كل بلاد يسكنها اخواننا المسلمون · وسيرى القراء في هذه المقالات المتسلسلة جانبي القوة والضعف في مبادئهما وتعاليمهما لكي لا يستسلموا اليها

بلا بحث ولا تمحيص . وانما نكتب هذه المقالات خاصةً للشرقيين الذين تهمهم الحركة الاسلامية في العالم الاسلامي ويتتبعون تلك الحركة بفكر نشيط . وقد نكون مخطئين في حكمنا في هذين العلاّمتين فان النقد سهل كما هو مشهور . ولكن سواءٌ كنا مخطئين او مصيبين فهذا معتقدنا نبسطه للذين يقرأُون الجامعة ولا غرض لنا كما يعلمون ذلك سوى البحث والتحقيق

وبما اننا ننظر في هذا التمهيد في علائق الجامعة بالاستاذ المفتي قبل المناظرة بينه وبينها وفي علائقهما بعدها فاننا نوجز الكلام هنا في تتمة هذا التمهيد لنصل الى لباب الموضوع

في السنة الثالثة من الجامعة القينا سؤالاً على اهل الفهم والادب وهو « هل النهضة الادبية في الشرق نهضة حقيقية . وماذا يجب فعله لترقيتها » فاجاب كثيرون من ادباء مصر والشام على هذا السؤال اجوبة مختلفة نشرناها في تلك السنة . وقد شرَّف الاستاذ يومئذٍ الجامعة بجوابين على هذا الموضوع الاول في بضعة اسطر قصد به اظهار رضاه عن الجامعة وقد وقَّع عليه هكذا « الفقير الى الله وحده . محمد . . . » وقد قصد بذلك مداعبة ادبية خفيفة لانك اذا اضفت كلمة « عبده » الى كلمة « محمد » كان توقيعه سجعاً . والاستاذ رحمه الله كان ولعاً بمثل هذه المداعبات والنكات الادبية . واما الجواب الثاني فقد كان ضافي الذيول وقد نشرناه في عدة صفحات في السنة الثالثة تحت عنوان « رأي عالم مصري وعالم سوري » وكان العالم السوري جناب جبر افندي ضومط استاذ البيان في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والعالم المصري فضيلة الشيخ محمد عبده المفتي لذاك العهد . انما نتذكر اننا حذفنا من راي الاستاذ عدة اسطر في عدة مواضع لتضمنها قرصاً شديداً لبعض الجرائد المصرية ولعله كان يعني الجرائد التي كانت معادية له . وقد بلغنا ان هذا الحذف ساءه يومئذٍ . ومن هنا انقطعت اخبار الاستاذ عن الجامعة رأساً ولكن كان يبلغنا من عنايته بها وثنائه عليها ما قلدها منةً وفضلاً . من ذلك انه زارنا يوماً احد الاصدقاء وقال : كنت اليوم في « المحافظة » (١) وكان الاستاذ المفتي ضمن حلقة فيها يحادثهم عن الجرائد وتأثيرها واهميتها فسمعته يقول : قد يردني احياناً البريد وفيه عشرون جريدة ومجلة . فلما ارى في بريدي « مجلة الجامعة » فاول ما امدّ يدي اليها وافتحها . وحدّثنا صديق قال « كنت اليوم عند فلان وسمى لنا باشا من اكابر المصريين كان يوماً اقرب المقرَّبين الى الجناب الخديوي واول موظفيه وكاتم اسراره الخاص فسمعته يقول عن الجامعة قولاً ثلج له صدري

(١) **المحافظة دار حاكم الاسكندرية ويسمونه (المحافظ) كما هو مشهور**

فسألته وهل تعرف صاحب الجامعة فقال لي ولكني ابني شهادتي هذه على شهادة الاستاذ المفتي فانه ما جلس في مجلس ودار فيه الكلام عن الصحافة الا واخذ يذكر الجامعة ويثني على استقامتها العلمية والادبية . فكأنه لها اعلان حيّ » — قلنا وهذا هو السبب الذي منعنا من مخاشنة الاستاذ رحمه الله في اثناء المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » وجعلنا نضرب صفحاً عن تحريض المحرّضين على فضيلته . فاننا لم نجد من الوفاء والادب ان نجزي الاحسان بالاساءة . واذا كان الاستاذ اساء الى الجامعة مرة فقد احسن اليها مرات

ثم كانت المناظرة في « ابن رشد وفلسفته »

واصلها ان الجامعة بدأت تستخرج فلسفة العرب وتترجم اكابر فلاسفتهم وعلمائهم لتجمع تراجمهم في كتاب يكون فريداً في اللغة العربية . لانه مما يُستحيى منه ان لا نعرف نحن ابناء اللغة العربية شيئاً من تاريخ ومبادىء اساطين هذه اللغة مع ان فلسفتهم ومبادئهم نُقلت الى جميع لغات العالم المتمدن . فافتتحنا عملنا بترجمة ابن رشد في الجزء الثامن السنة الثالثة . فوجد قراء الجامعة في مصر على الخصوص ان هذه الطريقة التي اخذت الجامعة تترجم بها فلاسفة العرب وتلخص فلسفتهم بحرّية مطلقة من كل قيد طريقة جديدة مستحبَّة . فكان لذلك الفصل شيء من الدويّ . ففي ذات يوم ونحن نعدُّ ترجمة الامام الغزالي لنشرها كما نشرنا ترجمة ابن رشد واذ وردنا كتاب من مصر يقول مرسله فيه : ان الاستاذ المفتي كان في الاسكندرية وقد بعث اخاه يسألكم زيارته فلم يجدكم في الادارة فعاد الى القاهرة دون ان يراكم وغرضه من رغبته في مشاهدتكم هو ان يسألكم هل تريدون ان تنشروا في الجامعة ردًّا له طويلاً على المقالة التي نشرتموها في « ابن رشد وفلسفته » وهو الان يسألكم بواسطتي هذا السؤال . فاذا شئتم نشر الردّ فاخبروني لانسخه وابعث به اليكم

فلما قرأت هذا الكتاب (عصبت رأسي) كما يقول العامة لانني ما كنت احب ان يردّ الاستاذ رحمه الله على الجامعة في مسالة اسلامية وان كنت لا اجهل الفائدة التي تعود على المجلة من تنازل فضيلته للردّ عليها . الا انني لم اتعلم قط الفرار من البراز ولو كان الداعي اليه الامام علي افرس الفرسان . فاجبتُ ايجاباً وكانت المناظرة التي يعرفها القراء وهي بين ايديهم (١) ولم يقع للاستاذ مناظرة رنانة اخرى في مصر سوى مناظرته مع المسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسوية السابق في مسالة شرقية تافهة في ذاتها . وفي هاتين

(١) راجع كتابنا (ابن رشد وفلسفته)

المناظرتين قال شاعر الاستاذ الصديق حافظ افندي ابرهيم غفر الله له :

وانتَ لها ان قام في الغرب مرجفٌ وانتَ لها ان قام في الشرق مرجفُ

حافظ حافظ . انك لم تحاسب نفسك لما نظمتَ عجز هذا البيت

وقد اهتمّ العالم الاسلامي والشرقي في مصر وخارج مصر بهذه المناظرة والاخرى اهتماماً لم يرَ لمناظرة غيرهما في الشرق . فبعث حاكم الجزائر يطلب الاشتراك في الجامعة وكتاب ابن رشد . وكذلك سلطان زنجبار وبعض المستشرقين في الاستانة وفرنسا . ولم يدخل كتاب ابن رشد الى العالم المستشرق في المدرسة الفرنسوية في الاستانة الا بطريقة مضحكة . فانه عين لنا عنواناً في مرسيليا ارسلنا الكتاب بموجبه ومن مرسيليا أُرسل الكتاب اليه في الاستانة ككتاب فرنسوي لان البوسطة الفرنسوية في مصر سامحها الله لا تقبل مطبوعات عربية للاستانة . ولست اذكر هنا تاريخ كتابتي هذا الكتاب ولا طريقة كتابته فراراً من الاطالة فاكتفي بان اقول ان جميع قواي وحواسي تجمعت في مدة ثلاثة اشهر ليلاً ونهاراً في موضوع واحد . فقلّ نومي وانقطعت قابليتي للطعام . وما سطرت آخر سطر فيه حتى انطرحت في الفراش لحمّى شديدة عرتني . فكأن جميع قواي التي كنتُ استحثها على العمل قد نفدت و رزحت اول ما علمت انها فرغت من عملها ولم يبقَ عليها شيء منه . وكان ظهور هذا الكتاب عبارة عن انفجار قنبلة في العالم العربي . قال لنا مراسل جريدة اسلامية كبرى في الاسكندرية انه لقي فضيلة قاضي الاسكندرية السابق فقال له انه في التشريفات الخديوية التي وقعت بعد ظهور هذا الكتاب باسبوع واحد لم يكن للناس من حديث سوى امر هذا الكتاب والمفتي . وان « الكتاب دي سيروّح مفتينا بداهيه » كذا قال . والصحيح ان خصوم فضيلة المفتي اغتنموا فرصة هذه المناظرة لتحريض الجناب الخديوي عليه حتى ان الجامعة نفسها وردها تحريض من بعضهم . فانه في اثناء المناظرة لما رأى خصومه اننا لا نواجهه الا بكل اكرام واحترام بعثوا الينا بالكتاب التالي وعليه طابع بوسطة الازهر وهذا نصه بحرفه

حضرة الفاضل الاديب

ان للجامعة لدينا منزلة رفيعة ومقاماً شريفاً ونتمنى لها الدوام والارتفاع وانا نأسف كل الاسف ان اقرانها في المناظرة الحالية يدسون لها السم في الدسم ويوسعونها حسداً وبغضاً في زي صداقة وتعظيم وهي تزيد عملهم هذا تأثيراً بتعظيمها لاقوالهم وتقديسها لآرائهم و يعلم الله انها اقوال لا يقولها الصبيان لا أعظم فلاسفة الزمان كما تقول الجامعة وقد اردنا

بهذه الكلمات استلفات نظرها الى امر ربما فات عليها وساق الضرّ اليها

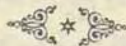
وان انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

(احد القراء)

فمن لهجة هذا الكتاب تقف على مبلغ النزاع والخصام الذي كان بين المفتي وخصومه حتى من اهل الازهر نفسه . وسترى عند تحليل مبادىء المفتي ومبادئهم انه لم يكن كل الحق في جانب المفتي وحده

اما كيف انتهت المناظرة ولماذا انقطعت بغتةً ولم يرد بشأنها كلمة في الجامعة بعد كتاب (ابن رشد) فسببه اننا لما رأينا انه كاد يتسع الخرق على الراقع وجدنا من اصالة الراي اما اقفال الباب قطعياً واما توسيع الخرق توسيعاً تاماً . فطبعنا كتاباً مفتوحاً الى فضيلة المفتي ثلاثة الاف نسخة في ١٦ صفحة بحجم الجامعة وتركنا نسخة من هذا الكتاب تصل الى فضيلة الاستاذ قبل توزيعه واشترطنا للعدول عن توزيعه ان يعدل بعض اخصائه عن الشتائم التي كان يوجهها الى الجامعة . فبعث فضيلته بالحال كبيراً يعتمد عليه في الاسكندرية لايقاف توزيع الكتاب . فشرّف سعادته ادارة الجامعة بزيارة منه لايقاف توزيعه على ان يُقفل هذا الباب . فرضينا شاكرين لفضيلة المفتي عقله واصالة رأيه . ولو نُشر هذا الكتاب المفتوح الذي لم يبقَ لديَّ الاَّ نسخة واحدة منه لانني احرقته فربما كانت عاقبته سيئة جداً

وسيرد في الجزء التالي ما دار بين فضيلته والجامعة من الرسائل بعد هذه المناظرة . وفي بعضها ابحاث اجتماعية مفيدة وفي بعضها للجامعة منه رحمه الله وخزات شديدة



حال السوريين في دار هجرتهم

لما وصلنا الى نيويورك ورأينا ما عليه السوريون فيها من اليسر وصلاح الحال رغبنا في كتابة فصول طويلة توقف قراء الجامعة خارج اميركا على احوال اخوانهم فيها وتطلعهم على ما يجهلونه من ارتقائهم . الاَّ اننا لما كنا لم نقم بعدُ وقتاً كافياً لاختبار ما نريد الكتابة فيه فقد عهدنا لاحد افاضل المهاجرين ان يكتب لقراء الجامعة خارج اميركا فصلاً اجمالياً في هذا الموضوع وهذا هو الفصل الاجمالي . وفي الجزء التالي سنبدأ سلسلة فصول صغيرة نذكر في كل فصل منها حالة تجارة السوريين وثروتهم وطرق شرائهم وبيعهم وامتداد معاملاتهم واهمية متاجرهم وتاريخ تأسيسهم محالهم التجارية واصحاب الفضل في تأسيسها هذا غير وصف هيئتهم الاجتماعية وامور معاشهم وعلائقهم بعضهم ببعض من جهة وبالاميركان من جهة اخرى . وبذلك تكون الفصول التالية تاريخاً لحالتهم الاجتماعية اليوم التي تسرّ ولا شك اخوانهم خارج هذه البلاد

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها ولكنَّ اخلاق الرجال تضيقُ

لم تضق سوريا باهلها ولا نضب ماؤُها القراح ولا افلت شمسها الساطعة ولا تكدَّرت سماؤُها الصافية الجميلة ولا ثقل نسيمها اللطيف فهي كما كانت منذ القديم ولم تزل الى الان عروس الدنيا مناخاً وهواءً . ولكن اخلاق رجالها ضاقت لاسباب يطول بنا شرحها وربما كان لا يوافق ذكرها هذا المقام . ضاقت اخلاق رجالها اذ قلَّت موارد الرزق . ضاقت اخلاق اهلها بعد ما رأَوا وسمعوا عما في بلاد الناس من ضخامة العمران وغزارة الثروة وما رأَوا حولهم من ضيق الدائرة فطلبوا الفرَج وضربوا في بلاد الله فوطئت اقدامهم كل ارض

على وجه البسيطة حتى قارتي اميركا الشمالية والجنوبية فوجدوا في الاولى ما لم يجدوه في غيرها من البلدان المتمدنة · وجدوا فيها الثروة الطائلة والمقام الشخصي الذي انكرته عليهم بلادهم الاصلية فوطنوا انفسهم على الاقامة فيها

بدأَت المهاجرة منذ نيف وخمسة وعشرين عاماً وكانت في بادىء عهدها مقتصرة على افراد طلبوا الرزق من وراء الاسفار فركبوا اخطارها وتجشموا مشاقها وعادوا بالغنائم · فاستلفت نجاحهم ابصار جيرانهم ومعارفهم فحذا هولاء حذو اولئك وعاد الآخرون بما عاد به الاولون فاتسعت دائرة طلاب الرزق من الاسفار وكثر عددهم واخذ بالتضاعف كل عام حتى بلغ الان الجمع العرمرم · فلم تبقَ مدينة ولا قرية من مدن وقرى سوريا ولبنان الا وهاجر من اهليها العدد الاكثر · غير ان المهاجرة التي كان القصد منها في بادىء الامر ازدياد الثروة لم يقتصر نجاحهم فيها على هذا فقط بل زادتهم تمدناً وعلماً وساوتهم بالقوم الذين كانوا سبقوهم شوطاً بعيداً في مضمار الارتقاء الادبي والمادي وبكلمة اخرى ان المهاجرة رقَّت القوم مادياً وادبياً فادركوا معنى الحياة من حيث التمتع بجميع الحقوق الادبية والمدنية والسياسية

وفي الخمس والعشرين سنة التي مضت على المهاجرة بلغ من شأن المهاجرين السوريين انهم اقتبسوا عوائد القوم الذين سكنوا بينهم وتخلقوا باخلاقهم الى درجة مدهشة جداً حتى انه ليحسبهم القادم الجديد من اخوانهم انهم غير قومه الذين عرفهم من قبل ونشأ بينهم ويحسبهم الاميركي افراداً من افراده نظراً لانتفاء الكلفة في جميع تصرفاتهم الاجتماعية والتجارية · وليس الفضل في ذلك لذكاء السوري وحدَّة ذهنه كما ادعى كثيرٌ من كتابه ولكن الفضل كل الفضل للبلاد التي احتلها وللرجال الذين خالطهم من اهلها · وليس السوري بالمهاجر الوحيد الذي ارتقت احواله وسمت افكاره في اميركا ولكن هناك غيره من جميع شعوب الارض فيما عدا الصيني الذي افرزته صورة وجهه فلم يستطع معها الامتزاج الاجتماعي ببقية الاقوام ووقفت صفرته حاجزاً حصيناً بينه وبين الجنس الابيض · الا انه دون شك قد ترقى في مداركه وان كان ترقيه اقل من ترقي غيره واكتسب من المجاورة معرفة قوة الاتحاد والتضافر ودليلك على ذلك ما قرأناه ونقرأه عن قيام البوكسر على الاجانب في بلاد الصين وعن الاعتصاب لمنع المتاجرة بالبضائع الاميركية يوم سدت في وجوههم ابواب الدخول الى هذه الولايات

ربما يعارضني بعضهم اذا رأَوني نفيت نسبة ارتقاء السوري الى ذكائه ولكنني تعوَّدت

ان اتحاشى الادعاء الفارغ ولست في كلامي بمنكر نباهة السوري وذكاءه ولكنني اقول ثانية ان الفضل في ترقيه عائد الى البلاد التي احتلها ورجالها الذين خالطهم . لان نفوذها بلغ من العظمة والتأثير انه لا يترك مجالاً للغريب في البقاء على عوائده المستهجنة مهما كانت متأصلة فيه لان الاقتداء من طبيعة الانسان . الا ترى ان الطفل يتبع امه عاملاً عملها والصبي ينتحل عوائد ابيه والرجل يقتفي آثار رفاقه . وتلك سنة في الكون لن تجد لها تبديلاً ويسمونها (سنة الارتقاء) وهي ان يُنسخ الشيء صالحاً او غير صالح بما هو اصلح منه

ومن ذا الذي ينكر تأثير البلاد على المهاجر وهو غريب حملته باخرة لا يعلم من اسرار بنائها شيئاً سوى انها تشق عباب المياه اخترقت به بحراً كبيراً وفي نهاية اسبوع القت مرساتها امام مدينة عظيمة هي نيويورك . فنظر واذا ببنيان تناطح السحاب مشيرة الى قدرة الانسان العظيمة وقطارات ملأى بالخلق تخترق قلب المدينة العظيمة من اقصاها الى اقصاها ومركبات فوق الارض وتحت الارض وملايين من الخلق في ذهاب واياب كل الى عمله وبواخر تُعد بالمئات تملأ من الارزاق وتفرغ واقوام بيض الوجوه ونساء بديعات الجمال يرفلنَ في البز والخرير ملأوا الشوارع والمباني والقطارات والبواخر . والامن سائد والسلام باسط جناحيه والسعادة ظاهرة بابهى مجدها وسيماء البشر على جميع تلك الوجوه . لا بكاء ولا ضيم ولا خصام ولا جوع ولا عراء ولا ضوضاء غير ما يخرج عن وقع الاقدام واصطدام الحديد بالحديد وفرقعة الدواليب على ارض الشوارع المستوية المرصوفة بالحجارة البيضاء النظيفة او المرصوفة بالحمّر . كل هذا يراه ويشعر به المهاجر لاول وهلة وقد ترك وراءه وجوهاً كالحة من الذل وجسوماً ضامرة من الجوع مرتدية اثواباً رثة من الفقر وشوارع ضيقة عوجاء زادها ضيقاً اوحالها واوساخها واشغالاً تولاها الكساد وجماعات لا يجمع شملها الا المآتم والاعراس ولا تمرّ على اجتماعها ساعة حتى يعلو صياحها ويتنافر رجالها الى الخصام والضرب واقواماً خاملين يكرهون العمل ولا عمل ليكرهوه . افلا تظنه انه بعد رؤية جميع هذه الامور يقف مبهوتاً متهيباً لدى خطارة هذا التقدم المدني العظيم . افلا تظنه يرى نفسه حقيراً بازاء ما حوله وغير صالح ليعدّ نفسه من افراد هذا الشعب الراقي . افلا تراه في ليله وهو على فراشه يجهد فكرته لاكتشاف الطريق المبلغة الى هذا التقدم الذي يراه حوله . وما ظنك به وقد افلت الشمس للمغيب فاستنظر الظلمة الدامسة لتسدل حجابها على هذه المناظر التي صغرت لها نفسه فاذا بالانوار الكهربائية الساطعة نابت عن شمس النهار واذا بالمدينة كانما شمسها لا تغيب فتكون حية في الليل كما في النهار . افلا تخاله حينئذٍ كالمولود

الجديد في عالم جديد يرى ولا يفهم ويسمع ولا يدرك

كل هذا رآه المهاجر السوري في بدء عهد المهاجرة وكل هذا اثر عليه فبدأ يتدرّج في التقدم كما يتدرّج الطفل في الفهم . وكما ان حاجة الطفل الاولى هي القوت كذلك كانت حاجة المهاجر الى المال لسد العوز . فخرج بين الناس يطلب رزقاً . فاجهد فكرته فدلته على الاقتداء فنظر فاذا بيهودي في الشارع يحمل صندوقة مملوءة سلعاً يبيعها فقال في نفسه هذا باب من ابواب الرزق فتبع اليهودي حتى المساء . وفي صبيحة اليوم التالي اذا بصديقنا المهاجر تاجر يحمل مخزنه على ظهره . هكذا كان بدء امر المهاجرين السوريين في الاتجار حتى بلغ عددهم العشرة . فكان انه فُتح اول مخزن سوري لسد عوزهم من سلعهم . ولما تمكنوا من معرفة بعض كلمات من لغة البلاد للتعبير عن افكارهم والانتساب الى البلاد التي اتوا منها وتفرقوا في المدينة تكاثر الطلب على مصنوعات بلادهم لكونها مهبط الوحي فاشار عليهم الناس باقتنائها فاتوا باخشاب الزيتون من بيت لحم وبعض المصنوعات الصدفية الصغيرة ثم استعاضوا عنها ببضائع باريز من صوَر وصلبان ومسابح وكتب للصلاة وهلمَّ جرًّا فراجت بضائعهم هذه رواجاً عظيماً واقبل الناس على اقتنائها تيمناً بالارض التي تنسب هذه البضائع اليها

على هذه الطريقة ابتدأ المهاجر السوري في تجارته . وكانت نيويورك مركزه الرئيسي . ثم توغل في البلاد فجعل محطة تجارته الثانية شيكاغو والثالثة سان فرنسيسكو . وفي عام ١٨٩٠ كان في نيويورك اثني عشر مخزناً سورياً وفي شيكاغو سبعة وفي سان فرنسيسكو اثنان وكان عدد المهاجرين لا يتجاوز العشرة آلاف . وفي عام ١٨٩٢ فُتحت محلات اخرى في مدن الولايات الغربية وانتشر السوريون في جميع انحاء البلاد من الاتلانتيكي الى الباسيفيكي ومن البحيرة الى الخليج حتى جاء معرض شيكاغو عام ٩٣ فهناك انفتحت عيونهم فادخلوا في تجارتهم اصنافاً كثيرة من مصنوعات سوريا ومنسوجاتها اليدوية ومطرزات اسطنبول وادخلوا ايضاً صنفي السجاد والسيكارات التركية . وكان العدد القليل منهم يتجر بهذه الاصناف بكمية لا تُذكر . ومنذ ذلك الحين اخذت ترقى تجارتهم وتزداد ارباحهم في كل عام زيادة تُذكر ففتحوا المخازن للبيع جملةً في كل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرين الفاً من مدن هذه البلاد العديدة . وكانت قاعدتهم العظمى نيويورك ولم تزل الى اليوم . ثم طلبت نفوسهم مأكولات وطنهم الاصلي فبدأوا باستجلاب كميات قليلة حتى عام ١٨٩٦ فصار الوارد يتلو الوارد منها حتى ان كثرة المقطوعية اثرت في اسواق سوريا فارتفعت اسعار المحصولات كثيراً . وكانت فائدة المهاجرة غير محصورة في المهاجرين

وحدهم بل شملت المتخلفين في الوطن القديم ايضاً . وتعلم التاجر السوري من زميله الاميركي طرق التجارة والاستنباط في البضائع الجديدة المستحدثة وللسوريين اصناف عديدة مستحدثة في التجارة الاميركية منها العباءة النسائية (كيمونا) والصدرة المطرزة (شرت ويست) وهذان الصنفان يباعان في كل مخزن من مخازن الاميركان المهمة على الاطلاق . وللمهاجرين الان البيوت التجارية العديدة في نيويورك وفي غيرها من بلدان الداخلية مما يعد بالالوف ولهم مصرفان في نيويورك ومعامل لكثير من اصناف البضائع القطنية والكتانية والسلع الثرية . ولهم تنسب اول قهوة على طراز شرقي فتحت في نيويورك انهال على صاحبها المال كالسيل الجارف . ولهم مكانة في المالية عظيمة فكثير من بيوتهم التجارية تستطيع استدانة مبالغ طائلة من مصارف نيويورك على امضاوات اصحابها فقط . والذي يقال عنهم في نيويورك يقال عنهم في الداخلية فيما عدا مداخلاتهم في السياسة فهي اعظم في بعض مدن الداخلية منه في نيويورك

ولم ينحصر ترقي المهاجر السوري بالثروة فقط بل تجاوز هذا الارتقاء الى مدنيته وآدابه . فقد كان في اول عهده خاملاً جاهلاً فظ الاخلاق وهو الان نشيط نبيه رقيق الخلق يحادثك عن علم بمواضيع شتى من ادب وسياسة وله حجة وذوق في القاء الكلام . كان يعيش مع رفاقه كل عشرة بغرفة واحدة تعلوها الاقذار وهو الان يعيش في البيوت الواسعة النظيفة مفردًا ويأكل الاطايب مهما بلغ ثمنها . كان يلبس اللباس الرث وهو الان في جديده كل يوم . كان ضيق الخلق يقوم ويقعد للصغائر وهو الان متساهل حتى في الكبائر ولم يكن ترقيه هذا الا من تأثير الزمان والمكان اللذين وُجد فيهما . لانه يعيش بين اقوام لا يستطيع مخالطتهم ما لم يتخلق باخلاقهم . فبائع السلع وبائع الحرير والسجاد والتاجر في مخزنه لا يستطيعون مخالطة الاميركيين والدخول الى بيوتهم وفنادقهم وملاهيهم واجتماعاتهم ما لم يكونوا مثلهم نظافةً وادبًا ولطفًا ولباسًا ومعرفةً . تعلم السوري حقوقه وواجباته واصبحت محافظته عليهما كليهما بعض صفاته وطبيعته . فهو الان اميركي بكل معنى الكلمة ولذلك هو راقٍ . ومما يجدر بالذكر اكثر مما تقدم ترقي المهاجر السوري بالمعرفة . وهو مديون بهذا للصحافة العربية التي لا يُنكر تأثيرها على المهاجرين . ففي سنة ١٨٩٢ او نحوه صدرت جريدة كوكب اميركا ثم صدرت الايام فالهدى فالعالم فالاصلاح فمرآة الغرب فالدائرة فالصخرة فالمهاجر فالمحيط فالدليل فالمنبر . فتمكنت دعامة الادب بين ظهرانيهم وكانت هذه الجرائد على اختلاف نزعاتها مؤثرة فيهم حتى انك لا تزور بلدًا يقطنها السوريون الا

وترى آثار هذه الجرائد بينهم يقتبسون اقوالها ويحتجون بحجتها وكثيرون منهم تعلموا القراءة من مجرد مطالعتهم اياها كما ان كثيرين من التجار تعلموا الكتابة الانكليزية بعامل الحاجة اليها في تجارتهم

اما تقدم السوريين السياسي من حيث التمتع بكل حقوق الاميركي الوطني فقد جاءهم عفواً اذ تجنس منهم بالجنسية الاميركية العدد الكثير وللمتجنس جميع الحقوق السياسية التي للوطني المولوذ في البلاد وله الحق ان يرشح وينتخب لجميع وظائف الحكومة فيما عدا كرسي الرئاسة ونيابتها. غير انهم ما بلغوا وظيفة مهمة بعد وربما بلغوها في المستقبل وما ذلك الا لانصرافهم الى التجارة بكليتهم فلم يتركوا لانفسهم فرصة لدرس السياسة والمداخلة بشؤونها

والخلاصة ان المهاجر السوري ارقى حالاً الان منه قبل مهاجرته . فهو الان فرد من افراد امة عظيمة تقصر عنها كل امم الارض تمدناً وحضارةً وعلماً وادباً وقوةً . وترقيه هذا سيمحو وطنيته الاصلية وجامعته السورية لانه سيندغم في الامة الاميركية اندغاماً يمحو به آثار (الاسيوية) منه فيمحى الاسم السوري في اميركا (شبل ناصيف دموس)

فلسطين واشهر بلدانها

لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا

السمرة او السامريون

طائفة لم يبقَ منها سوى مائتي شخص

هم فئة قليله لا يزيد عددها عن مائتي شخص وكلهم محصورون في مدينة نابلوس . وقد جاء بهم ملك اشور من بابل وكوث وحماه الى السامرة التي اخذوا اسمهم منها بعد ما سبى اهلها الى بلاده . واليهود يسمونهم كوثيين نسبة الى كوث التي جاء اكثرهم منها . وهم قوم كانوا يعبدون المريخ فلما توطنوا في البلاد وامتلكوا مدنها تمذهبوا بمذهب سكانها وكثروا كثيراً . ومما يُفهم من رواية التوراة وتقارير يوسيفوس انهم كانوا يرغبون في الاتفاق مع اليهود بعد عودتهم من السبي ومشاركتهم في الدين والمعبد وان يصيروا

واياهم شعباً واحداً . وان اليهود رفضوا قبول ذلك لان شريعتهم وتقاليدهم تحظر عليهم مخالطة ومعاملة الملل الاخرى . فادى ذلك الرفض الى العداوة الكبرى الشديدة التي لم تقوَ كل هذه القرون التي مرَّت حتى يومنا هذا على اطفاء جمرتها المتقدة في نفوس الفئتين . فكان السمرة على الدوام يتآمرون مع اعداء اليهود ويعاونونهم عليهم حتى اشتد ساعد المكابيين فحاربوهم ودمروا هيكلهم تدميراً . وتمرَّدوا ايضاً على فسباسيانوس فدوختهم جنوده وقتلت منهم احد عشر الفاً وستماية رجل وادَّى بهم وباليهود الضعف والضيق الى الاتحاد معاً وشقوا عصا الطاعة على سبتيميوس سفروس Septimius Severus وذلك في اول القرن الثاني بعد المسيح فحاربهم حرباً حامية مزقهم فيها فتفرقوا في مصر والشرق ونزع فريق منهم الى رومية فكثروا فيها وبنوا لانفسهم مجمعاً في سنة ٤٩٣ . ومع ان بعضهم اعتنقوا الديانة المسيحية وثبتوا فيها الى النهاية منذ بداية التاريخ المسيحي بدون ان يعارضهم السامريون ويضطهدوهم كما كان يفعل اليهود فقد روى لنا التاريخ ان العداوة فشت بينهم وبين المسيحيين منذ بداية القرن الخامس اذ دخل السمرة يوماً الى كنيسة المسيحيين في نابلوس وقتلوا منهم بعضاً وقطعوا انامل مطرانهم تربنثوس Terebinthus فغضب الامبرا طور زينو وطردهم من جرزيم وبنى عليه الكنيسة والقلعة اللتين مرَّ ذكرهما غير ان عصابة منهم تسلقت الجبل في عهد الامبراطور انسطاسيوس من الجهة الاخرى وقتلوا الحرس واستولوا على الكنيسة فحالت حامية المدينة دون وصول المدد اليهم فحوصروا والقي القبض عليهم وقُتل زعماؤهم . ثم في سنة ٥٢٩ توجوا رجلاً منهم يدعى جوليات ملكاً عليهم وجاهروا بثورة عمومية ضد السلطة الرومانية وقتلوا كثيرين من المسيحيين ومنهم المطران اموناس وخربوا الكنائس فبعث اليهم الامبراطور جوستينيانوس بفريق من الجند قتلوا ملكهم وعدداً كبيراً منهم واستولوا على مجامعهم فهرب كثيرون منهم الى بلاد الفرس وحالوا دون عقد الوفاق بين جوستينيانوس وملك الفرس . ومن الغريب ان كتبة الصليبيين لم يذكروا شيئاً عنهم وربما كان ذلك لان مجد السمرة كان قد تقلص او لانهم ظنوهم شيعة من اليهود . غير ان بنيامين توديلا Benyamin of Todila الكاتب اليهودي قال في القرن الثاني عشر انه كان يوجد منهم نحو الف شخص في نابلوس وبضعة في الشام وقيصرية وعسقلان اما كتبة الاسلام فلم يفرقوا بينهم وبين اليهود . ثم قال بلدنسل Baldencel انهم يختلفون عن المسلمين والنصارى واليهود ويتميزون

بعماماتهم الحمراء . اما كوتيفيكوس Cotivicus في اواخر القرن السادس عشر فقال انهم شيعة يهودية وقد وصفهم موندرل Moundrel في اواخر القرن السابع عشر وذكرهم بعض كتبة القرن الثامن عشر. اما اليوم فيعرفهم رجال العلم والدين في كل اقطار المسكونة بالرغم عن قلة عددهم وبساطة حالهم . وبعدان استحصل دي سانسي De Sancy على نسختين من اسفار توراتهم الخمسة في سنة ١٦١٦ واهداها الى مكتبة الاوراتوار Oratoire في باريس تنبهت خواطر رجال العلم لذلك فسعوا بالوصول على نسخ من تلك التوراة باللغتين العبرانية والسامرية حتى لم يعد وجود هذه الاسفار نادرًا في مكاتب اوربا

معتقدهم

ويعتقد السمرة باسفار موسى الخمسة من التوراة فقط . وعندهم نسخة منها قديمة جدًّا . ويحجّون الى جرزيم في الاعياد الثلاثة العظمى عيد الفصح والاسابيع والعرش وهي الاعياد التي كان اليهود يحجون الى القدس فيها ويذبحون خروف الفصح على الجبل ايضاً كما اوصى موسى . ويعتقدون بجبل جرزيم انه هو الجبل المقدس وان كلما يقوله اليهود في جبل الموريا فاسد فضلاً عن كونهم يقولون ان خيمة الاجتماع وتابوت العهد وكل الانية المقدسة مدفونة بامر من الله في جبلهم المقدس . ويعتقدون بوجود الارواح الصالحة والشريرة ويظهر ان هذا الاعتقاد كان عمومياً في ايام المسيح فالطوائف التي لم يرقها العلم لم تزل تعتقده . وينتظرون مجيء المسيح بعد مرور ستة الاف سنة من الخليقة ولكنهم يقولون انه لا يكون اعظم من موسى ويؤمنون بالقيامة والدينونة ويتزوجون باكثر من واحدة اذا كانت الاولى عاقرًا . واذا توفي رجل عن امرأة فالاقرب اليه بعد اخيه يتزوج بامرأته

ويدعي السمرة انهم من سبط افرايم ابن يوسف وان كهنتهم من سبط لاوي وسلالة هارون ولا يبعد ان تكون سلالة كهنتهم لم تزل محفوظة من عهد منسى الذي كان من نسل هارون . غير ان التاريخ لا يعضد دعواهم بالتسلسل من افرايم وانما يمكن ان يُقال انهم امتزجوا بالزواج بالافرايميين الذين تُركوا في البلا بعد السبي لفقرهم وعجزهم

وليس لهم مؤلفات ادبية سوى ما يختص بالصلاة والترانيم والاناشيد وهم يلبسون الجبة والقفطان ويتعممون بالعمائم الحمراء

ثلاث غرائب اميركية

رآها سائح في احد شوارع نيويورك في عشرين دقيقة

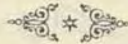
لما كنا في مصر كنا نجمع باب (الاخبار العلمية) في الجامعة من مطالعتنا وقائع جلسات المجامع العلمية ونتبع مواد الجرائد والمجلاَّت الغربية فلما اصبحت الجامعة في نيويورك اصبحنا نرى في الشوارع والاسواق تلك الاخبار العلمية والاكتشافات والاختراعات التي كنا نتعب في مطالعة فصول عديدة رغبةً في استخلاصها في عدة اسطر منها. ولا عجب في ذلك فانها الان تُكتب وتنشر وتعيش في قلب اعظم مدنيَّة في الكرة الارضية . ولذلك قلنا في المنشور الذي نشرناه في مصر ان تأثير هذا الانتقال على الجامعة سيكون عظيماً جدًّا

ونضرب لذلك مثلاً صغيرًا في نزهتنا ثاني يوم وصولنا الى نيويورك في شارع برودواي من نمرة ٣٩ حتى البوسطة العمومية وهي مسافة لا تتجاوز ٢٠ دقيقة. فقد رأينا في هذه المسافة القريبة ثلاثة امور مما كنا نتعب في استخراجه من بطون المجلات والجرائد . الاول (النقش بالكهربائية) ففي اول شارع برودواي الى يمين المارة بناءٌ عظيم جديد ابوابه ونوافذه من الحجر الصلد وبجانب هذا البناء آله لتوليد الكهرباء صوتها يملأ الفضاء وبجانب الآلة عملة في ايديهم انابيب تجري فيها الكهرباء وفي رؤُوس الانابيب ازاميل يمس كل عامل باحدها الحجر المطلوب نقشه في الجدار فيغوص الازميل فيه ويفتت مكان النقش المطلوب وينقشه كانه شمع تتصرف به في يدك كما تشاء . وقد تأملنا النقوش التي تمت فاذا هي في غاية الاتقان والجمال لا ينقصها غير الصقل. وان العامل لينقش في يومه بهذه الآلة من هذا الحجر الصلد ما لا ينقشه عشرة عملة بدونها. ثم سرنا مدهوشين فابصرنا (امرًا آخر مدهشًا. ابصرنا قطعة ارض صغيرة لا تتجاوز ١٨ قدمًا طولاً و ١٨ عرضًا وهي في زاوية على الطريق العمومية . والامر الغريب في هذه القطعة التي لا يتجاوز طولها ١٨ قدمًا انها بيعت بسبعمائة وخمسين الف ريال اميركي (٧٥٠ الفًا والريال الاميركي بقيمة الريال المصري) فاحسب كم يكون ثمن القدم الواحد. واذا كان اهل القاهرة يفاخرون بان ثمن الذراع من الارض قد بلغ في العتبة الخضراء في مصر ٩٠ جنيهًا (٤٥٠ ريالاً) فقارن بين الارضين وانظر رخص ارض مصر بالنسبة الى هذه الارض . وهذه القطعة الحقيرة

سيبنى فيها بناء صغير يشمل ١٢ طبقة نظير البناء القائم بجانبه ويؤجر مكاتب للتجار. ومنذ الان قبل ان يوضع فيه الاساس قد استأجر الطبقة الارضية منه (وستكون غرفة صغيرة كغرف باعة الدخان في مصر) معمل سيكار (١) بمبلغ ستين الف ريال اميركي في السنة. والمستأجر يعلم انه لا يربح من هذا الاستئجار ولكن غرضه من عرض بضاعته في هذا المخزن الصغير (اعلان اسم محله فقط) في شارع هو اهم واعظم شوارع نيويورك

ومسألة الاعلان هذا تسوقنا الى (الغريبة الثالثة) فقد سرنا في هذا الشارع بضع خطوات وراء الارض التي تقدم ذكرها فابصرنا الناس يجتمعون ويتفرقون امام حانوت. فدنونا من المكان فابصرنا رجلاً في الخمسين من عمره وجهه الى الشارع وهو شاخص الى السماء شخوص تمثال لا يتحرك منه شيء حتى ولا عيناه وفي يده لوح من ورق وبين شفتيه (سيكار) يدخن وفي اللوح كتابة ملخصها (دخن مرة من سيكار فلان في محل كذا فترى الفرق) والغريب ان الناس كانوا يجتمعون على الرجل الشاخص الى السماء وينظرون الى حيث كان ينظر واذ لا يجدون شيئاً يتفرقون دون ان يضحكوا. اما نحن فلم نتمالك من الضحك

فلما يستريح البال من تراكم الاشغال في مفتتح الاعمال تتفرغ الجامعة لدرس ونبش عجائب اميركا وغرائبها دون تعب منها لانها تجدها في طريقها



(١) هذه اول مرة نكتب بها هذا الاسم (سيكار) في الجامعة. فاننا حيثما ذهبنا في نيويورك الى السوق او المنازل او المخازن السورية والغير السورية لا نجد الاّ السيكار في الايدي والشفاه. والحق يقال ان منظر هذه اللفافة الهائلة لا يروقني كثيراً. وكثيراً ما شعرت بانقباض لمجرد مشاهدتها. ولعل السبب في ذلك انني لا ادخن (من سوء الحظ او من حسنه لا اعلم)

احدى روايات الجامعة

لم تنشر قبل الان

ابن الشعب

تمهيد

اعظم جوق للتمثيل العربي في مصر جوق الشيخ سلامه حجازي كما هو مشهور. وسننشر في اجزاء تالية رأينا في التمثيل العربي في مصر واجواقها وروايايتها وما كان يدور بيننا وبين الشيخ سلامه حجازي وسائر مديري الاجواق العربية في مصر من البحث في حالة التمثيل والاجواق والجمهور المصري وكتاب الروايات . اما الان فنلخص لقراء الجامعة الرواية الجديدة التي اخذها منا الشيخ سلامه هذا العام ومثلها قبل سفرنا من الاسكندرية في ملعبه في القاهرة وملعب زيزينيا في الاسكندرية . وقد اشترى الشيخ حق تمثيل هذه الرواية من صاحب الجامعة بسبعين جنيهاً انكليزياً وقال حين دفعه اليه : انه اغلى ثمن بيعت به رواية عربية من حين إنشاء الروايات باللغة العربية . فليت الشيخ سلامه ذكر اثمان الروايات الافرنجية حين ذكره اثمان الروايات العربية

اما موضوع الرواية فهو موضوع اجتماعي سياسي عائلي مقرون بحب طاهر كريم . لاننا لا نستحسن الروايات المبنية على الغرام والحب دون فائدة تذكر للجمهور . بل اننا نفر منها كما فعلنا في جميع رواياتنا لمعرفتنا ان الكاتب الذي يستحق ان يسمى كاتباً عليه ان يتحاشى تسميم نفوس قرائه بالغرام الفاسد والحب البارد الذي تبنى عليه اكثر الروايات . قال جول سيمون « انني اتاسف لما صار اليه كتاب الروايات من النفوذ والتأثير . وذلك انما يعتمدون على احتكاك العواطف والصراع الذي يصورونه بينها . والفضيلة لا يكون لها على الدوام هذه النتيجة البراقة » — وكم من بنات وشبان افسدت روايات الغرام والخلاعة اخلاقهم بعد الصلاح . والمحاكم في اوروبا واميركا ترأف بهم متى مثلوا لديها لجرم اقترفوه اعتماداً على انهم ما دُفعوا الى الشر الا بتلك المطالعة الرديئة . فنرجو ان ينتبه الى هذا الامر امهات العائلات في اميركا لا من جهة الروايات العربية فقط بل من جهة الروايات الافرنجية ايضاً لاننا نرى هنا الاقبال عظيماً على هذه الروايات

١

كان للدكتور غراي طبيب بلدة درلنتن في انكلترا يطالع في غرفة المطالعة في بيته في الليل واذ قُرعت نافذة غرفته ودخل سائق ووراءه رجل متنكر وسيدة . وكانت السيدة على وشك الوضع فاخذ الدكتور يهتم لتوليدها . واذ خرج الدكتور ليدعو زوجته آنًّا لتساعده على الاعتناء بالسيدة المتألمة قالت هذه السيدة لرفيقها : آه ما اشد ما اشعر به من الالم . ولكن لماذا لا ترفع الوجه المستعار الذي يستر وجهك يا روبنصن . فاجاب رفيقها . اخاف ان يكون احد من اهل المنزل قد رآني في لندن يومًا من الايام . فقالت وهل كنت ذا شهرة فيها . فقال نعم . . . ولكن دعينا من هذا الموضوع . فقالت السيدة : وابي ؟ فقال آه من ابيك . قالت لا تلمه لانه يحبني . . روبنصن روبنصن اذا وقعتْ عيني على ابي قبل ان اصير زوجتك متُّ من الخجل والعار

وهنا عاد الدكتور بزوجته آنًّا . فاصطحب الدكتور السيدة المتالمة الى غرفة عيادته لمعالجتها وبقي روبنصن مع آنا فبعد كلام طويل اتفقا على ان يبقي لها الطفل الذي ستضعه السيدة وذلك لكي تربيه لها وفي مقابلة ذلك يبعث اليها في كل عام بمبلغ كافٍ من المال . فسالته آنا وماذا نسميه . فسالها ما اسم هذه البلدة فاجابت « درلنتن » فقال اذا كان الطفل غلامًا فسميه ريشار او ابنة فسميه كارولين درلنتن

وانهما في هذا الحديث واذ عاد الدكتور مهرولاً وصارخًا : بشراك بشراكِ . فصاح الرجل ماذا ؟ فقال الدكتور : غلام غلام سمين . فصاح الرجل دعني ابكي . فقال الدكتور ليس الوقت وقت البكاء اذهب وقبّل امرأتك

ولم يكد يدخل روبنصن الى حيث كانت امرأته حتى قرع رجال الشرطة باب الدكتور وصاح صائح : افتح الباب باسم الملك والاَّ كسرناه ودخلنا . فدهش الدكتور وقال : من انت ؟ فاجاب الصوت . نحن رجال الشرطة افتح يا حضرة الدكتور ولا توقع نفسك في شر عظيم . ففتح الدكتور الباب مضطربًا فدخل ضابط بوليس وجنديان ورجل عليه لوائح الكبرياء والاضطراب . ولما دخل هذا الرجل صاح : اين الدكتور غراي ؟ فاجاب الدكتور انا هو . فهجم عليه الرجل وصاح باعلى صوته : لا اطلبها الا منك لانها في بيتك

وكان هذا الرجل يدعى المركيز سيلفا وكان يحمل من الملك جورج الرابع امرًا هذا

نصه « امر لحامل هذا الخط بالقاء القبض على المرأة التي يعينها » فلما قرأ الدكتور هذا الامر ضحك وقال « الظاهر انك عظيم النفوذ والجاه حتى استطعت الحصول على امر كهذا الامر ضد سيدة في بلاد حرة كبلادنا »

واذ سأل ضابط البوليس الدكتور عن مكان السيدة اجابه الدكتور انها عنده. فصاح المركيز وهمَّ بالدخول اليها فوقف الدكتور في وجهه وصده عن الدخول. فصاح المركيز: ولكنها ابنتي واللئيم خدعها واختطفها. فقال الدكتور اذا كانت ابنتك فاسمح لك برؤيتها ولكن لا اسمح لك باخذها. فصاح المركيز: حذار ايها الرجل ولا تقل قولاً يدلُّ على عصيانك امر الملك ورجال الشريعة. فرفع الدكتور هنا راسه وقال: انا في هذه المسالة فوق الملك والشريعة. ولذلك اقول لك مرة اخرى انك لا تاخذها وان كنت اباها فقال المركيز وما السبب؟ فقال الدكتور لانك اذا اخذتَ الفتاة الان كنتَ كمن يتعمد قتلها فاذا بقيتَ مصرًّا على عزمك طلبتُ من رجال الشريعة كطبيب ان يساعدوني لانقاذ حياة انا الان وحدي مسئول عنها لدى الله والناس. فقال المركيز اوضح كلامك فما فهمت شيئاً. فقال الطبيب: ان الفتاة التي تطلبونها قد وضعت غلاماً منذ بضع دقائق

فصاح المركيز بجنون: فلتكن ملعونةً اذا كنت صادقًا فيما قلته. ثم هجم على الباب للدخول وكانت السيدة قد سمعت صوته فصاحت من الداخل: ابتاه ابتاه ثم احتملت نفسها وخرجت من غرفتها منثورة الشعر صفراء اللون واهية العزم مرتجفة مضطربة كما تكون المراة بعد آلام الولادة. ولما وقع نظرها على ابيها انطرحت على قدميه صارخة: ابتاه ابتاه. فصاحت بها آنا وكانت قد تبعتها مهرولة ماذا تفعلين الا تخافين الموت؟ فاجابت ما احلى ان اموت تحت قدميه. فصاح بها ابوها بغضب وكبرياء: انهضي. فاجابت لا لا دعني يا ابتِ تحت قدميك دعني اقبلها واسحقني بها. فصاح ويلكِ يا شقية فقالت نعم انا الشقية انا اللئيمة العقوقة افرغ كل غضبك عليَّ وحدي اما هو فلا ذنب له غير منعه اياي من اطلاعك على حبنا فقال كفى كفى هلمي واتبعيني فاجابت لا استطيع ذلك يا ابتِ فقال بضحكة صفراء: أَإلى هذا الحد تخافين الموت فاجابت مشيرة الى روبنصن: كلا ولكني اخاف فراقه فقال ويل لكِ ما اتعسكِ أَإلى هذا الحد تحبينه؟ قالت نعم احبه حب روحي لجسدي فقال ولكن هذا الرجل حبه العار والشنار وجهنم النار تعالي. قالت آه وولدي فقال سيلفا الدكتور يربيه فصاحت لا لا.. لا افارق ولدي ان الله يعطي الام ولدًا لتحنو عليه وتربيه لا

لتهجره وترميه فدعني آخذ ولدي فقال هذا محال فصاحت الام : اذاً انا اصرخ وابكي انا استغيث بكل ذي شهامة ومروءة فيسمع كل ذي مروءة صراخي ويغيثني · ابي دعني آخذ ولدي ولا تحرمني فلذة كبدي فاني لم اهنأ بعد برؤيته وتقبيله بل لم امسسه بعديدي

فصاح سيلفا وقد اشار الى الرجال بحملها : ساعدوني ايها السادة فهجم روبنصن للدفاع عنها فصاحت تريد رده : حبيبي روبنصن ! فقال سيلفا بغضب تقولين حبيبك روبنصن ولكن انظري من هو حبيبك ثم انتزع من رأس روبنصن الوجه المستعار الذي يستر وجهه وقال : انظري حبيبك روبرصن هل عرفتهِ ؟ قالت كلا · فقال : هذا جلاد مدينة لندن · فصاحت تلك المرأة المخدوعة صيحة عظيمة واغمي عليها

وقد دعوا الطفل الذي وُلد في هذا (الفصل التمهيدي) ريشار درلنتن حسب وصية ابيه وهو بطل الرواية

٢

ولما شبَّ ريشار وبلغ السابعة والعشرين اصبح شاباً شديداً قوي العارضة في المعارضة فمال للسياسة واشتغل بها · وكان يظن نفسه ابن الدكتور غراي وقد رزق الدكتور ابنة دعاها (جاني) فكان ريشار يظن انها اخته · اما جاني فمذ بلغت سن الرشد اخبروها انه لم يكن اخاها · ففي ذات يوم كان انتخاب في بلدة درلنتن فحشر ريشار نفسه في جملة المرشحين للنيابة في مجلس النواب · فقال له الدكتور : اذكر انك لا تزال شاباً يا ريشار · فاجاب ريشار : ان بيتْ صار وزيراً في الثانية والعشرين من عمره · ثم ذهب ريشار الى ساحة الانتخاب مع الدكتور وصديق له يدعى (مبراي) وبقيت آنا وابنتها جاني في البيت فلما خرج ريشار اخذت جاني تطيل النظر الى حيث خرج وقالت مبهوتة حزينة : ذهب لا سلام ولا كلام · وكانت امها قد لاح لها انها اصبحت تحبُّ ريشار · فسألتها بماذا تفكر فبكت جاني · فقالت لها امها : امسكي دموعكِ يا بنية فان الله يعطي البشر الدموع ليذرفوها في المصائب الحقيقية لا في الآلام الصغيرة الوهمية · وكل انسان لا يذهب من هذا العالم قبل ان يذرف فيه ما اعطاه الله من الدموع · ثم خرجت آنا من غرفتها بعد ان القت على ابنتها النصائح التي على الام القاؤها في حال كهذه الحال · فبعد خروجها خلت جاني بنفسها واخذت تقول

احقًا ما تقول الان امي   فيا حزني ويا طول اكتئابي

ايحسبني شقيق الروح اخناً فيا و يلاه من هذا الحساب ِ
قليلٌ منه حبٌ اخ ٍ لاخت ٍ وما هو غير ميل ٍ وانجذاب ِ
لقد صدقتْ فليس يحنّ مثلي وليس به من التبريح ما بي
اذا اخذتْ يدي يده فجسمي لذلك في ارتعاش واضطراب ِ
و يبدو عند ذلك ذا جمود ٍ اروح له واغدو في ارتياب ِ
ولست اراه ذا ولع ٍ بشيء سوى بسياسة او بانتخاب ِ (١)

لكنها لم تتم كلامها هذا حتى فُتح الباب بعنف ٍ ودخل ريشار مضطرباً اصفر الوجه . وكان انه لما تقدم للانتخاب افشى خصمه ومزاحمه سرّ نسبه فسقط حقه في الانتخاب . فلما ابصر ريشار جاني صاح . أكنت ِ تعلمين اسمي ياجاني وكتمته ِ عني . قولي لي ما اسمي لاذهب الى اولئك اللئام واخبرهم ان لي اسماً كاسمائهم وان لي فوق ذلك ما ليس لهم وهو عقل مفكّر وقلب متقد . قولي لي اسمي والاّ اصابني اليأس واضعت آمالي . ولكن لا لا . لا اضيع امالي . اذ كيف استطيع ان ارى ما في هذا الدماغ الملتهب خامداً . وما في هذا القلب المتحرك جامداً . خُلقت لاقود امة . خلقت لاكون زعيم شعب يدوي صوته على منبر المجلس في انكلترا كلها . فويل لاولئك الذين قصوا جنحي بكلمة واحدة . غير ناظرين انه جنح نسر عظيم

وهنا قُرع الباب وجاء رجل موفد الى ريشار من قِبل حزبه ليبلغه انه لم يخسر كل شيء كما ظن فانه اذا تزوّج بجاني صار ذا اسم وملك فيمكنه حينئذ ٍ النيابة عن اصحاب الاسماء والاملاك . وكان هذا القول في غياب جاني لانها خرجت حين دخول الرجل . فلما انصرف الرجل وعادت رأت ريشار مسروراً . فقالت له اراك مسروراً مع انني فارقتك مضطرباً حزيناً فضحك ريشار وقال لم ياتني بالسرور هذا الرجل ياجاني وانما وجدته في

(١) رغبةً في اعطاء هذه الرواية التمثيلية مزية خصوصية عهدنا بنظم شعرها الى ثلاثة من مجيدي النظم في مصر وهم حضرات احمد افندي محرم واحمد افندي الكاشف ومصطفى افندي صادق الرافعي وكلهم شعراء مشهود لهم بالشاعرية . وقد اختلطت انفاسهم في الرواية الاّ ان كل واقف على شعرهم يقدر ان ينسب الى الشاعر شعره من مجرد الوقوف عليه وسيرى القارىء في الابيات التالية شعراً لا ارق ولا اصفى منه ونغتنم هذه الفرصة لشكر حضراتهم على تفضلهم بنظم هذه الابيات للرواية

نفسي . فقالت ما فهمت كلامك فقال ضاحكاً ايضاً انا لست ابن الدكتور غراي ياجاني . فقالت ضاحكة وهل يسرك ان لا تكون ابناً له ايها الابن العقوق فقال نعم يسرني ان لا اكون ابناً للدكتور غراي لانه يسرّني ان لا اكون اخا جاني

فاضطربت جاني وقالت ماذا تقول فقال اقول ويلٌ لي اذا لم تفهمي كلامي ياجاني . فاجابت بجدّ ورزانة مستر ريشار ما فهمت شيئاً وكانت هذه اول مرة دعته بها (مستر) فقال لها ما هذا الجدّ ياجاني فقالت وانت ما هذا الانقلاب يامستر ريشار فقال ريشار سببه السر الذي عرفته فقالت ولكنك كنت عارفاً بالسرّ حين دخولك الى هنا ومع ذلك كنتَ منقبضاً مضطرباً فقال ريشار : جاني اعطيني يدكِ فاخذ يدها وقال في نفسه (يدها ترتجف) ثم انشد (١)

لما عرفتُ السرَّ كان الردى	احبَّ لي من وقعهِ الفاجعِ
تخلتُ آماليَ قد ضُيّعت	وانتِ في مأمولي الضائعِ
حتى اراني القلب ان الهوى	باقٍ وجاني للفتى الجازعِ
اهواكِ ياجاني ولم يبقَ لي	غير هواكِ المالك الشافعِ

ولا يزال بها حتى تصرح له بانها تحبه . وفي هذا الحين دخل ابوها وصديقه مبراي ففرت جاني وبقي ريشار فساله الدكتور لماذا تركت الانتخاب وعدت بغتةً مع انك لم تخسر كل شيء . فاجاب لما علمت السرّ يا ابتِ عدتُ لاسال جاني ان تحسبني اخاها على الدوام حتى اذا رضيت بذلك سالتك ان تبقيني ابناً لك . فضحك الدكتور لانه فهم مراد ريشار . فارسل في طلب امرأته . ولما تشاورا في تزويج ريشار بجاني قالت له امراته انني اخاف على جاني من اخلاق ريشار لانني اراه طامعاً في العلى . فاجاب وهل تخافين شهوة الطمع . فقالت بل اخافها على ابنتنا لا عليه لان هذه الشهوة قد تبلغ به الى قمة المجد . ان قلب الامّ لا يكذب يا البرت وقلبي يحدثني ان جاني لا تكون سعيدة مع ريشار . فانهما مختلفان خلقاً ومشرباً . ريشار شديد هائل كالصاعقة يصعق كل صعب يعترض إرادته

---

(١) وهذا اول نشيد ينشده الشيخ سلامه في هذه الرواية وان ملائكة السماء تنشد معه لما يقول في آخر بيت (اهواكِ ياجاني ولم يبقَ لي) ولم ينشد قط هذه الابيات مرة واحدة فانهم يستعيدونها مرتين او ثلاثاً واذا تمنع فانهم يصفقون ويجلبون ولو كسروا الكراسي والالواح حتى يعود الى الانشاد

تحب مثلها للعلى.فلا يرضى غير السحاب مقعدا • والفضاء الواسع مدى • وجاني لطيفة هادئة متضعة كبنفسجة ترى رغدها في الاستتار بين الاعشاب لنشر شذاها دون ان ترفع رأسها • والناس قلما ينظرون الى انطباق اخلاق الزوج على اخلاق الزوجة حين إرادة الزواج • فهل تريد ان نفعل كباقي الناس

ولكن الدكتور اقنع زوجته بتزويج جاني من ريشار لانهما متحابان (١) ورغبة في طمأنينتها قال لها ان صديقهما (مبراي) يسهر عليها ويرعاها اذا توفاها الله اليه بعد زواجها. ثم نادى ريشار وقال له هذا القول الذي كانت تقشعر له جلود الناس في المرسح رجالاً وسيدات

— ريشار اسمع يا بني • اني امام هذا الصديق الحميم الذي هو وحده شاهد علينا • وامام الله الناظر الان من علاه الينا • اعطيك انا وامرأتي يد جاني بعد ان اعطتك هي قلبها فليكن لك عليها حقوق الزوج • ولتحل سلطتك محل سلطتنا عليها • ولكن انظر قبل ذلك الى هذه الدموع التي تترقرق في عيني امها واصغ الى صوتي المرتجف من تأثري وانفعالي • ان ابًا واماً يضعان الان بين يديك اغلى ما لديهما في الوجود • ويمنحانك نفساً مركبة من نفسيهما • فاجعل هذه النفس سعيدة يا ريشار تحسن الينا كما احسنا اليك وعظامنا تدعو لك من تحت الثرى

فقال مبراي : ريشار ان الله يسمع الان هذا الكلام

فاجاب ريشار : وقلبي يسمعه ايضاً يا سيدي

فقالت آنًا : جاني كوني زوجة صالحة

فاجابت جاني : ساقتدي بك يا اماه

وهنا ذكر ريشار الانتخاب فقال على حدة : اف لقد اضعنا الوقت في الكلام الفارغ. ثم قال اريد لوناً اتخذه شعاراً لحزبي • فدنا من جاني وحلَّ (شريطة) زرقاء كانت مزنرة بها وقال : سيكون شعاري بهذا اللون

وشعاري اتخذته ازرق اللون لسرّ يدريه اهل الذكاء
انني ابتغي سموًا على الناس جميعاً فاخترتُ لون السماء

---

(١) هنا غرض من اغراض الرواية اي الزواج حبياً دون اتفاق اخلاق الزوجين

٣

هذان فصلان من الرواية . والفصل الثالث ساحة انتخاب في بلدة درلنتن . وقد أتقن الشيخ سلامه هذا الفصل ترتيباً وملابس فكان بدعة جديدة وتحفة الملاعب العربية كما قال كل من شاهدوه . فلما صار ريشار بين حزبه في ساحة الانتخاب هتف له حزبه وكلهم يحملون شعاراً ازرق . اما مزاحمه في الانتخاب السر ستنسن فلون حزبه اصفر . فخطب ريشار في الجمع من شرفة الحانة خطبة دعا فيها الى انتخابه لتحصيل حقوق الشعب وكف يد نبلاء المملكة عن الاستبداد بشؤون الامة الانكليزية . وقد جاءت هذه الرواية في حينها فان وزير العمل والتجارة الانكليزية ألقى في هذا العام خطبة دوى صداها في جميع انحاء العالم اذ قال ان مجلس النبلاء (اللوردات) الانكليزي عثرة في سبيل الاصلاح في انكلترا لانه لا يقرر الا النظامات التي تنفع الطبقات العالية ويهمل كل ما فيه نفع الشعب . ولم يحمل وزير على مجلس اللوردات هذه الحملة الشديدة غير المستر غلادستون رجل انكلترا العظيم . ولا عجب فان المستر غلادستون كان نصير الشعب ولما راموا منحه لقب (لورد) أبى قبوله لانه يفضل عليه لقب (مستر) . ووزير التجارة والعمل الحالي انما كان عاملاً من العملة قبل دخوله في مجلس العموم وارتقائه الى دست الوزارة وقد قال ريشار في خطبته : اني انا (ابن الشعب) اخوكم وابنكم اتيتُ استنجدكم على اعدائكم . فان ساعدتموني رفعت شأنكم وحفظتُ حقوقكم . اني اطلب مساعدة الزرق لا الصفر . ايها الصفر تريدون الذهب فاذهبوا الى عائلة دربي (التي منها مزاحمه ستنسن) فانه لونهم وشعارهم . ويا ايها الزرق تريدون ردّ حقكم المسلوب ومالكم المنهوب فامنحوني اصواتكم . انتخبوني نائباً عنكم اكن لكم سيفكم الذي به تضربون . وتكونوا لي درعي التي بها اتقي . ولا تنسوا ان يد الله مع الجماعة . وان صوت الشعب صوت الله

ففي اثناء هذه الخطبة هتف الزرق وصفقوا طرباً والصفر صفروا وعارضوا . فكان لذلك في (المرسح) منظر مضحك قهقه له الجمهور مرات خصوصاً حين كان يشتبك الحزبان ضرباً ولطماً (بالبوكس) . ثم خطب السر ستنسن مزاحم ريشار فكان الزرق يصفرون له ويقطعون كلامه والصفر يصفقون له ويهتفون ورايات الحزبين تتماوج في الهواء فوقهما والبائعات يبعن للحزبين (شرائط) زرقاء وصفراء . ثم اعلن مأمور الانتخاب اقفال صندوقة الاوراق وعدّها فاصابت الاكثرية المستر ريشار فاعلن انتخابه نائباً عن مقاطعة درلنتن .

فهجم حزبه وطرد الحزب الاصفر ثم جاءوا بكرسي كبير وقال احدهم لريشار

اصعد الى الكرسي انك بيننا   اولى به يا أعظم الرؤساء

فاجاب ريشار بصوته الرخيم منشداً

قد جاء يوم النصر فلنفرح بما   نلناه من فوزٍ على النبلاء
وانـا عليهم بالمصائب قادمٌ   ويلٌ لهم مني ومن نصرائي

ثم حملوه وداروا به وهو ما يسمونه حفلة الكرسي وكانت عادة في انكلترا بعد الانتخاب

ولما حضرنا تمثيل هذا الفصل لاول مرة كان في اللوج بجانبنا احد الاصدقاء فلما القى الشيخ سلامه خطبة ريشار على الجمع ورأى تلعثمه فيها لانه لم يحفظها جيداً ثم سمع خطبة مناظره ستنسن وجودة حفظه لها قال لنا ضاحكاً ان الذي يسمعها ويراها يقول ان ستنسن هو الذي اقنع الشعب واثّر فيه لا ريشار فهو الذي يجب ان يُنتخب نائباً . وقد ذكرنا هذا الامر هنا خاصة لحث صديقنا الشيخ سلامه على حفظ خطبته هذه لاننا سمعناها من بعد الليلة الاولى مرتين وفي المرتين كان يتلعثم فيها



ولما اصبح ريشار نائباً في مجلس العموم الانكليزي صارت له الكلمة العالية فيه . فاصبح مركز المعارضة للوزارة والسند الاول لحزب الشعب . فكانت الوزارة كلما رامت ان تقرر امراً مهماً عارضها فيه واقنع المجلس ببلاغته وحسن بيانه برفضه وارجاعها عنه . فاصبح ريشار مديراً لسياسة انكلترا كلها فلما اعيت الوزراء الحيل في مقاومته رأوا مسالمته . قال المسيو ببل زعيم الاشتراكيين في المانيا في خطبة القاها منذ عامين في مؤتمر الاشتراكيين العام في امستردام : ان انكلترا لم تنمُ فيها المبادئ الاشتراكية نمواً يُذكر لان طبقة النبلاء فيها كلما رأوا نابغاً من الشعب قادراً على التأثير عليهم وعلى سياستهم فانهم يستميلونه اليهم بكل الطرق حتى يجعلوه مسالماً لهم ويزيلوا معارضته وهذا ما صوّره المؤلف في هذه الرواية فان الوزراء اتفقوا مع صاحب بنك كبير يدعى المركيز سيلفا على ان يخابر ريشار في ترك معارضة الوزارة وفي مقابلة هذا الترك يمنحونه لقب لورد ويزوجونه من احدى بنات اللوردات ويهبونه اموالاً واملاكاً عظيمة ذلك لان ريشار كان يُظهر للناس انه عازب لا متزوّج وكان قد بعث بجاني زوجته الى بيت في البرية خارج لندن لتعيش فيه

وحدها لان نفقات العائلة كثيرة في لندن خصوصاً اذا كانت العائلة عائلة نائب في مجلس العموم وكان ريشار قد انفق كل ثروته لانه لم يتّجر بنفوذه وبلاغته وهنا النقطة المهمة في الرواية

وكان لريشار سكرتير يدعى طمسن وهو الرجل الذي جاءه في الفصل الثاني يغريه بالتزوج بجاني ليعود الى الانتخاب وكان رجل ريشار وصاحب سره فجاء المركيز سيلفا في اول الفصل الرابع يقترح عليه ان يُبلغ ريشار الاقتراحات التي ارسلها الوزراء لاقتراحها عليه فلما قصده في احد دهاليز مجلس العموم رآه واقفاً مع (مبراي) صديق الدكتور غراي والذي اقامه الدكتور حارساً لابنته جاني بعد وفاته ووفاة آنا زوجته وكان مبراي يسكن مع جاني في بيتها في البرية وقد جاء الان في رسالة منها الى ريشار فلما سمع احدى خطبه في مجلس العموم بشان معارضة الوزارة في عقد قرض عظيم قصده في احد دهاليز المجلس فلما رآه ريشار انزعج لحضوره فقال له مبراي: كان يجب عليَّ ان انتظرك في منزلك لابلغك الرسالة التي جئت من اجلها ولكن رغبتي في استماع كلامك في مجلس العموم ساقتني الى هنا فلقد سمعت كلامك يا ريشار وقلت في نفسي ان الدكتور غراي رحمه الله لو رآك اليوم بهذه العظمة والسيادة في المجلس لهنأ نفسه بانه منح انكلترا رجلاً عظيماً مثلك

فاجاب ريشار بفتور اشكر لطفك يا سيدي

فقال مبراي: نعم يا ريشار انني باسم جميع محبيك اجهر بانك تجاوزت كل امالهم بصفتك انكليزياً ولكنك خيبت كل آمالهم بصفتك زوجاً وابناً

وهنا ذكر له تألم جاني لفراقه وحزنها لمعيشتها وحدها في قرية حقيرة لا رفيق لها الا شيخ مثله يمزج دموعه بدموعها وقد مرَّ عليها ثلاث سنوات دون ان تراه او يسمح لها بالقدوم الى لندن للمعيشة معه فيها

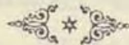
وفي هذا الحين دخل المركيز سيلفا ليقترح اقتراحات الوزارة على سكرتير ريشار فلما رآه مبراي صُعق وفرَّ فراره من الاسد ذلك لان مبراي في الحقيقة هو (الجلاد) الذي تقدم ذكره في الفصل التمهيدي الاول والمركيز سليفا ورد ذكره هناك ايضاً فيكون الاول ابا ريشار والثاني جده

وبينما كان النبلاء والوزراء يتآمرون لاستمالة ريشار وتزويجه من احدى بناتهم ليصبح من حزبهم لانهم كانوا يحسبونه عازباً كانت جاني المسكينة نحيلة حزينة في منزلها في البرية تبكي وتنشد الابيات التالية

آه من طول وحدتي وانفرادي وشقائي المبرّح المتمادي
وابتعادي عن وجه زوجي حبيبي بل ظلومي الذي يحب ابتعادي
عشتُ من بعده ثلاثة اعوام طوالٍ عليّ سودٍ شدادِ
لا رفيق ولا سمير يؤاسيني سوى الدمع والجوى والسهادِ
اشتكي لوعتي فلا يسمع الشكوى سوى ما يحيط بي من جمادِ
واعد الغيوم ملقية السمع الى كل خافق مرتاد
آه يا والديَّ خلفتماني لقرينٍ قاسٍ كثير العنادِ
كنتما تحسبانه صادق الوعدِ شريفاً برّاً رحيم الفؤادِ
فحرام عليك يا قلب ريشار جفائي الذي اضاع رشادي
انا لا اترك الوداد وان لا قيتني مثل ما تلاقي الاعادي

ومن هنا بدأت اهمية الرواية الحقيقية فاننا من جهة نرى صراعاً بين ريشار والوزراء وهم يطلبون استمالته اليهم بتزويجه من احدى بناتهم ومن جهة ان وجود جاني زوجته اصبح عثرة في سبيل مجد مستقبله فماذا يفعل أيقبل ام لا يقبل ؟ قال احد الفلاسفة : ان الرجل العظيم اذا لم يكن عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري وسنرى في الفصل التالي الهاوية الهائلة التي يجرّ ريشار نفسه اليها

(الخاتمة في الجزء التالي)



تذكار صدور الجزء الاول

في نيويورك

كاس افضل من كاس الجامعة

اراد احد اصدقاء المجلة جناب اسعد افندي رستم الشاعر الذي يعرف السوريون هنا شعره وادبه ان يحتفل بصدور الجزء الاول من الجامعة تفضلاً منه وكرماً فدعا الى مأدبة في منزله الجميل في جرزي ستي بضعة من اهل الفضل والادب وسيداتهم وكان عدد المدعوين ١٧ شخصاً وهذه اسماؤهم مرتبة بحسب ورقة الدعوة

الافندية والخواجات : نعمه تادرس ومدامته . يوسف بك معوشي ومدامته وحضرة شقيقته مدام رحيم . خليل فريجي ومدامته . سليم شحفه . الدكتور رزق حداد . عيد الخوري . رشيد سمعان . نجيب دياب صاحب مرآة الغرب . اسعد الملكي صاحب الدليل . امين الغريب صاحب المهاجر . الياس انطون . اسعد حاماتي محرر في مرآة الغرب . سعيد شقير صاحب كوكب اميركا . عيد ذيبه صاحب المنبر

وبعد ابيات هزلية جدّية القاها حضرة والد صاحب الدعوة أُلقيت على مائدة الطعام عدة خطب فتكلم كلٌّ من حضرات يوسف بك معوشي والدكتور رزق افندي حداد ونجيب افندي دياب واسعد افندي الملكي وامين افندي الغريب واسعد افندي الحاماتي وعيد افندي ذيبه بما يناسب المقام وحمّلوا الجامعة وصاحبها من ازهار فصاحتهم ما ناء به . وقد اشار جناب يوسف بك معوشي في خطبته الى حوادث نيويورك السورية وامل ان تكون « الجامعة » سقفاً لبناء الجرائد في اميركا ليكمل هذا البناء . فاجاب صاحب الجامعة في الختام بما خلاصته

« اعتذر اولاً عن انه كان السبب في تأخير العشاء الى الساعة العاشرة لان الخطب أُلقيت قبل الطعام . ثم بعد شكره الخطباء الادباء الذين البسوه من فضل فصاحتهم ثوباً اوسع منه اختار ان يخاطب حضرات المدعوين باللغة المصرية لان الخطباء السابقين وفوا اللغة الفصحى حقها . فقال انه لما عزم على القدوم الى نيويورك وجد وحشة في تركه مصر البلد الذي صرف فيه تسع سنوات وصار له فيه اصدقاء وخلان فضلاً عن ان مصر قطر شرقيٌّ والهيئة الاجتماعية فيها للشرقي في غاية الملائمة . ولكن لما وصل الى نيويورك ورأى

حال المهاجرين السوريين فيها زالت وحشته وانبسطت نفسه لانه وجد فيها في اسبوعين من الاصدقاء والخلان ما صرف تسع سنوات في مصر للحصول على مثله . وقد رأى المهاجرين في حال ارقى بكثير مما يظن اخوانهم خارج اميركا واخذ على نفسه درس حالتهم الاجتماعية والمعاشية لنشرها اطلاعاً لاخوانهم في مصر والشام عليها . فان منازلهم الفاخرة هنا واثاثها الثمين لا تفضلها منازل اخوانهم في مصر الاَّ فيما ندر . وظرف السيدات ولطفهنَّ وذوقهنَّ لا نقلُّ عن لطف سيدات مصر ولطفهنَّ . وهناك شيءٌ تمتاز به الجالية السورية في اميركا على جالية مصر وهو سريان النشاط الاميركي والحياة الاميركية فيهم فهم احياءٌ متحمسون للحياة اكثر من اخوانهم في مصر وذلك ناشيءٌ عن تأثير الوسط فيهم

«ثم استطرد الى ما اشار اليه بعض الخطباء الافاضل من استعداد الجالية للاخذ بناصر الجامعة وتمهيد السبيل في وجهها فقال : انني اشكر من يهتمُّ بها ويأخذ بناصرها . لكنها اذا لم تجد من يأخذ بناصرها فذلك لا يمنعها من السير في طريقها لانها انما تعتمد قبل كل شيء على العمل والجدّ في بلاد كلُّ من جدَّ فيها وجد ولا يُخني على تعبه فيها الذي اخنى على لبد . ثم قال مستطرداً الى ما اشار اليه جناب معوشي بك :

«لقد اشار حضرته الى انه من المأمول ان تكون الجامعة في اميركا سقفاً للجرائد العربية وداعية الى الالفة والوداد بين الطوائف المختلفة . والجامعة ستجتهد بما في امكانها لتحقيق هذا الامل . ولكن هناك شخص اكثر تأثيراً من الجامعة في هذا الشأن واقترح عليكم ايها السادة شرب كاسه — ان الجيل الشرقي الحاضر اي نحن كلنا معشر الشرقيين في اميركا لا تزال نفوسنا شرقية ومن الصعب تغييرها في مدة قريبة فاملنا الان يجب ان نضعه في اولادنا الذين ينشأون على مبادىء هذه البلاد ولذلك اشربوا معي ايها السادة كأس السيدات السوريات في اميركا اللواتي سيربينَ لنا جيلاً اميركياً يحق لسوريا الفخر به اذ في ايديهنَّ وحدهنَّ مستقبل امتنا في هذه البلاد



تذكارات مصر والشام

نشر في هذا الباب اخباراً ووقائع وتأملات مما يختص بمصر والشام وهو مكتوب خاصةً للمهاجرين منهما الذين تلذهم اخبارهما

حديث لاحد اكابر المصريين

في الشهر الذي خرجنا فيه من مصر زرنا احد اكابر المصريين لشغل يختص ببيع مطبعة الجامعة في الاسكندرية قبل السفر . وكانت الملة القبطية في مصر قد انتخبت مجلسها الملي لمراقبة شؤون الطائفة القبطية واوقافها وادارة ازمة الطائفة . فدار الكلام عن هذه الخطوة الكبرى التي خطاها الاقباط في تقييد السلطة الاكليريكية العليا ومشاركتها في النظر في الشؤون العمومية . فقال سعادته وكان الكلام بيننا وبينه لان المجلس لم يضم احداً غيرنا

انهم سينجحون نجاحاً عظيماً اذا سلكوا سبيل الرشاد لان في الرجال المنتخبين بضعة من اهل الحزم والعزم واصالة الرأي . ثم قابل بين المسيحي السوري والسوري المسلم والمسلم المصري والمصري القبطي مقابلة نضرب صفحاً عنها وختم كلامه بقوله : اننا هنا في مصر نعتمد في كل امر على الحكومة ونطلب منها ان تعولنا كما يعول الوصي القاصر ولذلك لا يُنتظر منا خير ولا يرجى نهوضنا . لقد مرَّ علينا حتى الان اكثر من عشرين سنة ونحن محكومون بشريعة حرة عادلة والابواب مفتوحة لجميع القوي والمواهب . فاين الرجال الذين ظهروا عندنا ويستحقون ان يدعوا رجالاً . اين الافراد النابغون الذين لا تنهض الامم الاَّ بهم . نعتمد على الحكومة وفاتنا ان شأن الحكومة معنا شأن الوصيّ مع القاصر الغنيّ : لا هو يرضى ان يبلغ القاصر الرشد فيقلب لوصيه ظهر المجن ولا هو يرضى ان يموت فيحرم التمتع بالوصاية عليه

قلنا من الاسف ان يكون هذا التشبيه منطبقاً اتم انطباق على حكومة مصر نعني الحكومة الباطنية التي تدير شؤون الحكومة الظاهرية . واذا رمنا تفسير هذا الكلام بلغة علمية قلنا ان حكومة مصر والامة المصرية تُساسان اليوم بذات المبداء الذي تُساس به انكلترا نفسها

وهو مبداء (الاستفراد) individualisme فالقويّ يقوم ويزداد قوةً والضعيف يسقط ويزداد انحطاطاً وسقوطاً . وهذا ما جعل احد المستشارين الانكليز السابقين يقول في مقدمة كتاب نُشر في العام الماضي قولاً في غاية النزاهة والانصاف . وهو ان الامة المصرية الضعيفة اليوم يجب لترقيتها ترقية حقيقية ان تساس بحكومة (ابوية) يعني حكومة تعتني بالشعب الضعيف اعتناء الاب بابنائه وترفعهم اليها بدل تركهم في ضعفهم يخبطون خبط عشواء بلا مرشد ولا مساعد . فالحكومة الاستفرادية individualiste تصلح للشعوب القوية القادرة على احتمال سنة (تنازع البقاء) فيزداد افرادها الاقوياء قوة تكافيء الخسارة التي تعود على الامة من زيادة ضعف الضعفاء . ولكنها لا تصلح لسياسة الشعوب الضعيفة خصوصاً اذا كانت امتيازات وتأثيرات كالامتيازات الاجنبيـة والتأثيرات الفعالة تجعل القوة والسيادة في غير ايدي اهالي البلاد

الشيخ سلامه واسكندر فرح

اشار حضرة مراسلنا المصري في رسالته المنشورة في الجز السابق الى المناظرة التي بين جوقي الشيخ سلامه حجازي واسكندر افندي فرح في مصر ويظهر انه يميل الى الثاني دون الاول ولكن الميل لا يجدي نفعاً فان الشيخ سلامه يضع في جيبه اليوم نحو ٤٠٠ جنيه كل شهر (٢٠٠٠ ريال) ربحاً صافياً وجوق اسكندر افندي فرح لا يكاد يربح نفقاته . ولكن انظر كيف انعكست الحال . فانه لما كان الشيخ سلامه مع اسكندر افندي فرح كان يلوم اسكندر افندي لانه لا يجود بالمال لشراء الملابس التاريخية وارضاء الممثلين والمعربين او المؤلفين . وقد سمعتُ ذلك منه غير مرة فلما انفصل عن اسكندر فرح واصبح يربح ربح الوزراء نسي وجه المؤاخذة الذي كان يؤاخذ به شريكه القديم وصار يقتر على الممثلين والمعرّبين وان سخا على الملابس سخاء يُشكر عليه . ولكن مهما يكن من الامر فان الشيخ سلامه اقدر على ترقية هذا الفن في مصر اذا قُدِر له وجود حقيقي وذلك لان اميال الجمهور منصرفة اليه . وقد سمعتُ كثيرين من خصومه يقولون انه عثرة في سبيل التمثيل في مصر ولكن الذين يقولون هذا القول لم يفعلوا نصف فعله حتى الان . ومن الثمرة تُعرف الشجرة . نعم ان جوق اسكندر افندي فرح بدأ يمثل روايات جديدة الواحدة تلو الاخرى ولكن اغلب تلك الروايات ركيك مشوّه مملوء بالاغلاط الاّ روايات الصديق الياس افندي فياض . على انه اذا قدّر لاسكندر افندي فرح ان يجتذب الجمهور الى ملعبه كما اجتذبه الشيخ سلامه فذلك لا يتم له بالروايات الجديدة ولا بجوقه الجديد مهما فعل . فاننا كنا في الشرق لسنا في هذا

الفن الا جماعة اطفال ·ومن يريد ترقية التمثيل حقيقة في مصر فعليه قبل كل شيء ان يرسل بضعة شبان الى مدرسة التمثيل في باريز (كونسرفاتوار) ليتلقى فيها اصول هذا الفن من جهة الالقاء والايماء ومن جهة البسيكولوجيا كما قلنا ذلك لنفس الشيخ سلامه · وانما الشيء المنتظر ان يجتذب به اسكندر فرح الجمهور اليه ممثلة فتانة الصوت والوجه في جوقه تدعى الست ماري · فلقد شهدنا تمثيلها يوماً وكنا مع الشيخ سلامه نفسه في لوج في مرسح اسكندر فرح فرأينا عيني الشيخ تطيران من راسه تشوقاً لنقل هذه الابنة الى جوقه · ولكنه لا يقدر على ذلك لا لان الابنة لا ترضى بالانتقال كما يقول اسكندر افندي فرح فان الذهب غرّار والشيخ يقدر ان يعطيها منه قبضة في كل شهر· ولكن السبب هو وجود الست ميليا في جوق الشيخ : ولا يجمع السيفان ويحكِ في غمدِ · فامل نجاح اسكندر افندي فرح محصور في هذه الممثلة او غيرها من الممثلات ذوات الوجه الجميل والصوت الرخيم ولكنه لا يريد ان يعطيها حقها من الشهرة لسببين الاول انه يخشى ان تعتز بنفسها وتطمع فيه كما يقول والثاني ان بعض ممثليه من الرجال يسوؤهم ان تنصرف الافكار كلها الى ممثلة ولا يبقى لهم معها ذكر وهكذا يخنق اسكندر افندي فرح شهرة تلك الفتاة وهو لا يدري انه يخنق معها مصلحته

ليلة ابن الشعب

هي الرواية التي شرعنا في تلخيصها في هذا الجزء وهي من تلخيص صاحب الجامعة وقد مثلها الشيخ سلامه وجوقه في ملعب زيزينيا في الاسكندرية في هذا العام قبل سفرنا بمدة وجيزة وموضوع الرواية يهم المفكرين واهل الادب · لذلك كتبت جريدة اللواء مقالتين افتتاحيتين في الرواية وموضوعها ونشرت الاهرام ومصر والجمهور ثلاثة فصول بشأنها وباقي الجرائد كالمؤيد والظاهر والوطن والشرق والبصير وغيرها ذكرتها ذكراً جميلاً وقد نشر البصير ليلة التمثيل في الاسكندرية ملخص اقوال جميع الجرائد فيها في نحو ثلاثة اعمدة

اما ملعب زيزينيا الذي مثلت الرواية فيه فهو افخر ملاعب مصر بعد الاوبرا الخديوية في العاصمة وقد مثلت فيه يوماً ساره برنار وكوكلين الممثل الفرنسوي المشهور ونوفللي الايطالي وكلهم شهدوا بانه معدود في جملة الملاعب الاوربية الجميلة ولما جاءت ليلة التمثيل لم يبقَ في المكان على سعته كرسي ولا لوج فارغاً وفي القاعة لم يبقَ موضع قدم لواقف خالياً فبلغ مجموع اثمان الاوراق التي بيعت ١٩٠ جنيهاً انكليزياً ولم يُبع في ليلة لتمثيل عربي قبل تلك الليلة ولا بعدها اوراق بمثل هذه القيمة · وكانت الالواج غاصة باكابر العائلات وكرائم السيدات

تسطع على صدورهن المكشوفة (ديكولته) الحجارة الكريمة والحلى النفيسة والحلل الفاخرة التي كانت تنعكس عليها الانوار الكهربائية بشكل يأخذ بالالباب ويزيد السيدات الاسكندريات المشهورات بالظرف والجمال جمالاً على جمال. وكان في احد البنوارين الكبيرين الاولين اللذين على المرسح سعادتلو سابا باشا مدير مصلحة البوسطة المصرية وفي الآخر تجاهه حضرة امين افندي كرم وقرينته وبجانبه في اللوج الاول حضرات انجال المسيو جورج كرم وتلي هذه الالواج الواج اكابر المصريين والسوريين والاسرائيليين

ولما زرنا سعادة سابا باشا في لوجه لشكره على تفضله بحضور هذه الليلة قال لنا انني لا احضر الروايات عادة ولكنني لما قرأت في الجرائد ان الرواية من وضعكم طلبت لوجاً للحضور. ثم التفت الى الجمع المزدحم في الملعب وكانوا في طبقات الالواج الثلاث وفي اعلى التياترو وفي صحن القاعة كالبناء المرصوص لا تقع عينك فيه الا على رأس ويد فقال: ما هذا ما هذا؟ انني في حياتي كلها لم ارَ زحاماً كهذا الزحام. واذا كان الجمهور المصري ولعاً بمشاهدة الروايات الى هذا الحد فلماذا لا يهتمون بهذا الفن اهتماماً يحله المحل الذي له عند الاوروبيين والاميركيين. وكان المسيو طويل التاجر المشهور في الاسكندرية مع سعادته في اللوج فبعد التعارف دار الكلام على هذا الموضوع فذكرت لسعادته ان هذا الشعب الهائل لم يفد لمشاهدة الرواية فقط فان الجرائد نفعت الرواية نفعاً عظيماً باهتمامها بها ذاك الاهتمام. ولكن وفد على الاخص لاستماع نشيد الشيخ سلامه. وسيان عنده كانت الرواية من احط الروايات ومن اجملها وارقاها فانه يكفيه ان ينشد الشيخ سلامه فيهتز الجمع لنشيده اهتزاز الاغصان في الروض لنسمات الصباح . وبما الشيخ سلامه يرى تأثيره هذا فهو (ينام على اكاليله) كما يقول الفرنساويون اي يرضى بحالته ولا يسعى لاستخراج روايات جديدة يترقى بها هذا الفن

فقال سعادته اننا في حاجة قصوى الى روايات شرقية اهلية فلماذا لا تضعون روايات كهذه الروايات تصف حالة المجتمع الشرقي وتعلّم الشعب تاريخه وتشخص له امراضه ودواءها. فضحكنا واجبنا: هذا المطلب يعيدنا الى ذات الموضوع الذي ذكرته لسعادتكم. وهو ان الشيخ سلامه لا يسخو على الروايات لانه يكتفي بصوته . ورواية اجتماعية شرقية يقتضي تاليفها من الوقت والتعب اضعاف التعريب والتلخيص عشر مرات . فهي لا تؤلَّف الا بعد البحث والدرس ٤ او ٦ اشهر على الاقل في حين ان تعريب رواية غربية لا يقتضي اكثر من ١٥ يوماً. واذا كنا نشتغل برواية نصف سنة ولا نقبض ثمنها الا ٧٠ جنيهاً فقد

اضعنا الوقت والتعب سدًى واشتغلنا بالباطل . وكدنا نذكر لسعادته ان الحكومة المصرية الكريمة مقصرة في حق التمثيل العربي لانها تجود بالوف الجنيهات اعانةً للاجواق الافرنجية ولا تجود بشيء للاجواق العربية ولكنا لم نرَ من الادب واصالة الرأي انتقاد الحكومة على مسمع من احد اكابر موظفيها

وهذا يعيدنا الى ما ذكرناه في الفقرة الاولى عن « السياسة الاستفرادية » التي تساس بها مصر . فان الحكومة تقول اروني جوقًا عربيًا اهلاً لمساعدتي لاساعده . واما (السياسة الابوية) فانها تقضي بمساعدة هذا الجوق قبل وجوده بل ايجاده من العدم اذا كان غير موجود احياءً لفنّ يستفيد منه الشعب لما يؤثره فيه والكتّاب والممثلون ومستخدمو الملاعب بما يربحونه من الاشتغال به

اما كيف مثّل الجوق الرواية وطريقة تمثيل الشيخ سلامه دور ريشار والست ميليا دور جاني فنرجىء الكلام فيه الى فرصة اخرى نذكر فيها امورًا شتى عن تمثيل جميع الاجواق العربية في مصر ودعاويهم بعضهم على بعض مما يلذ القراء هنا ويفيدهم هم لاننا لبعدنا عنهم هنا نستطيع ان نقول لهم الحقيقة بتمامها دون ان يؤلمنا عتابهم

مدرسة مختلطة

لا يزال في نفسي اثر مدرسة اسمها احب الاسماء اليَّ من جميع اسماء المدارس . واريد بها المدرسة التي ربيت فيها من السنة الثانية عشرة من عمري الى السنة السادسة عشرة . وهي مدرسة « كفتين » (١) التي كانت في دير في لبنان فوق طرابلس الشام بين الآكام والاودية واحراش الزيتون حيث يهدل اليمام ويهدر نهر ابي علي في واديه المقدس كانه امٌّ يهمهم في اذني طفل لانامته

وليس هذا الاثر الانفعال الطبيعي الذي ينشأ في النفس من معيشتها في حضن الطبيعة على نور شمس محرقة لا نراها في نيويورك الا فيما ندر ووسط هواء نقيّ لا اعرفه هنا الا اذا خرجت من غرفتي في بروكلن الى الاشجار والحدائق التي وراءها في جهة « كوني آيلن » كلا فان جمال كفتين الطبيعي وايام الدراسة والتلمذة وتاريخ كفتين نفسها كل ذلك ابقيت الكلام فيه الى حينه وسيكون فاتحة تاريخ حياتي متى كتبته . وانما الاثر الذي

(١) في زمان عزها وهو طورها الاول اما في طورها الثاني يوم اعادها سيادة مطران طرابلس فقد كانت مدرسة صغيرة

اشرت اليه اثر ادبي لم يبرح نفسي قط ولعله كان ذا تأثير على افكاري في كل حياتي

اريد بهذا الاثر صبغة المدرسة الدينية . فقد كان رئيسها بروتستنتيًا ومديرها مارونيًا واستاذ اللغة العربية فيها والبيان والفقه مسلماً وناظرها مارونيًا . ومع انها كانت مدرسة ارثوذكسية للطائفة الارثوذكسية الطرابلسية فلم يكن فيها معلم ارثوذكسي غير واحد . ففي يوم الاحد كان التلامذة الارثوذكس ينزلون مع المعلم الارثوذكسي الى كنيسة المدرسة ويرافقهم الرئيس اليها ارهابًا لهم لكي يلزموا السكون فيها . وكان المعلمون المارونيون يصطحبون التلامذة المارونيين الى كنيسة مارونية في قرية قريبة من المدرسة اسمها (اميركا الجديدة) لان معظم سواد اهلها عادوا من اميركا وأنشأوها . اما التلامذة المسلمون فكانوا يصلّون مع شيخهم او على انفراد واحيانًا كانوا يقصدون معه جامعًا في قرية قريبة ذهب اسمها عني . وفي ايام صوم رمضان كنا نرى حضرة الشيخ المحترم معهم على سطح المدرسة ينتظرون غروب الشمس للافطار امام مائدة كانت تعدّ خاصةً لهم . وكان الوداد والالفة على غاية ما يرام بين المذاهب المختلفة . ولا اتذكر انه قام بين الطلبة يومًا ما نزاع او شبه نزاع بشان معتقداتهم . نعم وقع تحزب وعداء بينهم في آخر سني المدرسة وانقسموا حزبين ولكن هذا التحزب كان بين اهل الجبل واهل الثغور وكان مع اهل الثغور بضعة من اهل الجبل يساعدونهم على بني وطنهم . وحسبك ذلك دليلاً على ان التحزب لم يكن تحزب اعمى بل تحزب عواطف واميال . وكان بطل الحزبين وناصر اهل الثغور على اهل الجبل المرحوم اديب بك شويح من قرية كفتين وهو جبلي

أفلا يحتاج اليوم اخواننا السوريون في الولايات المتحدة الى مدرسة كهذه المدرسة ؟

وكانت كفتين في طورها هذا زاهرة نامية . فانه كان يعلّم فيها اللغة العربية والبيان والفقه حضرة الاستاذ الشيخ ابرهيم الفتال الطرابلسي اشهر واعلم محامي سوريا في هذا العصر . وقد درّجنا في درس الفقه حتى حاشية ابن عابدين هذا غير البيان واللغة فكانت كفتين خير مدرسة في سوريا تعلم اللغة العربية وآدابها . وانني لأحفظ له في نفسي مقامًا ساميًا حتى انني لما قامت المناظرة بين الجامعة والمفتي بشان ابن رشد والمسائل الاسلامية التي وقع الكلام فيها كنت احسب لرأيه فيها حساب الف رأي وخشيت ان يسيء الظن بتلميذه الذي يحبه ويحترمه فيصدّق فيه وشاية من الوشايات ولذلك بعثت اليه بالكتاب حين ظهوره ليتحقق بنفسه خطأ الاشاعات التي شاعت في بعض الانحاء عن تحامل صاحب الجامعة على المبادىء الاسلامية . اما الرياضيات فكان يدرّسها جناب جبر افندي

ضومط استاذ البيان اليوم في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت · وكان رئيس المدرسة جناب داود افندي عيسى يدرّس النبات والحيوان· وجناب انطون بك شحيبر المحامي في بيروت يدير المدرسة ويدرّس فيها الفرنسوية · وكانوا يدرّسون فيها ايضاً الانكليزية والتركية · ولله كم كنت اضحك من رفيق لي كان يدرس الانكليزية يومئذٍ ويعتني بها اكثر من اعتنائه بالفرنسوية· اما الان فهو يحقّ له ان يضحك مني لانني صرفت عمري في درس الفرنسوية وقرأت فيها ما لا يقرأه غيري في مائة سنة وها هي معي في اميركا الان قلما تفيدني شيئاً· واذا كان هذا قولي عن اللغة الفرنسوية وهي لغة عمومية تنفع الانسان في كل مكان فما القول باللغة الروسية التي تدرّس اليوم في جميع المدارس السورية الارثوذكسية دون الانكليزية والفرنسوية· بودنا لو انتبهت الجمعية الكريمة التي تدير تلك المدارس الى هذا الامر وجعلت درس اللغة الانكليزية بعد العربية فيها· فان مستقبل السوريين هو في اميركا دون ريب وهم مصيبون بوفودهم الى هذه البلاد افواجاً افواجاً ليُخلقوا فيها خلقاً جديداً

هي
وعودتها الى الشرق

في تلك الليلة لم اتعشَّ وحدي· فانها كانت على كرسي امامي في مطعم فرنسوي كبير في (فولتن ستريت) حيث اتعشى في كل ليلة فزادت رؤيتها قابليتي للطعام· والعادة انني افرغ من العشاء الساعة التاسعة مساءً مع ان اهل نيويورك يفرغون منه في الساعة السابعة ونصف· ففي هذه المرة فرغت من العشاء الساعة الثامنة لانني اكلت بسرعة ونشاط ثم اخذتها بين يديَّ وسرتُ بها نحو (البوط) اي الباخرة التي تعبر بنا من نيويورك الى بروكلن حيث انا مقيم· وقلت لها هلمي بنا يا عزيزتي الى غرفتي لاستريح فقد اتعبتني مشاغل ومشاكل النهار وما اكثر المشاغل والمشاكل في نيويورك! وكانت الانوار بدأت تتقد حول البحر الفاصل بين المدن الثلاث نيويورك وجرزي ستي وبروكلن فقلت لها انني كتبت رواية اسمها « المدن الثلاث » قبل ان ارى هذه· فضحكتْ لانها تعرفها وقد قرأتها · فلما ركبنا الباخرة وسارت بنا تمخر اليمّ التفتُّ الى اليسار فاذا بي ارى جسر بروكلن العظيم الذي هو اعجب جسر في الدنيا كأنه ربع قوس من نار او نور للمصابيح المتقدة عليه والمركبات الكهربائية المنارة اسطع نور تسير عليه كدبيب النمل وهي تكاد لا تُرى لبعدها وارتفاعها· والتفتُّ الى

اليمين فاذا بانوار مدينة جرزي تمتدُّ على خط يظهر مستقيماً الى ان يغيب في الافق · وامامنا بروكلن المصيف الربيعي الجميل · والبواخر العديدة تمخر عشرات عشرات بين المدن الثلاث مشحونة بالركاب والبضائع وتصفر صفيراً يتردد صداه في جوّ قاتم مشبع بالضباب والبخار ودخان المعامل حول البحر · وفي وسط هذا البحر بين ملايين الانوار الصفراء والحمراء والخضراء تمثال الحرية العظيم يحمل القبس في يده مشعلاً فيظهر قبسه كأنه نجم معلق في الفضاء · فالتفتُّ واياها الى هذا التمثال لانني كلما مررت به اتذكر مقدمة الجزء الاول فاذا بي ارى بجانبه احدى بواخر الاوقيانوس خارجة من المرفاء تقصد اوروبا · فقلت لعلها تقصد الهافر فمرسيليا فالاسكندرية ··· والتفت حينئذٍ الى رفيقتي الحبيبة فرأيتها تنعم النظر في هذه الباخرة العائدة الى الشرق · ثم رأيت على خديها دمعتين · فضحكتُ وقلتُ لها ما بكِ اتبكين لذكرى الوطن · فابتسمتْ واجابت ليس ما ترى دموعاً بل هو رشاش البحر الذي صدم (البوط) الا ترى هياجه · ثم مسحت دموعها او رشاش ماء البحر كما قالت ·

فضحكت لهذا العذر اللطيف ولا شيء الطف من اعذار السيدات وقلت لها: قولي الحق الا تحبين العودة الى الشرق · فعبست وقالت كيف تسألني هذا السؤال انني عائدة الى الشرق وان لم تعد معي · فاجبتها انك تقولين ذلك لانك تعلمين انني أذنت لك بالذهاب · فاذا لم آذن لك به فهل تعصين ارادتي · فضحكتْ بدلال وقالت انا اعلم انك وعدتَ بارسالي الى بلادنا فلماذا تجرّبني · ثم الا تهمك صحتي · فانني في عودتي الى الشرق سامرُّ بفرنسا وانكلترا وايطاليا ومن هناك ازور الجزائر وتونس والهند واقطار آسيا ومراكش وايران وجنوبي افريقيا وبلاد العرب وروسيا حتى القوقاز · اما مصر والشام فانني سازور كل بلدة فيها ولا اترك قرية الا وادخلها · نعم سأتمتع هناك بالربيع الدائم والشمس المتقدة طول النهار والسماء الصافية والهواء النقي والازهار والاشجار في البرية · اما انت فستبقى مقيماً هنا تستنشق في عاصمة العواصم وام المدن الضباب والدخان والبخار · انك لأهل لاكثر من هذا لماذا تركت بلاد الربيع والنور والهواء الى بلاد الفحم والحديد ·

فهنا اريتها السخط وقلتُ لها: انني من اجلكِ تركتُ كل شيء واراكِ الآن تشمتين بي · لقد انتظرتك سنوات ولم اشأ ان اخطب غيركِ وهذا الآن جزائي عندكِ · ولكن لا عجب فتلك شيمة اهل الدلال · اذهبي ياحبيبتي الى الشرق بارك الله لك في سكونه وخموله وموته · اذهبي الى بلاد تموت فيها المواهب وتُحلُّ العزائم ويدوس الحسد كل عاطفة كريمة ويقتل الصديق صديقه بيده ويسود الجهل والجهال بما لديهم من المال على

اهل الفضل والعلم · اذهبي اما انا فقد طابت لي الاقامة في ارض الحركة والضوضاء والعمل والحرية

لا ريب ان القارىء علم انني لا اعني بهذه الرفيقة الجميلة غير (الجامعة) وكان ذلك الجزء الذي اصطحبته في تلك الليلة اول جزء خرج من الادارة الى نور السماء يوم صدور الجزء الاول من المجلة بعد انحجابها سنتين

باب الاخبار العلمية

اليشمك التركي في نيويورك نشرت احدى جرائد نيويورك رسماً لنقاب نصفي تستعمله اليوم السيدات المثريات في اميركا لركوب الاوتوموبيل · وهو يشبه اليشمك المصري تمام الشبه · فكأنَّ اخواننا المصريين ينادون برفع الحجاب والاميركيون يعودون اليه · والصحيح ان الاميركيات لا يضعن هذا (اليشمك) الاَّ منعاً للغبار الثائر وراء الاوتوموبيل من الوصول الى وجوههنَّ الغضة الجميلة · ولكن من يدري انهنَّ لا يستظرفنه فيبقينه لوجوههنَّ في النزهات الطويلة والقصيرة حتى داخل المدينة · فانه من المشهور في مصر ان اليشمك يزيد جمال السيدة لانه يستر اعلى الوجه واسفله ولا يُظهر الا اجمل ما فيه اي العينين والوجنتين

شهادة ابي عائلة في اميركا قال لنا فرنسوي ابو عائلة في اميركا وقد لقيناه على الباخرة الفرنسوية في طريقنا من الهافر الى نيويورك انه يفضل ان يربي اولاده في اميركا على ان يربيهم في فرنسا لان تربيتهم الادبية تكون اصح واقوى · وهكذا فعل

شهادة كاتب مشهور للوطن الاميركي كتب المسيو بول ادام الكاتب الفرنسوي المشهور كتاباً في اميركا وشؤونها ومن جملة ما قاله في كتابه « ان الوطن الاميركي خير وطن في الدنيا » ثم بحث في ما ينسبه بعض الكتاب الى الاميركيات من الغلو في الحرية والافراط في استعمالها فقال ان هذا الغلو والافراط هو في طبقات معلومة ولكن هناك عائلات وجماعات محافظين كل المحافظة على التقاليد القديمة وهم في الحقيقة مديرو ازمة الآداب العمومية في الامة حتى ان ابنة رئيس الجمهورية نفسها لا تسلم احياناً من اعتراضاتهم

فالابنة الاميركية الحقيقية ليست كما اعتاد ان يصوّرها كتاب الروايات الاوروبية بل هي ارقى واشد رزانة من ذلك

سبب شيب الشعر ومنعه يقول الاستاذ مشنيكوف الفرنسوي وكيل معمل باستور في باريز ان سبب شيب الشعر ميكروب يصعد الى الشعرة الواحدة ويأكل مادتها السوداء فيفرّغها وبذلك تصير بيضاء . وان الدواء لمنع داء الشيب قتل تلك الميكروبات بتعريضها لحرارة مقياسها ٦٠٠ درجة

اختراع اميركي جديد اخترع الاميركان آلة تمنع الوأد اي دفن الانسان حيًا مع ظهور اعراض الموت فيه . وذلك انهم يضعون هذه الآلة في القبر بعد دفن الميت فاذا تحرك نبهت الآلة الى حركته من داخل القبر . وقد جرّبوا هذه الآلة في احد مدافن نيويورك فانقذوا بها ستة اشخاص من ١٢٠٠ ميت جرّبت فيهم . على انهم في غراتز في النمسا يثقبون قلب الميت قبل دفنه خوفًا من بقاء بقية من الحياة فيه فتعذبه في القبر وهو عمل وحشي . ولكن هناك طريقة افضل من هذه الطريقة لمعرفة وقوف الدورة الدموية من عدمه وهي ان يُحقن الميت تحت الجلد بمحلول الفلوريسايين فاذا كانت الحركة الدموية لم تقف تمامًا صار لون البشرة اصفر اصفرارًا شديدًا ومالت العينان الى الاخضرار

المؤتمر الاميركي في ريوجانيرو . تحسب اوروبا اليوم الف حساب للمؤتمر الذي عزمت جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية على عقده في ريوجانيرو من اعمال البرازيل والذي من اجله طلب جناب الرئيس روزفلت تاجيل عقد مؤتمر السلم في لاهاي . وهم يخشون ان يؤدي التعارف والاتفاق بين الجمهوريات الاميركية المتعددة الى تحالف فعلي لصد تيار اوروبا عن اميركا وتنفيذ شريعة مونرو بكل صرامة وتدقيق في الاقطار الاميركية . وسيجتمع هذا المؤتمر في اواخر تموز (يوليو)

استعمار الجزائر قال المسيو بول لوروى بوليو الاقتصادي الفرنسوي في (مجلة العالمين) انه ليس في الجزائر موضع لاكثر من مليون مستعمر اوروبي . وان عدد الاوروبيين المقيمين فيها الآن يبلغون ٦٣٠ الف نسمة نصفهم فرنسويو الاصل . وهو يقول انه لا يُخشى على الجزائر من زيادة عدد الاجانب فيها ولكن يجب سياستها بحكمة واعتدال لاجتناب كل ما يخشى منه . ثم تكلم عن تونس فقال انه يجب تعديل الضرائب فيها فان هناك ضريبة على كل وطني بالغ الرشد قدرها ٢٤ فرنكًا في السنة مع انه يجب جعلها درجات بحسب غنى السكان وفقرهم . ثم انتقد ضن الادارة الفرنسوية في تونس بالاذن

بالتجنس بالجنسية الفرنسوية فقال انها لم تمنح الجنسية الفرنسوية في تونس في سنة ١٩٠٥ الا لتسعة وخمسين شخصاً

﴿ اصل اللؤلوء ميكروب ﴾ يقول المسيو سوارت في مجلة العلم في القرن العشرين ان سبب تكوُّن اللؤلوء ميكروب يفعل في انسجة الحيوان الذي يسكن الصدفة التي ينشا فيها اللؤلوء . فاذا صحَّ هذا القول امكن اصطناع اللؤلوء في المستقبل وذلك بتوليد هذا الميكروب وانمائه

﴿ رزق الاطباء ﴾ قال المسيو روسل في مجلة الاقتصاديين ان في فرنسا ١٣ الف طبيب منهم ٢٥٠٠ في باريز . ومن هولاء الاطباء اثنان او ثلاثة يربح الواحد منهم ٢٠٠ او ٣٠٠ الف فرنك وعشرة يربح الواحد منهم ١٠٠ او ١٥٠ الفًا و٨٠٠ يربح الواحد منهم من ٨ الى ١٥ الفًا و١٢٠٠ منهم يربح الواحد منهم دون ٨ الاف فرنك . ومن بين عشرة الاف طبيب في الاقاليم خمسة الاف يستطيعون ربح نفقاتهم واما الباقون فلا يقدرون ان يربحوا نفقاتهم فيحترفوا حرفًا اخرى مع الطبابة اخصها السياسة . فقد كان في مجلس النواب الفرنسوي السابق ٨٠ طبيباً

﴿ هل التجارة نزاع بين البائع والشاري ﴾ قال المسيو نوفيكوف في مجلة الاقتصاديين انه من الخطاء اعتبار التجارة نزاعًا شديدًا بين البائع والمشتري . وهذا الخطاء سببه اعتقادهم ان المساومة في التجارة لا بدَّ منها لكي يمتص البائع كل ما يمكنه امتصاصه من المشتري . ولكن التجربة والمشاهدة تُبطل هذا الزعم . فان مخزن اللوفر في باريز يبيع كل يوم بضائع بقيمة ثلاثة مليون فرنك باثمان محدودة . ولو عمد الى المساومة لزيادة ربحه لما استطاع ان يبيع باكثر من مليون ونصف في اليوم . فهنا اذًا تضامن تجاري بين البائع والشاري . وكذلك بين الامم فلا يجب ان يعتبر بعضها بعضاً خصوماً واعداء عند ارادة عقد المعاهدات التجارية

﴿ المدارس الفرنسوية في الشرق ﴾ اقترح المسيو هنري هوزر في المجلة السياسية والتشريعية ان تكون المدارس الفرنسوية في الشرق مختلفة الصبغة . فهو يطلب ان تكون كاثوليكية للكاثوليك واسرائيلية للاسرائيليين ومدنية محضة للارثوذكس والمسلمين والارمن اي لا دخل للدين فيها . والغرض من هذا الطلب التخلص من اعتراض الذين يعترضون على الاشتراكيين حين طلبهم جعل جميع المدارس الفرنسوية في الشرق مدنية محضة بان كاثوليك الشرق يفضلون المدارس الدينية على غيرها . ولكن لو سئل كاثوليك

الشرق هل هذا الزعم صحيح فانهم يجيبون ولا شك بانهم قادرون ان يعلموا اولادهم اصول الدين بانفسهم وانما يطلبون مع باقي مواطنيهم مدارس عملية يتعلم فيها اولادهم علماً منطبقاً على حاجات الامة كصناعة وزراعة وتجارة بدل المدارس الادبية واللغوية التي لا فائدة منها غير اكثار عدد (فاقدي الطبقة) déclassés في سوريا والشرق كله الذين قال فيهم جبريل شارم انهم سيكونون عامل الثورة فيه كما هم اليوم في روسيا

﴿ دعوة المهاجرين الى كندا ﴾ تدعو مجلة ميلانس كل من يروم المهاجرة من بلاده ان يقصد كولومبيا الانكليزية احدى ولايات كندا حيث الناس مفتقرون الى الايدي العاملة اشدّ افتقار للزراعة والخدمة المنزلية · ولذلك كانت الاجور فيها كبيرة مع كونهم يستخدمون لذلك الصينيين واليابانيين

﴿ الخبز الابيض يسبب فقر الدم ﴾ قال المستر فرنسيس فوس الاميركي ان الخبز الشديد البياض لا يكتسب بياضه هذا الاّ بطرق صناعية فعلى الذين يرغبون فيه دون الخبز الاسمر ان يعلموا انه يسبب فقر الدم

﴿ يرفض العفو ويريد ان يُقتل ﴾ حكمت احدى محاكم باريز على رجل يدعى بول ادام بالاعدام · والعادة ان الحكم بالاعدام في فرنسا يُستبدل بالاشغال الشاقة وذلك لسببين الاول لان للاعدام خصوماً عديدين بين الفلاسفة ورجال السياسة والثاني وهو الأهم ان الشريعة الفرنسوية تقضي بان يكون الاعدام علنياً · ولما كان (الكليوتين) آلة الاعدام المشهورة قد رُفعت منذ عدة سنوات من ساحة روكت المشهورة بها فلما راموا نصبها في ساحة اخرى مانعت كل احياء باريز في قبول نصبها عندها · ولذلك جرت العادة باستبدال الحكم بالاعدام بالحكم بالاشغال الشاقة تخلصاً من مشكلة نصب الكليوتين · لكن صاحبنا بول ادام المحكوم عليه اليوم بالاعدام ابى التوقيع على طلب العفو والاستبدال حين قدمه اليه محاميه · وقد قال له لا اريد عفوهم فقد حكم عليّ بالاعدام فاطلب ان يعدموني لان باريز لم ترَ اعداماً منذ عشر سنوات · وهو مصرٌّ على هذا الطلب اشد اصرار · وسيكون طلبه هذا باعثاً على التعجيل في تقرير احد اقتراحين معروضين الان على مجلس النواب الاول الاذن بالاعدام في السجن كما صاروا يفعلون في مصر في السنوات الاخيرة والثاني الغاء عقاب الاعدام قطعياً · وقد سبقت روسيا فرنسا في هذا السبيل فاننا نكتب هذه السطور ومجلس الدوما ومجلس الاعيان الروسي يبحثان في الغاء الاعدام · وهو اقتراح حق لانه لا اقبح من قتل الانسان للانسان في اي سبب كان فانه ليس يجوز ان يأخذ الحياة الا الذي اعطاها

باب تدبير الصحة والمنزل

الوصايا العشر في المطبخ

على ربة البيت ان تراعي نظام المطبخ سواء كانت هي التي تشتغل فيه او الخادمات . فتلاحظ ساعة اعداد الطعام للمائدة ان لا يخل بترتيب المطبخ بل تنتبه الى اعادة كل شيء الى محله حال الفروغ من استعماله وبذلك يقتصد الوقت الطويل الذي يجب ان يصرف بترتيبه ثانية . وهنالك بعض وصايا للمطبخ يجب حفظها

١ لا تصبي الماء السخن في صحون الصيني لانها تتقلص حالاً وتتشقق

٢ لا تستعملي السكاكين لتنظيف الطاولة فذلك يعطلها

٣ لا تنظفي نقط الدهن بالماء والصابون بل بليها اولاً بمحلول الصودا ثم ارفعيها من المحلول بقطعة من الخشب ولا تمسكيها بيدكِ لان المحلول كاوٍ ثم اغسليها بماء الصابون

٤ لا تجففي اباريق القصدير على النار فيرتخي اللحام فترشح . ولا تقربي الاواني القصديرية الى الماء الذي فيه ولو قليل من الدهن فيذهب لمعانها

٥ لا تملحي الخيار او الباذنجان قبل الطبخ لان ذلك يجعله عسر الهضم

٦ لا تضعي خلاً في صحون معدنية فانه يحل شيئاً منها ومحلوله يؤذي

٧ لا تذوقي الطعام بملعقة ثم ترجعيها للقدر (الحلة) فان ذلك مضرٌّ هذا عدا انه مما تشمئز منه النفس . وكذلك يُستنكر تحريك الصلاتة باليد فان الخادمات يفعلن ذلك في غياب سيداتهنَّ ويتظاهرنَ بعكسه

٨ انتبهي ان لا تغسلي فوط السفرة والمناشف الملطخة ببقع الاثمار في ماء سخن وصابون فان ذلك مما يزيد البقع رسوخاً

٩ لا يجب ان تملحي اللحم قبل الطبخ بل اضيفي اليه الملح اثناء الطبخ او بعده ولا تغلي اللحم دفعة واحدة بل دعيه يغلي ٥ دقائق اولاً ثم اتركيه يغلي على نار بحرارة ١٦٠ فارنهيت

١٠ استعملي المكيال للطبخ فان الطبخ عمل كيماوي يجب ان تكون مواده متناسبة ليكون صالحاً ولذيذاً «مجلة السيدات»

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

رواية غريبة لمسز كلارنس ماكي

احدى كبيرات سيدات نيويورك

كاتبة وصاحبة ملايين

﴿ السيدة ﴾ هي مسز كلارنس ماكي صاحب الملايين المشهور وابن المستر جون ماكي المشهور بمد الاسلاك البرقية الترنستلانتيكية عمرها ٢٤ سنة وهي في منتهى الظرف والجمال تسكن قصرها الجميل في لون آيلن على مسافة ساعة من نيويورك وهو من اعظم واشهر قصور نيويورك اهداه اليها حموها المستر جون ماكي بطريقة غريبة · فانه لما كان يبني هذا القصر كان يسأل خطيبة ابنه المس كلارنس ان ترشده بسلامة ذوقها الى بنائه فكانت الفتاة تذكر له كل ما تحب ان يكون في القصر من غرف وقاعات ملوكية واثاث لا مثيل له وحرش يحيط به فبنى المستر ماكي القصر كما رسمت له ولما تمَّ اخبرها انه بناه بحسب ذوقها ليجعله هدية اليها · ولها الآن بجمالها الفتان ومركزها العظيم وثروتها الطائلة وذكائها النادر المثال مقام من اعظم مقامات سيدات نيويورك

﴿ رواياتها ﴾ ان هذه السيدة التي تلعب بالملايين لعباً لا سعادة لها ولا هناء الا في صناعة الكتابة · قالت يوماً لأحد زائريها من الاوروبيين وهي تريه كوخا صغيراً في اطراف الحرش المحيط بقصرها : انني لا اشعر بانني سعيدة هنيئة البال الا حين اجلس في هذا الكوخ للكتابة

وماذا عسى ان تكتب هذه السيدة الكبيرة التي اذا شاءت جعلت لها ثروتها كلَّ شيء طوع ارادتها · وما هي المبادىء والافكار التي تختلج في نفسها فتفضلها على ثروتها ولا تجد سعادة بدونها

آخر كتاباتها رواية غريبة رأينا تلخيصها هنا لما فيها من الافكار الغريبة الجديدة ·

وقد مُثلت هذه الرواية في العام الماضي في قصر مسر جورج كولد الغني المشهور

الرواية بين تيوفيل وجبريلة . وكان تيوفيل من العلماء وقد اظهر ارتيابه في سر التثليث فاضطهدته الكنيسة . وكان يحب جبريلة حباً شديداً وجبريلة مشغوفة به اشد شغف وكان يستمد منها قوته في مقاومة الاضطهاد فقال لها يوماً : لقد عرفتك منذ سنة وذلك حين دُعيتُ لاكون معلماً لكِ . وكنت قبل ذلك اسير في الارض منفرداً وحدي بقلب بارد ودم فاتر فامرُّ بازهار الحدائق فاستملحها ولكني كنت امسها بيدي مساً واذهب دون ان يلذ لي ان اقطف شيئاً منها (١) . ثم رايتكِ فرايت انكِ وردة باهرة بين تلك الازهار . واول ما عرفتك شغفتُ بقلبك المتقد الذي فتن قلبي . وجعلني حبك ارتعد ارتعاداً . ومنذ ذلك الحين لم يبقَ في نفسي سوى امرين ولم يبقَ لي اهتمام الا بحقيقتين وهما حبك وحب عملي . وساحبك الى الابد لانني بحاجة الى ان تكوني الى جانبي على الدوام . فارضي بالاقتران بي ايتها العزيزة . ارضي بان تكوني ملكي وامرأتي امام جميع الناس . اقترني بي من اجلك ومن اجل طفلك الآتي . وذلك لكي تكفي نفسك غداً مرارة الالم حين ترين عينين صغيرتين مثل عينيَّ تنظران اليك وتسألانك (اين ابي)

فتجيبه جبريله : اما سمعت ما قاله القديس جيروم في الزواج . فانه قال « انه ينبغي للرجل الحكيم ان لا يتزوج مطلقاً لان الزوجة والفلسفة حمل ثقيل على الاكتاف البشرية » فهل تظنّ الاتفاق ممكناً بين المغزل والكتاب . هل يمكن ان يجتمع سرير الطفل ومائدة الشغل . هل في العالم انسان قادر على ان يجمع قواه العقلية ويحصرها في موضوع واحد بينما يسمع الى جانبه صراخ طفل في سرير وصوت امّ تنشد له لينام . كلا فان علمك وفلسفتك ينهدمان حينئذٍ وحبنا يسقط بجانب جثتهما المائتة . اننا بعد الزواج لا نستطيع ان نحلم كما نحلم الان في عوالم مجهولة . وحبنا المطلق الان لا يمكن ان يعيش طويلاً بين ليالٍ وايام تمرُّ على وتيرة واحدة وسط مشاغل الحياة اليومية الحقيرة

فقال تيوفيل : اقترني بي من اجلنا ومن اجل طفلنا

فاجابت جبريله : من اجل تقدم العلم ورغبة في بقاء الحب بيننا لا اقترن بك . انني اشد حباً لك من حبي لنفسي . ولا شيء يفصلني عنك ولكني اخشى ان الحب يستغرق قواك ويضعف نشاطك . فلا تضع حاجزاً بين نفسي ودماغك الذي يستمد منها وحيه . انني اذا اقترنت بك اصبحت كل يوم بجانبك لحماً ودماً فلا تعود تراني كما تراني الان

(١) المعاني بين السطور كثيرة في هذه الرواية

الاهة تسكن في مخيلتك كما في اثير السماء

ولكنها قبل ان تضع طفلها اقنعها تيوفيل بان تذهب الى قصره لوضعه فيه وللمعيشة معه . فقالت له : انني اذهب ولكن اذهب كحبيبتك لا كزوجتك . اذهب كزهرة انت تحب حبسها في قلبك لتكون ملكك . انني امكث معك ما دمت محتاجاً اليّ . ولكني متى رأيت انك صرت تعدّ الساعات بجانبي وتضجر من طولها فانك لا تعود تراني بجانبك

فسارت جبريله مع تيوفيل الى قصره فمكث معها عشرين يوماً . وبعد ان وضعت سار الى باريز للاهتمام بمشاغله العلمية والفلسفية . فاقامت جبريله مع طفلها تنتظر عودته عدة اشهر . ثم عاد اليها فعادا الى الكلام في الحب وطبائعه فوجدت جبريله ان في تيوفيل شيئاً قد تغير فقالت له

ـ ارى شيئاً قد تغير فيك واشاهد خطاً يجعد جبهتك فهل اضعت الحب ووجدت الفلسفة . فاجاب : لم أضع شيئاً . فقالت : هل وجدت السعادة . فاجاب : لا توجد السعادة الحقيقية الا في الملاذ العقلية

ذلك ان تيوفيل اصبح بين قومه اول داعٍ الى مبادىء العقل والحب العذري (بلاتونيك)

وبينما هما يتباحثان واذ قدم ابو جبريله وكان قد اعياه التفتيش عنها فلما علم بامرها غضب غضباً شديداً ورام الانتقام لشرفه فقالت له جبريله بهدوء وكبرياء : احببته فاعطيته كل ما لدي . في الحب لا ذنب ولا جرم . هو لم يأخذ شيئاً ولكنني انا اعطيته . فانت تستطيع محاكمته بل قتله ولكن حبي له يبقى اقوى من بغضك له

ولكن اباها يرجو منها ان ترضى بالاقتران به اجتناباً للعار فترضى على شرط ان لا يدري بذلك احد غيرهما

وفي الفصل الثالث وهو الاخير يُقضى على حب تيوفيل لان العقل والعلم اماتا هذا الحب اذ لم يبقَ في نفسه موضع لغيرهما . فجاءته جبريله وكان طفلها قد توفي لانه لم يعش الا بضعة اشهر وكانت قد تغيرت هي ايضاً . فان كل ما كان يوقد نار الحب فيها زال وتلاشى فاخذت تقول : ترى هل تعود مع الربيع ايامنا الاوَل ؟ ايمكننا ان نقلب صفحة اخرى من صفحات الحياة العظمى ؟ فقال لها تيوفيل انها اذا كانت تحبه فعليها أن تدخل معه الى دير قريب منهما وهناك يعيشان معاً معيشة طاهرة اساسها الحب العذري الطاهر . وكانت جبريلة لا تزال تعتقد ان الحب والشباب قادران في كل حين على التمكن من الحياة والاستيلاء

عليها ٠٠٠ ففضلت سناء الطبيعة وصوت الانسانية العظيم على سلام الدير وسكونه٠ فاتجهت الى الباب وخرجت منه وهي تقول: انني اؤمن بالطبيعة والخالق العظيم الذي خلقها٠ اؤمن بالحقيقة التي تدلنا على طريقنا في هذه الارض٠ اؤمن بالموت الذي يدل العقل على اسرار اللانهاية٠ فوداعاً ايها الماضي٠ انني ارى الشمس تسطع في طريقي فاسير في نورها وحدي مصغية الى نشيد الطبيعة العظيم الذي يدوي في اذني٠ الوداع يا تيوفيل ٠ انني امشي منذ الان وحدي في طريق الحياة العظمى واسمع باذني حفيف اجنحة الحقيقة القوية وسط رياح الحرية الابدية » ــ ومعنى كل هذا بالكلام البسيط الخالي من إبهام الفصاحة : حبٌ مطلق حياة مطلقة الحب حياة المرأة كلها

هذه خاتمة رواية مسز كلارنس ماكي ٠ وغريب ان تصدر هذه الافكار المطلقة من كل قيد تقريباً عن وسط كثيراً ما فاخر الناس بانه من انصار المحافظة على المبادىء الازلية العائلية القديمة

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى عليها معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

مسألة عائلية اجتماعية

اجوبة الاقتراح

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

اقترحنا هذا الاقتراح على الادباء في الجزء السابق فوردتنا خمسة اجوبة ننشرها هنا بحسب ترتيب ورودها

١

عندي انه لا يمكن وقوع ما يُخشى منه اذا كانت الصداقة وحدها اساس حسن المعاملة المتبادلة وحيث لا محبب بهاتيك الصداقة سوى خلال جميلة (حافظ)

٢

من كل نساء الذين اعرفهم لا يوجد واحدة لا يُخشى عليها من صحبة الرجل ولكن سمعت بعض الناس يقولون انه يوجد نساء لا يخشى عليهم من صحبة الرجال ولكن انا لست على معتقدهم واريد من زوجتي ان لا تصاحب احداً غيري (خليل حنا سمعان)

٣

المقصود بالامرأة من كانت ذات بعل ولها ابوان واخوة يسكنون في دار واحدة او متفرقين . فقد اتفقت الآراء على ان للدين تأثيراً عظيماً في الهيئة الاجتماعية فان كان لهذه العائلة دين قويم واعتقاد حقيقي بالله فبلا شك تكون عواطفهم سليمة ويمكن للمرأة (وان كانت ضعيفة الارادة) ان تتخذ لها منهم صديقاً يعاملها معاملة الصديق (او هم يتخذونها لهم صديقة) واما غير ذلك فلا يمكن (ديب نعوم ليون)

٤

ارى الانثى تكدّر بعلها اذ	تريد لغيره معها علاقهْ
وان هيَ صاحبت يوماً احبت	عليه وربما طلبت طلاقهْ
فللأنثى فؤادٌ مثل طيرٍ	يفرُّ اذا رأى للفرِّ طاقهْ !
وان تكن العلاقة عن ولاءٍ	نقيٍّ = لا تعدُّ من اللياقهْ
تزيد ولاً لصاحبها الى ان	يصير لها به (جملٌ وناقهْ)
فتهديه سلاماً من بعيدٍ	ويهديها من الازهار باقهْ
وان لم يربط القلبين حبٌّ	فما المعنى اذن من ذي (المراقهْ) ؟
فانَّ صداقةً لا حبٌّ فيها	من (الجهتين) لا تدعى صداقهْ

(اسعد رستم)



اذا كان المقصود من (الحب) ما تفهمه الطبقة السفلى من الناس فدواء هذا الداء ان لا تقبل العائلات في منازلها من يُعرَف انه لا يحترم اعراض السيدات . وطريقة معرفة ذلك امر سهل لما يُسمع عنهم في اماكن اللهو والسرور . لانه ليس من اصالة الرأي ان يُحرم الادباء والمهذَّبون الذين يعاملون بنات الغير وسيداتهم كما يعاملون بناتهم هم وسيداتهم من الالفة العائلية الطاهرة التي تكون بين العائلات متى كان رائدها التهذيب . هذا فضلاً عن ان البنات في هذا الزمان لا يجدنَ خطَّابًا وازواجًا الاَّ بعد المعاشرة والاختبار . واما اذا كان المقصود من الحب ما يفهمه الشعراء واهل الاحساس الدقيق اي تعلق نفس بنفس تعلقًا اكراهيًا لا ارادة للانسان فيه فالرجل العاقل والمرأة العاقلة متى شاهدا انهما على شفا هذه الهاوية فطبيعتهما الكريمة وآدابهما السليمة توقفهما عن السقوط فيها . وذلك اما بضغط عواطف النفس ضغطًا لا يترك لها سبيلاً للظهور او بقطع العلائق بالحال وحينئذٍ فان غيبة اسبوع او اسبوعين قد تمنع ما يُخشى منه . فالجواب على هذا الاقتراح متوقف على طبيعة الشخص وآدابه ودرجته من تهذيب النفس . وان قيل ان ذلك وهمٌ ومحال فقد عرفت صديقًا لي في احد بلدان الشام كان يتردَّد على منزل صديق له كان له اخت عازبة في منتهى الجمال والكمال . وكان كلما جاء للسهرة عندهم تستقبله عيناها الكبيرتان الزرقاوان اللتان تضطربان كانهما رُكّبتا فوق زئبق . فما مرَّت مدة وجيزة حتى أُولع بها ولعًا شديدًا . وكان ابوها عرابًا لصديقي المذكور فلا يجوز له الزواج بها في شريعة الكنيسة . فمع حبه لها وتعلق نفسه بنفسها ضغط على عواطفه فصار لا يذهب الى بيتهم الاَّ بدعوة وعتاب واذا جلسوا في المجلس كان يخاطب الجميع وينظر الى الجميع الاَّها . ولم تكن هي تعجب من ذلك لانها كانت مثله ادبًا وشهامةً . فلم تلبث ان ذهبت سورة الحب الاولى قبل ان تتمكن . الا انه كان يحذر دائمًا النظر في عينيها الجميلتين . ولم يدرِ احد قط بهذه الحادثة الاَّ الفتاة وصديقي وانا . وقد توفي صديقي في الشام وتزوَّجت الفتاة . وكم من مرة سمعته يقول لو كان يجوز لي الزواج بها لما تركتها تفلت من يدي . ولكن حيث لا يجوز لي ذلك فقد رأيت من الدناءة واللؤم ان أُعلقها بي واخدش صيتها او اضحك منها

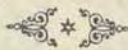
فالشبان والبنات الذين يكونون بآداب كهذه الآداب ونفوس كهذه النفوس لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (تذكار)

من ادارة (الجامعة)

﴿ نقل ادارة الجامعة وتغيير عنوانها ﴾ نقلت ادارة الجامعة من شارع برودواي نمرة ٣٩ الى شارع برود نمرة ٦٢ وقد اعدت لها في ادارتها الفسيحة في شارع من اهم وانظف شوارع نيويورك مطبعة خصوصية لطبعها وطبع المطبوعات التجارية والقوائم واوراق المراسلات والكارت فزيت وغيرها لمن شاء الطبع فيها طبعاً في غاية الاتقان في نيويورك او خارجها · وعنوانها الجديد هكذا 62 Broad St. باسم الجامعة او اسم منشئها

﴿ دفع اشتراكات الجامعة ﴾ تشكر ادارة المجلة الافاضل الذين ارسلوا اليها قيمة اشتراكهم قبل تحصيل الاشتراكات وتعيين محصل لها · وقد عينّا محصلاً للاشتراكات فنرجو دفعها اليه بموجب وصولات مطبوعة من الادارة عليها توقيع صاحب الجامعة وامضاء المستلم · وكل قيمة تُدفع من غير وصل الادارة فلا تحاسب الادارة بها· اما المشتركون خارج نيويورك فنرجو ان يقدموا اشتراكاتهم رأساً للادارة اما شك على احد البنوك او حوالة على البوسطة

﴿ مساعدو الجامعة ﴾ كتب كثيرون من افاضل المراسلين الى الادارة يعرضون عليها خدمتهم في نشر المجلة لدى معارفهم واصدقائهم فنشكر لهم هذه المساعدة في تأسيس الجامعة في طورها الجديد في اميركا· ولا عجب فالمجلة اصبحت (مجلة المهاجرين) وعليهم اعتمادها في هذه البلاد· فكل من يتفضل بمراسلتها وارسال اسماء اصدقائه ومعارفه اليها فهي تقبل مساعدته وصداقته هذه بالشكر والامتنان



الجزء الثالث

الجامعة

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول آب (اغسطس) سنة ١٩٠٦ ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٢٤

التفاضل والمساواة بين الناس

الحق والبطل فيهما

في الاجتماع . والشريعة . والدستور . والاقتصاد

—

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

﴿ حاشية من المجلة ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة مؤلف هذه الرسالة من عدة كتب وروايات نشرها في السنوات الاخيرة . وهو احد كتاب معدودين في مصر والشام وقد نال جائزة كبرى في هذا العام في موضوع من اهم المواضيع تقدم للكتابة فيه اكثر من عشرين كاتباً مجيداً من كتاب مصر والشام . وقد كتب الموضوع المفيد التالي لقراء الجامعة واثبت فيه جميع الادلة على وجهيه

السلبي والايجابي ولم يرجح وجهاً على وجه لان هذا الموضوع ما زال من مشكلات العلم والفلسفة في العالم · والمواضيع التي ذكر فيها ارجحية وجه على وجه ذيلناها بشروح وجيزة من المجلة لتتم الفائدة بها ويقف القارئ على حقيقة هذا الموضوع الجليل

——

تساوي الافراد في الحقوق والواجبات مسألة يعبأُ بها الناس كلما ترقت عقولهم واتسعت معارفهم اذ يتنبهون الى التفاوت البين بين الاشخاص في الجاه والسلطة والثروة ويتساءلون ما سببه وهل هو عدل وحق؟ فالاقوياء الممتازون يزعمون انه حق بحجة ان التفاوت الذي بين الافراد والامم في تلك الامور مناسب لتفاوتهم في القوى العقلية والجسدية والادبية · والضعفاء المحرومون امتيازات اولئك يزعمون انه استبداد وظلم وغبن لان الناس مشتركون في الحقوق والواجبات ومتساوون بها اشتراكهم واستواءهم في الانسانية وانه لا ميزة لانسان على انسان وانما يمتاز الانسان عن الحيوان لان بينهما فرقاً جلياً

في كل فصل من فصول التاريخ شواهد على التناقش والتخاصم والتقاتل لاجل المساواة · الاقوياء المتمايزون ينكرونها ويجاهدون في القضاء عليها والضعفاء الوضعاء يؤيدونها ويقاتلون في سبيل تعميمها · وما تغلب فريق الا تطرّف وغالى في تقويم جانبه لان مبدأ التنازع يقضي بتبليغ نتيجة الارجحية كما لو كان فريقان يتجاذبان طرفي حبل فاذا رجح احد الجانبين قليلاً جذب الجانب الآخر كله اليه · او كما لو علقت ثقلين في طرفي حبل ملتف على بكرة فاذا رجح احدهما على الآخر ولو درهماً هبط الراجح الى اسفل وارتفع المرجوح الى البكرة مع ان الفرق بينهما زهيد جداً لا يعادل هذه النتيجة للارجحية

فتساوي الناس المطلق غير ممكن وغير عادل(١) اما انه غير ممكن فلانه مخالف للطبيعة التي لا استواء بين اجزائها ففي كل امر منها يوجد الراجح والمرجوح والافضل والاردأ · واما انه غير عادل فلان الاشخاص يتفاوتون تفاوتاً بيناً في عقولهم وهممهم واخلاقهم وآدابهم وسائر قواهم ومزاياهم وان كانوا متساوين في الانسانية ومتشابهين في الهيئة والتركيب

---

(١) هذا في الاقتصاد والمواهب العقلية ولكن مبدأ الديموقراطية يقضي بالمساواة في الاجتماع والشريعة والدستور

العضوي. فلا بد اذاً من التساوي في امور والتمايز في امور على شرط ان تعتدل النسبة بين مزايا الناس واهليتهم

على انه ليس من السهل وزن هذه النسبة او مقايستها بحيث تكون عادلة لانه قد يتراءى لنا ان تمايز النبلاء على العامة في بلاد الانكليز مثلاً غبن اذ لا افضلية حقيقية للنبيل على العامي مخولة ذلك الامتياز عليه. ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان احقيته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها (١) كما سيأتي بيانه في محله من هذه المقالة

وكذلك اذا دققنا في تعليل الامتيازات التي للانكليزي على المصري او للابيض على الاسود في اميركا او للبويري (لعهد الجمهورية البويرية) على الوطني في جنوب افريقيا وجدنا انها غير مسببة عن التفاوت في عقول تلك الامم وقواها فقط بل عن الاضطرار الى صيانة الامة الواحدة من عدوان الاخرى بتأييد تلك الامتيازات كما سيتضح في ما يلي

١
التفاضل الاجتماعي

يستفاد مما سبق ان الناس يجب ان يتفاضلوا في كثير من الامور ولا سيما الامور الاجتماعية والاقتصادية بقدر تفاضلهم في مزاياهم الشخصية. وطبيعة الحال تقضي على الافراد ان يسلموا بهذا التفاضل لان لذي المواهب والمزايا الكثيرة قوة يسود بها على من كان قليلها وهذا من نفسه يخضع لذاك تارة لحاجته واخرى لخوفه من سطوته

فالفقير يجلّ قدر الغني ويعظمه لكي يشفقه عليه ويستجديه ويجانب اذاه. وهذا يتغطرس عليه لانه في غنى عنه ولشعوره انه يقدر على التحكم فيه. والجاهل يجلّ العالم لانه يحتاج الى رأيه وهذا يتعالى عليه. والصعلوك يتقرّب من النسيب عريض الجاه ويجتهد ان ينتمي اليه لكي يستقوي به. وهكذا كل ضعيف يتزلف الى قوي لكي يستنصره ويستأمنه على نفسه والقوي يشمخ ويعتزّ. وعلى هذا النحو يستقوي الغني والنسيب والحكيم ويتسع

(١) الا اذا ألف النبلاء في وسط المملكة طبقة ممتازة يصرفون امتيازهم فيها الى نفع انفسهم واستخدام شرائع البلاد آلة لاغراضهم ومنع سن الشرائع التي تفيد الشعب وتنهض به كما هي الحال اليوم في روسيا مثلاً في منتهى شدته

نفوذه ويعرض جاهه بالذين يتقرّبون اليه ويجلونه ويعظمونه لدفع مغرم او لجرّ مغنم. وعلى هذا الاسلوب ينشأ التفاضل بين الافراد والامم وتنتفي المساواة المطلقة ويظهر الناس رتباً ودرجات ويضطرون ان يسلموا لكل منهم بالدرجة التي وضع نفسه فيها وقدر ان يبرهن على استحقاقه لها. وذلك هو منشأ الرتب والالقاب والاوسمة ونحوها مما ُجعل للدلالة على مكانة صاحبه في الهيئة الاجتماعية

وهب ان السواد الاعظم من الشعب قام يطلب المساواة ويقاتل مبدأ التفاضل ونجح في جعل الافراد كلهم في درجة واحدة في القيمة والجاه والنفوذ فلا ينقضي ردح من الزمان حتى يعود ذلك التفاضل لان الاقدر يجتذب اليه جانباً من الضعفاء الذين يستنصرون بقدرته وهم يرفعون مقامه ويردونه الى المرتبة التي أُنزل عنها. وهب ان امرًا من الامور نقض حال الناس الحاضر وجعلهم في حال جديد متساوين لا كبير فيهم ولا صغير ولا وضيع فلا يلبثون ان يتغربلوا ويتفرقوا ويتجمع افراد كل رتبة في رتبتهم

تفرّد الاميركان في العصر الاخير بتأييد مبدأ المساواة في معظم احوال الهيئة الاجتماعية فنبذوا الالقاب والرتب والنشانات والملابس الرسمية ونحو ذلك مما يدل على التمايز والتفاضل وحظروا على كل فرد منهم ان يقبل رتبة او نشاناً من حاكم اجنبي ولكنهم ما لبثوا بعد حين ان شذ كثيرون منهم عن هذه القاعدة فجعلوا يتطاولون الى الرتب والالقاب ولو خسروا جنسيتهم. فالفتاة الغنية تبذل مالها لكي تتزوج من نبيل اوروبي لورد او بارون او نحوها لكي تتلقب بلقبه. وبعض الشبان المثرين يفعلون كذلك لكي يزوجوا انفسهم بين الاسرات النبيلة وبعضهم يبتاعون الالقاب بالدنانير ابتياعاً. ومع ان قانون الجنسية الاميركية ينكر القاب الشرف فلا يسعه ان ينكر الالقاب العلمية مثل دكتور فلسفة وغيره كأنه من لزوميات الاجتماع البشري ان تقوم الدلائل الحسية على تمايز الناس في مواهبهم وقواهم

ترى ان الاكابر يقيمون لانفسهم اندية خصوصية لا يؤذنون لغيرهم من الوضعاء ان يدخلها. لماذا؟ يظهر لاول وهلة ان الغرض من ذلك الا يختلطوا بفئة الاسافل او الهمج ولكن تراهم لا يستثنون وضيعاً من هذا النبذ ولو كان مثال الادب والذكاء والذوق ولا يرفضون الرفيع ولو كان قارورة سفه وبذاء فالحقيقة اذًا ان المراد من هذا الاختصاص انما هو التمايز العلني والمباهاة بالجاه والغنى والنفوذ. وعلى هذا النحو ولمثل هذا الغرض تقام مدارس خاصة بابناء الاعيان. ومن ذلك ان شركات السكك الحديدية المتسابقة في جهة واحدة في

اوروبا تتنافس في ارضاء الركاب بمثل هذا التخصيص كأن تمنع الطبقة السفلى من الركوب في الدرجة الاولى ولو دفع الراكب ضعفي الاجرة(١)

وليست المباهاة بالجاه او حب التمايز امرًا قليل الاهمية في الهيئة الاجتماعية بل ان كل فرد فيها يبذل الغالي فضلاً عن الرخيص لمطاولة من هم اعلى منه. الا تراهم يشترون الرتب والالقاب والنشانات المدنية شراء. لا يفعلون ذلك في مصر فقط بل في اكثر ممالك اوروبا ومن ذلك اننا نرى الناس يتنافسون في مظاهرهم حتى انهم يكلفون انفسهم اكثر من طاقتها في اللبس والفرش ونحو ذلك

بقي ان ننظر في عدالة هذا التفاضل وفي فائدته. اما من حيث عدالته فلا ريب انه عدل اذا كان جاريًا على قاعدة قويمة طاهرة من المحاباة والرئاء والشذوذ. فان لذي المزية حقًا بان يتميز على سواه لانه يبذل في الاجتماع البشري قوة اكثر من سواه فيجب ان يكافأ على هذه القوة بقدرها. واذا تساوى الناس في القيمة مع تفاوتهم في القوى او المزايا فقدوا مزاياهم حالاً لانها عديمة الجدوى لهم

على ان التفاضل غير جار على قاعدة قويمة في كل بلاد واكثر قواعده اختلالاً ما كانت في الشرق فانه محصور فيها بذوي القوة المالية وبالنسب ومنتفٍ من اهل الذكاء والمعرفة والآداب فقد ترى العالم الفاضل المستقيم غفلاً من اعتبار الناس واكرامهم. والمثري الشرير مكرمًا. وما هي الحال كذلك في البلاد الغربية الراقية. ففي انكلترا أُكرم سبنسر اكرام الامراء وفي فرنسا أُكرم هيجو كذلك واما في مصر فما قليل ينسى اسم الشيخ محمد عبده وفي سوريا تنوسي اسم البستاني واليازجي

وفي انكلترا انتحر الكولونل مكدونلد (انتحر في باريس) منذ ٣ سنين لانه أُسقط من مقامه في الهيئة الاجتماعية بسبب تهمة دنيئة وفي مصر ترى الباشا فلان وهو يتلطخ بلطخ الدنس لا يزال الناس يكرمونه ويطأطئون امامه. والمثري فلان وهو ينهب الفقراء ويسلب الارامل واليتامى يتسابق الناس بالثناء عليه وباعلان فضلهِ. والنسيب الحسيب فلان وهو اجهل من هبنقه يتبرَّك الناس به ويقبلون الارض بين يديه. وسبب هذا الخلل اي المراآة من جهة والغبن من جهة اخرى انما هو الضعف والجهل العامان في البلاد

---

(١) ظاهر من سياق الكلام ان الكاتب لا يقرر هذه المبادىء ولا يدعو اليها ولكنه يذكرها كما يراها في العالم. فهو ينشر هنا ما كان لا ما يجب ان يكون

اما من حيث فائدة التفاضل فلا يخفى ان اعلان مزايا المتمايزين والاقرار بها او وضعهم في مكانتهم يثير روح التنافس في الناس . وعلى التنافس يقوم عمران البلاد. ثم ان التمايز يقي الكرماء من شرور اللؤماء والمتمدنين من غلاظة الهمج الى غير ذلك مما يستقر به اللبيب بنفسه

ثم ان الفائدة الجلى من هذا التمايز غربلة الناس وتصفيتهم بحيث تنتقى طبقة الاشراف من الوضعاء وفئة الكرماء من اللؤماء واهل العلم من الجهلة ولا تسهل خديعة الافراد بعضهم لبعض

وفي هذه الحالة يضطر كل فرد ان يرقي عقله ونفسه وآدابه ويهتم بانماء ثروته وتعريض جاهه لكي يحرز الاهلية للمكانة التي يطمح اليها ويتبوأها باستحقاق ولا يتمتع بشرف او مجد او رفعة من غير ان يبذل في العمران القوة التي بذلها سواه ممن احرزوا مقاماتهم التي يحسدهم عليها ويطاولهم فيها

رسالة السيدات من الاسكندرية

بقلم المدموازيل (روزا انطون) صاحبة مجلة السيدات

حاشية — كما ان صاحب الجامعة قد وعد قبل سفره من مصر مجلة السيدات ان يبعث اليها برسائل مفيدة في المدنية الاميركية واحوال سيدات نيويورك والولايات المتحدة السوريات كذلك وعدت شقيقته صاحبة (مجلة السيدات) بالاسكندرية ان تبعث الى الجامعة برسائل لطيفة في اجتماعات السيدات الاسكندريات واخبارهن الاجتماعية اللذيذة وهذه اولى تلك الرسائل

حدثتني احدى الصديقات الحديث التالي وقد التقطته من مجلس خصوصي ضمّ بعض السيدات قالت :

زرت امس صديقة في الاسكندرية فوجدت جمعيتنا ناقصة بسبب سفر كثيرات الى مصايفهن فقلت لم يبقَ غيرنا من جمعيتنا يحتمل حرّ هذا الصيف.

ثم التفت الى سيدة أعتادت ان تصطاف كل سنة وقلت :ـ لماذا لم تذهبي يامدام في هذه السنة خلافاً لعادتك · فاجابت :ـ ان ابنتي مخطوبة ونحن نهتم الآن بالجهاز · فقلت :ـ لم اسمع هذا الخبر المفرح من قبل · والتفت الى الفتاة المخطوبة وقلت لها : «مبروك يامدموازيل» فنظرت وجهها مقطباً وعينيها تغرورقان بالدموع فاستغربت حتى لاحظت امها استغرابي ولكنها اغضت عنه

وبعد انصرافهما سالت عن سر المسالة فقيل لي ان الفتاة غير راضية بخطبتها مع ان خطيبها لا ينقصه الا ان يكون اوروبياً كما تريد هي فكانت تقول انها لا تقترن الا باوروبي على ان اهلها يابون ذلك فوقع النزاع بينها وبينهم مدة ثم انتهى بخطبتها بالرغم منها · فقالت احداهن :ـ وباي حق يجبرها اهلها على زواج من لا تريده · كان الاولى ان لا يخطبوها لاحد اذا لم يسمحوا لها ان تخطب من تريد فاجابتها ثانية :ـ ولو سمحوا لها بمن تريد لكنا نقول ايضاً انهم غلطوا اذ لم يمنعوها عن زواج غير موافق · ولو رفضوا ما ترغبه كما رفضت ما يرغبون وبقيت بلا زواج لقلنا الى متى تنتظر · وحاصل القول لا يخلص احد من سهام السنتنا الحادة ولا يعمل احد عملاً مهما كان نوعه الا قلنا انه اخطأ من الوجه الفلاني بالامر الفلاني ولا نجلس في جمعية الا ونسمع كلاماً على فلانة وحديثاً عن فلان وهذه قالت كذا وتلك فعلت كذا وهلم جرا

فقالت صاحبة البيت :ـ اعملي معروف اخفضي صوتك لئلا يسمعك زوجي الآن فانه يمقت الاحاديث عن الناس واخبارهن · والكلام بسرك ان مدام فلان ذهبت من عندنا مستاءة لانه انَّبها حين كانت تقص علينا قصة عروس الاسكندرية وملكة اسبانيا العروس

فسألتها عن هذه القصة فاجابت: تقول حضرتها انه في يوم زفاف ملكة اسبانيا وفي الساعة نفسها اتفق انه كان زفاف المدموازيل ا٠ في الاسكندرية فحين سمعت عروس الاسكندرية بحادثة القنبلة التي رماهـا الفوضوي تأثرت لهذا الحادث فارسلت تلغرافاً للملكة تهنئها بالنجاة فارسلت الملكة تلغرافاً تقول فيه اشكرك واحسدك فانك كنت بالحقيقة ملكة حينما كنت اتمنى ان اكون كاحدى الفقيرات٠ فقلت عرفت ناقلة هذا الخبر اما هي فلانة٠ فقالت نعم

فقلت ان هذه السيدة مشهورة بنقل الاخبار وباختلاق قصص غريبة مدهشة فترينها تفرُّ من محل الى آخر وتحرك الجميع بلسانها ولا يهنأُ لها عيش الا حين ترمي شراً بين اثنين وقد سماها البعض «بام الاخبار والحركات» والجميع يخافونها ويهابونها كأنها عزرائيل٠ ومع ذلك فانها محبوبة ودمها خفيف لا يستاء منها احد بالرغم من طول لسانها وحينما كنا نتحدث عنها دخلت فقلنا: «اذكروا الذئب٠٠٠» فاننا كنا نذكرك الآن فقالت اعترفوا بالحقيقة ماذا كنتم تتحدثون عني فقلت كنا نقول الذي فيك قلنا انك محبوبة ودمك خفيف فضحكت وجلست فسألتها ربة البيت ما عندك من الاخبار اليوم فاجابت الاخبار عندكم فقد بلغنا انه كان عند جيرانكم امس جمعية بوكر وخسرت مدام فلان البوكرية الشهيرة قيمة عشرة جنيهات ورفيقتها مدام فلان ثمانية والاخرى التي تدعي انها لا تحب اللعب ١٢ جنيهاً٠ ويقولون ان الخسارة كلها بلغت ٧٠ جنيهاً

فقلت من العجيب ان يكون هذا في بيت فلان وهو يكره البوكر ويمنع زوجته من اللعب فاجابت «ام الاخبار» وهل علمت ماذا جرى بعد هذه اللعبة فانه حدث بينه وبين زوجته خصام حتى وصل صراخهما الينا واظنهما سيبقيان متخاصمين حتى

تترك المدام لعب البوكر ولا اظن حضرتها تتركه اذا لم تنجح مساعي تلك الجمعية القائمة الآن لمحاربة البوكر. اما هذه الجمعية فمؤلفة من السيدات الغنيات الكارهات للبوكر يعضدهن ازواج السيدات اللعيبات و يجتمعن كل يوم للتفكر وتدبير وسائل لمنع اللعب. وقد بلغني ان بعض الجرائد تساعد هذه الجمعية بهذا الامر لان اضرار البوكر اصبحت كثيرة وهو ينتشر كل يوم بعد يوم

فقلت ياليت نبوءة «ام اخبار» تتم فكم قد كتبت الجرائد وكم احتمل البوكر من الاضطهادات وكم نكد عيش عائلات. وافنى قوى سيدات وهو لم يزل معززاً محترماً وويل لمن يذكره امام نصيراته بغير المديح والثناء. فقالت احداهن وكانت من اللعيبات : وما هي اضرار البوكر وما هي خسائره فانها لا شيء يذكر. فاجبتها حين نتكلم عن اضرار البوكر لا نقصد السيدات الغنيات اللواتي لا تهمهن اكبر خسارة فاننا نعلم جيداً انك لو خسرت ١٠٠ جنيه مثلاً لما همتك فالسيدات الغنيات محلل لهن كل شيء... واذا كان ازواجهن لا يرضون بذلك فان لهن مالاً خاصاً ينفقن منه... وقد قالت احدى السيدات حين كان ينهاها زوجها عن لعب البوكر «حتى الآن لم اصرف من مالك ولا مليماً واحداً فان كل خسارتي من دوطتي وغيرها ومتى خسرت كل ما عندي احوّل على ابي بالمبلغ وليس عليك فماذا يهمك ان لعبت»

فعن امثال هذه السيدة لا نتكلم لانهن اعلى من انْ يُصبن باسهم اللوم... وهن بمعزل عن التنكيت والتانيب... وكل مايفعلنه يعد جائزاً ولا قوة على الارض يمكنها ان ترجعهن عن انفاذ ارادتهن وبقدر غنائهن تعظم ارادتهن وويل لمن يغضبهن

ولكن حين نذكر اضرار البوكر نقصد هؤلاء السيدات اللواتي ينتظمن في سلك

جمعية البوكر تشبهاً بالغنيات ولقصد ان تُضم اسماؤهن لجمعية الاكابر لظنهن انهن يزددن رفعة · وقد سمعت احدى هولاء تقول لرفيقتها وهما يتعاتبان انظري واعلمي انني اجلس انا واغنى واشرف السيدات على طاولة البوكر ولا تجتمع جمعية بدوني · وبهذا الغرور تضطر السيدة من اولئك ان تقتر على نفسها واولادها وتخاصم زوجها وتهجر بنيها رغبة في مجاراة الغنيات في البوكر

وقد سمعت عن سيدة اعرفها جيداً طلبت من زوجها ١٠ جنيهات لتشتري فسطاناً للصيف فتردد زوجها لخلو يديه من المال وبعد الجدال ضيق على نفسه واعطاها المبلغ فلعبت به على ان تربح نخسرته كله فطلبت ثمن الفسطان من زوجها ثانية فلم يعطها فانحبست عن الاجتماعات لعدم وجود فسطان يليق ان تقابل به البوكريات · فاستفادت هذه السيدة من خسارتها فائدة تذكر · وعسى ان تستفيد بقية السيدات مثل هذه الفائدة

فلسطين واشهر بلدانها

بقلم جناب نجيب افندي نصار في طبريا

سباسطيـة

عاصمة عظيمة قديمة

هي المدينة العظمى التي أُنشئت من العدم وصارت دفعة واحدة في عداد عواصم الملوك . فقد انتقى موقعها الملك عمري في سنة ٩٢٤ قبل المسيح دون نابلوس التي وان كانت بهجة الملوك ومرتع الكبراء برياضها الغناء ومياهها الصافية الغزيرة ومطمح انظار الامة بخيراتها الوافرة ومركز آمالها بما جرى فيها وحواليها من الحوادث التاريخية والدينية لم تكن حصناً يرتاح فيه قلب الملك وتطمئن قلوب الرعايا من هجمات الاعادي التي كانت متواترة في تلك الازمان · ودون (ترصة) ايضاً التي كانت في معزل عن الشعب الفينيقي المتمدن

الذي كان في اغلب الاحيان حليفاً لاسرائيلي الشمال. اما موقع هذه المدينة فهو تل اعزل يعلو اكثر من ثلثمائة قدم عما حواليه من الاودية والسهول اشتراه الملك المذكور من رجل يدعى شامار وبنى قصره والمدينة عليه ودعاه (سامرة) على وزن بائعه . وقال آخرون ان كلمة سامرة العبرانية تعني (المرصاد) والجبل يشرف على الجبال التي تقابله من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية على السهل والبحر المتوسط فضلاً عن كونه على الطريق الممتدة من الشمال والجنوب وهي طريق الآراميين والاشوريين والمصريين السهلة الى السامرة . وقد تقلصت عظمة تلك العاصمة (سباسطية) حتى صارت اليوم قرية صغيرة يسكنها قوم قلائل من الفلاحين في بيوت صغيرة حقيرة. اما اخاب ابن عمري فبنى فيها هيكلاً لبعل اله امراته ابنة ملك الصيدونيين . وفي سنة ٩٠١ قبل المسيح حاصرها بنهدد بجيوش الاراميين فعاد عنها خاسراً فعاودوا الكرة عليها في السنة التالية ولم ينجحوا . ثم استأنفوا محاصرتها بعد ذلك بخمس عشرة سنة وبعد ان ضيقوا عليها الحصار حتى اشتدت فيها المجاعة وعمَّ الويل اهلها انهزموا عنها راجعين. وقد كانت مظهراً لاعمال النبيين ايليا واليشع فيما يتعلق بالمجاعات (ملوك اول ١٧ و١٨ وملوك ثاني ٦ من العدد الرابع والعشرين الى نهاية الاصحاح السابع) وقد تنبأ عنها النبيان اشعيا (٩:٨ـ٢١) وارميا (١٣:٢٣) وفي سنة ٧٢٤ قبل المسيح زحف عليها شلمناصر ملك اشور بجيش جرار ولكنه لم يرَ في مهاجمتها سبيلاً للنجاح فاقام عليها الحصار مدة ثلاث سنوات متوالية اضطر اهلها في نهايتها الى التسليم من جراء ما قاسوه من الضيق الشديد والجوع الاليم فساقهم وجميع سكان المملكة ماعدا العجزة والمساكين الى بلاده وراء الفرات وجاء بقوم آخرين وهم الذين صاروا فيما بعد يدعون «سمرة» واسكنهم في البلاد . ومنذ ذلك الوقت عادت نابلوس فصارت تربو عليها واخذت تسترد منها مجدها الذي سلبه الملك عمري. ثم وقعت في ايدي الاسكندر الكبير فاسكن مكدونيين بين اهلها لاضعاف قوتهم. وفي ايام المكابيين اساء سكانها معاملة احدى المستعمرات اليهودية فغضب هركانوس المكابي وجاءها بجيش وحفر حولها الخنادق وبنى سوراً واقام عليها الحصار فلقي مقاومات شديدة ومتاعب كبرى مدة سنة غير ان نفاد المؤن واليأس من النجاة اضطر اهلها الى فتح ابوابها والتسليم فدكَّ هركانوس وابناه حصونها واسوارها وجميع ابنيتها ولم يبقوا فيها للعمران اثراً (اخبار يوسيفوس كتاب ١٣ فصل ١٠ قطعة ٢ و٣) ويستدلُّ من عدم تمكن اعدائها منها بغير الحصار ان موقعها كان حصيناً جداً ولذلك كانت قلوب الناس معلقة على مناعتها على الدوام في تلك الازمان الحرجة فكانوا

كلما خربت يعيدون بناءها وتحصينها. فقد ذُكرت بعد ان ضربها هركانوس وابناه بقليل بانها مدينة حصينة في ايدي اليهود وبكون بومبيوس القائد الروماني اخذها منهم واعادها لاهلها الاولين. وبعد وفاة كليوباترا وهبها اوغسطس قيصر لهيرودس الكبير الذي شاقه موقعها الحصين وُبعدها عن مراكز القوة اليهودية فاحاطها بسور منيع جداً حصنه بالابراج القوية وخصص بها حامية من الجنود البواسل وهكذا اعدّها ليتمنع فيها عند الضرورة لانه كان على الدوام مرتاباً باخلاد اليهود الى السكينة فلم يكن يأمن من هبوبهم الى الثورة شأنهم مع الذين تقدموه. وقد بنى فيها عدا ما ذكرنا هيكلاً انيقاً في مكان هيكل اخاب اقامه على اعمدة طويلة منحوتة القواعد مزينة رؤوسها بالنقوش الحفرية. وبنى على اعمدة كاعمدة الهيكل على جانب الجبل الجنوبي سوقاً يقارب طولها الميل ممتدة من الشرق الى الغرب وعرضها ١٦ قدماً لم تزل عدة من اعمدتها واعمدة الهيكل قائمة في امكنتها شاهدة بان هيرودس هذا كان بناءً عظيماً. ويوجد عند اسفل الجبل من الجهة الشمالية عدة اعمدة على ارض مستوية يقول بعضهم انها كانت ملعباً للخيول. وبنى لنفسه قصراً على قمة الجبل وحصنه بالابراج ودعى المدينة بعدما فرغ من بنائها على هذه الصورة سباسط Sebaste وهي الكلمة اليونانية (لاوغسطا) فبقي اسمها الروماني عليها الى اليوم ويقول رجال الدين ان فيلبس الرسول بشر فيها وان كثيرين آمنوا بكلامه من اهلها (اعمال الرسل ٨:٥-٩). وقد حولها الامبراطور سبتيموس سفروس في بداية القرن الثالث الى مستعمرة رومانية. ولم يطل عليها المدى بعد ذلك وهي زاهية لان يوسيبيوس لا يعلق اهمية كبرى على ذكرها بخلاف جيروم ومعاصريه الذين قالوا انها منذ اوائل القرن الرابع صارت كرسي اسقفية ودخلت في ايدي المسلمين اثناء فتحهم البلاد فاستردها الصليبيون منهم وجعلوها كرسي اسقفية كاثوليكية. ولم يتغاضَ بنيامين توديلا عن ذكر مناعتها ووصف الجنائن والاشجار الكثيرة حواليها. اما فوكاس وبروكاردروس فذكرا كنيسة فوق قبر باسم يوحنا المعمدان

كنيسة يوحنا المعمدان

هي الكنيسة الصليبية القائمة على اثر كنيسة شرقية من عهد جوستينيانوس او من قبله وقد حول المسلمون القسم الذي لم يزل قائماً منها الى جامع وهي واقعة على طرف التل الشرقي وتحتوي على مدافن يوحنا والنبيين اليشع وعوبديا كما يزعمون. غير ان يوسيفوس

في اخباره (١٨:٥-٢) يقول ان يوحنا سُجن في ماكيروس(١) الواقعة شرقي الاردن ويوسيبيوس ينقل هذه الرواية ولا يزيد عليها شيئاً. ولكن جيروم يقول ان السامرة مشهورة بوجود مدافن يوحنا واليشع وعوبديا فيها. وقد راتها بولا وشاهدت كيف يؤتى بالمجانين لزيارتها فينالون منها الشفاء العجيب كما قالت. ويُقال ايضاً ان الوثنيين فتحوا سنة ٣٦١ هذه المدافن واخرجوا العظام واحرقوها وذروا رمادها. اما الاعتقاد بكون هيرودس سجن يوحنا وقطع راسه هنا ايضاً فلم يقل به احد حتى القرن الثامن. ومما تقدم يمكن ان يُقال ان يوحنا سجن في ماكيروس واما جثته فدفنت في سباسطه. ويوجد على جدران الكنيسة رسوم صلبان بشعار فرسان ماري يوحنا من الصليبيين. وقد اكتشفت حديثاً في الكنيسة تماثيل اشخاص وحيوانات عديمة الاتقان. وشمالي الكنيسة بناء مربع يظن بعضهم انه كان قلعة فرسان ماري يوحنا

دوثان

الجب الذي طُرح فيه يوسف

الحفيرة او الحفائر — استدل الكتبة من اسمها هذا الذي أُطلق عليها بسبب وجود الماء قريباً من وجه الارض اذ يحفر الرعاة آباراً ويبنون عليها (الجوابي) ليسقوا مواشيهم. ومن كونها غير بعيدة عن شكيم. ومن كونها ايضاً مراعي حسنة. ان رواية التوراة المذكورة في سفر التكوين (ص ٣٥ من العدد ١٧) تنطبق عليها فقالوا هي دوثان حيث طُرح يوسف في الجب وبيع من قافلة المصريين رقاً وهي تبعد نحو اثني عشر ميلاً الى الشمال من نابلوس ونحو خمسة اميال الى الجنوب الغربي من جنين

جنين

واقعة على طرف مرج ابن عامر الجنوبي اما طريقها المستقيمة فتبعد نحو ثمانية عشر ميلاً الى الشمال بانحراف قليل الى الشرق عن نابلوس وهي قرية كبرى ومركز قائمقامية تابعة لنابلوس واهلها مسلمون وفيها نبع ماء غزير وهي عين جنيم التوراة وجينيا التي يقول يوسيفوس انها على حدود السهل الكبير في نواحي السامرة وذكرها كثيرون من كتبة العرب وقالوا ان صلاح الدين مرَّ عليه بجيوشه وقال بروكاردروس انها على الطريق بين عكا والناصرة الى نابلوس

(١) ✻ الجامعة ✻ ورنان في كتابه « تاريخ اليهود » يثبت رواية يوسيفوس

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في مصر في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعـة

(تابع ما قبله)

(تركنا ريشار في الجزء السابق وقد اصبح يدير ببلاغته وذكائه سياسة انكلترا كلها من منبر مجلس العموم . وقلنا ان الوزارة الانكليزية بعثت الى سكرتيره ورجله الخاص صاحب مصرف عظيم يدعى المركيز سيلفا ليتوسط لدى ريشار بان يقنعه بترك معارضة الوزارة ومجاراتها في رغائبها وفي مقابلة هذا الترك والمجاراة يمنحونه القاباً شريفة واملاكا واسعة ويزوجونه من احدى بنات النبلاء لانهم كانوا يظنونه عازباً . وقلنا ان زوجته جاني باتت تندب سوء حظها في بيت صغير مع مبراي الذي اقامه ابوها وامها قبل وفاتها وصياً ورقيباً عليها . وذلك لان ريشار اقصاها عنه وعاش دونها في لندن تخلصاً من نفقات العائلة وانصرافاً الى السياسة لان نفسه اشتغلت بها عن كل شغل . ولم يبقَ فيها مكان للاهتمام العائلي)



بعد ان تحادث المركيز سيلفا وطمسن سكرتير ريشار جاء طمسن الى ريشار وسأله الانفراد به . فاجابه ريشار وقال له لماذا طلبت ان تخلو بي هل لديك اخبار عن امرأتي . فاجاب كلا ولكن لدي اخبار عمن اصبحت اطوع لك من امراتك . فقال ومن تعني . قال الوزارة الحاضرة . فضحك ريشار وقال هل خفضوا رؤوسهم الشامخة . قال لم يخفضوها ولكنهم يمرغونها بالتراب تحت قدميك . فقال وماذا يطلبون . قال يطلبون ان تعدل عن المعارضة في عقد القرض الذي يرومون عقده لحاجتهم اليه . فاجاب ريشار بنزق : هذا محال لانني لا اخون الشعب الذي انتخبني واتخذني رجله . فاجاب طمسن : كأن فوزك قد اسكر لبك ايها السر ريشار انسيت مراتب العلى فقال ريشار وماذا اطلب اكثر مما بلغت

اليه فانني ادير الان سياسة انكلترا كلها من منبر هذا المجلس . فقال طمسن نعم ولكنك قد انفقت ثروة امراتك كلها تقريباً لان مقامك يقتضي نفقات طائلة وقدمضت على نيابتك ثلاثة اعوام وبقي ثلاثة اخرى فماذا يبقى لك بعد ان تنفق ما بقي من ثروة امراتك فيها

فاجاب ريشار : يبقى لي فقر شريف واسم منزه عن كل وصمة

فقال طمسن : ولكن الفقر والاسم لا ينصران في الانتخاب القادم وانت لا تجهل ما يقتضيه الانتخاب من المال

فقال ريشار : ان الشعب لا ينسى نصيره

فقال طمسن : الشعب قصير الذاكرة ياريشار وقد شبهوه بقلب المراة لسرعة تقلبه وهو قادر على الوضع لا على الرفع . اما مراتب العلياء فلا تنال الا بالملوك والوزراء

وما زال طمسن بريشار حتى ألان حديده فوعده ريشار بان يفكر في هذا الامر . وعلى ذلك كان وجود هذا الرجل بجانب ريشار آفة له وويلاً . وما برحت هذه وظيفة الصغار المملقين لدى اكابر الناس الذين يقرّبونهم اليهم لاستخدامهم في بعض المنافع فيؤثرون عليهم شرّ تاثير ويقودونهم الى الهاوية

ولما راى طمسن ان سيده قد لان بعض الشيء عاد الى المركيز سيلفا وساله ان يبسط له اقتراحاته فاجابه اننا لكي نكون على ثقة من دوام الوداد والصداقة بيننا وبين السر ريشار قد راينا ان نزوجه مس ويلمور فقال طمسن منحنياً باحترام حفيدة جنابكم فقال المركيز نعم فان ابنتي كارولين (١) اقترنت باللورد ويلمور فولدت منه قبل وفاته هذه الفتاة وهي وحيدتها ودخلها السنوي من املاكها مائة الف جنيه انكليزي وفوق ذلك في نفسي ان التمس من الملك ان يعطي الرجل الذي يقترن بابنة اللورد ويلمور لقب ابيها فيكون لورداً مثله

وكان ريشار يسمع هذا الكلام من وراء الباب فلما ذهب المركيز قال طمسن لريشار ما رأيك في ما سمعت فقرع ريشار كتف طمسن بكفه وقال له انسيت زواجي بجاني فضحك طمسن ضحكة شيطانية واجاب وانت انسيت الطلاق . — ومن هذا الحين خطر لريشار ان يذهب لمشاهدة جاني المسكينة

(١) يذكر القراء ان المرأة التي وضعت ريشار في الفصل الاول كانت تدعى كارولين وهي ايضاً ابنة المركيز سيلفا

. وكانت جاني في بيتها في البرية تبكي فراق ريشار على ما تقدم وكانت في ذلك اليوم تنتظر عودة مبراي الذي ارسلته الى لندن ليلين قلب ريشار عليها فلما رات مركبة ريشار تقف امام بابها جنت فرحاً وابتهاجاً . وان الست ميليا الممثلة الاولى في جوق الشيخ سلامه التي تمثل دور جاني تمثل هذا الفصل باسلوب مستحسن جداً وقلما مثلت ممثلة بلي الملاعب العربية عواطف هذا الفصل كما تمثله الست ميليا

فلما دخل ريشار على جاني صاحت وانطرحت بين يديه وهي تبكي فقال لها ريشار بفتور مؤلم ما بك ياجاني فصاحت جاني والدموع تخنق صوتها : يسألني ما بي . بي انني ابكي واذوب شوقاً اليك . بي انني لم ارك منذ سنة كاملة . أفهمت ما بي ؟ فقال ريشار كفكفي دموعك وهدئي روعك فاجابت جاني بصوتها الناعم الرقيق

نعم اصونُ دموعي وانتهي عن ولوعي
فقد رجعتَ الى من تهواك خير رجوعِ
بعد ابتعادك عاماً احرقت فيه ضلوعي
ويأس لي من معين وليس لي من شفيعِ

فقال ريشار نعم عدت اليك ياجاني واغتنمت فرصة غياب مبراي لاخاطبك على انفراد . فاجابت : على انفراد ؟ وهل لديك سرٌ تروم اطلاعي عليه . فاجاب لدي مسألة اطلب منك الموافقة عليها فقالت موافقتي انا ؟ فيالسعادتي مرني بما تشاء أأنت في حاجة الى المال لابيع احدى مزارع ابي . اجلس اولاً ياحبيبي فقال ريشار لا استطيع الجلوس لانني ساعود الساعة قالت تعود دون ان تاخذني فقال لااستطيع اخذك الآن هل تضجرين في هذا المكان فاجابت لا اضجر من الوحدة ولكني اضجر لكوني بعيدة عنك لا سيما وانك لا تجاوبني على رسائلي فقال اظنك تعرفين السبب فاجابت

لا تعتذر لا تعتذر اني بشغلك داريه
لكننا نحن النسا ء نرى الحياة الغاليه
موجودة للحب لا للحادثات القاسيه
ولذاك كنت نسيت سع يك في الامور الجاريه
حتى فطنت لما عليك به بلادك قاضيه
فشكرت صنعك كلما اتلو الجرائد نائيه
وطربت لاسمك حين تذكره بحمدك داعيه

فلقدهزت الارض با — لخطب الغوالي الغاليه

ياليتني قد كنت سا — معة هنالك رائيه

فاجاب ريشار ولكنك تعلمين ان حالتنا المالية لا تساعدنا على ذلك فقالت جاني نعم وهذا ما جعلني انتظر واصبر ولكن اصدقني ايها الحبيب اما من مانع يمنعك من اقامتي معك في لندن غير رغبتك في الاقتصاد فقال هذا اهم الامور فقالت اسمع اذن ياريشار انني اريحك واستريح معاً فانني اتنازل عن كل حقوق الزوجة وارضى بان اعيش سرًا في المنزل الذي تعيش فيه دون ان يدري احد انني امراتك وبذلك تقتصد ما تريد اقتصاده ايرضيك هذا الشرط ياريشار فقال ريشار وقد هزّ راسه لا ريب انك مجنونة فقالت جاني بانكسار فلندع اذاً هذا الحديث وقل لي ما هو الامر الذي قلت انك جئت من اجله

فقال ريشار وقد تامل هنيهة ان هذا الامر يعيدنا الى الحديث الذي كنا فيه فقالت جاني وما هو فقال متردداً مقطعاً كلامه هو ان مركزي السياسي في لندن .. وبعض الاحوال الوزارية الخصوصية . صارت تقضي بزيادة البعد بيننا

فصاحت جاني حينئذ بدموع

اما كفاك اغترابي عنك من زمنٍ — قاسيتُ فيه ضروب الهمّ والاسفِ

فاي حد له ترضى اما انقطعت — بيني وبينك سبل الودّ والشغف

ولست اسمع عما انت فيه سوى — ما بتُّ اقرأه في سائر الصحف

ريشار: هل ذاك عتب وتأنيب اردتِ به — غيظي لتنتقمي مني وتنتصفي

جاني: كلا ولكنها شكوى ابوح بها — واستعين بدمعي المغدق الوكف

ريشار: مالي على هذه او تلك مصطبر

جاني: — فكيف اصنع ياويلي وبالهفي

واي امر اذاً قد جئت تطلبه — فبح بسرك يا ريشار واعترف

اترك انكليترا وهي التي حفظت — عظام آبائي الماضين والسلف

ماذا تريد وماذا ترتضي والى — متى ابتعادي عن زوج به شرفي

فاجاب هنا ريشار ببرد اشد من برد طين الشتاء اخطأتِ ياجاني فانا لا اريد اكراهك على الخروج من انكلترا بلاد آبائك واجدادك وليس لي حق في ان اطيل هجرك ونفيك .. لقد اخطأ الدهر اذ ربطني واياك برباط واحد مع ما بيننا من تفاوت الاخلاق وتباين الطباع ولكن يجب ان لا تقع تبعة هذا الخطأ على راسك بل يجب عليّ ان أُعيد

لك هناءك وحريتك

فقالت جاني بدهشة لم افهم حرفاً واحداً مما تقول فقال ريشار متمماً حديثه ومع ذلك ياجاني فان الذي جئت اقترحه عليك الآن امر موجود بيننا وانما انتِ تتحملين مضاره دون ان تتمتعي بمنافعه

فصاحت جاني تكلم تكلم كمل كمل لانني لا افهم شيئاً .. آه بل اسكت اسكت لانني بدأت افهم

فقال ريشار فلو كان بيننا انفصال . فقالت جاني: كلمة اخرى ايضاً. فقال (شرعي) فصاحت كلبوة جرحت: الطلاق؟ فقال ريشار نعم الطلاق فصاحت جاني باكية آه ياالهي آه يا ابي وامي . فاتم ريشار قائلاً فلو كان بيننا طلاق فقالت آه ما اقساك اسكت والا قتلتني فقال ريشار لماذا تخافين الطلاق ياجاني مع اننا نعيش الآن في حالة كحالته فهل تخافين كلام الناس فاجابت انا لم انظر الى السلاح ولكني شعرت بطعنته . فقال ريشار ببرادة الثقلاء ولكنها طعنة يشفيها الزمان ياجاني فانك لا تزالين فتاة فاذا احببت حباً آخر ..

فصاحت هنا جاني بجنون بالغ مبلغه — حباً آخر. آه يااللعار .. تقول حباً آخر؟ ... اقتلني ولا تهني .. انا احمل عذاب القتل ولكني لا احمل الاهانة

فقال ريشار لا قتل ولا اهانة ياجاني.وما هذه سوى الفاظ فارغة واشارات باطلة لا ترجعني عن غرضي . فاجابت باكية انه غرض فظيع

غرض فظيع ان وصلت اليه لم ... تسلم من التقريع والتأنيبِ
أتريد تطليقي كأني لم اكن ... ادعوك قرّة ناظري وحبيبي
أتريد حرماني من السند الذي ... ارجوه عند الحادث المرهوب
ونسيت ما قد كنت تبدي من رضى ... وعناية بي راجياً تقريبي
هلا ذكرت مواثقاً أكدتها ... لابي وامي يوم كنت خطيبي
هلا رثيت لزوجة مسكينة ... محرومة من ناصر وقريب
وكفيتني نكد الحياة لانني ... لا استحق مرارة التعذيب

فقال ريشار: ومن قال انني اعذبك ياجاني فانني لا ادع احداً يعرف بامر طلاقك وان كنت تخافين تشهير المحكمة وتفاصيل المحاكمة فاعلمي انني لا ارفع قضيتنا الى المحكمة ابداً لان ذلك يضر بمصلحتي

فقالت وكيف اذن تريد الطلاق فانني لم اعد افهم شيئاً

فقال اننا نتفق ياجاني معاً على الطلاق ومتى رضيتِ به لم يبقَ من حاجة الى المحكمة طبقاً للقانون

فصاحت هنا جاني بغضب شديد : ماذا؟ أتحسبني لئيمة الى هذا الحد ؟ هل خطر في بالك انني اوقّع من تلقاء نفسي على صك اقول فيه انني ساقطة غير اهل لان اكون زوجة السر ريشار. اذاً انت لم تعد تعرف اخلاقي . فان الدموع والمصائب قد غيرتها وجعلت في نفسي ارادة قوية قادرة على الصبر والثبات . وهذا من سوء معاملتك . هذه نتيجة عملك . فلننظر الآن من منا الاقوى . انا الضعيفة ام انت القوي ؟ ايها السر ريشار انا ارفض ما طلبت

وقد قالت ذلك برأس شامخ وصوت مرتجف من الغضب والانفعال

فبهت ريشار ثم قال بسكينة : ايتها السيدة لم اتخذ معك الى الآن غير اللين والمسالمة

فقالت بغضب : جرب غير اللين اذا اردت

فدنا ريشار منها بثبات جاش وتجهم وقال : جاني

فخطت جاني خطوة نحوه وقالت بجد وتجهم ايضاً : ريشار

فقال ويلك ايتها التعيسة اتعلمين ماذا افعل بك اذا اصررت على الرفض

فقالت ربما فطنت الى ذلك

فقال اولا ترتعدين اذاً

فقالت ارتعد ؟ ولماذا . انظر اليّ

فقبض ريشار على يدها بقوة وقال ايتها المراة عودي الى رشدك

فجثت جاني بانكسار لفروغ غضبها وانتهائه وصاحت : آه يا رباه . فانهضها ريشار قائلاً لماذا تجثين ؟ فقالت رفقاً به يا الهي لانه لا يعلم ماذا يفعل . فهنا غضب ريشار وصاح بها : بل ادعي الله ايتها المرأة ان يرفق بكِ انتِ لانكِ احق بالشفقة مني . انا ذاهب وهذا آخر عهدي بكِ . قال هذا واندفع نحو الباب يريد الخروج . فوثبت جاني وتمسكت به وطوّقته بذراعيها صارخة ريشار ريشار بعيشك لا تذهب

فحاول ريشار التملص من ذراعيها فدفعها وهو يقول : دعيني دعيني . فقالت باكية ريشار ريشار آه لو تعلم كم احبك

فقال برهني على حبك لي بخضوعك . فقالت جاني تناجي نفسها . آه يا اماه لقد صدقت

بقولك عن اخلاقه

وكان ريشار قد سئم تعلقها به فقال : اسالكِ للمرة الاخيرة اتتركينني ام لا ؟

فاجابت المسكينة مستعطفة : حبيبي . روحي . اسمع لي

فقال ريشار بضجر بل اسمعي لي انتِ . ارضي بما طلبته منكِ . اياكِ ان تكتبي لي بعد اليوم حرفاً واحداً او يعرف احد بوجودك . اودعكِ الان

قال هذا وهمّ بالخروج . فانطرحت جاثية ثانيةً عليه وامسكت به قائلة : لا . لا تذهب

فغضب ريشار غضباً شديداً وصاح : افّ من هذا الدلال . فقالت وهي ممسكة به انك لا تسافر الان ولو قتلتني

فلما رأى تعلقها به دفعها عنه دفعة شديدة بكل قواه فسقطت على الارض ورضّ رأسها فاغمي عليها وسال دمها

وبعد ذلك خرج ريشار غاضباً وهو يقول ويل للوزراء فانني ساناقشهم الحساب على ما قاسيته من العناء في هذا المكان

(البقية للجزء التالي)

اجداد السوريين القدماء

خلاصة من تاريخ الفينيقيين

مدنهم . حكومتهم . عاصمتهم . بناؤهم قرطجنة . دياناتهم . صناعتهم . بحريتهم بضائعهم . تاثيرهم على العالم

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقه ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصهاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم

ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطىء البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها تتألف عن بعد على طول الشاطىء الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مرافىء طبيعية ففي هذه الموانى اقام الفينيقيون مدنهم. فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء في القوارب. اما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن ارض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة

الخرائب الفينيقية لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة. ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم الا في البلاد المهملة المتروكة. على ان السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى وهدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبقَ اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر. اطلال قلما تجدي نفعاً وتأتي العلم بفوائد. وليس ما عرف عن الفينيقيين الا ما علَّمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين لم تكن فينيقية مملكة قائمة براسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى اعظم مدينة فينيقية لنض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر. واذ لم يكن الفينيقيون امة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية

صور كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من اهم المدن الفينيقية ضاقت على اهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها. ولقد اسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم اجمع. دعاهم اشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب واوب. وطلب سليمان الى حيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس

قرطاجنة كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطىء افريقية بالقرب من تونس بعثتهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) . ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها الا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي ايضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطىء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرّب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثمّ كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها الا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشرّدي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملوّنة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدباً يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من البالياريين مدرّبين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . اما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن امم وربما صلبتهم اذا غُلبوا او لم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من اغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة مسالة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم ولما كان لهم اسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر. والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت. ولكل من المدائن الفينيقية ربان. فلصيدا بعل صيدون «الشمس» وعشتروت «القمر» ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجبيل بعل تموز وباليت. ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوخ ويعتبر عدماً. وقد تنوب عن هذه الارباب اصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شانهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين . وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوخ في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالاً تسقط للحال في هاوية من نار. وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوخ في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها وياتمون بها فكان يذبح اليهود لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل ملخارت من صور تحت اسم هيرا كليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام اقدامهم في بقعة ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى. تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلوء والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والخمر والاحجار الكريمة والماء المعطر

وحرير الصين · وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

﴿ بحريتهم ﴾ بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداً على مقربة من الشواطيء في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال · ولقد فطر الفينيقيون على الاستخفاف بركوب اليمّ فالقوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هرقل » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج · سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر · وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة · وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

﴿ البضائع ﴾ كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل · يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان · وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء · ويجلبون الفضة التي يستخرجها اهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا اثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد · وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النخاس العبيد في ساحل افريقية · اذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجر بالرقيق · وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية · واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصاناً ولا يحامون اطالة يد التعدي على الاغيار

﴿ سرّ اختص به الفينيقيون ﴾ لم يقلق الفينيقيون الاّ من قيام تجارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير · وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا

التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمد. وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق. حتى ان ربان احد المراكب اغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطىء بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجـة ونخار وحلي واصنام فياتي اهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية. تقام امثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطىء اسبانيا (مالقة وقادس) وربما اقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير. والرب ملخارت كما في كورنت. ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

نفوذ الفينيقيين لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما اسسوا مكاتبهم التجارية الا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن امم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاكاتها. مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج. على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها. لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة ابسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب اليهود من اليمين الى

الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف الا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق اصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي وابتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة (المقتبس)

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

ترجمة جمال الدين الافغاني

الذي تنسب اليه يقظة مصر والشرق الادبية

بقلم تلميذه العلامة الشيخ محمد عبده

« يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأيناه من تخالف الناس في امره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كأنه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء مخبره لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملاً من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينمى نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين ابن علي ابن ابي طالب كرَّم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة «كنر» من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

« ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره اجلس للتعلم وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكاء في مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهايتها . تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان و بيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو يتنقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم واصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً . وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ واشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو اكبر سناً منه ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة . وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين . وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما احسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير اسرعوا الى الفرار وتفرّقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية . وبعد مجالدات عنيفة عظم امر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير السابق) وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه اميرًا على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ

جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها (على خلاف ما تعوده امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكماً في قندهار على منازلة عمه شير علي في هرات ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراءة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الغرّ المتهور منقطعاً عن جيشه فكرّ عليه واخذه اسيراً فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي وبذلوا له قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت امانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى (وعاد الى بلاده رحمه الله) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسسه الامير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوي . الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا راى السيد جمال الدين خيراً له ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فاذن له على شرط ان لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تاذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوماً تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسالوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحوّل عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد ايام من وصوله امكنته ملاقاة الصدر الاعظم علي باشا ونزل

منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم وبعد ستة اشهر سمي عضوًا في مجلس المعارف فادى حق الاستقامة في ارائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه . ومن تلك الطرق ما احفظ عليه قلب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي افندي لانها كانت تمس شيئًا من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطابًا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فألح عليه تحسين افندي فانشأ خطابًا طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا . وعلى شرواني زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف وكان عضوًا في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم واطنب في مدحه

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والتي ما كان اعده وارسل حسن فهمي افندي اشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقًا ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حي وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فشبه الملك مثلاً بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة . والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضى في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتى على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا ما يتالف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة وإما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة الهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته . اما الحكمة فما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات وبان النبي معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه . وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما اراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ما هو الاولى والافضل على شريطة ان لا تخالف الشرع الالهي . هذا ما ذكره متعلقًا بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان حسن فهمي

افندي اقام من الحق باطلاً ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الإشاعة بانه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به وراى ان ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها واكثرت الجرائد من القول في المسالة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها اعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة فعظم الامر وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء. ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في اول محرم سنة ١٢٨٨ هذا مجمل امره في الاستانة

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلاً اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاورى واستفاضوا بحره ففاض درًّا وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرّساً ولا يوماً واحداً. نعم كان يذهب اليه زائرًا واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة. عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بدينه وادبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد باشا سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما

ساجعون في المراسلات الخاصة واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شا كلها

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة **وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر** . هذا ما حسده عليه اقوام واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية اخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في يقينهم . ولنا في ائمة الملة الاسلامية الف حجة تقوم على ما نقول **ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة** ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة **كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون** غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شانه في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا ان بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين . ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دُعي من حيدر آباد الى كلكته والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم ابيح له الذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة اصعد اليها مدينة لوندره اقام بها اياماً قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات وافيناه في اثنائها . ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله سألني ان اقوم على تحريرها فاجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم ياخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون

الاستمرار في اصدارها حيث أُقفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيماً في اوربا اشهراً في باريز واخرى في لوندره الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنيفيٌّ حنفيٌّ وهو وان لم يكن في عقيدته مقلداً لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ولا ياتي من الاعمال الا ما يحلُّ في مذهب امامه فهو اشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شانه وللدين الحنفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول شرحها

اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها . لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له . وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها . كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فياتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه . واذ تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع . وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيهما احد الا ان يكون في الناس من لانعرفه . وكفاك شاهداً على ذلك انه ما خاصم احداً الا خصمه ولا جدله وعالم الا الزمه . وقد اعترف له الاوربيون بذلك بعدما اقرّ له الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ان ما اتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ما شاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمسّ شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب . فبينما هو حليم اوّاب اذا هو اسد وثّاب . وهو كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي

ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرًا ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عروف عن صغارها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه الا انه حديد المزاج وكثيرًا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة الا انه صار اليوم في رسو الاطوخاد وثبات الاقناد فخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لايعد لنفسه مزية ارفع ولا عزًا امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

اما خلقه فهو يمثل لناظره عربيًا محضًا من اهالي الحرمين فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الاوّلين سكنة الحجاز حماه الله. ربعة في طوله وسط في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الراس في اعتدال عريض الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه

بقي علينا ان نذكر له وصفًا لو سكتنا عنه سالنا عن اغفاله وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسه في تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيدًا من اللغو منزهًا عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وارباب المقامات العالية واهل العلم. وهذا الوصف ربما عدّه عليه بعض حاسديه لكن الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له



اقتفاء الاثر
LA PISTE

رواية غرامية اجتماعية عائلية تاليف ساردو
تذكار من سياحة صاحب الجامعة

﴿المؤلف﴾ فيكتوريين ساردو هو اشهر مؤلفي الروايات التمثيلية الفرنسوية اليوم اذا وضعنا الشاعر ادمون روستان مؤلف (الاكاون) جانباً. وهو شيخ يربي عمره على السبعين وقد صرف حياته في هذا الفن وجعلته مكانته فيه رئيساً لجمعية مؤلفي الروايات التمثيلية. والمشهور ان جميع الملاعب التمثيلية في جميع العالم المتمدن تنسج على منوال الملاعب الفرنسوية وتنقل رواياتها لان الفرنسويين مشهورون وممتازون بالفنون الجميلة وسلامة الذوق فيها كما هو معروف

﴿الرواية﴾ فلما وصلنا الى فرنسا كان من جملة الامور التي عزمنا على درسها فيها بتدقيق وامعان ملاعبها وممثلوها لاننا ممن اشتغلوا بوضع الروايات التمثيلية ولنا في جوق الشيخ سلامه روايتان (البرج الهائل) و (ابن الشعب) فعلمنا حين وصولنا الى مرسيليا ان ساره برنار الممثلة المشهورة غائبة في الولايات المتحدة ولكن مناظرتها (ريجان) تمثل تلك الليلة في مرسيليا رواية La Piste للمؤلف ساردو. فابتعنا احدى اوراق الدخول ودخلنا الى مرسح غاص باكابر سكان مرسيليا. ولا تسل عن جمال المكان والسكان

وكنا قد قرانا هذه الرواية في مقالات الناقدين الفرنسويين حين ظهورها في العام الماضي فلما شهدناها لم تكبر ولم تصغر في عيننا بل رأيناها كما هي لان نقدة الفرنسويين يحسنون تلخيص ونقد المواضيع

واليك موضوع الرواية

تزوج رجل بمطلقة وهي سيدة جميلة من سيدات باريز الجميلات ففي ذات

يوم بينما كان يبحث في (درج) عثر على رسالة الى امرأته من عاشق لها· والرسالة تدل على ان زوجته قدخانته الخيانة الكبرى· فلما رأى ذلك طار صوابه وهمَّ بطلب الطلاق· وكانت امرأته تحبه حباً حقيقياً وهو يحبها كما تحبه· فتوسط في الامر بعض الاهل فاعترفت الزوجة بان ذلك الامر وقع على زمن الزوج الاول والرسالة من ذلك التاريخ فلاحق للزوج الثاني اذ يناقشها الحساب عما سلف في زمن سلفه· فسألتها احدى صديقاتها ولماذا فعلتِ ذلك فاجابتها هذا الجواب النسائي البسيكولوجي الصحيح : كنتُ متضجرة فاتخذتُ خليلاً · وقد صدقتْ فليس شيءٌ كالضجر يفسد قلوب النساء· فذهبت السيدة المتهمة وصديقة لها الى زوجها الاول ورجت منه ان يشهد بوقوع هذا الامر قبل زواجها الثاني اذا سُئل عنه· تعني ان يشهد انه وقع على زمنه· فاستقبلها الزوج الاول باشاً ضاحكاً ووعدها بهذه الشهادة وهو يظن انها لم تطلبها منه الا تخلصاً من الطلاق· اما الزوج الثاني فانه سار يقتفي اثر الرسالة لمعرفة تاريخها الحقيقي وذلك ليعلم أكان الامر في زمنه ام في زمن الزوج الاول· والتقاء الزوجين في احد الفصول غاية في المجون والاستهزاء· واذا كان الحاضر متزوجاً فانه يشمئز من الزواج واذا كان عازباً فانه يكرهه ويحمد الله على انه ليس له زوجة تخونه وهذا عيب في الرواية لانها تنفر الناس من الزواج· ولكن عذر المؤلف انه يصوّر الحياة كما هي لا كما يجب ان تكون وهو ما يسمونه الروايات الاجتماعية الاخلاقية· وبعد ان بحث الزوج الثاني كثيراً في اثر تاريخ الرسالة تعترف الزوجة ان الجريمة وقعت في فندق صغير في اطراف باريز· فيهرع الجميع الى الفندق للاطلاع على تاريخ اليوم في السجل· فيلتقي عند الفندق الزوج الثاني وزوجته والزوج الاول وبعض الاهل وياتي ايضاً قريب للزوج الاول وهو ابن اخيه على ما نظن· فلما ينفرد الزوج بزوجته تبكي الزوجة وتقول له انني احببتك بكل جوارحي وكنت امينة

لك بكل قوى نفسي وانظر كيف تعاملني · انك عند اول شبهة تطرحني على قارعة الطريق · فقال لها اذا كان ما تقولين حقاً من ان الامر وقع في زواجك الاول فلماذا لم تطلعيني عليه حين زواجنا فان ذلك كان من واجباتك · فاجابته هذا الجواب النسائي : لماذا اعكر صفو فكرك وحبك اني كذبت كذبة قصدت بها راحتك وهناءك · ففي الكذب ما ينجي و يريح · قلنا وهذا قول لا يرضى عنه فلاسفة العمران وعلماء الآداب اذا رضي عنه مؤلفو الروايات

والحاصل انهم يكتشفون في الفندق ان الجريمة حصلت في زمن زواجها الاول فيتنفس الزوج الثاني الصعداء ويقبلها من فرحه · ويظهر ان شريكها في الجريمة ابن اخي الزوج الاول فلما يعلم زوجها الاول ان الجريمة كانت حقيقية في زمنه يغضب غضباً شديداً ويمسك بابن اخيه · وتختم الرواية بكلمة دقيقة معناها ان الانسان خاضع للوهم على الدوام ·

وكأن جميع مغزى الرواية في هذه الكلمة · والرواية كلها انما هي تهكم واعتراض على الطلاق كما رأيت · فان الزوج الثاني لم يعتبر الفاحشة فاحشة لوقوعها في غير زمنه والمرأة من حقها ان تقول له : كنت امينة لك فليس لك حق في ان تسألني عما وقع مع غيرك

﴿ريجان وساره﴾ وبعد التمثيل القت ريجان نوادر وفكاهات على الحاضرين فضحكوا كثيراً لحركاتها ومزاحها · ولكنها تهكمت على ساره برنار كثيراً في خلال هذه الفكاهات وقلدت كلامها لتضحك الناس منها · وعذرها في ذلك انها تهكمت هي نفسها على نفسها في بعض تلك الفكاهات ولكنها لم تضحك الناس منها الا قليلاً واضحكتهم من سارة كثيراً · وبالاجمال اننا وجدنا ريجان تمثيلاً والقاء وتاثيراً دون شهرتها

الشيخ محمد عبده والجامعة

بعد المناظرة

وقبل وفاة الاستاذ بعام ذهب في الصيف الى بلاد الانكليز ومن هناك عرج على الجزائر وتونس فلقي في بلاد انكليز والاقطار التونسية والجزائرية من الاجلال والاكرام ما لا يلقاه الا العظماء والامراء. وقد استقبله علماء الانكليز واساتذتهم استقبالاً يفوق استقبالهم استاذه جمال الدين الافغاني. لان الاستاذ المفتي سار اليهم وهو لا يحمل فقط قبس العلم الشرقي بل كان يحمل ايضاً وظيفة الافتاء الكبرى للمسلمين في جميع الاقطار

وقبل عودته من سياحته هذه اذاع بعض مناظري «الجامعة» في مصر في الصحافة المصرية انه قبل وصول المفتي الى الجزائر وتونس أُرسلت وشايتان من مصر الى حاكم الجزائر في حق فضيلته واحدة من مصر «وواحدة من الاسكندرية» وضمونها تحريض حاكم الجزائر الفرنسوي على الشيخ محمد عبده بتهمة انه صديق للانكليز وانه في سياحته هذه في المستعمرات الفرنسوية سينشر نفوذهم وينفر الجزائريين والتونسيين من الحكم الفرنسوي ويدعو الى عصبة عربية لمقاومتهم. وقد نشرت احدى الجرائد السورية المصرية اليومية الكبرى يومئذ هذا الخبر كما اذاعه مناظرو الجامعة. فعلمت من قولهم «وواحدة من الاسكندرية» انهم يعنون به «الجامعة» وبما ان نفسي لا تشمئز من شيء في الدنيا اشمئزازها من تهمة الوشاية والسعاية رأيت من واجباتي بعد عودة المفتي من تونس ان اكتب اليه الكتاب التالي. ونسخ الكتب التي كتبتها لفضيلته مكتوبة عندي بقلم رصاص وقد غاب معظم الكتابة الآن

«لحضرة الاستاذ الكريم فضيلتلو الشيخ محمد عنده مفتي الديار المصرية المحترم نفعنا الله بعلمه

«بعد ان اهنئكم بالعودة سالمين من سياحتكم ارجو ان يكون الزمان ومداخلة اصحاب الاغراض لم يغيرا ما أفتخر به من ودادكم لي وللجامعة. واغتنم هذه الفرصة لاستاذن فضيلتكم في نقل درسكم البليغ الذي ينشره المؤيد في «العلم والتعليم» (١) الى صفحات الجامعة مع الالمام بشيء من سياحتكم في الغرب التي فيها شرف للشرق. ولي في ذلك غرضان الاول

---

(١) هو الدرس الذي القاه الاستاذ في جامع تونس الكبير بطلب بعض علمائها الافاضل

الدلالة على بقاء المجلة على الاخلاص لفضيلتكم مع كل ما وجه اليها من السب والقذف وتعمد الضر . والثاني لكي تعلموا فضيلتكم انما نشره « فلان » عن ارسال وشايات بسيادتكم الى الجزائر واحدة من مصر « وواحدة من الاسكندرية » هو اولاً نقض للعهد (١) وثانياً اختلاق محض يظن انه خدمة لفضيلتكم مع انه مضر باسمكم الجليل الذي صار اليوم يضره المدح بصورة كهذه الصورة لانه يدل القارىء على وجود خصوم له ينكرون عليه فضله . وغني عن البيان انه لو « أرسلت رسالة وشاية في فضيلتكم من الاسكندرية » لما تسنى « لفلان » ان يدري بها لان رئاسة غرفة حاكم الجزائر الوطنية مشتركة في الجامعة والرسائل بينهما لا يطلع عليها احد . ولم اذكر ذلك لتبرئة الجامعة لديكم من كذب عليها لانكم تعلمون فضيلتكم ان الخصوم الكرام لا يتسفلون الى هذه الدركات بل اذا ارادوا سوءا جهروا به وطعنوا في الصدور لا في الظهور . ولكن ذكرته لعله يكون في هذا الحادث ما يجعل « فلاناً » يرعوي قليلاً و يفيق من نشوته . وانا في كل حال من اخلص الناس لفضيلتكم واعرفهم بفضلكم »

وكان هذا الكتاب اول خطاب بيننا بعد المناظرة . فاجاب فضيلته عليه بالكتاب التالي :

« الآن وصلني رقيمك واشكرك على التهنئة وعلى الميل الى استدامة الصلة . واحب ان تعرف ان ما يسمى وشايات لا سلطان له عليَّ واني لا آخذ بالكلمة تلقى اليَّ الا اذا قام عليها من الادلة ما يحصل اليقين . ثم ان قلبي لا يسع ما يسميه الناس عداوة وليس فيه مكان لذلك . ولكن قلبي قد يحتقر ما لا قيمة له . احياناً يُظهر ما يجد من ذلك واحياناً لا يبالي باظهاره ولا كتمانه . وما ذكرتَ مما ذكر « فلان » لم اطلع عليه او لم التفت اليه ولا وقت عندي لتحقيقه على انه ان لم يكن فيه الا « وواحدة من الاسكندرية » فليس فيه لا تلميح ولا تصريح بذكرك فلم حملته على نفسك . على انني قد علمت حق العلم ان وشاية او تقريراً او ما شئت فسمه ذهب من الاسكندرية الى الجزائر ولكنك لم تخطر ببالي عندما تحققت ذلك فلم تسيء الظن لمجرد ذكر لفظ يشمل مدينة بتمامها فيها من يشتغل بهذه السفاسف كثير لا يليق بهم ان يكونوا في عمل مثل عمل مجلتك

« وانك لو راجعت دفتر اعمالك لوجدتَ من اكبر ما يصح لقلبي ان يتأثر له ذلك

---

(١) اي العهد الذي أُبرم بالخروج من المناظرة واقفال بابها بين الجامعة ومناظريها

المطبوع «١» الذي ارسلته اليّ وبعثتُ به الى (فلان) «٢» ولكيلا يبقى منه اثر في نفسي لم أبقِ له اثرًا عندي. وعلى كل حال فلا تجعل لهذه الامور سلطة على نفسك ولا اظن ان عنفوان الشبيبة يمنعك من بذل الجهد فيما احب لك ولكل من يعمل عملاً يرجى منه الخير ويخشى منه الشر في الشرق

«اما ذكرك لمجمل ما القيته في تونس فاليك من ذلك ما تحب غير اني اوجب ان يُنسب الى جريدة (الحاضرة) التي تُنشر في تلك المدينة لامرين الاول انه من حقها والثاني انه بعبارة صاحبها وفيها ما لا يصدر من قلمي العربي عادةً. واذا اشرتَ الى شيء من سياحتي فليكن بعد تحري ما تعلم من ذلك»

فانت ترى ان الاستاذ رحمه الله وضع في جوابه خلاً وخمرًا. وقد ابتسمتُ لما قرأت قوله فيه عن (عنفوان الشبيبة) مع ان الجامعة كانت مدافعة لا مهاجمة ولم يبدر من قلمها كلمة خارجة عن حدود الادب. ولكن المناصب العليا تصيب اصحابها بنوع من الدوار كما يقول الفرنسويون في امثالهم فاذا آنسوا اقل جراءة وثبات جاش من احد عدوه تحاملاً وتهجماً عليهم. ولكني اذا كنت قد ابتسمت لعبارة الاستاذ في (عنفوان الشبيبة) فانني استاءت حقيقةً من كلمة وردت في السطر الرابع. فاجبته بالحال بالجواب التالي

« مولانا الاستاذ

« تناولت كتابكم بسرور وانني اشكر لفضيلتكم ما ورد فيه على انه ظهر لي من بعض عبارات اقبلها رغماً عني احتراماً لكم ان الزمن الذي ستنصفون فيه الجامعة فيما يختص بالحوادث الماضية لم يحن بعد (ثم بعد كلام طويل ورد فيه شرح الاسباب التي اوجبت على الجامعة الدخول في هذه المناظرة) هذه عبارات وجدت من واجباتي ان اعرضها على فضيلتكم

---

(١) يريد المنشور الذي لم يوزع وقد ورد ذكره في آخر المقالة السابقة في الجزء السابق

(٢) لم نرسل المنشور الى فضيلته رأساً ولكن كاتب ادارة الجامعة كتب بتوقيعه كتاباً الى سكرتير المفتي يقول له فيه ان يبلغ فضيلته المنشور حسماً للنزاع اذا كان فضيلته يروم ايقاف توزيعه على الشرط الذي تقدم ذكره. وفضيلته لم يرسل المنشور الى « فلان» لان سعادته الحّ ضاحكاً بطلب نسخة منه ليقف عليه فلو أُرسل الى سعادته لما طلب من الجامعة نسخة منه

بعد تشرفي بقراءة كتابكم وانا على يقين من انكم « تحتقرون » الجامعة حقيقةً اذا لم تصدر عنها بعده . واذا كانت فضيلتكم حتى الآن لا تعتقدون بحسن نيتي من جهتكم وحرصي على ودادكم في كل ما جرى فانني اضيع وقتكم عبثاً واخطب ودادكم على غير جدوى

« اما ما تفضلتم بذكره بشأن « رسالة الاسكندرية » فانني اشكر فضلكم عليه . ولكن انكار فلان انه لا يعني الجامعة لا يمنع انه كان يقصدها لان الناس فهموا ذلك من كتابته وقد سألني ثلاثة من الاصدقاء عن ذلك عند قراءتهم الخبر في جريدة « كذا » « احدى الجرائد اليومية » وهذا من قبيل قوله حيناً بعد آخر « تلك المجلة البروتستنتية » يعني مجلة للبروتستنت يناظرها وتناظره وغرضه من ذلك ان يوهم السذج انه يقصد الجامعة وهو لا يقصدها في الحقيقة . وارجو من فضيلتكم ان تسمحوا لي ان اقول ان اكابر المسلمين المتقدمين كانوا يجتذبون القلوب الى الاسلام بمكارم الاخلاق وحسن السيرة والسريرة . « وهذا الاسلام » الذي يتخذ الفضائل الخلقية مناراً له وكل دين يحذو هذا الحذو انما نعشقه نحن معاشر طلاب الحقيقة بالعقل دون سواه لانه انما يكون مبنياً على الطهارة القلبية المطلقة . ولكن متى خرج عنها بالافتراء والمواربة فان ذلك يكون داعياً الى تنفير الناس منه بدل اجتذابهم الى مبادئه »

فيظهر ان الاستاذ اراد ان يزيل من نفسي اثر كلمة وردت في كتابه الاول فاجاب بكتاب آخر رفع به الكلمة المقصودة ولكنه غمز ولكز بكلام غيرها وهذا كتابه بحرفه

« حضرة الفاضل

« لو احتقرتك ما كتبتُ اليك كلمةً وانك لتسيء الظن بنفسك اكثر مما يسيئه غيرك وكنت اود لو كنتَ لنفسك افضل مما انت لها اليوم ولكن اللهم عرّفنا باقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب »

فاجبته بالجواب التالي

« مولانا الاستاذ

« زادت ممنونيتي لفضيلتكم بعد ان علمت من كتابكم الاخير انكم لا تريدون بالكلمة الواردة في كتابكم السابق سوءًا بهذا الداعي وهذا ما كنت انتظر من فضيلتكم ايضاحه «(١)»

---

(١) لما كتبت هذه العبارة ترددت في كتابتها لانها تجعل كتابه الاخير عبارة عن اعتذار

فان مولانا الاستاذ هو اليوم امير الفكر الشرقي والمفكرين . والامراء والملوك يكونون على الدوام فوق الاحزاب لانهم يحسبون الجميع رعية لهم وعليهم العدل والمساواة بينهم . فاذا حدث ما يسوءهم من احدهم كان لهم فضل تناسي ما مضى مرة واحدة وطمره لا نبشه بالعودة اليه لان نبشه يدفع كل واحد الى التمسك بحقه ليكون مستريح الضمير مع نفسه . وعندي ان الاستاذ اذا راى من بعض تلامذته ومريديه كهذا الداعي شيئاً من الاباء عن الضيم وان كان الضيم في عبارة واحدة او عبارتين فقط فانه يحق له ان يسرّ بذلك لما يشاهده من آثار دروسه في نفوس الناس وانتفاعهم بها . فياليت مولانا الاستاذ اوّل كتابي الماضي هذا التاويل بدل التاويل الذي ورد في كتابه

« وانني في كل حال شاكر لفضيلته عنايته والتفاته الى هذا الداعي وتشريفي بكتابيه واسأل فضيلته المعذرة لاشغالي وقته الثمين بهذا الموضوع والسلام باحترام »

ثم مرّت شهور على هذين الكتابين وظهر لنا انهما تركا في نفس فضيلته شيئاً من الاستياء لان فضيلته لم يتعوّد قط ان يقابَل من احد بلهجة كهذه اللهجة . فان التمليق سائد على الاخلاق في الشرق ومتى ارتفع شخص انحنت امامه الهام ورُفعت اليه الصلاة والصيام . واذا كان كالاستاذ ممن يضرون وينفعون ويخفضون ويرفعون فانه لا يجد امامه الا قوماً يتملقون ويستجدون . ولكن الاستاذ رحمه الله كان ذا نفس كبيرة تفهم العواطف الكبيرة ولذلك كان استياؤه من الجامعة ممزوجاً على الدوام بالميل اليها تفضلاً منه وكرماً . أضف الى ذلك انه كان رحمه الله يرعى شهرته واسمه رعاية شديدة وكان يعلم ان للصحف تأثيراً شديداً في هذا الشان فكان يبذل جهده في مسالمتها واتقاء اذاها . وكنا لا نجهل عواطفه هذه فرغبة في ازالة كل اثر سيء للكتابين من نفسه اغتنمنا فرصة سنحت لاستفتائه في موضوع اسلامي اجتماعي هام فبعث فضيلته الى الجامعة بفتوى رسمية موقعة كذا (محمد عبده مفتي الديار المصرية) وسنشرح هذا الموضوع الهام ونلخص فتوى الاستاذ في الجزء التالي



مراقب الجامعة

كتب صاحب الجامعة قبل انتقاله من مصر الى نيو يورك فصلاً بشأن مجلة السيدات وهذه صفحة منه

« واذا كان احد يخسر في هذا الانتقال فهو انا . ولست اريد بذلك انني افقد الوطن والاهل والخلان فقد تكلمت عن خسارتي هذه باسف وكآبة في المنشور الملحق بهذا الجزء . وانما خسارتي التي اريد ان اشير اليها هنا في صدر مجلة السيدات هي فراق شقيقتي صاحبة المجلة .

« ان بعض ذوي الصحف والالسنة المازحة الذين لا يعرفون صاحبة المجلة ضايقوها في المدة الماضية باشاراتهم تلميحاً او تصريحاً الى انني انا الذي اتولى تحرير المجلة برمتها وان صاحبتها ليس لها شيء فيها غير الاسم كما كان ذلك لبعض من تقدمنها من الكاتبات العربيات . وقد كانت هذه التهمة تؤلمها في بدء الامر ثم تعودت عليها . فنعم انا اساعد صاحبة المجلة في ترتيب المواد وتنقيحها وكتابة الفصول الموقعة بهذه العلامة *** اي ثلاثة انجم كما يعلم قارئات هذه المجلة . ولكن الذين يذكرون مساعدتي هذه لها لا يعلمون انني مديون لها بمساعدة ان لم تكن اكثر منها فمثلها . فليعلموا الآن انني لم اطبع سطراً حتى هذا اليوم في الجامعة وكتبها الا بعد ان اطلعت عليه ونظرت فيه . وكم من مرة في المناظرات الصعبة والمواقف النحيفة غيرت عزمي من شيء الى شيء . واقرب مثال لذلك منشور الجامعة الذي في هذا الجزء . فانني كتبت اولاً نصفه بطريقة غير هذه فلما اطلعت على بعضه لم يعجبها ما جاء فيه فقالت " لا ريب عندي في انك ستغيره " فضحكتُ لبراءة هذا الطلب . وفي كل يوم كانت تقول لي لحذفي على تغييره " لا ريب عندي في انك ستغيره ففي ذات يوم كان دماغي صافياً ونفسي ساكنة فقرأت المنشور فشعرت بانها مصيبة في ملاحظتها . ولكن عزة نفسي ككاتب بقيت متمسكة به . ولكي اوفق بين اقتناعي الاخير وتلك العزة الكاذبة اغتنمت ساعة استيائي من امر وكان المنشور في يدي فمزقته بغضب . وبذلك اضطررت الى كتابته مرة اخرى بخطة وافكار لا اندم عليها في المستقبل . والآن اشعر انني احسنت في ما فعلت وان الفضل في ذلك لها . وما برح هذا تأثير الجنس اللطيف علينا نحن معاشر الجنس الخشن

هذه هي الخسارة التي خسرتها الآن وان كانت وقتية . ولقد كانت تقول مازحة في

كل فرصة: ليس المراقب في بيروت فقط بل هنا مراقب ايضاً . فالجامعة الآن انتقلت الى نيويورك دون مراقبها. فعسى ان لا تكون خسارتها هذه مما يشعر به قراؤها

« ثم اني اذكر خسارة اخرى . انني لا انسى ابداً في كل حياتي لطف معاملات مشتركات المجلة. فان جميع رسائلهن الى المجلة كانت تمرُّ في يدي فاقرأُ فيها آثار الرقة واللطف واقلب نظري باسماً مسروراً بين عواطفهن وافكارهن اللذيذة (١) والطف واوقع من هذا عندي كان زيارتهن للادارة ليدفعن قيمة الاشتراك في المجلة ومباحثاتهن في مواضيعها . لا ريب في ان لهذه الصناعة التي نشتغل بها مآزق ومصاعب اكثر من كل صناعة اخرى . ولكن لها ايضاً في مقابلة ذلك من عناية ووداد الناس وخصوصاً الجنس اللطيف ما يسر ويعزي اكثر من كل صناعة غيرها »



(١) يظهر ان لهذه الخسارة عوضاً فان بعض سيدات نيويورك اللطيفات يزرن ادارة الجامعة فيها للاشتراك في الجامعة او في مجلة السيدات وبعضهن حتى من اميركا الجنوبية يكتبن الى مجلة السيدات ويرسلن رسائلهن بواسطة الجامعة في نيويورك وقد سرني كثيراً قول بعض سيدات نيويورك ان الجامعة تحت رعايتهن وحمايتهن . وقد جاء في الامثال : من كان النساء معه فالله معه

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى عليها معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

داء السل ودواؤه

(نيكستون ـ اوهايو) سليمان افندي اندراوس

﴿ سؤال ﴾ ما هو داء السل وميكروبه واحسن دواء له وهل ينتقل ميكروب السل الى انسان لاكله لبن حيوان مصاب به او شربه من لبنه

﴿ الجامعة ﴾ لاحظ احد اطباء المهاجرين الافاضل كثرة داء السل بين المهاجرين وعدم معرفتهم الطرق المؤدية الى تجنبه ورد غاراته فوعد الجامعة قبل ان يردنا سؤالكم هذا بمقالة مسهبة في هذا الشان. ولا شك انه ينفعهم بها نفعًا يستحق عليه منهم كل شكر وثناء ولذلك لا نسهب في بيان حقيقة هذا الداء وطرق التوقي منه فقد قيل (اعطِ القوس باريها) واصحابنا الاطباء اولى الناس بالبحث في هذه المباحث. وفضلاً عن هذا فان صحة المهاجرين وسلامة ابدانهم مطلوبة عرفًا ان لم يكن شرعًا من اطبائهم الذين تبعوهم الى هذه الديار. والجامعة تفتح صدرها لهم لنشر كل ما يرون نشره واجبًا لخدمة المهاجرين صحيًا وهيجينيًا. وما عرفناه من همة اطبائنا وغيرتهم على بني وطنهم في هذه البلاد يجعلنا نؤمل منهم القيام بوظيفتهم هذه خير قيام

فنكتفي اذًا الآن بان نجيبكم على سؤالكم جوابًا مقتضبًا فنقول

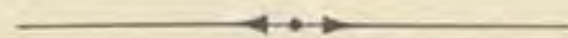
ميكروب السل منتشر في كل مكان في الشوارع والاسواق والمخازن والغبار المنتشر على الارض وفي الهواء. ذلك ان المسلولين يبصقون على الارض وتجف نفثاتهم في الغبار فتنتشر معه. ولهذا احسنت اميركا كل الاحسان بان تقدمت جميع امم الارض بتقريرها منع البصق في المركبات العمومية. وقد فرضت عقابًا شديدًا على ذلك حتى اننا قرانا في سياحة احد السياح انها فرضت عقاب خمسمائة دولار على من يبصق في بعض الاماكن. ولكننا لما قدمنا الى هنا راينا انهم مع ذلك يبصقون ولا محاسب. ومما احسنت فيه ايضًا وضع

مباصق خصوصية في المخازن والمنازل والاماكن العمومية والفنادق وهي عادة حميدة جداً.
ونتذكر ان المجلس البلدي في باريز اقتدى باميركا منذ بضع سنوات فنشر اعلاناً يرجو فيه الناس ان لا يبصقوا في الشوارع. فصوَّرت احدى الجرائد الهزلية الفرنسوية الشرطي في السوق واقفاً امام احد المارين يقول له (لا تبصق هنا ياخواجا) فاجاب الرجل (واين بصق اذاً أعلى راسك والحقيقة انه في غنى عن ان يبصق على راسه اذا كان في جيبه منديل يبصق فيه بكل ادب وبلا صوت تشمئز النفس منه

فهذا الميكروب الذي يمتزج بالغبار وينتشر معه لا يسلم منه احد منا نحن سكان المدن. وقد فحصت جثث كثيرة للذين ماتوا فوجدت ميكروبات السل في اجسامهم ولم يكونوا ماصين به. فالامر المهم اذاً ان يكون الجسم قوياً على الدوام ليتمكن من هضم هذه الميكروبات وقتلها دون ان تؤثر فيه. ولكن اذا أُضعف الجسم باي سبب كان (كالمسكرات والسهر الطويل وما وراءهما من اسرار الليل والافراط في العمل والاغتمام وغير ذلك) فالميكروب حينئذٍ يقوى على الجسم ويتمكن منه. فدارِ اذاً صحتك وتغذَّ جيداً ونم طويلاً وروّض جسمك كل يوم بالرياضة البدنية الشاقة في هواء مطلق نقي وعرّض جسمك لنور الشمس في غير ايام الحر الشديد. فهذه هي الطريقة الوحيدة لقتل الميكروب الذي يتعلق بك وانت لا تدري

اما انتقال ميكروب السل من حيوان مسلول الى انسان ياكل من لحمه ويشرب من لبنه فامر ثبت في العام الماضي بعد ان انكره الدكتور كوخ الالماني في مؤتمر الاطباء. وذلك ان طبيباً فرنسوياً لقح نفسه بميكروب السل البقري رداً على العلامة كوخ فظهرت بالحال اعراض السل فيه وكان ذلك احسن جواب لكوخ. فالحذر الحذر من البقر المسلولة لانها كثيرة والناس ياكلون لحم البقر كثيراً في هذه البلاد

اما دواء السل فبسيط جداً اذا تداركه المصاب اول اصابته. ودواؤه الراحة التامة الغذاء الجيد القوي والهواء الجاف النقي وترك كل ما يُتعب الجسم. واما الادوية والعقاقير فهي تضرُّ المصاب ولا تنفعه كما قال كثيرون من مشاهير الاطباء. وقولهم ثقة



مسألة عائلية اجتماعية

اجوبة الاقتراح

(تابع للجزء السابق)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

٦

ممكن ذلك مع الطبقة المتنورة المتمدنة العارفة ما هو التمدن الحقيقي والحرية هذا اذا كانت رابطة الحب والوداد معقودة بين الزوجين وعفة النفس وحفظ عهود الصداقة موجودتين مع ذلك الصديق · ومن الصعب عدم وقوعه بين الطبقة المنحطة التي لا تعرف من التمدن والحرية الا ظواهرها الخارجية (يعقوب نخله الحايك)

٧

المرأة لحم والرجل هرٌ ضارٍ فلا تقربوا الهرّ من اللحم ابداً (١)

(شرقي لا يصدّق مبادىء الغرب)

(١) جائزة — عند العرب بيت بهذا المعنى وقد جعلنا جائزة قدرها خمسة ريالات اميركية لمن يبعث بهذا البيت الى الجامعة ويدل على مصدره عندهم ونرجح ان شعراء مصر قادرون على نبش هذا البيت

باب التقريظ والانتقاد

لو اردنا ان نقرظ جميع المطبوعات التي وردتنا منذ انقطاع الجامعة الى اليوم لاستغرق تقريظها جزءا بتمامه فنكتفي بجمعها والاشارة اليها في جزء تالٍ . اما الآن فنشير الى المطبوعات التي وردتنا حديثاً بعد انتقال الجامعة الى نيويورك

﴿ المقتبس ﴾ كانت مجلة المقتبس اول جريدة عربية وردتنا من مصر بعد انتقالنا منها . اما باقي الجرائد اليومية والمجلات فكانت تُرسل مبادلاتها للجامعة الى الاسكندرية لبينما تقرر الجامعة عنوانها النهائي . ومجلة المقتبس التي نحن بصددها مجلة من المجلات المفيدة في مصر وهي ممتازة باطلاع صاحبها الرصيف جناب محمد افندي كردعلي على آداب العرب ومؤلفاتهم وشؤونهم وقلما يجاريه كاتب في هذا المضمار . ويلوح لنا انه لو كان الامر اليه لفضل الانصراف الى هذه المباحث في مجلته الغراء ولكنه يعلم ان المجلات في الشرق مضطرة ارضاءً للقراء ان تخوض في جميع مباحث العلم والادب وان المجلات الاخصائية لا تقوم لقلة قرائها . وبذلك يخسر المقتبس قوة فيه كنا نود لو امكن ان لا يخسرها . والجامعة ترحب بالمقتبس ترحيبها بمجلة عاقلة وجودها يفيد وعدم وجودها يُفتقد . وكرصيفة تقدمته في تاريخ الصحافة ترجو ان تكثر في مصر المجلات التي على شاكلته بين اخواننا المصريين المسلمين لان المقتبس بروحه المعتدلة العاقلة التي اقام عليها في صفحاته حتى الان دلائل عديدة لجدير بان يكون مثالاً للمجلات والجرائد الاسلامية

﴿ الحب المكتوم ﴾ هي رواية غرامية ادبية تأليف المستر بولس لستر فور الاميركي وتعريب جناب امين افندي الغريب صاحب جريدة المهاجر وقد نشرت تباعاً في هذه الجريدة وثمن النسخة نصف ريال اميركي وتطلب من المهاجر في نيويورك

﴿ ثلاث رسائل ﴾ اهدى الينا جناب فيليب افندي فارس ثلاث رسائل (الاولى) ذكرى فريد وهي تتضمن التأبين والمراثي واقوال الجرائد وبعض آثار المأسوف عليه المرحوم فريد انطونيوس عوض وكان رحمه الله من الشبان السوريين الذين لو امدَّ الله في حياتهم لنفعوا بني وطنهم . وقد نشرت هذا الكراس جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت تذكاراً للفقيد (والثانية) مجموعة فكاهات بقلم جناب فليكس افندي فارس اهداها

الى صديقه المرحوم فريد عوض ومما قاله في المقدمة « كتبت كثيراً يافريد وها أنذا على منحدر قمة الصبا ارى الافق لم يزل بعيداً امامي . ونجوم آمالي تترجرج في سماء مدلهمة يغطيها سحاب الجهل في امة ما زال فيها الالمعي غريباً . اتخطى الصراط الوعر الى شفير الهاوية بجسد نحيل يحمل ما كتبت يمناه الى حيث يسود السكون والثالثة مغني المهاجر عن السمسار وهي رسالة تفيد المهاجرين في طريقهم من الشرق الى هذه البلاد وتحذرهم من السماسرة في الطريق

﴿ السوريون واتقاء الاعتداء ﴾ لما حدثت حوادث العدوان والنزاع المشومة بين السوريين في هذا العام (تُذكر ولا تُعاد ان شاء الله) قررت ادارة الشرطة في نيويورك منع السوريين من حمل السلاح ولم تأذن لمن طلبوا الاذن بحمله رداً للعدوان عنهم ايًّا كان . ولكن بعض كبارهم لجأوا الى طريقة قد يستغربها المقيمون خارج اميركا . فانهم بواسطة بعض من اصحاب النفوذ حصلوا على اذن من الشرطة بحمل شارة الشرطي واذن خطي لهم بالقبض على كل من يروم الاعتداء عليهم . فبعد اخذهم هذه الشارة وهذا الاذن يحق لهم ان يقبضوا كواحد من الشرطة على اي شخص رام الاعتداء عليهم وسوقه الى محل الشرطة واذا قاومهم ومانعهم بعد ان يظهروا له الشارة المذكورة والاذن الخطي حق عليه عقاب الذي يعصى الشريعة ونظام البوليس . وهو عقاب صارم في اميركا كما هو معلوم . وهذه ثقة خصوصية من الشرطة لا ينالها الا الذين لهم نفوذ خصوصي . وقد ارانا بعض معتبري السوريين هنا شارته وهو لا يزال يحملها في جيبه كلما خرج من بيته في الليل . ولكن من حسن الحظ ان آثار النزاع القديم آخذة في الزوال والامحاء بفضل عقلاء الطوائف المختلفة الذين صاروا الآن يسدون آذانهم عن كل تحريض وتحريش . وما برحت العواطف الكريمة في المهاجرين تتغلب على العواطف الرديئة . فاننا لسنا هنا الا ابناء شعب واحد ودم واحد وامة واحدة تعيسة

الجامعة

الجزء الرابع — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول ايلول (سبتنبر) سنة ١٩٠٦ — ١٣ رجب سنة ١٣٢٤

فلسفة جمال الدين الافغاني

هل للافغاني فلسفة

قد يستغرب القارئ قولنا ان لجمال الدين الافغاني فلسفة . لان العلماء لا يسمون الرجل فيلسوفاً الاّ اذا كان صاحب مذهب خاص مبني على العلم الطبيعي انفرد به واخرجه للناس وصدقه خاصتهم . ولكن العالم النمساوي تيودور غومبز الذي وضع في هذا العام كتاباً في (فلاسفة اليونان) قال انه يسمي فيلسوفاً كل رجل مفكر في الحياة وشؤونها وكان لفكرته قوّة . ولذلك عدّ في جملة فلاسفة اليونان كثيرين من مفكريهم الذين يعدّون في الدرجة الثانية والثالثة بعد اساطين الدرجة الاولى . والافغاني رحمه الله لم يكن ذا مذهب فلسفي جديد يؤخذ منه ويؤثر عنه وانما كان طالب اصلاح ديني . ولكن القوة التي ابرزها من نفسه في مطالبته بهذا الاصلاح . والطريق الذي سلكه اليه . وتأثيره على الذين خلفوه وقرأوا عليه . وامتداد امواج الحركة الفكرية التي دفعها في حياته الى هذا الوقت بعد مماته بقوة تلامذته وعميدهم الشيخ محمد عبده — كل هذه امور تجعل له في تاريخ المشرق الادبي (مكاناً سنياً . ووداداً مثنياً) كما يقول الهمزاني . وتحدو بالمفكر تفكيراً سطحياً ان يعدّه كما يقول كثيرون مصدر الحركة الاصلاحية الاسلامية الحديثة

خصلة لبني المشرق

ولبني المشرق خصلة مستقبحة وهي ما يسميه الافرنج (داء الاشخاص) نعني انهم يقدسون كل شخص يرتفع بجاهه او علمه او رئاسته ويحنون الهام لدى كل شيء يصدر عنه دون ان يفكروا بتمحيصه وتحقيقه . واذا خطر لاحد منهم ان يجرأ على هذا الامر الصعب ويركب هذا المركب الخشن عدوا عمله اعتداء وتهجماً . ولا غرابة في هذا الاعتقاد لانه شيمة قوم نشأوا في الذل والصغار وعبادة الامراء والرؤساء ونتيجة (التصورات الشرقية) المشهورة عند الافرنج بكونها تكبر الصغيرة وتصغر الكبيرة . او ان شئت فقل انها نتيجة ندرة (الرجال) عندهم فاذا قام بينهم (رجل) غاروا عليه وضنوا به ضن الشحيح بدرهمه . وهذه الخصلة لولا ما ينشا عنها من تأخير سير العلم وعرقلة سبيل الارتقاء وخلط المبادىء غثها بسمينها وصحيحها بباطلها لما كان لاحد ان يشكو منها

فغرضنا الآن في هذه المقالات كما اعلنا في الجزء الاول ان ننظر في الفلسفة (الافغانية والعبدية (١) نظراً مجرداً بقطع النظر عما يجب علينا من الاحترام والمراعاة لرجلين كبيرين صرفا حياتهما في خدمة مبادئهما وبذلا في هذا السبيل كل مرتخص وغال حتى راحتهما وحريتهما في بعض الاحيان . ونحن نعيد هنا ما قلناه في الجزء الثاني من اننا قد نكون مخطئين في حكمنا ولكن شفيعنا سلامة النية والرغبة في تمحيص وتحقيق مبادىء يتوقف عليها حياة امم المشرق ونحن في جملتها

كتب الافغاني وعقمه

ولو كان بحثنا في مجرد حياة جمال الدين واعماله لكان هذا البحث مما يُشك في فائدته او صحته لان كل فريق يمكنه ان يؤول مبادىء صاحب الترجمة واعماله بحسب ما تقتضيه امياله . ولكن بحثنا هنا في مبادىء جمال الدين في كتبه . وقد قلنا كتبه ولا نظن انه ألف غير رسالته في (الرد على الدهريين) وهذا ما حمل مجلة المقتطف على ان تقول يوماً اذ سئلت لماذا لم تترجم جمال الدين الافغاني ــ انها لا تعرف شيئاً عنه لتبسط مبادئه وآراءه . وكانت لذلك العهد قد كلفت بهذه الترجمة الشيخ محمد عبده رحمه الله وكان يومئذٍ مستشاراً للمحاكم المصرية تخلصاً من الخوض في امور قد تعود باللائمة عليها . ولكن الاستاذ اعتذر يومئذٍ باعتلال صحته . ولعله كتب الترجمة التي نشرناها في الجزء السابق بعد

---

(١) نسبة الى الافغاني ومحمد عبده

ذلك التاريخ . او انه كتبها قبله في حياة الافغاني كما يفهم من بعض عبارات وردت فيها ولكن كره ارشاد المقتطف اليها اما لتبدل رأيه في كثير مما ارتآه فيها او مجاملة لوسط سياسي جديد كان رحمه الله بعد نفسه لان يفوز بالقدح المعلى فيه لان روح تلك الترجمة كانت ضد السلطنة الانكليزية كما يتضح لمطالعها

فما نرويه ونستدل به في هذه الفصول على مبادىء الافغاني انما هو مأخوذ بلا شبهة من مبادىء الافغاني نفسه . والكلام كلامه الا الثوب العربي الجميل الذي نسجه له محمد عبده تلميذه مترجم الرسالة التي نحن الآن في صددها لان اصلها فارسي . وجدير بنا هنا ان نستغرب عقم الافغاني الذي لم يكتب سوى هذه الرسالة الصغيرة . لان من كان بهمة كهمته . وحماسة كحماسته . واقدام على انهاض الامم الاسلامية في الشرق كاقدامه . يُستغرب منه ان يرضى بهذا العقم ولا يختط في كتب مخصوصة الخطة التي كان قد رسمها للشرق في ذهنه . ولكن هذه الملاحظة تعيدنا الى القول السابق من ان الناس في الشرق يقيسون كبر الشخص وصغره بمقياس فاسد . فلو كان الافغاني في الغرب لما قعد عن ان يكتب في كل عام او عامين كتاباً يبرز فيه ما تحدثه به نفسه ويجول في فكره من نتائج علمه واختباره . لان قيمة الانسان هناك (١) ما يحسنه ويبرزه من آثار القوة والنشاط والعلم النافع . والذي لا تبدو منه عندهم هذه القوة لا تدوم له شهرة ولا يعدونه مبرزاً

سؤال من هند للافغاني

لما انتشرت المدنية الانكليزية في اقطار الهند واقبل متأدبو الهنود من مسلمين وغير مسلمين على مطالعة كتب الانكليز العلمية والفلسفية كثر بينهم عدد القائلين بصحة المبادى الطبيعية وسموا انفسهم (طبيعيين) . وهذه الحالة لازمة عن دخول العلم الطبيعي الى البلاد وقد ظهرت آثارها في بلاد الشام ومصر ولم تنفرد الهند بها . وهي عبارة عن نزاع بين مبدأين . الاول مبدأ (العلم الحسي) الذي يقضي بان لا يسلم الانسان بشيء الا متى قام عليه برهان عقلي . والثاني مبدأ (الدين) وهو التصديق بالشيء وان لم يقم عليه دليل عقلي وهو ما يسمونه (التسليم) وان بين هذين المبدأين ما بين الارض والسماء

فلما استشرى خطب الطبيعيين في الهند كتب احد ادباء الهند الى السيد جمال الدين

---

(١) لما كنا في مصر اعتدنا عند الكلام عن الغرب ان نقول (هناك) اما والجامعة اصبحت تنتشر في الغرب فالواجب ان نقول (هنا بعد الآن

يستفتيه في مذهبهم . وكان ذلك في ١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ومما قاله في كتابه اليه « لا تخلو بلد او قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب «نيشري» ويظهر لنا ان من تعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم علي امتداد الزمان خصوصاً بين المسلمين . ولقد سألت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة ما حقيقة النيشرية وفي اي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا القصد اولها مقاصد اخري . وهل طريقتهم تنافي اصول « الدين المطلق » او هي لا تعارضه بوجه ما . واي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة من النحل القديم فلمَ لم تنتشر بيننا ولم نعهدلها دعاة الا في هذه الاوقات . وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها واي اثر يكون عن الاخذ بها

« ولكن لم يفدني احد منهم عما سألت بجواب شافٍ كافٍ . ولهذا التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام »

الاحتكاك

بين الغرب والشرق . المبدأ الحديث والمبدأ القديم

فيلسوف لم يُذكر اسمه باللغة العربية

ويخيل للناظر نظراً سطحياً ان هذا السؤال كان عبارة عن استفتاء من السائل في نفع العلم الطبيعي او ضره . ولكن الناظر في اعماق الامور يرى ان هذا السؤال اهم من ذلك كثيراً . لانه كان نتيجة اول احتكاك بدا في العصر الحديث بين العلم والمدنية الاوروبية الحديثة من جهة والاديان الشرقية ومدنياتها القديمة من جهة اخرى . فالجواب عن هذا السؤال يشمل امرين عظيمين عليهما يتوقف خراب الشرق او عماره . الاول علاقة العلم بالدين . وهذا الامر وان كان في اقصى درجات الاهمية للشرقيين لان مدنياتهم القديمة اكثرها ديني محض الا انه مع ذلك اقل اهمية من الامر الثاني الذي نبسطه هنا

كلنا نعرف الشرق لاننا ابناؤه . واذا انتقل الانسان منه الى وسط كالوسط الاميركي والاوروبي مثلاً فانه يزداد علماً بسرّ انحطاطه وضعفه . فكم من مرة ونحن في مصر قرأنا للسياح والسائحات الاوروبيين والاميركيين في الشرق انتقاداً مرّاً على اخلاق ابنائه . ولا نزال نذكر جواب احدهم وقد سئل ما الذي ادهشك في سياحتك في الشرق اكثر من كل امر فاجاب : الذي ادهشني وضحكت له كثيراً جلوس الناس في النهار والليل في

القهاوي والاماكن العمومية بسكينة الفلاسفة وسذاجة الاطفال وهم يدخنون ويتحادثون كانّ بلادهم اعز البلاد منالاً وكانهم انعم اهل الارض بالاً . واصلحهم حالاً . واوفرهم مالاً . مع انهم هم وبلادهم على ما نعلم من الضعف والوهن والانحطاط . فهذا الجواب الذي كوى به السائح الغربي احشاء الشرق كما بفولاذ محمي جواب صحيح ينبش علة الشرق من مدفنها ويذكّرنا المبادىء التي يجب ادخالها اليه والجراثيم التي يجب قتلها فيه

ولسنا نبحث هنا في علل المشرق لنفيض في هذا الموضوع بل بحثنا هنا في ان جواب الافغاني على ذلك السؤال كان جواباً يقطع سبيل الارتقاء على امم المشرق الاسلامية ويناقض مصلحة المدنية فيه ويحل عزائمها . سئل احد علماء الالمان بماذا ارتقت امتكم بعد انحطاطها وقويت بعد ضعفها . فاجاب انها قويت وارتقت برجلين: بسمارك ونيتش(١) والناس في الشرق يعرفون بسمارك جامع الامم الالمانية ومنشيء وحدتها وصارع فرنسا في حرب السبعين . ولكنهم لم يسمعوا اسم « نيتش » حتى الآن على ما نظن

وليس غرضنا في كلامنا هنا عن فيلسوف الالمان الاكبر ان نبسط مبادئه و ترجمته فاننا ارجأنا هذا الامر الى فرصة اخرى ريثما نفرغ من مطالعة اهم كتبه وجمع مبادئها التي نشتغل بجمعها وغربلتها منذ سنتين . فنكتفي الآن بان نقول ان فكر « نيتش » هو الذي دفع المانيا ذلك الاندفاع في سبيل الرقى . وقد ظهر تاثير افكار نيتس في اكثر فلاسفة المتاخرين انكليز وفرنسويين ومشاهير الكتاب العصريين في اوروبا واميركا فصاروا يسمون « نيتشياً » كل كاتب تظهر في كتاباته آثار فكر فيلسوف الالمان . ولا نتعرض هنا لمبادئه الدينية لانه تطرف بها تطرفاً قبيحاً لا نظنه صدر عن رجل عاقل قبله ولا بعده(٢) فانه يسمى الاديان نسيج خرافات وترهات ويحمل على العاطفة الدينية حملة المجانين لسحقها وافنائها . وبودنا لو وقفنا على راي الفيلسوف رنان بشير العاطفة الدينية في اوروبا في مبادىء هذا الفيلسوف . ومن اقواله في الدين انه هو الذي افسد العالم وافنى نشاط البشر وعوّدهم الخمول والكسل وانه لولا الدين لكان العالم اليوم ارقى منه الآن . الى غير ذلك من الاقوال الواهنة الصادرة عن طبيعة قوية شرسة لا تفهم ان العاطفة الدينية اي اتجاه المخلوق نحو الخالق المجهول وتأمله في مبداه وحاله ومصيره امر مغروس في فطرة الانسان وطبيعته

ولكن اذا كانت مبادئه الدينية واهنة ضعيفة فمبادئه السسيولوجية غاية في المتانة .

---

(١) Nietzche

(٢) نيتش توفي بعد ان جن

ونقول غاية في المتانة والغرض من قولنا هذا انها متينة عند الفلاسفة الماديين والرياليست لا الايدياليست . وهي قائمة على دعامة واحدة «القوة والنشاط» (١) يجب على الانسان ان يكون قوياً نشيطاً . فكل ما يزيد قوته ونشاطه حسن صحيح وكل ما يضعف قوته ونشاطه باطل قبيح . يجب انماء قوى الانسان العقلية والبدنية واعطاؤها مداها وكل ما يوقف نموها هذا باطل يجب تركه . نحن نريد اقوياء اصحاء اما الضعفاء والخاملون والكسالى فادفعوهم من طريقكم واذا اقتضى الامر تغييبهم من هذا الوجود فساعدوهم على هذا الغياب (٢)

وااسفاه . اننا لا نقول ان هذه المبادىء مبادىء كمالية جدير بالانسان العاقل ان يتبعها ولكن نقول ان الشعب او الفرد الذي يريد الحياة في هذه الدنيا لا بد له من مراقبتها والاحتياط لها لئلا يدوسه اصحابها . لان الخرفان لا يعيشون في هذه الدنيا واذا عاشوا فيها فللسلخ وجز الصوف ودر اللبن . وهذه الامم الاوروبية مندفعة من كل جهات اوروبا واميركا بمبادىء نييتش هذه تدوس في الشرق وغير الشرق كل ضعيف يعترض مسيرها . فماذا يفعل تسليمنا الخرفاني في الشرق وسكينتنا الفلسفية وجمودنا البوذي وتأملنا الكونفوشيوشي وايماننا الاسلامي ورفقتنا المسيحي ـ ماذا تفعل كل هذه الفضائل السلبية بمزايا الغربيين الايجابية التي غرضها الاستيلاء على الارض (بالقوة والنشاط) عقلياً وبدنيا بقطع النظر عن عاطفة النفس وقوتها الدينية

وان قيل ان الآلة المراد بث روح القوة والنشاط بها في نفوس امم المشرق الاسلامية ودفعها في طريق العمل كما اندفعت اليه امم المغرب بمبادىء نييتش وغيره انما هي هذا الدين . اذ لا مؤثر فعال في الشرق مثله . فهذا الاعتراض مقبول عند المفكر في الامور تفكيراً سطحياً ولكنه مردود عند الناظر فيه بامعان . فانه اذا كان المقصود من تحميس الامم للدين جمعها بهذه الجامعة فبلوغ هذا الغرض امر ميسور . ولكن نريد ان نسأل ما هي الفوائد التي تنجم عن هذا التحميس وهذا الجمع . اننا لا نرى هناك الا فائدة واحدة وهي اتخاذ الجامعة الاسلامية آلة لمقاومة اوروبا مقاومة سلبية . ونعني بالمقاومة السلبية مقاومة تزعج المقاوَم (بفتح الواو) دون ان تبطل مقاصده وبالتالي دون ان تنفع المقاوِم (بكسرها) نفعاً حقيقياً . فهي آلة للازعاج لا للفائدة . وازعاجها هذا يشمل الفريقين اي الخصمين

(1) Force, energie

(٢) كتاب نييتش (بدء الظلام عند الاصنام) يعني عند المعبودات
La Crepiscule des idoles

الا اذا وجدوراءها قوة حربية تنفذ المراد الحقيقي منها وهذا حلم ووهم في حالة العالم الحاضرة. اما القول بان الامم الاسلامية يمكنها باجتماعها حول لواء الدين ان تبلغ ما بلغت اليه الامم الغربية عند اخذها باصول العلم الطبيعي فقول من لا يعرف شيئًا من تاريخ العمران في الارض وطبيعة البشر فيها . فان هذا القول ينتج شرّين . (الاول) تثبيط العزائم عن العلم الطبيعي الذي عليه بناء المدنية في هذا العصر . فيصبح الفرد اذا كان مؤمنًا ايمانًا حقيقيًا مكتفيًا بهذا الايمان عن كل شيء سواه لاعتقاده انه متى تمّ الايمان لشخص اقبلت عليه الدنيا بعد ذلك عفوًا من تلقاء نفسها . فيصبح ويبيت قائلاً (الحمد لله انني مؤمن) ويرى نفسه كبيرًا بهذا الايمان وان كان اصغر رجل في الدنيا . او اذا كان ممن اجتذبته مبادئ القناعة والرضى بالكفاف اكتفى بسذاجته القلبية وطهارة سيرته وسريرته عن كل عمل وكل اقدام في الدنيا . ما الفائدة من هذا السعي اذا كانت الارزاق مقسمة بين الناس والحياة باطلة والدنيا زائلة . اذا فاتته خيرات الارض فانه سيتمتع بخيرات الآخرة . فيا طبيعة البشر لله ما اجملك حين تكونين مخلصة طاهرة طهارة حقيقية . ولكن هذا الجمال من سوء الحظ ينشئ الضعف في النفس بدل القوة والنشاط والحماسة المطلوب انشاؤها كما تقدم . بقي (الشر الثاني) وهو ينتج عادة عن اختلاف مشارب الناس باختلاف طبائعهم الوراثية وتربيتهم الخصوصية والعمومية وحوادث حياتهم . فانك بينما ترى الشعب مثلاً منصرفًا الى الدين بتلك المبادىء التي تقدم ذكرها باذلاً في سبيلها كل مرتخص وغال حتى حياته في بعض الاحيان ترى رؤساءه واكابره واصحاب الاثرة فيه ورجال العمل الذين ينشأون على مبادىء غير تلك المبادىء منصرفين عن الدين في الباطن وان كانوا مقبلين عليه في الظاهر وهمهم استخدام ذلك الشعب الديّن المسكين في تحصيل ثروة لهم وخدمة مقاصدهم السياسية والدينية والاجتماعية . فهل تقوم امة هذه حالها

وان قيل ان المدنية الاسلامية القديمة جمعت بين « القوة » والدين معًا وأنشات بها سلطنة واسعة وتمدنًا عظيماً فنحن لا ننكر انه يمكن الجمع بين الامرين ولكننا ننكر قيام امة وامتداد رواق عزها اذا كانت تجعل امورها الدينية مقدمة على امورها المدنية اي تجعل انماء العاطفة الدينية في النفس مقدمًا على انماء نشاط الفرد وقواه العقلية والبدنية . اما الامم الاسلامية التي انشأت في ما غبر مدنيات عظيمة فقد كانت مسوقة الى ذلك بامرين الاول حب الفتح لاكتساب الثروة والثاني نشر الدين بين الامم طوعًا او كرهًا بحق الجهاد . « فحب الفتح وحب الجهاد » كانا اعظم مثير للهمم واكبر شاحذ للعزائم . وكأن مبادىء نيتشه

كانت يومئذٍ تتخلل نفوس الامم الاسلامية من طريق ديني فيؤثر فيها الدين ما تؤثره اليوم مبادىء نيبتش في اصحابها . ولكن في هذا الزمان وقد تغيرت الارض ومن عليها لا تؤثر السياسة الدينية في بني الشرق غير زيادة ضعفهم وحل عزائمهم بازاء الحيتان الهائلة المندفعة عليهم لابتلاعهم . فجواب الافغاني للسائل من الهند بان علماء الطبيعة ضلوا السبيل وبان الاصلاح لا يرجى الا بالدين جواب يؤخر تقدم الشرق لو كان لكلام الافغاني تأثير كلي عليه

جواب الافغاني

وانظر بماذا اجابه . انه مثلاً كان يقدر ان يقول له ما يلي او مثله . وهو قريب من الجواب الذي كان ابن رشد يجيب به خصومه

« العلم الطبيعي من الامور المعقولة المحسوسة . والدين من الامور الالهية فلا تخلطوا هذا بذاك . استعملوا العلم الطبيعي في انماء قوة العقل والبدن والوقوف على اسرار الطبيعة وتقوية نفس الانسان وشحذ عزائمه بنواميسها واصلاح الارض بقوتها . واستعملوا الدين لسلامة النفس من الادران . كل واحد من هذين العلمين « علم الطبيعة وعلم الدين » لازم لهذا المجتمع البشري . فيجب التوفيق بينهما لا تفريقهما . واذا رايتم في اهل العلم الطبيعي الذين تسمونهم « نيشريين » او في اهل الدين الذين تسمونهم ما تسمونهم به نقائص ورذائل وموبقات فهذه الصغائر تنشأ في طبائع اصحاب العلم واصحاب الدين « لا في العلم والدين » اذ مثل رجل العلم ورجل الدين مثل اناء فيه ماء زلال . فاذا فسد الاناء وافسد الماء فما ذنب الماء »

ولكن الاستاذ جمال الدين رحمه الله لم يجب بمثل هذا الجواب بل اجاب جواباً آخر يدهش قارئه . فانه خلط متقدمي فلاسفة اليونان مثل ديموقراط وابيقور وديوجينوس بعلماء العصر الحديث مثل دروين وفولتير وروسو واندفع عليهم وعلى جميع من اشتغل بالعلم الطبيعي اندفاعاً ما كان يخطر لاحد ببال (١) فتصورنا حين قراءة ذلك الجواب المدهش

---

(١) اليك نتفاً مما قاله في جوابه « النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة » قلنا وهذه التهم التي الصقها الافغاني بالطبيعيين لا يجهل صبيان المدارس

الافغاني رحمه الله طفلاً ثائراً في يده فأس يحاول بها ان يهدم اساس العلم الطبيعي لرده عن الشرق . ولكنه لا يؤثر فيه قطعياً

اسباب هذا الجواب

وبعد قراءة هذه الرسالة فكرنا طويلاً في الاسباب التي حملت الافغاني على هذه الحدة والشدة التي لم تجرِ العادة بصدورها عن حكماء الزمان . فلاح لنا منها عدة اسباب

اولاً — ان الافغاني رحمه الله كتب رسالته هذه في الهند بعد اخراجه من مصر . وكان خصومه في مصر قد اتهموه بالكفر والزندقة والمروق من الدين لتحليله جزئيات كانوا يحرّمونها . ولما كان طامحاً الى امامة المسلمين الكبرى في جميع الاقطار الف هذه الرسالة التي حمل بها على العلم الطبيعي تلك الحمله المنكرة تبروءًا من تلك التهمة . ولو لم يكن هذا من اهم اغراضه في كتابة رسالته لما جعل هذه الاهمية لذلك السؤال الصغير الذي القاه عليه سائل من الهند . فان خصومه لم يكونوا فولتير و روسو ودروين وديموقراط وايقور والطبيعيين بل كان خصومه وخصوم بيته وخصوم الشرق باسره المستعمرين الذين اكتسحوا المشرق وتسلطوا عليه

اليوم انها باطلة . وقال عن العلامة دروين « وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الاوهام ومهامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما اخذ به من الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحبرة وحسرات العماية » وقال في موضع آخر عن علماء الطبيعة « كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات و تارات يتمثلون في صورة محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين » وقال في صفحة اخرى « وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها اوهاماً باطلة ومجعولات وضعية » قلنا . مع ان درون و ر و-و وفولتير الذين حمل عليهم حملته المنكرة لم يكونوا ملحدين فانهم كانوا يؤمنون بالله ايماناً صريحاً ظاهراً في كتبهم . ومنتهى الغرابة في قوله ان الفرنسويين كانوا شعباً عظيماً حتى ظهر فيهم فولتير و روسو « يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبي واحييا ما بلي من عظام الناتور اليسيم « الدهريين » ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كل منهما بانكار الالوهية ورفع

ثانياً ـ ان المستعمرين الاوروبيين في دخولهم الى الشرق لامتلاكه وتعميره انما يحملون بين ايديهم شعلة العلم الطبيعي الذي يصلحون به الارض فيحفرون الترع وينشئون الجسور والسكك الحديدية ويبنون المنازل الفاخرة ويجلبون البضائع النفيسة ويقيمون المعامل النافعة . وغنيّ عن البيان ان هذه النعم العديدة التي لا ينكرها الا « كل مكابر ولحق مدابر» كما كان يقول محمد عبده من مزاياها ان تجتذب اليها والى اصحابها الناس الذين انتفعوا بها ونخص منهم الناشئة الجديدة التي تكره وهي في اول عمرها الوقوف والجمود الذي اعتاده الناس في الشرق ولذلك تتحمس للاصلاحات الاجتماعية النافعة تحمساً شديداً . وظاهر بذاته ان المتأدبين من ابناء الهند وفارس وافغانستان الذين ادهشتهم اصلاحات المدنية الغربية الداخلة عليهم بدءوا يميلون الى المبادىء الغربية . ومتى مالوا اليها ميلاً تاماً زالت او نقصت سلطة ائمتهم عليهم . فاصبح من مصلحة هؤلاء الائمة ان يبرهنوا لهم ان هذه المدنية الغربية كلاشيء وان النهضة الحقيقية التي ترجى لهم انما تكون

كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء » قلنا من العجب ان يجهل السيد الافغاني التاريخ الى هذا الحد فاولاً ان الشعب الفرنسوي بعد الثورة اي بعد فولتير وروسو كان اعظم واقوى من قبلها لانه على زمن نابوليون الاول بلغ اوج العظمة والسيادة . وثانياً ان ما نسبه الى فولتير وروسو يدل على ان الاستاذ الافغاني سمع بمبادئهما ولم يقرأ كتاباً لهما لان الاثنين يؤمنان بالله ايماناً جهراً به في كل صفحة من كتبهما . ولفولتير بيتان مشهوران باللغة الفرنسوية وقد ترجمهما صاحب الجامعة لما كان في صباه ينظم شعراً ترجمة حرفية في بيتين هما على ما نظر اول واخر شعر ينشر له في الجامعة واليك البيتين

يحار عقلي بهذا الكون حيرته بساعةٍ في رمال القفر ملقاةِ
فها نصدق منا قول من زعموا بانها وجدت من دون ساعاتي

وزد على ذلك ان روسو كان في زمنه الخصم الاكبر والعدو الالد للماديين الفرنسويين وله مناظرات شديدة معهم وهم معروفون بفرنسا بالانسيكلوبيذيين . فما كان يخطر لنا ببال ان رجلاً كالافغاني رحمه الله يرمي الكلام على علاته هذا الرمي وينسب ما نسبه الى اناس ضحوا مثله راحتهم وقواهم وحريتهم في سبيل خدمة بني الانسان في الارض . ومنتهى الاعجاز في قوله « لا جرم ان مزاج الانسان الكبير «يعني عموم النوع » بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهو اثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم في باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة ! او الذنانة من المنخر او النخامة من الصدر»

على ايدي ائمتهم. فقد يمكن ان تكون رسالة جمال الدين صوتاً صارخاً بالهنود والايرانيين والافغانيين وربما الاتراك والمصريين ايضاً لتفهيمهم ان الاصلاح الذي يأتي على يد السيد جمال الدين خير من الاصلاح الداخل على ايدي الانكليز

ثالثاً ـ لا نتعرّض لعقيدة السيد جمال الدين لاننا لا نعرف شيئاً عنها . وتكفينا شهادة الاستاذ تلميذه ورفيقه الشيخ محمد عبده بانها « كانت صحيحة » وما رماه به خصومه يوم كان في الاستانة من انه قال في خطبة القاها « ان النبوءة صنعة كباقي الصنائع » انما هو سلاح يحارب به الخصوم خصومهم حين تقصر الحجة . وكذلك ما رماه به بعضهم في مصر من الكفر لا يصح ان يتخذ دليلاً على حقيقة عقيدته لانه من ذاك القبيل . ولكننا نلاحظ هنا ملاحظة لا نحجم عن ذكرها وهي تشمل جميع الاديان الحية الان . فان المستنيرين في كل امة وكل دين عند نظرهم في امور دينهم يجدون فيها اشياء يودون لو انها لم توجد ويدعون الى غض النظر عنها . اي انهم يعتقدون في اعماق انفسهم ـ في اماكن لا يخرج منها راي لاحد ولا يدخل اليها راي احد ـ بصحة بعض المبادىء وبعدم صحة بعضها . ومتى وقع هذا الفصل والتفريق بين مبادىء الدين كان وقوعه بمنزلة وقوع الشك في الدين نفسه . ومتى وقع شيء من هذا لرجل عاقل صناعته النظر في شؤون الناس والتفكير والبحث لهم فانه يخنط للدين في نفسه ونفوس سامعيه وقارئيه خطة جديدة فيدعو حينئذٍ الى « نفع » الدين لا الى « صحته » اي انه يبني الدين على مبدا «النفعيين» فيبحث في آثاره وفوائده لا في مبادئه وقواعده . وآثار هذا القصد ظاهرة في رسالة الافغاني رحمه الله . فانه في كل صفحة تقريباً يقول « لا ريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي » « لن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة » ونحن لا ننظر هنا في ما يعود من الضرّ على الدين نفسه بجعله « نفعياً » فان مبداء « النفعيين » الذين يجعلون « النفع » قاعدة كل مبدا ومقياسه لهو مبدا مردود عند الفلاسفة الايدياليست الذين يعتقدون بوجود « الخير بذاته » و « الادب بذاته » بصرف النظر عن منافع الناس بل عن وجودهم نفسه . فانهم يقولون ان الخير بذاته والادب بذاته موجودان ثابتان وان لم يوجد في الارض انسان . واذا اضمحلت الكرة الارضية غداً ونشأ منها بعد اضمحلالها كرة جديدة وعاش عليها بشر من جديد فان الخير بذاته والادب بذاته ينبتان في هذا المجتمع البشري الجديد كما كانا قبل اضمحلال الارض . هذا مبدا القائلين بوجود الخير بذاته والادب بذاته وهو يناقض كل المناقضة مبدا النفعيين الذين يعلقون المبادىء على نفعها لا على

صحتها. والدين متى تدهور في « هاوية النفع » فانه يغيب فيها ولا يعود يخرج منها. فاذا نفع سنة او جيلاً او نصف قرن او قرنًا كان نفعه هذا بمثابة خروج دمه من جسمه ولا يعقب هذا الخروج حياة. فالدعوة الى « نفع الدين » دعوة تقتل الدين غدًا وان انتفع به اليوم. وهنا نصل الى المقصود من هذه الشذرة فاننا نميل الى الترجيح بان السيد الافغاني رحمه الله كان مخلصاً في دعوته هذه ونعتقد انه اذا لم يكن مخلصاً فيها كلها فلا شك انه كان مخلصاً في نصفها مثلاً انه حين يدعو هذه الدعوة الشديدة الى الدين الاسلامي ويذكّر امراء الشرق بسابق مجدهم وعزهم قد يكون غرضه جمع كلمتهم وتاليف قلوبهم على المستعمرين الداخلين عليهم فهو معذور في اتخاذه الدين آلة سياسية لجمع الشرق على الهاجمين عليه الطامحين اليه ولكن اذا لم يكن مخلصاً في دعوته من هذا الوجه فانه مخلص فيها من وجه آخر

ان السيد الافغاني ربي في بيت الامارة وعاش في وسط طبيعة عظيمة حرًّا متعودًا السيادة. وهو فوق ذلك ذو طبيعة متحمسة شديدة. قال مترجمه الشيخ محمد عبده « ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته » وقال في موضع آخر « طموح الى مقصده اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرًا ما كان التعجل علة الحرمان » فلما ساح الافغاني في اوربا وشاهد فرنسا وانكلترا لم تفته المقابلة بين حالة الغربيين وحالة بلاده فانه راى في الغرب ازدحام المنازل وقذارة احياء العملة واكدرار الجو بالبخار والدخان والضباب وشاهد قوماً يصارعون العناصر والطبيعة طول النهار فيركضون ويعملون ويتعبون في بناء اعظم مدنية قامت في الكرة الارضية. شاهد علماء وساسة وكليات ومجالس شورى ومتاحف ومكاتب ومصانع ومزارع وجرائد وملاهي. وشعباً كنجوم السماء يدور حولها ويعيش منها وبها. ثم التفت فماذا رأى؟ راى ان الرذائل التي تركها في قبائل افغانستان والهند وايران فاشية في قلب تلك المدنية الراقية العظيمة. ابصر القتل والسرقة والغش والعدوان والظلم والغدر والطمع والقسوة الخ.. بل راى منها في قلب المدنية العظيمة ما لم يرَ مثله في القبائل الضعيفة العائشة في سذاجة الطبيعة. فقال في نفسه حينئذٍ ان هؤلاء الناس يتعبون في بناء المدنية على غير هدى. وكان رحمه الله يعيش بالفكر من اجل الفكر كجميع المتحمسين الايدياليست. والدهر وان اناخ عليه بكلكله وكواه بنار اختباراته لم يجعله « نفعياً محضاً » ويصرف فكره الى الفوائد العملية بدل الفوائد النظرية. فعاد من اوروبا وصاح بقومه في هذه الرسالة تلك الصيحة يقصد بها تفهيم اهل الشرق ان

مدنيتهم المبنية على الدين خير من مدنية اوربا المبنية على لا دين · فهو مخلص ولا شك في صياحه هذا · ولكن هذا الحكم في راينا حكم سطحي لان جميع المدنيات الدينية التي قامت في الارض قبل الاسلام و بعده لم تخلُ في اي زمن من ازمانها من تلك الرذائل والموبقات التي تحق الشكوى منها · فليست الرذائل والموبقات في المدنية ولا في الدين ولكن في الطبيعة البشرية الضعيفة · ولم يثبت حتى الان ان الدين في اي زمن من الازمان قدر على استئصالها الا في بعض خواص الناس · والمدنية الحقيقية تفعل مثل هذا الفعل في الخواص ايضاً · فالاصلاح الديني والاصلاح المدني في الارض لا يثمران الثمر المطلوب اي لا ينشئان انسانية صالحة جديدة الا بعد « اصلاح اجتماعي عام » يمحو الفقر والظلم والجهل من بين الانام · وهذا عمل علمي اجتماعي سياسي لا عمل ديني

هذا ما نقوله في الاسباب التي حملت الافغاني على كتابة رسالته · و يرى القارىء منها اننا بدأنا في الدخول في لباب الموضوع والنزول الى اعماقه · وسنشرع في الجزء التالي في تلخيص هذه الرسالة تلخيصاً يدل على قوتها وضعفها · وسنرى حين المقارنة بين الافغاني و تلميذه محمد عبده ان التلميذ كان خيراً من استاذه من عدة وجوه

التلغراف اللاسلكي

و زيارة سوري له في بلدة برنت روك ماس (١)

لطف الاستاذ فسيندين اسعدني الحظ وقادني الاتفاق الى بلدة برنت روك ماس التي فيها ادارة التلغراف الاسلكي · فقصدت مكان الادارة ولما هممت بالدخول وجدت على الباب كتابة خلاصتها (ان الدخول ممنوع لغير المامورين) فاسفت لذلك كثيراً وعدت خائباً · وفيما انا اقلب طرفي في عمود

(١) كانت الجامعة فيما نظن اول من سمى « التلغراف بلا سلك » « لاسلكي » قياساً على « اللانهاية » و « اللاأدرية » وذلك في مقالة عنوانها « افريقيا والمسيو هانوتو » في سنتها الرابعة · و يظهر ان الكتاب اصطلحوا اليوم على هذه التسمية

التلغراف الشاهق حانت مني التفاتة فشاهدت رجلاً بالقرب مني وعلى عينيه نظارة يراقب بها جهة البحر · فدنون منه وسلمت عليه فرد التحية بلطف و بشاشة · فقلت له وقد ازددت جرأة ما قولك في هذا الاختراع العجيب اختراع مركوني · فاجاب انه لعجيب ولكنه لم يتم الا بعد دخوله الى الولايات المتحدة · فاستغربت هذا القول · وكان الرجل في اثناء ذلك لا يزال يراقب بنظارته حركات المراكب الشراعية في البحر · فبعد هنيهة سألني الي اي بلاد تنتسب فاجبته الي تركيا · فضحك لما ذكرت له اسم تركيا وقال اتحسن لغتك · فاجبت نعم · فقال اتبعني · ومن حسن الاتفاق ان هذا الرجل كان الاستاذ فسيندين مدير المكان

﴿ التلغراف اللاسلكي لمكة والحجاز ﴾ فتبعته الى منزل بسيط والناظر اليه من الخارج لا يظن ان هذا المكان يحتوي على اكبر عجائب العصر · فدهشت للبساطة التي يسكنها العلم بازاء القصور المزخرفة الشاهقة التي يسكنها اهل البطالة والترف من الاغنياء

ولما دخلت الى الغرفة تلطف الاستاذ وقدَّم لي كرسياً وناولني سيكارا · ثم قال لي انني مسرور لانك من تركيا اذ انني ساطلعك على امر يهمك · ثم تناول من جيبه كتاباً باللغة الفرنسوية وعليه التوقيع باللغة التركية وهذا ملخصه

الاستانة (تركيا) ـ حضرة الاستاذ فسيندين : في واشنطون

لقد بلغنا انكم كملتم اختراع ماركوني فاشتاقت نفسي الى معرفة عملكم · وقد بلغني منذ مدة انه يوجد في لندن محل كمحلكم فذهبت الى لندن وعجبت كثيراً · وانني اود ان يكون لنا في تركيا نصيب من هذه النعمة · فاذا كان بامكانكم ان تؤلفوا لجنة من تلامذتكم و ترسلوها الينا لتنظر في الاماكن التي نريد نصب التلغراف اللاسلكي فيها فاننا نكون لكم من الشاكرين · وهذه الاماكن هي من

الاستانة الى مكة ومن مكة الى المدينة وصنعاء والحديده · ونحن مستعدون لبذل كل ما يجب بذله من المال في سبيل هذا المشروع وجمع الاموال من اغنياء تركيا

الامضاء

« هنا كلمة لم نحسن قراءتها » باشا

اسلامبول تركيا

ادارة البريد

فلما اطلعت على هذا الكتاب داخلني الشك في صحة الامضاء لانه لو كانت تركيا ترغب في اقامة هذا التلغراف في بلادها فانها اولاً لا موجب لان تذكر استنجادها باغنياء بلادها وثانياً انها لو ارادته لكلفت سفيرها في واشنطون بالمخابرة بهذا الشان · فغلب على ظني انه اقتراح رجل يريد الاتفاق مع الاستاذ فسيندين على نيل امتياز بهذا الاختراع في بلاد الدولة العثمانية · والدولة العثمانية محتاجة الى هذا الاختراع خصوصاً لمكة والحجاز حيث اعتاد ثوار العرب قطع الاسلاك البرقية ولكنها لا يمكن ان تسمح لاحد بامتياز به لان الدول تجعله احتكاراً لنفسها كما فعلت مصر في هذا العام وذلك اتقاءً لنشر الاخبار السرية في اثناء الحرب

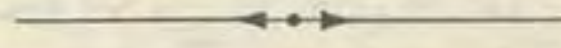
وبعد قراءتي هذا الكتاب سالت الاستاذ فسيندين هل اجبت الباشا على كتابه فاجاب نعم اجبته بانه لا يمكنني ان ارسل تلامذة فاذا احببتم الاطلاع على ما ادخلناه الى هذا الاختراع من الاتقان فنؤمل تشريفكم لتشاهدوا ذلك بعينكم هنا

﴿ مكان الآلات ﴾ ثم اراني الاستاذ غرف الآلات · فهنا يقف القلم قاصراً عن وصف ما حوته · وبقينا ننتقل من غرفة الى غرفة حتى بلغنا العمود الذي يقتبل من الهواء تموجات الكهرباء التي تحمل الاشارات التلغرافية وعلوّه ٤٢٠

قدماً · ووصف حقيقة هذا الاختراع و تفاصيله مما يقتضي فصلاً مفرداً · و بعد ذلك ودعت الاستاذ وسرت شاكراً لطفه واتضاعه · وزاد احترامي لبلاد علماؤها بهذا الاتضاع

جرجي ابرهيم
الحداد

※ الجامعة ※ جميع بواخر الاتلانتيك التي تمخر في الاوقيانوس بين اوروبا واميركا تحمل آلة للتلغراف اللاسلكي لمخاطبة البر به وهي في عرض البحر · وفي بعضها لا في كلها جرائد تنشر لركاب الدرجة الاولى والثانية الاخبار التجارية والسياسية تردعليها بالتلغراف المذكور · وقبل وصولنا على الباخرة لاتورين الي نيويورك بيومين بينما كنا خارجين من قاعة المائدة عند الظهر وجدنا على المرآة فوق السلم تلغرافاً لاسلكياً وارداً على الباخرة محصله ان الذي القى القنبلة على الملك الفونس والملكة يوم زفافهما انتحر حين اكتشف البوليس امره · وقد كنا ونحن في الشرق نستغرب هذه الغرائب · فما اجمل ان يراها الانسان بعينيه ويمسها بيده



حال السوريين في دار هجرتهم

بقلم جناب الفاضل شبل افندي ناصيف دموس

٢

حالة التجارة السورية في الولايات المتحدة · اصنافها وتجارها وثروتهم · الصناعة
الزراعة · السياسة

اصبحت تجارة السوريين في الولايات المتحدة غير محصورة في اصناف معلومة انما هي قد تجاوزت الى كل متاع يتاجر به على الاطلاق · واهمها بكثرة المتاجرين بها تجارة السلع النثرية والبضائع القطنية والكتانية والصوفية من لباس وقماش على اختلاف انواعها وكثرة عددها وهي ما يسمونه بالانكليزية Dry Goods · فمخازنهم المختصة بهذه الاصناف تربو عن الالف عداً ما بين محال خصت ببيع الجملة وهي الاكثر واخرى خصت ببيع المفرق وهي الاقل· فمركز الاولى الاكثر اهمية هو نيو يورك· ومركز الثانية هومدن الداخلية · واذا قلب القارىء صفحات كتابي « R. G. Dun » و « Bradstreet » يرى تحت اسم كل مدينة من مدن الولايات المتحدة اسماء سورية كثيرة والى جانبها اشارات وحروف تدل على مراكزهم التجارية وتذكر قوتهم المالية· فصغيرهم تقدر ماليته ما بين خمسة الاف ريال و ١٠ آلاف ريال وكبيرهم ما بين ١٥٠٠٠٠ ريال و ٢٠٠٠٠٠ الف ريال(١) وهذه القوة لم تكن لهم منذ خمس سنين اعني ان ثروتهم اخذت بازدياد في السنين الخمس الاخيرة ازدياداً مدهشاً جداً · ولذلك اسباب مهمة وكثيرة · منها الاقتصاد وهو طبيعة اكثرهم وطول الاختبار والبلوغ بعد العناء الكثير الى موضع الثقة العمومية حتى توفرت رؤوس اموالهم بالاستدانة من المصارف الوطنية · ثم هناك امر آخر اعظم اهمية من جميع ما ذكر الا وهو غنى البلاد العظيم وتوفر الذهب والفضة مما يزيد كثيراً عن حاجة الاهلين حتى لم يبق فقير في هذه البلاد التي تفيض خيراتها كالبحر الطامي · والسبب في انحصار اهمية تجارتهم في البضائع المذكورة هو انصبابهم على المتاجرة بها منذ بدء تاريخ هجرتهم اقتداء باليهود الذين يتاجرون باحتياجات الناس الضرورية · فكل سوري قدم هذه الارض منذ خمس سنين فما وراءها كان اول عمل باشر فيه هو حمل هذه البضائع وبيعها متنقلاً من بيت الى آخر · وهذه البضائع عبارة عن ملبوسات للرجال والنساء

(١) الريال الاميركي بقيمة الريال المصري وهو اكثر قليلاً من خمس الليرة الانكليزية

واقمشة كتانية متنوعة يستعملها الناس في بيوتهم على اختلاف طبقاتهم ، وكبار المتاجرين بهذه الاصناف يعدون بالعشرات ، ومن هذه التجارة تولدت معامل سورية تصنع بعض اصنافها ، وهذه المعامل تزيد عن العشرين عداً ، ثم هناك تجارة البضائع الحريرية والمطرزات ومصنوعات اليد من شغل الابرة مما يسمونه بالانكليزية Lases ، وتجار هذا الصنف وان قلوا عن اولئك عدداً فليسوا دونهم في الاهمية التجارية ، فهم المتاجرون * بخفيف الحمل وغالي الثمن * يستجلبون بضائعهم من ممالك اوربا ويدفعون عنها رسوماً طائلة من جمرك وغيره ولهم العمال الكثيرون من السوريين المتفرقين في داخلية البلاد الذين يدخلون بيوت ذوي الثروة والوجاهة ببضائعهم هذه ويستبدلونها بالذهب والفضة، وهي بضائع تختص بالسيدات دون الرجال وبعضها تزان بها البيوت الفاخرة الاثاث ، ويتولد عن هذه التجارة معامل خصت بصنع بعض هذه الاصناف منها ، الكيمونا ، العباءة النسائية والصدرة المطرزة ، « شرت ويست » وقد ذكرناها في المقالة الاولى ، ولارباب هذه التجارة الفضل الاكبر في تحسين شأن التجارة السورية لانهم عانوا مشقات جمة حتى استلفتوا اليهم انظار التجار الاميركيين الذين اقبلوا على معاملتهم بثقة وارتياح ، اما عمالهم في الداخلية فهم تجار مستقلون يصرفون بضائعهم للاهالي من ذوي اليسار واكثرهم متنقلون بين المصائف والمشاتي حيثما يكثر وفد الاغنياء . ولهم مدن يأوون اليها في فصلي الربيع والخريف ومنهم يتألف معظم الطبقة السورية الراقية نظراً لوجودهم في وسط الفئة الراقية من الامة الاميركية يعاملونها ويخالطونها ويصرفون معظم اوقاتهم بينها·

ثم تجيء تجارة السجاد العجمي وهذه اقتبسها السوريون عن الارمن وهي تجارة رائجة سوقها كثير ربحها الا ان المتعاطين بها قليلون ولكنهم كبار المنزلة بين السوريين والاميركيين على السواء . ثم تجارة السمانة السورية صرفاً ومعها التنبك العجمي والمشروبات الروحية وعدد تجارها يتراوح بين العشرين والثلاثين ولكنها باتساع دائرتها تكاد تحسب في الدرجة الاولى نظراً لتهافت مائة وخمسين الف سوري على ماكولات بلادهم الاصلية . وتجار هذه الفئة يسكن كثيرهم وهم الاوفر ثروة في نيويورك وبوسطن وشيكاغو وبعض المدن الثانوية . ثم هناك تجارة اخرى متسعة الدائرة هي التجارة الخارجية التي تصدر جميع مصنوعات البلاد الى ممالك العالم وخاصة اميركا الجنوبية وجزائر الهند الغربية وارباها يقيمون في نيويورك لانها المركز الرئيسي لجميع تجارة الولايات

ثم تجارة الاملاك والعقارات وهذه لم يخصص السوريون اوقاتهم بمزاولتها صرفاً ولكنهم

فيها مزيج من جميع تجار الاصناف الانفة الذكر يبتاعون بفضلات اموالهم العقارات في المدن الكبرى التي تتعالى اسعارها كل يوم ومنهم ما يبلغ مدخول املاكه الشهري الف ريال اميركي وهو على زيادة في كل عام

ثم تجارة الاغلال والحبوب يخزنها اربابها في الصيف ويبيعونها في الشتاء بارباح طائلة وهي تجارة مضمون ربحها يكاد لا يتهددها خطر الخسارة · ثم تجارة الاثمار والخضرة فاربابها قسمان قسم يبيع بالجملة وهو الاوفر ثروة وقسم يبيع بالمفرق وهو ايضاً في نعمة من حيث المالية وهؤلاء التجار يعدون بالمئات

ثم تجارة الخيول والمواشي وهذه لم يبلغوا منها شأواً عالياً بعد

ثم تجارة الدخان التركي فاهلها قليلون جداً يعدون على الاصابع ولكنهم على تقدم في الثروة عظيم · لان سيكاراتهم تدخن في كل مدينة على الاطلاق وطلابها كثيرون حتى ان نموها العظيم استلفت انظار شركات الاحتكار فهم يطلبون ضمها الى معاملهم الواسعة باثمان باهظة

ثم يوجد فئة اخرى في داخلية البلاد تتجر بجميع مصنوعات البلاد في مخازن كبيرة جداً تبيع بالمفرق وهم يحذون حذو تجار المدن الكبرى وقد اتخذوا الولايات الغربية مسكناً نظراً لقلة المزاحمة · وقد بلغوا درجة عالية من الاهمية حتى انك ترى في المخزن الواحد مائة مستخدم وفوقها

فيرى القارىء ان تجارة السوريين واسعة الدائرة متنوعه الاصناف جرعها في نيويورك واغصانها في جميع الولايات خصوصاً وباقي الاقطار الاميركية عموماً · وثروتهم كبيرة جداً بالنسبة لعددهم فهم وان لم يبلغ غنى الواحد منهم مليوناً بعد (١) ولكن اذا تفرقت اموالهم بينهم كان نصيب الفرد الواحد منهم مائتي ريال · واذا تفرقت اموال البلاد وهي في اعلى درجات الغنى علي اهلها لا ينال الفرد اكثر من اربعين ريالاً فتأمل

وليست موارد الرزق بينهم محصورة في المتاجرة فمنهم خمسة وعشرون الف عامل في معامل البلاد «فباركها» يصنعون المنسوجات على اختلافها · وجميع المعامل الحديدية

---

(١) يعني حضرة الكاتب مليون دولار ولكن اذا حسبنا ثروتهم على حساب الفرنسويين الذين يسمون «صاحب مليون» من كان يملك مليون فرنك اي «٥٠ الف ليرة فرنسوية» اى اكثر من ٢٠٠ الف ريال قليلاً جاز القول بحسب تقديره السابق ان بينهم اصحاب ملايين

ومركبات القطارات الحديدية. ومنهم مائتا عائلة تحرث الارض وتستدر خيرها في ولايتي داكوتا الشمالية واوكلاهوما وغيرها من الولايات . ومنهم الف عامل في الحقول يتقاضون اجوراً حسنة ومنهم خمسة الآف مستخدم في السكك الحديدية وفي الادارات والمكاتب والمخازن الاميركية في المدن وفي الولايات . وما تبقى مما يزيد المائة الف عداً يعملون في التجارة ما بين مقيم في مخزن و بين من يحمل بضائعه الى بيوت الناس بين الفلاحين والحضريين في عربات كبيرة تجرها الخيل او على عاتقه

وقد بقيت تجارة اخرى خاسرة لم اذكرها وهي تجارة البورصة فمنهم من زاولها وعاد فشلاً لان المتاجر هناك ابداً تحت رحمة ارباب الاموال الذين تسميهم اميركا « كلاب البحر المفترسة » فهؤلاء يرفعون الاسعار و يخفضونها حسب اهوائهم وصغار المتاجرين في شارع « وال الاسود » يذهبون فريسة لا تقوى على الدفاع عن نفسها

هذه حالهم من حيث التجارة وقد ذكرت في عرض الحديث ان نجاحهم فيها ظهر باجلى بيان في الخمس السنين الاخيرة اذ بلغوا موطن الثقة من زملائهم . واذا بقيت احوال البلاد كما هي فلا يعجبنّ القارىء اذا بلغ منهم عدد الى مصاف اهل الثروة الكبرى ممن تقدر اموالهم بالملايين لان ثروتهم في ازدياد كل عام

اما في السياسة فهم افضل في الداخلية منهم في نيويورك . لان الداخلين في الجنسية الاميركية يتألبون جماعات في المدن الصغرى و يضمون اصواتهم بعضها الى بعضها في الانتخابات فحيثما مالوا في المدن الصغرى امالوا كفة الميزان معهم . ولذلك ترى الاحزاب السياسية في المدن الصغرى المذكورة التي عدد الاميركيين فيها لا يستغرق عددهم كثيراً يسعون في استمالتهم اليهم لنيل اصواتهم . فمتقدمو السوريين في الداخلية مسموعو الكلمة نافذوها لا يضام فقيرهم ولا يظلم

وقد بلغ من شان السوريين عام ١٩٠٤ ان الحزب الريبلكاني « الجمهوري » الذي رشح الرئيس روزفلت لمنصبه الخطير اعتمد واحداً من السوريين وسيره الى جميع الولايات الشمالية الوسطى لاستمالتهم اليه . ولما تمّ له الفوز في الانتخابات لم يغفل عن ان شكرهم علانية على صفحات جرائدهم

اما المناصب السياسية المهمة فلم يبلغوها بعد لاسباب منها انصبابهم جميعاً على التجارة. وقد بلغني ان في نيومكسكو سورياً انتخب الى مديرية احدى الكونتات وهذا لم يسبق له مثيل بعد . وقد كان المرحوم نجيب عربيلي واحداً من المديرين الثلاثة في ادارة المهاجرة غير

انه لم ينتخب الى هذا المركز بل كان معيناً له تعييناً وهذا اعظم منصب شغله سوري الى هذا اليوم

تاريخ السوريين المؤسسين والنافعين

في دار الهجرة

﴿ الجامعة ﴾ بعد ما ورد في هاتين الرسالتين المشبعتين فوائد للقراء من بسط اجمال احوال السوريين في الولايات المتحدة تجارياً وصناعياً ستشرع الجامعة في التفصيل الذي ذكرته في مقدمة الرسالة الاولى اي انها بعد البيان الاجمالي الذي تقدم ستتكلم بالتفصيل عن كل بيت تجاري وكل سوري نفع في هذه الديار بتجارته او صناعته او زراعته او غير ذلك « نفعاً حقيقياً » وتخصص لكل بيت نصف صفحة او صفحة بحسب اهميته . وتخص من بينهم بالكلام المؤسسين الاوَل الذين قدموا الى هذه الديار في مفتتح الهجرة فكان لهم فضل التأسيس للذين تبعوهم بعدهم . وبذلك تكون الفصول التالية عبارة عن « تاريخ لمهاجرة السوريين » وتاريخ اعمالهم وطرق شرائهم وبيعهم ومقدار نجاح اعمالهم في هذه البلاد تبقى مسطرة على صفحات الجامعة ناطقة بهمتهم وجدّهم

وتوصلاً لذلك قد طبعنا في اول صفحة من صفحات الاعلانات في هذا الجزء عدة اسئلة نطلب الجواب عليها للوقوف على تاريخ المحل التجاري او الصناعي وتاريخ هجرة صاحبه الى هذه البلاد سواء كان ذلك في اميركا الشمالية او الجنوبية . فنرجو ممن يتفضل بالجواب على تلك الاسئلة ان يجيب عليها في ذات الورقة ثم يقطعها ويبعث بها الينا واذا رأى فيها اسئلة لا يريد الجواب عليها فليضرب صفحاً عنها . ولا شك ان هذه هي اول مرة يُكتب بها تاريخ اعمال السوريين في اميركا فنرجو ان يساعدنا حضراتهم على استيفاء هذا الموضوع الذي يسجل فضلهم ويسرّ اخوانهم خارج اميركا الذين لا يعرفون شيئاً كبيراً عن فضلهم واجتهادهم

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

٣

التفاضل بازاء القانون (١)

مع ان التفاضل في الامور الاجتماعية اساس التفاضل في سائر الاحوال الاخرى بل ان كل نوع من انواعه ناشيء عن النوع الاجتماعي لان القانون مبنيٌّ على العادات الاجتماعية او مستخلص منها ـ مع ذلك نرى ان التفاضل بازاء القانون اقل انواع التفاضل وفي البلاد المتمدنة يكاد الناس يتساوون امام القانون . وكلما ارتقت البلاد في الحضارة استوى الناس لدى القضاء بالرغم من تفاوتهم في قواهم او مزاياهم . ولعل سرَّ ذلك ان الشرائع الادبية والاجتماعية اختيارية بالنظر الى تنازع الناس البقاء . اي ان الفرد حرٌّ في ان يجري عليها او لا يجري ولكنه لا يرى بدًّا من الجري عليها حفظًا لبقائه . ولما كان الشيء الاختياري في مجراه الطبيعي والطبيعة تقضي بالتفاضل اقتضى ان يتفاضل الناس في الامور الاجتماعية كما مرَّ بيانه . بخلاف ذلك الشرائع المدنية فانها اجبارية اي ان كل فرد مُلزَمٌ بان يجري عليها رضي او لم يرضَ . ومتى كان القانون محتومًا وجب ان يجوز على الجميع بالتساوي والا عصاه الذين يجحف بهم

ومع ذلك لا نرى القانون والقضاء سالمين من التمييز والتفضيل . ففي انكلترا مثلاً يختلف موقف اللورد امام القانون عن موقف موقف العامة اختلافًا جوهريًا . وقد كانوا في العصور الوسطى متميزين عن العامة لدى القانون تمييزًا عظيماً جدًّا . وفي حين من

---

(١) نشرنا هذه المقالات المتسلسلة مع مخالفتها رأي الجامعة ومبدأها في هذا الموضوع وذلك لسببين . الاول انها تبسط باجلى وضوح وجوه القائلين بمبداء التفاضل وتفصل مذهبهم تفصيلاً بديعًا . والثاني انها مكتوبة بيراع قوي ولغةٍ سليمة جميلة . والمجلات كالمنابر يُنشر منها كل مبداء ويسمع فيها كل صوت . ولذلك نستحسن ان تنشر المجلة كل ما يستحق النشر وان خالف مبدأها . وقد وردتنا مقالة من احد افاضل المهاجرين ردًّا على هذه المقالات فرأينا ارجاء فتح باب الرد على هذا الموضوع الى ما بعد فراغ الكاتب منه

الاحيان لم يكونوا ليعاقبوا على جريمة القتل . وقد حفظ التاريخ بعضاً من اخبار هذا التفاضل امام القانون لعهد دولة الفراعنة اذ كان الناس طبقات اشهرها الكهنة والجنود والعامة ولكل طبقة معاملة قانونية تمتاز على الطبقة التي هي دونها . وكان مثل ذلك في ايام زهو الدولتين اليونانية والرومانية مع ما اشتهرت به تانك الامتان من بث روح الديمقراطية

والان ترى الغربيين يتعمدون هذا التفاضل في كل بلاد يستعمرونها ففي الترانسفال كان البوير يميزون ابناء جنسهم على السود الوطنيين تمييز الانسان على الحيوان تقريباً . فكانوا يحظرون عليهم ركوب الدراجات « البيسكلت » وركوب الدرجتين العليين في السكة الحديدية والمشي على ارصفة الشوارع . والانكليز يفعلون شيئاً من ذلك في السودان الان . والاميركان يعاملون السود عندهم شيئاً من مثل هذه المعاملة والانكليز يجرون في الهند مثل هذا المجرى ويأتون في مصر ما يقاربه . والجندي الانكليزي في مصر مميز على الجندي المصري تمييزاً قانونياً فان سمو الخديوي اصدر امراً عالياً بتاليف محكمة مخصوصة لمحاكمة كل وطني يعتدي على جندي انكليزي . وفي هذه الاثناء حدثت حادثة في دنشواي اعتدى فيها بعض الاهالي على اربعة ضباط انكليز فأرت هذه المحكمة المخصوصة هول يوم القيامة . هذا واكثر حكومات الشرق تعامل الامراء معاملة قانونية تختلف جداً عن معاملة العامة

ثم ان القانون نفسه ينص في بعض الاحوال على التمييز بين فئة وفئة . مثال ذلك قانون برانجه الذي أُدخل في المدة الاخيرة الى القانون المصري ومن مقتضاه ان يُسامح المتهم بجنحة من تنفيذ العقاب عليه اذا لم تكن له سابقة حتى اذا كرّر الجنحة في مدة خمس سنين ينفذ فيه العقابان معاً

ذلك في القانون واما في القضاء فان القضاة يراعون في احكامهم الاشخاص وحالتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية وكثيراً ما يستعملون الرأفة بالنظر الى حالة المجرم لا الى نوع جرمه والقانون نفسه يسوّغ لهم ذلك

بقي ان نرى هل يسوغ التفاضل القانوني في حال من الاحوال اي هل هو عادل وهل ترجح فائدته الاجتماعية على ضرره

رأينا في ما سبق ان التفاضل الاجتماعي اذا انتهج نهجاً قويماً كان عدلاً لامحالة بالنظر لتفاوت الناس في مزاياهم العقلية والادبية ولما كان القانون مستمداً من الشرائع الادبية

والعادات الاجتماعية وجب ان يستمد روح التفاضل ايضاً لانه من الظلم ان يتساوى المتهذب والمتشرد امام القانون والقضاء اذا افضى احتكاكهما الى الشجار والقتال

اشتريت مرة شمامة من بائع شمام طواف على شرط ان يقطعها فان كانت حلوة صح البيع والا فسد . فقطعها فكانت تافهة . فرفضتها فحتم عليَّ ان آخذها وشفع تحتيمه بالكلام المهين لكي يستفزّني الى الشجار ويجرني الى المخفر فاعتصمت بالحلم وحاولت ان اصرفه بالحسنى فأبى واذ رأى ان بذاءته لم تفضِ الى مبتغاه في مخاصمتي حتم ان آخذ الشمامة او يختصم معي وغمز رفيقه – وسلّ الشمام على راسه – ان يدفعه لكي يقع الشمام ويتكسر فيدّعي اني المعتدي . واتفق ان كان الشرطي قريباً منا فاستدعيته في الحال فصرفه من امام منزلي بالرغم منه

كان بائع الشمام يبتغي ان يشتجر معي لكي يضطرني الى دفع ثمن الشمامة لانه يعلم اني استنكف الذهاب الى المخفر وهو لا يستنكفه ولا يخشاه مهما كانت النتيجة . وكثيراً ما يلجأ الحمارة والحوذية ومساحو الاحذية في مصر الى هذه الطريقة لنيل مطامعهم من الناس . ولاقل خلاف بينهم وبينك يهينونك لكي يستفزوك الى ضربهم وحينئذٍ يستدعون البوليس ليجرك معهم الى المخفر . وكثيرون منهم يفتخرون بذلك ولا سيما اذا كان حكم القاضي مذنّباً لخصمهم ولكن المهذبين يفضلون احتمال الاهانة على الوقوف معهم امام القضاء

ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان هؤلاء الذين يتحككون بالناس ويستفزونهم الى الخصام لكي ينالوا منهم مآربهم هم من اسافل البشر واحط الناس فلا يسوغ ان يساووا الناس المهذبين المتأدبين امام القانون لكي يتسلحوا ضدهم بهذا التساوي على الاسلوب الذي سبق بيانه . وكنت كلما حدثت لي حادثة كحادثة الشمامة بل افظع منها اشعر ان هذه المساواة القانونية خطاء في هذه البلاد التي يتباين الناس فيها كل التباين في ادبياتهم وقلتُ في نفسي ان الانكليز المسيطرين على الحكومة المصرية قد تسرّعوا في تعميم المساواة في البلاد لانه كان الواجب عليهم ان يعمموا التعليم والتهذيب اولاً لكي تترقى اخلاق العامة وتتدمث طباعهم وتنشأ فيهم بعض الفضائل وثمّ اذا عمموا المساواة القانونية وغيرها كانوا صائبين ومصلحين حقيقةً . ولعمر الحق لو كان عامة الشعب ارقى منهم الان لما دفع الجهل اهل دنشاوي في تيار غضبهم حتى ضربوا الضباط الانكليز وعوقبوا بالشنق والليمان ولو كنت صاحب اللواء او المؤيد او الظاهر لما لمت الانكليز على قساوة حكم المحكمة المخصوصة لانهم مضطرون ان يقسوا هذه القساوة لحفظ مركزهم بل كنت الوم الحكومة المصرية التي

لم تزل تاركة الفلاحين يخوضون في عباب جهالتهم ومع ذلك تلقي عليهم المسأولية التي تلقيها على فئة راقية

فترى ان تساوي الناس امام القانون مع تباينهم في المعرفة والاداب خلل فاضح لانه ينشط المتسفل الذي يستطيب مناخ السجون ويستلذ بقساط الحبس الى التعدي على المتادب الراقي واهانته وضربه لكي ينال وطرًا منه كما تقدم الاستشهاد عليه

« تأتي البقية »

شيء عن الجامعة

﴿ الجامعة في اميركا ﴾ تحت هذا العنوان ورد في رصيفتنا جريدة المحيط التي تطبع في نيو يورك ما حرفيته

اجتمعنا بحضرة الرصيف الفاضل فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة واذ اردنا معرفة حقيقة ما صادفته هذه المجلة الزاهرة بفوائدها من الاقبال في العالم الجديد وعواطف القراء من نحوها استطلعنا رايه في ذلك فاجابنا بما خلاصته :

« ان الاقبال على الجامعة الذي وجدناه بين اخواننا في اميركا الشمالية والجنوبية منذ صدور اول جزء منها الى الآن خصوصاً في الولايات المتحدة والبرازيل يقضي علينا باعادة الشكر والثناء على افاضل المهاجرين الذين ينشطون العلم والادب في هذه الديار ويأخذون بناصر المشروعات العمومية النافعة . ومما زاد امتناننا اننا رأينا افاضلهم يقدرون عمل الجامعة الجدي قدره ولا يجهلون التعب الذي يُبذل في مجلة كالجامعة تأليفاً وطبعاً في بلاد بعيدة عن مركز المطابع العربية . وقد وردت على الجامعة عدة كتب من قرائها في اميركا اظهر كتابها مسرتهم ببقاء الجامعة في مركزها العلمي الادبي الذي كانت عليه خارج اميركا وبعدم تحويلها الى مجموعة قصص وفكاهات لا سيما وان عدد النسخ التي يرسل منها الى خارج اميركا يعادل الآن ما يرسل منها الى اميركا نفسها اي انها مجلة عمومية منتشرة في جميع اقطار الكرة الارضية من اقاصي الهند حتى مصر والشام ومنها الى اقاصي الاوقيانوس . فالمقالة التي تكتب في نيو يورك تقرأ وتحفظ في كل قطر . وهذا يوجب عليها ان تكون

مواضيعها وطريقة تأليفها مما يلذ و يفيد العناصر العديدة المختلفة التي تقرأها بين سوريين ومصريين وعرب وجرائريين وتونسيين وهنود وايرانيين الخ . والمهاجرون ولا شك يسرهم ان يكون عندهم مجلة بهذا الانتشار وهذا التأثير في خارج اميركا اولاً لرغبتهم في قراءة المواضيع المبتكرة العالية التي اعتادت الجامعة نشرها وحفظهم الجامعة ككتاب نفيس يجلدونه و يحفظونه في مكاتبهم لهم ولأولادهم كتذكار من المجلة . وثانياً لتكون الجامعة صلة بين الشرق وجميع المهاجرين الذين يتكلمون اللغة العربية في هذه الديار . ومعلوم ان مقياس نجاح الاعمال ورضى القراء عن الصحافة انما هو رسائل مشتركيها الافاضل . و رسائل المشتركين صارت عندنا تعد بالمئات حتى ان موزع البريد كان يضحك كلما القى الرسائل الى الادارة و يقول (كثير كثير . والامر الاكثر دلالة على ارتياح قرائنا الافاضل ان هذه الرسائل ٩٠ في المئة منها ممتلئة (شكات) بقيمة اشتراكات دون ان تطالب الادارة بقيمة الاشتراك . ولا يزال المشتركون والغير المشتركين يقدمون انفسهم لمساعدة الجامعة على الانتشار في جهاتهم و يرسلون قيم الاشتراك دون طلب . وتلك شيمة اهل الفضل والادب . الذين لا تضيع عندهم خدمة ولا تعب . و يسلكون في مكافأة من يجهد نفسه فيها كل سبيل وسبب . وحسبنا للدلالة على المنزلة التي اصبحت الجامعة فيها لدى اهل الفضل والادب في اميركا ان اول يوم سار فيه محصل الادارة الى مشتركي الجامعة في مدينة نيو يورك نفسها عاد وقد حصل من اشتراكاتها نحو ثلاثمائة ريال في يوم وحد . وهذا لا يقع لجرائد مصر اليومية الكبرى نفسها

« فلما رأينا هذا الاقبال العظيم على الجامعة وشهامة المهاجرين في تنشيط المجلة التي انتقلت اليهم لخدمة العلم والادب بين ظهرانيهم جرّأنا هذا التنشيط على ابلاغ الجامعة وادارتها المبلغ الذي نريده لها لان الريال الذي يبذر في هذه البلاد يعود اضعافاً . فاتفقنا نحن و بضعة من اهل العلم والادب في مصر والشام ومنهم كتاب يحملون اسماء كبيرة في عالم العلم والادب على مساعدة الجامعة بمقالاتهم المفيدة التي ستظهر في الجامعة قريباً . والجامعة تنشر المقالات المفيدة لغيرهم باجرة تتفق مع صاحبها على نشرها اذا كانت مما يفيد نشره ولا تضن بالمال في هذا السبيل ارضاء لقرائها

« و يسرنا ان الجامعة اصبحت في طورها الجديد في اميركا قوة للمهاجرين تخدم افاضلهم واذكياءهم كما يخدمونها واذا كانت الى الآن لم تبرز كل قوتها ومبادئها

فالمستقبل واسع امامها · وعن قريب سيسمعون عنها اخباراً تسرهم وتحقق املهم فيها · » انتهى

﴿ الجامعة في الشرق ﴾ ولقد عتب بعض القراء والوكلاء على المجلة في مصر والشام على الخصوص لانها لم ترسل اليهم من الاجزاء قدر عدد المشتركين الذين كانوا يقراونها لما كانت في مصر · فاننا مثلاً للبلدة التي فيها خمسون مشتركاً لم نرسل الا ٢٥ اي النصف وفوضنا الوكيل ان يطلب حاجته من اجزاء الجامعة من فرع ادارتها في الاسكندرية او من فرعها في مصر القاهرة · وليس السبب في هذا الفعل عدم اهتمام الجامعة بقرائها الافاضل خارج اميركا بعد الاقبال الذي وجدته في اميركا فانهم ولا شك يعلمون ان منزلتهم عندها لا تضاهيها منزلة لانهم كانوا المؤسسين الاول للجامعة فضلاً عن ان لآرائهم ورضاهم عندها قيمه خصوصية · ولكن فعلنا ذلك لان الاختبار علمنا ان في بعض الجهات خصوصاً في جهات الشام (ونذكر ذلك باسف) بعضاً من المشتركين في الصحافة لا يهمهم رضى الصحافة عنهم فيشتركون فيها و يتحكمون في دفع اشتراكاتها كاملة او ناقصة كما يريدون في السنة التي يريدونها متجاهلين ما يبذله اصحاب الصحف في سبيلها من التعب والمال · فكان غرضنا مما تقدم ذكره غربلة مشتركي الجامعة في الشام ومصر وعلى الخصوص في الشام لان المشترك الواحد في اميركا هو الان عند المجلة من الجهة المالية خير من مشتركين او ثلاثة في غيرها لعدة اسباب منها غلاء اجرة البوسطة خارج اميركا بالنسبه اليها في داخلها واتباع القراء هنا خطة يحمدون عليها وهي دفع قيمة الاشتراك مقدماً كاملة لجميع الصحف تشبهاً بالقراء في الغرب وعدم ذهاب شيء منها عند احدهم الا النادر جداً الذي يكون في اشتراكه مشكلة كأن ترسل اليه المجلة او الجريدة دون طلبه · وهذه شهادة نؤديها عن طيبة نفس في حق القراء الافاضل هنا · وليس عبثاً يستبدل الوسط الصغير بوسط كبير وتسلط العادات القوية على العادات الضعيفة · وبناء على ذلك قطعنا المجلة باسف عن كل من كانت الادارة تتعب معه في الشرق فقطعنا عن مصر والشام وغيرها عدة مئات من الاجزاء مكتفين من الشرق بالجمهور الغفير الخاص الذي اعتاد قراءة الجامعة بامعان وايفائها حقوقها في اوقاتها والذي هو المؤسس الحقيقي لها بل هو خلاصة الجمهور الشرقي الراقي الذي يحب المطالعة ويراها من حاجات النفس

﴿ مصر والجامعة ﴾ وقد كان بعضهم في الشرق يتدلل على الجامعة فاصبحت هي اليوم تتدلل عليه · فقد وردنا من القاهرة من احد الادباء المحبين للجامعة انه بعد وصول الجزء الاول منها الى مصر عزم مع وكيل الجامعة فيها على ارسال تلغراف الى نيويورك يطلب فيه

٣٠٠ نسخة من كل جزء صدر منها لكثرة طلب الجامعة هناك . وهو بطلب سرعة ارسال هذه الاجزاء حال وصول الكتاب اجابة للطالبين . فارسلناها حسب الطلب فوق عشرات الرزم الكبرى التي سبق ارسالها حين صدورها . ووردنا من وكالة الجامعة في الاسكندرية انه حين اعلنت الجرائد في مصر خبر وصول الجزء الاول من الجامعة اصبحت الكتب الواردة على الوكالة بالاسكندريه بطلب الاشتراك ترد عشرات وبعض القراء الذين غيروا محل اقامتهم ارسلوا بالتلغراف عنوانهم الجديد الى وكالة الادارة في الاسكندرية لكي ترسل المجلة اليهم بسرعة . فالجامعة يسرّها بنوع خاص ان مصر الكريمة حققت املها فيها لانها كانت على ثقة بان قراءها المصريين الكرام لا ينسونها بل يزدادون اقبالاً عليها بعد بعدها عنهم لا سيما وانها وهي في قلب المدنية الاميركية تستطيع ان تنشر لهم من الفوائد ما لا تصل اليها وهي في مصر . فهي المجلة العربية الوحيدة التي تخدمهم من هذا القبيل خدمة كلفتها عناء الانتقال ووحشة الغربة بازاء رصيفاتها الجليلات التي تخدمهم في مصر من وجه مفيد آخر . هذا فضلاً عن انه لا شيء كالبعاد يزيد اميال الفؤاد . كما تعرف الجامعة الآن ذلك من نفسها . ولكن هنا لا نزيد كلمة في موضوع مصر وميل الفؤاد اليها لئلا يشمت بنا هناك من فارقناهم على كره منا ويتهمنا اصدقاء الجامعة وقراؤها هنا بنكران الجميل لاستمرارنا على الحنين الى مصر مع ما لقيته الجامعة عندهم من الترحاب والاقبال . فنكتفي اذاً بقول ابي تمام

وكانت لوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرارُ

☀ امل الجامعة ☀ وقد ذكرنا في ما تقدم آنفا ان الجامعة ستحقق امل المهاجرين فيها عن قريب باستعدادها لخدمتهم خدمة يرتاحون اليها وينتظرونها منها وابلاغها مبلغاً يسرّ قراءها . وهي كما تبذل منتهى الجهد في خدمتهم ترجو ان تستمرّ معاملاتهم معها على السهولة التي لها الآن من القيام بوفاء حقوق المجلة دون مطالبة منها

☀ اصلاح خطاء ☀ في الصفحة ١٥٤ في الحاشية في صدر البيت الثاني لام مكسورة عند الطبع وصحته (فهل نصدق منا قول من زعموا)

مختارات من فلسفة نيتش

الوارد ذكره في المقالة الاولى للدلالة على مذهبه

كل مصيبة تصيبني في مدرسة الدهر ولا تقتلني انما هي قوة جديدة لي

اول مبادىء حب القريب هذا المبدأ . ساعد نفسك يساعدك جميع الناس .

قالت امرأة لامرأة اخرى تطلبين الحقيقة كانك لا تعرفينها . الا تعلمين انها خرق لحرمة حيائنا

طلبتُ رجالاً عظاماً فلم اجد الاّ قروداً يقلدون نصوراتهم

لقد كانوا سلمّالي فصعدت عليهم ولذلك اضطررت الى دوسهم لاتمام سيري اما هم فحسبوا انني استخدمهم للصعود للاستراحة عندهم

تعريفي السعاده : القول لا أو نعم (١) خط مستقيم اسير فيه . غاية اسعى اليها

قال سقراط قبل شربه السم المريض من كان حياً لان الحياة مرض فانا مديون للسم بانقاذي منها . نعم لا بدّ ان يكون في هذا القول شيء من الحقيقة . والحقيقة هي ان المريض هو سقراط نفسه . وما المبادىء التي دعا الناس اليها وسموها حكمة الا مبادىء مريض ضعيف لاقبال له على اقتحام الحياة

الرغبة في اقتحام شهوات الانسان وغريزته لاخضاعها او اماتتها انما هي رغبة في افناء الحياة نفسها

على الانسان ان يكون شديد الحب لان يكون معارضاً ومعارَضاً . بالفتح والكسر فهذا هو الشرط الاول لنجاحه . وليست تدوم للانسان قوة وشباب اذا بدا منه ميل للراحة والسلام . وما «السلام المسيحي» الاّ ضعف ووهن لا محل له في هذا العصر

ان الآداب كما اتفق عليها الناس في هذا العصر انما هي صورة لحياة منحطة ضعيفة تعبة محكوم عليها بالزوال . هي «غريزة الانحطاط»

---

(١) يعني حكمه في الامور حكماً جازماً وقد كان هذا مواضع الخلاف بينه وبين جميع الفلاسفة الذين يترددون في الحكم في المبادىء او يقولون «لا أدري» او غير ذلك . وقد اوسعهم نقداً وتهكماً في كتبه

ان رغبة المريض في البقاء مع حكم الاطباء بانتهاء اجله امر يوجب احتقاره . وعلى الاطباء ان يدفعوا من امامهم بلا رحمة ولا شفقة هذه الحياة المنحطة « زه زه زه »

انني اعتبر مبدأ « الاشتراكيين » مبدءاً منحطاً ولكني اعتبر مبدأ المستر هربرت سبنسر منحطاً ايضاً لانه يرضى عن انتصار « مبدأ الغيرية » في العالم

ما المبدإ الصحيح ؟ هو كل ما يثير في الانسان حب القوة و يدفع ارادته الى حب السيادة

ما المبدإ الفاسد ؟ هو كل ما يكون ضعفاً ورفقاً

ما هي السعادة ؟ هي شعور الانسان بازدياد سلطته وقوته . واحساسه بتغلبه على العثرات التي في سبيله

ليست السعادة رضى النفس والقناعة ولكنها السلطة والقوة . ليست السلام بل الحرب . ليست الفضيلة « كما يفهمها اهل النهضة » Renaissance بل هى القوة

عندنا اول مبادئ محبة الناس هذا « فليفن الضعفاء والمخذلون في هذه الحياة ولا راحتهم ساعدوهم على هذا الفناء »

ما شيء ضره اشد من ضر اية رذيلة كانت ؟ هو الرفق المسيحي الذي يقضي بالشفقة على هؤلاء الضعفاء والمخذولين « بخ بخ بخ »

تعريف المذهب البروتستنتي : هو المسيحية والعقل مصابان بداء الشلل من جهة واحدة

الالمان اعداء ي الالداء (١) وانني احتقر فيهم كل قذارة في الفكر وكل جبن في الحكم سلباً او ايجاباً . وانهم منذ الف سنة يشوهون و يعرقلون كل ما وصلت اليه ايديهم . فعليهم تلقى تبعة المبادئ التي اوروبا مريضة بها الآن (٢)

---

(١) لا تنس ان نييتش فيلسوف الماني

(٢) يعني مبادئ الفيلسوف قنت وشوبنهور وهجل وجوت ولوثر وكلهم من اعاظم الالمان

عقاب الحب وصفح الحنو

بقلم حضرة الشاعر الناثر نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

في انه يجب على الام ان لا تترك حنوّها يحول دون ما يجب عليها من التهذيب لولدها (١)

غرَّ زهوُ الصبا صبيًا لعوبا فنسي أمرَ امهِ المطلوبا
فأرَتهُ وجهًا عبوسًا ولكن كتمت في الحشى حنوًّا عجيبا
رامَ تقبيلها كما عوّدتهُ حين ان يدعوهُ الكرى فيجيبا
اعرضت عنهُ لا قِلًى او جفاء بل عقابًا لهُ عسى ان يتوبا
وصدودُ المحب اقسى عقابٍ اذ يشا الحبُّ ان يربّي الحبيبا
فانثني عنها كاسفَ البال لما عوّضتهُ من بِشرها تقطيبا
صانت الكبرياء في مقلتيهِ ادمعَ الحزن حين راح كئيبا
شيعتهُ الحاظها وكانَّ الـ وَجدَ يبدو في ناظرَيها لهيبا
واقتفاهُ فؤادُها مستطيرًا حولهُ وَهوَ موشكٌ ان يذوبا
عوقب الابن لكن الامُّ قاست ألمًا في جفاهُ يَفري القلوبا
ان يَنم ظامئًا لرشف لماها فهي اظما منهُ وادجى كروبا
قصدته مدفوعةً بجنانٍ نحوَهُ هبَّ كالنسيم هبوبا
وجثت عند مهدهِ وهو غافٍ ثمَّ ألوت واستنشقت منهُ طيبا
لم يكن دمعُ عينه جفَّ لما قبلت خدَّه النديَّ الرَّطيبا
قبلتهُ وقبلتهُ مرارًا وهي تسقي خديه دمعًا صبيبا
ثمَّ قالت رباه هل انت تسقيـنا دواء الرضا لتشفي الذنوبا
يومَ نُلقى على سرير المنايا وتوافي شمس الحياة المغيبا
قبلما تنشفُ الدموعُ وتكسو لفحةُ الموت كل وجهٍ شحوبا
اي نعم انتَ راحمٌ وغفورٌ فأعنا رباه حتى نتوبا
ونغض الاجفان عن كل عيبٍ في سوانا ونحنُ اوفى عيوبا

(١) من هذه القصيدة الرقيقة يرى القراء ان حضرة ناظمها شاعر مطبوع كما انه كاتب مجيد

تنبيـه
من ادارة الجامعة

﴿مطبعة الجامعة وصدور هذا الجزء﴾ اصدرنا من الجامعة الجزء الاول والثاني والثالث وبعد صدور الجزء الثالث اخذنا مهلة عشرة ايام لترتيب ادارة الجامعة وتقطيع حروفها الجديدة وتركيب الادوات والآلات الجديدة التي استجلبناها لها. ورغبة في اجتناب العطلة وعدم التثقيل على مطابع نيويورك العربية التي كل واحدة منها مشغولة بشغلها ابتعنا من نيويورك نفسها حروفاً عربية بمضاعف ثمنها الاصلي لكي لا ننتظر ورود الحروف من مصر وسوريا . واشترينا فوق الآلات الصغيرة آلة للطباعة كبرى تدار بالكهرباء وقوتها ثلاثة احصنة وزنتها ٦ آلاف بون . وبعد نقلها الى الادارة من نوافذ المحل بآلات رافعة لتعذر نقلها من السلم حضر مفتش البلدية وقرر عدم تركيبها لكبرها وثقلها على مكان الادارة لان اكثر المطابع هنا في الطبقات الثانية والثالثة لا في الطبقات الارضية كما في مصر . فاضطررنا الى تأخير تركيبها والانتقال من محل الادارة الى محل جديد استأجرناه وهو اوسع منه واقوى لحمل الآلة . وهذا سبب تأخير هذا الجزء . اما الآن وقد استوفت مطبعة الجامعة معدَّاتها ولوازمها وفرغت من ترتيبها وتنظيم حروفها العربية والافرنجية واستحضار مرتبي حروف لها يتولون ترتيبها وطبعها باتقان تام كما يرون في هذا الجزء الذي طبع بها فقد اصبحت مطبعة الجامعة مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من اوراق تجارية وكتب وجرائد وغيرها كما يرون في الاعلان في ملزمة الاعلانات في الصفحة الثانية

العالم الجديد
او
مريم قبل التوبة

هي رواية غرامية اجتماعية تاريخية فلسفية تأليف صاحب الجامعة على نسق « اورشليم الجديدة » له ايضاً . وقد وقعت حوادثها في فلسطين قبل ظهور السيد المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره . وستكون هذه الرواية افضل ما كتبه صاحب الجامعة الى الآن . ونبدأ بنشرها في الجزء التالي

تذكارات مصر والشام

محمد عبده ورايه في المسالة الاجتماعية
وراي اللورد كرومر فيها

وعدنا في الجزء السابق بعد الفروغ من الكلام على ما كان بين العلامة الشيخ محمد عبده والجامعة من الصلات ان نلخص الفتوى الاجتماعية التي افتى بها الشيخ للجامعة . وتفصيل الخبر ان النزاع القائم الان في العالم المتمدن في اوروبا واميركا انما اصله سبب واحد وهو : ان التجارة حرة وكذلك الصناعة والعمل . فالصانع مطلق الحرية في ان يعمل او ان يعتصب كما ان صاحب الصناعة او التجارة مطلق الحرية في ان يقبله او لا يقبله في صناعته او تجارته . واذا قام نزاع بين العملة واصحاب الاعمال لم يكن للحكومة من وظيفة غير (حماية الاشخاص والنظام) ويدخل تحت ذلك ثلاثة امور (١) حفظ الأمن والنظام في الشوارع اذا وقع من العملة اعتداء (٢) حماية المعامل اذا اعتدى عليها العملة المعتصبون (٣) حماية العملة الذين يريدون العمل حين يكون رفاقهم معتصبين. وفيما خلا هذا لا تتداخل الحكومة بين اصحاب الاعمال والعمال في شيء اذ ليس ذلك من وظيفتها كما يقولون . والذين يقولون ذلك هم اصحاب الاعمال . اما العمال فيطلبون منها المداخلة ولا عجب ففيها مصلحة الضعيف . وعلى المداخلة وعدم المداخلة تدور الحرب الاجتماعية في كل مكان

ولما وقع اعتصاب عملة السكائر في مصر وكاد الاعتصاب يخل بالامن العام اجاب اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي في مصر على كتاب سُئل فيه رايه ان الحكومة لا وظيفة لها سوى حماية حرية الصناعة وحرية العمل وحفظ الامن الا اذا اتفق الفريقان المختلفان على تحكيمها . قلنا ولكن اصحاب الاعمال لا يحبون هذا التحكيم لانهم يعتبرونه مداخلة في شؤونهم ومصالحهم الخصوصية

فبينما كنا نطالع في ذات يوم مقالة لاحد اقتصاديي الفرنسويين في العملة والعمال في الجزائر راينا ان هذا الاقتصادي يقول ان الشريعة الاسلامية حلت هذه المشكلة حلاً

جميلاً . فانها توجب على الحكومة المداخلة بين اصحاب الاعمال والعمال والتحكيم بينهما . فلم يدهشنا هذا القول لعلمنا ان المدنيات القديمة الدينية اسلامية ومسيحية لم تكن فيها الحرية العمومية مصونة من كل الوجوه وكانت الهيئة الحاكمة فيها تجوّز لنفسها التداخل في ما لا يعنيها احياناً . ولكن قلنا انه اذا كان ذاك القول صحيحاً وكانت اوروبا تطلب اليوم « ايجاب التحكيم » (١) بين الفريقين حلاً للمسالة الاجتماعية فانه يحق للشريعة الاسلامية ان تفتخر بانها تقدمت اوروبا بهذا الحل المعقول . و بعد ان بحثنا في كل المصادر التي لدينا ولم نهتدِ الى اثر لهذا المبدا بعثنا نستفتي الاستاذ المفتي فيه . فتفضل فضيلته على الجامعة بجواب مسهب يستغرق صفحتين . وقد قال في مطلعه (ان التحكيم كما يُفهم من لفظه يلزم ان يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان ان يُقضى في النزاع بينهما) و بذلك وضع اساس التحكيم الاختياري لا الاجباري على ما تقدم ذكره . ولكن بعد عدة اسطر يقول هذا القول الخطير « انما يوجد في اصول الاحكام الاسلامية ان القيام بالصناعات من فروض الكفاية اي يجب على الامة ان يكون منها من يقوم بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة او للدفاع عن حوزتها فاذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بامر الامة ان يتخذ السبيل الى اقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس وكذلك اذا تحكم باعة الاقوات و رفعوا اثمانها الى حد فاحش وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الاسلامية ان يضع حداً للاثمان التي تباع بها وهكذا يدخل الحاكم في شؤون الخاصة واعمالهم اذا خشي الضرر العام في شيء من تصرفهم

« فاذا اعتصب العمال في بلد واضربوا عن الاشتغال في عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه وكان ترك العمل يفضي الى شمول الضرر كان للحاكم ان يدخل في الامر وينظر بما خول له من رعاية المصالح العامة فاذا وجد الحق في جانب العمال وان ما يكلفون به من قبل ارباب الاموال مما لا يستطاع عادة الزم ارباب الاموال بالرفق سواء كان بالزيادة في الاجر او النقص في مدة العمل او بهما جميعاً »

(١) حين قدوم المستر بر ين المرشح الديموقراطي لرئاسة الجمهوريه الاميركية من سياحته في اوروبا وآسيا في هذا الشهر كان في جملة ما دعا اليه في خطبته يوم استقباله في نيو يورك « بجاب التحكيم بين العمال واصحاب الاعمال »

فانت ترى اهمية هذا القول وخطارته خصوصاً ما جاء فيه عن حكم الحاكم بالزيادة في الاجر والنقص في مدة العمل. وهذا القول مناقض كل المناقضة لمبداء اللورد كرومر الذي تقدم بسطه وقريب من المبداء الذي اشار اليه الاقتصادي الفرنسوي . وعلى ذلك كان في مصر سلطتان متجاورتان متناقضتان السلطة المدنية التي تنادي بفم اللورد كرومر بمبداء الـ individualistes الذي بسطناه في الجزء الثاني (١) والسلطة الدينية التي كانت تنادي بمبداء التعاون . والله اعلم بمصير الانسانية في الارض بين هذين المبدأ ين

على ان الاستاذ المفتي يوجب في آخر فتواه التحكيم بين الرجل وامرأته اتباعاً لما جاء في القرآن الكريم (واذا خفتم شقاقاً بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما) قال (والذي يظهر من لفظ الآية ايجاب التحكيم على اولي الأمر) ثم قال (وعلى كل حال فايجاب التحكيم في امر الزوجين معقول) لانه لم يقل بايجابه مطلقاً بين العملة ثم قال (فان كان ذلك الكاتب الفرنسوي يعني هذا الاصل و يشير اليه و يريد ان يقيس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

وفي ذيل الفتوى هذا السطر الرقيق (احب ان تدقق النظر في الخط كيلا يقع خطأ فاذا اشتبه شيء رجوت مخابرتي فيه)

فاعجبتنا هذه الفتوى لان فيها شيئاً مما كنا نطلبه خصوصاً الاسطر المطبوعة بالحرف الكبير ولكن اردنا ان نستخرج من الاستاذ فتوى اعظم. وكان غرضنا ارسالها الى نفس الاقتصادي الفرنسوي الذي تقدم ذكره لانه ظهر لنا من مقالته نفسها انه هو نفسه على غير هدىً في هذه المسألة. فقلنا للاستاذ في كتاب ثانٍ ان قوله الذي جعلناه هنا بحرف كبير غاية في الاهمية والخطارة . و بناءً عليه فانني اسأله سوءالاً يحل هذا المشكل و يزيد الايضاح . وكان بحارة البواخر الفرنسوية في مرسيليا قد اعتصبوا في ذلك الحين وانقطع ورود البواخر على مصر واختل البريد الفرنسوي بين فرنسا ومستعمراتها. وكان انصار العملة يطلبون من الحكومة المداخلة لدى الشركات لاجبارها على قبول التحكيم ارضاءً للبحارة . فلم تتداخل الحكومة الفرنسوية في ذلك ولكن وزير التجارة وكان لذلك العهد المسيو ترويو كتب الى الشركات كتاباً اخبرها فيه انه قطع عنها الاعانة التي تدفعها الحكومة اليها لنقل

(١) راجع تذكارات مصر والشام الجزء الثاني

بريدها وذلك لاخلالها بشروط هذا النقل. فكان ذلك من الحكومة مداخلة ضمنية. فسالنا الاستاذ : هل كنتم فضيلتكم تجبرون هذه الشركات على الرضى بالتحكيم . لان انقطاع البريد عطل الاشغال واضرَّ مصالح الامة. فلما علم الاستاذ رحمه الله اننا علقنا اهمية عظمى على جوابه الاول واننا استكبرناه اضعفه في جوابه الثاني بعض الشيء . اي انه بدل ان يزداد تقدماً فيه ويخطو خطوة اخرى الى الامام تأخر وخطا خطوتين الى الوراء. ومن سوء الحظ قد فقد من عندنا هذا الكتاب ونحن نأسف لذلك لاننا نحفظ كتب الاستاذ عندنا كاثر من انفس الآثار

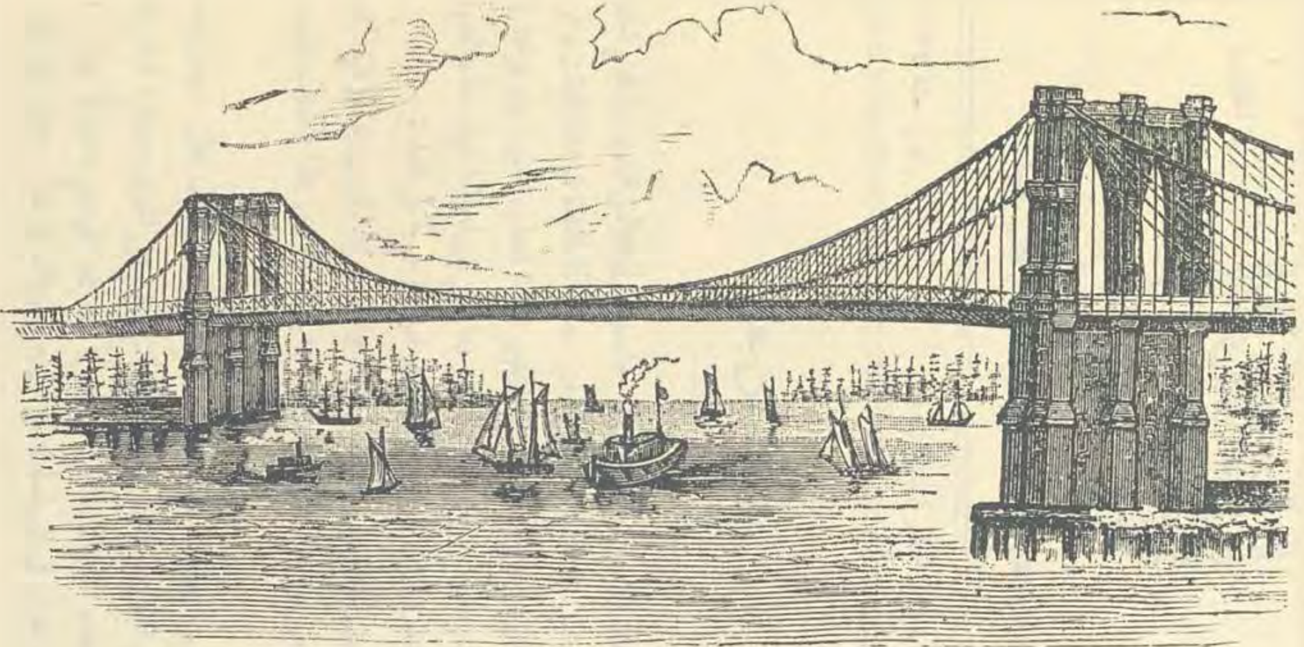
ولكن الاستاذ رحمه الله معذور لهذا الحذر . وهو عنده دليل على العقل واصالة الراي لان خصومه كثيرون وكانوا ينتظرون سقطاته . وقد افتى بنسأ لتبن (مسألة الموقوذة كما سموها ومسالة صناديق التوفير) وكان الحق في جانبه في المسالتين. فقامت عليه القيامة وكانت بعض الجرائد الاسلامية تصدر كل يوم وصفحتها الاولى مشحونة بالحملة على الاستاذ . فكان لذلك ضجيج في مصر لم يسمع بمثله حين كتابة وفاق مصر والسودان . وقد كان حذره هذا في محله فانه ما انتشرت فتواه هذه في مصر حتى تصدَّى لها احد شيوخ العلم الذين يترددون على الازهر ويحررون الجرائد . فكتب مقالة اولى في احدى الجرائد السورية اليومية عن لسان الجريدة نفسها لخص فيها فتوى الاستاذ للجامعة ووعد ان يردَّ عليها لاظهار (حدود الله في هذه المسالة) . فلما اطلع صديقنا صاحب الجريدة على الثورة الجديدة التي يراد اثارتها على الاستاذ في جريدته هرع الى كاتب المقالة وشكره وسأله سدَّ هذا الباب

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

الآن وقد صفا الفكر من شواغل تاسيس الجامعة وتاسيس مطبعتها في اميركا واستيفاء اعمالها المادية فقد صار في الامكان التفرغ لاعمالها الادبية. وقد ذكرنا اننا سننشرع في الجزء الآتي برواية (العالم الجديد او مريم قبل التوبة) وكذلك سنشرع فيه ايضاً بدرس المدنية الاميركية درساً مبنياً على المشاهدة العيانية . وتحليل روح هذه المدنية ومبادئها وذكر عجائبها وغرائبها . واذا كانت الجامعة هي اول من يكتب بالعربية في المدنية الاميركية كتابة جدية مبنية على الاختبار والمشاهدة فهي لا تفخر بذلك لانها اشترته بثمن غالٍ وهو فراق قومها وبلادها وتحمل عناء الانتقال من قارة الى قارة كشجرة تقتلع من روضة لتغرس في روضة



جسر بروكلن

بين نيويورك وبروكلن

وهو ابدع واعجب جسر في الدنيا

الجزء الخامس — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — ١٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٦ — ٢٧ رجب سنة ١٣٢٤

صوت من بعيد

اذا تصفحنا الصحف الاوروبية والاميركية. واصغينا الى مجالس الشورى وكلام الخطباء فيها . وقرأنا اخبار مصر في صحفها . خيل لنا ان مصر قائمة قاعدة في هذا الوقت وافريقيا وآسيا وراءها تشدّان ازرها . فنتساءل قائلين : ماذا اصاب الحبيبة بعد فراقنا لها . ولكن من عاش في مصر دهرًا طويلاً وخبر ما ظهر وما بطن من احوالها علم ان هذه الضوضاء ناشئة عن تجسيم الكتاب الاوروبيين والمصريين لحوادثها جريًا على العادة

﴿ كتاب من مصر ﴾ وقد كان هذا معتقدنا واذا بالبريد المصري يحمل الينا كتاب صديق معروف في مصر بكونه دكتورًا ومؤلفًا . واليك شيئًا من هذا الكتاب ننشره بلا حذف ولا تبديل

« حالة مصر عدم . وندم . تعصب في الدين . وكره للاجانب قتال . واستبداد في المحتلين . ورشوة في العمال . ضغط على القضا . وفلاح مقيم على الهوان . وادارة تدار بالقدر والقضا . وصحافي بعده الطوفان — كرومر كنا يا ابن ابي سلمى من يصبه لا يسلم . ومن اخطاه يهرم . دفعه الخرق في السياسة لامل ان يجني من الشوك عنبًا . وقاده الى ان يفتل من العنكبوت طنبًا . فاذلّ من القوم زعيمهم فاهاج غضبه . وعزّز لئيمهم فرفع عليه عقبه .

وليّ الامر تاجر والمؤتمر امير والعالم عندهم كافر والجاهل مشير. القاضي محابي والحاكم جابي. وعامل الترك يستر حركته النقص والاشتغال. وبعدم صرف الوزارة زاد الاعتلال . لا تسمع الأ « المسلمون والرسول » والكل زعيم غير مسئول . هـذا ما اتمه محمد عبده واسسه رياض. والآن الامير يعضده والحال في المخاض. فمصر اليوم ضد الحجاج بالامس . فان انجبت كان ولا شك بغل علينا عليقه ولنا الرفس. وان اجهضت فربما يعتري اهل الفتن التعب ويزول عنا النحس. فنحن بين شافونين . اتخذنا الوطنيّ دخلاء مزاحمين . واعتبرنا المحتل جواسيس عليه مأجورين . فاصبحنا بفضل جرائدنا الكل اعدانا . وصح فينا « ما بين حانا ومانا » . . .

ولم ننشر هذا (الكتاب الشعري) لموافقتنا على ما ورد فيه فانه لا شيء ادعى الى المبالغة من الشعر بل غرضنا من نشره اولاً ان ندل على حالة النفوس اليوم في مصر وثانياً ان ندخل منه الى موضوع نريد الكلام فيه لانه من اهم المواضيع للشرق وابنائه . واذا كانت الجامعة قد بعدت عن الشرق فان قلبها لا يزال فيه. وهي انما تُنشر له

المواضيع الثلاثة

كلامنا في هذا الفصل عن ثلاثة مواضيع اشتغلت بها الصحف الاوروبية والمصرية في هذا الصيف

(الاول) هل في مصر تعصب

(الثاني) هل في مصر حزب وطني وله زعيم

(الثالث) هل الحركة الاسلامية موجودة في افريقيا وآسيا ومركزها مصر

اما الموضوع الاول فقد بحثت فيه الجرائد المصرية بعد قول وزير خارجية انكلترا في احدى خطبه ان حادثة دنشواي نشأت عن تعصب ديني بعد حادثة طابه (١) فلم تبقَ

(١) حادثة طابه هي الخلاف الذي وقع بين الدولة العثمانية وحكومة مصر بشأن الحدود المصرية ولما فازت حكومة مصر بما طلبته بمساعدة انكلترا تهيجت الافكار في مصر فتعرض بعض الاهالي في قرية دنشواي لضباط من الانكليز كانوا يصطادون الحمام فقتلوا احدهم وجرحوا رفاقه . وقد حوكم المتهمون في محكمة عسكرية مخصوصة فحكم على بعضهم بالشنق وعلى بعضهم بالسجن وبرئ بعضهم. اما الاهالي فيقولون ان الضباط هم الذين اعتدوا عليهم لانهم كانوا يصيدون حمامهم فضلاً عن ان النار اضطرمت في احدى عششهم من رصاص البنادق فظنوا ان الضباط تعمدوا احراقها

جريدة في مصر الا ونفت عن مصر تهمة التعصب . واما الموضوع الثاني فقد بحثت فيه جرائد مصر بعد قول جرائد اوروبا ان « زعيم الحزب الوطني في مصر هو مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء » واما الموضوع الثالث فقد كان مجال اقلام اكثر الصحف الاوروبية المهمة كالطان والدبيا وغازت دي كولونيا والتيمس وذلك بعد قول السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترا ان حادثة طابه في مصر اثارت افكار المسلمين ليس في مصر فقط بل في ما وراءها من الاقطار الاسلامية في افريقيا وآسيا . قالت تلك الصحف : وقد اصبحت مصر مركز تلك الحركة

هل في مصر تعصب

١

التعصب الجنسي

قبل ان ننظر في وجود التعصب وضره او فائدته يجب ان ننظر في ماهيته وحقيقته . فالتعصب في اللغة او الاعتصاب اجتماع الناس عصبة . و « تعصب لفلان » مال اليه و « على فلان » مال عليه . و « تعصب الرجل في دينه ومذهبه كان شديداً غيوراً فيهما ذاباً عنهما » فيدخل اذاً في ذلك نوعان من التعصب «التعصب الجنسي » و « التعصب الديني » ويظهر في هذا العصر ان التعصب الجنسي امر مستحسن مباح فان كل امة من الامم تعلم اليوم ابناءها في المدارس انها خير الامم واعظمها والغرض من ذلك اثارة حماستهم لوطنهم وزيادة وطنيتهم . ونحن لا نقول ان هذا الامر ممدوح ولكن هذا ما يقع اليوم في جميع العالم الذي يسمونه متمدناً . فالانكليزي يقول رافعاً رأسه انا انكليزي . والفرنسوي يقول بكبرياء انا فرنسوي . وانك لترى ابناء اصغر الامم الاوروبية والاميركية يفتخرون بجنسيتهم ويفضلونها على اكبر جنسية . وما ذلك الا نتيجة تربية العصبية . وقد عدّ المؤرخ ابن خلدون من المتقدمين مبداء « العصبية » في جملة المبادىء الفعالة في انشاء الممالك والامم وترقيتها والنهوض بالافراد

ويظهر ان قادة الامم وملوكها يبالغون احياناً في هذا المبدأ ويحولونه عن الغرض الذي وُضع من اجله وهو النفع العام اذ يستعملونه في نفعهم الخاص . مثلاً كأن يتخذوا « العصبية والوطنية » آلة يدوسون بها حقوق الناس في داخل اممهم او حقوق الامم الأخرى باثارة حروب عدوانية عليها . وكل من اجترأ من رعيتهم على ان يرفع صوته

بالشكوى أثاروا عليه من يتهمه « بخيانة الوطنية » ولذلك يتالف في داخل الامة حزب جديد يقف في وجه هذه المطامع . وقد ظهرت هذه الحالة باجلى مظاهرها في فرنسا في السنوات الاخيرة . فان حزب الناسيونالست الجامع بين اناس من انصار الملكية وخصوم الجمهورية من الجمهوريين انفسهم المستائين من بعض مبادئها يتخذ « مبدأ الوطنية » سلاحاً يخدم به مآربه . فاذا انتقد بعضهم بعض قواد الجيش او كان ممن ينتصرون لدريفوس في اثناء الحادثة او قال بتنقية كتب المدارس من اطراء المجازر البشرية التي يسمونها حروباً فانهم يحملون عليه حملة شعواء باسم الوطنية . فكان هذا « التمسك الغائي » بالوطنية تمسكاً لا يُقصد به الا خدمة حزب دون حزب داعياً الى رغبة الحزب المعارض لذاك الحزب في مبادئه ان يقول لهم : تعالوا معنا لننظر في مبدأ الوطنية نظر الناقد البصير كما نظرنا في كل مبدأ وكل تعليم . ثم وضعوا ان هناك وطنيتين . واحدة باطلة وهي التي مدارها على احتقار باقي الاوطان واتخاذ مبدا الوطنية سبيلاً لكتم المساوىء والاثام وتشجيع الظلم والظلام واثارة الحروب التي يخرج منها الغالب على الدوام شراً من المغلوب . ووطنية صحيحة وهي التي مدارها على الجد والعمل ضمن دائرة السلم والعقل لانماء مواهب الوطن وقواه دون اعتداء على احد او كراهة لاحد وبذلك تحبه باقي الاوطان وتتقرب منه بدل ان تنفر عنه

فانت ترى ان مبدا الوطنية شبيه بالمبدا الديني من حيث انه يرتقي بارتقاء الشخص الآخذ به . وبعبارة اخرى نقول ان « التعصب الجنسي » اذا كان المراد به « ميل الانسان الى بني جنسه » والسعي في نفعهم على قدر طاقته فلا غبار عليه . ولكن اذا كان المراد به كراهة باقي الاجناس والامم فهو تعصب مذموم . وضره اكثر من نفعه لان ضره عام ونفعه خاص . ونفعه الخاص نفسه لا يدوم

التعصب الديني
ثلاث آفات له

هذا من حيث التعصب الجنسي . واما « التعصب الديني » فيختلف عن « التعصب الجنسي » اختلافاً عظيماً من عدة وجوه . منها وهو اهمها ان كل امة هي مختلفة المذاهب والاديان وليس في الارض امة واحدة ساكنة في بقعة واحدة وهي على دين واحد . « فالتعصب الجنسي الشديد » اذا وقع في امة فانه يقع من

نفسها على غيرها فهي قد تستفيد منه وتجني نفعاً . واما «التعصب الديني الشديد» فاذا وقع في امة فانه يقع من نفسها على نفسها لتنافر المذاهب التي فيها . وهناك الطامة الكبرى

وبعبارة اخرى نقول ان التعصب الجنسي يصح ان يكون سلكاً لنظام امة لانه مدعاة الى جمعها بعضها الى بعض . واما التعصب الديني فلا يصح ان يكون سلكاً لنظام امة لانه مدعاة الى تفريقها . وفي تفريقها ضعفها وانحطاطها وتداخل الاجنبي في شؤونها

ومن آفات التعصب الديني غير ما ذكر آفة هي شر الآفات لانها تفسد النفوس والقلوب وتشغل الناس عن المصالح والمنافع . فالامة في هذا الزمان لا تكبر ولا تعظم الا بالعمل والجد واستخراج خيرات الارض واثارة النشاط والقوة العملية في النفوس والانصراف الي الصنائع والمتاجر والفنون . وهو عمل يقتضي في الامة ان تستجمع له كل قواها وتنفذ فيه كل نشاطها . وكل المنازعات والمنافسات التي تقوم بشانه انما تزيد هذا النشاط وهذه القوة . فالتعصب الجنسي لا يضر من هذا الوجه بل قد ينفع الا من حيث استياء باقي الامم من هذا التعصب والتشديد على صاحبته عند عقد المعاهدات التجارية . اما التعصب الديني فانه يفسد جو افكار الامة اذ يلهيها بالمجادلات الدينية العقيمة والمناظرات التافهة السقيمة عن العمل لمصالحها ومنافعها . واي شيء كالمجادلات الدينية والمنافسات الملية يثير النفوس ويفني نشاطها سدى ويشغلها عن كل شغل . ان عند الافرنج رسماً مشهوراً يرمزون به الى حالة كهذه الحالة . وهو رسم اهل بزنطيه (١) يتخاصمون ويتنازعون

(١) هي القسطنطينية قديماً و « الاستانة » اليوم

في خلافاتهم الدينية التافهة بينما ترى محمد الفاتح بجنده الجرار تحت اسوار مدينتهم يشدد عليها الحصر لفتحها · وقد فتحها واستولى عليها ولا بدع فما برحت قوة العمل قاهرة قوة الجدل

ثم نذكر للتعصب الديني شراً عظيماً آخر · وهذا الشر هو قيام دولة الضعفاء والجبناء والكسالى في الامة وتفوّقهم على اهل الذكاء والجد · فكل قاصر ضعيف الهمة قليل الادراك صغير النفس يمكنه ان يتصدر في الامة ويعلو على اهل الذكاء والجد فيها بمجرد دعواه الافراط في التقوى وشدة التمسك بدينه · لان هذا الامر لا يقتضي تعباً ولا نصباً ولا عقلاً ولا ادباً ولا فضة ولا ذهبا · سيادة عظمى تشرى بثمن بخس وهو قليل من الشعوذة · فتصبح الامة التي تسود بها مبادىء التعصب الديني امة الكسالى والمرضى والعجزة والقاصرين لان هؤلاء هم المقربون واما القادرون النافعون الذين لا تطاوعهم نفوسهم على اتيان الصغائر فبعيدون او مبعَدون · هؤلاء يريدون شد الامة الى فوق واولئك يشدونها الى اسفل · ومن نواميس الطبيعة انه اذا استوى جذب جسم من جانبيه بقي الجسم في موضعه الى الأَبد

أَثرهما في مصر

هذا ما نقوله في التعصب الجنسي والتعصب الديني على وجه الاجمال · وهو يطلق على كل قوم في كل بلد · فلنعد الآن الى مصر لنرى آثارهما فيها

ولو كان غرضنا مس هذا الموضوع مساً بطرف الاصبع لكي نختمه بقولنا لاخواننا المصريين مجاملة وتزلفاً ان لا تعصب في مصر او لو كان غرضنا التحامل عليهم بنسبة التعصب اليهم لما كتبنا في هذا الموضوع الصعب حرفاً واحداً · ولكن مصر تعرف الجامعة كما ان الجامعة تعرفها · وقولنا هنا (مصر) نريد به قراء الجامعة في مصر وهم من نخبة اهل الفضل والوجاهة والادب فيها · فهم يعلمون ان الجامعة لا غرض لها في ما تنشره الا بسط ما تعتقده وتراه صواباً · ولما بلغتنا الى هنا اصداء تلك الجلبة التي ثار غبارها في الصحف الاوروبية

والمصرية جالت في نفسنا امور راينا من الفائدة نشرها دون تزلف ولا تحامل حسب عادتنا. ونحن على ثقة من ان قراء الجامعة في مصر يرضون عن اللهجة التي نخاطبهم بها هنا . لان العقلاء يعلمون ان (صديق الانسان من صدَقه لا من صدَّقه) فان الذي يَصدقه انما يهديه خلاصة اخلاص قلبه واما الذي يصدّقه دون ان يَصدقه فقد يكون تصديقه مقرونًا بالرياء في اكثر الاحيان

فنقول . ان المراد بالتعصب الذي تتهم به الصحف الاوروبية مصر هو (التعصب الديني) وهي تسميه Fanatisme ومعنى (فناتيزم) عندهم (حماسة شديدة لتغليب دين على دين) فهذا التعريف للكلمة الفرنسوية اشد من التعريف العربي كما تقدم اذ تعريف التعصب في اللغة (كون الانسان شديدًا غيورًا في الدين ذابًا عنه) . والفرق بين التعريفين ان التعريف الفرنسوي يجعل المتعصب مهاجمًا والتعريف العربي يجعله مدافعًا . ولكن التعريف اللغوي قلما يهمنا عند نسبة الاوروبيين التعصب الى مصر اذ المراد ان نعلم ما يقصدون به من هذا (التعصب) لا ان نعلم تعريفه عندنا او عندهم . فان التعريف العلمي او اللغوى لا يخرج عن كونه كلامًا في كلام والمهم ان نقف على المعنى الذي ينسب اليه ذلك الكلام . فالساسة الذين يهمهم ان تظهر مصر لدى اوروبا والعالم بمظهر التعصب انما يريدون بقولهم هذا المراد

(ان المصريين ثاروا على الاجانب قبل دخول الانكليز الى مصر لتعصبهم في الدين اي لرغبتهم في تغليب دينهم على باقى الاديان وكراهتهم كل من لم يكن منهم . وهم حتى الآن متعصبون اي يكرهون من لم يكن على دينهم . فاذا سُلطوا عليه او اذا القيت اليهم مقاليد انفسهم جاروا وشطوا . فهم غير اهل لان يحكموا انفسهم بانفسهم)

هذه التهمة قد يكون فيها شيء صحيح من وجه ولكنها فاسدة من وجوه . فالجواب عليها يحتمل وجهين متناقضين . سلبًا وايجابًا

لقد عشنا في مصر نحو عشر سنوات خبرنا في اثنائها اشياءها واشخاصها حق الخبرة . فقد سحنا في حقولها النضيرة ومزارعها القطنية الجميلة ورأينا الفلاح المصري المسكين محنيًا الى الارض امه الحنون يعمل في الحرث والزرع طول النهار بلباس رث وقوت لا يتجاوز البصل وخبز الذرة . فهو يعرق ويتعب ويضنى وراء جاموسه لكي يجمع غيره من عرق جبينه الثروات الطائلة . تغيب عليه الشمس وهو وامرأته وراء المحراث فيوقف العمل لان الله اطفأ مصباحه ثم يتوضأ ويفرش عباءته فيصلي عليها ثم يأخذ خبزه وبصله ومشه ويأكل

مع امرأته وبعد ذلك يرقد حيث اكل الى الصباح لاستئناف عمله . فكانه صنف من الناس تنبته الارض فيبقى لاصقاً بها . ولا شبيه له الا بعض فلاحي فرنسا في عصر لابروبير حيث وصفهم يقول : اقتربت من الحقول فرايت فيها حيوانات تسعى . هي سوداء تدب في عملها على الاربع . ولم ادرِ انهم بشر مثلنا الا حين رايتهم يقفون منتصبين وشاهدت وجوههم . وقد ذهب وصفه هذا مثلاً

ان عدد سكان مصر عشرة ملايين نفس . وربما كان منهم ثمانية ملايين من هؤلاء الفلاحين السذج المساكين الذين مرت على رؤوسهم جميع زوابع التاريخ من زمن الفراعنة حتى اليوم فاجترفت كل شيء في سبيلها وابقتهم هم يتوارثون خلفاً عن سلف حالتهم وصبرهم ورضاهم بالقليل وخضوعهم للهيئة الحاكمة عادلة كانت او ظالمة . وما اهالي دنشواي الذين اعتدوا على الضباط الانكليز وفتحوا على مصر هذا الباب الا من اولئك الفلاحين

فالآن اذا سألنا هل هؤلاء السذج يفهمون (التعصب الجنسي) نرى الجواب بيناً بنفسه . فان هؤلاء السذج لا يملكون شيئاً من ملاذ الحياة العقلية والادبية . وكل حياتهم تعب مادي وشقاء . فالدين عندهم هو عبارة عن حياتهم العقلية والادبية وكنز نفوسهم ولذة قلوبهم . فاذا قلت لهم قدموا عليه « العصبية الجنسية » او « العصبية الوطنية » لم يفهموا شيئاً من قولك . فاذا كان تعصبهم « دينياً » لا « جنسياً » فهم معذورون للسذاجة والفطرة . والذنب ذنب الهيئة الحاكمة وكبرائهم الذين لا يرفعونهم من وهدتهم

كنت منذ ثماني سنوات في حديقة الازبكية في القاهرة واذا بفلاح من الريف جلس بجانبي . فسألته ما رايك بالانكليز يا عم . فهزّ راسه وقال « وماذا عمل لنا الانكليز من الشر يا خويي . هم فتحوا لنا الترع وساووا الزراعة ودبروا الفلوس . فما عملوا الا كل خير » وكانت الضوضاء يومئذٍ شديدة في مصر بسبب منع الحج وجريدة المؤيد تقيم مصر وتقعدها بصرخات عالية كادت تؤدي الى اقفالها لولا مداخلة الجناب العالي يومئذٍ . فلما حادثت فلاحي المذكور بشان الحج اشتد وقال والله اننا نجتمع الوفاً ونذهب الى الحج بالقوة رغماً عنهم -- ومعنى هذا للمتأمل فيه ان هذا الرجل الساذج لا يبالي ان يذهب وطنه ولكنه يغضب ويثور اذا منع من الحج

وهذه الحالة شاملة جميع الشعوب التي تتركها حكوماتها في ظلمات السذاجة ولا تخلو منها روسيا وفرنسا وانكلترا نفسها . ولا نزال نذكر ثورة اهل ولاية بريطانيا الفرنسوية على الحكومة منذ سنتين بسبب مسائل دينية تافهة وجهر بعض غلاتهم بالرغبة في الانفصال عن فرنسا من اجلها

ولكن هل هذه مصر كلها ؟ كلا ثم كلا . وهنا الجواب السلبي الذي اشرنا اليه آنفاً. ففي مصر اليوم طبقات مرتقية تفهم « العصبية الجنسية والوطنية » حق الفهم وتريد تقديمها على العصبية الدينية . فيها علماء وقضاة ومحامون وكتاب واطباء وتجار وادباء وطلبة علم وكلهم متحمسون للاصلاحات المدنية الاجتماعيه تحمساً شديداً . واذا قيل انك لا تسمع في صحفهم الا الدعوة الى « العصبية الدينية » فالجواب يقتضي تحليلاً . فنقول ان لذلك سببين « الاول » انزواء اكثر اهل الفضل والعقل في الزوايا لانفتهم الاشتغال بالسياسة اليوم او سجنهم انفسهم في مناصب عليا لا تسمح لهم باسماع الناس اصواتهم في الصحف . وان محاكم القاهرة العليا تضم منهم بضعة يحق لمصر ان تفتخر بهم حقيقة . ولسنا نذكر هنا العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده لان وظيفته والمهمة التي جعلها لنفسه دينية محضة فلا يُنتظر منه رحمه الله ان يعمل اكثر مما عمل لمبداء العصبية الوطنية . « والسبب الثاني » ان الذين يدعون في الصحف الى « العصبية الدينية » اكثرهم ونريد بهم الذين يديرون الحركة من مبدئها يكتبون ما يكتبون ولا غرض لهم غير انشاء راي عام ديني يقدرون على تحريكه وادارته حينما يشاءون لاستخدامه في السياسة . اي انهم يحاولون جمع « العصبية الدينية » وحصرها في منتهى الشدة لاستعمالها آلة لخدمة « العصبية الجنسية » حين الحاجة اليها . والذي ابتدع هذه السياسة هو جلالة السلطان بعد يأسه من عدالة اوروبا يوم اخذت اليونان تساليا وفرنسا تونس وانكلترا مصر (١) فاكثر الذين يكتبون في الصحف المصرية في الاسلام والجامعة الاسلامية والعصبية الاسلامية يكتبون وهم مقتنعون بعكس ما يكتبون . والذين يمثلون الرأي العام المصري الصحيح منهم قليلون . وكم من مرة كنا نحادث بعض الرصفاء في مسائل كهذه المسائل فكانوا من راينا في كل وجوهها ثم نراهم عند الكتابة يكتبون عكسها . فالجامعة الاسلامية ليست اليوم في مصر آلة دينية كما تفهمها جرائد اوروبا بل هي آلة سياسية . ولكن من سوء الحظ ان الشعب لا يفهم ذلك فيزداد تمسكاً بمبادئ السذاجة

وقد قرأنا في جرائد مصر ان بعضاً من اكابر المصريين الفوا شركة لانشاء جريدة جديدة كبرى . فالجامعة تتمنى ان يكون بدء تاريخ هذه الرصيفة الجليلة الجديدة بدء عصر جديد لمصر ينزل فيه اهل العقل والفضل من ابنائها الى ميدان العمل لايقاف تيار في الافكار وانشاء تيار آخر فيه مصلحة جميع سكان مصر خصوصاً مصر نفسها (ستأتي البقية)

(١) راجع كتاب « مستقبل تركيا » للسياسي الفرنسوي غبريل شارم وهذا رايه

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

التفاضل بازاء القانون

(تابع لما قبله)

هذا من حيث التفاضل بين طبقات الامة الواحدة اما من حيث التفاضل بين الامم المختلفة المتواطنة فيتراءى انه عسف ولكنه في بعض الاحوال واجب لحفظ الامن والراحة العمومية . لما كان البويرحاكمي الترنسفال كانوا يعاملون الاهالي السود معاملة السيد للعبد كما تقدم ذكره فكان هؤلاء يهابونهم جدًّا حتى انه اذا راى الاسود بويريًا على بعد وقف له اجلالاً وبقي واقفًا حتى يتوارى . ولما تسيطر الانكليز هناك خففوا من غلواء تلك المعاملة لظنهم انهم يكتسبون ولاء السود بعد ذلك الهوان الذي ذاقوه تحت سلطة البوير فكانت النتيجة عكس ما انتظروه لان السود متمردون الان ولا يجسر احد البيض ان يلتقي بهم خارج البلد

والانكليز يعتمدون هذا التمييز لانفسهم في سائر مستعمراتهم كما في مصر وغيرها بغية الارهاب لكي يستطيعوا التغلب. فلو ساووا بينهم وبين الاهالي لدى القضاء لما هاب هؤلاء القضاء في مكايدهم ومشاجراتهم كما يهاب اولئك لان في صدورهم حزازات لما هو معلوم من العداء الطبيعي بين الدخيل القوي والوطني الضعيف . ولا يتسنى التساوي بين الفريقين الا متى اصطلحا بان يقتنع الاهالي ان الدخلاء اقوياء يتعذر طردهم وانهم راسخون في البلاد لا يتزعزعون فيستسلمون لحكم القدر ويرضون بما قسم به القضاء المنزل ويصالحون نزلاءهم الاقوياء . اما ان النزلاء يطلبون المصالحة فعبثٌ لان القوي لا يطلبها اولاً لانه لا يأمن خداع خصمه ولئلا يحسب الخصم طلبها مبعوثًا عن ضعف من الطالب

ولا ريب ان يسال القارىء هل من العدل ان تسطو امة على بلاد امة اخرى ثم تحكمها بالشدة والعنف والقساوة لكي تؤيد سلطتها ؟ — اقول اذا كانت طبيعة العمران تقضي ان تستعمر امة راقية بلاد امة خامدة كسولة ولم يكن بدٌّ من الشدة في الحكم لاجل التمكن من الاستعمار فالشدة جائزة

مثال ذلك كان السودان نحو عشرين عاماً تحت سلطة التعايشي فلم يعمر بل كان مقفلاً في وجه المستعمرين من تجار وصناع و زراع . ولو بقي تحت حكم ذرية التعايشي عهداً طويلاً لبقي على حاله و بقي العالم محروماً غلاله وبقي جانب من الناس محروماً الاسترزاق منه . فتحه الانكليز « بقوة مصر » وتسلطوا عليه فاذا شاؤوا ان يساووا بين انفسهم وبين السود و يعاملوهم بكل شيء معاملتهم لانفسهم لما امنوا جانبهم لحظة ولذلك اضطروا ان يعاملوهم بالعنف والشدة لكي يستطيعوا ان يؤيدوا نفوذهم وسلطتهم و يصلحوا البلاد كما يبتغون لينتفعوا منهم هم وغيرهم . ففي مثل هذه الحال يعد تمييز الانكليزي وسؤدده على السوداني عدلاً بالنظر الى مصلحة العمران والاجتماع الانساني

بقي سؤال آخر وهو هل يُعدُّ عدلاً ومفيداً ان يتميز نبلاء البلاد على عامتها ؟ — يغلب ان يكون منشأ التساوي او التفاضل لدى القانون الاداب والاخلاق فكلما تقارب الافراد في ادابهم وتشابهوا في اخلاقهم ومبادئهم يجب ان يقل تفاضلهم وان تفاوتوا في قواهم العقلية والمالية وفي المعرفة . وكلما تباينوا في ادابهم وجب ان يتفاضلوا للاعتبارات التي مرَّ شرحها

واذا تساوى امام القضاء نبلاء البلاد الراقون مع عامتها المنحطون كان اولئك عرضة للهوان وعزَّ استواء الحكم في البلاد



التفاضل لدى الدستور

تفاضل الناس امام دستور البلاد اي نظاماتها الاساسية اكثر منه امام القضاء واقل منه في الامور الاجتماعية . ففي كل بلاد ديموقراطية الحكم اي ذات حكومة نيابية تجد ان لكبراء البلاد النفوذ الاول واليد الطولى في ادارة الاحكام

ففي انكلترا لمجلس اللوردات امتيازات جوهرية ليست لمجلس العموم النائب عن عامة الشعب . وفي فرنسا لمجلس الشيوخ « السناتو » الخاص بكبراء البلاد من اغنياء ووجهاء امتيازات ليست لمجلس النواب النائب عن العامة . ولهذا ترى ان حكومة فرنسا ليست جمهورية بحتة اي ان حق الحكم الذاتي (١) فيها ليس موزعاً على افراد الشعب بالتساوي بل ان معظمه في جانب الاعيان فهي حكومة ارستوقراطية اكثر منها جمهورية . حتى ان

(١) اي حكم الامة نفسها بنفسها

حكومة الولايات المتحدة التي يقضي دستورها بان يتساوى افراد شعبهم بحق الحكم الذاتي لا تخلو من روح الارستوقراطية لما للوجهاء والاغنياء فيها من النفوذ الكبير في الانتخابات وان كان هذا النفوذ غير قانوني بيد انه فعال . والذي اراه انه مهما اجتهد الناس في هدم الحكم الارستوقراطي بتأييد الحكم الجمهوري فيستحيل عليهم ان يمحوا اثره تماماً والى الآن لم نرَ حكومة جمهورية قد استوى افراد شعبها في النفوذ فيها على اختلاف طبقاتهم . وهذا يدلك على ان تفاوت الناس في قواهم العقلية والادبية والمالية لا بد ان يظهر في الهيئة الحاكمة ايضاً كما ظهر في الهيئة الاجتماعية مهما اجتهد عامة الشعب في نبذ امتيازات الخاصة لانهم اذا نجحوا في محوها من نصوص الدستور فلا يستطيعون محوها من دائرة النفوذ الفعلي . فاغنياء الولايات المتحدة مثلاً لا يمتازون على الفقراء امام الدستور ولكنهم يقدرون ان يميزوا انفسهم عليهم في ادارة الحكم الفعلية وذلك بان يرشوا بعض العامة لكي يرجحوا صوتهم في انتخاب الاشخاص الذين يبتغون ان ينيبوهم عنهم لكي ينفذوا مآربهم

ولما كان متعذراً ان تنتفي امتيازات الخاصة من الدستور ومستحيلاً ان ينتفي نفوذهم من الحكم فلا بد ان تكون الحكومة متحيزة الى جانبهم في الادارة والقضاء معاً فتراها تتساهل معهم وتتسامح لهم في جميع المشروعات المالية ونحوها مما يستأثرون بفوائده وتراعي مصلحتهم في التنظيم والعناية الصحية الى غير ذلك من الشؤون العمومية التي تتولى الحكومة ادارتها . حتى ان التشريع نفسه الذي هو اساس الملك لا ينجو من نفوذهم البتة . فاذا انعمت النظر في القانون الفرنساوي الذي هو مصدر اكثر قوانين اوروبا وتركيا ومصر وجدت انه يراعي مصلحة الخاصة اكثر من مصلحة العامة . خذ مثالاً لذلك من قانون العقوبات فانه في كثير من الاحوال يجعل عقاب سرقة غرش واحد اضعاف العقاب على قتل نفس اي انه يعاقب المتشرد الجائع اذا سرق رغيفاً بحبس ثلاث سنين لان السرقة جنحة ولان المتشرد ذو سوابق ويعاقب الوجيه اذا قتل نفساً عن غير عمد بنصف سنة لان القتل عن غير عمد يعد جنحة كسرقة الرغيف ولان الوجيه لا سابقة له . ثم يعفيه من تنفيذ العقاب بحسب قانون برانجه . وكيفما قلبت قانون العقوبات وجدت انه احرص على الاموال منه على الارواح لماذا ؟ — لان الاموال في ايدي الخاصة وهم لا يقدرون ان يصونوها الا اذا كان القانون عنيفاً . واما ارواحهم فمصونة في قصورهم وفي مدنهم ومجتمعاتهم ومحفوفة بخدمهم وصنائعهم الذين يحرسونهم فلا يخافون عليها . المال اهم شيء عندهم واكثر عرضة للضياع من الارواح فشددوا النكير في الشريعة على من يمد اليه يده خلسة . وهناك امور كثيرة في القانون

تدلك على ان المشترع راعي مصلحة زملائه الكبراء الاغنياء الذين كانت لهم اليد الطولى في انتخابه لوظيفة التشريع واغفل مصلحة العامة ذوي النفوذ الضعيف

ولا جرم ان هذا التفاضل بين افراد الشعب في النفوذ والتأثير على القوة الحاكمة يؤدي لا محالة الى غبن الكبراء للصغراء وظلم الاقوياء للضعفاء كما مرّ الالماع اليه . وكلما فتحت المعرفة بصائر العامة ادركوا هذا الغبن وسخطوا على الخاصة وقاموا يحاولون الغاء نفوذهم بالطرق والصيغ المختلفة وشر طرقهم الفوضوية . ومهما جاهدوا يستحيل عليهم ابطال نفوذ الاغنياء والوجهاء لانهم اقوى منهم . ولكن لنفرض انهم استطاعوا ان يجعلوا النفوذ في الحكم موزّعاً بالتساوي على افراد الشعب فماذا تكون النتيجة ؟ — لا ريب ان يكون حينئذٍ للعامة الصوت الاقوى في الحكومة لانهم اكثر عدداً وبالتالي يضطر رجال الحكم ان ينفذوا مآربهم ومن ثم تكون اموال الاغنياء تحت خطر لانها مطمع لشهوة الفقراء ويكون شر سؤدد العامة اشد من شر سؤدد الخاصة

وبناء على ذلك ارى ان التفاضل الدستوري الواقع الآن في جميع الحكومات الديموقراطية انما هو طبيعي وان كان فيه غبنٌ للعامة وبالتالي افضل لانه اسلم عاقبة ولانه كلما ترقت افكار العامة امكنهم ان يقللوا هذا الغبن برفع عقيرتهم واعتصابهم ضده كما يجري الآن في كل بلاد حية

على اني مع ذلك ارى لهذا التفاضل الدستوري فائدة خاصة في بعض الاحوال . ارى منه فائدة للحكومة نفسها كما في انكلترا مثلاً فاني اعتقد ان وجود مجلس اللوردات معما فيه من الامتيازات هو سبب رسوخ الدولة الانكليزية . ذلك لان الاعيان مستوفو الجاه فضلاً عن الغنى فلا يهمهم الا بقاء جاههم العظيم . ولما كان هذا الجاه مستمداً من صولة الدولة وبقاؤه مترتباً على بقائها فيصوبون كل همهم الى حفظ كيانها في مجدها وعزها ولا يفرطون بها بمال ولا بثمين . اي انه يستحيل ان يتساهل اللورد الانكليزي من ذوي النفوذ في الدولة باي حق من حقوق دولته ولو اغري بقناطير الذهب لان المال مهما وفر بين يديه لا يعوض له الجاه الذي يخسره بسقوط دولته . والجاه اهم من المال . فكان مجلس اللوردات في انكلترا حصن الدولة ومجلس العموم حصن الامة . ومن ذلك ترى ان مبدأ التفاضل سبب عزّ الدولة الانكليزية ومجدها



التفاضل في الامور الاقتصادية

بقي البحث في موضوع التفاضل في التموّل وهو بحث اقتصادي عظيم الاهمية ويشغل افكار العالم المتمدن الآن وعليه سافرد له مقالة ضافية ان شاء الله

فلسفة جمال الدين الافغاني

وعدنا في الجزء السابق ان نبدأ بتلخيص رسالة المرحوم جمال الدين الافغاني . وهذا اوان الشروع في هذا التلخيص . قال

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام واصبحت هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب . فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها

لهذا رايت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع الستار عن حال النيشريين من بداية امرهم واعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم

الرأيان

الالهيون — الطبيعيون

اثبت ثقات المؤرخين ان حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين . ذهبت « احداهما » الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها واثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرّاً الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت او مادية . واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين « الخاضعين لله » (١) ومنهم فيثاغورث وسوقراط وافلاطون وارسطو ومن اهل مذهبهم كثير . وذهبت « اخرى الطائفتين » الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه

(١) يسميهم علماء الافرنج الهيين Deistes والمراد بها القائلون بالله اي بوجوده تعالى ولكنهم ينكرون الوحي فترجمتها « الخاضعين لله » ترجمة ضعيفة

وعرفت هذه الطائفة . بالماديين (١) ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها واسم الطبيعة في اللغة «ناتور» وفي الانكليزية «نيشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين . وعند الفرنساويين باسم «نتوراليسم» أو «ماتيرياليسم» الاول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية

القول بالصدفة

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد اصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لا منشأ له الا الصدفة . كانما ادت بهم مخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد احالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ومن رايه ان العالم اجمع «ارضيات وسماويات» مؤلف من اجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت اشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العماية المطلقة

القول بالقدم

وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بزرة

---

(١) لبسط هذا الكلام بايضاح ننقل هنا فقرة من كتابنا «ابن رشد وفلسفته» وهي «كل الفلاسفة والعلماء من حين نشأة الفلسفة والعلم الى اليوم تنحصر آراؤهم عن الخلق والخالق في رايين . الراي الاول «وجود خالق حر مختار في اعماله يهب متى شاء ويمنع متى شاء . وله عنايه الهية تدبر العالم . وهو سبب قوى الطبيعة اي ان هذه القوى موجودة فيه لا فيها . ووجود نفس بشرية جوهرها خالد لا يفنى» والراي الثاني «ان المادة ازلية اي لا بداية لها . ونشأة الكون انما هي من تحوّل دقائق هذه المادة بقوتها الخاصة تحولاً ترتقي به من حالة الى حالة اسمى . وذلك يقتضي وجود طبيعة ثابتة ونواميس ووجوب الوجود وعقل تبنى عليه النواميس وفناء الانسان في الكل الذي اخذ منه مع الاعتقاد بوجود خالق ولكن اعتقاداً مبهماً» — هذان هما الحزبان اللذان تنازعا ويتنازعان العلم والدين

نباتاً مندمجاً فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية . وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيواناً تام التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة اخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل اصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدارٍ متناهٍ وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمه بالشخص ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزوز النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشا كله من جرثومة وبزرة اخرى

وفاتهم ملاحظة ان كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها او زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا ان انواع النباتات والحيوانات تقلبت في اطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهورة لنا واول النازعين الى هذا الرايـ « ايقور » احد اتباع « ديوجينس الكلبي » ومن مزاعمه ان الانسان في بعض اطوار كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف (١) ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلاً ولم يستند الى برهان فيما زعمه من ان مرور الزمـان علة لتبدل الصور وترقي الانواع

القول بالتولد

ولما كشفت علوم الجيولوجيا « طبقات الارض » عن بطلان القول بقدم الانواع رجع المتاخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين . الاول بحث تكوُّن (٢) الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها

(١) وهو راي العلماء اليوم ايضاً

(٢) يريد بهذا مبدأ « التولد » المشهور في كتابات الفيلسوف ابن طفيل وقد سماه كذا « التولد » بدل تسميته « التولد الذاتي » التي اصطلح عليها اليوم كتاب العربية اذ لا حاجة لنسبته الى الذات ولا الى تاكيده لان كلمة التولد تؤدي معنى الكلمة العلمية الفرنسوية Generation Spontanee وقليلاً ما راينا اللغة العربية اخصر من اللغة الفرنسوية كما في هذه التسمية

تكونت عند ما اخذ التهاب الارض في التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضي وذهبت اخرى الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة (١)

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية او حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعل في بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حياً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على اصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمحَ صورها في تلك النيران المستعرة

القول بالتحول والنشوء

والبحث الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج « النقص » الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة . فمنهم قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية و تجتذب اليها مـا يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه . وقد غفلوا عما اثبته التحليل الكيماوي من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً (٢) وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها . ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة في الجوهر متساوية في الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية اخرى بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

---

(١) هذا الراي لعلماء العرب ولذلك جعل الفيلسوف ابن طفيل موضع حوادث رواية « حي بن يقظان » في خط الاستواء وجعل « حياً » المذكور يتولد تولداً من غير اب ولا ام بل بنضج حرارة الشمس وتفاعل العناصر الطبيعية عند اتحادها بصلصال الارض

(٢) لا نعلم من اين جاء بهذا . وهب انه صح فانه يكون دليلاً على وحدة اصل الانسان والحيوان وهو ما يريد الافغاني نقضه من كل وجه

رده على دروين

وراس القائلين بهذا القول« دروين » وقد الف كتاباً في بيان ان الانسان كان قرداً (١) ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتاثير الفواعل الطبيعية الخارجيه حتى ارتقى الى برزخ « اوروان اوتان » ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف اليمم وسائر الزنوج ومن هنـاك عرج بعض افراده الى افق اعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلاً بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثاً كذلك

فان سُئل دروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فاي فاعل خارجي اثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء · اظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه

وان قيل له هذه اسماك بحيرة اورال وبحر كسبين مع تشاركها في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً وتبايناً بعيداً في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (٢)

---

(١) لم نشر الى جوانب الخطاء في ما تقدم من كلام الافغاني عن فلسفة المتقدمين لان الكلام في ذلك يدعو الى الملل والاطالة فنكتفي بالاشارة الى خطاءه في فلسفة المتأخرين فان قوله ان دروبن يذهب الى ان الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته قول غير صحيح والصواب ان دروين يقول ان القرد والانسان من اصل واحد · وبين القولين فرق عظيم · ويظهر ان الافغاني رحمه الله كان ككثيرين من اهل هذا الزمان لم يطلع على ذات المصادر التي يتكلم عنها في امهات كتبها بل سمع بها سمعاً او قرأ عنها · وليس هناك امرٌ كهذا الامر مدعاة الى الخطل والزلل

(٢) لا نفهم ماذا يريد الافغاني ان يقرره في رغبته في هدم جميع المذاهب القديمة والحديثة · ففي مسألة الخلق مثلاً نرى ان ابن رشد الذي عاش قبله بقرون عديدة هو

« بالتحريك العجز عن الكلام »

كأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الاوهام ومهامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكان ما اخذ به من الشبه الواهية الهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعراً من الخيل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها او هو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في اهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه « دروين » من ان جماعة كانوا يقطعون اذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قروناً صارت الكلاب تولد بلا اذناب كانه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفاً من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحد منهم مختوناً الا لاعجاز

مذهب آخر

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم واخذوا طريقاً جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره

افضل منه واجرأ . فانه يعد مسألة التحول في الكائنات امراً معقولاً ومن اعتراضاته قوله « قال المتكلمون من مذهبنا الاسلام) ان الفاعل يوجد الكائنات بلا واسطة وبذلك يكون كمن يعمل في وقت واحد عملاً واحداً جامعاً لعدة اعمال متناقضة متقابلة . وهذا المذهب يقتضي ان كل شيء في الكون مفتقر الى مداخلة الخالق مباشرة فالنار لا تحرق والماء لا يجري الا بخلق خاص وهلم جراً » قلنا وهو قول في منتهى السداد ولو اراد الافغاني ان يرد عليه لما وجد سبيلاً الى ذلك الا بمثل الاقوال المقتضبة المبهمة التي يرد بها هنا لايهام السذج انه هدم جميع تلك المذاهب . ومع ذلك فالهدم سهل ولكن ماذا تضع موضع الشيء المهدوم

ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدر لاشكالها واطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء « متيير » و « فورس » و « انتليجانس » اي مادة وقوة وادراك

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكرو الالوهية (١) الزاعمون ان لا وجود للصانع الاقدس وهم المعرفون بين شيعهم او عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناتوراليسميين وماتيراليسميين

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء « البياجوات » ؟ الهنديين « البياجو اسم ايطالياني اشتهر في الهندلمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلابيس واصله الشيء لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في اوروبا تمثيلاً مضحكاً » كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم في العلم بل ولا من الانسانية ؟ فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض. نعم لو اريد انشاء تياترو « ملهى » او « كطبتلى » نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين « لتمثل فيه احوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء ؟ لاقامة هذه الألاعيب ؟ وانما غرضنا الاصلي اعلان الحق واظهار الواقع . والآن نعتمد مشروع الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون « النيشريون » على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشاؤها فشو افكارهم



(١) كثيرون ممن يقولون ببعض المذاهب التي تقدمت لا ينكرون وجود الله بل يعتقدون بوجوده تعالى من ذلك كثيرون من انصار مذهب دروين وهم يقولون انه اذا صح هذا المذهب كان دليلاً على حكمته تعالى في خلق الكون خلقاً بديعاً بالتدريج والتحول. ومن هؤلاء كثيرون من علماء ورؤساء الكنيسة الانجيلية والكاثوليكية

شيء عن الجامعة

﴿ صوت العقل في الاتحاد المصري ﴾ « ولقد طالعنا الجزء الذي ورد الينا فرأينا الاعتدال بادياً في كل ما كتبه صديقنا الفاضل محرر الجامعة وعلى الخصوص مسألة الخلاف الذي يمزق شمل الجالية السورية في نيويورك فان البعض كان يخشى ان ينحاز صاحب الجامعة الى فريق دون آخر ولكننا رأيناه اكتفى بالكلمات الآتية موجهة الى تمثال الحرية العظيم في مرفاء نيويورك حيث يخاطبه قائلاً :

« انني لا اجهل ما نحن مديونون به لبلادك من القوة المادية ولكن هل اعطتنا بلادك من القوة اجتماعياً بقدر ما اعطتنا مادياً . لست اعلم الآن جواباً على هذا السؤال لانني ما زلت ضيفاً . فسالاحظ وادرس واقارن لكي استطيع الجواب عنه . وانما وظيفة مجلة . كالجامعة . في وسط مادي هائل كهذا الوسط بين مظاهر . تنازع البقاء . ونواميسه الشرسة المنكرة . هي ان لا تنسى ولا لحظة انه يجب عليها لنفسها ولقرائها ان تكون بكل لين ورفق واحترام لجميع الاراء والاشخاص ممثلة لهذا المبدإ مذكرة به داعية اليه حاثة عليه . وهو هو الجامعة الذي يجب ان يجمع القلوب والنفوس برباط الوداد والتساهل واحتقار اباطيل الدنيا وزخارفها اذا كان يقتضي الوصول اليها دوس تلك المبادىء التي بدونها لا يكون الانسان انساناً »

« وفي هذا الكلام دليل على ان محرر الجامعة لم يمل مع حزب دون آخر خلافاً لما اتصل بنا من مصدر خصوصي يوثق به كل الثقة . ونحن يسرنا ان نرى صديقنا الفاضل يسير على خطة الحياد بل يسرنا ان لا يشير الى الخلاف بين الاحزاب حتى ولا من طرف خفي لان مجلته لم تجعل لمثل تلك الاختلافات والانشقاقات بل جعلت لخدمة العلم والادب والتاريخ والمبادىء السامية الفلسفية التي اشتهرت بها منذ ظهورها » (جريدة الاتحاد المصري)

رواية ابن الشعب

(التي مثلها جوق الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(في كيف يتسلط النبلاء على الشعب ويستولون عليه)

تركنا في الجزء الثالث جاني مغمى عليها بعد مقابلتها لريشار . اما ريشار فسار الى قصر الوزراء وكان الوزراء مجتمعين في جلسة خصوصية ورئيس الوزارة يذكر لهم ان ريشار رضي بمقابلته وان الصلح سيتم قريباً بينه وبين الوزارة اذ يترك معارضتها . فسأله احد الوزراء وان ابى السر ريشار ذلك فاجاب رئيس الوزارة . يبقى عليه مقابلة ذات خطر وخلوة لا يخرج منها الا راضخاً .

وما اتم الوزير كلامه حتى اعلن الحاجب قدوم ريشار . فدهش الوزراء لانهم لم يتفقوا معه على الحضور الى نفس المجلس . ثم دخل ريشار فقال

سلام يا اصحاب الدولة

وزير المالية — اهلاً وسهلاً بالسر ريشار

ريشار — ترحب بي من قلبك ام من شفتيك

وزير المالية — كيف لا اقول ذلك من قلبي فانك جئت في حينك

ريشار — اذاً كنتم تنتظرونني

وزير المالية — ما كنا ننتظر ولكن كنا نؤمل

ريشار — ولكن اتعلم يا سيدي ان هذا الامل لا ينطبق على عظمتكم وعلى حقارتي

وزير المالية -- وكيف ذلك

ريشار — ذلك اني اعهدكم ممن يزعمون سيادة النبلاء على الشعب . فانتم اعاظم الرجال الذين يحرسون عرش المملكة . واما انا فلست الآ نائباً حقيراً من نواب الشعب فكيف تؤملون فيّ

وزير المالية — ولكن الشعب يا سيدي صار مساوياً للنبلاء والملكية منذ اصبح يحب الفريقين ويخدمها كما يخدمانه

ريشار — كلا يا سيدي وانما حقوق الشعب اشد رسوخاً واكثر قدماً مما تظن فانها تنتهي الى كروميل الذي جعل شعاره . تاجاً من طين . بازاء . فأس حديدية كبرى وسندان من خشب . التاج رمز الى الملكية والفأس والسندان رمز الى قوة الشعب

وزير الداخلية — هل هذا تهديد ايها السر ريشار

ريشار — كلا ياسيدي ولكنه تاريخ .

الوزير الاول — حسن ما قلته عن الشعب والملكية يا سر ريشار . ولذلك انشأوا بينهما طبقة النبلاء لتكون حاجزاً بينهما . فاننا نحن ترس يقي الشعب كبرياء الملكية . والملكية الحاح الشعب ومطامعه . وفي ايدينا ايدي الفريقين فيجب ان نضمها معاً رغبة في الاتحاد والمسالمة

ريشار ـ الشعب يا سيدي لا يسالم ولا يعقد اتفاقاً في هذا الزمان ولكنه يأمر امراً

الوزير الاول ـ ولكن ما هكذا وعدنا يا سر ريشار

ريشار ـ وُعدتم ومن هو الوقح الذي وعدكم عن لساني

الوزير الاول ـ ان لم يكونوا قد وعدونا فانهم جعلونا نؤمل . .

ريشار ـ جعلوكم تؤملون انني اخون حزبي ؟

الوزير الاول ـ كلا ولكننا ظننا . . . .

ريشار ـ ماذا ظننتم . أظننتم انني ارتشي . اهذا هو السبب الذي جعلك يا حضرة الوزير تطلب مقابلتي في هذا المساء مقابلة سرية

الوزير الاول ـ ولكن هذا كلام . . . .

ريشار ـ هذا الكلام القيه في وسط المجلس بلا خوف ولا وجل . لقد جئتم اليَّ تعرضون عليَّ هدايا الملك ونعمه فانا الآن ادفع بقدمي هداياكم ونعمكم . افهمتم ؟ .

الوزير الاول لرفاقه ـ لم تبقَ لدينا الا الوسيلة الاخيرة

ريشار متماً حديثه ـ فماذا تقولون غداً اذا وقفت في منبر مجلس العموم وصرخت منه في وجه الامة كلها انكم تطلبون رشوتي . ماذا تقولون ؟

الوزير الاول ـ واي برهان لديك علينا . اليس في وسعنا الانكار

ريشار ـ كل من ينكر منكم اصفعه بهذه الكلمة : انت كاذب

الوزير الاول بغضب ـ فاذاً لاقنا غداً في مجلس العموم يا سيدي . نحن نريد السلم وانت تريد الحرب . فليكن ما تريد

ريشار ـ نعم وغداً نلتقي

والمرسح في هذا الفصل قسمان . قسم منه قاعة الوزراء التي عقدوا فيها جلستهم والقسم الثاني غرفة الملك والملك فيها يتنصت ويسمع كلام ريشار والوزراء . فلما اشتد النزاع دخل على الوزراء حارس واسرّ كلمتين الى الوزير الاول . فقال الوزير لريشار : سر ريشار تفضل وانتظر قليلاً في هذه القاعة لشأن خصوصي . ثم خرج الوزراء فاخذ ريشار يقول مفكراً

ولكنما عساهم ان يريدوا	واية حاجة لهم وامرِ
فهل راموا خداعاً واحتيالاً	لا يذائي الذي طلبوا وضري
ولكن لا اخاف ولا ابالي	بكيد من جموعهم ومكرِ
فان الشعب اجمعه ورائي	يقوّي ساعدي ويشد ازري
وهذا قادم اخذته عيني	فمن هو في الصحابة ليت شعري

وكان القادم هو الملك نفسه وقد ستر رأسه بقبعة كبرى وغير زيه ثم دخل من الباب الفاصل بين الغرفتين . وهذه هي الخلوة التي قال عنها رئيس الوزراء (ان ريشار لا يخرج منها الا راضخاً) فافتتح الملك كلامه بقوله :

الرجل المجهول — انك تعجب من رؤيتي لانك لا تعرفني ايها السيد . اما انا فاعرفك . فانت سكرتير هذا المجلس

فيحاول ريشار الانكار فيتمم الرجل كلامه

الرجل المجهول — دع الانكار فانني « اريد » ان تكون سكرتيراً لمجلس الوزراء

ويظهر ان ريشار فهم مراد الرجل بالحال وعلم حقيقته فابتدأ الانحلال في عزيمته . فقال ـ انا كما تقول يا « ميلورد »

الرجل المجهول ـ حسن . قد فهمت كلامي . تفضل الآن يا حضرة السكرتير واجلس الى هذه المائدة واكرم بفحص هذه الاوراق

ثم ان الرجل دفع اربع اوراق الى ريشار واحدة بيضاء لا كتابة عليها وثلاث مكتوبة . الاولى امر ملكي بمنح لقب مقاطعة كرلستن وما يتبعها في اقليم ديفونشير الى . . . « وهنا مكان الاسم بياض » والثانية « امر ملكي بمنح لقب كونت على وجه الارث الى . . . » وهنا مكان الاسم فارغ ايضاً « والثالثة صورة صك الزواج المعقود بين المس ويلمور ابنة اللورد ويلمور وحفيدة المركيز سيلفا وريشار درلنتن الذي اصبح يسمى الكونت دي كرلستن .

وشروط الزواج هي اولاً ان مس ويلمور تمنح زوجها الجديد مائة الف جنيه دخلاً سنوياً. ثانياً ان المركيز سيلفا اوصى لحفيدته مس ويلمور بكل ثروته فهي وارثته الوحيدة . ثالثاً ان لقب لورد الذي كان لأبي مس ويلمور يعطي لزوجها ولاولادها بحق الارث .

ولما فرغ ريشار من تلاوة هذه الاوراق قال له الرجل المجهول ان يملأ مكان الاسم فيها باسم (ريشار درلنتن) ففعل ريشار مذهولاً مدهوشاً . فقال له الرجل المجهول

— لا ريب انك رجل قوي لانك تصرّ الى هذا الحد . ولا شبهة في انك ستكون رجلاً نافعاً للملك والمملكة. وانت تعلم ان الوزارة قد فقدت شهرتها ولذلك فانها ستسقط . ومتى سقطت فان الملك يؤلفها من العنصر الديموقراطي . بل قد سمعته يقول منذ حين انه سيختارها من اصغر اللوردات سناً ليكونوا اكثر نشاطاً . وانت صغير السن ولورد بحسب هذه الاوراق . أفلا تظن ان الانسان يخدم وطنه وهو في مقاعد الوزراء خدمة انفع من خدمته لهوهو في مقاعد النواب

ريشار مذهول — اخلاص لا حد له . ونعم لا عدد لها

الرجل المجهول — بقيت لديك ورقة

ريشار — نعم ولكنها بيضاء لا كتابة عليها

الرجل المجهول — الا تفهم المراد بذلك

ريشار — فهمت فهمت . وهذا توقيعي عليها ارهنه لديك دلالة على الاتفاق بيننا

الرجل المجهول — اما انا فانني عائد الى الملك لاخبره اننا تعارفنا وتصادقنا

ثم خرج الملك وبقي ريشار وحده في غاية الذهول ثم انشأ يقول

الآن قد نلتُ المنى بل فوق ما قد كنتُ آمله من الايام
نلت الوزارة في نهار واحدٍ فانا عميد الملك في الاقوام

(ثم يشير الى كرسي رئاسة الوزراء)

والامر امري ثم هذا مجلسي اقضي على قومي بـه احكامي
تمتد من هذا المكان ارادتي في الارض من دانٍ ومن مترامِ
وتسير في الاقطار نافذة بما ابغيه من نقضٍ ومن ابرامِ
من ذا يحاكيني ويملك سلطتي بل من يباري رتبتي ويسامي
ليس المليك اليوم الا آلةً والفعل للوزراء والحكام
يا خير مملكةٍ يعظم قدرها بين الممالك ايما اعظامِ

اني انا مولاكِ فاحني رأسك الا عالي لديَّ وطأطئيه امامي
ماذا ارى من ذا الذي هو قادم نحوي... تعال تعال انت مرامي
(هنا يدخل طمسن سكرتيره)
ريشار ـ أعرفت ماذا قد جرى لي...
طمسن ـ نعم جاءت امرأتك
ريشار ـ اي امراة ؟
طمسن ـ جاني . انسيتها ؟
ريشار بغضب شديد ـ ويل لها من غضبي وانتقامي
ثم خرج قاصداً مقابلتها لطردها والتفرغ منها

فيا ايتها الافعى التي خدعتِ آدم وكنتِ سبباً في سقوطه . يا افعى الاثرة واللذة والسيادة والطمع التي دعا اليها الفيلسوف نيتشه كما يُدعى الى الاهة قادرة مقدَّسة. انك لا تزالين تستغوين اعاظم الناس حتى هذا الزمان (ستأتي البقية)

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

١

سقياً لك ايها العمل

حين وطأت قدمي ارض اميركا الشمالية وجدت فيها عدة كتب من مصر والشام واميركا الجنوبية وغيرها يذكر فيها اصحابها أسفهم لانتقال الجامعة من مصر مقروناً بالمسرة لذلك الانتقال لان الجامعة ستتمكن به من درس اعظم مدنية في العالم ونشر آثارها عبرة وعظة للامم الشرقية . فاجبت مراسليَّ الافاضل ان اميركا قد اكتُشفت منذ زمن بعيد وما جئتُ لاكتشافها . ولكني مع جوابي هذا الجواب كنتُ اشعر بانني ما اجبت به الا على سبيل الاتضاع الكاذب الذي يعمد اليه الانسان حين ارادة تكبير الثناء الموجه اليه

بدل تصغيره وزيادته بدل انقاصه . . فانني في الساعة التي كنت فيها في الاسكندرية أتراوح بين الانتقال وعدم الانتقال . في الدقيقة التي احنك فيها هذان الامران في نفسي احنكا كها الاشد ولزم الترجيح بينهما . لم تتغلب في نفسي ارادة الانتقال على ارادة البقاء في مصر الا بسببين . احدهما ذكرته في المنشور الذي وزعته من مصر وهو الرغبة في ضم عمل تجاري الى عمل صحافي والثاني وهو الذي كان داعياً الى تحميس النفس واثارة الفكر الرغبة في مشاهدة اميركا ودرس احوالها . فاذا كانت هذه الرغبة قد هوّنت عليّ اصعب الامور لديّ فلا عجب ان تكون في مقدمة رغائب قراءي اليّ

ولما قطعت البحر المتوسط الى فرنسا حسبت نفسي انني ما زلت في وطني . وقد قال الفرنسويون في امثالهم التي بعضها لا يخلو من الغلو والمبالغة « لكل انسان وطنان وطنه الذي ولد فيه وفرنسا » فجلتُ في فرنسا جولة ابن البلاد الذي يعرف اشياءها واشخاصها حق المعرفة . ويحضرني الان في هذا الصدد نادرة صغيرة . فانني لما دخلت الى متحف كريفين في باريز مع اثنين من الاصدقاء اخذ الدليل يسرد لنا تاريخ مشاهير الرجال الممثّلين بالشمع في هذا المتحف . واندفع في ذلك يخبط خبط عشواء . فلما رآني أُراجعه بلطف في (تاريخه) واذكر اسماء الرجال معجباً باسماً اول ما يقع نظري على تماثيلهم ثاب الى التؤدة والتأني وصار لا يذكر لنا شيئاً الا اذا سالناه عنه . ولكني لما وصلت الى الهافر وجلستُ اكتب الى الاسكندرية آخر كتاب من العالم القديم قبل ركوبي الباخرة الى العالم الجديد بساعة واحدة شعرت حينئذٍ بوحشة حقيقية وزاد ألم الغربة في نفسي زيادة ما كنت اتوقعها . فشعرت حينئذٍ شعوراً شديداً بلذة البلاد التي فارقتها في الشرق وبخطارة الامر الذي اقدمت عليه من تفريق عائلة مجتمعة منذ ستين سنة وهدم ادارة في قارة لبنائها في قارة وضغط على عواطف عائلية وعادات خصوصية . وربما كانت هذه الدقيقة عندي اصعب الدقائق من يوم سفري . ولكن هل يعلم القارىء ماذا كان تسليتي الوحيدة في وثبي هذا الوثوب من معلوم الى مجهول؟ ان تسليتي الوحيدة التي كانت تخفف عندي مرارة كل ألم هي تلك الرغبة التي ذكرتها في مقدمة الكلام — الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة فيها حيناً من الدهر . فتصورت شاتوبريان تائهاً في احراش اميركا العذراء بين قبائل الهنود يدرس الطبيعة والناس ويتعزّى بهذا الدرس عما لقيه في وطنه هو وآباؤه في ابان الثورة الفرنسوية من الاضطهاد والعدوان . تصوّرتُ مكسيم غوركي يصيح هذا العام قبل قدومه الى العالم الجديد (اميركا اميركا متى اضع قدمي على ارضك) ويقول

انه قادم اليها ليستمد من روحها قوة جديدة تزيد قوته على محاربة الاستبداد والجهل والاثرة في بلاده . واي شيء في الدنيا كالعمل والسياحة والدرس يقوّي نفس الانسان ويزيدها معرفة بالاشياء والاشخاص في هذه الدنيا ويحملها على زيادة التسامح والمعذرة لفهمها اخلاق الناس حقّ الفهم . اي نعم ايها العمل المقدّس يامعزّي الانسان ومسليه عن كل امل ذاهب وظن خائب . لقد قمتَ في نفسي في تلك الدقيقة الصعبة مقام كل شيء . ان عاطفة العائلة والوطن والصداقة والالفة الراسخة بحكم العادة والمصلحة وكلام الناس وغريزة اتقاء الالم والضرر كل هذه قد انحنت وخضعت امامك في نفسي باشارة من يدك

٢

النظرة الاولى

ثم هوّن الله السبيل ووصلت الى نيويورك بعد ان قطعنا في الاوقيانوس مسافات عمق الماء فيها ٥٠٤٧ قدماً وهو اعظم عمق (١)

قال الهمزاني . اعيذك من النظرة الخادعة . وهو يعني بالنظرة الخادعة النظرة الاولى التي ينظر بها الرائي ويحكم بحسبها حكماً فاسداً لعدم تأنيه وامعانه . واجتنابا لهذه النظرة الخادعة . لا اذكر هنا تاثراتي وانفعالاتي حين وصولي الى نيويورك بل اكتفي بان اصوّر الوسط الذي اصبحت فيه تصويراً فوتوغرافياً واترك الحكم الى حين آخر . ولكن هذا لا يمنعني من ان اذكر الان ما رايته هنا من . قوات عظمى . تكيّف اخلاق هذا الشعب العظيم وتجعل له المكان الاسمى بين شعوب العالم

وانني ابدأ اولاً بالصورة ثم اعود الى ذكر القوات العظمى واُردفها بعد ذلك بالمشاهدات العظيمة والفوائد العلمية والاجتماعية الجليلة والفكاهات المطربة التي رأيتها في هذه البلاد

قبل وصولنا بيومين الى نيويورك ارتفع الضباب فغطى وجه الاوقيانوس وصارت باخرتنا تسيح في بحرين من الماء والضباب . فهرع ربان الباخرة الى موقفه في المقدمة وجمع نفراً من البحارة هناك استعداداً للطوارىء . ثم اخذت الباخرة تصوّت ببوقها البخاري تصويتاً مزعجاً متصلاً فيه شيء من الشكوى والانين كصوت غول هائل يصيح منادياً صغاره (٢) وقد

(١) هذا العمق كائن في ما وراء . نيوزيلاند . بين الدرجة ٤٥ و ٥٠

(٢) اختراع جديد – راينا في الجرائد الاخيرة ان ضابطاً ايطالياً اخترع آلة تمنع اصطدام السفن التي يكتنفها الضباب في البحر فمتى اصبحت السفينة على مسافة ٦٠٠ يرد من

استمر الضباب حتى ليلة وصولنا . ففي الليل انقشع الضباب وكنا في السفينة قد شعرنا برائحة البر لانهم اعلنوا اننا سنصل في الساعة التاسعة مساء ٭ . فقبيل الساعة التاسعة لمحنا النور منبعثاً من منارة نيويورك فصاح الركاب صيحة الفرح والابتهاج واجتمعنا في جانب الباخرة ننتظر عودة امواج النور . ثم حانت منا التفاتة فابصرنا مركباً شراعياً اميركياً صغيراً فتحققنا اننا اصبحنا على مقربة من البر فاندفع جميع الركاب نحو جهة المركب وصاروا يصيحون ويهتفون ويحيون بحارة المركب والبحارة يحيونهم بمثل تحيتهم . وكانت حمى البر - حمى الوصول الى البر - بعد مشقة السفر سبعة ايام كاملة تدب في مفاصلنا دبيب الحمى . وصار كل منا يشعر بان التضامن الذي كان بيننا نحن الركاب قد اخذ ينحل - واصبح كل يفكر في نفسه وفي شغله في الغد

ويظهر ان سماء نيويورك ارادت ان تستقبلنا استقبالاً عظيماً فبعثت في تلك الليلة بزوبعة هائلة يصحبها رعد يصم الآذان وبرق يخطف الابصار . فضحكنا لهذه الزوبعة لاننا اجتزنا موضع الخطر وحمدنا الله انها لم تصبنا ونحن في عرض الاوقيانوس لان الجو كان هادئاً والبحر ساكناً طول الايام السبعة . وبينما نحن منبسطون آمنون واذا بصوت هائل من الجو ترتعد له الفرائص . وشعرنا بهزة في الباخرة . وكان السبب ان صاعقة وقعت على مقربة من الباخرة واشبع الجو حول الباخرة كهرباء حتى امر الربان بدخول الركاب الى اماكنهم في السفينة . فعرتنا خشية لاننا لم ننجُ من الخطر غرقاً لنقع في الخطر حرقاً . فدخلنا قاعة الاستقبال في ظهر الباخرة وقلنا لرفيقين معنا موسيقيين واحد روسي قادم من فلادفستوك في الصين وواحد اميركي كانا يشنفان آذان الركاب في اثناء الطريق ان يوقعا على البيانو والكمنجه توقيعاً يسكّن اعصاب الزوبعة او يغطي صوتها على الاقل بصوت اعلى منه . فاندفع الموسيقيان يوقعان الحاناً شجية والسيدات يرقصن الرقصة الاخيرة . وفي اثناء الرقص والغناء التفت من نافذة القاعة فابصرت في الجو امراً ادهشني . ابصرت لاول مرة كيف تقع الصاعقة . فانني رأيت في الجو فوق سطح البحر بمائتي متر خطاً هائلاً لولبياً من نار يأخذ جماله الابصار مقروناً برعد هائل صمت له الآذان . ولست انسى هذا المنظر البديع في حياتي . ان العالم الجديد اراد ان يرينا عظمته وشدة عناصره قبل وصولنا اليه

وقد رست السفينة تلك الليلة خارج الميناء فبقيت وحدي على ظهر الباخرة اروح واجيء

٭ سفينة اخرى خرج من كل واحدة منهما مجرى كهربائي قوي يضغط على آلة في السفينة الاخرى وهذا الضغط يتصل الى آلات الباخرة فيوقفها فتقف السفينتان معاً

واتأمل في انوار المدينة حولي وانا غير مصدق انني وصلت الى نيويورك سيدة مدن العالم الجديد التي كنت اراها في تصوراتي وآمالي . فبقيت على ظهر الباخرة حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لان الكرى هجر جفنيّ . ولكن لا بد من النوم اجتنابًا لضعف القوى في الصباح . فنزلت الى غرفتي ونمت اربع ساعات . وفي الصباح دخلت الباخرة بنا الى مرفاء نيويورك اعظم مرافىء العالم

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى عليها معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

اجوبة الاقتراح
(تابع للجزء الثالث)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقًا لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما



يمكن للمرأة المتمدنة حقيقةً والمهذبة والمحبة لزوجها ان تصادق رجلاً من غير عائلتها دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما هذا اذا كانا كلاهما فوق الثلاثين من العمر . والعكس بالعكس .

ماريدا يوكاتان نقولا سمعان



الله خلق آدم ثم صنع امرأة منه له . البارود والنار لا يلتقيان

مونت كليمنس نعوم مرهج

١٠

الجواب موجود في ذات العبارة التي أُخذ منها السؤال في حكمة ابن حزم « اس الصداقة الاستحسان وهذا اول درجات الغرام » ولو فرض ان الصداقة لا تؤدي للتهور افليس بها عارٌ على الزوج . أليس ذلك دليلاً على انه عارٍ عن الوداد الذي تطلبه المرأة عند غيره . سل المرأة هل تريد ان يكون لزوجها صديقات ؟؟ . . اذا جاز للمرأة ان تجود بودادها فما بقي لزوجها يا ترى ؟ اذا كانت صداقة الزوج لا تكفي المرأة فذلك دليل الخلاف وباب الهاوية . .

بيروت — فيلكس فارس

البيت المطلوب نبشه في الجزء الثالث

١١

طلبتم من القراء نبش بيت مما قالته العرب يتفق مع قول القائل في الجزء الثالث

« المرأة لحم والرجل هرٌّ ضارٍ فلا تقربوا الهرّ من اللحم ابداً »

فاليكم جوابي :

قد علق بذاكرتي قول العَرْجي واظنه منطبقاً تمام الانطباق على اقتراح الجامعة وهاءنذا اورده ليرى الأدباء فيه رأيهم

قال العَرجي

تقول وقد دبّ الكرى في جفونهم — وَهوّم وَسنانٌ وَغطّ نيامُ
فديتك هذا الليلُ ولي مُخلفاً — لعينيكَ سَملاً هل اراك تنامُ
فقلت وهل يُغفي الغطلس جائعاً — وفي قربه شاةٌ وفيه أُوامُ

نيو يورك ١٠ آب — اسعد الحاماتي

١٢

لم تنظم لجائزة (١)

لحمٌ هي المرأةُ الحسناءُ ذو دسمِ — والمرءُ هرٌّ وهذا الهرُّ ذو نهمِ

(١) قد تفضل ايضاً حضرة الشاعر الخواجه رستم بابيات في منتهى الرقة والجذالة تقريظاً للجامعة وتاريخاً لانتقالها الى نيويورك فلحضرته جزيل الشكر ولولا ان الجامعة تجتنب نشر مديحها على صفحاتها لزينا صفحاتها بهذا التقريظ الذي يدلُّ على فضل ناظمه وحسن ظنه بالمجلة

لو امتلا البيت من دبس ومن عنب ... وزاره بدويّ السحرا فلم ينم
وان دنا مغنطيس من حديد قضى ... بجذبه كحبيب بالغرام رمي
او تدن نارٌ من البارود محرقةٌ ... فانها تجعل البارود ذا ضرم
وهكذا كم على الاصحاب من خطر ... لانهم من لحوم كوّنوا ودم

نيويورك ... مخايل رستم

١٣

اظن ان البيتين التاليين خير ما ينطبق على اقتراحكم في مجلتكم الغراء في جزئها الثالث. وقد عثرت عليهما بعد البحث ولكني لم اوفق الى معرفة قائلهما

ان النساء ولا عدمتك سائلاً ... فيما يظاهر في الامور ويكتم
لحم اطاف به سباع جوّع ... ما لا يزاد فانه يتقسم

بروكلين ... حبيب عفيش

١٤

رأي النساء — الحديدة حامية

اظن قراء الجامعة يشكّون في كون الذي يكتب هذا الراي امرأة . وسواء عندي شكوا او صدّقوا فانه لا بد لي من ابداء رايي في هذا الموضوع وهو راي النساء وان لم يجهرن به . ان اصحابنا الرجال المحترمين حينما يعرض لهم بحث نسائي كهذا البحث يندفعون فيه ملء اقلامهم واشداقهم لا سيما وانهم يعلمون ان النساء لا يمكن ان يجاوبنهم فينطبق على اصحابنا الرجال قول الشاعر

واذا ما خلا الجبان بارض ... طلب الطعن وحده والنزالا

ولكننا هنا في بلاد الحرية والعمل يمكننا نحن النساء ان نردّ عنا تهم الرجال ومزاعمهم الباردة

اولاً — «الاقتراح» اقترحت الجامعة هذا الاقتراح فاجابها المراسلون «وكلهم من الرجال طبعاً» اجوبة مختلفة . والحال ان الجواب على هذا الاقتراح يجب ان يطلب من النساء لا من الرجال . وحيث ان الرجال قد اجابوا فلننظر في اجوبتهم. فان كثيرين منهم قالوا انه ممكن والارجح عندي ان هؤلاء غير متزوجين . وبعضهم قالوا غير ممكن وبذلك حكموا على انفسهم حكماً شديداً يصعب علينا التصديق بانهم يقبلونه لانه يسيء الظن بهم . واذاً ما هذه القشور اللامعة والطلاء المزخرف في الظاهر الذى يعدّون به

انفسهم متمدنين اذا كانوا لا يقدرون على حفظ ابسط قواعد النظام الاجتماعي والفضيلة العائلية . واي فضل يكون لعصرنا هذا الذي يسمونه عصر نور وارتقاء على عصر الهمجية الاول . فليسمع حضراتهم ما قال احد ابناء عصر الهمجية . قال عنترة فارس بني عبس

واغضّ طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

افلا يخجل ابن القرن العشرين حين يرى نفسه انه غير قادر على بلوغ درجة هذا العفاف والسمو الذي بلغ اليه بدوي كعنترة نشأ في خشونة الهمجية

ثانياً — هذا في الاقتراح واما في البيت المظلوب نبشه فالمصيبة اعظم وعماء البصيرة اكبر . اذا كان الرجال ينزلون المرأة هذه المنزلة ويشبهونها باللحم والرجل بالهرّ الضاري فهذه الشهادة منهم في حق انفسهم لا تصدق الا عليهم وحدهم . فنحن نسلم لهم انهم هررة ضارية كما يقولون عن انفسهم . اما نحن فاذا كنا لحماً فلحمنا مرٌّ لا يؤكل . وانني استغرب من الجامعة كيف تأذن بنشر اقوال كهذه الاقوال ضدّنا وتعطي الرجل خصمنا حق المرح فيها كما يريد . بل استغرب كيف اننا انتقلنا الى الغرب واتخذنا جميع عاداته واخلاقه واكتسبنا منه اللغة والثروة ولا نزال نحافظ على المبادىء التي كانت تدور عليها هيئتنا الاجتماعية في الشرق . فهناك «المرأة لحم والرجل هرّ» لا وظيفة لها الا ان تؤكل . واما هنا فالمرأة مساوية للرجل بل فوقه فلها الحق في ان تتصرف بمواهبها العقلية والادبية كما تشاء ولها الحرية المطلقة في ان لا تسجن نفسها في سجن «العادات الشرقية» التي تعتبرها ملكاً للرجل . وبناء عليه لها كل الحق في ان تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي وتروح وتجيء وتبدي افكارها في جميع المسائل المختصة بعائلتها وشغل اخيها او زوجها او ابيها . فبدلاً من «سجن المرأة في سجن ضيق» اي ابعاد اللحم عن الهرّ يجب ان يقال «ان الهرّ الضاري يجب تهذيبه وتأديبه» وهذا هو الحل الحقيقي للمسألة

اذا قيل يوماً ان اسراباً من الهررة الضارية هجمت على مدينة نيويورك فهل تقول الحكومة للناس اختبئوا منها وعطلوا اشغالكم ومواهبكم ام تقول لهم ادبوها

وكما ان صاحب امضاء «تذكار» ذكر قصة صغيرة عن صاحبه للدلالة على ان في الرجال قوماً افاضل فالى القارىء قصة صغيرة وقعت لاحدى صديقاتي للدلالة على ان الهر قد يأكل احياناً ولكن لطماً .. فقد ذكرت لي صديقتي المشار اليها ان شاباً كان يتردد على بيتهم وكان صديق العائلة فكانت صديقتي تلاطفه وتمازحه . فاغترّ الرجل بلطف السيدة ومزاحها وفي ذات يوم كانا في غرفة في البيت حيث وجدا وحدهما اتفاقاً ففي اثناء الحديث

والمزاح المألوف نسي الشاب نفسه واخذ بسرعة يد صديقتي وقبلها فكان جوابها انها بذات اليد التي قبلها صفعته على وجهه صفعة شديدة ثم خرجت من الغرفة بكبرياء السيدة التي اهينت . ومنذ ذاك الحين لم يعد يقع نظره على نظرها . فاذا كان هذا ما يأكله المرء دوماً فهنيئاً مريئاً . . . . (قارئـة)

باب الاخبار العلمية

﴿ جسر بروكلن ﴾ « انظر رسمه في صدر هذا الجزء » طوله ٦٥٣٧ قدماً وقد ابتدئ بانشائه في ٢ يناير « كانون الاول » سنة ١٨٧٠ وجرى افتتاحه في ١٤ مايو « ايار » سنة ١٨٨٣ وعلوّ قواعده عن سطح الماء ٢٧٨ قدماً وعلوّ الجسر نفسه عن سطح الماء ١٣٦ قدماً وقوة كل سلك من اسلاكه ١٢ الف طن ومجموع القوة التي تحملها الاسلاك ١٤ الف طن و ٦٨٠ طناً . وعرض الجسر ٨٥ قدماً والطول من قاعدة الى اخرى ١٥٠٥ اقدام . وعلى الجسر خطان للسكة الحديدية وخطان للتراماوي وطريقان للمركبات وللمشاة طريق عرضها ١٣ متراً . ومن تحته تمرّ السفن التي علوّ سواريها ٤٠ متراً . وقد انفق على بناء هذا الجسر ١٤ مليون ريال و ٧٥٠ الف ريال

﴿ تمثال الحرية ﴾ « انظر رسمه في صدر الجزء الاول » نصب في مرفاء نيويورك في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٦ وهو هدية من الشعب الفرنسوي الى جمهورية الولايات المتحدة . وقد صنعه النقاش الفرنسوي اوغوست برتولدي باكتتاب جمعه الفرنسويون . علوّ التمثال وحده من اعلى القاعدة حتى القبس الذي في يمينه ١٥١

قدماً وعلوّ القاعدة وحدها ١٥٥ قدماً وقد جمع الاميركيون ثمنها باكتتاب بلغ ٢٥٠ الف ريال . ورأس التمثال يقف فيه اربعون شخصاً براحة تامة فتأمل . وعلى شاطئ نيويورك بواخر تنقل الزائرين اليه ويُصعد الى رأسه بسلم في باطنه واجرة النقل ربع ريال . ويظهران هذا التمثال اخذ في التداعي لثقله ولذلك يهتمون اليوم بترميمه وتقويته وزيادة النور الذي في قبسه لينفع السفن في الليل نفعاً حقيقياً

﴿ فعل الديناميت في البيض ﴾ يشكو الناس في جهات فننجو وكلارين في بنسلفانيا من ان الديناميت الذي يستعمله الفعلة في انشاء السكة الحديدية هناك يقتل الجنين في البيض قبل تكونه وخروجه من البيضة وذلك عند اهتزاز الارض من فعله ولذلك قد لا يجدون في الاعياد القادمة من الدجاج وديك الحبش والاوز والبط ما يكفي الناس واذا وجدوا منها فيكون ابن سنتين

﴿ اكل الكلاب ﴾ قالت البرلنر تاجبلاط انه في مدة ثلاثة اشهر في المانيا ذبح ٢٤٠٥ كلاب وبيع لحمها للطعام . واكثر المدن ذبحاً للكلاب مدينة مونيخ حيث الايطاليون يستلذون لحمها

﴿ امه ﴾ دخل رجل وامرأة الى فندق كران يونيون اوتل في نيويورك ومعهما صندوق للامتعة فباتا هناك ليلة وفي الصباح وجد صاحب الفندق ورقة على المائدة جاء فيها انهما تركا له خمسة ريالات ليأخذ منها اجرة الغرفة والباقي للطفل . وكان في الصندوق الذي معهما طفل عمره سنتان تركاه في الغرفة . والتوقيع على الورقة «امه» فتأمل في هذه الهمجية من الام . اما الطفل فارسل الى دار اللقطاء

﴿ مضار التلغراف اللاسلكي ﴾ تهدّد بعض التجار في شيكاغو المجلس البلدي باقامة دعوى عليه اذا لم يرفع من جنوبي المدينة مكتب التلغراف اللاسلكي لان

هذا التلغراف يجتذب المجرى الكهربائي فيمنع آلات التلفون من العمل · وقد توقف عن العمل الف تلفون لهذا السبب كلما استعمل التلغراف اللاسلكي

﴿ قانون لمنع الاولاد من التدخين ﴾ ان اللجنة التي عينها مجلس العموم الانكليزي لفحص مشروع منع الاولاد من التدخين قد وافقت على هذا المشروع · وهو يحكم بالسجن على كل بائع دخان يبيع منه شيئاً لولد سنه دون السنة السادسة عشرة · و يجيز للبوليس والمعلمين ان يضبطوا كل دخان يجدونه مع ولد دون هذا السن

تدبيرُ الصحة وَالمنزل

الصحة وغداء الاميركان الغريب

لا يخفى ان « المعدة بيت الداء » كما ورد في الحديث واثبته الاطباء · ومداراتها من اهم مبادىء الصحة · ومن شروط هذه المداراة امتناع الانسان من عمل اي عمل متعب حين الطعام وبعده مباشرة · لان المعدة تحتاج الى الدم لمساعدتها على الهضم فاذا اشتغل الانسان بشغل عقلي او بدني متعب انتشر الدم في الجسم مترامياً نحو العضو الذي يعمل ويتعب فينشأ عن ذلك عسر الهضم وتكدير صفو المزاج تكديراً مضراً

وقد كان المهاجرون هنا يشتغلون منذ بضع سنوات ليلاً ونهاراً بلا انقطاع و يا كلون وهم يشتغلون ولا يقفلون مخازنهم حتى الساعة التاسعة او العاشرة مساء واحياناً حتى منتصف الليل · فمن جراء هذا الاجهاد المضني أُصيب كثيرون منهم بعسر الهضم وضعف المعدة وخسروا صحتهم · ويظهر ان هذا المثال قد اثر في الباقين او ان نجاح اشغالهم في السنوات الخمس الاخيرة افسح لهم مجال الراحة فاصبحوا يقفلون مخازنهم في الساعة السادسة مساء كباقي مخازن الاميركان · الاَّ انه بقيت لديهم عادة مضرَّة هم فيها مسيرون لا مخيرون لانهم مضطرون الى مجاراة الاميركان فيها · ونريد بها عادة « الغداء » في نيويورك

ان اصحاب الاشغال في مصر وكثير من اقطار اوروبا يقفلون مخازنهم عند الظهر للاستراحة ساعة او ساعتين او اكثر حسب العادة الجارية . ففي مصر مثلاً تقفل البنوك والمحلات الكبرى عند الظهر ساعتين او اكثر او اقل . والبنوك في القاهرة والاسكندرية مثلاً لا تفتح بعد الظهر الا في الساعة الرابعة . فيذهب اصحاب الاشغال عند الظهر الى بيوتهم فيأكلون بتأنٍ على موائدهم واكثرهم ينامون بعد الغداء برهة لتجديد القوى التي فقدوها في اعمال الصباح . ثم يعودون الى محلاتهم اكثر نشاطاً واقداماً على الاعمال . اما في نيو يورك فالبنوك تفتح من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر دون انقطاع وبعد ذلك تقفل باقي النهار . ولذلك يضطر اصحاب الاشغال الى ابقاء مخازنهم مفتوحة بلا راحة في اثناء النهار

اما طعامهم الظهر فهو من الغرابة بمكان . ويكفي للدلالة عليه ان نصف لك احد مطاعمهم « المستعجلة »

تدخل الى المطعم فتجد الناس وقوفاً ينتظرون نوبتهم . وكل واحد منهم يتناول طبقاً « صينية » فيمسكه بيده . ثم يمر على اطباق الحلوى والاثمار فيختار منها صحناً او صحنين ويضعها في الطبق الذي في يده . ثم يمر بآنية فيها ملاعق وشوكات وسكاكين فيأخذ واحدة من كل منها ويضعها في الطبق . وفي طريقه يجد قطع الخبز محشوة بالزبدة او اللحم فيتناول منها ما يشاء . ثم يصل في طريقه الى مكان فيه رجل واقف وامامه قدور الطعام في منتهى النظافة والاتقان فيشير طالب الطعام الى نوع الطعام الذي يطلبه فيصبُّ له الرجل منه في صحن ويضع الصحن في الطبق الذي في يده . فيأخذ طالب الطعام الطبق ويذهب به الى احدى الموائد التي هناك . فيمرُّ في طريقه امام سيدة وفي يدها اوراق . فتنظر السيدة من بعيد الى ما في الطبق وتحسب ثمنه كلمح البصر ثم تضع له في الطبق ورقة مطبوعة عليها القيمة التي يجب دفعها . فيجلس الرجل ويأكل . واذا احتاج الماء نهض الى حنفية قريبة تحتها كؤوس الماء فيتناول كأساً منها ويعود . وبعد فراغه من الطعام يأخذ الورقة التي فيها ثمن « الغداء » ويخرج فيجد عند الباب سيدة تأخذ منه الورقة وقيمتها . ويمكن للانسان بهذه الطريقة ان يتغدّى غداءً جيداً بقيمة ربع ريال وفي مدة « خمس او ست دقائق »

وهناك اغرب واعجب . وهم الذين لا يجلسون للطعام اذ لا وقت لديهم للجلوس بل هم يقفون وراء « البوفه » ويطلبون « سندويج » وكأس لبن فيفرغونه افراغاً في اجوافهم في وسط زحام شديد وسرعة الداخلين والخارجين سرعة لا يتصوّرها ابن الشرق بل ابن اوروبا

نفسه . ثم يهرعون الى مكاتبهم واوراقهم . ولا بدع ولا عجب فان الوقت هنا من ذهب ولكن اذا كان الوقت من ذهب فان المعدة من لحم ودم . ولله كم تألمنا في الشهر الاول من عادة هذا الغداء السريع والشروع في العمل بعده مباشرة . ولكن كل شيء يهون بحكم العادة . على اننا نرى ان هذه العادة مضرة اذ لا بد من الراحة بعد الغداء ساعة على الاقل . ولكن ابطالها امر مستحيل الا عند الذين يجودون بساعة من وقتهم وهو امرٌ صعب عند اصحاب الاشغال . ولا ريب عندنا ان الصحة في نيويورك تكون اقوى منها الآن لو كان الناس يستريحون بعد الغداء . ولكن لا ريب ايضاً ان الاشغال تكون اضعف . وانك اذا حسبت اجرة الساعة المطلوبة للراحة في جميع محلات نيويورك ومعاملها فربما كانت قيمتها كل يوم مئات الوف ريالات

باب التقريظ والانتقاد

﴿ ديوان الرافعي ﴾ وردتنا الملزمة الاولى للجزء الثالث من « ديوان الرافعي » الذي يعرف قراء الجامعة شعره وادبه . وقد قدّم له مقدمة في « نوع من نقد الشعر » وسنعود الى هذا الديوان بعد صدوره لنتحف قراء الجامعة في هذه الاقطار بشعر لا اقوى ولا اصفى منه . وقد استشهد على روح الشعر الذي يعذب نفوس الشعراء بنادرة جميلة قال . ذكروا ان كسرى سمع الاعشى يتغنى ذات يوم بقوله

ارقتُ وما هذا السهاد المؤرق   وما بي من سقمٍ وما بي معشقُ

فقال : ما يقول هذا العربي ؟ قالوا يتغنى بالعربية فامر ان يفسروا قوله فقالوا زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق . فقال هذا اذاً لص .... ؟ قلنا وجدير باهل النفوس الجديه المادية الذين همهم الفائدة العملية ان لا يفهموا عذاب الشاعر الروحاني فان كلاً منهما ابن عالم يختلف عن عالم صاحبه

وقد قال لنا يوماً احد نوابغ شعراء القاهرة من اصدقاء الجامعة ان الجامعة هي التي وجهت انظار الناس في مصر الى الرافعي وشعره واعطته شهرته . ونحن نقول ان شعر

الرافعي هو الذي اعطاه شهرته ولم تكن الجامعة سوى آلة لاظهار فضل صاحب فضل . ويسرنا ان الجزء الثالث سيكون من الادلة على ان الرافعي كان اهلاً لشهرته وان كنا نرى ان اشتغاله بامثال هذه الدواوين مما لا فائدة كبرى فيه كما ذكرنا ذلك له غير مرة

﴿ حواء الجديدة ﴾ هي رواية غرامية اجتماعية تأليف جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني صاحب الفصول المفيدة في الجامعة . وموضوع الرواية يعرف من عبارتين وردتا على غلاف الرواية الاولى . دنس يطلب عفيفة طاهرة ويلتمس ملاكاً كريماً . وعذراء وديعة لا تجد الاّ خاطباً انفق شبابه في الفساد . والثانية . ينسب الناس شقاء الجنس البشري الى حواء القديمة لانها اغوت آدم القديم مرة . فلماذا لا ينسبون الآن هذا الشقاء الى آدم الجديد وهو يغوي حواء الجديدة كل يوم الف مرة . يعني حضرة المؤلف بذلك فساد الجنس القوي الذي يستدرج الى الفساد والفاحشة الجنس الضعيف وبذلك يوجد الطبقة الشقية المعروف امرها

وسنعود الى هذه الرواية في فرصة اخرى وهي تطلب من ادارة الجامعة في نيويورك وثمن النسخة الواحدة نصف ريال

﴿ من الملوم ﴾ هي رواية غرامية حدثت حوادثها . بين شاب سوري وفتاة افرنسية . وهي بقلم جناب الاديب مخائيل افندي ناصيف زربطاني وقد طبعت في مطبعة جريدة المحيط في نيويورك وتطلب منها او من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

﴿ تاريخ اشغال السوريين في اميركا ﴾ اجتمع لدينا عدة اجوبة على الاسئلة التي القيناها بشان اشغال السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية . وقد عهدنا الى احد الادباء المشتغلين بالتجارة والادب معاً ان يرتب هذه المواد ويزور حضرات التجار واصحاب المعامل في نيويورك ليأخذ منهم المعلومات اللازمة ويتولى كتابة هذه الفصول التي هي عبارة عن تاريخ اشغال السوريين في هذه البلاد . وسيبدأ بها في الجزء التالي

العالم الجديد

او

مريم قبل التوبة

وهي رواية اجتماعية غرامية تاريخية فلسفية

وقعت حوادثها في مجدل وطبريا والناصرة وجنيسارة واورشليم قبل ظهور المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره وصلبه

(موضوعها)

احتكاك مدنية الرومان واليونان في ذاك العهد بالمدنية اليهودية من جهة وبالمدنية المسيحية التي كانت آخذة في الظهور من جهة اخري . وذكر آثار الاحتكاك في النفوس التي احتكت بها . وتصوير (العالم الجديد) الذي كان يطلبه كل منها وماذا بقي منه الى هذا الوقت مما يصح ان يكون (العالم الجديد) الذي تنشده الانسانية الراقية ويتمناه الفلاسفة

وبذلك يكون موضوع هذه الرواية (العالم قبل صلب المسيح) كما ان (اورشليم الجديدة) كانت (العالم بعد صلبه)

(اهم اشخاص الرواية)

هو (مريم المجدلية) المعروفة بمريم الخاطئة الوارد ذكرها في الانجيل والتقاليد المسيحية . ولذلك جعلنا الرواية قسمين الاول (مريم قبل التوبة) والثاني (مريم بعد التوبة)

تأليف

فرح انطون

صاحب الجامعة

وسنبدأ بنشرها في الجزء التالي

وقد مُثلت هذه الرواية في العام الماضي في قصر مستر جورج كولد الغني المشهور

الرواية بين تيوفيل وجبريلة . وكان تيوفيل من العلماء وقد اظهر ارتيابه في سر التثليث فاضطهدته الكنيسة . وكان يحب جبريلة حباً شديداً وجبريلة مشغوفة به اشد شغف وكان يستمد منها قوته في مقاومة الاضطهاد فقال لها يوماً : لقد عرفتك منذ سنة وذلك حين دُعيتُ لاكون معلماً لكِ . وكنت قبل ذلك اسير في الارض منفرداً وحدي بقلب بارد ودم فاتر فامرُّ بازهار الحدائق فاستملحها ولكني كنت امسها بيدي مساً واذهب دون ان يلذ لي ان اقطف شيئاً منها (١) . ثم رايتكِ فرايت انكِ وردة باهرة بين تلك الازهار . واول ما عرفتك شغفتُ بقلبك المتقد الذي فتن قلبي . وجعلني حبك ارتعد ارتعاداً . ومنذ ذلك الحين لم يبقَ في نفسي سوى امرين ولم يبقَ لي اهتمام الا بحقيقتين وهما حبك وحب عملي . وساحبك الى الابد لانني بحاجة الى ان تكوني الى جانبي على الدوام . فارضي بالاقتران بي ايتها العزيزة . ارضي بان تكوني ملكي وامرأتي امام جميع الناس . اقترني بي من اجلك ومن اجل طفلك الآتي . وذلك لكي تكفي نفسك غداً مرارة الالم حين ترين عينين صغيرتين مثل عينيَّ تنظران اليك وتسألانك (ابن ابي)

فتجيبه جبريله : اما سمعت ما قاله القديس جيروم في الزواج . فانه قال « انه ينبغي للرجل الحكيم ان لا يتزوج مطلقاً لان الزوجة والفلسفة حمل ثقيل على الاكتاف البشرية » فهل تظنّ الاتفاق ممكناً بين المغزل والكتاب . هل يمكن ان يجتمع سرير الطفل ومائدة الشغل . هل في العالم انسان قادر على ان يجمع قواه العقلية ويحصرها في موضوع واحد بينما يسمع الى جانبه صراخ طفل في سرير وصوت امّ تنشد له لينام . كلا فان عملك وفلسفتك ينهدمان حينئذٍ وحبنا يسقط بجانب جثتها المائتة . اننا بعد الزواج لا نستطيع ان نحلم كما نحلم الان في عوالم مجهولة . وحبنا المطلق الان لا يمكن ان يعيش طويلاً بين ليالٍ وايام تمرُّ على وتيرة واحدة وسط مشاغل الحياة اليومية الحقيرة

فقال تيوفيل : اقترني بي من اجلنا ومن اجل طفلنا

فاجابت جبريله : من اجل تقدم العلم ورغبة في بقاء الحب بيننا لا اقترن بك . انني اشد حباً لك من حبي لنفسي . ولا شيء يفصلني عنك ولكني اخشى ان الحب يستغرق قواك ويضعف نشاطك . فلا تضع حاجزاً بين نفسي ودماغك الذي يستمد منها وحيه . انني اذا اقترنت بك اصبحت كل يوم بجانبك لحماً ودماً فلا تعود تراني كما تراني الان

(١) المعاني بين السطور كثيرة في هذه الرواية

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

رواية غريبة لمسز كلارنس ماكي

احدى كبيرات سيدات نيويورك

كاتبة وصاحبة ملايين

﴿ السيدة ﴾ هي مسز كلارنس ماكي صاحب الملايين المشهور وابن المستر جون ماكي المشهور بمد الاسلاك البرقية الترنستلانتيكية عمرها ٢٤ سنة وهي في منتهى الظرف والجمال تسكن قصرها الجميل في لون آيلن على مسافة ساعة من نيويورك وهو من اعظم واشهر قصور نيويورك اهداه اليها حموها المستر جون ماكي بطريقة غريبة . فانه لما كان يبني هذا القصر كان يسأل خطيبة ابنه المس كلارنس ان ترشده بسلامة ذوقها الى بنائه فكانت الفتاة تذكر له كل ما تحب ان يكون في القصر من غرف وقاعات ملوكية واثاث لا مثيل له وحرش يحيط به فبنى المستر ماكي القصر كما رسمت له ولما تمّ اخبرها انه بناه بحسب ذوقها ليجعله هدية اليها . ولها الآن بجمالها الفتان ومركزها العظيم وثروتها الطائلة وذكائها النادر المثال مقام من اعظم مقامات سيدات نيويورك

﴿ روايتها ﴾ ان هذه السيدة التي تلعب بالملايين لعباً لا سعادة لها ولا هناء الا في صناعة الكتابة . قالت يوماً لأحد زائريها من الاوروبيين وهي تريه كوخا صغيراً في اطراف الحرش المحيط بقصرها : انني لا اشعر بانني سعيدة هنيئة البال الا حين اجلس في هذا الكوخ للكتابة

وماذا عسى ان تكتب هذه السيدة الكبيرة التي اذا شاءت جعلت لها ثروتها كلّ شيء طوع ارادتها . وما هي المبادئ والافكار التي تختلج في نفسها فتفضلها على ثروتها ولا تجد سعادة بدونها

آخر كتاباتها رواية غريبة راينا تلخيصها هنا لما فيها من الافكار الغريبة الجديدة .

الجامعة

الجزء السادس — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ — ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

صوت من بعيد

هل في مصر حزب وطني وله زعيم

٢

حزب الناسيوناليست في مصر

قبل البحث في هذا الموضوع نشير الى خطاء في الترجمة يقع كلما بحثت الجرائد الاوروبية في « حزب مصر الوطني » فهي تسميه Nationaliste والمترجمون الى العربية يترجمونها « وطني » وهو خطاء لان كتاب اوروبا وساستها يريدون بهذه الكلمة معنى آخر . فعندهم كلمتان الاولى Patriote او National والثانية Nationaliste فمعنى ناسيونال عندهم ما خُصّ بالامة (Nation) كالراية والجيش والحكومة وباقي المصالح . ومعنى (باتريوت) (وطني) من (Patrie) وهو الرجل الذي (يحب وطنه ويسعى في نفعه) واما كلمة Nationoliste فمعناها (الحزب الذي يتألف في الامة من أُناس غرضهم تفضيل وطنهم على باقي الاوطان) (١) ولا نعلم بماذا نترجم هذه الكلمة (ناسيوناليست) ولذلك نبقي لهذا الحزب هذا الاسم

فني فرنسا وانكلترا مثلاً كل الناس Patriotes نعني (وطنيين) يحبون نفع وطنهم

(١) تعريف لاروس

وما كلهم (ناسيوناليست) لان الناسيوناليست في انكلترا هم الحزب الايرلندي الذي يسعى في استقلال ايرلندا والناسيوناليست في فرنسا هو الحزب (الكثير الحركة القليل العمل) الذي تألف حين ظهور حادثة دريفوس وكان زعيمه ديروليد وهابار وجول ليمتر وفرنسوى كوبه . وقد تألف يومئذٍ هذا الحزب لمقاومة الحكومة الجمهورية فانشأ « عصابة » دعاها « عصابة الوطنيين » او « الوطن الفرنسوي » وغرضها مقاومة نفوذ اليهود وسلطتهم ومنع اي تداخل من الاجانب في الشؤون الفرنسوية . وكان هذا الحزب يضم حزب ديروليد وحزب الملكيين والامبراطوريين وخصوم اليهود معاً . وكانت الجرائد الكبرى كالطان والدبا « وهذه مالت اليه بعض الميل آخراً وكانت ضده اولاً) تهزأ به لانه لم يكن يسمي « وطنياً حقيقياً » الا من كان على رأيه . ومنذ اسبوعين كتبت جريدة الطان فصلاً افتتاحياً موضوعه طلب الصين دستوراً ومجلساً نيابياً فافتتحته بقولها ان في بعض « المراسح » في الصين نشيداً هذا مطلعه « يا اهل الوجوه البيض لا تظنوا انكم ستعذبون الجنس الاصفر بعد اليوم دهراً طويلاً » قالت الطان « ولكن هذا التحمس تحمس شبان والناسيوناليست موجودون في كل مكان »

فاوروبا حين كلامها عن حزب مصر انما تريد به « حزب الناسيوناليست المصري » لا « الحزب الوطني » اذ بين التسميتين فرق عظيم . ولذلك تسميه Nationaliste لا Patriote وتمثله في ذهنها كالأحزاب الناسيوناليستية التي في بلادها (١) لانها لا تجهل انه يكون عادة خارج هذا الحزب في كل امة اناس عقلاء يغارون على مصالح اوطانهم غيرة هذا الحزب ولكنهم لا يرون رأيه في الطرق المؤدية اليها

نظرنا في ما تقدم في معنى كلمة « وطني وناسيوناليست » فلننظر الآن في معنى كلمة « حزب » . الحزب في السياسة . « تألب جماعة على جماعة اخرى لاختلاف آراء الفريقين ومصالحها » (٢) فيلزم اذاً لاستيفاء شروط الحزب امران . الاول وجود « الجماعة » التي تريد مقاومة اراء ومصالح لا تنطبق على آرائها ومصالحها والثاني « تألب هذه الجماعة » اي اجتماعها عصبة واحدة وتعاضدها توصلاً الى بلوغ مرادها . فلننظر الآن هل في مصر شيء يحق له ان يسمى « حزباً »

---

(١) اخصها حزب الناسيوناليست البولوني في النمسا والمانيا وحزب التشك في النمسا والحزبان الفرنسوي والايرلندي المشار اليهما آنفاً

(٢) تعريف لاروس

اذا كان في مصر حزب ناسيوناليستي كما تقول صحف اوروبا فلا شبهة في انه ليس فيها « حزب » بالمعنى الحقيقي الذي لهذه الكلمة . فان مقتضيات الحزب كما ذكرنا امران « الجماعة » و « تألبها » فالجماعة موجودة في مصر وكراهة القوة المحتلة متأصلة فيها ولكن ينقصها « التألب والاجتماع » فهي عبارة عن اعضاء متفرقة لا جامعة حقيقية بينها غير الجامعة الدينية ولا مقدرة لها على التعاضد لرسم خطة محدودة وتنفيذها بطرق محدودة للوصول الى غرض معلوم محدود

ولبيان ذلك نقول :

بدء حكم أمير

لما توفي الخديوي توفيق عاد الى مصر نجله الاول سمو الامير عباس الثاني من اوروبا حيث كان يتمم دروسه لكي يجلس على عرش الامارة في مصر خلفاً لابيه . وكان سموه في ريعان الشباب والشبيبة مشهورة بالحماسة والمخاطرة والاقدام على الامور العظام . فاستقبله شعبه في مصر استقبالاً لم يرَ له مثيل . فان شعباً هائلاً احاط بمركبته حين نزوله من الباخرة احاطة الهالة بالقمر فحلّ خيل المركبة واخذ يجرّها بنفسه . وكان الحماس بالغاً حده حول ذلك الشاب الجميل الشامخ الرأس . الممتلئة عيناه من كبرياء وآمال الشباب . الذي كل حركة من حركاته تدلّ على انه ملك شرقي كبير اعتاد الامر والنهي . الذي رُفع بغتة كما بخطف خاطف من بين الكتب والاوراق — اي من وسط عالم فكري محض — ووُضع بغتة وسط عالم عملي مضطرب . لقد قرأ في المدرسة تاريخ رجال الثورة الفرنسوية الذين جهروا في العالم « بحقوق الانسان » وكتابات روسو في حرية الشعوب وتاريخ استعمار الاوروبيين لبلاد المشرق . لقد ربى في جسمه في اثناء درسه روحاً غربية محضة قوّاها الدرس والعلم وكبرت مطامعها ووسعت افقها السياسة والرئاسة وانار طبيعتها قبس الحرية وجملتها وزينتها الموسيقى والفنون الجميلة . وبعد ذلك كله جيء بها لكي تجلس على العرش جامدة ساكنة لا وظيفة لها الا الموافقة على ما تفعله في بلادها سلطة اجنبية احتلت بلادها

لو سئل رجل ذو نظر ثاقب حين نزول سموه على الرصيف يومئذٍ ماذا تكون وظيفة هذا الشاب الممتلىء قوة ونشاطاً الذي جاء للجلوس على عرش اجداده لاجاب على سبيل التخمين ان سموه سيسلك طريقين . الاول الوقوف في مقدمة شعبه والصعود به من « الحالة الشرقية » الى « الحالة الغربية » التي اشربت نفسه جميع شؤونها . فانه يجعل نفسه بمنزلة نواة تلتف وتجتمع حولها جميع العناصر القوية النافعة في الامة وتندفع معه الى

امام تاركة وراءها من يريد الاستمرار على البقاء وراء او ساحبة اياه معها طوعاً او كرهاً. وهذه افضل الطرق لتقوية عروش الملوك والامراء الذين يخشون على عروشهم من شعب يتنبه لعدم فائدتها. لان الشعب على الدوام انما يساق بعقول اهل العقول الذين بها يثيرونه وبها يسكنونه. فتقديم اهل الاقدام والعمل وجمع كلمة اهل الذكاء والرأي والنزاهة والاخلاص في الامة لدفعهم جميعاً في سبيل واحد وهو اثارة نشاط الامة ودلالتها على طريقها سياسياً واجتماعياً تلك هي واجبات كل رئيس امة. واي رجل غير ملك شاب خارج من ارقى كليات اوروبا يصح ان يكون مصدراً لهذه القوة الاجتماعية وهذا النشاط. والطريق الثاني تنفيذ المبادىء التي تلقاها الملك الشاب في كليات اوروبا نفسها وهي ان الحرية والاستقلال للامة بمنزلة الدم للجسم ولا حياة حقيقية لهما الا بهما. لان الامة اذا لم تكن قابضة بيدها على ازمة شؤونها لتديرها بلا قيد ولا شرط حيثما ترى مصلحتها فلا يرجى لها نهوض وتبقى في درجة الرق. فالذي رأى سمو الخديوي يوم قدومه من اوروبا للقبض على ازمة بلاده لم يكن يلزمه كثير من الفطنة والذكاء ليحكم بان سموه سيسلك هذين الطريقين: معارضة الروح الشرقية التي تؤخر امم الشرق ومعارضة الاحتلال

اما معارضة الاحتلال فقد فعل فيها الجناب الخديوي في بدء ملكه كل ما يجب ان لم نقل اكثر. فيومئذٍ كان في مصر «حزب وطني» الخديوي رأسه. وليس يصح ان يسمى هذا الحزب «ناسيوناليست» لسببين. الاول ان صاحب الساطة في البلاد زعيمه نفسه والثاني انه كان ذا صبغة سياسية محضة لا دخل فيه لصبغة دينية فضلاً عن ان هذا الحزب الوطني كان يعتمد على فرنسا صاحبة المصالح الكبرى في مصر وعدوة انكلترا القديمة. وكفى برهاناً على ذلك ان جريدة هذا الحزب كانت يومئذٍ جريدة الاهرام المسيحية السورية وكانت الصحف الانكليزية تحرق الارم عليها وتتساءل من اين تأتي هذه الجريدة باخبارها. وكانت تتساءل ذلك وتعلم ان صاحبها المرحوم نقلا باشا كان يستقيها من نبع ذلك الحزب اي من زعيمه نفسه. فيومئذٍ اختلجت حقيقةً روح مصر وخفقت خفقاناً شديداً في صدر الملك الشاب عباس الثاني كما ان روحه خففت في صدرها. وبلغ اشد المعارضة في «حادثة الحدود» المشهورة التي اضطر الجناب الخديوي فيها ان يرجع في ملاحظات ابداها حين استعراض الجيش المصري وقدم اليه السردار كتشنر باشا استعفاءه بسببها وقامت قيامة الاحتلال من اجلها. فعرف الحزب الوطني يومئذٍ حقيقة حالته من الضعف وهول القوة التي أقدم على معارضتها. ولما وقعت حادثة «فشوده» ذهب آخر امل له. فان كتشنر

باشا بعد فتحه ام درمان وابادة سلطة الدراويش سمع بان قوماً من البيض احتلوا فشوده فركب السفن الى فشوده مع فريق من جيشه فوجد ان القائد الفرنسوي مرشان سبقه اليها. فطلب منه كتشنر باشا باسم جلالة السلطان صاحب السيادة على السودان المصري ان يخلي فشوده لانها من املاك مصر. نعم انك تقرأ هنا كلاماً ليس فيه غلط مطبعي ان كتشنر طلب من مرشان هذا الجلاء « باسم جلالة السلطان » ولما ابى مرشان الخروج من فشوده بحجة « ان الارض في افريقيا للسابق اليها » مد سفير انكلترا في باريز يده الى جيبه ليخرج منها للمسيو دلكاسه وزير خارجية فرنسا « انذاراً نهائياً » بعده الحرب. ولكن المسيو دلكاسه رجل نبيه فلما فهم اشارة السفير قال مازحاً لا لا اننا لا نتقاطع الى هذا الحد من اجل افريقيا فاذا كانت فشوده « عزيزة » عندكم الى هذا الحد فاننا نتركها لكم. ثم اخلى فشوده

ان الباب العالي اتى غلطتين لا يغفرهما له التاريخ. الاولى رفضه طلب انكلترا في بدء الاحتلال ان تتعهد بالجلاء عن مصر بعد سنتين على شروط اشترطتها. والثاني سكوته يوم حادثة فشوده عن الاحتجاج الذي احتج به كتشنر باشا باسمه. فانه اذا كان حقيقة في نيته ان يثير المسألة المصرية يوماً ما فقد كان يجب اثارتها يومئذٍ بحجة فشوده لا بالامس بحجة طابه

وبعد حادثة فشوده علم الحزب الوطني في مصر ان فرنسا لا تحارب انكلترا من اجل مصر وان مصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة انكلترا ومعارضتها. فاختار الجناب الخديوي سياسة المسالمة كرهاً لا طوعاً فزار لندن وقابل جلالة الملك ادوار فقوبل فيها بحفاوة نادرة المثال. ولا نزال نذكر صراخ جريدة المؤيد يومئذٍ بشأن حديث لسموه وهو في اوروبا اظهر فيه رغبته في سياسة المسالمة والاتفاق. فانها لم تحجم عن القول لسموه « أابن محمد علي يقول هذا القول » وااسفاه ايها الاستاذ. انك اضطررت بعد الاختبار ان تقول مثل هذا القول في المأدبة التي ادبها لك اصحاب الصحف الانكليزية في عاصمة بلادهم منذ ثلاث سنوات. ولقد سمعت من مصر من يصيح بك مثل ذلك الصياح. لقد سمعت « اللواء » يقول: هل الشيخ علي يقول هذا الكلام. اذاً لقد باع وطنه بذلك الطعام

فلما تنحى الجناب الخديوى في الظاهر عن معارضة الاحتلال انفرط عقد الحزب الوطني القديم لعدم وجود راس له وفقده النواة التي يجتمع حولها ويكون له قوة بها. فاصبحت الآراء في مصر بشأن الاحتلال يمكن حصرها في اربعة

الاحزاب في مصر

(الرأي الاول) رأي الذين سمتهم جريدة الاجيبت الفرنسوية التي تطبع في مصر « الافاقين » قالت هذه الجريدة يوم عقد الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على مصر ومراكش ما خلاصته : يجب على زعماء المصريين ان لا يدهشهم تخلي فرنسا عنهم لانهم اثبتوا انهم لا يقدرون على عمل جدّي لان جهدهم كان في نيل الرتب والنياشين وجلبة فارغة · ثم قالت ما معناه ان مصر لا تنال حريتها واستقلالها بجماعات الافاقين الذين يملأون مصالحها وادارتها ولا همّ لهم غير الحرص على رواتبهم وجر النفع لانفسهم · وان انكلترا بامثالهم تنشيء المستعمرات الخصيبة

ومعنى ذلك ان القوي يستميل الناس ويستأسرهم بالمنافع التي يمكن ان ينالوها عن يده فيقيمون على خدمته ما بقيت لهم هذه المنافع · ومصر ملأى باصحاب هذا الرأي من غرباء ومصريين

(والرأي الثاني) رأي اهل المسالمة · فهم يرون ان اوروبا قد تخلت عن مصر ومصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة الاحتلال · فاذا استمروا على هذه المقاومة كان مثلهم مثل ضعيف يقاوم قوياً فلا تفيده المقاومة بل تضره · ولذلك رأوا المسالمة لتستفيد مصر من الاتفاق بينهم وبين الاحتلال كل ما يمكن استفادته · فهم يضعون مسألة الحرية والاستقلال الى جانب ويقولون للمحتلين تعالوا لنعمل معاً على خدمة مصر وترقيتها بدل ان نتعادى ونتقاطع دون فائدة لنا او لكم · وحجتهم هذه قوية في حد ذاتها متى كان الاحتلال مخلصاً في قبول هذا الاتفاق ولا يقصد به استغراق الامة والاستيلاء عليها · ورأس هذا الحزب عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار والمرحوم الشيخ محمد عبده · واليوم تمثله جريدة المؤيد على ما نظن

(والرأي الثالث) رأي اهل المعارضة في الاحتلال الى ما شاء الله · فانهم يقولون ان المستعمرين لا يقصدون من المستعمرات الا جعلها بقرة حلوباً لهم · فاذا وافقناهم وسالمناهم سهلنا لهم هذا السبيل وربينا اليأس والاستماتة في نفوس اهل الامة فتصبح رمة بين ايديهم · اما اذا عارضناهم فنربي الامل والرجاء في نفوس الناس للاستفادة به في اطوار التاريخ ومفاجئات الزمان التالية اذ من يعلم ما سوف يجيء به التاريخ والزمان · ولئن ماتت مصر وهي محاربة معارضة فذلك موت الكرام وهو خير لها من ان تموت موت الجبناء · أفلا يهزأ بنا الغربيون وبضعفنا اذا لم يسمعوا منا صوتاً يصرخ ولم يروا فينا عرقاً ينبض ونحن تحت النير · المثل هذا درسنا وتعلمنا وذقنا بالفكر حلو الحريـة والاستقلال عند الشعوب — نقول وهذه الحجة قوية ايضاً لولا الاعتراض الذي يُعترض به عليها وسيرد ذكره فيما يلي

(الرأي الرابع) رأي الذين يكرهون الاحتلال والمحتلين بعواطفهم لا بعقولهم لانهم على دين غير دينهم وقد زادت هذه الكراهة عندهم بما يقرأونه في جرائدهم · ونريد بهؤلاء جمهور السذج الذين اشرنا اليهم في المقالة الاولى في الجزء السابق · ويدخل في ذلك الناقمون على الاحتلال اما لعدم تمكنهم من الاستخدام في مصالح الحكومة واما لرفتهم منها واما لخسارتهم دعاوي كانت لهم في المحاكم وكان الحق فيها معهم او عليهم واما لكونهم زراعاً وراأوا باعينهم مياه الري تباع بالذهب الوهاج لجارهم بينما زراعتهم تحترق بحر الشمس وهم ينظرون او غير ذلك

هذه هي الاحزاب الموجودة في مصر اليوم · على ان هنالك « حزباً خامساً » لم نشر اليه بعد وهو اعظم تلك الاحزاب قوة وسلطة وان كان قليلاً عدده · ونريد به حزب الشركات والبنوك والتجار واهل الاطيان والاموال فاكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم راضون عن الاحتلال كل الرضى لان وجوده خير ضمين لاموالهم ·

فهم الحيتان التي تصطاد في كل مكان فيه نظام وامان «اي النظام الذي يريدونه» و٩٠ في المائة منهم اجانب غير مصريين • وانك لترى الاموال الاوروبية تنهال على مصر انهيال السيل الجارف بعد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا بشأن مصر ومراكش لان هذا الاتفاق يوطد قدم الاحتلال في وادي النيل • ويمكن ضم «حزب سادس» الى الاحزاب التي تقدم ذكرها وهو حزب الطوائف والامم الصغيرة التي ترى في وجود الاحتلال في مصر سبباً لوجود العدل والمساواة المطلقة بينها و بين العنصر السائد الكبير • وهي ترى الاحتلال بمنزلة «حكم عادل» بين جميع العناصر والجنسيات والمذاهب يمنع بعضها من الجور على البعض الآخر

فاذا عدنا الآن بعد هذا البيان الى الحزب الذي تعنيه جرائد اوروبا وانكلترا عند كلامها على «حزب الناسيوناليست المصري» وجدنا انه الحزب الثالث المشار اليه آنفاً • وكان يمثل هذا الحزب من قبل دولتلو رياض باشا ولكن الخطبة التي القاها منذ نحو سنتين امام الجناب الخديوي في احدى الحفلات والتي ادهشت اهل مصر جميعاً تدل على ان دولته عاد الى مبداء عطوفة مصطفى باشا فهمي (١) ولكن لما كان رياض باشا يمثل هذا الحزب كان الحزب كبيراً موجوداً بالحقيقة • وكان له رؤوس يديرونه وينفقون عليه الاموال الطائلة • وكان مركزه كما تقدم قصر عابدين وقصر الوكالة الفرنسوية • اما الآن فالحزب المذكور بعد ان تنحى الكبار عنه لا مركز له ولا مال ولا خطة • وان جريدة اللواء التي تمثله اليوم قلما تجد لصوتها صدى الا في صدور الطبقات التي لا اهمية لها الا في التحمس • على ان تاثيرها عظيم في هذه الطبقات • ولو قدرت ان تؤثر مثل هذا التاثير في

(١) في اخبار مصر الاخيرة انه شاعت فيها اشاعة عن تبديل بعض الوزراء ودخول سعادتلو محمود باشا رياض نجل دولتلو رياض باشا في الوزارة

الطبقات العليا لكان يصح ان يقال ان في مصر حزباً وطنياً حقيقياً · وسيرد الكلام في المقالة التالية على العلاقة التي لهذا الموضوع بالجامعة الاسلامية التي هي الغرض الثالث من هذه المقالات والسبب الاول في كتابتها (ستأتي البقية)

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني (١)

كانت الضرائب في القديم تؤخذ من غلة الارض عشوراً ونحوها لان الزراعة كانت حينئذٍ اهم موارد الرزق واساس كل دخلٍ تقريباً ولما نمت الصناعة والتجارة وصارتا بابين للدخل مهمين استنبط الحكام والساسة والمشترعون رسوماً جديدة على المصنوعات والمتاجر كالرسوم الجمركية ونحوها ولكن بقيت الحكومات تتوكأ في جباية الضرائب بالاكثر على غلة الارض ولم تزل كذلك الى الآن في اكثر الممالك

ولما وفرت في العهد الاخير موارد الصناعة والتجارة والملاحة والصرافة وسائر الاعمال المالية وربت جداً على الموارد الزراعية تنبه علماء الاقتصاد وساسة الممالك الى ان القاء معظم الضرائب على عاتق الزراعة وحدها حيف بها واجحاف بالزرّاع واصحاب العقار فنشأت

---

(١) حاشية من المجلة -- البحث في الضرائب وطرقها بحث من اهم المسائل الاجتماعية في هذا الزمان فان « الضريبة على الايراد او على الدخل » تشغل افكار الساسة في كل مكان · وهوذا البرلمان الفرنسوي يستعد للبحث فيها وتقريرها تخفيفاً عن عاتق الصغار وزيادة لدخل الحكومة من دخل الكبار زيادة تتمكن بها من انشاء المشروعات العمومية النافعة للشعب · ولما عاد المستر براين من سياحته في اوروبا في هذا العام اشار في خطبته المشهورة في نيويورك الى وجوب « ادخالها الى الولايات المتحدة » فعارضته الصحف بان هذه الضريبة « فكر اجنبي غريب عن اميركا » ولكن ذلك لا يمنع انها من اهم المسائل التي تساعد على حل المسألة الاجتماعية

مسألة عدالة الضرائب واصبحت موضوعاً مهماً لابحاث الاقتصاديين واشتغل كثيرون منهم في وضع نظامات مختلفة لتوزيع الضرائب على عواتق الاهالي بحيث يتساوون جميعاً في ايفاء الحكومة الاموال اللازمة لسياسة البلاد وخدمة الشعب وحمايته وتدبير شؤونه العمومية

ولكي يتضح للقارىء الحيف الناجم عن القاء الضرائب على عاتق العقار وحده نضرب مثلاً : ورث كل من زيد وعمرو — قل — الف جنيه ذهباً اما زيد فاشترى بنقوده عقاراً للزراعة وجعل يستغله والحكومة تقاسمه جزءا من غلته واما عمرو فجعل يتاجر بماله ويد الحكومة لا تصل الى فلس من ربحه اذ لا ضريبة على المتاجر ولا على مجرد الدخل . فلماذا تجبي الحكومة جزية من زيد ولا تجبي شيئاً من اخيه عمرو مع ان اصل ثروتهما واحد وكلاهما يثمرانها في ظل حماية الحكومة ويتمتعان بخدمها ونتيجة تدبيراتها العمومية

لذلك وضعت اكثر حكومات اوروبا وغيرها مما حذت حذوها نظامات جديدة متنوعة للضرائب بحيث تشترك كل فئة من الاهالي على اختلاف اعمالها في ايفاء نصيب من الاموال الاميرية لكيلا يتحمل الزراع وحدهم هذا العبء . وقد اشار جناب اللورد كرومر في تقريره في هذا العام عن مالية مصر الى وجوب تعديل الضرائب المصرية في المستقبل على نحو ما جرت عليه حكومات اوروبا وهاك نصه بهذا المعنى : —

« لا ادعي ان النظام المالي المصري كامل او قريب من الكمال بل فيه نقائص شتى يسهل اظهارها واشهرها ان عبء الضرائب واقع اكثره على الاطيان ولا يقع على اهل المدن (يريد بهم اصحاب المتاجر والصنائع والمشروعات المالية المختلفة) قدر ما يجب . والمأمول اننا نتمكن من زيادة الاصلاح في المستقبل من هذا القبيل »

وقد اختلف الباحثون في عدالة الضرائب والمشتغلون في نظاماتها على القواعد الاساسية القويمة التي تُبنى عليها تلك النظامات فبعضهم رأى ان تؤخذ الضريبة من الثروة الحقيقية نفسها وبعضهم زعم ان تجبى من كلٍ حسب قدرته وآخر ارتأى ان تضرب على الناس بنسبة تمتعهم بحماية الحكومة وخدمها وغيره ان تضرب بالنسبة الى دخلهم الى غير ذلك من الآراء المتضاربة . وعليه نلم في هذه الرسالة بصفوة تلك الآراء حتى نهتدي الى اصوبها

قاعدة آدم سمث وتفنيدها

واول من خاض عباب هذا الموضوع ملياً الاقتصادي الشهير آدم سمث ووضع له هذه القاعدة : —

« على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكنهم من دخلهم لعضدها جعلاً يناسب

طاقتهم . اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به تحت حمايتها »

ولكن المستر ووكر الاقتصادي الاميركي قال: «ان هذه القاعدة تحتمل التفنيد الشديد وان تراءت لاول وهلة منصفة لان بين اجزائها تناقضاً بيناً . فما معنى قوله «تحت حمايتها» فان كان الغرض منه ان تكون « حماية الحكومة » قياساً لما يجب علي الرعايا ان يدفعوه لها من الجزية فهو غير منطبق على القول الذي قبله لان الافراد الذين يجب عليهم ان يدفعوا للحكومة جزية بنسبة ما يستفيدونه من حمايتها او بنسبة الخدمة التي تخدمهم الحكومة بها لا تناسب بين طاقتهم وما يستفيدونه من الحماية المذكورة . فاكثر الناس احتياجاً الى خدم الحكومة وحمايتها هم الفقراء والضعفاء من نساء واحداث وعجزة وسقماء وجهلاء ونحوهم واما الغني فيقدر ان يحمي نفسه الى حد ويخفف عن عاتق الحكومة قسماً كبيراً من هذا الواجب . وهو في مساعيه الى منافعه الشخصية بعيد عن الخطر وفي مقامه يستخدم الآخرين لحمايته في حين ان الضعفاء يتعذر عليهم ذلك او يستحيل

واذا كان مقدار انتفاع الافراد من حماية الحكومة وخدمها هو القياس الذي بحسبه تجبي المكوس فعلى الاغنى معدل من الجزية اقل لان ثروة الفرد كلما نمت كلفت حمايتها اقل بالنسبة الى مقدارها والعكس بالعكس . فاسهل على الحكومة ان تحمي ١٠٠ الف جنيه في يدٍ واحدة من ان تحميها في عشرين يداً . والذي يتمتع بمقدار كبير من الحماية يجب ان يدفع ثمنها بسعر اقل كثمن البضائع التي تُشرى بالجملة . وزد على ذلك ان الحكومة تعاني في جمع الرسوم من يد واحدة اقل مما تعانيه في جمعها عن ايدٍ كثيرة

واظن ان المستر ووكر متطرّف في هذا التفنيد لما يتضح من مقابلة شعب منظم الحكومة عادلها بشعب مختلها وخلومنها . فان الغني المستظل بظل حكومة ضعيفة مختلة يضطر ان يبذل كثيراً من ثروته لحمايتها في حين ان الغني المستظل بظل حكومة منظمة عادلة تغنيه حكومته عن معظم تلك النفقات او كلها . وزد على ذلك ان الفقير ليس عنده ما يستلزم الحماية كما عند الغني . ثم ان خدم الحكومة للغني اكثر منها للفقير فالحكومة تفتح المدارس المجانية للاثنين معاً . وفي حين انها تنشئ الملجأ للعاجز والمستشفى للعليل الفقير تمهد الشوارع لمركبة الغني وتنشئ المتنزهات لتنزهه وتسهل طرق التجارة للتاجر الى غير ذلك

واذا انعمت النظر في اعمال الحكومة رأيت ان معظمها انفع لمصلحة الغني منه لمصلحة الفقير ولهنائه . ولهذا تجد ان عامة الامم المتنبهة المتيقظة يتذمرون كثيراً من حكوماتهم الارستوقراطية اذ يرونها متحيزة الى الخاصة في جميع اعمالها وهذا هو السر في تقلص ظل

الاحكام الاريستوقراطية وانبساط ظل الاحكام الديموقراطية بقدر ما تنقشع ظلمات الجهالة عن عيون العامة

ولا ينكر ان الفقراء الضعفاء ينتفعون من خدم الحكومة وحمايتها اكثر من الاغنياء الاقوياء بالنسبة الى مقدار ثروة الفئتين وظاقتهما على عضد الحكومة . هذا اذا كانت الحكومة ساهرة على راحة الشعب وهنائه . ولكني اظن ان هذا التفاوت النسبي زهيد جداً لا كما صوّره المستر ووكر في تفنيده الآنف

ثم استرسل المستر ووكر في تفنيده فبعد اذ خطأ جباية المكوس من الافراد بنسبة انتفاعهم من حماية الحكومة عاد الى تخطئة جبايتها بنسبة طاقتهم المالية فقال :ـ « على اي قاعدة يجب ان يبنى نظام ضرب المكوس اعلى مقدار الانتفاع من الحماية ام على طاقة الافراد المالية ؟ . اي هل تجبي المكوس منهم بنسبة انتفاعهم من حماية الحكومة او بنسبة طاقتهم على الدفع ؟ فان وجب ان تجبي بحسب الامرين جميعاً فكيف يمكن توفيقهما معاً ؟

« اذا حذفنا من قاعدة المستر آدم سمث الفقرة الاخيرة « تحت حمايتها » لاعتبار انها مناقضة لمعنى ما قبلها وبقيت القاعدة هكذا : « على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكن من دخلهم لعضدها جعلاً يناسب طاقتهم اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به .ـ فلا نزال نجد هذه القاعدة تحتمل النقد

« هل يمكن ان تكون طاقة الاشخاص على دفع الرسوم للحكومة مناسبة لدخلهم دائماً ؟ هب ان رب امرة يكسب في عامه ٥٠٠ جنيه فيعول زوجته واولاده باربع مئة جنيه منها وان رب اسرة اخرى مساوية لاسرة ذاك في كل احوالها يكسب في عامه ١٠٠٠ جنيه ويعول اسرته باربع مئة جنيه فقط فهل تعتبر طاقة الاول على دفع الجزية للحكومة كنصف طاقة الثاني في حين ان ما وفره من دخله السنوي لا يتجاوز سدس ما وفره الثاني ؟ طبعاً لا . فاذاً الطاقة على الدفع لا تصح قاعدة لضرب الضرائب بحسب قصد المستر سمث

« واذا حذفنا ايضاً من قاعدته الفقرة الاخرى الاخيرة وهي : « اي ان يدفعوا لها على نسبة دخلهم الذي يتمتعون به » وبقيت القاعدة هكذا : « على رعايا الحكومة ان يدفعوا اكثر ما يمكن من دخلهم لعضدها جعلاً يناسب طاقتهم » بقي ثم محلٌ للنظر لان القاعدة المذكورة وان خلت من التناقض لا تحل العقدة الصعبة التي في ضرب الضرائب »

وسيرى القارىء في ما يلي ان الطاقة لا يجوز ان تكون قاعدة لنظام الضرائب

(ستأتي البقية)

المهاجرون في الداخلية

بقلم جناب يوسف افندي جرجس زخم في اوماها

﴿ اقسام اميركا الشمالية ﴾ تقسم اميركا الشمالية الى ثمانية اقسام هي الولايات المتحدة والمكسيك (١) واميركا المتوسطة وجزائر الهند الغربية وكرينلاند والاسكا ونيوفوندلاند . وتحكم هذه الاقسام السبعة الولايات المتحدة . اما كندا فتحكمها الدولة الانكليزية . وكلامنا التالي مقتصر على الجوالي السورية في داخلية الولايات المتحدة

﴿ تاريخ المهاجرة السورية الى اميركا ﴾ بدأت مهاجرت السوريين الى اميركا منذ نحو ٣٥ سنة . واخذت المهاجرة بالازدياد منذ ١٥ سنة . والسوريون اليوم منتشرون ليس في الولايات المتحدة فقط بل في اميركا الجنوبية والمكسيك والهند الغربية وكندا والمكسيك وسواها . وقد جاء السوريون نيويورك العظمى فلم يكتفوا بسعة حضارتها وضخامة عمرانها ونخامة مدنيتها فيمموا غيرها من مدن الولايات واقاموا في كثير من قراها ودساكرها في الداخلية وعلى الشواطىء البحرية

﴿ السوري في داخلية الولايات المتحدة ﴾ للسوري في داخلية الولايات اعتبار ونفوذ اكثر مما لاخينا الساكن في نيويورك وغيرها من المدائن الكبرى . وذلك لثلاثة اسباب يصح الاستناد اليها ١ً لان السوري كان اقدر على التعرف الى اهل الوجاهة والنفوذ في البلدان الصغرى مما هو في المدن الكبرى ٢ً حيث يقل عدد السوريين فهناك يكثر اعتبارهم ونفوذهم وحيث يكثر عددهم فهناك يقل اعتبارهم ٣ً لان للسوريين في مدن وبلدان الداخلية مداخلات سياسية . وهي ولئن تكن ضعيفة بالنسبة الى الحاجة المطلوبة الا انها كانت اقوى واسطة لنفوذ السوري في الداخلية

خذ لك مثالاً اوماها ، نبراسكا ، فجالية السوريين كانت مقسومة حزبين في ايام الانتخابات المحلية الاخيرة . حزب من جانب الحزب الجمهوري . وحزب من جانب الحزب الديموقراطي . ومع انها كانت منقسمة فانها تمكنت من تعيين عدة موظفين في دائرة البلدية

(١) استقلت المكسيك تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ ، حاشية للكاتب .

بعد الانتخاب . وكثيراً ما ظهر نفوذهم في محاكم المدينة

❊ تجارة السوري في الداخلية ❊ للسوري في الداخلية تجارة واسعة مع باعة السوريين المتجولين ومع الاميركيين . وهم غالباً في حالة راضية من حيث النجاح المادي . ولقد بلغت رؤوس اموال كثيرين من افراد تجارنا في الداخلية ثلاثين الف دولار او ستة الآف ليرة انكليزية . واحقر تاجر في الداخلية لا يقل رأس ماله عن خمسمائة ريال

ولكثيرين من تجار الداخلية مقدرة غريبة على شراء البضائع بارخص من مصادرها الاصلية وقد تحققت ان بضعة تجار سوريين في بلدان متنوعة في الداخلية قد تمكنوا من حصر التجارة فيهم فاضطر تجار الاميركان الى الرحيل عنها

❊ السوري والزراعة في الداخلية ❊ للسوريين في الداخلية مئات مزارعين في ولايات مختلفة . ويوجد عشرات منهم في ولايتي داكوتا الشمالية والجنوبية . وقد استخرج اكثرهم من التراب تبراً وصاروا على جانب من الثروة . وغنيٌّ عن البيان انه لو وجهت الجالية السورية عنايتها الى الزراعة والفلاحة منذ اول عهد المهاجرة السورية لكانت ثروة السوريين في اميركا اضعاف ما هي الآن (١) وكان اعتبار حكومات الولايات لهم عظيماً . فحكومة العم سام تعتبر الفلاح كثيراً وتساعده وتحسبه من اهل البلاد . وحقاً ان حياة فلاحنا النشيط حياة سعادة واستقلال وصحة ونشاط . وحبذا ان يزداد عدد المزارعين بين الجاليات السورية فكلما كثر عددهم تقوّت منزلتهم لدى القوة الحاكمة وتوفرت ثروتهم

❊ علاقة سوريي الداخلية بسوريي نيويورك ❊ للسوريين في الداخلية علاقة شديدة بسوريي نيويورك من حيث التجارة والصحافة . والهيئة السورية العاملة في العالم الجديد عبارة عن تجارة وصحافة . فنجاح تجارة اخواننا في نيويورك متوقف على تجارنا وباعتنا في الداخلية .

---

(١) ❊ الجامعة ❊ نوافق حضرة الكاتب على ما ذكره هنا بشأن الزراعة وفي نية الجامعة ان توجه في فصول تالية انظار المهاجرين الى مسألة الزراعة في الولايات المتحدة خاصة وان كان كثيرون منهم يرون ان ربحها قليل وعرضة لخطر العناصر الجوية خلافاً للتجارة . ونرجو من كل ذي عمل في الزراعة في هذه البلاد ان يتحف الجامعة بما لديه من المعلومات عن زراعة المهاجرين تسهيلاً لنشر ما نريد نشره بهذا الشأن الذي نود توجيه انظار المهاجرين اليه ودفع الافكار نحوه

ولولا هؤلاء لما كانت قامت قائمة لتجارنا النيويوركيين . وما يقال في التجارة بهذا الشأن يقال بالصحافة . فاذا كف سوريو الداخلية عن امداد صحافيينا وقطعوا اشتراكاتهم بالصحافة العربية ماتت صحافتنا بلا مدافعة . فالفضل في نجاح تجار الجالية واصحاب الجرائد العربية في نيويورك راجع معظمه الى النزالات السورية في الداخلية

﴿ مستقبلنا في الداخلية ﴾ اما مستقبل تجار الداخلية فربما يكون افضل من مستقبل تجارنا في نيويورك اولاً لان «الكشة» لا بد ان تموت في المستقبل وتجارة سوريي نيويورك متوقفة غالباً على هذه التجارة . وثانياً لان اكثر تجار الداخلية اصبحوا قادرين على استجلاب البضائع من مصادرها الاصلية كما يفعل تجار نيويورك انفسهم . وثالثاً لان اكثر باعة الكشة في الداخلية يتعاملون مع تجار الداخلية . اما باعة الحرير في الداخلية فيتعاطون مع تجارنا النيويوركيين

﴿ طلاب العلم في الداخلية ﴾ للسوريين في الداخلية بعض الاهتمام لتهذيب الناشئة . فاكثر اولادنا يتعلمون في المدارس العمومية وبعضهم في المدارس العالية . اما عدد طلبة الطب في الداخلية فيقدر بعشرين طالباً . وعندنا في الداخلية لا اقل من ١٠ اطباء سوريين

﴿ عادات سوريي الداخلية ﴾ السوري في عاداته مع السوري كسوري ومع الاميركي كأميركي . فهو قادر على درس عوائد الاميركان وقادر على البقاء على عوائده . على ان الذين ولدوا وترعرعوا وشبوا في سوريه يفضلون عاداتهم على العادات الاميركية والذين شبوا تحت سماء اميركا هم اشد ميلاً الى العادات الاميركية مما الى العادات السورية . وهذا مما يدل على ان عادات السوريين لا بد ان تزول من اميركا

﴿ جمعيات السوريين في الداخلية ﴾ للجوالي السورية في الداخلية بضع جمعيات حية مفيدة وهي تمثلهم لدى الاميركان كجوالي عاملة . وكثيراً ما اعتبرت الحكومة بعضها في جانب الاهمية وشاركها في احتفالاتها بعض رجال السياسة والحكام واهل الوجاهة



فلسفة جمال الدين الافغاني

وبعد تفصيله مذاهب الطبيعيين على ما تقدم في الجزء السابق انتقل الى بيان آثار الدين في البشر وآثار الطبيعيين فقال ان الدين اكسب عقول البشر ثلاث عقائد وثلاث خصال . اما العقائد الثلاث فاولاها . التصديق بان الانسان ملك ارضي وهو اشرف المخلوقات . والثانية . يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل . والثالثة . جزمه بان الانسان انما ورد في هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة بان تسمى بيت الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضي سعادتها ولا تنتهي مدتها .

واما الخصال الثلاث . فاحداها خصلة الحياء . والثانية . خصلة الامانة . والثالثة . خصلة الصدق . ثم قال وهؤلاء النيشريون . في اي امة وباي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المسدس الشكل قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران : . ثلاث عقائد وثلاث خصال . ثم استطرد الى ذكر الامم التي ظهرت فيها النيشرية فقال ان . الكريك . اي اليونان كانوا اقوياء اعزاء مع قلة عددهم فلما ظهر فيهم ابيقور واتباعه متسمين بسيماء الحكمة دالت دولتهم . وكذلك دولة فارس بعد ان ظهر فيهم مزدك النيشري على عهد قباد وجعل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم . وكذلك الامم الاسلامية لما ظهر بعد القرن الهجرة النيشرية بمصر تحت اسم الباطنيه وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . قال . وقد ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حروب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية . قال وكذلك الشعب الفرنسوي فانه كان قوياً عزيز الجانب حتى ظهر فيه فولتير وروسو . يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم . والاضاليل التي بثها هذان الدهريان هي التي اضرمت نار الثورة الفرنسوية المشهورة وفرقت اهواء الامة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها . . وكذلك الامة العثمانية . انما رقت حالتها في الازمنة الاخيرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا

يذهبون مذهب النيشريين

ثم استطرد الى الامور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل فقال انها اربعة . اما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فتصبح الارض قتالاً وجلاداً بين الناس . واما شرف النفس « ولا يليق بذي عقل ان يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ولا مكان للنظر بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عن غصب الحقوق » واما الحكومة «فليس بخاف ان قوة الحكومة انما تاتي على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم المبين . اما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه ارباب الشهوات فمن اين للحكومة ان تستطيع رفعه . على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثيرا ما كانوا ممن تملكهم الشهوات فاي وازع يأخذ على ايدي اصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم واي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المكنة منهم من شره اولئك المتسلطين وحرصهم . لا جرم قد يكون الحاكم في خفي امره رئيس السارقين وفي جلي امره قائد الناهبين » « فاذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الامر الرابع اعني الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس » ثم استطرد الى تفصيل في محامد الاسلام وفضله

تلك خلاصة فلسفة الاستاذ جمال الدين . هذا هو الاساس (المدرسي) الذي يريد الاستاذ بناء نهضة الشرق عليه : الصدق . الحياء . الامانة . الايمان بالله وبالآخرة . اعتقاد كل انسان ان دينه افضل الاديان وان جرّ ذلك الى الحروب بين جميع الاديان . وقد سميناه « مدرسياً » لان جميع الطلبة في جميع الملل يتلقون هذه المبادىء في المدارس منذ نعومة اظفارهم

اجاب الافغاني هذا الجواب للسائل من مسلمي الهند وقد انقضى اليوم على جوابه ٢٦ سنة . وكان يومئذٍ المسلمون في الهند والهندوس الغير المسلمين متساوين في الحالة الاجتماعية والادبية تقريباً . اما اليوم فالهندوس تقدموا المسلمين بمراحل وارتقوا عن اخوانهم ومواطنيهم ارتقاء عظيماً شهد لهم به اخوانهم المسلمون انفسهم . ولا شك في انه لا نسبة ولا مشابهة بين دين الاسلام الراقي ودين الهندوس الذي يسمونه وثنياً . اذاً ما سبب هذا الارتقاء عند قوم دينهم اضعف من دين الاسلام والضعف والبقاء على حالة واحدة عند اهل الاسلام الراقي . هل يحمّل التاريخ السيد جمال الدين وكل من حذا حذوه وتلا تلوه من ائمة المشرق هذه التبعة الكبرى . سنذكر في جزء تالٍ جوابنا على ذلك ورأينا في ما يعترض

به على فلسفة جمال الدين التي نقدم تلخيصها وربما استطردنا منها الى آراء وافكار يصعب على الجامعة نشرها اذا لم يقابلها قراؤها في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية بسلامة نية كما تكتبها بسلامة نية

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

اشهر الرسوم واعظم الرسّامين
وتاريخ مرسوميهم

هذا باب جديد نفتحه في الجامعة وننشر فيه اشهر الصور واعظم الرسوم الموجودة في متاحف اوروبا واميركا والقصور الكبرى . والنسخة الاصلية لكل واحدة من هذه الصور المنشورة في هذا الباب قد يبلغ ثمنها مئات الوف فرنكات . ورب صورة بلغ ثمنها مليون فرنك او اكثر . وفي اثنائها ننشر تاريخ الرجال الذين يرد الكلام عليهم وشيئاً من ترجمتهم . المصوِّرين والمصوَّرين

﴿ عاطفة الجمال ﴾ قال ايمه مارتين في كتابه « تربية امهات العائلة » : متى رأيت الفلاح يعتني بالزهرة ويضعها في شباك كوخه فاعلم ان نفسه اخذت في الارتقاء لاتجاهها نحو الجمال » . وقد عدّ فلاسفة العمران « عاطفة الجمال » في مقدمة البواعث على ترقية النفوس وتنقية الاذواق وتهذيب العواطف . ولذلك يضعون الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى والشعر والادب والحب والنقش في مقدمة وسائل تهذيب النفس . وقال الفيلسوف نيتش في كتابه « ما وراء الخير والشر » مع كونه فيلسوفاً رياليستياً محضاً انها خير ما في الدنيا مما يستحق ان يحيى الانسان من اجله . وبدونها لا قدر ولا طعم للحياة

والرسوم التي سننشرها في هذا الباب حيناً بعد حين من اشهر الرسوم التي اجتمعت فيها عاطفة الجمال في اشد مظاهرها واسمى معانيها . نعم ان جمالها السامي لا يظهر الا في حالتها

والوانها الاصلية ولكن ملامحها ولوائحها تبقى مصونة مع ما طرأ عليها من التصغير والنقل والطبع بمطابع هائلة خشنة بدل قلم راسمها اللطيف النحيف المصوغ من جمال الهي كانه شُق من قوس قزح وغُط في نور الجنان

❊ ملاحظة مضحكة ❊ وعلى ذكر هذه الرسوم المشهورة في جميع العالم المتمدن لا نتمالك ان نذكر فكاهة لبعضهم . فقد كان بعضهم يُنزل نفسه منزلة الناقد البصير في كل شيء . فبينما كان يوماً ينتقد كتاباً من ارقى واسمى ما كُتب ويقول انه كتاب اعتيادي كباقي الكتب ابرز له احد السامعين صورتين وقال له اذا كانت عاطفة الجمال قد بلغت عندك مبلغاً يجيز لك ان تضع نفسك موضع الناقد لمحاسن الادب الكتابي اي انك اصبحت قادراً على التمييز بين الجميل والغير الجميل فاحكم لنا اي الصورتين اجمل . فتأمل صاحبنا في الصورتين تأمل رجل واثق بعلمه وصدق نظره ثم قال . لا شك ان هذه اجمل ثم اشار الى احدى الصورتين وكانت تمثل جباب الألب وثلوجه . فضحك سائله وقال هذه صورة لمصور عصري من اصغر المصورين . والصورة الثانية التي لم ترَ فيها شيئاً من الجمال هي صورة « النهار والليل » لميشل آنج اشهر المصورين بعد رفائيل وهي من اشهر الصور . ولم يكن ينقص صاحبنا الا ان يثبت ان مصوّره الصغير ابرع في التصوير من ميشل آنج - هذا درس للذين يحكمون في اشياء لا يفهمونها وهم يدعون انهم يفهمونها ويقدرون على التمييز بينها

❊ ينبوع جوفانس ❊ قال بوزانياس (١) ان في (الموره) في بلاد اليونان ينبوعاً يردّ الشباب والجمال الى من فقد شبابه وجماله . وقد وضع هذا الينبوع في (نوبلي) « اركوليده اليوم » وهي بلدة في الموره في خليج نوبلي عدد سكانها نحو عشرة آلاف نفس . والسبب في ان هذا الينبوع يعطي الشباب والجمال للمستحم فيه ان الالاهة جونون زوجة جوبيتر كبير الآلهة كانت تستحم فيه ليبقى لها جمالها فتنة لزوجها جوبيتر . وغيره من المؤلفين القدماء يقولون ان جوبيتر حوّل احدى العذارى نبعاً وخصّ هذا النبع بمزية رد الجمال والشباب . وكانت هذه العذراء تُدعى « جوفانس » فسمي النبع باسمها . وكلمة « جوفانس » في اللغة الفرنسوية Jouvence معناها (الشباب)

ومن الغريب انه انتشر خبر هذا الينبوع بين الناس في العصور الوسطى وصدّقوه واخذوا يبحثون عنه . ولما اكتشفت اميركا قالوا ان الينبوع المذكور موجود فيها . والاغرب ان

---

(١) مؤرخ وجوغرافي يوناني عاش في القرن الثاني للميلاد المسيحي



نبع جوفانس
حيث يستحم النساء فيعود اليهن
شبابهن وجمالهن المفقود
La Fontaine de Jouvence

ولاية فلوريده في الولايات المتحدة قد اكتُشف في اثناء البحث عن هذا النبع . فكان سبباً في الوصول اليها . ولذلك كان يجب ان تُدعى (ولاية جوفانس)

والرسم الذي ننشره هنا هو رسم هذا النبع كما تصوَّره الرسام Ehrmann . وهو يمثل نبعاً في اكمة تحيط بها الاشجار والنساء مقبلات عليه يشربن من مائه ويستحممن فيه استرداداً لشباب زائل وجمال ذابل . هذا في الخيال ولكن الحقيقة تقول لهن

يامن يردُّ عليَّ ما فقدت يدي
هيهات ليس يُردّ امس الى غد

ولسنا نجد موضوعاً شعرياً يسبح فيه خيال الشاعر افضل من هذا الموضوع . فاذا كان احد من الشعراء يطلق خياله فيه . جاءت مصبوغة بماء حسنه قوافيه . وراسم هذا الرسم هو فرنسوى اميل ارمان Ehrmann ولد في سنة ١٨٣٣ واشتهر بكثرة رسومه واتقانها معاً . وتاريخ رسمه هذا سنة ١٨٧٣

ايوب بلايا ايوب مشهورة في التوراة في سفر ايوب . ويقول بعضهم ان هذا السفر رواية فلسفية وضعية ويقول غيرهم ان ايوب رجل عاش في ارض حوران في الشام بعد ابرهيم الخليل وقبل موسى . وكان غنياً ففقد امواله واملاكه ومات اولاده فجلس على مزبلة ضعيفاً قريحاً وهو يردد قوله المشهور : الله اعطي والله اخذ . فلما راى الله منه هذا الصبر على بلاياه عوَّضه خيراً مما كان فيه فعاد الى سابق عزه وثروته ورزق عدة اولاد

وسفر ايوب يمكن قسمته الى ثلاثة اقسام . القسم الاول ايوب قبل محنته والقسم الثاني بعد محنته . والاهمية في هذا القسم انما هي في الجدال بين ايوب واصدقائه . فان اصدقاءه كانوا يثبتون له ان ما وقع له انما وقع بسوء تدبيره وفساد عمله . اما هو فكان



ايوب في محنته

ينكر ذلك بحجة ان تلك ارادة الله . وفي القسم الثالث يفصل الله بين الفريقين بقوله انه اذا كان اصدقاء ايوب مصيبين على وجه الاجمال فقد اخطأوا بقسوتهم على ايوب واضطهاده . ومن ذلك يظهر ان مدار هذه القصة على (اختيار الانسان وعدم اختياره) ولعلها اول قصة في هذا الموضوع الفلسفي

والرسم الذي نشرناه هنا هو للرسام بونا Bounat وقد عُرض في معرض باريز سنة ١٨٨٩

وقد ذهب ايوب مثلاً في اللغات الحية فصاروا يقولون . صبر ايوب . اصدقاء ايوب . امرأة ايوب . يريدون بها امرأة تحب الخصام والنزاع لان زوجة ايوب كانت شديدة الخصام له بعد محنته

مضيق ملاكوف كان الاستيلاء على سباستوبول اصعب الامور على جيش اوروبا المتحدة على روسيا في سنة ١٨٥٤ لمساعدة تركيا عليها وردّ الجيوش الروسية عن الاستانة . وهو يشبه من هذا القبيل الاستيلاء على بور ارثر . لان المهندس الروسي تودلبين الذي تولى تحصين حصن ملاكوف الحامي سباستوبول جعله امنع من عقاب الجو بانشائه امامه خطي دفاع منيعين . فهجم الفرنسويون في ٧ يونيو «حزيران» بقيادة الجنرال بوسكه تحت امرة الجنرال بليسيه فاستولوا على موقعين . وفي ١٨ منه شرعت الجيوش المتحدة في الهجوم على حصن ملاكوف نفسه فدحرها الروس وقتلوا منها ثلاثة آلاف نفس في جملتهم الجنرال ميران والجنرال برونه . فاقتصروا بعد ذلك على الهجوم تدريجاً حتى كان يوم ٨ سبتمبر فعاودوا الكرة على الحصن فلم يدخل الظهر حتى ظهرت جنود الزواف وراء الاستحكامات وتسلقوا الجدران حيث نصبوا العلم الفرنسوي . فاصبحت الحرب التحاماً بين الفريقين اي ضرباً بالمعاول وخشب البنادق والفؤوس . ولما قيل لمكماهون القائد العام ان يرتد لان الروس قد جاءهم المدد والحصن ممتلئ بالالغام اجاب بكلمته المشهورة : مهما يكن . هنا وصلت وهنا اقيم . وفي الساعة الرابعة تم استيلاء الفرنسويين على الحصن



مضيق ملا كوف

هجوم الجيش الفرنسوي على الحصن
الفرقة الجزائرية الى اليمين وفي مقدمتها
صف ضابط وطني يلبس طربوشاً يُنفخ لها بالمزمار الحاناً محمسة

والرسم الموجود هنا يمثل هجوم الجيش الفرنسوي على الحصن حين مروره في «مضيق ملا كوف» اي المضيق الموصل الى الحصن . ففي اعلى الرسم الى اليمين الجنرال فنوى واقف يدير حركة الهجوم والراية الفرنسوية امامه تعبث بها الريح بين الدخان المنتشر . وتحت الراية فرقة الرماة الجزائريين الوطنيين يهجمون بحماسة الشرق وفي مقدمتهم «الصف ضابط» مصطفى ينفخ في المزمار الجزائري لحناً جزائرياً حماسياً لتحميسهم . وهذه الصورة موجودة اليوم في متحف فرساليا ومصورها ادولف ايفون

﴿ راسمها ﴾ هو ادولف ايفون المصور الفرنسوي ولد في سنة ١٨١٧ وتوفي في باريز سنة ١٨٩٣ . وكان في بدء حياته فارساً يحرس الاحراش ثم كره حرفته ودخل في معمل المصور ديلاروش . ولما بدأ في التصوير طارت شهرته فساح في روسيا ورسم « معركة كوليكوف» فابتاعها منه امبراطور روسيا ولا تزال في قصر كريملين حتى اليوم . وقد ظهرت براعته بالاكثر في تصوير وقائع القتال . فلما نشبت الحرب بين روسيا من جهة والدولة العثمانية

واوروبا من جهة اخرى عهد اليه الامبراطور نابوليون الثالث ان يرافق الجيش الفرنسوي ويصوّر وقائعه . فصوّر في هذه الحرب ثلاث صور الاولى استحكامات ملاكوف . الثانية مضيق ملاكوف . الثالثة سقوط ملاكوف . وافضلها الصورة الثانية التي نشرناها لانها ترسم الواقعة كما كانت تماماً بلا زيادة ولا نقصان خصوصاً حالة المكان والجو ساعتئذٍ . اما الصورة الثالثة فقد غالى فيها اظهاراً لعظمة قومه الذين فتحوا الحصن



يونان

حين لفظه الحوت من جوفه

﴿ يونان ﴾ قصته مشهورة في التوراة لانه من انبياء اسرائيل وهو من قبيلة زبولون . اوحي اليه الله على ما جاء في التوراة ان يذهب الى اهل نينوى الذين تمادوا في الشر ليدعوهم الى التوبة فتمرّد يونان وركب البحر من يافا قاصداً الفرار في مركب فينيقي . فطرحه البحارة في البحر لانهم وجدوا انه علة الزوبعة التي كادت تودي بسفينتهم . فابتلعه حوت وقذفه على شاطىء جبه بعد ان اقام يونان في جوفه ثلاثة ايام . فبعد نجاته من الحوت ندم يونان على تمرده فذهب الى نينوى ووعظ اهلها فثابوا الى التوبة . وهذا الرسم يمثل الحوت حين لفظ يونان من فيه . وهو رسم ايبوليت فلاندرين رسمه على جدار كنيسة سان جرمين دي بره في باريز . ولرفائيل تمثال بديع يمثل يونان وهو قائم اليوم في كنيسة سانتا ماريا في رومه . وكذلك ميشل آنج رسمه على جدار كنيسة سيكستين في الفاتيكان

﴿ ارميا الحزين ﴾ هكذا صوّره ميشل انج المصور المشهور . وهذه الصورة موجودة على جدار كنيسة سيكستين في الفاتيكان

يقول كثيرون ان ارميا لم يوجد في التاريخ وانه شخص خيالي ولكن سفر ارميا يدل على انه تاليف ارميا نفسه الا بضع فقرات فيه . وكان ارميا بحسب التقاليد من اكابر



ارميا الحزين

احدى صور ميشل انج في الفاتيكان

انبياء بني اسرائيل وهو من قبيلة بنيامين ولد حوالى سنة ٦٥٠ قبل الميلاد وتوفي في مصر على الارجح سنة ٥٩٠ وكان ابوه من الكهنة . وكانت مملكة اليهود في فلسطين واقعة بين عدوين مصر وبابل . فكان ارميا يعارض في الاتفاق مع مصر ويدعو الى الاتفاق مع ملوك بابل . وقد اشتد يوماً في المعارضة فالقي عليه القبض في حكم الملك سيديسياس وطرح في بئر ولولا مداخلة احد ضباط الملك لقضى نحبه فيها . ثم حمل البابليون على اورشليم واخربوها واسروا شعبها فجاء ذلك محققاً ظن ارميا . ولما خربت اورشليم بقي ارميا بين اخربتها يندب عز اسرائيل ولكن بعض الاسرائيليين حملوه بالرغم منه على السفر الى مصر فجاءوا به الى مقربة من بلدة بلوزه (بور سعيد اليوم) ويقال ان اليهود قتلوه هناك لضجرهم من شدة ملامته لهم وحملته عليهم

رسائل ومسائل

هل يزول اختلاف العلماء والفلاسفة

اشابيولا « اوهايو » حنا افندي بولس الدبس

هل من يوم تجتمع فيه آراء العلماء والفلاسفة ويبطل الخلاف في مذاهبهم . وهل هذا الاختلاف ناجم عن تفاوت العقول او ماذا

﴿ الجامعة ﴾ الخلاف في مذاهب العلماء والفلاسفة اما خلاف علمي او خلاف فلسفي . فالخلاف العلمي يمكن زواله في المستقبل لان العلم الطبيعي مبني على الامتحان والتجربة والمشاهدة . والعلماء انفسهم يقولون اليوم انهم اطفال على شاطئ بحر العلم العظيم . وقد قال تولستوي انه لا يجوز ان نسمي « العلم الحاضر » علماً حقيقياً لان « العلم » المطلق يقتضي

ان يكون صاحبه قد ادرك كنه كل شيء . فمتى « كمل العلم » اي متى تمكن الانسان من جميع اسرار الطبيعة فالخلاف في المسائل العلمية الاصلية يبطل بين العلماء دون شك لثبوتها او نفيها بالتجربة او المشاهدة

اما الخلاف الفلسفي فاعظم خطراً من الخلاف العلمي واشد صعوبة . فان كان الغرض من الفلسفة معرفة الانسان « في اين والى اين ومن اين » فهذا امرٌ سيبقى على ما نظن مثار الخلاف بين الناس الى الابد . لان موضوعه ما وراء الطبيعة فهو لا يستغني عن الافتراض والتخمين . وكل المذاهب التي تقوم بشأنه ينقض بعضها بعضاً . واما اذا كان الغرض من الفلسفة معرفة الانسان « افضل المبادىء الفلسفية الاجتماعية لسياسة الافراد والشعوب والعمل بها » فهذا امرٌ يمكن ان يزول الخلاف بشأنه بالتجربة والاختبار مع مرور الزمان . فان المبادىء شديدة الاحتكاك اليوم في الكرة الارضية بعضها ببعض فبعد الف سنة مثلاً او الفين سيظهر ولا شك ايها الافضل لسياسة الافراد والشعوب . وبالاختصار ان الفلسفة الاجتماعية سيظهر افضلها بالتجربة في الناس . والفلسفة الغير الاجتماعية كالدينية مثلاً لا ينسخ افضلها مفضولها الا باحد امرين اما وحي جديد يُسكت المعارضين واما اكتشاف علمي جديد هائل يثبت عكسه

اما سبب الاختلاف فقد ظهر مما تقدم . فانه ناشئ اولاً عن « ان الانسان لا يزال جاهلاً » وثانياً « ان الامور التي لا تقع تحت حواسه لا يمكنه ان يحكم فيها حكماً واحداً لتشعبها وتناقضها واختلاف تربيته ومصالحه واحواله الوراثية والاجتماعية

عذاب الشيبة الشرقية

التي لم تجنح بعد الى المبادىء المادية

(الاسكندرية) . . . . . .

لا يخفى على فطنتكم ان الانسان مفطور على حب معرفة الحقيقة . ولذا كان الناس لا يستريح لهم فكر ولا يستقر لهم قرار الا اذا بحثوا ونقبوا توصلاً اليها . ولكن الناس ينقسمون الى قسمين . الاول وهم الذين لا غرض لهم سوى البحث عن الحقيقة . والثاني وهم الذين لا غرض لهم سوى تأييد آرائهم سواء كانت مبنية على حقيقة او على غير حقيقة للحصول على اغراضهم وآمالهم . وبما ان الخبرة دلتني على ان الجامعة من رجال القسم الاول فاحب ان اقف على حقيقة امرٍ دينيٍ على يدكم لتكشفوا لي الستار عن الحقيقة وتوضحوا لي الامر

اتم وضوح . ولما كانت مجلتكم تتحاشى الخوض في الامور الدينية فقد جئتكم مستفهماً عما اذا كان يمكنكم افادتي بخطابات بيني وبينكم (الامضاء)

﴿الجامعة﴾ تألمنا جداً حين وردنا هذا الكتاب وهو من مصري اديب لا نسميه لخطارة الموضوع فضلاً عن انه لم يكتب للجامعة هذه الفقرة لتنشر فيها كما يظهر في السطر الاخير منها . وانما نشرناها للدلالة على عذاب نفوس الشبيبة الشرقية في هذا العصر من الوجه الديني . وقد رأينا اثر هذا العذاب في رسائل عديدة وردتنا في السنوات الثلاث الماضية من عدة جهات منها رسائل شاب هو اليوم صديق حميم للجامعة أثارت فينا شجناً شديداً فرأينا من واجباتنا ان نكتب اليه عدة رسائل تلطيفاً لتلك الحدة والعذاب النفسي . وقد قال ان تلك الرسائل نفعته وسكنت ثائرته بعد ذلك . ولذلك سننشر في اول فرصة مقالة خصوصية للشبيبة على ذلك المثال . شبيبة . شبيبة . انك لم تخلقي في الشرق لتفني قواك وعزائمك في امور وشؤون لا طائل تحتها . ان لديك وظيفة سامية وعليك تبعة كبرى . انظري الى امام لا الى وراء

﴿الاستاذ جبر دومط والجامعة﴾ الاستاذ جبر دومط مدرس البيان في الكلية الاميركية في بيروت من اساتذة صاحب الجامعة . وقد سألت الجامعة حضرته شيئاً من قلمه لسنتها الخامسة في جملة الافاضل الذين سألتهم مثل ذلك فوردها منه ما يلي ضمن كتاب خصوصي

« انا الآن مشتغل بتاريخ بلاد العرب ودولها قديماً واصل قريش خصوصاً وسبب قيام هذه الدولة . والبحث يقتضي وقتاً و يستغرق كراريس ولا ازال اهيئ له بالمطالعة والتحقيق . فان صبرت عليّ خصصت الجامعة به ونشرته فيها . ولربما ترجمت كل ذلك الى الانكليزية وقدمته لاحد مجامع العلم في انكلترا او اميركا

« كنت اظن اني استطيع شيئاً في اثناء الصيف فاذا بي قد اكتهلت او بلغت آخر هذا الطور . وليس لاهل هذا السن ما للشبان من الهمة والنشاط »

فالجامعة تبشر قراءها بهذا الكتاب الجديد الذي تنتظر الملزمة الاولى منه في وقت قريب

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

ولما عاد ريشار الى منزله سأل الخادم اهنا سيدة تنتظرني فاجابه انها في القاعة فدخل ريشار بغضب الى القاعة فوجد فيها لادي ويلور ام المس ويلور التي عزم على الاقتران بها . وكانت جاني ومبراي في المنزل فلما رأى مبراي المس ويلور صاح بنفسه مدهوشاً : كارولين . الهي ما جاء بها الى هنا . ثم اسرع واختبأ منها في غرفة مجاورة . ولما دخل ريشار على لادي ويلور قالت له بعد التعارف جئتك يا سر ريشار لاطلعك على امر قبل عقد الزواج بينك وبين ابنتي . ان ثروتي الخصوصية ليس في وسعي ان اهبها اليها . وذلك .. وذلك .. آه اني اخجل من نفسي اذا ذكرت ذلك . ولكن لا بد منه . ذلك لان لي ولداً غيرها يا سر ريشار

فقال ريشار مدهوشاً انتِ ؟

فقالت

نعم لي غيرها ولدُ	ولكن ما درى احدُ
نتيجة ذلة فرطت	عداني عندها الرشدُ
اذا ما رحت اذكرها	عناني الهم والكمدُ
واستر عندها وجهي	وذاك لهول ما اجد

ريشار -- ولكن الم يدرِ به زوجك

لادي ويلور -- نعم لم يدرِ زوجيَ ما	قضاه الواحد الصمدُ
قضى بالهند وهو اذاً	لأهل الهند معتمد
فمذ اصبحت ارملة	فلا عضدٌ ولا سند
حننت اذاً الى ولدي	ورقت مني الكبد
اردد ذكره وجوا -- نحي بالهمّ تتقد	
اردد ذكره اذ عاش	دوني وهو منفرد

فـلا امٌّ ترقُّ له فينعم ذلك الخلد
ولا يحنو عليه ابٌ فيقوى ذلك العضد
اري حقـاً عليَّ له (وهذا عيشه النكد)
يملك كل مـا تحوى يدي وجميع مـا اجد
اجود به فـلا سبدٌ اؤخره ولا لبـدٌ
عسى ان كان يلعنني لاني عنـه ابتعدُ
سيجمل في ترحمه عليَّ اذا انقضى الامد
الستَ تظنُّ يا مولا — ي ذا حسنـاً وتفتقدُ

ولا شك ان القارىء قد علم من صراخ مبراي : (كارولين) ان لادي ويلمور ابنـة المركيز سيلفا هذه انما هي السيدة التي خطفها الجلاَّد (مبراي) في بدء القصة ووضعت في قرية درلنتن الطفل ريشار . فهي اذاً ام ريشار وهو الولد الذي كانت تتكلم عنه

فاجابها ريشار لا شك في ان رأيك حسن يا سيدتي فهبيه كل ثروتك وخذيه الى قصرك ليعيش معك . فقالت ولكن هذا محال يا سيدي . فقال لماذا قالت لان ذلك يقتضي ان اعرفه بنفسي وهذا امرٌ مستحيل . فقال لماذا . فقالت آه هذا سرٌّ آخر . ذلك انه متى عرفني فانه يطلب مني معرفة ابيه وانا لا استطيع ذكر ابيه

فقال ريشار فالافضل اذاً ان لا يعرفك الولد . فقالت نعم وهذا ما رأيته ولذلك جئت اتخذك وسيطاً بيني وبينه . فانني اطلب منك ان تذهب اليه وتقول له ان امك التي تحبك ولا تنساك قد بعثت اليك بجميع ثروتها فعش سعيداً بها . فقال ريشار سأقوم بهذا الواجب بكل رضىً يا سيدتي . وثقي ان ولدك اذا كان اصغر سناً مني اعتبرته ابناً لي واذا كان بسني اتخذته اخاً لي

فصاحت آه شكراً لك ودعني اقبل قدميك

فصاح ريشار عفواً عفواً يا سيدتي . (ثم انهضها) ولكن في اي مكان يقيم ابنك لاذهب اليه في هذا الاسبوع

فاجابت هو مقيم في قرية . . . . . وهمت بذكر الاسم

واذا بصوت من الباب يصيح بها : ميلادي ويلمور هذا سرٌّ لا يجوز لك ان تبوحي به لانه لغيرك

فالتفتت لادي ويلمور نحو الصوت وصاحت (الهي هذا روبرصن) وكان المتكلم هو

مبراي نفسه

فقال لها مبراي : الزمي الصمت واتبعيني

فتبعته لادي ويلور مضطربة مرتجفة . وكان ريشار حينئذٍ في اشد حالات الدهشة . فسألها وهي خارجة : والحديث الذي دار بيننا ايتها السيدة ؟ فاجابت : لا تذكره بل انسه انسه يا مسر ريشار

وبعد دقيقتين عاد مبراي فوجد ريشار يرغي ويزبد فطرده ريشار من بيته بغضب شديد فخرج مبراي وهو يقول : يا لك من تعيس فاستعدّ الانتقام

ولما فرغ ريشار من مبراي صاح اين جاني وكانت جاني تنتظره في احدى الغرف فقال لها تعالي ايتها السيدة . فمشت جاني نحوه خائفة مضطربة وسألت ابن مبراي

ريشار . واي دخل لمبراي بيننا فقد طردته كما تطرد الجواسيس لانه يتداخل في ما لا يعنيه ويكدر صفو عيشك بما يقوله لكِ عني

جاني : كلا يا ريشار فانه لا يقول عنك الا كل خير

ريشار : اف . قلت لكِ انني سئمت منه ومن مراقبته فابعدته عني اولاً

جاني : ثم تبعدني انا ثانياً اليس كذلك ؟

ريشار : وهل تحسبين انني لم اضجر بعد من مطاردتك لي

جاني : اذاً انت تطردني من بيتك .. من بيتي .. آه ما اقساك

ريشار : انكِ تبكين ولكن اذا بدأتِ بالبكاء فبماذا تنتهين

جاني :

اتطردني ايا ريشارُ طرداً	كاني في عداد الخادماتِ
وانت طلبتني واخذت قلبي	فهل تنسى العهود الماضيات
وللزوجات بين الناس حقٌ	يعدُّ من الحقوق الواجبات
تكاشفني الهوى حتى اذا ما	هويت طرحتني في الهاويات
وقد فاتحتني بالحب قبلاً	فمالك سؤتني في الخاتماتِ

ريشار : ولكن ماذا تطلبين . ماذا تريدين

جاني : ريشار جئت اسألك جزءاً من حبك القديم

ريشار : حبي القديم انك مجنونة ايتها المرأة

جاني : ولكن اذكر الماضي يا ريشار

ريشار : الماضى هو العدم

جاني : اذاً لم تحبني قط في حياتك ؟

ريشار : اما وقد وصلتِ الى هنا يا جاني . فاسمعي . نعم لم احبك قط في حياتي . وانما كنت محتاجاً الى زوجة والى مركز فوجدتك امامي

جاني — يا للدناءة

ريشار — ولو وجدت يومئذٍ امامي امرأة غيرك بمركز كمركزك لاقترنت بها كما اقترنت بكِ . لان الهيئة الاجتماعية تضع حول نوابغ الرجال آلات ليستعينوا بها على الوصول الى اغراضهم

جاني — آه . ما افظع هذا القول

ريشار — فاعلمي اذاً الآن اني ما احببتك ولا احبك

جاني — اسكت اسكت فقد قتلتني

ريشار — واحكمي بعد ذلك في سفرك او اقامتك

جاني — بل اسافر اسافر يا سيدي

ريشار — (صائحاً بالخدم) اعدوا خيلاً للسفر

جاني — نعم اسافر لاذهب وابكي مصائبي

اسافر يا ظلوم وما ابالي ... فمن شقيتْ بمثلك لا تقيم
لاندب سوءَ حظي في خلاءٍ ... يساعدني به المولى الرحيم
وما طبُّ الهموم سوى انفرادٍ ... تخفُّ به عن القلب الهمومُ
لعلك ان تعود الى صوابٍ ... فقد يأسى على الظلم الظلومُ

ريشار — اعدوا خيلاً للسفر ..

جاني — ولكن ان ندمتَ عليَّ يوماً ... وعادك طبعك الماضي الحليم
وعدت تريدني من بعد هجر ... وهاج بقلبك الودُّ القديمُ
فسل عني الحوادث والليالي ... هناك يجيبك العظم الرميم

ثم سألته مع من تريد ان اسافر فقال مع سكرتيري طمسن . قالت ولماذا لا اسافر مع مبراي . قال لا احب ان اسمع اسم هذا الرجل ولا اعلم اين هو . فقالت جاني بنفسها حزينة وهل اسافر هكذا يا رباه بلا كلمة تخفف يأسي وعذابي

اني اطيعك ما امرتَ فقد غدا ... قلبي كمثل الثوب في إخلاقه
اماه قد صح الذي نبأتني ... عما اراك الغيب من أخلاقه

ثم دخلت لتستعد للسفر ولما عادت لم تجد ريشار بل وجدت طمسن ينتظرها ليذهب بها فقالت بانكسار : ذهب دون ان يودعني . ما كان ينقصني غير هذه

تولى لا يودعني ولا يلوي على احد
فلم امتع به نظري ولم امدد اليه يدي
وابقى خلفه كمداً تذوب لحره كبدي

ثم التفتت الى طمسن

هلمَّ بنا فان الوجـ ـد لم ينقص ولم يزد
وخير من حمى الاذ ـ سان عندي ملجأُ الاسد

(ستأتي البقية)

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المنبر ﴾ هي جريدة يومية جديدة صدرت في مصر القاهرة لصاحبيها حضرات محمد افندي مسعود واحمد افندي حافظ عوض اللذين زاولا صناعة القلم في جريدة المؤيد الغراء دهراً طويلاً وكانا القوة العاملة فيها . والمنبر جدير بالنجاح اذا كان نجاح الصحافة اليومية يتوقف على مادتها الادبية والسياسية لان صاحبيه الفاضلين من ابرع كتاب مصر ومقالاتهما في جريدة المؤيد مشهورة بين قراء اللغة العربية . فالجامعة كمجلة تقدمت المنبر في تاريخ الصحافة ترحب به ونرجو له كل نجاح

﴿ الاقلام ﴾ هي مجلة « عمومية تبحث في كل فن ومطلب » لمنشئيها حضرات جورج افندي طنوس ومحمد افنـدي ابو حسين وهي تصدر في القاهرة مرة في الشهر وسميت « الاقلام » لان كثيرين من ابرع الكتاب والشعراء يكتبون فيها . والاقلام طافحة بالفوائد الادبية والاجتماعية ومنظومات الشعراء المجيدين . منها قصيدة للشاعر البليغ مصطفى افندي المنفلوطي الذي يُعدُّ في الطبقة الاولى بين شعراء مصر موضوعها « الاقلام » واليك

منها هذه الابيات الجميلة في القلم

كان غصناً فصار عوداً ولكن   لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطر السماء فخال الأ –   مر فاستمطر العقول الغزارا
ارفيق المحراث يحيي سعيداً   ورفيق اليراع يقضي افتقارا
حاسبوه على الذكاء وقالوا   حسبه صيته البعيد فخارا
اوهموه ان الكلام ثراء   فغدا يسحب الذيول اغترارا
يحسب الند للقصيدة نقداً   ويرى البيت في القصيدة دارا
فاللبيب اللبيب من ودّع الطر –   س وولى من اليراع فرارا

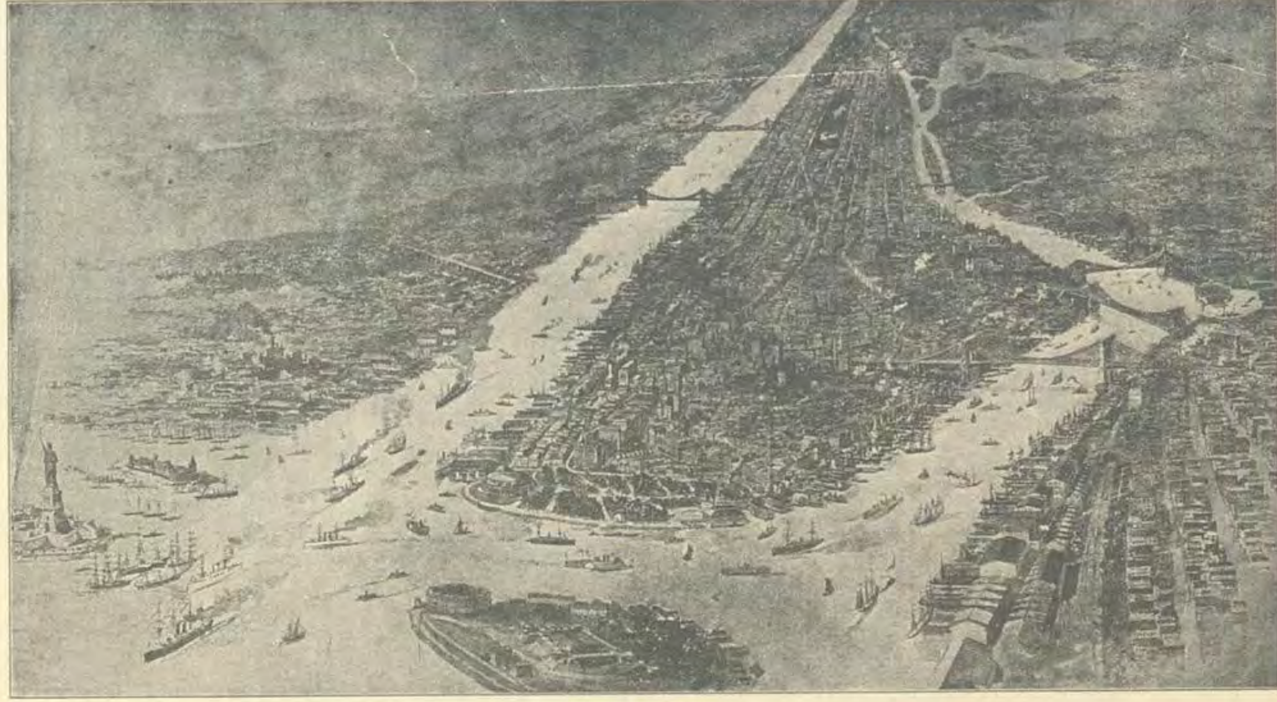
﴿ آفات المدنية الحاضرة ﴾ هو كتاب ادبي اجتماعي نال جائزة جمعية شمس البر في بيروت بقلم جناب جرجي افندي نقولا باز وقد طبع بنفقة جمعية شمس البر وخصص ريعه لاعمالها الادبية . وموضوع الكتاب تعداد آفات المدنية الحاضرة كالقمار والسكر والبراز والانتحار والبورصه والاحتكار والافلاس والزي « الموضة » والمشد والسل والداء الزهري وغيرها والكتاب مفيد للشبيبة فنثني على حضرة مؤلفه

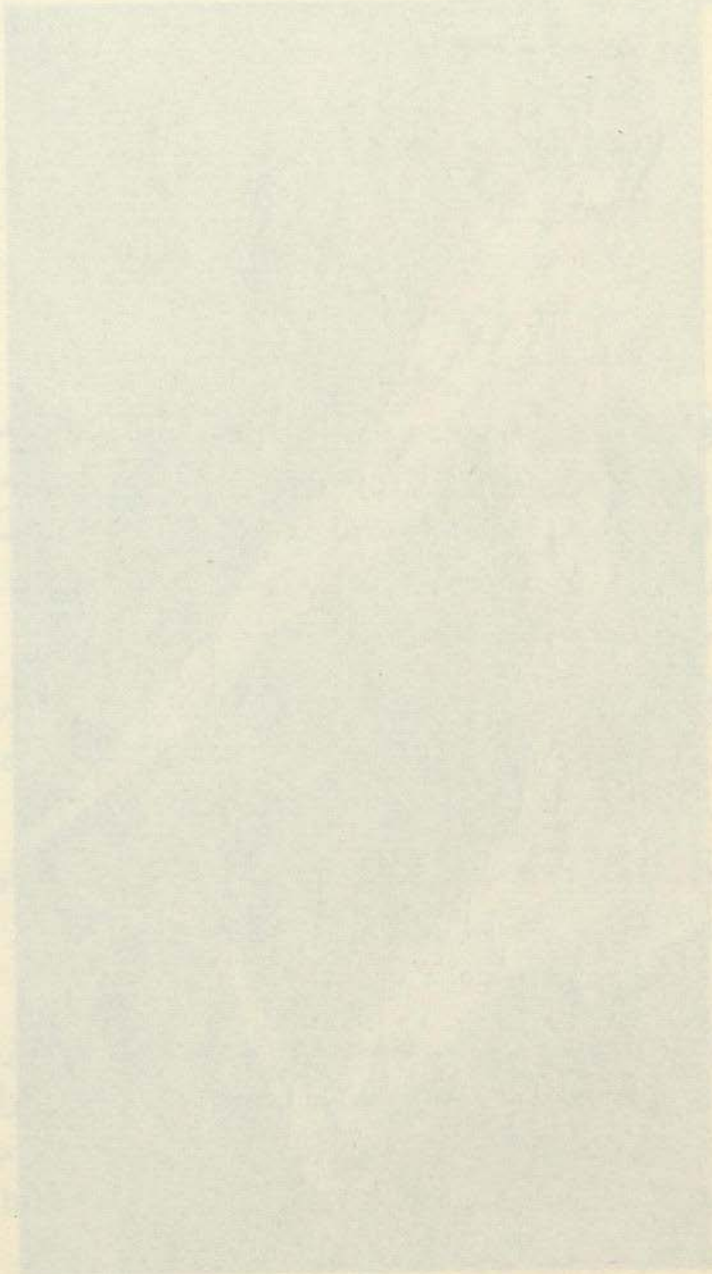
﴿ الدليل الى البرازيل ﴾ هو عبارة عن سياحة الى البرازيل تأليف حضرة الخوري جرجس توما في الحدث وكان حضرته قد سافر اليها قبل دخوله في السلك الاكليريكي . وفي الكتاب كثير من الفوائد للمسافر الى البرازيل والمقيم فيها

﴿ دليل الفردوس ﴾ هو كتاب خطب ومواعظ انشأها وجمعها حضرة الخوري افرام ايض وكيل غبطة بطريرك السريان في مصر واهدانا نسخة منها فلحضرته الشكر . والكتاب مطبوع في ٤١٤ صفحة بحرف صغير

﴿ ابو الهول ﴾ هو جريدة جديدة صدرت في البرازيل لصاحبها جناب شكري افندي خوري وموضوعها فكاهة وادب وانتقاد وقد حذا فيها حذو الجرائد الغربية الهزلية التي لا تدع موضوعاً محلياً وغير محلي الا وتبحث فيه . لكننا نرجو من الرصيفة ان تقلل من الكلام العامي والشعر العامي في صفحاتها وان كان ذلك يلذ بعض القراء . فاننا نحن هنا في اميركا « ونريد اصحاب الصحف » وظيفتنا ان نرفع القراء الينا لا ان ننزل اليهم

مدينة نيويورك = وهي شبه جزيرة بين (النهر الشرقي) الى شرقها و (نهر هدسن) الى غربها





العالم الجديد

رواية اجتماعية غرامية فلسفية تاريخية

القسم الاول

مريم قبل التوبة

تأليف

فرح انطون

صاحب الجامعة

نيويورك — اول اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠٦

موضوع الرواية

وقعت حوادث هذه الرواية في مجدل وطبريا والناصرة وجنيساره واورشليم وغيرها قبل ظهور المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى مابعد ظهوره وصلبه . واهم اشخاصها (مريم المجدلية) المعروفة في الانجيل بمريم الخاطئة . وهي قسمان القسم الاول (مريم قبل التوبة) والقسم الثاني (مريم بعد التوبة) . وموضوع الرواية ذكر الاحتكاك الذي حدث بين مدنية الرومان واليونان في ذاك العهد بالمدنية اليهودية من جهة وبالمدنية المسيحية التي كانت آخذة في الظهور من جهة اخرى . وتصوير (العالم الجديد) الذي كان يطلبه كل منها وماذا بقي منه الى هذا العصر مما يصح ان يكون (العالم الجديد) الذي تنشده الانسانية الراقية ويتمناه الفلاسفة

وسيظهر في هذه الرواية السيد المسيح وتلامذته

في فصول عديدة

وبذلك يكون موضوع الرواية (العالم قبل صلب المسيح) كما ان روايتنا (اورشليم الجديدة) كانت (العالم بعد صلبه)



مقدمة الرواية

﴿ في التينة تحت النخلة ﴾

قالت الحمامة الوديعة «اني ارى الفجر . وأَشمُّ في الهواء ريح العطر»

اجل هذا ما قالته يومئذٍ حمامة الخلاء لرفيقها في ليلة اشتدَّ بردها وسوادها وهي مختبئة بين الاغصان قرب عشها على شجرةٍ من شجر النخيل قائمة وسط غابة بين بحيرة طبريا وقرية مجدل . كانها رقيبٌ جعل في ذلك المكان الشاهق لرقابة الافق والانباء عما يحدث فيه

فرفع رفيقها الزوج رأسه الذي كان مدفونًا بين جنحيه وانتفض لتنبيه دمه واعصابه لا لنفض الغبار والهوام عن ريشه ثم قال وهو يسرّح عينيه الذابلتين من النعاس في الافق امامه . انني لا ارى شيئًا ولا اشمُّ شيئًا ايتها الحبيبة

فاجابته : انك طول عمرك لا ترى شيئًا . وكانه كُتب لكم يا معشر الذكور ان تبقوا عميانًا وكُتب لنا معشر الاناث ان نكون السابقات الى اكتشاف كل امر ذي علاقة بجمال الروح ولطفها . ولقد كان مثلك في هذا مثل زوج احدى نسيباتي التي بعث بها سيدنا نوح عليه السلام من فلكه لتعود اليه ببشارة انقضاء الطوفان . فانها قبل ان عهد اليها نوح بهذه المهمة قالت لميرا زوجها وهما في الفلك انها حلمت بان سيدها وسيدنا نوحًا سيعهد اليها بمهمة تجعل اسمها خالدًا على ممرّ الدهور . فضحك واجابها انها دخلت في طور الخرف . وانا اقول لك الآن يا فيرا : لا اعلم كنه الامر الذي أُحس الآن به . ولكني ارى الفجر . واشم في الهواء ريح العطر

فاجاب شحرور كان بائتًا تحتهما في تينة : لقد صدقت سيرا يا فيرا فاني ارى ما رأَت واشمُّ ما شمت . يا جارنا الهدهد اسمعت مقالة الحمامة

فاجاب الهدهد انني شيخٌ ضعيف البصر ولكني قويّ حاسة الشم . حقًا اني اشم هذه الرائحة الغريبة . ثم انظر انني اكلت الآن من هذه التينة فلم اهنأ زماني بطعم طيّب مطيَّب

كطعمها . فماذا جدّ في الارض وجوّها حتى صار لها هذه المزية . هل جاءت الساعة المنتظرة التي يُرفع فيها عنا نير الوحوش الحيوانية والبشرية (ويعيش الذئب والحمل) معاً

ولم ينقضِ نصف ساعة حتى انتشر الخبر بين جميع الطيور اللاجئة في الليل الى تلك الغابة . فاجتمعت الطيور المحلية والطيور الغريبة المارة بفلسطين في طريقها من هزار وكناري وببغاء وعندليب وبلبل وغراب وسماني وزرزور وحجل وغيرها وعقدت جلسة في التينة تحت النخلة . وكان هذا يقول ما هذا الطعم العطري الذي لهذه الثمرة . وذاك يقول انني زرت بلاد العرب والهند في هذا العام فلم اجد لمسكها وعودها ريحاً كهذا الريح . وغيره يقول ان الليل لا يزال دامساً والفجر بعيداً ومع ذلك نرى في الافق الشفق فياللعجب . وغيره يقول الا تشعرون بان اجسامنا خفت عن ذي قبل والهواء لطف ورق والنفس باتت منبسطة مرتاحة الى المعيشة في الارض

وكأن جلبة الطيور في التينة نبهت في الغابة وخارج الغابة جميع الحيوانات التي كانت هناك فاتجهت جميعها تقصد التينة لترى سبب هذا الصياح . فزحفت الافعى تسعى . وجاء الثعلب يتبختر ويقول : يا واهب يا فتاح افتحها في وجهنا . وجاءت الضبع من ورائه من بعيد لان علماء الحيوان يقولون انه لقصر نظرها وضعف شمها تتبع الثعالب من بعيد وتلازمها لتهتدي بهديها الى الجيف والفرائس لما هو مشهور من دقة نظر الثعلب وقوّة حاسة الشم عنده . ثم نُظر سرب من الغربان يحطّ في تلك الغابة . وفوقه باشق يحوم ليسمع ويرى لعله يقدر على صيد هناك . وفوق الباشق سلطان الجوّ وملك الطيور النسر الهائل وهو باسط جناحيه وجامد في مكانه في الهواء كشخص جالس على السحاب لا يتحرّك منه شيء غير عينيه ينظر بهما مزدرياً تلك الحيوانات الحقيرة التي تجلب وتلعب تحته

ولما علمت هذه الحيوانات الضارية بسبب هياج الطيور ضحكت الافعى وقهقه الثعلب حتى استلقى . وبينما هو يقهقه سمع صوتاً وحشياً من رمانة بعيدة من التينة . وكان هذا الصوت صوت البوم . فسمعه الثعلب يقول . لقد صدقتِ يا طيور النهار الجميلة . ودليلاً على صدقك اليكِ هذا الفأر الذي التقطته الآن من طرف الغابة : فانني آكله واجد له طعماً مسكياً . فقالت الافعى في نفسها ما احسن حظ البوم لقد وجد في هذه الجهات احد الفيران التي يسمونها ممسكة . وقد سال لعابها لذكر هذا الفار . اما الطيور فانقبضت لذكر الفأر واظهرت الكراهة والاشمئزاز . فقال لها البوم وقد القى الى الارض قطعة من الفأر الذي كان في فيه . تعالي وشميه . فرفعت الطيور اجنحتها ودفعت جسمها الى وراء كما تفعل حين

اباثها امراً تكلف به وصرفت وجهها عن البوم

فلما رأى الثعلب فعل البوم مال نحوه وتبعته الافعى . فالتفت اليها الثعلب وقال ضاحكاً . يا عجوزتي تفضلي وابقي بعيدة عني. فضحكت الافعى وقالت لا تخف فنحن لا نفترس بعضنا بعضاً وما لي غرض في لحمك القذر . فاجاب الثعلب . قولي حامض لا قذر كما قال لي شاعر خبيث يوناني في شأن عنقود عنب لم استطع الوصول اليه . ولما صار الثعلب عند الشجرة التي كان عليها البوم التفت الثعلب اليه وقال : انت يا اخانا البارد. يا شيطان الليل الشنيع وروحه الخبيثة ما لك ولهذه الطيور . لقد فهمتُ مرادك يا شقي من القائك اليها قطعة الفأر . انك تعلم ان حكمها بشأن العطر والفجر مبنيٌّ اكثره على التصوُّر والتخيل. فلم تجد ايها الروح المادية الخبيثة وسيلة لرفع هذا التصوُّر دفعة واحدة الا بصدمه بدليل ليس للتصوُّر سبيل اليه . فهي اذا جئتها بكل اعشاب الارض واثمارها تقول لك الآن انها كلها عطرية مسكية . ولكن لا يصل تصورها هذا الى حد وجدانها للفأر القذر رائحة طيبة . فانا اخوك الثعلب العاجز احمد طريقتك يا خبيث الليل في الجدل ولكني لا احمد غرضك . دع يا بارد هذه الطيور الوديعة اللطيفة في تصوُّراتها الجميلة . قل لها كما تقول وزيادة . ثبتها في اعتقادها بالفجر والعطر واللطف والسلم والحب والرفق فاننا لا نصطاد منها اكثر ما يمكننا اصطياده الا حين رقادها بامان واستسلام تحت اجنحة هذه الكلمات الظريفة اللطيفة . واذا كان اليوم هو فجر العصر الذي (يعيش فيه الذئب والحمل معاً) كما قالت فوافرحاه . اننا نحن معشر الحيوانات القوية المفترسة يمكننا حينئذٍ ان نختار بحسب قابليتنا من نريد افتراسه منها لانه يعيش معنا على مقربة منا . ولذلك يجب ايها الجاهل ان نصيح معها : حقاً اني ارى فجراً . واشمُّ عطراً

ولما أتى الثعلب على كلامه رفعت الافعى رأسها معجبة وقالت : لله درُّ الثعلب . نعم نعم : اني ارى الفجر واشم ريح العطر . يا بوم الشر لا تقطع رزقنا . دع الخرفان في معانها الجميل . ثم التفتت نحو التينة حيث كانت الطيور تتباحث وتتذاكر في موضوعها وقالت : يا اخوتنا سكان الهواء يا ادلتنا في مملكة النور والسماء لله دركم ودر نظركم الثاقب ورأيكم الصائب . انظروا امامكم ألا ترون الفجر في الافق يزداد شروقاً والعطر عبوقاً

فالتفتت حينئذٍ الحمامة سيرا نحو زوجها فيرا وقالت له : أسمعت مقال الافعى . الا تخجل من ان الحيوانات الدنيئة التي تزحف بذل وصغار على تراب الارض القذر قد ادركت ما لم تدركه انت يا ابن النور والسماء ورأت ما لم ترَ

ولكن الحمامة لم تفه بهذا الكلام حتى علت صيحة الطيور تحتها في التينة وفرّت جميعها في كل الجهات فرارها من صوت بندقية تُطلق عليها . وكان السبب ان النسر سلطان الهواء قد نزل من الجوّ نحو التينة اما طلباً للصيد في ذلك الصباح واما تلذذاً بمشهد فرار الطيور منه خوف بطشه . فلما رآه فيرا وسيرا هلع قلباهما واختبأا في راس النخلة بين طلعها وفيرا يقول لزوجته صباحك مبارك ياباردة اذا كانت مخالب النسر هي فجرك وعطرك . اما النسر فلما بلغ التينة جثم على اعلى اغصانها وصار يسرّح نظره الحاد في ما حوله . ثم حانت منه التفاتة فابصر رمانة على مسافة مائتي قدم وعليها سوب من الغربان تنظر اليه من بعيد . فعبس النسر وحدّق فيها تحديقاً شديداً . فانبرى له مُقدم الغربان وقال

ـ لا تعبس فانك لا تخيفنا . اولاً لانك يا ملك الجو لا تأكل لحمنا . وثانياً لاننا هنا خمسون وانت واحد . وثالثاً لان (الفجر) قد اشرق كما قالت الحمامة وهبت على العالم روح جديدة ستقضي على قوة امتيازك . اي نعم يا ملك الطيور قد زالت مملكتك . اي نعم يا صاحب القوة والسيادة المبنية على مزاياك الخصوصية قد زالت قوتك وامتيازك . لقد جاءت مملكة الصغار والخاملين والضعفاء بحجة المساواة والاخاء . فاصبح اصغر واضعف واحد منا مساوياً لك ومعدوداً في منزلتك . اتراك يا ملك الطُيور تشمّ هذا الريح الذي وجدته الحمامة في الهواء ؟ ان هذا الريح العطري اللطيف سيكون ديناميتاً يشلّ العروش ويثير الشعوب ويقلب الامم (عقباً على رأس لا رأساً على عقب) ويبني الكرة الارضية على مبادىء الصغار الجديدة

وما اتمّ مقدّم الغربان كلامه حتى علت جلبة من جهة الارض تحت الشجرة . فالتفتت الغربان فابصرت الثعلب يعدو مسرعاً والافعى تنساب الى وكر تختبئ فيه والضبع تعود القهقرى . وكان سبب فرارها رؤيتها الاسد ملك الوحوش قادماً من بعيد يتبختر تبختر الجبابرة الصناديد

ولما بلغ الأسد شجرة التين انفثأت كبرياء النسر ونسي حديث الغربان . وقد بقي الملكان (ملك الجوّ وملك الغاب) برهة ساكنين ينظر احدهما الى الآخر بلا سلام وكلام . لانهما لم يتعلما آداب الملوك من ملوك هذا الزمان .. وكانت الطيور في الاشجار البعيدة والوحوش في اطراف الغابة تتطاول وتشرئب اعناقها لترى ماذا يقع في جهة التينة

وكانت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل بحساب هذا الزمان . وكان الجوّ صافياً كمرآة الغريبة كأنّ ملائكة السماء احسنت تنظيفه وتنقيته في ذلك الصباح . وكانت كواكب

السماء تنظر الى الارض بملايين العيون المنيرة المنتشرة في قبة الفلك كانها تتوقع في الارض امرًا خطيرًا . والنسيم يهب باردًا فيداعب اغصان الاشجار . والشفق يبدو في جهة المشرق كانه انعكاس مصابيح تنار . استعدادًا لركوب غزالة الصباح هودج النهار

وبينما كان سكان الغابة في تلك الحالة يتمتعون بسناء ذلك الصباح البهي واذا بالحمامة سيرا في اعلى النخلة قد ابرزت رأسها من مخباءها وقالت لزوجها بلسان متلجلج وقلب مختلج : انظر انظر

وكان بجانب الغابة طريق تؤدي الى بحيرة طبريا على ما تقدم . فمد فيرا زوج سيرا بصره من اعلى النخلة نحو الطريق حيث اشارت سيرا فرأى على الطريق شبح انسان قادم . وكان الرجل يسير ويخيل للناظر اليه ان الطريق تنار امامه في مسيره بمجرد مروره . فقال فيرا : من هذا القادم منفردًا في هذا الظلام وراسه منكوس الى الارض وقدماه تتنقلان ببطء كأنه في نزهة لا في سفر . فقالت سيرا : يا فيرا الا ترى هذا النور . الا ترى ان ريح العطر قد اشتدّ عن ذي قبل

ولما اقترب الرجل القادم من النخلة رأت سيرا انه شاب في نحو العشرين نحيل الجسم طويل القامة يمشي منحنيًا قليلاً الى امام ونظره في الارض كأنه يفكر في امر ويباحث نفسه . ويظهر ان جميع حيوانات الغابة قد انتبهت الى هذا القادم الغريب وصارت تنظر في جهته . وقال البوم في نفسه لقد وجد ملكانا الاسد والنسر طعام يومين فما اشقى حظ هذا المسافر . وكان الاسد قد اقعى عند سماعه صوت قدمي الشبح من بعيد والنسر فوقه هيأ نفسه لمشاركته في فريسته : فلما مرّ الرجل القادم امام الغابة شخصت جميع الطيور والوحوش نحوه ثم نظرت الى الاسد لترى كيف تكون وثبته . وكانت الحمامة سيرا في اعلى النخلة ترتعد خوفًا على هذا القادم لانها علمت بطش الاسد من بطش النسر

وكانت تلك الدقيقة دقيقة يتوقف عليها مستقبل الارض والانسانية . وهي في تاريخ (حكمة الحيوانات) تعدل قرون الزمان كله . فيا فجرًا شهدت انتصار الحمامة لتكاسل الاسد وشبعه انك كنت فجر دنيا جديدة

فمرّ الشاب بالغابة حزينًا كئيبًا دون ان يلتفت اليها او يعلم بالخطر الذي كان على حياته . وقد تتبعته حيوانات الغابة بابصارها الى بعيد وهي ساكنة خاشعة لهول تلك الدقيقة التي انقضت بسلامة . وكان على الطريق من الجهة المقابلة لطريق الشبح المذكور مكاريان قادمان وامامهما بغلان يحملان ظروف زيت . فلما مرّا بالشبح المذكور قال احدهما للآخر :

هذا يشوع النجار من الناصرة . ما جاء به الى هنا في ظلمة هذا الليل

فيا حمامة النخلة بين مجدل وطبريا . يا سيرا الجميلة . انكِ كنتِ اول من بشّر العالم في الارض بالفجر والعطر . ولو علمتْ بكِ الكنيسة المسيحية يا مخلوقتي العزيزة لرفعتكِ الى مرتبة قديساتها كما رفعت مريم المجدلية التي بشرت بالقيامة وكانت سبباً في هذه العقيدة . اننا سنقص يا حمامتي قصة هذه المرأة في هذا الكتاب وهي ولئن كانت اجمل واحلى من قصتك الا انها ليست باطهر واصفى منها وان كان (الفجر والعطر) يطهران كل شيء . وسترين في ما يلي ان في البشر ثعالب وافاعي وغرباناً يقولون ما قاله ثعلبك وافعاك وغرابك على مقربة من التينة . واأسفاه يا سيرا الجميلة . لقد انقضى على العالم من تاريخ قصتكِ هذه حتى الآن نحو ١٩ قرناً والمبادىء التي بُسطت امامك على السنة هذه الحيوانات لا تزال في الارض مشتبكة متصادمة لعدم انتصار احدها بعد انتصاراً نهائياً. فهل نصيبنا نحن البشر في الارض نصيب رفاقك الحيوانات – كالنمل مثلاً (١) – الذين مدنيتهم محدودة وفهمهم محدود فاذا بلغوا حدّهم وقفوا عنده او عادوا ادراجهم . ام سيخرج في المستقبل من احتكاك هذه المبادىء شيء ما لتوحيد الانسانية و بناء قصر سعادتها بمبادىء راسخة تكون شريعتها الحقيقية النهائية

---

(١) ربى المسيو برتلو العالم الكيماوي المشهور طائفة من النمل واختبر طبائعها فظهر له ان معيشتها الاجتماعية في مدن تبنيها ومؤن تذخرها ومعاملاتها بعضها لبعض غاية في الدقة والعلم والذكاء والفهم . ولكنها متى بلغت فيها حداً محدوداً قصرت ووقفت . فالسؤال هنا هو : ترى هل نصيب البشر كنصيب النمل

الجزء السابع
الجامعة
السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية
تصدر في نيويورك مرتين في الشهر
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ — ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٤

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

النظرة الاولى

٣

﴿ نيويورك ﴾ يرى القارئ في الرسم المنشور بجانب هذه الصفحة ان نيويورك ثلاثة اقسام . مدينة نيويورك نفسها . ومدينة بروكلن التي يجمع بينها وبين نيويورك جسر بروكلن المشهور الظاهر في يمين هذا الرسم . ومدينة نيوجرزي التي يفصل بينها وبين نيويورك نهر هدسن في غربي نيويورك وان كانت هذه المدينة غير تابعة لها . وقد كان اسمها قديمًا (نيو امستردام) اي امستردام الجديدة وقد سميت كذلك لان الهولانديين الذين اكتشفوها في سنة ١٦٠٩ سموها باسم عاصمتهم (امستردام)

وولاية نيويورك نفسها شبه جزيرة بين النهر الشرقي في شرقها ونهر هدسن في غربها .

وسمي هذا النهر بهذا الاسم نسبة الى هنري هدسن الانكليزي احد عمال هولانده في سنة ١٦٠٩ لانه هو الذي اكتشف هذا النهر . ولما حلّ الهولانديون في ارض نيويورك كانت هذه الجزيرة تسمى (جزيرة ماناتان) وقد ابتاعها اول حاكم هولاندي من سكانها الهنود الاصليين بقيمة ٢٥ ريالاً ..

وفي سنة ١٦٦٤ اغتنم الانكليز احدى الفرص واستولوا على مستعمرة هولانده في هذه الجهـات وكانت تدعى (هولانده الجديدة) فسموا (امستردام الجديدة) باسم (نيويورك) نسبة الى دوق اوف يورك شقيق ملك انكلترا شارل الثاني . ولما قام الاميركان لحرب الاستقلال بقيت (نيويورك) آخر حصن للانكليز ولم تسلم الى الاميركان الا بعد التوقيع على شروط الصلح . وقد جعلها جورج واشنطن محرر اميركا عاصمة الولايات في ذلك العهد

﴿ موقعها ومساحتها ﴾ هي واقعة بين الدرجة ٤١ و٤٢ من درجات العرض شمالاً وفي الدرجة ٧٦ من درجات الطول غرباً . وطول نيويورك وحدها اي شبه جزيرتها بين النهرين ١٦ ميلاً وعرضها يختلف بين اربعة اميال ونصف . وثلاثة ارباع الميل . ومساحتها ٢٢ ميـلاً مربعاً . فليس في الارض كلها بقعـة ضيقة من الارض كهذه البقعة تحتوي على ما تحتوي عليه نيويورك من زحام السكان وضخامة العمران وتزاحم الاشغال وكثرة الاموال

﴿ ميناؤها ﴾ يبتدئ ميناء نيويورك عند مصب نهر هدسن حول المدن الثلاث وينتهي عند الاوقيانس الاتلانتيكي . والمسافة بينهما ١٨ ميلاً . ويصل بينه وبين الاتلانتيكي مضائق ماين وسويش وشيز سوت وجدنيز . ومساحه الميناء كله ٤٠ كيلومتراً مربعاً تدخل اليه وتخرج منه السفن البخارية لمائة شركة اميركية وغير اميركية . وان منظر ازدحام البواخر الماخرة فيه ذهاباً واياباً عشرات عشرات تحمل الثروة والركاب منها اليها ومنها الى اوروبا وسائر الاقطار لمنظرٌ لا يشعر بعظمته وجماله الا من رآه رأي العيان

﴿ سكانها ﴾ كان عدد سكانها في سنة ١٦٥٠ يوم كان اسمها (امستردام الجديدة) نحو الف نفس يشتغلون بالزراعة وتجارة الجلود مع الهنود سكان البلاد الاصليين . وفي سنة ١٧٩٠ اصبح عددهم نحو ٣٤ الفاً وفي سنة ١٨٦٠ — ٨٣ الفاً وفي سنة ١٨٩٠ — مليوناً و ٥٠٠ الفاً وفي سنة ١٩٠٠ — ثلاثة ملايين نفس و ٤٤٠ الفاً . وفي هذا العام كان عددهم

ثلاثة ملايين و ٩٠٠ الف نفس . منهم ١٥ الفاً من الفرنسويين و ٩٠ الفاً من الايطاليين و ٢٩٠ الفاً من الايرلنديين و ٣٥٠ الفاً من الالمانيين و ٧٥ الفاً من الروس و ١٦ الفاً من الهنغاريين و ١٢ الفاً من اهل كندا و ٢٥ الفاً من اسوج ونروج و ١٨ الفاً من الاسكوتلانديين هذا غير الاسبان واليونان والسوريين وغيرهم . ولذلك يقولون عن نيويورك « انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب يحل في ارضها يصبح كواحد من اهلها . وهذه مزية عظمى لشريعة اميركا الرحبة السهلة

﴿ صورة المدينة ﴾ اذا ذكرنا لك هنا شيئاً عن معيشة نيويورك اليومية وقفت على مجمل معيشة الاميركان سكان المدن العظمى . فالداخل الى نيويورك من شارع وست بعد نزوله من الباخرة الى شارع « برودواي » اعظم شوارع المدينة ينتقل فجأةً من سكون اوروبا والشرق الى حركة هائلة لا مثيل لها . وشارع برودواي (١) هذا يقسم المدينة قسمين ويمرّ في وسطها فكأنه المحور الذي تدور عليه المدينة كلها . وهو يبتدئ من جنوب المدينة قرب الميناء ويمتد مع ملحقاته الى مسافة ١٨ او ٢٠ كيلومترًا نحو شمالها . وما كان من الشوارع الى جانبه الغربي سمي باسم الغرب وما كان الى جانبه الشرقي سمي باسم الشرق . فيقال مثلاً « الشارع العاشر شرقاً والشارع التاسع غرباً » وارقام هذه الشوارع مرسومة على زجاج فوق عمود من حديد عند كل شارع وبناء على ذلك يكون الاهتداء الى تلك الشوارع من اهون الامور ما دام المسافر يجعل شارع برودواي بمثابة بوصلة يهتدي بها . واذا مررت في برودواي خصوصاً في الشارع الثالث والاربعين منه حيث يتقاطع برودواي والجادة السادسة (6 Ave.) فترى ان الحركة هناك تبلغ مبلغاً تضايق الذي لم يعتد عليها . فمركبات الترمواي تمرّ مزدحمة بالركاب مسرعة نحو جهات المدينة الاربع وفي كل ٤ او ٥ دقائق تمرّ مركبة . والسكة الحديدية المرتفعة في الهواء ارتفاع المنازل تمرّ عليها القطارات كالبرق الخاطف فيسمع لها دويّ يصم الآذان لاهتزاز دقائق الواح الحديد المبنية عليها والقوائم الحديدية القائمة تحتها . وتسمع تحت قدميك هديراً شديداً فتسأل عنه فيقال لك انه صوت القطار في نفق تحت الارض يسير كلمح البصر . وعدا هذا مركبات الاوتوموبيل

---

(١) معنى برودواي « الجادة » اي الطريق الواسعة ولم يسمَّ كذلك لسعته لان كثيراً من شوارع باريز اوسع منه ويقرب ان يكون عرضه عرض شارع شريف باشا بالاسكندرية وربما كان شارع شريف باشا انظف منه في كثير من الجوانب



بارك رو بلدن

ذو ثلاثين طبقة وهو اعلى مباني نيويورك . ارتفاعه ٣٨٧ قدماً

والخيل ومركبات البضائع تتفرق في الشوارع المختلفة كانها طيور تطلق فيها . وبين هذه الوسائط الهائلة للنقل السريع الوف من الناس الغير الراكبين فيها يهرعون الى اعمالهم بنشاط الشباب وقلما تجد فيهم من يمشي منهم على مهل . واذا نظرت الى الابنية حولك ترى ما يدهشك في ارتفاعها . فانك تجد بينها ما ارتفاعه من عشر طبقات حتى خمس وعشرين حتى ثلاثين طبقة كالبناء الذي نشرنا رسمه في الصفحة السابقة . وان الصناع الاوربيين الذين يرون هذه المباني الشاهقة لا يرون فيها شيئاً من جمال الصناعة الحقيقية . وهم مصيبون في رأيهم هذا اذا كانوا يريدون قياس جمالها على جمال فن البناء الروماني واليوناني والغوتي في اوروبا . ولكنهم اذا تأملوا ملياً وجدوا لهذه المباني التي اخترعها الاميركان للقيام بحاجات المدينة جمالاً خاصاً بها وهو جمال العظمة والضخامة . فهنا كل شيء يعدُّ جميلاً انما يكون جماله بعظمته وضخامته ومتانته لا برقته ونحافته ودقته . ولعل هذا هو الفارق الحقيقي بين جمال الفن الاوروبي والفن الاميركي . وكل ما رأيناه في اميركا حتى الآن يثبتنا في هذا الرأي

فنحو اربعة ملايين نفس تتنقل كل يوم بنشاط غريب بين تلك المباني في تلك المركبات على الارض وفوق الارض وتحت الارض بين فرقعة وضوضاء تزهق منها نفس المسافر في اول يوم . واذا حللت هذه الضوضاء وجدت انها ناشئة عن اصوات القطارات والمركبات واجراس الترمواي واحتكاك الحديد واقدام المارة وفراغ الهواء وامتلاؤه عند مرور القطارات وصوت آلات البناء التي تبني الابنية الجديدة . اما الناس فقلما تسمع بينهم صوتاً . فترى واحدهم يمشي بثياب نظيفة جديدة مصقول الشعر احمر اللون حليق الشارب وفي فيه سيكار ضخم يعضّ عليه فيصبح فمه مفتوحاً ويظهر فيه لسانه يداعب عقب السيكار . فاذا كنت ممن لا يدخنون عراك اشمئزاز من هذا المنظر . وهو يمرُّ مسرعاً لانه اعتاد سرعة السير وان كان سائراً لغير شغل . وتجد على وجهه وفي عينيه من دلائل الحماسة للعمل ما يدلك على انه في منتهى النشاط الحيوي وان لم يكن على شيء من الرقة واللطف . وقلما تجد في النهار جماعة يمشون معاً لان الوقت وقت عمل . واذا دخلت الحانات وجدتها خالية خاوية الا عند الظهر وفي المساء . وقلما تجد في هذه الحانات اماكن للجلوس لان الناس يشربون الوسكي او البيره وقوفاً ثم ينطلقون في سبيلهم . وقد قابلنا بين هذه الطريقة وطريقة قهاوي اوروبا والشرق حيث يجلس الناس بكسل في القهاوي ساعات طويلة فرأينا ان طريقة اوروبا مدعاة الى تسهيل سبيل الكسل وحمدنا الطريقة الاميركية . وقد ذكرنا

معيشتهم عند طعام الظهر في الجزء الخامس فلا فائدة من العودة اليه

واذا دقت الساعة السادسة مساء اندفعت الالوف ومئات الالوف من الناس قاصدة منازلها ويبدأ حينئذٍ الهجوم على القطارات والمركبات للسبق الى الركوب فيها • واذا هجمتَ معهم وفتحت لنفسك طريقاً الى المركبة وصدمت في اثناء مرورك رجلاً او رجلين فلا تلتفت ولا تعتذر لان كلامك يذهب سدى لان من صدمته لم يبالِ بصدمك ولا التفت اليك • فهو يرى هذا الصدام في الحياة مظهراً من مظاهر الحياة والنساء يهجمنَ مع الهاجمين نحو المركبات فلا يفسح لهم الرجال الطريق اذا لم يفتحنها فتحاً بقوتهن • واذا بلغنَ المركبات ووجدنها مزدحمة ووقفنَ فيها فقلما يقوم رجل لاجلاس احداهن في محله الا ما ندر

قوات اميركا العظمى

اسباب عظمة الامم قد ذكرنا آنفاً طرفاً من تاريخ نيويورك وعدد سكانها وحالة مينائها وطرق الاعمال والمعيشة اليومية فيها وقد كان الغرض منه الالمام بشيء من ذلك لا استيفاء تاريخ عمرانها لان القواميس وكتب الجغرافيا طافحة باخبارها التاريخية والجغرافية والعمرانية ومرمانا في هذه الفصول درس مدنية اميركا لا ذكر تاريخها • لان تاريخها شيء ثانوي قد مضى وانقضى فقلما نجد فيه فائدة • اما درسنا هذا الدرس في المدنية الاميركية من الجهة الاجتماعية فهو اكبر فائدة واجزل عائدة لانه يرينا الطريق الحقيقية الى الارتقاء الاجتماعي ويدلنا على اسباب نهضة اميركا هذه النهضة السريعة • وما التاريخ سوى عبارة عن ذكر حوادث خلت وامور مضت يستقيها كل قارىء من مصادرها في الكتب والقواميس التاريخية للتفكه بها بلا فائدة اجتماعية • ونريد الآن في هذا العصر الذي يدعى « العصر الاجتماعي » ان نعرف ما يقع امامنا وبعدنا لا ما وقع قبلنا

واننا نتذكر ان رصيفنا المقتطف الاغر قال منذ عدة سنوات جواباً على سؤال القته الجامعة يومئذٍ على اهل العلم والنظر بشأن « النهضة الادبية في الشرق » ما خلاصته انه يتمنى لو يذهب قوم من شرقنا الى اليابان ليدرسوا اسباب نهوض تلك الدولة • ولا شك ان درس حالة اليابان يفيدنا فائدة كبرى ولكن درس حالة اميركا اشد فائدة لانها اجمع واوعى للقوات التي بها تنهض الامم • ومظاهر هذه القوات اوضح فيها منها في غيرها

وهذه القوات هي في الحقيقة خفية كأثير السماء لا تصل اليها الا العيون التي اعتادت النظر في الخفاء • واستخراج مبادىء الارتقاء مما يحيط بها في المعيشة العمومية اليومية من

غشاء . سل التاجر ما سبب عظمة اميركا يجبك انها عظيمة لانها بلاد تجارية واسعة كثيرة السكان فاذا صنعت فيها شيئاً من تراب الارض وعرضته فيها وجدت من يشتريه منك . وسل الزارع ما سبب عظمة اميركا يجبك لانها بلاد زراعية واسعة نخيرات الارض تغني اهلها . وسل الصانع يجبك لانها بلاد صناعية . وسل الكاتب يجبك لانها بلاد الحرية وهلم جرًا . ولكن هذه الاجوبة كلها اجوبة « سطحية » . فان كثيرًا من بلاد الشرق كمصر والاناضول والهند وفارس والصين مثلاً انما هي بلاد زراعية تجارية . وعدد سكان الهند مئات ملايين من النفوس ومع ذلك فهي لا تزال في الدرجة السفلى بازاء الامم النازلات في الدرجة الاولى . والصواب ان هناك اسباباً رئيسية خفية ترفع الامم وتحطها . وهي فوق تجارتها وصناعتها وزراعتها

السبب الاول

❊ النواة الاولى ❊ واول تلك الاسباب ما نسميه « النواة الأُولى » التي تجتمع حولها الامم وتتكوّن بها شيئاً فشيئاً . قالوا في الرأي السديمي في خلق الكون ان الكون كان في مبداء امره سديماً (١) منتشرًا في الفضاء ثم تحرَّك هذا السديم بفعل محرّك مجهول فجمدت منه نواة وصار سائره يجتمع ويجمد حول هذه النواة حتى جمد كله واصبح جسماً واحداً تفرَّق بعدئذٍ وصار اجراماً . فهذه النواة هي الشرط الاول في جمود جميع الاجسام السائلة . والامم مَثلها مَثل هذه الاجسام

والنواة الاولى التي تتكون بها الامم ❊ جامعة عادلة قوية ❊

ونريد هنا بكلمة « الجامعة » عهداً يرتبط به جماعة نازلون في بقعة واحدة من الارض ويفوضون الى ممثليه بينهم بمطلق اختيارهم حماية ورعاية شؤونهم العمومية ولذلك يفرضون على انفسهم الطاعة لهم وتأدية الضرائب اللازمة في عملهم هذا . وحيث ان ممثلي ذلك العهد وظيفتهم حماية ورعاية مصالح تلك الجماعة فعملهم يشمل امرين : الاول دفع كل ضرّ عنهم والثاني جلب كل خير لهم . لانهم اقيموا لهذا الغرض

ونريد بكلمة « عادلة » في قولنا « جامعة عادلة » بناء ممثلي ذلك العهد جميع اعمالهم على مبادئ القسط والانصاف بين الجميع ليتمكن كل واحد من تلك الجماعة من العمل النافع له دون ان يخشى عدوان احد عليه لحرمانه ثمرة عمله او اضعاف همته او الحيلولة دون نموّه

(١) يعنون بالسديم هنا ضباباً غازياً رقيقاً عاماً

ونريد بكلمة « قوية » في قولنا « جامعة عادلة قوية » ان يكون لدى ممثلي ذلك العهد قوّة مادية غير القوّة الادبية تُلزم بها من يريدون الخروج عن دائرة العدل والانصاف بالرجوع عن عدوانهم . وربما كان هذا الشرط اهم شروط هذا التعريف لانه اذا لم يكن لممثلي ذلك العهد « هذه القوة » عجزوا عن اجراء العدل لان اهل العدوان لقوتهم عليهم يتمكنون من تجاوز الحدود المرسومة فيضيع العدل . ولسنا نقول الآن ان ثوار كوبا في الايام الاخيرة قد خرجوا عن حدود الانصاف والعدل بثورتهم على حكومتهم لاننا لا نعلم هل الحق في جانبهم ام في جانب حكومتهم . ولكننا نرى الآن ثورتهم هذه خير مثال لهذا الموضوع . واكثر ما يُحتاج الى هذه القوة في الامم الصغيرة خصوصاً الشرقية حيث تكثر الدسائس والفتن ويمكن لاي رجل يريد اثارة الناس ان يثيرهم بالتحمس الديني . فان الحاكم الذي هو ممثل ذلك العهد اذا لم يكن له قوّة على كبح جماح هذا الفريق عند ارادته ادخال الاصلاح في بلاده فانه يضطر الى مجاملتهم والجري في تيارهم لكراهتهم هذا الاصلاح الذي يبطل امتيازاتهم ويضرّ مصالحهم

وقد ضربنا في ما تقدم مثلاً في ثورة كوبا الاخيرة وهنا نضرب مثلاً في مسائل الشرق . فان اكثر بلايا الشرق مصدره أمران . الاول ضعف ملوكه وامرائه «ممثلي ذلك العهد الذي تقدم ذكره » من حيث شخصيتهم وكفائتهم والثاني كونهم اسراء حاشيتهم وحملة غاشيتهم فاذا أرادوا اصلاحاً حالت هذه الحاشية بينهم وبينه في اكثر الاحيان اما مباشرة بمقاومتهم سرًّا واما ضمناً بكتمانها الحقائق عنهم . واذا وجد منهم من يريد « الاصلاح قبل كل شيء » ولم يكن ذا كفاءة لوظيفته السامية ومزايا شخصية كبرى تمكنه من الاستبداد برأيه كما فعل بطرس الاكبر في روسيا يوم ادخل الاصلاح الى روسيا بالعنف والشدّة فانه يسهل على الحاشية او من يكرهون هذا الاصلاح لمخالفته مصالحهم او آراءهم مقاومته باثارة الشعب كما كان يفعل بطاركة بزنطية بامبراطرتها والفاتيكان بملوك اوروبا . فالسلطة التي تمثل ذلك « العهد » ان لم يكن لها مطلق الحرية والقوّة لتنفيذ الشرائع التي سنتها الجماعة باختيارها ورضيت بها فانها لا تصلح لان تكون نواة يجتمع حولها خيار الامة ليسيروا معها في سبيل الارتقاء . فالنقص الاول في بلاد المشرق هو عدم وجود « نواة قوية عادلة » تقبض على ازمة الحكم وفي يمناها سيف من نار لمقاومي الاصلاح في الامة وفي يسراها غصن من الزيتون ــ علامة الامن والسلام ــ لمريدي هذا الاصلاح . فحاجة الشرق الاولى هي الى « شخصية عظمى » ومن سوء الحظ ان هذه الشخصية لا تشرى ولا

تباع بين الناس . ولكنها هبة من الطبيعة كالماس

فاول سبب من اسباب انحطاط الشرق كون « ممثلي ذلك العهد » في بلاده من الملوك والامراء يرثون حق الرقابة على ذلك العهد ارثاً بدل ان تختار الامة من ابنائها من تراه اقدر واقوى على تمثيله وتنفيذ شروطه والقيام بعبئه . وبناء على حق الارث تصبح ازمة السلطة العليا عرضة للصدفة والاتفاق . فاحياناً يكون الذي القيت اليه بحق ذلك الارث اهلاً لها وهو النادر جداً واحياناً يكون اي رجل في رعيته اكثر اهلية لها منه . وقد كان اعظم الاسباب في قيام دولة العرب في صدر الاسلام واتساع ملكها وعزّها ان الامارة « التي تمثل ذلك العهد » انما كانت تعطى بحق الانتخاب لأفضل واقدر رجل في الامة . قال الفيلسوف نيتشه ان الاسلام يحق له ان يفاخر برجاله الأُوَل الذين اسسوا دولته الاولى . ولولاهم لما كان قدر ان يفعل شيئاً

فالنواة الاولى التي اجتمعت حولها الولايات المتحدة في بدء نشأتها كانت شخصية جورج واشنطن الكبرى محرر اميركا . وهي اليوم شخصية الرئيس روزفلت ممثل « ذلك العهد » في جمهورية الولايات . وانك لتسمع الناس احياناً يشبهون الرئيس روزفلت بالامبراطور غليوم من حيث افعاله واقواله في خطبه . على ان الرئيس رزفلت اهدا وارزن من امبراطور المانيا كثيراً ولكنه يضطر الى الظهور بهذا المظهر لانه يعلم انه « مصدر حركة جماعته » وعليه ان يكون في افعاله واقواله اول مثير فيهم للنشاط والقوة والفضل

السبب الثاني

※ ناموس بقاء الفضل ※ قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » : ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه . وهو الناموس الذي اثبته وبسطه العلامة دروين بعد ابن رشد بعدة قرون ويسمونه اليوم (بقاء الانسب او بقاء الاصلح) ونسميه نحن (بقاء الافضل) متابعة لابن رشد واضع هذه الكلمة . ومقتضى هذا الرأي ان الاشياء والاشخاص في الاجتماع والطبيعة تحتك وتصطدم والزمان بمروره عليها يضعف مفضولها ويميته و يبقي افضلها وينميه . وهذا الرأي صحيح في البيولوجيا (علم الحياة) وفي الطبيعة الجائرة المتروكة للفطرة والقوة البدنية . فالحيوانات الضعيفة في عرض البرّ تنقرض بجانب الحيوانات الضعيفة . ونوعها الضعيف من الجنس الواحد ينقرض بجانب نوعها القوي . فهناك لا نظام ولا شريعة غير شريعة الفطرة والغريزة الحيوانية . واما في الاجتماع فقد اصبح له في هذا الزمان خصوم

كثيرون خصوصاً في الحزب الحرّ في انكلترا وطن هذا الرأي . فان كبار مؤلفي هذا الحزب وعلمائه يقولون انه قد ثبت الآن في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان والغاصة بالرذائل والفظائع ان الضعيف السافل لا ينقرض بازاء القوي الصحيح ولكن يعديه ويجعله ضعيفاً مثله . فان دائرة احياء الفساد والمسكرات في لندن مثلاً آخذة في الاتساع بدل ان تضيق . واشغال البورصة مبنية على الصدفة والمجازفة فقد يسقط فيها الاقوياء ويقوم الضعفاء . ولهم على ذلك ادلة وشواهد عديدة . ولكن اذا كان هذا الرأي مرجوحاً في الاجتماع سسيولوجياً وبيولوجياً فهو صحيح على الأرجح من حيث (الآداب السياسية والاجتماعية) التي هي موضوع الكلام هنا

ونريد (بالآداب السياسية والاجتماعية) مفعول الطرق التي تنفذ بها شرائع البلاد ومفعول الطرق التي تكوّن بها اخلاقها

قد ذكرنا في ما تقدم ان (اول نواة) تجتمع حولها الجماعة هي(شخصية الرجل الموكول اليه تمثيل ذلك العهد) . ولكن هذه الشخصية وحدها لا تكفي مهما كانت عظمتها ونشاطها ان لم يكن لها اعوان . واعوان هذه النواة الذين بدونهم لا يستقيم حال امة ثلاثة (الاول) المجالس النيابية . (والثاني) قوة المعارضة لبقاء الافضل . (والثالث) حرية الجرائد

فلا يخفى ان لكل ولاية وكل امة مصالح خصوصية وعمومية . والتصرُّف في شؤونها يجب ان يكون على ايدي نواب منها درسوا حالاتها وعرفوا حاجاتها وآراءها . ولها هذا الحق بحكم الطاعة والضريبة التي فرضتها على نفسها للسلطة التي وكلت اليها حق السيادة عليها . فلزم عن هذا ان يكون لها نواب في المجلس التشريعي الذي يسنّ الشرائع النافذة فيها وذلك اولاً للمشاركة في سنّ هذه الشرائع وثانياً لحماية مصالحها من ان يصيبها ضرّ سواء كان هذا الضرّ من نفسها على نفسها او من استبداد ذات الهيئة الحاكمة بها او من اعتداء ولاية اخرى عليها . ومجموع نواب الولايات (الذين هم السلطة التشريعية) يكونون بمنزلة الوسيط بين مجموع الشعب وممثل العهد الذي مرّ ذكره الذي هو (السلطة التنفيذية) . فاي ضر او ظلم اصاب ولاية طيّرت خبره الى نوابها فيتولى نوابها الدفاع عن مصالحها في المجلس النيابي ويكشفون ظلامتها . وهكذا يتعذر على الهيئة الحاكمة ممثلة ذلك العهد ان تختلس السلطة التشريعية لتستبد بالامة . لان عملها كما تقدم في السبب الاول قاصر على السلطة التنفيذية اي تنفيذ الشرائع التي يسنها المجلس النيابي صاحب الحق وحده في السلطة التشريعية

وان اعظم ابتداع واكتشاف في تدبير الامم وسياسة الشعوب في العصر الحديث كان هذا الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وكل امة فيها هذا الفصل امة راقية. وكل امة عُدم هذا الفصل فيها امة ضعيفة تدور في دائرة الانحطاط. وبناءً على هذا الفصل وما يتبعه من حماية مصالح الولايات وحقوقها ينفسح لاهلها مجال العمل والأمن والعدل والارتقاء. اذ لا قيد يقيد حينئذٍ حرية الفرد غير قيد الشرائع العادلة المسنونة بالانصاف للجميع. فتثور الهمم للعمل لأمنها على ثمرة اعمالها ووجود من يحميها لها في الداخل والخارج. ويصير حينئذٍ (لكل امرئ ما سعى)

فرغنا من امر المجالس النيابية. والأمر الثاني (قوة المعارضة لبقاء الافضل)

ونعني (بقوة المعارضة) الاحزاب التي تتألف في المجلس النيابي لادارة سياسة الامة. وسبب تألف هذه الاحزاب اختلاف آراء النواب في طريقة السياسة وان كانت متفقة في المبادىء الاصلية. ووظيفة كل حزب امران. الاول مراقبة اعمال الحزب الآخر ومعارضته في كل ما لا يرى فيه خيرًا للامة. والثاني وضع بيان بمطالبه ومبادئه والاصلاحات التي يريد اجراءها والسعي الى تحقيقها بجد ونشاط. فينشأ عن ذلك تنافس حميد عليه المعوَّل اليوم في السياسة الداخلية في جميع الامم الحية. ويصبح كل حزب متفانيًا في تحقيق مبادئه بانيًا اعماله على العدل والسداد لخوفه من معارضة الحزب الآخر فيمتنع الاستبداد بذلك. وهنا وصلنا الى مبداء «بقاء الافضل» فنقول ان هذا الاحتكاك بين آراء الاحزاب الفاضل والمفضول. والراجح والمرجوح. لا يبقي منها بعد حين غير افضلها واصلحها للامة. وما يثبت بعد تنفيذه انه ضعيف او مضرّ بمصلحة الامة او بمصلحة جماعة منها يعدل عنه اما طوعًا او كرهًا لان الشعب منتخب النواب يلزمهم بهذا الرجوع اذا اصروا عليه. ولا نجهل الاعتراضات التي يُعترض بها على هذه الطريقة النيابية وتشعب آراء الاحزاب خصوصًا في الممالك الصغيرة التي لا قوّة فيها للرأي العام ليحترمه نوابها وحكامها او التي لا جامعة حقيقية تجمع احزابها المتنافرة لانها من اجناس مختلفة. ولكن اوروبا واميركا لم تنمُ هذا النموّ العظيم ولم توضع شرائعها الاجتماعية العادلة التي رقت شعوبها الأ في ظل الطريقة النيابية ومعارضة الاحزاب. ولما كان اللورد سالسبري رئيسًا للوزارة في انكلترا وكبيرًا لحزب المحافظين وشهد اختلاف الحزب الحرّ وانقسامه قال في احدى خطبه انه يأسف لضعف الحزب الحرّ لان المعارضة القوية ضرورية لحسن سياسة الامة. ولكن تألف الاحزاب كما تقدم لا يوجب ان يكون اعضاؤها خرفانًا يتبعون بعضهم بعضًا. فانه لما كان المسيو

كومب رئيساً للوزراء في فرنسا وشرع في منع رجال الدين من التعليم خطر له ان « يحتكر » حق التعليم للحكومة وحدها ويمنع الجمعيات والافراد من هذا الحق . فتصدى له المسيو كليمنسو وهو رادبكالي من حزبه ونصيره في سياسته ضد الاكليروس وقال له في جريدة الاورور : لا تُدخل سفينة الحكومة بين هذه الصخور فانك بعملك هذا تعطي الحزب المعارض لنا الحق بان يقول انك دست مبداء الحرية في التعليم ونقضت دستور الجمهورية فتقوى حجته علينا . فعدل المسيو كويب عن ذلك واحتالوا يومئذٍ لهذا الامر بان تركوا التعليم حرًّا ولكنهم وضعوا قيودًا توصلهم الى غرضهم من اخراج الاكليريكيين منه وهذه القيود لا تمس الحرية بشيء لانهم يبيحون لهم التعليم على شرط ان يكون للحكومة حق المراقبة على تعليمهم وعلى نظاماتهم . و٩٥ في المائة منهم يأبون ذلك كل الاباء

واشدّ ما تبدو « قوة هذه المعارضة » وتأثيرها في حسن تدبير الامة انما هو في جمهورية فرنسا وجمهورية اميركا وهما الشعبان الكبيران اللذان يحكمان نفسهما بنفسهما حكماً حقيقياً . ولولاها لكان الحزب القابض على ازمة الاحكام يتكاسل ويخمل ويستبد بالامة على هواه كما يقع في البلاد الشرقية فتفسد احوال الامة بلا ريبة

ولكن هذه المعارضة لا تكون قوة حقيقية فعالة الاّ بالامر الثالث الذي اشرنا اليه آنفاً . وهو حرية الصحافة . وهنا نصل الى وظيفة الصحافة في الامة

للصحافة في الامة وظيفتان . الاولى اجتماعية والثانية سياسية . فوظيفتها الاجتماعية قائمة بان تنشر للناس ما يفيدهم في رفع نفوسهم واثارة نشاطهم ودلالتهم على طريقهم وتدبير شؤونهم الزراعية والصناعية والتجارية . ويدخل في ذلك محاربتها الشرور الاجتماعية التي تحلّ عزائم الامة وتفني نشاطها وتفسد امور معاشها . ووظيفتها الثانية ان تنشر لهم اعمال الحكومة ومقاصدها وما تتضمنه من الخطاء والصواب . فكأنها صلة غير رسمية بين الهيئة الحاكمة والحكومة كما ان المجلس النيابي صلة رسمية بينهما . وانما يكون للصحافة هذه الوظيفة متى كانت لحزب او شركة لا لفرد واحد يديرها بحسب مصالحه واهوائه ويكون غرضها تأييد مبادىء وافكار لا الارتزاق منها والاتجار . ومتى كان لكل حزب جرائد تؤيد رأيه وتعضده نشأ عن هذا الاحتكاك المستمرّ بناء على ناموس « بقاء الافضل » زوال الآراء الضعيفة المضرّة وبقاء الآراء القوية النافعة . فكأنّ « قوة المعارضة في المجلس النيابي » منخل يُنخل آراء المجلس ولا يبقي منها الا صحيحها ونافعها . والصحافة منخل آخر ينخل آراء الاحزاب على نور الحرية الساطع . وآخر مثال لتاثير الصحافة في اميركا

مسألة مجازر شيكاغو في هذا العام . وكل الاصلاحات التي تجري هنا وفي غير بلد انما تجري على هذه الطريقة . وقد سموا الكتّاب الذين يشنون الغارة هنا على المفاسد الاجتماعية « ملتقطي الوحل » اشارة الى انهم يتتبعون وحل الفساد لجرفه حيثما وجدوه

هذه هي الاسباب الاوَل التي تحتاج اليها كل امة لتتمكن بها من النهوض . وهي مستوفاة في اميركا اكثر من غيرها وان كانت الطريقة النيابية في اميركا تختلف عن الطريقة النيابية في اوروبا مما سنفصله في حينه . وقد ذكرنا في ما تقدم هذين السببين الاصليين في نهضة اميركا . وفي الجزء التالي سنذكر تتمة الاسباب مما خُصت به هذه البلاد دون غيرها

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

دعهم كما تجدهم

ثم اشار المستر ووكر بعد ذلك الى فقرة من مقالة نشرت في مجلة ايدنبرغ سنة ١٨٣٣ عدّها اصح قول بشان جباية الضرائب بحسب الطاقة وهي : « لا جزية عادلة الا الجزية التي بعد ما تجبى من افراد الامة تتركهم في تناسبهم من كل قبيل كما وجدتهم » ثم جعل يبحث في القواعد الاساسية التي بني عليها نظام ضرب الضرائب الماضية والحاضرة ويمحصها ليتوصل الى اصح تفسير لهذه الآية . فلاحظ ان هناك اربع قواعد وهي : ـ

١ً الضريبة التي ضربت على الثروة الحقيقية اي على رأس المال النقدي او العقاري
٢ً الضرائب التي ضربت على الدخل او الريع السنوي
٣ً الضرائب التي ضربت على نفقات المعيشة او على استهلاك الفرد للثروة
٤ً الضرائب التي ضربت على القوّة المستنفدة في العمل

هذه هي القواعد الاربع الاساسية التي بني عليها نظام الضرائب في مـا مضى من عمر

العمران وقد بحث المستر ووكر في كل واحدة منها ليرى كيف كان الافراد يدفعون الجزية ويظلون على نسبة واحدة . وهذه هي مباحثه :ــ

الضريبة على الثروة الحقيقية (١)

« الثروة مجموعة من موفرات الدخل . فاذا جعلت الضريبة على الثروة وحدها تكون بالحقيقة مضروبة على الموفر وتكون الحكومة شريكة الفرد في موفراته التي حرم نفسه التمتع بها لا في دخله . ولا مشاحة في ان الحكومة تجور كثيرًا او قليلاً اذا كانت تجمع ضرائبها من الثروة التي وفرتها الامة من اصل نفقاتها بالبخل على نفسها لكي تحفظها الى حين الحاجة والعسر في المستقبل او لكي تثمرها بالاعمال المالية التي تزيد يسرها ويجبوحتها . نقول ذلك من وجه اقتصادي لانه اذا كان دخل الفرد يخصه وله حق التصرُّف المطلق به وانه اذا لم ينفقه كله في سبيل نعيمه وهنائه تشاركه الحكومة به وتقاسمه جزءًا منه فلماذا يستبقي قسماً منه ليجعله ثروة تشاركه الحكومة بها ؟ فضرب الضريبة على الثروة الحقيقية قصاص للناس على عدم استهلاكهم كل مكاسبهم او باوضح عبارة مثبطٌ لعزمهم على التوفير للتثمير وبالتالي مستوقف لثروة الامة عن نموها . هذا هو ضرره الاقتصادي وهو ولا ريب ضررٌ بينٌ »

وهنا اظن ان المستر ووكر لم يهتدِ تماماً الى الجانب الركيك من هذه القاعدة . نعم ان ما تأخذه الحكومة من الضريبة على الثروة انما هو مما وفره الفرد من دخله وحرم نفسه التمتع به ليثمره اي ليجعله ثروة ذات ريع ولكن لا اظن ان ما تجبيه الحكومة من اصل هذا الموفر الآئل الى ثروة يثبط عزم الفرد على التوفير ويزهده بجمع الثروة ويزين له افضلية استهلاك دخله كله لان الموفر قلما يشعر بنقص ثروته بعد ما تأخذ الحكومة نصيبها القليل منه الا اذا كان نصيبها كبيرًا تبلص الامة به بلصاً . ثم ان الفرد لا يصعب عليه ان يدفع القسم الزهيد من ثروته متى عرف انه وسائر افراد امته سواء في تحمل هذه الضريبة وان مؤداها لفائدة العموم ومصلحة الجمهور وان نصيبه من هذه الفائدة مناسب لما تجبيه الحكومة منه

وانما تسفه هذه القاعدة بان هناك قواعد اخرى افضل منها كالضريبة علي دخل الثروة لا على الثروة نفسها وبان الثروة التي لا قبل لصاحبها على انمائها وتثميرها باضافة ريعها اليها تنقرض شيئًا فشيئًا اذا كانت الحكومة تختزل كل عام جزءًا منها . هذا اهم اضرار هذه القاعدة وهو اشد من الضرر الذي المع اليه المستر ووكر على ما اظن

---

1 Taxes on Realized wealth

الضريبة على الدخل السنوي (١)

والغريب ان المستر ووكر يسفه قاعدة «الضريبة على الدخل السنوي» في حين انها في نظر معظم الاقتصاديين اقرب القواعد الى العدالة حتى جرت عليها انكلترا والمانيا وهما تريانها ملائمة . وقد مثل على تخطئة هذه القاعدة بقوله : ـ «هب ان رجلين متعادلين في القوّة الطبيعية احدهما نشيط مجتهد يبكر الى عمله ويواظب عليه تمام المواظبة فينال دخلاً وافرًا تشاركه الحكومة بقسم منه والآخر يهمل قوته الطبيعية فلا يستعملها ليسترزق بواسطتها بل يقضي حياته بالكسل والتواني قانعاً ببساطة العيش . فهل يحق للحكومة عليه اقل مما يحق لها على الاول ؟ فان كان الامر هكذا فكيف يجوز ان كسله يبخس الحكومة حقها الواجب عليه بالنسبة الى قوته وطاقته على العمل ؟ وكانّ الحكومة وهي تضرب الضريبة على الثروة بدل الدخل تضع عقاباً على التوفير وتجازي المسرفين خيرًا . وكذلك في ضربها الضريبة على الدخل بدل الطاقة تجازي الكسالى خيرًا وتعاقب المجتهدين

وهنا اظن ايضاً ان المستر ووكر مغالٍ في تخطئة هذه القاعدة لاني لا اعتقد ان المجتهد الذي يحق للحكومة نصيب كبير من دخله الوفير يحسد الكسول الذي لا يحق لها من دخله الزهيد الا النزر اليسير . ولا يثبط عزمه على العمل او يقلل اجتهاده كون الحكومة تقاسمه جزءًا من دخله بل هو يتمنى ان يكون دخله اوفر ولو كان للحكومة منه نصيب اكبر . اعتقد ذلك واراه واقعاً في البلاد التي تجبي الحكومة العشور منها بالعدالة فان جباية العشور لم تثبط عزم الفلاحين عن الفلاحة والزراعة . والحكومة المصرية تتقاضى من اتعاب الفلاحين اكثر من سائر الحكومات ومع ذلك لم تثنِ هممهم عن العمل

وزد على ذلك ان معظم المكاسب التي يكسبها كبار المتمولين وعظماء الاغنياء منحوت من قوة العملة الذين يستخدمهم اولئك الاغنياء فاذا تقاضت الحكومة جزءًا من مكاسبهم الطائلة لتبذله في خدمة الجمهور وحماية الامة فلا تُعتبر مقاصةً لهم على اجتهادهم ولا مجازية الكسالى خيرًا

ثم ان هناك كثيرين متساوين في المواهب والقوى والاجتهاد ولكنهم متفاوتون أي تفاوت في الكسب لاختلاف ظروفهم . فاختلاف هذه الظروف هو سبب اختلاف حقوق الحكومة عليهم

1 Revenue as the lasis of taxation

الضريبة على الانفاق (١)

قال السير وليم بتى منذ قرنين : « من المسلم على العموم انه يجب على كل فرد من الرعية ان يدفع للمصلحة العامة (التي تديرها الحكومة) بنسبة حصته من الامن العام وفائدته منه اي بحسب حاله وغناه · والاغنياء نوعان غنيٌّ بالفعل وغنيٌّ بالقوة · فالاول يعتبر غنياً بحسب ما ياكله ويشربه ويلبسه وياوى اليه ويتمتع به فعلاً · والآخر يعتبر غنياً اذا كانت له قوة الاغنياء اي عنده مال للانفاق ولكنه لا ينفق على نفسه منه الا الضروري فما هو اذاً الا صيرفي تمرّ الاموال في يديه مرًّا فقط كأنه واسطة لتبادلها بين اولئك الذين يتمتعون بها · وبناءً عليه يجب على كل فرد ان يدفع من ماله للحكومة القيمة على المصلحة العامة بحسب ما يأخذه منه لنفسه ويتمتع به »

وبالنظر الى هذا القول يعتبر كل فرد من افراد الامة ذي ثروة معدة للتثمير لا للانفاق قيماً على ثروته بالمعنى الذي المع اليه السير وليم بتي · وعليه قال « ارثربنغ » : « الضرائب العادلة لا يجوز ان تمس الا نفقات الفرد على معيشته فان مست نوعاً آخر من نفقاته (كالنفقة على المشروعات العملية) سلبته جزءًا من العدة التي يعمل بها ما وجب عليه من اعمال البلاد العمرانية »

وقد سفه المستر ووكر هذه الاقوال كلها بقوله : « هل الاكل والشرب واللبس وسائر لوازم المعيشة هي كل ما يختصه الانسان بنفسه ويستهلكه من غير ان يثمره بحيث يتسنى للحكومة ان تضرب الضريبة على ثمنه فقط ؟ فهب ان مثرياً اخرق الرأي مولعاً بالفخفخة او مجازفاً على غير دراية او روية بذل ثروته على مشروع يبتغي منه الكسب ولكن هذا المشروع واهي الاساس متداعي البناء غير منظم على قواعد العمل القويمة بحيث لا شبهة في خسرانه وضياع المال فيه جزافاً · فلا ريب ان هذا المال الضائع لا تنال الحكومة منه نصيباً البتة لانه حينما أوجد وكان دخلاً لم ترَ انها ذات حق بنصيب منه لتنفقه على المصلحة العامة اذ لم يكن حينئذٍ معدًا لتمتع صاحبه الشخصي بل كان تحت نية التوفير ليعمل ثروة · وحينما وفر من اصل الدخل وصار ثروة لم يعد للحكومة حق بشيء منه اذ لم يجتز في دائرة المستهلكات الشخصية ليكون لها حصة فيه · وكذلك لما بذل على مشروع فاسد لم تجسر ان تمد اليه يداً لان انفاقه لم يكن لاجل تمتع شخص بل لاجل عمل يقصد الى الكسب منه وان كان هذا

1 Expenditure as the lasis of taxation

العمل عقيماً لا يرجى منه ربح البتة · فترى ان هذا المال منذ اوجد الى ان استنفد لم يكن للحكومة حصة فيه مع انه وجد واستنفد تحت حمايتها · وكذلك لم يتمتع به صاحبه ولا احد من افراد الرعية مع انه في الاصل ثمن تعب وتقشف

وبناء على ذلك يرى ووكر انه اذا كان رأس المال او الدخل يعفى من الضريبة لسبب انه لم يصر بعد مالاً للنفقة الشخصية بل يحتمل ان ينفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد فللحكومة حق ان تسأل عما اذا كانت هذه الثروة تنفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد على غاية ما يمكن ان تفيدها به

فللفرد من الرعية ان يعترض على الحكومة قائلاً ليس لكِ حقاً ان تضربي ضريبة على مالي هذا وتختزلي شيئاً منه لاني الى الآن لم انفق منه قرشاً على نفسي واني لعازم على ان اثمره في مشروع يفيد البلاد · ولكن الحكومة ترد اعتراضه قائلة · نعم ولكن يجب ان نقتنع بصحة هذا الوعد فيجب ان نحكم نحن في ما اذا كنت تثمر ثروتك في ما يفيد البلاد حقيقة · فادفع ما عليك من الضريبة وثم لك ان تتصرف بثروتك كما تشاء والا فاذا شئت ان تعفى من الضريبة بناء على انك تخدم البلاد بمالك خدمة عمومية وجب ان تعمل عملك تحت رقابة الحكومة وسيطرتها » ثم استتلى ووكر موجزاً بما معناه : —

ولكن سيطرة الحكومة على اعمال الناس بحيث لا يبقى اصحابها الا وكلاء مؤمنين عليها تفضي الى خطر جسيم كما انها تنافي احكام العقل · ووجه الخطر في ذلك انه اذا جعلت الحكومة تتسيطر على اعمال الرعايا المالية لكيلا تذهب تلك الاموال جزافاً ولا يضيع نصيب الحكومة مما يتمتع به صاحبها من ريعها اصبحت الحكومة صاحبة الثروة بالفعل ولم يبق صاحب الثروة الاصلي اذ ذاك الا وكيلاً على ثروته يثمرها بمشروعات تخص الحكومة حتى اذا لم يقم بحق الوكالة كما تريد عزلته منها وقامت مقامه في استعمال ثروته · ولكن الاختبار قد اثبت ان الاشغال في يد الحكومة اقل كسباً منها في يد الشركات او الافراد · فمصلحة السكة الحديدية المصرية مثلاً يتضاعف ربحها اذا كانت في يد شركة لان الشركة لا تنظر الا الى مصلحتها فقط ولو قضت مصلحتها بظلم الجمهور والاجحاف به · واما الحكومة فارحم من الشركة بالجمهور ولذلك تلاحظ مصلحته قبل مصلحتها حين تدير السكة الحديدية بنفسها وذلك لان مديري السكة الحديدية الذين يديرونها باسم الحكومة ليس لهم غير رواتبهم · فلا يهمهم ان تربح المصلحة او ان تخسر وبالتالي لا يبخلون بمراعاة مصلحة الجمهور قبل مصلحة الحكومة لكي يكسبوا ثناء العموم · ولكن اذا كانت المصلحة بيد شركة فمديروها

يضحون مصلحة الجمهور لاجل نفع الشركة لان لهم نصيباً من هذا النفع باعتبار ان لهم معظم الاسهم

(ستأتي البقية)

شرٌّ اقوى من الحب

عروسان * فرّقت بينهما بنت الحان * ثم جمعتهما الاحزان

هي قصيدة لحضرة « نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني » وهي من الشعر الراقي الصحيح لفظاً ومعنىً . ومما يزيدها جمالاً استيفاء الناظم فيها شروط القصة من حيث « وحدة السياق مع تنوع الموضوع والملاحظة البسيكولوجية الصحيحة » وهذا الفن لا يدركه الاَّ اهل النظر والعلم . وما كل شعر يُنظم جدير بأن يسمى شعراً . وكم من قصيدة بليغة نظمها من امتن ما يكون ولكنها عديمة الفائدة ضعيفة القوى لعدم استيفائها تلك الشروط

هو الحبُّ في عهد الشبيبة يعذب ولكنما حبّ العروسين اعذبُ
ولم يروَ في الاسفار أعجب من هوى (جميلٍ وليلاه) ولا بعد يُكتبُ
عروسان والحب الوثيق مكللٌ حبيبان والخلق الجميل محببُ
فؤآدان في مهد الولاء توسدا تُظلها روح الكمال وترقبُ
لقد مرحا في رحبة الصفو برهةً يزينها ثوب العفاف المطيبُ
اذا غابَ عنها برهةً في مهمةٍ يذوب حنيناً قلبها المتلهبُ
وتنفحه عند اللقا بابتسامةٍ فتطفي جوى احشائه وترطبُ
وتأخذ كفيه اشتياقاً وتنثني اليه دلالاً وهو جذلانُ مطرَبُ
تُرجي به عوناً وغوثاً ونصرةً وتحسبه الترس الذي ليس يعطبُ
اذا ما دعت لبى جميلٌ دعاءها وجاد بعينيه اذا هي تطلبُ
كأني به قيسٌ يضحي بنفسه لما تبتغيه منه ليلى وترغبُ
فكانا بفردوسٍ من الحب والوفا ضحوكين والدنيا تجد وتلعبُ

وقد سكرا من خمرة السعد والهنا وقد غفلا والدهر يقظان يرقبُ

***

وفي ذات يوم اشعلتْ جذوة الهوى فؤاديها والرشد اوشك يذهبُ
فكان يناجيها باسرار قلبه ويروي أحاديث الغرام وُيعربُ
فتقرئه في مقلتيها روايةً لها الحب يملي والملامح تكتبُ
تكلمه الحاظها وفؤاده سميع وصوت اللحظ للقلب مُطربُ
وداما يثيران الصبابة والجوى ونجواهما تذكي الحشى وتلهبُ
الى ان اباح الحب كل رغيبة واضحى على العقل الهوى يتغلبُ
فمازحها مستمتعاً بدلالها ولذّ لها استصباؤه والتحببُ
ولاح لها ان تستزيد سروره بكاس من الصهبا فقالت «اتشربُ»
فقال لها : «حسبي بحبيك نشوة وان تسقني كفاك مراً فيعذبُ »
فقالت له : « لا بأس منها بجرعة » وجاءت بكاس من شذاها تطيبُ
وقالت له : « هذي المدامة مهجتي أُذيبت فدعها في فؤادك تُسكبُ »
كذا جرعته الكاس وهو استطابها ومهما يكن عيش الهوى فهو اطيبُ

***

وصار يعيدان الرواية ليلة على ليلة والشيء للشيء يجلبُ
فكانا اذا فاضت عيونهما هوىً وقلبهما في وجده يتقلبُ
يطالبها بالكاس من كفها التي تعوّد منها انها لا تخيبُ
فتسقيه كأساً ثم تأبى استزاده عليه ولكن لا بني يتطلبُ
وتمنحه اخرى لرقة قلبها وتخشى اذا لم تستجبه فيغضب
فبات اسير الكاس معبوده الطلى وصار له في سنة الشرب مذهبُ
واشغله عن حب ليلى كؤوسها وعن وجده فعلُ الخمور المغلبُ
اذا حادثته كان كالطفل هاذياً وان مازحته فهو للنزق اقربُ
كذا حرمت ليلى لذيذ حديثه وقد جعلت تأسى لذاك وتنحبُ
وزهرة ذاك الحب مرّ ربيعها وبانت رياض الدل والزهو تجدبُ
وبهجة ذياك المحيا قد انقضت وصارت مياه البشر واللطف تنضبُ
يروح صباحاً كاسف البال ذابلاً ويأتي مساءً والجبين مقطبُ

فشق على ليلى شكاسة بعلها وحيرها استنكافه والتقلب
فكاد غمام الغم يخنق قلبها وطامي اساها ادمعٌ تتصبب
لذلك آلت ان تخيب قصده وتحرمه الخمر التي هو يشرب
وان عرّضت عفواً لثائر سخطه فنكبتها فيه من السخط اصعب
فكسرت الاقداح اهرقت الطلى وقالت: «كفى اني اداري وارهب»

***

ولما درى عند المساء بما جرى تغيظ منها واستوى يتعتب
فقامت تراضيه وتبغي انتصاحه فزاد استياء وانثنى يتغضب
وراح الى الحانات يرتاد نهلة فرشفها صهباء في فيه تعذب
وافعم جوفاً من برود مزاجها فكانت لظى في قلبه تتلهب
ودبت الى اللب المصون وقد غدت تزعزع في اركانه وتقلب
الى ان تدجى في بصيرته الهدى واصبح لا يدري الى اين يذهب

***

فقلته رجلاه الى البيت صدفة فلاقته ليلى بابتسام ترحب
فبادرها كالصل ينفث سمه شتائم مثل السيل تهمي وتسكب
ومال عليها وهو يشهر مدية واغمدها في زندها وهي تهرب
وراح الى مقصورة النوم لا يعي وغادر ليلى بالدما تتخضب
صريعان هذي من بلاغة جرحها وذا من حمياه غدا يتقلب

***

ولما نضا الصبح البهي حلة الدجى وسال عن الافق الشعاع المذهب
افاق جميلٌ خائر العزم والقوى يغشي على تذكاره الامس غيهب
وجاء الى ليلى ليسأل حاجة تشاهدها في مهدها تتعذب
تئنّ من الآلام تبكي من الاسى وترثي نعيماً زال عنها وتندب
واذ اعلمته ما جرى ذاب قلبه واوشك عنه لبه يتغيب
وقد عضّ كفيه ومزّق ثوبه واصبح من فرط التأسف ينحب
وقال لها: «نفسي فداك وها دمي اذا شئته كفارة فاقرب»
فمدّت له ليلى يد الصفح والرضى وقالت له: «لا تبك ما انت مذنب»

لقد كنتُ حوَّاءً وقد كنتَ آدماً — لذن كان ابليس الغرام يجربُ
فاول كاسٍ من يدي قد جرعتها — وفي الجرعة الاولى البلاَء المحجبُ
وهذا عقابي منك بالعدل نلته — فحسبك من حالي المريع مؤنب
فصالحها والدمع يغسل جرحها — فيا لك حباً بالدموع تطببُ
وعاهدها الا يذوق مدامة — وقد تاب حتى لم يكن منه اتوبُ
ومرَّضها حتى استتمت شفاءها — وعاشا تمام العمر والعيش اطيبُ

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع لما قبله)

وكان سفر جاني على ما تقدم في الجزء السابق بعد مؤامرة بين ريشار وسكرتيره طمسن . فان طمسن اوهمها انه ذاهب بها الى منزلها في البرية والحقيقة انه كان ينوي السفر بها الى فرنسا لاخراجها من انكلترا . ومن هناك يعرّج على بلدة درلنتن حيث عقد زواجها بريشار فينزل ضيفاً على كاهن القرية ويحاول التوصل الى سجل الكنيسة لتمزيق عقد الزواج . وبينما كانت المركبة التي تقل طمسن وجاني سائرة في الاحراش خارج لندن كان شخص في ظلمة الليل يرصد الطريق ويقول

لقد ابعدوها ولم تجترم — وهبت لها عاصفات العذاب
لينعم من بعدها زوجها — بمجدٍ وجاهٍ بغير حساب
اجانيَ ان الحجى آفة — ولو ان اهل الحجى في السحاب
واين العدالة والعادلو — ن فشيمة كل امرئ ان يحابي
لقدضقتُ ذرعاً بهذا المصا — ب فماذا اعدّ لهذا المصاب
دهاني المشيب ولكنني — ارى في قواي نشاط الشباب
وقد اغمض الليل اجفانه — لكيلا يعزّ عليَّ طلابي
وها تلك مركبة علها — بجانيَ آخذة في اقتراب

وقد قربوا يا الهي فكن   بفضلك عوني في كل ما بي

وكان قائل هذا القول مبراي نفسه وقد رصد هناك لانقاذ جاني . فلما وصلت المركبة هجم مبراي لانقاذها فقاومه طمسن فتبارزا فقتل مبراي طمسن ثم سار بجاني في المركبة الى منزلها القديم في البرية خارج لندن

وهنا وصلنا الى فصل الرواية الاخير . فان ريشار كان قد عزم في تلك الليلة على عقد قرانه بابنة المركيز سيلفا وقرر اجراء العقد في منزله في البرية الذي سارت اليه جاني بعد مقتل طمسن . فلما وصل مبراي بجاني الى هذا المنزل قالت جاني باكية . ما الحيلة يا رباه فانه لم يبقَ لديَّ ريب في انه يرغب في اخراجي من انكلترا ليتخلص مني . بل ربما كانت حياتي نفسها ثقيلة عليه . فقال مبراي تعزي يا جاني فقد بقيت لديَّ وسيلة لم استعملها بعد ولكنني متى استعملتها سحقتُ بها كبرياء ريشار سحقاً واعدته الى الطريق القويم . فقالت جاني مدهوشة وما هي هذه الوسيلة . فقال هي كلمة واحدة اقولها له ومتى قلتها اصبح ريشار تعيساً الى حد لا تذكر عنده تعاستك بجانب تعاسته . فقالت جاني آه فدع ذلك اذاً بحياتك لاني اكره تعذيبه وافضّل ان اتعذب وحدي . فقال كلاً يا جاني فانك لم تطلعي بعد على جميع مقاصد ريشار . فانه كما قصر في ما يجب عليه لك قد اخذ يقصر في ما يجب عليه لوطنه . واني اخشى ان يكون لفعله تأثير سيء على مستقبل انكلترا كلها . فقالت جاني فاصنع اذاً ما تراه حسناً

فسار مبراي يقصد لندن . وجلست جاني بعد مسيره بازاء النافذة في ظلمة ذلك الليل تندب حظها وتقول :

أأندب حظي او زماني الذي مضى	فما حرج ان اليتيمة تندبُ
دهتني صروف الدهر ما غادرت اخاً	ولا تركت اماً ولا دام لي ابُ
عجبتُ وهل في الناس مثلي شقية	على ان حالي لو درى الناس اعجبُ
يريح الدجى هذه العناصر كلها	واسهر وحدي في الدجى اتعذّبُ
وما نفس الليل الذي مرّ بارداً	عليّ كانفاسي التي تتلهبُ
وما هو الآ الهمّ ان حلّ بامرئ	فسيّان ما ياتي وما يتجنبُ

ثم قالت : ما اجمل هذه الطبيعة الهادئة تحت جنح هذا الظلام الدامس . كم قد وقفت في هذه النافذة اعد نجوم السماء واتامل في العمق الذي تحتها . آه عفواً يا اماه عما خطر احياناً في بالي وانا واقفة هنا . فانني كم قلت انني اذا القيت بنفسي من هذا العلوّ الشاهق

متُّ واسترحت من عذابي. ترى متى يعود مبراي .. ما هذا اني ارى مركبة على الطريق وكان القادم ريشار نفسه وقد تقدم العروس واهلها مصطحباً خادمه لاعداد المكان قبل وصولهم. فلما راته جاني يدخل من باب الحديقة ارتعدت فرائصها لانه كان يظن انها سائرة على طريق فرنسا . فاندفعت نحو احدى الغرف واختبأت بها من وجهه

ولما دخل ريشار امر خادمه فانار المصابيح والشموع ثم فتش في القاعه فوجد فيها قبعة جاني . فقال لقد احسنت في انني تقدمتهم للتفتيش في المنزل . ثم اخذ القبعة وقال اذا القيتها من النافذة فانهم سيرونها غداً في الحديقة وهذه الخزائن مقفلة فاين اضعها. فخطر له ان يضعها في الغرفة الداخلية فتقدم الى الغرفة ففتحها لوضع القبعة فيها وكانت هى الغرفة التي جعلتها جاني مخبأً لها . فلما فتح بابها صاحت جاني مذعورة :

فذعر ريشار وخطا الى وراء ثم تقدم وصاح من هذا. فاجابته : انا.. انا . استحلفك بالله ان لا تؤذيني . فقال وقد بلغ الغضب منه مبلغه : انتِ هنا ؟ انت هنا ؟ ايُّ شيطان يردّك اليَّ كلما ظننت انني تخلصت منكِ . من اعادك الى هنا . تكلمي تكلمي

جاني ـ مبراي مبراي

ريشار ـ مبراي ؟ دوماً مبراي . اين هو لاصبَّ غضبي على راس رجل لا على راس امرأة

جاني ـ قد سار الى لندن فعفواً عنه وعني

ريشار ـ وماذا جرى

جاني ـ لقد اوقف المركبة ..

ريشار ـ وبعد وبعد . قولي فقد كاد ينشقُّ صدري

جاني ـ وبعد ذلك تبارزا . وقتل مبراي طمسن

ريشار ـ ويلٌ له

جاني ـ عفواً عفواً

ريشار ـ جاني جاني اسمعي

جاني ـ ها . هذا صوت مركبة

ريشار ـ نعم وهي قادمة بزوجتي واسرتها

جاني ـ (بجنون) زوجتك وانا من انا اذاً

ريشار ـ بغضب شديد) انت.. انتِ ملاكي الشرير . انت الهاوية التي ستبتلع

جميع آمالي . انت الشيطان الذي يدفعني الى ارتكاب جناية

جاني ـ آه يا الهي

ريشار ـ وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لانني سالتك الرضى بالطلاق فأبيتِ . سالتك السفر من انكلترا فلم تسافري

جاني ـ الآن ارضى . ارضى بكل ما تريد

ريشار ـ الآن قد فات الوقت

جاني ـ فماذا تصنع اذاً ؟

ريشار ـ لا اعلم وانما صلي . .

جاني ـ (مذعورة) ريشار . ريشار ماذا تقول

ريشار ـ اسكتي . الا تسمعين صوت اقدامهم . آه . انهم سيدخلون ويجدون امرأة عندي . . فماذا اقول لهم

ثم هجم ريشار على جاني فصاحت جاني : المعونة المعونة . . اليَّ اليَّ . فامسك بها ريشار وقال : اسمعي . يجب حين دخولهم الى هنا ان لا يجدوكِ في هذا المكان

جانِي ـ ارحمني . ارحمني

ريشار ـ رحمتك كثيراً فلم تنفع رحمتي

ثم اخذها كالوحش الكاسر فسدَّ فاها بكفه وحملها وهي تضطرب وتختلج للتخلص منه ثم تقدم بها من الشرفة المطلة على الحديقة والقاها منها الى الارض من ذلك العلو الشاهق . وبعد ذلك عاد من جهة الشرفة وصفرة الموت تعلو وجهه والعرق يكسو جبينه

وان القلم ليقصر عن وصف هذا العمل الوحشي فنكتفي بما ذكرناه في احد الفصول السابقة وهو : اذا لم يكن الرجل العظيم عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري

ولم يكد ريشار يلقي الشهيدة جاني من الشرفة الى الحديقة حتى قُرع الباب . وكان القادمون المركيز سيلفا وامرأته وابنته العروس ووزير المالية وقد جاءوا لكتابة عقد الزواج فلما دخلوا عليه قال له المركيز عفواً اذا كنا قد ازعجناك ايها السر ريشار لاننا راينا الباب مقفلاً عليك . فاجاب ريشار متلعثماً اهلاً وسهلاً . . لا لم اقفل الباب . وانما لا اعلم كيف كان المفتاح في الداخل . فقدم اليه المركيز زوجته وابنته ثم قال له : اني اراك اصفر اللون فهل تشكو ألماً . فاجاب متلعثماً . انا اصفر الوجه ؟ . . هذا امر عرضي . تفضلوا

واجلسوا . فقال المركيز لقد تفضل سعادة الوزير ورضي بان يكون شاهداً للعروس فهل لديك شاهدك . فقال ريشار لسنا في حاجة الى شهود . فلنوقع على صك الزواج . ثم تناول قلماً للتوقيع . فقال المركيز . ما ليدك ترتجف ياسر ريشار . فاجاب . يدي ترتجف؟ لا ولكنك انت ترى ذلك

ولما همّ ريشار بالتوقيع على صك الزواج واذا بصوت من الباب يصيح به : ينقصك شاهد للزواج يا ريشار . فهاءنذا

وكان صاحب الصوت مبراي نفسه وقد عاد من لندن . وفي اثناء مروره بالحديقة رأى فيها جاني المسكينة جثة باردة ففهم السبب وهرع بجنون ليرى قاتلها

. فالتفت اليه ريشار وقال بثبات جأش : سواء لدي انت ام رجل سواك . ثم دنا منه وقال همساً اياك ان تلفظ كلمة

مبراي ـ لا تتهدد . بل اترك التهديد لي

ريشار ـ « بغضب » وماذا تريد يا رجل ؟

مبراي ـ اخفض صوتك

ريشار ـ « بغضب » باي حق تطلب هذا الطلب

مبراي ـ انظر الى الشرفة . . .

ريشار ـ « مذعوراً » اخفض صوتك

مبراي ـ انت تعلم ماذا اقدر ان افعل بك بكلمة واحدة

ريشار ـ ولكنك لا تقولها

مبراي ـ لماذا

ريشار ـ لانه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها

مبراي ـ ريشار ـ لا اسكت عنها الآ على شرط واحد

ريشار ـ وما هو

مبراي ـ ان تعدل عن الزواج بهذه الفتاة لامرٍ ذي شأن وتستعفي من مجلس العموم ثم تهجر لندن وتذهب معي الى مكان منفرد . انت لتندم . وانا لابكي

ريشار ـ انني ارفض طلبك

مبراي ـ رفضاً قطعياً ؟

ريشار ـ « ملتفتاً الى المركيز » وقع على الصك يا سيدي المركيز

وقد كان هذا الجدال بين ريشار ومبراي على انفراد فلم يسمعه احد غيرهما من الحاضرين

فلما سمع مبراي كلام ريشار قال له : قف وعد الى رشدك والا ندمت حين لا يجدي الندم

ريشار ـ (للمركيز) وقع يا سيدي

فصاح هنا مبراي باعلى صوته : مركيز سيلفا مركيز سيلفا

المركيز ـ ما تريد ؟

مبراي ـ اتذكر قرية درلنتن

المركيز ـ ماذا تقول ؟...

مبراي ـ اتذكر تلك الليلة التي وصلتَ فيها الى تلك القرية وانت تفتش عن فتاة مخطوفة

المركيز ـ الزم الصمت يا سيدي ...

مبراي ـ لا تخف فانني لا اذكر اسمها لانني احترمها . اتذكر انها وضعت في تلك القرية غلاماً

المركيز ـ وبعد

مبراي ـ انك لم تشاهد ابا ذلك الغلام الا برهة ولكن ذلك كافٍ لان تعرفه .. انظر اليَّ

المركيز ـ آه . انت هو ..

مبراي ـ نعم انا هو .

المركيز ـ فاذاً انت ...

مبراي ـ الجلاَّد . (ثم اشار الى ريشار) وهذا ابني

فقامت هاضجة في المكان . والتفت ريشار مصعوقاً نحو مبراي وقال بغضب : انت ابي ؟ وكيف تثبت ذلك بل اي فخر لي بان تكون ابي . وهل من دلائل الابوة ان تقف كل يوم في وجهي لمعاكسة اعمالي وتخييب آمالي . كلاً انا لا اعرفك يا رجل ولا اريد ان اعرفك

مبراي ـ كان لي عليك ايها الشاب حق الاحترام لشعري الابيض فقط . اما الآن فصار لي عليك حق الابوة ايضاً . فاخفض من كبريائك يا ريشار درلنتن الطامع المتكبر واحترم حقي الطبيعي

ريشار ـ ولكن اذا كنت ابي فاين امي . اين تلك المرأة الملعونه التي هجرتني منذ ولادتي
وكانت اللادي ويلور زوجة المركيز سيلفا ترتعد ارتعاداً في اثناء الكلام المتقدم .
فلما سمعت ريشار يقول هذا القول انطرحت جاثية امامه وصاحت : ريشار لا تلعني
فصاحت ابنتها المس ويلور ـ ريشار اخي

فقال مبراي ـ نعم هذه امك وهذه اختك من امك وكادت تكون زوجتك وهذه
زوجتك الحقيقية . وهنا دخل ثلاثة من الخدم يحملون جاني مضرَّجة بدمائها وهي مغمى عليها
ولما وضعت على المقعد افاقت وقالت بصوت ضعيف ـ آه انني اموت

ريشار ـ (وقد دنا منها) جاني جاني احيي فاني احبك (١)

جاني ـ (منتبهة وقائلة بصوت ضعيف) ريشار . هذا انت؟ تحبني ؟ . وزوجتك
الجديدة ؟

ريشار ـ هذه اختي لا زوجتي

جاني ـ كيف ؟

ريشار ـ نعم اختي اختي وليس لي من زوجة غيرك

جاني ـ آه هنيئاً لك . فانك وجدت اهلك . اما انا فانني ذاهبة الى اهلي . . آه
يا امي

ريشار ـ جاني هل تغفرين لي

جاني ـ آه . قل لي اولاً . احقيقي انك صرت تحبني

ريشار ـ بدون شك

جاني ـ « بصوت ضعيف منقطع » اذاً اموت مستريحة . . راضية . . غفر الله لك ياحبيبي
قالت هذا القول ثم اغمضت جفنيها ولفظت روحها

فقال احد الحاضرين ـ هكذا فليكن حب الزوجات وطاعة النساء

وقال قائل آخر ـ ان عيناً خفية تسهر على حرية الشعوب

وقال قائل ثالث ـ (مشيراً الى جثة جاني) ولكن قد تسقط في هذا السبيل ضحايا
تتصدَّع لها القلوب « تمت الرواية »

---

(١) هنا كان الجمهور يضحك بالرغم منه لكلام ريشار الثقيل . وهذا الضحك وان
كان في غير محله الاَّ انه يدلُّ على ان روح الجمهور وان كانت ساذجة قد فهمت ما في هذا
الكلام من الدناءة واللؤم

صوت من بعيد

٣

هل في افريقيا وآسيا حركة اسلامية مركزها مصر

الجامعة الاسلامية

هذه تتمة البحث الذي بدأنا به في الجزئين السابقين بشأن مصر واحوالها السياسية

﴿مزيتان لهذا العصر﴾ يمتاز هذا العصر بحركتين . الاولى حركة عمومية والثانية حركة خصوصية . اما الحركة العمومية فهي قيام فريقين من الناس للدعوة الى تآخي الشعوب وابطال الحروب . غير ان لكل فريق منهما طريقاً تخالف طريق صاحبه . فاحدهما وهو حزب الاشتراكية يقول ان الناس في كل امة آكل ومأكول . وظالم ومظلوم . فطبقة النبلاء واصحاب المال تسخر لمصالحها طبقة الشعب والعمال وتستقطر دماءها استقطاراً في مقابلة اجور تافهة . وهي لا تحجم عن اثارة الحروب وايقاظ الفتن اذا كانت مصالحها المالية تقتضي ذلك وفي زمن الحرب تجلس بجبنٍ في قصورها عاكفة على ملاهيها في حين ان الشعوب تتناحر وتتجازر في ساحة القتال . فعلى الشعوب اذاً ان تصحو من رقادها الطويل الذي دام قروناً عديدة وتتحد في كل امة وكل مملكة لمقاومة هذه المطامع والفظائع . وقد وضعوا لهذه المقاومة طريقين . الاولى داخلية ومقتضاها اجتماع العمال وتأليفهم جمعيات يسمونها « سنديكا » لتكون المدافعة عنهم لدى اصحاب الاعمال والوسيط لديهم في كل ضرّ ينال عمالهم . وقد اضطرت الشرائع الاوروبية والاميركية الى الاعتراف بسلطة هذه الجمعيات واعتبرتها ممثلة للعمال وان ساء ذلك اصحاب الاعمال . والسلاح الاحدّ في ايدي هذه الجمعيات انما هو مسألة الاعتصاب المشهورة التي تُرغم بها اصحاب الاعمال على الرفق بعمالهم وتحسين احوالهم وكف الاذى عنهم . والطريقة الثانية خارجية وهي ان الشعوب والعمال لما رأوا ان عدوهم واحد وهو طبقة الاقوياء الذين يبتزونهم ويستثمرونهم كالحيوانات وجدوا ان مصلحتهم هي في تضامنهم واتحادهم على اعدائهم في الداخل . فاصبحوا يمدّون ايديهم بعضهم الى بعض من امة الى امة من فوق الحدود والاسوار التي تفصل الممالك والامم بعضها عن

بعض. ولذلك سموا انفسهم « امميين » والفوا لجنة دائمة دعوها « اللجنة الاشتراكية الاممية » لادارة شؤونهم المختلطة . ومن حين الى حين يعقدون مؤتمرًا عامًا يمثل جميع الاشتراكيين من الامم ويتباحثون في هذا المؤتمر كاعضاء حزب واحد. ولا يزال يدوي في الآذان حتى اليوم صدى خطبة ببل زعيم الاشتراكيين الالمان ضدّ جوريس زعيم الاشتراكيين الفرنسويين وذلك في مؤتمر امستردام منذ عامين حيث اخذ ببل على جوريس اتفاقه مع طبقة اصحاب المال في فرنسا لسن الشرائع الديموقراطية . فهو لا يرضى بهذا الاتفاق وان اثمر شرائع ترضى عنها الاشتراكية . وقد رأى هذا المؤتمر رأي ببل فغير جوريس بعد قراره هذا شيئًا من سياسته العمومية . وكلما اعترض على الاشتراكيين خصوصًا في فرنسا بانهم موالون للالمان اعداء وطنهم ومخدوعون بهذا الولاء الذي يجرّ على فرنسا البلاء و يضعف وطنية نابتة الفرنسويين فيجيبهم جوريس اننا في الازمات الصعبة بين فرنسا والمانيا سنؤثر على المانيا باتفاقنا مع اشتراكييها تاثيرًا لا تؤثره عشرة جيوش حربية لانهم سيكونون اعوانًا لنا ضدّ الحرب اذا خطر لالمانيا اثارة حرب عدوانية علينا اذ من مبادئ الحزب الاشتراكي مقاومة كل حرب تقصد بها الامة الاعتداء على امة اخرى لا الدفاع عن نفسها. واليك دليلاً اوضح من هذا على قوّة هذه الحركة فان المسيو جوريس زعيم الاشتراكيين في فرنسا كتب منذ بضع سنوات كتابًا الى صديق له اشتراكي في ايطاليا يقول فيه : ان المحالفة الثلاثية « بين ايطاليا والمانيا والنمسا » كانت ضرورية لموازنة حماسة الحزب الفرنسوي الذي يريد الحرب . فلما نُشر هذا الكتاب ادمت صاحبه جرائد فرنسا الغير الاشتراكية طعنًا ونقدًا

هذا احد الفريقين اللذين يدعوان الى السلم العام. واما الفريق الثاني فانه يدعو هذه الدعوة ولكن من طريق أُخرى اسلم واحكم . ونريد بهذا الفريق اعضاء « حزب السلم والتحكيم العام » الذي يرى ان جميع المشاكل التي تقوم بين الحكومات وتثور بسببها الحروب يمكن فضها بالتحكيم الدولي بدل ارافة الدماء وتعطيل مصالح الناس . وانصار هذا الحزب آخذون في الازدياد وهم من خيرة الساسة والعلماء والاقتصاديين في كل امة. واول اغراضهم اليوم (ايقاف التسليح عند حده الحالي اولاً . ثم عقد الدول مؤتمرًا لتقرير تركها السلاح تركًا نهائيًا جميعها معًا) . وان في هذه الكلمة (جميعها معًا) امرًا خطيرًا لان خصوم هذا الحزب يقولون كلما دعا الحزب الى مبادئه ان دعوته هذه الى تجريد وطنه من السلاح تؤول الى جعل بلاده طعمة لكل آكل ولذلك يقول لهم (جميع الاوطان معًا)

هذه هي الحركة الاولى العمومية المزدوجة التي هي من مزايا العصر الحاضر . وهي حركة سلم واخاء . اما الحركة الثانية التي تقدمت الاشارة اليها وُتعد ايضاً من مزايا هذا العصر فهي حركة نكاد تكون ضدَّها . ونعني بها حركة (الجامعات) ففي العالم الآن عدة حركات مرماها الى تاليف جامعات خصوصية . فهناك (الجامعة السلافية) و (الجامعة الجرمانية) (والجامعة اللاتينية) و (الجامعة الانجلوسكسونية) « والجامعة الصفراء » اي بين الجنس الاصفر في الصين واليابان . « والجامعة السوداء » في افريقيا « والجامعة الاسلامية » التي عليها مدار الكلام في هذا الفصل

﴿ غرض هذه الجامعة ﴾ وقبل البحث في نفع هذه الجامعات او ضرّها يجب ان نبحث في غرضها . واننا نرى غرضها يختلف باختلاف عناصرها ومبادئها وكيانها السياسي . فغرض الجامعة السلافية ضمّ جميع الشعوب التي هي من اصل سلافي تحت جنحي النسر الروسي وهذا هو السبب في احتضان روسيا السرب والبلغار . ولالمانيا غرض مثل هذا الغرض من جامعتها الجرمانية في النمسا على الخصوص . واما الجامعة الصفراء فغرضها التعاون على كف ايدي اوروبا عن المداخلة في شؤونها . واما الجامعة اللاتينية والسكسونية فغرضها اتفاق معنوي او محالفة فعلية بين العناصر التي تتالف منها كل واحدة من هاتين الجامعتين . وبناء على ذلك يكون في هذه الجامعات ما هو جائز في عرف السياسة والعدل كالجامعة الصفراء والجامعة اللاتينية والسكسونية لانها لا تعتدي على حقوق الامم ولا تخالف عرف السياسة والعدل ومنها ما هو غير جائز كالجامعة السلافية والجرمانية التي يقتضي العمل بها المداخلة في شؤون داخلية لدولة أخرى مما يجلب الاضطراب ويثير الفتن بين البشر

فانت ترى في ما تقدم انه من الجائز للامم ان تتفق فيما بينها على غيرها دفاعاً عن مصالحها . وان « الجامعة الاسلامية » التي كثر الكلام فيها في هذا الصيف في اوروبا ومصر ليست ببدعة جديدة في الارض . ونحن ناظرون الان نظراً اجمالياً لنرى باي شيء تتفق مع تلك الجامعات وباي شيء تختلف عنها . لان الحكم في جوازها او عدم جوازها انما يتوقف على الحكم في هذا الامر

﴿ وجوه الوفاق والخلاف ﴾ يظهر لنا ان الجامعة الاسلامية تتفق مع اكثر تلك الجامعات في اشياء وتختلف عنها في اشياء . اما الوجوه التي تتفق فيها مع تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول ان غرضها اولاً الدفاع عن نفسها وثانياً الرغبة في

السيادة الدنيوية بواسطتها (١) فهي آلة دفاع وهجوم . والوجه الثاني كونها مثلها متفرقة بين عدة امم اسلامية وحكومات مختلفة وافرادها يُعدون بالملايين . واما الوجوه التي تختلف فيها الجامعة الاسلامية عن تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول من حيث اسمها وروحها . فان اسمها يجعل صبغتها دينية محضة . خلافاً للجامعة الجرمانية مثلاً التي هي جامعة جنسية محضة . واذا كانت الجامعة الاسلامية آلة سياسية لا دينية كما ذكرنا ذلك في المقالات السابقة فانما هي كذلك عند الخواص الذين يديرون حركتها وهم قلما يجسرون ان يجهروا بذلك لانهم يقطعون الطريق على انفسهم اذا جهروا به لان الحكومات التي تحكمهم او التي لمصالحها التصاق بمصالحهم تتصدى لهم بحجة اثارتهم الافكار واستعمالهم المبادىء الدينيـة وسيلة لغرضهم السياسي . بل هناك امر اعظم من هذا . وهو ان كلامهم لا يؤثر في جمع الشعوب الاسلامية المختلفة المصالح والعواطف الاّ من الوجه الديني . فاذا علم الشعب ان غرضهم السياسة لا الدين والدفاع عنه واعلاء كلمته على كلمة اي دين غيره فانه قلما يتأثر لكلامهم او يتبعهم . فالخلاف بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجرمانية خلاف عظيم من هذا القبيل . ولعلَّ هذا هو السبب في ان اوروبا تجد الجامعة الاسلامية امراً مستقبحاً عندها مع كونها تجد الجامعة الجرمانية امراً معقولاً . وكلما قال لها اصحاب الجامعة الاسلامية ان عملهم مبنيٌّ على العدل والحق لانهم انما يطلبون انهاض انفسهم واسعاد احوالهم ليكون لهم اسوة بسائر الامم اجابتهم ان مطلبكم معقول مقبول وهو من حقكم ولكن طريقكم اليه طريق غير مقبولة لاننا نحن الاوروبيين لا يمكننا ان نفهم كيف يمكن انهاض الامم بالدين ولا عقولنا تُدرك كيف يمكن ان تكون علاقة بين الفارسي مثلاً والعربي مع كونهما من جنسين مختلفين محكومين بحكومتين مُختلفتين مستقلتين . فيلزم عن ذلك ان يكون لكم غرض غير طلب الاستقلال وتأييد جنسيتكم وتاريخكم ونظن ان هذا الغرض هو اجتماعكم علينا كما هي سنة الضعفاء مع الاقوياء . ففي هذه الحالة لا نلومكم لان الحياة جهاد يفوز بها الاقوى . وانما نعتبر جامعتكم هذه ضدّنا وعملكم لربط بعضكم ببعض عملاً لا تقصدون به غير العدوان علينا . فلا تلومونا

---

(١) المراد بقولنا « الدنيوية » ترجمة كلمة Mondial التي وضعها الامبراطور غليوم في احدى خطبه اصلاً لسياسته حيث قال ان سياسة المانيا Mondial ومراده سياسة السيادة في الدنيا

اذا نظرنا الى جامعتكم شزرًا

ووجه الخلاف هذا يجرنا الى الوجه الثاني من وجوه الخلاف بين الجامعة الاسلامية وتلك الجامعات . فالجرمانيون في النمسا مثلاً انما يتمسكون بالجامعة الجرمانية لرغبتهم في الانضمام الى جرمانيا لانهم من اصلها وتمنيهم ان يكونوا محكومين بالشرائع الجرمانية والروح الجرمانية والتاريخ الجرماني لانها شرائعهم وروحهم وتاريخهم . واما الجامعة الاسلامية في فارس وتركيا وامارات الهند المستقلة وافغانستان ومراكش فليس لها غرض كهذا الغرض لانها محكومة بشرائعها الخصوصية وباحكام تاريخها . فلها اذًا غرض آخر غير الرغبة في المعيشة بحسب مزاجها وارادتها . وفضلاً عن ذلك فهي من اجناس مختلفة بين عجمي وعربي وتركي وهندي ولا مصلحة تربطها بعضها ببعض غير ضغط اوروبا ورغبتها في النهوض من عثرتها . وافترض انها خلصت من ذاك الضغط ونهضت من عثرتها فانها لا تلبث ان تتفرَّق كلمتها وتتخالف وتتنافر وتتحارب كما كانت في الزمن القديم يوم كانت سائدة قوية ولم يكن امامها اقوياء ينازعونها البقاء . فرغبتها اذًا في الانضمام بعضها الى بعض انما هي رغبة وقتية لا دائمة كما هي الحالة في جرمانيا

﴿تاريخ نشأَة الجامعة الاسلامية﴾ ان السياسي الفرنسوي غبريل شارم يرجع تاريخ نشأَة الجامعة الاسلامية الى عام ١٨٨٠ . فانه قال في تاريخه « مستقبل تركيا » ان اوروبا كانت يومئذٍ تحرّض اليونان سرًّا وتمدّها بالمال والسلاح لمحاربة تركيا توصلاً الى سلخ ولاية تساليا عنها قبل تحديد التخوم بينهما . وبينما كانت اليونان تهدّد الباب العالي بقطع العلائق السياسية اذا لم يعتبر ولاية تساليا داخلة في الحدود اليونانية كانت امارة الجبل الاسود تهدده بمثل ذلك التهديد اذا لم يسلمها مدينة دلسينو في حدودها . واساطيل الدول تستعد لمظاهرة حربية ارغامًا للباب العالي على هذا التسليم . وفوق ذلك تحركت السرب واخذت في حشد جيشها لتصطاد في الماء العكر . وكان الباب العالي يمانع اشد ممانعة ويدافع عن املاكه دفاعًا شديدًا . ولكنه لما رأى الفتنة في تونس واستعداد فرنسا للمداخلة الفعلية فيها هان عليه التسليم بكل شيء لليونان والجبل الاسود تفرغًا للمسأَلة التونسية . ولما احتلت فرنسا تونس وجاءت انكلترا تحتل مصر ضاعت ثقة جلالة السلطان باوروبا وبعدالتها فاخذ يلتمس له سندًا قويًا في آسيا ضدّ القوة الاوروبية التي كانت عازمة على اكل مملكته كما يؤكل الخرشوف ورقة ورقة . فاصبح الناس يقرأون في التلغرافات اليومية اخبارًا

كالخبر الآتي « يقال ان شريف مكة قد اشار على جلالة السلطان بنشر اللواء النبوي واعلان الجهاد » ولكنهم لم يلبثوا ان كذبوا هذا الخبر . على ان هناك خبراً آخر اقتبسناه من جرائد سنة ١٨٨٠ وهو رسمي لانه ورد في التلغراف عن لسان وكيل وزارة الخارجية الانكليزية وهذا نصه :

« لندن ٢٨ اغسطس (آب) »

« اثبت السر شارلس ديلك وكيل وزارة الخارجية وجود جريدة تطبع في المطبعة السلطانية بالاستانة تنشر في بلاد الهند خاصة متضمنة مقالات مهيجة للشعب على الحكومة الانكليزية وان الجناب السلطاني ينفق عليها من ماله . ولكن اجابة لطلب المستر غوشن الشديد « وهو السفير » امتنع الجناب السلطاني من اداء النفقة المذكورة فتعطلت الجريدة »

فيظهر من قوله « الهند خاصة » ان المقاومة كانت موجهة بالاكثر الى الدولة الانكليزية لانها كانت اشد الدول على الدولة العثمانية . واليك ايضاً خبراً آخر مقتبساً من جرائد تلك السنة (١٨٨٠)

« روت جريدة الطان عن مراسلها في برلين ان احد كبار الدولة وضع تاريخ الخلافة الاسلامية ورفعه الى الجناب السلطاني فسرَّ بتلاوته وتأثر منها تأثراً شديداً حتى انه عزم على مقاومة اوروبا ورفض تداخلها في امور مملكته . وقد تم تعريب هذا الكتاب وأُرسل منه عدة نسخ الى البلاد الحجازية وآسيا الصغرى فتولد عنه ما شاع من ان امير المؤمنين سينشر العلم النبوي ويأمر بالجهاد المقدس للدفاع عن الوطن »

على انه ولئن كان في هذه الاخبار شيء من المبالغة الا ان مستقرئ تاريخ حوادث ذلك العام وما يليه لا يُحسب بعيداً من الصواب اذا حكم بان فكرة (الجامعة الاسلامية) انما نشأت في تلك السنة (ستأتي البقية)

﴿ الى حضرات المشتركين ﴾ ترجو دارة المجلة من المشتركين الذين لم يبعثوا اليها بقيمة اشتراكهم في المجلة سواء كان ذلك في اميركا الشمالية والجنوبية او خارجهما ان يتفضلوا بارسالها اما حوالة على البوسطة او شك على بنك او اوراق مالية اميركية في كتاب مسوكر او حوالة على احد تجار نيويورك ولهم الشكر مقدماً

﴿ اصلاح خطأ ﴾ ورد في الصفحة ٢٨٣ السطر الثاني (زوجة المركيز سيلفا) والصواب (ابنته)

رسائل ومسائل

دعوة للمهاجرين في اميركا

زارع سوري يدعو المهاجرين الى الزراعة

والجامعة تعضد دعوته (١)

حضرة صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعتُ في الجزء السادس على حاشية من الجامعة تطلب فيها افادات بشأن الفلاح السوري في اميركا . ولما كنت ممن لهم معرفة بحالة الزارع السوري الاميركي لانني اتخذت الزراعة حرفة لي مدة سبع سنوات في هذه البلاد فقد بادرت الى اجابة طلبكم

الامتلاك بحق الاقامة قدمت الى هذه المقاطعة « Oklahoma » او « ارض الجمال » حيث بلغني من بعض الاميركان انها بلاد فتحت حديثًا ورغبة من الحكومة في تعميرها وجلب الناس اليها اعلنت ان كل شخص بالغ الرشد يحق له امتلاك مئة وستين فدانًا من الارض اذا سكن فيها خمس سنوات دون ان يدفع شيئًا ثمنًا للارض . بل انه يصلحها ويغرسها بالاشجار ويجني ارباحها بجده وتعبه وبعد السنوات الخمس المذكورة تسجلها الحكومة باسمه اي تجعل له حق ملكها ليتصرَّف بها كما يشاء . فحين حضوري وجدت خمس عشرة عائلة سورية في هذه الانحاء وهم مسجلون اسماءهم على اراضٍ فسيحة فسجلت اسمي مثلهم . وقد جاء مهندس الحكومة المعين لهذا الغرض ورسم لنا حدود الاراضي التي

(١) ان الجامعة بعد شكرها حضرة المراسل لرسالته المفيدة ترجو من جمهور المهاجرين في اميركا والذين ينوون القدوم من الشرق اليها ان يطالعوا هذه الرسالة بتأمل وامعان . ونكرر رجاءنا ثانية الى الذين يشتغلون بالزراعة في هذه البلاد ان يتحفوا الجامعة بكل ما يعلمونه بشأن هذا الموضوع فيكون لهم الفضل في اثارة مسألة يجب ان توجه افكار المهاجرين اليها خصوصاً اصحاب رؤوس المال الصغيرة

رُشحت لملكيتنا فعرف كلٌّ منا نصيبه وحدّه . ومنذ ذلك الحين شمرنا عن ساعد الجد فبنينا بيوتًا لاقامتنا وسيجنا اراضينا وبدأْنا بالعمل . وبما اننا كنا نجهل فن الزراعة فقد كنا نستشير فيه جيراننا الاميركان فتدرب القسم الاكبر منا عليه وارينا الاهالي والحكومة نشاطنا ومقدرتنا على العمل فنظر الينا اولياء الامور بعين الاكرام واصبح لنا رأْي عندهم

﴿ بعد السنوات الخمس ﴾ في السنة الاولى والثانية من شروعنا في الزراعة لم نجنِ شيئًا يذكر لاننا كنا مهتمين باصلاح الارض . وفي السنة الثالثة غرسنا البساتين وزرعنا القطن والذره والبطاطا والبصل وغيرها فنتج لنا منها حاصلات غزيرة وارتفعت اسعار الاراضي وعمرت تلك الجهات بالسكان بعد ان كانت خاوية خالية لا يسكنها انس ولا جن . ولما رأَت شركة السكة الحديدية اننا بحاجة لنقل حاصلاتنا مدت سكة حديدية من تشاكشه الى منغم على بعد ثمانية اميال من اراضي السوريين فزاد هذا الامر في تحسين قيمة الاراضي وتسهيل نقل الحاصلات . وفي السنة الرابعة شحنت بشركة احد الزراع كارًا من البصل زنته خمسمائة بشل وذلك لمدينة دنفر كاليردو . وهو اول كار من حاصلات « كرار » Greer Co. شحن للخارج

وفي السنة الخامسة دخلنا في الجنسية الاميركية وسجلت لنا الحكومة من تلك الاراضي لكل واحد ١٦٠ فدانًا . وكانت اغلال تلك السنة اغزر من الاولى . فباع البعض منا اراضيهم وسافروا للوطن . والبعض باعوا وسافروا لجهات تكساس للتجارة . وهذه حالة اغلب السوريين في هذه الجهات . فهم متى تيسر حالهم يسافرون للوطن فاما انهم يبنون المنازل فيه واما انهم يتزوجون هناك و يعودون الى هذه البلاد لتعاطي التجارة . و بذلك يرتكبون خطأَين الاول اضاعتهم في سياحتهم هذه اموالهم التي جمعوها بعرق القربة اما على بناء منازل لا فائدة منها ولا ربح او بالاسراف في النفقة في مسقط رأْسهم . والثاني قطعهم اعمالهم واشغالهم بعد ان يكونوا قد وصلوا فيها الى درجة يمكنهم الاستفادة منها في المستقبل فائدة كبيرة لو لم يقطعوها

﴿ هواء مزارعنا ﴾ هو هواء نقي موافق للصحة « والمناخ » عندنا يشبه مناخ اراضي الجولان في سوريا ومياهنا عذبة وان كان بعضها مالحًا

﴿ حاصلات زراعتنا ﴾ حاصلات زراعتنا هي القطن وهو المعتمد عليه بالاكثر والقمح والشعير والذره الصفراء والحمراء والبيضاء وقصب السكر والمكانس والبصل والبطاطا والبطاطا الحلوة . وكل ما يزرعه الانسان ينمو في هذه الاراضي و يجود . اما اشجارها فقليلة

ولا يوجد فيها اشجار غير التي غرمها سكانها كالدراق والمشمش والاجاص والعنب والسفرجل والتفاح والخوخ والجور واللوكس . وقد كانت غلال السوريين في سنة ١٩٠٥ من القطن مائتي بالة زنة البالة محلولة ٥٠٠ بوند وقد بيعت باسعار جيدة من ٩ سنس الى ١٢٫٧ كل بوند . اما الذره الصفراء فكانت غلتهم منها الفي بشل ومن البيضاء والحمراء ثلاثة آلاف. وقد زرعنا في هذه السنة القمح والشعير فعاد علينا منهما غلة جيدة . فقد كانت غلة اكر الشعير من ٤٠ الى ٨٥ بشلاً . واكر القمح من ٢٥ الى ٣٥ بشلاً . اما القطن والذره الصفراء فلم نجنهما بعد وغلتهما في هذا العام اضعاف غلتهما في السنة الماضية

﴿ المتاجرة بالاراضي . دعوة الى التجار ﴾ ولقد ارتفعت اسعار الاراضي هنا وفي كل بلاد زراعية تعمر من جديد ارتفاعاً هائلاً فصارت القطعة ١٦٠ اكراً تباع من الفي الى خمسة آلاف ريال بحسب موقعها بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً . وعليه فالفلاحة في هذه البلاد تأتي بثمرة جيدة اذا كان الرجل رجل حزم وعزم ولا يعرف الكسل . والعكس بالعكس . ويا حبذا لو انتبه تجارنا الاغنياء الى احد امرين الاول الاقدام على احياء الاراضي المائتة هنا وامتلاكها باتفاقهم مع بعض الافراد فان ذلك يعود عليهم بارباح هي اضعاف فوائد اموالهم . فانهم كلهم من الكبير الى الصغير لا يفكرون بغير التجارة باصناف محدودة معلومة كثرت المزاحمة فيها وقلت ارباحها . ويعيشون بين اربعة جدران كل حياتهم بتعب ونصب وركض واهتمام يضني الجسم . اما الزراعة فاذا احسنت ادارتها خصوصاً بحسب الطرق العلمية الحديثة كانت اربح لهم فضلاً عن معيشتهم في هواء نقي يطيل العمر وينمي الجسم وينقي الخاطر وسط المزارع الخضراء والاشجار والازهار والطبيعة الجميلة . والامر الثاني الذي ادعوهم اليه اذا تعذر عليهم الميل الى الامر الاول مع ان كثيرين من اكابر الاغنياء الاميركيين هم من اكابر المزارعين هو المتاجرة بالاراضي المذكورة . فان ارتفاع اثمانها عاماً عن عام يجعل ربح التاجر من تجارته بها في عام واحد من ٢٥ الى ٧٥ في المائة . وهذا امر اختبرته بنفسي . وقد قدم الى هنا منذ سنة شقيق لي في نيويورك وابتاع ارضاً بقيمة ثمانمائة ريال . والآن ارتفع ثمنها الى ثلاثة آلاف ريال . فتأمل

Mangum Oklahoma, T. شاكر سالم الخوري

﴿ الجامعة ﴾ نؤمل من حضرات القراء اذا كان لاحدهم اعتراض على ما تقدم نشره في هذه الرسالة ان يبعث به الينا ونسدي الشكر لحضرته مقدماً . ثم نرجو من حضرة المراسل او غيره ان يجيبنا على الاسئلة التالية افادة للذين يهتمون بهذا الموضوع «١» ما هو رأس

المال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستين اكرًا التي تمنحها الحكومة لطالبها «٢» هل يستطيع الزارع اذا لم يكن في يده رأس المال المذكور ان يستقرض المال على الارض المذكورة او على تعبه فيها من اناس قريبين منها «٣» هل الامن سائد في جهاتها ولا خوف على حياته وعلى ثمرة تعبه هناك من سطو او اعتداء · «٤» اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكرًا لاصلاحها وزراعتها فهل يؤذن له بذلك «٥» هل من ضريبة للحكومة على تلك الارض وما هو مقدارها «٦» بكم تقدر نفقة الشخص الواحد في السنة هناك بقطع النظر عن نفقة الارض والزراعة «٧» هل يمكن لمحترف الزراعة هناك ان يحترف حرفة اخرى معها

هذا وبعد الاخذ والرد في هذا الموضوع بين حضرات المراسلين اذا رأينا الخلاف شاسعًا بين آرائهم وسنحت لنا الفرصة سنذهب خاصة الى بعض مزارع السوريين في الداخلية لدرس حالتها ونشر ما يهم نشره عنها لعل « الجامعة » توفق الى خدمة المهاجرين اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة خدمة تغنيهم عن الكشه واحوالها والاستخدام المميت القوى بتشجيعهم على عمل زراعي ينمي عقولهم وابدانهم و يصون آدابهم في بلاد انما هي قبل كل شيء بلاد زراعية تُعطى فيها الارض مجانًا

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

هذا باب جديد نفتحه في الجامعة وننشر فيه اشهر الصور واعظم الرسوم الموجودة في متاحف اوروبا واميركا والقصور الكبرى · والنسخة الاصلية لكل واحدة من هذه الصور المنشورة في هذا الباب قد يبلغ ثمنها مئات الوف فرنكات · ورب صورة بلغ ثمنها مليون فرنك او اكثر · وفي اثنائها ننشر تاريخ الرجال الذين يرد الكلام عليهم وشيئًا من ترجمتهم · المصوَّرين والمصوِّرين

﴿ نابوليون في يافا ﴾ مطعونو يافا او نابوليون في يافا اسم رسم ثمين من اجمل الرسوم الفرنسوية · وقد رسمه الرسام كرو Gros الذي كان مرافقًا نابوليون في حملته على الشرق

وتفصيل الخبر ان نابوليون بعد ان فتح مصر زحف الى سوريا لفتحها ففتح بضع بلدان فيها حتى بلغ عكا فاستعصى عليه فتح حصنها . ولو تسنى له فتحه فربما كان تغير وجه المشرق. وقد كان في هذا اضعف من ابرهيم باشا المصري الذي تمكن من فتحه حين زحفه الى سوريا. ولما ارتد نابوليون خائباً كان التعب قد اضنى جنوده وفشا الطاعون بينهم في يافا وجدّت امور وراءه فعزم على الجلاء عن سوريا والعودة الى مصر . فأمر بقتل المطعونين من جنده بحجة انهم لا يجدون بعد سفره في يافا غير العذاب والقتل . وقد عدّ التاريخ هذا الامر الفظيع نقطة سوداء في تاريخ اعماله . اما هو فقد تمحل لنفسه غير مرة العذر ليبرئ نفسه من مسبة القسوة والهمجية

والرسم المنشور هنا رسم بضعة من اولئك المطعونين . وهو يمثل جامعاً في يافا حيث كان مستشفاهم وقد وقف نابوليون امام احدهم يجس باصبعه دمل الطاعون تحت ابطه كما ترى . ووراء نابوليون القائدان دي برتيه ودي بسيير .



مطعونو يافا

ونابوليون يجس باصبعه دمامل الطاعون في اجسامهم

والى يمينه مطعون عاري الجسم يسنده احد اهالي يافا وبجانبه طبيب عثماني من اطباء يافا يبدل لفائف جروحه . وفي الصف الاول الى اليمين في زاوية الرسم مطعون يلفظ روحه على ركبتي ماسكلت وهو جراح فرنسوي شاب صديق لكرو صاحب الرسم . وقد توفي بعد مدة بالطاعون . وقد عُرض هذا الرسم في معرض الرسوم في باريز في عام ١٨٠٤ فعدّ من انخر الآثار التصويرية . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز



يوسف يبيعه اخوته

وهو ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً

﴿ يوسف يبيعه اخوته ﴾ قصة يوسف مشهورة في التوراة . فان اخوته باعوه لقافلة من الاسماعيليين حسداً له ثم ادعوا لدى ابيه يعقوب ان الذئب اكله . والاسماعيليون باعوه في مصر الى فوتيفار رئيس خصيان ملك مصر ووكيل اشغاله . وقصته مع زوجة فوتيفار مشهورة . وكذلك قصة سجنه وتعبيره حلم فرعون والقاء فرعون بعد ذلك ازمة الوزارة في مصر اليه . ثم مجيء اخوته الى مصر يطلبون القمح لامحال ارضهم وتعريفهم بنفسه . والراجح ان حادثة يوسف هذه وقعت في زمن دولة الهكسوس في مصر . والرسم الذي نشرناه هنا يمثل اخوة يوسف وهم يبيعونه للقافلة الاسماعيلية ويوسف ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً . وقد رسمه فلاندرين وهو موجود اليوم في كنيسة سان جرمين دي بره في باريز

﴿ اجمل صورة نُشرت باللغة العربية ﴾ هي صورة نيويورك المنشورة في صدر هذا الجزء مأخوذة بالفوتوغراف من منطاد في اعالي الجو . وتظهر فيها المدن الثلاث بتمامها وتبدو مباني نيويورك الشامخة والسفن البخارية الكبرى الراسية في احواضها في شاطىء النهر والمرفاء باقل من سنتيمتر . ويرى قراؤنا الكرام في ما ادخلناه على المجلة من التحسين من حيث رسومها وورقها وطبعها وزيادة صفحاتها واصدارها مرتين كل شهر بدل مرة واحدة اننا نبذل منتهى الجهد فيها . وكل ذلك نراه شيئاً قليلاً بازاء ما نراه من اعتنائهم بها واقبالهم على مساعدتها سواء كان ذلك بوفاء المجلة حقها من غير طلب من الادارة او بحث اصدقائهم على اقتنائها وارسال اسمائهم الينا . وقد وعدناهم في الجزء الرابع انهم سيسمعون عنها قريباً اخباراً تسرّهم وربما ذكرنا ذلك في الجزء التالي او الذي يليه على الكثير

صدر هذا الجزء من الجامعة زائداً عن حجمه الاعتيادي . فهو في ٦٠ صفحة

تدبيرُ الصحة وَالمنزل

النساء وتدخين الرجال

قالت احدى السيدات لا اعلم كيف يمكن الرجال الذين يدّعون احترام السيدات ان يجلسوا بينهنّ ويضايقوهنّ بالتدخين واغيظ من ذلك ان بعض « الظرفاء » يخرج السيكارة من جيبه او يتناول « ليّ الشيشة » بيده ويلتفت الى السيدات ويقول « اكسكيوز مسز » اتسمحنّ يا ستات ؟ فماذا ينتظر ان يكون الجواب ؟ . . فيشرع يدخن والسيدات يكاد يغشى عليهنّ من رائحة الدخان ولكنهنّ يكظمن غيظهنّ محتملات كعادتهن في كل الامور . وكم من السيدات يتركن الحفلة لشدة تضايقهن

والبعض يكرهن المدخنين كرهاً شديداً . من هؤلاء ان فتاة نظرت خطيبها يدخن ثاني يوم للخطبة فاشمأزت ونفرت واخذت تفتكر فاستاء الخطيب من سلوك خطيبته المجهول وظن انها نادمة فادّى ذلك الى نقض الخطبة

قالت احدى السيدات انا لا اكره الرجل الذي يدخن بشرط ان لا يدخن لدى سيدة سواء في الطريق او في العربة او في الترامواي او في القهوة او في البيت . لانني لا استطيع ان انظر رجلاً جالساً الى جانب سيدة سواء كانت امه او اخته او زوجته او اجنبية عنه وهو يدخن فان ذلك يدل على عدم اعتباره لها وعدم اكتراثه براحتها . فان معظم الوقت له فيجب ان يخصص كل مدة وجودها معه لها ولراحتها . والسيدات لا يطلبنَ ذلك من الرجال الا لاعتقادهن بتمدن رجال هذا الزمان

يروى ان سيدة كارهة التدخين طلبت من زوجها ان لا يدخن في البيت فامتنع واكتفى ان يدخن في القهوة حين يكون وحده فقط . فكان حين يدخل البيت يلاحظ ان زوجته تخرج باسلوب خفي من الغرفة التي هو فيها فحين سألها سبب ذلك قالت انها لا تستطيع ان تشم رائحة الدخان ولا تريده ان يمتنع عنه لانه مغرم به . فلم تحتج اكثر من هذه الاشارة ومن ثم ترك التدخين بتاتاً

ولكن هناك فائدة واحدة للتدخين لكنها بغاية الاهمية تظهر من الحكاية الآتية وهي : بلغنا ان سيدات البوكر سيمتنعن عن اللعب لسبب مضايقة الرجال لهنّ بالتدخين على طاولة اللعب . وقد قالت لي احداهنّ لا يكفي ان قلوبنا تحترق بسبب الخسارة والمعاكسة حتى

يزيد الدخان عمى عيوننا . وربما كان التدخين احسن علاج لابطال البوكر فان صح ذلك فلا نعلم اي افضل ان يبطل لعب البوكر او التدخين ؟ (مجلة السيدات)

اجتذاب العالم الجديد

ابناء العالم القديم

﴿ نقولا افندي حداد في نيويورك ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة الكاتب الفاضل نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني من عدة كتب اجتماعية وادبية وروايات مفيدة نشرها في السنوات الاخيرة . وهو من الكتاب الجديين النادرين الذين يهذبون نفوسهم وقراءهم بالدرس والبحث والتأمل تشهد له بذلك كتاباته السهلة الرقيقة التي تشف عن اطلاع واسع ودقة نظر وكرم خلق . وهو من متخرجي الكلية الاميركيه في بيروت ونائلي شهادة الصيدلية منها . فلا عجب ان يختار البلاد الاميركية مقاماً له لانه يجد من اللذة والارتياح في الاقامة فيها ما لا يجده الذين لم ينشأوا على المبادىء الاميركية . ويسرنا ان ننشر لحضرات القراء وجمهور الادباء في الولايات المتحدة انه قد وردنا قبل صدور هذا الجزء كتاباً من حضرته يقول فيه انه اختار السفر من مصر الى نيويورك للاقامة فيها . اولاً لرخاء وجمال المعيشة في بلاد عظيمة كاميركا وثانياً لمزاولة صناعته الصيدلية في اجزاخانة ينشئها في احد الاحياء السورية هنا - ولا ريب عندنا في ان جمهور المهاجرين ونخص منهم زملاءنا اصحاب الاقلام نظماً ونثراً يسرهم انتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة . والجامعة على الاخص يسرها هذا الانتقال سروراً شديداً للصداقة التي بينها وبينه فضلاً عما تنتظره من قلمه من الفصول المفيدة والمباحث الجليلة لقرائها الافاضل

وقد وصل حضرته الى باريز قادماً من مصر منذ عشرة ايام وسيقيم فيها مدة قصيرة لمشاهدتها وتفقد آثارها . وربما يصل الى نيويورك بعد صدور هذا الجزء باسبوع

﴿ روايتان في كل جزء ﴾ تمت رواية ابن الشعب في هذا الجزء وسنشرح مغزاها الاجتماعي والسياسي والادبي في مقالة تالية . وفي الجزء التالي سنبدأ بنشر رواية جديدة ادبية غرامية اجتماعية غاية في الطلاوة والجمال لكاتب فاضل . هذا غير رواية (مريم قبل التوبة) التي تنشر في ذيل المجلة من تأليف صاحب الجامعة

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دليل لبنان ﴾ اهدى الينا حضرة الرصيف الفاضل صاحب جريدة لبنان الغراء نسخة من كتابه المفيد (دليل لبنان) وهو كتاب جدير بكل لبناني وسوري ان يقتنيه لما فيه من الفوائد المختصة بلبنان وجميع شؤونه . وهو يُطلب من (ادارة جريدة لبنان في بيروت)

﴿ مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ هي مجلة دينية تهذيبية تاريخية لجمعية الملاجىء العباسية في الاسكندرية التي يرئسها سعادتلو خليل حمدي باشا حماده امين جمرك الاسكندرية . وقد أُدخلت فيها عدة تحسينات في هذا العام فاصبحت من المجلات التي تبحث ابحاثاً يُلتفت اليها . وقد قرأنا فيها ترجمة للامام مالك (رضه) وهي من افضل ما كُتب . فنثني على القائمين بامرها وعلى محررها الفاضل الذي كتابته فيها تنمُّ عليه

﴿ الصحة العجيبة ﴾ الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة . رسالة للقس ماير الانكليزي عربها حضرة عيسى افندي الحلو وموضوعها غاية في الفائدة للشبان صحياً وادبياً فنحثهم على مطالعتها

﴿ رواية بورت ارثور ﴾ هي رواية لمؤلفها جناب اسعد افندي منصور الحاماتي محرر جريدة مرآة الغرب الغراء وقد بسط فيها وقائع بورت ارثور في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان باسلوب رواية تلذ قارءها وزينها برسوم بعض القواد والوقائع . وهي تطلب من حضرته في ادارة مرآة الغرب

﴿ مكسيم غوركي وثلاث من رواياته ﴾ عربها عن البورتغالية جناب ابرهيم افندي شحاده فرح صاحب الاثار الادبية في جرائد البرازيل . ومما قاله في المقدمة بعد بيان تاثير غوركي في شؤون روسيا الداخلية (ليس غوركي باعظم من كبار كتابنا المصلحين في مقدرته الكتابية والاصلاحية ولكن الامة الروسية هي غير الامة العثمانية . عندنا كتاب مصلحون ولكن ليس عندنا اناس يسمعون و يشعرون »

﴿ الرفيق ﴾ وردنا الجزء الثاني من مجلة « الرفيق » الهندية التي تطبع باللغة الاوردية في عليكده بالهند فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح

الفصل الاول

﴿ كنوز سليمان ﴾

واوهام العوام

كانت قرية « مجدل » او « مجدله » كما يقول كتاب الافرنج قرية صغيرة شبيهة بقرى لبنان في هذا الزمان (١) منازلها مربعة كمنازل فلاحيه الاصاغر واكواخها كاكواخهم وطرقها ضيقة غير منتظمة ولا نظيفة كطرقهم . وكانت القرية منبسطة في ارض تعلوها اكمة لا يعلم التاريخ كيف كان تكونها . فلعلّ الرومان واليونان والفرس حفروا الارض في جوار القرية يطلبون فيها كنزاً كان قد شاع ان الملك سليمان دفنه هناك . او ان الطبيعة نفسها اخرجت من الارض اثقالها بفعل زلزال رفع بقعة وخفض بقعة كما رأينا ذلك رأي العيان في وادٍ الى غربي قرية فيع منذ نحو ١٩ سنة

وفي ذلك النهار الذي جلبت في صباحه الطيور والحيوانات جلبتها التي تقدم ذكرها في المقدمة وصل المكاريان اللذان مرّ ذكرهما هناك الى قرية مجدل . وكان طريقهما بجانب هذه الاكمة . فقال احدهما وهو يخز بغله بقضيب في يده . يا يوسف هل ترى هذه الكروم الجميلة والتين الخصب والقمح النامي في هذه الاكمة وما حولها . حقاً ان الله خصنا بنعمة عظمى حين وعد سيدنا موسى بارضٍ هذا خصبها . فاجاب يوسف . يابولس . نعم ان ارضنا خصيبة اما قرأت في كتبنا المقدسة قصة الجاسوسين اللذين أُرسلا الى هذه الارض قبل امتلاكنا اياها لتجسس احوالها واخبارها ثم عادا بعنقودي عنب لم يستطيعا حملهما الاّ بمشقة وتعب . ولكن هذا الخصب الذي تراه امامك في هذه الاكمة لم ينشأ عن طبيعة الارض وحدها بل هنالك سرٌ لا شك في انك سمعت به . فقال بولس كلاّ يا اخي في الايمان لم اسمع شيئاً . فقال يوسف : ان سيدنا سليمان حين ضاقت خزائنه بالكنوز التي

(١) رنان

اجتمعت عنده رأى من الحكمة ان يفرقها ويخزنها لحين الحاجة . فاختار سرًّا عشرة اماكن في ارض الميعاد وخبأ في كل واحد منها احد كنوزه . ثم رغبة منه في ان لا يضل مخبأها هو وابناؤه بعده دعا للارض التي خبأ بها كل واحد من كنوزه بمزية تميزها عما حولها . فاستجاب الله دعوته وخص تلك الارض بخصب عظيم يختلف عن خصب الارض الاعتيادي . وقد جمع سليمان يوماً اولاده وقال لهم « يا ابنائي حيثما تجدون في مملكتنا بعد موتي ارضاً ممتازة بخصبها فاعلموا ان هناك كنزاً من كنوزي ينفعكم اذا انقسمت الامة عليكم او تمكن من وطنكم المحروس من الله اعداؤه الذين يحاربونكم » وهذه الاكمة التي تراها امامك هي احد كنوزه

فقال بولس وقد اشرق وجهه لله در سيدنا سليمان ما كان اوفر عقله واظهر فضله . ولكن اما خشي سيدنا سليمان ان يلتفت الناس من غير ابنائه التفاتاً خاصاً الى تلك الاراضي لما يرونه من الخصب الممتاز فيها . وماذا يمنعهم بعد شيوع هذا السر من ان يحفروا اليوم الارض لاستخراج تلك الكنوز

فضحك يوسف وقال وهل تظن ايها الساذج انك اعقل وافهم من سيدنا سليمان ملك العقل والفهم والحكمة . فانه لا شك قد فطن الى هذا الخطر ولذلك جعل في كل مخباء من مخابئ كنوزه حيواناً هائلاً يرصد الكنز ولا يدع احداً يدنو منه . اما نظرت ذلك الاسد الهائل الذي لقيناه اليوم عند الفجر في الغابة في طريقنا الى هنا رابضاً تحت التينة بغضب وكبرياء وفوقه نسر جاثم على احد اغصان التينة وهو ينظر في جهة الاسد . لا شك عندي ان هناك احد مخابئ سليمان . لان الارض ممتازة ايضاً بالخصب في ذلك المكان . وفي سفرة اخرى كنت ماراً في اول الليل بجهة جنيسارة وانا انشد وراء بغلي لاخفف مشقة السير والتعب عنه وعني فرأيت حيواناً هائلاً برأسين وهو تنين مخيف جعل للرصد هناك . فهل تظن احداً يقدر على الدنو من هذه الكنوز وهذه الحيوانات الهائلة ترصدها

فوقف بولس هنا وقال ارحمنا يا رب . وهل رأيت الحيوان الهائل الذي يرصد هذه الاكمة في سفراتك الى مجدل

فضحك يوسف ضحكة ذات معنى مخصوص وقال نعم رأيته . ما لك وقفت تقدم ولا تخف فان الوقت نهار . وهذا الحيوان لا يسرح الا في الظلام . .

ثم ضحك هنا ضحكة اشد من الاولى

فقال بولس وقد تابع المسير بوجل . وما شكل هذا الحيوان الهائل اهو اسد ام تنين

ام غيرها

فقال يوسف . هو افعى هائلة يا بولس . هي من الافاعي التي تبتلع البشر كما نبتلع انا وانت حب هذا العنب

قال هذا ثم وثب عن سياج الطريق الى كرمة في بستان هناك فقطف منها عنقود عنب ثم عاد مسرعاً وهو يا كل منه

وكان بولس في اثناء ذلك يفكر بخوف ووجل في الافعى الهائلة . فلما عاد اليه رفيقه قال : انك بعد ذكرك هذه الافعى لو وهبتني بغلك على ان ادخل هذا البستان لقطف هذا العنقود لما فعلت . لانني اعلم ان الافاعي لا يلذ لها شيء كالاختباء والزحف بين الكروم. ولكن اخبرني ما شكل هذه الافعى التي تبتلع البشر . انني اتذكر ان احد رفاقنا في جنيساره قص علينا في احدى السهرات قصة افاعي هائلة توجد في بلاد بعيدة لم يتمكن احد من الوصول اليها حتى هؤلاء الخنازير الرومان الذين بلغوا اطراف الدنيا . وقد قال ان الواحدة منها اذا اصابت خروفاً او عجلاً فانها تبتلعه بسهولة(١) فما هي هيئة هذه الافعى

فقال يوسف ضاحكاً . رأسها كرأس امرأة . وجسمها كجسمها

فدهش بولس وقال . لا شك في انك مازح . يظهر انك لم ترَها وتزعم انك رايتها

فقال يوسف . بل رايتها رايتها غير مرة . وان شئت ان تراها معي فهلمَّ الى مكانها

فقال بولس . واين مكانها

فمدَّ يوسف اصبعه نحو بيت في منتصف الاكمة بين سطحها وسفحها وقال : انظر هذا البيت الاسود القائم هناك فانها تقيم في هذا البيت

فقال بولس ضاحكاً . مالي اراك راغباً في المزاح في هذا الصباح. يظهر انك راضٍ عن اجرة الحمل الذي يحمله بغلك اليوم . انني ما عهدت الافاعي تسكن المنازل . ولا ارى هذا البيت اسود كما تقول فانه ذو لون احمر

فقال يوسف اسمع يابولس . انني سميت هذا البيت كما يسميه اهل هذه القرية . فهم يسمونه اسود مع كونه احمر . وهم واولادهم يخشون من الدنو منه ويفرون من قربه فرارهم من الشياطين لانهم يعتقدون ان الافعى التي تسكنه يسكن في جوفها سبعة شياطين . ولذلك ترى مكان هذا الكنز محروساً مصوناً كما لو كان جيش يحرسه . وان اولاد القرية يعبثون بجميع الحقول والكروم الا الكروم التي حول هذا البيت لاعتقادهم نجاستها .

(١) هي افعى في الهند معروفة باسم (بوا)

ولجهلهم اسباب هذا الخصب الممتاز هنا يعتقدون ان الارض لم تخصب هذا الخصب الا بفعل الشياطين الذين يسكنون بينها . اما الافعى التي تسكن في هذا المنزل فافهم ايها اللبيب انني اردتُ بها افعى بشرية لا افعى حيوانية . اما سمعت بصيت (مريم المجدلية) التي يسكن فيها سبعة شياطين

وكان المكاريان في اثناء هذا الكلام قد تجاوزا الاكمة ودخلا القرية يسوقان بغليهما ويتمان حديثهما . ولم يكادا يتواريان عن النظر حتى انفتحت في البيت المذكور احدى نوافذه بقوة وشدة وظهر في النافذة وجه امرأة تنظر بامعان في جهة الطريق المؤدية من اورشليم الى مجدل

الفصل الثاني

في البيت الاسود

ألم مريم الخفي غير المها الظاهر

كان البيت الاسود مبنياً في منتصف الاكمة بين الكروم والزروع . وكان مؤلفاً من ثلاث غرف صغيرة مربعة يُدخل من احداها الى الاخرى وكانت احدى الغرف مطبخاً والثانية مقعداً والثالثة غرفة نوم . وكان في غرفة المقعد سرير من خشب وعليه فراش . وكانت هذه الغرفة مزينة بسلامة ذوق الا ان الزينة الجميلة كانت لغرفة النوم . فقد كانت الازهار الطبيعية والصناعية منظومة باقات باقات ومصفوفة في زوايا هذه الغرفة ورفوفها وعلى مائدتين فيها فاذا فُتحت نافذتان كانتا في جدارين فيها ونُظرت منها الاشجار حول البيت تتدلى باغصانها نحو النافذتين وهي مثقلة بالزهر والثمر وشوهد النبت الطبيعي والزهر البري الذي كان يغطي الارض حوله خُيل للناظر ان داخل الغرفة المذكورة مختلط بالحديقة في خارجها وكأنه جزء منها وتتمة لها

وكان في سرير غرفة النوم في ذلك الصباح امرأة راقدة على جنبها الايمن ويدها اليمنى في اثناء رقادها تستر وجهها . وكان لها في رقادها منظر يشبه منظر الاطفال لو لم يكن يمازجه شيء من لوائح الالم والاضطراب . او ان شئت فقل ان منظرها كان كمنظر طفل

رقد وهو باكٍ متألم فانطبعت دلائل الألم في سحنته في الساعة الاولى من رقاده

ويظهر ان المرأة عقدت النية قبل رقادها في الليل ان تنتبه باكرًا ولذلك ما فتحت جفنيها وتمطت قليلاً حتى وثبت بغتة كانها نسيت امرًا وخافت فوات وقته . فاستوت في فراشها وصاحت باشد صوتها : حنة حنة

فدوى صوتها في فضاء الغرف الثلاث برخامة وبحةٍ لانه كان اول صوت خرج من حلقها بعد رقاد بطلت فيه حركته واستعماله . وكأنها قد اطالت السهر ليلة امس لان الضعف كان ظاهرًا في وجهها لذبول عينيها وارتخاء جسمها فضلاً عن بحة صوتها

ولما رأت المرأة انه لم يجاوبها احد على صراخها صرخت ثانية بصوت اشد : حنه حنه . قد انتصف النهار

فاجاب هذه المرة صوت خارج من غرفة المقعد . صحوتُ صحوت . ثم سُمع لصاحبة هذا الصوت تاوه وتافف لا يُعلم هل كان ناشئًا عن تحسر لامر فيه الم او عن تمطٍ لاعادة اعضاء جسمها بعد الرقاد الى حالتها الطبيعية من الخفة والمرونة

فقالت المرأة الاولى بصوت رفيع ايضاً . اني مريضة في هذا النهار انهضي وانظري من النافذة لعلك ترينه قادماً

فنهضت حنه من فراشها في غرفة المقعد وهي تتثاءب وتترنم بنشيد هذه ترجمته

صحت الازهار والطيور * وهو لم يصحُ بعد
ليس ذا من دمه الثقيل * ولكن من السهر الطويل
يا حياتي يا قصيرة * امتلئي بلا فراغ
فحياتي في فنائي * وفنائي لي حياة

ولما بلغت حنه النافذة فتحتها واطلت منها ثم قالت . انني لا ارى على الطريق احدًا غير مكاريين وراء بغلين يتحادثان ويلتفتان الى هذا المكان

فقالت المرأة الاولى لله ما اثقل هذا الروماني . الم يعدكِ انه ياتي في هذا اليوم

ولكنها ما اتت على هذا الكلام حتى مُدَّت من احدى نوافذ البيت في الخارج عنق رجل وقال : ليس جميع الرومان ثقلاء . أتسمحان لي بالدخول لأذهب عنكما ملل انتظار بوليوس

فضحكت حنه واما المرأة الاولى فضحكت ضحكة اغتصابية ثم قالت . هذا انت يا شيشرون . ادخل حقاً ليس جميع الرومان ثقلاء

فسارت حنه وفتحت الباب فدخل منه شاب في نحو الثلاثين من العمر. والذي لم يرَ هذا الشاب من قبل يعجب لشكله الغريب. فقد كان نحيف الجسم قصير القامة كانه من الاقزام وكان جسمه الصغير مشوهاً تشويهاً مضحكاً فقد كان محدوباً كانه يترامى نحو الارض قبل الاوان وبين كتفيه دملة كبرى طبيعية تظهر من وراء ثيابه اما راسه فكان ضخماً ووجهه اصفر لحياً ولا تناسب بينهما وبين جسمه الصغير الضئيل. وقد كان فمه اذا فتحه للكلام اشبه شيء بمغارة واسعة تحت انف ضخم مفلطح وشاربين ليس فيهما سوى بضع شعرات صغيرة. الاَّ ان عينيه الكبيرتين الحادتين فوقها كانتا تدلاَّن على ان الطبيعة التي خصته بذلك الجسم المشوه القبيح قد عوضته قوة في نفسه كانت تظهر في كل نظرة من نظراته. وكان في يده عصا من رمان يتوكأ عليها موازنة لجسمه المترامي نحو الارض

فلما دخل هذا الشاب قالت له المرأة الاولى بعد السلام كيف ترى نفسك يا شيشرون في بلادنا هل انستك رومه

فتاوه الشاب وكان يدعى شيشرون كما رايت وقال. جميع البلاد سواء لديّ فانني ابن الارض لا ابن رومه. ولم يلذ لي في حياتي شيء كجلوسي حيناً بعد حين تحت صفصافة قريبة من هذه الاكمة حيث اطالع مؤلفات سنيكا وايخيلوس وازوب

فهنا صاحت حنه بضجر لا تبدأ بالفلسفة يا صديقنا شيشرون. اذهب وادعُ دعوتك خارج هذا البيت. اما هنا فان شئت بسطنا وشرح خاطرنا فحادثنا عن زهرة جميلة قطفتها من البرية او امرأة ظريفة شاهدتها في طريقك وابتسمت لك. او نادرة من بعض سيدات اورشليم الفاضلات... اسمعت ايها الفيلسوف المضجر

فنظرت المرأة الاولى هنا الى حنه نظرة سئامة ثم التفتت الى شيشرون وقالت. لا تعبأْ بكلام هذه المرأة الخفيفة عقلاً وروحاً يا عزيزي شيشرون فانت تعلم من حديثي الطويل معك اول امس في ظل النخلة التي هناك انني ارتاح الى الاصغاء الى حديثك في اي امر كان. فاخبرني هل عزمت على الاقامة في بلادنا ام تنوي العودة الى رومه بلاد العظمة والعظماء

فقال شيشرون: انني افضل ان اكون اول انسان في هذه البلاد الصغيرة على ان اكون آخر انسان في تلك البلاد الكبيرة. ولست اعتب على اختك حنه لضجرها من كلامي ومواضيع حديثي ذلك لانني اعرف قلوب النساء. اي نعم اني اعرف قلوبهنَّ ونفوسهنَّ الخفيفة الطائشة التي لا يلذّ لها شيء كالاشتغال بالعواطف والاوهام. ولذلك ترين على

الدوام مسافة الخلاف بين اذواقهن وذوقي . واميالهن واميالي شاسعة جداً . عفواً اذا ساءكِ كلامي ايتها السيدة مريم . انني استغرب حكمة الآلهة السخيفة التي خلقت في الارض كائناً كالمرأة خفيفاً طائشاً هاذراً هاذياً على الدوام . ولذلك لا احترم النساء الا المرأة التي تكون لها صفات جدية قوية كصفات الرجال . مثلك مثلاً ايتها السيدة مريم

وكانت مريم « وهي المرأة الاولى » قد اصبحت مبهوتة مفكرة في اثناء كلام شيشرون . اما حنه فكانت تنظر اليه وهي تضحك بازدراء كانها تقول له بضحكها هذا : لو رأيت في حياتك يا صاحب الجسم القبيح امرأة تحبك او تنظر اليك لتبدل رأيك في النساء من طرف الى طرف

وفي هذا الحين سُمع في الخارج على الطريق بجانب البيت صوت ركض جواد فهرعت مريم وحنه نحو النافذة وبعد نظرهما فيها صاحتا معاً . هذا يوليوس . ولما صار الفارس وفرسه على موازاة البيت في الطريق مرَّ كالسهم بين بضعة اولاد من القرية كانوا يلعبون هناك . فقال احدهم لآخر بعد مروره هذا خنزير روماني . ولما عطف الفارس وفرسه صاعداً نحو البيت الاسود بهت الاولاد وصاروا ينظرون بعضهم الى بعض . ثم قال احدهم : لو لم يكن هؤلاء الرومان شياطين لما كانوا يجسرون على الدنو من بيت يسكنه سبعة شياطين

وكان الفارس القادم شاباً في آخر دور الشباب لانه كان يناهز الثامنة والثلاثين . وكان طويل القامة منتصباً على ظهر جواده كانَّ جسمه الفُ الهجاء . وكان ذا لون ناصع البياض وشاربين اشقرين جميلين وعينين زرقاوين فيهما قوة وكبرياء تدل على انهما من سلالة جنس الفَ السيادة والعظمة ولم يجز عليه نير . واذا كان ذلك لا يكفي الناظر اليه للدلالة على انه كان رومانياً لا شك فيه فقد كان انفه النسري الدقيق يثبت له هذه الصفة . وكان التأثير الذي ينبعث من وجهه وجسمه اجمالاً مما يروق النظر وينشيء في النفس ارتياحاً الى منظر كهذا لمنظر جامع لقوة الرجولية وعزتها وخفة الشباب ورقته بين جنس بدأ يحني عنقه للذل

فربط الفارس فرسه في غصن كرمة بجانب البيت ثم دخل اليه . فاستقبلته مريم وحدها . اما حنه فكانت قد اختبأت بسرعة مع شيشرون في غرفة المقعد

فقالت له مريم ضاحكة وهي تصلح شعرها بيدها . لقد ابطأت علينا ايها العزيز فهل شغلتك سيدات اورشليم عنا

فقال الشاب . انك ترين في وجهي ايتها العزيزة انني في اشتغال بال . فلا سيدات اورشليم ولا ممازحاتنا الاعتيادية تشرح صدري في هذه الايام . فقد دهتني مصيبة

منعتني من زيارتك منذ ١٥ يوماً وليس لي قوة على ان اذكرها لك الآن .

فدهشت مريم وقالت بحزن . كل شرٍّ يصيبك ايها العزيز فانما يصيبني . لقد شغلت بالي وهجت بلبالي . ما هذه المصيبة يا يوليوس

فقال يوليوس . وردتني من رومه اخبار سيئة جداً . فان ابي خسر جميع امواله واعدائي هناك لا يكفّون عن الوشاية بي لدى اولي الامر وربما تمكنوا من عزلي من المهمة السرية التي أُنفذتُ الى هذه البلاد من اجلها كما تعلمين . ولذلك اصبحت مضطراً للعودة الى رومه . وهذه آخر زيارة مني لك ايتها العزيزة

فهنا ازدادت دهشة مريم وعضت شفتيها من الغضب والغيظ . ولكنها تغلبت على نفسها وقالت . اتذهب وتتركني وحدي . لماذا لا تصطحبني

فضحك يوليوس ضحكة حزن وقال : ان في رومه كثيرات من السوريات واليهوديات الجميلات ايتها العزيزة لان الرومانيين يحبون هذين الجنسين . فلا مانع يمنعني من اصطحابك . ولكن تذكّري ان ابي قد خسر جميع امواله وانني ساصبح مضطراً الى الاستخدام لاتمكن من المعيشة اذ من الراجح لديَّ انني سأعزل من وظيفتي . وقد جئت الآن اودعك واؤدي لك آخر واجب عليَّ

قال هذا ثم مدَّ يده الى جيبه فاخرج منه كيساً مملوءاً بالنقود فوضعه على مائدة هناك ثم قال ارجو ان تقبلي هذا الكيس تذكاراً مني . ثم اخذ يدها بين يديه وقال . كلما تنزّهتِ هناك على سطح الاكمة في الليالي المقمرة بين الكروم والنخيل والتين والرمان ارجو يا مريم ان تذكريني

وكانت مريم جامدة مبهوتة في اثناء هذا الكلام لا يتحرّك منها شيء حتى عيناها . ويظهر ان حديث يوليوس قد احدث ثورة في نفسها ولذلك ذهب منهما الفتور والذبول اللذان كانا فيهما منذ نحو نصف ساعة وحلت محلهما الكبرياء والحماسة . وقد نظر يوليوس دمعة تترقرق في تلك العينين الزرقاوين الجميلتين فاثر دمعها في نفسه . فلم يتمالك ان تنهد وقال :

لماذا تبكين ايتها العزيزة . انني ما زلت احبك كما كنتُ من قبل . واعدك انني اذا اصلحت اشغالي وتمكنت من العودة الى هذه البلاد فان اول عمل اشرع فيه هو كما وعدتك سابقاً ان نبني بيتاً لنا في جوار اورشليم لنعيش معاً بشرف وراحة وسلام . فامسحي دمعك ايتها العزيزة فانه يصدع قلبي ويؤلمني في سفري

الجزء الثامن
الجامعة
السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ١٥ رمضان سنة ١٣٢٤

الآثار الشرقية في اميركا

حديث مع مسز سمث السائحة والكاتبة الشهيرة

هي والجامعة

دبلن نوهمشير — هو مصيف خاص بالاغنياء ومنازلهم فيه مزخرفة ومزينة بالآثار القديمة وحول كل منزل حديقة تظلها انواع كثيرة من الاشجار والازهار . فاذا دخلت الى اي منزلٍ من تلك المنازل شعرت انك تشهد الدنيا كلها بما فيها من محاسن وزخارف ومصنوعات الامم المختلفة القديمة والحديثة

والى جانب هذا المصيف الانيق جبل «ويس» اي جبل العلماء وحري بهذه الاكمة ان تسمى بجبل العلماء لانها ملتقى الفلاسفة والمخترعين ومحرري الصحف ومراسليها وغيرهم من اهل العلم فانهم يقضون فيها بضع اسابيع لاجل الراحة من عناء الاشغال . وكذلك يقصد هذا المكان باعة السجاد والحرير وبعض البضائع الشرقية على اختلاف نحلهم من سوريين وارمن واتراك ومعظمهم سوريون

كنت ذات يوم اطوف في هذا المصيف فصادفت منزل السائحة الشهيرة والكاتبة

المعروفة مسز سمث وزوجها المستشرق الشهير وهو المستشرق الذي ارسلته لجنة العلماء الى الديار المصرية والسورية للبحث عن الآثار القديمة ونسخ الرسوم واحرف الكتابة عن جدران المدن القديمة الخربة . فنزلت من عربتي وقرعت باب المنزل فما هي هنيهة حتى وافت سيدة جميلة باسمة وهي في مقتبل العمر ونضارة الشباب وكلمتني بالعربية الفصحى قائلة : « ادخل انما نحن شرقيون » فدخلت الى قاعة الاستقبال وهناك شاهدت شيخاً جالساً على كرسيٍّ وفي يده كتاب عربي فتحققته وعرفت انه مقامات الحريري . فلما شعر بدخولي قال (اهلاً . على الرحب يا شرقي) . فرددت صدى مجاملته وجلست بالقرب منه وجعلنا نتحادث . وبعد قليل دخلت عقيلته وفي يدها علبة سيكارات مصرية وخيرتني بينها وبين السيكار فاخبرتها اني لست في عداد المدخنين

وبعد ما جلستُ افتتحتْ حديثها عن علماء سوريا ومصر وقالت : « اني آسفة كثيراً على ذهاب قوة هذين القطرين وعظمتها ولكن القطر المصري ارقى حالاً من السوري . وعجبت من ان علماء سوريا يهاجرون الى مصر حتى ان معظم الجرائد المصرية ينشئها ويحررها سوريون مع ان الواجب يقضي عليهم ان يبقوا في وطنهم ليفيدوه . وقد علمت منذ مدة ان الدولة العثمانية منعت دخول بعض المجلات والجرائد المفيدة الى سوريا . فما هذا الظلم ! الا يشفق هؤلاء الحكام على رعاياهم السوريين . ولقد توغلت في نواحي لبنان وسوريا ووجدت قرى كثيرة لا مدارس فيها الا مدارس رعي المواشي والنفخ في القصب ولعب الدبكة مع نسائهم . فما بال الحكومة غافلة عن فتح المدارس وارسال المعلمين لكي يهذبوا الصغار ويعلموهم . وما بال رجال الدين لا يرسلون الى هناك مرشدين »

وقد استرسلت مسز سمث بهذا الحديث حتى قالت : ــ « عندما كنت في ذات يوم جالسة مع احد علماء مصر انا وزوجي وزوجة العالم المصري شعرت ان الرجل مهتم بامر ذي بال فقلت له مالي اراك قلقاً اليوم وغاضباً خلافاً لعادتك ؟ فقال : ــ ايها السيدة نشأت في هذه الايام مناظرة بين المفتي الشيخ محمد عبده والجامعة بشأن ابن رشد وهو فيلسوف مسلم كما تعلمين وقد تفضي هذه المناظرة الى عاقبة وخيمة لان الظاهر من امر صاحب الجامعة انه قدير ومطلع ولا نعلم ماذا يجد . ولما سمعت منه هذا الكلام تقت الى مطالعة الكتاب والجامعة ولما ذهبنا من عند هذا الشيخ وقصدت الاسكندرية سألت هناك عن ادارة الجامعة حتى اهتديت اليها واشتريت منها اورشليم الجديدة وتاريخ المسيح والرد على فلسفة ابن رشد وانصرفت . وقد قرأت رواية اورشليم الجديدة وهي لو قرئت على صخر لتكلم ونفقت لما هي

عليه من الحب الطاهر المحزن . واظن ان صاحب الجامعة قاسي القلب والاَّ لما قدر ان ينسج رسائل الموت الاخيرة . وساهتم بترجمة هذه الرواية (١) في قالب تمثيلي واقدمها للمؤلف هدية اذا عرفت محل اقامته . واني مجتهدة كل الاجتهاد بترجمة « الخطبة على الجبل » التي فيها . وبعد ذلك سافرت من مصر وما عدت علمت شيئاً عن الجامعة

وعند هذا الكلام تناولت من جيبي مجلة الجامعة وقدمتها لها وقلت ان صاحب الجامعة الآن في نيو يورك يصدر مجلته منها . فسرَّت بذلك سروراً لا مزيد عليه

وبعد ذلك ارتني غرفة المطالعة . ولا اقدر ان اصف الكتب التي فيها . ولكن لما كان كل انسان يعبأ بلغته ارتني على الخصوص ما عندها من الكتب العربية واليك اسماء بعضها

ابن خلدون كامل الاجزاء . مقامات الحريري . مجمع البحرين . تاج العروس . لسان العرب . الكشكول . ابن خلكان . ابو الفداء . القرآن الشريف . تاريخ سوريا . معجم البلدان . ابن رشد . وهناك كتب اخرى كثيرة من تاريخية وفلكية وعلمية وادبية وشعرية وطبية وخلافها وكل هذه الكتب طبع اجانب كالهند وبرلين واكسفورد وتونس

وارتني نسخة من الكتابين اللذين تطبعهما الآن وهما من قلمها احدهما يسمى « الرحلة الافريقية » والآخر « الرحلة الشرقية » وهما مزينان برسوم بعض المشاهدات العجيبة والعادات الغريبة . ومن جملة رسوم « الرحلة الشرقية » رسم يمثل لفيفاً من الدروز في جبل حوران وامامهم حلة فوق الموقد وهم ملتفون حولها من رجال ونساء وبنات واولاد وامرأة ممتطية على جمل واخرى على ثور وغير ذلك . وهناك رسم آخر يمثل دروزاً مع نصارى في بعض قرى لبنان وبينهم عروس راكبة على فرس وبعضهم رافع جرن الكبه بقبضته اليمنى على ارتفاع ساعده . وهناك رسوم اخرى لسائر العادات في المآتم والحفلات المتنوعة

« والرحلة الافريقية » مزينة برسوم من هذا القبيل منها رسم يمثل عبيد افريقيا عراة

---

(١) شرع في اميركا الجنوبية احد ادباء السوريين المتخرجين في كلية عاليا في الارجنتين بترجمة « اورشليم الجديدة » الى اللغة البرتغالية . وفي هذا الشهر شُرع ايضاً في مكان آخر بترجمتها الى اللغة الفرنسوية بمراقبة مؤلفها . ومن ذلك يظهر ان في العزم ترجمتها الى اللغة الانكليزية ايضاً . فاذا انتظرت حضرة السيدة الفاضلة مدة قصيرة اصبحت في غنًى عن عناء ترجمتها

هاجمين برماحهم على جاموس برّي يريدون قتله . وهؤلاء العبيد كانوا بمعية مسز سمث عند رحلتها في تلك الصحارى وهي ممتطية جملاً وواقفة بعيدة عنهم

ثم خرجنا من غرفة المطالعة وطفنا الغرف الاخرى وعلى باب كل منها اسم البلاد التي تمثلها محتويات تلك الغرفة واخصها « اورينتل روم » اي « الغرفة الشرقية » وهنا حدّث ولا حرج فهي مزينة بالرمح والسيف والدبوس والترس والدرع والكوفية والعقال والعباءة والجبة (الغنباز) وادوات القهوة والنقود القديمة من بني امية والعباس وما اشبه

ولما كانت الشمس قد قاربت المغيب خرجنا الى القاعة وابتدرتها بسؤالي كيف استطاعت التضلع باللغة العربية فقالت انها درست اصول اللغة عن مستشرق في مدرسة اكسفورد ومن بيروت ومصر حتى بلغت هذا المبلغ منها . وزوجها درسها في برلين واتمها في مصر

ثم ودعتها وشكرت لطفها وخرجت افكّر في ما سمعت ورأيت

جرجي ابرهيم الحداد

٢٢ ايلول (ستمبر) سنة ٩٠٦

بوسطن ماس

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

الطاقة قاعدة الضريبة (١)

لم يبقَ الاّ الطاقة اي القدرة على العمل اساساً لضرب الضريبة وذلك « لان الناس مكلفون ان يخدموا المملكة بقدر ما عندهم من القوة لخدمة انفسهم . وفي ما يلي اظهر المستر ووكر جلياً ان الطاقة هي الاساس الطبيعي لضرب الضرائب فقال : « تصوَّر امة في اول تحضرها وهي قليلة العدد واعمالها العمرانية بسيطة والثروة الحقيقية عندها في ادنى معدلها وافرادها يكادون يتساوون في معظم الاعتبارات وحاجات البلاد محدودة . وافرض حينئذٍ ان عملاً عمومياً لازماً لحياة البلاد كانشاء خزان مثلاً يتلافى فيه شح المياه وطوفانها او

1 Faculty as the bosis of taxation

حفر ترعة لري الارض او نحو ذلك فكيف يتوزع هذا العمل على الافراد ؟ لا ريب ان طبيعة الحال توجب على كل افراد الامة القادرين على العمل ان يتعاونوا على المشروع وان يعمل كل منهم بملء طاقته على الاسلوب الذي يكون هو به انفع للعمل » ثم اوجز جداً بما مفصله : ـ

وفي هذه الحال نلاحظ امرين مهمين الاول انه ليس لاحد ان يستعفي من الشغل بدعوى ان لا نفع شخصي او خصوصي له من هذا المشروع الذي حكم الراي العام بانه مشروع عمومي نافع للبلاد اجمالاً ولا بحجة انه يتنازل عن نصيبه من منافعه لقناعته بعيشة بسيطة قشفة كأن بقتات من الصيد ونحوه . وذلك لان واجبات الانسان وهو واحد من الجماعة تختلف عن واجباته وهو فرد مستقل غير منتظم في سلك قبيلة او عشيرة او امة . فمتى تألفت جماعة او هيئة اجتماعية وكان ذلك الفرد عائشاً في وسطها قضت طبيعة الحال ان يندمج بها حتماً ويكون واحداً منها وان عنى في را يه وعمله غير ذلك وجب ان ينفصل عن الجماعة ويعتزل مكانها الى مكان آخر لئلا يكون عثرة في سبيلها او مادة غريبة عنها فيفسد عملها وان لم ينفصل من نفسه اضطرّ ان يطاوعها

واذا لم يكن بدٌّ من اندماج الافراد المتساكنين المتواطنين حتى يؤلفوا جماعة لم يكن بدٌّ ايضاً من اشتراكهم في المنافع وبالاولى اشتراكهم في التعاون على تحصيل تلك المنافع فاذا جعل الواحد يتخلف عن التعاون على العمل بعد الآخر بحجة استغنائه عن منافعه انحلت الجماعة اخيراً وكان اولئك الافراد اجزاء منفصلة في مكان واحد يتقاطعون ويتضاربون في مصالحهم ويتنافون في منافعهم ويعرقل الطالح منهم الصالح ويفسد الكسول عمل المجتهد . والفرد القائل لا اعمل مع الجماعة لأني لا اطمع بالمنفعة بل اجتزىء عنها بما اناله بنفسي لنفسي يجب ان ينفصل عن الجماعة انفصالاً تاماً ويعتزلها الى مكان آخر لكيلا يكون عضواً عاطلاً فيها وعثرة في سبيلها فيجب ان تضحى ارادته لاجل ارادة الجمهور

ثانياً انه لا فرق بين المشتغلين من حيث المدة التي يشتغلونها مهما تفاوتوا في القوى العقلية والجسدية التي يبذلونها في العمل . اي لا يجوز ان يقول القوي او المجتهد او الذكي اشتغل نهاراً كلما اشتغل الضعيف او الكسول او البليد نهارين لانه بقدر ما يمتاز الواحد على الآخر بالقوة والاجتهاد في العمل المشترك يمتاز عليه في الانتفاع من ذلك العمل . واذا كان مجتهداً في العمل العام فهو بالاحرى مجتهدٌ في تحصيل المنفعة منه . ثم استرسل المستر ووكر قائلاً : ـ

« على ان هذه القاعدة – اي ضرب الضريبة بالنسبة الى الطاقة – خيالية في عهد المدنية ولكن تلجأ اليها القبائل التي في بدء تحضرها بحكم السليقة . وهي القاعدة التي لولا ما يقف في سبيلها من العقبات الفعلية نظراً لتشعب الحركات العمرانية لكانت احسن قياس واصحه لمزومية كل فرد بما عليه للمملكة وكل ضريبة تحيد بجوهرها عن هذه القاعدة لا بد ان يضحّى بها الانصاف ولو قليلاً . والضريبة التي تحيد بشكلها لا بد ان تكون حائدة بجوهرها ايضاً

« ومما لا بد من ملاحظته في هذا المقام هو ان اثقل الضرائب في هذا العصر حتى الخدمة العسكرية الالزامية في ارقى الممالك وافضلها نظاماً مفروضة بحسب هذه القاعدة . وفي ممالك اوروبا كلها تقريباً تجب الخدمة الشخصية في اثناء المصائب العمومية على الجميع من غير تمييز بين الغني والفقير والكبير والصغير . ولا ينكر ان هناك اشخاصاً معفين كأهل العلم ولكن اعفاءهم مبني على فرض انهم يخدمون البلاد خدمة اعظم ببقائهم في اشغالهم الشخصية المعتادة

« وليست هذه القاعدة خيالية فقط بل يكاد يستحيل وجودها الفعلي في ما اذا اقتصر عليها وحدها في البلاد الراقية المتشعبة الاعمال . فحيثما يكثر عدد الاهالي وتتنوع المصالح وتتعدد الاعمال يستحيل على الحكومة ان تمرّ بكل فرد من افراد الامة لتنال نصيبها من خدمته عن يوم او عن سنة . ولذلك اقتضت السياسة ان تستنبط ضرائب مختلفة بعضها على النفقة وبعضها على الدخل وبعضها على راس المال الخ . وهذه الضرائب وان لم تكن عادلة نظرياً تمام العدالة قد اختيرت بغية تخفيف ثقل الضريبة على اشخاص الامة انفسهم ولاجل تمهيد العقبات من سبيل التجارة والصناعة

عودة الى ضريبة الدخل

« الساسة الحاليون ينفرون جدّاً من المجاهدة في جمع الضرائب العمومية المضروبة بحسب الطاقة . فاعدل ضريبة بعد « الضريبة بحسب الطاقة » انما هي « الضريبة على الدخل » فهي في نظر الرجل المالي تجبى من دخل كل طبقة من طبقات الامة . ومن رأي بعضهم ان نفقة المعيشة الضرورية لكل عامل مع اسرته المأخوذة من دخله يجب ان تعفى من الضريبة المذكورة لكيلا ينضنك الفقير الذي لا يكسب الاّ القوت الضروري . ويستحيل من وجه اقتصادي ان تؤخذ ضريبة على طبقة الفقراء الذين لا يكادون يحصلون على حاجياتهم . والدخل الذي لا يكاد يكفي معيشة صاحبه لا يمكن ان يستعمل

منه جزء صغير للمصلحة العامة لان الحكومة وهي تجبي الضريبة من الفقير باليد الواحدة يجب ان تحسن عليه من اليد الاخرى

« فمن اجماع الاقتصاديين على اعفاء الدخل الذي لا يكاد يفي بضروريات المعيشة من الضريبة لاسباب اقتصادية قد نشأت مسألة مهمة من المسائل العمرانية الحيوية في العالم المالي وهي : كيف تضرب الضريبة على الدخل الذي يزيد على حاجة صاحبه الضرورية ويمكنه ان يبذر منه او ان يوفره ؟ اتؤخذ الجزية منه على معدل واحد بلا فرق بين وفرته وقلته ام على معدلات متفاوتة بالقيمة بحسب تزايده ؟ — « اي كلما زاد الدخل زاد معدل الجزية المئوي المأخوذ منه كأن يؤخذ من كل من المئات الاولى واحدٌ مثلاً ومن كل مئة من عشرات المئات اثنان ومن كل مئة من مئات المئات ثلاثة وهلمّ جرًّا »

(ستأتي البقية)

انشاء الروايات العربية

معاني رواية ابن الشعب

١

كثر في السنوات الاخيرة وضع القصص العربية فقلما يمرُّ شهر الا وتصدر بضع منها في البلاد التي فيها مطابع عربية . وهم يسمونها « روايات » وهذا خطاءٌ في التسمية لان « الروايات » في اللغة الاحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان عن فلان . فيلزم ان يكون هناك راوٍ ومروي عنه وحديث مروي . فاسمها الحقيقي اذاً « قصة » لانها عبارة عن احاديث ووقائع يتخيلها المؤلف ويقصها على قرائه . ولكن هذا الخطاء — اذا كان هناك خطاء — كان الاصمعي المشهور اول من وقع فيه في قصة عنترة . فانه يقول هناك في كل صفحة تقريباً « قال الراوي » وقصة عنترة اكثرها اختراع وابتداع كما هو معلوم . والخطاء او الاصطلاح الذي يجيزه رجل كالاصمعي يجوز ان يُعدَّ من الصواب المقبول

﴿ ما يلزم الرواية ﴾ على انه لو لم يكن في الروايات التي تنشر في اللغة العربية غير هذا الخطاء الاصطلاحي الصغير لكان الخطب هيناً . ولكن هناك مآخذ لا يصح السكوت

عنها وقد كثر انتشارها . فان كل من امسك قلماً في هذه الايام يرى نفسه قادراً على وضع رواية لان كل انسان يقدر على قص قصة وسرد حوادث يتصورها . وجميعهم يعلمون ان فن الروايات «علم باصول» ولكنهم يجرأون مع هذا على وضع هذه الروايات لثلاثة اسباب . الاول انعدام حرية النقد او بعبارة اخرى الجهل بحقيقة هذا الفن للاقدام على نقده . والثاني اعتبار القراء في الشرق الرواية عالماً خيالياً يُلهى به ساعة او نصف ساعة فلا يطلبون فيه غير قطع الوقت . والثالث قلة القراء في اللغة العربية فالروايات التي تظهر فيها لا يستفيد منها مؤلفوها فائدة حقيقية الا اذا كانوا اصحاب مكاتب ومطابع صناعتهم التجارة بالكتب . ولذلك قلما ترى كاتباً يجهد قريحته ويكد فكره وينضج رأيه في وضع رواية مهمة لانه يعلم ان الفائدة التي تنشأ عنها لا تعدل التعب الذي يُبذل في تأليفها وطبعها والجمهور لا يفهم منها سوى قصتها . واذا قيل ان حافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور قد عرب جزءاً صغيراً من رواية الميزرابل فجنى منه على ما قال الف جنيه (٥٠٠٠ ريال) فالجواب ان ما جناه المعرّب من هذه الرواية لم يكن ثمناً للرواية ولا جزاء تعبه فيها ولكنه كان تنشيطاً له من بعض سراة المصريين الذين دفع بعضهم ثمن النسخة الواحدة ٥٠ جنيهاً (٢٠٠ ريال)

وقد يظن بعضهم ان الروايات الموضوعة تعريباً تسلم من تلك المآخذ التي تقع في الروايات الموضوعة تأليفاً . لان شروط الرواية مستوفاة في الروايات الافرنجية الكبرى وما على المعرّب الاّ ان ينحو نحوها وينسج بردتها العربية . والحقيقة ان بعض الروايات الموضوعة تعريباً قد تجد فيها من التشويه وفساد الوضع والخرق في الرأي ما لا تجد مثله احياناً في الروايات الموضوعة تأليفاً . وسبب ذلك ان المعرب يتناول قلمه ويغير على تلك الرواية فيتصرّف فيها حذفاً واضافة فيقطع سلسلة اخلاقها البسيكولوجية ويشوه طبائع اشخاصها وينقص فيها ويزيد عليها من الحوادث ما لو رآه مؤلفها لقطع اذنه وجدع انفه ورضّ ساقيه وبقر بطنه تشويهاً له وتمثيلاً به كما شوه روايته ومثّل بها . وما زلنا نذكر مباحثات كثيرين ممن شهدوا تمثيل رواية (ابن الشعب) في مصر وقولهم في الجرائد وغير الجرائد انهم لم يفهموا اغراض هذه الرواية ومرامي مؤلفها . وحقهم ان يقولوا ذلك لان الذي ينظر في هذا الفن ولا يكون من اهله لا يدرك منه سوى سياق القصة وتفوته اغراضها الحقيقية التي بنيت الرواية عليها وكانت سبباً في انشائها

وقبل بيان اغراض المؤلف في هذه الرواية نأتي على بيان الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الحقيقية اي عوالم خيالية تنطبق صفاتها

واخلاقها على العوالم الحقيقية انطباقاً كلياً كانها صورة لها وكان اشخاصها اشخاصها مع زيادة في الصبغة الايديالستية فيها ليكون غرضها رفع النفوس بدل انحطاطها

١ً قوة الاختراع — اولى تلك الصفات قوة الاختراع والمراد بها ان تكون مخيلة الكاتب قادرة على اختراع حوادث واخبار تجعل في الرواية فكاهة ولذة . وبهذه القوة تنشأ في الرواية المشاهد والمواقف الكبرى التي تحتك فيها العواطف والاميال والمبادىء احتكاكاً شديداً تستاسر لب القارىء . وكان ديماس راس المبرزين في هذه القوة . الاّ انه يجب ان لا تتجاوز هذه القوة حدّ المعقول المقبول والاّ عُدّت من سقط المتاع كروايات بونسون دي ترايل . ولما سُئل تولستوي منذ مدة عن رايه في رواية غوركي (الطبقة السفلى) التي جعلت له بين كتاب اوروبا منزلة سامية اجاب انها جيدة ولكن ينقصها قوة الاختراع . ولكن كثيرين يقولون عن روايات تولستوي نفسه مثل هذا القول لانها انما تمتاز بمبادئها وآرائها وصبغتها الفطرية لا باختراع حوادثها

٢ً قوة الحركة — والقوة الثانية (قوة الحركة) فان تلك الحوادث التي يجيد المؤلف في اختراعها اذا لم يجعلها (متحركة) سئم قارئها وملّ قراءتها . والحركة كانت مزية ديماس الكبرى . فانك تعرف تاريخ اشخاص روايته واخلاقهم ومزاياهم وماضيهم وحاضرهم مما يقوله غيرهم عنهم في الرواية لا مما يقوله المؤلف نفسه . وكل من قرأ رواية لا يجهل انه يفضل ان يقرأ مباحثات اشخاصها على قراءة تعليقات مؤلفها . والاجادة هنا هي في جعل « حوادث » الرواية منبئة عن اخلاق اشخاصها . وكم من مرّة قرأنا فصولاً لكبار نقاد الروايات الفرنسوية يقولون فيها عن فصل في احدى الروايات ان حوادثه غاية في حسن الاختراع ولكنه « جامد » تنقصه الحركة . وهم يعتبرونها في مقدمة شروط الروايات الجيدة

٣ً وحدة السياق وتنوع الموضوع — والشرط الثالث في تأليف الرواية « وحدة السياق وتنوع الموضوع » والمراد بوحدة السياق رسم طريق للرواية تبتدئ في اولها وتنتهي في آخرها دون ان تخرج الرواية عنها في اثناء تقلباتها . فكأنها سلك يمدّه رجل بين طرق ضيقة وشوارع واسعة فيوغل فيها ولكن السلك في يده وهو يعرف من اين ابتدأ والى اين ينتهي . والمراد « بتنوع الموضوع » جعل مواضيع الرواية التي تتفرع من ذلك السياق متنوعة متفرّعة لاجتناب ملل القارىء اولاً واستيفاء البحث في اخلاق اشخاص الرواية ثانياً . ومن اقوال الفلاسفة ان الطبيعة واحدة من حيث مادتها ونواميسها ولكنها متنوعة من حيث صوَرها واشكالها . وهم يسمون هذا باسم ورد ذكره في الجزء الاول لهذا العام وهو « التنوّع

في الوحدة ». وما يقال في الطبيعة يقال في الرواية لان « الوحدة المقرونة بالتنوع » اساس قوة كل شيء وجماله في العالم . وبدونهما تكون الحياة مضطربة مضجرة

٤ً قوة البسيكولوجيا والسيسيولوجيا - يصح ان يقال ان هذه القوة اهم القوات الضرورية للرواية . ولما كانت مواضيع الرواية تشمل جميع الحوادث والحالات التي تطرأ على اشخاصها وعلى الوسط الذي يعيشون فيه كانت الرواية محتاجة الى اكثر اصناف العلوم . فهي تحتاج الى علم الطبيعة لكي تبنى آراؤها ومبادئها واخلاق اشخاصها على دعامة علمية اي على النواميس الطبيعية والاّ كانت نسيج اوهام وخرافات . وتحتاج الى علم تقويم البلدان « الجوغرافيا » لمعرفة البلاد التي يُكتب عنها وطبائع اهلها وهوائها . وتحتاج الى علم التاريخ خصوصاً اذا كانت تاريخية . وقد تحتاج الى سائر العلوم اذا كان لمواضيعها اتصال بها . ولكنها اذا احتاجت الى جميع هذه العلوم احياناً وامكنها الاستغناء عنها جميعها احياناً فهناك علمان لا يمكنها ان تستغني عنهما اصلاً وهما علم البسيكولوجيا وعلم السيسيولوجيا

علم البسيكولوجيا او « علم النفس والاخلاق » اول شيء يجب على الروائي الاطلاع عليه . وهو قسمان مصنوع ومطبوع اي اكتسابي وغريزي . فالبسيكولوجيا الاكتسابية يستفيدها الكاتب من مصدرين . الاول درس كتب البسيكولوجيا والثاني مراقبة الطبيعة والبشر لملاحظة اخلاقهم واحوالهم في جميع اطوارهم . وقد كان موليير الروائي المشهور يصرف مدة من وقته كل يوم في الجلوس في دكان حلاّق حيث يحتشد الناس عادة من طبقات مختلفة وهناك يراقب اخلاقهم ويسمع احاديثهم . والبسيكولوجيا الغريزية هي قوّة غريزية تكون في نفس الدارس يقدر بها على استنباط مكنونات النفوس واستنتاج اخلاقها وتصوير حالاتها دون ان تدري هي بها . وهي هبة من الطبيعة لتلك النفس وان كان بعض علماء الاخلاق يقول ان الدرس والاختبار قد يؤديان اليها : قال بوفون العالم الطبيعي الفرنسوي ان نبوغ اعاظم الرجال ناشئ عن تعبهم وصبرهم على الدرس (١) قلنا هذا قول صحيح في العلوم الطبيعية التي لا يستلزم الاكتشاف والاختراع فيها قوة نفسية بل قوة عقلية . واقرب شاهد على ذلك باستور وسبنسر وقد عدّ الفيلسوف نيتش نفس سبنسر في جملة النفوس الاعتيادية (٢) . ولكن علم النفس والاخلاق وعلم الادب والفنون الجميلة لا تقاس بتلك

---

1 Le Genie C'est la patience

2 Mediocre اي متوسط بين الكبير والصغير

العلوم . فان ملتن وشكسبير وهيغو ورنان وجوت ووانبير لولا ان الطبيعة خصتهم بنفوس كبيرة جميلة راقية لما قدروا ان يبرزوا شيئاً مما ابرزوه في تآليفهم من آيات الجمال والكمال ولو قطعوا اعمارهم درساً . وهل يصير غير الشاعر شاعراً حقيقياً بمجرد الدرس وقرض الشعر

فالبسيكولوجيا الاكتسابية والغريزية اهم ضروريات الرواية لانها تصون المؤلف من الوقوع في الاغلاط الفاضحة بشأن اخلاق الاشخاص الذين يتكلم عنهم وتمكّنه من تصوير اخلاق بشرية حقيقية منطبقة على اخلاق البشر في الدنيا بسيكولوجياً . وكم من مرة تصفحنا بعض الروايات التي تنشر بالعربية حتى اهمها واشهرها فرأينا الكاتب يصوّر اخلاق اشخاصه في اول الرواية تصويراً لا ينطبق على اخلاقهم في آخرها من الجهة البسيكولوجية . فانه مثلاً يجعل مزاج الشخص في البدء عصبياً ثم تراه في الخاتمة يجعله يسلك مسلك ذي مزاج دموي محض . واغرب من هذا انك تراه يجمع في نفس اشخاصه صفات متقابلة متناقضة تتبرأ البسيكولوجيا منها . واحياناً تراه يجعل (شخصه) يجيب اجوبة لو اطلع عليها اصغر كاتب ملمّ بمبادىء البسيكولوجيا بعد اطلاعه على الاخلاق التي صوّرها المؤلف له لقال (هذا تخريف لا تأليف) والحوادث المستخرجة من تلك الاخلاق قلما تكون لازمة عنها خارجة منها بحكم البسيكولوجيا وانما هي مجذوبة جذباً لتكون نتيجة لها وما هي بنتيجة لها . وهذه العيوب الفاضحة لا تظهر في الشرق لانها لا تظهر الا لعين الناقد البصير . ولذلك يعجب بعض القراء السذج بتلك الروايات . ولو نشرت في الغرب حيث الجمهور يميز بين الفاسد والصحيح لكانت في جملة الروايات الضعيفة التي لا يلتفت اليها احد من افراد الجمهور الراقي

وما قلناه في البسيكولوجيا نقوله في السسيولوجيا اي علم الاجتماع البشري . وهذا العلم ضروري لمؤلف الرواية لسببين الاول ان جميع الروايات المهمة في هذا العصر اصبح غرضها (اجتماعياً) واذا كان الفيلسوف اوغوست كونت واضع الفلسفة الحسية او الوضعية قد اثبت ببراعة مشهورة قبل تلميذه سبنسر ان جميع العلوم من اكبرها الى اصغرها تنتهي الى السسيولوجيا وان السسيولوجيا هي غرض تلك العلوم فاحرِ بالروايات ان يكون غرضها السسيولوجيا ايضاً اي البحث في حالات المجتمع البشري لترقيته وانماء قواته النافعة وافناء قواته المضرّة . والروايات بعد الصحف او قبلها من اهم ذرائع هذه الترقية . بل هي في الشرق اشد تأثيراً من الصحف في هذا الشان لان الوفاً من عامة القراء لا يقرأون الجرائد ولكنهم يقرأون الروايات . فهنا للرواية وظيفة اجتماعية عليا دونها وظيفة جميع الصحف والمدارس والكليات . لانها المدرسة الاولى للشعب الساذج الجاهل . واننا نشفق من

صميم قلبنا على هذا الشعب حين نرى السم الزعاف المدسوس في بعض الروايات العربية التي يقرأها

٥ً درس هذا الفن — كما ان العالم لا يصير عالماً الا بالدرس والبحث والصانع لا يصير صانعاً الا بالاكباب على صناعته فكذلك الروائي لا يصير راوياً الا بدرس فنه . ولكن ليس للروايات مدرسة تعلم فيها اصول هذا الفن وانما مدرسته امران . الاول (مطالعة روايات اكابر المؤلفين) والثاني (مطالعة كتابات مشاهير نقادي الروايات)

اما الامر الاول وهو مطالعة روايات اكابر المؤلفين فاظهر دليل على انه المدرسة الحقيقية لمؤلفي الروايات ما كتبه اسكندر ديماس الكبير عن نفسه . فقد قال ما خلاصته انه لما عقد النية في شبابه على ان يكون مؤلف روايات اخذ يطالع جميع الروايات المشهورة لاكابر المؤلفين فرنسويين وغير فرنسويين . فصرف وقتاً طويلاً في درسها والتأمل فيها وتدبر اغراضها ومراميها . فاتى عليها كلها حتى انطبعت في ذهنه اساليبها وطرقها واختلطت في فكره وقائعها ومذاهبها . وبعد ذلك شرع في الكتابة . فكتب الرواية الاولى واحرقها لعدم رضائه عنها . ثم كتب الثانية والثالثة واحرقهما أيضاً . ولما كتب الرابعة دفعها للتمثيل فكان لها دوي في باريز . وقد حضرها احد امراء العائلة المالكة وكان ديماس مستخدماً عنده فلما ذُكر اسم المؤلف للجمهور نهض الامير من مجلسه ورفع قبعته لمستخدمه ديماس اكراماً وتنشيطاً له

فالروايات المشهورة الجيدة هي خير مدرسة لمؤلف الروايات لانها خلاصة الاختبار والعلم في هذا الفن . ولكن هذه المطالعة وحدها لا تكفي الراغب في التأليف فيه اذا لم يكب على الامر الثاني (درس اقوال نقادي الروايات) اكبابه عليها

من تصفح الجرائد الفرنسوية الكبرى وغيرها وجد فيها فصلاً مخصوصاً ينشر في كل يوم اثنين في ذيل الجريدة لاحد النقدة المشهورين وموضوعه نقد الروايات التي تمثل في خلال الاسبوع . ورب احد هؤلاء النقدة تدفع له الجريدة اجرة للمقالات الاربع في الشهر راتباً يعدل راتب وزير . وقد كان سارسي كبير النقادين في القرن التاسع عشر بعد سنت بوف يكتب في جريدة الطان وكان الممثلون والمؤلفون اذا رأوا في وجهه وهو في لوجه دلائل الاستياء وعدم الرضى ترتعد فرائصهم خوفاً لانه كان على رأيه المعوّل . فدرس كتابات هؤلاء النقدة وغيرهم من نقدة اوروبا من اهم واجبات كاتب الروايات . لانه يستفيد من كتاباتهم نتيجة اختبارهم هذا الفن واختبار مشاهير النقدة الذين تقدموهم فيه منذ نشأته .

وقد كنا نقرأ نقد سارسي في الطان بلذة كبرى فلما توفي اصبحنا نقرأ نقد المسيو اميل فاكه في جريدة الدبا وهو من رجال الاكاذمي واشهر النقدة الفرنسويين اليوم . على ان كتب النقد الروائي كثيرة في اللغة الفرنسوية لمن يطلبها . وهي اهم واصح من الكتب الغير الفرنسوية لان الفرنسويين ما زالوا متفردين في هذا الفن في اوروبا كلها

٦ً عاطفة الجمال — والشرط السادس والاخير من شروط وضع الروايات التزام (عاطفة الجمال) فيها لان تأثيرها وحلاوتها متوقفان على ذلك . ويدخل في هذا امران . الاول (جمال موضوعها) والثاني (جمال سبكها) اما جمال موضوعها فمتوقف على الاجادة في الصفات الخمس التي تقدم بسطها . واما « جمال سبكها » فالمراد به نسجها بلفظ عذب ومعنى طلي وروح جلي فيجد القارىء حين مطالعتها من الحلاوة والعذوبة ما يستأسر لبه . واذا كان الجفاف والجمود في الانشاء مما يُغتفر في المباحث العلمية والتاريخية لان الغرض منها تقرير الحقائق سواء كان لباسها من نضار او كان عليها اطمار فان ذلك مما لا يُقبل في الروايات اصلاً لان العمدة في الروايات انما هي على التأثير في نفس القارىء لجذبه الى مبادئها وشرح صدره بحلاوتها . وهذا الجذب والتأثير لا يتمان الا « بعاطفة الجمال »

هذا ما رأينا بسطه في هذا الفصل لعلّ فيه فائدة . وفي الفصل التالي سننجز ما وعدنا به من شرح مغزى رواية ابن الشعب ومراميها

شيء عن رأيهم في الجامعة

« نفس لطيفة ونفس حار يتسربان الى القلوب فتضمها من غير تردد. يقرأها الرجل وهو متكئ على فراشه قبل الرقاد على ضوء الشمعة . يقرأها في الوقت الذي لا يريد ان يزعج تأملاته شيء من ضوضاء هذا العالم فينقبض وجهه وينفرج صدره وتبدو عليه علائم التأمل والافتكار وقلما يمضي عليه دقيقتان او ثلاث دقائق من وقت المطالعة بدون ان يتوقف عن المطالعة ويتنهد او يعيد قراءة ما اطلع عليه ويجمد متأملاً . ولكي يطلع صاحب الجامعة على ما يوجب التنهد والجمود نقول له ان القارىء حينئذٍ يقرأ له في كتابته عاطفة كانت تجول في صدره ولا يقدر على تعليلها وهي مشروحة شرحاً وافياً كأنه اذ كان يكتب كان يشعر بقلب المطالع

« والذي حدث لي انا من هذا القبيل كان اذ كنت اطالع وصايا استير في روايته اورشليم الجديدة خصوصاً الوصية التي تتخوف بها تلك المسكينة من رقص الوحوش والضباع على قبرها . اني انا ايضاً قبل ان طالعت الرواية كنت ارى من نفسي انقباضاً ان أحصر بعد الموت في قبر ضيق بعيداً عن الانس في وحشة مظلمة

« قلب به الم من الهيئة الاجتماعية ينفر من مخالطة الناس ويستأنس بالوحدة ليلهو بافكاره الرقيقة ولا يقاطعه في تأمله شيء من ضجيج المجالس . وكأني به الآن على اثر مطالعتي الجامعة وانا في البرازيل وهو في الولايات المتحدة وما بيننا بحور طويلة عريضة اراه يضاحك الناس تكلفاً ويماشيهم مضطرباً الا ما ندر ولا يصدق ان يُترك لوحده حتى يعود الى ملذته

« صدر واسع ولكنه لكثرة ما يضمّ من العواطف قد ضاق على صاحبه فهو وان يكن هادئاً في ظاهره فهو مضطرب في داخله ويلذ له ان يكون مفكراً لان في الفكر سروره » (جريدة ابي الهول)

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

قوات اميركا العظمى

﴿ المدرسة ﴾ ذكرنا في المقالة السابقة بعض الاسباب الرئيسية التي تنشئ قوات اميركا العظمى وهي ١ً جامعة عادلة قوية ٢ً المجالس النيابية ٣ً قوة المعارضة بين الاحزاب لبقاء الافضل ٤ً حرية الجرائد . ولكن هذه الاسباب كلها لم تكن لتؤثر تأثيرًا فعالاً في انهاض الامة وترقية شؤونها اذا لم يكن هناك عنصر قوي يمدّها بالقوّة اللازمة لقيامها وقوتها . ورب امة اجتمعت فيها هذه الاسباب الاربعة ولم تبلغ من العز والارتقاء مبلغاً يستحق الذكر وذلك لفقدها هذا العنصر القوي . ونريد بهذا العنصر . المدرسة .

ان القول بان المدرسة اساس نهضة الامم قول مألوف بين الكتاب والقراء في الشرق . وقد نقلنا منذ سنين قول بسمارك حين سئل بماذا تغلبت امتكم على الامة الفرنسوية في سنة ١٨٧٠ فاجاب . بمعلم المدرسة . . وقد رأينا هذا القول بعد ذلك على شباة كثير من اقلام الادباء وفي صفحات كثير من الجرائد . وقد قامت في مصر وغيرها من اقطار الشرق في السنوات الاخيرة صيحة تصم الآذان بشأن الكليات والمدارس والكتاتيب . فبعض الادباء ينشئ الكتاتيب ليجعلها موردًا للرزق وبعض الاغنياء ينشئها طلبًا للشهرة وبعض الجمعيات ينشئها ليكون لها غرض تجتمع حوله . ولا تزال نهضة الكتاتيب وضجتها قائمة في مصر حتى هذه الايام لان الذين ينشئونها قد سمعوا من قادتهم ان انشاء المدارس خير من انشاء الجوامع والكنائس . ولا نزال نذكر قولاً لجريدة المؤيد بهذا الشان حين طلب بعض من اهالي الريف من المرحوم منشاوي باشا المثري المصري الشهير ان يتبرع باصلاح جامع بلدتهم المتداعي . قالت ما خلاصته . ان كثيرًا من الجوامع في الريف متداعية متقلقلة . فاذا طلب اهل كل قرية مثل هذا الطلب من منشاوي باشا اضطر ان يوزع ثروته على هذه الجوامع بلا فائدة . لان المسلم يمكنه ان يصلي في كل مكان والدنيا كلها جامع له .

وانما حاجته الاولى الى المدارس فيجب تقديم انشاء المدارس على اصلاح الجوامع او انشائها .

وحقاً ان الكاتب الذي في نفسه اقل حب للحقيقة والاخلاص وارتقاء الشعوب يشعر بارتياح وقشعريرة في نفسه حين يقرأ قولاً جميلاً كهذا القول من جريدة اسلامية او مسيحية . واذا كان بعيداً عن مصر وسمع اقوالاً كهذه الاقوال ورأى في جرائدها المقالات والاحتفالات بشأن الكتاتيب ومدارس الجمعيات خيل له ان مصر قد بلغت منها الغاية التي ما بعدها غاية . وقد رأينا اثر هذا الوهم في كثير من الجرائد التي لم تعرف مصر الا بما قرأته عنها . والحقيقة ان الكتاتيب والمدارس الاهلية التي تنشأ اليوم في مصر وجودها وعدمها سيان . بل قد سمعنا بعض اكابر وفضلاء المصريين ممن لهم علاقة ببعضها وهم اعرف الناس بها يقولون ان وجودها اشد ضرراً من عدمه وانه خير لهم لو انها لم توجد . وسبب ذلك ان هذه المدارس والكتاتيب لا تقوم بشيء من وظيفة « المدرسة الحقيقية » .

وليس في الدنيا بلد تظهر فيه وظيفة المدرسة الحقيقية ظهوراً جلياً كالبلاد الاميركية . وانك اذا رفعت هذه المدارس من الولايات المتحدة فقدت اميركا اساس قوتها واول مبادئها الفعالة في نهضتها

ونرجو من القارئ ان يلاحظ اننا لا نريد هنا « بمدارس اميركا » كلياتها العلمية ومدارسها الزراعية والصناعية والتجارية فاننا نعرف في اوروبا وعلى الخصوص في انكلترا والمانيا وفرنسا كليات ومدارس ارقى واعظم من الكليات والمدارس الاميركية من الجهة العلمية والفنية . وانما تفضل الكليات والمدارس الاميركية الكليات والمدارس الاوروبية بامر واحد شديد الاهمية وهو جعلها التعليم فيها منطبقاً كل الانطباق على حاجات الشعب ومقتضيات العصر الحديث الذي اصبحت المعيشة فيه جهاداً هائلاً بين الناس . فهي تلقن طلبتها كل ما ينفعهم في هذا الجهاد ويقويهم عليه وذلك اولاً بتقوية ابدانهم وتنشيط نفوسهم بالرياضة والالعاب البدنية التي اشتهرت بها اميركا دون سائر الامم وثانياً بتعليمهم تعليماً عملياً Pratique فبينما ترى المدارس الفرنسوية مثلاً تدرّس طلبتها شعر بوالو وراسين وكورنيل واللغة اللاتينية طبقاً لبروغرام التعليم في القرن السابع عشر والثامن عشر ترى الاميركان يضعون كتباً Pratiques لاثارة الحياة والنشاط في نفوس ابنائهم ودلالتهم على طرق معيشتهم . فاذا خرج تلميذهم من المدرسة ودخل مدرسة الزمان كان قادراً على المعيشة فيها بسهولة لان مدرسته سلحته بجميع الاسلحة اللازمة للفوز في هذه المعيشة . اما التلميذ الاوروبي فيخرج من مدرسته مشحون الذهن بمبادئ خيالية وافكار

كتبيّة (١) لا تنفعه في مدرسة الزمان بل ربما جرّت عليه ضرراً شديداً. وكلنا في الشرق قد عرفنا ذلك حق المعرفة اما من انفسنا او من الطلبة الذين نراهم يخرجون من مدارسه امامنا. وهذا واأسفاه العلة الاولى في بلائنا وضياع قوى شبيبتنا وآلامها الشديدة قبل ان تتمكن من اصلاح ما افسدته المدرسة الشرقية في نفوسها

كلاً ليس مرادنا في كلامنا هنا عن (المدرسة الاميركية) الكليات والمدارس الفنية التي تقدمت الاشارة اليها وانما نريد بها (المدرسة الابتدائية). وانك لتعلم (حقيقة وظيفة) هذه المدرسة في هذه البلاد مما يلي

﴿كيف يكون الامتزاج والاستغراق﴾ كلنا نعلم ان الشعب في هذه الجمهورية العظمى قد تألف من عدة عناصر مختلفة بين انكليز والمان وايرلنديين وهولانديين ونروجيين وايطاليين وفرنسويين وغيرهم. ولا يزال يهاجر اليها في كل عام نحو مليون نفس من عناصر مختلفة. فانظر ماذا تفعل (المدرسة الاميركية) هنا. انها تأخذ ابناء هذه الملايين الضعيفة القاصرة الفقيرة المهاجرة اليها وتعلّمهم تعليماً واحداً. وهذا التعليم الزامي فاننا نكتب الآن هذه السطور والحكومة المحلية تنشر بين اهالي نيويورك وملحقاتها وفي جرائدها منشوراً تطلب فيه منهم ان يذكروا لها عدد الاولاد عندهم وسنهم وفي اية مدرسة يتعلمون. والأب الذي يبلغ ابنه السنة الثامنة من عمره ولا يبعث به الى المدرسة الابتدائية تحق عليه الغرامة وقدرها ٢٠ ريالاً او السجن شهراً. وعليه ابقاؤه في المدرسة حتى السادسة عشرة على انها تعفي الولد من المدرسة في السنة الرابعة عشرة اذا اثبت لها الأب انه يستعمله عند بلوغه هذا السن في عمل نافع له ولمستقبله. وليس غرض الحكومة في هذا نفع الولد فقط لانها القيّمة الشرعية عليه بل لها من ذلك غرض لمنفعتها ايضاً. فانها لا ترمي فقط الى رفع هذه النفوس الصغيرة القاصرة الضعيفة بتعليمها القوي الى مرتبة النفوس العزيزة القوية لتجعل منها رجالاً بل غرضها ايجاد امرين. الاول توحيد اهلها وسكانها بتربيتهم تربية واحدة وجعلها

---

(١) تنبه الاوروبيون الى هذا الامر في السنوات الاخيرة فقام كثيرون منهم يدعون الى اصلاح بروغرام التعليم. ولما شرعت فرنسا في ذلك منذ بضعة اعوام عارضها فيه اساتذة الحزب القديم بحجة ان (الجمال) الموجود في التعليم القديم لا يجده الطلبة في التعليم الجديد. وكتب يومئذٍ الاستاذ الفريد فوليه من مشاهير الاساتذة في مجلة العالمين يقول ان (المبادىء الانسانية الجميلة القديمة) ستموت بهذا التعليم. ولكن الحكومة تغلبت على هذا الحزب بجعلها بروغرامها وسطاً بين التعليم العملي التجاري المحض والتعليم الايديالستي المحض. وهو الصواب

لهم جامعة واحدة وهي الجامعة الاميركية . وبذلك تأمن الانقسامات الجنسية التي تمزّق احشاء الامم الاوروبية لا سيما وان هذه الانقسامات قد تبلغ هنا اشدها اذا لم تتلافها وذلك لتعدد الجنسيات والاقوام الذين يعيشون فوق ارضها . والامر الثاني انها تعلم ان الامة بافرادها فاذا كانوا رجالاً اقوياء اذكياء مدرَّبين على الحياة استفادت الامة من قواهم البدنية والعضلية واذا كانوا ضعفاء جهلاء بلداء كانوا حملاً ثقيلاً عليها وسبباً لاضعاف الاقوياء فيها . ومنذ مدّة اقترح بعض النواب الاميركان على مجلسهم تضييق باب المهاجرة على المهاجرين بفرض ضريبة عليهم قبل دخولهم وايجاب امتحانهم في القراءة والكتابة والحساب وبعض الدروس الادبية . ولا يزال هذا الاقتراح في دائرة البحث . فقامت على اصحاب الاقتراح قيامة بعض الجرائد وفي مقدمتها « الجورنال » في نيويورك . وكان من اهم حجج « الجورنال » ان هؤلاء المهاجرين الذين تبغون مضايقتهم انما يمنحون الامة الاميركية رجالاً لا تستغني اميركا عنهم . فان الواحد منهم يحمل الاثقال والتراب والآخر يعالج الحديد في المعمل والثالث يموت ويحيي في النهار بعمله الشاق ـ وكلهم لا يتعبون و يضنون و يسقمون الا وغرضهم تعليم اولادهم . واولادهم بعد ان يتعلموا هم لنا خير الرجال لانهم يصبحون اميركيين قلباً وقالباً

﴿ ظهور هذا الاثر في السوريين ﴾ ادخل اية مدرسة شئت من المدارس الاميركية هنا وقف عند اي ولد من اولادها . قف مثلاً امام فتىً اسمر اللون اسود الشعر والعينين عصبي المزاج حاد النظر كأنَّ عينيه من نار وسله من اي قوم انت ؟ ولا ريب في انك تلقي عليه هذا السؤال وانت لا تجهل انه سوري او يوناني او اسباني (١) لان صفات جسمه تدل على ذلك . فتسمعه يجيبك وقد ازداد انقاد عينيه ورفع رأسه بكبرياء كانه على قصره يريد ان ينطح به السماء « انا اميركي » ولا يستثنى من « هذه الكبرياء الوطنية الاميركية » ولد حتى ابناء الانكليز والفرنسويين انفسهم . فان جميع الاولاد الذين دخلوا المدرسة الاميركية وذاقوا حلاوتها واعتادوا نظافتها وترتيبها وتعليمها السهل المفهوم واناشيدها الجميلة والاعيبها الرياضية المقوية ورفق معاملتها وحماسة التربية القومية فيها كلهم لا يريدون ان يكونوا الاَّ اميركيين . حدَّث احد الآباء السوريين قال . انني على مذهب كذا (وهنا سمى مذهباً مسيحياً) وابني في الثانية عشرة من عمره يتعلم في المدرسة الاميركية . وكنت

(١) كثيراً ما سمعت بعضهم في فرنسا يسألني قائلاً « اظن انك اسباني » ذلك لان الاسبان شديدو الشبه بالسوريين واليونان . وقد اخذوا هذا الشبه من الدم العربي الذي امتزج بدمائهم من دول الاندلس العربية

الح عليه ان يرافقني الى كنيستي للصلاة فيها فيجيبني اننا نصلي في المدرسة . وفي ذات يوم تغلبت عليه واقنعته بمرافقتي فذهب معي الى كنيستي . ولما عدنا منها سألته عن رأيه ، فاجاب ضاحكاً لم افهم شيئاً وانني استغرب هذه الصلاة وهذه آخر مرة ارافقك اليها (١)

وحدّث اب آخر قال : لما حمي وطيس الخلاف والنزاع بين السوريين هنا اخذت بعض الصحف تطعن عليّ طعناً شديداً ، ففي ذات ليلة قصدت منزلي مضطرباً ثائراً فسألني ابني وهو فتىً في الخامسة عشرة ما سبب غضبك ، فاخبرته عن السبب ، فضحك وقال (« انتم » ايها السوريون تشتغلون دوماً بالسفاسف والصغائر ، فماذا يهمك او يضرك ان تطعن الصحف عليك . ان هو الا كلام ذاهب في الهواء ، اما رأيت ان الصحف الاميركية تطعن على «رئيسنا» روزفلت نفسه) قال الاب وانني الآن نادم لانني لم افعل طبقاً لرأيي ابني

قلنا وان مدرسة تعلم صبيانها تعليماً يجعلهم اهل فهم ورزانة وعقل يفوق فهم الكبار وعقلهم ورزانتهم لجديرة بكل احترام وشكر من المهاجرين السوريين ، ومصلحتهم الكبرى ومصلحة امتهم في مستقبلها في هذه البلاد انما هي في ان يجعلوا المدرسة الاميركية على الدوام المربية الوحيدة لابنائهم دون ان يفكروا بانشاء مدارس وطنية شرقية تبقي وتخلد في نفوس الابناء ذلك الارث القبيح الذي تركه لهم الآباء وهو ارث النفس الشرقية وما يتبعها من قصور فاضح في التعليم والتربية والانقسامات المعلومة

واننا كلما جلنا في شوارع نيويورك وبروكلن ورأينا ابناء السوريين وبناتهم يلعبون مع ابناء الاميركيين وبناتهم ولا فارق يفرق بين الفريقين في النشاط والقوة والذكاء واللغة واللباس والنظافة غير السحنة الشرقية الجميلة لا نتمالك ان نقول ونحن مارون في طريقنا.

ــ اي نعم ايتها المدرسة الاميركية الصغيرة ، انتِ قوّة اميركا الكبيرة واساس عظمتها وسلك وحدتها ، بكِ تُبزر في نفوس ابناء هذه الامة اول بزور القوة والشهامة والشجاعة والاخاء بين الشعوب والادب والجمال ، منكِ تبتدئ الخطوة الاولى في سبيل العظمة الاجتماعية وجميع المدارس الكبرى والكليات العظمى والمجامع العلمية والمحافل السياسية التي تأتي بعدكِ انما تبني على اساسكِ ، فيكِ العناصر والجنسيات والمذاهب المختلفة تجد الحكم العادل بينها المسكّن نفوسها وآلامها والمحرّك العظيم الذي يمزجها بعضها ببعض مزجاً لطيفاً دون اصطدام ولا احتكاك ويُخرج منها في النهاية شعباً جديداً بطيب له هذا الامتزاج والاستغراق لانه يرقيه وينقذه من نقائصه الاولى

(١) لا نستحسن هذا الانقسام المذهبي في العائلة ولكننا ذكرنا هذا المثل لبيان تأثير هذه المدرسة

نبوغ واختلال

او

﴿ رواية قان ﴾ (١)

تعريب « احد الكتاب المجيدين »

هي رواية غرامية ادبية فكاهية سياسية وضعها اسكندر ديماس الأب وعربها للجامعة (احد الكتاب المجيدين) وموضوعها بيان ما يرافق نوابغ الرجال من اختلال الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من الحوادث الغرامية والخلاعة . ومدار الرواية على « قان » Kean اشهر واعظم ممثلي الانكليز في القرن التاسع عشر (ولد سنة ١٧٨٧ وتوفي سنة ١٨٣٢) وكان شمس انكلترا وقمرها في تمثيل الروايات الجدية ومناظر البرنس دي غال ولي عهد انكلترا لذاك العهد في نفقاته وحوادثه الغرامية . والرواية مبنية على تنازعهما قلب حسناء من اكابر السيدات . ويظهر فيها مقام الممثلين في تلك البلاد

الفصل الاول

كان في تلك الليلة حفلة رقص في منزل الكونت كفلد سفير ايطاليا في لندن . وبينا كانت ايلينا زوجته تكتب كتاباً في المساء وخدامها يعدون آخر المعدات لتلك الليلة واذ

(١) مما سرّنا في تعريب هذه الرواية ان معربها استوفى في تعريبها شروط التعريب فجاء تعريبه جامعاً لمحاسن الاصل ومعانيه البليغة وافكاره الجميلة . فالقارىء يقرأ فيها افكار ديماس نفسها مسبوكة بقالب جميل كقالبها الاصلي . والذي حملنا على نشر هذه الرواية رغبتنا في ارضاء قراء اميركا على الخصوص لاننا رأينا اكثرهم يفضلون الروايات المفكهة على كل شيء . ولذلك ننشر لهم في كل جزء روايتين . وقلما وجد بين روايات ديماس رواية مفكهة مطربة بما فيها من الحوادث الغرامية الادبية كهذه الرواية

اعلن الخادم قدوم الكونتس كسويل . فصاحت الكونتس ايلينا ادخلها ادخلها على عجل . فدخلت الكونتس كسويل وهي تقول لقد جئت ايتها الصديقة قبل الجميع لنتحادث نصف ساعة معاً . فان لديَّ اموراً كثيرة احب اطلاعك عليها . واولها يا ايطاليتي الجميلة هو ان شعرك الاسود وعيناكِ السوداوان لهي بين شعورنا الشقر وعيوننا الزرق اجمل ما في قاعاتنا الآن

فاجابت ايلينا . هذا اذا تركنا جانباً عنقك الابيض الجميل ويديك البيضاوين الناعمتين وقامتك الهيفاء التي هي زينة قاعاتنا الحقيقية . ولقد اصبحت بعد تعارفنا ايتها العزيزة على رأي شاعركم الكبير الذي يقول « ان انكلترا انما هي عش كبير مملوء بالاوز وسط بحيرة جميلة » انني اخاف الليلة على ضيوفي ان يفتنهنَّ جمالك . اجلسي يا عزيزتي ايمي

فقالت ايمي . نعم انني اجلس لانني تعبت تعباً شديداً . فقد كان عليَّ الذهاب الى نيو ماركت لحاجة لي فاضطررت ان انهض اليوم من فراشي عند الساعة العاشرة قبل الظهر . وكلما اهملت صحتي ونهضت في النوم في مثل هذه الساعة فانني ابقى طول النهار ضعيفة متألمة . وانتِ هل خرجتِ من منزلكِ امس . فاجابت ايلينا نعم قد ذهبت الى ملعب دروري لن . فقالت ايمي وماذا كانوا يمثلون فقالت هملت و «حلم في احدى ليالي الصيف » فقالت ومن كان يمثل هملت . يُنغ ام سواه . قالت كلاَّ وانما كان يمثله ادمند فان . فقالت ايمي وكيف كان تمثيل فان فقالت ايلينا غاية في العظمة والجمال . وانكِ لتعلمين ايتها العزيزة اننا نحن الايطاليات لا وسط عندنا فاما اننا نغالي في الاستحسان واما اننا نغالي في الاحتقار

فقالت ايمي ضاحكة . اتعدينني بانك لا تضربينني ضرباً شديداً اذا ذكرت لكِ امراً هاماً . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت ايمي تهيأي اذاً لتسمعي خبراً لم يُخترع قط خبر اشد غرابة منه . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت ايمي ضاحكة بشيء من الدلال ولكني لا اعلم كيف اذكره لك لانه خبر غريب مضحك . فقالت ايلينا بدهشة ما هذا الخبر الغريب تكلمي . فقالت ايمي هل يسمعنا احد . فقالت ايلينا انك تخيفينني بهذا الكلام فما مرادك

فقالت ايمي اسمعي يا صديقتي . ان الناس اصبحوا يلاحظون انك كثيرة التردد على ملعب دروري لن

فضحكت ايلينا ضحكة اغتصابية وقالت . احقيقي ما تقولين ؟ ولكن هذا الامر اذا كان حقيقياً جدير بان يفتخر به قومك لانه دليل على ولع الاجانب بروايات شاعركم شكسبير

فقالت ايمي ولكنهم يقولون انك في ذهابك الى الكنيسة لا تذهبين رغبة في الصلاة بل رغبة في الكاهن

فقالت ايلينا وقد ضغطت على عواطفها لاخفاء ما في نفسها . من اجل اي ممثل يظنون انني اذهب الى الملعب . امن اجل بنغ . قالت كلاً . قالت امن اجل مكردي . قالت كلاً . قالت امن اجل كمبل . قالت كلاً بل من اجل قان

فهنا عضت ايلينا شفتها بغضب وقالت . انهم مجانين ومن يقول هذا القول

فاجابت امي . من ذا الذي يعلم مصدر اقوال كهذا القول ايتها العزيزة . فانها تنتشر بين الناس كانها خارجة من الارض او هابطة من السماء

فقالت ايلينا بتهكم . واذا مرت بها صديقة مخاصة التقطتها واذاعتها . أليس ذلك كذلك ايتها العزيزة . ولكن اخبريني ماذا يظنون ايظنون انني احب قان

فقالت حباً شديداً

فقالت ايلينا وهم يعنفونني على ذلك

فقالت امي لا يعنفونكِ فقط بل هم يشفقون عليكِ . لان ميلك الى رجل نظير قان . . .

فقطعت ايلينا كلامها وقالت لم اعترف بانني احبه ايتها الكونتس لتقولي هذا القول . ولكني اسألك ما المانع من الميل الى ممثل نابغة كقان

فقالت امي . اولاً انه ممثل وانتِ تعلمين انه لما كنا لا نقبل هذا الفريق من الناس في قاعاتنا . . . (١)

---

(١) كذا كان مقام اشهر الممثلين في اوروبا . اما اليوم فقد ارتقى مقامهم وسمت منزلتهم فانه لما افتتح الممثل كوكلين منذ بضعة اشهر الملجاء الذي خصه بالعجزة والشيوخ الذين صرفوا حياتهم في التمثيل رضي رئيس الجمهورية المسيو فالبير ان يتولى رئاسة حفلة الافتتاح فذهب بنفسه وافتتح الملجاء واثنى على كوكلين فاجابه كوكلين بقوله ان زيارة الرئيس تمحو عن الممثلين العار الذي الصقه بصناعتهم بعض الناس ظلماً وعدواناً . ولكن لا تزال صناعة التمثيل في اوروبا معدودة عند بعض الطبقات صناعة منحطة فانه لما منح المسيو بريان وزير المعارف الفرنسوية الممثلة المشهورة ساره برنار في هذا العام وسام جوقة الشرف من درجة شفالية رفض مجلس ادارة جوقة الشرف الموافقة على هذا الانعام فكان لذلك جلبة شديدة في الجرائد الفرنسوية . ولا يزال المجلس مصرًّا على رفضه حتى الآن . وقد ردَّ عليه اصدقاء ساره بانه قد وافق على منح وسام الشرف قبل الآن الى الممثلة مدام بارته المشهورة فكان جواب المجلس ان مدام بارته انما اعطيت وسام الشرف كمدرّسة للتمثيل في مدرسة التمثيل حيث تدرّس التمثيل لا كممثلة

فقالت ايلينا مكملة كلام ايمي : يجب ان لا نقبله في دهاليزنا وغرفنا الخصوصية . ولكن اظنك لا تجهلين انني رأيت يوماً مستر كمبل في منزل الدوق اوف يورك

فقالت ايمي . نعم لا اجهل ذلك

فقالت ايلينا فاذا كان يجوز فتح الابواب في وجه احدهم فما المانع من فتحها في وجه آخر منهم

فقالت ايمي ولكن قان ردىء السمعة ملوث الصيت ايتها العزيزة . فانه بطل من ابطال الفساد والخلاعة . وهو يتفانى في مناظرة لفلاس في كثرة النساء اللواتي يحببهن و يوقعهن في شراكه . ولا يحجم عن مناظرة البرنس دي غال في نفقاته . وبينما نراه في اوج العظمة مرتدياً بلباس هملت او ريشارد واذا به يخلع هذا الرداء و يرتدي لباس بحري من بحارة الميناء ويتنقل من حانة الى حانة وعلى الغالب يعود الى منزله محمولاً لا ماشياً

فقالت ايلينا اتمي اتمي حديثك يا صديقتي

فقالت ايمي وعدا هذا فهو مثقل بالديون ولذلك يتجر بقلوب السيدات الرفيعات تخلصاً من دعاوي دائنيه

فقالت ايلينا . وهل خطر في بالهم انني احب رجلاً هذه صفاته كما تقولين ايتها العزيزة . ايصدق ذلك اولئك الناس

فقالت ايمي . كثيرون لم يصدقوا ذلك ايتها العزيزة وانا في مقدمتهم . وكذلك اللورد ديلور والسيدة ...

فقطعت ايلينا هنا بخبث كلام ايمي وقالت . على ذكر اللورد ديلور اسالك شيئاً من اخباره ايتها العزيزة فكيف حاله

فبغتت الكونتس ايمي لما كان شائعاً عن علائقها مع اللورد ديلور وقالت : تسالينني انا عن اخباره . ومن اين لي بها

فقالت ايلينا عفواً يا صديقتي فانني انما استخبر خبره من جميع الناس . فهو شاب ظريف لطيف انيق الملبس دمث الاخلاق ولا عيب فيه الا انه كثير الكلام لا يكتم سراً

فقالت ايمي مبغوتة . لا يكتم سراً

فقالت ايلينا . نعم هو كذلك ولكن من يصدقه ايتها العزيزة ؟ عفواً لقطع حديثك . بماذا كنا نتحادث

فقالت ايمي وقد ظهر عليها الاضطراب ذهب عني موضوعنا ايتها العزيزة . ها . لقد

نسيت ان احدثك عن مرقص دوق نورثمبرلند . ثم اخذت تحدثها عن هذا المرقص . ولا ريب ان القاريء قد ادرك الطريقة التي انتقمت بها ايلينا لنفسها

بنت من يهوى

بقلم جناب نقولا افندي الحداد نزيل نيويورك الآن

هي قصيدة غزلية لا ينقص نظمها جمالاً وقوة عن ابلغ الشعر العربي. ولا يتمالك قارئها بعد الاطلاع على لغتها الصحيحة ونظمها المتين ومعانيها الرقيقة ان يقول هكذا يكون الشعر والاَّ فلا . وموضوعها محبٌّ يرى بنت من يهوى ووصفها ووصف عواطفهما بدقة شعرية نادرة المثال حتى بين شعراء مصر والشام . وان كان في عواطف المحب الموصوف هنا شيء يسوء ففي جواب حسناء القصيدة من الاعتصام بالكمال والفضيلة ما يمحو كل سوء

رأى بنتَ من يهوى وقد جدَّ وجدُه — وقطَّع منه الصد قلباً متيماً
قضى ليله ما شام بارق وجهها — فما كان ليلٌ منه ادجى واظلما
ولما رآها استوقفته وقد بدت — لاقنومِ من يهوى مثالاً تقنما
رشاً بنت خمس قد تبدَّت لطرفه — تلاعب اتراباً لها تشبه الدُّمى
فظلَّ لديها حائر اللب هائماً — يطيل اليها نظرة وتوسما
واذ همَّ بالتسآلِ عنها اجابه — فؤاد لديها بات ولهانَ مغرما
ألستَ ترى فيها ملامح غادةٍ — غدوت بها من شدَّةِ الوجدِ مُسقما
فذي العينُ تلك العينُ والثغرُ ثغرها — وقد ضارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظريها الشعرُ واللحظُ لفظه — وقد كلَّم القلبَ الشجيَّ فكلما
وفي ثغرها بيتُ القصيد وبحره — عُذيبٌ يعوم الدرُّ فيه منظما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغَّرا — وحسبك هذا الحسن ان تتوسما

***

ولما تلقاها تجافت واجفلت — وما ادركت من وجده ما تضرَّما
ولا علمت ما في حشاه من الجوى — واني لها سرُّ الفؤاد لتعلما
فبشَّ اليها ثم اوما تحبباً — ورحَّب اغراءً وحيَّا وسلما

ولكنها لم تحبه غير نظرةٍ تفهّم فيها الف معنىً وترجما
وما هي تعني ما استفاد وانما توهم عيني غيرها فتفهما
فلاطفها فاستانست بابتسامه ومازحها حتى تميل وتبسما
ترامت عليه والتبذُّل عندها عفافٌ فلا تدري التاويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوى نحلٌ لها دلٌّ على تلك حرّما
فالوت اليه والدلال يميلها فضم ملاكاً طاهراً متجسما
ولاعبها مستنشقاً هدب ثوبها وضاحكها حتى ملا ضحكها الفما

***

رآني يا امي فتىً قد عرفته ويا امّ ما احلى الفتى ما ارقّ ما
وقصت عليها بنتها كلما جرى حديث صغيرٍ يخبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها وقد عرفتْ ذاك المحب المتيما
يمثل دوراً يبتغيه حقيقة وهيهات ما يبغيه قد عزّ مغنما

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ثلاثة رسوم

يمين قاعة لعب الكرة * الفتى يسوع بين الكتبة
والفريسيين في صغره * احراق الاحياء والاموات

﴿ مجلس الدوما الفرنسوي والدوما الروسي ﴾ وقع لاول مجلس دستوري اجتمع في فرنسا ما وقع لمجلس الدوما الروسي في هذا العام . ولكن المجلس الفرنسوي تغلب على الهيئة الحاكمة لان شعب باريز ثار يشدّ ازره وعجزت الحكومة عن كبح جماحه . ولذلك قال الناس حين حُلّ البرلمان الروسي ان مصير امره متوقف على الشعب الروسي . وقد ظهر بعد ذلك ان الشعب الروسي اضعف من حكومته

وبيان خبر « الدوما الفرنسوية » ان الملك لويس السادس عشر جمع نواب الولايات



يمين ملعب الكره

اول مجلس دستوري فرنسوي اراد الملك لويس السادس عشر حله بعد ثلاثة ايام من اجتماعه فاجتمعوا واقسموا يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا الدستور

لاصلاح الميزانية وضرب ضرائب جديدة وسن دستور للامة (١) فاجتمع النواب في ١٧ يونيو من عام ١٧٨٩. ولكن لم تمر ثلاثة ايام على اجتماعهم حتى اقنع الامراء والنبلاء والاساقفة الملك لويس السادس عشر بمنع اجتماعهم لاسباب يطول شرحها. فاعلن المسيو دروبروزه من حاشية الملك انه تقرر اقفال القاعة التي يجتمع فيها المجلس لرغبتهم في اعدادها لحفلة ملكية. فلما قدم اعضاء المجلس وجدوها مقفلة فذهب بهم رئيسهم العالم باليي الى قاعة اخرى في شارع آخر لعقد جلستهم فيها فوجدوا عليها الحراس يحرسونها. فاقترح عليهم حينئذٍ الدكتور كليوتين «صاحب الكليوتين آلة الاعدام المشهورة» بان يعقدوا جلستهم في قاعة واسعة للعب الكرة كانت في شارع اوتل دي لورج. فهرع الرئيس والاعضاء الى هذه القاعة وعقدوا فيها جلستهم. واول عمل عملوه انهم اقسموا جميعاً الاّ واحداً منهم يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا دستوراً للامة الفرنسوية مهما اصابهم من اضطهاد الملك وحاشيته. والرسم المنشور هنا يمثلهم مجتمعين حول رئيسهم العالم باليي وايديهم ممتدة بقسمون اليمين.

(١) هذا احد وجوه الشبه بين الدوما الفرنسوية والدوما الروسية

ولما جاءهم درو بروزه يطلب منهم باسم الملك والقانون ان يتفرقوا اجابه الخطيب ميرابو بجوابه المشهور « اذهب وقل لمولاك اننا اجتمعنا في هذا المكان بارادة الشعب ولا نخرج منه الا والحراب في صدورنا » (١) ـ وهذا هو بدء الدستور الفرنسوي . ولذلك يعتبرون تلك القاعة التي كانت للعب الكره مهداً له وهي اليوم في باريز مزار للناس

والرسم المنشور هنا رسمه الرسام الطائر الصيت لويس دافيد ولوك اوليفيه مرسون . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز وفي القاعة المذكورة آنفاً نسخة منه . وفي صدره الى يمين الرئيس الواقف في الوسط كاهنان وراعٍ بروتستنتي من الاعضاء اشارة الى اتفاق الشعب من جميع الطبقات والمذاهب يومئذ على الرغبة في الاصلاح والدستور . والى يسار بالي الرئيس رجل كبير الهامة رافع يده وهو الخطيب ميرابو المشهور . والناظر الى هذا الرسم يرى امامه مشاهير الرجال الذين كانوا مبدأ الثورة الفرنسوية



الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين
يباحثهم ويناظرهم في الكتب

﴿ الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين ﴾ يمثل الرسم الثاني الذي نشرناه في هذا الفصل يسوع في الثانية عشرة من عمره جالساً في المعبد بين الكتبة والفريسيين اليهود يباحثهم

(١) وفي رواية اخرى « الا بقوة الحراب » والرواية الاخرى اصح . ولما حُلت الدوما الروسية وطلب من الاعضاء الخروج من القاعة اجاب احدهم مثل جواب ميرابو هذا . وهو شبه آخر بين المجلسين

ويناظرهم . وهو رسم الرسام فليكس بارياس وقد اجاد في رسمه كل الاجادة في وصف الحماسة الجدلية واللطف الصبياني مقرونين بالقوة الناشئة عن رسوخ في الاعتقاد



احراق الموتى في الهند

الميت ممدود فوق الحطب ورجلان يضرمان النار فيه والدخان بدأ يرتفع منه

﴿ احراق الاحياء والاموات ﴾ كان فريق من سكان الهند يحرقون الاحياء مع موتاهم . فاذا توفي رجل عن امرأة قضي على زوجته بان تُحرق معه اكراماً له ورغبة في ان لا تبقى بعده. والارجح ان عادة احراق الموتى مأخوذة عن قدماء اليونان في جاهليتهم. وقد وصف هوميروس احراق جثة باتروكلوس القائد الشجاع فذكر انهم احرقوا معه بعض اسرى الحرب اكراماً له . واذا كان التمدن الحديث قد ابطل في الهند وغير الهند احراق الاحياء فقد قام في اوروبا جمعيات وعلماء يقولون ان عادة احراق الموتى لهي خير من عادة دفنهم . وقد اذنت لهم الحكومات الاوروبية بانشاء افران خصوصية رسمية لحرق الجثث التي يوصي اصحابها برغبتهم في احراق جثتهم بعد موتهم . اما فائدة هذا الاحراق عندهم فهي حفظ صحة الاحياء لان كثيراً من مكروبات الامراض والاوبئة تعيش في المدافن زمناً طويلاً ثم تنتشر منها بين الاحياء هذا فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة من القبور وافسادها الهواء . والاعتراض الذي يُعترض به على هذه العادة التي من حقها ان تجرح

العواطف الشرقية ان احراق الجثث يحول دون فحصها وتشريحها في المسائل الجنائية اذا ظهرت ضرورة لذلك بعد الموت والاحراق . هذا غير الاعتراض من الجهة الدينية الذي يعترض به اصحاب المذاهب الدينية . فانه لما طلب بعضهم في مصر الاذن بانشاء فرن لحرق جثث الموتى فيها اذنت الحكومة المصرية بذلك واصدرت به امراً رسمياً ولكنها اشترطت في هذا الامر ان لا يُقبل للاحراق في هذا الفرن جثة لمسلم . واول جثة احرقت في اوروبا كان احراقها في فرن في ميلان في ٢٢ يناير سنة ١٨٧٦ . وهذه العادة آخذة اليوم في الشيوع والانتشار وبعضهم يزعم انها ستكون شريعة للموتى في المستقبل . وكثيرون من خاصة العلماء يفضلون ان تحرق جثثهم بعد موتهم على دفنها

باب التقريظ والانتقاد

حواء الجديدة أشرنا في الجزء الخامس الى هذه الرواية الجميلة التي وضعها جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني ومؤلف الكتب والروايات الاجتماعية المفيدة المنشور اعلانها في صفحة الاعلانات في هذا الجزء . وقد وصل حضرته الى نيويورك في منتصف الشهر الجاري فلقي من افاضل المهاجرين وادبائهم ما يستحقه فضله وادبه من الحفاوة والاكرام . وقد كتب الينا احد اصدقاء الجامعة الخصوصيين جناب شبل افندي دموس وهو كاتب فاضل من عقلاء السوريين في الداخلية يقول ضمن كتاب خصوصي « ان قدوم نقولا افندي حداد يجعل نصيب المهاجرين من رجال العلم والادب وافراً . وربما كانت نهضة المشارقة في الغرب اعظم منها في بلادهم في زمن قريب . واني بعد انتقال الجامعة الى نيويورك وقدوم حداد افندي اليها لاكثر رغبة في الاقامة فيها مني من قبل . اذ لي شغف باهل العلم دونه شغفي بالحسان في زمن الصبى »

قلنا والفضل يعرفه اهله وذووه . والذى يرتاح الى مصاحبة اهل العلم والادب وتنشيطهما والاعتراف بمزاياها مع كساد بضاعتها عندنا بالقياس على رواجها عند الامم الراقية انما يدلّ على فضله وجودة طبعه وكرم اخلاقه . والعكس بالعكس

وآخر روايات حداد افندي رواية (حواء الجديدة) التي اشرنا اليها · وليس غرضنا في هذه الفقرة ان نبدي رأينا في هذه الرواية ولكن غرضنا ان ندلّ على منزلة مؤلفها من فنه عند افاضل كتاب مصر نفسها · واليك شيئاً مما كتبه اليه ثلاثة من الكتاب المشهورين في مصر بشأن روايته وقد جعلت هذه الكتب الثلاثة ذيلاً للرواية

قال صاحب مجلة المنار الاسلامية في مقدمة كتابه وهو في اكثر من ثلاث صفحات « رغبت اليّ ان اقرأ قصتك الجديدة (حواء الجديدة) واكتب اليك برأيي فيها واثرها فيّ بعد القراءة · اراك احسنت في التصوير والتخييل واعتصمت بحبوة النزاهة والادب في التعبير واراني استعبرت لغير ما عبارة في القصة · اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفاً عندي · قرأت وسمعت فيه شيئاً من الافرنج وفكرت فيه كثيراً ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما عملته عنهم »

وكتب حضرة الدكتور شبل افندي شميل المشهور كتاباً في اربع صفحات قال فيه « لم تقع (حواؤك الجديدة) تحت نظري حتى استغوتني كما استغوت حواء آدم من قبل فقمت اطالعها ولا الوي على شيء حتى استنفدت في قراءتها بعض ليلة ويوم · وقد اعجبني جداً منهاجكم فيها اذ جعلتموها في اسلوب رواية اجتماعية حسنة السبك مؤثرة منبهة تشوق القارىء الى مطالعتها وتؤثر في عواطفه وقائعها وتستفز حميته مظالمها حتى اذا انتقل من ذلك الى اعمال الفكرة في نظام الاجتماع لم يقف عند هذا الحد من الحيف بل بدت له معايبه الكثيرة في شرائعه وعاداته واحكامه التي لم يُنظر فيها الا الى تأييد جانب القوة وهضم حقوق الضعيف في كل اموره حتى جاء نظامه المصطنع مخالفاً لمبداء نظامه الطبيعي »

وكتب صاحب مجلة الهلال كتاباً في اربع صفحات منه « فلما جاءتني روايتك لم ارَ بدّاً من قراءتها قياماً بالواجب فبدأت بتصفحها وانا اصبر نفسي على ذلك لاني اكثر رغبة في مطالعة كتب التاريخ والعلم مني في مطالعة كتب الفكاهة · ولكنني ما كدت اتصفح بعضها حتى خيل لي اني اطالع كتاباً فلسفياً علمياً اخلاقياً · فبعد ان كنت اصبر نفسي على المطالعة اصبحت لا اصبر عنها واستغرقت في الموضوع ولذّ لي اعمال الفكرة فيه فاعجبني ما تضمنه الكتاب من الادلة على فساد الرجل والحاقه عار فساده بالمرأة · فهو يأكل الحصرم وهي تضرس · فتمثلت لي فظاعة ذلك الامر تمثيلاً واضحاً · ولم اعجب من اجادتك في وصف العواطف وتشريح الاخلاق فقد عهدتك من نوابغ هذا العصر في هذا الشأن ومؤلفاتك شاهدة على ذلك · وانما اعجبت ببراعتك في اسلوب تعبيرك عن حال ايفون

(في صفحتي ٤١ و ٦٤) وغيرها وانتقادك العادات الشائعة في الزواج وتربية البنات بين اظهرنا وتبيانك ما يقع على المرأة من الظلم في احكام الناس وما تقاسيه في سبيل المحافظة على شرفها وانها تشترك في الذنب مع الرجل وتتحمل العقاب وحدها . سبكتَ ذلك في سياق رواية غرامية ضمنها من القواعد الاجتماعية والمبادىء الادبية الاحساسية ما يجدر ان يكون مثالاً يُنسج على منواله لا سيما في حالتنا الحاضرة وهيئتنا الاجتماعية في اوائل انتقالها الى نظام التمدن الحديث ولا يزال معظمها فوضى» الى ان قال « وبين ظهرانينا عشرات من العادات الاصيلة والدخيلة تفتقر الى اصلاح واصلاحها ميسور وقريب وانما نحتاج الى من ينبه اليها تنبيهاً موءثراً وليس افضل من الروايات للوصول الى هذه الغاية اما على المراسح او في الكتب لعكوف الناس على مطالعة الروايات كباراً وصغاراً — فاقترح عليك باسم آداب هذه اللغة ان توءلف الروايات في تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب مثلاً ولا سيما المستتر منه وراء المجاملة مع الحث على اتباع الصدق ونحوه من الفضائل . الف في بيان فظائع المقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي نئن تحت اعبائها — على ان الروايات على نحو ما بسطته لي « حواء الجديدة » كبيرة الاهمية وتفتقر الى قريحة وقادة وعلم واسع الخ . . . .

ويلي هذه الكتب كتاب من جناب المحامي الفاضل ابرهيم افندي جمال وقد كان كتابه اشد الكتب على ايفون مونار التي عليها مدار الرواية . وقد اثنت صحف مصر والشام في الشهر الماضي على الرواية وموءلفها ثناء يجزيه عن تعبه في وضعها

هذه منزلة الكاتب الجديد الذي انضم الى جمهور المهاجرين هنا في صناعة الادب . والجامعة تعيد هنا ما نشرته في الجزء السابق من سرورها وسرور افاضل الناس هنا بانتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين المفيدين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة

﴿ الزهرة ﴾ هي مجلة عمومية ادبية ظهرت في كليفلند من اعمال الولايات المتحدة لمنشئيها حضرات اسعد افندي خوري وسليم افندي عازار . فالجامعة ترحب بهذه الرصيفة الجديدة وترجو لها كل نجاح

﴿ جمعية الاتحاد في سانتو ادواردو ﴾ وردنا البيان السنوي لجمعية الاتحاد السوري في سانتو ادواردو في البرازيل وقد انشأها بضعة من ادباء السوريين هناك لغرض حميد وهو مساعدة المرضى والضعفاء مما يوجب لحضراتهم الثناء

كتاب جديد

كلمة شاعر في وصف خطب نادر

هو كتاب شعري عني بوضعه جناب الناظم الناثر البليغ امين افندي ضاهر خيرالله. وموضوعه نظم حادث الزلزال في سان فرنسيسكو متحدياً في نظمه ايلياذة هوميروس المشهورة اليونانية والعربية . وقد صدر عن نيويورك في آخر هذا الشهر

والعادة ان المجلات والجرائد تقرظ الكتب التي تهدى اليها بقول يجعلها كلها متشابهة متقاربة. وذلك اما لان تلك الكتب لا تستحق العناية بها فيرضي الكاتب صاحبها بشيء من التقريظ المبهم . واما لكسلنا نحن معاشر المقرظين للكتب فلا ننظر فيها . على انه من الظلم لهذا الكتاب الشعري الذي تعب امين افندي في نظمه تعباً ما وراءه تعب ان يُفعل به ما يُفعل بالكتب التي اشرنا اليها . فان الناظم تناول حادث الزلزال من اوله الى آخره واطلق العنان لقريحته في مضماره فلم يترك بحثاً في الموضوع الاّ طرقه من الجهة الادبية والعلمية والوصف الاخباري والعلمي فجاءت قصيدته تاريخاً للحادثة . وقد قسم القصيدة الى فصول كل فصل منها اربعة ابيات ومجموع فصولها ٢١٠ فيكون مجموع ابياتها ٨٤٠ بيتاً . والفصول المذكورة مشروحة ومفسرة تفسيراً مفيداً . واحسن ما اعجبنا فيها جمعه آراء العلماء في اسباب الزلزال المذكور ولعل هذا بيت القصيد . واذا كان شعر هذه القصيدة المفيدة يحتاج الى سمو الخيال الذي هو القوة الحقيقية للشاعر وبدونه لا يكون الشعر شعراً فان القارىء يعتاض في الكتاب عن هذا الامر بما اجاد فيه مؤلفه من نظم الحادثة بدقائقها الكلية والجزئية مقرونة بفوائد ادبية وعلمية ولغوية . ولو كان شعراء مصر المجيدون يجعلون دواوينهم ومنظوماتهم على هذا المنوال لكانت آثارهم الادبية اكثر رواجاً واجلّ فائدة

فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب لفائدته وجزاء صاحبه عن تعبه فيه . وهو يطلب من مؤلفه في نيويورك او من ادارة الجامعة . وفي مصر يطلب من مكتبة امين افندي هنديه بالموسكي وثمنه نصف ريال

فلما رأت مريم يوليوس يسترسل في تسكين بالها والاعتذار اليها ابتسمت واجابت انك تظن انني ابكي يا يوليوس والحقيقة انني لا ابكي . ثم ضحكت ونادت باعلى صوتها : حنه حنه ، وقالت له الا تريد توديع حنه قبل سفرك

فدخلت حنه وحيت يوليوس فاخبرتها مريم خبر سفره ، وبعد برهة كان يوليوس على جواده عائداً الى اورشليم من حيث أتى

وفي عودته من البيت الاسود مرّ بين الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق في سفح الاكمة فافسح له الصبية الطريق بخوف ورهبة خشية ان يكون احد الشياطين السبعة قد علق به في ذلك البيت . وكانت مريم قد خرجت من غرفتها الى الكرم طلباً للهواء النقي لانها شعرت بثقل الهواء في غرفتها وضيق صدرها بعد حديثها مع يوليوس وسفره . فتبعتها حنه وشيشرون ليشاهدا جواد يوليوس بعدو . وكأن مريم شعرت بخطاءها في خروجها في ذلك الحين من البيت لازدياد المها فنكصت راجعة الى غرفتها . ولكنها لم تخطُ خطوتين حتى انطرحت على الارض مغمى عليها وهي تصرخ صراخاً شديداً واعضاؤها تتشنج تشنجاً مخيفاً

فهرعت اليها حنه مع شيشرون وهو يتوكأ على عصاه . ولم يفت هذا المشهد الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق . فلما شاهدوا مريم تنطرح على الارض وتصرخ متشنجة ذلك التشنج هلعت قلوبهم واصفرّت وجوههم واخذوا يعدون نحو القرية . ولما بلغوها اخذوا يقصون على اهلهم ما راوه بجانب البيت الاسود وهم يلهثون من التعب والذعر . فقال احدهم انه رأى ثلاثة شياطين ترقص فوق جثة المرأة وتضحك لصراخها . وقال آخر انه راى شيطاناً راسه في السحاب وقدماه على التراب بجانبها وهو يدوس بهما حيناً بعد حين على بطنها . وكان اليوم يوم سبت فاجتمع اهل القرية في معبدهم يقرأون الزبور والتوراة طلباً لله ان يبعد عن قريتهم هذه المرأة وشياطينها

الفصل الثالث

﴿ سنيكا الاديب وسنيكا الفيلسوف ﴾

ولما انصرف المجدليون من معبدهم قصدوا الخلاء خارج القرية وهم ينظرون شزراً الى البيت الاسود الذي كان قائماً على الاكمة امامهم . وكان الرجال والنساء يسيرون متلفتين

بخوف واضطراب نحو البيت ويتطاولون لرؤية ما فيه من بعيد اما الاولاد فكانوا يركضون لاعبين امامهم غير مبالين بشيء لان حوادث الدهر مهما جلت وعظمت لا تقيم في اذهانهم الصغيرة الخالية الا مدة قصيرة . فلما صار الجميع خارج القرية يتنعمون بنور الشمس والهواء النقي مروا ببغلين يرعيان العشب وبجانبهما مكاريان يتناولان طعاماً على عباءة فرشاها امامهما على العشب . وكان المكاريان صاحبينا يوسف وبولس . فاستوقفا احد الاولاد وهما يا كلان وسألاه عن سبب الاجتماع . واذ علما به ضحك يوسف وارتعدت فرائص بولس . فقال ليوسف انك تغيظني بضحكك يا يوسف وانني اقسم بالزبور والتوراة ان هذه آخر سفرة لي الى هذه القرية الملعونة « المسكونة » (١) فازداد يوسف ضحكاً وقال ما قولك يا بولس اذا جاءك الآن احد يطلب منك اركابه بغلك الى هذا البيت اترد طلبه وتخسر الاجرة

فوثب بولس هنا عن الارض كما بدفع دافع وصاح بغضب . استعيذ بسيدنا داود وسيدنا سليمان من مزاحك البارد . وهل تظنني فقدت عقلي حتى القي بنفسي وبغلتي بين الشياطين . وماذا تفيدني الاجرة القليلة التي اقبضها لنقل رجل الى هذا البيت الملعون اذا علق بي او ببغلتي او بنا كلينا احد الشياطين السبعة الساكنين في الساكنة في هذا البيت . فان هذه الشياطين الملعونة تكره الاقامة في جوف امرأة قذرة فضلاً عن انها اعتادت التنقل ولا يمكنها الثبات في مقام . وكانك لا تعرف ايها المسكين ماذا يصيب الشخص الذي يسكنه شيطان فانا اخبرك خبره فقد سمعته من رفيقي المكاري اندراوس في جنيساره . فان المسكون يشعر اولاً ان شيئاً كقضيب من حديد محمي أُدخل في جوفه من عجزه الى قمة راسه فيغيب عن الوجود ويغمى عليه لان الشيطان يقبض روحه بيده ويطير بها في اعالي الجو لتعذيبها هناك ويترك الجسم على الارض . ولذلك يأخذ هذا الجسم في الاختباط والتشنج والاضطراب لشوقه الى روحه ورغبته في استردادها . ولما يصير الشيطان مع الروح في الجو يأخذ الشيطان في تعذيبها وهو ضاحك مشروح الصدر . فتارة يضغط عليها بقبضتيه فيخنقها ثم ينفخ فيها فيعيد الحياة اليها . فتعذب الروح بذلك عذابين عذاب الموت وعذاب الولادة ثانية اي العود الى الحياة . وطوراً يأخذها من فوق السحاب ويقذف بها الى الارض بقوته الجهنمية فتصير قطعاً قطعاً . فيهبط اليها بجناحيه الهائلين كانه تنين هائل هابط من السحاب فيجمع قطعها بذنبه الطويل المخيف ثم يمسها مساً باصبعه فتعود كما كانت . وآونة يربطها بطرف ذنبه

(١) اي المسكونة من الشياطين وهو تعبير كان عامياً في ذلك الزمن ولا يزال كذلك اليوم في فلسطين والشام

ثم يديرها به في الهواء كما يُدار المقلاع للرمي به وحين يبلغ دورانها اشدّه يرمي بها الى بعيد كما يرمى السهم فربما وقعت في اورشليم مثلاً اذا رميت من هنا . وبعد ذلك يكفي ان يمدّ اليها من اعالي الجوّ راس ذنبه ويحركه بعض الشيء ضاحكاً صافراً بفمه الهائل فترى تلك الروح المسكينة قد انجذبت اليه من تلقاء نفسها . واحياناً ينفخ عليها بنفسه الناري فيذيبها شيئاً فشيئاً كما يذوب الثلج بحرّ الشمس ثم يأخذ ذائبها ويبدّل نَفَسه الناري بنفَس ثلجي وينفخ عليها فتعود كما كانت . فهل انت مجنون يا يوسف لتعتقد انني القي بنفسي وبغلي المسكين في هذه التهلكة الهائلة

ولم يكد بولس يتم كلامه حتى سُمعت قهقهة من وراء فالتفت المكاريان فابصرا تحت شجرة على مسافة مائة متر منهما رجلين جالسين في ظل الشجرة وامامهما رجل ثالث واقف يحادثهما ويضحك . ثم نهض الرجلان وسارا يقصدان المكاريين يوسف وبولس . والرجل الثالث يتبعهما

وكان احد الرجلين شيخاً طاعناً في السن يقارب سنه الثمانين . والثاني شاباً يقارب سنه العشرين (١) وكانت ملامح وجهيهما متشابهة فالذي يراهما لا يشك في ان بينهما نسباً . فقد كانا طويلي القامة عظيمي الهامة شعرهما مسترسل على رقبتيهما ووجههما ضخم مستدير تلوح عليه لوائح الهيبة والسكون كانهما ممن اعتادوا التامل والروية . ولاكبرهما سناً لحية بيضاء تطوّق وجهه . ولكليهما جبين متسع تحتهما عينان قويتان هادئتان تدلان على نفس جمعت بين نقيضين : قوة الحركة والسكون (٢)

ولما بلغ الرجلان الى المكاريين انبرى الشاب وقال باللغة اللاتينية . انؤجراننا بغليكما الى مسافة قريبة . ولما لم يفهم المكاريان كلامه انبرى الرجل الثالث الذي كان يتبعهما وقال لهما ذلك القول باللغة العبرانية السريانية لغة اهل فلسطين في تلك الايام . وكان هذا الرجل ترجماناً اسرائيلياً قدم مع الرجلين في سياحتهما

فنهض المكاريان مسرورين لاعداد بغليهما . ولكن بولس سال الترجمان الى اين

---

(١) ولد سنيكا الاب في سنة ٦١ قبل الميلاد وتوفي في سنه ٣٠ بعده . وهو تقريباً الزمن الذي شرع فيه يسوع يعلم . وولد سنيكا الابن في سنة ٢ بعد الميلاد وتوفي في سنة ٦٦ بعده وابتدأت حوادث هذه الرواية حين كان سن يسوع ٢٠ سنة

(٢) صفات سنيكا الاديب « الاب » وسنيكا الفيلسوف « الابن » هنا ماخوذة من تمثال برونزي لسنيكا في متحف نابولي ورسم للرسام المشهور روبان

يقصد سيداك الخنزيران . فعبس الترجمان وقال "اسكت ياملعون لانني اخاف ان يفهما كلامك . ثم اجابه انهما يقصدان الاكمة القريبة التي عليها ذلك البيت الاحمر "

فلما سمع المكاريان هذا الكلام عبس بولس وانتفض من الغضب وضحك يوسف حتى قهقه . وقد ابى بولس اباءً شديداً اركاب بغله الى تلك الاكمة . وبعد جدال شديد بينه وبين رفيقه يوسف اتفقا على ان يُركباهما الى سفح الاكمة وهناك يقبضان اجرتهما و ينصرفان . ولما علم الشيخ والشاب بهذا الشرط ضحكا لانهما كانا قد سمعا وهما تحت الشجرة حديث المكاريين . وقال الشيخ للشاب : لولا سني وضعفي لما كلفت هذا المسكين عناء نقلي الى مكان يحاذر الدنو منه . فانني اشفق ان تطير نفسه الساذجة شعاعاً لوهم بتوهمه هناك . فاجاب الشاب . علينا يا ابتاه نحن معاشر الرومان اسياد هذه البلاد ان نكون اوصياء على اهلها . فاوهامهم وخرافاتهم التي لا تزول باللين واللطف يجب علينا ازالتها بالقوة والعنف

فركب الشيخ والشاب وسار المكاريان والترجمان وراء البغلين . وبعد برهة قال الشيخ . ان ما قلته الآن يا لوسيوس مخالف لمبداءنا في سياسة الامم على خط مستقيم . فنحن لا نطلب امراً من الامم التي نملك بلادها غير الطاعة والجزية وتركها موالاة اعدائنا . اما اوهامها وخرافاتها واديانها ومبادئها فلا نتعرض لها (١) وفعلنا هذا حسن يا بني لعدة اسباب منها اننا اذا اردنا استئصال الاوهام والخرافات وجب علينا ان نبداء بالتي عندنا في بلادنا بين قومنا

وكان بولس يسير وراء بغله خائفاً ونظره يتجه حيناً بعد حين نحو البيت الاحمر على الاكمة . اما يوسف فكان يسأل الترجمان عن الرجلين . فاخبره الترجمان ان الوالي الروماني في اورشليم لما علم بقدومهما الى هذه البلاد خف لاستقبالها اعظم استقبال لانهما من عظماء رومه . وقد سار بنفسه يريهما آثار المدينة وشوارعها . وفي ذات يوم اخبراه عن رغبتهما في السياحة في داخل البلاد فحذرهما من هذا الامر بحجة ان المتحمسين منا كثيرون فيخشى ان يصيبوهما باذى خاصة في هذا الوقت الذي اشتد فيه الاضطراب وطمحت انظار شعبنا الى رجل يقوم لطرد الرومانيين من بلادنا واعادة سيادتنا على العالم . ولكن لما رأى اصرارهما على مشاهدة البلاد والعباد في هذه الارض التي يزورانها مبتسمين مزدريين بها دعاني اليه لما يعرفه من قدرتي على حمايتهما لدى قومنا وعهد الي السفر معهما . ثم قال لي « لم ارسل معكم جنداً لحراستكم لاننا لا نتخذ جنداً من هذه الامة . والجنود الرومانية اذا

(١) رنان « تاريخ المسيح وتاريخ بني اسرائيل » مونتسكيو « اسباب عظمة الرومان »

ظهرت ملابسها واسلحتها في داخل البلاد كان ظهورها سبباً في الهياج عليكم بدل حمايتكم »

ففتل هنا بولس شاربيه ورفع راسه وقال معتزًا أرايتم كيف يخاف هؤلاء الخنازير منا . آه لو كان سيدنا داود او سيدنا سليمان عائشاً في هذا الزمن فانه كان اغرقهم جميعاً في بحر طبريا وفتح بلادهم حتى رومه

فضحك يوسف وقال اذا كان جنده شجعاناً مثلك يخافون حتى من الدنو من هذه الاكمة فانه لا يقدر ان يفتح حتى باب قصره

فسخط بولس وقال أ بلغت بك القحة وحب المزاح ان تهزأ حتى بسيدنا داود حقاً يا يوسف انك اصبحت ثقيلاً

فقال يوسف بجد كلا لا امزح ايها الابله وانما اقول الحق . أتظن شعبنا مع ما طرأ عليه من الذل والضعف والتشتيت مراراً واهمال الرؤساء تربيته الاجتماعية العسكرية الاولى وفقده الحماسة والجامعة القديمة — اتظنه الان مع ما تقدم قادراً على الثبات امام جبابرة الرومان وجندهم الكثيف وقوادهم الابطال

فتحمّس بولس وقال . انك مخطئ في قولك اننا فقدنا حماستنا . أما سمعت بمتياس الذي قتل في ذلك اليوم رجلاً في طبريا كان يعترض على شريعتنا . فاية حماسة اشد من بذل انسان نفسه في سبيل الدفاع عن شريعته (١) واية جامعة افضل من هذه الجامعة . ثم ايها المسكين أتنسى « جشوان . مشيا » (٢) الذي ننتظره لانقاذنا واعادة مملكتنا . فهل تزعم ايضاً انه اذا جاء الان ملكنا جشوان يعجز عن قهر خنازير الرومان وطردها عنا

فهمّ يوسف بالجواب ولكن الشاب لوسيوس نادى في هذا الحين الترجمان والمكاريين فدنوا منه فقال الشيخ للترجمان ان لوسيوس راى خوف هذا المكاري « واشار الى بولس » من الدنو من الاكمة والبيت الاحمر الذي عليها لاعتقاده ان الشياطين تسكنه وتسكن المراة المسكينة المقيمة فيه . وبناء على ذلك يرغب في ان تكون ترجماناً بينه وبين هذا المكاري ليحدثه حديثاً ينفعه . فترجم بينهما

فقال الشاب لوسيوس ما اسم هذا المكاري فاجاب الترجمان اسمه بولس . فقال لوسيوس . بولس بولس . انني اجد هذا الاسم جميلاً . وقد حلمت امي يوماً بان الناس

---

(١) كانوا يسمون هؤلاء القتلة « غنايم » او « القتلة الدينيين »

(٢) معنى جشوان بالعبرانية « جيوفاه المخلص » وجيوفاه الله . ومشيا المسيح . وكلا الاسمين يطلق على المنتظر عند اليهود وكانوا كثيري اللهج به في تلك الايام

سيكذبون عليّ في آخر حياتي ويصنفون عن لساني رسائل الى شخص يدعى بولس (١) وقد خافت ان يكون ذلك لدسيسة سياسية . فسل بولس عن لساني من اين علم ان المرأة التي رآها صبية القرية تخبط وتتشنج على الارض امام بيتها يسكنها سبعة شياطين . فاجاب بولس علمت ذلك من رفيقي يوسف ومن احد اولاد القرية . فقال لوسيوس انك علمت منهما انها تخبط وتتشنج في حال غيبوبتها . وهي مشاهدة حقيقية . ولكن الا يمكن ان يكون لذلك علة غير الشياطين . ففتح بولس فاه كمستغرب وقال وما عسى ان يكون سبب ذلك غير الشياطين . وكيف تذهب روحها منها وتغيب عن الوجود اذا لم يخطف الشيطان روحها ساعة او نصف ساعة . فاجاب يوليوس انني الآن اذا نزلتُ عن بغلي والتقتُ هذا الحجر الذي هناك وضربتك به على رأسك ضربة شديدة فانك يغمى عليك وتغيب عن الوجود فهل ذلك دليل على انه دخلك شيطان ام يكون سبب غيبوبتك ضربك بالحجر على رأسك . فسكت بولس ولم يجب . فقال لوسيوس وهل تظن ان الشياطين موجودة في هذه البلاد دون غيرها ام توجد في غيرها . فاجاب بولس لا اعلم . فقال لوسيوس انني اعرف رجلاً يونانياً (٢) رأى في بلاده كثيرين من الرجال والنساء الذين يُصرعون ويقولون عنهم ان الشياطين تسكنهم . وقد كتب في هذا الموضوع كتاباً تقدَّم به آراء العلماء في المستقبل وسأترجم لك شيئاً منه اذا اردت عند عودتنا من الاكمة لانه بين امتعتي في مجدل . وهو يقول ان ذلك الصرع « او الشياطين كما تقولون » علة تصيب الجسم وداء ناشئ عن هياج الدم والاعصاب . وهو يسميه « العلة المقدَّسة » لانه كثيراً ما يصيب المجانين ولبعض الناس راي في تقديس المجانين . فهذه المرأة المسكينة التي اخذتنا الشفقة عليها بعد ما سمعناه من حديثك مع رفيقك وما استفاده ترجماننا من اولاد القرية وما بلغنا عنها في غير هذا المكان – انما هي مصابة بداء بشري ومرض اصبح اليوم سببه معروفاً . ولا دخل للشياطين فيه

فبهت هنا بولس وصار ينظر الى يوسف ويوسف ينظر اليه مدهوشاً ايضاً . فاستأنف

---

(١) اشارة الى ثلاث عشرة رسالة يزعم بعضهم ان سنيكا فيلسوف الرومان العظيم « وهو هنا الابن » كتبها من رومه الى الرسول بولس ولكن المحققين يرجحون انها رسائل مختلقة . على ان اختلاقها قديم جداً لان القديسين اوغوسطينوس وجيروم يشيران اليها في كتاباتهما

(٢) هو ابوقراط المشهور ولد سنة ٤٦٠ قبل الميلاد

لوسيوس كلامه قائلاً · وسترانا الآن بعد وصولنا الى البيت نمسك يد تلك المرأة المسكينة ونرش وجهها وصدرها بالماء ونقيم في البيت ما اردنا دون ان نخاف شرًا ولا ضرًا · فهل فهمت الآن سبب علة هذه المرأة؛

فهزّ بولس راسه وقال · كان شرطنا ان نركبكم الى سفح القرية · فادخلوا انتم البيت وجسوا يد صاحبته وآخوا شياطينها اذا شئتم · امـا انا وبغلي فلا نخطو نحو البيت خطوة واحدة

فقال الشيخ الاب : هل رأيت يا لوسيوس مبلغ تاثير درسك في نفسه · فانك شرحت له سبب هذه العلة شرحًا جليًا فلم يصدقك ولا بالى بكلامك وربما استصغر عقلك واستقلّ فهمك · فيابني دع البشر السذج في اوهامهم واحلامهم التي ورثوها مع دمائهم ورضعوها مع الحليب منذ نعومة اظفـارهم · وليكن استعمالك العلم والحقيقة كما يستعمل الزارع البزور التي يبزرها في حقله · فانها قد تقع في ارض جيدة فتنمو وتجود · وقد تقع في ارض شائكة جافة رديئة فتموت · ولا يخطر حينئذٍ في بال الزارع ان يرغم هذه التربة الرديئة بان تقبل بزرته وتنميها لعلمه ان ذلك فوق طاقتها · الا اذا اصلحها واعدّ تربتها لذلك الانماء من جديد · وليس البشر كالتربة فانه متى انعقدت الواحهم وخشنت عظامهم لم يبقَ سبيل لتغيير نفوسهم

الفصل الرابع

﴿ الفيلسوفان بجانب فراش مريم ﴾

ولما انتهى البغلان الى الاكمة ترجّل الشيخ والشاب حسب الاتفاق واشارا الى المكاريين ان ينتظراها في السفح · ثم صعدا الاكمة نحو البيت يتبعهما الترجمان

ويظهر ان مَن في البيت ابصروا من النافذة الرجال الثلاثة قادمين نحوهم فهرعت حنه الى النافذة ثم قالت لشيشرون بعد ان انعمت النظر في القادمين — لا اعرف هؤلاء الرجال

فدنا شيشرون من النافذة ورأى منها دون ان يُرى فيها ثم قال مستغرباً . اظنهم من قومي الرومان على ما ارى في ملابسهم

وكان الشيخ اديب رومه وصاحب البيان فيها يصعد الاكمة الهوينا وهو يلهث تعباً من ثمانين سنة كانت تُثقل كاهله

ان الثمانين وقد بُلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وكان يسير وهو يقول لابنه فيلسوف رومه الاعظم في الغد . استاذ نيرون . وعظيم حكماء الرومان

انظر يا بني هذا البيت الحقير الذي امامنا . انه يضم داءين داء الصرع وداء الفساد . واظن ان التبعة فيهما واقعة على رومه التي تريد ان تكون سيدة العالم . أجل يا بني ان هذا الشعب الساذج الصغير كان يعيش في بلاده الساذجة الصغيرة بسكينة وخمول . وكانت حالته ومعيشته منطبقة على اخلاقه وصفاته فكان هادئاً ساكناً راضياً . ولكن ارادة رومه اقتضت احتلال بلاده وادخال مدنيتها وزخارفها وفنونها اليه . فجاء الرومان من كل صوب يعرضون فيه ازياءهم وزيناتهم ويتمتعون على مرأى منه بثرواتهم وخيراتهم وملاذهم المحللة والمحرمة . فماذا يفعل هذا الشعب بازاء هذه المظاهر . انه ولا شك يلتمس الاقتداء بها والنسج على منوالها . ولذلك تنحل في نفسه مبادئه وآراؤه القديمة في الحياة تعلقاً بمبادئ وآراء جديدة لا توافق مزاجه . فينشاء في نفسه عن رغبته في الحياة الرومانية وعجزه عن البلوغ اليها اضطراب داخلي يجعل اعصابه متهيجة على الدوام . فيكثر فيه عدد المتهيجين والمجانين والمصروعين مرضى وغير مرضى . ولكنَّ هذا الهياج والانفعال انما هو مرض واي مرض . اذ به تتبدل اخلاق الشخص وتسوء فيتدرج من هوة الى هوة وربما بلغ اعمق الهاويات ولم ينتبه الى نفسه ولا راى حالته امراً اداً . ولعل هذا اصح تعليل لحالة هذه المراة المسكينة ودائيها اللذين اشرتُ اليهما . فعلى رؤوسنا نحن الرومانيين تقع تبعة هذه المفاسد الاجتماعية ومنا يجب ان تكون اول تعزية واول كلمة حلوة توجه الى امثال هذه المرأة الساقطة المنبوذة من الارض والسماء (١)

(١) على هذا النسق كان كلام سنيكا الاديب لانه كان مشهوراً بالتمحل والكلفة في خطبه وكتاباته . ولا غرابة في تحليله هذا التحليل هنا لانه اشتهر في كتابه « المجادلات » بوصف اخلاق عصره وصفاً لم يجاره فيه احد ولا يوجد في غير كتاباته

الجامعة

الجزء التاسع السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ٢٩ رمضان سنة ١٣٢٤

الروايات العربية وانفعها لنا

التاريخية أم الاجتماعية

نشرنا الفصل التالي في صدر (رواية الكوخ الهندي) التي صدرت عن نيويورك في منتصف هذا الشهر كمقدمة للطبعة الثانية . ونوجه الانظار خاصةً الى ما جاء في آخره عن ترتيب المبادىء والاصول في الآداب الكتابية والمذاهب الفلسفية في الشرق بين آراء كتّابه

ان الكوخ الهندي ثاني كتاب اشتغل المعرّب بوضعه . اما الكتاب الاول فهو (المرأة في القرن العشرين) للفيلسوف جول سيمون وهو كتاب ادبي فلسفي اجتماعي يعين وظيفة المرأة في هذا القرن ولم يُنشر بعد مع ان مؤلفه رحمه الله اذن قبل وفاته للمعرّب بنشره في كتاب خصوصي منه . وقد عرّب المعرّب الكوخ الهندي في سوريا في سنة ١٨٩٥ اي منذ احدى عشرة سنة . ولما نُشر هذا الكتاب في مصر سرّ به القراء سروراً عظيماً . وكتب الينا

بعضهم يقول انه لم يقع له قط في حياته انه تأثر بمطالعة كتاب تأثره بالكوخ الهندي ومبادئه الجميلة. لانه شعر بعد مطالعته انه اصبح افضل وارقى منه قبل مطالعته

ولم نذكر هذا الامر هنا بيانًا لفضل مبادىء هذا الكتاب فانها في غنىً عن ثناء المعرّب . ولا يلذ لنا في جميع الكتب التي نشرتها الجامعة كتاب اكثر مما يلذنا هذا الكتاب . ولذلك كلما وقع تحت يدنا اتفاقًا تناولناه وقرأنا فيه الحوار بين العالم الانكليزي والخارجي وسرد الخارجي تاريخ حياته. ويخيل لنا حين قراءة تلك الفصول انها صورة حقيقية لعالم الكمال الذي ينشده الفلاسفة واهل العقول

وانما ذكرنا ما تقدّم استطرادًا الى ذكر السبب الذي اوجب ارتياح القراء اليه . وهو موضوع يجرّنا الى بسط وظيفة الروايات وانواعها والغرض منها . والذي حملنا على طرق هذا الموضوع في هذه المقدّمة ما نقرأه احيانًا لبعضهم من الكلام في الروايات وانفعها للشرق وابنائه

بسطنا في غير هذا المكان (١) رأينا في وظيفة الروايات والشروط اللازمة لواضعها فلا نبحث هنا فيها . وانما نبحث في اهم الروايات وانفعها لنا. ومتى قلنا « اهم الروايات وانفعها لنا » خرجت منها الروايات التي يُقصد بها التفكهة وقطع الوقت وهي التي يتجر بها اصحاب المكاتب والمطابع الصغيرة. وانحصر كلامنا في الروايات التي يضعها مؤلفوها لفائدة يقصدونها . وبحثنا هنا في امرين

(الاول) ما هي الفائدة التي نحن اشد احتياجًا اليها في الشرق

(والثاني) اي نوع من انواع الروايات يوصلنا الى هذه الفائدة

الامر الاول ـ كلنا نبحث في داء الشرقيين ودوائه . وكل واحد منا يشخص العلة من وجه ويصف لها الدواء الذي يراه . فبعضهم يقول داؤنا السياسة وغيره يقول داؤنا الرئاسة. وآخر يقول داؤنا انحطاط التجارة والصناعة والزراعة وعدم وجود قوة سياسية تحميها في داخل الامة وفي خارجها . وغيرهم يقول ان داءنا تعدد عناصرنا ومذاهبنا واستحكام الانقسام والبغض في نفوسنا. وآخر يقول لا بل داؤنا تربية مدارسنا فانّ دروسها وتربيتها لا تنطبق على حاجاتنا واخلاقنا. وآخر يقول لا بل داؤنا منازعة الاجانب لنا « الرزق والسيادة » في بلادنا منازعة تحول دون اصلاح شؤوننا

---

(١) نشرت الجامعة في الجزء الثامن للسنة الخامسة مقالة عنوانها (انشاء الروايات العربية والشروط الواجب اجتماعها في واضعها)

على ان المتامل البصير الذي الف النظر في اخلاق الامم ومعرفة الاسباب التي ترفعها وتحطها يرى بعد اعمال الفكرة في جميع الوجوه التي تقدمت ان هنالك سبباً فوق جميع تلك الاسباب . ولا مشاحة في ان تلك الاسباب اسباب حقيقية للانحطاط ولكنها في الحقيقة اسباب فرعية اي مسببات لا اسباب . واما السبب الذي اشرنا اليه هنا فهو الاصل الذي تتفرع منه جميع بلايا المشرق وهو (عدم وجود الشخصيات الراقية بين ابنائه)

قد يمكن ان ترتفع الاسباب السياسية والدينية . قد يمكن ان تروج التجارة والصناعة والزراعة . قد يمكن ان تتحد عناصر الامة ومذاهبها بتأثير بدر قوية تحسن ادارة ازمة الاحكام . قد يمكن ان تعود اوروبا الى رشدها فتنظر الى بلاد الشرق نظرها الى امم تريد لها الحياة لا الى مستعمرات . كل ذلك قد يمكن ان يقع باعجوبة او بغير اعجوبة . ولكن وقوعه وحده لا ينيل الشرقيين ما يتمنونه من صيرورة اممهم امماً عزيزة راقية . بل يقيمون حينئذٍ على دورانهم في دائرة الانحطاط التي كانوا يدورون فيها حين كانوا اذلاء ضعفاء فقراء . تراهم يركضون ويجدّون ويجمعون المال اكداساً الى اكداس فتخالهم صاعدين مرتقين والحقيقة انهم ما زالوا يدورون ضمن تلك الدائرة . انهم كانوا من قبل فقراء منحطين فاصبحوا بعد رواج اعمالهم اغنياء منحطين . وربما زادهم الغنى انحطاطاً لان الثروة تبطر صاحبها اذا لم يكن اهلاً لها فضلاً عن انها تسهل له من اتيان الكبائر والصغائر ما كان عاجزاً عنه قبل الوصول اليها

بعد ما تقدم تتضح لنا الاسباب في وجود مسائل نشكو ونعجب منها جميعاً . فاننا نعلم بعده لماذا لا نعتبر اممنا امماً مجموعة بجامعة يحترمها الجميع ويخدمها الجميع بل نعتبرها افراداً متفرقين ولكل واحد منهم مصلحة خاصة يسعى اليها . ولماذا يبتسم اكثرنا مزدرين ضاحكين حين يسمعون كلمة (المصلحة العمومية) . نعلم لماذا الذين اصبحوا منا قادرين على النفع بثروتهم التي حصلوها (بطرق مختلفة) ليس لهم همّ الا التمتع بها بوقاحةٍ وبلهٍ دون ان يعملوا شيئاً نافعاً للامة التي خرجوا منها وتحمل كل اثقالهم . نعلم لماذا حكامنا وروءساؤنا مدنياً ودينياً متى وُلّوا شأناً عمومياً استخدموه لجر النفع الى انفسهم لاعتبارهم الرعية بقرة حلوباً . نعلم لماذا نرى الاقوال عندنا كلها سامية جميلة والاداب الاجتماعية والسياسية في ارقى مظاهرها في الظاهر ولكن الافعال والبواطن مما يُضحك ويُبكي . نعلم لماذا لا نقدر على الاجتماع والتعاون ففقدنا بذلك اعظم القوات والعوامل في رفع الامم كانشاء الجمعيات المختلفة للعلم والادب والزراعة والصناعة والتجارة التي عليها مدار الارتقاء في هذا العصر وبدونها لا يقدر

الفرد ان يصنع شيئاً عظيماً او يحصل حقاً ضائعاً . حتى قال بعضهم في اوروبا ان جمعيات العملة والزراعة والتجارة والصناعة هي التي تسوق اليوم السياسة والساسة في سبيل الارتقاء بقضيب من حديد

فالدعوة الى « ايجاد شخصيات راقية » في الشرق وتسهيل السبيل لها هي خير ما يُخدم به الشرق وابناؤه . وهذه الشخصيات الراقيـة توجد اما في الهيئة الحاكمة وحينئذٍ ترقي الامة وتوجد فيها شخصيات راقية طوعاً او كرهاً واما في الهيئة المحكومة فتلزم الهيئة الحاكمة سبل الرشاد والسداد طوعاً او كرهاً . وارتقاء كل امة انما يقاس بعدد الشخصيات الراقية التي فيها . وهي نتيجة تهذيب النفس والعقل وثمرة اختبار المبادىء الكريمة فيها وتأثير الوسط الذي يعيشان فيه جيلاً بعد جيل . وما « الاصلاح الاجتماعي » الذي يدوي صداه في آذان الناس في هذا العصر الا هذا الاصلاح

على ان مقدمة رواية كهذه المقدّمة لا تحتمل هذا البحث وليس هو من مواضيعها . وانما جرّ الكلام اليه مـا قصدناه من بيان المبداء الاول الذي يحتاج الشرق اليه وبدونه لا تقوم له قائمة لانه يبني على غير اساس . فانفع المطالعات لابناء الشرق ما كان موضوعه « الاصلاح الاجتماعي » الذي تقدّم ذكره . الذي اهم اغراضه ومراميه « ايجاد شخصيات راقية »

الأمر الثاني ـ « ايُّ انواع الروايات توصلنا الى الفائدة التي تقدّم ذكرها في مقدمة الكلام » . وهذا هو موضوع هذه المقدمة الحقيقي

ان في الطبيعة البشرية عادة مألوفة وهي « جرّ الانسان الحبل لصوبه » كما يقول العوام . فكل انسان يدعو الى مبداءه ومذهبه ويقبح راي غيره . واحيانـاً يكون هذا التقبيح مضحكاً واحياناً يكون مقبولاً . وانما يكون مضحكاً متى كان المقبح لا يرى الا بعين واحدة فاما ان يجهل ما في رأي غيره من الصواب واما ان يتجاهله لترويج بضاعة او لاعتقاده حقيقة انه غير صواب . ومذهب « الجامعة » ومبادئها في رواياتها وغير رواياتها معروفة عنـد قرائها فلا حاجة الى بسطها لتبيان فضل « الروايات الاجتماعية » عندها على سائر الروايات . ولكننا مع هذا لا نجرُّ الحبل كثيراً لصوبنا لكراهتنا هذا الخطاء الذي قد يقع فيه غيرنا

ان الروايات التي تُنشر الآن في اللغة العربية بعضها موضوع للفكاهة والخلاعة وهذا النوع لا ننظر فيه لانه لا يستحق نظراً . وبعضها معرَّب والقصد منه ابراز احاسن الروايات الافرنجية وهو نادر جداً وقلما يكون مستوفياً شروط تلك الروايات . وبعضها تاريخي .

وهذا النوع التاريخي قسمان · فقسم منه يتضمن تاريخ الامم الاوروبية وقسم يتضمن تاريخ بعض امم المشرق · امـا القسم الاول فلا يستحق النظر ايضاً لاننا في غنى عن تاريخ امم اوروبا ومن يبرز منه شيئاً عندنا فلا يبرزه الاَّ للفكاهة · واما القسم الثاني وهو تاريخ بعض امم المشرق فالكلام فيه حسن لانه يوقف اهل ذلك التاريخ على تاريخهم ولكن يتوجه على الروايات التاريخية اربعة اعتراضات

﴿ الاعتراض الاول ﴾ انها امر « كمالي » بالنسبة الينا · فان التاريخ لا يخرج عن كونه عبارة عن ذكر ايام مضت وحوادث خلت · والامم التي لم تتكون بعد او التي تكونت وانحلَّت لا يفيدها تاريخها شيئاً سوى تذكيرها بعظمة ساقطة ومجد ذاهب · وهي قبل كل شيء تحتاج الى قوات تنهض بها وتوجد « الشخصيـات الراقية » التي اشرنا اليها اضعاف حاجتها الى تاريخها · وان علم التربية وعلم الاجتماع والنشاط والحماسة للعمل ونصب اغراض شريفة امامها وحثها على السعي اليها وجمع كلمتهـا عليها بتأليف رأي عام منها كل هذه مقدَّمة فيها على جميع علوم التاريخ البشرية والالهية · بل ان اصغر مبادىء الزراعة الاولى واحقر مبادىء الصناعة الاولى مفضلة فيها على جلال التاريخ وعظمته · فالذي يصرف فكرها الى حوادث تاريخها الماضية بكتبه ورواياته قد يفيدها ولكن فائدتها من ذلك لا تكاد تُذكر لان مَثلها حينئذٍ يكون مثل فقير ذي اطمار يعلق في ثوبه ساعة وسلسلة من نضار · قال برناردين دي سان بيير مؤلف هذه الرواية (الصفحة ٣٩) « اية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه واي تأثير للتاريخ في سعادتنا في الارض · بل اية علاقة بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت · ان تاريخ ما كان لهو تاريخ ما هو كائن ومـا سيكون » وقال الفيلسوف نيتش في كتابه (ما وراء الخير والشر) « ان المؤرخين لكثرة تفكيرهم في الماضي وتنقيبهم فيـه ينتهون الى ان ينزلوا التاريخ منزلة كل شيء فيصير مثلهم مثل السرطان الذي يمشي الى وراء وهو يحسب انه يمشي الى امام » يريد بذلك انهم يتأخرون وهم يحسبون انهم يتقدَّمون

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ ان الروايات التاريخية هي سمٌّ للتاريخ قتَّـال وذلك لانها تكون مزيجاً من الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي ذلك افساد التاريخ بدل تحقيقه · ولا بأس من ورود التاريخ في الروايات ولكن يجب ان يكون وروده عرضاً والعمدة تكون على ما في الرواية من الافكار والمبادىء الاجتماعية التي هي غرض الرواية الحقيقي · لان الروايات الخطيرة الهامَّة في هذا العصر انما هي روايات اجتماعية

﴿ الاعتراض الثالث ﴾ ان كتب التاريخ تكتب للخواص فالكاتب يجد في نفسه شيئاً من الجرأة على الجهر بما يرى الجهر به حقاً في التاريخ وان ساء بعضهم لان في افاضل الخواص من كل الامم ميلاً لمسامحة الكاتب ومعذرته اذا كانوا يعتقدون اخلاصه . اما روايات التاريخ فاكثر اعتمادها في رواجها على العوام والسذج وهؤلاء لا يسامحون ولا يعذرون . ولذلك يضطر الكاتب الى مجاراتهم ترويجاً لبضاعته فيشوه التاريخ في رواياته بكتمان ما كان الجهر به من اول شروط التاريخ وبتحسين وتزيين امور تزيد السذج تمسكاً باوهامهم واغلاطهم . خصوصاً اذا كان الكاتب من امة والقراء من امة وعلى الاخص في بلاد الشرق . وبذلك يكون وجود تلك الروايات وعدمها سيين اذ الفائدة الحقيقية في الروايات هي ما فيها من الجرأة والقوة الادبية التي تحمل قراءها على ترك ضعفهم واوهامهم لا زيادة تمسكهم بها

﴿ الاعتراض الرابع ﴾ قال المسيو ادوار رود منذ سنتين في مقالة افتتاحية في جريدة الفيغارو في اثناء كلامه عن التاريخ وكبار المؤرخين الفرنسويين كتيرس وتان ورنان وميشله وغيرهم ما خلاصته : انه يجب على الناس ان يعلموا ان كتب التاريخ التي يقرأونها باللغة الفرنسوية وغير الفرنسوية لا يركن اليها مهما ادعى اصحابها التحقيق والتدقيق . وذلك لسببين . الاول انهم يتخذون فيها طرق الاستنتاج والقياس وفي اكثر الاحيان يجيء استنتاجهم وقياسهم فاسدين ولذلك ترى آراءهم في التاريخ متخالفة متباينة ينقض بعضها بعضاً . وكل مؤرخ منهم يكتب التاريخ كما يتراءى له . والثاني ان المصادر التي يعتمدون عليها ويستقون منها اكثرها خطأ لان رواتها اخطأُوا في النقل والرواية . وانك لترى المؤرخين الذين عاشوا في الزمن الاخير اذا كتبوا تاريخه اختلفوا في رواية حوادثه وتفسيرها فكيف بهم اذا راموا كتابة تاريخ زمن لم يشهدوه ولا علموا شيئاً عنه غير ما نقلته الكتب لهم . وليس في التاريخ شيء ثابت يمكن الوثوق بصحته غير الحوادث والارقام والاوراق الرسمية التي وصلت الينا من تلك الازمنة البعيدة . قلنا . وكل من تصفح كتب المؤرخين العربية والافرنجية ورأى فيها تناقض الآراء والحوادث والارقام لا يسعه الاَّ ان يسلم بصحة هذا القول الذي ساء مؤرخي اوروبا ولكنه صحيح . وما التحقيق في التاريخ خصوصاً التاريخ القديم وبالاخص الشرقي منه الاَّ خرافة ودعوى لا يقوم عليها دليل . وليس هنالك تاريخ بل آراء مختلفة وظيفة الباحث فيها (الترجيح بينها) لا (تحقيقها) . وانزال تلك الآراء والحوادث منزلة رفيعة من الاهمية وبذل الانسان قوته

ونشاطه وعلمه ووقته فيها انما هو من قبيل الاشتغال بشيء مشكوك به وفائدته لا تعدل التعب فيه . ولذلك قال رنان قبل وفاته : انني آسف لانني صرفت عمري بكتابة تواريخ قلّ من يتصفحها احد بعدي . قال ذلك مع انه اذا لم يكن في كتبه شيء غير جمال انشائه في كتاباته فان هذا كافٍ كما قال بعض كتاب الفرنسويين لان يبقي جميع ما كتبه خالدًا بين ايدي الناس ومقصدًا لطلاب الجمال وحلاوة القلم

فبعد ما تقدم لا نرى للروايات التاريخية وظيفة سامية بين الروايات . الاّ اذا كان المقصود بها مجموعة قصص وفكاهات لتسلية الخاطر وترويح النفس في ساعات الفراغ . وظاهرٌ بنفسه بعد هذا ان الوظيفة العليا بين انواع الروايات هي للروايات الاجتماعية الفلسفية

وقد ذكرنا كل ما تقدم لغرض لم نذكره حتى الآن وهو الدفاع عن الروايات الاجتماعية والفلسفية . فان بعض الكتاب رأى ان هذه الروايات « روايات كمالية » لا نحتاج اليها في هذا العصر بل نحتاج الى روايات Pratique وربما وجد قوله هذا موافقين ومصدقين له دون ان ينظروا في لباب هذا الموضوع لان الناس اعتادوا موافقة من يعتقدون فيه اصالة الرأي وصدق النظر . وقد تقدّم اثبات ان الروايات الغير الاجتماعية هي الروايات الكمالية

وقد يستغرب القارىء اهتمامنا بهذا الموضوع الصغير وتخصيص بضع صفحات به . ولكن الكاتب الذي تتبع آراء الشرقيين ومطبوعاتهم بانتباه وامعان لا يعدّه موضوعًا صغيرًا بل كبيرًا . وربما يراه اكبر موضوع اذا نظر في ما يلي

ان كثرة الكتاب في الشرق وتعدُّد الآراء وتنوُّع اللغات والتربيات قد جمعت في كتبه ومجلاته وجرائده جميع الآراء الفلسفية ومذاهب الادب الكتابي . قد اجتمعت متناقضة متضاربة واصبحت خليطًا من جميع المذاهب في الكرة الارضية . فترى فيها مذاهب سبنسر وكونت ودروين وماركس والقديس توما وافلاطون وارسطو وابيقور (الكلبي كما يسميه جمال الدين الافغاني) وفلاسفة الاسكندرية وشوبنهور ونيتش وقنت وزولا وهيغو ومذاهب القرآن والتلمود والتوراة والانجيل والفيدا — كلها اي كل هذه المذاهب المختلفة تراها فيه متجاورة مشتبكة اشتباك الاسل . وليس هذا بالامر الغريب العجيب فان بابل وجدت قبل اليوم على ما جاء في التوراة . . وانما الغريب العجيب امران . الاول اجتماع المتناقضات من هذه المذاهب في حيز واحد دون ان يفطن صاحب هذا

الحيز لها . والثاني تسفيه صاحب احد هذه المذاهب لمذهب آخر منها من وجه مذهبه وبطرق مذهبه بدل ان يسفهه من الوجه الخاص بهذا المذهب. وغني عن البيان اننا نتكلم هنا عن المذاهب الكتابية والفلسفية والادبية لا المذاهب الدينية . فترى مثلاً بعضهم يكتب يوماً كانه على مبادىء كونت صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme السائد روحها اليوم في اوروبا واميركا ويوماً تراه يكتب كانه على مبادىء فنت وشوبنهور الايديالستية. تراه يوماً ينهج منهج زولا في كتاباته الناتوراليستية (تقليد الطبيعة) ويوماً ينهج منهج فيكتور هيغو في كتابته الرومانتيكية الايديالستية. وقد قرأنا يوماً في جريدة يومية مصرية كلاماً عن الوطنية قالت فيه ان الوطنية اثر من آثار الهمجية القديمة مع ان الرصيفة تدافع عادة اشد دفاع عن جميع المبادىء التي هي عماد الوطنية ودعامتها. وعلة هذا الاختلاط والاختباط عدم وضوح المبادىء بعد لابناء الشرق للاجتماع حولها احزاباً احزاباً كل حزب يعرف اصل مبداءه وفروعه ويجعل خطته الدفاع عنه وعنها لموافقتها مزاجه واخلاقه وآراءه. واليك مثالاً لهذا الاختلاط والجهل باصول المبادىء

قال بعض الكتاب ان الروايات الاجتماعية والفلسفية (روايات كمالية) والاهم منها روايات Pratique وبعدهذا القول قال ان احوالنا تحتاج الى اصلاح وخير سبل الاصلاح تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب والخداع والمجاملة والمقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي نئن تحت اعبائها

فالذي وقف على اصول المبادىء الفلسفية والادب الكتابي يستغرب هذا القول. لانه يعلم ان الادب الكتابي في الفلسفة نوعان Idealiste و Realiste فالادب الايديالستي مشتق من قوى النفس والعقل . والادب الرياليستي او الناتوراليستي مشتق من الطبيعة. الاول يعتمد في التأثير والاصلاح على قوى نفس الانسان ويقدم تأثيرها على كل تاثير . والثاني يعتمد على الطبيعة وقواتها وتقليدها . الاول يقول صوروا ما هو اسمى من الطبيعة لرفع النفوس به . والثاني يقول ان ما هو اسمى من الطبيعة خيالي وهمي او كمالي وحسبنا الطبيعة وتقليدها وتصويرها لان فوائدها Pratique فاذا عدتَ الان الى الاعتراض الذي تقدم وجدت ان المعترض يقول ان المذهب الايديالستي امر كمالي. وهو اعتراض جائز مثلاً لمن كان رياليستياً كالفيلسوف نيتش الذي ادمى الايديالست نقداً وتهكماً . ولكن متى سفه المعترض المذهب الايديالستي ذلك التسفيه ثم عاد فقال الفوا في اجتناب الكذب والخداع وما اشبهها من النقائص الاجتماعية فانه يخلط بين المبادىء

دون ان يشعر . ذلك لان توقع الاصلاح من محاربة الكذب والخداع وما اشبههما هو من مذهب الايدياليست . ومذهب الرياليست يتساهل احياناً مع الكذب والخداع وقد قال نيتش انهما حق للضعيف ومن ملازمات العمران . فالنتيجة التي تخرج من هذا هي ان المعترض يسفه من جهةٍ مذهب الايدياليست لانه خيالي وهمي في رايه ومن جهة اخرى يدعو الى اصلاح البشر به . وهو منتهى السذاجة والجهل بالاصول

وليس غرضنا في هذا الفصل شرح مذهب الايدياليستيين والرياليستيين واظهار آثارهما في المجتمع البشري ومبلغ تاثير كل منهما في اصلاح الارض فان ذلك بحث فلسفي طويل متشعب الطرق كثير الفروع . وسنغتنم اول فرصة لابداء رأينا في هذين المذهبين . انما غرضنا هنا ان نوجه الانظار الى وجوب فصل المبادىء في الشرق وترتيبها ووضع كل واحد منها في مرتبته وبابه تسهيلاً للنظر فيها واختيار افضلها لنا . فضلاً عن ان الخلط بينها دليل على الجهل بها . والجهل بها دليل على انحطاط العلم عندنا وكونه لا يزال في طفوليته

اما رواية الكوخ الهندي التي قدَّمنا لها هذه المقدمة فمذهبها ايديالستي محض . ولنا في مبادئها نظر سنذكره في فرصة اخرى

نبي جديد للطقس

(اكتشاف نبتة اميركية تنبئ عن تغير الطقس)

لا يخفى ان ما اتصل اليه العلم الى الآن من الوسائل المنبئة عن الطقس وبعض الاعراض الجوية والارضية لا يروي غليلاً لانه لا ينبئ قبل وقوع العرَض بمدة طويلة وكثيراً ما تكذب نبوءته . على ان عالماً نمساوياً من علماء الظواهر الجوية الآن يدعى «ج . ف . نواك» زعم انه اهتدى الى ما يقضي هذا الوطر ويقال ان حكومته جهزته بالمال في ما مضى لتحقيق اكتشافه

وتحرير الخبر ان هذا العالم صادف في اميركا نبتة تدعى بالاصطلاح النباتي اللاتيني Abrus Praecatorius L. nobilis N. وقد دعاها نبتة الطقس وهي تشبه النبات الحساس

الذي يرى نادرًا في بعض الحدائق الخصوصية في الشرق · ولاحظ مرة ان وريقاتها التفت على نفسها وظهرت كأنها جفت وذبلت واصبحت بلا حياة فلم يلاحظ سببًا لذلك ولكنها بعد بضع ساعات انبسطت وانتعشت وعادت الى حالتها الطبيعية · وبعد اعمال الفكرة في سبب ذلك وتحريه تأكد ان تأثر اوراق هذه النبتة لم ينجم عن تغير في تأثير النور او الرطوبة بل عن سوابق تأثير زوبعة عنيفة حدثت بعد ثلاثة ايام · صادف العالم نواك هذه المصادفة سنة ١٨٨٦ ومن ثمَّ جعل يتحرَّى تحرياته الدقيقة التي افضت به الى النتيجة المرغوبة وكان معظم تلك التحريات في حديقة كيو "Kew Gardin" في لندن ·



Abrus Praecatorius L. nobilis N.

﴿ النبتة التي تنبئ عن تغيير الطقس ﴾
مستنبتة في مختبر العالم نواك

وذلك انه كان يلاحظ جيدًا وريقات تلك النبتة ولونها والعرق الذي تتصل به (وهذه الوريقات تختلف بين ١٢ — ١٧ زوجًا) ويستقرىء العوارض التي تحصل بعدها الى ان اصبح يستدل منها على نوع وقوة وجهة تلك العوارض التي تحدث في برهة ثلاثة ايام (بعد التأثير الذي يظهر على النبانة) وعلى بعد ٧٥ — ١٠٠ كيلومتر (٤٧ — ٦٢ ميلاً) · وكان يلاحظ على الخصوص ان قلة ضغط الجو (باصطلاح البارومتر) اي خفة الهواء يستدل عليه قبل ثلاثة ايام من توتر وريقات النبتة واتجاه حركة اعصابها الى فوق والعكس بالعكس · وكان يستدل من ذلك ايضًا على حالة المطر على مسافة لا تقل عن ٣ آلاف كيلومتر (١٨٦٤ ميلاً)

على ان اهمية التأثرات التي تبدو في وريقات تلك النبتة انما هي في الدلالة السابقة

على اضطرابات الطبيعة العظمى كالعواصف والزوابع والسيول العرمة والزلازل وانفجار البراكين والمناجم الخ قبل نحو ٢٤ ساعة على الاقل وعلى بعد نحو ٧ آلاف كيلومتر من جميع الجهات

يرتئي بعض العلماء مثل اندره وزنجن وبلياري ان للعوارض الجوية والانفجارات البركانية علاقة بكلف الشمس فهذا الراي حدا العالم نواك الى تعليل دلالات هذه النباتة على تلك العوارض بعلاقة لها مع كلف الشمس ايضاً لان تلك الكلف ليست مواضع باردة في الشمس كما كان يظن وانما هي عواصف شمسية هائلة تضطرب لها الكهربائية الجوية والمغنطيسة الارضية وكذلك تتأثر منها تلك النبتة الشديدة الاحساس (اذا كانت مزروعة في حالة خاصة)

وقد عني العالم نواك في ملاحظة كلف الشمس ايضاً لكي يعلم متى تكون في منتصف القرص فرأى ان تلك الكُلَف (البقاع) لا تجعل ثورة في جو الشمس الاّ بعد ٢٤ ــ ٢٨ يوماً من ظهورها وحينئذٍ تقابلها اضطرابات الارض الناجمة عن تأثيراتها ولاحظ ان تلك النبتة الحساسة اول ما يتأثر من تلك الاضطرابات وان موضع الاضطرابات التي تحصل في العالم الارضي يُستَدلّ عليها من اتجاه الحركة التي تبدو في عرق النبتة المورق و يستدل على شدتها من ظل لون الوريقات اي ان اشباع اللون يدل على شدة الاضطراب

وقد اجتهد العالم نواك مع بعض زملائه في دراسة النباتات في اوستريا وفرنسا وانكلترا وجمع ملاحظاتهم ووحدّها في نظام واحد ينبئ عن العوارض الطبيعية المختلفة . وهو يقول ان اختباراته وملاحظاته تبرهن على ان بين تلك النباتة في حالات خاصة والاضطرابات الناشئة في الجو وقلب الارض علاقة (ولعله يريد بها جامعة التأثر من اضطراب الجو الشمسي كما مرّ تعليله)

ويقال ان العالم نواك كان في الشهر الماضي في لندن ينشئ مركزاً « لنبي الطقس الجديد » وسينشئ مركزين آخرين ايضاً في نيويورك وطوكيو (اليابان) وفي مدينة اخرى في الجنوب لكي تُعرَف من تلك المراكز الاربع جميع الاضطرابات الارضية والجوية في كل نقطة في العالمين . وعند ذلك يتسنى له ان ينشر في كل اقطار المسكونة نشرات يومية تنبئ عما يأتي :ــ

١ً التقلبات الجوية المنتظرة قبل ٣ ايام في دائرة تبعد عن المركز نحو ٣ آلاف كيلو متر. ٢ً سقوط الامطار او الصحو قبل ٣ ايام في نفس الدائرة المذكورة. ٣ً اضطرابات

الطبيعة الخطيرة كالعواصف والزوابع والسيول العرمة والطوفان والزلازل قبل ٢٤ يوماً في دائرة تبعد عن المركز نحو ٧ آلاف كيلومتر . ٤ً الطقس المحلي على بعد ٧٥ ـ ١٠٠ كيلومتر قبل ٧ ايام

ولاجل هذا الغرض انتخب من كوبا عدة اصناف من هذا النبات لكي يستنبتها في انكلترا (...)

عجائب اميركا وفكاهاتها

مشاهدات عيانية في البلاد الاميركية

ان كلامنا عن المدنية الاميركية وآثارها العمرانية والسياسية يحتمل موضوعين . الاول بحث في اعماق المدنية الاميركية واسباب نهضتها وعظمتها في السياسة والتجارة والصناعة والزراعة . والامور التي يُخشى منها على عظمتها في المستقبل . والثاني سرد ما فيها من عجائب وفكاهات لا توجد في امة اخرى غيرها وهي تُدهش الاوروبيين انفسهم . ولذلك رأينا ان نقسم كلامنا عن اميركا ومدنيتها الى قسمين . الاول « درس في المدنيَّة الاميركية » وتضمّنه بحثاً اجتماعياً فلسفياً . والثاني « عجائب اميركا وفكاهاتها » وتضمّنه كلاماً اخبارياً عن فكاهاتها وغرائبها . وبذلك نتمكن من نشر فصلين في شؤون اميركا في كل جزء دون ان يمل القارىء لتنوّع البحث وتعدد مواضيعه . ومتى استوفت الجامعة الكلام عن اميركا ومدنيَّتها في سنة او سنتين تكون ابحاثها هذه في هذا الموضوع الجليل اول كتاب عربي جدي كُتب في المدنيَّة الاميركية باللّغة العربيَّة . ونعاهد القراء ان لا نترك فائدة او غريبة في المدنيَّة الاميركيَّة الا ونقيّدها في هذا الكتاب . وسيحتوي كل جزء من

الجامعة على البابين اللَّذَين تقدمت الاشارة اليهما· احدهما «درس في المدنيَّة الاميركيَّة» والثاني «عجائب اميركا وفكاهاتها» وهذا هو الباب الثاني

بنك البنوك

بنك لا وجود لمثله في غير اميركا

في نيويورك بنك لا مثيل له في العالم · واسمه Clearing House اي بيت «التصفية» ونحن نسميه (بنك البنوك) وهو جمعية مالية انشأتها بنوك نيويورك العامة وعددها ستون بنكاً واليك الغرض من انشائها

ان الناس هنا يتعاملون بحوالات على البنوك اي « شك » فكل صاحب مصلحة او مال يودع ماله في احد البنوك وافضلها المضمون من الحكومة و يأخذ من بنكه دفتر حوالات ومتى اراد ان يدفع مالاً لايٍّ كان كتب حوالة على البنك في دفتر الحوالات « الشك » ودفعها لدائنه · والمال هنا يُدفع بهذه الطريقة اذا كان مقداره مائة ريال او ريالاً واحداً ورُبَّ رجل يأكل في مطعم ويدفع ثمن الطعام حوالة على بنكه (١)

ولكن كيف يقبض هذه الحوالات الذين اخذوها · هل يقبضونها من البنك الذي حُوّل عليه · كلاّ فان لكل واحد بنكاً وهذا البنك يدفع اليه اذا كان معروفاً عنده قيمة هذه الحوالة اي يقيدها له في حسابه و يتولى تحصيلها من البنك المحوَّل عليه · ولكن كيف يحصلها من البنك المحوّل عليه ؟ لو اراد كل بنك ان يُرسل محصلين الى البنوك التي عنده حوالات عليها لاقتضى ذلك تعباً شديدا وزمناً طويلاً · ولذلك اتفقت البنوك وانشأت الجمعية التي اشرنا اليها لدفع هذه الحوالات وقبض قيمتها · فكل بنك يُرسل كل يوم الى كلارين هوس « مركز ادارة الجمعية » نائبين عنه يحملان الحوالات التي وردت على بنكهما وهناك يلتقي ممثلو البنوك جميعها ليتحاسبوا · فيعلن الرئيس في الساعة العاشرة صباحاً

(١) هذا اذا كان معروفاً عند صاحب المطعم · ولكن بعضهم يغتنم فرصة ثقة الناس بعضهم ببعض ويزوّر حوالات باسم غير اسمه فلا يدفعها البنك الذي اسمه في الحوالة · وان في مطعم مارتين الفرنسوي الذي هو من اشهر مطاعم نيويورك لوحاً معروضة فيه جميع الحوالات التي دُفعت للمطعم ثمناً للطعام ولم يدفعها البنك ولم يُعرف اصحابها بعد ذلك ولهذا لا تُقبل هذه الحوالات الاّ من اناس لهم مكاتب معروفة

افتتاح الجلسة . وفي اقل من نصف ساعة يعلم ممثل كل بنك قيمة الحوالات المسحوبة على بنكه فيدفعها وهو واقف الى الجمعية والجمعية توصلها الى البنوك التي دفعت تلك القيمة عن ذلك البنك . واذا تأخر البنك عن دفع القيمة الى ما بعد الساعة الواحدة ونصف بعد ظهر ذلك اليوم أُعلن افلاسه . وكل واحد من مستخدمي « بنك البنوك » يغلط مرة في حساب الارقام يُطرَد في الحال . وتبلغ قيمة الحوالات المقبوضة والمدفوعة كل يوم على هذه الطريقة ١٢٠ او ١٥٠ مليون ريال . وهو اختراع مالي جميل لانه يساعد على الاقتصاد في الوقت والتعب شأن الاختراعات الاميركية

خزينة المستودعين

مال لا يناله نار ولا لص ولا طوفان ولا ثورة

قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » يصف وهن الحياة وتقلباتها انه ليس في الدنيا ثروة يقدر الانسان ان يثق كل الثقة بامتلاكها . فان اموال الاغنياء تذهب بعواصف البورصة والتجارة والثورات شر مذهب . حتى ان رئيس الامة نفسه ليس في مأمن من عواصف الشعب . ولكن يلوح لنا ان الاميركيين قد اخترعوا طريقة تقي المال من عواصف الحياة ونريد بها « خزينة المستودعين »

خزينة المستودعين « باستيل المال » في نيويورك اخترعها الاميركيون واخذها عنهم الاوربيون وهي مستودع واسع تحت الارض يحتوي على ٢٥ الف صندوق حديدي بعضها صغير جدًا وبعضها كبير كالبيت يمشي فيه الانسان منتصبًا (١) ولكل انسان حق في استئجار احد هذه الصناديق واجرتها تختلف بين ٥ ريالات و ٨٠٠ ريال . ومتى استأجر انسان احدها وضع فيه اثمن ما عنده نقدًا واوراقًا وحلى او سبائك فضة يخزنها الى حين ارتفاع سعرها . واصبح في امن عليها من طوارىء الحياة . فان المكان يخفره خفراء خصوصيون في النهار والليل وهم يطوفون دهاليزه وغرفه في ساعات معينة . وسقفه وجدرانه مصفحة بالفولاذ فلا تفعل فيها النار واذا اغلق بابه امتنع دخول الماء اليه ولو كان طوفانًا . واذا ثار الشعب ورام الدخول اليه تُفتح « حنفيات » فوق الباب فيندفع منها بخار كاوٍ يملأ المكان كله ويميت جميع من دخل اليه . وامام الباب بساط من « كاوتشو » لمسح الاقدام والحقيقة انه وضع هناك ليستر سلكًا كهربائيًا ممدودًا الى الداخل . فاذا مرَّ احد على هذا البساط

---

(١) ان ارتفاع صندوق المستر كولد الغني المشهور ثلاثة امتار وهو كجبل من حديد

قُرع جرس في الداخل بمجرَّد المرور عليه تنبيهاً الى قدوم قادم

وصاحبة هذا المستودع شركة تُدعى (Safe Deposit Company) وهي تضمن ايضاً خزائن المال الموضوعة خارج مستودعها هذا في البنوك والبيوت التجارية الكبرى . ولكنها في هذه الحالة توجب على صاحب الخزانة المضمونة عندها ان لا يفتح خزانته الأ في الساعة التي يُتفق عليها بينه وبينها وان يكون احد مستخدميها شاهداً فتحها . وهي تضمن اليوم خزانة المستر مرغن Morgan الغني المشهور . وميعاد فتحه خزانته كل يوم في الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ صباحاً الاّ يوم السبت فانه يفتحها في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر . وبين الخزانة المضمونة وادارة هذه الشركة سلك كهربائي ممدود فكلما فُتحت الخزانة علمت ادارة الشركة بفتحها حال فتحها . فاذا لم يكن فتحها في الساعة المتفق عليها علمت الشركة ان الذي فتحها لص فتنبهت اليه في الحال

والصناديق كلها اي التي عندها والتي في الخارج لا تُفتح الا باتفاق ثلاثة مفاتيح بحسب اصطلاحات خصوصية

ليسوا باميركيين فلا تتشبهوا بهم

قلنا في فصل سابق ان نيويورك « مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب ينزل فيها يصبح كواحد من اهلها . وهذه الحقيقة يحتاج الى معرفتها كل قادم الى نيويورك بل اميركا كلها . فانه كثيراً ما يرى القادم الجديد في الشوارع مناظر مدهشة قلما يراها في ارض اخرى . فقد يرى مثلاً امرأة في ساحة عمومية جالسة على مقعد بين الناس وهي تدخن سيكاراً . . ويرى اخرى معربدة ثائرة وهي جالسة على مقعد امام المارة تمسح عن جبينها ووجهها دماً جارياً لان رأسها شج حين سقوطها على بلاط الشارع وهي سكرى . ويرى بعض الرجال والنساء جالسين في ليالي الحرّ ازواجاً ازواجاً على تلك المقاعد والمرأة معانقة الرجل او الرجل المرأة خداً الى خدّ او فماً على فم ورجال البوليس يمرون بهم ضاحكين . والعادة في ليالي الحرّ ان تغص الساحات العمومية برجال ونساء واولاد ينامون طول الليل على العشب تحت اشجار تلك الساحات ولا يبقى على العشب والمقاعد موضع قدم فارغاً . فربما نام الخليل وخليلته هناك متعانقين حتى الصباح . واغرب من هذا ما رأيته يوماً في شارع غرنويش في الساعة التاسعة مساء فقد كان ثلاثة شبان سائرين نحو الحديقة « باتري بلاس » التي على شاطئ الميناء واذا بفتاتين سن الواحدة منهما ١٨ سنة او ٢٠

قادمتين من تلك الحديقة وها من بنات العيلات لا من بنات الهوى . فلما وصلت الفتاتان الى الفتيان الثلاثة انفردت احداها ودنت منهم واظهرت انها لا تراهم في طريقها ثم دفعت بكتفها احدهم في صدره كما يفعل « الجدعان » بعضهم ببعض للمزاح والمطايبة . فالتفت الشاب المدفوع فرآها تلتفت اليه وتضحك فعاد اليها وعادت اليه واخذا في السلام والكلام

فالرجل الغريب يظن ان جميع من تقدَّم ذكرهم اميركيون وان هذه العادات مباحة عند الاميركيين فيتساهل ويتسامح بشأنها . والحال ان ٩٥ في المائة منهم غرباء مهاجرون وهم من اضعف الطبقات في بلادهم . فنحب للسوريين المهاجرين ان لا يتركوا عادات سيئة كهذه العادات تؤثر على اخلاقهم بحجة انها عادات اميركية مباح العمل بها والجري عليها

البورصة في الحانة

يمكنك وانت جالس في الحانة (١) في نيويورك ان تطلع على جميع اخبار البورصات في العالم . ذلك لان في زاوية في كل حانة او قهوة كبرى صندوقاً صغيراً من زجاج ضمنه آلة تلغرافية كآلات التلغراف الاعتيادية وقصاصة ورق التلغراف تخرج منها بالتدريج وعليها اخبار آخر ساعة عن اسعار الاوراق والشركات المالية في جميع البورصات فتأمل

مناظرة في التفاضل والمساواه

ردّ لجناب شبل افندي نصيف دموس

تحت هذا العنوان نشرت الجامعة في عددها الثالث وما تلاه مقالات لاحد كتاب مصر الافاضل الذين نعرفهم بشهرتهم فقط وهو نقولا افندي حداد . قرأتها فرايت كاتبها يرى التفاضل امرًا ضروريًا وواجبًا وهذا راي نخالفه فيه على خط مستقيم وربما كان السبب وجودنا في ارض الحرية والمساواة حيثما جرت مبادئها في عروقنا مع الدم وامتزجت بار واحنا امتزاج الماء بالماء

وقد قسم صاحب المقالات موضوعه الى اربعة اجزاء هي التفاضل الشرعي فالدستوري

(١) « الصالون » هنا و « البار » في مصر

فالاقتصادي فالاجتماعي وتكلم عن الثلاثة الاول فاشبع غير اننا اما لتصلب في قلوبنا لم نقتنع او لاننا نرى الامور بغير ما يراها حضرة الكاتب . وكيف كانت الحال فنحن نرى المساواة في الحقوق والواجبات الشرعية والدستورية امرًا مقدسًا واجب الاعتبار والتنفيذ لاننا نعلم ان كل انسان مخلوق تحت نظام طبيعي واحد نعني من ذكر وانثى تحت ظروف طبيعية واحدة وان كل انسان يعيش متغذيًا من محصولات هذه الارض الواحدة في محيط من هواء واحد تحت شمس واحدة ومتى مات يزج جسمه تحت اديم ارض واحدة وان له نفسًا معطاة من خالق واحد وهي باعتبار كل اديان العالم خالدة ولها ثواب وعقاب واحد ونعلم ايضًا ان كل انسان يشعر باللذة الواحدة والالم الواحد نفسانيًا وجسديًا ولذلك نرى ان لا مزية لواحد على الاخر البتة . وما هو الواجب على الانسان الواحد واجب على كل انسان آخر وما هو حق الواحد هو ايضًا حق الآخر . وبكلمة اخرى اننا نرى بموجب هذه الاوليات ان تكون الحقوق واحدة والواجبات واحدة ايضًا ومتى توحدت الحقوق والواجبات وجبت المساواة ومنع جواز التفاضل بتًا . ومتى وجدت المساواة الحقيقية في امة من امم الله عظم شان تلك الامة وشاهدنا على هذا هذه البلاد العظيمة التي بلغت بحكمة الذين وضعوا دستورها الآمر بالمساواة وسنوا شرائعها الاولية الى درجة من العمران والمنعة ليست لغيرها من بلاد الله . فهي لم تصل الى ما وصلت اليه الا لان المساواة السياسية التي يتولد عنها المساواة في الشرع والاقتصاد والاجتماع كانت ولم تزل اساسًا لكل نظام وقانون مرى اهلها عليها منذ بدء تاريخها حتى الان

وربما كان حضرة صاحب المقالة الفاضل يرى رأينا في الامر ولكنه يظن ان المساواة اسم بلا مسمى بدليل ما اورده من الشواهد التي لا نستطيع ان نفسرها الا بغير المعنى الذي يقصده لاننا في اميركا نرى المساواة والتفاضل بغير ما يراه اخواننا في مصر وسوريا كما سيجيء

اما التساوي في الشريعة فهذا واجب دينيًا وطبيعيًا واجب دينيًا لان كل انسان مخلوق على نفس النظام الواحد وله العقاب والثواب الواحد كما ذكرنا سابقًا وواجب طبيعيًا لان الطبيعة تقضي ببقاء الجنس قضاء لا يرد وهذا لا يتم الا بالتكافوء والتعاضد منعًا للانقراض وهذان لا يكونان الا بالمحافظة على القانون وتنفيذه في الذين وضع من اجلهم . والمحافظة على القانون وتنفيذه لا يتمان الا برضاء الكل عنه والرضاء لا يكون الا متى كانت الحقوق مرعية ومصانة فان ميزت الشريعة بين انسان وآخر قضي على الصغير ان يبتلعه الكبير حتى تصبح الخليقة كلها في جوف رجل واحد وهذا الاخير في جوف اسد او وحش مفترس .

وقد ذكر حضرة صاحب المقالة حادثة جرت له في مصر مع بائع شمام يراجعها القارئ في الجزء الرابع من الجامعة بنى عليها حضرته الحكم في وجوب التفاضل صيانة لابن الادب من بائع الشمام وهي حادثة لا يجوز بموجبها حكم فقد رأينا مرأى العين حوادث كثيرة تخالف تلك الحادثة . منها ان واحداً من ابناء البيوتات الكبيرة في سوريا رام ان يشتري بطيخة من بائع خضرة فقير الحال فاتاه مساوماً ثم تم البيع على بطيخة وبعد قطعها وجدت « قرعاء » تافهة فرام ردها وابى الدفع فكلمه الفقير بالحسنى فازداد الشريف كبراً وتيهاً فقال الفقير . أتتقاوى على فقير مثلي . ثم رفس صاحبنا طبقه وعليه تين فاندلق على الارض وتقدم فلطم الفقير على وجهه فذهب هذا الى الحاكم فقابله هذا بالشتم فما قول حداد افندي بالقانون الذي اضاع حق ذلك الفقير . ثم نحن لا نشك في ان بائع الشمام كان لئيماً ولكن العدالة عمياء فهي لم ترَ ما جرى ولكنها تسمع وتحكم بالقسط لدى ورود الادلة ولكنها لا تسمع بالتلفون نعني يجب ان يقف امامها الخصمان واننا لا نرى غضاضة من وقوف كل ذي نفس حية امامها . وليس من الحيف ان يحاكم رجل مع رجل آخر

اما التساوي في الدستور فهو ضروري ايضاً لا بل واجب صيانة لمصلحة الافراد في سَن الشريعة العادلة المساوية بينهم ومصلحة الافراد كما لا يخفى هي مصلحة الامة لان هذه تتألف من اولئك . وواجب ايضاً لاجل صيانة الشريعة من النقض بالثورات الدموية التي تهلك الامة وتضعفها بازاء نفسها وبازاء باقي الامم الاخرى . ففي اميركا يقضي الدستور بانتخاب مشترعين من افراد الامة لسن نظامات توافق احوالها وهم منتخبون من جميع افراد الشعب بدون تمييز فكل ذكَر وطني بالغ الحادية والعشرين من عمره ابيض كان او اسود له صوت واحد فقط لا يتجاوزه والمنتخبون نواب عن المنتخبين يقومون بكل المواعيد التي عاهدوا منتخبيهم على القيام بها . وقد برهن فعلياً هذا الدستور المبني على المساواة بانه خير دستور يحفظ راحة الامة وافرادها وخير كافل لسعادتهم وسعادتها والمنتخَب لا يفضل منتخبه مثقال ذرة ومركزه السيامي ليس سوى منصب يقوم بواجباته فيه ويتقاضى عنه اجرة كالكاتب في المحل التجاري وما شاكله . والامتيازات المعطاة لهم شرعاً من مثل عدم القاء القبض على النائب في الاوقات المعينه للالتئام مع رفاقه ليست الا لقصد صيانة الحكومة من النقض بالمؤامرات والدسائس كما حدث في فرنسا يوم نشأت الامبراطورية الثانية بعد ما زج في السجون انصار الجمهورية من اعضاء مجلس النواب وهي التي يسمونها Coup d'Etat

اما قوله فيما جاء في الكلام عن امتيازات النبلاء عن العامة في بلاد الانكليز وهو

(ولكن اذا انعمنـا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة و في نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان حقيقته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها) فهذا فيه نظر لان حفظ مجد المملكة حقيقة لا يقوم بوجود نبلاء والقاب شرف فيها وهذه الولايات المتحدة وفرنسا اكبر شاهد على صدق قولنا هذا لانهما مجيدتان بدون مساعدة هذا الصف من البشر ونحن نعتقد ان وجود مثل هذه الطبقة في مملكة مما لا يصون مجدها بل يخذلها و يضعفها لان الممالك انما تقوم بالشعب الراقي الشبعان الراضي عن شرائع بلاده على حد قول توماس جفرسون في منشور الاستقلال الاميركي (ان الحكومات تستمد قوتها من رضاء المحكومين) وهؤلاء الاشراف حمل ثقيل على كاهل الشعب يأكلون زاده بدون تعب يقاسونه فان جاء يوم وحصلت فيه مجاعة يثور هذا الشعب كما ثار في فرنسا وفي غيرها من قبل ومن بعد وكما هو ثائر الآن في روسيا. يثور على الدستور لانه غير عادل اذ يوجب الامتيازات و يثور على الشريعـة لانها غير عادلة اذ تحلل للقليل ما تحرمه على الكثير

اما التفاضل في الاقتصاد فهذا بلا مسوغ البتة انما هو اذا كان موجوداً حقيقة فهو وهم باطل لا يضرّ بمصالح الافراد ولا ينفع ومع ذلك فاذا كان من فضل في ايجاد الثروة فالفقير موجدها لانه هو العامل في مناكب الارض وفي المعـامل وفي بناء القصور و بناء المراكب الخ . اما قوله في انصراف الاغنياء الى مجتمعات خاصة دون الفقراء فهذا لا يبرهن تفاضلاً البتة اذ ان لهؤلاء مجتمعات يجوز لهم فيها ما يجوز لاولئك في اجتماعاتهم وركوب القطارات في الدرجة الاولى لا يبرهن افضلية صاحبه على راكب الدرجة الثالثة لان هذا المقعد يشرى بمال وكلما يشرى بمال يكون مشاعاً للجميع على السواء و يبطل حينئذٍ التفاضل حتى اذا حرم شرعا على قوم وحلل لآخرين فهناك يجوز القول حينئذٍ بوجود التفاضل ويكون ثمة نقص في الشريعة تأباه نفوس الامم الحرة ويكون بسببه ثورة عظيمة في ارض الشعوب الغير خاملة

اما قوله عن الولايات المتحدة ان كثيرين من اهلها يتطاولون الى نيل الالقـاب وان الغنيات يطلبن الزواج بنبلاء اوربا لنيل الشرف وهلم جرا فهذا لا يبرهن وجود التفاضل الاجتماعي والاقتصادي ولا وجوبها لان هولاء الكثيرين قليلون جداً بالنسبة لعدد السكان وعلى القليل النادر لا يبنى حكم وما هؤلاء القلائل الذين يطلبون الامتيازات الموروثة التي جاءت اصحابها من طريق الصدفة الا قوم في نفوسهم بقية من همجية الاجيال

الماضية متغلبة في طبائعهم فهم يطلبون في بلاد اجنبية ما تمنعه بلادهم وشرائعها العادلة الآمرة بالمساواة . والقابهم التي يحصلونها لا تغير من مراكزهم مثقال ذرة فهم تحت القانون مساوون لبقية الناس فان لطمت الغنية الشريفة خادمتها الفقيرة كان جزاءها السجن او غرامة التعويض المالية وان شمخت بانفها في الهواء فانما هي تشمخ في الهواء كما يخور الثور ليس الا

اما ما يقدمه الفقير من التزلف الى الغني فهذا لا يبرهن حق الواحد على الاخر ولا افضليته اذ مرجع الامر الى واحد هو نيل غرض يوازي لدن صاحبه مقدار ذلك التزلف وخلاصة القول ان لا تفاضل الا متى وجدت امتيازات شرعية مختصة باناس محرمة على اخرين وهذا التفاضل قضي على بعضه في البلاد المتمدنة بعد ثورة انكلترا ثم قضي على بقيته بعد ثورة فرنسا حتى ان العبد الاسود الذي ولد في العبودية منذ عهد لا يعرف قدميته الا الله قد تحرر الان وصار له جميع حقوق سيده بالامس فهو يولي الحكام مراكزهم وهو بعبارة اخرى يامر بما ياتمر و يطيع ما يفرض

اما تفاضل اهل العلم على اهل الجهل فهذا يكون بالنسبة الى ما تستفيد منه الاكثرية من عمل الفرد غير ان هذا التفاضل لا يتجاوز حد كلمات المديح فقط لانه لا يجوز للعالم اكثر مما يجوز للجاهل من التمتع بالسعادة والراحة ولا يستطيع ذاك ان يستعبد هذا اذ كلاهما امام القانون في المركز الواحد انما هذا يمدح وهذا يهمل امره او يذم بالنظر لاهمية النفع او الضرر الذي يصدر من كل منهما وهذان المدح والذم هما ثمن الفائدة او المضرة التي تلحق بهم

اما تفاضل امة على اخرى كتفاضل الانكليز على ابناء مصر فهذا موجود ولكنه ليس شرعياً ولا دستورياً ولا هو واجب دينياً ومدنياً انما هو تفاضل القوة الحيوانية التي ليست على الانسانية منه شيء . وفي حادثة دنشواي حيف وجور فقد حدث في مدينة نيواورليانس ما يعاكسها تماماً وذلك ان بعض الايطاليان قتلوا رئيس البوليس فقبضت الحكومة على الجانين واودعتهم السجن على امل محاكمتهم ولكن الشعب الاميركي ثار على الفور فدخل السجن عنوة واخرج السجناء واماتهم بالرصاص ولو أمكنت حكومة ايطاليا من قاتلي ابنائها في اميركا لكانت فعلت فعل انكلترا واذ عز عليها الانتقام انهت المسالة سياسياً واخذت تعويضاً مالياً . اما انكلترا حاكمة مصر فقد فعلت فعل القوي ومصر ضعيفة بازائها . واما ذل ابناء مصر للمحتلين فهذا الذل لا يطول امره لان وراءه امراً اسيدوس هذا التفاضل تحت

قدميه فان لم يكن اليوم او غدًا فسيكون في الذي يليهما سعيًا وراء المساواة التي هي حق كل مخلوق موروث من الله خالقه

مهاجر سوري في اميركا

يدعو المهاجرين الى الزراعة

والجامعة تعضد دعوته

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

ما كان ابطائي في الجواب على اسئلة الجامعة بشأن دعوة المهاجرين الى الزراعة في اميركا المنشور في الجزء السابع الاَّ لانتظاري ريثما ارى هل احد من المهاجرين يعترض على هذه الدعوة . ولما لم ارَ في الجزء الثامن اعتراضاً جئت بسرور للمجاوبة على تلك الاسئلة . واملي ان تستطيع الجامعة شيئاً فشيئاً توجيه انظار المهاجرين الى هذه الصناعة الشريفة الرابحة في هذه البلاد

السؤَال الاول — ما هو الراسمال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستون اكرًا (١)

(والجواب ان الزراعة هي كالتجارة فيمكن للتاجر ان يتعاطى تجارة ما براسمال صغير حتى المائة ريال كما انه يقدر ان يتاجر بالوف ريالات ولكن كلما زاد الراسمال ووُجد رجال ذو حزم وعزم تزداد الارباح . وهكذا الفلاح هنا فانه يقدر ان يباشر العمل براسمال صغير حتى مائتي وخمسين ريالاً فبهذه القيمة يشتري زوج خيل او بغال وآلات الزراعة كويقن (عرَبة) (Wagon) وسكة حديدية نقالة ويبتدئ بفلاحة ارضه . ويلزمه بعض آلات احيانًا يستعيرها من الجيران الى ان يُنتج من عرق جبينه ثمنها ويكبر اشغاله شيئًا فشيئًا . على ان الفلاح القادر اذا اتقن الفلاحة وكان عنده اربعة من جياد الخيول وسكة وجميع آلات الفلاحة فتكون ارباحه مضاعفة

السؤَال الثاني — هل يستطيع الزارع الذي لا يكون بيده راسمال ان يستقرض المال

---

(١) راجع باب الرسائل في الجزء السابع

على الارض ام على تعب يديه فيها من اناس قريبين منها . فالجواب هنا (مزدوج). اولاً انه لا يقدر ان يستقرض على الارض التي اعطته اياها الحكومة ولا له حق التصرف بها الاّ بعد مدة خمس سنوات كما تقدم . ولكنه يقدر ان يحوّلها لاحد غيره باتفاق من الفريقين بثمن معلوم . والذي تحوّل باسمه ثانياً تبتدىء مدته من حين تسلمه لها . لهذا لا يقدر الانسان ان يستقرض على الارض . و يوجد طريقة اخرى وهو اذا احب الانسان ان لا يبقى في الارض مدة خمس سنوات فيمكنه ان يسكن فيها اربعة عشر شهراً و يشتغل بها بتلك المدة ثم يدفع للحكومة ريالاً وربعاً ثمناً لكل اكر فتصبح له ملكاً . كالذي يقيم فيها خمس سنوات

اما الاستقراض على تعب اليدين فاذا كان مستقبل المزروعات والارض جيداً فالفلاح يقدر ان يستقرض من التجار او من البنك برهن المزروعات . ومتى صار للزارع معاملة مع التجار او الصيارفة فيقدر على سد عوزه دون رهن . وليس للنصابين والمحتالين خبز بهذه الانحاء

السؤال الثالث ـ هل الامن سائد في هذه الجهات . والجواب نعم فانه اينما سار الانسان في الولايات المتحدة تحت راية النجوم الزاهرة فالامن سائد . واقدر ان اقول انني اخشى على نفسي من المرور نهاراً بشارع واشنطن في نيويورك في بعض الايام ولا اخشى المسير ليلاً في هذه الانحاء حتى بدون رفيق

السؤال الرابع ـ اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكراً هل يؤذن له بذلك . والجواب كلاّ لا يقدر الاّ اذا اتفق مع شريك واخذ كل واحد لنفسه ١٦٠ اكراً انما يؤذن له بان يشتري بقدر ما اراد من الاراضي المسجلة باسم اصحابها بعد اقامتهم بها خمس سنوات . ويلزمه اولاً ان يتجنس بالجنسية اميركية ويكون سنه فوق ٢١ سنة والنساء كذلك . فالرجل وزوجته والاخ واخته كل منهما يقدر ان يأخذ ١٦٠ اكراً

السؤال الخامس ـ هل من ضريبة للحكومة على الاراضي . الجواب نعم انما هي قليلة جداً وهي تدفع سنوياً . فيأتي المخمن ويخمن الموجودات التي على الارض مثل بيوت ومواش واثاث ويقيدها بربع قيمتها الاصلية ثم يفرض عليها ضريبة في المائة ٣ ونصف فالضريبة اذاً هي على الموجودات لا على الارض اذ لا تأخذ الحكومة ضريبة عنها الاّ بعد خمس سنوات

السؤال السادس ـ بكم تُقدر نفقة الشخص الواحد في السنة بقطع النظر عن نفقة الارض . فالجواب على سؤالكم هذا يتوقف على ذات الشخص . والاشياء هنا لا تفرق

اسعارها عن نيويورك الا قليلاً

السؤال السابع ـ هل يمكن لمحترف الزراعة ان يحترف حرفة اخرى . والجواب نعم يمكنه ذلك فانه يقدر ان يشتغل باي شغل اراده فيمكنه ان يسكن البلدان المجاورة و يذهب الى ارضه ولو اسبوعاً كل ستة اشهر وبهذه المدة يلزمه ان يشتغل بالارض كي لا تضيع الارض منه وكثيرون هنا ممن لهم اراضٍ وحرفتهم الزراعة ينتهزون الفرصة للتجول وبيع البضائع و بعضهم لهم محلات تجارية

واني كي ازيدكم ايضاحاً اقول : ان اكثر الاراضي في هذه الجهات تسوى قيمتها من ١٥ الى ٣٠ ريالاً الاكر الواحد ولا يقدر الانسان ان يأخذ ارضاً كما اخذناها نحن انما توجد الان اراضٍ في تكساس west Texes على حدود هذه الولايات Oklahoma تُباع باسعار زهيدة جداً وذلك بسعر ٥ الى ١٠ ريالات الاكر والحكومة تسجلها لمن يرغب الاتجار بها . ويمكن للانسان ان يشتري من ١٠ الى ١٠٠٠ اكر وهذه الاراضي ستصبح بعد مدة قريبة عامرة كهذه الانحاء وفي طي كتابي قصاصة من جريدة اميركانية تعلن عن مبيع اراضٍ في الجهات العامرة بتكساس بسعر ٢٥ ريالاً الاكر . لكن في نيو مكسكو New Mexico اراضٍ تعطى للاهالي مجاناً الى خمس سنوات مثلما اخذناها نحن هنا . وهي ارض خصبة جداً

شاكر سالم الخوري

﴿ ضيق صفحات المجلة لصدورها مرتين في الشهر ﴾ أشرنا في صفحة اخرى في هذا الجزء الى ضيق صفحات المجلة عن جميع موادها وابوابها بسبب قسمتها الى جزئين وصدور كل جزء في ١٥ يوماً . واقرب مثال لذلك ان هذا الجزء الذي صدر في نحو ٥٠ صفحة قد صدر بنقصه (درس في المدنية الاميركية) و (تتمة رواية فان) وباب الرسائل والمسائل وتقريظ عدة كتب و باب الاخبار العلمية وباب تدبير الصحة والمنزل وتذكارات مصر والشام . وباب الديموقراطية واخبارها الذي لم نتمكن بعد من فتحه . فضلاً عن قصيدتين واحدة لنقولا افندي حداد في (تأثير المهاجرة على العقول القاصرة) . وواحدة لامين افندي ظاهر خيرالله في رواية ابن الشعب . ولكن لو كانت المجلة تصدر مرة في الشهر لامكن التوسع في ابوابها لاتساع نطاقها واستيفاء جميع موادها ونشر الرسوم الكثيرة فيها . وهذا ما عزمنا على الشروع فيه كما ذكرنا في مكان آخر . فتكون الجامعة كل شهر كتاباً كبيراً جامعاً لاشتات الفوائد الناضجة بالدرس والروية مستوفية جميع ابوابها وموادها ومتسعة للرسوم الجميلة العديدة

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

دينونة المصريين * الراحة في مصر

﴿ دينونة قدماء المصريين ﴾ وُجد هذا الرسم منقوشاً على هيا كل المصريين القدماء . وهو يمثل طريقة الدينونة بعد الموت عندهم . فاذا توفي الرجل قُبضت نفسه الى سماء (اوزيريس) الاله الاعظم ويقدمه اليه الاله انوبيس والالاهة (مايت) الاهة الحقيقة. واوزيرس جالس على عرشه كما ترى في الرسم وحوله ٤٢ الهًا من مساعديه . فيأخذ الاله انوبيس قلب الميت ويضعه في كفة ميزان الدينونة وتضع الالاهة (مايت) في الكفة الثانية الريشة التي هي شعارها. ثم يأخذ الميت في القاء خطبة صغيرة يُنكر فيها انه ارتكب ذنباً من الذنوب التي تسوء الالهة . فاذا كانت كفة القلب اخف من كفة الريشة أُدخل الميت الى عالم اوزيريس حيث يتمتع بالسعادة واذا كانت اثقل نُبذ من عالم السعادة . والاله توت هو الذي يُبلغ نتيجة هذا الوزن الى الاله اوزيريس كما ترى في الرسم



﴿ دينونة النفس عند قدماء المصريين ﴾
يوضع قلب الانسان في ميزان الدينونة امام الالهة المصطفة فاذا كان خفيفاً قُبل في سماء السعادة والا نُبذ منها

﴿ الراحة في مصر ﴾ هو اسم يُطلقه المصورون على رسم ليسوع والعذراء ويوسف في مصر بعد فرارهم من فلسطين اليها كما جاء في الانجيل . على ان المؤرخين يقولون ان يوسف والعذراء لم يسافرا قط بيسوع الى مصر . وفي مصر تقليد انهم استراحوا تحت شجرة في المطرية والناس لا يزالون يتبركون بهذه الشجرة حتى اليوم . على ان هذه الشجرة قد

تحطم بعضها في الشهرين الماضيين لهبوب زوبعة شديدة عليها . والرسم المنشور هنا يمثل يوسف والعذراء والطفل يسوع يستريحون بعد مشقة السفَر . والملائكة هبطت لملاعبة الطفل وتقديم الازهار اليه . وهو رسم للرسام دوسي موجود الآن في متحف بيتي في فلورنسا



العذراء والطفل يسوع ويوسف في مصر
يستريحون من مشقة السفَر بعد هربهم من فلسطين من وجه هيرودس

باب التقريظ والانتقاد

الشعراء والاحتلال المصري

قصيدتان بشأن مصر الاولى لحافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور ونشرتها جريدة المؤيد الغراء . وقد نظمها استقبالاً لجناب اللورد كرومر حين عودته الى مصر في هذا العام يُعرب له فيها عن عواطف فريق من المصريين المعتدلين بعد حادثة دنشواي . ومن دررها التي هي كدراري السماء تألقاً وسمواً قوله يخاطب قصر الدوباره مقام اللورد في مصر

اهلاً بساكنك الكريم ومرحباً بعد التحية انني اتعتب

وقوله ان ارهقوا صيادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا

ولعل هذا البيت ابلغ ابيات القصيدة . راجع ما كتبناه في هذا الشأن في الجزء الخامس الصفحة ١٩٠ وقوله عن المستشار القضائي في اثناء الحادثة

يختال في انحائها متبسماً والدمع حول ركابه يتصبب

ثم التى تبعة الحادثة على المستشارين (وبذلك وضع جناب اللورد فوق الاحزاب) تخلصاً الى استعتابه كان حضرات المستشارين يأتمرون بغير امره

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكِلْ ارواحنا للمستشار فانَّ عدلك اخصبُ

وافضْ على بوند اذا ولي القضا رفقاً يهش له القضاء ويطربُ

قد كان حولك من رجالك نخبة ساسوا الامور فدرَّبوا وتدرَّبوا

اقصيتهم عنا وجئتَ بفتيةٍ طاشَ الشباب بهم وطارَ المنصبُ

ثم رمى قلب مصر بسهمين لم يرمها بمثلها احد قبل الآن . ولكن للابن (خصوصاً اذا كان كحافظ) دالة على الام وهو معذور في تهييه الغريب . والكنانة اسم لمصر

واذا سُئلتَ عن (الكنانة) قل لهم هي امةٌ تلهو وشعبٌ يلعبُ

فاستبقِ غفلتها ونم عنها تنم فالناس امثال الحوادث قُلبُ

وقد سمى رصيفنا المؤيد هذه القصيدة (قصيدة القرن العشرين) ونحن نستحسنها اشد استحسان ولا غبار عليها عندنا سوى قول بعضهم ان الشاعر (قد اكثر فيها من تقبيل اليد التي تقيد وطنه بالسلاسل)

اما القصيدة الثانية فهي لاحمد افندي كاشف شاعر القرشية في مصر . وهي دون قصيدة حافظ قوة وجمالاً الا ان فيها صرخة عالية في حق مصر كانما خرجت من اعماق نفس متألمة . وقد ذكَّرتنا هذه الصرخة بصرخات فيكتور هيغو من منفاه يهزّ بها عرش نابوليون الثالث يوم استبدَّ بالجمهورية . ولم تنشر جرائد مصر هذه القصيدة لتطرّفها فطبعها ناظمها على حدة وبعث الى الجامعة بنسخة منها . فرأينا ان نشير الى اهم ابياتها لكي لا يُحرَم جزاء تعبه فيها وان كانت تحتوي على ابيات هو والجامعة فيها على طرفي نقيض ونستغرب صدورها عن اديب مطلع مثله . وهذه الابيات ضربنا صفحاً عنها

قال يستقبل الجناب الخديوي كما استقبل حافظ جناب اللورد . وكان الجناب العالي عائداً من الاستانة وفيه اشارة الى مرض جلالة السلطان .

هل بعد ما حادثته وشهدته جذلان يحسبه العداة عليلا

لا نعلم لماذا يُعدُّ الانسان عدوًّا اذا قال ان جلالة السلطان مريض

هبه مريضاً كان اياماً اما كان اللقاء على الشفاء دليلا

صِفْ للرعية كيف مكّن عرشه في المشرقين وشيّد الاسطولا

ومن قوله يذكر ما قالته انكلترا من انها تدافع عن حقوق الخديوي في حادثة طابه . واشار بعد ذلك اشارة جميلة الى اصلاح الجناب الخديوي بين الفريقين

قالوا استعان بنا على سلطانه من ان يمدّ يدا اليه طولى

هل تستغيث بضيفك المملول من اهليك والمولى الاعز قبيلا

اصلحت بين الحوت يخطر مائجاً والليث دون الغيل يحمي الغيلا

ابقيت هذا في اليباب مرابطاً ورددت هذا في العباب جفولا . .

ومن قوله حملته الشديدة على جناب هلباوي بك المحامي في قضية دنشواي . والغلو في مثل هذا المقام من ملازمات الاحزاب

واشدّ ما انتقموا به هذا الذي تخذ الرياء من الوفاء بديلا

هل كان يعوزهم سلاح فابتغى بلسانه لسلاحهم تكميلا

باع المواثق والعهود بشر ما اسـ ـتبقى به المشروب والمأكولا

فكأنه لم يُغرنا يوماً بهم الاّ ليغريهم بنا وُينيلا

ثم حمل على جناب اللورد كرومر حملة كهذه ولكن دون ان يجرأ على تسميته

ما بال« وهاب الامان »كما ادعى امسى يرى في كل فج غولا

واذا ازاغ الله باصرة امرىء ليخيفه ظن الذبابة فيلا

هل مل مصرفنا اليه ام رأى معروفنا عبئاً عليه ثقيلا

ام شاقه ما تصنع الابطال في قبض النفوس فكان عزرائيلا

كلمة(معروفنا) في البيت الثالث نظن انه لا محل لها من الاعراب

ثم قال يخاطب الجناب الخديوي مشيرًا الى الحكم في قضية دنشواي

لو لم يصوغوا الحكم باسمك لم نجد صبرًا على هذي الخطوب جميلا

الله ادبنا باكبر خلقه فعلاً وانفذ في البرية قيلا

كثر النضار ولا نصيب لنا وان اضحى على اعناقنا محمولا

في البيت الثاني تصريح جميل بنتيجة خمول الشرقيين واحقية العقاب على هذا الخمول .

وفي البيت الثالث اشارة الى خصب مصر وتمتع الاجانب بهذا الخصب · ثم قال في الخاتمة ابيات ابيات في التأني وتربية الجيل المصري الحاضر ومعرفة مصر جميل الاحتلال بعد زواله واجتناب هذا الجلاء بثورة · والخطاب للجناب الخديوي

كلهم الى الدهر القدير فانه ما زال عنك بما تريد كفيلا
واذا هممتَ بنا الى غاياتنا فالحزم ان لا نطلب التعجيلا
ومن المحال نجاتنا ان لم نكن ارقى نفوساً منهم وعقولا
ولقد تطلعنا اليها شمخاً فارفع على الاجيال هذا الجيلا
هي غاية الآمال شتى سبلها طوبى لمن تخذ السلام سبيلا
يا حسنهم اذ ينجلون ولا نرى الا الوداد اليهم موصولا
ان يذكروا اذعاننا نذكر لهم درساً تلقته البلاد جليلا
فليخرجوا شم الانوف ويتركوا ما شيَّدوه معالماً وطلولا
واذا اشترينا بالدم استقلالنا هاجرتُ كي لا اشهدن قتيلا
ضيق السجون ولا تملق خائن لا يحسن التأويل والتعليلا

وقد نشرنا هنا خلاصة هاتين القصيدتين للدلالة على حالة النفوس في مصر من الوجه السياسي · وهما عبارة عن تاريخ تلك النفوس في برهة مرّت ولعلها لا تتجدد · ونودّ من كل قلبنا ان يكون تعيين حضرة القاضي الحازم والعالم العاقل سعادتلو سعد بك زغلول وزيراً للمعارف في مصر وعناية اخواننا المصريين بانشاء المدرسة الكبرى التي دعوها (الجامعة المصرية) (١) بدء نشأة جيل جديد في مصر وميل جديد في سياسة الاحتلال الى الرفق واللين وزيادة التوفيق بين الحاكمين والمحكومين

☙ صدور الكوخ الهندي ❧ صدرت رواية الكوخ الهندي مطبوعة اجمل طبع ومزينة برسوم عديدة وتُطلب من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

---

(١) اتفقت اللجنة التي شرعت في مصر في انشاء (الكلية) وجمع المال لها على تسميتها (الجامعة المصرية) وهو اسم يسرّ مجلة الجامعة لمشاركتها لها فيه · اما العرب فكانوا يسمون امثال هذه المشروعات الجليلة باسم آخر · فكانوا يقولون دار العلوم مثلاً · ومنها (دار الصناعة) التي كانت مشهورة في الاندلس

الجامعة

صدورها يومية

(بشرى لقراء الجامعة في اميركا والخارج)

(١) ستصدر الجامعة سياسية اخبارية تجارية « كل يوم »

(٢) وستستمر على صدورها علمية اجتماعية « كل شهر »

قلنا في جزئين سابقين ان قراء الجامعة سيسمعون عنها في زمن قريب اخباراً تسرّهم . والآن نخبرهم مرادنا بهذا القول

سبب بقاء الجامعة في اميركا قلنا في المنشور الذي وزعناه من مصر ان الذي اقنعنا بنقل الجامعة من مصر الى نيويورك امران . الاول الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة حيناً من الدهر في وسط مدنيتها العظيمة . والثاني الرغبة في ضم عمل تجاري في اميركا الى عمل صحافي . ولما قدمنا الى اميركا واصدرنا الجامعة فيها رأينا الصعوبة الكبرى في الاشتغال بالتجارة والجامعة معاً لانه على ما جاء في الامثال (لا تُمسك بطيختان في يد واحدة) ولذلك عدلنا عن الاشتغال بالتجارة وانصرفنا الى الجامعة وحدها . وهذا العدول عن التجارة ابطل احد السببين اللّذين اقنعانا بالانتقال من مصر الى اميركا . بل أبطل السببين معاً لانّ مشاهدة اميركا ودرس احوالها لا يقتضيان اكثر من شهر او شهرين . فكان في امكاننا الاقامة هنا ثلاثة اشهر فقط ثم العودة بعدها الى مصر . لان القراء الذين يقرأون الجامعة هم هم سواء صدرت في اميركا او في مصر . ومهما زاد عدد قرائها الكرام في الولايات

المتحدة فان زيادتهم لا تعدل عند منشئها مشقة الانتقال وخسائره

فبقي انه كان لنا غرض في بقائنا في اميركا · ولولا هذا الغرض لما بقيتْ الجامعة فيها · وهذا الغرَض هو خدمة الجامعة والمهاجرين بجريدة يومية كبرى على نسق جرائد مصر اليومية الكبرى · وهذا اوان الشروع في هذا المشروع الكبير الذي يسرّ ولا شك اخواننا المهاجرين في جميع الاقطار الاميركية

﴿ الجامعة اليومية ﴾ سيكون اسم الجريدة اليومية التي عزمنا على انشائها (الجامعة اليومية) او (جريدة الجامعة اليومية) وهي تصدر كل يوم بين الظهر والساعة الواحدة بعده وعدد صفحاتها ثماني صفحات كبرى طافحة بالمقالات والابواب والاخبار السياسيّة والادبيّة والتجاريّة والصحيّة

﴿ الجامعة الشهرية ﴾ ومما لا بد من الاشارة اليه ان صدور الجامعة يوميّة لا يؤَثر اقل تأْثير على (مجلة الجامعة) بل سيكون انفع لها وادعى الى زيادة نشرها · ولكن عزمنا منذ اليوم على ادخال تغيير صغير فيها · فاننا كثيرًا ما شكونا وشكى قراؤُها معنا من ضيق حجم المجلة بعد اصدارها مرتين كل شهر ولذلك لم تكن صفحاتها تسع جميع ابوابها وكنا نضطر احيانًا الى الاختصار في مقالاتها وابوابها ورسومها · ولكنها لو صدرت كل شهر مرة لكان حجمها اوسع كثيرًا وامكن ان نضمّنها الابحاث الطويلة · وهي كانت تصدر في مصر مرة في الشهر ايضاً فاذا اعدناها الآن الى الصدور مرة في الشهر فانما نعيدها الى اصلها · ولذلك سنجعل صدورها مرة في الشهر ونزيد في تحسينها زيادة تجعل قراءها في غاية الرضى عنها كما سيرون ذلك في اول جزء منها يصدر شهريًا · وستبقى اشغالها ومراسلاتها واشتراكاتها منفصلة عن اشغال الجامعة اليومية ومراسلاتها واشتراكاتها

﴿ تحريرها ﴾ ورغبة في جعل مواد الجامعة اليومية وفوائدها من الطراز الاول بين الجرائد العربية في مصر وغير مصر فقد جعلنا التحرير فيها مشتركاً بين اربعة كتاب . فقد اتفقت الجريدة مع جناب الكاتب الفاضل والشاعر المجيد نقولا افندي حداد المشهورة آثاره الادبية بين كتاب مصر والشام على ان يتولى تحرير الجريدة بمساعدة محرر معه . وعدا ذلك يحرر في الجريدة كل يوم صاحب مجلة الجامعة . وتتولى صاحبة مجلة السيدات المدموازل روزا انطون القادمة الى نيويورك في هذا الشهر المباحث العائلية والنسائية في الجريدة . هذا عدا عن مقالات صحية يكتبها للجريدة حيناً بعد حين احد الاطباء الافاضل

﴿ مراسلاتها ﴾ وما عدا هذا فقد عينت الجريدة مراسلاً لها في مصر يوافيها باخبار مصر السياسية والادبية في مقالات غاية في الطلاوة والفائدة . وعينت في سوريا ولبنان عدة مراسلين سيبعثون اليها باخبار سوريا ولبنان بتفصيل وافٍ وشرحٍ كافٍ فلا يفوت القارىء شيء من اخبارهما الكبيرة والصغيرة . ولها فضلاً عما تقدم مراسلون ووكلاء في جميع الجهات التي تصل اليها الجامعة كتونس والجزائر ومراكش والهند والقوقاز وروسيا على الخصوص . وسيكون لها مراسل خصوصي في الاستانة يوافيها بالاخبار التي تنشرها جرائدها والتي لا تنشرها

﴿ لاميركا الشمالية والجنوبية ﴾ وستكون الجامعة جريدة يومية ليس فقط لاميركا الشمالية بل ستكون ايضاً جريدة يومية لاميركا الجنوبية . ففي البرازيل وكولومبيا والارجنتين وفنزويلا وغيرها لمجلة الجامعة مئات من القراء والمحبين سيبذلون عنايتهم للجامعة اليومية كما بذلوها للمجلة . ولا شك عندنا في ان الاقبال عندهم على الجامعة اليومية سيكون كاقبالهم على الجامعة الشهرية لان مبادىء الجامعة اليومية وخطتها واسلوبها في الكتابة والسياسة مبنية على مبادىء مجلة الجامعة واسلوبها وخطتها التي اعتادها قراؤها

﴿ شركة الجامعة اليومية ﴾ وقد ابقينا الى الخاتمة اهم خبر في هذا المشروع الجديد . وهو ان الجامعة اليومية ستنشأ شركة بين صاحب مجلة الجامعة وصديقه رشيد افندي سمعان التاجر في نيويورك شقيق جناب الوجيه العاقل الخواجه انطون سمعان التاجر

المشهور هنا. ولقد عرفتُ الصديق رشيد ثاني يوم وصولي الى نيويورك وقد مرّت اليوم على صداقتنا خمسة اشهر عرفتُ في اثنائها من اخلاقه وحسن تربيته انه سيكون الصديق الموافق والرفيق الصادق في عمل عظيم اذا اقدمنا عليه معاً. وان اول شرط في الشركة بين الشركاء اتفاق الاذواق والاخلاق والاراء. وهذا ما سرني في رفقته وصداقته اكثر من اي امر سواه

هنا ما رأينا ان نقوله الآن في هذا الاعلان الاول بشأن الجامعة اليومية. وسيكون ظهورها في خلال شهر كانون الاول (دسمبر). وحين ظهورها سنرسلها الى قراء الجامعة في اميركا الشمالية والجنوبية هدية الى اسبوعين. وبعد انقضاء الاسبوعين على صدورها يرى القارىء رأيه في الاشتراك او عدم الاشتراك فيها. وانَّ املنا في اقبال جمهور المهاجرين في الاقطار الاميركية على الجامعة اليومية عظيم جدًّا ليساعدوا في دار هجرتهم على انشاء جريدة كبرى نحب ان نجعلها لهم جامعة لشروط الصحافة الحقيقية من كل وجه

ولا يسعنا قبل الختام الآن نذكر بالخير رصفاءنا اصحاب الجرائد في اميركا الشمالية والجنوبية الذين اكرموا وفادة الجامعة وعاملوها بما في طبائعهم من مكارم الاخلاق. واحب شيء الى الجامعة الشهرية واليومية ان تكونا يدًا واحدة مع رصيفاتها الكريمات في الخدمة النافعة وترقية صناعتنا في اميركا ترقيةً تُكسبها احترام الناس لها. وهي ستبذل جهدها في اجتناب كل ما يسوء احدًا منهم. فاننا نحن اصحاب الصحف يجب علينا ان نكون مثالاً لقرائنا في كل ما ندعوهم اليه من سبل الاصلاح والارتقاء. ولذلك تصافح الجامعة اليومية جميع رصفائها في اميركا الشمالية والجنوبية قبل ظهورها مصافحة وداد واخاء. وهي لا تنسى وداد الرصيفات في مصر والشام لها قبل انتقالها الى اميركا وبعده. وانما اول تحيةً لها وهي جنين في ضمير الايام هي الى تلك الرصيفات الكريمات

ولما دخل سنيكا الأب وسنيكا الابن الى بيت مريم كانت مريم مستلقية في فراشها دون وعيٍ وبجانبها حنه . وكان الترجمان اليهودي يتبع الشيخ والشاب مستغرباً جرأتهما على الدخول الى هذا البيت دون ان يخافا كلام الناس . ولكنه قال في نفسه انهما غريبان والغريب لا يبالي بكلام الناس لجهلهم بحقيقة امره فضلاً عن ان ما رآه في اخلاق الشيخ وتأدبه ابعد كل ظن سيء فيه . واذا تكللت قمة الانسان العاقل باكليل الشيب وصفت نفسه من كدورات المادة واصبح على شفا القبر فهو يضع يده في اقذر يدٍ لامرأة فتطهرها بمجرّد مسها لها ولا تتنجس يده منها

اما الشيخ فمذ اشرف على سرير مريم اختلس النظر الى ابنه ليرى تأثير منظر تلك المرأة الجميلة في نفس الشاب . فرأى لوسيوس ينظر الى تلك المرأة الغضة التي كانت كانها على فراشها برج فضة بعينين متقدتين باحثتين . ولكن الاب كان يعلم ان الشاب الذي عاشر سيدات رومه الظريفات الجميلات وشهد بهاء كبيرات الرومانيات وبذخهنَّ ودلالهنَّ لا تروقه بعد ذلك قرويَّة من امة ضعيفة منحطة مهما كانت جميلة . اذ لاتفاق الاذواق والتربية والاخلاق ابلغ تأثير في اتفاق القلوب . ولكن عند القلوب الحامية هذا النظر نظر شيخ شبع من الايام لا نظر شاب يتطلع الى جميع ضروب الجمال وافانين الرقة المختلفة التاثير والاجتذاب في الجنس الانثوي

وكانت مريم راقدة في سريرها بعد النوبة التي اصابتها ووجهها الناصع البياض منتفخ تحت شعرها الاشقر الجميل كانه ملطخ بالدماء من تأثير النوبة . وكانت احدى يديها الناعمتين البيضاوين على صدرها تقبض بها على ثوبها الابيض الناصع بتشنج شديد ويدها الاخرى تقبض بها على خشب سريرها . وكانت اجفانها مطبقة الا انها كانت ترتجف . وصدرها العريض البارز يخفق خفقاناً منتظماً . اما سائر جسمها فقد كان يابساً كانه قطعة واحدة

فلما وقع عليها نظر الشيخ علم من حالتها هذه ان نوبتها لم تفارقها بعد . فاسرع اليها واخذ بيده الجليلة يدها البيضاء الناعمة ليجس نبضها

في هذا الحين فتحت مريم عينيها . وكانتا زرقاوين نجلاوين (١) وفي اشفارهما وَطَف (٢) كانما هي نبال مغروسة في اجفانها . وكانت هذه الاجفان مكحولة كحلاً طبيعياً فكان لزرقة

---

(١) واسعتين (٢) عن الثعالبي « الوَطَف طول الاشفار وتمامها » وفي الحديث انه « صلعم » كان في اشفاره وَطَف

عينيها تحت سواداجفانها منظر رائع يعاكس بعضه بعضاً ولكن يكمل بعضه بعضاً. ذلك لان الزرقة في عينيها كانت تجعل لها نظراً لطيفاً ضعيفاً ولكن السواد في اجفانها كان يمدّها بقوّة وحماسة غريبة . فالناظر اليها لا يتمالك من الدهشة لاجتماع هذين النقيضين فيهما

ولما فتحت مريم عينيها نظرت بهما على غير هدىً الى ما حولها وهما ثائرتـان منتفختان محمرّتان. واذ وقع نظرها على اشخاص غرباء في غرفتها وثبت كما بدفع دافع وابستوت جالسة في فراشها وقد جذبت يدها من يد الشيخ بقوة . ثم ضحكت ضحكة شديدة . ضحكة ألم واشمئزاز واحتقار وصاحت باعلى صوتها ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟

فلم يفهم الشيخ كلامها ولكن الترجمان اسرع فتقدّم وهمّ بالكلام ليشرح لمريم سبب زيارة هذين الرجلين لها . فاتمّت مريم كلامها بغضب شديد دون ان تسمع كلام الترجمان. وكانت حنه في اثناء ذلك تحاول تسكينها وإنامتها

ـ وانت ايضاً ايها الشيخ القذر ؟.. قبحاً لك ولشيبك ... روماني ايضاً ؟.. قه قه قه .. شكراً لك ... قد كفاني ما رأيته منكم ايها الرومان اللئام .. انني انا المرأة الساقطة الدنيئة لا افعل ما تفعلونه ... انتم كبار عظام ولكن في نكث العهود واخلاف الوعود ... قه قه قه. جئتم تمدنوننا وتعلموننا النظام . فهلاً بدأتم بنفسكم ...

ثم استجمعت قواها ورفعت ذراعيها في الهواء واغمضت جفنيها كانها تسبح في عالم غير هذا العالم وقالت متهقهة ويداها ممدودتان نحو الشيخ

ـ تعالَ .. تعالَ اليَّ يا حبيبي الشيخ القذر .. تعالَ وامرغ جبهتك التسعينية في صدر اطهر من لحيتك ..

وكأنّ قواها نفدت بعد هذا الكلام فاستلقت دون هدىً على فراشها وعاودتها نوبتها في اشدّ حالاتها

ولم يترجم الترجمان شيئاً من هذا الكلام لسنيكا وابنه ولذلك لم يفهما شيئاً منه. فسأله الشيخ ماذا تقول المرأة. فهمّ الترجمان ان يصنّف له كلاماً من عنده واذا بقزم تقدّم الجميع نحو فراش مريم وقال باللغة اللاتينية بشيء من النزق

ـ اظن انكم تحسنون صنعاً اذا تركتم هذه المرأة المسكينة وشأنها ايها الاخوان

فلما سمع الشيخ والشاب الكلام بلغتهما من ذلك القزم التفتا اليه بكبرياء رومانية . وقال له لوسيوس ابن الشيخ

ـ وما شأنك انت هنا

فاجاب القزم بغضب

ـ شأني هنا ارفع من شأنك . نحن من وطن واحد وجنس واحد وانني لأخجل من ان يقال ان الرومانيين يأتون ما تأتونه الآن في هذا المكان بجانب فراش امرأة ساقطة مسكينة من التلذذ بمرأى عذابها وشقائها . انني فررتُ من رومه لكي لا ارى امثال هذه القسوة والاعمال تصدر عن «الرومانيين ممدّني العالم» فانا الآن باسم المدنية الرومانية التي تدّعونها و باسم الوطن الروماني والاسم الروماني ادعوكم الى الخروج من هنا

وكان الشيخ عابساً في اثناء هذا الكلام . اما ابنه فابتسم واجاب

ـ لا شك عندك في اننا ندنس الاسم الروماني في وجودنا في هذا المكان . ولكن انت ايها الروماني الشريف لماذا جئت الى هنا . لعلك جئت تصلي ...

فاجاب القزم ولا ريب ان القارىء قد ادرك انه شيشرون الذي تقدم ذكره

ـ جئت الى هنا لامر افضل من الصلاة عندي . وانني اقدر ان امس بيدي يد هذه المرأة وتبقى يدي طاهرة اطهر من يدك

وكأن الشيخ ملّ هذا الخصام بين ابنه وذلك القزم او انه رأى الحق في جانبه في ملاحظته . فقال لابنه . لوسيوس لا تجاوب . ثم التفت الى شيشرون وقال بسكينة العقلاء

ـ ما اسمك يا بني . فاجاب شيشرون ـ اسمي ابن الارض

فابتسم الشيخ وقال ـ كلنا ابناء الارض يا بني ولكني احب ان اعلم اسمك لانني سررت بانني وجدت في مكان كهذا المكان رومانياً يقول ما تقول

فقال شيشرون وكان لا يزال في نزقه . وانت ما اسمك ياسيدي

فاجاب الشيخ ضاحكاً . اسمي سنيكا يا بني

فلما سمع شيشرون اسم «سنيكا» تراجع الى وراء مدهوشاً . فلمح الشاب دهشته فابتسم قليلاً . اما الشيخ فقال بجدّ متلطفاً

ـ لا نعتب عليك يا بني لانك لم تعرفنا . نعم انا سنيكا المعلم في رومه وهذا ابني لوسيوس وقد جئنا الى هذه البلاد للسياحة فيها ترويحاً للنفس من عناء المعيشة في رومه وجوّها المضطرب . ولما وصلنا الى مجدل سمعنا بخبر هذه المرأة وبلغنا الساعة سقوطها امام بيتها بنوبة عصبية فجئنا نفتقدها شفقة عليها ورغبةً في مشاهدة أثر من آثار الشقاء البشري في هذا الزمان

فلما تحقق القزم شيشرون ان الرجل الذي أقدم على اهانته بمثل ذلك الكلام هو

سنيكا المشهور اديب رومه الذي كان يقرأ كتاباته بلذة تحت نخلة بجانب بيت مريم كما ذكر لها ذلك في ما تقدم اسقط في يده وحار في امره . وبعد ان تلعثم قليلاً تقدم باحترام من الشيخ الجليل وقال

ـ عفواً يا مولاي عن جراءتي وغضبي . ومثلك يعفو عن مثلي . وقد اثر بي قولك انك لا تؤاخذني بما قلتُ وفعلتُ لاستحسانك قولي وفعلي . فان هذه الشهامة خليقة باديب الرومان وعظيم البيان . ثم التفت الى لوسيوس ابن الشيخ وقال : وانتَ يا سيدي لستَ باقل شهامة من ابيك الكريم . ولا عجب في ان يكون هذا الشبل من هذا الاسد . وانني كمغرم بالادب والبيان اتمنى ان تكون خليفته في رومه وسيد البلغاء والحكماء فيها . فعفواً عن جراءتي ووقاحتي

ثم التفت شيشرون الى الشيخ وقال . هل ياذن لي مولاي بان اطلعه على السبب الذي جعل هذه المراءة المسكينة في هذه الحالة . فاجاب الشيخ نعم انني احبُّ الاطلاع عليه ولكن يجب علينا اولاً ان ننظر في مداواة علتها واذهاب آلامها

فالتفت شيشرون الى مريم وهي على فراشها وقال . اظنها استراحت الآن لانني لا ارى عوارض الألم والنوبة في جسمها كانَّ نوبتها انتهت باستفراغها وسعها في غضبها

وفي الواقع ان مريم كانت في هذا الحين راقدة براحة وهدوء في سريرها وقد ذهبت عن وجهها وجسمها دلائل الاضطراب التي كانت فيها

فدعا شيشرون الشيخ والشاب الى شجرة في الكرم خارج البيت قائلاً وهو يبتسم

ـ ان هواء هذا المكان ثقيل رديء فلنخرج يا سيدي الى تلك الشجرة فانني كثيراً ما جلستُ تحتها اقرأ كتاباتك السامية

ولما صار الثلاثة تحت الشجرة اخذ شيشرون يقص على سنيكا وابنه قصة مريم قبل سقوطها ويصف له نفسها واحوالها ويسرد له كثيراً من الاحاديث التي حدثته بها وهما على انفراد . فاعجب الشيخ والشاب بحالة نفس مريم وافكارها . والتفت الشيخ الى ابنه وقال له : اما قلتُ لك يا لوسيوس ان هذا كان نتيجة مبادئنا ومدنيتنا . ثم انتهى بشيشرون الكلام الى قصة يوليوس ومريم وكيف خدعها وهجرها بعد ان وعدها ان يعيش معها طول عمره معيشة شرف وكرامة . وانه يظهر ان مريم تحب يوليوس حباً شديداً فاصابتها هذه النوبة الشديدة بعد هجره اياها . قال شيشرون . وقد هجرها يا مولاي بحجة انه مدعو الى رومه لامر هام والحقيقة انه سافر الى اورشليم ليتزوج هناك بفتاة رومانية ذات مال طائل وقد كتمُ هذا عن مريم

الجامعة

الجزء العاشر — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٦ — ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

روميو وجوليت



(رسم الرسّام جالابر وفيه العاطفة الحبية في ارق مظاهرها)

رواية روميو وجوليت من اشهر روايات شكسبير وقد اصبحت رواية عمومية تمثلها جميع المراسح الاوروبية والاميركية . وقد كتبها قبل شكسبير لويجي دي بورتو والشاعر

كليزيا دي فرون وماتيو باندللو وارثور بلاك الذي نظمها شعراً في سنة ١٥٦٢ والارجح ان شكسبير اخذ موضوعها عنه . والقصة بين فتى وفتاة تحابا وكانت الضغائن السياسية تفرّق بين عيلتيهما وتحول دون زواجهما . فتزوّجا سرًّا زواجاً اسمياً ثم انتحر روميو لظنه ان جولييت ماتت وانتحرت جولييت بعد ذلك لانتحار روميو . وكثيرون يقولون ان هذه الحادثة وقعت حقيقة وغيرهم ينكر تفاصيلها ويثبت اصلها . ولا يزال في فيرونه تابوت من رخام يعتبره الناس قبراً لروميو وجولييت وقد قرأنا تفصيلاً له منذ عام في جريدة المائن . وقد ابلغ شكسبير في هذه الرواية الحب الطاهر اعظم مبلغ مؤثر في النفوس . والرسم الذي نشرناه هنا رسم روميو وجولييت متعانقين بعد الزواج رسمه المصوّر جالابر وتاريخه سنة ١٨٥٧ . وقد اجاد المصوّر كل الإجادة في رسم عذاب الحب والشغف على وجهيهما كما ترى في الصورة . وقد تُرجمت رواية (روميو وجولييت) الى اللغة العربية ترجمتين واحدة بقلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد وواحدة بقلم نقولا افندي رزق الله مدير ادارتي الاهرام والبيراميد في مصر . ولكل واحدة منهما مزية على الاخرى من وجه

الحكومات والاحتكار

«المستر ركفلر»

من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٠٦

الى سنة ١٩٣٨

✽ ثروته ✽ كانت ثروته سنة ١٨٦٥ تبلغ خمسة الاف ريال . فما انقضى عليها عشر سنوات في تجارة الاخشاب حتى بلغت خمسمائة الف ريال . وفي سنة ١٨٩٠ ابتدأ في تجارة زيت البترول فبلغت ثروته بها مائتي مليون ريال . وفي سنة ١٩٠٤ بلغت ٤٠٠ مليون ريال . وفي هذا العام « ١٩٠٦ » بلغت ستمائة وخمسة عشر مليون ريال

وقال طبيبه الخاص ان المستر ركفلر قادر ان يعيش حتى مائة سنة فاذا عاش الى المائة اي حتى سنة ١٩٣٨ تبلغ ثروته ٢٥ بليون (١) وسبعمائة واثنين وثلاثين مليون ريال وهذا المبلغ اضعاف الموجود في البنوك والمحلات التجارية وايدي الناس في العالم ذهباً وفضة ثلاث مرات . واذا اراد احد ان يعد هذا المبلغ يقتضي عده مائتي و٩٥ سنة وخمسة اشهر واسبوعين

(١) ٢٥ الف مليون ريال

وست عشرة ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة وثلاثاً وثلاثين ثانية بدون انقطاع -. اما عمره الآن فهو ست وستون سنة

﴿ هباته ﴾ وقد وهب سنة ١٩٠٥ احد عشر مليوناً وستمائة وعشرين الف ريال لبناء مستشفيات ومدارس وكنائس وللجمعيات . ووهب نصف مليون ريال الى كلية الطب في شيكاغو وعشرة ملايين ريال للمشروعات الوطنية مثل اصلاح طرق وبناء جسور . وستة ملايين ريال الى ورش ماد كيال كولج . ونصف مليون ريال لبارندر كولج ومليوناً وربع مليون ريال للولايات الجنوبية لبناء مدارس داخلية عالية ومليون ريال ليالو كولج . ومليون ريال لهارفرد كولج . ونصف مليون ريال لمدارس نيويورك وستمائة وخمسة وعشرين الف ريال حسنات للفقراء

وهو لا يحب ان ينقل ساعة او خاتماً ثميناً ولا ان يفرش بيته باثاث ثمين لكنه مولع بالتحف القديمة يشتريها باغلى الاثمان في اثناء سياحاته في اوروبا

﴿ كلمة في هبات الاغنياء ﴾ واذا كانت حياة رجل كركفلر هي مثال للناس في الجد والاقدام وحسن التدبير والنشاط فهي ايضاً يجب ان تكون مثالاً للحكومات في العالم. فان اجتماع ثروة الامة في افراد قلائل الى هذا الحد لما يفسد الاحكام ويضعف حرية الاتجار ويعطل مصالح الناس . فاذا ذكرنا هبات هؤلاء الاغنياء للامة التي خرجوا منها وجب علينا ان نذكر ايضاً الطرق الرديئة التي حصلوا ثروتهم بها من دماء تلك الامة وتعب ابنائها وخراب بيوت تجارها المتوسطين والاصاغر . ولذلك ستكون مسألة الاغنياء الكبار في اميركا من اهم مسائل السياسة في هذه البلاد . وربما دارت عليها وحدها رحى الحرب السياسية في الانتخاب الرئيسي الآتي (١)

قال شاعر لاتيني « ليس للذهب رائحة » ويعني ان الناس ينظرون الى صاحبه ويقتبلون هباته دون ان يشموا رائحته ليعلموا هل هي كريهة لصدورها عن مصدر كريه ام

---

(١) مما يدل على ان مقاومة الحكومة لشركات الاحتكار مقاومة قانونية تؤثر في تقليص سلطة هذه الشركات وايقاف نموّها ان المستر ركفلر الذي عليه الكلام في هذا الفصل قد نقصت ميزانية اشغاله في احتكار زيت البترول في هذا العام ١٤٠ مليون ريال عن ميزانيته في السنة الماضية . وهذا برهان على فساد قول القائلين انه لا تأثير لمداخلة الحكومة في تقليص مصالح المحتكرين وذلك لحرية التجارة . فان هناك فرقاً بين حكومة تغض الطرف عن الاحتكار والمحتكرين وحكومة تراقبه وتراقبهم مراقبة شديدة

هي طيبة لصدورها عن مصدر طيب اساسه فقط الجد والنشاط وحسن التدبير · ولم يُسمع عن جمعية او مصلحة عمومية ردّت هبات الاغنياء اليهم لانها مصبوغة بدماء الناس وعرقهم الأ جمعية واحدة في اميركا · وخليق بالامة التي ينشأ فيها اغنياء كبار الى هذا الحد ان يصدر عنها مثل هذا التقريع والتنبيه الى اساس نظام الكون جرجي ابرهيم حداد

شيء عن رأيهم في الجامعة

« سرّ القراء ظهور الجامعة بعد احتجابها عنهم زماناً شعروا فيه بانهم فقدوا شيئاً من اعز الامور لديهم · ولا عجب في هذا فانهم كانوا يرون منها انشاء يدخل اعماق النفس في احساسها والقلب في اشواقه والعقل في تأملاته · فهي كمرهم يوافق كل جرح او كمطلب ينطبق على كل ذوق وشوق · ويقيننا انهم رأوا من نفثاتها وهي بنت العالم الجديد فوق ما كانوا يرونه منها وهي في عالمها هذا القديم · وفي هذا ما يعوض عليهم ما فات ويدعوهم الى زيادة الترحيب بها في ما هو آتٍ· على ان الذين نعرفهم من قرائها في مصر استقبلوها كلهم بترحاب عظيم وقد قامت لديهم حسناتها شفيعة عن طول غيابها · ولكننا نرجو ان لا يتناسوا هذه الحقيقة وهي انها ككل كائن آخر لا يعيش الاّ على مبدأ تبادل المنفعة والامداد فلا يستقبلونها بوجوه باشّة وأيدٍ مغلولة الى الاعناق او كما يقال عندنا في مصر « كالوز حنوّ بلا بزّ » · وعارٌ على المتأدبين الذين يفهمون ما يقرأُون ان يكونوا في حاجة دائمة الى مثل هذا التذكير· وما قيل عن علاقة المشتركين بالجامعة في هذا الصدد يصح قوله عن علاقتهم بكل جريدة اخرى علمية او سياسية ما دام انها تصدر تحت سماء الشرق وتستمد قواها من الشرقيين »

مجلة المحيط المصرية

تأثير المهاجرة

على العقول القاصرة

(يوسف وندى بين اميركا والشام)

نظم جناب نقولا افندي الحداد

هي حكاية حال رجل متزوّج هاجر من الشرق الى اميركا ووصف تأثير اميركا على نفسه وعلى أخلاقه ادبيًا و بسيكولوجيًا . وليس هذا التأثير عامًا بل خاصًا تبعًا لاستعداد النفس له . لان المهاجرة على وجه الاجمال ترقي اكثر المهاجرين وتجعلهم افضل مما كانوا قبلها من عدة وجوه وان كان هناك امور سيئة كثيرة تحق الشكوى منها

لعينيكِ مشغوفَ الفؤاد الملوّعِ فلا تفطري قلبي بهذا التفجعِ
ادمعًا واشراقُ ابتسامكِ مغنم اضحي له بالمقلتين ومسمعي
اعيذكِ يا معنى حياتي من الاسى وافديكِ من شر المصاب المصدّعِ
فقالت وقد عادت يجد بها البكا وتُغرق فيه مثل طفلٍ مروّعِ
أتحبس عيناي الدموعَ دوافقًا ويبقى فؤادي هادئًا بين اضلعي
اذا انتَ ازمعتَ الرحيلَ وبيننا بحارٌ وبلدانٌ وعهد تضعضع (١)
وشرُّ شماتٍ بالتي بك أُولِعت وشذّت على رغم الاب المتمنّعِ
فما جهدُ ذاتِ الخدرِ في الشرقِ ان دجا عليها الشقا يومًا سوى ذرف ادمع

***

فقال لها والحزن يسحق قلبه وحرمة عهدٍ قط لم يتزعزعِ
وعينيكِ والمعنى المردّدِ فيهما بمِسمعِ قلبي الفاهم المتسمّعِ
لاجلك ابغي السعي للرزق والثرا واجهد نفسي فيه اجهاد مُزمعٍ (٢)

(١) الذل والفقر

(٢) ثبات العزم على الامر ولا يكون بمعنى العتيد كما يظنون (محيط المحيط)

الم تنظري ان الحياة هنا غدت تسيرُ مسيرَ القانط المتفزّعِ
وقد كفرت هذي البلاد باهلها فتأبى عليهم اي ريٍّ ومشبعِ
تميد بهم ميد الحرون تغيظاً اذا ما امتطاه فارس غير اروعِ
وتقذفهم للغرب تحت يد القضا وتدفعهم في البحر اي تدفعِ
الم تعلمي إن الزمانَ لضيقٌ بحالتنا والعصر عصر توسّعِ
ومورد هذا الرزق اصبح ناضباً على حين ان الآن عهد التمتعِ
دعيني اذاً امضي الى حيث اهتدي الى موطن عذب الموارد ممرعِ
فاطلقَ للنفس الطموع عنانها لتجري كما تبغي ورا كل مطمعِ
واجمعَ من مجنى العزيمة ثروة وارجع في عامين افضل مرجعِ
وننفقَ انفاق الكرام ونقتني رياشاً ونختارَ الذرى خير مرتعِ
وتُكسي جلابيبَ الحرير ثمينةً ونقني نفيسات المصوغ المرصّعِ
ونقضي حياة العز والصفو والهنا ونأمن يأسَ المُعْدِمِ المتوقعِ
فقالت له اقضي اذا طال ذا النوى وما من عزاء فيه غير التفجّعِ
فقال لها لا عشتُ الاَّ معذَّباً اذا كنت اسلو ما تركتُ وما معي(١)
اما انا في حبيكِ إرثي فقدتهُ وخاصمتُ اصحابي وغاضبتُ مربعي
فدونك مني كل شهر رسالةً مدبجةً بالاصفر المتنوّعِ
وعانقها مستعطفاً متحبّباً وقبّلها يبكي بكاء المودّعِ

***

مضى وهي مدلاةٌ بخيطِ من الرجا ضئيلٍ الى جبٍّ من البؤس مُترَعِ
تهبُّ عليها النائبات عواصفاً مهدِّدةً خيط الرجا بالتقطعِ
مضت اشهرٌ لم يأتِ من بعلها سوى كتابٍ وجيزٍ بعدَ طول التوقّعِ
واثقلها الحملُ المبرّحُ منذراً باهوالِ وضعٍ مؤلمٍ ومروّعِ
ووافى لها غلاً شديداً وليدُها فعزَّ عليها الرزق من ايِّ مصنعِ
فباعت حلاها والعقار ولم تدع سوى عرضها الباقي وديعة مودعِ
تنازعها المغبونَ والفقرُ والعنا ولكنها استقوَت بحبٍّ مضيّعِ

(١) اي اذا كنتُ اسلو قلبي الذي تركته معكِ وقلبكِ الذي معي

وظلّت تصد النائبات شجيعة | وتلقى عزاء في الدعا والتضرّع

***

وهاجر للارض الجديدة يوسف | كهجرة اهل العُدم من كل بلقعِ
فاذهله فيها مفاخر اهلها | غرائب لم تخطر على بال اصمعِ
وشاهدهم يجرون خلف ريالها | سباقاً سراعاً جري مرب مفزَّعِ
فيصطدم العمال في كل منتحى | تصادمَ جيشٍ في الوغى متدفعِ
ويُصرع مكسالٌ ويسقط عاجزٌ | فتسحقه اقدام كل سميذعِ
وينتهب المحتالُ من كف كادحٍ | ويدّخرُ المطماع من فم أقطع
ويستاقُ ذو المال الفقير فيغتدي | على عملٍ تشقى به ذاتُ اربع
وينعم معتزّاً بمعظم ريعه | ويعطيه بعضَ الاجرِ كالمتبرّع
وتخرج من اخدارهن نساؤهم | ينازعنَ اهل السعي في كل موضع
فيا لك جيلاً ماله من عواطفٍ | ولولا اقتضاه الرزق لم يتجمّع
ويا لنظامٍ صامتٍ بات اهله | يدورون فيه مثل آلات مصنع

***

رأى كل هذا يوسفٌ متحيّراً | ولم يرَ بدّاً من وجوب التتبع
فاسرع خلف القوم يبغي دراكهم | فادركهم في منزعٍ إثر منزع
نما فيه حب النفس لكن ضميره | قضى فاظلّ الحق في ظلّ برقع
وكان له قلبٌ بلين كشمعة | متى مسّه الفكر المؤثر يُطبَع
وتصهره نار الحنان اذا ذكت | ويفريه صوت البائس المتضرع
فقسّته فيه عبرة بعد عبرة | وامسى كصنج بين كفي موقع
يردّد نفس الصوت مع اي عازف | سواء بحالي فرحة او توجع
وباع بحب المال كلّ فضيلة | وثمّ غدا ذا متجرٍ متوسع
وكان غناه موقظاً لغروره | وشر غرورٍ ما استتم باربع
ثراء بلا نُبلٍ وسير بلا هدى | وحرية مع جاهل وهو مدّع
وقصدٌ الى العليا بغير طريقها | وربّ غرورٍ ينتفي بالتطبع
تهالك في حب الوجاهة والعلى | فضاجر اهل الفضل في كل مجمع
وفاخرهم في لبس كل نفيسة | يظن التحلّي سلّماً للترفع

ونافسهم في الشرب واللعب والندى — واسرف في حب الحسان المصنع

***

وعنَّ له ان يستعزَّ مفاخرًا — ويختال عجبًا بين اهل واربعِ
فباع ببخس السعر حانوته الذي — تجاهد في انشاء مدَّة اربع
وسافر يحدوه التباهي بماله — ويبغي بافق الفخر افضل مطلع
فحلَّ بدار الاهل كالنعمة التي — تحلُّ على اهل التقى والتخشع
وعانقه ابنٌ طالما اشتاق قربه — لما عوَّدته امه من توقع
وضمته زوجٌ (١) لم تصدق رجوعه — وعزَّ بلقيا رهطه المتجمع
قضى ذلك العام الطويل مدللاً — يحفُّ به خلانه اينما دُعي
يتيه عليهم آنفًا متعجرفًا — ويشمخ فيهم شمخة المترفع
يعيرهم بالجهل حينًا كانه — تلقن كل العلم من فم لوذعي
ويدعوهم همجًا خلَوا من تمدُّن — ويقدحُ فيهم قدح واشٍ مشنع
ويحسب ما يأتي ولو كان منكرًا — نموذج ذوقٍ او مثال تورُّع
ويا طالما استزرى (ندى) فتذرَّعت — الى عطفة منه جميل التذرُّع
فكان يباهيها ببنت اميركا — ويمدح هذي شارحًا شرح مصقع

***

وفاخرهم يومًا ببنيان منزلٍ — يحف به الزهر الشديد التضوُّع
فانفق في عامٍ جنى العمر كله — واصبح ذا عسرٍ ومن قلَّ (٢) يخضع
فصمَّم ان يرتدَّ من حيث قد اتى — مخافة ملقى شامتٍ او مقرّع
فهبت اليه زوجه مستشيطة — تسدّد في اقعاده كل مقنع
وقالت له حسبي الفراق الذي مضى — وما مَمتُ فيه من عنا وتوجُّع
فوالله ما غادرتَ دارك لحظة — وما انتَ عني باعد قيد اصبع
فقال لها ما لارتحالي ندحة — فما عدت ارجو طيب عيشي بمرتعي
وفارقها لا يلتوي لنحيبها — وراح ولم يعبأ به من مودّع

***

(١) زوج مؤنثة بمعنى زوجة

(٢) قلَّ الرجل اذا نفد ماله او قلَّ

ولكن ندى ظلت تهذ بعلها وتوغل في تفكيرها المتوزع
بخامرها ظن اطار صوابها واذكى بها وجد الغيور الملوع
فما لبثت ان سافرت تستفزها بلابل لب موجس متضعضع
وقد باغنته ساكناً مع خليلة يدللها ما شاء تدليل مولع
ويبذل في ارضائها جني كفه وما لندى في قلبه شبه موقع
فما عتمت ان بادرت بمسدس تزمجر غيظاً مثل ليث مجوع
وقد افرغته فيها وغليلها يروبه مرأى مصرع تلو مصرع
ويوم القضا احتجت وكان احتجاجها كقاعدة في حكم كل مشرع
اذا خانني من رام مني امانة ودنس عرضي من بغى طهر مضجعي
تحلل لي نفسي اقتضاب حياته واي فظيع لا يكافا بافظع

مناظرة في التفاضل والمساواه

رد جناب نقولا افندي الحداد

لم اتوقع ان يؤمن القراء الكرام على كل رأي ابديه في هذا الموضوع الذي كتبت فيه ثلاث مقالات في الجامعة الغراء لانه موضوع حيوي اجتماعي يمس كل طبقة من الهيئة الاجتماعية بل كل فرد من المجموع فلكل فرد رأيه الخاص فيه. على انه اذا تأمل القارئ ما كتبته ادرك ما ادركه منشئ الجامعة من اني لم ابد رأياً في اي الوجهين احق — التفاضل او المساواة . وانما شرحت الواقع منهما مما قضت به طبيعة الحال واظهرت في بعض المواضيع استحساني لاحقية ما هو جار. ولا انكر ان ما كتبته دار بالاكثر على بيان التفاضل واستحسان بعض مواضعه على ان السبب في ذلك ان المساواة امر بديهي وهي اسبق من التفاضل في الطبيعة فلا تستوجه النظر ولكن التفاضل ينشأ من تنوعات الطبيعة وتفاوت مظاهرها فينبه الذهن اليه ولهذا لا يفطن الناس للمساواة الا متى راوا تفاضلا واذا راموا اثباتها حملوا على التفاضل

والذي يلوح لي ان حضرة الاديب شبل افندي دموس توهم ان ما كتبته في الموضوع انما هو صفوة آرائي فيه وآخرها فعني بأن يفنده ويسفهه مع ان المتأمل يدرك اني مقتصرٌ على شرح امور واقعة وتعليلها · وكأني به يدعوني في ما كتبه الى ابداء آرائي كلها في اي الامرين احق—التفاضل ام المساواة— في حين ان هذه المواضيع الاجتماعية والادبية معترك الباحثين ومختلف اهل النظر والراي لانها مختلفة الوجوه متنوعة المظاهر وكل منهم ينظر فيها الى وجه ·على اني لا اتردد ان ابدي رأيي في هذا الموضوع لما اعلمه من موافقته لإجماع السواد الاكبر من اهل النظر

قلت ان المساواة امرٌ بديهي واسبق في الطبيعة من التفاضل فان كل شيء ابتداء في الخليقة مستويًا ولكن في الطبيعة ناموس الحركة الذي لا يدع امرًا على استواء بل يدفع اجزاءها فيسابق بعضها بعضاً · ولا ندحة من التبسط في هذه القاعدة الطبيعية العامة·خذ اي مظهر من مظاهر الطبيعة تجد ان القوة المحركة تنقض الاستواء·خذ نوعاً من النبات كالليمون مثلا فان التاريخ الطبيعي ينبئنا انه كان في الاصل جنساً واحدًا في اقليم واحد فلما انتقل الى الاقاليم المختلفة ووقع تحت تأثيرات البئات الجديدة تنوّع فصار بعضه افضل من بعض · واذا علم القارئ ان البلان الشائك والورد واللوز من فصيلة نباتية واحدة فلا ينكر ان التفاضل بين هذه الاخوات حصل بحكم الطبيعة · واظن معظم القراء يعلمون ان النمر والهر من عائلة واحدة ويسلمون بان تفاضلهما في القوة جاء بحكم الطبيعة واذا علموا ان الوطواط الطائر والحمار والحصان من عائلة واحدة لتماثلها في التركيب فلا يعجبون لانهم يعلمون بالبداهة ان الطبيعة تلعب باجزائها لعب الصبية بالاكر فترفع هذا وتحط ذاك · وليس من ينكر ان المدني والهمجي والافريقي والاوربي والهندي الاميركي والابيض الاميركي كلهم بشر ولكن من الجهة الاجرى لا احد ينكر ان بين الهمجي المتوحش والحضري المتمدن تفاضلا عظيماً

وحاصل ذلك كله ان الطبيعة تقضي بتفاوت اجزائها او ان التفاضل بين الانواع ناموس طبيعي وهذا الناموس متمشٍ على الانسان كما هو متمش على سائر الاحياء

بل على الجماد

ولا يخفى ان ما تقضي به الطبيعة يدعوه الناس صواباً او حقاً وما يخالف نواميسها ويشذ عنها يسمونه خطأً او غير حق

ثم ان فواعل الطبيعة تختلف باختلاف مظاهرها فهناك فواعل مادية كالحرارة والنور الخ وفواعل عمرانية وفواعل اجتماعية وفواعل ادبية وفواعل سياسية وهي كلها مفعول الطبيعة والانسان واقع تحت كل هذه الفواعل ولا مناص من تأثره بها كلها معاً ولذلك لا بد من تفاوت افراده في جميع احوالهم وهذا هو منشأ التفاضل بينهم في قواهم الجسدية والعقلية والمدنية فترى الهمجي اقوى جسماً من المدني والاوربي اقوى عقلاً من الافريقي واسلم ذوقاً من معظم الامم الشرقية الى غير ذلك من وجوه التفاضل

واذا كان هذا التفاضل مقتضى ناموس طبيعي محتوم فلا مشاحة في انه صواب لان مصدر الصواب الطبيعة نفسها كما تقدم بيانه . وليس من ينكر ان حق المدني في التمتع من ملاذ الطبيعة اكثر من حق الهمجي لانه ارقى منه وقد اتصل الى هذا الحق باجهاد قوى عقلية ومدنية . والطبيعة نفسها تؤذن للمتمدن ان يتمتع اكثر من الهمجي وهما في ارض واحدة كما هو الحال هنا فان البيض اتوا الى هذا العالم الجديد وهم ارقى جداً من هنوده الهمج فعمروا البلاد وجعلوا يستغلونها ويتمتعون بغلتها ويتلذذون اضعاف لذة هنودهـا فهل تذم الطبيعة على تفضيل اولئك على هؤلاء وتوفير اللذة للبيض وحرمان السود منها ؟ بالطبع لا بل بالاحرى اذا تسنى للهندي الاميركي ان يتمتع كنفس التمتع الذي يتمتعه الابيض في حين انه احط منه جداً كان ذلك عسفاً في الطبيعة وشذوذا عن نواميسها

على انه ليس هذا موضع البحث في التفاضل والمساواة لان جل قصدي في ما تقدم ان ابين انه لا خلاف البتة عند جمهور الناس في ان مبدأ التفاضل ناموس طبيعي محتوم جار في كل مظهر من مظاهر الطبيعة من المادة الى العمران الى الاجتماع الى العالم العقلي بلا تميز او زيغان . ولكن موضع البحث في هذين النقيضين انما هو

في الاجتماع البشري فقط لان تحاسد البشر وتنازعهم وجهادهم في سبيل الحياة كل ذلك افضى الى تنازع هذين المبدئين — التفاضل والمساواة — ونبه اهل الفكر والتحقيق الى البحث في ,, هل ان ما بلغ اليه الان التفاضل في الاجتماع البشري حق وصواب او انه شذوذ عن نواميس الطبيعة وعسف " لان جمهور الناس ولا سيما اهل النظر منهم يسلمون بوجوب تفاضل الافراد في تمتعهم وحقوقهم بحسب تفاضلهم في قواهم وعقولهم وافعالهم وانما يختلفون مثلا في هل ان ما بلغ اليه تفاضلهم امام القانون حق او غير حق وهل ان تفاضلهم الحالي في السكنى والاكل والشرب حق او غير حق او هل تفاضلهم في الثروة صواب الى غير ذلك . واذا طالبوا بالمساواة في امر من الامور فلا يطالبون بها مطلقة . فالاشتراكيون مثلا يطالبون بتوزيع الريع او الربح من كل عمل على المشتغلين به بالنسبة الى ما يبذلونه فيه من القوى ويسمون هذا التقسيم مساواة مع انه بالحقيقة ليس مساواة مطلقة وانما هو تعادل بين الربح والقوى المبذولة للحصول عليه . وكذلك لما قام الناس في انكلترا وفرنسا وبعض ممالك اوربا يطالبون بتوزيع قوة الحكومة عليهم لكي يكونوا شركاء فيها ومتساوين لم يقصدوا المساواة المطلقة بل طلبوا ان يكون حق الانتخاب لطبقة خاصة من الناس يحدها ويميزها عن غيرها ما تملكه من الارض مثلا او ما تشغله من دوائر الشغل من علمية او دينية الخ . ومع ذلك سموا هذا الاشتراك في قوة الحكم مساواة . والاميركان انفسهم الذين هم اكثر الشعوب تقربًا من المساواة لا يخولون الدخيل في جنسيتهم كل حقوق الاصيل فليس للسوري او غيره من الاجانب المتجنسين بالجنسية الاميركية ان يُرشح لرئاسة الجمهورية ومع ذلك يفخر الاميركيون بتأييد مبدإ المساواة

فترى مما تقدم ان مبدا المساواة المطلق لا يقوم في العالم الاجتماعي كما انه لا يقوم في سواه لان الطبيعة نفسها تميل الى التفاضل . وانما جل غرض الداعين الى المساواة الأ يدعوا التفاضل يتمادى او ان يكبحوا جماحه كما فعلوا في اوربا بعد ان تجاوز حده في القرون الوسطى . مع ان تجاوزه الحد لم يكن مخالفًا للطبيعة لان

الجهل كان سائدًا فاعتصم بالقوة افراد من اهل الذكاء وجعلوا يتنازعونها ولكن لما استنار الناس بنور المعرفة اصبح ذلك التفاضل شاذا عن الناموس الطبيعي فقاموا يعدلونه ويقومونه فاستردوا معظم السلطة ووزعوها على الافراد بقدر ما يصيب الفرد منهم وبقدر ما يمكنه ان يحتفظ بنصيبه

وما اشرت اليه في مقالاتي السالفة عن التفاضل انما هو التفاضل الجاري الآن الذي قضت به الطبيعة وجعلته في موضع الصواب · ولا انكر ان هناك مواضع للتفاضل شاذة تحتمل المحاربة ولما كانت هذه المواضع موضعية اي خاصة بكل بلد او مملكة دون اخرى لم اتعرّض لها وانما اقتصرت على المواضع العامة وهي ما عني حضرة الاديب شبل افندي دموس ان يبرهن عن عسفها كلها بلا استثناء كانه لا يقصد ان يصل الى حقيقة بل يحاول ان يهدم حقيقة

اما ما يراه من استواء الناس „تحت نظام طبيعي واحد" فليس حقيقاً لان عوامل الطبيعة لم تدع للناس تساوياً بل جعلتهم متفاوتين في قواهم كما تقدم بسطه فوجب ان تتفاوت واجباتهم وبتالي وجب ان تتفاوت حقوقهم · اما التساوي امام الشريعة فواجب متى تقارب الناس في المعرفة والمدنية والقوى العقلية ولكنه يستنكر جدًّا ان يتساوى الهمجي الافريقي والابيض المتمدن امام قانون العقوبات فاذا عوقب المتوحش على الضرب والنهب بالحبس ثلاث سنين لا يستعظم هذا العقاب ولا يعده حاملا على التوبة ولا يكون عبرة لسواه في حين ان المتمدن يذوب وجلا من هذا العقاب ويتجنب الشرور لكيلا يقع عليه مثله

بعد استيلاء الانكليز على السودان حدث ان جماعة من السودانيين سطوا على قافلة للحكومة وانتهبوها فحاكمتهم محكمة مديريتهم حينئذ وحكمت على بعضهم بالاعدام وعلى بعضهم الآخر بالاشغال الشاقة المؤبدة على انها لا تحكم على البيض مثل هذا الحكم العنيف القاسي ولو كان الجرم اعظم · وسر ذلك التمييز ان الهمجي لا يهاب القانون ولا يقدر العقاب كما يقدره المتمدن ولهذا يجب ان يكون عقابهما متفاوتاً كتفاوتهما في عقليهما وادابهما واحساساتهما

واذا تاملت في حكايتي الشمامة والبطيخة وجدت بينهما فرقاً عظيماً وهو ان شاري البطيخة ليس ارقى ادباً واحساساً وضميراً من بائعها ولهذا وجب ان يتساويا امام القضاء

,,اما التساوي في الدستور فهو ضروري'' كما يقول حضرة صاحب الرد على شرط ان يتساوى او يتقارب (لان التساوي المطلق مستحيل) الافراد في جميع قواهم العقلية والادبية والعمرانية والاجتماعية الخ. والا فلماذا لا يبيح الاميركيون لهنودهم حق الانتخاب المطلق مع انهم اصحاب البلاد الاصليين. وما ظنه في مجلس نواب في السودان مؤلف من السودانيين هل يحسن تعمير البلاد كما يعمرها الآن المجلس المؤلف من البيض

واما ما انكره حضرته من فحوى قولي ان وجود طبقة النبلاء في انكلترا سبب لحفظ مجد انكلترا وصيانتها — فهو قول خاص بانكلترا وحدها ولا ادري ان كان ينطبق على غيرها . ويؤيد هذا القول كتاب تاريخي موضوعه نشوء ,,الحكم الذاتي'' في انكلترا منذ ١٤ جيلا الى الآن اذ استتم في شكل المجلس النيابي (البارلمنت) الحالي . وقد عرّبت هذا الكتاب حديثاً وظهر في مصر . فاذا قرأه القارئ والمقدمة التي مهدت بها اليه يحكم من نفسه ان مجد انكلترا الخارجي مؤسس على مجلس اللوردات ومجدها الداخلي على مجلس العامة . وفرنسا نفسها التي يستشهد بها حضرته ليست اكثر ديموقراطية من انكلترا اي ان الحكم الذاتي فيها غير متوزّع على افرادها بالتساوي والناس غير متساوين فيها امام الدستور . واذا قرأ كتاب ,, سر تقدم الانجلوسكسون '' تعريب سعادة فتحي بك زغلول القاضي في مصر يعلم ان انكلترا اكثر ديموقراطية من فرنسا . ثم ان الدستور في اميركا يساوي الناس امامه ولكن الواقع خلاف القانون لان ذوي الاموال هم المستقلون بالحكم كما لا يخفى ولا ريب ان طبيعة الاجتماع هنا قضت بذلك ولا يُرجع الى تنفيذ الدستور فعلا الا متى تفاقم الشر الناجم عن الشذوذ عنه

هذه اهم النقط الجوهرية التي يعتصم بها حضرته بقي التفاضل في امر الاقتصاد

واراه ينفيه بتاتاً فان كان هذا رأيه فيه فله ان يرتئي ما يريد وان كان يقصد الجول فيه فاني لم اقل بشأنه شيئاً الى الآن فارجو منه ان يتمهل ريثما انشر قولي فيه

على انه لا يستفاد من كل ما تقدم ومن المقالات السابقة اني افضل التفاضل بين الامم وبين الافراد على المساواة وانما قصدت فيه ان ابين ان ما كان من التفاضل قد ساقت اليه الاحوال سوقاً . على اني اتمنى ان تسود المساواة شيئاً فشيئاً وتتغلب على التفاضل وان لم يتسنَّ لها أن تنفيه . ولكن هذه الامنية لا تنال الا اذا تساوى الناس في قواهم العقلية والادبية وما تفرَّع منها . ولذلك علينا ان نتذرع الى حق المساواة بان نطالب بهذا الحق—اي حق تهيئة قوى الضعفاء الى تقلد حقوق الاقوياء — وعلى الاقوياء ان يأخذوا بأيدي الضعفاء ويقووهم مثلهم وثم يحسن ان يشركوهم بحقوقهم وعلى الفقراء ان يقاوموا الكبراء الذين يدوسون الضعفاء تحت اقدامهم وهم يتقدمون . عليهم ان يقاوموهم قبل ان يطالبوهم بحق المساواة

ولكن اذا قام جمهور الانام يطالبون بحكم يؤيد المساواة في الحقوق قبل ان تتم المساواة بالاهلية كان ذلك الحكم اولاً كأنه يكبح جماح ذوي الاهلية الى الوراء لان القوي في عقله وعمله وحسن ادارته اذا رأى نفسه مساوياً بالحقوق للضعيف مهما اجتهد ينثني عزمه — وثانياً كأنه يرضي القاصر والكسول بنفسه لانه متى رأى هذا نفسه مساوياً بالحقوق لمن هو اعظم اهلية منه يتقاعد عن السعي الى ان يبلغ مبلغه— هذا مجمل رأيي في قضية التساوي والتفاضل فاذا تدبره جيداً حضرة الصديق الاديب دموس افندي رآه خلاف ما توهمه في ما سبق وعلى كل اشكر له عنايته في انزال بحثي منزلة قول يستحق النقد

المسكينة جاني

وريشار الجاني

قصيدة في رواية ابن الشعب . لحضرة صاحب التوقيع . والكلام عن لسان جاني

يا رسولَ البقاء اهلاً وسهلاً سِرْ بروحي الى ديار البقاء
لستُ ارضى في هذه الارض مهلاً من يرجي مهلاً بارض الشقاء
قد انارت مني الحوادث عقلاً فأَرتني مظالم الاحياء
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

آه ريشار هل ذكرت زمانا عشت بالعزِّ في حمى والديَّا
تجتني منهما رضىً وحنانا آملاً ان تكون قلباً حيَّا
آه امسيت غادرًا خوّانا وبلا جنحة اسأْت اليَّا
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

اذكر الموقف الذي كنتَ فيه ساجدًا كي تحظى بنيل رضايا
وكلاماً كطعمةٍ تلقيه صيده كان مستكنٌّ حشايا
آه قد بان كلُّ ما تخفيه آه ما انتَ مخلص بهوايا
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

اخواتي بنات حواء سمعا لعظات تلقى من الامهاتِ
كم تغرُّ الشبّان قولاً وصنعا بالاماني ساذجات البنات
ان ريشار حينما صرت شرعا زوجة قد امرَّ حلو حياتي
فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قلب امي منبّه ضمن فلكٍ خاض بحر الحياة ذي الامواج

من الوف الاميال خشية هلك   نبَّه العقل من بلاء مفاجي
فاتركتُ انتصاحه شرَّ تركٍ   فاقتبلت الزواج شر زواجٍ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قد تزوجته كنسرٍ تسامى   باقتناص البزاة يمتاز نخرا
وانا كنت في الوداع حماما   يا لتعس الحمام قارن نسرا (١)
فاختلاف الاميال اولى انفصاما   واراني الحياة مكرًا وشرًّا

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

كان يبغي ولست ادري عروسا   زينتها الاموال والالقابُ
وتناسى حقي وحبي النفيسا   هكذا هكذا تخونُ الشبابُ
نخذوا يا بنات نوعي دروسا   بحياتي لمَّا عراني المصابُ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

اخواتي كم من كلام كعطر   والامانيُّ كلها للمالِ
فلنحاذر . هذي كمهواة شرٍّ   مجتنانا منها عظيم الوبالِ
فاعتمادي التفريط في بدء امري   قد دعاني احيا باتعس حالِ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

انظروا ان من اطاع هواهُ   ودعاه غرَّار قول فلَبَّى
سيوافيه من حبيب بغاه   ما يريه الحياة همًّا وكربا
ان ريشار اذ حوى مشتهاه   من زِواجي قد شابه الصخر قلبا

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

---

(١) الوداع المسالمة

ايها المرء ان خلعت العداله كان منك الذكاء ادهى اذيه
فاجعل الرشد تابعاً للنباله تسعدِ الناس بالاماني الشهيه
هاك ريشار حين جافى اعتداله قد عرتني منه الخطوب الفريه

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

رُمْتُ احيا لديه مثل وصيفه ليظلَّ المعزَّز المتعالي
فابى لي تلك الاماني الشريفه وقضى جوْرُهُ على آميالي
بتُّ من بعد خيبتي مثل جيفه ايُّ روح للفاقد الآمالِ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائبْ

رام نفيي كمن اتى الامر ادًّا وذنوبي اخلاص ودٍ مقيم
وأَبت لي الصروف ما رام قصدا كم صروف مخبيات المروم
فالتظى كالبركان غيظاً وحقدا وابتغى ان يزجنَّي في الجحيمِ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

قال صلّي دنا اوان الحِمامِ اذ دنا موعداً قدوم عروسي
لم تطيعي امري فذوقي انتقامي ذا جزاء المرؤوس عاصي الرئيسِ
فسقاني على نقيٍّ غرامي من كؤوس العذاب مرَّ الكؤوسِ

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

انما في السماء عينٌ رعتنا فأبت ان تنيله ما راما
اذ دنا من احرازه ما تمنى شام ما رامه سحاباً جهاما
فالعجاب العجيب ما كان منا بعد ما رام ان اذوق الحماما

وبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

عاد نحوي يودُّ حفظ حياتي وحياتي انحلّت من الاغلالِ
نادماً تائباً عن السيئات صدرت عنه من تباع الضلالِ
مالئاً مسمعيَّ من كلماتٍ قد روت مهجتي كريّ الزلال

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

يا حبيبي صفحتُ عما اجترمتا لا اجازي اساءةً باساءه
طِبْ باهل لقيت مجداً ووقتا فهو مما يولي فؤادي هناءه
فالى الاهل يا حبيبي بؤتا وحلا لي انا لاهلي المباءه

فبدا لي الرقاد اشهى الرغائب

غفر الله يا حبيبيَ ذَنْبَكْ فلقد جدتَ لي بقول الودادِ
فأْنِ بالوفاء لا المجد لبَّكْ ذا ذرورٌ على جراح فؤادي
بعد ما خامر التأثر قلبَكْ لستُ اشكوك لاجتلاب رقادي

بل بدا لي الرقاد اشهى الرغائب

بعد هذا الصفح الجميل تولّت لديار البقاء والثغر باسم
ايها القارىء الرواية جلّت ما حوت من مكارم ومآثم
اترى العدل يرتضي ما استحلّت ام ترى رفقها يزيد الجرائم

لاعتبار السماح اشهى الرغائب

انني لو أُعطَى قضاءً عليه لم اكن صافحًا على ما جناهُ
كنتُ اقضي بان يُساقَ اليه كلُّ ما فيه بؤسُهُ واذاهُ
آمرًا اولاً بقطع يديه اذ رمتها من الاعالي يداهُ

لاعتباري الانصاف اشهى الرغائب

امين ظاهر خيرالله

اول مطبعة في مصر

انشأها المسيو مارسيل المرافق لحملة نابوليون على مصر

ان غرضنا ليس الكلام على الصحافة في هذه البلاد ولكننا طالعنا في مجلة (اساتذة المطابع الفرنساوية) فصلاً للمسيو امبرت جيش عن تاريخ الطباعة في القطر المصري نأخذ منه ما تصلح قراءته كتاريخ لطلاب التاريخ قال :

,,ان اول مطبعة انشئت في القطر المصري هي مطبعة انشأها المسيو مارسيل الفرنساوي الذي كان مرافقاً لحملة نابوليون في سنة ١٧٩٨ وهو ايضاً اول من نشر جريدة في مصر باسم ,, كوريه ديجبت '' — بريد مصر — واخرى باسم ديكاد ديجبت — اسبوع مصر — . واول رسالة مطبوعة وزعت في القطر المصري بالفرنساوية والتركية والعربية واليونانية هي رسالة طبعها مارسيل على ظهر سفينة الاميرال قائد الاسطول الفرنساوي وكانت موجهة من نابوليون الى المصريين . ومعلوم ان الفرنساويين استولوا على الاسكندرية في اول يوليو من سنة ١٧٩٨ وعلى القاهرة في ٢٥ منه

فاول عدد صدر من جريدة الكوريه ديجبت مؤرخ في ٢٩ اغسطس فاول جريدة مصرية اذن ظهرت في القاهرة لا في الاسكندرية واقام مارسيل في الاسكندرية مع الوفد العلمي من اول يوليو الى اواسط اكتوبر من تلك السنة فصب في هذه المدة الحروف العربية وطبعها في مجموعة لا تزال محفوظة في المكتبة الخديوية وعدد صفحاتها ١٦ صفحة على ان هناك شخصاً آخر فرنساوياً ينازع مارسيل السبق ولكن هذا السبق لا يعد الا بأيام لان الاثنين كانا مع حملة نابوليون فمارسيل اقام في الاسكندرية والآخر جاء القاهرة فاذا لم يكن لنا ان نبحث عن السابق — كما فعل الكاتب — فان الامر المقرر ان حملة نابوليون هي التي حملت الى القطر المصري الطباعة

وفي آخر عدد صدر من جريدة الكوريه ما يدل على اعجاب المصريين بفن الطباعة ورغبتهم في انمائه فقد جاءَ في ذلك العدد الذي صدر قبل ثلاثة اشهر من خروج الفرنساويين من مصر اي في غزة فبراير سنة ١٨٠١

,,وان من الاعمال التي راقت اعيان المصريين فن الطباعة لانه حديث في بلادهم لم يروه ولم يعرفوه • ومما يذكر انه في العام الماضي زار المطبعة رجال الدين واخصهم الشيخ المهدي والشيخ الفيومي والشيخ الصاوي وغيرهم فشاهدوا طريقة الطبع وهم بين عاملي الدهشة والاعجاب واجريت امامهم طرق طبع الرسائل الافرنجية والعربية

,,ثم زار هذه المطبعة الشيخ الفاسي الذي كان في الاستانة ورأس مطبعتها وبعض السوريين الذين زاروا كسروان ورأوا المطبعة التي تشتغل في احد اديار الموارنه فاظهروا اعجابهم من جد الفعلة الفرنساويين واكدوا لنا ان الفعلة في تينك المطبعتين الشرقيتين الوحيدتين يشتغلون على مهل وبدون براعة• ومنذ ايام زار هذه المطبعة الشيخ البكري وبعد ان وقف على كل ما فيها سأل هل في اوربا كثير من المطابع واية بلاد اوربية مشهورة اكثر من سواها بكثرة مطابعها؟ ثم سأل خصيصاً عن روسيا ومطابعها فقلنا له ان في روسيا مطابع كثيرة فاظهر التعجب من هذا الجواب فقلنا له ان تلك البلاد لم تأخذ باهداب المدنية ولم تسر في طريق التمدن الا بعد انتشار المطابع فيها فسألنا البيان عن تأثير المطابع على اخلاق الامم وعن فعلها في بث روح المدنية فاخذنا نشرح له ذلك باجلى بيان وهو مصغ كل الاصغاء يستزيدنا ويلذ له كلامنا وبرهاننا ولا سيما لما قلنا له ان المطابع تسهل الاكثار من الكتب والرسائل والمؤلفات التي لا يطلع عليها لولا المطابع الا القليلون وان المطابع تحفظ المؤلفات من الضياع لانه يستحيل ضياع رسالة تطبع منها الآف من النسخ مع ان الرسائل التي تنسخ قد تضيع بحادث يحدث وبكارثة تنزل

فقال لنا انه يعرف مؤلفات كثيرة عربية ذات فوائد جمة يجب نشرها بين الشعب المصري وانه يود طبعها في هذه المطبعة ثم انصرف بعد ان قال لنا ان كل

علم من الله واذا اراد الله امراً مكن الانسان من الوصول اليه فلا يحول دونه حائل "
ذلك ما ذكره في فصله عن تاريخ الطباعة في مصر وذكر احد السياح الالمان انه
مرّ بالقاهرة في سنة ١٨٠٩ فوجد آثار المطبعة في القلعة ولم يجد مطبعة في مصر
« الاهرام »

الفلاحة العربية

في الاندلس وافريقيه والعراق

« جاء في العدد الثالث بعد التسعمائة من جريدة الحاضرة الزاهرة ان المسيو ليك والمسيو رولان الفرنسويين من متوظفي الجزائر اصدرا كتاباً سمياه « كتاب الفلاح » لبيان الدرجة القاصية التي بلغ اليها فن الزراعة والفلاحة من الاهتمام والشأن على عهد الدول الاسلامية العربية . ومما جاء في مقدمة الكتاب قوله :

كان للفلاحة العربية عصر من الترقي والفخر دلت عليه التآليف التي صنفوها في فن جلب المياه وتوزيعها لدى المزارع وري الارض ببلاد الاندلس والاوطان الجنوبية من الديار الفرنسوية

ومن شواهد ذلك الكتب التي تركها من بعدهم علماؤهم ومهندسوهم في علم الفلاحة وهي التي اقتدى بها ونسج عليها علماء هذا الفن من المتأخرين

فكتاب الفلاحة النباتية الذي هو كشكول قواعد هذا الفن القديم كان ظهوره في القرن العاشر وقد تكلم على تسميد الارض بانواع الاسمدة والتربة ونقل المياه وتقوية النبات خصوصاً ذوات الحبوب وغراسة الاشجار كقصب السكر والعود الرفيق ونبات النسج وغيرها وفي استنبات النباتات بالطرق الصناعية وخصوصاً التين والنخيل وامراض النباتات وخدمة القطن وزراعته وتسميد الاراضي المالحة الخ

ثم بعد ذلك اي في القرن الثاني عشر بعد ابن وحشية وابن الخير والحاج احمد الغرناطي وغيرهم من علماء الفلاحة ألّف ابن العوّام كتابه في علم الفلاحة وهو كتاب جامع لشتات هذا الفن جمع فيه كل ما كان معلوماً وكل ما حصل عليه هو بنفسه من باب تقسيم الزراعة وتركها للراحة على الطريقة المعهودة الى غير ذلك من المسائل التي استأنف النظر والبحث

فيها على المنهاج العلمي المتعارف بيومنا هذا بين علماء الفن فانهم في غالب الاحوال لم يشرحوا الا القواعد والعوائد التي كان عليها عمل اولئك المتقدمين . نعم وسعوا لها في العمل مجالاً افسح وزادوها نفعاً وتعميماً بما اوضحوه من التعاليم والبيان

ولم تكن هذه الآثار الخالدة الشاهدة بعلو مكانة المسلمين بافريقية وتقدم الفلاحة في ربوعهم قاصرة على البلاد الافرنجية والاندلس بل لمسلمي ممالك افريقية الشمالية من قبله في هذا الباب خدمات جليلة تذكر . فلهم في فن جلب المياه لسقي المزارع والاشجار مآثر مشهورة واعمال مأثورة قاموا بها والحال انهم لم تكن بيدهم الآلات الضخمة والوسائل المتينة الموجودة بيومنا . ففي بعض الجهات الجدبة نحتوا طبقات واسعة منحوتة تحت الارض تجري بها المياه وضبطوا بها المياه النابعة تحت الارض ايضاً فاستعملوها في الري وحفروا اباراً ارتوازية بدون مسبار حيث لم يكن معلوماً عندهم وقتئذٍ واحيوا كثيراً من موات الارض

وهم الذين غرسوا بساتين الزيتون والنخيل التي لا زالت سبب خيرات بلاد افريقية الشمالية ولكن يد الدهر قضت على جميع هذا العمران بالاعفاء من عصور خالية بسبب ما طرأ على البلاد من الفوضى والفساد وليس بعزيز على الحكومة الفرنسوية ان تسعى في احياء الزراعة العربية بعد ذبولها واعادة شبابها «مجلة البيان في الهند»

الجامعة

الشروع في الجامعة الشهرية واليومية

(١) ستصدر الجامعة سياسية تجارية اخبارية «كل يوم»

(٢) وستستمر على صدورها علمية اجتماعية تاريخيه «كل شهر»

الجزء التالي من الجامعة ان الجزء التالي من الجامعة سيصدر في رأس السنة الجديدة لان الجامعة بعد اليوم بدأت تصدر كل شهر مرة . وذلك لان «الجامعة اليومية» ستصدر في رأس السنة . طبقاً للترتيب الذي اعلناه في الجزء السابق

فقراء الجامعة بعد الآن يقرأون . في «رأس كل شهر» مجلة الجامعة طافحة بالمقالات والابواب والفوائد والرسوم العديدة . فضلاً عن تحسين ورقها وزيادة اتقانها . وفي «كل يوم» يقرأون الجامعة اليومية الكبرى التي سيكون ظهورها في اميركا بدء تاريخ جديد للصحافة والاداب العربية في الاقطار الاميركية

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

﴿ بطليموس فيلادلفيوس وحرية اليهود ﴾ هو ابن انطونيوس وكليوباتره عاش في النصف الثاني من القرن الاول قبل المسيح وقد وهبه ابوه انطونيوس ملك سوريا وفينيقيا وسيليسيا وما وراء الفرات . ولكن بعد سقوط انطونيوس وانتصار اغسطس سقط بطليموس . وقد سيّره اغسطس في حفلة انتصاره وهي حفلة كان الرومانيون يقيمونها للمنتصر . والرسم الذي نشرناه هنا يمثل بطليموس على كرسي الملك وامامه جمهور من اليهود يثنون عليه ويحمدون الله اليه لانه منحهم الحرية . وهو من رسم كويبل



بطليموس
واليهود امام عرشه يحمدون الله اليه لانه منحهم الحرية

﴿ ماذا تفعل الآلهة بالعزاب ﴾ كان بيكماليون في الخرافات اليونانية نقاشاً يونانياً مجيداً من جزيرة قبرص . وكان هذا النقاش قد عاهد نفسه على ان يعيش عازباً طول عمره وذلك في قولهم لاحد سببين . اما انه رام الانقطاع الى فنه انقطاعاً مطلقاً واما انه كره النساء كرهاً شديداً لما كان يراه من تهتك نساء اماتونته في هيكل اقيم فيها للزهرة

الآهة الجمال وما كان يقع في هذا الهيكل من الفواحش · وكان بيكماليون قد نحت تمثال امرأة من عاج نحتاً بالغاً غاية الاتقان وسماه « غالاتيا » · فلما رأت الزهرة الاهة الجمال كرهه الشديد للنساء ارادت الانتقام منه فجعلته يولع بجمال تمثاله ولعاً شديداً ويشغف به شغفاً مضنياً · ثم ان الزهرة بعد التماسه ورجائه الشديد رأت ان ترفق به فنفخت في التمثال « غالاتيا » روح الحياة فاصبح التمثال امرأة متناهية في الرقة والجمال · فتزوجها بيكماليون فولدت له ابناً سماه « بافوس » وابنه هذا بنى مدينة باسمه « بافوس » وجعلها مدينة الحب

والرسم المنشور هنا رسم بيكماليون جاثياً امام التمثال غالاتيا وقد قتله الحب · وقد رسمه الرسام داو وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز



النقاش بيكماليون

جعلته الزهرة يولع بتمثال صنعه انتقاماً منه لكرهه النساء

تدبير الصحة والمنزل

فوائد صحية وبيتية

وقاية الاسنان

ترد الآفات على الاسنان من اسباب مختلفة وليس الغرض من هذه النبذة ان نلمّ بكل الآفات وانما نورد اهمها واكثرها عرضة ولا سيما حيث يعيش الناس

عيشة المدنية الحديثة المزخرفة · فلا يخفى ان الاسنان ولا سيما ظاهرها اقل الاعضاء في الجسم الانساني مرونة بل تكاد تكون خلوًا منها فهي لولا صلابتها كالزجاج القصم ولذلك تتأثر بكل ما يتأثر منه الزجاج بنسبة صلابتها الى صلابته · ومن ذلك انها تتأثر من تعاقب الحرارة والبرودة عليها · فاذا افرغت ما في الزجاجة من الماء السخن وملأتها في الحال ماءً مثلجًا تشققت ووقعت في مكانها شظايا عديدة · فاذا انتبه المدنيون الى هذه الحقيقة ادركوا في الحال انهم وهم يأخذون (الايس كريم) (البوظه · او الجيلاتي) والشاي الواحد تلو الآخر يعرضون اسنانهم للتشقق فاذا لم ينشق السن او الضرس في المرة الاولى او الثانية فلا يأمن التشقق في احدى المرات الاخرى وحينئذ يتطرق اليه من الجراثيم العفنة ما يستعمر فيه وينخره · وفي باطن السن والضرس كما لا يخفى من المواد العضوية كالاعصاب وغيرها ما ليس في ظاهره · والسوس يعيش على تلك المواد في حين انه لا يقدر ان يعيش على المادة العاجية التي تكلل الضرس لتصون باطنه

بياض البشرة ونعومتها

يبالغ الذين يحرصون على بياض الجلد ونعومته في الغسل بالصابون والدهن بالطيوب والبعض يفرطون بذلك لظنهم انه انجع لحفظه البشرة بيضاء ناعمة · وما اعكس ما يظنون · ذلك لان الصابون قلوي · وزوال الادران والاوساخ ناشيء عن فعل قلويته لانها تذيب المواد الدهنية وغيرها · ولها غير هذا الفعل انها كاوية فتأكل المواد العضوية وتحلها وبالتالي يفعل الصابون في البشرة هذا الفعل فتكمدُّ في حين يُقصد أن تبيضَّ · ولذلك لا يستحسن استعمال الصابون الا لازالة ما على البشرة من الاوساخ فقط والمبالغة في ذلك خطاء

اما ضرر الافراط في الطيوب فناجم عن وجود الكحل (السبيرتو) فيه ذلك لان الكحل يخثر المواد الزلالية اي يجمدها ويقلصها وما من خلية من خلايا الجسم الا تشتمل على زلال ولذلك متى دهنت البشرة بالطيوب الكحلية جفت بعد هنيهة

وتجعدت في حين يبتغى ان تنعم · والافضل أن يستعمل بدل تلك الطيوب الغليسرين او الفاسلين المطيبين لان الجلد يمتصهما ويلين بهما · ويشار باستعمالهما في جميع حالات تخشن الجلد وتجعده العرضي · واذا لم يكن بدٌ من استعمال الطيوب المعتادة فالافضل ان يضاف اليها ما يساوي ضعفيها من الماء

استعمال السيدات المساحيق

وعلى ذكر الطيوب نذكر شيئاً عن المساحيق (البودره) التي تستعمل للتطرية في حالات التبرُّج · فلا يخفى ان معظم هذه المساحيق بل كلها تقريباً تشتمل على بعض الاملاح السامة واهمها املاح البزموت والرصاص وندر ان تكون من مسحوق النشاء الصرف مع انها اثمن من هذا · وسبب ايثار هذه الامـلاح في تلك المساحيق انها تعلق على الجلد وتثبت فيه عهداً طويلا وتتوغل في مسامه (واخيراً تتطرق الى دواخل الجسم) وان النشاء فلا يلبث ان يسقط عنه · ثم انها اشد نعومة ودقة من كل مسحوق ولهذا يسهل اضطناعها · ولا ترى السيدات المولعات بالتطرية وذر المساحيق على الوجه ندحة عن المساحيق السامة · واهم اضرار هذه المساحيق باد على اللواتي يُدمنَّ استعمالها في وجوههنَّ المجعدة المكمدة واسنانهنَّ المسودَّة · ومن جملة سيئات هذه المساحيق انها عرضة لفعل بعض الغازات التي لا تخلو منها الاندية الحافلة بالناس فتحوّلها سوداء او تجعلها قاتمة على الاقل · ولهذا ترى السيدات في الحفلات والمراقص يدخلنَ كل هنيهة الى غرفة التبرج (التوالت) ويجددن الطلاء

وافضل ما نُنصح باستعماله السيدات اللواتي لا يستغنين عن المساحيق ان يقتصرنَ على مزيج مسحوقي النشاء واكسيد الزنك وان لم يكن مما يجعل غباراً رشيقاً كغبار المساحيق المعتادة · ولا بد من مزاولة استعماله بضع مرات لكي يحسن ذره على الوجه

تأخرت ملزمة رواية (مريم قبل التوبة) الى الجزء التالي

رسائل ومسائل

ملكة سبا وسليمان

« بتسبرغ ـ بانسلفانيا » خليل افندي حنا

هل حقيقي ما ورد في التوراة ان ملكة تُدعى ملكة سبا زارت سليمان بن داوُد واين بلادها وكيف كانت علائقها به ·

﴿ الجامعة ﴾ ان التاريخ لا يذكر شيئاً عن هذه الملكة ولكن في رواية التوراة ان ملكة جميلة لمملكة سبا سمعت بحكمة سليمان ومجده بعد بنائه قصره العظيم في اوروشليم وكان يومئذٍ في اوج السلطة والعظمة فرحلت من بلادها اليه تحمل له هدايا نفيسة · ولما دخلت عليه (ابلغته كل ما كان في نفسها فشرح لها سليمان كل ما اقترحته عليه) وقد قالت له : لم اصدق ما سمعته عن حكمتك ولكني لما رأيتك فاق الخبرُ الخبَرَ · وبعد ان قدَّمت اليه هداياها اقامت عنده مدَّة ثم عادت الى بلادها

وقد اختلف المفسرون في شأن هذه الملكة وموقع مملكتها · والعرب يسمونها (بلقيس) ويقولون انها كانت ملكة في احدى ممالك العرب يومئذ · ومنذ مدة اكتشفت آثار مناجم ذهبية قديمة في ما وراء بلاد الترنسفال في افريقيا فذهب بعضهم الى انَّ ذلك الموقع كان موقع مملكة سبا · على ان الاحباش اليوم يدَّعون الانتساب الى هذه الملكة · فانهم يقولون ان ملكة سبا كانت ملكتهم و'تدعى (ناجشتا آذب) اي ملكة الجنوب · ولما سارت الى اوروشليم تزوجها سليمان وعادت من اوروشليم حاملة فوضعت ابناً ولما شبَّ ابنها ارسلته الى ابيه فصرف عنده بضع سنوات وقد كرسه ابوه في الهيكل وسماه باسم جده داود · ثم عاد الفتى من اوروشليم الى الحبشة وملك فيها وعلم اهلها الديانة اليهودية · وانه هذا هو السبب في وجود كثير من العادات والتقاليد اليهودية في العادات والاحتفالات

الحبشية · ولعلّ هذا هو السبب في قول النجاشي سلطان الحبشة في اوامره الرسمية (من الاسد الخارج من سبط يهوذا)

وهذا الرأي ضعيف كجميع الآراء التي لا دليل عليها سوى التقليد · واذا كان وجود التقاليد اليهودية في الاحتفالات الحبشية هو الدليل الوحيد على انتساب الاحباش الى ملكة سبا فقد يمكن نقضه بقولنا ان اليهود انشأوا في افريقيا في الزمن القديم مستعمرات بلغت شأوا كبيرًا في الحضارة والارجح ان جميع التقاليد اليهودية الموجودة في افريقيا مقتبسة من تلك المستعمرات القديمة

وقد قلنا في مقدّمة الكوخ الهندي التي نشرناها في صدر الجزء التاسع لهذه السنة ان البحث في تحقيق امثال هذه المسألة التاريخية كالبحث على صفحات الماء · فلا تلتفتوا الى مسائل قديمة كهذه المسائل ولا تطلبوا حلاًّ لها لانها مستورة بحجب القدم وظلمات الدهور



الملك سليمان في قصره العظيم

حوله اكابر مملكته وملكة سبا داخلة عليه بالهدايا

وهو رسم الرسّام بولس فيرونيز ويوجد في متحف تورين

ولعلّ هذه اول مرة او ثاني مرة تجيب فيها الجامعة عن امثال هذه المسائل التي لا فائدة منها ولا سبيل الى معرفة حقيقتها · ولولا الرسم الجميل الموجود عندنا لما نشرنا سؤالكم

الجامعة اليوميَّة

وصدورها على رأس السنة

ما انتشر بين المهاجرين في اميركا خبر الاستعداد لاصدار (الجامعة اليوميَّة) حتى سرى هذا الخبر بين جميع طبقات المهاجرين بسرعة البرق وتوالت على ادارة مجلة الجامعة الرسائل من كل صوب تُعرب عن سرور المهاجرين بان يروا في دار هجرتهم (جريدة يوميَّة كبرى مستوفية شروط الصحافة الحقيقية من كل وجه) وقد قال احد الاصدقاء في الداخلية في كتابه (الآن تمَّت امنيتنا وحصلنا على جريدة راقية كبرى يحق للمهاجرين ان يفاخروا بها جرائد مصر والشام . وسيكون يوم ظهورها تاريخاً محفوظاً في تاريخ الصحافة والآداب العربية في البلاد الاميركية) وقال مراسل آخر (لم اشترك في جريدة عربية قبل الآن . ولكن يوم صدور « الجامعة اليومية » ارجو ان تعدّوني من مشتركيها) وقال مراسل آخر (اصبح الخوف عظيماً على بعض الجرائد العربية في اميركا الشمالية لان ظهور جريدة كبرى يومية مستوفية شروط الصحافة الحقيقية مما يقتل تلك الجرائد ولذلك استاء اصحابها من خبر ظهورها)

قلنا وقبل الجواب على ما تقدم نشكر لحضرات المراسلين الذين احسنوا ظنهم بالجامعة اليومية قبل ظهورها . وهي تعدهم بانها ستحقق آمالهم من كل وجه ولا تدع لهم سبيلاً للقول لها هل من مزيد . اما قول بعضهم بان خبر ظهور الجامعة اليومية قد ساء الجرائد العربية في اميركا الشمالية فهو قول لا نصدّقه لسببين . الاول ان رصفاءنا قد ذكروا بالخير خبر ظهور الجامعة اليومية ورحبوا بها ترحيب الكرام . والثاني ان جميع الجرائد رصفاء متضامنون في صناعتهم . وان ترقية صناعتهم وتشريفها واكسابها احترام الناس لها مما يسرّهم لانهم مشتركون في فائدته . ولذلك نعتقد انه يسرّهم ظهور جريدة راقية في دار هجرتهم نظير الجرائد المصرية اليومية الكبرى

وفضلاً عن هذا فمن يعلم المستقبل ؟ اننا نتمنى ان توفَّق (الجامعة اليومية) بعد سنة او اقل او اكثر الى توحيد جميع الجرائد العربية في اميركا الشمالية وانقاذ المهاجرين من كثرتها والخلاص من اختلافاتها التي تُضطر احياناً اليها بحكم تنازع البقاء . وقد تكلم معنا اكثر الرصفاء هنا في ذلك منذ مدّة ورأينا منهم ميلاً اليه . ولا شك ان هذا الميل سيزيد في المستقبل فنكون جميعاً يداً واحدة وجيشاً جراراً في خدمة هذه الصناعة خدمة نافعة حقيقةً ويزول من بينهم التحكك والتحرش والتحامل والحسد الامور التي لا سبب لها غير

الضعف والحرص على البقاء، والتي تضر بالصحافيين وصناعتهما اكثر مما يضرهم قطع اشتراكاتهم

❋ تغيير عنوان الجامعة ❋ بسبب ضيق ادارة الجامعة والعزم على انشاء « الجامعة اليومية » نقلت ادارة مجلة الجامعة من شارع ٦٢ برود الى شارع وست نمره ٤٠ في طابق متسع للجامعة اليومية وادارتها وهو مشرف من جهة على شارع وست بجانب الميناء ومن جهة اخرى على شـارع واشنطون ويُدخل اليه من الشارعين . فنرجو من مراسلي « مجلة الجامعة » ان يجعلوا مراسلاتها باسم « صاحب مجلة الجامعة » بالعنوان التالي

F. ANTONE
40 West & 60-62 Washington Sts.
New York City.
U. S. A.

واما مراسلات « الجامعة اليومية » فنرجو ان تكون بالعنوان التالي

F. Antone & R. Simon
40 West & 60-62 Washington Sts.
NEW YORK CITY.
U. S. A.

والرجاء من المراسلين والمشتركين والوكلاء الانتباه لفصل مراسلات واشتراكات المجلة عن الجريدة تسهيلاً للاشغال

❋ اشتراكات مجلة الجامعة ❋ نرجو من مشتركي مجلة الجامعة في جميع الجهات ان يبعثوا اليها بقيمة الاشتراك رأساً الى ادارتها او دفعها للوكلاء في جهاتهم بموجب وصولات ممضية . والامل ان لا تضطر الادارة الى تذكير الذين لم يرسلوا اشتراكهم بعد ذلك برسائل خصوصية لان اشغالها كثيرة في هذا الحين مشتركو الجامعـة لا يحتاجون الى تذكير . كما اننا نرجو من كل من يطلب المجلة من جديد ان يقرن طلبه بقيمة الاشتراك

باب التقريظ والانتقاد

❋ ديوان الرافعي في اميركا ❋ صدر الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي نشره حضرة الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي فكمل به هذا الديوان الذي جعل ناظمه في مقدمة شعراء مصر شهرةً لمتانة لغته وجودة سبكه وجمال نظمه . وان المتأدبين

في اميركا كثيرون في جمهور المهاجرين والمقبلون منهم على نظم الشعر كثيرون ايضاً . ولا ريب عندنا في ان ديواناً كديوان الرافعي مما يليق بكل طالب للشعر ان يدرس هذا الفن فيه فيكتسب من حسن سبكه وبلاغته ورقة تصوراته ما يهذب قريحته ويجعله عالي الكعب في هذا الفن - وقد بعث صاحب الديوان بعدة نسخ من ديوانه الى ادارة الجامعة في نيويورك وثمنه كاملا « ثلاثة اجزاء » ريال ونصف ريال . فمن شاء اقتناءه فليطلبه من ادارة الجامعة

اما موضوع الديوان فيشتمل على مباحث مختلفة في الادب والسياسة والعمران مما خص بشؤون مصر والشام وغيرهما وسنعود الى هذا الديوان في فرصة أخرى ونقتطف لقراء الجامعة شيئاً من شعره ومواضيعه الفكاهية والادبية مما لا ارق ولا اصفى منه في شعر الشعراء في مصر والشام في هذا الزمان

﴿ بديعه وفؤاد ﴾ هي رواية ادبية تأليف حضرة الفاضلة السيدة عفيفه كرم في اميركا . وهي مطبوعة في مطبعة الهدى طبعاً متقناً في ٣٦٨ صفحة على ورق جيد . والرواية ادبية يتخللها كثير من الفوائد البيتية والادبية كما يُنتظر من روايات الجنس اللطيف . وقد احسنت حضرة الكاتبة في اهدائها روايتها اذ قالت في المقدمة انها تحذو حذو مؤلف اميركي اهدى كتابه هكذا

اولا — الى امهاتنا اللواتي بنين البيوت التي استقبلتنا اول دخولنا هذا العالم

ثانياً — الى زوجاتنا اللواتي يبنين لنا البيوت التي نسكنها الآن

ثالثاً — الى بناتنا المزمعات ان يبنين البيوت للذين يأتون بعدنا

رابعاً — الى القراء اللذين تلطفوا باعتبار كتاباتنا الماضية وهم غير متحولين عما تفضلوا علينا به من قبل

خامساً — الى الذين لهم بيوت سعيدة والذين يحتاجون اليها

فنثني على حضرة الكاتبة لخدمتها الآداب

﴿ مونتو كريستو ﴾ اعادت ادارة مطبعة جريدة لبنان طبع رواية مونتو كريستو المشهورة وهي من افكه روايات ديماس وهي تُطلب من ادارة جريدة لبنان في بعبدا . ومن ادارة الجامعه في اميركا

﴿ الكوخ الهندي ﴾ طبعت رواية الكوخ الهندي طبعة ثانية نظيفة على ورق جيد جداً وزينت برسوم كثيرة وهي تُطلب من ادارة الجامعة وثمنها نصف ريال

الجامعة

الجزء ٧ السنة الخامسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٧ ٢٤ رجب ١٣٢٥

تعليل جديد للزلازل

رأي عالم اميركي يقول فيه ان السبب في حدوث الزلازل تغير محوَر الارض

(لكاتب فاضل)

قرأت مقالة لاحد علماء الاميركان المستر كارت مرفس يعلل فيها بعض الاضطرابات الارضية كالزلازل والهزّات ونحوها بتغيير محوَر الارض فرأيتُ ان انقلها لقراء مجلة الجامعة لحسن التعليل الذي تضمنه وقربه الى حكم العقل . ولما كانت هذه المقالة موجزة التعبير كأَنها لم تُكتب الا لاهل العلم آثرت ان اتصرّف بها بعض التصرُّف لاقرّبهـا الى افهام العموم الذين ليس لهم اطلاع على العلوم الفلكية والحيوية ونحوها مما اسند اليه المستر مرفس تعليله . ولهذا امهد الى الموضوع بمقدمات بسيطة عن بعض حركات الارض الدورية وعن بعض الحقائق الجوية الراهنة . وثم انبسط في تعريب المقالة المذكورة مدمجاً في خلاله شرح ما لا بد من شرحه

شكل الارض

كلٌّ يعلم ان شكل الارض كروي . ولكنه ليس كرويًا تمامًا مثل كروية الطابة التي يلعب بها الاحداث بل هي « مبعوجة » من القطبين ومنتفخة من الوسط ولكي تتمثلها جيدًا خذ تفاحة وانظر اليها وتصوَّر ان الارض مثلها تقريبًا فمكان عرقها ومكان زهرتها هما قطباها . أفلا تراها انها منتفخة وان قيامها من العرق الى الزهرة اطول من قيامها من بطنها الواحد الى بطنها الآخر الذي يقابله . هكذا الارض

اما انتفاخ الارض وانبعاجها عند قطبيها فسببه

دورتها المحوريَّة

وقبل تعليل الانتفاخ نبسط للقارىء الدورة المحورية وهي دوران الارض على نفسها . ادخل سلكاً قاسياً في التفاحة من عرقها الى زهرتها وادرها باصبعك حول السلك فتتمثل لك الارض دائرة على محورها . وما محوَر الارض كالسلك الذي ادخلته في التفاحة بل هو خط وهمي تتخيله ممتدًا من قطب الى قطب والارض تدور عليه . ولهذا نقول الارض تدور على نفسها

انتفاخ الأَرض

اما سبب انتفاخ الارض فهو دورتها على محوَرها او على نفسها ولكي يتضح لك السبب خذ قضيباً قاسياً من حديد او خشب وخذ سلكاً رقيقاً مرنًا والوه على شكل قوس نصف دائرة والوِ طرفيه على شكل حلقتين ثم ادخل القضيب في الحلقتين وامسك اسفله بيدك والحه بحيث يدور ذلك السلك المقوَّس بسرعة حول القضيب فترى انه كلما اسرع دوران السلك حول القضيب تقاربت حلقتاه وبعد ظهره عن القضيب وذلك لان ظهره وهو يسرع في الدوَران يحاول ان يرتمي عن القضيب لو يستطيع

هكذا الارض وهي تدور على محوَرها يحاول ظهرها ان يرتمي عن مركزها . وربما تقول ان الارض قاسية لا مرنة حتى تنتفخ هذا الانتفاخ اقول انها ما اخذت هذا الشكل وهي يابسة بل اخذته يوم كانت مواد مصهورة ذائبة كمادة الشمس فبرزت على هذا الشكل ولو توهمنا الآن انها وهي يابسة جعلت لداع من الدواعي تسرع في دورتها اضعافًا بحيث تنتفخ اكثر مما هي منتفخة لتكثر سطحها الذي هو قشرة متجمدة حول داخلها الذائب

دورة الارض الفلكيَّة

ثم ان الارض بينما تكون دائرة على محوَرها او على نفسها تكون سابحة في طريق في الفضاء وهذا الطريق الذي تسبح فيه انما هو دائرة (تقريباً) وهمية حول الشمس ويسمى فلك الارض حول الشمس. قلنا «تقريباً» لان تلك الدائرة التي تخطها الارض في الفضاء حول الشمس ليست مستديرة تماماً بل مستطيلة لاسباب لا محل لذكرها هنا . ولكي نتمثل دورة الارض حول الشمس تصوَّر ان تفاحة موضوعة في ماء بركة مستديرة عند حائط البركة وتصورها تسبح الى جانب الحائط المستدير وفي وسط البركة عمود واصل الى قرب سطح الماء وعلى رأسه كرة غاطسة الى نصفها في الماء فهذه الكرة تمثل الارض لك الشمس والتفاحة السابحة على بعد عنها اي عند حائط البركة تمثل لك الارض تدور حول الشمس

ميل الارض

ثم افرض ان التفاحة التي في البركة ثقلت عند جانب من جوانبها قرب عرقها . وعليه يكون عرقها الى اسفل وزهرتها الى فوق الماء وبما انها مثقلة من جانب تكون زهرتها مائلة نحو الماء اي انك لو ادخلت سلكاً رقيقاً من زهرتها الى عرقها لما كان السلك عمودياً على الماء بل مائلاً

هكذا الارض وهي تدور في فلكها حول الشمس يكون محوَرها مائلاً على ذلك الفلك وقطب مبتعد عن الشمس وقطب مقترب

تمايل الارض

يقول المستر مرفس ان الفلكي الاميركي المستر تشاندلر اثبت ان الارض تتمايل بطيئاً في اثناء دورتيها المحورية والفلكية اي ان ميلانها على فلكها يختلف حيناً بعد آخر اختلافاً زهيداً فتارة يكون ميلانها على الفلك متزايداً وطوراً يكون ميلانها متناقصاً كانها تبتغي الاعتدال على فلكها فاذا تصوَّرناها تتمايل هكذا وهي دائرة دورتها تصورنا لها حركة مغزلية اي كحركة المغزل الذي تفتله الغازلة فلا يعتدل في دورانه على نفسه حالاً بل يتمايل قليلاً وهو مسرع في دورانه

وبتعليل المستر مرفس لهذا التمايل علل لنا تعليلاً بديعاً جداً اسباب اضطرابات الارض وهاك شرح تعليله

تفصيل رأي العلاَّمة سرفس

ان هذا التمايل الذي لوحظ في محوَر الارض نبه الانظار حيناً بعد آخر الى ملاحظة اخرى وهي انه كان لذلك التمايل شأن في الايام الاخيرة في الاضطرابات الارضية كالزلازل وثوَران البراكين ونحوها

وبقطع النظر عن هذه الملاحظة نجد ان اختلاف المحوَر وتنقل القطبين من مكانهما درس مستقل يلذ لمحب الاطلاع والمعرفة فضلاً عن انه يرينا ان الارض خاضعة لاضطرابات لم يكن يحلم بها في الاجيال السابقة وتؤيد الرأي في ان محوَر الارض تغير من مكانه مراراً في الاجيال الغابرة ويمكن ان يقاسي مثل تلك التغيرات في الاجيال المقبلة

وقد ثبت أن الاراضي الباردة في المناطق المتجمدة تمتعت في الاجيال الغابرة بطقس دافئ وكان يأهلها جانب من الحيوانات والنباتات التي لا تعيش فيها الآن. فهذه الحقيقة لا تعلل الا بان محوَر الارض كان يتخذ جهة اخرى غير جهته الحاضرة . واي تغير في اتجاه محوَر الارض يفضي الى تأثيرات عظيمة على سطحها فانه ينقل الطقس الواحد من بقعة الى اخرى اي ان البقعة التي تكون باردة جدًّا تدفأ قليلاً والتي تعد ادفأ منها تصبح ادفأ ايضاً والتي وراءها قد تشتد برداً . ولا يبعد ان تغير المحوَر يرفع قعر البحار ويخفض قمم الجبال وربما غير نظام سطح الارض وتاريخ حياتها

ولهذه الاسباب يلذ لنا ان نبحث عن التغيرات الملاحظة في موقعي القطبين وهي ما اتفق الفلكيون اليوم على تسميتها « بتغير خطوط الطول » وقد ثبت منذ عشرين سنة ان خطوط الطول تتغير حيناً بعد آخر. والفضل في ثبوت ذلك لابحاث الفلكي الاميركي تشندلر. على ان سبب هذا التغير لم يتحقق جيداً ولكن ظنَّ انه ناجم عن تنقل الثقل في قلب الارض او على سطحها او عن اختلاف الكثافة في احدها

والارجح ان نقل الهواء الثلوج الى اليابسة في القطبين هو احد الاسباب وربما كان جلها. فان الهواء يمتص الماء من المناطق الحارة بخاراً ويمضي به الى المناطق الباردة حيث يتقلص وينعصر فيتساقط الماء ثلجاً وهناك لا يذوب لشدة البرد فيتراكم على مرور الاحقاب

وقد ثبت من الاكتشافات والتحقيقات القطبية ان قطب ابرد بقعة في نصف الكرة الشمالي غير متفق مع القطب الجغرافي اي ان القطب الحقيقي غير ما حسبه الفلكيون قطباً للارض وربما كان الامر كذلك في القطب الجنوبي وهذا الاختلاف واقع في القطب

المغنطيسي ايضاً

فلنفرض اذاً ان مقداراً عظيماً من الثلج والجليد تجمع على جانب واحد من القطب الشمالي (اي على اليبس لانه في البحر يغرق قسم منه ويدفع الماء الى الجنوب) فتجمعه الكثير هناك يفضي بلا محالة الى تغير مركز الثقل في الكرة الارضية . كما لو اضفت الى جهة من دولاب متوازن الجهات ثقلاً فلا يتوازن الدولاب « كما كان قبلاً ما لم تقرب محوره قليلاً الى جهة الثقل » وهكذا ينتقل محور الارض من نقطة الى نقطة . ولا ريب ان زيادة الثقل على جانب من الارض يضطرها بسبب قوة الانتفاخ عن المركز ان تدور على محورها الاول و بالتالي يصبح القطب نفسه الذي كان ثابتاً يدور حول نقطة اخرى جديدة صارت مركز الدائرة ومنتهى المحوَر

تفهم ذلك جيداً اذا رجعت الى الدولاب او القرص الذي يدور على محوَر وهو متوازن حول ذلك المحوَر فاذا اثبتّ في جنب منه جسماً ثقيلاً كرصاص او غيره وجعلت الدولاب يدور على محوَره المعتاد فتراه يحاول ان يقتلع محوره من مكانه الى الجهة التي يندفع فيها الثقل المثبت بالدولاب . واذا كانت سرعة الدور عظيمة والجسم المضاف اليه ثقيلاً جداً فلا بد ان يخلع المحور من مكانه او يكسره

ولكن لما كانت الارض حرَّة في دورتها في اي الجهات وليس لها محور مثبت في جانبي الفضاء لتدور عليه فتأثير اختلاف الثقل على جانبها يوجب تغير اتجاه محورها لكي يحفظ موازنتها حوله و بالتالي يصبح كل من قطبيها دائراً حول قطب آخر ومحورها الاول يدور حول محورها الجديد دورة مغزلية

على ان هذه الدورة المغزلية التي اكتشفها الفلكيون زهيدة جداً . على انها مهما كانت زهيدة فانها كافية لان تفضي الى نتائج محسوسة على سطح الارض وفي قلبها

اما تغير اتجاه المحور فيستدل عليه من ملاحظة النجوم . خذ النجم القطبي مثلاً واعتبر انه في مقابل القطب الشمالي فاذا انجذب القطب الى جانب آخر بسبب تغير قوة الانتفاخ والمحوَر الناجم عن زيادة الثقل على جانب من القطب دون جانب فلا يبقى نجم القطب متجهاً الى القطب كما كان سابقاً بل يصبح القطب كأنه يرسم دائرة حول ذلك النجم

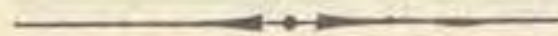
وهذا التغير في انتفاخ الارض ومحورها وقطبيها يفضي طبعاً الى تغير خطوط الطول « الجغرافية » ايضاً اذ تنحرف من مواضعها تبعاً لانحراف القطبين وكذلك تنحرف خطوط العرض . وقد لوحظ من جراء التحقيقات الفلكية شيء من هذا الانحراف

وقد عُرف ان القطب لم ينتقل من مكانه اكثر من ٣٠ الى ٤٠ قدماً فقط وفي بعض الاحيان كان انتقاله ابعد من ٤٠ قدماً واحياناً اقرب من ٣٠ وعليه كانت الدورة المغزلية كبيرة بعض السنين وصغيرة بعض السنين . ولو كان هذا التغير اميالاً لا اقداماً كما رأينا لكان تأثيره على سطح الارض مخيفاً جداً

وقد احتجّ بعضهم على ان هذا التغير يؤدي الى الزلازل ونحوها . فلا يخفى ان هذا الموضوع لا يزال يحتاج الى بحث دقيق للبت والجزم فيه . وبالنظر لما حدث في الماضي وما يمكن ان يحدث في المستقبل يقال انه قد ثبت انه في الدور الجليدي قد تجمع جبال من الثلج في نصف الكرة الارضي الشمالي وكانت لذلك الحين اميركا الشمالية الى تخوم نيويورك مدفونة تحت الوف الاقدام من الثلج والجليد أفلا يمكن ان هذا الثلج العظيم المجتمع على جانب من الارض يغير توازنها ؟ من غير بد يغيره اذا كان على جانب واحد من القطب

وعليه يجب ان يحسب حساب للعصر الجليدي الذى كانت فيه اصقاع عظيمة مغطاة بالثلج والجليد احقاباً طويله وقد اصبحت الآن يبساً . وفي رأي كرول الذي علل الدور الجليدي ان هذا التجمع لا بد ان يحدث مرة اخرى في المستقبل ايضاً . ولكن الاسباب التي تدعو اليه ستكون بطيئة جداً

وهناك اسباب اخرى غير نظامية تؤثر على الارض ويجهلها العموم وتحير الفلكيين . فامثال ذلك نيوكم مثلاً فانه نبه الافكار الى ان الارض كانت في احيان اسرع دوَراناً من احيان . وكذلك للقمر حركات غير نظاميه فانه كان في احيان اسرع دوَراناً حول الارض من احيان . فاذا حسبنا حساباً لان الارض تقلصت تارة وتمددت اخرى (على نحو ما تقدّم تبيانه) من غير ان تزيد مادتها او تنقص ودورانها كان متغيراً والقمر يقرب اليها تارة ويبعد اخرى فسرعة كل منهما في دورته يمكن المتبحر تعليلها . على ان هذه التغيرات دقيقة جداً ولكن ملاحظتها تدل على دقة ملاحظة الفلكيين وحساباتهم



فلسطين واشهر بلدانها

لجناب نجيب افندي نصار في طبريا

جلبوع

« حيث قتل شاوُل ورثاه داوُد »

اما الطريق من جنين الى الناصرة شمالاً فتمرّ بجانب سراي الحكومة فمستودع العسكرية في اول السهل على مشهد من جبال جلبوع الى اليمين وهي من اطراف جبال السامرة المتدلية الى السهل . وامامها وقعت الواقعة الدموية بين الفلسطينيين والاسرائيليين فانهزم هؤلاء شر هزيمة ولم يلووا الى الوراء وُقتل اول ملوكهم شاوُل وولي عهده يوناثان على هذه الجبال إذ فرّا اليها ليختبئا في احد كهوفها واوديتها عن عيون الاعداء فرثاهما داوُد برثاثه المشهورة التي قال فيها « يا جبال جلبوع لا يكن طل ولا مطر عليكنّ ولا حقول تقدمات لانه هناك طُرح مجن الجبابرة الخ » وفي اسفل هذه الجبال من جهة الشرق نبع ماء غزير يتدفق من مغارة كبرى ويجري الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى بيسان فيسقي حقولها وبساتينها وهو يدعى

نبع الجالود

ولقد اجمع الكتبة على انه نبع جدعون بن يواش خامس قضاة الاسرائيليين الذي ضرب مديان وعماليق بثلثمائة رجل ولغوا من هذا الماء بالسنتهم كما هو مذكور في الاصحاح العاشر من سفر القضاة فانتقاهم لذلك جدعون من العشرة آلاف بطل الذين وصلوا معه الى هذا النبع وصرف الباقين وهاجم معسكر الاعداء بهؤلاء الثلثمائة بحيلة دلت على ذكاء جدعون من وجه ومن وجه آخر على الضعف الانساني الذي يستسلم للخوف ويؤخذ بالدهشة فيلقي بنفسه الى التهلكة دون تروٍ او مدافعة

زرعين

وبعد مسير نحو ساعتين من جنين شمالاً تصل الى قرية زرعين التابعة لقضاء جنين واسمها محرّف من يزرعل لسبط يساكر وبلدة الملكة ايزابل ابنة ايثبعل ملك صيدا وامرأة اخاب سابع ملك من ملوك المملكة الشمالية . وهي بلدة ذات مركز متوسط في السهل قائمة على دكة صخرية هي طرف جبال جلبوع تشرف عليه كله ويقابلها من الجنوب بيسان وحصنها ومن الشمال جبال الجليل السفلى والناصرة ومن الغرب جبل الكرمل ومن الشرق جبال عجلون . وقد بنى فيها اخاب قصرًا انيقًا واغتصبت ايزابل كرم نابوت اليزرعيلي وجعلته بستانًا امام القصر بعد ان قتلت نابوت رجمًا بالحجارة . وزهت يزرعيل في ايام آخاب وامرأته ايزابل كثيرًا حتى فاقت جميع مدن المملكة الشمالية ولكنها ما لبثت ان تقلص مجدها بعد موتها . وورد ذكرها في سفر يهوديت باسم « ازدي يلون » ولم يعلق الكتبة اهمية عليها ومن ذلك يُفهم انها خسرت كل شهرتها . اما اليوم فهي بلدة حقيرة يسكنها نحو مائة وخمسون عيلة من المسلمين المزارعين في بيوت حقيرة مبنية بالحجارة الصغيرة والطين وهي قذرة جدًا ونظن ان مزبلتها الشاهقة قائمة في مكان قصر ايزابل الانيق . ووراءها من جهة الشرق مدافن اسرائيلية منقورة في الصخور وبقايا معاصر عنب وبالقرب منها آثار رومانية

شولم

على مسافة نحو ساعة الى الشمال الشرقي من زرعين والطريق اليها تمرّ بخط شعبة خط حيفا الحديدي بلد ليساكر ايضًا واسمها محرّف عن شونم القديمة بلد المرأة الشونمية العاقر التي بحسب رواية العهد القديم « سفر الملوك الثاني الاصحاح الرابع » رزقها الله تعالى ولدًا من اجل حسن ضيافتها لنبيه اليشع . وبعد ما كبر الولد مات واعاده لها اليشع حيًا . وورد ذكر شونم ايضًا في العدد الثالث عشر من الاصحاح السادس لانشاد سليمان . وهي اليوم قرية زراعية صغيرة فيها نبع ماء جيد وبساتين صغيرة وكثير من الصبير

حرمون الصغيرة

اما الجبل القائم وراءها من جهة الشرق فيدعى الدحي نسبة الى احد اولياء المسلمين المسمى بهذا الاسم وهو مدفون على قمة الجبل . وقد غلط جيروم فيه فظنه جبل حرمون فصار الكتبة منذ ذلك العهد يسمونه حرمون الصغير

نين

اصل اسمها نايين واقعة في سفح الجبل من جهة الشمال على مسافة نحو ساعة من سولم وهي بلد الارملة التي اقام فيها السيد المسيح ولدها من الموت على ما رواه لوقا في الاصحاح السابع من انجيله وهي بلدة زراعية صغيرة في ضواحيها عدة من مدافن صغيرة منها مغاور مالوف ذات المدافن المتعددة المنقورة في صخر واحد

اندوز

واسمها في التوراة عين دور بلدة ساحرة شاول التي جاءها قبل محاربة الفلسطينيين لتقيم له صموئيل النبي من القبر وقد كانت في سبط يساكر ولكنها وقعت في نصيب منسي (يشوع ١١ : ١٧) قال يوسيبيوس في القرن الرابع انها كانت بلدة كبيرة اما اليوم فهي قرية زراعية واقعة في لحف الدحى الشرقي

اما الطريق من سولم الى الناصرة فتمر بجانب جبل الدحي من الجنوب الى الشمال قبالة قريتي ,, الغولة والعفولة '' احدى محطات الخط الحديدي الحجازي ويرجح من موقعها ووجود المياه الارتوازية فيهما انهما حفا رايم . وهو الاسم العبراني للحفرتين اللتين ورد في يشوع انهما من قرى يساكر

سيدات مصر وسيدات نيو يورك

السوريات

بقلم المدموازل روزا انطون صاحبة مجلة السيدات

السيدات اينما كن هن ملكات ومالكات بكل معنى الكلمة . ويملكن باستحقاق وحيثما حللن تحلّ السعادة والهناء . فكيف يكون العالم لو لم تكن فيه

تلك الملكات ؟

لا شك ان سيدات نيويورك يروق لهن سماع اخبار اخواتهن في وادي النيل كما يروق لاولئك سماع اخبار سيدات نيويورك · واحب شيء اليَّ ان اكون واسطة تعارف بين الطرفين · فأبداء كلامي هنا عن سيدات مصر ثم اتكلم عن سيدات نيويورك · ولا شك ان سيدات مصر يسمحن لي ان اقول بحرية كل شيء لانهن هكذا عودنني · السيدات في مصر كما في كل مكان ثلاث طبقات عليا ومتوسطة ودانية وبوجه الاجمال اقول ان كل سيدات هذه الطبقات عائشات براحة وسكينة وهدوء عائلي وهنَّ مسرورات سعيدات قانعات باحوالهن وبمقامهن في الهيئة الاجتماعية · وقد نالت المرأة في وادي النيل مقاماً سامياً بواسطة علمها وتهذيبها فهي معززة بهذا المركز فترى الامر والنهى لهن في كل الامور الا فيما يحط من شأنهن ومنهن تتألف الهيئة الحاكمة في الاذواق فاذا اغضبهنَّ امر اصبح ذلك الامر مبتذلاً من الجميع · اما الطبقة العليا من الغنيات فهي الطبقة العليا المترفعة المتأنقة المتفرنجة فتجد سيداتها لا يعاشرن الا من كانت مثلهن ويتجنبن كل اعمال اليد والاشغال البيتية · فترى للسيدة منهن الطباخين والخدامين والمربيات والمرضعات والمعلمات · ولذلك لا تعرف السيدة شيئاً في البيت الا اصدار الاوامر لجيش الخدامين · وبنات هذه الطبقة يتعلمن اللغة الافرنسية والانكليزية اما العربية فلا نصيب لها بينهن بل قد استعضن عنها باللغة الافرنسية · فترى الجميع لا يهتمون بتعلمها ولا التكلم بها حتى اصبحت البنات حين يتكلمن باللغة العربية كانهن اجنبيات يتلفظن اللغة العربية · فكل حديث الصالونات (اي قاعات الاستقبال) هو بالافرنسية لان اللغة العربية « موضة قديمة » · وهذه الطبقة تتمسك بكل ما هو افرنجي

وتتقنه فتراهن يحسنّ الكلام بهذه اللغة كالافرنسيات ويتقنّ الرقص الافرنجي والبيانو واشغال اليد الجميلة وآداب السلوك على نسق اوروبي . واعرف جيشاً من البنات من عمر ٥ سنوات فصاعداً يذهبن الى مدرسة خصوصيـة لتعلم الرقص والغناء ويرقصن كاميرات الراقصات . وهكذا ترى بيوتهن وترتيبهن وتربيتهن وعاداتهن ولبسهنّ وزياراتهنّ على نسق اوروبي محض وقلما تجد عندهن العادات السورية القديمة

اما الطبقة الوسطى فاننا نجد بينهن المتعلمات والمحافظات على بعض عاداتنا الشرقية ولكن هؤلاء يقتبسن عن سيدات الطبقة الاولى اكثر تصرفاتهنّ وتانقهنّ فما هنّ الا صورة صغيرة للطبقة العليا . اما الطبقة الدانية اي الثالثة فهي الطبقة التي لا صوت لها ولا كلام و كل همها محصور في اشغالهن البيتية وشؤونهنّ المنزلية بنشاط وامانة

والمعيشة سهلة للطبقة الدانية اينما وجدت لانها لا تبالي بأمر والطبقة العليا يسهل عليها المعيشة ايضاً اينما وجدت لانها لا يهمها امر بقيت الطبقة المتوسطة التي لا يمكنها ان تبلغ شأو الطبقة العليا ولا يمكنها ان تعمل اعمال الطبقة الدانية ولذلك هي مظلومة ليس في مصر فقط بل اينما وجدت

انما الامر الذي تشترك فيه الطبقة العليا والمتوسطة بمصر هو التقليد الاعمى كالازياء ولعب البوكر فترى السيدات من طبقات مختلفة تجمعهنّ طاولة البوكر فالغنية تخسر ١٠٠ جنيه (٥٠٠ ريال) في الجلسة الواحدة ولا يهمها امرها في حين ان المتوسطة تخسر جنيهاً او جنيهين فيهمها ذلك . وعلى هذا قس كيفية تقليد الطبقة الوسطى للعليا وضررها وظلمها

وضربة لعب البوكر ضربة شديدة بهذا المعنى خصوصاً . وما قصدي هنا

ان اوضح ضرر البوكر لان سيدات مصر يلعبن به وهن عارفات ضرره كل المعرفة · وقد قالت لي احدى اللاعبات المشهورات انني اعرف ضرر البوكر كل المعرفة واكثرنا يعرف ذلك ولكن مع معرفتنا هذه نلعب لنقطع الوقت فان ذلك افضل من ان نقطعه في الكلام بالنميمة بفلانة وفلان · فماذا تظن سيدات نيويورك ؟ هل هنَّ مصيبات ؟

ولكن سيدات مصر كفين الناس شرهنَّ ولكن لم يمنعن خيرهنَّ مع لعبهنَّ بالبوكر · فانهن بالرغم من صرف كل وقتهنَّ باللعب فانهنَّ يستطعن تخصيص وقت يعملن به اشرف الاعمال وافضلها · فان لهنَّ جمعيات خيرية متنوعة منها جمعية خيرية للسيدات تأسست بالاسكندرية منذ سنتين وجميع اعضائها من الفتيات الذكيات ربات الذوق والجمال · وهن يجتمعن كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع للخياطة في بيت احدى الاعضاء العاملات فيجتمع اكثر من ٥٠ سيدة في غرفة واحدة فيخطن ثياباً لكسوة المساكين فترى اغنى السيدات التي لم تمسك يدها قط خياطة ثيابها تمسك (البستونه) (والخام) وفي وسطها (مريول) ليحفظ ثيابها من الغبار وهي تشتغل بكل قواها حتى الساعة الثامنة مساءً · ولجمعيتهن اعمال عظيمة ومساعدات كبيرة · فان كبيرات هذه الجمعية واغناهن يتركن بيوتهن ليلة الاعياد الكبرى كعيد الميلاد ورأس السنة ويطفن على منازل الفقيرات المنزويات في بيوتهن بدون ان يعلم احد بهن ويفرقن عليهنَّ حلوى ودجاجاً لغذاء العيد وملابس · ولا يسمعن باحدى الفقيرات ويتركنها بدون مساعدة ويبحثن عن محل هؤلاء ليساعدوهنَّ · وترى ازواج هؤلاء السيدات يساعدون الجمعية بكل الوسائل الممكنة · ومن النوادر بهذا الشأن ان الخواجه امين كرم زوج نائبة الرئيسة نظر زوجته تخيط على الماكنة (آلة

الخياطة) ثياب الفقيرات بغير وقت الخياطة المعينة في الجمعية فبدل ان يقول لها لماذا تتعبين نفسك باشغال كهذه طلب منها ان تقوم عن الماكنة وجلس هو مكانها وقال علميني لاكمل (تنبيت) هذا الثوب ففعلت مدامته ذلك فصارت السيدات يضحكنَ ويقلنَ : ياسعد من ستلبس هذا الثوب ...

وقد جمعت هذه الجمعية مبلغاً يُذكر من المال وهي شغل لهنَّ فعسى ان يستمررن في طريقهن الخيرية الحسنة ولا يضجرن منها في المستقبل

وعليه نرى ان سيدات مصر السوريات في طبقة عليا من الرقي مادياً وادبياً . ولهنَّ مكانة عظمى عند العائلات الاوروبية . وهنَّ يعاشرنهنَّ ويعاملنهنَّ معاملة النظير للنظير . ومن يترك مصر ويأتي نيويورك يعلم ان السيدات السوريات حيث وجدن هنَّ قادرات ان يجدن طريقهنَّ بحسب ما تقتضيه الحال واحوال البلاد بدون ان تقف عثرة في سبيلهنَّ

وصلت الى نيويورك فوجدت السيدات بانهماك وافتكار لتأسيس جمعية نسائية وقد فهمت ذلك من اول زيارة لحضرة السيدة الفاضلة مسز نعمه تادرس التي هي مثال الزوجة الفاضلة والسيدة الكاملة . وقد افتتحت حضرتها هذا المشروع بدعوة الى منزلها فكانت تلك الدعوة فاتحة جلسات الجمعية وبدء تأليفها . وساخصص مقالتي التالية بسيدات نيويورك الكريمات

هذه اول رسالة اكتبها بعد تركي مصر العزيزة وفيها ارسل اذكى السلام الى القارئات الكريمات فيها

(روزا انطون)



القديس جاورجيوس

يصرع التنين

— ام التنين يصرعه —

المستر روزفلت ومصارعته الشركات

كما نهض جاورجيوس في الاساطير الدينية لمحاربة التنين الهائل وتمكن من قتله كذلك نهض المستر روزفلت رئيس هذه الجمهورية العظمى لمحاربة شركات السكك الحديدية وشركات الاحتكار الصناعية

ولكن هل تصرعه ام يصرعها ?

ذهب الرئيس روزفلت في ٢٠ آب ,, اغسطس " الماضي الى بروفنستون من اعمال ولاية ماستشوتس للاحتفال باقامة تذكار لدخول اول نزالة انكليزية حلت في ماستشوتش في القرن السابع عشر وكانت من المذهب البوريتاني وقد طردها الانكليز من انكلترا . فالقى الرئيس خطبة كان يتوقعها الناس منذ زمان طويل . فبعضهم كان يقول ان الرئيس روزفلت بعد ما رآه من هبوط الاوراق في بورصة نيويورك بسبب حملاته السابقة على الشركات سيخفف في هذه الخطبة لهجته . وبعضهم كان يقول انه لا يخفف منها شيئاً . وقد صدق حدث الفريق الثاني . واليك خلاصة هذه الخطبة التي سُجلت في تاريخ الولايات المتحدة كشهادة باستقامة الرئيس وجرأته واقدامه على الامور العظام . قال

انه لا يرجع في شيء مما قاله بهذا الشأن . فانه يرى ان من مصلحة الولايات المتحدة العمومية ان تنفذ الشرائع التي وضعها الكونكرس بشأن الشركات حرفاً ومعنىً . وان سقوط الاوراق الذي حصل في بورصة نيويورك لم يكن سببه

مسلك الحكومة مع الشركات بل كانت الاسباب عمومية لانها عمت البورصات الاوروبية · ثم قال : ربما اجترأ بعض ,, الاشقياء '' الذين يملكون ثروات طائلة على إسقاط الاسعار في البورصة مقاومة للحكومة التي تقاومهم · وربما قدروا ايضاً على اقناع بعض سليمي النية بان الحكومة ستعدل عن خطتها هذه معهم · ولكني اريد ان اجهر هنا بالقول الفصل في هذا الشأن فاقول انني مع حكومتي لا يُقعدنا أمر قطعياً عن انفاذ شريعة البلاد انفاذاً صارماً نزيهاً في الاشهر الثمانية عشر الباقية لنا · ذلك لانني ارى ان المعركة التي بدأت بيننا وبين الشركات سيتوقف عليها حل مسألة حيوية لنا وهي ان نعلم هل حكومة البلاد تكون في يد الشعب ام في يد جماعة دأبهم الوقاحة والجرأة واستعمال ثرواتهم استعمالاً ذا خطر على البلاد متخفين تحت ستار شركات بلا شخصية اذ لا مديرين لها مسئولين عنها

وانني لارغب في نفي كل التباس في هذا الموضوع · فانه من العبث ان يسألوني ان اضرب صفحاً عن محاكمة المجرمين أيًّا كانوا اغنياء ام فقراء · ولكني ارغب ايضاً في ان لا يقع التباس في أمر آخر وهو اننا لا نعمل شيئاً بقصد الانتقام من أحد او الحاق الضرر بمساهمين سليمي النية لا يستحقون الخسارة او بالشعب نفسه اجمالاً ''

﴿ صدى الخطبة ﴾ وقد اشتغلت جرائد اوروبا بهذه الخطبة وعلى الخصوص جرائد الماليين فيها · قالت جريدة الديبا وهي منها · ان الرئيس روزفلت حسن القصد سليم النية في حملته على شركات الاحتكار وهو ينوي خيراً بنزاهته المعروفة · ولكنه يفتح بشدته وحدته هذه طريقاً للسياسيين الذين يعيشون من السياسة ممن ليسوا بنزهاء ولا مستقيمين فيتخذوا الحملة على الشركات سبيلا للوصول الى اغراضهم واثارة الشعب عليها

قلنا ما اقصر هذه الحجة وما اضعف هذا البرهان . وهل يجب الكف عن محاربة الشر اذا كان بين الناس من يحارب الشر العام توصلاً الى الشر الخاص

على انه كان لخطبه الرئيس تأثير عظيم على البورصة فهبطت الاوراق وازدادت البنوك ضيقاً . ولكن الشركات اخذت تنشر المنشورات رداً على الحكومة بعنف وحدة لعلمها انه لا يفل الحديد الا الحديد

مجلة الجامعة وقراؤُها

اعتذار

مجلة الجامعة والجامعة الاسبوعية بدل اشتراكهما في الولايات المتحدة ٥ ريالات و ٧ في الخارج

لا نعلم ما نقول لقراء مجلة الجامعة الكرام وعلى الخصوص خارج اميركا . فان اكثر مشتركيها في اميركا كانوا يقرأون (الجامعة اليومية) واما اكثر مشتركيها خارج اميركا فقد انقطعت عنهم مجلتهم لانهما كنا بالجامعة اليومية وانصراف كل قوانا اليها منفردين بالعمل فلم نتمكن من الاشتغال بالمجلة . اما الآن وقد أُبطلت الجامعة اليومية لان شريكنا فيها انسحب منها مع انها نجحت في ستة اشهر نجاحاً باهراً ما كنا نتوقعه لها في سنين فقد ساءنا هذا الانسحاب وسرّنا . ساءنا للاسباب التي بسطناها في مقدمة الجامعة الاسبوعية . وسرّنا لانه يحفظ قوانا للمجلة التي هي عمدتنا واثمن شيء عندنا وعند قرائها . وقد اضطررنا الى انشاء جريدة غير المجلة لاننا نعيش من هذه الصناعة الضيقة وعلينا توسيعها بما في الامكان ليمكن الاستفادة منها . فنرجو من حضرات قرائنا الصفح والعفو عما مضى . والعذر عند كرام الناس مقبول

﴿ الجامعة مجلة وجريدة ﴾ بعد اقفال الجامعة اليومية اصدرنا الجامعة مجلة شهرية وجريدة اسبوعية . ذلك لان القراء الكرام في الولايات المتحدة

يحبون الجرائد ومطالعة اخبارها · وقد جعلنا قيمة الاشتراك في الاثنتين معاً ٥ ريالات في الولايات المتحدة وملحقاتها و٧ في الخارج · فكل مشترك في مجلة الجامعة يحق له ان يطلب الجامعة الاسبوعية· واذا كان مقيماً في الولايات المتحدة وملحقاتها فيدفع بدل اشتراكه في الاثنتين ٥ ريالات فقط واذا كان في الخارج فيدفع ٧ ريالات دون ان يمكن انقاصها قطعياً · واما الاشتراك في المجلة وحدها دون الجريدة فيبقى كما كان قبل انشاء الجريدة بلا زيادة ولا نقصان

﴿ زيادة ايضاح ﴾ وزيادة في ايضاح مركز الجامعة الجديد لقرائها ليطمئنوا عن مجلتهم ويعلموا ان ما وقع لها في الاشهر الماضية طارئ عرضي لا يمكن ان يطرأ عليها مرة أخرى ننقل لهم هنا ما نشرته الجامعة الاسبوعية بهذا الشأن في عددها الصادر في ٢٤ آب (اغسطس) وهذا نصه

لما قدمت الجامعة من مصر الى هذه البلاد استقبلها كرام نيو يورك والداخلية وافاضل تجارها وقرائها بالاكرام وقدّموا لها كل مساعدة ادبية تمهيداً لسبيلها لان حضراتهم من اهل الخبرة والفضل فهم لا يجهلون مشاق هذه الصناعة باللغة العربية وضيق مواردها · واني اغتنم هذه الفرصة لاظهار عواطف امتناني القلبي لهم هنا لغيرتهم وحميتهم · ولكن شهمين من اكابر تجارهم وخلاصة فضلائهم حلا في منازل الفضل اسمى منزلة واشتهرا بين المهاجرين بالعقل الراجح والغنى الواسع والشعور الادبي الحيّ انفردا بصاحب الجامعة وقالا له : اننا نعلم انك لا تملك مالاً وصناعتك شاقة وقد كُتب لك في كتاب القضاء والقدر ان تفد على هذه البلاد فاعتمد علينا في إصدار مجلة الجامعة لحد مبلغ كذا ونحن على ثقة بان المهاجرين سيستفيدون منها · فلما اقتُرح عليّ هذا الاقتراح علمتُ ان بين اخواننا المهاجرين الكرام رجالاً واسفتُ لانني اشتغل بصناعة

تحتاج للتثقيل على افاضل الناس وكرامهم لا ادبياً فقط بل مادياً ايضاً . ذلك لانها صناعة كمالية طفلة قلما قامت في الشرق بذاتها لان الاغنياء اصحاب المال لا يشتغلون بها ولا سبيل لتأليف شركات لها لقلة ربحها والجمهور العربي ضيق الدائرة بالقياس على الجمهور الاوروبي والاميركي . وهذه المساعدة الاولية تراها في تاريخ تأسيس كل جريدة عربية في الشرق من الاهرام الى المقطم الى المؤيد الى اللواء وغيرها

فبدأت بالمجلة معتمداً على الصديقين الكريمين المشار اليهما جناب الخواجه نعمه تادرس اكبر تجار السجاد السوريين في اميركا وجناب الخواجه سليم شحفه التاجر المشهور

ولما توقفت الجامعة اليومية وكنت قد خسرت ما خسرت فيها وهو كل ما املكه مما هو للصديقين الفاضلين لا لي اقترح الصديق الخواجه نعمه تادرس على شركائي القدماء ان يقدم للجامعة اليومية اربعة الاف ريال اذا كانوا يرضون بمتابعة العمل فيها الى نهاية ميعاد الاتفاق . ولما لم يقع الاتفاق على اعادة الجامعة اليومية وعزمتُ على الرحيل من هذه البلاد قال لي الصديق الخواجه نعمه ما خلاصته

" لدينا جرائد سياسية اسبوعية ونصف اسبوعية وثلث اسبوعية ويومية فالجامعة اليومية كانت مفيدة وحسنة ولكن افضل منها مجلة الجامعة التي اضطررت الى إهمالها بانشائك الجامعة اليومية . فلنا غنى عن الجامعة اليومية ولكن ليس لنا غنى عن الجامعة المجلة . انشىء الان المجلة للمباحث العلمية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية التي اعتادها قراؤها . واجعلها تصدر كل شهر مرة . وبما ان قراءك قد تعودوا ان يطالعوا في الجامعة اليومية الاخبار

السياسية والمحلية فانشيء لهم نسخة اسبوعية من الجامعة · واجعل الجامعة الشهرية والجامعة الاسبوعية اشتراكاً واحداً تعويضاً لهم عن الجامعة اليومية· وانا اتبرع للجامعة الشهرية والجامعة الاسبوعية بنفقاتها بمساعدة صديقي الخواجه سليم شحفه · وانت تردّ لي المال من بدلات الاشتراك حين قبضها · اذهب وانشر منشوراً على قراء الجامعة واخبرهم ان الجامعة لا تطالبهم باشتراك الا بعد استحقاقه اي في نهاية السنة· واذا دفع قبل نهاية السنة اصدقاء المجلة الخصوصيون ومحبوها الادباء بدلات الاشتراك مع تصريحك هذا لهم فاخبرهم عن لساني ان كل ريال يُدفع الى الجامعة من قيمة الاشتراكات بعد الان هو بضمانتي وذلك لكي يعلموا ان مركز الجامعة راسخ لا يتزعزع ابداً ولا يمكن ان يطرأ عليها طارىء بعد الآن »

اقول ان الذي جرّني الى هذا التصريح في الجريدة الان هو ما ذكره لي بعض الوكلاء الافاضل في الداخلية من ان كثيرين من المشتركين في الجامعة لا يدفعون اليها بدلات اشتراكهم الا بعد انتهاء سنتها الاولى اي بعد خمسة اشهر ونصف تتمة لسنة الجامعة اليومية الاولى · فكتبت ما تقدم لاخبر حضراتهم ان الاصدقاء والادباء الذين يتفضلون بمعاملتها معاملة ودادية من ارسال بدلات الاشتراك الان او بعد شهر او اكثر لهم شكرها ودادها الخاص وخالص امتنانها لحسن ظنهم بها· والذين يريدون انتظار آخر السنة هم معذورون عندها بعد ماجرى فيها ولذلك لا تطالبهم بقيمة اشتراك الا في آخر السنة للسبب الذي تقدم ولهم شكرها ووددها ايضاً لمساعدتهم بالاقبال عليها

بقي ان اقول كلمة في عمل الصديق الكريم الخواجه نعمه تادرس وشهامته مع الجامعة وقرائها شهامة مكنتني من حفظ حقوقهم· وكذلك بشأن الصديق

الكريم الخواجه سليم شحفه . ولكنني أعلم انهم لا يحبون الاشارة الى هذا الموضوع والطنطنة على صفحات الصحف بذكر اخلاقهم الكريمة وطباعهم المستقيمة وربما ساءهم كلامي هنا الان عنهم . اما انا فلم اذكر ما ذكرت الا لاطلع قراء الجامعة ومحبيها على مركزها الجديد الذي قلت عنه في العدد الماضي انه اصبح الان « راسخاً رسوخاً لم يكن للجامعة منذ انشائها » ليطمئنوا بشأنها وتسهل معاملاتهم معها

ولست اجد ما اقوله في شكر جناب الصديق الخواجه نعمه نادرس وفضله على الجامعة لان كل شكر قاصر دون شهامته معها . وحسبي ان اقول رضي عن كلامي هنا او لم يرضَ ان كل قارئ للجامعة في الشرق والغرب سيذكر اسمه في تاريخ الصحافة العربية في الشرق بالتجلة والاحترام لشهامته الفريدة في تاريخ الصحافة . واذا لم يكن له من فضل عليَّ سوى تمكيني بمساعدته الجامعة من حفظ حقوق المشتركين الذين دفعوا بدلات الاشتراك حرصاً على اسم الجامعة فهذا الفضل عندي اعظم فضل . اضف الى ذلك سروري ببقائي بين اخواني المهاجرين في بلاد عظيمة بين ادباء وفضلاء يقدرون العلم والادب قدرهما ولا يدخرون وسعاً في تنشيطهما جزاهم الله خيراً .

باب التقريظ والانتقاد

المستر برزباين والجامعة

وترجمة المؤيد الاغر مقالاته

يعرف القراء في اميركا المستر ارثر برزباين الكاتب الاميركي المعروف رئيس

تحرير (نيويورك جورنال) المشهورة بتكبير الاخبار حتى عدوها زعيمة الصحافة الاميركية الصفراء · ويعرفه ايضاً القراء في مصر لان جريدة المؤيد الغراء عربت بعض مقالاته بعنوان (المقالات الاميركية) ودعته ,, أشهر كتّاب الاميركان ''

وقد كنا نتصفح بعض مقالات المستر برزباين المنقولة الى العربية فيدهشنا ما فيها من الآراء الضعيفة المرجوحة مع ما فيها من آثار البراعة التي شوهتها الترجمة تشويهاً ظاهراً حتى لمن لا يُحسن الانكليزية · ولم يكن هذا الامر مما يستحق الالتفات لانه من المشهور ان المسائل الادبية والاجتماعية تحتمل النزاع والاختلاف لاحتمالها وجهين · ولكنا رأينا للمستر برزباين مقالة عنوانها (صفحة من التاريخ — التعليم وروسو) وقد ورد فيها ان تلك القصة حكاية تاريخية واقعية · وبما اننا نُعنى بكل ما يُكتب عن روسو اخذنا في تصفح هذه المقالة اي ترجمتها العربية · فدهشنا وأي دهشة مما وردفيهامنسوباً الى المستر برزباين (أشهر كتّاب الاميركان) ولم يسعنا حينئذ السكوت

وخلاصة تلك المقالة ,, ان رجلاً متنكرًا وقف في ذات يوم بمركبة للاجرة امام منزل حقير في قرية مونمرانسي الفرنسوية وكان هو منزل الفيلسوف جان جاك روسو · فرأى عند باب المنزل امرأة واقفة وكانت هي تريزا ليفاسور رفيقة الفيلسوف · فاظهرت المرأة للزائر من الشراسة والخشونة والاستخفاف بزوجها روسو ما ادهشه · ثم دخل الزائر المتنكر الى المنزل بعد ان دفع الى المرأة ذهباً فرنسوياً وقابل روسو في غرفته وهو يشتغل بنسخ العلامات الموسيقية ليعيش بنسخها · فعرف روسو انه الامبراطور يوسف الثاني امبراطور النمسا · · · · فشكا اليه روسو حاله وكساد سوق الادب في بلاده وتنبأ له بوقوع الثورة وقتل الملك لويس السادس عشر في حديث طويل مدهش · · · · ثم ارتعد الفيلسوف لسماعه صوت تريزا خوفاً من ان تؤنبه لاضاعته الوقت في محادثة الزائر والالتهاء عن العمل الذي فيه رزقه ورزقها · فدفع الامبراطور الى خارج غرفته فسمع الامبراطور بعد خروجه من المنزل صوت تريزا توبخ الفيلسوف لانه لم ينجز نسخ الاوراق · · · · · · ''

قلنا وقد تصفحنا في السنوات الخمس عشرة الماضية كل ما كُتب عن جان جاك روسو وما كتبه نفسه . وقرأنا تاريخ حياته الذي كتبه بخط يده . — ولم نرَ في ذلك اثرًا لمقابلة يوسف الثاني امبراطور النمسا لهذا الفيلسوف . وحادثة كهذه الحادثة لا يسكت عنها روسو في تاريخ حياته لانه اشتغل بسرد حوادث اصغر واحقر منها . ولذلك استغربنا مقالة المستر برزباين . ومما زاد استغرابنا تصويره بقلمه روسو تصويرًا شنيعًا لا يصدر الا عن اعدائه . فكتبنا اليه في ١٧ اغسطس (آب) الكتاب التالي

حضرة المستر ارثر برزباين رئيس تحرير نيو يورك جورنال

ارجوكم ان تسمحوا لي ان اخاطبكم بالفرنسوية لا بالانكليزية لانني قدمت حديثًا من مصر للاقامة في بلادكم العظمى ولم اتمكن بعد من درس اللغة الانكليزية درسًا يجيز لي ان اخاطبكم بها . انني قرأت باللغة العربية ترجمة مقالة لكم عنوانها (روسو والتعليم) وقد ذكرتم فيها مقابلة يوسف الثاني امبراطور النمسا متنكرًا لجان جاك روسو في منزله وحديثه معه . على انني طالعت اكثر ما كُتب عن روسو باللغة الفرنسوية وقرأت ايضًا كتبه اخصها تاريخ حياته الذي سرد فيه كلياته وجزئياته ومع ذلك فلم أجد أثرًا البتة لهذا الحديث وهذه المقابلة . فجئت ارجو من حضرتكم ان تتفضلوا باخباري عن المصدر الذي استقيتم منه تلك المقابلة وهذا الحديث لعنايتي بكل ما يُكتب عن فيلسوف جنيف وتفضلوا الخ ...

وقد مرت حتى كتابة هذه السطور ١٠ ايام دون ان يردني جواب من المستر برزباين او ان يشير الى هذا الموضوع في جريدته . فلم أجد لسكوت حضرته عن تحقيق مسألة تاريخية كهذه الا واحدًا من ثلاثة اسباب . الاول ان كتابي ضاع ولم يصل اليه . الثاني انه لم يلتفت اليه حين رآه باللغة الفرنسوية لافتراضي انه لا يعرفها . والثالث ان كتابي وصله وترجمه له احد مترجمي ادارته ولكنه لم يجد شيئًا يُثبت به هذه المقابلة وهذا الحديث فاختار السكوت . ولست اتهمه بتصنيف مقالته تصنيفًا بل اظن انه قرأ مواد مقالته في رواية لا في كتاب

تاريخ فظن الرواية تاريخاً

وبهذه المناسبة نذكر كلمة للمستر برباز ين مشهورة بين الكتاب في نيو يورك وهي قوله يوماً في احدى مقالاته انه يجب على الجرائد تعمد الاخبار الغريبة التي تستفز القراء الى قراءتها والاقبال عليها . مثلاً اذا قيل (عضَّ كلب رجلاً) فلا يلتفت احد الى هذا الخبر . ولكن اذا قيل (عضَّ رجل كلباً) فجميع الناس يقبلون على الجريدة ويعنون بالخبر . يعني ان الاختراع والتصنيف ضروريان في بعض الاحيان لترويج كتابات الكاتب

بقي للمستر برز باين عذر وهو ان يقول مثلاً انني كتبت تلك المقالة تصنيفاً واختراعاً لا اعتماداً على التاريخ . وقصدت بها ما اعتاده كثير من الكتاب وهو تصنيف قصة صغيرة لتأييد مبادئ تُدمج فيها ويكون غرضها نشر تلك المبادئ وان كانت القصة نفسها كاذبة . وبعبارة اخرى اقول انني قصدت وضع رواية صغيرة اشرح فيها ما اعتقده في روسو فظن المترجم انني اتكلم في التاريخ ولذلك سمى (روايتي) (صفحة من التاريخ وحكاية تاريخية واقعية) فأي ذنب لي هنا . فالجواب ان هذا هو المخرج الوحيد لحضرته على ما نعلم . ومع ذلك فروح (روايته) لا يبرئه تماماً لانه انما اراد ان يثبت بها ان روسو مع كونه سيء التربية قد كتب اسمى مبادئ التربية . فهذه القضية انما تُثبت او تُنقض بالتاريخ لا برواية

رواية

مريم قبل التوبة

المنشورة في ذيل المجلة وخلاصة ما تقدم نشره

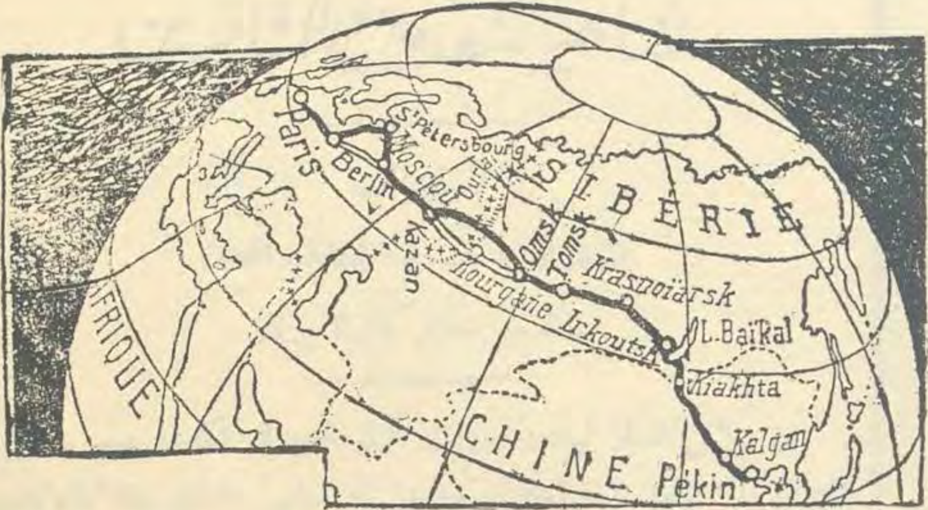
شرعنا منذ ابتداء المجلة هنا في نشر هذه الرواية (مريم قبل التوبة) من تأليف صاحب الجامعة وهي كما قلنا رواية اجتماعية فلسفية غرامية مدارها على مريم المجدلية

المعروفة في الانجيل (بمريم الخاطئة) وقد قسمناها الى قسمين القسم الاول (مريم قبل التوبة) والقسم الثاني (مريم بعد التوبة) · وستحتك فيها جميع المبادئ والمدنيات القديمة حتى عصر الرومان والعصر المسيحي ويظهر فيها المسيح وتلامذته · وقد نشرنا منها ملزمة في هذا العدد وخلاصة ما تقدمها ان مريم المجدلية كانت تعيش في بيتها معيشة اليسر والشقاء الاجتماعي وكان يتردد عليها شاب روماني من اكابر الرومانيين يُدعي يوليوس وقد أظهر لها ان في عزمه الاقتران بها ثم تركها وسافر لتتزوج بفتاة ذات دوطة طائلة معتذرًا بان اولى أمره استقدموه الى رومه · فأصيبت مريم بنوبتها العصبية الاعتيادية فقام من جراء ذلك هرج ومرج في القرية · واتفق ان مرّ يومئذ في هذه القرية الاديب الروماني المشهور سنيكا وابنه الذي سيكون بعد تاريخ هذه القصة اعظم حكماء رومه فسمعا بقصة هذه المرأة فقصدا منزلها فوجدا فيه رومانياً أحدب مشوه الخلق يُدعى شيشرون وكان يتردد على مريم لهدايتها · فجرى لشيشرون مع سنيكا وابنه قبل ان عرفهما نزاع شديد ثم لما عرفهما اعتذر وأكبر وقاحته واقترح عليهما خدمته وقص عليهما قصة تلك المرأة التعيسة · وفي اثناء ذلك انتبهت مريم من غيبوبتها فلما رأت الشيخ سنيكا في منزلها ثارت ثورة الاشمئزاز وصاحت به بذهول (وانت ايضاً ايها الشيخ القذر) · ثم رحل الشيخ وابنه وقلبهما يقطر دماً لمصاب هذه المرأة · وفي الصفحات المنشورة في ما يلي تتمة القصة ومن هنا تبدأ الرواية الحقيقية لان ما تقدم كان تمهيداً لها





* المستر تفت *
المنتظر ان ينتخب رئيساً للولايات المتحدة
خلفاً للرئيس روزفلت



عجائب الصناعة

سباق من بكين (الصين) الى باريز على اوتوموبيل

اطلب الصفحة ٤٧٣ والطريق التي سار عليها المتسابقون مرسومة في هذه الخريطة بخط عريض كما ترى بين بكين في طرف الكرة تحت وباريز في طرفها الآخر فوق وفي الخط ايضاً المحطات التي كان المتسابقون يقفون فيها

الجزء ٨ الجامعة السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٧ ٢٤ شعبان ١٣٢٥

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المستر تفت

المنتظر ان ينتخب رئيساً للولايات المتحدة

نسخة من اخلاق كبار الاميركان

ان ترأس المستر ثيودور روزفلت لحكومة اميركا الكبرى بضع سنين اثبت ان هذا الرجل نابغة زمانه وبرهن على انه سياسي واداري وعلامة وكاتب وخطيب وبطل وفوق ذلك فاضل حتى صار عاشقوه يظنون انه اذا أبى الانتخاب التالي فلا يجدون مثله . والحقيقة ان بين الثمانين مليوناً الذين يؤلفون هذه الامة العظيمة عدداً ليس بالقليل من الرجال الذين أياً تنتدبه منهم يكون روزفلتاً

روزفلت ربيلكي الحزب . وأهم انصار هذا الحزب هم اصحاب الثروة والمشروعات الكبيرة . ولكنّ سياسة روزفلت تخالف اميال حزبه وتوافق مبادئ الحزب الديموقراطى . وقد اشتهرت بكونها اشتراكية الروح وأن مآلها تقوية الضعيف لكيلا ينسحق تحت اقدام القوي . وظهرت بصورة مقاومة الشركات الكبرى التي تحاول خنق اصحاب الاعمال الصغار وامتصاص دم الشعب . وربما كان غرضه ان يتدرّج بهذه السياسة الى تأييد الحكومة على اساس الاشتراكية فعلاً و ينزع الاعمال الكبرى من ايدي المتمولين الكبار و يضعها في يد الحكومة بحيث تكون خاصة الشعب

لا نبحث الآن ان كان هذا مآل سياسته ولا ان كانت سياسته هذه قويمة او خرقاء ولكننا نقول ان الرجل يعتقد ان سياسته هذه عدل وحق وخير للبلاد والعباد ولكن حزبه يأباها ولهذا قد لا يرشحه ثالثةً . ولذلك يجتهد روزفلت ان يرشح احد وزرائه المستر تفت لاعتقاده انه يستأنف السير على مجرى هذه السياسة ولظنه انه يعمل بارشاداته . ولهذا ليس بالكثير ان نختص هذه النبذة برجل ينتظر ان يقف ٤ اعوام على الاقل موقف ملك . وغرضنا من هذه النبذة ان نبين سرّ نجاح اميركا في مقدرة اعلامها وحسن صفاتهم واستقامتهم

من هو تفت

قالت مجلة المجلات الاميركية في وصفه انه : شخصية القوة . والآلة البخارية البشرية . وهو في شغل شاغل على الدوام . والشغل حتى الصعب منه لذة له . جميل الطلعة يجتذب الذهن اليه لاول لمحة . يبثّ مشيئة صالحة وملامحه تنبئ عن عافية جسدية وعقلية وادبية . وبالرغم مما تتوسمه من وداعته ومزاحه وتخلفه عن الرسميات تُشعر بوقار فيه وهيبة في مجلسه وتدرك انه ذو قوة

دماغية وأحدُ الرجال القلائل الذين كلما خبرتهم عشقتهم . ولما سئل الكبتن سث رأيه في تفت قال ,, هو الرجل الذي لا تتعرَّف به مرتين ''

وقد عُرف تفت بحرية الضمير فاذا اعتقد بأمر خطأً صرَّح به ولو ناقض مصلحته . ولما ترأس موتمر حزبه الربلكي في اوهايو دعته الضرورة ان يقرّع بنفس الحزب الممثل في سنسناتي الامر الذي يوءلم كثيرين من اصحابه الاعزاء ويضر بمستقبله لانه مسمى للرئاسة . ولكن لما كان يعلم ان سكوته في ذلك الموقف يُعدُّ رياءً وجبناً لم يبقِ ولم يذرِ من التقريع لاعتقاده انه حق

في الثلاثين من عمره تعين قاضياً في المحكمة العليا في سنسناتي وفي الخامسة والثلاثين تعين قاضياً في محكمة الولايات المتحدة وكانت نفسه تطمح الى المناصب العليا في الحكومة الكبرى . على انه ما لبث ان تعين حاكماً للفيلبين وفي غضون حاكميته استدعي للقاضوية في المحكمة العليا للولايات المتحدة وبذلك تمت له امنيته . على انه رأى أن الواجب مقدَّمٌ على هوى النفس وان انسحابه من الفيلبين يفقد ثقة الاهالي بالحكومة فأبى ان يلبي الدعوة التي تسرُّه فأرسل تلغرافاً الى روزفلت يقول له فيه ,, ارجو ان تلاحظ الوقت الذي اقدر فيه ان اقبل هذه الوظيفة السامية فاذا لم يمكن تأجيل ذلك أضطر ان استعفي '' فاجابه الرئيس ,, اني مُشرف على حقل العمل كله فاري الافضل ان تلبي ''

وقد ذاعت عنه قصص عديدة تدل على تقديره الاشخاص قدرهم وعلى وداعته نحوهم من ذلك انه ذات يوم وهو يسمع قضية رأى خمسة تلامذة حقوق على مقعد خلفي يسمعون فقال لهم ,, هاتو خمسة كراسي الى هنا '' واوعز الى كاتب اسراره ان يستدعيهم للجلوس الى جانبه ففعل الكاتب ولما استقروا الى جانبه قال لهم . اظن انكم تسمعون المرافعة هنا افصح '' . وفي ذات يوم ايضاً قدَّم اليه محامٍ من كنتوكي ورق قضية فوجد ان النص فيه سقيم قد يفضي

الى خسرانه القضية فقال له ,,امهلك ريثما تصلح النص'' على ان المحامي التبس عليه الخطاء من الصحيح في ورقه فتناوله تفت منه وضرب بقلمه على بعض الجمل وافهمه كيف يجب ان يصلحها و بالتالي ربح القضية

وبما ان الرجل ممن يثبتون على كلمتهم فلا يستصعب ان يقرّ بغلطه اذا عرفه ومن ذلك ان رُفعت اليه قضية من مقاطعة هملتون في ولاية اوهايو على شركة سكة حديد فدعاه الامر ان يعنف حاكم البلدة فارتعد الحاكم من تعنيفه وفي إبان حيرته انتهى اليه كتاب من تفت يعتذر له عن شدة تعنيفه

ومع انه يعزّ اصدقاءه جدًّا فلا يحابي معهم ضد الحق ٠ ومن شواهد ذلك ان رفعت اليه قضية جنائية على شيخ طاعن في السن صديق له فقابله ابن الشيخ مقابلة خصوصية والتمس منه ان يرفق بالحكم اما تفت فلم يدع الصداقة توءثر عليه فحكم على الشيخ الحكم الذي يستحقه

وبالرغم من رسوخه في جانب العدالة فلا يعدم عاطفة الرحمة عند الاقتضاء فقد روي انه حكم على رجل يُدعى فرنك فلان بسجن ٦ اشهر لانه داس الشريعة في تهييج عمال السكة الحديدية للاضراب عن العمل ٠ وكان تفت قبل الحكم يُهدّد بخطف روحه اذا حكم على الرجل ولكنه لم يعبأ بالتهديد ٠ و بعد انتهاء مدة الحكم كان عمال السكة الحديدية المضربين عن العمل في ضيق شديد فمضى فلان الى زيارة عائلاتهم ومساعدتها وكان اول من استصرخه من المحسنين لمساعدة تلك العائلات البائسة هو تفت نفسه الذي قضي عليه ٠ فقوبل في الحال بلا تلجلج و بكل ترحاب ٠ وسأله تفت ماذا اقدر ان افعل لك ? فقال له فلان : ايها القاضي لم ادرك مقدار الضرر الذي جلبته حتى زرت عائلات المضربين عن العمل وشعرت بما يقاسونه فها انا اود أن اعاقب بسجن ٦ اشهر أُخرى اذا كنت تغيث هوءلاء الناس لانهم كلهم فعلوا تحزبا لي من غير حق

فتري مما تقدم ان فلان الذى قاسي من حكم تفت رأى تلك السحنة الرهيبة تختبئ تحتها ملامح الاشفاق

هذه نسخة مصغرة من صور بعض صفات الرجل الذي اشتغل في القضاء مدة وحكم الفيلبين برهة والآن يتولى وزارة الحربية وينتظر ان يكون رئيساً للولايات المتحدة في المدة التالية — وهذا يعلل للقراء شيئاً من نجاح هذه البلاد

كاتب

من بكين الى باريز

على اوتوموبيل

قطع البرنس مورغيس الايطالي هذه المسافة على اوتوموبيله في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة

وُضعت جائزة قدرها ١٠٠ الف فرنك على يد جريدة الماتين الفرنسوية لمن يسبق في سباق على الاوتوموبيل من بكين عاصمة الصين الى باريز . فانبرى لهذا السباق الهائل الذي لم يسبق له مثيل عدة من اصحاب معامل الاوتوموبيل في فرنسا وايطاليا وغيرهما فكان السابق البرنس مورغيس الايطالي فانه قطع المسافة بين بكين وباريز في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة . وكان يصحبه في هذا الشوط الذي سيكون له أعلى ذكر في تاريخ وسائل النقل والسير صحافي ايطالي يُدعى لويجي برزيني

وقد نُقلت مركبات الاوتوموبيل الى الصين نقلاً وفي ١٥ حزيران (يونيو) الماضي خرجت من بكين . فاجتازت مركبة البرنس بورغيس المسافة بين بكين وخلكان وهي ١٦٠ كيلومتراً في اربعة ايام ونصف في وسط طريق هائلة لا

تهتدي فيها القطا . وقد وصل الى هذه المدينة متقدماً سائر مسابقيه بيوم واحد . فبرحها واندفع في صحراء غوبي المشهورة حيث لقي من الزوابع والزعازع ما كاد يفني عزمه . فبلغ خلختا في ٢٤ حزيران (يونيو) . وفي اول تموز (يوليو) صار على بحيرة بيكال . وفي ثاني تموز بلغ ايركوتسك اعظم مدن سيبيريا . وفي ٩ منه بلغ بلدة كرسنويارك . وفي ١٠ منه اتشنك . وفي ١٦ منه وصل الى اومسك

ثم ترك البرنس آسيا ودخل الى اوروبا فوصل في ١٩ منه الى يكاترينبورج . وبلغ الى برم في ٢٢ منه والى نيجني نوفكورود في ٢٥ منه والى موسكو في ٢٧ منه والى بطرسبرج في ٣ آب ,, اغطس " والى برلين في ٥ منه والى بييلفيلد في ٧ منه والى لييج في ٨ منه والى بلدة ,, مو " في اليوم الثاني وفي العاشر من آب ,, اغسطس " دخل الى باريز

وكان البرنس يلقى في اوتوموبيله في شوطه هذا الاحتفال والاكرام حيثما حلّ واينما سار . وقد أقيم له في موسكو وبطرسبرج وبرلين احتفالات عظمى . اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز يوم دخوله اليها فحدث عنه ولا حرج . فان مائة الف شخص هرعوا لمشاهدته حين دخوله واشترك في استقباله جميع الطبقات العالية والدانية . ولا ريب في ان هذا السباق وهذه الاحتفالات كانت اعظم اعلان لجريدة الماتن التي اخذت تنحو منحى الاميركيين في اعلاناتها . على انها في هذا سبقت الاميركيين بمراحل

ويظهر ان الصناعة الايطالية قد أخذت تنزل في اسمى مقام في هذه الاعوام . فان المركبة التي ركبها البرنس بورغيس وسبق رفاقه عليها مركبة ايطالية من معمل ,, ايتالا " وفي السباق العظيم الذي أقيم منذ شهرين في دييب كان السابق ايطالياً على مركبة ايطالية . وفي اول ايلول ,, سبتمبر " أقيم في برسيا من اعمال

ايطاليا سباق الى (كأس فلوريو) فكان السابق ايطالياً على مركبة ايطالية ايضاً . وقد أكبرت الجرائد الفرنسوية هذه الامور وأنذرت اصحاب المعامل الفرنسوية ومقتني مركباتها بانحطاط سمعة صناعتهم التي لها المكان الاعلى والقدح المعلى اذا لم يحتاطوا للامر ويصونوا صناعة هم مخترعوها

ولما وصل البرنس بورغيس الى باريز كان مسابقوه لا يزالون بعيدين عنها مسافة ٤ الاف كيلومتر . وقد نسبوا هذا الى ان البرنس استعمل الخيل في مسيره غير مرة اما هم فاضاعوا الوقت سدى

الحرب العوان

في جسم الانسان

اكتشاف غريب للدكتور ريط الانكليزي

استخرجه من الانكليزية نقولا الحداد

لا تبقى الآلة الميكانيكية سليمة عهداً طويلاً الا اذا دامت دائرة بانتظام . هكذا الجسم البشري لا يعيش عمراً مديداً الا اذا كانت اعضاؤه العاملة تعمل بانتظام . ولا ريب ان معنى ذلك اتقاء المرض

ثبت منذ عهد باستور ان الجراثيم الحية سبب معظم الامراض . وهذه الجراثيم تتطرق الى الجسم من جهاته المختلفة وتنمو فيه وتفضي الى حتفه . وقد أثبت التحقيق ايضاً ان وظيفة كريات الدم البيضاء الجهاد في تنقية الدم من تلك الجراثيم فما هي اذاً الا رجال شحنة (بوليس) الجسم تطوف فيه من قمة الرأس الى اخمص القدم فتتوزع في الشرايين والاوردة والانابيب الشعرية .

فاذا احتوى الجسم القدر اللازم منها واتمت عملها بالطريقة النظامية ينجو من اذاها

على ان لهذه الكريات اعمالاً غريبة وتصرفاً مستهجناً . والقليل منها احياناً تصنع العجائب تحت عدسية المجهر (الميكروسكوب) اذ يراها المجهريُّ تلتف حول عدد عديد من الجراثيم وتلتهمها . ولكن في بعض الامتحانات الاخرى رئيت هذه الكريات مسالمة للجراثيم وجاثمة الى جوانبها جثوم الذئب الى جنب الحمل مؤتلفين . وفي هذه الحالة لا المنبهات تهيج الكريات على الجراثيم ولا الجوع يجعل تلك خائرة حين لا شهية لها لأكل هذه . والتحقيقات العديدة الماضية لم تنجلِ عن الوسيلة التي تحمّس هذه الشرطة للقبض على اعداء الجسم البشري اللهمَّ سوى هواها الشخصي . فاذا امكن هواها ان يقاد اصبح الجسم البشري منيعاً لدى الامراض الجرثومية

ولكن اكتشفَ هذا السرّ العلامة الاستاذ ريط الباثولوجي الشهير بعد اذ دقق جداً في دراسة هذا الموضوع الذي تركه سواه كليلاً

الجراثيم سواء كانت كبيرة او صغيرة قتالة او غير مؤذية لا مصلحة فيها لكريات الدم البيضاء ما لم تهاجم الدم بشرياً او حيوانياً . اذا أُلقيت الجراثيم في محلول من الدم ثم غُسلت جيداً ثم وُضعت مع كريات الدم البيضاء المغسولة جيداً ايضاً التهمتها هذه حالاً — هذا عمل البكتيريولوجي الذي تمرّس على مثل هذه الاختبارات فلا محل لشرحه هنا

ولما عرف الدكتور ريط هذه الحقيقة عزم ان يكتشف ماهية هذه المادة الغريبة التي تنبه شهوة الكريات لالتهام الجراثيم و بعد عدة اختبارات وجد انها شيء ينشأ من حويصلات الجسم نفسه . ومهما تكن فقد سماها ابصونين من الكلمة اليونانية Opsono ومعناها „ أعد الغذاء " . فحينما تفرز حويصلات الجسم

هذه المادة تتجمع حول الجراثيم حيثما تتربص وتوءلف حولها مثل غشاء · على ان هذا الغشاء نفسه لا يوءذي الجراثيم ولا يعرقلها لانهاتمزقه وتنفث سمها وتعلّ الجسم كانها لم تحتبس · ولكن حينما تعثر الكرية البيضاء بهذا العدو الدخيل يكون للابصونين فائدة لانه يقوي الكريات على التهامه · فبدلاً من ان يجتازه شرطيّ الكرية البيضاء ينتضي عليه حسام نواته (المسماة بروتو بلاسم) ويضمه الى احشائه ويلتهمه

واذا نظرت في المجهر (الميكروسكوب) الى الكرية البيضاء ملتهمةً الجرثومة وجدت هذه تحاول ان تخرج من احشاء تلك · ولكن للكرية قوة كقوة الهضم فتقتل الجرثومة وتتغذاها · وفي بعض الاحيان تحاول الكرية ان تلتهم اكثر من جرثومتين اذا كانت الجراثيم عديدة · وحينئذ يقال انها تمضغ اكثر مما تهضم وعليه فعوضاً من ان الكرية تأكل الجرثومة تأكل هذه تلك فتحل كرية اخرى محل الكرية المأكولة وهكذا تشب المعركة · فاذا كانت الجراثيم كثيرة تلقاء الكريات البيضاء او لم يكن لهذه شهية كافية يخسر البدن المعركة وتتغلب الجراثيم ويشتد المرض على الجسم واخيراً تنتهي الحرب بتسليم الجسم للموت

واحياناً تنشئ حويصلات الجسم كثيراً من الابصونين فيكون الدم قوي الشوكة او قل شديد النهمة فيطوف في الجسم يلتهم ما يعثر عليه من الجراثيم · فالويل للجرثومة التي يغلّفها الابصونين اذ يجعلها لذيذة الطعم لكرية الدم البيضاء

هذا هو تعليل الدكتور ريط لمغالبة الجسم للجراثيم المرضية فهو ثمين في نظر العلم ولكنه بلا قيمة في نظر الانسانية اذا لم يصل الى الوسيلة التي تكثر الابصونين · وقد وجد اخيراً ان حويصلات الجسم تفرز كثيراً من الابصونين بسرعة حين يكون عدد عديد من الميكروب في الجسم وحين يقل الميكروب يقل افراز الابصونين للدم · وهكذا اذا حُقن الجسم بالميكروب يزداد الابصونين

في الدم . على ان هذا الامر لا يجوز لان الغرض نفي الجراثيم من الجسم لا ادخالها اليه . ولكن الدكتور ريط حقن الجسم بجراثيم ميتة ولحسن حظه لاحظ انها استدرت الابصونين كما تفعل الجراثيم الحية فجعل يزيد مقدار الحقن بالجراثيم الميتة فكانت حويصلات الجسم تزيد ادرار الابصونين خوفاً من خطر الجراثيم ولكن الجراثيم لم تنمو ولم تتكاثر لانها ميتة وقد غلف الابصونين هذه الجراثيم والتهمتها الكريات . واما الزايد من الابصونين فغلف الجراثيم الحية الموجودة في الجسم وجعلت تلتهمها الكريات الجائعة بسبب تنبيه الابصونين الذي استدرته الجراثيم الميتة المحقون بها الجسم شهوته . وعلى ذلك يتلاشى المرض الذي لم يكن ليشفي

بقي سؤال : هل يوجد نوع واحد من الابصونين او انواع ؟ فان كان نوع واحد فقط كانت حقن الجسم بالجراثيم الميتة في مدات مختلفة بالمقادير المناسبة يزيد فاعلية الحويصلات في إدار الابصونين لقتل الجراثيم التي قد تكون كامنة في الجسم قبل المعالجة مهما كان نوعها

اما الامتحانات فقد اظهرت انه يوجد لكل نوع من الجراثيم نوع خاص من الابصونين ويرجح ان نوعاً من الجراثيم التي من عائلة واحدة يمكن ان يغلف اي نوع من الابصونين الذي من العائلة الخاصة بعائلته . والواضح ان حويصلات الجسم الواحد تكون سخية بتجهيز الدم بالابصونين الذي يغلف جراثيم الحمى التيفوئيدية مثلاً ولكنه يكون بخيلاً بتجهيزه بالابصونين اللازم لجراثيم الحمى القرمزية . وقد استدل الدكتور ريط من ذلك على نظرية وهي ان الشخص الذي يعاني من علة مزمنة يكون عنده حويصلات سخية بادرار الابصونين اللازمة لجراثيم علته . ومن ذلك استنبط طريقة الابصونين للمعالجة

وذلك انه يربي الجراثيم الخاصة بمرض من الامراض في مستنبت خاص

حتى تنمو وتتكاثر ثم يقتلها (بالغليان مثلاً) ويحقن بها دم المريض بذلك المرض فتستدر الابصونين اللازم دون غيره من انواع الابصونين . وقد نجحت المعالجة بهذه الطريقة في عدة حوادث

الدين يحارب العلم

نشر مجمع التفتيش في رومه منشوراً خطيراً كان له وقع أليم لدى كثيرين من الكتبة الدينيين والمفكرين من رجال الدين فضلاً عن النقدة والكتبة العالميين . وهذا المنشور عبارة عن مبادئ وضعها اولئك الكتبة وجمعها مؤلفو المنشور وحكموا بنبذها ورفضها . ومن اولئك الكتبة الاب لوازي المشهور بدقة مباحثه الكتابية وسعة علمه وهو الذي قامت عليه منذ بضع سنوات قيامة الاكليريكيين ووافقهم الفاتيكان على تحريم مطالعة كتبه . واليك بعض تلك المبادئ التي رفضها المجمع

ان النقدة الذين يفسرون الكتاب المقدس تفسيراً علمياً يجب ان لا تُطرح اقوالهم على سلطة الكنيسة لتحكم عليها

لا يجب ان يُهمل تأويل الكنيسة للكتب المقدسة بل يجب ان يكون هذا التأويل خاضعاً للتفسير التاريخي العلمي

لا دخل للكنيسة في حقائق العلوم البشرية فلا يجوز لها ان تحكم فيها لان الحقائق المنزلة شيء والحقائق العلمية شيء

لا يجوز للكنيسة ان تفرض على رعيتها التصديق المطلق في داخلهم بالاحكام التي تصدرها بشأن بعض المبادئ

من السذاجة الاعتقاد بان الله هو نفسه منشئ الكتاب المقدس

ان الوحي في العهد القديم انما هو عبارة عن ايضاح الاسرائيليين الحقائق الدينية باسلوب جديد يجهله الوثنيون

لا يشمل الوحي الالهي جميع الاسفار المقدسة بحيث يجعل كل جزء منها سليماً من الخطاء

من اراد درس الدروس الكتابية درساً مفيداً يجب عليه ان يزيل من فكره الاعتقاد بان الكتاب مُنزل وان يدرسه كما يدرس المبادىء البشرية

لم يروِ الانجيليون (كتبة الانجيل) رواياتهم لتقرير الحقيقة بل كانوا يتصرفون برواياتهم تصرفاً يقصدون به الفائدة غير مراعين الحقيقة

دخل التحوير والزيادة والنقصان على الاناجيل حتى اصبحت في صورتها القانونية الحاضرة ولم يبق فيها الا اثر خفيف من تعليم المسيح

ان الوحي هو شعور يكتسبه الانسان بعلائقه مع الله (١)

ليست الحقائق الموحى بها منزلة من السماء بل هي تفسير الحوادث الدينية تفسيراً ادركه الانسان بعد عناء شديد

لا يُستخرج من الاناجيل البرهان على الوهية المسيح · ومنزلة المسيح في التاريخ اضعف من منزلته في الدين · ولفظة (ابن الله) الواردة في الانجيل معناها „المسيح" لا انه ابن الله حقيقة · وان المسيح اخطاء في كلامه عن قرب مجيء المسيح او ما ورد بهذا الشأن في الاناجيل من وضع متى ومرقص ولوقا

ان قيامة المسيح ليست قضية تاريخية بل هي مسألة استخرجها الضمير

---

(١) رجال الدين المسيحي ينكرون هذا القول وفلاسفة الاسلام يقولون عن الوحي انه « فيضان العقل الفعال الى العقل المفعول »

المسيحي شيئاً فشيئاً من غيرها من الحوادث

ان العقيدة بموت المسيح موتاً تكفيرياً لا تُستفاد من الانجيل بل وضعها الرسول بولس

ان الاسرار المسيحية نشأت عن تفسير الرسل لها لا عن افكار المسيح ونياته وذلك تبعاً لمقتضيات الاحوال وانه لا غاية منها سوى تذكير البشر بوجود الخالق ونعمه

ان ضرورة العماد ادخلها النصارى لايجاب الاعتراف بالدين المسيحي

انه لم يكن في فكر المسيح ان يجعل الكنيسة جمعية تدوم على الارض بل كان في فكره ان ملكوت السماوات سيأتي قريباً مع انقضاء العالم

ان بطرس لم يعتقد قط ان المسيح خوله الرئاسة في الكنيسة

ان الكنيسة لا تقدر على المدافعة عن تعاليم الانجيل الادبية لانها متشبثة بمبادئ ثابتة لا توافق التقدم الحديث

ان تقدم العلم يوجب اصلاح تصورات التعليم المسيحي بشأن الله وايجاد الكون والوحي واقنوم الكلمة وسر الفداء

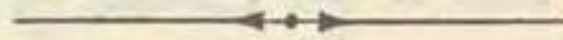
ان الكاثوليكية والمسيحية الحاضرة لا تطابق العلم الحقيقي ما لم تتحول الى ديانة غير نظرية اعني الى البروتستانتية الواسعة الافكار

هذا أهم ما جاء في هذا المنشور. ولما وافق قداسة البابا على نبذ هذه المبادئ بعد كثير من التردد وذاع خبرها في الصحف قام لها العالم الديني وقعد وبالاخص العالم الكاثوليكي. وسبب ذلك انه نشأت في السنوات الاخيرة بين مفكري اهل الدين واذكيائهم كما تقدمت الاشارة اليه حركة يُراد بها توسيع الافكار والمبادئ الدينية لتطبيقها على العلم. فهذا المنشور قطع عليهم الطريق وأوجب عليهم ان يعودوا الى مبادئ الكنيسة الحرفية دون توسع في تاويلها. ولهذا جهر كثير

من كتاب الكاثوليك الكتابيين بعدم استحسانهم حفر هذه الهاوية الجديدة بين الدين والعلم . وكان في فرنسا مجلة وظيفتها البحث في مسائل كتاب المقدس وتأويلها تأويلاً عقلياً فبعد صدور هـذا المنشور انقطعت عن الظهور من تلقاء نفسها

اما غير اهل الدين فلم يبالوا كثيراً بهذه المسائل . وعقلاؤهم يقولون ان الكنيسة مصيبة في تقريرها المبادئ التي ترى انها تحفظها وتصونها . ولكنهم يتساءلون هل هذا المنشور ينفع المسيحية في الوقت الحاضر نفعاً حقيقياً ام يضرها

والظاهر للمتأمل البصير انه لم يكن من غرض لمؤلفي المنشور سوى التأثير على افكار الشعب اي افكار الذين يفتكرون بادمغة غيرهم لا بادمغتهم انفسهم اما الذين اعتادوا ان يفكروا بانفسهم لانفسهم فلا يتبعون غير وحي عقلهم كما قال الفيلسوف ديكارت (اذا رمتَ معرفة الحقيقة فيجب عليك ان تتجرد ساعة من جميع افكارك وآرائك واثار تربيتك وتبحث عنها دون ان تترك لرأيٍ خارجٍ عنك سلطة على حكمك) ولكن وا أسفاه الى اين نبلغ اذا فعلنا هذا



اللغــة
الانكليزية الاميركية
او مقابلة بين لغة الانكليز والاميركان

اتحفنا جناب الاديب بشور افندي بشور بمقالة ضافية الذيول عنوانها «اللغة الانكليزية ومنشأها وتاريخها» وهي جديرة بالنشر لقراء الجامعة فاجلنا نشرها الى فرصة اخرى ولكننا اقتطفنا منها الان للقراء الفصل التالي

لا يخفى على كثير منا ان اللغة الانكليزية قد غرسها في اميركا مهاجرو الانكليز في القرن السابع عشر . ولكن بُعد الامتين احداهما عن الاخرى واختلاف المحيط والاحوال قد انشأت اختلافاً بيناً بين الانكليزية المحكية في انكلترا والانكليزية المحكية في اميركا وخصوصاً في اللفظ واستعمال المفردات

وبوجه الاجمال يصح ان يقال ان الانكليزي يتكلم بسرعة اشد من سرعة الاميركي وينتهي كلامه على الغالب بصوت رفيع بينا الاميركي ينتهي كلامه بصوت منخفض: وترى الانكليزي ايضاً ,,يبلع،، الحرف R ويهمل الحرف H اذا التقى بالحرف w كما في wh فيقول woles ويقصد whales وتسمع ايضاً الطبقة الدانية في الامة الانكليزية تلفظ Onse وتقصد Honse و Hice وتقصد ice والانكليزي يلفظ الحرف A ماداً صوته فيه للتفخيم كما في half, dance ويختم ايضاً كثيراً من الكلمات بصوت ممدود فيلفظ كلمة pound كأنها مكتوبة هكذا pou - und فاللفظ الانكليزي يجعل اختلافاً ظاهراً بين الاحرف الصوتية واما اللفظ الاميركي فيهمل النغمة الحلقية في كثير من الاحرف الصوتية وهذا مما يخالف القواعد

واما الفرق في استعمال المفردات فعسر التنسيق والتبويب ويستلزم شرحاً

ادق مما تقتضيه هذه العجالة · وتتعاظم صعوبته على الاكثر اذ يلزم الباحث ان لا يهمل صحة مركز المفردات البياني ولا مركزها في الاصطلاحات · وهنا يظهر ضعف الانكليزية الاميركية وانحطاطها نوعاً· فان الاميركيين لا يراعون قواعداللغة في كلامهم وكتابتهم فكثيراً ما يتسامحون باستعمال الاصطلاحات المغايرة لاداب اللغة

وبالطبع فالعديمو التهذيب في كل بلد وصقع لا يتكلمون بحسب اصول لغتهم · وصحيح ايضاً ان الانكليزي الجاهل لا يحسن الكلام اكثر من ابن عمه الاميركي وان بين الاميركي المتهذب والانكليزي المتهذب فرقاً قليلاً في استعمال اللغة ولكن المعضلة الكبرى هي في الجمهور المتوسط التهذيب ذلك الجمهور الذي تعلم قليلاً وطفق يستعمل اللغة وما اكثر هذه الطبقة في اميركا · وأشد نفوذها بين عموم الشعب خلافاً لما هي عليه في انكلترا وسائر الامم · فهذه الطبقة في اميركا تكتب وتنشر كثيراً من موءلفاتها غير مراعية قواعد اللغة مكتفية بمجموع من المفردات يعبر عن افكارها ولو بالتقريب · فحدت اغلاطهم في الاصطلاحات والتراكيب جمهور الكتاب المحققين الى ان نعتوا لغتهم ,, بالاميركانزم'' تفرقة لها عن الانكليزية الصحيحة والسليمة التراكيب

وما على البلاد الاميركية وامامها هذه المشكلة اللغوية سوى الوضع بين ايدي ابناءها الصغار موءلفات مكتوبة بلغة صحيحة سليمة من العيوب كما نفعل نحن ابناء اللغة العربية أذ نضع بين ايدي صغارنا وهم بعد يتعلمون التهجئة والقراءة كتباً لغوية بليغة كالقرآن الشريف والكتاب المقدس وكليلة ودمنة ومقامات الحريري ومجمع البحرين · وعلى مذهبي ان الفئة التي قامت في ديارنا العربية تنادي بوضع كتب سهلة المأخذ للصغار وقريبة الفهم كما يفعل الاوروبيون قد تطرفت في اصلاحها كما تطرف الاوروبيون· فانا لا اخطئهم بل اقول

معهم ان الصغير يجب ان يستعمل ادراكه وقوة ذهنه وعليه ان يمرنهما ولكن في الوقت ذاته عليه ان يمرن اذنه على سمع الفاظ فصيحة وجمل بليغة حتى اذا ما رسخت في ذهنه اصبحت ملكة له على الانشاء البليغ · وهذا امر لا يقدر عليه الادراك وحده

ولا يظن القارئ انه من السهل موافقة الانكليزية المحكية في انكلترا للانكليزية المحكية في اميركا · فان اباء الاميركان قد جلبوا معهم مفردات واصطلاحات استعملوها في اميركا وسلموها لنسلهم ومن ثم قام كتابهم وشعراؤهم واستعملوا تلك الالفاظ واجادوا فيها فلم يبق في طوق الاميركيين اليوم ان يغيروها ولا هم يريدون ذلك لظنهم انه حطة لهم · ولكن من الواجب عليهم ان يطالعوا كتاب الانكليز فهم اكثر من كتابهم وأعرق في اللغة وأرسخ قدماً · ولكن ليس من الرأي ان ينسخوا عنهم وعيونهم مغمضة

بقي ان اقول كلمة في انكليزية الاخوان السوريين في هذه البلاد · ففيهم كثيرون اتقنوها في المدارس الاميركية في سوريا وبعضهم اتقنها في مدارس هذه البلاد · اما الاكثرون فهم يتكلمون انكليزية نرجو منهم ان يلتفتوا الى اصلاحها لانها دون الانكليزية الاميركية بمراحل وكثير من الاميركان لا يفهمها · ولا تقتضي انكليزيتنا الا شيئاً من العناية وقوة الارادة والدرس · وهذا احد مواضع الاصلاح التي نحتاج اليها ليمكننا الامتزاج بأهل البلاد · وبدونه نظهر لهم عند اول كلمة نلفظها على مسمع منهم اننا قوم دونهم غرباء فنخسر جزءًا ليس بيسير من قوتنا في معاملاتنا معهم

بشور بشور

باب التقريظ والانتقاد

السلطان

بشان مقالة في المؤيد الاغر لمحمد افندي كرد علي
صاحب مجلة المقتبس الغراء

في هذا الطوفان الكتابي الذي يجري على صفحات الجرائد والمجلات العربية ويحمل الافكار المختلفة المتقابلة والآراء الراجحة والمرجوحة قلما ترى من يقف عند فصل او فكر وقفة الباحث المتأمل . وقد أذكرنا هذا الامر مقالة عنوانها ,,السلطان`` نشرها في المؤيد المصري الاغر جناب الرصيف الفاضل والكاتب المجيد محمد افندي كرد علي صاحب مجلة المقتبس الغراء . والحق يُقال اننا اعجبنا بجرأة المؤيد على نشر هذا الفصل كاعجابنا بجرأة الرصيف الذي كتبه

يذكر القراء البحث الذي دار منذ اربعة اعوام بين الجامعة وفقيد الشرق والاسلام المرحوم محمد عبده مفتي الديار المصرية لعهده . وقد وضعت الجامعة كتاباً في هذا الموضوع عنوانه ,, ابن رشد وفلسفته`` لان البحث كان عن فلسفة هذا الفيلسوف العربي الشهير . ومن قرأ الكتاب وجد مداره على القول بوجوب فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية لتستقيم السياسة في الامة . وكان رأي الاستاذ رحمه الله ان هذا الفصل متعسر او متعذر لان السلطة الدينية تسوس الارواح والسلطة السياسية تسوس الابدان فكيف يمكن الفصل بينهما .

وكان من حق الاستاذ الامام ان يقول هذا القول لانه كان احد ائمة الدين ٠

وكانت الجامعة تحت سماء الشرق اول من جهر في ذلك الكتاب بصوت عالٍ وبدعوة مقصودة ,, كانت وما زالت اساس مبادئها '' بوجوب فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية في كل امة لتستقيم تلك الامة ٠ ولها على دعوتها هذه ادلة نشرتها في ذلك الكتاب ٠وقد سرّنا ان الرصيف صاحب المقتبس وهو من افاضل المسلمين السوريين المتمصرّين والكتاب الذي يُعبرون عن رأي المتنبهين في الامة قد رأى هذا الرأي ايضاً في مقالته ,, السلطتان '' التي نحن الآن في صددها ٠ فقد قرّع فيها سلطان مراكش تقريعاً شديداً لانه يمزج الدنيا بالدين ويصغي الى اقوال الفقهاء وتحريضهم اياه على الاوروبيين وغير الاوروبيين ٠ ونصحه بألا يعتمد في سياسة مملكته الا على رجال السياسة واذا اعوزوه فيجب ان يلتمسهم من خارج بلاده

ونحن نوافق الرصيف على قوله هذا ٠ ولكننا ما فهمنا جيداً مراده بالفصل بين السلطتين في مراكش ٠ مثلاً اذا التمس سلطان مراكش الساسة من خارج بلاده واسترشد بهم في سياستها وبقي مع ذلك جامعاً بين ,, الخلافة '' و ,, السلطنة '' فهل يُسمي حضرته هذا الفصل فصلاً بين السلطتين ٠ فان قال نعم اسميه كذلك فجوابنا انه ليس من الفصل في شيء ٠ وان قال كلا بل مرادي ان يكون مولاي عبد العزيز سلطاناً ويجعل الخلافة في غيره (اذا صحّ ان في مراكش خلافة كما يفهمها اخواننا المسلمون في مشارق الارض ومغاربها) فرأيه لا غبار عليه عندنا وعند كل من كان على رأينا

ولكن يلوح لنا ان مراد الرصيف هو الامر الاول دون الثاني ٠ لانه يعتبر الان ان السلطتين منفصلتان في الاستانة لان جلالة السلطان لا يعمل برأي الفقهاء وانهما لم تكونا منفصلتين في زمن السلطان سليمان القانوني لان هذا السلطان

كان يطيع اشاراتهم ويعمل بآرائهم · وعليه فالفصل عنده متوقف على إرادة الحاكم فان اطاع الحاكم الفقهاء كان الاتصال وان عصيهم كان الانفصال · ولكنا نعتقد ان للانفصال سبباً أهم وأعظم من هذا · فهو عندنا وعند الذين يقولون بوجوبه وسيلة لا غاية · وان قيل الى ايّ شيء هو وسيلة اجبنا انه وسيلة الى وضع شرائع عمومية يستوي لديها جميع عناصر الناس حتى المؤمن والكافر وإرجاع (السلطة) الى مصدرها الحقيقي الذي هو الشعب · فالجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية في يد الحاكم يجعل سلطته من الله كما هي الحال في روسيا وتركيا ومراكش وغيرها · ولكن اذا ُفصلت السلطة السياسية عن السلطة الدينية كما ُفصلت في رومه مثلاً اصبحت سلطة الحاكم مستمدّة من الشعب وأمكن حينئذ تقييد الحاكم بمجالس شورى ودستور وشرائع عمومية تسوس جميع عناصر الشعب ومذاهبه سياسةً واحدة دون تمييز ولا محاباة

ان مقالة الرصيف محمد افندي جميلة ونعتبرها حجرًا جَديداً من جملة الحجارة الجديدة الاولى التي توضع الآن في بناء الشرق الجديد· ولكننا ننتظر من كاتب مثله ما هو اكثر من هذا وأشد صراحة لنضغط جميعاً معاً على البناء القديم · ونحن عالمون انه لا يمكن الآن هدم هذا البناء ولكننا نستطيع على الاقل اكثار عدد الذين يرون معنا انه اصبح لا يتفق مع مقتضيات الحالة الحاضرة لا سيما وانه حجة لاوروبا علينا والوسيلة التي تتذرّع بها للدخول في شؤوننا حتى ما كان منها داخلياً خاصاً بنا وحدنا

ان فصل الخلافة عن السلطنة وجعل الخليفة مختصاً بالامور الدينية والسلطان بالامور السياسية لسياسة جميع الشعب سياسة واحدة · وحصر الدين في الكنائس والجوامع ورفعه من المدارس لتربية جميع ابناء الامة فيها تربية واحدة اساسها الآداب والمبادئ المدنية — تلك هي الوسيلة الوحيدة لتوحيد كل أمة

ابتلاها الله باختلاف العناصر والمذاهب . وبدون هذا التوحيد لا أمل للامة في النهوض نهضة حقيقية

السيدات السوريات

في الولايات المتحدة

للمدموازل روزا انطون

٢

تكلمت في مقالتي الاولى في الجزء السابق عن سيدات مصر السوريات ومقامهن في الهيئة الاجتماعية فيها ووعدتُ بالكلام عن سيدات اميركا السوريات في مقالة ثانية . وقلت في ذلك الفصل (سيدات نيو يورك) لا سيدات الولايات المتحدة لانني لم احظَ بعد بمعرفة واحدة من اخواتي السيدات والاوانس المقيمات في الداخلية ولكنني سمعت عنهن كثيراً ولذلك اجعل كلامي عن السيدة السورية في الولايات المتحدة اجمالاً

قلتُ في مقالتي السابقة ان السوريات حيث كنَّ فهنَّ هنَّ . ومن مزاياهن انهنَّ كرجالنا سريعات الاقتباس من الوسط اللواتي يعشنَ فيه . فاكثرهنَّ قدمن الى هذه البلاد لا يحسنَّ اللغة الانكليزية ولا يعرفن شيئاً من عادات الاميركيين واخلاقهم . فأخذن يفتحن طريقهن بايديهن مع ازواجهم واهلهن مساعدات لهم في الاعمال . فكان الامر صعباً جداً عليهنَّ في بدء الامر ولكن طور الصعوبة الآن زال وجاء طور الانتقال . فنشأت في جميع جهات اميركا بيوت سورية جميلة مرتبة نظيفة فيها السيدة السورية ملكة في مملكتها شأن كل سيدة في بيتها . وقد ساعدهنَّ على ذلك ربح ازواجهنَّ وآلهن المال في السنوات الخمس الاخيرة

ربحاً عظيماً فتأنقنَ في ملابسهنَّ ومنازلهنَّ فابتعنَ المنازل وفرشنها بافخر الاثاث ورتبنها أحسن ترتيب حتى ان كثيراً من المنازل السورية اذا دخلتَ اليها لم تفرق بينها وبين المنازل الاميركية بشيء

قلت (ابتعنَ ورتبنَ) لان للمرأة السورية في الولايات المتحدة فضلاً عظيماً في رواج اعمال المهاجرين فكثير من المحلات التجارية أصل غناها أنامل آنسة لطيفة وسعيها . وقلما ترى عيلة سورية في اميركا الا رأيت للآنسة والسيدة فيها فضلاً عظيماً ان لم أقل الفضل الاعظم في اسعاد حال تلك العائلة . فان الاميركان يحترمون السيدات احتراماً ليس لهن في اوروبا نفسها . والزوج او الاخ اذا كان في شغله مصحوباً بزوجته او أخته يسهل كل صعب امامه خصوصاً في هذه البلاد التي نساؤها تشتغل وتعمل عمل الرجال

ربما يُستفاد من قولي هذا انني موافقة على ان تعمل المرأة كالرجل خلافاً للحالة في الشرق حيث النساء يجلسنَ في المنازل والعمل من شؤون الرجال وحدهم . فانا اوافق على عمل النساء على شرط ان يكون مقروناً بعمل الرجل . فان السيدة او الآنسة التي تشتغل مع زوجها او اخيها ليس في شغلها ما يحط من كرامتها لانه يكون بجانبها حامياً لها وسنداً لضعفها

ماذا أحدّث سيدات مصر والشام السوريات عن اخواتهن في اميركا . اول ما لاحظته انهنَّ لا يلعبنَ (بوكراً) ولا أي لعبة من الالعاب التي تفني قوتهن بالسهر ومالهن بالخسارة . فعجبت لذلك واستحسنته أشد استحسان . نعم ان بعض السيدات يراهنَّ في سباق الخيل هذا الداء الذي فشا بين رجالنا هنا ايضاً ولكنهن نادرات

ولاحظتُ ايضاً صبرهنَّ العجيب وقوتهن على خدمة منازلهنَّ . ففي مصر والشام ترى المنازل غاصة بجيش الخدامين اما هنا فالسيدة تلاحظ شؤون بيتها

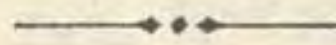
بنفسها وتعتني فيه بكل كبيرة وصغيرة حتى شراء حاجات السوق اليومية في بعض الاحيان · ربما تستغرب سيدات مصر وسوريا هذا الامر ولكن لا ينسين اننا هنا في وسط اميركي فيه العمل مقدَّم على كل شيء وهو شرف لصاحبه أيًا كان · وفي كثير من المنازل خدامات ولكن هؤلاء الخدامات قلما يفعلن في المنزل غير الامور الخشنة الصغيرة المتعبة والباقي تديره ربة المنزل نفسها

حين مروري في باريز حظيت بمعرفة حضرة الآنسة الفاضلة مدموازل مسرَّه شقيقة جناب الفاضل جرجي افندي مسره التاجر فيها · و بينما كنا نتحادث في امر المهاجرة والمهاجرين قال حضرته اننا بعد ما قرأنا الفصول التي نشرتها مجلة الجامعة بشأن اخواننا السوريين المهاجرين في الولايات المتحدة في الاجزاء الاولى من عامها هذا اصبحنا نعرف حقيقة تقدمهم وارتقائهم وصرنا ننظر اليهم بعين غير العين التي كنا ننظر اليهم بها من قبل · اقول فانا الآن احب من سيدات مصر والشام ان يحصل لديهن انقلاب كهذا الانقلاب بشأن سيدات اميركا السوريات · فاخبرهنَّ بسرور ان اخواتهنَّ هنَّ أرقى بكثير مما سمعنه ومما عهدنه فيهنَّ · انني لا اتزلف اليهنَّ واغشهنَّ بقولي انه لا ينقصهنَّ شيء وانه ما عليهنَّ الان يسترحنَ بعد ان أسسنَ ما أسسنَ وأنشأنَ ما أنشأنَ · كلا فانني لا اغشهن هذا الغش · وربما ذكرتُ في مقالات تالية ما أراه من الامور التي يحتجن اليها هنا · ولكني اقول ان ما فعلنه للآن في اميركا مع وضع الحوادث النادرة الشاذة جانبًا أمر يحق لهنَّ الافتخار به ويوجب على اخواتهنَّ في الخارج ان يغيّرنَ رأيهنَّ فيه

كل شيءٍ في هذه الحياة لا يأتي ألا تدريجًا واؤمل ان العائلة السورية في اميركا آخذة بالتدرج في التقدم اذ عليها تتوقف حقيقة تقدم السوريين تقدمًا حقيقيًا · لان ربح المال وحده لا يكفي · وانما الاساس الصخري الذي يوجد

التقدم الحقيقي هو ,, نفس السيدة الفاضلة ''

وقد بدأ الفضل يظهر بين سيدات المهاجرين فحين وصولي الى نيويورك علمت باستعدادهن لتأسيس جمعية نسائية خيرية لمساعدة المرأة السورية في هذه البلاد . وقد تأسست هذه الجمعية الكريمة من كثيرات من فضليات السيدات وغرضها مساعدة المهاجرات في دار المهاجرة ووضع البنات السوريات في المدارس وغير ذلك . وقد ذكرتُ في مقالتي الاولى شأن سيدات مصر اللواتي ينزلن في ليلة عيدي الفصح والميلاد لافتقاد منازل الفقراء وتوزيع الطعام والكساء عليهم بانفسهنَّ . فرأيت هنا ايضاً بين سيدات نيويورك الكريمات صدى لهذا الفعل الجميل وصورة اخرى . فان جمعية السيدات علمت بقدوم أرملة وحيدة وعدة اولاد الى ادارة المهاجرة فسار ثلاثة اعضاء من هذه الجمعية الكريمة في نيويورك الى ادارة المهاجرة والمسافة طويلة فافتقدنَ الارملة واولادها وزودنها بالنصائح والمال والارشاد وتولينَ أمر اخراجها وكفالتها لدى ادارة المهاجرة . بارك الله في هممِ الكريمات (روزا انطون)



﴿ روايات الجامعة ﴾ لا ريب في ان جميع قراء الجامعة يتتبعون رواية ,, مريم قبل التوبة '' التي ننشرها كذيل للمجلة . ومريم هذه هي مريم المجدلية المعروفة في الانجيل بمريم الخاطئة . ونحن الآن في القسم الغرامي من هذه الرواية وستليه الاقسام الاجتماعية والفلسفية والدينية مما يجعل لهذه الرواية جمالاً خاصاً مستمدّاً من جمال مريم التي اصبح اسمها بعد توبتها وصلاحها خالداً في تاريخ الانسانية



الفصل الخامس

﴿ كتاب وشاب ﴾

وفي صباح اليوم التالي كانت مريم جالسة تحت تينة في حديقتها ورأسها مسند الى يدها تتأمل في الفضاء الواسع الذي امامها . وكان على وجهها مسحة من الاصفرار نشأت اما عن النوبة التي اصابتها امس واما عن اضطرابها وارقها في الليلة السابقة

وكانت مريم قد بكرت في ذلك الصباح بكور الغراب ولم تنبه حنه من نومها لتتمتع بلذة التأمل والتفكير وحدها اذ لا يلذ اصحاب المواجس والوساوس شيء كالانفراد والتفكير في معزل عن الناس . ولكن لم ينقض عليها نصف ساعة تحت التينة حتى ابصرت حنه مهرولة نحوها وفي يدها رقٌ للكتابة . وكانت حنه في هذا الصباح اجمل من مريم لانها كانت قد نامت نوماً طويلاً هادئاً هذا اذا كان معنى الجمال نضرة الورود في الخدود . ولكن جمال مريم كان جمالاً خاصاً بها لا يدانيه جمال . فلقد كانت كوردة نيسان جميلة في ذبولها ونضرتها

ولما صارت حنه عند مريم مدت اليها يدها وناولتها الرق وهي تضحك وقالت : اتظنين هذا الخط خط بوليوس

فلما سمعت مريم اسم بوليوس عبست وتناولت الرق دون اهتمام . وبعد ان القت نظرها عليه قالت غير مكترثة ليس هذا الخط خط هذا الكلب الروماني . فانه لو كتب لي لكتب بلغتنا لا باللغة الرومانية . فلعل احد هوءلاء الرومان الادنياء اراد المزاح فكتب هذا الكتاب . ولكن اين وجدته

فقالت حنه انني وجدته في نافذة غرفتك مطوياً وعليه حجر لئلا يطيره الهواء . اتظنين انه من شيشرون

فقالت مريم وقد رفعت شفتيها بازدراء وامرّت يدها على عينيها متنهدة . كلا فان شيشرون رآني أمس في الحالة التي كنت فيها وهو يعلم ان قلبي لا يحب المزاح في مثل هذه الحالة . ما لنا ولهذا الكتاب ايتها العزيزة حنه . انك تعلمين ان من كان مثلنا يجد في طريقه كثيراً من امثال هذه الصغائر . وهي اذا كانت عند فاعليها شيئاً يدل

على المزاح والمداعبة فانها عندنا دليل على السخافة والصغار . اعطيني يا عزيزتي ردائي الثقيل فان في عزمي التنزه في الوادي القريب لعلي استعيد شيئاً من قوايَ التي فقدتها أمس .

فدنت حنه من مريم واخذت رأسها بين ذراعيها باسمة ثم قبلته وقالت : اا الى هذا الحد تحبينه يا مريم

فرفعت مريم رأسها مدهوشة وقالت من تعنين

فقالت اني اعني الشاب الذي جزعتِ لفراقه أمس ذلك الجزع

فقهقهت مريم وصاحت : تعنين يوليوس : قه قه قه ثم قالت انني احبه حبي لهذا الحجر الذي ابصق عليه . وبصقت على حجر كبير كان بجانبها . ثم مسحت جبينها بيدها واردفت قائلة : انظنين من كان مثلي يُحِب اتظنين من كان مثله يُحَب . ان قلبي كهذا الحجر الذي بصقت عليه . وفي بصقي عليه بصقت على جميع البشر . اذهبي يا حبيبتي اذهبي وائتني بردائي واذا فرغت من إعداد الطعام وانتصف النهار ولم اعد فتغدي وحدك

فضحكت حنه وقالت تنزهي وانبسطي ابنتها العزيزة فقد قاسيتِ أمس آلاماً شديدة .

وبعد ربع ساعة كانت مريم سائرة في طريق الوادي مطرقة الى الارض . وكأن الحديث الذي جرى بينها وبين حنه قد اعاد القوة الى نفسها بعد الضعف والوهن الذي اصابها آنفاً . وهكذا حالات النفوس فان شيئاً صغيراً يثيرها ويقويها وشيئاً صغيراً يضعفها ويوهيها

وكانت مريم في هبوطها في الوادي تقف حيناً بعد حين عند الازهار البرية وتقطف اجملها . فجمعت منها ثلاث ضمات غرست احداها في شعرها واخرى في صدرها وحملت الثالثة في يدها . وكان نسيم الصباح يُميل الازهار والنباتات حولها . فلو رآها الشعراء حينئذٍ لقالوا ان تلك الازهار كانت تنحني وتسجد لجمالها . او انها كانت تنطرح نحوها لتحظى بنعمة الانضمام الى اخواتها المغروسات في شعرها وصدرها .

ويظهر ان مريم كانت قاصدة بيتاً قائماً في ما وراء الوادي على اكمة تقابل الاكمة القائم عليها بيتها . ولذلك كانت في طريقها تطيل النظر في جهة ذلك البيت لعلها ترى احداً فيه . فانحدرت بين كروم العنب واشجار التين وما وقفت في طريقها الامرتين

لتقطف في المرة الاولى حبة عنب وفي الثانية ثمرة تين . وقد مصت الحبة ولفظتها اما ثمرة التين فاكلت منها قطعة ثم رمتها . فكان ظاهراً ان مزاجها مضطرب في ذلك الصباح وقابليتها للطعام معدومة

واذ توسطت الوادي التفتت الى رمانة كانت قد اعتادت الجلوس تحتها وحولها الغنم والماعز والبقر ترعى فابصرت رجلاً مستلقياً على الارض وفي يده كتاب يقرأ فيه و يده الاخرى على رأس غنمة كانت ترعى بجانبه وتركت المرعى واخذت تنظر اليه .

فقالت مريم في نفسها هذا هو الراعي ثم حادت عن الطريق وقصدته لعلَّ شيئاً من اللبن ينفعها في ذلك الصباح و يردُّ اليها قواها

و يظهر ان الرجل لم يسمع صوت قدمي مريم او سمعه ولم يلتفت اليها . فلما صارت بجانبه وقفت وقالت وقد شكَّت في كونه راعي الغنم

— اين الراعي

فرفع الرجل رأسه من كتابه وجلس ناظراً في وجه مريم . فدهش لاول وهلة ثم تغلب على دهشته واجاب بلطف وادب : لستُ أعلم ايتها السيدة المحترمة فلعله صعد الى ما وراء الاكمة . هل تطلبين شيئاً منه

فاجابت مريم . انني اريد شيئاً من اللبن (الحليب) فقد ظمئتُ في طريقي وتعبت فلعلَّ اللبن يرد اليَّ قوتي

وكان الرجل في خلال ذلك يتامل في مريم ومريم تمعن النظر فيه . و يظهر ان نظر كل واحد منهما في وجه الآخر قد انتج نتيجتين متناقضتين . فان لوائح وجه مريم اتخذت بعد ذلك علائم الاستخفاف والهزء ولوائح وجه الرجل اتخذت علائم الدهشة والاحتشام .

وفي الحقيقة ان شخصية كل منهما كانت تدعو الى ذلك . فان الرجل لما رأى نفسه امام سيدة كبيرة الهامة بارعة الجمال انيقة الملبس جريئة في الكلام حادة النظر تصاغر لديها واحتشم . وهي لما رات نفسها امام شاب في نحو الثانية والعشرين صغير الجسم حقير المنظر تعالت وشمخت

ولما سمع الشاب انها تطلب لبناً القى كتابه على الارض ونهض وهو يقول . اذا سمحت لي السيدة خدمتها بنفسي وكفيتها عناء انتظار الراعي

ثم تناول وعاء من فخار كان بجانبه بين امتعة الراعي واسرع الى بقرة فحلب منها شيئاً في الوعاء ودفعه الى مريم

فاثرت في مريم هذه العناية فتناولت الوعاء شاكرة ثم انزوت عنه واخذت تشرب اللبن . ولما ارتوت اعادته الى الارض وقالت . هذه الرمانة رمانتي وطالما جلست تحتها اسمع نشيد البلابل والحمام واصوات مزامير الرعاة من بعيد في هذا الوادي . ومنذ اسبوع كنت جالسة هنا في مكان هذا الكتاب اتأمل في الارض والسماء واذا ببلبل قد وقف على الرمانة فوقي واخذ يغرّد تغريداً لم اطرب من شيء في حياتي كطربي منه . ولم يكن بيني و بينه من المسافة الا طول انسان . ها. اسمع فانني اسمع صوت البلابل

ولم تكد مريم تتم عبارتها حتى رات بلبلاً قادماً من بعيد يقصد الرمانة . فاشرقت اسرتها وضحكت واومأت الى الشاب ان يسكت و يجلس لئلا يطير البلبل ثم جلست متأنية وجلس الشاب والتزما السكون

وكان البلبل قد وقع على الرمانة ورفيق له وقع على تينة تجاهها . واخذ الاثنان ينشدان ويتجاوبان باصوات تثير الاحزان والاشجان . فكانت مريم تضحك ملء فيها ونفسها الصبيانية تتلهى بمنظرهما ونشيدهما كما تتلهى نفوس الموسيقيين باشجى الالحان الموسيقية . ولا عجب في ذلك فان نفسها كانت قد ربيت في الخلاء بين الاشياء والكائنات الطبيعية وأَلِفتها . و يظهر ان بلبل الرمانة اقنع في نشيده بلبل التينة ان يأتي اليه فطار ووقع على الرمانة بجانب رفيقه واخذ الاثنان يتناشدان و يتداعبان و يتلاعبان . وكان الشاب في تلك المدة اشد اشتغالاً بمريم منه بالبلبلين فكان ينظر الى البلبلين ظاهراً ولكنه كان ينظر الى مريم باطناً . فكانت نفسه كانت مشتغلة عن بلابل الرمانة ببلابلها التي ثارت عند مشاهدتها مريم . فاختلس النظر الى مريم وهي شاخصة في الرمانة فراى ان لوائح وجهها قد اخذت تتغير . وراى ان قد حلَّ فيه التأمل والتفكير محلَّ الضحك والخفة واتخذ هيئة الحزن والكآبة الشديدة

وبعد عشر ثوانٍ رأى دمعتين تنحدران من عينيها على وجنتيها . فكانت هاتان الدمعتان ناراً أحرقت قلبه ودهش لهما دهشة ما بعدها دهشة فاخذ يقول في نفسه من عسى ان تكون هذه المرأة الجميلة الانيقة الجريئة ؟ وكيف انفردت في هذا الوادي ؟ وما سبب ضحكها وخفتها منذ حين وبكائها الآن ؟ العلها مجنونة ؟ كلا فان كل شيء في عينيها وكلامها وملابسها يدل على عقلها . فما سرُّ هذه المرأة الغريبة

ولم ينتهِ الشاب في تفكيره الى هذا الكلام حتى صاح صائح من وراء الرمانة : يا قديس يوسف . ماذا تفعل عندك

فذعر البلبلان لهذا الصوت وطارا والتفت الشاب ومريم الى الجهة التي ورد منها الصوت .

ثم مسحت مريم دموعها ونهضت وسارت في طريقها دون ان تلقي سلاماً على الشاب . فشيعها الشاب بنظر حزين كئيب وقد زادت دهشته من امرها

وكان القادم راعي المواشي وقد عاد من حاجة ذهب لقضائها . فلما وصل الى الرمانة قهقه وقال : ما شاء الله ايها النبي يوسف كنت تجالس الكتب من قبل اما الآن فاصبحت تجالس النساء

ثم لم يمهله في الجواب فقال : وهل تعلم ايها القديس اية امرأة كانت جليستك فحملق الشاب وقال اتعرف هذه السيدة

فقال الراعي : تقول هذه السيدة ؟ ؟ قه قه قه .. انك تسميها سيدة ولكنها ايها القديس ليست بسيدة .. بل هي ليست بامرأة

فزاد الشاب حملقة وقال : ما هذا المزاح البارد يا متى . اخبرني ما مرادك

فقال الراعي : اقول لك ان هذه الجثة التي كانت جالسة بجانبك ليست بسيدة ولا امرأة

فقال الشاب متهكماً : لعلك تزعم يا ابله انها رجل

فقال كلا كلا يا قديس . وانما هي شيطان ... استغفر الله . بل هي شيطان يسكن فيه سبعة شياطين .. يا رب ارحم . وكيف تركتها تدخل بين غنمي و بقري . هل لمست بعضها ؟

فقال الشاب كلا

فقال الراعي الحمد لله . اشكر الله

فقال الشاب ولكنها شربت من لبن حلبته انا من تلك البقرة

فصاح الراعي . يا رب ارحم غداً تموت البقرة . لا ريب ان احد الشياطين السبعة قد دخل فيها

ثم اسرع الراعي الى البقرة واخذ يفحص وجهها وثديها و بطنها وظهرها ولوائح الاهتمام بادية في وجهه

وكان الشاب في اثناء ذلك يتامل في كلام الراعي مستغرباً . فلحق به وقال
— اخبرني الآن بهدوء ما مرادك من كلامك ومن تكون هذه المرأة
فقال الراعي وقد ابتسم لاطمئنانه عن سلامة بقرته : انني اخبرك عن حقيقتها بكلمة واحدة فيكفي ان اقول لك انها (مريم المجدلية)
فزاد استغراب الشاب وقال . انت تعلم انني لم افد على هذه القرية الا منذ يومين فانّى لي ان اعرف هذه المرأة لمجرد ذكرك اسمها
فاجلس الراعي الشاب على العشب واقبل عليه يخبره همساً في اذنه خبر مريم المجدلية . وكان الشاب تارة يصفر وطوراً يحمر في اثناء حديث الراعي . ولما اتى الراعي على حديثه نهض الشاب وقد تابط كتابه وقال وقد اظهر عدم المبالاة . انني مودعك الآن يا متى الى الملتقى . ثم سار وراء مريم وهو يقول في نفسه . وااسفاه واضيعتاه لنفسك ولجسمك يا مريم

الفصل السادس

﴿ ضربة اخرى ﴾

ويظهر ان مريم اختصرت نزهتها بعد هذه الحادثة وعدلت عن المسير الى البيت الذي اشرنا اليه آنفاً فلما عادت الى منزلها كانت عيناها حمراوين منتفختين من البكاء . فدخلت الى المطبخ وغسلت وجهها بماء بارد فاستقبلتها حنة ضاحكة وقالت . قد قدم شيشرون في غيابك وترجم لي الرسالة التي وجدتها في النافذة وهذه ترجمتها . ولكن هل تعلمين كاتبها . فاجابت مريم دون اكتراث والضجر بادٍ في وجهها . كلا لا اعلم . فقالت حنة ان كاتبها هو الشيخ الروماني العظيم الذي زارك امس مع ابنه
فدهشت مريم وقالت باهتمام : سنيكا ؟ واين ترجمتها
ثم تناولت الرق وقرأت فيه الترجمة تحت الاصل وهذا نصها
« لقد زار هذا البيت روماني وشاهد فيه الانسانية المعذَّبة . وقد رام ان يجعل لزيارته هذه ذكراً في نفس المرأة المسكينة التعيسة التي تقيم فيه . فلو قدَّم لها هدية ثمينة لتبقى لديها

تذكاراً لزيارته لكان في هديته اهانة له ولها فضلاً عن دلالتها على اشتراكه في الرضى عن تعاستها وتشجيعها عليها ... وعنده ان هذا الكتاب خير هدية منه اليها

« مررت في مجدل تحت سماء زرقاء فوق ارض خضراء فرأيت وردة فيحاء في مزبلة

« مررت في وادٍ من زجاج متحطم بين بقايا مواد قديمة فرأيت فيه ماسة جميلة ساطعة كالشمس ولكنها ملوثة مهملة

« ايتها الوردة ايتها الماسة . لم تُخلقي لتكوني حيثما انتِ . اهربي اهربي من مكانك ليظهر للناس جمالك . نفسك من جوهر ولكن جسمك من وحل . اخرجي اخرجي لتطهير نفسك وجسمك

« كل شيء طاهر حولك في الارض والسماء . كل شيء في الطبيعة مطمئن محبوب محمود . ازهار البر ترفع راسها بعزة وكبرياء مفاخرة بجمالها وعبيرها . طيور البر تسبح خفيفة نشيطة وتتداعب على الاغصان مسرورة بالفتها . البشر حولك يتعبون و يشقون ويضنون وا حمال الهموم تثقل نفوسهم ولكنهم مسرورون بانهم يعيشون وهم اهل لاحترام بعضهم بعضاً . وانتِ انتِ ايتها الوردة والماسة مع كونك اجمل واظرف منهم تعيشين مضطربة منفردة ذليلة منبوذة مكروهة » . فلما قرات مريم هذا الكتاب صرفت وجهها عن حنه لئلا ترى عينيها ثم وضعت الكتاب في ثوبها ودخلت الى غرفتها

ولما صارت منفردة في غرفتها اغلقت الباب ووضعت كفيها على وجهها كانها تروم حبس دموعها وانطرحت على فراشها . و بعد ان بكت برهة عادت فجلست واخرجت الكتاب ووقفت فيه عند هذه العبارة

« طيور الجو تسبح خفيفة نشيطة وتتداعب على الاغصان مسرورة بالفتها »

فيا للصدفة والاتفاق الغريب . ان مريم بكت تحت الرمانة من منظر زوج من البلابل يتداعب و يتآلف امامها بينا هي فريدة في الدنيا كلها . وهوذا الاديب سنيكا يلطم وجهها في كتابه بهذا المثل صدفة واتفاقاً ويبكيها مرة اخرى من اجله

ولما استبطأت حنه مريم دخلت الى غرفتها فسمعت من الباب صوتها فهرعت اليها لان المسكينة كانت حضرتها نوبتها . و بعد حين اخذت مريم في اثناء النوبة تصرخ صراخ الالم والعذاب . فاخذت حنه تفك ثيابها عنها وتتولى مداراتها . و بينما كانت مريم تنتفض من الالم وتصرخ وحنه تعنى بها و تنظر الى الباب والى النافذة

لعلها ترى شيشرون قادماً لمساعدتها واذا برأس قد اطلّ من النافذة ونظر في الجهة التي كان صراخ مريم وارداً منها . واذ وقعت عيناه على عيني حنه عاد فجأة واختفى وراء النافذة

فاسرعت حنه الى النافذة فراءت منها شاباً يُسرع الخطى و يبتعد عنها فاسرعت الى الباب فخرجت منه فابصرت على الطريق امامها شاباً في زهرة الشباب وفي يده كتاب . فاستوقفته فوقف ولكن يظهر ان جميع دم الشاب انصرف الى وجهه حين استوقفته حنه فاصبح قرمزي اللون الا انه كان مع شدة تاثره يُظهر ثبات الجاش والسكينة

اننا نحكم على عيوننا فنجعلها تخفي ما نروم اخفاءه . وعلى اجسامنا فنجعلها تسكن وداخلها مضطرب ثائر كبركان . ولكننا لا نستطيع التسلط على دمنا فهو يفور او يغور بالرغم منا و يدل على بواطننا

فساءلت حنه ذلك الشاب متلطفة ان يتفضل و يدخل معها الى المنزل لمساعدتها على معالجة ابنة عمها المتالمة لانهما منفردتان في البيت وهي تخاف وحدها . فاسرع الشاب واجابها الى ما طلبت وهو في الحقيقة مسرور بهذه المساعدة

وبعد نصف ساعة فتحت مريم عينيها بهدوء فوقعتا على هذا الشاب وكتابه في يده . فتولتها دهشة شديدة . اما الشاب فابتسم لها متلطفاً وقال : يظهر ان نزهتك في الوادي قد اتعبتك ايتها السيدة فكيف حالك الآن

فنظرت مريم في وجهه تفحصه جيداً واجابت : حالي كما ترى

فقال الشاب انني منذ فارقتني تحت الرمانة رايت في وجهك انك متالمة فهل تشكين مرضاً

فاجابت مريم وقد تثاءبت دلالة على ضجرها من حديثه ـ انني اشكو ما ترى

فقال الشاب ـ انني اراك في خير واسال دوامه لحضرتك . وما هذا الا نتيجة التعب وشدة احساس السيدات . ثم قال وقد اشتدت حمرة وجنتيه : اما انا فانني اتيه في هذه الارض وكتابي في يدي كما ترين . ولا يلذ لي شيء كالسياحة والقراءة . فبالسياحة اقوي جسمي و بالقراءة اقوي نفسي . وقد مررت الان اتفاقاً من هنا فسمعت صوت الآمك ثم ابصرت ابنة عمك فسالتني ان ادخل لمساعدتها على العناية بك فدخلت مسروراً بان اقوم بخدمة لها ولك

فتثاءبت مريم مرة اخرى واجابت شكراً لك ثم غلب عليها التثاؤب لضجرها فوضعت كفها على فمها وتثاءبت ايضاً . وبعد ذلك اغمضت عينيها وابقتهما مغمضتين كأنها تنظر بهما في داخلها

فاغتنم الشاب هذه الفرصة واخذ يتأمل في وجه مريم . فمن رأى عينيه وهو ينظر بهما الى هذه الحسناء رأى أجمل سذاجة ودهشة ولذة اجتمعت تحت جفني انسان . وانما كانت دهشة عينيه حينئذٍ كدهشة ولد رأى شيئاً لم يرَ مثله في حياته

وكأنَّ الشاب شعر بان اغماض مريم عينيها بمثابة دعوة له ان ينصرف . فلم يجد من الادب وسلامة الذوق ان يطيل الاقامة في ذلك المنزل الذي دخل اليه وجلاً خائفاً . ومن جهة أُخرى فانه كان يتمنى ان يقع له فيه ما يمكّنه من الاقامة فيه حيناً ريثما تنتبه مريم لرغبته في محادثتها والاطلاع على حالة نفسها

وبينما هو يفكر بذلك وقد همَّ بالانصراف واذا بحنه قد دخلت وفي يدها رسالة . فنادت مريم ففتحت مريم عينيها . فاومأت اليها حنه ان تتبعها . فنهضت مريم ضعيفة خائرة القوى . ولما صارت عند حنه في الغرفة الثانية دفعت اليها حنه الرسالة فقرأتها مريم وعبست . ثم فكرت قليلاً . ثم أمرَّت يدها على جبينها وقالت ولكنني مريضة يا رباه . ثم فكرت حيناً . وبعد ترددها هذا ذهبت الى خزانة ملابسها وتناولت منها ثوباً ناصع البياض مزيناً الخر زينة ولعله كان أجمل اثوابها . ثم قصدت الماء فغسلت وجهها ورتبت شعرها ولبست ثوبها ودنت من ضمة زهر من القرنفل كانت في النافذة فقطفت منها ثلاثاً واحدة حمراء غرستها في شعرها واثنتين واحدة بيضاء وواحدة وردية علقتهما في صدرها فوق قلبها . ثم خرجت من المنزل كأنها سائرة الى مأتم لا الى نزهة او ملهى لفرط الكآبة التي كانت بادية في وجهها

اما الشاب فانه لما رآها قد انصرفت دون ان تلتفت اليه لدغت قلبه عقارب الغضب لاحتقارها أياه الى هذا الحد · فخرج من المنزل دون ان يحيي رفيقتها حنه

الفصل السابع

انقضاض الصاعقة

وقد خرج الشاب من المنزل ونزل الاكمة من الجهة المؤدية الى قرية مجدل وهي الجهة التي تقابل الجهة التي جاء منها من تحت الرمانة · وكان في اثناء مسيره يقول في نفسه :

ما كان ينقصني الا احتقار هذه المرأة الساقطة · لقد سارت دون سلام ولا كلام كانني احد خدمها او كأنني تطفلت عليها في منزلها تطفلاً · ما شاءالله ماشاءالله · هذه اخلاق امثال هؤلاء النساء الساقطات الغبيات · حقاً انني اخطأت خطاء عظيماً بلحاقي بها الى منزلها وبتدنيسي قدمي بدخولي اليه

تلك كانت هواجسه في نزوله نحو القرية · الا ان للمرأة الجميلة جاذباً قوته أشد من قوة الاحتقار والازدراء · فانه لما فرغ غضبه من احتقارها اياه رجع الى نفسه وقال : على من اعتب ؟ أعلى أمرأة شقية ساقطة لا قيمة عندها في الارض لغير المال والجمال · وماذا انتظر من نفس معذبة تمسي وتصبح وهي في حالة الجنون والهياج والخوف من الغد ؟ انني انا المجنون جنوناً فوق جنونها · فيجب عليّ ان اشفق عليها وارفق بحالها بدل ان يسوئي احتقارها

والعادة ان بين (الشفقة) و (الميل) المسافة قريبة جداً · فتدرج الشاب الى قوله :

ولكن لماذا تزينت بهذه الزينة قبل انطلاقها من منزلها · انها منذ حين كانت تتنزه فما خرجت اذاً الآن الى النزهة · ولو كان خروجها الى النزهة لما عنيت تلك العناية بتزيين جسمها ووجهها · فلماذا خرجت اذاً · وما هذه الرسالة

التي كانت في يد رفيقتها واستدعتها من اجلها الى الغرفة الأُخرى

فهنا خطرت للشاب خواطر غيَّرت عواطفه من جهة المرأة فوقف برهة يفكر . ثم تغلب على نفسه واستمر في سيره . ولكنه ما خطا خطوتين حتى عاد فوقف . وكان في وقوفه مبهوتاً ينظر الى القرية المنبسطه تحته ولكنه في الحقيقة كان لا ينظر الى شيء . ويظهر ان الجاذب الذي كان يجذبه الى وراء تغلب عليه فالتفت نحو المنزل فوجد حنه في النافذة ورأسها مسند الى يدها . فقال في نفسه ان عدتُ الآن من حيث أتيت رأتني هذه المرأة اتبع رفيقتها . قال هذا ثم أظهر انه سائر من جهة غير الجهة التي سارت مريم فيها . ولما غاب عن المنزل عطف نحو الطريق التي رأى ان مريم سلكتها

وكانت هذه الطريق نفس الطريق التي سلكتها مريم في الصباح وهي المؤدية الى الوادي حيث اجتمع الشاب بمريم تحت الرمانة . فاسرع الشاب يقتفي اثر مريم فرآها من بعيد قد هبطت في الوادي . فحاد عن تلك الطريق وقصد الوادي من طريق غير مطروقة . فما كاد يشرف على الوادي من اكمة فوقه حتى رأى مريم صعدت من الجهة المقابلة ودخلت بيتاً كان مبنياً على الجانب الآخر فارتعد الشاب ووقف يتأمل

وبعد وقوفه حيناً انحدر الى الوادي فمرَّ من تحت الرمانة حيث لقيته مريم في الصباح وسمعت معه تغريد البلابل ثم اجتاز الوادي وصعد من الجانب الآخر في الطريق المؤدية الى ذلك البيت

وكان الشاب في اثناء صعوده يشعر بشيء لم يشعر به في حياته كلها . وقد وقف مرتين في الطريق وعزم على الرجوع الا انَّ ذلك الشيء كان يدفعه الى الامام . فلما صار على مستوى البيت تقدم نحوه بقلب خافق واطراف باردة . ولكنه ما وصل الى نافذته حتى ارتعد واصطكت ركبتاه وتبلل جبينه بالعرق .

ذلك انه سمع في داخله من وراء النافذة ما علم منه كلمح البصر السبب الهائل الذي من أجله زارت تلك المرأة الشقية ذلك البيت

فهمّ الشاب بان يعدو مسرعاً ويعود عن ذلك البيت اللعين · ثم تجلد وسار سيراً اعتيادياً · فطرق اذنه صوت ما كان في الداخل من احتكاك الكؤوس وهتاف السرور وقهقهة البطر وغناء طبّق الغرفة · وقد سمع جيداً صوت مريم يغني الغناء التالي مقروناً بصوتي رجلين ايضاً · وهذه ترجمة ذلك الغناء

لماذا أشرقت الشمس في هذا اليوم
اغربي اغربي يا شقية نحن نطلب الليل
يا ليلُ · يا ليلُ تكفيك شمس بنت الكروم
ووجه الحبيبة الخالي من أثر الهموم

وهنا كان الشاب قد ابتعد عن البيت في مسيره ولم يعد يسمع الا غناء مريم بصوت رفيع يرن في اذنيه دون ان يفهم الكلام · فلما غاب عن البيت في منحدر قريب قصد الى شجرة وجلس تحتها مضطرباً هالع الفؤاد وقد اخذ يمسح بكمه العرق الذي كان يتصبب من وجهه

ثم أخذ رأسه بين يديه وشرع يحلم · فتذكر ملتقاه بهذه المرأة تحت الرمانة وكيف احترمها واكرمها · وكيف رآها في البيت في حالة الضعف والكآبة · وكيف يراها الآن في حالة البطر واللهو · ثم تذكر السذاجة الصبيانية اللطيفة التي رآها في عينيها وجمالها الساحر الذي صنعه الخالق ليكون دليلاً على قدرته وكماله تعالى لا ليلقى مدنّساً في المزابل — تذكر كل ذلك فضاق صدره وخار عزمه وحار فيما يفعل · أيفرُّ من ذلك البيت والوادي والقرية كلها ابتعاداً عن آثار الشقاء البشري وهرباً من رؤية هذه الشقية مرة أخرى ؟ أم يهجم على البيت ويدخل على اولئك الادنياء اللئام فيبصق في وجوههم ويصيح بتلك المرأة ان

تخرج من مكان يدنسها وتدنسه وتهين فيه في داخلها نفسها الخالدة الابدية التي انعم الله عليها بها لتصونها وتوءدبها وتقدسها

مسكين هذا الشاب · انه كان يظن ان غضبه وجزعه واصطكاك ركبتيه وتصبب العرق من جبينه — كلها ناشئة عن شفقته على مريم المسكينة · وما درى ان سببها كان دخول شيطان منها الى نفسه · ولو كان صاحبه الراعي هناك لقال له (يارب ارحم ياقديس يوسف ان احد شياطينها السبعة دخل فيك)

وما هو هذا الشيطان ؟ ان القارئ يعرفه دون ان نصفه · هو الروح الخبيثة الطيبة التي تصيب النفوس الحساسة كما يصيب الكرى الجفون · هو الداء الذي يتسرب الى القلب والنفس والعقل تسرب الكهربائية دون سلك فيستولي عليها دون نزاع ولا دفاع · هو فردوس الارض وجحيمها · لذتها وألمها · خيرها وشرها · نورها وظلامها · هو (الحب الفجائي) الذي يسميه كتاب الافرنج „ ضربة الصاعقة " وهم ينكرونه في غير الروايات · ولكن الاسباب تهيئ المسببات

لما رأى الشاب مريم تحت الرمانة اعجب بجمالها وامتشاق قوامها وتناسب اعضائها وتأنق لباسها · فاحتشم لديها احتشامه لدى سيدة كريمة احترامها فرض على الرجل · ولما علم من الراعي بحقيقة حالها اشفق عليها · ولما دخل الى منزلها بدعوة من اختها لمساعدتها على معالجة مريم في نوبتها ورأى ذلك الجمال الغض والجسم البلوري ملقى بحقارة وضعف على فراش الألم والشقاء زاد ميله اليها والى اغاثتها وانهاضها من كبوتها · وخيل له انه من الواجب عليه هدايتها الى الصراط القويم · ولكنه لما رآها تتزين وتتبرج وتخرج من منزلها دون ان تلتفت اليه · ثم رآها تدخل البيت الذي تبعها اليه وسمع غناءها مع بضعة من الشبان وبطرها بينهم بعد كآبتها الماضية — عرته حينئذ الدهشة اولاً والغيرة ثانياً · وليس شيء كالغيرة يُذكي نار الحب ويلقي صاعقته في القلب

فيا ايها القديس يوسف . قبل ان تطلب طريقة لانقاذ هذه المرأة الشقية اطلب طريقة لانقاذ نفسك . لانك كنتَ كالفراش الذي يحوم في الظلام حول المصباح ويلقي نفسه عليه فيحترق

الفصل الثامن

اول لقاء

وفي اليوم التالي بكر الشاب يوسف الى الوادي وجلس تحت الرمانة يقرأ كتابه . وما كان في الحقيقة يقرأ ولكنه كان يتلهى منتظراً مرور مريم هناك . وكان يوسف في ذلك الصباح اصفر اللون منتفخ العينين خائر القوى كأنه لم يرقد الليل كله . الا انه كان في عينيه مع ضعفه هذا برق غريب هو اثر الصاعقة التي انقضّت أمس في نفسه على نفسه . فكان هذا الشيء الجديد الذي اصابه تسلط على قواه فبث فيها الحياة مع ضعفها ووهنها وخلقها خلقاً جديداً

وفي كل دقيقة كان يوسف يرفع رأسه من الكتاب ويسرح نظره في ما حوله لعله يرى مريم . وكلما سمع حفيف ورق الشجر او صوت تنقل المواشي في العشب رفع رأسه وصار كله اعيناً ترى . الا انه ما كان يجد ضالته ولا يقف لها على اثر . فكان يعود الى كتابه متنهداً

ولما كاد ينتصف النهار سئم يوسف الانتظار فنهض بضجر وغضب وسار في طريقه يقصد حوالى بيت مريم لعله يراها قادمة او ذاهبة من طريق اخرى . فلقي الراعي قادماً بغنمه نحو الوادي وهو يحدوها بغناء مزماره غناء محزناً تتردد صداه في الوادي فتجاوبه الطيور بتغريدها والاشجار بحفيفها . فلما أبصر الراعي صاحبه يوسف من بعيد صاح به

الى اين تمضي يا قديس هل تفتش على (سيدتك)

فسلم يوسف على الراعي تسليماً كان الضجر واشتغال البال ظاهرين فيه. فقال له الراعي . اني اراك اصفر الوجه فماذا اصابك من أمس الى اليوم . هل اقلقت ,, سيدتك '' احلامك في الليل . ثم ضحك الراعي وقال . اظن انك بعد حين ستلقي كتابك هذا من يدك وتقيم في بلدنا على الدوام . اذهب يا قديس وتعذب مع الشياطين اما انا فلا أبيعك هذه الزهرة البيضاء الصفراء بجميع جميلات اوروشليم والمجدل

قال ذلك ثم قطف زهرة من زهر المرجان كانت بجانبه وغرسها في شعره وسار ينفخ بمزماره وغنمه تحيط به كأنه ملك في مملكته

فوقف يوسف حيناً يتأمل في هذا الراعي وفراغ باله وقناعته وعيشه الساذج النقي بين الاشجار والازهار في وسط البرية بعيداً عن كل ما يثير النفس ويقلقها. وقابل بين نفس الراعي الراضية ونفسه الثائرة حينئذ . فهمّ ان يعود الى ما بين غنم الراعي واشجاره وازهاره وهدوء الطبيعة السائد في نفسه وفي ما حوله من الكائنات . ولكن المسكين كان يجهل ان نفوس البشر لم تُصنع كلها بقالب واحد ففيها ما من طبعه الرضى والسكينة الى الاعتيادي المألوف والمشي على الارض مشياً مقروناً بسلامة دائمة . وفيها ما من طبعه الطمع في ما وراء الاعتيادي المألوف والتحليق في جو الاوهام والاحلام فوق مواثيق البشر وعاداتهم ومطالبهم المادية وان كان في هذا التحليق سقوطها احياناً من علٍ الى أسفل

وما كاد يوسف يخطو خطوتين مبتعداً عن الراعي حتى سمع صراخ الراعي . يا قديس يا قديس

فالتفت يوسف فقال الراعي بأعلى صوته . انظر اليها فانها تفتش عليك بينما انت تفتش عليها . ما هذه الساعة السوداء يا رباه

ثم تناول الراعي عصاه وهجم بها على غنمه يدفعها بها من الطريق الى جوف الوادي ويصلي بصوت مسموعٍ الصلاة التي تطرد الشياطين

فمد يوسف بصره نحو الجانب الثاني من الوادي فابصر مريم هابطة من جهة البيت الى الوادي تقصد العودة الى منزلها على ما يظهر · فمشى قلبه في صدره حين رآها ماشية في طريق تنتهي اليه · وأخذ يتلهى بقطف ازهار البرية ليمكنه ان ينتظرها وتلحق به · اما الراعي فكان مشغولاً بدفع غنمه من طريقه والفرار من مريم لئلا يتعلق بعض شياطينها بمواشيه فترديها · · ·

وكانت مريم في ثوبها الذي لبسته أمس حين كان يوسف في منزلها · الا ان زهور القرنفل التي كانت قد قطفتها وعلقتها بشعرها وصدرها كانت قد ذبلت وا أسفاه ولذلك القتها · ومن يعلم كم زهرةٍ جددت في شعرها وصدرها من ظهر أمس الى ظهر اليوم ؟ ولكن اذا كان ذلك مجهولاً فقد كان معلوماً ظاهراً أن زهرة جمال مريم وورد خدودها قد ذبلت بين أمس واليوم ذبولاً بيّناً · فقد كان لونها ضارباً الى الصفرة والكآبة بادية في كل وجهها · فمن رآها اليوم في هذه الحالة وسمع أمس قهقهتها وغناء بطرها من وراء النافذة لا يظن ان المرأتين هما واحدة ·

وكان يوسف كلما قطف زهرة نبض قلبه نبضة لظنه ان مريم قد وصلت اليه · فلما سمع وقع خطواتها وراءه التفت وهو يكاد يختنق لصعود دمه الى رأسه · ولما وقعت عينه على عينها لم يجد كلمة يقولها فاشار اليها براسه مسلماً · اما مريم فوقفت لانها على ما يظهر كانت متعبة ثم قالت له بلهجة عدم المبالاة التي الفها عندها

— ماذا تفعل هنا ألا تزال تغذي نفسك وجسدك

فازداد اضطراب يوسف لهذا التهكم منها وهمّ ان يجيبها بجواب هائل

حضره على لسانه ولكنه ملك عنان نفسه وقال وهو يرتجف ويخفي غضبه مخففاً جوابه

— قد اكون ممن يقوّون اجسامهم ونفوسهم بالرياضة في الخلاء ولكن لا شك في ان جنابك ممن يميتون نفوسهم واجسادهم

فرفعت مريم رأسها وشخصت اليه وقد دهشتها هذه اللهجة التي نطق بها يوسف كأنه ذو سلطة عليها . ثم غلب لديها الضحك على الدهشة مع كآبتها وضجرها في ذلك الصباح فضحكت وقالت

— انك اذا استمررت تغضب عليّ وتسيء بكلامك اليّ ايها السيد فانك تمنعني من الاستراحة هنا فانني تعبت من نزول الوادي واريد الجلوس هنيهة طلباً للراحة

فسكت يوسف ولم يجب . فجلست مريم على بساط العشب والزهر وقد تنهدت تنهد الراحة ثم قالت مبتسمة :

— حقاً ان التنزه في الخلاء جميل جداً . فانني نهضتُ في هذا الصباح باكراً فهبطتُ في هذا الوادي ومررتُ تحت الرمانة لعلي أراك ثم أمعنتُ في السير فاجتزت الوادي الى الجانب الآخر وطفتُ الآكام . . .

فهنا لم يستطع يوسف صبراً لما كان يعلمه من كذب كلامها فقطع حديثها وقال بكل بلادة دون ان يرفع رأسه من الارض وهو يتشاغل بقطف الازهار

— حقاً ان هذا النهار جميل الا أن الشمس محجوبة وراء غيمة سوداء قذرة

فسكتت مريم لرؤيتها ان خشونة الشاب وسكينته هذه وراءهما ما وراءهما . فحلّ لديها التأمل محل الخفة والاستخفاف . وأخذت تتساءل ما شأن هذا الشاب الغريب الذي يغضب لسوء ظنه بها . وما الداعي الى غضبه اذا كان لا يهمه أمرها . فسألته

— ما اسمك ايها الشاب الظريف

فضحك يوسف وقال اسمي متىّ . فقالت هل انت من مجدل فانني لم أرك الا أمس . فضحك وقال : انامن مجدل ومن كل بلد لان وطني الارض بتامها . فضحكت مريم وقالت انا اهنئك بهذا ولكن أين تقيم وما هي صناعتك . فقال لا أُقيم في مكان ولا صناعة لي . فقالت مريم بشيءٍ من الدلال والتلطف . انك مازح . فسكت يوسف

ولم تمر عشر ثوانٍ على سكوت يوسف حتى ظهر في الطريق شاب يمشي الهوينا فلما أبصرته مريم صاحت هذا شيشرون . فبرد الدم في عروق يوسف واقشعرّ بدنه فرفع رأسه فابصر شبحاً قادماً فتناول كتابه من الارض دون ان يمعن النظر في الشخص القادم أو يتبينه ثم ترك قطف الازهار وتأبط كتابه وسار موغلاً في الحقل دون ان يحيّي مريم أو يلقي نظره نحوها

فدهشت مريم أولاً ثم ضحكت وأخذت تنادي يوسف . فلم يلتفت يوسف اليها . فأخذت مريم تقهقه وتناديه و يوسف مضطرب مرتجف يسير على غير هدى دون ان يلوي على شيءٍ . و بعد حين مرّ الشخص القادم في الطريق امامها دون ان يلتفت نحوها ايضاً فنادته مريم : شيشرون شيشرون . فلم يلتفت شيشرون واستمرّ سائراً . فنهضت حينئذ مريم غضبى ولحقت بشيشرون فامسكت بكتفه ودفعته قائلة : هل صرت أصمّ يا بارد

ولا ريب في ان القارئ يعرف شيشرون الروماني الاحدب الذي تقدم ذكره في الفصول الاولى من هذه الرواية

فالتفت اليها شيشرون بعظمة وأنفة وقال . انك ايتها السيدة تعلمين انني لا أحب ان أراكِ أو التقي بكِ خارج بيتك . فأرجو ان تتركيني الآن لانني هابط الي القرية لاخذ رسالة وردتني من اوروشليم مع أحد مكاري القرية

فدمعت عينا مريم اذ لم يفتها سبب فرار الشاب منها حين سمعها تذكر اسم شيشرون وفرار شيشرون حين سمعها تكلم شاباً في الحقل · فوقفت في مكانها جامدة كالصنم لا يتحرك منها عضو غير عينيها وقلبها · ثم تناولت منديلاً من جيبها ومسحت به دمعها

الفصل التاسع

﴿ ضيافة ﴾

ثم عادت مريم الى حيث كانت جالسة على العشب واطرقت تفكر وتنكت الارض باصبعها · وكان تحت نظرها على الارض الازهار الصفراء والبيضاء والحمراء · وأشعة الشمس الذهبية حولها تملأ الفضاء · والهواء يهب عليلاً · والطبيعة الفلسطينية التي كانت يومئذ في أجمل زخرف خلافاً لما هي عليه اليوم (١) تنبسط امامها بجمالها وجلالها — ولكن مريم لم يكن يروقها شيء من كل ذلك بل كانت ترى حولها كل شيء أسود في نظرها · ذلك لان (ذلك السواد) كان في نفسها · مصداقاً لقول الفلاسفة المشهور (الجمال في عين الرائي)

لقد صرفت هذه التعيسة ليلة ونهاراً في البطر والخلاعة والمسرات · لقد جارت على جسدها ونفسها بكل انواع الجور وهي تصيح بنفس ثائرة جنونية (يا حياتي يا قصيرة امتلئي بلا فراغ) (راجع ذلك الغناء في الفصل الثاني) ومع ذلك لما خرجت من ذلك الوسط اللعين الذي تغضب الارض لانها تحته والسماء لانها فوقه وان كانت بعيدة عنه — اخذت تفكر وتحلم · ولم تجد في نفسها من تلك الليلة وذلك النهار غير أثر الاشمئزاز والالم · وحين رأت

---

(١) رنان

يوسف يفر منها فرار السليم من الاجرب وشيشرون صديقها الذي لم تتدنس له يد في يدها يفعل فعله لانه رآها واقفة تحادث شاباً في البرية — ثارت كبرياؤها وتحطمت نفسها لهذه الاهانة لانها كانت تستحقها . فقطر ألمها دمعاً من عينيها كما تقدم

وبينا هي مبهوتة تتأمل وتتألم واذ طرق مسمعها صوت كوقع حوافر الخيل . فالتفتت فأبصرت ثلاثة فرسان قد صاروا على مقربة منها . وكان الفرسان قد قبضوا اعنة خيلهم حين وصولهم الى مريم وساروا الهوينا وهم شاخصون اليها يتحادثون همساً . ثم انفرد احدهم وتقدم منها بعد ان ضحك لكلمة القاها الى رفيقيه وقال . عفواً ايتها السيدة اننا غرباء ونطلب مكاناً لمبيت أليس في القرية فندق

وكان الدمع لا يزال يجول في عيني مريم . ولكنها لما سمعت سؤال الفارس ورأت برق عينيه وضحكه مع ضحك رفيقيه وراءه شربت عيناها ما كان فيهما من الدمع ففاض دمعها الى حيث فاض وحلّت فيهما القوة والوقاحة الخبيثة محلّ التأمل والضعف والانكسار . فاجابت بلهجة المرأة التي اعتادت مصارعة الرجال وعودت نفسها الاستعلاء عليهم والا داسوها تحت اقدامهم

— من يطلب فندقاً ايها الفارس الجميل لا يطلبه على اكمة بعيدة عن القرية بل في القرية نفسها

فقال الفارس . ولكن خير الفنادق ما كان على الآكام . بعيداً عن ضوضاء الانام . كالمنزل الذي امامنا هناك

فقالت مريم . ليس هذا المنزل بفندق ايها الفارس ولكنه منزل امرأة فقيرة حقيرة تعيش فيه مع قريبة لها . وأهل القرية يزعمون ان الشياطين تسكنه اما أنا فلم أرَ فيه شياطين ولكني رأيت فيه خنازير

فقال الفارس وكان رفيقاه قد تبعاه ووقفا بجانبه ينظران بعيون متقدة الى تلك المرأة الفضة التي كانت كانها برج فضّة · — وهل هما تقيمان وحدهما وتقبلان الضيافة باجرة او بغير اجرة

فقالت مريم لا أعلم فلكم ان تسألوهما عن ذلك · ثم أطرقت تنكث الارض بأصبعها

وكأنّ الفرسان الثلاثة قد (سمّروا) هناك في الارض امام مريم (تسميراً) لا يقدرون معه على التحرك من مكانهم ومفارقة هذه المرأة · ولذلك اقاموا برهة يتشاورون بلغة اجنبية عرفت مريم انها الرومانية · فكان مَثلهم في تلك الوقفة مَثل ثلاثة من كلاب الصيد ظفرت بأرنب سمين في البرية متحصّن في وكره فوقفت امامه تحرك اذنابها وتغرغر لهاتها مفكرة في طريق صيده · ولم يكن وا أسفاه لمريم خوف الارنب وذعره لدى هؤلاء الكلاب الثلاثة بل كان لها ألم طائر ذي قلب مريض وجنح مَهيض ويُطلب منه ان يرقص من الفرح لا من الالم

بعض النساء يقلن في بعض الاحيان سرًّا أو جهراً · (ما أقبح الرجال وأكرههم وأغلظ قلوبهم وأحط نفوسهم · فمنظرهم ثقيل · وذوقهم عليل · وكل ما لهم فظ بليد · واثرتهم وغطرستهم تبلغ بهم عندنا الى درجة من الاشمئزاز ما عليها من مزيد) ايتها المرأة لا تقولي هذا القول في الرجل مهما رأيتِ فيه مما يجعله قريباً منه ومستأهلاً له · فان الرجل الذي (يحترم) المرأة أي الذي يرعى (حرمتها السامية) التي هي اثمن ما عندها ويعف في قلبه وعينه عنها لاجدر باحترامها وحسن ميلها وصفحها مهما كان فظاً ثقيلاً غليظاً من اولئك الكلاب ذوات المنظر الظريف والذوق اللطيف واللباس الانيق والاسلوب الرقيق والشعر الصقيل الجميل الذين يحومون حول المرأة في المجتمعات والخلوات لصيدها

بشراك ظواهرهم هذه وجعلها بعد صيدها لعنةً لاهلها واضحوكة وألعوبة لهم يتسلّون بالهزء بها والضحك منها في خلواتهم .. أيتها المرأة لكِ ان تغتفري للرجل كل ذنب وتتحملي منه كل اساءة . اما اصطياده امرأة ضعيفة من منزلها بين اهلها واولادها وهي بلا سلاح بازاء سلاح ذلك الوحش القوي فهو ذنب لا تطهّره الا لعنة الله ونار الجحيم : هو ذنب يوجب عليكِ ان تري كل رجل لا يعجبك مهما كان فاتراً غليظاً — شخصاً محبوباً اذا كان يعفّ بل ملاكاً بالقياس على هذا الشيطان الرجيم

وبعد ان تشاور الفرسان الثلاثة التفت الفارس الاول الى مريم وقال — ضاحكاً : نحن غرباء ايتها السيدة ولا فندق هنا فهل تأذنين لنا ان ننزل ونستريح على هذا العشب

فنظرت مريم في عينيه بوقاحة كنظر رجل لا كنظر أمرأة وقالت . الارض لله لا لي فلكم ان تنزلوا حيثما تشاؤون

فترجل الفرسان الثلاثة وجلسوا على بعد اربعة امتار من مريم . وكان يظهر ان قائدهم هو الفارس الاول لانه كان اجرأهم واوقحهم . فلما جلس لم يتعذر عليه موضوع للكلام فالتفت الى رفيقيه وقال

— اسألكم حلّ لغزي . نحن الان في حضن الطبيعة الجميل . فوقنا السماء وزرقتها الصافية . وتحتنا الارض وازهارها الزاهية . وحولنا الشمس ونورها العسجدي وانفاسها الدافئة . فما هو أجمل ما حولنا ؟

فقال كل من رفيقيه قوله وهو يضحك . وبعد ان فرغا من الكلام قال الفارس الاول

— كل ما قلتموه جميل . فالازهار والوانها المختلفة الخارجة من تراب كأن في الارض صبّاغاً يصبغها . والنبات الاخضر المتحول عن تراب أسود . والهواء

البارد الذي لا نعلم من أين يهب . ونور الشمس الذي يشرح القلب .
والطيور التي تتداعب هناك على الاشجار تداعب الاطفال الصغار. والراعي الذي
يرعى مواشيه و ينفخ لها بالمزمار . والسماء التي فوقنا ولا نعلم من اين تبتدئ
ولا أين تنتهي في هذا الكون المملوء بالاسرار — كلها جميلة كما قلتم . ولكن هناك
ما هو أجمل منها . فان لا شيء منها يشبه جماله جمال الحسناء ذات السوار .
كلها جامدة باردة ساكنة سكون الموت فليس لها قلبٌ رقيق يخفق ولا عين
ساحرة تحدق ولا نَفَس حار . النَّفَس ؟ سبحان جو بيتر بل ديانا لهذا (النفَس)
الذي خلقاه وجعلاه رسول النفْس الى النفْس من قلبين أُشعلت فيهما النار .
فالحسناء بديعة بدائع الكون ومستجمع الفنون ومنتهى ما قدر عليه في خلق الكمال
والجمال ذلك الخالق الجبار . وفيها خلاصة الكائنات كلها . فقوة الأسد في
نظرها . وسواد الليل في شعرها . وبياض الفجر في جبينها . وحمرة الورد
ولون الزهر في خدها . و برق النور في عينها . ولين الغصن في قوامها . ودهاء
الثعلب في قلبها . ورقة السحاب وقوة صاعقته في لسانها . وخفة الطيور في
رشاقة حركاتها . وفوق ذلك كله روح خفيفة بشوشة متسلطة على هذه النفائس
تبث فيها الحركة والحياة وتديرها حيث تشاء (ونَفَس حار) يذيب كل شيء
يعترض سبيلها ويُنفذ ارادتها

وكانت مريم في اثناء هذا الوصف الشعري تنكت الارض باصبعها ولكنها
كانت مصغية الى ذلك الثقيل تسمع كلامه . ونظرت الى نفسها بعد هذا الوصف
فراقها ذلك الاغراق والغلو اذ لا يلذ النساء شيء مثله . ولكنها لم تجد في
نفسها لنفسها اكليل ذلك البهاء والسناء الذي كلل المرأة به ذلك الفارس .
فقالت في نفسها . ما أشد جنون الرجال الذين تدفعهم تصوراتهم الى انزال
المرأة هذه المنزلة . فان شاباً جدي الاخلاق مستقيم السيرة والسريرة نشيطاً

في عمله كالنحلة في قفيرها يحمل على ظهره عبء عائلته ويسير في طريق الحياة في خط مستقيم دون ان يبالي بتعب او صعوبة — لهو أجمل في حياته واكمل وافضل من امرأة بيضاء وحمراء تعرض كالصور في المنازل

وكانت مريم لا تجهل ان ذلك الثقيل لا يقصد في كلامه هذا مجرد الوصف الشعري بل قصد به جرّ الحديث معها الى ما يبغي جرّه اليه · ولذلك لم يفرغ من كلامه حتى التفت اليها وقال

أما أصبتُ ايتها السيدة في قولي انكن زينة الارض ومستجمع بدائعها ونفائسها

فرفعت مريم رأسها وقالت · كنتُ مشتغلة بالتأمل في دودة تحفر لنفسها في التراب لتغوص فيه فلم اسمع كلامك

* * * * * * * * * * *

وبعد مرور ساعة كان هؤلاء الفرسان الثلاثة يتناولون الطعام ويتعاطون المدام مع مريم في منزلها

الفصل العاشر

﴿ متناقضان ﴾

وفي صباح اليوم التالي وصل شيشرون الاحدب الى منزل مريم ليمحو أثر تخاشنه أمس معها · فرأى من بعيد ثلاثة أفراس مربوطة بجانب المنزل · فقال في نفسه (مسكينة هذه المرأة التعيسة) ثم حاد عن الطريق وأوغل في اكمة وراءها وهو مطرق يفكر بنفس متألمة

فما كاد شيشرون يبلغ سفح الاكمة حتى رأى تحت شجرة فيها رجلاً مستلقياً على ظهره وذراعاه معقودتان تحت رأسه وكتاب ملقىً على صدره · فمشى شيشرون نحوه ليراه لان هذه أول مرة رأى فيها في مجدل رجلاً يحمل كتاباً · اما الرجل

الجامعة

الجزء ٩ السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك تشرين الثاني ـ (نوفمبر) سنة ١٩٠٧ ٢٦ رمضان ١٣٢٥

أتالا

وهي اجمل وأشهر رواية فرنسوية أنشئت بشأن اميركا وقد اشتهرت في عالم الادب بجمالها وادابها اشتهار الميزرابل وبولس وفرجيني والكوخ الهندي

مؤلفها شاتو بريان احد مشاهير فرنسا في آخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر

ومزيتها للقراء في اميركا والخارج انها تصف البلاد الاميركية وطبيعتها الجميلة وقبائل هنودها باسلوب رائق وغزل رقيق وغرام بالغ منتهى الشغف

تعريب صاحب الجامعة

يرى القراء اننا ننشر في كل جزء ذيلاً للمجلة نضمنه رواية ,, مريم قبل التوبة '' من تأليف صاحب الجامعة · ولما كانت هذه الرواية طويلة الذيول لانها ستكون في حجم روايتنا (اورشليم الجديدة) فقد خطر لنا ان ننشر في

المجلة ايضاً رواية من اجمل الروايات التي خطتها يد انسان تعريباً من احدى اللغات الافرنجية كما تنشر ,, مريم قبل التوبة '' تأليفاً · فان للتعريب محاسن كما للتأليف محاسن · فمحاسن التأليف ان المؤلف يطلق لقريحته العنان في موضوع يخلقه خلقاً ويكون لاصقاً بالمبادئ التي احتكت في نفس المؤلف كل لصوق وراجعاً الى الوسط الذي عاش فيه والشؤون التي تهم امته التي يكتب لها· ومحاسن التعريب ان يستخرج المعرب لقرائه درر الفصاحة والبلاغة الاوروبية ويبسط لها حالات النفس البشرية التي هم جزء منها ومنازعات الاهواء والمصالح في الارض واخلاق البشر البعيدين عنهم · ورواية (أتالا) هذه سيقرأها قراء الجامعة في اميركا على الاخص بارتياح شديد لان موضوعها اميركي محض · ويسرنا ان الفرصة مكنتنا من اخراجها الى اللغة العربية كما اخرجنا قبلها (بولس وفرجيني) و(الكوخ الهندي)

شهادة سنت بوف

أشهر نقاد القرن الثامن عشر والتاسع عشر

في رواية أتالا

قال سنت بوف سلطان النقد في عصره وفي كل عصر :

,, لا اسمي هذه الرواية رواية · بل اسميها (قصيدة غزلية) نصفها وصفي ونصفها دراماتيكي تجاوز فيها المؤلف حدود المتقدمين حتى حدود (بولس وفرجيني) · وغرضه فيها ان يرسم صورة احتكاك الهوى في قلبين احدهما ذو طبيعة متمدنة والآخر ذو طبيعة متوحشة التقيا في قفر سبسب لم يصفه احد قبل المؤلف · وفوق ذلك فانه قصد الى مقابلة هذا (الهوى) في الخاتمة بالسكينة الدينية وتصوير (الدين) تصويرًا يجوز ان يُعدّ اكتشافاً جديداً له · وان

قريحة المؤلف في هذا الكتاب لتستولي على القارئ بعظمتها وجمالها وجديد نزعتها وتؤثر في اعماق نفسه تأثيراً يجعل النصر لها . اقرأ تلك الرواية المعبودة (بولس وفرجيني) ثم اقرأ بعدها (اتالا) فانك بعد قراءتها لتشعر بانك جُذبتَ اليها بالرغم منك وطارت نفسك اليها شعاعاً . ولا تسل هل النور الالهي الذي تراه امامك قد مرّ . بفم بطلها (شكتاس) ام بفم المؤلف فان الامر الهامّ انه قد مرّ امامك . وعاصفة الهوى القلبي التي تعصف فيها تثير في نفسك الاشجان السرية وتُشعرك بذلك السم الذي يتسرّب الى نفسك تسرّب الحلم فلا تستطيع الافلات منه بعد معرفته . فتروح وانت حامل السهم المسموم الذي رُميتَ به من ذلك القفر

„ قال المسيو جو برفي (أتالا) : في اصبع الصانع سحر خاص بذلك الصانع . فأي شيء مسه هذا الصانع امدّه بذلك السحر فادهش به النفوس . وهكذا شاتو بريان . فلا تخافي عليه ان لا تنجح روايته (أتالا) فانها ستنجح دون شك لانه (الكاتب الساحر) " (١)

„ وبعد (أتالا) تجيء رواية (رِنه) التي هي تتمة لها . ففي هذه الرواية بلغ شاتو بريان الكمال واحتلّ اسمى منزلة . ولما وصف اخلاق (رنه) في هذه الرواية نسخها عن اخلاقه فكأنه وصف نفسه في صباه وقدم هذا الوصف الى بني عصره كمثال للمرض المعنوي الذي اصاب تصوراتهم . فان كل المتناقضات في اخلاق (رنه) انما وجدت على التقريب في اخلاق كثيرين من شبان ذلك العصر خصوصاً قبل قراءتهم (رنه) . وهذه مزية امهات الكتب التي تجيء في

---

(١) من كتاب لمسيو جو بر الى مدام دي بومون وكانت قبل ظهور « اتـالا » تخشى انها لا تروق القراء لانها تصف بلاداً اميركية بعيدة . وقد استشهد سنت بوف بهذا الكتاب تزلفاً الى المسيو جو بر

حينها . فان كل واحد من قرائها يرى فيها صورة اخلاقه واميال ويوشك ان يسمي بطلها باسمه . وقد كان لرواية (رنه) فضل عظيم لانها اول كتاب حدّد شيئاً غير محدود وزينه تزييناً جعل كثيرين يرون فيه خطراً . ولكن هذا الخطر قد مرّ منذ زمان "

نشرنا في هذا الجزء هذه المقدمة التي تعرّف الى القراء اهمية هذه الرواية الجميلة وسنشرع في نشرها ابتداء من الجزء التالي

في قتل بعض الشرائع

حياة لكثير من الناس

قرية لا شريعة فيها ولذلك
ليس فيها فقير

لا تستغرب هذا العنوان . فقد قالوا ان (الشرائع العادلة) تجعل الامم سعيدة . ولكنهم لسوء الحظ لم يجدوا حتى الآن (الشرائع العادلة) لتتم للامم السعادة

انظر الى كل امة من امم الارض ترَ انها كلما اغذت السير في سبيل العمران ووضعت الشرائع لصيانة حقوق الانسان زاد فيها الشقاء بزيادة الترف والسعة وفيضان الذهب الرنان

قال الفيلسوف تولستوي ان العالم الآن مريض مرضاً مضحكاً . فان اهله يتنافسون في انشاء السكك الحديدية والتلغرافات السلكية واللاسلكية والبواخر البحرية والدوارع الحربية والمتاجر الواسعة وانوار الكهرباء الساطعة والدور الشامخة والمدن الباذخة — ولكن هل زادت جميع هذه الصبيانيات شيئاً في سعادة الانسانية وراحتها . كلا فان الفقر سائد . والصلاح بائد . والفقر ممدود الرواق .

والتعاسة آخذة اربعة اخماس البشر بالخناق · والبشر في نزاع وشقاق · فما هذه المدنية المضحكة التي يتنعم فيها جزء ويشقى تسعة اجزاء

فاجابه عالم اوروبي بقوله : اذا نظرنا الباخرة تمخر في عباب البحر وهي على ما هي عليه من الجمال واحكام الصنعة خارجاً وداخلاً هل من العقل ان نحكم بفسادها ونقضي باغراقها اذا كنا نرى وحوش البحر الضارية تحوم حولها وترافقها في طريقها · فالمدنية الحاضرة كتلك الباخرة والشرور والمفاسد التي فيها كتلك الوحوش · وسيأتي زمن تتخلص فيه المدنية من وحوشها وتظهر للبشر ناصعة خالصة من كل ضعف وشقاء طبقاً لناموس (قابلية الكمال)

قلنا · فالمسألة هنا تتوقف اذاً على حل هذا اللغز الفاسفي الذي اعيى الفلاسفة حله · وهو (هل الانسان قابل الكمال ام لا) والفلاسفة فيه موجبون وسالبون والله يعلم وهم لا يعلمون

﴿ قرية فور ماردبك ﴾ وفراراً من الوقوع في الترهات الفكرية والظنون الفلسفية نقطع حبل الكلام في هذا الموضوع ونعود الى حوادث الحياة اليومية الثابتة بالتجربة والمشاهدة · فان خير برهان ما شهد به الواقع وأيّده الامتحان

انا نقص عليك في هذا الفصل خبر بلدة لا شريعة فيها ولا نظام للملك والارث · بل الارث فيها معدوم قطعاً · ولستَ تجد فيها انواراً كهربائية ولا آلات بخارية ولا مصالح تجارية ولا قصوراً سنية · ومع ذلك فاهلها يعيشون هنيئي البال سعداء ليس فيهم شقي ولا فقير

هذه البلدة هي قرية فور ماردبك قرب مدينة دنكرك الفرنسوية · عدد سكانها اليوم ١٧٠٠ نفس وكانوا منذ ٥٠ سنة ٦٥٠ نفساً · وفي سنة ١٨٢١ كانوا ٣٠٠ نفس · اي انهم في ٨٠ سنة تضاعف عددهم ٦٠ مرة مع كثرة

المهاجرين منهم · وليس في اوروبا كلها بلد وقع له مثل هذا

ومعدل المواليد في هذه القرية ٤١ طفلاً لكل ١٠٠٠ شخص في كل عام · مع ان المعدل للالف في المانيا ٣٦ طفلاً وفي فرنسا ٢١ طفلاً · والدليل على ان اهل هذه القرية السذج يحسنون تربية اولادهم وتدبيرهم ان الوفيات من الاطفال في السنة الاولى قليلة اذ لا يموت منهم الا ١٦ في الالف وهي نادرة ما بعد السنة الاولى · وعلى الجملة فان نسبة الوفيات الى المواليد كنسبة ١ الى ٢

وكانت هذه القرية مجهولة لدى الفرنسويين ولدى الحكومة حتى سنة ١٨٨٧ فاكتشفها في ذلك العام الدكتور لنكري من مدينة دنكرك

﴿ سبب هذه السعادة ﴾ اما سبب سعادة هذه القرية فهو اختصاصها بعادات وضعتها لنفسها · وتاريخها يبدأ منذ حكم لويس الرابع عشر والوزير كولبير الكبير · فقد كان على مقربة منها حصن حربي وكان قرصان البحر كثيري التردد على هذا الحصن يهاجمونه · فرغبة في حمايته أمر لويس الرابع عشر بنقل اربع عيلات من بلدة كوك في بيكارديا الى تلك الجهة واقطعهم ١٢٥ فدانًا من الارض يفلحونها ويستغلونها دون ان يكون لهم حق في غير دخلها · فألفت هذه العيلات الاربع جمعية دعتها (جمعية البحارة الصيادين) وأخذوا يعيشون من الزراعة وصيد السمك كأنهم عيلة واحدة · فتكاثروا ونموا مع مر الاعوام واتصلوا الى ان قرروا مبدأ كان سبب راحتهم ونفي الفقر والشقاء من قريتهم وزيادة نسلهم واليك بيانه

انهم قرروا ان كل رجل يجب عليه ان يتزوج ومتى تزوج وهبته القرية (دوطة) عقارية مساحتها ٢٤ فدانًا · فيستولي على هذه الارض فيزرعها ويعيش هو وعيلته منها · واذا توفي استردت القرية هذه الارض منه ووهبتها ثانية الى رجل آخر حين زواجه · وعلى الغالب تهبها الى احد اولاد المتوفى · فالرجل

الذي يستولي على هذه الارض الموهوبة له ليس له حق بيعها او هبتها او ايراثها لاحد وانما له حق استغلالها فقط · وهذا يكفي لان كل من يستولي على هذه الارض يصبح وقد ضمن لنفسه ولعيلته الرزق فتسكن نفسه وتطمئن ويعيش براحة وسعة مع عياته · ولذلك ترى تلك القرية اجزاء اجزاء كل جزء منها مؤلف من منزل ذي ثلاث او اربع غرف تبعاً لقلة عدد العيلة او كثرته · ووراء المنزل الارض الموهوبة ليعيش أهل المنزل منها

ان الاشتراكيين الدّ اعداء الوراثة والملكية · وهم يقولون انه من الظلم المساعد على الكسل وزيادة الفساد والشقاء في الدنيا ان يستولي ابنٌ بليد خامل على املاك واموال ابيه الطائلة بحق الارث البليد مع انه لم يفعل في الحياة شيئاً يستحق من اجله تلك النعم الفجائية التي جُمعت من اموال الامة · وأهل الاملاك والاموال في كل أمة يملأون الدنيا صراخاً وتعنيفاً للاشتراكيين على هذه الآراء التي تحرم المالك حرية التصرف في ملكه الذي جناه بتعبه وجهده تصرفاً يوافق هواه وارادته وتهدم في نفس كل انسان نشاط العمل والجد للاقتصاد والاذخار لان كل انسان لا يعمل ويجدّ الا ليقتصد ويذخر ويكون له حق التصرُّف في نتيجة اذخاره واقتصاده · فأهل هذه القرية الساذجة الصغيرة العائشون بمعزل عن ضوضاء الامم ومشاكلها · وفتنها ومشاغلها · وتنازعها ومطامعها · قد حلّوا ببساطة غريبة تلك المشكلة التي اعيى البشر حلها والانسانية تتحارب الان حولها ·

انكم ايها السذج السعداء العائشون في احضان الطبيعة كالطفل في حضن امه ولا همّ لكم الا مساعدة بعضكم بعضاً وراحة مجموعكم اجمالاً — لأهلٌ لهذه السعادة التي بلغتموها · فعيشوا براحة وأمن وسلام تحت حماية الطبيعة وفي بركة الله واضحكوا من ملايين البشر الذين يتخاصمون ويتنازعون ويتدافعون حولكم على لا شيء

اختراع جديد عجيب

آلة تعيد الميت حياً اذا لما يطرأ تعطيل على شيء من اعضائه الحيوية او انسجة جسمه

قتل المخترع ارنباً واحياؤه * اعادة الحياة الى الغرقى والمبرودين و بعض المسمومين * مقدرة الجراح بها على قتل عليله واجراء عملية جراحية له ثم احياؤه بعد العملية · ستقتني هذه الآلة جميع الحانات والحمامات والمستشفيات والاندية في اميركا

توفق الاستاذ الدكتور جورج بو من سوث نورفلك من ولاية فرجينيا احدى الولايات المتحدة الى جهاز بسيط للتنفس الصناعي يعيد بواسطته الحياة بعد فقدها على قاعدة علمية في بضع دقائق

واثباتاً لصحة اختراعه هذا جمع بضعة من زملائه وحقن ارنبة امامهم بقمحتين من المورفين ثم اعطاها كلوروفورم حتى ماتت تماماً وفحصها الاطباء وتحققوا موتها· ثم وضعها في وعاء مقفل مملوء من غاز الاستيلين الذي يقتل ارنبة في ٣ دقائق· و بعد ساعة استخرجها من الاستيلين ووضع جهاز التنفس الاصطناعي في انفها و بعد بضع دقائق انتعشت وعادت لها حياتها ولكنها كانت تنتفض من البرد وقد فحصها الاطباء وما زالت رائحة الاستيلين في خلال شعرها (١)

(١) لا نرى في هذا الامر فضلاً كبيراً · فاننا حين كنا في المدرسة كنا نقبض على نوع من الطيور معروف باسم (الورور) كان يسقط تعباً من استمراره طائراً في الجو دون قرار وكنا ناخذه مع اساتذتنا ونضغط باصبعين على جانبيه عند قلبه حتى تسكن حركته ويطبق جفنيه وتظهر فيه اعراض الموت فنلقيه على الارض فيظهر ميتاً · وبعد ذلك كنا ناخذه ونفتح منقاره وننفخ فيه حيناً فلا يلبث ان تعود الحياة اليه حتى بانفاسنا الكربونية وذلك لامتزاجها بشيء من اوكسيجين الهواء

وعلى ذلك تمكن من اعادة حياة الغرقى او الذين ماتوا من شدة البرد او من تنشق الغاز او من فعل بعض السموم هذا اذا لم تكن اعضاؤهم الحيوية قد تعطلت

اما الجهاز المذكور فبسيط جدًّا وهو عبارة عن مضختين ,, طلمبتين '' و٣ انابيب من المطاط ,, الكوتشوك '' انبوبتان تدخلان في الانف والثالثة تتصل بوعاء مقفل من غاز الاوكسجين (ولا يخفى ان هذا الغاز هو القسم الجوهري في الهواء الذي نتنشقه لاحيائنا) · اما المضختان فاحداهما تضغط الاوكسجين الى الرئتين والاخرى تمتص الغاز السام الذي يقوم مقام الاوكسجين فيهما · وعند ذلك يرتفع الصدر وينخفض او ينتفخ ويتقلص حسب حركة المضختين و بالتالي يُعاد التنفس · اما الاوكسجين فيحرق الغاز السام ويؤكسد الدم ويجدّد الحرارة له

ومزية هذا الاختراع انه يمكن الجراح من قتل عليله قبل اجراء العملية ثم احيائه بعد الانتهاء منها · وذلك في العمليات الصعبة المخطرة جدًّا فان هذا الاختراع يجعلها سهلة جدًّا · وذلك ان الطبيب يوقف نبضات القلب والدورة الدموية ويربط الشرايين والاوردة وسائر الاوعية الدموية وثم يعمل العملية آمنًا انفجار الدم و بعد ذلك يحل الاربطة ويعيد التنفس والدورة الدموية على نحو ما تقدم ويمكنه ان يولي الممرضة اجراء هذا بواسطة جهاز الدكتور بو لانه عمل بسيط جدًّا · ولا يخفى على الاطباء ان اجراء العمليات بهذه الطريقة يغني عن تأثير المخدرات التي تعطى وقتًا طويلاً في اثناء الاجراء · وتوفر على الاعلاء الخبل الذي يلي العملية من جراء التخدير وغيره

وهذا الجهاز يفيد جدًّا في تصفية ادمغة السكارى بحيث لا يشعرون بصداع ولا بعرض بعد سورة السكر

والدكتور بو يدّعي انه يقدر ان يعيد الحياة اذا كان بعض الاعضاء الحيوية

قد تعطل

والامر العجيب في هذا الاختراع هو اعادة الحياة للذي يموت من شدة البرد . ولكن تعليل هذا العجب هو ان الجسم لا يفقد الحياة بسبب البرد لان البرد ليس سبب الموت المباشر وانما سببه عدم وصول الاوكسجين الى الدم والانسجة . فكلما برد الجسم ابطأت الدورة الدموية وفقد الدم الاوكسجين ولا سيما فى الاطراف والجلد وفي هذه الحال يزرق البدن ومن ثم يستولي الخدر ويطمس على الذهن ويموت في خلال سبات عميق . ولكن الحياة تعاد بعد هذا الموت اذا ادخل الاوكسجين الى الدم بواسطة جهاز الدكتور (بو) الا اذا كان الجسم قد ترك مدة طويلة في البرد بحيث تتلف بعض الانسجة الاعضاء الحيوية فحينئذ لا يفيد ادخال الاوكسجين شيئاً

وقد سجل الدكتور (بو) اختراعه هذا ويعتقد انه لابد ان تقتنيه المستشفيات والاندية والجمعيات والحمامات والحانات فضلاً عن الاطباء لان استعماله سهل جداً . وهو يولد الاوكسجين ويضغطه الى حد انه يصبح سائلاً ويبيعه لمن يستعمل الجهاز المذكور (.)

العائلة في اميركا

اما التضامن العائلي او الفساد

فيلادلفيا ٤ تشرين الاول

كنت مساء الامس ماراً في ستي هول فاستوقفني جمع غفير محتشد في الشارع فحاولت ان اخترقه غير مبال لاني اعلم ان الاميركيين يدهشهم اقل مدهش ويستوقفهم اسخف معجب . ولكني ما لبثت ان تغلغلت في وسطهم حتى وجدتهم يسوّرون فتاتين احداهما في نحو العشرين من العمر تلعب على آلة

موسيقية قد اصطلحنا على تسميتها (موزيكا) والاخرى تبلغ الثانية عشرة تضرب على مثلث معدنيٍّ رنان ايقاعاً مع تلحين اختها فقلتُ في نفسي : لقد صدق ظني ,, الكلب ميت والجنازة حامية '' فان هؤلاء الاميركيين يعبأون بابسط الامور . أما ,, نفذت الموسيقى من انوفهم '' حتى انهم يتكأكأون مئات على فتاتين تعزفان وتغنيان ؟

لذّ لي غناء الفتاتين فوقفتُ انوي وقفة هنيهه . وما زلت اعتقد ان سواد القوم يحيط بالفتاتين على بعد منهما لا طرباً بلحنهما بل لان لهم طبيعة النحل الذي اعتاد ان يتجمع بعضه على بعض في شكل عنقود فاذا تعلقت بضع منها في غصن تعلقت بها مئات النحلات.

وقفت الهنيهة بعد الهنيهة وانا اتأثر من موقف الفتاتين اكثر من غنائهما ولا سيما لان السعال كان ينتاب كبراهما بين لحن ولحن وافراد القوم يعبرون بهما من جانب الدائرة الى جانبها و يسقطون في كف الصغرى بعض النقود

وكان الذين نفحوهما معدودين فقلتُ في نفسي اذا دارت الصغرى تستجديهم أجر غنائها جمعت منهم بضع ريالات . ولكن غنتا لحناً بعد لحن ولم تدر لتستجدي كأنها قانعة بالقليل الذي نُفحته . ومتى كان من طبع طوافة القناعة . .

عند ذلك انبرى احد القوم وقبعته مقلوبة في كفه ودار في القوم يستندي اكفهم وقد سمعته يردد هذا القول (أني أعرف شيئاً من قصة هاتين الفتاتين فانهما تستحقان الاحسان)

وما كاد يطوف بنصف الجمهور حتى همت الفتاتان باختراق الحشد والخروج من وسط ذلك الزحام فنادى به البعض أنا اتبعهما قبل ان تبرحا فناداهما ان تقفا فما سمعتا نداءه فاضطر ان يتبعهما متغلغلاً واذ ادركهما افرغ ما جمعه في كف احداهما

عند ذلك أحاط به القوم يستفسرونه عن امرهما فلم يسعني الا ان ازج نفسي

بينهم لا اسمع ما يقول

سمعته يقول : ,, رأيتهما غير هذه المرة في مثل هذا الموقف وفعلت حينذاك ما فعلته الان · وجل ما عرفته عنهما انهما اثنتان من ثمانية بنين وبنات وقد مات ابوهم واما امهم فالسل يسل الآن روحها من جسدها وليس من يعولهم غير هاتين لان البقية صغار ''

اقول وسواء كانت هذه القصة الوجيزة المؤثرة حقيقية او مخترعة لتدبير هذا المسترزق فان مثلها كثير في عهد هذه المدنية الجديدة وفي هذا القطر الذي أُوجد فيه كل فرد بالكره منه مستقلاً وملزماً باعالة نفسه غير متوقع من يرحمه

وسواء صحت الحكاية او زُوّرت فلم يدفع الفتاتين الى هذا الباب للاسترزاق سوى الفقر المدقع · فلا بد ان تكون حاجياتهما وحاجيات اخوتهما (ان كان لهما اخوة) اوفر من دخل الكبرى اذا رامت ان تشتغل ما هي اهل له · اما الصغرى فلا يؤذن قانون البلاد ان تقوم بعمل لانها في دون العمر الذي يسوغ لها فيه ان تشتغل ولانها لم تزل تحت الواجبات المدرسية المحتومة والظاهر ان استجداء المحسنين بواسطة الموسيقى اغزر خيراً لهما

ليس من النادر ان يتيتم بضعة احداث اخوة ولا يكون لهم من يحك جلدهم غير ظفرهم · فلنفرض ان حكاية هاتين الفتاتين صحيحة لاحتمال حدوث كثير مثلها · فما يُنتظر ان تفعل الكبرى اذا كان سبعة اطفال وأم على شفا القبر معلقون بعنقها حتماً

ربما لم يتسنَّ لهذه الفتاة ان تتعلم صناعة تستطيع ان تكسب منها ما يعول عائلة كبيرة كهذه فاذا اشتغلت شغلاً بسيطاً فلا تتقاضى سوى ٥ او ٦ او ٧ ريالات في الاسبوع وهذه لا تكفي الثمانية نفوس خبزاً · عمها لا يعينها لان عنده عائلة يعولها ولان عادة اهل البلاد ان يهتم كلٌّ بنفسه · خالها كذلك لا يفعل

وقس عليهما سائر اقاربهما فماذا تفعل ...

راعها أنين امها وصراخ اخوتها الجياع وقضمَ الجوع احشاءها فتأبطت معزفتها التي قنتها في عهد هنائها وفي ايام صفائها واصطحبت اختها التي وهبها الله هبة الصوت الجميل وهربت بها من وجه البؤس الذي ربض لها في ذلك المنزل الحقير وراحت تطوف في الشوارع تطرب القوم وبين شفتيها ابتسامة مزوّرة وفي قلبها لوعة بأساء لا تبرد

وهل تستغني من السنتات التي تجمعها من المحسنين ؟

بعد قليل تسأم هذا المسترزق وتنفتح عيناها فترى ان ما كسيته من اثواب الفضيلة والحشمة والطهارة غلّ يدها عن تناول الريال وهي في فاقة اليه فتخلع ذلك الثوب وتمد يدها للريال

عمرك الله اذا اتاها يوماً صاحب ملهى وقال لها ان صوتك جميل وفي وسعك ان تنتفعي منه فلماذا تقتنعين بهذا القليل الذي تستعطينه في قارعة الطريق في حين انك اذا ظهرتِ في الملعب نوبة في كل ليلة جوزيت اضعاف ما تجمعين في اليوم وفي عهد قصير ترتقين في سلم هذا الفن وتنالين من ورائه حظ الاغنياء المتنعمين

— عمرك الله اذا مُنيت بهذا الوعد فماذا تقول

لا بدّ انها تخلع ثوب الحشمة وترتقي الى الملعب و بعد ذلك تتطرق في سبيل الفساد لا محالة

بعد ذلك يقال عنها ساقطة و يلعنها الناس وهم يجهلون تاريخ حياتها

مثل تاريخ هذه تاريخ كل ساقطة تقريباً

ان ما يسمونه في هذا العهد استقلالاً شخصياً هو السبب الاساسي لكثير من المفاسد التي لا يزال يستنكرها الناس

تقولون ان فساد الفتاة سقم في الهيئة الاجتماعية وداء يؤدي الى هلاكها

— وهو قول صائب — ثم تقولون ان الفرد يجب ان يكون مستقلاً أي يجب ان يكون حرًّا و بالتالي مسئولاً عن نفسه — وهذا حسن ايضاً —

ولكن مطلق الاستقلال يفضي الى الفساد لا محالة كما تمثل لنا في القصة الآنفة . فإما ان تتساهلوا بالفساد ولو افضى الى هدم اركان الهيئة الاجتماعية او ان تخففوا من غلوائكم فى تأييد الاستقلال وتعودوا الى التضامن العائلي

ماذا تفضلون من هذين الامرين ?

المغالاة في الاستقلال اي في اطلاق الحرية لكل فرد — ذكر وانثى وكبير وصغير — والقاء مسأولية نفسه كلها على نفسه — هذه المغالاة كلها فرّقت افراد العائلة بعضهم عن بعض واماتت عواطفهم وجعلتهم كالغرباء بنسبة احدهم الى الآخر . و بصريح العبارة هذه المغالاة في الاستقلال هدمت اركان العائلة حتى انه لم يبقَ من عائلة

ومتى خربت العائلة فماذا تظن بالهيئة الاجتماعية ؟

تصبح كالمعمل المؤلف من الجماد والدائر بقوة الكهرباء او البخار خلواً من الحياة . ولعلها اصبحت منذ الآن كذلك وصح فيها ما قلته في حين سابق

فيالك جيلاً ما له من عواطفٍ ولولا اقتضاء الرزق لم يتجمع
و يالنظام ثابتٍ بات اهله يدورون فيه مثل آلات مصنع

نقولا الحداد

قبل ان تتكلما

حادثة جرت في احدى قرى لبنان سنة ١٩٠٥

وذات عفاف يُخجل البدر وجهها لأنَّ جمال الشمس فيه تجسَّما
أحبت أميراً مثلها وأحبها واصباهما وجدٌ أليمٌ وتيما

فنالت ولكن لم تنل ما توهمت ونال ولكن لم ينل ما توهما
وما اجتمعا حيناً على حدة لكي يبلاّ بماء القرب ذلكم الظما
الى ان دنا وقت الزفاف وأحضرت لوازمه والانس حلّ ٠ وانما ٠٠ !
فبينا فتاة الحسن تمرح بكرةً أحست بحمّى تجعل الجسم مسقما
أتاها حبيب القلب وهي مريضةٌ فأبصرها جسماً عليلاً ومغرما
فعاد كسير الجفن والقلب خافقٌ ومدمعه ينهلّ كالقطر اذ همى
الى ان مضى ذاك النهار وحرّه فعاد بأحدى المركبات الى الحمى
فأبصرها صفراء ٠٠ واهية القوى تشير اليه ٠٠ واللسان تلعثما ٠٠ !
فدقّ بيمناه الشمال لانه رأى حبل آمال الفؤاد تصرّما
فقالت بصوتٍ خافت متقطع حبيبي خفف عنك لا تكُ موجما ٠٠
وأخلد الى الانصات حيناً لان في فؤادي سرًّا لا يزال مكتما
وقد فتحت فاها ٠٠ لتطلع حبها ٠٠ على السر ٠٠ ماتت قبل ان تتكلما ٠ !
فياموت لِمْ لم تخشَ هدب جفونها أما نظرت عيناك مبسمها أما ٠٠؟
اذا كنت لم ترحم أباها وامها ألم ترحم الصبّ العليل المتيما
تربّصت حتى كاد يبلغ قصده وأبعدته عمّن يحبّ تظلما
ألست تراه ساجداً عند قبرها يخاطبها والشوق كالنار أضرما
ألست تراه واقفاً عند رسمها يناجيه علّ الرسم يخبره بما ٠٠٠
الست تراه باكيًا عند ذكره بَهَا خدها والجيد والثغر واللمى
ولكنّ شعري لا يفيد لانه يفيد الذي يهوى عيوناً ومبسما
وما انت من اهل الغرام لتعرف الـ عذاب الذي يلقاه من كان مغرما
فيا ايها الجنس اللطيف ومعشر الـ محبين صلوا للظعينة كلما ٠٠
أتتها قُبيْلَ العرس دعوة ربها فطارت بمنطاد الغرام الى السما

سعيد فاضل عقل
الداموري

الطوريون ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٧

تدبير الصحة والمنزل

شركة طبخ

مؤلفة من نساء في نيوجرزي لتوزيع الاطعمة على المنازل واغنائها عن الطباخين

الاقتصاد حكمة من حكم الاجتماع الانساني واذا تأملت السبب الذي دعا الى انشاء الشركات ونحوها وجدت انه حكمة اقتصادية لان العمل العظيم المشترك فيه توفير لاصحاب العمل وللمستنفدين لذلك المعمول

هذه الحقيقة لم تخفَ علي بعض سيدات مونتكلار في ولاية نيوجرزي فانهنَّ عزمنَ على انشاء شركة كبرى لاجل الطبخ

وهذه الشركة تقدم للبيوت كل يوم حاجتها من الطعام ٣ مرات في النهار . تقدم صحفاً ملأى طعاماً وتسترد صحفاً فارغة . وليس على ربة المنزل من الشغل المنزلي الا ان تبسط المائدة وتزيينها وتصف الكراسي حولها فقط

ويقال ان الشركة تقدر ان تقدم للمنازل الاطعمة اللازمة ارخص مما تكلف في البيوت . وفي نية الشركة الا تقتصر على مواد الطعام فقط بل تجعل قسماً من عملها الغسل والكي . وتنظيف المنازل وخدمة الجنائن وغير ذلك من الاشغال المنزلية

والذي دعاهنَّ الى هذا المشروع هو نصبهن وعناؤهنَّ من جراء دلال الخدم والخادمات وغلائهم وندرتهم

وهنَّ يرين ان هذه الشركة تغنيهنَّ عن الخادمات والخدم او عن بعضهم وبالتالي توفر عليهنَّ كثيراً من النفقات

فتأمل الى أي حد وصل (ناموس توزيع الاعمال) . الى حد الخدمة المنزلية ايضاً التي هي من اخص الامور الشخصية

باب التقريظ والانتقاد

مجلة المشرق والامبراطور غليوم

والدين والحكومة والمدرسة

من خطبة للامبراطور غليوم في مونستر من اعمال وستفالي

« قد استلمت زمام الاحكام منذ عشرين سنة . وبهذه الفسحة من الزمن قد تعاطيت اموراً هامة ذات شأن وتعاملت مع اناس عديدين وكثيراً ما اضطرني الامر ان أُغمض الجفن على القذى . فانه قد توقع لي مراراً عديدة حدوث ما كنت امتعض منه غاية الامتعاض فتغلي اذ ذاك مراجل الغضب في داخلي وتلتهب نار الانتقام واود لو نكلت بمن خالفني او جاهر بمعاكستي الا اني ما كنت لاستسلم الى مثل هذه الافكار بل اعود الى نفسي وابحث عن وسيلة لاخماد نار غضبي وتحريك عوامل التودّد في قلبي فكنت اسمع صوتاً داخلياً يقول لي : انهم بشر مثلك ومهما كان الشر الذي فعلوا تذكر ان لهم نفساً انتهم من الاعالي السماوية التي ستعود اليها يوماً وبهذه النفس هم صورة الخالق

« فمن كانت تلك افكاره يكون ولا ريب رحوماً شفوقاً على امثاله وغفوراً لهم واني من صميم الفؤاد اتمنى لو تيسر لي ان اغرز هذا الفكر في قلب الشعب الالماني كله فيكون كحجر الزاوية المتين بالنسبة الى الالفة والاتحاد . لكن هذا الاتحاد لا يكون موطد الاركان الا اذا تم على المثال السامي مثال مخلصنا الالهي الذي تنازل فدعانا اخوته وعاش بيننا ليكون لجميعنا قدوةً ومثالاً ولم يزل الى الان معنا وبيننا . فليوجه شعبي نظره اليه اذاً ويضع اساس الاتحاد على الصخر الذي لا تقوى عليه الزوابع والاعصار . . . . »

(المشرق عن جريدة البشير)

وقد نشر المشرق هذه الخطبة وصدّرها بقوله (على الذين يدّعون ان تقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينية هو من اسباب الارتقاء العصري ان يتأملوا هذه الكلمات الخطيرة التي لفظها جلالة الامبراطور

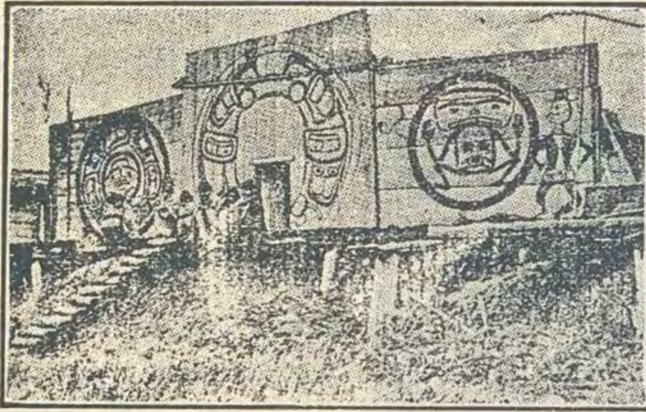
غليوم وجلالته أدرى الناس بما فيه خير الهيئة الاجتماعية) قلنا . (اولاً) اننا نرى رصيفنا المشرق الاغر يُصارع الهواء . لاننا لا نعرف كاتباً في الشرق يقول (بتقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينية)ولكننا نعرف كتّاباً يقولون ان المبادئ الدينية مسيحية واسلامية يجب ان تُحصر في المنازل والكنائس والجوامع وان تُرفع من المدارس لتربية جميع أبناء الامة تربية واحدة غرضها تدريب الناشئة في ما ينفعهم في فتح طريقهم في الحياة بدل مل‌ء اذهانهم بالتصورات والخيالات . اما الدين فيدرّس في المنزل او في الكنيسة او في دروس خصوصية يقيمها أهل الدين في مدارس خصوصية (كمدارس الاحد) للتلامذة التابعين لمذهبهم . (وثانياً) ان قول الامبراطور هذا لا يعني (وجوب اتصال الدين بالحكومة) لان الفصل بينهما موجود فى مدارس الحكومة الالمانية ولو قصده الامبراطور لقامت القيامة على رأسه في بلاده .(وثالثاً) ان الامبراطور رئيس ديني ومدني في بلاده فهو اذاً خصمٌ وحَكم فلا يصحُّ اتخاذ رأيه حجة يُحتجُّ بها . لا سيما وانه بدأ يشعر في السنوات الاخيرة بعد تقدم الاشتراكية والديموقراطية في بلاده بزلزال عرشه تحته فلم يجد خيراً من الدين آلة ووسيلة يسكّن بها ثائر البركان الذي يخشى انفجاره منعاً للشعب ان يميل الى مبادئ (حقوق الانسان) التي تستند الى تعميم الديموقراطية وابطال امتيازات الطبقة العالية الارستوقراسية والمالية . فمصلحة عرشه وكل عرش مرتبطة ارتباطاً اصلياً بالدين الذي يعلّم الشعب الفقر والرضى بالكفاف أملاً في السعادة الاخروية بينما تلك الطبقات العليا ترضى بالسعادة الدنيوية ...



باب الاخبار العلمية

الفنون عند الهنود

كيف يصوّر هنود ألاسكا الرّجل الاميركي



الفنون موجودة عند جميع الامم بصور مختلفة · وبها تُقاس سلامة ذوق الامة ومبلغ ارتقائها · وكثيرون من الافرنج كانوا يحتقرون العرب وآثارهم ولكنهم لما شاهدوا فنون جامع قائت بك في القاهرة وقصر الحمراء في الاندلس دهشوا واخذوا ينادون بارتقاء ذلك التمدن الذي أنتج ذلك الاتقان الفني العظيم · وفي البريد الاخير وردت جريدة الفيغارو وفي صدرها مقالة جميلة للكاتب الفرنسوي بيير لوتي احد رجال الاكاذمية الفرنسوية عنوانها (جوامع القاهرة)وقد قال فيها ان جوامع السلاطين في القاهرة ستبقى دليلاً عظياً على ارتقاء روح الامة العربية · ومتى اكملت مصر تغيرها وانقلابها واصبحت مدينة تجارية مادية محضة ستبقى تلك الفنون الجميلة في تلك الجوامع الاثر الوحيد الناطق في القاهرة بخلود الفن وجماله وكماله

وقد نشرنا في الصفحة السابقة رسماً يمثل الفنون عند هنود الاسكا. وهو صورة نقلها سائح اميركي عن احد اكواخهم وقد قصد بها الاستهزاء بالاميركيين . فان الصورة صورة اميركي كما يتخيله الهنود وقد رسموها باسلوب مضحك (كاريكاتور) فدلوا بذلك على انهم يتسلون و يتمازحون في منفاهم البعيد في وسط ظلمة غباوتهم المطلقة

الى القطب الشمالي

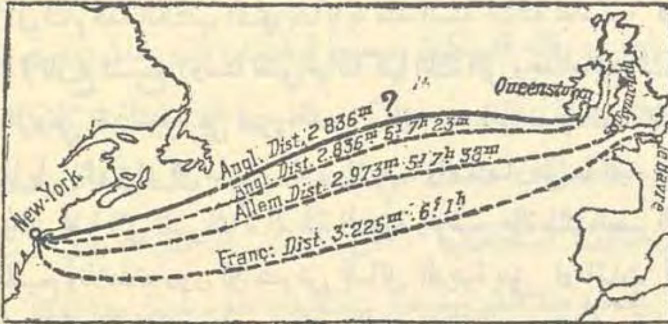
في منطاد (اميركا)



دفعنا هذا الرسم الى معمل حفر الرسوم لنذكر لقراء الجامعة أمر هؤلاء الابطال الذين عزموا على اعادة التجربة للوصول الى القطب الشمالي في منطادهم (اميركا). ومدير هذه الحملة المستر ولمن وهو الى اليمين والى اليسار المستر هرفيو المهندس الهوائي . وكان في النية ان يسافر مع ولمن المستر هريمن والمستر ريزنبرج . وقد حاول (ولمن) قبل هذا العام الوصول الى القطب في منطاد فلم يفلح فاعاد الكرة في هذا العام وقد مرّ زمن طويل وهو ينتظر هدوء الجو في سبتزبرج فلم يهدأ الجو . و بعد ان دفعنا هذا الرسم الى المعمل نقل التلغراف ان زوبعة هبت على المنطاد (اميركا) وفيه (ولمن) ورفاقه فاردت المنطاد وركابه فذهبوا ضحية العلم والاكتشاف رحمهم الله . وهكذا الدنيا . فاناس همهم إشباع جيوبهم و بطونهم واناس همهم المجازفة بنفوسهم في سبيل التقدم والعلم

بين اوروبا ونيويورك

تغلب لوزيتانيا على دوتشلاند



أهم حوادث الشهر الماضي البحرية والتجارية خروج الاسبقية في الاتلانتيكي من يد الالمان الى يد الانكليز بواسطة الباخرة الانكليزية لوزيتانيا • وقدنشرت الجامعة الاسبوعية وصف هذه الباخرة (عجيبة البحر في هذا العصر) بقلم الآنسة روزا انطون التي زارتها و بقلم الاخ نقولا افندي الحداد الذي زارها ايضاً

وفي سفر لوزيتانيا الاول لم تستطع ان تسبق الباخرة دوتشلند الالمانية التي تقطع المسافة بين بليموث ,, انكلترا '' ونيويورك وهي ٢٩٧٣ ميلاً في ٥ ايام و٧ ساعات و٣٨ دقيقة ,, انظر الخط الثالث فوق '' ولكنها في سفرها الثاني في ١١ الماضي سبقتها واستردت منها السيادة على الاتلانتيكي اذا قطعت المسافة بين كنستون ,, ايرلنده '' ونيويورك وهي ٢٨٣٦ ميلاً في ٤ ايام و١٩ ساعة و٥٨ دقيقة ,, انظر الخط الاول وعليه علامة الاستفهام للسؤال عن مبلغ الزمن الذي تقطع فيه لوزيتانيا المسافة '' اما البواخر الانكليزية الاعتيادية ,, انظر الخط الثاني '' فتقطعها في ٥ ايام و٧ ساعات و٢٣ دقيقة • واما البواخر الفرنسوية فتقطع المسافة بين الهافر ونيويورك وهي ٣٢٢٥ ميلاً في ستة ايام وساعة •

تاريخ المسيح

ومنشأ الديانة المسيحية

عدنا الى اتمام هذا الكتاب الذي بدأنا به منذ السنة الثالثة للجامعة . فقد لخصنا في تلك السنة (تاريخ المسيح) ولسنا ننسى حياتنا كلها اللذة التي وجدناها في ذلك التلخيص ولا الضرر الروحي الذي جره على نفس الملخص . وقد اتبعنا في تلخيصنا الطريقة التي سنتبعها في ما يلي وهي ترك كل ما يؤلم نشره ولا يفيد والاقتصار على ما يفيد من المسائل الاجتماعية والتاريخية التي تفسر نشأة الديانة المسيحية وتوضح حالة ذلك العصر الذي عاش فيه السيد المسيح وتلامذته دون ان نتعرض للمسائل الدينية بنفي او اثبات لان ذلك ليس من وظيفة الجامعه ولا نبحث فيه اصلاً . فالمسيحي وغير المسيحي يقرأ ان هذا التلخيص دون ان يجدا فيه ما يؤلم او يسوء . نعم انه مأخوذ مما كتبه الفيلسوف العلامة رنان خليفة افلاطون في الارض في عذوبة المعاني والالفاظ ورنان كتب في كتبه ما يسوء المسيحيين ولكن الجامعة كما قالت تسدل على هذه الكتابة التي تسوء ستار النسيان قصداً لكراهتها الدخول في المسائل الدينية كما تقدم . وانما غرضها تاريخي اجتماعي محض . ولسنا نجد ما يؤدي الى هذا الغرض في بسط احوال ذلك العصر القديم العظيم غير ما كتبه رنان عنه .

وقد انتهينا في تلخيص ما تقدم الى حادثة استشهاد اسطفانوس في (تاريخ الرسل) واليك التتمة

تأثير شهادة اسطفانوس

كان لرجم اسطفان تأثير عظيم على الطائفة الاولى . وقد احتفل ابناؤها بجنازته احتفالاً قرنوه ببكائهم ونحيبهم . فانفتحت بهذا الموت طريق (الاستشهاد المسيحي) الجديدة . نعم ان ابناء الديانة اليهودية كانوا في زمن انطيوخس ايفانيوس يثبتون في معتقدهم حتى الموت . ولكن الشهداء المسيحيين الذين كانوا يقبلون الموت بشجاعة ومسرّة وأولهم اسطفانوس كان لهم تأثير خاص على العقل البشري في الارض . فانهم بهذه الاستماتة والشجاعة ادخلوا الى العالم الغربي

عنصراً كان ينقصه اعني (الايمان الخاص المطلق) الذي لا يخاف ولا يتغير والناشئ عن الاعتقاد بانه لا يوجد الا دين واحد صحيح فاضل وهو الدين الذي يدينون به · فمن هذا الوجه كان الشهداء أول من بدأ بايجاد طور التعصب وعدم التساهل · فانه قد يكون صحيحاً قولهم ان الذي يبذل دمه في سبيل ايمانه متى حكم وتسلط لا يكون متساهلاً · والمسيحية التي اجتازت ثلاثمائة سنة وهي تعاني آلام الاضطهاد أصبحت هي نفسها تضطهد اضطهاداً لم يضطهده دين غيرها حين صارت السلطة اليها · فان الانسان اذا بذل دمه في سبيل مبدإ لتأييده لا يحجم عند الضرورة عن سفك دم غيره لحفظ هذا المبدإ وصيانته

ولم يكتف اليهود يومئذ برجم اسطفانوس بل شرعوا باضطهاد الطائفة المسيحية كلها اضطهاداً عمومياً · وكان جل اضطهادهم موجهاً الى (اليهود اليونانيين والوثنيين) الذين دخلوا في المذهب المسيحي الجديد · فكان لهذا الاضطهاد تأثير مفيد على الطائفة · ذلك لانه اضطرها الى التفرق والتفكير في الخروج من اوروشليم لحمل مذهبها الى باقي البلدان وذلك لعجزها عن الاقامة به في اوروشليم · أي ان الاضطهاد اضطر المسيحيين الاولين الى جعل المسيحية (عمومية) بعد ان كانت خصوصية

الصلة بين كنيسة اورشليم والبحر المتوسط

فتفرق التلامذة وفروا من وجه اليهود · وكان فيلبس من اكثرهم تحمساً فسافر الى السامرة وعمد فيها كرنيليوس قائد المائة · وقد قال ان ملاكاً اوحى اليه ان يفعل ذلك · ثم سافر الى ازوت ومنها اتجه الى الشمال فبشر بالكلمة في كل الشاطئ حتى قيصرية حيث انشأ كنيسة هامة

وكانت قيصرية مدينة جديدة وكان لها المنزلة الاولى بين مدن اليهودية (١)

(١) يوسيفوس الفصل ٣ و ٤

وقد بناها هيرودس الكبير على آثار قلعة صيداوية كانت تُدعى (برج عبد سترات أو ستراتون) ودعاها (قيصرية) نسبة الى اوغسطس قيصر وما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم · وكانت أفضل وأهمّ موانئ فلسطين وكانوا يتوقعون ان تصبح عاصمة لها كلها · وكان الولاة الرومانيون قد سئموا المعيشة في اورشليم فعزموا على الاقامة فيها (١) وكان معظم سكانها من الوثنيين (٢) ومع ذلك فكان عدد اليهود كثيرًا فيها وكان ينشأ بين الفريقين من حين الى حين نزاع وصدام (٣) وكانت اللغة المحكية عندهم اللغة اليهودية وكان اليهود انفسهم يصلون بعض صلاتهم بها (٤) وكان الكهنة في اورشليم يعدّون قيصرية مكانًا دنسًا و يرون لليهودي خطرًا في الاقامة فيها لئلا يصبح وثنيًا · فلهذه الاسباب كلها سيكون لهذه المدينة اهمية عظمى في تاريخنا هذا لانها كانت الصلة الاولى التي اتصلت بها الكنيسة الاولى بالبحر المتوسط وما حوله من المدن والامم

وقد أُرسلت رسالات أُخرى مجهولة الى جهات أُخرى غير رسالة فيلبوس · وكانت السرعة التي أُنفذت بها السبب في نجاحها فلم تمضِ خمس سنوات على صلب المسيح (أي في سنة ٣٨) وسنة واحدة على رجم اسطفانوس حتى كانت جهات فلسطين فيما وراء الاردن قد سمعت كلمة البشارة من افواه المرسلين الذين سافروا من اورشليم · ومن جهة أُخرى فان بلاد الجليل كانت تحفظ في قلبها البزور المقدسة وربما كانت تنشرها حولها وان كنا لا نعلم انها أرسلت ارساليات منها · وكان في دمشق في هذا الزمن مسيحيون (٥) فربما كان دخول المسيحية اليها بواسطة مرسلين من بلاد الجليل

وهنا وصلنا الى بولس (شاول) واضطهاده المسيحيين ثم دخوله في مذهبهم ·

والتتمة في الجزء التالي

(١) اعمال الرسل الفصل ٢٣ والمؤرخ تاسيت الفصل ٢ (٢) يوسفوس الفصل ٣ و٤

(٣) يوسفوس الفصل ٢٠ (٤) تلمود اورشليم (٥) اعمال الرسل الفصل ١١ العدد ٩

الجامعة

الجزء ١٠ السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك كانون الاول — (دسمبر) سنة ١٩٠٧ ٢٦ شوال ١٣٢٥

مشاهير المتقدمين و المتاخرين

ترجمة بولس الرسول

الذي هو أعظم شخص عملي في الكنيسة المسيحية
بعد المسيح وهي أول ترجمة علمية
له في اللغة العربية

تابع تاريخ المسيح الذي تنشره الجامعة
ملخصاً مما كتبه الفيلسوف رنان

اسم بولس * عيلته واصلها ولقبها *

انتهى بنا الكلام عن تاريخ المسيح والمسيحية في الجزء السابق الى بولس الرسول واضطهاده الكنيسة • وقد افردنا هذا الفصل لبولس الذي كان له الفضل الاعظم في نشر المسيحية بين الامم

في سنة ٣٨ للميلاد شهدت الكنيسة الجديدة فتحاً جديداً غير تلك الفتوحات . ففي هذه السنة على الارجح دخل فيها شاول (بولس) الذي كان السبب الاكبر في اثارة اليهود على المسيحيين في اضطهاد سنة ٣٧ . وقد كان له ضلع في رجم اسطفانوس . دخل شاول في الكنيسة المسيحية وأصبح أشد انصارها بعد ان كان أشدّ خصومها

ولد بولس في بلدة ترسه من اعمال سيليسيا في السنة العاشرة أو الثانية عشرة للميلاد (١) وكان يُدعى (شاول) الا ان أهل العصر صبغوا اسمه بصبغة لاتينية فجعلوه (بولس) كما كانوا يجعلون اسم يوسف (هجزيب) واسم يسوع (جازون) . وقال القديس جيروم ان بولس اقتبس اسمه من اسم الحاكم الروماني سرجيوس بولوس الذي اتصل به وكان السبب في دخوله اي سرجيوس في الدين المسيحي على ما قيل (ولكن رنان لا يسلّم بهذا الرأي) وفي كل حال فان شاول لم يتسمّ (بولس) تسمياً مطلقاً الا منذ جعل نفسه (رسولاً للامم)

وكان بولس من دم يهودي محض وربما كان اصل عيلته من مدينة كيشالا في بلاد الجليل وكانت عيلته هذه تدعي النسبة الى قبيلة بنيامين (٢) وكان لابيه لقب (وطني روماني) اكتسبه من اجداده اما بشرائهم هذا اللقب او بخدمة خدموا الرومانيين بها . ومن المحتمل ان جده اكتسب هذا اللقب لاعانته بومبيوس في اثناء الفتح الروماني في سنة ٦٣ قبل المسيح

وكانت عيلة بولس من حزب الفريسيين لجميع العيال اليهودية الكريمة القديمة . فنشأ بولس نشأة صارمة في مبادئ هذا الحزب . ولما نبذ في ما تلا نشأته هذه

---

(١) اعمال الرسل الاصحاح ٩ العدد ١١ وسمي بولس نفسه في رسالته الى فيلامون التي كتبها في سنة ٦١ للميلاد « شيخاً » وفي كتابة كُتبت في سنة ٣٧ وُصف بولس بانه شاب

(٢) رسالة رومه الاصحاح ١١ العدد ١

مبادئ هذا الحزب الضيقة بقي له منها شدة الايمان والتحمس والقوة

كان العلم في مسقط رأسه زاهراً كما كان في اثينا والاسكندرية * الدروس البيانية والكلاسيك فيه * تربية بولس ومعارفه *

قلنا ان بولس ولد في ترسه · وكانت ترسه في زمن اغسطس مدينة عامرة وكان اكثر سكانها من اليونانيين والاراميين الا انه كان فيها كثير من اليهود شأن كل مدينة تجارية · وكانت العلوم والآداب منتشرة فيها ولم يكن في الدنيا بلد يفوقها في عدد المدارس والمعاهد العلمية حتى الاسكندرية وآثينا نفسها (١) وكان عدد العلماء الذين خرجوا من ترسه او الذين تلقوا دروسهم فيها مما يُدهش الباحث (٢) · ولكن لا يُستنتج من هذا انه اعتني بتربية بولس تربية يونانية في مدارسها لان اليهود قلما كانوا يترددون على مدارس التعليم التي كانت لغيرهم من الامم (٣) وكانت مدارس البيان في ترسه أهم المدارس فيها (٤) وكانت الدروس اليونانية المدرسية ,, كلاسيك '' في مقدمة دروسها · ولا يمكنا ان نصدّق ان رجلاً تلقى في هذه المدارس اصول النحو والبيان الاولية يكتب بتلك اللغة السقيمة المملوءة غلطاً الرسائل التي كتبها بولس ·

وكان بولس يتكلم اليونانية بسهولة (٥) وكان يكتب بها او يملي الكلام على كاتب ولكن يونانيته كانت ضعيفة مضطربة لا يكاد يفهمها متأدبو ذلك العصر· وهو نفسه كان يعترف بضعفه هذا · اما اللغة التي كان (يفكر) بها فهي العبرانية و بهذه اللغة أتاه الصوت على طريق دمشق

وليس في كتاباته شيء يدل على مشاركة له في الفلسفة اليونانية · اما بيت

(١) سترابون الفصل ١٤ (٢) سترابون · وفيلوستراتوس في حياة ابولونيوس (٣) يوسيفوس (٤) فيلوستراتوس (٥) رسالته الى كورنثيوس الاولى الاصحاح ١٥ العدد ٣٣

(تاييس) الذي وُجد في أحدى كتاباته فقد كان يومئذ مثلاً متداولاً على الالسن ويمكن اقتباسه دون الاطلاع على الاصل · وكذلك استشهاده بقولين واحد لابيمينيدوس والآخر لاراتوس (في الرسالة الاولى الى طيطس) فانه لم يثبت انهما له · فتربيته كانت يهودية محضة · ومصادره الاولى هي في التامود لا في الدروس اليونانية المدرسية (الكلاسيك) فان براهينه لا مشاركة لها مع براهين ارسطو بل مع براهين التامود · وهو اكثر اعتماداً على الالفاظ منه على المعاني · وربما بلغ اليه شيء من الآراء الفلسفية العمومية التي كانت تُنشر في كل مكان وتتداولها الالسنة دون ان يطلع على أحد كتبها

وقد أقرّ أبوه منذ صباه على جعله معلماً في الشريعة الدينية · ولكنه حسب عادة اليهود علّمه صناعة الحياكة · وقد مارس بولس هذه الصناعة غير مرّة لانه كان لا يملك شيئاً · وكان له اخت ولاخته ابن أقام في اوروشليم · اما وجود أخ له وأهلٍ آخرين دخلوا في المسيحية فلم يقم دليل قاطع عليه

وجهه وجسمه ومزاجه واستاذه

وربما يُظن ان بولس لم يكن سليم الذوق مهذّباً تهذيباً كافياً لانه من افراد الشعب لا من الطبقة العليا · والحقيقة التي تشهد بها كتاباته بالرغم من اغلاطها البيانية انه كان ذا تهذيب راقٍ وعواطف عالية ووداد وتحفّظ في اقواله · ويظهر ان منظر وجهه كان لا ينطبق على عظمة نفسه · فقد كان غير جميل الصورة قصير القامة كثيفاً محدوباً · وكانت كتفاه القويتان تحمل رأساً صغيراً أصلع · وكان وجهه الشاحب تحيط به لحية كثيفة وفيه أنف معقوف وعينان نافذتان وحاجبان أسودان يلتقيان في جبهته · وكان كلامه كجسمه نعني انه لم يكن له التأثير المطلوب لاول وهلة · فقد كان فيه شيء من الخشية والحيرة لا يدل على شيءٍ من بلاغته قبل ظهورها بمظهرها · وكان لبراعته يردّد

الكلام عن نقصه هذا وينتفع بكلامه عنه

وكان مزاج بولس غريباً كمنظره الخارجي · وبنيته التي كانت قوية لانها احتملت متاعب حياته في أسفاره وعذابه لم تكن سليمة من المرض · وكان يشير في كتاباته على الدوام الى ضعفه الجسدي ويذكر انه عليل سقيم لا تكاد تتردّد أنفاسه · ويقول في رسالته الثانية الى كورنثيوس انه ابتلي بشوكة في جسمه شيطان يعذّبه لئلا يتكبر ويتسامى · وقد سأل الله ثلاث مرات ان ينقذه منها وثلاث مرات اجابه الله (تكفيك نعمتي) فمن المحتمل انه كان مصاباً بمرض (١) اما قولهم عن الشهوة الجسدية فغير محتمل لان بولس قال في رسالته الاولى الى كورنثيوس انه لم يكن لها تأثير على نفسه · ويظهر انه لم يتزوج قط · وكان فتور مزاجه وبنيته الناشيء عن تحمس دماغه تحمساً لا مثيل له مما يظهر في حياته كلها · وكان يفتخر بذلك افتخاراً لا يخلو من التصنع الا انه كان صحيحاً وان كان ترديده ذكره غير مرة أمراً معجزاً

وقد قدم بولس الى اوروشليم صبياً ودخل في مدرسة (اوطريقة) غمالائيل الشيخ · وكان غمالائيل أعقل أهل زمانه في اوروشليم · وكان يُدعى (فريسياً) لان هذا اللقب كان يُطلق عند اليهود على كل يهودي ذي أهمية كبرى وليس من أسرة كهنوتية ولذلك كانوا يعدّون غمالائيل من فريق الفريسيين · ولكن لم يكن لغمالائيل ما كان للفريسيين من الفكر الضيق والاثرة · فانه كان مستنيراً حرّ المبادىء يعرف اليونانية ويفهم حياة الوثنيين · وربما كانت مبادىء غمالائيل هذه مما أثر في نفس تلميذه بولس واوحت اليه الافكار الواسعة التي علّم بها

---

(١) البعض يقولون انه داء الروماتزم وآخرون يقولون انه كان له خصم يتعقبه في جميع اقواله وافعاله وغيرهم يقول غير ذلك

اضطهاد بولس المذهب الذي دخل فيه بعدئذٍ وأصبح أول رسله

ولكن بولس لم يقتبس من استاذه التساهل كما اقتبس الافكار الواسعة · فانه وضع نفسه في مقدمة (حزب الفريسية الفتاة) (١) وأخذ يحرّض حزبه والناس على اضطهاد المسيحيين وبلغ في اضطهادهم والتحريض عليهم من الشدة والحدّة مبلغ الجنون · ولم يرد له ذكرٌ قبل صلب المسيح ولا حين صلبه بل لم يعرف بولس يسوع قط ولكنا رأيناه حين رجم اسطفانوس في مقدمة المحرضين والساعين في اضطهاد الكنيسة · ولم يكن يحلم في غير قتل المسيحيين واضطهادهم وكان يطوف اوروشليم من مجمع الى مجمع ويُلزم المترددين ان يجحدوا اسم يسوع فمن اطاعه نجا ومن عصيه جُلد وسُجن بحسب الاوامر التي كان بولس يحملها · ولما تفرقت كنيسة اوروشليم شتاتاً انصرف غضبه الى المدن القريبة التي دخلتها المسيحية وكان يلتهب غضباً وحدةً كلما سمع بانتشار هذا المذهب الجديد · فبلعه في ذات يوم انه تألف حزب صغير لهذا المذهب في دمشق (الشام) فاستصدر من رئيس الكهنة تيوفيل بن حنانيا الى مجمع دمشق اليهودي أمراً يخوله حق القاء القبض على اعضاء ذلك الحزب الذين ضلوا وإرسالهم الى اوروشليم مكبلين بالقيود

على طريق دمشق الشام

فخرج بولس من اوروشليم يقصد دمشق وفي يده هذا الأمر وعقله مضطرب متحمس منتهى التحمس · فعبر الاردن على الارجح عند جسر (بنات يعقوب) وكان في صحبته بضعة من رفاقه · وكان سفرهم مشياً على الاقدام على ما يظهر من كتاب (أعمال الرسل)

« البقية في الجزء التالي »

---

(١) تجوز لنا هذه الترجمة على ما نظن

مخترع سوري

باشمهندس جبل لبنان سابقاً

« الحركة الدائمة في اختراع صغير في كوني آيلند كاختراعه » (١)

تباهى القرن التاسع عشر على عشرات القرون التي سبقته باتساع مجال الاختراعات الكهربائية فيه حتى صار البشر يطمعون بان تحل القوة الكهربائية في المستقبل القريب محل كل قوّة طبيعية وعضلية في انشاء الحركة اللازمة لآلات النقل وللمعامل والمصانع . واذا عمّ استخدام قوات المياه المنحدرة لتوليد الكهربائية أمكن الاستغناء عن الفحم الذي يُخشى من نفاده وحينئذٍ يكون الانسان قد استولى الاستيلاء المطلق على قوات الطبيعة التي سلطه الله تعالى عليها

واهل العلم والاختراع لا يزالون يتوقعون اكتشافات واختراعات جديدة يتباهى بها القرن العشرون الخالي . فماذا عسى ان تكون

منذ نحو ٥ سنين تعرّفت بالمهندس السوري يوسف افندي الياس صاحب اختراع المحرك المائي المشهور و باش مهندس لبنان سابقاً واعجبت بدماثة اخلاقه ولكنه ما لبث ان برح الى باريس فعلمت من ذويه سرّاً انه قصد اليها لاجل اصطناع نموذج لاختراع مهم جداً كان قد توفق اليه وامتحنه في آلة صغيرة فنجح فيه فرام ان يصنعه في آلة كبيرة معدّة للعمل . وكان يبالغ في كتمان اختراعه هذا خيفة ان يسترقه منه أحد ويعزوه لنفسه كما حدث لغيره من المخترعين والمكتشفين . ولهذا كان في باريس يصنع اجزاء الآلة في معامل مختلفة لكيلا يفهم اصحاب المعامل شيئاً من عمله ولذلك لم تكن الاجزاء التي يصنعها لتتوافق فكان يعيد اصطناعها . وقد عانى في ذلك جهاد نحو ٥ سنين

(١) نُشرت هذه المقالة مناسبة لما نشرته جرائد مصر وسوريا الاخيرة عن نجاح اختراع المخترع

وقد اتفق لي وانا في مصر ان شاهدت صورة الآلة مع صديقي الاديب نسيبه يوسف افندي الشامي فوتوغرافي المحافظة ولكني لم اقدر ان افهم من اسرارها شيئاً لانها عديدة الاجزاء · على اني فهمت من صديقي حينئذ ان حضرة المخترع يستخدم ضغط الهواء لانشاء الحركة وانه اهتدى الى ناموس في الهواء لم يُعلم قبلاً فاستعان به على اختراعه · اما ما هو هذا الناموس وكيف تتولد القوة المحركة منه فلم نعرف · على ان القوّة تنشأ من غير استخدام بخار او حرارة ولا مقتضى فيها لاحراق الفحم ولا استنفاد سواه من القوات الطبيعية التي بثمن · ولذلك تدور الآلة بنفسها ولا نفقة عليها غير ثمن موادها فكأنها هي الحركة الدائمة

هذا جلّ ما فهمته من هذا الاختراع · وفهمي له زاد استغرابي بل إفكاري لاني اعلم من نواميس الطبيعة انه لا يمكن توليد قوّة من غير بذل قوة أخرى في مقابلها من صنف آخر · مثال ذلك لا تتولد قوة كهربائية بواسطة (الدينمو ماشين) ما لم تُدر بقوة الآلة البخارية التي تساويها والآلة البخارية تستنفد فحما

ولولا اني اعلم ان يوسف افندي الياس مهندس يفهم النواميس الطبيعية لكنت اقول انه مغرور

ولكني قرأت اليوم في بعض جرائد سوريا ان حضرة المخترع السوري انجز آلته وعما قليل يعرضها للعالم ويقدمها لدار العمل لكي تُستخدم لادارة كل آلة ميكانيكية تحتاج الى قوّة مثل القطرات الحديدية والمعامل والمصانع

فاذا تحقق هذا الخبر الذي قرأناه ولنا كبير الأمل انه يتحقق كان اختراع يوسف افندي الياس موضوع الفخر للقرن العشرين وربما كان آخر ما يبتغيه الانسان من الطبيعة

متى أمكنت ادارة عجلات القطرات وآلات جميع اصناف المعامل والمصانع والسفن الخ من غير استنفاد قوة ذات ثمن كالفحم مثلاً حصل اضطراب

اقتصادي وقتي في جميع اقطار المسكونة اذ تكثر المصنوعات وتهبط اثمانها وترخص اجور النقل وحينئذ لا يعلم البشر الى حد يتمتعون

ولكن هل تستوي السعادة بين البشر ؟ هذه مسألة لا تتوقف الاختراعات المادية الى حلها لانه متوقف على الاختراعات الاجتماعية في التشريع وتطبيق القوانين المدنية على قواعد المساواة في الحقوق والواجبات

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر كان اختراع يوسف افندي الياس يفكرنا باختراع الماني بسيط للحركة الدائمة شاهدناه باعيننا في ,, كوني آيلند '' (نيو يورك) من جملة العابها الغريبة والصبيانية المدهشة

وايس في الامكان وصف هذا الاختراع بالتدقيق ما لم يؤخذ رسمه ويُشار الى كل جزء من اجزائه الامر الذي لم يتسنَّ لنا في حينه · على اننا لاحظنا انه يدور بموجب ناموس المخل في الطبيعيات · وهو عبارة عن دولاب سمتي الوضع ذي اضلاع بلا اطار وكل ضلع تتصل بها ضلع مجوفة تتحرك عند طرفها بواسطة مصراع وفي تجويفها كرة ثقيلة تجول فيها حتى متى مالت الضلع عن موقعها الافقي تدحرجت الكرة الى الطرف وانقلبت الضلع الاضافية حتى تصير كأنها استمرار للضلع الاصلية فتطول هذه في حين ان الضلع التي تقابلها في الجانب الآخر قصيرة لان الضلع الاضافية تتحد بها وهي صاعدة · ومتى كان جانب من الدولاب مترامٍ اكثر من جانب ثقل جانبه هذا المترامي فهبظ · وعلى هذا النحو يدور الدولاب على الدوام بلا انقطاع · وقد انعمنا النظر في هذا الاختراع فلم يتبين لنا سبب لدوران الدولاب غير ذلك الناموس · ولكن لاحظنا ان الفائدة منه جزئية لانه لا تمكن استفادة قوة منه لعمل صغير الا اذا كان الجهاز ضخماً جداً

نقولا الحداد



السفر والحرب في الهواء

المناطيد وحالتها اليوم

لكاتب فاضل

في الحادي والعشرين من تشرين الاول الماضي (اكتوبر) جرى سباق المناطيد (البالونات · او السفن الهوائية) الدولي في سنت لويس (مزوري) وكان في السباق ٩ مناطيد تمثل اربع دول اميركا وفرنسا والمانيا وانكلترا

نهضت المناطيد بالتتابع من سنت لويس واتجهت الى الشمال وانقضت في نحو يومين في جهات مختلفة وفي اوقات متفاوتة فكان المنطاد بومارين الالماني اسبقها اذ قطع ٨٨٠ ميلاً في ٤٠ ساعة ولذلك استحق الجائزة وهي كأس فضية قدمها المستر تجايمس غردون بنت

هذا هو السباق الدولي الثاني للمناطيد · وفي العام التالي يكون السباق الثالث في المانيا

وقد ظهر من هذا السباق ان السفر على متن الهواء أصبح من الممكنات القريبة جدًّا فان معدل المسافة التي يقطعها المنطاد يقارب معدل المسافة التي تقطعها سفن البحر في الوقت الواحد وذلك نحو ٢٢ ميلاً في الساعة وقد امكن بعض المناطيد ان تقطع نحو ٣٠ ميلاً في الساعة

على ان السفن الهوائية لم تزل اقل سلامة من السفن البحريه ولهذا لا يُنتظر ان يُعدَل الى السفر في الريح الا متى صارت السفن الهوائية تقطع الاوقيانوسات مضمونة السلامة كالسفن البحريه

ولكن من نكد الطالع على الهيئة الاجتماعية انه قبل ان يُفتكر بفائدة هذه المناطيد للجنس البشري جعلت الدول تفتكر باستخدامها في تدابير الهلاك والتدمير

ولهذا كان من جملة مباحث المؤتمر الذي يسمونه (مؤتمر السلام) البحث في شروط استعمال المنطاد في الحروب • وقبل ان يُبنى منطاد للسفر او للنقل او لاي سبب عمراني بنت بعض الدول مناطيد للحرب

فمن ذلك ان فرنسا بنت ثلاث سفن هوائية حربيه وهي (ليبودي الثاني) و(لاباتري) و(ريبيبليك) والآن تبتني سفينة رابعة ايضاً

والمانيا عندها الآن (زبلين) وهو اكبر منطاد بُني حتى الساعة و(غروس) و (بارسفال)

وانكلترا أتمت حديثاً بناء المنطاد الحربي (نولي سكوندوس)

اما (ليبودي الثاني) فقد بناه آل ليبودي على طرز المناطيد القديم وقد دلت الامتحانات على انه صالح للطيران والسير السريع وصعد بانوه فيه مراراً وقطعوا مسافات مختلفة من ١٠ الى ٣٠ ميلا فأعجبت به النظارة الحربية وابتاعته للخدمة الحربية في الجو • وبعد ذلك تقرر بناء ٣ مناطيد أخرى للغرض نفسه فبنيَ (باتري) و(ريبيبليك) والثالث على اهبة النجاز

اما (باتري) فسعته ١١١١٩٥ قدماً مكعبة وقطره ٣٣ قدماً وطوله ١٩٦ قدماً وفيه آلة مسيرة كهربائية (موتور) قوتها ٧٠ حصاناً تدير (رفاصين) • وهو يستطيع ان يرفع مع ثقله ٢٨٠٠ رطلاً اميركياً او مصرياً وسرعته في الساعة ٣٠ ميلاً وهو أتقن منطاد حتى الآن ويُدار بحسب أرادة راكبه كما يشاء

وأكبر منطاد في العالم هو المنطاد (زبلين) الذي بناه الكونت فن زبلين الالماني وباعه للحكومة الالمانية • قطره ٤٠ قدماً وطوله ٤٢٠ قدماً وفيه آلتان قوتهما ٨٠ حصاناً وكل واحدة منهما تحرك رفاصين على جانبيها • ويقال انه بالرغم من ثقله يحمل ٣ اطنان • وقد أمتحن في الصيف الماضي وثبت انه سريع جداً ويقضي الوطر • ففي احدى رحلاته قطع ٣٣ ميلاً في الساعة وهو

يصادم الريح · وفي رحلة اخرى بقي في الجو ٧ ساعات وقطع ٢٢٠ ميلاً وذلك على معدل اكثر من ٣٠ ميلاً في الساعة

اما (غروس) ,, لالمانيا ايضاً '' فسعته ٦٤٠٠٠ قدم مكعبة وقطره ٣٩ قدماً وطوله ١٣٠ قدماً وفيه آلة قوتها ٣٥ حصاناً وسرعته ٢٩ ميلاً في الساعة

واما (بارسفال) فاكبر من غروس سعته ١٠٦٠٠٠ قدم وفيه آلة قوتها ٩٠ حصاناً وسرعته تناهز الثلاثين ميلاً في الساعة · ومن مزاياه ان لشفرات رفاصه شرائط تدور دوراناً انتفاخياً لتنظيم معدل سرعته على مبداء (الوالي) في الآلات البخارية

وفي الشهر الغابر امتحن جنود الهواء الانكليز منطادهم الحربي (نولي سكوندس) فدل الامتحان على نجاحه وقطره ٣٠ قدماً وطوله ١٠٠ ويحمل ٤ رجال وسرعته نحو ٢٠ ميلاً في الساعة

اما وظيفة المناطيد في الحروب فعظيمة جداً لسفا كي الدماء ومدمري الهيئة الاجتماعية وهي التجسس ولا سيما حين تكون الريح مطاوعة والجو صافياً يحلق المتجسسون في الجو الى علو لا تبلغ اليه قنابل الاعداء مهما قذفت الى العلى ويطوفون فوق المكامن والحصون والمعسكرات ويطلعون على اسرار العدو ويصورون بالفوتوغراف كل ما يرون وبالاجمال يفضون اسرار عدوهم

اما استخدام المنطاد الحربي لرمي المواد المنفجرة كالديناميت ونحوه فغير مضمون النجاح لان المعاينة منه صعبة فقد تقع القنبلة المنفجرة في غير المكان المقصود · ولكن اذا اخترعت بنادق تصوب الى اسفل وتسهل المعاينة منها كانت فعالة لانها تكتسب وهي ساقطة زخماً فوق زخمها

اما في اميركا فقد قررت الحكومة الاميركية ان تنظم سلاحاً هوائياً وارسلت وفداً الى اوروبا لشراء المناطيد اللازمة وعينت جنوداً للتدرب على المناورات الجوية

والفضل الاكبر في رقي المناطيد وتقدم فن الطيران هو لفرنسا صاحبة قصب السبق في اختراع الاوتوموبيل والغواصات والمدافع السريعة الطلقات ايضاً وعلى يدها صارت التحسينات في هذه الاختراعات وغيرها من تحف العصر الجديد

سنة الجامعة الجديدة

وهديتها الى مشتركيها الكرام

في رأس السنة

قلنا في صدر الجزء الماضي للمجلة اننا عزمنا على إخراج رواية (أتالا) الجميلة الى اللغة العربية كما أخرجنا (بولس وفرجيني) و(الكوخ الهندي) اليها · واليوم نقول اننا سنهدي هذه الرواية البديعة (أتالا) التي هي أجمل رواية كُتبت عن الولايات المتحدة خارج الولايات المتحدة الى حضرات مشتركي الجامعة (المجلة والجريدة)وذلك في منتهى السنة الحاضرة التي تنتهي في اول السنة الجديدة

سنة مجلة الجامعة عشرة اجزاء

وكتاب هدية

وقد سنَّت بعض رصيفاتنا من المجلات في مصر سنّةً فيها فائدة لاصحاب المجلات والجمهور · وهي ان تكون سنَةُ المجلة عشرة أجزاء بدل ١٢ والجزءان الباقيان تعوَّض عنهما المجلة بكتاب هدية · وقد عملت بهذا الترتيب رصيفاتنا الهلال والضياء للمرحوم اليازجي والمقتبس وما زالت تعمل به حتى اليوم · وفي هذا الترتيب فائدتان الاولى استفادة الجمهور بكتاب جديد يضعه صاحب المجلة في تلك الفرصة ولولاها لما تمكن من ذلك · والثانية استراحة الكاتب قليلاً من التعب وكدّ الذهن تفرغاً لإعداد مواضيع هامة لسنة مجلته الجديدة لان صاحب المجلة قضي عليه ان يعمل بنفسه لمجلته كل شيء في صحافتنا التعيسة بينا أصحاب المجلات

الاوروبية والاميركية يقتصرون على ملاحظة المواد التي تنشر في مجلاتهم بأقلام مجيدي الكتبة وهم لا يكتبون في كل جزء منها اكثر من مقالة واحدة · وهنا نعطي مجلة الهلال حقها من الشكر لوضعها هذه الطريقة وابتدائها بها

فهذا الجزء من المجلة الذي هو الجزء العاشر هو خاتمة سنة المجلة الحاضرة · وفي الشهر التالي أي أول كانون الثاني تصدر (رواية أتالا) التي جعلناها هدية المجلة والجريدة الى المشتركين فيهما وتتمة لسنة المجلة الحاضرة وهي الخامسة · وسنطبعها على ورق جميل طبعاً متقناً ونزينها برسوم جميلة لتكون ترجمتها العربية مما يليق بالاصل

اما الجريدة فلا تنتهي سنتها الا في رأس السنة الجديدة ·

وقد ذكرنا في الجزء السابق أهمية الرواية التي جعلناها تتمة للمجلة في هذا العام بين كتب الأدب في جميع أقطار العالم

حبة قمح بقدر بيضة

والقيصر

حكاية بقلم الفيلسوف الروسي

الكونت تولستوي المشهور

اقتبس تولستوي مبدأها من مبدإ هنري

جورج الاجتماعي الاميركي المشهور

بينما كان الاولاد في احدى القرى يلعبون في وادٍ صغير وجدوا فيه شيئاً شبيهاً بحبة القمح ولكنه بقدر بيضة · فمرّ سائح في تلك القرية وابتاع هذه التحفة الغريبة النادرة ببضع قطع من النقود الصغيرة ثم ذهب وباعها من القيصر

بثمن غالٍ .

فأخذها القيصر وعرضها في قصره على حكمائه ومدبري شؤونه فلم يعلم أحد منهم هل كانت بيضة أم حبة قمح . فوضعها القيصر في نافذة غرفته فمرّت بها دجاجة واذ أبصرتها نقدتها وفتحت ثغرة فيها لتأكل منها . فلما نظر القيصر في الثغرة تحقق القيصر ان الحبة كانت حبة قمح

فدهش القيصر وأصدر أمره الى علماء بلاده ان يبحثوا ويفتشوا أين نبت هذا الصنف من الحبوب ومتى نبت . فحار العلماء في الجواب وقالوا انهم لا يعلمون شيئاً ولم يروا قط قمحاً بهذا الحجم وأشاروا عليه ان يسأل الفلاحين . فأمر القيصر بان يؤتى اليه بفلاح خبير عركه الدهر وحنكه الزمان . فجاؤا اليه بشيخ اكل الدهر عليه وشرب واناخ عليه الزمان بكلكله . وكان محني الظهر ضعيف السمع والبصر لا يمشي الا مستنداً الى عمودين من خشب . فاراه القيصر الحبة الغريبة وقال : انظر يا عم هل تعلم أين ينبت هذا القمح ؟ وهل زرعت وحصدت منه في صباك ؟ وهل اشتريت منه في حياتك

فلم يفهم الفلاح كلام القيصر الا بصعوبة فاجابه وهو يقلب الحبة بين يديه : لم أرَ في زماني قمحاً كهذا القمح وجميع الحبوب التي زرعتها او اشتريتها كانت كالحبوب التي تُزرع الان . فسل أبي يا قيصر لعله رأى او ابتاع في زمانه حباً كهذه الحبة .

فبعث القيصر في طلب أبيه . فجاء ابو الفلاح . فدخل الأب على القيصر وكان أسلم جسماً وأشد نشاطاً وأصح سمعاً وبصراً من ابنه . فأعاد القيصر عليه السؤال الذي ألقاه على ابنه . فأخذ الأب الحبة في يده وقلّبها مدهوشاً والقيصر وراءه ينظر اليه ثم قال

— كلا يا قيصر لم أزرع ولم أحصد في حقلي في كل حياتي قمحاً كهذا القمح .

ولم أشترِ منه لاننا في كل زماننا ما كنا نعرف النقود ولا نتعامل بها . فان كل واحد منا كان يعيش من الحاصلات التي كان يُخرجها من الارض واذا وقع ضيق او حدثت أزمة فكنا نساعدبعضنا بعضاً . نعم ان قمحنا كان أكبر وأخصب من قمح هذا الزمان ولكنه كان بعيداً عن ان يشبه هذه الحبة . فسل أبي يا قيصر فانني سمعت منه غير مرة ان القمح في زمانه كان أكبر وأخصب منه اليوم .

فأمر القيصر باحضار أبيه . فدخل الفلاح الجدُّ على القيصر بنشاط كنشاط الاولاد وكان صحيح الجسم والنظر وعيناه تبرقان كأنه ابن اربعين . فأراه القيصر الحبة وألقى عليه سؤاله . فأخذ الجد الحبة وشمها وضمها وعضها بعض الشيء بنواجذه ثم قال

— هذا هو . هذا قمحنا القديم . فانني كنت ازرع وأحصد منه حياتي كلها

فدهش القيصر وقال : وأين كنتم تجدونه يا عم

فقال الجدّ ان هذا القمح كان موجوداً في كل مكان في بلادنا وكان هو قمحنا الاعتيادي الذي كنا نقتات به نحن واولادنا

فقال القيصر وقد أراد زيادة التحقيق وهل اشتريت منه من مكان مخصوص

فابتسم الفلاح الشيخ ابتسام الشفقة واجاب

— في زماني لم يكن أحد يجترئ على ارتكاب جناية بيع القمح . وما كنا نعلم كيف تكون النقود ولا ما هو شكلها . وكان لكل منا من القمح ما يكفيه ويكفي عيلته . فما كنا نحتاج بيعاً وشراءً . وانني بيدي هذه قد زرعت وحصدت وطحنت قمحاً كهذا القمح

فزادت دهشة القيصر وقال : ولكن أين زرعته وأين كان حقلك

فاجاب الشيخ الفلاح وقد اتخذ وجهه هيئة جدية

حبة قمح بقدر بيضة — بين القيصر والفلاحين

الفلاح الاول الذي سأله القيصر عنها وعمره ٦٠ سنة يمشي هرماً





الذي اشترى حبة القمح التي هي بقدر بيضة يفحصها بالمكرسكوب

ابوه الفلاح الثاني وعمره ٩٠ سنة وهو انشط من ابنه واقوى جسماً





القيصر حائر في أمرها هل هي بيضة ام حبة قمح

جده الاول عمره ١٢٠ سنة وهو اقوى منهما ـ جوابه للقيصر





الدجاجة حلت المشكلة

ـــ ان ارض الله كلها كانت حقلي ... فحيثما كنت أفلح التربة وأُصلحها وازرعها كان يحق لي استخراج القمح منها ... فان الارض كانت حرة مطلقة للجميع وما كان أحد يجترئ ان يدّعيها ملكاً له . وما كان أحد يقدر ان يسمي شيئاً (ملكه) غير ثمرة تعبه التي كان يستخرجها من الارض بعرق جبينه

فقال القيصر : لي اليك سؤالان آخران يا عم . الاول لماذا كان القمح في زمانكم كبيراً خصيباً الى هذا الحد وهو اليوم جديب صغير . والثاني

لماذا حفيدك ضعيف يتوكأ على عكازين ليستطيع المشي وابوه ابنك اقوى منه مع انه اكبر سناً وانت أقوى منهما كليهما مع انك اكبر سناً منهما

فاجاب الشيخ الجدعابساً

ـــ كل هذا الانقلاب سببه ان الناس الذين يعيشون في هذا العصر لا يعيشون من عملهم وتعبهم بل يطمعون في اعمال غيرهم وتعبه . فهم يسخرون غيرهم للعمل والتعب ويتمتعون بثمار هذا العمل وهذا التعب وهم مستريحون . ففي زماني كان الناس يعيشون بحسب شريعة الله وهي (بعرق جبينك تاكل خبزك) لا بحسب شريعة هذا الاستثمار والابتزاز . وكان كل واحد منا راضياً بما عنده مكتفياً به غير طامع في عمل غيره وتعبه" انتهى

﴿ الجامعة ﴾ وقد تناقلت جرائد اوروبا واميركا هذه القصة الصغيرة التي نشرها تولستوي ولكنها لم تشر الى المصدر الذي اخذ تولستوي عنه هذه المبادىء . على ان الذي طالع كتابه (البعث) الذي هو أجمل كتبه كلها والذي لخصناه تلخيصاً في السنة الثالثة للجامعة يرى ان تولستوي اقتبس مبدأه هذا من مبادىء هنري جورج الاشتراكي الاميركي المشهور . ومما قاله في ذلك الكتاب ,, ان الارض لله ولا يصح ان تكون ملكاً لاحد . وان هنري جورج الاميركي حلّ العقدة الاجتماعية بدعوته الناس الى جعل الارض وقفاً لا يجوز ان يُشرى ويُباع بل ينتفع به العامل فيه . وانهم في اميركا قتلوا مبادئه هذه بالسكوت عنها وعدم العناية بنشرها . على ان تولستوي أحياها بناء مذهبه عليها كما جهر بذلك في كتابه"

ولكن هل في هذه المبادىء اصلاح الهيئة الاجتماعية أم فسادها . وهل العمل بها من الممكنات ؟ هذه هي العقدة التي لا يحلها الا الاختبار ومرور الزمان

العلم واسرار الحياة

الفردوس الارضي في القطب

عالم فرنسوي سائر لاكتشافه في سفينة يبنيها الآن على نفقة الحكومة الفرنسوية * وهو يقول بخطاء مذهب النشوء والتحول اذا صدق حدسه

﴿ لماذا لا ﴾ Pourquoi Pas هذا هو اسم السفينة الغريبة الشكل التي سيركبها بعد ثمانية اشهر الرحالة شركو الفرنسوي المشهور ويقصد بها القطب الجنوبي . وقد دعاها (لماذا لا) اشارة الى أمله في الوصول الى هذا القطب واكتشاف قارة جديدة فيه . فكأنها تقول (لماذا لا اصل) الى القطب ولماذا لا اكتشف تلك القارة . وسيرافقه في السفينة ٢٠ شخصاً من بحارة ورفاق يساعدونه في البحث . ويصطحب عدة اوتوموبيلات تزلق على الثلج زلقاً بدل المركبات التي تجرها الكلاب . وهو الآن يبني سفينته بطريقة تجعل جدرانها مما يصبر على ضغط الثلوج اذا تراكمت عليها . وقد سلحها بآلة تكسر الثلج في طريقها وجعلها تسير بالبخار والشراع معاً وسيخزن فيها ١١٠ اطنان من المؤن وسيكون محمولها ٨٠٠ طن وقوة آلتها البخارية ٥٠٠ حصان . وقد جملت له الحكومة الفرنسوية والمجامع العلمية اكثر من ٥٠٠ الف فرنك للقيام بنفقة رحلته . على انه يقول انها تقتضي ٨٠٠ الف فرنك واكثر . لان الحملة الجديدة التي سيسيرها الانكليز في نفس ذلك التاريخ على التقريب سينفقون عليها ضعف هذا المبلغ

﴿ سر الحياة في القطب الجنوبي ﴾ قال الدكتور شركو صاحب هذه الرحلة لاحد محدثيه وقد اراه الخريطة التي نشرناها هنا . انظر الى القطب الشمالي تجد ان البشر كادوا يكتشفونه كله . ولم يبق منه الا جزء يسير (وهو

السواد القليل في البياض الكثير في الرسم الاول) . اما القطب الجنوبي فلا يزال مجهولاً كما ترى في الرسم الثاني . والسفر الى القطب الشمالي صعب جداً لان الزوابع تكتسح آفاقه وما هو الا جزائر صغيرة متفرقة في اوقيانوس من الجليد . واما القطب الجنوبي فالطريق اليه اهدأ وآمن وربما كان كله يابسة . فاذا صدق هذا الظن كان في القطب الجنوبي قارة خامسة مساحتها تعدل مساحة اوروبا واوستراليا معاً

السواد في هذه الدائرة هو الباقي من (القطب الشمالي) مجهولاً





السواد في هذه الدائرة هو الباقي من (القطب الجنوبي) مجهولاً بالنسبة الى المجهول من القطب الشمالي

ثم تحمس الدكتور فقال لجليسه: وما ادراك انني لااكتشف هناك سرّ الحياة والكائنات في الارض . فان القطب الجنوبي الذي (مات) في الارض منذ ازمنة بعيدة ودُفن تحت الجليد الدائم لهو على ما يظهر اقدم قطر في الارض لانه شاخ قبل جميع اقطارها . وهو تحت كفنه الثلجي رابض على الارض يخبأ في جوفه اسرار الحياة ويهزأ بعجزنا عن الوصول اليه توصلاً اليها . فربما عدتُ منه وفي يدي بقايا الحيوان الاول الذي

نشأ منذ ابتدأت الحياة وهيكل عظام الانسان الاول الذي نطلبه ولا نجده (الحلقة المفقودة) وانموذج النبات عند اول ظهوره في الارض٠ فانه من الممكن ان القطب الجنوبي كان في بدء الحياة أول منشأ الانسان

ومن جهة أخرى فان الذين حفروا الارض في باتاغونيا واوستراليا ومدغسكر قد كشفوا انواعاً من الحيوان والنبات متشابهة في الجهات المختلفة ولبعضها صور هائلة لا مثيل لها في جهات اخرى ٠ فيظهر ان هذه الجهات البعيدة قد أثر فيها في العصور التي تقدمت التاريخ مؤثرات متشابهة أدت الى هذه النتائج المتشابهة وبالتالي يثبت انها كانت كلها جزءًا من قارة واحدة ٠ ويثبت ايضاً ان الفاعل الذي فعل فيها هو فاعل خصوصي لم يفعل في غيرها من الجهات وهذا أمر عظيم فيه نقض مبدإ النشوء والتحول كما يفهمه اليوم العلماء ٠ ذلك لانه يصبح في حكم الثابت ان المؤثر في الكائنات فاعلان لا فاعل واحد وان جرثومة الحياة الاولى لم تكن واحدة بل كانت غير واحدة

هذا ما يجول في نفس الدكتور شركو وهو سائر الى القطب الجنوبي ٠ فالوداع مقدماً يا استاذ ٠ اننا ندعو لك بالسلامة فزت بمرادك ام لم تفز ٠ فان سفراً محفوفاً بالخطر كهذا السفر لما يجدر به الاعلان على هذا المثال ويُحمد صاحبه اذا عاد سالماً وان لم يفز ورضي من الغنيمة بالاياب

رجال شوريا

يسقط رجال سوريا في هذا العام سقوط ورق الخريف ٠ ونعني هنا برجال سوريا رجالها القدماء المحنكين النافعين ٠ فقد ذهب المرحوم اليازجي في اول العام وتلاه المرحوم السيد الدبس وتلاهما المرحوم سليم شحاده وكلهم من علية رجال سوريا ٠ وفي البريد الاخير نعي الينا مراسلنا في لبنان و بيروت المرحوم خليل افندي الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا عن ٧٥ عاماً ٠ وكان الفقيد منشيء اول جريدة عربية في

سوريا . والكاتب الشهير المعلم رشيد شرتوني قضى عن ٤٣ عاماً صرفها بين المحابر والاقلام والتأليف والتعريب في مجلة المشرق وجريدة البشير وله كتب وآثار نافعة تبقي له ذكراً جميلاً بين بني وطنه

رحمهم الله رحمة واسعة وعزي آلهما وابناء وطنهما وعوضهم خيراً

بين ركفلر والفيلسوف تولستوي

يا ركفلر وزع مالك واتبعني
هكذا يقول له تولستوي في كتابه

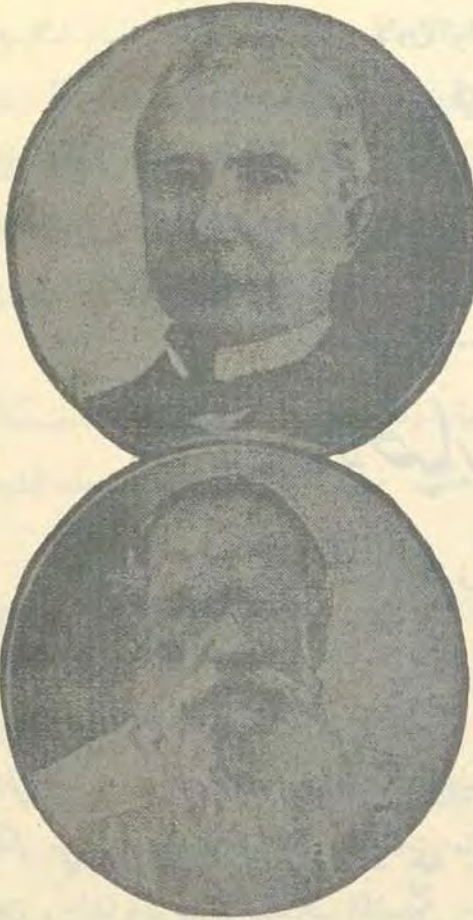
يُجلُّ الاميركيون الفيلسوف تولستوي وله لديهم شهرة طائرة ككاتب مفكر وكشارح للانجيل شرحاً مبنياً على ايمان واعتقاد . وقد القى عليه المستر ركفلر منذ حين سؤالاً هذا محصله . (كيف يكون وجود الثروة مطابقاً للتعاليم المسيحية وما هي أشرف طريقة لانفاقها انفاقاً فيه خير الانسانية) فاجابه تولستوي بالكتاب التالي

,, جواباً على سؤالك اقول — بقطع النظر عن تعليم الانجيل — ان وجود الثروة لا يقترن بحياة صالحة صلاحاً مطلقاً (يعني ان هذا لا يطابق ذاك) وقد أبنت ذلك في كتابي (ماذا علينا ان نفعل)

,, فان المال الذي اصونه في جيبي او في خزينتي او في البنك انما يمثل قوة لي على من لا يملك شيئاً اعني الفقير اناله بها متى شئت . والحصول على هذه القوة لانفاذها حين الاقتضاء او للتهديد بانفاذها اظهاراً لسلطتي انما هو شر للهيئة الاجتماعية لا خير . هذا هو رأي العقل السليم في وجود المال

,, واذا نُظر الى المال من جهة المبادئ المسيحية فان مسألته تزداد جلاءً . فان الكلام عن اباطيل الاهتمام للغد وعن جمع الثروة والتحريض على التشبه

المستر ركفلر



الفيلسوف تولستوي

(بلعازر الفقير لا بالغني الذي كان يجمع القمح في مخازنه) انما هو سار سريان الدم في جميع تعليم الانجيل وروحه · وقد قيل فيه (طوبى للفقراء وتعساً للاغنياء) وان الانسان (لا يستطيع خدمة ربين الله وممون أي المال) وانه (يجب إعطاء كل من يطلب ولا يُسترد منه) وغير ذلك مما يشبهه

,, هذا هو روح المسيحية العام ·

ولكن ما ورد في الانجيل من مَثل الغني الشاب يجلو هذه المسألة جلاءً لا تقبل التأويل بعده · فقد ورد فيه في خطاب ذلك الغني (اذا شئت ان تكون كاملاً فوزع اموالك واتبعني) وان قيل ان قوله (اذا شئت ان تكون كاملاً) يجعل ترك الثروة من صفات الكمال وقوله بعد ذلك (ان الذي لا يستطيعه الانسان يستطيعه الله) يجعل هذا الترك فوق طوق الانسان ويهيئ له عذراً عن عدم فعله · فالجواب ان معنى (اذا شئت ان تكون كاملاً) هو (اذا شئتَ ان تكون تلميذي) ومعنى (ان الذي لا يستطيعه الانسان يستطيعه الله) هو ان توزيع الثروة ممكن عند الانسان الذي فيه روح الله وان كان مستحيلاً عند من ليس فيه هذا الروح

,, وانني لاشعر بخجل حقيقي لدى بياني ما هو بيّن بنفسه عند كل رجل

ذي مبادئ دينية مخلص في اعتقاده سواء كان يعتقد بان أصل الانجيل الهي ام لا

لاون تولستوي

قلنا . هذا رأي الفيلسوف تولستوي في الاغنياء وثرواتهم اذا أرادوا تطبيقها على الانجيل . على اننا كنا نود لو اطلعنا على رأيه في رؤساء الدين وثرواتهم التي يجمعونها من سذاجة الشعب بطرق مختلفة لنرى كيف يوفق الفيلسوف بينها وبين المبادئ الانجيلية التي يعلّم الرؤساء بها اسماً لا فعلاً

بابُ الاخبار العلميّة

﴿تقتبل ولا تجاوب﴾ ان محطة التلغراف اللاسلكي في الدار البيضاء (مراكش) لا تستطيع مجاوبة محطة التلغراف اللاسلكي المنصوبة في برج ايفل (باريز) الا اذا رُفع القضيب الذي يقتبل امواج الكهرباء في الدار البيضاء الى علو ٢٠٠ متر. فهي الآن تقتبل الاوامر من باريز ولا تستطيع المجاوبة عليها الا اذا رَفعت الجهاز الكهربائي في منطاد (بلون) الى علو مائتي متر . وقد قيل انهم سيتخاطبون قريباً بين برج ايفل ونيو يورك بالتلغراف اللاسلكي . فتوصلاً الى ذلك تجب اقامة سارية في نيو يورك تبلغ ارتفاعها مئات من الامتار لتتمكن نيو يورك من مجاوبة باريز عن ذلك البعد الشاسع . وربما اكتفي بارتفاع أقل فان محطة نوين الالمانية التي تخاطب بطرسبرج (روسيا) عن بعد ١٣٠٠ كيلومتر لا يتجاوز ارتفاعها ١٠٠ متر

﴿ اختراع الماس ﴾ وجد العالم بورداس الفرنسوي طريقة لتغيير الوان الماس الطبيعي فقامت الجرائد تصيح انه اكتشف طريقة لاختراع الماس وانشأت الفصول الطوال وليس الامر كذلك

فلما سمع بجانبه وقع اقدام ترك ما كان فيه من التأمل ورفع رأسه . فوقعت عينه على ذلك الاحدب . فعرفه الاحدب لانه رآه أمس يفرُّ من امام مريم وهي في الحقل حين مروره بها . فثارت نفس شيشرون لمنظر هذا الرجل لظنه انه أساء أمس الى مريم او قصدها بسوءٍ . فرام الانصراف عنه باحتقار ولكن نفسه الرومانية منعته من ذلك وأوجبت عليه الانتقام من ذلك الرجل

وقد علم القارئ ان ذلك الرجل كان يوسف الذي وقع له ما وقع مع مريم في اليومين الماضيين .

فدنا منه شيشرون بانفته الرومانية وقد رفع رأسه فوق حدبته رفعاً مضحكاً . ولما صار عنده جلس وقال . قد حللتَ محلي ايها الشاب فان هذه الشجرة شجرتي وقد اعتدتُ المطالعة تحتها

فاستوى يوسف جالساً وقال وهو يتأمل في جسم شيشرون المضحك : اظنها تكفيني وتكفيك . تفضل واجلس

فلم يجاوب شيشرون وقال . أرى بجانبك كتاباً وهذا أمر مدهش منك . اذ كيف يمكن الجمع بين (الكتاب والكَعَاب) (١)

فتوردت وجنتا يوسف وأخذ كلمح البصر يضرب أخماساً باسداس . فمرَّ في نفسه ان مريم أطلعت هذا الاحدب على ما وقع له معها او انه هو نفسه رآه أمس واول أمس يجول حول المنزل او ابصره في الحقل بجانبها . ولكنه تجلد في كل حال وأجاب متهكماً . من السهل الجمع بين الكتاب والكعاب اذا كان الكتاب قصة لان النساء القصص القصص

فعبس شيشرون وقال . تعني بكلامك هذا انك تعاشر هذه المرأة ولا تخشى

فعبس يوسف وقال . من أين لك ان تناقشني الحساب يا هذا في

---

(١) الكَعَاب من النساء التي نَهدَ ثديها أي ظهر وأشرف

شوءوني الخصوصية • ولماذا تنظر القذى الذي في عين غيرك ولا تنظر الخشبة التي في عينك • أما انتَ الذي نادتك أمس في ذلك الحقل وراء هذه الاكمة

فاستشاط شيشرون غضباً وصاح يالك من لئيم دَنس

فانتصب يوسف بكبرياء وعظمة وقد سكت بضع ثوانٍ ثم نطق فقال • لست اقابل اهانتك بالاهانة ايها الروماني المهذّب • فحسبك انك اسأت الى من لم يسيء اليك ولا الى أحد غيرك

ثم تناول يوسف كتابة وهمّ بالانصراف

فتعلق به شيشرون اما لان غضبه سكن لدى هدوء يوسف وتأدبه واما لانه كان يرى انه لم يستوفِ انتقامه بعد • فامسك بثوبه وقال • لا تذهب فانني اريد اتمام هذا الحديث معك

ولكن شيشرون لم يأتِ على هذا الكلام حتى صاح صوت من اكمة الى يمينه : ما هذا يا شيشرون • هل أصبحتَ شرساً الى هذا الحد•

فالتفت شيشرون ويوسف الى جهة الصوت فابصرا مريم واقفة تضحك وبجانبها الفارس الرومانيُ الاول الذي تقدم ذكره في الفصل السابق • وكان الفارس منبسط الاسرة باسم الثغر يهمس في اذن مريم ومريم تبتسم وتنظر في جهة ذينك الشابين الحقيرين • اما شيشرون فمذ ابصر مريم والفارس في هذه الحالة ارتخت عزائمه واضطربت نفسه مع ما فيها من القوة الرومانية • وسبب ارتخاء عزائمه رؤيته ان هذه المرأة لا تستحق الحماسة التي كان يدافع عنها بها • واما يوسف فقد انخلع قلبه وغار دمه وكلل العرق جبينه وكاد يهوي الى الارض • فجذب ثوبه من يد شيشرون وقال دعني فانني لا اقيم في هذا المكان

فدنا منه حينئذٍ شيشرون وقال بلطف مخالف لشراسته فيما تقدم • ياصاحب لا تلمني فقد غضبتُ وقلما اغضب في حياتي • هلمّ بنا نذهب من هنا ونتحادث

بهدوء واتفاق لانني لا أرى هذه المرأة اهلاً لان يغضب رجل كريم من أجلها

فسكت يوسف ولم يجب وسار بجانب شيشرون يضرب اخماساً باسداس ويتساءل عن سبب انقلاب هذا الاحدب الغريب بعد ظهور مريم

اما مريم فمذ ابصرتهما يسيران دون ان يلتفتا اليها قهقهت واستندت الى الفارس رفيقها ثم سلكت معه طريقاً آخر وهي تهزل وتضحك وتقطف ازهار البرية وتغرسها في شعرها وصدرها

وما خطا يوسف وشيشرون بضع خطى حتى قال شيشرون . هل انت ابن هذه القرية يا صاحب . فقال يوسف كلا فاني ضيف فيها منذ اربعة ايام . فقال وما هذا الكتاب الذي في يدك . قال هذا كتابنا المقدس (التوراة) . فقال شيشرون قد اطلعت عليه وكثيراً ما لذتني المطالعة فيه . وهل قرأت فيه هذه المرأة امامك

فالتفت اليه يوسف بنزق وقال أما زلت تعتقد انني عرفت هذه المرأة قبل الآن

فقال شيشرون ولكنك كنت أمس معها في الحقل . فقال يوسف . اسمع ياصاحب . لو سألتني بلطف في بدء كلامك لعلمتَ انه لا علاقة لي بهذه المرأة ولا اريد ان يكون لي علاقة بها . فانت وشأنك معها كما تريد فان فكري منصرف الى اله الجمال لا الى جمال ملوث بالاوحال

فرفع شيشرون رأسه وقال انني اردُّ اليك نفس سؤالك . هل تظن ان لي علاقة بهذه المرأة . لقد اخطأت يا صاحب

ثم شرح كل واحد منهما قصته للآخر دون ان يذكر يوسف شيئاً عن ميله الى مريم واقتفائه أثرها أول أمس . فتفاهما وزاد اتفاقهما على ما يظهر . وكانا قد بلغا الى صخرة ناتئة فوق الوادي ومشرفة على الرمانة التي تداعبت فيها بلابل

مريم يوم التقائها بيوسف . فانحدرا نحو الرمانة

الفصل الحادي عشر

﴿ الخطبة في الوادي (١) ﴾

بين يوسف وشيشرون * ثم بين شيشرون ومريم
تجيء سكرى وغضبى كلبوة

وكان الحر شديداً في ذلك النهار . والريح ساكنة . والطيور هادئة في الاشجار لجأت اليها فراراً من الحر وتركت العشب والزهر . والغنم هجرت مرعاها ولجأت الى الظل . وراعيها استلقى تحت ظل شجرة بعيدة وقدسكت مزماره

فجلس يوسف وشيشرون في ظل الرمانة وهما ساكتان الا انه كان في نفس كل واحد منهما (شيء) يتكلم . وهذا (الشيء) واحد وهو (مريم)

فلما جلس يوسف تحت الرمانة تنهّد ونظر في اغصان الرمانة لانه تذكر البلابل التي سمع هو ومريم تغريدها هناك . ومرَّ في خاطره حينئذ الدمع الذي رآه يجري على وجنتيها في ذلك الحين فقابل بينه و بين ضحكها وخفتها منذ عشر دقائق فتألمت نفسه وحارت في أمر هذه المرأة التي هي لغز من الالغاز . فتنهد وقال

— أليس من دواعي الأسف والحزن العظيم ان الطبيعة والكائنات كلها تستريح في هذه القرية في هذا الوقت : وكائن واحد يتعذَّب

فالتفت اليه شيشرون وقد تجاهل مراده وقال — ماذا تعني يا صاحب

---

(١) نشرنا في روايتنا « اورشليم الجديدة » « الخطبة على الجبل » للراهب الشيخ مخائيل وفي هذه الرواية ننشر « الخطبة في الوادي » لشيشرون الروماني . وكلتاهما على طرفي نقيض عند من يغوص على المعاني و يحسن فهم الكلام

فقال يوسف . أنني أرى الآن السماء ثابتة . والارض جامدة . وما على الارض ساكن في راحة مطلقة . فالريح هادئة . والاشجار والنباتات مستقرة تستريح من الحركة . والطيور مطمئنة فيها تتمتع بنعمة الراحة الالهية . والمواشي تحتها نعيمة البال تجترّ وتهضم غذاءها بلذة حيوانية . وكل شيء حولنا ساكن مستريح مطمئن الا تلك المرأة الشقية

فسكت شيشرون بضع ثوانٍ ولم يُجب . ثم قال وهل انت متحقق يا صاحب انها كلها ساكنة مطمئنة مستريحة (راحة مطلقة) كما قلتَ

فقال يوسف وقد أشار الى ما حوله : أما ترى

فقال شيشرون

— يا صاحب قد سرّني انني لقيتك وعرفتك . فانني كنت في حاجة الى صديق مثلك في دار غربتي هذه . ولقد اسأتُ اليك الساعة ولكن قلبك الكريم الذي خبرته في هذا الزمن القصير يصفح عن اساءتي لا سيما وانك علمتَ ان سببها كان سوء التفاهم بيننا . ولاشكّ في انك تحترمني وتصفح بعد ان عرفتَ أصل هذا السبب . يا صاحب انني أراك فتىً في نحو العشرين أو اكثر قليلاً . وانت كثير الاحلام قليل الكلام . ولم اجد في كلامك ما يدلّ على انك ذو صناعة . فهل انت مثلي

فحار يوسف في الجواب وعجب من هذا السؤال فقال . جاءَت الآن نوبتي في ان اسألك ماذا تعني يا صاحب

فقال شيشرون اعني انني (مقطوع) الهيئة الاجتماعية . فهل انت (مقطوعها) مثلي

فدهش يوسف وفتح عينيه وقال . كيف انت مقطوع الهيئة الاجتماعية وأية علاقة لهذا الكلام بالسؤال الذي القيته عليك

فابتسم شيشرون ابتسامة لا يعرف معناها أحد غير الآلهة أو الشياطين وقال

ـ لا تخف يا صاحب . فلستُ جانياً فاراً من السجن او من المحكمة. ولا اخا دنيئة منفياً من وطنه . ولكني (مقطوع) من ارض وطني وانا قطعتُ نفسي بنفسي . انظر يا صاحب انني لم احدّث احداً في ما احدثك به الآن غير مريم الشقية كما دعوتَها . والذي دعاني الى محادثتك هذه الكتابُ الذي رأيته في يدك وما سمعته من ملاحظاتك الآن ومنذ اول التقائي بك . انني روماني ولدتُ في رومه مهد الشرائع وعاصمة الدنيا وامّ الامم . فعشت فيها الى سن العشرين راضياً هنيئاً . وفي الثانيةوالعشرين بدأتُ اضطرب ضمن معيشتها المضطربة . وفي الثلاثين شرعتُ في محاربتها . وفي الثانية والثلاثين تركتها و(انقطعتُ) عنها غير آسف عليها .

فقال يوسف حقاً يا صاحب انني لم افهم مُرادك بعد بقولك انك (مقطوع) و(انقطعت). فهل مرادك انك هجرتَ وطنك وان كل من يهجر وطنه انقطع عنه

فقال شيشرون انني ابسط لك مرادي بعبارة اوضح . ان (المقطوع) عن قومه هو الذي انقطعت ما بين فكره (١) وافكار بني وطنه صِلات المبادئ التي كانت تجمعها من قبل . فيصبحون وهم يرون الحياة وسننها واغراضها وطرقها مخالفة للسنن والاغراض والطرق التي يراها هو . واحياناً يكون الحق في جانب ذلك الفرد والخطأ في جانبهم وذلك حين يكون الفرد نابغة من نوابغ الارض. وتارة يكون الحق في جانبهم والخطأ في جانبه وذلك حين يكون هذا الفرد من ضعفاء العقول والادعياء في الارض . فانا (مقطوع) عنهم ولكن من أيّ فريق أنا

قال شيشرون هذا الكلام وأطرق بانكسار كأنه علم انه تجاوز الحدود في

---

(١) لا نقول « نفسه » لان رنان يقول في كتابه في تاريخ بني اسرائيل ان الرومانيين كانوا لا يفهمون التفريق بين النفس والجسد كما اصطلح عليه المسيحيون في عصرهم

كلامه . ولكنه كان يرى انه يخاطب فتىً قليل الخبرة فلم يهتم كثيراً لما بدر منه . اما يوسف فاجاب على حسب فهمه فقال

ــ أما أنا يا صاحب . فلستُ (بمقطوع)ولكني (لا تابع ولا متبوع)

فالتفتَ اليه شيشرون بنزق لظنه انه يهزأ بكلامه وقال أتهزأْ بالمصائب يا صاحب ؟

فتوردت وجنتا يوسف الصفراوان وقال معاذ الله ياصاحب . انني اجدّ ولا امزح . انني (لا تابع ولا متبوع) ولكنني ايضاً لستُ (بمقطوع) فانا مثلك ضعيف فقير أرى رذائل قومي واغلاطهم وفسادهم ولا استطيع هدايتهم ــ فلا انا أتبعهم ولا هم يتبعونني ــ . ولو كنتُ في مكانك بين قومك لانقطعتُ عنهم كما انقطعتَ اذ لا صلة خالدة بينك و بينهم . اما انا فلا استطيع هذا الانقطاع لان بيني و بينهم صلة خالدة مصنوعة من حديد تربط نفسينا بعضها ببعض . فبها انا متصل و بدونها انا منقطع .

فقال شيشرون بعجب . وما هذه الصلة

فمدّ يوسف يده بنزق وحدّة الى التوراةالتي كانت بجانبه على الارض ورفعها بوجه شيشرون وقال . هذه هي الصلة

فضحك شيشرون وقال . فهمتُ مرادكِ . وكلامك هذا يردّنا الى السؤال الذي القيته عليّ بشأن مريم . وانا ما ألقيتُ عليك سؤالي وذكرتُ لك ما ذكرت الا لارجعك اليه

فاتم يوسف كلامه قائلاً . نعم هذه هي الصلة الباقية بيني و بين قومي . في هذا الكتاب ماءُ الحياة فمن شرب منه لا يظمأُ ومن استند اليه لا يسقط . فهو اولاً يعلّمنا وجود (اله) قادر على كل شيءٍ منه اتينا واليه نعود . وثانياً يضع لنا سنن حياتنا الاجتماعية على اسس العدل والانصاف والحق ومحبة بعضنا

بعضاً وفعل الخير والرحمة والشفقة • وثالثاً ينبئنا بظهور (المسيح) فينا لاصلاح فسادنا واعادة صلاحنا وقوتنا الينا • فلو كان عندكم مثل هذا الكتاب الحق لرأيت ان الصلة بينك وبين قومك لا تنقطع بل تطلب به صلاحهم واصلاحهم وتوثيق الصلات بينك وبينهم

فابتسم شيشرون وسكت • وبعد بضع ثوانٍ قال • ان كلامك ياصاحب ككلام رجال ديننا • فهم يعتقدون ان كتبهم وعبادتهم جوبيتير وديانا وسائر آلهتهم حقٌ كما تعتقدون ان كتبكم وعبادتكم آلهتكم حق • وليس غرضي ان احكم بين الفريقين فما هذا موضوعنا • فان موضوعنا سؤالي الذي القيته عليك (هل انت مقطوع مثلي) فانني رأيت ملاحظتك بشأن (راحة الطبيعة والكائنات) راحة مطلقة حالة كون تلك المرأة الشقية تتعذب وحدها — مما يدل على انك متألم من الهيئة الاجتماعية تألماً شديداً • ولما كنتُ متألماً منها مثلك سألتك هل انت (مقطوع) مثلي • فعلمت من جوابك الآن انك لست (بمقطوع) ولكنك (مخدوع) • ولا عتب عليك ولا لوم فانك لا تزال في سن الانخداع

والآن اجيبك على سؤالك بنفس السؤال الذي القيته عليك فيما تقدم • وهو • هل انت متحقق ان الطبيعة والكائنات التي ذكرتها هي مطمئنة مستريحة راحة مطلقة كما قلت •

لا تستغرب يا صاحب تعلقي بهذه الملاحظة التي صدرت عنك فان الجواب عنها أساس فلسفتي ومبادئي كلها • فكأنك بهذه الملاحظة نقلتني من افقي الصغير المحدود في بلادكم هذه الى افق الفلسفة المتسع المنبسط فوق الارض كلها يحيط بجهاتها الاربع لان نواميسه متسلطة على جميع ما فيها

قلتَ ان السماء ثابتة • والارض وما عليها من الكائنات هادئة ساكنة • وأهل هذه القرية كلهم مستريحون — الا مريم تتعذب وحدها • فمقتضى قولك هذا

الجامعة

الجزء ١١ و١٢ السنة الخامسة

مجلّة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٧ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

مبادىء المستر هرست
وتأثيرها على اميركا في المستقبل

اشتهر المستر هرست في العالم بترشيحه في هذا العام لمنصب والي ولاية نيويورك فوق اشتهاره بجريدته (نيويورك جورنال) ومجلاته وجرائده الاخرى التي تُنشر في الولايات المتحدة . والرجل غنيٌّ ورث من ابيه ثروة طائلة واقدم على الصحافة والسياسة ينفق ثروته فيها . قالت جريدة التيمس : ان المستر هرست بدء جيل جديد اخذ في الظهور في العالم . وتريد بهذا الجيل اناساً يملكون ثروات طائلة ويبذرون ثروتهم على السياسة ومناصبها توصلاً الى القبض على ازمتها

✻ راي الاوروبيين والاميركيين ✻ ولما كان في هذا العام انتخاب الوالي لولاية نيويورك لم يفز المستر هيوز على المستر هرست الا باكثرية قدرها نحو ٥٠ الف صوت . فادهشت هذه النتيجة الاوروبيين وعدُّوها دليلاً على ثلاثة امور . (الاول) استفحال امر المبادىء التي يدعو اليها المستر هرست في جرائده العديدة في هذه البلاد (الثاني) بلوغه منزلة رفيعة في عيون الشعب الاموكي خلافاً لقدح خصومه فيه (الثالث) ازدياد كراهة

الشعب للاحتكار والمحتكرين والغنى والاغنياء

وقد طعنت الجرائد الاوروبية المحافظة طعناً شديداً على المستر هرست في اثناء الانتخاب وبعده . اما جرائد الاشتراكيين والغلاة في الجمهورية والحرية فلم تطعن عليه لان مبادئها قريبة من مبادئه

اما الاميركيون فرأيهم في المستر هرست منقسم انقساماً عظيماً . ويظهر ان الطبقات العليا اكثرها عليه ولكن حزب الشعب اكثره معه

واليك الآن شيئاً من مبادئه التي تُنشر في جريدته . فقد القى المستر شو ناظر المالية في اميركا خطبة منذ حين قال فيها ان نجاح اميركا باهر في هذا العام فردّ عليه (نيو يورك جورنال) بمقالة هذه ترجمتها . ومنها تُعرَف مبادىء الجريدة وصاحبها

﴿ أحقيقٌ ان النجاح باهرٌ ﴾ اوشك المستر شو ناظر المالية في الولايات المتحدة ان يخلي وظيفته للمستر « كورتلون » وهو الرجل الذي اغدقت عليه الشركات والبنوك والمضاربون الاموال لكي يؤيد بها الحزب الريبلكي (لانه زعيم هذا الحزب) وسيتسنى له بعد الان ان يوفيهم تلك الاموال من عرق جبين الامة (وهو يعني بذلك ان المستر كورتلون سيتعين بوظيفته على تمهيد السبل لهم لكي يمتصوا دماء العباد بمشروعاتهم المالية الخطيرة وذلك في مقابل الاموال التي بذروها في تأييد الحزب الريبلكي وبشراء الاصوات في الانتخابات ونحو ذلك)

وقبل ان يخلي المستر شو وظيفته بسط على مسمع من زمرة بعض الاغنياء ما تعني به الجرائد بقولها « الانذار الخطير » . فقال لهم ان بلادنا اصبحت باهرة النجاح . اننا اصبحنا اغنياء بسرعة عجيبة . ولا ريب انه كان جاداً لا هازلاً في اشارته بايجاز الى ثروة الشعب

فماذا يظن الشعب بذلك ؟ حينما نقول الشعب لا نعني اولئك الافراد الذين يتبوأون عروش المصارف والمتاجر ولا اولئك الافراد المضاربين بالبورصة الذين سرّب الى جيوبهم المستر « شو » عشر ملايين من اموال الشعب لكي يضاربوا بها في صفقات خطيرة . ولا نعني بالشعب رؤساء الشركات الضخمة الذين لا يبطئون عن ان يمدوا يد الاسعاف للمستر « شو » اذا احتاج الى مساعدتهم

بل حينما نقول الشعب نعني ثمانين مليوناً من الاميركان . نعني اولئك الذين يشتغلون مدى النهار ويجرقون الارّم تغيظاً في الليل . نعني اولئك الذين ينظرون الى الاحداث

بعين الحب والاشفاق من جهة وبالقلق والاضطراب على مستقبلهم من الجهة الاخرى فماذا يظن هذا الشعب برأي المستر « شو » في نجاح الامة الباهر ؟

احقيق ان الامة باهرة النجاح حين يُقضى على ملايين من الاولاد ان يشتغلوا في المناجم والمصانع والمعامل لكي يرزقوا في حين انهم يفتقدون نعيمهم المنتظر في هذه الحياة ؟. هل تعد الامة باهرة النجاح اذا كان نصف التلامذة يوءخذون من المدارس قبل ان يستوفوا الاثني عشر ربيعاً ويُزجون في دوائر العمل لكي يتعيشوا ؟. هل يقال ان الامة باهرة النجاح اذا كان ٣ فقط بالمئة من تلامذة المدارس العمومية يتسنى لهم ان ينقلوا الى المدارس العليا لكي يستوفوا العلوم اللازمة ؟ . هل تُعد الامة باهرة النجاح حين لم يكن بد من سن شريعة خاصة لمنع استخدام النساء في دوائر العمل في بحر الليل وحين يقرر قضاة الديوان الاعلى بلا خجل — واسفاه — ان هذا القانون مخالف لروح الدستور

تسعون بالمئة من الامهات في اميركا يتحرمنَ من مطالب حاجيات منازلهن فهناك مطالب شركة الغاز ومطالب الجزار الخ لاتدع اجفانهن تسترق غمضة وهنا غلاء الحليب يغل ايدي المرضعات منهن عن اشباع اطفالهن واحداثهن . ونفقات الثلج الباهظة في الصيف تحول بين الالوف وبين حياتهم . ذلك ما يعنى به النجاح الباهر لشركتي الحليب والثلج . ولكن يا ايها المستر « شو » ليس ذلك بالنجاح الباهر للشعب .

ان رجل العمل الذي يشتهي ان يوسع نطاق عمله ويزيد غنى البلاد ويجيب مطالب العمال لقد ضاق ذرعاً في التوسل الى المال الذي هو دم الحياة للعمل وعجز عن الحصول على القرض اللازم لاشغاله بالشروط السهلة الممكنة . فهل هذا يُعد نجاحاً باهراً ؟

ان الرجل الذي يود ان يرسل ابنه الى المدارس الموافقة المهذبة وثم الى الكليات العليا لا يرى بداً من ان يزجه بين العملة صغيراً افهذا من نتائج النجاح الباهر

ايها المستر « شو » انك تنظر الى احوال هذه البلاد بعين الخطاء . تاخذ عشر ملايين من اموال الامة وتدفعها في شارع وول (وهو الشارع الذي يشتمل على اهم المصارف وابنية الاغنياء ومكاتبهم وهو قرب البورصة) لكي تمدّ المضاربين الذين يخدعون الناس في حيلهم البورصية ويستنزلونهم الى المضاربة . انك تقابل المتمولين صاحبي مئات الملايين وتجيز على نفسك تمليقاتهم وتدليساتهم . انك ترى بعيني

رأسك المضاربات الجسيمة التي يضار بها القلائل لكي ينتهبوا اموال الكثيرين فتنذهل من هذه القوى التي يبدونها وتتحير من هذا النجاح الباهر الذي يصادفونه

فبالله انظر الى من هم دونهم انظر الناس الذين هم الشعب الحقيقي · انظر الى الملايين الذين لم تفتكر بهم قط · هم الذين يدفعون ماهيتك وهم الذين وظفوا الرجل الذي وظفك

سلهم ماذا يظنون ؟ هل هم ناجحون حقيقةً

سل الفتاة المبكرة الى عملها كفريسة للشركات التي استملكت الاسواق والشوارع (يعني الترامواي) والتي لا تترك شغلها الا وقد غذّت تلك الشركة من دمها · غذتها بالسنتات الخمس التي تكسبها بشق النفس · فهل هي الناجحة النجاح الباهر ؟ اذهب الى غرفتها الزرية وانظر ماذا تاكل وماذا تلبس واعلم ما اشد وطأة البرد على بدنها الرخص المقشعرّ وما اعظم صبرها على هذا العناء · واحكم حينئذٍ بنفسك كيف يكون ولدها في المستقبل — كيف يكون الولد الذي لم تشبع امه خبزًا ولا استدفأ جسمها في ايام الزمهرير — اعلم ذلك جيدًا وحينئذٍ ترى ان البلاد مقاسية امرَّ الشقاء من هذا النجاح الباهر

الولايات المتحدة تشكو من « توزيع الثروة » تريد الثروة موزعة على الافراد بالعدالة والانصاف· كل التوابغ في بلادنا كرسوا حياتهم لجمع الاموال · كم من ركفلر عندنا ذوي الوف؟ ملايين عندنا روجرس وفندربلت ومورغان وجماعة المضاربين والمحتكرين ذوي مئات الملايين

لقد فهمنا جيدًا معنى الجمع للنفس او حب الاثرة وتقاسم ركام الثروة ونجاح المملكة وبلغنا ذلك المعنى ولكننا لم نفطن قط لمعنى « توزيع الثروة »

في الاوقيانوس ماء عظيم جدًا ولكنه لا يروي الصحراء بقطرة · في الجيوب القليلة الوف الملايين ولكنها لا تسد رمق الفقير

مسألة المسائل الاميركية « توزيع الثروة »· على كل اميركي ان يفكر بهذه المسالة دائمًا حينما تنتقد الخطاء الذي يرتكبه اتحاد العملة احيانًا — حينما تنتقد تطرفه العرضي — يجب ان تذكر حينئذٍ ان اتحاد العملة عظيم القيمة لانه هو القوة الرئيسية لتوزيع الثروة

لسنا في حاجة الى نظار مالية يبحثون في نجاح البلاد · وانما نحتاج الى رجل برأس

الامة والى رجال دونه يلقون انظارهم الى الثمانين مليون نسمة »

﴿ رأي مؤرخ انكليزي والاشتراكية في اميركا ﴾ وقد نشرت جرائد لندن بعد الانتخاب لولاية نيويورك كتاباً كتبه منذ سنوات مؤرخ انكليزي مشهور الى احد اكابر الاميركان اذ سأله رايه في مصير الامة الاميركية ومدنيتها. قالت الجريدة التي نقلنا عنها هذا الخبر بعد نشرها صورة هذا الكتاب : ان راي المؤرخ الانكليزي كان عبارة عن نبوءة تمت او ستتم في المستر هرست. وخلاصة هذا الكتاب ان اميركا ومدنيتها لم تبنيا على اساس وطيد . فان دستورها ضعيف متقلقل اذ لا دعامة له . فاذا قام مثلاً رجل مقدام مطماع ذو تأثير واستفز الشعب على الاغنياء واراهم كيف يتمتعون بالثروة والملاذ على حين انهم هم يضنون جوعاً وفقراً فانه لا يلبث ان يرى جيشاً كثيفاً من الشعب يلتف حوله للاخذ بناصره والائتمار بامره . واذا قويت سلطة هذا المطماع وحزبه تمكنوا في وقت قريب بثورة او بغير ثورة من القبض على ازمة الاحكام والتصرف بالدستور والشرائع كما يريدون . ولكن لو كان في الدستور الاميركي قوة تحول دون وقوع مثل ذلك لما كان الخوف عظيماً على مستقبل اميركا

والمؤرخ يعني بقوله هذا ان توجد طبقة عليا يُدعم بها الدستور ويكون مصلحته من مصالحها كطبقة اللوردات في انكلترا . كانه يقول ان كل امة ليس فيها ارستوقراتية امة ضعيفة الدستور . وهو زعم لانصار مبدإ الملكية

والظاهر ان مبادىء المستر هرست ستكون اولى دعائم الاشتراكية في البلاد الاميركية. ومن العجب العجاب ان تكون اميركا متأخرة من حيث مبادىء الاشتراكية حتى عن المانيا البلاد الامبراطورية



فلسطين واشهر بلدانها

لحضرة نجيب افندي ابرهيم نصار في طبريا

الجليل

« الولاية التي نشأ فيها يسوع »

﴿ كلام اجمالي ﴾ الجليل بلاد كثيرة الجبال العالية والهضاب ذات السطوح المستوية والمروج الواسعة والاودية المنفرجة يمر نهر الاردن فيها من الشمال الى الجنوب ملتوياً في عدة جهات ويخلف لها بحيرتي الحولة وطبريا الجميلتين في واديه الغريب في وسط بقاع جميلة . وفيها عدة أنهر أُخر صغيرة تنساب فيما بين جبالها انسياب الافاعي وسط الادغال كاليرموك وقيشون والنعامين وغيرها وفي حقولها انواع متعددة من الازهار والنباتات البرية جديرة بنظر علماء النبات . وجمالها منبه لخواطر الشعراء

﴿ تربتها ﴾ هي زكية غنية حرية بان تسمى ينبوع ثروة القسم الواقع غربي الاردن من البلاد السورية . فيها ايدٍ عاملة لا تعرف التعب . روى يوسيفوس في كتابه حروب اليهود (٣ : ٣ : ٢) ان سكان الجليل شديدو العزم وان اراضيها غنية خصبة وان فيها من جميع انواع الاشجار وان غنى حاصلاتها كان يُنهض همم الكسالى ويحرك فيهم الرغبة في العمل في الزراعة الى حد انه لم يكن يبقى شيء من اراضيها متروكاً او مهملاً . فكثرت والحالة هذه فيها المدن والقرى وغصت بالسكان حتى لم يعد يقل سكان اصغرها عن الخمسة عشر الفاً . ولا ريب ان في هذا شيئاً من المبالغة . واشار في مواضع أُخر الى كثرة اهتمام الجليليين بزراعة الزيتون وتربيته وقال انهم يستسهلون تربية الوف من اغراسه على تربيةولدواحد. وما زال في بعض القرى غابات صغيرة حسن حالها دليل

كاف على ولع الاقدمين بزراعته • ويفهم من التواريخ القديمة ان الزيت كان كثيرًا كالماء في هذه البلاد حتى كانوا يغلونه في اوقات الحصار ويسكبونه على روؤس الاعداء كلما كانوا يدنون من الحصون • والخلاصة ان الاقدمين غالوا في وصف خصب اراضي الجليل وشهرة غور الاردن بحاصلات الحنطة والتمر والحناء وقصب السكر الذي لم تزل بقايا طواحينه في اماكن كثيرة الى يومنا هذا• اما الشوءون الزراعية الحالية فهي في حاجة الى التهذيب الفني والفلاح يحتاج الى التعليم والتنشيط وتعزيز مقامه في الهيئة الاجتماعية لكي يتقن ويحسن استخراج كنوز الارض المدفونة ويسعد بها

﴿اسمها﴾ الجليل كلمة عبرانية معناها الحلقةاو الدائرةويقابلها الكوره في اصطلاحنا (والديرة) في اصطلاح اهل البداوة وهو اسم كانوا يطلقونه على كل مقاطعة واضحة الحدود فكانوا يسمون احدى المقاطعات في جنوبي غور الاردن جليل الاردن كما كانوا يسمون هذه جليل الامم

﴿ حدودها ﴾ اختلفت الحدود القديمة من جهتي الشمال والجنوب لاختلاف الدول والازمان • اما الحدود التي كانت معروفة في ايام السيد المسيح والتي يعول عليها علماء الدين فهي من الشمال نهر الليطاني او القاسمية الفاصل بين جبالها وجبال لبنان ومن الجنوب جبال السامرة ومن الشرق جبال باشان وكور الجدريين والجرجسيين والجولان وهذه من ملحقات قضائي القنيطرة وعجلون التابعي ولاية سورية الجليلة • ومن الغرب اطراف فينيقية الجنوبية وجبل الكرمل القائم سدًا حصينًا يمنع تدفق بحرالروم على مرج ابن عامر الخصيب• وهذهالحدود لا تختلف اختلافًا جوهريًا عن الحدود التي يسميها يوسيفوس • والجليل كلها من ملحقات ولاية بيروت ما عدا قضاء الناصرة فانهانسلخ عنهاوأُلحق بمتصرفية القدس منذ عهد قريب •

ولما قسم يشوع الارض بالقرعة بين بني اسرائيل وقعت انصبة الاسباط يساكر وزبولون ونفتالي ودان في الجليل غير ان قبائل العرب والامم المجاورة

لها كانت تخاصمهم عليها وتطردهم منها او من بعض اقسامها في احيان كثيرة ولذلك دعاها اليهود جليل الامم · ولم تتم لهم السيادة عليها ولا تسنى لهم ان يتوطنوا فيها آمنين حتى ايام هركانوس في القرن الثاني للمسيح الذي طرد الامم منها بتاتاً ووطد سلطته فيها ومنذ ذلك الحين دعيت الجليل فقط · ولم تعد كلمة الامم تذكر مع اسمها وبدأت تشاطر اليهودية في الشهرة الدينية اذ صارت وطناً لمؤسس النصرانية وموقعاً لاعماله وتعاليمه

﴿ اقسامها ﴾ تقسم الجليل طبيعياً الى اربعة اقسام (١) الجليل العليا او الشمالية وهي عبارة عن سلسلة جبال ممتدة من نهر الليطاني شمالاً الى طرف بحيرة طبريا الشمالي جنوباً يتخللها عدة اودية ويختلف علوها من الالفين الى اربعة الاف قدم (٢) الجليل السفلى وهي سلسلة جبال اكثرها مستوي السطوح تمتد من نواحي طبريا شرقاً الى فينيقية غرباً ولا يزيد ارتفاع اعلاها عن الف وتسعمائة قدم (٣) وادي الاردن يمتد من اسفل جبال الجليل العليا شمالاً الى نواحي بيسان جنوباً ومعدل علوه (١) سبعمائة قدم تحت سطح البحر (٤) مرج ابن عامر (وهو ثروة الجليل) ينخفض عن سطح البحر مائتي وخمسين قدماً وكان يدعى قديماً تارة وادي يزرعيل واخرى وادي مجدو · قال بعضهم ان وادي يزرعيل كان يُطلق على القسم الاسفل منه الواقع جنوبي يزرعيل واسم مجدو على ما بقي والله اعلم · طوله اربعة وعشرون ميلاً وفيه عدة مزارع يسكنها الفلاحون الذين يحرثون اراضيه ويزرعون فيها القمح والشعير والذره والسمسم والقطاني وكلها تخرج حاصلات وافرة · وقال السيد في مثل الزارع ان بعضه أعطى مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين ولا ريب ان هذا الخصب هو سبب المنازعة بين الاسرائليين والامم على اراضي الجليل

وبعض السهل ملك لاهله والبعض الاخر ملك لبعض تجار بيروت وتمر

---

(١) هذا معدل علو القسم الشمالي من الغور الواقع في الجليل وهو يهبط كلما امتد جنوباً حتى يصير عند البحر الميت اقل ارتفاعاً من سطح بحر الروم بالف وثلثمائة قدم

فيه الان من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي شعبة الخط الحديدي الحجازي الصاعدة من مينائه (حيفاء) الى مدينة دمشق الشام ولها فيه ثلاث محطات في تل الشمام والغولة وبشطة

﴿ اديب يحرق روايته ﴾

بعد اطلاعه على المقالة التي نشرتها الجامعة في الجزء التاسع بشأن (انشاء الروايات العربية)

حضرة المؤلف البليغ فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة

أكتب اليكم وامامي الجزء الثامن من مجلتكم (الجامعة) الزاهرة التي خدمت العلم والآداب أجل خدمة

بدأت في قراءة عنوانات المواضيع التي صدر بها هذا الجزء كعادتي تشوقاً الى ما تحويه بين جنبيها فوقع نظري على مقالة (انشاء الروايات العربية) فتاقت نفسي الى مطالعتها لانني كنتُ شارعاً في طبع رواية ألفتها عنوانها (الغزال الشارد) فما اتيت على آخر المقالة حتى شعرت بروح جديدة ونشاط نادر وعزمت على احراق روايتي هذه واعادة كتابتها حتى ألمّ ببعض ما جاء في مقالتكم من الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الصحيحة . وبالفعل احرقتها ولم أُبق منها غير المقدمة اذ لا علاقة لها بالقصة .

ولا عجب فما هذه وحرمة الادب اول مرة أثرت في نفسي روح الجامعة هذا التأثير

وياحبذا لو ان حضرتكم اتبعتم في مجلتكم هذه طريقة النقد لاظهار عيوب الروايات ومحاسنها فتعلون بذلك منار الروايات في الشرق وتحيون هذا الفن الجليل والسلام .

ثابت سيدهم

في مدرسة الحقوق الخديوية

هل نحن اسعد من آبائنا

كلام عن سعادة الشرقيين في الماضي والحال

القى احد علماء اوربا خطبة جاء فيها ما خلاصته: ان المعيشة في العالم اصبحت في غاية الجمال واللذة . فالناس يتخاطبون من اطراف الدنيا الى اطرافها كأنهم في غرفة واحدة والصناعة والزراعة والكيمياء تخرج للانسان خيرات الارض وتصنع عجائب وغرائب فيها . والعلم يكشف الغطاء عن اسرار الطبيعة سرًّا بعد سرّ وسيقبض عليها جميعها . والعالم يظهر جميلا جميلا كأنه روضة فيحاء غرستها يد الخالق العزيز لمسرّة الانسان وهنائه . فلو قام اجدادنا الاولون الذين كانوا يعيشون في المغاور والكهوف وشاهدوا ما نحن فيه من السعة والسعادة وجمال المعيشة لغبطونا وحسدونا على ذلك حسداً ما بعده حسد

الا اننا في نسخة الجريدة التي اطلعنا فيها على هذه الخطبة اطلعنا على ردّ عليها من كاتب مشهور يتهكم على جمال معيشة اليوم وسعادة ابناء المدنية الحاضرة تهكماً مضحكاً . ومن جملة ما قاله انه لو بُعث اجدادنا الاولون الذين عناهم حضرة الخطيب في خطبته لما كان لهم ان يغبطونا ولا ان يحسدونا على شيءٍ مما نحن فيه . فان زخارف المدنية وبهارجها التي تغزّل بها الخطيب قد اشتراها البشر اليوم بثمن فادح وكثيراً ما كان هذا الثمن شرف الانسان وذمته وصحته وراحته . وفضلاً عن هذا فان المدنية الحاضرة تجعل الحياة جهاداً هائلاً لا يقوم منه الا الاقوياءُ واما الضعفاء فيداسون دوساً . بل الاقوياء انفسهم مستاءون من هذا الجهاد لانه كلما كثرت اسباب المدنية كثرت حاجاتهم وبالتالي زاد تعبهم وعناؤهم في تحصيل هذه الحاجات والوصول اليها . اما في حالة اجدادنا الاولين سكان المغاور والكهوف فالحاجات الضرورية قليلة وتحصيلها سهل لسذاجة معيشتهم ولذلك كان تعبهم اقل وراحتهم اكثر من راحة ابناء التمدن الحديث

قالت الشاعرة العربية

ولبس عباءة وتقرّ عيني احب اليّ من لبس الشفوفِ
وبيت تلعب الارياح فيه أحب اليّ من قصرٍ منيفِ

فلما فرغت من مطالعة هذه الخطبة والرد عليها رأيت انها تصحُّ ان تكون خير مدخل الى هذه المسألة (هل نحن معاشر الشرقيين أسعد حالا من آبائنا)

على انه يجب اولاً حصر هذا الموضوع في نقطة للتمكن من حل هذه المسألة حلاً حقيقياً. وفراراً من اطالة الكلام فنقول ان مدار هذه المسألة الحقيقي هو المعيشة العائلية الاجتماعية . وقبل كل شيء نحب ان نعرّف المادتين اللتين يقوم عليهما هذا الموضوع قيامه على دعامتين. المادة الاولى (السعادة المقصودة هنا) والمادة الثانية (العائلة) ومتى عرفنا هاتين المادتين وحددناهما سهل الحكم في هذا الموضوع ولكن اذا لم نحددهما كان بحثنا بلا جدوى ولو بحثنا العمر كله

﴿ تعريف السعادة ﴾ واول ما نتصدّى الى تعريف السعادة نرى في وجهنا خلافاً عظيما ذلك لانه لم يُختلف في مادة كاختلاف الناس في (السعادة وماهيتها) الا ان جميع وجوه الخلاف في هذا التعريف يمكن ردُّها الى اصلين تتفرع عنهما باقي وجوه الخلاف . وهذان الاصلان هما تعريف (الروحيين) للسعادة وتعريف (الماديين) لها . فالروحيون مع رجال الدين يعرّفون السعادة بانها ,, شعور الانسان بالسلام الداخلي وراحة النفس والقناعة حتى في وسط المتاعب '' ومن اقوالهم المأثورة ,, ان سعادة الانسان كائنة في ان يجعل غيره سعيداً '' واما الماديون ومن حذا حذوهم فللسعادة عندهم تعريف آخر . قال في تعريف السعادة الفيلسوف الالماني الاكبر فردريك نيتش الذي قيل فيه ,, انه هو وبسمارك هما اللذان صاغا المانيا الحديثة واعطياها ما فيها الان من قوة نفس وبدن '' ما نصه ,, ان السعادة كائنة في شعور الانسان بازدياد قوته وسلطته '' فالقارئ يرى الخلاف العظيم الكائن بين هذين التعريفين . فان الاول يشتق السعادة من (عواطف الانسان) والثاني يشتقها من (نشاطه وعمله) . الاول ايدياليست

محض والثاني رياليست محض في تعريفه • فاذا أردنا الان الحكم على العائلة الشرقية والنظر في هل كانت بعد دخول المدنية اليها أسعد حالاً مما كانت قبله " أنحكمُ عليها بالنظر الى تعريف الروحيين ام بالنظر الى تعريف الفيلسوف نيتش ؟ من هنا بدأت معنا الصعوبة في الحكم في هذه القضية حكماً قاطعاً • الا انه بعد هذا البيان بدأت معنا سهولة في ارجاع حكم كل متكلم في هذه المادة الى احد التعريفين المذكورين آنفاً • فالذين سيحكمون ان العائلة السورية والمصرية كانت قبل التمدن الحديث أسعد منها الان ينظرون الى السعادة من جهة (الروحيين) لانهم يرون ان سذاجة المعيشة والسكينة والرضى بالقليل والاقتصاد والتدبير والطاعة الزوجية والبنوية لرئيس العائلة وقلة الحاجات — كل ذلك كان في العائلة القديمة ظاهراً اشدظهور ولا يكاد يبقى منه أثر اليوم بعد اندفاع العائلات الشرقية في اثر العائلات الافرنجية • والذين يحكمون ان العائلة السورية والمصرية هي اليوم أسعد منها قبل دخول المدنية الحديثة اليها ينظرون الى السعادة من جهة التعريف (النيتشي) لانهم يرون ان الرجل والمرأة في العائلة الشرقية الجديدة اصبحا اكثر شعوراً بحقوقهما وقوتهما مما كانا يشعران به من قبل واكثر تمتعاً بثروة الدنيا وخيراتها وأشد علماً بالحياة وشؤونها • وهذا الكلام يجرّنا الى (تعريف العائلة) للنظر اليها من هذين الوجهين وبذلك نحيط بجميع اطراف الموضوع

﴿ تعريف العائلة ﴾ العائلة او العيلة في اللغة زوجة الرجل واولاده • ونحن

نضيف الى هذا التعريف « ومنزله » فانه ليس بعجيب من العرب القوم الرحل ان يهملوا ذكر (المنزل) لان منازلهم كانت ضعيفة متنقلة ولئن كانوا يربون فيها رجالاً ويستميتون في الدفاع عنها • اما اليوم (ففن تدبير المنزل) مساو في الاهمية لفن تربية الزوجات والاولاد

فالعائلة اذاً تتألف من اربعة عناصر

(١) الزوج

(٢) الزوجة

(٣) الاولاد

(٤) المنزل

ونحن نلقي الآن على كل من هذه العناصر الاربعة نظرًا سريعًا لنرى أهو اليوم عندنا اسعد حالاً مما كان من قبل ونجعل نظرنا اليه من جهة التعريفين معًا . اي من جهة تعريف الروحيين للسعادة ومن جهة تعريف نيتش لها على ما تقدم .

نبوغ واختلال

او

رواية قان (١)

تعريب « احد الكتاب المجيدين »

هو قان Kean نابغة ممثلي الانكليز في القرن التاسع عشر وشمس ملاعب التمثيل وقمرها . وموضوع الرواية بيان ما يرافق نوابغ الرجال من اختلال الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من الحوادث الغرامية والخلاعة التي تدل على حالة ذلك العصر واخلاقه

ولما انتهى بالسيدتين الكلام الى هذا الموضوع دخل الكونت كفلد زوج الكونتس ايلينا . وفي دخوله قال لسكرتيره بصوت رفيع

(١) خلاصة ماتقدم في الفصل السابق ان ايلينا زوجة الكونت كفلد كانت تستعد لاحياء ليلة حافلة في قصرها واذ دخلت عليها صديقتها الكونتس كسويل فدار بينهما حديث طويل ذكرت فيه الكونتس كسويل لصديقتها الكونتس كفلد ان الناس يتحدثون كثيرًا بترددها على ملعب درري لن لمشاهدة تمثيل قان وانهم يؤكدون انها تحبه

ـ ابعث في الحال بهذه الرسائل مع اول سفينة شراعية تقلع من هنا ولا توءخر ارسالها لانها ضرورية

فالتفتت اليه الكونتس ايمي وقالت : اما آن للسياسة الاوروبية ان تترك للكونت كفلد حيناً للراحة ومشاهدة الاصدقاء

فقال الكونت . ان كونت كفلد قد اهمل جميع ملوك اوروبا واخر شوءونهم الى الغد ليتمكن من تخصيص سهرته هذه بالكونتس ايمي كسوبل الجهلة ملكة انكلترا الحقيقية اليوم

فقالت ايمي . انني اتأسف لانني لا اقدر ان اصدق كلمة مما تقول

فقالتِ ابلينا . بل صدقيه يا عزيزتي لانه قال الساعة انه قطع هذه الليلة علائقه بالسياسة

فقالت ايمي . ولكن العادة طبيعة ايتها العزيزة

فقال الكونت . فاذا كنتِ لا تصدقين ما اقول فانني ساقول فيكِ ايتها الكونتس كل ما اريد من كلامِ السوء . فمن البسكِ هذا الثوب القبيح الذي يجعل لقامتكِ منظراً قبيحاً . اخبريني الآن هل تصدقين ما قلت

فقالت ايمي . لا اصدق هذا كما اني لم اصدق ذاك

فقال الكونت . فما تصدقين اذاً

فقالت ايمي . انني اصدق كل ما لا تقول

فضحك الكونت وقال . انني اتأسف لان النساء لا يدرن ازمة السياسة

فقالت ايمي . ولماذا

فقال الكونت . لانهنَّ بارعات في صناعة الجدل ولا يستطيع احد ان يكتم عنهنَّ سرّاً

فغيّرت ايمي الحديث والتفتت الى ابلينا وقالت . ما اجمل هذه المروحة التي في يدك ايتها العزيزة

فقالت ابلينا . انها هدية من البرنس دي غال

فقالت ايمي . اريني اياها

فقال الكونت لايمي . الا يحضر اللورد مويل سهرتنا الليلة

فقالت ايمي . لا يستطيع ان يحضر الليلة لانه يساعد اللورد مويل في زواجه

فقال الكونت . آه لقد اصبتِ . فان اللورد مويل انما يتزوج في هذه الليلة بتلك الفتاة الغنية التي يعتمد على (دوطتها) لاصلاح شوءونه المختلّة . ما اسم هذه الفتاة ايتها

الكونتس

فقالت ايمي : اسمها على ما اظن مس حنه دمبي

فقال الكونت لزوجته ايلينا . نعم هي تلك الفتاة الجميلة التي تجلس في لوج مقابل للوجنا في ملعب درري لن والتي لاحظتِ انها تحضر التمثيل كل ليلة هناك كما انها لاحظت هي ايضاً على ما اظن انكِ تحضرين التمثيل كل ليلة

فقالت ايلينا . عرفتها

فقالت ايمي . على ذكر التمثيل يا حضرة الكونت اخبرك انني سألت الكونتس مكاناً في لوجها عند اول مرة يمثل فيها ڤان . فانهم يقولون انه ممثل عظيم ونابغة من النوابغ

فضحك الكونت وقال اتريدين مشاهدته

فقالت ايمي . انني شديدة الرغبة في مشاهدته من مكان قريب منه . ولوحكم على المرسح فاذا جلستُ فيه فلا تفوتني حركة من حركاته ولا لائحة من لوائح وجهه

فقال الكونت . طيبي نفساً ايتها الكونتس فانه يسرني ان اخبرك انني سابلغك ما تحبين . فانني ساريكِ ڤان من مكان اقرب من لوجي اليه

فقالت ايمي . احقاً تقول . واين هذا

فقال الكونت . على مائدتي هنا فانني دعوته الى سهرتي في هذا المساء

فبغتت ايلينا وقالت . كيف فعلت هذا يا سيدي دون ان تسألني عنه

فقالت ايمي مدهوشة ايضاً . انك دعوت ڤان ؟

فقال الكونت . وما المانع من دعوته فان ولي العهد يدعوه الى منزله . فضلاً عن اننا انما ندعو اناساً كهؤلاء الناس للمزح والمطايبة . فاننا سنجعله يمثل لنا احد الفصول ونتسلى

فقالت ايلينا وقد زادت دهشتها . ولكنني اسألك مرة ثانية يا سيدي كيف فعلت هذا دون ان تسألني عنه

فقال الكونت . كان مرادي مباغتة ولي العهد بهذه الدعوة زيادة في استمالته لان تعليمات حكومتي تقضي عليّ باستمالته ومجاملته . ولقد بحثُ بسري قبل اوانه فهل تقولون بعد الآن انني سيامي

وهنا دخل احد الخدم يحمل كتاباً وقال .

حقوق العمال واصحاب المال

توزيع الثروة

نبذ اقتصادية وهي تتمة البحث في التساوي والتفاضل

لجناب نقولا افندي الحداد

وعدتُ قراء الجامعة الكرام بتتمة البحث في « التساوي والتفاضل » من الوجهة الاقتصادية . وقد ارجأْت وفاء الوعد الى ان انتقلت من عالم المدنية القديم الى العالم الجديد لكي اطلع على اهم ما كتبه علماء الاقتصاد المحدثون بهذا الموضوع لان مدينة مثل نيو يورك غنية بكل شيء لا بد ان يعثر المطلع فيها على كل ما يتمناه من المؤلفات . ولهذا قصدت الى بعض مكاتبها العمومية — وهي من فضل سيادة المبدإ الديموقراطي هنا عديدة وطافحة من الكتب في كل فن ومطلب والناس يتوافدون اليها مستعيرين من كتبها مجاناً ورادّين — قصدت الى بعض تلك المكاتب واطلعت على ما كتبه ووكر وآبوت وآدم سمث وهنري جورج وغيرهم ثم رجعت الى نفسي وعانيت الخوض في لجة هذا الموضوع العميقة

تساؤُل الجمهور

الناس كلهم ولا سيما عامتهم متفقون على تساآلٍ واحد وقد تحيروا في امر الجواب عليه وهو ان غنياً مثل ركفلر او كارنجي مثلاً يجمع في حياته ثروة لو توزعت على مئة الف نسمة او على عائلات مدينة واحدة مثل مصر مثلاً لكان كل رب عائلة صاحب ثروة ولعدَّه الناس غنياً — في حين ان مئات الالوف من البشر يتعبون ويشقون ولا يكادون يحصلون على بلغة تسد الرمق . فهل بذل ركفلر من القوى العقلية والبدنية مليون ضعف ما بذله العامل ؟ وان لم يبذل في حياته من القوى اكثر مما بذله عشرة عمال او مئة او الف عامل فما السر في انه جمع من الثروة ما لم يجمعه مليون من العمال . وهب ان الفرق بينه وبين العمال الذين يشقون لكي يحفظوا بقاءهم في حدة الذكاء فما هذا الذكاء الذي يجعل قيمته مليون ضعف من قيمة العامل . وهل هو حقيق انه لا يوجد بين الانام الذين لم يثروا افراد يساوون ركفلر في ذكائه . وان كان يوجد مثله اذكياء كثيرون فلماذا لم يثروا اثراءه مع ان كل الانام ساعون وراء المال ؟ وسواء كانت اسباب هذا التفاوت او التفاضل في الثروة بين

ركفلر وسائر العمال اقتصادية او اجتماعية او شرعية فهل هي حق ؟ — هذه الاسئلة وامثالها يتساءلها عامة الناس وهم حيارى لا يدرون اسرارها . وربما اثارت الحيرة غضب بعضهم فنقم على الاغنياء يريد ان ينتزع منهم هذه الثروة ويوزعها على افراد البشر لان الاغنياء جمعوها من تعب العمال الفقراء

ولا بدع ان يحكم المتأمل ان هذا التفاوت المالي غير عادل لان ركفلر او غيره من الاغنياء لم يستطع ان يجمع تلك الثروة الطائلة لو لم يشتغل بها العمال بل انه لولا عمل العمال لما استطاع هو او غيره من اهل المال ان ياكلوا رغيفاً من العيش . وبالاجمال يقال ان ثروة البلاد عموماً هي نتيجة فكر ازكيائها وعمل عمالها ولذلك يحكم الضمير بالبداهة بوجوب توزيعها على الانام بالنسبة الى القوى التي بذلوها في تحصيلها

﴿ تناظر ثلاثة ﴾

— الاقتصادي والحقوقي والاجتماعي —

ولا يخفى على القارىء اللبيب ان موضوعاً كهذا يُنظر فيه من ثلاثة اوجه على الأقل

﴿ الوجه الاول ﴾ — ما السبب الذي اوجب هذا التفاوت المالي حتى يستفحل زيد في غناه فيجمع الملايين ويعيش متنعماً في حين ان عمراً يكد ويكدح اكثر منه ومع ذلك يكاد يقنع بالبقاء حياً ولو في شقاء . فان كان سبب ذلك ان « المال يجرّ المال » اكثر مما يجرّه العمال فمن اين للمال هذه القوة العجيبة التي تفوق قوة العمال مع انه ليس الاّ معدناً اصم اخرس او ورقاً لا قيمة اصلية له . وهذا الوجه من خصائص الاقتصادي الذي ينظر الى الامور المالية كما ساقتها طبيعة العمران تحت ادارة القوانين المدنية والسياسية وتحت فاعلية ناموس التنازع وعليه لا ينسب للقوة الاقتصادية العاملة في السياسة المالية شيئاً من العواطف والاحساسات اي انه لا يسلم ان للناس عاطفة الرفق والتسامح في التعامل بل يفرض ان ما يسمونه تعاوناً لا يقصد به ان يساعد الانام بعضهم بعضاً بل ان يتبادلوا النفع وكل منهم يجتذب من المنفعة الى نفسه ما استطاع . فاذا قلت له ان عمال السكة الحديدية يتعبون و يشقون فلماذا يتقاسم المساهمون في شركتها القسم الاعظم من دخلها مع انهم لم يشتغلوا شيئاً فيها قط وربما لم يطأْها بعضهم البتة ولا عرف شيئاً من ادارتها . قال

لك ان المساهمين متمولون فاذا لم يدفعوا المال لا تنشأ السكة الحديدية واذا لم يكن لاموالهم ربح يرضيهم فلا يدفعونه لانشائها مجازفين به ولماذا يدفعون المال مجاناً لمشروع ما؟ انهم يستوفون ربحاً جزاء حرمانهم انفسهم التمتع بذلك المال اذا لم يدفعوا المال لا تنشاء السكة الحديدية فلا تعمر البلاد ولا يزداد الربع وتتوفر الثروة . واذا قلت له سلمتُ ان ثروة البلاد لا تزيد وريع الارض لا يتوفر اذا لم تنشأ السكة الحديدية بمال الاغنياء ولكني ارى ان ما يزداد من الثروة يتسرَّب معظمه الى جيوب الاغنياء ولا يصيب العمال الفقراء الا الجزء اليسير منه فما الفائدة للجنس البشري من ازدياد الثروة على هذا النحو . قال لك ان الغاية الاقتصادية هي ان تزداد ثروة البلاد بأي الطرق او ان يستخرج البشر ما يستطيعون استخراجه من خيرات الطبيعة ولا فرق في ان يستولي على تلك الخيرات الاغنياء وحدهم او الفقراء معهم . واذا شئت ان تطالب باقتسام الثروة بانصاف فطالب قوانين الحكومة واستعن على ذلك بمبادئ الاجتماعي لانها هي التي توحي للمشترع المنصف نص القانون والشريعة

﴿ الوجه الثاني ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر منطبقة على القوانين المدنية والنظامات المحلية والسياسات الدولية او انها مخالفة لها . وهذا الوجه من خصاص الحقوقي وهو يفرض ان القوانين عادلة فاذا تسنى لزيد ان يثري حتى تصبح ثروته مليون ضعف ثروة عمر ومن غير ان يخترق القانون او يدوس الشريعة فله ذلك بل اذا قدر ان يتمتع بتعب زيد وعرق جبينه من غير ان يخالف القوانين فله ذلك . فاذا قلت له ان صاحب المعمل اغتنم فرصة فاقة العمال وشدة حاجتهم فاستخدمهم بنصف الاجرة المعتادة قال لك انه حرٌّ في ان يعرض عليهم الاجرة التي يريدها وهم احرار في ان يشتغلوا او لا يشتغلوا . وان قلت له ان المرابي اغتنم فرصة فاقة الفلاَّح واقرضه برهن ولكن اتفق معه على ان يدفع له تسعين ويحسبها مئة وحسب عليه الفائظ القانوني ٩ فاصبحت الفائدة ١٩ قال لك ما دام الصك ينص على انه اقترض مئة بفائدة ٩ فقط فالقضاء يوجب عليه ان يدفع المئة وفائظها وان كان لم يقبض من الدائن سوى التسعين والاَّ فلماذا رضي بهذه المراباة ووقَّع على الصك

﴿ الوجه الثالث ﴾ — هل ان الطرق التي يتعامل بها البشر والطريقة التي بها يتقاسمون الربع الذي يشتركون كلهم في تحصيله حق ؟ وهذا الوجه من خصائص الاجتماعي الادبي وهو يفرض ان كل افراد الهيئة الاجتماعية افراد عائلة واحدة يشتغلون معاً باجتهاد

متفاوت وقوى متفاوتة لان اشتراكهم بالعمل يضاعف المكاسب ولهذا يجب عليهم ان يكونوا منصفين في الاقتسام بحيث يصيب كل واحد منهم جزاء تعبه . فاذا قلت له ان ركفلر لم يتعب في الهيئة الاجتماعية مليون ضعف تعب العامل فلماذا تكون ثروته مليون ضعف من ثروة هذا قال لك العيب في القوانين المدنية ونظامات الحكم فعلينا ان نصلح هذه النظامات لكي نردّ الذئب عن الغنم – علينا ان نعملها بشرط ان لا نعرقل سير العمران ولا نوقف مجرى التقدم المالي

فترى ان الاجتماعي افضل من الآخرين لانه يسند قوله الى حكم محكمة الضمير و يبتغي تعميم الخير للجنس البشري كله وتعادل الناس في الهناء بالنسبة الى اجتهادهم ومواهبهم . وفي هذه العجالة اجتهد ان اجمل الثلاثة حول الموضوع

﴿ مصادر الريع ومتقاسموه ﴾

افرض ان رجلاً نبيهاً نشيطاً خطر له ان يشتغل بزراعة القطن فذهب الى صاحب حقل فسيح واستأجره منه الى بضع سنين على شرط ان يفيه الاجرة عن كل عام في نهاية الموسم . ثم ذهب الى متموّل واستدان منه مبلغاً من المال لكي يشتري البذار والبهائم والعدد على شرط ان يوفيه في نهاية الموسم ثم استأجر الفلاحين والعمال لكي يشتغلوا في الارض تحت امرته على شرط ان يستوفوا اجرتهم في نهاية الموسم ايضاً

ولما نضج القطن وجمعه جاء صاحب الارض واخذ منه قسماً يساوي اجرة الارض عن ذلك العام . ثم جاء الدائن واخذ من القطن قسماً يساوي ماله وفائدته . ثم جاء العمال واخذوا من القطن ما يساوي اجرتهم والباقي كان جزاء صاحب المشروع او ربحه وان كان القطن لم يكف ذوي الحقوق من صاحب الارض والدائن والعمال نازعوه والزموه ان يوفي من ماله الخاص ان كان عنده مال

والغاية من هذا الافتراض الكثير الوقوع كل يوم على صور مختلفة في جميع دوائر العمل واصنافه هي ان يعلم القارىء ان الذين لهم ايد في تحصيل الريع وبالتالي لهم حقوق فيه هم اربعة اصناف :

١ – اصحاب الاراضي ولهم اجرة الارض وربما سمّيت « المرابعة » تساهلاً

٢ — اصحاب الاموال ولهم فائدة اموالهم

٣ — العمال ولهم اجرتهم اليومية او ماهياتهم الاسبوعية او الشهرية

٤ — اصحاب المشروعات ولهم ارباح المشروع

ولا يندر ان يجتمع صنفان او ثلاثة او اربعة في واحد فكثيرًا ما يكون صاحب المشروع هو صاحب المال كالتاجر الذي يتاجر بماله من غير ان يستدين او كالمزارع الذي يستأجر الارض وينفق على المزرعة فيها من ماله . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع والمال ايضاً فيدير زراعة ارضه بنفسه من غير ان يؤجرها . او كالتاجر الذي يتاجر بماله وحانوته في ملكه . وقد يكون صاحب الارض صاحب المشروع وصاحب المال والعامل معاً كاسكاف القرية الذي يشتغل وحده في غرفة من منزله ويشتري الجلود والادواة من ماله

ولكن لا يغرب عن فطنة القارىء انه ولو اجتمع اصناف القائمين بالعمل في شخص واحد كالاسكاف الذي يمثل بنفسه صاحب الارض وصاحب المشروع وصاحب المال والعامل فان نصيب كل صنف يبقى متميزًا عن انصبة الباقين فذلك الاسكاف مثلاً اذا لم يكن منزله ملكه اضطر ان يستأجر دكانًا ويدفع من اصل كسبه اجرتها واذا لم يكن ذا مال ليشتري جلودًا وادوات لصناعته اضطر ان يستدين من غيره لهذه الغاية ويدفع من اصل كسبه فائدة ذلك المال واذا لم يقرضه احد لعدم الثقة به ولم يكن حسن التدبير بحيث لا يستطيع ان يشتغل مستقلاً اضطر ان يشتغل عند غيره من صانعي الاحذية باجرة زهيدة وبالطبع لا يستخدمه احد ما لم يطمع بربح جزاء حسن التدبير الذي اتاه في سبيل تشغيله عنده . فترى مما تقدم ان الاسكاف الذي يشتغل في محل هو ملكه ويشتري بماله المواد اللازمة له يجمع من صنع الاحذية نصيب صاحب الارض ونصيب المرابي ونصيب صاحب المشروع الذي يحسن التدبير ونصيب العامل

ولا يخفى على الفطن المستبصر ان ما اقتضاه ارتقاء العمران من تنوع الاشغال وتوزعها على العمال بحيث صار الرغيف لا يصل الى يد الآكل ما لم يمرّ على يد الزارع والتاجر والطاحن والخابز والبائع — قضى في كثير من الاعمال ان يتشخص الاصناف الاربعة الآنفة الذكر ويتميزوا كل صنف في افراد اخصاء . بل قضى بان يتنوع كل صنف منهم تنوعات مختلفة

وفي النبذات التالية ابحث في كل صنف منها على حدة وابين ما يصيبه من لريع الذي يشترك فيه مع البقية

جبل الطور

«الذي تجلى عليه المسيح»

جبل الطور . طور طابور . جبل التجلي . هو جبل جميل مخروطي الشكل قائم في السهل كتمثال عظيم في ساحة فسيحة وارتفاعه الفان وثمانية عشر قدماً وهو مركب من طبقات صخرية كلسية تغطي اقساماً منها تربة حمراء في بعض الاماكن عميقة ويغطي بعضه شجر البلوط الذي تتفيأ اغصانه طيور السماء . ويستر البعض الآخر انواع من نبت الشيح الجميل . فالناظر اليه والى حرمون الكبير الشاهق القائم قبالته عند الافق لا يلبث ان يردد ما قاله داود النبي (طابور وحرمون باسمك يهتفان) ولا يعجب من قوله تعالى بلسان ارميا ص ٤٦ عـ ١٨ (حي انا يقول الملك رب الجنود اسمه كطابور بين الجبال) والراقي اليه ينشرح صدره بمناظره الجميلة الشاسعة وتنتعش نفسه بروائح ازهاره الربيعية الزكية وتطرب مسامعه بانغام الطيور الشجية التي تمثل مظاهر الطبيعة فيخال له انه راقٍ من عالم الشقاء الى سماء السعادة الخيالية ويتمنى ما تمناه بطرس من الاقامة في ذلك الوسط الشعري السعيد ولو في مظال يقطع اخشابها بيديه ويظللها بما توفر لديه . فان تلك الحالة المدهشة انسته ما كان يلاقيه من اكرام الناس له وحفاوتهم به وانسته آماله ببلوغ مراتب السيادة والسعادة التي كان يرجوها من نفوذ سيده في الشعب . ولا غرو فقل من يرقى الى طور طابور ولا يسحره ما سحر بطرس من اجتماع غرائب الطبيعة في هذا الجبل

☼ تاريخه ☼ كانت على سطحه مدينة حصينة صعبة المرتقى تدعى طابور (اخبار الايام الاول ص ٦ عـ ٧٧) وقعت في قرعة زبولون . اتخذها باراق ودبورة معسكراً لهما فجمعا جيشهما ورتباه فيها في مامن من غدر العدو وهجماته وانحدرا منها الى السهل لمحاربة سيسرا رئيس جيش يابين ملك كنعان الذي لاقاهما من حروشة الامم الى طرف سهل يزرعيل الشمالي . وهناك التحم الجيشان واعتركا اعتراكاً شديدا فانهزم الكنعانيون من

حول سيسرا فلم يعد يستطيع الثبات فترجل وفرّ متخفياً حتى جاء بيت باعيل امرأة حابر القيني الذي كان مخيماً في سفح الكرمل بجانب نهر قيشون . فاستقبلته باعيل بالاكرام ووعدته بالحماية فدخل وامن لانه كان مواليًا لزوجها واعطته لبنًا بدل الماء ليشرب وانتظرته حتى نام فقتلته وخانت بذلك عهد الولاء وحقوق الضيافة المقدسة بين قبائل البلاد العربية الى يومنا هذا . فبدل ان يقتلها باراق ودبورة بخيانتها هذه افتخرا بها وباركتها دبورة على النساء كما هو مذكور في الاصحاح الخامس من سفر القضاة . ان هذه مسألة فيها نظر

وقد دعا كتبة اليونان والرومان هذه البلدة اتابيريون Atabyrion وحاربها انتيوخوس الكبير واستولى عليها بالحيلة وفي سنة ٥٣ للمسيح حاربها غابينوس الروماني وقتل عشرة آلاف من اهلها وهدم اسوارها فاعاد بناءها يوسيفوس وحفر حولها الخنادق ولكن الرومان حاربوها تحت امرة فسباسيانوس وجروا حاميتها بالحيلة الى السهل وبطشوا بهم واستولوا على المدينة بعد ذلك ودمروها ولم يعد يُعرف منها شيء حتى ايام يوسيبيوس وجيروم . ولقد ذكر انطونيوس الشهير في القرن السادس الكنائس الثلثة التي بنيت هنالك تذكاراً للمظال التي اشار اليها بطرس في الانجيل وذكرها اركولفوس ايضاً في القرن السابع وساولف في القرن الثاني عشر . وفي سنة ١١٨٣ هاجمت فرقة من جنود صلاح الدين الاديرة هنالك فصدّها الرهبان بمعاونة من كانوا مختبئين عندهم من الاهالي . وفي سنة ١٨٨٥ يقول فوكاس ان جيوش صلاح الدين خربت ديري الروم والكاثوليك الذين كانا على الجبل . اما الملك العادل فبنى قلعة على الجبل نكاية بالمسيحيين هاجمتها جيوش النصارى في سنة ١٢١٧ دفعتين وارتدت عنها

وعلى سطح الجبل الان دير للروم الارثوذكس واخر للكاثوليك وكنيستان للطائفتين . ولم يزل كثير من اثار السور والخندق ظاهراً للعيان . وبقايا الكنائس الثلاث التي اشار اليها انطونيوس الشهيد موجودة ضمن دائرة دير الكاثوليك وفي دير الروم قطع حجارة حفر عليها باللغة العربية تواريخ من زمن الملك العادل . ولقد قال الارشيمندريت مكاريوس الذي كان رئيساً لدير الروم انه اكتشف مغارة كبيرة على مقربة من الباب الخارجي المؤدي الى الدير كان مرسوماً على جدرانها صورتان كبيرتان هما (كما فهم من كتابة بجانبهما) صورتا ابرهيم وملكي صادق . هكذا يقول وهو يزعم ان هذه المغارة هي التي لجاء اليها ملكي صادق كما تقدم في مقالتنا عن بيت المقدس

في مجلة الجامعة العدد الثالث لسنتها الرابعة · وقد طمست هذه الصور بتاءثير الرطوبة والهواء · والله اعلم بامرها

﴿ اين مكان جبل التجلي ﴾ ان الكنيسة المسيحية الشرقية تعتقد منذ بداية القرن الخامس بان هذا هو الجبل الذي ظهر مجد السيد عليه لتلاميذه بالتجلي على ما ورد في الاصحاح التاسع لمرقس · ولا ريب في ان الكنيسة الشرقية تلقت خبر هذه الحادثة بالتواتر عن المسيحيين الاولين الذين كانوا يحفظون مثل هذه الاخبار المهمة على صفحات قلوبهم بدل صفحات الكتب ويسلمونها بعضهم لبعض من جيل الى جيل حتى قام يوسيبيوس وجيروم اشهر كتبتهم فدونوها في بطون التواريخ · وقد قبلتها منهم الكنيسة الكاثوليكية بدون ادنى مخالفة مع ما هو معلوم من الخلاف الواقع فيما بين الكنيستين على امور كثيرة مهمة · وبقي هذا الاعتقاد سائداً ومسلماً به من جميع العالم المسيحي الى عصرنا هذا اذ اعترض عليه بعض كتبة البروتستانت وفي مقدمتهم روبنصن Robinson المشهور الذي حاول استبدال هذا الجبل بجبل حرمون الكبير مستنداً في تقريره الى ما ورد في العدد السابع والعشرين من الاصحاح الثامن لمرقص من ان السيد المسيح كان في ذلك الاثناء في نواحي قيصرية فيلبس الواقعة في اسفل جبل حرمون · غير ان هذا البرهان لا يكفي وحده لاثبات حقيقة كهذه وافساد اعتقاد الكنيسة الشرقية المؤسس على تقارير قديمة محفوظة منذ القرون المسيحية الاولى لا سيما وان كتبة الانجيل لم يدققوا في اسفار المسيح ولا اهتموا بتعيين الازمنة لان ذلك كان خارجاً عن غرضهم الديني · فيستدل من ذلك ان اعتراض روبنصن على هذا المكان وعلى كنيسة بيت لحم وغيرها من الامكنة التي لا يرتاب المدقق في صحتها انما كان يقصد به استلفات الانظار الى كتاباته واكتساب الشهرة (كذا) بالمخالفة

طبريا نجيب نصار



الشيخ جمال الدين الافغاني



الشيخ محمد عبده

محمد عبده والافغاني

رغب الينا كثيرون من قرآء الجامعة ان ننشر لهم رسمي الشيخ جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده . فنشرناهما في هذا الجزء . ونغتنم هذه الفرصة لنقول كلمة في ما نشرناه في الاجزاء السابقة بشأن هذين العلامتين

كتب الينا حضرة وكيلنا في طنطا (مصر) كتاباً يقول فيه ان احد تلامذة جمال الدين الافغاني ومريديه من اخواننا المصريين قال له بعد اطلاعه على المقالات التي نشرناها بشأن جمال الدين الافغاني : انني كنت تلميذاً للشيخ جمال الدين ومن المعجبين به . وعندي رسم له حين كان في شبابه . فبعد اطلاعي على مقالات الجامعة بشأن مبادئه وفلسفته صغر في عيني وما عدت اريده استاذاً لي . وهذا رسمه الذي احفظه عندي كأثر مقدس ادفعه اليك لتبعث به الى الجامعة

فلما قرأنا هذه الفقرة رأينا انه يجب علينا ان نقول كلمة في هذا الشأن . فانه يُفهم منها ومن انتقادات لبعض صحف مصر ان غرض الجامعة مما نشرته كان (تصغير) الافغاني والحط من منزلته . ولكن معاذ الله ان يكون هذا الغرض غرضها . اننا لا نجهل ما يجب على المتأخرين من الاحترام والرعاية للمتقدمين . واذا لم يكن لهم من فضل سوى انهم كانوا اول من وضع حجارة الاساس في بناء الشرق الجديد فكفى بذلك فضلاً لهم يوجب علينا احترامهم والاعتراف بجميلهم أصابوا ام اخطأوا . اذ في هذه المسألة كما في جميع المسائل الادبية والعلمية والاجتماعية انما العمدة على سلامة النية

فعليَّ ان أسعى وليس عليَّ ادراك النجاح

واذا كان الافغاني قد اخطأ في ادارته (دفة) امته وأمم الشرق معها فحسبه انه كان اول استاذ للنشاط والحماسة والنهوض في الامة المصرية والسورية

في عصر كانت فيه الحمية خامدة والعقول جامدة والنفوس باردة والهمم قاعدة

قال الفيلسوف رنان في كتابه (القديس بولس) حين مقابلته بين المسيح و بولس ما خلاصته : يقولون ان بولس هو الذي نشر الدين المسيحي في اقطار الارض وانه صاحب الفضل على غيره في بقائه الى اليوم • ولكن الحقيقة ان الفضل للمؤسس المبتكر• وهذا المؤسس وان لم يفعل شيئاً سوى رسم الخطة الاولى وايحاء المبادئ الاصلية التي تبني عليها تلك الخطة فانه يبقى معدوداً صاحب الفضل الاول

وهكذا تقول في الافغانيُ وكل من جاء بعده وفي جملتهم الاستاذ محمد عبده• فانه اذا كان محمد عبده قد فاق استاذه الافغاني في المنزلة العليا التي نالها في الهيئة الاجتماعية فانه لم يفقه بالعلم وسعة الاطلاع واصالة الرأي — فان كل هذه امور قلما يبلغ بها المرء في الدنيا منصباً رفيعاً • وانما فاقه (بالسياسة) فان الاستاذ رحمه الله كان داهية من دواهي الدهر في سياسة الافراد والجماعات فلم يكن احد يدخل عليه او يتعرف اليه كبيراً او صغيراً الا ويخرج من عنده راضياً • فبينه وبين جمال الدين الافغاني ما بين الفيلسوف النفعي والفيلسوف الايدياليستي على ما ذكرناه في الجزء الرابع • فقد كان جمال الدين متحمساً لمبادئه لا يقبل فيها جدالاً ولا اعتراضاً • شديداً عجولاً في طلب الوصول اليها غير مجامل ولا متسامح في سبيلها • واما الاستاذ الشيخ محمد عبده فقد عرف ان التصلب والجمود لا يفيدان شيئاً وانه خير للشجرة ان تحني اغصانها تحت الزوبعة لتمر عليها بدل ان تتصلّب وتقف في وجهها لتكسرها

وقد جرّنا الكلام هنا الى الشيخ محمد عبده فعلينا ان تقول كلمة في الفصول التي نشرتها الجامعة بشأنه بعد ان قلنا كلمة في الفصول التي نشرتها بشأن الافغاني

ورد في احدى رصيفاتنا في البرازيل ورصيفة عربية في الهند واثنتين من الجرائد المصرية وعدّة رسائل خصوصية وردتنا من مصر — مؤاخذة وعتاب

لان الجامعة نشرت ما نشرته بشأن الاستاذ . وقال لنا الاخ تقولا افندي حداد بعد وصوله الى نيويورك انه حين كان في مصر لم يكن احد من ادبائها يقابله الا ويذاكره في تلك الفصول . وكتب الينا حضرة وكيلنا في الاسكندرية انه حين وصول الجامعة الى الاسكندرية لم يكن لادبائها حديث الا في هذا الشأن . وان كثيرين من وجهاء المصريين وافاضلهم لاموا الجامعة لتعرّضها لهذا الموضوع

فالحق ان هذه الزوبعة من أجل لا شيء قد ساءتنا جدًّا . وانما ساءتنا لانها دلت على ان اصحابها لم يريدوا ان يدركوا غرضنا مما نشرناه . وكل ما وجدوه هو ان رجلاً كبيراً مات والجامعة قامت بعد موته تذكر عنه شيئاً لا يسرّه ولا يسر مريديه . وانتقادهم هذا يدور على امرين . الاول نشرها الرسائل التي دارت بينها وبينه . والثاني قولها عن المنشور الذي خُتمت به مناظرته مع الجامعة بشأن ابن رشد وفلسفته

ولم نجاوب على اعتراضاتهم قبل الآن لاننا أردنا ترك الزوبعة تمرّ وتسكن . فنجيب الآن

اننا نشرنا رسائل الاستاذ لانها من رجل كبير عمومي بلغ اسمى المنازل في الهيئة الاجتماعية الشرقية . وللناس الذين يحملون الرجال العظام العموميين على اكتافهم في حياتهم ولا يرون منهم الا ظواهرهم من حقهم ان يروا بواطنهم بعد مماتهم . فانك اذا اردت ان تعرف تاريخ حياة رجل وتحلل آراءه والعناصر التي رُكبت منها نفسه فلا يجب ان تكتفي بما ينشره بين الناس بل يجب ان تتعقبه في جميع اطوار حياته وتتبع افكاره وآراءه حتى في ابعد الزوايا وأعمقها . وانك لتجد احياناً في رسالة خصوصية يكتبها على غفلة منه ما لا تجده في كتاب ضخم ينشره بين الناس فيما يدل على اخلاقه وحالة نفسه . انه في منشوراته العمومية يظهر كما يجب ان يكون ولكنه في رسائله الخصوصية يظهر

كما هو • ولذلك تُعد رسائله الخصوصية في جملة حياته العمومية • وهي ملك لجميع الناس

لما مات فيكتور هيغو قام الكتاب من كل صوب ينبشون حياته • فقصوا صغائرها وكبائرها حتى حبه لممثلة وسكوت زوجته عن هذا الحب مع معرفتها به • ولما توفي ايبسن في العام الماضي قاموا ينشرون له رسائل خصوصية كتبها في شيخوخته قبيل وفاته الى فتاة جميلة كانت تحبه حباً شديداً لقراءتها رواياته وكان في كتبه يفرّ منها • وفيها ما يدل على انه بدأ يحبها ولكنه كان يخشى عاقبة هذا الحب • ومذكرات البرنس دي هوهنلوه نُشرت منذ ثلاثة شهور وفي بعضها كلام مهين في حق الامبراطور غليوم حتى من امه • والجامعة بحمد الله لم تنشر شيئاً مهيناً في حق الاستاذ الجليل رحمه الله ولا يمكن ان تنشر شيئاً مهيناً في حق ايّ شخص كان • وقد وضعت في مقدمات تلك الفصول الاستاذ في منزلة الرجال العظام الذين يحق للمشرق ان يفخر بهم اذ ليس فيه اعظم منهم • ولكننا نحن الشرقيين كما ذكرنا في فصل سابق قد اعتدنا الغلو والاختلال في كل شيء • وعلى كل شيء نحكم (بعواطفنا) لا بعقولنا • واعتيادنا عبادة الملوك والامراء والكبراء والوجهاء يجعلنا نعد جناية وتهجماً عمل كل من يريد الدنو منهم لمشاهدتهم من مكان قريب والحكم عليهم كما هم دون تزلف ولا تحامل لا كما يريدون ان يظهروا للناس • ومع ذلك فان الشرقيين يروون وينشرون كل يوم عن اعاظم الغربيين وامرائهم وعلمائهم نقداً يطير الفراخ ويُصم الصماخ • أفليس هؤلاء بشر ويجب علينا احترامهم احياء وامواتاً كما يجب علينا احترام رجالنا • ام الآداب والشهامة تقضي باحترام القريب دون الغريب • وان رجلاً كالاستاذ رحمه الله في غنى عن دفاع ايّ شخص كان • فان بعض الكبار اذا دنوتَ منهم وفحصتهم ملياً وجدتهم صغاراً • ولكن محمد عبده قلما يخسر شيئاً اذا دنوت منه وفحصت نفسه ملياً

ولعل السبب في سوء ظن بعضهم في ما نشرته الجامعة بهذا الشأن

ان الناس اعتادوا ان لا يروا مدحاً او ذماً في احد الا ورأوا للمادح والذام غرضاً خصوصياً . والجامعة لا تبرئ نفسها من هذه التهمة لان قراءها الذين لا غرض لهم يعرفونها

بقي الامر الثاني وهو (المنشور) الذي ختمت به المناظرة . فقد توهم بعضهم ان هذا المنشور يحتوي على كلام مهين في حق الاستاذ ولذلك سكت الاستاذ خوفاً من الاهانة . ما شاء الله ؟ . . لقد كنا في غنى عن ايضاح هذه المسألة اعتماداً على حسن ظن القراء في الجامعة وانفةً من الرد على سوء ظن كهذا . ولكنا اثرنا الايضاح للذين سألونا ذلك

ما زال لدينا نسخة من هذا المنشور لمن يريد الاطلاع عليه ليتحقق انه لا يحتوي على كلمة تسوء الشيخ محمد عبده . وخلاصته الرغبة اليه في انهاء المناظرة واثناء من يلوذون به عن التحامل على الجامعة والمطاعن والمسبات التي كانوا يوجهونها اليها . فان لم يفعل الاستاذ ذلك اعتقدت الجامعة ان الاستاذ راضٍ عن تلك المطاعن والمسبات وانها تُنشر بموافقته فيصبح الامر بينه و بينها لا بينها و بينهم . والمنشور مكتوب للاستاذ باحترام لاننا فضلاً عن احترامنا الشخصي له نحترم فيه منصب الافتاء العالي

هذا ما رأينا الآن نشره ليكون تتمةوايضاحاً لما تقدم نشره في الاجزاء السابقة .



درس في المدنية الاميركية

الخطر على اميركا
من اربعة امور
كتاب لعالم فرنسوي ساح في اميركا

نرى عظمة اميركا وغناها الذي جاوز الحد فتدهشنا ثروتها وحالتها . ويخيل لنا ان ان هذه العظمة والثروة مطردة ستبلغ منتهاها وانه لا حائل يحول دون نموها . ولكن هذا النظر نظرٌ قاصر لانه يجب البحث في اساس تلك الثروة والعظمة والنظر في الوسط الجديد الذي انتقلت اليه والذي يتغير عاماً فعاماً للحكم في اطرادها او عدم اطرادها

وقد ساح في اميركا عالم فرنسوي ونشر رأيه في المدنية الاميركية في كتاب ظهر في العام الماضي وكان له دوي في اوروبا واميركا معاً . وخلاصة رأيه ان ثروة اميركا وعظمتها لا تطردان بل ستأخذان في التقهقر في مستقبل الزمان

ومن اقواله انه يجب ان لا نستغرب نهضة اميركا الحاضرة لانها مبنية على اسباب طبيعية وقتية . ومتى زالت هذه الاسباب زالت معها العظمة الاميركية . وهو يقول

(١) ان الولايات المتحدة بلاد بعيدة عن العالم المتمدن فهي مضطرة ان تستخرج من ارضها جميع حاجاتها الغذائية لانها لا تقدر ان تجلبها من الخارج

(٢) انها بلاد زراعية متسعة الاراضي والزراعة فيها من اهم حاجاتها ولذلك تصرف عنايتها الى اتقانها والاثراء منها

(٣) ان الارض فيها تزيد عن حاجات السكان . فلزم عن ذلك انها تضطر الى المتاجرة بحاصلاتها الكثيرة ومن هنا منشاء تجارتها الواسعة

(٤) ان زراعة الاراضي وتعميرها يقتضيان مد السكك الحديدية فيها . ومد السكك الحديدية فيها يؤدي الى قيام بلدان وقرى على ممر السكة وفي المزارع الكبرى . فعن الزراعة والتجارة تلزم الصناعة بحكم الضرورة للتمكن من القيام بالحاجات

(٥) ان الجو باردٌ يدعو الى النشاط والمهاجرون الذين يفدون عليها لا غرض لهم غير جمع المال تشبهاً باهلها . فينشأ عن ذلك نشاط طبيعي في العمل وهو النشاط الاميركي المشهور

(٦) ان الولايات المتحدة بعيدة عن معترك العالم القديم ودوله التي تفني قواها في التسلح والاستعداد للحرب . وليس لها جيران اقوياء ينازعونها البقاء ويمنعون نموها كما تفعل الدول الاوربية بعضها ببعض . بل يداها مطلقتان في العمل لمنفعة شعبها وانفاق امواله في تحسين شؤونه

ذكر الكاتب هذه الاسباب الطبيعة في نمو الولايات المتحدة ثم ذكر اربعة اسباب ستؤدي الى سقوطها في رأيه

﴿ الاول اجتماعي ﴾ وهو فناء نشاطها او ضعفه بامرين . الاول مسألة الزنوج والثاني مسألة المسكرات

اما مسألة الزنوج فهو يرى فيها ان الزنوج ملتفون على عنق الولايات المتحدة كافعى تمتص دماءها . فان زنوج اميركا واجدادهم في افريقيا مشهورون بالكسل والتراخي وعدم النظام . وهذا الكسل والتراخي وعدم النظام قد اخذوا يدخلونها في الدم الاميركي وبذلك يفنون نشاطه . وكيف يدخلونها اليه ؟ انهم يصبونها صباً في نفوس الاميركيين وشرايينهم . فان عدد الزنوج الذين يتزوجون بالبيض قد اخذ يتكاثر تكاثرًا مدهشاً فنشأ من هذا الزواج جيل جديد اسمر لا هو بزنجي ولا هو بابيض . وهذا الجيل الجديد يسهل امتزاجه بالاميركان تزاوجاً وتعاملاً لان الفرق بينهما في السحنة يكاد لا يُرى . ولهذا الجيل الجديد جميع عيوب الزنوج ونقائصهم لانه ورثها من اجداده . ويبلغ عدد ابناء هذا الجيل ملايين من النفوس وهم آخذون في الازدياد . وسيكون عن يدهم فساد الدم الاميركي وفناء نشاطه

واما مسألة المسكرات فليست باقل اهمية . وهي شرّ هادم للنشاط والقوى الحيوانية . ومن راي الكاتب ان اقبال الاميركيين على المسكرات في السنوات الاخيرة نساء ورجالاً سيؤدي الى ضعف النشاط في اولادهم وبذلك يزول اعظم مزاياهم .

﴿ الثاني دستوري ﴾ وهو يعني بهذا السبب انقسام الولايات المتحدة الى ولايات مستقلة بعضها عن بعض . فيقول ان لكل واحدة من هذه الولايات مصالح خصوصية تخالف مصلحة الاخرى وفي كل منها ساسة طامعون واحزاب . فسيأتي يوم تحتك فيه مصالح هذه الولايات واطماع ساستها فلا يفض النزاع بينها حكم غير حكم السيف . وان اتحادها الآن اتحاد ظاهري لا باطني

﴿الثالث سياسي﴾ وهو النزول في احدور الاستعمار. فان الولايات المتحدة اصبحت مضطرة بعد دخولها في ميدان الاستعمار ان تنفق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة على تسليح بلادها وتعبئة جيش عظيم وانشاء اسطول قوي . ونهوض دولة كاليابان تنازعها السيادة والسلطة في الاوقيانوس الباسيفيكي مما يغير وسطها السياسي و يهدم سور عزلتها الماضية . ولذلك ستدخل في طور تبديد الاموال وتبذيرها على التسلح وتلهو عن اصلاحاتها الداخلية

﴿الرابع اقتصادي﴾ وهو من الاهمية بمكان . فان الصناعة والزراعة والتجارة اس عظمة اميركا . واس هذه الفنون الثلاثة العمال . وقد بدأت المبادىء الاشتراكية تنمو في الولايات المتحدة وكثر فيها عدد المحرضين على اصحاب الاموال والمنبهين للعمال ان يطالبوهم بنصيب من ثروة اميركا اوفر من نصيبهم الحالي

وفي كل امة تقوى فيها الصناعة والتجارة والزراعة تقوى فيها سلطة العمال . فمتى انفتحت عيون العمال وقاموا يناهضون اصحاب الاموال كما يفعلون في اوروبا تأخرت في اميركا الصناعة والزراعة والتجارة تأخرًا عظيماً . ان لم نقل انهم يحدثون ثورة تهدم العمران

هذه خلاصة راءي هذا السائح . وللقارىء اللبيب ان يحكم فيه . ولعله لم يخطىء محجة الصواب في كثير منه

الى

حضرات قراء مجلة الجامعة

﴿الجامعة اليومية﴾ صدرت الجامعة اليومية في اول السنة الجديدة طبقًا لما اعلناه لقراء الجامعة في الجزء التاسع والعاشر . وقد استقبل القراء الجامعة اليومية احسن استقبال وانتشرت في جميع الاصقاع التي تصل اليها مجلة الجامعة . ولا تزال طلبات الاشتراك فيها تتوارد علينا كل يوم من جميع جهات اميركا الشمالية والجنوبية والاقطار الخارجية



﴿ المستر هرست ﴾

صاحب جريدة نيو يورك جورنال

الثالث سياسي: وهو الدول في أحدور الاستعمار. فإن الولايات المتحدة أصبحت [illegible] بعد دخولها في ميدان الاستعمار أن تنزل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة على [illegible] بلادها وقيمة [illegible] والشاه السلطان [illegible] دولة كاليابان تنازعها [illegible] والسلطة في الأوقيانوس الباسيفيكي [illegible] وسطها السياسي [illegible] ، وذلك سيدخل في [illegible] السطح [illegible] حالتها الداخلية

الرابع اقتصادي: [illegible] الأدبية [illegible] والزراعة والتجارة [illegible] نهضة أميركا ، ولكن [illegible] الاشتراكية في الولايات المتحدة [illegible] الأموال والشركات [illegible] بالأموال [illegible] من تقسيم [illegible] في كل [illegible] الزراعة [illegible] العمال ، [illegible] حقوق العمال [illegible] الأموال [illegible] الأخرى [illegible] الحركة [illegible] ثورة [illegible] العمال

[illegible]

(الجامعة اليومية) صدرت «الجامعة اليومية» أول السنة الجديدة طبقاً لما وعدت الجامعة في هذه [illegible] قراء الجامعة اليومية [illegible] التلغرافات والتقارير [illegible] الاحوال التي [illegible] هذه المجلة [illegible] الاخبار [illegible] من جميع [illegible] الحركة [illegible] والحربية [illegible] الخارجية

في العالم الجديد

المرأة رجل

وفي العالم القديم الرجل امرأة



نشرنا في هذا الفصل رسم رجل والحقيقة انه رسم امرأة مرتدية بلباس الرجال وهي مس ريلان وقد توفيت منذ مدة في فنيكس (ولاية اريزونه) في مزرعتها التي كانت عاكفة فيها على تربية المواشي والاتجار بها وقد جمعت ثروة طائلة من تجارتها ٠

وكان اسمها المعروف في شيكاغو « المستر لنجل » وكانت سكرتير القنصل الرومي فيها ٠ وكان القنصل يجهل حقيقة امرها كل الجهل ويظنها رجلاً ٠ وقد ادهش خبرها النزالة الروسية في شيكاغو حين علموا به لانهم يعرفونها حق المعرفة

وقد نقلت جرائد باريز في هذا الشهر خبرًا غريبًا كهذا الخبر٠ فان مديرة مدرسة الولادة في ديجون وردها في ذات يوم كتاب دون توقيع مؤداه ان احدى تلميذاتها التي تُدعى مدموازل رنه كوتره هي رجل لا امرأة ٠ فاضطربت المديرة وفحصت في السر فوجدت ان مدموازل رنه كوتره تكثر من الوقوف امام امرة بعض الفتيات وتطيل الحديث معهنّ وانها في كل صباح تشتغل بازالة شعر من وجهها ٠ فاستدعت الطبيب وسلمتها اليه ليطلعها على حقيقة الأمر فعاد الطبيب اليها اصفر

الوجه واخبرها انها « تلميذ » لا تلميذة. وعادت « المس رنه » وحمرة الخجل تعلو وجهها . وقد خافت السجن ولكنهم اطلقوا سراحها . ولم يصبها مكروه بسبب هذه الحادثة سوى انها استدعيت الى العسكرية لتنخرط في سلك الجيش بحسب النظام العسكري الذي يوجب على كل شاب الخدمة سنتين في الجيش . فذهبت الى محل القرعة العسكرية بثوب امرأة

واصل هذا الخطاء ان القابلة « الداية » اخطأت حين ولادة هذه الابنة في ذكر جنسها فنشأت كابنة . وقد رأينا رسمها في احدى جرائد باريز وارسلناه الى معمل صنع الرسوم هنا فاجاب انه يتعذر صنعه لانه غير واضح وضوحاً تاماً

وانه لأمر مضحك ويدعو الى التأمل والانتباه ان الرجال في العالم القديم يميلون الى ان يكونوا نساء . والنساء في العالم الجديد يملن الى ان يكنّ رجالاً . ولعل للوسط تأثيراً في هذا الشان

السامرية

« المسيح ومريم السامرية »



عثرنا اتفاقاً في مكتبة في الشارع الرابع عشر على رواية شعرية للشاعر الفرنسوي المشهور « ادمون روستان » عنوانها « السامرية » وهي من خيرة الروايات التي تمثلها

الاجواق الاوربية الكبرى وقد نظم فيها موءلفها أشهر مبادىء الانجيل «تعاليمه في سياق رواية مدارها على المسيح ومريم السامرية التي لقيهـا على بئر قرب شكيم «نابلس» وسألها ان تسقيه . وقصتها هذه مشهورة في الانجيل فلا فائدة من اعادتها

ولم يجد الموءلف في روايته اجادة فوق المألوف الا في الحوار الذي جرى بينها وبين شعب نابلس حين عادت من البئر الى المدينة . فانه بينما كان الشعب مجتمعاً في الساحة والباعة ينادون ويعرضون سلعهم للبيع صاحت السامرية بهم : يا شعب نابلس لقد جاء النبي الذي تنتظرونه . انه هناك على البئر وقد قصّ عليّ تاريخ حياتي كلها . فضحك منها الشعب وتصدّى لها الكاهن السامري وقال اذهبي «وتحمّري وتخطّطي» واجلسي على باب بيتك فان هذا مما يليق بك لا الكلام في النبوّة والانبياء . فصاحت السامرية . انا استحق ما تقول من التقريع ولكن نفسي قد تغيّرت . فدهش الناس وقالوا : حقاً ان اعترافها هذا امر غريب ناشئ عن اعتقاد عجيب

ولما دنا منها صديقها الذي كان يعيش معها ليلومها على ابطائهـا على البئر صاحت به «عد عني ولا تقربني فاني اعرف كذب حبك ووداك» واخيراً يتبعها الشعب الى البئر بعضه يذهب مصدقاً وبعضه يذهب «للفرجة» ويقطفون في طريقهم اغصاناً وازهاراً ليستقبلوا بها النبي

وحين يرى المسيح هذا الجمع قادماً نحوه يلتفت الى مريم السامرية ويقول لها : انك ستكونين انت والتي ستمسح الطيب بشعرها عن قدمي خير تلامذتي «يعني بالمرأة الثانية مريم المجدلية التي ننشر رواية في الجامعة في موضوعها عنوانها «مريم قبل التوبة»

وقد قال رنان ان المسيح لفظ امام مريم السامرية على البئر اسمى قول خرج من فمه . فانها حين قالت ان السامريين يقولون ان عبادة الله يجب ان تكون على جبل غريزيم . وانتم «تعني اليهود الذين كانوا يكرهون السامريين ويقولون بنجاستهم» تقولون ان العبادة في اورشليم — اجابها

«ايتها المرأة قد جاءت الساعة التي يُعبد الله بها في كل مكان بالحق والروح»

قال رنان . هذه هي الديانة الابدية . وحين فاه المسيح بهذه الكلمة كان حقاً ابن الله . واذا كان في الاجرام السماوية اجرام مأهولة فان ديانتهم لا تكون

ارقى من الديانة التي وضعها المسيح في قوله هذا مهما كانت راقية
والرسم الذي نشرناه في هذا الفصل يمثل المسيح وهو يقول للسامرية هذا القول

الفيلسوف ابن رشد

ما كفى انهم اضطهدوه في حياته حتى قاموا يضطهدونه في مماته (١)

نشرت رصيفتنا الغراء مجلة البيان العربية التي تطبع في الهند فصلاً لجناب محمد الفاوق الهاشمي قرّع فيه تقريعاً شديداً الفيلسوف ابن رشد اعظم فلاسفة الاسلام ومؤسس الفلسفة الاوربية بعد ارسطو . ويظهر ان سبب تقريعه هذا اقتراح بعض علماء الهند تدريس كتب ابن رشد في دار علوم الندوة في الهند . واليك كلام الكاتب . قال

ان ابن الرشد هذا قد نسب الفرقة الاشعريّة الى الغيّ والضلال . ولم يكترث بخرق اجماع كرام الرجال . ولم يبالِ بان ياتي ما لا يسعه الافئدة بالذكر ولا يطيق التحمل بالتفوّه به السنة المقال . حيث ذكر في كتاب (الكشف عن مناهج الادلة)

« قد رايت ان افحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي حمل الجمهور عليها ونتحرّى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلّم بحسب الجهد والاستطاعة فان الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة كل واحد منها يرى انه على الشريعة الاولى وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال . وهذا كله عدول عن مقصد الشارع . وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة . واشهر هذه الطوائف في زماننا هذا اربعة . الطائفة التي تسمى بالاشعرية وهم الذين يرى اكثر الناس اليوم انهم اهل السنّة والجماعة . والتي تسمّى المعتزلة . والطائفة التي تسمّى الباطنيّة . والطائفة التي تسمّى بالحشوية »

(١) راجع كتابنا (ابن رشد وفلسفته)

ولا يخفي على المتبصّر الذي اتقن الكتب المتداولة ان ما اتى به هذا الرجل مخالف لما بين ايدينا من تحقيقات علمائنا شكر الله مساعيهم

وقال في مقام آخر بشأن بعض الاشاعرة « هم الكافرون الضالون في الحقيقة»

وهذا الكلام من ابن الرشد قد بلغ منتهى الغي عن الصراط السوي. ونهاية الهوي عن منازل المسلك القويّ. فاذا اوتي كتابه في مدارس الطلبة وجرى على السنة الطلبة ما فيه من الهفوات والسخافات وقع الناس في شغب وهياج فانهم معترفون بعظمة شأن العلماء الكاملين من اهل دهلى ولكنه كمولانا عبد العزيز ووالده الكريم الشيخ ولىّ الله والفاضل عبد العلى والمولى نظام الدين رحمهم الله تعالى . والذين استحسن هوءلاء العلماء كتبهم في الدرس والتعليم كالقاضي عضد السعد التفتازاني والشريف الجرجاني وغيرهم. وهم مصرّحون بان الفرقة الناجية هم الاشاعرة قال في المواقف . اما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين ما انا عليه اصحابي فهم الاشاعرة والسلف من المحدّثين

فاذاً يرسخ في اذهان الطلبة بتعليم كتابه (كتاب ابن الرشد) في « دار علوم الندوة » ان الحق خلاف الاشاعرة فيرفضوا طريق السنّة والجماعة ويسيئوا الظن بعامة العلماء والفقراء (الصوفية) ويعودوا الى اهل الزيغان والالحاد

وهذا الرجل قد شمّر عن ساق الجد في ذم الامام الغزالي وقال « والذي يجب علي ائمة المسلمين ان ينهوا عن كتبه التي تتضمن العلم الا من كان من اهل العلم . » وقال « هو اشعري مع الاشاعرة وفيلسوف مع الفلاسفة ولم يلزم مذهباً معيناً » واني ساوضح سخافة رأيه الفاسد ووهمه الكاسد في العدد القادم ان شاء الله تعالى » قلنا . ونحن ننتظر تتمة مقال الكاتب

﴿ الجامعة الاسبوعية في مصر وسوريا ﴾ كل قارئ من قرآء مجلة الجامعة لا تصله (الجامعة الاسبوعية) نرجو ان يطلبها منا او من وكلاء مجلة الجامعة لتقدّم اليه هدية مدة شهر وبعد ذلك تقطعها اذا شاء

ونرجو من حضرات القرآء في مصر ان يطلبوا (الجامعة الاسبوعية) هدية مدة شهر من وكيل الجامعة في القطر المصري جناب شمس الدين افندي الصحن في سوق الميدان بالاسكندرية فترسل اليهم حالاً

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دولوروس ﴾ هي رواية غرامية ادبية تأليف الكاتبة كارلوتا برايمه عربها جناب الفاضل اسكندر افندي شمعون وطبعت بمطبعة رصيفتنا جريدة السلام

﴿ روايتان ﴾ الاولى دمعة محرقة بقلم جناب الفاضل جرجس افندي عساف والثانية (الجندي القديم) بقلم جناب ابرهيم افندي شحاده فرح . والروايتان طبعتا على نفقة جريدة ابي الهول هدية الى قرائها

﴿ وقائع الحرب ﴾ هي اربع قصائد في تاريخ حرب الروس واليابان نظمها جناب فارس افندي الخوري واهداها الى صديقه الدكتور حسيني افندي حيدر

﴿ تذكار راغب وصبري ﴾ هو ديوان لجناب الشاعر الناثر رشيد افندي مصوبع نشره تذكاراً لولائه لعطوفتلو ادريس بك راغب وسعادتلو اسمعيل باشا صبري وهما من اكارم المصريين وفي الديوان ابيات جميلة اخصها قصيدته في سوق احسان اقامها العذارى الاسرائيليات في اوتل كونتيننتال في مصر

﴿ اللآلىء السنية ﴾ هو كتاب وضعه جناب عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران واهداه الى سيادة المطران اثناسيوس عطا الله مطران حمص تذكاراً لحوادث الانتخاب البطريركي في سنة ١٩٠٦

﴿ مدرسة رجاء الوطن ﴾ هي مدرسة في بشمزين (الكوره لبنان) انشأتها جمعية (رجاء الوطن الخيرية) واقامت لها ثلاثة معلمين لتعليم العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا والخط وعينت لها ناظراً من اعضاء الجمعية . ولا شيء يسر انصار التقدم في الشرق مثل العناية بتعليم الناشئة الجديدة تعليماً منطبقاً على حاجاتهم ولذلك يحق لمديري تلك الجمعية الكريمة واعضائها النشيطين كل شكر وثناء

﴿ البحر المتوسط والتمدن ﴾ هو خطاب نفيس القاه جناب الفاضل انطون افندي الجميل محرر جريدة البشير في بيروت ومدرّس البيان في كلية اليسوعيين من قبل

باب الاخبار العلمية

الجهاز العصبي

طبيب في فيلادلفيا يشتغل سنة بتشريح
جثة واستخراج الجهاز العصبي منها



من الاعمال الشاقة التي تدل على ثبات وصبر غريب ما عمله الدكتور روفوس وافر من اساتذة مدرسة هنمن في فيلادلفيا «الولايات المتحدة» فانه صرف سنة كاملة في تشريح جثة ميت لاستخراج الجهاز العصبي منها حتى ادق الشرايين كما ترى في هذا الرسم الذي يمثل الدكتور والجهاز الذي استخرجه . وهذا منتهى صبر العلماء . ولعلها اول مرة استُخرج بها الجهاز العصبي بهذه الطريقة من جثة بشرية

﴿ العلم يخلق الحياة ﴾ ألقى العالم المسيو لدوك خطبة في باريز قال فيها انه بدأ يظن ان العلم سيقدر على ايجاد الحياة . وقد جرَّب امام سامعيه تجربة بهذا الشان . فانه صبَّ في اسطوانة ملأى بالجلاتين الممزوج بقليل من فورسيانير البوتاسيوم والملح بضع ذرات موءلفة من سلفات النحاس والسكر فاخذت هذه الذرات تنمو بسرعة غريبة بعضها بشكل اوراق نباتية دقيقة سريعة العطب وبعضها بشكل سوق كسوق النبات و بعضها بشكل النبات البحري . وقد قال الخطيب ان للنباتات التي

يوجدها بهذه الطريقة ثلاث مزايا خاصة بالجسم الحيّ . وهي التغذي وانتظام التركيب والنمو . وهي حساسة لان النور والحرارة يؤثران عليها . واذا خدشت تلتئم جراحها . ولا ينقصها الا مزية التنوع

وقد عرض العالم ديلاج على اكاذمية العلم في باريس تجربة له في ايجاد الفراخ من البيض الغير الملقح لانه من المشهور ان البيض لا يفقس عن الفراخ الا اذا كان ملقحاً . وقال انه ربى فراخاً بهذه الطريقة وان لم تعش مدة طويلة وقد ادهشت تجربته الاكاذمية

فاذا اطّردت هذه التجارب وكانت مبنيـة على اساس صحيح انكشف للبشر سرّ الحياة الذي افنوا عقولهم في البحث فيه

﴿ الشيخ ابرهيم اليازجي ﴾ لقد وفت الجامعة اليومية هذا الفقيد الكريم حقه من التأبين والترجمة في عدة اعداد فلم يبقَ لمجلة الجامعة الا ان تعرب عن اسفها العظيم لفقد اللغة العربية شيخها الجليل وعالمها الكبير والمجلات العربية صحافيًا اشتغل بها في طلب العلم لذاته ولذلك لم يربح منها ربح من اشتغلوا بها لارباحها المادية . على ان الفقيد الكريم مع فشله في الصحافة لم يغير الفشل شيئًا من نفسه الكبيرة بل بقي حتى آخر ايامه مكتفيًا بنفسه راضيًا بمنزلته عندها . وسيبقى اثره خالدًا فيها وان لم يضع ما كان في استطاعته ان يضعه فيها من الكتب المفيدة التي هو وحده قادر عليها . رحمه الله تعالى وعزى آله وتلامذته في مصابهم الجلل .

﴿ الدرر ﴾ هي منتخبات الطيب الذكر المرحوم اديب اسحاق الكاتب المشهور وقد اعاد طبعها جناب شقيقه الفاضل وعني بها عناية تستحقها . وقد صدر منها الآن الجزء الاول وهو يحتوي على منظومات الفقيد ورسائله وخطبه ورواية اندروماك . ولا ريب ان الادباء يقبلون على اقتناء هذه الطبعة الجديدة التي هي خير طبعـة لدرر الاديب

﴿ مريم قبل التوبة ﴾ لم ننشر (رواية مريم قبل التوبة) في هذا الجزء وموعدنا بها الجزء التالي

محل انطونيوس تادروس وشركاه

انطونيوس تادرس　　　　　　　　　　جرجي عكاري

IMPORTERS & COMMISSION MARCHANTS

من اشهر المحلات التجارية في نيويرك
يشغل بناية سبع طبقات في شارع واشنطون
من عامل هذا المحل مرة صار من زبائنه دائماً
لامتيازه بصدق المعاملة والمهاودة

من اشهر المحلات التجارية السورية في نيويورك على الاطلاق ولا مشاحة بالقول ان البناية الكبيرة التي يشغلها هذا المحل الكبير المؤسس على دعائم الامانة والاستقامة لمن اكبر البنيات ذات سبعة طوابق مشحونة بالبضائع النظيفة المختلفة وغنيٌ عن البيان وصف بواليدهم التي نالت الشهرة البعيدة والاقبال الذي لا يجارى وهذا ما جعل البعض ان يقدم على تقليدها لاجل ذلك ننبه عملائنا الى ملاحظة الاسم على البولاد

لدى هذا المحل الكبير جميع بضائع الملبوسات لاسيما منها البضائع الشتوية التي اخذوا على عاتقهم جلبها باسعار رخيصة لا تجارى ولديهم ايضاً التوشن والقواطع والجولري والشرت و يست والشالات الحرير و جميع هذه البضائع يستوردونها من مواردها الاصلية و يقدمونها الى الطالب باسعار مرضية و بسرعة لا يجاريهم بها محل اخر . فمن جرب معاملة هذا المحل الشهير مرة تحقق ما سمعه عنه من الشهرة وحسن السمعة ✻ الاحتراس من البواليد المقلدة لاحظ الاسم ✻

والعنوان

A. Tadross & Co.

79 WASHINGTON ST.　NEWYORK CITY

مؤلفات (فرح انطون) صاحب الجامعة

❊ ابن رشد وفلسفته ❊ وفيه ترجمة فيلسوف الاسلام العظيم ابن رشد وتاريخ نفيه لاشتغاله بالفلسفة وتاريخ فلسفته في اوروبا وعند اليهود ورسمه ورسم قرطبة مدينة الفلسفة وردود المفتي محمد عبده على الجامعة وردود الجامعة عليه . ثمنه ريال وربع وعدد صفحاته ٢٢٨ صفحة

❊ اورشليم الجديدة — اوفتح العرب بيت المقدس ❊ هي رواية غرامية تاريخية فلسفية اجتماعية فكاهية فيها تاريخ فتح العرب بيت المقدس وتاريخ سلطنة بزنطية (القسطنطينية) واسباب ضعفها وسقوطها وتتخلل ذلك مباحثات سياسية ودينية واجتماعية في احوال الامم الثلاث اليهود والمسيحيين والمسلمين . ثمن الكتاب ريال وربع وعدد صفحاته نحو ٢٠٠ صفحة

❊ الوحش الوحش الوحش — او سياحة في ارز لبنان ❊ رواية اجتماعية فلسفية ادبية فكاهية موضوعها سياحة في ارز لبنان وفيها وصف الارز الذي يتقاطر الناس لمشاهدته من اميركا واوربا ورسمه وتتخللها قصة فكاهية ادبيه ورد فيها كثير من وصف عادات لبنان . ثمنها نصف ريال

❊ تاريخ المسيح ❊ معرب عن الفيلسوف رنان تعريباً مختصراً يزيل منه كل ما لا يجب نشره وفيه مقدمة طويلة لصاحب الجامعة . ثمنه ريال

❊ الدين والعلم والمال ❊ فيه بحث فلسفي في المسألة الاجتماعية باسلوب رواية وذكر ما بين الدين والعلم والمال من التنازع ثمنه نصف ريال

❊ الكوخ الهندي ❊ رواية فلسفية مزينة برسوم موضوعها اين نجد الحقيقة وكيف نجدها وفيها وصف بلاد الهند وبراهمتها . ثمنه نصف ريال تحت الطبع

❊ بولس وفيرجيني ❊ رواية طبيعية ادبية فلسفية حبيـة مزينة برسوم عديدة موضوعها اين نجد السعادة الحقيقية وهي اشهر رواية في القرن الثامن عشر . ثمنها نصف ريال

❊ رواية ابن الشعب ❊ هي رواية سياسية اجتماعية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وقد لخصناها في الجامعة

❊ نهضة الاسد ❊ هى اربعة اجزاء في اسلوب رواية سياسية غرامية تبحث في تاريخ الثورة الفرنسوية واعمال اعاظم رجالها

❊ البرج الهائل ❊ هى رواية سياسية غرامية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وتمثل ما كان في فرنسا في عهد الملكية من المظالم



تلميذ ياباني وتلميذة اميركيّة

في مدارس سان فرنسيسكو

وضعوا هذا الرسم لتمثيل اصل الخلاف بين اليابانيين والاميركيين في سان فرنسيسكو. فهو يمثل تلميذًا يابانياً بالغاً ضخم الجثة وفتاة اميركية نحيفة لا تتجاوز السنة الخامسة من عمرها . وقد قصدوا به تحريم ان يتعلم هذا التلميذ الضخم البالغ مع تلك التلميذة الصغيرة على مقعد واحد مع ما في عمريهما واختلافهما من الاختلاف . فكان هذا اصل ثورة اهل سان فرنسيسكو على اليابانيين مع اسباب اخرى غيره

بحث مفيد

في

موضوع جديد

بقلم

جناب العالم الفاضل الاستاذ جبر ضومط

مدرس البيان في الكلية الاميركية في بيروت

اتحف جناب الاستاذ ضومط قراء الجامعة برسائل متناهية في الاهمية في موضوع مبتكر لم يطرقه كاتب قبله وهو يشمل التاريخ القديم ومنه التاريخ الاسلامي . وليست رسائله هذه الا تمهيداً لرسائله في الدول الاسلامية وقيامها وما طرأ عليها . ولا ريب ان قراء الجامعة يشتركون معها في شكر حضرة المؤلف الكريم لتفضله عليها بهذه المباحث الجليلة ويرون ان ما ذكره في مقدمته عن استعجال الجامعة له واعتذاره اليهم انما هو من اتضاع العلماء المشهور ليس الا . واليك الملزمة الاولى من هذه الرسائل



—* المستر روزفلت *—

رئيس جمهورية الولايات المتحدة

تذكار احترام لنزاهته وجرأته على محاربة التنين في بلاده

اطلب خطبته في الصفحة « ٤٠٨ »



الجزء ١ السنة السادسة

الجامعة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك شباط — (فبراير) سنة ١٩٠٨ — محرم سنة ١٣٢٦

مقدّمة السنة السادسة

وكلمة الى مشتركي الجامعة بشأن خصوصي

انتهت سنة الجامعة الخامسة ودخلت في سنتها السادسة وهي تحمد الله عداد آلائه ونعمه وتشكر لمشتركيها واصدقائها وانصارها الكرام لاخذم بيدها وتمهيدهم سبيلها في الخدمة التي توختها وكانوا لها اعواناً عليها . وقد بدا منها في سنتها الخامسة قصور في حق قرائها الكرام وعلى الخصوص خارج اميركا نعني قراءها في مصر وسوريا والبرازيل واميركا الجنوبية فهم يعذرونها ولا شك اذ لا تُكلف نفس فوق طاقتها وخير الناس اعذرهم للناس لا سيما وانهم رأوا ان الجامعة قد عادت الى خدمتهم بعزيمة اشد مضاء

وكما ان « الجامعة » تعترف بخطاءها بازاء بعض قرائها فهي ترجو ان يعترف بعض قرائها بخطاءهم بازائها ايضاً . في منتصف السنة الماضية اي قبل ظهور الجامعة مجلة وجريدة صُمّت اذاننا من صراخ وكلائنا الافاضل وقرائنا الكرام في مصر وسوريا والبرازيل والارجنتين وكولومبيا وتونس والجزائر وايران وغيرها من البلاد التي تصل اليها الجامعة . وكانوا يشكون جميعاً ويلحون في طلب « الجامعة » الحاحاً كان يسوءنا ويسرّنا معاً . وقد

نسي اصدقاؤنا وقراؤنا الافاضل ان مشروعاً عمومياً كبيراً كالجامعة لا يقوم بمجرد طلبه والرغبة فيه بل يقوم بمساعدتهم الفعلية له اي بدفع بدل الاشتراك فيه . وقد بسطنا في احد اجزاء الجامعة السابقة مقابلة بين قرائنا في الولايات المتحدة وقرائنا في الخارج من حيث « الدفع » ونعود الى ذلك الآن فنقول ان اكثر قراء الجامعة في الخارج مقصرون في حق الجامعة في هذا الشأن وانه ليس لهم ان يلوموها اذا قصرت هي في حقهم ايضاً . على اننا نمحو الآن صحيفة العتاب بين الجامعة وقرائها في الخارج ونؤمل ان لا ترى منهم بعد اليوم الا ما ينشطها ويساعدها في خدمتها وهي تعدهم انهم لا يرون منها الا كل ما يرضيهم . وفقنا الله واياهم الى ما فيه الخير والمنفعة المشتركة

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الشرق

الشيخ ابرهيم الفتال

وتأثيره في مدرسة سورية

« شيء عن مدرسة كفتين على ذكر وفاة شيخها منذ شهرين »

صفاته واخلاقه — كان الاستاذ ابرهيم الفتال من افراد علماء القانون والفقه في سوريا . وكان رحمه الله طويل القامة ممتلئ الجسم معتدله تحيط براسه الصغير ظاهراً والكبير باطناً لحية صغيرة اشتعلت شيباً فوقها شاربان يخفي معظمهما احياناً . وكان مصاباً بضعف في عينيه انهكتهما مطالعة الليل والنهار فما كان يستطيع القراءة الا اذا ادنى منهما الكتاب . وكان اسمر اللون مهيب الطلعة اذا عبس خلته

أسداً يتجهّم · واذا ابتسم ابتسامته التي كانت مشهورة بيننا بكونها (نصفية) حسبته تمثالاً يتبسّم · وقد قلنا (ابتسامة نصفية) لان اخلاقه الجدية ورصانته الاستاذية لم تكن لتفارقه البتة · وقلما رأيناه يوماً يضحك ملء فيه واذا اتفق له ذلك لامر مضحك جداً عاد الى الجد كلمح البصر

وكان دمث الاخلاق لين العريكة مع رصانته ورزانته · وكلٌ من دنا منه او عامله وجد له من الهيبة والوقار ما يمنعه من اطلاق العنان لنفسه في الممازحة والمطايبة في حضرته · فكأنه مع اختلاطه بجميع طبقات الناس كبيرهم وصغيرهم ورفيعهم ووضيعهم قد بنى حوله سوراً من الافكار الجدية واذن للناس ان يقربوه لا ان يجاوزوه

تأثيره في مدرسة كفتين — أُنشئت مدرسة كفتين لاول مرة منذ اكثر من ٢٠ سنة في دير كفتين (لبنان) على بعد ساعة او اكثر من طرابلس شام · وقد انشأها منشئوها الافاضل لتدريس جميع اصناف العلوم واللغات الضرورية وعلى الخصوص تدريس اللغة العربية وآدابها وعلومها تدريساً متقناً · ولذلك وقع اختيارهم لتدريس الفقه وعلوم العربية على الاستاذ الفتال احد علماء طرابلس فاعطوا القوس باريها · فدرّس الشيخ في كفتين اللغة العربية في زمنه تدريساً متقناً للغاية ولم تسبقها مدرسة سورية في هذا المضمار حتى الآن

وكان يدرّس فيها مع الاستاذ الفتال بضعة من افاضل الاساتذة منهم العالم الفاضل جبر افندي ضومط مدرّس البيان اليوم في الكلية الاميركية في بيروت الذي كان يدرّس في كفتين العلوم الرياضية والتاريخ والجوغرافيا · والرئيس المدبر داود افندي عيسى الذي كان رئيس المدرسة ومدرّس النبات والحيوان · ووكيله الرجل العاقل والمحامي الفاضل انطون بك شحيبر الذي كان يدرّس اللغة الفرنسوية · والفاضل نقولا افندي رزق الله الذي كان ناظراً ومساعداً في تدريس الفرنسوية ·

والفاضل اسعدافندي كلارجي الذي كان يدرّس الانكليزية· واستاذ تركي يدرس اللغة التركية · وغيرهم من المعلمين اصحاب الفضل على المدرسة وتلامذتها

وكان في المدرسة نحو مائة طالب · وكلهم ممن تجاوز اعمارهم السنة الخامسة والعشرين الى الذين لا تبلغ اعمارهم السنة الثانية عشرة كانوا يحترمون الاستاذ الفتال احتراماً خصوصياً وقلما حدثت له حادثة مع تلميذ عنيد كما يحدث ذلك مع غيره · ولذلك عدة اسباب منها اخلاق الاستاذ الجدية· وعدله وإنصافه وطرقه اللينة وعدم مبالاته بالهنات الصغيرة التي يأتيها الطلبة عادةً في حق اساتذتهم· وشدة حذره في مقامه في مدرسة مسيحية· ونظر الطلبة اليه نظراً خصوصياً لذلك السبب· اضف الى ذلك كله إعجاب الطلبة بعلم الاستاذ الراسخ وإقبالهم على درس العربية والشريعة لرغبتهم في ان يكونوا محامين في لبنان وطنهم لان اكثرهم كانوا لبنانيين · ونذكر الآن من رفاقنا من تلامذة الاستاذ بضعة ممن تحضرنا اسماؤهم كعزتلو عبدالله افندي الخوري السكرتير الاول لدولتلو متصرف لبنان في العام الماضي وجرجي افندي تامر مدير القويطع في لبنان والدكتور حبيب افندي مالك والدكتور قيصر افندي حائك وتيدوري افندي بربور ونسيم افندي صيبعه وفؤاد افندي عازار وجرجي افندي عازار وغيرهم من الرفاق الذين نسونا وانسانا الزمان اسماءهم وللزمان أحكام· بل ان اساتذة المدرسة نفسها سرت اليهم عدوى التلمذة للاستاذ الفتال · فان رئيس المدرسة داود افندي عيسى انما درس الفقه والمحاماة على الاستاذ الفتال في المدرسة وجُعل قاضياً في زحله بعد تركه رئاسة المدرسة · وانطون بك شحيبر انما مال الى المحاماة من مرافقته للاستاذ وشرع يدرسها· ولما عاد الى بيروت جعلها حرفة له وهو الآن من خيرة محاميها فضلاً وعلماً وذلاقة لسان

وقد دخل الشيخ الفتال الى كفتين على شرط وهو ان يؤذن له بترك

المدرسة احياناً للعناية بقضاياه في المحاكم . وقد اكسب المدرسة في مقابلة هذه الخسارة شيئاً يُذكر وهو احياؤه للدير ومدرسته ديوناً كانت مائتة وربحه قضايا له أي للدير على اناس كانوا ينازعونه ملكية بعض املاكه . فكان ربح المدرسة والدير من علم الشيخ ودهائه يفوق اضعافاً مجموع مرتبه في جميع السنوات التي صرفها في المدرسة . وفي اثناء اشتغاله بهذه القضايا في محاكم لبنان احتكَّ نفوذه بنفوذ قائمقام الكوره لذلك العهد . ثم امتدَّ الاحتكاك الى المتصرف المرحوم واصه باشا لانه لم ينصر الحق في هذا الخلاف فقامت قائمة النزاع بين كفتين وواصه باشا نفسه . فامتلأت يومئذ كنائس الكوره وبلدانها وقراها باعلانات تحرّض الشعب اللبناني على واصه باشا والقائمقام وتُظهر فساد الاحكام . وقد وجد واصه باشا احد هذه الاعلانات حتى على باب غرفة نومه في منزله . ولكن من نشر هذه الاعلانات ؟ وبخط من كانت ؟ الله أعلم ...

ويظهر ان بعض الناس راموا محاربة نفوذ رئيس المدرسة وشيخها في داخل المدرسة بعد ان عجزوا عنه في الخارج فان الرئيس والشيخ كانا كسلطانين مهيبين محترمين من جميع الناس في ذلك القسم من لبنان . فظهر يومئذٍ نزاع شديد بين رفاقنا الطلبة واصبح بعضهم لا يرعون للنظام حرمة بعد ان كنا جميعاً نرتعد ارتعاداً اذا لاح لنا طربوش الرئيس في دهاليز المدرسة . وكانت المدرسة في تلك السنة (ولعلها سنة ١٨٩١) قد وزعت شهاداتها للمنتهين فتركناها معهم آسفين لانتهاء مدة اقامتنا في ذلك الوسط الجميل . وكذلك رئيسها لم يعداليها للاضطرابات التي حدثت . وفي السنة التالية تفاقم الخطب بين بعض التلامذة ونمت بينهم بذور المقاومة التي زُرعت من قبل فقاموا بثورة بعضهم على بعض فتقرر لدى منشئي المدرسة وحكومة واصه باشا اقفالها . وبذلك ذهبت مدرسة وطنية راقية كان يُرجى لها مستقبل عظيم لان شهرتها كانت قد ذاعت وتوافد

عليها الطلبة حتى من اقاصي عكار والاناضول ومصر وغيرها • وقد جددها غبطة البطريرك الانطاكي للارثوذكس منذ عدة سنوات فكانت صورة مصغرة لكفتين الاولى • ولم تعمر طويلاً

مدرسة كما يجب ان تكون المدرسة — وكانت كفتين في طورها الاول مدرسة جامعة لجميع العناصر السورية • فقد كان فيها الطلبة من مسلمين وموارنيين وارثوذكسيين متفقين مؤتلفين غاية الائتلاف • والثورة الاخيرة التي انتهت باقفال المدرسة لم تكن ناشئة عن نزاع بين عناصرها بل كان المتنازعون من طائفة واحدة • وكان فيها معلمون ارثوذكسيون وموارنيون و بروتستانت واستاذ مسلم وهو الشيخ • وكان في ايام الآحاد يدخل الطلبة الارثوذكسيون مع معلميهم الارثوذكسيين الى كنيسة المدرسة والطلبة الموارنيون ينطلقون مع اساتذتهم الموارنيين الى كنيسة قرية مارونية قريبة تُدعى (اميركا الجديدة) والطلبة المسلمون يرافقون شيخهم • وفي ايام رمضان كانت تُمدُّ احياناً مائدة الطعام للشيخ والطلبة المسلمين على سطح المدرسة فينتظرون الغروب ويفطرون بعده • ولا نتذكر انه في السنوات الاربع التي صرفناها في كفتين قام يوماً بين الطلبة جدال ديني في أي أمر كان ولا حدث نفور بينهم لهذا السبب • وكان التعليم المسيحي اختيارياً لا اجبارياً وكان ارثوذكسياً الا ان الذين كانوا يدرسونه هم الارثوذكس فقط وذلك مرة في الاسبوع

فهذه مدرسة سورية تقدمت مدارس سوريا كلها في الفصل بين العلم والدين فصلاً فيه احترام لهما جميعاً • وهي في هذا تُعدُّ طليعة مدارس المستقبل النافعة اذا كان لنا مستقبل يُذكر • وقد عاشت كفتين وماتت ولم يدرِ أحد ان هذه المدرسة الجميلة التي قامت على رابية تحيط بها غابات الزيتون كعروس البرّ ودليل النور — قد حملت في احشائها في مدة حياتها القصيرة الساطعة اسمى والزم مبداء

يتوقف عليه قيام الشرقيين وزوال منازعاتهم الصبيانية في امور لا طائل تحتها ·
فتحيّة وسلاماً يا دفينة الدهر وقتيلة الزمان · ان ابناءك يحيّونك الآن بلسان احدهم
حين وفاة شيخك الذي كان ذا فضل عليك ، ويتذكرون فضلك في نشر
التساهل والعرفان

علمه وصناعته — كان الاستاذ الفتال رجل علم وعمل · وقد انصرف الى
العمل بكليته ولذلك لم يؤلف كتباً في الصناعة التي برّز فيها وسبق أقرانه وهي
صناعة المحاماة والفقه · لا سيما وانه رأى في سوريا وغيرها حظ العلم والعلماء
الذين لا يعملون بل يشبون ويشيبون جامدين امام كتبهم · فبعد اقفال مدرسة
كفتين انصرف الى المحاماة فكان يقضي معظم اوقاته في التنقل بين محاكم
بيروت وطرابلس ولبنان وقضاء عكار · وكان في المنزلة الاولى بين المحامين ليس
فقط لعلمه الواسع بالقوانين والفقه الاسلامي بل ايضاً لاخلاقه الجدية واستقامة
سيرته وسريرته · وكانوا يستفتونه في المسائل من خارج طرابلس واذا اعيت
المحامين مسألة شرعية قالوا ليس لها الا الاستاذ الفتال · منها مسألة ارث عظيم
في بيروت دُعي لحل مشكلتها بعد ان تعذّر حلها فحلها في يوم وليلة وقبض
اجرته خمسمائة ليرة ثم قفل راجعاً · فلم تنقضِ عدة سنوات حتى اثرى الاستاذ
الفتال فابتاع الاملاك والبساتين واصبح من اهل الثراء

صحبته في ذات يوم وهو في اوج شهرته الى ادارة جريدة طرابلس الغراء
قبيل ظهورها وقد رغب في زيارتها في بدء تأسيسها لتهنئة الرصيف المفضال عزتلو
محمد كامل بك البحيري صاحبها · فهنأ الاستاذ الرصيف بقرب ظهور جريدته
وانشده في ختام التهنئة قول القائل ينشطه

لاستسهلنّ الصعب او أُدرك المنى فما انقادت الآمال الا لصابر

فقال الرصيف سانقش هذا البيت يا شيخي فوق باب ادارتي · فالتفت اليّ

الاستاذ وقال : وانت انقشه في دفترك ايضاً

وكان رحمه الله محبوباً الى اخوانه المسلمين خصوصاً والمسيحيين عموماً وقد تزوج وهو في كفتين ورُزق نجلاً اديباً جعله الله خير خلف لخير سلف وألهم جميع آله الصبر الجميل

٭٠٭٠٭٠٭٠٭

اما انت ايها الاستاذ الجليل الراحل بسلام الى دار البقاء والسلام فنم مستريحاً في مرقدك الابدي · ان ذكرك سيبقى خالداً في نفوس الذين انتفعوا بعلمك وعلى الخصوص تلامذتك الذين اغترفوا من بحر فضلك · والجامعة تنوب عنهم الآن في نشر عبير حياتك الممتلئة جدّاً ونشاطاً وفضلاً وتصوّر من ترجمتك على صفحات القرطاس صورة لا يحسن بعارفيك ان يتركوها مجهولة · انك كنتَ متضعاً حيياً في بعض الاحيان منكمشاً منزوياً لا تطلب شهرة ولا ظهوراً فمن واجبات الذين عرفوا شخصيتك العالية ان ينشروا ما عرفوه · هذا على عارفيك فكيف بمن لك عليهم فضل ومنّة · ان معرفتي بك لم تنقطع بعد المدرسة فانك كنتَ بعدها تفتقدني بعنايتك ونصائحك وتشرفني بزياراتك · وكم من مرت سهرتَ على مصالحي الخصوصية سهر الاب على مصالح ابنه وشجعتني ونشطتني ودربتني · فرحةً وتحيةً وسلاماً ايها الراقد في طرابلس في ظل جبال لبنان بين اشجار الزيتون والليمون وعبيرُ حياته يتضوع الآن في كل مكان



مشاهير امبركا

وليم براين

زعيم الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة ومزاحم المستر روزفلت في رئاسة الجمهورية سابقاً وربما في الانتخاب للرئاسة في هذا العام الذي بدأت الخطب في شانه

خطبة جميلة له سمعها الكاتب في لايك تشارلس الغرض منها استفزاز الحزب الديموقراطي في الجنوب بينما المستر تفت يستفز الحزب الجمهوري في الشمال

بقلم نقولا افندي الحداد

كانت محطة بومونت (احدى مدن تكساس) عند ظهر الاربعا الماضي مكتظة بجمهور من السيدات والسادة وكلهم يتوقعون قدوم القطار الآتي من هيوستن الذاهب الى نيواورلينس فقلت في نفسي اذا لم اسرع فلا اجد مكاناً في القطار · وما هي هنيهة الا اقبل القطار يتنفس الصعداء بعد ان خبب نحو ساعتين كأنه يعلم من يقل ومن يستقبل · ولما كُبح جماحه واستقرَّ في موقفه اندفع كل ذلك الحشد الى مفرقِ زوجٍ واحدٍ من مركباته · فعجلت في الحال الى مفرق آخر وصعدت الى المركبة · وما إن قعدت الا راعني صراخ وتصفيق حادّان فأطللت من النافذة وفي الحال ادركت معنى ضجيج القوم وتصفيقهم

برَين نزل من القطار واندغم بين الجمع

عند ذلك عضضت إصبعي ندماً على تسرعي في الرحيل من بومونت ذلك لاني كنت قد قرأت قبلاً انه سيقدم الى هذه المدينة ويخطب في اهلها

أين هو برَين ؟ لم اعلم

تشوّفت طويلاً وتلفت حولي لاجد من اسأله فلم أرَ سوى فتى ملتحٍ لان القوم كجاذبية الارض كلهم يندفعون نحو مركز واحد في رصيف المحطة ومنظرهم

لعين الرائي كمنظر عنقود من النحل . فسألت ذلك الفتى : هل هو برين الذي يحتفون بمقدمه فاجابني بهز كتفيه . فقلت أيٌّ منهم هو برين ؟ فنلت منه نفس الجواب . واذ رآني لم ازل انتظر منه فصل الخطاب قال (سويد سويد) ففهمت منه انه اسوجي وانه ,, كالاطرش في الزفة ''

كانت معي جريدة غلفستون دايلي نيوز ففتحتها وجعلت اجيل نظري على عنوان كل رسالة . فعثر بصري على لفظة برين في عنوان احدى الرسائل فقرأت انه سيخطب في ذلك المساء في بومونت وفي مساء الجمعة في لايك تشارلس . وعند ذلك قلت لقد صح الحلم . غداً اكون في اورانج وبعد غدٍ اكون في لايك تشارلس فاسمع برين

وكان كذلك

وصلت الى لايك تشارلس في مساء الجمعة . ولكي اضمن حضوري تلك الحفلة ابتعت من احد الحوانيت تذكرة دخول بريال ذلك لان الدخول بثمن ولو كان مجانياً لما كان من بقعة تسع الراغبين في سماعه ولا سيا لانهم كانوا يقدمون من البلاد المجاورة والسكة الحديدية ارخصت الاجرة في ذلك النهار تسهيلاً للذين يحبون سماع برين

واللجنة التي دعت برين وأعدت الحفلة جمعت في ذلك المساء الفي ريال من الفي حاضر وستنفقها في اغراض عمومية

اجتمع الحضور في كازينو كبير ابتناه احد السوريين هنا وبعد اذ جنى منه ما جنى باعه لاحد الاهالي . ولما كانت الساعة الثامنة والالفا نسمة في لغط دخل برين الى المنتدى يحف به اعضاء اللجنة فضج الجميع وصفقوا حتى كاد المكان ينفجر بضجيجهم . وما إن استوى في دكة المنتدى والرايات الاميركية تخفق فوقه حتى اعيد الضجيج ايضاً ولم ينته حتى انتصب المستر لوك رئيس الحفلة وقال

„ اني اعجب بالشرف الذي خولتنيه هذه الفرصة التي فيها اقدم لخيرة القوم من ولاية لوزيانا احد العظماء ليس في الولايات المتحدة فقط بل في كل العالم · رجل كان في بحر اربع عشرة سنة عضواً فعالاً بلا أجر في بلاده · رجل في سن السادسة والثلاثين ترشح للرئاسة من قِبل حزبه وكان اخفاقه حينئذ بالحقيقة نصرةً لان مبادئه فازت واصبحت شرائع نافذة في الامة · رجلٌ لم ينازعه أحد الزعامة في حزبه لان شرف مبادئه في امانة حزبه واخلاصه الفائقين — ومن غير زيادة شرح اقدم لكم معلم العالم العظيم (وليم جنسن برين)

وعند ذلك دوى المكان بتصفيق الرجال وصراخ النساء — والنساء لا يصرخنَ هنا الا عند الاستحسان

وقف برين فاذا هو ضخم الجثة معتدل الطول ممتلئ الوجه حليق الشاربين والعارضين كعادة سائر الاميركان ذو صلعة صغيرة · وانحني للقوم مراراً فكانوا يزدادون ضجيجاً وأخيراً رفع يمناه وفتح فاه فسكتوا

(الموضوع) الانسان الوسط

لو اتيت على خطبته — التي لو لم يرقم لها عقربا الساعة ٩٠ دقيقة لخالها الحضور انتهت في ٩٠ ثانية — لملأت صفحات هذه المجلة كلها · ولذلك اجتزئ بذكر مجملها وأهم نقطها

كان موضوعها بحسب اختيار اللجنة (الانسان الوسط) The Average Man وهي اذا حللناها كانت مركبة من ثلاثة عناصر · مقدمة هزلية وحشو تعريفي وشرح سياسي

اما المقدمة فتكاد تكون خطاباً قائماً بنفسه وقد استهلها بالثناء على الحضور وجعل يتلاعب بالالفاظ والاصطلاحات الاميركية التي صاغ منها نكاته وملحه حتى كادت قهقهة الحضور تحل اعصاب اكفهم عن التصفيق عند كل جملة

ومن ذلك قوله

,, دعاني الى الخطابة في ولاية لوزيانا رجل كان حاكمها قبلاً ومسقط رأسه ولاية الينويز التي هي مسقط رأسي ايضاً . ذلك الرجل قال لي ستجد في لوزيانا افضل شعب تخطب فيه . وانا (أي الحاكم) قد خطبت فيه مراراً في لوزيانا حيث صادفت العجب من حماسة الشعب وحيث في الوقت نفسه لم أنل صوتاً معي''

قال برين ,, اني لمؤكد ان افضل شعب هنا الآن واراهم في غاية التحمس . اما من حيث التصويت فلا ادري (تصفيق حاد)

ولا يخفى على القارئ ان غرض برين من هذه السياحة في الجنوب تقوية حزبه الديموقراطي لكي يؤكد ترشيحه ويرجح انتخابه

ثم قال ,, ان لوزيانا كانت في مقدمة الولايات التي عضدتني في ترشيحي سنتي ١٨٩٦ و ١٩٠٠ وقد نلت جميع اصواتها ولهذا اود ان افصح عن سروري الذي اشعر به بأتياني الى وسط شعب له هذا الذكاء'' (تصفيق)

ثم قال انه بالرغم من اخفاقه لم يزل حزبه قوياً وعظيماً ذلك لان مبادئه عظيمة وقوية ولهذا جرى عليها الحزب الربلكي نفسه وما دامت المبادئ هي غرض الحزب فلا فرق عنده في من ينفذها الى ان قال . ,, اني لم أجد صعوبة في نشر المبادئ الديموقراطية لاني ما اذعت مبدأ منها حتى كان ميل الرئيس روزفت اليه كنسبة ١٦ الى واحد''

وعند ذلك ضجّ المكان بالتصفيق لان في هذه النسبة تعريضاً بمسألة الفضة التي كانت نواة سياسة الخطيب في ترشيحه السابق الذي اخفق فيه وهي ان يجعل الفضة لا الذهب اساس العملة الاميركية بحيث تكون نسبة الذهب اليها كنسبة ١٦ الى واحد

ثم تطرق الى ذكر الصور الهزلية التي كانت تصوره بها الجرائد وهناك لم

يبقِ من النكات ولم يذر · ومنها قوله ,, صوروني انا والرئيس روزفلت عصفورين الرئيس في العش وانا في القفص وهو يبنى عشه بريشاتي كلها الا واحدة وهي تعديل التعريفة الجمركية · على اني استدل من رسالة الرئيس الاخيرة للكونكرس انه يفتكر بأخذ هذه الريشة ايضاً · ولكن ايها الاصدقاء ان للحزب الديموقراطي عدة ريشات جديدة لم توءخذ بعد ولا تزال نامية فتسرع جدًّا اذا كان الحزب الربلكي يأخذها ويستعملها · ولكنهم لا يفسحون لنا السبيل لاستعمالها

بعد ذلك دخل المستر برين في موضوعه (الانسان الوسط) وابان ان المراد منه عامة الشعب ودلَّ على الطبقات التي يوءلف منها العامة فذكر الفلاَّح أولاً ثم العامل ثم التاجر ثم المحامي ومن شاكله من ذوي الصناعات ثم الواعظ والمعلم وأخيراً الصحافي

وهنا قال ان الصحافيين من جملة عامة الشعب ما عدا بعضهم وهم الذين يستأجرون اذكياء الكتَّاب لكي يبنجوا الشعب بالكلورفورم في حين يكونون هم منهمكين في تنقيب جيوبه · ذلك لان بعض الصحف تُستخدم لاغراض شخصية كبيرة وسمى منها جريدة ,, شيكاغو كرونكل ''

وبعد ان استوفى بيان الطبقات التي يوءلف منها (الانسان الوسط) أو (عامة الشعب) أبان ان هوءلاء العامة هم الحزب الديموقراطي الحقيقي وان كان أحد منه يناقضه كان يناقض حق نفسه ذلك لان الحكومة الديموقراطية يجب ان تكون حكومة الشعب ومن الشعب وللشعب · وهنا قال ·

,, سأل بعضهم كم من المال يمكن ان يملك الانسان و يبقى ديموقراطياً · فأجبته لا حدَّ لذلك فله ان يملك من المال ما يشاء ما دام هو المالك للمال ولكن متى اصبح المال مالكاً له خرج من صف الديموقراطيين · هناك طبقة في نيويورك لا تستطيع ان تتصل اليها وتزج نفسك بينها وتصير واحداً منها الا اذا كان بينك

وبين العمل الشريف ثلاثة اجيال " (تصفيق حاد)

ثم قابل بين سياسة جفرسون التي عنى بها حكومة الشعب وسياسة هملتون حكومة الاعيان وابان كيف ان الاولى تغلبت على الثانية على ممر الاعوام وقال ان حكومة الشعب ستظل نافذة ومتغلبة حتى تسود في كل العالم . وفي اثناء بيانه قال اذا رويت قصة الغني ولعازار امام ديموقراطي وارستوقراطي قال الاول دعنا نكثر الموائد حتى يتسنى لكل لعازر ان يأكل ويشبع كما يشبع الغني وبذلك لا ضرر على هذا . اما الارستوقراطي فيقول دعنا نكثر الطعام على مائدة الغني وحينئذ يكون لعازر سعيداً جداً بوفرة الفتات الذي يسقط عن مائدة ذلك الغني (تصفيق)

وبعد ذلك جعل يبحث في أهم النقط السياسية الاميركية . ومن ذلك قوله في مسألة التعريفة الجمركية ,, يجب ان يُنظر اليها من مصلحة (الانسان الوسط) ,, عامة الشعب " فقد مرّ وقت على الصناعة في البلاد وتجاوزت عهد الطفولية واصبحت فتاة ضخمة هائلة كالغولة تعيش على دم الشعب الذي يستنفد المصنوعات

ثم اشار الى مسألة الفيلبين وقال ان تلك البلاد تجلب علينا الذل لاننا اذا جعلنا قوتنا البحرية ثلاثة اضعاف بقي في طوق اليابان ان تغلبنا . وهو يعني انه لولا الفيليبين لما كان لليابان سبيل ان تخاطب اميركا بقوة

ثم اشار الى الازمة المالية وقال ,, انه اذا برد الطقس قليلاً في وول ستريت (البورصة) اقشعرّ بدن الامة كلها ولا تدفأ حتى يدفأ . وهل تشاؤن رواجاً مرناً للمال ؟ اذاً دعوا الحكومة تنشئ مرونته وتصونها " وهنا اسهب في البرهان على وجوب ضمانة الحكومة ودائع الاهالي في البنوك

وقد أيد سياسة الرئيس في مقاومة استفحال الغنى وقال بهذا الصدد ,, ان السناتور بفردج يرتئي ان لا يسوّغ لاحد ان تزيد ثروته عن ١٠٠ مليون ريال .

ولكن هذا الرأي ايها الاصدقاء ضربة قتالة على حريتنا • ومع ذلك لا اعتقد ان احداً من السامعين يقدر ان ينال هذه القيمة بالطرق الجائزة

مئة مليون ريال لفظة صغيرة في الفم ولكنها كبيرة المعنى • فلنرَ ما هي المئة مليون ريال • رئيس الولايات المتحدة يشغل أهم منصب ومنصبه يستلزم اعظم قوة بشرية فما هي اجرة عمله ؟ ٥٠ الف ريال في السنة • و ٢٠٠ الف ريال في ٤ سنين • واذا تجدد انتخابه كان له ٤٠٠ الف ريال في ٨ سنين • واذا كان رئيساً دائماً كان له كل عشر سنين نصف مليون ريال • فاذا ترأس مئة سنة كان له ٥ ملايين ريال • فلكي يكسب مئة مليون يجب ان يترأس الفي سنة أي يجب ان يكون له مئة عمر • ولكن هريمان جمع المئة مليون في حياته •••

,, لا داعي لجعل حد للثروة ولكن يجب جعل قيد للمثرين لكيلا يجمعوها بضرب ضرائب اكراهية على الشعب ''

ولا يخفى انه يعني بذلك ان هذه المشروعات الكبيرة كالسكك الحديدية مثلاً تستجلب الثروات من عامة الشعب فلو كانت للحكومة لكانت الثروات التي تجمع بواسطتها ملكاً للشعب • ولذلك قال • ,, ازلــ هذا الامتياز الذي لذوي المشروعات العظيمة فلا يبقى موجب لتحديد ثروة المثري ''

هذه أهم النقط في خطاب هذا الخطيب المصقع وقد أخذت بمجامع قلوب السامعين • ولا ريب عندي ان برين لم ينل هذه المكانة عند قومه الا بقوة كلامه

و بينما برين يطوف في الجنوب لينهض الحزب الديموقراطي نرى تفت يطوف في الشمال للم الحزب الربلكي حوله • فالحرب الآن سجال بينهما والمستقل القريب يعلن لنا الغالب في الانتخاب للرئاسة في هذا العام

وقد عزمت على ان التمس مقابلة المستر برين في الصباح التالي ولكن خاب أملي اذ قرأت انه ذهب من المنتدى تواً الى المحطة و برح الى تاكودوش (تكساس)

نقولا الحداد

الفيلسوف نييتش وفلسفته

فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية ولكنهم رأوا آثار مبادئه وفلسفته في كل شيء حولهم في كل مكان

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته ومبادئه

نظن ان اسم الفيلسوف نييتش الالماني لم يرد في اللغة العربية قبل الصفحة التي لخصت فيها الجامعة شيئاً من فلسفته في السنة الماضية · على انه كان لهذا الفيلسوف تأثير عظيم في مجرى افكار البشر في الارض · وكثير من العلماء والكتّاب في اميركا واوروبا قد أثرت مبادئه فيهم على علم منهم وعلى غير علم وأصبح نييتش عندهم اماماً لمبدإ جديد دعوه (المبدإ النييتشي) · وقد سألَنا بعض قرائنا الافاضل ممن يُعنون بهذه المباحث ان نسهب في بسط فلسفة نييتش ومبادئه فاجبناهم الى طلبهم

وقبل الشروع في هذا التلخيص لا بدّ من القول بأن مبادئ نييتش مزيج غريب من الافكار والآراء المدهشة التي يقف لديها الفكر حائراً · ذلك لانها تقلب بعصا من حديد جميع المبادئ والاصول التي علّمها الفلاسفة وعلماء الاداب من زمن سقراط وافلاطون الى اليوم · وقد قال فيها بعض دارسيها (انها مزيج غريب من الخطاء والصواب والعقل والجنون) ولا نبحث هنا في ما ينشأ عنها من المضرّة للعقول الضعيفة التي لم تستعدّ لها لاننا نضرب صفحاً عن تلخيص ما لا يجب تلخيصه · ولكنا ننظر هنا الى فائدتها العاجلة من بعض الوجوه بقطع النظر عن (فائدتها الزمنية) أي تأثيرها في افكار البشر في الارض تأثيراً امتدّ وتمشي مع مرور الزمان · وهذه الفائدة العاجلة هي تقوية كل نفس ضعيفة نشأت في الضعف

والخمول والوهن • فمن هذا الوجه يرى كثيرون من الشرقيين فائدة فيها

عرفتُ شاباً فاضلاً متوقد الذهن سريع التأثر ذكي الفؤاد له مشاركة في كثير من اصناف العلوم ولكنه يئس من الحياة وأصبح يرى كل شيء فيها اسود ويستصغر شأن الجهاد اليومي في تحصيل الرزق ويقول مع سليمان (كل شيء باطل) وقد بلغ به اليأس درجة الضعف المطلق • وكان ذلك حاصلاً في نفسه من ثلاثة امور • الاول تربيته الشرقية الضعيفة التي رأى كل واحد منا آثارها في نفسه او في من حوله • والثاني كبر اماني نفسه بالنسبة الى صغر عزيمته وهمته • والثالث مطالعته الكتابات الخيالية واقتباسه المبادئ التي تحلّ العزائم مما لا حاجة الى تفصيله • فلما رأيت منه هذا الضعف الى هذا الحدّ أشرتُ عليه بمطالعة كتب نيتش لتستمدّ منها نفسه القوة والحماسة • ففعل ولم يطالع أحدها حتى حدثت في نفسه ثورة جديدة وتقوّت نفسه وتشدّدت بعد ضعفها ووهنها

هذا تأثير مبادئ نيتش وهي من هذا الوجه محمودة وان كان لها وجه آخر غير محمود • ولكن لا بدّ دون الشهد من ابر النحل • ومن مصائب الشرقيين ان تربيتهم الاولى التي يتلقونها في منازلهم ومدارسهم تشبه منزلاً مبنياً على رمل فاذا أدرك واحدهم رشده وبلغ أشده رأى انه يجب عليه اعادة بناء هذا المنزل من اساسه ثانية اذا اراد ان يكون رجلاً نافعاً لنفسه ولغيره وقادراً على فتح طريقه في هذه الحياة

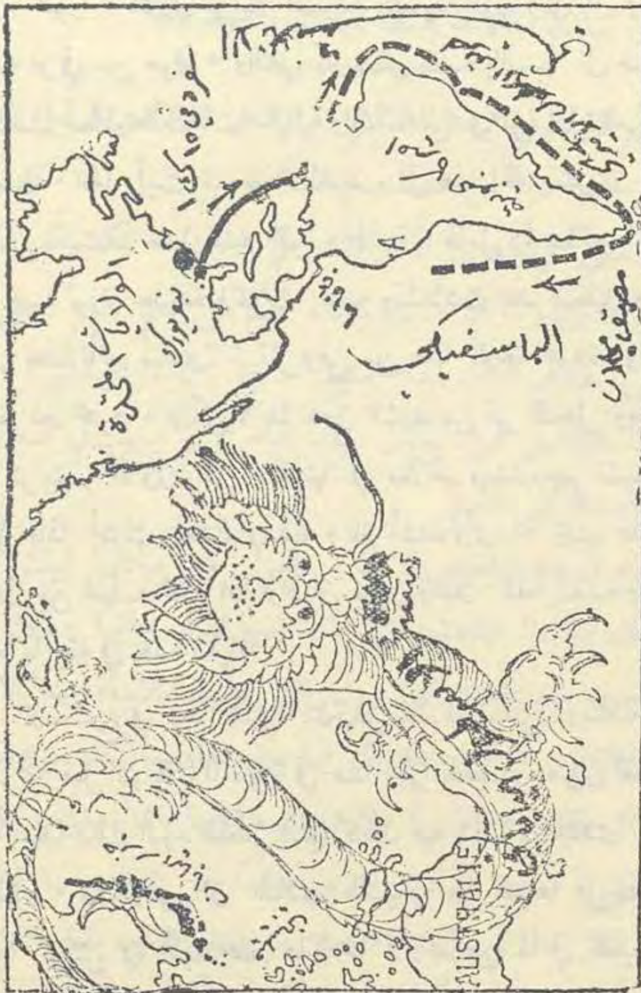
وسنشرع في الجزء التالي بتلخيص فلسفة نيتش ومبادئه • وفي ملزمة رواية (مريم قبل التوبة) المنشورة في هذا الجزء تلخيص معنوي لفلسفة نيتش بسطناها فيه عشية ذلك اليوم العظيم الذي كانت فيه شمس المبادئ المسيحية آخذة في الظهور • ولا يخفى ان المبادئ المسيحية هي ضدها على خط مستقيم ولذلك يحمل عليها نيتش في كتبه حملة هائلة مما لا نتعرض لها في تلخيصنا التالي • (راجع خطبة شبشرون في الوادي) في ملزمة الرواية وهي نقيض الخطبة على الجبل المنشورة في (اوروشليم الجديدة)

الاسطول الاميركي وموضع ضعفه

وانتقاله من المحيط الاتلانتيكي

الى المحيط الباسفيكي

ترى في الرسم الاول رسم الطريق التي يسلكها الاسطول الاميركي في انتقاله من المحيط الاتلانتيكي الى المحيط الباسفيكي . وهذه الطريق هي الخط

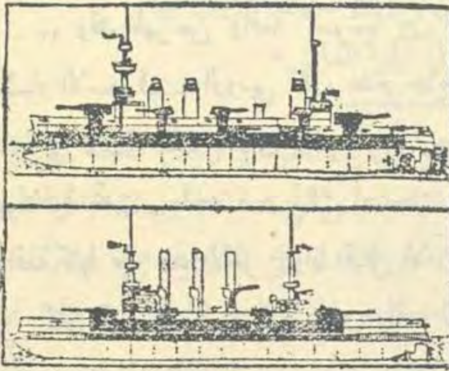


طريق الاسطول الاميركي من الاتلانتيكي الى الباسفيكي * و بعد عبوره مضيق مجلان يرى الاسطول اليابانى رابضاً ينتظره لافتراسه — هكذا يصور اليابانيون اسطولهم ..

المتقطع العريض الذي يبتدئ من ثغر همتون قرب نيويورك ويمتد حول اميركا

الجنوبية ماراً في مضيق مجلان حيث تشتد العواصف والقواصف ويتعذّر مسير السفن فيه بانتظام تام . وقد قال امراء البحر الاوروبيون ان هذه الرحلة البعيدة التي شرع فيها الاسطول الاميركي هي أعظم (مناورة) قام بها اسطول حربي واذا اتمها الاسطول دون ان يختل شيءٌ في آلاته او يتمرّد بعض بحارته او يحدث شيء فيه كان ذلك دليلاً على قوّة البحرية الاميركية وحيويتها

والرسم الاول يمثل وصول الاسطول الاميركي الى المحيط الباسفيكي ونهضة اليابان للفتك به . والاسطول الياباني ممثّل في الرسم بتنين هائل يرصد له لاعتباره ان سفر الاسطول الاميركي الى المحيط الباسفيكي انما هو تحرُّش ضمني باليابان وتهديد باطني لها . والآراء منقسمة في هل يقهر الاسطول الياباني الاسطول الاميركي أم الاسطول الاميركي الاسطول الياباني اذا دارت رحى الحرب بينهما . على ان المستر هنري رتردال الاميركي صاح في هذا الشأن في مجلة (مكاريس) الاميركية صيحة استرعت الاسماع واستوقفت الانظار



موضع الضعف في الاسطول الاميركي

الدارعة العليا هي الدارعة الفرنسوية «باتري» والخط العريض الاسود في جدارها هو درعها الفولاذية . والدارعة التي تحتها هي الدارعة الاميركية (كنانكت) المعقود لواؤها للاميرال ايفانس وهي الان في مقدمة الاسطول الاميركي . والخط الضيق الاسود في جدارها يدل على ان درعها لا تعلو كثيراً عن الماء

في اوروبا واميركا . وخلاصة صيحته انه يخشى ان يقع للاسطول الاميركي ما وقع للاسطول الروسي في تسوشيما يوم دمره اليابانيون

والمستر هنري رتردال احد اعضاء النادي البحري الكبير في الولايات المتحدة وهو من اكابر الاميركيين الخبيرين في المسائل البحرية فيها . ومن اقواله في هذا الشأن ما ملخصه

,, أهم ما يجب لحماية الدارعة أمران . الاول درعها الفولاذيـة التي تقيها من قنابل العدو . والثاني ابراج مرتفعة مدرّعة ايضاً لرفع مدافعها ومنع تأثير حركات الامواج على طلقاتها . والامر الاول أهمّ الامرين . لانه اذا أُصيب البرج الذي يحمي المدافع باحدى القنابل فلا يتعدى الضرر تعطيل مدفع . ولكن اذا اصيب جدار الدارعة بقنبلة ولم تصدّها درع انثغرت الدارعة وغرقت

,, وقد ظهر من واقعة تسوشيما بين الروس واليابانيين ان أعظم اسباب انكسار الاسطول الروسي كان عدم حماية دوارعها بدرعوها الفولاذية . فان الدوارع كانت مثقلة بالموءن والذخائر والرجال فغاصت في الماء واصبحت دروعها الفولاذية تحت سطحه . و بذلك اصبحت غير مدرّعة . وقد توقف مصير تلك الواقعة كلها على هذا الامر . وانا اقول الآن ان سفننا الحربية كلها هي في الحالة التي كان فيها الاسطول الروسي في واقعة تسوشيما . وليس هذا أمراً وقتياً بل دائماً . فاننا اذا نظرنا الى جميع دوارعنا لا نجد فيها دارعة واحدة اذا استعدّت للسفر للحرب واخذت موءنها ورجالها تقدر ان تُبرز من درعها ١٥ سنتيمتراً فوق سطح الماء . مع ان الدوارع الفرنسوية مثلاً يبرز من درعها فوق سطح الماء ما يتراوح بين متر و ٥٠ سنتيمتراً ومترين و ٤٠ سنتيمتراً . ولما انتبه رجال البحرية الاميركية الى هذا الامر كانوا كمن انتبه من حلم . وليس في الدنيا بحريـة وقعت مثلنا في هذا الخطاء الا ما ندر''

هذه صيحة المستر رتردال في قومه . ومما يزيد في اهميتها ان المهندس الذي رسم خطة عشر دوارع من الدوارع الاميركية التي تمخر عباب البحر الآن انما هو نفس المهندس الذي رسم خطة الدوارع الروسية التي دُمرت في تسوشيما وهو المستر لويس نكسن . ومحصل ما تقدم ان هذا هو موضع الضعف في الاسطول الاميركي ومقتله المكشوف لعدوه . جعل الله العاقبة خيراً وأبعد عن الفريقين اهوال الحروب فان الغالب فيها شرٌّ من المغلوب

تاريخ المسيح والمسيحية

ملخص مما كتبه الفيلسوف المؤرخ رنان

حادثة بولس الرسول

على طريق دمشق حين سار لاضطهاد المسيحيين فيها

« تابع لما في الجزء السابق »

خرج بولس من اوروشليم بقصد دمشق وفي يده أمر من رئيس الكهنة ثيوفيل بن حنانيا الى مجمع دمشق اليهودي يخوله حق القاء القبض على اعضاء الحزب الجديد (المسيحيين) وارسالهم الى اور وشليم مكبلين بالقيود . فعبر الاردن على الارجح عند جسر (بنات يعقوب) وكان في صحبته بضعة من رفاقه وكلهم مشاة (راجع الجزء السابق وفيه ترجمة بولس الى ذلك الحين)

خرج بولس متحمساً ثائراً ومن خواص الطبائع المتحمسة انها تنتقل من عقيدة الى عقيدة ومن الحب الى البغض انتقالاً سريعاً . وكان بولس كسائر ذوي الطبائع المتحمسة يوشك ان يحب ما يبغضه ويبغض ما يحبه . وربما قام في نفسه يومئذ شكٌ في أمره وتساءل هل كان يخالف ارادة الله في اضطهاده هذا الحزب ام ما كان يخالفها . وربما عاودته افكار استاذه غمالائيل ذي الآراء المعتدلة الصائبة . واحياناً يقع لهذه الطبائع المتحمسة (ردّ فعل) هائل فيميلون بالرغم منهم الى الذين هم يعذبونهم . وكان رجال الحزب الجديد (المسيحيون) يكتسبون اميال الناس اليهم كلما ازداد الناس معرفةبهم وباحوالهم . ولم يكن احد اصح معرفة بهم من شاول (بولس) الذي اضطهدهم . فربما خُيل له أحياناً انه يرى صورة (معلمهم) ينظر اليه نظرة عتاب وتأنيب ويلومه لاضطهاده أهله . وكان بولس يستغرب ما سمعه من ان بعض اتباع المسيح كانوا يرونه متجلياً لهم في الفضاء الا انه كان في بلاد يعتقد اهلها بالمعجزات والخوارق والحزب المعارض

للمسيحيين نفسه كان يعتقد بالمعجزات فكان متعذراً على بولس انكارها · فانتهى بولس في سفره الى سهل دمشق المتسع ودنا من المدينة وكل هذه الافكار تساوره · وكان الوقت منتصف النهار (١) وربما بلغ بولس حينئذ الحدائق المحيطة بدمشق

اما الطريق التي كانت ممتدة بين اوروشليم ودمشق وسار عليها بولس ورفاقه فلم تتغير حتى اليوم وهي الطريق التي تمرّ في داريا وكوكب وساسه · ولا يمكننا بالتحقيق معرفة المكان الذي وقع فيه ذلك الحادث العظيم الذي كان له تأثير على مستقبل الانسانية · على ان تقاليد العصور المتوسطة تنبئ ان ذلك الحادث حدث في ما وراء قرية كوكب على مسافة اربع ساعات من دمشق · ومن المحتمل ان الحادثة حدثت في مكان اقرب الى دمشق من قرية كوكب ولعلها حدثت في ماوراء داريا وهو



بولس الرسول
واقف في الجمع في افسس يخطب و يدعو الى الديانة المسيحية * وهذا الرسم من صنع الرسام لوسو يير المشهور وهو اليوم موجود في متحف اللوفر في باريز

اقرب الى الصواب · وكان بولس ورفاقه يسيرون قاصدين دمشق وحولهم حدائق الشام الفيحاء التي يدعونها (جنة الله) وكان كل شيء حولهم يرمز الى الهناء والسعادة · فكان كل خطوة يخطوها نحو المدينة التي يقصدها لتعذيب بعض الناس فيها تثير في نفسه قلقاً واضطراباً · وربما أصبح يرى وظيفة

(١) اعمال الرسل

(الجلاّد) التي انتدب نفسه لها مكروهة لديه وصار ينفر منها . ولما وقع نظره على اول منازل دمشق ُخيل له انها منازل الذين جاء لاضطهادهم وتعذيبهم . فأثرت فيه هذه الفكرة وقصّرت خطاه وقام في نفسه ان ُيحجم و يقاوم الدافع الذي كان يدفعه الى امام (١)



بولس الرسول في سفره من بلد الى بلد * رسم الرسام المشهور رفائيل وهو موجود في الفاتيكان

ثم أُضيف الى هذا التأثير تأثير مشقة السفرلان المسافة بين اوروشليم والقدس اربعة ايام . وكانت عيناه ملتهبتين (٢) فربما أُصيب بمرض فيهما حين انتقاله من حر الشمس في البر الى ظل الحدائق بعد سير طويل . على ان الاصابة بالحميات المقرونة بتهيج في الدماغ كانت أمراً مألوفاً في تلك الجهات

وكان تأثيرها فجائياً فتنقض في بضع دقائق انقضاض الصواعق . وحين تزول ثورتها يبقى من آثارها تصور المريض انه رأى بروقاً وظلاماً . ومما لا ريب فيه ان صدمةً هائلة اصابت بولس فالقت به الى الارض وافقدته ما كان بقي له من قوة الادراك . ولكن الذي اقنع بولس وردّه عن مكيدته هو تبكيت ضميره وحالة نفسه حين دنا من المدينة التي جاء يفعل شرّاً فيها . ومن المحتمل ان زوبعة هبت عليه في تلك الساعة فان الصواعق والزوابع كثيرة الوقوع في سفح جبل حرمون . وليس أشد من الصواعق التي تقع هناك . وكان الاقدمون يعدّون وقوع الصاعقة فعلاً من افعال الآلهة وكان اليهود يعدّونها (صوت الله) ويسمون برقها (نار الله) . على ان صوت الله ونار الله كانا في ذلك الحين في باطن بولس

---

(١) اعمال الرسل (٢) اعمال الرسل

لان ضميره كان يبكته تبكيتاً موئلماً لما فعله وما عزم على فعله فضلاً عن مرضه المحتمل بحمى نشأت عن ضربة الشمس او التهاب العيون (اوفتالميا)

(ستأتي البقية)

باب الاخبار العلمية

﴿ النبات والنور واكتشاف جديد ﴾ امتحن العلامة فلامريون الفرنسوي مدة سنتين تأثير النور الملوّن في نمو النباتات والاثمار وحفظها فاسفرت امتحاناته عن اكتشاف جديد . وهو ان بعض النباتات كالخس مثلاً اذا جُعلت معرّضة للنور الاحمر يزيد نموها خمسة عشر ضعفاً عنه اذا عُرضت للنور الازرق . وان للنور الازرق خاصة الصيانة والحفظ . فقد غرس سنديانة صغيرة منذ سنتين وجعلها تحت نور ازرق دائم فبقيت اوراقها الاولى مصونة مدة سنتين . وعرض أثماراً ناضجة للنور الازرق فبقيت ٢٠ يوماً ولم يدب فيها الفساد . وامكنه ايقاف نضج بعض الاثمار باللون الازرق كالفريز مثلاً . ومن المحتمل ان يتناول اكتشافه هذا تجار الاثمار والخضر وزراعها لاستعماله والاستفادة به

﴿ داء السل واكتشاف جديد ﴾ في تلغراف من باريز ان طبيباً فرنسوياً شفى مريضاً بداء السل بواسطة عملية جراحية عملها في شطر رئة المصاب . وذلك انه شق ظهر المريض وبلغ الرئة المصابة فنظفها من جميع ادرانها واستعان على منع نزيف الدم الفاسد الى باطن الجسم بآلة صنعها خاصة لذلك اذ الخطر هو في هذا النزيف لانه يقتل المريض لساعته . وقد نقل البرق ان المريض يتعافى الآن تدريجاً

ان السعادة هي في الراحة والهدوء والسكينة

كلا ان السماء التي تراها ثابتة امامك ليست بثابتة . فان مئات والوفاً من النجوم تسبح وتضطرب في دوائر هائلة ولها دوي وصعقات وتفجرات تملأ فضاء اللانهاية . ولو ارتقيتَ اليها ووقفتَ بينها وقفةً تمكنك من الاشراف على مجموعها بنظرة واحدة لسمعتَ لها في حركاتها الهائلة الدائمة أنيناً بعيداً ورأيتَ لها عذاباً شديداً يحكيان أنين وعذاب الفرس الذي يدير رحى الآلة الطاحنة . وهذه الطبيعة التي ظننتها الآن مستريحة لهدوئها وسكونها انما هي في حركة دائمة وعذاب دائم . فالرياح تضطرب ويصرع بعضها بعضاً . والضباب والسحاب يتبدّد لديها مطروداً بذلٍ وإهانه كأنه قمامة تكنسها مكنسة خادمة . ومياه الانهر والابحر تثور وتزبد لدى صدماتها الشديدة كما يثور الحرُّ للطمة من كفّ حرّ . وتربة السهول وصخور الجبال تتفتت من فعل المياه التي تجري فيها والرياح التي تهبُّ عليها . والاشجار والنباتات تشق بطن الارض بجذورها شقاً وتنتزع من التراب مادة الغذاء انتزاعاً وتتنازع عليه فيما بينها تنازعاً شديداً . والحيوانات والطيور والحشرات في ظلها او بين اغصانها حتى الاسماك في جوف البحار والنسور في اكنانها في رؤوس الجبال تتصادم وتتلاطم ويفترس بعضها بعضاً . هذه هي الطبيعة التي تظهر لنظرك مستريحة هادئة ساكنة وهي في حركة دائمة وعناء ابدي

الحركة . هذه هي سُنّة الكون العظمى وشريعته الكبرى . وانني أرى أثر الحركة في كل شيء حتى انني لأظن ان الكون لم يُخلق الا بها (١) واذا كانت الحركة سُنّةً عامة وشريعة مطلقة فهي لم تكن كذلك الا لانها محيط صالح لنشأة الامة والحياة وسلامة العيش فيها . فالحركة الحياة والسكون المنون

انك ترى البوذي جامداً تحت شجرة يتأمل ويحلم وهو كأنه رمة لا يتردد فيها نَفَس . واذا رأى افعى تفترس عصفوراً او ذئباً يختطف ارنباً ثارت نفسه

(١) هذا مبداء مشهور اليوم وكثير من اهل العلم يرجحونه

شفقةً ورحمة ورفع يده الى السماء لاعناً الافعى والذئب ونغص عيشه في ذلك اليوم فلا يأكل ولا يشرب تأثراً وانفعالاً . وترى الاسرائيلي جالساً الى تلموده يرسف في قيوده وهو ساكن جامد يحمد اله ابائه وأجداده ويطالع اقوال انبيائه الذين يغرسون في نفسه مبادئ الرحمة والشفقة ويزهدونه في الدنيا . قال احد ملوكه المدعو سليمان (باطل الاباطيل وكل شيء باطل) فماذا تريد ايها الاخ ان يخرج من هذا الضعف والجمود والسكون والزهد والاستماتة . ان شرقكم ينحط الان ويموت بهذا الضعف العام الذي استولى على نفوس أهله بسبب هذه المبادئ التي تحل نفسه حلاً . . . لا تقطع كلامي يا صاحب ودعني أكمل . انكم تقولون ان الرحمة والشفقة وحب القريب من العواطف الالهية . والهدوء والسكينة والراحة من حاجات النفوس البشرية . نعم ان الرحمة والشفقة وحب القريب عواطف كما يقولون ولكنها ليست بالهية بل مصدرها ضعف تربية الانسان وفساد عقله وقلبه . ليس العمدة في حياة البشر جعل الارض (مستشفى عاماً) يداوى فيه البشر ويمرضون صيانةً للضعيف وحفظاً للخامل . فان هذا أمر تنبو عنه العقول السليمة ونتيجته إضعاف الجنس البشري . فليقع المرضى والضعفاء والخاملين ما يقع فانهم ثمالة الكأس والثمالة لا تسوغ لشارب بل تطرح بعيداً . وماذا يهمنا ويهم الارض التي نعيش عليها اذا نقص عدد سكانها سدسهم او خمسهم او ربعهم . ان البشر يبقون بشراً والارض تبقى ارضاً ولكنهم يصبحون أصح واقوى واعظم وهي تصبح موطناً قوياً لا تفسد هواءه ريح الضعفاء والمرضى ولا يسكنه الا الاقوياء . (فالقوة) هذه هي (السنة العامة الجديدة) التي يجب ان تحكم الارض وتغرس مبادئها في كل حي فيها . اليكم عنا ايها الضعفاء فاننا لا نبغي العيش الا مع الاقوياء . اننا نريد (انسانية جديدة) لا يتخنث فيها الرجل ولا يتأنث . لحمتها ,, القوة والنشاط '' وسداها ,, ايجاد شخصيات قادرة ذات قدر رفيع '' . واذا اقتضى الامر دوس هذه الشخصيات القادرة الجثث والهام . فلتدس ولتزحف الى الامام الى الامام . توصلاً الى الامور العظام

وتقولون ,, ان الهدوء والسكينة والراحة من حاجات النفوس البشرية ''
وانا أرى انها من حاجات النفوس البشرية الضعيفة . إحفظ هذه القاعدة المطردة
وهي ,, متى رأيتَ حياً يميل الى الهدوء والسكينة والراحة بعد ميله الى ,, الحركة ''
فقد بدأ بالانحطاط '' ذلك لان الميل الى ,, الراحة '' ميل الى الضعف والكسل
والخمول . فالحياة والدنيا كلها حركة في حركة فمن دبَّ فيه الميل الى (الوقوف)
اي الراحة فقد دبَّ فيه الميل الى الانتحار المعنوي والخروج عن سنَّة الحياة
العظمى التي هي (الحركة)

وهنا سكت شيشرون ومسح العرق عن جبينه لانه كان قد تحمَّس في
كلامه . اما رفيقه يوسف فكان يصغي اليه وعلى وجهه لوائح الدهشة والاستغراب .
وكانت تبدو بين شفتيه ابتسامة جميلة من حين الى حين ولما سكت شيشرون
قال يوسف وهو يتبسَّم

ــ كنتُ وانا أسمع كلامك يا صاحب إخالني في عالم غير هذا العالم .
وقبل ان أُباحثك فيه اسألك ما الفائدة التي يستفيدها البشر من هذه (الحركة)
و(القوة) و(القدر الرفيع) و(دوس الضعيف) و(الانسانية الجديدة) و(الشريعة
الجديدة) . فانني أرى في هذه المبادىء نظام الانسانية يُقلب والمبادىء التي
نشأنا وشببنا عليها تُهدم ولا أرى الفائدة التي تنتج لنا من هذا الانقلاب

فاجاب شيشرون

ــ لا تقل الفائدة بل قل (الوحي) الذي ينزل حينئذ على الارض . ان
الانسان يأخذ نوع الحيوان فيحسن تربيته ويجيد نسله لترقيته ولكنه يهمل نفسه .
فالمبادىء التي بسطتها لك ترقي الفرد الانساني وتجعله ,, فوق الانسان '' (١)
ان البشر خُلقوا في بدء الخليقة اقوياء أشداء ولكنهم بسبب تربيتهم المخنثة تدلوا

«١» هذه تسمية (نييتش) نفسه ومبادىء شيشرون هنا شبيهة بمبادئه . والمقصود من
التقريب بينهما مع تباعد عصريهما تباعداً عظيماً هو الالمام بالمبادىء التي احتكت
في الارض

بدل ان يترقوا واصبح واحدهم ضعيفاً ضئيلاً مملوء التصورات بخيالات الرحمة والشفقة والمحبة والرفق والهدوء والسكون . هذا هو المرض الذي يجب على البشر ان يهبوا هبّة واحدة لمداواته وإحلال (القوة) محلّ (هذا الضعف). ومتى فعلوا ذلك أصبحت الانسانية راقية وزالت عنها كل العناصر المريضة الضعيفة العاجزة التي تشوّهها وتمنع ترقيها . فهل ترى فائدة اكبر من هذه الفائدة

فضحك يوسف وتناول كتاباً كان في جيبه وفتحه ثم قرأ في اول صفحة وقع نظره عليها ما يلي

ــ الارض تزول ونواميسك الابدية لا تزول

ثم قال لشيشرون مبتسماً : احسنت يا صاحب ولكنك لم تذكرلي الطريقة التي تُربى بها هذه (الانسانية الجديدة) تلك التربية

فقال شيشرون : لا تضحك يا صاحب واعلم ان سؤالك لازم عن كلامي بعد ما ذكرته لك وهو في موضعه . نعم يجب ان تعلم الطريقة التي يجب ان تُربى بها (الانسانية الجديدة) . الطريقة هي (انماء كل قوى الانسان وترك مقاومة غرائزه) . ان (غريزة) الانسان هي (الانسان نفسه) فمقاومتها مقاومة للانسان نفسه وهدمها هدمٌ له . ان الطمع والاثرة والحب والرغبة في الاستعلاء والامتياز وحب التسلط والسيادة والقوة والميل الى التمتع بملاذ الدنيا ومسراتها ــ كل هذه غرائز في طبيعة الانسان ووجدانه متجه نحوها ومتشوق اليها . فيجب (ان تُعطى النفس مداها لتُشبع جميع قواها) هذه هي الطريقة في تربية (الانسانية الجديدة) . لا تضغطوا على (غرائز الانسان ورغائبه) فانكم (تصغرون) الانسانية بهذا الضغط وتجعلونها به ضعيفة ضئيلة خاملة كما هي الان . ان تعليمكم الزهد في الدنيا يُفني قوى الانسان و يجعل الدنيا مسكناً لمرضى العقول والكسالى والخاملين . وتعليمكم الرحمة والشفقة وحب القريب يرفع ذلك المريض عقلاً الكسول الخامل من دركة الانحطاط التي هو فيها الى درجة المساواة بالصحيح العقل النشيط القوي . وهذه المساواة هي التي تُفسد اموركم وتُضعف قوتكم وتجعل

اسافلكم اعاليكم واعاليكم اسافلكم · هذه المساواة هي الاضحوكة الغريبة والسخرية العجيبة التي تُفسد بكلام رقيق وظاهر انيق كل هيئة اجتماعية تأخذ بها· فان البشر في طبائعهم ووجدانهم فريقان · (فريق منحط) و (فريق راقٍ) فبموجب أي مبدإ مضحك يمكن المساواة بينهما · وتعليمكم ترك الطمع والاثرة ونبذ حبّ السيادة والاستعلاء يفني في الانسان اعظم ما فيه وهو (قوته الذاتية) ان هذه القوة يجب ان تظهر بمظهرها الكامل لا ان تقاوَم بحدود وسدود · ماذا اقول لك · تدّعون ان الطمع والاثرة شرٌّ وانا اقول ان دعواكم هذه هي الشر · ان الارض والحياة للعاملين لا للخاملين · والعامل من حقه ان يطمع في ان يعمل ما يشاء بقدر ما يشاء وينال من منافع عمله ما يشاء بصرف النظر عن غيره· ولما كانت الحياة تنازعاً على (الرزق والسيادة) فله ان يستعمل ما يشاء لانفاذ قوته والوصول الى امله في عمله · انكم تحرّمون (الغش والخداع) ولكن الغش والخداع انما هما سلاح الضعيف في هذا النزاع وبدونهما لا يقدر ان يعيش بازاء القوي · انكم تقولون عن الحب · ·

فهنا لم يتمالك يوسف ان صاح ,, قف يا صاحب عند هذا الحد '' — ثم شخص مبهوتاً وقد ترك الابتسام الذي كان يبدو بين شفتيه من قبل

الله اعلم بالثورة التي حدثت في نفس يوسف وهو يسمع من رفيقه الروماني هذا الكلام الغريب · فقد كان يهزأ به في بدء حديثه ويبتسم له ولكنه حين رأى ان اقواله متلاحمة آخذ بعضها برقاب بعض كأنها سلسلة متصلة وعلم ان ذلك الكلام الذي وقع في نفسه وقعاً هائلاً لم يكن هذيان شاب معتوه او احمق بل نتيجة فكر بعيد وتأمل شديد يُراد إخراجه من حيز (الترهات المعقولة) الى حيز (المبادىء المقبولة) ثارت نفسه كراهة واشمئزازاً ورأى بينه وبين رفيقه الجديد هاوية عظيمة · وقد احسّ وهو يسمع ذلك الكلام ان المبادىء التي رضعها مع اللبن وشبّ عليها تسقط في نفسه مبدأً بعد مبدإ وخيل له ان ظلاماً كثيفاً خيّم على نفسه · فرفع يده في الهواء كأنّ ذلك الظلام ضباب يريد

طرده عنه وصاح كما صاح جوت العظيم على فراش الموت

ــ النور النور اين النور

ولم يكن تأثر هذا الفتى الى هذا الحد نتيجة انفعاله فقط من هذه المبادئ الغريبة التي تناقض كل مبادئه وتهدمها كلها بل كان تأثره ايضاً لامر آخر . فانه عاش بين قومه الاسرائيليين وقرأ كتبهم الدينية وسمع خطب وعاظهم ورأى رذائلهم ونقائصهم (دون ان يرى فضائلهم) فقام في نفسه ان اصلاح امته وشعبه متوقف على الرجوع الى اصل الدين والتوراة واتباعهما (قولا وفعلاً) لا قولاً دون فعل . وكان ذا نفس نقية وتربية ساذجة صحيحة واخلاق كريمة فكان لنقاء نفسه وقلبه يرى ان العمل بوصايا الدين الحقيقية أمرٌ سهلٌ فاذا فعل جميع الناس فعله واقاموا السنّة الدينية الحقيقية المسطرة في التوراة استقام لهم الاصلاح الذي كانوا ينشدونه وارتقوا ارتقاء عظيما في الدنيا والدين فامكنهم ان ينالوا امانيهم من طرد الرومانيين من بلادهم وحكم نفوسهم بنفوسهم كما كانوا قبل دخولهم تحت نير الرق السياسي واقامة (شريعة موسى) الحقيقية التي كان الشعب قد ضلّ عنها واستسلم الى كهنة مشعوذين يسودون عليه (ليبتزوه لا ليخدموه) . فكانت نفسه تحدثه ان يقوم بهذه الدعوة لاصلاح امته وإنقاذها وكان يستعد في نفسه لها . فلما سمع من رفيقه شيشرون ما سمع تزعزع وتضعضع لا لشكه فقط في مبادئه بل لشكه ايضاً في طريقة الاصلاح التي في نفسه . فانه ظهر له من كلام رفيقه ان في البشر من يرى طرقاً لاصلاح الامم غير الطريقة التي كان هو يراها وتلك الطرق هي وطريقته على طرفي نقيض . فهل تلك الطرق التي بسط له بعضها ذلك الروماني هي التي افلح بها الرومانيون اسياد قومه وسادوا بها الدنيا . هل هي الحقيقة وطريقته الوهم والخيال . أم هي الوهم والخيال وطريقته الحقيقة الابدية

ولكن نفساً ساذجة كنفس يوسف وعقلاً حديث النشأة كعقله لا يتردّد فيهما شك كهذا الشك زمناً طويلاً . ذلك لان التأثير (الحديث) فيهما لا يلبث

ان يحله محل التأثير (القديم) فيعودان الى مبادئهما الاولى عودة الثوب الى طيّاته وثناياه اذا طوي بعد نشره · وحكم فتىً في سنه وسذاجته انما يكون في الغالب صادراً عن عواطفه لاعن عقله · وانتقال العواطف من تأثر الى تأثر ومن حكم الى حكم أمر مشهور · ولذلك لم تكد نفس يوسف تضطرب وتثور حتى هدأت واطمأنت لدى قليل من التأمل وعادت الى مجراها الاصلي كما يعود النهر الى مجراه اذا اعترضته اكمة في سبيله · فنوى ترك مناقشة ذلك الروماني في افكاره وآرائه وبسبب خوفه منها أبى ان يستزيده شرحاً وايضاحاً لها · فبعد ان اقام نحو دقيقتين ساكتاً يحلم ويتأمل قال له

— لقد خرجنا عن موضوعنا يا صاحب وليس ما تفضلتَ بذكره بجواب عن سؤالي · فاني لم استفتك الا في حالة هذه المرأة الشقية وكيف تعيش معذَّبة مهانة مع ان جميع الكائنات والاحياء حولها في عيش ان لم يكن رغيداً هنيئاً كما قلتَ فهو على الاقل اعتيادي محتمَل · فهل لك ما تُدهشني به في هذا الصدد كما ادهشتني في كلامك السابق

وكان شيشرون قد تحمس في اثناء كلامه السابق كما رأى القارىء وكأنَّ نفسه تجرَّدت من مادتها في اثناء خطبته وارتقت في مراقي الفكر تحلّق فوق الارض والبشر وهي تحمل شيئاً لا يُعلم ما هو وكأنها نسرٌ محلق في الجوّ وبين مخالبه شيءٌ لا يُعلم هل هو جيفة منتنة من جيف الارض القذرة أم هو طائر من طيور السماء الجميلة · وكأنَّ جسمه المشوه تجمَّل بعد شناعته لحماسة نفسه وكأنَّ حدبته زالت تحت رأسه الذي رفعه بكبرياءٍ وانفة في اثناء كلامه ورأسه الهائل ازداد ضخامة لضخامة الكلمات التي كانت تخرج من فيه وهي كأنها حجارة منجنيق تُرمى بها نفس يوسف الساذجة الضعيفة · فكان لمرآه حينئذ لدى الناقد الخبير جمال خصوصي ليس من الجمال المألوف في شيء ولكنه جمال غريب جديد وهو جمال الشناعة الهائلة اذا هبّت عليها روح قوة هائلة ووقفت في موقف النبوّة مجترئة على مدّ يدها بعصا من حديد الى قلب الهيئة الاجتماعية لتحطيم اصنام

البشر ومبادئهم بمجرّد قوتهاوحدها . وكأنّ ذلك الروماني كان يعلم مبلغ كلامه هذا من الاهمية ولذلك كان يلقيه بجدّ ورزانة وصيغة (رسمية) كأنه رئيس دين عظيم يتلو آيات مذهبه

فاجاب شيشرون على سؤال رفيقه

— ايها الفتى (١) لا ادهشك ولا تدهشني ولم نخرج عن موضوعنا كاظننت . تسألني عن هذه المرأة الشقية قائلاً ,,أليس من دواعي الاسف والحزن العظيم ان الطبيعة وجميع كائناتها هادئة تستريح واهل هذه القرية مستريحون مطمئنون جميعاً — وهذه المرأة وحدها تتعذب'' فاجيبك . من ادراك يا صاحب انه ليس في أهل هذه القرية من يتعذّب عذاباً أشد من عذاب مريم الشقية . . . ثم دعنا من هذا ولنعد الى المبادئ التي بسطتها لك لتطبيقها على سؤالك . وهو ما أردتُ الاستطراد اليه بعد هذه المقدمات كلها . فلا تقل انني خرجت عن موضوعنا

كلا يا صاحب ليس ما ذكرتَ من دواعي الحزن والاسف . تقول ان هذه المرأة تتعذب وتشقى في حياتها هذه فدعها تتعذب وتشقى . واذا قُدر لها الهلاك والفناء فلتهلك ولتفنَ . تذكّرْ ما قلته لك آنفاً ,, اليكم عنا ايها المرضى والضعفاء والساقطون واذهبوا من طريقنا والا دسناكم فاننا نريد المعيشة مع الاقوياء لا مع المرضى والضعفاء '' اننا نريد اقوياء تسري قوتهم الينا فتزيدنا قوة لا ضعفاء يعدينا ضعفهم ويزيدنا ضعفاً . فالرحمة والحزن والاسف انما هي عواطف عواطف عواطف ولا نريد ان نحيي في الارض بحسب شريعة العواطف المنحطة .

---

(١) ورد في الصفحة ٥٨ السطر ٨ ان عمر شيشرون ٣٢ سنة وهو خطأ مطبعي لا بدّ من اصلاحه قبل تمام الرواية والصواب ٣٨ سنة



عطوفتلو محمد علي بك العابد

السفير العثماني في الولايات المتحدة

« مأخوذة من جريدة الكون الغراء »

الجزء ٢ الجامعة السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك اذار — (مارس) سنة ١٩٠٨ — صفر سنة ١٣٢٦

احد اثار الجامعة في اميركا

« مطالب السوريين المهاجرين »

« من السفارة »

سألنا كثيرون من القراء ان ننشر في مجلة الجامعة صورة « المطاليب من السفارة » التي نشرتها جريدة الجامعة في رأس السنة لتُقدَّم الى السفير الجديد عطوفتلو محمد علي بك عزت العابد رغبةً في حفظ هذا الاثر في المجلة فننشرناها هنا . وقد رُفعت هذه المطالب الى السفارة العثمانية في ٢٢ شباط ضمن عريضة موقع عليها من جمهور غفير من المهاجرين بعثوا من جميع انحاء الولايات المتحدة وملحقاتها بامضاواتهم الى الجامعة للموافقة على تلك المطالب . ولكي تسع العريضة جميع تلك الامضاوات اقتضى الامر صفها وترتيبها في دفتر كبير ذي مائتي صفحة

تمهيد لعشرين مطلباً

يا سعادة السفير

قبل قدومكم الى هذه الديار لم يكن للسفارة او بالاحرى (الوكالة) العثمانية من علاقة بالمهاجرين لا كلية ولا جزئية فكان السفير العثماني يجيء ويعود من

حيث أتى دون ان يشعر السواد الأعظم من السوريين بمجيئه او عودته حتى قدمتم سعادتكم سفيراً مطلقاً لجلالة السلطان فاستقبلكم السوريون استقبالاً حسناً لم يسبق له مثيل في تاريخ هجرتهم . وقد اسهبت جرائدهم في حسن ظنها بكم وأملت الخير عن يدكم ونشرت فصولاً بشأنكم مع انها كانت تضنُّ على من تقدموكم من وكلاء السفارة العثمانية ببضعة اسطر تنشرها عنهم واذا نشرتها فهي كانت اقرب الى الوخز والغمز منها الى حسن الظن . وليس السبب في هذا الانقلاب سوى حسن ظن السوريين بسفير عثماني هو ابن وطنهم (الصغير والكبير) معاً اي سوريا والدولة العثمانية واعتبارهم — ولعلهم مصيبون في هذا الاعتبار — ان حكومتهم العثمانية لم تعين سفيرها في واشنطن سورياً من ابناء سوريا ومن اسرة بني العابد الكريمة المشهورة فيها والتي رأسها عطوفتلو احمد عزت باشا والدكم المحترم احد اركان الدولة واساطينها (١) الا لرغبتها أي الحكومة في العناية بالسوريين المهاجرين من بلادها بعد ان اهملتهم مدة طويلة . وقد بلغ من هذا الاهمال ان كثيرين من تجار السوريين في جزيرة هايتي يوم اشتد عليهم الاضطهاد هناك من الاهالي والحكومة لجأوا الى السفارة الفرنسوية لتحميهم لانهم نصارى لبنانيون وغيرهم من اخوانهم لجأوا الى وطنيتهم الاميركية الجديدة ولم يفكر قط واحد من التجار السوريين المنكوبين بالالتجاء الى السفارة العثمانية في واشنطن مع انه كان في امكانها على الاقل ان تكل امرهم الى أية دولة ذات نفوذ ومصالح كبرى في هايتي لتحميهم من قِبلها

وعدا عن ذلك فان كثيرين من التجار العثمانيين في نيو يورك وقعوا في مشاكل كبيرة مع ادارة الكمرك وغير ذلك وكان لهم في سفارة دولتهم مساعدة

(١) فضلاً عن تعيينها جناب وطنينا المفضال الامير سامي ارسلان قنصلاً عاماً في واشنطن وجناب المفضال احسان بك سكرتيراً للسفارة وحضرته سوري ايضاً

قوية لو لجأوا اليها ومع ذلك فانهم كانوا يكتفون بالمدافعة عن حقوقهم بنفوسهم دون ان يستنجدوا بالسفارة

ولا تقولوا يا سعادة السفير ان الذنب ذنبهم لانهم لم يقرعوا باب السفارة ليفتح الباب لهم ويؤخذ بيدهم فان السفراء والوكلاء الماضين (ومعاذ الله ان اقول فيهم هنا قولاً رديئاً لانني لا احب الضرب في الغائبين وانما اقول الحقيقة مجردة) — ان الوكلاء السابقين لم يكونوا من (رجال الدرجة الاولى) الذين تحسب لهم الحكومات حساباً وتسمع لهم باحترام ينفع الدولة التي يمثلونها والرعية التي هم بينها . فان السوريين لم يروا منهم عملاً جدياً لا لهم ولا لحكومتهم فضلاً عن تحجبهم عنهم واهمالهم لهم كأنهم جاؤا ليكونوا سفراء على احراش تكساس واوكلاهوما ومقاطعة الهنود . اما وقد جاءهم الآن نجل احمد عزت باشا العابد سفيراً مطلقاً فربما تتغير تلك الحالة ان شاء الله بمعونتكم وهمتكم . ولذلك رأينا ان نرفع الى سعادتكم باحترام واخلاص حاجاتنا و(مطاليبنا) خدمة لاخواننا واخوانكم المقيمين في هذه البلاد وهم امة وجيش عرمرم من مسلم ودرزي ومسيحي .

اي نعم يا سعادة السفير اننا هنا اصبحنا امة كبيرة في عددنا والثروات والصنائع والمتاجر والمعارف التي حصلناها وفي المستقبل سنصبح اكبر وربما انتقلت في المستقبل سوريا كلها الى اميركا فتصبح سوريا في اميركا ثم قد ينقلب هذا التيار باحكام الزمان — وللزمان احكام — فتصبح اميركا في سوريا اي يهاجر السوريون منها الى سوريا . ولا نظن أحداً ينكر تأثير السوريين المتأمركين على سوريا في المستقبل . فعندنا في رأينا العاجز ان هذا الوقت هو وقت (حسن التفاهم) لازالة (سوء التفاهم) الماضي لتكون ثمار المستقبل يانعة لذيذة لسوريا وحكومتها ومهاجريها معاً فتكون المهاجرة الى اميركا نعمة للجميع وليس فيها شرّ

او ضررٌ لاحد . و(حسن التفاهم) هذا يا سعادة السفيرة — ونقول لسعادتكم هذا الكلام باحترام ولكن بحرية — لا يزول الا اذا رأى السوريون بأعينهم جليًا آثار عناية حكومتهم به ومنافع فعلية عاجلة لهذه العناية . ونظن انكم اذا تفضلتم ودققتم النظر في (مطالبينا) العشرين التي نبسطها الآن لسعادتكم في هذه العريضة العلنية التي نتشرف برفعها لكم ثم تفضلتم برفعها الى حكومة جلالة السلطان المعظم مقرونة بالملاحظات والتقارير التي يوحيها قلبكم وعقلكم — وقد وضعنا قلبكم اولاً لانه سوري ينبض على نبضات قلوبنا — فنحن نؤمل ونرجو ان ننال خيراً من ورائها اذا التفتت الاستانة اليها وعملت بموجبها . ويكون هذا فضل طريقة لحسن التفاهم المطلوب

١
ان تخطو انت اولاً فالكبير يبدأ

نطلب اولاً ان تتقدم انت منا يا سعادة السفير وتخطو نحونا خطوة الوداد بعد خطوتنا فان ذلك يُعدُّ تواضعاً وتساهلاً . ولا أرى افضل من زيارتك نيويورك فتلقى فيها من السوريين عثمانيين كانوا او اميركيين متجنسين كل حفاوة واكرام لائقين بمقامك السامي . وان كنت تنتظر سعادتكم لتفعل شيئاً للسوريين ان يتقدموا هم منك فما الفرق اذاً بينك وبين اسلافك الماضين الذين بالنظر لوفرة تحجبهم اوجدوا سوء التفاهم الذي لم يزل الى الآن وكانت نتيجته بعاداً لا تدركه العين بينهم وبين دولتهم الاولى . فعطفك على السوريين بهذه الطريقة يدلهم على كونك تحسب لهم هنا في سياستك حساباً وانهم ليسوا اصفاراً الى اليسار في سياسة الدولة العثمانية ويستطيعون ان يفسروا تعيينكم منا سفيراً مطلقاً لجلالة السلطان كنة خصوصية خصتهم الدولة بها لتدلهم على حسن نيتها من جهتهم

٢

لا نريد ان نخرج وندخل كاللصوص فان هذا عار علينا وعلى الحكومة العثمانية

نطلب (ثانياً) وضع نظام للمهاجرة من سوريا واليها ٠ فان المهاجرين من سوريا واليها انما يدخلون اليها الآن ويخرجون منها كاللصوص ٠ ان هذا العصر يا سعادة السفير عصر مهاجرة والمهاجرة عمومية في كل الارض فان الالمان والفرنسويون والانكليز والروس والايطاليان وجميع الامم يهاجرون فهل المهاجرة ذنب حتى يُضايَق على السوريون في بلادهم متى ارادوها فيضطرون الى الخروج من سوريا خلسة كاللصوص ٠ ان تلك المضايقة والاوامر بمنع المهاجرة لم تنفع سوى البحارة والجدعان واللصوص الذين يهربون المهاجرين وكثيرون من الموظفين على ما نعلم يقاسمونهم ارباح التهريب غير المحللة شرعاً ودينا وادباً ٠ فما هذا الامر الغريب ؟ أليس الافضل سن نظام للمهاجرة كما فعلت باقي الدول ٠ ان ايطاليا مثلاً ترغب في منع المهاجرة وذلك لان المهاجرة تضعف النسل والجيش فيها لمهاجرة الاقوياء وبقاء الضعفاء ولكن نصارى سوريا معفون من الجيش ٠ فماذا يضر لو مُنع اخواننا المسلمون من المهاجرة لانهم قوام الجيش والنسل العثماني واركانه ويُباح ذلك للنصارى اذا كان يرضى اخواننا المسلمون بهذا النظام الجائر واظنهم لا يرضون وحقهم ان لا يرضوا ٠ ومن العار يا سعاده السفير على السوريين مسلمين ونصارى ان يضطروا الى الخروج من بلادهم خلسة كاللصوص ويدخلون اليها خائفين وجلين ومن العار على حكومتهم ايضاً ان تضطرهم الى مثل هذا الامر وعساك تنظر بامعان لرفع هذا العار عن الفريقين

٣

حماية ورقابة

ليرى المهاجرون ان حكومتهم تعتني بهم

نطلب (ثالثاً) حماية المهاجرين في طريقهم من سوريا الى اميركا ومن اميركا الى سوريا · وليس طلبنا هذا للمهاجرين القادرين على تخليص انفسهم بل للبسطاء والسذج والنساء والاولاد الذين يتلاعب بهم بحارة وسماسرة بيروت ومرسيليا ونابولي وجنوى والهافر وشربورغ في ذهابهم وايابهم

نعم هذه الحماية التي نطلبها يجب ان لا تنحصر في بيروت وغيرها من الموانئ العثمانية التي يسافر منها المهاجرون بل يجب ان تلحقهم الى موانئ اوروبا التي ينزلون فيها حيثما يمتص السماسرة دماءهم واموالهم ويتركونهم في بعض الاحيان عرضة للجوع والبرد والعرى · فان لبعض الفقراء قصصاً يهلع لها القلب شفقة وهذه الويلات تلحق بالنساء والاطفال كما تلحق بالرجال البسطاء ولا معين سوى بعض ذوي الشفقة · ولو ذكرت لسعادتكم سلسلة ما يلحق بالمهاجر من الحيف والظلم مبتدئاً من بحارة بيروت ومنتهياً بسماسرة مرسيليا لدهشت وتأسفت لتلك الحوادث الاليمة وانزعجت نفسك شفقة على هؤلاء التعساء الذين هم كالغنم التي لا راعي لها · لا بد لهؤلاء المهاجرين الضعفاء من حماية الدولة التي هي الوصية عليهم لانهم ابناؤها · فماذا يمنع رحمةً بعباد الله ان تقيم الدولة مندوباً للمهاجرين في قنصلياتها في نابولي ومرسيليا وجنوى وباقي الاساكل الاوروبية التي يمر المهاجرون بطريقهم فيها لتحميهم من جور هؤلاء السماسرة النهابين الذين يسرقون هؤلاء الضعفاء · هذه قصة صغيرة اقصها على سعادتكم لتعلموا مقدار الحاجة الى حماية هؤلاء الضعفاء ومراقبتهم · في احد الاساكل اعطت عيلة فقيرة مسكينة الى احد السماسرة مالاً ليقطع لها ثلاثة اوراق للسفر · فقال لها انه يسلمها اياها حين

السفر . وقبل سفر الباخرة بخمس دقائق اصعد ذلك السمسار (الماهر) العيلة الى الباخرة ودبر لها مكانًا . ولما قُرع جرس الانصراف قال لها ,, هذا مغلف مختوم فيه اوراق سفركم الى نيويورك ولكن لا تفتحوه الا بعد خروجكم من الميناء) ثم سافرت الباخرة . فهل تدري سعادتكم ماذا كان في المغلف . كان فيه قصاصات من الجرائد ... فهل يتصور الابالسة اساليب للسلب والنهب أمهر من هذه الاساليب . ان قليلاً من الرقابة والحماية تنفع هؤلاء السذج نفعًا عظيمًا . وهذا الامر لا يكلف الحكومة شيئًا يُذكر ولكنه يُكسبها ميل المهاجرين القادمين والذاهبين من السوريين إذ يرونها مهتمة بهم . ولا تظنوا يا سعادة السفير ان باقي الامم لا تفعل ذلك فان لكل امة قناصل يلجأ اليها ابناؤها عند اقل حادث فضلاً عن ان كل امة لها شركات بواخر مسؤولة تدفع الاذى عن اخوانها وتُسأل عن راحتهم



ان تساعدونا في نيويورك على هذا التسهيل لماذا تُعطى تذاكر السفر الى مرسيليا فقط

نطلب (رابعًا) ان تساعدونا في نيويورك على تسهيل هذا السبيل في وجوه المهاجرين البسطاء الذين لا يعرفون كيف يتدبرون . فانه اصبح مشهورًا بين المهاجرين ان السفارة والقنصليات العثمانية في اميركا لا تعطي المهاجرين الذين يرومون العودة الى بلادهم (تذاكر سفر) الى سوريا بل تعطيهم تذاكر سفر الى مرسيليا وتقول لهم خذوا معكم شهادة من رؤساكم الدينيين الى مرسيليا والقنصلية العثمانية تعطيكم تذكرة سفر من مرسيليا الى سوريا . واذ ثقّل احد المثقلين في السؤال والح في طلب السبب في ذلك اجيب في القنصلية (ان السبب ان تذاكر السفر المطبوعة لم تحضر بعد وستحضر بعد ثلاثة اسابيع) فهذا العذر السياسي

لا نفهم سببه يا سعادة السفير • ان المهاجرين القادرين لا يهمهم هذا الامر وهم يأخذون تذاكر سفرهم من مرسيليا بسهولة ولكن البسطاء والعاجزين الذين لا يعرفون لغة اجنبية ويحتاجون الى وساطة السماسرة يتعذبون في مرسيليا عذابهم فيها حين قدموا منها الى هنا • فالطريقة المتبعة الآن من عدم اعطاء تذاكر السفر الا لمرسيليا هي طريقة تلقي الوفا من بسطاء المهاجرين بين ايدي السماسرة فباسم هؤلاء البسطاء من المهاجرين الذين لا يعرفون عمل شيء الا عن يد سمسار نهاب نسأل سعادتكم ان تنظروا الى هذه المسألة نظر الاهتمام والعناية وتصدروا امركم باعطاء (الباسبورت العثماني) بعد الآن رأساً الى سوريا



الضغط على المقيمين في سوريا لتحصيل الضرائب
التي على المهاجرين منها

ان اهلنا وانسباءنا الذين تركناهم في الوطن هم شطر من ارواحنا ولسنا نطيق ان يتعذبوا من أجلنا عذاباً لا موجب له فانه في كل يوم يبلغنا انه اذا كان على سوري مهاجر اموال اميرية يُجبر اهله جبراً على وفائها • فاذا كان ابوه او ابنه فلا بأس ولكن بأي حق يأخذون الاموال الاميرية من ابن العم عن ابن عمه والخال عن ابن اخته وابن عم خالة الخالة عن ابن خالة خالته وهلم جرّا • وقد بالغوا في ذلك حتى انهم في بعض المدن قد باعوا بالمزاد شيئاً من اثاث امرأة بائسة ليسددوا مال العسكرية وضريبة التمتع عن قريب لها مهاجر وهي ليست مسؤولة عنه • وهذا يا سعادة السفير ظلم وجور لا يستطاع معه السكوت • اننا لا نوافق قطعياً على عمل أي مهاجر يمتنع عن دفع الضرائب لدولته لان دفع الضريبة ضروري وهي واجب يجب ان يشترك فيه كل وطني في وطنه وخارج وطنه ولكن اذا كان للدولة الحق في تحصيل هذه الضرائب

من التابعين لها فيجب ان لا تتعداه الى الآمنين من عباد الله وهم غير مسئولين عن تلك الضرائب . ولذلك نوجه نظر سعادتكم الى هذا الامر ونطلب وساطتكم من أجله لدى الاستانة

٦

السوريون الاميركيون في سوريا

نطلب (سادساً) ان تغض الحكومة العثمانية الطرف عن السوريين الداخلين في الجنسية الاميركية الذين يعودون الى سوريا وان لا تثير المشاكل في طريقهم ومعيشتهم هناك . فانهم لم يأتوا امراً لم يأته غيرهم . فان الالمان والانكليز والطليان والفرنسويين الذين يهاجرون الى اميركا يدخلون في الجنسية الاميركية افواجاً وحكومتهم الاولى لا تعتبرهم اعداءً لها . والسوريون في دخولهم في الجنسية الاميركية لم يرتكبوا أمراً فرياً لانهم لم يفعلوا ذلك كرهاً لجنسيتهم ولا سوريتهم ولا عثمانيتهم انما فعلوا ذلك مسوقين بمصالحهم التي اقتضت ذلك ورغبتهم في الاقامة في هذه البلاد اقامة نهائية وحبهم هذه البلاد العظيمة . فانهم اذا بقوا هنا غرباءَ عن اهل البلاد لا يستفيدون بقدر ما يريدون ولا يُعتبرون الاعتبار الذي يطلبونه ولا يمكنهم ان يتملكوا بدار هجرتهم املاكاً في بعض الولايات . فالذين يعودون منهم الى سوريا من أجل ستة أشهر أو سنة لمشاهدة بلاد يحبونها وشعب يحبونه مدفوعين بعامل الحب العظيم لا يجوز ان تنغص الدولة عيشهم بنظرها اليهم شزراً وحسبانهم اعداءً لها وما هم باعداء . فمثل هؤلاء يا سعادة السفير ينفعون وطنهم القديم بعلمهم واختبارهم وحبهم المتأصل في دمائهم وقد رضعوه مع لبن امهاتهم - وكذلك ينفعون وطنهم بصرفهم اموالاً طائلة بين ذويهم . ويستطيعون ايضاً ان يمدّوا تجارة البلادين بعضها الى بعض كما يفعل اخوانهم السوريون العثمانيون لان يمين الطاعة التي اقسموها للدولة الاميركية

لا توجب عليهم كراهة وطنهم القديم واميالهم الى وطنهم القديم لم تتغير ولن تتغير وهم يريدون له الخير ويسعون الى ذلك الخير في سرهم وعلانيتهم. ودماؤهم لم تتغير بتغير تابعيتهم ويحسن بالدولة العلية ان تنظر اليهم كقوم نافعين مجتهدين ويجدر بها ان تحسن معاملتهم



من يعلم المستقبل ؟ فربما نقلت بعض معاملنا ومتاجرنا من اميركا الى سوريا — نطلب ان يُطلب رأينا حين عقد المعاهدة التجارية

اشرتُ فيما مضى في احدى مقالاتي التي نشرتها الجامعة الى تاجرين من تجارنا واحد يريد فتح معمل للسبندرس في سوريا وآخر يريد فتح معمل لحفظ الاثمار واستبقائها وتصديرها منها الى الخارج وهذا الامر ينقلنا الى مسألة ذات اهمية تتعلق بسياسة هذه البلاد واحوال السوريين التجارية فيها

ان التعريفة الجمركية في اميركا تمنع الآن كل مزاحمة من البضائع الخارجية للبضائع الاميركية. ولكن قد بدأ كثيرون من الساسة الاميركيين يطلبون تعديل هذه التعريفة وذلك لمحاربة شركات الاحتكار في اميركا. فانه اذا صارت التجارة والصناعة حرة في اميركا وامكن ادخال البضائع من الخارج اليها دون ان تكون عليها ضرائب باهظة حين دخولها لم يعد سبيل لشركات الاحتكار ان تستبد بالاسعار. وهذا الامر منتظر حدوثه في مستقبل بعيد او قريب فتلغى التعريفة الكبرى ويحل محلها تعريفة رخيصة وكثيرون قالوا ان الازمة المالية الاخيرة نشأت عن هذه التعريفة. فالآن اذا الغيت هذه التعريفة صار التجار السوريون يمكنهم ان يفتحوا معاملهم الكيمونا والشرت وست وغيرها في سوريا بدل اميركا لان الاجرة هناك قليلة جداً. فالمستخدم او المستخدمة التي تقبض هنا في المعمل السوري ٤٠ ريالاً في الشهر او ٥٠ ترضى في سوريا ولبنان

بعشرين وتكون سعيدة بها . فتأملوا مقدار ربح التجار من هذا النقص في الاجرة . فضلاً عن رخص المعيشة في سوريا للتاجر من اجور المعمل والمخزن والبيت والنفقات الخصوصية ومعيشة التاجر في بلاد يفهمها وتفهمه واستعلاؤه وفضله في ايجاد صناعة في وطنه . والتاجر اذا عمل معمله في سوريا يقدر ان يصدر بضائعه الى نفس الزبائن الاميركيين الذين يصدر لهم بضائعه الآن وربما بسعر ارخص وربح اكثر لان اجرة الشحن والجمرك (اذا كان خفيفاً بعد الغاء التعريفة) لا تعادل قلة النفقات في صنع تلك المصنوعات ونفقات التاجر الخصوصية . ولذلك خاف الاوروبيون منذ بضع سنين ان تقوم الصين وتصنع مصنوعات كالمصنوعات الاوروبية باثمان ارخص وتغرق بطوفانها اسواق اوروبا وآسيا وذلك لقلة اجرة العمل في الصين

وفضلاً عن هذا فان كثيراً من البضائع الاميركية يمكن ان يزاحم البضائع والآلات الاوروبية وهي منتشرة في الشرق الاقصى ومصر وغيرها . فسوريا يمكنها ان تستعيض عن كثير من الحاصلات والمنسوجات الاوروبية بالحاصلات والمنسوجات الاميركية لان ابناءها السوريين يعرفون الآن مصادرها ومواردها من اقامتهم هنا . وقد مضى على سوريا نحو ٢٥ سنة وهي تشحن الى اميركا حاصلات سورية للسوريين المقيمين فيها والجمرك الاميركي يأخذ عنها رسوماً هائلة مع كثرتها ووفرة الوارد منها لمؤونة مائة الف سوري في الولايات المتحدة . ولا بد ان حاصلات اخرى في سوريا يمكن ارسالها الى اميركا اذا عملت معاهدة تجارية خفيفة في حق سوريا . فنحن نطلب انه حينما يدور البحث بين اميركا والحكومة العثمانية (في وقت بعيد او قريب) لعقد هذه المعاهدة ان تُراعى في هذه المعاهدة مصلحة المهاجرين والمتعاملين بين سوريا واميركا لان هذه المعاملة ستزيد في المستقبل زيادة هائلة اذا ساعدها الزمان والحكومة

العثمانية · ومراعاة هذه المصلحة تكون بدرس السفارة هنا مع تجار السوريين الاصناف التي يتعامل بها السوريون وترد من الخارج والاصناف التي يصدرونها من هنا الى بلادهم وذلك لكي يمكن إعطاء التجار أقل رسم ممكن عن تلك الاصناف لا ان تعمل المعاهدة مثلاً وتبنى على التجارة الكائنة بين الاناضول وتركيا من جهة وبين اميركا من جهة دون التفات الى مصالح السوريين هنا وفي بلادهم وبضائعهم · وبعبارة واحدة ان يكون لتجار السوريين المهاجرين رأي ومشورة بواسطة السفارة في أمر تلك المعاهدة لان تجارتهم الخارجية تبنى عليها في المستقبل وان كانت قليلة الآن · وهذا الامر هو الامر الذي يتوقعون منه الخير والفلاح والسعة لسوريا عن يدهم في مستقبل بعيد او قريب



نشطوا كل من يريد منا السفر الى سوريا بصناعة وساعدوه

ان بلدة سويسره على صغرها يا حضرة السفير قد ارتقت ارتقاء عظيماً بالصنائع الصغيرة التي عكف عليها أهلها · وأشد حاجات سوريا الآن هي الصناعة والمهاجرون السوريون اقدر الناس الآن على إدخال الصناعة الى سوريا لان كثيرين منهم تعلموا كثيراً من ضروب الصنائع هنا وكثير منهم لهم معامل في هذه البلاد · فنطلب من سعادتك ان تبذل جهدك في كل فرصة ممكنة لاقناعهم بان الدولة العلية ليست تقاومهم كما يظن بعضهم وانهم اذا عادوا الى وطنهم القديم بمتاجرهم وصناعتهم ينالون من الدولة كل رعاية ومساعدة واهتمام بهم وانها لا تضطهدهم وتبتز اموالهم كما يظن الكثيرون بل بالعكس تمهد امامهم كل سبيل وتسهل قدامهم كل عقبة · فانك يا سعادة السفير اذا فعلت هذا تفتح امامهم وامام وطنهم ابواباً للرزق فائضة الخير وتضع حجر الزاوية للنجاح والتقدم في سوريا عن يد المهاجرين

٩

مساعدة تجارتنا السورية في الولايات المتحدة

مساعدة فعلية

نطلب مساعدة تجارتنا السورية في الولايات المتحدة مساعدة فعلية · منذ بضع سنوات قرأنا في جرائد الاستانة ومصر وسوريا ان الدولة العثمانية قررت انشاء غرف تجارية لها في عواصم اوروبا · فلماذا لا نرى لها غرفة تجارية في الولايات المتحدة فان مصالح رعيتها فيها تزيد على مصالحها في أي بلاد اوروبية · وليس هذا فقط فانه في العام الماضي قدم من المانيا (المانيا ام الصنائع والمتاجر) وفد لدرس احوال المتاجر والمصانع والمزارع والبضائع في الولايات المتحدة لينتفع بهذا الدرس التجار والصناع والزراع الالمانيون · فاذا كانت المانيا يمكنها ان تستفيد الآن من الولايات المتحدة بهذا الشأن فلماذا الحكومة العثمانية لا ترسل وفداً لدرس احوال التجارة والصناعة والزراعة هنا فيضع هذا الوفد تقريراً ضافياً يُطبع بالتركية والانكليزية والفرنسوية ليستفيد به اهل تركيا والسوريون المقيمون هنا · ان هذا التقرير يقتضي ان ينقطع اليه اثنان او ثلاثة سنة او سنتين وهو لا يكون كاملاً الا بواسطة الحكومة الرسمية · وكل الحكومات ترسل وفوداً لدرس احوال الامم الاخرى فلماذا لا ترسل لنا الحكومة العثمانية وفداً او تعين من السوريين المقيمين في اميركا لجنة تشتري منها وقتها سنة باجرة تدفعها لها لوضع هذا التقرير المفيد الذي يهم التاجر والصانع والزارع لانه يكون شاملاً لكل احوال التجارة والصناعة والزراعة الاميركية مع عنوانات معاملها ومتاجرها وطرقها و بضائعها واسعارها

١٠

اتفاق (تبادل الاساتذة)

نكتب هذه السطور و بين الولايات المتحدة واوروبا اتفاق دعوه (تبادل

الاساتذة) وهو ان ترسل الحكومة الاميركية او كلياتها على الاصح اساتذة الى اوروبا واوروبا ترسل اساتذتها الى اميركا والفريقان يخطبان في المنتديات العمومية والكليات . فالاستاذ الفرنسوي مثلاً يخطب في كلية هوارد اوغيرها خطباً يحضرها عليه القوم وتنشر في المجلات والجرائد وخلاصتها تعريف فرنسا الى الاميركيين ومركزها في العالم واخلاقها وصناعاتها واختراعاتها وتاريخها الخ . والاستاذ الاميركي يخطب في باريز عن اميركا مثل ذلك . وكذلك بين المانيا واميركا . واميركا وانكلترا . فلماذا لا ترسل الحكومة العثمانية اذا كانت تحسب حساباً للسوريين والاتراك والارمن المقيمين في اميركا وهم من رعية الحكومة العثمانية — اساتذه تأخذ في مقابلهم اساتذة اميركيين فيشرح الاساتذة العثمانيون للاميركيين تاريخ الدولة العثمانية واحوالها وتزيل من اذهان المتطرفين منهم تصوراتهم العوجاء بشأن تركيا التي السوريون من تابعيتها وتحث اهل المال على تشغيل اموالهم وارسال بضائعهم الى الدولة العثمانية . ان السوريين يستفيدون فائدة كبرى من ذلك من حيث تحسين سمعتهم لدى الاميركان اذ يعلم هؤلاء ان سوريا بلاد قوم متمدنين لا متوحشين كما يظنون وتركيا وارثة مجد رومة القديم يسكنها اقوام لطفاء اذكياء متى توفرت لديهم الاسباب ينهضون في مقدمة الناهضين الى أعلى ذروة من المجد والتقدم . وتكون فائدة هذا الاتفاق كاملة اذا اختير في جملة الاساتذة الاتراك بعض من اساتذة السوريين كالمؤرخ العامل جرجي افندي يني الطرابلسي وجبر افندي ضومط احد اساتذة الكلية الاميركية في بيروت والدكتور يعقوب صروف منشئ المقتطف وغيرهم ممن نفاخر بهم اكبر اساتذة الاميركان من فحول العلم في المسلمين والنصارى على السواء . فهذا ينفع مجموع السوريين كثيراً ويحسن سمعتهم هنا ولا يكلف الدولة كثيراً سوى مرتب ثلاثة شهور في كل عام وهو مبلغ زهيد لا يُذكر في جانب المنفعة المنتظرة منه

١١

لا تستدلوا على الكلي بالجزئي

نرجو ان لا تستدلوا على عواطف السوريين المقيمين في اميركا من افكار واقوال بعض طائشيهم . فان كل امة لا تخلو من طائشين لا يهمهم الا انفسهم وخدمة مصالحهم ولو هلك قومهم وفيها عقلاء ادباء همهم الجد والنشاط والاعتدال مع الصديق وغير الصديق . فالاشاعات التي يشيعها بعض قصار النظر من الحكام واخواننا المسلمين في سوريا ومصر من ان السوريين الذين هاجروا الى اميركا اصبحوا اعداء لدولتهم هي اشاعات كاذبة باطلة يتبرأ السوريون منها ولا اساس لها الا ما ينشره بعض الطائشين بهذا الشأن وهؤلاء يتكلمون بلسانهم وحدهم واصواتهم لا تتجاوز الجدران التي ينشرون سخافاتهم فيها والناس يعلمون ان تلك المطاعن انما هي باب رزق لهم ولا ينخدع بها احدٌ حتى السذج . نعم ان السوريين بعد مهاجرتهم اصبحوا لا يطيقون الا ان يعاملوا معاملة (امة حرة) وذلك بالعقل والعدل واعطائهم من الحقوق بقدر ما يُطلب منهم من الواجبات . ولا يحسن بالحكام الاصيلي الرأي ان يعدوا هذا الامر عداء والا جاز ان يعد ذلك منهم قصر نظر . فالمطلوب من سعادتكم بعد ما قرأتموه في جرائدهم من الترحيب بكم والاستعداد لمعاونتكم على ما فيه الخير لهم ولدولتهم ولسمعتها في هذه البلاد هو ان تتفضلوا وتشهدوا لدى الاستانة في تقاريركم الرسمية الشهادة التي ننتظرها من عدلكم بان السوريين قوم مسالمون وما هاجروا الا للعمل والجد وتحصيل الثروة والمعيشة كما يعيش باقي البشر براحة وسعة وحرية وهم لا همّ لهم في السياسة هنا قطعياً بل يدعونها جانباً وانما همهم خدمة انفسهم هنا وبني وطنهم في الوطن بما يقدرون عليه من النفع

١٢

لا تسمعوا وشاية باحد منا

نطلب ان تكموا افواه الجواسيس الذين يرغبون في التقرب من سعادتكم ومن الدولة باختلاقاتهم المزورة ضد عباد الله الآمنين متزلفين بها الى نيل رضاكم على نفقة الناس فان وجود الجواسيس واستماع كلامهم يضع في طريق التفاهم هوة عميقة لا يُستطاع اجتيازها والثقة يا سعادة السفير ضرورية جداً للتفاهم الذي نرجو من ورائه منافع متبادلة تعم جميع السوريين المهاجرين والباقين في بلادهم

١٣

الشهادات العثمانية في اميركا والشهادات الاميركية في تركيا

نطلب ان تعتبر الدولة العلية حاملي شهادات حكومات هذه البلاد في جميع الفنون كالطب والصيدلة وغيرهما كحاملي شهاداتها متى كان مصادقاً على هذه الشهادات من دار السفارة في واشنطون وان تجيز لهم التطبيب واحتراف مهنهم بدون معارضة توفيراً لنفقات باهظة لا يستطيع الاكثرون القيام بها · وفي مقابلة ذلك تطلب الدولة من الحكومة الاميركية ان تعتبر حاملي الشهادات العثمانية كالشهادات من المكتب الطبي الاميركي والفرنسوي في بيروت والعثماني في الاستانة كحاملي شهاداتها هنا لا ان توجب عليهم الفحص والامتحان من جديد الا فيما درسوه · ولا يخفى ما في هذا من التعب وخسارة الوقت والمال

١٤

الذي ينصب على تجارنا و يسافر الى سوريا

نطلب حماية التجار المهاجرين من ان يبتز اموالهم نصّاب وذلك بالتهام

اموالهم والهرب بها الى سوريا وذلك بتحصيل حق التاجر متى رفع دعواه بواسطة السفارة في واشنطون بعد ما يدعمها بكل الحجج والبينات التي تثبت حقه ونحن لا نجهل ان هذا الامر مختص بالمعاهدات ولا معاهدات بين تركيا والولايات المتحدة ولكنا نطلب تدبير طريقة بسيطة لتحصيل الحقوق في سوريا لتجارنا الذين تموت لهم حقوق عند اناس يلجأون اليها

١٥

(اعفاء الآلات النافعة الاميركية من الجمرك)

ان الدولة العثمانية رغبة في تنشيط الصناعة والزراعة في بلادها تعفي الآلات الصناعية والزراعية التي ترسل الى بلادها من كل رسم جمركي وقد اعفت منذ مدة قريبة آلات معمل القطن في آدنه من كل رسم وكذلك آلات جر المياه الى زحلة . فارجو ان تستحصلوا من الاستانه على تفويض يخول السفارة هنا حق اعفاء الآلات النافعة التي يريد السوريون ادخالها الى سوريا اما لاعمالهم او لاعمال اصدقاء لهم . ومتى حصلت السفارة على هذه الرخصة تتفضل باعلان ذلك في الجرائد فقد كثر عدد الذين يبعثون ويسألون اصدقاءهم في اميركا عن آلات الزراعة الاميركية خصوصاً بعد ان انتشرت في مصر انتشاراً واسعاً

١٦

(تشجيع (دعوة الجامعة الى الزراعة)

ان (الجامعة) شرعت منذ ظهورها هنا في دعوة المهاجرين الى الزراعة . وهذه الدعوة مفيدة لمستقبل المهاجرين فائدة عظمى لانها توزع اعمالهم بين الزراعة والتجارة بدل قصرها على التجارة وحدها . وسعادتكم تعلمون تأثير الزراعة

في احوال الامم من حيث انماء الثروة وتحسين الاخلاق . فلو اخذتم هذه الدعوة بيدكم الكريمة وعهدتم من قبل السفارة الى كاتب ان يضع فيها كتاباً جامعاً لجميع الشؤون والفوائد الزراعية في اميركا ونشطتم اميالهم نحوها وافتقدتم الزراع السوريين بعناية خصوصية توجه اليهم الانظار فلا ريب ان هذه تكون خدمة جليّ

١٧

(ارجاع المياه الى مجاريها بين السوريين)

الجمعية العمومية

اذا نزلتم سعادتكم الى نيويورك وتداخلتم في اصلاح ذات البين بين وجهاء السوريين ليكونوا يداً واحدة على ما فيه الخير لمجموعهم وقربتم بين رؤسائهم الدينيين خدمتموهم خدمة تُذكر لكم مدى العمر . لانه بذلك ترتفع من بينهم بذور الشقاق التي زُرعت في السنوات الماضية وادت الى حوادث أليمة اضرت بسمعتهم ونفوذهم ونموهم وخسرتهم اموالاً طائلة . وحينئذ يتمكنون من الاتحاد وتأليف جامعة تمثلهم لدى السفارة ولدى الحكومة الاميركية تنطق بحجتهم وتدافع عن حقوقهم وتطالب بها فيصبحون قوة نافعة وتتيسر لهم كل المطاليب التي تؤدي بهم الى سعة العيش واحراز الاعتبار الذي هو حقهم وهم اهل له فيستطيعون ان يخدموا انفسهم ودولتهم اية كانت اميركية او عثمانية ويكونون اعظم واسطة لنفع امتهم الاصلية اذ يحملون اليها كل صناعة نافعة وكل تجارة رابحة . والا فاذا حذت السفارة اليوم حذو من سلفها ووقفت وقفة المتفرج فهذا يُعدُّ منها تقصيراً حتى انه يجوز حينئذ اساءة الظن بان السفارة راضية عن كل حادث يجلب ضرراً بين السوريين لتبرهن للعالم ان السوريين قوم

لا يمكنهم سياسة نفوسهم بنفوسهم لانهم حينما خرجوا عن سلطة الدولة العثمانية وُتركوا لانفسهم انقسموا وأساؤا الى نفوسهم • وعلى هذا النحو ياسعادةالسفير تكون مداخلتكم ورقابتكم على سمعة جاليتنا ودفع المنازعات الداخلية عنها التي تكاد تؤدي بها احياناً اختيارية ودادية لا اجبارية

١٨

(مندوب في جزيرة المهاجرة)

لكل الامم من الانكليز والفرنسويين فنازلاً حتى اصغر الامم في نويورك مندوب في جزيرة المهاجرة يستقبل المهاجرين القادمين ويكفلهم لدى ادارة المهاجرة ويرشدهم ويدبرهم • اما السوريون فلا مندوب رسمي لهم الا جمعية كريمة تألفت من عقائل بعض الوجهاء والتجار في نيو يورك وهي جمعيةالسيدات السوريات الاميركيات التي تخدم بنات جنسها الان خدماً يقصر الوصف عنها فان لها مندوباً لاستقبال السوريات المهاجرات • فمن الضروري ان يكون للسوريين مندوب رسمي يهتم بالرجال القادمين ويساعدهم

١٩

« ضرورة ايجاد مكان نتعارف فيه »

« منتدى ومكتبة »

بقيت امور اخرى كانشاء منتدى شرقي في نيو يورك يتردد عليه جميع العناصر عثمانية وغيرعثمانية • وانشاء مكتبة شرقية تُجمع فيها الكتب والمجلات والجرائد العربية والتركية والانكليزية • وهذان المشروعان يمكن انشاؤهما بالاكتتاب وليس من شؤون السفارات التداخل بهذه الشؤون ولكن اذا كان لا يمكن اتمام ذلك بدون مساعدتها فهذه المساعدة خير وفائدة خصوصاً اذا كانت السفارة

تفتح قائمة الاكتتاب بمبلغ للمساعدة ولا ريب عندنا في ان الجمهور يسير حيئذ وراءها ويكمل المبلغ اللازم . وفي هذا (المنتدى الشرقي والمكتبة الشرقية) تجتمع جميع العناصر الشرقية التابعة للدولة العثمانية كالتركي والسوري والارمني وغيرهم . ولا ريب في ان اختلاطهم هذا ينفعهم من جهة معلوماتهم التجارية اولاً لاشتراك كل واحد منهم في معلومات الآخر وثانياً يوجد من بعضهم لبعض اصدقاء في هذه البلاد التي هم فيها غرباء . فقد رأى بعض السوريين هنا بعض ادباء الاتراك وتجارهم وعاشروهم ورأينا لهفة احدهم للآخر ولا عجب فالغريب نسيب الغريب فكيف بهما اذا جمعهما الانتساب الى وطن واحد

أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب قريبُ

وثالثاً ان السوريين الذين لم يستطيعوا تأليف هذا المنتدى العمومي الى الان لاسباب لا دخل للمال فيها اذ واحدهم يمكن ان يتبرع بما يقتضيه انشاء المنتدى — يستفيدون فيه الفائدة الكبرى وهي ان يجتمعوا فيه ويتعارفوا وفي التعارف التآلف . وبعد التآلف المصالحة وجعل الماضي نسياً منسياً

٣٠

« الخاتمة »

هذا يا سعادة السفير المحترم ما رأينا رفعه الى سعادتكم . وكله مما هو داخل في دائرة اختصاصنا ولا دخل فيه للسياسة قطعياً . فان السوريين العقلاء يبعدون هنا عن السياسة بعد الارض عن السماء لعلمهم انها كناقة البسوس لا تلد الا الكرائه والمصائب . ولكن هل تأذنون لنا سعادتكم قبل ختام هذه العريضة التي سيكون لها دوي بعيد في كل مكان بلغه السوريون وهم بلغوا حتى القطبين — ان نقول كلمة لا علاقة لها بالسياسة الا في الظاهر

لقد استشرتُ نفسي في الموضوع الذي اردتُ هنا الكتابة فيه فرأيت انها

ستركب مركباً خشناً . وربما اثرتُ الغبار في طريق هذه المطاليب فيتغير وجهها بعد ان كان صافياً . . . ولذلك لا اقول ما كنتُ قد عزمت على قوله باحترام لسعادتكم . وانما اتمنى هذه الامنية لسوريا

انني حين أرى ان سوريا أجمل بلاد في العالم . وان مناخها اجود مناخ واعدله . وان الله خصّ ارضها بالاديان والانبياء . وان اهلها قوم اذكياء نبهاء . وان اخلاقهم من ألطف الاخلاق وأرقها . وان سهولها اذا زرعت كلها من فلسطين الى ما بين النهرين غلت ما يكفي اعظم مملكةٍ في الارض . وان جبالها اذا اصلحت طرقها وانشئت المصائف والمستشفيات فيها كانت جنات في الصيف كما ان سفوحها جنات في الشتاء . وان البحر الروسي الذي يعانقها بذراعيه ويحدجها بعينه الزرقاء اعظم بحر تاريخي شهد مرور الدول الكبرى القديمة والحديثة في مياهه . وان شرائعها وقوانينها شرائع صحيحة عادلة لانها مأخوذة عن قانون نابوليون المشهور الذي هو الان قاعدة القوانين المدنية في العالم — انني حين أرى كل ذلك لا اتمالك ان اصيح من اعماق نفسي

قرَّب الله يا سوريا ذلك اليوم الذي تتآخى فيه عناصرك إخاءً حقيقياً . وتنالين من نعم الاصلاح بقدر ما يستحقه ابناؤك ومواهبك الجميلة

شبل ناصيف

دموس



الصفحة الاولى من الدفتر المتضمن العريضة التي ُقدمت الى عطوفة السفير نشرناها هنا كمثال لباقي صفحات الدفتر المشتملة على امضاوات الموافقين على المطالب المنشورة فيما تقدم

Fort Pitt Hotel

PENN AVENUE & 10TH STREET

Pittsburgh. Pa.

C. A. BLANCHARD
MANAGER.

سبب تحريره هو انه نحن الواضعين اسمائنا ادناه السوريين القاطنين مدينة بتسبرغ بنسلفانيا نوافق على المطالب الذي رفعها شبل افندي دموس لدى السفير العثماني ولاجل البيان حرر في ٢١ كانون ٢ سنة ١٩٠٨

الجديد

انني اوافق على مطالبنا التي نشرها في الجامعة شبل افندي دموس

داود تحسين — لاك تشارلز ١٠ ايار ٩٠٨

الجديد التي اطلعت عليها في نهامن الفائدة للسوريين المهاجرين

لعنوان بالعربية والانكليزية

Mike Nastas — N. Shaheen — Lake Charles La.

City market stall 55-56
Houston Tex

لعنة تولستوي لكل حكومة

في الهيئة الاجتماعية الحاضرة

رجال العقول يُدافعون باقلامهم عن حرية امة يُراد قتلها

﴿ مشروع جائر ﴾ وضعت حكومة بروسيا نظاماً مؤداه اعطاء الحكومة حق نزع ملكية الاراضي والمزارع التي يمتلكها البولونيون في بولونيا لتقسيمها و بيعها للالمانيين رغبة في (هضم بولونيا) أي إضعاف القوة البولونية وزيادة العنصر الالماني فيها . ومعلوم ان بولونيا كانت جمهورية مستقلة ثم اقتسمتها روسيا والمانيا والنمسا . وقد عُرض هذا النظام على مجلس النواب البروسي فاقرّه بعد جدال شديد ثم رُفع الى المجلس الاعلى فلقي فيه معارضة شديدة

﴿ صوت كاتب بولوني مشهور ﴾ وقبل ان يُرفع الى هذا المجلس كتب الكاتب البولوني المشهور هنري سيينكيويكز كتاباً الى جميع مشاهير اوروبا من أهل العلم والادب والسياسة يسألهم فيه ان (يرفعوا اصواتهم) للاحتجاج على (فعل وحشي) تريد بروسيا فعله . وقد كتب كتابه بلهجة معتدلة كما يُنتظر من كاتب مشهور مثله لا يجهل ان صعوبات السياسة لا تُجاوَز بالصراخ والاهانة . ومما قاله فيه ان بروسيا تفضح المانيا بهذا النظام الجائر لان كثيرين من عقلاء الالمانيين غير راضين عنه

فكان لصوت الكاتب البولوني صدى في جميع امم اوروبا فانهالت على الجرائد وخاصةً الانكليزية رسائل الاحتجاج على فعل المانيا من مشاهير الرجال لان تلك البلاد ــ حياها الله وبياها ــ تضمُّ رجالاً لا يخشون في الحق لومة

لائم ويجيبون صوت الحق والعدل والحرية اذا بلغ آذانهم ويرون من العار عليهم ان يسكتوا عن الانتصار للحق اذا لاح لهم ·

﴿ جواب الفيلسوف تولستوي ﴾ وكان الفيلسوف الروسي تولستوي من جملة الذين وجّه اليهم الكاتب البولوني رسالته فاجابه تولستوي بما خلاصته

,, عزيزي هنريك سيينكيويكز

,, انني عالم بالمسألة التي كتبتَ لي في شأنها ولذلك لم تُدهشني ولكنها ثبتتني في رأيي وهو ان حكام هذا الزمان من امبراطرة وملوك ووزراء وقادة حرب وزعماء الاعضاء في مجالس النواب — كلهم قد بلغوا في عصرنا ادنى دركات الانحطاط الادبي · وهؤلاء الافراد لا يمكنهم ان يثبتوا في مراكزهم الا بواسطة هذا الانحطاط · فانهم اشخاص يصرفون هممهم الى ابتزاز ثروة الشعب الذي يتعب ويعمل وإعداد الحروب والمذابح وتنفيذها والحكم على الناس بالاعدام والكذب على انفسهم وعلى غيرهم · فاشخاص كهؤلاء الاشخاص لا يمكن ان يكون لهم أب

وقد كان ممكناً في العصور الاولى ان يقوم حاكم فاضل نزيه نظير مرقص اوريليوس ولكن في عصرنا المسيحي الجديد جميع الملوك والامبراطرة الذين قاموا من عهد اسرة لويس الى ما يليها من اسرة نابوليون ومن كاترين الثانية الى نقولا الاول ومن فردريك الى هنري الي اليصابات — فرنسويين والمان وروس وانكليز — لايمكننا ان ننظر اليهم الا بانفه واشمئزاز مع كثرة مدّاحهم ومطرئيهم · واما ملوك هذا الزمان الذين يأتون جميع ضروب المذابح والشدة فقد انحطوا الى درجة من الادب دون ما تقتضيه الاكثرية حتى اصبحنا ننظر اليهم ولا نغضب من افعالهم بل نستقبلها بالشفقة

فيجب ان لا نغضب على اشخاصهم المجرّدة من اصغر العواطف الانسانية

المقدسة . كما انه يجب ان لا نحاربهم . وانما يجب ان نحارب هذه الآلة القديمة التي يسمونها الآن حكومة والتي هي السبب الاصلي في عذاب البشر . يجب ان نحارب الوهم الذي يعتقدونه من ان الحكومة يجب ان تكون ضاغطة شديدة وهو اعتقاد مخالف للمبداء المسيحي وقد منع الانسانية من بلوغ النجاح والارتقاء الذي اصبحت مستعدّة له منذ زمان . ومحاربة هذا الوهم لا تكون الا بطريقة واحدة ولكنها طريقة فعالة بديهية . وهي المعيشة خارج دائرة ضغط الحكومات والبعد منها والاستغناء عنها

اما المسألة التي اهتممت لها وهي استعداد حكومة بروسيا لنزع ملكية الاراضي في داخل الولايات البولونية من ملاكها البولونيين فانني فيها أشد شفقة على الذين يأتون هذا النزع مني على الذين تُنزع منهم املاكهم . فان هؤلاء لا يضيمهم شيء لانهم اذا سُلبوا املاكهم في ارضهم انتقلوا الى ارض أُخرى وفعلوا فيها ما كانوا يفعلونه في ارضهم . وانما أُشفق على ظالميهم . أُشفق على الناس الذين يعيشون تابعين لحكومة لصوص وهم متضامنون معهم . واظن ان كل انسان ذي عقل سليم لا يتردد في ان يفضّل ان يكون بولونياً مطروداً من املاكه على ان يكون بروسيّا مشاركاً لحكومته في هذا الطرد

هذا رأيي في ما يجري الآن في بوسنانيا و بالاحرى هذه هي التأملات التي أثارتها تلك الحوادث في نفسي

واعذرني اذا لم يجئ كتابي كما كنت تتوقع . ولك ان تستعمله بالطريقة التي تراها . وهو في كل حال قد نفعني بانه جعل بيننا علائق

لاون تولستوي



اكبر ماسة في الدنيا

هي التي اهداها البوير الى ملك الانكليز نشرنا رسمها هنا بحجمها الطبيعي



﴿ اكبر ماسة في الدنيا ﴾
بحجمها الطبيعي دون تصغير ولا تكبير

هي الماسة كلينان التي اهداها البوير الى جلالة الملك ادورد منذ بضعة اشهر

﴿ تاريخها ﴾ وجدت هذه الماسة في ٢٦ كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٠٥ في معدن يدعى (الاول) قرب بريتوريا (الترنسفال) وزنتها ٣٠٢٧ قيراطاً . اما اكبر ماسة قبلها فهي المدعوة (اكسلسيور) وزنتها ٩٧١ قيراطاً

وقد وجدت في المعدن نفسه . وحجم اكسلسيور كحجم بيضة الدجاج اما حجم كلينان فهو كحجم بيضة الاوز

﴿ وقايتها ﴾ بُعث بالماسة كلينان من افريقيا الجنوبية الى ملك الانكليز في وفد خصوصي وقد نُقلت الى قصر وندسور تحرسها شرذمة من الحراس . ثم بعث بها الملك الى اعظم معمل ماسي في لندن لصقلها وتشذيبها فخفرها الجند في الطريق الى المعمل وجُعلت في صندوق حديدي في غرفة خصوصية يخفرها الخفراء ليلاً ونهاراً . وقد جعلها المشتغلون بها في كيس مخملي حتى اذا سقطت من ايديهم الى الارض في اثناء صقلها لا تُخدش ولا تتأثر . وحين يفرغون من العمل فيها في المساء ينقلها عدة من العملة الى صندوقها الحديدي وحراسها يسهرون الليل عليها

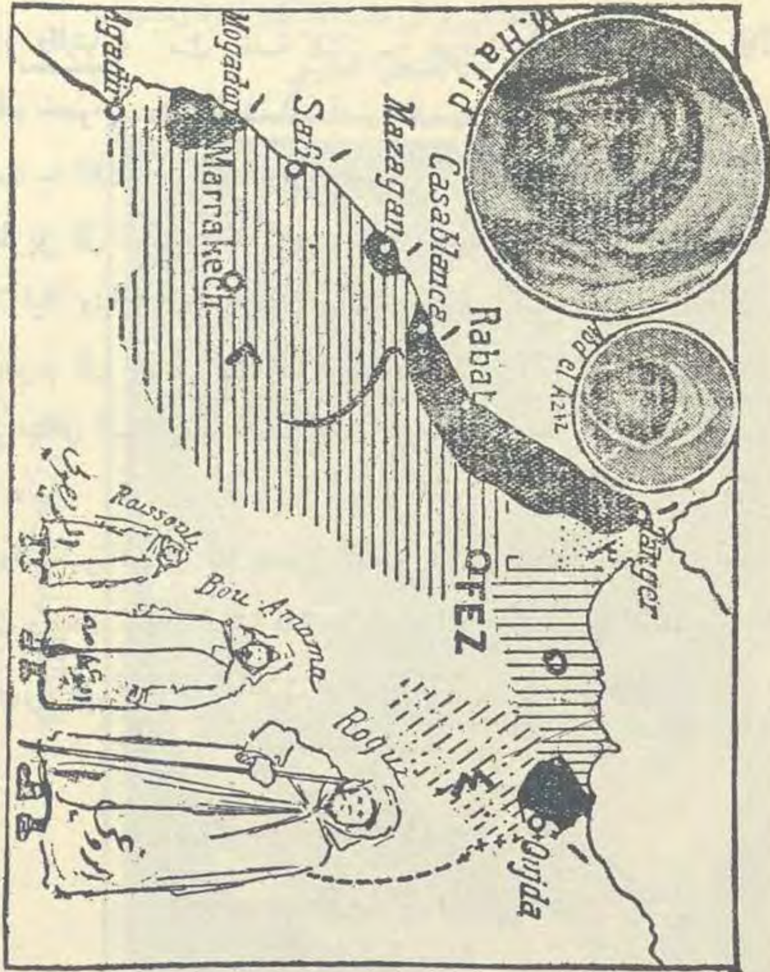
وقد نشرنا صورتها هنا بحجمها الطبيعي لا مكبَّرة ولا مصغَّرة . وهي اذا جُزئت و بيعت ساوت قيمتها عدة ملايين فرنك . فتأمل في قطعة من حجارة الارض تكفي الوفاً من العائلات البشرية لا مأوى لها ولا قوت

خمسة حكام في مملكة

لمحة من خريطة مراكش ومناطق نفوذ
القائمين فيها وصورهم

حلّت المسألة المراكشية محل المسألة المصرية في السياسة الدولية . وقد اصبحت مجالس النواب والجرائد في الدنيا كلها طافحة باخبار احتلال الجيش الفرنسوي كازابلانكا وما وراءها ومقاتلة القبائل المراكشيه لهذا الجيش وقيام مولاي الحفيد على اخيه السلطان الشرعي مولاي عبد العزيز فضلاً عن قيام الريصوني الذي

تسميه بعض الجرائد (الرسولي) وخروج ابي عمامه والروغي ٠ و بذلك اصبح الخارجون في مراكش يتنازعون حكومتها اربعة عدا سلطانها عبد العزيز



لمحة من خريطة مراكش

ومناطق نفوذ القائمين فيها كالحفيد وابي عمامه والروغي والر يصوني

والسلطان عبد العزيز ولمحة من صورهم

وكان السلطان اولا فى فاس (العاصمة) ثم هبط منها الى رباط بايعاز من فرنسا فبايع أهل فاس مولاي الحفيد (او مولاهم الحفيد كما يقول في مراكش

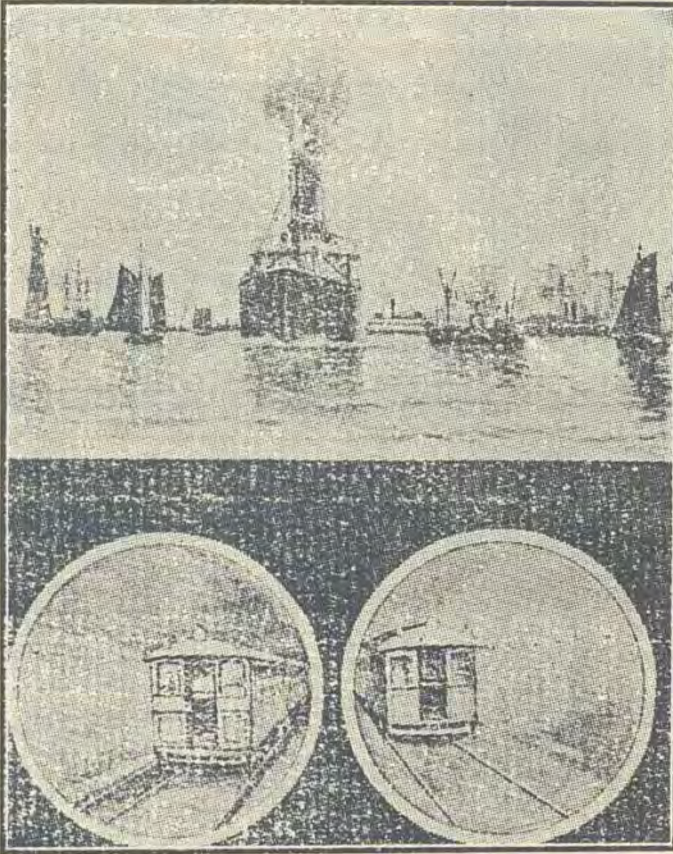
الخاضعون لعبد العزيز) وهو اخو السلطان عبد العزيز وقد لزمت الحكومة الفرنسوية الحيادة بين السلطانين لخوفها ان تناوئ مولاي الحفيد ويفضي الامر الى توليته وسقوط عبد العزيز فيصبح مولاي الحفيد عليها . ومن جهة أخرى تجتنب معاداة مولاي الحفيد لان معاداته تجرّ عليها حرباً شديدة تضطرها الى تجريد مائة الف جندي . والعناصر المعتدلة في فرنسا تكره الدخول في حرب كبرى كهذه الحرب من أجل مسألة استعمارية

وقد طبعنا في هذا الفصل رسماً يمثل مناطق النفوذ التي يتنازعها القائمون في مراكش . فالسواد في الثغور وفي جهة وجده (اودجده) هي المناطق التي لا تزال تحت حكم السلطان عبد العزيز (راجع الارقام ١ في سبعة مواضع) والخطوط الافقية من فاس حتي اغادير (راجع الرقم ٢) هي المناطق الخاضعة لمولاي الحفيد ولذلك اعتادوا تسميته (سلطان الجنوب) والنقط المتفرقة قرب طنجه (الرقم ٣) هي منطقة نفوذ الريصوني الذي أسر القائد مكلاين ثم اطلق سراحه بعد ان ضمنت له اي الرسولي انكلترا السلامة . والخطوط المنحنية (الرقم ٤) هي منطقة نفوذ ابي عمامه . والخطوط العمودية (الرقم ٥) هي منطقة الزوغي

قيل في أمثال العامة (السفينة بقبطانين تغرق) فما القول في مراكش الآن وقد أصبح (قباطينها) خمسة

و يرى القارئ في الخطوط الافقية خطاً معترضاً بين فاس و بلدة مراكش وهو الموقع الذي تحارب فيه الجنود الفرنسوية القبائل . وقد أوغل الجنرال داماد في تلك الجهات ليمنع مولاي الحفيد من العبور الى فاس العاصمة لانه مقيم في مراكش . وهذه مساعدة ضمنية من فرنسا لمولاي عبد العزيز

نفق بروكلن ونيويورك



يركب الراكب من نيو يورك القطار الحديدي الذي يخترق جوف الارض تحت النهر الى بروكلن فلا يشعر بما فوقه وحوله · ولكن الرسم الذي نشرناه في هذه الصفحة يمثل جمال ذلك النفق (الصبواي) وهوله

فانت ترى في اعلى الرسم مياه النهر وعليها السفن الجواري المنشآت في البحر كالاعلام · وتحتها سواد وهو قعر النهر وطبقة الارض فوق النفق · وتحت هذه الطبقة حفر النفقان واحد للذهاب وواحد للاياب كما ترى في الرسم ·

والقطار ينحدر في بدء مسيره و يصعد قبيل وصوله ولكنك لا تنتبه الى انحداره وصعوده الا اذا راقبته . وما عدا ذلك تظن نفسك انك جالس في مركبات تجري على سطح الارض لا في جوفها . فاين داود النبي يقول لدى هذه العجائب لا لدى غيرها ,, ما اعظم اعمالك . كلها بحكمة صنعت ''

باب الاخبار العلمية

﴿ الشعوذة لا تتم الا بالعلم ﴾ اسهبت الجرائد الباريزية في ذكر الدكتور الكونت العالم المغنطيسي (ساراك) الهندي ... فانه قدم من الهند لادهاش اوروبا بعلمه المغنطيسي وفعل ارادته في الاشياء الخارجة عنها . فانه ادّعى انه يخلق اسماكاً بهذا الفعل ويجعل حبة القمح تنمو امام الشاهدين ودعا كثيراً من خاصة الباريزيين وعلمائهم الى مشاهدة فعله . فاجتمعوا فرأوا انه يغرس حبة قمح في اناء مملوء تراباً فتنمو حبة القمح على مرأىً منهم ويخرج منها ساق وورق . وانه يضع امامه اناء مغطىً مملوءاً ماء صرفاً و بعد بضع دقائق يتهيج الهندي في اثنائها و يثور على توقيع البيانو و ينضح جبينه عرقاً فيُكشف غطاء الاناء فتُرى فيه اسماك صغيرة في اول طور الحياة . اما الاسماك فقد كشف احد الشاهدين ان سبب وجودها في الاناء انبوبة صغيرة متصلة بالاناء من جهة و بذراع الهندي من جهة اُخرى وهي ممتدّة تحت كرسيه ولا تُرى لانه يطلب شد وثاق يديه الى ظهره وهو جالس على كرسيه فتجري الاسماك من جراب مخبوء في ذراعه الى الاناء . واما نمو حبة القمح فقد قال المسيو غاستون بونيه استاذ النبات في مدرسة السوربون ان حبة القمح اذا (أُعدت) لتنمو بسرعة امكن نموها على مشهد من الناس في أقل من عشر دقائق . وذلك ان تُجعل مثلاً في ماء مؤكسد مدة معينة ثم تُرفع منه قبل ان يشقها الجنين فيبقى لها منظر حبة القمح الاعتيادية واذا غُرست في التراب نمت في عشر دقائق

الجامعة (مجلة وجريدة)

﴿ الجريدة ﴾ لكل مشترك في مجلة الجامعة في الولايات المتحدة وملحقاتها الحق في طلب (جريدة الجامعة) مجاناً وهي جريدة سياسية تجارية اخبارية تصدر كل اسبوع في ثماني صفحات كبرى طافحة بالمباحث المفيدة والاخبار الطلية. وقيمة الاشتراك في (المجلة والجريدة) معاً خمسة ريالات فقط عن الاثنتين. اي كل مشترك في الولايات المتحدة يدفع ٥ ريالات له الحق في ان تُرسَل اليه المجلة والجريدة معاً لان بدل اشتراكهما واحد

﴿ في الخارج ﴾ اما خارج الولايات المتحدة كمصر وسوريا والارجنتين وكولومبيا والبرازيل وتونس والجزائر وفارس والقوقاز وغيرها فكل مشترك فيها طلب جريدة الجامعة الاسبوعية بعثناها اليه. واما الذين لم يطلبوها فسنرسل اليهم عدداً واحداً منها للاطلاع عليه حتى اذا ارادوا الاشتراك فيها ابلغونا ارادتهم في كتاب خصوصي والا فنكتفي بارسال المجلة اليهم مع الشكر لحضراتهم

وتقدم الجامعة الاسبوعية مجاناً مدة شهر لكل مشترك في المجلة يحب ذلك . فمن شاء فليطلبها

﴿ قيمة الاشتراك في المجلة في الخارج ﴾ هذا وترجو ادارة الجامعة من مشتركيها الكرام في خارج الولايات المتحدة ان يتفضلوا بانهاء حساباتهم معها . فالذين لم يدفعوا بدل الاشتراك في السنة الماضية نرجو ان يدفعوه الى وكلائنا او ان يرسلوه رأساً للادارة . والذين دفعوا في السنة الماضية نرجو ان يتكرموا بدفع بدل الاشتراك في السنة الجديدة اتماماً لمساعدتهم الجامعة على خدمتها — ونخص منهم مشتركينا الكرام في البرازيل والارجنتين وكولومبيا ومصر وسوريا ولبنان الذين عوّدوا الجامعة مساعدتهم جزاهم الله خيراً

لا تظن يا صاحب ان قولي هذا يدل على ان قلبي خالٍ من الشفقة على هذه المرأة · فانني اراقبها منذ حين وابذل جهدي لاعادتها الى الطريق المستقيم · ولكن المبدأ شيء والعواطف شيء · ومبداي يوجب عليَّ ان لا ابالي بها وان فنيتْ وهلكتْ وان كان قلبي يرأف بها ويود مساعدتها

بروز مريم

على ان شيشرون لم ينتهِ الى هذا الكلام حتى انتصب وراء الرمانة شبح وورد من جهة الشبح هذا الكلام — ما أكرم اخلاقك ايها الظريف

فالتفت شيشرون ويوسف فابصرا مريم واقفة في مكانها وهي جامدة جمود الصنم · وكان وجهها متقلص الاعضاء وعيناها منتفختان حمراوان ولون وجهها اصفر كأنَّ جميع دمائها غارت الى قلبها ويدها ترتجف مضغوطة على صدرها كأنها تحاول تسكين خفقان قلبها · فدهش الرفيقان وبهتا · فابتسمت مريم ابتسامة التهكم والازدراء ومشت نحوهما على خط مستقيم جامدة متوترة الاعصاب كأنها صنم يمشي · ولما صارت عندهما نظرت في عيني شيشرون وجهاً لوجه وقالت

— نعم ما اكرم اخلاقك · اني اشكرك لشفقتك عليَّ شفقةً مستثناة

وكان صوتها يرتجف للغضب الذي كانت تُسرّه ويلوح في عينيها ووجهها · فادرك شيشرون ان غضبها ناشئ عن كلامه الجارح لها فقال :

— تفضلي واجلسي ايتها السيدة مريم · انك لا تجهلين انني حر الفكر ولذلك اقول لكِ ان ما كنتُ اقوله الآن ليس من أجل شخصك لانك تعلمين انني احترمك بل هو من أجل المبدإ الذي كنتُ اشرحه لرفيقي · ولكن متى كان مجيئكِ الى هنا ومن أي طريق كان

فضحكت مريم بازدراءٍ وهدوءٍ وقالت

— يُدهشك ان تراني قريبة منك اسمع كلامك وانت تبسط فلسفتك

السامية التي تقدم لك بسطها . فانا اشكر لك ما استفدته منها . واول ما استفدته هو انك تشفق عليّ ولا تتكلم عن شخصي بل عن مبدإك . بارك الله فيك وفي مبادئك ايها الفاضل الروماني . ولكن هل تظن ان مبادئك هذه هي ارفع كثيراً من مبادئي . اسمع لاقص عليك — فقال شيشرون : تفضلي واجلسي اولاً

فعضت مريم شفتيها غيظاً وحنقاً كأنّ افعى تلسع احشاءها وزاد انتفاخ عينيها واحمرارها ثم قالت — ولِمَ جلوسي ? ألكي يعديك ضعفي ويسري اليك انحطاطي فتضطر الى زيادة الشفقة عليّ ... لا لا دعني واقفة بعيدة عنك فانني صغيرة حقيرة بالنسبة اليك .

قالت مريم هذا الكلام ثم رشقت شيشرون بسهم من عينيها مسموم بسمّ الاحتقار والتهكم وظهر من كلامها ان صبرها كاد يفرغ وان الزوبعة التي كانت مقيّدة في داخلها آخذة بالانطلاق والثوران . فخفض شيشرون نظره وقال لرفيقه همساً وهو ينكت الارض باصبعه (لعلها شربت من الخمر فوق ما تقدر)

فاستشاطت مريم غضباً لانها سمعت كلامه وصاحت

— ماذا تقول ? تقول انني سكرى ايها الرجل . الا ترى داعياً غير الخمر يدعو امرأة الى ان تغضب وتثور بعد ان تسمع وترى ما سمعته وما رأته منك ومن رفيقك هذا أتتعرضان لي في اقدس الامور لديّ ثم تعجبان من غضبي ? ما معنى انني اناديك ورفيقك هناك وراء الاكمة فتفران مني فراركما من الذئاب وتهينانني هذه الاهانة ? ما معنِى انك تغتابني الآن وتشتمني ? ...

وهمّت مريم ان تتم حديثها الا ان شيشرون نهض اليها ليسكّن غضبها لانه كان قد بلغ أشده حتى كاد ينشق صدرها من الصراخ . وكان صوتها يدوي في ذلك الوادي دوياً تجفل له طيورها . فلما رأت مريم ان شيشرون نهض تراجعت خطوة ثم صاحت

— لا تدنُ مني ودعني اكمل حديثي . فقد تركتك تكمل حديثك مع رفيقك وانا اسمعك منذ ابتدائه لانني كنتُ مختبئة وراء هذه الشجرة لرغبتي في ان اسمع ما تقولانه بعد ان اهتمتاني امام ذلك الروماني تلك الاهانة . فاسمع الان يا صاحب . انني اوافق على كل مبادئك التي بسطتها لرفيقك ,,الحركة والنشاط . القوة والارادة . حب السيادة والاستعلاء . دوس المرضي والضعفاء . التمتع بملاذ الحياة . ترك محاربة الغرائز . اطلاق عنان الطمع والاثرة . ترك الرفق والرحمة والشفقة وحب القريب لانها عواطف منحطة ‘‘ الخ الخ . نعم انني اوافقك عليها كلها . ويا ايها المعلم العظيم انظر امامك فانني تلميذتك

قالت مريم هذا القول بلهجة هائلة وقد طوت ذراعيها على صدرها وانتصبت امام شيشرون انتصاب الف الهجاء ونظرت في عينيه نظر الرجال لا نظر النساء .

اما شيشرون ويوسف فشخصا في جهة مريم واقاما نصف دقيقة شاخصين ساكتين مدهوشين ومريم ساكتة شاخصة في جهتهما ايضاً . فكانت تلك الثواني التي سكت فيها هؤلاء الثلاثة وكل فريق منهما يتأمل في تأثير كلامه في الفريق الآخر وينتظر جوابه — من اعظم الثواني التي مرّت في الحياة على الارض . ذلك لان مبدأين عظيمين اصطدما في اثنائها على شفتي مريم وشفتي شيشرون

وكانت مريم اول من ابتدأ الكلام بعد ذلك فقالت

— مالك لا تجاوب يا صاحب . قلتُ لك انني تلميذتك وربيبة مبادئك أفلا تقبل تلمذتي . واعلم ان عندي كل ما عندك . تريد حركة ونشاطاً وإقداماً وعدم مبالاة في الارض فانا ابوها وامها . وأي نفس كنفسي نشيطة قوية تدوس باخمصيها الارض والسماء ولا يهمها شيء . هل في مبادئك وفلسفتك مثال للقوة والإقدام اعظم من هذا المثال . تراجعي القهقرى وانكصي على اعقابك يا همم الرجال لدى همة امرأة مثلي . ماذا تقول يا صاحب أأنت راضٍ

عن هذه القوة والحركة والهمة . ثم هل تريد (طمعاً واثرة ومسرات وسيادة واستعلاء واطلاق العنان للغرائز وترك محبة القريب) الا فاعلم اني سلطانة الطمع جسداً ونفساً . هاتوا لي اموال الدنيا كلها ومسراتها كلها لاجمعها تحت قدمي وادوسها . اما الاستعلاء والسيادة فأي انسان له من السيادة ما لامرأة جميلة ؟ اما ترك محبة القريب والرفق والشفقة فاو؛ كذلك انني شُفيت من دائها منذ زمان . انني ارى البشر خنازير قذرة همها التمرغ في الحمأة القذرة ولا تستحق عندي الا الاحتقار والازدراء . ولكلبٌ أليف او هرة اليفة عندي خير من مائة رجل . هل تريد يا صاحب اكثر من هذا في باب ترك محبة القريب والشفقة . ثم هل تريد اطلاق العنان (للغرائز) قه قه قه ... انظر اليّ . آه ليت رفيقك لم يقطع كلامك حين ذكرتَ (الحب) وهممتَ ان تبسط رأيك فيه . وماذا عساك تقول فيه اكثر مما اقول . فاعترف الآن انا في هذه المبادئ سيان وانا فرسا رهان . انني تلميذتك وانت معلمي . ولكن الفرق الذي بيني وبينك هو انك انت تقول ولا تفعل حسب قولك وانا اقول وافعل حسب قولي . هل تشفق عليّ بعد هذا وتحسبني من الضعفاء الذين تريد حذفهم من الوجود ؟ ام تعدّني في جملة الاقوياء وطليعة (الانسانية الجديدة) التي تريد انشاءها

وهنا تركت مريم الكلام لتستريح لان الغضب والحدة اتعباها . وكان شيشرون في اثناء كلامها قد أطرق يفكر ويصغي وهو ينكت الارض باصبعه بينما كان يوسف يتنقل بنظره من مريم الى شيشرون ومن شيشرون الى مريم وهو مشرق الاسرة منتبه الى كل كلمة من كلامها ومسرور بانها تصدم مبادئ شيشرون التي بسطها لديه فيما تقدم تلك الصدمة الهائلة

ولما رآها تستخرج تلك النتيجة من مبادئ شيشرون وتظهر له ان (ما هي فيه) نتيجة لازمة عن تلك المبادئ دُهش دهشة الابتهاج وقال في نفسه:

(حقاً لقد اصابت . كيف لم يمرّ هذا في بالي قبلها)
اما شيشرون فرفع رأسه والانزعاج بادٍ في وجهه وقال
— ايتها السيدة مريم . لماذا تتعلقين بمباحثة صغيرة دارت بيني و بين رفيقي وتغضبين من أجلها هذا الغضب . انما كان غرضي في هذه المباحثة بسط مبادئي وقد اطلعتك غير مرة على شيءٍ منها . ولم يرد اسم حضرتك في هذه المباحثة الا تمهيداً لها . فلم اتعمد قط اهانتك فلماذا تهينيني وانتِ تعرفين ودادي لكِ
فقالت مريم — فاسمع اذاً يا صاحب . تقول انك لم تتخذ اسمي الا وسيلة لاظهار مبادئك وانا ايضاً لم اتخذ اهانتك لي الا وسيلة لاظهار ما في نفسي . فلا تظن انني غضبتُ هذا الغضب تأثراً باهانتك لي كلا (وضحكتْ) فان رأيك وآراء جميع الناس لا تهمني . أما قلتُ لك انني اعدهم خنازير قذرة . فمن يعتدُّ برأي الخنازير ? وانما الذي أغضبني في كلامك واضحكني معاً شنك غارة شعواء على امثالي من (الضعفاء والمساكين والساقطين) كما تدعوهم وتجريدهم من (التعزية الكبرى والعذر الاعظم) الذي لهم في هذه الدنيا . فان كلامك يوهم ان هؤلاء الضعفاء والمساكين والساقطين تساقطوا لضعفهم وانحطاطهم فقط ولذلك توجب نبذهم بل دوسهم لكي لا يبقى في الهيئة الاجتماعية الا الاقوياء الاشداء ترقية لها . فيا صاحبي انك تتحكم في البشر كأنك خالقهم . انني امرأة ساقطة كما تقول : ولمجرد حكمك باني ساقطة تقضي باهلاكي وافنائي من الوجود دون ان تبحث هل انا اسقطتُ نفسي ام غيري اسقطني . انك ترى على شاطئ النهر حمامة جميلة بيضاء تستحم في مياهه فتغدرها افعى وتنقض عليها وتفترسها فتقول: الخطأ في جانب الحمامة لانها افتُرست وهي ضعيفة يجب ان تهلك وتفنى . اما الافعى فهي قوية فيجب ان تعيش وتلد افاعي اخرى لتفترس حمامات أخرى . هذا ما تسميه (ترقيةً) يا صاحب . وأيُّ عقل سليم وقلب ذكي يسلّم معك

بتجريد الحمامة (المفترسة) من (تعزيتها الكبرى وعذرها الاعظم) بينما يتقطع لحمها ويتحطم عظمها تحت أنياب الافعى . اما (تعزيتها) الكبرى فهي اعتقادها بان الافعى غدارة خائنة قاتلة تستحق لعنة الله والناس وان جميع الناس يعتقدونها كذلك . وكلما ازدادت الافعى سمناً وانتفخت شحماً ولحماً يصيح جوفها المملوء بجثث فرائسها لاعناً ذلك الشحم واللحم الذي اكتُسب بالغدر والخيانة والقتل . هذه تعزيتها . اما انت فتقول بحسب (مبادئك وفلسفتك الراقية) ان الحمامة مستأهلة نصيبها من الغدر والقتل لانها ضعيفة . فاضحكي يا افاعي الارض من هذه الفلسفة الجديدة وابكي لها يا حمام . هبك يا صاحب خالق الكون أنسيتَ ان خليقتك خُلقت طبقات طبقات بعضها اضعف من بعض . وما لي اتكلم عن الحيوان فانني بذلك اقصّر حجتي لان غدر الحيوان وقتله امران مألوفان وانت تعلم انني ما قصدت بكلامي الا التمثيل والقياس على الانسان . فالبشر يُخلقون اقوياء وضعفاء وليس فيهم ضعيف الا وترى اضعف منه ولا قوي الا وترى أقوى منه . — افاعي وحمام ونعاج وذئاب — فما ذنب النعجة اذا لم تستطع مقاومة الذئب ؟ وكيف تطلب مقاومتها له وهي خُلقت اضعف منه . اذا كان هنا ذنب فالذنب هائل و هو واقع على خالقها لا عليها لانه خلقها اضعف من الذئب . هذا هو (العذر الاعظم) للضعيف يا صاحب وانت تريد تجريده من هذا العذر وجعل عذره هذا ذنباً له . ثم يا صاحب ما تعني (بالقوة والضعف) ؟ ان القوة والضعف في الحيوان قوة عضلية وضعف عضلي اعني قوة بدنية وضعفاً بدنياً (لا تستغرب معرفتي هذه الامور فلدينا نحن بني اسرائيل علماء كما لديكم علماء وقد سمعت كثيرين من علمائنا يردون على علمائكم ويقبحون مدنيتكم) فالحيوان قوي او ضعيف بحسب نوعه وتركيب جسمه وقوة عضلاته . اما الانسان فالقوة البدنية احدى قواه لا قوته

كلها . وقوته الكبرى هي قوة عقله . بهذه القوة يتحكم في الارض وكائناتها ويُخضع جميع قواتها . الا تراه قد استأسر بها الفرَس والثور والرياح وهي أقوى منه . أما سمعت ان اسكندر المكدوني غلب الفرس وجيشه اقل عدداً من جيوشهم . أما قهرَنا واستأسرَنا قائدكم بومبيوس بجيش قليل وعددنا نحن بني اسرائيل اضعافه . ففي المجتمع البشري قوة فوق القوة البدنية وهي قوة العقل . فاسمع الان . ما قولك في رجل بليد جاهل لا يعرف من الدنيا شيئاً غير جمع المال بالطرق المحللة والمحرمة وهمه في غش الناس للربح منهم جسمه كجسم الثور غلاظة وضخامة وعقله كعقل العصفور . ورجل آخر ضعيف الجسم ولكنه قوي العقل صحيح الاخلاق يخترع لقومه آلات حربية يردون بها اعداءهم عن الاسوار ومطاحن لطحن حبوبهم ومناسج لنسج انسجتهم ومحاريث لحراثة أرضهم . ايهما في شرعك هو القوي الذي يجب ان يعيش في الدنيا لانه انفع لها وايهما الضعيف الذي يجب ان يتلاشى في شرعك . هل عندك شك في ان الثاني هو القوي الحقيقي لان القوة الحقيقية الكبرى هي للعقل لا للبدن كما تقدم . ولكن انظر ماذا يحدث في الدنيا يا صاحب . فقد خبرت منها ما لم تخبر . يحدث ان الاول تكون افكاره متجهة الى جهة واحدة وهي (التغلب على غيره بكل الطرق) فعنده الغش والاحتيال والسرقة وتعمد ضرر الغير وخرق حرمة كل نظام وشريعة بطرق يعرفها ويعرف انها لا توقعه تحت طائلة الشريعة والاستئثار بكل شيء واستخفاف كل شيء في الارض والسماء اذ لا قيمة لشيء عنده غير المال — كل هذه تبلغ لديه أشدَّها وتوجّه جميع قوى نفسه الى نقطة واحدة تنحصر كلها فيه وهي (ربح المال والوجاهة) . وهو في هذا السبيل يجود بكل رخيص وغال ويسلك هذا المسلك بهمة مشحوذة كهمة ذئب يطلب الفرائس في كل مكان . ويحدث ان الثاني تكون افكاره منصرفة الى وجهة اخرى . فان العاقل ذو ميل الى الاستزادة من العقل كما ان صاحب المال ذو ميل الى

الاستزادة من المال . فعقله متجه على الدوام الى طلب صفات العقل وهي اولاً نصبه امام عينيه غرضاً شريفاً يسعى اليه في ما يسعى اليه من منافعه الذاتية . والجدّ في نفعه الذاتي ولكن (ضمن دائرة الشريعة) . واحترام ملك غيره وعرضه وشرفه ليحترم غيره ملكه وعرضه وشرفه . وترك العدوان والغش والاحتيال والكذب والسرقة لان عقله ينهاه عنها وطبيعته لا تطاوعه عليها بل تنفره منها لانها لم "تربّ" في ممارستها والتوجه اليها — فالآن اذا التقى هذان الرجلان في عملٍ ايهما تظنه يغلب رفيقه فيه ؟ ايهما يكون فيه الضعيف وايهما يكون القوي . ان الرجل الثانيُ يحارب في ذلك العمل حرب ,, رجل مقيّد بقيود ضمن حدود " وهي الحدود التي يرسمها له العقل واعتاد ان يعيش معه ضمنها . واما الرجل الاول فيحارب حرب رجل ,, مطلق من كل قيود وحدود " فبالكذب والاحتيال والغش والسرقة والنهب والسلب يبلغ مناه ويتغلب على رفيقه المأسور ضمن سور مبادئه . وهكذا تصبح الارض ولا حق فيها الا (للقوة) اذ لا حق . وتنمو فيها وتسود الغلظة والقسوة والغش والعدوان والسرقة وجميع مظاهر القوة بينما تمحى منها مظاهر العقل والحق تدريجاً — كما في ميدان تقتتل فيه وتتنازع حيوانات مدنية لا فرق بينها وبين الحيوانات الوحشية الا في ان تلك تمشي على ساقين وهذه على اربع

فهل الانسانية الجديدة التي تريدها يا صاحب هي على شاكلة هذه الوحوش البشرية التي لا ,, قيود لها ولا حدود " . انا معك في هذا لاني تلميذتك . ألا تراني اعيش بلا قيد ولا حد أمرح في الدنيا كأنها فضاء اطير فيه من افق الى افقٍ ولا حدود فيها توقفني عند شيء أو تمنعني من ان اضع يدي فيها على شيء . فلتحيَ الحرية يا صاحب ولتحيَ مبادئك وفلسفتك . انك تبرئ بها القتلة وتذنب القتلى . تعطي الحق للظالم وتلوم المظلوم . توافق على فعل السارق وتستهزئ بالمسروق . وكأنك تقول لهم : لا "تنصَفون الا اذا كنتم تَقتلون وتَظلمون وتسرقون . فالضعيف او الشهيد الذي يقع في جهاد الحياة هو (المذنب الجاني) فيجب حذفه من الوجود . فكونوا كلكم قتلة وظلمة وسارقين فلا "تحذفون . . . .



الفيلسوف فردريك نيتش

Frederic Nietzsche

الجزء ٣ الجامعة السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك نيسان — (ابريل) سنة ١٩٠٨ — ربيع ١ سنة ١٣٢٦

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الفيلسوف نييتش وفلسفته

فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية ولكنهم رأوا آثار مبادئه
وفلفسته في كل شيء حولهم في كل مكان

سلسلة مقالات نبسط فيها ترجمته وفلسفته

قلنا في الجزء الثاني الذي ظهر في اول فبراير (شباط) ما نصه ,, نظن ان اسم الفيلسوف نييتش الالماني لم يرد في اللغة العربية قبل الصفحة التي لخصت فيها الجامعة شيئاً من فلسفته في السنة الماضية · على انه كان لهذا الفيلسوف تأثير عظيم في مجرى افكار البشر في الارض · وكثير من العلماء والكتاب في

اميركا قد أثرت فيهم مبادئه على علم منهم وعلى غير علم واصبح نيتش عندهم اماماً لمبدإ جديد دعوه (المبدإ النيتشي) — وقد وعدنا في ذلك الفصل بترجمة هذا الفيلسوف وبسط فلسفته وانجازاً للوعد نقول

هو فردريك نيتش Nietzsche ولد في روكن سنة ١٨٤٤ ونشأ ضعيف الجسم · وقد قضى عمره في المدارس والتدريس والتأليف وأشهر تدريسه كان في كلية بال المشهورة حيث كان يدرّس علم تحليل اللغات والنقد الادبي من سنة ١٨٦٨ حتى سنة ١٨٧٨ · وكان يقرأ كتب شوبنهور وقَنْتْ أشهر الكتاب الالمانيين المشهورين فيجد في نفسه نفوراً من فلسفتهما فشرع في كتابة مقالات وتأليف كتب كان غرضه فيها بناء الحياة على اساس جديد

وليس الغرض في هذا الفصل ان نبسط فلسفة نيتش ومذهبه في الحياة لاننا سنعرب لقراء الجامعة فصولاً عديدة من آرائه واقواله فتظهر فيها فلسفته ومذهبه في الحياة والانسان وانما نكتفي هنا بالاشارة الى اساس فلسفته

﴿ اساس فلسفته الجديدة ﴾ لما قام نيتش كان جوء اوروبا بل العالم أجمع مشبعاً بالمبادىء القديمة الازلية التي محصّلها التوكل واحتمال شقاء الحياة اذ لا سبيل لدفعه واعتبار ان الشر ملازم للبشر في الارض والرحمة وحب القريب والشفقة والمساواة · وكان فيكتور هيغو بوق اوروبا الصارخ صراخاً يسترعي اذان جميع المتأدبين في جميع البلدان ينشر كلامه في الجهات الاربع ويقول بلسان (كفروش) في روايته الميزاربل — : الرحمة فوق العدل · ورنان في قمة جبله الشامخ يصيح في كتابه (اصول المسيحية) : ,, ان الانسان حيوان ديّن وكلما ارتقى زادت فيه (العاطفة الدينية) واذا عثرنا في الاجرام السماوية على اناس أرقى منا فعاطفتهم الدينية تكون ارقى من عاطفتنا ''· وسبنسر في هيكله المادي الفخيم كأنه إمام دين جديد عظيم يبني قصر السسيولوجيا على آثار استاذه اوغست

كونت الفرنسوي ويضع (الغيرية) موضعاً سامياً وبذلك خفف من وحشية مبدإ تنازع البقاء والاستفراد Individualisme المطلق وصبغ مذهبه القاسي الجاف بصبغة ذهبية . وشوبنهور ينادي نداء متألم من الدنيا وشؤونها ان الألم والشر ملازمان للبشر فيها لان كل انسان يولد وفيه طبيعة مستقرة لا تتغير — ان خيراً فخير وان شراً فشر — وان العفاف (وان انقرض الجنس البشري) وقهر البدن لتسلط عليه النفس بدل ان يتسلط عليها هما السبيلان المؤديان الى الخير وصلاح البشر وتهدئة عواصف العواطف والشهوات — بينما هذه العقول والنفوس الكبيرة آخذة في بناء اساس الهيئة الاجتماعية وهي تظن انها بلغت منتهى العلم والفكر وان لا جديد بعد مبادئها هذه واذا بنييتش يقوم عليها قومة شديدة وسننشر ردوده عليها في ما يلي

اما اساس مبادئ نييتش الجديدة فهو هذا

لقد بنى فلسفته على (حب الحياة حباً حماسياً والاستعداد لها) وهذا مناقض لتعليم متقدميه من الحكماء والفلاسفة من سقراط فنازلاً الذين كانوا يقولون ان الحياة همٌّ وتعب وانّ طلب السعادة فيها باطل وعبث . ولذلك يسمي اهل الاديان الارض (وادي الشقاء) وقد رأيتَ مذهب شوبنهور الذي تقدمت الاشارة اليه آنفاً . ومع تسليم نييتش بكثير من مقدّمات شوبنهور اعمل فكرته في استخراج نتيجة منها غير النتيجة التي استخرجها شوبنهور أي (الرغبة في الحياة) بدل نتيجة شوبنهور التي هي (الرغبة عن الحياة) . فوجّه نظره اولاً الى (الفنون) فقال ان الكون انما هو مظهر من مظاهر الفن وان (الارادة) تقدر على التملّص من آلامها وتتحرر منها بتأملاتها في جمال الفن واستغراقها فيه . يعني ان الفنون ترفعها وتطهرها وتقويها . وقد قسم الفن الى (ديونيزي) وهو الموسيقى والى (ابوليني) وهو فن النقش والقصص والمباحثات

ثم لم يكتف بهذا المذهب فضمّ (المعرفة) الى (الفن) وذلك لرغبته في التخلص من شرّ الحياة لا (بوهم يُتوهم) بل بعلم مبني على قاعدة . ولكن وقوفه في هذه المرحلة لم يطل فبلغ المرحلة الاخيرة من فلسفته التي كملت في كتابه المشهور (هكذا تكلم زاراتوستره) الذي هو انفس كتبه . وخلاصة مبادئه التي ا كملت في هذا الكتاب وغيره من الكتب (كالمسيح الدجال . وما وراء الخير والشر . ونسب الادب) ان الانسان لا يتخلّص من الشر والاعتقاد بان كل شيء في الوجود صائر اليه – الا (بقوة الارادة وإنماء الغرائز وتنظيمها بدل محاربتها) . فعليه ان يغالب نفسه ويقهرها بعزيمة الابطال لا لاضعاف (حماستها ونشاطها) ولا لاضعاف بدنه وقهر غرائزه بل لاثارة (حماستهما ونشاطهما) وبهذا القهر (لاثارة النشاط في النفس والجسد) يتحوّل الانسان من كائن ضعيف متردد مستسلم الى اهوائه وعواطفه كما هو اليوم الى انسان صلب الارادة شديد العزيمة أي يصير (فوق الانسان) كما قال . (فالنشاط) Energie هو عنده اس الآداب والقوة دعامتها . ولكن ليس يعني بالآداب الآداب المتبعة اليوم بل آدابه التي يقول بها وستظهر في خلال كلامه الذي سننشره . ومحصّل مذهبه هذا نقضه وجوب المساواة بين البشر لانهم خُلقوا في رأيه و بينهم الرفيع والوضيع والخامل والنشيط فهو في هذا ارستوقراسي النزعة . والمبادئ المسيحية وجميع مبادئ الحكماء في الزهد والشفقة ومحبة القريب والسواء بين البشر والعناية بالشعب هي ومبادئه هذه على طرفي نقيض

﴿ اختلال عقله وموته ﴾ وقد عمّر نيتش ٥٦ عاماً لانه توفي في ويمار سنة ١٩٠٠ . وقبل وفاته باثنتي عشرة سنة أُصيب باختلال عقلي فعاش بقية عمره مصاباً بهذا الاختلال وتوفي به . ومما كتبه قبل هذا الاختلال قوله ,, انني اكتب لا الفاظاً بل بروقاً '' ,, واحسُّ انني احترق بنار الفكر الذي اكتبه '' فلا ريب في ان القوة والنشاط في نفسه قد صرعا عقله واورداه موارد الهلكة

ومما يحسن ذكره ان نييتش عاش عيشاً في منتهى السذاجة والتقشف وقد ورث ذلك عن أجداده وآبائه الذين نشأوا في التقشف المسيحي والقناعة والرضى

تلخيص فلسفة نيتش

نعرّب في هذه الفصول المتتابعة نفس اقوال نيتش وآرائه في المسائل العظمى التي طرقها في كتبه

اما الآن وقد أتينا على طرف من ترجمة نيتش فبقي ان نشرع في بسط فلسفته أخذاً عن كتبه التي كتبها وكان لها دوي بعيد بين المفكرين والمتأدبين في جميع اقطار العالم المتمدن · ونجمل كلامه فقرات كما جعله هو نفسه ونلخصه تلخيصاً · قال

نيتش يُسقط سقراط والحكمة اليونانية (١) — ,,ان جميع الحكماء حكموا على الحياة حكماً واحداً وهو (انها باطل ولا قيمة لها) وهي كلمة ملؤها الشك والسوداء والملل من الحياة والمقاومة لها · وقد قال سقراط قبل موته (الحياة مرض · فما دام الانسان حياً يبقى مريضاً · عليّ نذر ديك للاله اسكولاب الذي انقذني) ولكن على أي شيء يدل هذا الكلام ؟ يدل على ان سقراط قد ملّ الحياة · واذا كان هنا مرض فالمريض سقراط نفسه · هذا جوابنا · فانه يجب ان ننظر عن كثب الى هؤلاء الذين يدعونهم أشهر الحكماء في الارض · فربما وجدنا انهم ضعفاء لا يستطيعون الوقوف على اقدامهم · ربما وجدناهم (دعاة الانحطاط) لا (دعاة الارتقاء)

,, ان فكرة اعتبار اكابر الحكماء كسقراط وافلاطون (مثالاً للانحطاط)

---

(١) بعض الحكمة اليونانية والفلسفة اليونانية اساس مبادىء البشر اليوم في العقل — والفضيلة — والسعادة

,,فكرة قويت لديّ لاسباب سابسطها . فكيف ذلك؟ ألم يكن اولئك الحكماء العظماء الا قوماً منحطين . ألم يكونوا حكماء

,,ان اصل سقراط وضيع وكان من عامة الشعب . وكلنا يعلم انه كان قبيح الوجه لان قبحه مشهور . والقبح هو احياناً دليل على (تحوّل ٍ) مضطرب في الجسم لعوائق تعوق تركيب صاحبه . فهو تحوّل انحطاط الى اسفل . ويقول الانثروبولوجيون الذين ينظرون في شؤون المجرمين ان المجرم الذي هو (مجرم حقيقي) (ومثال المجرمين الحقيقيين انما يكون قبيح الوجه . ومما يوافق هذا ان احد الغرباء العارفين بالاخلاق مرّ يوماً في آثينا واذ نظر سقراط قال له : انك وحش يكنّ في نفسه جميع الشهوات والرذائل . فاجاب سقراط ,, لقد عرفتني يا سيد" (١) فسقراط قد اعترف باختلال كيانه . على ان الفوضى التي كانت في غرائزه ليست وحدها بدليل على (انحطاطه) . فان مبالغته في الجدل المنطقي واضطرابات سمعه اضطراباً دعوه (شيطان سقراط) ثم اوّلوه تأويلاً دينياً لهي ادلّة عليه ايضاً . وكان ينظر بمبالغة ٍ الى كل شيء وكل شيء كان عنده خفياً ذا مغامز . وبقيام سقراط خرج الجدل المنطقي عند اليونان عن اصوله . فانه كان عبارة عن تغلّب الشعب لان الشعب يتوصل بالمنطق الى تلك الغلبة . والمغلوب كان (سلامة الذوق الممتاز) أي الامتياز (٢) . وكان خاصة اليونان قبل سقراط ينبذون اساليب الجدل المنطقي ويستقبحونها وينفرون الشبيبة منها . فان الانسان لا يستعمل اساليب المنطق لاقناع غيره الا اذا لم يكن لديه أدلة تثبت حقه . وهو لا يعمد الى المنطق الا لان حقه المزعوم خفيّ غير جلي فيحاول إجلاءه . ولذلك كان الاسرائيليون

(١) ويروي بعض المؤرخين ان سقراط اجابه انك غير مخطىء ولكن ارادتي تسلطت على نفسي وكبحت جماحها

«٢» الامتياز عند نييتش فضيلة لانه ينكر المساواة كما تقدم

بارعين في اساليب الجدل المنطقي . وكذلك الاستاذ الثعلب بارع فيه . وحيثما ترى (للسلطة) سيادة واثراً وفي كل مكان (لا يتعقلون ولا يتمنطقون) بل يأمرون و يخضعون ترى القائل بالمنطق معدوداً من المشعوذين الذين يضحك الناس منهم . فسقراط كان من اولئك المشعوذين ولكنه قدر ان يجعل الناس يصدقونه ولا يضحكوا منه .

„ والمشهور في احاديث سقراط وتعاليمه تهكمه القارص . فهل كان ينتقم لنفسه بهذا التهكم من عظماء اثينا الذين كان يسحرهم بكلامه ؟ واذا كان هذا صحيحاً الا تكون اساليبه الجدلية عبارة عن (انتقام)

„ على ان السبب الاول الذي سحر به سقراط مواطنيه هو ايجاده (حرباً جديدة) ولذلك كان (اول محارب) في صف دوائر آثينا العليا . فان الانحطاط كان قد بدأ في كل شيء في اليونان الا انه كان خفياً وكان قدماء اليونان الاصيلون آخذون في الانقراض فادرك سقراط ان الجميع اصبحوا في حاجة اليه والى دوائه ومبادئه . وكانت الغرائز قد اصبحت فوضى في كل شيء وفي كل مكان والناس يكادون يقعون في الافراط والخطر عمومي . فقالوا „ حيث ان الغرائز تريد جعل نفسها (ظالماً) فلنوجد (ظالماً) اقوى منها

فمنذ عهد سقراط وافلاطون وُضعت اسس هذه المبادىء (العقل — الفضيلة — السعادة) كما يفهمها الناس اليوم . وبما ان سقراط قد شفى نفسه بارادته من فوضى الغرائز كما قال فقد عمد الناس الى الاقتداء به وايجاد (نور) بازاء ظلمة تلك الغرائز وهذا النور هو (العقل) فعندهم انه يجب قبل كل أمر ان يكون الانسان متأنياً متعقلاً متقشفاً جلياً . وكل تسامح مع الغرائز عُدَّ عندهم انحطاطاً

لقد خُدع الفلاسفة وعلماء الآداب بظنهم انهم يخرجون من الانحطاط بمحاربة الانحطاط . وما اختاروه لهذه الحرب وهذا الخروج انما هو الانحطاط بعينه . فانهم غيروا اللفظ ولكنهم لم يمحوا معناه . فمسألة سقراط كانت عبارة عن سوء تفاهم . وجميع الآداب الزمنية والدينية التي يراد بها الآن (ابلاغ الانسان الكمال)

انما هي سوء تفاهم . وما العقل الذي دعا اليه سقراط وحياة التقشف والرزانة ومحاربة الغرائز الا مرض جديد لا (عودة الى الفضيلة والسعادة) كما يُظن . فان اضطرار الانسان الى محاربة غرائزه انما هو اضطرار الى الانحطاط والشقاء لان (الغريزة والسعادة) صنوان لا يفترقان "

هذا ملخص ما كتبه نيتش عن سقراط وغرضه اقامة مبادئ ادبية جديدة غير المبادئ الادبية الحاضرة التي ينتهي اساسها الى سقراط وافلاطون . وسنأتي تباعاً على تتمة مبادئه فتظهر فيها آراؤه ظهوراً جلياً

كلام ابن الشرق في الغرب

﴿ وهو كلام من سمع ورأى ﴾

سلسلة مقالات « لصاحب الجامعة » يدرس فيها شؤون المدنية الاميركية

﴿ مقدمة ﴾ ان الحكم في المدنيّة الاميركية وآثارها يتوقف على طبيعة الناظر فيها . فاذا كان هذا الناظر ممن ولدوا في اميركا او ممن لم يروا مدنيّة اخرى غيرها اعتقد ان اميركا امّ الدنيا في كل شيء وكل ما عداها لا شيء . واذا كان قد عاش في وسط مدنية راقية اخرى كالمدنية الاوروبية فيكون رأيه في المدنية الاميركية تابعاً لطبيعته ومذهبه في الامور . فاذا كان ممن نشأوا على المبادئ الايدياليستية ويفضلون (آثار العقل والنفس) على (آثار المادة) قال ان الاميركيين قوم حديثو النعمة كبيرو الدعوى مع انهم لا يزالون اطفالاً في

المدنية الحقيقية. واذا كان ممن نشأوا على المبادئ الاوتيليتر (النفعيين) ويفضلون (آثار المادة) على (آثار العقل والنفس) قال ان المدنية الاميركية تقدّمت المدنية الاوروبية بمراحل . ويظهر هذا الخلاف في الحكم في رأي كل جماعة تسألهم عن اثر المدنية الاميركية في نفوسهم وآراء جميع الكتّاب والسياح الذين يزورون اميركا . ففي الاسبوع الذي صرفناه في البحر بين الهافر ونيو يورك طالعنا اربعة كتب لاربعة من مجيدي الكتّاب الفرنسويين زاروا اميركا منذ بضع سنين ورأينا أثر هذا الاختلاف في آرائهم قبل ان وضعنا قدمنا في القارة الاميركية. فأحدهم يقول في مقدّمة كتابه ما خلاصته (انني بعد ان عبرت البحر قادماً من بلاد الحركة والنشاط (اميركا) ووطئت قدماي ارض بار يز ورأيتُ الناس فيها يخطرون في الشوارع بهدوء والمركبات تسير الهوينا تحمل اهل الترف والبطالة والناس يمشون الى اشغالهم مشية من لا شغل له وقابلت كل ذلك بحالة الامة الاميركية النشيطة ظننتُ نفسي وانا في باريز في سلطنة بزنطية في ابان شيخوختها وضعفها) وهو منتهى الثناء على اميركا . والآخر يقول (انّ الارتقاء الاميركي انما هو ارتقاء ظاهري . وهو نتيجة مبالغتهم في إعلان قوتهم وآثارهم . فانهم اذا راموا مثلاً جعل احد الجبال مصيفاً ملأوا الدنيا صراخاً في اعلاناتهم ان ذلك الجبل اجود جبال الدنيا هواء واعجبها مناظر ويتفننون في اعلان ذلك تفنناً يجتذب الناس اليه . وهكذا في كل امورهم . والجرائد الاوروبية تجاريهم فتتناقل اخبارهم وتعجب بها . واذا قدمت فتاة اميركية الى باريز مثلاً وزارت متاحفها وقابلت ادباءها واهل الخبرة والعلم فيها حادثت كل واحد منهم في فنه وادبه حديث مطلع عليه فتدهشنا بجرأتها وواسع اطلاعها مع ان ما فعلته سهل لكل فتى وفتاة وهي انها راجعت قبل زيارتها في دائرة المعارف او الكتب المخصوصة التي تطلبها ما تريد معرفته لتظهر لمحدثها انها على علم بصناعته وفنه . وانما كل ذلك

من قبيل البلف (Bluff) (١)ونتيجة (الاعلانات) ليس الا)

ومما قاله هذا المؤلف ايضاً، ان السبب في شهرة اميركا في خارج اميركا ان الكتّاب الذين كتبوا عنها انما كتبوا وهم تحت تأثير اصدقائهم ومستقبليهم من الاميركان. فان الكاتب الاوروبي المشهور لا يُعلن خبر قدومه الى نيو يورك حتى يُسرع الى استقباله كتاب الاميركان وادباؤهم وسيداتهم فيحيطون به ويطوفون به في المجالس الخصوصية والعمومية ولا يُرونه من اميركا الا جوانبها اللامعة. وفضلاً عن ذلك فانه اذا عاد الى وطنه وكتب كتابه اجتنب فيه كل مايسوء اصدقاءه الاميركيين فلا يذكر عن اميركا ما يسوء. وهذا سبب شهرة اميركا في العظمة والكرامة

قلنا واذا شئت الآن الحكم بين الآراء التي تقدم بسطها لزمك ان تعود الى التفرقة والقسمة التي اشرنا اليها في مقدمة الكلام. فترى ان كل قائل منهما انما قال بحسب طبيعته وفطرته والآراء التي نشأ عليها. ولكم كان هذا الامر سبب الخلاف والنزاع بين البشر وهم لا يدرون

على ان الناظر الى المدنية الاميركية نظراً عادلاً مجرداً يلزمه ان يتجرد برهة عن كل عاطفة مطبوعة او مصنوعة ويحكم عليها بحسب (العقل المجرد). فيرى حينئذ ان قياس اوروبا على اميركا او اميركا على اوروبا انما هو قياس مع الفارق. وبعبارة اخرى انه يلزم الناظر فيها ان يكون كما قال رنان — ذا قوة خصوصية تُدعى قوة التمييز والاستنتاج. فبقوة التمييز يُدرك حقيقة (القوة والجمال) في الشيء المنظور ويغوص فيه حتى الى اعمق اعماقه للقبض عليه.

---

(١) درجت لفظة (بلف) في جميع اللغات الاوروبية والاميركية ودخلت في اللغة العربية العامية في سوريا ومصر. ومعناها في الاصطلاح ايهام الخصم خصمه بامر ليس فيه توصلاً الى ذلك الامر او الى فائدة اخرى

وبقوة الاستنتاج يدرك درجته ومنزلته في منازل الرقى الحقيقي والمدنية الحقيقية . ولكن اذا لم يكن للناظر هاتان القوتان فانه يخبط خبط عشواء في اثار المدنيات والمبادئ في الارض فكثيراً ما عدّ الجمال دمامة والدمامة جمالاً والعلم جهلاً والجهل علماً والتأخر تقدماً والتقدم تأخراً وهلم جراً

فالحكم على المدنية الاميركية يقتضي هذا التجرد وهاتين القوتين . وكل قياس غير مقرون بهما قياس فاسد اذ للجمال ضروب شتى لا ضرب واحد في الارض فلا يصحّ القياس على ضرب واحد

مثال ذلك . اوقف اميركياً في مصر القاهرة امام جامع السلطان حسن الذي هو فخر الصناعة العربية القديمة واثرها الخالد او امام كنيسة نوتردام في باريز التي هي تحفة الصناعة المسيحية في العصور المتوسطة فانه قلما يُدرك ما فيها من اسرار الجمال والكمال وحلاوة الفن البالغ مبلغ الاتقان . وقلما تنفتح مغالق نفسه وينشرح صدره لدى تلك التحف التي يخيل للناظر اليها انها مصنوعة بيد الآلهة لا بيد الانسان . وذلك ليس لان الجمال كما قال ابن سيناء هو (في عين الرائي) بل لان للجمال ضروباً شتى كما تقدم و (عين الرائي) هنا لم تألف هذا الضرب من الجمال لتدركه . ولكن اوقف نفس ذلك الرائي في سفينة في نهر هدسن في ميناء نيويورك في الساعة السابعة مساءً وقد أُوقدت المصابيح الكهربائية في البنايات الشاهقة التى تبلغ طبقاتها ٢٠ او ٣٠ او ٤٠ طبقة واجعله يستقبل تلك الابراج الضاربة صعداً في الفضاء كأنها شقائق برج بابل تَرَهُ حينئذ يعض باسنانه على سيكاره ويتبسم عن شاربين حليقين ويشمخ بانفه ويدس يديه في جيبي (بنطلونه) ويقول خاطراً الى امام والى وراء . يس يس هذا هو الجميل العظيم المفيد لا جامع حسن ولا نوتردام

ذلك لانه من الصعب على اكثر الاميركيين ان يدركوا اهمية الفنون وجمالها

ان لم تكن مقرونة بمنافع تتخذ لها · فطلب الفن (لذاته) أمر قلما يعرفونه عندهم وانما يطلبون الفن لفائدته العملية ومنفعته · سل الطلبة الفرنسويين مثلاً عن جمال فنون آثينا ورومه ومذاهب الادب الكتابي والفلسفة القديمة والحديثة بل اذكر لهم مثلاً اسم (Venus de Milo) ترهم يندفعون في وصفها وذكر تاريخها اندفاع السيل · اما الطلبة الاميركيون فعقولهم في افق غير هذا الافق · فهم يعرفون اسماء شركات الاحتكار الكبرى وماذا فعلته وتنوي الحكومة فعله فيها وما هي البلدان الصناعية والزراعية في اميركا وكيف يتنازع الحزب الديموقراطي والحزب الجمهوري في التعريفة الجمركية والعملة الفضية ومسائل العمل والعملة والاستعمار والبنوك الخ · وبناء على ذلك كانت الفنون التي يشتغل بها الاميركيون خادمة لمعائشهم لا مستقلة عنها · فهي تقرن بالتجارة والصناعة لا لترقيتها نفسها (نعني الفنون) بل لترقية التجارة والصناعة

كنا بالامس نقلب كتيباً صغيراً نشره معمل كبير للاحذية في نيويورك غرضه اعلان جودة صناعته وترويج تجارته · فرأينا في هذا الكتيب بين اعلانات المعمل فوائد كثيرة بشأن اميركا واحوالها ملؤها اللذة والفكاهة · ومن جملة ما رأيناه جدولاً كبيراً يتضمن بيان تعداد جميع امم الارض من اكبرها الى اصغرها مقروناً باسماء ملوكها وعواصمها · وفيما نحن نتصفح هذا الجدول وجدنا ان فيه عدد سكان مصر (ستة ملايين) مع ان الاحصاء الاخير الذي جرى في مصر في العام الماضي دل على ان عدد سكانها اكثر من ١١ مليوناً · فهذا الكتيب مملوء بالفوائد ولكنه مملوء ايضاً بالاغلاط اذ ليس من غرض ناشره تحقيق مواده بل نشر اخبار بضاعته · فليس يهمه ان تكون الاحصاءات المذكورة فيه احصاءات قديمة قد مر عليها ٢٠ سنة ولا وقت عنده لتحقيق ذلك وانما الذي يهمه ان يقرن (احذيته) بالعلم والادب ويدفعها بهما بين ايدي الناس · هذا

مثال لطريقة بعضهم في العلوم والفنون في اميركا

وربما أنحى بعضهم باللائمة على هذه الطريقة وقال انها تحط من كرامة العلم والفنون وتؤدي الى إفسادها وهذا اعتراض وجيه وقول صحيح · ولكن لهذه الطريقة فائدة كبرى ومن يدري ان العلم والفنون في اميركا لا ترتقي بها في مستقبل الزمان

ومعنى قولنا هذا ان الاميركيين قد ابتدعوا بدعة جديدة بما فعلوه من قرن الفنون والعلم بالتجارة والصناعة · فان الفنون في اوروبا انما توجد في المتاحف والمدارس وتُحصر فيها · واما الاميركيون فانهم أخرجوها منها وادخلوها في أعماق حياة الامة فاصبحت جزءاً منها · وسنُظهر في مقالة تالية كيف رقّت التجارة والصناعة الفنون في اميركا وكيف رقت الفنون التجارة والصناعة فيها

مطالب السوريين من السفارة

والجرائد الاميركية في اربعة اقطار اميركا

بعد ان كانت حركة المطالب بين السوريين اصبحت بين الاميركيين في الاسبوع الذي قُدمتْ فيه الى عطوفة السفير العثماني «١»

﴿ الجامعة ﴾ قبل نشر مقالة الصديق شبل افندي يسرنا ان نشير الى الحركة التي اثارتها ﴿ المطالب من السفارة ﴾ لدى الاميركيين وجرائدهم بعد ان انتهت مسألتها لدى المهاجرين السوريين · ونغتنم هذه الفرصة لاسداء خالص الشكر الى الجرائد الاميركية الكريمة اللواتي تفضّلن بتلخيصها ونشرها تأييداً للنزالة السورية التي هي من اكثر النزالات فائدة ونشاطاً في البلاد الاميركية ومن اكثرهن عدداً · وتهديهن الجامعة

«١» لما كنا قد نشرنا هذه المطالب في صدر الجزء السابق لتبقى محفوظة في المجلة على ممر السنين فقد رأينا واجباً ان نردفها بالمقالة التالية التي نُشرت بشأنها في الجريدة

شكراً خاصاً منها اليهن لتفضلهن بذكرها ذكراً خاصاً في هذه المناسبة

فقد كتب الينا الصديق شبل افندي ان بعض اصدقائه في واشنطن وفي بوسطن قد بعثوا اليه بنسخ من الجرائد الاميركية التي لخصت عريضة المطالب واحلتها منزلة سامية بين اخبارها وقد بعث الينا ببعضها . منها :
واشنطن تيمس * وبوسطن ترنسكريت * وبالتيمور نيوز * وشيكاغو نيوز * وانديانا بوليس نيوز * واتلانتا كونستيتوشن * وتشارلستن نيوز * وانديانا بوليس ستار * وميناپوليس تربيون * وبروكلين ايكل * وبروكلين تيمس : الجملة **١١** جريدة اميركية من أهم جرائدهم وغيرها مما لم ندرِ به لخصت تلك المطالب مادةً مادةً وبعضها خصص بها عموداً في الجريدة مع عنوانات خصوصية بحرف كبير واثنت على السوريين وهمتهم في ما يصلح احوالهم هنا وفي سوريا واثنت على المطالب واعجبت ببعضها اذ وجّهت انظار قرائها اليها بنوع خصوصي .

ولا شك في ان كل من اشترك في تلك المطالب ووافق عليها بارساله امضاءه الى الجامعة يسرّه ان يعلم هذا التأثير العظيم الذي احدثته المطالب السورية لدى الامة الاميركية الكريمة المشهورة بتحمسها للمطالب الحقة الحرة التي تطلبها الشعوب وهذه مقالة شبل افندي بشأن المطالب بعد تقديمها

٢٠٨٦ سورياً
رجاء اخير الى عطوفة السفير

بقلم شبل افندي دموس

الفان ونحو مائة رجل وافقوا على المطالب التي رفعتها الجامعة بالامس لسعادة السفير بالنيابة عن جمهور الموافقين . الفان ومائة رجل سوري اتفقوا على سياسة واحدة وخطة واحدة فكذبوا بفعلهم هذا كل قائل باستحالة اتفاق السوريين . الفان ومائة

رجل رأوا رأي رجل واحد فوافقوا عفو الارادة مختارين لا مضطرين على مطالب عادلة ضرورية · الفان ومائة رجل منتشرون في عرض هذه البلاد وطولها من نيو يورك الى سان فرنسيسكو ومن البحيرة الى الخليج علقوا امضاواتهم في ذيل العريضة غير محمولين على هذا بقوة ذي نفوذ فيهم ولا خوف تهديد ووعيد ولا رغبة في نيل مال موعود مؤجل او معجل بل بمجرد اتفاق الرأي على المصلحة المشتركة · فبرهنوا بذلك على استقلالهم الشخصي بافكارهم واميالهم وارادتهم وحققوا ظن القائلين بانهم رجال حقيقيون ذوو حقوق يعرفونها و يعرفون كيف يطلبونها بصفة رسمية كما يطلبها الرجال الاحرار

الفان ومائة رأس عائلة يمثلون جيشاً عرمرماً بنسائهم واولادهم لا يقل عن عشرة الاف نسمة حية

ولو كان وراء هذه الحركة مال كاف للقيام بنفقات وكلاء نسيرهم في اطراف البلاد يخطبون و يستحثون الناس لكنا اسمعنا سعادة السفير صوت الامة الحي بنواب كثيرين يقدمون العاصمة حاملين هذه المطالب بنفوسهم رافعيها بايديهم داعميها بخطبهم كلٌ على حسب ما يخطر في قلبه ويجري على لسانه

ونحن نعتقد لدى هذه المظاهرة الكبرى التي دوت لها الولايات المتحدة بان سعادة السفير قد ادرك بنفسه خطارة مركزه العظيم اذ القيت اليه مقاليد شعب هاجر وارتقى الى مصاف الامم الراقية ويحق له ان يفتخر على رصفائه السفراء العثمانيين في وظيفته السامية في واشنطون لانها من هذا الوجه اعظم من اخواتها في أي مدينة كانت من عواصم العالم

رفعنا هذه المطالب ولا قوة لدينا نستطيع بها تنفيذها لاننا شعب آمن في بلاد آمنة · رفعناها ونحن نعلم ان منافعها مشتركة بيننا و بين من تركنا وراءنا من السوريين مواطنينا و بين الدولة العلية · واعتمدنا على اشتراك هذه المنافع ان

يكون المنفذ لها الدولة العلية نفسها

ونحن لا نجهل ان اموراً كهذه لا تنفذ في الوقت العاجل ولا بد لها من ان تعرض امام الباب العالي ولذلك سوف ننتظر اليوم الذي تترآى به طلائع الاصلاحات المطلوبة بادية لجواب فعلي لمطالب امة آمنة في دار هجرتها مجتهدة مفكّرة عاقلة

فهنا مجال يا سعادة السفير لان يعلم السوريون المهاجرون نيات حكومتهم من جهتهم ونقول لسعادتك ولها هذا القول بكل احترام . فان الجيش العرمرم الذي رفع اليها تلك المطالب عن يد سعادتكم اذا رأى إهمالها وعدم انعام النظر فيها انعاماً يحقق بعضها او كلها او غيرها مما هو افضل منها او اقل منها على الاقل فانه يكون معذوراً اذا اساء الظن واعتبر هذا الاهمال ازدراء به واهانة له وعدم اعتبار لآراء السوريين بل عدم اعتبارهم شيئاً عند الدولة . وحينئذ نرى بأسف ان النتيجة هي بُعد العناصر المعتدلة الباقية عن الاعتدال فننصرف عن هذه الطريق الى طريق غيرها وندفن هذه الاماني وندفن معها الوطنية القديمة وندعو من لم يخلع العثمانية بعد الى خلعها فيدخل السوريون افواجاً في الوطنية الاميركية لعدم التفات الدولة اليهم الا بمظاهر لا ترضيهم ولا تسكتهم فينعمون بنعم الحرية والمساواة . ومتى تكامل عديدنا نطالب الامة الاميركية بمظاهرات اقوى واعظم من هذه بحقوق الاميركية بموجب نص صريح في قانون الولايات المتحدة الاساسي وننال حقوق الاحرار اينما كنا مستندين الى قوة ليس مثلها في قوات الارض الآن

على اننا سنظل موطدين الأمل بسعادة السفير وحسن نياته التابعة لنيات جلالة السلطان بان جواب هذه المطالب سيكون تنفيذها الفعلي

شبل دموس

تابع المقالة السابقة

جواب السفارة

على عريضة المطالب

نشرت جريدة الجامعة في عددها الصادر في ٢٨ اذار (مارس) صورة الكتاب الذي كتبته الجامعة الى عطوفة السفير يوم تقديم تلك المطالب وجواب عطوفته عليه · وهذا صورة الجواب

السفارة العثمانية

في واشنطن

جناب ....

غب اهداء التحية مع السلام ابدي انني تناولت كتابكم رقيم ٢٤ شباط سنة ١٩٠٨ وجميع ما ذكرتموه صار قرين الاذعان · لا حاجة ان افيدكم ان من أهم وظائفي خدمة العثمانيين الموجودين هنا · وان شاء الله سأجري قصاري جهدي بهذا الخصوص · والله ولي التوفيق (الخ) ..

سفير الدولة العلية العثمانية في واشنطون

محمد علي

ونشرت جريدة الجامعة ايضاً في العدد المذكور آنفاً حديثاً لجناب الكاتب الفاضل نقولا افندي الحداد مع عطوفة السفير في اثناء زيارته واشنطن وردفيه قوله

,, اما عن المطالب فقد صرّح عطوفته ايضاً ان بعضها يمكن اجابته وبعضها لا يمكن لانه يخالف شريعة الدولة العلية · اما الذي يمكن اجابته منها فبعضه يجيبه من نفسه بما له من التفويض في اجابته وبعضه كتب الى المرجع الاعلى في الاستانة يلتمس منحه · وهو يود من كل قلبه ان يجاب كل ما يمكن من

المطالب • وقد قال بهذا الصدد حرفياً ,, اسعى الى اجابتها بالامتنان ''

وقد قالت جريدة الجامعة بعد روايتها هذه الاخبار ما نصه :

,, فالجامعة بلسان الموافقين على عريضة المطالب تشكر لعطوفة السفير قبوله عريضتهم ومطالبهم لرفعها الى الاستانة وتفضله بما وعد به من بذل قصارى جهده في شأنها • وهي تعدّ هذا الالتفات من عطوفته الى مطالب السوريين وحاجاتهم ومخاطبتهم بطريقة رسمية باسم (السفارة) لا باسم (السفير) فقط — اول دليل يلقاه السوريون هنا على سياسة جديدة وحسن استعداد • حقق الله الآمال

عادات واخلاق

اصول التعارف وآداب السلوك

عند الاميركيين

وهي مبادئ تجب على المهاجرين معرفتها لامتزاجهم باهل البلاد الاميركيين وهي مقتبسة من عاداتهم وآدابهم

---

١ — قبل ان تقدم على تعريف شخص الى شخص (أي ايجاد التعارف بينهما) يجب ان تعرف هل يرغب الشخصان في ذلك أم لا

٢ — يجب تقديم الرجل للمرأة اولاً

٣ — وبناءً عليه يجب ان تأخذ رأيها اولاً في هل تريد معرفة ذلك الشخص أم لا

٤ — اذا كان المتعارفان رجلين فيجب ان تبدأ بتقديم اصغرهما سناً ومقاماً الى اكبرهما سناً ومقاماً

٥ — اذا كان المتعارفان رجلين ليس بينهما سابق معرفة اصلاً فيجب ان

يسلّم احدهما على الآخر باحناء الرأس فقط وليس بهزّ اليد

٦ ــ اذا تعرّفت الى رجل اميركي في بيت صديقك ثم اجتمعتَ به مرة ثانية في مكان آخر فيجب ان تعامله معاملة رسمية وليس كمعاملة صديق لصديق

٧ ــ اذا كنتَ ماراً في طريقك مع صديق ثم مرّ بك صديق آخر ورام مرافقتكما فمن الخطاء ان تعرّفهما احدهما الى الآخر في اثناء الطريق (كذا)

٨ ــ اذا كنتَ في حفلة او اجتماع منزلي فمن واجبات سيدة البيت ان توجد التعارف بينك وبين سائر الزائرين

٩ ــ اذا وقع تعارف بينك وبين سيدة اميركية في حفلة راقصة او غير راقصة ثم لقيتها او مررتَ بها في مكان آخر فمن العيب جداً ان تسلم عليها باحناء الرأس او بهز اليد الا اذا بدأت هي بذلك . واذا لم تبدأ هي وكان سلامك قد سبق اليها فليس من الواجب عليها ان تردّ سلامك

١٠ ــ اذا شئتَ ان تعرّف صديقاً لك الى صديق آخر مكاتبة فابعث كتابك اليه في البريد ولا تبعث به مع احد . ولكن اذا كان للصديق الاول غرض خصوصي مع صديقك الثاني فيمكنك ان تدفع كتاب التوصية اليه لينقله الى صديقك الثاني وابقِ الكتاب مفتوحاً اكراماً لصديقك الاول ومراعاة لعواطفه

١١ ــ اذا تمكنت المعرفة بينك وبين صديق اميركي فيمكنك ان تدعوه الى تناول الطعام على مائدتك على شرط ان تدعو معه شخصاً آخر او اكثر من شخص

١٢ يجب ان تكون اوقات الزيارة بين العائلات من الساعة الثانية الى الساعة الرابعة بعد الظهر

١٣ ــ اذا زرت صديقاً لك ولم تجده في بيته فمن الواجب ان تلقي في صندوق رسائله البريدية بطاقة (كارت) عليها اسمك ليعلم بزيارتك

١٤ ــ اول ما تجتمع بصديق اميركي لك يجب قبل كل سؤال ان تسأله عن صحة عيلته

١٥ ــ زيارة التعزية تكون في اثناء ايام الاسبوع وليس في يوم الاحد

١٦ ــ حين زيارتك بيت صديقك الاميركي يجب ان تضع مظلتك (شمسيتك) في ممشى البيت واما قبعتك فابقها في يدك ولا تضعها في مكان حتى يأتي صاحب البيت ويتناولها منك ويدعوك الى الجلوس

١٧ ــ اذا كنتَ في قاعة استقبال ونهضت احدى السيدات للانصراف فيجب ان تنهض قائماً احتراماً لها (هل هذا مما يقتضي التنبيه عليه عندهم)

١٨ ــ اذا هممت بالانصراف من منزل ودخل زائر جديد فيجب عليك العودة الى الجلوس والانتظار حيناً ثم تنهض وتستأذن في الانصراف وتنصرف

الملوك الذين قُتلوا

في العصر الحديث

ان مقتل ملك البرتغال وولي عهده اعاد لدى الناس ذكرى الملوك والرؤساء الذين قتلهم الفوضويون وغير الفوضويين في العصر الحديث وقد نشرنا رسومهم في هذا الفصل وهي ١٢ رسماً

(١) الامبراطورة اليصابات زوجة امبراطور النمسا قتلها في سنة ١٨٩٨ في مصيفها في جنيف الفوضوي لوكشيني بطعنة سكين دقيقة وهي تتنزه وقد حُكم عليه بالحبس مدة الحياة لان شريعة الاعدام ملغاة في سويسره

(٢) القيصر اسكندر الثاني قُتل في سنة ١٨٨١ بقنبلة وهو سائر لاستعراض الجيش فقطعت القنبلة فخذيه وقاتلوه قوم من النهيليست قُتلوا معه بانفجار القنبلة



الملوك الذين قُتلوا

١ الامبراطورة اليصابات زوجة امبراطور النمسا ٢ القيصر اسكندر الثاني ٣ الرئيس جرفيلد ٤ الرئيس ماكنلي ٥ الرئيس لنكن ٦ رئيس الجمهورية الفرنسوية كارنو ٧ الشاه ناصر الدين شاه العجم ٨ الملكة دراغا زوجة ملك سربيا ٩ الملك اسكندر ملك سربيا ١٠ دوم كارلوس ملك البرتوغال ١١ همبرت الاول ملك ايطاليا ١٢ لويس فليب دي براكانس

(٣) الرئيس جرفيلد رئيس الولايات المتحدة اطلق عليه الرصاص في سنة ١٨٨١ فوضوي يدعى كويتو فجرحه جرحاً عاش الرئيس بعده ٣ أشهر ثم توفي به

(٤) الرئيس ماكنلي قتله الفوضوي كزولكوز في سنة ١٩٠٣

(٥) الرئيس لنكلن قتله رجل يدعى بوث في سنة ١٨٦٥ رمياً بالرصاص

(٦) الرئيس كارنو رئيس الجمهورية الفرنسوية قتله الفوضوي كازريو في

مدينة ليون في سنة ١٨٩٤ بطعنة سكين لخوفه ان يخطئه بالرصاص

(٧) شاه العجم ناصر الدين قتله بابيّ يدعى مولى رضاه في سنة ١٨٩٦

(٨ و٩) الملك اسكندر ملك سربيا وقرينته الملكة دراغا قُتلا في قصرهما في مؤامرة عسكرية في سنة ١٩٠٣

(١٠) دوم كارلوس ملك البرتغال قُتل في هذا العام ولم ينل قاتلوه شهرة المحاكم لانهم قُتلوا لساعتهم في اثناء جنايتهم

(١١) همبرت الاول ملك ايطاليا قتله الفوضوي سزاريو في سنة ١٩٠٠

على ان الفوضويين مخطئون في ظنهم انهم اذا قتلوا الملوك استطاعوا تغيير المبادئ التي يحكمون بها · وقد ادرك ذلك العدميون في روسيا (النهيليست) فقد قال بعض زعمائهم اننا بعد مقتل اسكندر الثاني عدلنا عن قتل القياصرة لسببين الاول ان قتل القيصر يؤثر تأثيراً يضرّنا في داخلية البلاد لدى الشعب الروسي فيلتوي غرضنا وينعكس علينا والثاني ان القتل يقتضي نفقات طائلة فقد انفقنا على قتل اسكندر الثاني عدة ملايين روبل بينما نحن نستطيع بهذا المبلغ قتل عدة حكام في الولايات وبضعة من قادة الجند · فتأمل في هذا الجنون

باب التقريظ والانتقاد

﴿ مصطفى كامل باشا ﴾ نعت جريدة الجامعة المأسوف عليه المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء الغراء الى العالم الجديد بتلغراف خصوصي ورد عليها حين وفاته والمت بشيء من ترجمته وحياته في فصل خاص (عدد ١٥ شباط) ويظهر من الرسائل الخصوصية التي وردت علينا ومما رأيناه في الصحافة المصرية ان خبر وفاة الفقيد كان له في مصر تأثير ما بعده تأثير وكان الاحتفال

بمأتمه احتفالاً لم يُرَ في مصر لغيره من اكابر الناس · وقد شرعت (الجريدة) في فتح اكتتاب لاقامة تمثال للفقيد فبلغ المال المجموع حتى آخر فبراير (شباط) نحو عشرة آلاف ريال اميركي· وقد بقيت جريدة اللواء العربية بادارة جناب شقيق الفقيد وجريدة اللواء الفرنسوية والانكليزية بادارة جناب احمد بك فريد الذي عُين رئيساً للحزب الوطني في مصر خلفاً المرحوم مصطفى باشا· فنكرر طلب الرحمة للفقيد والتعزية لآله الكرام وجميع اصدقائه

توقف جريدة المناظر — لجريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل آثار نافعة بين اخواننا المهاجرين · وقد ورد علينا عدد ١٣ فبراير (شباط) منها فوجدنا فيه خبراً مؤلماً وهو ان الرصيفة اضطرت الى الامتناع من الظهور والتوقف لاسباب صحية اوجبت على صاحبها الانقطاع عن التحرير كما قضى بذلك الاطباء · فالجامعة تأسف لتوقف المناظر لما كان بينه وبينها خصوصاً قبل انتقالها من مصر من الصِلات الودية الخصوصية ولحرمان قرائه فوائده ونرجو ان لا يطول هذا الانقطاع وان يعود صاحب المناظر الفاضل الى خدمته النافعة وادبه المشهور بين ادباء المهاجرين

بابُ الاخبار العلميّة

﴿ اكتشاف داء جديد ﴾ اكتشف الدكتور ليتول داءً جديداً غير معروف قبله · فاثبت لجمعية الطب في باريز ان الخضر والبقول اذا لم تُغسل جيداً ولم تُنظف كما يجب قبل اكلها ينتقل منها الى فم آكلها جراثيم صغيرة كانت مجهولة فتحدث بثوراً في الحلق وسدوداً في الانف فيتعذر على المريض بها شرب الماء ولا يستطيع الاكل · وقد دعوا هذا الداء الجديد (سبوروتريكون)

وهو غير مميت ولكنه مزعج جداً ٠ وكانوا من قبل يظنون اعراضه من اعراض الزهري او السل و يداوونه بدوائهما ٠ على ان الدواء الذي يشفيه للحال هو محلول البوتاسيوم ٠ فلا تأ كل بقولاً وخضراً الا بعد غسلها وتنظيفها جيداً

﴿ اموال المهاجرين ﴾ بلغ عدد الاموال التي دخلت الى الولايات المتحدة مع المهاجرين اليها من جميع الامم في السنة الماضية ٢٥,٥٣٤,٢٢٥ ريالاً ٠ وبما ان عدد المهاجرين كان اكثر من مليون فيكون لكل مهاجر داخل ٢٥ ريالاً

﴿ كلمة عدل للقيصر ﴾ لما عين المستر تولماتشوف حاكماً لاودسا قال له القيصر في خاتمة حديثه معه : اريد ان تعامل جميع الرعية معاملة واحدة بحسب الشرائع الجارية دون تفريق ولا تمييز بين جنسياتهم

﴿ اهل البورصة لا يؤ كلون بسهولة ﴾ روت جريدة الورلد ان اهل البورصة في نيو يورك حين علموا بعزم الحكومة الاميركية على وضع نظام جديد لمنع المضاربة جمعوا عدة ملايين من الريالات لاستعمالها في واشنطن اقناعاً لاعضاء مجلسي النواب بمقاومة ذلك المشروع ٠ اما اهل سباق الخيل فقد جمعوا ٨٥٠ الف ريال لمنع مجلسي النواب في البني عاصمة نيو يورك من سن شريعة تمنع المراهنة على سباق الخيل وهو مشروع طلب حاكم نيو يورك تقريره بكل قواه و يعضده الآن بكل نفوذه

﴿ اديسون يشكر المرض ولا يشكوه ﴾ زار منذ حين احد محرري الجرائد المخترع الاميركي اديسون في المستشفى حيث كان يتداوى من مرض عينيه فقال له اديسون انني نظرت الموت عن كثب فقال له المحرر وهل خفت فاجاب لم اخف وانني اشكر المرض الذي يرسلني الى المستشفى من حين الى حين فانني لولاه لما عرفت الراحة اذ أقضي نهاري وليلي مكباً على امتحاناتي في معملي

﴿ الصحة والخمور ﴾ وضع الاستاذ لاندوزي كبير اطباء مدرسة باريز الطبية تقريراً بشأن الخمور والكحول رفعه الى مؤتمر طبي انعقد حديثاً فقال ,, ان استعمال الخمر استعمالاً معتدلاً جائز ونافع ولكن الافراط فيه مضر ويجب منعه ‘‘

كانت مريم تلقي هذا الكلام كصخر حطه السيل من علٍ وهي قائمة باوداج منتفخة وعينين ثائرتين يلوح فيهما الغضب ويختفي طبقاً لموضوع كلامها . وكان شيشرون جالساً امامها على العشب وعيناه شاخصتان في جهتها . اما يوسف فانه كان قد تحمس لكلام مريم تحمساً شديداً فقام واقفاً وخطا خطوة نحوها كأنه يود ان لا يفوته كلمة منه . وكان من حين الى حين ينتقل بنظره من مريم الى يوسف ومن يوسف الى مريم معجباً بحماسة مريم ومعاني كلامها ومراقباً وقع ذلك الكلام لدى رفيقه شيشرون . وقد رفع رأسه فخاراً بان مبادئه صدمت على شفتي مريم تلك الصدمة مبادئ شيشرون التي صدمته وأعيته فدهش وسرّ معاً . فانه دهش لانه سمع من فم تلك المرأة ذلك الكلام السامي وتلك الحجة القوية . وسرّ لانه رأى ان الظلام الذي احاط بنفسه بعد سماعه مبادئ رفيقه قد انقشع عنها وحلّ النور محله . ولكن دهشته هذه وسروره هذا أفسحا مجالاً في نفسه لعاطفة ثالثة أُخرى . فان القارئ رأى فيما تقدّم ان يوسف مال الى مريم اول ما لقيها تحت الرمانة . فلما سمع منها هنا هذا الكلام ورأى ارتفاع نفسها الى مبادئ الفكر والخير ازداد ميلاً اليها وتعلقاً بها . فكان وهو واقف امامها خافق القلب تائه الفكر مدهوشاً حائراً يشبه صبياً مدهوشاً رأى وهو واقف امام مزبلة ملاكاً يخرج من المزبلة بين الاقذار ويرتفع في جو النقاء والسناء نقياً طاهراً

فأخذ يقول في نفسه وهو يمر يده على جبينه لمسح العرق الذي كان يتصبب منه لثورة نفسه واضطراب باطنه : قالوا ان نوابغ الارض يكونون الهاً عظيماً او شيطاناً رجيماً . على اني أرى هذه المرأة الغريبة الاخلاق قد جمعت الامرين معاً

ولما سكتت مريم لتمسح العرق عن وجهها بينما كان يوسف يفكر ويحلم مدهوشاً كما تقدم تململ شيشرون في مكانه ثم التفت الى مريم وقال :



﴿ مريم المجدلية تتأمل وتحلم ﴾

رسم الرسام المشهور (ناتيه) وهو معروض في متحف اللوفر في باريز

ولم يلذ لي شيء في حياتي قط كرؤيتي اياك يوماً جالسةً بجانب الاكمة القريبة من منزلك و يمناك على كتاب مفتوح على ركبتك و يسراك تسند رأسك وعيناك تتيهان في الفضاء تحلمان وتفكران كأنهما تبحثان في اعالي الجو عن شيء مجهول فراراً من شيء مملول « الصفحة ٧٩ السطر ٧ »

— هل فرغتِ من كلامك ايتها السيدة · انك اخطأتِ في ظنك انني اقول ما قلتِ · ومعاذ الله ان يكون غرضي ما ذكرتِ في بدء كلامك عن (تجريد الحمامة المفترَسَة من تعزيتها الكبرى وعذرها الاعظم) · كلا وانما غرضي ان تحتاط الحمامة لنفسها لئلا تُفترَس ··· أفهمتِ الآن ايتها السيدة مريم · ليس عمدة كلامي ان يدوس القوي الضعيف واعلمي ايتها السيدة انه اذا وردت هذه العبارة بمعناها ومبناها في اثناء كلامي فما هي الا تهديد نافع تقول به لا من أجل مصلحة القوي بل من أجل مصلحة الضعيف ليتشدد و يتقوى فلا يعتمد الا على نفسه في دفع الاذى عنه · فكأننا نقول له : كن على حذر واشحذ عزيمتك ونبه نشاطك والا فانسحاقك ودوسك أمر محتَّم · هل تأذنين

لي ن اتكلم بحرية كما تكلمتِ . لقد سرّني اشتغالك بكلامي بجدٍ ولا تظني انه يسوؤني منك شيء . وهذا الرفيق الذي خبرته في يوم واحد ذو قلب كريم وعقل سليم وهو جدير بثقتك فلا يسوءنك كلامي امامه . فاسمعي ما كنتُ اريد قوله لك منذ زمان وأغتنم الفرصة لقوله لك الآن اذ لا اجد فرصة أفضل من هذه

انتِ ايتها السيدة مريم امرأة جميلة انيقة . جسمك صحيح قوي . ونفسك جميلة لطيفة لانني أرى في عينيك شعاع جمالها ولطفها ولا عبرة بحدّتهما وشراستهما احيانًا . ولم يلذ لي شيءٌ في حياتي قط كرؤيتي اياكِ يومًا جالسة بجانب الاكمة القريبة من منزلك ويمناك على كتاب مفتوح على ركبتك ويسراك تسند رأسك وعيناكِ تتيهان في الفضاء تحلمان وتفكران كأنهما تبحثان في اعالي الجو عن شيءٍ مجهول فرارًا من شيءٍ مملول . اي نعم يا مريم ان حلمك وتفكيرك هكذا يجعلني أحلم وافكر ايضًا . فانني اتصورك حين كنتِ في السادسة عشرة من عمرك فتاة ساذجة القلب حيية اذا رشقك رجل بنظرة توردت وجنتاك خجلاً وخفق قلبك وجلاً . انك لم تقصي عليّ الا طرفًا من تاريخ حياتك ولكنني الآن احلم واتصوّر كما قلتُ لك فدعيني اكمل حلمي وتصوري . انني اراك في صباك كما قلتُ فتاة حيية طاهرة القلب تخرجين مع امك العجوز واخواتك الى الحقل لمساعدتهنّ في أعمالهنّ . وكانت امك أشد عناية بك منها بسائر اخواتك لانها كانت ترى فيك شيئًا ممتازًا عنهن وهي بشاشتك وعذوبة حديثك وسلامة قلبك وشدة اندفاع عواطفك حتى انه كان كل ما في قلبك على لسانك وكله كان جميلاً طاهرًا . فكانت تقول (ان مريم وردة البيت) فاذا دخلته وكان مظلمًا استنار ببشاشتها وورد خدها . ولذلك كانت تأتيكِ وانتِ راقدة بجانب اخواتك في الصباح فتقبّلك اولاً ثم تخرج من بيتكم الصغير الى ارض امامه مغروسة ببعض الازهار فتقطف وردة ثم تعود وتغرسها في شعرك وانتِ نائمة

وتقول — (انظروا • ورد على ورد) فكنتِ اول انتباهك من النوم تستنشقين ريحين ريح الورد في شعرك وانفاس امك الحنون التي كانت تستقبلك • ثم توفيت امك وانفرط عقد منزلك اذ تزوجت اخواتك وتزوجتِ انتِ ايضاً • ولكن كان نصيبك هائلاً •••• فاصبحتِ وحيدة فريدة في الدنيا ترين الناس يقومون ويقعدون ويروحون الى اعمالهم ويجيئون وانتِ منفردة ساكنة ليس لك احد تعتمدين عليه وتستندين اليه • فماذا تفعلين ؟ وكيف تعيشين ؟ هنا وصلتُ الى (الحمامة المفترَسة) التي استشهدتِ بها في كلامك • فماذا كان ينبغي للحمامة ان تفعله لئلا (تُفترَس) ؟ لقد كان في وجهها طريقان • الاولى (ان تكون قوية) فتتسلط على (عقلها وقلبها) وتبادر بنشاط النحلة ودأب النملة الى كسب رزقها بيديها للاستغناء عن غيرها اذا لم تجد كفوءاً لها يصونها ويغنيها • ولكسرةُ خبز تؤكل في هذه الحالة من الاستقلال وعزة النفس وشرف الاسم وطيب الاحدوثة بين الناس خيرٌ من جميع ثروات الدنيا وترفها اذا كانت (أي هذه الثروات) غير مقرونة بها • والطريق الثانية الاستسلام الى العواطف والاوهام ووهن العزيمة •• على ان تلك الحمامة لم تقدر على حسن الاختيار بين هذين الطريقين لانها لم تُهيَّأ لهذا الاختيار ولم تُعدّ له وهذه عقدة المسألة • هنا تظهر باجلى بيان مبادئي التي سمعتِها وانت متوارية وراء الشجرة وغضبتِ هذا الغضب من أجلها • فمبادئي توجب على الحمامة ان تختار الطريق الاولى اعني ان تكون (قوية) وتحذر وتنبّه نشاطها وتقوّي ارادتها وتختط خطة تسير عليها دون ان تترك للصدفة سبيلاً للعبث بها • (القوة والارادة والدربة) هذا ما كان ينقص الحمامة • فما كل حمامة تفترسها الافعى مع قوتها وغدرها وانما تفترس الافعى الحمامة التي لا تحتاط لنفسها ولا تحسن الدفاع عنها

فماذا تقول الحمامة يا مريم اذا قلتُ لها هذا القول : — انك أجمل الطيور

الاليفة فلا تتركي الافاعي تدنسك وتسطو عليك ٠٠ لقدخلق الله لكِ جنحين تطيرين بهما الى حيث لاتصل الافاعي اليكِ ٠٠٠ واذا احتطتِ لنفسك واعملتِ فكرتك ونشاطك ودربتك واستعملتِ ارادتك فليس لجارح او كاسر في اعالي الجو قوة على الوصول اليكِ ٠ لانك مع ضعفك وشدة ذلك الكاسر قد أُعطيتِ قوةً على التخلص منه على شرط ان تشحذي قوتك وارادتك وتنبهيهما فيك على الدوام٠ ولكن اذا نمتِ عنهما وتركتهما ينامان واستسلمتِ الى الضعف والوهن والصدفة والاتفاق فعدم وجودك خير من وجودك في هذا الزحام الهائل في الحياة لان في عدم وجودك راحة لك وفي وجودك ضعيفة بين الجوارح والكواسر ألم دائم وعذاب ابدي ٠ هذا ما كنتُ اقوله يامريم واغضبك ذلك الغضب ٠ هذا ما كنتُ اقوله في حمامة السماء واقوله الآن لحمامة الارض ايضاً ٠٠٠ أمن حقك ان تثوري عليّ تلك الثورة بعد هذا ؟ الا ترينني في كلامي نصير الضعفاء لا نصير الاقوياء ٠ الا تعتقدين ان مبادئي هذه هي الوحي الجديد الذي يحتاج اليه شرقكم الذي أفنته تلك المبادئ القديمة واضعفت فيه كل حماسة للحياة الراقية واصابت روحه بالشلل ٠ لقد كنتُ في هذا صديقك لاعدوك يامريم ٠ فاحكمي بعد ان سمعتِ

قال شيشرون هذا الكلام ثم سكت وشخص في جهة مريم ليرى فعل كلامه فيها ٠ وكانت لوائح الألم تلوح في وجه مريم من حين الى حين في اثناء كلامه فتارة يغور دمها الى قلبها فتبرد اطرافها ويصفر وجهها وطوراً يثور دمها ويفور فيصطبغ وجهها بلون قرمزي ويتوارد الدم الى دماغها تواردًا يكاد يخنقها ٠ ذلك ان شيشرون اثار فيها بكلامه هذا عاطفتين هائلتين ٠ الاولى عاطفة الكبرياء الذاتية والكبرياء ام الفضائل كما انها امُّ الرذائل ٠ فانه بثنائه عليها ووصفه جمال جسمها ونفسها وطهارة حياتها السابقة حرك ما كان كامنًا

فيها من الاشجان وردّ اليها (نفسها الاولى) التي كانت لها قبل دخولها في وادي الشقاء ... ولكن هذه العاطفة كانت ضعيفة بالنسبة الى العاطفة الثانية التي اثارها فيها كلام شيشرون البارع . فانه لما أخذ يصف تربيتها في صباها ويذكّرها امها وحنوّها عليها وحبها لها وتعلقها بها وتفانيها من أجلها ثار كل ما كان مكنونًا في نفس هذه المرأة المسكينة من العواطف الطيبة والتذكارات العيلية الجميلة كأنّ زوبعة هائلة هبّت في داخلها فنسفته نسفًا . ولذلك لم يفرغ شيشرون من كلامه ويلقي عليها قوله الاخير „ فاحكمي بعد ان سمعتِ " حتى ارتخت اعصابها بعد توترها وانحنت قامتها بعد انتصابها وبقيت شاخصة في جهة شيشرون ساكتة جامدة جمود الصنم . وبعد انقضاء عشرين ثانية عليها وهي في هذه الحالة ارتعشت ارتعاشًا شديدًا ورفعت بغتة يديها الى عينيها ثم استخرطت في البكاء كأنه اصابها ألم فجائي

فدهش شيشرون ويوسف لما اصابها ونظر احدهما الى الآخر وقد تحركا كلاهما نحوها . الا ان مريم لم تمهلهما ان يصلا اليها فانتفضت وصاحت وسقطت الى الارض مغمى عليها اذ اصابتها نوبتها العصبية

وبينما كان يوسف وشيشرون يُعنيان بمريم وينبهان حواسها وهما في حزن وأسف لما اصابها كان راعي الغنم في اعلى شرفة الوادي ينادي قائلاً

— يا قديس يوسف . سيعلق بك شياطينها . الحمد لله ان غنمي بعيدة عنها

ثم ان الراعي تناول مزماره ونفخ فيه في وسط ذلك الهدوء انغامًا مطربة . فكان مثالاً لفراغ البال والهناء في الخلاء بينما كانت مريم تحت الشجرة امامه تتشنج وتصيح كمثال لآلام الهيئة الاجتماعية وشقائها واضطراباتها



الفصل الثاني عشر

﴿ يوسف ومريم ﴾

في مساء ذلك اليوم كان الفرسان الرومان الثلاثة منحدرين على جيادهم من البيت الاحمر الى مجدل وهم يتضاحكون ويتطايبون . فقال مقدمهم

— حقاً ان هؤلاء اليهود غريبو الاخلاق أرأيتم كيف ان تلك اليهودية فضلت علينا ذلك الاحدب الروماني ورفيقه الفتى الحقير . فانها اول ما ابصرتهما تركتني بينما كنتُ اتنزه معها بين الاكام بجانب منزلها ولحقت بهما . ثم عادت معهما الى منزلها ضعيفة واهية القوى ولزمت فراشها كأنها حملت أحمال الدنيا كلها على عاتقها

فقال رفيقه : ليس الذنب ذنب هذه اليهودية بل ذنبنا لاننا باليناها وسألناها الضيافة . وقد أحسنتْ في انها طردتنا الآن من منزلها طرد الكلاب فانها علمتنا ان لا نبالي بعد اليوم بنساء اليهود الثقيلات

فقال الثالث . وهل تظنان ان سنيكا وابنه دخلا حقيقةً ذلك البيت أم هي تقول ذلك على سبيل المزاح

فقال الاول لو لم تره لما استطاعت وصفه لنا . ولكن دعاني من هذا واخبراني اين نطلب هذا الرجل فقد مللنا البحث عنه واخشى ان يكون خوف الوالي في اوروشليم قد تحقق وفتك به متحمسو اليهود

فقال الثالث وما غرض الوالي في طلبه بهذا الالحاح

فقال الثاني ان مقدمنا يعلم هذا الغرض لانه يحمل اليه كتاباً من الوالي

فقال المقدّم أُقسم بجوبيتر انكما ثرثاران فما لنا وللبحث في غرض الوالي . انه عهد الينا ان نطلب الرجل ونحرسه في الطريق وندفع اليه كتابه فماذا يهمنا ما بقي

واستمر الثلاثة في انحدارهما نحو مجدل وهم يتحادثون تخفيفاً لمشقة السفر. فما كادوا يبلغون سفح الأكمة ويدخلون في الجادة المؤدية الى مجدل حتى برز شبح كان متوارياً في بستان قريب فتسلّق الجدار ووثب الى الطريق ثم أخذ يصعد الاكمة متوجهاً وجهة بيت مريم

وكان الظلام قد شرع يرخي سدوله وبانت النجوم الاولى في سماء الشرق الصافية والقمر يسبح بينها كأنه سفينة من فضة اثقلتها حمولة من عنبر كما قال الشاعر العربي . وكانت الجداجد قد شرعت في حفلة غنائها الليلي بين الكروم كاجواق موسيقية متفرقة بينها . وكانّ في الهواء عبيراً لنقائه وجفافه وطيب رائحة الازهار البرية المنتشرة فيه . وكان الشبح يسير بين هذه المناظر الشرقية الجميلة في وسط سكون الهزيع الاول من الليل سكوناً نسبياً لان حركة النهار لم تكن قد همدت بعد هموداً تاماً وهو يسرح نظره في ما حوله كمن يتنزه لا كمن يبحث عن شيء ويتنهد تنهداً متصلاً بين دقيقة واخرى تنهداً كان يجد فيه راحة على ما يظهر . ولما انتهى الى اعلى الاكمة وحاذى البيت وقف دقيقة يتلهى بقطف شيء من الازهار وما كان في الحقيقة يتلهّي وانما كان يحاول تسكين روعه قبل وصوله الى البيت لان الاضطراب كان بادياً عليه

وكان الشبح يمدّ يده الى جيبه في اثناء الطريق فيخرج اناء صغيراً ويشرب منه ثم يعيده الى جيبه . ولما امسى بجانب البيت افرغ في فيه كل ما كان في الاناء والقاه بعيداً

ثم انه دنا من نافذة البيت دون تلمّس ولا بحث لانه كان يعرف الى أين تؤدي على ما يظهر . وكان في النافذة باقة ازهار جميلة موضوعة في اناء ماء فازاحها بيمينه وأطلّ من النافذة

وكانت مريم في ذلك الحين مستلقاة في سريرها تتناوم . فلما احست بحركة اناء الزهر



البيت الابيض

منزل رئيس الجمهورية في واشنطون العاصمة



الكونكرس

دار مجلس الامة في واشنطون

(مجلس النواب — مجلس الشيوخ)

الجامعة

الجزء ٤ السنة السادسة

مجلّة اجتماعية علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك ايار — (مايو) سنة ١٩٠٨ — ربيع ٢ سنة ١٣٢٦

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادىء القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نعود في هذا الفصل الى تلخيص فلسفة نيتش الذي نشرنا طرفاً من ترجمته وشيئاً من مبادئه في الجزء السابق · ونجعل هذا التلخيص شذرات شذرات نورد

فيها أهم آرائه (١) قال :

الغاية

ما مذهبنا ؟ مذهبنا ان الانسان لا يتخذ صفاته من أحد لا من خالق ولا الهيئة الاجتماعية ولا أهله ولا أجداده ولا من نفسه . وليس احد مسئولاً عن وجود الانسان ولا عن وجوده في هذه الحالة دون تلك . وقَدَرُ وجوده لا ينفصل عن قَدَرِ كل ما كان وما سيكون . فليس الانسان بنتيجة ارادة خصوصية ولم يوجد لغاية . فارادة ايجاد غاية له وصرفه اليها وجعل هذه الغاية الكمال الانساني او الهناء المطلق او الكمال الادبي — تعدُّ عندنا إخراجاً له عن اصله وطبيعته . فمن العبث ان نحاول صرف وجوده الى (غاية) ما اذ لا غاية لوجوده . وهم قد اخترعوا فكرة (الغاية) اختراعا . وانما الانسان لازمٌ عن الكون وجزءٌ من القَدَر اعني (جزءٌ من الكل) . وليس من شيءٍ يحدد وجودنا او يحكم عليه لان ذلك بمثابة تحديد (للكل) وحكم على الكل . ولا شيءَ خارج هذا الكل . وليس أحد بمسئول لان العالم ليس (بوحدةٍ) لا حساً ولا عقلاً . وهذا هو الخلاص العظيم . (كذا)

الذين يطلبون جعل الانسانية افضل مما هي

في كل زمان ومكان طلبوا جعل الانسان افضل مما هو . ولكن الطرق التي اتخذوها (لترقيته) كانت ذرائع الى إضعافه وتدجينه كالحيوانات الوحشية التي تضعف لتُجعل اليفة . فعندهم معنى (ترقيته) جعله قليل الخطر وذلك بارهابه او ترغيبه . وهكذا يجعلونه (حيواناً مريضا)

---

(١) قرأنا أهم كتب نيتش واشرنا الى أهم فصولها بقلم من رصاص منذ بضع سنوات . ونحن الآن نلخص من هذه الفصول تلك المقتبسات . ورب شذرة هنا ملخصة بعناء شديد من عدة صفحات

ان خطأهم في الحكم في الآداب الحاضرة كخطإهم في الحكم الديني ٠ ومصدر الخطأ في الحكمين واحد وهو الجهل أي عدم تفرقتهم بين الشيء الحقيقي والشيء التصوري ٠ او عدم ارادتهم هذه التفرقة

ان جميع الذين طلبوا جعل الانسانية افضل مما هي وسعوا الى ذلك من عهد مانو وافلاطون وكونفوشيوش حتى الآن كانوا يخفون الحقيقة ويجيزون الكذب ٠ وعليه يمكننا ان نقول ان كل الطرق التي اتخذت لجعل الانسانية (أرقى وأصح آدابًا) كانت (أي تلك الطرق) طرقًا منحطة غير أدبية ٠ (كذا)

الغيرية دلالة على الانحطاط !!!

كل آداب غيرية ٠ كل آداب تذبل فيها الانانية : هي دلالة سيئة ٠ وهذا يصح في الافراد وفي الشعوب معًا ٠ فانه متى ضعفت في الانسان اثرته فقد ضعف افضل ما فيه (؟؟؟) وكلما اختار الانسان شيئًا مضرًا له واستسلم الى مبادىء يسميها انكار الذات (أي لا منفعة له فيها) فقد صار الى الانحطاط ٠ فان قول الانسان انه لا (يطلب منفعته) قول يدل على حقيقة بسيكولوجية باطنية تناقض قوله هذا : وهي ,, حيرته أين يجد منفعته وعجزه عن نيلها '' وهذا هو انحلال الغرائز في الانسان ٠ حينئذ قل على ذلك الانسان السلام لانه أصبح (غيريًا) ٠ فكأنه بدل قوله بكل صراحة ,, لم يبقَ لي نفع ولا شأن '' يقول برياء ادبي ,, ليس في الحياة شيء بذي شأن (؟؟؟) وهذا الحكم يفضي على مرور الزمان الى خطر عظيم على الهيئة الاجتماعية اذ يسمم دماءها

هل نحن افضل من المتقدمين واصح ادبًا

لما ظهر كتابي (ما وراء الخير والشر) تألبت عليَّ كل قوات الدناءة الادبية التي يعدونها في المانيا آدابًا ٠ ولو أردتُ لقصصت من هذا القبيل قصصًا مضحكة ٠ وقبل كل شيء ارادوا إفهامي افضلية عصرنا هذا على كل عصر متقدم (افضلية

مطلقة) وخاصةً في عالم الآداب . منهم محرر سويسري في جريدة (بوند) تفضّل عليّ برأي محصله انه لم يفهم من كتابي سوى انني ارغب في محق كل العواطف (النزيهة) . فشكراً لك .. اما جوابي فهو بحثي في هذا السؤال ,, هل نحن قد اصبحنا حقيقة اصحّ ادابًا ممن تقدمونا ؟''

يعتقد جميع الناس اننا اصبحنا كذلك واما انا فأرى ان إجماعهم على هذا الاعتقاد دليل على عكسه

اننا رجال هذا العصر نرى نحافتنا ولطف احساسنا ونجد اننا نتبع عدة عادات وامور مختلفة فنتوهم ان هذه العواطف الانسانية الرقيقة التي تمثلها وهذا الاجماع عليها بملء الثقة والمساعدة المتبادلة بين الجميع — هي (ارتقاء حقيقي) واننا لذلك ارقى من رجال النهضة الاولى (١)Renaissance . ولكن هذا العجز والضعف الذي نحن فيه لا يُعدّ (ارتقاء) حتماً وانما هو صورة اخرى للاداب الاولى متأخرة مختلفة عنها تؤدي الى آداب (كلها مراعاة). فان إضعاف الغرائز العادية (٢) الذي نظنه (ارتقاء) انما هو نقص عمومي في الحيوية . فاصبحت معيشتنا الآن تقتضي أضعاف ما كانت تقتضيه المعيشة الاولى مئة مرة من الاحتياط والوقاية والتعب ليتمكن الانسان من البلوغ الى مقام رضيّ فيها معما يقتضي ذلك المقام من التقييد وبلوغه اليه متأخراً . ولذلك ترى المساعدة متبادلة بين الجميع وكل واحد منهم مريض كثيراً او قليلاً او ممرِّض . هذا ما يسمونه اليوم (فضيلة) . ولكن الرجال الذين عرفوا معيشة مختلفة عن هذه المعيشة قويةً غزيرةً جريئة يسمون هذا الامر (جبانة ودناءة لا فضيلة) فان تلطف اخلاقنا وعاداتنا

---

(١) المقصود هنا بالنهضة Renaissance النهضة العلمية والادبية التي حدثت في اوروبا في القرن الخامس عشر والسادس عشر وساعدها يومئذ اختراع الطباعة

(٢) من عدا عليه عُدوانًا

هو عندي ــ وهذا هو الجديد في آرائي ــ نتيجة ضعفنا (؟؟؟) ٠اما الشدة والغلظة في الاخلاق فقد تكونان دليلاً على قوة الحياة وفيضانها (١) ذلك لان الانسان في هذه الحياة يجازف كثيراً ويقتحم كثيراً و (يبذر) كثيراً أي يتمتع كثيراً ٠ فهل الذي كان من قبل ملح الحياة ورونقها نعده اليوم سماً ؟ ان عدم المبالاة الذي بلغنا اليه دليل على الشيخوخة ٠ وآدابنا التي نراها الآن منطبقة على اخلاقنا وحاجاتنا انما هي عبارة عن اضطراب بسيكولوجي خاص بكل ما هو منحط ٠ فهذه الحركة التي اتحدت بمذهب شوبنهور في الشفقة الانسانية وحاولت ان تتخذ صفة علمية انما هي حركة انحطاط محض ٠ وان العصور القوية التي نشأت فيها عقول شريفة قوية انما كانت ترى الشفقة وحب القريب ونقص الاثرة وقلة الاستقلال شيئاً محتقراً ٠ والآن نعيش في عصر ضعف وهذا الضعف ينشئ (فضائلنا) التي نفخر بها فهي لازمة عنه ٠ فان (المساواة) مثلاً التي تجعل (حقوق البشر متساوية) انما هي من خصائص المدنيات المتدلية لا الراقية ٠ فالوادي الذي يفصل رجلاً عن رجل وطبقة عن طبقة وتعدد فئات البشر اخلاقاً واستعداداً وارادة كل كائن ان يكون هو نفسه قائماً بنفسه مستقلاً عن غيره وممتازاً في هذا الاستقلال بحسب مقدرته ــ كل هذه مزايا لجميع العصور القوية الماضية ٠ واذا كانت اوروبا وفيها السلطنة الالمانية قد خرجت عن هذه القواعد واتبعت مبادئها السياسية وشرائعها الدستورية الحاضرة فخروجها كان لازماً عن تأخرها وانحطاطها في الطريق التي سلكتها ٠ وقد بلغ فعل هذا الانحطاط حتى الى صميم بعض العلوم الخصوصية ٠ فان مبادئ انكلترا وفرنسا السسيولوجية نشأت كما هي الآن لان اصحابها لم يعرفوا

(١) نحمد الله ونيتش لانه قال « قد تكونان » لان بهذا التقليل « قد » تنصل من الاعتراض الذي عليه هنا ٠ وكم عليه من اعتراض غيره في غير هذا الموضع

بالخبرة الا (المواد المنحلّة) في الهيئة الاجتماعية · وتراهم مع هذا يتخذون بسذاجة غرائزهم المنحلّة بهذه المبادئ المنحلّة كقاعدة يبنون عليها احكامهم السسيولوجية · فاصبحت فكرتهم السسيولوجية الكبرى : تدلي الحياة وانحطاطها وإنقاص كل القوى المدبرة المنظمة اعني القوى التي تفصل بين الناس وتحكم العلائق بين الرئيس والمرؤوس بنظام ضروري · نعم ان الاشتراكيين قوم منحطون ولكن المستر هربرت سبنسر (١) منحط ايضاً لانه يقول (بالغيرية) ويتمنى غلبتها"

زيارة
للبيت الايض والكونكرس

البيت الابيض مستقر رئيس الجمهورية الاميركية والكونكرس «مجلسا النواب الاميركيين» زارهما الكاتب في زيارته لواشنطن (العاصمة) وكتب فيهما الرسالتين التاليتين

بقلم نقولا افندي الحداد

بلغتُ الى الرأس من بدن الامة الاميركية · وما اشبه واشنطون بالرأس · فان فيها دماغ الامة الاميركية ومجموعها العصبي · فهي اذاً مصدر الحركة والقوة · وما مظاهر الهيئة الاجتماعية الاميركية الا العضلات التي تتحرك بقوة ذلك المصدر

من القوى الدماغية المهمة اثنتان الضمير أي القوة المشترعة والارادة أي القوة المنفذة الشريعة

---

(١) الفيلسوف المشهور

ففي الكابيتول – مقر مجلسي الشعب – ضمير الامة الاميركية الذي يدل على العدل والحق ويشترع لهما

وفي البيت الابيض ارادة تلك الامة التي تنفذ ما يوعز به ضميرها

وقد قصدتُ الى كلا ذينك – الضمير والارادة

الضمير

الكونكرس (مصدر الشرائع)

قصدتُ الى الكابيتول حيث يجتمع مجلس النواب ومجلس الشيوخ فاذا هو بناء فخيم جداً رابض في وسط المدينة ومن حول دائرته تبتدئ الشوارع طولاً وعرضاً ومواربة . فالشوارع العريضة من الجنوب الى الشمال تسمى بالاعداد يميناً او يساراً . والشوارع الطويلة من الشرق الى الغرب تسمي بالحروف الهجائية شرقاً او غرباً . والشوارع المتواربة التي تقاطع الشوارع المذكورة آنفاً من زاوية الى زاوية تسمى باسماء الولايات المتحدة – وهو نسق حسن الترتيب

اما الكابيتول فجميل البناء جداً غير فائق الزخرف ولكنه متقن الفن نفيس المادة معظمه من الرخام ونحوه وانيق الرياش . يقال ان نفقة بنائه بلغت نحو ١٥ مليون ريال

ففي منتصفه بهوٌ واسع جداً تام الاستدارة ومغطًى بقبة شاهقة جسيمة ليس فيها موضع كف بلا نقش وفي جدرانه صور زيتية ثمينة . وهو كرحبة ومجلس للداخلين . وعن يمين ذلك البهو يُدخَل الى رواقٍ يؤدي الى نادي مجلس النواب . وهو بهو مستطيل مربع الزوايا . وقبل قامة من سقفه تستلقي جدرانه الاربعة الى الوراء حيث جُعلت فيها المجالس صفوفاً متدرجة الى الاعلى للزائرين

اما ارض البهو فتشغلها مجالس الاعضاء على شكل أهلة بعضها وراء بعض على طوله . ولدى منحناها أي في صدر البهو منصة رئيس المجلس وسائر موظفيه

وحول ذلك البهو اروقة يدخل منها الى مكاتب مختلفة . ذلك ما هو الى يمين الرحبة المركزية ذات القبة . اما ما هو الى يسارها فقاعة للمحكمة العليا وبهو آخر لمجلس الشيوخ على مثال مجلس النواب تماماً

وكنتُ اظن ان الدخول الى أي المجلسين يقتضي جهد السعي الى أذن ممن لهم اصبع فيهما لأن المجلس الذي اقامه ٨٤ مليون نسمة ليكون ضميره الحي فيدله على الصالح ويحذره من الطالح بما يشترعه من الشرائع — لا بد ان يكون مكتوماً عن العوام مصوناً من الابتذال وقور الحضرة رهيب المجتمع

على اني ماغفلت عن التسآل فعلمت ان مجلس النواب منعقد حينذاك وان الدخول الى الشرفات العليا حيث يجلس الزائرون مُباح لايّ الناس بلا استثناء اللهم الا من يكون وجوده سبب اضطراب في المجلس . فصعدتُ ودرت حول نوافذ تلك الشرفات فقرأت فوق ابواب بعضها هذا للسيدات وذاك للساسة وذاك لعائلات الاعضاء وذاك للصحافيين وذاك للرجال فدخلت في هذا فرأيت غير ما كنت أتوهم

كنت اتوهم ان مجلساً كهذا لابد ان يكون طويلاً عريضاً جداً حتى لا يكاد المتطرف فيه يسمع صوت المتكلم في منصته . وان الزائرين يكونون في مكان منفرد بعيد وانهم يعدون على الاصابع لعدم جواز ان يحضر أي كان وان القوم يكونون سكوتاً كأن على رؤوسهم الطير

ولكني رأيت ان البهو كما وصفته وليس اوسع من صحن ملعب معتاد وحول اعلاه مقاعد الزائرين وهي غاصة بهم وفي مجالس الاعضاء الاربع مئة

التي تشبه مجالس طلبة المدارس تماماً لولا نفاستها لا يوجد اكثر من ٤٠ او ٥٠ عضواً هذا يدخل وذاك يخرج وذلك يدنو من المنصة ويهمس في اذن احد الكتبة وذلك مستلق في مقعده كأنه يستقبل ملاك الكرى . وهذاك يقرأ جريدة وهذا يعنون تحريراً ويلصق عليه طابع البريد . واثنان او ثلاثة يتناوبون الوقوف في مجالسهم ويتناقشون . ورئيس المجلس كل هنيهة يضرب بمطرقته الخشبية تنبيهاً للحضور لحفظ النظام والسكون . وبعد مناقشة المتناقشين يقرأ الرئيس صورة الاقتراح ويقول ,, الذين يوافقون عليه يقولون (آي) والذين لا يوافقون يقولون (نو) فبعضهم يقولون آي وبعضهم يقولون نو فالوجه الذي يراه الرئيس ارجح يقرره ويصبح مرشحاً للعرض على مجلس الشيوخ

وكان حين وجودي هناك بحث المتناقشين في منع سباق الخيل من مقاطعة كولومبيا التي فيها هذه العاصمة فتقرر منعه

والذي يشاهد ذلك المجلس لا يكاد يصدق انه مجلس الامة الذي يسن شرائعها لبساطته وخلوه من الرسميات واكتفائه بحفظ النظام فقط . ذلك لان الاميركان لا يعبأون بالابهة ولا يتبجحون بالفخر والعظمة

والذي لاحظته وادركته حينئذ انه لم يكن لدى المجلس من اللوائح المهمة التي تستوجب تناقش الاعضاء جميعاً كلائحة (ألدرش) المختصة بترويج حركة النقود مثلاً او نحو ذلك والا لكان النادي مستوفى الاعضاء وكان الجدال محتدماً بينهم . اما والمواضيع كانت غير مهمة فقد اجيزت عدة اقتراحات غير اقتراح منع السباق في البرهة التي كنت فيها هناك من غير ان يتناقش فيها بعض الاعضاء

ثم انه لا يخفى ان لدى مجلسي الامة في هذا الفصل بضع مئات لائحة . ولهذا تقسم الاعضاء الى لجان مختلفة كل لجنة تبحث في جانب من تلك

اللوائح . و بالتالي كان عدد الاعضاء حينئذ قليلاً جداً

وفي حين آخر قصدتُ الى مجلس الشيوخ فرأيت فيه مثل ما رأيت في مجلس النواب الا ان النظام فيه أتم

اما الامر الذي انتبهت اليه على الخصوص فهو انني لم أرَ في ذلك البناء العظيم ولا لدى مدخله جندياً قائماً على سلاحه لاجل الحراسة كما نرى في البلاد الملكية الاحكام حيث تحرس دور الحكومة فرق من الجنود او الشرطة . فكأن الكابيتول ليس الا بناء تشغله شركة تجارية او جمعية ادبية

الارادة

(البيت الايض . منزل رئيس الجمهورية)

دخلتُ الى البيت الابيض عرضاً . ذلك اني دخلت الى الخزينة من باب وخرجت منها من باب آخر فرأيت امامي منزلاً ابيض و بعض الناس يؤمونه فتقدمت اليه

ولما دخلت بابه وجدت في رحبته الاولى رجلاً كأنه جنديٌ او شرطي و بعض السيدات يسألنه اموراً حتى اذا انتهينَ سألته ما هذا المقام فقال (ذي هو يت هوس) البيت الابيض . فتعجبت

البيت الابيض يعني قصر حاكم المملكة الاعلى مثل قصر بكنهام الانكليزي او قصر بترهوف الروسي او قصر يلدز التركي

تعجبت لاني رأيته وانا مقبل عليه ليس الا منزلاً بسيطاً جداً وفي المدينة كثير من المنازل الفخم منه واجمل وربما كان بعضها اكبر منه

فطفتُ مع الطائفين في قاعاته المفتوحة للزائرين . فاذا هي بسيطة ايضاً قليلة الزخرف ولكنها نفيسة الرياش ومزدانة بصور بعض الحكام والرؤساء

السابقين وزوجاتهم

وبعد ما طفت بضع قاعات اتصلت الى باب وقد كُتب عليه (خصوصي) ففهمت ان هناك تقيم حينئذ اسرة الرئيس

ولم أرَ في تلك الاندية التي طفت فيها سوى ثلاثة اشخاص لعلهم شرطة يستقبلون الطائفين فخاطبت احدهم وقلت له هل من سبيل لرؤية الرئيس ؟ قال اذا كنت ذا شغل معه فلا مانع من ان تراه والا فهناك يوم في السنة يستقبل فيه كل زائر بلا استثناء · وفيما سوى ذلك لا وقت عنده لمقابلة الراغبين في مقابلته لانه اذا اباح مقابلتهم شغلوه عن مهامه

فقلت عند ذاك في نفسي فلتحيَ الديموقراطية لانها تحظر استكبار الافراد لتفاوتهم في هممهم ومواهبهم وتمنع استعلاء بعضهم على بعض مهما انفرجت اقدارهم ولتزل الارستوقراسية التي تعالى فيها بعض السلالات على بعض حتى قد يكون الاحمق مستعلياً على النابغة

ولما خرجت من البيت الابيض وجدت وراءه بناء كبيراً فدخلت اليه وسألت ما هو فقيل لي هو ديوان الحربية فقلت في نفسي· عجيب أيكون هذا ديوان الحربية ولا جندي فيه للحراسة او للمظهر الرسمي او للدلالة على ماهيته ؟

وقد وقفت لدى احد الموظفين هناك وسألته في ذلك فقال ,, لا رسميات عندنا وما الحكم عندنا على اختلاف انواعه الا كسائر الاعمال الاجتماعية · ولا داعي هنا لحراسة الديوان بقوة جندية سوى اظهار الابهة والفخار ونحن لا نعبأ بها كما ترى · ولا ثوب رسمي في بلادنا سوى ثوب الجندية الذي لا بد من وحدته للدلالة كما انه لا بد من رسمية قبعة المشتغلين في السكك الحديدية او في المركبات الكهربائية للدلالة على وظائفهم لا للابهة ''

فقلت ان حديثك هذا يذكرني بشاهد عليه وذلك انه لما انتشر نعي

الطيبة الاثر الملكة فكتوريا احتفلت المدرسة الكلية السورية في بيروت بجناز لها ودعت والي الثغر واهل الخطط فيه وقناصل الدول فكان جميع القناصل بالاثواب الرسمية المقصبة الا قنصل اميركا فكان بينهم مغايراً لهم بالثوب المعتاد اذ لا ثوب رسمي له

ثم سألته اين النادي الذي تجتمع فيه الوزارة الاميركية فقال في مكتب الرئيس الذي في البيت الابيض

فقلتُ أفي ذلك المنزل الصغير يوجد مكتب رئيس الولايات المتحدة وفي مكتبه يجتمع وزراء الدولة للبحث في شؤون البلاد

فقال نعم

فقلت أفي ذلك المقام الصغير يلتقي وزير البحرية بالرئيس ويتباحثان بأمر ارسال الاسطول من الاتلانتيك الى الباسفيك و يلتقي به وزير الخارجية و يقرران السياسة مع اليابان

فقال نعم نعم

فقلت أمن ذلك المكتب الصغير صدرت الكتابة التي اقنعت روسيا واليابان ان ترسلا مندوبيهما الى هذه البلاد لعقد الصلح

فقال نعم منه . منه تصدر كل الاوامر وكل سياسة محلية او دولية

فقلت عجيب ما اكبر فعل هذا المكتب الصغير وما اوسع تلك الغرفة الضيقة التي تستطيع ان تعي وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المعارف ووزير الزراعة وو الخ وأخيراً رئيس الولايات المتحدة

فابتسم وقال — لا يخفى عليك ان مملكتنا لم تزل حديثة

فضحكت معه وقلت انكم تعبأون بالافعال دون الاقوال وتعتصمون بالجوهر دون العرض . وهذا هو سرّ رقيكم باركك الله فيكم ﴿ نقولا الحداد ﴾

كلام ابن الشرق في الغرب

﴿ وهو كلام من سمع ورأى ﴾

سلسلة مقالات « لصاحب الجامعة » يدرس فيها
شؤون المدنية الاميركية وآثارها

قلنا في خاتمة الفصل السابق في الجزء السابق ,, سنُظهر في مقالة تالية كيف رقَّت التجارة والصناعة الفنون في اميركا وكيف رقت الفنون التجارة والصناعة فيها '' وليس غرضنا الاقتصار على هذا البحث بعينه وانما هو عندنا ذريعة الى البحث في مسألة هامة في المدنية الاميركية كانت ولا تزال مثاراً للخلاف والنزاع بين كتّاب اوروبا واميركا الاجتماعيين ٠ وهي ما تقدم بسطه في الفصل السابق بهذه العبارات :

(اذا كان (أي الناظر في المدنية الاميركية) ممن نشأوا على المبادىء الايديالستية ويفضلون آثار (العقل والنفس) على آثار المادة قال ان الاميركيين قوم حديثو النعمة كبيرو الدعوى مع انهم لا يزالون اطفالاً في المدنية الحقيقية (أي في الآداب الاجتماعية والسياسية والعلوم والفنون) واذا كان ممن نشأوا على المبادئ الاوتيليتر (النفعية) ويفضلون آثار المادة على (آثار العقل والنفس) قال ان المدنية الاميركية تقدّمت المدنية الاوروبية بمراحل)

فكلامنا هنا في نفس طبيعة المدنية الاميركية وأثر التجارة والصناعة في اخلاق الامة وآدابها وفنونها واثر هذه الآداب والفنون في تجارتها وصناعتها

﴿ الرفيقان المتلازمان ﴾ الاصلاح في الارض ضربان ٠ ادبي ومادي ٠ فبعض علماء الاجتماع يقولون انه اذا لم يتقدم الاصلاح الادبي الاصلاح المادي

فكل ما تبنيه الامة صائر الى الانهدام · يعنون بذلك ان الامة اذا انصرفت الى الشؤون المادية من تجارة وصناعة وزراعة وكبرت وأثرت قبل ان تحدث الاصلاح الادبي في اخلاقها وتدخله الى اعماق نفوسها فانها تشبه رجلاً جسمه ضخم ممتلئ شحماً ولحماً وعقله صغير أفرغ من جراب ام موسى · وهم يستشهدون على ذلك بالافراد الذين يثرون وتكون هذه حالتهم · ويقولون ان الامة التي (تسمن جيوبها) و(تهزل عقولها) على هذا المثال تنطلق فيها الشهوات المختلفة في ميدان البطر فيسود مفضولها على فاضلها ويستملي صغيرها على كبيرها فلا تنشأ فيها مبادئ الارتقاء الحقيقي والآداب الحقيقية ولا تبلغ فيها سلامة الذوق في الفنون والتحقيق العلمي والصبر عليه صبراً يرقي العلم ويسهّل الحياة ويجمّلها مبلغاً يذكر · بل تكون هذه الامة امة مقلّدة في كل هذه · وكل ما عندها (اتباع لا ابتداع)

وبعض علماء الاجتماع يقولون „ لا بل ان الاصلاح الادبي لازم عن الاصلاح المادي" وفي جملتهم العلامة تاين · فعندهم ان الامة اذا ارتقت مادياً اقترن ارتقاؤها المادي هذا بارتقائها الادبي حتماً · لان الثروة قوة واستقلال · ومتى قوي الانسان واستقلّ اصبحت نفسه تعاف الرذائل التي تنشأ عن الفقر والذل والضعف كالكذب والاحتيال للكسب ودفع الاذى عن نفسه وكالجرأة وحرية الفكر لعدم خوفه في فكره لومة لائم وكمعيشته حراً عاملاً نشيطاً لانه تعود العمل والنشاط اللذين ابلغاه ما بلغ · ناهيك عن ان انانية الانسان بعد بلوغها الثروة المادية تطمح الى الثروة الادبية بسائق غريزتها فيميل الانسان الى الظهور وطيب الاحدوثة بين الناس واستمالتهم اليه ليكون له عندهم مكان سنيّ ووساد مثنيّ · وهذا لا يكتسب في الهيئة الاجتماعية اكتساباً حقيقياً الا بصالح الاعمال وحميد الاخلاق ونفع الناس والظهور بمظهر الفضلاء

على ان الحكم بين هذين المبدأين كالحكم في المسألة القديمة التي تتداولها جميع المدارس وتجعلها مناظرة بين الطلبة وهي ,, أيّ انفع للهيئة الاجتماعية العلم أم المال ؟ '' وقد سُئل يوماً احد الطلبة هذا السؤال فالقى على سائله هذا السؤال المضحك ,, وانت افدني . أيّ انفع لك رأسك ام قدماك ''

والرأي الصحيح ان الاصلاح المادي يجب ان يكون في كل امة مقترناً بالاصلاح الادبي . ولا ضرر في ان يسبق احدهما الآخر مرحلةً اوعدة مراحل اذا كان سيرهما منتظماً . ولكن ليست هذه بعقدة المسألة . وانما العقدة تقدُّم احدهما على الآخر في الامة تقدماً بعيداً دون تدبير ولا انتظام . ففي هذه الحالة نرى ان النتيجة تكون تابعةً (لطبيعة) تلك الامة . وهنا حلُّ المشكلة على ما نرى

قس ذلك على الافراد مثلاً : خذ رجلين اثريا بعد فقر تجد ان احدهما ادّبه فقره وهذبه غناه فارتقى . واحدهما لم يؤدبه فقره وافسده غناه فانحط . وخذ رجلين تأدبا وتهذبا معاً تجد ان احدهما يؤدي به ادبه وتهذبه الى العلم وانتفاع الناس بعقله وفضله واحدهما يؤدي به ادبه وتهذبه الى الامراض الادبية والافكار الفوضوية . فالحكم على آثار الاصلاح المادي والاصلاح الادبي في نفوس الامم والافراد متوقف على طبيعتهم والصفات التي صيغ منها وجدانهم والمؤثرات الخارجية التي تؤثر فيهم — قبل كل شيء

﴿ مثال الولايات المتحدة ﴾ واقرب دليل على ذلك الولايات المتحدة

ان اشدّ اعتراض يعترض به على الولايات المتحدة انصرافها الى الحياة المادية انصرافاً كلياً وكبر دعوى ابنائها في قولهم انهم سبقوا جميع امم الارض حضارة ومدنيّة . وكثيرون من مفكري الاوروبيين يعدُّون (هذا الانصراف الكلي الى كسب المال والادعاء الفارغ) اكبر نقائص الاميركيين ويعيرونهم به .

فهم يقولون مثلاً (ان الاميركيين تجار وصناع وزراع ليس الا . اما باقي آثار القوى البشرية التي هي مظاهر المدنية الحقيقية كالاثار العقلية والنفسية من علوم وفنون وسلامة ذوق ورقة اخلاق — فجميعها ضعيفة عندهم ضعفاً يضعهم في منزلة الامم الثانوية) وهم يوجهون اليهم اللوم والتقريع على الاخص بشأن الفنون لانهم يعدّونها (مقياس الارتقاء) . فيقولون انه ليس في اميركا أثر للفنون الحقيقية الصحيحة التي يجوز لغيرهم من الامم ان يقتبسها منهم ويأخذها عنهم غير الرقص الاميركي الذي سيتغلب في المستقبل على الرقص الاوروبي لانه اجمل منه وادعى الى الرياضة وصوت الزنوج رجالاً ونساء الذين اذا احسنوا فن الغناء امكنهم ان يفوقوا على جميع مغني العالم لان لصوتهم قوة خاصة وصفاء خاصاً . فكأنهم ينظرون الى الولايات المتحدة نظرهم الى امة برزت الى حلبة الميدان لمبارزة الاقران والتفاضل عليهم وكان الاولى بهم ان ينظروا اليها نظرهم الى امة آخذة في التكون والحضارة والجري في حلبة المدنية اذ لم ينقض بعدُ على حياتها الوطنية اكثر من ١٤٥ سنة

فاذا نظرنا الى الامة الاميركية هذا النظر من هذا الوجه تغيَّرت المسألة واصبحت هكذا : هل الطريق التي تسلكها الآن الولايات المتحدة طريق تؤدي الى ارتقائها ارتقاء حقيقياً في العلوم والفنون وسائر آثار العقل والنفس ارتقاءها في الآثار المادية ذلك الارتقاء الهائل . ام تلك الطريق مسدودة في وجهها فتستمر على كسب المال بغزارة وتبذيره بغزارة دون ان ترتفع نفسها في الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا

والبحث في هذه المسألة في المقالة التالية

العلم والحياة

سرّ اصل الانسان

ان عالماً هولانديًا يدعى موانس سافر الى بلاد الكونغو في افريقيا ليستولد الحيوان المتوسط بين الانسان والحيوان

مقالة بقلمه

ان المستر موانس عالم هولاندي كان من اساتذة الحيوان والنبات في مدارس هولانده العليا . وقد سافر الآن الى بلاد الكونغو في افريقيا لغرض علمي شرحه في مقالة كتبها قبل سفره . وهذه خلاصتها قال

,, انمسألة اصل الانسانوالحيوان مسألة تهمّ كل ذيفكر فيهذا العصر. واننا اذا نظرنا الى الانسان والحيوان المرتقي كالقرودالعليا وجدنا ان عدد عظامهما واحد (نحو ٢٠٠) وكذلك عدد عضلاتهما (نحو ٣٠٠) واسنانهما (٣٢) وفي بدنيهما مشاركات كلية اخرى كالتوليد والرضاع وغيرها . بل هنالك شبه اعظم . فانه قد ثبت اننا اذا أدخلنا دم حيوان الى دم حيوان آخر ليس من نوعهمات هذا الحيوان مضطرباً معذباً. ولكن اذا ادخلنا اليه شيئاً من دم حيوان من نوعه كالفرس والحمار او الكلب والذئب فان هذا الحيوان لا يمسّه ضرر لان الدم الغريب الذي أُدخل الى دمه لا يقتل فيه الكريات الحمراء . وكذلك الانسان والقردة فاننا اذا ادخلنا شيئاً من دم الانسان الى دم قرد مرتقٍ لا يتأثر هذا القرد ولكن اذا ادخلنا اليه دماً ليس بدم انسان فان هذا الدم يقتله . وقد اثبت العلامة متشنيكوف ان القردة يسري اليها عدوى الزهرياذا خالط دمها دم انسان مصاب به في حين ان هذا الداء لا يسري الى غيرها من الحيوان . فرادى



﴿ الشمبنزي ﴾



﴿ الغوريلاً ﴾

ان ارحل الى الكونغو الفرنسوي حيث أجد كثيراً من القردة المرتقية العليا كالاورنغوتان والشمبنزي والغورلا والجيبون وأزوج انواعها بعضها ببعض لاستيلاد نوع جديد منها . واذا تعذر عليّ ذلك بسبب كراهة هذه الانواع بعضها بعضاً وعدم تلاؤم اذواقها وحواسها فانني اعمد الى استيلادها بواسطة التلقيح الصناعي

﴿ الانسان الحيوان ﴾ ولكني اذا قدرت على ذلك فيجب عليّ ان لا أقف في منتصف الطريق فان مسألة اصل الانسان مسألة كبرى . ومذهب النشوء والارتقاء يُثبت ان الانسان ترقى عن حيوان ارقى من القرد واحط من الانسان . ولكن هذا الاثبات لا يزال نظرية وما زلنا نبحث عن هذه (الحلقة المفقودة) بين الانسان والحيوان . وقد اكتُشفتْ ثلاث جماجم واحدة في نياندرتال في سنة ١٨٥٦ وواحدة في مغاور سبيى قرب النمور في سنة ١٨٨٧ وواحدة في ترنييل (جزيرة جافا) في سنة ١٨٩١ وكلها تدلُّ على انه وُجد في الزمن القديم حيوان ارقى من ارقى القردة الآن وهو احط من الانسان وهو الحلقة المفقودة . فسابذل جهدي في الكونغو في ايجاد هذه الحلقة واستيلادها . وذلك ان آخذ ارقى انواع القردة واستولدها من الانسان بالتلقيح الصناعي العلمي حيواناً

جديداً يكون تلك الحلقة المفقودة بل المنشودة

قال ، وقد نشطتني جلالة ملكة هولانده وسمو الامير زوجها وجلالة الملكة والدتها الى الاقدام على هذا الامر وزودوني بمساعدتهم وكذلك الحكومة الفرنسوية ومختبر باستور في باريز ساعداني وزوداني بالتوصية اللازمة الى حاكم الكونغو الفرنسوي العام "

قلنا · هذا معنى مقال المسيو موانس ان لم يكن حرفه · واننا ندعو له بمثل دعوتنا في الجزء العاشر من السنة الخامسة لجناب الدكتور شركو الذي سيسافر الى القطب الجنوبي لاكتشاف الفردوس الارضي فيه · ولعلّ لحضرات العلماء عذراً في امثال هذه الدعاوي الكبرى وهو توجيه انظار الجمهور اليهم ليقبل على مساعدة اعمالهم النافعة

اكبر بيت تجاري

في الدنيا كلها

وفروع عمله

هو بيت المستر ركفلر المثري الاميركي المشهور · وجميع الناس يعلمون ذلك · ولكن قليلين منهم يعلمون فروع اعمال هذا البيت المالي العظيم

(حديث رئيس وزراء روكفلر) قال المستر ارشيبلد رئيس وزراء سلطنة ركفلر الواسعة ونعني مدير أعماله في حديث له مع المستر لوزان الصحافي الفرنسوي المشهور ما خلاصته :

﴿ فروع اعماله ﴾ لكي تكون الاعمال قوية يلزمها ما يلزم الافراد ليكونوا اقوياء وهو الاستقلال عن أيّ كائن وكفاية نفسها بنفسها · وقوة (شركة

الزيت) ناشئةعن هذا الاستقلال والاستغناء· خذ أي برميل من ملايين براميل زيت البترول التي نوزعها في اقطار الدنيا كلها تجد ان كل ما في البرميل باطناً وظاهراً هو من صنعنا وعمل ايدينا · فنحن نستخرج الزيت من آباره· ونحن نصنع براميله من اخشاب نقطعها من غاباتنا في ولاية كارولينا · ونحن نصنع القطران الذي يُطلى به باطن البرميل لكي لا يرشح · ونحن نصنع الشمع الذي يُسد به ثقب البرميل الذي يُدخل فيه الزيت ويُخرج منه · ونحن نصنع في معملنا في اويل ستي (مدينة الزيت) الآنية التي يوزع فيها مشتري البرميل زيته بعد فتحه· ونحن نصنع المصابيح التي يُفرغ فيها الزيت للاستصباح · ونحن نصنع الذبالات (الفتائل) التي توضع في تلك المصابيح لتُحرَق وتُنير · ونحن نصنع الشمع الذي يوقد الذبالة لانارة ذلك المصباح· ونحن نصنع عربات الشحن التي تُشحن بها جميع بضائعنا هذه ·

﴿حاصلات سنة واحدة﴾ ففي سنة ١٩٠٦ بلغ مجموع ما استخرجناه كما يأتي :

مليون	
١٥	برميلاً من بترول الاستصباح
١٠	براميل من النفط
١٠	براميل من البترول لدهن الآلات وتزييتها

وعدة ملايين بوند من الشموع

﴿وسائل الاستخراج والنقل﴾ ولدينا ألوف وألوف من المضخات لاستخراج هذا الزيت من الارض ونقله من مكان الى مكان

وعشرون معملاً للتصفية منها واحد في بايين يعمل فيه اكثر من ستة آلاف عامل

و ١٢ الف كيلومتر من الاقنية الكبرى يجري فيها الزيت من ١٢٠ الف كيلومتر من اقنية صغرى تصب فيها • فاذا وصلت جميع هذه الاقنية بعضها ببعض امكنك ان تطوق بها الكرة الارضية ثلاث مرات

ولدينا في الولايات المتحدة ٦٣٢٦ محطة حديدية او بحرية

و ٩٢٠٠ عربة شحن خصوصية لنقل الزيت

واسطول مؤلف من ٦٥ سفينة بخارية و١٩ مركباً شراعياً و١٠٥ زوارق شراعية و ٢٩ سفينة لقطر السفن و ٦ زوارق بخارية

ومجموع جيشنا العامل عندنا ٧٠ الف رجل فعددهم يزيد على عدد جيش رئيس الولايات المتحدة ٤ آلاف رجل لان عدة جيش الرئيس في زمن السلم ٦٦ ألف جندي براً وبحراً

وندفع لهؤلاء العمال في كل يوم ٧٥٠ الف ريال اجرة لهم فمجموع ما ندفعه لهم في العام ٢٥٠ مليون ريال "

وكان هذا الحديث في نافذة بناية ركفلر في نيو يورك • ولما فرغ رئيس وزراء ركفلر من كلامه تكلم وزير الخارجية وهو الذي يدير مهام المحل الخارجية • فاشار باصبعه الى فرضة بعيدة في نيوجرزي امام نيو يورك وقال

﴿ الصادرات للخارج ﴾ انظر هذا مرفأ بايين وهو مرفأ لنا انشأناه بمالنا • وانك لترى فيه الآن سفينة فهي تأخذ منه ٥٠ الف برميل لتوصلها الى الهند • وفي المساء تسافر وتحل محلها سفينة اخرى فتأخذ ايضاً ٥٠ الفاً لتوصلها الى همبرغ • وبعد غد ستشحن سفينة اخرى ٥٠ الفاً اخرى الى اوستراليا • وهكذا كل يوم تدخل سفينة وتخرج أخرى • ففي السنة نشحن من هذا المرفأ ٣٦٥ برميلاً

(بعدد ايام السنة) تتضمن اربعة مليارات و٥٢٠ مليون ليتر من زيت البترول. وبضاعتنا هذه تنفذ حتى الى اقصى اقاصي المعمورة. فان الكابتن سميث يوم كان سائحاً في منغوليا تاه في صحرائها فبلغ قرية لم يدخلها اجنبي ولكنه رأى فيها شعار (ماركة) محلنا على احد آنية زيتنا

قال الكاتب: وبعد هذا الحديث اطللت من نافذة مكتب ركفلر التي كنت واقفاً فيها فنظرت الى الناس تحتي في الشارع فرأيت ان سلطنة ركفلر اوسع مما كنت اظن واكبر مما فصّله لي رئيس الوزراء ووزير الخارجية. ذلك لان جميع البشر من جميع الشعوب والامم يدفعون الآن الضرائب للمستر ركفلر — ضرائب الزيت والنور

باب الاخبار العلمية

﴿ لكي يلد لك اولاد اقوياء ﴾ أخذ الاستاذ بينار يدعو في فرنسا الى العناية بالنسل الفرنسوي عناية خاصة. وقد القى في الجمعية الطبية خطبة قال فيها ان النسل الفرنسوي ينحط لان اكثر الاولاد الذين يولدون يكونون ضعفاء البنية اما لامراض يرثونها عن اهلهم واما لضعف يكون طارئاً على آبائهم وامهاتهم حين تكوينهم الاولاد. قال وهذا اي الامر الاخير لا يهتم له الآباء مع انه امر واجب لقوة نسلهم فيجيء اولادهم ضعفاء عزماً وبنية. ثم قال الاستاذ بينار ان اولاده جميعاً اقوياء لانه انتبه الى هذا الامر واستشهد على صحة رأيه بالوف من المشاهدات التي شاهدها

﴿ امير مخترع واخذه براءة باختراعه ﴾ اخترع الامير هنري شقيق امبراطور المانيا آلة ذات عارضتين توضع على اللوح الزجاجي الذي امام سائق الاوتوموبيل

في الشتاء وتدار من الداخل فتتعارض العارضتان على لوح الزجاج وتنظفه مما يعلق عليه من الغبار او بخار ماء الشتاء وكثيراً ما حدث اصطدام الاوتوموبيل بغيره من المركبات بسبب تعكر صفاء هذا الزجاج لامتناع رؤية السائق الاشياء امامه خاصةً في الليل . وقد اخذ الامير براءة باختراعه وسيعمم جميع مركبات الاوتوموبيل في المانيا ثم يتطرق الى غيرها لانه حاجة من حاجات الناس

﴿ صدرة لا يخرقها الرصاص ﴾ صنع كولونل روسي صورة من البلاتين والراديوم والفضة وشكلها كشكل حراشف السمك وهي اصلب من الفولاذ ثلاث مرات ونصف فاذا لبسها رجل واُطلق عليه الرصاص من بندقية موزر تسطحت الرصاصة على حراشف الدرع ولم تنفذها

﴿ بحيرة غارت ﴾ بين حدود فرنسا والمانيا في جبال الالب المدعوة غر يزونه بحيرة غارت ولم يبق لها اثر وسبب ذلك اضطراب باطن الكرة الارضية اضطراباً يغير وجه الارض على الدوام

﴿ اطول لحية في الدنيا ﴾ هي لحية ايطالي يُدعى رونشتي في بلدة اورماناس وطولها متر وستون سنتيمتراً وهو يقص اطرافها حتى قدميه لئلا تكنس الارض

﴿ غيرة الهرة ﴾ كان لسيدة في كليفلند (اوهايو) هرة تدللها واذ رزقت غلاماً انصرف هذا التدليل الى الغلام واصبحت السيدة قلما تعنى بالهرة ففي ذات يوم داعبت الام طفلها ساعة والهرة تنظر اليها واذ القت الام طفلها في السرير بعد المداعبة هجمت عليه الهرة واوسعته عضاً وخمشاً في وجهه وفقأت احدى عينيه فتوفي الطفل

﴿ كتاب الشيطان ﴾ في مكتبة ستوكهولم كتاب مجلد كبير اوراقه من جلد الحمار ويدعونه (كتاب الشيطان) لان كل رسومه تمثل ابالسة وشياطين بصور مختلفة وهو من تحف المكتبة

﴿ الاستفادة بحركة ماء البحر ﴾ وضعوا في مصب نهر الاْلب عوامة كبرى ووصلوها بسلك متصل بدولاب في البر فاذا دفعت مياه النهر والبحر العوامة تصويباً وتصعيداً تحرك الدولاب بحسب حركة العوامة وادار آلة كهربائية . وبذلك يُستفاد بحركة الامواج الذاهبة ضياعاً

﴿ اكبر سمكة في نهر ﴾ اصطادوا من احد انهر كاليفورنيا سمكة زنتها ٣٨٥ بونداً وهي اكبر سمكة صيدت من مياه حلوة

بابُ التقريظ والانتقاد

﴿ الراوي ﴾ هي مجلة روائية يصدرها في كل اسبوع جناب الكاتب الفاضل طانيوس افندي عبده في الاسكندرية ويتضمن كل جزء منها قسماً كبيراً من رواية وعدة صفحات فيها فوائد وادبيات غاية في الرقة والفائدة . وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ فرنكاً خارج مصر فنرجو للرصيفة النجاح . وهي تُطلب من ادارة الجامعة في نيويورك

﴿ الفكاهات العصرية ﴾ هي مجلة ادبية روائية ايضاً لصاحبها جناب الاديب عبدالله افندي غزاله وتصدر في مصر القاهرة وفي العدد الاول منها رواية (سبيكة الذهب) تعريب حضرة الاديبة استرمويال فنرجو للرصيفة كل نجاح وانتشار

﴿ مكتبة التوفيق ﴾ انشأ جناب الاديب توفيق افندي كبوش في بيروت مكتبة جديدة دعاها مكتبة التوفيق وجمع فيها أهم ما يحتاجه المتأدبون والمدارس من الكتب والروايات . وهو يرسل قائمة الكتب مجاناً لكل من يطلبها . فنرجو لحضرته النجاح

التفتت نحو النافذة فوقع بصرها على بصر الواقف وراءها فجلست في سريرها وقد بغتت وظهر الاستياء في وجهها . الا انها أظهرت الرضى والبشاشة فابتسمت وقالت عم مساء . هذا انت يا ربي يوسف (١) تفضل وادخل اذا شئت

فاصطكت ركبتا يوسف تحته الا انه تجلد وقال عمي مساء ايتها السيدة مريم . كيف حالك الآن . عسى ان يكون قد فارقك اعتلالك

فضحكت مريم وقالت ادخل لاقص عليك قصتي

فترك يوسف النافذة وسار يقصد الباب . فلما دخل استقبلته مريم ضاحكة وقالت . حقاً ان قصتنا لليوم قصة تستحق التدوين . فقد كنا جميعاً فلاسفة وحكماء انت وشيشرون وانا . ولكن هل علمتَ اينا كان اكثر حكمة واشد تأثيراً ! . قالت ذلك ثم اشارت الى رأسها وقالت : ,, هذا '' او بالحري ما وضعتُ في هذا . فانني شربت شيئاً من الخمرة لانني احسست بضعف فخانني ضعفي وتملكتْ الخمرة عناني فانطقتْني بما انطقتْني . والان يخيل لي انني خارجة من حلم رأيته في عالم آخر غير هذا العالم . تفضل واجلس يا ربي يوسف . ما لي اراك كئيباً ولم تكن كذلك حين فارقتني

وكان يوسف كئيباً في الحقيقة في تلك الساعة . فانه توقّع بعد ما جرى ان يرى مريم رزينة هادئة نادمة فوجدها كالعصفور خفةً ونشاطاً ورأى لسانها امضى تهكماً وعينيها اسطع برقاً وفاها الذي كان له في الوادي منظر الغضب والرجولية تحيط به الآن شفتان رقيقتان اذا ضُمتا اشبهتا وردة نيسان ولها لغة تعرفها العينان فيدخل معناها الى القلب دون استئذان

رأى يوسف مريم في هذه الحالة وكل قلب غير قلبه يراها فيها يطير لبه

---

(١) ربي معناها في العبرانية (معلم)

اليها وتنبعث في نفسه خفة الطرب والغزل تحركها اوتار الجمال والدلال . ولكن يوسف اكتأب لدى هذا المنظر ولم يستخفه الطرب . وكان ينظر في عينيها شاخصاً كأنه يطلب النفوذ الى اعمق اعماق نفسها ليلمس بنفسه نفس تلك المرأة فكأن مظاهر جمالها الخارجي لديه غير موجودة فما كان له عين لها ولا لفتة نحوها . وكانت نظرات يوسف الغريبة وشخوصه السوداوي المضحك مما يزيد في خفة نفس مريم وطربها فكانت مريم تزداد ضحكاً وهرجاً فيزداد هو ارتباكاً واكتئاباً الى ان تغلّب على نفسه فقال

— انك تعتذرين ايتها السيدة عن جدك اليوم تحت الرمانة بهزلك الآن . ولكني اقول بكل صراحة انني افضل جدك ذاك على هزلك هذا

فقهقهت مريم وقالت — انت اول رجل قال لي هذا القول

فعبس يوسف وقال — ذلك لانني اول رجل مخلص لك يقول لك الحقيقة

فرفعت مريم رأسها بكبرياء كانت تزينه ابتسامة في شفتيها كمن يريد ان يقول قولاً بين الهزل والجد بعد هزل محض وقالت

— الحقيقة ؟؟ ولكن ألستَ على مذهب صاحبك الروماني شيشرون الجميل ... أما سمعت من فيه قوله عن (حقيقته)

فاطرق يوسف يفكر وهو في حيرة من امره . فقد وجد في سؤال مريم هذا سبيلاً للدخول الى ما كان يريد الدخول معها فيه وبسط كل ما في نفسه ولكنه كان متردداً . وكان يمرّ يده على جبينه من حين الى حين ويمسح عنه العرق ويضغط بكفه على رأسه لتسكين ثورته المزدوجة ثورة الخمر وثورة قلق الحب . ذلك لان يوسف كان قد شرب كل الخمر الذي كان في حق في جيبه قبل بلوغه المنزل كما رأى القارئ تشجيعاً لنفسه . وكأنه اشتدّ عليه حينئذ تأثير ما شرب فجلس بغتة على مقعد في الغرفة دون ان يُدعى الى الجلوس وصاح متأففاً .

ـــ اف ما أضيق عقول البشر

فدهشت مريم لهذه الحركة الفجائية التي تحركها يوسف فالتفتت نحوه وقالت وفي كل كلمة من كلامها سهم

ـــ ما لك يا ربي يوسف هل تشكو ألماً او انزعاجاً

وكان حينئذ بخار الخمر يضغط على دماغ يوسف ضغطاً شديداً فلم يبق في طوقه الصبر لدى تهكم مريم وفتور كلامها فاكبَّ على المقعد يستر وجهه بيديه . فدنت منه مريم مستغربة ومدت يدها فقبضت على يده وازاحتها عن وجهه .

وكان يوسف يُسرُّ البكاء وهو يستر وجهه . فلما مسّت يد مريم يده وشعر ببشرتها الناعمة الباردة اقشعرَّ بدنه واستخرط في البكاء بصوت رفيع . واذ أزاحت مريم يده عن وجهه ورأت دموعه وسمعت زفيره دُهشت وجمدت في مكانها لا تعلم ماذا تفعل . ثم غلبتها عواطفها فجلست بجانبه وأمرَّت كفها على وجهه تمسح دمعه في اثناء زفيره وهي تقول له

ـــ علامَ البكاء يا يوسف . علامَ البكاء

ولو أُعطي يوسف حينئذ ملك سليمان لما كان الملك لديه بالذّ من مرور كف مريم على خده وندائها اياه ,, يا يوسف " دون لقب ولا وصف . فقد رأى في اشارتها هذه وندائها هذا اول صوت إخلاص خرج له من قلبها

ولكن لذته هذه نبّهته الى نفسه واعادت اليه كبرياءه فمسح بكمه عينيه كلمح البصر واستوى جالساً دون ان يجترئ نظره على الوقوع على نظر مريم . فكأنه هو المرأة وهي الرجل

فكررت مريم عليه سؤالها ـــ علامَ البكاء يا ربي يوسف

فشعر يوسف هنا بوخز (كلمة ربي) فاستجمع قواه وتغلّب على نفسه وقال

ـــ انني ابكي ايتها السيدة لذكرى امي فانها تسمى باسمك

فابتسمت مريم وقد عادت اليها خفتها وقالت : وهل هذا أمر يوجب بكاءك؟

فعيل صبر يوسف لهذا السوءال فاجاب لعل ما كان في راسي من الشراب فعل فيَّ ما فعل فيك ما كان في رأسك منه كما قلتِ الساعة

فزادت مريم في الابتسام وقالت — وهل هذا أمر يوجب ايضاً ذلك ؟ قل الصحيح يا ربي يوسف

فهنا ضاق يوسف ذرعاً واستشاط غضباً وانتصب قائماً وقال :—

— انك تريدين ان تتلذذي بمرأى عذابي . ويسرُّك ان تسمعي اعترافي من فمي . فاسمعي اذاً . أتريدين ان اقول لك انني احبك وانني بكيت من اجلك ؟ لا بأس فانني اقول لك ذلك اذا كان يحلولكِ . واقول ايضاً اكثر منه . أقول انني لم أنم منذ ليلتين ولم أتناول من الطعام الا ما يسدُّ الرمق . ذلك لانني منذ عرفتك طارت اليك نفسي . هل انتِ راضية الآن عن اعترافي . ثم اسمعي شيئاً آخر . ان مجرَّد ذكر اسمكِ يجري دموعي . فان امي تُدعى مريم ويهولني ان اسماً كاسمها يقيم في منزل كهذا المنزل .. انني ليخيل لي حين اسمعه ان كل حرف من حروفه الجميلة يصيح ويستغيث ويطلب الفرار من هذا الجوّ الموبوء . وما دموعي الا جواب صياحه واستغاثته ... أعلمتِ سبب دموعي ؟ ثم انكِ ايتها المرأة جزء من الانثوية التي هي شطر من الجنس البشري . ولدى كلٍّ منا جزء من هذا الشطر اي امهات واخوات و بنات . فانا ابكي لاهانة الانثوية الشريفة فيكِ اذ في اهانتها اهانة لجميع الجنس الذي ننتسب اليه وخرجنا منه وهو لدينا أكرم جنس

ألستِ ترين في كل هذا ايتها المرأة الجميلة سبباً وعذراً لجريان دموع رجل؟ لايّ شيء اذاً نبكي في هذه الحياة؟ ولماذا خلق الله لنا الدموع !

فتنهدت مريم تنهداً طويلاً ورفعت عينيها الى سقف الغرفة كانها تطلب

السماء وتستجير بها · فادرك يوسف معنى تنهدها وحركتها فقال — اذا كان كلامي قد اضجرك الى هذا الحد فاللوم عليك · فانك سألتني ما سبب دموعي فبسطته لك

فبهتت مريم ولزمت الصمت والسكون ولكن باطنها كان مضطرباً · وبعد حين التفتت الى يوسف وقالت

— أتريد ان ابسط لك رأيي ايضاً ايها الشاب يوسف · حقاً انك ورفيقك قد ازعجتماني بوعظكما ونصائحكما ومثلكما معي كمثل رجلين شاهدا غريقاً في النهر فاخذا يلومانه على وقوعه في الماء ويوبخانه لغرقه بدلاً من ان يلقيا بنفسيهما في النهر لانقاذه اولاً ثم يلومانه · انت ترى يا صاحب انني اخاطبك الآن بجد وقد تركت الخفة والمزح جانباً فأخبرني لماذا جئت الى هنا؟ وعلى اي شيء تعتمد في انقاذي واخراجي من هذا البيت الموبوء كما تقول ؟ أكل ما لديك نصح ووعظ وإرشاد يا صاحب ؟ هذه كلها كلام في كلام لا يرد مقدوراً ولا يدفع امراً عسيراً · انظر اليّ ايها الشاب · هل تريد اخراجي من هذا البيت حقيقة ؟ هل تريد من كل قلبك ان تنتزع الماسة نفسها من المزبلة ! تكلم ما لك لا تجيب ؟

فدهش يوسف من ان مريم اخذت تتكلم هذا الكلام بلا تحفظ ولا حذر وأجاب — نعم أريد ذلك حقيقة من كل قلبي

فقالت مريم — اذاً مدّ يدك وضعها في يدي هذه واتخذني زوجة لك فتريحني وتنقذني بالفعل لا بالكلام

فرفع يوسف رأسه لدى هذه الضربة التي وجهتها مريم اليه واحتار في الجواب · فاتمت مريم حديثها فقالت — هذه هي الطريقة الوحيدة لانقاذي على ما تحب وتشتهي كما تقول · فاذا كنت تقدم عليها فهاك يدي ممدودة فمدّ يدك

وضعها فيها • انك ترى انني لست بطماعة ولا اشترط عليك شرطاً غير شرط الزوجة على زوجها واشترط انت عليّ ما شئت • ما لك لا تجيب • تكلم

وكان يوسف يتوقع ان يسمع من مريم كل شيء الا هذا الكلام ولذلك بقي في حيرته في الجواب • وقد استجمع قواه كلها للبحث عن جواب على قدر السؤال فلم يجد غير قوله بتردد

ـــ هذا شيء آخر ... ايتها السيدة مريم ... وهو خارج ... عن موضوعنا ... ومع ذلك ... فانني لا اقدر عليه

فضحكت مريم وصاحت ـــ كلا ليس هو بخارج عن موضوعنا • لانه كل موضوعنا • اتخذني زوجة لك اذا كان يهمك انقاذي الى هذا الحد وحينئذ ترى من هي مريم • تقول انك لا تقدر على ذلك وقد ابقيت عبارتك مبهمة فانا افسرها لك لادلك على جنونك انت وصاحبك • لعلك تعني بقولك (لاتقدر) انك عاجز عن حمل امرأة على عاتقك اي اعالتها فانا اطمئن بالك واسكّن بلبالك بقولي انني لا اكون عبئاً ثقيلاً عليك بل مساعداً ونصيراً لك • فانني اعمل في اي شيء شئت لاكسب رزقي وانت تتخذ لك عملاً ونعيش من كسبنا • ولكن ليس هذا ما عنيته بقولك (لا تقدر) وانما عنيتَ بانه لا يمكنك ان تتخذ زوجة لك امرأة مثلي ... لانكم ايها الرجال تتهمونني بكل تهمة بسبب معيشتي منفردة وحدي • فاذاً ماذا تريد ايها الشاب النبيه النزيه الذي يحب الخير لي ويرغب في انقاذي .... ولماذا تزعجني انت وصاحبك بوعظكما البارد

فاطرق يوسف يفكر ولكنه اهتمّ لكلام مريم اهتماماً شديداً وقد اثر فيه اقتراحها ولكنه لم يعلم هل هي اقترحت هذا الاقتراح واخلصت النية فيه ام اقترحته لتعجيزه والخلاص من وعظه • غير ان هذه الفكرة لم تستوقفه وقتاً طويلاً فقال

ـــ لم اعنِ ما ظننتِ ايتها السيدة مريم • فان لي اعذاراً لا تعرفينها

فابتسمت مريم ابتسامة غريبة وقالت — اذاً ارجو منك انت وصاحبك ان تريحاني بعد الآن من مواعظكما وتتركاني وشأني . فاذا شئت زيارتي فلك ذلك في اي ساعة شئت من ساعات الليل والنهار فنتحادث في كل شيء غير هذا الشيء ونُسر ونشرب ونطرب . اما انقاذي من الجو الموبوء وتخليص الحمامة من انياب الافاعي وغير ذلك من الاقوال المضحكة التي تقولها لي انت وصاحبك فلا ريب عندي في انكما تعدلان عنها بعد الآن لانني اقترحت ذلك عليك ورددت اقتراحي

وكان يوسف يسمع كلام مريم وكأنه لا يسمعه لانه كان يفكر في أمر آخر . الا انه ورد في كلامها عبارة هي جزء مما كان يجول في نفسه فقال بجدة وقوة — اما هذا فلا

فدهشت مريم وصاحت بغضب — كيف تقول لا . وباي حق تصرّ على مداخلتك في شؤوني الخصوصية

فقال يوسف — لا تغضبي ايتها السيدة مريم فقد أسأتِ ايضاً في فهم كلامي ولعل ذلك لانني كنت مشتت الفكر فلم انتبه الى كلامك الاخير . ومعنى قولي (لا) انني لا استطيع زيارتك (لنُسر ونشرب ونطرب) كما قلتِ لان الذي يمنعني من (وضع يدي في يدك) كما اقترحتِ يمنعني من زيارتك للشرب والطرب والسرور . ولا تسأليني ما هو . فان هذا أمر بيني وبين وجداني

فهنا لم تتمالك مريم من الغضب الشديد فاطلقت لنفسها العنان وصاحت — ماذا تريد اذاً ايها الرجل . ولماذا تتبعني وتقتفي اثري . وما الذي جاء بك الى هنا . حقاً انه يظهر ان الله يريد زيادة شقائي

فرفع يوسف رأسه ونظر في عينيها دون ان يهوله غضبها وصياحها وقال

— ان كلمة (الله) في فمك يا مريم اجمل منها في كل فم غيره

فقالت مريم بسكينة وغضب ولماذا

فقال يوسف لا أعلم لماذا

فقالت مريم لعلك تظن انك اقرب مني الى الله . قه قه قه . وضحكت ضحكة التهكم ثم قالت بجد ورزانة . انني قد استوفيت عذابي في هذه الدنيا ايها الرجل والله يعلم ذلك . فكن مطمئناً . انني اقرب اليه منك ومن اي انسان . واذا كان في الآخرة مكان يستريح فيه فريق من البشر ويُعذَّب فريق فربما كنت انت مع الاخرين وكنتُ انا مع الاولين . اذ اي عذاب أشد مما ألاقي في هذه الدنيا بين هؤلاء البشر الخنازير . أما آن ان تطهرني عذاباتي . انك تراني اضحك وامزح فتظنني مسرورة راضية . فاعلم الان للمرة الاخيرة ولا تزعجني بعدها بملاحظاتك الباردة . اعلم انني كالعصفور الذي يُذبح فهو يرقص من الألم لا من الطرب . ولو صُوّر ظاهري وباطني حين اضع في شفتيَّ ابتسامة الربيع وفي عينيَّ برق الخريف وفي حركاتي خفة العصافير وفي نفسي عدم مبالاة الصبيان لجاء ظاهري عرساً ربيعياً دائماً وباطني مأتماً ابدياً قاتماً . فكيف تستحلُّ ايها الرجل ان تزيد بملاحظاتك وملاحقاتك عذاب كائن مثلك هذه حاله . انت تلهو لهواً بشؤوني انت وصاحبك ولهوُكما هذا انما هو لعب وترويح للنفس بينما نفسي تُمزّق تمزيقاً بهذا اللعب . فاتركاني وشأني من أجل الله لا من اجلي . أسمعت ايها الشاب ؟ من أجل الله اتركاني وشأني . انك قلتَ انك شربت شراباً لتتشجع على دخول هذا البيت اما انا فلا أشرب شراباً واُقيم فيه ... فيكفي ما تسمع ايها الشاب . اذهب والعب في غير هذا المكان اذا كنت لا تريد الدخول اليه كما يدخله غيرك

قالت مريم هذا الكلام بلهجة لم تبقِ مجالاً لخطاب ولا جواب فولّى يوسف وجهه شطر الباب وخرج دون ان ينبس ببنت شفة

الجامعة

الجزء ٥ السنة السادسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة
تصدر في نيو يورك
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك حزيران — (يونيو) سنة ١٩٠٨ — جماد ١ سنة ١٣٢٦

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأتُ أُحبُّ أميركا

مثال من مدينة اميركية

مقالة مكتوبة فيها

نعم هذه اول مرة شعرتُ بها بميل الى اميركا والمدنية الاميركية. ولم يهبط على نفسي هذا الميل وحياً من السماء ولا اندفعتُ اليه اندفاعاً بفاعل العواطف التي يكون حكمها في اكثر الاحيان حكماً (سطحياً) ولا انا اكتب هذا الكلام تزلفاً الى الاميركيين الذين يقرأون الجامعة في اميركا وسوريا ومصر — اذ بين قرائها في نيويورك نفر من المستشرقين الاميركيين الافاضل تشرفت الجامعة بان تعرَّفت اليهم — ولكني اكتبه بعد درسي اميركا سنتين وكمال درسي لها بدخولي في داخليتها ومراقبة احوال الشعب الاميركي فيها

واول ما هبط على نفسي هذا الميل كان في البلدة التي اكتب منها هذه السطور وهي وليمنتيك في طرف ولاية كناتكت الشرقي مما يلي ولاية رودآيلند. فقد صرفتُ فيها يومين احدهما يوم أحد وفي هذين اليومين بدأت أشعر بذلك الميل . على انه والحق يقال قد ابتدأ في نيوهافن ولكني لم أُحسّ به احساساً كاملاً الا في وليمنتيك

ومن حسن الحظ ان زيارتي للداخلية في هذا الشهر (١) كانت في مفترق الطريق أي بعد نشر المجلة المقالة السابقة في هذا الموضوع وخاتمتهامسألة يتوقف عليها الحكم في المدنية الاميركية ومنزلتها ومصيرها لإمكان الحكم في حقيقتها الحاضرة . وهي هذه كما وعتها الذاكرة اذ ليس لدي الآن نسخة من ذلك الجزء (هل الطريق التي سلكتها المدنية الاميركية تؤدي بها الى الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا وتصبح امة عقلية علمية فلسفية اجتماعية كما هي امة تجارية صناعية زراعية بل أعظم الامم في هذا الامر المادي . أم تبقى كما هي بلاداً مادية كبرى و يبقى فيها الفن والعلم وجميع آثار العقل والنفس في طفوليتها كما هي الآن ؟)

سألت هذا السؤال قبل خروجي من نيو يورك ومشاهدة آثار المدنية الاميركية في الداخلية . على انني الآن بعد تجوالي في ولاية كاملة انظر الى هذا الموضوع من وجه آخر لعله يمكنني الجواب عن تلك المسألة جواباً صحيحاً مبنياً على البرهان اليقين لا على الظن والتخمين

---

(١) يعلم قراء الجامعة «الجريدة» انني دخلتُ في هذا الشهر داخلية الولايات المتحدة لصرف شهر في بعض ولاياتها وقبلة رحلتي كندا حيث امتزج التمدن الانكليزي والفرنسوي والاميركي امتزاجاً لا شبيه له في الدنيا كلها

نتيجة عمل امة

واول ما يتبادر الى الذهن ان النتيجة التي حصلت عليها اميركا في هذه المدة القصيرة نتيجة عظيمة جديرة بإعجاب كل مفكّر منصف · فتجارتها وصناعتها وزراعتها اعظم تجارة وصناعة وزراعة في الدنيا واذا كانت عديمة الاتقان الذي يكون للصنائع الاوروبية فلها عذر مقبول وهو انها لم تبتدئ الا منذ اكثر من قرن والصنائع الاوروبية نتيجة اتقان قرون عديدة · وأهلها اغنياء يكسب الواحد منهم في عامه ما يكسبه امثاله في غيرها في عدة اعوام · فان اجرة العامل الذي يعزق الثلج من شوارع نيويورك في زمن الشتاء ريالان في النهار وثلاثة أو أربعة في الليل واجرة مثله في اوروبا ٤٠ سنتاً أو أقل من نصف ريال وفي مصر وسوريا يشتغل العامل بربع ريال · وفي اميركا يتمتع الانسان بما يكسبه لان كسبه مضمون لديه وذلك لكثرة الاعمال فيها وسعة البلاد وغناها واذا اقتصد فانه يقتصد اموالاً طائلة في مدة قصيرة · اما ابناء اوروبا والشرق فلا يقتصدون ما يقتصدونه الا بشق النفس وحرمانها ولذلك يتهكم الاميركيون على الاوروبيين بقولهم انهم يقتصدون ما يقتصدونه في (جواربهم الصوفية) وهو مثلٌ فرنسوي كناية عن ان غنى الشعب الفرنسوي وارد من اقتصاد ابنائه المال القليل في (جوارب الصوف) ولعل الاصل في ذلك ان عجائزهم وفلاحيهم كانوا يتخذون هذه (الجوارب) (الكلسات) خزانة لما يقتصدونه · وفضلاً عن ذلك فان اميركا امة عزيزة بين الامم فهي ترفع رأسها بانفة وكبرياء بين جميع شعوب الارض وحكومتها مهيبة نافذة الكلمة لم يجز عليها ذلٌّ ولا نالها خفض عيش وقوتها البحرية معدودة ثانية قوات الدول الكبرى اذ لا تتقدمها في ذلك امة غير الامة الانكليزية · أضف الى ذلك ان شعبها محكوم بشرائع منطبقة على

حاجاته ومع كون الحرية مطلقة فيها الى آخر حدودها في بعض الامور فان حكومتها تقيدها في امور أخرى وتسلب الشعب شيئاً منها دون ان يحتجّ الشعب عليها لمعرفته انها انما تفعل ذلك لمنفعته لا لعدائها للحرية اذ لا عدوّ للحرية هنا يبغي صرعها واقامة حكومة مستبدة مطلقة مكانها كما هي الحال في فرنسا حيث تذهب نصف قوة الحكومة في اتقاء عدوان الملكيين والبونابرتيين والاكليريكيين على الحرية والجمهورية · ومع كون الامة الاميركية ولايات ولايات كل ولاية مستقلة بادارة شؤونها الداخلية استقلالاً يكاد يكون كاملاً والحرية فيها مطلقة للجرائد والجمعيات اطلاقاً كلياً وعدد المشعوذين الذين يستثيرون الشعب على رجال الفضل من أهل الحكم وغيرهم كثيرون وعدد الحيتان الهائلة الذين يبغون احتكار ثروة البلاد ومن فيها في شركات تمتصُّ دماء العمال غير قليلين مع قلة الجنود الذين لا يتجاوزون ٦٦ الفاً في زمن السلم بحراً وبراً وبينما جيش فرنسا العامل في زمن السلم يبلغ ٥٠٠ الف رجل — مع كل ذلك لا نسمع بفتنة او ثورة ولم تتمرّد ولاية وتستأثر بأمرها ولا نرى شبه اضطراب مما نراه ونسمع به في كل يوم في فنزويلا وهايتي وجمهوريات اميركا المتوسطة

فنتيجة كهذه النتيجة حصلت عليها الولايات المتحدة وانشأت شعباً نشيطاً حراً يرفع رأسه بكبرياء تحت قبة السماء وتهابه الاسود في غاباتها والحيتان في لجاتها وله جامعة يفديها بالنفس والنفيس وثروة تنثر ملايين الريالات في طريقه كما تُنثر اوراق الخريف — جديرة بالاعجاب وان يُقال عن الامة التي نالتها دون مساعدة احد لها والحكومة التي انالتها اياها ولم تَعدُ عليها انها امة عظمى وحكومة كبرى تُحنى امامها الهام ويُرفع اليها الاحترام

هكذا يقول القائلون الذين ضلعهم مع اميركا وكل واحد منا يحسّ بان هذا

القول حق من هذا الوجه · ولكن غيرهم ينظرون الى اميركا من وجه آخر فصّلناه فيما سبق من مقالاتنا ونرى ان هنا نقطة الخلاف التي تجب ازالتها · ومتى قبضنا عليها امكننا ان نحلّ الاشكال ونجيب عن ذلك السؤال

لماذا يكره بعضهم اميركا وماذا
يكرهونه فيها

كثيرون منا يكرهون اميركا مع معيشتهم فيها ولا نتكلم هنا عن الذين لا ينجحون فيها فهؤلاء معذورون في هذه الكراهة ولكننا نتكلم خصوصاً عن الذين ينجحون فيهاو يكرهونها و بالاخص عن المقيمين في المدن الكبرى كنيو يورك وشيكاغو وفيلادلفيا وغيرها · وبما اننا قد شعرنا شعور هؤلاء مدة اقامتنا في نيو يورك فيمكننا ان نصف حالة نفوسهم بما شعرنا به في نفسنا بعد معيشتنا في نيو يورك

يفد أحدنا من الشرق على نيو يورك وهو يظن انه منتقل الى بلاد الكمال والجمال · فقد عاشرنا جميعاً كثيرين من افاضل المرسلين الاميركان في سوريا ومصر ورأينا فضلهم ودماثة اخلاقهم وسمعنا دعواتهم الى الآداب والدين والفضائل والاخاء البشري فخيّل لنا ان اميركا هي وطن هذه الكمالات كلها ولا شيء فيها مما يخالفها و يناقضها · ولكننا حين تطأ اقدامنا ارض نيو يورك مثلاً فماذا نرى ؟ اننا في بدء الامر نُدهش بما نراه من ضخامة العمران وفخامة البنيان ثم بعد الدهشة تأتي نو بة التأمل والامعان · و بعدهذا الامعان والتأمل نُصاب بدهشة أُخرى غير تلك الدهشةوذلك لاننا نرى في نيو يورك — عاصمة اميركا التجارية — ما لم يكن في الحسبان · فقد تركنا الشعوب في الشرق خرافاً يُجزّ صوفها ويُستدرّ لبنها و يستبدّ بها حاكمها وغنيّها والرئيس الروحي فيها فوجدنا الشعب في اميركا تحت نير عبودية لاصحاب الاموال والرؤساء تختلف

عن عبودية الشعب الشرقي ولكن النتيجة واحدة وهي انين الشعب تحت عبئه الثقيل • اننا قلما رأينا في الشرق رجالاً بشوارب ضخمة وبنية قوية يستعطون خبزهم دون حياء او يصطفّون مئات امام قسيس يصلّي في الشارع ويستعطي لهم ابناء السبيل لاطعامهم وإيوائهم ولكنا رأينا في نيويورك ذلك واكثر منه • اننا لم نرَ في الشرق نساء يترنحن في الاسواق سكراً وينطرحن على بلاط الشوارع معربدات ولكنا رأينا ذلك في نيويورك • اننا لا نعدّ في سوريا كلها تقريباً حانات وخمارات بقدر ما نعدّ منها في مدينة نيويورك وحدها اذ في كل زاوية شارع حانةٌ — قاعدة مطردة لا تقبل استثناء • وبما ان جميع الشوارع متقاطعة والزوايا كثيرة متقابلة فالحانات متقابلة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وهم يسمونها (صالون) وعشرات من البشر تزدحم في كل واحدة منها على مشروبات قتالة وامزجة مختلفة يدخل شراب الوسكي فيها كلها تقريباً لانه سلطان المشروبات في اميركا • والمضحك انه من المقرر إقفالها في يوم الاحد ولكن اكثرها يبيع فيه الخمور سراً بل جهراً لان بعض الشرطة يغضون الطرف واذا امسك احد الخفية (البوليس السري) صاحب حانة وهو يناول رجلاً مسكراً من حانته فلا يقدر ان يقبض عليه ويقاضيه لان صاحب الحانة يمكنه ان يدّعي انه يهب ذلك المسكر هبةً ولا يبيعه بيعاً ولا تحق العقوبة على صاحب الحانة الا اذا شوهد يقبض من الشارب ثمن ما شرب ••• وهناك حيلةٌ أغرب وأعجب وهي ان بعض اماكن الخلاعة تُدعى (ميوزيك هول) أي قاعات موسيقية فتفتح في يوم الاحد وتُباع فيها المسكرات جهراً بحجة ان طالبها لا يطلبها لذاتها بل يطلبها ليأكل ولذلك يقدمون مع كأس المسكر التي توضع امامك قطعة من (الصندويج) او كسرة من الخبز والجبن وغني عن البيان انك تدفع ثمنها فوق ثمن المسكر وان كنت لا تأكلها • ادخل في يوم أحد قهوة „مرتين“

المشهورة في نيويورك وهي فرنسوية واطلب شراباً روحياً فيسألك الخادم للحال أي (صندويج) تريد لانه يبيعك المسكرات مع الصندويج ولا يبيعكها بدونه· وما عدا هذا فانك ترى الفاحشة علنية في نيويورك والنساء الساقطات يملأن الشوارع من الشارع الرابع عشر الى ما فوق في داخل المدينة ونسبتهن في بعض الشوارع في المساء الى الحرائر كنسبة ١٠ الى ٥ · ثم ماذا ترى ؟ ترى ارتخاء عظيماً في الاخلاق فان الرجال يستوقفون هؤلاء النساء او يجالسونهن في الاماكن العمومية والمطاعم كأنهم لا يأتون امراً اداً · وبين هذا وذاك تسمع زئير المدينة زئيراً هائلاً وترى حركة دائمة يتدافع فيها الناس كأنهم في طراد والسابق السابق منهم الجواد · فهذا يصطدم بك ولا يلتفت نحوك · وذاك تسأله من اين الطريق فيطمطم ويرطن ويصرف وجهه عنك · وذلك يعض سيكاره ويبصق امامك فربما اصابك رشاش هذا الطل القبيح · وغيره يعلو على الاوتوموبيل في مفترق الطريق بين زحام مركبات الترمواي وعربات النقل ويشتمك بطمطمانيته لانك اجتزت امامه سريعاً ولم تتركه يدوسك · وغيره نشوان رنّحت الخمرة جسمه ولسانه وقبعته يتعلق بك ويقول انه لم يأكل منذ يومين ولذلك يطلب (فيف سنس) أي خمسة سنتات ليأكل الخ الخ الخ··

فبعيشكم اخبرونا ماذا تكون تأثرات ابن الشرق حين يرى هذه المدهشات كلها في اميركا وهو قادم ليرى فيها معجزات الآداب والمدنية قياساً على ما قرأه عن الاميركيين وما سمعه من ابناء اميركا في الشرق · هذا ناهيك عن خشونة المعاملات وغلظة الاساليب والاحاديث التي لا تسمع فيها وانت مارّ في الشارع غير ذكر هندرد دولارس — ثوزند دولارس · ناشيونال بنك · ب · مرغن اند كومباني مضافاً اليها في الشتاء قرّ يقتل الحيوان والانسان وفي الصيف حرّ يذيب الشحم واللحم في الابدان · حتى اننا كثيراً ما نظرنا في نوافذ منازل من

أحسن المنازل رجالاً بقميص القطن (الفلانلا) مكشوفي الصدر بارزين من النافذة وهم يقرأون الجرائد والناس في مركبات الترمواي والشوارع رجالاً ونساء ينظرون اليهم دون مبالاة كأنَّ فعلتهم هذه أمر اعتيادي

كل ما ذُكر وما لم يُذكر من أمثال هذه الامور التي لا يتوقع زائر اميركا ان يراها فيها تحمل ابن نيو يورك وخاصة ابن الشرق فيها على ان يظن ان اميركا هي ما يراه في تلك الامور الشاذة والمناظر الثقيلة والامور التي تنفر منها الطباع السليمة· يظن ذلك وهو مهاجر ولا يخطر في باله ان الذين يراهم ويعاملهم ويحكم عليهم ذلك الحكم قد يكونون مهاجرين مثله تُركوا الى انفسهم في وسط شديد عليهم فأثر فيهم التأثير الذي رآه وكان سبب نفرته · فقد قيل في نيو يورك (انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها) يعنون ان اكثر أهلها مهاجرون غرباء ولكن كل مهاجر غريب فيها لا يُعدُّ غريباً لانه بين غرباء مثله · فاذا شئنا الحكم على مدنية احدى الامم يجب ان لا نتخذ موضوعاً لدرسنا المهاجرين اليها ومدنها الكبرى فقط فان من خصائص هذه المدن ان يجتمع فيها احط ما يكون وأرفع ما يكون · فاذا شاهدنا المنحط فيجب علينا ان ننكمش عن الحكم قبل مشاهدة الرفيع ايضاً · ولو كان جميع شعب الولايات المتحدة كالجمهور الثقيل الذي مرَّ وصفه آنفاً لما كانت اميركا اميركا ولما قدرت ان تحصل على النتيجة التي مرَّ بسطها في الفقرة السابقة · وساجعلك تزور معي في مقالة تالية داخلية الولايات المتحدة حيث أُريك شعباً غير الشعب الذي عرفته في نيو يورك ونفرت جوانحك كلها منه · وسأريك منه اموراً تجعلك تحبه كما أحببته · ولعلك ترى في ما سيلي حلاً لتلك المسألة التي أشرنا اليها في مقدمة الكلام ونبحث معاً في حلها



عش رجباً

ترَ عجباً

مشاهدة مؤلمة في نيويورك
معرّة على المدنية الحديثة

(بقلم نقولا افندي الحداد)

ما كان يلوح لي وانا في اميركا أم الغنى وينبوع الخير والرزق أن أرى ما رأيته في الساعة التاسعة مساء منتصف الشهر الغابر . وما زلتُ الى الآن اتعجب واتحير من ان الامر الذي رأيته ودهشني انما هو شيء مألوف في هذه البلاد

كنتُ ذاهباً في تلك الساعة الى مخدعي حيث اريح مجموعي العصبي بعد جهاده كل النهار في تلقي ضوضاء المدينة وجلبتها وتلاطم الافكار في لجة العمل فاذا بي قد استوقفني أمرٌ زاد اعصابي اضطراباً وامواج افكاري التطاماً. فلم انم مطمئن البال

رأيت رهطاً من الادميين (نحو ١٥٠ رجلاً) وقد اندفع في عرض الشارع الى شارع آخر مقاطع له . ولا يخفى ان حب الاستطلاع غريزة في البشر. فتقدمت الى القوم لارى ما الخبر فاذا هم قد اصطفوا على رصيف الشارع متلازّين متراصّين كأنهم جدار من الابدان البشرية . فمشيت وراءهم ثم امامهم فلم أرَ شيئاً غريباً سوى ان رجلاً القى امام ذلك الصف صندوقاً من الخشب كان يتأبطه . فعلمت ان السر منحصرٌ في هذا الرجل فتقدمت وراء الواقفين حتى صرت بإزائه فوجدت انه يوزع على اولئك الوقوف شيئاً وقد أصابني نصيبٌ منه

تناولت ذلك النصيب فاذا هو قطعة من الخبز بقدر الكف — بلا مبالغة — فقلت لمن هو الى جانبي ,, ما هذه '' . قال ,, عشاء '' وكان يلوك خبزته . فقلتُ له ,, لقد تعشيت . فهل لك فيها ؟ '' فتناولها في الحال والتهمها و بعد هنيهة انفردتُ بذلك الرجل وقلت له . ,, ما زلت لا افهم شيئاً مما أرى . فما معني هذا ؟ '' فضحك وقال لي ,, هؤلاء مساكين مدقعون لا يملكون شروي نقير ولا عمل لهم يسترزقون منه فيتضوّرون جوعاً . وذلك الرجل يتسوّل من اجلهم بضعة ريالات فيبتاع بها خبزاً و يفرقه عليهم ''

فقلت ,, وماذا تفي هذه البلغة من حاجة المعدة الي الغذاء سوى انها تثير الشهوة وتهيج الجوع ''

فقال ,, انها خير من طيّ الليل كله على الطوى ''

فقلت ,, أليس عجيباً ان تُعدّ بلغة العيش عشاء يحيي الرمق في اميركا وفي مطاعمها فضلات الخبز تُقري قبائل وفي براريها المترامية الزروع الخصيبة وفي أهرائها عِرَم لا تعدُ من الحنطة والحبوب وفي نيو يوركها قناطير مقنطرة من الامـوالـــ ؟ ''

فقال ,, ليست لنا هذه التي تعدّها بل هي لاهل الثراء الذين يتنعمون في قصورهم ويبذخون في انديتهم . واما نحن العمال الذين بنينا لهم تلك القصور واقمنا لهم تلك الاندية فلا ناكل خبزنا الا يوم نجد شغلاً نسكب فيه عرقنا . فان وقفت حركة العمل وجب ان تقف حركة حياتنا معاً ''

وما زلتُ ازداد حيرة ودهشة ولا اكاد اصدّق ما اسمع وأرى فقلت ,, أليس عاراً على اميركا التي تُعد اسعد الممالك واهنأها شعباً ان يوجد فيها ناس كالعازر يتسقّطون الفتات من موائد الاغنياء ؟ ''

فضحك قائلاً . ,, اراك يا هذا لا تزال تعتقد اننا نعيش لاننا نتحرك .

لا . لا نعيش . بل نحن موتى لاننا خلو من كل لذة . ولو كان نصيبنا اليوم من العالم كنصيب اليعازر من الغني لكنا في نعمة ونعيم . ولا اعتقدنا ان هناك فئة اخرى تحسدنا عليها . ولكن ألم ترَ ماذا كان عشاءنا في هذا المساء . آمن بالله يا رجل وصدق انني لم اذق طعم القهوة منذ ١٥ يوماً ''

فتنهدتُ متألماً ونفختُ نفخ الافعى والتفتُ الى ذلك الجمع فرأيت الرجل الذي وزع عليه كسر الخبز قد جعل يصفّه في عرض الشارع سبعة سبعة متلاصقة متضامة حتى صار كأنه كتلة جثث لا تزال تتنفس كأن لها بقية رمق ولا تزال تحيا كأن الموت مغمض عينيه عنها

ثم ركع الرجل على صدوقه وجعل يصلّي واولئك الاشباح رفعوا قبعاتهم حتى انتهت الصلاة

ثم وقف الرجل وجعل يتكلم وكان على الرصيف بعض رجال ونساء واقفين يرون ويسمعون وبعض المارّة يتوقفون هنيهة ثم يتمشون

وكان فحوى كلام استهلال الرجل ان ,, بعض الناس يسمون هؤلاء الرجال اوباشاً . وبعضهم يسمونهم اوغاداً . وبعضهم يقولون (تنابل) . فسموهم ما تشاؤون فانهم لا يزالون بشراً واخوة لنا في الانسانية . ومهما يكن سبب بؤسهم فعلينا ان نرد هجمات الجوع عنهم . ليس لهم من حطام هذه الدنيا غير اجسادهم وما عليها من الرداء . فاذا تعطف عليهم المشفقون اكلوا وان احسنتم عليهم الآن امكنهم ان يناموا في مضاجع كسائر البشر

,, حاجتنا الى ١٥ سنتاً اجرة مخدع لكل منهم في هذه الليلة فان لم نستطع ان نجمع حتى منتصف الليل السنتات المطلوبة بقي هؤلاء المساكين يتجولون في شوارع المدينة حتى الصباح واسنانهم تصرّ وابدانهم تقشعر برداً كما جرى لهم ليل الاحد الماضي ''

واسترسل ذلك الرجل بمثل هذا الكلام وغيره مبيناً ادواء الهيئة الاجتماعية وعللها حتى مرت نحو ساعة فجعل يرنم واولئك التعسون يشتركون معه٠ وبعد ترنيم عدة ترنيمات استأنف الخطابة ثانية

وكان في خلال ذلك يتقدم اليه بعض المارّة أو الوقوف ويدفعون له ما جادت به انفسهم

وكان في تلك الغضون ايضاً يعبر بعض اكابر القوم في اوتومو بيلاتهم فلا يعبأن بما يرون ٠ فكنت اخاف ان يهيج الغيظ والحنق اولئك الجائعين فيهجمون عليهم هجوم الذئاب الحائرة على قطعان الغنم ٠ ولكن انى يفعلون ذلك وهم يقرأون ويطالعون ويعلمون كسائر الانام ان في البلاد شريعة قاسية في معاقبة المتهجمين الغزاة القتلة

وقد علمتُ ان نيويورك وغيرها من المدن الكبرى لا تخلو من مثل هذا المشهد كل ليلة وفي احياء المدينة عدة مشاهد مثله على مدار السنة٠ ولكن الذي زاد الطين بلة هذه الازمة الحاضرة التي قطعت ارزاق الوف من العمال٠ فماذا يفعلون ؟ قال ذلك الرجل الذي كان يخطب ان بين هوءلاء الاشقياء رجلاً فقد وظيفة مهمة بسبب هذه الازمة وما كان يخطر له ان يقف هذه الوقفة ٠ ولكنه اضطر ان يقفها فماذا يفعل ؟

يقولون ان في اميركا الوفاً من الاغنياء المحسنين الذين يجودون بالالوف والملايين للاعمال الخيرية العمومية ٠ فلماذا اذاً لا زلنا نرى مثل هوءلاء المساكين يتوقعون لقمة من العيش عشاء ً وينتظرون مرقداً خشناً ولو في آخر الليل ٠٠

يقولون ان اميركا اغنى ممالك الارض وان شعبها أهنأ الشعوب واسعدهم فما بالنا نرى قوماً يشتهون الفتات الذي يقع عن مائدة الاغنياء ومع

ذلك لا ينالونه

يقولون ان المرء في اميركا كيف تحرك يكسب نقوداً . فما الوفا من العمال يتضورون فلا ينالون رغيفاً

يقولون ان اميركا بلاد الشغل والعمل وأي كان فيها يجد مسترزقاً . فما بال هؤلاء المتضورين لا يجدون

لم يزل البشر هم اياهم والارض كما يعهدونها . فلا قحط ولا محل ولا ولا جدب ولا ضربات من الله ولا من ابليس . وما زال الناس ذوي قوى للعمل ومعدٍ للأكل واجساد للبس الخ فلماذا تقف حركة العمل حتى يتضايق العامل ؟

الجواب عن كل ما تقدم

اولاً ان النظام الحالي جعل الاعمال كلها في يد مسيطرين عليها فاذا اقتضت مصلحتهم ان يستوقفوا حركتها اوقفوها . ولا يهمهم الامر اذا فني جمهور العمال او عانوا عذاباً وشقاء

ثانياً ان في اميركا خيرات كثيرة جداً ولكنها غير موزعة على مستخرجيها بحسب استحقاقهم منها بل بحسب المطامع والتحايل النظامي في توزيعها

وعدم الانصاف في توزيع الثروة في اميركا اكبر مصائبها وهو اسوأ فيها منه في كل العالم . وربما كان سبب القضاء عليها في المستقبل القريب او البعيد

ثالثاً ان الاموال التي جاد بها المحسنون من الاغنياء قلما قصد منها ان تنفق على الاعمال الخيرية لاجل دفع البلاء ورفع الشقاء عن الجنس البشري وتخفيف ويلات الفقراء بل قُصد فيها بالاكثر اقامة معالم الفخر والمجد لذويها وانما فُعل هذا بحجة فعل الخير العمومي

فكرنيجي مثلاً ملأ البلاد الاميركية مكاتب كُتب عليها اسمه حتى يقال

بعد وفاته — اطال الله بقاه — انه كان محباً للأدب والعلم وخادماً لهما

ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابتنى مئآت والوفاً من المنازل الصغيرة لكي يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب رقيها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يثبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج الى غرفة ينام فيها

تجودون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مرائين في جودكم ولا تتبجحوا فيه

نقولا الحداد

صوتٌ صارخ في ربوع الشرق

أسكته المنون

تذكاراً لقاسم بك امين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضنّ الزمان بمثلهم . المرحوم الشيخ محمد عبده والمرحوم مصطفى باشا كامل والمرحوم قاسم

بك امين الذي نعته الجامعة (الجريدة) في احد اعدادها في الشهر الماضي نعياً يليق بمثله

أتى على قاسم بك امين يوم كان فيه أشهر رجل في مصر وهو يوم نشر كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة) وقد رمى فيهما الى أمر خطير في الشرق تراجعت عنه همم المصلحين المسلمين ولم يجترىء أحد منهم على الجهر به قبل الفقيد وهو رفع حجاب المرأة المسلمة والعناية بتهذيبها وجواز اشتراكها في عمل الرجال وبعبارة اخرى رفعها من درجة (كائن قاصر يحتاج الى وصيّ) الى درجة (كائن مستقل بنفسه يتولى زمام نفسه) في دائرة الشرائع الموجودة الاجتماعية والعيلية · فقامت يومئذ في مصر ضجة لم يقم مثلها قط · وما ذلك لانّ هذه المبادئ جديدة قد اكتشفها الفقيد اكتشافاً فثاروا عليها فانها كانت موجودة قبله كما يعلم قرأ اللغة العربية واللغات الاجنبية · وكثيرون من كتبة المسيحيين الشرقيين قالوا بها وباكثر منها · ولكن الذي أثار تلك الجلبة الهائلة قيام مسلم فاضل من أعقل عقلاء المصريين ممن تحترم آراءهم الخاصة والعامة وهو من اكبر قضاة مصر وصبّه كل قوى نفسه وبلاغته في كتاب رمياً الى (رفع الحجاب) فلم تكن ترَ جريدة حتى الجرائد التي كانت على مذهب المؤلف سراً الا وهي مشحونة بالردود على قاسم بك امين والتهكم على آرائه حتى سبه والتعريض به في بعضها · ولم يكتفِ اصحاب الذوق البارد بذلك بل ان بعضهم زاروه في بيته واذ فُتحت لهم قاعة الاستقبال طلبلوا ان تجالسهم قرينته الكريمة كما تجالس سيدات المسيحيين الضيوف ,, عملاً بكتاب قاسم بك امين " كما قالوا

ولقد قرأنا كتابي قاسم بك امين فكان اعجابنا شديداً بالجرأة التي ظهرت منه في هذا الأمر وفي أمر آخر · فانه لما رأى ان ماضي التاريخ الاسلامي يحول دون اقتباس شيء كثير من ضروريات الحياة الجديدة ,, وذلك عند الجامدين

لا عند الاذكياء " صدم في كتابه ذلك الماضي صدمةً كصدمته للحجاب . ومن اقواله في هذا الصدد انه اذا لم يكن في المدنية الاسلامية القديمة ما نُطالبُ بإدخاله الآن فما ذلك الا لان المدنية الاسلامية القديمة نشأت قبل قيام المدنية الحديثة ووجدت قبل نشأة جميع اصول العلوم والفنون ومبادئ السسيولوجيا . فكيف يمكننا ان نتخذها مثالاً للكمال البشري نحذو حذوه ونتلو تلوه وهي قد نشأت قبل نشأة اصول العمران الحقيقية . ثم قال هذا القول البديع ,, ان المدنيـة الحقيقية عبارة عن سير جميع الامم في طريق واحدة مرسومة اذ لا مدنية حقيقية خارج هذه الطريق " ثم قال هذا القول الهائل ,, ان الكمال البشري امامنا لا وراءنا "(١) قال هذا القول بعد ان أظهر انه لم يخلُ زمن من ازمنة التاريخ الماضي من الفظائع والجرائم والرذائل وان الكمال سيكون في المستقبل ولم يكن في الماضي . فكأنه بذلك وضع (الايديال) Ideal العلمي الادبي الاجتماعي فوق الـ Ideal الديني . وهذا أجرأ ما في كتابه على الاطلاق . ولكن منتقديه لم ينتبهوا اليه على ما يظهر

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدنَ على مصر لزيارتها والقى خطبة وجيزة باللغة الفرنسوية قال في خاتمتها ,, قرّب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائراتنا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة "

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بداء السكتة على ما يُفهم من اخبار مصر . وقد ودّع الفضل والعقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبةٍ غراء القاها

---

(١) اكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لديّ كتاب قاسم بك لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

في عزبة سراوه (المنوفية) في احتفال حافل عُقد فيها وشهده كثيرون من الاعيان اهتماماً (للجامعة المصرية) أي الكلية العلمية المنوي انشاؤها وكان الفقيد هو وصديقاه الحميان سعادتلو سعد باشا زغلول ناظر المعارف وسعادتلو احمد فتحي باشا زغلول وكيل الحقانية اول من قاموا بها · والمشاريع الخطيرة لا تقوم بها الا الهمم الكبيرة · وقد نشرنا هذه الخطبة بنصها لانها كانت آخر ما خرج من روحه الطيبة وهي حسبنا دلالة على مقام الرجل

نص الخطبة

قال بعد مقدمة وجيزة

,, أيها السادة · ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير في محله

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة · لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلادالاخرى أغنى جمعية في هذا القطر · ولكنها أفقرها جميعها

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة او وقف · من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب الجامعة شيئاً قليلاً لا يُذكر

ولولا ان عناية الجناب الخديوي ادركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشعور الوطني على نغمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم ايضاً · في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا ونطلب ان تتحقق فيه امانينا العزيزة · في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان انفع مشروع ظهر

في مصر ولد فيها ميتاً

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا أستطيع ان امنع نفسي من التصريح بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة ان يخفيه لشدة تواضعه وهو انه من اليوم الذي قبل فيه ان يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً

أيها السادة . ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

اذا أردنا ان ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى أنفسنا ونعرف قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا

يجب ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه فهو تعب ضائع

أيها السادة . ان من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد موظفين أو أصحاب فن يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية

والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال

وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها أمر التعليم العام بجميع فروعه ودرجاته واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عامية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة . نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى الاكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة . انا اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيراً واتعب قليلاً) ولا نجد فيهم العامل المحب لعمله أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد

فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها وانما نجد أفراداً قليلين . قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً ومن حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية .

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء — الاشقياء الذين يتمتعون و يتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادفة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة . ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالته وهو نتيجة من نتائج التربية الاولى . التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لا نهتم الا بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد المادية كعلاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الا اذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها له فليس معنى ذلك انه مفقود في بلادنا . حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن أرضنا ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين ان حب التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم

محمد علي باشا الى الآن

ولي أمل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتتمتع بالتوازن اللازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين وشكراً للاحقين في هذا العمل الصالح''

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادىء القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نيتش ضد دروين وربما غلبه

ان مبدأ ,, تنازع البقاء '' (١) مبدأ بسطه دروين ولكنه لم يثبت حتى الآن . واذا افترضنا وجوده — وهو موجود على ما يظهر — فانه لا يؤدي الى الغاية التي ذكرها دروين ونجترىء ان نود لو انه يؤدي اليها وهي (تغلب

(١) جرت تسمية هذا المبداء (تنازع البقاء) وأصله (التنازع من أجل الحياة) ير بدون معيشة الفرد وحياته

الاقوياء والمنازين) فان الثابت عندنا ان مبدأ تنازع البقاء يؤدى الى تغلب الضعفاء على الاقوياء . أولاً لان الضعفاء اكثر عدداً والاكثرية أغلب وثانياً لانهم أشد حيلة . ان دروين في مذهبه هذا قد نسي (العقل Esprit) ولا بدع فهو انكليزي . فالضعفاء اقوى عقلاً وحيلة من الاقوياء لانهم اكثر احتياجاً اليهما ولا توجد الحيلة والعقل الا حيث توجد الحاجة اليهما . اما ذو القوة فلا يبالي بالعقل والحيلة بل يعتمد على قوته . فمبدأ (تنازع البقاء) يؤدي الى غلبة الضعفاء بحيلتهم على الاقوياء وإعمالهم عقلهم في هذه الحيلة . واعني بالعقل هنا الصبر والاحتيال والكتمان والاحتمال وما جرى مجراها

نييتش ضد رنان

اللاهوت عبارة عن اختلال العقل . ومثاله رنان الذي كلما أراد ان يحكم حكماً فاصلاً بقوله (لا) أو (نعم) ظهر للسامع ظهوراً جلياً انه يكتم فكره وان ذلك الحكم خلو من كل جزم . ولقد اراد رنان ان يجمع بين (العلم وطبقة النبلاء) ولكن العلم من خواص الديموقراطية ومزاياها فكيف يمكن هذا الجمع . ثم أراد جعل (ارستوقراطية للعقل) ولكنه مع ذلك يجثو بخشوع لدى مبداء يخالف هذا المبداء وهو (انجيل الضعفاء) . ولا يجثو فقط جثواً بل .... فماذا ينفع الانسان كل ما له من فكر حر وتهكم وعصرية اذا كانت احشاؤه لا تزال مسيحية أو بالاحرى اذا كان لا يزال كاهناً (١) ولرنان سحر خلاّب كما لكل يسوعي وابتسامة منفرجة كأنها ابتسامة راهب . وهو كجميع الكهنة والرهبان لا يكون ذ خطر الا متى أحب أي متى احب شيئاً ودعا اليه بكل قوته . فليس أحد يشبهه في دعوته الى ما يحب ويعبد فهي طريقة خاصة به وتؤدي الى خطر على

(١) رنان كان كاهناً في شبابه كما بسطنا ذلك في ترجمته في مقدمة كتابنا « تاريخ المسيح »

الحياة . وان هذا (الروح الرناني) هذا الروح الذي يزعج النفس لانه يبذر فيها بزور التردد والحيرة انما هو مصيبة على فرنسا المسكينة يزيد في ضعف إرادتها فوق المصائب الاخرى التي اصابتها بضعف الارادة

مرضه وفلسفته وحقيقته

كانت أعوام الشدة التي مرت عليّ اكثر افادة لي من اعوام الرخاء . بل مرضي الطويل نفسه افادني اكثر من صحتي . ذلك انه افادني (صحةً عليا) صحة قويت بما طرأ عليها لان كل ما يطرأ على الانسان ولا يقتله فهو يقوّيه . وما نشأت فلسفتي الا عن مرضي . فانه لا شيء يكوّن فلسفتنا نحن معشر الفلاسفة ويُبرزها بتمامها الا الألم الشديد المتصل الألم العظيم الذي ينمو مع الوقت ويُكرهنا على النزول الى أعمق الأعماق مبعداً قلوبنا عن كل ثقة وبشاشة ونابذاً منا كل مجاملة بشأنها وكل توسط وتخفيف وتلطيف امور كنا نرى من قبل انه من الواجب الانساني التزامها . وانني اشك في هل يجعلنا ألم كهذا الألم ,, أفضل مما كنا قبله ‘‘ ولكني على ثقة من انه يجعلنا أعمق فكراً وأبعد غوراً . وذلك اما لاننا نعتاد مواجهته بكبرياء وتهكم وقوة إرادة واما لاننا ننكمش لدى ذلك الألم وننزوي في اعماق نفوسنا غير مبالين بشيء . ونفقد بعده الثقة بالحياة ولكننا لا نكرهها بل نحبها من وجه آخر . نحبها كما يحبّ الانسان امرأة يشك في امانتها

ومن الغريب انهذا الشعور يتبعه شعور آخر . فان الذي ينزل الى هاوية الألم هذه يخرج منها وقد تجدّد شباب نفسه كأنه خُلق خلقاً جديداً . يخرج وقد أصبحت حواسه أشد بشاشةونفسه اكثر ميلاً للفرح والمسرة ولسانه اكثر انطلاقاً في الاشياء الجيلة . ولكنه يخرج وهو لا يبالي بشيء من المسرّات الاعتيادية التي ألفها اغنياؤنا وحكامنا (ومهذّبونا) كالفن والكتّاب والموسيقى

وسائر (الملاذ الروحيّة) التي تُسقى (بالاشربة الروحية) وكل ما يعجب به غوغاء الناس و يدعونه سامياً وعظيماً · كلا انه يطالب حينئذ (فناً) غير هذا الفن أعني فناً (لاصحاب الفن) فقط والبشاشة كلها · ولله كم نتعلّم بعد ذلك الالم كيف يجب علينا ان ننسى و (نجهل) بعض الاشياء وان كنا على علم بها · واما تأثيرنا من حيث مستقبلنا فكونوا في اطمئنان · اننا لا نكون ابداً كفتيان المصريين القدماء الذين كانوا يدخلون الهياكل في الظلام و يقبّلون الاصنام فيها ويكشفون عنها غصباً الستائر التي كانت تغطيها وتحجبها لاسباب معلومة · كلا فاننا لا نريد اغتصاب الحقيقة ولا يكون هذا الذوق السقيم ذوقنا ابداً فان هذا من أفعال من هم فتيان في حب الحقيقة لا شيوخ · فكل هذا لا يهمنا · ولقد اصبحنا من الخبرة والجد والبشاشة والاحتمال و بعد الغور في منزلة تصوننا منه · ونعتقد ان (الحقيقة) لا تبقى (حقيقة) اذا مزقنا عنها الستار · فقد جرت العادة اليوم انهم لا يريدون فهم كل شيء ومعرفة كل شيء · (ومن عرف كل شيء احتقر كل شيء) سألت فتاة ساذجة امّها ,, أحقيقي ان الله سبحانه يرى كل شيء · يا أماه · اذا كان هذا صحيحا فانني لا أراه حسناً '' فربما كانت الحقيقة امرأة ذات حياء وفيها ما يوجب ان لا يُرى · فعلينا ان نكون كما كان قدماء اليونان : (سطحيين) في الظاهر و بعيدي الغور في الباطن · بمثل هذا يكون صاحب الفن صاحب فن (١)

مريم قبل التوبة

لم يتسنَ نشر الملزمة المعتادة من هذه الرواية التي يؤلفها صاحب الجامعة ذلك لانه كما يعلم القراء متغيب · وان شاء الله تُنشر في الجزء التالي

---

(١) نعيد التنبيه الى اننا نلخص تلخيصاً ولا نعرب حرفياً

أحد آثار رحلة

دعوة الجامعة السوريين المهاجرين الى الزراعة في الولايات المتحدة (١)

نسينا التعيم المسيحي فلا نعلم أي قديس كان ينتظر ظهور المسيح ولما حُمل اليه الطفل يسوع وأخذه بين يديه في الهيكل قال القول المشهور على ما ورد في التقاليد الدينية وهو ,, الآن أطلق عبدك ايها السيد حسب اقولك بسلام فان عينيّ قد ابصرتا خلاصك '' يعني انه منصرف براحة الى القبر بعد ان رأى ظهور المسيح

والجامعة تقول الآن لاخواننا السوريين المنتشرين في اقطار اميركا الشمالية: ان اليوم الذي ترى فيه الجامعة ان المهاجرين اهتموا للزراعة وامتلاك الارض وتربية المواشي كاهتمامهم للتجارة فانه يجوز لها ان تقول ,, اطلق عبدك بسلام فان عينيّ ابصرتا خلاصك ''

رأينا في الداخلية حامل البضائع السوري ينوء تحت حمله الثقيل ويطرق المنازل الحليّ منها والعاطل (٢) وهو يشكو ويتضجر شكوى يرقّ لها الحجر

ورأينا العملة السوريين في معاملهم يؤجرون ابدانهم وقواهم لمن يبتزّها

---

(١) مرّ على الجامعة «الجريدة» سنتان وهي تنشر الدعوة الى الزراعة وامتلاك الاراضي في الولايات المتحدة وتؤيدها بكل قواها وقوى مراسليها الادباء توجيهاً لانظار اخواننا المهاجرين الى هذا الامر الخطير. وحتى الآن لم ننشر في المجلة شيئاً يذكر بهذا الشأن افادة لقرائها في الخارج فنشرنا هنا هذين الفصلين وقد نُشر احدهما في الجامعة الجريدة

(٢) أي الذي لا حلية له غير ذلك

ابتزازاً ويُفنيها تدريجاً في جوّ المعامل المشبع غباراً وغازاً · ويبقيها أجيرة له ما بقيت لها من الحياة بقية محرومة استقلالاً واعتزازاً

ورأينا التاجر المتسكع في تجارته تسكعاً في نيويورك والداخلية يُصِرُّ بعناد عجيب وصبر غريب على التجارة ببضائع أصبح التعب فيها ضائعاً أو كالضائع · وهو يستقرضها ويقرضها وحين الاستحقاق يعلم ان ما عليه معجّل وان ما له مؤجل · الى ان يعود القارظان · ويلتقي الفرقدان

رأينا كل هذا ورأينا بجانبه ان مساحة الاراضي المزروعة في الولايات المتحدة ٨٤ مليون هكتار والاراضي غير المزروعة تملأُها الاحراش وتعوزها يد الانسان ١٥٢ مليون هكتار · فقلنا أي افعى هائلة التفّت على جسم نزالتنا العزيزة ومنعتها حتى الآن من الاقبال على الزراعة · أي سحر غريب جعلنا ان نُغمض عيوننا عن مغذية البشر وملطفة الاخلاق ومصححة الاجسام

ان الاميركان مصابون الآن بالجنون الذي أصاب جميع البشر في هذا الزمان وهو (الانجذاب الى المدن) للاقامة بين زخارفها ولذلك تراهم يعرضون حقولهم ومزارعهم للبيع وهي فرصة ثمينة الآن فما الذي يمنعنا ان نغتنمها

كان الذُّ ما سمعته في رحلتي واحاديث الاخوان السوريين من قرآء الجامعة عن الزراعة · وما كنتُ اظن ان ما نشرته الجامعة في هذا الشأن يكون له هذا التأثير لديهم · فالعامل في معمله يفكر منذ الآن في ان يقتصد مالاً للشروع في الزراعة · والتاجر الصغير يقول بعد سنتين ساشرع فيها · وفي بوتاكت قال لي جناب الفاضل يوسف افندي عساف الذي يشتغل بصناعة جميلة وهي تزيين المنازل وفرش جدرانها بالورق الملون : اسأل الله ان لا اموت الا في مزرعة فاجبته : وأنا اتمنى امنيتك ايضاً

وقد ظهر لي ان كثيرين من اخواننا السوريين شرعوا في شرآء المزارع

ولم تتصل بنا أخبارهم . فانا اعتب عليهم . وما ذلك لان نشر اخبارهم يهمهم أو بان الجامعة تفاخر بنشرها فانها لم تكتشف الزراعة اكتشافاً بحمدالله وانما قدمت من بلاد مصر وهي بلاد زراعية محضاً وملكها وامراؤها ووزراؤها واغنياؤها مزارعون فبديهي ان تهتم للزراعة هذا الاهتمام

وانما نعتب على الاخوان لاننا نعتقد ان كل مزرعة سورية تحدث وتنشر اخبارها وعلى الخصوص اخبار نجاحها يؤثر هذا النشر احسن تأثير في تأييد هذه الدعوة فيزيد عدد المقبلين على الزراعة

في بوتاكت

استئجار مزرعة

المزرعة الاولى — ومن المزارع الجديدة التي علمنا بها في سفرنا مزرعة جناب الخواجا الياس مهنا قرب بوتاكت (كناتكت) فقد انشأ حضرته منذ زمن فرناً لصنع الخبز السوري للسوريين في بوتاكت واذ كان غير راضٍ في عمله احتار في ماذا يعمل . فاشار عليه جناب الفاضل يوسف افندي عساف احد اصدقاء الجامعة في بوتاكت ان يعمل في الزراعة فاستأجر منذ شهر مزرعة قرب بوتاكت مساحتها ١٦ اكراً تزرع و ٤ اكر حرش يقطع منه الحطب . وفي المزرعة بئر ماء ومنزل فيه ٨ غرف واصطبل للماشية ومربّى للطيور كالدجاج وغيرها مساحته ٥٠٠ قدم وهو مصون باسلاك من كل الجهات ومربى للحمام وهو مصون باسلاك ايضاً حتى من جهة سقفه لئلا يطير الحمام — والاجرة هي ١٥ ريالاً في الشهر

وانظروا النكتة . ان الخواجا مهنا كان يدفع في بوتاكت ٩ ريالات في الشهر اجرة لمنزله . ويدفع ايضاً ٨ ريالات في الشهر ثمن الحطب لفرنه . الجملة ١٧ ريالاً . اما الآن فحطب فرنه يأخذه من حرشه وعيلته تسكن في

منزله في المزرعة٠ فكأنه يزرع ١٦ اكراً بلا اجرة ويستثمرها خضراً وبقولاً ويربي فيها انواع الطيور

في ماين

شراء مزرعة

المزرعة الثانية — والمزرعة السورية الثانية التي علمتُ بها قائمة في بوت باي هربر (ماين) لاصحابها حضرات الخواجات سعيد ومنصور وراضي فضول ٠ وفيها الآن الخواجا سعيد اما الخواجا منصور والخواجا راضي فانهما يقيمان وقتياً في كمبردج (ماس) ٠ وقد ابتاعها حضراتهم منذ بضعة أشهر بثمن قدره الفا ريال منها ٥٠٠ نقداً والباقي مقسط الى ١٥ سنة كل سنة قسط وهو مائة ريال وفيها ثلاث آبار للماء وماء باسطوانات للمنزل ٠ وعدد غرف هذا المنزل فيها نحو ٧ غرف وهوحديث البناء ٠ ومساحة ارض المزرعة ١٦٠ اكراً منها ٦٠ للزراعة و١٠٠ احراش فاذا قُطع حطب هذه الاحراش أربى ثمنه على ثمن المزرعة اذ ثمن كل عربة حطب مقطوع ثلاثة ريالات وربع ٠ وفي المزرعة محل لتربية المواشي طوله ٧٥ قدماً وحديقة تفاح فيها نحو ٥٠ شجرة تثمر ومحل نجارة لاصلاح الآلات اذا طرأ عليها طارئ

قال لي الاخوان الفاضلان الخواجات منصور وراضي من اصحاب هذه المزرعة حين لقيتهما في كمبردج (ماس) ان الاميركي الذي باعهم اياها لينزل الى المدينة قد ندم وعرض عليهم إرجاع الثمن واستردادها فأبوا٠ فتذكرتُ حينئذ اخواننا الذين يتركون البرّ وينزلون الى المدن الكبرى كنيويورك وغيرها ولديهم شيء من المال لا يعلمون ماذا يفعلون به فيضيعونه في هذه المدن ثم يعودون منها بخفي حنين ٠ ولو ابتاعوا مزرعة بدل نزولهم الى نيويورك واقاموا على حراثتها وتربية المواشي فيها لعاشوا عيشاً اهنأ من عيش ركفلر٠ وامتلأت خزائنهم

مع الوقت بالابيض والاصفر والاخضر(١)

من يريد شراء مزرعة على الطريقة التي اشترى بها الحواجات فضول اخوان؟ من يريد ان يكون من السابقين الى تأسيس النزالة السورية في اميركا على اسس وطيدة لا تتزعزع لا بصرصر ولا زعزع ؟ من يريد اقتناص الارض قبل فواتها ؟ فانني أرى المزارع معروضة للبيع في طريقي

رأيت العجب في لورانس

ولما كانت الزراعة السورية موضوع هذا الفصل فلا اذكر هنا شيئاً مما رأيته عن نهضة اخواننا في لورانس ماس من جريدة عندهم أيدوها وجمعيات الفوها وروايات مثلوها والفة عززوها ووداد صافٍ يستقبلون به الضيف فيصبح وكأنه في صداقتهم ابن ثلاثة اعوام مع ان معرفتهم به لا تتجاوز ثلاثة ايام . وهذه أمور سأتكلم عنها في فصل مفرد في الجريدة اظهاراً لفضل اخواننا اللورانسيين واعترافاً بجميل ودادهم . فقد غمروني حقاً بفضلهم ولطفهم ورقة اخلاقهم حتى عجز لساني عن الكلام ولكن قلمي لا يعجز تبعاً لقول ابي تمام

أأُقنع المعروف وهو كأنه قمر الدجى اني اذاً للئيمُ
فاروح في بردين لم يسحبهما قبلي فتىً وهما الغنى واللومُ

واحصر كلامي هنا عن الزراعة السورية في لورانس

صرفت يومين في افتقاد بعض المزارع السورية في لورانس . فعلمت ان الذين يعملون في الزراعة فيها بضعة من السوريين وهذه اسماؤهم

(١) ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء الغراء ووالده(٢) بربر افندي

---

(١) الابيض والاصفر معروفان عند العرب وهما الفضة والذهب واما الاخضر فهو لون الاوراق المالية الاميركية

البركس (٣) راجي افندي شنتيري ووالده (٤) الخواجا داود غنام (٥) الخواجا طنوس وهبه (٦) الخواجا سليم صباغ (٧) الخواجا ملحم حجار واخوه (٨) الخواجا الياس نقولا (٩) الخواجا بشاره سليمان · وربما فاتني ذكر غيرهم فارجو منهم المعذرة لعدم اتصالي بهم

مزرعة الخواجا بر بر البركس — لم اتمكن من زيارتها لسوء الحظ بعد ان اتفقت على ذلك مع الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي البركس · وقد اسفت جداً لانها مع مزرعة اسرة نجوم واسرة شنتيري اكبر مزارع السوريين في لورانس كما بلغني · وهي تمتاز بعنايتها بتربية البقر والاتجار بالبانها امتيازاً خصوصياً

مزرعة اسرة نجوم — قال لي الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء في لورانس اول ما التقينا اما ,,تزوروني لمشاهدة مزرعتي'' فاجبته ,, حباً وكرامة هذه هذه امنيتي في رحلتي'' · واول ما يلقاني المشتغل بالزراعة في الداخلية يسألني هذا السؤال لعلمه باهتمام الجامعة لهذا الموضوع خاصة · فجعلنا يوم الاحد الاخير من الشهر الماضي موعداً للزيارة

ومزرعة اسرة نجوم مؤلفة من ٦٠ اكراً من الارض نصفها تقريباً احراش ترعى فيها بقر المزرعة وعددها ١٨ رأساً والنصف الثاني مزروع · وفي وسطها منزل ذو عشر غرف · وفيها آبار تجري المياه منها الى المنزل في اسطوانات خصوصية · وعلى أحد الآبار مضخة تُدار بدولاب هوائي لاستخراج الماء · وفيها اسطبل للبقر يسع اكثر من ٣٠ بقرة ومخزن لخزن علفها · واسطبل للخيل · ونحو ٥٠ شجرة مثمرة · وقد ابتاعها الخواجات نجوم بسبعة آلاف ريال اميركي

مزروعاتها

فيها نحو ٢٠ اكراً تُزرع حشيشاً لعلف البقر · واحراشها يُقطع منها من

الحطب ما تبلغ قيمته ثلث ثمن المزرعة لو قُطع كله · وفيها ٤ اكر مزروعة ذره واكر ونصف بطاطاوثلث اكر بنجراً وثلاثة ارباع الاكر بصلاً وخمسة اكر بندوره (طماطم) وقثاء وباذنجاناً وكوسى وفلفلاً وغير ذلك · وثلاثة ارباع الاكر المزروعة بصلاً قد غلّت في العام الماضي نحو ٣٤٠ بشلاً من البصل ثمنها اكثر من ثلاثمائة ريال · مع ان ثمن الاكر كله لا يبلغ ١٢٠ ريالاً

بقرها وتجارتها بالالبان

ولكن ليس عمدة المزرعة على مزروعاتها مع انها لو زُرعت كلها لكان ريعها في كل عام ما يعدل ثمنها · وانما عمدتها على بقرها واتجارها بالالبان · ففيها ١٨ رأس بقر معدل ثمن البقرة ٥٠ ريالاً · ومعدل حليب البقرة في كل يوم من ١٣ الى ١٥ كوارتر حليب (لبن) · وهي تحاب ٩ أشهر في السنة · وفي كل يوم يأتي ملتزم شراء اللبن ويأخذ من المزرعة نحو ١٣٠ كوارتر حليب (لبناً) ثمن الكوارتر خمسة سنتات في الشتاء وار بعة ونصف في الصيف لان اللبن يرخص في الصيف لكثرته · فيكون دخل المزرعة من لبنها فقط في كل يوم نحو ٦ ريالات

ربح البقرة الواحدة

ولنحسب دخل البقرة وخرجها · فهي تأكل في السنة طنين من الحشيش ثمنهما ٢٨ ريالاً · و١٤٠ بشلاً من علف البقر ثمنها ٧٠ ريالاً · فيكون قيمة طعام البقرة الواحدة في العام ٩٨ ريالاً · اما دخلها فاذا حسبنا انها تحلب كل يوم ١٥ كوارتر ثمنها ٧٥ سنتاً فتكون تحلب في سنة حليبها (أي تسعة اشهر أو ٢٧٠ يوماً) ٤٠٥٠ كوارتر (اربعة آلاف وخمسون) ثمنها ٢٠٢ ريال ونصف · فاذا طرحنا منها نفقة البقرة التي تقدم ذكرها وهي ٩٨ ريالاً فيكون صافي ربح البقرة الواحدة في العام اكثر من مائة ريال · و بعبارة اخرى ان معدل نفقة البقرة في كل يوم ٢٥ سنتاً وثمن حليبها ٧٥ سنتاً

فسألت الخواجا نجوم واذا اصاب البقر وباء فكيف تفعل · فقال مضت عليّ سنوات ولم تصب بقرنا بوباء · واذا أُصيبت بقرة به فمصلحة الصحة تأتي وتداويها · واذا كان مرضها معدياً اخذتها مصلحة الصحة وقتلتها بعد ان تدفع لي نصف ثمنها الاصلي

وقد جلسنا وآل البيت الكرام تحت شجرة تفاح امام باب المنزل والطبيعة هادئة حولنا والاشجار تنشر لباسها السندسي والشحرور يغرد فيها كأنه حمام اليف لكثرته وازهار الربيع تتناثر علينا من الشجر · فلعمري انني ابيع مدينة باسرها بجلسة كهذه الجلسة · ولذلك غبطت الطديق ملحم افندي لمعيشته الجميلة · وفي الساعة الثالثة تقريباً حملتنا مركبة للمزرعة نظيفة انيقة وجواد جميل الى خط الترامواي على مسافة ميلين أو ثلاثة مع جناب الاديبين ملحم افندي البركس ونصر افندي حجار رفيقينا في هذه الزيارة ونحن نشكر لآل نجوم حسن ضيافتهم وكرم اخلاقهم

وقد زرت ايضاً مزرعة جديدة لجناب الاديب الخواجا وليم حجار وشقيقه النشيط وقد شرعا في قطع حطبها وزراعة ارضها ونشر الخشب من شجرها منذمدة لا تتجاوز الشهرين · فندعو لحضراتهما بالنجاح التام لنرى مزرعتهما في الزيارة التالية من أهم المزارع السورية في لورانس اتقاناً

بقي كلام وافٍ على مزرعة الخواجا شنتيري والخواجا داود سليمان لم يسعه مجال المجلة فسننشره في الجزء القادم أو في الجريدة



صورة

﴿ اعضاء اللجنة العاملة لجمعية السيدات السوريات الخيرية في نيويورك · وهي اللجنة الاولى في السنة الماضية ﴾

(١) السيدة حنه مدام نعوم نوفل (كاتبة الاسرار الآن) (٢) السيدة نوار مدام سليم شحفه (٣) السيدة سليمه مدام [m]ارف الخوري (٤) السيدة منه الخوري (٥) السيدة ليديا مدام نعمه تادرس (نائبة الرئيسة سابقاً) (٦) السيدة امينة مدام خليل [ز]يجي (٧) السيدة الماس حلبي (الرئيسة) (٨) السيدة منيرة مدام شكري رحيم (نائبة الرئيسة الآن) (٩) السيدة جليلة مدام [خ]ليل ابرهيم الشماس (١٠) السيدة روزه مدام جرجي الحاماتي (١١) السيدة ماري مدام نقولا باسيلا (كاتبة الاسرار سابقاً) (١٢) [ال]سيدة كاتي مدام خليل سيده (امينة الصندوق)



الجزء ٦ **الجامعة** السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك تموز — (يوليو) سنة ١٩٠٨ — جماد ٢ سنة ١٣٢٦

جمعية السيدات

ما مرّ على جمعية السيدات السوريات الخيرية في هذا الثغر العام حتى عملت ما لم يُنتظر منها في اعوام . وقد ظهر من مبراتها انها راسخة القدم . شديدة الهمم . قوية الشوكة في دولة البر . ومنصورة العلَم في محاربة الفقر . تجمع الاحسان باليمين . وشمالها تفرقه على البائسين . إنّ الله مع المحسنات والمحسنين . يثيبهم ثواب اتقيائه المؤمنين

وقد طبعنا في هذا الجزء على ورق مصقول نظيف صورة اعضائها العاملات الفاضلات اثباتاً لفضلهنّ وما آثرهنّ لكي تُحفظ في المجلة كتذكار للمؤسسات وكشذرة من تاريخ للجمعية . وفي اثبات فضلهنّ تشجيع لهنّ في المواظبة على جهادهنّ الحسن وانهاضٌ لهمم غيرهنّ من السيدات الفاضلات والسادة الكرام لكي يمدوا يد المساعدة للجمعية

ومما ننشره كل حين بعد آخر في الجريدة من اعمال هذه الجمعية المباركة يتضح لجميع القراء فضلها واخلاصها في خدمتها وثبات اعضائها في السعي المتواصل للقيام بما يفرضه عليهنّ قانونها

وقد علمنا ان في عزم الجمعية ان تفرغ جهدها في توسيع دائرة اعمالها حتى تضارع جمعية الشابات المسيحيات الاميركية Y.W.C.A. من جميع الوجوه فتكون واسطة خير وعضداً لكل امرأة وفتاة · وفي نيتها ان تشتري منزلاً خاصاً لها · فنسأل الله ان يأخذ بيدها ويحرك عواطف الفاضلات والفضلاء للاشتراك معها في مبراتها وثوابها

وفي هذا المقام لا يسعنا ان نغفل عن ذكران حضرة الفاضلة الغيورة ليديا عقيلة الوجيه الفاضل الخواجا نعمه تادرس هي صاحبة الدعوة الاولى لمؤسسات الجمعية وهي كانت ذات اليد الطولى في انشائها · وما زالت شديدة الغيرة في خدمة الجمعية وتقويتها وتعزيز شأنها · فنسأل الله ان يجزيها الثواب الجميل

ثم اننا نغتنم هذه الفرصة لنشر القصيدة الرقيقة التي نظمها نقولا افندي الحداد تقريظاً للجمعية ونشرناها في الجريدة في اول هذا العام : وهي هذه

بناتِ حوّا هاكنّ شعرا ... يُجلي سناكنّ حين يُقرا
ما الشعر الاّ رسم السجايا ... تلوح فيه الاخلاق غُرّا
تلقي عليها الاذهانُ نوراً ... يرتدّ عنها نظماً ونثرا
صوّرتُ فيه مجدَ حسانٍ ... يُنسخ عنها دهراً فدهرا
ذواتُ خدرٍ لطفنَ حتى ... غدا لهنّ الفؤاد خدرا
بدونَ للناظرين جهرا ... ودمنَ للناظرين سرّا
نبتنَ بين الرياض زَهرا ... وبتنَ بين النجوم زُهرا
وجئنَ بين الانام طُرّا ... ملائكاً كي يُذعنَ بشرى

رفعن فيهم رايات سلمٍ وما سواه يبغين أجرا
ان تبدِ يسرى الايام عسرا أبدين يمنى الايام يسرى
جنود خيرٍ تهزم شرًّا وجيش برٍّ يدحر فقرا
تكسو محيا الكئيب بشرا مهما يكُ الدهرُ مكفهرًّا
غلّت أيادي البأساء حتى قد أمِن الحظُّ واستقرًّا
ذوات ضعفٍ يدعين لكن أثرن حربًا ونلن نصرا
فدولة اللطف قد تولّت وما لحكمٍ ان يشمخرًّا
وهل لأهل العذار(١)عذرٌ ان لم يضاهوهنّ فخرا
محونَ بالفضل اثمَ حوّا إن صحّ ذا الاثم جرّ شرًّا
فيا عذولي بـالله صبرا فإنّ لي في النسيب عذرا
ان كنتَ صخرًا كن مغنطيسًا فيه فقد يهوى الصخرُ صخرا
أو كنتَ نبتًا فكن شعورًا فيه تجد في الشعور شعرا
أو حيوانًا فكن غرامًا فالحب يعلي الاطباعَ قدرا
من لي بغيدٍ كسفنَ الدراري حسنًا فبدرٌ يقود بدرا
ارسلنَ في ظلمة الرزايا انوار برٍّ ,,بيضًا وصفرا" (٢)
جمال خَلقٍ وحسنُ خُلقٍ سبحان من قد أعطى وابرا
من صاغ هذا الجمال شعرا وما رآه الأنام سحرا
ما خضتُ بحرًا وراء درٍّ الا أرى الدرّ فيه بحرا
فكل معنى يسوق معنى وكل شطرٍ يقود شطرا
لو كنتُ أبغي نظم القوافي ملأتُ منها سفرًا فسفرا
لكن دعاني للنظم أمرٌ وليس منـه أجلُّ أمرا

(١) العذار الشعر النابت في الخد . واهل العذار كناية عن الرجال . وفي البيت حث لهم على الاقتداء بالسيدات في تأليف جمعية عمومية

(٢) الفضة والذهب

سجّلتُ فضلاً تنال فيه ،، جمعية السوريات " فخرا
يبقى لها في الاسفار ذكرا والذكر للناس خير ذكرى (١)

نقولا الحداد

Real estate

المضاربة في اراضي البناء

في مصر واميركا

منشأ المضاربة بالاراضي في مصر

سبب غلاء ايجارات المنازل * افضل الطرق التي يتخذها المستأجرون لاستنزال الاجور * بحث اقتصادي يهم قراء الجامعة المتاجرين بالاراضي

بقلم نقولا افندي الحداد

في مصر الآن جمعية من مستأجري البيوت تسعى الى استنزال ايجارات المنازل لانها باهظة عليهم وقد لجأت الى رجال الحكومة بهذا الشأن

وكثيرون من السوريين في هذه الديار تحدثهم انفسهم الآن بالتجارة باراضي البناء و بالابنية و بعضهم شرعوا بها و بعضهم صارت حرفتهم الرسمية

ولهذا أرى ان البحث بهذا الموضوع الاقتصادي أصبح في حينه . ولعلَّ فيه فائدة لقراء هذه المجلة في اميركا ومصر وغيرهما

منشأ المضاربة بالاراضي في مصر

بعد ما انشئ الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية واخذت شركتاه

(١) الذكر التذكار . والذكرى التذكير

تمدّان خطوطه الى ضواحيها أخذت تلك الضواحي تعمَّر وتسكن طبعاً لان الكهرباء قربت الابعاد · فالاراضي التي كانت زراعية وتباع بالافدنة أصبحت مخططة شوارع ومهيأة للبيع بالمتر · والفدان الذي كان في عهد الزراعة يغلُّ عشرة مثلاً صار يغل في عهد الاستعمار والاستيطان مئة وربما تضاعفت غلة بعض الافدنة عشرين وثلاثين

فلما رأى الناس ان اراضي الضواحي تزداد غلتها باستعمارها صاروا يتطلعون اليها ويتهافتون لشراء كل ارض يمر فيها الترامواي أو يمكن ان يمر بها في المستقبل القريب أو البعيد · و بسبب هذا التهافت صارت اسعار الاراضي ترتفع تدريجاً ولا قياس لهذا الارتفاع الا مقدار الاقبال على الشراء بقطع النظر عن قيمة الاراضي الحقيقية المتوقفة على غلتها الحالية أو المنتظرة · ذلك لان الناس اندفعوا الى سوق الاراضي بالقدوة على غير تحقيق أو تروٍّ أو تبصرة في فائدتها المستقبلة · وقلَّ من كان يشتري ارضاً بغية ان يبني فيها لاجل سكناه أو لكي يؤجر المنزل الذي يبنيه فيها بل كان معظمهم وربما كلهم يشترون لكي يبيعوا ويربحوا فرق الثمن · أي انهم كانوا تجار اراضي · ولهذا كانت بعض الاراضي تباع وتُشرى في الاسبوع الواحد عدة مرار

ولما اشتد التهافت على هذه التجارة صار كل من عنده ارض زراعية في الضواحي يخططها ويقطعها قطعاً ويعرضها للبيع حتى ان بعض الاشخاص ألَّفوا شركات واشتروا اراضي زراعية وخططوها وعرضوها للبيع ايضاً

وأخيراً حُسبت الاراضي المهيأة للبناء في القاهرة ولم تُبنَ بعد فظهر انها تزيد جداً جداً على حاجة السكان الحاليين وانها لا تمتلئ كلها ابنية الا بعد عشرين سنة · هذا اذا اطَّردت زيادة السكان في المدينة على معدلها المعتاد

فاندفاع الناس في هذا التيار بالقدوة على غير هدي ولا تبصرة افضى الى

أمرين : أولاً الى تهيئة اراضي كثيرة للبناء تزيد على الحاجة الحاضرة جداً وثانياً ارتفاع اسعار الاراضي . وقد نجم عن كل من هذين الامرين اضرار مختلفة

فأولاً ان الاموال التي دفعها ذووها اثماناً لتلك الاراضي ستبقى مدفونة فيها بلا فائدة ولا ربح الى ان تُبنى وتُسكَن . وقد يمر عليها بضع سنين أو بضع عشرة سنة حتى يُحتاج الى بنائها ونلزم للسكنى . ولا فرق ان بقي صاحبها شخصاً واحداً أو تعاقب عليها عدة مُلاك فان النتيجة الاقتصادية واحدة . والرابح فيها هو الذي يربح فرق السعر اذا كانت الاسعار تترافع . والخاسر هو الذي يخسر فرق السعر اذا كانت الاسعار تتنازل . أو يخسر فائدة المال اذا بقي السعر على حاله . وأخسرهم في هذه الحالة هو من استملكها مدة أطول . فما تجارة اراضي البناء في هذه الحال الا بورصة أي مقامرة أو مراهنة على فرق الاسعار

ولذلك كانت اراضي البناء تتكاثر في مصر واسعارها تتزايد وكان المتاجرون بها يربحون ارباحاً باهظة جداً . وقد دامت هذه الثورة نحو سنتين أو ثلاث وفي العهد الاخير خمدت ووقفت الاسعار على درجة واحدة وبعضها تساقط قليلاً . وقد تتساقط اكثر في المستقبل اذا عدم الشارون الأمل بالربح منها سواء ببيعها أو ببنائها لانه لا يوافقهم ان تبقى أموالهم مدفونة فيها بلا فائدة عهداً طويلاً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . وحينئذ يخسر البائعون مقابل ما كان يربح الشارون الذين اشتروا قبلهم وباعوهم

وجرى في خلال ذلك ثورة كهذه الثورة في الخرطوم (في السودان) ودامت عهداً قصيراً ولكنها كانت أحدّ وأحمى من ثورة مصر فكان موظفو الحكومة هناك وغيرهم من المتمولين يشترون اراضي البناء في الخرطوم ويبيعون كأنهم في

بورصة فعلاً . و بعض الاراضي بيعت واشتريت مراراً في النهار الواحد . وأخيراً كانت النتيجة كالنتيجة التي رأيناها في مصر . وقد ربح كثيرون ارباحاً باهظة . فاذا عادت الاسعار تهبط فلا بد ان يخسر المتاجرون بها بعد الآن بقدر ما ربح الذين تاجروا بها قبلاً

سبب غلاء الايجارات

ولا يخفى ان اسعار الاراضي المعدة للبناء وهي لم تبنَ بعد — انما هي اسعار وهمية لا حقيقية . أي ان هذه الاراضي لا تغلُّ غلة تناسب ثمنها . وانما يُنتظر ان تغلَّ هذه الغلة في المستقبل . فاذا كان هذا المستقبل المنتظر قريباً جداً كان سعرها شبه حقيقي . وان كان بعيداً كان سعرها وهمياً وكان الشاري يشتري لكي يربح من فرق السعر فقط لا من الغلة . فان خدمه السعد بارتفاع الاسعار ربح والا خسر . ولهذا لا تختلف تجارة الاراضي عن المضاربة قط

ثانياً ان ارتفاع اسعار الاراضي الذي نجم عن هذه الحركة في المضاربة باراضي البناء افضى الى ارتفاع اسعار المنازل المبنية التي يسكنها الناس ايضاً لان السوق واحدة للصنفين أي للاراضي المعدّة للبناء وللاراضي المبنية معاً . ولهذا كانت تجارة الاراضي تتناول تجارة المنازل ايضاً . وقد نزلت منازل كثيرة الى سوق الاراضي واشتريت و بيعت وترافعت اسعارها تبعاً للسوق . ويستحيل ان ترتفع اسعار اراضي الضواحي ولا ترتفع اسعار المنازل بل ان هذه اولى بالارتفاع لانها حاضرة الربح

و بالطبع متى ارتفعت أسعار المنازل ترتفع اجورها لا محالة لكي تعادل النسبة بين اثمانها وغلتها كتعادل النسبة بين رأس المال والفائدة

وقد يسأل سائل قائلاً لماذا تظن ان ارتفاع اسعار المنازل هو الذي رفع الاجور ولا تحسب ان ارتفاع الاجور هو الذي رفع اسعار المنازل لان الاشياء

تُثمَّن بحسب ما يُستغل منها لا انها تغلُّ بحسب ما تُثمَّن . أي ان قيمتها بقدر غلتها

اقول نعم أن قيمة الاشياء بقدر غلتها ولكن ليست كل الاشياء محدودة الغلة . وغلة المنازل على الخصوص تابعة لسوق المؤاجرة (على قاعدة النسبة بين المطلوب والموجود) فاذا كثر المستأجرون على المنازل ترافعت الاجرة واذا قلوا عليها تنازلت . فلما حصلت ثورة المضاربة بالاراضي كما تقدم وصفها لم يعد أحد يشتري ارضاً لكي يبنيها بل لكي يتاجر بها أي لكي يبيعها ويربح فرق السعر . ولهذا اصبحت اراضي البناء (الا قليلها) بين ايدي تجار يتداولونها فكانوا حاجزاً منيعاً دون بناء اللازم بناؤه منها . وما زالوا الى الآن قابضين على تلك الاراضي يتوقعون من يشتريها . ولهذا لم تزد المنازل بقدر زيـادة السكان فاشتدت الحاجة الى السكنى وبالتالي ارتفعت الاجور مع ارتفاع اسعار الاراضي وأصبح المستأجرون تحت رحمة اصحاب المنازل

ولعل القارئ يقول وماذا يضرُّ اصحاب الاراضي المعدة للبناء ان يبنوها بدل ان ينتظروا من يشتريها أليس الافضل لهم ان يبنوها ويستغلوها

اقول نعم الافضل ان تُبنى وتُستغل لئلا تبقى اثمانها مدفونة فيها بلا فائدة . ولكن يحول دون ذلك أحد أمرين : الاول انه لا يوافقهم اقتصادياً ان يبنوا شيئاً حتى اللازم منها لانهم اشتروها غالية الثمن فاذا اضافوا الى ثمنها نفقة بنائها فمعدل الايجار الحالي لا يساوي فائدة مجموع ثمنها (ثمن الارض ونفقة البناء) وهذا تأكيدٌ لقولي السابق ان اثمانها وهمية لا حقيقية . ولهذا يفضلون ان ينظروا شارياً ولو بخسارة . وكانوا ينتظرون شارياً بربح حين كانت حركة الاراضي في ابان حدتها

والامر الثاني الذي يحول دون بنائها حتى ولو كانت لازمة للبناء هو ان كثيراً من الاراضي يملكها اشخاص ليس عندهم قوة مالية للبناء وقد اشتروهـا بكل مالهم لكي يبيعوها عند اول فرصة حين يمكنهم ان يربحوا من شرائها

افضل الوسائل لاستنزال الاجور

وإذ قد تبين ذلك جلياً واتضح السبب في ارتفاع اجور المنازل صار يمكن النظر في الوسيلة الممكنة لرد هذا الحيف عن المستأجرين

قرأنا في جرائد مصر انه تألفت جمعية هناك غرضها السعي الى استنزال اجور المنازل . ولم نرَ من مساعيها مسعى يمكن ان يؤدّيَ الى الغاية المقصودة. وجل ما أتته هذه الجمعية من المساعي الفعلية (غير الخطب والكتابات ونحوها مما لا يلتفت اليه اصحاب الاملاك ولا يحنن قلوبهم ولا يهمهم) هو انها استنصفت الحكومة في الامر

اما الحكومة فلا ترى وجهاً قط لالزام اصحاب الاملاك ان يخفضوا اجور منازلهم . ولا تستطيع لا هي ولا كبير رجالها ولا أحد في الدنيا ان يحابي اصحاب الاملاك ويحملهم على تخفيض الاجور رحمة وشفقة منهم أو فضلاً لان المسألة مسألة تجارة ولا محاباة فيها — هذا مفهوم طبعاً

فاذاً ما الفائدة من الالتجاء الى الحكومة بلا تعيين طلب يمكن تنفيذه ويؤدي الى الغاية المقصودة

ولكي يكون طلب تلك الجمعية أو سائر المستأجرين معقولاً ومفيداً يجب ان يكون اقتصادياً محضاً بحسب ما يلي لان المسألة اقتصادية محضة

اجور المنازل مرتفعة اولاً لان اسعار اراضي (المبنية وغير المبنية) مرتفعة . وثانياً لان المنازل لا تزيد بزيادة السكان . والاراضي غير المبنية مرتفعة الاسعار لان ذويها يتاجرون بها تجارة ولم يشتروها لكي يبنوها والا لما اشتروها بهذا السعر الباهظ

والمنازل لا تزيد الآن بقدر زيادة السكان لان الاراضي اللازمة للبناء اذا بنيت لا تغل بنسبة ثمنها لانها غالية الثمن كما تقدم

فلكي تهبط اجور المنازل يجب ان تكثر الابنية وتزيد على حاجة السكان . فما الوسيلة اذاً لاستزادة الابنية في حين ان اصحاب الاراضي لا يوافقهم ان يبنوها ؟

هل تقدر الحكومة ان ترغمهم على بنائها ؟ — كلا لا تقدر ان ترغمهم عنوة ولكنها تقدر ان تحملهم على ان يتسابقوا الى بنائها أو الى بيعها ولو بخسارة لمن يبنيها وذلك بان تضرب على اراضي البناء ضريبة تساوي ما تجبيه من المنازل التي يمكن ان تبنى فيها أي انها تعتبر كل ارض كأنها مبنية وتتقاضى من صاحبها الرسم على بنايات يمكن ان تبني فيها . وحينئذ يضطر ذووها ان يبنوها أو ان يبيعوها ولو بخسارة لمن يبنيها ومتى ابتنيت البيوت وزادت على حاجة السكان تساقطت الاجور طبعاً

ولما كانت الاراضي المهيأة للبناء غير لازمة كلها للسكنى في الحالة الحاضرة فمن الغبن أو الحيف ان تضرب الحكومة الرسوم المذكورة عليها كلها بل ان تقصر الضريبة على اقرب الاراضي وتعفي البقية الى أجل ينتظر عنده ان تلزم تلك الاراضي البعيدة للبناء

وربما اعترض البعض بان هذه الضريبة حيف على اصحاب الاراضي . فاقول هم اولى بتحمل هذا الحيف من عامة الشعب المستأجرين أولاً لانهم أقوى وأقدر على تحمله وثانياً لان طمعهم هو الذي افضى الى هذه المشكلة التي لا حل لها غير هذا الحل . وثالثاً لانهم في تجارة الاراضي مضاربون والمضارب معرّض للخسارة كما هو معرّض للربح

والذي اعلمه ان الحكومة المصرية تتقاضى من اراضي البناء التي لم تبنَ بعد رسوماً اكثر من رسوم الاراضي الزراعية أي انها تتقاضي منها الرسوم بالنسبة الى اثمانها . ولكن لم تزل هذه الرسوم دون الرسوم المضروبة على المنازل المبنية

وهب انها تساويها أو تكاد فللحكومة ان تزيد الضريبة الى حد يضطر

اصحاب الاراضي عنده الى بناء اراضيهم

ولعلّ بعض القراء يستهجنون هذه الطريقة فاقول انها غير مستهجنة البتة وكثير من الحكومات تتخذها دفعاً لجشع المتمولين المضاربين بالاراضي . وحكومة اميركا تضيق في كثير من الامور على الطامعين لاجل حماية مصالح العامة . وحكومة السودان نفسها ضيقت اكثر من ذلك في الخرطوم فانها لما خططت هذه المدينة وعرضت اراضيها للبيع كانت تعين لكل شارٍ أجلاً يبني فيه مع ان السكان هناك لا يشكون من قلة المنازل ولا من غلاء ايجاراتها وانما قصدت حكومة السودان من هذا الشرط القاسي سرعة عمران الخرطوم . فأحر اذاً بحكومة مصر ان تضطر أصحاب الاراضي ان يبنوا اراضيهم توسيعاً للعامة . أحرِ بها ان تضطرهم الى ذلك بطريقة أعدل وأخف وطأة وهي ضرب الضريبة السابق الالماع اليها

فالافضل اذاً لجمعية المستأجرين في مصر ان تقترح على الحكومة بواسطة ,, الجمعية العمومية '' و ,,مجلس الشورى'' ان تقرر ضريبة المنازل على الارض اللازمة للبناء التي لم تبنَ بعد . وهي أصح الطرق القانونية

نصائح لتجار اراضي البناء

بقيت الكلمة التي تهم السوريين المشتغلين بتجارة الاراضي في الولايات المتحدة وغيرها . وهي انهم اذا تدبّروا جيداً ما فصلناه آنفاً عن تجارة اراضي البناء في مصر يستطيعون ان يستخرجوا نصائح نافعة لهم في هذه التجارة . ونحن نحصلها فيما يلي :

اولاً يجب ان ينظروا الى مستقبل البلد أو الحي الذي فيه اراضي البناء معروضة في سوق تجارة الاراضي أي ان يتحققوا ان كان نمو البلد أو الحي واتساع نطاقه محققين أو لا . ولا بد من اسناد تحقيقهم هذا الى سبب

حقيقي محسوس . ولا يخفى ان الاسباب التي تؤدي الى نمو بلد أو حي ترتد كلها الى سببين اصليين جوهريين . اما ان يكون في البلد أو الحي مورد رزق عظيم لجمهور من السكان حتى يتقاطروا اليه ويزدحموا فيه أو ان يكون متنزهاً طبيعياً جميلاً في الصيف تطيب الاقامة فيه للمصطافين أو مشتىً دافئاً . وليس ما يجتذب الناس للسكنى مثل هذين الجاذبين العظيمين . فاذا لم يوجد احدهما فمستقبل البلد أو الحي بطيء والارض المعدّة للبناء فيهما قليلة الرواج في السوق والمتاجرة بها مخاطرة

ثانياً يجب ان يُنظَر الى الاراضي المخططة والمعدّة للبناء والمعروضة في السوق ان كانت وفيرة جداً بحيث انها تربو على الحاجة المنتظرة قريباً أو انها قليلة ينتظر بنائها كلها في العهد القريب . ولا بد في هذا النظر من اشتراك النظر السابق معه أي ان ينظر الى النسبة بين مساحة الاراضي المعروضة للبيع وبين معدل زيادة السكان فان كانت الاراضي اوفر كان الخطر في هذه التجارة أشد والعكس بالعكس

ولا يغرنك في هذه الحال ما تراه من تسهيل وسائل الشراء والدفع ونحو ذلك مما تستنبطه شركات اراضي البناء للترغيب والتحبيب فما هو الا من قبيل ترويج بضاعة ولا يضمن الرواج الحقيقي أي الناجم عن الحاجة الحقيقية الى اراضي البناء بسبب وفرة السكان . ولا عبرة في سهولة طرق الشراء وانما العبرة في سهولة طرق البيع . وما الفائدة اذا اشتريتَ رخيصاً وباقساط صغيرة جداً وكان يستحيل عليك ان تبيع لعدم وجود شارٍ حتى ولا مستوهب

ثالثاً يجب ان يُنظَر الى نسبة السعر لما يُنتظَر من غلة الارض (متى بُنيت) على معدل الايجارات المعتادة . فلا يغرنك ما تراه من ترافع الاسعار المستمر . فان سعر الاراضي قد يترافع بسبب اندفاع الجمهور مع التيار في هذه

التجارة وتهافتهم الى الشراء — قد يرتفع الى ان يتجاوز كثيراً أو قليلاً السعر الحقيقي أي السعر الذي يغل المسعر عنده الغلة المطلوبة · ولا تطمع بان تكسب من فرق السعر (مع علمك ان السعر تجاوز الحد) لظنك ان السعر لا بد ان يرتفع بعد · لانه بعد تجاوزه الحد في الارتفاع يصير عرضة للهبوط لا للارتفاع ولو كان الناس مندفعين في الشراء ويصبح البيع متعذراً جداً كما حدث مؤخراً في مصر فان الاسعار لم تهبط بعد ولكن البيع صار صعباً · وسبب عدم هبوط السعر حتى الآن ناجم عن ان الناس لا يزالون طامعين لان الهيضة الاخيرة لم تزل مؤثرة عليهم · ولكن متى مرَّ عهد كافٍ لاقناعهم بان الاسعار لا ترتفع لكي يربحوا كما يطمعون وخاب مؤملهم تتراخى ايديهم ويبيعون قانعين بالخسارة القليلة · وحينئذٍ تبتدئ الاسعار تتساقط تدريجاً

ومن يعش يرَ نقولا الحداد

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأتُ أُحبُّ أميركا

مثال من مدينة اميركية

٢

وعدتُ القارئ في المقالة السابقة ان أجعله يسوح معي سياحة صغيرة في داخلية الولايات المتحدة لأُريه جمهوراً غير الجمهور الذي ألفه في نيويورك وكان السبب في نفرته منه بل من أميركا كلها · واول ما أطلبه ان يتجرَّد من العواطف والمبادئ والافكار التي اكتسبها في الشرق وفي اثناء حياته كلها وينظر الى الكائنات حوله من أشياء واشخاص نظراً جديداً كأنه لم يرَ قارة غير هذه القارَّة ولا جمعية بشرية غيره هذه الجمعية

سبب خفيّ

اصبحتُ في وليمنتك التي عليها مدار هذين الفصلين في يوم أحد ففتحت نافذة غرفتي في الفندق فالفيتُ المدينة راقدة رقوداً تاماً كأنّ الظلام لا يزال يخيم عليها . فلم أرَ في الشارع ابن يوم ولا ابن الف يوم ولم اسمع صوت مركبة والقطار الذي كان يزعجني في الليلة الفائتة بصراخه وعويله في اثناء مروره المتتابع في المحطة المجاورة لفندقي سكت صوته الاّ قليلاً . فقلتُ حيٌّ هو اسم الرب هذا يوم الرب عند القوم فلننزلن لنرى كيف يقضونه

انحدرت من الفندق بعد ان كنت قد حططت الرحال في سبع مدن في تلك الولاية (كناتكت) وهي دنبري وبريجبور ونيوهافن ومريدن وور بري وترنتن وهرتفرد . وكنتُ قد بدأت في الحقيقة ان اشمّ رائحة جديدة لم أعلم سببها الا متأخراً . ونما وقفتُ عليه في بوسطن

والاسباب الخفية لا تُكشف الا في المكاتب

ان بوسطن أعظم المدن في الولايات الشرقية بعد نيويورك وفيلادلفيا . وكأنها نسخة مصغّرة من نيويورك بكل ما فيها حتى سكتها الحديدية تحت الارض (النفق) وفوق الارض (الاليفاتر) وانوارها الكهربائية الساطعة في شارع واشنطن الذي يشبه برودواي نيويورك . فمتى يصبح واشنطون نيويورك كواشنطن بوسطن

ساقتني قدماي الى مكتبة بوسطن العظيمة أو بالاحرى ارادتي لانني سرتُ اليها في الترمواي لا مشياً . وبناء هذه المكتبة أجمل بناء لمكتبة عرفته حتى الآن . وحسبها داراً لائقة للعلم انها مكتبة تجذب النظر الى جدرانها المربعة الشاهقة فقد نُقش في جهاتها الاربع اسماء جميع العلماء والادباء والفلاسفة ومشاهير الناس من عهد

اليونان والرومان الى اليوم نقشاً جميلاً تقرأه من الشارع ٠ ولكنه (صَلاته) أي بلا ترتيب ٠ فقد وضعو اسم كارنو مثلاً بين اسماء مشاهير العلم والفلسفة فأي كارنو يعنون ؟ أأحد رؤساء الجمهورية الفرنسوية السابقين أم أحد اجداده الجنرال ؟ كلاهما لم يعملا شيئاً يستحق هذا التخليد والتمجيد بازاء ابطال العلم والفلسفة الصناديد ٠ وقد رأيتُ اسم كارنو ولم أرَ اسم جول سيمون مثلاً ولعلَّ هذه من آثار العجلة الاميركية في كل شيء حتى العلم واعتداد الاميركان بالظواهر والنتائج اكثر من اعتدادهم بالبواطن والحقائق

ورأيت في المكتبة رجالاً ونساء جلوساً يطالعون ٠ فما يفعل هؤلاء الادباء في هذا الحَرَم الادبي المقدس ؟ لعلهم ليسوا باميركان ٠ انهضوا وانزلوا الى الشوارع حيث البنوك والمعامل وصوت المدينة تدعوكم الى الحركة والعمل والنشاط الغريب ٠ انتم اميركيون والوقت لديكم مال فلا تضيعوه في المطالعة والتفكير والتنقيب ٠ هذا ليس بأميركي ٠ ولكنني نسيت انني في بوسطن حاضرة العلم والأدب في الولايات المتحدة ٠ حيث تجارة الكتب أروج منها في كل مدينة اميركية غيرها ــ حيث مدارس العلم والفنون اكثر واقوى منها في أي مدينة اميركية ــ حيث صدرت اول جريدة اميركية في العالم الجديد (١٧ نيسان سنة ١٧٠٤) ــ حيث علا اول صوت يطلب الاستقلال عن الانكليز وارتفعت اول راية للتمرد عليهم ولا تزال المباني التي كانت تُقام فيها اجتماعات الشعب لهذا الغرض (ستي هول وفانول هول) قائمةً بجانب حديقتها الجميلة الكبرى التي مساحتها (٢٠ هكتاراً) ــ حيث يفاخرون بانهم يتكلمون انكليزية أصحّ من انكليزية سائر الولايات ــ حيث يباهون بانهم اقرب الى الامة الانكليزية في اخلاقهم ومشاربهم من سائر الامة الاميركية

وبعد هذا فهمتُ لماذا يُكثر المستر كرنيجي التبرع لانشاء المكاتب حتى

أصبح ذلك شهوته وهواه · فانه يعلم ان الشعب الاميركي شعب عملي تجاري صناعي واكثره عملة ما زالوا عملة أو عملة اغتنوا وأصبحوا تجاراً او اصحاب معامل · فهو يريد تعويدهم المطالعة والبحث ليرتقوا ادبياً كما ارتقوا مادياً فيرتفع بذلك معدَّل قوى الذكاء والنباهة في الامة · برافو مستر كرنيجي · على شرط ان لا تغض الطرف كل الغض عن الذين يموتون في الشوارع ولا يستطيعون الوصول الى هذه المكاتب · وهم أحوج الى لقمة منهم الى كلمة · والى مائدة منهم الى فائدة

اما الحل الذي وجدته في المكتبة لذلك السرّ الذي تقدمت الاشارة اليه فقد رأيته في تاريخ استعمار ولايات كناتكت وورود آيلند وماستشوستس وماين وهي ما يدعونه (نيو انكلند) أي انكلترا الجديدة · ولعل في هذه التسمية نفسها ما يشير الى ذلك السرّ وينمّ عليه

ان هذه الولايات التي يدعونها (نيو انكلند) كانت اول الولايات الاميركية التي عمَّرها المستعمرون الانكليز المدعون بطائفة البيوريتين · فان هذه الطائفة المشهورة في التاريخ الانكليزي هجرت انكلترا لتتمتع بحرية دينية مطلقة وتحفظ تقاليدها ومبادئها حفظاً مطلقاً فحطت رحالها في هذه الولايات وأخذت تصارع الطبيعة والهنود سكانها الاصليين فدحرتهم الى الداخلية وشرعت تبني البلدان وتقطع الاحراش وتزرع الارض — امور كانت يومئذ فوق الطاقة البشرية لو لم تسندها وتؤيدها مبادئها الدينية واملها في ان تعيش مطلقة الحرية في هذه المبادئ · ومن هنا ابتدأ التمدن الانكليزي في الولايات المتحدة وكانت هذه الولايات وما زالت قائدة شعب باقي الولايات كلها في كل ما يختص بالآداب الاجتماعية والعادات التقليدية · وكان من خواص مبادئ البيوريتين تقشف شديد · فهم يضغطون على حواسهم ضغطاً شديداً ويعدّون كل تمتع شراً صادراً

عن ابليس · وعندهم انه يجب قهر الجسد والنفس والانصراف الى الامور الروحية انصرافاً كلياً · فالخمرة عندهم شرٌّ كبير بل امُّ الشرور فيحرّمون شربها (١) والدخان شرٌّ صغير فكانوا يوجبون الحَدّ والقصاص على كل من يدخن تبغاً في الشوارع · وحفظ يوم الاحد أي الراحة المطلقة فيه سنة السنن عندهم · فكانت الابنة اذا زارت امها في يوم الاحد تُجزى أشد جزاءٍ · أضف الى هذه الامور التي يبتسم الناس لها اليوم رغبة حقيقية في طهارة المعيشة وحفظ الآداب الانجيلية وتوجيه قوى النفس الى الكمال الروحي · فهذه المبادئ كلها كان اول غرسها في هذه الولايات (ماستشوستس وماين وردو آيلند وكناتكت) والآن وقد مرّت القرون وقامت مبادئ وسقطت مبادئ وتحوّل الشعب الاميركي بكليته عن ذلك الغرض الروحي الذي نصبه امامه اجداده المستعمرون السذج يخيّل لي ولعلي غير مخطئٍ ان تلك (الريح الجديدة) التي شممتها منذ دخلت هذه الولايات وجعلتني اقول (الآن بدأتُ أحبُّ أميركا) انما هي أثر من آثار مبادئ البيوريتين القديمة اول مستعمري هذه الولايات · وهو عندي كأثر ريح الطيب يبقى في القارورة حتى بعد ذهاب الطيب منها وفراغها منه · بل هو عندي (خيال الخيال) الذي أشار اليه الفيلسوف رنان في قوله المشهور عن الذين

---

(١) من الغرائب التي سأبسط في الكلام عنها منع بعض المدن في هذه الولايات بيع المسكرات واقفالها جميع الحانات · فقد مررت في وستر (ماستشوستس) فلم أرَ فيها حانة (صالون) والبوليس مشغول « بكبس » المنازل التي يشتبه بانها تبيع خمراً او يجتمع فيها جمهور للشرب · وكمبردج (ماس) مدينة العلم (اذ فيها كلية هرفرد المشهورة) ليس فيها حانة ايضاً · والحانات في بوسطن تقفل بعد الساعة الحادية عشرة مساءً بينما هي تبقى في نيو بورك مفتوحة الى ما بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل · اما ولاية ماين التي اكتب هذه الرساله منها فليس فيها كلها حانة واحدة لان بيع الاشربة الروحية ممنوع فيها كلياً الا في الصيدليات حيث تؤخذ كدواء

عاشوا مستندين الى الدين · قال : ,, ان المتدينين يعيشون من الخيال · ونحن الذين كنا مثلهم وانفصلنا عنهم نعيش الآن من خيال الخيال · فبعدنا ترى من أي شيء يعيشون ؟''

الجديد الذي رأيته

قلتُ انني انحدرت من الفندق الى شوارع البلدة لاراها في يوم الاحد· فرأيت صورة غير الصورة التي اعتدت رؤيتها في نيويورك · رأيت الحانات مقفلة وليس فيها (تهريب للمشروبات) كما رأيت في نيويورك ·والشعب نشيط ولكنه هادئ يسير في الشوارع بسكينة وعلى وجهه لوائح فراغ البال بدل الاهتمام الشديد الذي يُرى في وجوه المجاهدين في سبيل الحياة · فكأنه يأكل خبزه ويحصل رزقه بتعب يسير لا بجهد كثير · ولم أرَ احدهم يثب وثباً في الشارع الى غرضه بل لاحظت انَّ مشيتهم الهوينا · ومن جميع السيدات اللواتي مررت بهنَّ ومررن بي في طول يوم الاحد واليوم الذي يليه لم الاحظ ان احداهنَّ شبيهة بنساء الشارع الرابع عشر في نيويورك وما فوقه فاما انني جاهل في صناعة (التمييز) بين المليح والقبيح من هذا الوجه واما ان النسا اللواتي هنَّ على ذلك المثال لا يهبطن الى الشارع · ولذلك كنتُ اشمُّ للشارع ريحاً طيبة ولم تقع عيني قط على رجل فيه يسارّ امرأة أو يداعب امرأة · وبعد الظهر كنت اتنزه مع بعض الاصدقاء على الضفة الجميلة للنهر المقابلة للمدينة بين المنازل الفخيمة المحاطة بحدائق غناء تسرّ الناظر وتروّح الخاطر فكانت السيدات والاوانس يمررن بي ولا يرفعن انظارهنَّ نحوي · فخيّل لي انني أرى عذارى شرقيات يحبس الحياء نواظرهنَّ الساجرة عن الارتفاع في وجوه ابناء السبيل · فلله كم لذَّ لي ذلك المشهد بعد ما رأيت في نيويورك من استرجال كثيرات من النساء فيها · فتذكرت حينئذ قول المسيو بول بورجه في كتاب كتبه بشأن سياحته

في اميركا وهو ان وراء طبقة النساء المسترجلات في اميركا طبقة تعيش معيشة عيلية محضة وآدابها المنزلية لا غبار عليها من أي وجه . اقول هذا ولستُ من الكارهين لاستقلال المرأة وتسلمها زمام نفسها . ولكن الحق يقال وهو ان اولئك العذارى والسيدات اللواتي كنَّ يمررن بي على ضفة النهر ولا يرفعن انظارهنَّ نحوي ويمشين متنزهات بجانبي بحشمة وأدب مشية ذكرتني مشية بناتنا ونسائنا — ان اولئك العذارى والسيدات كنَّ من أكبر العوامل التي أوجدت فيَّ ذلك الميل الجديد الذي ترجمته في صرخةٍ جعلتها عنوان هذين الفصلين وهي (الآن بدأتُ أحبُّ أميركا)

سقياً لكِ يا برية المدن وخلائها الواسع . يامن تصلحين ما افسدته المدنية وتجعلين النظر الى ابنائك يظنهم من طينة غير تلك الطينة . وانتِ ايتها الخيالات الادبية القديمة كم تعيش الآن منك ام حديثة ولذلك نرى انك في هذا أحق من الحقائق

بقي هنا سبب اجتماعي عظيم يحبب أميركا الى ساكنها خصوصاً المهاجر اليها وسنتكلم عنه في الفصل التالي وبعده ننظر في مستقبل اميركا ومدنيتها

آدم وحواء

أين سكنا

منشأ البشرية الاولى

المتطرفون في العلم الحديث يعدون آدم وحواء شخصين وهميين وجنة عدن حيث اقاما مكاناً خيالياً وقصة الابوين الاولين اسطورة تقليدية . على انه مهما يكن مبلغ هذه القصة من الصحة فلا بد من وجود الانسان الاول حتى ولو صح

انه لم يكن الا حيواناً أرقى من القرد . وعليه لا يعقل ان منشأ الانسان كان في كل صقع من اصقاع البسيطة بل لا بد ان يكون قد نشأ في صقع خاص وتفرّق نسله منه الى جميع انحاء المعمور

وقد اطلعنا على بحث علمي بهذا الموضوع لاحد علماء الاميركان الاستاذ غارت سرفيس برهن فيه بحسب الجيولوجيا على ان منشأ الانسان كان في القطب الشمالي لا في آسيا كما هو الظن الغالب . قال :

يعتقدون ان الفردوس الارضي كان في آسيا مستندين على التاريخ القديم الذي يفيد ان الامم التاريخية القديمة كانت متجمعة في سهل ايران المرتفع وتاريخ العبرانيين نفسه يفيد عن امور تتصل بتلك الجهات . وهذا الذي حدا الى الى الاعتقاد بان منشأ الانسان كان في ذلك القطر من اسيا

على ان الاسطورة العبرانية بشأن آدم وحواء ليست الا تقاليد أقدم عهداً منها . واذا جئنا نستقصي عقلاً هذه التقاليد حتى نتوصل الى مصدرها الاصلي وجدنا انها تقودنا الى بقعة كان فيها مخاليق لهم من الادراك والمعرفة ما يقدرهم على ان يتناقلوا تأثراتهم وتذكاراتهم الواحد من الآخر . فهؤلاء هم اول من وجدوا على هذه الكرة الارضية . وليس من الضروري الحكم بانهم كانوا في ذلك الموطن الاسيوي التاريخي . فهل يتسنى لنا ان نعلم موقع تلك البقعة التي نشأوا فيها . فاذا تسنى لنا ذلك امكننا ان نجيب على هذا السؤال „ أين مسكن آدم وحواء " باعتبار انهما يمثلان اوائل البشرية

يتراءى لنا ان الجواب في اليد . فان العلم الجيولوجي يظفرنا به . ومتى وصل الباحثون الى القطب الشمالي كانوا يضعون أقدامهم في جنة عدن . وغرض جميع الباحثين عن القطب الشمالي الآن انما هو استثبات ما اذا كان ذلك القطب أول يابسة نشأت فوق الماء وما اذا كانت تلك الارض اول بقعة صالحة للحياة

ومباحث المستر بايلي ويليس احد موظفي المساحة الجيولوجية الاميركية اظهرت ان البقاع التي حول الاوقيانوس المتجمد الشمالي التي لم يزعجها مزعج منذ العصر الجيولوجي الاول المدعو Paleozoic time تحركت حركة مركزية انثنت عنها الاقسام الشمالية من يوراسيا واميركا الشمالية

متى تكلم الجيولوجيون عن العهد الجيولوجي الاول عنوا عهداً لا يكاد يُتصور تقادمه. وكل خطوة يخطونها في ابحاثهم تدل على ان قشرة الارض متحركة تحركاً دائماً . فأولاً ظهرت اليابسة وابتدأت الجبال تتشامخ وثم جعلت السطوح العالية تنخفض والبحر يطغى على حواشي القارّات. والآن نحن نعيش بالقرب من دائرة جبال مستمرة الشموخ (والحق اذا نظرت الى خريطة الجغرافيـة الطبيعية وجدت ان جبال الارض متألفة على شكل نضوه أي دائرة غير تامة) ولكن حول القطب الشمالي لم تزل كتلة القشرة الارضية القديمة على شكل دائرة لم يطرأ عليها طارئ كأنها قد استتمّت تكوّنها قبل سواها فهي اذاً اقدم يابسة و بالتالي أول موطن للحياة ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد لم تزل حارة كحرارة المناطق الحارة الآن . ولهذا كانت صالحة للحياة

وليس بالجديد هذا الاعتقاد أي ان القطب الشمالي وما حوله من البر هو مركز الفردوس — والمراد بالفردوس مهد الانسان الاول . فقد خطر هذا الخاطر لكثيرين . ومنذ ربع قرن شرح عنه الدكتور وارن من جامعة بوسطن في سفر خاص . وغرض التحقيقات الجيولوجية الآن ان تؤيد هذا الاعتقاد كما شرحه . على اننا لا نتوقع ان نتصل الى حقائق تفصيلية ولكن يكفينا ان نتأكد ان الحياة نشأت أولاً في القطب الشمالي وثم نترك التفاصيل للتصورات وحينئذ تتراءى لنا تصورات عجيبة عنها

في الاوقيانوس الشمالي حوض عميق جداً وحوله ينهض اليبس القطبي أي

الصخور التي امتدت منها ضلوع الارض الحديثة · فتصوّر ان البحر هناك كالبحر المتوسط والبر محيط به والاحياء يعيشون حول ذلك البحر ونهارهم وليلهم اشهر · أي ان الشمس تظهر لهم في الصيف دائرة حول الافق فكلما مدّت الافق كل ٢٤ ساعة مرة تنهض ثانية ثم تبتدئ تغيب قليلاً و يبتدئ ان يطول الليل حتى تغيب الشمس اخيراً غياباً طو يلاً

وتصور حينئذ انواعاً مختلفة من الاشجار والبقول والحيوانات كانت عائشة فانقرضت ولم يبق الا احافير بعضها · وتصوّر مع ذلك آدماً وحواء أو عدة آدميين وحوّاآت يعيشون في عهد البساطة بقليل من الذكاء و يتمتعون بالحياة قانعين بما جادت به لهم الطبيعة · وحينئذ تشعر مع ملتون الشاعر الانكليزي كيف ان ,, الفردوس فقد " Paradise Lost

---

باب الاخبار العلمية

عجائب اللاسلكية

التصوير وترتيب حروف الطباعة من بلد الى آخر بلا سلك

التنويم بالنور الاحمر

اذا كان القرن التاسع عشر يسمى العصر الكهربائي فأحرِ بالقرن العشرين ان يسمى العصر اللاسلكي · فقد كنا فيما سبق نخال انفسنا في احلام وحقائقنا كالاوهام اذ نرى السلك يعمل العجائب بين الاقوام · فان البشر وهم متبعثرون على سطح الكرة الارضية يتفاهمون و يتخاطبون و يتعاملون كأنهم متجمعون في بقعة واحدة حتى أصبح من مألوفاتنا ان نتفاهم بالتلغراف ونتخاطب بالتلفون

ونسمع اصوات غيرنا بالفونوغراف ونرى عوائد الامم الغريبة عنا بالسينماتوغراف وقد يصبح مألوفاً عندنا ايضاً ان نكتب في نيويورك فيرتسم خطنا في لندن أو نأخذ صورة صديقنا هنا حين ترسم هناك . ذلك لان المستر كربونل المهندس البلجيكي توفق الى اختراع آلة تنقل الصور بواسطة الاسلاك التلغرافية . وليست فائدة هذا الاختراع في نقل الصور فقط بل بنقل الخطوط والامضاآت الرسمية والتحاويل المالية فيؤمن بواسطته الغش والتزوير . واصحاب الجرائد اكثر انتفاعاً به اذ يتسنى لهم ان يأخذوا رسوم الحوادث المفاجئة مع أخبارها

اما الآن فنكاد نستغني عن السلك بتاتاً في نقل الاخبار والاصوات والخطوط والرسوم من جهة الى جهة

فتلغراف مركوني ينقل الآن الاخبار بين شاطئي الاتلانتيك وقريباً يجعل ينقلها بين شاطئ الباسفيك ايضاً

والتلفون اللاسلكي أصبح ينقل الاصوات الآن على بعد بضعة عشر ميلاً ولا يبعد ان يتسني له ان ينقلها على أي بعد ارضي

ومؤخراً قرأنا ان هنس ندسن المخترع الدنيمركي بعد ما فرغ من اثبات صحة اختراعه للتصوير الفوتوغرافي على بعد بلا سلك اعلن انه سيعرض اختراعه الآخر الجديد لصف حروف الطباعة على أي الابعاد بلا سلك ايضاً

وقد قال لاحد محدثيه في لندن في الشهر السابق : لقد انجزت الآلة الاولى لهذا الغرض ونجَحت في اتمام وظيفتها فجمعت بها ٣ آلاف كلمة في ساعة

ولا يخفى ان لترتيب الحروف الافرنجية آلة تدعى ,,لينوطيب'' يُشتَغل بها كما يُشتَغل على الطيب ريتر (الآلة الكاتبة) فتمكن السرعة بها اكثر من الكتابة المعتادة . وهذا المخترع يرتب الحروف من بلد الى آخر بآلة على مبدإ اللينوطيب

وقال ايضاً : ,, ليس الوقت ببعيد حين يتسنى لمراسلي الجرائد الاميركية في

لندن ان يرسلوا اخبارهم الى جرائدهم رأساً لا لآلة الطبع أي انهم يشتغلون على العدد في لندن فتترتب حروف الاخبار في نيو يورك ''

وقال · ,, اني استطيع ان ارسل صوراً الى كل جهة يرسل اليها ماركوني اخباراً وفي وقت قصير يتسنى لي ان ارسل صور المجرمين وبصمات اصابعهم من انكلترا الى نيو يورك بلا سلك ''

وقد نسخ صورة الامبراطور غليوم والامبراطورة من غرفة الى غرفة من غير ان يستعمل سلكاً فاخترقت الكهربائية كل حاجز

التنويم بالنور الاحمر — اتصل في هذا الشهر بالبوليس السري في باريس خبر سرقتين امرهما محير ففي احداهما سرق اللصوص ثمينات منزل وهي محفوظة في خزانة سرّية ومفتاح الخزانة معلق في عنق صاحبها فأخذوا المفتاح واهتدوا الى مختفى الخزانة وفتحوها وانتهبوها · وفي الثانية انهم سرقوا خزنة حديدية والخفير نائم فلم يستيقظ · وبعد التحري اهتدى البوليس الى السر وذلك ان أحد هؤلاء اللصوص كان عرضاً في مستشفى فرأى طبيباً ينوّم أحد المرضى تنويماً مغنطيسياً بالقاء النور من مصباح ذي زجاجة حمراء على عيني العليل وهو مستغرق في النوم وكان في اثناء ذلك يخاطبه واخيراً صار يسأله فيجيب ·

وتبين ان اللصوص لما اطلعوا على هذه الحقيقة العلمية استخدموها لغايتهم · ففي الحادثة الاولى دخلوا الى المنزل بمصباح ذي زجاجة حمراء والقوا اشعة المصباح الحمراء على عيني صاحب المنزل وجعلوا يسألونه مستفهمين منه عن كنزه فدلهم على الخزانة الخفية وعلى مفتاحها المعلق في عنقه فانتزعوا المفتاح منه وفتحوا الخزانة وانتهبوها · وفي الحادثة الثانية نوّموا الخفير تنويماً مغنطيسياً ايضاً وامروه ان يبقى مستكناً ونقلوا الخزنة برمتها

وفي اليوم التالي كان المسروقين في حيرة لا يعلمون كيف ذلك ولا سيما لانهم لم يروا اثراً لشيء من المخدرات كالكلوروفورم أو الايثر

حق النساء في الحكم الذاتي

هل لهنَّ هذا الحق؟
وهل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يحصلنَ على هذا الحق

(بقلم نقولا افندي الحداد)

السلطة موضوع تنازع الامم والافراد منذ القديم . ففي عصور الهمجية والمدنية القديمة كانت السلطة في يد الاقوياء المستبدين وبالتالي كانت محصورة في الافراد المعدودين — هم الحكام الآمرون الناهون بحسب ما تلهمهم انفسهم الطموعة

ففي عصور الاستبداد كان اولئك الافراد يتنازعون السلطة . ولكن لما جعلت المعرفة تقلّص ظلّ الجهل وصار العامة يعتقدون بتساوي البشر في حق التمتع بالحرية وفي المساواة أخذ هؤلاء العامة ينازعون الاعيان قوة الحكم . ومن ثمّ نشأ امران الاول تجسم الديموقراطية أي اشتراك الافراد بالحكم . والثاني تحوّل السلطة من هيئة الحكم المطلق الى هيئة الادارة . ومن ذلك ان الحكم في اميركا يدعى Administration (ادارة) كأن الحكومة اصبحت كعمل يديره موظفون مستخدمون يتفق على استخدامهم جمهور الشعب . ومعنى ذلك ان تحكّم الفرد بافراد قد انقضى وقام مقامه تمتع الجمهور بالحكم الحرّ أي باختيارهم اشخاصاً اهلاً لان يديروا شؤونهم الاجتماعية والسياسية لا لان يتحكموا فيهم

وعلى ذلك نرى ان جميع امم الارض ساعية الآن الى هذه الغاية وهي طرح نير „التحكم الفردي" واقامة „الادارة الجمهورية" مقامه . وهذا هو منشأ التنازع الآن في الممالك التي لم تظفر بهذه الغاية تمام الظفر بعد كما نقرأ

عن احوال روسيا وايران وغيرهما من الممالك الشرقية

ومع ان هذا التحوُّل من ,, السلطة الفردية '' الى ,, الادارة الجمهورية '' يكاد يعم جميع الامم المتمدنة لم تزل فئة من البشر غير مشتركة في تأليف هذه الادارة · ففي بعض البلاد الجمهورية أو النيابية الاحكام يُقصَر حق الانتخاب على فئات معينة من جماعة الامة كذوي الاملاك مثلاً وذوي الصناعات ونحو ذلك · وفي معظم تلك البلاد النيابية الاحكام ليس للنساء يد في انتخاب الهيئة الحاكمة الادارية مع ان النساء نصف البشر فلذلك لما استتب للجمهور الحكم الذاتي وكاد ينتهي التنازع الذي بينهم وبين الاعيان نشأ التنازع بين الرجال والنساء · أي ان قوة الحكم الاداري بعد ما كانت موضوع التنازع بين الاعيان والعامة اصبحت موضوع التنازع بين الرجال والنساء

وفيما يلي بيان ما نالته النساء من حقوق الانتخاب كما ورد في تقرير السيدة فريدا رادل احدى زعيمات المطالبات بحق الانتخاب في همبرغ :—

ففي اوستراليا تمتعت السيدات بحق الانتخاب منذ ١٩ ايلول سنة ١٨٩٣ وفي نيوزيلاند يوجد ٩٠ الفاً من ١٤٠ الف سيدة بالغة يتمتعنَ بحق الانتخاب في الامور الادبية و بواعث الارتقا ومقاومة الاشربة الروحية · وفي بريطانيا العظمى يسوّغ القانون لانتخاب السيدات الانكليزيات ولتصويتهنَّ للعضوية في مجالس الشيوخ ولوظيفة ,, محافظ الفقراء '' في المدن والمقاطعات · وفي نروج يحق التصويت لكل امرأة تدفع ضريبة من ٧٥ الى ١٠٠ ريال في السنة · وفي اسوج يحق التصويت لكل امرأة تدفع من المكوس ٢٥ ريالاً على الاقل · وفي دنيمرك يحق للنساء ما يحق للرجال من التصويت تحت نفس الشروط · وفي ايسلاند حقٌّ للنساء ان يصوتنَ في الامور العمومية منذ سنة ١٨٨٢ وفي فنلاند النساء والرجال متساوون بحق التصويت تحت الشروط المعينة · وفي ندرلاند يوجد

لائحة تَعد بمنح النساء حق التصويت كالرجال . وفي فرنسا وبلجيكا والنمسا وسويسرا والمانيا النساء محرومات حق التصويت . ولكن في المانيا حركة تدل على ان السيدات متأهبات للجهاد في المطالبة بهذا الحق . انتهى

وفي الولايات المتحدة بعض الولايات خولت النساء حق التصويت ببعض الامور كادارة التعليم ونحوه

فما تقدم يُفهم ان النساء مفلحات في هذا الجهاد . وقد لا ينصرم عقدٌ أو عقدان من هذا القرن حتى يستوي حقهنّ مع حق الرجال في الانتخاب

ولا يخفى ان مطالبة السيدات بحق الانتخاب متنوعة فبعضهنّ يطالبن بحق التصويت فقط أي ان ينتخِبنَ ولا يُنتَخبنَ وبعضهنّ يطالبنَ بالحقين معاً . وبعضهن يحصرن المطالبة بأحد الحقين أو بكليهما معاً في بعض الامور دون البعض كادارة المعارف ومقاومة المسكرات ونحو ذلك . ولكن وجهتهنّ جميعاً واحدة وهي التدرج شيئاً فشيئاً الى التمتع بجميع حقوق الرجال تجاه الدستور الذي أصبح اداريّاً

وهو معلوم انه لو لم يكن حق النساء بالتصويت والانتخاب يحتمل النظر ويتردّد بين الشك واليقين لما قام هذا النزاع بين الرجال والنساء . فالمسألة التي هي نواة هذا الموضوع عند المفكرين به هي ,, هل يحق للنساء ما يحق للرجال في التصويت والانتخاب ''

والذي اراه ان التوفق الى حل مقنع لهذه المسألة لا يقضي اللبانه لانه قد لا يكفي لحل المسألة حلاً اجتماعياً ولهذا يجب ان نضيف الى السؤال الآنف سؤالاً آخر وهو : ,, هل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يتساوى الرجل والمرأة في حقي التصويت والانتخاب '' أي انه اذا استوى الجنسان بهذا الحق أفيستمر الرقي البشري صاعداً في سلمه أم انه يسرع أم يبطئ ؟

الاهتداء الى الحق في المسألة غير صعب ولكن الامر الجوهري هو التأكد ما اذا كان تقرير هذا الحق نافعاً للاجتماع لانه قد يكون ضاراً وان ظهر أنه حق • ويكون كذلك اذا كان هذا الحق قائماً على اساس مغلوط

المسألة الاولى

وللبحث في المسألة ننظر في طبيعة التصويت والانتخاب لنعلم ما الغرض منهما ومن ثم يسهل علينا ان نتحقق ما اذا كان للنساء حق بهما

غنيٌّ عن البيان ان القصد من اشتراك الجمهور بانتخاب نواب عنهم لاستلام زمام الحكومة انما هو ضمانة حقوقهم ومصالحهم لانهم لا ينتخبون رئيساً للجمهورية (أي مديراً لاعمال الحكومة) أو نائباً للمجلس الذي يسن الشريعة لكي يضعوا مصلحتهم في يده الا الشخص الذي لهم ملء الثقة فيه • فلو لم تكن لهم حقوق ومصالح يبتغون حمايتها لما اهتموا بانتزاع قوة الحكم من يد الحكام المستبدين واشتركوا كلهم بتعيين قيّمين عليها يديرونها وفقاً لمصلحة مُعيّنيهم

فاذاً الغرض من حق الانتخاب حماية المصالح والحقوق الشخصية • وعليه يحق لكل ذي مصلحة ان يَنتَخب ويُنتَخب • فاذا كان للنساء حقوق ومصالح تضطرهنّ الى الاشتراك بالانتخاب بمعنييه بغية حمايتها حق لهنّ ذلك الانتخاب لا محالة

في هذا الزمان قضت حالة الاجتماع الحاضرة وسنن المدنية الحديثة ان ينزل جانب من النساء الى رحبة العمل كالرجال فمنهنّ تاجرات وصانعات وكاتبات وطبيبات ومحاميات ومعلمات ومستخدمات في دوائر وشركات مختلفة كالتلغراف والسكك الحديدية والبوسطة والبنوك الى غير ذلك مما يطول سرده فلهذا حق ان يكون لهنّ أيدٍ في الانتخاب صيانة لمصالحهنّ هذه

على انه قد يُردّ على هذا القول بقول آخر وهو ان هذه الاشغال المذكورة

آنفاً غير محصورة بالنساء بل هي عامة يشتركن بها مع الرجال وهؤلاء اصيلون فيها . فاذا كان لا بد لكل فئة من ذوي الاعمال والاموال والتجارات والصناعات والمهن نواب في مجلس الامة يكفي ان يكون النواب رجالاً يحافظون على حقوق منتخبيهم وبالتالي تحفظ حقوق زميلاتهم من النساء بالطبع . أي انه اذا انتخب التجار مثلاً نواباً عنهم في المجلس لحفظ حقوق التجارة حُفظت حقوق التاجرات في الجملة فلا خوف على حقوقهن اذاً و بالتالي لا داعيَ اضطراري لتداخلهن بمسألة الانتخاب

اقول : يُعارَض هذا القول بانه اذا صح انه لا موجب لتداخلهن في الانتخاب فلا يمتنع هذا التداخل لان الذي لا يجب قد يجوز واذا كان جائزاً من طبعه فهو واجب لانه حق . ومطلب النساء هذا حق لانه ما دام الرجل والمرأة يداً ليد في الاعمال حق لها ان تكون يدها مع يده في الاحكام أيضاً — أعفِها من العمل بتاتاً فيحق لك ان تمنعها من الاشتراك في الحكم الذاتي

اضطرار المرأة الى الخروج من مملكة المنزل الى ساحة العمل خوّلها الحق بالاستقلال الشخصي في معظم الامور بل خوّلها التمتع باستقلال كاستقلال الرجل . فاذاً لها الحق ان تحافظ على هذا الاستقلال الذي تستحقه جزاءً لعملها ولا سبيل لمحافظتها عليه الا اذا اشتركت مع الرجل في الحكم — أعفها من العمل فيحق لك ان تردها عن التهافت في الاستقلال المطلق و بالتالي يجوز لك ان تحول دون مرامها من الاشتراك في الحكم

ومع ذلك هب انه امكن اعفاء المرأة من العمل باصلاح يرد الهيئة الاجتماعية الى حالتها الطبيعية التي تخصص فيها المرأة لسياسة المنزل والرجل لتحصيل الرزق فلا يسقط حق المرأة من التداخل في الحكم الذاتي سقوطاً مطلقاً بل يبقى لها حق في التداخل ببعض اجزائه لان لها مصالح مستقلة من طبعها كمسائل الزواج

والطلاق والميراث والمعاملات الزوجية والتعليم والتربية وغير ذلك مما فيه للمرأة مصالح جوهرية اصيلة وطبيعية ٠ فهذه الامور يجب ان يكون للمرأة في تشريعها وادارتها الرسمية يد ٠ ولو كان للمرأة حق الاشتراك في التشريع والقضاء والادارة والتنفيذ في هذه المسائل منذ القديم لما كانت شرائع الزواج والطلاق في اكثر الممالك حتى المتمدنة منها جائرة على المرأة ومداجية مع الرجل ٠ فاذا امكن اعفاء المرأة من العمل فلا يبطل كل حقها بسياسة الامة وادارة شؤونها بل يبقى لها حق التداخل بالامور الآنف ذكرها لان لها مصالح طبيعية شخصية فيها ولانها مستقلة طبعاً بهذه الامور بما لها من الحرية الشخصية ٠ فاذا كان لا يجوز بحكم العقل والضمير ان تُكرَه المرأة على زواج أو طلاق أو احتمال معاملة زوج اكراهاً وجب ان يكون لها يد في تشريع الشريعة التي تحميها من هذا الاكراه وتصون حريتها وراحتها وسعادتها

واذا لم يمكن اعفاء المرأة من العمل ولا امكن اصلاح النظامات الاجتماعية التي تغني المرأة عن العمل لكي تعود الى عرشها في المنزل بل بقيت مضطرة الى الجهاد في مضمار العمل لتحصيل الرزق حقّ لها كل ما يحق للرجل من الاشتراك في الحكم الذاتي ليس في مسائل الزوجية فقط بل في كل المسائل على السواء بلا استثناء ٠

المسألة الثانية

نعود الى المسألة الثانية وهي : ,, هل يوافق الهيئة الاجتماعية ان يتساوى الرجل والمرأة في حقي التصويت والانتخاب '' أي هل تستمر الهيئة الاجتماعية في ارتقائها اذا اشترك النساء مع الرجال في ادارة الحكم الذاتي

فيما تقدم تبين لنا ان الذي يخوّل المرأة حق التداخل في الحكم الذاتي انما هو اضطرارها الى النزول الى ساحة العمل لتحصيل رزقها فهذا الامر يقودنا

الى سوءالــ آخر فرعي على حله يتوقف حل مسئلتنا الثانية الرئيسية الآنفة الذكر . وهو : هل يوافق لهيئة الاجتماعية ان تشترك المرأة مع الرجل في العمل وتحصيل الرزق ؟

اراني مضطراً ان ابحث في موضوع آخر له من الاهمية ما لموضوع ,, تصويت النساء '' بل أهم منه جداً . واشباع البحث فيه يشغل فسحة رحيبة والمجلة تكاد تمتلئ وانا اكره بتر الموضوع بالقول ,, ستأتي البقية '' . وعليه اضطر الى الاختصار الكلي على موعد التبسط في حين آخر اذا اقتضى الامر

ولكي نعلم ما اذا كان من مصلحة العمران البشري ان تشتغل المرأة مثل الرجل نبحث في ماهية وظيفة كل من الرجل والمرأة في العمران . لما ائتلف الناس في هيئة اجتماعية بغية التعاون لتسهيل المعيشة وتوفير الهناء نشأ مبدأ توزيع الاعمال الذي يختصر سبل العمل ويغني عن كثير التعب ويوفر الهناء للجنس البشري . ومن ذلك انه توزع العمل بين الرجل والمرأة وأخذ كل منهما ما هو له . ولما كانت خلقة المرأة تقضي عليها بالسكون والهدوء لما يتعاقبها من الحمل والارضاع وتربية الاولاد اختصت بتدبير المنزل — هذه وظيفتها . واما الرجل فلأن الطبيعة اطلقت له حرية الحركة اختص بالسعي وراء الرزق وتدبير حاجات المنزل — هذه وظيفته . فوظيفة الرجل غير وظيفة المرأة وكلتاهما جوهريتان متوازنتان . وهما متساويان بحق التمتع والهناء والسعادة . ثم ان الطبيعة عينت لكل منهما وظيفة فلا يمكن ان يتبادلا وظيفتيهما بطريقة من الطرق وانما يمكن المرأة ان تشتغل معظم اشغال الرجل ولكن يستحيل على الرجل ان يشتغل الا القليل من اشغال المرأة . فاذا رامت المرأة ان تخلي وظيفتها وتنازع الرجل وظيفته أي ان تشتغل معه جنباً الى جنب نجم ضرران عظيمان يقوضان اركان العمران الاول : إضمحلال العائلة . ففي البلاد التي

تشتغل المرأة فيها كالرجل قلَّ النسل جداً وتقلص الحنو الوالدي وتصلبت العواطف حتى صار الوالدان والبنون كغرباء عن بعضهم · ووفر الطلاق لموت عاطفة الحب ووفرة الفساد وقلة الاخلاص · وتحول الناس من روحيين الى ماديين

الثاني الاختلال في نظام العمل الاقتصادي · فانه لما جعلت المرأة تزاحم الرجل في باب العمل اصبحت فائدة تعب الرجل أقل فلم يعد عمله كافياً لان يعوله وعائلته جميعاً كما كان قبلاً واضطرت زوجته ان تشتغل معه لكي تعول نفسها · نعم انه أُضيف الى دار العمل أيادٍ جديدة زادت الريع للعمران ولكن هذه الزيادة لم يغتنمها العمال والعاملات بل تسرَّبت الى خزائن المليونيين وأمثالهم

واذا كانت المرأة في هذا العصر مضطرة الى العمل فما هي الملومة لان الغلط متسلسل من القوانين والنظامات العمرانية · وهذا موضوع آخر يستغرق بحثاً مستفيضاً لا متسع له الآن

والخلاصة ان نزول المرأة الى ساحة العمل ضار بالعمران لا محالة · فاذا امكن اعفاؤها منه باصلاح النظام الاجتماعي فعادت الى عرش منزلها لم يبقَ ثمت موجب لتداخلها بالاحكام الذاتية الا في ما يتعلق باحوالها الشخصية الطبيعية التي سبق ذكرها

مريم قبل التوبة

لم يتسنَّ لصاحب الجامعة ان يكتب اللازم من هذه الرواية لهذا الجزء بسبب تغيبه وسعيه في مشروع تسهيل الزراعة للسوريين في كندا ولذلك نشرنا هذه المقالة مكان الرواية فنرجو القراء معذرةً

الجامعة

الجزء ٧ السنة السادسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — آب (اوغسطس) سنة ١٩٠٨ — رجب سنة ١٣٢٦

مشروع الجامعة وحكومة كندا

الارض مجاناً للسوريين

ليستعمروها و يستثمروها

الاتفاق بين حكومة كندا والجامعة بهذا الشأن بعد حديث صاحب الجامعة مع وزير الداخلية في كندا ووكيل الوزارة ومديري الاستعمار والمهاجرة

علم قراء جريدة الجامعة الكرام ان صاحب الجامعة قصد الى اتاوى عاصمة كندا وقابل وزير الداخلية وباحثه في أمر اعطاء السوريين اراضي زراعية مجاناً . وقد نجح في هذا المسعى وكتب للجريدة تفاصيل سعيه . وقد رأينا ان نثبت في المجلة تفاصيل مفاوضته مع سعادة وزير الداخلية بهذا الموضوع لكي تبقى محفوظة لمن يروم مراجعتها عند اللزوم لانها تشتمل على شروط الاعطاء

والتعاليم اللازمة للراغبين في الزراعة وها هي بنصها —

البانى (عاصمة نيويورك)

اكتب هذه المقالة من ألباني عاصمة ولاية نيويورك · وسأفصل فيها أهم الشروط التي تلزم لاخذ الارض مجاناً من حكومة كندا طبقاً لحديثنا مع جناب وكيل الوزارة وسعادة الوزير

الارض المجانية نوعان

قال حضرة وكيل الوزارة : الارض التي نقدر ان نعطيها للسوريين مجاناً نوعان · النوع الاول ارض صلعاء أي لاشجر فيها · والنوع الثاني أحراش يجب قطعها وتمهيدها · فأياً يفضلون ؟ فاجبت اننا نفضل الارض الصلعاء لان قطع الاحراش صعب ولكننا نحب ان يكون في تلك الارض حرش لقطع الحطب والخشب منه للوقود و بناء المنازل · فقال عندنا النوعان ولكم الاختيار

الارض المجانية

والارض التي يُشرى الاكر الواحد منها (اي الفدان تقريباً) بعشرين سنتاً فقط (اي بفرنك واحد)

قال : نقدر ان نعطيكم اراضي في ولاية مانيتوبا وولاية ألبرتا وولاية مسكتشوين (غربي كندا) فقلت اننا نفضل الارض في مانيتوبا اولاً لانني رأيت حاصلاتها في ادارة الاستعمار في مونتريال (١) ودهشتُ لخصبها · وثانياً لانها قريبة للمراكز العامرة وهي على حدود داكوتا الشمالية (الولايات المتحدة)

---

(١) مما ادهشني في حاصلات مانيتوبا المعروضة في ادارة استعمارها في مونتريال ان سنابل القمح تبلغ ارتفاع الانسان وثخانتها اضعاف ثخانة سوق القمح في بلادنا . كم من مرّة تكسرت آلات الحصاد في اثناء حصادها هذا القمح العظيم كما قال وكيل اميركا في كندا في احد تقاريره الرسمية

فقال ولكن اسرعوا في اخذ الارض فيها فانه لا يبقى منها بعد خمس سنوات موضع قدم مشاعاً لان المهاجرين يتقاطرون عليها من كل حدب وصوب . فقلت اذاً نعتبر ان كلامنا التالي هو على الارض في ولاية مانيتوبا

فقال نعم نقدر الان ان نعطيكم في مانتوبا . والعطية هنا مجانية . ولكن عندنا أراضٍ في ولاية غيرها ثمنها بخس جداً للزراع والمستعمرين . وهي ولاية كوبك التي هي أعمر ولايات كندا وفيها مونتريال ومدينة كوبك وبجانبها أتاوى العاصمة . فان هذه الولاية (كوبك) ليس فيها من الاراضي العامرة الا جزء من ١٥ جزءاً والاجزاء الاربعة عشر الباقية غير عامرة . ومساحتها وحدها اكبر من مساحة فرنسا . فكل مهاجر يمكنه ان يشتري فيها ٢٠٠ اكر (فدان) سعر الاكر الواحد ٢٠ سنتاً اي نصف فرنك فيكون ثمن المائتي اكر ٤٠ ريالاً فقط وستون على الكثير اذا كانت الارض أجود . ويُدفع من هذا الثمن ستة ريالات حين الاستلام والباقي مقسط . هل تريد ان أذكر لك شروط هذا الشراء

فقلت اكون ممتناً لحضرتكم . وهذا ما قصدتكم من أجله . وبناءً على تفصيلكم هذا صار كلامنا عن الارض التي تُعطى عطاءً والارض التي تُشرى شراءً وأُحب الوقوف على الامرين تفصيلاً

فقال . كل مهاجر نثق بصدقه في دعوى الزراعة نقدر ان نبيعه في ولاية كوبك في المكان الذي يختاره ٢٠٠ اكر من الاحراش بالثمن الذي ذكرته لك . وذلك على شروط

١ً — ان يستلم تلك الارض بعد مرور ستة اشهر من عقد البيع

٢ — عليه ان يبني فيها منزلاً طوله لا أقل من ٢٠ قدماً وعرضه لا أقل من ١٦ قدماً

٣ — ان يحتل تلك الارض اما بنفسه او بواسطة اناس يتفق معهم سنتين

على الاقل

٤ ـــ ان يقطع الاشجار على مساحة ١٠ اكرات من كل مائة اكر على الاقل ويزرع هذه المساحة . ولكن اذا كان يزرعها كلها فالحكومة تكون مسرورة اكثر . وكل الحطب الذي يستخرجه من الاشجار المقطوعة لكي يزرع في مكانها انما هو ملك لقاطعه

٥ ـــ ان صك المبيع والملك يسلم لصاحب الارض بعد مرور سنتين اذا عمل بهذه الشروط تماماً . ولكن اذا اهمل الارض ولم يزرع منها عشرها على الاقل فالحكومة تسترد الارض منه

والمهم في كل هذا ان ترى الحكومة ان الذي يأخذ الارض يريد زراعتها حقيقة فمتى تحققت الحكومة ذلك أصبحت كثيرة التساهل مع صاحب الارض . فأرضنا أرض للزرع لا للملك

ملاحظة مهمة

أقول ومعنى هذا الكلام ان حكومة كندا لا تبيع هذه الاراضي ولا تعطي الاراضي المجانية ايضاً الا للذين يثبت لها انهم يرغبون فيها لتعميرها وزراعتها لا لامتلاكها فقط والمضاربة باثمانها . والا لو كانت تبيعها لاي كان من اصحاب الاموال لاشترى اغنياء كندا واميركا جميع الولايات الكندية بتلك الاثمان البخسة . وفي نفس اليوم الذي زرت فيه وزارة الداخلية قرأت في جريدة (الطان) التي تصدر في اتاوى حملة بعض النواب على الحكومة حملة شديدة لاتهامهم لها انها تبيع الاراضي في بعض الجهات للمتمولين بثمن قدره ثلاثة ريالات للاكر . ولكن الحكومة ردّت عليهم بانها لا تبيع الارض للمتمولين قطعياً ولكنها تحتاج الان ١٥ مليون ريال لمد فروع السكك الحديدية في غربي كندا فعزمت (مع موافقة البرلمان) على ان تعرض ٥ ملايين اكر للبيع بثلاثة

ريالات الاكر وذلك لتحصل على الـ١٥ مليون ريال لنفقة السكة الحديدية ٠ فقال احد النواب ان غنياً اميركياً واحداً سيبتاع غداً هذه الملايين من الاكرات ٠ ذلك لان رؤوس اموال الاميركان من نيويورك وما وراءها تهاجر في هذه السنوات الى كندا لاشتراء الاراضي فيها اما لاحتكار الصيد فيها او لزراعتها او لقطع الحطب والخشب منها ٠ او للانتفاع بشلالاتها في انشاء المعامل فضلاً عن ادخارها الى يوم ترتفع اثمانها ارتفاعاً هائلا في مستقبل الزمان (١)

الهومستيد Homestead

او الاراضي المجانية التي منحت للسوريين في ولاية مانيتوبا

قال حضرته : تلك اراضي الشراء اما اراضي الهبة فاليك بيان امرها

كل من أراد منكم أخذ ارض مجانية فليذهب الى مانيتوبا كما اتفقنا ٠ وهناك يختار الجهة التي يريدها في الجهات المعينة (ودفع حضرته الخريطه اليَّ) فيحدد لنفسه مع مأموري الحكومة الخصوصيين هناك بهذا الغرض ١٦٠ اكراً (فداناً) ويدفع فقط ١٠ ريالات كاجرة تسجيل استلامه الارض ثم يستلمها ويشرع في العمل فيها ٠ وليس لنا عليه الا الشروط الآتية

١ — ان يكون ذكراً وعمره اكثر من ١٨ سنة

٢ — ان يقيم في الارض التي نعطيه اياها مجاناً من كل سنة نصفها

(١) في سنة واحدة وفد على بحيرة سان جان « ولاية كوبك » نحو ٢٢٠٠ غني من المتمولين لاستثمار تلك الجهة والانتفاع بمواهبها الطبيعية من شلالات ومعادن واحراش وتربية مواشي منهم ٢٠٠ من اوروبا و٨٥٠ من كندا والباقون من الولايات المتحدة نفسها ٠ وجناب وطنينا المقدام الخواجا خليل فرح المشهور لم يجنِ تلك الثروة الطائلة التي صارت مثلاً بين سوريي اميركا الشمالية الا لان حضرته أقدم على الانتفاع بمواهب كندا الطبيعية من اراضي واحراش ومعادن ٠ فليقتدِ به المقتدون لانه قد فتح لهم الطريق

على الاقل وذلك في مدة ثلاث سنوات ويكون في اثناء هذه المدة مشتغلاً بزراعة ما يمكنه زراعته من هذه الارض

٣ — يمكن لآخذ الارض ان يقيم في ملكٍ له غيرها على شرط ان يكون هذا الملك لا يبعد عن الارض التي أخذها مجاناً اكثر من ٩ أميال ويكون مساحة هذا الملك ٨٠ اكراً على الاقل

٤ — يمكنه ان لا يقيم في تلك الارض ايضاً على شرط ان تكون اقامته عند أبيه او أمه في مزرعة لا تبعد عن تلك الارض اكثر من تسعة أميال

٥ — عليه ان يبلغ مأمور الحكومة انه يقيم في ملك آخر لا في الارض او عند اهله طبقاً للشرطين السابقين

٦ — تسجل الارض باسم آخذها بعد مرور ثلاث سنوات على أخذه لها اذا كان قد عملْ بجميع الشروط التي مرّ ذكرها

٧ — عليه لتسجيل الارض باسمه واستلام اوراق ملكيتها نهائياً ان يُبلغ الحكومة رغبته في هذا التسجيل وهذا الاستلام قبل طلبه اياهما بستة أشهر

بألف ريال فقط

تعمل لنفسك شيئاً يسوى عشرة آلاف ريال في المستقبل

وتستخرج كل عام منها اضعافها وتعيش حراً

مستريحاً مستقلاً عن الناس

فقلت لحضرته . ولكن كل هذه الشروط سهلة لمن له ارادة . فهل تسمحون الان ان تقدّروا لي ما يلزم من رأس المال لاستثمار هذه الارض المجانية الواسعة واستثمارها

فاجاب حضرته (ذلك ممكن بألف ريال) لمن يريد ان يتدرج تدريجاً .

وهذا حسابها في تقدير بعضهم

ريال

٠١٠ ثمن الـ ١٦٠ اكراً واجرة تسجيلها

٢٥٠ ثمن زوج خيل للفلاحة

١٥٠ مركبة وحبوب للبذار

١٥٠ آلات ومعدات للزراعة تحتاج اليها المزرعة

٠٥٠ حطب مقطوع للاستدفاء

٠٥٠ اجرة فاعل يساعد في المزرعة حين الحاجة

١٠٠ لوازم للبيت من اثاث وغيره

١٠٠ حيوانات للتربية كخنازير وبقر

١٠٠ مؤونة غذاء سنة

٠٥٠ نفقات مختلفة

١٠١٠

وبهذا الترتيب يمكنه ان يجني من مزرعته حاجاته اليومية الى ان يكمل زرع جميع الارض فحينئذٍ تدرّ عليه الخيرات ولكن الصعوبة في السنة الاولى

وقد سافر زارع من ولاية كوبك وليس في جيبه الا ٨٠٠ ريال فأخذ ارضاً مساحتها ١٤٠ فداناً فاستخرج منها في سنة واحدة ٣٣٠ هكتوليتراً من الحبوب و ٢٥٠٠ حزمة من حزم التبن و ١٠٠ هيكتوليتر من البطاطا

وغيره لم يكن في جيبه سنت فأخذ ١٣٠ اكراً ومزرعته الآن تسوى اكثر من خمسة آلاف ريال · وهلم جراً

••*

هذا شيء من خلاصة الفوائد التي جنيتها من رحلتي الى كندا · وقد نشرته

للقراء عارياً من كل تصوّر وغزل وتحميس وتحريض . ذلك لانه غنيٌّ بذاته عن هذا كله . فان البلاغة المعنوية التي هي البلاغة الحقيقية لا تحتاج الى لباس أو طلاء مزخرف يكسوها . وليس بلاغة كبلاغة الارقام والموادّ المستقاة من مصادرها الرسمية

فاترك الآن الكلام الى جمهور القرآء الذين يهمهم هذا الامر وطالما سألوا الجامعة عنه وهو (تقصير كثيرين عن الاستعمار والاستثمار) بسبب قلة رأس المال . وبودي ان اسمع آراءهم لأعلم هل زالت هذه العقبة أم لم تزل بعد . واؤمل ان اقف على آراء زراعنا السوريين أو من يستعدون للزراعة بعد حين

وقد جمعت من امثال الفوائد التي تقدم بسطها هنا ما يملأ عدة اعداد من الجريدة والمجلة . فكل من اراد منهم الاستخبار عن شيء فليسأل الجامعة عنه والله الموفق الى ما فيه الخير والنجاح لنزالتنا العزيزة

فرح انطون

الملوك يُعمّرون

تدل اعمار ملوك اوروبا على ان مهنة الحكم صحية . فان الامبراطور فرنسوا جوزف قد بلغ الستين حاكماً وفي هذا العام احتفل بيوبيله الماسي . ويليه البرنس ليختنسون الذي يحكم رعاياه البالغين ٥ آلاف نسمة تماماً فقد حكم الى الآن ٥٢ عاماً ولم يطلب منهم جزية قط . واذا امدّ الله بعمر امير الجبل الاسود يحتفل بيوبيله الذهبي سنة ١٩١٠ . والملك جورج ملك اليونان في الخامسة والاربعين من حكمه الآن . وملكا البلجيك ورومانيا ليوبولد وشارلس حكما ٤٢ سنة والدوق جورج اف مينيغن اقام حتى الآن على عرشه الصغير ٤١ سنة والبرنس هنري اف روس في الاربعين من تبوئه التخت . ومن جملة الذين اقاموا طويلاً على العرش ايضاً جلالة سلطان تركيا فهو في الحادية والثلاثين من حكمه والامبراطور وليم في العشرين من حكمه

الفراسة

في ملامح الوجه

ليست الفراسة علماً باصول بل هي غريزة تقوى بالمزاولة

في الانسان غرائز عجيبة لا يفطن لها

يزعم علماء الفراسة ان في ظواهر تركيب الرأس وتكوينه أمائر تدل على سجايا صاحبه وأخلاقه . وقد توسعوا في ذلك فزعموا انها تدل على مآثره الماضية والمستقبلة وربما تطرّف بعضهم وجعل الفراسة في مقام النبوءة . ويزعم قرّاء اليد ان الخطوط التي فيها تدل تلك الدلالة ايضاً وتنبئ عن طوارئ الانسان الماضية والمستقبلة

ولهؤلاء واولئك تعاليل علمية لا ينفر منها العقل لان مرجعها كلها الى التأثير المتبادل بين العقل والدماغ والمجموع العصبي وظاهر البدن ولا سيما في الرأس واليدين . أي ان لبُنية الجسم تأثيراً على العصب و بالتالي على العقل وللعقل تأثيراً على العصب و بالتالي على الجسم — الامر الذي لا خلاف فيه عند الفسيولوجيين وعلماء العقل . وعليه لا يُنكر ان بين الافعال والانفعالات العقلية من جهة و بين تكاوين الجسم ولا سيما مواضع الحس الشديد كالرأس واليدين من جهة اخرى اتصالاً دائماً وتفاعلاً متبادلاً . وقول اليازجي بهذا المعنى

انما نحن في اختلاف عقولٍ مثلما نحن في اختلافِ وجوهِ

حقيقةٌ علمية راهنة . فلكل بنية مزاج وعقل ولكل عقل مزاج و بنية ولكل مزاج عقل و بنية . فدلالة ظواهر البدن (الرأس واليدين مثلاً) على المزاج والعقل و بالتالي على الاخلاق غير مستحيلة بل هي ممكنة أو راجحة او مؤكدة

وربما كانت فيها دلالة على حالة الاقنوم الانساني في الماضي والمستقبل ايضاً . ولكن الاهتداء الى قواعد هذه الدلالة هو موضع النظر ولا يزال في مقام الحدس والتخمين لا في منزلة الحق اليقين . وربما بقي كذلك الى ما شاء الله ذلك لان ضبط تلك الامائر والملامح والاسارير والنواتئ في قواعد مقرَّرة مطَّردة يستحيل — ولا اقول يكاد — لاختلاف الاشخاص بكل أمر

خذ مثلاً „ خط الحياة " في اليد فقد يكون في يد واحد اقصر منه في يد آخر لاختلاف بنية الجسمين: هذا رقيق وذاك بدين مع ان عمريهما يتعادلان تقريباً . فالحكم على مدة العمر بالنظر الى طول خط الحياة في الكف فقط لا يكون مضمونَ الصواب . فلا بد ايضاً من ملاحظة البنية والمزاج وغير ذلك من الاختلافات بين الاشخاص . واذا جئنا نقيد كل قاعدة (كقاعدة خط الحياة مثلاً) باعتبارات مختلفة حسب اختلاف الاجسام والامزجة وغير ذلك أصبحنا كأننا بلا قاعدة لاننا نضطر حينئذ ان نضع لكل فرد قاعدة . فكأننا لم نعمل شيئاً لاننا لم نستطع ان نجمع حقائق متشابهة لنصفها تحت نوع واحد نجعله قاعدة

ومن هذا التمثيل الآنف الذكر يفهم ان قواعد الفراسة وقراءة الكف غير مقرَّرة ولا هي مطردة فقد تصدق على فرد دون آخر لما تقدم من التعليل . فاذاً لا نستطيع ان نعتبر الفراسة أو قراءة الكف علماً أو صناعة ذات قواعد مطردة وان كان اساسهما التعليل العلمي لان حصر الحقائق والاستقراآت العلمية التي بني عليها هذان العلمان مستحيلٌ تقريباً . وربما كانت قواعدهما تقريبية قليلاً فتصدق بعض الاحيان القليلة

الاستدلال الغريزي

واذا كان قد ثبت ان للافعال والانفعالات النفسانية تأثيراً على الجسم

حتى ان هذا التأثير يظهر بالاكثر في ملامح الوجه وتكوين الرأس وان اعمال الجسم توثر على العقل ايضاً أفلا تتسنى لنا وسيلة للاستدلال على اخلاق الاشخاص واطوارهم من فحص ملامحهم وآثار افعال عقولهم في اجسامهم ؟

اقول لا نعدم وسيلة لذلك بل نستطيع شيئاً من الاستدلال المذكور . ولكن ليس بواسطة قواعد واصول كما هو مزعوم في علمي الفراسة وقراءة الكف بل بقوة الاستدلال الغريزي التي تقوى وتنمو بالمزاولة لا بالتلقن والتعلم والدراسة . وتمهيداً لذلك نبين للقارئ ان في الانسان غرائز دقيقة جداً غريبة الفاعلية قلما ننتبه لها لانها تعمل اعمالها من غير اجهاد العقل ولا اعمال الفكر أو الروية لانها على طول عهد المزاولة اصبحت فينا عادة او سجية أو غريزة

مثال ذلك القراءة . لما كنت مبتدئاً بتعلم القراءة كنت لا تستطيع ان تلفظ الحرف (قل ش مثلاً) قبل ان تتصوّر كل شكله وخطه الملتوي ونقطه . ثم لما تعوّدت تلفظ جميع الحروف واخذت تتعلم لفظ الكلمات لم تكن تستطيع ان تلفظ الكلمة مهما كانت بسيطة قبل ان تنعم النظر في كل حرف من احرفها ولهذا كنت تقرا ببطء كلي . ولكن على طول المزاولة اصبحت تلفظ الكلمة من مجرّد وقوع نظرك عليها مهما كانت عديدة الاحرف . وعلى طول الممارسة اصبحت تدرك الكلمة ولفظها ومعناها باسرع من لمح البرق حتى لم يعد لسلك يستطيع ان يجاري إدراكك . ولهذا صرت تفضل ان تقرأ ساكتاً أي من غير تلفظ لانك تسرع بالقراءة اكثر

فترى مما تقدّم انك على طول المزاولة اصبحت تقرأ بسرعة غريبة من غير ان تنعم النظر في كل حرف يقع عليه بصرك وهيهات ان تلتبس عليك لفظة باخرى مهما تقاربت احرفها و يندر ان تمرّ عليك غلطة في الطبع مهما كانت طفيفة من غير ان تلاحظها . ذلك لان بصرك يستوعب كل اشكال الحروف بسرعة غريبة لا تكاد تصدقها انت نفسك . فانت تقرأ وتفهم المعنى

من غير ان تعمل فكرك في تحقيق كل حرف أو كل كلمة كأنّ القراءة اصبحت غريزة فيك فتقرأ من غير تكلف أو معاناة أو اجهاد فكر

وليس ذلك فقط تمثيلاً على غريزية القراءة بل هناك برهان آخر اعجب وهو انك احياناً كثيرة وانت تقرأ ينتقل فكرك الى موضوع آخر خارج عن الموضوع الذي تقرأه ويُغرب ذهنك فيه حتى تكاد تنسى انك تقرأ ولكنك لا تزال تقرأ حتى اذا كنت تتلو ما تقرأه (أي تتلفظ الكلمات) لا يلاحظ سامعك انك شارد الفكر اذ لا يجد غلطاً في قراءتك فتكون انت تقرأ وغيرك يفهم · وفي هذه الحالة تكون عيناك ولسانك منشغلة بالقراءة حسب العادة ويكون فكرك منشغلاً بشيء آخر · ذلك لان القراءة أصبحت كغريزة فيك · ومتى انتبهت لنفسك وشعرت انك تفتكر بغير ما تقرأ لا تعود تذكر ما قرأت ولا تعلم كيف كنت تقرأ وفكرك شارد · وقد تستغرب ذلك من نفسك اذا حاولت تعليل هذا الامر · ولكن يندر ان يحاول احد تعليل ذلك لتكراره وتواتره وان كان غريباً · ومن طبع المرء انه لا يحاول تعليل الامر الغريب الا اذا كان نادراً

وقس على القراءة الموسيقى فان اللاعبين على الآلات الموسيقية متى مهروا فيها بعد المزاولة الطويلة لا يعودون يفكّرون قط في كيف يعزفون · فاللاعب على الكمنجة مثلاً لا يفكر قط في كيف ينقل اصابعه بل يكفي ان يتخيل اللحن واصابعه تطاوع هذا التخيل من غير اعمال فكر · وكثيراً ما يشرد فكر العازف في موضوع آخر ويظل عزفه مستقيماً خلواً من الخطاء · ذلك لان العزف صار كغريزة فيه

ومن ذلك اننا نقدر ان نميز الاشخاص الذين نعرفهم من مجرد سماعنا اصواتهم في الكلام من غير ان نراهم · ذلك لاننا ألفنا هذه الاصوات وصرنا نميز

بين اصحابها مهما تشابهت لان فرقاً دقيقاً جداً بينها لا نعرف كيف نصفه يكفي لان يدلنا على ان صاحب هذا الصوت فلان وصاحب ذاك فلان

واغرب من ذلك اننا نقدر ان نميز اصحابنا وجيراننا من مجرد وقع اقدامهم من غير ان نراهم وذلك اذا الفنا مرورهم كل يوم من جنب منازلنا وكنا نسمع وقع اقدامهم . اقول ذلك بناءً على اختباري الشخصي فاني منذ الحداثة كنت اعرف كل من كان من جيراننا يمرُّ من جنب منزلنا من غير ان اراه بل من مجرد سماعي خطواته ووقع اقدامه ولم أخطئ مرّة . واذا سألتني كيف كنت تعلم ذلك وما الفرق بين خطوات فلان وخطوات غيره اقول لك لا اعرف . اشعر ان هناك فرقاً بين خطوة زيد وخطوة عبيد ولكن لا أقدر ان أصفه لك بحيث تستطيع انت ان تميزه جيداً وتقول هذه خطوة زيد وتلك خطوة عبيد من مجرد مرورهما امام شباكك من غير ان تراهما . ذلك لان هذا التمييز ليس الا غريزة تقوى بالمزاولة

وهناك امور عديدة دقيقة جداً نميزها بقوة الغريزة من غير اعمال فكر أو روية ولا نعرف كيف نستطيع ذلك . ومن هذه الامور الحكم على اخلاق الاشخاص واطباعهم من مجرد نظرنا الى ملامحهم . وهو ما اسميه ,, الفراسة الغريزية ‘‘ أي التفرس من غير اعتماد على قواعد أو أصول معينة بل لمجرد الملاحظة الشخصية والعادة . وأي الناس يستطيع هذه الفراسة واذا تعمّد مزاولتها يبرع فيها

تعليل الفراسة الغريزية

بقي ان يعلم القارئ الكريم تعليل هذه ,, الفراسة الغريزية ‘‘ أي بيان كيف ان أي شخص يقدر ان يتفرّس ويحكم على اخلاق الاشخاص ويدركها من غير ان يستند على قواعد واصول مقرّرة . هو مدار مقالنا هذا

وبيانه فيما يلي :

قلنا ان للافعال والانفعات النفسانية تأثيرات على الجسم تظهر فيه · ولا مشاحة في هذا القول ونحن نرى ان سحنة المرء وهو غاضب غير سحنته وهو باسم وغيرها وهو حزين وغيرها وهو يائس الى غير ذلك · هذا في الانفعالات النفسية الوقتية المتقلبة المتغيرة · واما في الامزجة الثابتة فنرى ان سحنة البشوش الطبع غير سحنة العبوس وسحنة النزق غير سحنة الحليم الى غير ذلك

ومما تقدم نستنتج ان لكل خلق أو طبع لمحة في الوجه خاصة به وتدل عليه وتعبّر عنه كما ان لكل معنى لفظة تدل عليه · ولكن اذا شئنا ان نصف لمحة كل خلق أو طبع لكي نستطيع ان نلقنها لاولادنا مثلاً بحيث يمكنهم ان يفهموا اخلاق الشخص الذي يرونه لاول وهلة استحال علينا وعليهم ذلك لان هذه الملامح دقيقة جداً وعديدة جداً وملتبسة بعضها ببعض فلا بد لهم ان يزاولوا ملاحظتها حيناً بعد آخر عهداً طويلاً لكي يستطيعوا من انفسهم ان يحكموا على اطباع من يتعرفونهم جيداً و يصدق حكمهم — كما يزاولون القراءة طويلاً حتى يستطيعوا اخيراً ان يقرأوا جلياً وصواباً من غير اعمال ذهن أو روية

واذا كان لكل طبع أو خلق أو مزاج او مزيةعقلية لمحة في الوجه خاصّة به فبالطبع كانت لنا هذه القضية وهي ,, اذا تشابهت الاخلاق تشابهت الملامح وبالعكس ايضاً '' أي اذا تشابهت الملامح حكمنا بتشابه الاخلاق وكان حكمنا قريباً من الصواب ولا سيما اذا كنا دقيقي النظر في استيعاب كل الملامح أو معظمها · وهذا الحكم على الاخلاق يصدق ايضاً على العواطف والامزجة والمزايا العقلية الخ

لكل منا اصحاب ومعارف كثيرون وقد عاشرنا بعضهم كثيراً وبعضهم قليلاً · وبقدر ما عاشرناهم وعرفناهم درسنا اخلاقهم وعواطفهم واطباعهم

وامزجتهم وقواهم العقلية وامياهم وسائر احوالهم النفسانية · وفي الوقت نفسه انطبعت في اذهاننا ملامحهم بكلياتها وجزئياتها كما انطبعت فينا حروف الهجاء والالفاظ والعلامات الموسيقية والاصوات الى غير ذلك من المؤثرات الخارجية حتى ادق دقائقها · انطبعت في اذهاننا دقائق تلك الملامح وان كنا نشعر اننا عاجزون عن تفصيلها واعرابها وتمييزها بعضها عن بعض لكي نصفها · انطبعت ورسخت حتى صار في اذهاننا لاخلاق كل شخص ملامح خاصة كما ان في اذهاننا لكل معنى عبارة · لم اقل انه صار في اذهاننا لكل خلق لمحة لان الاخلاق في الشخص الواحد متعددة وممتزجة وبالتالي تظهر ملامحه المعبرة عن اخلاقه ممتزجة ايضاً · وهذا هو السر في تعذر تمييزها بعضها عن بعض وبالتالي هو السر في استحالة أو تعذُّر تقييد تلك الملامح في قواعد واصول للدراسة والحكم علمياً فيها

ولما كنا نعرف اشخاصاً كثيرين كما قلنا — نعرفهم باخلاقهم وملامحهم التي تدلُّ عليها صرنا اذا رأينا شخصاً جديداً فمن مجرَّد نظرنا الى ملامحه نعرف شيئاً من اخلاقه كثيراً أو قليلاً بحسب طول اختبارنا السابق ومزاولتنا عشرة اصحابنا ودرس اخلاقهم · وقلما تخطئ معرفتنا هذه · ولكن اذا فكَّرنا في كيف عرفنا ذلك أو على ماذا بنينا حكمنا فلا ندري لاننا لم نستند الى قاعدة بل نشعر اننا حكمنا كذلك بقوة الغريزة

والحقيقة التي هي تعليل هذه الغريزة اننا لما رأينا ذلك الشخص الجديد وحكمنا على داخليته أي على اخلاقه ومزاجه وامياله تمثل لذهننا شخص من معارفنا السابقين هو اقرب مشابهةً بالملامح لهذا الشخص الجديد · يتمثل ذلك الاقنوم (اقنوم الشخص الذي نعرفه) بملامحه واخلاقه وعواطفه فننسب هذه الاخلاق والعواطف للشخص الجديد بناءً على ما رأيناه فيه من الملامح التي الفناها في الصديق القديم معبِّرة عن تلك العواطف

مثال ذلك أعرفُ زيداً له لمحة قلة البشاشة وطبع قلة المزاح فاذا رأيت

عمراً لاول مرّة ولاحظت انه يشبه زيداً بقلة البشاشة حكمت لاول وهلة انه قليل المزاح ذلك لان بعض ملامحه (وهي تمثل عدم البشاشه مثلاً) التي تشابه بعض ملامح زيد استحضرت في ذهني قلة المزاح التي عرفتها طبعاً في زيد ــ قد يحضر في ذهني هذا القياس من غير ان تخطر لبالي شخصية زيد ٠ لان ملامحه هذه التي تقررت في ذهني كدليل على قلة المزاح صارت تستحضر في ذهني ايضاً هذه الخلة كلما رأيت تلك الملامح في وجه أي انسان كما استحضرتها حين رأيت وجه عمرو

على ان هذا المثال غير دقيق كالواجب وانما مثلته ايضاحاً لما تقدم من تعليل ,, الفراسة الغريزية '' التي تجتمع في عبارة موجزة هكذا : ,, الملامح التي الفناها دليلاً على اخلاق وعواطف خاصة بها تستحضر في ذهننا هذه الاخلاق والعواطف كلما رأيناها (أي رأينا الملامح) في وجه أي انسان ''

تفاوت الناس في قوة التفرُّس

هذا هو تعليل ,, الفراسة الغريزية '' على ان الناس متفاوتون في قوة هذه الغريزة فبعضهم اقدر من بعض في اصابة الحكم بموجبها لانها تحتاج الى أمرين : الاول الذكاء الطبيعي في التمييز والاستدلال وحدة البصيرة في استيعاب ادق الملامح ٠ والثاني طول الاختبار ووفرة العشرة ٠ ولهذا ترى ان الاشخاص الذين عركهم الزمان وعاملوا صنوفاً من البشر في احوال مختلفة اصدق حكماً من سواهم على اخلاق الاشخاص ولاسيما اذا كانت اعمالهم او وظائفهم تقضي عليهم باستطلاع دخائل الناس كقضاة المحاكم والشرطة السريين والمحققين واضرابهم

ثم اذا كان بعض الناس يعكف على مزاولة ,, الفراسة الغريزية '' يبرع فيها وتكثر اصابة حكمه حتى في ادق الامور ٠ والحكم بموجب الفراسة الغريزية عندي اقرب الى الصواب من الحكم بموجب علمي الفراسة وقراءة اليد ولا سيما اذا كان المرء يزاولها ويقوّي هذه الغريزة فيه ٠ وقد حاولت مراراً (على سبيل التسلية) ان اقرأ اخلاق بعض الاشخاص الذين لا اعرفهم من مجرد انعام النظر

في صورهم الفوتوغرافية معتمداً على ما اتوسمه من ملامحهم في تلك الصور . فكنت أصف اخلاقهم لمن يعرفونهم فكان قولي يصدق في كثير من الامور

التصنع يضلّ المتفرّس

وكثيراً ما تضل ,, الفراسة الغريزية '' عن الصواب بسبب ان الاشخاص الذين نتفرّس فيهم يظهرون خلاف ما يبطنون وقد مارسوا المواربة والمراآة والتظاهر فصارت ملامحهم المزوَّرة خلقةً فيهم وهي لا تعبّر عن حقيقة اخلاقهم وعواطفهم واميالهم . مثال ذلك ترى زيداً سمح الوجه طلق المحيا ملتوي الرقبة فتخال انه رحوم القلب شفوقه ولكن عند الاختبار تجد انه قاسٍ ظالم يستحل تضحية غيره لاجل مصلحته الشخصية وان ملامحه تلك قد غشتك وذلك لانه عوّد نفسه ان يتظاهر بالاشفاق والرفق بالناس فألفت سحنته تلك الملامح المزوَّرة وانطبعت فيها

لهذا كثيراً ما نضلُّ الحكم على الاشخاص المتصنعين المرائين . وكثيراً ما يصدق حكمنا على المخلصين والساذجين

وأوضح برهان على امكان تزوير الملامح والتصنع في اظهار معكوس الاخلاق ما نراه من الممثلين فانهم يمارسون احياناً تمثيل اخلاق غير اخلاقهم فتنطبع في سحنتهم الملامح التي تمثل تلك الاخلاق وقد تثبت فيها . وربما كانوا اقدر من غيرهم على تغيير ملامحهم واخفاء سرائرهم

وربما كان المجرمون الذين مارسوا الجرائم طويلاً أقدر من الكل على التظاهر بخلاف حقائقهم لانهم يضطرون الى التصنع لاخفاء جرائمهم فيصبح خلقةً فيهم

درس الماضي

وقد يمكن لمزاول الفراسة الغريزية ان يفهم شيئاً من ماضي الاشخاص

لمجرد انعامه النظر في ملامحهم لان كثيراً من تأثراتنا وانفعالاتنا الماضية تترك آثاراً على وجوهنا · فاذا رأيت كهلين الواحد أغضن الوجه مجعد الجبهة والآخر مصقولها قلتَ هذا كان قليل الهموم والاحزان في ماضيه وذاك كان كثيرها · على ان الحكم على الماضي أصعب وأقل صواباً من الحكم على الاخلاق والعواطف الحاضرة · ولعل المزاولة تسهل الصعب

واذا كان سلوكنا في هذه الحياة يترك آثاراً على جباهنا ومحيانا وتبقى هذه الآثار شهادة على ماضينا فاحرِ بنا ان يكون سلوكنا حسناً وانفعالنا بهيجاً ساراً لكي تبقى ملامحنا جميلة نقولا الحداد

الادبيَّات

تتمشى على نواميس الطبيعيات

الجاذبية والدافعية
واحدتان في العوالم الطبيعية والعقلية والاجتماعية

اذا حللنا الافعال النفسانية في الانسان والاعمال الادبية في الاجتماع البشري حتى تتضح لنا شرائعها ونواميسها وجدنا ان هذه النواميس تتشابه جداً مع النواميس الطبيعية حتى اذا تعمقنا في البحث عن اصولها وجدنا ان النواميس الاصلية تكاد تكون واحدة للعالمين الادبي والطبيعي معاً

الجذب والدفع في الطبيعيات

اذا حلَّلت القوات الطبيعية على اختلاف انواعها وجدتها كلها ترجع الى قوتين متقابلتين — الجذب والدفع

خذ مثلاً الاعمال التي تُعمل بقوة انحدار الماء كالمطاحن المائية المعوَّل عليها

في لبنان تجد ان القوة التي تدير الرحى هي قوة ثقل الماء المنحدر · وهو معلوم ان الثقل يُعبَّر عنه طبيعياً بقوة الجاذبية نحو المركز · أي ان جميع الاجسام التي على جرم الارض تميل نحو مركز الارض · فالقوة التي للماء المنحدر من الاعالي الى الاسافل انما هي قوة الجذب · على ان قوة الجذب هذه وحدها غير ضامنة دوام الحركة لانه اذا اقتصرت الطبيعة عليها وحدها تنتهي كل المياه المنحدرة من الجبال الى الاودية ثم الى البحار وحينئذ تنقضي قوة الماء المنحدر · ولكن في الطبيعة قوة اخرى هي قوة الدفع التي تجدد ما لافته قوة الجذب · فالمياه التي انحدرت من الجبال الى البحار تعود قوة الدفع فترفعها من البحار الى الجبال متذرعة لذلك بواسطة الحرارة التي من طبعها ان تمدد الاجسام أي تبعد اجزاءها بعضها عن بعض — أي تدفعها بعضها عن بعض — فقوة الدفع التي تتقمص في الحرارة تمدد الماء أي تدفع دقائقه بعضها عن بعض وحينئذ يتمثل لنا بصورة بخار أخف من الهواء فيصعد ممتزجاً فيه حتى يملأه ثم متى قلّص البرد الهواء والبخار المائي معاً أي جذب دقائق كل منهما بعضها الى بعض تساقط البخار مطراً في الجبال ثم ينحدر منها عن يد الينابيع ويجري في السواقي والانهر ونستخدم انحداره لادارة رحى المطحنة ثانية وهلم جرّا

ومفاد ما تقدم ان القوة التي تدير المطحنة هي بحسب الظاهر قوة انحدار الماء والحقيقة الطبيعية هي ان هذه القوة ترجع الى قوتي الجذب والدفع

ثم خذ مثلاً ثانياً الاعمال التي تعمل بواسطة الآلات البخارية فتجد ان القوة فيها ناجمة عن تمدد البخار وبتحليل طبيعة هذا التمدد (على نحو ما تقدم في تحليل انحدار الماء) نجد ان القوة التي مددت البخار حتى امكن استخدامه لاصدار الحركة في الآلة البخارية انما هي قوة الدفع التي تتمثل في الحرارة فتدفع دقائق الماء بعضها عن بعض حتى يصبح بخاراً يبتغي التمدد وهذا التمدد هو

صورة الحركة المستخدمة في الآلة البخارية • ثم انه يقابل قوةَ الدفع هذه قوةُ الجذب التي تجذب دقائق البخار المائي بعضها الى بعض وتردها سائلاً كما كانت • وحاصل ما تقدم ان التمدد المائي الذي يصدر الحركة في الآلة البخاريه منشؤه قوتا الجذب والدفع

ثم خذ ايضاً الآلات التي تتحرك بقوة الكهرباء تجد ان الحركة فيها ناشئة عن قوتي الجذب والدفع في المغنطيسية وان وظيفة الكهربائية انشاء هاتين القوتين المتقابلتين في الحديد أي مغنطيسته

دعنا من القوات الجمادية ولنوجه النظر الى القوات الحيوية • فاذا انعمنا النظر في القوة العضلية التي تتحرك بها اعضاؤنا كاليد والرجل والاصبع الخ وجدنا ايضاً ان الحركة العضوية ليست الا نتيجة تقلّص عضلة وتمدُّد اخرى أي نتيجة قوتين جاذبة ودافعة

واذا بحثنا عن حركة النمو في الاجسام الحيوية نباتية وحيوانية وجدنا فيها ايضاً نتيجة قوة كيمية عجيبة — قوة جذب تأتلف بها العناصر التي تصلح لقوام الجسم الحي وقوة دفع تنبذ العناصر غير الصالحة

ومن جميع ما تقدم يستفاد ان جميع القوات الطبيعية على اختلاف صورها ترجع الى قوتين متلازمتين متقابلتين هما قوتا الجذب والدفع

الجذب والدفع في العقليات والادبيات

واذا استقرينا النواميس الادبية على نحو ما تقدم من استقرائنا للنواميس الطبيعية وجدنا ايضاً ان القوات الادبية مهما اختلفت صورها ترجع الى قوتين متلازمتين متقابلتين كقوتي الجذب والدفع • فلنبحث عن هاتين القوتين الادبيتين لنرى ان كانتا تتفقان مع القوتين الطبيعيتين

ولنأخذ مثلاً الافعال النفسانية فنجد ان في النفس قوة تدعى „ الارادة“

وكيف تأملت في هذه القوة العقلية وتمثلت اعمالها وحركاتها وجدت فيها كلها معنى الجذب . لاحظ الالفاظ التي تستعملها للتعبير عن افعال الارادة كقولك . ابتغي . اطلب . التمس . أرغب . الخ فكلها تدل على معنى الأخذ والاستئثار أي الجذب نحو الذات . ويقابل هذه القوة قوة ,, الإباءة '' وهي بحسب التعبير عن القوى العقلية ليست الا الارادة السلبية أي عدم الارادة ونحن نُعبر عن افعالها بقولنا مثلاً : نرفض . نردُّ . ننفي . نُعرض . الى غير ذلك مما يدل على معنى الدفع عن الذات . فترى مما تقدم ان في النفس قوتي الارادة والإباءة وهما مشابهتان تمام المشابهة لقوتي الجذب والدفع في الطبيعة . ويمكن ان يكونا أنفسهما في العقل والمادة جميعاً والاختلاف في التسمية فقط

خذ ايضاً العواطف الانسانية كالحب مثلاً فتجد ان غاية الحب الاستئثار بالحبيب والاتحاد معه ومعنى الجذب جليٌّ في ذلك . ويقابل الحبَّ البغض وهو الاعراض عن المبُغَض ومجافاته وخزيه الى غير ذلك مما يفيد معنى الدفع . وعلى هذا النحو نستطيع ان نعلل الرضى والغضب مثلاً . واللذة والألم . والسرور والحزن . الى غير ذلك من الافعال النفسانية والعواطف القلبية

ولا يقتصر ظهور معنيي الجذب والدفع في تلك العواطف القلبية فقط بل يظهران ايضاً في ملامح الوجه التي تعبر عن العواطف وفي سائر حركات البدن التي تتبع الافعال النفسانية

ففي حالة الرضى مثلاً يكون المرء سخياً جوّاداً منعماً مرضياً سارّاً الى غير ذلك مما تقع فائدته على سواه فكأنه يعطي لا يأخذ أي يدفع لا يجذب ولهذا تبدو البشاشة على وجهه . والبشاشة لمحة تعبر عن عاطفة الرضى وهي عبارة عن انبساط الوجه وتمدّد اجزائه أي تدافعها بعضها عن بعض . وعكس ذلك الغضب الذي يحجم فيه الغضوب عن غيره ويجذب نفسه عن السخاء والمؤاساة والارضاء

ولهذا يتقطب حاجباه و يتجعدجبينه أي يتقلص وجهه أو تتجاذب اجزاء وجهه. ومفاد ذلك ان قوتي الجذب والدفع تظهران صريحتين في ملامح الوجه التي تعرب عن عواطف القلب

واذا استقرينا الالفاظ في جميع لغات العالم وأمكننا ردها الى اصولها فقد نرى ان الالفاظ التي تدل على معنى الجذب يتجاذب فيها اجزاء الحلق والفم . والالفاظ التي تدل على معنى الدفع تتدافع فيها اجزاء الفم والحلق . خذ لفظ ,, لا " مثلاً فتجد ان الشفتين تنفرجان فيه أي تتدافعان لان ,, لا " تعبر عن الدفع وعكس ذلك ,, نعم " فان الشفتين فيه تتلاصقان أي تتجاذبان لانه يعبر عن الجذب . خذ ,, احب " و ,, ابغض " ايضاً تجد ان الشفتين تتلاصقان في اللفظة الاولى وتتباعدان في الثانية . ومثل ذلك قولك ,, أريد وآبى " وارغب واكره الى آخره . ولا يندر ان تجد هذا القياس معكوساً في كثير من الالفاظ أي ان الالفاظ التي تنفرج فيها اجزاء الفم تدل على معنى الجذب والعكس بالعكس . فسبب ذلك ان هذه الالفاظ المعكوسة تقلبت عليها غِيَرُ الزمان فقلبتها ظهراً على بطن حتى بعدت عن اصولها وكثيراً ما افضى ذلك الى عكس دلالتها على احد معنيي الجاذبية والدافعية . ولنا دليل على ذلك في اللغة نفسها مما نراه من الفاظها الدالة على معنيين متضادين معاً مثل ,, بانَ " فان معناها ,, ظهرَ " ,, و بعد " ايضاً فلا بد ان يكون معنى هذه المادة الاصلي ,, البعد " لان لفظها يقضي بانفراج الفكين ولكن طرأ عليها معني ,, الظهور " طروءاً أو انها التبست بمادة اخرى قريبة لها لفظاً فحملت المعنيين معاً لان المعنى الاصلي لم ينقضِ بعد ولكنه منقضٍ تدريجاً بدليل ان معنى الظهور في هذه اللفظة اغلب على معنى ,, البعد " بل هو المتبادر الى الذهن اولاً عند سماع اللفظة واما المعنى الثاني فلا يتعين بلا قرينة

النتيجة

واظن في ما تقدم كفاية لبيان ان ناموس الجاذبية والدافعية يكاد يكون واحداً في الادبيات والطبيعيات أي ان هذين العالمين يتمشيّان على ناموس واحد هو الناموس الاساسي في كل الخليقة . واذا تعمقنا في التحري والبحث فقد نجد ان جميع النواميس الطبيعية الفرعية لها مقابل أو مشابه في النواميس الادبية الفرعية ايضاً . وقد يمكن ان تكون هي نفسها والفرق في التسمية فقط . وربما عدت الى هذا الموضوع في وقت آخر وبحثت في هذه النواميس الفرعية وابنت نفس البيان في الامور الاجتماعية ايضاً . والله الملهم الى الصواب

ن . ح

ساعة العالم

خطوة جديدة في سلك الابحر

(للعلامة غارت سرفس الاميركي)

من أهم المسائل الحاضرة التي لا يزال العالم يهتم في حلها تسهيلاً لاعمال الهيئة الاجتماعية انما هي نشر الوقت الفلكي العمومي المقرّر في بلد معين على كل انحاء المعمور (١) لانه على حل هذه المسألة المهمة يتوقف التسهيل العظيم

(١) اصطلح في انكلترا ومستعمراتها على ان يكون مثلاً وقت مدينة غرينوش في انكلترا الوقت العمومي لكل الكرة الارضية والفرنسيون جعلوا وقت باريس الوقت العمومي والالمان جعلوا وقت برلين والاميركان وقت وشنطون . ومعنى الوقت العمومي انه اذا توقعت الساعات الموجودة في اماكن مختلفة على سطح الكرة الارضية

والفائدة الجلى لفن البحارة وتخطيط البلدان ورصد النجوم وتعيين الاوقات الاساسية كالظهر مثلاً ودلالة الرحالات في الصحاري والبحار على النقط التي هم فيها الى غير ذلك مما هو مقرر علمياً

فالغرض الجوهري في هذه المسألة الآن ايجاد وسيلة لضبط جميع الساعات المختصة بالوقت العمومي المقامة في انحاء المعمور وتوقيعها بحيث انها تتفق معاً على وقت واحد مهما تباعدت مواقعها • ولو لم تنحل هذه المسألة بعض الحل في ما سبق لما امكن ان يقوى نظام التجارة هذه القوة العظيمة حتى انه أسعد العالم كله وجعل البلاد القصية متصلة العلائق بعضها ببعض • ولولا حلها الجزئي لما استطعنا ان نعلم سعة الاقيانوسات ولا مدى القارات ولا حجم الارض • وسلامة كل سفينة تمخر الاتلانتيك أو غيره تتوقف على معرفة قبطانها للوقت حسب ساعة المرصد الفلكي في غرينوش أو باريس أو برلين أو وشنطون أو أي وقت آخر يعتمد عليه كوقت عمومي • ولاجل هذا العلم يجب ان

على الوقت العمومي الانكليزي مثلاً تكون كلها متفقة مع ساعة مرصد غرينوش في الحين الواحد بقطع النظر عن الوقت المحلي الذي يختلف بحسب اختلاف الاماكن على سطح الكرة الارضية اذ يكون الظهر هنا حين يكون المساء في سور يامثلاً فاذا كانت ساعتك موقعة على ساعة مرصد كرينويش (الوقت العمومي) وكنت في نيو يورك مثلاً الساعة السابعة صباحاً كانت الساعة في ساعتك ١٢ تقريباً وقد اتُفق في اميركا على ٥ اوقات عمومية للتدقيق في مواعيد السكك الحديدية وهي تقطع الولايات المتحدة الى خمس مناطق عرضية من الشرق الى الغرب • وهي كما سموها ألوقت الاستعماري والفرق بينه وبين وقت غرينوش ٤ ساعات • وبعده الوقت الشرقي والفرق ٥ ساعات • والوقت المركزي والفرق ٦ ساعات • والوقت الجبلي والفرق ٧ ساعات • والوقت الباسفيكي والفرق ٨ ساعات • فترى ان الفرق بين حد اميركا الاتلانتيكي وحدها الباسفيكي بين ٤ و ٥ ساعات تقريباً

يعتمد على مقياس للوقت دقيق جداً على ساعة مضبوطة موقعة على وقت عمومي

والآن يقترحون استخدام التلغراف اللاسلكي لنقل الحركة الى كل ساعات الوقت العمومي في جميع انحاء المعمور بحيث تدور كلها معاً على وقت واحد كما تدور الساعات الكهربائية المتفرقة بواسطة محرك واحد فتنبض كلها معاً. فاذا تسنى ذلك انحلت المسألة وكان هذا العمل كاملاً

وحديثاً سأل المسيو بوكه ده لاغري جمعية العلوم الفرنساوية (الاكادمي) فتواها فيما اذا كان هذا الاقتراح ممكناً . فلا بد ان يكون الجواب ايجابياً . وقد قال بامكان ذلك المسيو بكورل رئيس لجنة التلغراف اللاسلكي والاميرال غاشار رئيس القسم الفني في بحرية فرنسا . فالمسألة اصبحت متوقفة اذاً على الاتفاق على مكان تنشأ فيه محطة مركزية لساعة عمومية تبعث بالقوة الكهربائية اللاسلكية الى جميع ساعات الوقت العمومي في كل العالم لكي ينبضن معاً ويتفق وقتهن على وقتها .

اصبحت الآن قمة برج ايفل في باريس مركزاً للتلغراف اللاسلكي اذ تخاطب به حكومة فرنسا جيشها وبحريتها في شاطىء مراكش . فقد ثبت ان الاشارات التلغرافية يمكن ارسالها من برج ايفل الى بعد ١٢٠٠ ميل . والمستر بوكه ده لاغري يرتئي بان تجعل قمة تنريف في جزائر الكناري مركزاً للتلغراف اللاسلكي الى كل العالم لانها تعلو ١٢ الف قدم . وهو يقدر انه بقوة الكهربائية المعتادة يتسنى للامواج الاثيرية ان ترسل من قمة تنريف الى كل الجهات وتلتقي في الجانب الثاني من الكرة الارضية بعد ان تعبر على كل سطحها . وحينئذ حيثما تكون السفن في البحر تنبض ساعاتها بحسب ساعة تنريف وتسجل نفس الوقت العمومي ويتحقق جميع القباطين مواقع سفنهم في الاوقيانوس غير مكترثين باكفهرار الجو واحتجاب النجوم وآمنين اختلال ساعاتهم

على ان الادميرال غاشار يظن ان قمة تنريف غير صالحة لذلك لان الجبل نفسه قد يؤثر على الموجات الكهربائية ويرتئي ان يُختار لذلك لسان في البحر طوله على الاقل ٤ اميال ووراءه سهل فسيح وأشار الى شاطئ سنغال

وايّانَ كان مركز هذا العمل فلا مشاحة في نفعه العظيم . وليس الغرض ارسال رسائل من البرج الذي يقام لهذا الغرض بل ارسال الوقت . فيكون المركز لساعة عمومية لكل العالم تنبض حسب دورة الارض وتتفق معها تماماً

وحينئذ لا يضطر قباطين السفن الى اجهاد افكارهم بالحسابات المتوقفة على رصد النجوم والقمر والكوكب لكي يتحققوا أين هم لانهم كلما وردت اليهم اشارة من الساعة العمومية يعلمون ما يبتغون

فما أسعد العالم الجديد بهذا الظفر بقوات الطبيعة

تأملات
العلامة فلامريون الفرنساوي
في عجائب العقول

ما يدهش العارف لا يعبأ به الجاهل

ان ادق قطعة حديد مُمغنَطة اصدق في الدلالة على القطب من تخمينات نيوتن ولنبتز . والسنونو اعرف بخطوط العرض من خريستوفور كولمبس مكتشف اميركا ومجلان الذي طاف الارض لانها تهاجر من اقليم الى اقليم بكل ثقة آمنة التيه

الظواهر خداعة فعلينا ان ننظر الى القوة غير المنظورة في المادة . فالمادة

ليست كما تتراءى لنا · وما من مطلع على ارتقاء العالم الصحيح يدّعي انه مادي · فلا ريب في ان النفس موجودة كما ان القوة في المادة موجودة · ويمكننا ان نسلّم بان النفس والجوهر الدماغي شيء واحد وهكذا يمكننا ان نتصور ان هذا الجوهر يبقى بعد انحلال الجسم

العدد الاكبر من النفوس لا ترتاب بحقيقة وجودها · ولكن ٩٣ بالمئة من البشر لا يُعملون افكارهم · فماذا يظنون بالخلود ؟ وكما ان ذرة الحديد كانت تسبح في الدم (١) المتدفع في عروق لامرتين وهيغو ودقيقة الهيدروجن تتألق في نور مصباح القاعة الوهاج أو انها تزج نفسها في نقطة الماء التي تنتهلها السمكة في اعماق اليم المظلمة وهي لا تدري ماذا تفعل — هكذا الجواهر الحية تنام غير مفكّرة

الارواح المفكّرة انما هي ميراث الحياة العقلية · وهي تحرص على ميراث الانسانية وتزيد عليه لاجل المستقبل — تزيد معارف على المعارف الحاضرة — ولولا خلود الارواح البشرية التي تتعقل وجودها وتحيا بالعقل لكان تاريخ الارض ينتهي بلا شيء وكل الخليقة من عظائم الاجرام الى جرمنا الارضي الصغير تكون سخافة خداعة واحقر من دودة الارض

هل تتصور ان ملايين العوالم حاصلة على امجاد الحياة والفكر حتى انها تخلف بعضها بعضاً وهي تتجارى في الفضاء من غير ان تبلغ نهايةً فيه · وان بغيتها الوحيدة من هذا المسير ان تجدد دائماً آمالاً موهومة مستمرة الاضمحلال؟ اننا عبثاً نحقر انفسنا · لا نستطيع ان نسلم بانه ما من غرض سامٍ من الارتقاء الدائم الذي يثبته تاريخ الطبيعة · الارواح هي بزور البشريات في الاجرام السموية

---

(١) الحديد من جملة العناصر التي يشتمل عليها الدم وهو ضروري له ولهذا توصف المركبات الحديدية لمن هو مصاب بفقر الدم

لا شيء اصعب من تفهم المجهول ولا شيء أبسط من المعلوم· من يندهش الآن اذ يرى التلغراف ينقل على الدوام الفكر البشري فوق الاوقيانوسات والقارات · ومن يستغرب الآن ما يراه من فعل جاذبية القمر في البحار حتى يحصل المد والجزر · ومن يتعجب اذ يرى النور يعدو من نجم الى نجم بسرعة ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية·على ان المفكرين وحدهم يقدرون هذه العجائب قدرها ويشعرون بعظمتها· والجهال لا يتعجبون لشيء

فاذا اتيح لنا في المستقبل القريب ان نكتشف وسيلة لمخاطبة سكان المريخ مثلاً وتناول اجوبتهم فبعد يوم من هذا الاكتشاف نرى ان ثلاثة ارباع البشر لا يعودون يفكرون باهمية هذا الامر العجيب

بعض العقول غير اهلة للفكر و بعضها ذات قوى فائقة · موزار في السادسة من عمره دهش سامعيه بقوة موهبته الموسيقية وفي الثامنة نشر اغنيتيه المشهورتين مع ان شكسبير عظيم الروائيين لم يكتب من رواياته ما يستحق الاعتبار حتى بلغ الثلاثين من العمر

ليس من الضروري ان نعتقد ان الروح يجب ان تخص عالماً فوق الطبيعة أو وراءها · كل شيء موجود في الطبيعة · منذ مئة الف سنة على الاكثر نشأت البشرية من البهمية· في مدة ملايين من السنين في العصور الجيولوجية القديمة لم توجد عين واحدة على الارض ترى هذه العظائم ولا وجد عقل بشري واحد يتأملها

الارتقاء رفع تدريجاً الارواح الدنيئة في النبات والحيوان · والانسان حديث العهد على الكرة الارضية · والروح في قمة الارتقاء · والطبيعة في ارتقاء دائم· والكون نام الى الابد — الارتقاء هو الشريعة العليا



اسرار الزوج مع الزوجة

هل يحق للزوجة ان تطلع على اسرار زوجها ؟

لولا ما يحدث من الخلاف الكثير بين الزوجين بسبب تكتم احدهما واخفائه اسراره عن الآخر لما نشأ هذا السؤال الذي لا بد انه كان ويكون موضوع الحديث في كثير من المجالس الخصوصية ولهذا رأينا ان نقول فيه كلمتين في هذا الجزء

ان اعتبار الزوجين شخصاً واحداً بحسب نظام الزيجة الكنيسي واكثر النظامات الاخرى يقضي بان تكون جميع اسرارهما مشتركة بينهما . لان الذين لهما جسد واحد يجب ان يكون لهما عقل واحد وفكر واحد و ,, علم واحد " والا" فما هما جسداً واحداً

هذه هي القاعدة الاساسية . ولكن لكل قاعدة شواذ وقاعدتنا هذه كثيرة الشواذ لاسباب مختلفة تمس جوهر القاعدة وكلها ترجع الى اضعاف وحدة الزوجين . اذ لا يخفى ان الزوجين لا يُعدّان متحدين اذا لم يكونا متناسبين عقلاً وفكراً - وعلماً وتربية على الخصوص كما سبق القول . فكلما قلّ التناسب بينهما قل توحدهما وبالتالي يقل اشتراكهما في الآراء والاسرار

قد يكون الزوج عصرياً متعلماً وزوجته ساذجة قليلة العلم وبينهما بون في المعرفة والاختبار فقد يكون اطلاعها على بعض اسراره ضارّاً بمصلحته اما لجهلها اهمية كتمها أو لسبب آخر فيحق للزوج ان يكتم عنها تلك الاسرار

قد تكون اشغال الزوج واعماله غريبة عن مألوف زوجته كما لو كان تاجراً مثلاً أو مضارباً أو صاحب عمل مالي كبير وعمله يقتضي كتم اسرار ففي هذه الحالة يحق له كتم اسراره على زوجته حرصاً على مصلحته

وقد تكون الاسرار التي للزوج غير مختصة به بل لغيره كالرئيس روزفلت مثلاً فليس عليه ان يطلع مسز روزفلت على اسرار المملكة · أو كرئيس شركة مثلاً يجوز له كتم اسرار ادارة الشركة عن زوجته

على انه اذا كان الزوج شديد الثقة بامانة زوجته وتكتمها واستطاعتها حفظ السر فقد يجوز له اطلاعها على اسراره · ولكن الجائز غير الواجب · والافضل ان يحفظ الرجل في صدره اسرار اعماله اذا كان في خوف من افشائها وهي في صدر غيره

الاسرار التي يستحلف الرجل بكتمها كاسرار الماسونية مثلاً ليس له ان يسرّها الى زوجته · على ان كل ذلك عرضيّ بالنظر الى موضوعنا · لان الامور الخارجة عن دائرة العائلة لا تهتم الزوجة بان تطلع على اسرارها · فهي من طبعها تصرف النظر عنها · ولكنها تود جداً ان تعرف جميع الأمور التي لها علاقة بالعائلة والمنزل حتى مجمل اشغال زوجها التي تتوقف عليها سعادة العائلة · ففي هذه الحالة كل سرّ يخفيه الزوج عن زوجته يحق لها ان تعدّه من اسرار الشيطان ويحملها على سوء المظنة · وعليه تُعذر اذا كانت تستاء وتأبى الا ان تعرف المكتوم

وكلما بالغ الزوج في اخفاء اموره عن زوجته عرّضها الى الشعور بابتعاده عنها وقلل ثقتها فيه واقام الظنون والريب في نفسها · ولا يبعد بعد ذلك ان ينشأ التجافي بينهما وربما افضى اخيراً الى الخصام

هذا كلام عمومي في الموضوع يبين الحق المتبادل بين الزوجين بهذا الشأن · ولا يمكن ان يكون قاعدة مطردة لسلوكهما لان الازواج يختلفون كثيراً · ولكن متى اطلع كل من الزوجين على هذه القضايا المسلمة مهما كان نوعها امكنهما ان يتدبرا هذه المسألة ويدركا الحد لحق كل منهما في حفظ السر والاطلاع عليه · وفي نفس كل منهما وجدان كافٍ للحكم بالصواب بهذه المسألة (···)

خطوات العالم

مبدأ استيلاء الحكومة على المشاريع العمومية

منذ ١٠ سنين انشأت بلدية اسكلة ,,هل'' في انكلترا خطوط المركبات الكهربائية (كار) في المدينة وضواحيها على حسابها . وقد كلفتها مليوني ريال (٤٠٠ الف جنه) . وجعلت اجرة الركوب فيها رخيصة جداً بحيث تستطيع ان تقطع فيها ٣ اميال بقيمة سنت واحد (أي متليك عثماني . أو مليمين مصريين) ونصف هذه القيمة للعمال بين الساعة ٥ و ٩ صباحاً . ومع ذلك ربحت البلدية من هذا المشروع نحو ٦٠٠الف ريال في العشر سنين. ومصلحة جر المياه الى المنازل تخص البلدية ايضاً والاهالي يتمتعون بالماء رخيصاً جداً والبلدية لا تزال رابحة ايضاً

واهمية هذا الخبر في انه برهان حسي على ان استيلاء الحكومة على المشروعات العمومية الكبرى افيد للشعب . ولهذا يؤيد الرئيس روزفلت هذا المبدأ

في مدينة غلاسكو (انكلترا) اكثر المشروعات العمومية بيد البلدية وهي ناجحة جداً ورخيصة

التلفون للكتابة كما هو للتكلم

اصبحت الكتابة ممكنة بالتلفون كالتكلم فيه وذلك بفضل غوستاف غرزانا الجرماني الذي عرض اختراعه للعموم في لندن في هذا الشهر . وبواسطة تلفونه هذا يمكن نقل الكتابة والرسم والتصوير الخ من مكان الى آخر بواسطة اسلاك التلفون الاعتيادية وبوقت قصير جداً . فاختراعه هذا تحسين عظيم للطريقة القديمة في الكتابة الكهربائية عن بعد وهي طريقة بطيئة جداً وغير نقية . واما نقله بطريقة غرزانا فسريع كسرعة كتابتها . فالانسان يقدر بهذه الطريقة ان يتكلم

ويكتب ويرسم من مكان الى آخر في نفس الوقت · فهي تفيد اولاً الجرائد اذ يتسني المخبر ان يرسل في الحال الى الجريدة رواية الخبر ووصف الحادثة ورسمها معاً · وثانياً الجندية اذ يتسني لقلم المخابرات أو للكشافة ان يرسلوا اخبار العدو و يرسموا خريطة معسكره وحصونه الى غير ذلك من المعلومات اللازمة · ثالثاً المهندس اذ يتسنى له ان يطلب من المعمل الادوات اللازمة شفاهاً و يبعث برسمها واضحاً ايضاً بواسطة هذا التلفون

الروماتزم لعهد الفراعنة

لعل مرض الروماتزم كان سبب ضيق خلق فرعون وقساوته على الاسرائيليين حين كانوا في مصر · فانه معلوم ان اعيان المصريين القدماء كانوا يغضبون و يسخطون لاقل الحوادث كما يفعل المصابون بالروماتزم · وقد اكتشف حديثاً صحة هذا الظن · وذلك انه عرض حديثاً في الجمعية الملكية في لندن قدم جثة محنطة وفيها رواسب المواد الكلسية التي هي دليل على الروماتزم · وقد قال العلامة فلندرس بتري : اني أثري وقد بحثت كثيراً في آثار مصر فوجدت في بقايا الاجسام المصرية القديمة جميع اعراض الروماتزم مثل انتفاخ عقد الركب ونحوه

مريم قبل التوبة

لا ريب ان جميع قراء هذه المجلة الذين يتوقون الى قراءة „ رواية مريم قبل التوبة " التي يُعنى صاحب الجامعة بتأليفها تباعاً يعذرونه لعدم انجازه اللازم منها لهذا العدد لما يعلمونه من انشغاله في سياحته · ولهذا اشغلنا مكان الرواية ببعض نبذات مفيدة نؤمل ان تلذ للقراء الكرام

الجزء ٨ **الجامعة** السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية
تصدر في نيو يورك
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٨ — شعبان سنة ١٣٢٦

خطبة وقصيدة

لصاحب الجامعة في أثناء رحلته

الخطبة لدى شلال * والقصيدة على جبل

الخطبة كتبها امام شلال نياغرا المشهور المرسوم في الصفحة التي تقابل هذه الصفحة والقصيدة ابتدأ في نظمها على جبل مونت نوم في هولو بوك «ماس» وأتمّها على خرير شلالات نياغرا

١

الخطبة لدى شلاّل نياغرا

„ سلامٌ ايها الشلاّل • حدثني لاحدثك فقد جئتك من مكان بعيد
„ لقد جئتك من البلاد الشرقية البعيدة التي سمعتْ بك وانت لم تسمع بها •

ولقد قرأتُ عنك فيها في صباي ما ادهشني فلما وطئت قدماي بلادك العظيمة هذه كانت زيارتك احدى اماني نفسي . ولما بلغتُ مساء أمس بلدتك المسماة باسمك وسمعتُ في الفندق صوتك يملأُ الفضاء لم استطع الرقاد مع ان الليل كان في منتصفه . وكان صوتك مع كونه شبيهاً بصوت أمٍ يهمهم في اذني طفلها لتنيمه يهيج اعصابي في فراشي ويمنعها من السبات بدل ان يسكّنها . وُخيل لي مراراً انه يدعوني اليك وان لا أُؤجل زيارتك ومصافحتك الى الغد. فنهضتُ الى ملابسي فلبستها وانحدرت في ظلام الليل الى الحديقة التي على شاطئك بين حبال الأنوار الكهربائية التي زيّنوا بها الطريق اليك زينةً تتجدّد كل يوم بجمال وسلامة ذوق كأنهم يحتفلون بك احتفالاً ابدياً . ولما صرت على شاطئك في الحديقة بين اصوات قبلات العشاق في الخمائل ولفتات بنات اميركا ليرين هل يرى احد تلك القبلات المسروقة من وجناتهنّ هبطتُ الى مائك بسرور ولذة لا مزيد عليهما كأنني هابط الى ماء أعظم من ماء الاردن وغمست فيك كفي اصافحك قائلاً : سلامٌ يا صاحب الماء

,, اي نعم سلامٌ وألف سلام . لقد جئتُ اسألك سرّك العظيم . انا تعبتُ ولم اتجاوز ثلث قرن وانت لم تتعب وقد تجاوزتَ مئات قرون . فما السر في ذلك ايها الشلاّل ؟

,, ولم يكن تعبي من الحياة وحياتك . فقد كنتُ تعباً منها من قبل حين كنتُ في زمن الشباب . اعني شباب الروح لا شباب الإهاب . اما الآن وقد بدأتُ افهمها (عفواً ولا تبتسم ان كنتَ تستطيع الابتسام) فقد اصبحتُ احبها كحب الانسان لشيءٍ لا مفرّ له منه فان حضر تمتّع به وان غاب لم يسأل عنه . . . . — وانما تعبتُ لانني اركض وراء شيءٍ وهو يركض امامي

,, فلعلّ هذا سبب تعبي بعد ثلث قرن وعدم تعبك انت مع انك ابن

مئات قرون

,, انت لا تركض وراء شيء ولا تطمع في شيء . مياهك تجري من حيث لا تدري الى حيث لا تدري مندفعةً بقوة الصواعق واصوات الرعود وهي لا تبالي بمصيرها ولا بما يصيبها أو تصيبه في طريقها . فلا غرضَ لك ولا غاية . واما انا فمع ان لا غرض لي ولا غاية اريد بالرغم من الطبيعة امّنا جميعاً ايجاد غرض لي وغاية . . وهذا هو التعب العظيم . فهل انا طالبُ مستحيل ؟ أم غايتي لا تُدرك الا بعد عناء طويل ؟

,, صعدتُ الجبال اطلبها . وهبطت الاودية اخطبها . واستوقفتُ في الاحراش نسيم المساء اسأله عنها . وناجيتُ أجرام السماء وسكان المدن والقرى استخبرهم خبرها . فوجدتهم جميعاً لا يعلمون . والآلهة الذين يعلمون ذهبوا فلا يعودون

,, انتَ عاصرتَهم منذ الوف من السنين . فاخبرني هل أسرّوا اليك خبراً . وهل تعلم شيئاً مما سيجري ومما جرى

,, لما كان كهنة المصريين يحيطون هياكلهم بالاسرار و يسجدون فيها للأبقار . وموسى يقود شعبه في التيه . واسكندر يفتح المشرق والمغرب . ويسوع يحمل على مبادئ الكهنة المادية حملته المشهورة التي كوتهم في جباههم بنارٍ ابدية . ومحمد يدعو الى السيف أو القرآن . وبوذه وكونفوشيوش و برهما يجتذبون اليهم أكثر من ثلثي بني الانسان . ونابوليون يقتحم اوروبا التي اتحدت عليه ليدوسها بسنابك خيله . والعلم والفلسفة بين كونت وقنث وسبينوزا وشو بنهور وهجل وسبنسر ونييتش وروسو وديكارت وفولتير و باكون. وداروين — يضطربان . ورنان يبتسم لاقوال الجميع ابتسامته اليسوعيّة المشهورة و يقول بلغته البديعة ,, لكل مسألةٍ وجهان '' — لما كان كل ذلك ايها الشلال كنتَ تجرى كما تجري الآن ومعاصراً لهؤلاء الاعاظم من بني الانسان . فقل لي هل بلغك ان أحدهم

وجد تلك الغاية المنشودة واليتيمة المفقودة ؟ وهل أسرَّ أحد منهم اليك شيئاً من تلك الاسرار الهائلة التي لا يبوح بها الانسان لاحد غير نفسه ؟ حدّثني لاحدثك يا جدّ الارض وشيخها الاعظم . وقلْ لي ما علمتَ لاقول لك ما أعلم

,, ولكن مهلاً ولا تصغِ اليّ فليس ما أعلم بذي شأن وتكلم انت اولاً فللجبابرة حق التقدم على الاقزام . اف ما احقر الانسان واصغره لديك وما اقبحه لدى جمالك . لقد جلستُ بجانبك ساعة انظر الى نفسي والى مياهك الفضية فهممتُ ان ألقي بنفسي فيك لأكون جزءاً منك . لاصقاً بك الى الابد لا انفصل عنك . ولكن انّى لي ذلك . — تكلم أولاً يا شيخنا الناطق الصامت . فما لديّ شيء تافه ساقط

,, وماذا عسى ان يقول لك ابن ثلث قرن يا ابن مئات قرون ؟ وماذا تستفيد من مُعاصر الصغار يا مُعاصرَ الكبار ؟ اسمع ايها الشيخ . أتعطيني كل ما في صخورك من الجماد الذي لا يحس وتصوغ لي منها أجمد نفس ؟ اذا تمكّنتَ من ذلك قلتُ لك قولاً هائلاً يستحق ان يُصغى اليه . . والا فلا تسلني الا ما أقدر عليه .

,, ليس هذا بجبنٍ ايها الشيخ الشجاع ولكنه كراهة للألم وخوف من الانفصال عن العالم . انك انت تقدر ان تعيش في فراشك الرحب الجميل وحيداً فريداً كاله جليل . وما فتئت الآلهة تعيش وحدها . ولكنّ بني الانسان اجتماعيون طبعاً وتطبعاً . ثم هل انت تقدر على الخروج من مجراك وارتقاء الآكام التي حولك ؟ فكيف يقدر رجل مثلي على الخروج عن طريقه المألوفة لصعود جبل أصعب وأشد خطراً من آكامك

,, أتذكر ايها الشلال يوم كان شاطئاك مرتعاً لاولئك الهنود المساكين قبل

ان يصل اليك البيض ويغتصبوا ارضهم هذه ظلماً وعدواناً • لا ريب في انك تذكره لانك كنتَ فيه معبودهم • فاولئك البشر السذج المساكين الذين كانوا يصطادون التمساح من مياهك وهم عراة الابدان تكسو الرياش رؤوسهم وتحمل ايديهم الفؤوس والحراب و يعيشون بالغزو والسطو في قفر يباب كانوا أسعد حالاً وأنعم بالاً من هؤلاء البيض الوافدين على شاطئيك من جميع أقطار الدنيا وقد ملأوهما بالمدن العامرة والمنازل الفاخرة والحدائق الزاهرة والمركبات الكهربائية والسفن البخارية وراحوا يتبخترون بينها تبختر الطاووس بثياب جميلة وشعور صقيلة • وصدّقني ايها الشيخ ان اولئك كانوا أسلم طبعاً وأبعد عن الخبث من هؤلاء

,, قد غيّروا ارضك ومَن عليها ايها الشيخ • وهم يظنون انهم حسّنوها وحسّنوك وجمّلوها وجمّلوك • وما جمالهم الا كجمال المرأة الدميمة : زخرف خارجي وطلاء سطحي • حكّ هذا الطلاء قليلاً فتجد تحته جيفة منتنة • اظنني غير مخطئ ولا مسيء اليك ايها الشيخ اذا قلتُ لك انك كنتَ أجمل منك اليوم حين كان شاطئاك ملجئاً للمتوحشين ومعتركاً للأسود والنمورة ومسبحاً للذئاب والتماسيح ومرقصاً للدببة والقردة • فقد كان يومئذ جمالك وحشياً طبيعياً يقشعرُ له جلد التصوّر و يرتدّ عنه طرف الخيال مذعوراً • لقد كان يومئذ جمالك جمالاً حقيقياً • اما اليوم فقد أسروك كما تؤسر الاسود في الاقفاص وُتجعل (فرجةً) للناس • فأصبح شاطئاك مرتعاً لذئاب ونمورة ودببة وقردة من جنس جديد لها طباع تلك ولكنها تمشي على قائمتين لا على أربع • ان روحاً مادية هائلة هبّت على العالمين فضعضعت المبادئ وزعزعت الشرائع وسحقت الاديان والآداب وساقت الناس بعصا الحاجة الحديدية الى مبادئ هائلة جعلتهم ذئاباً هائلة • فان الامم الآن تتعادى وتتسلح تأهباً لاقتتال أفظع من اقتتال

الذئاب · والشعوب يأكل في داخلها كبيرها صغيرها وقويها ضعيفها كما تفعل اسماكك · فركفلر يملك من المال الف مليون بينما ملايين من البشر يستعطون الخبز الآن ولا يجدون · وهو يستخدمهم باجور تافهة لزيادة ثروته الملطخة بدمائهم وعرقهم وهم يسكتون و يعملون لانهم مضطرون · والسلطة في الارض ضعفت وكادت تنحل · فان الناس اسقطوا العروش والملوك ولكنهم اقاموا مكانها ملوكاً لكل واحد منهم ملايين من الرؤوس (١) فقويت بذلك سلطة المشعوذين والدجالين والجهلاء الناصحين الذين يتملقون الشعوب ويضلونهم كما كان أخصائ الملوك يتملقونهم ويضلونهم · والافراد يتخاصمون و يتعادون و يفترسون بعضهم بعضاً بايديهم وألسنتهم وأقلامهم تنازعاً على (الرزق والسيادة) وقُبّح هذا الرزق وهذه السيادة اذا كان لا يُبلغ اليهما الا بالرجوع الى وحشية وهمجيّة أشد من الوحشية والهمجية الاولى · فاذا كان كل هذا هكذا ايها الشلال فأين الارتقاء الذي يزعمونه ؟ وما فائدتك في استبدال ذئابك القديمة بهذه الذئاب الجديدة التي لها طباع تلك ؟ وما هذا القبح الذي يدعونه جمالاً ؟ من أجل هذا صرخ حكيم مشهور (٢) قائلاً ,, يا وحوش البرّ وافاعي الغابات خذيني اليكِ آكل من طعامك وأشرب من مائك فان صحبتك أهون على الانسان من صحبة الانسان ''

,, كل متحمس لمبدإ أو فكر أو فضيلة أو فضل يُعدّ الآن بين تلك الذئاب الجديدة ساذجاً مخدوعاً لاننا اصبحنا ولا فضل غير الفضة ولا مذهب غير الذهب ولا كمال غير الريال · ويا للأمر المدهش · فان المتحمسين القادرين المخلصين للمبدإ والفكر يُضطرون الى كتمان حماستهم وفكرهم وإخلاصهم لئلا يُرمَوا بتلك التهمة وطلاب المنفعة المادية الجهلاء العاجزون المراؤون ينادون على السطوح بالمبدإ

(١) سلطة الشعب (٢) لابرويير في كتابه « الاخلاق »

والفكر والاخلاص و يعدّونها كشركٍ للاقتناص . البوم يصرخ ايها الشيخ والبلبل يسكت . والناس لا يفرقون بين صوت البلبل وصوت البوم . . . بل مبادئ الناس الواطئة اكثر موافقةً لصوت البوم منها لصوت البلبل . الناس لاهون بمعدهم وخزائنهم وانانيتهم فلا تحدثهم عن شيءٍ آخر . لا تذكر لهم الحياة العالية العقلية والادبية . ولا تستنزل لهم من الملأ الأعلى همس الآلهة والملائكة . ولا تترجم لهم اصوات الطبيعة وعواطف النفس الجميلة . فان كل هذه لا تهمهم ولا تحرك اوتار قلوبهم لانها اصبحت لا تتحرك الا عن طريق (المعدة والخزانة والانانية) . ان الشراهة والجهالة والكبرياء قد اتحدت عليهم وطوّقت نفوسهم باسلاك من فولاذ لتربطها بتراب الارض منعاً لها من الارتفاع الى الآفاق العليا التي تعيش فيها النفوس العليا . فاخبرني ايها الشيخ الخبير مَن مِن الفريقين هم الضالّون المخدوعون ? ومَن يكون المنتصرون الفائزون ? افدني لاستفيد وافيد . واُمزق ذلك القناع بيد من حديد

,, انني ايها الشيخ من امة صغيرة هجر كثيرون منها بلادهم الى بلادك طلباً للرزق والارتقاء . وقد بدأ كثير من تلك المبادئ الهائلة يتسرب اليهم في بلادهم قبل هجرتهم الى بلادك وزاد تسربها اليهم بعد هجرتهم زيادة هائلة . فقد كانوا يعيشون منذ ٥٠ سنة مع سائر الامم الشرقية بسذاجة ودعة وتضامن وطمأنينة واحترام للنظام الاجتماعي بين الناس كما يعيش الطفل في سرير امه . ولما دخلت اليهم مبادئ قومك وبلادك تغيرت حالهم ونفوسهم كما تغيرت احوال جميع الامم الشرقية ونفوسها بعد دخول مبادئ قومك اليها . فافدني ايها الشيخ ما سألتك اياه لابلغه اليهم فنعلم جميعاً هل نحن على هدىً أم ضلال وما هو الغث والسمين في تلك المبادئ . وثق انني لا اخشى في هذا البلاغ لومة لائم وان كان مما تضطرب له الشيوخ في القبور والاطفال في التمائم . ولا

تخشَ التثقيل عليَّ ايها الشيخ فان حرفتي البلاغ ووظيفتي النشر · ومن سوء طالعي انني اتخذتُ هذه الحرفة سبيلاً لي في الحياة في بلادنا ولغتنا

,, عفواً ايها الشيخ ولا تلمني لقولي (من سوء الطالع) فانني ما اردتُ ما ما ظننتُ · ان طيور السماء تكتفي بقطرة ندى وحبة قمح ونحن طيور الخيال نكتفي بما تكتفي به طيور السماء · وهذه الطيور تعيش بسلامة جسماً وروحاً في اصغر بقعة جدباء كما تعيش في الرياض الفيحاء وتغرد بانغام سماوية في تلك كما تغرّد في هذه · فما اردتُ بكلامي الكسب المادي ايها الشيخ وانما أردتُ الكسب الادبي · ان صناعتنا شقيّة في بلادنا ولغتنا · ومن (طلبها لِذاتها) حُرم لَذّاتها وجميع اللذات · فهو يضطر في سبيلها الى مسالمة الفساد · والاغضاء عن أهل الاوهام والخرافات والاستعباد · ومعاداة الاصدقاء ومصادقة الاعداء · والخلط بين الكرام والغوغاء · وتسمية الانحطاط ارتقاء · ورؤية الجهل سائداً والسكوتُ عنه · والحق ضائعاً والابتعاد منه · واذا جاشت في النفس تلك النار التي توقدها الآلهة في بعض النفوس واضرمت الغضب المقدس في الصدور والرؤوس وحركت اليد لاستنزال صواعق الفكر على الطروس — سكّن العقل الجاف البارد تلك الصواعق قبل وقوعها بالابتسام وعدم المبالاة · وقال للنفس الغضبى (اياكِ والسذاجة والغرور) وأنشدها ذلك القول المشهور : ,, مكانك تُحمدي او تستريحي '' فتصبح النفس وفيها ما في مياهك · بعضها في المرتفع ثائر هائل كثورة شلالاتك غالٍ غليان امواجك يطلب السدود والحواجز والعقبات لكنسها بقوته كنساً فلا تجترئ الجبابرة ولا الآلهة على الدنو منه · وبعضها في السفح على الشاطئ هادئ ساكن كأنه ماء في بركة تلعب بجانبه الاطفال وهو بها غير مُبال · وبين ذاك الهياج وهذا السكون قوة الآلهة ايها الشيخ وآلام المنون

,, انت قوي وتستطيع الثبات على هذا السكون والهياج معاً . وانما مزيتك العظمى وقوتك الكبرى ثباتك هذا . فثبتنا في ثباتٍ كثباتك . انك ايها الشيخ لو انقطعتَ عن الجريان منذ عام أو مئةٍ او الف لكان نياغرا الآن في خبر كان ولضحك منك الامازون والمسيسبي بل النيل والدجلة ضحكاً ملء السهول والوديان . فيا لهذا الثبات العجيب مدة الوف من السنين . كل شيء في الحياة حولنا نحن معاشر البشر يتغيَّر ويتغبَّر . اصدقاؤنا يخونون . واحبابنا يسلون . واجدادنا وآباؤنا وابناؤنا يذهبون . واعداؤنا يعادوننا بسبب و بلا سبب ولا يعودون . وامم تنقرض وامم تقوم . والاسافل يستعلون . والاعالي يسفلون . والسلاطين على العروش يرتعدون . وكل شيء في الارض يتزعزع و يتضعضع حيناً بعد حين حتى المبادئ التي خلناها ازلية ابدية بل حتى الارض التي نمشي عليها يوم تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها . نعم كل شيء يتغير الاك . فبارك الله في عظمة ثباتك وحياك وبياك

,, يا روح نياغرا والاهة مياهه : بعيني قد ابصرتك . و بعد هذا اليوم اصبحت اعتقد ان لكِ نفساً كنفسي . ولستُ اعني بهذا مسألة الخلود فانتِ خالدة كما دلَّ على ذلك تاريخك . وقد استدللتُ عليكِ حين صافحتُ ماءكِ بغمس يدي فيه وتجلى لي بين رشاشه المتطاير كالغبار امامي قوس قزح بديع . يا لذة الحياة العقلية الكبرى حين رأيت قوس قزحك هذا كأن نفسك تنتصب ضمنه للترحيب برجل جاءك تعباً ملولاً متألم الضمير ولا يعزيه في الدنيا لذة او جمال غير جمالك وجمال امثالك . انني بعد ان رأيتُ هذا القوس وسمعتُ على الاثر هديرك الهائل كأنه طبول بعيدة تُضرب ووقع في اذنَي تغريد العصافير في أشجارك ورأيتُ الازهار تتمايل على شاطئيك وحولها الفراش يطير ويقع وماؤك بينها كلها مسرع تحت الجسر الى حيث لا أعلم ولا هو يعلم — خُيّل لي برهةً لغروري

ودهشتي ان روحك حيّة حاضرة في هذا الاحتفال الطبيعي العظيم وقد اقامته استقبالاً لي ورداً لتحيتي واستعداداً لاجابة طلبتي . ولكنني لما رأيتُ في اشجارك السنجاب يصيح وهو ساكن على الغصن ينظر اليَّ وصوته شبيه بصوت الضاحك ضحكاً مستتراً . والغراب على الشجر البعيد ينعب نعيباً شبيهاً بانين الثكلى وبكاء الباكي جهراً . وقفتُ حائراً امامك استنطقهما واستنطقك إذ خُيّل لي ان ذلك الضحك والبكاء انما هما ضحكٌ من حجّي اليك اطلب سراً وغاية حيث لا سرّ ولا غاية وبكاءٌ على آمال الصبى الذهبية والاماني السماوية التي خلتها ابدية واذا بها كالسراب جميل في العين ولكن لا أثر له ولا عَين . وبين الأمل في روحك المتجلية في قوس قزحك واليأس لضحك سنجابك وبكاء غرابك اطرقت على الجسر امامك ولبثتُ صامتاً ولم يبقَ حينئذ في نفسي لذة ولا ألم . ولا يأس ولا أمل . اذ هي كادت تصبح جماداً كجمادك

„ اي نعم ايها الشيخ الذي ما عضّه ناب الهرموان كان قد طال عليه القدم ستبقى على مرور الزمان (حجاً) لبني الانسان كما كنتَ حتى الآن . فسيأتيك جمهورهم من بعدي كما جاؤوا قبلي ما دامت الارض أرضاً والسماء سماء . ومنهم العاشق عشقاً شرعياً يتساقى هو وعروسه في شهر العسل في الفنادق المشرفة عليك كؤوس سعادة وقتية . ومنهم العاشق السارق يجعل ظلال اشجارك على شاطئيك في ظلام الليل مخبئاً لسرقاته . ومنهم سياحٌ لا صناعة لهم غير السياحة بل لا صناعة لهم ولا عمل أصلاً لانهم من أهل الترف والكسل والبطالة يقصدونك لقتل أوقاتهم لان غيرهم يتعب ويعمل لهم ولا يفهمون منك غير جريان مياهك . ومنهم جمهور متوسطي العقول الذين سمعوا بانك جميل عظيم فاختلسوا فرصة من اوقاتهم وساروا اليك مع السائرين والتهوا

بالملاهي الصبيانية التافهة عن جلالك وجمالك . ومنهم الحزين أو المنكوب أو التَعِب من الحياة أو جريح القلب جرحاً ابدياً بكارثة من كوارث الدهر الغادر والزمان القاهر يجيء اليك وهو يجرّ ذيول آلامه التماساً للقوة في ظلالك وطلباً لتبريد نفسه المتقدة بشيء من رشاش مائك . ومنهم (وهم المتأخرون المقدّمون) جمهور أهل الفكر يزورونك كزيارة الكاهن الهيكل ويقفون عندك يستنطقون آثارك ويستجلون أسرارك ويسألونك أخبارك ويذكرون ويتذكرون . وانتَ يا أيها الشيخ الجائر تردّ (هؤلاء) الى بلادهم جامدين صامتين منقبضين لانك لا تفتح لهم خبايا أسرارك واما جميع (اولئك) فتردّهم فرحين نشيطين معجبين . فلا تحالف الزمان على خياره وخيارك

„لقد طفتُ في ربوعك وحادثتك وسألتك فلم تجب وها انا عائد عنك . فوداعاً ايها الشيخ . تذكّر في المستقبل رجلاً جاءك من أقصى الشرق وأجال في ضفتيك مزيجاً غريباً من روح الشرق والغرب ممزوجاً في نفسه وأفكاراً قد تستأهل الاهمال وعدم المبالاة ولكنها لا تستأهل الضحك والهزء . واذا هزأتَ بها فاهزأ فقد هزأتَ قبلها بالدهر وضحكتَ من الزمان . ولكن قبل ان تهزأ تذكّر انها نتيجة تأثير قومك وأجداد قومك . فنحن تلامذتكم في الصغائر كما نحن تلامذتكم في الكبائر . صدقني ايها الشيخ . غيّر مجراك واذهب الى بلادي . فهناك تجري خاملاً مجهولاً لا يعكّر ماءك ذئاب قديمة او ذئاب جديدة . ولا يستأسرك الناس ليجعلوك (فرجة) والعوبة بل تعيش على هواك معيشة الخمول والسلامة بعيداً عن الناس . هناك تسمع حفيف أشجار الارز وتهب عليك ريح الاهرام وينبت زنبق البرّ على شاطئيك . واذا مرّ بك اتفاقاً بعض الناس مروا باحتشام . ولا تسلني ايها الشيخُ لماذا اتيتُ منها الى بلادك اذا كان هذا حال بلادي فللتقادير أحكام“

٢

القصيدة على الجبل

﴿ الشعر على الطريقة العلمية ﴾

بين نيتش وتولستوي
في وسط امجاد الولايات المتحدة

عُجْ بالجبال ولا تعجْ بالوادي ... ان شئتَ رؤية هذه الامجادِ
واركب لها قُطُر البخار فقد مضى ... عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفت وما ... يُلفى لها من نادبٍ أو هاد
واطلب اليها (١) ان تطير ولا تقل ... مهلاً فانك سائر (بفؤادي) (٢)
الوقتُ مالٌ والزمان زمان ركضٍ ... لا زمان تخنّثٍ ورقادِ
وتلاعب في (الرقمتين) و(حوملٍ) ... (والسقط) أو في الندب والتعدادِ (٣)
الوقت وقتُ إرادةٍ صماء تصرع ... كل معترضٍ سبيل جهادِ
هذا كلام نيتش ان نيتش كان ... مقوّم المعوجّ والمنئادِ
في زعم بعض الناس اما مذهبي ... فيه فأبقيه الى ميعادِ

٭ • ٭ • ٭

ولقد صعدتُ الى الجبال أرى الورى ... واقيس حالهمُ بحال بلادي
فبدت ليَ (الارض الجديدة) (٤) مثلما ... تبدو المدينةُ من ذرى المنطادِ
وتمثّلت لي بين اتلانتيكها ... ذاك العجاج وبين ذاك ,,الهادي'' (٥)

---

(١) الى قطر البخار (٢) هو من شطر مشهور للفارض يستمهل فيه الابل والحادي لانها سائرة بحبيبه (٣) الرقمتان وحومل والسقط اماكن في بلاد العرب مشهورة في اشعارهم (٤) الارض الجديدة اميركا و بالاخص الولايات المتحدة (٥) الهادي هو الاوقيانوس الباسفيكي وترجمته بالعربية الهادي

كعوالمٍ من غير دنيانا بدت تزري ببابل أو بذات عمادِ (١)
شعبٌ عظيمٌ هائلٌ متفرقٌ في واسع الاغوار والانجادِ
مدنٌ كما انتثرت نجوم القبة الزرقاء أو كالرمل في التعدادِ
والله لا ادري أأسهل ان أعدّ بلاد هذا الشعب عدّ سدادِ
أم ان اعدّ شعوبه (٢) — وكلاهما صعبٌ وفيه حيرة المرتادِ
في الشرق بيروتٌ وقاهرة ولكن كم هنا تلقى (٣) من الأنداد
في الشرق لبنانٌ وحيدٌ انما كم ههنا من شامخ الاطوادِ
في الشرق أرض قُدّست بنبوةٍ ظهرت بها قدماً وغاب الهادي
وهنا أراضٍ قُدست بالاهة الـ حرية القصوى وهديٌ بادِ
هذي شرائعنا الجديدة فانظروا آثارها يا معشر الزهادِ
شرع جديد (٤) لستُ أزعم انه أبهى وأجمل من شرائع عاد (٥)
لكنني لا استطيع اذا رأيتُ جميله في البر والاسعادِ
ونظامَ عيش الناس فوق سهولة الـ كسب الجزيل وأمن كل مُعاد
ووداد اقوام يؤلف بعضهم بعضاً بلا ضغنٍ ولا أحقادِ
أن أنكر الشمس الجليّة في الضحى واقول خير الشرع شرع الفادي (٦)
أوشرع ذاك المرسَل (٧) الغازي الذي ملأ الورى قسطاً وحسنَ ايادِ
أو شرع ذاك الصالح (٨) المقطوع في حرش يسائلُ ربه وينادي
مات (القديم) فكفّنوه فما له ما بيننا من رجعةٍ ومَعاد
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشا ط) وليس وهمَ الدين والارشاد (٩)

(١) هي ارم ذات العماد المشهورة في التقاليد الاسلامية التاريخية (٢) في الولايات المتحدة اجتمعت جميع شعوب الدنيا من اكبرها الى اصغرها (٣) اي هي تلقى (٤) مقابلة بين الشرائع المدنية الجديدة والشرائع الدينية القديمة (٥) اي الشرائع الدينية القديمة كقدم ثمود وعاد (٦) المسيح (٧) محمد (٨) بوذه (٩) كل ما يلي معقودٌ من فلسفة نيتش حرفاً ومعنى لخصناه لبسط المذهبين. وناقل الكفر ليس بكافر

فيها ارتقت هذي البلاد وانها مرقاةُ كل تمدنٍ وبلاد
هذا كلام نيتش ان نيتش كان مقوّم المعوجّ والمنئاد
في زعم بعض الناس اما مذهبي فيه فابقيه الى ميعاد

****

ذا الشرع (قال نيتش) حلّ عزائم الأبناء والآباء والاجداد
رفقٌ مساواةٌ اخاءٌ رحمةٌ حب الورى حتى العدوّ العادي
هذي شرائع ضد كل غريزةٍ حيويةٍ ومبادئٍ استعباد
شقيتْ بها الامم التي اتّبعت مبا دئها وذا أثر الشقاوة باد
فيها تصير الارض مستشفى رحيبـ ـاً والورى في ظلمةٍ وسواد
اذ يُصبحون وكلهم اما مريضٌ او ممرّضُ ذي ضنىً وسهاد
فكأنها كانت لجمهور الأنام كقاتلٍ يُفنيه او جلاّد

بينا ترى القلب السليم ملازماً تعليمها بسذاجةٍ وعناد
يستضعف الطبع القويّ لجمله لسمومها في غاية استعداد
متجافياً عن كل ما يؤذي الأنام وسالكاً فيهم سبيل رشاد
حتى يبيتَ (وكان من اقوى الرجال) كأنه ولدٌ من الاولاد
تجد الغليظ النفس من قد حادَ عن تعليم ذاك الشرع كل حيادِ
مستبقياً في نفسه قواتها مشحوذةً لتنازعٍ وجهادِ
ولذاك ينعم في الحياة ويسبق الاقران في الميدان سبق جياد
قد اصبحتْ نفسي تعاف شرائعاً تُشقي وتُفني نفس كل جوادِ
وبضدها يعتز كل صغير نفسٍ أو عديم الحسّ مثل جماد
وبها يتاجر (ذاك) من لبس السواد كما باحقر سلعة أو زاد
يا ليتَ في نفسي قوى كقوى الهِ كي أبيد شرائع العُبّاد
من يعبدون وانما معبودهم اهواؤهم لا واحد الآحاد

و بذي العبادة يُهلكون قوى النفـ ـوس ويُضعفون غرائز الاجساد
هذي جهنّمُ في الحقيقة لا التي ذُكرتْ بانجيلٍ وبالاوراد (١)

امـا المسـاواة التي تدعونهـا فضلاً وخيراً فهي شرٌ فساد
كيف السواءُ أتحسبون الناس قد صُنعوا كصنع حدائد الحدّاد
في قالب صُبّوا فكان جميعهم متماثـلاً كمبارد البرّاد
ان المسـاواة التي تبغونهـا ظلمٌ لكل فتىً رفيع عماد
فبها تُذلُ قوى الاولى امتازوا ومنـ ـهم يُرتجى خيرٌ ونفعُ عباد
وبها يُساوي بين أعظم من مشى فوق التراب وأحقر الاوغاد
يا ضحكةَ العقل السليم وهزءُ أهل الفهمِ من ذا الجهلِ والإفساد

من ثم قلتم ان (حبّ الذات) شرٌ مستطيرٌ هادم الامجاد
مع ان هذا الحبّ أصلُ رقيّ كل جماعةٍ ونشاطها الإفرادي
ان قيل يوماً قد ذوى في امةٍ وكذاك في فردٍ من الافراد
ما فيهما من (اثرةٍ) فقل السلام عليهمـا فـالويـلُ بـالمرصـاد
هذا كلام نيتش ان نيتش كان مقوّم المعوّج والمنئـاد
في زعم بعض الناس أما مذهبي فيـه فـابقيه الى ميعـاد

☆ • ☆ • ☆

حملَ الهواءُ اليّ صوت نيتش هذا وارداً من صوب ذاك الوادي
من فندقٍ فيه جعلتُ حقيبتي ولسان ذا الاستاذ فيها شادِ
اذ في الحقيبة سفره المشهور ,, بابة لدأ الظلام'' (٢) وكل سطر مداد
فيه يصيح كضرغمٍ مستأسرٍ يُرغي ويُزبد ايما إزباد (٣)

---

(١) الاوراد آيات القرآن (٢) هو كتابه « ابتدأ الظلام عند الاصنام »
(٣) كتابة نيتش مشهورة بكونها غاية في الحماسة والحدة والشدة لان موضوعها تنازع مبادئه ومبادىء من تقدموه

فطردتُ صوت نييتش عن سمعي · لا مُتعَ ناظريَّ ومسمعي وفؤادي
بجمالِ ما حولي من الآثار من · صنع الطبيعة أو صنيع أياد (١)
واذا بصوتٍ هائلٍ يدوي كما · تدوي الرعود قواصفاً وينادي

ـ أنييتشُ مهلاً لي اليك رسالةٌ · ضاقت بها نفسي وضاع رشادي
فذُعرتُ ثم بحثتُ اطلب صاحب الـ · صوت الرهيب فلم أجد من باد
الا كتاباً كنتُ قد اودعته · في جانبي في الحرش كالمعتاد
عنوان هذا السفر (بعثٌ) (٢) وهو من · تأليف "تُلستوي" العظيم الهادي

··*

فرأيتُ في ذا السفر كل صحيفةٍ · تهتزُّ من شيءٍ كجنح حمامِ
والريح ساكنةٌ فحرت بأمره · وحسبتُني في عالم الأحلام
ما كنتُ ادري ان روح عزيزنا · تلستوي قد حلَّت به قدامي
ولذاك تضطرب الصحائف مثلما · اضطرب السياج بسالف الأيام
لما بدا فيه لموسى ربُّه · في شكل نارٍ غير ذات ضرام (٣)
فعلمتُ ان الصوت صوت حكيمنا · تلستوي فارتعدت جميع عظامي

يا فرحةَ الدنيا وسعدَ فتىً رأى · رأيَ العيان أكابر الاعلام
وتموَّجت في نفسه اصواتهم · كتموّج النسمات والانغام

افدي بايام الزمان جميعها · ساعاتِ يوم كان فيه امامي
علامة الالمان والعلامة الروسيُّ في هذا الجدال السامي

---

(١) ان الشركة التي تدعو الى زيارة هذا الجبل في اعلاناتها ومطبوعاتها تقول انه ممتاز بالجمال « الطبيعي والصناعي » (٢) هو كتاب « البعث » المشهور (٣) اشارة الى ما جاء في التوراة عن ظهور الله لموسى في العليقة بشكل نار لا تحرق

لا برلمانات الورى في العُرب واليونان والرومان والاعجام
لا عصر ميرابو وديموستين او جوريسَ او غمبتَّ ذي الالهام
كلا ولا فردوس ملتن والجحيم جحيم دنتي صاحب الاحلام
حتى ولا فوق السماء وتحتها مما دنا أو شاسعٍ مترام
يوماً دوى فيها جدالٌ هائلٌ كجدال ذا الضرغام للضرغام

مستقبل الانسان والدنيا جميعاً كان في هذا الجدالِ الحامي

ـ أنييتش (قال الفيلسوف) قد استمعتُ غريبَ قولك فاستمع لكلامي
أتظنّ ما قد قلتهُ علماً جديداً لا وحقِّ العلم والعلاّم
شيءٌ قديمٌ ما ذكرتَ لو انتبهتَ ولم تكن بالمبصر المتعامي
اذهب الى الغابات حيث الناس ما زالوا كمثل سوائم الانعام
فهناك تلقى الناس يتّبعون شرع نييتش طبق اصوله بتمام
لا شرع عندهمُ سوى ما ألفوا من قوةٍ وحشيةٍ وخصام
فقويهم ياليت عين نييتش تنظر دوسه فوق اللهى والهام
بنشاط ذئبٍ فارسٍ وعزيمة الاسدِ الهصور وحدّةِ الصمصام
وضعيفهم يعنو بذلٍ للقويّ وان تمرّد ديس بالاقدام
ألمثل هذا يانييتش تريد ارجاع الورى في عصرنا البسّام
مرّت قرونٌ والنوابغ يتعبون لجذبنا من ذا البلاء الطامي
وتريد انت الآن هدم بنائهم مهلاً نبيّ اواخرِ الايام
تعليمك الممقوت يدفع للورا عمران هذا الارض لا لامام
ثمّ انبرى تُلستوي يشرح ضدّ ذا التعليم شرح معلمٍ علاّم
تعليمَ أديان الورى ومبادئ الحبّ الجميل وكل فكر سام
وعماده الانجيل والتوراة والقرآن والفيدا بعذب كلامِ

واذا أردتُ بيان كل مقاله طال القصيد كطول شهر صيام

••*

لما شفى "تلستوي" غلَّ فؤاده من خصمه والشمسُ في الآصال
سكن الكتاب لان روح حكيمنا قد فارقته للفضاء العالي
لم أدرِ هل صارت الى ما فـ وق أم عادت لجسم الفيلسوف البالي
جسمٌ كأجسام الشيوخ وانما فيه جمال سذاجة الاطفال

••*

ساد السكون هنيهة لكنما من بعدها هبت رياح شمال
حملت اليَّ من الجبال وشاسع الآ كام والوديان والادغال
اصوات طير الجو والاحياء طراً تستغيث بربها المتعالي
لم تستفد غير (التحيّر) منهما (١) فجميعها أمسى "أبا مرقال" (٢)
ونفوسها ذابت أسىً يا ليتها ظلّت كما كانت من الجهّال ...

••*

ثم انحدرتُ لفندقي من قمة الجبـ ـل الرفيع لكي أشدَّ رحالي
وحلفتُ اني بعد هذا اليوم لسـ ـتُ بمرتقٍ جبلاً من الأجبال
فالمكثُ في ظلمات وادٍ باردٍ خيرٌ لمن يهوى فراغ البال ...
وذكرتُ حينئذ مقالة شاعرٍ "السيلُ حربٌ للمكان العالي" (٣)

فرح انطون

---

(١) أي من كلام نيتش وكلام تولستوي (٢) اشارة الى البيت المشهور
فاضاع مشيته واخطأ مشيها ولذاك سموه أبا مرقال
(٣) هو شطر بيت مشهور لعله لابي تمام او البحتري. ولما أنشده قائله وقف ممدوحه إجلالاً لهذا البيت. ولا تخفى بلاغته كما لا تخفى مناسبته لهذا المقام

الناس اربعة

من هم قادة العالم

وذوو النفوذ

كيف تجعل الناس يتهيبونك

الناس لك اربعة

رجل تتهيبه حين تستقبله وتظل تتهيبه بعدئذٍ

ورجل لا تتهيبه وقد تستضعفه حين تستقبله ولكن لا تلبث بعد عشرة قصيرة ان تستقويه وربما تضطر ان تتهيبه

ورجل تتهيبه حين تستقبله ولكن بعد عشرة قصيرة او طويلة تزول هيبته من نفسك وربما حملته على ان يتهيبك

ورجل تستضعفه مذ تستقبله وتحمله على ان يتهيبك دائماً

الطبقة الاولى

قادة الامم

اما الاول الذي تتهيبه أولاً وآخراً فهو العظيم النفس والجسد معاً. وعظمة نفسه مقرونة بالذكاء الطبيعي وقوة الجنان. وعظمة جسده مقرونة بالملامح الحادّة — أي ان اخلاقه جليّة في عينيه وسحنته

ويمتاز هذا الموهوب بقوة ارادته وتنبهه وتيقظه وحدّة ذهنه. ويكثر عناده في الامور ولا تندر إصالة رأيه وحكمته. فكأنّ القوة والفهم مجتمعان فيه. فاذا لم تكن مساوياً له فيهما سطا عليك من اول وهلة واستضعفك واضطررت ان تتهيبه

هذا الصنف من الناس اسبق الاصناف الاربعة الى قيادة الهيئة الاجتماعية واستلام مقاليد الامور واكثرها نفوذاً وسؤدداً. ويغلب ان يكون ذووه مديري

الاعمال المسيطرين وندر من يستسلم منهم لسيطرة حتى ولو كان مرؤوساً وهم لا يبتغون المال لاجل المال بل لكي يستخدموه للنفوذ والاستقواء. وربما كانوا اكثر استقامة من سواهم لاعتمادهم على قوتهم. على انهم قلما يرثون للضعيف وان فعلوا فلسياسة غالباً لا دائماً

ولا ريب انهم هم العنصر الاهم في الاجتماع الانساني وربما كان رقيه متوقفاً عليهم حتى اذا كثروا فيه كان اسرع رقياً

وهؤلاء هم الذين نقول ان السعد خادمهم اذ نرى ان الامور موفقة لهم. والحقيقة اننا لا نشعر بان نفوذهم يقود الامور حسب رغبتهم. لانهم بما لهم من الهيبة يسطون على العناصر الاخرى العاملة في الاجتماع ويجعلونها كآلات في ايديهم. فتلك العناصر تعمل معاً لمصلحتهم. فهي بحسب الظاهر تعمل متباينة والحقيقة ان صاحب النفوذ يفتكر ويريد والعناصر العاملة تنفذ ارادته لا ارادتها فتتفق طبعاً ولهذا نرى الامور موفقة لهم

الامير بشير الشهابي ونابوليون

من الامثلة على هذا الصنف من الانام الامير بشير الشهابي فقد كان عظيم الهيبة جداً حتى ان خبره كان يلقي الرعب في كل لبنان. ويروى عنه انه لما استُقدم كأسير الى الاستانة ودخل على مجلس الوزراء وقفوا له في الحال وبعد ذلك خجلوا من انفسهم لوقوفهم لاسير لهم واتفقوا على ألاَّ يرتكبوا هذه الغلطة بعد. ولكن لما دخل عليهم ثانيةً لم يشعروا الاَّ وهم يقفون اجلالاً له

ومن هذا الصنف ايضاً نابوليون الاول ولكن كانت عظمة نفسه اغلب على عظمة جسده خلافاً للامير بشير ولهذا كانت له هيبة ومكانة في نفوس جيشه لم تكن لسواه فكان جنوده يطيعونه الطاعة العمياء كأنه هو ارادتهم وهم اعضاء جسمه التي تنفذ تلك الارادة

ويُحكى عنه انه لما عاد من جزيرة ألبا التي كان قد نفى نفسه اليها كان كلما دخل الى بلدة فيها في فرنسا ينضم اليه جيشها مع ان الحزب الملكي يكون قد اقام الجيش لكي يرد نابوليون على اعقابه . ولما وصل الى غرينوبل استقبله نحو ٦ آلاف جندي ولم يكن معه حينئذ الا القليل من الجنود فاستوقف جنوده بعيداً وتقدم وحده الى ان قرب من جيش غرينوبل العامد الى مقاتلته . ثم ترجل عن جواده وتقدم الى تلك الصفوف وكان قائدها قد أمرها بتصويب بنادقها واطلاقها على نابوليون بحيث انها لو أُطلقت عليه لبذرته في الهواء هباءً منثوراً . على ان نابوليون ثَبتُ الجنان فلم يهب . فبقي متقدماً حتى تصوبت البنادق اليه فقال بصوته الجهوري ,, انا نابوليون قائدكم . فهل تقتلون قائدكم ؟ ''

وكان القائد عند ذلك قد أمر باطلاق البنادق فبدل ان يطلقها الجنود نكسوها الاّ بندقية واحدة بقيت مصوبة اليه . وكأنّ الجنود صمُّوا آذانهم عن اوامر قائدهم وفتحوها لصوت نابوليون . ثم تقدم نابوليون الى البندقية التي بقيت مصوبة نحوه وقال لجنديّها : ,, أتقتل قائدك ؟ '' فاجاب الجندي : ,, انها يا مولاي فارغة '' وسلمها اليه لكي يتحقق قوله

ولا ريب ان المستر روزفلت والامبراطور غليوم وامثالهما يعدون من هذا الصنف من البشر متفاوتين في الهيبة والنفوذ والفاعلية

الطبقة الثانية

من ذوي النفوذ

اما الثاني الذي لا تتهيبه بل قد تستضعفه حين تستقبله ولكن لا تلبث بعد عشرة قصيرة ان تستقويه ولا يبعد ان تضطر ان تتهيبه — فهو العظيم النفس دون الجسد وعظمة نفسه مقرونة بالذكاء الطبيعي وقوة الجنان ولكن ليس في ملامحه ما يدل على تلك العظمة بجلاء وقلّ ان تشعر بحدّة في عينيه

وهو كالأول من حيث قوة الارادة والتنبه والتيقظ وحدة الذهن والعناد

في الامور وإصالة الرأي والاّ فلا يتسنى له ان يصبح ذا سطوة وهيبة وسيطرة
وانما يختلف عن الاول غالباً بالدهاء واستعمال الحيلة لانه يعتمد على قوة عقله اكثر من قوة فراسته . وقد لا يقل عن الاول في قوة جنانه وجرأته
ويغلب ان يكون اصحاب الدسائس والمكايد من هذا الصنف . واكثر اهل السياسة ومديري دفة الاحكام ومديري الاعمال الكبرى من متاجر وشركات الخ انما هم من هذا الصنف من البشر

هؤلاء هم الذين كلما عرفناهم ازددنا تهيباً لهم لاننا نشعر بقوة ارادتهم واصالة رأيهم ورسوخ كلمتهم وثباتهم على مبادئهم وجهادهم في تنفيذ مآربهم

قد يمكن ان يكون منهم ابو الهدى الصيادي الرفاعي الذي كان صاحب النفوذ الاول في المابين الهمايوني . وربما كان بسمرك من هذا الصنف ايضاً . وكثيرون من اصحابنا المحنكين يعدون منه ايضاً . وهذا الصنف اكثر عدداً من الصنف الاول

الطبقة الثالثة

النافذون بالتهويل

اما الثالث الذي تهيبه حين تستقبله ولكن بعد عشرة قصيرة أو طويلة تزول هيبته من نفسك وربما حملته على ان يتهيبك — فهو الذي تنحصر قوته في ملامحه ومظاهره الخارجية واما دماغه وجنانه فصغيران . هو الذي يغشك مظهره ويفضحه مخبره

روي ان رجلاً كهذا زار يوماً كبيراً من كبراء لبنان في أحد الاعياد . وكان عامة الناس يتوافدون على الكبير و يمثلون بين يديه ليهنئوه . فكان الذين لا يعرفون ذلك الذات العظيم ينحنون امام زائره الذي تقدمت الاشارة اليه لظنهم انه هو السري الامثل صاحب الدار لما رأوه من مهابته وعلاء طلعته حتى اذا عرفوا انه من طبقتهم خجلوا من انفسهم . وكان الذات يتميز غيظاً من

جراء ذلك حتى انه اوعز اخيراً الى ذلك الرجل الأ يزوره وهو في ثو به الانيق تحايداً لمثل هذا الغلط الفظيع

وكثيرون من اهل هذا الصنف من البشر الذين يغشك مظهرهم اذا كان عندهم قليل من الجرأة والاقدام والحزم استطاعوا التمو يه والتهو يل وظلوا في عيون المحيطين بهم من السذج نافذين معظمين ومتسيدين مع ان رؤوسهم فارغة وقلوبهم ضعيفة

و يكثر في هذه الطبقة المغرورون الذين لا يدرون بغرورهم ولا يعرفون اقدار انفسهم فيتبعون غرورهم و يهولون على بسطاء الناس فيجوز تهو يلهم . ولا يندر ان يكونوا من ذوي الدعاوي الفارغة ولكن مظاهرهم تؤيد دعاويهم في نظر الساذجين فينخدعون بهم

كثيراً ما نرى من هؤلاء المدعين وهم ليسوا في العير ولا النفير ولا يملكون من رأس مال المعرفة شروى نقير ولكنهم يوهون على عامة الشعب و يتسيدون عليهم و يغنمون من ثمار اعمالهم مجاناً بلا استحقاق

الطبقة الرابعة

المنقادون

اما الناس الذين تستضعفهم منذ تستقبلهم وتحملهم على ان يتهيبوك دائماً فهم معظم العامة المنقادين الذين يكونون آلات في ايدي ذوي النفوذ والجاه . وهم الذين تعرب جلياً ملامحهم ومظاهرهم عن صغر نفوسهم وادمغتهم وارادتهم . ويكادون يكونون عديمي الرأي ولا ثقة لهم بانفسهم و ينتظرون من يتسيطر عليهم ولا يكادون يحسنون عملاً بلا مدرب يدربهم

التهيب نسبي

هذا بيان اجمالي لطبقات الناس بنسبة بعضهم الى بعض من حيث التهيب على ان الافراد يتنازعون النفوذ والهيبة واقواهم جناناً أسبقهم الى الفوز والتسيد والنفوذ . ولكن قد يكون لمعرفة هذه الحقائق شأن في الفوز وسطوة الواحد على

الآخر . فاذا اجتمع اثنان من طبقة واحدة من الطبقات السابق وصفها فاسبقهما الى التأثير والسطوة والاعتصام بهيبته الشخصية يتغلب على الآخر ويضطره الى تهيبه

وهذه هي سياسة بعض الناس ولا سيما الذين ليس لهم رأس مال كافٍ من الفهم الحقيقي في التغلب على غيرهم فانهم يبذلون جهدهم منذ اول مقابلة ان يؤثروا على الذين يجتمعون بهم تارةً بالتشامخ واخرى بالانفة وحيناً بالدعوى والايهام بالجاه وطوراً بالقحة والجسارة الى غير ذلك مما يصورهم في عين محاضرهم شيئاً عظيماً . ولكن لا يندر ان تنكشف حقيقة جوهرهم بعد حين فتنحط مكانتهم

واذ قد عرفت كل ذلك يسهل عليك ان تفهم كيف تسلك مع الناس . فلا تستسلم لهم ولا تحكم على مركزهم ومقدار نفوذهم قبل ان تعرف جوهرهم ولا تهوّل عليهم وتموه على عيونهم اكثر مما يحق لك لئلا يحطوا من مقامك متى عرفوا جوهرك . فاجتهد ان تعرف قدر نفسك وقدر غيرك معاً . واعطِ نفسك حقها وغيرك حقه

نقولا الحداد

استلفات نظر

نحن الآن في الثلث الاخير من السنة فاذا كنت ايها المشتركُ الكريم لم تدفع قيمة اشتراكك بعد فحتى متى تتأخر وانت تعلم ان الادارة تدفع كل نفقاتها سلفاً فحسبك ان تمهلك اشهراً بقيمة الاشتراك الزهيدة . فنرجو من جميع المشتركين الكرام غير الدافعين في الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والارجنتين وسائر البلاد الاميركية وفي مصر وسوريا على الخصوص ان يتفضلوا بارسال بدلات اشتراكاتهم على الفور ولهم الفضل

وهنا نحث حضرات الوكلاء الافاضل الغيورين ان يبذلوا جهدهم بجمع الاشتراكات ولهم الشكر سلفاً

اصلاح تركيا

تاريخه وماهيته وتأثيره

وروح ابطاله

الالسنة تلهج بالدستور الجديدوالافكار حائمة حوله واهوية المجالس العمومية والخصوصية تتموّج باللغط فيه فلا يليق بمجلة الجامعة ان تقع بين ايدي قرائها وهي خالية من الابحاث اللازمة بهذا الموضوع واهمها تاريخ الاصلاح في تركيا وماهيته والمراد منه سابقاً وحاضراً وتأثيره والله المستعان

نبذة أولى

فذلكة تاريخية في القرن الماضي من حكم محمود حتى بدء حكم السلطان عبد العزيز

هلَّ هلال القرن الماضي على الدولة والملك في قبضة السلطان سليم الثالث المصلح فانه تولى السلطنة ١٨ عاماً بدأها بمتابعة الحرب التي كان السلطان عبد الحميد الاول قد اوقد نارها مع الدولتين الروسية والنمسوية وختمها باعلان الاصلاح العسكري العثماني الذي دعاه المؤرخون بالنظام الجديد وأدى الى استياء اجواق الانكشارية منه وخلعه في شهر مايو (ايار) عام ١٨٠٧ . وقد قام بين هذين التاريخين باعمال جليلة بالرغم من المصاعب والقلاقل التي احاقت بالبلاد في عهده كثورة محمد علي باشا والي يانيا وطوالع ثورة اليونان . وخلفه السلطان مصطفى ولكنه لم يتربع في سرير السلطنة غير اشهر قليلة فخلفه السلطان محمود الثاني الذي نظم الجيش وفتك باجواق الانكشارية وكان اول سلطان نادى بالتنظيم والعدل والمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين على اختلاف

مللهم ونحلهم . وفي ٢٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٠٨ دعا مصطفى باشا البرقدار وزيره وأمره ان يدعو الكبراء والاعيان لمفاوضتهم في شؤون الاصلاحات التي قرر ادخالها الى السلطنة . فيرى القارئ مما تقدم ان تاريخ الاصلاح في تركيا يبتدئ منذ قرن كامل . وبعد السلطان محمود الثاني بقي الاصلاح كامناً في صدر الامة حتى عهد عبد المجيدفقاومنهروسيا ثم ظهر لعهد السلاطين الثلاثة عبد العزيز ومراد وجلالة عبد الحميد اذ قام بعض الغيورين مثل مدحت باشا وبثوا ما في صدر الامة من امنية الاصلاح

وفي ١٦ يونيو (حزيران) سنة ١٨٢٦ اصدر السلطان محمود الخط الهمايونيَ القاضي بتنظيم الجيش كما تنظم الجيوش الاوروبية . الا انه لم يكن أسعد حالاً واكبر نصيباً من سلفه السلطان سليم الثالث فقد أصلى حربين مع الدولة الروسية فشلت الدولة فيهما . الاولى في عام ١٨١٠ وقد انتهت في شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٢ والثانية سنة ١٨٢٨ وقد انتهت في سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٢٩ واضطر السلطان محمود في خلال هذه السنوات ان يقاتل الصربيين واليونانيين وجنود محمد علي باشا والي مصر فعجل ذلك بموته فتوفي بعد واقعة نزيب التي انكسرت فيها قوات حافظ باشا . وخلفه نجله الاكبر السلطان عبد المجيد وهو في السابعة عشرة من عمره . وكانت المسألة المصرية أعظم شاغل للدول فاصدر فرمان سنة ١٨٤٢ الذي كان ختام ادوارها

ولما فرغ من مشاغله الداخلية التفت الى ما كان قد بدأهُ ابوهُ من قبلهِ فأيده وأعلن سنة ١٨٣٩ فرمان الاصلاح المعروف بفرمان ,, كل خانه '' ثم ناط بمصطفى رشيد باشا المصلح العثماني المشهور تحقيق ذلك الاصلاح الذي ساء الحكومة الروسية فاقترحت على انكلترا منذ عام ١٨٨٤ اقتسام تركيا وكانت الدولة الانكليزية تتصام عن ذلك . فكانت روسيا تزداد استياء بقدر ازدياد الاصلاح انتشاراً في بلاد الدولة وظلت تدس الدسائس الى ان اصلت نار الحرب بينها وبين الدولة العلية سنة ١٨٥٤ ولم تكن تعتقد ان انكلترا وفرنسا تنتصران

للدولة عليها

ولما انتهت تلك الحرب بفشلها اعلن السلطان عبد المجيد الخط الهمايوني الثاني في ١٨ فبراير (شباط) من عام ١٨٥٦ قبيل موتمر باريس ساوى فيه بين جميع الرعايا العثمانيين وصرّح بقبولهم جميعاً في الجندية العثمانية بلا اختلاف ولا تفريق غير ان بعض رجال حزب التأخر حالوا دون انفاذ هذا الخط الهمايوني . وقد توفي سنة ١٨٦١ فخلفه اخوه السلطان عبد العزيز

٢ ــ عبد العزيز ومراد

بدأ عبد العزيز حكمه بقمع ثورة الجبل الاسود والصرب وكانت مدة حكمه ١٥ سنة قضاها منغمساً في شهواته وملذاته وكان مغروراً ومتعظماً ومحباً لنفسه ومسرفاً ولم يهتم قط بمصلحة الامة والدولة فكان سلوكه سلوك حاكم في عصر الجهالة ولكن المدنية الاوروبية لا تمهله حتى يأذن لها بالدخول الى بلاده في حين انها كانت تتدفق على الشرق فاستطرقت الى تركيا في طريقها . وبينما كان السلطان مضجعاً في سرير ترفه كان نبهاء الشعب متيقظين وقد ساعدهم تراخيه على التمرّس على حب الحرية والتمدن الجديد ولا سيما لانهم كانوا يدرسون الآداب الغربية وكان لهم المجال رحيباً لان حرية المطبوعات والجرائد لم تكن مخنوقة . فانشئت لذلك العهد جريدتا ,, مخبر " و ,, حريت " وكانتا تبثان روح الاصلاح في الامة ونشأ الشاعر النابغة كامل افندي فاثار الوطنية في الصدور بمنظوماته الحماسية ولا سيما لانه كان يقرّع بالحكومة . وعند ذلك استيقظ السلطان عبد العزيز من غفلته مذعوراً وبدل ان يتدارك المملكة بالاصلاح اعتمد على وزيره محمد نديم باشا وشاركهما بالرأي اغناتيف سفير روسيا فاتفقوا على اعلان افلاس تركيا بدل ان يتفقوا على اصلاح ماليتها وتقويم حال البلاد كلها . وكان ذلك علة عداء الاوروبيين الشديد لتركيا لان الذين

لهم اموال لا يقبلون مزاحاً بالمسائل المالية . وعليه انتهزت روسيا في خلال هذه الازمة فرصة تغيظ الصليب الاوروبي من الهلال التركي واثارت الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٦ التي كانت ويلاً على تركيا

وزد على ذلك ان مسألة الخلافة انشأت عقدة سياسية اخرى افضت الى خلاف انكلترا وروسيا فان هذه رغبت ان تكون الخلافة للبرنس عز الدين ابن السلطان عبد العزيز لانها كانت تعتقد انه يميل لها وانكلترا كانت تؤيد الامير مراد لانه صاحب الحق والامة تحبه لتعقله وحسن آدابه ومعرفته

وكان مدحت باشا ابو الاحرار من أعظم انصار مراد فلما سائت كل حال في المملكة استمالــ اليه محمود نديم باشا الصدر الاعظم . واستوثق منه ان لا يحرك ساكناً ضده ولا يقضي اوطار روسيا . وعند ذلك أثار السفطاء أي العلماء وقراء القرآن والمشائخ وعددهم يبلغ نحو ٤٠ الفاً فاضطر السلطان ان يرضيهم بعزل نديم باشا الصدر الاعظم وعزل شيخ الاسلام وتعيين مدحت باشا وزيرًا . واستوز محمد رشدي باشا صدراً أعظم

ولما ثار اهل الفلاخ والبغدان وُلّي حسين عوني باشاقيادة الجيش فقمع الثورة . ولما تعرف مدحت باشا بعوني باشا هذا واطلع على مبادئه وجده خير نصير له على الاصلاح فاتفقا على تنظيم لائحة اصلاحية تقضي : ١ً ـــ بمساواة العثمانيين بقطع النظر عن مللهم ٢ً ـــ بانشاء مجلس المبعوثان للسيطرة على مالية البلاد واصلاحها ٣ً ـــ بمحاكمة الوزراء في محكمة خاصة اذا اذنبوا أي جعلهم مسأولين خلافاً لما كانوا عليه ٤ً ـــ باطلاق حرية المطبوعات . لان عبد العزيز لما شعر بهياج الشعب ادرك ان حرية المطبوعات كانت السبب فخنقها

ولما قرّروا هذه اللائحة اتفق مدحت باشا مع السفطاء ان يقوموا بثورة عامة ويخلعوا السلطان اذا ابى اجابة هذه المطالب ويولوا مراداً مكانه . وكان

عوني باشا في الوقت نفسه قد أعدّ القوة العسكرية لانفاذ مشروع الخلع وشيخ الاسلام الجديد خيرالله افندي اصدر فتوى بالخلع مدارها اخلال السلطان بواجباته

وفي ليلة ٣٠ ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ قاد عوني باشا الجنود الى القصر السلطاني وأمرهم بالاحاطة به وهم لا يعلمون ماذا يكون . ثم ذهب عوني باشا الى قصر الامير مراد واوقظه وابلغه انه سيخلف عمه فذعر الامير ظاناً ان ذلك مكيدة له ولكن عوني باشا طمأنه

وكان رديف باشا مستشار الحربية قد عُهد اليه ان يدخل على السلطان عبد العزيز ويبلغه الفتوى وبغية الامة بخلعه فدخل القصر بالرغم من مقاومة الحرّاس . وقد أحس السلطان عبد العزيز بضوضاء في قصره فنهض مذعوراً واذا برديف باشا واقف فوق رأسه فصرخ به ان يخرج من غرفته . فقال له رديف باشا ,, قم وانظر جنودك المحيطين بقصرك يريدون ان ينفذوا بغية الامة بخلعك'' . فاسقط عبد العزيز بيده وادرك الدسيسة وجعل يتغضب على مراد

وعند ذلك كان عوني قد وصل مع الامير مراد الى دار السرعسكرية حيث كان جميع اعضاء الديوان ينتظرونهما وكان جمهور من الاحرار من كبار الدولة والعلماء وغيرهم فنادوا بالامير مراد خليفةً . وفي اليوم التالي قرأ السلطان الجديد منشوره واعداً فيه بالاصلاح وهو منشور لم يسبق له مثيل لما فيه من روح الديموقراطية . اما عبد العزيز فيئس من أمره وانتحر بنفسه بعدئذٍ . وأهم ما يذكر من أعماله في عهده انشاء البنك العثماني عام ١٨٦٢ ومعاهدة لندن عام ١٨٧١ التي كانت ضربة جائرة على الدولة . وبلغ دين الدولة لعهده نحو ٢٠٠ مليون ليرة عثمانية

وكان مراد طيب القلب حسن النية ميالاً الى المدنية الجديدة . ولكنه على ما يظهر كان ضعيف القلب والارادة فكان الصولجان ثقيلاً بيده فلم

يطق حمله اكثر من ثلاثة أشهر فخُلع بفتوى انه مجنون وتولى جلالة السلطان عبد الحميد الحالي بدله في آخر آب سنة ١٨٧٦ وكان مدحت باشا نفسه نصيراً له لانه رأى ان السلطان مراد لا يقوى على القيام باعباء الحكم ولا سيما لانه عصبي المزاح جداً وقد أثرت عليه الحوادث ولا سيما انتحار عبد العزيز فمرض وكان مضطرباً كل الوقت . وقد أمّل مدحت باشا ان جلالة السلطان عبد الحميد ينفذ الاصلاحات المطلوبة

٣ — مدحت ومجلس المبعوثان

وقبل ان يتبوأ جلالة السلطان عبد الحميد العرش كان قد وعد مدحت باشا أن ينفذ الاصلاح . وقد وقّع على القانون الاساسي الذي كان مهيئاً على نية ان يعلنه على أثر مبايعته . وبعد ستة اسابيع أُعلن رسمياً بان جلالته سينشر لائحة الاصلاح الجديدة التي كان الشعب يتوقعها لان روح الاصلاح كانت قد عمّت الامة في ذلك الحين

ولكنه ما لبث ان ابلغ مدحت باشا ان الاصلاحات التي قدمها اليه بطريقة غير رسمية لا توافق احوال المملكة وان لا بد من تنقيحها ففهم مدحت باشا ان جلالته يبتغي التملُّص من القانون الاساسي . ولكنه بقي مؤملاً ان ينفذ تلك الاصلاحات عن يد مجلس المبعوثان الذي لم يرَ جلالته بدّاً من دعوته

وعلى أثر ذلك تعين مدحت باشا صدراً أعظم فأعلن القانون الاساسي باحتفال عظيم في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وتلا حينئذ جلالة السلطان منشوره الاصلاحي مبيناً الداعي لانشاء مجلس المبعوثان (الذي سيكون موضوعنا في النبذة الثانية)

على ان جلالة السلطان لم يكن راضياً بالقانون الاساسي ومجلس المبعوثان

قلبياً وانما تظاهر بذلك لكي يسترضي حزب الاصلاح ريثما يجد الوسائل الكافلة باستعادة الحكم المطلق ومن ثم رأى ان يقطع الحية من رأسها وذلك بان يبعد مدحت باشا لانه هو محور حركة الاصلاح فعزله من الصدارة العظمى ونفاه الى اوروبا . وهناك كتب في مجلة القرن التاسع عشر بعض مقالات مهمة عن تركيا

وما لبث ان استدعاه جلالة السلطان لانه حسب حساباً له وهو في اوروبا وولاَّه ولاية كريت في تشرين الاول (اكتوبر) وبعد شهرين ولاه على ولاية سوريا وهناك اتُّهم انه سيعصى ويستقل بالولاية فأُرسل والياً الى ازمير . ثم استدعي الى المحاكمة في الاستانة بتهمة انه قاتل عبد العزيز . ولكنه علم بالدسيسة فلجأ الى قنصلية فرنسا فوردت رسالة من الاستانة موءمنة على حياته فسلَّم نفسه وأُخذ الى الاستانة وحوكم وشُهد عليه زوراً انه قاتل وحُكم عليه بالاعدام ولكن مجلس الوزراء ابى ان يصادق على الحكم وسفراء الدول اعترضوا عليه فابدل النفي بحكم الاعدام ونفي مدحت باشا الى قلعة الطائف وبقي في منفاه ٣ سنوات ثم قُتل ويقال ان راسه أُرسل الى الاستانة

اما مجلس المبعوثان فانعقد وكان يتباحث بأهم المسائل في ذلك الحين وكان في بحر انعقاده حرب هائلة للدولة مع روسيا . وقد حدث خلاف شديد بين اعضائه ورجال الحكومة لان الاعضاء كانوا يتباحثون بكل حرية وبحسب ما يخولهم القانون فعزَّ ذلك على كبراء الحكومة الذين كاد المجلس يكف يدهم عن الاستبداد حتى لما اشتد الخلاف أمر السلطان بحل المجلس وبقي ملغىً حتى تموز الماضي كما علم القراء الكرام

وفي الجزء التالي تفصيل الحكم لعهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني الحالي

نقولا الحداد

عجائب اللاسلكية

بالون يسير بالكهربائية بلا سلك — يهتم المستر ارثور سارجن في ,, نيوروشل "
(ضواحي نيو يورك) باختراع بالون يسير بقوة الكهرباء بلا سلك على مسافات
مختلفة ٠ و يقول انه واثق من النجاح ٠ وفي طاقة اختراعه ان يسير البالون
الى أي جهة أرادها قبطانه وان يرفعه أو يخفضه كما يشاء ٠ وستكون مزية هذا
البالون انه خفيف جداً بحيث يتسنى له نقل الاحمال الثقيلة

تلفون لاسلكي بين اوروبا واميركا — تهتم احدى الشركات الآن بانشاء تلفون
لاسلكي بين برج ايفل في باريس وقمة احد الفنادق العالية في نيو يورك ٠ و يقال
انه لا بد من استخدام الراديوم لهذا التلفون الذي يرجع الصدى فوق الاتلانتيك

تقارير طقسية باللاسلكي — امكن الدكتور بولي مدير المرصد الجوي في
اكس لاشابل ان يعمل تقارير عن الطقس غريبة بواسطة رسائل لاسلكية
كان يأخذها من الباخرة ,, اوغستا فكتوريا " الخاصة خط ,, همبورغ اميركان "
قال : ,, نجحت في أخذ تقارير عن الطقس بالتلغراف اللاسلكي عن بعد ٨٠٠
ميل من شاطئ اميركا وعن بعد ١٢٠٠ ميل من شاطئ اوروبا و بمساعدة الرسائل
اللاسلكية من البواخر استطعت ان ارسم خرائط طقسية على مسافة ٨٠٠ ميل

بالون بين نيو يورك و بوسطن — تؤلف شركة لانشاء بالون تجاري لنقل
البضائع والركاب بين نيو يورك و بوسطن

الوكيل العمومي في القطر المصري

نرجو جميع مشتركينا الكرام في القطر المصري ان يعتمدوا وكيل الجامعة
العام في القطر حضرة الاديب الفاضل الماجد محمد افندي شمس الدين
الصحن بالميدان في الاسكندرية

الجامعة

الجزء ٩ السنة السادسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ — رمضان سنة ١٣٢٦

مدرسة العالم على جسر بروكلن

الشرائع الاجتماعية

لم تؤيد الحرية والاخاء والمساواة بل فيدت البشر في معمل العمران

جسر بروكلن هو خيط يصل بين شطري نيو يورك العظيمين المتوازنين(١) بل هو احدى الاقنية (٢) التي تصب فيها بروكلن صباحاً نحو مليون من البشر

---

(١) شطرا نيو يورك هما نيو يورك الاصلية و بروكلين وكلتاهما متقاربتان بعدد السكان وتؤلفان نيو يورك العظمى التي يبلغ عدد سكانها نحو الاربعة ملايين نسمة. و بهذا الاعتبار "نمد" ثانيه مدن العالم ولندن هي الاولى

(٢) يوجد غير جسر بروكلين الى شماليه جسر آخر فوق النهر الشرقي الفاصل بين بروكلين ونيو يورك و يبنون الآن جسراً آخر بينهما . وفي العام الماضي انتهى النفق

في نيو يورك . ثم تعود نيو يورك مساءً فتصب هذا المليون في بروكلن

فاذا وقفت صباحاً أو مساءً عند طرفي هذا الجسر (قل في جهة نيو يورك مثلاً) حيث توجد مواقف القطرات الذاهبة الآتية بين ذينك الشطرين تجد الخلائق تتدفق تدفق السيل كأنها فوّارٌ بشري . تجد احتكاكاً بلا عرك وزحاماً بلا صدام ودوياً وضوضاءً بلا لغطٍ ولا نداءٍ وتفاهماً بلا كلام . هذا يقاطع ذاك في سبيله فيتحاشاه فان مسّه استرضاه معتذراً واستمرّ في طريقه مفتكراً . كلهم صامتون وفي صمتهم فصاحة سحبان وحكمة سليمان — ساكتون ولكن في ادمغتهم السنة افكار نواطق وفي صدورهم قلوب بدماءِ الآمال — نوابض خوافق . يجرون جري الغزلان النوافر كأنهم يستعجلون الزمان الحاضر ويختصرون الحياة وهم يظنون انهم يمطّون حواشي العمر ليسع تلك الآمال — يعدون تباعاً سراعاً

فالى أين ؟

ينهضون كل يوم صباحاً ولو كان النوم ملءُ اجفانهم والوهن يحل اعصابهم ويتسربون في خطوط المدينة من كل فج ويتلاقون كلهم في طرق ذلك الجسر ثم يتفرقون في دوائر اعمالهم ثم يتلاقون في المطاعم ثم يتفرقون في دوائر الاعمال ثم يتلاقون في طرف الجسر ثم يتفرقون الى مراقدهم — وكان مساءٌ وكان صباح يوماً تالياً . ثم ينهضون وهلمّ جرّاً منذ الازل والى الابد — "من المعلف الى تحت النير . ومن تحت النير الى المعلف" — فحتى متى ؟

في عهد الطفولة يتوقعون الشباب وفي رؤوسهم احلام العصافير — ينضج ذلك الجسم النضير ويتمدد ذلك الدماغ الصغير وتتحول تلك الاحلام الى

الذي تحت هذا النهر وصارت السكة الحديدية الكهربائية تتردد بين الشطرين فيه . ثم يوجد جسر آخر فوق نهر الهدسن ونفق تحته لوصل جرزي ستي بنيو يورك ايضاً

آمال واماني فيقولون „ المستقبل المستقبل . اليوم أمرٌ وغداً خمرٌ . اليوم نعلم . وغداً نغنم . وبعد غدٍ ننعم ״ . يشبون ويكهلون ويشيخون وشبح المستقبل كالسراب امامهم او هو كالقمر امام الولد في الصحراء — الولد يمشي والقمر يمشي أمامه فلا يدركه

فما هو المستقبل ؟

يقولون نركض وراء السعادة والسعادة متجسمة في المال والمال عبارة عن العمل فنعمل جهدنا لكي نظفر بالسعادة — يعملون ويجمعون الريال الى الريال والمال الى المال والارقام الى الارقام . ينقضي العمر والسعادة لا تجيء وما دام في الدنيا اصفار تضاف الى اليمين فالارقام لا نهاية لها . والثروة بلا حد والسعادة هي العنقاء لا الخل الوفي

قال لي مرّة احد الظرفاء : ما ذلك الموقف على احد طرفي جسر بروكلن الا مدرسة العالم الكلية وعلى كل فرد منا ان يقف هناك خمس سنين فقد ينال شهادة المعرفة الحقيقية — معرفة مجري هذا العالم وغاية مسيره . فاننا نعمل ونكدح ونستفرغ قوانا ونذهب ونأوب كل يوم على هذا الجسر العظيم ونركض وراء الريال فنظفر به ولا يلبث ان يفلت من بين ايدينا — يروح يوم ويجيء يوم ونحن على هذه الحال حتى نموت ومع ذلك لا نزال نجهل غاية هذا الاجتماع وناموس هذا السباق في حلبة العمل . وقلَّ بيننا من يفهم سرَّ ذهابنا وايابنا في سبيل واحد وفي موعد معين كأننا على ميعاد وما نحن على ميعاد لشعور كل منا بحرية الحركة وحرية الفكر وحرية الارادة — فهل نحن آلات ؟

نعم نحن آلات بل ادوات في آلةٍ واحدةٍ — في معمل البشرية العمراني . انت عضاضة وذاك عجلةٌ وهذا مسمار وهذاك ركيزة الخ وكلنا نعمل مُسيَّرين

لا مخيّرين · وهذا الذي يسمونه نظاماً فيجعلنا نتحاشي بعضنا بعضاً ونحن نتقاطع في الطريق ونتحايد احدنا الآخر ونحن نسعى في سبيل الرزق ويحملنا على ان نمتنع عن اصطدام بعضنا ببعض ودوس هذا ذاك ويحرجنا على الاعتذار لمن نحتك به عفواً — هذا النظام ليس الا قيداً لنا أو رابطاً يربطنا بتلك الآلة الكبرى — بذلك المعمل العظيم · هذا الذي يسمونه قانوناً فيمنع زيداً عن ضرب عمرو ويكف بكراً عن انتهاب ما في يد خالد الى غير ذلك ليس الاّ مسماراً يسمرنا بآلة ذلك المعمل الكبرى · وهذا الناموس الاجتماعي الذي يوقظنا كل صباح مهما كان نومنا عميقاً ومهما سهرنا في الليل واحتجنا الى النوم صباحاً ويدفعنا في الوقت المعين الى القطار والاندفاع فوق جسر بروكلين وتزاحم المناكب في المحطة والجري الى محلات عملنا — هذا الناموس هو البرغي الذي يلصقنا بتلك الآلة الكبرى — آلة المعمل البشري العمراني العظيم · فنحن على ميعاد ولكن ما نحن اخترنا هذا الميعاد بل الطبيعة — طبيعة الكون والاجتماع البشري والحياة — التي نحن العوبة في يديها · فهي نظمتنا في تلك الآلة العديدة الادوات نظاماً دقيقاً بحيث نعمل كلنا معاً في وقت واحد متصاقبين متوافقين لا يحتك بعضنا ببعض ولا يعترض احدنا الآخر كما تدور الآلات الميكانيكية الكبرى كآلة الطباعة او آلة النسج مثلاً فتتوافق اجزاؤها ولا تحتك عجلة بعضاضة ولا تعترض عضاضةٌ عجلةً · لانه اذا اعترضت تلك هذه كسرت الواحدة الاخرى ووقفت الآلة · وهكذا الامر معنا نحن

القوانين والشرائع والنظامات — المدنية والادبية — النافذة الآن ليست لتقيم القسط وترفع ميزان الحق وتنصب قضاء العدل والانصاف بين البشر · كلاّ ثم كلاّ · بل لكي تربط افراد الناس في المعمل الاجتماعي وتسمّرهم لكي يعملوا كل حياتهم كما تعمل العجلة والعضاضة والبرغي في الآلة · ومتى عجز

فرد من افراد المعمل الاجتماعي عن انجاز عمله أو القيام بواجب وظيفته المهيّأ لها لسبب من الاسباب كالضعف أو الشيخوخة أو المرض أو الموت نُبذ وجعل فرد آخر مكانه كما لو انكسرت عضاضة أو عجلة في الآلة رميت واُنزل غيرها مكانها

وكما ان اجزاء الآلة غير متساوية في العمل والواجبات بل ان بعضها يرتكز على بعض وبعضها يعمل اكثر من بعض وبعضها يحتمل ويقاسي اكثر من بعض هكذا افراد البشر في المعمل البشري غير متساوين في العمل والواجبات والراحة والمقاساة والآلام والاتعاب والخ بل ان التفاوت بينهم من هذا القبيل أشد جداً من التفاوت بين اجزاء الآلة الميكانكية وادواتها

فالقوانين والشرائع والنظامات النافذة الآن لم تساوِ بين الناس في واجباتهم واتعابهم وراحتهم وتمتعهم حتى انها لم تعدل ولم تنصف بينهم بحيث يصيب كلاً منهم من الواجب والحق ومن التعب والراحة ومن العمل والتمتع على قدر قوته ومواهبه . والى الآن لم نجد ولا فائدة لتلك الشرائع والنظامات سوى انها تقيد افراد البشر بالمعمل الاجتماعي فقط وتضطر كل فرد ان يعمل رغم انفه سواء اعجبه هذا النظام أو لم يعجبه وسواء رضي بقسمته أو لم يرضَ وسواء كفاه نصيبه من جزاء العمل او لم يكفه . وما دامت الاعمال متنوعة ومنظمة وموزعة على جماعات لا على افراد فهو مضطر ان يزج نفسه مع الجماعة والجوع يحرجه الى الرضاء بما يُقسم له من الجزاء

القوانين النافذة الآن لم تساوِ بين الانام بنسبة مواهبهم وقواهم واجتهادهم والا لما كنا نرى الوفاً من الكسالى البله يسكنون القصور ويتوسدون الوثير ويرفلون بالحرير ويتحلون بالابريز ويتباهون بكل نفيس وعزيز وينغمسون في الملذات ويتطوحون في الشهوات ويترنحون في الحانات ويرتكبون الشرور ويستعبدون العباد ويقيمون العثرات في سبيل رقي الامة والبلاد . والقوانين تستثنيهم والقوة المنفذة تختبل أمامهم وصوت الحق يخفت في حضرتهم والجمهور مع كل ذلك يحني هامه وقاراً لهم ويلقبهم بالاكارم الاعاظم وهم لا فضل لهم على الانسانية

الاَّ بما تقتضيه انانيتهم ولا فخر لهم الا بحب انفسهم

وفي مقابل هؤلاء نرى مئات الالوف من الملايين ينزفون عرقهم دماً ويذيبون ادمغتهم افتكاراً في معمل العمران ويلازمون جانب الحق ويستمسكون بالفضيلة ويحرصون على الآداب طمعاً بالانصاف ورجاء بالعدالة ومع ذلك لا يكادون ينالون بلغة العيش الاَّ بشق النفس ولا يفلتون من تحت اقدام اولئك الا بالحيلة والتوسل . والقوانين لا تظهر قوتها وتعتز بصولتها الاَّ عليهم فكأنها وضعت لاجلهم وحدهم أو كأنهم هم وحدهم الهيئة الاجتماعية — والحقيقة ان العمران قائم بالعامة

زارني سوريٌّ يعمل في أحد المعامل الاميركية وفاوضته بشأن عمله وعلمت منه انه اشتغل سنتين في المعمل بلا انقطاع ما عدا ايام الآحاد والاعياد الرسمية وكان مدير العمل راضياً عنه كل الرضاء . ولما طلب اجازة اسبوع يسوح فيه ترويحاً للنفس وتجديداً لقواه لم يأذن له مديره بذلك الاَّ بعد الف رجاء . ولما كان هذا العامل (كغيره من العمال) لا يأخذ اجرهُ الا على ساعات شغله فلم ينل اجرةً في اسبوع العطلة بل كان يُنفق مما وفَّره من أجرهِ بالبخل والتقتير على نفسه

فأين الحق في ذلك ؟

هذا الفتى باع قوته وكل وقته لصاحب العمل فاذا استراح اسبوعاً فلكي يجدد قواه للعمل لمديره لا لكي يصرف قواه لعمل آخر يكسب منه . فبأي حق يضطر ان ينفق من جيبه . ولو كان قد انفق كل اجرته التي ينالها كل يوم بيومه وهي لولا التقتير لا تكفيه . فمن أين له المال لينفق في عهد العطلة الضرورية له لكي يجدّد قواه ويعود نشيطاً الى عمله

صاحب العمل لا يهمه ذلك ولا يريد ان يفهم هذا الحق . صاحب العمل يظل مستنزفاً قوة هذا العامل حتى تفرغ . يستخدمه حتى يعيا ويمرض ويسقم ويعجز عن العمل فينبذه ويدفعه الى التقادير ويستخدم آخر سواه وهكذا

لا يزال يستخدم الصحيح مكان العليل والقوي مكان العاجز ما دامت الارض تنتج عمّالاً . فمنزلة العامل عنده كمنزلة العضاضة في آلات معمله تنكسر فيرميها ويضع عضاضة جديدة مكانها . أو كمنزلة الثور عند الفلاح يستكدّه حتى يموت فيطرحه للنسور الكواسر ثم يضع النير على ثور آخر . فهل أناس الهيئة الاجتماعية اذاً بشر وبقر : بشرٌ ينعمون وبقر يعملون — ومع ذلك يقولون ان القوانين الحاضرة تضمن التسوية بين الانام

اعرف ارمنياً في مصر يستخدمه رجل افرنجي في حانوت سكاير صغير من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثانية بعد نصف الليل فيأكل وجباته الثلاث في الحانوت وينام بقية حاجته من النوم واقفاً متكئاً على المائدة امامه حتى اذا جاء شار ٍ هزّه موقظاً اياه . واجرته نحو ١٠ ريالات في الشهر . فسألته في أمره وقلت له لماذا لا تجد شغلاً غير هذا . فقال لا وقتَ عندي لانام فأين الوقت لابحث عن شغل آخر . فقلت استعفِ من ,,منصبك'' هذا وثمّ ابحث . فقال ليس لي من اجرتي ما يملأ بطني فاذا استعفيت اموت جوعاً لاني لا اعرف ان استعطي ريثما أجد شغلاً أفضل . فقلت استدن من ذويك ريثما تشتغل فتوفي . فقال اني غريب ولا صديق لي في هذه الدنيا . فالرجل مقيّد وليس في القوانين من يحله من قيده

اذا كان العامل الذي له موهبة القوة العضلية يستعمل هذه الموهبة بتمامها ويستفرغ كل قوته ولا يكسل قط عن القيام بواجباته . والحاسب الذي له موهبة الحساب يستعمل موهبته ملئها ويستفرغ كل قوى عقله في دفاتره . والصانع الذي له موهبة الصناعة كذلك وهلمّ جرّا — أي اذا كان كل ذي موهبة يستعمل موهبته تماماً غير كسول ولا متقاعد بل هو شغول مجاهد فلماذا نرى اناساً ينعمون ولا يتعبون واناساً يكدحون ومع ذلك يشقون ؟ أليس السر في ان القوانين النافذة حتى الآن لم تسوِّ بين البشر ولا وظيفة لها الا ان تربط الناس بمعمل العمران الاجتماعي وتضطرهم الى استفراغ قواهم في المعمل مهما كان اجرهم منه

فأين نبع الظلم والغبن اذاً ؟

نبع الظلم والغبن في اخلاق الناس — في نفوسهم — في داخلهم . والقوانين حتى الآن لم تتسيطر على تلك الاخلاق . ولذلك يتسنى لعديم الذمة وفاقد الرحمة ان يغتصب قوي سواه كلما استطاع . ولذلك يسطو الغادر والغابن على الحقاني . ويدوس الظالم رقبة العادل . ويسحق الطموع رأس القنوع . ويظفر المستبد بخناق الطائع . واكثر من كل ذلك ان القابضين على ازمة الاحكام واصحابهم واقاربهم والذين يرشونهم بالاموال أو يدهون عليهم وغيرهم ممن تصل ايديهم الى زمام الحكم — كل هؤلاء يستخدمون صولة القوانين لاجل مآربهم ويجعلونها رسناً في اعناق الطائعين لها الخاضعين للنظام المعتقدين ان الحق في حضن الشريعة ويقودونهم الى تحت نير استبدادهم

فالشرائع والقوانين ليست للتسوية بين الانام بل لتقوية الضالين الظلاّم على الصالحين الذين كالاغنام . الشرائع والقوانين ليست لتقوّم الاخلاق وتنزع الاطماع وتردع الاستبداد وتطهر الهيئة الاجتماعية من الفساد وتعمم الصلاح وتقتل الطلاح وانما هي لتربط الناس في معمل العمران . وحينئذ القويُّ بقواه والظالم بظلمه والغادر بغدره والخائن بخيانته والقاسي بقساوته . فالشريعة لا تخلق الامانة ولا تقوي الاستقامة ولا تحرك الرحمة ولا تحيي الذمة ولا وصول لها الى الضمير — الى القلب

منذ عُرِفت المدنية الحاضرة الى الآن يجري الجنس البشري في سبيل العمران ويضيف كل جيل بعد جيل كثيراً من الحقائق والمعارف ومعالم المدنية ونظامات المعاملة بين الامم والافراد والوسائل السهلة لاستخراج الثروة من الارض — ولكن هل تسير الهيئة الاجتماعية الى الامام كما يظنون ؟ هل تسير الى الكمال ؟ هل تزداد سعادة البشر ؟

عندي شكٌّ بذلك مع اني ممن يعتقدون بالتقدم الى الامام . أشك لانه مرَّ على المدنية الحاضرة نحو ٦ آلاف سنة وما زال الظلم والفساد والشرور بين

البشر كما كانت . وكلما خربت سدوم وعمورة قامت الف سدوم وعمورة بدلها .

نفتخر الآن باننا صرنا اكثر حشمة وتأدباً . وننتقد القدماء الذين كانوا يحسبون التلفظ بالالفاظ القبيحة أمراً عادياً . ونعتقد ان طهارتنا حلت محل دعارتهم وحياؤنا وحشمتنا حلاً محل سفههم وهرائهم واحترامنا للاعراض حل محل ابتذالهم لها . ولكن اذا بسطنا دخائلنا وجدنا ان الرياء يغطي ادناسنا والتمويه يستر ارجاسنا وان الفحشاء في الهيئة الاجتماعية الآن تلتحف بالظلماء وان الكبريت الذي طهر فواحش سدوم وعمورة ولا يطهر فواحش الهيئة الاجتماعية الآن

نفتخر الآن باننا ادق من اسلافنا في التشريع حتى اننا جعلنا لكل أمر نظاماً ونسخر بهم لانهم كانوا يكتفون بالعرف ونعتقد اننا نصبنا ميزان الحق في القضاء . ولكن عند التحري نجد ان ميزان الحق في قبضة الرشاوى وان العدل تحت يد الدينار يهبه لمن يشاء — فأين الشرع من العرف ؟

كانت القبائل تقتتل في العهد القديم رجل لرجل وسهم لسهم ونبلة لنبلة . اما الآن فالعالم كله يقتتل — امة لامة وفيلق لفيلق ومدفع كروب يحصد الوف الارواح . والديناميت والكورديت وغيرهما من المنفجرات تدمر المدن العامرة والقصور الباذخة وتدك الحصون الراسخة والقلاع الشامخة فبأي معنى تتقدم المدنية نحو الكمال يا ترى ؟

يقولون ان العقل يرتقي والفكر يهتدي تدريجاً الى محجة الصواب لاقامة القسط والعدل بين الافراد والسلم بين الامم . ويعتقدون ان القوانين الدولية تتنقح جيلاً بعد جيل لتكون كافلة لهذه الغاية . ولكن مضت الاجيال بعد الاجيال ولا تزال الحروب تشتد اضطراماً فلا يخلو عام من حروب وثورات والدول تستنفد على الدوام نحو الربع من قوى شعوبها على التسليح كبناء السفن الحربية والقلاع والحصون وتجنيد الجنود فأين الترقي ؟ وما هو الكمال الذي نسعى اليه ؟ وما هي قوة هذه القوانين المرتقية ؟

يقولون ان الاخلاق تتدمث رويداً والمبادئ تتقارب والشعوب تتفاهم

والانسان بجملته تارك الهمجية والوحشية وراءه ومتوغل في الانسانية ومقبل على كمال الالوهية الفاضلة — على الصلاح والمسالمة · على اننا لا نزال نرى من فظائع الحروب وتقاتل الامم وتطاحن الشعوب وسفك الدماء ما لم يكن مثله بين القبائل الرحل ولا بين الهمج حتى ولا بين وحوش البر وضواري الوعر · كانوا منذ القديم يقتتلون فلا يتجاوز القتلى مئات اما الآن فيتجاوزون الالوف وعشرات الالوف · كان قبلاً لصوصٌ واما الآن فيوجد عصابات لصوص

قالوا ان بعض الجمعيات كالماسونية مثلاً أُنشئت لتقاوم الاستبداد وتؤيد الحرية والإخاء والمساواة بين العباد · ويقال ان هذه الجمعية ملأت المعمور حتى انه لا تخلو زاوية فيه من فرعٍ لها وما من طبقة او فئة من البشر الا يوجد فيها عديد من اعضائها · أفما أمكن هؤلاء الاعضاء الذين هم الجانب العظيم الفاضل من البشر ان يتفقوا على مصالحة الامم وتوفيق مصالحها وتلافي الحروب وتوقيف التسليح الذي اثقل كاهل الدول بالديون واستهلك الجانب العظيم من عمل العمال الذي كان يجب ان يُصرف لاسعاد البشرية

اما أمكن هذه الجمعيات ان تلافي الغش والخداع من بين الانام — ان تغسل الاحقاد والضغائن من القلوب — ان تطهر الهيئة الاجتماعية من الرذائل والادناس

أين هي الحرية التي تسعى الهيئة الاجتماعية اليها ؟ أهي ان يبقى العامل مقيداً كل وقته في عمله ويدفن مواهبه في اطماع سيده · أم ان ترهن الفتاة عرضها تحت عشاء تسد به رمقها · أم ان يحني الكريم هامته احتراماً للئيم · أم ان يُستعبد الصالح الفاهم لسؤدد الجاهل الظالم — ألست ترى كثيراً من امثلة هذه المعكوسات كأنَّ الزمان منقلب باهله سافله اعلاه ؟

أين هي المساواة في الحقوق وامام القانون ؟ أهي ان يكدح ويدأب زيد ويتمتع وينعم عمر ؟ أهي ان يضرب الامير عامياً فيستاق الشرطيُّ العاميَّ الى السجن ويبقى الامير في متنزهه سارحاً · أهي ان يُكرَم اللئيم لانه سكَّ

العمّال نقوداً ويُحتقر الكريم لان ثروته المعرفة والاستقامة · أهي إن يبقى في البشر امير يتعالى على عامي لانه ورث الامارة من سلالته · أهي ان تتحايد الشريعة نبيلاً أو لورداً أو كنتاً أو بارونا الخ لان له امتيازات ليست لسواه مع انه قد يكون بين هؤلاء من هو أحط من نذل واسفل من جبان · من اين للشرفاء هذه الامتيازات ونحن نعلم ان البشر كلهم من طينة واحدة؟ — لا نعلم لمخلوق امتيازاً الا ما له من المواهب والقوى

كيفما امتحنت المسألة رأيت ان الشرائع والقوانين النافذة الآن لم تصلح آداب الهيئة الاجتماعية ولا تدل على ارتقائها الداخلي الحقيقي لانها لم تنزع الشر من العالم ولا ازالت الفساد من البشر ولا كفلت السعادة للجنس البشري وانما هي الوسيلة التي ضمنت انتظام الانام في سلك الاجتماع البشري والقيد الذي قيد حريتهم لكي يعملوا كالآلة متصاقبين متوافقين لغاية واحدة وهي اسعاد قوم باشقاء قوم

لهذا ترى جسر بروكلين يصب كل صباح بروكلين في نيو يورك ويصب كل مساء نيو يورك في بروكلين · والناس بين بروكلين ونيو يورك مثل القمح في الغربال يتدحرجون تارة الى هنا وطوراً الى هناك غير مختارين

واذا مشيت على ذلك الجسر ولاحظت احد مفاصله وهو يتضام وينفرج هنيهة بعد اخرى شعرت انه يتنهد تحت الالوف التي تعبر عليه لا من ثقلها بل من ثقل شرور البشرية وفسادها

اذا كانت الشرائع والقوانين النافذة اليوم غير ضامنة السلام والسعادة للجنس البشري فليس لان العقل البشري لم يهتدِ بعد الى الشرائع الصالحة المؤيدة للحق والعدل والانصاف والمساواة والحرية بل لان القلب البشري لم يقبل تلك الشرائع · العقل يفهم الحق والضمير لا يعرفه — العالم يعلم ولكن لا يعمل

دلّ سبنسر وتولستوي وهنري جورج وكثير من العلماء والفهماء على الشريعة الحقة ولكن القائمين بتنفيذ الشرائع لا يعملون بها والناس يهربون من وجه الحق

ليست الحاجة الى التشريع لان الحبر على ورق لا يلد نفوساً جديدة · الحاجة الى تربية الهية سامية — لا حيوانية سافلة — تربية تقمّص النفوس الانسانية في طبيعة غير طبيعتها الحالية — تنزع الاطماع من القلوب — تسكب المحبة الحقيقية فيها — تنشئ الرحمة والرأفة — تحيي الضمائر الميتة

قبل الشرائع الاجتماعية يجب ان تنفذ الشرائع الروحية · يجب ان تتهذب الروح فيرضى الجسد · يجب ان يولّى الضمير قبل ان يقام القاضي في منصة المحكمة — يجب ان يُطرد الرجيم قبل ان يُستفتى الحكيم

نقولا الحداد

اصلاح تركيا

تاريخه وماهيته وتأثيره

وروح ابطاله

تابع نبذة أُولى

فذلكة تاريخية في القرن الماضي من حكم محمود حتى حصل الانقلاب الحاضر

---

٢ — حكم جلالة السلطان عبد الحميد الحالي

يُعدُّ جلالة السلطان عبد الحميد أقدر السلاطين وأشدهم دهاءً وحنكة وهو ممتاز بقوة عقله وجلده ولكن تعوزه قوة الجنان وحسن الثقة اذ لم تكن له ثقة حتى باعوانه والمحيطين به ولولا ذلك لاستطاع ان يخدم المملكة أجل الخدم · ولذلك اضطر ان يعتمد على السلطة المطلقة لكي يصون حياته وعرشه

فكان يأمر وينهى ويبت وحده في كل أمر حتى في أعظم الامور وأحقرها ·
وكان في حرب الدولة وروسيا يصدر الاوامر للجيش من قصره · فجرد كبار
الدولة حتى وزراءه من كل نفوذ أو قوة أو رأي سياسي وحصر هذه الامور في
نفسه ولهذا كان يستقوي به رجال حاشيته

على ان هذه السياسة لم تضمن له سلامة العرش تماماً لانها أكثرت اعداءه
ودعت الى القلاقل والاضطرابات المتوالية في كل مدة حكمه فكان يقوى على
تلك القلاقل بعصا الاستبداد الحديدية · وهكذا كان التنازع بين سيطرته
المطلقة وحرية الشعب يشتد والخطوب تتفاقم فكلما انفتق فتق في المملكة رقعه
ما أمكن حتى لما صارت سياسة البلاد كلها رتوقاً من جراء احكامه واحكام
سالفيه صارت ممالك بني عثمان تفلت من ايديهم الواحدة بعد الاخرى · فبعضها استقلت
استقلالاً ادارياً تحت حماية الدول وبعضها انتقلت الى تحت سلطة الدول
الاخرى · فاليونان انفصلت أولاً ثم تلتها مولدافيا ثم والاشيا ثم اتحدتا تحت
اسم رومانيا · ثم مملكة السرب · ثم احتلت النمسا البوسنة والهرسك · ثم استقلت
بلغاريا · ثم وقعت مصر في قبضة انكلترا

وكان من ذلك ان الارمن تجرأوا الى طلب الاستقلال والمكدونيين جعلوا
يجاهدون فيه ايضاً والاعراب في بلاد العرب أخذوا يسعون الى الانعتاق من
حكم الاتراك

ولأول عهد تبوءه العرش امتدت ثورة البوسنه الى بلغاريا وحصلت المذابح
التي أثارت اهالي السرب والجبل الاسود · وضاق ذرع الدول عن حصول ضمانة
من تركيا لحفظ الامن وتنظيم الحكومة · وفي سنة ١٨٧٧ اعلنت روسيا الحرب
وكانت النمسا على الحياد بموجب معاهدة سرية مع روسيا تعدها هذه
بموجبها ان تسمح لها باحتلال البوسنه والهرسك اذا هي مدّت نفوذها الى كل

البلقان · على ان مذابح بلغاريا كانت رهيبة جدًا حتى ان انكلترا لعهد اللورد بيكونسفيلد ظلت على الحياد وبقيت تركيا بلا نصير · فدخل الروس بلغاريا في ايار واجتاحوا البلقان · وعند ذاك احتل عثمان باشا بلفنا وحصنها ليمنع تقدم الروس · ولكن في كانون اول وقعت بلفنا في ايدي الروس فاتحدت جنود رومانيا وزحفت الى الاستانة · وتقدم الروس ايضاً حتى صاروا على حدودها · وكانت جنود روسيا قد تقدمت في الاناضول الى ارزروم وحاصرتها ايضاً · وعند ذلك عُقد الصلح في سان استفانو سنة ١٨٧٨ · وكان من مواد معاهدة الصلح استقلال السرب والجبل الاسود ورومانيا · وبلغاريا اعتُبرت مستقلة استقلالاً اداريّاً تدفع الجزية للباب العالي · وكريت وتساليا وابيروس تُصلَّح على يد لجنة اوروبية

ولكن انكلترا لم ترضَ بهذه المعاهدة حتى افضى الأمر الى استعدادها للحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل وجنودها الى مالطا · ولهذا اضطرت روسيا ان تضع المعاهدة بين ايدي مؤتمر اوروبي في برلين بحسب اتفاق روسيا وانكلترا السري وهناك تنقحت معاهدة سان استفانو وأهمها تضييق حدود بلغاريا وقسمها الى قسمين · فشمالي البلقان منها استقل استقلالاً اداريّاً والجنوب جُعل مقاطعة باسم الروملي خاضعة للسلطان وحاكمها نصراني وهي مستقلة اداريّاً · واوستريا أخذت البوسنه والهرسك · والمقاطعات التي مُنحت الى السرب والجبل الاسود تضيقت حدودها وكذلك انقص ما أُعطي لروسيا في آسيا

وقد وعدت تركيا بالاصلاح · وانكلترا تعهدت بالدفاع عن تركيا في اسيا وأخذت قبرص جزاء ذلك

ثم نظمت لجنة اوروبية الروملي الغربية وكانت النتيجة حسنة ثم تظاهرت انكلترا مظاهرة بحرية قضت بالتنازل عن دولسينيو الى الجبل الاسود وعن تساليا

الى اليونان وتعين الامير اسكندر باتانبرغ امير بلغاريا

وفي سنة ١٨٨٥ اتحدت بلغاريا والروملي الشرقية . على ان هذا الاتحاد ساء روسيا وبايعازها اختُطف البرنس اسكندر واُجبر ان يتنازل عن الامارة . أما الباب العالي فلم ينجد بلغاريا في ذلك

ومنذ عقد من السنين شبت الحرب بين تركيا وابنتها اليونان لاجل كريت فكانت نتيجتها ان كريت استقلت استقلالاً اداريًا وتعين البرنس جورج حاكمًا لها . وفي سنة ١٨٩٨ كان الالبان يعتدون على البلغاريين والسرب وأهل الجبل الاسود المقيمين في مكدونيا وحكوماتهم تطلب من الباب العالي النظر في الامر وتستنجد الدول فكانت نتيجة ذلك ارسال لجنات للتحقيق الى البانيا وتقوية الجندية هناك . وفي سنة ١٩٠١ استعفى كاظم باشا والي سكوداري في البانيا وقائد الجندية لان الاستانة لم تعضده في حفظ الامن . ومن ثم نشأت المسألة المكدونية وهي جعل مكدونيا مستقلة استقلالاً اداريًا

٥ — تركيا الفتاة

ليس لجمعية ,, تركيا الفتاة '' تاريخ مدوّن . ولهذا يُستصعَب الآن التوصل الى الحقائق الراهنة عن تاريخها لانه بعد اعلان الدستور صار كثيرون ينتمون لهذه الجمعية ويدّعون انهم احرار كانوا من حزبها . ولهم اقوال متضاربة في تقارير اعمالها يتعذر الاهتداء الى الحقيقة منها

على أن المأثور انها نشأت حزبًا لا جمعية لعهد السلطان عبد العزيز حين كان الفساد يتفشى في جسم الدولة والسوس ينخر في جذع الحكومة وحرية القول لم تزل مطلقة . في ذلك العهد ظهرت ناشئة الاتراك الجديدة متهافتة الى المدنية الحديثة وكان بعض فتيانها يدرسون في كليات اوروبا ولا سيا باريس ويشاهدون معالم المدنية ويتمرّسون على السياسة الدستورية ومدارس اوروبا

تنفخ فيهم روح الحرية والحكم النيابي ومبادئ الاصلاح ٠حتى اذا عاد بعضهم الى الاستانة جعلوا ينشئون الجرائد الحرّة ويجردون الاقلام للجهاد في طلب الاصلاح تفادياً من وقوع المملكة في براثن الدول الاوروبية أو سقوطها على نفسها ٠ وكانوا هم حزب الاصلاح

وقد روى سعادة منجي بك القنصل العثماني العام في نيو يورك في مقالة عن تركيا الفتاة نشرتها مجلة الاندبندنت وجريدة الجامعة نشرت تعريبها بقلم بشور افندي بشور — روى تعليلاً لاطلاق الاسم ,, تركيا الفتاة '' على حزب الاصلاح فقال : ,, ان اولئك الشبان الذين درسوا في باريس كانوا على جانب كبير من الذكاء والنجابة ٠ فيوماً ما بينما كان الاستاذ في قاعة الدرس يشرح الامثولة لصفه ذكر شيئاً عنهم وقال ,, انظروا كيف ان فتيان تركيا متفردون بذكائهم وهزلهم '' فاُطلق عليهم اسم ,, فتيان تركيا '' أو ,, تركيا الفتاة '' في العالم التركي منذ ذلك الحين ''

وكما سبق القول لم يكن السلطان عبد العزيز داهية زمانه ليحسب حساباً لهذه النهضة فاما ان يهتم بالاصلاح ليرقي البلاد اويحوّل سهام تلك الاقلام ويخرس الالسنة ويطفئ مصباح المعرفة ويسير بالشعب في ظلمات الظلم ٠ ولهذا افضى التنازع بين الحرية والفساد الى خلعه

ولما تبوّأ العرش جلالة السلطان عبد الحميد الثاني وكان الفساد قد فشا في كل المملكة وصار مرضاً عضالاً في جسم الدولة وجد (على ما نظن) ان اهتمامه بالاصلاح يعرّض عرشه للتداعي ولا سيما اذا اشرك كبراء الشعب معه بالحكم بحسب الدستور فلا يأمن الخلع الذي لم يأمنه عمه السلطان عبد العزيز واخوه السلطان مراد قبله ٠ فرأى نفسه بين ويلين : ويل المجازفة بالعرش وويل استمرار الحكومة على فسادها فآثر الثاني لانه أسلم له ٠ وألقى على البلاد

كف الاستبداد فنفّر الاحرار راغبي الاصلاح وخافوا سوء المغبة فجعلوا يفرّون من السلطة ودنا من العرش المملقون والمراؤون وجعلوا يعضدون الاستبداد • ومن ذلك نشأت الجاسوسية واشتد الظلم وصار الاحرار حتى غير المشتغلين بالسياسة يفرون من وجه الجاسوسية الى اوروبا ومن ثمّ ألّف النافذون والمقتدرون منهم جمعية ,, تركيا الفتاة '' ولم يكن لهم من الاعمال ما يستحق الذكر سوى الكتابة في الجرائد والتنديد بالحكومة ذلك لان وطأة الحكومة الاستبدادية كانت شديدة جداً حتى لم يعد للاحرار قوة في مسعى من المساعي الاصلاحية

ويقال ان مركز هذه الجمعية كان في سويسرا حيث يأمن الاحرار على أنفسهم من أوامر الدولة بالقبض عليهم لان حكومة سويسرا لا تسلم المجرمين السياسيين • وكان ظهورها علناً في جنيف سنة ١٨٩١ على انها لم تكن منظمة كالواجب ولم تكن مقاصدها واضحة لتضارب غايات المنتمين اليها • ومع ذلك كان السلطان واعوانه يحسبون حسابها ويزداد حسبانهم منها عاماً بعد عام

٦ — جمعية الاتحاد والترقي العثمانية

وما زال الظلم يتفاقم في تركيا والاستبداد تشتد وطأته حتى عمّ كل ذي مكانة في المملكة ولم يسلم منه الاّ المقربون لجلالة السلطان ولا سيما الجواسيس • ولا يخفى انه كلما اشتد الظلم والعسف على هذا النحو كان تقارب المظلومين أضمن واتحادهم أمكن وصاروا أميل الى حزب الاحرار • فلما اشتد الضغط ولم يعد في قوس الصبر منزع وقد بلغ السيل الزبى صار المضغوط عليهم في تركيا حتى في الاستانة نفسها أشد تعشقاً للحرية والاحرار • وصاروا يفكرون في الوسيلة المثلى للخلاص من شر هذا الاستبداد

رأوا ان حزب تركيا الفتاة لم يأتِ في الثلاثين سنة الماضية شيئاً لانه لا قوة له البتة • فجعلوا يفكرون في كيف يستقوي هذا الحزب حتى يحارب

الاستبداد او يتغلّب على حكومة المستبدين الضاغطة و يقلبها و يقيم مقامها حكومة احرار مصلحة . فلم يجدوا وسيلة الا استلاب القوة من يد الحكومة الاستبدادية — استلاب الجيش

وعلى ذلك رأوا أن يؤلفوا جمعية جديدة منظمة سرية تقيد اعضاءها بالايامين والاقسام العظيمة و بالتهديدات المخيفة وان ينشروا هذه الجمعية في كل المملكة ولاسيما بين ضباط الجيش حتى متى صار معظم الضباط من اعضائها صارت قوة الدولة في يدها وحينئذٍ يسهل عليها ان تقلب الحكومة الحاضرة و تقيم بدلها حكومة حرةً . وهكذا كان

ففي ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٤ اجتمع سرًّا بعض كبار البلاد الذين سئموا تلك الشرور والعبودية والاستبداد والمظالم وملُّوا تسئيد الطغام من المقربين لجلالة للسلطان وغطرسة الجواسيس — اجتمعوا في منزل عبد الكريم كاتب اسرار السطان على البوسفور (كما ذكر محمد دولين احد المجتمعين) والّفوا ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية '' ودعوا اليها كل من عرفوه مخلصاً للاصلاح من حزب تركيا الفتاة وجعلوا يسعون بنشرها على كل فئة يتوسمون فيها روح الحرية وعلى ضباط الجيش وقواده ايضاً . وفي عام ملأت كل المملكة

وفي اوائل الربيع الماضي وقد شعروا ان جمعيتهم قويت قرّروا ان ينفذوا غايتهم أي قلب الحكومة الاستبدادية واعادة الدستور فوضعوا لائحة أو عريضة يطلبون فيها مطالب مختلفة أهمها اعادة الدستور واسقاط الوزارة . وقرروا تقديمها لجلالة السلطان يوم عيد جلوسه أي في اول ايلول الماضي . واوعزوا الى ضباط الجيش وجميع موظفيه من اعضاء الجمعية ان يؤيدوا العريضة بان يتهددوا الحكومة بالعصيان اذا لم يجب المطالب وان اصرّ جلالة السلطان على عدم اعادة الدستور خلعوه

على ان مساعي الدول الاصلاحية (ولا سيما روسيا وانكلترا) في مكدونيا وانفضاح أمر هذه المكيدة قضت بتعجيل انفاذ القرار السابق ذكره لانه لو تأخر لاصبحت مكدونيا تحت سيطرة الدول الاوروبية وهذا ما لا يرضاه اهلها الذين هم أساس الحركة والمكيدة ولا أمكن حكومة الاستبداد ان تقمع الثورة وترد كيد الكائدين في نحورهم

وفي تموز الماضي لما علم جلالة السلطان ان الجيش في مكدونيا متمرد وان جميع مساعيه في تطويعه مخفقة لم يرَ بدًّا من اعلان الدستور في ٢٤ منه واسقاط الوزارة . فانشئت وزارة جديدة من الاحرار وما زالت ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية '' تتسيطر على الحكومة . ولما كان معظم اعضائها من رجال الجيش ونفوذها مستمداً منه فتعتبر الحكومة الحاضرة تحت أمرة الجيش

نبذة ثانية

سر الانقلاب

التنازع بين الشعب والسلطة العليا لا بين
الارستوقراطية والديموقراطية

دهش العالم اجمع ولا سيما العثمانيين من هذا الانقلاب الفجائي في تركيا — من تحول الحكومة من مطلقة استبدادية الى مقيدة حرّة وتقمص القوة في جسم حكومة دستورية من غير سفك دم . واستغربوا سر هذا التحوّل المباغت الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ — تعجبوا لانهم قاسوا تركيا على الممالك التي تحوّلت من ملكية الى جمهورية مثل فرنسا أو من مطلقة الى مقيدة مثل انكلترا . أو لانهم قاسوها على روسيا التي لا يزال الحكمان — المطلق والمقيد — يتنازعان فيها أي نزاع

على ان هذا القياس مبنيٌّ على مشابهات ظاهرة فقط · والحقيقة ان بين تركيا وغيرها اختلافاً جوهرياً من هذا القبيل · ففي انكلترا وروسيا وامثالها يوجد تنازع بين الارستوقراطية والديموقراطية — بين الاعيان وهم حزب نافذ ولهم امتيازات ليست لسائر الشعب و بين العامة وهم حزب عديد ولكن أفراده ضعفاء ولا قوة لهم الا بالاتحادوالاعتصاب

ولكن التنازع في تركيا ليس بين الارستوقراطية والديموقراطية البتة بل بين الشعب كله والسلطة الحاكمة لانه لا ارستوقراطية في تركيا أي ان اعيان تركيا ليس لهم امتيازات خاصة بهم دون العامة حتى يؤلفوا حزباً للمحافظة على امتيازاتهم الارستوقراطيةويقاتلوا الديموقراطية (أي يقاتلوا اشتراك العامة بالحكم) بل ان الاعيان كالعامة متساوون امام القوانين العثمانية والشرع الاسلامي الذي تستند اليه تركيا·فالشعب كله من اعيانٍ وعامة يوءلّف حزباً واحداً لتساويه في الحقوق وجلالةالسلطان وحده حزبٌ آخر

هذا ما قضت به طبيعة الحال في المملكة العثمانية منذ نشوءها الى الآن ولهذا لم يقم فيها تنازع بين ارستوقراطيةٍ وديموقراطيةٍ فيما مضى بل كان التنازع بين ورثة العرش فقط فكان يكثر خلع السلاطين وقتلهم · ولم يحدث تنازع حاد بين الشعب والسلاطين لشدّة تفوّق هوءلاء واستعلائهم واستقوائهم على الشعبمن جهةولضعف الشعب وجهالته وتعوّده الخنوع والطاعة من جهة أُخرى

على انه لما اشتدّ ضغط السلاطين في العهد الاخير من جهة وأخذالشعب يتنوّر ويُعدى بحرية اوروبا من جهة اخرى حتى انه صار يشعر بذلك الضغط نشأ التنازع بين الشعب والسلاطين منذ اواسط القرن الماضي وربما منذ بدئه كما علم القراء من نبذتنا الاولى ان الاهتمام بالاصلاح ابتدأ لعهد السلطان محمد الثاني · ولا يخفى ان السلطان لا يتبرع بهذا الاهتمام من نفسه فلا بد ان الشعب

كان يطالب به أو ان تذمر الشعب كان داعياً له

نعم ان جانباً من الاعيان كانوا يلتفون حول العرش ويعضدونه ويؤيدونه ولكنهم لا يؤلفون حزباً ارستوقراطياً البتة لان لا امتيازات قانونية لهم كما تقدم ولا يلتفون حول العرش ويؤيدون سلطته المطلقة الا طمعاً بما يتوقّعونه من المنافع الذاتية غير القانونية والنفوذ الشخصي والتماص من سلطة القانون كما كان يفعل رجال المابين الهمايوني والجواسيس حتى بدّدهم فوز الشعب بالدستور مؤخراً. فهم لم يكونوا حزباً رسمياً يتنازع حزب العامة حقاً. ولكنهم كانوا انصار حزب السلطة الشرعية العليا — انصار جلالة السلطان الذي هو وحده الحزب المقابل لحزب الشعب

واذ قد اتضح ذلك جلياً صار يسهل على القارئ ان يفهم سر ذلك الانقلاب الفجائي وفوز الشعب على السلطان بغتة ونزع السلطة المطلقة من يده وتقييده بالحكم النيابي

جلالة السلطان وحده حزب ضعيف جداً فلا بد ان يستقوي عليه الشعب لانه اقوى فعلاً وحقاً. السلطان حزب ضعيف بالنسبة الى حزب الشعب أولاً لانه فرد امام جمهور

وثانياً لان الشرع الاسلامي الذي تستند اليه الدولة العثمانية يؤيد „الشورى" (الحكومة النيابية — الدستورية) أي انه يتحيز للشعب ويؤيد دعواه على السلطان ويعضد طلبه للدستور. ويصرّح بان السلطان مستولٍ على اكثر من حقه

وما ثبتت سلطة جلالة السلطان عبد الحميد الثاني مدة الاثنين وثلاثين سنة السابقة وصولة اسلافه الا بقوة الاستبداد التي ضربت على ايدي الشعب الساذج وبمناصرة الاعوان الذين كانوا يؤيدون العرش طمعاً بغاياتهم النفسانية ومطامعهم الاشعبية. ولكن لما اشتد الضغط في عهد العلم لم تعد الظلمة تستطيع الثبوت امام النور فسقط الاستبداد وقامت الحرية

وربما لاح للقارئ الكريم ان الفوز لم يكن للشعب في المعركة الاخيرة التي

ربما تعد الوحيدة في تاريخ التنازع بين الحكمين المطلق والمقيد في تركيا بل للجيش ولهذا لا يصح القول ان الشعب حزب ضد حزب السلطان — فاقول : ليس الجيش الا زبدة الشعب ونواته وممثل حزب الشعب لانه لا جندي الا له اهل واصدقاء وجماعة في الامة او بالعكس لا اسرة او جماعة في الامة الا لها فرد في الجندية يمثلها · فالجنود نواب الشعب وفوزهم في هذا التنازع فوز للشعب · والطريقة التي تم بها الفوز ليست الا صورة اعتصاب الشعب في طلب حقه بالدستور ونيله وان لم تكن طريقة شرعية

والذي يؤكد لك ان الشعب كله هو الحزب المقاوم لحزب السلطة وله ينسب الفوز انما هو ان افراد الامة على اختلاف مللهم ونحلهم في مصر وسوريا الى ارمينيا والاناضول والبلقان استقبلوا نعمة الدستور بالابتهاج العظيم وكأن فوزهم علة اتحادهم ونبذ التعصبات المذهبية بينهم وتناسي الاحقاد والضغائن وتعاهدهم على ان يتحدوا في ترقية مملكة عثمانية جديدة

نقولا الحداد

صنائع الملوك

لا كثر ملوك اوروبا وملكاتها صناعات يولعون بها بغية التسلية من جهة وبغية تشريفها في اعين العامة من جهة اخرى فمن ذلك ان جلالة الكسندرا ملكة انكلترا الحالية بارعة جداً في التصوير الفوتوغرافي · ومن جملة الصور التي اقتبستها صورة جسر كانت السنب لوقاية السكة الحديدية التي تمر عليه من خطر جسيم · فانها رأت في تلك الصورة دلائل عطب في الجسر لم يفطن له المهندس فنبهت الملك لذلك وفي الحال اوعز بالامر الى المهندس فامتحن الجسر وتحقق العطب فيه · وعند جلالتها طاقم شاي ذي ٦٠ قطعة كل واحدة منها مزدانة بصورة تصويرها

وملكتا نروج وايطاليا مولعتان بالتصوير ايضاً . والملكة الكسندرا بارعة في التصوير الزيتي ايضاً . والرسم على الفخار الصيني . وقد اهدت الى صديقاتها كثيراً من صنع يديها

وجلالة فكتوريا ملكة اسبانيا بارعة بتصوير اليد ومولعة بالاكثر في تصوير الطيور بالالوان

والملك كارلوس والملكة اميلي في البرتوغال مشهوران بالتصوير الزيتي ايضاً ولا سيما بمتانته ودقته ويعدان بين مهرة المصورين والملكة اميلي دارسة فن الطب

وملكة رومانيا ماهرة بالحفر على العاج وصنع التماثيل والدمى منه وقدصنعت تماثيل صغيرة لمشاهيرالكتاب، وهي حاذقةفي الاشغال اليدوية كالتطريز ونحوه . وهي روائية ايضاً وتنسخ رواياتها على ,, الطيب ريتر '' بنفسها

وجلالة أوسكار ملك اسوج مغرم بتجليد الكتب وله في هذه الصناعة تفننات غريبة ولا سيما تذهيب الكتب . وجلالة غليومينا ملكة هولندا ولع بهذه الصناعة وفي معرض بروكسل الاخير كان نسخة من كتاب الف ليلة وليلة وقد ذهبتها جلالتها أجمل تذهيب

وجلالة نقولا الثاني امبراطور روسيا مولع باولاده وا كثروقته يصنع لهم الدمى (التماثيل الصغيرة) و يتفنن بها كثيراً . ويصنع من الخشب ونحوه تماثيل بعض الحيوانات المختلفة حتى يخال لك انك في سفينة نوح ويدهنها كلها بالادهان غير السامة حتى اذا وضعها الدوقات الصغار في افواههم فلا تضرهم

واغرب هوس هوس الدوق زاراغوسا فانه يسوق مرتين في الاسبوع الاكسبرس بين مدريد وحدود فرنسا . ولما قدم الى مدير السكة الحديدية معروضاً يطلب فيه وظيفة سائق للقطار استغرب المدير جداً واخبره خطارة هذه الوظيفة ومسأوليتها ونهاه عن التعرض لاخطارها فأبى الا ان يسير بالقطار بنفسه فلم يسع المدير الا الطاعة فولاه سوق القطار البطيء فساقه ناجحاً وهو الآن امهر السواقين . وملابسه في خلال العمل لا تفرق على ملابس زملائه

اما جلالة الملك ادورد فلا واع له الا بالابحار في يخته · وقبل ان يرتقي الى العرش كان دائماً يقوم مقام القبطان في يخته · وقد نال عدة جوائز من اندية اليخوت لمهارته في فن البحارة · والبرنس هنري باتنبرغ والامبراطور غليوم مولعان بفن البحارة ايضاً

ولما كان الملك ادورد برنس اف ويلس كان مولعاً بجمع طوابع البريد · والبرنس اوف ويلس الحالي يحذو حذو ابيه ايضاً ويهتم بالاكثر في جمع طوابع بريطانيا ومستعمراتها

واغرب الكل أمراً ملكة ايطاليا فانها ترغب في جمع احذية المشاهير من الناس وعندها حذاء جان دارك وماري ملكة سكوتلاندا التي لبسته حين قيدت الى المجزرة وحذاء ماري انطوانت زوجة لويس السادس عشر ملكة فرنسا · ويعتقدون ان هذه الاحذية لوطرحت للبيع تنال اثماناً باهظة ·

وبعد اختراع الاوتوموبيل اغرم اكثر الملوك بسوقها وهم يتباهون بها تباهي امراء العرب بالجياد ويُعدّ جلالة الملك ادورد في مقدمتهم وعنده عدة اوتوموبيلات ويندر ان يسافر من مكان الى آخر في السكة الحديدية واكثر اسفاره في الاوتوموبيل · والبرنسس اف وايلس آخر من رغبت في الاوتوموبيل وقد صنع لها اوتوموبيل فاخر جداً وطلي بالطلاء الاخضر الجميل وعليه مثال تاجها حتى كل من شاهده عرفه انه لها · واما داخله فبديع الاثاث والرياش وفيه على الخصوص مائدة للشاي بديعة

والآن يتجه نظر الملوك والملكات الى البالونات حتى متى امكن السفر فيها اغرموا بها اغرامهم باليخوت والاوتوموبيلات



المقتطف ودعوة الجامعة الى الزراعة

في الولايات المتحدة

قال المقتطف الاغر ان الافضل ان تدعو الجامعة المهاجرين الى العودة
الى بلادهم بعد قيام الدستور لتعميرها فان الزراعة
فيها أفضل منها في اميركا



نشرت رصيفتنا مجلة المقتطف الغراء في جزئها (جزء ايلول) فصلاً عنوانه (الزراعة والعثمانيون المهاجرون) افتتحته بهذه الفقرة

« قابل حضرة صديقنا فرح افندي انطون صاحب الجامعة ناظر الداخلية في بلاد كندا واستعلم منه عن اساليب تملك الاراضي الزراعية في تلك البلاد وحث اخوانه العثمانيين المهاجرين على السعي في امتلاك الارض واحيائها والاشتغال بالزراعة وحسناً فعل . ولكنه لو عرف حينئذ ان الامة العثمانية نالت ما كانت تصبو اليه وهو حكومة دستورية ترجى ان تكون مثل حكومة كندا اهتماماً باصلاح بلادها لو عرف ذلك قبلما قابل وزير كندا لعدل عن مقابلته و بذل همته في حث المهاجرين العثمانيين على الرجوع الى بلادهم وتعميرها »

ثم ذكرت ان البلاد العثمانية تفضل البلاد الاوروبية والاميركية في جودة تربتها واعتدال حرّها و بردها واوقات وقوع المطر فيها فهي أفضل للزراعة من بلاد اوروبا واميركا التي هي (تحت رحمة الاحداث الجوية من حرّ و بردٍ ومطر وثلج) واستشهدت على ذلك بما رآه منشئاها الكريمان في سياحاتهما في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا من يبس الزرع حين امساك السماء واغراقه حين وقوع المطر مدراراً في غير اوانه . ثم ختمت الفصل بقوله :

« والمنتظر الآن ان تصطلح حكومة البلاد العثمانية مربعاً حتى تضاهي اصلح الحكومات الاوروبية وحينئذ نزول الاسباب التي دعت العثمانيين الى المهاجرة والمرجح عندنا ان

كثيرين منهم يرجعون الى بلادهم لانهم لا يجدون بلاداً اوفر منها خيرات فضلاً عن ملاءمة هوائها لما الفوه هم واسلافهم من قبلهم . وعسى ان يعودوا اليها مكتسبين همة واختباراً ليساعدوا المقيمين فيها على اصلاحها وابلاغها الدرجة التي تستحقها بين ممالك الارض الراقية »

نقول ومقتضي كلام الرصيفة الكريمة امران . (الاول) ان إقبال السوريين على الزراعة واقتناء الارض وتعميرها في بلادهم أفضل منها في اميركا بعد قيام الدستور . (والثاني) عودة المهاجرين أو كثيرين منهم الى بلادهم بعد الدستور للاشتراك في تعميرها . وسنبحث في هذين الامرين شاكرين للمقتطف الاغر لانه فتح للجامعة باب البحث فيهما في وقت يجب فيه هذا البحث

ايٌّ أفضل الآن

ان ينشيء المهاجرون المزارع في الولايات المتحدة
ام في سوريا بعد قيام
الدستور فيها

تُفضّل سوريا على اميركا للزراعة للمهاجرين من عدة وجوه

(الاول) ان هواء سوريا اكثر اعتدالاً أي اخف برداً وحراً وجوّها من حيث المطر والجفاف اكثر انتظاماً كما قال المقتطف الاغر

(الثاني) ان المهاجرين أَلِفوا جو سوريا لانها بلادهم التي شبوا فيها فاذا عاشوا في بلادهم كان ذلك اسلم لصحتهم اولاً وأدعى الى هناء معيشتهم ثانياً

(الثالث) ان سوريا أحق من أميركا بان يعمّرها المهاجرون السوريون . فاذا استوت المزايا والمنافع الزراعية للسوريين في اميركا وسوريا فعليهم ان يفضلوا الاستعمار في سوريا عليه في اميركا

(الرابع) انّ الذي يشتغل بانشاء مزرعة في اميركا (يسمّر) في ارضها

تسميرًا فيصعب عليه بعد ذلك العودة الى وطنه · وعدا عن ذلك فان الاراضي المجانية (الهومستيد) في كندا والولايات المتحدة لا تُعطى مجانًا الا لمن يدخل في الجنسية الكندية والاميركية · أي عليه ان يترك جنسيته اذا كان سوريًا عثمانيًا

وتفضل الزراعة في اميركا عليها في سوريا من الوجوه الآتية

(الاول) ان مسألة الزراعة في اميركا هي نصف عمل المزرعة · اما النصف الثاني فهو الذي عليه الاعتماد في الكسب ونعني به تربية المواشي · فاهمية المزارع في مواشيها على الخصوص لا في زراعتها فقط · والمواشي في اميركا يسهل بيعها لان الشركات تبعث الى المزارع من يبتاعها دون ان يتكلف الزارع عناء عرضها على أحد · أما في سوريا فاذا ربى الزارع المواشي فهو يضطر في اغلب الاحيان الى شحنها الى خارج سوريا ليجد منافذ لها · وفضلاً عن ذلك فاثمان المواشي في أميركا أغلى من اثمانها في سوريا بكثير · ومهما اخرجت المزارع مواشي للبيع فانها تجد من يشتريها لان ٨٥ مليون نسمة في اميركا تستهلك اللحم كل يوم وشركات اللحوم فيها تُصدرها الى جميع أقطار العالم · فالعمل في تربية المواشي الذي هو أربح من الزراعة اكثر ملائمة للمهاجر في اميركا منه في سوريا · فمزرعته تكون اكثر ربحًا له في اميركا منها في سوريا

(الثاني) ان ما قلناه في مسألة تربية المواشي نقوله في مسألة المزروعات · فان ثمن دزينة القثاء مثلاً (الخيار) اضعاف اضعاف ثمنها في سوريا · و(الخيارة) الواحدة تُباع احيانًا (بالمفرق) في الحوانيت بخمسة سنتات (غرش صاغ أي ٤ متليكات عملة سوريا و١٠ مليم عملة مصر) · فتعب الزارع في استخراج دزينة القثاء من ارض سوريا كتعبه في استخراجها من ارض اميركا ومع ذلك فهو يستوفي ثمن ذلك التعب في ارض اميركا اضعاف ما يستوفيه في تعبه في ارض سوريا · ولذلك يكون اشتغاله بالزراعة في ارض اميركا اكثر

ربحاً له

وان قيل ان نسبة النفقات الى الدخل في اميركا تعدل نسبتها في سوريا فهو قول صحيح في المدن الكبرى واما العائشون في المدن الصغرى والمزارع على الخصوص فانهم يتمتعون بكثرة الدخل ويمكنهم ان يجعلوا نفقاتهم كنفقاتهم في سوريا

(الثالث) ان الذي اختبرناه في اميركا في تجوالنا بين مزارعها ومحادثاتنا زراعها هو ان في جو اميركا مزية ليست في جو سوريا · فان الاراضي في مصر لم تكن لتُزرع لولا الترع التي ترويها وذلك لقلة المطر فيها· وكذلك سوريا فانه يلزمها انشاء الترع في كل نواحيها وعلى الخصوص الشاسعة المترامية ليستقيم فيها أمر الزراعة · واما الولايات المتحدة فان السماء تُمطر حتى في ايام الصيف · والغريب ان مطرها منتظم وهو يكون عادةً ردء فعل للحر فيها · وبذلك تكون ايام الصيف متقسمة على الصحو والمطر فتروي المزروعات ولا تحتاج الى ريء · فمن هذه الجهة ايضاً تفضل اميركا سوريا اذ يلزم قبل انشاء السوريين المزارع الواسعة في بلادهم ان تهتم حكومتهم بانشاء ترع الريء وطرق المواصلات والا فلا تستقيم فيها زراعة واسعة

(الرابع) ليست المزروعات في كل نواحي اميركا عرضة لاحداث الجو من حرء شديد و برد شديد وثلج وجليد فان في الولايات الاميركية ولايات جوها معتدل اعتدال جو سوريا كولاية كاليفورنيا مثلاً التي اقبل عليها الارمن وهم فقراء فاصبحوا بالزراعة فيها من أهل النعمة والثراء · ولو فعل السوريون المهاجرون فعلهم منذ جلائهم الى هذه البلاد لاكتسبوا مادياً وادبياً اضعاف ما اكتسبوه حتى الآن

(الخامس) ان اقتناء المزارع في اميركا أسهل منه في سوريا فالأمن في براري اميركا وقفارها مستتب وقد جلنا بين المزارع وشاهدنا المنازل ينام

أصحابها وابوابها ونوافذها مفتوحة وكراسيهم خارج البيت في الحديقة وما من يتعرض لهم أو لها بينما الامن في قفار سوريا على ما يعلمه القرآء . ولكن قد يمكن ان تتغير هذه الحالة في سوريا بعد اصطلاح احوالها ان شاء الله . ثم ان المزارع حاضرة في اميركا والبيوت لاقامة الزراع موجودة فيها وما يلزم المزرعة موجود فيها ايضاً كالحظائر للمواشي والآبار والآلات التي يُعمل بها في المزرعة سهل تناولها من السوق بدل استجلابها من وراء البحار . واما في سوريا فالزارع مضطر حين اخذه الارض ان يبني فيها بيتاً وحظائر وبئراً الخ أي ان يؤسس كل شيء تأسيساً جديداً . وما عدا هذا فهو بأقل من الف ريال او بألف ريال يقدر ان يشتغل هنا بالزراعة وذلك بأن يستأجر احدى المزارع استئجاراً واجرتها لا تتعدى عشرة ريالات في الشهر المنزل والارض ولو كان مساحة الارض ٢٠ او ٣٠ فداناً . فكل هذه التسهيلات موجودة في اميركا ولا وجود لها الآن في سوريا

فاشتغال المهاجر بالزراعة وتربية المواشي واقتناء الارض في اميركا سيبقى اكثر ربحاً منه في سوريا ما دامت لاميركا كل هذه الامتيازات والتسهيلات . والمهاجر ينظر قبل كل شيء في عمله هذا الى مبلغ ربحه من الزراعة في اميركا او الزراعة في سوريا . اما مسألة عودته الى بلاده لان عليه واجب الاشتراك في تعميرها مع باقي اخوانه فهذه مسألة أخرى

ثم نضيف الى افضلية الزراعة في اميركا للمهاجرين اليها على الزراعة في سوريا معيشة المهاجرين هنا في وسط عظيم راقٍ يمكّنهم ان يكتسبوا اختباراته الزراعية ويشتركوا في الارتقاء الادبي بعامل الاقتداء والتشبه اذا كانوا ممن يحسنون تدبير نفوسهم والانتفاع بما حولهم من مظاهر الارتقاء والعمران

وليس معنى كل ما تقدم انه الافضل للسوريين ان يهاجروا الى اميركا

ليشتغلوا بالزراعة فيها · فان سوريا تحتاج الى ابنائها لتعميرها وعلى الخصوص بعد اطلاق الحرية وانتظار قيام العدل واستتباب الأمن · وبينما نرى كثيرين من تجار سوريا وادبائها ممن لا عمل لهم وممن لهم اعمال وهم غير راضين عنها يشكون سوء حال الاشغال وقلة الاعمال وضيق دائرة المعيشة نرى اكثر حقول سوريا جدباء مقفرة لا زرع فيها ولا ضرع · فعسى ان السوريين من تجار وادباء في سوريا يقدمون على جميع الاعمال في بلادهم العمل في الزراعة وتربية المواشي وتعمير الارض كما قال المقتطف الاغر

ولكن موضوعنا في ما تقدم بسطه المهاجرون الذين هم الآن عندنا لا اخوانهم المقيمون في سوريا · وما قمنا بهذه الدعوة الى الزراعة وامتلاك الارض وتربية المواشي بينهم الا بعد ان رأينا ان هذه الدعوة مورد جديد للنزالة في اميركا تدر عليهم الخيرات من جهة وتخفف من مسألة التجول بالبضائع لبيعها (الكشة) ثانياً · فان هذه الكشة قد اضرت النزالة في اميركا ضرراً أشد من نفعها · فقد كانت من قبل سلماً وموردا يوم لم يكن لنا سلم ولا مورد غيرها اما الآن وقد ارتقت أحوال النزالة فانشاء المزارع وتربية المواشي خير وسيلة لان تحل محلها تحسيناً لسمعتنا وتثبيتاً لاقدامنا في مجال العمل

بقي البحث في القسم الثاني وهو دعوة المهاجرين الى العودة الى بلادهم للاشتراك في تعميرها · وسنتكلم عنه في الجزء التالي ونرى من الفائدة اتماماً للبحث الذي تقدم ان ننقل ما نشره المقتطف بشأن احوال الزراعة في البلاد العثمانية وهو الفصل التالي

الزراعة في البلاد العثمانية

ليس لدينا احصاء رسمي عن احوال الزراعة في البلاد العثمانية ولذلك يضطر الباحث في هذا الموضوع ان يعتمد على تقارير قناصل الدول الاوروبية كماسيجي

والذي نعلمه عن ثقة ان البلاد العثمانية كلها من اخصب البلدان وانه يجود فيها كل ما يمكن ان يجود في غيرها في الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة لانها جامعة بسهولها ونجودها وجبالها بين هذه الاقاليم كلها . ولكن نظام العشور فيها يغلّ ايدي الفلاحين وقلّة طرق المواصلات تمنع نقل الحاصلات فلا بد لاصلاح الزراعة فيها من أمرين جوهريين الاول ربط ضرائب محدودة على الاراضي أو على الحاصلات ولا بأس بنظام العشور اذا لم يكن التزاماً بل روعي فيه العدل التام . والثاني تمهيد الطرق حتى تقل نفقات النقل . وهاتان المسألتان اصعب المسائل كلها ويجب الاهتمام بهما قبل الاهتمام بتنظيم الجيش وبناء البوارج لانه ان لم يصر دخل الحكومة العثمانية ثلاثين مليوناً أو اربعين مليوناً من الجنيهات فمن العبث ان تهتم ببناء البوارج والبارجة الواحدة لا تبنى الآن بأقل من مليوني جنيه . ولا يتضاعف دخل الحكومة الا اذا تضاعف دخل الاهالي

ولا نبالغ اذا قلنا ان دخل الحكومة يجب ان يبلغ ٤٠ مليوناً من الجنيهات وهو الآن أقل من ٢٠ مليوناً لان دخل حكومة ايطاليا ٨٠ مليوناً من الجنيهات وعدد سكانها نحو ٣٣ وفي المانيا وهي من اوسع الممالك احراشاً تبلغ أقل من ٢٥ مليون فدان . وفي احراش البلاد العثمانية الصنوبر والشوح والشربين والسنديان والارز والجوز ونحو ذلك من الاشجار التي يُستخرج منها خشب البناء والنجارة

الحبوب — يبلغ حاصل القمح سنوياً نحو مليوني طن وحاصل سائر الحبوب نحو ثلاثة ملايين طن ونصف أي ان قيمة غلة الحبوب السنوية نحو خمسين مليوناً من الجنيهات

الخمور — صنع فيها سنة ١٩٠٧ نحو ٦٢ كيلو من الخمر ونحو ٩ ملايين كيلو من السبيرتو و٦ ملايين كيلو من البيرة

الحرير — بلغ موسم الشرانق في ولايتي بورصة واشميد وحدهما نحو سبعة ملايين كيلو سنة ١٩٠٧ . وقد صدر من البلاد العثمانية من الحرير سنة ١٩٠٦ ما ثمنه نحو ٣ ملايين ليرة عثمانية ومن العنب ما ثمنه مليونان و٣٥٠ الف ليرة ومن الحبوب والدقيق ما ثمنه مليون و٨٨٠ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنه ٩١٠ الاف جنيه ومن التين ما ثمنه ٩٠٠ الف جنيه ومن البن ما ثمنه ٨٩٠ الف جنيه ومن الافيون ماثمنه ٧٣٠ الف جنيه ومن الجلود ما ثمنه ٧٣٠ الف جنيه ومن قموع البلوط ما ثمنه ٦٢٠ الف جنيه . وبلغت قيمة الصادرات كلها سنة ١٩٠٦ نحو عشرين مليوناً من الليرات واكثرها ان لم نقل كلها من الحاصلات الزراعية هذا عدا عن التبغ . اما التبغ فبلغ الصادر منه سنة ١٩٠٦ اكثر من ١٨ مليون كيلو فاذا حسبنا ثمن الكيلو ثمانية غروش فقط بلغ ثمن التبغ الصادر نحو مليون ونصف من الجنيهات

وقد بلغت قيمة الصادر الى القطر المصري فقط في العام الماضي من البلاد العثمانية مليونين و٩٧٣ الف جنيه او نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية وكلها صادرات زراعية ولم يرد الى البلاد العثمانية من القطر المصري في العام الماضي الا ما قيمته نحو ٣٣٧ الف جنيه او اقل من قيمة التبغ الوارد الى القطر المصري من البلاد العثمانية لان قيمته بلغت في العام الماضي نحو ٣٥٦ الف جنيه مصري او نحو نصف قيمة كل التبغ والتنباك الواردين الى القطر المصري

المشتركون في الجامعة في الخارج

كثيرون من مشتركي الجامعة في الخارج لم يرسلوا اليها بدل الاشتراك بعد مع قرب انتهاء السنة وهذا ما أوجب عتبنا عليهم ولذلك ننتظر منهم ومن وكلائنا خارج الولايات المتحدة ان يتفضلوا بارسال بدلات الاشتراك الى الادارة في هذا الشهر وان لايحوجونا الى مراسلة حضراتهم بهذا الشأن

الجزء ١٠ الجامعة السنة السادسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة

تصدر في نيويورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٨ — شوال سنة ١٣٢٦

خطبة رنان لدى الاكروبول

وهي الخطبة التي تحدّاها صاحب الجامعة في كتابته خطبته لدى شلالات نياغرا التي نُشرت في المجلة في العدد الثامن لهذه السنة

ان (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها في الجزء الثامن لهذه السنة انما هي تقليد لخطبة الفيلسوف ارنست رنان لدى تمثال (بالاس آثينا) الاهة الحكمة المنصوب في الاكروبول في آثينا عاصمة اليونان • والاكروبول اكمة مشرفة على آثينا وفيها هيكل آلهة اليونانيين القدماء ومجموع عجائب فن النقش وبدائعه • ولما كانت حرب الاستقلال اليونانية بين اليونان والدولة العثمانية قال اليونان انهم سيقيمون مدافعهم في الاكروبول ويحاربون منها الجيش العثماني ليضطروه الى اطلاق مدافعه على الاكروبول وهدمه وذلك نكاية لعلماء اوروبا

وادبائها المولعين بجمال فنون الاكروبول وصنائعه البديعة اذا كانوا لا يحملون حكوماتهم على ردّ الجيش العثماني عن آثينا · وقد كتب رنان خطبته هذه (ويسمونها صلاته) يوم زار تمثال آثينا الاهة الحكمة في الاكروبول المذكور · ويعدّ كتبة الفرنسويين هذه الخطبة أبدع وأجمل ما خرج من قلمه بل أجمل ما خرج من قلم كاتب فرنسوي · وقال الكاتب الفرنسوي المشهور المسيو اناتول فرانس الذي هو اليوم اكتب كتاب فرنسا ان (نحلة الحكمة لم تلقِ عسلها الفاخر اللذيذ في فم أحد بعد وفاة افلاطون غير فم رنان) يعني انه لم يكتب كاتب غير رنان كلاماً عذباً لذيذاً ككلام افلاطون منذ وفاته حتى اليوم · وقد نشرنا هذه الخطبة في الجامعة يوم كانت في مصر واستغرق تعريب معانيها الدقيقة الصعبة ومغازيها الفلسفية ومغامزها الباطنية يوماً كاملاً مع انها لا تتجاوز ٤ صفحات · وقد رأينا اعادة نشرها الآن لقرائنا الافاضل في اميركا على الخصوص مناسبةً للخطبة لدى الشلالات التي نشرناها في الجزء السابق ولان تسعة اعشار قراء الجامعة في اميركا لم يطلعوا عليها حين نُشرت في مصر · وهذا تعريبها

صلاة رنان على الاكروبول

الى الالاهة بالاس اثينا الاهة العقل والحكمة
عند قدماء اليونان

,, يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي · يا ايتها الالاهة التي يُتقرّب اليها بالحكمة والعقل · يا من هيكلها بمثابة مثال ابدي للاخلاص والمعرفة · لقد ابطأتُ في الوصول الى هيكل اسرارك · وانني جئت اليك بضمير متألم · ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها · انكِ كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكير والجهد الشديد

,, لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزقاوين في بلاد السيميريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطئ بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيرًا كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبية . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كأنها من اللبن . والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء فتحجب وجه السماء

,, وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هؤلاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن ,, خرونوس " الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هياكل هؤلاء الكهنة فهي أعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهياكل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست فنك الالهي بعد . فضلاً عن انني كنت اجد ,, الله " فيها . وكانوا يتغنون فيها باغانيّ ما زلت اذكر بعضها . منها ,, السلام عليكِ يا نجمة البحر . . يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع " او ,, ياوردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح " — انظري ايتها الالاهة . انني حينما اتذكر هذه الاغانيُ يتفطر قلبي حنوًا واكاد اجحدك . فصفحاً عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه السحراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

,, ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض · فان كل استقامة ذهبت منها · وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات موءلفة من اناس احرار · بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل · جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم · وكذلك مدعون ثقلاء يسمون ,, خفيفي الرأس " كل من يخدمك · وقد تألف من كل الصغائر والدنايا عصبة طوّقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس · حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك · هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عاماً وحطم هيكلك بالمطارق ليحمله الى ,, طوله " ؟ ان جميع الذين يخدمونك اليوم يفعلون فعله · · · فلقد كتبتُ بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس · وقد صاروا يكتبون لي ويسألونني ماذا اقصد بذلك · فكأنهم لا يرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمرًا ماديًا · ولكن يا ايتها السماء · اسألكِ لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة · أليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حيًا في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

,, او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السور يين والذي جاء الى هنا في عهد ديونيزودوروس فطاف في ساحات هياكلك دون ان يفهمك وقرأ النقوش على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحًا مقامًا ,, لاله مجهول " — الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم · ولقد انقضى ألف سنة يا ايتها الحقيقة وهم يسمونك وثنًا · لقد انقضى ألف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه · زهرة ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نفير الفكر البشري · وكان يُعدُّ جانيًا

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

كل من يحبك يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي ٠ حتى اليوم وقد أفرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة أصبحوا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غني عنها

,,انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة ٠ انت وحدك قوية يا الاهة النصر ٠ انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها ٠ فان لك من ,,المريخ'' كل ما يلزمك من القوة ٠ ولكن لا غرض لك غير السلام ٠ فيا واضعة الشرائع العادلة ٠ يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خير هو آت من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء — علمينا كيف نستخرج ,,الماس'' من الجموع الجاهلة ٠ ويا عناية جو بتير ٠ يا ام كل الصنائع ٠ يا حامية العمل يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها ٠ يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى ٠ اجعلينا روحيين نفساً وجسداً ٠ — يا ايتها الالاهة ٠ لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اخترت الاقامة بين الاثينويين لانهم اكثر حكمة ٠ فانزل ابوك على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأة لهم على اجلالهم ابنته ٠ فصار الرودسيون اغنياء ٠ اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء أي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

,, ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الا اذا عاد اليك ونبذ صلاته البربرية ٠ فلنركض اليك ولنأت افواجاً افواجاً ٠ يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي أخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وترد تلك السرقة معتذرة بقولها ,, عفواً ايتها الالاهة ما أخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل '' وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية

ليزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

,, انني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قويًا بك فانني اقاوم كل نصح يغرني . اقاوم ارتيابي الذي يجعلني اشكُّ في الشعب . اقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً . اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة . فيا مثال الكمال الذي يبثه صحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى انني افضل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه . فاعلمي انني ساقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك . سانسى كل نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك . بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرتُ) متعصباً متحيزاً اكراماً لك . فلا احب شيئاً غيرك . وهوذا انني ساتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها . ساكون ظالماً لكل شيء لا يختص بك . ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك . سامدح سكان ارضك واحب كل فيهم شيءٍ حتى عيوبهم . ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفلون هناك على رخام نقوشك بعيدهم الابدي . سااسلخ من قلبي كل شيء لا يكون عقلاً وصناعة مجرّدة . ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني . فساعديني يا ايتها الالاهة وانقذيني

,, ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي . فانني ساضطر الى تغيير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي . فساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي . ذلك لانني أبطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي . ان فلسفة فاسده جعلتني اعتقد ان الخير والشر .

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

واللذة والالم . والجميل والدميم . والعقل والجنون — كلها تتحول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مطاوي عنق الحمامة . وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحب الانسان شيئاً مطلقاً ولا يبغض شيئاً مطلقاً . فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر . اذاً فكل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطأوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح . فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا . — هذه هي المسبة التي تجول في فكري الفاسد . ان الاشياء اذا كانت مثلك صحيحة سليمة من كل جهة فانها تدعو الى الملل والسآمة

„ انك تضحكين من سذاجتي . ولكن قلت واقول . الملل والسآمة . فان عقولنا فسدت وما الحيلة . بل انني اقول اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي . عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان . لان في نشوة (التراس) وجليد (السترِيون) شيئاً من الغزَل لا يوجد في سواها . وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة . ان العالم اكبر مما تظنين . ولو انك شاهدتِ ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحد . ورأسك حينئذ يتسع اكثر فيسع ضروباً من الجمال مختلفة

„ انتِ الحقيقة . انتِ كاملة نقية لا لطخة على رخامك . ولكن هيكل هاجيا صوفيا في بيزانس (١) بآجره وجدرانه يُحدث في النفس انفعالاً الهياً مثلك . فانه رمز الى قبة السماء . ومع ذلك فانه سينهدم . ولو كان بيتك واسعاً

---

(١) هو اليوم جامع آجيا صوفيا الاسانة

حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضاً

ان نهراً واسعاً يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة . فيا ايتها الهاوية ....

ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية . واحلام كل الحكماء انما فيها شيء من الحقيقة وكل شيء في هذه الارض ليس الا رمزاً وحلماً . فان الالهة تمر وتذهب كالناس . وليس يحسن ان تبقى ابدية . والايمان الذي كان للانسان يجب ان لا يكون له قيداً . فانه متى كفنه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الآلهة الميتة يكون قد وفاه حقه "

سيستبردون بالهليوم

كما يستدفئون الآن بالنار والبخار

(اختراع جديد)

للطبيعة تأثير على طبائع البشر بدليل ما نراه من اختلاف السلالات البشرية باختلاف الاقاليم التي تعيش فيها . ولكن كلما ارتقى الجنس البشري امكنه ان يؤثر على الطبيعة ويكيفها حسب طبعه . ففي المناطق الباردة جداً يستطيع الانسان ان يعيش دافئاً كما لو كان في منطقة معتدلة دافئة وذلك بما استنبطه من وسائل التدفئة المختلفة التي يعرفها كل فرد من سكان البلاد الشمالية . وكما تغلب الانسان على البرد وتحاماه يفتكر الآن بالتغلب على الحر الشديد وتحاميه حتى يستطيع ان يعيش في كل اقليم وفي أي فصل على درجة واحدة من الحرارة المعتدلة الملائمة للبدن البشري

افادت الانباء العلمية الاخيرة ان الكيماوي الهولاندي الاستاذ كامرلين أونس من ليدن توفق الى تحويل الغاز المسمى هليوم Helium الى سائل بواسطة الضغط

وفي حالة سيولة هذا العنصر تكون درجة برودته ٤٥٥ درجة تحت الصفر بحسب مقياس فارنهيت · ولكي تفهم معنى ذلك تصوّر ان الثلج الاعتيادي انما هو بالنسبة الى برودة الهيليوم السائل نار محرقة

وكان بعض الكيميين قد حسبوا ان اقسى برودة يمكن الاتصال اليها هي على ٥٥٩ درجة تحت الصفر بحسب مقياس فارنهيت وسموها درجة الصفر المطلق بالاعتبار العلمي · وقد حاول الاستاذ دِوار الوصول اليها بتحويل الهيدروجن او الهواء الى سائل بواسطة الضغط ولكنه لم يصل الى هذه الدرجة · على ان الاستاذ الهولندي اونس اقترب منها بتسييل الهيليوم ولم يبق امامه الا ٤ درجات وكسور

فاذا امكن الحصول على مقدار كبير من غاز الهيليوم وضُغط الى حد السيولة ثم أجري سائله في انابيب صغيرة متفرعة في المنازل ومحلات الاعمال كما تتفرع انابيب غاز النور او انابيب الماء او انابيب البخار الحار التي تستعمل لتدفئة المنازل — اذا وُزع سائل الهيليوم في الانابيب على هذا النحو في ايام الحر الشديد امكنه ان يبرد المنازل ومحلات الاعمال ويقي السكان مصائب الحرّ · ثم متى بثّ السائل المذكور برودته عن يد تلك الانابيب او بعبارة اخرى متى امتصّ حرارة المكان تحوّل الى غاز لانه سريع التبخر ورجع في انابيب اخرى الى المكان الذي يضغط فيه ثانيةً ليتحول الى سائل وهلمّ جرًّا

ومن مزايا هذا السائل العميق البرودة جدًا انه اذا أُطلق دفعة واحدة على مادة تشظت شظايا لفعل البرودة الشديدة المفاجئة · فلو أطلق مثلاً على سفينة حربية فليس انه يقتل بحارتها في الحال فقط بل انه يحطمها

ثم انه اذا ارسل في انابيب وكان مجراه منظماً بحيث ان يزيده المرء او ينقصه حسب اللزوم امكن بسهولة استعماله لحفظ المواد القابلة التعفن من العفونة كاللحوم

والخضرة ونحو ذلك · فضلاً عن ان برودة شديدة كهذه تقتل الجراثيم المرضية لا محالة كما تقتلها النار فيمكن بواسطته تطهير ما يجب تطهيره منها كالمراحيض ومجاري الاقذار والمستشفيات الخ

فلا يبعد ان يدرج استعمال هذا العنصر لهذه الغايات في الوقت القريب لان المدنية الحاضرة مستعجلة لا تصبر على أمر يمكن الانتفاع به

امام الشلاّل

الى الصديق

فرح افندي انطون

مقالةٌ لجناب الكاتب الفاضل نجيب افندي نسيم طراد رئيس تحرير رصيفتنا باريس حالاً ورئيس تحرير جريدة المحبة في بيروت سابقاً · ننقلها عن رصيفتنا باريس كتحية من صديق الى صديق ودليل على فضل كاتبها الذي جاء فيها بكل مبدع ومطرب في جمال الكتابة وسمو الفكر وصدق الرأي · وموضوعها خطبة صاحب الجامعة لدى شلال نياغرا التي نُشرت في الجزء الثامن لهذه السنة

سلامٌ ايها الصديق · أُحييك كما حييت الشلال العظيم · ولا اسألك الحديث فقد وصلني منه على صفحات الجامعة ما لم يزدني علماً بمقدرتك على استجلاء غوامض الطبيعة واستطلاع اسرار الكائنات · وصلني حديثك مع الشلال متدفقاً كسيله العظيم مندفعاً منك بقوة الفكر متموجاً بنسمات الشعور وما انتظرتُ الرسم الذي يمثلك في صدر الجامعة أمام الشلال لامثل منكما للخاطر رسماً لم تقع على مثله عين الشمس ولم تخطّ نظيره آلة الحفار · فقد تمثلتكما — انت تناجيه وهو يبوح لك بأسرار الحكمة الابدية — شلاّلين ينحدر كل واحد منهما في

وجهة مختلفة ولكن يجري على نظام واحد فيجتمعان عند الغاية الواحدة . يمثل الواحد منهما الناموس الابدي العام الذي تسير على احكامه المادة ويمثل الآخر الناموس الابدي العام الذي تخضع له الارواح ، شلال الماء مصدر القوى الحيوية المحسوسة وشلال الفكر مصدر القوى الحيوية المعقولة . شلال ينحدر من الاعلى الى الادنى وشلال يرتفع من الادنى الى الاعلى . ينقضّ الواحد بقوة الصواعق ويدوي كقصيف الرعود ويجري الآخر بلين الغمام وينتشر بسكون الليل . تمثلتكما كما انتما وتمثلتُ ما فيكما من عظمة وجلال فلم ادرِ ايكما احق بالتقدّم واولى بالاعظام

منذ ألوف من السنين ينحدر هذا الشلال من ينابيعه العالية ويجري في مسيله المنخفض ومنذ ألوف من السنين تسير مياهه على نظامها الثابت الأبدي مدفوعة بقوة ذلك المحرّك المحجوب عن الانظار الذي يشعر به الحسّ ولا تدركه النفس ولكنه منذ ألوف من السنين من عهد الحجر الى عصر البخار والكهرباء لم تغير الاحداث منه مقدار ذرّة ولا تركت التقلبات عليه أدنى تأثير . وقد مرّت به الاجيال والعصور وراءها تتوارى في حجاب الأبدية والتاريخ كما تتوارى مياهه في البحر والاوقيانوس وعاين البشرية في المهد ولسوف يرافقها الى حافة اللحد ولا يزال تابعاً في سيره الوجهة الواحدة والغاية الواحدة . تلك الغاية التي تنتهي اليها العوالم والكائنات الارض في دورانها والشمس في سيرها والسيارات في حركاتها والانسان في حبه للبقاء وطموحه الى الارتقاء . تلك هي الغاية الابدية مرمى كل الكائنات نعرفها ولكن لا نعرف السرّ المكنون فيها ولا الحدّ الذي ستقف عنده . وقد وقفتَ انت امام الشلال تنكر عليه الغاية وانت تحملها في ذاتك وتسعى اليها بذات الدافع الذي ما برح يجري بناموسه منذ الألوف من السنين . ولكن الفرق بينك و بينه انك انت تحاول سبق هذه الغاية وهو يسير

معها وما مثلك انت واخوانك من البشر الفاكرين إلاَّ مثل تلك الدقائق التي يتألف منها الشلال تجري الواحدة اثر الاخرى وهي لا تعلم ما وراءها ولا تدري الى اين تسير . ونحن هكذا يطوي الجيل منا الجيل وينبت الحيّ على بقايا الحيّ ولا يعرف اين الابتداء واين النهاية . فماذا تنتظر ان يفيدك الشلال وهو مثلك يجري منذ الأزل والى الأبد لغاية او لغير غاية ويسير مكرهاً لا مختاراً بقوة ذلك النظام الذي تخضعان له كلاكما وتجهلانه كلاكما

من انت وما هو الشلال وما هي الارض والسماء . من اتيت تستطلع ومن وقفت تناجي . هل رفعت بصرك في الفضاء حواليك وتأملت في العوالم التي تسبح في اللانهاية . واذا باح لك الشلال بسر الارض وفاتحك بما أسرّه اليه فلاسفة الاقدمين ونوابغ المتأخرين فهل ينبئك بما يجري هناك فوق رؤوسنا أو تحت اقدامنا في عوالم تكاد لا يملأ منا منظرها حدقة عين ويضيق دونها الفكر غير المتناهي . لقد تمثلتك ايها الصديق بين الرهبة والخشوع في مناجاتك الشلال العظيم واستعراضه فيك الاجيال البائدة والعصور الغابرة . ذلك الاستعراض الذي ابتدأت فيه بموسى وانتهيت بدرون ورنان وكنت وانت تطلب الافادة من الشلال تفيده ولا تدري . وبينا كانت امواجه ترغي على الصخر وتملأ بهديرها الهواء كان فكرك يملي عليها تاريخ الانسان ويجلو لها اسرار البشرية فكنتَ امامها المستفيد المفيد وأُخِذتَ من حيث اردت ان تأخذ

غرّك يا فرح انك ابن ثلث قرن ونسيت انك تحمل فيك اعمار القرون . تصاغرتَ امام الشلال — تصابياً أو احتشاماً — ولكنك خاطبته كما يخاطب الشيخُ الشيخ وقابلتهُ كما يقابل الجبار الجبار . خاطبتهُ فذكرته مما رأى بما لا يدري وعلمته مما مرّ به ما لم يعلم فكنت انت الاستاذ وكان هو التلميذ . وذكرته عصر الفطرة وقابلتهُ بعصر الحضارة . وانزلته من عليائه الى شفير الهوة البشرية

فاريته فيه ما كاد يرده امواجه على اعقابها هولاً وارتياعاً. اريته الاثرة والانانية والاطماع . اريته النزاع الذي يملأ الارض دماً والهواء فساداً . اريته تلك الوحوش البشرية الفاغرة افواهها من خلال الابتسام المنشبة مخالبها عند السلام . وامام تياره العظيم مثلت له تيار الظلم والشقاء الجارف كل يوم من ابناء الانسانية ما تجترفه مياهه من حبات الرمال

*****

ماذا وعى الشلال ايها الصديق من كل ما تلوته عليه واين سارت بكلماتك الامواج التي حملتها ؟ هل تظنها غارت معها في اعماق اللجج أو تناثرت مع رشاش الماء ? لقد ظل شلال نياغرا تابعاً انحداره ومجراه وهديره يعلو على كل صوت ويخفي كل دوي . ولكن الشلال الآخر — شلال الفكر المتفجر من اعماق العصور المالئ الكون واللانهاية — قد نقلها حرفاً حرفاً ونقشها في مجراه على لوح كل نفس وصفحات كل ضمير نجيب نسيم طراد

نهضة المهاجرين السوريين

الى الزراعة وتربية المواشي وامتلاك الارض

اخبار جديدة عن سوريين شرعوا حديثاً في ذلك

١٠٢٠ فاضلاً واديباً يؤيدون العريضة السورية التي سترفعها الجامعة الى الحكومة الاميركية

تسري دعوة الجامعة بين المهاجرين الى الزراعة وتربية المواشي وامتلاك الارض قبل فواتها — سريان الكهرباء بسلك وبلا سلك . واذا استمرت

الحماسة الى هذا الأمر كما نراها فانه لا تنقضي خمسة اعوام او عشرة حتى يُصبح نصف النزالة السورية في اميركا او اكثر زراعاً ومربي مواشي وأصحاب املاك . وفي ذلك ما فيه من ارتفاع شأن النزالة لدى أهل البلاد وزيادة ثروتها ورسوخ قدمها في دار هجرتنا هذه

قال لنا جناب الفاضل الخواجا خليل سيده من معتبري تجارنا ,, حبذا لو لقيتُ صديقين يجاورانني لكي آخذ مزرعة قريبة من نيويورك حيث اكون قريباً من اشغالي التجارية . فانني اكتفي من المزرعة بفائدة رأس المال الذي اضعه فيها واتمتع فوق ذلك مع عائلتي بمعيشة الهدوء والسلامة وجودة الصحة ونقاء الهواء . ثم اورد حضرته شاهداً على ربح المزارع بقوله ان حقلاً واحداً في مزرعة حضرات الخواجات دبدوب القريبة من نيويورك قد ربح في هذا العام من زراعة الكوسى فقط ٧٠٠ ريال فوق نفقاته . فتأمل

ولدينا أخبار حديثة وردت علينا في هذا الاسبوع عن انشاء اخواننا السوريين المزارع . ومما سرّنا فيها بنوع خاص ان الطبقة المرتقية من افاضلنا وادبائنا قد اخذت تعكف ايضاً على امتلاك الارض واستثمارها . فذكّرنا هذا الامر أفعال افاضل رجال التاريخ الذين كانوا يفضلون العمل في مزراعهم على جميع أعمال السياسة والرئاسة وما جرى مجراها .

فقد كان سنسناتوس رئيس جمهورية رومه زارعاً . ولما انتهت مدة رئاسته انصرف الى حقله فجاء الاعيان يعرضون عليه رئاسة الجمهورية مرة ثانية فوجدوه يشتغل بحتمله . والتاريخ يعد هذا الفعل من جملة أفعال أبطاله

وجورج واشنطن كان زارعاً ايضاً وقد وقع له ما وقع لسنسناتوس وذلك انه لما عُرضت عليه رئاسة الجمهورية الاميركية كان يشتغل بحتمله

وغلادستون السياسي الانكليزي المشهور ما كان يلذ له شيء كلبس ملابس العمل والاندساس في حقوله بين الاحراش ليقطع الاشجار بيديه رغبة في الرياضة البدنية من جهة وتلذذاً بالمعيشة القروية من جهة اخرى

وارمان فالبير وهو اليوم رئيس الجمهورية الفرنسوية لا يلذ له شيء مثل الانصراف من قصر رئاسة الجمهورية في باريز الى مزارعه في لوبيليون حيث يفتقد بنفسه زراعة الكرم (العنب) الخاصة بها حقوله كلها ويستخرج منها في معامل خصوصية له خمراً مشهورة · وهو يعزق ارض الكرمة بمعول بيده ويتلهى عن ابهة الملك والرئاسة بعمل الزراعة والفلاحة

وخديوي مصر اليوم عباس باشا الثاني منصرف بكليته الى مزارعه الواسعة التي صار يُضرب بها المثل في القطر المصري لفرط عنايته بها واشتغاله بكلياتها وجزئياتها

ولو أردنا لملأنا مجلداً ضخماً بافعال مشاهير الناس في السياسة والرئاسة والمال والتجارة الذين لهم مزارع واسعة يستدرون خيراتها ويستشفون بهوائها ويعيشون فيها معيشة ليس أهنأ منها · فاذا كان بعض افاضلنا وادبائنا وكرام تجارنا قد اخذوا يقتدون بهم ويفعلون فعلهم طلباً لصلاح الحال وفراغ البال وحسن المعيشة الصحية فضلاً عن الارباح المادية الوافرة فانعم بهم من مثال صالح وقدوة حسنة يقتدي بها سائر أفراد النزالة · ولهم من هذا الوجه فضل عظيم في تشجيع المترددين وتنشيط المرتابين في هذا العمل الصالح

الخواجا نقولا باسيلي — جميع قرائنا في نيويورك يعرفون جناب التاجر العاقل الخواجا نقولا باسيلي الذي كان مقيماً في نيويورك قبل سفره الى كاليفورونيا وجميع سيدات نيويورك السوريات يعرفن حضرة المصونة الفاضلة السيدة قرينته كاتمة اسرار جمعية السيدات في ما سبق وصاحبة الايادي البيضاء في خدمتها التأسيسية الاولى · ويسرّنا ان ننقل الآن ان جناب صديقنا الخواجا نقولا باسيلي مع اهتمامه بالتجارة قد أخذ اراضي واسعة في ولاية كاليفورنيا بالاتفاق مع جناب شقيقه الاديب الخواجا يوسف الذي حضر من فيلبين خاصة لهذا الامر : ويبلغ ما أخذاه من الاراضي ٢٤٠ اكراً منها ٨٠ اكراً في جوار فرزنو (كاليفورنيا) والباقي وهو ١٦٠ اكراً أبعد قليلاً · وقد شرعا

بغرسها بالكرمة (العنب) لتغلّ لهما عنباً وزبيباً وخمراً · وفوق ذلك فقد ابتاعا ارضاً مساحتها ٦٢٥ قدماً في بلدة تُدعى سنجن على بعدميلين ونصف من تلك الاراضي وفي تلك الاراضي منزل جميل و بئرا ماء واسطبلان للخيل · فندعو لحضراتهما بالنجاح وهما ناجحان ولا شك لانهما من أهل الرأي وحسن الادارة والتدبير

الخواجات حكيم اخوان — وهناك ايضاً تجار افاضل من تجار نيو يورك كانوا اصحاب محل تجاري في شارع واشنطن عندنا ثم صفوا أشغالهم وعزموا على الاشتغال بالزراعة في اراضي كاليفورنيا · وهم حضرات الخواجات حكيم اخوان فقد سافر أحدهم الى كاليفورنا وشاهد اراضي الزراعة فيها ثم صفوا اشغالهم هنا وعزموا على الرحيل اليها للاشتغال بالزراعة وفقهم الله · واذا كانت نيويورك قد خسرت محلاً تجارياً فقد ربحت النزاله كلها مزرعة كبيرة

الخواجا وديع سمعاني — ويتذكر قراء الجامعة مما ذكرناه عن جناب الاديب وديع افندي سمعاني حين مرورنا في مريدن (كناتكت) ان جنابه كان ذا محل تجاري فيها · وقد علمنا من كتاب ورد علينا منه في هذا الاسبوع ان حضرته أخذ مزرعة في ثوثنكتن (كنانكت) وترك التجارة للانصراف الى الزراعة · وهو الآن مسرور غاية السرور في عمله الجديد ومما قاله لنا في كتابه (اود ان تحضروا ولو يوماً لتزوروا مزرعتي) بارك الله في همته واناله ما يتمنى و يستحقه من التوفيق والنجاح

بضعة سوريين شارعين في الزراعة — وقدزارنا في اول هذا الاسبوع جناب الماجد السيد يوسف الشيخ يوسف قادماً من مونتريال كندا · وقص علينا ان سبب رحيله اليها من دتشن جنكشن (نيو يورك) محل اقامته البحث والتفتيش في ولاية مانيتوبا (كندا) عن الارضي الزراعية التي تعطيها حكومة كندا للسوريين مجاناً بعد مسعى الجامعة في ذلك لانه متفق مع حضرات السادة سعيد محمد سعد ومحمد الحج ابو علي وحسن مرعي علي اخذ اراضي للزراعة · وقد زارنا حضرته بعد عودته من كندا لمخابرتنا

في افضل الوسائل لذلك بطلب من حضراتهم . وقد طاف في كندا الاراضي حوالى وينبيك فوجد ان فيها نحو ٢٤ سورياً اخذوا (هومستيد) اي اراضي مجانية وهم منصرفون الى الزراعة فيها

فمما تقدم وغيره مما نجتزئ الآن عن ذكره رغبة في الاختصار يظهران النهضة الى الزراعة وتربية المواشي وامتلاك الاراضي اصبحت بين اخواننا المهاجرين حادثة من حوادثهم التأريخية الهامة التي ستُسطر لهم في تاريخ هجرتهم . فالى الامام يا اهل الهمة والاقدام . وثقوا بانكم في اقبالكم هذا الاقبال على الزراعة وامتلاك الارض التي هي أهم الاعمال تؤسسون النزالة السورية في اميركا على اسس الارتقاء الحقيقي والثروة الأكيدة في مستقبل الزمان ان شاء الله

عودة الى العريضة السورية

١٠٢٠ شخصاً يؤيدون العريضة

٤٥ شخصاً يطلبون هومستيد — ويتذكر القراء ان العريضة السورية التي سترفعها الجامعة الى الحكومة الاميركية بشأن استمناحها اراضي مجانية في الولايات الجنوبية المعتدلة الهواء تقسم الى قسمين . القسم الاول يشتمل على اسماء الافاضل والادباء الذين أيدوا العريضة ووقَّعوا عليها . والقسم الثاني يشتمل على اسماء الذين يريدون أخذ اراضي مجانيـة (هومستيد) اذا جادت بها عليهم الحكومة الاميركية في الجهات المعتدلة الهواء حيث تخصب الزراعة ويمكن العمل فيها في اكثر أشهر السنة

ويسرّنا الآن ان نبشر قراء الجامعة ومحبي هذا المشروع انه قد بلغ عدد الافاضل والادباء الذين وقَّعوا على العريضة ١٠٢٠ شخصاً . ومنهم من الولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الاوقيانوس وكوبا واميركا الجنوبية ومصر وسوريا ولبنان . ولا شك في ان دولة وزير الزراعة الاميركي سيسرّه متى رُفعت العريضة اليه ان يرى اوراق الموافقة عليها محتوية على اسماء

افاضل وادباء من السوريين في جميع اقطار العالم تقريبًا ويتحقق حينئذ ان هذه الحركة التي اثارتها الجامعة حركة جدية مبنية على ارادة جيش عظيم

واما الذين وقعوا على العريضة وفي نيتهم اخذ اراضي مجانية (هومستيد) اذا جادت بها الحكومة الاميركية في ولايات معتدلة الهواء فقد بلغ عددهم في اوراق الموافقة ٤٥ شخصًا . منهم من هم خارج اميركا . ولا تزال اوراق الموافقة ترد علينا حتى اليوم من خارج الولايات المتحدة وقد وردنا منها في الاسبوع الماضي ٣ اوراق عليها ١٨ توقيعًا . ورأينا في رصيفتنا جريدة الزمان الغراء (في بونس ايرس الارجنتين) فصلاً مفردًا بشأن مشروع الجامعة حثت فيه اخواننا السوريين هناك على التفكير في هذا الامر والاقبال عليه . فلها شكرنا ووادنا لتأييدها هذا المشروع

هل كان المسيح يهوديًا

في اوائل الشهر الماضي اجتمع في اكسفورد (انكلترا) (موتمر تاريخ الاديان) وقد حضره مئات من العلماء وتليت فيه نحو مائة مقالة . وهذا الاجتماع هو الاجتماع الثالث لهذا الموتمر لانه اجتمع اول مرة في باريز سنة ١٩٠٠ واجتمع مرة ثانية في بال سنة ١٩٠٤

وكان في جملة المسائل الدينية التي بحث فيها الموتمر مسألة اثارها الاستاذ هبت من بلتيمور وهذا نصها (هل كان المسيح يهوديًا) . وهو يرمي الى إثبات ان المسيح كان من نسل آري لا من نسل سامي . وقد اشتعلت نار الجدال في المجتمع في هذا الموضوع بشيء من الحدة

واليك ما قاله هبت في هذا الشأن لاثبات دعواه . قال :

كان مشهورًا لدى اهل اوروشليم مَثَل جارٍ على السنتهم وورد في الانجيل

وهو (هل يخرج من الجليل رجل صالح) وذلك لان اهل اوروشليم كانوا يعلمون ان أهل ولاية الجليل (التي منها الناصرة) لم يكونوا يهوداً اصليين · ففي رأي الاستاذ هبت انه من المقرر في التاريخ ان تغلت فلاسر رابع ملوك اشور اجتاح بلاد الجليل في سنة ٧٣٨ قبل الميلاد وأجلى عنها جميع أهلها اليهود الاصليين وأحلّ محلهم اناساً من نسل آري · وقد بقي في تلك البلاد بقية من اليهود الاصليين ولكن مواطنيهم الغرباء في الجليل اضطهدوهم فاسرع الى نجدتهم اخ ليهوذا المخابي وجاء بهم في سنة ١٦٤ قبل المسيح الى اوروشليم انقاذاً لهم من الاضطهاد · فخلت منذ تلك السنة بلاد الجليل كلها من اليهود الاصليين · الا ان الذين حلّوا محلهم في بلادهم الآريين اضطروا في سنة ١٠٣ قبل المسيح الى اعتناق الدين الاسرائيلي ومع ذلك فانهم اقاموا منفصلين عن النسل السامي والشعب اليهودي الاصلي · ومن جملتهم أهل الناصرة ايضاً

وبناء على رأي الاستاذ هبت يكون المسيح غير يهودي على ان هذا الاستاذ لم يُقنع المؤتمر · فما كان اغناه عن البحث في امثال هذه الامور

في ليلة مقمرة

شعرٌ جميل

وردت علينا هذه القصيدة من لبنان ومعها كتاب وقد فقد الكتاب من الادارة ولم نعلم بعد فقدانه اسم ناظمها الاديب فنشرناها دون توقيع حرصاً على جمالها ويرى القراء فيها ابياتاً تأخذ بمجامع القلوب طلاوة وسلاسة

ليتَ الشبابَ يدوم والافراحُ تمضي الحياة كأنها أشباحُ

نهوى الملاحَ وسوف ننشد في غدٍ ما نحنُ نحنُ ولا الملاح ملاحُ

فلنجرعنّ اليوم أقداح الهوى | من قبل ان تتكسر الاقداحُ
ولنملأنّ عيوننا الشرهاتِ من | نُكتِ الوجود فاننا سيّاحُ

*****

ذاك الجمال فشاهد ابنته التي | يعنو لها الضرغام وهو وقاحُ
انظر فان على مذابح وجهها | أثرًا هنالك تُنحر الأرواحُ
هي جنةٌ عنيَ الاله بغرسها | اثمارها الرمان والتفاحُ
ذاتَ الوشاح مهفهفًا أعليكِ من | نسج العواطف حلةٌ ووشاحُ
مالي أراكِ سرحتِ في الابصار هل | لكِ من تخيّل واصفيكِ جناحُ
لا تحرمي الشعراء لطفك والرضى | فهما غذاءُ نفوسهم والرّاحُ
واذا نظرتِ اليهم نظرَ الرضى | جادت قرائحهم وهن شِحاحُ
لا يُعذلون اذا استطار غرامهم | زهوُ الشباب فاظهروه وباحوا
زمنُ الفتوّة والمشيبِ كلاهما | جدٌّ وايام الشباب مزاحُ

*****

وأدرْ لحاظكَ في النجوم مفكرًا | انّ النجومَ وان صمتنَ فصاحُ
ابدًا تحدّث عن وجود الله لا | عيٌّ يلمّ بها ولا إلحاحُ
منشورةٌ في اللانهاية ما لها | أبدَ الزمانِ مع الزمانِ براحُ
مثل النعاج السارحات لها على | تلك السهولِ الواسعاتِ سراحُ
والبدرُ منبلجُ الاشعة بينها | لا نقصَ فيه كأنه مصباحُ
وقفت خواشعَ حوله وشعاعها | مثلُ الأسنة ناتئٌ لمّاحُ
فكأنه السلطان بين جنوده | يسعى وفي ايدي الجنود رماحُ
ولقد أدار الى البسيطة وجهه | فكأنه متفرّجٌ طمّاحُ
أو عاشقٌ يصغي لصدحة بلبلٍ | انا يا جميلُ البلبلُ الصدّاحُ

هيجتَ يا شبه الحبيب صبابتي فانا بحسنك هازجٌ مدّاحُ
يا بدرُ كم سرٍ وراءك غامضٍ قلقت له الفقهاءُ والشرّاحُ
ان الحياة هي الجهالة والردى والداءُ بابُ العلم والمفتاحُ
فالنفس بعد خروجها من جسمها عن كلّ سرٍّ عندها ايضاحُ
إسطع فانتَ خيالُ ربك في الفضا واطفْ فانتَ مِثاله الوضاحُ

••*

الآن يسهدُ ذو الغني متململاً وينامُ ملء جفونه الفلاّحُ
وبنو الذكاء وهم قلائل في الورى نزحوا الى دنيا الخيال وساحوا
بالعلم نطّلب العلى لا نثني ونغالبُ الايام لا نرتاحُ
حتى يُقال بنو فلانٍ قبلنا جاؤوا الى هذا الوجود وراحوا
تتعاقبُ الأمم العدادُ وتنقضي والليل ليلٌ والصباح صباحُ

رواية مريم قبل التوبة

اضطررنا منذ بضعة اعداد الى قطع هذه الرواية وتأجيل نشرها في الجامعة لاننا اشتغلنا بسياحتنا في داخلية الولايات المتحدة مدة ٤ أشهر . وانه ولئن كانت خطة هذه الرواية كلها مرسومة على الورق وأهم حوادثها ومبادئها ماثلة لذهن المؤلف وقلمه الا ان اللباس الذي يجب ان تظهر به ظهوراً نهائياً لم يُنسج بعد. وتنقلات السفر والاشتغال بمقابلات الاصحاب والاصدقاء في اثناء الرحلة لا يتركان الفكر صافياً صفاء يتيح لصاحبه التفرغ لعمل جدي ككتابة تلك الرواية ولذلك أخرنا الاشتغال بها. يومئذ وسنعود اليها في الجزء التالي الذي هو الجزء الاول من المجلة لسنتها السابعة

ومريم قبل التوبة قسمان كما تقدم لنا بسطه · الاول (مريم قبل التوبة) والثاني (مريم بعد التوبة) وقد نشر حتى الآن نحو القسم الاول وبقي نحو ثلاثة أرباع الرواية

آثار شرقية قديمة

آثار خوزستان

اقليم خوزستان في فارس من الاقاليم التي رخصت حكومتها لفرنسا ان تأخذ منها جميع ما تعثر عليه من الآثار كما عقدت معها عقداً سنة ١٩٠٠ يكون بموجبه لفرنسا حق استخراج العاديات من فارس كلها دون غيرها وقد حفر المسيو مورغان العالم الاثري في سوس عاصمة ذاك الاقليم فظفر فيها بآثار مهمة حملها في ثمانين صندوقاً وراح يعرضها في متحف اللوفر بباريز وقد كتب عنها بعضهم في جريدة ,, الآنال ‘‘ فصلاً ضافياً قائلاً ان الحفر ما زال في سوس قائماً على ساق وقدم منذ بضع سنين برئاسة هذا العالم الاثري وسوس هي المدينة الغربية التي خربت مرات واعيد بناؤها فانشأ بالآجر المستخرج من انقاض الاسوار في تلك المدينة قصراً حصيناً اشبه بقلعة ليكون في مأمن للقيام بمهمته وقد نجز بناء هذا الحصن وكانت هذه البعثة الاثرية من قبل عرضة لنهب الناهبين من سكان البوادي · واكتشف في الحفريات الحديثة بقايا المدينة الاولى التي كانت قبل المسيح بخمسة آلاف سنة واكتشفوا كمية من الخزف والاواني المنقوشة التي رسمت على مثال الصناعة اليونانية مما استدل منه على ان الصناعة الكلدانية أساس الصناعة اليونانية فان ملوك خوزستان بعد ان خربوا بلاد الكلدان اخذوا الى عاصمتهم سوس كل ما كان عند المغلوبين من الاعلاق والنفائس

وزينوا به قصورهم . وانك لتجد هذه الاعلاق المذكرة بتلك الحضارة في سوس اكثر مما تجد منها في بابل نفسها . وقد جمعت تلك البعثة ما طالت اليه يدها من الخزف المنقوش الذي كانت جعلت منه جدران قصر ملوك الاخمانيين ومتى جمعت كلها يكون منها صورة تامة يتأتى الوقوف بها على واجهات ذاك القصر وكيف كانت . قال ولقد دهشنا بما شاهدناه من تلك الاواني والاكواب والصحاف المنقوشة بالمشجر اللطيف و بصور الحيوانات التي جُعلت على نسق دلّ على ذوق اكيد وذكاء حقيقي وتحققنا ان هذا الخزف صنع بحذق يوازي حذق صناعنا في صنع الصيني وقد جعلوا منه اشكالاً كثيرة فمنه تماثيل دينية أو العاب للاولاد او عجلات صغيرة أو غير ذلك من التحف والطرائف . وفي هذه المجموعة النفيسة تماثيل لمشاهير منها بعض رجال معروفين مثل تمثال الملك مونيشتوزو الذي اتى المسيو مورغان بقانونه الذي كتبه منذ اربعين قرناً قبل المسيح وقد كتبت على التمثال كتابة تؤكد انه ملك سوس بعينه

(المقتبس)

تاريخ

بلغاريا والروملي الشرقية

والبوسنه والهرسك

أعلنت بلغاريا استقلالها وضمّت النمسا ولايتي البوسنه والهرسك اليها فوقع اضطراب شديد في الدوائر السياسية الدولية حتى خيف من شبوب نار الحرب . واليك طرفاً من تاريخ بلغاريا والروملي الشرقية التي كان عليها الخلاف والبوسنه والهرسك

بلغاريا

اصلها واضطرابات تاريخها واستقلالها

مرتين عن سلطتين

كانت بلغاريا في القديم جزءاً من مملكة تراس ومنها رومانيا ايضاً وقد استعمرها الرومانيون في ابان عظمتهم وفي القرن الرابع والخامس دخل اليها السلافيون (الروس) وفي سنة ١٦٧٩ جاءها العنصر البلغاري والف فيها مملكة كان معظم اهلها سلافيين . ثم اخذ البلغاريون يمتزجون بالسلافيين امتزاجاً كلياً وفي سنة ٨٦٤ دخل ملكهم بوريس في الدين المسيحي . وبلغت مملكة بلغاريا اوج مجدها في عهد ملكها سمعان بين سنة ٨٩٣ و٩٢٧ . وبين سنة ١٠١٨ و١١٩٦ خضعت لسلطنة بزنطية وقياصرتها اليونان يوم كانوا يحكمون في الاستانة فانقذها من نيرهم الزعيم يوحنا ازن واخوه وحكمت البلغار سلالتهما وكانت عاصمتها طرنوه (ترنوفا) وهي التي تُوج فيها امير البلغار في الشهر الماضي وقد قابل البلغاريون في يوم التتويج بين استقلالهم الاول عن سلطنة اليونان واستقلالهم الاخير عن السلطنة العثمانية ولذلك تحمسوا ذلك التحمس . . . وقد دام استقلال البلغار حتى القرن الرابع عشر ومدوا فتوحاتهم حتى بحر ايجه وفي ذلك القرن هاجم بلادهم السربيون من جهة والاتراك من جهة اخرى فاقتسمها الفريقان . وفي سنة ١٣٩٦ استولى عليها الاتراك

ثم اتخذ الاستقلال في بلغاريا وجهاً دينياً فقاموا يطلبون الانفصال عن سلطة البطريرك القسطنطيني لانهم كانوا تابعين لها فساعدتهم الدولة على ذلك ومنحتهم حق اقامة رئيس ديني لهم مستقل ,, اكسرخس البلغار " وفي سنة ١٨٧٥ ثاروا يطلبون الاستقلال السياسي فساعدتهم روسيا و بعثت اليهم ضباطاً ينظمون جندهم وحاربت روسيا الدولة من أجلهم سنة (١٨٧٧) وعقدت معها معاهدة

سان ستفانو المشهورة (سنة ١٨٧٨) ومؤداها اعطاء بلغاريا جميع الاراضي الواقعة بين نهر الدانوب والبحر الاسود مع الارخبيل ما عدا الاراضي المجاورة للاستانة ولكن انكلترا وقفت في وجه روسيا و بلغاريا في مؤتمر برلين وكادت تحارب روسيا جعل رغبة في تقليص ظل مطامع بلغاريا وروسيا معها فتقرر مؤتمر برلين (سنة ١٨٧٨) بلغاريا امارة مستقلة استقلالاً نوعياً تدفع الجزية للدولة العثمانية وجعل الروملي الشرقية التي تليها ولاية مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية يحكمها وال يعينه جلالة السلطان

وكان اول والٍ للروملي الشرقية اليكوباشا وتلاه غفريل باشا (سنة ١٨٨٤) ولكن ظهر في بلغاريا والروملي الشرقية ميل عمومي الى الانضمام معاً فقامت في الروملي ثورة وقام اهلها يدعون الامير اسكندر دي باتنبرج الذي كان قد عُين اميراً لبلغاريا بموافقة تركيا الى ضم الروملي الشرقيه الى بلاده ففعل . فاغتاظت سربيا واثارت الحرب على بلغاريا فانغلبت سربيا (سنة ١٨٨٥) فسئمت تركيا القلاقل ورضيت بتعيين امير بلغاريا حاكماً للروملي الشرقية . وفي سنة ١٨٨٦ استعفى الامير اسكندر من امارة البلغار فانتخب البلغار للامارة عليهم البرنس ولديمير الدانيمركي فأبى فانتخبوا في سنة ١٨٨٧ البرنس فردينان دي باتنبرج اميرهم الحالي الذي اصبح قيصراً ...

الروملي الشرقية

التي كان عليها الخلاف

الروملي ولايتان ولاية شرقية وولاية غربية . اما الولاية الغربية فهي مدغمة في ما يليها من الولايات العثمانية كولايات ادرنه وسالونيك ومو ناستير فهي تابعة لها والدولة تحكمها مباشرة . واما ولاية الروملي الشرقية وهي التي كان عليها الخلاف فقد كانت من قبل ولاية عثمانية مستقلة استقلالاً ادارياً واستقلالها هذا يبدأ من معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ . وفي سنة ١٨٨٥ حدثت فيها فتنة عظيمة فضمت الى بلغاريا تحت سيادة تركيا وعين جلالة السلطان أمير بلغاريا حاكماً لها باسم جلالته كما تقدم

(موقعها) وهذه الولاية (الروملي الشرقية) يحدها شرقاً البحر الاسود

وهو يحيط بها مسافة ٧٠ كيلومترًا ولها فيه ميناء مشهور وهو ميناء بورغاس الذي هو الميناء الوحيد لبلغاريا . ويحدها جنوبًا وغربًا ولايتا ادرنه وسالونيك . ويحدها شمالاً بلغاريا نفسها . وفيها الجبال الشاهقة والشلالات الكثيرة والاراضي الخصيبة التي تزرع فيها الكرمة (العنب) والتوت والارز والورد والقمح خاصة وسائر أصناف الحبوب وجوها معتدل وهواؤها صحيح لطيف

(سكانها وسكان بلغاريا) مساحة الروملي الشرقية ٣٣٥٠٠ كيلومتر مربع . ومساحة بلغاريا ٦٣١٦٠ كيلومترًا . ويبلغ عدد سكان الروملي وحدها نحو مليون شخص (كان في الاحصاء الاخير ٩٩٢,٢٩٠ شخصاً) . وعدد سكان بلغاريا نحو مليونين ونصف مليون (كان في الاحصاء الاخير ٢,٣١٧,٥٠٠ شخص) فيكون مجموع سكان الروملي الشرقية وبلغاريا معاً نحو ثلاثة ملايين ونصف في اكثر تقدير على ما في المصادر التي عندنا

وهؤلاء السكان ينقسمون هكذا في الروملي الشرقية وفي بلغاريا معاً

٢,٦١٠,٠٠٠	بلغاريون ارثوذكس
٥٧٠,٠٠٠	اتراك ومسلمون
٦٠,٠٠٠	يونان
٢٧,٥٠٠	يهود
٣,٦٠٠	المانيون
١,٨٠٠	روس
٥٢,٠٠٠	نَوَر وقبائل رحل

ومن المسلمين المقيمين في بلغاريا كثيرون أصلهم بلغاري ودخلوا في الدين الاسلامي في ايام الفتن الماضية . وفي جملتهم قبائل البوماك في الروملي الشرقية التي هي من سلالة التراسيين سكان تلك البلاد الاصليين

وولاية الروملي تقسم الى عدة مقاطعات او متصرفيات وهي : مقاطعة فيليبوبولي . وبورغاس . وسليفنو . واسكي زكره . وتتر بزرجيك . وهسكو

تاريخ البوسنه والهرسك

اللتين ضمتهما النمسا اليها
وسبب استياء سربيا

البوسنه والهرسك ولايتان متجاورتان تحدهما شرقاً سربيا وجنوباً الجبل الاسود وغرباً جنوب النمسا ووراءها البحر الادرياتيكي وشمالاً بلاد النمسا · وكانت البوسنه والهرسك في القرن الرابع عشر جزءاً من مملكة سربيا · وفي اول القرن الخامس عشر دفعت الجزية لتركيا وخضعت لها اسماً · وفي سنة ١٥٢٨ اصبحت ولاية عثمانية · وبالرغم من مهاجرة الاتراك اليها والايطاليين والالمان والنمساويين فقد بقيت سلافيَّة تقريباً · فان عدد سكان البوسنه مليون و ٣٥٠ الفاً وعدد سكان الهرسك ٢٢٠ الفاً منهم جميعاً ٩٠٠ الف ارثوذكسيون و ٥٠٠ الفاً مسلمون و ٢٥٠ الفاً كاثوليك و ٧٠ الفاً يهود واكثر سكان الولايتين يتكلمون اللغة السربية ويميلون الى سربيا · وفي سنة ١٨٧٥ شبت ثورة فيها كانت من اسباب الحرب بين تركيا وروسيا · ولما اجتمع موتمر برلين قرر ان تستقل بلغاريا استقلالاً ادارياً ولما كان المؤتمر ضد روسيا فلم يقرر الحاق البوسنه والهرسك بسربيا بل اعطى النمسا حق ادارة الولايتين واحتلالهما عسكرياً الى أجل غير معين · ولما أُعطي الدستور العثماني آخراً قام المتحمسون في البوسنه والهرسك يطلبون بعضهم الانضمام الى تركيا وهم المسلمون وبعضهم الانضمام الى سربيا وهم السربيون في الاصل ولغتهم السربية كما تقدم · وقد كان حزب تركيا الفتاة يتوقع الشر من قيام أهل البوسنه لان جمعية الاتحاد والترقي نشرت منشوراً قالت فيه انه على العثمانيين وصحفهم ان لا يتعرضوا لمصر والبوسنه والهرسك · ولكن جهيزة النمسا قطعت قول كل خطيب فاعلنت خرقها معاهدة برلين باستيلائها على البوسنه والهرسك استيلاءً نهائياً بعد ان كان استيلاؤها وقتياً · وذلك في قولها بحجة تسكين أهل البوسنه والهرسك لنزوعهم الى الثورة · وهي

حجة الظالم المعتدي

فما تقدم يتضح سبب استياء سربيا من استيلاء النمسا على هاتين الولايتين . اضف الى ذلك ان سربيا محصورة في اليابسة بين الامم البلقانية فاذا ضمت اليها البوسنه والهرسك امكنها ان تصل الى البحر الادرياتيكي من جهة النمسا ويكون لها مرفأ فيه ومنفذ للخارج

باب الاخبار العلمية

بين نيو يورك وباريز — وافقت الحكومة الفرنسوية على إنشاء محطة في برج ايفل للتلغراف اللاسلكي بين نيو يورك و باريز

مصل لمداواة الكسل — يقول دكتور انكليزي انه صنع مصلاً لمداواة الكسل . فالرجل المصاب به يحقن بهذا المصل فيفارقه الكسل ويصبح نشيطاً . وقد بنى هذا المصل على مبدإ تقوية الدم وإفراز ما فيه من الجراثيم التي تسبب ضعفه . فعسى ان لا يكون مازحاً

الكلام بالتلفون بين اوروبا واميركا — اكتشف مهندس ايطالي طريقة يتمكن بها من ارسال امواج صوت التلفون على أسلاك التلغراف الممتدة في البحر بين اوروبا واميركا . وهو الآن يجرب طريقته بين اوروبا و بونس ايرس وقد بشر العالم بالنجاح لانها اسفرت عن نتيجة مرضية . وكل ما عُلم منها حتى الآن انه يصل جهاز التلفون بالسلك التلغرافي البحري فينتقل الصوت على هذا السلك من اوروبا الى اميركا . وقد نُقل خبر هذا الاختراع الى جرائد نيويورك بالبرق . واذا صحّ وكمل نظامه امكن الواحد منا وهو في نيو يورك ان يخاطب صديقه أو عميله وهو في اوروبا كما يتخاطب الناس بالتلفون في الولايات المتحدة كلها

الانسان القرد — عُرض في باريز قردٌ رويت عنه رواية كان لهادوي بعيد. واسم هذا القرد زيزي وقد قيل فيه ان اباه غوريلا وهو نوع من أرقى نوع القرود وامه امرأة سودانية من بورنيو فجاء زيزي من هذا الزواج بين الغورلا والمرأة السودانية فكان حيواناً متوسطاً بين الانسان والحيوان . وهو منتصب القامة متى شاء الانتصاب ولا شعر يكسو جسمه كالشعر الذي يكسو اجسام القردة بل جلده أملس كجلد الانسان . وبعد ان دوى خبره وتقاطر الناس لمشاهدته أعلن الاستاذ متشنكيوف وكيل مختبر باستور في باريز انه فحص زيزي فوجد انه قرد من نوع الشمبنزي لا يفرق عنها بشيء سوى سقوط شعره وان سبب هذا السقوط بثور ظهرت في جسمه فاسقطت شعره

ترشيح الماء كان معروفاً عند القدماء — نفاخر المتقدمين باختراعات كثيرة اخذنا اصولها عنهم . منها ان ترشيح الماء وتعقيمه هو من أهم مستوصفات الطب الحديث ولكن مجلة (المحليات الطبية) قد اثبتت ان بعض الاطباء في اوائل القرن الاول للمسيح كانوا يقولون به . فانهم كانوا يعلّمون ان كل مياه الانهر والمستنقعات لا تصلح للشرب الا ماء نهر النيل (ولا نعلم لماذا هل الاستثناء) وكذلك المياه التي تمر في اراضٍ فيها مستنقعات او ماء راكد لا يجري او التي تمر قرب الحمامات . وكانوا يقولون ان خير الماء ما أُغلي فبُرّد ثم سُخن ثانية تسخيناً لشربه . ولهم وصفة في ترشيحه لكي يشربه الجند في الحرب نقياً وهي قولهم ,, احفر في الارض في أعلى شاطئ النهر الى اسفل قناة تعترضها عدة حواجز وضع في هذه الحواجز من التراب الذي يُصنع منه الفخّار حتى يمرّ الماء بها ويتخللها دون ان تصدّه فيخلص الماء من الشوائب ويسوغ لكل شارب

نفع قضبان الصواعق خلافاً لما قيل — حدثت في ثلاثة اعوام ٥٠٠ حادثة

ُصعقت فيها المنازل والمباني مع ان في اعلاها القضبان التي ُتتخذ للوقاية من الصواعق · فاستدل بعضهم بذلك على ان هذه القضبان لا ترد فعل الصاعقة· ولكن الاستاذ غالي الايطالي أعلن في الجمعية الطبية في لنسي ان السبب في عدم فعل تلك القضبان في تلك الحوادث انما هو الخلل في طريقة تركيبها · فان بلدة في ايطاليا تُدعى بلدة فاليتر كانت اكثر البلدان الايطالية استهدافاً للصواعق التي كانت تنقض عليها وتهدم المباني فيها · ولكن منذ ُنصب فيها نصباً محكماً ٧٥ قضيباً للوقاية من الصواعق امتنعت اضرار الصواعق فيها امتناعاً كلياً

باب التقريظ والانتقاد

مجلة المباحث

بعد عودة الحرية الى البلاد العثمانية واقامة الدستور فيها أخذت الجرائد والمجلات تظهر في انحائها ظهور نبات الربيع او قطر الندى · فنرجو لرصيفاتنا جميعاً كل خير ونجاح

ومن تلك الجرائد والمجلات مجلة (المباحث) التي أعلن صديقانا المفضالان جرجي افندي وصموئيل افندي يني عزمهما على إنشائها فى طرابلس الشام· وقد سرّنا خبر عزمهما هذا لانهما من افراد سوريا الذين تحتاج الصحافة الى علمهم وادبهم · فان لصديقنا المؤرخ المشهور جرجي افندي يني آثاراً مشهورة في التأريخ كتأريخ سوريا المطبوع وتأريخ امم المشرق الذي لم ُيطبع بعد· ولشقيقه صديقنا صموئيل افندي براعة وسعة اطلاع في العلوم الادبية والفلسفية · فلا

غرو ان تكون مجلتهما المنتظَرة من اكثر المجلات العربية فائدة · فنرحب بها مقدماً ترحيب الصديق بالصديق · ونحث قراء الجامعة على الاشتراك فيها لانهم ولاشك يستفيدون منها علماً وادباً فضلاً عن وجوب مساعدة اهل العلم الحقيقيين في بلادنا على استخراج كنوزه

وهذا عنوان مجلة المباحث (مجلة المباحث — طرابلس الشام (سوريا)

مراسلات الشرق

Correspondance d'Orient

صدرت في باريز مجلة نصف شهرية تطبع باللغة الفرنسوية واسمها (مراسلات الشرق) وهي مجلة اقتصادية سياسية ادبية يديرها حضرات الفاضلين المسيو شكري غانم والدكتور جورج سمنه · وقد ورد علينا الجزء الثاني منها وفيه مقالة افتاحية بقلم المسيو لوسيين هوبر احد اعضاء مجلس النواب عنوانها (الازمة البلقانية) وتليها مقالة عنوانها (امس واليوم وغداً) بقلم جناب المسيو شكري غانم احد مديريها وتليها رسائل من الاستانة وبيروت ولبنان ومصر لمراسلين مطلعين ثم يليها باب للاخبار السائرة ونصائح الطبيب واخبار الروايات التمثيلية التي تمثل في باريز واخبار الكتب الجديدة والبورصة ·

ولاشك ان ادباء الشرقيين الذين يحسنون اللغة الفرنسوية يستفيدون بمباحث هذه المجلة الجديدة · ويكفي في بيان اهميتها ان مديرها المسيو شكري غانم والدكتور سمنه اللذين لهما القدح المعلى في آداب اللغة الفرنسوية وسمعة الفضل بين السوريين والفرنسويين · وهذا عنوانها لمن احب الاشتراك فيها · ونرجو لرصيفتنا كل اقبال ونجاح

Correspondance d'Orient

52, Rue de Bongy, Paris, France

مجلة الجامعة

خاتمة السنة السادسة

تنتهي في هذا الجزء السنة السادسة لمجلة الجامعة وتبتدئ سنتها السابعة · فنحمد الله تعالى لبلوغنا هذه المحجة بالآئه ونعمه ونرجو ان تكون سنة الجامعة الجديدة مبدأ تغييرجديد للجامعة فيه كل خير وارتقاء لها ومسرة لقرائها بها

يعلم القراء الكرام ان سنة المجلة عشرة اجزاء والجزءان الباقيان تعوض عنهما الادارة بكتاب أو رواية تقدمها الى المشتركين فيها الذين دفعوا بدل الاشتراك · ولذلك نرجو من كل من لم يدفع بدل الاشتراك في داخل اميركا أو خارجها ان يرسله الى الادارة في خلال هذه المدة لنتمكن من ارسال هدية الادارة اليه في آخر السنة · والا فتبقى الهدية محفوظة في الادارة حتى يدفع القيمة · والرجاء من حضرات الوكلاء خارج اميركا ان يسرعوا في جمع الاشتراكات وان لا تتأخر عنا رسائلهم الى ما بعد كانون الاول

ويسوءنا ان نخبر بعض القراء ان كل من لا يدفع قيمة الاشتراك حتى اول السنة الجديدة نقطع المجلة عنه ونحفظ حقها عليه · فانه من الغضاضة في الحقوق ان نتساهل اكثر مما تساهلنا · ونعهد ان قراءنا ليس فيهم الا كل اديب يشجع العلم والادب فنرجو ان يتحقق ظننا فيمن أخر دفع بدل الاشتراك حتى الآن

الجزء الاول السنة السابعة



مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

تظهر في القاهرة مرة في الشهر

نشئت سنة ١٨٩٩

لمنشئها

فرح انطون



قيمة الاشتراك

ثلاثة ريالات مصرية في القطر المصري

وعشرون فرنكا في الخارج



Al = Jamyat

Revue Scientifique et Littéraire

DIRECTEUR - PROPRIETAIRE

F. ANTONE

Le Caire «Egypte»

جميع المراسلات تكون بهذا العنوان (فرح انطون صاحب مجلة الجامعة بالقاهرة)



الجزء الاول — السنة السابعة

مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — دسمبر ١٩٠٩ — ذو الحجة ١٣٢٧

مقدمة السنة السابعة

عودة الجامعة الى مصر

عادت الجامعة الى مصر بعد غيابها في نيويورك وأوروبا أربع سنوات الا بعض سنة . وقد نقلت ادارتها من الاسكندرية الى مصر العاصمة وستستمر في خدمة قرائها الافاضل في القطر المصري والخارج على نحو ما اعتادوه منها بحسب طاقتها ومقدرتها . والمأمول ان يديم قراؤها لها ما عودوها اياه من الوداد والاقبال

وقد انقضى الآن على سفرنا من نيويورك عدة اسابيع وكان يجب ان تظهر الجامعة قبل هذا التأريخ بشهر أو اكثر حسب وعدها لقرائها في العدد الاخير الذي صدر منها عن نيويورك قبل سفرنا منها بشهر وفيه خبر انتقالها . ولكن المرض الذي طرأ على شقيقة صاحب الجامعة بعد وصولها الى باريز في طريقنا الى مصر وألزمها الفراش خمسة اسابيع فيها قد أخر وصولنا الى مصر

لما أعلنا في العدد الاخير من جريدة الجامعة الذي صدر في نيويورك قبل سفرنا بشهر خبر عودتها الى مصر انهالت على الادارة في نيويورك رسائل مشتركي الجامعة

وأصدقائها في الولايات المتحدة والمكسيك، وكندا فاجتمع لدينا منها في ثلاثة اسابيع نحو ٨٠٠ كتاب يودع فيهاأصحابها الادباء الجامعة توديعاً لا ننساه في حياتنا كلها ويظهرون لهاعواطف ودادهم ويطلبون ان يبعث بها اليهم من مصر . هذا فضلا عن ورقة الطلب التي طبعت في الجامعة ليوقع عليها من يروم اقتناءها بعد انتقالها الى مصر وقد وقع عليها معظم مشتركينا الادباء في دار هجرتهم . فحق لهم علينا في أول جزء يظهر من الجامعة بعد عودتها الى مصر ان نثني على ودادهم وغيرتهم وان نؤكد لحضراتهم حرصنا على صلات الودادوالادب التي تمكنت بين الجامعة وانصارها وأصدقائها في اميركا الشمالية والجنوبية بعد معيشتها نحو ٤ سنوات بين ظهرانيهم

وعلى الجامعة ان لاتنسى أيضاً واجب شكرها لرصفائها وأصدقائها وقرائها في الشرق الذين اكرموا وفادتها واستقبلوها بعبارات التنشيط ورسائل الوداد كما يستقبل الصديق القديم صديق قديم صداقته كالخمر تجود مع الزمان كما هو شأن صداقة الكرام

هذا وسيكون ظهور الجامعة مرة في الشهر كما كانت قبل انتقالها الى اميركا ويبقى بدل الاشتراك فيها كما كان ايضاً ثلاثة ريالات في القطر المصري و ٢٠ فرنكا في الخارج

تحية الجامعة للجامعة

في مصر مشروع عظيم نازع الجامعة في اسمها واتخذه اسماً . ولا ريب ان القارئ ادرك اننا نعني المدرسة الكلية العليا التي أنشئت في القاهرة باسم (الجامعة المصرية) Université Egyptienne فمجلة الجامعة تجد شرفاً لهاهذه المشاركة في الاسم وتحيي شريكتها فيه تحية السرور والاعجاب بهمة منشئيها الكرام والعاملين فيها . وترجو ان تكون هذه الشجرة الصغيرة الآن بعد زمن قريب دوحة باسقة يستظل بها طلاب العلم والأدب من جميع أنحاء الشرق .

هات الحديث

ليس من سلامة الذوق ان تنشر الجامعة في صفحاتها تقريظًا لنفسها سواء كان هذا التقريظ مجاملة من صديق او تنشيطًا وتشجيعًا من احد الافاضل. ولكن القصيدة التالية قد خرجت من عدة وجوه عن كونها تقريظًا او ثناء. وضننا بابياتها المتينة الجميلة ان تلقى في زاوية الاهمال بعد مابذله ناظمها الفاضل من العناء في سبكها واجادة نظامها. ومن جهة أُخرى أردنا التعليق عليها. ثم انه قد تحلو مجاملة الادباء بعضهم لبعض وتبادلهم بضاعة الادب وحسن الظن فان في طريق صناعة القلم في الشرق كثيراً من الاشواك فلا بأس ان يكون فيها ايضاً شيء من الزهر. وأَعذب الشعر اكذبه كما قيل وان كان صديقنا الناظم الفاضل لا تروقه هذه العبارة. وهذه هي القصيدة التي نحن في صددها وقد وجدناها في شباك البريد في مصر بعد وصولنا اليها

الى الصديق فرح انطون

إن كنت لا تبغي لنفسك راحة ... فأرح مطيك والدنى و بنيها (١)

في كل حين أنت تارك أمة ... وهي تعالج منك ما يبكيها

لست الذي تسع النفوس فراقه ... والنفس ضائقة بما يؤذيها

***

طغت الهموم فكل قلب مغرق ... فيها وما من دافع يثنيها

شكوى الحزين شرارة من خلفها ... حمم براكين الأسى ترميها

يشكو ليطفئها وليس بواجد ... من لا يهيجها ولا يذكيها

شاك الى شاك وطالب نجدة ... من رازح لا يدفع المكروها

عبث الخلائق بالامور وراءهم ... وجه الصواب فآثروا التمويها

(١) ان المطية لم تتعب ايها الصديق لانها كانت جماداً وهي الباخرة لاتورين التي ركبتها ذهابًا والباخرة لالورين التي ركبتها ايابًا. ولكن جمال هذا البيت هو في مبالغته كما هو شأن كثير من ضروب الجمال وخاصةً في صناعة الأَدب

دنيا يطيش لها الحليم(١) ومعرض يدع المــدل بعقله معتوها
جهدي وجهدك ان نعيد شكية كنا نهز الشرق اذ نبديها(٢)

* * *

هات الحديث.(٣) أكل أرض زرتها مصر وكل الناس مثل ذويها
ضاقت بهمتك البلاد ونوهت فيك الامور بعــذرها تنويها
أهلا بمقتحم الوقائع (٤) ترتمي أهوالها سود المشاهد شوها
نبه لنا ملأ العقول فانها في غفلة تتطاب التنبيها (٥)
حسبي وحسبك في المطالب أننا نقضي شبيبتنا ولا نقضيها

---

(١) يجب ان لا يطيش لها بل ان يستأسرها ويدبرها ويسيرها بحسب رأيه ومصلحته. واذا ضعف المرء عن ذلك واكتفى لديها بالصياح والنواح كان الذنب ذنبه لا ذنبها

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وسيرى الصديق ان هذه المسألة على (بساطتها) انما هي لباب الحياة الاميركية وروحها الحقيقية التي كوّنت امة من اعظم امم الدنيا حديثاً وقديماً ان لم تكن أعظمها كلها على الاطلاق. وسيكون هذا موضع مباحث عديدة في الجامعة مقاومــةً للروح الشرقية القديمة التي هي علة جمود الشرق وخموله

(٢) كلا وانما هو يهزنا لا نحن نهزه. وان اقتصر جهدنا على الشكوى دون العمل فهو عقيم لا خير فيه

(٣) حباً وكرامة. وان جمال هذا البيت جعلني اضع العبارة الاولى منه عنواناً لقصيدتك الجميلة. وسيكون حديث هذا السفر طويلاً فارجو ان لا تضجر منه فتقول بعد ذلك (كفانا حديثك) بدل قولك (هات الحديث)

(٤) اعظم واقعة اقتحمتها ايها الصديق هي واقعة الباخرة لاتورين حين قطعتُ عليها الاوقيانوس الاتلانتيكي لاول مرة. فانه مشهور باضطرابه وهوله

(٥) رأيي انها في الطبقات العليا متنبهة فوق ما يجب فهي احوج الى شيء تُعمل فيه يديها وفكرتها منها الى زيادة التنبيه فراراً من ان تصير بهذه الزيادة (كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله) واما الطبقات التي دون تلك فهي ايضاً في اشد حاجة الى العمل لترقي شؤونها بثمرة عملها. والآتي من (بلاد العمل) يرى هذه الحاجة فوق كل حاجة.



ذهب الصبى الا علاقة راحل   يبغي الذهاب بها ونستبقيها
كان الشباب صحيفة فطويتها   وطويت دنياي الحبيبة فيها
كثرت مساوي الحادثات فشوهت   ماكان من بهجاتها تشويها
لأعذل الايام ان قصائدي   ملء العوالم السن تطريها
الشعر عندي آيتان فآية   توحى إلي وآية أوحيها (١)

احمد محرم

بدء الحديث

أسباب عظمة أميركا

وما يجب ان نستفيده منها

﴿ أذاك زمن ضائع ﴾ قال بعض الاصدقاء (ان الجامعة أضاعت اربع سنوات خارج مصر . فلو بقيت هنا لاستفادت أضعاف ما استفادته من رحلتها الى البلاد الاميركية) ولكن هل يقال هذا القول للطالب الذي يدخل مدرسة ويقضي فيها اربع سنوات يتلقى في اثنائها احد العلوم او الفنون . أو الطبيب الذي يتم درس صناعته ثم يقصد أوروبا ليصرف في احد مستشفياتها زمناً طويلاً يدرس فيه درساً عملياً ما درسه في مدرسته درساً نظرياً . أو السائح الذي يجوب القفار وينفق الدرهم والدينار ويعاني مشاق

(١) بيتك هذا وحده يعدل قصيدة لجماله وحسن نظامه . فأذن لي بان اختم المقال بهذا الثناء على فضلك وحسن ظنك . ولا تعدّ من سوء الأدب أن صديقاً لك احسنت ظنك فيه واتحفته بشيء من نفيس شعرك اجترأ وواجه بعض ابياتك الحسان بنقد او معارضة . فان هذه هي الطريقة الوحيدة التي امكنني معها نشر قصيدتك لنشر فضلك وشكرك لحسن ظنك بصديقك .

السفر في الليل والنهار ادراكاً للغاية التي من أجلها خرج يضرب آباط المطايا او يركب سفن البحار وقطر البخار . كلا فان جميع هؤلاء لم يضيعوا اوقاتهم سدىً . ومن حسن حظ الجامعة انه اتيح لهـا ذلك السفر البعيد الذي (وسع أُفقها) وأَراها من ذلك الكون العظيم ما رأت واُسمعها ما سمعت بعد معيشتها الى ذلك العمر في زوايا الشرق الساكنة

فضينا خارج مصر نحو اربع سنوات جلنا في اثنائها في ولايات فرنسا امّ الحرية والجمهورية . وايطاليا أمّ الفنون والجمال . وأميركا الشمالية بلاد العجائب والغرائب . وكندا ملتقى المدنية الانكليزية والفرنسوية . وسحنا مدة اربعة أشهر في ١٢ ولاية من الولايات الاميركية (١) فزرنا كثيرا من مكاتبها ومتاحفها ومدارسها وانديتها ومعاملها ومزارعها ومناجمها ودرسنا شؤون بعض مدنها الكبرى والصغرى درس طالب يأخذ العلم عن استاذ خبير وراقبنا روح الشعب في المدن والقرى مراقبة مستفيد خليّ الذهن يدرس ليتعلم لا ليتحكم . ورأينا في الشوارع والاسواق والمعامل والمخازن — رأي العيان — تلك الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي نكدّ الذهن ونتعب البصر والفكر لنستخرج أخبارها من المجلات والجرائد ونحن جلوس في الشرق وراء الدواة والقلم . وشاهدنا عظمتها التجارية والصناعية والزراعية التي لاتجترئ على منازعتها فيها أُمة من الامم . وخدمنا في أثناء ذلك اخواننا المهاجرين من الشرق الى تلك البلاد البعيدة الخدمة التي قدرنا عليها فصار اصدقاء الجامعة فيها يعدّون بالمئات واصبح اسمها بينهم هناك في كل شفة وفم .

نقول هذا القول لقراء الجامعة في الشرق الذين لاموها لانتقالها الى تلك البلاد البعيدة ومفارقتها البلاد الشرقية . وغرضنا من بسطه هنا ان نقول لحضراتهم ما قاله الشاعر (وكان شغلي عنك بك) فاننا برحلتنا الى اميركا قد خدمنا نفسنا وخدمناهم وسيرون أثر ذلك في المجلة باذن الله . فلم يضع اذاً ذلك الزمن عليهم او عليها

❊ فلندرس شؤون اميركا ❊ ولما كان القراء يتوقعون ان يجدوا في كل جزء من الجامعة بعد عودتها من اميركا دروساً ومباحث في مدنيتها وعجائبها وغرائبها وشؤونها

---

(١) وهي ولاية نيويورك وكناتكت ورود آيلند وماستشوستس وماين ونيوهمشير (فضلاً عن ولايتي كندا المتاخمتين لها وهما كوبك واناوى) وبنسلفانيا واوهايو وانديانا والنويز

العمومية والخصوصية اي الشؤون التي تشارك اميركا سائر الامم فيها والشؤون التي انفردت واستقلت بها دون غيرها فقد شرعنا ابتداءً من هذا الفصل في كتابة مقالات متسلسلة تشرح حالة تلك الامة العظيمة وتظهر أسباب عظمتها وتدل على مايجب ان نأخذه عنها وما يجب تركه اما تركاً دائماً او الى حين ... ولسنا نزعم اننا بما ننشره نكتشف اميركا اكتشافاً جديداً فانها قد اكتشفت منذ زمن بعيد ... واليك مؤلفات سياح اوروبا فانها كثيرة في هذا الباب . على انه من الغرابة اننا لم نقرأ كتابين لكاتبين كتبا في هذا الموضوع الا ورأينا اختلافهما في الحكم على اميركا ورجالها وأشيائها . فمنهم من يمدح ومنهم من يقدح والمنصفون قليلون في هذا كاهم قليلون في كل أمر . اما نحن فسنسلك في هذا الموضوع سبيلاً يرضي اولئك الاضداد ويجعل للقارىء سبيلا الى الاستقلال والاستدلال . وذلك ان نروي اراء الفريقين ونضم اليها ما ارشدتنا اليه اختباراتنا الخاصة فيصبح القارىء وهو قادر ان يحكم بينها بنفسه بحسب رأيه وميله وتربيته .

ان تلك المراجل الهائلة التي تغلي في الطرف الآخر من الكرة الارضية وسط جلبة هائلة هي اعظم جلبة عملية صدرت عن جمعية بشرية في الكرة الارضية —لهي جديرة بالدرس . وابناء الشرق الساكن الهادىء احوج الى هذا الدرس من غيرهم وخاصة في هذا الزمان الذي زحف فيه الغرب على الشرق بخيله ورجله فاما ان يدوسه ويمر في سبيله على جثته كما مر المتأخرون على جثث الامم التي تقدمتهم وساروا في سبيلهم لا يلوون على شيء واما ان يجاريه الشرق ويقتبس نشاطه وقوته وجرأته ونظامه ويسير معه كتفاً الى كتف في سبيل المستقبل فيسلم ويقوى على الحياة (التي تستحق ان تدعى حياة) . وفي اعتقادنا انه ليس في المدنيات الحاضرة مدنية اصولها وقواعدها هي الدواء الشافي لداء الشرق الدفين كالمدنية الاميركية المبنية على تآخي العناصر والجنسيات في ارضها تآخياً فعلياً واتحادها اتحاداً حقيقياً محا الفروق من بينها وجعلها امة واحدة تحت ظل (العمل) الدائم المستمر الذي يشغل المرء عن كل شيء حتى عن نفسه وينقي جو فكره من كل شاغل لايدعى (عملا . وقوة . وحركة . ونشاطاً . وكسباً) وينفره من الجدل العقيم الذي ماتسلط على امة الا افسد امورها طبقاً لما جاء في الحديث (اذا غضب الله على قوم سلط عليهم الجدل) .

وا اسفاه . اين روح العصر ومقتضياته وحاجاته من الروح التي تصوّرها لنا كتب الدين والآداب والاخلاق الكريمة . اين ما يدرسونه في مدارسنا مما نراه في ميدان الحياة . ان الشرق راقد بسكون على آثاره واطلاله الدينية القديمة البالية وشعاره الاستكانة

والهدوء والاحلام وهو يعلم ابناءه في المدارس ما كان ابناء الغرب يتعلمونه في القرن السابع عشر والثامن عشر من المبادىء والكتب التي تضعف نفوسهم وابدانهم وتجعل جوّ افكارهم بمعزل عن جو الحياة الحقيقي — بينما اهل الغرب يسيرون وشعارهم القوة والنشاط والاقدام قبل كل شيء ويغرسون هـذه الصفات في نفوس أبنائهم بدروس عملية واختبارات شخصية ورياضات بدنية وتربية مستقلة تجعل الفرد قابضاً على زمام نفسه عالماً بجهاد الحياة ومقتضياته وحاجاته قبل دخوله ميدان الحياة ومستعداً لهذا الجهاد اتم استعداد. ونحن لا نقول ان هذه التربية افضل من تلك ولا تلك افضل من هذه فان البحث في هذا بحث في الشرائع الادبية والاجتماعية ومبداء الحياة وغايتها والحكم فيها حكم بين مبدأين يتنازعان بني الانسان منذ زمان وهـذا موضوع ليس هنا موضعه . ولكنا نقول ان روح العصر يقتضي الآن تلك (التربية القوية) وان الشرق اذا كان يكره الموت ويريد الحياة فعليه بازاء الحركة الوضعية التي ملات آثارها الدنيا وتسلطت (بحق او بغير حق) على جميع شؤون الحياة ان يُقدم على تلك التربية . واذا كانت مذاهبه الدينية (او غيرها) هي التي تحول دون تربيته التربية الجديدة المطلوبة وتجعل نفوس ابنائه ضعيفة منصرفةً عن العمل الى الجدل وتفني ما فيها من نشاط وقوة اذ تحولها احلاماً واوهاما وتمنع ابناء الوطن الواحد من ان يتحدوا ويعيشوا كامة واحدة جميع قوى أبنائها منصرفة الى زيادة منافعهم ومرافقهم بدل انصرافها الى منازعـة بعضهم بعضاً منازعة تضعفهم جميعاً ولا يستفيد منها الا الأجنبي — فعليه (اي الشرق) ان يضع الدين جانباً في مكان مقدس محترم لا يتعداه — ولا اكرم من الكنائس والجوامع — وينبذ بلا شفقة ولا رحمة كل عثرة تعترضه في هذا السبيل وان استهدف لأعظم المقاومات . ولا نضمن بعد هذا ان يكون الكون افضل مما هو الآن ولكنا نضمن ان الافراد يكونون اقوى ونكون نحن الشرقيين اقدر على منازعة ضيوفنا وجيراننا البقاء والمعيشة بجانبهم في بلادنا دون ان يأكلونا أو يستغرقونا . وهب ان تلك التربية القديمة افضل واجمل فاننا احوج الآن الى هذه التربية الجديدة التي هي سلاحنا الوحيد في الدفاع عن انفسنا وحفظها . والاّ فكل صراخنا وعويلنا لا يفيدنا شيئاً مادام الحق للقوة في هذا الطور البشري . والله أعلم متى يصبح الحق وهو قادر على ان ينتصر بنفسه دون ان يعتمد على قوة تنصره غير قوته الذاتية .

فلندرس اذاً معاً مبادىء المدنية الاميركية التي هي الآن اشد المبادىء البشرية جمعاً بين القوة والنشاط والعمل والحركة . المبادىء التي هي الآن (استاذة) النشاط

في العالم أجمع ولديها يقف الاوروبيون انفسهم حيارى مدهوشين . ندرسها لا نعجب بكل ما فيها فان لها سيئات كما لها حسنات ولكن ندرسا لنستمد من روحها وحي النشاط والقوة الذي امتازت به ونحن الآن في هذا الطور من مدنيتنا (او ابتداء مدنيتنا)في حاجة الى هذا الوحي كما كنا في ماسبق في حاجة الى ذاك . ولو ادرك اليوم نييتش مدنية اميركا ودرسها بنفسه درساً دقيقاً لظنّ ان القوم في كثير من مسائلهم انما يعملون بمبادئه وجعل بطله (زاراتوسترا) الهائل يتنبأ ان الانسان الذي صوّره (فوق الانسان) ودعا الى ايجاده في جميع كتبه سيكون منبته في الولايات المتحدة ... اذا استمرّ ارتقاؤها مطرداً

وصف شعري ولكن قبل ذلك :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير — أجل عندي باوصافها علم

وحيث وجهنا السؤال هنا شعراً فلنجعلن الجواب شعراً ايضاً ... وهي ابيات نظمناها في اثناء سياحتنا في الولايات المتحدة بين جبالها واوديتها وسهولها وحزونها ومدنها وقراها فانظر الى معاني الابيات لا الى الفاظها لان النظم هنا كنظم كل من اجترأ على الشعر وهو ليس من أهله فنظم قصيدة كانت (بيضة الديك) العمر كله .

عجْ بالجبال ولا تعجْ بالوادي ان شئت رؤية هذه الامجادِ
واركبْ لها قطر البخار فقدمضى عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفتْ فما يلفى لها من نادبٍ أو هاد
واطلب اليها ان تطير ولا تقل (مهلا فانك سائر بفوائدي)
الوقت مال والزمان زمان ركض لا زمان تخنث ورقادِ
وتداعبٍ في(الرقمتين)و(حومل) و (السقط)أوفي الندب والتعداد
الوقت وقت ارادةٍ صماء تصــرع كل معترض سبيل جهاد

* * *

ولقد صعدت الى الجبال أرى الورى واقيس حالهمُ بحال بلادي
فبدت لي(الارض الجديدة)(١)مثلما تبدو المدينة من ذرى منطاد
وتمثلت لي بين اتلانتيكها ذاك العجاج وبين ذاك(الهادي)(٢)
كعوالم من غير دنيانا بدت تزري ببابل أو بذات عمادِ

(١) الارض الجديدة اميركا (٢) الهادي الاوقيانوس الباسفيكي

شعبٌ عظيم هائل متفرق في واسع الاغوار والانجاد
مدن كما انتثرت نجوم القبة الزر قاء او كالرمل في التعداد
والله لا ادري أأسهل ان اعدّ بلاد هذا الشعب عدّ سداد
او ان اعدّ شعوبه (١) وكلاهما صعبٌ وفيه حيرة المرتاد
في الشرق بيروت وقاهرة ولكـ ـن كم هنا تلقى (٢) من الاضداد
في الشرق لبنان وحيد انما كم ههنا من شامخ الاطواد
في الشرق ارضٌ قدست بنبوءة ظهرت بها قدماً وغاب الهادي
وهنا أراضٍ قدّست بالاهة الحـربية القصوى وهديٌ بادِ
هذي شرائعنا الجديدة فانظروا آثارها يا معشر الزهاد
شرع جديد لست ازعم انه ابهى وأجمل من شرائع عاد (٣)
لكنني لا استطيع اذا رأيت جميله في البرّ والاسعاد
ونظام عيش الناس فوق سهولة الكسب الجزيل وأمن كل معادي
ووداد أقوام يؤالف بعضهم بعضاً بلا ضغنٍ ولا احقاد
ان أنكر الشمس الجلية في الضحى واقول خير الشرع شرع الفادي (٤)
او شرع ذاك المرسل الغازي الذي ملأ الورى قسطاً وحسن ايادي (٥)
أو شرع ذاك الصالح المقطوع في حرش يسائل ربه وينادي (٦)
مات القديم فكفنوه فما له ما بيننا من رجعة ومعادِ
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشاط) وليس وحيَ الدين والارشاد (٧)
فيها ارتقت هذي البلاد وانها مرقاة كل تمدن وبلاد
هذا كلام نيبتش ان نيبتش كان مقوّم المعوجّ والمنئادِ
في زعم بعض الناس اما مذهبي فيه فابقيهِ الى ميعادِ

﴿ اسباب عظمة اميركا ﴾ اول شيء يتبادر الى الذهن هذا السؤال وكم من مرة القاه علينا بعض الادباء في الولايات المتحدة . وهو : « ماهي الاسباب الرئيسة التي جعلت

---

(١) جميع اجناس البشر موجودة في الولايات المتحدة (٢) اي هي تلقى (٣) اي الشرائع القديمة كقدم عاد (٤) المسيح (٥) محمد (٦) بوذه (٧) هذا الكلام منظوم عن لسان الفيلسوف نيبتش لا عن لسان الناظم

اميركا في مائة سنة في المنزلة التي بلغتها ولماذا اختلفت مدنيتها عن مدنية اوروبا مع ان الاميركيين اوروبيون اصلاً . ومن اين جاءوا بتلك الصفات المدهشة صفات النشاط البالغ حده والقوة العملية التي ليس مثلها قوة حتى في وطنهم القديم نفسه (اوروبا) . وبعبارة أُخرى ماهي الاسباب الخفية التي جعلت اميركا اميركا كما نراها الآن)

على ان الجواب عن هذا السؤال جدير بان يكون في خاتمة مباحثنا في اميركا وشؤونها لانه عبارة عن اجمال لجميع مدنيتها . ولكننا قدّمناه خاصةً لنبسط للقاريء ذلك الاجمال قصد ان يلمّ بخلاصته اولاً تأييداً للنظريات التي نشرناها في ما تقدم

تعرو مريد الكلام عن اسباب عظمة اميركا في مقالات مختصرة حيرةٌ حين شروعه في بسطها . ذلك لان الكلام عنها يتناول الاسهاب والاسهاب من شؤون الكتب والمجلدات . فنكتفي بالاشارة الى اهم تلك الاسباب

١ — واول تلك الاسباب ثروة الارض في الولايات المتحدة ونريد بالارض هنا (ما على سطحها وما تحته) اي خصب التربة والمعادن . فان الطبيعة خصتها من سان فرنسيسكو حتى نيويورك (١) ومن شيكاغو الى تكساس بخصب زراعي ومعادن مدفونة لم تخص بها ارضاً سواها . واذا قيل ما سبب هـذا التخصيص فالجواب ان سببه الفواعل الجيولوجية والارض لا تزال عذراء واكثرها غـير مأهول لم تمتد اليه يد الانسان بعد خلافاً لارض اوروبا التي ضعفت وهزلت لكثرة العمل فيها وكادت تنفد منها معادنها . فانه في بعض النواحي كولاية بنسلفانيا المشهورة بكونها بلاد المعادن يكفي في استخراج الغاز من الارض ان تغرس فيها اسطوانات معدنية فيجري الغاز منها . ومنابع البترول التى اغنت ركفلر وشركاءه اشهر من أن تذكر وهي في الارض كانهار تجري على عمق يـتراوح بين ١٠٠ و ٩٠٠ مـتر تحت سطح الارض وتنساب في اسطواناتها المصنوعة لها على مسافة مئات من الاميال جارية الى مخازن الشركة . وبجانب ينابيع الغاز وينابيع البترول معادن الفحم على جميع انواعـه والذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحـاس الخ . وليس ظهر الارض باقل ثروة من بطنها . فقد شاهـدنا في مكتب الحكومة الاستعماري في منتريال (كندا) قمحاً ارتفاع سوقه كارتفـاع الانسان . وخصب الارض في ولايات كاليفورنيا واوهايو ولوزيانا وتكساس امر مشهور . وحسبك زراعة القطن الاميركي المشهور في لوزيانا

(١) اي من شاطئها الغربي في الاوقيانوس الباسفيكي الى شاطئهـا الشرقي في الاوقيانوس الاتلانتيكي

وتكساس الذي تعتمد عليه معامل اوروبا و يرقص بورصاتنا في مصر وتجارها وسماسرتها ومن التف حولهم تارةً الفالس وطوراً البولكا . وحيواناتها ومواشيها متعددة الاجناس كثيرة التوالد في مراعيها الخصيبة المتسعة التي لا يدرك الطرف آخرها . واحراشها هائلة لسعتها وكثرتها وضخامة اشجارها وحسبك منها الاشجار المشهورة في كاليفورنيا بان عمرها ثلاثة آلاف سنة وقد عاصرت اليونان والرومان الاقدمين (١) وانهارها اعظم انهار في الدنيا

فني ارض اميركا مجموع المادة الاولى الضرورية لثروة الامة وعظمتها . فما يعوز سكانها لينهضوا و يعظموا ؟ لا يعوزهم الا همة وخبرة . وقد تمت لهم كما ترى في مايلي

٢ — كانت طائفة البيورتين اوّل من هاجر من أوروبا الى اميركا فراراً من الاضطهاد الديني ورغبةً في ان يعيشوا مستقلين بعاداتهم وشرائعهم في ارض ليس فيها لاحد سلطة عليهم . ثم لما عمروا المدن وقطعوا الغابات وانشأوا الحقول وصارعوا الطبيعة والحيوانات الوحشية اخذ ينضمُّ اليهم كل من ضاقت به أوروبا لاشتداد الفقر فيها . فالمهاجرة الى اميركا كان اصلها امرين . الاول الفرار من الاضطهاد الديني والثاني ضيق اوروبا عن اهلها وفقرهم . وغنيٌّ عن البيان ان الذي ذاق عذاب الاضطهاد الديني ينفر منه وهذا اصل تأسيس التساهل الديني في اميركا . فان أولئك السذج الكريمي الاخلاق الذين فضلوا احتمال النفي والعذاب على الرجوع في معتقداتهم كرهوا ان يجترموا نفس الجريمة التي اجترمها وطنهم الاول وافادهم اختبارهم فيه وهذا منشا التساهل الديني الاميركي . وقد قلنا ان السبب الثاني الذي دفع المهاجرين الاولين الى المهاجرة هو الفقر وطلب الرزق لضيق وطنهم الاول بهم فنشأ عن هذا انهم انصرفوا بكليتهم الى العمل في دار هجرتهم وتركوا المنازعات القديمة رغبةً في السعة والكسب . فالنقيصتان اللتان كانتا سبب هجرتهم كانتا ايضاً من اعظم اسباب نهضتهم ووحدتهم

٣ — وكان المهاجرون الاولون الى اميركا خليطاً من الانكليز والفرنسويين والالمانيين والاسكوتلانديين والايرلنديين والايطاليين والنمساويين الخ . . وكل واحد منهم يحمل في نفسه فضائل ونقائص بني جنسه . الاَّ ان اختلاط دمائهم بالزواج أولد منهم نسلاً جديداً بعيداً عن النسل الاوروبي . وكان العنصر الانجلوسكسوني كثيراً بينهم فاتخذ

(١) اسمها عندهم (بيك تريس) اي الاشجار الكبرى ولكن اسمها العلمي Sequoia gigantea او wellingtonia

نسلهم كثيراً من اخلاقه الجدية وثباته في العمل . ثم انهم بلغوا اميركا وهي صلعاء عذراء فكان على الواحد منهم ان يكون حطاباً يقطع الاشجار لينشيء حقلاً ومزرعة يعيش فيها وبعد ذلك يحرث الارض و يزرعها ومرتاداً يذهب لاكتشاف ارض جديدة له وجندياً لمحاربة الوحوش التي تسطو عليه وعلى مزرعته واللصوص الذين يطمعون في سلبه وتاجراً لبيع حاصلاته الخ. فكان الواحد يعمل صنوفاً كثيرة من الاعمال التي توزَّع عادة على كثيرين في الهيئات الاجتماعية المنتظمة وهذا الجمع بين اعمال عديدة أنشاء في ذلك الجيل ونسله قوة جديدة لم تكن له من قبل . ولما كان ذلك الجيل قد اقتبس من اوروبا وطنه الاول جميع اختباراتها وطرق معيشتها أخذ ينفذ في وطنه الجديد تلك الاختبارات والطرق التي كان قد اقتبسها و يزيد عليها مايراه

٤ — وكان البناء في وطنه الجديد سهلاً . اولاً لان المادة الاولى التي تنشا الامم بها ونعني ثروتها الطبيعية موجودة بغزارة في الارض كما تقدم وثانياً لانه ليس في تلك الارض تقاليد ومنازعات واختلافات سياسية او دينية تحول دون البناء على سنن العقل والعدل حسب مصلحة الباني ورأيه . وبينما كان الشعب الاميركي يبني و يعمل ولا تقليد يعارض عمله وبناءه كانت اوروبا تتنازعها الأحزاب وأغراضها والمذاهب وتقاليدها والحكومات وتخاصمها والثورات الداخلية والحروب الخارجية . ألا ترى ان الحكومة مفصولة عن الكنيسة في اميركا منذ زمان وقد انفصلت بلا ضوضاء ولا نزاع . ولكن لمافصلت الحكومة عن الكنيسة في فرنسا منذ بضعة اعوام كادت الاحزاب تخرب فرنسا ولا يزال النزاع في هذه المسألة مستمراً (راجع منشور الاساقفة الفرنسويين في الشهر الماضي)

٥ — وارض اميركا واسعة فانها تعول الآن ٨٥ مليون نسمة وهي قادرة على ان تعول ٢٥٠ مليون نسمة . فان مساحة ولاية تكساس وحدها أكثر مساحة من فرنسا وليس فيها الاَّ جانب منها مأهول ومزروع . وقد حسبوا فوجدوا ان لكل عشرة انفس في اميركا كيلو متر مربع من الارض مع ان مساحتها اضعاف اضعاف مساحة فرنسا او انكلترا مثلاً ولا يسكن في الكيلو متر من ارض فرنسا اقل من ٧٥ نفساً وفي انكلترا للكيلو متر المربع ١٤٠ نفساً هذا مع كون عدد سكان كل من انكلترا وفرنسا نصف عدد سكان الولايات المتحدة . فبقي اذاً ان الارض التي يمكن ان يتمتع بها ٢٥٠ مليون نسمة ملقاة بين ايدي ٨٥ مليون نسمة فقط فهي تزيد عن حاجاتهم وهذا سبب من أسباب سعتهم .

٦ — ولما كانت الارض تحتاج الى السكان هذا الاحتياج لتعميرها واستثمارها كانت

المهاجرة اليها قائمة على قدم وساق من جميع اقطار العالم . ففي كل عام يدخل الى اميركا من المهاجرين مليون نفس وزيادة . وبعض الولايات الاميركية تنفق الوفاً من الريالات على الاعلانات في الجرائد لتجتذب المهاجرين الى ارضها وتخصهم بامتيازات كانقاص اجرة سفرهم اليها في السكك الحديدية وسهولة ادخالهم في الجنسية الاميركية وما أشبه. وحسبك ان تقف على تأريخ عمران مدينة شيكاغو لترى العجب من هذا القبيل . كان عدد سكان مدينة شيكاغو في سنة ١٨٣٧ نحو اربعة آلاف نفس . وفي سنة ١٨٧٠ بلغوا ١٠٠ الف نفس . وفي سنة ١٨٩٠ جاوزوا مليون نفس واليوم كادوا يبلغون مليوني نفس . اي ان عددهم زاد في اربعين سنة عشرين ضعفاً فبعد ان كان ١٠٠ الف اصبح مليونين . فتأمل . وهذه المهاجرة من أعظم اسباب عمران اميركا .

٧ — قد خطر لنا في ذات يوم ونحن في اميركا ان نكتب فصولاً عنوانها (الامور التي تحبب اميركا الي والامور التي لاتحببها الي) وكان في نيتنا ان نجعل في مقدمة الامور المحببة فتح اميركا ذراعيها للمهاجرين اليها من جميع أقطار العالم على شرط ان يكونوا اصحاء الابدان والعقول ومحبين للعمل فلا يكونوا عالة على خزينتها بعد دخولهم بلادها . ولا تكتفي بان تفتح لهم ذراعيها بل تتخذ اصغرهم كاكبرهم واحقرهم كاعظمهم ابناً لها تكتنفه بحمايتها وجنسيتها اذا اقام خمس سنوات في ارضها وطلب ذلك اليها . فيصبح وهو المهاجر الصغير الحقير ابناً للبلاد شريكاً لروزفلت وتفت وبراين وركفلر في حقوق الحكومة والامة له مالهم وعليه ما عليهم في وسط (كله غريب ولا غريب فيه) لان جميع الامة اصلها غريب . وهذا هو السبب في حب الغرباء لاميركا وحرصهم على مصالحها بعد دخولهم في جنسيتها كحرص الاميركيين انفسهم . ان روزفلت هولندي الاصل وكفى . وجميع ابناء الغرباء الذين يولدون في اميركا حتى ابناء الانكليز والفرنسويين والالمان انفسهم يتعلقون باميركيتهم ويحبونها .فسقياً سقياً لك ايتها الارض العظيمة الهائلة التي فعلت ما لم تقوَ الآلهة على فعله في الارض وهو مزج الجنسيات والعناصر المختلفة وتأليف أمة واحدة منها . ويحق لاميركا الفخر بمدارسها وعلى الخصوص مدارسها الابتدائية الالزامية التي هي وحدها فعلت هذه المعجزة . واذا كان احد في الشرق يعارض في ادخال هذه الطريقة المدرسية اليه (على شرط ان يراعى فيها جميع اصولها مراعاة مطلقة) فما هو بناصح ولا مريد له الخروج من وهدته القديمة

٨ — ان اتساع البلاد يقتضي كثرة الايدي التي تعمل فيها لتتمكن من القيام بحاجاتها

ولما كان عدد السكان قليلاً بالنسبة الى اتساع الارض وكثرة حاجات السكان فقد نشاء عن ذلك ارتفاع الاجور حتماً • ورب عامل في عزق الثلج في شوارع نيويورك اجرته ثلاثة ريالات في النهار (١٥ فرنكاً) وخمسة ريالات في الليل • وارتفاع الاجور يجتذب المهاجرين من جميع الاقطار ويمكنهم من أن يعيشوا في شيء من السعة معيشة نظيفة منظمة وان يتزوجوا ويربوا اولادهم ويعلموهم • فارتفاع الاجور يعمر اميركا من جهة ويرقي شؤون العملة من جهة أخرى • ثم كم من الاغنياء ككرنيجي وغيره اصبحوا من اصحاب الملايين وكانوا منذ سنوات عملة وأثروا باحدى طرق الاثراء الكثيرة هناك • وفكرة الاثراء العاجل تملأ مخيلة كل من يعيش في اميركا للسبب الذي تقدم • وعندهم في هذا الصدد عبارة مشهورة وهي (انني اتوقع تشانش) اي فرصة • وارتفاع الاجور مع هذه الفكرة هما السبب في ضعف شوكة الاشتراكية في اميركا وعدم تأثير الاشتراكيين في الشعب ذلك التأثير الهائل الذي لهم في اوروبا وخاصة في فرنسا والمانيا حيث العملة في فقر مدقع . فرب عامل في فرنسا او المانيا اجرته في الشهر اربعون فرنكاً ينفق منها هو وزوجته واولاده مع ان اصغر واحقر عامل في اميركا لا يرضى هذه الاجرة في اسبوع

٩ — وارتفاع الاجور ينتج غلاء المعيشة وكثرة النفقة بحسب ناموس الأخذ والعطاء • فينفق المرء عن سعة ليتمتع بثمرة كسبه • فينتج هذا التمتع زيادة في النفقة ايضاً • ويصبح همّ الناس في زيادة الكسب ليقدروا على تلك النفقة والا ديسوا دوساً فتشتد عزيمتهم في العمل لزيادة كسبهم واتقاء الحاجة . ومصيبتهم هذه من اسباب نشاطهم وقوتهم • ورب شرٍ أنتج خيراً

١٠ — أضف الى تأثير الوسط في هذا الزحام الهائل تأثير الجوّ ايضاً وهو ما يسمونه (تاثير الاقليم) • وهذا التأثير ظاهر كل الظهور في انحاء الولايات المتحدة نفسها • فانه لا يخفى ان في هذه الولايات اربع ساعات كل ساعة متأخرة عن الأخرى ساعةً • وبعبارة أخرى نقول ان فيها الصيف والشتاء والربيع والخريف في وقت واحد • فبينما يكون الزمهرير في ولاية نيويورك الشرقية يكون حر الصيف في ولاية تكساس الجنوبية واعتدال الربيع في ولاية كاليفورنيا الغربية . والولايات الباردة الشرقية (نيويورك بنسلفانيا اوهايو ماس الخ) هي الولايات الاكثر عمراناً والاعظم مدنيةً والاشد نشاطاً وقوةً • وكما خصتْ ارض الولايات المتحدة بصفات جيولوجية ومتريولوجية ليست لغيرها (١) قد خُصّ جوها أيضاً

(١) سنشرح ذلك في اثناء الكلام عن غرائب ارضها وعجائبها كالبحيرات والانهر

بصفات غير اعتيادية • فان الطبيعة فيها شديدة قاسية وأحداثها تتخذ صوراً هائلة . فالزوابع تشتد فتخرب عشرات من البلدان في يوم واحد والارض تزلزل زلزالها فتهدم مدينة كاملة (كسان فرنسيسكو) • والناس يموتون في الصيف من فرط الحر وفي الشتاء من شدة القر • فجو كهذا الجو يساعد (مبدأ الانتخاب الطبيعي) فلا يعيش فيه الا الاقوياء الاصحاء • وهو يزيد قوتهم وصحتهم متى احتملوا المعيشة فيه • و بالتالي يزيد نشاطهم •

١١ — بقيت هناك أسباب أخرى عديدة نجملها هنا اجمالاً لان تفصيلها سيرد في أثناء كلامنا على عظائم اميركا وعجائبها فضلاً عن ان تفصيلها يطيل الموضوع اطالة لاتحتملها فصول المجلات • فمنها (اولاً)المدارس الابتدائية الالزامية التي تمزج ابناء جميع العناصر والمذاهب وتجعلها امة واحدة (انظرة الفقرة السابعة) والمدارس العليا العلمية والصناعية والتجارية والزراعية التي تكمل فعل المدارس الابتدائية وذلك بتعليم أبناء الامة تعليماً عملياً يطلق ايديهم وعقولهم معاًلا كاكثرمدارسنا الشرقية التي (تطلق العقول وتغل الايدي) • ومنها (ثانياً)تقديس مبداء العمل وعدم الاستحياءفيه • وهذه مزية كبرى لاميركا واهلها والمهاجرين اليها • فان المهاجر الاديب المهذب في المدارس يستحي في بلاده ان يكون مثلاً عاملاً في احد المعامل ولكنه في اميركا يرى ان روح البلاد كلها عمل في عمل وكل عمل شريف عند أهلها حتى اصغر الحرف والمهن فتسري اليه هذه الروح ويعمل مع العاملين وان لم يعمل طوعاً عمل كرهاً فراراً من الفقر • كان في الباخرة التي سافرنا عليها من اوروبا الى اميركا شاب مهذب فرنسوي فبعد وصولنا الى نيويورك باسبوع وجدناه يخدم في مطعم فرنسوي مشهور هناك وقد احفى شاربيه الجميلين وهو يكسب من راتبه ومن هبات المترددين على المطعم ٢٥ جنيهاً في الشهر . ثم كم من مرة رأينا سائق عربة شحن قذر اللباس واليدين تحييه في الشارع بابتسامة ونظرة فاتنة فتاة انيقة اللباس رشيقة الحركات يطلع البدر من قميصها فكانها من طبقة السيدات المترفات ولكنها

المعدنية الباخرة على الدوام ومغارة مموث المشهورة في ولاية كنتكي وطولها ثلاثمئة كيلومتر في جوف الارض وفيها آكام واودية ودهاليز وشقوق وساحات ولم يكتشف بعد الاجانب منها • والاخاديد المنفرجة في مكان واحد تلفظ على الدوام ليلاً ونهاراً بخاراً وغازاً وماء بدرجة الغليان • وتمخض ارضها بلا انقطاع تقريباً كأنَّ اعصابهـا اعصاب فتاة شديدة التأثر لم تخمد الايام حدتها بعد • وغير ذلك من الغرائب التي يلذ تفصيلها . والسياح يقصدونها افواجاً لمشاهدتها •

في الحقيقة صديقته او صديقة اخته او خطيبته او اخته او قريبة له . فهذا السائق يداه في النهار في العمل الخشن الشاق الذي ليس بالنظيف ولكنه بعد انصرافه منه شاب يسكن بيتاً نظيفاً و يعيش معيشة نظيفة مرتبة و يقرأ الجرائد والمجلات و يتردد مع خطيبته على المراسح والمتنزهات بملابس نظيفة جميلة كأنه (خواجا اوافندي) كما نقول في بلادنا . ومنها (ثالثاً) تعريفتهم الجمركية المشهورة التي بنت في بلادهم دون السلع والبضائع الاجنبية سوراً من حديد فراجت عندهم مصنوعاتهم الوطنية رواجاً عظيماً امكنهم معه ان يتحكموا في رفع اثمانها وزيادة اجور عملتهم وربح الارباح الطائلة . ومن البضائع الاجنبية ما يضربون عليه في الجمرك ٦٠ في المائة ضريبة ليؤذن بادخاله . فانجزر مد البضائع الاجنبية عن بلادهم ونمت صناعتهم بهذه الحماية الهائلة التي يمكنهم معها ان يبيعوا مصنوعاتهم في بلادهم باثمان ارخص من المصنوعات الاوروبية التي تضرب عليها تلك الضريبة . وبسبب نمو صناعتهم كثرت مصنوعاتهم وحاصلاتهم فعظمت تجارتهم واصبحت تلتمس لها منافذالى الخارج وتزحم تجارة العلم اجمع . ومنها (رابعاً) عنايتهم بتقوية أبدانهم كعنايتهم بتقوية نفوسهم وعقولهم وذلك بالرياضات والالعاب البدنية في المدارس والكليات والاندية الخصوصية والساحات العمومية . وكثيرون ينسبون النشاط الاميركي وقوته الى تعلقه الشديد بهذه الرياضات والالعاب وهذا موضوع سنفرد له فصلاً خاصاً لانه من الاهمية بمكان . ومنها (خامساً) حكمهم انفسهم بالطريقة الوحيدة التي تنطبق على اخلاقهم ومبداءهم الاستفرادي(اند يفيديالسم) ونعني بها طريقة الاستقلال الاداري لكل ولاية من الولايات . فان لكل ولاية مجلسين نيابيين ودستوراً خاصاً بها وما الحكومة العليا في واشنطن العاصمة ومجلسا الشيوخ والنواب فيها الا واسطة بينها اي بين ولاية و ولاية من جهة و بين الولايات كلها وسائر الدول من جهة اخرى . — وفوق ذلك كله نعمة الحرية المطلقة الى اقصى حدودها — وعلى الخصوص الحرية الشخصية وفضيلة الاعتماد على النفس اللتان تبثان في نفوس الناشئة منذ الصغر فتكونان (كالنقش في الحجر) . فانك اذا عاشرت فتيانهم وفتياتهم عليك ان تسلك معهم كما يسلك مع الكبار لامع الصغار لاعتدادهم بانفسهم واستقلالهم ومعرفتهم حقوقهم . وقلما تكتسب ثقتهم وودادهم وصداقتهم بالهدايا والالاعيب كما تكتسبها بمراعاتك استقلالهم الشخصي واكرامهم كما يكرم الكبار .

فلهذه الاسباب كلها نشأت في الولايات الاميركية المتحدة امة نشيطة قوية صرفت همها الى العمل وكسب المال لتعيش في سعة وسعتها هذه جعلت شعبها رضي

الاخلاق مطمئناً ساكن النفس (طيب القلب) مستقيم الطباع لسذاجته بل اشد استقامة من شعب اوروبا كما ذكر بعض السياح الاوروبيين في كتبهم . ولما كان همُّ كسب المال مقدَّماً لدى الاميركيين على كل همّ اصبحت قيمة الانسان عندهم ما (يكسبه) لا ما (يحسنه) كما قال الشاعر العربي . وفي الحقيقة ان (الكسب) و (الاحسان) في اميركا امران قلما يلتقيان . فكل شيء يُعمل فيها انما يُنظر الى سرعة عمله وعظمته وضخامته لا الى اجادته واحسانه واتقانه . الاتقان ؟ ليس لديهم وقت للاتقان . وهب ان لديهم وقتاً لذلك وقوة عليه فهم لا يضيعونها في هذا الاتقان لان الغرض كسب المال من ذلك العمل لا اتقانه لذاته والبلوغ به الى اقصى حدود الاجادة . فكأنهم في جميع أعمالهم قوم على سفر عليهم انهاء عملهم قبل السفر . انظر الى آلاتهم الصناعية التي يصنعونها وسلعهم وسائر مصنوعاتهم وجرائدهم وآثار مصوريهم وكتابهم ترَ على كل ذلك أثر السرعة والضخامة والعظمة وعدم المبالاة بالاتقان . والغريب انهم قدروا حتى الآن بهذه الطريقة على انشاء أعظم صناعة وتجارة وزراعة قامت في العالم . ولكن اذا كانت هذه السرعة والعظمة والضخامة لم تُكسبهم حتى الآن جمال الاتقان الفني فانها طبعت في نفوسهم طابع النشاط والقوة والعظمة وجعلتها خلقاً لهم . ومن يعلم ان هذه القوة والعظمة والنشاط لا تضعف متى بلغوا طور الاتقان وتخللت نفوسهم تلك النحافة والرقة والكياسة الملازمة لجمال الفنون . أليست هذه الصفات الجميلة معدودة منذ الآن لديهم ولدى بعض المفكرين هَرَماً وفقدَ حيوية ؟ ... الا يستشهدون على ذلك بقولهم ان الثمرة لا تحلو وتجود الا قبيل سقوطها ...

ولكن الولايات المتحدة لم تعظم تلك العظمة للاسباب التي تقدمت لو لم يكن هنالك سبب آخر لم نشر اليه بعد . وهو انفرادها في قارة اميركا وعدم وجود جيران لها اقوياء ينازعونها البقاء و يضطرونها الى التسلح وتجنيد شعبها للدفاع عن نفسها . فانه بينما كانت اوروبا تنوء بحملها الثقيل (السلم المسلح) وتنفق ما في خزائنها من الملايين على هذا التسليح كانت الولايات المتحدة تنفق ما في خزائنها على اصلاح احوال شعبها . ان جيش فرنسا العامل في زمن السلم ٥٠٠ الف رجل وجيش الولايات المتحدة العامل ٦٠ الف رجل ... مع ان عدد سكانها ضعف عدد سكان فرنسا ومساحة ارضها اضعاف ارض هذه . وان الجيش الاميركي العامل لا يزيد عدده عن عدد جيش ركفلر فان لدى ركفلر ٦٠ الف مستخدم يستخرجون له زيت البترول من ارض الولايات المتحدة .



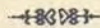
طال هذا المقال فوق ما أردنا وقد كتبناه وهذه التذكارات كلها ما زالت حديثة العهد في نفسنا . وقد صرفنا في كتابته ثلاثة ايام استعدنا فيها في الذهن جميع شؤون الولايات المتحدة وتذكاراتها شأناً شأناً وتذكارا تذكاراً لنستخرج هذه الخلاصة منها . وكان مرتب الحروف في اثناء ذلك يغضب و يصيح و يطلب التتمة كأنه ظن ان درس مدنية متشعبة الاصول والفروع عظيمة الاثر والعين كالمدنية الاميركية مما يسهل استخراجه وتسطيره في ساعة او يوم . و بعد مراجعتنا في ذهننا شؤون اميركا كلها حين كتابة هذا الفصل لم يلذ لنا شيء كمطالعة وداعنا لاميركا الذي كتبناه في الطريق بعد الرحيل عنها وهو خطاب الى تمثال الحرية العظيم المنصوب في مرفاء نيو يورك يستقبل الواردين و يودع الصادرين بنور القبس المرفوع بيده الهائلة وقد مرّت بنا السفينة امامه حين خروجها بنا من المرفاء (١) وقد ضاق المجال عن نشر هذا الوداع في هذا الجزء . فموعدنا به الجزء التالي ان شاء الله .



عقدة المسائل الاجتماعية

أثار الكلام فيها سعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بكتابه الجديد (روح الاجتماع)

بحث هذا وقته



اهدى الينا جناب الفاضل خليل بك صادق صاحب (مطبعة الشعب ومكتبته ومسامراته) نسخة من كتاب (روح الاجتماع) الذي ظهر في الشهر الماضي وهو من تأليف العالم الدكتور غوستاف لو بون الفرنسوي وقد عربه سعادة المفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية . وقد أذكرنا ظهور هذا الكتاب العلمي النفيس معرباً بقلم سعادة وكيل نظارة الحقانية قولاً قاله افلاطون فى (جمهوريته) وهو : ان اسعد الامم الامة

(١) كتبنا هذا الخطاب على طريقة (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها في الجزء الثامن للسنة السابقة

التي يحكمها العلماء والفلاسفة • وقد رمى افلاطون في كتابه الى تأييد هذه الفكرة وجعلها مدار كلامه ومنتهى غرضه • ومن علم ان كتاب سعادة فتحي باشا الجديد هو سابع كتاب له باللغة العربية وقد وجد فرصة للاشتغال باخراجه الى لغتنا مع مالديه من شواغل الوزارة والحكومة فلا يتمالك ان يتذكر قول افلاطون هذا .

※ ما رأيناه في باريز من روح الجماعات ※ ومن غرائب الاتفاق ان نجد في وجهنا في الاسبوع الذي وصلنا فيه الى مصر كتاباً كهذا الكتاب . فاننا في اثناء رحلتنا أطلنا البحث والتفكير غير مرة في موضوعه حين مشاهدتنا آثار شعوب الارض وآخر مرة كانت في باريز حيث اقمنا فيها ستة اسابيع صرفنا جانباً عظيماً منها في غشيان مجتمعات (الجماعات) التي هي موضوع كتاب سعادة فتحي باشا وكانت يومئذ قضية فرر قائمة في اوروبا على ساق وقدم وجماعات من الفرنسويين يعقدون الاجتماع تلو الاجتماع لاقامة الحجة على سجنه ومحاكمته . فحضرنا جلساتهم وتهنا بين صفوفهم وهم الوف الوف في نادي فوهال ينادون ويدعون وينشدون وهبت علينا (روحهم) في اثناء مناداتهم واناشيدهم الثورية هبوباً تقشعرّ له الابدان . وسمعنا خطب غلاتهم ونخص منهم بالذكر (هرفه) زعيم الاشتراكيين الثوريين الذي كنا نتوق الى استماعه لانه أحدث اثراً في شعوب أوروبا بمبادئه الغريبة التي نشرها وتابعه كثيرون فيها والتي اذا نفذت خربت الهيئة الاجتماعية الحاضرة واقامت هيئة جديدة الله اعلم بنتيجتها . ولعلّ هذه المبادىء وامثالها مما هو اقلّ غلواً منها (كمبادىء مركس وبيل وجوريس وكسد) هي التي جعلت الدكتور غوستاف لوبون يكتب كتابه (روح الاجتماع) الذي نحن الآن في صدده لانه ظهر لنا ان فصول الكتاب بمنزلة ردّ عليها . راجع الفصل الثاني في (مشاعر الجماعات واخلاقها) والفصل الثالث في (قواد الجماعات وطرقهم في الاقناع). فان الصور المرسومة فيهما صور حقيقية كدنا نلمسها بيدنا في اثناء تلك الاجتماعات . هذا بقطع النظر عن طبيعية حكم المؤلف عليها .

وفي الحقيقة ان سعادة فتحي باشا زغلول ذو فضل عظيم في توجيهه بكتابه الجديد نظر الجمهور الشرقي الى هذه المسألة التي هي عقدة المسائل الاجتماعية . فان هذا وقت البحث فيها بينما الشرق يتمخض بالم وعناء في هذا الطور من تاريخه ليلد (المستقبل) الذي نرجو ان يكون عظيماً باذن الله . والمستقبل انما يصاغ من افكار الجيل الحاضر وآرائهم نعني افكار قادتهم وحكامهم وحكمائهم واهل الرأي فيهم فضلاً عن (روح جماعاتهم) كما يقول غوستاف لوبون . فمن سداد الرأي ان يُبسط للجمهور الشرقي منذ

الآن — بل الآن خاصةً — جميع الآراء والمذاهب العلمية والاجتماعية التي تساعده في تكوين مستقبله وانارة طريقه .

❊ كلمة حاكم ❊ عرب سعادة المعرب الكتاب ولم يبدِ رأيا في موضوعه . وكل ما كتبه فيه من عنده هذه العبارة الجميلة في مقدمة صغيرة «طُلب مني ان أضع مقدمة تشرح بعض موضوع الكتاب وتبين طرفًا مما اشتمل عليه فترددتُ كثيراً ثم رأيتُ ان اترك الشرح والبيان للقراء انفسهم واذا كنتُ نقلت الكتاب الى العربية نقلاً صادقًا صحيحًا فان معانيه تنساب في نفس قارئيه من دون احتياج الى شرح ولا رجوع الى بيان» وبديهي ان مؤلفًا ومعربًا يشغل منصبًا في الحكومة من اعظم مناصب القطر المصري لا يجيز لنفسه ان يقول في موضوع كهذا الموضوع اكثر مما قال .

❊ خلاصة الكتاب ❊ غرض المؤلف في هذا الكتاب ان يثبت انَّ هذا الزمن زمن سلطة الجموع (او الجماعات) وانه اشد الازمنة حرجًا في تأريخ البشرية وان تلك السلطة سلطة الجموع نشأت عن امرين الاول « تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة . والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية « وانه « لما كان تهدم الافكار القديمة لم يتمّ فلم تزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في طور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحوّل وفوضى » وانه يعسر التكهن « بما قد يتولد من هذا الوقت وما هي الافكار الاساسية والمبادىء الاولية التي سيقوم عليها بناء الامم التي تخلفنا » ولكن الذي نراه منذ الساعة ان جميع المعتقدات والسلطات اخذت تتداعى وتتحطم الاَّ سلطة الجموع التي لا يهددها طاري. بل هي تنظم وتنمو . وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه (دور الجماعات) لا محالة .

وان تلك الجماعات اصبحت قوة تدرك منافعها ومالها من القوة والسلطان ولذلك أنشأت السنديكات (جمعيات العملة والمأجورين) التي تخضع لها السلطات واحدة بعد الاخرى وبورصات العمل (التي هي غير البورصات التجارية لانها خاصة بالعملة وفيها مجتمع جمعياتهم وفروعها) . وان السنديكات وبورصات العمل تطمح الى التسلط على العمل والعملة واجورهم وتطلب (تحديد ساعات العمل ونزع ملكية (كذا) (١) المعادن والسكك

(١) سترى في مايلي بيانًا يثبت ان حضرة المؤلف الدكتور لوبون لم ينصف في تلخيص هذه المطالب بل بترها بتراً لتأييد حجته على أهلها ودعم رأيه .

الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان وتوزيع الثمرات بين جميع الناس على السواء (كذا) واحلال الطبقات الوضيعة محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك)

فلهذا السبب « استولى الهلع على الكتاب الذين لهم منزلة لدى الطبقات المتوسطة في الامم وخشوا عاقبة ذلك السلطان فولوا وجوههم قبل الكنيسة مستصرخين سلطانها الادبي وتأثيرها الروحي بعد ان بالغوا في احتقارها وغالوا في اهمال جانبها . ونادوا بافلاس العلم في طريقة تهذيب النفوس . وفات اولئك المتدينين من جديد ان الوقت قد فات وانه ليس في طاقة البشر ولا مما تتعلق به القدرة الالهية جعل مياه الانهار تصب في ينابيعها . وما افلس العلم ولا ذنب له في فوضى الافكار التي انتشرت ولا في سلطة الجماعات التي تنمو وسط تلك الفوضى » وانما الذنب « للايدي الطائشة التي ازالت بالتدريج جميع الحواجز التي كانت تمنع من طغيان الجماعات » « توجد علامات عامة ظاهرة في جميع الامم تدل على سرعة نمو سلطان الجماعات نمواً لا رجاء في وقوفه آجلاً ونحن خاضعون لحكمه حاملون كل ما أنتجه بالقهر عنا فكل قول فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز ان تولى الجماعات قياد الامم أن يكون خاتمة ادوار مدنية الغرب فيرجع الى الانغماس في اودية الفوضى »

هذه خلاصة فكرة المؤلف وما بقي من الكتاب فصول شرح فيها هذه الفكرة بعلم غزير وبيان ضاف شرحاً بناه على مشاهداته ومطالعاته .

من هم الجماعات ولا بد ان القارئ يتساءل من هم الجماعات التي صعقها جناب الدكتور غوستاف لوبون هذه الصعقة في كتابه . أهي الشعب ؟ كلا فانه يقول فيه ان (روح الشعب تمثل حالة الحضارة واما روح الجماعات فتمثل حالة الهمجية) (الصفحة ١٩٩) ولعل المؤلف احسن الظن بالشعب هذا الاحسان اولا لئلا يتهم بالتحامل على شعب باسره والرجوع الى مبداء الاستبداد والاستعباد وثانياً ليقول ما قاله في الصفحة ٩٩ وهو ان التقاليد ضرورية للهيئة الاجتماعية وغني عن البيان ان الشعب مصدر هذه التقاليد وهي خلاصته وروحه كما قال المؤلف كما انه غني عن البيان ان هذه التقاليد هي مستند المحافظين في كل شأن من شؤون الحياة وحجتهم الكبرى على خصومهم . وقد اوجد المسيو موريس باراس الفرنسوي مذهباً له خاصاً بها فراج بعض الرواج لدى طالبي السدود والحدود لصد تيار الآراء الحديثة . ومن الاسف ان نرى انهم لا يكونون على الدوام مخطئين في التمسك بها من بعض الوجوه وفي بعض الاطوار ..

وانما عرَّف المؤلف مراده بالجماعات في قوله (الصفحة ٢٤) « الجماعات بالمعنى المتعارف

اللفيف من القوم مطلقاً وان اختلفوا جنساً وحرفة (ذكوراً كانوا او أناثاً) وعلي اي نحو اجتمعوا . اما في علم النفس (وهو الذي يقصده هنا) فلها معنى آخر . ففي بعض الظروف يتولد في الجمع من الناس صفات تخالف كثيراً صفات الافراد المؤلف هو منها حيث تختفي الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميع الأفراد نحو صوب واحد فتتولد من ذلك روح عامة وقتية بالضرورة الا انها ذات صفات مميزة واضحة تمام الوضوح وحينئذ يصير ذلك الجمع لفيفاً مخصوصاً لم أجد لتسميته كلمة اليق من لفظ الجماعة المنظمة او الجماعة النفسية فكأن ذلك اللفيف ذات واحدة وبذلك يصير خاضعاً لناموس الوحدة الفكرية الذي تخضع الجماعات لحكمه » « وان مجرد اجتماع افراد كثيرين اتفاقاً لايكسبهم صفة الجماعة المنظمة فان الف نفس اجتمعوا عرضاً في رحبة واسعة لغير قصد معين لايكونون جماعة عند علماء النفس بل لابد في توفر صفات الجماعة من تأثير مؤثرات مخصوصة »

ومعنى هذا ان الجماعات المقصودة بكلامه هي (الجماعات المنظمة) ولها قصد معين وغرض معلوم تسعى اليه . فيدخل فيها سنديكات العمل من صناع وزراع ومستخدمين ولجان الانتخاب والمنتخبين انفسهم كما ترى ذلك واضحاً في الكتاب . والأحزاب السياسية في البرلمان وخارجه . وجماعة المحلفين(الجوري)لدى محاكم الجنايات والمحامين والطوائف العسكرية والدينية ورؤسائهم . وطبقات الجموع الاواسط وجموع أهـل الريف الخ الخ . ومن رأي المؤلف ان هذه الجماعات خاضعة على الدوام لحكم اللاشعور ويغلب فيها انحطاط القوة العاملة فاذا تناولت رأي كل فرد من افرادها فرداً فرداً رأيته أرقى من رأي مجموعها ولكن روح المجموع يتأثر بمؤثرات مخصوصة تجعله احط من رأي افرادها. وانهاسريعة التصديق والاندفاع الى الشجاعة والشر والعوبة في ايدي زعمائها الذين يؤثرون عليها لا بالمعقول بل من طريق مشاعرها الغريزية فيجارونهاو وسائلهم التأكيد والتكرار والعدوى فيظهر انهم متسلطون عليها وفي الحقيقة انهم انما يتبعونها • وانها تعـد الخيالات حقائق ولا تدرك الافعال العالية الاّ بعد تغيرّها .وانه من الخطاء الاعتقاد بان للتعليم تأثيراً فيها . وان الحكومات اصبحت لهـذا السبب ضعيفة عن قيادة الافكار كما كانت تقودها في الزمن السابق . وان «النظام النيابي اقصى ما تصبو اليه الامم المتحضرة في العصر الحاضر لانه يعبر عن فكر سائد في الناس وان كان علم النفس يراه خطأً وهو ان العـدد الكثير أقدر من العدد القليل على البت في الامور بالعقل والرؤية والاستقلال » وان المجالس النيابية مع كونها « احسن الوسائل التي اهتدت اليها الامم في حكم نفسها » الاّ

ان المؤلف لا يرى لها من الجهة العملية « الا ضررين كبيرين الاول تبذير الاموال تبذيراً لا مناص منه والثاني الترقي في تحديد الحرية الشخصية » وابان في فصل مسهب ما سبقه اليه جول سيمون الذى تهكم عليه المؤلف (في الصفحة ٢٤٦) من نقائص المجالس النيابية في كتابه (الحرية السياسية) . وختم كتابه بنعيب هائل في ثلاث صفحات بالغة اقصى حدود البلاغة الروبالستية تنبأ فيها للهيئة الاجتماعية بالفناء . ومنها قوله « علامة تلك الساعة التي لا مفرّ منها تكون على الدوام ضعف اليقين بالمقصد (Ideal) الذي اتكأت عليه روح الشعب وكلما انزوى عود هذا الخيال اندكت صروح الدين والسياسة والاجتماع التي كانت تستمد منه حياتها » « وكلما انزوى خيال الشعب (Ideal) فقد هو علة امتزاجه وداعي وحدته وموجد قوته وتمت شخصية الافراد وعظم الذكاء فيهم غير ان ذلك يصطحب بحلول الاثرة الشخصية المفرطة محلّ الاثرة القومية . ووراءه انطماس الاخلاق وضعف القدرة على العمل » « واذا تمّ فقدان الخيال تمّ فقدان روح الامة فتعود خليطاً من الناس كل يعمل على شاكلته و ترجع الى ما كانت عليه منذ بدايتها جماعة لها منها جميع الصفات الوقتية فلا شعور ولا أمل . هنالك تنعدم اساطين المدنية وتمسي هدفاً لحوادث الاتفاق وتصير العامة سلطانة في الناس وتبدو طلائع المتوحشين » ومعنى هذا ان الشعوب انما تتكون (بايديال) تتخذه لها وتعظم باتباعها هذا (الايديال) فاذا تركته سقطت وفنيت وروح الجماعات وسلطتهم اشد العوامل في اسقاط هذا (الايديال) — هذه خلاصة فكرة المؤلف في ثلاثة أسطر .

❊ رد اهل المذهب الآخر ❊ لانتذكر اين قرأنا عن المؤلف الدكتور غوستاف لوبون انه قال عن نفسه ان أحد أصدقائه كتب اليه فقال انه اي الدكتور لوبون يخالف في كتاباته كل ما هو معروف . وعليه فابحاث المؤلف وآراؤه لا تخرج عن كونها معارضة في مبادىء المدنية الحاضرة واصولها . وكل معارض يبالغ في كلامه في اكثر الاحيان ليحدث اثراً شديداً في نفوس سامعيه او قرائه . ولكن هذه المعارضة غاية في الفائدة في هذا الزمن للسبب الذي أشرنا اليه آنفاً وخاصة في شأن كهذا الشأن يحتمل افراط البشر فيه فمن الصواب ان ينهض حيناً بعد حين رجل كالمؤلف وينعب بينهم ذلك النعيب الهائل بصوت ارفع من الاصوات التي نسمعها كل يوم في جرائد المحافظين الاجتماعيين في اوروبا واميركا .

ذلك لان لهذه الآراء التي بسطها المؤلف دعاة كثيرين اليوم في اوروبا واميركا

ولكن مما نعده شرفاً للمؤلف انه لا يضع يده في ايديهم في جميع المسائل بل يكتب مالهم وما عليهم كما يكتب المفكر وهو بعيد عن ضوضاء الحياة وغوغاء الناس. وقد لخصنا مذهبه آنفاً فعلينا الآن ان نلمّ بطرفٍ من مذهب الفريق الآخر الذي يعارضه المؤلف ليكون القارئ على بينة من المذهبين (ويسمع الجرسين) كما يقول الافرنج في امثالهم فتتمّ الفائدة

فاهل المذهب الآخر يقولون مثلاً مايلي « ان المؤلف مصيب في قوله ان الشعوب تنحط وتنقرض اذا لم يكن لها (ايديال) أو غرض عمومي شريف تسعى اليه وتلتف حوله. ولكن الخلاف الذي بين الفريقين هو انَّ هذا الايديال نفسه يتغير و يتبدل طبقاً لمبداء التحول . فقد كان الايديال من قبل لدى الفرنسويين مثلاً ان يسفكوا دماءهم في سبيل الله والملك وهذا سبب استماتتهم في غزوة الشرق في الحروب الصليبية . ثم اصبح ايديالهم بعد الثورة الفرنسوية الاستماتة في سبيل الحرية والجمهورية فافنوا بعضهم بعضاً في بدء الثورة . فاذا كانت الاحزاب المتطرفة منهم قد تغير اليوم ايديالها تغيراً ثالثاً وأصبح همها منصرفاً الى استخلاص السلطة الاقتصادية والمالية من ايدي الافراد والشركات (بعد ان يُدفع لها تعويض كافٍ) لوضعها في ايدي الحكومة لتتمكن الحكومة من نفع الشعب بها ورفع الطبقات الضعيفة أو الدنيئة الى مرتبة ارفع تليق بالبشرية ليعيشوا معيشة البشر لا معيشة البهائم فهذا ايديال عظيم ايضاً ككل ايديال جميل اذا كان تحقيقه ممكناً . لما دنس احد المتطرفين المتهوسين الراية الفرنسوية سراً في احدى الفرق العسكرية منذ نحو شهرين اذ القاها في المرحاض نكاية بالاحزاب الوطنية والعسكرية والدينية والمالية قامت قيامة الجرائد المحافظة والمعتدلة على ذلك المتهوّس والصقت فعلته بالراديكاليين والاشتراكيين وجرائدهم . فكان الصمت جواب المعتدلين من هؤلاء ولكن المتطرفين قالوا لهم بصراحة ان ايديالكم ليس بايديالنا واذا كنتم انتم تجعلون شرفكم ووطنكم وايديالكم في قطعة نسيج ملون وتغضبون له هذا الغضب فايديالنا نحن وشرفنا ووطننا في مبادئنا التي هي مبادئ الثورة الفرنسوية ومقتضاها رفع شأن الشعب ومحاربة الاستبداد الاقتصادي والمالي الذي يضغط على حياته كما حاربنا الاستبداد السياسي من قبل. ولا نبحث هنا في صحة هذا الايديال او فساده وانما نقول ان الجماعة التي تُظهر ما اظهرته جماعة العملة واحزاب الشعب من القوة والنشاط وعدم المبالاة بالعقاب والموت والاستهداف لسنابك الخيل وحراب الجند في المظاهرات والاعتصابات والتضامن الغريب الذي بينها لا تكون جماعة دون ايديال

وانما ايديالها يختلف عن ايديال الدكتور لوبون مثلاً . فانه هو ينظر الى الامم والحكومات ومستقبلها من وجه وهي تنظر اليها من وجه آخر. ولا يلتقيان الا متى التقى الفرقدان

هذه هي النقطة الاساسية في البحث . ثم تتفرع منها تتمته . ان الجماعات والسنديكات التي أشار اليها الدكتور لوبون هي جمهور الشعب الفرنسوي كله مجتمعاً في جمعيات كل جمعية لفرع من فروع حياته من اكبرها الى أصغرها وحسبك ان للمتسولين في الشوارع سنديكات (١) فاذا كانت هذه الجماعات كلها لاتحسن تدبير شؤونها الخصوصية والشؤون العمومية فالشعب الفرنسوي كله اذاً عاجز قاصر . وجميع اعتراضات الدكتور لوبون الموجهة الى تلك الجماعات تتوجه الى الشعب كله ولا ينقذه من هذه التهمة اطراؤه الشعب وتقاليده في سطرين أو ثلاثة من كتابه . وكم من مرة ونحن نطالع هذا الكتاب قلنا ان رأي الدكتور لوبون في الشعوب رأي الذين يقولون انها ولدت اطفالاً وبقيت اطفالاً محتاجة الى وصاية الطبقات الارستوقراسية والسياسية وستبقى كذلك الى ما شاء الله . وهذا الرأي وجيه لدى كثيرين من المفكرين المخلصين فضلاً عن الذين يستفيدون منه وهو يحتمل البحث والنظر . بقي ان يقال ان الاعتراض ليس على كفاءة الشعب بل على عجز (روح الجماعات) عن جودة السياسة والرئاسة لان تركيبها يوجد هذا العجز فيها . ولكن هذا القول يعارض كثيراً من الآراء التي ذهب اليها علماء العمران . قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه (الحرية السياسية) ما خلاصته ان الافراد الذين تتألف منهم الجماعات النيابية مثلاً قد يكونون ضعفاء وكل واحد منهم على حدته غير قادر على السياسة ولكنهم اذا اجتمعوا وتألف منهم المجلس ارتقت آراؤهم وهي مجموعة عن معدل آراء كل فرد منهم . يعني ان روح المجلس تكون طبعاً ارقى من روح كل فرد من افراده واجتماعهم هو سبب هذا الارتقاء ولذلك تكون الامم التي ليس فيها افراد نوابغ قادرة على سياسة نفسها بروح تلك المجالس . اذن فمن نصدق . الدكتور لوبون او السياسي المحنك والفيلسوف المشهور جول سيمون الذي ليس في استطاعة احد

---

(١) هم متسولو مرسيليا المصابون في اجسامهم باعضاء مريضة او مبتورة انشأوا سنديكات تتولى مقاومة المتسولين الذين يظهرون انهم مقطوعون مع انهم اصحاء الاجسام وذلك لاطلاع الحكومة على أمرهم منعاً لمزاحمتهم لهم لان التسول ممنوع شرعاً لا للمأذونين

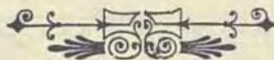
رميه بالتزلف الى الشعب بعد مابدا منه من دلائل استقلال الفكر قولاً وفعلاً — قولاً في ماناشره في كتبه من تحذير الديموقراطية من نقائصها وفعلاً في مافعله في عهد نابوليون الثالث اذ كسر مستقبله كسراً باحتجاجه على حكومته احتجاجاً افضى الى فصله عن السربون التي كان أحد أساتذتها وما فعله في عهد الجمهورية نفسها يوم قاوم حزبه الجمهوري نفسه في شأن المادة السابعة من قانون التعليم وهدم نفسه لديهم هدماً بهذه المقاومة ولولاها لارتقى الى رئاسة الجمهورية ومات وهو من أعظم رجالها. وهب ان رأي الدكتور لوبون هو الصحيح و راي جول سيمون هو الباطل فان رأي الدكتور لوبون في هذا الشأن يقتضي فض الجمعيات والسنديكات وجعل جمهور الشعب افراداً ضعفاء بازاء الحكومة و بازاء انفسهم . وهل يجوز في هذا العصر الذي نهض فيه اكابر اهل العلم والسياسة والفلسفة ينشطون الامم الى التجمع في جمعيات تشتغل كل واحدة منها بما يختص بها في دائرة اختصاصها وترقيه بتعاون افرادها عليه كما ارتقى العلم والصناعة والزراعة والتجارة بهذا التعاون نفسه هل يجوز والحالة هذه في هذا العصر ان تُمد مطرقة الدكتور لوبون الشديدة الى اساس هذا البناء الذي هو بناء الحضارة الجديد لتقويضه وهدمه . وماذا يبقى للامم اذا فضت جميع جمعياتها وسنديكاتها واسيء الظن ببرلماناتها ونحاكمها — ماذا يبقى لها غير نير ملك قاهر او امبراطور جائر يوضع على عنقها لاستعبادها والاستبداد بها و بيع مرافقها ومنافعها بيع السماح . واذا كان لايقصد هذا ولا ذاك فاي فائدة اذاً ينتج من مهاجمة اساس الهيئة الاجتماعية هذه المهاجمة سوى غرس الحيرة والشك في نفوس الناس وعلى الخصوص النابتة الجديدة وتنفيرهم حتى من الاساس الذي قامت عليه الحضارة وتثبيط هممهم وافناء قواهم بهذه الحيرة والشك

وقد يكون غرض المؤلف في كتابه ان يثبت أمراً أبعد من الأمر الظاهر. وهو ان الجنس البشري غير قابل للكمال وانه كطائفة النمل متى بلغ في مدنيته حداً محدوداً عاد وتدلى راجعاً ادراجه . وهذا ايضاً فيه نظر لان أهل العلم بين قائل بقابلية الكمال وقائل بعدم القابلية . واذا كان سبنسر ودروين يقولان بمذهب النشوء والارتقاء و يضعان مبدأ « ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه » كما قال ابن رشد في كتابه تهافت التهافت فان نيتش وغيره ينكرون قابلية الكمال ويجحدون ان للوجود غاية غير غاية تقوية الفرد وزيادة قوى الانسان حتى تفوق قواه الحاضرة . ولكن اذا كان الجنس البشري غير قابل للكمال وانما حظه — او سوء حظه — التراوح في اطوار التأريخ بين الانحطاط والارتقاء والصعود

والهبوط كما قال الدكتور لوبون فالأمر يكون اذاً بين يدي القوة « فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ » وهذا يجيز لطبقات الضعفاء في الامم ان تستجمع قواها وتعد جميع معداتها لمنازعة من تدعوهم خصومها وتستخلص من ايديهم ما امكنها استخلاصه . فلا جناح عليها اذاً في ما تفعله التماساً للمنافع كما انه لاجناح على خصومها اذا ابوا عليها اعطاءها ماتطلبه . فان قويت أخذت والا حرمت

على انه قد يكون للمؤلف غرض آخر اقرب مما تقدم وهو ان السبب في وضعه كتابه هو الرغبة في التهويل مع المهولين على الحكومة الفرنسوية لتقلص من ظل جمعيات العملة ومطالب الشعب وتترك التساهل معهم خدمة لأهل المصالح المالية والاقتصادية . ومهما يكن من الأمر فان تلك الحرب التي تدور رحاها الآن في العالم اجمع بين المأجورين والمستأجرين او اهل العمل واهل المال والتي ذكرنا طرفاً منها منذ بضع سنوات في كتيب عنوانه (الدين والعلم والمال) انما هي حرب يخلق بالمفكر المنصف ان يقف بازائها وقفة المشفق الداعي الى اخماد نار الاحقاد والتوفيق بين تلك المصالح المختلفة والمبادىء المتعارضة ما امكن التوفيق . واذا مال بعض الميل الى الجانب الضعيف وان لم يكن على حق فميله عدل ورحمة معاً لان شقاءهم في هذه الدنيا شديد . وما من فائدة لاحد في زيادة مسافة الخلف بين الفريقين والقاء الهشيم على النار لتزداد وقوداً .

على انه اذا لم يكن من فائدة لهذا الكتاب المكتوب بعلم غزير سوى اثارة البحث في موضوعه بين الشرقيين وجعل ما فيه من الآراء والافكار عبرة لنا في بدء دخولنا الحياة الدستورية في البلاد العثمانية وقبل دخولنا هذه الحياة في القطر المصري لئلا نجمح فيسوء المصير — فحسبنا هذه الفائدة . وعلى القارئ العربي ان يقتنيه ويدرسه درساً ويستفيد بمعلوماته العلمية الدقيقة وان لم يشارك المؤلف في جميع آرائه . وتعريبه متين جميل للغاية جزى الله سعادة معربه المفضال خيراً عن قراء اللغة العربية واكثر بيننا من أمثاله رجال الهمة والعلم والفضل الذين هم موضع آمال الشرق وابنائه



نشيد

الراية العثمانية الدستورية

فارقنا الوطن وهو عبد وعدنا اليه وهو حرّ . والجامعة تشكر لجناب صديقها الشاعر البليغ الطائر الصيت مصطفى افندي صادق الرافعي ناظم هذه القصيدة النفيسة لانه بعث بها اليها فمكنها من ان تجعل في اول جزء منها يظهر في الشرق هذا النشيد الجميل تحيتها الى الحكومة الدستورية العثمانية ورايتها التي هي مجيدة منذ طفوليتها. وقد ابدع الناظم في هذه القصيدة واتى في البيت السادس عشر منها بمعنى مبتكر جميل سيبقى لاصقاً بالراية العثمانية الدستورية ويجري مجرى الامثال لدى الواقفين عليه . رفع الله راية الرجاء وعفا عما مضى.

رفع الصبحُ راية الشفق الاحمرِ مستفتحاً لجيش الضياء

هل ارى في السماء أذيال حوْرا ءَتخطىَّ بها على استحياء
أم ارى في السما حديقة ورد كشفتها الجنان للشعراء

راية في صباغها ذابت الشمس— فلاحت كالبقعة الحمراء
في ذَرى الجوِّ حيث لا تترامى همةُ الريح في ذيول الفضاء
حيث لا تنتهي المطامع الا عبثاً من وساوس الجهلاء
من رآها يخال راية عثما نَ أُقيمت على بروج السماء

رايةُ الدولة التي لحماها مَهرَبُ الشمس من يد الظلماء
راية الامة التي من حلاها عقدُ دمع الملوك والأمراء
انه لؤلؤ يُغاصُ عليه تحت موج الحديد بحرُ الدماء

رايةٌ حيثما تُهزّ يجمّ المو تُ رعباً لغضبة الخلفاء
غضبةٌ تزأرُ البراكين منها وتمورُ الجبالُ في الهيجاء

غضبة الراية التي لعداها ظلها عابسٌ عبوسَ الفناء
واراها على القلاع لسان النا رِ مستعجلاً ردى الاعداء

رايةُ الحرب راية السلم طرًا   رايةُ النصر رايةُ السعداء
ليس رسم الهلال ذاك ولكن   قلمُ النور خطَّ راء الرجاء

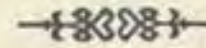
يا جناح السلام رفرف على الخلق   فما في سواك روحُ الهناء
انَّ هذا الهواء مهبطُ جبريلَ   وذي الارض منشأ الانبياء

مصطفى صادق الرافعي

الى مريدي المهاجرة

ابحث

وحاذر قبل ان تهاجر



سمعنا من كثيرين قولهم اننا بعد اطلاعنا في الجامعة وهي في نيويورك على آثار اميركا وعظمتها وثروتها كدنا نهجر بلادنا اليها . ونخشى ان تستفز المقالات التي أخذنا في نشرها عن اميركا بعض القراء أو بعض ذوي قرباهم الى المهاجرة وهم على غير بينة من الأمر اغتراراً بثروة اميركا وعظمتها فرأينا من الواجب ان نكتب هذا الفصل ونبسط فيه حالة المهاجرة وشروطها ليكون مريد المهاجرة على علم بها .

واول ما نقوله هو ان الذي لديه فضلة من ماله ويريد انفاقها في ما يسلي خاطره ويشرح صدره ويزيده علماً باحوال الكون واطلاعاً على آثار العمران له ان يقصد اميركا ويزورها كما يزور أوروبا . وكم من مرة حثثنا اصدقاءنا ومعارفنا في الشرق وأوروبا على ان لا يقتصروا على زيارة أوروبا بل ان يطيلوا شوطهم ويبلغوا اميركا . حتى لقد قيل لنا مرة بعد ان اسهبنا في جمال هذه الزيارة انه لو علمت حكومة اميركا بسعيكم لبلادها هذا المسعى وجعلكم لسانكم (اعلاناً حياً) لها لما ضنت على الجامعة بمكافأة ...

ولكننا اذا كنا نقول ذلك القول لمن لديه فضلة من المال ويريد السياحة ترويحاً للنفس فلا نقول مثله لمن يبغي المهاجرة طلباً للرزق . بل نقول لهذا « ابحث وحاذر قبل ان تهاجر » وبودنا لو ردّدت هذا التنبيه جميع رصيفاتنا في الشرق ليبلغ الى آذان مريدي

المهاجرة الى اميركا وعلى الخصوص في سوريا ولبنان

ومرادنا بهذه العبارة انه يجب على المهاجر قبل ان يهاجر ان يقيس قواه على مطامعه و يعلم لماذا يهاجر واي شيء يلقاه هناك وما يستطيع عمله ومالا يستطيعه . و بعد ذلك فله الخيار بين المهاجرة والاقامة .

كم من مرة لقينا في الولايات المتحدة شبانًا وكهولاً وشيوخًا يسألوننا ماذا يعملون فكنا نجيبهم كان عليكم ان تسألونا هذا السؤال قبل سفركم الى اميركا ولو فعلتم لأجبناكم ان لا تهاجروا اليها . وكان نصفهم يرجع الى بلاده على عجل والنصف الآخر يقيم متردداً بين العودة والاقامة حتى يسأم فيعود او يبقى مهاجراً غير راض بحالته ولا يكاد يكسب نفقاته

كل باخرة تمر بمصر قاصدة اوروبا تحمل مئات من المهاجرين السوريين حتى بعد الدستور وقد اشار الى ذلك منذ حين بعض الافاضل . ولا ينكر ان فيهم كثيرين ممن هاجروا بسبب القرعة العسكرية الجديدة لغير المسلمين ولكن لكثرة المهاجرة آخراً اسباباً اخرى . فمنها ان الاشغال في اميركا عادت الى الرواج بعد تلك الازمة المشهورة . ولما كنا في لورنس (ماس) علمنا ان نحو ٣٠٠ مهاجر سوري من نزالتها عادوا الى بلادهم في شهر واحد بسبب تلك الازمة لان المعامل أُقفلت وهم عملة فيها فاضطرهم اقفالها الى طلب المال من أهلهم في الشرق واذ سئموا تكرار الطلب فضلوا ان يعودوا الى وطنهم ولما سمعوا في الزمن الأخير ان رحى الاشغال دارت عادوا الى اميركا وربما اصطحبوا رفاقاً لهم . ومنهم من عاد الى وطنه بعد اعلان الدستور واذ عاش فيه مدة ولم يحس بتغيير يذكر من الجهة الاقتصادية آثر الرحيل مرة أُخرى فعاد . ومنها اننا مقبلون على فصل الشتاء فمن يريد المهاجرة يهاجر في هذا الوقت ولذلك اشتد ازدحام المهاجرين . ومنها ان للمهاجرين في اميركا اقارب واصدقاء فهم يزينون لهم السفر ويجتذبونهم اليهم . ومنها ان المقيمين في وطنهم يرون بعض القادمين من اميركا من ابناء بلدهم ويسمعون بغنى اميركا وعجائبها فتدب فيهم الغيرة وتحدثهم نفوسهم ان يفعلوا فعلهم . ومنها الفقر وضيق الخلق والرغبة في تغيير الافق لعل الحالة تتغير بتغيره الخ الخ .

لهذه الاسباب ولغيرها ما زال المهاجرون السوريون يقصدون اميركا ويتهافتون عليها دون ان يعلم كثيرون منهم لاي شيء يهاجرون اليها وماذا يفعلون فيها . وقد سألنا بعضهم في الطريق فكانوا يجاوبوننا سنرى ما نفعله بعد وصولنا. وهذا الجواب حسن اذا كان في يد قائله رأس مال يمكنه معه ان يختار ماشاء من الاعمال و يستعمله في العمل الذي يختاره

بعد وصوله . ولكنه اذا كان لا يملك مالا فسفره اليها على هذا الوجه (اي على باب الله) من ضروب المخاطرة التي لا تُحمد لان الله سبحانه لا يجود عادةً الا على الذي يحسن الاحتياط لنفسه وتدبير اموره .

الامور الاربعة

لا نكتب هذا الكلام للذين هاجروا آخراً فهم هاجروا وانقضى الأمر ونسأل الله ان يأخذ بايديهم ويتولاهم بعنايته · وانما نكتبه للذين لم يهاجروا وتحدثهم نفوسهم بالمهاجرة الى اميركا . فنقول لهؤلاء مايلي .

« من اراد المهاجرة الى اميركا عليه ان يكون في يده رأس مال كاف . او ان يكون في يده صناعة يعمل فيها. أو ان ينوي العمل في المعامل . أوحمل البضائع والجولان بها لبيعها . ولكن المهاجر السوري الذي ليس في يده رأس مال ولا صناعة ولا يريد العمل في المعامل ولا حمل البضائع فالواجب عليه ان لا يرحل الى اميركا قطعياً »

كان المهاجرون من قبل يرحلون الى اميركا (على باب الله) ولا يمسهم الضيق لان مسألة التجول بالبضائع كانت في رواج . فكان كل مهاجر يصل يستطيع ان يشرع في العمل يوم وصوله وذلك بان يحمل بضاعة ويطوف بها على المنازل في المدن الكبرى والصغرى فيبيع ويربح . وكان التجار يساعدونه ويأتمنونه على بضائعهم لانهم يربحون من هذه المساعدة والاستئمان بل كان كل ربحهم منها . وكانوا من قبل ينتظرون البواخر القادمة من الشرق ويستقبلون أبناء وطنهم القادمين اليهم للاتفاق معهم على التجول ببضائعهم . اما الآن فقد تغيرت الحالة . فالتجار اصبحوا لا يأتمنون على بضائعهم الا من يثقون منه والاميركيون ضجروا من كثرة الباعة المتجولين شرقيين وغير شرقيين لاسباب عديدة فضلا عن انتشار المخازن الاميركية التي تبيع السلع في اصغر القرى وأبعدها وتفتح عيون الاميركيين وزوال سذاجتهم القديمة حتى اصبحوا عارفين باثمان السلع التي تباع كما يعرفها الباعة . وفي صباح هذا اليوم الذي نكتب فيه هذا الفصل ورد علينا كتاب من شاب اديب في اميركا يقول فيه انه تجول شهرين للبيع فاسفرت النتيجة عن خسارته مئة ريال ولذلك عافه · فانت ترى ان مسألة البيع التي كانت عملاً قريباً من يد كل مهاجر لايجد عملا قد أصبحت في كساد . فاذا كان المهاجر الشرقي ليس في يده رأس مال ولا صناعة ويكره دخول المعامل للعمل فيها فماذا يفعل . انه لا يجد في اميركا كلها عملا يعمله لانه لايحسن لغة البلاد ولا يعرف عاداتها فمن الصعب ان يُستخدم للاعمال الصغيرة كالخدمة في الفنادق والمطاعم والمخازن وغيرها · وهذا أمر جدير بالنظر

ولكنه اذا كان نشيطاً قوي النفس لايستحي بالعمل ويريد العمل في المعامل فهذا باب متسع في اميركا اعظم اتساع ومفتوح لكل مهاجر الا في اثناء الازمات الشديدة . واقل ربح للعامل في المعمل خمسة ريالات في الاسبوع (جنيه) ويرتقي هذا الربح بارتقاء حالة المهاجر . فقد شاهدنا في وليمنتك (كناتكت) شباناً سوريين ادباء يعملون في معامل الحرير واجرة الواحد منهم بين ١٢ و ١٥ ريالاً في الاسبوع (ثلاثة جنيهات) والنفقة تكون طبعاً على قدر الكسب في كل بلد . فالشرقي الذي يضع نصب عينيه العمل في معامل اميركا ويهاجر لهذا السبب يمكنه ان لا يقيم دون عمل يوماً واحداً اذا كان نشيطا ذكياً . ولكن هذا العمل محدود الربح وهو كالاستخدام يضعف القوى ويسد باب الصدف التي يمكن ان يغتنمها الانسان اذا كان عمله لنفسه . فضلاً عن انه يقتضي الخبرة والتمرن . فعلى المهاجر ان يكون لديه شيء من المال يعيش منه قبل اكتسابه هذه الخبرة ليتمكن من دخول احد المعامل .

في أثناء سياحتنا في الولايات الاميركية الاربع(١) التي يدعونها (نيوانكلاند) اي انكلترا الجديدة لانها كانت الولايات الاولى التي هاجر الانكليز اليها واستعمروها (وهي كناتكت وماستشوستس ومابن ورود ايلند) كنا نجد في كل مدينة دخلناها جالية عظيمة من اهل كندا الفرنسويين وقد هجروا وطنهم للعمل في المعامل الاميركية العظيمة ، ورب مدينة كبد فرد (ماين) أو وستر (ماس) فيها عشرات الالوف منهم ولهم فيها اندية وجمعيات وجرائد وكنائس . وكم كانت تلذ لنا احاديثهم ومنظر سيداتهم حين انصرافهن افواجاً افواجاً من المعامل في المساء وعلى وجوههن وفي حركاتهن رشاقة الجنس الفرنسوي التي تعرّفهن حتى لمن لا يعرفهن . فالمعامل الاميركية تعول ملايين من النفوس في اميركا من المهاجرين وأهل البلاد . ولولاها لأكل الناس بعضهم بعضاً .

بقيت مسألة الصناعة ورأس المال . ونقصد بالصناعة ان يكون للمهاجر حرفة يعمل بها كالحساب (مسك الدفاتر) والنقش في الخشب والنجارة والخياطة الخ . اما الحساب فاجرة الحاسب في المخازن السورية ٤٠ ريالاً في الشهر (ثمانية جنيهات) وأكثرها ستون ريالاً ولكن هذه لا تكون الا للكتاب الممتازين عن غيرهم . وفي السوق على الدوام حاجتها من الكتاب الحاسبين بل فوق حاجتها ولذلك لاتحتمل الزيادة . واما النقاش

---

(١) اصطلح الكتاب على تسمية الولايات المتحدة (باميركا) مع كونها جزءاً من القارة الاميركية وذلك لانها اعظم امة فيها وآثارها أظهر الآثار . فاذا رأى القارىء قولنا اميركا والولايات الاميركية فالمقصود بها (جمهورية الولايات المتحدة)

والنجار والحلاق والخياط الخ فانهم اذا قصروا عملهم على بني وطنهم السوريين فانهم لايكادون يربحون شيئاً يُذكر ومنهم من لايقوم بنفقاته والافضل ان يلتمسوا العمل بصناعتهم في مخازن الاميركيين باجور قليلة. وسبب قلتها عجزهم عن مجاراة اهل البلاد في طرقهم واساليبهم . ولكن الذي يستطيع هذه المجاراة يربح من صناعته ربحاً يستحق الذكر . فاننا نعرف اديباً سورياً في نيويورك صناعته نقش الخشب في معمل اميركي واجرته في النهار خمسة ريالات(جنيه) . والأمر الجدير بالنظر هو ان الذي في يده صناعة وهو متقن لها وهاجر الى اميركا يمكنه ان يعيش منها في محلات الاميركيين اذا اتصل اليها بواسطة ولكن يجب ان يكون ملماً باللغة الانكليزية

بقيت مسألة رأس المال . ورأس المال وحده لايكفي (صغيراً كان او كبيراً) اذا لم يكن مقروناً بالخبرة في حالة الولايات المتحدة وطرق العمل الذي ينفق فيه رأس المال . فكم من رأس مال ضاع وسبب ضياعه أمران : الاول ان الطريق التي أُنفق فيها طريق مسدودة لاتؤدي الى ربح لعدم الحاجة اليها او لان الحاجة اليها قليلة فيكون الدخل دون الخرج . والثاني ان صاحب رأس المال لم يكن ذا خبرة كافية في طرق عمله . فعلى صاحب راس المال ان يكون ذا خبرة في العمل الذي يريد عمله وان لا ينفق رأس ماله الا في عمل يكون هو خبيراً فيه . ولا نرى حاجة الى الافاضة في هذا الموضوع لان الذين لديهم رؤوس اموال ويهاجرون بها الى اميركا قليلون جداً لان المرء يجد في مصر بل في سوريا نفسها اعمالاً كثيرة رابحة اذا كان لديه راس مال وأحسن تدبيره ولذلك لايهاجر الى اميركا ذو راس مال . وعندنا ان هذا خطأ قديم ونتمنى ان يصلحه الزمن . فان اميركا اوسع بلاد في الدنيا لرؤوس الاموال . ولكن عذر الشرقي ان راس المال يربح في مصر كربحه في اميركا تقريباً مع قلة النفقة فيها وسهولة المعيشة في بلاد شرقية تلائم مزاجه واعتدال جوها ووجوده فيها بين أهل واصدقاء وابناء وطن في وسط لغته كلغته وروحه تنطبق على روحه ولذلك يفضل اصحاب رؤوس الاموال ان ينتجعوا مصر ولا يفكرون باميركا . والاوروبيون انفسهم لديهم مصر بمنزلة اميركا لدى السوريين المهاجرين . فكم من مرة حادثنا في الباخرة بين اوروبا ومصر الاوروبيين المسافرين منها والعائدين اليها فوجدناهم يعجبون بثروة مصر وخصبها وارباحهم فيها . منهم سيدة كانت تقول انني احب مصر وافضلها على وطني فقد صرفنا فيها ٢٠ سنة وزوجي يكسب من وظيفته في الحكومة كذا ونحن عائشون في سعة ولو كان في وطنه لما كان يكسب نصف هذا المبلغ

ولا كنا نعيش كما نعيش في مصر . فتامل .

ورب قائل يقول فما يفعل اذاً أبناء سائر الجوالي الاوروبية . فالجواب ان المسافة بين الاوروبي المهاجر الى اميركا وأهل البلاد الاميركيين اقرب منها بين الشرقي المهاجر والاميركيين . فان العادات والاذواق قريبة بعضها من بعض بين الاوروبيين والاميركيين ولذلك يسهل على اولئك الامتزاج بهؤلاء وعلى الخصوص اذا كانوا يحسنون اللغة الانكليزية . وهذا القرب بين اذواق الفريقين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم سهل للاوروبيين سبيل معاملة الاميركيين والاستخدام عندهم وانشاء الحوانيت المختلفة للاتجار معهم والربح منهم ماأمكن الربح . فتراهم يطرقون ابواب جميع الاعمال الكبرى والصغرى التجارية والصناعية والزراعية والاستخدام فتتوزع هذه الاعمال عليهم وينال كل واحد منها ما ينطبق على استعداده واخلاقه وكفاءته . وما انتظمت احوال امة وقويت وأثرت الا (بناموس توزيع الاعمال)

من الحكومة الاميركية الى سليمان افندي البستاني

وعلى ذكر هذا الناموس ناموس توزيع الاعمال خليق بنا ان نشير الى ما صرفنا اليه بعض اهتمامنا ونحن في اميركا وخاصة لانه ذو علاقة بمسألة رأس المال التي تقدم ذكرها رأينا بعد وصولنا الى اميركا ان اعمال اخواننا المهاجرين تنحصر في امور اربعة . الاول التجارة اي انشاء محلات تجارية في المدن الكبرى لبيع البضائع للمتجولين الذين يحملون البضائع ويتجولون بها لبيعها او لتجار الداخلية الذين يبيعون اولئك الباعة وجميعهم سوريون التجار والباعة . فكانّ تجارتهم تجارة سوريين مع سوريين . والثاني الباعة المتجولون الذين تقدم الكلام عنهم . والثالث عملة يعملون في المعامل . والرابع اصحاب مخازن لبيع الاثمار والحلوى وما أشبه . اي ان الصناعة والزراعة معدومتان لديهم اصلاً . ولما كان إنشا الصنائع صعباً في بلاد عظيمة الصنائع كما يعلم كل قارئ فراينا ان افضل خدمة نقدر على القيام بها هي توجيه الافكار الى الزراعة وانشاء المزارع وامتلاك الارض وتربية المواشي لايجاد منفذ جديد واسع لعمل النزالة . فاقمنا على هذه الدعوة ثلاث سنوات وزرنا من اجلها كندا ووزير داخليتها لان كندا تعطي كل مهاجر ١٦٠ اكراً من الارض مجاناً لزراعتها . وانهضنا الهمم الى هذا الامر فلم نكن نمر في مدينة في طريقنا الاّ ونرى الاخوان المهاجرين قد اصبحوا يتحدثون عن الزراعة وبعضهم يستعدلها . فتمّ المقصود من توجيه انظار نزالة برمتها الى هذا الموضوع واقبل كثيرون منها على شراء المزارع والاراضي وذكرنا اسماءهم في حينه واحوالهم صائرة من حسن الى احسن . ولا عجب فان الارض امّ البشر الحنون

وهي جوادة كريمة تدر الخير والثروة على كل من يُعنى بها . ثم شرعنا في ان نفعل لدى حكومة الولايات المتحدة ما فعلناه لدى حكومة كندا من طلب اراض مجانية في ولايات معتدلة الهواء فنشرنا في الجامعة عريضة الى الحكومة الاميركية في هذا الشأن وقع عليها اكثر من الف نفس من اخواننا المهاجرين واعادوها الينا . ولكن فاجأنا الدستور وطلعت شمس الحرية في بلادنا فما وجدنا من حقنا بعدها ان نكون من اسباب ترك السوريين جنسيتهم العثمانية بعد ان اصبحوا بالدستور وطنيين قولاً وفعلاً ذلك لانه يُشترط في اخذ الاراضي (المجانية) للزراعة في اميركا ان يكون الآخذ اميركياً او داخلا في الجنسية الاميركية . فراينا ان من حق وطننا علينا ان لا نكون بعد تحريره سبباً في خسارته بعض ابنائه واثبات اقدامهم في ارض الغربة وقد اصاب يومئذ رصيفنا الكريم المقتطف بقوله في هذا الشأن ان الاولى بعد الدستور حث المهاجرين على استعمار بلادهم قبل استعمار البلاد الغربية . وهذا هو السبب في عدم تقديمنا العريضة يومئذ الى الحكومة الاميركية . ومع ان الاخوان الادباء الذين وقعوا عليها لم يفوضوا الينا حق التصرف بها فقد شرعنا اليوم في ان نبعث باوراقها الى جناب العلاَّمة سليمان افندي البستاني احد نواب سوريا في مجلس المبعوثان ونائب رئيسه لا لامر سوى ان يطلع حضرته عليها ويُطلع عليها ايضاً رصفاءه من نواب سوريا وغيرهم ليعلم حضراتهم ان وراء البحار شعباً كبيراً مستعداً الآن يعمل في الزراعة لاحياء بلاد غير بلاده وارض غير ارضه فكيف به لو سهلت الحكومة له سبل العودة الى بلاده لاستعمارها بنفس الشروط التي تستعمر بها اميركا ارضها وهي اعطاء الارض مجاناً للطالبين وتمهيدها لهم سبل العمل فيها . فالمأمول ان تفتح الحكومة العثمانية لابنائها المهاجرين هذا الباب في ما بين النهرين لتنفع وتنتفع معاً . وكثيرون منهم منتظرون ذلك اليوم كما اخبرونا شفاهاً . وقد قال العلامة البستاني في كتاب لحضرته الى الجامعة نشرته في نيويورك انه سيبذل جهده ليخدم من هذا الوجه المهاجرين والمقيمين الخدمة التي يتوقعونها . اخذ الله بيده ومثله من يرجى و يؤمل

مستقبل عظيم لما بين النهرين

ونقل البرق بالامس ان السير و يليم و يلكوكس الذي عهدت اليه الحكومة العثمانية امر اصلاح الري والارض فيما بين النهرين القى خطبة في مجتمع عقدته الجمعية الجغرافية في لندن فقال ان الاصلاحات المنوي انشاؤها في ما بين النهرين ستجعل تلك البلاد مزاحمة لمصر كما كانت مصر تزاحمها في التاريخ القديم وان غلتها اي ارض ما بين النهرين ستكون مليون طن من الحبوب ومئة الف طن من القطن وانتاج عدة ملايين من الخراف والبقر في السنة .

وانه سينشاء لهذا الغرض خط حديدي بين دمشق و بغداد تقدر نفقته بمليوني جنيه ومائتي الف جنيه . وقال في موضع آخر ان مجموع النفقات التي تحتاج اليها تلك الارض لجعلها جنة غناء ١٠٣٤٠٩٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الفرات و ١١١٠٤٨٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الدجلة فضلاً عن ١٠٣٢٧٠٠ تمس الحاجة اليها بعد ذلك في النهرين . وان انشاء الخط الحديدي بين دمشق و بغداد الذي تقدمت الاشارة اليه يتمّ في عامين بعد تأريخ الشروع فيه واما اعمال الريّ والاصلاحات المذكورة فتقتضي ٨ سنوات . وفي بدء الأمر يعود مليون هكتار من الارض الى المدنية والحضارة كما كانت في زمن الفرس واليونان والرومان وتبقى بعد ذلك ٤ ملايين هكتار من الارض حول الدجلة والفرات تُستعمر تدريجاً

عود الى مسألة رأس المال

فهذا مستقبل عظيم للارض العثمانية والراغبين في استعمارها . ولولا هذا المستقبل المحقق اذا استمر اهل الاصلاح جارين على الخطة التي يجرون عليها وحاجة البلاد العثمانية الى همم ابنائها وايديهم وأموالهم في تلك الارض التي لا بد ان تفتح للحضارة بعد الآن لكننا نقول لكل ذي رأس مال هذا القول الذي يعيدنا الى الموضوع الذي نحن في صدده وهو : اذا كنت ذا رأس مال وتريد المهاجرة فاحمل راس مالك واذهب حالا وابذره في ارض اميركا ولا تعمل فيها عملا آخر غير هذا العمل لانه خير الاعمال فيها فترده اليك تلك الارض العظيمة الواحد مئة والمئة الفاً والالف عشرة آلاف . ان (الخيارة) الواحدة تباع في اسواق اميركا بقرش صاغ وكفى . فثروة الزراعة وتربية المواشي فيها فوق كل ثروة وقد جمع الايرلنديون والالمانيون منها في اميركا ملايين من الريالات . ولقد احسن رصيفنا الاتحاد المصري الاغر في نصحه بعد ذكره مشروع الجامعة للمهاجرين الذين يستمرون على المهاجرة حتى بعد الدستور ان يتخذوا الزراعة في اميركا عملا لهم الى ان تنفتح ابواب الرزق في بلادهم .

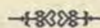
ان المهاجرة كانت ومازالت في الاض قوة من قوى الامم ومنفذاً لنشاطها ومصالحها ولكل أمة كبرى مستعمرات تحث ابناءها على المهاجرة اليها لتعميرها . فليس المراد بقولنا « ابحث وحاذر قبل ان تهاجر » تثبيط العزائم عن المهاجرة وقتل الاقدام في النفوس وخصوصاً في النفوس الشرقية التي لا تزال في ابتداء شوطها فيه . ولكن المراد تنظيم المهاجرة الى اميركا وتدبيرها وصرفها في الطرق التي تؤدي الى الغاية . ولا يخفى ان الامم التي تخرج جزءاً منها الى المهاجرة تستهلك بعض هذا الجزء وذلك بسقوطه في ميدان الجهاد ويبقى لها

الباقون اقوياء ولكن يُشترط في هذا ان تكون الطريق مخطوطة خطة صحيحة يستفيد منها سالكها كل مايستفيده الرجل القوي الذي يعمل عملا صحيحاً ويضعه في موضعه • واذا كانت تلك الخطة صحيحة ونتيجتها اكيدة فالامة يقلُّ فيها عدد المستهلكين ويكون من يبقى لها قوياً قوة حقيقية فضلا عن ان الجيل الاول يكفي نفسه بصحة خطته عذاباً وعناء وشقاء • لما نظرنا في مرسيليا والهافر وجنوي وفي البواخر الوف المهاجرين اوروبيين واسيويين وافريقيين فضلاً عن السوريين يزحمون بعضهم بعضا وعلى وجوههم دلائل الاهتمام واشتغال البال وفي حركاتهم وسكناتهم حتى اناشيدهم مايتفطر له الجماد وكلهم مسرعون بقلوب ملؤُها الخوف والرجاء والأَلم والامل الى دار اليسر والثراء لالقاء دلوهم في الدلاء لم نتمالك ان صحنا كما صاح موريس دوناي الروائي الفرنسوي الطائر الصيت في روايته « العودة من اورشليم » فان بطل هذه الرواية وهو اسرائيلي شاهد ابناء وطنه مئات مئات وراء سور سليمان في اوروشليم يبكون ويندبون هيكلهم وامتهم وتاريخهم فصاح « بعد هذا المنظر ساقف حياتي لخدمة هؤلاء التعساء »

ومن راى اوقيانوس المهاجرة الى اميركا تقذف امواجه البشر الى تلك القارة الوفاً وملايين بعضهم للتعب والفناء وبعضهم للراحة وحسن المعيشة لا يتمالك ان يتمنى بعد عودته ان كل مريد للمهاجرة يحسن تدبير نفسه ورسم خطته واتخاذ عدته قبل مهاجرته • لا سيما وان مستقبل بلادنا سيكون عظيماً

السينماتوغراف والطب والميكروبات

اكتشاف جديد * ان الميكروبات التي لا تُرى بالعين المجرَّدة اصبحت منظورةً تتحرك وتتحارب امام الرائي كما تتحرك الصور المتحركة * تأثير هذا الاكتشاف على مستقبل الطب



شغل السينماتوغراف (الصور المتحركة) ابناء العصر صغاراً وكباراً وراج لديهم رواجاً عظيماً . وما كان يخطر في البال ان هذا التمثيل التصويري الذي نشأ للفكاهة وترويح النفس ينقلب وسيلة علمية الى الاكتشاف العلمي والدرس الفسيولوجي والبكتريولوجي • وقد انقلب الآن ودخل في عالم العلم واصبح من آلات العلماء

وتفصيل الخبر ان الدكتور كومندون الفرنسوي وجد طريقة لتصوير ميكروبات الامراض والجراثيم على الاطلاق تصويرًا متحركاً بالسينماتوغراف فاصبح العلماء يقدرون على مشاهدة الجراثيم وهي تتحرك في الدم وتتقاتل وتتنازع مشاهدات طويلة يمكنهم معها ان يدرسوا ما فاتهم درسه من طبائع بعض الجراثيم وحركاتها . وقد عدوا هذا الاختراع من انفع الاختراعات لعلم الطب

﴿ الهيبرميكرسكوب ﴾ هي الآلة التي امكنهم تصوير الميكروبات والجراثيم بها تصويرًا متحركاً يمثلها في معيشتها تمثيلاً كاملاً . وهي تكبرها عشرة آلاف مرة فتظهر بها البعوضة مثلاً كأنها بناية ذات ست طبقات كما قال المسيو فيللر . وقد جعلوا النور الذي يلقى على بلاتين الهيبر ميكرسكوب لانارة الجراثيم بغية تكبيرها وتصويرها — جعلوه يُلقى عليها منحنياً لا افقياً او على موازاة محور الآلة كما يفعلون في الميكرسكوب وذلك لكي لا يحتاجوا الى تلوين المادة المراد مشاهدتها بل يبقى لها لونها الطبيعي وتبقى جراثيمها حية والسينماتوغراف يصورها بحسب ألوانها . وصيانة للجراثيم من الموت اذا أُطيل عرضها على النور الملقى عليها كما يقع في الميكرسكوب جعلوا لها آلة تديرها وتخفيها هنيهة عن النور في اثناء التصوير لابطال فعله فيها فضلاً عن جعلهم النور ينفذ خزاناً فيه ماء قبل نفوذه اليها فيضعف تأثيره عليها . وهي في كل حال لا تستمر معروضة امام النور الاّ نيف ونصف ثانية



الميكروبات والجراثيم مصورة صورًا متحركة

﴿ احدى الصور ﴾ وقد رسمنا هنا احدى الصور المصورة بالهيبرميكرسكوب . وهي رسم نقطة من دم عصفور حُقن بجراثيم داء يفتك بدجاج البرازيل . ولما تمّ التصوير

- اسينماتوغراف مركبًا على الهيبرميكرسكوب خرجت الصورة وهي تمثل مايلي

ترى كريات الدم الحمراء ظاهرة في الرسم وتشاهد ميكروبات وباء الدجاج البراز يلي بشكل خيوط كما ترى · وتراها امامك تتحرك صاعدة وهابطة بسرعة وهي تارة تتقدم وطوراً تتأخر واحيانًا تتصادم فيدخل بعضها في بعض فتظهر مثناة او مثلثة وتبقى متصلة بعضها ببعض وتارة تصطدم احداها باحدى كريات الدم الحمراء فتغوص فيها وتحاول التملص فلا تستطيع فتبقى سجينة وتارة أُخرى تغوص في كرية حمراء فتنفذها وتخلص · وترى في الزاوية احدى الكريات البيضاء تتقدم ببطء وهي ملتفة حول نواة واحيانًا تصادف هذه الكرية في طريقها الكرية الحمراء التي اصطدم بها ميكروب الوباء وجرحها وكاد يتلفها فتحيط بها الكرية البيضاء وتشرع في افتراسها

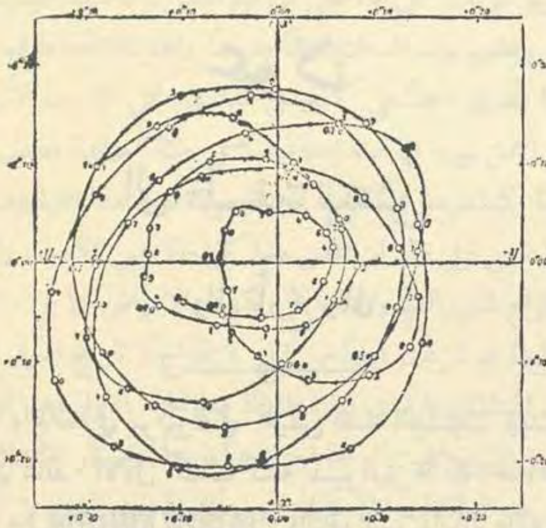
وقد استعان المخترع بمحل باته واخوانه صاحب الصور المتحركة المشهور في اوروبا واميركا ومصر ايضاً · فهل نشاهد قريباً جراثيم التدرن الرئوي والكوليرا والطاعون وغيرها من الاوبئة التي تجتاح الانسانية ممثلة حياتها بالصور المتحركة في سينما باته في مصر تمثيلا علميا صحيحاً فنراها امامنا كما تكون في الحقيقة في ابدان المصابين بها· يظهر ان طور العجائب والغرائب في الارض لم يختم بعد . وان ابناءنا واحفادنا سيرون اموراً عظيمة .

اكتشاف دورة جديدة للارض

نقطة القطب ليست بثابتة * رسم تنقلاتها * فاذاً للارض
حركة جديدة لم تكن معروفة * السبب الذي
من اجله لم يجد بيري اثرًا لكوك ····

لما تنازع بيري وكوك منذ بضعة اسابيع في ايهما سبق الى القطب الشمالي كتب العالم الفلكي المسيو فلامريون المشهور فصلا هذه خلاصته

ان الارصاد الفلكية اثبتت منذ حين ان نقطتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي ليستا بثابتتين بل تتغيران شهرا فشهرا وعاما فعاما · وقد رسم المسيو فلاماريون الرسم الذي رسمناه هنا ليدل على مبلغ ذلك التغيير ومكانه وهو رسم مساحته ١٢ مترًا من الارض في القطب الشمالي وهي المسافة التي تنقلت فيها نقطة القطب الشمالي بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٩ ولم تخرج عنها كما قال ·



مواقع انتقال نقطة القطب الشمالي في عشر سنوات

❊ سبب هذا التنقل ❊ وقد بحث الباحثون في اسباب هـذا التنقل فحصروها في مايلي · تغير مركز الثقـل في الارض بسبب تغير مجاري الاوقيانوس ومراكز آكام الثلوج والمد والجُزر الشديدان والفواعل الطبيعية في جوف الارض · ولكنهم لم يحققوا احدها بعد ·

❊ حركة جديدة للارض ❊ واذا صح هذا التنقل في نقطة القطب فيكون للارض حركة جديدة كانت مجهولة · وتصبح حركات الارض ١٢ حركة لا ١١ حركة منها حركة الارض على نفسها في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وحركتها السنوية حول الشمس في ٣٦٥ يوماً وربع يوم وحركتها الشهرية من تاثير القمر وحركتها من تغيرات القمر كل ١٨ سنة ونصف سنة وحركتها حركة اهتزازية بسبب تاثير السيارات الاخرى عليها وحركتها بسبب تغير مركز الثقـل في النظام الشمسي وحركتها مع جميع اعضاء النظام الشمسي حركة عامة الخ الخ · وتضاف اليها الآن حركتها على نفسها حركة انتقال نقطتي القطب في سطحيها

ولما كان كوك يقول انه اكتشف القطب الشمالي قبل بيري بسنة فلا يبعد اذا كان كلاهما صادقاً ان تكون النقطة التي بلغها كل واحد منهما وكانت هي القطب في يوم وصوله بعيدة عن الاخرى بضعة امتار · ولذلك لم يقف احدهما على آثار الآخر · · ·

عود

الى فلسفة نيتش

والى تأريخ رنان



منذ شرعنا والجامعة في نيو يورك في تلخيص فلسفة الفيلسوف نيتش ظهر في فرنسا ثلاثة كتب في شأنه . الاول كتاب كتبه المسيو اميل فاكه احد اعضاء الاكاذمية الفرنسوية عنوانه (en lisant Nietszche) والثاني للمسيو دانيال هاليفي وعنوانه (حياة فردريك نيتش) والثالث كتاب لنيتش نفسه وهو آخر كتبه وربما كان احدّها واشدها تطرفاً وغلواً وعنوانه (ecce Homo)

وقد طالعنا الكتاب الاول بين كندا وشلالات نياغرا والثالث في اثناء اقامتنا في باريز واما الثاني فلم نطلع عليه بعد لانه ظهر في هذا الشهر . قالت جريدة الدبيا في تقريظها له « مضى على مولد نيتش ٦٥ سنة ومضى على وفاته تسع سنوات ومع ذلك فشهرته آخذة في الازدياد وتأثيره آخذ في التعاظم واليه يُعزى ردّ الفعل الذي حدث في افكار أهل أُوروبا في شأن الاشتراكية » وروت في موضع آخر ان شقيقة نيتش مدام فورستر نيتش اعلنت عزمها على انشاء متحف لآثاره في نفس المنزل الذي كان يعيش فيه فانهالت عليها الاموال من جميع انحاء العالم فانشأت بها المتحف وجمعت فيه جميع آثار الفيلسوف وزاد لديها من المال مبلغ كبير جعلت من فائدته خمس جوائز سنوية قدر الواحدة ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ مارك تُدفع لمن يمتاز بمعيشته بحسب مبادىء الفيلسوف اخيها اي ان يعيش مسروراً فرحاً بالحياة و يقوي نفسه و يحب ذاته ..

ومهما قيل في فلسفة نيتش مدحاً أو ذماً — ومادحوها وذاموها كثيرون — فاننا بعد مطالعتنا خمسة من كتبه التي هي اهم ما كتبه ما زلنا نعتقد بما جهرنا به منذ سنتين يوم شرعنا لاول مرة في تلخيص فلسفته وهو ان مبادىء هذا الرجل تحتوي على كثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى ابناء الشرق ان يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها . ونريد بهذه المبادىء

تلك التي صب فيها المؤلف كل ما أعطي من قوة النفس وحماستها لتحبيب الحياة والنشاط والقوة الى الناس وخلقهم بهذه الصفات خلقاً جديداً وسحق الانحطاط في النفوس والهمم والامم . كما انها تحتوي أيضاً على كثير من المبادىء التي لا نرى الآن موضعاً لها في الشرق ولا يمكن العمل بها في هيئة اجتماعية تسمى هيئة اجتماعية بحسب المفهوم اليوم من هذه الكلمة . ولما كنا شرعنا في العودة الى تلخيص فلسفة هذا الفيلسوف فسنستمر في الخطة التي اتبعناها من قبل وهي ان نلخص منها كل مالا يمس الاديان والعادات الحاضرة لان غرضنا استخراج لباب القوة والحماسة من كتبه والاعراض عما بقي .

وكانت الجامعة قد شرعت ايضاً من قبل باستخراج (تاريخ اصول الديانة المسيحية) لمؤلفه الفيلسوف المستشرق ارنست رنان ونشرنا منه الجزء الاول وهو تاريخ المسيح بعد حذف ما لا يحسن نشره وبقيت اربعة اجزاء بدأنا باولها وهو تاريخ اعمال الرسل فلخصنا فيها بضعة نصول منه ثم انتقلت الجامعة الى نيو يورك ولم نعد اليه . على اننا سنشرع في اتمام هذا الكتاب الذي كنا بدأنا في تعريبه ولا يصح ترك تعريبه ناقصاً بعد الابتداء . وسنجري فيه على نفس الخطة التي اتبعناها في امثاله من الكتب التي فيها ما يقال ومالا يقال وما يكتب وما لا يكتب . اي اننا نقصد استخراج الفوائد التاريخية والفلسفية والاجتماعية التي لا يمكن ان توجد في مصادر غيرها ونضرب صفحاً عما بقي مما لا يفيد احداً نشره

زاراتوسترا

وهو أبلغ كتب الفيلسوف نيتش وأجملها

كتبه باسلوب رواية جعل بطلها (زاراتوسترا) الهائل

على ان ما نشرناه في ما سبق من فلسفة نيتش كان تلخيصاً لبعض مبادئه جمعناها من عدة صفحات في عدّة من كتبه لنتمكن من ان نبسط للقارىء جميع جوانب نفسه . وسنستمر في هذا السبيل ولكننا نقرن تلخيص افكاره بتعريب روايته المشهورة التي سماها « هكذا قال زاراتوسترا » والتي هي ابلغ وادق ما خرج من قلمه وبعضهم يقول انها اجمل ما كتب باللغة الالمانية الا ما كتبه الشاعر المشهور جوت الذي كان معاصراً لنيتش وكان نيتش يقول عنه « انه الالماني الوحيد الذي أحبه واحترمه » ولكن هذه الرواية دقيقة للغاية ولا يفهم رموزها ومعانيها الا الذي يطيل النظر فيها ويعلم اغراض المؤلف ومبادئه . وكانها

لسمو مواضيعها وغرابة آرائها وشدة وطأتها وحدّة لهجتها واحاطتها بجميع افكار البشر ومبادئهم — قصيدة متناهية في الاستطالة رأسها في اعلى السماء وطرفها الآخر في اسفل الارض نسيج بردها الله لا انسان لانه يتكلم ويكتب كمن في يده سلطة الآلهة ويحطم مبادىء البشر وكل معروف ومألوف لديهم تحطيماً دوت له الدنيا . ثم هولا يكتفي بالهدم بل يحاول البناء فيضع مكان ما حطمه مبادىء لم يقل بها احد قبله وقد بالغ فيها حتى قيل ان المرض الذي اصابه قبل وفاته وافضى الى اصابته باختلال الدماغ كان ذا تاثير على تلك المبادىء وسبب تلك المبالغات . ولذلك جمع بعضهم فلسفة نيتش في قوله عنها « انها خليط من الجنون والحكمة » ـ والله أعلم بالمستقبل

وهذا أوان الشروع في تلخيص هـذه الرواية الغريبة التي جمعت خلاصة مبادىء الفيلسوف وأقامت العلماء وأقعدتهم في حينها وليس في عالم العلم والأدب في هذا الزمان مفكر الا واطلع عليها وفكر في مواضيعها .

تمهيد زاراتوسترا



« لما بلغ زاراتوسترا الثلاثين من عمره هجر وطنه وبحيرته واتجه نحو الجبل . فأقام فيه عشر سنوات يتمتع بعزلته ويخلو بنفسه دون أن يسأم العزلة والخلوة . ولكنه في ذات يوم تغير قلبه فبكر بكور الغراب واتجه نحو مشرق الشمس وطفق يخاطبها قائلاً :

« ياأيها الكوكب العظيم . ماذا كانت لذتك لولا الأشياء التي تنبسط امامك وتنيرها بنورك . لقد انقضت عشر سنوات وانت تطلع عليّ في مغارتي هـذه ولولا انك تنيرني وتنير نسري وافعاي (١) لعراك الضجر والسآمة

نحن ننتظرك في كل صباح ونأخذ منك مايفضل عنك، ونشكر لك .

ولكنني الآن قد ضجرت من عزلتي وحكمتي ضجر النحلة من عسلها اذا جمعت كثيراً منه . وأصبحت في حاجة الى ايد تنبسط الي لامنحها منحاً تجعل الحكماء من الناس يفرحون بجنونهم والفقراء سعداء بثروتهم .

ولذلك سأغوص الى الاعماق كما تفعل انت حين تغوص وراء البحار لتمحو الظلام

(١) سترى فيما بعد ماذا يقصد بالنسر والافعى

بنورك . اني سائر مثلك (لأغيب) في وسط الناس الذين انا هابط اليهم

فبارك فيّ ياصاحب العين الساكنة التي ترى سعادة من لاحدّ لسعادته ولا يعروها الحسد .

بارك في الكأس التي ستفيض . وفي الماء الفضي (١) الذي سيجري منها حاملا للبشر جمال مسرّاتك .

ان هذه الكاس تبغي الفيضان ثانية . وزارتوستره يرغب في ان يعود انسانًا »

وهكذا بدأ انحطاط زاراتوسترا

٢

فهبط زاراتوسترا من الجبال ولم يلقَ في هبوطه احدًا . ولكنه ما بلغ الغابات حتى راى امامه شيخًا كان يأوي الى كوخه المقدس في الغاب وخرج في طلب اصول الاشجار . فقال هذا الشيخ

« اتذكر انني رأيت من قبل هذا المسافر . فقد انقضت عليه اعوام وهو يمرّ في هذا المكان . وكان اسمه زاراتوسترا ولكني اراه قد تغير

وقد كنتَ من قبل تحمل الرماد الى الجبال فهل بدا لك اليوم ان تحمل النار الى الاودية والمدن . الا تخشى عقاب موقدي النار

نعم هذا زاراتوسترا . ولكن ليس في شفته ما كان فيها من تقلص الاشمئزاز . هذا هو ولكنه قد تغير واصبح طفلا . بل انتبه وافاق . فما جئت تفعل الآن بين النيام ؟ لقد كنت تعيش في عزلة تامة كما يعيش المرء في وسط البحر وكانت مياه هذا البحر تحملك فالويل لك اتريد الآن الوصول الى الشاطىء؟ الا تخشى أن يترضض جسمك على صخوره

فاجابه زاراتوسترا « انني احب البشر »

فقال الشيخ الحكيم « لم اتبطن الغابات واختار العزلة فيها الاً لانني احببتهم حبًا شديداً . فحبهم هو الذي قادني الى هنا . اما الآن فانني احب الله ولا احب البشر لان حب البشر قتال . وما الانسان عندي الا كائن شديد النقص

(١) في الاصل (الذهبي) ولكن لفظ (الفضي) اقرب الى اللغة العربية . وغني عن البيان اننا نلخص الكتاب تلخيصًا ملتزمين الاصل ما امكن الالتزام

فقال زاراتوسترا «ماجئت لاحبهم ولكنني جئت لامنحهم منحة»

فقال الشيخ الحكيم لاتمنحهم شيئاً بل اسلبهم شيئاً وساعدهم على حمله . وهذا انفع الامور لهم . على شرط ان ذلك ينفعك ايضاً . واذا شئت منحهم شيئاً فتصدق عليهم قليلاً ولا تعطهم الا اذا سألوك

فقال زاراتوسترا . كلا لا اتصدق على أحد لانني لست فقيراً الى هذا الحد

فاخذ الشيخ يضحك من زاراتوسترا ثم قال : فابذل جهدك اذاً في ان تجعلهم يقبلون كنوزك لانهم لا يركنون الى المعتزلين المنقطعين ولا يصدقون اننا اذا قصدناهم نقصدهم لاعطائهم شيئاً . وانّ وقع قدميّ المعتزل المنقطع يدوي في آذانهم دوياً غريباً . فمثلهم في هذا مثل الراقد في فراشه ويسمع في الشارع قبيل الصباح وقع اقدام في الطريق فيتساءل اين ذاهب هذا اللص — ذلك لانه يظن كل معتزل مبكر لصاً

فلا تذهب الى الناس واستمر مقيماً في الغاب . بل اذهب الى الوحوش واصحبها ولا تذهب الى الناس . لماذا لا تفعل فعلي فتكون حيواناً بين الحيوانات وطائراً بين الطيور

فقال زاراتوسترا . وما تفعل ايها القديس في الغابات

فاجاب الحكيم . انني اصنف اناشيد وانشدها وفي اثناء نشيدها اضحك وابكي واسر النجوى واجهر . وبذلك احمد الله واشكره . ولكن اخبرني ماهي المنحة التي جئتنا بها

فلما سمع زاراتوستره كلام الشيخ القى عليه تحية الوداع وقال «ماذا ينتظر مثلك من مثلي ؟ ارى الاولى بك ان تتركني انطلق في سبيلي على عجل لئلا اسلبك شيئاً بدل ان اعطيك»

وهكذا افترق الاثنان وهما يضحكان احدهما من الاخر ضحك الاطفال

ولما اصبح زاراتوسترا منفرداً قال في نفسه وهو سائر في سبيله «اهذا ممكن ؟ كيف لم يسمع بعدُ هذا الشيخ القديس في غابه ان ذلك المبدأ قد مات»

(ستأتي البقية اذ ننشر في كل جزء يلي ٦ او ٨ صفحات من هذا الكتاب)

رواية مريم قبل التوبة

لم ننشر تتمة هذه الرواية في بدء هذه السنة لرغبتنا في ان نبدأ السنة برواية جديدة يقرأها قراؤنا القدماء ومن جدّ منهم . ولذلك سننشر في الجامعة رواية جديدة . اما (مريم قبل التوبة) فسنتم طبعها على حدة ونعلن ذلك حين فراغنا منه

الشعر القديم

بين المعتمد بن عباد سلطان الاندلس وابنه الراضي

* شعر الملوك وآراؤهم في قوة الدول

نشرنا فيما سبق للمعتمد بن عباد حين كلامنا عن زوال دولته في الاندلس شعراً استحسنه بعض الافاضل . وقد عثرنا له على أبيات اخرى جميلة يخيل اليك وأنت تقرأها انه أب من آباء الزمن الغابر يلوم ابنه لاشتغاله بالعلم عن اعباء الحياة وشواغلها . وكان العلم من قبل نظريًا ولم يكن من شأنه ان يعدّ معدات القوة للمملكة كما هو شأن العلم اليوم الذي يخترع الاختراعات التي تزيد في قوة الجيوش والاساطيل وتجعل الامة السابقة في هذه الاختراعات منيعة الجانب . ولذلك فالمعتمد معذور في ما كتبه لابنه . ولكن تأمل في حلاوة تهكم الملوك الشعراء وتخلصهم بعد ذلك الى الجد . وخلاصة الرواية ان المعتمد أراد ان يقدم ابنه الراضي على جيش لمحاربة « بادس بن حبوس » في غرناطة فتمارض الراضي على ابيه واعتذر لاشتغاله باصناف العلوم واعتكافه عليها . فخرج المعتمد بنفسه لمحاربة عدوه وتخلف ابنه الراضي فهزمه العدو فعاد المعتمد الى اشبيليه وهجر ابنه الراضى فكتب اليه ابنه الراضى يقول :

لا يكبرنك خطب الحادث الجاري ... فما عليك بذاك الخطب من عارِ

ماذا على ضيغم أمضى عزيمته ... ان خانه حد أنياب واظفار

عليك للناس ان تبقى لهم سنداً ... وما عليك لهم اسعاد أقدار

لو يعلم الناس حقًا ان تدوم لهم ... لم يتحفوك بشيء غير أعمار

فاجابه المعتمد

الملك في طي الدفاتر ... فتخل عن قود العساكر

طف بالسرير مسلمًا ... وارجع لتوديع المنابر

وازحف الى جيش المعا ... رف تهزم الحبر المقامر

واطعن باطراف اليرا ... ع نصرت في ثغر المحابر

واضرب بسكين الدوا ... ة مكان ماضي الحد باتر

او لست اسطاليس ان ... ذكر الفلاسفة الأكابر

وكذاك ان ذكر الخليـ ـل فانت نحوي وشاعر
وأبو حنيفة ساقط في الرأي حين تكون حاضر
من هرمس من سيبويـ ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذي المكارم قد حويـ ـت فكن لمن جاراك شاكر
واقعد فانك طاعم كاسٍ وقل هل من مفاخر
لحجبت وجه رضاي عنـ ـك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت ور قة حين قلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه وابوك كالضرغام هادر
هـلا اقتديت بفعله وأطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا قب والموارد والمصادر

فاجابه ابنه الراضي

مولاي قد اصبحت كافر بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدواة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت ان الملك والـ ـعلياء في ضرب العساكر
لا ضرب اقوال باقـ ـوال ضعيفات مكاسر
قد كنتُ أحسب من سفا ه انها اصل المفاخر
واذا بهـا فرع لهـا والجهل للانسان غادر
وهجرتُ من سميتهم وجحدتُ انهم اكابر
ان كان في فضل فمنـ ـك فهل لذاك النور سائر
او كان في نقص فمنـ ـي غير ان الفضل غامر
ضحك الموالي بالعبيـ ـد اذا تواصل غير ضائر
لا تنسَ يا مولاي قو لة ضارع الاقوال فاجر
ضبط الجزيرة عند ما نزلت بعقوتها العساكر
ايام ظلتُ بها فريـ ـداً ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشى ناظري لمع الاسنة والبواتر
ويصم آذاني بها قرع الحجارة بالحوافر
وهي الخضيض سهولة لكن ثبتُّ بها مخاطر

هب زلتي لبنوتي واغفر فان الله غافر

فلم يزده ذلك الا تماديًا في هجرانه فكتب اليه ايضًا

مولاي اشكو اليك داء اصبح قلبي به جريحًا

سخطك قد زادني سقامًا فابعث لي الرضا مسيحًا

فرضي عنه وادناه

حكاية

الصيني والبيضة والدجاجة

حكاية صينية ذات مغزى



زعموا ان صينيًا من أهل الراي والفهم كان يعنى بتربية الدجاج وكان لديه منها طائفة سمينة تبيض له في كل اسبوع بيضًا غزيرًا • ففي ذات يوم كان يقلب البيض ويعجب به فخطر في باله هذا السؤال : ايهما كان خلقه اولاً البيضة ام الدجاجة ؟ هل خُلقت البيضة اولاً ثم انتجت دجاجة ام خلقت الدجاجة اولاً وأنتجت البيض . وبعبارة اخرى : هل البيضة سبب ام مسبب • فحار في هذه المسألة وانقطع اليها يباحث فيها اصدقاءه وجيرانه ويقرأ الكتب العديدة توصلاً الى حلها . وكان جيرانه وعابرو السبيل يرونه مشتغلاً بها مهتمًا لها ليله ونهاره . ففي ذات يوم مرّ ببابه بعض المتشردين ورأوا اهتمامه وعلموا سببه فتغامزوا وانطلقوا في سبيلهم •

وفي صباح اليوم التالي نهض الصيني الى قفص الدجاج ليرى البيض الجديد • فرأى القفص فارغاً لا بيض ولا دجاج فيه • ذلك لان بعض اللصوص هبطوا الى البيت بينما كان صاحبه الصيني غارقاً في بحور من التأملات والابحاث في أصل البيضة والدجاجة فسرقوا مافي القفص من البيض والدجاج وانطلقوا دون ان ينتبه اليهم

مغزاه — ان من يشغل نفسه بالبحث في اصل الأشياء يفقد تلك الاشياء نفسها •

ولدى العرب مثل مشهور شبيه بهذا المثل • وهو مثل عالم فلكي كان يرصد النجوم في ليلة ظلماء وهو سائر في الطريق فانتهى الى حفرة وسقط فيها فانصدعت قدمه • فمرّ به رجل وقال له : ياهذا قبل ان تعلم مافوقك اعلم ماامامك لئلا تقع في التهلكة •

ولكن لو دري صاحبا هذين المثلين ان جميع الامور العظمى التي وجدت في العالم لم توجد الا بذلك الهوس في سبيل المجهول لقيدا مثليهما بشروط كأن يقولا مثلاً : يحسن بالدنيا ان يكون فيها أمثال ذلك الصيني والعالم الفلكي بازاء من فيها ممن همهم مصروف الى ماامامهم من المعلومات والمحسوسات • اولئك يعملون وآلتهم الفكر وهؤلاء يعملون وآلتهم المادة • ولا تكمل الحياة ويتم فيها فعل الارتقاء الا اذا استوفت الامرين وجمعت بين الطرفين

لكن في بلاد ضعيفة كبلادنا الشرقية نرى ان الاولى تقديم آلة العمل المادي على آلة العمل الفكري اذا تعذر الجمع بينهما معاً • لانه اذا أصاب الآن جميع العقول الثاقبة والقلوب الذكية هوس الفكر وهوى البحث في ماوراء المعلوم وتمكنا منها أدى ذلك الى ضعفها ووهنها لانها لم تقدر بعد على أن تخزن في نفسها أوفي مجموع الامة التي هي منه قوى ادبية أو مادية تحتمل هذا الانقطاع دون ان يصيبها مايقترن به عادةً من دوار وشدة وشذوذ من جهة وما يجرّ عليها ذلك الانقطاع من الذهول عن مصالحها التي فيها قوامها من جهة اخرى . فالواجب الآن ان تقوى وتعمل أولاً • وهذه اولى المراتب ويليها ماعداها •



فصول صغيرة خصوصية

بين الجامعة وقرائها

— يرى القراء اننا تركنا اسم الجامعة في مقدمة هذا الجزء كما كان في نيو يورك اي فوقه النسر الاميركي وشعار اميركا وهو النجوم التي تدل كل واحدة منها على ولاية من ولاياتها . وقد قصدنا بذلك ان نبقي في جسم الجامعة اثراً من اميركا يذكرنا كلما وقع نظرنا عليه تلك الرحلة البعيدة كما بقي في روحها اثر منها

— بقيت وكالة الجامعة في الاسكندرية كما كانت في يد صديقها جناب الاديب الفاضل السيد شمس الدين افندي الصحن التاجر في سوق الميدان بالاسكندرية . وحق عليها ان تهدي الى حضرته والسائر وكلائها شكرها العاطر للخدمة الودية صرفاً التي خدموها بها مدة ثلاث سنوات في اثناء غيابنا

— بعثنا بالجامعة الى مئات من مشتركيها الافاضل في اميركا الشمالية والجنوبية الذين طلبوها قبل سفرنا من نيويورك فضلاً عن الذين لم ينته حسابهم معها لان اشتراكهم لم يكن في بدء سنتها . وربما وقع خطاء ولم نبعث بها الى بعض قرائها واصدقائها الذين يحبون اقتناءها . فنرجو من كل من لا تصله الجامعة ان يذكرنا بخطاءنا وله الفضل

— لم نستطع المجاوبة عن جميع الرسائل التي تفضل بها الاصدقاء والقراء على الجامعة قبل ظهور هذا الجزء لاشتغالنا بأمر التأسيس فنرجو من فضلهم المعذرة مع قبول عاطر شكرنا وامتناننا لودادهم وغيرتهم . والكريم من عذر

— من كان في نفسه شيء واحب السؤال عنه في مايختص باميركا والمهاجرة اليها او في شؤونها العمومية واحوال مدنيتها فالجامعة تجاوبه عنه في صفحاتها بطيب خاطر

— كانت الجامعة تنشر في نيورك فصولاً عنوانها (شيخ كوني آيلند) تنشر فيها اخبار شيخ عربي مصري كان يأوي الى (كوني آيلند) بلدة الملاهي والملاعب قرب نيويورك . وقد لقينا هذا الشيخ في الجزيرة بمصر منذ اسبوع ولذلك سنشرع في الجزء التالي بنشر اخباره الجامعة بين الهزل والجد تحت هذا العنوان (شيخ كوني آيلند بين الاهرام وابي الهول)

— كل صديق للجامعة او محب لها ينشرها بين اثنين من اصدقائه اي يجلب لها

مشتركين اثنين فقط يضاعف فضله عليها · فالمرجو ان تقرأ هذا الجزء ثم تضعه بين يدي اصدقائك لحثهم على اقتنائها لتزداد قوتها في خدمتك وخدمة قرائها

— لما تسلمنا دفاتر مشتركي القطر المصري من جناب وكيل الجامعة العام في الاسكندرية وجدنا ان كثيرين من مشتركيها في القطر لم ينهوا حسابهم مع حضرته بعضهم عن سنة وبعضهم عن سنتين · ونظن ان هذه الاشارة تكفي فينهي حضراتهم حسابها الماضي بان يبعثوا بالبدل الى الادارة في مصر حوالة بوسطة لانه يصعب علينا جداً مزج حساب السنوات الماضية بحساب السنة الجديدة · وفي عزمنا قطع المجلة عن كل مشترك لا ينهي حساب السنة الماضية في مصر والخارج ايضاً

مطبوعات جديدة

(تأريخ الانسان الطبيعي)

ظهرت في الشهر الماضي ثلاثة كتب مفيدة تكلمنا عن احدها وهو (روح الاجتماع) في مقالة مسهبة في هذا الجزء · والكتاب الثاني لحضرة الكاتب الفاضل ولي الدين بك يكن وعنوانه (المعلوم والمجهول) والثالث (تأريخ الانسان الطبيعي) لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي غضبان · وهذا الكتاب المفيد يتناول البحث في تأريخ الانسان في الارض وفروعه وقبائله وكل ما يختص به منذ طفوليته الى شيخوخته · والكتاب يقع في ٤٨٩ صفحة وهو مطبوع طبعاً متقناً ومزين بستة وثلاثين رسماً. واثر التعب في جمع تلك الفوائد وكتابتها ظاهر للقارئ فنثني على حضرة صاحب الكتاب اجمل ثناء ونرجو ان ينتفع القراء بكتابه

وقد اتحف حضرته الجامعة بالرسوم المنشورة في القسم الخامس من الكتاب وهي تمثل تكون الجنين منذ البدء الى ولادته

كما ترى في الصفحة التالية

تكون الجنين ونموه في جوف أُمه



(الجنين في اليوم الخامس)



(في آخر الشهر الاول)



(في منتصف الشهر الثاني)



(في منتصف الشهر الثالث)



(في الشهر الرابع)



(في الشهر الخامس)



(في الشهر السادس)



(في الشهر السابع)



(في الشهر الثامن)



(في الشهر التاسع)



(قبيل ولادته)

﴿ كتاب الدكتور شميل ﴾ اعلن جناب العالم الفاضل الدكتور شبلي شميل عزمه على جمع كتاباته العلمية والاجتماعية في مجلدات وقد شرع حضرته في طبع المجلد الاول منها وعنوانه (فلسفة النشوء والارتقاء) وجعل قيمة الاشتراك فيه جنيهاً واحداً وهو سيظهر في وقت قريب . فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب للاستفادة بعلم بطل من ابطال القلم في الشرق وجد من جدود ادباء هذا الزمن الذين كثيرون منهم استفادوا بعلمهم وهم يفخرون بمعاصرتهم لهم وان لم تتفق آراء بعضهم مع جميع آرائهم .

الصحة والمنزل والعيلة

النساء سياسيات

لماذا نالت النساء حقوقهن السياسية في فنلانده ونروج
ولم تنلنها في انكلترا

تقدمت نروج وفنلانده جميع امم الارض في اعطائهما النساء حق الانتخاب في السياسة . ولذلك سببان . اما السبب في اعطاء المرأة حق الانتخاب في نروج فهو ان شرب الكحول

كالابسنت وغيره تفشى فيها تفشيًا عظيماً فكن في مقدمة مقاومي هذا المسكر الذي كان يؤيده تجاره وصناعه فضلا عن شاربيه • ولما كان يحدث اقتراع في شأن منع الكحول ومراقبتها في بعض المدن كان مقاوموها يلجأون الى ادخال النساء في الاقتراع لمعرفتهم مقاومتهن لها • وقد افلح النروجيون في مقاومة الكحول فاصبح يصيب الواحد منهم ٣ ليترات منها في السنة بعد ان كان يصيبه منها ١٦ ليترا • ولما رأى الجمهور ان الفضل في ذلك للنساء وانهنَّ أحسن التصرف في حق الاقتراع كافأهن على ذلك بمنحهن حق التصويت ايضا في الانتخابات السياسية • واما سبب اعطاء نساء فنلاندة حق الانتخاب السياسي ايضاً فقريب من هذا • فان الحكومة الروسية أرادت ان تغير شرائع فنلاندة التي هي ولاية مستقلة استقلالاً اداريًا وتحلَّ اللغة الروسية محل اللغة الفنلاندية فثارت خواطر الشعب الفنلاندي ولكنهم لم يجترئوا على المقاومة الصريحة خوفًا من الحكومة الروسية فتولى الأمر نساء فنلاندة فنهضن نهضة واحدة يخطبن و يكتبن ضد مشروع الحكومة وانبثثن في المعامل والمتاجر والمزارع الفنلاندية ينشرون روح المقاومة • ثم اشتغلت روسيا بحربها مع اليابان في منشوريا فتركت هذا المشروع بتاتًا • فبعد تركه تذكر الفنلانديون ماظهره نساؤهم من الكفاءة وقوة الحجة ولطف المقاومة مع دقتها فكافأهن على ذلك باعطائهن حق الانتخاب السياسي ومنهن الآن نائبات في مجلس النواب الفنلاندي

ولقائل أن يقول كيف تقدمت في هذا هاتان الامتان أمة كالامة الانكليزية مثلا التي استشهد كثيرات من نسائها في سبيل هذا الحق وملأن انكلترا والعالم صياحًا واحتجاجًا. ولكن لاصرار الحكومة الانكليزية على منع النساء من حق الانتخاب السياسي سببًا وجيهًا جداً غير الاسباب الظاهرة • فان عدد النساء البالغات في انكلترا ٢٠ سنة ثمانية ملايين ونصف مليون وعدد الذكور البالغين ٢٠ سنة سبعة ملايين ونصف مليون • وهم أقل عددا من النساء لان كثيرين من الرجال يخدمون خارج انكلترا في البحرية والسفن التجارية والجيش • فاذا أعطي الانكليزيات حق الانتخاب السياسي كان عدد منتخبيهن فوق عدد منتخبي الرجال اي تكون الاكثرية في ايديهنَّ والحكومة تخشى ان يكون لذلك تأثير على مستقبل انكلترا • على ان بعضهم يقترح لحل هذا الاشكال ان يُجعل للذكور الغائبين عن انكلترا حق التصويت في زمن الانتخاب بواسطة من ينيبونه عنهم وبذلك تبقى الاكثرية للرجال ويزول ذلك الخوف •

احد أولاد الاوباش



﴿ اولاد الاوباش ﴾ المرادهنا بالاوباش من يدعونهم في اوروبا (apaches) وهم الاشقياء الذين اعتادوا السطو على ابناء السبيل وسلبهم . ونساؤهم يفعلن فعلهم فانهن اذا جن الليل خرجن الى الشوارع البعيدة المنقطعة عن الناس وهاجمن النساء المنفردات او الرجال لسلبهم مامعهم . واحياناً يكون معهن اطفالهن ولكن الاطفال لا يمنعون امهاتهن من السطو لان الامهات يلففن الواحد منهم في سلة كما ترى في هذا الرسم وللسلة عروة مستديرة لتعليقها بالشجر او في نافذة في اثناء سطوهن . فيشهد الطفل وهو في سلته معلقاً بين الارض والسماء شناعة فعل امه . ولو فقه وادرك لأبى بعد ذلك الرضاع من ثديها وردَّ عنه قبلاتها

لعبة اميركية — اجمع طرابيش الحاضرين في احدى السهرات وضعها بعضها فوق بعض ثم استرعِ سمع الجميع وقل انك قادر على ان تأخذ قطعة خبز وتأكلها ثم بعد اكلك لها توجد هي نفسها تحت اي طربوش ارادوا من تلك الطرابيش . فيستهزئ الحاضرون بكلامك . اما انت فخذ قطعة الخبز وامضغها وابلعها ثم تناول الطربوش الذي عينوه لك فضعه على راسك . فتكون قطعة الخبز تحته طبعاً — اي في جوفك

الشوكة دليلة على المدنية — قالوا ان شوكة الطعام تدل على مبلغ ارتقاء كل مدنية واستشهدوا على ذلك بما يلي : ان شوكة المتوحشين مؤلفة من عود واحد يتناولون به الطعام . وشوكة شعوب الشمال مؤلفة من سنين وكذلك شوكة الصينيين . والشوكة الانكليزية مؤلفة من ثلاث اسنان . واما الشوكة الفرنسوية فمن اربع — وغني عن البيان ان صاحب هذا الكلام فرنسوي . . .

سؤال - كان على غصن شجرة خمسة طيور فقدم صياد ورماها بالرصاص فقتل منها ثلاثة فكم طائراً بقي . — بقي ثلاثة طيور — وكيف ذلك وهي خمسة — الطيور التي بقيت هي الطيور التي قتلت . واما الطائران الآخران فلم يبقيا بل فرا

الأخبار العلمية

احدى غرائب العلم الجديدة يعرف القارىء اختراع المستر كورن في مونيخ للآلة التي دعوها (تليفوتوغرافي) والمقصود بها نقل الصور والرسوم بالتلغراف من بلدة الى أخرى على مسافة مئات من الكيلومترات. ولكن في الشهر الماضي اعلن المستر رومر من برلين انه اخترع اختراعاً اغرب من هذا وهي آلة دعاها (تليفيزيون) اي الآلة التي ترى وتصور من بعيد. وقد تمكن ان يصور بها الاشخاص والاشياء وهو بعيد عنهم عشرات من الاميال وينقل صورهم بالتلغراف . وهذه الآلة غالية الثمن لانها مؤلفة من عشرة آلاف جزء فلا يقل ثمنها عن ستة ملايين فرنك ويقال انها ستكون تحفة معرض بروكسل العام في العام المقبل

مدينة من ذهب هدمت مصلحة السكة الحديدية في المكسيك عدة منازل في بلدة كاناجواتا لتستخدم ارضها لمنافعها ولكنها لما فحصت الارض وجدت ان كل طن منها يحتوي على مائة غرام من الذهب ولما علم الاهلون بذلك شرعوا يهدمون منازلهم ويحفرون تحتها لاستخراج الذهب فاستخرجوا منها ما قيمته ٢٥٠ الف فرنك في زمن قليل

استخدام حرارة الشمس عادوا الى المسألة القديمة وهي استخدام حرارة الشمس بدل الوقود بغية استعماله بدل الفحم الحجري اذا نفد او لانقاص نفقات الوقود كالفحم والحطب وغيرهما . وكانوا من قبل قد فكروا باستخدام حرارة الشمس بواسطة مرايا بلورية تجمع حرارة الشمس وتجعلها فعالة كما يشعل بعضهم السيكارة ببلورة صغيرة معروفة . ولكنهم عدلوا الآن عن هذه الطريقة لان المرآة التي مساحتها ٣٩٠ متراً لم تعط الا قوة عشرة احصنة فضلاً عن ذهاب هذه القوة اذا هبت ريح شديدة . على ان المستر شومان والمستر وبلسي وكلاهما من اميركا قد اتخذا طريقة أخرى فانهما انشأا احواضاً كالمراجل مغطاة

بالزجاج واطلقا فيها الماء يمتص حرارة الشمس بعد جمعها عليه بطريقة خصوصية . ومساحة حوض المستر شومان الموجود الان في فيلادلفيا (الولايات المتحدة) ١٨ متراً طولاً و٦ امتار عرضاً وقد توصل به الى ابلاغ حرارة الماء الى الدرجة ١٠٠ وادار بخاره آلة عمودية صغيرة . وهو ينوي انشاء حوض طوله ١٢٠ متراً ويقول ان هذا الحوض يعطي قوة الف حصان ولا تكون نفقة الحصان الا ثلاثة سنتيمات بدل ١٠ سنتيمات تنفق على الآلة البخارية النارية ثمناً للفحم او الحطب ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد

※ منع احراق الموتى ※ حكمت في ٣٠ اكتوبر المحكمة العليا في فينا بأن احراق جثث الموتى بدل دفنها أمر غير شرعي فيجب ابطاله في الأرض النمساوية .

※ وحش جديد ※ عثروا في غابات مستعمرة غينيا الجديدة على وحش جديد لا ذكر له في علم الحيوان وهو ضخم الجثة مخطط بالبياض والسواد وله رأس هائل . وقد شاهده أحد العلماء ولم يستطع اصطياده فسافرت من لندن بعثة لتصطاد واحداً من نوعه

※ شركة بيع المواعظ ※ القى قسيسان في بتسبرغ (الولايات المتحدة) خطبتين في يوم أحد فدهش الناس لانهم وجدوا ان نص الخطبتين واحد وقد قال القس دانيال درشستر انه يعرف شركة غرضها تصنيف المواعظ والخطب وارسالها في البريد لمن يريدها في أي موضوع أراده فيمكن للانسان ان يكون خطيباً بليغاً في موضوعه بشيء من المال

※ القطارات والتلغراف اللاسلكي ※ جرب التلغراف اللاسلكي في قطار سار من نوارك (ولاية نيوجرزي) بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة فأمكنه وهو سائر ان يخاطب ادارة شركته في نيويرك ويبلغها أخباره

※ النقش في الرمل ※ كانوا يتمثلون بالنقش في الرمل وفي التراب للدلالة على استحالة هذا النقش او سرعة زواله . ولكن احد شبان الاميركان يجمع الآن الرمال وينقش فيها نقوشاً تستوقف النظر وقد صوّروا نقوشة هذه في جرائد اوروبا

※ غرائب الجراحة ※ فعل الدكتور كاريل الفرنسوي المقيم في اميركا أفعالا جراحية ادهشت زملاءه في اوروبا فمنها انه أخذ كلباً تهشمت احدى قوائمه فقطع الرجل المهشمة ثم قتل كلباً آخر واخذ رجله ووصلها برجل الكلب المجروح فشفي هذا الكلب بعد مرور ٢٢ يوماً على العملية وقام يسعى على رجله المستعارة . وفعل مثل ذلك ايضاً في خواصر الكلاب والهررة اذ استبدل خواصرها بخواصر اخرى . وقد استدعاه بعض زملائه الى

اورو با ليلقي عليهم خطباً في هذا الموضوع وغيره

كلمات لرجال أميركا

☆ بين كرنيجي والامبراطور غليوم ☆ روي انه لما زار المستر كرنيجي الغني الاميركي المشهور الامبراطور غليوم ساله كرنيجي ان يزور الولايات المتحدة فيكون له فيها استقبال عظيم فاجابه الامبراطور انه لا يستطيع ذلك (لانهم يحتاجون اليه على الدوام) يعني حكومته ورجالها • فاجاب اذا اذنت لي قصصت على جلالتك قصة صغيرة فقال قل. فقال كان في اميركا غني كبير أصيب باعتلال فاضطر الى ترك اشغاله والسفر • و بعد ان غاب بضعة اشهر عاد الى بلاده وقال لمدير اشغاله « لله كم سرني ان تركت العمل كل هذه المدة) فاجابه مدير اشغاله « ولله كم سرّنا ذلك ايضاً » يعني كرنيجي ان رجال حكومة الامبراطور يسرّهم ان يكون بعيداً عن سياسة الامة .وكان هذا الكلام بعد حادثة الحديث الذي نشرته الدبلي تلغراف واقام المانيا واقعدها. فقهقه الامبراطور حتى بدت نواجذه لانه فهم الاشارة.

☆ بين مورغن ومستخدميه ☆ في ذات يوم دخل المستر مورغن الغني الاميركي المشهور الى مكتبه صباحاً وفي يده قفص فيه ببغاء محنط . واستمر ثلاثة ايام وهو اذا جاء المكتب في الصباح يجيء وفي يده ذاك القفص . وكان مستخدموه يتغامزون و يتساءلون ماذاك وفي اليوم الثالث ضاق احد المستخدمين ذرعاً فشجع نفسه وجمع قواه وتقدم الى المستر مورغن وساله متردداً ماهذا ايها السر . فرمى مورغن القفص من يده بعيداً وقال له بنزق كنتُ عالماً بانك ستعترضني وتسالني هذا السؤال • فانني راهنت احد اصدقائي على انني افعل في مكتبي ما اشاء وليس بين مائتي مستخدم فيه احد يسالني ماذا افعل الا واحداً وهو انت • فقد ا كسبتني الرهان • ولكني اطلب منك ان لا تتداخل مرة أُخرى في ما لا يعنيك .

وكانّ المستر مورغن يبغي ان يكون مستخدموه اصناماً .ولا نعلم هل هذه الرواية صحيحة ام لا • ولكنها اذا كانت صحيحة فذلك المستخدم جدير بالترقية والمكافأة لا بالزجر والتأنيب لانه كان اجرأ واذكى من جميع رفاقه



احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

ذكرنا في غير هذا الموضع من هذا الجزء اننا سنطبع تتمة رواية (مريم قبل التوبة) على حدة ولذلك لم ننشرها فيه واننا سنشرع في نشر رواية جديدة . وحيث اننا نشتغل الآن بها فقد رأينا ان لا نترك هذا الجزء خلواً من رواية لما نعلمه من ولع بعض القراء بالروايات . ومن حسن الحظ اننا وقعنا قبل سفرنا من فرنسا على روايات للكاتب الروسي المشهور مكسيم غوركي وطالعنا بعضها في الطريق بين جنوى والاسكندرية . فاخترنا منها رواية (ملفا)

﴿ مكسيم غوركي وحياته العجيبة ﴾ اسمه الحقيقي الكسي بشكوف ولد في مدينة نجني نوفوكورود ولا يعلم تاريخ مولده ولا احد يعلمه وانما المظنون انه في سنة ١٨٦٨ وقد مات ابوه وامه وعمره تسع سنوات فاستخدم في محل صانع احذية ثم فرّ منه واستخدم في محل مصور وانتقل منه الى باخرة استخدم فيها لغسل الصحون . ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى كان قد عمل في جميع الحرف الا الكتابة والمطالعة . فاراد الانصباب على الدرس فسافر الى قزان ولكنه اضطر فيها ان يكون خبازاً وحمالاً وماسح احذية ومتشرداً ومتسولاً . واذ لم يقدر على الانقطاع الى الدرس عمد الى الانتحار فانتحر ولكنه نجا ولم يمت فاخذ بعد نجاته يطوف في روسيا مرافقاً للطبقات الدنيا فيها وعائشاً معيشتهم . واستمر على ذلك حتى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي نشر فيها اولى رواياته وعنوانها (الحب القتال) فالتفت الجمهور اليه . وفي العام التالي نشر روايته (في الظلام) فنال بها الشهرة وطيب الاحدوثة بين الادباء . ومنذ ذاك الحين جعل التأليف دأبه فطارت شهرته في الافاق وتُرجمت جميع رواياته الى جميع اللغات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٥ بدأت الثورة الروسية الأخيرة فقبضت عليه الحكومة الروسية بحجة انه يثير بكتاباته ونشراته افكار الشعب فسجنته في سجن القديس بطرس وبولس ولكنها لما رأت قيام العالم المتمدن

قومة واحدة لطلب الافراج عنه واطلاق سراحه تسامحت واطلقت سراحه فكانت اعقل وافضل من حكومة اسبانيا في حادثتها مع فرر

☆ طريقته في رواياته ☆ طريقة غوركي في رواياته وقصصه طريقة تفرد بها . فانه يجعل كلامه قاصراً على الطبقات الدنيا . فابطال جميع رواياته تقريباً انما هم لصوص ومتشردون ومهربو بضائع ومتسولون ونساء ساقطات وحمالون وبحارة وعملة الخ . ولا يخفى انه عاشرهم جميعاً وعاش معيشتهم فهو يصور اخلاقهم وعاداتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالاً جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن العظام . وهو يريد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومة والطبقات العليا على الالتفات اليهم والعناية بشؤونهم .وهو وتولستوي في هذا على اتفاق . ولكنه ونيتشه على طرفي نقيض فيه .

☆ ملفا ☆ وأبطال رواية ملفا التي سنعربها صيادون ومتشردون وفيهم امرأة ساقطة هي اهم شخص في الرواية . وبعد هذا التمهيد نشرع في تلخيص الرواية

الفصل الاول

كان البحر ذلك اليوم يتنفس ويتنهد بينما تضغط عليه نسمات المساء ويداعبه حر الشمس . وكان على شاطئه رجل متمدداً يدعى فاسيلي لكوستر وهو وكيل مصائد تاجر السمك كر يبتشتشيكوف . وكان ينظر وهو متمدد في جهة شبح بعيد بدا في عرض البحر ويبتسم مسرة. ذلك لان القادم(ملفا) وهذا هو الزورق الذي اعتادت ان تزور عليه فاسيلي . وقد خيل اليه انه يسمع قبل وصولها اليه صوتها الرخيم وضحكتها الدرية ويرى عنقها الفتان

ولكن لم يكد يدنو الزورق حتى اجفل فاسيلي واستوى جالساً على الرمل . ذلك لانه ابصر في الزورق رجلاً مع ملفا . فمن عساه ان يكون . أتراه سريكيا ؟ كلا لان سريكيا احذق في فن التجذيف

فلم يستطع فاسيلي صبراً فصاح ـ من هذا

فاجفلت من صوته طيور البحر التي كانت عائمة على سطحه والتفتت كأنها تصغي اليه

فاجاب صوت من الزورق — هذا انا

فقال فاسيلي ومن معك . فكان الجواب من الزورق قهقهة شديدة

فعربد فاسيلي وصاح يا للشيطان ثم بصق من غضبه

وكان الزورق قد ازداد دنواً من الشاطئ فعاد فاسيلي الى سؤاله بنزق ـ من معك

فاجابته ملفا ضاحكة تمهل فستعلم

ثم ان ملفا صاحت برفيقها ان اضرب ضربة من هـذه الجهة • فضرب رفيقها البحر بمجذافه فانحذف الزورق الى الشاطىء ووثب منه شاب مسرعًا الى فاسيلي وقال له — سلام يا ابتاه

فذعر فاسيلي اذ عرف ابنه فقال هذا انت يا ياكو • وقد غصَّ بريقه حين عرفه فتعانق الاب والابن ثلاثًا ولكن الناظر اليهما كان يرى اضطراب الأَب في هذا الملتقى على غيرموعد

ثم قال الأَب • هذا أَنت ؟ ان نفسي كانت تحدثني بقرب مقدمك • قال هذا وهو يداعب لحيته بانامله ويحاول ان يلقي نظره الى ملفا . ولكنه كان يرى ان ابنه ناظر اليه . وكان مسرورًا بان يرى ابنه شابًا قويًا جميلاً ولكن وجود ملفا كان ينغص سروره هذا . فاخذ يلقي على ابنه السؤَال تلو السؤَال عن مزرعته وزوجته والاضطراب بادٍ في وجهه

فقالت ملفا . يظهر ان سرورك بلقى ابنك جعلك في هذا الاضطراب حتى ذهلت ان تدعوه الى الكوخ وتقدم له شيئًا

فنظر فاسيلي الى ملفا فلم يرَ لها في ذلك اليوم ما كان يعهده فيها من الخفة والبشاشة الا انها كانت اجمل واغض منها في سائر الايام . وكانت في هذا الحين تطحن نوى البطيخ باسنانها البيضاء الدقيقة وعيناها الصافيتان الحادتان تتنقلان بين الأُب وابنه

اما ياكو الابن فلم يكن به شيء من الاضطراب بل كان يضحك • فقطع ابوه ضحكه ونظراتها بقوله وقد اتجه نحو الكوخ • انني راجع بعد حين فاجلسا في الظل لاذهب واستقي الماءَ من البئر لطبخ السمك وحسائه

ثم تناول اناءً كان على الارض بجانب كوخه وتوارى به وراءَ شباك الصيد المنشورةهناك

فاتجه ياكو وملفا نحو الكوخ ثم نظرت ملفا الى ياكو بحنو وقالت : قد جئت بك ايها الشاب الى ابيك فاصبحتَ عنده. فنظر ياكو الى ملفا فاتقدت عيناه واانار اتقادها وجهه المزين بلحية كستنائية صغيرة واجاب . نعم صرنا عنده . ما اجمل هذا المكان والبحر المحيط به • فقالت نعم ولكن كيف وجدت اباك هل رأَيت انه قد هرم . قال كلا فانني كنت اتوقع ان أَراه اشـدهرمًا وعجزًا فاذا به قوي كالسنديانة القوية . قالت منذ كم سنة لم تره . قال لما فارقنا وترك القرية كنت في السنة السابعة عشرة

ثم دخلا الكوخ وكانت البسط المبسوطة فيه قذرة فتكاد تنتن منها الاسماك المملحة

الملقاة عليها . وكان هواء الكوخ شديداً على الصدر . فجلس ياكو على جذع شجرة في الكوخ وجلست ملفا على اكياس بازائه وبينهما برميل كان يتخذه فاسيلي كمائدة . واخذا ينظران احدهما الى الآخر وهما ساكتان . ثم قالت ملفا هل تبغي ان تجد عملاً في هذه الجهات وتقيم فيها . قال لا أعلم ولكنني ارغب في ذلك اذا كنتُ أجد عملاً . قالت وفي صوتها لهجة التأكيد ستجد وانا اعدك بذلك

ثم أخذت ملفا تطيل النظر الى ياكو وتتبين ملامح وجهه . فاخذ ياكو يمسح بكم قميصه العرق الذي كان بنضح من وجهه وهو يتساءل مامعنى تلك النظرات السرية التي كانت تلقيها تلك المرأة اليه . وكانّ ملفا أدركت مافي نفسه فاخذت تضحك

ثم قالت لابدّ ان امك عهدت اليك ان تبلغ الى ابيك شيئاً غير السلام والتحية . فعبس ياكو وأجاب . نعم ولكن مامرادك بهذا السؤال . فاجابت لاشيء . واستمرت تضحك . وكان ياكو يتألم من ضحك ملفا كلما ضحكت ويتساءل هل هذا غنج ودلال ام شيء آخر . ثم تذكر مااوصته به امه فصرف وجهه عن تلك المرأة واصبح ينفر منها .

ان امه قالت له قبل رحيله الى ابيه وهي تبكي : قل لابيك اكراماً للمسيح لاتتركني وحدي . لقد مضت خمس سنوات وهو هناك وانا هنا وحدي . فقل له ان الهرم بدأ يدبُّ اليَّ وانني اكاد اصبح عجوزا . قل له اكراماً لله انها على الدوام تعيش وحدها وتشتغل وحدها. ولما زودته امه بهذه الوصية في آخر القرية حين خرجت لوداعه لم يبال كثيراً بهذا الكلام . اما الآن وقد رأى ملفا وهي تضحك وتستمر في الضحك فقد احسّ بحنان شديد وشفقة على امه وكاد يثب على ملفا و يهينها

ولكن هنا دخل فاسيلي وفي احدى يديه سكين وفي الأخرى سمكة كبيرة تختلج وقال هاءنذا ولكن عليَّ ان اوقد النار اولاً ثم اعود اليكما . ثم قال لياكو وهو يخفي اضطرابه قد شببت وصرت جميلاً الآن ياياكو . ثم خرج

اما ملفا فانها استمرت تطيل النظر الى ياكو وياكو يغض طرفه وكانت لاتزال تطحن نوى البطيخ باسنانها الجميلة . فاخذ ياكو يقول في نفسه انهما كليهما اي فاسيلي وملفا يتغذيان جيداً ههنا لان دلائل العافية والصحة على وجهيهما . ولكنه احس بضيق في نفسه من هذا السكوت فنهض وقال انني ذاهب لاجيء بكيسي الذي تركته في الزورق ثم خرج دون ان يلتفت الى ملفا .

وفي هذا الحين عاد فاسيلي وجلس في المكان الذي كان ابنه جالساً فيه ثم الوى نحو

ملفا وقال بلهجة الرجل المستاء : كيف قدمتِ معه الى هنا . وماذا اقول له . وكيف تكونين معي هنا بازائه .

فاجابت ملفا كانها تمزح — لقد جئت كما ترى .

قال ماهذا بجواب فانك تعلمين انني متزوج و زوجتي في المنزل . وهذا ابنها . فلا افهم كيف فعلتِ ذلك .

قالت وماذا تريد ان افهم من كلامك هذا . هل تظن ان وجودي هنا يهمني . انني احب ان تعلم انني لست بحاجة الى احد

ثم انها القت نحوه نظرة غضب وانفة . ونقلت بعد ذلك ملامح وجهها من الغضب الى الانبساط والضحك وقالت : كم جاش الضحك في نفسي حين رأيتك امامه مضطرباً هذا الاضطراب . ولكني من حسن حظك قد ملكت نفسي

فقال ما كان ينقص غير هذا

ثم انه سمع وقع قدمي ابنه قادماً فسكت . فدخل يا كو يتأبط كيس ملابسه ونظر شزراً الى ملفا حين دخوله . فلما جلس قال له ابوه وهو يبتسم تكلفاً . هاقد اتيت اليّ . ولكن ما الذي حملك على المجيء الى هنا

فاجاب يا كو لقد كتبنا اليك فلم تجاوبنا . قال ابوه لم يصلني كتابكم وانني لفي عجب من ذلك . فقال يا كو فانت تجهل اذاً حالتنا . ثم نظر الى ابيه نظرة حذر وشك . فاجاب فاسيلي لاشك في انني اجهلها لانه لم يردني منكم كتاب .

فاخذ ياكو حينئذ يشرح لابيه حالتهم في المزرعة (١) فقال له ان باب الرزق اصبح ضيقاً فيها . فان الفرس مات وما كان لديهم من القمح نفد منذ شهر فبراير وكادت البقرة تموت ايضاً لان علفها قد نفد ايضاً فباعوا ثلاثة خرفان وابتاعوا بثمنها علفاً ثم كتب هو الى ابيه كتاباً يطلعه فيه على رغبته في السفر اليه ليعمل ويكتسب مايسد حاجتهم

---

(١) في الاصل (العزبة) وهذا هو اسم المزرعة في روسيا ومن الغرابة ان يكون هو اسمها ايضاً في مصر



صورة البطاقات (كارت) التي صوّرت في الاستانة بعد اعلان الدستور ترمز الى الحوادث السياسية . وفي وسطها رسم عزت (باشا) العابد (راجع تفسير رسوم البطاقات في الصفحة ٧٨)

الجزء الثاني السنة السابعة



مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

تظهر في القاهرة مرة في الشهر

أنشئت سنة ١٨٩٩

لمنشئها

فرح أنطون

قيمة الاشتراك

ثلاثة ريالات مصرية في القطر المصري

وعشرون فرنكا في الخارج

Al - Jamyat

Revue Scientifique et Littéraire

DIRECTEUR - PROPRIETAIRE

F. ANTONE

Le Caire «Egypte»

جميع المراسلات تكون بهذا العنوان (فرح انطون صاحب مجلة الجامعة بالقاهرة)



الجزء الثاني السنة السابعة

مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٠ — محرم سنة ١٣٢٨

فاتحة احاديث شهرية

في المسائل العثمانية

على ذكر اقامة عزت باشا العابد في مصر ومنع صاحب

جريدة سربستي من نشر جريدته فيها

ليست السياسة من مواضيع المجلات كأخبار . ولكن أي كاتب يرى البناء الذي يُبنى الآن في السلطنة العثمانية ويطاوعه فكره وقلمه على الوقوف بازاء ذلك البناء وقفة المشاهد المتفرج لا وقفة المتعقب المشارك . وعدا ذلك فالسياسة ضربان . الضرب الاول أخبار وحوادث . والضرب الثاني تأملات وافكار لاستخراج النتائج . ويدعى الضرب الاول في اصطلاح السياسيين (السياسة البحتة) ويدعى الضرب الثاني شرح السياسة وفلسفتها . وهذا واجب على المجلات لا جائز لها . فلا جناح علينا اذا فتحنا في كل جزء من الجامعة هذا الباب لهذه الاحاديث الشهرية عن السياسة العثمانية ومسائلها الكبرى

ان البرلمان العثماني يبحث منذ نشأته في الاساس الذي تقوم عليه كل أمة ، وجميع منافع الامم العثمانية ومصالحها الكبرى تعرض عليه منفعة منفعة ومصلحة مصلحة ليرى رأيه فيها . فهو يبحث في الحرية ويحددها ويقيدها .والعمل وينظمه ويضع اللوائح له ، ومسائل الجنسيات التي اشتبكت في الدولةالعثمانيه اشتباك الحابل بالنابل ويسعى لتسكينهاوتهدئتها. وتنازع الوزارة والبرلمان السلطة ، والامتيازات الاجنبية . واصلاح الوزارات وتطهيرها من ادرانها الاولى .وتوسيع سلطة الولايات او توزيع السلطة عليها. وتتألف فيه الاحزاب وتسقط ثم تنهض الخ الخ — وحول هذه الاعمال اليومية التي هي شغل أهل السياسة الشاغل امم من جنسيات مختلفة تتحرك قياماً وقعودا وتشرئب أعناقها الى زيادة من الحرية والعدل وصلاح الحال .وبعضها يسأم ويتعجل فلا يتمهل . وبعضها (يسرحسواً في ارتغاء) والافضل ان لا نفسر هذا المثل . وحول ذلك كله . اي حول البرلمان والحكومة والامم المشتبكةبهما المنتسبة اليهما امم كبرى أجنبية تنظر من بعيدالى غليان تلك المراجل الشرقية الجديدة التي يراد منها ان تطبخ لابناء الشرق طعاماً مدنياً حديثاً ، وهم يراقبون ما عساه ان يخرج منها . والبعض منهم يشارك بشهامة (او لمصلحة) في ايقاد النار تحت تلك المراجل والبعض منهم عمل سرًا او مآلا لاخمادها .

فكيف يسع الكاتب ان يقف ساكتاً بازاء هذه الحركة الهائلة التي لا مثيل لها في تأريخ الشرق وسيكون لها اعظم تأثير على قارة كبرى بل قارات ويشتغل بعد ذلك عنها بغيرها .

وقد اجتنبنا في الجزء السابق الخوض في المسائل العثمانية لانه الجزء الاول الذي تفتتح به الجامعة حياتها في الشرق بعد عودتها من الاقطار الاميركية ، لا سيما وانها قادمة من واقعة سياسية وقعت بشأن جمعية كانت في باريز . والذين كانوا يقرأون جريدة الجامعة وهي في نيويورك ويتذكرون عريضتها الى مجلس المبعوثان التي قدمتها اليه بالنيابة عن نحو ٩٠ مهاجر سوري من أدباء المهاجرين وعليها تواقيعهم بخط ايديهم والجواب الذي ورد عليها بشأن هذه العريضة من جناب العلامة سليمان افندي البستاني الذي كان تقديمها بواسطة حضرته — يعلمون المراد بتلك الاشارة .

ونريد افتتاح الكلام بجريدة (سربستي) التي أبت الحكومة المصرية الاذن لها بالظهور في مصر وذلك لنقول كلمة نبسط فيها رأينا بسطًا تاماً تظهر فيه الفكرة الاصلية التي يجب علينا ان لا ننساها ولذلك جعلناها محور كلامنا . ان جريدة (سربستي) نشأت

بعد اعلان الدستور وقد اتخذها مقاومو جمعية الاتحاد والترقي والحكومة العثمانية التي كانت يومئذ تحت رقابة هذه الجمعية كلسان حال لهم . وكانوا يشبهونها في الاستانة بجريدة (الانترنسيجان) الفرنسوية التي كانت في ايام روشفور تحمل على كل وزارة فرنسوية تقوم حملات بعضها عن صدق وحسن نية و بعضها عن اختلاق وحب نكاية . ولكن الشعب العثماني الحديث العهد في الحرية هو غير الشعب الفرنسوي الاصيل فيها. فبينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ في جريدة الانترنسيجان ما كان يكتبه روشفور من ان المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية ماعفا عن بريو الذي قتل زوجته وأولاده الخمسة واستبدل حكم الاعدام بالسجن والاشغال الشاقة الا لانه اي المسيو لوبه يبغي هدم العيلة في الهيئة الاجتماعية مجاملة للاشتراكيين والفوضويين . وان المسيو فاليير (رئيس الجمهورية الفرنسوية بعده) ما طلب رئاسة الجمهورية الا ليتمكن من ترويج (ماركة) محله الذي يصنع الخمر في مزارعه في لو بيليون و يتجر بها وانه اصبح في كل زيارة رسمية يقول لكل من يحدثه من سفراء ووزراء وموظفين (هل تريد ان ارسل اليك من خمر لوبيليون ماركة فاليير) — بينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ هذا الكلام المختلق دعابةً ومطايبةً و يضحك كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون ما نشرته جريدة سربستي من ان جمعية الاتحاد والترقي جمعية كفرة فران ماسون وانهم يبغون هدم الشرع الاسلامي باللوائح التي يسنونها في مجلس المبعوثان وانهم يمنعون الجند من اداء فريضة الصلاة وانهم ينهبون اموال الحكومة و ينفقونها في ملاذهم ومآدبهم و يتركون الجند بملابس قذرة رثة حفاة جائعين الخ — كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون هذا الكلام واكثرهم يصدقونه ولذلك قاموا تلك القومة على مجلس المبعوثان في فتنة ١٣ ابريل التي انتهت من حسن الحظ بالطريقة التي عرفها القراء

اننا لا نجهل ان المعارضة شرط من شروط جودة السياسة في كل امة . ووجود الاحزاب امر ضروري لانتظام اعمال المجالس النيابية وتمحيصها . ولكننا نعلم ايضاً انه اذا كانت اعصاب شعب كالشعب الفرنسوي تحتمل المعارضة (في الحق وفي الباطل والصدق والكذب) لانه شعب الف الحرية وحكومته قوية والاحزاب التي تستند اليها الحكومة وتعتمد عليها شديدة السواعد نافذة الكلمة لدى جمهور الامة فالشعب العثماني لم يألف الحرية بعد ولم يدرك اسرارها الظاهرة والخفية وحكومته ما زالت ضعيفة لا قوة لها على حفظ ذاتها بذاتها و باحزابها اذا انفصل عنها جمهور عظيم من الشعب واساء الظن بها. وامام هذه الحكومة الطفلة الجديدة قوات قديمة عظيمة قد يكون من مصلحتها الاتحاد عليها . فهناك قدماء كبار

الموظفين الذين حلَّ محلهم في الاحكام بعد الدستور الموظفون الحاليون . وصغار الموظفين والمستخدمين الذين فُصلوا عن وظائفهم وهم أُلوف وعشرات الوف . والذين كانوا يطمعون في ان يشاركوا الغانمين في الغنائم اي وظائف الحكومة لهم او لذوي قرباهم ثم لم يبلغوا مآربهم فكانوا راخين حين كانوا يرجون في الدستور منفعة ثم اصبحوا مستائين . وهناك ايضاً جمهور من الكهول والشيوخ من ساسة الدولة وموظفيها ورجالها ملكيين وعسكريين الذين الفوا الطرق القديمة في الاحكام فيعز عليهم الآن ان يتقمصوا روحاً جديدة ويرون انه قد تقدم عليهم في الدولة شبان هم يعتقدون فيهم العجز عنهم في تدبير الامور فيضاف الى النزاع في شأن طرق الحكم القديمة والحديثة نزاع جديد وهو النزاع الابدي بين الشيوخ والشبان أُولئك يعتمدون على حنكتهم وخبرتهم وهؤُلاء على قوتهم الذاتية ونشاطهم ومعرفتهم حقائق المبادىء الحديثة التي تُنشأُ بها الامم الحديثة ومقتضياتها . وهناك ايضاً كل من كان له جاه ونفوذ في الدولة البائدة وكان يبلغ بجاهه ونفوذه بواسطة (المحسوبية والالتماس) ما شاء البلوغ اليه واصبح الآن لدى القانون هو والصعلوك سواء . وهناك ايضاً جمهور من رجال الدين — ولا نقول كلهم فقد رأينا في المسلمين والمسيحيين رجال دين مخلصين قلباً وقالباً للانقلاب الجديد وهم في الغالب اخلص اهل الدين لرعيتهم والتابعين لهم — هناك جمهور من رجال الدين يضعون العصي بين دواليب مركبة هذا الانقلاب لعرقلتها لاغراض شتى ليس هذا موضع تفصيلها لان تفصيلها يقتضي الاسهاب فضلاً عن كونه مؤلماً اشد ايلام . وهناك ايضاً بعض من رصفائنا الكتاب يرون ان الشعب في كل امة ميال الى الانتقاد والمعارضة محب بغريزته لسياسة الاستئثار والاستفراد فيجارونه ترويجاً للمصلحة وليس اروج للجريدة التركية ان تدافع عن الاتراك واليونانية عن اليونان والبلغارية عن البلغار والسورية عن السوريين والمصرية عن المصريين . ولما كان هذا الاستفراد الجزئي مخالفاً لمصلحة المجموع العمومية فالحكومة المركزية لقيت منه وستلقى ما (يصمّ الصماخ ويُطير الفراخ) . وهناك ايضاً جمهور المعارضين المخلصين الذين يعارضون بعقل وعدل اما لانخداعهم بروايات مشوّهة تتصل بهم واشاعات كاذبة يشيعها من له مصلحة في اشاعتها فيبنون عليها معارضتهم . او لرغبتهم في ان لا يرقد الظافرون على اكاليل ظفرهم كما يقول الافرنج في امثالهم فيخزونهم بابر المعارضة ليستمروا متيقظين منتبهين فلا يعطوا خصومهم حجة عليهم . اضف الى ذلك ما ينفقه المستاؤون من الاموال استكثاراً لحزبهم واستمالة لمن يبغون استمالته . واحتكاك المبادىء والاشخاص حتى في الطبقات العليا من الذين يديرون ازمة السياسة

كل ما ذكرناه من هذه القوات وما لم نذكره اما طلباً للاختصار او اجتناباً لتوسيع الخرق بين ابناء وطن واحد ـ قد يمكن في يوم او ساعة او حادثة من الحوادث كفتنة ١٣ ابريل ان يتفق ويتحد ويتماسك كما جرى في تلك الفتنة ويخرج منه وحش التقهقر الهائل يبغي قلب الحالة الحاضرة واعادة القديم الى قدمه

كلنا ابناء وطن واحد ارتقاؤنا في ارتقائه وسعادتنا في سعادته . ونحن في اختلاف مصالح وآراء كما نحن في اختلاف وجوه وهذه سنة طبيعية لا بدّ منها . ونحن ممن يقولون ان (الحرية للجميع) حتى لاعدائها والذين لا يريدونها . بل نكره ان تلفظ كلمة (اعداء) بين ابناء وطن هم في الحقيقة اخوان وان اختلفوا رأياً ومذهباً . اننا نترك هذه الكلمة للاعداء الحقيقيين بل اذا جاز لنا التوسع فيها وجدنا انه من الواجب حذفها من القاموس البشري ما دام بعضهم يعدّ المجرمين حتى قطاع الطرق واللصوص مرضى تجب مداواتهم لا اعداء للانسانية يجب استئصال شأفتهم . وكلنا يعلم ان لكل عنصر من العناصر العثمانية حقوقاً كما عليه واجبات . ولا نكتم ان العدل لم يستقرّ في نصابه بعد . والحقوق لم تبلغ اصحابها . والاصلاح ما زال طفلاً . والنعيم وصلاح الحال وارتقاء البلاد التي كان العثمانيون يحلمون بها ما زالت بعيدة . ولكن كلنا يعلم ايضاً شيئاً آخر ولم ننسه بعد لانه حديث العهد . وهو نقطة الدائرة في هذا البحث كما اشرنا آنفاً

اننا لا ننسى ما كان فيه العثمانيون مسيحيين ومسلمين من الشقاء والضغط والظلم قبل اعلان الدستور . فتلك حال يذكرها ابناؤنا لابنائهم واحفادهم ويضربون بها الامثال . ومهما اصابنا بعد الدستور فهو هين علينا بالقياس على تلك الحالة . ولذلك علينا قبل كل شيء (حتى قبل المطالبة بالحقوق) ان نضع نصب عيوننا امر بقاء الحالة التي صرنا اليها واجتناب كل ما من شأنه اضعاف الحاضر وارجاعنا القهقرى . فلدينا الآن قبل كل امر وكل حق وكل مطلب مهمة وهي حفظ الدستور وتأييد الرجال الذين اقاموه وبرهنوا تحت ظلال السيوف وبين دوي المدافع وتقويض العروش انهم مخلصون له . انهم قد يخطئون في هذا الامر ويجورون في ذاك ولا يحسنون استعمال ذلك ويقعون ثم ينهضون كفتى يتدرب على ارتقاء الجبال وهبوط الاودية ـ ولا جبال اصعب مرتقى من جبال الحكم ولا اودية اشد خطراً من اودية السياسة ـ ولكن كل معارضاتنا لهم الآن في اثناء اعمالهم السياسية يجب ان لا تجاوز حدّ التنبيه والتحذير بلهجة الصداقة والوداد وان ينبذ منها كل اثر لسوء الظن في صدق نيتهم . فانهم قد يخطئون وما من احد معصوم في الدنيا ولكننا لو كنا مكانهم

لما كنا نفعل احسن مما يفعلون بل ما كنا نقدر على ان نفعل فعلهم · وعلينا ان نجعل هذه الفكرة نصب اعيننا على الدوام وفقاً لما ذكرناه آنفاً وهي : ما دام في الدولة العثمانية خوف من حزب التقهقر — وهذا الخوف موجود حتى الآن بدليل بقاء الديوان الحربي العرفي — فمن واجباتنا جميعاً ان لا نسمع ملاماً في الدستور بين وان لا نعبأ بالذين يقولون لنا انهضوا وطالبوا بحقوقكم ولا تتركوهم يستأثرون ويستبدون بكم · وهبهم يستأثرون ويستبدون كما يقولون وافرض استبداداً هذا التماسك والاتحاد فيما بينهم على سياسة معلومة يريدون صيانة الدولة بها اذ لا تصان بغيرها في هذه الامة التي هي بابل الامم في هذا الطور الاول من اطوار الدستور فهذا الذي يدعونه استبداداً احب الينا الف مرة من ذاك — وانت تعلم مرادنا بقولنا « ذاك » — ان العثمانيين قضوا مئات من السنين وهم يعاملون كما تعامل الانعام السائمة وكانوا ساكتين فلا يليق باحد ممن يريدون الاصلاح باخلاص وصدق ان ينهض حينما يعطى الحرية ويقول « اعطوني كل شيء او أهدم كل شيء لاعود الى القديم » وهذا يقتضي ان يتسامح كل فريق في شيء من حقوقه بضع سنوات لكي ترسخ قدم الدستور وييأس انصار حزب التقهقر من الردة يأساً حقيقياً لرؤيتهم رضى جميع الامة عن الحالة الحاضرة وحينئذ يبقى المجال متسعاً لكل فريق من العناصر العثمانية ان ينهض باسم الدستور وتحت حمايته الى منازعة الحزب الحاكم السيادة والمنافع في الامة . والا فتكون منازعتهم ذلك منذ الآن منازعة تضعفهم وتلقي الشقاق بينهم وتشغلهم عن تأسيس الاصلاح وتطهير الدوائر في العاصمة والولايات مؤدية حتماً الى نصرة حزب التقهقر . ولذلك نرى اعوان هذا الحزب لا يفتأون عن حث العناصر المختلفة على النهوض للمطالبة بحقوقها وامتيازاتها . حتى الاتراك منهم (كصاحب سربستي) اصبحوا اشد غيرة على العرب من العرب انفسهم كما يؤخذ من كلام مولان زاده رفعت صاحب سربستي مع احدى الجرائد الفرنسوية في الاسكندرية . واليوناني تذكر انه صديق قديم للعربي فزحف يجامله ويذكره اختلاط دمهما قديماً في سوريا وما بين النهرين في عهد بزنطيه . والعربي الذي كان موظفاً في الاستانة قبل الدستور ويكره ان ينتسب للعرب ويعاقب بالسجن من يقول انه عربي او سوري اكتشف بغتة في احدى زوايا نفسه عاطفة جديدة وهي التفاني في حب العرب والسوريين . (سلاطة روسية) كما يقول الافرنج في امثالهم

منذ بضع سنوات قوي ساعد الملكيين في فرنسا يساعدهم الاكليروس والجيش وذلك في حادثة دريفوس المشهورة · فاجترأ احد الملكيين على ضرب رئيس الجمهورية المسيو لوبه

فاصاب قبعته وحنق بعض رؤساء الجيش على الجمهورية فاصبحوا يتآمرون عليها ٠ فلما رأى الجمهوريون الخطر على الجمهورية تركوا منازعاتهم ومخاصماتهم واتحدوا يداً واحدة لنصرة الجمهورية ٠ واستوى في هذا الاتحاد الجمهوريون والراديكاليون والراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون الموحدون والاشتراكيون المستقلون حتى الفوضويين انفسهم وبعد ان كانوا جميعاً يتنازعون في مبادئهم ومشاريعهم تنازع الخصوم والاعداء سكتوا بعضهم عن بعض وعقدوا هدنة ووحدوا احزابهم توحيداً وقتياً في حزب دعوه العصابة الجمهورية Bloc. واستمر هذا (البلوك) يعمل باتحاد واتفاق في وزارة والدك روسو ثم اميل كومب بضع سنوات حتى أعادت الحكومة النظام الى الجيش والبلاد وسنت قانون الجمعيات الدينية وزال الخطر عن الجمهورية ٠ فعادت الاحزاب الى منازعاتها

فبازاء حزب التقهقر العثماني يجب ان يكون للدستور بين العثمانيين (بلوك) ايضاً الى ان يزول الخطر عن الدستور العثماني والحرية العثمانية ٠ وهذا (البلوك) هو المهادنة التي اشرنا اليها بين العناصر بضع سنوات

فماذا يريد الآن صاحب جريدة سربستي ان يبلغنا اياه في جريدته التي رام نشرها بيننا؟ ٠ ايريد ان يقول لنا انه غيور على العناصر العثمانية وانه لم ينصفها حزب الاتحاد والترقي ؟ شكراً لغيرته وهذا لا يقتضي اكثر من سطرين وقد نشرهما في جريدة النوفل فكفى ٠ ام يريد ان يثبت (ان حزب الاتحاد والترقي مستبد ظالم وقد جعل الدولة العوبة بين الدول الاجنبية) فهذا قد قاله فيما مضى في الاستانة وما في الاعادة افادة ٠ وليس الوقت الآن وقت هذه الاقوال كلها بل الوقت وقت الافعال اي تنظيم الوزارات والاستغناء عمن يمكن الاستغناء عنهم من الموظفين في العاصمة والولايات اقتصاداً في النفقات وتطهير المحاكم وتنظيم البوليس لتقوية سلطة الحكومة واقرار الامن وانشاء موارد للرزق زراعية وصناعية وتجارية وتسهيل سبل المواصلات وتقوية مالية الدولة وجيشها وبحريتها ٠ واما الجدل فسيجيء وقته بعد زمن ٠ بعد خمس او ست سنوات عد ايها الفاضل واطلب المناظرة والمجادلة ٠ ولكننا مع ذلك نقول له ٠ ان الامة العثمانية لا تهمها صبغة الحزب الحاكم الآن باكثريته في مجلس المبعوثان ولا تنظر الى اسمه ولقبه ٠ ولكنها قبل كل امر تريد حزباً منظماً قادراً اثبت اخلاصه للدستور وقدرته بافعال لا باقوال ويكون صاحب الاكثرية في البرلمان ولرجاله خطة مخطوطة يجرون عليها ٠ وينتصرون فلا ينشقون ولا يتخاذلون ٠ ويسقطون فيستمرون متماسكين كالبنيان المرصوص ٠ والامة ونعني المتأدبين والمتنبهين في الامة يحبونهم

و يؤيدونهم · جيئونا بحزب كهذا الحزب وسموه بالاسم الذي تريدونه واجعلوه يحكم الامة · واذا لم يكن في الامة حزب كهذا الحزب غير حزب الاتحاد والترقي اتحسبون الامة العثمانية ومتأدبيها ومتنبهيها انعاماً لا عقل لها لتلقي زمام الحكومة الى احزاب صغيرة ذات اغراض متضاربة تتنازع بقوىً متكافئة فتشل سياسة الدولة وتحل فيها الفوضى وتمس الحاجة حينئذ الى الاستبداد لاعادة النظام كما وقع في البرلمان الاول

و يظهر ان الحكومة المصرية قد رأت ان ما قاله صاحب سربستي في جريدته في الاستانة قبل فتنة ١٣ ابريل التي برح الاستانة بعدها قد كان كافياً فلم تأذن له بنشر جريدته هنا · ومن حقه ان يشكو من تعرضها لحريته الشخصية وضغطها على حرية المطبوعات الى هذا الحد · ونحن وان كنا على خلاف معه في مبادئه لا نستحسن (منع حرية النشر) ايًّا كان سببه لان الحرية كما يقولون (واحدة لا تتجزأ ولا تنقسم) ولكن لعل الحكومة منعته من نشر جريدته لا رغبة فقط في سدّ باب الشقاق والنزاع في مصر بشأن المسائل العثمانية ولا مجاملة فقط للحكومة العثمانية صاحبة السيادة في مصر بل ايضاً — وربما كان هذا السبب هو الاهم — لان حضرته متهم وفار من المحكمة العرفية العسكرية في الاستانة التي استدعته لمحاكمته ولم يحضر · ولو حضر وحوكم وبرأ ساحته الديوان الحربي لما كنا نظن ان حكومة مصر تمنعه من نشر جريدته في بلادها ما دام بلا (سوابق)

وهل في الامكان ان نتكلم في هذا الفصل عن صاحب جريدة سربستي ولا نشير بكلمة الى ضيف مصر الجديد عزت (باشا) العابد

ان الامر الذي يسر ذكرهُ كل منصف يراقب الحوادث عن بعد ان عزت باشا لم يفعل فعل صاحب سربستي واجتنب محادثة مراسلي الصحف اجتناباً مطلقاً. واذا صحت الاخبار التي نُشرت عنه كان عمله دليلاً جديداً على ما هو مشهور عنه من الدهاء وحسن السياسة · فقد قيل انه حين وصوله الى مصر زار دولة القومسير العثماني وابلغه رغبته في الاقامة في مصر وانه يود (زيارة) الاستانة اذا اذن له بذلك أولياء الامر وانه في مقدمة محترمي الدستور والمعترفين بالحالة الحاضرة · وبعد ان حضر المأدبة التي حضرها ايضاً بضعة من نظار مصر وحصلت بسببها تلك الضجة في مصر والاستانة ذهب ايضاً الى القومسير العثماني وابلغه انه لم يكن عالماً بوجود حضرات النظار فيها ولولا ذلك لما حضرها · فاذا صحت هذه الاخبار فانها تثبت مسالمته لاولياء الامر في الاستانة · وليس لنا ان نقول انه يُظهر امراً و يُبطن امراً فلنا الظواهر والبواطن لله · ولكن الذي لنا ان نقوله هو استغرابنا

ان رجلاً مثله بلغ فيما سبق في الدولة مابلغ واصبح يوماً ما واسطة عقدها حتى ان مراسل جريدة الماتن في الاستانة قال قبل اعلان الدستور بشهر واحد ان الذي يدير ازمة الدولة هو عزت باشا لا السلطان عبد الحميد — كيف يرضى لنفسه مع عزة نفسه ان يقال عنه انه فار من حكومة بلاده وقانون بلاده و يعيش وهذه التهمة لاصقة به . وكيف يلام الديوان الحربي في الاستانة لحجزه املاكه ومحا كمته والحكم عليه ما دام عزت باشا لم يحضر في الاجل الذي ضربه له الديوان . ان القانون في كل امة متمدنة جامد قاس لا يعرف صغيراً او كبيراً ولا بدّ من انفاذه . وقد قيل في الجنرال بولانجه بعد فراره من فرنسا انه لو بقي فيها ولم يفر وحوكم وحكم عليه لكان اعظم قدراً في التأريخ وأجلّ في نظر ابناء وطنه منه وهو في المنفى . وقد مات منفياً مهملاً صغير القدر ولو مات محكوماً عليه في وطنه لاقامت له رجوليته هذه من ابناء وطنه حتى من قضاته انفسهم الذين حكموا عليه رجالاً يرجعون في كثير من آرائهم فيه ويحصل حينئذٍ في الافكار رد فعل بشأنه . ما الحيلة في هذه الحياة المملوءة بالمصالح المتناقضة والآراء المتعارضة وكيف يمكن للبشر ان يعيشوا فيها مطمئنين اذا لم يوجدوا حكماً بينهم يفصل في قضاياهم ويُلزم كل امرئ حده ويعطي كل ذي حق حقه — ونعني بهذا الحكم القضاء والقانون . فما دام عزت باشا لا يذهب الى الاستانة ليلقي قضيته بين ايدي هذا الحكم كما كان غيره فيما سبق يلقي قضاياه بين يديه فان الظنون تبقى حائمة حوله وحزب التقهقر يستمرّ على اعتباره بحق او بغير حق رئيساً له . ولا ننسى ما نشره قبل فتنة ١٣ نيسان باسبوعين مراسل الديلي تلغراف من الاستانة عن وجود حركة في بلاد العرب وسوريا يُقصد بها استقلالها والمناداة (برجل عربي كبير) اميراً لسوريا في دمشق الشام . فتهم كهذه التهمة تستمر مترددة في الجو تروح وتجيء ما دام عزت باشا متوارياً عن قانون بلاده . وكيف يمكن ان يلام الذين يقومون و يقعدون عند كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته وينشرون عنه ما يسوءه وبعضهم في مصر يهدده (بنزول الصاعقة) اذا حرك ساكناً ضد الدستور — كيف يلامون مع معرفتهم ان اوربا والشرق والعالم اجمع يعتقدون بحق او بغير حق ان عزت باشا هو الآن نقطة الدائرة في معارضة الحكومة الدستورية العثمانية ما دام متوارياً عن قانونها . ان جمهور الادباء المتحمس ذلك التحمس هو طليعة جيش الحرية المتطرف وفي زمن الشدة والنكبة انما تكون هذه الطليعة في مقدمة القائمين للدفاع عن حريتهم . والحق يقال ان العثمانيين الذين اكل عليهم الدهر وشرب فيما مضى وذاقوا من طعم الاستبداد ما لم تذقه امة غيرهم قد يتسامحون

ويتساهلون مع ابناء وطنهم في كل امر الاّ امر حفظ الدستور واضعاف مبادىء التقهقر · وان الحملان منهم ليصبحون ذئاباً في سبيل هذا الدفاع · فلا صلة الجنس ولا اللغة ولا النسب ولا الدين تشفع بوجه من الوجوه في امر كهذا الامر · واذا كان عزت باشا سيستمر مغاضباً لاهل الاستانة متوارياً عن قانونها ومقيماً بين ابناء جنسه ولغته فاننا باسف وحسرة نعدّ هذا الامر من سوء حظ ابناء العرب . ذلك لانه يلقي على كثيرين منا الشبهات ؛ وما اجدرنا باجتناب الشبهات في ابتداء تأسيس الحرية والدستور في بلادنا

ان ذهاب عزت باشا الى الاستانة للفصل في قضيته هناك يؤدي اما الى البراءة استناداً الى ان كل مافعله انما فعله بأمر سلطانه السابق كما قال في رسالته من لندن الى مجلس المبعوثان فضلاً عن انه ليس في القوانين العثمانية قانون يثبت مسئولية الموظفين الشخصية اذا كانوا مأمورين من رؤسائهم . واما الى الادانة ويجري العدل في مجراه · ولكن هذا الذهاب يؤدي بالاخص الى ثلاث منافع كبرى عمومية ليست مما يستهان به . الاولى رفع تلك الشبهة عن اصدقائه ومعارفه من بني جنسهِ الذين يعاشرهم و يعاشرونه · وهذه خدمة كبرى يخدم بها اصدقاءه واتباعه في مصر وسوريا الذين أوذي بعضهم لانتمائهم اليه وخصوصاً في دمشق حيث جاوز بعضهم الحد في الغيرة عليه فقالوا اقوالاً وفعلوا أفعالاً يعاقب عليها القانون · والثانية الفتُّ في عضد التقهقر واضعاف مبادئهِ . لان كثيرين من حزب التقهقر حينما يرون ان عزت باشا نفسه الذي كانوا يعلقون عليه وعلى امواله الآمال في خدمة الاغراض الرجعية قد وضع يده في ايدي الدستوريين وازال عنه تهمة مقاومتهم واعترف بفضلهم قولاً وفعلاً (لا قولا فقط كما فعل في كتابه الى جريدة التيمس) فان عزائمهم تضعف ويكون ذلك بدء انحلال عصبيتهم .ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة العمومية للجميع وخصوصاً لهذا الوطن التعيس الذي هو في اشد حاجة الى اتحاد جميع ابنائهِ لضمد جروحه السابقة ورفع شأنهِ · والثالثة القاء درس على الناس كباراً وصغاراً في وجوب احترام الوطنيين قوانين بلادهم ومحا كمها ووضعها فوق كل شيء حتى فوق ذاتية الانسان نفسه · وهذا يُنتظر من رجل كان اكبر موظفي الدولة الماضية · واذا لم يرد هذا الدرس من مثله فممن يرد . لقد كان فيما مضى قابضاً على سياسة السلطنة كسلطان ثان لها ولا يليق بالسلاطين ان يفروا من المحاكم · قد يكون من قدر صاحب جريدة سربستي ان يفعل ذلك ويستمرّ فيه ولكنه ليس من قدر عزت باشا العابد

لقد بلغنا ان عزت باشا قال لبعض الافاضل الذين تقربوا منه اقوالاً تدور على هذا

المحور وهو انه كثيراً مارام مبارحة الاستانة في زمن المظالم السابقة فراراً منها لانه كان في خطر فيها فلم يقدر على الفرار · واستشهد بعض الافاضل على ذلك بعبارة وردت في كتاب كتبه احد الكتاب الافاضل في الشهر الماضي وهي ان عزت باشا قال له في الاستانة منذ بضع سنوات انه لو يستطيع الفرار من الاستانة لفر · والمراد بذلك اثبات ان كل ما كان يجري انما كان جارياً رغم ارادته · ولكن موضع البحث في هذه الاقوال هو في الاستانة نفسها امام اولي الامر لا في مصر ولا في سوريا

لقد كنا غرباء في البلاد الاوربية والاميركية وذقنا مرارة طعم الغربة دون نفي ولا تهمة فكيف بها اذا كانت مقرونة بنفي وتهمة وخاصة اذا كانت التهمة (ضد مصلحة البلاد ودستورها وقانونها) ولذلك نشعر كابناء وطن واحد بآلام العثمانيين المنفيين في غربتهم · ولفيكتور هيغو عبارة مشهورة باللغة الفرنسوية يخاطب بها حكومته وهي هذه (آه من المنفى · افعلوا كل شيء ولكن لا تنفوا) ولكننا نجهر بحرية (وان كان في كلامنا ما يسوء) اننا لا نعلم لماذا يجد الآن كثيرون في نفوسهم من الانعطاف على العثمانيين الذين حوكموا بعد الدستور وسجنوا او نفوا مع ثبوت ادانتهم فوق ما يجدونه من الانعطاف على الاخوان الآخرين الذين لم تثبت ادانتهم الا غيابياً لانهم تواروا عن المحاكم وهم يمرحون الآن في اوربا ومصر ويجرون ذيولهم فخراً بانهم افلتوا من شباك الحكومة الدستورية · قلنا اننا لا نعلم السبب في ذلك ولكنه معلوم

بينما نحن نتنازع ونتخاصم في شؤوننا الداخلية ونُعمل فكرتنا في ان يقهر بعضنا بعضاً شفاءً لحزازات في الصدور نرى سائر الامم يجمعون قواهم و يوجهون نشاط احزابهم ومعارضاتها الى العمل في سبيل رفعة الوطن . فلنرحم ابناءنا ومستقبل بلادنا اذا كنا لا نرحم انفسنا وحاضر وطننا · ولا ننفقنَّ قوانا ونشاطنا في مقاومة بعضنا بعضاً رغبة في المعاندة والانتقام فان الحياة قصيرة ومنازعونا البقاء كثيرون قادرون وليس لدينا فرصة غير هذه الفرصة لننهض ونقوى ونصبح امة متمدنة · فليستصرخ ادباء الامة العثمانية في كل مكان ومتنبهوها واذكياؤها مَن حولهم ممن تحدثهم نفوسهم بالخروج من الصفوف لمقاومة الحكومة الحاضرة سراً او جهراً وعلانية او ضمناً وليقولوا لهم : دعونا من الجدل · ولننصرف الى العمل : ان هذا وقت له ما بعده · والا اصبحنا بين الناس مضرباً للمثل · وضاعت في اصلاح وطننا الحيل

هذا ونسأل الله ان يسدد خطى القابضين على ازمة السياسة في الاستانة الى الخير

ورضى جميع العناصر وانصافها وتنفيذ الدستور تنفيذاً عادلاً لكي لا يبقى مستاء الا كل من لا يرضيه شيء فتضعف شوكة مبادىء التقهقر عاماً فعاماً

وقد نشرنا في صدر المجلة صورة جمعت ١٢ رسماً تمثل حماسة الشعب في الاستانة في بدء الدستور . وهي بطاقات (كارت) رسمت وكانت تباع في الشوارع . وفي بعضها من الغلو والتطرف ما يرافق عادة كل ثورة وحماسة . وصورة عزت باشا في وسطها . وهذا مرموزها (راجع الرسم في صدر الجامعة)

(العدد ١) البطاقة التي عليها عدد ١ فيها رسم الشعب يطارد احد حكامه الفارين من الاستانة بعد الدستور والشعب يصيح وراءه (امسكوا الهارب امسكوا الهارب)

(والعدد ٢) بطاقة عليها رسم الشعب يحاكم احد اولئك الحكام و يقول له (يجب ان تبدأ قبل كل شيء برد ما سلبته)

(والعدد ٣) بطاقة عليها رسم الذين قبض عليهم قبل ان يفرّوا من الاستانة . . .

(والعدد ٤) بطاقة عليها مناظر يلدز وفوقها هذه الكلمات (حرية — نظام — عدالة قانون اساسي)

(والعدد ٥) بطاقة عليها صورة فريق من الشعب والجند في الاستانة سائرون بمظاهرة ومعهم الاعلام

(والعدد ٦) بطاقة عليها رسم اورطة من الجيش العثماني تقوم بمظاهرة في شوارع الاستانة وامامها علم كبير عليه هذه الكلمات (النظام . الطاعة (الاصول) Discipline العدالة — القانون الاساسي)

(والعدد ٧) رسم عزت باشا العابد

(والعدد ٨) بطاقة فيها رسم خريطة الدولة العثمانية وعليها الدستور منتشر على ارجائها

(والعدد ٩) بطاقة عليها رسم احد الموظفين السابقين وقد اراد الفرار من الاستانة فلم يستطع حرصاً على ثروته التي تثقله وكانت سبباً في غرقه — اي القبض عليه

(والعدد ١٠) بطاقة عليها رسم الشعب يأتي الى ماسح الاحذية باحد الحكام السابقين ويقول لهُ (نظف هذا الافندي جيداً فانه كله يحتاج الى تنظيف)

(والعدد ١١) بطاقة عليها صورة جاوز واضعها حدّ اللياقة والادب ولولا انها متصلة بمجموع الرسم لحذفناها

(والعدد ١٢) بطاقة عليها رسم السلطان السابق وتحتها هذه الكلمات (فليحي عبد الحميد خان الثاني) —

مثال المرأة الفاضلة

يوم وليلتان
في ضيافة مس كولد

احدى السيدات الفاضلات وصاحبات الملايين المشهورة
باعمالها الخيرية وطهارة حياتها في نيو يورك

بقلم مدام روزا حداد (المدموازل روزا انطون قبلاً) صاحبة مجلة السيدات (١)

※ سيدات اميركا ※ وما ادراك من سيدات اميركا . فان كان هنالك معنى حرفي لكلمة ينطبق معناها كل الانطباق على لفظها فهي هذه الكلمة (سيدات اميركا) واعني باميركا هنا الولايات المتحدة حيث السيدات فيها سيدات البلاد اسماً وفعلاً . وهنَّ حاكماتها ادبياً ومادياً وسياسياً . يقولون ان اميركا بلاد الغرائب والعجائب وانا اقول ان سيدات اميركا من امهات تلك الغرائب والعجائب وليس ذلك بشكلهنَّ لانهنَّ وان اختلفن لوناً فان شكلهنَّ مألوف ولكن من يدرس اخلاق السيدة الاميركية ويختبر مقدرتها على الادارة والعمل وثبات الجأش ويرى ما لها من النفوذ والسلطة والامر والنهي والحل والعقد يدرك جيداً غرابة المراءة الاميركية وتفردها بمقدرتها وعقلها . وهنَّ شاعرات بتلك السلطة التي بايديهنَّ ويجتهدنَ بصرف تلك القوى الى خير البلاد

(١) ※ الجامعة ※ ان قراء الجامعة وقارئاتها (مجلة السيدات) التي كانت تصدرها في الاسكندرية شقيقة صاحب الجامعة مدام روزا حداد (المداموازل روزا انطون قبلاً) يسرّهم ان يقرأوا شيئاً في الجامعة من قلمها بعد عودتها من نيويورك وقد سألتها الجامعة ان تكتب لها شيئاً فكتبت هذا الفصل رغم المرض الذي طرأ عليها ولم يفارقها بعد وشغلها عن اصدار مجلتها .

شاهدت مرة في نيويورك احدى محررات الجرائد الاميركية تحادث رئيسة احدى الجمعيات الخيرية الاميركية فسألتها رأيها في مسألة كانت تحت البحث وهي ادخال الكتاب المقدس الى مدارس اميركا الامر الممنوع من قبل الحكومة فقالت المحررة للرئيسة هل تظنين انكن تستطعن يوماً ما ادخال هـذا الكتاب الى المدارس فاجابت الرئيسة بقوة ورزانة المرأة الاميركية · ارجوان تتأكدي انه لايوجد في قاموس نساء اميركا كلمة (مستحيل) فاننا حتى الآن لم نقصد امرًا الا توصلنا اليه فبدون شك سندخل مبادىء هذا الكتاب الى كل مدارس اميركا فاجابت المحررة ولكن الامر بيد الحكومة فاجابت وهي تضحك ان حكومتنا حاربت كثيرًا وانتصرت ولكنها لاتحارب نساءها لانها تفتكر كثيرًا قبل ان تحاربهن · فنحن سنجمع تعاليم الكتاب العمومية المتفق عليها عند جميع الطوائف كالمزامير وحكم سليمان وغيرذلك ونسمي هذه المجموعة باسم ادبي آخر وندخله الى كل مدارس اميركا بدون معارضة ويقرأ منه كل صباح فصل ويسمعه الجميع بارتياح وها نحن شارعون بالعمل

سيدات اميركا متسلطات وحاكمات ومقدرتهن الشخصية لابزينتهن وجواهرهن مع انها وفيرة لديهن ولكن لاقيمة لها ولا ثمن بل قيمة المرأة عندهن عملها · وقد اشتهرت سيدات اميركا بولعهن بالاعمال الخيرية والمشاريع العمومية النافعة فلا ترى سيدة الا وتنتمي الى جمعية اما خيرية او علمية او لغوية الخ وكم سيدة من صاحبات الملايين من الجنيهات قد اوقفت حياتها للاعمال الخيرية ولمساعدة المشاريع العمومية ولنفع الجنس البشري · ومن اهم هؤلاء الفاضلة الطائرة الصيت المشهورة بغناها وباعمالها الخيرية مس هلن كولد التي اصبح اسمها في اميركا وخارجها اعرف من ان يعرف ولا يذكر اسمها الا بالاحترام والاكرام. قالت احدى الاميركيات المطالبات بحقوق النساء في خطبة لها تحث بنات جنسها على طلب السلطة (حين يُذكر اسم مس هلن كولد امام اعظم الرجال فانهم يرفعون قبعاتهم احترامًا لها وذلك لما لها من السلطة والنفوذ فلنسع لنيل تلك السلطة التي تجعلنا محترمين امام العالم اجمع) فهذه السيدة قد وقفت حياتها ومالها ووقتها للاعمال الخيرية ولنفع الجنس البشري على اختلاف انواعه داخل بلادها وخارجها ولها لذة خاصة في نفع القطرين المصري والسوري وقد ساحت فيهما منذ عهد غير بعيد وتهب على الدوام الاموال لاجل التعليم فيهما و يلذ لها كثيرًا الحديث عنهما

علمت هذه الفاضلة من احدى صديقاتها الاميركيات الفاضلات اللواتي كان بينهن و بيني معرفة بان في نيو يورك شرقية تربت في مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام وكانت

تصدر مجلة نسائية في مصر قبل رحيلها الى اميركا فتفضلت ورغبت في تشريفي بمعرفتها ٠ فدعتني الى زيارة منزلها ومقابلتها فسررت بهذه الدعوة اذ تمكنني من معرفة تلك الفاضلة ومحادثتها ٠ ومما زاد امتناني ان دعوتها كانت لصرف يومين في قصرها فقبلت الدعوة بسرور لانها فرصة لمشاهدة المعيشة الداخلية لا كبر العائلات الاميركية

﴿ منزل مس كولد في مدينة نيويورك ﴾ مسكن مس كولد في الشارع الخامس وهو أهم شوارع المدينة ويدعونه (شارع الاربعمائة) اشارة الى ان العائلات الاميركية الكبرى الثابتة اميركيتها لا تتجاوز ٤٠٠ ٠ ومنزل مس كولد مفتوح للزوار والضيوف فانه لا يمر يوم الاّ ويكون عندها ضيفان او ثلاثة ٠ وقلما تقيم وحدها دقيقة واحدة . الا ان هؤلاء الضيوف ليسوا ضيوف لهو وتسلية بل هم من كبيرات المعلمات والعالمات والكاتبات وخدمة الدين رجالاً ونساء والطبيبات واصحاب المشاريع العمومية الخ

والداخل الى منزل مس كولد يخال له انه داخل الى فندق من اعظم فنادق العالم فهو مؤلف من عدة طبقات يصعد اليها بالآلة المصعدة (اليفاتر) وفي الطبقة الاولى غرف الاستقبال والمائدة وفي الطبقة الثانية غرف مس كولد الخاصة والطبقة الثالثة والرابعة للضيوف وهلم جرا ٠ يدخل الضيف واول ما يعمله انه يقيد اسمه واسم بلده في دفتر موجود على مائدة في مدخل المنزل ثم يدخل فيجد كل طبقات البيت وغرفه مفروشة فرشاً متشابهاً فيصعب عليه التمييز بين طبقة وطبقة وغرفة واخرى ٠ وكل غرفة من غرف النوم تتصل بها غرفة حمام للاستحمام فيه مغطس وحنفيات ماء سخن وبارد ٠ وكل غرف البيت في كل الطبقات متصل بعضها ببعض باجراس كهربائية وبالتليفون معلقاً عليه كل نمر غرف البيت ومن يسكنها .وهكذا يخاطب الانسان وهو في غرفته من يشاء في اية غرفة كانت .اما اناقة وفخامة فرش البيت فلاداعي لوصفها فان القارىء يمكنه ان يتصور اثاث بيت صاحبة ملايين . فهو فاخر بسيط .

﴿ خدم مس كولد ومعاملتها لهم ﴾ — في منزل مس كولد ١٤ خادمة او اكثر وكاتمة اسرار ومدبرة منزل . اما الضيف عندها فلا يرى الا الذي يفتح له الباب والذي يخدم على المائدة . وهي تعامل الجميع بلطف ورقة معاملة النظير للنظير وتحادث كل واحدة من خادماتها بلغتها واحياناً تصطحب احداهن الى بعض المحلات كالكنائس وقلما يميز الناس مس كولد من بين خادماتها عندمن لا يعرفها شخصياً لبساطة لباسها ٠وتعتني بخدمها عناية خاصة فتعلم الجديدة منهن لغة البلاد وتلك تلقنها درساً على البيانو وما اشبه ٠ فاين هذه المعاملة

من معاملة السيدات اللواتي يترفعن على الخدم و يعتبرنهم من جبلة غير جبلتهن ويعددن الكلام معهم حطة . ولكن هؤلاء السيدات معذورات فانه حين لا يجد الانسان سلطة لنفسه يجتهد في ان ينالها على يد الضعفاء .

وقد حدثت لي حادثة ادهشتني لاول وهلة . وهي انني بعدان صعدت بالآلة المصعدة (الاليفاتر) اردتُ النزول فرأيت في يد الشاب الموكل بادارة هذه الآلة نسخة من الجامعة وهو يقرأ فيها تارة و ينظر اليّ تارة أُخرى . فاستغربت الأمر وسألته هل يحسن العربية ومن اين وصلته تلك الجريدة فاجابني بالعربية انه سوري وهو مشترك فيها وما كنت ادري ذلك . ومس كولد تختار مستخدميها من جميع اجناس البشر . وقد ظهر لي من كلامها ان الذي يمثل الجنس السوري لديها شاب اديب لانها اثنت على امانته ونشاطه اطيب ثناء

﴿ اوصاف مس كولد واخلاقها ﴾ هذه السيدة الفاضلة في نحو الاربعين من عمرها وهي عازبة لم تتزوج وتعيش وحدها مستقلة لا دخل لاهلها في جميع اعمالها الا القليل وهي تخبرهم عنه على سبيل الاطلاع فقط . وهي ربعة القامة صبوحة الوجه لا يراها الانسان الا باسمة يكللها الهدوء والرزانة . وتحت ذلك الهدوء التام يرى نوراً متقداً ينبعث من عينيها كأنها تنظر به الى داخل الناظر اليها . ولا يمكن لمن يرى مس كولد الاَّ ان يشاهد الصلاح والسلام في كل اشارة من اشاراتها وكل سكنة من سكناتها فيقول : اذا كانت الطبيعة البشرية يمكنها ان تصل الى ما وصلت اليه مس كولد فلا شك ان في البشر جزءاً من روح الله . وقد اتخذت هذه السيدة البساطة شعاراً لها حيث لا تلبس الا (فسطانين) اسود ورمادياً . وقلما رآها احد في غير هذين الثوبين مع انها تستطيع ان تبدل عشرة اثواب في اليوم اذا شاءت . وهي لا تهتم بالملاهي كالملاعب والمراقص وما اشبه لا بل هي من اضدادها . ولا تحفل بالاجتماعات والزيارات الا ما كان منها ذا غرض شريف . وهي تساعد كل جمعية او مشروع خيري او مدرسة او كنيسة من اي طائفة كانت ولا يهمها فريق دون آخر . فانها تعتقد ان جميع البشر اخوة على السواء وعلى كل انسان ان يساعد الآخر . و بهذا المبدأ تهب وتعطي ولكنها فيما سوى ذلك تبخل بالدرهم على كل مالا تعود فائدته للعموم . وعندها قائمة هبات عمومية على طول السنة الى جميع البلاد ولم ازل اذكر اسماء تلك البلاد . فمثلا تهب يوم الاثنين لاجل التبشير في الصين ويوم الثلاثاء للتعليم في اليابان ويوم الاربعاء للجمعية الخيرية في ميلان وهلم جرا . وهكذا يكون لكل

عمل خيري ايراد سنوي منها . ولا تبنى مدرسة او كنيسة او ملجاء ما لم يكن اسم مس كولد في قائمة ا كتتابه . وهي تبذل بسخاء وبسرور في ما ينفع وتجد سعادتها في تلك الهبات التي تهبها . وفي ايام الازمة المالية المشهورة بدلا من ان تمنع قسماً من تلك الهبات كما فعل كثيرون غيرها وتعتذر ان الايام ايام ازمة صرفت مدبرة المنزل اقتصادا وقامت هي نفسها مقام مدبرة المنزل فكانت تنهض من النوم في الساعة السابعة صباحًا لتلقي اوامر النهار على الخدم وتبحث هي بنفسها عن كل ما يجري فيما بين الخدم وفي البيت . وهي تنام باكرًا وتنهض باكرًا ولا تضيع دقيقة واحدة بدون عمل ما فهي مقسمة اعمالها وزياراتها تقسيماً اقتصادياً فتراها تعمل بيومها ما يحتاج غيرها لعمله الى يومين او ثلاثة

أذكر انني اول ليلة لي في ضيافتها جاءت بي بنفسها الى غرفتي وسألتني ماذا يلزمني لتفعله قبل ان تنام ثم دلتني على التليفون في الغرفة وقالت نمرة غرفتي سبعة فاذا احتجت الى امرٍ في الليل فكلميني تليفونياً . وودعتني وذهبت . وبعد ان رقد الجميع دق جرس الحريق في المنزل وهذا الجرس لا يدق الا عند اضطرام النار في المنزل . فطبعاً عند سماعي هذا الجرس خطر لي كما خطر لكل الموجودين ان النار تشتعل فلم يتمكن مني هذا الفكر حتى سمعت الباب يقرع فزاد خوفي ظناً ان الخدم اتوا ينبهونني للخروج . فدهشت حين وجدت مس كولد نفسها نهضت من سريرها واتت تطرق عليّ الباب لتخبرني ان الجرس قد دق بالغلط وتقول لي لا تخافي . فكان يمكنها ان تكلم الخادمات تليفونياً ان تقوم احداهن بهذه الخدمة الا انها قالت في نفسها ولا شك بان الوقت الذي اكلم به الخدم ليبلغوا الخبر اليّ يكون قد حصل الخوف عند النائمين . فما اشرف هذه الشهامة والعناية

وقد اتفق في اثناء زيارتي وجود ضيفتين غيري احداهما الدكتورة باتريك وهي دكتورة في الفلسفة ورئيسة مدرسة البنات الاميركية في الاستانة والثانية سيدة من غنيات الاميركيات فكنا نذهب مع مس كولد حيث تذهب وهي تلازمنا كل دقيقة من وقتها وكانت تسأل رئيسة مدرسة البنات في الاستانة كثيرًا عن حالة السيدات التركيات وعن حوادث الدستور الخ فكانت الدكتورة تقص علينا كثيرًا من تلك الاخبار وقد سررت كثيرًا حين تكلمت عن السيدات التركيات وعن تقدمهن ومعارفهن وقالت الدكتورة ان السيدة التركية بالرغم من تحجبها نراها متمتعة بامور تحسدها عليها اخواتها الاميركيات (١)

(١) ربما قصدت بهذا القول عدم تعب الشرقيات في تحصيل رزقهن والحصول على جميع لوازمهن بسهولة (حاشية للكاتبة)

فكانت مس كولد تسمع كلامها بلذة وقالت يسرني جدا ان اسمع هذا الكلام عن اخواتنا في الشرق ويجب ان نسعى لمساعدتهن بكل ما نقدر عليه

وفي المساء تعشى معنا احد كبار موظفي الحكومة ومدامته فكانت مس كولد تبحث مع ذلك الموظف في امور سياسية . الى ان توصلت للمسجونين فسألته عن احوالهم ولماذا لا تهتم الحكومة بترقية نفوسهم بتحويل السجون الى قاعات خطب وتعليم فان هذا افضل بكثير من الاشغال الشاقة وما اشبه واتصل بهم الكلام حتى وصلوا الى النساء وحق التصويت فقالت مس كولد ما رأيك في حركة النساء والتصويت هل انت راض عنها . فاجاب نعم وانني اشجعهن على هذا فانني حين ارى ان لذلك المجرم وذلك السكير صوتاً في الانتخابات فلا أعلم لماذا لا يكون صوت لسيدة مثل مس كولد ومثل الحاضرات بل عشر اصوات . فان هذا ليس بحق ولا بعدل . ولذلك انني اوافق كل الموافقة على دعوتهن هذه ولا ريب انهن سينلن امنيتهن يوماً من الايام . فقالت مس كولد الا انهن يجهدن ويصرفن في حربهن هذه اكثر مما سينلنه فانني لا ارى ذلك امراً يستحق ان يحارب لاجله فانني اكره كل حرب . وفي الوقت نفسه ارى حرباً دائمة في داخلي .

فقالت زوجة ذلك الموظف لقد ذكرتني بابنتي الصغيرة فانها حين اتت لتنام وتصلي صلاتها خطر لها ان تسأل ما معنى (نجنا من الشرير) الموجودة في الصلاة الربانية . ومن هو الشرير . ففسرت لها ان الشرير هو الذي يحارب نفسنا فقالت كلمة يحارب فهمتها ولكن ما هي (نفسنا) واين هي . فقلت في نفسي ما أصعب هذا السؤال . فضحكت مس كولد وقالت وبماذا جاوبت استاذتك الصغيرة . اجابت قلت لها ان النفس هي القسم الذي لا نراه منا

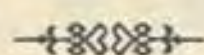
بتُّ الليلة الاولى في قصر مس كولد وهي ليلة سبت . وفي صباح الأحد أمرتْ باعداد اوتومبيلها وسألتني مرافقتها الى الصلاة في الكنيسة . وقالت لي متفضلة اننا سنذهب الى الكنيسة السورية اكراماً لك . فقلتُ لها انني اعرف الكنيسة السورية وقد ذهبتُ اليها مراراً . فقالت نذهب اذاً الى كنيسة لم تزوريها بعد . ذلك لان مس كولد تذهب في كل يوم احد الى احدى الكنائس مناوبةً . وقد ذهبنا في صباح ذلك اليوم الى الكنيسة الارمنية وبعد الظهر الى الكنيسة الايطالية واخذتْ مس كولد معها باقة زهر فاخرة هدية الى عمدة الكنيستين . وجميع كنائس نيويورك تعرفها . واليوم الذي تصلي فيه في احداها يكون يوم عيد فيها

وفي صباح يوم الاثنين بعد مائدة الصباح استأذنتُ في الانصراف ولما ودعت حضرتها قلت لها . انني لاأنسى مدة حياتي كلها الوقت الذي صرفته تحت سقف منزل السيدة التي هي افضل مثال للسيدة الغنية الفاضلة فضلاً حقيقياً . وحقاً ان من يريد ان يعلم كيف تكون المرأة اذا جمعت بين الثروة والعقل والفضل وكمال التهذيب والصلاح فليدرس حياة مس هلن كولد ومعيشتها واعمالها

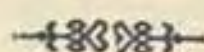
ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

جعل الله حياة هذه المرأة الفاضلة التي نشرت خبرها في هذه الصفحات قدوة لنساء اغنيائنا وكبارنا

اثبات درون
الارستوقراتيه والرق في الحيوان
كما هما في الانسان



وتقريره ان الغريزة ليست واحدة في الحيوان وانها مقرونة بشيء من الادارك والمعرفة * فهي بالتالي غيرما يصفها به القائلون من ان الخالق غرسها فيه * ويجوز ان يقال ان للحيوان عقلاً خاصاً به



بقلم نقولا افندي حداد

في هذه المقالة نلخص بتصرف ما كتبه العلاَّمة دارون عن الغريزة في كتابه اصل الانواع بياناً لمذهب الذاهبين أن العقل شائع في الحيوانات ولكنه يتفاوت فيها رقياً كتفاوتها بنيةً جسمانية . ومنه تستفاد اسباب الرقي التي قضت بها عوامل الطبيعة المختلفة

﴿ الغريزة والعادة ﴾ قال دارون : لا يخفى معنى القول ان الغريزة ترشد طير الكوكو الى المهاجرة والى وضع اناثه بيوضها في عشوش سواها من الطيور لان الطقس

يضطرها الى المهاجرة قبل ان يتسنى لها الوقت الكافي لاحتضان بيوضها . فعمل كهذا نحتاج نحن الى اختبار ومزاولة لكي نعمله . واما الحيوانات ولا سيما (اصغرها فتعمله بلا سابق مزاولة ولا اختبار وكل افرادها تعمله على اسلوب واحد من غير ان تعلم لأي غرض تعمله ولذلك يقال لعملها هذا انه غريزي

ولكني مع ذلك اقدر ان اورد شواهد على ان الصفات الغريزية ليست عامة اي متماثلة في كل انواع الجنس بل يوجد بينها بعض الاختلاف يدل على اهبة تنوعها ولهذا اعتقد كما قال بيار هوبر ان أثرًا من قوة الحكم والمعرفة يصاحب الغريزة في عملها حتى في احقر درجات الحيوانات

وقد فسر فردريك كوفيه وكثيرون غيره من علماء العقليات الغريزة بالعادة . وهذا التفسير يستلزم تصور وجود اثر عقلي في العجماوات يرشدها الى عمل اعمالها الغريزية ولكنه لا يدل على اصلية ذلك الاثر . ان كثيرًا من افعال العادة نفعله بلا انتباه خلافًا لمقتضى ارادتنا ومع ذلك تعدله الارادة والتعقل

العادات مرافق بعضها لبعض ولا سيما في احيان معينة وفي حالات الجسم الخصوصية ومتى حدثت العادة مرة بقيت كل العمر . وعندنا شواهد عديدة على التشابه بين العادة والغريزة . فالافعـال الغريزية تتوالى كما تتوالى مقاطع الاغنية في صوت المغني . فاذا قوطع المغني في اغنيته اضطر ان يعيدها من اولهـا لكي يستعيد محفوظها العادي في ذاكرته

وقد اورد هوبر شاهدًا اكيدًا على هذه الحقيقة اذ لاحظ امر غريبًا في الدور الذي ينسج نسجًا كثيفًا مثل دود الربيع مثلاً ودود الحرير ورأى انه اذا اخذنا الدودة التي انجزت الدور السادس من نسيجها الى نسيج آخر لم ينسج منه سوى الادوار الثلاثة الاولى تجعل هذه الدورة تستتمه اي تنسج الادوار الثلاثة الباقية . ولكن اذا اخذنا الدودة التي انجزت الدرجة الثالثة من نسيجها الى نسيج آخر تام اي في الدور السادس بحيث انه لم يبق لها عمل لتعمله فيه فلا ترتاح فيه بل تشعر انها مرتبكة كأن عليها واجبًا يجب ان تتمه وهكذا تستأنف نسجها من الدرجة الثالثة فما فوق كانها تنهي نسيجها الاصلي

اذا سلمنا ان العادة تصبح وراثة على ممر الاجيال فمتى صارت كذلك تصبح المشابهة بين ما كان في الاصل عادةً وبين الغريزة شديدة الى حد ان يستحيل تمييزها فلو امكن موزار الموسيقي المشهور — الذي استطاع ان يتعلم لعب البيانو في الثالثة من عمره بمزاولة

قليلة — ان يلعب لاول مرة لحناً بلا مزاولة ولا تمرين البتة لامكن ان يقال انه لعب ذلك اللحن بالغريزة

ولكن من الخطاء العظيم ان نعتقد ان معظم الغرائز نتيجة العادة في جيل واحد وثم انتقلت هذه العادة بالوارثة من جيل الى آخر كما نشأت اي بلا تعديل ولا تنويع . وفي الامكان ان نبين ان معظم الغرائز العجيبة التي نعرفها مثل غرائز النحل في بنيان اقراص الشهد وغرائز النمل لا يمكن ان تكون قد نشأت في الاصل كما نراها الآن اي من مجرد تكرار العادة في عهد قصير بل تقلبت في ادوار مختلفة وترقت حتى بلغت الى هذا الدور العجيب الذي نراه

ولا يصعب التسليم بان للغرائز اهمية كاهمية تركب الاعضاء لاجل حفظ حياة كل نوع من انواع العجماوات في احوال حياته . وفي احوال الحياة المتغيره يكون تعديل الغريزة او تكييفها ولو قليلاً نافعاً للنوع . وكما ان التركيب العضوي يتكيف بتكيف الاستعمال والعادة ويزداد تكيفه بفعلها ويقل بقلة الاستعمال هكذا الغريزة تتكيف وتتغير ايضاً

ولا يخفى ان غريزية كل نوع من الحيوانات مفيدة له ولم تنشأ فيه الا لانها نافعة له لان الحيوان لا يعمل عملاً الا اقتضته حاجته الطبيعية ٠ ومتى عمله تعوده والعادة تصبح غريزة والعمل الذي لا فائدة منه للنوع لا يعمله ٠ واذا كان قد تعوّد ان يعمله ثم بطل أن ينفعه لعارض طبيعي او لتغير البئة يبطل ان يعمله ٠ ومع ذلك عندنا شاهد عظيم على ان بعض انواع الحيوان تعمل بالغريزة اعمالاً تفيد انواعاً اخرى على غير قصد منها

﴿النمل يحلب البرغش﴾ فمن ذلك ان نوعاً من الهوام — يدعى Aphides (افيدس) كالنمل والبراغيث والبعوض ولا سيما البعوض الذي يعيش على بعض الاشجار والنباتات — يفرز عصيراً حلوًا للنمل . وقد اختبر دارون ذلك بنفسه وهذه رواية اختباره بنصها : —

قال : ابعدت النمل من بين جماعات نحو ١٢ نوعاً من تلك الهوام المذكورة آنفاً اذ كانت ترعى في احدى النباتات . وراقبت هذه الهوام جيداً بضع ساعات فلاحظت انها تريد ان تفرز عصيرها ولكنها لا تستطيع ٠ وقد دققت النظر فيها جيداً بواسطة عدسية مكبرة فلم اجد ولا واحدة منها تفرز شيئاً ٠ فتناولت شعرة وجعلت ادغدغها بها كما كنت ارى النمل يدغدغها بخرطومه فلم تفرز شيئاً ٠ واخيراً وضعت النملة بين تلك الهوام فوجدتها تمرح بينها كانها وجدت كنزاً واخذت تداعبها بخرطومها وتدغدغ به بطونها متنقلة من الواحدة الى الاخرى فكانت كل منها عند شعورها بالدغدغة تفرز قطرة صغيرة جداً من

السائل الحلو فتعود النملة تمتصه • وكانت حتى اطفال هذه الهوام تفعل فعل امهاتها الامر الذي يدل على ان ذلك غريزة فيها لا نتيجة مزاولة

فلا يخفى ان تلك الهوام لم تفرز ذلك السائل حباً بسواد عيني النملة بل لكي تتخلص منه على الارجح لانه سائل لزج لا ينفصل منها ولو افرز الاَّ اذا امتصته النملة .فعوَّدتها النملة ان تمتصه منها وان تدغدغها لكي تفرزه وصارت هذه العادة غريزة في النوعين

ومع انه ما من نوع من الحيوانات يفعل فعلاً لاجل منفعة نوع آخر نرى ان كلا من الحيوانات يجتهد في انه ينتفع بغريزة نوع آخر كما ينتفع كل نوع بضعف نوع آخر اضعف منه جسماً

﴿ طائر يحضن بيوض طائر آخر ﴾ ومن الشواهد على الحقائق السابقة ان انثى طائر الكوكو الاروبية تبيض في عش غيرها من الطيور ومتى انتهى بيضها تهاجر . وسبب ذلك انها تبيض كل ثلاثة او اربعة ايام بيضة •فاذا رامت ان تبني عشها لنفسها وتحضن بيوضها فالبيوض التي تبيضها اولاً اما تبقى مدة بلا حضانة او يجتمع في العش الواحد بيض وفراخ من اعمار مختلفة معاً . ولذلك تكون الحضانة متعذرة على انثى الكوكو ولا سيما لانها مضطرة ان تهاجر في اول الفصل .ويرجح ان الذكور تقوت الفراخ المنقوفة اولاً

اما الكوكو الاميركية فتبنى عشها لنفسها وتبيض بيوضها فيه فتنقف متتابعة بحسب اعمارها حتي انه يوجد في العش الواحد فراخ و بيض معاً

وكثير من انواع النمل كالزراقط مثلاً تبيض بيضها في قفران النمل الاخرى لكي تنقف فيها وتتغذى من عسلها ذلك لانه على قلة الاستعمال لم يبق لها العضوا اللازم لجمع النمل وادخاره لاطفالها

واسراب النعام الاميركي تتفق على عش واحد وتبيض بيوضها فيه كلها مرة وتتركها لاحد الذكور فيحضنها ثم تبيض كلها في المرة الثانية معاً في عش آخر وتتركه على نحو ما تقدم وسبب ذلك ان النعامة تبيض كل يومين او ثلاثة بيضة فلا تجمع بيوضها في وقت قصير لتحضنها

﴿ النمل سادة وعبيد ﴾ واعجب مما تقدم من الشواهد على ان غرائز بعض انواع الحيوانات تفيد انواعاً اخرى على غير قصد منها حتى انه ليتراءى لنا ان الانواع المنتفعة تستخدم غريزة سواها كانثى طائر الكوكو التي تبيض في عش غيرها — اعجب من ذلك غريزة النمل الذي يستعبده غيره

اكتشف هذا النوع من النمل العلامة بيار هوبر فالنوع المستعبد (بكسر الباء) يسمى فورميكا روفيسنس Formica rufescens والنوع المستعبد (بفتح الباء) اي الرقيق او الخادم يسمى فورمكافسكا(Formica fusca)

فالنوع الاول المستعبد يتكل الاتكال المطلق على عبيده ولولاهم لانقرض . فذكوره واناثه المنتجة لا تشتغل مطلقاً حتى انها لا تستطيع بناء او كارها ولا اطعام صغارها . واما الاناث العقيمة فمع انها قوية لا شغل لها الا اسر الارقاء ولها جسارة غريبة في ذلك

وحينما يصبح وكر هذه الطائفة من النمل غير صالح للسكنى وتضطر لمهاجرته الى سواه تقرر المهاجرة النملات الرقيقات الخادمات وفي الحال تحمل كل نملة رقيقة واحدة من سيداتها او سادتها بين فكيها وتسير بها الى الوكر الجديد

وقد امتحن هوبر النملات المتسيدة فوضع نحو ٣٠ منها وحدها مع اطفالها ووضع معها الطعام اللازم لها فلم تستطع ان تقوت نفسها ومعظمها مات جوعاً . وبعد حين اضاف لها نملة من خادماتها فجعلت هذه في الحال تقوت سيداتها التي لم يزل لها رمق

وهناك نوع آخر من انواع النمل الذي يستعبد غيره يسمى فورميكاسنغوينا(Formica sanguina)اكتشفه هيوبر ايضاًوهو يوجد في جنوبي انكلترا وقد اختبره العلامة داروين بنفسه وهامفاد اختباره قال : —

فتحت ١٤ وكراً من اوكار هذا النوع ووجدت فيها ارقاء قليلين . وقد وجدت الذكور والاناث المنتجة (التي تلد) من الارقاء التي تدعى فورمكافوسكا في اوكارها الخاصة ومع جماعاتها ولم اجد واحدة منها في وكر من اوكار النوع الآخر المستعبد المسمى فورميكا سنغوينا

اما النملات الرقيقات فسوداء وساداتها حمراء . وحجم هذه ضعفا حجم تلك . وحين يحدث حادث مزعج يتهدد الوكر بالخراب تخرج النملات الرقيقات مع ساداتها قلقة وتجتهد ان تحمي الوكر معها . وحينما يحدث ما يزعزع الوكر وتصبح الاطفال والبيوض عرضة للخطر تشتغل النملات الرقيقات مع سادتها في نقلها الى مكان امين . ولهذا تشعر النملات الرقيقات وهي مع سادتها كانها في منزلها ومع اهلها

راقبت على ٣ سنين في شهري حزيران وتموز عدة اوكار في « سوري » و « سكس » (انكلترا) فلم اجد نملة رقيقة تدخل وكراً او تخرج منه . ولما كانت الرقيقات في هذين الشهرين قليلة جداً كنت اظنها تتصرف تصرفاً يختلف عن تصرفها حين تكون كثيرة .

ولكن المستر سمث الذي اختبرها جيداً قال لي انه راقب الاوكار في « سوري » « وهمشير » مدة مايو و يونيو واوغسطس فلم يرَ نملة من الرقيقات مع انها تدخل الاوكار وتخرج منها في اوغسطس بكثرة ولهذا لاحظ انها رقيقات ولكنها اليفة كاهل المنزل . اما السادة فكانت ترى قادمة الى الوكر بالمواد اللازمة للبناء و بمواد الطعام من كل نوع

وفي شهر تموز من سنة اخرى عثرت على جماعة نمل ومعها جمهور كبير من الخادمات الرقيقات ورأيت بعض هذه مختلطة مع سيداتها وهي خارجة من الوكر ومشت جميعاً في طريق واحد الى احدى الاشجار على بعد ٢٥ يرداً وصعدت الى حيث كانت تبحث عن بعض الهوام من نوع الافيدس(Aphides)

وقد رأى هوبر في اثناء ملاحظاته في سويسرا ان الرقيقات تشتغل مع سيداتها في بناء الاوكار وهي وحدها تفتح ابوابها وتقفلها صباحاً ومساء . ولكن وظيفتها الاساسية البحث عن الهوام التي من نوع الافيدس . وهذا الفرق في عادات السادة والرقيقات بين نمل انكلترا ونمل سويسرا مسبب في الارجح عن ان الرقيقات تستعبد في سويسرا اكثر منها في انكلترا

لاحظت ذات يوم مهاجرة نوع النمل المسمي فورمكا سنغوينا من وكر الى آخر . وكان اجمل ما رأيته ان النملات السيدات كانت تحمل رقيقاتها بين افكاكها خلافاً للنمل المسمي فورميكا روفسنس الذي تحمله رقيقاته

﴿ حرب النمل ﴾ وفي حين آخر استلفت نظري نحو عشرين نملة من النمل الذي يستعبد سواه تحوم حول الوكر نفسه ولاحظت انها لا تبحث عن طعام . فلما اقتربت من ذلك الوكر خرجت عليها جماعة من النمل الرقيق (فورمكا فسكا) التي لم تزل حرة ودحرتها . وكانت بعض الاحيان ثلاث نملات من الرقيقات تتعلق بافخاذ اعدائها (المسماة فورمكا سنغوينا) وكانت هذه النملات الغازية تقتل بعض خصياتها النملات الصغيرة التي لم تزل حرّة وتنقلها الى وكرها على بعد ٢٩ يرداً وتدخرها هناك كطعام ولكن استحال عليها ان تنهب طفلات خصياتها لكي تربيها وتستعبدها

عند ذلك بحثت عن كتلة من تراب الوكر تحتوي على صغار النمل الرقيق (فورمكا فسكا) ووضعتها في مكان مكشوف قرب وكر النمل الغازي فقبض عليها هؤلاء الغزاة الذين حسبوا انهم ظفروا بغنيمة . وفي الوقت نفسه وضعت كتلة من وكر تحتوي على صغار نمل آخر يدعى فورمكا فلافا(Formica flava)ومعها بعض نملات صفراء لم تزل

مستمسكة بالكتلة . وهذا النوع يؤسر احيانًا ولو نادرًا كما قال المستر سمث . ومع ان هذا النوع صغير فانه شجاع . وقد رأيته يهاجم نوعًا آخر من النمل بشدة

ودهشني شاهد غريب وهو ان جماعة حرّة من النمل فورمكا فلافا القابل للعبودية كانت تحت حجر فوقه وكر للنمل المستعبد فورمكا سنغوينا . وحينما قلقلت الوكرين رأيت تلك النملات الصغيرات تهاجم جاراتها هذه الكبيرات بشجاعة عجيبة . وعند ذلك رغبت في ان اتحقق ما اذا كان النمل المستعبد فورمكا سنغوينا يميز اطفال النمل فورمكا فسكا (التي اعتاد ان يستعبدها) من اطفال النمل فورمكا فلافا الذي يندر ان يأسره فرأيت انه كان يميزها في الحال لاننا رأيناه يقبض على اطفال فورمكا فسكا بحماسة حتى اذا مرّ باطفال النمل الاصفر فورمكا فلافا او على تراب وكره يضطرب ويهرب مسرعًا كأنه هارب من وجه عزرائيل . ولكن بعد ربع ساعة هرول النمل الاصفر فورمكا فلافا حاملاً اطفاله ومضى مغادرًا وكره الذي تهدم

وفي احد الامساء زرت جماعة من نمل فورمكا سنغوينا فوجدت جماعة منها رجعت الى وكرها وحاملة موتى النمل الرقيق (فورمكا فسكا) وعددًا من الاطفال الامر الذي دلّ على انها لم تكن مهاجرة . وقد تأثرت طريقًا طويلاً تسير عليه النمل وكل نملة تحمل غنيمة مسافة ٤٠ يردًا الى شجرة غضة حتى رأيت آخر واحدة منها تدخل حاملة طفلتها ولكنني لم استطع ان ارى الوكر المهجور تحت الشجيرة الاخرى الغضة . على انه لابد ان ذاك الوكر كان يتهدم لاني رأيت ٣ نملات من فورمكا فسكا مندفعة بطفلات بين افكاكها وهي مضطربة الى ان وصلت الى رأس غصن حيث استقرت كانها تعبة تستريح ويائسة من منزلها المتهدم

☙ الفرق بين النوعين ❧ هذه بعض طبائع النمل الدالة على غرائب الغريزة . ومما تقدم يرى القارىء الفرق بين نوعي النمل المستعبدين اي بين فورمكا سنغوينا الذي يعيش في انكلترا وفورمكا روفسنس الذي يعيش في اوروبا كلها . فهذا الاخير لا يبني وكره ولا يقرر مهاجرته ولا يجمع طعامه لنفسه ولا لصغاره ولا يقدر ان يطعم نفسه بل يتكل في كل ذلك مطلق الاتكال على عبيده العديدين

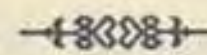
اما فورميكا سنغوينا فله عبيد اقل وفي اول الصيف يكون عبيده اقل جدًا والسادة انفسها تقرر المهاجرة وتعين زمانها ومكانها وتحمل صغارها . وفي كلتا انكلترا وسويسرا لاتهتم عبيد هذا النوع الا بامر اطفال سيداته والسادة تذهب في طلب العبيد واستعبادها

وفي سويسرا السادة والعبيد يشتغلون معاً في صنع مواد الاوكار ونقلها · وكلا الفريقين ولاسيما العبيد يلازمون الافيدس ويحلبون عصيرها وكلاهما يجمعان طعاماً للقبيلة

في انكلترا السادة وحدهم يتركون الوكر لكي يجمعوا المواد والطعام لهم ولعبيدهم وصغارهم · وبالاختصار ينال السادة في انكلترا خدمة من عبيدهم اقل مما ينالها السادة في سويسرا

﴿تعليل غريزة الاستعباد﴾ ولما رام داروں ان يعلل نشوء غريزة النمل هذه قال لا ادعي اني استطيع تبيان الخطوات التي خطتها غريزة فورمكا سنغوينا · ولكنني اقول لما كان النمل (غير المستعبد غيره) يحمل اطفال انواع اخرى غيره اذا وجدت حول وكره لكي يخزنها كطعام له' فيحتمل ان هذه الاطفال تنمو وتقوى وهكذا تتعود هذه النملات الغريبة التي تربت في وكر ناهبيها (على غير قصد) العمل الذي ترشدها اليه الغريزة اي انها تجمع الطعام فتنتفع به سيداتها · فاذا دل وجودها في الوكر على انها ذات فائدة للنوع الذي انتهبها وربيت عنده — اي اذا كان اسر النمل العامل افضل للنمل الآسر من تربيته — تتقوى عند النمل الآسر عادة جمع اطفال النمل (وكانت هذه العادة في الاصل بغية لادخار الاطفال طعاماً) وتصبح بقوة الانتخاب الطبيعي عادة دائمة بغية تربية العبيد

فحينما يحدث الامر مرة ويتكرر ولو اقل ما يمكن كما هو الامر مع فورمكا سنغوينا (الذي يعيش في انكلترا) الذي يساعده عبيده اقل مما يساعد العبيد النوع نفسه (الذي في سويسرا) فلا اجد صعوبة على الانتخاب الطبيعي في تقوية الغريزة وتكييفها · هذا على اعتبار ان كل تكييف يرمى به الى نفع ذلك النوع الذي يتكيفه حتى تصبح كل نملة وقد تكيفت على اسلوب يضطرها ان تكون متكلة تمام الاتكال على سواها كما هي الحال في فورمكا سنغوينا



﴿شكر﴾ تهدي مجلة الجامعة خالص شكرها وامتنانها الى حضرات الرصفاء في مصر والشام والاقطار الخارجية الذين احسنوا الظن بها ونشطوها في بدء حياتها الجديدة في مصر . ونخص منها بالذكر الصحافة المصرية اليومية الكبرى التي لقيت الجامعة من كرم اخلاقها ومساعدتها وتنشيطها فوق ما هي اهل له · نسأل الله ان يأخذ بيدهم جميعاً في سبيل خدمة المصلحة العمومية وان يديم فضلهم على قراء اللغة العربية و يبقي الجامعة اهلاً لثقتهم وتنشيطهم

بين الهزل والجد

شيخ كوني آيلند

بين الاهرام وابي الهول

قلت في نفسي حين سفري من نيو يورك ماذا يقول غداً صاحبنا الشيخ ؟

لقد كانت تسرني صحبته في كوني آيلند (١) coney Island ويظهر ان صحبتي كانت تسره لانني ما ذهبتُ يوماً اليها الاّ وأسرع اليّ اول ما تقع عينه علي · وكنت عاهدته على ان ازوره مرة في الشهر على الاقل فكنت اذا زرته ترك عمله في حانوته الذي انشأه للتنجيم ومعرفة الغيب من النظر في اليدو سار معي على شاطيء البحر. فنقضي هناك ساعة او اكثر في الثرثرة والكلام عن اميركا وسوريا ومصر . واحياناً يشرد بنا الخيال فيشمل كلامنا كل قطر وكل مصر · هذا ونحن جالسان على مقعد وامواج الاوقيانوس الاتلانتيكي تتكسر تحت اقدامنا . وصوتها يدوي في الفضاء تحت الظلمة الدامسة دوياً تنزعج له النفس لما نتصوره من هول ذاك البحر وعمقه الذي كم فيه من رمس .

ولا انسي الليلة الاخيرة التي كانت فيها آخر زياراتي له · فانه وثب بغتة عن المقعد

(١) ﴿ الجامعة ﴾ كوني آيلند بلدة الملاهي والالاعيب قرب نيويورك · وهي تفتح صيفاً وتقفل شتاء . ويقصدها في كل ليلة عشرات الوف من الناس· وفي ايام الحر الشديد يبلغ زائروها في نهار الأحد نصف مليون شخص · وفيها الملاعب والحانات والفنادق واماكن للالعاب المدهشة المتعددة وكل ما يمكن ان يتصوره الذهن وينطوي تحت لفظ (لهو ولعب) حتى الخلاعة التي هي من لزوميات الملاهي على ما يظهر · وهي ذات قباب وابراج تنار هي وسائر الملاهي بملايين من الانوار الكهربائية فتظهر عن بعد كأنها شعلة من نار تلتهب .وهي والمنارة اول ما يظهر من نيويورك في الليل للمسافرين من أوروبا الى اميركا .

وثبة المأخوذ وصاح (وجدتها وجدتها) فقلت مالك يا ارخميدس • فقال بجد ورزانة لا تمزح فانني اكتشفت اكتشافاً اعظم من اكتشافه • قلت هات اكتشافك يا صاحب الاكتشافات . فقال ماقولك في ان امد يدي الآن فانال بها مصر . فقلت أيدك طويلة الى هذا الحد • قال شكراً لك فانك تتهمني بطول اليد ولكنني اجدّ ولا امزح افلا تصدقني • قلت بلى بلى صدقتك واعفيتك من التجربة • قال لا بل اجرب التجربة امامك وهمّ بالمسير • فامسكته بطرف ثوبه وقلت له • ياشيخي دع الشعوذة للحانوت • اصطياداً للقوت • وادّعِ لدى الاميركيين علم الغيب والملكوت . والجمع بين اللاهوت والناسوت . والسفر على اجنحة الرياح او في بطن الحوت • وتحويل اصداف البحر الى زبرجد ولؤلؤ وياقوت • واما انا صديقك في غربتك ورفيقك في دار هجرتك فانني عليم بصناعتك وقدرتك فلا حاجة الى زيادة علمي بها

فاطرق حين سماعه هذا الكلام اطراق متألم يكتم ألمه • ثم تناول قلمه • وخطّ به على قرطاس صغير اخرجه من جيبه هذه العبارة « كنت اظنك من الافاضل • فاذا بك اقل من باقل » فكانت حينئذ نوبتي في الاطراق والالم • ثم نظرت اليه وضحكت وقلت « سبحان من لم يعلمك مالا تعلم »

فجلس بجانبي بعد ان ازال ألمه بألمي وقال — لماذا اسرعت في ملامي قبل ان تفقه كلامي • اذا كنت اتخذ الشعوذة مع سذج الاميركان فلا اتخذها مع اصدقائي • ولو تأملت في ماقلته لك واصطبرت حتى اتم كلامي لرأيت ما ينطوي تحت هزله من الجد • انني اعيش هنا غريباً عن وطني • لاشيء يسرني وكل شيء يحزنني • وليس لي في هذه الغربة الاّ سلوة واحدة . اتعلم ماهي ؟ هي هذا البحر الذي امامك • ففي كل ليلة بعد اقفالي الحانوت اقصد هذا الشاطئ ؛ واقف عليه وأرسل رائد التصور والخيال فوق مياه البحر الى جهة الشرق . واطلق العنان للوجد . الى مكان فيه للاخوة والآباء والاجداد مهد ولحد • ثم ادنو من هذا الماء فاغمس كفي فيه فاجد لذلك لذة ليس بعدها لذة • ويخيل الي حين اصافح هذا الماء انني اصافح مصر نفسها • اليس هذا الاتلانتيكي متصلاً بالبحر المتوسط في جبل طارق ؟ ثم اليس البحر المتوسط معانقاً مصر وبعض ثغورها . واذا كانت امواج الكهرباء اللاسلكية يمكنها ان تسير على سطح البحر من الغرب الى الشرق فما يمنع ان تسير كهربائية نفسي المتقدة من هذا الشاطئ الى الشاطئ المصري مثلاً . ثم امستبعد انّ دقائق هذا الماء التي غمست كفي فيها قد كانت من قبل على شاطئ مصر ونقلها الى هذا

الشاطئ الزمان وتداخل البحرين وامتزاجهما • الا تكون كفي قد نالت مصر او جزءًا من مصر حين وضعتها فيها

فادهشني التأويل الشعري الجميل الذي اوَّل اليه كلامه . وصمتُّ حيناً اسائل نفسي هل اجزيه عن هذا التأويل باطلاعه على ما كان في عزمي من تقويض الخيام وتوديع تلك البلاد بسلام • فقال مالك لا تجيب • فقلت أأنت مقيم يا شيخي زمناً طويلاً في هذه البلاد . فرفع رأسه الى السماء وقال : حتى يشاء رب العباد . فنهضت وقلت له • تعالَ تعالَ اذًا نصافح معاً سوريا ومصر من وراء البحرين • واعذرني لانني اسأت الادب معك . ومن أقرَّ بذنبه فلا ذنب له

ثم اخذت بيده واخذ بيدي ودنونا من الماء وغمسنا فيه كفينا ومسحنا به وجهينا وعدنا الى مجلسنا ساكتين

انني هنا اجد ولا امزح • لقد غمست كفي يوماً في ذلك الماء واحسست بشيء يحس به كل غريب اذا لقي صديقاً قديماً . وكان ذلك في اول مرة واجهتُ فيها مياه الاوقيانوس الاتلانتيكي في شاطئ كوني آيلند لان هذه المياه لا تصل الى مرفإ نيويورك الذي تحيط به مياه نهر هدسن . فيا لذة تلك الليلة التي جلستُ فيها منفردًا لاول مرة بازاء ذلك الاوقيانوس الهائل وهو يرغي ويزبد من جهة . واصوات الافراح والملاهي في كوني ايلند تعلو من جهة أخرى . وزئير مدينتي بروكلين ونيويورك يرتفع الى السماء من جهة ثالثة • لقد كان امامي اعظم ما في الدنيا من بر وبحر وبداوة وحضارة وجد ولعب • ولكن كل تلك العظائم لم تكن لتنسيني الزوايا الشرقية الصغيرة التي ربيتُ ونشأت فيها

ولما استقبلت بي الباخرة بلدة كوني آيلند وهي خارجة من نيويورك اعدتُ هذا السؤال في نفسي : ماذا يقول غدًا صاحبنا الشيخ ؟

وفي ذات يوم وانا اجول في الجزيرة في ضواحي القاهرة لقيتُ جمهورًا من الناس مجتمعاً حول العوبة منصوبة بجانب سطح قهوة قرب جسر الجزيرة • وكان الاولاد يصعدون من جانب على السطح المائل المتحرك الذي يرفعهم ثم يتزحلقون من جانب آخر وبجانب المزلقة على الارض شيخ وفتى واقفان يضحكان • فوقفت مع الواقفين اسمع وأرى فسمعت الفتى يقول للشيخ باللغة الانكليزية « اين هذا مما عندنا في كوني آيلند » فدهشت عند ذكر كوني آيلند ودنوت من الشيخ والفتى لاستخبر خبرهما . فلما واجهتهما وانعمت النظر في وجهيهما عرتني دهشة وابة دهشة • ذلك انني عرفت شيخ كوني آيلند الذي فارقته في

نيو يورك · فبسطت اليه يدي وقلت : سلام على الشيخ الكريم · فالتفت الشيخ نحوي التفاتة متبين ثم ضحك حتى بدت نواجذه و بسط يده وقال : سلام على المؤمنين الصادقين الذين لا يسافرون دون ان يودعوا اصدقاءهم · فقلت ومتى كان القدوم · فقال متهكما حين كان القدوم . فقلت هل هي رحلة ثم اوبة الى ديار الغربة . ام هي اقامة واستكانة في ارض الكنانة . قال لا لا بل هي اقامة واستكانة والحمد لله رب العالمين

ثم اخذ بيدي وقال كنا منطلقين الى الاهرام لان رفيقي هذا الشاب الاميركي متشوق الى زيارتها فهل ترافقنا اليها فاعرفك الى هذا الصديق الجديد الذي حلت صحبتي لهُ بعد سفرك محل صحبتك ولذت لي عشرته كعشرتك واحاديثه ومناظراته كاحاديثك ومناظراتك · وهناك نأخذ باطراف الحديث القديم منه والحديث · فنتذكر معاً كوني آيلند وما فيها من الالاعيب والبدائع · وما حولها وراءها من الغياض والرياض التي تغرد فيها الاطيار السواجع و يعطر جوها ارج الزهر اليانع · والمستنقعات التي تطير فوقها الحباحب وتنق فيها من بعيد الضفادع . فقلت انني كنت ايضاً منطلقاً الى الاهرام لانها قبلة كل وافد على مصر وقد اشتقت ان اراها فاذهب بنا نصافح الدهور والاجيال الماضية بمصافحتها

فركبنا احدى مركبات الترامواي الى الاهرام ولم يكن فيها احد غيرنا . ولما استقر بنا المقام وتعرفت الى الاديب الاميركي وتعرّف اليَّ التفت الى الشيخ وقلت لهُ · حدثنا الآن ياشيخي ماذا رأيت في الشرق من جديد . وكم سنة قضيت في هجرتك له . وما تراه بين شؤونه وشؤون البلاد التي تركتها من الاختلاف والائتلاف

فقال الشيخ · يابني هجرت الشرق منذ خمس عشرة سنة . وقد عدت الآن اليه · فماذا اقول لك · في نفسي جثة ميتة اجرها وتجرني فلا اخلص منها ولا تخلص مني

فهنا استويت جالساً بعد ان كنت متكئاً على جدار المركبة · وقلت للشيخ رحماك لا تعد الى الرموز والالغاز · اتذكر ليلتنا الاخيرة في كوني آيلند على شاطىء الاتلانتيك

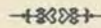
فضحك الشيخ وقال وهل الذنب ذنبي اذا كنت على الدوام لاتفهم كلامي · قد كان يقال لاحد شعراء العرب (لماذا لاتقول ما يُفهم) فكان يجيب (ولماذا لا تفهم ما يُقال). واي كلام اوضح وافصح مما قلت . قلت (في نفسي جثة ميتة اجرّها وتجرّني فلا اخلص منها ولا تخلص مني) وهذا تعبير بليغ وكلام جزل و بيان واضح عند اللبيب البصير · ولكن لا تطمع في ان افسره لك اذا كنت لاتفهمه دون تفسير · ماذا ؟ اتريد ان تقيم عليّ اهل البلد · بل اهل الكون بأسره · فافهم والا فلا تلم غير نفسك

فقلت ان المفهوم من عبارتك انه كان في نفسك شيء كنت تعتقد به — ولا اعلم هل هو ديني ام ادبي ام فلسفي ام سياسي ام اجتماعي — ثم نسخه من نفسك شيء آخر افضل منه . ولكن الشيء القديم بقي عالقاً بنفسك قابضاً عليها مع معرفتك خطأه . وتحاول التملص منه لتتمسك بمعتقدك الجديد فلا تقدر — اهذا هو مرادك ؟

فنظر اليَّ الشيخ وقال حقاً انك لست بجاهل الى الحد الذي ظننته . ولكن ايها الذكي النبيه مادخل المعتقد هنا . وما لنا ولهذا الخرف الذي جرى به لساني . هي عبارة لامعنى لها يا بني فلا تعبأ بها وارقب رأس الهرم فانه سيظهر قريباً (وستأتي بقية احاديث الشيخ في اجزاء متتابعة)

حج سمو الخديوي

وسكة الحجاز الحديدية



حجَّ سمو الخديوي في الشهر الماضي وصرف في اراضي الحجاز عدة اسابيع . وقد استقبل سموه حكامُ الحجاز واعيانها بما يليق بمقامه الرفيع من الاجلال والاكرام . وودعه بقصيدة غراء جناب المفضال احمد بك شوقي شاعر الديوان الخديوي المشهور

فمنها قوله يخاطب رب البيت الحرام معتذراً عن السفر مع سمو الامير

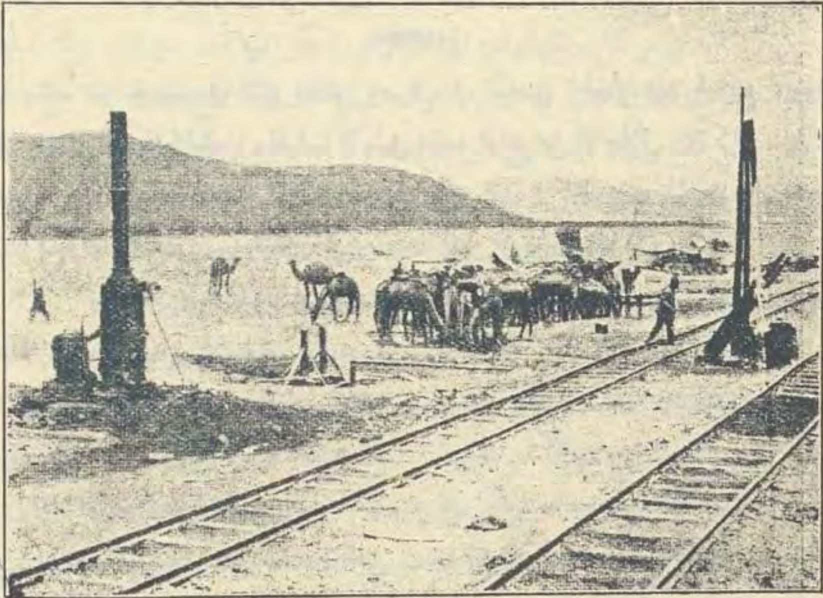
دعاني اليك الصالح (ابن محمد)	فكان جوابي صالح الدعوات
وخيرني في سابح او نجيبة	اليك فلم اختر سوى العبرات
وقدمت اعذاري وذلي وخشيتي	وجئت بضعفي شافعاً وشكاتي
ويارب لو سخرت ناقة صالح	لعبدك ما كانت من السلسات
ويارب هل تغني عن العبد حجة	وفي العمر ما فيه من الهفوات
وتشهد ما آذيت نفساً ولم اضر	ولم ابغ في جهري ولا خطواتي

الى ان قال وهو اجمل ما في القصيدة مخاطباً الجناب الخديوي قبل رحيله :

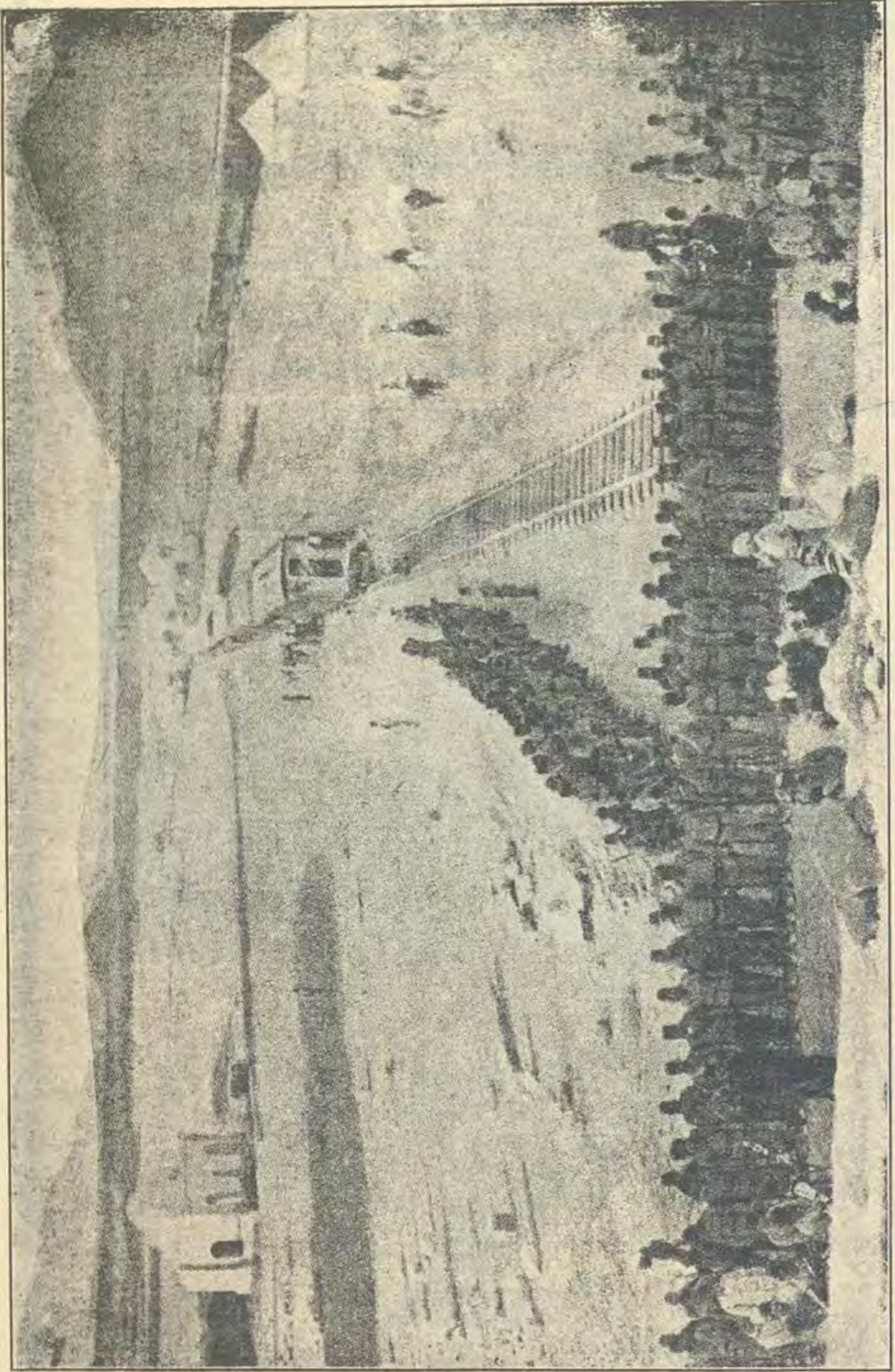
اذا زرت يا مولاي قبر محمد	وقبلت مثوى الاعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة	لاحمد بين الستر والحجرات

واشرق نور تحت كل ثنية ... وضاع اريج تحت كل حصاة
لمظهر دين الله فوق تنوفة ... وباني صروح المجد فوق فلاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل ... ابثك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها ... كاصحاب كهف في عميق سبات
وهذا زمان ارضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة
فقل رب وفق للعظائم امتي ... وزين لها الافعال والعزمات

وقد كان لزيارة الجناب الخديوي اثر مفيد وهو تقرير انشاء ملجأ في السويس لفقراء الحجاج الذين تمسكهم الحاجة احياناً في السويس فينتظرون فيها زمناً طويلاً قبل ان يتمكنوا من العودة الى بلادهم . وصاحب هذه الفكرة الحسناء حضرة صاحب الدولة الامير حسين باشا كامل رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وكبير الاسرة الخديوية بعد الجناب الخديوي . وقد ألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة دولته وتبرعت صاحبة العصمة والدولة الحرم الخديوي بالف جنيه في الاكتتاب الذي أنشيء لهذا المشروع وقد بلغ مجموعه



السكة الحديدية الحجازية في مرورها في صحراء الحجاز وحولها
ابل العرب وردت تشرب من مضخة المحطة



السكة الحديدية الحجازية في (المدينة المنورة) ـ الجند المصطف امام السكة يستعد للاحتفال بافتتاحها ـ والفرسان الستة الذين تراهم قادمين نحوهم في جانب الرسم لجنة الاحتفال التي اوفدت من الاستانة لهذا الافتتاح

حتى كتابة هذه السطور نحو ٢٥٠٠ جنيهاً

على انه قد يكون لزيارة الجناب الخديوي للحجاز اثر مفيد آخر بل آثار . منها مانشرته بعض جرائد الاستانة ومصر من رغبة الجناب الخديوي في مشاهدة السكة الحديدية الحجازية لان سموه علم وهو في الاستانة على ماقيل بان الحكومة العثمانية تود لو توفق الى شركة (عثمانية) كبرى تستأجر ذلك الخط وتريحها من اثقال ادارته واستثماره . وقدنشرنا هنا رسم السكة الحديدية الحجازية في المدينة المنورة ورسماً آخر لها وهي مارة في الصحرا. ورسماً ثالثاً يمثل لجنة الاحتفال بافتتاح السكة في رياق في العام السابق



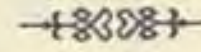
لجنة الاحتفال بافتتاح السكة الحديدية الحجازية —الشخص الثاني عن يسارك جواد باشاو يليه المشير كاظم باشا ثم والي دمشق لذاك العهد لان هذا الاجتماع كان في رياق. وفي جهة اليمين في الطرف عبد الرحمن باشا



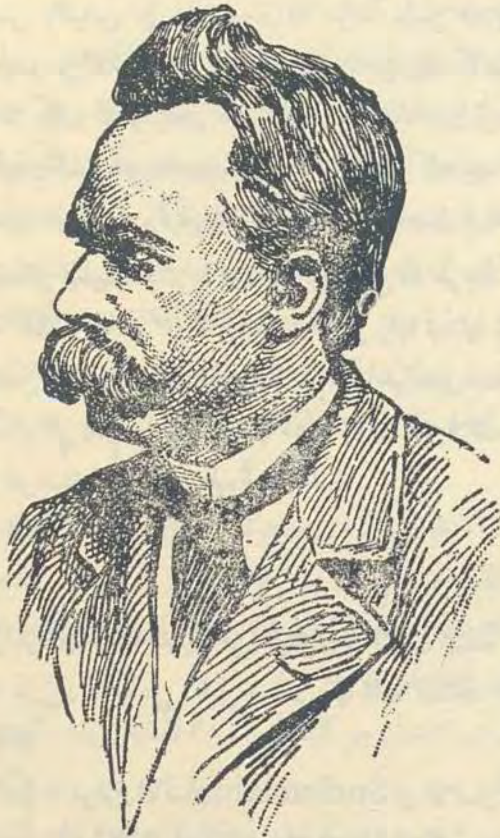
زاراتوسترا

وهو أبلغ كتب الفيلسوف نيتش الالماني واجملها

كتبه باسلوب رواية جعل بطلها (زارا توسترا) الهائل



﴿ منزلة زارا توسترا ﴾ شرعنا في الجزء السابق في تعريب هذا الكتاب وقد وقفنا على وصف له ورأينا من الفائدة نقله . قال المسيو هنري البير ان الخلق الذي اصاب نيتش



الفيلسوف فردريك نيتش

وقد نشرنا ترجمته وبسطنا فلسفته في جزء آخر

انما اصابه بعد كتابته زارا توسترا لعدم التفات العلماء اليه تعميداً . ومن اقواله في هذا الشأن (منذ كتابتي زارا توسترا اصبحت كوحش جُرح جرحاً لا يشفى) وقال في موضع آخر (ان السنين التي كتبتُ فيها زارا توسترا كانت سني عذاب لي لا مثيل له . ولقد دفعت ثمناً عظيماً لهذا الخلود) ثم قال في موضع آخر ويرى القارىء في كلامه انه يتكلم عن كتابه دون حذر ولا اتضاع .ذلك لانه كان في آخر عمره محساً بدنو اجله :

(ذلك الكتاب في عزلة عن جميع الكتب . واذا جعلنا مقارنة بينه وبين سائر اعمال البشر وجدناها جميعها دونه . ان جوت وشكسبير لا يستطيعان ان يستنشقا هنيهة هواء ذلك الجوّ الذي يعيش فيه زارا توسترا لان اهواءه شديدة وارتفاعه ارتفاعاً متناهياً يُحدث الدوار . ودانتي ليس بالقياس على زارا توسترا الا مؤمناً وليس هو برجل يخلق او يقرر الحقيقة او عقل (يسود على الدنيا) او قضاء وقدر لا بد من نزوله كما هو شأن زارا توسترا . وما شعراء الفيدا الا كهان ليسوا باهل لان يحلوا سيور حذاء زارا توسترا . ولتجتمع قوى جميع النفوس العالية وتكتب فهي عاجزة من ان تأتي بخطبة كاحدى خطب زارا توسترا. لقد خطا زارا توسترا الى الامام واوغل في السير فوصل الى حيث لم يصل رجل في العالم قبله . وان جميع فضائل الطبيعة البشرية ورذائلها تجري من فمه جرياناً خالداً . ولم تكن قبله معروفة ماهية الحقيقة وما هو سمو الفكر وعمقه . وقبل زارا توسترا لم توجد حكمة حقيقية ولا مباحث في النفس ولا صناعة الكتابة والخطابة . وما هو حقير مبتذل يصبح في فمه غريباً عجيباً . وان الاحكام التي يحكم بها ترتعد بذاتها هوى وشدة . وبلاغته تفعل فعل الموسيقى . وصواعقه تنقض نحو مستقبل لم يفطن اليه احد بعد)

ونعود الآن الى اتمام تعريب الكتاب

٣

«ولما بلغ زارا توسترا المدينة القريبة من الحرش وجد الشعب مجتمعاً في الساحة العمومية ذلك لانهم سمعوا بان لاعباً على الحبل سيلعب في تلك الساحة . فوقف زارا توسترا وخاطب الشعب قائلاً

— جئت اُعلمكم ما هو فوق الانسان Surhumain ان الانسان كائن يجب ان يتغلب على نفسه ويترقى ليكون(فوق الانسان) فماذا فعلتم في هذا السبيل

ان جميع الكائنات قد انتجت حتى الآن شيئاً منها ممتازاً عنها وهو (فوقها). وانتم لم تنتجوا شيئاً فوقكم بل تودون الرجوع الى الحيوانية بدل الصعود نحو الانسانية الحقيقية

ان الانسان يهزأ بالقرد • والانسان الحاضر انما هو في منزلة القرد بالقياس على الانسان الحقيقي الذي يجب ان يكون (فوق الانسان)

لقد اجتزتم الطريق من الدودة الى البشرية • ولكنه بقي فيكم شيء كثير من آثار الدود • لقد كنتم قردة من قبل وانتم الآن اشد قردية من القردة

فانا الآن اعلمكم ما هو (فوق الانسان) وهو (حاسة الارض)

فالتمس اليكم يا اخواني ان (تكونوا امناء للارض) • لا تصدقوا اولئك الذين يمنونكم بامان غير ارضية • ان هؤلاء يسممونكم وهم لا يدرون او يدرون

ان هؤلاء من هادمي الحياة والمرضى والذين هم انفسهم مسمومون • بل هم ممن تعبت الارض منهم. فليذهبوا عنا

لقد مات المجدفون على الله اذ لم تبق حاجة الى هذا التجديف • وليس الآن اشد هولاً من التجديف على الارض واعتبار ان احترام المبدأ المجهول مقدم على احترامها

لقد كانت النفس من قبل تحتقر البدن وتريده ضعيفاً مشوهاً مجوعاً لظنها انها بذلك تتفلت من حس الارض • ولكن هذه النفس نفسها كانت ضعيفة مشوهة مجوّعة • واخبروني الآن يا اخواني كيف هي نفسكم • اليست قذارة وضعفاً وفخراً بالذات

ولما نطق زارا توسترا بهذا الكلام صرخ احد الحاضرين (كفانا نسمع كلاماً عن اللاعب على الحبل ونريد الآن ان نراه يلعب) ثم اخذ الشعب يضحك من زارا توسترا • ولكن اللاعب على الحبل ظن انهم يدعونه فاستعدّ للعب

٤

اما زارا توسترا فنظر الى الشعب مدهوشاً ثم قال : ان الانسان حبل ممدود بين الحيوان والانسان الذي هو (فوق الانسان) • هو حبل ممدود فوق الهاوية

ومن الخطر اجتياز الحبل الى الطرف الآخر كما انه من الخطر الوقوف في منتصف الطريق ومن الخطر النظر الى الوراء

والامر العظيم في الانسان هو كونه (جسراً) لاغاية . وما يمكن ان يُحب في الانسان هو كونه (معبراً)

وانني احب من لا يحسن المعيشة فيفنى • ذلك لانه يجتاز المعبر بسهولة

٥

ثم سكت زاراتوسترا ونظر الى الشعب • وبعد ذلك اخذ يخاطب نفسه قائلاً : أراهم

يضحكون فهم لا يفهمون كلامي . وان فمي لم يخلق لهذه الآذان

لديهم شيء يفخرون به و يدعونه (مدنية) ذلك لانه يميزهم عن الماشية. ولهذا يكرهون استماع كلمة الاحتقار . فعليّ اذاً ان اخاطب كبرياءهم لعلي استميلهم . فلنخاطبهم في شأن (الانسان الاخير) الذي هو اولى بالاحتقار من كل من عداه(١) ثم طفق يخاطب الشعب قائلاً

— لقد آن للانسان ان يوجد لنفسه غاية . و يغرس امامه شجرة آماله

وانا اقول لكم . يجب ان يكون داخل الانسان فوضى ليستطيع ان يخرج نجماً ساطعاً للعالم . وفي احشائكم فوضى لا محالة

ولكن يا للويل ستدنو الساعة التي لا يستطيع فيها الانسان ان يخرج نجماً للعالم . يا للويل قد دنت ساعة ذاك الذي هو احق الناس بالاحتقار وادعوه (الانسان الاخير)

فتصبح الارض حينئذ صغيرة و يرقص عليها الانسان الاخير الذي يصغر كل شيء . ونسله لا ينقرض لانه كثير كالهوام . وهو اطول الكائنات اعماراً

يقول رجال الانسان الاخير انهم (اوجدوا السعادة) و يغمزون بعيونهم . وهم ما زالوا يعملون لان العمل تسلية ولكنهم يحرصون على ملاهيهم . يقولون لا فقير ولا غني . والفقر والغنى امران صعبان . ومن يرضى بان يكون حاكماً والحالة هذه ام من يرضى ان يكون محكوماً مطيعاً ؟ الحكومة والطاعة امران صعبان

يقولون لا راعي ولا خراف بل الجميع متساوون وكلهم يطلبون شيئاً واحداً . ومن كان لا يعتقد اعتقادهم يذهب من تلقاء نفسه الى مستشفى المجاذيب . وهم يقولون : قد كان جميع الناس من قبل مجاذيب . ونحن اخترعنا السعادة (٢)

وهنا انتهت اولى خطب زاراتوسترا وهي الخطبة التي يصح ان تُدعى (تمهيداً) . وما اتى عليها زاراتوسترا حتى ارتفع صياح الشعب قائلين (اجعلنا من رجال الانسان الاخير زاراتوسترا واعفنا من الانسان الذي هو فوق الانسان) وكانوا جميعاً يصرخون هذا الصراخ . فحزن زاراتوسترا وقال في نفسه — انهم لا يفهمون كلامي وفمي لم يخلق لهذه

---

(١) نرجح انه يعني بالانسان الاخير (المبداء الاشتراكي) الذي هو آخر المبادىء التي سادت بين العملة في العالم

(٢) لنيتشه حملات شديدة في عدة من كتبه على الاشتراكية والاشتراكيين . ولذلك قالت جريدة الديبا ان رد الفعل الذي حصل في اوربا في شأن الاشتراكية انما سببه مبادىء نيتشه

الآذان • ولقد عشت زمناً طويلاً في الجبال وتعودت الاصغاء الى الجداول والاشجار ونسمات المساء • ولكنني لم اتعود مخاطبة قطيع الماعز

٦

وهنا حدث حادث اسكت الجميع • ذلك لان اللاعبين على الحبل تهيأوا للعب . فخرج احدهم من نافذة واخذ يسير على الحبل المنصوب فوق رؤوس الناس في الساحة العمومية وبين يديه عمود للموازنة . ولما بلغ منتصف الحبل فتحت تلك النافذة ثانية وخرج منها شاب ذو هيئة مضحكة فاقتفى اثر الرجل الاول على الحبل ولما كاد يدركه صاح به (سر ايها الاعرج الكسول • حد من طريقي والاّ داعبتك بقدمي . ماتفعل هنا • سر ولا تقف في طريق من هو افضل منك)

ولما اتمّ كلامه كان قد اصبح عند الرجل الذي تقدمه • فحدث حينئذ حادث هائل وهو ان الرجل الثاني صاح صيحة شيطانية ووثب عن الحبل فوق الرجل الاول الذي كان يعترضهُ في طريقه فجاوزه وجاء واقفاً على الحبل في الجهة الاخرى • ولكن الرجل الاول كان قد فقد رشده لهذه الوثبة وفقد عمود الموازنة فهوى مع العمود من الحبل الى الارض وكان الناس في الساحة كالبحر العجاج فلما رأوا سقوط الرجل عليهم ذعروا وفروا في الجهات الاربع على ان زاراتوسترا لم يبرح مكانه . وقد كان سقوط الرجل بجانبه • وكان جسم الرجل قد تحطم عند اصابته الارض • فبعد حين ثاب اليه رشده فوجد زاراتوسترا جاثياً بجانبه فقال له (ماتفعل هنا • انني كنت عالماً منذ زمن بان ابليس سيزحلقني • فقد تمّ لهُ ما اراد وهو الان سيجرني الى جهنم • هل في امكانك منعه)

فقال زارا توسترا (اقسم لك بشرفي انه لا ابليس ولا جهنم • فلا تخف شيئاً)

فرفع الرجل رأسه وقال اذا كان حقاً ما تقول فانني لا اخشى شيئاً ولا اخسر شيئاً اذا خسرت الحياة . لانني ما كنت فيها الا حيواناً يجعلونه يرقص بالضرب وبشيء من الغذاء

فقال زارا توسترا (كلا • بل انت ذو فضل لانك جعلت الخطر مهنة لك ولا شيء يستأهل الاحتقار • وقد اهلكتك مهنتك ولذلك سأدفنك بيدي) (١)

---

(١) كل هذه التفاصيل رموز خفية • فالمقصود باللاعب على الحبل وفي يده عمود الموازنة الفلاسفة والعلماء الذين تقدموا نييتش وكانوا في ما يكتبونه يشبهون الماشي على الحبل اذ يجعلون ديدنهم الحذر والرغبة في الموازنة لئلا يصدموا المبادىء او يسيئوا الى احد . حتى جاء نييتش ووثب فوقهم جميعاً فسقطوا لدى المستقبل في رأيه

عجائب اميركا الطبيعية

اربع تحف اميركية
لا مثيل لها في الدنيا

وهي اعظم واعجب من شلالات نياغرا ولكن
هذه أشهر منها لدى الشرقيين

طريقة الExcursion الاميركية

اشتهرت شلالات نياغرا لدى الشرقيين والأوروبيين اشتهارًا عظيماً . ولكن في الولايات المتحدة الاميركية ما هو أعظم منها وأعجب . وقد جمعنا في هذا الفصل اربع تحف طبيعية اميركية لا مثيل لها في الدنيا وهي مشهورة لدى العارفين من الاوروبيين والاميركيين اشتهار شلالات نياغرا عندنا

❊ وادي الدب الرمادي ❊ التحفة الاولى (وادي الدب الرمادي الاكبر) (yosemite valley) وهو اعجب عجائب اميركا واجمل آثارها . ينبسط هذا الوادي في (الجبال الصخرية) في ولاية كاليفورنيا . وطوله ١٢ كيلومترًا وعرضه من ثمانمائة متر الى ثلاثة الاف متر . وفيه شلال يُدعى (شلال الدب) ارتفاعه سبعمائة وخمسون مترًا فهو اعلى شلال في الدنيا . وما ارتفاع شلالات نياغرا الا ٤٥ مترًا الى ٤٨ مترًا . وعلى مقربة منه الاشجار الكبرى المشهورة بان عمرها من الفي الى ثلاثة آلاف سنة . ووراء هذه الاشجار مستوى قعر الوادي وهو ممتلئ بالينابيع المتعددة التى تنبع من كل جهة . ورؤوس جبال الصوان تحيط به وعلو بعضها عن الوادي من ٩٠٠ الى ١٥٠٠ متر وعلو الوادي عن سطح البحر ١٥٠٠ متر . والوادي مكسو بالثلج على الدوام الا في بعض الأشهر فاذا اجتمع فيه بياض الثلج ونور الشمس وخضرة الشجر ودقائق الماء المنتشرة من الجداول المتعددة الجارية فيه خيل الى زائره انه في جنة عدن . وزائروه يعدون بالالوف وعشرات الالوف في كل عام

﴿ مغارة المموث ﴾ التحفة الثانية (مغارة المموث) في ولاية كنتكي . وهي اوسع مغارة في الدنيا . في داخلها دهاليز وقاعات ومماش ومتنزهات منارة بالنور الكهربائي ووهاد واودية و بحيرات . ومن جملة اماكنها المشهورة : البئر التي لا عمق لها . والبحر الميت وغرفة النجوم . والتيه . والشارع الغوطي . وقاعة الجداول الخ . وجميع مزارات المغارة منظمة واوصافها مطبوعة في رسائل توزع على الزائرين . ولم يكتشف من هذه المغارة العجيبة سوى جانب منها . وطول الدهاليز والماشي التي اكتشفت حتى الان نحو ٣٠٠ كيلومتر .

﴿ حديقة يلوستون الوطنية ﴾ التحفة الثالثة حديقة يلوستون yellowstone الوطنية القائمة في الشمال الغربي من ولاية يومنغ . وارتفاع هذه الحديقة عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر وهي حديقة طبيعية لا صناعية تنبسط بين اكام كالاتين ورؤوس جبال ابسارا كا . فيها بحيرات وجداول وينابيع مياه حارة واودية واكام . وفيها بحيرة كبرى مساحتها وحدها ٣٠٠ كيلومتر مربع . ولكن الامر الذي تمتاز به عن غيرها اضطراب باطن الارض فيها على الدوام . فانك اذا سرت فيها وجدت هنا الجداول تجري بماء حار والبخار يتصاعد عنها وهناك الينابيع تغلي غليانًا وفي مكان اخر يصفر البخار منبعثًا من الارض كان تحته في جوف الارض معملاً بخاريًا . والمياه المعدنية تجري من كل جانب . والارض تحت قدميك تهتز في بعض الاحيان فيخيل اليك انها تكاد تنشق وتزلزل زلزالها

﴿ البحيرات ﴾ والتحفة الرابعة البحيرات الخمس المنبسطة بين كندا والولايات المتحدة وهي بحيرات : مشيغن . وانتاريو . والبحيرة العليا . وهورون . واري . وهي متصلة بعضها ببعض بانهار او بمياهها نفسها . ومساحة هذه البحيرات ٣٠٠ الف كيلومتر مربع . وعمق بعضها ٣٠٠ متر وتهب فيها العواصف كالابحر فترغي امواجها وتزبد

واذا اضفت الى هذه التحف الاربع شلالات نياغرا علمت اعظم اثار اميركا الطبيعية . والحكومة واصحاب المصالح وشركات السكك الحديدية لا يألون جهدًا في اجتذاب الزائرين الى تلك الاماكن وغيرها لزيارتها وانفاق المال فيها . فينشرون اخبارها ورسومها واسماء كبار الوافدين عليها تشويقًا لغيرهم . وادارة السكك الحديدية تعين اياما خصوصية شهرًا بعد شهر تنقص فيها اجرة السفر اليها ذهابًا وايابًا الى نصف الاجرة الاعتيادية . وتسفر في تلك الايام عدة قطارات خصوصية اليها تحمل مئات والوفًا من الزائرين . وهذه (النزهات) الخصوصية مألوفة في جميع انحاء اميركا والاميركيون شديدو الاقبال Excursion عليها . والشركات تربح منها ربحًا وافرًا والبلد القليلة السكان وفيها المتنزهات والاثار

الجميلة تربح ايضاً ربحاً عظيماً من توافد الوف الناس عليها . وهؤلاء الناس يربحون ايضاً صحة وعافية ومعرفة ورياضة وتفرغاً بضعة ايام من اشغالهم اليومية

امر يهم الشرق كله لا مصر وحدها

مستقبل

العامل والفلاح فى مصر

اى تسعة اعشار الامة

شيء جديد في خطبة

لاتتعرض المجلات (للسياسة البحتة) كما قلنا في صدر هذا الجزء . ففي مباحث الجرائد الكبرى غنىً عن مباحث المجلات في هذا الشأن . ولكنه اذا بدا موضوع جديد أو امر خطير لاصق بالمباحث التي اعتادتها المجلات فيحسن بها ان تشير اليه

لايخفى ماعليه حالة العملة والفلاحين في مصر وهم تسعة اعشار الامة المصرية تقريباً . فرب عامل اجرته في اليوم الواحد فرنك واحد (اربعة غروش) او اقل في حين ان اقل اجرة للعامل في اميركا ريال في النهار . والفلاح في مصر يفني عامه تعباً في زراعة ارضه ولا يبقى له من دخلها الا الذرة يعيش منها هو وعيلته . واصل هذا البلاء امران . الاول جهل الفلاح بطرق الكسب وزيادتها وبحفظ المال المكتسب واستثماره والدفاع عنه . والثاني قوة الذين يعاملون الفلاح والعامل ودهاؤهم يساعده اضطرارهما الى الرضى بما يفترضونه ويرسمونه . وهذه حال لازوال لها الا بجمعيات يؤلفها اصحاب كل حرفة من الحرف وكل فريق من العملة لتفهيمهم الطرق التي يصونون بها نفوسهم والدفاع عن حقوقهم ليس بازاء الهيئة الحاكمة فقط بل بازاء مستخدميهم ومستأجريهم ومبتزيهم شأن العملة في اوروبا واميركا . والعقبة الكبرى التي في طريق هذه الجمعيات امران . الاول عدم فهم الشعب نفسه اهميتها وتعذر اتحاده وتضامنه فيها لاننا لم نبلغ طور التضامن بعد . والثاني استحالة قيام هذه الجمعيات وانتشارها وتعاظمها ان لم يتولَّ قيادة العملة والفلاحين زعماء من اهل

النفوذ والرأي والمعرفة ينظمونهم ويدربونهم كما يفعل زعماء العملة في اوربا الذين منهم الآن في انكلترا المستر كير هردي والمستر لويد جورج وزير المالية واصله عامل من العملة والمسيو جوريس في فرنسا والمسيو ببل في المانيا والمستر براين في الولايات المتحدة الخ

ويظهر من خطبة جناب رئيس الحزب الوطني المصري عزتلو محمد بك فريد في المؤتمر الاخير ان هذا الحزب بدأ يفكر في هذه المسألة الكبرى · واذا اخرجها من حيز القوة الى حيز الفعل كما قال حضرته في خطبته فان انقلاباً جديداً في مصر على الابواب . وسلطة جديدة آخذة في التكون والبروز الى ميدان الحياة المصرية . وعلى الحكومة المصرية ان تحسب حينئذ حساباً عظيماً لتلك القوات الجديدة الاخذة في التكون

ومما قاله حضرة الخطيب في خطبته (ان الفلاح المصري يدفع اكبر جزء من الميزانية المصرية بينما اصحاب المصارف والتجار اصحاب الاموال المنقولة لا يدفعون شيئاً) ومقتضى هذا الكلام وضع الضريبة على الدخل التي طعنها السيد حسن موسى العقاد في احدى رسائله في الشهر الماضي طعنة دامية قبل ان يجري البحث فيها . كأنها غول يخشاه اهل المال فاذا تنسموا ريحه من بعيد هبوا لمقاومته قبل وصوله

ومن اقوال حضرة الخطيب ايضاً (ان الفلاح المصري اتعس فلاح في العالم ولا خلاص له من هذه الحالة الاَّ بنشر التعليم الابتدائي وجعله اجبارياً وتشكيل نقابات خصوصية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزيدون عليه الاجارات بمناسبة وبغير مناسبة وامام المرابين الذين يأخذون منه مايبقى لهُ »وايضاً (العمال في بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يُلزم المقاول بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله او يقطع احد اعضائه فيصبح عديم الكسب · ومن الامثال العامية (ان الفاعل ديته أُجرته) ولا الحكومة تفكر في الدفاع عنه — نقابات العمال قوة تخضع لها الحكومات وتطأطئ رأسها امامها - بفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين في انكلترا وفرنسا والمانيا تضمن لكل عامل في الصناعة او في الفلاحة معاشاً سنوياً متى بلغ سناً معلومة ولم يكن لديه ما يسد الرمق ويمنعه من التكفف — ولا سبيل لايجاد هذه الحركة المباركة في مصر حتى يصبح الصانع والزارع في مأمن من الفقر والتكفف عند الشيخوخة او المرض او لتحسين حالته المعاشية الا بالاكثار من فتح المدارس الليلية في المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون) الخ ثم قال حضرة الخطيب ان الحزب الوطني قد شرع في تنفيذ هذه الفكرة

فهذا موضوع خطير اذا عمّ مصر نقل طبقاتها الضعيفة من حال الى حال ودخلت هذه الطبقات بجمعياتها الى ميدان السلطة وصار لها كلمة نافذة وبدأ في مصر النزاع بين (الطبقات) طبقة المأجورين وطبقة المستأجرين . وهذا النزاع موجود الآن بين النزلاء الاجانب ولكنه ضعيف

الا ان الامر الجدير بالاعتبار هو هل يستطيع الذين يتولون قيادة هذه الحركة الاجتماعية ايا كانوا ان يجروا على خطتها الطبيعية المألوفة عند جميع الامم ولا تسوءهم في منتصف هذه التجربة النتائج التي تنتج عنها كقيام نزاع شديد بين اهل المال واهل العمل لاسبيل الى ازالته وقيام افراد متعجلين يمنون الشعب اماني يستحيل انفاذها فيستأسرون امياله ويجتذبونه اليهم وظهور المبادىء الاشتراكية حينئذ في مصر بمظهرها الواضح الفعال . وغني عن البيان اننا اذا القينا هذا السؤال فانما نلقيه على جمهور اهل المال واصحاب الاملاك لا على العملة والفلاحين لان نتيجة هذه الحركة الاجتماعية تكون على الدوام في مصلحة العملة والفلاحين. واذا كان قد اصبح موجوداً في مصر فريق من اهل الرأي واصحاب الاموال والاملاك يروقه احداث حركة اجتماعية مفيدة لسواد الشعب كهذه الحركة وان اضرتهم هم في بعض مصالحهم فذلك دليل على ارتقاء حقيقي . ويكون حينئذ شأنهم شأن رجال الثورة الفرنسوية الاولى الذين حرروا الفلاح والعامل في بدء الثورة ثم استمر ابناء الفلاح والعامل يتضامون ويتضامنون حتى ازهقوا نفوس ابناء الساسة الذين حرروهم وخلفاءهم بجمعياتهم التي كادت تصبح صاحبة سلطة فعلية على الحكومة الجمهورية نفسها . واننا كلما سمعنا في (الجريدة) الغراء صوت مديرها الذي مع كونه من طبقة اعيان مصر واصحاب الاملاك فيها (فضلاً عن مقامه الشخصي الذي بلغ اليه بعلمه وفضله) يصرخ في انحاء القطر صرخاته المعروفة حتى ضد الطبقة التي حضرته احد افاضلها يخيل الينا اننا نسمع اصوات اولئك الرجال الذين قلبوا الامة الفرنسوية من حال الى حال . واذا كان ظهور مثل هذه الاصوات في مصر دليلاً على قرب بلوغ الفلاح المصري والعامل المصري — اي تسعة اعشار مصر — شيئاً من صلاح الحال ورفعة الشأن بعد ماتحملاه من البلايا والرزايا منذ عهد الفراعنة الاولين حتى اليوم — فحبذا هي وحبذا السعي في هذا السبيل

هذا موضوع لايهم مصر وحدها بل يهم الشرق باسره والعثمانيين في مقدمته . وهذه مسألة حسابية في منتهى البساطة فانه اذا كان تسعة اعشار الامة مهملة ضعيفة لاموازنة بين دخلها وخرجها ولا قوة لها على تدبير شؤونها تبق الامة ضعيفة قاصرة ولا يغني عنها

ارتقاء عشر او نصف عشر منها . بل ان الاعشار التسعة المهملة الضعيفة تعدي العشر الذي ارتقى اذا استمرت على اهمالها وضعفها وتمادت فيهما . وبهذه العدوى تجره وتدليه اليها بدل ان ترتفع اليه . ولذلك لانرى شيئاً ادعى الى العجب والدهشة من الاراء السائدة بيننا في شأن العملة والفلاحين والطبقات الضعيفة . فان هذه الطبقات اذا قامت بمظاهرة او ورد ذكرها في شأن يقال عنها انها غوغاء لاعقل لها ولا يعتد برأيها . وهذا ناشئ عن افكارنا الجبروتية القديمة التي كانت لضعفها وذلنا تؤله الاعيان والحكام وكل من يُرجى نفعه او يخشى ضره وتعد عامة الشعب انعاماً سائمة . ونحن لقصر نظرنا لا نرى ان هؤلاء العامة هم جمهور الامة فاذا ارتقوا ارتقينا بارتقائهم وكنا امة راقية واذا انحطوا انحططنا معهم وكنا امة منحطة

واقد يُعتد في هذه المسألة بقول نيتش القائل : ان الشعب قطيع من المواشي لا يعتد برأيه ويجب حكمه بالقوة والجبروت وان مبادىء الثورة الفرنسوية والاديان التي اقرت المساواة والاخاء والحرية مبادىء افسدت العالم واخرجته عن طريقه القويمة . ولكن لا ننسين ان نيتش يقول هذا القول في امم منظمة راقية طبقاتها العليا والمتوسطة قوية كثيرة العدد متسلطة على الطبقات الضعيفة بالطرق السياسية والصناعية والتجارية والاختراعات الحديثة فهي تعديها من ارتقائها ولا تُعدى هي من انحطاطها ولذلك ترفعها اليها شيئاً فشيئاً. وليست المسألة عندنا مسألة فلسفية علينا البحث في مبادئها واصولها لتقرير حق كل طبقة وطريقة حكمها تقريراً فلسفياً وانما المسألة مسألة انهاض تسعة اعشار امة . اي امة كاملة تقريباً يكاد لا يكون لها ارستوقراتية سياسية او اجتماعية او علمية (كالارستوقراتية المقصودة في كلام المتكلمين في هذا الشأن) تحكم الامة وتنظمها وتتحمل عنها صدمات العمران والارتقاء وتتولى قيادتها في عقبات الحياة . وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي لنبسط وجوهاً جديدة لهذه المسألة ونقارنها باحوال الامم الاوروبية والاميركية



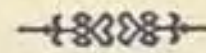
الصّحة والمنزل والعيلة

خطر اكل الاثمار

دون غسلها غسلاً كافياً

﴿ تجارب عالمين ﴾ عرض الدكتور فيلاسيه والدكتور سار الفرنسويان على المجتمع الطبي في باريز نتيجة تجار بهما فيما يختص بالاثمار التي تؤكل دون طبخ وتباع في الشوارع سواء كان بيعها في المخازن او في اطباق يسار بها بين المنازل . فقد اخذا عنا قيد عنب من حد المخازن وغسلاها بماء معقم ثم فحصا الماء فوجدا في كل سنتيمتر مكعب منه ٥٧٥ الف اجرثومة من جراثيم وميكروبات مختلفة . واخذا قبضة من الفريز وغسلاها بماء معقم وفحصا الماء بعد غسلها فوجدا في كل سنتيمتر مكعب منه مليوناً و٨٥٠ الف جرثومة من جراثيم وميكروبات مختلفة . وفي الغسلة الثانية بقي في السنتيمتر المكعب ٧٤الف جرثومة وفي الغسلة الثالثة نقصت الى ١٨ الف جرثومة

وقد طلبا في تقريرهما الى المجمع الطبي ان يسعى المجمع لدى الحكومة وأُولي الامر لحملهم على وضع نظام جديد يوجب على بائعي الاثمار غسلها بطريقة عملية فعالة قبل عرضها للبيع والنتيجة التي تخرج من هذا الموضوع وجوب غسل الاثمار التي تؤكل دون طبخ غسلاً دقيقاً غير مرة



﴿ الجزء الاول ﴾ بفضل اقبال القراء على الجامعة بعد عودتها الى الشرق نفدت نسخ الجزء الاول مع طبعنا منها مئات نسخ فوق ما كان يطبع منها عادة ولذلك نرجو من كل من يستغني عن الجزء الاول ان يبعث به الينا فنرسل اليه ثمنه او رواية بدلاً منه كالكوخ الهندي او اتالا . ونعيد هنا شكرنا للافاضل والادباء الذين اقبلوا على الجامعة والذين سعوا في مساعدتها لدى اخوانهم واصدقائهم جزاهم الله خيراً

مطبوعات جديدة

المقتبس

بعد ايقاف جريدة المقتبس في دمشق الشام للتهمة التي وجهت الى صاحبها جناب الرصيف محمدافندي كردعلي اصدر شقيقه جناب احمدافندي كرد علي جريدة تقوم مقام المقتبس ودعاها (الامة) فنرجو للرصيفة النجاح. ويسرنا ما نشرته من تبرءة الاستانة ساحة رصيفنا صاحب لمقتبس ولم يكن سرورنا بذلك اقل من استغرابنا تلك التهمة من قبل مع ما هو معروف عن اخلاق صاحب المقتبس ومبادئه. ولا ريب ان كل ماجرى نتيجة جهل العثمانيين بعضهم ببعض. ولو كان ادباء الاستانة مثلاً مطلعين على ما يُنشر باللغة العربية وادباء العربية مطلعين على ما يُنشر باللغة التركية لما كان سبيل الى سوء فهم او وشاية او خطاء كالذي وقع . ونعدّ من سوء حظ العثمانيين ان لا يحدث تداخل وامتزاج في افكارهم وآرائهم بسبب اختلاف لغاتهم . ولو انصفت الاستانة لعوّضت على صاحب المقتبس شيئاً من الخسائر التي وقع فيها بسبب تلك التهمة • ولو كان في اميركا مثلاً ووقع له ما وقع لما اكتفت المحاكم بعشرة آلاف ريال تحكم بها له على الحكومة جزاء ايقافها جريدته وسجنه وتعطيلها اشغاله • ونحن على ثقة من ان هذه الحادثة لا تغير ما في نفس رصيفنا صاحب المقتبس من الميل للدستور والحكومة الدستورية فالحرية وصيانتها والدستور والسهر عليه لا بدّ لها من ضحايا وحسبنا في بدء الحكومة الدستورية التي في طريقها عثرات ليس في طريق حكومة غيره في العالم كله انها اصبحت تعرف خطأها حين وقوعها في الخطاء وتعترف به . وهذه خطوة بعيدة في سبيل الاصلاح المطلوب • ولكن أحسن منه ولا شك ان لا يقع خطأ ولا يقع اعتراف به . وهذا من ضروب الكمال وكلنا يعلم اننا مازلنا بعيدين عن طور الكمال . فضلاً عن ان حوادث كهذه الحادثة قد تقع لارقى الحكومات الراقية التي انقضت عليها مئات من السنين وهي سائرة في سبيل الدستور والحرية

كتاب العناية بالاطفال

اعاد جناب الدكتور اسكندر بك الجربدبني طبع كتابه المفيد (العناية بالاطفال)

وقد نقحه وزاد فيه فوائد عديدة فجاء في ٤٥٠ صفحة وهو يحتوي على ٦٣ رسماً والكتاب كما قال فيه واضع مقدمته جناب مصطفى افندي صادق الرافعي جدير بان يكون في كل بيت فنحث كل ام على اقتنائه ومطالعته وهو يطلب من جناب مؤلفه في طنطا . وليس يحسن بالامهات والآباء ان يكون في اللغة العربية كتب كهذا الكتاب ولا يعتمدون عليها

جريدة الاتحاد المصري

في عامها الثلاثين

اصدرت رصيفتنا جريدة الاتحاد المصري الغراء في بدء السنة الجديدة عدداً خصوصياً تذكاراً لدخولها في السنة الثلاثين من عمرها. وقد زينت هذا العدد بكثير من رسوم ادباء مصر ورجال الغرب والشرق ونشرت فيه فصولاً ومقالات جميلة مفيدة نخص منها بالذكر مقالة موضوعها تأريخ الصحافة المصرية في ثلاثين عاماً للكاتب الظريف الفاضل نجيب افندي غرغور بسط فيها احوال الصحافة في مصر منذ انشاء جريدة الاهرام الغراء الى اليوم وكان حضرته من جملة الذين استمروا على الكتابة منذ ذلك التأريخ الى هذا العهد وان كان لا يتخذ الكتابة حرفة. وقد اعلن جناب صاحب الاتحاد في هذا العدد انه عاد الى ادارة جريدته بعد المرض الطويل الذي طرأ عليه فنهنئه خالص التهنئة وندعو لحضرته بتمام الشفاء ليستمر في خدمة قرائه بالاعتدال والتزام السبيل القويم والجرأة التي عُرفت بها جريدته بهمته وهمة الرصيف (الثلاثيني) الذي تقدمت الاشارة الى حضرته

حديقة الفكاهات

ظهر الجزء الواحد والعشرون من السنة الثانية (لحديقة الفكاهات) وهي المجلة الروائية الفكاهية التي يصدرها في الشهر مرتين جناب ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات (نقولا كارتر بوليس اميركا السري) التي اقبل محبو الروايات على قراءتها واصبحت مشهورة لديهم شهرة روكامبول وشرلوك هلمز . وثمن كل رواية غرشان وتطلب من المكتبة الشرقية في كلوت بك

اما معربها فهو جناب الاديب محمود افندي صادق سيف

مملكة جهنم

ورأي تولستوي في اصلاح البشر

هي رواية وضعها الفيلسوف تولستوي وعربها جناب الاديب سليم افندي قبعين وقد

عربها ايضاً منذ سنتين جناب الاديب قسطنطين افندي ملحم من ادباء اسكلة طرابلس الشام ونشرها في جريدة الجامعة في نيو يورك ولكنها لم تُجمع على حدة • وموضوع الرواية انه لما جاء المسيح ذُعر الابالسة وانهدمت سلطنتهم فراحوا كسيفي البال متألمين • ولكن لما قام رجال الدين واختلفوا وانشأوا المذاهب المتعددة واخرجوا الدين المسيحي عن وضعه الاول فرح الابالسة واستردوا سلطتهم واعادوا مملكتهم ولذلك جعل تولستوي عنوان روايته (اعادة مملكة جهنم) كما ذكر ذلك حضرة المعرب باللغة الفرنسوية في غلاف الرواية. ولكن اذا كان تولستوي يظن ان اصلاح العالم يكون بالعودة الى مبادىء الدين المسيحي الاولى وانه يمكن اتقاء التفرع والتنوع في المبادىء والمذاهب فظنه بعيد وتحقيقه امر مستحيل . فالتنوع والتفسير والتأويل حسبما يرى كل مفسر ومؤول بحسب رأيه وتربيته واخلاقه ومصالحه سنة طبيعية • ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة • وقد ضعف رجال الدين في هذا الزمن ضعفاً غير قليل وضعف مقاومهم ايضاً لان مقاومة الضعيف لا تحسن بالاقوياء اللهم الاَّ في البلاد التي لهم فيها سلطة مرعية وكلمة نافذة • ويظهر من مقاومة تولستوي لهم تلك المقاومة انهم في روسيا كذلك . ولكن كم في الدنيا من اناس اعمالهم واقوالهم وآثارهم اجدر بالمقاومة والنبذ من اعمال رجال الدين واقوالهم لانها اي تلك الاعمال والاقوال تكون اضرّ في الامة واشد اذية في بعض الاحيان

مسائل ورسائل

فلسفة نيتش

لقد اطلعتُ على ما جاء في فلسفة نييتش في الجزء الاول من السنة السابعة لمجلتكم ووددت لو انكم تلخصون كل اقوال نيتش (دون حذف شيء منها) وتعلقوا عليها حواشي اعتراضاتكم وافكاركم . وان لا تحذفوا المبادىء الكثيرة التي لا ترون لها موضعاً في الشرق ولا يمكن العمل بها) بل تتحفوا قرائكم بها كلها . لان (قصيدة نسج بردها الله لا انسان وحطمت مبادىء البشر وكل معروف ومألوف لديهم تحطيماً دوت له الدنيا) كافاتم الجديرة بان لا يُحذف

منها حرف واحد وتأكدوا بان كثيرين من مشتركيكم يرغبون ذلك مثلي

الدكتور

نقولا معلوف

الخرطوم ٢٨ دسمبر

الاسبتالية الملكية

﴿الجامعة﴾ نعم اعلنا في الجزء السابق اننا نحذف من فلسفة نيتش كل ما لا نرى نشره ضروريًا. ولكننا قصدنا اننا نحذف منها كل ما هو بحث ديني محض لاننا ابعد الناس عن البحث الديني الذي لا فائدة منه. واما المواضيع المتصلة بالمباحث الاجتماعية والفلسفية فاننا نبقيها كما هي. ونشكر لحضرة الدكتور الفاضل ملاحظته

المهاجرة الى اميركا

طلبًا للعلم

نرجوك وانا احد قراء مجلتك ان تسهب القول في رحلتك الامريكانية وان تضمنها بالمناسبات فوائد علمية شأنك فيما تكتب — وان تشرح لنا نظام التعليم هناك الابتدائي والعالي ولاسيما التعليم الزراعي ومدته ومقدارما يتكلفه المتعلم هناك في السنة اذاعاش مقتصدًا — كما نرجوك ان تجيب على سؤالين بمكان من الاهمية عند كثيرين ممن أعلم (وكثير من اعلم)

(١) عندنا رجل شهير يريد ارسال ولده الصغير الى امريكا ليتربى هناك التربية الابتدائية والعالية في مدارس الزراعة وهو لم يحسن بعد لغة البلاد التي هو فيها الآن كتابة وقراءة فهل تستحسن ذلك واذا استحسنت فما مقدار ما ينفقه مثل هذا الغلام في العام اذا اراد رجل متوسط الحال ان يبعث بولده وهو في مثل حالة الغلام الاول. وهل هناك عائلات تقبل التلاميذ فيها او في المدارس مدارس داخلية

(٢) لو ان رجلا كان في الازهر قبل ولا يحسن من الانكليزية ولا ما يشتري به قوتًا ولا من العلوم العصرية الا القليل مما يعرفه قراء الجرائد والمجلات واراد السفر الى امريكا ليدرس هناك علوم الاجتماع والفلسفة . فهل بما عرفت من حالة البلاد تقدر لمثل هذا نجاحًا وان كان فما مقدار ما يكفيه من الزمن لدرس اللغة واعداد نفسه لدخول الجامعات وما مقدار الزمن الذي يمضيه في درس العلوم المذكورة

نرجوك ان تجيب على هذين السؤالين ولو في عرض الكلام عن الرحلة كما نكرر الرجاء لك في الاسهاب في شرح حالة البلاد العلمية على الخصوص ولك الشكر الخالص من

احد القراء

﴿ الجامعة ﴾ نشكر حضرة المراسل لحسن ظنه بالجامعة ولكننا استغربنا ان يكتم حضرته اسمه حتى عن ادارتها . ومع ذلك فنجيبه عن سؤاليه وان خالفنا عادة الجامعة وهي اهمال كل ما يرد عليها وليس عليه توقيع كاتبه

﴿ جواب السؤال الاول ﴾ اننا نستحسن ارسال طالب علم الزراعة الى اميركا لان مدارسها الزراعية من افضل مدارس الدنيا وبساتينها الاختبارية الزراعية لا مثيل لها . ولكننا نفضل ان ينشأ الفتى في بلاده ويدرس فيها الدروس الابتدائية واللغة الانكليزية الى ان تشتد الواحه ويجاوز سن الصبي حتى اذا أُرسل الى اميركا قدر على تدبير شؤونه بنفسه ولم تضره حريته وارتفاع مراقبة اهله عنه . فان كثيرين من الطلبة البعيدين عن اهلهم يضرهم ارتفاع مراقبتهم عنهم فيسيئون بدل ان يحسنوا . وفي اميركا واوروبا كثير من الفخاخ والحبائل التي يقع فيها الفتيان الشرقيون الذين لا يحسنون تدبير انفسهم لحداثة عهدهم في الدنيا وقلة خبرتهم فيشتغلون عن دروسهم بشواغل اخرى. فالافضل ان يبقى الطالب في بلده تحت رقابة اهله حتى يقوى ويأمنوا عليه فيرسلوه الى الخارج . وفي اوروبا واميركا عائلات تقبل الطلبة باجرة قدرها بين ٨ و ١٠ ريالات اميركية في الاسبوع غير النفقات الجزئية الاخرى. واما المدارس الداخلية فاجورها لا تطاق . فرب مدرسة يدفع فيها الطالب الف ريال في السنة (مائتي جنيه) ولذلك فالافضل ان يكون الطالب (خارجياً)

﴿ جواب السؤال الثاني ﴾ لا نستحسن هجرة الطالب الازهري الى اميركا طلباً (للعلوم العصرية) اولاً لانه لا يحسن الانكليزية وثانياً لانه لا يملك مالاً يتعلم به وثالثاً لان طلب العلوم العصرية في مدارس المانيا وفرنسا وانكلترا افضل من طلبها في المدارس الاميركية ورابعاً لان طلب (العلوم العصرية) لا يفيده بعد خروجه من المدرسة الفائدة التي يقصدها . وخير له ان يطلب (العلم العملي) كدرس احد فروع الصناعة او الهندسة او الزراعة في مدارس اميركا الصناعية او الهندسية او الزراعية . واننا نُصرح بكل حرية ان تهافت ابناء الشرق على العلوم النظرية وحدها تهافت مضر واننا في هذا الطور من حياتنا احوج الى العلوم العملية . ولو اخذ حضرة الازهري جميع علوم اميركا وعاد بها الى مصر والشرق كله فلا يجد فيها عملاً يرضيه ولكنه لو درس الزراعة مثلاً او هندسة البناء لاشتغل بصناعته في اي بلد

الأخبار العلمية

المركبات الطيارة

سيتسابق اصحاب المركبات الطيارة في عين شمس قرب القاهرة في اوائل فبراير . وليس فيهم الا رجل مشهور وهو لاتام واما سائر المشاهير فابوا الاشتراك في هذا السباق

﴿ البيبلان والمونو بلان ﴾ والمركبات الطيارة اصبحت الآن نوعين وكانت من قبل عدة انواع فاختصرها الانتخاب الطبيعي وبقي منها الافضل . والنوع الاول (البيبلان) اي المركبة المزدوجة لان سطحها مزدوج فهي كالقفص كما ترى في (الرسم الثاني)والنوع الثاني (المونو بلان) اي المركبة ذات السطح المفرد كما (ترى في الرسم الاول) وكلا النوعين يدعى (آيروبلان)

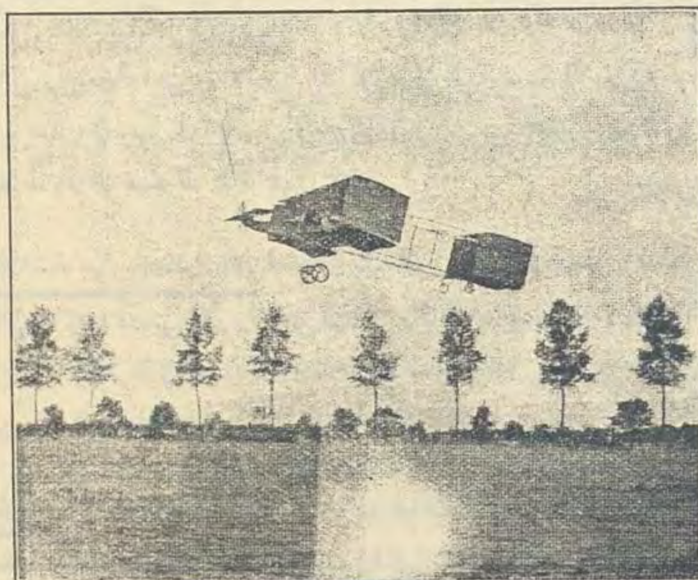
﴿ الاخف من الهواء والاثقل من الهواء ﴾ ويدعون هذا النوع من المركبات الطيارة (الاثقل من الهواء) لان المركبة الطيارة ترتفع في الحقيقة لا يكون جرمها اخف من جرم الهواء الذي تشغله كالمناطيد (البالون) بل بسرعة المحرك (الموتور)الذي يديرها فتحملها الريح الشديدة المتولدة من سرعتها وترتفع بها وكلما ازدادت هذه السرعة زاد ارتفاعها وكلما نقصت قلّ ارتفاعها وتستمر المركبة طائرة ما دام المحرك (الموتور) يدير آلتها التي تدفع بها الهواء الى وراء . وراكبها يوجهها بسكانها (دفتها) الى حيث يشاء . ومتى اراد النزول بها الى الارض اوقف حركة المحرك تدريجاً فتهبط المركبة تدريجاً . فهي كالعصفور يطير بسرعته في الهواء مع كونه اثقل منه . والامر الصعب في بنائها طريقة موازنتها واستوائها في الجو وهذا ما كان يحار فيه الهوائيون من قبل حتى اكتشفوه اليوم

﴿ حادثة تاريخية ﴾ وفي الرسم الاول رسم المهندس الهوائي بلريو المشهور حين طار بمركبته (مونو بلان) من مدينة كاله في فرنسا في ٢٥ يوليو الماضي وعبر عليها بحر المانش الى دوفر في انكلترا في ٣١ دقيقة . ومكان بلريو من مركبته ظاهر في رسم المركبة . وقد ابتعنا هذا الرسم من باريز حين مرورنا بها وكان يُباع امام المكان الذي عُرضت فيه هذه المركبة في جريدة الماتن وقد شاهدناها مع جمهور المشاهدين وفحصناها ملياً

﴿ اول سفر للبيبلان ﴾ والرسم الثاني رسم المهندس الهوائي فرمن وهو طائر بمركبته التي من نوع (بيبلان) بين معسكر شالون ومدينة ريمس . وكان هذا اول سفر طويل للبيبلان



(الرسم الاول) (مونوبولان) — المسيو بلريو في مركبته الطيارة يعبر بحر المانش



(الرسم الثاني)(بيبلان) —المسيو فرمن طائر بين معسكر شالون ومدينة ريمس

من النائب العمومي في نيو يورك

الى الجامعة

الجنسية الاميركية والغرباء في اميركا

لا يزال يرد باسم مجلة الجامعة على بريد نيويورك عدة رسائل فتحول الى الادارة في القاهرة . وآخر ماوردنا منها رسالتان من سمسار ين يبيعان مزارع ورسالة من محل في شيكاغو يبيع آلات للكتابة (تيب ريتر) باثمان معتدلة ورسالة من شركة لمبيع الاراضي نوجرزي . ولكن اهمها كلها رسالة وردتنا معها من جناب النائب العمومي في نيويورك يطلب فيها صاحب مجلة الجامعة ان يحضر في الاجل المضروب لانتخاب المحلفين (الجوري محكمة الجنايات) وان لم يحضر في الاجل المضروب يُغرم بدفع ٥٠ ريالاً اميركيًا (عشرة جنيهات) فكتبنا الى النائب العمومي نعتذر الى حضرته عن ابطائنا في الرد على رسالته لاننا برحنا اميركا منذ اشهر وهو سبب كاف في ان يحرمنا من شرف الجلوس في مجلس الجوري في محاكم الولايات المتحدة العظمى

ولكن هناك سبباً آخر لم نذكره لحضرته لان ما فات فات ولا حاجة الى ذكره . وهو انه لا يكون من اعضاء الجوري الاميركي الا كل داخل في الجنسية الاميركية . وصاحب الجامعة لم يطلب الدخول في الجنسية الاميركية وان كان من المعجبين باميركا والاميركيين وقد حفظ لها ولهم في نفسه تذكارًا جميلاً لا يمحى

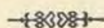
⁂ **المستر هوارد كولد** ⁂ قدم الى مصر المستر هورد كولد احد اصحاب الملايين الاميركان على يخته الخاص ليصرف فصل الشتاء فيها وقبل قدومه بعث فاستأجر كل القسم الخاص بالملوك والامراء في فندق الكونتيننتال في القاهرة وحضرته شقيق السيدة الفاضلة مس هلن كولد التي ترى مقالة عنها في هذا الجزء بقلم مدام روزا حداد

⁂ **تنبيه** ⁂ — شرعنا في بدء السنة الجديدة في انهاء الحسابات الماضية . فكل وكيل حصل بدلات اشتراك الجامعة ولم يرسلها اليها وكل مشترك لا يتذكر بدل الاشتراك عن السنوات الماضية التي تناول فيها الجامعة ولا يريد دفع بدلها سيكون بينه و بين الادارة حساب طويل . ونؤمل ان لا يقع بيننا و بين احد ما يسوءه

احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا



﴿ ملفا ﴾ (قلنا في الجزء السابق ان رواية ملفا التي وضعها الكاتب الروسي المشهور مكسيم غوركي هي كسائر رواياته التي تُرجمت الى جميع لغات العالم قاصرة على الطبقات الدنيا من البشر كاللصوص والمتشردين ومهربي البضائع والمتسولين والنساء الساقطات الخ. لان المؤلف عاشرهم جميعاً وعاش عيشتهم فهو يصور أخلاقهم وعاداتهم وحياتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالا جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن عظام البشر · ويقصد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومات والطبقات العليا على الالتفات اليهم والعناية باصلاح شؤونهم — وأبطال رواية (ملفا) التي شرعنا في تعريبها صيادون ومتشردون وفيهم امرأة ساقطة هي أهم شخص في الرواية · وقد نشرنا في الجزء السابق شيئاً منها واليك التتمة . وتنتهي هذه الرواية في الجزء الخامس على الكثير)

٢

فسأله فاسيلي ما فعلتم بالمال الذي بعثت به اليكم في السنوات الخمس المنصرمة فأجابه ابنه انهم انفقوه في تزويج أخته مريم وترميم القربة وابتياع محراث . فقال فاسيلي فلماذا لم يكفكم .

وهنا فاضت قدر السمك التي كانت على النار فاسرع اليها فاسيلي وأخذ يحركها وهو يفكر بكلام ابنه وفي نفسه انقباض وكآبة . وكان يتساءل حيناً بعد آخر ماذا يقول ابنه عن سبب وجود ملفا هناك وكان هذا السؤال يزيد كآبته واضطرابه · اما ملفا فكانت لا تزال تلقي الى ياكو نظرات توقع الاضطراب في نفسه · فلما نهض فاسيلي قالت لياكو — لابدّ انك تركت في قريتك خطيبة لك

فقال ياكو . ذلك ممكن

فقالت وهل هي جميلة . وهل تراها اجمل مني

فلم يجب ياكو . فصاحت به مالك لاتجيب

فرفع ياكو نظره اليها وعرته هزّة لمنظر ذلك الوجه الاسمر الصبوح والعينين البراقتين والابتسامة الدالة على الخبث . فاراد اجابتها بنزق وشراسة ولكنه رأى ان في نفسهِ شيئاً يمنعهُ من ذلك . فتأوهّ وقال بلهجة الرجاء

— لماذا تخاطبينني هكذا

فقالت وكيف تريد ان اخاطبك

فقال ولماذا تضحكين

قالت لانني اهزأُ بك

ولما قالت هذا الكلام وجهت برق عينيها نحوه فغض من طرفه بضعف وقال — ماذا فعلت لك

فسكتت حينئذٍ ملفا ولم تجب

وكان ياكو متحققاً ان ملفا هي عشيقة ابيه ولذلك ما كان يجترئُ على محاوبتها كما كان يريد

ثم عاد فاسيلي ونادى ملفا ان تأتيه بالملاعق فاجابت انه يجب غسلها بالماء ولذلك اتجهت نحو الشاطىء لتغسلها وتجلب زجاجة في الزورق تحوي شراباً مسكراً

فبعد خروجها من الكوخ لبث فاسيلي وابنه مطرقين . وبعد هنيهة قال فاسيلي يخاطب ابنه : اين لقيتها

فقال ياكو لقيتها امام المكتب حيث كنت اسأل عنك فاخبرتني انها آتية اليك في زورق ودعتني الى ان ارافقها ولا اقطع المسافة مشياً على قدميّ في الرمال فرافقتها

فسكت فاسيلي ثم قال . وما الحيلة يابني . فانني كثيرا ما غالبت نفسي فغلبتني . واذا كان من السهل الفرار من الموت فمن السهل الفرار من المرأة

فسكت ياكو ولكنهُ قال في نفسهِ ان اباهُ مازال كهلاً . وان جميع الذين يفارقون قراهم ويذهبون بعيداً لكسب المال يقعون في الفساد

وهنا عادت ملفا وفي يدها زجاجة الشراب والملاعق بعد ان غسلتها . فجلس الثلاثة الى المائدة . وكانت ملفا ترى اكباب ياكو على الطعام وشدة قابليته فيعجبها منهُ هذا

الاندفاع والشباب • ولذلك كانت تنظر اليهِ وتبتسم • اما فاسيلي فكان ياكل وهو عديم القابلية ونظره يتردد بين ياكو وملفا لمراقبتهما

وبعد حين شرب ياكو شيئاً من الشراب وفرغ من الطعام واخذ يتثاءب . فنهض ابوه وقال لهُ نم واسترح بعد الطعام • فاستلقى ياكو على اكياس في الكوخ وهو يضحك وقال : لقد اصبت ولكن الى اين انتما ذاهبان

فلم يجب فاسيلي واسرع الى الخروج لان ضحك ابنه كان يزعجه • فاجابته ملفا وهي تضحك — هذا لا يعنيك . وخرجا

فقال ياكو وهو يكاد يعربد • هذا لا يعنيني • ها • ها • سأريك ايتها الاوينسة الجميلة

ثم ابتسم ابتسامة السكارى ونام

اما فاسيلي فانه اخذ ثلاث قوائم من خشب فغرسها في الرمل على الشاطئ بشكل مثلث والقى فوقها بساطاً واستلقى هو وملفا في ظل البساط

وكانت ملفا ترى الغضب في وجهه فقالت له • ما بك ايها الشيخ • اساءك ان ترى ابنك

فاجابها غاضباً . انه الآن يهزأ بي وانت كنت السبب في ذلك

فاظهرت الدهشة وقالت : انا كنتُ السبب • ماذا تقول

فقال نعم انت كنت السبب فانك لولم ... فقطعت كلامه وقالت حقاً انك جدير بالشفقة • أصحيح ما تقول • فما كان يجب عليّ ان افعله اذاً . اذا كنتَ تحب ان لا اعود الى هنا فانني لا اعود . اهذا ما تريد

فصاح فاسيلي . اسمعوا كلام الساحرة • انظروا هذه المرأة • انكما كليكما تضحكان مني • وانت مع ذلك اقرب اليّ منه • ما يجعلك تضحكين هكذا ايها الشيطان

ثم ولى وجهه عنها بغضب وسكت

اما ملفا فاستمرت تضحك وهي واثقة من قوتها ككل امرأة جميلة اعتادت الاعتماد على جمالها

وكانت حينئذٍ جالسة ويداها تطوقان ركبتها وجسمها يتمايل بارتخاء وعيناها شاخصتان نحو البحر الساطع تحت اشعة الشمس كأنَّ فيه ناراً موقدة

فالتفت اليها فاسيلي اذ رآها سكتت وصاح مالك لا تجاوبين

فقالت ملفا — انني احلم

فقال وبمَ تحلمين

فرفعت حاجبيها وقالت : بلا شيء

ثم سكتت هنيهة و بعدها قالت : ألا ترى ان لابنك رونق الشباب وقوته

فلدغت الغيرة قلب فاسيلي فاستوى جالساً وصاح — وماذا يهمك هذا

فقالت يهمني بعض الشيء

فرفع فاسيلي رأسه اليها بغضب وهو يحرق الارم وقال : انتبهي ٠واياك ان تحرجيني فتخرجيني عن الصواب

ثم قال انني رجل هادىء ٠ولم افهم مرادك بعد ولكني اذا فهمته فاحذري

فلم تلتفت ملفا نحوه بل اجابته وهي تنظر في جهة البحر بلا مبالاة — لا تهدد يا فاسيا

فقال لا تمزحي فلا اهدد . فقالت انك لا تخيفني . فقال وقد اشتدّ غضبه ٠ انني اقطع جسمك ضرباً مبرحاً اذا كان في نفسك امر سيء

على ان ملفا لم تغضب لغضب فاسيلي وتهديده بل استمرت ساكنة رزينة ولكنها اجابته بهدوء : هل تظنني زوجتك

وقبل ان يجيبها على سؤالها هذا اردفت كلامها بقولها — انني اعلم انك كنت تضربها لا لذنب سوى الرغبة في ضربها ٠فاسمع الآن . لا تظن انك تقدر على ان تفعل بي ما كنت تفعله بها . فانا حرة مطلقة كالهواء لا يملكني احد ولا اخاف احداً ٠واذا كنت ترغب في اظهار شجاعتك وقوتك فقد كان عليك ان تظهرهما امام ابنك الذي كنت تضطرب لديه وتخاف . فلا تهدد امرأة . هذا عيب

ثم سكتت وعلى وجهها لوائح الاحتقار ٠ فزال غضب فاسيلي عند رؤيته اياها في هذه الهيئة وسماعه هذا الكلام . وكان الغضب قد كساها جمالاً ورواء لم يرهما لها من قبل . فعرته الدهشة وقال بشيء من الاعتدال والاضطراب

— اراك تتفلسفين

فقالت : اسمع ايضاً . يظهر انك فاخرت على مسمع من سريجك بانني استغني عن الخبز ولا استغني عنك . وقد وهمتَ . اتظنني احبك ؟ كلا وانما احب هذا المكان الذي تقيم فيه — واشارت بيدها اشارة مستديرة شملت البر والبحر — وربما كنت احب هذا المكان لانه مقفر وايضاً لان البشر الادنياء لا يقيمون فيه . والذي احبه هنا السماء والبحر . وانت تقيم هنا فلا بأس فانني اقيم معك فكأنني اعطيك أجرة اقامتي فيه . ولكن لو كان

ابنك مكانك او سريجك لأقمت مع هذا او ذاك كما اقيم معك . افهمت الآن ؟ وربما كنتُ في هذا المكان أصفى عيشًا لو لم تكن انت فيه ولم يكن فيه احد غيرك . ذلك لانني اجد الضجر والملالة معكم جميعًا . ولو اردت لوجدتُ من هو افضل منك . افهمت ؟

فوثب حينئذ فاسيلي على ملفا واخذ بخناقها والغضب مستحوذ على نفسه وصاح — فاذًا هذا هو فكرك . ثم القاها الى الارض بيده القوية واخذ يوسعها ضربًا على عنقها ورأسها وهو يصيح : ساريك ايتها الشقية . واستمر يضربها على وجهها وعينيها ورأسها

وكانت ملفا قد سقطت على ظهرها تحت ضرباته وقد انتشر شعرها وزاد جمالها ورواؤها . وكان فاسيلي مشتغلا بضربها فلم يرَ ما كان في عينيها حين استقبالها ضرباته من البغض والكراهة والاحتقار . ولكنه لما سكن بعض الشيء ووقعت عينه على عينها وجدها تبتسم . ثم ان ابتسامها تحول قهقهة غريبة .

فصاح فاسيلي مستغربًا — مالك ايها الشيطان

فنظرت اليه ملفا بسكينة وقالت — فسكا . أأنت ضربتني .

فلم يفهم فاسيلي مرادها واحتار في ما يجيبها ثم قال — فمن اذًا . واراد ان يستأنف ضربها ولكن يده لم تطاوعه لان غضبه كان قد زال فضلاً عن ان صوت ملفا اللطيف وهي مضروبة كان كأنه سهم اخترق فؤاده .

فقالت ملفا — فاذًا أنت تحبني ولذلك ضربتني .

فقال فاسيلي اسكتي ايها الشيطان . فقد كان عليَّ ان اضربك باشد مما ضربتك.

فقالت ملفا وهي تضحك ايضًا كنت اظن بعد مجيء ابنك انك سلوتني وستطردني

فقال يالك من حمقاء . وهل لابني سيادة عليَّ . وما دخله في هذا . ثم رجع في كلامه فقال بل له دخل في ما فعلت . فانك اردت ايلامي بذكره في حديثك قبل ان غضبتُ . فلماذا تستثيرين غضبي .

فاستمرت ملفا تضحك ومالت نحو فاسيلي واستندت الى كتفه وقالت — أاغضبتك لاختبرك . فقد قلتُ ما قلتُ مخصوصًا .

فقال اردت اختباري ولكنك رأيت ما يجر اليه هذا الاختبار .

فاطبقت ملفا جفنيها بعض الاطباق وسكتت هنيهة ثم قالت — وما يهمني . لا شيء يوجب غضبي . انك تحبني وضربتني . فسأرد لك ضرباتك .

ثم فتحت عينيها وحدقت في عيني فاسيلي وقالت كأن في نفسها تذكار ملذة ومسرة.

نعم سأرد لك ضرباتك .

فعرت فاسيلي هزة الطرب لانه رأى في حركات ملفا وعداً له لا وعيداً افقال — قولي كيف تردينها لي .

فاجابت ملفا بسكينة ولكن شفتيها كانتا ترتجفان — سترى

فعانق فاسيلي ملفا حينئذ وقال = اتعلمين يا حبيبتي انك اصبحت الآن بعد ان ضربتك اعز لدي واحب اليَّ منك قبله . ولا اعلم ما الذي استولى عليَّ . . .

وكان البحر يتنفس ويضحك بصوت رفيع وامواجه تكاد تبلغ اقدامهما . وكان النسيم يهبُّ عليلاً فيداعب شعورها . والطيور البحرية تحوم حولهما وهي تتداعب وتتناجى .

فمال فاسيلي نحو ملفا بعد ان فكر ملياً وقال

— ما اعجب هذا الكون واغرب ما فيه . كل ما فيه من ذنوب وخطيئة شيء محبوب . انت لا تدركين هـذا ولكنني كلما فكرت في شؤون الحياة عرتني الرهبة والخوف . نعم انها تخيفني وخاصة في الليل حين يهجر الكرى جفني . فانني أرى البحر والسماء تحيط بهما الظلمات وانا وحيد فريد . اتصوَّر الارض جرماً هائلاً يدور في الفضاء وانا جالس عليها وحيداً فريداً فتضيق نفسي . ليتك تكونين بجانبي في الوقت الذي اشعر فيه هذا الشعور فنكون اثنين على الاقل

وكانت ملفا صامتة وعيناها مغمضتان . وكانت ممددة على الرمل ورأسها مسند الى ركبة فاسيلي . وكان فاسيلي ينحني نحوها حيناً بعد حين وينظر اليها بحنو وعطف ويقبلها

فاقاما على الرمل نحو ثلاث ساعات حتى مالت الشمس نحو المغرب فنهض فاسيلي وقال ان ضيفي يكاد ينتبه من رقاده فعليَّ ان اصنع له الشاي

فسار فاسيلي نحو الكوخ وبقيت ملفا على الرمل وقد تنهدت بعد ذهابه تنهد الارتياح الى البعد عن رجل ملت صحبته

وبعد ساعة كان الثلاثة في الكوخ يتناولون الشاي . وكان الظلام آخذاً في الهبوط والامواج تتخذلونه شيئاً فشيئاً . وكان فاسيلي يحادث ابنه وهو يحسو كأس الشاي وملفا صامتة لا تتكلم

فقال فاسيلي . ان فلاحينا يعيشون في مزارعهم فكيف لم تستطع انت المعيشة في المزرعة فقال ياكو انهم يعيشون في حالة سيئة . فقال فاسيلي قد كان يكفينا نحن شيء من الخبز ومزرعة تكون ملكاً لنا . فقد كنا نعيش فيها كما يعيش السيد في قصره . على اننا لسنا هنا الاَّ خدمة

فقال ياكو وليكن العمل هنا اخف واقل من العمل في المزرعة والغذاء اوفر واكفى

فقال فاسيلي لا تصدق ذلك . فضلاً عن كوننا نعمل لغيرنا لا لنا

فقال ياكو ولكن الكسب وافرٌ هنا

وكان فاسيلي يعلم ان الحق في جانب ابنه ولكنه كان يروم تغيير رأيه وصرفه عن الاقامة معه ليخلوله الجو بملفا فقال — وكم تحسب انه يمكن الربح هنا . ان العمل شاق وقليل الربح في كل مكان

فالتفت فاسيلي نحو البحر وقال ما اوسع هذا البحر. انني اتمنى لو يكون لي وهو ارض لكنت احرثها وازرعها

فسرَّ فاسيلي بذكر ابنه الارض وتحسره عليها فاراد زيادة ميله اليها . فقال — انك لصادق في تحسرك على الارض يا بني . فان الارض قوة لمن يلصق بها ويعمل فيها . وهي بمنزلة ام حنون تغذيه اذا عني بها واذا هجرها ضاع واصبح كالشجرة التي لا جذور لها

وكانت الشمس قد اخذت تتوارى وراء البحر لتذهب وتنبه الاراضي الراقدة بنور فجرها الساطع . وكانها كانت تنحدر في مياه البحر والبحر يستقبلها باصوات امواجه العازفة التي تلونت بلونها كانها في الحقيقة قد امتزجت بها

وبعد حين قالت ملفا . ماذا افعل هنا فقد هبط الظلام وعليَّ ان انصرف

فاضطرب فاسيلي وقال بصوت ضعيف وهو ينظر الى ابنه — لماذا تعجلين انتظري طلوع القمر على الاقل

فقالت ملفا وهي تضحك في سرها ولماذا انتظر القمر . اتظنني اخشى السير في الليل . ام هذه هي اول مرة خرجتُ فيها سارية . فضحك ياكو في سره وظهر ضحكه في عينيه فاغمضهما ليخفي تهكمه

واحس فاسيلي بحرج موقفه فقال بشيء من النزق . اذاً فاذهبي .

فنهضت ملفا وودعت الابن والأب ثم سارت على موازاة الشاطي . وكانت الامواج تتصادم تحت قدميها كانها تتطاول نحوها لمداعبتها

وكانت النجوم قد بدت تسطع في السماء كأنها ازهار من ذهب . واخذت الوان ملابس ملفا تغيب عن بصر فاسيلي وابنه كلما ازدادت بعداً عنهما . وكانت ملفا تنشد في مسيرها نشيداً هذا مطلعه

« تعالَ تعالَ يا حبيبي

« تعالَ لاضمك الى صدري

ثم وقفت لأمر في الطريق • فبصق فاسيلي من الغضب وقال • يا لها من شقية • فانها ما وقفت الا لاغاظتي

ثم كظم غيظه وابتسم قائلا — ها قد عادت الى الغناء •

وكانت ملفا تغني وهي كأنها في الافق بقعة سمراء لبعدها :

« صدري من عاج فيه اوزتان

« وهما لك ·

فبصق فاسيلي ثانية وقال مزمجرًا يا لها من شقية

اما ياكوفانه كان شاخصاً نحو الجهة التي كان يرد منها ذلك الغناء « المملوء بالتجربة » وكان كله آذاناً تسمع • ثم ترجم عما كان يجول في نفسه بتنهد خرج من صدره . وكان ابوه يخاطبه في هـذا الحين فالتفت اليه · فقال الأب — يظهر انك لم تحسن تدبير الارض ·

واستمرَّ صوت ملفا يدوي في الفضاء بتتمة الغناء :

« وحدي في هذا الليل

« كيف استطيع ان انام

الفصل الثاني

وفي يوم الأحد التالي انتظر فاسيلي مقدم ملفا حسب عادتها في يوم الاحد · وكان مسروراً بان ابنه لا يكدر صفوه في ذلك اليوم • ذلك لان ياكو قال له في المساء انه سيأخذ شبكة ويذهب مع بعض رفاقه للصيد · وكان ياكو قد شرع في العمل في المصائد وأخذ يكسب ١٥ روبلاً في الشهر · وكان رفاقه يعجبون ببشاشته وجرأته في الاعمال

وبقي فاسيلي منتظرًا ملفا طول النهار وهو يبرق ويرعد ويقوم ويقعد ولا يرى في البحر شبح زورقها · فاخذ يقول في نفسه انها غضبت لانه ضربها • ولما انتصف النهار ولم تأت بصق من غضبه في الجهة التي اعتادت المجيء منها وقال ابقي يا شيطانة حيث انت

ولكن كانت تخطر في باله أفكار تؤلمه من جهة ياكو فيحاول طردها • فيصرف فكره الى امر آخر ولكن فكره كان يعود على الدوام الى ملفا وياكو وتعود تلك الافكار • وكان يتألم لان عمله في حراسة ذلك المكان يوجب عليه البقاء فيه فلا يستطيع الذهاب للتفتيش عن ملفا